

الأحاطة في أخبار غزواتها

لِذِي الْوَزَارَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْحَطِيبِ

حَقَّقَ نَصَّهُ وَوَضَعَ مَقْلَمَتَهُ وَحَوَّاشِيَهُ

مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ غَمَّانُ

المجلد الأول

الطبعة الثانية

دوَّجعت على مخطوطات جديدة بالخرائن المغربية

الناسر: مكتبة الحاجي بالقاهرة

الطبعة الثانية
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
الحقوق كلها محفوظة
Copyright, Cairo, 1973.

القاهرة
الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حينما عنيت بتحقيق المجلد الأول من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » لابن الخطيب ، وإصداره في سنة ١٩٥٦ ، كنت أظن أن مهمتي في تحقيق هذه الموسوعة الأندلسية الحليّة ، ستقف عند هذا الحد ، وأن غيري من الزملاء الباحثين والمحققين ، سوف يتولى إخراج باقي أجزائه .

ومضت الأعوام ، وشغلت بالعمل في إتمام موسوعة الأندلس التاريخية ، حتى كملت بعون الله ، منذ بضعة أعوام ، وقمت بعد ذلك بدراسة وافية لحياة ابن الخطيب وآثاره ، صدرت في مجلد كبير في سنة ١٩٦٨ . وبقي كتاب الإحاطة خلال هذه الأعوام المتتالية ، حيث كان ، ولم يعن أحد من الباحثين بشأنه .

عندئذ عقدت العزم ، على استئناف العمل ، في تحقيق هذه الموسوعة العظيمة ، وقمت خصيصا لهذا الغرض بثلاث رحلات دراسية متوالية ، في اسبانيا والمغرب وتونس ، توفرت خلالها على دراسة سائر مخطوطات كتاب الإحاطة ، الموجودة في مكتبة الإسكوريال ، ومكتبة أكاديمية التاريخ ، والمكتبة الوطنية بمدريد ، والخزائن المغربية في الرباط وفاس ، ومخطوط جامع الزيتونة بتونس .

وكتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » كما يسمى في مخطوطة دار الكتب المصرية ، ومخطوطة جامع الزيتونة بتونس ، أو « الإحاطة بتاريخ غرناطة » أو « الإحاطة في تاريخ غرناطة » أو « الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة » هو بلا ريب أشهر كتب ابن الخطيب وأضخمها وأقيمها .

وهو ليس تاريخاً لغرناطة بالمعنى المحدود ، ولكنه عبارة عن موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بهذه المدينة الأندلسية التالدة ، من الأخبار والأوصاف والعالم ،

فهو يتناول وصفها وجغرافيتها، وخططها، ومواقعها، وما يحيط بها، من المروج والجبال، ثم يتناول تاريخها منذ نزل بها العرب الأوائل، وأخبار من كان بها، ومن نزلها أو مر بها من الكتاب والشعراء والأدباء والوزراء والمتعلمين، كما يتضمن خلاصة لتاريخ الدولة النصرية منذ عصر مؤسسها محمد بن يوسف ابن الأحمر حتى عصر المؤلف. وهذا عدا ما يورده المؤلف خلال موسوعته من تراجم فياضة للملوك الدولة النصرية المتعاقبين.

ويورد لنا ابن الخطيب في كتاب «الإحاطة»، تراجم طائفة كبيرة من الأعلام والأكابر، الذين عاشوا في غرناطة، أو نزلوا بها، أو وفدوا عليها في مختلف عصور التاريخ الأندلسي، ويفيض في ذكر معاصريه من الملوك والوزراء والشيوخ والأقران، ويعنى عناية خاصة بترجمة أكابر العلماء والكتاب والشعراء من معاصريه، سواء في الأندلس أو المغرب، ويورد لنا كثيراً من شعرهم ونثرهم. ويضم كتاب «الإحاطة» من هذه التراجم زهاء الخمسمائة. ويتناول ابن الخطيب من خلال هذه التراجم، تاريخ عصره وملوك عصره، سواء في الأندلس أو المغرب، بدقة وإحاطة، ويصف ما وقع فيه من الأحداث السياسية والعسكرية، وصف الخبر المطلاع، ورجل الدولة الواقف على دقائق الأمور والعوامل والأسباب.

وهو لا يلتزم في كتابه الترتيب التاريخي، للعصور والحوادث والأشخاص، ولكنه يلتزم الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم، غير أنه لا يلتزمه بصورة دقيقة. وقد ذكر لنا ابن الخطيب مصادرهم في مقدمته، وفي سياق كتابه، وفي مقدمتها، تواريخ ابن القوطية وبنى الرازي، والمقتبس لابن حيان، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، والذخيرة لابن بسام، وتاريخ مالقة لابن عسكر، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي، وروض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي. ورجع فيما يتعلق بتاريخ الدولة المرابطية، وسير أعيانها، بالأخص، إلى تاريخ ابن الصيرفي المسمى «بالأنوار الحلية في تاريخ الدولة المرابطية» وهو يكثر الاقتباس منه. وأما فيما يتعلق بالتراجم، فقد رجع ابن الخطيب إلى «علماء البيرة» لأبي القاسم الغافقي، وإلى تاريخ ابن مسعدة، المسمى «تاريخ قومه»، وإلى «القدح المعلق في التاريخ المحلى» وإلى «الطالع السعيد في تاريخ

بنى سعيد « لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي ، وإلى كتاب « الحلة السبراء » لابن الأبار ، وكتاب « الصلة » لابن بشكوال ، و« صلة الصلة » لابن الزبير ، و« الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي . ورجع فيما يتعلق بمعاصريه ، وهم الأكثرية الغالبة ، في كتاب الإحاطة ، من أشياخ وأقران وتلاميذ وغيرهم ، إلى مادة غزيرة ، من الوثائق والمعلومات الخاصة من ذوى الشأن أنفسهم ، أو من أقربائهم ومعارفهم . ورجع فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية ، ووزرائها وأكابر دولتها ، إلى الوثائق والمخطوطات السلطانية والديوانية .

وينقل ابن الخطيب في كتاب « الإحاطة » نبذاً من كتبه السابقة ، التي ألفها من قبل ، ومنها كتاب « عائد الصلة » الذي جعله ذيلاً لصلة ابن الزبير ، و« طرفة العصر في دولة بني نصر » و« اللوحة البدرية في الدولة النصرية » و« نفاضة الحراب في علالة الاغتراب » و« الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة » و« التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى » . وينقل ابن الخطيب في بعض كتبه من البعض الآخر ، كثيراً من الشذور ، وهذه ظاهرة ملحوظة في كثير من مؤلفاته .

وأما عن تاريخ تأليف كتاب « الإحاطة » ، فإنه يبدو أن ابن الخطيب قد بدأ في كتابته أو جمع مواده ، قبل محنته الأولى ، حينما عزل سلطانه ، ونفى معه إلى المغرب ، وذلك في سنة ٧٦١ هـ ، وأنه استأنف الكتابة فيه ، عقب عودته من منفاه بالمغرب إلى غرناطة في سنة ٧٦٣ هـ . وقد استمر ابن الخطيب في وزارته الثانية ، متربحاً في دست الحكم والرياسة ، زهاء عشرة أعوام . وقد كانت هذه الفترة الطويلة التي هي من ألمع فترات حياته ، وأكثرها استقراراً ، وأوفرها نصجاً ، من أخصب فترات إنتاجه ، وفيها وضع كثيراً من كتبه ورسائله ، ودبج كثيراً من النظم والنثر ، وفيها استمر في كتابة تراجم الإحاطة ، حسبما يبدو ذلك في كثير من إشارات ، وأتمه لأول مرة قبل أوائل سنة ٧٦٩ هـ ، وذلك حسبما يبدو مما كتبه ابن الخطيب إلى ابن خلدون في رسالة مؤرخة في جمادى الأولى سنة ٧٦٩ هـ وفيها يقول له إنه بعث بنسخة من « الإحاطة » إلى المشرق (١) . ويستدل من إشارات كثيرة أيضاً على أن ابن الخطيب استمر يدون

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١)

وينفتح تبعاً في تراجم الإحاطة ، حتى أوائل سنة ٧٧٢ هـ . وإليك بعض هذه الإشارات :

قال ابن الخطيب في خاتمة ترجمته لنفسه ، في نهاية كتاب « الإحاطة » (مخطوط الإسكوريال) : « والحال إلى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعائة على ما ذكرته » .

ومحدثنا في نهاية ترجمة ابراهيم بن عبد الله ... بن قاسم النيرى (ابن الحاج) عن أسر ابن الحاج ومحتته في جمادى الأولى سنة ٧٦٨ هـ . ويقول لنا في ترجمة أحمد بن خاتمة الأنصارى شاعر ألمرية ، « وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثانی عشر شعبان سنة سبعین وسبعائة » .

ويسرد ابن الخطيب تاريخ الغزوات الأندلسية في عهد مليكه الغنى بالله حتى سنة ٧٦٨ هـ . ثم يقول لنا إن المسلمين استمروا في غزواتهم حتى وصلوا إلى أحواز إشبيلية في ربيع الأول سنة ٧٧١ هـ .

وقد شغل ابن الخطيب بعد ذلك بتأليف كتب جديدة ، تملها ظروف نزوحه الثانی إلى المغرب ، مثل كتاب « أعمال الأعلام » والرد على خصيمه القاضي أبي الحسن النباهى .

وقد تولى تلميذ ابن الخطيب ، أبو عبد الله الشريشى مؤدب أولاد السلطان الغنى بالله ، نسخ كتاب الإحاطة لأول مرة ، من مسودات أستاذه ، وكان يثق به ويعتمد على معاونته ، فجاءت هذه النسخة الأولى من « الإحاطة » حسباً ، محدثنا المقرئ في ستة مجلدات ، على أن النسخة الوحيدة المقول بأنها هي النسخة الكاملة ، التي انتهت إلينا من « الإحاطة » ، هي نسخة جامع الزيتونة ، وهي تقع في ثلاثة مجلدات .

وأورد لنا الأمير ابن الأحمر ، حفيد السلطان الغنى بالله ، في أصل تأليف كتاب « الإحاطة » رواية خلاصتها أن الأديب الغرناطى أبا عبد الله محمد بن جُزى ، كاتب السلطان أبي الحجاج ، عبر إلى العدو ، مغضوباً عليه ملتجئاً إلى السلطان أبي عنان سنة ٧٥٣ هـ ، فأكرم أبو عنان وفادته ، وطلب إليه أن يضع مؤلفاً عن الأندلس ، فوضع في ذلك كتاباً متقناً جامعاً . ولما عبر ابن الخطيب إلى المغرب في أواخر سنة ٧٥٥ هـ عقب مصرع السلطان أبي الحجاج ، سفيراً عن

سلطانه الغنى بالله ، إلى السلطان أبي عنان ، اطلع على مؤلف ابن جزى المذكور ، وأعجب بمحتوياته ، وخطر له أن يقوم بوضع كتاب في « الإحاطة » ، بما تيسر من تاريخ غرناطة . ويقول لنا ابن الخطيب نفسه في ترجمته لابن جزى ، الواردة بالجزء الثاني من « الإحاطة » ، إنه اطلع على أجزاء من مؤلف ابن جزى المذكور « تشهد باضطلاع » ، وأنه أى ابن جزى « قيد بخطه من الأجزاء الحديثة ، والفوائد والأشعار ، ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد » . ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس ، وألى الحاجب الكبير أبا النعيم رضوان متربعا في منصب الحجابة والوزارة ، وشعر أنه لا يستطيع إلى جانبه ، أن يزاول ما كان يطمح إليه من السلطان ، انتهز فرصة هذا الانتباز ، وعكف على تأليف كتاب « الإحاطة » وأخذ يدون تاريخ المواليد والوفيات والأسماء والألقاب ، ويراجع مختلف المصنفات ، وكان ساعده الأيمن في ذلك أبو عبد الله الشريشى ، فهو الذى تولى نقل المسودات وترتيبها وتبويبها ، حتى تم الكتاب في ستة مجلدات . ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس ، عقب انتهاء محنته الأولى في سنة ٧٦٣ هـ ، عاد إلى مراجعة كتاب « الإحاطة » والزيادة فيه ، حتى تحقق ما كان يبغيه له من السعة والإحاطة ؛ وتمت نسخته الأولى في اثني عشر سفرا (١) .

ولقد قمنا بتحقيق المجلد الأول من « الإحاطة » حسبما ورد في مقدمة طبعته الأولى ، وفق مخطوطات (الزيتونة - كوديرا) وجاينجوس بمكتبة أكاديمية التاريخ ، ومخطوط دار الكتب المصرية ، ومخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر ، ولكننا قمنا خلال رحلاتنا إلى المغرب بمراجعته مراجعة جديدة ، على ضوء مخطوط قديم من الإحاطة ، يتضمن الجزء الأول ومعظم الجزء الثاني ، ويحفظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم 1840 ، وقد ظفرنا من هذه المراجعة الجديدة بتصحيحات كثيرة قيمة للنص المنشور .

أما المجلد الثاني من الإحاطة ، فقد اتخذ مخطوط جاينجوس أساساً لنصه ، حسبما اتبع في المجلد الأول ، وتمت مراجعته على المجلد الثاني ، من مخطوط جامع الزيتونة ، وإن كان هذا المخطوط يختلف في نهايته عن مخطوط جاينجوس ،

(١) نفع الطيب (بولاق) ج ٤ ص ٦٥٨ و٦٥٩

ويضم عدداً من التراجم التي لم ترد في المخطوط الأول ، وكذلك تمت مراجعته على المخطوط المحفوظ بخرانة الرباط الملكية .

وقد وُسمت معظم المخطوطات التي بين أيدينا من كتاب «الإحاطة» بأنها «مختصر الإحاطة» ، وهذا مما يثير أماننا نقطة دقيقة ، إذ معنى ذلك أنه لم يصل إلينا شيء من كتاب الإحاطة بنصه الكامل . على أن هذا الفرض يتضاءل شيئاً فشيئاً ، متى علمنا أنه بمقارنة كثير من التراجم التي نقلها المقرئ في «نفتح الطيب» من كتاب الإحاطة ، ولأسيا تراجم شيوخ ابن الخطيب نفسه ، لم نجد فروقاً كبيرة في النص أو الحجم ، بينها وبين نظائرها في المخطوطات التي انتهت إلينا ، والتي نتخذها اليوم أساساً لنشر كتاب «الإحاطة» . ومن جهة أخرى فإنه يبدو من مراجعة التراجم الواردة في أواخر الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، بنظائرها الواردة في مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنيور ، أن تراجم مخطوط الإسكوريال تفوق من حيث أحجامها ، فهي أطول وأوفى من نظائرها في الزيتونة ، وهي في باب الشعر بالأخص تضم كثيراً من القصائد التي لم ترد في الزيتونة . وعلى هذا فإنه بالرغم من أن مخطوط الإسكوريال المشار إليه ، يوسم في صفحة العنوان ، وفي مواضع أخرى منه ، عند اختتام بعض الأبواب ، بأنه «مختصر الإحاطة» - فثلاً يقول لنا الناسخ صراحة ما يأتي عقب نهاية السفر السابع «انتهى ما اختصرته من السفر السابع من كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة ، يتلوه السفر الثامن من بعده إنشاء الله» (لوحة ١٠٠ من المخطوط) ، ووردت كذلك مثل هذه الإشارة في نهاية السفر العاشر (لوحة ٣٣٧) ، وكذلك في نهاية السفر الحادي عشر (لوحة ٤١٧) . بالرغم من ذلك كله ، فإننا نعتقد أن مخطوط الإسكوريال هو أقرب النسخ المخطوطة ، من حيث النصوص والأحجام إلى الأصل المطول ، الذي يقول الناسخ إنه قد نقل منه . ومن ثم فإنه يمكن القول ، بأننا حتى إزاء هذه النسخ التي وسمت فعلاً «بمختصر الإحاطة» نملك نصوصاً شبه متكاملة من المؤلف الأصلي؛ وقد لا تنقصها سوى فقرات يسيرة أو بعض قصائد أو مختارات نثرية قصيرة ، أو تراجم غير هامة .

وقد أوضح لنا الناسخ نفسه في غير موطن ، من مخطوط الإسكوريال ، صنوف اختصاراته ، في إغفال بعض القصائد أو إغفال بعض أجزائها ، وحذف

المشيخة أى أسماء العلماء الذين أخذ عنهم المترجم له ، أو حذف بعضها . أما القسم التاريخي من التراجم فيلوح لنا أنه كان أكثر أقسام الكتاب احتفاظاً بنصوه الأصلية ، وبعداً عن الحذف أو الاختصار .

ولابد لنا أن نشير هنا إلى السبب الذي يدعونا أن نقوم بنشر كتاب الإحاطة كله من جديد ، في حين أنه قد نشر منه في سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) أعنى منذ سبعين عاما جزاء بمدينة القاهرة (عن شركة طبع الكتب العربية) أولها في ٣٧٥ صفحة ، والثاني في ٣١٣ صفحة ، وهو ما يستغرق القطعة المحفوظة بدار الكتب (الجزء الأول من المطبوع) وقسما من الجزء الثاني من مخطوط جامع الزيتونة ، أو بعبارة أخرى ما يستغرق الجزء الأول من نسخة مكتبة الأكاديمية ، ومن الجزء الثاني حتى لوحة ١١٩ ، وما يستغرق من مخطوط جاينجوس معظمه وإلى ما قبل سبع وعشرين لوحة من نهايته .

والسبب واضح ، فإن هذا القسم الذي نشر مليء بالأخطاء والتحريف ، بصورة تدعو إلى الرثاء ، بحيث يقع هذا التحريف في كل صفحة من صفحاته ، بل في كل سطر من سطورهِ ، وهذا ما يفقده كثيراً من قيمته ، هذا فضلا عما يتخلله مع شديد الأسف في أحيان كثيرة ، من صنوف الاختراع والمسخر التي هو براء منها ، والزيادات الغريبة ، المنقولة من كتب أخرى . وقد نوه العلامة المستشرق زيبولد بهذا النقص والتشويه المؤسف منذ أكثر من خمسين عاما - وأعرب عن أمله في أن تنشر من الإحاطة نسخة كاملة مصححة^(١) وكان بعض أعلام المستشرقين وفي مقدمتهم المرحوم العلامة الأستاذ ليثي بروفنسال ، يعزمون بالفعل العمل لإصدار الإحاطة^(٢) . ثم أن النص المطبوع نشر على علاته من مخطوط دار الكتب وجزء منقول عن نسخة جامع الزيتونة ، مشحون بالأخطاء ، ولم يقيم الناشر بأية مقارنة أو تحقيق للنصوص ، ولم يعن بالأخص بتحقيق الأعلام الأندلسية والإسبانية ، ولم يقرن النص بأية هوامش أو تعليقات تفسيرية . وهذا ما عنيانا نحن به كل العناية ، في نشر هذا النص الجديد ، المحقق والمقارن ، من الإحاطة ، بصورة تتفق مع ما لهذا الأثر الأندلسي النفيس من أهمية ، ومع ما تتطلبه المناهج العلمية الحديثة ، من أساليب البحث والتحقيق المقارن .

(١) في مقاله عن ابن الخطيب في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) الأستاذ بروفنسال في مقدمته لكتاب الصلة (الرباط ١٩٣٧) .

وفيما يلي استعراض موجز ، لما انتهى إلينا من مخطوطات كتاب الإحاطة في مختلف الخزائن .

(١) يوجد من الإحاطة نسخة كاملة من ثلاثة مجلدات بمكتبة جامع الزيتونة بتونس ، وكانت تحمل وقت وجودها بالجامع أرقام 3522 ، 3523 ، 3524 وهي تحمل اليوم بعد نقلها إلى دار الكتب الوطنية (مكتبة العطارين) أرقام 8134 ، 8135 ، 8136

وقد كان من المتعارف أن هذه النسخة ، هي النسخة الكاملة الوحيدة في العالم من كتاب الإحاطة . بيد أنه بمقارنة مجموعة التراجم التي يحتويها الجزء الثالث من هذه النسخة ، بمجموعة التراجم التي يحتويها مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، وهو يحتوي أيضاً على الأسفار الأخيرة من الإحاطة ، يتضح أن هناك فارقاً كبيراً بين المجموعتين . ذلك أن مجموعة مخطوط الإسكوريال تحتوي على عدد كبير من التراجم التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، هذا إلى أن مخطوط الإسكوريال يضم في نهايته عند اختتام ابن الخطيب ترجمته لنفسه ، عدداً من رسائله السلطانية وغيرها مما يشغل اثنين وأربعين لوحة كبيرة (لوحة ٤٥٨ - ٥٠١) وهذه لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ويترتب على ذلك أن القول بأن نسخة الزيتونة ، هي نسخة كاملة من كتاب الإحاطة ، هو قول لا يتفق مع الواقع ، لأن نسخة الزيتونة ، ينقصها عشرات من التراجم والرسائل الواردة في مخطوط الإسكوريال .

ونسخة الزيتونة مكتوبة بخط مغربي وموسومة في نهايتها (نهاية الجزء الثالث) بأنها كتاب « الإحاطة » ، ومذكور أنه تم الفراغ من نسخها في الثامن والعشرين من جمادى الثانية عام (1273) . وتحمل الأجزاء الثلاثة كل منها في أوله صيغة وقف وتحييس . وقد جاء في صيغة التحييس المرقومة على الجزء الأول ما يأتي : « الحمد لله - أشهد مولانا الملك الإمام ، مطاع السيوف والأقلام ، ظل الله الممدود على عباده ، ومنفذ أحكامه في أرضه وبلاده ، سيدنا على باشا باي ، صاحب المملكة التونسية ، حرس الله بهجته السنية ؛ أنه حبس هذا الكتاب وهو الجزء الأول من الإحاطة في أخبار غرناطة ، على من له أهلية الانتفاع به بمكتبة الجامع الأعظم بحاضرة تونس ، عمره الله بدوام ذكره ، مشروطاً عدم إخراجه

منها ، وأن يجرى العمل فيه على مقتضى الترتيب المؤرخ بالثاني والعشرين من ربيع الثاني عام اثنين وتسعين الفارط ، الممضى من جناب المقدس المبرور أخيه سيدنا محمد الصادق باشا ، تغمده الله برضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، قاصداً بذلك وجه الله العظيم ، راجياً ثوابه الجسيم ، أشهدنا أيده الله بذلك ، وهو بأكل حال ، وحسباً يتضمنه طابعه السعيد أعلاه ، دام فخره وعلاه ، بتاريخ غرة المحرم الحرام عام ثلاثمائة وألف .. » .

ويوجد مثل هذه الصيغة من التحجيس ، على الصفحة الأولى من كل من الجزئين الثاني والثالث ، مع تغيير يسير في النص ، وبنفس الخط والتاريخ ، وفي أعلا كل منهما ختم الباشا الواقف . وفي أسفله توقيعات الواقف الشهود .

ويحتوى المجلد الأول على ٣٣٥ صفحة كبيرة ، وينتهي بقسم من ترجمة محمد ابن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر . ويحتوى المجلد الثاني على ٢٩٩ صفحة ، ويبدأ ببقية ترجمة السلطان السابق ذكره ، وأول تراجمه محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نحميس بن نصر ابن قيس الخزرجي . وينتهي بترجمة محمد بن علي بن عبد الله اللخمي .

ويحتوى الجزء الثالث على ٣٠٢ صفحة ، ويبدأ بترجمة محمد بن علي بن فرج القربلياني ، وينتهي بترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطى ، ومكتوب في نهايتها : « كل مختصر الإحاطة » . ثم يلي ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه .

ولانه ليبدو من مقارنة كتابة الأجزاء الثلاثة ، أن الجزئين الأول والثاني قد كتبا بخط واحد ، وأن الجزء الثالث قد كتب بخط آخر ، والخط في الحالين مغربي . ومن الملاحظ أن نسخة جامع الزيتونة هذه ، كثيرة التصحيف والتحرير ، وقد شعر ناسخ الجزء الثالث بذلك فكتب يعتذر في خاتمة المخطوط ، بأن هذا التصحيف « يرجع بعضه إلى الأصل المكتوب منه هذا ، والبعض زلة قلم ، وهذا بالرغم من كون الأصل المذكور ، مكتوب بخط في غاية الحسن والإتقان ، وكم رأيت من نسخ من هذا التأليف بديعة الخط ، ومع ذلك لم تسلم من التصحيف » .

(٢) وتحتفظ مكتبة أكاديمية التاريخ الملكية بمدريد B. de la Real Academia de Historia بنسخة كاملة من كتاب الإحاطة تقع في ثلاثة مجلدات ،

وقد جاء في المذكرة الخاصة بها، أنها نسخت بمدينة فاس من نسخة مسجد تونس، ونسخة مسجد تونس هذه هي نسخة جامع الزيتونة السالفة الذكر، وقد قام باستنساخ هذه النسخة، العلامة كوديرا أستاذ اللغة العربية بجامعة مدريد وعضو أكاديمية التاريخ، وذلك في أواخر القرن الماضي، ضمن مجموعة أخرى من الكتب المخطوطة، قام باستنساخها برسم مكتبة الأكاديمية، خلال رحلة قام بها في شمال إفريقية لهذا الغرض، ولهذا لا نرى بأساً من أن نسمي هذه النسخة بمخطوط كوديرا (١).

وتحفظ نسخة كوديرا هذه بمكتبة الأكاديمية برقم XXXIV (٣) وتحفظ مكتبة أكاديمية التاريخ أيضاً بنسخة أخرى من الإحاطة هي نسخة العلامة المستشرق دون باسكال جاينجوس Gayangos مترجم القسم التاريخي من كتاب «نفح الطيب» (٢) إلى اللغة الإنجليزية وهو من أعظم المستشرقين في القرن الماضي، وتحفظ بها برقم CXLII.

وهذه النسخة هي عبارة عن مجلد كبير يحتوي على مائتين وتسعين ورقة أعني ٥٨٠ صفحة، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وقد كتبت بخط أندلسي قديم واضح، ولا تحمل الصفحة الأولى من المخطوط عنواناً، ولكنه يبدأ في الصفحة الثانية على النحو الآتي «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»، قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب «ولا يحمل المخطوط في نهايته تاريخ نسخه بشكل واضح، ولكن يبدو أنه قديم، وقد يرجع نسخه إلى أواخر القرن التاسع، ويعتقد المستشرق بونس بوجس أنه كتب في سنة ٨٩٥ هـ (١٤٨٩ م).

ويضم مخطوط جاينجوس الجزأين الأول والثاني من مطبوع القاهرة القديم، ويزيد عليهما سبعا وعشرين ورقة أخرى؛ تتضمن بقية التراجم الواردة في الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة، حتى قبل نهايته بترجمة واحدة. وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس هذا أساساً لتدوين النص في الجزئين الأول والثاني حسبما تقدمت الإشارة إليه.

(١) يراجع تقرير الأستاذ كوديرا عن مهمته العلمية في تونس والجزائر.

Mision Historica en Argelia y Tunez (Madrid 1872. p. 174 & 175)

(٢) وعنوان هذه الترجمة الإنجليزية هو:

History of the Mohamedan Dynasties of Spain (London 1840-1843)

(٤) ويوجد بمكتبة سان لورنزو الملكية بالإسكوريال قطعتان كبيرتان من كتاب الإحاطة تحمل إحداهما رقم ١٦٦٨ من فهرس الغزيرى (١٦٧٣ ديرنبور) وهى أكبر قطعة وصلتنا من «الإحاطة»، وتقع فى إحدى وخمسمائة صفحة كبيرة وقد كتبت بخط أندلسى، وكتب على صفحة العنوان أنها «السفر الثانى» (١) من «مختصر الإحاطة» وكتب عليها أيضاً «الحمد لله تملكه عبد الله تعالى زيدان أمير المؤمنين بن أحمد المنصور أمير المؤمنين». وإذا فقد كان هذا المخطوط ضمن محتويات المكتبة الزيدانية المراكشية التى استولى عليها الإسبان فى عرض البحر سنة ١٦١٤ م، وضمت إلى مجموعة الإسكوريال الملكية. وتبدأ هذه القطعة بترجمة محمد بن أحمد بن محمد بن خيثمة الجبائى، وتحتوى على تراجم من حروف الميم والنون ثم الصاد والعين ثم الميم مرة أخرى، ثم العين فالعين فالفاء حتى حرف الباء، وتختتم بعد ترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطى، بترجمة ابن الخطيب لنفسه (لوحة ٤٢٥ - ٤٦٠). ويلى ذلك مختارات كثيرة من شعره، ثم مختارات من نثره، وهى عبارة عن بعض الرسائل التى كتبها عن السلطان أبى الحجاج يوسف، وعن ولده السلطان أبى عبد الله محمد (الغنى بالله)، ورسالة موجهة إلى الضريح النبوى، ورسالة إلى ملك تونس، ورسائل ابن الخطيب إلى ابن مرزوق، وابن خلدون، وأخيه يحيى، ثم عدة رسائل شخصية، ورسالة السياسة. ويورد ابن الخطيب بعد ذلك تاريخ مولده. ويستغرق ذلك كله حتى نهاية المخطوط، وهو نهاية كتاب الإحاطة:

وقد ورد فى نهاية المخطوط، فى اللوحة التى قبل الأخيرة ما يأتى: «قلت هنا انتهى هذا التأليف المسمى بالإحاطة فى تاريخ غرناطة، على سبيل الاختصار، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار. ووهبناه للناظر فيه، هبة ليست هبة اعتصار، بل هى لتحصيله ذات انتصار. ولما لم يمكنه أن يعرف بمحتته ووفاته، رأيت أنا بعده، أن أعرف بذلك فى مختصره هذا على مهيعه وعادته، فأقول». وهنا يورد الناسخ قصة مصرع ابن الخطيب، منقولاً من كتاب العبر.

(١) ومن الواضح أن المقصود «بالسفر» هنا هو الجزء أو المجلد، بدليل أن المخطوط يفتح من حيث التبويب (بالسفر السابع). ومن المرجح أن النسخة الكاملة من الإحاطة من هذا المخطوط كانت تحتوى على مجلدين كبيرين.

ثم يرد بعد ذلك ، في خاتمة الكتاب ما يأتي :

« انتهى من السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه وبشيوخه ، رحمة الله على الجميع . قلت ، وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم يحول الله ما أردناه واستوفيناه ، واستلحقناه ، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها ، وعمر بالعلماء الأعلام وصالحى الإسلام عمرانها ، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة وتسعين وثمانمائة والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » .

وفي هذه العبارة الختامية ما يدعو إلى التأمل . ذلك لأن تاريخ الانتهاء من كتابة المخطوط ، وهو ربيع الآخر سنة ٨٩٥ هـ ، يوافق مارس سنة ١٤٩٠ م ، وهي فترة مزعجة في تاريخ مملكة غرناطة ، إذ كانت الجيوش القشتالية بقيادة الملكين الكاثوليكين ، فرناندو وإساييلا ، تهاجم قواعد الأندلس الأخيرة ، وتسقط هذه القواعد تباعاً في أيدي النصارى . وكان مصير غرناطة ، يهتز يومئذ في يد القدر ، وفي هذه الفترة الحرجة كتب مخطوط الإحاطة ، وتدل عبارة الكاتب « وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها » ، بما كان يشعر به أهل غرناطة ، يومئذ ، من ضروب التوجس والخزع على مصير غرناطة ومصايرهم ، وقد سقطت غرناطة بالفعل في أيدي النصارى بعد ذلك بقليل ، في يناير سنة ١٤٩٢ ، وانتهت بسقوطها دولة الإسلام في الأندلس .

وأما القطعة الثانية وهي رقم ١٦٦٩ الغزيرى (١٦٧٤ ديرنبور) فهي صغرى القطعتين ، وتقع في ١٩٥ صفحة من الحجم الكبير ، ومكتوبة بخط أندلسى واضح ولكنها عتيقة بالية ، وأطرافها متآكلة ، وفيها تراجم من حروف الميم واللام ، وتبدأ بترجمه موسى بن عبد الرحمن بن يحيى الحميرى ، وتنتهى بترجمة عبد الواحد بن الخليفة يعقوب بن الخليفة عبد المؤمن بن على ، وهو ما يدل على أن محتوياتها ليست متناسقة من حيث الترتيب الأبجدي . وهذه القطعة هي أقدم قطعة وصلتنا من كتاب الإحاطة إذ أنه حسبما جاء في نهايتها قد كتبت في الخامس عشر من رمضان سنة ٨٠٦ هـ ، أعنى بعد وفاة المؤلف بثلاثين عاماً فقط . بيد أنه يلوح لنا أنها ليست كبيرة القيمة من الناحية العلمية ، لأن معظم تراجمها موجزة جداً ، وقد لا تعدو الترجمة منها بضعة أسطر ، مما يدل على أنها مختصرات سريعة للتراجم الأصلية .

وتحتفظ مكتبة مدريد الوطنية ، بنسختين مخطوطتين من القطعتين السابقتين

قام بنسخهما في أواخر القرن الثامن عشر المستشرق الإسباني خوان أمون دي سان خوان . بيد أنهما مشحونتان بالتصحيف والتحريف .

(٥) وتحفظ دار الكتب المصرية بقطعة مخطوطة كبيرة من كتاب الإحاطة هي الجزء الأول أو معظم هذا الجزء ، ولا تحمل تاريخاً معيناً لكتابتها، ولكن يبدو من قدمها وتأكلها ونوع كتابتها أنها قديمة، وتحمل رقم ٣٤٨ تاريخ . وقد كانت هذه القطعة ضمن ما رجعنا إليه في تحقيق الجزء الأول من الإحاطة .

وتحفظ دار الكتب المصرية كذلك بقطعتين أخريين مصورتين من كتاب الإحاطة، نقلتا عن نسخة مغربية ، تحتوي الأولى على ١٠١ لوحة مزدوجة ، وتضم تراجم من حرفي الميم والنون ، وتحتوي الثانية على ١١١ لوحة مزدوجة ، وتضم تراجم من أحرف الصاد والعين والغين والفاء والقاف والسين والياء بلا ترتيب ، وقد كتبت كلتاها بخط مغربي جميل . وتحمل القطعة الثانية في نهايتها ما يدل على أن الأمر هنا يتعلق « بمختصر الإحاطة » وأن هذا المختصر قد كتب في سنة ٩٨٧ هـ ، وتحمل هاتان القطعتان رقم ١٤٢٩ تاريخ .

وقد تبين بعد دراسة محتويات هاتين القطعتين من التراجم ، أن هذه المحتويات ، هي نفس محتويات الجزء الثالث من نسخة جامع الزيتونة ، مما يدل على أن نسخة الزيتونة ، ربما تكون قد نقلت عن هذا الأصل المغربي ، وهو أقدم كثيراً من حيث تاريخ النسخ . ونلاحظ في نفس الوقت أن هذه المحتويات ، هي نفس محتويات مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 2704 ، المذكور بعد ، وتحفظ مكتبة الجامع الأزهر بنسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب الإحاطة حديثة الكتابة .

ويوجد بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر ، مجموعة خطية ، من أوراق متناثرة . من كتاب الإحاطة ، تتكون من مائة وسبعين ورقة من القطع المتوسط ، ومكتوبة بخط مغربي قديم ، وبهوامشها تعليقات واستدراكات بخط المقرئ وتوقيعه ، وإلى جانب التوقيع سنة ١٠٢٩ هـ . والمظنون أن هذه الأوراق إنما هي بقايا النسخة التي أرسلها ابن الخطيب إلى خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة وفقاً على طلبه العلم . (٦) أما في المغرب فقد وقفنا على المخطوطات الآتية من كتاب الإحاطة : يوجد بالخزانة الملكية بالرباط قطعة كبيرة من الإحاطة تحفظ برقم 1840 وهي

قديمة بالية كثيرة الحروم ، ومن القطع الكبير ، ومكتوبة بخط أندلسي ، ويبدو من محتوياتها أنها تتضمن الجزء الأول من الإحاطة بحججه المعروف ، وقسمها كبيراً من الجزء الثاني يبلغ خمسين ورقة ، وهي مبتورة البداية ، وتبدأ بعد عدة أوراق محترمة ، بالفصل الذي عنوانه « ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزل بها العرب خارج غرناطة وما يتصل بها من العمالة » ، وآخر ترجمة وردت بها هي ترجمة (محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد .. بن القاسم ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، ونظراً لبر هذه النسخة من البداية والنهاية ، فليس هناك ما يدل على تاريخ كتابتها. بيد أنها ربما كانت من أقدم قطع الإحاطة التي وصلت إلينا ، هذا فضلاً عما تمتاز به من سلامة النص وصحته .

ويوجد بخزانة الرباط العامة قطعة من الإحاطة تحفظ برقم 2704 ك (الكتانية) وقد كتب عليها أنها « الجزء الخامس عشر من الإحاطة ، بالتعريف بعلماء غرناطة » ، تقع في ٤٤٧ صفحة من القطع المتوسط ، ومكتوبة بخط مغربي وتبدأ بترجمة (محمد بن علي بن فرج القربلياني) ، وتنتهي بترجمة ابن الخطيب لنفسه ، وتضم تراجم من حرف الميم حتى زهون بنت القلعي ، ثم تراجم من حرف الصاد فالعين فالعين فالقاف فالكاف ، ثم تعود إلى حرف السين وتنتهي بحرف الياء ، وهي حديثة الكتابة ، ومن المرجح أنها نقلت عن الجزء الثالث من مخطوط جامع الزيتونة ، لأن المطابقة بين محتوياتهما تكاد تكون تامة ، مع خلاف يسير في بعض تراجم ساقطة أو زائدة .

وفي خزانة القرويين الكبرى بفاس ، توجد مجموعة من الأوراق المتناثرة من كتاب الإحاطة عددها ٤٨ ورقة من القطع الصغير ، وتحتوي على نحو خمسة وعشرين ترجمة من الحمددين . ومعظمها تراجم موجزة ، وتحتوي كذلك على بعض رسائل ابن الخطيب . وهي قديمة متآكلة . وقد كتبت في سنة ٧٦٩ هـ ، أعني في حياة المؤلف ، وتحفظ برقم 2589/89

(٧) ويحفظ المتحف البريطاني بقطعة مخطوطة من الإحاطة (Or. 8674) وصفت على صفحة العنوان بأنها « الجزء الثامن من كتاب الإحاطة » وهي تقع في ١٩٤ لوحة كبيرة (٣٨٨ صفحة) ، ويبدو من ورق المخطوط ومن خطه -

وهو خط مغربي - أنه قديم ، ويحمل في نهايته تاريخ كتابته يوم الأربعاء الثامن والعشرين من صفر (والسنة غير مقروءة) ، ويبدأ بترجمة (محمد بن علي بن فرج القربلياني) ، وينتهي بترجمة ابن الخطيب لنفسه ، وقبيل ترجمة ابن الخطيب وبعد آخر ترجمة ، وهي ترجمة (يحيى بن ابراهيم البرغواطي) في اللوحة ١٦٥ يحتتم بالعبارة الآتية « كل مختصر الإحاطة بحمد الله تعالى وعونه » . وبعد ترجمة ابن الخطيب يحتتم بعبارة « كل كتاب الإحاطة » . وهو يضم تراجم من حرف الميم ثم النون ثم الصاد فالعين فالفاء فالسين ثم الياء ، ومجموعها حسبما يتضح من الفهرس الموجود في أوله اثنان وستون ترجمة . وترد هذه التراجم كلها ضمن محتويات الجزء الثالث من مخطوط الزيتونة .

كما توجد بالمتحف البريطاني ، قطعة كبيرة من كتاب « مركز الإحاطة » للأديب المصري بدر الدين البشتكي ، تحتوى على نصفه الأخير ، وهو يضم تراجم مختصرة للكتاب والأدباء والشعراء الذين وردوا بكتاب الإحاطة . (٨) ويوجد بمكتبة ليدن بهولندا قطعة من الإحاطة تشمل الجزء الثاني منه ، وتحفظ بها برقم 1082

ابن الخطيب

مؤلف هذا الكتاب

كان القرن الثامن الهجري في مملكة غرناطة ، بالنسبة لدولة التفكير والأدب عصر النضج والازدهار ، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والشعراء ، الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسي ، في أعظم عصوره ، مثل ابن سلبطور الهاشمي ، وابن خاتمة الأنصاري شاعر ألمرية ، والوزير أبو عبد الله بن الحكيم اللخمي ، والوزير أبو الحسن بن الحباب ، وابن جزى ، والوزير ابن الخطيب ، والوزير ابن زمرك ، وأبو سعيد بن لب ، وغيرهم ، ممن حفل بهم هذا العصر ، وزخرت دولة التفكير والأدب بآثارهم ، التي انتهى إلينا منها الكثير . وكان ابن الخطيب من بين هذا الحشد الحافل ، أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن ، وكان عبقرية متعددة النواحي ، فهو طيب

وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول . وهو مؤرخ بارع ، وهو
أخيراً وزير وسياسي ، ثاقب النظر قوى الإدراك .

كان ابن الخطيب يمثل بعبقريته ، وقوة نفسه ، وأصالة تفكيره ، وروعة
بيانه ، وجزالة شعره ، أعظم ما تمخضت عنه الأندلس الكبرى ، من قبل
من تلك النماذج العلمية والأدبية الباهرة ، التي يزدان بها تاريخ التفكير الأندلسي .
وكان بتعدد جوانبه ، وسعة آفاقه ، أكثر من وزير وسياسي وكاتب وشاعر ،
كان مزيجاً من عبقریات متعددة ، بلغ القمة في كل منها ، ويندر أن تجتمع
في شخص واحد . وكانت غرناطة تلك الأندلس الصغيرة ، أضيق من أن
تتسع لمثل عبقرياته ، ومن ثم فلما نراه خلال حياته المضطربة ، سواء في المغرب
أو الأندلس ، يرتفع حيناً إلى الذروة ، وأحياناً ينحدر إلى غمر المحنة ، تلاحقه
تلك القوى الحصيمة ، التي تضيق بنبوغه ، وخلالها اللامعة .

وقد دون لنا ابن الخطيب ترجمة نفسه كاملة ، في نهاية كتاب «الإحاطة» .
هذا علما ما أورده في سياق الكتاب ، في مواضع عدة ، عن مراحل خدمته
السلطانية^(١) ، وقص علينا كثيراً من حوادث حياته الشخصية والسياسية ،
في مختلف كتبه الأخرى ، ولاسيما «نفاضة الجراب» ، الذي يقص علينا فيه ،
حوادث إقامته الأولى في المغرب وسلا ، و«اللمحة البدرية» و«ريحانة الكتاب»
الذي يضم كثيراً من رسائله السلطانية ، وقد دون له معاصره وصديقه الفيلسوف
ابن خلدون ترجمة في تاريخه الكبير ، ووصف لنا مأساة مصرعه المؤثر^(٢) .

وهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد
ابن علي بن أحمد السلماني . والسلماني نسبة إلى سلمان ، وهو حي من مراد من
عرب اليمن القحطانية . وقد دخل الأندلس عقب الفتح منهم جماعة من الشام
ومنهم سلف لسان الدين . وكان هذا اللقب يغلب عليه ، ولاسيما في المغرب ،
حيث كان يعرف «بابن الخطيب السلماني» . وأما لسان الدين فيقول لنا ابن الخطيب
في مستهل ترجمته لنفسه في الإحاطة «إنه يلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين»

(١) وردت ترجمة ابن الخطيب لنفسه في مخطوط الاسكوريال (١٦٧٢ ديرنبور) ص ٤٢٥

حتى نهاية المخطوط ، ونقل المقرئ مقتطفات منها في نفع الطيب (ح ٣ ص ٤ وما بعدها)

(٢) كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٢ - ٣٣٦ و ٣٤١ - ٣٤٢ .

ولم يقل لنا متى وفي أى ظرف أسبغ عليه هذا اللقب . واستقر بنو سلمان سلف ابن الخطيب أولاً في قرطبة ، وقد كانت قرطبة وأحوازها منذ الفتح منزل قبائل الشام الوافدة ، على القطر الحديد . والظاهر أن بنى سلمان كانوا ينتمون إلى الحزب المعارض للبلاط أيام الحكم بن هشام أمير الأندلس ، فلما حدثت واقعة الرّيبض المشهورة (ضاحية قرطبة) وثار أهل قرطبة بتحريض حزب الفقهاء المعارض للحكم (سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ م) واستطاع الحكم أن يمزق الثورة ، وأن ينكل بأهل الرّيبض ، غادر قرطبة كثير من المعارضين من الفقهاء وغيرهم ، وكانت منهم أسرة المترجم . رحلت ، كما يحدثنا ابن الخطيب إلى طليطلة ، واستقرت بها ، زهاء قرن ونصف . ولما شعرت الأسرة في أواسط القرن الخامس الهجرى بالخطر الذى يحقد بطليطلة ، وأنها غدت مطمع النصارى ، يعدون عدتهم للاستيلاء عليها ، غادرتها إلى مدينة لوشة ، التى غدت فيما بعد مسقط رأس ابن الخطيب .

وقد زار كاتب هذه السطور ، خلال رحلاته الأندلسية ، مدينة لوشة التى يرتبط اسمها بذكرىات أندلسية عديدة ، ويرتبط بالأخص بذكرىات ابنها العظيم لسان الدين . وتقع لوشة غربى مدينة غرناطة على قيد نحو خمسين كيلومتراً منها ، على الطريق الممتد من غرناطة إلى إشبيلية ، وقد كانت أيام الدولة الإسلامية من مدن الأندلس الزاهرة ، وسقطت فى أيدي القشتاليين ، خلال حرب غرناطة الأخيرة ، فى جمادى الأولى سنة ٨٩١ هـ (مايو سنة ١٤٨٦ م) ، بعد دفاع مجيد . أما اليوم فإن لوشة تغدو مدينة إسبانية متوسطة الحجم ، ذات شوارع كبيرة ، وتقوم بعض مبانيها فوق ربوة صخرية عالية . ويقوم البعض الآخر فى منخفض الوادى ، ويحترقها نهر شنيل (فرع الوادى الكبير) من الشمال . ويبلغ سكان لوشة اليوم نحو عشرين ألفاً ، وقد كانوا أيام الدولة الإسلامية يبلغون أضعاف هذا العدد .

وتتخذ خطط لوشة شكل صليب . وتقع الكاتدرائية أو الكنيسة العظمى فى وسطها على مقربة من أطلال القصبية الأندلسية القديمة ، وفوق موقع المسجد الجامع ، ولم يبق اليوم فى لوشة من آثارها الأندلسية ، سوى أطلال القصبية أو القلعة ، وما تزال تقوم فى باطنها بقايا بناء يظن أنه كان مسجداً ، وهى عبارة

عن ثلاثة عقود على صفين ، ليست بها أية نقوش أو كتابات ، وقد غدت
طللا دراسا يغمره الخراب والعفاء .

وقد طفت بأرجاء لوشة والذكريات تغمر ذهني ، فألفيتها مدينة مشرقة
عامرة ، تتجه أحيائها من طرفها إلى الربوة العالية ، وتتجه أحيائها الوسطى
إلى بطن الوادي ، وأحيائها الخانوية ضيقة المسالك والدروب على الطريقة
الأندلسية القديمة ، وشارعها الرئيسي الذي يخترقه الطريق إلى إشبيلية ، طويل
فسيح وبه كثير من المتاجر والفنادق والمقاهي .

وكان شبح ابن لوشة العظيم ، ووزيرها العبقري ابن الخطيب ، يترامى لي
وأنا أجوس خلال دروبها الساحرة ، ولكني لم أستطع مع الأسف أن أظفر بأية
آثار أو معلومات تتعلق بحياته ، أو موقع بيته القديم ، وقد كان استقصاء هذه
الآثار والذكريات جل مقصدي .

* * *

ولد ابن الخطيب بمدينة لوشة في الخامس والعشرين من رجب سنة ٧١٣ هـ
(١٦ نوفمبر سنة ١٣١٣ م) ونشأ في بيت علم وفضل وجاه . ويحدثنا ابن الخطيب
بأن بيتهم كان يسمى ببني الوزير ، ثم سموا ببني الخطيب . وسبب هذه التسمية
يرجع إلى عهد جده سعيد ، وهو أول من استوطن من الأسرة مدينة لوشة ،
وكان عالما ورعا ، وكان يلقي دروسه ومواعظه تحت أطلال برج يجاور أملاك
أسرته ، ويقع على الطريق الممتد من غرناطة إلى إشبيلية مارا بلوشة ، ومن ثم
فقد غلب عليه اسم الخطيب ، وأورث هذا اللقب لبنيه ، فعرفوا ببني الخطيب من
ذلك الحين . ويحدثنا ابن الخطيب عن والده عبد الله وكان من أكابر العلماء والخاصة ،
ويترجمه لنا في الإحاطة . وقد ولد سنة ٦٧٢ هـ واستقر حيناً في غرناطة ، ثم عاد
إلى لوشة مقر بيتهم القديم ، ثم عاد إلى غرناطة مرة أخرى ليلتحق بخدمة السلطان
أبي الوليد اسماعيل وهو الذي جلس على عرش غرناطة في سنة ٧١٣ هـ (١٣١٤ م) .
ولما توفي السلطان أبو الوليد اسماعيل قتيلاً في سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خدم
عبد الله من بعده . ولده السلطان أبا عبد الله محمد ، ثم أخاه السلطان أبا الحجاج
يوسف أعظم سلاطين غرناطة ، وقد ولي العرش سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٢ م) . وخدم
عبد الله في ديوان الإنشاء ، مع الكاتب والشاعر الكبير الرئيس أبي الحسن بن

الحياب ، وأسبغ عليه لقب الوزارة ، ثم توفي قتيلا مع ولده الأكبر أخى لسان الدين ، في موقعة طريف الشهيرة^(١) التي هزم فيها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني عاهل المغرب . والسلطان أبي الحجاج يوسف أشنع هزيمة ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وسقطت على أثرها طريف والجزيرة الخضراء في أيدي النصارى ، وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون في المغرب والأندلس مثلها منذ بعيد .

ونشأ لسان الدين في غرناطة التي انتقلت إليها أسرته ، ومع أنه استقر بها منذ حدثه ، فإنه لم ينس قط مسقط رأسه ومرتع طفولته «لوشة» ، فكانت لها في قلبه دائما منزلة «الأم» ، وكان يتغنى بها في شعره ، ويسميا «بنت الخضرة» أى بنت غرناطة ، وأحيانا «فتية غرناطة»^(٢) . وكانت غرناطة يومئذ أعظم مركز للدراسات الإسلامية ، في الغرب الإسلامي ، وكانت مجمع جمهرة من أكابر العلماء والأدباء . ودرس اللغة والشريعة والأدب ، على جماعة من أقطاب العصر مثل أبي عبد الله بن الفخار شيخ النحاة في عصره ، وأبي القاسم محمد بن علي الحسيني السبتي ، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادى آشى ، وأبي عبد الله ابن مرزوق فقيه المغرب الكبير ، والقاضى أبي البركات بن الحاج البليقي . وأخذ الأدب والشعر عن الوزير أبي عبد الله بن الحكيم اللخمي ، وعن ذى الوزارتين الرئيس أبي الحسن بن الحياب ، أمام النظم والنثر في عصره ، وعن أبي سعيد فرج بن لب وغيرهم . ودرس الطب والفلسفة على حكيم العصر وفيلسوفه الشيخ أبي زكريا يحيى بن هذيل ، واختص بصحبته^(٣) ، وكان الطب والأدب من منشور ومنظوم ، أبرز ما تفوق فيه ابن الخطيب منذ حدثه ، وكان أبوه عبد الله بن الخطيب يشغل يومئذ مركزاً في القصر في خدمة السلطان أبي الوليد اسماعيل يصفه ابن خلدون بأنه «الإشراف على مخازن الطعام» ، ولكنه تقدم فيما

(١) وتسمى هذه الموقعة بالاسبانية موقعة سالادو ، لوقوعها على ضفاف النهر الصغير المسمى بهذا الاسم ، والذي يصب في المحيط شمال مدينة طريف ، وقد غم الاسبان في تلك الموقعة علمين للسلطان أبي الحسن المريني ، مازالا يحفظان حتى اليوم بمتحف كنيسة طليطلة العظمى .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٧ ، وكتاب الإحاطة هذا في ترجمة أسلم بن عبد المرز .

(٣) ترجم ابن الخطيب لشوحيه في الإحاطة ، وقد نقل إليها المقرئ هذه التراجم في نفح الطيب ج ٣ ص ١٠٢ وما بعدها .

بعد في الخدمة السلطانية ، وخدم في ديوان الإنشاء مع الرئيس أبي الحسن بن الحبيب ، وكان بارعا في النظم والنثر ، ثم توفي قتيلا في موقعة طريف مع ولده الأكبر في سنة ٧٤١ هـ حسبنا أسلفنا .

وتأثر ابن الخطيب منذ صباه ، بهذا الأفق السلطاني الذي عاش والده في كنفه ، وتطلع إلى غزوه ، فلما توفي والده سنحت الفرصة المرجوة ، ودعى للخدمة مكان أبيه ، وكان يومئذ في الثامنة والعشرين من عمره ، وتولى أمانة السر لأستاذه الرئيس أبي الحسن بن الحبيب وزير السلطان أبي الحجاج وكاتبه الأثير . وتلقى ابن الخطيب ، في ديوان الإنشاء على يد أستاذه الكاتب الشاعر المبدع ابن الحبيب ، أرفع أساليب النظم والنثر في هذا العصر ، وظهرت براعته في تدبير الرسائل السلطانية . ولما توفي ابن الحبيب في الوفاء الكبير أو الطاعون الحارفي في شوال سنة ٧٤٩ هـ (يناير سنة ١٣٤٩ م) خلفه ابن الخطيب في رئاسة الكتاب ، ورئاسة ديوان الإنشاء ، ومنحه السلطان أبو الحجاج يوسف رتبة الوزارة وألقابها . وكان كبير الوزراء يومئذ الحاجب أبا النعيم رضوان ، وهو من أصل قشتالي ، وقد سبي صبيا وربى في القصر السلطاني ، وكان ابن الخطيب يحظى بتقديره وثقته . وهنا تألق نجم ابن الخطيب ، وعظمت منزلته ، وأغدق السلطان عليه عطفه وآثره بثقته ، وجعله كاتب سره ، ولسانه في المكاتبات السلطانية ، وصدر منها بقلم ابن الخطيب يومئذ ، طائفة من أبداع الرسائل الملوكية ، التي ينعتها ابن خلدون « بالغرائب » لروعها ، وقد جمع ابن الخطيب الكثير منها فيما بعد في كتابه « ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب » . وكذلك نقل إلينا المقرئ في « نفع الطيب » عدة منها (١) .

ويصف لنا ابن الخطيب في ترجمته في « الإحاطة » مركزه في الوزارة يومئذ ، وما حباه به السلطان من الثقة والإيثار في قوله « فقلدني السلطان سره ، ولما يستكمل الشباب ، ويجتمع السن ، معززة بالقيادة ، ورسوم الوزارة ، واستعمني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه ، واثتمني على صوان حضرته ، وبيت ماله ، وسجوف حرمه ، ومعقل امتناعه » .

(١) راجع نفع الطيب ح ٢ ص ٤٧٠ وما بعدها ، وح ٤ حيث يورد طائفة منها في عدة من اطن

ولما توفي السلطان يوسف أبو الحجاج قتيلا في يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر ١٣٥٤ م) خلفه في الملك ولده السلطان أبو عبد الله محمد ، الذي لقب فيما بعد بالغنى بالله ، واستمر الحاجب رضوان مضطلعا برياسة الوزارة ، واستمر ابن الخطيب في منصبه معاوناً له ، وندب للوصاية على الأمراء القصر أبناء السلطان المتوفى . وأرسله السلطان الحديد ، لأول ولايته ، سفيراً عنه إلى السلطان أبي عنان المريني عاهل المغرب ، على رأس وفد من رجالات الأندلس ، وهو يعرب في رسالته إليه ، عن أمله في تجديد أواصر المحبة والوصل ، التي كانت بين أبيه وبين السلطان أبي عنان ، ويستنصره ويطلب عونه ، على مقاومة ملك قشتالة . واستقبل السلطان أبو عنان سفير الأندلس - ابن الخطيب - بترحاب وحفاوة ، وذلك في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ . وأنشد ابن الخطيب بين يديه قصيدة رنانة يقول فيها :

خليفة الله ، ساعد القدر علاك ملاح في الدجي قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجي لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وغاية الأمر أنه وطن في غير عليك ماله وطر
فتأثر السلطان لإنشاده أيما تأثر ، ووعد بإجابة سائر مطالبهم . ويصف لنا ابن الخطيب نجاح سفارته في قوله :

« وكان الانصراف بأفضل مما عاد به سفير من واد أصيل ، وإمداد موهوب ، ومهاد ومهاداة أثرية ، وقطار مجنوب محمول ، وطعمة مسوغة . وكان الوصول في وسط محرم سنة ست وخمسين وسبعائة ، وقد نجح السعي ، وأثمر الجهد ، وصدقت الخيلة » .

واستأثر ابن الخطيب بثقة الغنى بالله ، كما استأثر بثقة أبيه من قبل ، وأسبغ عليه لقب ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة . وهو يحمل لنا عهد خدمته في تلك العترة في قوله : « ولما هلك السلطان (يعني أبو الحجاج) ضاعف ولده حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصر المشورة على نصحي . إلى أن كانت عليه الكائنة فاقتدى في أخوه المتغلب على الأمر ، فسجل الاختصاص وعقد القلادة ، ثم

حمله أهل الشحنةاء من أعوان ثورته ، على القبض على فكان ذلك ، وتقبض على ، ونكث ما أبرم من أمانى .

وهذه الكائنة التي يشير إليها ابن الخطيب ، هي الثورة التي نشبت في غرناطة ، في شهر رمضان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) وفقد فيها الغنى بالله ملكه . وتفصيل ذلك أن الأمير اسماعيل أخا السلطان كان معتقلا في بعض أبراج قلعة الحمراء ، وكانت توارره جماعة من الزعماء الناقمين على الغنى بالله ، وفي مقدمتهم صهره الرئيس عبد الله ، وتعمل سراً لإسقاط الغنى بالله ، وإجلاله في الملك مكانه . وكانت أمه المقيمة بالقصر ، تؤيد مشاريعه بالسعى والبذل الوفير ، وكان السلطان قد تحول بولده إلى سكنى قصر « جنة العريف » الواقع شمال شرقي قصر الحمراء ، فانهز المتآمرون ذات مساء فرصة ابتعاده عن دار الملك وهاجموا قلعة الحمراء (٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ هـ) ونفذوا إلى دار الحاجب رضوان ، وقتلوه بين أهله وولده ، ونادوا باسماعيل أخى السلطان ملكاً مكانه . وشعر محمد « الغنى بالله » بعث المقاومة ففر إلى وادى آش . وألنى ابن الخطيب نفسه بين عشية وضحاها مسلوب الحظوة والمنصب ، فسعى إلى مصانعة السلطان الجديد ، فاستبقاه في الوزارة ، ولكن لأسابيع قلائل فقط . ثم ارتاب في ولائه ، وقبض عليه بتحريض خصومه ، وكان ابن الخطيب يقيم وقتئذ بقصره ، الذى بالحضرة بمدينة الحمراء ، مقر إقامته الرسمية^(١) فصدر الأمر بكبسه ، وكبس دوره الأخرى ، ومصادرة سائر أملاكه ومتاعه ، ونفذت هذه الأوامر بغلظة وشناعة ، وفقد ابن الخطيب ثروته العريضة في لحظة . وهو يقص علينا تفاصيل محتته في الإحاطة فيما يلي :

« وتقبض على ، ونكث ما أبرم من أمانى ، واعتقت بحال ترفيه ، وبعد أن كبست المنازل والدور ، واستكثرت من الحرس ، وختمت على الأغلاق ، وأبرد إلى ما نأى ، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ، ولاربات الأمثال ، في تبحر انغلة ، وفراهة الحيوان ، وغبطة العقار ، ونطافة الآلات ، ورفع الثياب ، واستجادة العدة ، ووفور الكتب ، إلى الآنية والفرش والماعون ، والزجاج والطيب ، والذخيرة ، والمضارب والأقمشة . واكتسحت

(١) أزهار الرياض ج ١ ص ٦٢ .

السائمة ، وثيران الحرث ، وظهر الحمولة ، وقوام الفلاحة ، وأذواد الخيل ، فأخذ الجميع البيع ، وتناهبها الأسواق ، وصاحبها البخس ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب الطلب ، واستخلصت القرى والحنات^(١) ، وأعملت الخيل ، ودست الإخافة ، وطوقت الذنوب ، وأمد الله بالصبر ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى ، وتعلقت الآمال به ، وطبقت نكبة مُصحفية^(٢) مطلوبها الذات ، وسبب إفاتها المال ، حسبما قلت ، عند إقالة العثرة ، والخلاص من المفوة^(٣) .

والواقع أن ابن الخطيب كان خلال هذه الأعوام ، التي سطع فيها نجمه ، يعيش في ترف وأبهة ، وبذخ يناسب مركزه الرفيع في الدولة ، وثرأه الطائل ، أحياناً بقصره في الحمراء ، وأحياناً بقصره الفخم الذي أنشأه في بقعة الحدائق والحنات المسماة « عين الدمع » بجوار غرناطة ، والتي اشتهرت بجبالها وروعها ، وكانت يومئذ مسكن الكبراء والسادة ، وقد أورد في الإحاطة نص أبيات نظمها في التغنى بجمال « عين الدمع » ، ونقشت في قبة قصره المذكور .

ولكن محنة ابن الخطيب لم تطل ، وسرعان ما جاء الإنقاذ . وكان مجيئه من الضفة الأخرى من البحر . ذلك أن السلطان المخلوع محمداً الغنى بالله ، كانت تربطه بملك المغرب السلطان أبي سالم ، ولد السلطان أبي الحسن المريني ، علائق مودة وثيقة ، وكان أبو سالم قد لجأ إلى الغنى بالله حينما تغاب عليه أخوه السلطان أبو عنان ، ونفاه إلى الأندلس ، فأكرم الغنى بالله مشواه ، فلما وقع الانقلاب بالأندلس ، وفقد الغنى بالله عرشه ، وفرّ منبوذاً إلى وادي آش ، رعى له أبو سالم عهد الصداقة والوفاء ، وأرسل في الحال إلى غرناطة سفيراً ، هو الشريف أبو القاسم التلمساني ، يسعى لدى حكومتها الجديدة في إجازة السلطان المخلوع ، ووزيره المعتقل ابن الخطيب إلى المغرب . ولم يسع السلطان اسماعيل المتغلب على عرش أخيه ، إلا الاستجابة لرغبة سلطان المغرب ، حفظاً لمودة بني مرين ، واستبقاءً لنجدتهم ، ومعاونتهم التي أنقذت الأندلس من عدوان النصارى غير

(١) استخلصت أي جعلت من مستخلص الساطن أو الأملاك السلطانية .

(٢) نسبة إلى الحاجب جعفر بن عثمان المصحف وزير الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وقد نكبه المنصور بن أبي عامر وألقاه في سجن الزهراء حتى مات .

(٣) راجع كتابي لسان الدين بن الخطيب في ترجمة ابن الخطيب لنفسه ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .

مرة ، وهكذا نجح السفير المغربي في مهمته ، وأفرج عن ابن الخطيب ، ولحق
بسلطانه المخلوع في وادي آش . وعبر الغنى بالله ووزيره القديم ، ونفر كبير من
آله وصحبه ، البحر ، من ثغر مربلة الصغير ، إلى ثغر سبتة ، ثم سافر الركب
إلى فاس ، فوصلها في السادس من المحرم سنة ٧٦١ هـ ، واستقبلهم السلطان
أبو سالم أحمّل استقبال ، واحتفل بقدمهم ، في يوم مشهود ، وأنشد ابن الخطيب
بين يدي السلطان يومئذ ، قصيدة من أروع قصائده ، يدعو فيها لنصرة سلطانه
وهذا مطلعها :

سلاهل لديها من مخبرة ذكر
وهل باكر الوسمى داراً على اللوى
بلادى التي عاطيت مشمولة الهوى
وجوى الذى ربي جناحى وكره
وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
عفت آيها إلا التوهم والذكر
بأكتافها والعيش فينان مخضر
فها أنا ذا مالى جناح ولا وكر
ومنها :

قصدناك ياخير الملوك على النوى
كففنا بك الأيام عن غلوائها
وعدنا بذلك الحمد فانصرم الردى
ولما أتينا البحر يهرب موجه
لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد رأينا منها التعسف والكبر
ولذنا بذلك العزم فانهزم الشر
ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
ومنها :

وأنت الذى تدعى إذا دهم الردى
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذت بالإمام الحق بالحق ثأره
وكان المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، وهو يومئذ من أكابر رجال الدولة
في بلاط فاس ، من شهود ذلك الحفل . وهو يصدمه لنا في تاريخه ، ويقول لنا
إن ابن الخطيب ، أبكى سامعيه تأثراً وأسى . ويقول لنا ابن الخطيب نفسه ،
إن القوم كانوا يرتجفون تأثراً لأقواله ، وتسيل منهم العبرات^(١). والتقى ابن خلدون

(١) ابن خلدون في كتاب العبر ج ٧ ص ٣٠٦ ، وابن الخطيب في الإحاطة (المطبوع ١٣٠٩ هـ

وابن الخطيب في هذا الحفل لأول مرة . وكان هذا اللقاء بين الرجلين العظيمين ، حادثاً في حياة كل منهما ، له أثره ونتائجه . وكان كل منهما يسمع عن صاحبه ، ويتوق إلى لقائه ، حتى جمعت بينهما الحوادث . وكانت تجمع بينهما مشابهاة عديدة ، أدبية ومادية ، فقد كان كلاهما أستاذ عصره وقطره في التفكير والكتابة ، وكان كلاهما شخصية بارزة ، في حوادث عصره ، يتصل منها بأوثق صلة ، ويخوض غمارها متقلبا بين الظفر والمحنة ، وكان كلاهما وزيراً مطلق السلطان ، ومستشاراً لأمرء عصره ، ومحرضاً لهم أو عليهم . كان ابن خلدون يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي يشغله ابن الخطيب في الأندلس ، وقد استأثر في المغرب بزعامة التفكير والكتابة ، التي كان يستأثر بها ابن الخطيب في الأندلس ، وقد جمعت بين الرجلين ، في البداية ، أواصر الحب والصدقة ، والإعجاب المتبادل ، ثم فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس . وكان كل منهما مع ذلك يحترم صاحبه ويحمله ، ويكبر مواهبه وخلاله ، وقد ترجم كل منهما الآخر ، وذكره بما ينم عن خالص التقدير والإجلال ، وتبادلا طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية ، تعتبر من أبداع نماذج النثر والترسل في هذا العصر (١) . وعاش ابن الخطيب حيناً في كنف سلطان المغرب ، وهو يقول لنا في ترجمته مشيراً إلى ذلك « وبالغ ملكه في برى ، منزلاً رحباً وعيشاً خفصاً ، وإقطاعاً جماً ، وجراية ماوراءها مرمى ، وجعلنى بمجلسه صدرأ ، ثم أسعف قصدى في تهبؤ الخلوقة بمدينة سلا ، منوه الصكوك ، مهناً القرار » (٢) . واستقر ابن الخطيب في ثغر سلا المشرق الحميل ، زهاء عامين ، وهو يدون لنا في كتابه « نفاضة الجراب » كثيراً من حوادث حياته بسلا ، ويشيد بطيب إقامته في تلك المدينة الصغيرة الساحرة ، وقد أنجز خلال هذه الحياة الهادئة عدداً من مؤلفاته ، ما بين منثور ومنظوم ، ومنها بعض مؤلفاته التاريخية الهامة مثل كتاب « اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية » وكتاب « رقم الحلل في نظم الدول » وهذا عدا ما دمجها خلالها من الرسائل السلطانية العديدة ، التي أوردها لنا في « نفاضة الجراب » (٣)

(١) أورد لنا ابن خلدون في التعريف عدة من هذه الرسائل . راجع « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » (طبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥١) ص ٨٢-٩٣ ، وص ١٠٣-١٢٨ .

(٢) راجع كتابي « لسان الدين بن الخطيب » ص ٢٩٠ .

(٣) راجع كتابي « لسان الدين بن الخطيب » ص ٨٢-٨٤ .

وهكذا عاش ابن الخطيب في سلا زهاء عامين ، عزيز الجانب ، موفور الرزق ، وقد اقتنى بها الدور والرياض ، ووثقت بينه وبين ابن خلدون ، أواصر الصداقة والمحبة ، وتوالت مدائح للسلطان أبي سالم ، ومنها قصيدة طويلة ينهى فيها السلطان بفتح تلمسان في رجب سنة ٧٦١ هذا مطلعها :

أطاع لساني في مديحك إحساني وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان
فأطلعها تفر عن شنب المنى وتُسفر عن وجه من السعد حياني
كما ابتسم النوار عن أدمع الحيا وجفّ بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها فبان ارتياح السكر في غصن البان(١)

ولبث محمد بن الأحمر (الغنى بالله) ، سلطان الأندلس المخلوع ، من جانبه في فاس ، يرقب الحوادث ويتطلع إلى استرداد ملكه ، وكان يعول في تحقيق هذه الغاية أولاً ، على معاونة بيدرو الثاني (بطره) ملك قشتالة . تنفيذاً لاتفاق عقد بينهما ، ولكن ملك قشتالة لم يسعفه في مشروعه ، وآثر أن يعقد الصلح مع سلطان غرناطة الحديد . وفي أثناء ذلك وقع انقلاب في فاس ، فقد فيه السلطان أبوسالم عرشه ولّى مصرعه ، وذلك في التاسع عشر من ذى القعدة سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) واستبد بالدولة مدبر الانقلاب ، الوزير عمر بن عبد الله صهر السلطان القليل ، وزوج أخته ، فسعى لديه ابن الأحمر ليعاونه على استرداد ملكه ، فاستجاب له الوزير ، وما زال يدبر أمره بمعاونته ، حتى تهيأت له الفرصة بوقوع ثورة جديدة في غرناطة ، قُتل فيها أخوه ومنافسه السلطان اسماعيل ، على يد المتغلب عليه زوج أخته السلطان محمد بن اسماعيل بن فرج . وعندئذ وافق الوزير عمر بن عبد الله أن يقطع مدينته رندة ، لكي ينزل بها مع صحبه ، ويتخذها مركزاً لتدبير خططه ، وكانت رندة يومئذ من أملاك بني مرين الأندلسية . وعندئذ جاز محمد إلى الأندلس ، ونزل برندة ، ومعه جماعة من صحبه ، ثم غزوا منها ثغر مالقة ، وتكاثر صحبه . وسار محمد بعد ذلك إلى غرناطة ، واستولى عليها ، وفر منافسه السلطان محمد إلى قشتالة ، مع نفر من

(١) أورد لنا المقرئ في نفع الطيب هذه القصيدة يرمتها ، وهي في نحو مائة وعشرين بيتاً

أصحابه ، واحتفى بملكها ، فلم يئنه بل اعتقله وأصحابه ، وبعث إلى محمد يطلب إليه صكاً بثبوت غدره وخيائته ، فبعث إليه محمد بالصك المطلوب ، بما ارتكبه محمد هذا وصحبه من ضروب الغدر والخيانة ، واستحقاقهم بذلك لحكم الإعدام ، فأمر ملك قشتالة بإعدامهم وفقاً لذلك ، وبعث برعوسهم إلى الغنى بالله ، فطيف بها في غرناطة ، وهكذا استرد محمد ملكه ، وجلس على عرشه ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) .

وما كاد محمد الغنى بالله يجلس من جديد على عرشه ، حتى كتب إلى وزيره المنقبي ابن الخطيب ، رسالة رقيقة مؤرخة في ٢٤ جمادى الآخرة ، ينعت فيها بأكرم النعوت وأرفعها « الفقيه الوزير الحليل الصدر الأوحى ، المشير ، العالم العلم الكبير ، الرفيع الشهير .. إمام البلاء ، وصدر الخطباء ، وعلم العلماء ، وكبير الرؤساء .. » يخبره فيها بنجاحه وظفره ، ويطلب إليه العودة لتقلد منصبه^(١) فنزل ابن الخطيب عند رغبة مليكه ، وغادر مقامه الهادئ في سلا ، ورجز إلى الأندلس ، ومعه أسرة السلطان وولده ، ووصل إلى غرناطة في أواخر شعبان من تلك السنة . وفي الثامن من شهر رمضان أصدر السلطان ظهيراً (مرسوماً) بإعادته إلى منصبه « وقلده فيه نجاد الوزارتين وحلاه بحلى الرياستين » . وهكذا عاد ابن الخطيب إلى سابق مكانته في الوزارة . ولكنه لم ينعم في تلك المرة بسابق حظوته ونفوذه ، إذ كان ينافس في السلطة عندئذ شيخ الغزاة عثمان بن أبي يحيى^(٢) ، وكان السلطان يقربه ويشمله بوافر عطفه ، لما قام به من معاونته في استرداد ملكه . والظاهر أن ابن الخطيب كان يحرض على أن يسترد سلطانه المطلق كاملاً ، فنشبت بين الرجلين ، معركة شديدة ، وحقق ابن الخطيب على منافسه ، وما زال يحرض السلطان ، ويحذره من نفوذ عثمان وعصبته ، وينوه له بخطورة أطماعهم ومشاريعهم ، ويذكره بسابق غدرهم ، حتى انتهى السلطان ، إلى التأثر بتحريره ، ونكب عثمان وصحبه ، وذلك في شهر رمضان سنة ٧٦٤ هـ ، وبدا خلا الحو لابن الخطيب ، واستعاد سلطانه المطلق ، دون أية مناوأة أو منافسة

(١) راجع هذه الرسالة في كتابي لسان الدين بن الخطيب ص ٣٣٤ - ٣٣٧ .

(٢) شيخ الغزاة أعني قائد الجيش العام .

وفي ذلك الحين وقد صديقه ابن خلدون على الأندلس ، بعد أن فقد حظوته ونفوذه في بلاط فاس ، واضطرتته أعاصير السياسة ، والثورات المتوالية ، إلى مغادرة المغرب . وكان ابن خلدون قد أسدى الى السلطان الغني بالله ، أثناء إقامته بفاس ، كثيراً من الخدمات ، فاستقبله حين مقدمه إلى غرناطة في أوائل سنة ٧٦٤ هـ استقبالا حافلا ، وأغدق عليه عطفه وصلاته ، وجعله من خاصته ، وبعث به إلى إشبيلية ، سفيراً إلى ملك قشتالة (٧٦٥ هـ) فأدى ابن خلدون سفارته خير أداء . وكذلك استقبله صديقه ابن الخطيب في البداية بمنتهى الترحاب والمودة . ولكن الظاهر أنه غص بعد ذلك بما ناله ابن خلدون لدى السلطان من حظوة بالغة ، ففترت بينهما العلائق . ثم تبين ابن خلدون إعراض السلطان عنه ، وشعر بأثر ابن الخطيب في هذا التحول ، فغادر الأندلس وعاد إلى المغرب ، ليخوض غمار حوادثه كرة أخرى (سنة ٧٦٦ هـ) .

ويصف لنا ابن الخطيب سيرته في الحكم يومئذ في قوله : « فاستعنت بالله تعالى عليه ، وعاهدت وجهه فيه ، من غير تلبس بخديعة ، ولا تشبث بولاية ، مقتصرأ على الكفاية ، حذراً من النقد ، خامل المركب ، معتمداً على المنسأة ، مستمتعاً بخلق النعل ، راضياً بغير النبيه من الثوب ، مشفقاً من موافقة الغرور ، هاجراً للزخرف ، صادعاً بالحق في أسواق الباطل ، كافأً عن السخال برائن السباع ، مפותاً للأصول في سبيل الصدقة . ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والثربة ، بكر الحسنات بهذه الخطة ، بل بالجزيرة فيما سلف من المدة ، فتأتى بمنة الله تعالى ، من صلاح السلطان ، وعفاف الحاشية ، ونشر الأمن ، وروم الثغور ، وتثمين الحباية ، وانصاف الحماة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إثثار المصلحة الدينية ، والصدع فوق المنابر ، ضمناً من السلطان بترياق سم الثورة ، وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ، ما الله المجازى عليه ، والمعوض من سهر خلعتة على أعطافه ، وكد أعمالته من جرائه ، وخطر اقتحمته من أجله ، فهو الذي لا يضيع عمل من عمل ، من ذكر أو أنثى ، سبحانه وتعالى » (١) . ونحن نلمس في هذا الشرح ، من جانب ابن الخطيب لسيرته في الحكم ،

(١) راجع كتابي اسان الدين بن الخطيب ص ٢٩١ ، ونفح الجيب ج ٣ ص ٤٢ .

في تلك الفترة ، نوعاً من الدفاع عن موقفه ، وعن أعماله ، وإانه ليحق لنا أن نتساءل عن بواعث هذا الدفاع ، وربما كان فيما يأتي من أقوال ابن الخطيب ما يوضح هذه البواعث .

يقول ابن الخطيب : « ومع ذلك فلم أعدم ، الإستهداف للشروع ، والإستعراض للمحذور ، والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون ، شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ، ورعاية سخطه أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدية الأهواء ، ممن لا يجعل الله تعالى إرادة نافذة ، ولا مشيئة سابعة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يجمل في الطلب ، ولا يتلبس مع الله بأدب . ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا . والحال إلى هذا العهد وهو أول عام أحد وسبعين وسبعائة » .

كان ابن الخطيب فيما يبدو من أقواله هدفاً لحملات خصومه ، ولم يكن فيما يبدو متمتعاً بحب الكافة أو الدهماء حسبما ينعمهم . والظاهر أنه كان قد برم يومئذ بالخدمة السلطانية ، وسُم متاعبها ومستولياتها الفادحة ، ومظاهرها البراقة ، وساورته رغبة في الزهد والاعتكاف ، وجالت بخاطرة رغبة السفر لقضاء فريضة الحج ، وقد التمس ابن الخطيب بالفعل إلى سلطانه أن يحقق رغبته في ذلك ، هذا إلى أن ابن الخطيب لم يكن بالرغم من حياته المترفة الناعمة يتمتع بصحة طيبة ، تدل على ذلك إشارات في مقدمة الإحاطة إلى سوء حالته الصحية^(١) ، كما يدل على ذلك ما ذكره من إصابته بالأرق المزمن ، فلم يكن ينام من الليل سوى اليسير . وقد سجل ابن الخطيب ذلك في إحدى رسائله الطبية المسماة « الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول » وأبدى عجبه من أنه وهو طبيب يدون لغيره وسائل العلاج ، لم يستطع معالجة نفسه من هذا الداء .

بل يلوح لنا أن ابن الخطيب ربما ساورته يومئذ ، رغبة في الهجرة من الأندلس قاطبة ، وقد التمس بالفعل إلى سلطانه إقالته وتمكينه من تحقيق هذه الرغبة ، واشتهر عنه يومئذ هذا العزم ، ونمى ذلك إلى صديقه الشاعر الكبير ابن خاتمة وهو بالمرية ، فكتب إليه رسالة مؤثرة تفيض بلاغة وتقديراً ، يحاول فيها أن يثنيه عن عزمه وأن يقنعه بضرورة البقاء في وطنه ، ومما جاء فيها في مخاطبته لابن الخطيب قوله :

(١) الإحاطة (١٩٥٦) ج ١ ص ٩٣ .

«إنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها، وواسطة سلكها، وطرز فللكها وقلادة نجرها ، وفريدة دهرها ، وعقد جيدها المنصوص، وتمام زينتها على العموم والخصوص . ثم أنتم مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها ، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها ، وطبيب مارستانها ، والذي عليه عقد إدارتها وبه قوام إمارتها، فلديه محل المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل، فلا غرو أن تتقيد بكم الأسماع والأبصار وتحدق بكم الأذهان والأفكار» . وقد رد عليه ابن الخطيب برسالة بليغة يقول فيها، إنه وقد أشرف على المشيب والكهولة ، قد عاف زخارف الدنيا ومتاعها، وأنه يضطرم شوقاً إلى زيارة الحرمين وقضاء القرىضة (١) .

والظاهر أيضاً أن ابن الخطيب يريد بهذا التنويه الذي يشير فيه إلى حسن سيرته في الوزارة ، ومراعاة الحق والعدل في تصرفاته، أن يدحض أقوال القائلين بأنه جنح يومئذ إلى الاستبداد وسوء المسلك والسيره . بيد أنه يوجد لدينا من جهة أخرى شهادة صديقه ابن خلدون الذي عاشه وعاش إلى جانبه في تلك الفترة زهاء عامين ، وهو يصف لنا هذه المرحلة من حياة ابن الخطيب فيما يلي :

«وخلا لابن الخطيب الجو، وغلب على هوى السلطان، ودفع إليه تدبير المملكة وخطب بنيه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت عليه الآمال ، وغشى بابه الخاصة والكافة، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتواقفوا على السعاية فيه» (٢) .

وما تدلى به هذه العبارات الموجزة القوية ، هو أن ابن الخطيب كان في هذه المرحلة من حياته الوزارية يتمتع بالسلطان المطلق . والواقع أن ابن الخطيب كان عندئذ حاكماً بأمره ، وكان استنثاره بالسلطان والنفوذ على هذا النحو يذكي نخط منافسيه، ويشير من حوله ضراماً من البغض والحسد، وكان السلطان ثقة منه بوزيره الأكبر ، وبمقدرته وكفايته، يترك له زمام الأمور، ويعرض عن الإصغاء لأعدائه ومنافسيه، ولكنه بدأ في النهاية يتأثر بسعائتهم، ويرى في استبداد ابن الخطيب اعتداء

(١) أورد ابن الخطيب نص رسالة ابن خاتمة إليه ورده عليها في كتاب نفاضة الجراب السفر الثالث مخطوط الرباط لوحات ١٩٠ - ١٩٣) وأوردها ابن الخطيب مرة أخرى في ترجمة ابن خاتمة في الإحاطة ، ونقلها المقرئ في نفع الطيب ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) ابن خلدون في كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٥ .

على سلطانه . وشعر ابن الخطيب من جانبه ، بأن سلطانه قد بدأ يتغير عليه ، وأخذ يتوجس شراً من العواقب . وكان في مقدمة خصومه والساعين في حقه ، تلميذه ومعاونه في الوزارة الكاتب والشاعر الكبير ، أبو عبدالله محمد بن يوسف المعروف بابن زمّرك ، وقاضى الجماعة (قاضى القضاة) بغرناطة أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي . وكان الأول يتزعم ضد ابن الخطيب الخصومة السياسية ، ويتزعم الثاني حملة أشد خطورة ، وهى اتهام ابن الخطيب بالإلحاد ، والخروج على أحكام الدين والشريعة ، اعتماداً على بعض ماورد في كتبه . وبلغت الأمور ذروتها في أوائل سنة ٥٧٧٣هـ ، وشعر ابن الخطيب بأن السعاية قد أثمرت ، وأنه فقد عطف مليكه ، وأن الخطر يحدق به . والظاهر أنه كان قبل ذلك بقليل ، يتصل سرّاً بالسلطان عبدالعزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب ، وكان يومئذ يعقد بلاطه في مدينة تلمسان التي افتتحها من يد بني عبد الواد (سنة ٥٧٧٢هـ) . وكانت العلاتق بين بلاط فاس وبلاط غرناطة قد فترت يومئذ ، وأخذ كل فريق يمالئ خصوم الآخر ويحشد لهم لناواته . ولما اطمأن ابن الخطيب إلى عود السلطان عبد العزيز بالحماية والرعاية ، عول على مغادرة الأندلس ، واستأذن ابن الأحمر في تفقد الثغور الغربية فأذن له وسار مع ولده علي ، وجماعة من خاصة الفرسان ، إلى الجنوب . فلما وصل إلى جبل طارق ، تلقاه قائدها في قواته ، وكانت جبل طارق يومئذ ، من أملاك بني مرين . وكان السلطان عبد العزيز قد أصدر أوامره باستقبال ابن الخطيب ، وتجهيز السفن اللازمة لنقله ، هو ومن معه ، إلى المغرب . ونجحت الخطة ، وركب ابن الخطيب ومن معه البحر إلى سبتة . ولكنه قبل أن يغادر جبل طارق ، بعث إلى سلطانه الغنى بالله رسالة مؤثرة يودعه فيها ، ويوضح أسباب تصرفه ، ويطلب إليه المغفرة ، ويؤكد له بقاءه على الود ، ويلتمس رعايته لأسرته وولده ، وتبدأ الرسالة بهذه الأبيات :

بانوا فمن كان باكيا يبكي	هذى ركاب السرى بلاشك
فن ظهور الركاب مُعملة	إلى بطون الربى إلى الفلك
تصدع الشمل مثلاً انحدرت	إلى صبوب جواهر السلك
من النوى قبل لم أزل حذرا	هذى النوى جل مالك الملك

ثم يقول ابن الخطيب : « مولاى كان الله لكم ، وتولى أمركم ، أسلم عليكم سلام الوداع ، وأدعو الله فى تيسر اللقاء والاجتماع ، من بعد التفرق والانصداع ، وأقرر لديكم أن الإنسان أسير الأقدار . مسلوب الاختيار ، متقارب فى حكم الخواطر والأفكار ، وأنه لأبد لكل أول من آخر ، وأن التفرق لما أزم كل اثنين بموت أو فى حياة ، ولم يكن منه بد . كان خير أنواعه الواقعة بين الأحياء ما وقع على الوجوه الحميلة البريثة من الشرور » .

ثم يقول بعد الإشارة إلى خدماته ، إنه قد غلبته حال شديدة ، هزمت التعشق بالشمل الجميع ، والوطن المليح ، والجاه الكبير ، والسلطان القليل النظر ، وإنه قد عمل بمقتضى قوله « موتوا قبل أن تموتوا » وإنه قد أقدم على أمر صعب المرام « ولكن سهله على أمور ، منها أن الانصراف لما لم يكن منه بد ، لم يتعين على غير هذه الصورة ، إذ كان عندكم من باب المحال . ومنها أن مولاى لو سمح لى فى غرض الانصراف ، لم تكن لى مقدرة على موقف وداعه ، لا والله ، ولكان الموت أسبق لى ، وكفى بهذه الوسيلة الحسنة ، التى يعرفها وسيلة . ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتمف به . وأظن أنى لا أصدق . ومنها اغتنام المفارقة فى زمن الأمان والمهدنة الطويلة ، والاستغناء ، إذ كان الانصراف المفروض ضروريا ، قبيحا فى غير هذه الحال ، ومنها وهو أقوى الأعذار أنى مهما لم أطق هذا الأمر ، أوضاق ذرعى به ، لعجز أو مرض أو خوف طريق ، أو نفاد زاد ، أو شوق غالب ، رجعت رجوع الأب الشفيق إلى الولد البر الرضى ، إذ لم أخلف ورأى مانعا من الرجوع ، من قول قبيح أو فعل ، بل خلفت الوسائل المرعية ، والآثار الخالدة ، والسير الحميلة » .

ثم يقول : « وإن فسح الله فى الأمد ، وقضى الحاجة ، فأملى العودة إلى ولدى وتربى ، وأن قطع الأجل ، فأرجو أن أكون ممن وقع أجره على الله . فإن كان تصرفى صوابا ، وجاريا على السداد ، فلا يلام من أصاب ، وإن كان عن حق وفساد عقل ، فلا يلام من اختل عقله ، وفسد مزاجه . بل يعذر ويشفق عليه ويرحم . وإن لم يعط مولاى حقه من العدل ، وجلبت الذنوب ، ونشرت بعدى العيوب ، فحياؤه ، وتناصفه ، ينكر ذلك ، ويستحضر الحسنات ، من التربية

والتعليم . وخدمة السلف . وتحليل الآثار . وتسمية الولد ، وتلقيب السلطان ، والإرشاد إلى الأعمال الصالحة . والمداخلة والملابسة . لم يتخلل ذلك قط ، خيانة في مال ، ولا سر . ولا غش في تدبير . ولا تعلق به عار . ولا كدره نقص . ولا حمل عليه خوف منكم ، ولا طمع فيما بيدكم . وإن لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والإبقاء . فقيم تكون بين بني آدم . وأنا رحلت فلا أوصيكم بمال ، فهو أهون متروك ، ولا بولد فهم رجالكم وخدامكم ، ومن يحرص مثلكم ، على الإكثار منهم ، ولا بعيال فهمي من مزيات بيتكم وخواص دراكم .

ويسوق ابن الخطيب بعد ذلك النصيح إلى سلطانه ثم يقول : « واعلموا أيضا على جهة النصيحة ، ان ابن الخطيب مشهور في كل قطر ، وعند كل ملك ، واعتقاده ، وبره ، والسؤال عنه ، وذكره بالحميل ، والإذن في زيارته ، نجابة منكم وسعة ذرع ودهاء . فإنما كان ابن الخطيب بوطنكم بحباة رحمة نزلت ، ثم أقشعت ، وتركت الأزاهر تفوح ، والمحاسن تلوح » (١) .

تلك هي رسالة الوداع التي وجهها ابن الخطيب إلى مليكه ، وهو يغادر وطنه إلى غير رجعة ، وتلك هي تأكيداتة في تبرئة نفسه ، ونزاهة مقاصده ، وتلك هي عباراته التي تدل على مبلغ اعتزازه بنفسه ، وبرفيع مركزه ومنزلته ، لدى قصور عصره ، وعلى أنه لم يفقد ثقته بنفسه حتى في أقسى أيام محنته .

وكان عبور ابن الخطيب من جبل طارق إلى العُدوة ، فاراً من وطنه على هذا النحو ، في غرة جمادى الآخرة سنة ٧٧٢هـ (٢) ، وذلك حسبما نجحنا ابن الخطيب نفسه .

وبعد أن قضى ابن الخطيب وصحبه فترة استجمام قصيرة ، في سبتة وطنجة ، سار في صحبه إلى تلمسان ، حيث كان بلاط المغرب ، وهناك استقبله السلطان عبد العزيز المريني أحمل استقبال ، وأرسل في الحال سفيراً إلى غرناطة ، ليسعى

(١) أورد لنا ابن خلدون نص هذه الرسالة بأكملها في كتاب العبر (التعريف) ج ٧ ص ٤٣٧ و ٤٣٨ ، ك أوردتها في التعريف والرحلة ص ١٤٧ - ١٥٢ . وكان ابن الخطيب قد أرسل إليه صورة منها . ويرى ابن خلدون أنها من أعرب الرسائل وأروعها بحادة وبلاغة .

(٢) كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب (طبع بيروت) ص ٣١٨ .

في استقدام أسرة الوزير المنفي ، فأُتي بها معززة مكرمة ، وكان ذلك في أواسط سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ م) .

استقر ابن الخطيب في مقامه الجديد ، بعيداً عن الأهل والوطن ، ولكن ما غمره به السلطان من كرم المثوى ، وعلو المكانة ، وجزيل العطاء والنعمة ، خفف كثيراً من مرارة النفي ، وهكذا شعر ابن الخطيب أنه استرد في بلاط المغرب مكانته المفقودة ، وكتب إلى صديقه ابن خلدون ، وكان يقيم يومئذ في بسكرة ، ينبئة بخبره ، ويعتب عليه فيما كان منه بحقه ، حين مقامه بالأندلس فرد عليه ابن خلدون برسالة مؤثرة يؤكد فيها حبه وتقديره لصديقه ، ويدفع عن نفسه مظنة الفتور والوقية ، ويهنئه بنجاته(١) .

ولكن فرار ابن الخطيب على هذا النحو ، لم يهدئ من ثورة خصومه ، بل كان بالعكس حجة لديهم تنهض على إدانته ، فيما يرمونه به من التهم ، وقد غصوا لإفلاته ونجاته من مكائدهم ، فضاعفوا سعيهم للملاحقة ، وسحق هيبته ، وتلويث سمعته ، فاتهموه بالزندقة ، والخروج على شريعة الإسلام ، ونسبوا إليه في ذلك أقوالاً ومقالات ، مما جاء في بعض كتبه ورسائله ، أولوها وفق مقاصدهم ، وزعموا أن منها ما يتضمن طعناً في النبي ، والقول بالحلول ، ومجازاة مذهب الفلاسفة الملحدين ، وأن كتب ابن الخطيب التاريخية ، وما اشتملت عليه من تراجم الأحياء المعاصرين ، والأموات الأقربين ، وما يتخللها من الطعن المر في كثير منهم ، هي من قبيل « الغيبة المحرمة » . وكان تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة ، أبو عبد الله بن زمر ، أكبر مروج لهذه الدعاية القوية . وتولى صوغ الإتهام ، عدو ابن الخطيب الألد ، القاضي أبو الحسن النباهي ، وأفتى بوجوب حرق كتبه التي هي موضوع الشبه والتهام . ويقول لنا القاضي أبو الحسن ، إن هذه الكتب وهي مما يرجع إلى العقائد والأخلاق قد تم إحراقها بالفعل ، في حضرة غرناطة ، في منتصف عام ٧٧٣ هـ « بمحضر من الفقهاء والمدرسين من العلماء ، وأمائل الفقهاء ، لما تضمنته الكتب المذكورة

من المقالات التي أوجبت ذلك عندهم ، وحققته لديهم (١) .
وقد وجه القاضي أبو الحسن إلى ابن الخطيب بالمغرب رسالة شديدة ، نقل
إلينا المقرئ نصها ، وهي بمثابة دعوى اتهام شخصية وشرعية معا ، يعدد فيها
أبو الحسن مطالب ابن الخطيب ، وما يسند إليه من تهم الإلحاد والزندقة .
وبالرغم من أن هذه الرسالة تحمل طابع التحامل والضغن الشخصي ، فإنها تلقى
ضوءاً كبيراً ، على ما كان يرمى به ابن الخطيب ، خلال توليه الحكم ، وعلى
بعض الوقائع التي اتخذت سنداً لاتهامه ، بالخروج على أحكام الإسلام ، والحكم
بعد ذلك بإدائته ونكبته . ويحسن قبل أن نعرض إلى محتويات هذه الرسالة ، أن
نقول إن القاضي أبا الحسن النباهي كان في البداية ، من أنصار ابن الخطيب
وأوليائه ، وإن ابن الخطيب هو الذي ندبه ، ليكون قاضياً للجماعة ، واستصدر
ظهير تعيينه ، أيام توليه الوزارة للغي بالله ، في المرة الثانية ، وذلك في فاتحة
عام ٧٦٤ هـ ، وفيه ينعت برفيع النعوت والصفات ، من علم وفضل ونزاهة ،
ثم ندبه بعد ذلك ليكون خطيباً للمسجد الجامع (٢) . ولما وضع ابن الخطيب كتاب
الإحاطة ، وترجم فيه من ترجم من أكابر معاصريه ، ظفر منه النباهي بأكرم
النعوت والحلال ، إذ وصفه بأنه « قريع بيت مجادة وجلالة ، وبقية تعين
وأصالة ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، بعيد الغور ،
مرهف الجوانب ، ناظم ، ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير .. بعيد
المدى في باب النزاهة ، ماضياً غير هيوب .. الخ » (٣) ثم دارت الأيام دورتها
وازور نجم ابن الخطيب ، وتقلص سلطانه ونفوذه ، وعندئذ برز النباهي إلى
جانب ابن زمرك في طليعة خصوم ابن الخطيب .

وتتخذ رسالة النباهي صورة رد ، على كتاب شديد أرسله إليه ابن الخطيب
من المغرب ، وقائمة اتهام معا ، وفيها ينعى النباهي على ابن الخطيب ، انصرافه

(١) أبو الحسن النباهي في كتاب « تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرتبة العليا » المنشور
بالقاهرة بعناية الأستاذ ليني بروفسال سنة ١٩٤٨ ص ٢٠٢ .

(٢) أورد لنا المقرئ نص الظهيرين الصادرين بتعيين النباهي في خطى القضاة والخفظة
(نسخ الطيب ج ٣ ص ٧١ و ١٧٤) . وكذلك في أزهار الرباص (ج ٢ ص ٥) .

(٣) وردت هذه الترجمة في مخطوط الإحاطة بالإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور (لوحة ٣٠٢
وما بعدها) ، ونقلها المقرئ في نسخ الطيب (ج ٣ ص ٣٨٥ و ٣٨٦) .

إلى الأغراض الدنيوية ، وشغفه بالافتناء والبناء ، ثم ينمى عليه ما ورد في كتبه التاريخية من سبر الأحياء والأموات ، والطعن في حقهم ، وهو مما يدخل في باب « الغيبة المحرمة » ، ومخالفة ذلك للدين والعقل ، وأن ما تضمنته بعض مؤلفاته الأخرى من البدع ، والتلاعب بالشريعة ، يجعلها مستحقة للتخريق والتحريق ، وأنه أى النباهى قد نصحه وحذره من ذلك فلم ينتصح ، وآثر الاستماع لأقوال المجاملين والمداهنين . وينكر النباهى على ابن الخطيب ، ما ينوه به في كتابه ، من قيامه بصالح الأعمال ، ويقول إن ذلك من قبيل المن المذموم . وإنه أى ابن الخطيب ، لم يشارك فى شئ « إلا بأغراض حاصلة ، فى يدكم ، ولأغراض دنيوية خاصة بكم » .

وأما اعتذار ابن الخطيب وتقدمه على فراق الأندلس ، فبرى النباهى أنه ناقض ، وأن ما وقع من فراره ، إنما هو غدر بسطانه . وأن هذا الخروج من الأوطان ، لم تكن تدعو إليه ضرورة غالبية ، ثم يقول « وقد مددتم إلى التمتع بغيرها أعينكم ، ولو لم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة ، إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفها فخرًا ، على ما يجاورها من سائر البلاد » .

وينمى النباهى بعد ذلك على ابن الخطيب . تدخله فى شئون القضاء ، أيام ولايته إياه ، ويعدد بعض ما ارتكبه ابن الخطيب فى ذلك ، من مخالفات للشرع والدين ، فيقول « فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكاية ، باستحقاقكم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمور الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك فى جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة ، بعد تقضى موجباته ، على كره منكم . ومنها مسألة ابن أبى العيش المثقف فى السجن ، على آرائه المضلة ، التى كان منها دخوله على زوجته ، أثر تطلقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، فحملتم أحد ناسكم ، تناول إخراجه من الثقاف ، من غير مبالاة بأحد . ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم ، توجهت عليه المطالبة بدم قتيل . وسبق المدعى عليه للديح بغير سكن ، فما وسعنى بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة . فأنتم لذلك وسجنتم الطالب ولى الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على الفور . إلى غير ذلك مما

لا يسع الوقت شرحه . ولا يحمل بي ولا مكتم ذكره .»

وأما عن تهمة الإلحاد والظعن في النبي . وهي أخطر ما وجه إلى ابن الخطيب من التهم . فيصوغها النباهي على النحو الآتي في كلامه لابن الخطيب : « فلاني أخاف عليكم من الإفصاح بالظعن في الشريعة ورمي علماءها بالمنقصة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم^(١) منكر علم الخزيات . القائل بعدم قدرة الرب . جل اسمه على جميع الممكنات ، وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام فلما تجوز عليهم المغالطات ، فتأسركم شهادة العدول . التي لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة . وكذا أهدركم من الوقوع بما لا ينبغي في الخناب الرفيع ، جناب سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكورة يكبر في النفوس التكلم بها أنتم تعلمونها ، وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل ، من وجه آخر عليكم . ولولا أنكم سافرتم ، قبل تقلص ظل السلطة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة ، امتعاضا لدينها وديناها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم . فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم ، من خدام الدول ما صدر عنكم . من العبث بالإبشار والأموال . وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار . وكشف الأستار . واستعمال المكر والحيل ، والغدر في غالب الأحوال للشريف والمشروف ، والخدام والمخدوم .»

ثم ينعي النباهي على ابن الخطيب تركه لسultanه حين كان منفيًا بالمغرب ، ثم تهافتة عليه حين عاد إلى عرشه ، وما كان منه من الضرب والتفريق ، بين رجال الدولة ، حتى خلا له الجو وتمكن الأمر والنهي . ثم يقول : « فهمزتم ولزتم ، وجمعتم من المال ما جمعتم . ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا مسكم . فلما بلغتم أرض الجبل . انخرقتم عن الحادة . وهربتم بأثقالكم ، الهروب الذي أنكره عليكم من بلغه حديثكم ، أو يبلغه إلى آخر الدهر . في العدوتين ، من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر » ويختتم النباهي رسالته بالتشديد ببني الخطيب ،

(١) هو أبو زكريا يحيى بن هذيل العيسوف الطيب والعلامة العرناطي الكبير ، وقد ذكرناه ضمن شيوخ ابن الخطيب وبما تقدم ، توفي سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٣ م) . وترجمه ابن الخطيب في الاحاطة ، ونقل المقرئ ترجمته في نفع الطيب (ج ٣ ص ٥٥٨) .

ونشأهم المتواضعة ، وحدثهم في المال والنعمة ، وما نالوه من ثراء مغتصب ، ليقول لابن الخطيب إنه لاحق له في التفاخر ، وهذا أصله ، وأن الاعتداد بملاذ الدنيا ، من ثراء وطعام ولباس ، إنما هو خسة وصغار ، وأن الأولى به أن يكون زاده التقوى للدار الباقية^(١) .

وقد رأينا أن نلخص رسالة النباهي وأن نقتبس منها على النحو المتقدم ، إذ هي حسبنا قدمنا وثيقة الاتهام ، التي اتخذت فيما بعد ، سنداً لإدانة ابن الخطيب ونكبتة . وتاريخ هذه الرسالة هو أواخر جمادى الأولى من عام ٧٧٣ هـ . وقد تلقاها ابن الخطيب عقب وصوله إلى بلاط السلطان عبد العزيز بتلمسان بقليل . وقد رد فيما بعد على سباب أبي الحسن وآتهاماته . بما كتبه عنه في ترجمته في كتاب « الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة » وحل عليه فيها بشدة . ونعته بأقسى النعوت^(٢) ، ثم استأنف حملته عليه في كتابه « أعمال الأعلام » الذي ألفه للوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة ، بعد وفاة السلطان عبد العزيز ، وهو آخر كتاب ألفه ابن الخطيب ، ونعته فيه « بالجعسوس » أي القزم اللديم ، إذ كان أبو الحسن دميماً قصير القامة ، وهذا عدا رسالة خاصة وضعها قبل ذلك في هجاء أبي الحسن والحملة عليه وسماها « خلع الرّس في التعريف بأحوال أبي الحسن »^(٣) .

ومن الغريب المؤلم معاً ، أن ينحدر القاضي النباهي ، في خصومة ابن الخطيب والحملة عليه ، إلى هذا الحد المثير ، وهو الذي كان من قبل يرتفع في تقديره إلى أسنى المراتب ، كما تدل على ذلك رسالة وجهها إليه أيام إقامته منفياً بالمغرب وهو بسلا ، وفيها ينعته « بالآية البالغة وقد طمست الأعلام ، والعزة الواضحة ، وقد تنكرت الأيام ، والبقية الصالحة . وقد ذهب الكرام » . ثم يصفه بأنه بالنسبة إليه « هو الركن الذي مازلت ، أميل على جوانبه ، ولا تزيد الأيام إلا بصيرة

(١) أورد المقرئ رسالة القاضي أبي الحسن النباهي برمتها في فصح الطيب ج ٣ ص ١٦٦-١٧١

وكذا أوردتها في أزهار الرياض ح ١ ص ٢١٢-٢٢٤ .

(٢) وردت ترجمة القاضي النباهي في كتب الكتيبة الكامنة المنشور ببيروت (١٩٦٣)

رقم ٥٠ ص ١٤٦

(٣) أعمال الأعلام ص ٧٨-٨٠ ، وراجع فصح الطيب ح ٣ ص ٧٥ ، وكذلك مقدمة كتاب

تاريخ فضاء الأندلس للباهي و. بعدها (ص ط) والرسن هو ما كان من الأزمة على الأنف .

في الإقرار بفضله والإعتداد به . وذلك أن النباهي كان أيضاً قد فقد منصبه ، من جراء الحوادث التي أودت بسطان ابن الخطيب ، وعبر البحر منقياً مثله ، وكان يعتمد على الوزير المنفي ، متى انقضت المحنة ، في الأخذ بيده ، وإعادته إلى سابق وظائفه^(١) .

وعلى أي حال فقد مضى خصوم ابن الخطيب في غرناطة في سعيهم لإهلاكه ، ولم يقعدهم بعده عن الأندلس ، فبعد أن قضى بإحراق كتبه في ساحة غرناطة ، سجل القاضي أبو الحسن عليه تهمة الإلحاد والزندقة ، وصادق السلطان على حكمه ، وأرسل القاضي رسله بهذا الحكم ، إلى السلطان عبد العزيز يطالب بتنفيذ حكم الشرع ، في الوزير الملحد ، وهو الإعدام ، فأنف سلطان المغرب لهذا المسعى ، وعنف رسل الأندلس ، وقال لهم « هلا أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه » وردهم خائبين ، وزاد في إكرام ابن الخطيب ورعايته .

ولما توفي السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ (أواخر سنة ١٣٧٢ م) خلفه على العرش ولده الطفل السعيد . وغادر بلاط المغرب ، تلمسان إلى فاس . وسار ابن الخطيب صحبة الوزير أبي بكر بن غازي القائم بأمر الدولة ، ونزل بفاس في كنف الوزير ورعايته ، متمتعاً بما كان يتمتع به في ظل السلطان الراحل ، من المكانة والنفوذ وجزيل الصلات . وطاب عيشه بفاس ، واقتنى كعادته الدور والضباع . واستمر حيناً على مكانته في الدولة . وحاول ابن الأحمر سلطان الأندلس أن يحمل الوزير ابن غازي على تشريد ابن الخطيب ونفيه ، لما كان يعتقد من أنه كان يحرص السلطان عبدالعزيز ، على غزو الأندلس ، فأبى ابن غازي ، وساءت العلاقات بين بلاط فاس وبلاط غرناطة بسرعة ، ودفع ابن الأحمر ، بعض الخوارج من بني مرين ، إلى محاربة حكومة فاس . وأمدهم بعونه . وتمخضت الحوادث في المغرب ، عن انقلاب جديد ، ونادى الثوار بولاية الأمير أحمد ابن السلطان أبي سالم . وحاول الوزير ابن غازي مقاومة الثوار فلم يفلح . واقتحم الثوار مدينة فاس ، فأذعن الوزير

(١) وردت رسالة الساهي إلى ابن الخطيب في نفع الطيب ج ٣ ص ٣٨٤ و ٣٨٥ .

لمطالبهم ، وقام بخلع الملك الطفل السعيد ، والنزول عن البلد الحديد (الضاحية الملوكية) ، ودخل السلطان أحمد البلد الحديد ، وجلس على العرش ، وذلك في أوائل المحرم سنة ٧٧٦ هـ (١) .

وكان ابن الخطيب قد لجأ أثناء ذلك إلى البلد الحديد ، وكان التفاهم قد تم بين ابن الأحمر (الغنى بالله) وبين زعماء الفتنة ، بشأن ابن الخطيب ومصيره . فلما وقع الانقلاب المنشود ، بادر السلطان الحديد بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله . تنفيذاً للعهد الذي قطعه لابن الأحمر ، ولم يدخر وزيره سليمان بن داود ، وقد كان من ألد أعداء ابن الخطيب ، جهداً في تشديد الكبر عليه وتدبير هلاكه . وكان ابن الأحمر يتوق إلى الانتقام من وزيره السابق ، لما أكده له خصومه من غدره ودسائسه ، وتأمرة مع السلطان عبد العزيز المريني على غزو الأندلس ، فبعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك ، تلميذ ابن الخطيب ، وخلفه في الوزارة ، ليعمل على تحقيق هذه الرغبة . بالتعاون مع حكومة فاس . ووجهت إلى ابن الخطيب التهم القديمة ، التي وجهت إليه في غرناطة ، وصاغها القاضي أبو الحسن في قرار اتهمه . ورأى السلطان أحمد أن يعقد مجلساً خاصاً ، من رجال الدولة وأهل الشورى ، واستدعى ابن الخطيب إليه لمناقشته ، ومواجهته بالتهمة المنسوبة إليه ، وأخصها تهمة الإلحاد والزندقة . استناداً إلى ما ورد في بعض كتاباته ، ولاسيما بعض آراء وعبارات وردت في كتابه « روضة التعريف بالحب الشريف » (٢) . وعزَّر ابن الخطيب وعذب أمام الملائم ، وأفتى بعض الفقهاء المتعصبين بقتله ، ودس عليه الوزير سليمان ، بعض الأوغاد من حاشيته ، فطرقوا سجنه ليلاً ومعهم بعض الخدم الأندلسيين . الذين جاءوا مع سفراء ابن الأحمر ، وقتلوه خنقاً في سجنه ، وأخرجوا جثته في الغد . ودفنت بالمقبرة الواقعة تجاه باب المخزوق ، أحد أبواب فاس القديمة . ثم أخرجت جثته في اليوم التالي ، وطرحت فوق القبر ، وأضرمت حولها النار ، فاحترق شعر الرأس ،

(١) البلد الحديد هي الضاحية الملوكية ، التي أنشأها السلطان أبو يوسف المريني بحوار فاس في سنة ٦٧٤ هـ لتكون داراً للملك . واستمرت البلد الحديد طوال أيام بني مرين قاعدة الملك ومقره ، ومازالت بقاياها قائمة حتى اليوم ، ومنها القصر الملكي المريني .

(٢) سوف نأتى على ذكر هذا الكتاب عند الكلام على تراث ابن الخطيب .

واسودت البشرة . ثم أعيدت الحثة إلى القبر قبل أن تحترق . وتركت هناك لتتوى الثواء الأخير . ووقعت هذه المأساة الأليمة ، في ربيع الأول أو ربيع الثاني سنة ٧٧٦ هـ (أغسطس أو سبتمبر ١٣٧٤ م) (١) .

وهكذا ذهب الكاتب والشاعر الكبير ، والمفكر العبقري ، ضحية الجهالة والتعصب ، والأحقاد السياسية الوضيعة . ويجمل ابن خلدون حوادث هذه المأساة في قوله في مقدمته ، يشير إلى صديقه ابن الخطيب ، بأنه هو «الهالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائه» ، ويعلق عليها في تاريخه بقوله «وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هنائه ، وعظم النكير منها عليه ، وعلى قومه وأهل دولته» ، ثم ينقل إلينا أحياناً من الشعر نظمها ابن الخطيب في سجنه ، وكان ينشدها توقعاً لمصيره المحزن :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما	وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شمس سماء العلاء	آغربن فناحت عليها البيوت
فكم خذلت ذا الحسام الطُّبَا	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة	ففي ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فن كان يفرح منكم له	فقل يفرح اليوم من لا يموت

هذا ، وما زال قبر ابن الخطيب ، قائماً في مكانه خارج فاس ، على مقربة من باب المحروق . ويقول مؤرخه المقرئ إنه رار قبره مراراً ، أثناء إقامته ، بفاس ، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (سنة ١٠١١ - ١٠٢٧ هـ) . وقد زرناه نحن كذلك مراراً خلال زيارتنا المتوالية للمغرب . وقد أقامت عليه الحكومة المغربية ضريحاً صغيراً ، ذا واجهة فنية جميلة ، وكتب أعلاه بالخط المغربي (هذا ضريح العلامة لسان الدين ابن الخطيب) .

(١) ابن خلدون في كتاب المر ج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

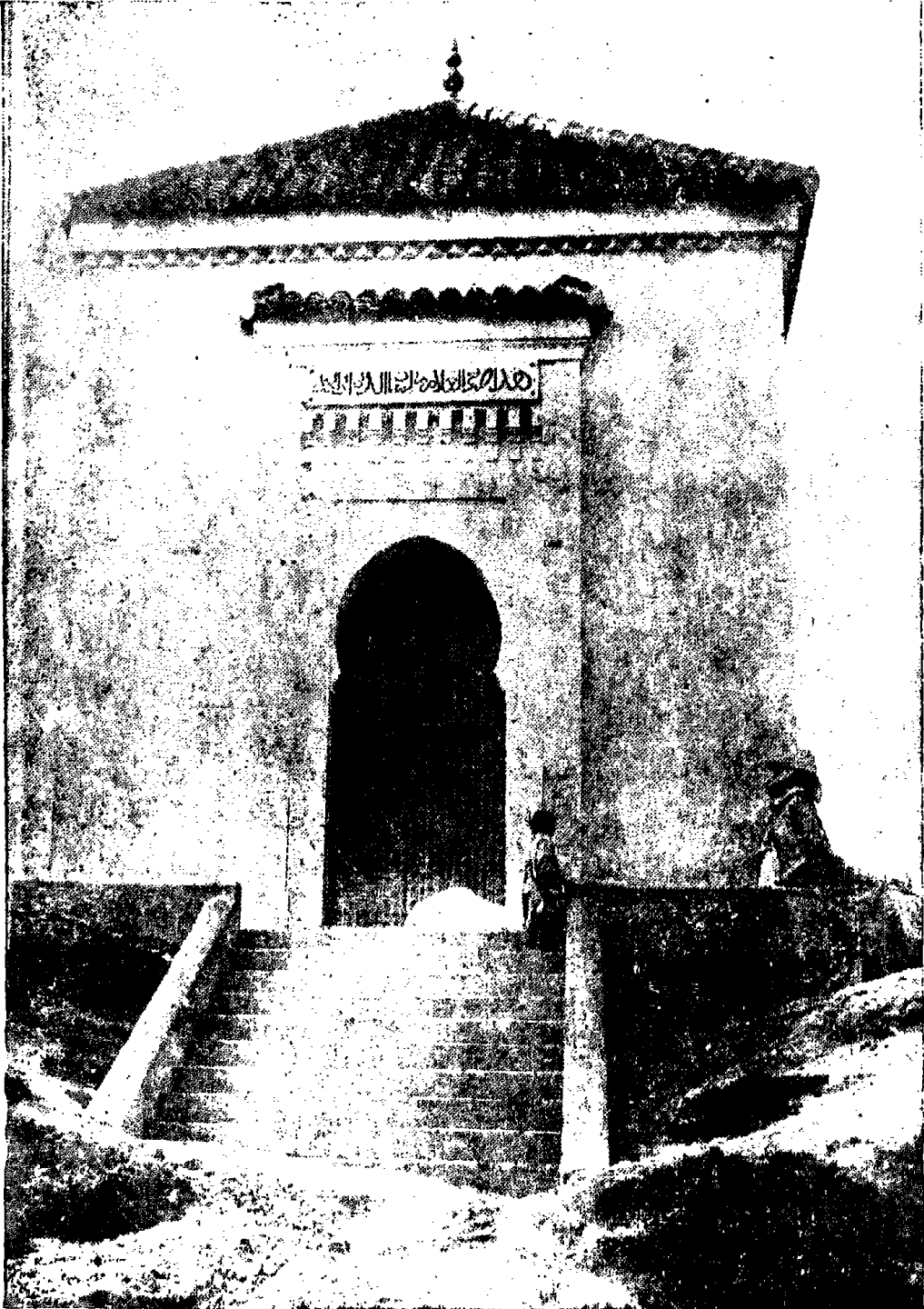
كان ابن الخطيب حسبنا قلنا في بداية هذا البحث . عقريّة متعددة النواحي . والآن فلنحاول أن نعرض إلى نواحي هذه العبقرية . بشيء من التفصيل . وأول ما يبدو لنا من هذه النواحي . هو ابن الخطيب الكاتب والشاعر ، وهي صفة تغلب على سائر خصائصه الأخرى .

كان ابن الخطيب من أعظم كتاب عصره وشعرائه . بل هو من أعظم كتاب الأندلس وشعرائها على الإطلاق . وقد بلغ في النظم ، كما بلغ في النثر ، مرتبة التفوق التي لا يدانيه فيها سوى القليل .

وأعظم ما يميز به شعر ابن الخطيب ونثره ، هو وفرة التنوع والإفتنان ، في الموضوعات والمعاني . ويرجع ذلك إلى توقد قريحته ، وسعة أفقه ، وإلى حياته المتنوعة ، الفياضة بمختلف الأحداث والمحس .

وقد برز ابن الخطيب بالأخص في ضرب من النثر . هو النثر الوزاري والسياسي . وقد ترك لنا ابن الخطيب في هذا الميدان تراثاً ضخماً ، من المراسيم السلطانية التي صدرت أيام توليه الوزارة . عن سلاطين غرناطة . ومن الرسائل السياسية والدبلوماسية . التي كان يكتبها عن لسان سلطانه . إلى ملوك إسبانيا النصرانية أو سلاطين المغرب ، أو سلاطين مصر . وفيها يتحدث عن علائق المودة والتحالف ، أو يصف بعض الحوادث التاريخية . أو يطلق صيحة الجهاد للدفاع عن الأندلس . أو يلتمس لها الإنجاد والعون من ملوك العدو . إلى غير ذلك من الشئون والحوادث ، التي ملأت حياته السياسية . سواء في المغرب أو الأندلس .

وانتهى إلينا من هذه الرسائل السلطانية والسياسية . العدد الحجم . وجمع ابن الخطيب منها في كتابه « ربحانة الكتاب ومجعة المتاب » طائفة كبيرة ، يتعلق بعضها بوصف الغزوات والوقائع الحربية . التي جرت في جيتان وأبدة وأحواز إشبيلية . وحول جبل طارق ، والجزيرة الخضراء . وغيرها من الحوادث المعاصرة . ومنها رسائل عديدة . وجهها ابن الخطيب إلى ملوك المغرب عن حوادث الأندلس . وفي سبيل توثيق التحالف . وطلب الإنجاد والعون . ونقل المقرئ إلينا في كتابيه صحح الطيب وأرهار الرياص . عدداً



ضريح ابن الخطيب خارج مدينة فاس تجاه باب الحروق

كبيراً من المراسيم والرسائل السياسية ، التي كتبها ابن الخطيب . في مختلف المناسبات ، كما نقل إلينا الكاتب المصري أبو العباس القلقشندى ، في موسوعته (صبح الأعشى) عدداً من الرسائل التي وجهها سلاطين غرناطة ، إلى سلاطين مصر المعاصرين ، مدبجة بقلم ابن الخطيب .

وترك لنا ابن الخطيب عدداً كبيراً ، من الرسائل الأدبية ، ورسائل المودة والصداقة ، التي كان يتبادلها مع شيوخه وأقرانه ، وأصدقائه ، وأكابر معاصريه ، وقد أورد لنا في الإحاطة كثيراً منها . ونقل إلينا ابن خلدون في «التعريف» بعضها .

وتمتاز رسائل ابن الخطيب بالأسلوب الرصين المشرق ، واللفظ الجزل المختار . وبالرغم من أن معظمها يجري على قاعدة السجع ، فإنها على الأغلب خالية من روح التكلف ، الذي يجنى أحياناً على الأسلوب والمعنى . ولاين الخطيب براعة خاصة في تخير الألفاظ ، وإبراز المعاني ، لايجاريه فيها الكثيرون من أكابر الكتاب .

ولاين الخطيب مقدره فائقة على تخير أساليب المدح والذم ، ومدبجه غالباً من النوع الرفيع الذي لايشوبه التنزل الوضع ، بل تطبعه على الأغلب نزعة من الإعزاز والكرامة . ويبدو ذلك في كثير من تراجم الإحاطة ، وفي كثير من رسائله السلطانية . ونستطيع أن تقدم للمدبج الأدبي مثلاً بترجمة صديقه وأستاذه أحمد بن صفوان الملقب في الإحاطة ، وما كتبه عنه في «الدرر الفاخرة» ، وهو الديوان الذي جمعه من شعره ، وما ورد في ترجمته لشيخه أبي البركات بن الحاج البلقي ، وفي ترجمة صديقه ابن خاتمة ، شاعر ألمرية الكبير . وأن تقدم مثلاً للمدبج السياسي ، بما كتبه عن سلاطين غرناطة المعاصرين ، وما ورد في ترجمة صديقه وزميله ، الوزير الكبير الحاجب رضوان النصرى . ففي هذه التراجم ، عبارات مختارة ، من أساليب المدح الرفيع ، الذي يفيض إعزازاً وكرامة ، واتزاناً في الوصف والتصوير .

يبد أن ابن الخطيب ، يبدى في نفس الوقت . في بعض رسائله المرفوعة إلى حُماته ، سواء من سلاطين غرناطة أو المغرب ، ألواناً من الملق كانت تملأها عليه ، على الأغلب ، ظروف حياته ، ولا سيما حياة المنفى في المغرب . حيث كان

يعيش تحت كنف سلاطينه ، مشمولاً بحمايتهم ورعايتهم .

وكما أن ابن الخطيب . يبدي اعتزازة ، في كثير من المواطن ، بمنزلته السياسية . فهو كذلك يببالغ في الإعزاز بكرامته ومنزلته الأدبية ، ويذهب أحياناً في ذلك إلى حدود العُجب والكبر . وهو لا يحجم عن أن يذكرنا أحياناً ، بأنه من أعظم شخصيات عصره في دولة الأدب . وإليك ما يقوله مثلاً في ديباجة كتابه المسمى « بالسحر والشعر » :

« وبعد فانه لما قيض الله مني الآداب مجلى سماتها ، وناشر رممها بعد مماتها ، وصاقل صفحاتها ، وقد محا محاسنها الصدا ، على بعد المدا ، وموضح طريقها المثلى ، وقد أضحت طرائق قيّدا ، والغاشى إلى ضوء نارها ، لعلى أجد على ضوء النار هدى .

وأما في الذم ، فان ابن الخطيب ، يلجأ أحياناً إلى الأساليب المضطربة ، والعبارات القاذفة العنيفة ، ويطلق العنان لضغنه وحقده . ولنا في ذلك أمثلة كثيرة في « الإحاطة » ، وأبرزها ما كتبه (نقلاً عن كتابه نفاضة الجراب) في ترجمة السلطان محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج بن نصر المكنى بأبي عبد الله ، وهو السلطان الذي انتزع العرش من اسماعيل بن يوسف ، المتوثب على أخيه ، السلطان محمد الغنى بالله ، فهو يقول لنا مثلاً في وصف السلطان المذكور ما يأتي :

« كان شيطاناً ، ذميم الخلق ، حروفشاً على عرف المشاركة ، مترامياً للخسائس ، مألماً للذعرة ، والأجلاف والسوار ، وأولى الريب ، خبيثاً كثير النكر . منغمساً في العهن ، كلفاً بالأحداث ، متقلباً عليهم في الطرق ، خليع الرّسن . ساقط الحشمة ، كثير التبذل ، قواد عصبة كلاب .. إلخ » .

وفي وصف وزيره : « استوزر الوزير المشثوم ، ممدّه في الغنى ، الوغد الجهول المرتاش من السرقة ، الحقود على عباد الله لغير علة ، على سوء العاقبة ، المخالف في الأدب سنن الشريعة ، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة ، دودة القز ، وبغل طاحونة الغدر ، محمد بن ابراهيم بن أبي الفتح الفهرى ، فانطلقت يده على الإبشار ، ولسانه على الأعراض ، وعينه على النظر الشرر ، وصدوره على التأوه والرّين ، يلتقى الرجل ، كأنه قاتل أبيه ، محدقاً إلى كفيه ، يحترش بهما خبيثة . أو يظن بهما رشوة .. إلخ » .

ونستطيع أيضاً أن نمثل لأساليب ابن الخطيب في الذم ، بما كتبه في ترجمتي خصيميه أبي الحسن النباهي وأبي عبد الله بن زمرك ، في « الكتيبة الكامنة » ، وبما كتبه عن أبي الحسن في رسالة « خلع الرسن » التي سبقت الإشارة إليها . وبما يتميز به أسلوب ابن الخطيب ، بنوع خاص ، روحه النقدية العالية ، فهو يبدى في تناول الشخصيات ، وفي وصفها وتحليلها ، مقدرة فائقة ، لا يكاد يجاريه فيها أحد من كتاب التراجم المسلمين ، اللهم إلا شمس الدين السخاوي المصري ، صاحب « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » فإنه قرينه ومنافسه الحق ، في تلك الروح النقدية القوية . وابن الخطيب إلى جانب ذلك ، غزير المادة ، في التنوع والابتكار ، يبدى براعة مدهشة ، في التنقل في نواحي الوصف من الأخلاق الشخصية ، إلى المواهب الأدبية والفنية ، إلى الحوادث الجارية ، وهو في ذلك كله فنان موهوب ، يقدم إلينا تلك الجمهرة الكبيرة ، من العلماء والكتاب والشعراء والوزراء والأمراء ، الذين يضمهم كتاب « الإحاطة » في صور متباينة ساحرة ، تم عن فائق مقدرته الأدبية والفنية .

وأما في الشعر فإن ابن الخطيب يرتفع إلى أسمى المراتب ، ويتميز شعره بالتنوع الكثير . فقد نظم في شئون السياسة ، وفي المديح ، والغزل ، والزهد ، والتصوف ، والمدايح النبوية . وهو يبدى في قصائده براعة في ابتكار المعاني وفي صوغ الخيال ، وفي اختيار اللفظ المشرق . وكذلك فقد برع ابن الخطيب في الزجل ولاسيما على طريقة الشاعر الأندلسي المتصوف أبي الحسن الششتري ، وقد أورد لنا نماذج من زجله في السفر الثالث من كتاب « نفاضة الجراب » (١) وكان ابن الخطيب بالأخص من أئمة الموشحات الأندلسية . ومن أشهر ما نظم منها موشحته الدائمة الصيت التي مطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث همي يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلصة المختلس (٢)

(١) وردت في مخطوط خزانة الرباط العامة لوحات ٢٠٤ و ٢٠٧ و ٢١٠

(٢) نقل المقرئ هذه الموشحة بأكملها في نفع الطيب ج ٤ ص ١٩٨ وما بعدها . وكذلك في

أزهار الرياض ج ٢ ص ٢١٣ . وأورد لنا المقرئ في كتابيه المذكورين طائفة كبيرة أخرى من موشحات ابن الخطيب .

ولا محل لأن نورد هنا شيئاً من شعر ابن الخطيب أو نثره ، فسوف يرد الكثير منهما في هذا الكتاب « الإحاطة » . ومن جهة أخرى فقد أفرد المقرئ في كتابه « نفع الطيب » مجلدين كبيرين ، هما الثالث والرابع ، لابن الخطيب وأخباره ، وشعره ونثره ، ونقل إلينا فيهما من مختلف كتبه ورسائله ، فصولاً وشدوراً لا تحصى ، كما نقل إلينا عشرات من قصائده ، وهذا عدا ما نقله من نثره ونظمه في كتابه « أزهار الرياض » .

ويصف لنا الأمير أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر معاصر ابن الخطيب ، خلاله ومواهبه ، في كتابه « نثر فرائد الجمان فيمن يضمني وإياهم الزمان » في تلك العبارات الرنانة : « هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ، وكاتب الأرض ، إلى يوم العرض ، لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يجنح فيه إلى العتب ، آخر من تقدم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضي ، وإلا فانظر كلام الكتاب الأول من العصبية ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصة . للبراعة ، بالبراعة ، وبه أسكت صائلهم ، وما حمدت بكرهم وأصائلهم ، المشربة بالحلاوة ، الممكنة من مفاصل الطلاوة . وهو نفيس العدوتين ، ورئيس الدولتين ، بالإطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم الثقيلة .. » . ثم يشير بعد ذلك إلى قسوته في الهجاء ، وإلى كونه قد هجا ابن عمه سلطان الأندلس بما لا يليق ويجمل^(١) .

ويصف ابن خلدون في مقدمته ابن الخطيب بأنه « شاعر الأندلس والمغرب في عصره » وأنه « كان في اللسان ملكة لا تدرك » . ويقول في وصف نثره وشعره : « وامتلاً حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه . وبلغ في الشعر والترسل ، حيث لا يجارى فيهما ، وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر ، وملاً الدولة مدامحه ، وانتشرت في الآفاق قداماه » . ثم يقول عن رسائله السلطانية : « وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدو »^(٢) . ثم يجمل وصفه في « التعريف » بقوله : « وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر ، والمعارف والأدب ، لا يساجل مداه ، ولا يهتدى فيها بمثل هداه »^(٣)

(١) أزهار الرياض ج ١ ص ١٩١ .

(٢) ابن خلدون في كتاب العبر - المقدمة ص ٥٢٢ و ٤٩٦ و ج ٧ ص ٢٣٢

(٣) التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ص ١٥٥ .

ولم تمنع المحنة التي نزلت بابن الخطيب وتراثه ، من جراء تدبير خصومه ، من أن يعود إليه اعتباره وتقديره الحق ، بعد انقضاء عصر السلطان الغني بالله ، الذي توفي في سنة ٧٩٣هـ (١٣٩١ م) . وفيما ورد في نص صيغة الوقف التي كتبت على نسخة كتاب « الإحاطة » التي حبست على المدرسة اليوسفية ، أو جامعة غرناطة بقلم قاضي الجماعة ، الرئيس أبي يحيى بن عاصم . والتي تحمل تاريخ وقفها وهوسنة ٨٣٩ هـ ، من وصف كتاب الإحاطة ، والتنويه بقيمته وأهميته ، ووصف مؤلفه ، والارتفاع بقدره وعبقريته ، ما يدل على أن ذكرى ابن الخطيب ، عادت بعد نصف قرن من مصرعه ، تحتل مكانتها الحقة بين عطاء وطنه ، وعادت كتبه التي طوردت وأحرقت أيام الفتنة والتحامل ، تحتل مكانتها بين نفائس التراث الأندلسي .

ويشارك النقد الغربي الحديث في التنويه بمنزلة ابن الخطيب العلمية والأدبية . ويبدى المستشرقون الإسبان بالأخص إجلالهم لمواهبه وخلاله ، وإعجابهم بتفكيره وتراثه ، ويرون فيما خلفه من تاريخ غرناطة ، وجغرافيتها ، وأوصاف حياتها الاجتماعية ، أنفس ما انتهى إلينا في ذلك من تراث الكتاب المسلمين .

قال المستشرق مورينو نيتو Moreno Nieto ، في وصف ابن الخطيب وتراثه ما يأتي : « لا يوجد في تاريخ غرناطة الأدبي ، ما يمكن أن يقارن بهذا الكاتب الخصب ، فقد كانت معارفه العلمية عظيمة ، وقلما حظى أسلوب كاتب مثله . بما حظى به أساوبه ، من البلاغة والرشاقة ، حسبما يقول ابن خلدون ، وقد برع بالأخص في علم السياسة وفي التاريخ ، وقد شهد حوادث سياسية ، لعب فيها دوراً كبيراً ، وكان مدى أعوام طويلة ، أميناً ومستشاراً للملك قابل خدماته بمجود مطبق .

« وإن تاريخ غرناطة حتى عصره ، ليعرف بالأخص من مؤلفاته ، بطريقة أتم وأكمل ، من أي عصر آخر من تاريخ الأندلس .

« ويعتبر تاريخه للدولة النصرية ، وكتابه « الإحاطة » دائماً بين أعجب آثار الأدب الإسلامي .

« ومنذ وفاة ابن الخطيب ينخبو وينهار صرح العلوم في الأندلس » (١) .

(١) نقل إلينا هذه المقرات المستشرق Pons Boigues في معجمه Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos arabigo-espanoles (Madrid 1898) p. 347.

ويصف العلامة المستشرق سيمونيت Simonet ، ابن الخطيب « بأمير الأدب الأندلسي الغرناطي »^(١)، ويقول لنا إن شهرته وصلت إلى بلاط قشتالة ، وإنه يعرف في تواريخها بابن خطين Benhatin ، ويوصف بأنه « عالم كبير وفيلسوف ومستشار للملك غرناطة » .

ثم يقول « إن ابن الخطيب قد ترك لنا آثاراً كثيرة ، في النثر والشعر والتاريخ والجغرافيا والرحلات ، والبلاغة والشريعة ، والعلوم ، والأخلاق ، والدين ، والنبات والطب والبيطرة ، والموسيقى ، والفن الحربي ، والسياسة ، وكلها غنية في الابتكار والتعمق والرشاقة »^(٢).

ويخصص العلامة المستشرق كونثالث بالنسيا G. Palencia لابن الخطيب في كتابه « تاريخ الأدب العربي الإسباني » ترجمة حسنة يبدوها بقوله : « إن تاريخ القرن الرابع عشر يبلغ الذروة باسمين عظيمين ، هما ابن الخطيب المؤرخ الأنيق ، والسياسي والأديب ، وابن خلدون منسئ فلسفة التاريخ . ثم يقول : « إن سائر الكتاب (في هذا القرن) تكشف ضوءهم ، شخصية لسان الدين بن الخطيب العظيمة ، وابن لوثة . وقد تعلم في غرناطة ، وأبدى شغفاً كبيراً بالعلوم الطبية والفلسفية ، التي تلقاها عن الطبيب الشهير يحيى بن هذيل : وقد برع في الشعر وترجع فوق دست الآداب العربية »^(٣) .

وأما من ناحية التصنيف الأدبي ، فإن صفة المؤرخ هي الغالبة في كتابات ابن الخطيب ، فقد وضع أهم كتبه في التاريخ ، والتاريخ المعاصر بنوع خاص ، ومؤلفاته التاريخية من أقيم المراجع في تاريخ الأندلس والمغرب ، في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . وكتاب الإحاطة وهو أضخم وأهم مؤلفاته ، هو معقد مجهوده التاريخي ، وقد كتب إلى جانبه عدة مؤلفات تاريخية أخرى هي « اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية » و « رقم الحلل في نظم الدول » (وهو مكتوب بالنظم) ، و « أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام » و « الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة » و « نفاضة الجراب في علالة الإغتراب »

(1) Pons Bougues . ibid, p. 347.

(2) F. J. Simonet : Descripcion del Reino de Granada sacada de los Autores arabigos (Granada 1872) p. vi.

(3) A. G. Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Espanola, No. 81, p. 179-182

و«التاريخ المحلى فى مساجلة القذح المعلق» و«عائد الصلة». ونستطيع أيضاً أن نعتبر كتابه «ريحانة الكتاب» وهو من أهم مؤلفاته، مؤلفاً تاريخياً ، لما يحتويه من رسائل تاريخية ، ذات أهمية خاصة .

ومعظم هذه المؤلفات يتعلق بتاريخ العصر الذى عاش فيه ابن الخطيب، وسير الملوك ، وأكابر الوزراء والعلماء والكتاب والشعراء الذين عاصروهم ، أو يقتربون من العصر الذى عاش فيه ، وإن كان منها مثل الإحاطة ، ورقم الحلل ، وأعمال الأعلام ، ما يضم شيئاً من تواريخ العصور السابقة .

وقد كان ابن الخطيب رجل سياسة من الطراز الأول ، وقد استطاع أن يوجه بعزمه وهمته ، سياسة الدولة النصرانية ، أعواماً طويلة ، سواء إزاء دول اسبانيا النصرانية ، أو دول المغرب . وتبدو أصالته السياسية ، فى كثير من رسائله ونبوءاته . ولعل أهم ما يؤثر عنه فى ذلك نظراته الصائبة إلى مصير الأندلس ، فقد كان هذا المؤرخ ، الثاقب الذهن ، الذى يقرأ حجب المستقبل ، من عبر الماضى ، والسياسى البعيد النظر ، يرى فى حوادث الأندلس ، شبح المستقبل الرهيب واضحاً ، ويستشف بنافذ بصيرته ، ما وراء الحجب ، من نهاية محتومة لهذا الوطن ، الذى مزقته الأهواء ، وأضنته الفتن . وكان يرى هذا المصير المحزن قبل وقوعه بأكثر من قرن ، ويهيب بقومه ، وإخوانه المسلمين فيما وراء البحر ، أن يبادروا إلى غوثه ونصرته ، وإلى الجهاد فى سبيل الدين والوطن . وله فى ذلك رسائل عديدة مؤثرة ، يوجهها إلى قومه ، ويلفت نظرهم ، إلى الخطر الداهم ، الذى لا محيص من وقوعه ، إذا استمر تنازلهم ، وتواكلهم ، ومنها ما وجه إلى ملوك العدو ، من بنى مرين ، يستنهض همهم لنصرة الوطن الأندلسى وإنجاده ، قبل أن يفوت الوقت ، وهى رسائل تمتاز بروعة أسلوبها(١) .

وأبلغ من ذلك كله فى الدلالة ، على شعور ابن الخطيب ، بخطر الفناء الذى ينتظر الأندلس ، ما وجهه فى وصيته إلى أولاده الثلاثة ، عبد الله ومحمد وعلى ، من النصيح بعدم الإسراف فى اقتناء العقارات بالأندلس ، إذ يقول لهم « ومن رزق منكم ما لا بهذا الوطن ، القلق المهاد ، الذى لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه

(١) وردت عدة من هذه الرسائل فى الجزء الثانى من الإحاطة ، ونقل إلينا المرقى كثيراً منها .

أجمع في العقار ، فيصبح عرضه للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن يتغلب العدو على بلده ، في الإفتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الإنتقال ، أمام النوب الثقال ، وإن كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى» (١)

ولابن الخطيب أيضاً فصول في السياسة الملكية ، مما تضمنته رسالة « كتاب الوزارة ومقامة السياسة » يشرح فيها واجب السلطان ، وخلال الوزير الصالح ، وأحوال الجند ، وما يجب لهم من توفير الجراية ، وتعويدهم على حسن الانقياد ، والعمال ووجوب حسن اختيارهم ، بتوفر الكفاية والأمانة ، وفي السياسة المنزلية أو الخاصة ، من السهر على تربية الأولاد ، وأحوال الخدم ، ووجوب أخذهم بحسن الانقياد ، والحرم وكيف يعاملن . ويورد ابن الخطيب هذه الفصول في صورة مقامة بطلها الخليفة الرشيد ، وقد أرق ذات ليلة ، فأتى له الندماء بشيخ حكيم ، عابر سبيل ، فأخذ يتلو على الرشيد ، آراءه في موضوعات السياسة الملكية والخاصية ، وقد كتبت هذه الفصول بأسلوب مسجع ، ولكن جزل رصين (٢) .

ترك لنا ابن الخطيب ، تراثاً حافلاً متنوعاً ، ما بين تاريخ ، وأدب ، وسياسة وتصوف ، وطب ، وشعر ، ونثر ، وقد بلغت مؤلفاته زهاء ستين مؤلفاً . وقد انتهى إلينا من هذا التراث أكثره ، ولاسيما المجموعة التاريخية والأدبية ، التي هي في الواقع لب تراث ابن الخطيب ، والتي تلقى أعظم ضوء على تاريخ الأندلس والمغرب ، في أواسط القرن الثامن الهجري

والظاهر أن مؤلفات ابن الخطيب ، التي لم تصل إلينا ، قد هلك معظمها في محنة إحراق كتبه التي وقعت في غرناطة في سنة ٧٧٣ هـ ، وهي من كتب الطب والتصوف والموسيقى ، وأن معظم كتبه التي نجت من تلك المحنة ، قد وصل إلينا عن طريق المغرب . والواقع أن ابن الخطيب قد وضع كثيراً من كتبه أثناء إقامته منفياً بالمغرب ، خلال فترتين ، أولاهما ما بين سنتي ٧٦١ وأواسط سنة ٧٦٣ هـ ، والثانية منذ أوائل سنة ٧٧٣ حتى مصرعه في أوائل سنة ٧٧٦ هـ .

(١) أورد لنا المقرئ وصية ابن الخطيب كاملة في نفع الطيب ج ٤ ص ٧١٨ وما بعدها ، وفي أرهاق الرياض ج ١ ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٢) تراجع هذه الرسالة في نفع الطيب ج ٤ ص ٥٥٨ - ٥٦٥ .

وقد ذكر لنا ابن الخطيب ثبت مؤلفاته خلال ترجمته لنفسه ، في آخر كتاب الإحاطة (مخطوطة الإسكوريال الكبيرة لوحة ٤٣٣ و ٤٣٤) ، ولكن هذا الثبت لا يتضمن كل كتبه ، لأنه انتهى من كتابة الإحاطة منقحة ، حوالى سنة ٧٧٣ هـ ، وكتب مزيداً من الكتب والرسائل بعد هذا التاريخ ، ونقل إلينا المقرئ ثبت كتب ابن الخطيب ، في مؤلفيه فصح الطيب وأزهار الرياض (١) .

المجموعة التاريخية

١ - كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » وقد تحدثنا فيما تقدم ، عن مادته وتاريخ كتابته ، واستعرضنا ما يوجد من مخطوطاته في مختلف المكتبات .
٢ - « التاريخ المحلى في مساجلة القديح المعلى » ، وهو يحتوى على مختصر لتاريخ مملكة غرناطة ، منذ إنشائها على أيدي بنى نصر ، وتراجم أعيانها في القرن الثامن الهجرى . ويترجم فيه ابن الخطيب لنفسه ولوالده ، ويوجد منه جزء بالمخطوط رقم ٥٥٤ الغزيرى بمكتبة الإسكوريال ، وهو المتضمن لكتاب « معيار الاختيار » ، من تأليف ابن الخطيب أيضاً . ويشغل في المخطوط من لوحة ٧١ إلى نهايته في لوحة ١٢٣ ، وينقل ابن الخطيب هذا الكتاب في الجزء الثانى من كتابه « ربحانة الكتاب » إلى جانب عدة من رسائله الأخرى . وتوجد طائفة من تراجم « التاريخ المحلى » في المخطوط رقم ١١٥٢ بخزانة الرباط العامة ، في المجموع الذى عنوانه « مجموع مراسلات وتراجم ابن الخطيب » . وقد نقل إلينا المقرئ منه كثيراً من التراجم .

وأما « القديح المعلى » الذى يقرن به ابن الخطيب عنوان كتابه المتقدم ، فهو من تأليف ابن سعيد الأندلسى (أبى الحسن على بن موسى المتوفى سنة ٦٦٦ هـ أو ٦٧٢ هـ وفقاً لابن الخطيب) وهو يضم تراجم الأدباء الأندلسيين في القرن السابع الهجرى .

٣ - « الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة » أو « الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة » . ويقول ابن الخطيب في ديباجته إنه جمع فيه « جملة وافرة ، وكتيبة ظافرة ، ممن لقيناه ببلدنا الذى طوينا جديد العمر فى ظله ، ما بين من تلقينا إفادته ، وأكرمنا وفادته ، وبين من علمنا وخرجنا ،

(١) نفع للطيب ج ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٥ وفى أزهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠

ورشحنا ودرجنا ، ومن اصطفيناه ، ورعيناه فضلاً صنعناه » . وفيه يترجم ابن الخطيب لطائفة من الخطباء والشعراء ، والمقرنين ، والفقهاء ، والكتاب المعاصرين له ، ويورد مختارات من شعرهم وأحياناً من نثرهم . وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالمغرب منها ثلاث بجزارة الرباط العامة ، ونسختان بالجزارة الملكية ، ونسخة بجزارة القرويين الكبرى بفاس ، ونسخة بجزارة تطوان العامة ، وتوجد منه أخيراً نسخة بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد (١) .

٤ - « اللوحة البدرية في الدولة النصرية » ، وهو مختصر لتاريخ بني نصر ملوك غرناطة ، حتى فاتحة سنة ٧٦٥ هـ ، وهو تاريخ الفراغ من تأليفه ، وذلك حسبما يذكر المؤلف في خاتمته . وتوجد منه نسخة خطية بالإسكوريال رقم ١٧٧٦ الغزيري (ضمن المجلد الذي يحتوي على كتاب رقم الحلل) . وتوجد منه بجزارة القرويين بفاس نسختان مخطوطتان . وتوجد نسخة أخرى بجزارة الرباط ، كما توجد نسخة حديثة بالمتحف البريطاني (٢) .

٥ - « رقم الحلل في نظم الدول » وهو عبارة عن تاريخ منظوم ، للدول الإسلامية ، الخلفاء الأوائل وبني العباس ، وبني الأغلب ، والعباسيين ، وبني أمية بالأندلس ، والطوائف ، والمرابطين والموحدين ، وبني مرين وبني نصر ، وشرح هذه القصائد نثراً بقلم ابن الخطيب نفسه . وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الإسكوريال (رقم ١٧٧٦ الغزيري) تحمل تاريخ الفراغ من كتابتها وهو ٧٦٥ هـ أعنى في حياة المؤلف . ويوجد منه بالمغرب نسخة بجزارة القرويين بفاس ، وثلاث نسخ بجزارة الرباط العامة ، وثلاث أخرى بالجزارة الملكية . وتوجد منه أيضاً نسخة بالمتحف البريطاني ، كما توجد نسخة حديثة الكتابة بدار الكتب المصرية . وقد نشر جزء من هذا الكتاب بتونس في سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) وهو يسمى أحياناً « بالحلل المرقومة » كما هو الشأن في نسخة مدريد المخطوطة ، المنقولة عن نسخة الإسكوريال ، وقد اختلط الأمر في ذلك على العلامة المستشرق

(١) نشر كتاب « الكتيبة الكامنة » بيروت سنة ١٩٦٣ .

(٢) نشر كتاب اللوحة البدرية في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) بعناية المرحوم الأستاذ

فيولد فظن أنهما كتابين مختلفين ، والواقع أنهما اسمان لنفس المؤلف (١).
٦ - « نفاضة الجراب في علالة الإغتراب » . هذا الكتاب من أهم كتب
ابن الخطيب ، بل ربما كان أهم كتاب بعد كتاب « الإحاطة » . ووجه أهمية
النفاضة ، هو أنه فضلا عن ضخامة حجمه ، يعتبر بالنسبة لابن الخطيب مذكراته
الشخصية ، عن فترة من أهم فترات حياته ، هي الفترة التي قضها في عزله
في سلا من رجب سنة ٧٦١ إلى رجب سنة ٧٦٣ هـ ، ثم بعد ذلك منذ عودته
إلى الأندلس وتولى الوزارة للمرة الثانية ، حتى ربيع الأول سنة ٧٦٤ هـ . ولم
تصلنا من هذا الكتاب نسخة كاملة ، بل وصلنا منه فقط سفراء الثاني والثالث ،
وهو يتكون من ثلاثة أسفار حسبنا بنجرنا ابن الخطيب نفسه في نهاية السفر الثاني
(نسخة الإسكوريال) ، وحسبنا ورد في نهاية السفر الثالث (نسخة الرباط) .
ويوجد من السفر الثاني نسخة وحيدة بمكتبة الإسكوريال تحمل رقم ١٧٥٠
الغزيري (١٧٧٥ ديرنبور) تتكون من ١٥٩ لوحة مزدوجة من القطع المتوسط ،
ولا تحمل صفحة العنوان عنواناً ، ولكنها تحمل ما يدل على أنه من كتب المكتبة
الزيدانية (مكتبة السلطان مولاي زيدان) . وتبدأ بأخبار الرحلة التي قام بها
ابن الخطيب في عمالات المغرب ، وتتضمن أخبار ابن الخطيب وأحواله ،
وقت إقامته بسلا ، كما تتضمن عدة رسائل وجهها ابن الخطيب إلى السلطان
أبي سالم المريني ، ورسائل أخرى مختلفة ، وعدة قصائد ، منها قصيدته الشهيرة
بتهنئة السلطان أبي سالم بفتح تلمسان . ويذكر لنا ابن الخطيب ما دمج في تلك
الفترة من كتب ورسائل . وهذه هي محتويات السفر الثاني من نفاضة الجراب (٢)
وأما السفر الثالث من نفاضة الجراب ، فتوجد منه نسخة وحيدة أيضاً ،
بمخزاة الرباط العامة بالمغرب تحفظ برقم 256 ك (المكتبة الكتانية) ، وهي كذلك
لا تحمل عنواناً . وتقع هذه القطعة في ٢٩٠ صفحة كبيرة . وقد ذكر في نهايتها
ما يأتي « تم السفر الثالث وبتمامه تم جميع الديوان » . ويجري هذا السفر على نسق
« السفر الثاني » . ويحدثنا فيه ابن الخطيب عن مراحل عودته إلى الأندلس ، وعن

(١) دائرة المعارف الإسلامية في ترجمة ابن الخطيب .

(٢) نشر هذا السفر الثاني من نفاضة الجراب (مخطوطة الإسكوريال) بالقاهرة سنة ١٩٦٩

بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني .

محرركات السلطان أبي عبد الله محمد الغني بالله ، في سبيل استرداد عرشه ، مذ نزل برنطة . ويتضمن عدة رسائل سلطانية مدبجة بقلم ابن الخطيب ، منها رسالة إلى سلطان مصر ، المنصور بن الناصر بن قلاوون ، ورسالة أخرى إلى الأمير يلبغا الخصاصكي القائم بأمر الدولة في مصر ، كما يتضمن رسالة ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ، وهي التي يحاول فيها أن يثنيه عن عزمه في مغادرة الأندلس ، ورد ابن الخطيب عليه .

وتوجد من هذا السفر الثالث أيضاً ، قطعة مخطوطة بالخزانة المملوكية بالرباط ولكنها بالية مطموسة الكتابة .

٧ - « أعمال الأعلام فيمن بويج قبل الإحتلام من ملوك الإسلام » . وهذا الكتاب هو آخر ما ألفه ابن الخطيب قبل مصرعه ، وقد تركه ناتصاً ، ولم يتح له القدر لإكماله ، وقد ألفه للوزير أبي بكر بن غازي عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني ، وتنصيب ولده الطفل السعيد سلطانا مكانه . فقد أثار خصوم ابن غازي يومئذ حملة شديدة على تولية الطفل ، واتهموا الوزير بإهدار مصالح المسلمين ، فوضع ابن الخطيب كتابه « أعمال الأعلام » ليثبت فيه أن لهذا الحادث نظائر كثيرة في التاريخ الإسلامي ، وأنه تصرف سليم لا يخالف أحكام الدين في شيء . والكتاب مجهود تاريخي قيم ، ويشتمل على ثلاثة أقسام كبيرة ، الأول تاريخ المشرق ومصر والشام ، والثاني تاريخ الأندلس منذ دولة بني أمية حتى قيام دولة بني الأحمر بغرناطة ، وذكر سلاطينها حتى عصر الغني بالله سلطان المؤلف . والقسم الثالث تاريخ إفريقية والمغرب منذ أيام الأغالبة حتى بداية عصر الموحدين ، وهذا القسم ينقص عما كان يندويه المؤلف من إكمال الكلام على دولة الموحدين حتى نهايتها .

ويوجد من كتاب أعمال الأعلام عدة نسخ مخطوطة ، منها بالمغرب بالخزانة المملوكية نسختان ، ونسختان أخريان بالخزانة العامة بالرباط ، ونسخة بخزانة القرويين بفاس ، كما توجد نسخة تتضمن القسمين الأول والثاني ، بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد ، وهي منقولة عن نسخة بالجزائر (١) .

(١) نشر المرحوم الأستاذ ليق بروفنسال القسم الثاني من كتاب أعمال الأعلام وهو يتعلق بتاريخ الجزيرة الأندلسية تحت عنوان « تاريخ اسبانيا الإسلامية » في مجلد كبير (الرباط سنة ١٩٣٤) -

٨ - « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر » وهو تاريخ آخر للدولة النصرية ، وقد أشار إليه ابن الخطيب غير مرة في كتاب « اللمحة البدرية » وكذلك أشار إليه مراراً في كتاب « الإحاطة » . ويعتقد العلامة فستنفاذ خطأ أنه اسم آخر لكتاب « اللمحة البدرية » . ولكننا بمقارنة الفقرات التي يقتبسها ابن الخطيب في الإحاطة من « طرفة العصر » و « اللمحة البدرية » ، وكذلك بمراجعة كتاب « اللمحة البدرية » حيث يقتبس ابن الخطيب من « طرفة العصر » ، انتهينا إلى أن الكتابين مختلفين ، ولم نعثر على أية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ، في مختلف المكتبات التي تحتوي على آثار ابن الخطيب .

٩ - « الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر » وفيه يتناول ابن الخطيب تراجم بعض أعلام معاصريه بأسلوب مسجع . وهو بمثابة تكلمة لكتاب « التاج المحلى » . وقد ورد بعد تراجم التاج المحلى في المخطوط رقم ٥٥٤ الغزيرى بمكتبة الإسكوريال ، ويشغل فيه من لوحة ١١٧ إلى لوحة ١٣٤ ب ، وقد نقل إلينا المقرئ منه كثيراً من التراجم والنبذ .

١٠ - « عائد الصلة » . كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلاً لكتاب « صلة الصلة » لابن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨ هـ ، وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين لمن ترجمهم ابن الزبير ، وهو يذكره في الإحاطة في ترجمة مؤلف « الصلة » ويقتبس منه كثيراً . ولم نعثر على أية نسخة مخطوطة منه .

١ - « الإمارة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة » . أشار ابن الخطيب إلى هذا الكتاب في كتابه « اللمحة البدرية » (ص ٢٧) ونقل عنه فيه نبذة كبيرة ، عن أحوال أهل غرناطة ، ولكنه لم يذكره في كتابه التي وردت في ترجمته في نهاية الإحاطة ، أو تلك التي ذكرها في نفاضة الحراب . والحقيقة أننا باستعراض هذا الفصل ، الذي نقله ابن الخطيب في اللمحة البدرية مما سماه كتاب « الإمارة » وجدنا أنه ليس إلا مختصراً للفصل الذي كتبه في هذا الموضوع في كتاب « الإحاطة » ، فإذا كنا لانجد أثراً مستقلاً لكتاب « الإمارة » بين تراث ابن الخطيب ، فأرجح الظن أنه اسم آخر لكتاب الإحاطة ، أو أنه مختصر

= وأعيد طبعه بيروت . ونشر القسم الثالث تحت عنوان « تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط » (الدار البيضاء سنة ١٩٦٤) .

فقط للقسم الأول من كتاب الإحاطة الذى عنوانه (فى حلى المعاهد والأماكن
والمنازل والمسكن) . وعلى أى حال فإننا لم نعثر منه على أية نسخة أو أوراق
مخطوطة فى أية مكتبة من المكتبات أو المجموعات الخاصة .

وهناك مؤلف تاريخى ينسب خطأ لابن الخطيب ، وهو كتاب « الحلل
الموشية فى الأخبار المراكشية » ، وقد طبع فى تونس سنة ١٣٣٧ هـ منسوباً لابن
الخطيب وصدرت ديباجته بالعبارة الآتية : « قال الشيخ الأديب البارح لسان الدين
ابن الخطيب رحمه الله . ولكن يتقضى ذلك ويقضى ببطلانه ، ما ورد فى ختام
الكتاب عند ذكر ولاية السلطان أبى زيد عبد الرحمن المتوكل على الله ، إذ جاء
فيه « واستقر بحاضرة مراكش فى شهر المحرم من عام ستة وسبعين وسبعائة ، وهو
إلى هذا العهد الذى ألفت فيه هذا المجموع يوم الخميس الثانى عشر لربيع الأول
من عام ثلاث وثمانين وسبعائة » (ص ١٣٦) . ونحن نعرف أن ابن الخطيب توفى فى
أوائل سنة ٧٧٦ هـ أى قبل هذا التاريخ بسبعة أعوام ، وإذن فمن الواضح قطعاً أنه
ليس مؤلف الكتاب . ومن جهة أخرى ، فإنه توجد من هذا الكتاب نسخة
مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط (رقم 3674) ذكر فيها أن الكتاب هو من
تأليف أبى العلاء بن سماك العاملى المالى .

الترسل والأدب والمصنفات الخاصة

١٢ - « ربحانة الكتاب ونجعة المتاب » ، وهو أهم كتب ابن الخطيب ،
بعد الإحاطة ، وفيه يفصل ابن الخطيب فى ديباجته محتوياته على النحو الآتى :
« تمهيدات من أوائل المصنفات » ، وفى هذا الباب يختار ابن الخطيب نبذاً من
مقدمات كتبه ورسائله السابقة ، مثل « بستان الدول » « وجيش التوشيح »
و« الإكليل الزاهر » و« الإحاطة » و« كتاب الطب » و« روضة التعريف بالحب
الشريف » و« استنزال اللطف الموجود فى أسرار الوجود » . ثم يلي ذلك أبواب
التحميدات ، والفتوحات الواقعة ، والمرافعات التابعة ، وكتب الشكر على
الهدايا ، وكتب التهانى وغيرها . ثم يلي ذلك طائفة كبيرة من الرسائل السلطانية
التي كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة ، والتي وردت عن سلاطين المغرب ،
فى أغراض الحرب والسياسة ، وغيرها ، فى باب يسميه « جمهور أغراض
السلطانيات » ، ويلي ذلك طائفة أخرى من الرسائل ، التي كتبت فى مخاطبة

الرعية والجهات ، وظهاير الأمراء ، ورسائل إلى الأصدقاء والقضاة . ثم رسائل « في جمهور الإخوانيات » . وبلى ذلك كتب الدعابات والفكاهات ، ثم المقامات . وهنا ينقل ابن الخطيب إلينا ، بعض كتبه ورسائله السابقة ، مثل خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف - كتاب معيار الإختيار - رسالة السياسة - كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة والسياسة - مفاخرة بين مألقة وسلا .

وتوجد من هذا المؤلف الضخم نسخ مخطوطة عديدة ، أولها نسخة كاملة في مكتبة الإسكوريال تحمل رقم ١٨٢٥ الغزيري وتقع في مجلد كبير ، يتكون من ٢٨١ لوحة كبيرة مزدوجة ، وقد كتبت بخط أندلسي في شوال سنة ٨٨٠ هـ . وقطعة كبيرة بمكتبة مدريد الوطنية تتكون من ٦٢ لوحة مزدوجة (وتحمل رقم ٥١٨٣) ، كما توجد قطعة أخرى بمكتبة الفاتيكان الرسولية تقع في ١٢٨ لوحة مزدوجة (وتحمل رقم 252 Borg.) . وتوجد منه قطعة مخطوطة أخرى بمكتبة جامعة أوبسالة بالسويد تتكون من ١٤٤ لوحة كبيرة مزدوجة . وتوجد منه عدة نسخ وقطع مخطوطة بالمغرب ، ومنها سبع نسخ بالجزائر الملكية ، أولها نسخة كاملة تقع في مجلدين من الحجم المتوسط ، ومكتوبة بخط مغربي وتحمل رقم 2195 . والباقي عبارة عن ست قطع من الريحانة ، مختلفة الأحجام والمحتويات ، وقد كتبت كلها بخط مغربي . كذلك توجد من الريحانة عدة نسخ وقطع مخطوطة بالجزائر العامة بالرباط ، منها نسخة كاملة تحمل رقم 331ك (الكتانية) وهي عبارة عن مجلد ضخم يتكون من ٦٠٩ صفحة ، من القطع الكبير ، ومكتوبة بخط مغربي ، ونسخة أخرى قديمة وبالية وناقصة من آخرها وتحمل رقم 705 ك ، ونسخة ثالثة ناقصة أيضاً وتحمل رقم 1075 ك ، كما توجد بالجزائر العامة نسختان أخريان كاملتان من الريحانة تحمل أولها رقم 10ج (مكتبة الجلاوي) وتحمل الثانية رقم 988 D .

ويوجد بجزائر القرويين بفاس قطعتان مخطوطتان من الريحانة . ويوجد كذلك بمكتبة الجزائر الوطنية قطعة كبيرة من الريحانة ، تحتوى على النصف الثاني من الكتاب ، وتحمل رقم 2010 فهرس الدفاتر .

وتوجد منه قطعة كبيرة بدار الكتب التونسية (مجموعة الزيتونة) تحمل

ويوجد بدار الكتب المصرية ، قطعتان مخطوطتان من الريحانة ، تحملان رقمي ٤ و ٥ أدب ش .

هذا وقد نشر المستشرق الإسباني جيسار ريميرو ثلاثاً من رسائل الريحانة السلطانية ، وقرنها بترجمة إسبانية تحت عنوان *Correspondencia diplomatica entre Granada y Fes en el Siglo XIV.* ونشرت هذه الرسائل الثلاث وترجمتها بمجلة (R. del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino/1912)

١٣ - « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » . هذا الكتاب وضعه ابن الخطيب في بداية إقامته الأولى بسلا ، منفياً بالمغرب ، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل السلطانية ، كتبها ابن الخطيب في بداية حياته الوزارية ، عن السلطان أبي الحجاج يوسف ، إلى السلطان أبي عنان المريني ، ملك المغرب ، في أغراض سياسية وعسكرية مختلفة ، وبعض رسائل أخرى مختلفة . وتوجد منه نسخة وحيدة ، بمكتبة الإسكوريال ، تحفظ برقم ١٧١٢ الغزيري ، وتقع في ٦٠ لوحة مزدوجة من القطع المتوسط . وهي مكتوبة بخط أندلسي ، وتحمل صفحاتها الأولى عنوان الكتاب ، ولكنها لا تحمل اسم مؤلفه^(١) .

١٤ - « معيار الإختيار في ذكر المشاهد وانديار » أو « في ذكر المعاهد والآثار » ، وهو وصف نثرى مسجع ، لمدن وبلاد مملكة غرناطة ، ولطائفة من المدن المغربية . ويتألف من فصلين أو مجلسين كتب على طريقة المحاور . وتوجد منه نسخة بالإسكوريال ضمن مجموعة تحتوي على رسائل أخرى ، وتحفظ برقم ٥٥٤ الغزيري . وقد ذكر في نهاية المخطوط أنه كتب في سنة ٨٧٣ هـ . ويتضمن هذا المخطوط جزءاً من التاج المحلي حسباً تقدم ، وتوجد منه بالمغرب نسخة بمكتبة القرويين بفاس ، ونسخة بمكتبة الرباط العامة ، ضمن مجموعة ، وأخرى بمكتبة الجلاوى .

وقد نشر المستشرق الإسباني سيمونيت القسم الأول من « معيار الإختيار » وهو المتعلق بمدن غرناطة وترجمه إلى الإسبانية بعنوان *Descripcion del*

(١) نشر هذا الكتاب بالقاهرة في سنة ١٩٦٦ بتحقيق الدكتور محمد كمال شبانه ومراجعة

Reino de Granada bajo las Nazaritas (Madrid 1861) ، ونشر المستشرق الألماني مركوس ميللر جزءاً من المجلس الأول والمجلس الثاني ، في مجموعة (Beitraege zur Geschichte des Westlichen Araber (Munchen 1866) (ص ٤٥ - ١٠٠) كما نشر الكتاب كله في فاس سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧) .

١٤ - «مفاخرة بين مالقة وسلا» وهي رسالة مسجعة في المقارنة بين هذين البلدين . وتوجد منها نسخة بالإسكوريال ضمن المخطوط رقم ٥٥٤ الغزيري السابق ذكره . وقد نشرها المستشرق ميللر في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (Beitraege) (١)

١٥ - «خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف» رسالة كتبها ابن الخطيب في سنة ٧٤٨ هـ ، يصف فيها رحلة قام بها السلطان أبو الحجاج يوسف في شهر المحرم من هذا العام ، وزار فيها عدة من مدن مملكة غرناطة ، وقد كتبت بأسلوب مسجع جزل . وتوجد منها نسخة بالإسكوريال ضمن المخطوط رقم ٤٧٠ الغزيري . وقد نشرها المستشرق ميللر في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (Beitraege)

١٥ - «روضة التعريف بالحب الشريف أو كتاب المحبة» . هذا الكتاب أو هذه الرسالة الضخمة من أهم مؤلفات ابن الخطيب .

وهو مؤلف من نوع خاص . ويعتبر بفكرته وأسلوبه من أقوى نقثات ابن الخطيب الثرية وأبلغها ، وأحفلها بالإفكار الفلسفية الطريفة ، والتشبيهات المبتكرة ، في موضوع المحبة الروحية والإلهية . وهو يدل فوق ذلك على تضلع ابن الخطيب ، في التصوف ، ودراسة مختلف المدارس الصوفية . وقد وضعه ابن الخطيب بناء على إشارة مليكه الغني بالله رداً على ما جاء في كتاب (ديوان الصبابة) الذي وضعه الأديب المغربي أبو العباس بن حجلة ، نزيل القاهرة : وكان هذا الكتاب الذي يعنى بذكر أخبار العشق والعشاق نثراً وشعراً ، قد ذاع واشتهر أمره ، ووصل إلى الأندلس ، ووقع بين يدي السلطان الغني بالله ، فأشار على وزيره ابن الخطيب أن يكتب كتاباً في الرد عليه . فكتب ابن الخطيب كتاب «روضة التعريف بالحب الشريف» ، وزدب فيه في تصوير المحبة مذهبا

(١) نشر الدكتور أحمد غنار الغني في التكملة الأولى من معجم الإختبار رقم ١٠٠٠ . مالقة

وسلا ضمن مجموعة سماها «مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس» .

جديداً ، فجعل أصل المحبة شجرة ، وجعل النفوس التي تغرس فيها أرضاً ، وجعل أغصان الشجرة أقساماً ، وجعل أوراقها ، هي الحكايات التي تحكى ، وأزهارها هي الشعر الذي يقرض . وجعل ثمرتها هي الوصول إلى الله تعالى . وفرغ ابن الخطيب من تأليف هذا الكتاب في أوائل سنة ٧٦٩ هـ (١) .

وتوجد من « روضة التعريف » نسختان بالخزانة الملكية بالرباط تحفظان برقمي 664 و 789 . وتوجد مئة قطعة بخزانة الرباط العامة ضمن مخطوط قديم . وتوجد منه نسختان أخريان بخزانة القرويين بفاس .

هذا ويستدل من رسالة بعث بها ابن الخطيب إلى صديقه ابن خلدون مؤرخة في الثاني من جمادى الأولى سنة ٧٦٩ هـ ، على أن ابن الخطيب قد بعث بنسخة من كتاب « المحبة » ونسخة أخرى من كتاب « الإحاطة » إلى القاهرة ، تحييساً على طلاب العلم ، وجعل مقرهما خانقاه الصوفية المسماة (سعيد السعدا) (٢) .

١٦ - « استنزال اللطف الموجود في سير الوجود » وهي رسالة صغيرة في التصوف . ولم نعر على نسخ منها في مختلف المكتبات التي سبق ذكرها .
١٧ - « رسالة في السياسة » كتبها ابن الخطيب على نمط المقامات ، وأملاها حسبما يقول لنا في ليلة واحدة ، وجعلها في صورة قصة بطلها الخليفة الرشيد . وقد سبق أن أشرنا إلى محتوياتها . وتقرن بها رسالة ابن الخطيب الثانية التي عنوانها « كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة » . وقد وردت الرسالتان ضمن مجموعة خطية بالإسكوريال تحمل رقم ٥٥٤ ، وهي التي سبقت الإشارة إليها ، وتشغلان بها من لوحة ٣٤ ب إلى لوحة ٧١ أ) . ووردت رسالة السياسة في نهاية كتاب الإحاطة (مخطوط الإسكوريال لوحة ٤٩٢ - ٤٩٨) . وتوجد منها أيضاً نسخة خطية أخرى بخزانة الرباط العامة . ونقل إلينا المقرئ رسالة السياسة في نفع الطيب (٣)

١٨ - « مثل الطريقة في ذم الوثيقة » وهي رسالة في التوثيق تتضمن مناقشات

(١) نقل المقرئ إلينا في نفع الطيب مقدمة كتاب المحبة وبعض فصول من محتوياته (ج ٤ ص ٤٧٥ - ٥٠٣) . هذا وقد نشر الكتاب كله بمدرسة القاهرة سنة ١٩٦٨ بتحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ، ونشرت منه طبعة أخرى ببورت محققة بقلم الأستاذ محمد الكنانى (سنة ١٩٧١) .

(٢) راجع التعريف بابن خلدون ورحلته (١٩٥١) ص ١٢١ .

(٣) نفع الطيب ج ٤ ص ٥٥٨ - ٦٦ ، هـ ا ونا نسرناها نحن على ضوء التحقيق المقارن بكتانا (لسان الدين بن الخطيب ص ٣٧٦ - ٣٨٨) .

جرت بين ابن الخطيب وبين أهل الطريقة نظماً ونثراً ، والتنبيه على بعض معانيها ويشير ابن الخطيب إليها وإلى سبب وضعها في الإحاطة ، في ترجمة ابن القباب . وتوجد من هذه الرسالة نسخة خطية بخزانة الرباط الملكية ، وفي بعض خزائن المغرب الأخرى .

١٩ - « رسالة في الموسيقى » . وضع ابن الخطيب رسالة في الموسيقى وفنونها لم تصل إلينا ، ولكنه ذكرها في ثبوت آثاره في ترجمته ، وذكرها معاصره الأمير إسماعيل بن الأحمر ضمن مؤلفاته (١) .

٢٠ - « بستان الدول » . وهو كتاب في السياسة والقضاء والحرب ، وأهل المهن والحرف ، وطوائف الشعب ، تخصص لكل منها شجرة ، وهو كتاب لم يكمل ولم يصل إلينا ، ويقول لنا ابن الخطيب في الإحاطة إنه كتب منه ثلاثين سقراً ثم عاقته الحوادث عن إتمامه (٢) .

٢١ - « نافه من جم ، ونقطة من يم » وهو مجموعة اختارها ابن الخطيب من رسائل أستاذه ابن الجياب ونثره (٣) ولم يصل هذا المجموع إلينا .
آثار ابن الخطيب المنظومة

ترك لنا ابن الخطيب تراثاً ضخماً منوعاً من النظم الفائق ، ما بين قصائد سياسية معظمها نداءات مؤثرة لإنجاد الأندلس ، وما بين مدائح وهجاء ، ورناء وتهاني ، وزهد وغير ذلك . وقد انتهى إلينا من هذا التراث الشعري ما يلي :

٢٢ - الديوان المسمى « الصيب والجهام والماضي والكهام » . وهو ديوان ابن الخطيب في ترجمته لنفسه ، لأنها تقع في سفرين . ويوجد بخزانة القرويين بفاس مجموعة أوراق تحمل رقم ٧١ خروم ، يرجح أنها من هذا الديوان ، وهي تبلغ أربعين ورقة . وتوجد منه قطعة أخرى لدى الشيخ العربي الحريشي من أعيان فاس ، تحمل عنوان الديوان ، وتتضمن القصائد مرتبة على حروف المعجم حتى قافية الراء ، وتقع في ٩٩ لوحة من القطع المتوسط .

(١) راجع أزهار الرياض ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) راجع نفع الطيب ج ٤ ص ٦٥٣ وأزهار الرياض ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) راجع نفع الطيب ج ٣ ص ٢٢٩ .

٢٣ - « الحلل المرقومة في اللمع المنظومة » . وهي أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه ، ذكرها ابن الخطيب ضمن مؤلفاته التي ذكرها في « نفاضة الجراب » ، وهي تلخيص كتاب « أصول الفقه » لأبي اسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وقد وقفنا أثناء جولتنا بخزانة القرويين بفاس ، على نسخة خطية قديمة من كتاب « الحلل المرقومة واللمع المنظومة » تحمل رقم ٧٨ خروم ، وهي عبارة عن شرح للأرجوزة المتقدمة التي وضعها ابن الخطيب ، ويقع الشرح المذكور في ٧٦ لوحة من القطع الصغير .

٢٤ - « السحر والشعر » . هذا الكتاب ليس من تأليف ابن الخطيب ، ولكنه من تصنيفه ، وهو عبارة عن مجموعة شعرية اختارها . وقد ذكر ابن الخطيب في مقدمته أنه لمناسبة ترعرع ولده عبد الله ، قد اغتم الفرصة واختار له طائفة من القصائد تتعلق بالوصايا والمبادئ . ومن اختار ابن الخطيب من شعرهم من المشاركة ، ابن نباتة والصابي ومهيار وأبو العتاهية وابن الرومي والشريف الرضي وغيرهم . ومن المغاربة شعراء المغرب والأندلس ، ابن رشيق والمعتمد بن عباد وابن عمار وابن اللبانة وابن عبدون وابن سهل وابن حمدين وابن صمادح وابن الحباب وغيرهم ، والمختارات موجزة مقلة ، وقد راعى ابن الخطيب في قسمه الأول نمط الشعر . وفي قسمه الثاني نمط السحر .

وتوجد من هذا الديوان نسختان بمكتبة الإسكوريال تحمل الأول رقم ٤٥٦ الغزيري وتقع في ١٤٤ لوحة متوسطة . وتحمل الثانية رقم ٤٥٥ الغزيري وهي ناقصة . وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة ، تحمل رقم D 1295 ، كما توجد بخزانة القرويين نسخة أخرى تمت كتابتها في سنة ٨٨٨ هـ .

٢٥ - « جيش التوشيح » . جمع ابن الخطيب وهو من أئمة الموشحات الأندلسية مجموعة مختارة من موشحات أئمة التوشيح بالأندلس ، مثل ابن بقي ، وابن اللبانة ، والأعمى التطيلي ، وابن لبون ، وأبي بكر السرقسطي . وابن شرف وغيرهم في كتاب سماه بالإسم المتقدم . ويوجد من الديوان المذكور نسخة خطية بمكتبة الريتونة بتونس (الآن دار الكتب الوطنية التونسية) وتقع في ١١٠ لوحة من القطع المتوسط^(١) .

(١) نشر هذا الكتاب بتونس محققاً سماه الأستاذين هلال ناجي ومحمد ماضور سنة ١٩٦٧ .

ويقول لنا المقرئ إن معاصره ومواطنه الكاتب والوزير المغربي عبد العزيز ابن محمد الفشتالي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، ذيل على كتاب ابن الخطيب هذا ، بكتاب سماه « مدد الجيش » ضمنه كثيراً من موشحات المغاربة في عصره ، إلى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى .

٢٦ - جمع ابن الخطيب مجموعة من شعر أستاذه الرئيس أبى الحسن بن الحبيب ، على نحو ما فعل نحو منثوره . وجمع كذلك مجموعة أخرى أيام مقامه بمالقة فى سنة ٧٤٤ هـ ، من شعر أستاذه وصديقه أبى جعفر بن صفوان المالى أسماها « الدر الفاخرة واللجج الزاخرة » ، وذلك حسبما يذكر لنا فى ترجمته فى الإحاطة . ولم نثر على نسخ مخطوطة من هذين المجموعين .

٢٧ - وقد ذكر لنا ابن الخطيب ضمن ثبوت مؤلفاته التى وضعها خلال إقامته بسلا ، أنه وضع مؤلفاً شعرياً فى العروض أسماها « كناش منظوم فى عروض الرجز » ، ووضع كذلك أرجوزة فى « فن السياسة » فى نحو ستمائة بيت ، عنوانها « تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة » .

وهذا كله عدا قصائد ، وموشحات عديدة ، نظمت فى أغراض ومناسبات مختلفة ، ونقل المقرئ إلينا كثيراً منها فى كتابه نفع الطيب ، وأزهار الرياض .
الآثار العلمية

٢٨ - « عمل من طب لمن حب » . وهو مؤلف طبي ضخيم ، يتناول فيه ابن الخطيب مختلف الأمراض ، ويذكر لنا أسباب كل مرض وأعراضه وعلاجه ، ونظام الغذاء الذى يناسبه ، ويتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم ، وطرق العناية بها . وقد وضع ابن الخطيب هذا الكتاب فى سنة ٧٦١ هـ أثناء إقامته الأولى بفاس ، برسم حاميه وولى نعمته ، السلطان أبى سالم المرينى . وهو يشيد فى ديباجته بذكر السلطان أبى سالم فى عبارات رنانة ، ويقول إنه لم يجد لخدمته والإعراب عن شكر الصنيعة ، للجميل الذى طوقه به ، خيراً من الطب « الذى تكون الوسيلة به ، أولاً ذريعة لحفظ صحته ، وهذا الغرض هو ما هو أصل الدين والدنيا ، وحفظ للسجاياء البرة ، والشيم العليا » .

وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية قديمة فخمة بنخزانة جامع القرويين بفاس تقع فى ٣١٩ صفحة كبيرة ، وهى مكتوبة بخط أندلسى جميل ، ومذهب

الترقيم . والمظنون أنها هي نفس النسخة التي رفعها ابن الخطيب إلى السلطان أبي سالم وتحمل رقم 607/40

وتوجد منه نسخة خطية أخرى بخزانة الرباط الملكية ، تقع في مجلد ضخيم يتكون من ١٤١ لوحة مزدوجة ، ومكتوب بخط مغربي وتحمل رقم 4777 ، كما توجد منه نسخة خطية ثالثة بمكتبة مدريد الوطنية ، تقع في ١٥١ لوحة كبيرة ، وهي حديثة الكتابة وناقصة من آخرها .

٢٩ - « أرجوزة في الطب » . ذكرها ابن الخطيب ضمن مؤلفاته التي وضعها أثناء إقامته بسلا ، وذكر أنها تقع في نحو ألف وستائة بيت ، وأنها تتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية والحزئية ، بيد أننا لم نعر على أية نسخة مخطوطة من هذه الأرجوزة .

٣٠ - « رجز في الأغذية » أو « أرجوزة الأغذية » . وهي تقع في نحو ألف ومائتي بيت ، وموضوعها حسبما يوضحه المؤلف ، هو أنها تتضمن ذكر الأغذية ، مرتبة على حروف المعجم ، وطبائعها ومنافعها ومضارها ، وإصلاح خللها . وتوجد نسخة خطية من هذه الأرجوزة ضمن مجموعة خطية مملوكة للأستاذ العابد الفاسي ، محافظ خزانة القرويين الكبرى ، وتقع في ٣٠٠ لوحة مزدوجة ، من القطع المتوسط ، ومكتوبة بخط مغربي ، وفي نهايتها أنها كتبت في أول رمضان عام ١١٣٣ هـ .

٣١ - « الوصول لحفظ الصحة في الفصول » . ويوجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط ، تقع أولها في مجلد ضخيم ، مكون من ١٤٩ لوحة كبيرة مزدوجة ، ومكتوبة بخط مغربي جميل ، ومكتوب في نهايتها أن المؤلف قد فرغ من تأليفها في سنة ٥٧٧١ هـ . ويوجد منه بخزانة جامع القرويين نسخة تمت كتابتها في سنة ٩٨٥ هـ .

٣٢ - « كتاب في علاج السموم » . اسمه الأرجوزة المعلومة ، وذلك مقابل الأرجوزة المجهولة التي وضعها ابن طفيل . وقد ذكر ابن الخطيب هذا الكتاب في نفاضة الحراب . ضمن الكتب التي ألفها خلال إقامته بسلا . بيد أن هذه الأرجوزة لم تصل إلينا .

٣٣ - ولاين الخطيب عدة رسائل طبية وصحية أخرى نذكر منها : المسائل

الطبية . اليوسفي في صناعة الطب . رسالة تكوين الحنين . ثم كتابه « البيطرة »
وفيه يتناول خصائص الخيل ومحاسنها . وكتاب « البزرة » . وقد ذكرها لنا
ابن الخطيب في ترجمته في الإحاطة ، ونقلها إلينا المقرئ في كتابيه نفع الطيب
وأزهار الرياض^(١) . ولم تصلنا نسخ مخطوطة . من هذه المؤلفات والرسائل الطبية .
٣٤ - ولاين الخطيب رسالة طبية وصحية من نوع خاص عنوانها « متمنعة
السائل عن المرض الهائل » ، وهي رسالة كتبها عن الطاعون الحارث الذي دهم الأندلس
وسائر العالم الإسلامي في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وفيها يصف ظروف ظهوره ،
وروعة انتشاره ، وأعراضه الأولى ، وسبل التحوط منه . وتوجد نسخة من هذه
الرسالة ضمن مجموعة خطية بالإسكوريال تحمل رقم ١٧٨٥ الغزيري ، وتحتوي
على عشر لوحات (٣٩ - ٤٩) . وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها الألمانية
في مجلة أكاديمية العلوم البافارية (Bayerische Akademie der Wissenschaft)
سنة ١٨٦٣ .

وقد وضع ابن الخطيب كثيراً من كتبه ورسائله التي تقدم ذكرها بعد تأليفه
كتاب الإحاطة ، ولذلك لم يذكرها ضمن مؤلفاته . التي ذكرها في ترجمته
لنفسه ، في نهاية الإحاطة . هذا وقد أورد لنا ابن الخطيب في ثبت مؤلفاته المذكورة
وأورد لنا المقرئ في نفع الطيب ، عدداً آخر من الكتب والرسائل التي لم تشهر
ولم يصل إلينا معظمها ونحن نذكرها فيما يلي :

النفاية بعد الكفاية ، وهو كتاب يجرى على نسق القلائد لفتح بن خاقان .
تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات الثلاثة . المعتمدة في الأغذية
المفردة . البشارة . قطع السلوك . الغيرة على أهل الحيرة . حمل الجمهور على السنن
المشهور . وهاتان الأخيرتان هما رسالتان في الحث على الجهاد . فتات الخوان
ولقط الصوان . « المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبية » . وهو حسبما يقول لنا المقرئ
كتاب يذكر فيه ابن الخطيب نباهة سلفه ، وما لهم من الجحد . رداً منه على خصومه
من أهل الأندلس القادحين في حقه ، وفي نسبه وحسبه . وقد ألفه لحاميه السلطان
عبد العزيز المريني^(٢) .

(١) نفع الطيب ج ٤ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ ، وأزهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) راجع نفع الطيب ج ٣ ص ١٠٠ وج ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٥ وأعمال الأعلام ص ٣١٠

وقد استوعبنا فيما تقدم ، سائر ما دون وعرف من كتب ابن الخطيب ورسائله وما وصل إلينا منها وما لم يصل ، وقد بلغت حسبنا أسلفنا زهاء ستين كتاباً ورسالة . ولا شك أن هذه المجموعة الزاخرة التي انتهت إلينا . من مؤلفاته ، والتي أتينا على ذكرها ووصفها ، وفيما تقدمه إلينا ، من تنوع بارز بين التاريخ والأدب ، والسياسة والعلوم ، وبين المنظوم والمنثور ، وما يطبع أساليبها من البلاغة العالية ، والبيان الساحر ، لا شك في أن ذلك كله ، مما يدل على أهمية التراث الفكرى والأدبى العظيم ، الذى خلفه لنا ذلك المفكر والكاتب والسياسى الأندلسى الكبير (١) .

هذا وقد انتهينا بالبحث والمقارنة ، إلى أن مخطوط دار الكتب المصرية من الجزء الأول من الإحاطة ، ومخطوط العلامة جاينجوس ، المحفوظ ضمن مجموعته بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد ، وهو يحتوى على الأسفار السبعة الأولى من الإحاطة ، هما من أقدم ما وصل إلينا من أجزاء الإحاطة الأولى ، وإلى أنهما فى الوقت نفسه ، من حيث الكتابة والنص ، من أقيمها وأصحها . ولذلك رأينا أن يكون هذان المخطوطان هما عمدتنا فى تدوين المجلد الأول من الإحاطة ، وفى ضبطه وتحقيقه ، وذلك مع مقارنة نصهما ، بنص نسخة جامع الزيتونة ، وكذلك بنص مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ، وهو فيما يبدو لنا من أقدم مخطوطات الإحاطة . وقد اكتسبنا بالمرآة عليه كثيراً من التصحيحات والتعديلات القيمة ، تم بما يوجد من الأوراق المخطوطة المتناثرة من الإحاطة ،

(١) يراجع فى ذكر مؤلفات ابن الخطيب والتعريف بها نفع الطب ح ٤ ص ٦٥٣ - ٦٥٧ وأزهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ . وكذلك كتاب لسان الدين بن الخطيب وفيه اسعراض مفصل واف لتراث ابن الخطيب ص ٢٣٠ - ٢٨٤ وراجع أيضاً :

Boeckelmann : Geschichte der Arabischen Literatur (1948) B. II. p. 339

Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis . فهرس الإسكوريال للنزبرى .

Les Manuscrits Arabes de l'Escorial (V.I. & V.III) وفهرس الإسكوريال لديرنبور

I. Pons Boigues : Ensayo Bio-Biografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo-Espanoles (Madrid 1898) p. 334-337.

D. Pascual Gayangos : Mohamedan Dynasties in Spain V.I. p. 307. وكذلك

المستشرق زيبولد فى دائرة المعارف الإسلامية فى مقال : Ibn-ul-Khatib

بمكتبة رواق المغاربة بالأزهر ، ومع الإستعانة في نفس الوقت في هذا التحقيق ، بكل ما نقل من الإحاطة من النصوص والتراجم ، في كتابي «نفتح الطيب» و«أزهار الرياض» وهما أوفر المؤلفات اللاحقة اقتباساً من «الإحاطة» ، وفي غيرها . وكذلك بما نقل من هذه النصوص في مؤلفات ابن الخطيب الأخرى ، التي بين أيدينا ، سواء من المنظوم أو المنثور ، وأخيراً بتتبع البند التي نقلها ابن الخطيب عن الكتاب المتقدمين في مصادرهما الأصلية مثل «الذخيرة» و«المغرب» و«الحلة السراء» و«البيان المغرب» و«صلة ابن الزبير» وغيرها .

وقد عينا عناية خاصة بتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، ولا سيما الإسبانية منها ، كما عينا بالتعريف بها في نبد وهوامش عديدة .

وقد رأينا أن نستعين في ضبط النص وجلاء المعنى بالشكل الجزئي ، وإن كنا لانميل إلى هذه الطريقة . بيد أنها مما يرحب به في بعض الأوساط .

كما رأينا أن نقف في سياق هذا «المجلد» الأول من الإحاطة ، عند نهاية ترجمة محمد بن محمد بن يوسف ثاني الملوك النصريين ، ولم نشأ مجازاة مخطوط الزيتونة ، حيث يضم الجزء الأول منه ، نحو نصف الترجمة التالية ، وهي ترجمة السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل الغني بانه ، سلطان ابن الخطيب ، وهي ترجمة طويلة ، تشغل نحو خمسين صفحة ، ولم نشأ أن نثبت جزءاً منها دون بقيتها . ونود أن نشير هنا في مقدمة هذه الطبعة الجديدة من كتاب «الإحاطة»

إلى أنه مذ صدرت الطبعة الأولى من المجلد الأول في سنة ١٩٥٦ ، قد توفرت لدينا ميادين جديدة كثيرة للمراجعة والضبط والتحقيق . ومن ثم فقد عينا عناية خاصة بمراجعة الشعر وضبطه ، وفقاً لمختلف المخطوطات والمصادر ، ولا سيما مخطوط خزانة الرباط الملكية الذي يعتبر من أسلم النسخ نصاً . وليس من ريب في أن الشعر له قيمته الأدبية والفنية الرفيعة ، بيد أنه لا ريب كذلك في أن كتاب «الإحاطة» هو قبل كل شيء ، موسوعة تاريخية ، جل قيمتها فيما تحتويه من الأحداث والتواريخ والوثائق ، والتعليقات الإجتماعية والحضارية ، ولا يشغل الشعر فيها أكثر من خمس المخطوط أو سدسه . ومن ثم فإننا ، كما عينا بمراجعة الشعر وضبطه ، فكذلك لم ندخر وسعاً في العناية بمراجعة النصوص التاريخية الواردة في مختلف التراجم ، وسائر الوثائق والقطع والرسائل النثرية ، ولا سيما رسائل

ابن الخطيب سواء في هذا المجلد أو المجلدات التالية ، وهي عشرات من الظواهر والرسائل السلطانية والجهادية والإخوانية وغيرها ، وضبطها وفقاً لمختلف النصوص المخطوطة ، سواء ما ورد منها في كتاب « الإحاطة » أو غيره من كتب ابن الخطيب ، وكذلك وفقاً لمختلف المصادر المخطوطة والمطبوعة الأخرى . وقد قمنا خلال هذه الجهود بمقارنة عدد كبير من المخطوطات المختلفة ، كتب معظمها بمخطوط مغربية وأندلسية قديمة ، وبذلنا الكثير من هذه الجهود خارج القاهرة ، في مدريد والإسكوريال والرباط وفاس وتونس . كما بذلنا جهوداً مفضية في مراجعة تاريخ الأندلس وجغرافيتها وآدابها وتراثها الحضارى ، لكى نلقى الضياء على كثير من الحوادث والشخصيات والمواقف التاريخية والأعلام الجغرافية ، التى وردت خلال الكتاب . وقد لاحظ البعض بهذه المناسبة ، وعلى ضوء ما قلدنا من هوامش المجلد الأول . أن الكتاب يتضمن كثيراً من الهوامش التاريخية والجغرافية التى لا ضرورة لها . ونحن نود أن ننتهز هذه الفرصة لنسجل هنا أننا نعتز بإيراد هذه الهوامش والإيضاحات التاريخية والجغرافية كل الإعزاز ، ونعتبرها من أهم العناصر فى منهج التحقيق الذى سلكناه . لاسيما وأن ابن الخطيب يلجأ فى أحيان كثيرة ، من الناحية التاريخية ، إلى الإشارة والتلميح ، ويورد من الناحية الجغرافية ، كثيراً من الأعلام والأماكن الأندلسية والمغربية ، التى لا يحيط بها سوى أهل التخصص فى هذا الميدان ، وقد عيننا فى سائر الأحوال أن نلقى على هذه الإشارات ، وهذه الأعلام ، من الضياء . ما يكفى لإحاطة القارىء بها إحاطة تامة .

هذا ، ونحن نكتب هذه المقدمة ، وقد اقتربت الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، إذ هى تقع فى خريف سنة ١٩٧٤ . ونحن ننتهز هذه الفرصة لهيب بالدوائر العلمية والأدبية فى مختلف البلدان العربية . ولاسيما المغرب ، الذى قضى فيه ابن الخطيب أخصب فترات حياته ، وكتب كثيراً من كتبه ورسائله ، ونظم كثيراً من قصائده ، ثم ثوى إلى أرضه الثواء الأخير ، أن تتطلع إلى مقدم هذه الذكرى ، وأن تنظم للاحتفاء بها ، كل ما يليق بذكرى صاحبها العظيم ، من صنوف اليكريم العلمى والأدبى .

محمد عبد الله عثمان

القاهرة فى المحرم سنة ١٣٩٣ .

الموافق فبراير سنة ١٩٧٣

رموز المخطوطات

وأينا أن نرّمز في سياق النص إلى المخطوطات المختلفة التي كانت عمدتنا في تحقيق هذا المجال من « الإحاطة » على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط دار الكتب المصرية بحرف « ك » .
- ٢ - مخطوط أكاديمية التاريخ (جاينجوس) بحرف « ج » .
- ٣ - مخطوط كوديرا المنقول عن مخطوط الزيتونة بتونس بحرف « ت » .
- ٤ - مخطوط رواق المغاربة بالجامع الأزهر وهو الذي رجعنا إليه في بعض التراجم التي وردت به بحرف « ر . م » .
- ٥ - كذلك سوف نرّمز إلى مخطوطي دار الكتب و جاينجوس مجتمعين بكلمة : المخطوطين .
- ٦ - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .

وهو من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها

وهو من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها
 وكان من جنس الكوكبية الذي نزل في وقتها

صفحة من الجزء الأول من «الإحاطة» من مخطوط جامع الزيتونة المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية بتونس

الإحاطة
في أخبار غرناطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

[قال الشيخ الأديب البارع ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني]^(١) : أما بعد حمد الله الذي أحصى الخلايق عدداً ، وابتلاه اليوم ليجزيهم غداً ، وجعل جيادهم تتسابق في ميادين الأجل إلى مدى ، وباين بينهم في الصور والأخلاق ، والأعمال والأرزاق ، فلا يجدون بما قسم محيصاً ، ولا فيما حكم ملتحداً^(٢) ؛ وسعهم علمه على تباين أفرانهم^(٣) ، وتكاثف أعدادهم ، والداً وولداً ، ونسباً وبلداً ، ووفاةً ومولداً . فمنهم النبيه والخامل ، والحالى والماعطل ، والعالم والجاهل ؛ ولا يظلم ربك أحداً . وجعل لهم الأرض ذلولاً يمشون في مناكبها ، ويتخذون من جبالها بيوتاً ، ومن متاعها عدداً ؛ وخص بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتباط والاعتبار^(٤) ، وتتحث على السكون والاستقرار ، متبواً فسيحاً ، وهواءً صحيحاً ، وماءً تمبراً ، وامتناعاً شهيراً ، وورزقاً رغداً . فسبحان من جعل التفاضل في المساكن والساكن ، وعرف العباد عوارف اللطف ، في الظاهر والباطن ، ولم يترك شيئاً سدى .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي بالأكون نوراً وهدى ، وأوضح سبيل الحق ، وكانت طرائق قديداً^(٥) ، أعلى الأنام يدا ، وأشرف الخلق

(١) ما بين الخاضرتى و ارد فقط فى « ج » .

(٢) ملتحداً ، أى ملجأ .

(٣) جمع ، فرق ، أى على اختلاف طوائفهم .

(٤) الاعتبار ، أى الرذرة ، ومنها العمرة أو الحج الأصغر .

(٥) قديداً ، أى متعددة مختلفة .

ذاتا ، وأكرمهم تحميدا ، الذي أنجز الله به من امر [دينه] ^(١) الحق موعدا ، حتى بلغت دعوته ماروى ^(٢) له من هذا المغرب الأقصى ، فرفت بكل هضبة معلما ، وبنت بكل هضبة مسجدا . والرضى عن آله وأصحابه ، الذين كانوا لسماء سنته عمدا ، ليوث العدا ، وغيوث الذدى ، ما أقل ساعد يدا ، وعمر بكر خالدا ، ومصبح بدا ، [فأرق سهدا] ^(٣) فإن الله عز وجهه ، جعل الكتاب لموارد العلم قيذا ، وجوارح اليراع تنير في السهول الرقاع صيدا ، ولولا ذلك لم يشعر آت في الخلق بذهاب ، ولا اتصل شاهد بغائب ، فماتت الفضائل بموت أهلها ، وأفلت نجومها عن أعين مجتليها ، فلم يرجع إلى حبر ينقل ، ولا دليل يعقل ، ولا سياسة تكتسب ، ولا أصالة إليها ينتسب ، مهدي سبحانه وألهم ، وعلم الإنسان بالقلم | علم ^(٤) ما لم يكن يعلم ، حتى ألفينا المراسم قائدة ، والمراشد هادية ، والأخبار منقولة ، والأسانيد موصولة ، والأصول محررة ، والتواريخ مقررة ، والسير مذكرة ، والآثار مأثورة ، والفضائل من بعد أهلها باقية خالدة ، والمآثر ناطقة شاهدة ، كأن النهار القرطاس ، والليل المداد ، ينافسان الليل والنهار ، في عالم الكون والفساد ، فيما طويا شيئا ولعاهما ينثره ، أو دفنا ذكرا دعوا إلى نشره . فلو أن لسان الدهر نطق ، وتأمل هذه المناقضة وتحقق ، لآتى بما شاء من عتب ولوم ، وأنشده علمه مائة كل يوم .

ولما كان الفن التاريخي مأرب البشر ، ووسيلة إلى ضم النشر ، يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعا وطبعاً ما فيه ، ويكتسبون به عقل ^(٥) التجربة في حال السنكون والرفيه ، ويستدلون ببعض ما يُبدي به الدهر وما يخفيه ، ويرى العاقل

(١) وردت في «ك» ، وأغفلت في «ج» .

(٢) زوى ، أى بعد ونحى .

(٣) وردت في «ت» ، وأغفلت في «ك» و«ج» .

(٤) وردت في «ك» فقط .

(٥) هكذا وردت في «ج» و«ت» ، وفي «ك» (حقل) .

من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإيمان ويشفيه ، ويمر على مصارع الجبايرة فيحسبه بذلك واعظاً ويكفيه ، وكتاب الله يتخلله من القصص ما يتم هذا الشاهد لهذا الفن ويوفيه . وقال الله تعالى : « وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » . وقال عز من قائل : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين » . فوضح سبيل مبين^(١) . وظهر^(٢) أن القول^(٣) بفضلہ يقتضيه عقل ودين ، وأن بعض المصنفين ، ممن ترك نومه لمن دونه ، وأنزف ماء شبابه مودعاً إياه بطن كتابه ، يقصده الناس ويردونه ، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم . فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان ، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان ، عجزاً عن الإحاطة بهذا الشأن ، عموماً في أكثر الأقطار ، وخصوصاً في بعض البلدان . فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان ، وتوسعوا بحسب مادة الاطلاع وجهد الإمكان ، وجنح إلى التخصيص الأولوية بحسب ما ينحصره من المكان ، ويلزمه من حقوق السكان ، مغرمًا برعاية عمود وطنه ، وحسن العهد من الإيمان ، بادئاً بمن يعوله كما جاء في الطرق الحسان . فتذكرت جماعة من موضوعات^(٤) من أفرد لوطنه تاريخاً هز إليها — علم الله — وفاء وكرم ، ودار عليها ، بقول الله من رحمته الواسعة ، حرم ، كتاريخ مدينة بخارى لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار . وتاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية . وتاريخ أصبهان أيضاً لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قنودة الحافظ . وتاريخ نيسابور^(٥) للحاكم أبي عبد الله بن اليسع ، وذيله لعبد الغافر بن إسماعيل . وتاريخ همذان

(١) هكذا في «ت» . ووردت (يظهر) في كل من «ج» و«ك» .

(٢) هذا ما ورد «ك» و«ت» ، وفي «ج» (الفصل) .

(٣) في «ج» وفي «ك» (موضوعاته) .

(٤) نيسابور : مدينة قديمة من مدن خراسان تقع جنوب غرب طوس ، وكان لها أيام الدولة

الإسلامية شأن عظيم ، وإليها ينتسب عدد كبير من العلماء .

لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه محمد بن فناخسرو الديلمي . وتاريخ طبقات أهل شيراز لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار . وتاريخ هراة^(١) أظنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد السكتي . وأخبار هراة أيضاً ومن نزلها من التابعين وغيرهم من المحدّثين لأبي إسحق أحمد بن ياسين الحداد . وتاريخ مكرّم قند لعبد الرحمن بن محمد الأردسي^(٢) . وتاريخ نسف^(٣) لجعفر بن محمد المعبر المستعفري . وتاريخ جرجان^(٤) لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي . وتاريخ الرقة لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري . وتاريخ بغداد^(٥) للخطيب أبي بكر بن ثابت ، وذيله لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني . وأخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر . وتاريخ واسط لأبي الحسين علي بن الطيب الخلابي . وتاريخ من نزل حمص من الصحابة ومن دخلها ، ومن ارتحل عنها ، ومن أعقب ، ولم يُعقب ، وحدث ولم يحدث ، لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي . وتاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر^(٦) . وتاريخ مكة للأزرقي . وتاريخ المدينة لابن النجار . وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس . وتاريخ الإسكندرية

(١) هراة ، أو هرات مدينة قديمة تقع في شمال غربي أفغانستان ، وإليها ينتسب « الهروي » الرحالة الشهير .

(٢) الأردسي ، نسبة إلى أردستان وهي مدينة فارسية تقع على مقربة من أصبهان ، وقد وردت الكلمة محرفة في (ت) (الاندلسي) .

(٣) نسف من مدن التركستان ، وتقع جنوب شرق بخارى في طريق بلخ ، وقد رسمت محرفة في « ت » « نشب » وفي « ج » « نسب » .

(٤) جرجان مدينة فارسية قديمة تقع على مقربة من الطرف الجنوبي الشرق بحر قزوين وإليها ينتسب عدد كبير من علماء الحديث واللغة .

(٥) « تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) ، وهو من أضعف النوااريخ التي حصصت لمدينة عظيمة ، وقد نشر في القاهرة سنة ١٩٣١ في أربعة عشر مجلداً كبيراً .

(٦) « تاريخ مدينة دمشق » تأليف الحافظ أبي القاسم علي بن محمد بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) وهو كتاريخ الخطيب البغدادي موسوعة كبرى في تاريخ دمشق ومن حل بها من الأنبياء والخلفاء والولاة والعلماء والأدباء والشعراء وسائر الأكابر والأعابان على اختلاف طوائفهم . ومنه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة غير كاملة في سبعة وثلاثين مجلداً .

لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشامي . وتاريخ طبقات
 فقهاء تونس لأبي محمد عبدالله بن إبراهيم بن أبي العباس بن خلف التميمي . وعنوان
 الدرّاية في ذكر من كان في المائة السابعة ببجاية ، لأبي العباس بن الغبريني ^(١) . وتاريخ
 تلمسان لابن الأصغر . وتاريخها أيضاً لابن هديّة . وتاريخ فاس لابن عبد الكريم .
 وتاريخها أيضاً لابن أبي زرع . وتاريخ فاس أيضاً للونجي . وتاريخ مَبْتَنَة ^(٢) المسمى
 بالفنون الستّة ، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض تركه في مسودته . وتاريخ
 بآنسية لابن علقمة . وتاريخ البيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى .
 وتاريخ شقورة لابن إدريس . وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر ، تركه غير
 متم ، فتممه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر بن خمسين . والإعلام بمحاسن الأعلام
 من أهل مالقة ، لأبي العباس أصبغ بن العباس . والاحتفال في أعلام الرجال ،
 لأبي بكر الحسن بن محمد بن مُفَرِّج القيسى . وتاريخ قرطبة ، منتخب كتاب
 الاحتفال . وتاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليلة ، لأبي جعفر بن ظاهر . ومنتخبه
 لأبي القاسم بن بَشْكُوَال . وتاريخ فقهاء قرطبة ، لابن حيان . وتاريخ الجزيرة
 الخضراء لابن خمسين . وتاريخ قاعة يَحْصِب المسمى بالغالغ السعيد ، لأبي الحسن
 ابن سعيد . وتاريخ بقيرة ، لأبي عبد الله بن المؤذن . والدرّة المكنونة في أخبار
 أشبونة ، لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفرابي العالوسي . ومزينة المريّة ، لأبي جعفر
 أحمد بن خاتمة من أصحابنا . وتاريخ ألمرية وباجة ، لشيخنا نسيج وحده أبي
 البركات بن الحاج ، متع الله بإفادته ، وهو في مُبَيَّضته ، لم يرهما بعد ^(٣) .

فداخلتني عصبية لا تقدح في دين ولا منصب ، وحمية لا يدّم في مثلها متعصب

(١) وردت محرقة في المخطوطات الثلاثة : المعزى . العقريري . العفريري .

(٢) وتضبط أحيانا بالكسر أيضاً .

(٣) رأينا فيما يتعلق بهذه النواربغ الأندلسية ، وهي التي اعتمد ابن الخطيب على كبر منها في

استقاء مادة « الإحاطة » أن نحيل في التعريف بها ومؤلفها إلى الهوامش الخاصة بذلك خلال السياق .

رغبة أن يقع سؤالهم وذكرهم من فضل الله جناب مُخَصَّب ، ورأيت أن هذه الحضرة^(١) التي لاخفاء بما وفرَّ الله ، من أسباب إثارةها ، وأراده من جلال مقدارها ، جعلها ثمرَ الإسلام ومنتبواً العرب الأعلام ، قَبِيلَ رسوله ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وما خَصَّها به من اعتدال الأقدار ، وجريان الأنهار ، وانفساح الاعتبار^(٢) ، والتفاف الأشجار . نزها العربُ السكرام عند دخولهم مختطين^(٣) ومنقطعين ، وهبوا بدعوة فضلها مهطعين^(٤) ، فعمروا وأولدوا ، وأثبتوا المفاخر وبخلدوا ، إلى أن صارت دار ملك ، ولبنة^(٥) سلكٍ ؛ فنَبُهَ المقدارُ وإن كان نبيها ، وازدادت الخطة ترفيعاً ، وجلب إلى سوق الملاء بما تفق فيها ، فكم ضمت جدرانها من رئيس يتقى الصباح هجومه ، ويتخوف الليل طروقه ووجومه ، ويفتقر الغيث لنوائله المنوحة سجومه^(٦) ، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها ، ويدعو بالمشكلات فيأخذ بنواصيها ، وعالم بالله قد وَسَمَ السجودُ جبينه ، وأشعثُ أغبرُ لو أقسم على الله لأبرم^(٧) يمينه ، وبلغ قد أذعنت لبراعة خطه وشيخة^(٧) الخط ، ينعوص على دُرَرِ البدايع ، فيلقها من طرسه الراجع الشط ، لم يقم بحقها تمتعضُ حق الامتعاض ، ولا فرق بين جواهرها وبين الأعراض . هذا وشجرُ الأقلام مُشرعة ، ومكان القول والحمد لله ذو سعة ، فهي الحسنى التي عدمت الذام ، وزينة الليالي والأيام ، والهوى إن قيل كلفت بمفانيها ، وقصرت الأيام على معانيها . فماشق الجمال عذره مقبول ، والله در أبي الطيب حيث يقول :

ضروب الناس عشاقُ ضروباً فأعدوهم - اشقهم حبيباً

-
- (١) أعنى مدينة غرناطة . « والحضرة » . هي القاعدة والعاصمة .
 (٢) يراد بها هنا العمران .
 (٣) في « ك » (محطين) . وفي « ج » (محتطين) . والتصويب أرجح .
 (٤) مهطعين ، أعنى مسرعين ومقبلين .
 (٥) اللبة هي ماتوسط الصدر .
 (٦) سجومه أى هطله .
 (٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (وشحية) .

فلست بيدعٍ ممن قُتِنَ بحبِ وطنٍ ، ولا بأولِ ما شاقَهُ منزلٌ فالقِي بالمعطنِ ،
فحبِ الوطنِ معجونِ بطينةِ ما كنهه ، وطرفه مُغرَى بإتمامِ محاسنه ، وقد نبهَ على بنِ
العباسِ^(١) على السببِ ، وجاء في التماسِ التعليلِ بالعَجَبِ ، حيث يقول :

وَحَبِّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم مآربُ قضاها الشبابُ هنالكِ
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهودُ الصبا فيها فحَنُّوا لذلكِ
ورميتُ في هذا المعنى بسهمِ سديدٍ ، وألمحتُ بفرضِ إن لم يكنهُ فليسِ ببعيدٍ :
أُحِبُّكَ يَا مَعْنَى الجلالِ بواجبِ وأقطعُ في أوصافكِ الغرُّ أوقاتِ
تَقَسَّمُ نِمْكَ التُّرْبَ قومي وجيرتي ففي الظَّهْرِ أحياءُ وفي البطنِ أمواتِ

وقد كان أبو القاسمِ العافقي ، من أهلِ غرناطة ، قام من هذا الغرضِ بفرضٍ ،
وأتى من كله ببعض^(٢) فلم يَشْفِ من غُلَّةٍ ، ولا سدَّ خَلَّةً ، ولا كثرَ قَلَّةً ، فقصت
بهذا الوظيفِ ، وانتدبت فيه للتأليفِ ، ورجوت على نزارةِ حظِّ الصَّحَّةِ ، وازدحامِ
الشواغلِ المُلِحَّةِ ، أن أضطلع^(٣) من هذا القصدِ ، بالمعبءِ الذي طالما طأطأت له
الأكتادُ ، وأقف منه الموقفِ الذي تهيَّبته الأبطالُ الأنجادُ ، فأنخنت الليلَ جَمَلًا
لهذه الدَّيَّةِ^(٤) ، وانتصيتُ غاربِ العزمِ ونعمتِ المطيَّةِ ، بحيث لا مؤاسٍ إلا ذكَّالُ
يكافحِ جيشِ الدُّجى ، ودفاترُ تَلْفَحُ الحِجبا ، وخواطرُ تبتغى إلى سماءِ الإِجادةِ
معرَّجا ، وإذا صحَّحَ العدلُ صدقُ النِّيَّةِ ، أشرقت من التوفيقِ كلُّ ثَنِيَّةٍ .

(١) هو على بن العباس بن جريج الشهير في المشرق بابن الروم .

(٢) يشير ابن الخطيب هنا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الواحد العافقي المدروف بالملاحي نسبة
إلى الملاحة La Mala ، وهي قرية في جنوب غرب غرناطة ما تزال قائمة حتى اليوم ، وهو مؤلف
كتاب « تاريخ علماء إلبيرة » ، وهي عاصمة ولاية غرناطة القديمة .

(٣) وردت في « ج » وفي « ك » (طلع) وفي ت (اطلع) ، وهو رسم محرف للكلمة

(اضطلع) كما هو ظاهر من المعنى .

(٤) وردت المخطوطين : المطية . والطيبة هي الجهة البعيدة .

وطلّعت من السّد اذكل غرّة سنّية ، وقد علم الله أنّي لم أعتد منها دُنيا أو تمنحها ،
ولا نَسَمَة جَاهٍ يُسْتَنْشَق رِيحُهَا ، وإِنَّمَا هو صَبِيح تَبَيّن ، وحقُّ رأيتَه علىّ قد تعيّن ،
بذلت فيه جهدي ، وأقظمتُه جانب سُهدي ، لِيُنظِمَ هذا البلادَ بمثله ، مما أثير
كامنُه ، وسُطّرت محاسنُه ، وأُنشِر بعد الممات جانبه :

وما شرُّ الثلاثة أم عميرو بصاحبك الذي لا تُصبحينا^(١)
فلم أَدع واحدة إلا استجدها ، ولا حاشية إلا احتشدتها ، ولا ضالة إلا نشدتها ،
والجهدُ في هذا الغرض مقصر ، والمطيل مختصر ، إذ ما ذُكر لا نسبة بينه وبين
ما أغفل ، وما جهل أكثر مما نُقل ، وبحار المدارك مسجورة^(٢) ، وغايات الإحسان
على الإنسان محجورة ، ومن أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمل
قصده ، ويثير كامنُه ، ويبدى خبائنه^(٣) ، تتضح له المكرمة ، ولا تُخفى عليه
النصيفة ، ويشاهد مجزى السيئة بالحسنة ، والإغراب عن الوصمة والظنّة ، إذ الفاضلُ
في عالم الإنسان ، من عُدِدَت سَقَطاته ، فما ظنك بفضوله . والمعاصر مزيةُ المباشرة ،
ومزيد الخبرة ، وداعى التشفي والمقارضة ؛ وسع الجميع السُّرُء وشملهم البرُّ ، ونُشِرت
جنائزهم لسقى الرحمة ، ومُشِيت الشفاعة ، إلا ما^(٤) شدّ من فاسق أبلح الشمرع حماه ،
أو زادرٍ وسمه الشؤم الذي جناه ، فتختل^(٥) عرضه عن تخليد مجد ، وتدوين فخر ،
وإبقاء ذكرٍ ، لمن لم يهْمُه قط تحقيقُ اسم أبيه ، ولم يعمل لما بعد يومه ، فكم خلف
هما ذكرفيه يجبه بين يديه ، شفيحاً في زلة ، أو آخذاً بضبع^(٦) إلى رُتبة ، أو قائماً

(١) وردت في «ج» تصحيحنا وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٢) أعنى مفعمة فياضة .

(٣) ومعناها «خفايا» من خبن أى أخفى .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«ك» ، وهو استعمال يؤثره ابن الخطيب . فبضع «ما» مكان «من»

(٥) وردت في «ت» (فتخلل) . وفي «ك» و«ج» (فتخل) ؛ وما أوردنا أرجح

بالنسبة للمعنى .

(٦) وردت في «ت» و«ج» (أرأخذ بضبع) . وفي «ك» (أخل فيضع) .

عند ضَيْمٍ بِجُعْبَةٍ ؛ أو عانسٍ يقوم لها مقام متاعٍ ونِجْلَةٍ ، أو غريبٍ يَجِلُّ بغير قُطره فيفيله نُجْلَةً ، صاعدٍ خدم قاعداً ونائماً . وقدرضينا بالسلامة عن الشكر، والإصغاء عن المثوبة ، والنصفة عِوَضَ الحُسرة ، إذ الناس على حَسَبِ ما مُنْظَرُ ورُسم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي ، وصرفتُ في اختياره مخيالي ، هو أني ذكرت البلدة^(١) حاطها الله ، مُنْبِئاً منها على قديمها ، وطيب هواثها وأديمها ، وإشراق علاها ، ومحاسن حلاها ، ومن سكنها وتولأها ، وأحوال أناسها ، ومن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها ، وأعطيت صورتها ، وأزحت في الفخر ضرورتها ، وذكرت الأسماء على الحروف للمبوبة ، وفصلت أجناسهم بالتراجم المترتبة ، فذكرت لللوك والأمراء ، ثم الأعيان والسكبراء ، ثم الفضلاء ، ثم القضاة ، ثم المقرئين والعلماء ، ثم المحدثين والفقهاء ، وسائر الطلبة النجباء ، ثم الكتّاب والشعراء ، ثم العمال الأثراء ، ثم الزهاد والصلحاء ، والصوفية والفقراء ، ليكون الابتداء بالملك ، والاختتام بالمسك ، ولينظم الجميع انتظام السلك ، وكل طبقة تنقسم إلى من سكن للمدينة بحكم الأصانة والاستقرار ، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار ، أو خاض إليها وهو الغريب أثباج^(٢) البحار ، أو ألم بها ولو ساعة من نهار ، فإن كثرت الأسماء نوّعت وتوسعت ، وإن قلت اختصرت وجمعت . وآثرت ترتيب الحروف في الأسماء ، ثم في الأجداد والآباء ، لشرود الوفيات والمواليد ، التي رتبها الزمان عن الاستقصاء ، وذهبت إلى أن أذكر الرجل ونسبه وأصالته وحسبه ، ومولده وبلده ، ومنهجه وأتجاهه^(٣) ؛ والفن الذي دعا إلى ذكره ، وحليته ومشيخته ، إن

(١) أي غرناطة .

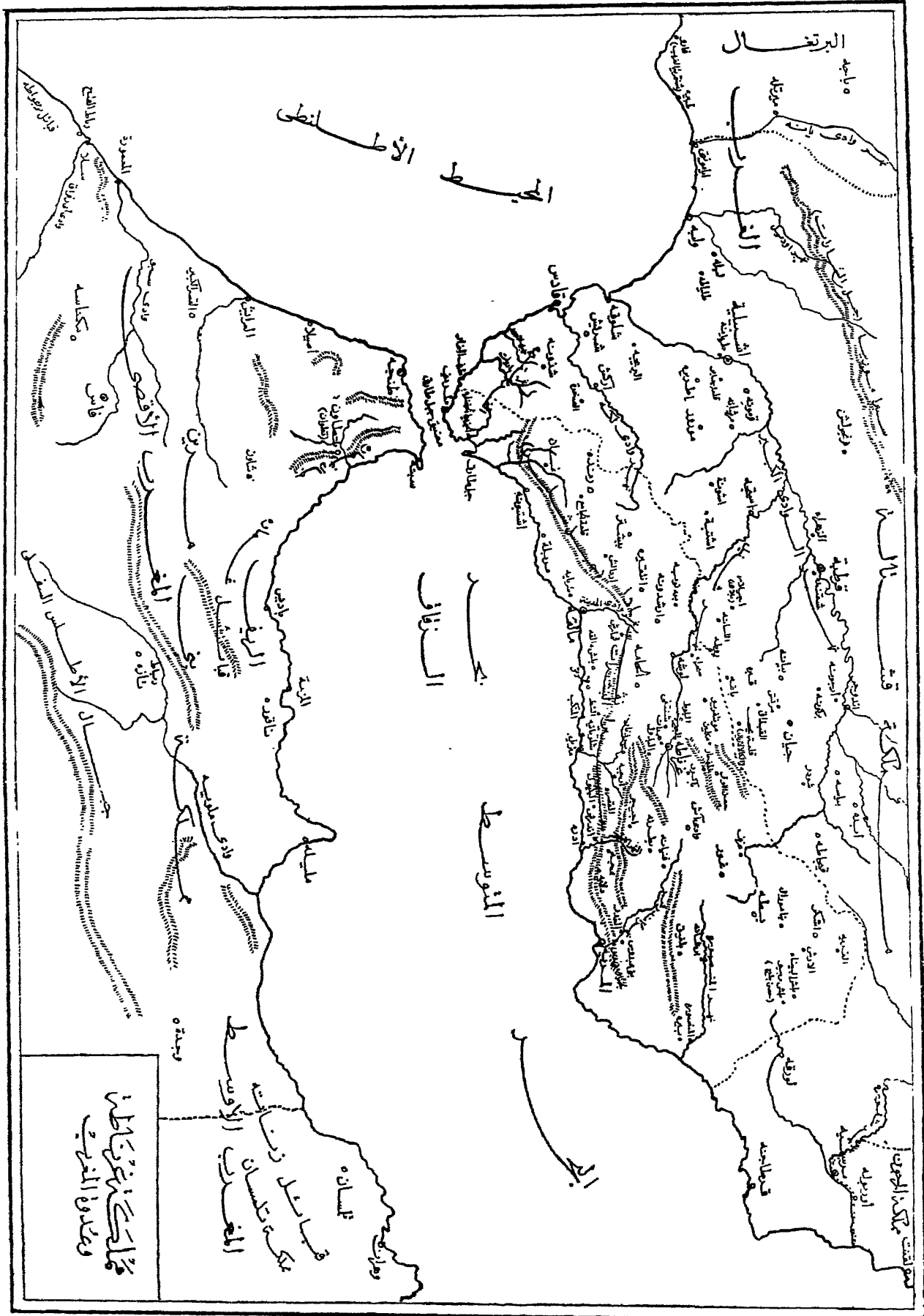
(٢) وردت في «ك» و«ج» «اتباج» . وفي «ت» «أشباج» . واتباج جمع تبيج ؛ وتبيج البحر وسطه ومعظمه .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وقد رسمت محرقة في «ك» (وانحى له) .

كان ممن قيّد علماً أو كتّبه ؛ ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه ؛ وشعره إن كان شاعراً ؛ وأدبه وتصانيفه ، إن كان ممن ألف في فن أو هدّبه ؛ ومحنته إن كان ممن بزّه^(١) الدهر شيئاً أو سابه ؛ ثم وفاته ومُنقلبه ، إذ استرجع الله من مشح حياته ما وهبه .

وجعلت هذا الكتاب قسمين ، ومشملاً على فئتين : القسم الأول ؛ « في حُلَى المعاهد والأماكن ، والمنازل والمساكن » . القسم الثاني ؛ « في حُلَى الزائر والقاطن ، والمتحرك والسّاكن » .

(١) بزّه أى سلبه .



ملاحظات:
 1- الحدود السياسية غير مؤكدة
 2- بعض الأسماء غير دقيقة

القِسم الأول
فِي حُلِيّ المَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ
وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِينِ

فصل

في اسم هذه المدينة

ووضعها على إجمال واختصار

يُقال غَرْنَاطَة ويقال إغْرَنَاطَة^(١)، وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كُورَة البيرة^(٢)،
فبينهما فرسخان^(٣) وثلاثا فرسخ . وإلبيرة من أعظم كُور الأندلس، ومتوسّطة^(٤)
ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، وتسمى في تاريخ الأمم السالفة من الروم، منام
الأندلس، وتُدعى في القديم بقَسَطِيلِيَّة^(٥). وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها
من الثروة والعُدَّة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور. قال أبو مروان

(١) اختلفت آراء الباحثين في أصل هذه التسمية . فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد
الرومان وأنه مشتق من الكلمة الرومانية (اللاتينية) Granata، ومعناها «الرمانة»، وأنها سميت
كذلك بلحائها وكثرة حدائق الرمان التي كانت تحيط بها (العلامة زيولده في Ency. de L'Islam تحت
كلمة Grenade). وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون إن معنى غرناطة «الرمانة» بلسان
عجم الأندلس، سمي البلد بذلك لحسنه (راجع معجم ياقوت تحت كلمة غرناطة . طبع القاهرة ج ٦ ص ٢٨١)
ويرى المستشرق الإسباني سيمونيت في ذلك رأياً آخر، إذ يقول إن المرجح أن الاسم يرجع إلى عهد
القوط، وأنه مزيج من كلمة «ناطة»، وهو اسم قرية قديمة كانت تقع على مقربة من إلبيرة
و«غار» وهو المقطع الذي أضافه إليها المسلمون فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم
بها . وهو اسم لإحدى قبائلهم .

(راجع: Simonet: Descripcion del Reino de Granada (Granada 1872). p. 40 & 41.)

(٢) إلبيرة، وبالإسبانية Elvira هي مدينة رومانية قديمة . وكانت تسمى على عهد الرومان .
Illbaris . وكانت عاصمة الولاية التي تسمى بهذا الاسم . ولما فتح المسلمون الأندلس كانت إلبيرة مدينة
كبيرة عامرة، وإلى جانبها محلة «غرناطة» الصغيرة . ثم تطور الزمن، وعفت إلبيرة وخربت .
ونمت غرناطة، وأصبحت منذ القرن الخامس الهجري قاعدة الولاية . ثم غدت عاصمة لمملكة غرناطة .
(٣) الفرسخ مسافة تقدر بثلاثة أميال، والميل عند البعض ثلاث آلاف ذراع . وعند البعض
الأخر أربعة آلاف .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» (موسطة) .

(٥) هذا رأى ابن الخطيب . ولكن المستشرق سيمونيت يرى أن قسطيلية هذه، وأصلها

اللاتيني Castellum كانت حصناً يقع على مقربة من إلبيرة . ومعناها القشتالي Castella .

(راجع: Simonet, ibid. p.31.)

ابن حيان^(١) : كان يجتمع بباب المسجد الجامع من البيرة خمسون حَكَمَةً^(٢) كلها من فِضَّة لسكثرة الأشراف بها . ويدل على ذلك آثارها الخالدة ، وأعلامها الماثلة ، كطَلَل مسجدها الجامع ، الذي تحامى استغلاله البلي ، كسبِلت عن طَمَس معاله أَكُف الرَّدَى ، إلى بلوغ ما فُسِح له من المَدَى .

بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أمير المؤمنين الخليفة^(٣) بقرْ طُبَّة رحمه الله ، على تأسيس حَتَش بن عبد الله الصَّنَعَانِي الشافى رحمه الله ، وعلى محرابه لهذا الوقت : « بِسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، بُنِيَتْ لِلَّهِ ، بِأَمْرِ بِنَائِهَا الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، رَجَاءُ ثَوَابِهِ [الْعَظِيمِ] »^(٤) ، وتوسيعاً لرعيته ، بقرْم بعون الله على يدي عبد الله [بن عبد الله]^(٥) عامِله على كُورَةِ البيرة في ذى قعدة سنة خمسين ومائتين . ولم تزل الأيام تخيف ساكنيها ، والعفاء يَتَّبِعُوا مساكنها ، والفتن الإسلامية

(١) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (٣٧٧-٤٦٩ هـ) من أعظم مؤرخي الأندلس . وقد اشتهر بنوع خاص بكتابه «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس» وقد انتهت إلينا منه عدة قطع مخطوطة أكبرها وأهمها قطعة ضخمة تشمل السفر الخامس وتتمتع بعصر الناصر لدين الله ، وتوجد بالخزانة الملكية بالرباط . وقطعة كبيرة أخرى توجد بخزانة القرويين الكبرى بفاس ، وتشمل معظم السفر الثاني ، وتتضمن حوادث سني (٢٢٣-٢٢٦ هـ) وقد نشرت محققة بعناية الدكتور محمود علي مكي (القاهرة ١٩٧١) وقطعة توجد بالمكتبة البودلية بأكسفورد وتشمل السفر الثالث وقد نشرت بعناية المستشرق الإسباني أنتونيا (باريس ١٩٣٧) وهي تتعلق بحوادث عصر الفتنة الكبرى (٢٥٠-٣٠٠ هـ) وتوجد قطعة أخرى بمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد تتعلق بحوادث سني ٣٦٢ - ٣٦٤ هـ وقد نشرت بعناية الأستاذ عبد الرحمن الحجى (بيروت ١٩٦٥) . وله مؤلفات كثيرة أخرى لم فصل إلينا . ويمتاز ابن حيان بأسلوبه النقدي القوي ونظراته الصائبة . (راجع كتابنا : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية - الطبعة الثانية ص ٢٧١ - ٢٨٢) .

(٢) هي قصبة توضع في فم الدابة لتذليلها وكبح جماحها .

(٣) التعبير هنا عن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (توفي سنة ٢٧٣ هـ) بأمير المؤمنين والخليفة هو مبالغة أو تجاوز ، لأن الخلافة الأموية لم تقم بالأندلس إلا بعد ذلك بنحو نصف قرن في عهد عبد الرحمن الناصر .

(٤) زائدة في «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ك» . وساقط في «ج» .

مَجْبُوسٌ أَمَا كُنْهَا ، حَتَّى شَمَلَهَا الْخُرَابُ ، وَتَقَسَّمْ قَاطِنَهَا الْأَعْتِرَابُ ، وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ
 الثُّرَابِ تُرَابٌ . وَانْتَقَلَ أَهْلُهَا مَدَّةَ أَيَّامِ الْفَتْنَةِ الْبَرِّ بَرِيَّةً (١) سَنَةً أَرْبَعِمِائَةً مِنَ الْمُهْجَرَةِ ،
 فَمَا بَدَرَهَا ، وَجَاءُوا إِلَى مَدِينَةِ غَرْ نَاطَةَ ، فَصَارَتْ حَاضِرَةَ الصُّقْعِ ، وَأُمُّ الْمِصْرِ ، وَبَيْضَةَ
 ذَلِكَ الْحَقِّ ، لِحِصَانَةٍ وَضَعِيهَا ، وَطَيْبِ هَرَائِبِهَا ، وَدُرُورِ مَائِهَا ، وَوُفُورِ مَدَّتَيْهَا ،
 فَأَمِينٍ فِيهَا الْخِائِفِ ، وَنُظْمِ النَّشْرِ ، وَرَسَخَتِ الْأَقْدَامُ ، وَتَأَثَّلَ الْمِصْرُ ، وَهَلُمَّ جَرًّا .
 فَهِيَ بِالْأَنْدَلُسِ ، قُطْبُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْمُلْكَ ، وَقِرَى الْإِمَارَةِ ، أَبْقَاهَا اللَّهُ
 مُتَبَوِّأً الْكَلِمَةَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا بِقُدْرَتِهِ .

من « كتاب البيرة » (٢) . قال ، بعد ذكر البيرة ، وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة
 غَرْ نَاطَةَ مِنْ أَعْظَمِ مَدَنِهَا وَأَقْدَمِهَا ، عِنْدَمَا انْقَلَبَتِ الْعِمَارَةُ إِلَيْهَا مِنَ الْبِيرَةِ ، وَدَارَتْ
 أَفْلَاكُ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، فِيهِ فِي وَقْتِنَا هَذَا قَاعِدَةُ الدُّنْيَا ، وَقَرَارَةُ الْعَلَمِيَا ، وَحَاضِرَةُ
 السُّلْطَانِ ، وَقَبِيَّةُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . لَا يَمْدِدُهَا فِي دَاخِلِهَا وَلَا خَارِجِهَا بِلَدٌ مِنَ الْبُلْدَانِ ،
 وَلَا يُضَاهِيهَا فِي اتِسَاعِ عِمَارَتِهَا ، وَطَيْبِ قَرَارَتِهَا ، وَطَنٌ مِنَ الْأَوْطَانِ . وَلَا يَأْتِي
 عَلَى حَصْرِ أَوْصَافِ جَمَالِهَا ، وَعَدَّة (٣) أَصْنَافِ جَلَالِهَا ، قَلَمُ الْبَيَانِ . أَدَامَ اللَّهُ فِيهَا
 الْعِزَّ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامَ ، وَحَرَسَهَا وَمَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ خَلْفَائِهِ ، وَأَنْصَارِ لَوَائِهِ ،
 بَعِيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَرُكْنِيْنِهِ الَّذِي لَا يُرَامُ .

وهذه المدينة من معمور الإقليم الخامس ، يبتدىء من الشرق ، من بلاد يأجوج
 ومأجوج ، ثم يمرُّ على شمال خراسان ، ويمرُّ على سواحل الشام ، مما يلي الشمال ،

(١) ثارت الحرب الأهلية بالأندلس عقب سقوط الدولة العامرية في سنة ٣٩٩ هـ بين أمراء بني
 نُمَيْة ، وظاهر البربر أحدهم وهو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر . فزحفوا على الزهراء واقتحموها
 وخرّبوها ، ثم حاصروا قرطبة حتى سقطت في أيديهم ، وارتكبوا فيها رائع السفك والإف
 (سنة ٥٠٣ هـ) واستولى زعمائهم على معظم قواعد الأندلس الجنوبية ومنها غرناطة . وقامت من ذلك الحين
 دول الطوائف .

(٢) مؤ كتاب « تاريخ علماء البيرة » لأبي القاسم الملاحي الذي سبقت الإشارة إليه .

(٣) وردت في المخطوطين (ك و ج) ، « عن » وهو تحريف . والمعنى يستقيم بالتصويب .

وهو على بلاد الأندلس ، قرطبة وإشبيلية وما والاها إلى البحر المحيط الغربي .
وقال صاعد بن أحمد في كتاب « الطبقات » (١) إن معظم الأندلس في الإقليم
الخامس ، وطائفة منها في الإقليم الرابع ، كدينة إشبيلية ، ومالقة ، وغرناطة ،
والمريّة ومُرْسِيَة (٢) .

وذكر العلماء بصناعة الأحكام أن طالها الذي اختطت به السرطان (٣) ،
ونحوها (٤) ، لأجل ذلك ، مزايا ، وظوظاً من السعادة ، اقتضاها تسيير أحكام
القِرانات الانتقالية على عهد تأليف هذا الموضع .

وطولها سبع وعشرون درجة والأون دقيقة ، وعرضها سبع والأون درجة وعشر
دقائق . وهي مساوية في العول بأمر يسير لقرطبة ، وميورقة ، والمريّة ، وتقرب
في العرض من إشبيلية ، والمريّة ، وشاطبة وطرطوشة ، وسردانية ، وأندلسية ،
والرقة . كل ذلك بأقل من درجة . فهي شامية في أكثر أحوالها ، قريبة من
الاعتدال ، وبينها وبين قرطبة ، أعادها الله تعالى ، تسعون ميلاً (٥) . وهي منها بين
شرق وقبلة . وبحر الشام (٦) يحول (٧) ويحجز بين الأندلس وبلاد العُدوة (٨) ،

(١) هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي . ولد بالمريّة سنة
٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ودرس على الفليوف ابن حزم ، وولى القضاء بطليطلة . وسما ذكره في ظل دولة
بني ذي النون . وتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م) . واشتهر بكتابه : « التعريف بطبقات الأمم » . وهو
مختصر جغرافي ، ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني (ترجمته في الصلة لابن بشكوال رقم ٥٣٥)

(٢) وردت في المخطوطين : المرسية .

(٣) هكذا في « ج » . ووردت بحرفه في « ك » : السطران .

(٤) وردت في المخطوطين : ويحلوها . والتصويب من « ت » .

(٥) الميل عند العرب ثلاثة آلاف ذراع . والمسافة بين غرناطة وقرطبة وفق التقدير

الحديث نحو مائة وخمسين كيلومتراً .

(٦) بحر الشام أعنى البحر الأبيض المتوسط .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة (ج وك وت) : يحال وهو تحريف .

(٨) أعنى . عدوة المغرب ، أو ما وراء الضفة الأخرى من البحر المقابلة للأندلس .

وبين غرب وقبلة على أربعة بُرْد^(١) . والجبال بين شرق وقبلة ، والبراجلات^(٢) بين شرق وجوف ، والكنبانية^(٣) بين غرب وقبلة ، وبين جوف وغرب ، فهي لمكان جوار الساحل ، ممارة بالبواكر الساحلية ، طيبة^(٤) البحار ، وركب الجهاد البحر^(٥) ، ولمكان استقبال الجبال ، المقصودة بالفواكه المتأخرة للاحق ، معللة بالمدخرات ، استندبار الكنبانية واضطبار البراجلات ، بحر من بحور الحذقة ، ومعدن للحبوب المفضلة ، ولمكان شلير ، جبل الثلج^(٦) ، أحد مشاهير جبال الأرض ، الذي ينزل به الثلج شتاءً وصيفاً ، وهو على قبلة منها على فرسخين ، وينساب منه ستة وثلاثون نهراً من فوهات الماء ، وتنبجس^(٧) من سفوحه العيون ، صح منها الهواء ، واضطردت في أرجائها وساحتها المياه ، وتعددت الجذات بها والبساتين ، والتفت الأدواح ، وثمر الرؤاد على منابت العشب في مظان^(٨) العقار مستودعات الأدوية والترياقية . وبردوها لذلك في المنقلب^(٩) الشتوى شديد ، وتجمد بسببه الأدهان والمائعات ، ويتراكم بساحتها الثلج في بعض السنين ، فحسوم

(١) جمع برید وهو مقياس للمسافة الطويلة ويقدره العرب باثني عشر ميلا .

(٢) البراجلات جمع برجيلة وهو تحريف للكلمة الإسبانية . Parcela ، أى قطعة من الأرض ، والمقصود به هنا الأراضي الخشنة المقفرة .

(٣) رسمت هذه الكلمة في « ت » (الكتابية) وفي « ك » (الكنباقية) وفي « ج » (الكنباقية) وهي كلها صور محرفة . وصوابه (الكنبانية) وهي كلمة مشتقة من كلمة Campo القشتالية ، ومعناها هنا البسيط أو السهل من الأرض .

(٤) هكذا في « ت » . وفي « ج » و « ك » ، طيه . (٥) في « ت » ، البحرية .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة « شير » وهو تحريف . وبطلق الجغرافيون الأندلسيون اسم شلير « أو جبل الثلج على جبال سيرا نفادا الشهيرة التي تشرف على مدينة غرناطة بأكملها العالية من الجنوب الشرقى . وشلير محرفة عن اللاتينية Solarius أو Solarus ومعناه جبل الشمس . وذلك لأن الشمس تسلط أشعتها الساطعة على هذه الجبال فينعكس ضوءها على الثلوج الناصعة التي تغطيها . وسميت أيضاً بجبل الثلج ، وهو ترجمة عربية مطابقة لاسمها القشتالي Sierra Nevada أى الجبال الثلجية

(٧) أى تتفتح وتسيل . وقد وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة .

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ج » مكان . والأولى أرجح .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ت » المنقف .

أهلها لصِحَّةِ الهواءِ صُلْبَةً ، ومِحْبانهم خَشِينَةٌ ، وهُضُومهم قَوِيَّةٌ ؛ ونفوسهم لمسكان
الحرِّ الغريزي جَرِيَّةٌ (١) .

وهي دارُ مَنْعَةٍ وكِرسى مُلْكٍ ، ومقامُ حِصَانَةٍ . وكان ابنُ غانية (٢) يقول للمرابطين
في مرضِ موته (٣) ، وقد عوَّلَ عليها للامتساکِ بدعوتهم : الأندلسُ دَرَقَةٌ ، وغَرْنَاطَةُ
قَبْضَةٌ ؛ فإذا جَشَّمْتُمْ يامعشرَ المرابطينِ القَبْضَةَ ، لم تخرجِ الدَرَقَةُ من أيديكم .

ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شِدَّةِ بَرْدِها ، ماهو غريب في معناه ، قول
شيخنا القاضي أبي بكر بن شبرين رحمه الله (٤) :

رعى الله من غرناطة متبواً يسرُّ كئيباً (٥) أو يُجِيرُ طريداً
تبرّم منها صاحبي عندما رأى مسارحها بالبرد (٦) عدنَّ جليداً
هي الشغرضان الله من أهأت به وما خيرُ ثغرٍ لا يكون بروداً
وقال الرازي (٧) عند ذكر كورة البيرة : ويتصل بأحواز قبرة كورة البيرة ،

(١) أي جريئة .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن غانية كبير قواد المرابطين في الأندلس ، حينما اضطرب سلطانهم
فيها ، وخرج عليهم معظم الزعماء الأندلسيين ، في نفس الوقت الذي عبر فيه خصومهم الموحدون البحر
إلى الأندلس بريدون افتتاحها (سنة ٥٤٠ هـ) . وبذل ابن غانية جهداً فادحاً في الدفاع عن سلطان
المرابطين ، ولكن القواعد الأندلسية خرجت من قبضته تباعاً ، واضطر في النهاية أن يمتنع بفرناطة التي
طوقها الموحدون . وسقط ابن غانية قتيلًا في الموقعة التي تلت بين المرابطين والموحدين ودفن بفرناطة
(سنة ٥٤٣ هـ)

(٣) وردت في المخطوطين (مروته) وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن شبرين من شيوخ
ابن الخطيب . (٦٧٤ - ٧٤٧ هـ) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة .

(٥) وفي نص « حزيناً » (راجع رحلة ابن بطوطة - مصر - ج ٢ ص ١٨٧) .

(٦) وفي نص « بالثلج » (راجع رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ١٨٧) .

(٧) هو أحمد بن محمد بن موسى الرازي من مؤرخي الأندلس . ولد سنة ٢٧٤ هـ . وتوفي

سنة ٣٤٤ هـ ، (٩٥٥ م) ومن تصانيفه : « أخبار ملوك الأندلس » وكتاب « الإستيعاب في أنساب أهل
الأندلس » . وغيرهما .

وهي بين الشرق والقبلة ، وأرضها سقى غزيرة الأنهار ، كثيرة الثمار ، ملتفة الأشجار ، أكثرها أدواح الجوز ، ويحسُن فيها تصب السكر ؛ ولها معادن جوهريّة من ذهب ، وفضة ، وورصاص ، وحديد . وكورة إلبيرة أشرف الكور، نزها جند دمشق . وقال : لها من المدن الشريفة مدينة قسطنطينية ، وهي حاضرة إلبيرة ، وفحصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طبيياً ولا شرفاً إلا بالغوطة ، غوطة دمشق (١)

وقال بعض المؤرخين : ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ، ورعيّاً بعد رعى ، طول العام ، وفي عمالتها المعادن الجوهريّة من الذهب ، والفضة ، والرصاص ، والحديد ، والتوتية . وبناحية دلّاية (٢) من عملها ، عود اليلنجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاً وطرّاً رائحة . وقد سبق منه لخيران (٣) صاحب المرية أصل كان منبته بين أحجار هناك . وبجبل شلير (٤) منها سنبل فائق الطيب ، وبه الجعطيانا ، يحمل منه إلى جميع الآفاق ، وهو عقيرٌ رفيع ، ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه (٥) . وبه المرّ قشينة على اختلافها ، والألّازورد . وبفحصها وما يتصل به القرمز . وبها من العنّار والأدوية النباتية والمعدنية (٦) ما لا يحتمل ذكرها

(١) هو الوادي الحصب الذي تقع فيه دمشق . قال ياقوت : « والنوطة كلها أشجار وأنهار متصلة . وهي بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها منظراً » (معجم ياقوت ج ٦ ص ٣٠٤) .

(٢) دلّاية هي الآن Dalias الحديثة . وهي بلدة صغيرة تقع غرب المرية في جنوبي سفح جبال « غدر » Gador ، على مقربة من البحر الأبيض المتوسط .

(٣) وردت معرفة في المخطوطين (لخيزران) وخيران العامري هو أحد زعماء الدولة العامرية من الفتيان الصقالية . نهض عقب سقوط بني عامر ، وقيام الثورة الأموية في جماعة من الفتيان العامريين وخصوم بني أمية وزحف على مدينة المرية واستولى عليها (سنة ٤٠٣ هـ) . وحالف بنو حمود الإدارة في البداية ثم انقلب عليهم . ولبت يتقلب بين القوى المختلفة حتى توفى قتيلاً في موقعة نشبت بينه وبين البربر في سنة ٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) .

(٤) وردت في « ج » : شنيل . وهو تحريف ظاهر ، إذ أن شنيل نهر لاجبل .

(٥) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطين عبارة : (وقد خاطب فيها أبو جعفر المنصور) وهي عبارة مدخولة لا مكان لها في هذا الموطن ولهذا رأينا حذفها .

(٦) في « ج » المغرانية .

الإيجاز . وكفى بالحرير الذي فَضَلت به فخرًا وقيَّةً، وغلة شريفة، وفائدة عظيمة،
 تمتازُه منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية .
 وفحصها الأفيح^(١) المشبَّه بالغوطة الدمشقية حديث الرُّكاب، وسمر الليالى،
 قد دحاه الله فى بسيط سهل تخترقه المذانب، وتتخلَّه الأنهار جداول، وتتزاحم فيه
 القرى والجَنَّات، فى ذرع أربعين ميلًا أو نحوها، تنبؤ العين فيها عن وجهه،
 ولا تتخطى المحاسن منها إلا مقدار ورقة الهضاب، والجبال المُستطامية منه بشكل
 ثلثى دائرة، قد عرَّت منه المدينة فيما يلى المركز لجهة القبلة، مستندة إلى أطواد
 سامية، وهضاب عالية، ومناظر مُشرقة: فبى قيدُ البصر، ومنتهى الحُسن،
 ومعنى الكمال، أضفى الله عليها، وعلى من بها من عباده المؤمنين جناح ستره،
 ودفع عنهم عدوِّ الدين بقدرته .

(١) الفحص أو فحص غرناطة، وهو مرجها الشهير La Vega de Granada، وهو البسيط
 الأخضر الذى تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقى . وقد تان أيام الدولة الإسلامية من أنضروا بضع
 بقاع الأندلس الخضراء، وكان يزارعه اليانمة وحدائقه الفناء منتزه الناس المفضل ولا سيما فى ليالى
 الصيف . وكان مستقى لوحى الشعر والنثر . أما اليوم فقد زالت منانيه القديمة وقلت خضرته وتخلَّته
 الرقاع الجرداء .

فصل

في فتح هذه المدينة

وتزول العرب الشاميين من جند دمشق بها

وما كانت عليه أحوالهم ، وما تعلق بذلك من تاريخ

قال المزلف : اختلف المررخون في فتحها . قال ابن القوطية^(١) : إن يُلِيان الرُّومي^(٢) الذي ندب^(٣) العرب إلى غزو الأندلس طلباً لوتره من ماسكها لُدريق^(٤) بما هو معلوم ، قال لئارق بن زياد مُفْتِحِهَا عندما كسر جيش الرُّوم^(٥) على وادي لِسْكُه : قد فضضت جيش القوم^(٦) ودوخت حاميتهم ، وصيرت الرعب في قلوبهم ، فاصمد لبيضتهم ؛ وهؤلاء أدلاء من أصحابي ، ففرق جيوتك في البلدان بينهم ، واعمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم ، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم ، والاجتماع إلى وليّ رأيهم .

- (١) ابن القوطية هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية ، لانتائه بطريق النسب إلى سارة القوطية ابنة وتيزا ملك القوط التي أسلمت عند الفتح وتزوجت من أحد أعيان المسلمين ، ولد بقرطبة وتوفي بها سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) وكتب تاريخه المسبى «تاريخ افتتاح الأندلس» . وقد نشر بعناية المستشرق الإسباني ريبيرا مقروناً بترجمة إسبانية .
- (٢) يُلِيان الرومي هو الكونت يوليان الشهير في سيرة فتح الأندلس . وكان وقت أن توغل المسلمون في المغرب الأقصى وافتتحوا طنجة ، حاكماً لثغر سبتة المنيع . وكان يظهر الحزب الذي يخاصم ردرريك ملك القوط يحفزه إلى ذلك عامل الانتقام ، لأن ردرريك حسبها تقول الرواية اغتصب ابنته فلورندا التي كانت فزيلة بقصره . فلما اقترب العرب من سبتة اتصل بموسى بن نصير ودعاه إلى فتح لأندلس ، وقدم سفنه إلى العرب ليسهل لهم العبور إليها ، وعاونهم خلال الفتح بمختلف الوسائل .
- (٣) في مخطوط خزانة الرباط الملكية (أندب) .
- (٤) لُدريق أي ردرريك آخر ملوك القوط .
- (٥) الروم هنا يقصد بها القوط .
- (٦) هذه العبارة ساقطة في «ك» واردة استدراكاً في هامش «ج» .

قال : ففرق طارق جيوشه من إستجبة ؛ فبعث مُعِينًا الرَّومى ، مولى الوليد ابن عبد الملك بن مروان إلى قرطبة ؛ وبعث جيشاً آخر إلى مالقة ؛ وأرسل جيشاً ثالثاً إلى غرناطة مدينة البيرة ؛ وسار هو فى معظم الناس | إلى كورة جيان |^(١) يريد طليطلة . قال فمضى الجيش الذى وجه طارق إلى مالقة ففتحها ، ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتعة . ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة ، فحاربوا مدينتها ، وفتحوها عنوة ؛ وألقوا بها يهوداً ضموهم إلى قصبه^(٢) غرناطة ؛ وصار لهم ذلك سنة متبعة ، متى وجدوا بمدينة فتحوها يهوداً ، يضفونهم إلى قصبها ، ويجعلون معهم طائفة من المسامين يسدونها . ثم مضى الجيش إلى تدمير .

وكان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الإثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين . وقيل فى شعبان . وقيل فى رمضان ، بهواقفة^(٣) شهر غشت من شهر العجمية .

وذكر معاوية بن هشام^(٤) وغيره ، أن فتح ما ذكر تأخر إلى دخول موسى ابن نصير فى سنة ثلاث وتسعين . فتوجه ابنه عبد الأعلى^(٥) فى جيش إلى تدمير^(٦) فافتتحها ، ومضى إلى البيرة فافتتحها ، ثم توجه إلى مالقة .

(١) هذه الزيادة ساقطة فى « ك » وواردة فى هامش « ج » .

(٢) القصبه أى القلعة وهو استعمال أندلسى ذائع . وكانت القصبه الأندلسية تضم فى معظم الأحيان قصرا للحاكم ومسجداً للصلاة وثكنات للجند . وبوجد حتى اليوم كثير من أطلال القصبات الأندلسية القديمة .

(٣) هكذا فى « ك » ، وفى « ج » ، موافق . وغشت أعنى أغسطس .

(٤) معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، هو أديب وكاتب قرطبى من سلالة بنى أمية ، عاش فى القرن الرابع الهجرى ، وكتب كتاباً فى تاريخ الأندلس عنوانه «دولة بنى مروان بالأندلس» . وبتدوين ابن حيان من الاقتباس منه .

(٥) لم يرد ذكر عبد الأعلى بن موسى بن نصير كثيراً فى سيرة فتح الأندلس . ولكن ابن الخطيب يقدم لنا فيما بعد فى الإحاطة عنه ترجمة موجزة ، وينقل لنا فيها عن الرازى أنه قام بهذا الفتح .

(٦) تدمير هى إحدى ولايات الأندلس الشرقية القديمة . سميت باسم أميرها والمدافع عنها وقت الفتح تيودمير . ثم غدت بعد ذلك ولاية مرسية .

قال المؤلف رحمه الله : ولما استقر ملك الإسلام بجزيرة الأندلس ، ورمى إلى قصبته الفتح ، واشرب في عرصاتها الذين ، ونزلت قرطبة وسواها العرب ، فتبوؤوا الأوطان ، وعمروا البلدان ، فالداخلون على [يد] ^(١) موسى بن نصير [يسمون بالبلديين] ^(١) والداخلون بعدهم [مع] ^(١) بلج بن بشر القشيري ، يسمون بالشاميين ، وكان دخول بلج بن بشر القشيري بالطالعة البلجية سنة خمس وعشرين ومائة .

ولما دخل الشاميون مع أميرهم بلج ، حسبما تقرر في موضعه ، وهم أسود الشرى ^(٢) عزّة وشهامة ، غص ^(٣) بهم السابقون إلى الأندلس ، وهم البلديون ، وطالبوهم بالخروج عن بلادهم الذي فتحوه ، وزعموا أنه لا يحملهم وإياهم ، واجتمعوا لغزومهم ، فكانت الحروب تدور بينهم ، إلى أن وصل الأندلس ، أبو الخطار حسام بن ضرار الكلابي ، عابراً إليها البحر من ساحل تونس ، وأظّل على قرطبة على حين غفلة ، وقد ستر خبر نفسه ، والحرب بينهم ، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد مدينته ^(٤) حنظلة ابن صفوان والى إفريقية ^(٥) ، وقبض على وجوه الشاميين عازماً عليهم في الإنصراف حسبما هو مشهور ، ورأى تزيق القبائل في كور الأندلس ، ليكون أبعاد للفتنة ، ففرّقهم ، وأقرّهم ثلث أموال أهل الذمة ، الباقين من الروم ، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة .

(١) ظاهر من سياق النص أن هناك كلمات ساقطة في الأصل ، والمرجح أنها هي التي وضعناها بين المنصرتين ، وبها يستقيم المعنى التاريخي .

(٢) « الشرى » ، جانب الفرات .

(٣) في المخطوطين . غص .

(٤) في المخطوطات الثلاثة : مدينة .

(٥) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقية من الناحية الإدارية . ووالى إفريقية هو الذي يختار حاكمها ، واستمر ذلك معظم عصر الولاة .

قال أبو مروان^(١) : أشار على أبي الخطار ، أرطباس^(٢) قومس الأندلس^(٣) ، وزعيم عجم الذمة^(٤) ، ومُستخرج خراجهم^(٥) لأمراء المسلمين — وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء — لأول الأمر ، بتفريق القبائل الشاميين العلمين^(٦) عن البلد ، عن دار الإمارة قرطبة ، إذ كانت لا تحمِلهم ، وإنزالهم بالكُور ، على شبه منازلهم التي كانت في كُور شامهم ، ففعل ذلك على^(٧) اختيار منهم ؛ فأُنزل جند دمشق كُورة إلبيرة ، وجند الأردن كورة جيّان ، وجند مصر كورة باجة ، وبعضهم بكورة تدمير : فهذه منازل العرب الشاميين ؛ وجعل لهم ثلث^(٨) أموال أهل الذمة من العجم طعمة ؛ وبقي العرب والبلديون والبرابر^(٩) شركاؤهم ؛ فلما رأوا بلداناً شبه بلادهم بالشام ، نزلوا وسكنوا واغتنبوا وكبروا وتمولوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح على عنائهم موضعاً رضيعاً ، فإنه لم

(١) هو ابن حيان مؤرخ الأندلس ، وقد سبقت الإشارة إليه .

(٢) أرطباس هو الأسقف أوباس أخو الملك وتيزا . وكان مثل الكونت يوليان قد تحالف مع العرب منذ الفتح هو وولدا أخيه ، إيفا وسيزبوت اللذان تسميها الرواية الإسلامية « ألمند » و« رملة » . وقد عينه العرب عقب الفتح حاكماً لطليطلة ورئيساً للنصارى الذين انضوا تحت لواء الفاتحين .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : « قوس الأندلس » . وهو تحريف ، والصواب « قومس » . والقومس هو الرسم العربي لكلمة Comes اللاتينية ، وهو الزعيم أو الرئيس . وقد أنشأ المسلمون منذ الفتح منصب « القومس » . و« القوامس » وهم زعماء النصارى في القواعد الأندلسية . ثم تطور المنصب حتى غدا منصباً دينياً ، يليه أسقف أو مطران للنصارى يرعى شؤونهم الروحية .

(٤) عجم الذمة أو النصارى المعاهدون Los Mozarabes وستحدث عنهم فيما بعد .

(٥) وردت في « ج » و« ك » : مزاجهم . وفي « ت » : مزاجهم : وقد رجحنا التصويب .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاث : والعلمين نسبة إلى علم ، وهو مكان بالشام .

(٧) وردت في « ج » (عن) والتصويب من الملكية .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاث : « ثلثا » . والصواب : ثلث كما يتضح ذلك من سياق

الكلام بعد .

(٩) يريد البربر . وهو التعبير الصحيح .

يرتحل عنه^(١) ، وسكن به مع البلديين . فإذا كان العماء أو حضر الغزو ولاحق
بجندة ، فهم الذين كانوا مُموا الشادة حينئذ .

قال أحمد بن موسى : وكان الخليفة يعقد لواءين ، لواء غازياً ، ولواء مقيماً ؛
وكان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار . ويبقى المقيم بلارزق ثلاثة أشهر ؛ ثم
يدال بنظيره^(٢) من أهله أو غيرهم^(٣) . وكان الغزاة من الشاميين مثل إخوة المهود
له أو بنيه أو بنى عمه ، برزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنانير ؛ وكان يعقد المعقود
له ، مع القائد ؛ يتكشّف عن غزا ، ويستحق العداء ، فيعطي على قوله تسكراً .
له ؛ وكانت خدمتهم في العسكر ، واعتراضهم إليه ؛ ومن كان من الشاميين غازياً
من غير بيوتات العقد ، ارتزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو . ولم يكن يعطى
أحد من البلديين شيئاً غير المعقود له ؛ وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءان^(٤) ؛ لواء
غاز ، ولواء مقيم ؛ وكان يرتزق الغازي مائة دينار وازنة ؛ وكان يعقد لغيره إلى ستة
أشهر ، ثم يدال بنظيره من غيرهم ؛ ولم يكن الديوان والكتبة إلا في الشاميين
خاصة ؛ وكانوا أحراراً من العشر ، معدّين للغزو ، ولا يلزمهم إلا المقاطعة على أموال
الروم التي كانت بأيديهم ؛ وكان العرب من البلديين يؤدون العشر ، مع سائر أهل
البلد ، وكان أهل بيوتات منهم يغزون كما يغزو الشاميون ، بلا عطاء ، فيصيرهم^(٥)

(١) وردت هذه العبارة بالخطوط الثلاثة مكررة على النحو الآتي . « وسكنوا واغتبطوا
وكبروا ، وتمولوا ، إلا من كان قد نزل منهم لأول قدومه في الفتوح على عنائهم ، لم يعرض لهم في شيء
منها . فلما رأوا بلداناً شبه بلدانهم بالشام ، نزلوا وسكنوا واغتبطوا ، وكبروا وتمولوا ، إلا من كان قد
نزل لأول قدومه موضعاً رضيعاً فإنه لم يرتحل عنه » . وقد رأينا أن نخلف الجزء الأول المكرر من هذه
العبارة . ونستفي الصيغة الثانية المشابهة والمكلمة .

(٢) هكذا وردت في « ك » . ووردت بحرفه في « ج » : يدل بنظيره .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في « ت » .

(٤) في « ج » و « ت » : لواءين .

(٥) وردت في « ج » فيسير بهم ، والتصويب من الملكية .

إلى ما تقدم ذكره . وإنما كان يُكْتَب أهلُ البلد في الغزو ؛ وكان الخليفة يُخْرِج
عسكريين ، إلى ناحيتين ، فيستنزلهم ؛ وكانت طائفةٌ ثالثة يُسمون المنظرَاء من
الشاميين والبلديين ، كانوا يَفْرُونَ كما يَزُو أهل البلد من الفريقين . وقد بينا نبذة
من أحوال هزلاء العرب . والاستقصاء يُخْرِج كتابنا عن غرضه . والإحاطة
لله سبحانه .

ذكر ما آل إليه حال [من] ^(١) ساكن المسلمين بهذه الكورة

من النصارى المعاهدين ^(٢) على الإيجاز والاختصار

قال المؤلف : ولما استقرَّ بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام ، وأنزل الأمير أبو الختار قبائل العرب الشاميَّين بهذه الكورة ، وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاث ، ولكنها ضرورية لاستقامة المعنى

(٢) النصارى المعاهدون ، أو المعاهدون ، أو المستعربون ، وبالإسبانية : Los Mozarabes

هم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية . وكانوا يكونون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ، ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي ، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة ، ولهم قضاؤهم الخاص ، ولهم كنائسهم يزاولون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية . وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوى ، ويحتل كثير منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش . وقد أنشأت الحكومة الأندلسية اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصرانية ، مناصب « القومس » للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسي في شئونهم الروحية . وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ ، وكان له في معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مستشاره في كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم . ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت ، بدأت في مناوأة الحكومة الإسلامية وتدمير الدلائل ضدها ، وكانت عضد الثورات المختلفة في المدن والمقاطعات الثائرة . ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى . ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية ، كانوا يأخذون بقسط وافر من التقاليد والعادات الإسلامية ، وكانوا يتكلمون العربية ويكتبونها ، ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم ، وقد نبع الكثير منهم في النظم والنثر . وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٥٢٣٨) (٨٢٢ - ٨٥٢ م) حاول النصارى المعاهدون أن يدبروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلامية ، وعهد بعض القساوسة المتعصبين إلى سب الإسلام والنبى العربى جهراً في شوارع قرطبة وأمام القضاة الذين يحاكمونهم ، ودفعوا إلى هذا التحدى بعض الفتيات النصرانيات المتعصبات . ففضى على عدد منهم بالإعدام . وازداد النصارى هياجاً وتحدياً ، وكادت تحدث في قرطبة فتنة مدمرة ، لولا أن تدرعت الحكومة الإسلامية في إخمادها بمنتهى الحزم والشدة .

ولبت النصارى المعاهدون على كر العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلامية محارلون إحداهن الشعب بكل الوسائل ، ويشجعون كل خلاف وثورة ، ويحالفون المملكة النصرانية الشالية ، ويستمدونها على الأندلس باستمرار . ولهم في الأندلس تاريخ طويل ليس هنا . ونح استقصائه . ولكن جهودهم كانت على أى حال من أهم العوامل في إضعاف الحكومة الإسلامية ، وفي تعضيد جهود إسبانيا النصرانية لاسترداد أراضيها المفتوحة من المسلمين . وهذا ما يعتبره المؤرخون الإسبان من وجهة نظرهم أعمال بطولة . ولهذا يخصص العلماء الإسبان لتاريخ « النصارى المعاهدين » مصنفات وبحوثاً كثيرة

استمر سُكناهم في غمار من الروم ؛ يعالجون فلاحه الأرض ، وثمران القرى ، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم ، أولو حُنْكة ودهاء ومُدْأارة ، ومعرفة بالحياة اللازمة لرؤوسهم . وأحدُهم^(١) رجل يُعرف بابن القلّاس ، له شهرة وحديث ، وجاه عند الأمراء بها . وكانت لهم بخارج الحضرة ، على غلّوتين^(٢) ، تجاه باب إلبيرة^(٣) في اعتراض الطريق^(٤) إلى قولنج^(٥) ، كنيسة شهيرة ، اتخذها لهم أحدُ الزعماء من أهل دينهم ، استرّ كبه بعضُ أمرائها في جيش خَشِن من الروم ، فأصبحت فريدة في العمارة والحلية ؛ أمر بهدمها الأمير يوسف بن تاشفين^(٦) ، لتأ كدرغبة الفقهاء ،

وقد وضع المستشرق الكبير سيمونيت Simonet في تاريخ النصارى الماهدين مؤلفاً ضخماً عنوانه : *Historia de los Mozarabes de Espana* (Madrid 1897) ومن أحدث المؤلفات في هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق Isidro de las Cagigas عنوانه : *Los Mozarabes* (Madrid 1947)

(١) وردت في « لاج » وفي الملكية ، وآخرهم .

(٢) الغلوة مقياس مسافة وتقدر بثلاثمائة ذراع أو أربعائة .

(٣) باب إلبيرة Puerta de Elvira هو من أبواب غرناطة القديمة ، وما يزال قائماً حتى اليوم بقوسه وجانبيه في الميدان المسمى باسمه ، داخل مدينة غرناطة . وهو الباب الوحيد الذي بقى كاملاً وسليماً من أبواب سورها الخارجي . بيد أنه توجد من أبوابها الداخلية بضعة أبواب أخرى في حى البيازين وفي مدينة الحمراء .

(٤) وردت بعد كلمة « الطريق » في المخطوطات الثلاث كلمات محرفة هذا رسمها : (والعياء يقيق الماء) لا علاقة لها بالسياق ولا بالمعنى فأثرنا تركها .

(٥) هي اليوم بلدة Cuejar Sierra الصغيرة الواقعة على قيد مسافة قليلة من شرقي غرناطة في اتجاه باب إلبيرة .

(٦) يترجم ابن الخطيب في نهاية « الإحاطة » ليوسف بن تاشفين المتوفى زعيم المرابطين ومؤسس دولتهم بالمغرب والأندلس المتوفى سنة خمسمائة من الهجرة (١١٠٦ م) . ونكتن بأن نشرهنا إلى أعظم أعمال حياته وهو عبوره إلى الأندلس نصرة لأمرائها ملوك الطوائف حينما اشتدت عليهم وطأة النصارى ، ولقاؤه مع جيوش الأندلس ، بلجيوش النصرانية المتحدة في سهول الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) ، وإحرازه عليهم نصره الباهر الذي أنقذت به الأندلس من الفناء ، والذي مد في حياتها قروناً أخرى .

وتوجه فتوأم . قال ابن الصيرفي^(١) : خرج أهل الحضرة لدمها يوم الاثنين عقيب جمادى الآخرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة ، فصيرت للوقت قاعا ، وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها . قلت ، ومكانها اليوم مشهور ، وجد أرها ما نزل ينيء عن إجماع وأصالة ، وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك رحمه الله .

ولما تحركت لمد والله الطاغية ابن رذير^(٢) ربح الظهور ، على عهد الدولة المرابطية ، قبل أن يخضد الله شوكته على إفراغة^(٣) بما هو مشهور ، أهملت المعاهدة^(٤) من النصارى لهذه الكورة إدراك الثرة^(٥) وأطمعت^(٦) في المملكة ،

(١) هو أبو بكر الصيرفي من أكابر علماء غرناطة في النصف الأول من القرن السادس الهجري . عمل كاتباً ووزيراً لأمير المرابطين محمد بن تاشفين الذي حكم الأندلس من سنة ٥٢٠ - ٥٣١ هـ . وألف كتاباً في تاريخ الدولة المرابطية هو : « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية » الذي يقتبس ابن الخطيب كثير أمته . وسوف يترجم له ابن الخطيب في أواخر « الاحاطة » .

(٢) وردت في «ك» ، ابن أردمير . وفي «ج» ، ابن درمير . وفي الملكية ابن رذير . وهذا كله تحريف . وصوابه ابن رذير . وهو الاسم الذي تطلقه الرواية الإسلامية على ألفونسو الأول ملك أراجون (١١٠٥ - ١١٣٤ م) . نسبة إلى اسم أبيه راميرو . وقد كان ملكاً مقداماً . وهو الذي افتتح سرقسطة من يد المسلمين في سنة ١١١٨ م ، وانتزع إلى جانبها باقي قواعد الثغر الأعلى . وفي سنة ١١٢٥ م (٥١٨ هـ) خرج بقواته استجابة لتحريض النصارى المعاهدين إلى الغزوة التي يصفها ابن الخطيب فيما يلي .

(٣) كانت مدينة إفراغة Fraga من معاقل الثغر الأعلى . فلما استولى ألفونسو الأول ملك أراجون على معظم قواعده ، سار إلى افتتاح إفراغة سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) ، وضرب حولها الحصار . ولكن قدمت قوات المرابطين لإنجاد حاميتها بقيادة الأمير يحيى بن غانية . واشتبك المسلمون مع النصارى في معركة هزم فيها النصارى هزيمة ساحقة ، وفر ألفونسو وتوفي بعد ذلك لأيام فلا تزل غماً وألماً .

(٤) المعاهدة هم النصارى المعاهدون الذين شرحنا أحوالهم فجا تقدم . وسما كذلك بسبب المعاهدات التي ارتضى الفاتحون المسلمون عقدها معهم ، وسمح لهم فيها بأن يحتفظوا بدينهم وشرائعهم نظير دفع الجزية المقررة .

(٥) في «ج» الثرة . و الثرة : السعة والبسطة .

(٦) ناقصة في المخطوطان ، ويقتضها السياق .

فخاطبوا ابن رُذَيمٍ من هذه الأقطار ، وتوالت عليه كُتُبُهُم وتواترت رسلُهُم ، مُلحّة بالاستدعاء مُتّامّة في دخول غرناطة . فلما أبتأ عنهم ، وجهوا إليه زماماً يشتمل على إثنى عشر ألفاً من أنجاد مُقاتليهم ، لم يعدوا فيها شيخاً ولا غراً ، وأخبروه أن من سمّوه ، ممن شهرت أعينُهُم لترب مواضعهم ، وبالبعُد من يخفى أمرُهُ ، ويظهرُ عند ورود شخصه ، فاستأثروا طمعه وابتغوا جشعهُ ، واستفزهوه بأوصاف غرناطة ، وما لها من الفسائل على سائر البلاد وبِقحصها الأفيح^(١) ، وكثرة فوائدها من القمح والشعير ، والنكستان ، وكثرة المرافق ، من الحرير والسكرُوم ، والزيتون ، وأنواع الفواكه ، وكثرة العيون والأنهار ، ومنعّة قبّتها وانصباع رعيّتها^(٢) ، وتآنى أهل حاضرتها ، وجمال إشرافها وإطلالها ، وأنها المباركة التي يمتلك منها غيرها ، المسماة سنّام | الأندلس عند |^(٣) الملوك في تواربها ، فرموا حتى أصابوا غرّبه ، فانتخب وأحشد ، وتحرك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسة^(٤) وقد أخفى مذهبه ، وكنم أربّه ، فوافى بلنسية ، ثم إلى مرسية ، ثم إلى بيرة ، ثم اجتاز بالمنصورة ثم إنحدر إلى برشانة^(٥) ، ثم تكوّم إلى وادي ناطلة^(٦) ، ثم تحرك إلى بسطة^(٧) ، ثم إلى وادي آش^(٨) ، فنزل بالقرية المعروفة

(١) هو مرج غرناطة الشهير La Vega الذي سبق التعريف به .

(٢) هكذا في «ج» . وفي الملكية (رغبتها)

(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» . ووارد في الملكية .

(٤) في هذا التاريخ شيء من التحريف . والحقيقة أن ألفونسو الأرجوني بدأ زحفه على

الأندلس في سنة ١١٢٥ م الموافقة ٥١٨ هـ ، ووصل إلى جنوبي الأندلس سنة ٥٢٠ هـ .

(٥) بيرة والمنصورة وبرشانة هي ثلاثة بلاد صغيرة في ولاية المرية الحديثة . تقع الأوليان

منها شمال شرق مدينة المرية ، وتقع الثالثة شمال المرية في طريق وادي آش ، وتحمل على التوالي الأسماء

الحديثة الآتية : Vera, Cuevas de Almanzora, Purchena

(٦) لم نعر على مقابل حدث لهذا الاسم .

(٧) رسمت «بصلة» في المخطوطين وصوابه بسطة وهي Baza الحديثة ، وتقع شمال شرق غرناطة .

(٨) وادي آش هي Guadix الحديثة . وقد كانت من المدن الزاهرة بملكمة غرناطة

الإسلامية ، وكانت أيام حرب غرناطة الأخيرة معقل مولاي الزغل محمد بن سعد ، وسقطت في يد

الإسبان قبل سقوط غرناطة بقليل في سنة ١٤٩٠ م .

بالقصر^(١) وصافح المدينة بالحرب ، ولم يحل بطائل ، فأقام عليها شهراً .
قال صاحب كتاب « الأنوار الجلية »^(٢) فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة في
استدعائه ، فافتضح تدبيرهم باجتلابه ، وهم أميرها بثقتهم^(٣) ، فأعياهم ذلك ،
وجعلوا يتسكّلون إلى محلته على كل طريق ، وقد أحدمت جيوش المسلمين من أهل
العدوة^(٤) والأندلس بغرناطة ، حتى صارت كالدائرة^(٥) ، وهي في وسطها كالنقطة ،
لما أنذروا بغرضه ، وتحرك من وادي آش فنزل بقرية دجة^(٦) ، وصلى الناس
بغرناطة صلاة الخوف ، يوم عيد النحر من هذه السنة في الأسلحة والأبهة ، وبعيد
الظهر من غده ، ظهرت أخبية الروم بالقليل^(٧) شرق المدينة ، وتوالى الحرب على
فرسخين منها ، وقد أجلى السواد ، وتزاحم الناس بالمدينة ، وتوالى الجليد ، وأظلت
الأمطار . وأقام العدو بمحلته ، بضعة عشرة ليلة ، لم تسرح له سارحة ، إلا أن
المعاهدة تجلب له الأقوات ، ثم أقلع وقد ارتفع طعمه عن المدينة ، لأربع بقين من
ذى الحجة عام عشرين ، بعد أن تفرغ مستدعيه إليها ، وكبيره يعرف بابن القلاس ،
فاحتجوا ببطئه وتلومته حتى تلاحقت الجيوش ، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين في
الهلكة . فرحل عن قرية مرسانة إلى بيث^(٨) ، ومن الغد إلى السكة^(٩) من

(١) هي بلدة القصر Alcazar الحديثة وهي واقعة في جنوب شرق غرناطة .

(٢) وردت في المخطوطين : « الأنوار الجلية » وهو تحريف . وصاحب الكتاب هو أبو بكر

المصيرفي الذي سبق التعريف به .

(٣) أي باعتقائهم .

(٤) أعنى أهل المغرب .

(٥) هكذا في «ك» وفي «ج» كالدارة .

(٦) هي بلدة Diezma الحديثة ، وهي تقع غربى وادى آش في منتصف الطريق بينها وبين

غرناطة .

(٧) هكذا في «ت» . وفي «ج» و «ك» ، بالنيل . وهو تحريف ، والقليل منتصف النهار .

(٨) مرسانة وبالإسبانية Maracena ، وبيث وبالإسبانية Beas ، قرطبان من حواز

غرناطة تقع الأولى في شمالها الشرق ، والثانية في شمالها الغربى .

(٩) هكذا في «ت» وفي الملكية اليسكة ، وفي «ك» السمكة . وفي «ج» الحكمة .

أحواز قلعة يَحْصِب (١) ثم اتصل إلى لِدُوبِيَانِه (٢) ، ونكب إلى قَبْرَة وَالسَّانِه (٣) ، والجِيوش المُسَلِّمَة في أذْيَالِه . وَأَقَام بِقَبْرَة أَيَامَا ، ثم تحرك إلى بِلَاي (٤) وَالسَّاكِر في أذْيَالِه ، وَشِيْبَجَه (٥) في فَحْصِ الرِّيسُول (٦) ، مَكْلَفَة في أَثْنَائِهَا ، مَنَاوَشَة ، وَظَهُورًا عَلَيْهِ .

وَمَا جَنَّ اللَّيْل ، أَمْرُ أَمِيرِهِمْ بِرَفْعِ خَبَائِئِهِمْ مِنْ وَهْدَة كَانَ فِيهَا إِلَى نَجْدَة ، فَسَاعَتِ الظُّنُونِ ، وَاخْتَلَّ الْأَمْرُ ، فَفَرَّ النَّاسُ وَأَسَدُوا (٧) ، وَتَهَيَّبَ الْعَدُوُّ الْمَحَاةَ ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا إِلَّا بَعْدَ هَدَاةٍ (٨) مِنَ اللَّيْلِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا . وَتَحَرَّكَ بَعْدَ الْغَدِّ مِنْهَا إِلَى جِهَةِ السَّاحِلِ فَشَقَّ الْعِمَامَةُ الْأَمْنَةَ مِنَ الْإِقْلِيمِ وَالشَّارَاتِ (٩) . فَيَقُولُ بَعْضُ شَيْوِخِ تِلْكَ

(١) قلعة يحصب أو قلعة يعقوب هي بلدة «القلعة الملكية» الحديثة Alcala la Real ، وتقع شمال غرند غرناطة . وقد كانت قديماً منزلاً لبنى سعيد الأديب والمؤرخين أصحاب كتاب «المغرب» . وخاتمهم أبو الحسن علي بن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وصاحب كتاب «القدح المملئ» و «الطالع السعيد» في تاريخ بني سعيد .

(٢) هكذا رسم اسمها في «ج» . وفي الملكية . وفي «ت» «الدوبيانية» . ولم نعر على بلد بهذا الاسم في هذه المنطقة .

(٣) نَبْرَة Cabra واللسانه Lucena من بلاد الحصون القديمة في مملكة غرناطة الإسلامية ، وتقع كلتاها شمال غربي غرناطة على مقربة من قلعة يحصب ، وقد لعبت قبرة بالأخص في حروب مملكة غرناطة الأخيرة أدواراً هامة .

(٤) بلاي ، كما رسمت في المخطوطين ، وبلي كما رسمت في الملكية و «ت» Poley ، هو الاسم القديم لبلدة «أجيلار» Aguilar الحديثة . وموقعة بلاي شهيرة في تاريخ الأندلس ، وهي الموقعة التي هزم فيها الأمير عبد الله صاحب الأندلس قوات الثائر ابن حفصون سنة ٢٨٧ هـ (٨٩١ م) .

(٥) وردت في «ك» وسعته . وفي «ج» وسحته . وفي «ت» والملكية وبسحته . وكلها تحريف لاسم بلدة شيجة أو أشيجة ، وهي بلدة Espejo الحديثة ، القريبة من غرناطة .

(٦) فحص الريسول أو أرنسول ، موضع يقع جنوب غرناطة . ويذكره ابن الأثير على أنه حصن لا فحص (ج ١٢ ص ٢٢٤) ويعرف حديثاً باسم Aranzuel .

(٧) هكذا في «ت» . وفي المخطوطين والملكية : المسلون . وهو تحريف ظاهر .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» مودة ، والملكية هدة ، والمعنى متقارب .

(٩) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» والملكية ، الشارات ، البشارة . والشارات أو

البشارات هي الحضاب والمرتفعات ، وهي تحريف لكلمة Sierras الإسبانية أي الجبال .

الجهة ، إنه اجتاز بوادي شلوبانية^(١) المَطْلُ الحافَات ، والسُحَصْن^(٢) المجاز ، وقال بلغته : أَيْ قَوْبِرِ هَذَا لَوْ أَلْقَيْنَا مِنْ يَصْبُ عَلَيْنَا التراب ؛ ثم عرَّجَ يَمْنَةً حتى انتهى إلى بَلَش^(٣) ، وأنشأ بها جَفْنًا^(٤) صغيراً ، يصيد له حوتاً ، أكل منه كأنه نَذْرٌ كان عليه ، وفقى به ، أو حديثٌ أراد أن يُخَلِّدَ عنه . ثم عاد إلى غرناطة ، فاضطرب بها محلته بقرية ذُكِرَ^(٥) ، على ثلاثة فراسخ منها قبيلة ، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية همدان^(٦) ، وبرز بالكتب جاعرِ سَطَّة^(٧) من المدينة ، وكان بينه وبين عساكر المسلمين الواقعة عظيمة ؛ ولأهل غرناطة بهذا الموضوع جدان ينظرونه من القضايا المستقبلية .

قال ابن الصيرفي : وقد ذُكر في بعض كتب الجفر : « هذا الفحص ، بخراب يجي^(٨) عن يتامى وأيامي » وكان هذا اليوم مُعَرَّضًا لذلك ، فوقى الله ؛ وانتقل بعد

(١) وادي شلوبانية أو شلوبينية ، هو البسيط الذي تقع فيه بلدة شلوبانية ، وهي من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبي ولاية غرناطة على البحر المتوسط . وهي تقع جنوبي غربي مدينة مورتيل وشرق المنكب . وتسمى اليوم بالإسبانية Salobrena

(٢) هكذا وردت في «ت» . وفي المخطوطين : المتحصر . والأول أرجح .

(٣) هي مدينة بلش مالقة Velez Malaga ، وهي تقع شرقي ثغر مالقة وعلى مقربة منها .

(٤) أي مركبا وتستعمل هذه الكلمة بكثرة في التواريخ الأندلسية للتعبير عن السفن وبخاصة

السفن الحربية .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» «دلوا» . وربما كانت هذه قرية Dilar الحديثة الواقعة

جنوب غرناطة .

(٦) قرية همدان هي بلدة Alhendin الحديثة ، وهي تقع على مسافة قريبة من جنوبي

غرناطة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي الملكية (جاغرسطة) . وهي إما أن تكون

« وجاء عرسطة » ، وإما أن يكون جاعرسطة الاسم الأول لأحد رعماء النصاري المعاهدين . وهو

يتفق مع الإسبانية Inigo Arista

(٨) وردت هاتان الكلمتان في «ت» بخراب يجي . وفي «ج» ، بحرت سحي . ومكانها

يباض في «ك» . والتصويب من الملكية .

يومين إلى المَرَج^(١) مُضِيْقًا عليه والخليل تهرجه^(٢) ، فنزل بعين أطسة ، والجيش مُحَدَقَةٌ به ، وهو في نهاية من كمال التعبية ، وأخذ الخنزير، بحيث لا تُصاب فيه فرصة ؛ ثم تحرك على البراجلات ، إلى اللقون^(٣) ، إلى وادي آش ، وقد أصيب كثيرٌ من حاميته ؛ وطوى المراحل إلى الشرق ؛ فاجتاز إلى مُرسية ، إلى جوف شاطبية ، والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله ، والتناوش يتخَلَّرُ به^(٤) ، والوباء يسرع إليه ، حتى لحق بلاده ، وهو ينظر إلى قفاه ، مُخْتَرَمًا ، مَقُولًا من غير حرب ، يكاد الموت يستأصل محلته وجملته

ولما بان للمسلمين من مكيمة جيرانهم المُعاهدين ، ما أُجِلَّت عنه هذه القضية ، أخذهم الإرجاف ، ووعرت لهم الصدور . [ووجه إلى مكانهم الحزم]^(٥) ووجه القاضي أبو الوليد بن رُشد^(٦) الأجر ، وتجمشم الجاز ، ولحق بالأمير [علي بن]^(٧) يوسف بن تاشفين بمراكش ، فبين له أمر الأندلس ،

(١) وردت في المخطوطات الثلاث : «الفرج» . وقد رجحنا «المرج» La Vega

(٢) وردت في «ج» بجرهيه . وفي «ك» نحوجه . وفي «ت» ، تهرجه . والتصويب من الملكية .

(٣) وفي الملكية «اللقون» . ولم نثر على مواضع هذه الأماكن في الخرائط الحديثة ولا على مقابلها الإسبانية ، والظاهر أنها دثرت .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «ت» يتخطفه ، والمعنى واحد .

(٥) بعد هذه العبارة التي ينفرد بإيرادها ج ، ورد ما يأتي « فاحتسب الإرجاف ووعزت لهم الصدور» . وهو تكرار غير وارد أيضاً في باقي المخطوطات .

(٦) أبو الوليد بن رشد هذا هو جد الفيلسوف الشهير ابن رشد . والإسبان متشابهان ، وكلاهما يكنى أبا الوليد . وقد ولد الفيلسوف في حياة جده المشار إليه سنة ٥٢٠ هـ ، أعني في نفس السنة التي وقعت فيها غزوة النصارى لمرج غرناطة ، وعبر فيه الجدل إلى مراكش .

(٧) أضفنا هذه الزيادة لأنها لازمة لصحة الوقائع والسياق ، وبدونها نكون إزاء خطأ تاريخي واضح . لأن يوسف بن تاشفين توفي منذ سنة ٥٥٠ هـ ، وخلفه في الحكم ولده علي بن يوسف ابن تاشفين الذي حكم من سنة ٥٥٠ إلى سنة ٥٣٧ هـ ، وهو الذي أمر بتغريب النصارى المُعاهدين بناء على فتوى ابن رشد المذكور ، وخلصتها أن النصارى المُعاهدين قد نقضوا العهد ، وأخلوا بها ، فسقطت عنهم الحماية الممنوحة لهم ، وحق عليهم العقاب (راجع الحلل الموشية ص ٧٠ و ٧١ وكتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول (ص ١١٣ و ١١٤) . وراجع أيضاً : Simonet : Historia de los Mozarabes p. 790

وما مُتيت^(١) به من مُهادِها ، وما جَنّوه عليها ، من استدعاء الرُّوم ، وما في ذلك من كَفْضِ العَهْدِ ، والخروج عن الذِّمة ، وأقْبَى بتَغْرِيبِهِمْ ، وإجْلَاسِهِمْ عن أوطانهم وهو أخفُّ ما يؤخذ به من عقابِهِمْ ؛ وأخذ بقوله ، ونَفَّذَ بِذَلِكَ عَهْدَهُ ، وأزْعَجَ^(٢) منهم إلى بَرِّ المُدَوِّة ، في رمضان من العام المذكور ، عددُ جمٍّ ، أنكرتهم الأهواء ، وأكلتهم الطارق ، وتفرَّقوا شَدْرَ مَذَرٍ ، وأصاب كثير من الجلاء جمعهم^(٣) من اليهود ؛ وتفاعدت بها منهم طائفة ، هَبَّتْ لها بمِمالأة بعض الدول رِيحٌ ، فأثروا وأكثروا إلى عام تسعة وخمسين وخمسمائة ، ووقعت فيهم وقيةٌ احتشَّتْهم ، إلا صابئة^(٤) لهذا العهد قليلة ، قديمة المَذَلَّةُ ، وحالفت الصُّغار^(٥) .
 جعل الله العاقبة لأولياءه .

(١) وردت في المخطوطين : بنيت . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) في «ج» وأعجز ، وفي الملكية واججز . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي الملكية .

(٤) أي أقلية محدودة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» الصغار .

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم
التي تزلتها العرب بخارج غرناطة ، وما يتصل بها من العمالة

فصل

فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات

قال المؤلف رحمه الله : وَيَحِفُّ بِسُورٍ^(١) هذه المدينة المَعْتَصُومَة بِدِفَاعِ اللَّهِ تَعَالَى ،
الْبَسَاتِينُ العَرِيضَةُ الْمُسْتَخْلَصَة ، وَالْأَذْوَاخُ الْمُلتَفَّة ، فيصير سورها من خَلْفِ
ذَلِكَ كَأَنَّهُ مِنْ دُونَ سِيَاجِ كَثِيفَةٍ ، تَلُوحُ نِجْمُ الشَّرَفَاتِ أَثْنَاءَ^(٢) خَضْرَايِهِ
وَلِذَلِكَ مَا قَلَّتْ فِيهِ فِي بَعْضِ الْأَغْرَاضِ :

بَلَدٌ يَحِفُّ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ
وَكَأَنَّهَا وَاوَدِيهِ بِمِعْصَمٍ غَادِقٍ وَمِنَ الْجُسُورِ الْمُتَحَكِّمَاتِ سِوَارُهُ
فَلَيْسَ تُعْرَى عَنْ جَنَابَاتِهِ مِنَ الْكُرُومِ وَالْجَنَّاتِ جِهَةً ، إِلَّا مَا لَاعِبَةٌ بِهِ بِمَقْدَارِ
غُلُوبَةٍ ، أَمَا مَا حَازَهُ السُّفْلُ مِنْ جَوْفِهِ^(٣) ، فَهِيَ عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، مَتْنَاهِيَةُ الْقِيَمِ ، يَضِيقُ
جَدُّهُ^(٤) مِنْ^(٥) عِدَا أَهْلِ الْمُلْكِ ، عَنْ الْوَفَاءِ بِأَيْمَانِهَا ، مِنْهَا مَا يُغْلِقُ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ نَحْوَ^(٦)
الْأَلْفِ مِنَ الذَّهَبِ ، قَدْ غُصَّتِ الدَّكَائِنُ بِالْخَضِرِ النَّاعِمَةِ ، وَالْفَوَاكِهُ الطَّيِّبَةِ ،

(١) وردت في المخطوطين : سور .

(٢) وردت فقط في «ت» ، وأغفلت في المخطوطين .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» حومين .

(٤) هكذا في «ك» و «ت» . وفي «ج» جوه .

(٥) هكذا في «ج» وفي الملكية (ما) .

(٦) هكذا وردت في «ت» . وفي المخطوطين «نكبر» .

والثمر المُدخّرة ، يختصُّ منها بمُستخلص السلطان^(١) ، المرورُ طوقاً على ترائب بلده ما يئمن منية^(٢) ؛ منها الجَنَّة^(٣) المعروفة بفدّان المَيْسَة ، والجنة المعروفة بفدان عِصام ، والجنة المعروفة بالمعروى^(٤) ، والجنة المنسوبة إلى قدّاح بن سُحنون ، والجنة المنسوبة لابن المؤذّن ، والجنة المنسوبة لابن كامل ، وجنة النَّخلة العليا ، وجنة النَّخلة السفلى ، وجنة ابن عمّران ، والجنة التي إلى نافع ، والجُرف الذي يُنسب إلى مُقبيل ، وجنة العَرَض ، [وجنة الحفرة]^(٥) ، وجنة الجُرف ، ومدَرَج نَجْد ، ومدَرَج السَّبِيكة^(٦) ، وجنة العَرِيف^(٧) : كلها لا نظير لها في الحسن والدِّمَانة^(٨) والربيع ، وطيب التربة ، وغرقد^(٩) السُّقيا ، والتيفاف الأشجار ، واستجادة الأجناس ، إلى ما يجاورها ويتخللها ، مما يختص بالأجاس الموقفة ، والجنّات التمتلّكة ، وما يتصل بها بوادى سنجيل^(١٠) ما يقيد^(١١) الطُرف ، ويُعجز الوصف ، قدّمث منها على الأنهار المتدافعة العُباب ، المنارة والقِباب ،

(١) مستخلص السلطان يراد به الأملاك السلطانية الخاصة التي يرجع ريعها إلى خزائنه الخاصة .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين :

(٣) الجنة هنا بمعنى الحديقة أو البستان ، وهو اصطلاح ذائع في اللغة الفرناطية .

(٤) هكذا في «ك» وفي «ت» بالمعروى . وفي «ج» يياض .

(٥) ما بين الحاضرَيْن ساطع في «ج» والملكية ، وورد في «ك» .

(٦) السبيكة هو الاسم الذي كان يطلق على البسيط الأخضر الشاسع الواقع جنوب شرق الحمراء . وقد شقت اليوم فيها الطرق الشاسعة المظلة بالأشجار الباسقة . ومنها الطريق المؤدى إلى باب الشريعة باب الحمراء الرئيسي .

(٧) جنة العريف كانت تقع في شمال شرق الحمراء في أسفل الربوة التي يقوم عليها اليوم

قصر جنة العريف (المسمى بالإسبانية Generalife)

(٨) هكذا وردت في «ج» ، . وفي «ك» الدمانة . وفي «ت» الدمانة . والدمانة أى الحصوبة .

(٩) الفرقد هو الشجر الفسخم . والمقصود هنا وفرة المياه .

(١٠) وردت في المخطوطين هكذا : «سحل» وهو تحريف . والمقصود هو «سنجيل» . وهو

اسم آخر لنهر شنيل الذي تقع عليه غرناطة ، وسيجربى التعريف به .

(١١) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» يعيد .

واختصت من أشجار العاريات ذات العصير الثاني بهذا الصقع^(١) ، ما قهرت عنه الأقطار . وهذا الوادي من محاسن هذه الحضرة ، ماؤه رقيق من ذوب الثلج ، ومجاجة الجليد^(٢) ، وممره على حصي جوهري ، بالنبات والظلال محفوفة ، يأتي من قبلة علام البلد إلى غربه ، فيمر بين القصور النجدية ، ذوات المناصب الرفيعة ، والأعلام المائلة .

ولأهل الحضرة بهذه الجنات كلف ، ولدوى البطالة فوق نهره أريك من دمّ الرمل ، وحجال من ملتفّ الدّوح ، وكان بها سطر من شجر الخور ؛ تنسب إلى مامل ، أحد خدام الدولة البادية^(٣) ، أدركنا المكان ، يُعرف بها .

قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان :

أحنُّ إلى غرناطة كلما هفت	نسيم الصبا تهدي الجوى وتشوق
سقى الله من غرناطة كل مهمل	بمنهل سحب ماوهن هريق
ديار يسور ^(٤) الحسن بين خيامها	وأرض لها قلب الشجى مشوق
أغرناطة العلي بالله خبري	ألهائم الباكي إليك طريق
وما شاقني إلا نضارة منظر	وبهجة وادٍ للعين تروق
تأمل إذا أمّلت حوز مؤمل	ومد من الحمر عليك شقيق
وأعلام نجد والسبيكة قد عكت	وللشفق الأعلى تلوح بروق

(١) وردت في المخطوطين : «السقم» وهو تحريف أو رسم مغربي لكلمة «الصقم» .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» الجليل .

(٣) أو مؤمل نسبة إلى باديس بن حبوس الصنهاجي الملقب بالمظفر . وقد حكم غرناطة

وأحوازها عقب الفتنة البربرية من ٤٢٨ - ٤٦٧ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

(٤) وردت في المخطوطين : ديور .

وقد سلَّ شَنْبِيلٌ^(١) فِرْنَدًا مُهْتَدًا نَضَى فَوْقَ دُرٍّ ذُرٍّ فِيهِ عَقِيقُ
 إِذَا نَمَّ مِنْهُ طَيْبٌ نَشْرُ أَرَاكِهِ أَرَاكٌ فَتَيْتُ الْمِسْكَ وَهُوَ فَيْتِيقُ
 وَمَهْمَا بَكَى جَفْنُ الْغَمَامِ تَبَسَّمَتْ ثَعُورُ أَقَاحِ الرَّيَاضِ^(٢) أَنْيَقُ

ولقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادى ، وتغالت الغالات فيه ، فى تفضيله على النيل بزيادة الشين ، وهو ألفٌ من العدد ، فكأنه نيلٌ بألفٍ ضعيفٍ ، على عادة متناهى^(٣) الخيال الشعرى ، فى مثل ذلك .

ولقد ألغزتُ فيه لشيخنا أبى الحسن بن الجيَّاب^(٤) ، رحمه الله ، وقد نظم فى المعنى المذكور ما عظم له استطرابه وهو :

ما اسمٌ إذا زدته ألفاً من المدد أفادَ معناه لم ينقص ولم يزد
 وإنما اتلفنا^(٥) من بعد ما اختلفاً معنى بشينٍ ومن نزرٍ ومن بلدٍ
 ثم يتصل بالحسن العادى البديع ، وهو على قسمين ، تخمسٌ من مُحْكَمِ الكمان
 [فى نهاية الإبداع والإحكام يتصل به بناءً قديمٌ مُحْكَمٌ ، ويستقبل المَلْعَبَ]^(٦) ،

(١) شنبيل ، وبالإسبانية Xenil و Genil ، وهو النهر الذى تقع عليه غرناطة . ويسمى أيضاً عند الأندلسيين بنهر سنجيل ، مشتقاً من اسمه اللاتينى Singilis . وشنيل هو أحد فروع نهر الوادى الكبير . وقد كانت ضفافه أيام الدولة الإسلامية غاصة بالحدائق الغناء . ولكنه اليوم يغلب عليه الجفاف ، وقد عفت الحضرة عن شاطئيه . وقد رأيناه غير مرة ، وقد كاد قاعه يخلو من الماء .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (فى الرياض)

(٣) وردت فى المخطوطين : «متناهى» . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هو الرئيس ذو الوزارتين أبو الحسن على بن الجيَّاب من أقطاب الشعر والكتابة (٦٧٣ -

٧٤٩ هـ) . وكان ابن الخطيب من تلامذته ومعاونيه فى ديوان الإنشاء . وترجم له ابن الخطيب فيما بعد ويسيه «شيخنا ورئيسنا الامامة البليغ» . وقد نقل المقرئ ترجمته من الإحاطة ، وأورد له كثيراً من انثر والنظم (نفع الطيب ج ٣ ص ٢٢٦ - ٢٤٥) .

(٥) وردت فى المخطوطين : «استلقى» ، والتصويب من «ت» .

(٦) م بين الحاصرتين وورد فى «ت» والملكية فقط ، وساقط فى المخطوطين .

العِيدِي ، ما بين ذُنَابِي^(١) الجِسر إلى جدار الرّابطة ، وملعب بديع الشكل ، عن
 يمينه جناحٌ بديع ، عن ميدانه عُدْوَات النهر ، وعن يساره الْجَنَّات^(٢) ، وَيُنْفِضُ
 بعد انتهائه إلى الرّابطة ، إلى باب القصر المنسوب إلى السيّد^(٣) ، وسيأتي ذكره ؛
 ويرتفع من هذا النهر الزُّهْلَالُ جداولٌ ، تدور بها أعداد من الأرحى^(٤) لا نظير
 لها استعداداً وإفادة .

(١) وردت في المخطوطين : ذُنَابِي . وأغفلت في « ت » .

(٢) يبدو من هذه الأوصاف المضطربة نوعاً أنه يقصد بالوصف البقعة الواقعة في جنوب
 شنيل تجاه غرناطة والتي تسمى اليوم أرمليا Armilla (أرملة القديمة) ، والملعب القديم الذي كان بها .
 وهي ما تزال تحتفظ ببقية صغيرة من القصر المشار إليه فيما بعد .

(٣) قصر السبد هو أحد القصور الملكية التي بنيت خارج غرناطة أيام الموحدين . أنشأه
 « السيد » أبو إسحق بن يوسف الموحدي والى غرناطة سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) . وفي أيام ملوك
 بني نصر كان يستعمل قصرًا للضيافة . وقد بقيت منه إلى اليوم بقية صغيرة تتكون من عقد مدخل ،
 وهو صغير مربع ذي قبة عالية ، وقد نقشت على جوانبه أدعية مختلفة يتخللها شعار بني نصر
 « ولا غالب إلا الله » . ويعرف اليوم بين الآثار الغرناطية باسم « قصر شنيل » Alcazar Genil وذلك
 لموقعه في بقعة أرمليا الواقعة على ضفة نهر شنيل .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » الأراحة . وهو تحريف .

فصل

وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكروم البديعة، طوقاً مرقوماً، يتصل بما وراءها من الجبال، فتتم الرّبي والوهاد، وتشمل الغور والنّجد، إلا ما اختصّ منها بالسّهل الأفيح^(١)، متصلاً بشرقي باب البيرة^(٢)، إلى الخندق العميق، وهو المسمى « بالمشايخ »، بسيط جليل، وجوّ عريض، تغنى على العدّ أمراجه^(٣) ومصانيعه، تلوح مبانيها، ناجمة بين الثمار والزيتون، وسائر ذوات الفواكه، من اللوز والإجاص والكثري، مُحَدّقة^(٤) من الكروم المسحّحة، والرياحين الملتمة، ببجور طامية تأتي البقعة الماء، فيها كثير من البساتين والرياض، والحصون^(٥)، والأماكن المتصلة السكنى، على القُصُول، وإلى هذه الجهة يشيرُ الفقيه القاضى، أبو القاسم بن أبي العافية، رحمه الله، فى قصيدة، يجيب بهاعروس الشعراء، الأديب الرّحال أبا إسحاق السّاحلى، وكان ممن نبطت عليه بهذا العهد^(٦)، التّمائم :

يانازحاً لعب المَعطى بكوره لعب الرّياح الهُوج بالأملود
ورمت به للعائية القُصوى التى ما وردّها لسواه بالموزودِ
هلا حنّنت إلى معاهدنا التى كنت الحلى لنحرها والبجيدِ

(١) وهو الحصن La Vega الذى سبق التعريف به .

(٢) باب البيرة ما يزال باقياً حتى اليوم . وقد سبق التعريف به .

(٣) هكذا فى المخطوطين وفى « ت » والملكية (أفراجة) .

(٤) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » : عرت .

(٥) فى المخطوطات الثلاث : الرياضة والحصن وهو تعريف .

(٦) وردت فى المخطوطين : المعهد ، والمعهد أراجع .

ورباض أنس بالمشايخ^(١) طارحت فيه الحارث صَوْتٌ سَجَعٌ^(٢) العود
 ومبيئنا فيها وصفو مدايننا صفو العود لابنة العنود
 والعيش أخضر والهوى يدني جني زهرات نقر أو ثمار نود
 والقضب دافلة يمانق بعضها بعضاً إذا اعتنقت غصون قود
 لهفي على ذلك الزمان وطيبه^(٣) وعلى مناه وعيشه المحسود
 تلك الليالي لا ليالي بعدها عطآن إلا من جوى وسود
 كانت قصاراً ثم طأن فيها تأتي على القصور والمدود

وأما ما استند إلى الجبل ، فيتصل به البيازير في سفح الجبل ، المتصل بالكدية
 ابن سعد ، متصلاً بالكدية النبيلة ، المنسوبة لعين الدمع^(٤) ، منقطعة على عين
 القبلة ، متصلة بجبل الفخار^(٥) ، زاوية في غمر الماء المجلوب على ذلك السميت ؛
 أوضاعٌ بديعة ، وبساتين راقية ، وجنات لا نظير لها ، في اعتدال الهواء ، وعذوبة
 الماء ، والإشراف على الأرجاء ، ففيها القصور المحروسة ، والمنارة العمورة ، والدور
 العالية ، والمباني القصبية^(٦) ، والرياحين النضيرة ، تدف في أهل البعالة ، من

(١) هو الاسم الذي كان يطلق على السهل الأخضر المتصل بالفحص كما تقدم في السياق .

(٢) وردت في المخطوطين محرقة : (سم . سيج) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وهي ساقطة في «ك» .

(٤) عين الدمع هي بقعة من ضواحي غرناطة ، كانت أيام المسلمين منزهاً بديعاً ، إذ كانت
 تفص بالمروج والحدائق الفناء . ويبدو من وصف ابن الخطيب أنها كانت قريبة من سفح جبل الفخار .
 واستمرت هذه البقعة بعد سقوط غرناطة أيام الموريسكيين تحتفظ ببقية من سحرها القديم . وكانت
 عندئذ تسمى « عين الدمعة » ويشغل موقعها سطح تلال البيازين التي تغل على المارج . ويطلق عليها اليوم
 بالإسبانية Dinadamar, Aindamar . ومكانها القديم يقع اليوم في دائرة لاكارتوخا La Cartuja
 (راجع Simonet; Descripción, ibid. p. 69)

(٥) هو إحدى شعب جبال سييرا نفادا المشرفة على غرناطة ويسمى اليوم Monte Alfacar

(٦) أعني مثل القصب وهي الحصن ، أو القصر في لغة الخطط الأندلسية .

أولى الحَبْرَة ، الأكياس ، وأرخصوا على النفقة عليها ، غالى النَّشَبُ (١) ، تتنازع (٢) في ذلك غير (٣) الخادمين ، من خدام الدولة على مر الأيام ، حتى أصبحت نادرة الأرض ، والمثل في الحُسْن . ولهذه البقعة ذِكْرٌ يجرى في المنظومات على السنة البُلغَاء من ساكنيها وزوارها ؛ فمن أحسن ما مرَّ من ذلك قول شيخنا أبي البركات (٤) :

ألا قل لعين الدمع يهسى (٥) بمقلتي لفرقة عين الدمع وفقاً على الدم
وذكرته في قصيدة فقلت :

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ للدمع [جاد به] (٦) عساك تعود
تسرى نواصمك اللدان بليلة فيهنزني شوق إليك شديد
وقلت من أبيات تُسكتب في قبة بقصرى الذى اخترعته بها :

إذا كان عين الدمع عيناً حقيقة فإنساها ما نحن فيه ولادع (٧)
فدام لنخيل الأُنس واللهم ملعباً ولا زال مَسْـوَاهُ المُنعم مرتع
تود الثرياً أن تكون له ترى وتمدحه الشعري وتحرسه المِع
وقال صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن قطبة (٨) من قصيدة :

أجل إن عين الدمع قيد النواظر فسرح عيوناً في اجتلاء النواظر
وعرج على الأوزان إن كنت ذا هوى فإن رباه (٩) مرتع للعجاذر

(١) النشَبُ أعنى المال والعقار .

(٢) في المخطوطين : يتنازعوا . وكذا في الملكية .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» ، غين .

(٤) هو أبو البركات بن الحاج البلقي من شيوخ ابن الخطيب . وسوف يترجم له فيما بعد

بإضافة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي الملكية (تهسى)

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (جرت)

(٧) وفي نص «ولا دعوى» . وفي الملكية (دعوى)

(٨) وردت في «ج» (قرطبة) والتصويب من الملكية .

(٩) وردت في «ج» رباه ، وفي «ك» . مرآة . والتصويب من «ت» .

وصافح بها كفَّ البهَّار مُسَلِّمًا وقبَّلَ عِذارَ الأُنسِ بينَ الأَزهَرِ
 وخذها على تلك الأباطيح والرُّبى مُعْتَمَّةٌ تَجُلُو الصِّدَا لِلنَّوَاطِرِ
 مُدَامَةٌ حانَ أُنسا^(١) الدهرُ عُمرَها فلمْ نَخشَ أَحَدَاثَ الدُّهُودِ الدَّوَاثِرِ
 تحدَّثُ عن كسرى وساسان قبيله وتخبِرُ عن كرمٍ يخلدُ دائِرُ

وهي طويلة . وقال أيضاً من قصيدة طويلة :

وليلًا بعين الدمع وصلًا قطعته وأنجمه بين النجوم سُعود
 ترى الحُسنَ منشور اللواء بسره وظلُّ الأمانى فى رُباه مديد
 فبتنا ومن روض الخُدود أزهَرُ لدينا ومن وُرد الرِّياض خُدود
 وتُفأخنا وسط الرِّياض مُورِدُ ورماننا وسط الصدور نُهود
 وقد عرَّفت نصَّ الهوى وذميله تهايمُ من أكبادنا ونجود
 وقال من قصيدة :

وملِّ بنا نحو عين الدمع نثرها حيث الشرور بكاس الأُنس يسقيني
 حيث المنى وفنونُ اللهو راتعة والطيرُ من طربٍ فيها تُناجيني
 وجدولُ الماء يحكى فى أجنته صوآراماً جرُدت فى يوم صيفين
 وأعينُ الزهر فى الأغصان جاحظه كأنها بهوى الغزلان تُقريني^(٢)

ومن ذلك :

سهرت بعين الدمع أرعى ربوعه وحسبى من الأجباب رعى المنازل
 يُنافحني عرفُ إذا هبت الصبا ويقنعني طيفُ الحبيب التراسل

(١) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (أنس) .

(٢) فى مخطوط الخزانة الملكية تنتهى القافية بحرف الألف على النحو الآتى : يقينا ،

تناجينا .. الخ .

والأقاول في ذلك أكثر من أن يُحاط بها كثرة ؛ وما سوى هذه الجهة فقير
 لاحق بهنه الرتبة ، مما معوّله^(١) على محض الفائدة [وصريح العائدة]^(٢) . وتذهب
 هذه الغروس المغروسة قبلة ، ثم يفيض تيارها إلى غرب المدينة ، وقد تركت بها
 الجبال الشاهقة ، والشفوح العريضة ، والبطون الممتدة ، والأغوار الخائفة ، مكللة
 بالأعنان ، غاصة بالأدواح ، متزاحة بالبيوت والأبراج ، بلغ إلى هنا العهد عددها
 في ديوان الخرص^(٣) ، إلى ما يناهز أربعة عشر ألفاً ، نقلت ذلك من خط من
 يُشار إليه في هذه الوظيفة ؛ وقاها الله مَصْرَّة السنين ، ودفع عنها عُبَاب^(٤) القوم
 الظالمين ، وعدوان الكافرين .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» معوضه . والأولى أصلح للسياق .

(٢) هذه العبارة واردة في «ك» . وساقطة في «ج» .

(٣) كان ديوان الخرص فيما يبدو هو الديوان المختص بمصر الأملاك وغلها وتقرير الضرائب

عليها .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» عياب .

فصل

ويحيط بما خلف السور من المني^(١)، والجنات، في سهل المدينة، المقار
الشمين^(٢)، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغلّة، الذي لا يعرف الجمام، ولا يفارق الزرع
من الأرض البيضاء، ينتهي من المرجع منها العلى، إلى خمسة وعشرين ديناراً من
الذهب العين، لهذا العهد فيه مستخلص السلطان^(٣)، ما يضيق عنه نطاق القيمة،
ذرعاً وغبطة وانتظاماً، يرجع إلى دور ناجمة^(٤)، وبروج سامية، وببادر فسيحة،
ومصاب للحمام والدواجن مائة، منها في طوق البلد، وحمى سورها، جملة،
كالدار المنسوبة إلى هذيل، والدار المنسوبة إلى أم مرضى، والدار البيضاء^(٥)،
والدار المنسوبة إلى السنينات، والدار المعروفة بنيلة ووتر، وبالمرج ما يسائر
جربة النهر كقرية وكر وبها حصن خريز^(٦)، وبستان وبشرعيون، والدار المنسوبة
إلى خلف، وعين الأبراج، والحش^(٧) المنسوب إلى الصحاب، وقرية رومة وبها
حصن وبستان، والدار المنسوبة إلى العطشى، وبها حصن، والدار المنسوبة لابن
جزى، والحش المنسوب لأبي علي، وقرية ناجرة، ومنها فضل بن مسلمة الحسني،
وبها حصن، وحوله^(٨) ربض، فيه من الناس أمة، وقرية سنيانة وفيها حصن،
وقرية أشكر، وقرية بيش وواط، وبهما حصنان، وقرية واط عبد الملك بن
حبيب. وفي هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث

(١) هكذا في «ج». وفي «الملكية». وهو جمع منية.

(٢) في «ك» و «ج» الثمن.

(٣) سبق التعريف به. أنظر الحاشية في ص ١١٦

(٤) وردت في المخطوطين : ناجمة.

(٥) الدار البيضاء مكانها اليوم في غرناطة الحى المسمى Cuarto real de San Domingo

(٦) هكذا في «ج». وفي الملكية (جرين).

(٧) الحش بالفتح وبالضم معناه البستان. وجمه حشان.

(٨) هكذا وردت في «ج». وفي «ك». وحوطه.

لآثار الأرض ، وعلاج الفلاحة ؛ وفي كثير منها الأرحى والمساجد^(١) . وما سوى هذه من القرى ، المُستخلصُ من فَضْلة الإقطاع ، وقَصرت به الشهرة عن هذا النمط ، فكثيرٌ .

ويتخلل هذا المتاع الغبيط^(٢) الذى هو لباب الفلاحة ؛ وغير هذه المدرة^(٣) الطيبة ؛ سائر القرى التى بأيدي الرعية ، مجاورة لهذه الحدود ، وبنات لهذه الأمهات . منها ما انبسط وتمدد ، فاشترك فيه الألوف من الخلق ، وتعددت منه الأشكال ؛ ونحن نوقع الإسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتعدد . ومنها ما انفردت بمالكٍ واثنين فصاعداً ، وهو قليل ؛ وتنيف أسماؤها على ثلاث مائة قرية ما عدا ما يجاور الحضرة من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدودُ الحصون المجاورة *

فمن ذلك حوز الساعدين^(٤) وفيه القرى ؛ وحوز وتر^(٥) ومنها إبراهيم بن زيد

(١) وردت في المخطوطين محرقة : (الأرجل ، الأرحل والمساجد) .

(٢) الغبيط . أى اللى يغبط ويتمنى مثله .

(٣) المدر هو الطين وهو جمع مدرة ، والمدرة أيضاً بمعنى القرية .

* يورد ابن الخطيب فيما يلى أسماء نحو مائة وأربعين قرية ومحلة من قرى ولاية غرناطة القديمة . منها ما هو قريب من الحضرة أى غرناطة ، ومنها ما هو بعيد عنها أو واقع حولها . ولما كان كثير من هذه القرى والأماكن الأندلسية القديمة ما يزال قائماً حتى اليوم ، بعد أن استحالت إلى قرى إسبانية فصرانية ، واستحالت أسماؤها إلى أسماء أوربية ، ولما كان من المفيد لدراسة التاريخ الأندلسى والجغرافية الأندلسية أن نقف على الأسماء الإسبانية الحديثة لما بقى منها ، وأن نعرف فى نفس الوقت ما دثر منها ؛ لذلك رأيت أن أتولى مهمة التعريف بها وبأسمائها ، وأن أتقصى مواقعها على الخرائط الخاصة . وقد وفقت بعد جهد شاق إلى التعريف بكثير منها ، وتعيين مواطنها . وسنذكرها تباعاً فيما يلى كلا منها تحت رقمه وفق الترقيب الذى أوردها به ابن الخطيب ، مع ذكر مواقعها وأسمائها الإسبانية ؛ مع العلم بأن كثيراً منها قد دثر اليوم . وهذه تركناها دون ترقيم .

(٤) هو اليوم المكان المسمى El Zaidin وهو يقع فى جنوب غرناطة بجوار قرية Huctor

المذكورة بعد .

(٥) هى القرية المبنية Huctor de le Vega وهى ضاحية فى جنوب شرقى غرناطة .

المحاربي ؛ وقرية قُلْجَار^(١) ؛ وقرية يَجْرُ الشَّامِيِّينَ ، وقرية يَجْرُ البَلَدِيِّينَ^(٢) ؛
 وقرية قَسْتَالَة^(٣) ، ومنها قاسم بن إمام من أصحاب سُخُونِ ، ونزل بها جده عطية بن
 خالد المحاربي ؛ وقرية أُجْجَر^(٤) ؛ وقرية أُرْمِلَة الكبري ؛ وقرية أُرْمِلَة الصغرى^(٥) ؛
 وقرية رِقَاق وَهْمَدَان^(٦) ، منها الغريب بن يزيد الشُّمْرَجَدُ بنى أضحى ؛ وقرية
 الغَيْضُونِ ؛ وقرية لَسَّانَة^(٧) ؛ وحرارة الجامع ، وحرارة الفِراق ؛ وقرية غُرْلِيَانَة ؛
 وَحُشُّ البُكْر^(٨) ؛ وغدير الصغرى وغدير الكبرى ، من إقليم البَلَاط ، منها
 يُرْبُوع بن عبد الجليل ، ونزل بها جده يربوع بن عبد الملك بن حبيب ؛ وقرية
 قَوْل^(٩) ؛ وقرية جُرْلِيَانَة^(١٠) ؛ وقرية حارة عمروس^(١١) ؛ وَحُشُّ الطَّلْم^(١٢) ؛

- (١) هي قرية Cojar الواقعة جنوب غرناطة في الضفة الأخرى لنهر شنيل .
 (٢) أحد الإسمين ينطبق اليوم على ضاحية Yajar الواقعة في نهاية « الزاوية » La Zubia على
 مقربة من غرناطة .
 (٣) هي قرية Gastella القديمة وقد دثرت اليوم .
 (٤) أحجر إذا كانت بالحاء فالمرجح أنها Hijar الحديثة وهي تطلق اليوم على قرية تقع بجوار
 قِبلر Cullar Vega الآتي ذكرها . وإذا كانت أججر أو أجيجر وهو ما نرجحه فإنها تكون Ugjar
 الحديثة وهي تقع جنوبي شرقي الولاية ، وجنوب وادي آش .
 (٥) هاتان القريتان تجتمعان اليوم تحت اسم واحد هو Armilla (أرمليا) وهي ضاحية غرناطة
 على ضفة شنيل الجنوبية ، وبها بقية قصر السيد المشهور باسم قصر شنيل Alcazar Genil
 (٦) رقاق وهمدان هما اليوم قرية Alhendin الواقعة جنوب شرقي أرمليا .
 (٧) لسانة ربما كانت هي اللسانة المشهورة في حروب غرناطة الأخيرة . وهي اليوم Lucena
 الحديثة وهي تقع في نهاية الولاية شمال غربي لوشة . وقد تكون قرية صغيرة أخرى على مقربة من
 غرناطة .
 (٨) حش البكر ربما كان موضعه اليوم القرية المسماة Bucor ، وهي شمال غربي غرناطة على
 مقربة من قريسانة الآتي ذكرها .
 (٩) وقرية قولر هي اليوم Cullar Vega الواقعة في جنوب غربي غرناطة .
 (١٠) وجرليانة هي Churriana de la Vega الواقعة أيضاً في جنوب غربي غرناطة وجنوب
 شرقي سانتافييه .
 (١١) وحرارة عمروس هي اليوم قرية Ambrox وهي تقع بجوار جرليانة .
 (١٢) وحش الطلم مكانه اليوم قرية Macharatalan الواقعة في مرجح غرناطة على ضفة
 شنيل حى S qano في غرناطة .

وقرية المطار ؛ وقرية الصرْمُورَة^(١) ؛ وقرية بِلِسَانَة^(٢) ؛ وقرية الْحَبْشَان ؛
 وقرية الشوش^(٣) ؛ وقرية عَرْتَقَة ؛ وقرية جيجانة^(٤) ؛ وقرية السَّيْجَة ؛ وَقَنْب
 قَيْس^(٥) ؛ وقرية بَرْدَنَار^(٦) ؛ وقرية دوير تارش ؛ وقرية آقَلَة^(٧) ؛ وقرية
 أَحْجَر^(٨) ؛ وقرية تَجْرَجْر^(٩) ؛ وقرية وَا لَة ؛ وقرية أَنْقَر ؛ وقرية الْغُرُوم^(١٠) ؛
 وقرية دار وهدان ؛ وقرية بيرة^(١١) ؛ وقرية الْقَصِيْبَة ؛ وقرية أَنْطَس ؛ وقرية
 فَنْتِيْلَان^(١٢) ، وقرية سنبودة ؛ وحُسْ زَنْجِيْل ؛ وقرية أَشْتَر ؛ وقرية غَسَّان^(١٣) ، منها
 مطر بن عيسى بن الليث ؛ وقرية شوذر^(١٤) ؛ وقرية سُنْتَشَر^(١٥) ؛ وقرية ابن ناطح ؛

-
- (١) قرية الصرمورقة هي Sierra Murada وموقعها في شمال غربي غرناطة .
 (٢) قرية بلسانة (وقد رسمت بايسانة خطأ في المخطوطين) هي Belicena الحديثة الواقعة غربي
 غرناطة بجوار سانتافييه .
 (٣) وقرية الشوش هي اليوم على ما يرجح قرية El Jau الحديثة الواقعة في المرج قرب سانتافييه
 (٤) وقرية جيجانة هي Chauchina الحديثة ، وهي تقع شمال غربي سانتافييه .
 (٥) وقنب قيس هي Cambea
 (٦) وقرية بردنار (وقد رسمت بحرفة ، بردنام في «ك») هي Beznar الحديثة وهي تقع جنوبي
 غرناطة على بعد نحو خمسين كيلومتراً منها .
 (٧) وآئلة هي Acula
 (٨) وأحجر هي في اعتقاد البعض تحريف لكلمة «الحجر» وهي اليوم قرية Lachar الحديثة
 الواقعة بين تجرجر والمقولة .
 (٩) وقرية تجرجر هي اليوم Tajarija ، وهي محلة صغيرة تقع في غربي غرناطة في
 منتصف الطريق بينها وبين لوشة .
 (١٠) وقرية الغروم هي Agron الحديثة ، وهي تقع على نحو أربعين كيلومتراً من جنوب
 غربي غرناطة على مقربة من الحامة .
 (١١) وقرية بيرة هي Baira الحديثة .
 (١٢) وقرية فنتيلان هي إما Fontanar أو Fuentallana الحديثة .
 (١٣) وغسان هي اليوم قرية Cacin الحديثة ، وهي تقع في نهاية المرج في سفح جبل الحامة
 (١٤) وشوذر هي Jodar الحديثة ، وهي غير بلدة شوذر التي تقع شمال غرناطة ، وهي من
 أعمال ولاية جيان .
 (١٥) وسنتشر ربما كانت بلدة Conchar الواقعة جنوب غرناطة .

وقرية للملاحة^(١)، ومنها محمد بن عبد الواحد الغافقي أبو القاسم الملاحى؛ وقرية القُمُور،
 منها أصبَح بن مِرْف بن مِرْف؛ وقرية نفجر وقرية نطيلة^(٢)؛ وقرية بيرة وبها مسجد قراة ابن
 حبيب؛ وقرية قُولَجَر^(٣)، منها سهل بن مالك؛ وقرية شور^(٤)، منها محمد بن
 هانىء الأزدي الشاعر المُفاق، ومحمد بن سهل جدُّ هذا البيت، بنى سهل بن مالك؛
 وقرية بُلَيانة^(٥)؛ وقرية برقلش^(٦)؛ وقرية ضُوجر^(٧)؛ وقرية البُلُوط^(٨)؛ وقرية
 أُنْتَيانة^(٩)؛ وقرية مُرسانة^(١٠)؛ وقرية الدُّوير؛ وقرية السَّلان؛ وقرية
 طِفْنَر^(١١)، منها الطُّغْنَرى صاحب الفلاحة؛ وقرية حُش الدجاج؛ وقرية حُش
 فوح؛ وقرية حُش خليفة؛ وحُش الكُوبانى^(١٢)؛ وحُش المعيشة؛ وحُش السلسلة؛

(١) والملاحة هي قرية La Mala الحديثة . وهي واقعة جنوب غرناطة على مقربة من همدان

Alhendin

(٢) وقرية نفجر وقرية نطيلة هي اليوم Naujar Grandilla وربما كانت هي غولجر الآتية الذكر

(٣) وقولجر هي قرية Gojar الواقعة جنوب غرناطة على مقربة من ضاحية أرمليا .

(٤) وقرية شور وقد تكون أيضاً شون ، هي اليوم بلدة Jun الواقعة شمال غرناطة ومن

ضواحيها . ويسميا آسين بلايوس « جند » .

(٥) وبليانة هي اليوم كاسمها القديم Pulianas ، وتقع بجوار قرية شور على مقربة من

غرناطة .

(٦) وبرقلش هي اليوم قرية Peligros الواقعة بجوار بليانة المتقدمة . وقد وردت بحرفه في

الملكية (برقلش) .

(٧) هكذا في «ج» . وفي الملكية (فوجر) .

(٨) وقرية البلوط هي اليوم Albolote الواقعة قبالة بليانة وبرقلش ، على مقربة من

غرناطة .

(٩) وقرية أنتيانة ربما كانت Fontanar الحديثة .

(١٠) ومرسانة هي قرية Maracena الحديثة الواقعة شمال غربي غرناطة ومن ضواحيها .

(١١) وقرية طفنر Tignar (وقد وردت بحرفه في المخطوطين ، طمن) كان موقعها شمال

غربي غرناطة على مقربة من البيرة ؛ ولعلها دثرت إذ لم نجد موقعها بالخرائط .

(١٢) في الأسماء الثلاثة الأخيرة وردت كلمة «حش» قبل كل منها في المخطوطين . ولكننا

نرجح أنها «حش» جرياً على ما تقدم .

وقرية الطرف^(١) ؛ وقرية إلبيرة^(٢) ؛ وقرية الشكرُوجة^(٣) ومنها عيسى بن محمد بن أبي زَمَيْنين ؛ وعين الحُورَة ؛ وحُش البُومل ؛ وقرية بلومال^(٤) ؛ وقرية رق المَخِيض ؛ وقرية الغِيضُون الحُورَة ؛ وقرية أشقُدامر ؛ وقرية اللِّهُوس الكبرى ؛ وقرية اللِّهُوس الصغرى^(٥) ؛ وقرية دار الغازى ؛ وقرية سُويدة ؛ وحُش نَهْرِبيرة ؛ وقرية الرُّشكن ؛ وقرية أَلَمَنْت^(٦) ، ومنها صَخْر بن أبان ؛ وقرية الكُنْدِيَّة^(٧) ؛ وقرية لاقِش^(٨) ؛ وقرية قَرْبَسَانَة^(٩) وقرية بُرْسَانَة برياط ؛ وقرية الوالْجَة ؛ وقرية ماس ؛ وحُش على ؛ وحُش بنى الرُّسَيْلِيَّة ؛ وحُش رَقِيْب ؛ وحش البَلُوطَة ؛ وحش الرُّوَّاس ؛ وحُش مَرزُوق ؛ وقرية قُبَالَة^(١٠) ؛ [وقرية نِبَالَة]^(١١) ، وقرية المَعِيرَان^(١٢) ؛ وبرج هلال^(١٣) ؛ وقرية قَلْبَيْش^(١٤) وقرية القنار^(١٥) ؛ وقرية أَرْبَل ؛

- (١) وقرية الطرف تحمل اليوم نفس اسمها القديم Atarfe وتقع على مقربة من مرسانة المتقدمة الذكر .
- (٢) وقرية إلبيرة هى اليوم بلدة Elvira وتقع على مقربة من الطرف ، وهى مثلها من حدواشى طرناطة وهى غير إلبيرة القديمة .
- (٣) وقرية الشكرُوجة هى اليوم Asquerosa الحديثة .
- (٤) وبلومال هى اليوم قرية El Palomar الواقعة جنوب ولاية غرناطة بقرب مدينة Albonol قرب شاطىء البحر المتوسط .
- (٥) والديموس الكبرى والديموس الصغرى ، هما اليوم بلدة واحدة تحمل اسم Adamuz أو Adamucejo وتقع على مقربة من غرناطة .
- (٦) وألمنت هى Dulfontes الحديثة ، وهى تقع شمالى غرناطة على نحو عشرين كيلومترا منها .
- (٧) وقرية الكدية هى Alcudia الواقعة جنوب شرق وادى آش .
- (٨) لاقش هى اليوم الحى الذرناطى المسى La Cruz de Lagos ، وهو فى ضاحية غرناطة يبعد عنها نحو كيلومتر ونصف .
- (٩) وقرية قَرْبَسَانَة (وقد وردت محرفة فى «ج» ، قرسانة) هى اليوم بلدة Caparacena الحديثة ، وتقع غربى غرناطة على فرع نهر شنبيل .
- (١٠) وقرية قبالة هى Cubillas الحديثة .
- (١١) هذا الاسم وارد فى «ج» . وفى الملكية .
- (١٢) هكذا فى «ج» . وفى الملكية (المبران) .
- (١٣) وبرج هلال هى اليوم قرية Purchil الواقعة غربى غرناطة على قيد نحو ثلاثة كيلومترات منها .
- (١٤) وقرية قَلْبَيْش هى Cortes الحديثة . وتقع غربى مدينة وادى آش .
- (١٥) وقرية القنار هى بلدة Canar الحديثة . وتقع شمال مدينة أرحبة بردنار .

وقرية برّبل؛ وقرية قرْباسة^(١)؛ وقرية أشكن؛ وقرية قلنبيرة^(٢)؛ وقرية سَعْدَى؛
 وقرية قَلْقَاجج^(٣)؛ وقرية قَتْن^(٤)؛ وقرية مرنيط؛ وقرية ددشطر؛ وقرية
 شِبَانِس^(٥)؛ وقرية أرناليس^(٦)؛ وقرية وابشر^(٧)؛ وقرية قَقْلُولِش^(٨)؛ وقرية
 النَّبِيل^(٩)؛ وقرية الفخّار^(١٠)؛ وقرية القصر^(١١)، منها محمد بن أحمد بن مرعيّاز
 الهلالى؛ وقرية بشر؛ وقرية بُنوط^(١٢)؛ وقرية كورة؛ وقرية كَصْ؛ وقرية بِيَش^(١٣)
 وقرية كَنْتَر^(١٤)؛ وقرية دور؛ وقرية قَانقَر؛ وقرية غُلجَر^(١٥)، ومنها هشام بن

(١) وى «الملكية» برْباسة . وقرْباسة ربما كانت هى قرْبسانة ، وردت مكررة وقد سبق

ذكرها .

(٢) وقرية قلنبيرة هى بلدة Colomera الحديثة ، وهى تقع فى شمال غرناطة على قيد نحو

ثلاثين كيلومتراً منها ، وعلى مقربه من بلدة موكلين .

(٣) وقرية قَلْقَاجج هى فيما يرجح بلدة Calicasas الحديثة ، وتقع شمال غرناطة ، وشرق

بلدة قرْبسانة .

(٤) وقرية قَتْن ربما كانت Fatinafar الحديثة .

(٥) وشبَانِس هو تحريف لكلمة Sietemanos ومعناها الأيدي السبعة .

(٦) وأرناليس هى Arnales الحديثة .

(٧) وابشر هى وبقالسيمونيت Guejar الحديثة ، وهى واقعة فى شمال شرق غرناطة فى

المجموعة التى منها قَلْقَاجج Calicasas وبرقلش Peligros والفخّار Alfacar . ويرى بلاثيوس أن
 Guejar هى وجار

(٨) وققلولش هى بلدة Gogollos الحديثة ، وهى تقع شمال غرناطة على مقربة من Calicasas

(٩) وقرية النبيل هى بلدة Nivar الحديثة ، وهى تقع شمال غربى غرناطة بين قَقْلُولِش والفخّار .

(١٠) والفخّار هى بلدة Alfacar الحديثة ، وهى تقع شمال شرق غرناطة فى دائرة المجموعة

السابقة ، وقد سميت بذلك لأنها تقع على سفح جبل الفخّار .

(١١) وقرية القصر هى Alcazar ، وهى تقع بعيداً عن غرناطة فى الجنوب الشرقى على مقربة

من أَرْحَبَة Orgiva .

(١٢) وقرية بنوط هى بلدة Pinos Puente أو Fent - Binox الحديثة ، وهى واقعة على

مقربة من قرْبسانة والبلوط .

(١٣) وقرية بيش هى التى تعرف اليوم باسم Beas ، وتقع فى شمال شرقى غرناطة على مقربة

من مجموعة الفخّار وبرقلش .

(١٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «ك» قَتْن . ومقابلها الحديث Quentar

(١٥) وغلجر هى فيما يرجح قلجر Cojar . وهى حسبها تقدم من ضواحي غرناطة الجنوبية .

وتقع على مقربة من ضاحية الزاوية La Zubia الآتية الذكر .

عبد العظيم بن يزيد الخولاني؛ وقرية ذُرْدَر^(١)؛ وقرية ولجر؛ وقرية قنالش؛^(٢)
 وقرية إبتايلس؛ وقرية سحج؛ وقرية منشال^(٣) وقرية الوطّا^(٤)؛ وقرية واني،
 وقرية قُرَيْش، وقرية الزاوية^(٥).

. وقد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أدصار، فيها ما يناهز خمسين خُربة،
 تُنصب فيها لله المنابر، وترُفَع الأيدي، وتتوجه الوجوه.
 وجملة المراجع العلمية^(٦) المرتفعة فيها، في الأزمنة، في العام بتقريب، ومعظمها

-
- (١) وذرذر هي بلدة Dudar الحديثة وتقع شرقي غرناطة على مقربة من قنتر .
 (٢) وقرية قنالش هي بلدة Caniles الحديثة ، وهي واقعة جنوبي مدينة بسطة وعلى مقربة منها .
 (٣) منشال هي اليوم قرية Monachil الحديثة . وأصل الاسم مأخوذ من كلمة Monasterio
 الإسبانية ومعناها الدير . وهي من ضواحي غرناطة تقع في جنوبها الشرقي على مقربة من بلدة الوطّا Hueter
 (٤) قرية الوطّا هي Hueter Vega وهي ضاحية غرناطة . وتقع في جنوبها الشرقي في
 شمال أرمليا ، وعلى مقربة منها .
 (٥) والزاوية هي ضاحية غرناطة التي تعرف اليوم باسم La Zubia ، وهي واقعة بعد أرمليا
 وغلجر .

هذا ، وأما القرى التي لم نعر على مواقعها وأسمائها الحديثة مما ذكره ابن الخطيب ، فقد دثر الكثير
 منها ولا ريب ، وغاضت أسماء البعض الآخر خلال الزمن ، واستحالت إلى أسماء إسبانية أضحى من
 المسير أن نردها إلى أصولها . كذلك لم نعر على مواقع بعض الأماكن التي أوردنا مقابلها الإسباني .
 ومن جهة أخرى فإن ابن الخطيب لم يذكر كثيراً من قرى ولاية غرناطة المعروفة في التواريخ
 الأندلسية ، والتي ما زالت قائمة حتى اليوم ، مثل بلدة الجاية الكبرى Gabia Grande والجاية
 الصغرى Gabia Chica والبذول Padul ، وموكلين Moclin ، وحصن البلوش Bellillos ،
 والبلاط Veleta ، وبلدة حصن الوز الكبيرة Iznalloz ، وغيرها ، وكلها من أحواز غرناطة ، ولها
 جميعاً ذكرها في الجغرافية الأندلسية .

وقد رجعنا في هذا التحقيق إلى المراجع الآتية :

F.J. Simonet : Descripcion del Reino de Granada, scacada de los Autores Arabigos,
 p. 10, 12, 90, 220, 276-281.

M. Asin Palacios : Contribucion a Ia Toponomia arabe de Espana

وكذلك : L. Seco de Lucena : Toponimos granadinos : (Al-Andalus; Vol XVII 2-1952)

ورجعنا في تحديد المواقع إلى خريطة إسبانيا وضع J.P. (Gotha) ، وخرائط مصلحة المساحة

الإسبانية ، وبلدية غرناطة ، وغيرها من الخرائط التفصيلية .

(٦) هكذا في «ج» وفي الملكية . وفي «ك» ، العملية .

السقي الغبيط السمين ، العالى ، مايتا ألف ثنتان وستون ألفا ، وينضاف إلى ذلك
مراجع الأملاك السلطانية ، ومواضع أحباس المساجد ، وسبيل الخير ، ما ينيف على
ما ذكر ، فيكون الجميع باحتياط ، خمسمائة ألف وستون ألفا ، والمستفاد فيها من
الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطاني ، ثلاثمائة ألف قدح ويزيد ، ويشتمل
سورها وما وراءه من الأرحاء الطاخنة بالماء ، على ما ينيف على مائة وثلاثين رحي ،
الحفها الله جناح الأمانة ، ولا قواعم عنها مادة الرحمة ، بفضلها وكرمه .

فصل

وقد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر ومعاهده ، وفرغنا من تصويره وتشكيله ،
 وذكر قراءه وأجزائه^(١) ، وتصوره ومنتزهاته^(٢) ، فنحن الآن نذكر بعضا من سير
 أهله ، وأخلاقهم ، وغير ذلك من أحوالهم بإجمال واختصار ، فنقول :
 أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد^(٣) ، أحوال سنيته^(٤) ، والنحل
 فيهم معروفة ، فمناهبهم على مذهب مالك بن أنس^(٥) إمام دار الهجرة جارية ،
 وطاعتهم للأمراء محكمة ، وأخلاقهم في احتمال المعاون^(٦) الجبائية جميلة ،
 وصورهم حسنة ، وأنوفهم معتدلة غير حادة ، وشعورهم سود^(٧) رسالة^(٧) ، وقاودهم
 متوسطة معتدلة ، إلى القصر ، وألوانهم زهر مشربة بمحرة ، وألسنتهم فصيحة
 عربية ، يتخللها غرَب^(٨) كثير ، وتغلب عليهم الإمالة ، وأخلاقهم أبيّة في
 معاني^(٩) المنازعات ، وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير ،
 ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم ، الملف المصبوغ شتاء ، وتتفاضل

(١) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الملكية .

(٢) في المخطوطين : منتزهاته .

(٣) وردت في «ج» ، اصلاح . وفي «ك» ، والصلاح العقائد ، وهو تحريف .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، سنة . وهو تحريف .

(٥) ذاع مذهب الإمام مالك بالأندلس أيام معاوية الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وكان
 ذبوعه بالأخص على يد جماعة من فقهاء الأندلس رحلوا منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى المشرق ودرسوا
 على مالك بالمدينة . ثم عادوا إلى الأندلس فذاع مذهبه على أيديهم . وكان هشام بن عبد الرحمن ، كثير
 الورع ، شديد الإجلال للمذاهب ، فزاد ذلك في ذبوعه . وكان أهل الأندلس قبل ذلك يعملون
 مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام .

(٦) هكذا وردت في «ج» والانتية واللمحة البادية (ص ٢٧) . وفي «ك» المعاوز .

(٧) هكذا في «ج» . وفي «ك» مترسلة .

(٨) هكذا في الملكية ، وفي المخطوطين : عرب

(٩) هكذا في «ج» وفي الملكية «معاني» .

أجناس البزُّ بتفاضل الجِدَّة ، والمقدار ، والسكتان والحريُّ ، والقطن ، والمرعزي ، والأردنية الإفريقية ، والمقاطع التونسية ، والمآزر المشفوعة صيفاً ، فتُبَيِّرُهُمْ في المساجد ، أيام الجُمُع ، كأنهم الأزهار المَفْتَحَة ، في البطاح الكريمة ، تحت الأهوية المعتدلة (١) .

وأنسائهم حسبما يظهر من الإسترعات (٢) ، والبيعات السلطانية والإجازات ، عربية : يكثر فيها القرشي ، والفهري ، والأموي ، والأُمِّي ، والأنصاري ، والأوسي ، والخزرجي ، والقحطاني ، والحَميري ، والمَخزُومي ، والتَنُوحِي ، والغساني ، والأزدي ، والقيسي ، والمُعافري ، والكناني ، والتَّيَمِي ، والهذلي (٣) ، والبكري ، والكلابي ، والنمري ، واليَمُوري (٤) ، والملازني ، والثقي ، والسلمي ، والفزاري (٥) ، والباهلي ، والعبسي ، والعنسي ، والمندري ، والحجبي ، والضبي ، والسكوني ، والتيمي ، والعباسي ، والمري ، والعقيلي ، والفهسي ، والصريحي ، والجزلي ، والقشيري ، والكلبي ، والقضاعي ، والأصبحي ، والهواري ، والرُعيني ، واليحصبي ، والتجبي ، والصدفي ، والحضرمي ، والحلي ، والجندامي ، والسلولي ، والحكمي ، والهمداني ، والمذحجي ، وألخشي ، والبلوي ، والجهمي ، والمزني ، والطائي ، والغافقي ، والأسدي ، والاشجعي ، والعاملي ، والخولاني ، والأيدى ، والليثي ، والخنثعي ، والسكسكي ، والزهبيدي ، والتغلي ، والتعلبي ، والكلاعي ، والدوسي ، والحواري ، والسلماني .

(١) وردت «المعتز» في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة ، وكذا في الملكية ، واماها «الإشراعات» ، ومفردها إشراع ، أو الاشتراعات بمعنى مرسوم أوظهر . أولها إن كانت صحيحة ، تعبیر أندلسي قديم عن الإشراعات .

(٣) في الملكية «والهذيلي» .

(٤) في الملكية «واليموري» .

(٥) وردت في المخطوطين : والفازري .

هذا ، ويرد كثير في شهادتهم ، ويقل من ذلك السلماني لسبباً ، وكالدؤسي ،
والحواري ، والزبيدي ؛ ويكثر فيهم ، كالأنصاري ، والحامدي ، والجذامي ،
والقيسي ، والغساني ، وكفى بهذا شاهداً على الأصالة ، ودليلاً على العروبية .

وجندهم صنفان ، أندلسي وبربري ؛ والأندلسي منها يقودهم رئيس من
القراية أو حصي^(١) من شيوخ الممالك . وزيهم في القديم شبه زي أقتالم^(٢) ،
وأضادهم ، من جيرانهم الفرنج ، إسباغ الدروع ، وتعليق الترسمة ، وحقاً
البيضات ، واتخاذ عراض الأسنان ، وبشاعة^(٣) قرايس السروج ، واستركاب
حمة الرايات^(٤) خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها .
ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرنا^(٥) ، إلى الجواشن المختصرة ، والبيضات
المرهفات ، والسروج العربية^(٦) ، والبيت اللطيفة ، والأمل العطفية^(٧) .

والبربري منه ، يرجع إلى قبائل المرينية ، والزناوية ، والتيجانية ، والمغراوية
والعجيسية ؛ والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس ، يرجع أمرهم إلى رئيس ،
على رؤسائهم ، وقطب لعرفائهم ، من كبار القبائل المرينية ، يمت إلى ملك
المغرب بنسب .

والعالم ثقيل في زي أهل هذه الحضرة ، إلا ما شاد^(٨) في شيوخهم وقضاتهم
وعلمائهم ، والجند العربي منهم . وسلاح جمهورهم المعنى^(٩) الدويلة ، المثناة بمعنى

(١) وردت في المخطوطين : حصيا فاقضى التصويب ، والحصي الرجل الوافر العقل .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود هنا ، الذين يقاتلونهم .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وكذا في الملكية واللحة البدرية (ص ٢٨) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» ، حمة الربات وهو تحريف ظاهر .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ك» .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : والروج والعربية ، وهو تحريف ظاهر .

(٧) هكذا وردت في «ك» وفي «ج» . و «ت» (اللطيفة . اللطيفة) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ومعناها شذ .

صغار فوات عُرِّي في أواسطها ، تُدفع بالأنامل عند قذفها تسمى « بالأمداش » ؛
وقسى الإفرنجية يُحمّلون على التّدريب بها على الأيام ؛ ومبانيهم ^(١) متوسطة ،
[وأعيادهم] ^(٢) حسنة ، مائلة إلى الاقتصاد ؛ والغنى ^(٣) بمدينتهم فاشٍ ، حتى في
الدكاكين التي تجمع صنائعها ، كثيراً من الأحداث ، كالحفّافين ^(٤) ومثلهم .

وقوتهم الغالب ، البرُّ الطّيب ، عامّة العام ^(٥) ، وربما اقتات في فصل الشتاء
الضعف والبوادي والفعلة في الفلاحة ، الذّرة العربية ، أمثل أصناف القطاني الطيبة .
وفواكهم اليابسة عامة العام ، متعددة ؛ يدخرون العنب سليماً من الفساد ، إلى
شطر العام ؛ إلى غير ذلك من الثّين ، والزّبيب ، والتفاح ، والرّمان ، والقسطل ،
والبلوط ، والجوز ، واللوز ، إلى غير ذلك مما لا يُنفد ، ولا ينقطع مدده إلا
في الفصل الذي يُزهد في استعماله .

وصرفهم فِضة خالصة ، وذهبٌ إبريزٌ طيبٌ ^(٦) محفوظ ، ودرهمٌ مرّبع
الشّكل ، من وزن ^(٧) المهدي القائم بدولة الموحّدين ^(٨) ، في الأوقية منه سبعون

(١) وردت في «ج» و«متانهم» . وفي «ك» ومناسهم والتصويب من اللّحة البدرية .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في «ت» . وكذا في الملكية .

(٣) هكذا رسمت في المخطوطات الثلاثة وكذا في الملكية . وإزاء هذا الإجماع في المخطوطات ،
تركنا الكلمة على رسمها . ولكن من المحتمل أيضاً أن تقرأ (والغناء) وهو ما ورد في اللّحة البدرية
(ص ٢٨) وهنا يكون المعنى كذلك مقبولاً ومناسباً ، وعلى هذا قرأها وترجمها بعض أكابر المستشرقين

الإسبان مثل سيمونيت وريميرو (راجع سيمونيت p . 80 . Descripcion)

(٤) جمع خفاف . وهو الذي يصنع الخفاف جمع خف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : العامة وهو تحريف .

(٦) هكذا وردت هذه الكلمات الثلاث في «ج» . ووردت على النحو الآتي في «ك» :

وذهباً إبريزاً طيباً . وهو تحريف ظاهر .

(٧) وردت في المخطوطتين : لون . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي مؤسس دولة الموحّدين في المغرب ، وهي

التي غلبت فيما بعد على الأندلس ، وانتزعها من أيدي المرابطين . وقد توفى المهدي سنة ٥٢٤ هـ

(١١٢٩ م) .

دورها ، يختلف الكتب فيه . فعلى عهدنا ، في شق ، « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ؛ وفي شق آخر ، « لا غالب إلا الله ، غرناطة » . ونصفه وهو القيروط ، في شق ، « الحمد لله رب العالمين » ؛ وفي شق ، « وما النصر إلا من عند الله » . ونصفه وهو الربع ، في شق ، « هدى الله هو الهدى » ؛ وفي شق ، « العاقبة للتقوى » .

ودينارهم في الأوقية منه ، ستة دنانير وثلاثا دينار ؛ وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وثمانس ثمن أوقية . وفي شق منه ، « قل اللهم مالك الملك بيدك الخير » ، ويستدير به قوله تعالى « إياكم إله واحد » ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . وفي شق ، « الأمير عبد الله يوسف ، بن أمير المسلمين أبي الحجاج ، بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر ، أيده الله أمره » . ويستدير به ، شعار هؤلاء الأمراء ، « لا غالب إلا الله » . ولتاريخ تمام هذا الكتاب ، في وجه ، « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . ويستدير به ، « لا غالب إلا الله » . وفي وجه ، « الأمير عبد الله الغني بالله ، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر ، أيده الله وأعانه » . ويستدير برُبْع ، « بمدينة غرناطة حرسها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة ، الانتقال إلى حُل العَصِير أو ان إدراكه ، بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز إلى الفحوص (١) بأولادهم ، معولين في ذلك على شهادتهم (٢) وأصلحتهم ، وعلى كتب دورهم (٣) ، واتصال أمصارهم بمجدود أرضه . وحليلهم في القلائد ، والدماج ، والشنوف ، والخلاخل الذهب الخالص ، إلى هذا العهد ، في

(١) جمع فحص وهو المرج .

(٢) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» سهامتهم ، فان كانت تعني السهام فهي صحيحة أيضاً .

(٣) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» والملكية (على كتب على دورهم) .

أولى الجِدَّةِ ، واللَّجِينُ في كثير من آلات الرُّجَلين ، فيمن عداهم ؛ والأحجارُ
النفيسة من الياقوت ، والزُّبْرَجْد [وازمرد]^(١) ونذيس الجَوْهر ، كثير من ترتفع
طبقاتهم المُستندة إلى ظلِّ دولة ، أو أصالةٍ معروفةٍ مُوفِّرة .

وحرْمُهُم ، حرِيمٌ جميل ، موصوفٌ بالسحر^(٢) ، وتَنَعُّمُ الجُسوم ، واسترسال
الشُّعور ، وتقاء الثُّغور ، وطيبِ النَّشر^(٣) ، وخفَّةُ الحركات ، ونُبْلُ الكلام ،
وحُسْنُ المحاورَةِ^(٤) ، إلا أن الأطولَ يَنُدِّرُ فيهنَّ^(٥) . وقد بَلَّغُنْ من التَّفننِ في الزينة
لهذا العهد ، والمظاهرة بين المُصَبَّغات ، والتنفيس بالذَّهَبِيَّاتِ والذِّيَابَجِيَّاتِ ،
والتَّسَاجُنِ في أشكالِ الحُلَى ؛ إلى غاية نَسألُ الله أن يُغضَّ عنهنَّ فيها ، عَيْنَ الدهرِ ،
ويُكفِّفَ الخُطْبَ ، ولا يجعلها من قبيلِ الابتلاءِ والفتنة ، وأن يعامل جميع
من بها بَسْتَرِهِ ، ولا يَسْلِبَهُمْ كَخْفِ لطفه ، بعزته وقدرته .

(١) الزيادة من الملكية .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية ، بالحسن ، والمعنى واحد .

(٣) وردت في «ج» والملكية ؛ الشرا ، و «ك» النشرا . والنشر هو الريح الطيبة .

(٤) هكذا في «ج» و الملكية . وفي «ك» المحاورَة .

(٥) إن أُرصاف ابن الخطيب لِنساءِ بملكةِ غرناطة في عصره ، ما تزال حتى اليوم ماثلة في

نساءِ غرناطة الإِسبانيَّةِ النصرانيَّةِ مثولا قويا ، يستلقت نظر كل من تجول في ربوع المدينة الأندلسية
التباعدة .

فصل

فيمن تداول هذه المدينة

من لدن أصبحت دار إمارة باختصار واقتصار

قال المؤلف : أول من سكن هذه المدينة ، سكنى استبداد ، وصيرها دار
ملكه ومقر أمره ، الحاجب ، المنصور أبو مثنى زاوى بن زيري^(١) بن مناد^(٢)
لما تغلب جيش البربر ، مع أميرهم سايمان بن الحكم على قرطبة ، واستولى على
كثير من كور الأندلس ، عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها ، وظهر على طوائف
الأندلس^(٣) ، واشتهر أمره ، وبعد صيته . ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقية ،
بعد أن ملك غرناطة سبع سنين ، واستخلف ابن أخيه حبوس بن ماكسن ،
وكان حازماً داهية ، فتوسّع النظر إلى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة .
وولي بعده حفيده عبدالله بن بلكين^(٤) بن باديس ، إلى أن خلع عام
ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، وتصير أمرها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك
لمشونة^(٥) عند تلك الأندلس ، ثم إلى ولده علي بن يوسف . وتَنَوَّبَ إمارتها

(١) وردت في المخطولين : رمى ؛ وهو تعريف ظاهر .

(٢) كانت غرناطة عقب ثورة البربر التي قامت على أثر انهيار الدولة العمارية والخلافة الأموية
من نصيب البربر ؛ واستولى عليها زعيمهم زاوى بن زيري الصنهاجى سنة ٤٠٣ هـ وحكمها حتى سنة
٤١٠ هـ (١٠١٢ - ١٠١٩ م) . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في نهاية هذا المجلد .

(٣) طوائف الأندلس ، هم زعماء الطوائف ، الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب
انهيار الخلافة وثورة البربر ، وأسوا لأنفسهم في ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة .
وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف .

(٤) وردت في المخطولين : (ملقن) وهو تعريف بلقين أو بلكين . ويجب أن نصحح هنا
سبواً تاريخياً وقع فيه ابن الخطيب . ذلك أن الذى تولى حكم غرناطة بعد حبوس بن ماكسن هو ولده
باديس ، وقد حكم حتى سنة ٤٦٥ هـ . ثم تولى الحكم من بعده حفيده عبدالله بن بلقين بن باديس ،
وحكم حتى سنة ٤٨٣ هـ .

(٥) سبقت الإشارة إلى يوسف بن تاشفين . انظر الحاشية في ص ١٠٧ .

جملة من أبناء الأمراء اللمّتونيين وقرابتهم كالأمير أبي الحسن علي بن الحاج^(١) وأخيه موسى ، والأمير أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم ، والأمير أبي الطاهر تميم ، والأمير أبي محمد مزّكلى ، والأمير أبي بكر بن أبي محمد ، وأبي طلحة الزبير ابن عمر ، وعثمان بن بدر اللمّتونى ، إلى أن انقرض أمرهم عام أربعين وخمسة .

وتصير الأمر للموحّدين^(٢) ، وإلى ملكهم أبي محمد عبد المؤمن بن علي^(٣) ، فتناوبها جملة من بنيه وقرابته ، كالسيد أبي عثمان بن الخليفة ، والسيد أبي إسحاق ابن الخليفة ، والسيد أبي إبراهيم بن الخليفة ، والسيد أبي محمد بن الخليفة ، والسيد أبي عبد الله ، إلى أن انقرض منها أمر الموحّدين .

وتملكها المتوكل على الله ، أمير المؤمنين ، أبو عبد الله محمد يوسف بن هود^(٤)

(١) هكذا وردت في «ك» ، وفي «ج» ، الحاج . وهو تحريف .

(٢) وردت في «ج» ، للموحد . وفي «ك» ، المرحدون ، وحكمة التصويب واضحة .

(٣) هو خليفة المهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وثانى رؤسائها ، وأعظم زعمائها . تولى الزعامة عقب وفاة المهدي ، وأتم افتتاح المغرب من يد المرابطين ، وقضى على دولتهم بافتتاح مراكش سنة ٥٤٣ هـ . وافتتح الأندلس من يد المرابطين وحلفائهم . ووطد دولة الموحدين في المغرب والأندلس . وكانت وفاته في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) .

(٤) يترجم ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة للمتوكل ابن هود . ولا بأس من أن نقدم إيضاحاً موجزاً لما يجمله ابن الخطيب هنا من أمر هذا الانقلاب الحاسم في مصائر الأندلس . وذلك أنه لما اشتدت وطأة الموحدين والنصارى على الأندلس في أوائل القرن السابع الهجرى ، ظهر المتوكل ابن هود هذا . وهو سليل بنى هود ملوك سرقسطة السابقين أيام الطوائف ؛ ظهر في أحواز مرسية سنة ٦٢٥ هـ ، ودعا إلى تحرير الأندلس من النصارى والموحدين معاً ، وقوى أمره تبعاً ، وانحازت إليه عدة من قواعد الأندلس الهامة مثل جيان وقرطبة وماردة ويطليوس . وفي سنة ٦٢٨ هـ استطاع أن ينتزع غرناطة من الموحدين . وفي تلك الآونة اشتدت وطأة النصارى على الأندلس ، وأخذت قواعدها تسقط في أيديهم تبعاً . وبذل ابن هود جهده لمحاربتهم ولكنه لم يستطع وقف عدوانهم ليمزق الأندلس يومئذ . ثم توفى ابن هود في سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) . وكان قد ظهر في نفس الوقت محمد بن يوسف بن نصر (ابن الأحمر) في جنوب الأندلس ، وبسط حكمه على كثير من أنحاءها . ثم استولى على غرناطة عقب وفاة ابن هود ، وجعلها عاصمة إمارته وبذلك قامت مملكة غرناطة . ويخصه ابن الخطيب فيما بعد بترجمة وافية .

في عام ستة وعشرين وستمائة، ثم لم يَنْشِبْ^(١) أن تملكها أمير المسادين الغالب بالله محمد بن يوسف بن زهر الخزرجي، جدُّ هؤلاء الأمراء الكرام موالينا، رحم الله من درج منهم، وأعان من كلفه، إلى أن توفي عام أحدٍ وسبعين وستمائة. ثم ولي الأمر بعده ولده ومُتِمِّيه محمد بن محمد فقام بها أحمد قياماً، وتوفي عام إحدى وسبعمئة. ثم ولي بعده مُمِيه محمد إلى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمئة، وتوفي عام أحد عشر وسبعمئة في الثالث شوال منه. ثم ولي بعده أخوه نَسْرُ بن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله، فأرْتَبَ أمره، وطلب المُلكَ اللاحقُ به^(٢) مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج، فقلَّبَ على الإمارة، ثاني عشر ذي القعدة من عام ثلاثة عشر وسبعمئة، وانتقل زهر إلى وادي آش مخلوعاً، ووادِعاً بها إلى أن مات عام [اثنين وعشرين]^(٣) وسبعمئة. وتماذى مُلكُ السلطان أمير المسلمين أبي الوليد إلى السادس والعشرين من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمئة، ووَثَبَ عليه بعض قرابته فقتله، وعُوْجِلَ بالقتل مع مَنْ حضر منهم. وتولَّى المُلكَ بعده ولده محمد، واستمرَّ سلطانه إلى ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمئة، وقتل بظاهر جبل الفتح^(٤). وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لبابُ هذا البيت، وواسطة هذا العقْد، وطِرَاكُ هذه الحلية، ثم اغتاله^(٥) كَمْرُورُ من أخايث الشوقة،

(١) هكذا في المخطوطين وكذا في «الملكية». ومعناها لم يلبث.

(٢) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» و«الملكية»، إلى أن لحق به. والأولى أنسب للسياق.

(٣) وردت في «ك» (عام... وسبعمئة) مع بياض في مكان التاريخ. ووردت في «ج» (عام اثنين وسبعمئة)، فاقضى تصحيح التاريخ كما هو بين الحاصرتين.

(٤) أي جبل طارق. والذي سماه جبل الفتح هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي، وذلك حين

نزل به سنة ٥٥٥ هـ ليتفقد منشأته الجديدة، وسماه بذلك الاسم لأنه كان دائماً يتخذ قاعدة لعبور الجيوش الإسلامية الغازية إلى إسبانيا منذ طارق بن زياد.

(٥) قتل السلطان يوسف أبو الحجاج غيلة على النحو الذى بصفه ابن الخطيب في يوم عيد الفطر

سنة ٥٧٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد بإفاضة.

تَيَّغَنَهُ اللهُ إِلَى شَهَادَتِهِ ، وَجَعَلَهُ سَبِيلاً لِسَعَادَتِهِ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ رَكْعَتِي عِيدِ الْفِطْرِ ، بَيْنَ يَدَيِ الْحِرَابِ ، نَاشِعاً ، ضَارِعاً ، فِي الْحَالِ الَّذِي أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ، وَهُوَ سَاجِدٌ ، وَضَرَبَهُ بِخَنْجَرٍ مُبَيَّنٍّ (١) لَلْفِتْكَ بِهِ ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، كَانَ زَعَمُوا ، يَحَارِلُ شَخْضَهُ مِنْذُ زَمَانٍ ، ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنْ ظَهْرِهِ ، فِي نَاحِيَةِ قَلْبِهِ ، نَقَضَى عَلَيْهِ ، وَبُودِرَ بِهِ تَقْتِيلِ .

وَوَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَهُ مُحَمَّدٌ (٢) ، وَوَلَدُهُ أَكْبَرُ بَنِيهِ ، وَأَفْضَلُ ذَوِيهِ ، كَنَاءَتُهُ وَخُلُقُهُ وَحَيَاةُ وَجُودًا ، وَوَقَارًا وَسَلَامَةً وَخَيْرِيَّةً ، وَدَافِعَ دَوْلَتِهِ مِنْ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ (٣) ، ثُمَّ تَدَارَكَ الْأَمْرَ سَبْحَانَهُ ، وَقَدْ أَشْفَى ، وَدَافِعَ وَكَفَى ، بِمَا يَأْتِي فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَهُوَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ ، مَتَعَ اللهُ بِهِ ، وَأَدَامَ مَدَّتَهُ ، وَكَتَبَ سَعَادَتَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَعَلَهُ بِمِرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْعَامِلِينَ ، وَلِسُلْطَانِ يَوْمِ الدِّينِ مِنَ الْخَائِفِينَ ، الْمُرَاقِبِينَ ، بِفَضْلِهِ .

وَقَدْ أَتَيْنَا بِمَا أَمَكُنْ مِنَ التَّعْرِيفِ بِأَحْوَالِ هَذِهِ الْحَضْرَةِ عَلَى اخْتِصَارٍ . وَيَأْتِي فِي أَنْهَاءِ التَّعْرِيفِ بِرِجَالِهَا كَثِيرٌ مِنْ تَفْصِيلِ مَا أَجْرِلُ ، وَتَتَمِّيمِ مَا بَدَأُ ، وَإِيضَاحِ مَا خَفِيَ ، بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى .

(١) وَرَدَّتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ وَفِي الْمَلِكِيَّةِ : مَهِيئًا ، وَهُوَ تَحْرِيفُ ظَاهِرٍ .

(٢) هُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ . تَوَلَّى الْمَلِكَ مَرَّتَيْنِ : الْأُولَى بَيْنَ سَنَتَيْ (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) . الثَّانِيَةَ بَيْنَ سَنَتَيْ (٧٦٣ - ٧٩٣ هـ) . وَهُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي قَضَى ابْنَ الْخَطِيبِ فِي خِدْمَتِهِ زَهَا سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا وَشَاطِرَهُ الْمُنْفَى بَعْدَ وِلَايَتِهِ الْأُولَى . وَيَخْصُ ابْنَ الْخَطِيبِ حَوَادِثَ عَصْرِ مَلِكِيَّةِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ ، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الْعَصْرِ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ ابْنُ الْخَطِيبِ ذُرُوءَ مَجْدِهِ النِّسَابِيِّ وَالْأَدَبِيِّ ، بِفُصُولٍ كَثِيرَةٍ فِي «الْإِحَاطَةِ» ، وَفِي كِتَابِهِ الْأُخْرَى .

(٣) يُشِيرُ ابْنُ الْخَطِيبِ هُنَا إِلَى ثَوْرَةِ إِسْمَاعِيلِ أَخِي السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ ، وَانْتِزَاعِهِ الْمَلِكَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٦٠ هـ ، وَاسْتِبْرَارِهِ فِي الْعَرْشِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ ، اسْتِطَاعَ مُحَمَّدٌ بَعْدَهَا أَنْ يَسْتَرِدَّ مَلِكَهُ ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٧٦٣ هـ .

القِسمُ الثَّانِي
فِي حُلِيِّ الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ
وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّائِنِ

أحمد بن خلف بن عبد الملك النساني القليبي

من أهل غرناطة ، يُكنى أبا جعفر ، من جلة أعيانها ، تُنسب إليه الساقية الكبرى المجاورة لطوق^(١) الحضرة إلى البيرة ، وما والاها .

حاله

قال ابن الصيرفي : كان الفقيه أبو جعفر القليبي ، من أهل غرناطة ، فريد عصره ، وقرع^(٢) دهره ، في الخير والعلم والتلاوة ؛ وله حزبٌ من الليل ، وكان سريعَ الدِّمعة^(٣) ، كثير الرواية^(٤) ؛ وهو المُشار إليه في كل نازلة ، وله العقد والحل والتقدم والسابقة ، مع مُنة في جلائل الأمور ، والنهضة بالأعباء ومُموّ الهمة .

« غريبة في شأنه » : قال ، كان باديس بن حبوس [أمير بلده]^(٥) ينفرس فيه أن ملك دولته ، ينقرض على يديه ، فكان ينصب^(٦) لشأنه أكلباً ، ويتملّط بسيفه إلى قتله ، فجاه الله منه بالعلم ، وغلّ يده ، وأغمد سيفه ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

مشيخته

روى عن أبي عمر^(٧) بن القطان ، وأبي عبد الله بن عتاب ، وأبي زكريا القليبي ، وأبي مروان بن سراج ؛ وكان ثقةً صدوقاً ، أخذ عنه الناس .

(١) وردت في «ج» بطوق . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» مريع أعنى وافر الحصب والمرعى . وفي «ر.م» : قرع . وقد آثرنا

النص الثاني .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» والملكية ، الذمة .

(٤) وردت في المخطوطين : الراية . وهو تحريف ظاهر .

(٥) هذه الزيادة واردة في «ر.م» .

(٦) في المخطوطين : نصب .

(٧) هكذا في «ر.م» . وفي المخطوطين : علي ، والأولى أرجح .

محنة

ولما أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين البحر [مستدعي إلى نصر المسلمين] (١)،
 ثانی حرکاته إلى الأندلس، ونازل حصن أليط (٢)، وسارع ملوك الدوائف إلى
 المدير في بجلته، كان ممن وصل إليه الأمير عبد الله بن بلسكين (٣) بن باديس
 صاحب غرناطة، ووصل صحبته الوزير أبو جعفر بن القليعي، لرغبته في الأجر مع
 شهرة مكانه، وعلو منصبه، ولهوض نظرائه (٤)، من زعماء الأقطار، إلى هذا
 الغرض، وكان مضرب خيام القليعي [قريباً من مضرب] (٥) حفيد باديس،
 ولما لفته عند الأمير يوسف بن تاشفين، وله عليها الحفوف وله به استبداد، وانفراد
 كثير، وتردد كثير (٦)، حتى نفى بذلك حفيد باديس، وأتهم عنيه (٧). قال
 المؤرخ، وكيفما دارت الحال، فلم يخل من نصيح الله ولأمر المسلمين.

قلت؛ حفيد باديس كان أدري بدائه، قصر الله خطانا من مدارك الشرور.
 فلما صدر (٨) حفيد باديس إلى غرناطة، استحضره ونجمه، وقام من مجلسه مغضباً،

(١) هذه الزيادة واردة في «م.». .

(٢) هذا الحصن يسمى بالإسبانية Aledo. وتسميه الرواية العربية بحصن لبيط أو أليط
 كما يسميه ابن الخطيب. وقد كان من الحصون النصرانية المنيعة الواقعة بين لورقة ومرسية،
 وقد حاصره المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ومعه حلفاؤه الأندلسيون في سنة ٤٨٣ هـ
 (١٠٩٠ م). ولكن ألفونسو السادس ملك قشتالة استطاع الدفاع عنه وإنقاذه. وتفيض الرواية
 الإسلامية في تفاصيل هذه الواقعة (راجع كتابي «دول الطوائف» - الطبعة الثانية) ص ٣٣٤-٣٣٦
 والمراجع.

(٣) رسمت في المخطوطين، بلقين. ورسمها بالكاف أكثر شيوعاً حسبما يتوضح بعد.

(٤) وردت في المخطوطين والملكية: «قرايته». والتصويب من «م.». .

(٥) هكذا في «ج» وفي الملكية. وقد ورد في «م.» مكان هذه العبارة: «في محلة»

والمؤدى واحد.

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين؛ وساقطة في «ت».

(٧) وردت في المخطوطين، غيبه. والتصويب من «ت» وهو أرجح بالنسبة للمعنى.

(٨) هكذا وردت في المخطوطين وفي «م.». وفي «ت» والملكية صار. والمؤدى واحد.

وتعلقت به الخدمة ، وحفت به الوزعة^(١) والحاشية^(٢) . وهو ما بضر به ؛ إلا أن أم عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه ، فأمر بتخليصه ، وسجنه في بعض بيوت القصر ؛ فأقبيل فيه على العبادة والدعاء والتلاوة ؛ وكان جهر الصوت ، حسن التلاوة ، فارتج القصر ، وسكنت لاستماعه الأصوات ، وهدأت له الحركات ، واقشعرت الجلود . وخافت أم عبد الله على ولدها ، عقاباً من الله بسببه ، فلاطفته حتى حل عقاله ، وأطلقه من سجنه . ولما تخلص أعدها^(٣) غنيمة . وكان | جزلاً ، قوياً القلب [٤] ، شديد الجزم^(٥) ؛ فقال الصييد بغراب أكيس ؛ فأتخذ الليل جلاً^(٦) ؛ فطلع له الصباح بقلعة يحصب^(٧) ، وهي لنظر ابن عباد^(٨) ، وحث منها السير إلى قرطبة ؛ فخاطب منها يوسف بن تاشفين بملىء فيه ، بما حرّكه وأطمعه ؛ فكان من حركته إلى الأندلس ، وخاع عبد الله بن بلسكين من غرناطة ، واستيلائه عليها ، ما يرد في اسم عبد الله وفي اسم يوسف بن تاشفين إن شاء الله . وبدا لحفيد باديس في أمر أبي جعر القايي ، ورأى أنه أضع الجزم [في إطلاقه فبحث]^(٩)

(١) الوزعة هم قامعو الشر والبنى .

(٢) وردت في «ك» الحارسية . وفي «ح» الحاسية . وفي «ت» الجلسة . والتصويب من «ر.م.» .

(٣) هكذا في المخطوطين ، وفي «ر.م.» اعتدها .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين وفي الملكة . ولكنها وردت في «ر.م.» :

« حول قلبا » .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «ت» ، الجزم ، والأولى أرجح .

(٦) هكذا في المخطوطين . والمقصود أنه اتخذ الليل مركباً .

(٧) قلعة يحصب أو Alcala la Real الحديثة ، وقد سبق التعريف بها . أنظر الحاشية في

ص ١١١

(٨) المقصود هنا هو المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وأعظم شعراء الأندلس في عصره . وقد خلع

فيمين خلعه المرابطون من أمراء الطوائف (٤٨٤ هـ) . وتوفى منفياً بالمغرب بمدينة أغمات سنة

٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م)

(٩) ما بين الحاصرتين وارد في «ر.م.» ومكانه بياض في «ك» . وفي «ج» (في البحث)

وما أورده «ر.م.» أرجح بالنسبة للمعنى .

عنه من الغد^(١) ، وتقصت^(٢) عنه البلدة ، فلم يَقَعْ له خَبْرٌ ، إلى أن اتَّصل به خبرُ نجاته ، ولحاقه بآمنه . فرجع باللائمة على أمه ، ولات حين مَنّدم . ولم يزل أبو جعفر مدته في دول الملوك ، من لمتونة ، معروف الحق ، بعيد الصيت والذكر ، صدرَ الحضرة ، والمخصوص بعلو المرتبة إلى حين وفاته .

[أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي]

من أهل غرناطة

« حاله » : كان قصباً وزيراً جليلاً حسيباً حافلاً .

« وفاته » : توفي بالبيرة قبل الثلاثين وأربعمائة .

ذكره أبو القاسم الغافقي في تاريخه وابن اليسر في مختصره وأثنى عليه [٣] .

أحمد بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد

ابن الشمير بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإيبيري

من نزلاء قرية همدان^(٤) ؛ ذكره ابن حيان ، والغافقي ، وابن مسعدة ،

وغيرهم ؛ فقال جميعهم ، كان من أهل البلاغة ، والبيان ، والأدب ، والشعر البارع .

(١) وردت في المخطوطين : العدو . والمعنى يستقيم بالتصويب .

(٢) في المخطوطين : نقصت . وهو تعريف ظاهر .

(٣) وردت هذه الترجمة في صلب «م.» (ص ٢٦٩) قبل ترجمة ابن أضحي ؛ ولم ترد في

بقية المخطوطات قرأنا إثباتها في مكانها .

(٤) هي بلدة Alhendin الحديثة وقد سبق التعريف بها . أنظر الحاشية في ص ١١٢ .

مناقبه

قدم على الخليفة أبي مُطَرِّف عبد الرحمن^(١) ، فقام خطيباً بين يديه ، فقال : الحمد لله المُحتجب بنور عَظْمَتِهِ ، عن أبصار بَرِيَّتِهِ ، والدَّالِّ بِمُحْدُوثِ خَلْقِهِ على أَوْلِيَّتِهِ ، والمنفرد بما أتقنَ من عجائب دهره ومِنِ صَدِيدِيَّتِهِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، إقراراً بوحْدَانِيَّتِهِ^(٢) ، وخضوعاً لعزِّه وعظْمَتِهِ . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، انتخبه من أطيب البيوتات ، واصطفاه من أطيب البيوتات^(٣) ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما لديه . وقد قبل سَعْيِهِ ، وأدَّى أمانته ، فصلى الله عليه وسلم تسليماً . ثم إن الله لما أن بعثه من أكرم خلقه ، وأكرم برسالته وأنزل عليه مُحْكَمَ تَنْزِيلِهِ ، واختار له من أصحابه وأشياعه مخالفاً ، جعل منهم أئمةً يَهْتَدُونَ بالحق ، وبه يَعْتَدُونَ ؛ فجعل الله الأمير ، أعزه الله ، وارث ما خلفوه من معاليهم ، وباني ما أسسوه من مشاهدهم ، حتى أَمَّنَ المسالك^(٤) ، وسكن الخائف ، رَحْمَةً من الله ، أَلْبَسَهُ^(٥) كرامتها ، وطوّقه فضيلتها ؛ والله يُؤْتِي مَنْسَكَهُ من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

الله أعلمك التي لافوقها وقد أراد المُلْحِدُونَ عَوَقَهَا
عَنكَ ويأبى الله إلا سَوَقَهَا إليك حتى قلَّدوك طَوَقَهَا

(١) هو الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤسس الخلافة الأموية بالأندلس وقد حكم من سنة ٣٠٠ -

٨٣٥٠ (٩١٢ - ٩٦١ م) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» ، يربوبيته .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي الملكية . ومكانها يياض في «ك» .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي الملكية . وفي «ك» «المناسك» والأول أرجح .

(٥) هذه الكلمة وردت في «ج» وأغفلت في «ك» .

ثم أردف قوله بهذه الأبيات .

أيا ملكاً تُرْمَى به قُضِبُ الهِنْدِ^(١) إذا لَمَعَتْ بين المَغَافِرِ والضَّرْدِ
 وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنَهِلِ المَوْتِ وارِدٌ إذا أنْفُسُ الأَبْدَالِ^(٢) كَلَّتْ عن الوَرْدِ
 وَمَنْ أَلْبَسَ اللهُ الخِلافةَ نِعمَةً به فاقَتِ النِّعمَا وَجَلَّتْ عن الحَدِّ
 فَلو نُظِمَتْ مَرَوَانُ فِي سِلْكِ فخرِها لأصْبَحَ من مَرَوَانَ واسِطَةَ العِقْدِ
 تَجَلَّى عِلى^(٣) الدُّنْيَا فَأَجَلَى ظِلامَها كما انجَلَّتِ الظُّلْماءُ عن قَمَرِ السَّعْدِ
 إِمَامٌ هُدَى أَضْحَتْ به العُرْبُ غَضَّةً^(٤) مُدْبِئَةً نُورًا كَوَاشِيةَ البُرْدِ
 كَفَاتِي لِدِيهِ^(٥) أَنْ جَعَلْتُ وسائِلِي^(٦) ذمًا شَامِي^(٧) الهوى مُخْلِصِ الوُدِ
 يُوَكِّدُ ما يَدُلُّ به من مُنابِة خلوَصِ أبيه عبدِ الفارِسِ الجِنْدِ
 تَأْمَلُ رُؤاهِ وَالرِّمَاحِ شِواجِرُ وَخَيْلُ إلى خَيْلِ أَبِطالِها تُرْدِي
 رَأى أَسَدًا وَرَدًّا يَخْفُ إلى الوغى ورَأَيْتُهُ أَرَبِيَّ عِلى الأَسَدِ الوَرْدِ
 فَانْعِمِ عِليه اليَوْمِ يا خَيْرَ مُنْعِمِ باظْهَارِ تَشْرِيفِ وَعَتَدِ يَدِ عِنْدِي
 وَلَا تُشِيتِ الأَعْداءُ أَنْ جِئْتُ قاصِدًا إلى مَلِكِ الدُّنْيَا فَأَحْرَمُ من قِصْدِي
 فِعِندَ الإِمَامِ المِزْتَقَى كُلُّ نِعمَةٍ وَشُكْرًا لما يَلْحِيهِ^(٨) من نِعمَةٍ عِنْدِي
 فَلَا زَالَ في الدُّنْيَا سَعِيدًا مُظْفَرًا وَبُؤَى في دارِ العُلَى جَنَّةِ الخُلْدِ

(١) وردت هذه الشطرة في المخطوطين : «أيا ملكاً تزهى به قلوب الهند» ووردت في الملكية (أيا ملكاً تزهى قلوب الهدى به) والتصويب من الحلة السيراء لابن الأبار (القاهرة ١٩٦٤) ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢) هكذا في «ج» ، وفي «الحلة السيراء» . وفي الملكية (الاعداء) .

(٣) في الملكية (عن) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي «الحلة السيراء» : (إمام هدى زبدت به الأرض بهجة) .

(٥) ساقطة في المخطوطين . وواردة في الحلة السيراء .

(٦) هكذا في الملكية . وفي الحلة (وسيلتي) .

(٧) واردة في الحلة وساقطة في المخطوطين . وفي الملكية .

(٨) هكذا وردت في «ج» «والملكية» ، وفي «ك» ، يليه .

وكان من بيت سماحة وفصاحة وخطابة ، فَمَلًّا^(١) شرفه بهذه الخصال ؛ فسُجِّلَ له على أَرْحِيَّةٍ ؛ وَحِصْنٍ نَبِيلٍ بِنِي هُودٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَانْقَلَبَ مَرَعَى الْوَسَائِلِ ، وَمَقْضَى الرَّسَائِلِ .

[قال المؤلف أرى ابن فركون قبل الست عشرة والثلاثمائة]^(٢) .

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي

من أهل غرناطة . يُكْنَى أبا جعفر ، ويُعرف بابن فركون

أوليته

وكفى بالنسب القرشي أولية .

حاله

من «عائد الصلة»^(٣) : كان من صدُور القضاة بهذا الصقع^(٤) الأندلسي ، اضطلاعاً بالمسائل ومعرفة بالأحكام من مظانها^(٥) ، كثير المطالعة والدروب ، وحي^(٦) الإجهاز في فصل القضايا ، نافذ المقطع ، كثير الاجتهاد والنظر ، مشاركاً في فنون ، من عربية ، وفقه ، وقراءة ، وفرائض ، طيب النعمة بالقرآن ، حسن التلاوة ، عظيم الوقار ، بين طبع ومكسوب ، فائق الأبهة ، مُزْرِياً بن

(١) في المخطوطين : فالى . وهو تحريف ظاهر .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطات الأربعة عقب هذه الترجمة . ووجود هذه العبارة في هذا الموطن غير واضح ، ولا علاقة لها بما تقدم أو بما تأخر بعد ذلك من ترجمة ابن فركون التالية ، بيد أننا لم نر بأساً من إثباتها كما هي .

(٣) هو من مؤلفات ابن الخطيب وقد تقدم التعريف به في المقدمة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» السقع .

(٥) وردت في المخطوطات الأربعة : مضانها . وهو تحريف .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» ، وحير . ووحى معناها عجل مسرع .

دونه من الفقهاء ، وعاقدى الشروط ، مُسَقِّطاً لِلْكُفَى وَالتَّجَلَّاتِ ، يعامل الكهول
معاملة الأحمات ، ويتهاون بتعاملات^(١) ذلك فيجعلها دُبُرَ أُذُنِهِ^(٢) ، وَيَسْتَرْمِلُ
فِي إِطْلَاقِ عِنَانِ النَّادِرَةِ الْحَارَةِ ، فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ ، فضلاً عن غيرها ؛ وَجَدَ
ذَلِكَ مَنْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا سَبَباً^(٣) لِلْغُرُضِ مِنْهُ .

نباوته

تَرَشَّحَ بِذَاتِهِ ، وَبَاهِرَ أَدْوَاتِهِ ، إِلَى قِضَاءِ الْمَدِينِ النَّبِيَّةِ ، وَالْأَقْطَارِ الشَّهِيرَةِ ،
كَرُنْدَةَ ، وَمَالِقَةَ ، وَغَيْرَهُمَا . ثُمَّ وُلِّيَ قِضَاءَ الْجَمَاعَةِ^(٤) ، فِي ظِلِّ جَاهٍ ، وَضِمِّنْ حُرْمَةٍ .
« غَرِيبَةٌ فِي أَمْرِهِ » : حَدِثَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي شَبَابِهِ عَلَى الْأَسْتَاذِ الصَّالِحِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْتَقُورٍ^(٥) . بِكَرَمٍ لَهُ خَارِجُ الْخُضْرَةِ ، عَلَى أُمِّيَالٍ مِنْهَا فِي فَصْلِ
الْعَصِيرِ . قَالَ وَجَّهَنِي يَوْمًا بَغْلَةً مِنَ الرَّبِّ^(٦) لِأَبِيهِ بِالْبَلَدِ ، فَأَصَابَنِي مَطَرٌ شَدِيدٌ ،
وَعُدْتُ إِلَيْهِ بِجَالٍ سَيِّئَةٍ ، بَعْدَ مَا قَضَيْتُ لَهُ وَطْرَهُ ؛ وَكَانَ لَهُ أَخٌ أَسْنُ مِنْهُ ، فَعَاتَبَهُ
فِي شَأْنِي ، وَقَالَ لَهُ : تَأْخُذُ صَبِيحًا ضَعِيفًا يَأْتِيكَ لِفَائِدَةٍ يَسْتَفِيدُهَا ، وَتُعْرِضُهُ لِمِثْلِ
هَذِهِ الْمَشَقَّةِ ، فِي حَقِّ مَصْلِحَتِكَ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ شِيمِ الْعُلَمَاءِ ، وَلَا مِنْ شِيمِ الصَّالِحِينَ .
فَقَالَ لَهُ دَعَهُ ، لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِغَرْنَاطَةَ ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ ، وَصَدَقَتْ
فِرَاسَتُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» و «الملكية» بتعامات .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» أذنه .

(٣) وفي «الملكية» سييلا .

(٤) قضاء الجماعة في الخطط الأندلسية معناه رئاسة القضاء العليا ، أو منصب قاضي القضاة .

ومركزه في حضرة غرناطة .

(٥) وردت في المخطوطين وكذا في الملكية «مسفور» وهو تحريف . والتصويب من

كتاب «المرقبة العليا» (قضاة الأندلس) ص ١٣٩ .

(٦) الرب هو بقايا الثمار بعد اعتصارها .

مشيخته

قرأ بالقرية على الأستاذ أبي القاسم بن الأصغر؛ وبغزناطة على العالم القاضي أبي الحسن محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري، وعلى الشيخ المفتي أبي بكر [محمد بن] (١) أبي إبراهيم بن مفرج الأوسى بن الدباغ الإشبيلي، وعلى الخليل الزاهد أبي الحسن العدال، وعلى الأستاذ النحوي أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف ابن الصايغ؛ بالصاد المهملة، والغين المعجمة، وعلى الأستاذ أبي الحسن الأبدى (٢)؛ وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي، عرف بابن مستنور.

ولما دالت الدولة، كان له في مشايعة مخلوعها أمور اقتضتها منه أرحمة (٣) وحسن وفاء، أوجبت عليه الخمول بعد استقرار دايها؛ السلطان أبي الوليد رحمه الله؛ [وأصابته] (٤) أيام الهبيج محن، ونسبت إليه نقائص، زورنها حسدته (٥)، فصرف عن القضاء؛ وبقي مدة مهجور الفناء؛ مضاع المكان عاطل الدولة، منتبذاً في ملك له؛ خارج الحضرة؛ ينحني على خزي (٦) ساقط القيمة، ودفاقر ساقطة الثمن، يتعلل بعلاقتها، ويرجى الوقت يسيرها.

حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم (٧)، قال زرتُه في منزله بعد عزله (٨)، ونسبة الأمور التي لا تليق بمثله، فأثدني بما يُنفي عن ضجره وضيق صدره:

-
- (١) ما بين الحاصرتين واردة في ك، وفي الملكية، وساقط في «ج» .
 (٢) الأبدى بتشديد الباء وفتحها نسبة إلى مدينة أبدة . وهي مدينة أندلسية قديمة تقع شرقي قرطبة على مقربة من منابع نهر الوادي الكبير . وهي بالإسبانية Ubeda
 (٣) وردت في «ج»، رحبية . وفي «ك» رجبية . وهو تحريف . وبالتصويب يستقر المعنى
 (٤) أصفنا هذه الكلمة من عندنا ليستقيم المعنى والسياق .
 (٥) هكذا وردت في «ك»، وفي «ج» والملكية، حسده .
 (٦) أي : الشيء التافه الذي لا قيمة له .
 (٧) وردت في المخطوطين : الحكم . وهو تحريف .
 (٨) هكذا في «ج» . وفي «ك» : عرلته .

أنا من الحكم تائب وعن دعاويه هارب
 بعد الثقة عُمرى ونيل أسنى المراتب
 وبعد ما كنت أرقى على المنابر خاطب
 أصبحت أرمى بعارٍ للحال غير مناسب
 أشكو إلى الله أرمى فهو المثيب المعاقب

وثبت اسمه في التاريخ المسمى « بالتاج »^(١) تأريخي بما نصه :

شيخ الجماعة وقاضيا ، ومُنْفَذُ الأحكام ومُضِيها ، وشايم^(٢) سيوفها الماضية
 ومُنْتَضِيها ، رأس بفضيلة نفسه ، وأحيا دارس رسم القضاء بدرسه ، وأودع
 في أرض الاجتهاد ، بذر الشهاد ، فجنى ثمرة غرسه ؛ إلى وقار يود رضوى
 رجاحته^(٣) ، وصدر تحسيد الأرض الغبيطة ساحته ، ونادرة يدعوها فلا تتوقف ،
 ويلقى عصاها فتتلقف ؛ ولم يزل يطمح بأمانيه ، ويضطلع بما يُعانيه ، حتى رُفِعَ إلى
 الرتبة العالية ، وحصل على الحال الحالية ؛ وكان له في الأدب مشاركة ،
 وفي قريض^(٤) النظم حصّة مباركة . انتهى إلى قوله يهني السلطان أبا عبد الله بن
 نصر ، بالإبلال من مرض في اقتران بعيد وفتح ، وذلك :

شفاؤك للملك اعزازٌ وتأيدٌ وبرؤك مولانا به عيدنا عيدُ
 مرضت فلم تأو النفوس لراحةٍ ولا كان للدنيا قرارٌ وتمهيدُ
 [ولم تصبر عيني تود ، ولما]^(٥) ولازمها طول اعتلاك تسهيدُ

(١) هو كتاب « التاج الحلى في مساجلة القدر المعلى » . وقد سبق التعريف به في المقدمة .

(٢) وشايم أى متضى .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «ك» رجاحته .

(٤) وردت في «ك» مريضة . وفي «ج» مريضة . وقد آثرنا نص الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» والملكية . وفي «ك» (ولم تصبر عيني توالى مؤللا)

وشعره مختلف عن نمط الإجابة التي تناسب محلّه في العلم ، وطبقته في الإدراك
فاختصرته .

مولده

عام تسعة وأربعين وستائة .

« وفاته » في السادس عشر لذي القعدة عام تسعة وعشرين وسبعائة :
ذكرته في كتاب « عائد الصلّة » قاضياً ، وفي كتاب « السّاج المحلّي » قاضياً
أديباً . وذكره أبو بكر بن الحكيم^(١) في كتاب « الفوائد المُستغربة » ، والموارد
المُستعدبة » من تأليفه .

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن

ابن يوسف بن سعيد بن جُزَيّ الكلابي

من أهل غرناطة ؛ ويعرف بابن جُزَيّ ؛ أوليته معروفة ، وأصلته شهيرة ؛
تُنظر فيما مر من ذلك [عند]^(٢) ذكر سلفه ، وفيما يأتي في ذلك ، بحول
الله وقوته .

حاله

من أهل الفضل والنزاهة ، والهمة ، وحُسن السُّمة ، واستقامة الطُّريقة ؛
عزَّب في الوقار ، ومال إلى الانقباض ، وترشَّح إلى رُتب سلفه ؛ له مشاركة

(١) هو من شيوخ ابن الخطيب ، وهو ولد الوزير الشهير أبي عبد الله محمد بن الحكيم . ولد
سنة ٦٦٥ هـ وتوفي سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) وتولى مثل أبيه الوزارة . وسوف يترجم له ابن الخطيب
فيما بعد بإفاضة في المجلد الثاني من الإحاطة .

(٢) يظهر أنه قد سقطت هنا في المخطوطين كلمة (عند) ، أو نحوها ليستقيم المعنى ، فأضفناها .

حسنة في فنون ، من فقه وعربية ، وأدب ، وحفظ ، وشعر ، تسمو^(١) ببعضه
الإجادة ، إلى غاية بعيدة .

مشيخته

قرأ على والده الخطيب أبي القاسم ، ولأزمه ، واستظهر^(٢) ببعض موضوعاته ،
وتأدب به ، وقرأ على بعض معاصري أبيه ، وروى ، واستجلب له أبوه كثيراً
من أهل صنعة وغيرهم .

نباهته

ثم أُرِّم في الكتابة السلطانية لأول دولة السابع من الملوك النصريين ،
منفق سوق الحلية من أبناء جنسه ، أبي الحجاج بن نصر ، فوري زنده ، ودرت
أحلاب قريحته ، وصدر له في مدائحه شعر كثير . ثم تصرف في الخطط الشرعية ،
قولاً القضاء ببرجة^(٣) ، ثم بأندرش^(٤) ، وهو الآن قاضي مدينة وادي آش
مشكور السيرة ، معروف النزاهة ، أعانه [ذلك]^(٥) وسوده ، وبلغ به رتبة
سلفه . وجرى ذكره في كتاب التاج بما نصه :

د فاضلٌ تحلّى بالسكينة والوقار ، فمدت إليه رقاب سلفه يد الافتقار ، ماشئت

(١) وردت في المخطوطين : (سما) ، وبهذا التصويب يستقيم المعنى .

(٢) هكذا في الملكية وفي «ج» (استظهره) والأول أرجح .

(٣) برجة هي Berja الحديثة وهي من أعمال ولاية ألمرية ، وتقع غربي ثغر ألمرية على

مقربة من البحر المتوسط .

(٤) وردت في المخطوطين وفي الملكية «أندش» وهو تحريف . وأندرش Andrax هي بلدة

صغيرة من أعمال ولاية ألمرية أيضاً ، تقع في شمال بلدة برجة . وهي شهيرة في تاريخ مملكة غرناطة
إذ كانت مقر أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس بعد تسلم غرناطة . وبها أقام زهاء عامين حتى عبر البحر
إلى المغرب في أكتوبر سنة ١٤٩٣ م .

(٥) زيادة مرجحة لا يستقيم بغيرها الساق .

من هدوء وسكون ، وجنوح إلى الخير ورؤ كون ، عني بالمحافظة على ميمته من لدن عقل ، ولزم خدمة العلم فاعاد ولا انتقل ، ووجد من أبيه رحمه الله مرعى خصيباً فابتقل ، وعمل على شاكله^(١) سلفه في سلامة الجانب ، وفضل المذاهب ، وتحملى بتلك المآثر وتوشح ، وتأهل إلى الرتب في سن الشببية وترشح ؛ وله مع ذلك في لجة الفقه سبج ، وعلى بعض موضوعات أبيه شرح ؛ وأدبه ساطع ، وكلامه حسن للمقاطع . فمن ذلك ما كتب به إلى ، وقد خاطبت ما أمكن من نظمه :

فَدَيْتُكَ يَا سَيِّدِي مِثْلَمَا فِدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زِنْتَهُ
وقوله في المقطوعات من ذلك في معنى التورية :

كَمْ بُكَائِي لِبُعْدِكُمْ وَأَيْنِي مَنْ ظَهَّرِي عَلَى الْأَسَى مِنْ مُعِينِي
جراح الخدِّ دمعُ عيني ولكن عجبٌ أن يُجرح ابن معين
وقال في الغني^(٢) :

أرى الناس يُولون الغني^(٣) كرامة وإن لم يكن أهلاً لرفعةٍ مقدار
ويُلون عن وجه الفقير وجوههم وإن كان أهلاً أن يُلاقى يا كَبَّار^(٤)
بنو الدهر جاءتهم أحاديثُ جمةً فاصححوا لإحديث ابن دينار^(٥)
ومن بديع ما صدر عنه ، قوله ينسج على منوال امرئ القيس^(٦)
في قصيدته الشهيرة :

أقول لحزمي^(٧) أو لصالح أعمال إلا عم صباحاً أيها الظالم البالي

- (١) وردت في «ج» والملكية (شاكلته) والتصويب أنسب للسياق .
(٢) في المخطوطين : المعنى ، وهو تحريف حسبما يتضح بعد من نص الشعر .
(٣) وردت في المخطوطين : الغني . والتصويب من نفع الطيب وهو يتفق مع سياق البيت التالي .
(٤) في المخطوطين : بآثار . والتصويب من نفع الطيب .
(٥) لم يرد هذا البيت في المخطوطين . ونقلناه عن نفع الطيب .
(٦) وردت في «ج» والملكية (السقرطي) . والمراجع أن ذلك تحريف وأن الكلمة المقصودة هي (امرئ القيس) حسبما يدل على ذلك ما قاله المقرئ عند تقديم القصيدة في نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٠) وفي أزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٢) .
(٧) هكذا في المخطوطين ؛ في النسخ وأزهار الرياض : لعزى .

أما واعظي شيب سما فوق ليمتي
أنا به ليل الشباب كأنه
نهاني عن غي وقال منبها
يقولون غيره لتنعم برهة
أنا لظ دهرى وهو يعلم أني
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه
أشبخا وتأتى فعل من كان عمره
وتشفئك الدنيا وما أن شفقتها
ألا أنها الدنيا إذا ما اعتبرتها
فأين الذين استأثروا قبلنا بها
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من
وقد عكمت منى مواعيد توبتي
ومذ وثقت نفسي بحب محمد
وأصبح شيطان الغواية خاسئا
ألا ليت شعري هل تقول عزائي
فأنزل داراً للنبي نزيلها
فظوبى لنفيس جاورت خير مرسل
ومن ذكره عند القبول تعطرت
جوار رسول الله مجد مؤثله

محمو حباب الماء حلالا على حال
مصايح رهبان تشب لقتال
ألست ترى السمار والناس أحوالى
يعون به^(١) من كان فى العصر الخالى
كبرت وأن لا يحسن الله أمثالى
بالسة كأنها خط تمثال
ثلاثين شهراً فى ثلاثة أحوال
كما شغف المهنوءة الرجل الطالى
ديار لسلمى عافيات بنى خال
لنأمو فما إن من حديث ولا صال
لعوب تسيبنى إذا قمت سربالى
بأن الفتى يهنى وليس بفعل
هصرت بغصن ذى شماريح مبال
عليه قنم^(٢) سى الظن والبال
لحيلي كرى [كرة بعد]^(٣) إجمال
قليل هموم ما يبيت بأوجال
بيثرب أذنى دارها نظر على
صباً وشمال فى منازل فقال
وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى

(١) عن بالمكان أى أقام به .

(٢) وردت فى المخطوطين والملكية : القنم . والقنم هو الغبار الأسود .

(٣) وردت فى المخطوطين ، (كرا ذات) والتصويب من الملكية والنفح والأزهار .

ومن ذا الذي يثني عنان السرى وقد
 ألم تر أن الظبية استشفعت به
 وقال لها عودي فقالت له نعم
 فعادت إليه والهوى قائل لها
 ربي لبعير قال أزمع مالكي
 وثور ذبيح بالرسالة شاهد
 وحن إليه الجذع حنة عاطين
 وأصلين من نخل قد التأما له
 وقبضة ثرب منه ذلت لها الظبا^(١)
 وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلاً
 وحسبك من سيف^(٢) الطفيل إضاءة
 وبذت به العجفاء كل مطهم
 وياخسف أرض تحت باغيه إذ علا
 وقد أخذت ناراً لفارس طالما
 أبان سبيل الرشد إذ سبيل الهدى^(٣)
 لأحمد خير العالمين انتقيتها

كفاني ولم أطلب قليل من المال
 تميل عليه هونة غير يخفأل
 ولو قد أعوا رأسي لديك وأوصالي
 وكان عداء الوحش مني على بالي
 ليقتلني والمرء ليس بفعال^(٤)
 طويل القرا والروق اخذس ذيال
 لغيث من الوسمى رائده خالي
 فاحتبس من لين مس وتسهال^(٥)
 ومسنونة زرق كأنياب أغوال
 وليس بنى زنج وليس بنبال
 كصباح زيت في قناديل ذبال
 له حجبات مشرفات على الفال
 على هيكل نهد الجزيرة جوال
 أصابت غصني [جزلاً]^(٦) وكهت بأجزال
 يقلن لأهل الحلم صلاً بتضلال
 ورضت فذلت صعبة^(٧) أي إذلال

(١) لم يرد هذا البيت في المخطوطين ، ونقلناه عن نفع الطيب .

(٢) وردت في المخطوطين : وتسأل ، والتصويب من النفع والأزهار .

(٣) في المخطوطين ، الصبا . والتصويب من الملكية والنفع .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفع سوط .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ونقلناها عن النفع والأزهار .

(٦) «إذ سبل الهدى» نقلناها عن النفع . ومكانها في المخطوطين عبارة مضطربة : (إذ سبل به) .

وكذا في الملكية .

(٧) وردت في المخطوطين طبعه . والتصويب من النفع .

وإن رَجَّأني أن ألاقيه غَدًا ولستُ بِمَقْلِي الخِلالِ ولا قَالِي
فأذركَ آمالي وما كلُّهُ آمَلٌ بِمَدْرِكِ أطرافِ الخُطوبِ ولا وَاوَالِي
ولا خفاءَ بِرِاعةِ هذا النُّظْمِ ، وإِحْكامِ هذا النَّسْجِ ، وشِدَّةِ هذه العارِضة^(١) . وله
تقييدٌ في الفقه على كتاب والده ، المسمى بالقوانين الفقهية ، ورجزٌ في الفرائض
يتضمن العمل . واحسانُهُ كثير . وتقدم قاضياً بِمَحَضْرَةِ غرناطة ، وخطيباً بِمَسْجِدِ
السلطان ، ثامن شوال من عام ستين وسبعمئة . ثم انصرف عنها ، وأعيد إليها في
عام ثلاث وستين ، موصوفاً بالزَاهَةِ والمَصَّاءِ .
« مولده » ، في الخامس عشر من جمادى^(٢) الأولى عام خمسة عشر وسبعمئة ،
وهو الآن بِقَيْدِ الحِياةِ .

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعد
ابن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن سراحيل^(٣) بن عامر بن
الفضل بن بكر^(٤) بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامري
يكنى أبا جعفر ، من أهل غرناطة .

أوليته

عامر الذي ينتسبون إليه ، عامرُ بن صَعَصَعَةَ بن هَوَازِنِ بن منصور بن عَكْرَمَةَ
ابن حَفْصَةَ بن قَيْسِ بن عِيْلانِ بن مُضَرَ بن نزار بن معد بن عدنان .

(١) وردت في المخطوطين (المعارضة) والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» ، لجمادى .

(٣) في «ك» سراحيل . وفي «ج» سراحيل .

(٤) وردت في المخطوطين : بدال . وهو تحريف . ويؤيد هذا التصويب ما يرد بعد قليل

في السياق .

ومن مناقبهم ؛ ميمونة أم المؤمنين ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن عامر من أصحابه ، وعاصم بن عبد الله الجعلى ، ويزيد بن الحميري ،
وغيرهم . منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس ، وهو بكر بن بكّار بن البدر بن
سعيد بن عبد الله ، قرية طغنز^(١) ، من إقليم براجلة^(٢) ابن خريز من
إلبيرة .

قال ابن الصيرفي^(٣) في تاريخه الصغير : منزل بني مسعدة ، موضع كرم
ومحمدة ، ينتسبون في عامر ، وهم أعيان عليّة ، فرسان أكابر ، وحجّاب وكُتاب
ووزراء ، ولهم سابقات ومفاخر ، وأوائل وأواخر . ومنهم على القدام جليل^(٤)
ونبيه ، ومنهم كان وضع بن جراح الققيه ؛ لم يدخل أحد منهم في الفتنة يداً ،
ولا تأذى مسلماً ، ولا معاهداً^(٥) ، على قدرتهم على ذلك ؛ وكفى به فخراً
لا ينقطع أبداً . ودخل جدّهم الأندلس بمقد بن مروان له ، سنة أربع وتسعين من
الهجرة ؛ ويأتى من ذكر أعلامهم ما يدل على شرف بيتهم ، وأصالته ،
وعلوّه وجلالته .

(١) ورد اسم هذه البلدة محرفاً في المخطوطين : (طننس) . والضواب هو « طغنز » Tignar
التي منها الطغنزى صاحب كتاب الفلاحة . وموقعها على مقربة من غرناطة . وقد سبقت الإشارة إليها .
راجع الحاشية في ص ١٢٩ .

(٢) سبق أن أوضحنا المعنى الجغرافى لكلمة براجلة وبراجلات Parcelas . وهى البقاع
والسفوح الواقعة في أسافل جبل الثلج Sierra Nevada . وبراجلة ابن خريز أو خريز هى إحدى
هاته البقاع المجاورة لبلدة إلبيرة .

(٣) وردت في المخطوطين : السيرفى وهو تحريف .

(٤) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (ولا) لتقرأ العبارة (جليل ولا نبيه) ، ووجودها على
على هذا النحو غامض مناقض للسياق ، فحذفناها وأبقينا الواو ليستقيم المعنى .

(٥) هكذا وردت في «ك» . و «ج» عاهد . وهو تحريف ووردت في «الملكية» (ولا تأذى
به مسلم ولا معاهد) . والمعاهد هو النصرانى الذى كان يميئش في ظل الحكومة الإسلامية Mozarabe
وقد سبق التعريف بأحوال المعاهدين . راجع الحاشية في ص ١٠٦ .

حاله

كان صدراً جليلاً، فقيهاً مضطاماً^(١)، من أهل النظر السديد والبحث، قائماً على المسائل، مشاركاً في كثير من الفنون، جزلاً مهماً، جارياً على من سلفه، ريان من العربية. وختم سيبويه تفقهاً، وقرأ الفقه، واستظهر كتاب التلقين، ودرس الأحكام الجيدة^(٢)، وعرضها في مجلس واحد، وقرأ أصول الفقه، وشرح المستصفي شرحاً حسناً، وقرأ الإرشاد والهداية^(٣)؛ وكان صدراً في الفرائض والحساب، وألف تاريخ قومه وقرابته.

ولايته

ولى القضاء بموضع من الأندلس كثيرة^(٤) من البشارات^(٥)، أقام بها أعواماً خمسة؛ ثم لوشة^(٦)، وأقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم بسطة وبرشانة^(٧). ثم انتقل إلى مالقة، وأقام بها أعواماً خمسة. نبتت على مقدار الإقامة لما في ضمن طول سنى الولاية من استقامة أمر الوالي. وكان له من أمير المسلمين بالأندلس خطوة لطيفة لم تكن لغيره، استنزلها بسحر التلطف، وخطبها بلسان التملق حتى استحكت له أسبابها.

(١) وردت في المخطوطين: مصطوماً. وهي كلمة لا معنى لها. وحكمة التصويب واضحة.

(٢) هكذا في «الملكية»، ووردت في «ج» (الجدية).

(٣) وردت في المخطوطين: والنهاية.

(٤) وردت في المخطوطين: كثير.

(٥) «البشارات» سبق التعريف بمعناها الجغرافية. وهي السفوح والسهول في منطقة

ميرا نفادا الوسطى، ومقابلها الإسباني Alpujarras راجع الحاشية، في ص ١١١.

(٦) لوشة هي بلد ابن الخطيب. وقد سبق التعريف بها في المقدمة.

(٧) سبق التعريف بها، راجع الحاشيتين في ص ١٠٩.

حدثني بعض أسياني من كان يياشر حال السلطان يومئذ ؛ قال : وجه ابن مسعدة ابنه من مالقة ، بكتاب في بعض الأغراض الضرورية ، ثم رغب فيه أن يُنعم على ولده بالمشافهة لإلقاء أمر ينوب عنه فيه ؛ فلما حضر ، تناول رجل السلطان قبيلها ، وقال أمرني أبي أن أنوب في تعفير الوجه ، في هذه الرجل الكريمة الجهادية عنه خاصة ، لبعده عهد به ، إلى أمثال هذا ، مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدنيا زهيدا ، لا يدري ما الله صانع فيه ؛ والإبقاء بما تجاوز الإفراط ، في تقدمه بمالقة ، بعده دار الأعلام ، وديوان العقد ، وهو حدث خلى من العلم ، قريب العهد بالبلوغ ، فكانت على أنها غاية الصدور مملعا ، إلى أن ضرب الدهر ضرباته ، وانتقلت الحال .

مشيخته

أولهم قاضي الجماعة ، أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع ؛ وثانيهم القاض أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع ؛ وثالثهم أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي^(١) ؛ ورابعهم العدل ، الراوية ، أبو الوليد العطار ؛ وخامسهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد^(٢) الخشني ؛ وسادسهم الأستاذ أبو الحسن السكناي الأشبيلي ؛ وسابعهم محمد بن إبراهيم ابن مفرج الأوسى الدبأغ ؛ وثمانهم أبو جعفر أحمد بن علي الرعييني ، وتاسعهم أبو علي بن أبي الأحوص .

وصيته

فروى الناس أنه وُجد بخزانتته بعد وفاته ، زمام ، يشتمل على مثالب أهل غرناطة ، مما يحدث على الأيام في أفرادهم ، من فلتات يُجرىها عدم الانصاف بالعصمة . استقر عند ولده الفضل ، زعموا ، ثم خفي أثره ، ستر الله عيوبنا برحمته .

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (الخزومي) .

(٢) هكذا في «ج» ، وفي الملكية (مفرج) .

وفاته

توفي بمالقة قُرب صلاة المغرب ، يوم الأحد الموفى عشرين لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستمائة ، ودفن بخارج باب قبالة في مالقة المذكورة بمقربة من رابعة بنى عمَّار ، وبالروضة المنسوبة لبني يحيى ، نقلت من خط ولده الفضل .

أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعب الأزدى

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن قُعب .

« أوليته » ، ذكر الأستاذ ابن الزبير في « صلته »^(١) وغيره ، أن قوماً بقرناطة يُعرفون بهذه المعرفة ، فإن كان منهم ، فله أولية لا بأس بها .

حاله

كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل ، واضطلاماً بالأحكام ، وانفرد بصحة الوثيقة ، باقعة^(٢) من بواقع زمانه ، وعيابة^(٣) في مشايخ قطره ، يألف النادرة الحارة في ملاء من النوك والغفلة ، فلا يهتز لموقع نادرة ، ولا يضحك عقب عقد صرعة ، لقلقه غير مامرة ، غير مجلس من مجالس القضاء من بنى مسعود المرزاة^(٤)

(١) هو كتاب « صلة الصلة » لأبي جعفر أحمد بن الزبير . وقد ذيل به على كتاب « الصلة » لابن بشكوال . ونشرت منه الأقسام التي عثر عليها منه ، بتحقيق المرحوم العلامة الأستاذ ليث بروفنسال (رباط سنة ١٩٣٧) ويقتبس ابن الخطيب كثيراً منه . ويترجم له فيما يلي

(٢) الباقعة هو الذكي الداهية من الرجال .

(٣) أى يكثر العيب في الناس .

(٤) في « الملكية » (المرزاة)

أحكامهم ، المرميةً بتهكمه وإزراءه ، ففتنح^(١) في طريق حكمهم خطأً منفسحة ، غير
مكثرت بهوانه ، ولا غاص بلسانه . وربما قال لبعض الورعة^(٢) من قاداته بمجسه ،
وقد توقفوا به في بعض الطريق ، توقفاً لسكون غضب قاضيهم ، إبعثوا بعضهم
إلى هذا المحروم ، لنرى ما عزم عليه ، بكلام كثير الفتور والاستكانة ، له في
هذا الباب شهرة .

« ذكر بعض نزعاته . » حدثني ملازمه ، وقف عليه ، أبو القاسم بن الشيخ
الرئيس أبي الحسن بن الجيب ، وقد أعمل والده ، رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه
الذي تلمذ له ، وشهر بالتشيع فيه ، أبي عبد الله الساحلي ، صاحب الأتباع والطريقة ،
وكان مفرط الغلو فيه ، واستصحب ولده الصغير ، فسأله عن سفر أبيه [وسعيه]^(٣)
فقال نعم ، واحتمل أخى ، فقال أظنه منذ ولد كان غير مغتطس ، فحمله الشيخ ،
فغطسه ، واستغرب كل من حضر ضحكاً ، فلم يتسم هو كأنه لا شعور عنده بما
ذهب إليه ، فكانت إحدى الطوام عند الشيخ .

وحدثني ، قال : جاءت امرأة تخاصم مياراً^(٤) ، أوصلها من بعض المدن ، في
أمرٍ نشأ بينهما ، وببده عقده ، فقال بعض جيرانه ، من نصه حاكياً ، « وأنه
جامعها من موضع كذا إلى كذا » ولم يرسم المد على ألف جاء ، فقال الشيخ
للرأة ، أتعرفين أن هذا الميار جامعك في الطريق أى فعل بك ، فقالت معاذ
الله ، ونفرت من ذلك ، فقال كذا شهد عليك الفقيه ، وأشار إلى جاره . ومثل

(١) أى نخنح وذل .

(٢) هم الحراس والحجاب .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الملكية . والميار هو الرجل الذى يجمع الميرة .

ذلك كثير . وُلِّي القضاء بأماكن عديدة كلوشة ، وبسطة ، والسند ، وبرجة ، وأرجبة^(١) ، وغير ذلك .

مشيخته

يحمل عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والخطيب الصالح أبي عبد الله بن فضيلة ، وأبي محمد بن ميمك ، وأبي الحسن بن مسطور .

مولده

عام سبعين وستمائة . توفي قاضياً ببرجة بعد عدة سدكت^(٢) به في السادس عشر من شعبان من عام اثنين وثلاثين وسبعائة ، وانتقل منها في وعاء خشب . ودفن بمقبرة البيرة ، تجاوز الله عنه ورحمه .

[أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي]

من أهل غرناطة ، وجلة بيوتها ، ويأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية .

حاله

هذا الرجل ممن صُرفت إلى الله رُجعا ، وخلصت له معاملته ، وخلص إليه انقطاعه . نازع في ذلك نفساً جامحة في الحزم ، عريقة في الغفلة ، فكتب الله له النصر عليها دفعة ، فشر وفوت الأصول للحضرة في باب الصدقة ، ونبذ الشواغل ، وحفظ كتاب الله على الكبرة ، واستقبل المحراب ، ماغياً سواه . درأ به ، فأتفق

(١) سبق التعريف ببسطة (الحاشية في ص ١٠٩) وبرجة (الحاشية في ص ١٥٨) . وأرجبة وبالإسبانية Orgiva ، هي بلدة تقع جنوب شرق غرناطة .

(٢) أي لازمت .

على فضله ، وغُبط في حسن فيئته . وله ديوان نبيل ، يتضمن كثيراً من فقه النفس والبدن ، دل على نبيله ؛ وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد . نفعه الله تعالى .
« مولده » ؛ بغرناطة عام تسعين وستمائة [١] .

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي

من أهل الحمّة^(٢) ، يكنى أبا جعفر .

« حاله » ، من أهل الخير والعفاف والطهارة والانقباض ، والصحة والسلامة ، أصيل البيت ، معروف القدم ببلده ، حر^(٣) النادرة . قرأ بالخضرة ، واجتهد ، وحصل ؛ ولازم الأستاذ أبا عبد الله الفخار وغيره من أهل عصره . وولى القضاء ببلدة الحمّة ، ثم بغرني مالقة . وهو الآن قاض بها ، مشكور السيرة .

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي

من أهل المرية^(٤) . يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن ورد .

(١) ردت هذه الترجمة في « ر.م. » ، في هامش ص ٢٧٢ ؛ ولم ترد في المخطوطات الأربعة ، فرأينا إثباتها في هذا المكان وفق ترتيبها الأجنبي .

(٢) الحمّة أو الحامة Alhama ، تقع جنوب غربي غرناطة على قيد أربعين كياؤ متراً منها . وقد كانت أيام مملكة غرناطة من أهم مدنها وأكثرها حصانة . وهي اليوم بلدة متوسطة .

(٣) هكذا في « ج » و « الملكية » . وفي « ك » حاد

(٤) هكذا وردت في « ك » . ووردت (غرناطة) في « ج » و « الملكية » ، والأولى رجح

حسبما يستدل بعد من سينت الكلام .

حاله

قال الملاحى : كان من جلة الفقهاء المحدثين . قال ابن الزبير كذلك ، وزاد : موفور الحظ من الأدب والنحو والتاريخ ، متقدماً في علم الأصول والتفسير ، حافظاً متقناً ، ويقال إن علم المالكية انتهت إليه الرياسة فيه ، وإلى القاضى أبى بكر بن العربى ، فى وقتها ، لم يتقدمهما فى الأندلس أحد [بعد]^(١) وفاة أبى الوليد بن رشد . قال أخبرنى الثقة أبو عبد الله بن جوبر عن أبى عمر بن عات ، قال : حديث ابن العربى ، اجتمع بابن ورد ، وتبايتا ليلة ، وأخذنا فى التناظر والتناكر ، فكاننا عجباً . يتكلم أبو بكر فيظن السامع أنه ماترك شيئاً إلا أتى به ، ثم يجيبه أبو القاسم بأبداع جواب يُنسى السامعين ما سمعوا قبله . وكانا أعجوبتى دهرهما . وكان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ، ويخص^(٢) الأخرسة بالتفسير .

« حلولة غرناطة »^(٣) ؛ قال المؤرخون وُلئى قضاء غرناطة سنة عشرين ، فعدل وأحسن السيرة ، وبه تفقه طلبتها إذ ذاك .

مشيخته

روى عن أبى على الغسانى ، وأبى الحسن بن سراج ، وأكثر عنه ، وأبى بكر بن سابق الصقيلى ، وأبى محمد بن عبد الله بن فرج المعروف بالعسال الزاهد ، ولازمه ، وهو آخر من روى عنه . ورحل إلى سبلماسة ، وناظر عند ابن العواد^(٤) .

(١) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وقد أضفناها ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) وردت فى المخطوطين : ويخصر . وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى «ج» ، وفى «ك» (حلولة عن غرناطة) وعن هنا لا محل لها .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «الملكية» .

وروى أيضاً عن أبي الحسن المبارك المعروف بالخشاب ، وكان الخشاب يحمل عن أبي بكر بن ثابت الخياط وغيره .

«من روى عنه» ، وروى عنه جماعة كأبي جعفر بن الباقر ، وأبي عبيد الله ، وابن رفاعة ، وابن عبد الرحيم ، وابن حكيم وغيرهم . وآخر من روى عنه ، أبو القاسم ابن عمران الخزرجي بفاس .

«وفاته» ، توفي بالمرية في الثاني عشر لرمضان سنة أربعين وخمسة .

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي^(١)

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن برطال^(٢) ، أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش^(٣) نصر حصن مُنتِماس من شرق مالقة ، من بيت خير وأصالة ، وانتقل سلفه الى مالقة ، فتوسّجت لهم بها عروقٌ ، وصاهروا إلى بيوتات نبيهة .

حاله

كان من أهل الخير ، وكان على طريقة مُثلى من الصمت ، والسّمت ، والانتقباض ، والذكاء ، والعدالة والتخصّص ، محوّلاً في الخير ، ظاهر المروءة ،

(١) وردت في المخطوطين : الأمدى . والتصويب من كتاب «تضارة الأندلس» (ص ١٤٨) .

(٢) وردت في المخطوطين وفي «الملكية» : ابن بطال ، وهو تحريف . وقد وردت بعد ذلك في السياق «ابن برطال» وهو الصواب .

(٣) هو السهل الذي تقع فيه بلدة Torrox الحديثة أو طرش ، وذلك في شرق مالقة على

نهر من البحر المتوسط .

معروف الأصالة ، خالص الطَّعمَة ، كثير العَقَّة ، مشهور الوَقار والعِفاف ، تحَرَّف بصناعة التوثيق على اتقباض .

دخوله غرناطة

تقدم قاضياً بغرناطة ، بعد ولاية القضاء ببلده ، وانتقل إليها ، وقام بالرَّسم المضاف إلى ذلك ، وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها ، والخطابة بجامع قلعها الحمراء ، واستقل بذلك إلى تاسع جمادى الثانية من عام إحدى وأربعين وسبعمائة ، على قصور في المعارف ، وضعف في الأداة ، وكلال في الجدِّ ، ولذلك يقول شيخنا أبو البركات بن الحاج :

إنَّ تقدِيمَ ابنِ بُرطالِ دعا طالبَ العلمِ الى تركِ الطُّلبِ
حَسَبُوا الأشياءَ عن أسبابها فإذا الأشياءَ عن غيرِ سببِ

إلا إنه أعانه^(١) الدربة ، وألحكة على تنفيذ الأحكام ، فلم تؤثر عنه فيها أحداثه ، واستظهر بجزالة ، أمضت حكمه ، واتقباض عافه عن الهوادة ، فرضيت سيرته ، واستقامت طريقته .

« مشيخته » ، لقي والده ، شيخ القضاة ، وبقية المحدثين ، وله الرواية العالية ، والدرجة الرفيعة ، حسباً يأتي في اسمه ، ولم يؤخذ عنه شيء^(٢) فيما أعلم .

شعره

أشدُّنى الوزير ، أبو بكر بن ذى الوزارتين ، أبى عبد الله بن الحكيم ، قال

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» و «الملكية» إعادته .

(٢) وردت في المخطوطين : «شيئاً» وهو تحريف .

أنشدني القاضي أبو جعفر بن برطال لنفسه ، مُودِعاً في بعض الأسفار :

أستودع الله [من لوداعهم]^(١) قلبي وروحي إذ دنى الوداع
بانوا وطرفي والفؤاد وميتولى بالكِ ومسلوب العزاء وداع
فتولِّ يا مولاي حِفْظَهُمْ ولا تجمل تفرقتنا فِراقِ وداع

وفاته

توفي رحمه الله ، وعفا عنه ، أيام الطاعون الغريب^(٢) بمالقة ، في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين وسبعمائة ، وخرجت جنازته في اليوم التالي ، ليلة وفاته في ركب من الأموات ، يناهز الألف ، وينيف بمائتين ، واستمر ذلك مدة ، وكان مولده عام تسعة وثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة الخزومي

بلنسى شقوري^(٣) الأصل يكنى أبا مطرف .

« أو لَيْتَهُ » لم يكن من بيت^(٤) نباهة ، ووقع لابن عبد الملك في ذلك

نقل ، كان حقه التجافي عنه ، لو وفق .

(١) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي «الملكية» . ووردت في «ت» (الزيتونه) (الأولى

أودعهم) . وقد آثرنا النص الأول المجمع عليه .

(٢) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (القوا) وهي دخيلة هنا فأغفلناها . ويشير ابن الخطيب هنا

إلى الوباء الهائل الذي اجتاح المشرق والمغرب سنة ٥٧٤٩ (١٣٤٩م) ، وطاف بالأندلس وقتك بأهلها . وقد كتب عنه ابن الخطيب رسالته المسماة «مقنعة السائل عن المرض الهائل» التي ذكرناها في المقدمة .

(٣) نسبة إلى شقورة . وهي بلدة تقع شمال شرق مدينة أبدة ، وشمال غربي جبال شقورة

Sierra de Segura وكانت أيام الدولة الإسلامية من أعمال ولاية جيان . وتسمى اليوم بالإسبانية

Segura de Sierra

(٤) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» و «الملكية» أصل . والأولى أرجح ، وهي متفقة مع

ما يرد بعد في السياق .

حاله

قال ابن عبد الملك^(١): كان أول طلبه العلم، شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث، وأخذ عن مشايخ أهله، وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع فيه براعة، عُدها من كبار مجيدي النظم. وأما الكتابة، فهو علمها المشهور، وواحد الذي عجزت عن ثانيه الدهور، ولا سيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان^(٢)، وله المطبوعات المنتخبة، والقصار المتقضية، وكان يُمَلِّح^(٣) كلامه نظماً ونثراً بالإشارة إلى التاريخ، ويؤدعه للمعات بالمسائل العلمية مُنوعة المقصد. قلت: وعلى الجملة، فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال؛ فقد كان نسيج وحده، إدراكاً وتفناً، بصيراً بالعلوم، مُحدِّثاً، مكثراً، راوية ثبثاً، سَجِراً^(٤) في التاريخ والأخبار، وبيان، مضطماً بالأصلين، قائماً على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة والطلاوة، جَمَّ العيون، غزير المعاني والمحسن، وافد أرواح المعاني، شفاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الحرفة، وسوء الحظ، ورونق الكلام، ولطف للأخذ، وتبريز النثر على النظم، والقصور في السلطانيات.

مشيخته

روى عن أبي الخطاب بن واجب، وأبي الربيع بن سالم، وأبي عبد الله بن فرج وأبي علي الشلوين، وأبي عمر بن عات، وأبي محمد بن حوط الله، لقيهم، وقرأ

(١) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ. صاحب كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» وهو موسوعة تراجم عظيمة أندلسية ومغربية، ومنه أجزاء مخطوطة بباريس والقاهرة والإسكوريال والرباط والمتحف البريطاني. وقد صدرت منه بضعة أجزاء في بيروت (١٩٦٤ — ١٩٦٥).

(٢) وردت في المخطوطين: الإنسان. والتصويب من «ت» والذيل والتكملة.

(٣) وردت في المخطوطين: (يعلم) والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «ك» شحرا. والسجر هو الملىء.

عليهم ، وسمع منهم ، وأجازوا له ؛ وأجاز له من أهل المشرق أبو الفتح نصر بن أبي الفرج وغيره .

« من روى عنه » ؛ روى عنه ابنه القاسم ، وأبو بكر بن خطاب ، وأبو إسحاق البلقيني الحفيد ، والحسن بن طاهر بن الشقورى ، وأبو عبد الله البرى . وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير ، وابن شقيف ، وابن ربيع ، وغيرهم مما يطول ذكره .

نباهته

صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن خطاب ، قبل توليته ما تولى من رئاسة بلده ، وانتفع به كثيراً ؛ وكتب عن الرئيس أبي جميل زيان ابن سعد^(١) ، وغيره من أمراء شرق الأندلس . ثم انتقل إلى العدو^(٢) ، واستكتبه الرشيد^(٣) أبو محمد عبد الواحد^(٤) بمراكش ، مدة يسيرة ؛ ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء ملبانة من نظر مراكش [الشرقي]^(٥) ، فتولاه قليلاً ، ثم نقله إلى أقصى رباط الفتح . وتوفي الرشيد ، فأقره على ذلك الوالى بعده ،

(١) الرئيس أبو جميل زيان بن سعد بن مردنيش ، كان أميراً لبلنسية واستمر على إمارتها حتى حاصرها الأرجونون بقيادة الملك خايى الأول سنة ٦٣٥ هـ . وقد أوفد عندئذ كاتبه الشهير أبا عبد الله ابن الأبار القضاعى إلى صاحب تونس الأمير أبى زكريا يحيى الحفصى يستنجد به ويطلب عونه . وأنشد ابن الأبار لهذه المناسبة بين يدي أمير تونس قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أدرك بخيلك خليل الله أندلساً إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقد استجاب أبو زكريا للنداء ، وبعث طائفة من السفن تحمل الأموال والمؤن إلى مياه بلنسية . ولكنها أخفقت فى الاتصال بأهل المدينة . وسقطت بلنسية فى يد النصارى فى العام التالى أى فى سنة ٦٣٦ هـ . (١٢٣٨ م) .

(٢) أى عدوة المغرب .

(٣) هو خليفة الأوحدين ، وولد الخليفة العادل . حكم فى مراكش من سنة ٦٣٠ إلى سنة ٦٤٠ هـ .

(٤) وردت فى المخطوطات : عبد الوليد ، وهو تحريف .

(٥) الزيادة من الملكية .

أبو الحسن المعتضد أخوه ؛ ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون ؛ ثم لما قتل المعتضد لحق بسبته ، وجرى عليه بطريقها ما يذكر في مخطته . ثم ركب البحر منها متوجهاً إلى إفريقية ، فقدم بجاية على الأمير أبي زكريا يحيى بن الأمير أبي زكريا (١) . ثم توجه إلى تونس فنجحت بها وسائله ، وولى قضاء مدينة الأرش (٢) . ثم انتقل إلى قابس ، وبها طالت مدة ولايته ؛ واستدعاه المستنصر بالله (٣) محمد بن أبي زكريا ، ولطف محله منه ، حتى كان يحضر مجالس أنسبه ، وداخله بما قرفته (٤) الألسن بسببه حسبما يذكر في وصيته .

مناقبه

وهي الكتابة والشعر ؛ كان يذكر أنه رأى في منامه ، النبي صلى الله عليه وسلم ، فناوله أقلاماً ، فكان يروى له أن تأويل تلك الرؤيا ، ما أدرك من التبريز في الكتابة ، وشياع الذكر ، والله أعلم .
ومن بديع ما صدر عنه ، فيما كتب في غرض التورية ، قطعة من رسالة ، أجاب بها العباس بن أمية ، وقد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية (٥) ، فقال :
« بالله أي نحو نفعو ، أو مسطور نثبت أو نفعو ؛ وقد حنف الأصل والزائد ، وذهبت الصلة والعائد ؛ وباب التعجب طال ، وحال اليأس لا تخشى الانتقال ؛ وذهبت علامة الرفع ، وفقدت [نون] الجمع ؛ والمعتل أعدى

(١) كان أمير بجاية وقت وفود ابن عميرة إليها ، هو الأمير أبو زكريا يحيى بن الأمير أبي زكريا يحيى ولد الشيخ أبي محمد عبد الواحد ، أمير تونس ومؤسس الدولة الحفصية الأفريقية .
(٢) هكذا وردت في «ج» والملكية ، وفي «ك» (الأوش) . والظاهر أن هذا الاسم محرف
(٣) وردت في المخطوطين : المتنصر بالله . وهو تحريف .
(٤) هكذا في «ك» . وفي «الملكية» (قربته)
(٥) سقطت بلنسية في يد النصارى حسبما تقدم في صفر ٦٣٦ هـ . (سبتمبر ١٢٣٨ م) .
والروم هنا هم «الأرجونيون» .

الصَّحِيحِ وَالْمُثَلَّثِ أَرَدَى الْفَصِيحَ ؛ وَامْتَنَعَتِ الْجُمُوعُ مِنَ الصَّرْفِ ، وَأَمْنَتْ زِيادَتُهَا مِنَ الْحَذْفِ ؛ وَمَالَتْ قَوَاعِدُ الْعِلَّةِ ، وَصَرْنَا جَعَّ الْقِلَّةَ ؛ وَظَهَرَتْ عَلَامَةُ الْخَفْضِ ، وَجَاءَ بَدَلُ الْكَلِّ مِنَ الْبَعْضِ .

ومن شعره في المقطوعات التي وُزِّيَ فيها بالعلوم قوله :

قد عَكَفْنَا عَلَى الْكِتَابَةِ حِينًا وَجَاءَتْ (١) خُطَّةُ الْقَضَاءِ تَلِيهَا
وَبِكُلِّ لَمْ يَسِقْ لِلْجُهْدِ إِلَّا مَنزِلًا نَائِيًا وَعَيْشًا كَرِيمًا
نِسْبَةً بَدَّلَتْ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ مِثْ لُ مَا يَزَعُمُ الْمَهْنَسُ فِيهَا
وَكَقَوْلِهِ مِمَّا افْتَتَحَ بِهِ رِسَالَةَ :

يَا غَائِبًا سَلِمَتِي الْأُنْسَ غَيْبَتُهُ فَكَيْفَ صَبِرِي وَقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعَايَ أَنْتَ فِي قَلْبِي فَعَارَضَهَا شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الْجَمْعُ يَنْتَهُمَا
وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ اسْتَفْتَا حُ رِسَالَتِهِ أَيْضًا :

إِنَّ السِّكِّتَابَ أَتَى وَسَاحَةَ طَرِيسِهِ رُوحٌ مُوشَى (٢) بِالْبَدِيعِ مَرْتَعٍ (٣)
وَلَهُ حَقُوقٌ ضَاقَ وَقْتُ وُجُوبِهَا وَرِمَنَ الْوُجُوبِ ضَيْقٌ وَمَوْسَعٌ
وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ فِي اسْتَفْتَا حُ رِسَالَةَ أَيْضًا :

كَبُرْتُ بِالْبُشْرَى أَنْتَ وَسَمَاعُهَا عَيْدِي الَّذِي لَشُهُودِهِ تَكْبِيرِي
وَكَذَلِكَ الْأَعْيَادِ سُنَّةٌ يَوْمِهَا مَخْتَصَّةٌ بِزِيَادَةِ التَّكْبِيرِ
وَفِي أَغْرَاضٍ أُخْرَى :

بَايَعُونَا مَوَدَّةً هِيَ عِنْدِي كَالرَّاءِ (٤) بِيَعِيهَا بِالْخِدَاعِ
فَسَأَقْضِي بِرَدِّهَا ثُمَّ أَقْضِي بَعْدَهَا مِنْ مَدَامِي (٥) أَلْفَ صَاعِ

(١) في «الملكية» (ثم جاءت) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» (الزيتونة) موشح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» مرتب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» و «ت» كالممرات ، كالممارات .

(٥) هكذا في «ت» . وفي «ج» مدامي . وفي «ك» قدامي .

وله في معنى آخر :

شرطتُ عليهم عند تسليم مُهجتي وعند انعقاد البيع قُرْباً يُواصل
فلما أردتُ الأخذ بالشرط أعرَضوا وقالوا يصحُّ البيعُ والشرطُ باطل

تصانيفه

له تأليفٌ في كائنة مَيْرُقة^(١) ، وتغلب الرُّوم عليها ، نحى فيه منجى
العِماد الأصفهاني ، في الفتح القدسي^(٢) ؛ وكتابه في تعقيبه ، على فخر الدين بن
الخطيب الرّازي في كتاب المعالم في أصول الفقه منه ؛ ورده على كمال الدين أبي
محمد بن عبد الكريم السماكي في كتابه المسمى بالتبَيان في علم البيان ؛ واقتضاه
النَّبيل^(٣) في ثورة المريدين^(٤) ، إلى غير ذلك من التعاليق^(٥) والمقالات ودون
الأستاذ أبو عبد الله ابن هانيء السبقي كتابته وما يتخللها من الشعر في سفرين
بديعين أتقن ترتيدهما ، وسمى ذلك « بغية المُستطرف ، وغنية المُستطرف^(٦) من
كلام إمام الكتابه ابن عميرة أبي المظرف » .

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» مريقة . وفي «ت» (الزيتونة) ألمرية وهو تحريف .
وكائنة ميورقة يقصد بها هنا استيلاء النصارى على جزيرة ميورقة كبرى جزائر البليار أو الجزائر
الشرقية ، وذلك في سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٨ م) على يد ملكهم خايمي ملك أراجون الذي سبقت الإشارة إليه .
(٢) كتاب العِماد الأصفهاني المشار إليه هنا هو «كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي» وهو من
تأليف عماد الدين أبي عبد الله محمد بن هبة الله القرشي الأصفهاني المشهور بالعِماد الكاتب . المتوفى سنة
٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) . وفيه يصف الحوادث التي اقترنت بفتح بيت المقدس على يد الملك الناصر
صلاح الدين في سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) . وينحو فيه منحى السجع المرتب . وقد كان شاهداً لكثير
من الحوادث التي يصفها .

(٣) وردت في «ج» السميل ، وفي «ك» النسيل . وهو فيما يبدو تحريف لما أثبتناه .

(٤) كتاب «ثورة المريدين» من تأليف أحمد بن قسي ، وهو من زعماء ولاية الغرب الأندلسية
في أواسط القرن السادس الهجري ، وكان شاعراً متمصوفاً . ولم يصلنا كتابه المشار إليه .

(٥) في المخطوطين : العاليق . وهو تحريف ظاهر .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» المظرف .

دخوله غرناطة

[قال] ^(١) شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب . عمير أخبر بذلك من شيوخه —
والرجل ممن يُركن إليه في أخباره فيما أحقوا ^(٢) على سبيل الرواية والإخبار ،
من شرق الأندلس ، إلى غرناطة ، إلى غربها إلى غير ذلك ، عند رحلته ، وهو
الأقرب ، وقال : قال المخبر ، عهدي به طويلاً ، نحيف الجسم ، مُصْفراً ، أفتى
الأنف ، أصيب بمالقة ما أحوج ما كان إليه ، وقد استقبل الكبرية ^(٣) ،
ونازعه ^(٤) سوء الحظ ، قال الشيخ أبو الحسن الرُّعَيْنِي ، إنه كتب إليه
يُعلمه بهذه الحادثة عليه ، وأن المنهوب من ماله ، يعدل أربعة آلاف دينار
عُشْرِيَّة ، وكان ورقاً وعيناً وحُلِيّاً وذلك أنه لما قُتِل المعتضد ، اغتتم الفطرة ^(٥) ،
وفصل عن مكناسة ، قاصداً سبته ، فلقى الرقعة التي كان فيها جَمْعٌ من بنى مَرِين ،
سلبوه وكلّ من كان معه .

مولده

بجزيرة شقر ^(٦) وقيل ببُلنسية في رمضان اثنتين وثمانين وخمسمائة .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضيا السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين مع تحريف بسيط . وفي «ت» «ما أخفوا» .

(٣) الكبرية هي كبر السن .

(٤) هكذا وردت في «ت» و «ج» و «الملكية» ، ووردت في «ك» (وقارعه) ، والمعنى

واحد .

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية» وفي «ك» (الفترة) .

(٦) جزيرة شقر كانت تطلق أيام الدولة الإسلامية على الجزيرة الكبيرة الواقعة في نهر شقر Jucar .

قبل مصبه في البحر المتوسط جنوب بلنسية . وكانت من أجل البقاع في تلك المنطقة ، وكانت تسمى
أحياناً بالجزيرة فقط . وهو الاسم الذي استعير فيما بعد لبلدة Alcira الإسبانية الواقعة على نهر شقر
على مقربة من الجزيرة المذكورة . وقد كانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء .

« وفاته » ؛ توفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين^(١) ذى الحجة عام ستة وخسين وستمائة . قال ابن عبد الملك ؛ وَوَم ابن الزبير في وفاته ، إذ جعلها في حدود الحسين وستمائة أو بعدها .

أحمد بن عبدالحق بن محمد بن يحيى بن عبدالحق الجذلي
من أهل مالقة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن عبدالحق .

حاله

من صدور أهل العلم والنفنن ، في هذا الصقع^(٢) الأندلسي ، نسيجٌ وحده في الوقار والحصافة ، والتزامٌ مثلى الطريقة ، جمُّ التحصيل ، سديد النظر ، كثير التخصص ، محافظ على الرسم ، مقبوضُ العنان في التطفيف في إيجاب الحقوق لأهلها ، قريب من الاعتدال في معاملة أبناء جنسه ، مقتصد مع ثروته^(٣) ، مؤثر للترتيب^(٤) في كافة أمره ، متوقد الفكرة مع سكون ، لينُّ العريكة مع مضاء ؛ مجموع خصال حميدة مما يفيد التجريب^(٥) والحُكْمَة ؛ مضطلم بصناعة العرييه ، حائز قصب السبق فيها ، عارف بالفروع والأحكام ، مشارك في فنون من أصول ، وطب ، وأدب ، قائم على القراءة ، إمام في الوثيقة^(٦) ، حسنُ الخطِّ ، مليح السمة والشبية^(٧) عذَّب الفكاهة ، حسن العهد ، تام الرجولية^(٨) .

-
- (١) هكذا في «ك» . وفي «ج» و «ت» عشر .
 - (٢) تردد دائماً في «ك» السقع بالسين . وهو تحريف إملاء مستمر .
 - (٣) هكذا في «ك» ، وفي «ج» ثورته . وهو تحريف ظاهر .
 - (٤) هكذا في «ج» ، وفي «ك» للقريب . والأولى أرجح .
 - (٥) هكذا في «الملكية» وفي المخطوطين : التحريج ، والتخريج ، والأولى أرجح بالنسبة للمعنى .
 - (٦) الوثيقة والتوثيق كتابة المقود .
 - (٧) وردت في «ج» الشبيهة . وفي «ك» ، الشبية . والتصويب أنسب السياق .
 - (٨) وردت في المخطوطين : «الرجولية» . وهو تحريف .

نباهته

تصدّر للاقراء ببليده على وفور أهل العلم ، فكان سابق الحليمة ، ومناخ العلية ، إمتاعاً ، وتفناً ، وحسن إلقاء^(١) . وتصرف في القضاء ببليش^(٢) وغيرها من غربى بلده ، فحسنت سيرته ، واشتهرت طريقته ، ومحمدت نزاهته . ثم ولى خطة القضاء بمالقة ، والنظر في الأحباس^(٣) بها ، على سبيل من الخطوة والنباهة ، مرجوعاً إليه في كثير من مهمات بلده ، سائمة وجوه السعادة ، ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضلها ، جماعة نزاهته ، آوياً إلى فضل بيته . واتصلت ولايته إليها إلى هذا العهد ، وهي أحد محامد^(٤) الوالى ، طول مدة الولاية ، لاسيما القاضى ، مما يدل على الصبر ، وقلة القدح ، وسد أبواب التهم ، والله يعينه ، ويمتعه به بمنه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبى عبد الله بن بكر ، وهو نجيب حليته ، والسهم المصيب من كنيانته ، لازمه ، وبه تفقه وانتفع ، وتلا القرآن عليه وعلى محمد بن أيوب ، وعلى أبى القاسم بن درهم علكى وقتبها في ذلك ، وعلى غيرها ، وتعلم الوثيقة على العاقد القاضى أبى القاسم بن العريف . وروى عن الخليليين المحدثين أبى عثمان ابن عيسى وأبى عبد الله الدائمجالى وغيرها .

دخوله غرناطة

تردد إليها غير ما مرّة ، منها في أمور عرّضت في شئوننا الخاصة به ، ومنها

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» اللقاء ، وهو تحريف .

(٢) هي بلدة بليش مالقة Velez Malaga . وقد سبق التعريف بها . أنظر الحاشية في

ص ١١٢ .

(٣) أى الأوقاف .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» المحامد .

مع الوفود الجبلية ، من أهل بلده ، تابعاً قبل الولاية ، متبوعاً بعدها . ومن شعره قوله في جدول :

ومُقَابِرُ الشَّيْطَانِ (١) أَحْكَمُ صَقَلَهُ كَلَّمَشَرَفِي إِذَا اكْتَسَى بِفِرْنَدِهِ
فَحَمَائِلُ الدِّيَّاجِ مِنْهُ خَمَائِلُ وَمَعَانِقُ فِيهَا الْبَهَارَ بَوْرَدِهِ
وَقَدْ اخْتَقَى طَرْفٌ لَهُ فِي دَوْحَةٍ كَالسَّيْفِ رُدٌّ ذُبَابُهُ فِي غَمْدِهِ

وقوله في شجر نارنج مزهر :

وَتَمَارِ نَارَنْجٍ نَرَى أَزْهَارَهَا مَعَ نَائِيٍّ النَّارَنْجِ فِي تَنْضِيدِ
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى تَأَلُّفِهَا أَتَتْ كَمَا يَمِيمٌ (٢) أَوْ مَتَّ لِيْلِمِ خُدُودِ

وفاته

في زوال يوم الجمعة السابع والعشرين لرجب عام خمسة وستين وسبعمائة .
« مولده » ، ثامن شوال عام ثمانية وتسعين وستائة .

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن الصقر الأنصاري الخزرجي

يكنى أبا العباس ، من أهل الثغر الأعلى (٣) .

أوليته

من سرقسطة ، حيث منازل الأنصار هنالك ؛ انتقل جدُّ أبيه عبد الرحمن
بإبنة الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بآنسية ، فولد له ابنه عبد الرحمن

(١) وردت في المخطوطين : ومنهم الشيطان .

(٢) وردت في المخطوطين : كلاس .

(٣) الثغر الأعلى في الجغرافية الأندلسية هو ولاية الحدود الشمالية وهي ولاية سرقسطة ،
وأعمالها تطيلة ورشقة ولاردة وطركونة وطرطوشة . وهو يقال في الجغرافية المدينة ولاية أراحون .

أبو العباس هذا ؛ ثم انتقل أبوه إلى ألمرية^(١) ، فولد أبو العباس بها ، ونقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدة .

حاله

كان محدثاً مكثرًا ثقة ، ضابطاً ، مقرئاً ، مجوداً ، حافظاً للفقهِ ، ذاكراً للمسائل ، عارفاً بأصولها^(٢) ، متقدماً في علم الكلام ، عاقداً للشروط ، بصيراً بعلمها ، حاذقاً بالأحكام ، كاتباً بليغاً ، شاعراً محسنًا ، أتقنُ أهل عصره خطاً ، وأجلهم منزعاً ، ما اكتسب قط شيئاً من متاع الدنيا ، ولا تلبس بها ، مُقتنعاً باليسير ، راضياً بالدون ، مع الهمة العلية^(٣) ، والنفس الابية ، على هذا قطع عمره ، وكتب من دواوين العلم ودقاتره ، ما لا يحصى كثرة ، بجودة ، وضبط وحسن خطٍّ ، وعُني به أبوه في صغره ، فأسمعه كثيراً من الشروح ، وشاركه في بعضهم . نفعه الله .

نباهته

استداه أبو عبد الله بن حسون ، قاضي مرّاكش ، إلى كتابته ، إلى أن صُرف ، واستقرَّ هو متولى حُكمها وأحكامها ، والصلاة في مسجدِها ، ثم ترك الأحكام ، واستقرَّ في الإمامة . ولما تصيّر الأمرُ إلى الموحِّدين ، ألحقه عبد المؤمن^(٤) منهم ، بجملة طلبية العلم ، وتحفَّا به ، وقدمه إلى الأحكام بحضرة مرّاكش ، فقام بها مدة ، ثم ولاء قضاء غرناطة ، ثم نقله إلى إشبيلية قاضياً بها

(١) وردت في المخطوطين : «القرية» . وهو تحريف ، ولا بد أنها «ألمرية» كما يتضح من سياق الكلام فيما بعد .

(٢) وردت في المخطوطين : بأصوله . والتصويب أرجح لأن الضمير هنا عائد إلى المسائل .

(٣) في «الملكية» ، العالية .

(٤) هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي . وقد سبق التعريف به (انظر الحاشية في ص ١٤١)

مع وليّ عهده . ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب^(١) ، أُلزمه خدمة الخزانة العلمية وكانت عندهم من الخَطاط التي لا يُعَيَّن لها إلا كبار أهل العلم وعليّهم ، وكانت مواهب^(٢) عبد المؤمن له جَزَلَةٌ ، وأَعطيتهم مُترافِهة كثيرة .

مشيخة

قرأ القرآن على أبيه ، وأكثر عنه ، وأجاز له ، وعلى أبي الحسن التّطيلي^(٣) ، قال ، وهو أول من قرأت عليه .

«من روى عنه» ، روى عنه أبو عبد الله ، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعه ، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي .

دخوله غرناطة

صُحبة القاضي أبي القاسم بن حمزة ، ونوّه به واستخلفه إذ وليها ، وقبض عليه بكتفي يديه ، ثم استتقى بها أبو الفضل عياض بن موسى ، فاستمسك به ، واشتمل عليه ، لصحبة كانت بينهما وقرابة ، إلى أن حُرف عنها أبو الفضل عياض ، فانتقل إلى وادي آش ، فتولى أحكامها والصلاة بها ، ثم عاد إلى غرناطة سنة ست وثلاثين ، إلى أن استتقى بغرناطة في دولة أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي ، فخمدت سيرته ، وشكر عدله ، وظهرت نزاهته ، ودام بها حتى ظن من أهلها .

(١) أبو يعقوب يوسف هو ولد عبد المؤمن وخليفته . وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨-٥٨٠ هـ (١١٦٢-١١٨٤ م) وتوفى متأثراً بجراحه في موقعة سنترين التي هزم فيها الموحدون (ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ) .

(٢) هكذا في «ك» ، وفي «ج» و «الملكية» مذاهب . وهو تحريف .

(٣) التّطيل ، نسبة إلى تطيلة ، وهي مدينة من مدن النّغر الأعلى تقع شمال غربي سرقسطة على

نهر إيبرو ، وبالإسبانية Tudela .

شعره

وشعره فى طريقة الزهد [وهى] ^(١) لا ينفذ فيها إلا من قويت عارضته ،
وتوفرت مادته :

إلهى لك الملك العظيم حقيقةً وما لأورى مهما منعت فقير
تجافى بنو الدنيا مكاني فسرتنى وما قدر مخلوق جداه ^(٢) حقير
وقالوا فقيرٌ وهم عندى جلاله نعم صدقوا إني إليك فقير
وشعره فى هذا المعنى كثير ، وكاء سلس المقادة ، دالاً على جودة الطبع .

ومن شعره قوله :

إرض العدو بظاهر متصنع إن كنت مضطراً إلى استرضائه
كم من فتى ألقى بوجه باسمه وجوانحى تتقد من بفضائه

تصانيفه

له تصانيف مفيدة ، تدل على إدراكه وإشرافه ، كشرحه الشهاب ، فإنه
أبداع فيه ، وكتابه « أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد
والأبرار » ، ابتداء تأليفه ، وتوفى دون إتمام غرضه فيه ، فكملة عبد الله أبنة .

محتته

كان ممن وقعت عليه المحنة العظيمة بمراً كُش يوم دخول الموحدين إياها ، يوم
السبت لإثني عشر ليلة بقيت من شوال [عام] ^(٣) إحدى وأربعين وخمسة ، على
الوجه المشهور فى استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور البالغين ، إلا

(١) هذه الكلمة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٢) فى المخطوطين : حده . وفى الملكية (جزاه) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين ، وإثباتها أصلح للسياق .

من تسرَّ بالاختفاء في سِرْب [أو غرفة]^(١) أو مخبأ . وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام ، ثم نودي بالعمو عن أشارته الفتحة الكبرى ، فظهر من جميع الخلق بها ، ما يناهز السبعين رجلا ، ويبيعوا بيع أسارى المشركين ، هم وذرايهم ، وعنى [عنهم]^(٢) ، فكان أبو العباس ممن تخطته المنية ، واستنقذه من الرق العفو ، وحسبك بها محنة ، نفعه الله ، وضاعت له في ذلك وفي غيره ، كتب كثيرة بخطه وبغير خطه ، مما تجلَّ عن القيمة .

• ولده

بألمرية في أواخر شهر ربيع سنة اثنين وخمسة .

« وفاته » ؛ توفي بمرآ كش بين صلاة الظهر والعصر ، في يوم الأحد ثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسة . ودفن يوم الإثنين بعمه عقب^(٣) صلاة الظهر ، وصلى عليه القاضي أبو يوسف حجاج ، وكانت جنازته عظيمة المحفل ، كثيرة الجمع ، برز إليها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الأيدي . رحمه الله . ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل^(٤) ، وهو بأشبيلية ، بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غرض العزاء :

لأمرٍ ما تَغَيَّرَ الدُّهُورُ وَأظْلَمَتِ السُّكُوكُ والبُدُورُ
وطال على العيون الليلُ حتى كأنَّ النِّجم فيه لا يُغُورُ

(١) هذه الكلمة زائدة في « ك » .

(٢) ناقصة في المخطوطين . ويقضى إنباتها السياق .

(٣) في المخطوطين ، بعد عقب ، والتصويب من « الملكية » .

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل (أو ابن الطفيل) القيسي من أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها . ولد في أوائل القرن السادس الهجري بمدينة وادي آش . وتوفي بمرآ كش سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) . وتولى منصب الوزارة ومنصب الطبيب الخاص للخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدى . وكان صديقا وأستاذا لابن رشد . وهو صاحب رسالة « حى بن بقطان » الشهيرة . وسوف يترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني من الإحاطة .

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن ، يعرف بابن القباب
من أهل فاس ، ويكنى أبا العباس .

حاله

هذا الرجل ، صدرُ عدول^(١) الحضرة الفاسية ، وناهضُ عُشْم ، طالب ، فقيه ، نبيه ، مُدرِّك ، جيد النظر ، سديد الفهم ؛ حضر الدرس بين يدي السلطان ، وولَّى القضاء بجبل الفتح^(٢) ، متصفاً فيه بجزالة وانهاض . تعرفتُ به بمدينة فاس ، فأعجبته سيمته ؛ ووصل مدينة سلا في غرض اختبار واستطلاع الأحوال السلطانية ؛ واستدعيته فاعتذر ببعض ما يقبل ، فخطبته بقولي :

أَيْتُمْ دَعَوْتِي إِمَّا لِشَأْوٍ وَتَأْبَى لَوْمَهُ مِثْلِي الطَّرِيقَةَ
وبالْمَخْتَارِ لِلنَّاسِ اقْتِدَاءً وَقَدْ حَضَرَ الْوَلِيمَةَ وَالْعَقِيقَةَ
وغيرُ غَرِيبَةٍ أَنْ رَقَّ حُرِّيٌّ عَلَيَّ مِنْ حَالِهِ مِثْلِي رَقِيقَةَ
وإِمَّا زَاجِرُ الْوَرَعِ اقْتِضَاهَا وَيَأْبَى ذَاكَ دُكَّانُ الْوَثِيقَةَ
وغيْشِيَانُ الْمَنَازِلِ لِاخْتِبَارِ يُطَالِبُ بِالْجَلِيلَةِ وَالذَّقِيقَةَ
شَكَرْتُ مَخِيَّةً كَانَتْ مَجَازاً لَكُمْ وَحَصَلَتْ بَعْدُ عَلَيَّ الْحَقِيقَةَ^(٣)

وتفرَّع الكلام على قولي : « ويأبى ذاك دكان الوثيقة » ، بما دعى إلى بيانه بتصنيفي^(٤) فيه الكتاب المسمى « بمثل الطريقة في ذم الوثيقة » .

(١) جمع عدل . والعدل في نظام الأندلس القضائي ، وهو الذي اشتقت أصوله بالمغرب فيما بعد ، هو موظف قضائي مهمته صياغة الوثائق التي يطلبها المتقاضون . ويقرر القاضي صحة نص الوثائق . ولا يباشر العدل مهمته إلا بعد أن يقوم القاضي « بتعديله » أعني بإثبات أنه عدل . وبذلك يصبح أهلاً للتوثيق . (راجع الحشني : قضاة قرطبة - طبعة القاهرة - ص ١٤١) .

(٢) أي جبل طارق .

(٣) ورد بعض التحريف في المخطوطين في إيراد هذه الأبيات . وقد اعتمدنا في تصويبها على نصح الطيب وأضفنا إليها البيت الثاني وهو وارد في النسخة وساقط في المخطوطين (ج ٤ ص ٤٧٣) .
(٤) وردت في المخطوطين ، بعمتين ، وهو بمربف ظاهر . وبالنصوب يستقيم المعنى .

دخوله غرناطة

في عام اثنين وستين وسبعمائة، مُوجَّهاً من قِبَل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الرُّبَط^(١)؛ وهو إلى الآن، عدلٌ بمدينة فاس، بحال تجلَّة وشهرة. ثم تعرَّفتُ أنه نسك ورفض العَيْش^(٢) من الشهادة ككثير^(٣) من الفضلاء.

أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن ابراهيم بن الحسن
ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي
يكنى أبا جعفر.

أوابته

كعبُ الذي ذكر، هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب^(٤) بن مسلم بن عدى ابن مرة بن عوف بن ثقيف؛ أصله من مدينة جيان^(٥)، منزل قنسرين، من العرب الداخلين إلى الأندلس؛ ونسبه بها كبير، وحسبه أصيل، وثورته^(٦) معروفة. خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها عام ثلاثة وأربعين وستائة، ولأبيه إذ ذاك إثراء^(٧) وجدة أعانته على طلب العلم، وإرفاد^(٨) من أحوجته الأزيمة في

(١) الربط جمع رباط وهو في الأصل المكان الذي يربط فيه المجاهدون استعداداً لدفع العدو، وكان ذلك في الغالب على الحدود أو الثغور. ثم تطور إلى المعنى الديني. والربط هنا فيما يبدو الزوايا التي ينتسب إليها جماعات من الصلحاء والزهاد.

(٢) وردت في المخطوطين: المتمش وهو تحريف ظاهر، والتصويب من «ت» (الزيتونة).

(٣) وردت «الكثير» في «ك» و«ت». وفي «ج» للكثير.

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الملكية. ووردت في «الصلة» (حيان).

(٥) كانت مدينة جيان من القواعد الأندلسية الهامة أيام الدولة الإسلامية. وهي تقع شمال

غرناطة وشرق قرطبة. وهي اليوم قاعدة الولاية الإسبانية المسماة باسمها.

(٦) وردت في المخطوطين: وثورته.

(٧) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» أثر.

(٨) إرفاد من رفد وأرفد، ومعناه العون والمساعدة.

ذلك الزمان من جالية العلماء عن قرطبة وإشبيلية كأبي الحسن الصائغ^(١) وغيره ،
فنصحوا له ، وحَضَبُوا في حَبْلِهِ .

حاله

كان خاتمة المحدثين ، وصدور العلماء والمقرئين ، نسيج وحده ، في حُسن
التعليم ، والصبر على التَّسْبِيع ، والملازمة للتدريس ، لم تختل له ، مع تخطي الثمانين ،
ولا لحقته سامة ، كثير الخشوع والخشية ، مُسْتَرَسِل العَبْرَة^(٢) ، صليباً في الحق ،
شديداً على أهل البدع ، ملازماً للسنَّة ، جَزْلاً ، مُهَيِّباً ، معظماً عند الخاصة والعامة ،
عذب الفكاهة ، طيب المجالسة ، حُلُو النادرة ، يؤثر عنه في ذلك حكايات ،
لا تُنخل بوقار ، ولا تحمل بجلال مَنْصِب .

« فنونه » ، إليه انتهت الرياسة بالأندلس في صناعة العربية ، وتجويد
القرآن ، ورواية الحديث ، الى المشاركة في الفقه ، والقيام على التفسير ، والخوض
في الأصولين .

« مشيخته » ، أخذ عن الجَلَّة المقرئين ، كالقري أبي عبد الله محمد بن
ابراهيم بن مستقور^(٣) الغرناطي الطائي .

« نباهته ونخططه » ، وُلِّي قضاء المناكح ، والخطبة بالحضرة ، وبلغ من الشهرة
والإشادة بذكره ، ما لم يُبْلَغه سواه .

(١) هو أبو بكر محمد بن باجة التجيبي الأندلسي المشهور بابن الصائغ ، الفيلسوف الشاعر .
كان من أعظم فلاسفة الأندلس ومفكرها ، ومن علماء الرياضة والفلك والطبيعة . وهو من أهل سرقسطة
من الثغر الأعلى . وقد نسب إليه الإلحاد والخروج على تعاليم الدين . وكانت وفاته مسووماً بفساد
سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) . ويعرف بالإنجليزية باسم Avempace .

(٢) هكذا وردت في «ك» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» ، الدعة .

(٣) وردت في المخطوطين : مشهور . والتصويب من كتاب «المرقبة العليا» .

تصانيفه

من تأليفه كتاب «صلة الصلّة لابن بشكّوَال»، التي وصلتها بعده، ومُجمِتُ كتابي «بعائد الصلّة»^(١)، وافتتحت أول الأسماء فيه باسمه؛ وكتاب «ملاك التأويل»، في المُتَشابه اللفظ في التَّنْزِيل «غريبٌ في معناه»؛ [والبرهان في ترتيب سُور القرآن] ^(٢)؛ وشرح الإشارة للباجي في الأصول؛ وسبيلُ الرّشاد في فضل الجهاد؛ ورَدَعُ الجاهل عن اغتِياب الجاهل، في الرد على الشّودية^(٣)، وهو كتاب جليل يُنذِي عن التّقن والأضطلاع؛ وكتاب الزمان والمكان، وهو وصمةٌ، تجاوز الله عنه.

شعره

وشعره مختلف عن نمط الإجابة، مما حقه أن يُثبت أو تُثبت في كتاب شيخنا أبي البركات المسمى «شعرٌ من لا شعر له» مما رواه، ممن ليس الشعر له بضاعة، من الأشياخ الذي عدّ صدرٌ عنهم هو. فمن شعره:

مالي وللتسائل لا أمّ لي^(٤) إن سألت من يُعزل أو من يَلِي
حسبي ذنوبٌ أثقلت كاهلي ما إن أرى إظلامها ينجلي
ياربِّ عَفْوَاً إنها جَمَّةٌ إن لم يكن عَفْوَكَ لا أمّ لي

(١) سبق التعريف به في المقدمة.

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ك». وساقط في «ج» و«ت» والملكية.

(٣) الشودية، فرقة من فرق الصوفية معروفة في المغرب.

(٤) رسمت في المخطوطات الثلاثة (لأمل) وهو تحريف.

محتة

نشأت بينه وبين المتغاب بما لقة من الرؤساء التحجيين من بني إشقيلولة^(١) ،
 وحشة أكدتها سعاية بعض من استهواهم رجلٌ مُحْرَقٌ من بني الشعوذة ، ومُنْتَحَلِي
 الكرامة ، يمتطيها زعموا إلى النبوة ، يعرف بالفزاري ، واسمه إبراهيم ، غريب
 المنزَع ، فذُّ المآخذ ، أعجوبة من أعجيب الفتن ، ينهر بالتضايبا المستقبلة ، ويتسور
 سور حمى العادة في التطور^(٢) من التشفُّ والخلافة ، تبعه ثاغية وراغية ، من العوام
 الثصم البكم ، مستفزٍ في حياته ، وبعد زمن^(٣) من مقتله ، دلى يد^(٤) الأستاذ
 بقرناطة ، قرعه بحتة ، وبادره بتعجيل نكيره ، فاستغاث بفتونه الرئيس ، ظهر مُحَالِه
 فاستعصى^(٥) له ، وبلغ الأستاذ النياحة ، ففر لوجهه^(٦) ، وكبس منزله لحينه ، فاستولت
 الأيدي على ذخائر كتبه ، وفوائد تقييده عن شيوخه ، على ما طالت له الحسرة ،
 وجأت فيه الرزية^(٧) . ولحق بقرناطة أويًا إلى كنف سلطانها الأمير أبي عبد الله بن
 الأمير الغالب بالله بن نصر ، فأكرم مشواه ، وعرف حقه ، وانثال عليه الجهم الفغير
 لالتماس الأخذ عنه ، إلى أن نالته لديه سعاية ، بسبب جار له ، من صلحاء القرابة
 المصيرية ، كان يتابه للنسبة الخيرية ، مُمَيَّتٌ عنه في باب تفضيله ، واستهالت للأمر

(١) بنو إشقيلولة هم أسرة أندلسية قوية ناهية ، من المولدين ، وكانوا أصحاباً لملوك بني نصر
 حكماً لكثير من القواعد ، وقد قاموا بعدة ثورات ، واستقلوا خلال ذلك ببعض المدن والثغور .

(٢) وردت في المخطوطين : الطور . والتصويب من « ت » .

(٣) وردت هاتان الكلمتان في المخطوطين : (ونفرن من) . وفي « ت » (ونفذت) . وهو

تحريف ، والتصويب من الصلة .

(٤) هذه الكلمة واردة فقط في « ك » .

(٥) وردت في « ج » ، فاستعص ، وفي « ك » فاستفض . والتصويب من « ت » .

(٦) وردت في المخطوطين : لوجه . والتصويب من « ت » .

(٧) هكذا في « ج » ، وفي « ك » المردية .

كلمة ، أوجبت امتحانه ، وتخلل تلك الألفية^(١) من الشك ، ما قصر المحنة على إخراج من منزله - المجاور لذلك المتهم به ، ومنعه من التصرف ، والتزامه قعر منزل ، انتقل اليه بحال اعتزال من الناس ، محجوراً عليه مداخلتهم ؛ فكث على ذلك زماناً طويلاً ، الى أن سُرِّيت عنه النسبة ، وأقشمت الموجدة ، فتخلص من مزارها بذرّه ؛ وأقل من شكاتها جاهه ، وأحسن أمرها حاله ، وكثر ملتصقه ، وعظمت في العالم غاشيته ؛ فدوّن واستمع ، وروى ودرّب ، وخرّج^(٢) وأدب وعلم ، وحلق وجهر ؛ وكانت له الطائفة على عدوّه ، والعاقبة للحسنى ، بعد ثبات^(٣) أمره ، والظفر بكثير من منتهب كُتبه . وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله نصر بمالقة ، فطالب الفزاري المذكور ، واستظهر بالشهادات عليه ، وبالغ في دحض دعوته ، إلى أن قُتل على يده بغرناطة .

حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب ، قال : لما أمر بالتأهب للقتل وهو في السجن الذي أخرج منه إلى مصرعه ، جهر بتلاوة «ياسين» ، فقال له أحد الذعرة ، ممن جمع السجن بينهم : «اقرأ قرآنك ؛ على-أى شيء تتطفل على قرآننا اليوم» أو ماهو في معناه . فتركها مثلاً للوذعبيته .

مولده

يبلده جيّان في أواخر عام سبع وعشرين وستمائة .

وتوفي بغرناطة في الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية وسبعمائة . وكانت جنازته [جنازة]^(٤) بالغة أقصى مبالغ الإحتفال^(٥) ، نفر لها الناس من كل أوب ، واحتمل

(١) ألفية والجمع الآق ، أى مسائل والغاز .

(٢) هكذا في «ج» ، وفي «ك» وأخرج . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «ك» : التيات .

(٤) هذه الكلمة زائدة في «ك» .

(٥) هكذا وردت في «ج» ، وفي «ك» احتفال .

طلبة العلم نعشه على رؤوسهم ، إلى جدته ، وتبعه ثناء جميل ، وجزع كبير ،
ورحمه الله .

ورثاه طائفة من طلبته ؛ وممن أخذ عنه منهم ، القاضي أبو جعفر بن أبي حنبل
في قصيدة أولها :

عزيزٌ على الإسلام والعلم ماجدٌ فكيف لعيني أن يُلمَّ بها الكرا
وما لماقى لا تفيض شئونها نجيباً^(١) على قدر المصيبة أحمر
فوالله ما تقضى المدامع بعض ما يحقُّ ولو كانت سيولا وأبحراً
حقيقٌ لعمري أن تفيض نفوسنا وفرضٌ على الأكبَاد أن تنفطرا

أحمد بن عبد الوالى بن أحمد الرعيني

يكنى أبا جعفر ؛ ويعرف بالعواد ، صنعة لأبيه الكاتب الصالح .

حاله

هو من بيت تصاون ، وعفاف ، ودين ، والتزام السنة ؛ كانوا في غرناطة في
الأشعار ، وتجويد القرآن ، والامتياز بحمله ، وعكوفهم عليه ، نظراء بني عزيمة
ياشبيلية ، وبني الباذش بغرناطة ؛ وكان أبو جعفر هنا ، المترجم له ممن تطوى
عليه الخناصر ، معرفة بكتاب الله ، وتحقيقاً^(٢) لحقه ، واتقاناً لتجويده ، ومثابرة على
تعليمه^(٣) ، ونصحاً في إفادته ؛ على سنن الصالحين ، انقباضاً عن الناس ، وإعراضاً
عن ذوى الوجاهة ، سنيياً في قوله وفعله ، خاصياً في جميع أحواله ، مخشوشيناً في
ملبسه ، طويل الصمت إلا في دمت تعليمه ، مقتصرأ في مكسبه ، مستقيأ لدينه ،

(١) وردت في المخطوطين : نجيباً . وهو تحريف والتصويب مستقيم مع السياق .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « الملكية » : وتعريفأ .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » تجويده مرة أخرى .

محافظة على أواده . سأل منه رجل يوماً كَتَبَ رقعة ، ففهم من أمره ، فقال يا هذا والله ما كَتَبْتُ قط يميني إلا كتاب الله ، فأحبُّ أن ألقاه على سَجِيَّتِي بتوفيقه إن شاء الله وتسديده .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والأستاذ أبي جعفر الحزموني الكفيف ، وأبي عبد الله بن رُشيد^(١) وغيرهم .

وفاته

توفي في شهر ذي الحجة من عام خمسين وسبعمائة ، ودفن بجبانة باب الفخارين^(٢) في أسفل السفح تجاه القصور الحكيمية ، وأتبعه الناس أحسن التناء .

أحمد بن علي ، أحمد بن خلف الأنصاري

من أهل غرناطة ؛ يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن الباذش .

« أوليته » ؛ أصله من جيان من بيت خيرية ، وتَصَوَّن .

حسبه

قال القاضي أبو محمد بن عطية ؛ إمامٌ في المقرئين ، ومُقدِّمٌ في جهاينة الأستاذين ،

(١) مكذافي « ج » . وفي « ك » رشد .

(٢) باب الفخارين أحد أبواب غرناطة الإسلامية . وقد كان موقمه تجاه القرية المسماة بالفخار

وهي من أطراف غرناطة الشمالية . وتسمى اليوم Alfacar

راوية^(١) ، مُكثِر ، متفَنُّ في علوم القراءة ، مُسْتَبَجِر ، عارف بالأدب والإعراب ، بصير بالأسانيد ، تقاد لها ، مُمَيِّزٌ لشاذها من معروفها . قال ابن الزبير ، وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعلمي ، أحسن اتقياداً لطرق القراءة ، ولا أجلاً اختياراً منه ، لا يكاد أحد من أهل زمانه ، ولا ممن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك .

مشيخته

تَفَقَّهَ بآبيه الإمام أبي الحسن ، وأكثر الرواية عنه ، واستوفى ما كان عنده ، وشاركه في كثير من شيوخه . أخذ القراءات عَرَضاً عن الإمام المُقَرِّى أبي القاسم ابن خَلْف بن النحاس ، رحل إلى قَرْطَبَة ولازمه ، وعلى المقرئ أبي جعفر هابيل بن محمد الحلاسي ، وأبي بكر بن عِيَّاش بن خلف المقرئ ، وأبي الحسن بن زكريا ، وأبي الحسن شَرِيح بن محمد ، وأبي محمد عبد الله بن أحمد الهَمْدَانِي البَجْيَانِي [رحل إليه إلى جيان]^(٢) ، وتلا على جميع من ذكر ، وروى بالقراءة والسمع والإجازة على عالم كثير ، كأبي داود وأبي الحسن بن أخي الرِّشِّ المُقَرِّين ، أجازا له ، وأبي علي النسائي في الإمامة والإتقان ، وقد أَسَمَّ عليه ، وأبي القاسم خلف ابن صواب للمقرئ ، وأبي عامر محمد بن حبيب البَجْيَانِي ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التُّجَيْبِي الشهير ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ، وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ ، وعالم كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم .

(١) وردت في المخطوطين : رواية .

(٢) وردت هذه الزيادة في « ج » وفي « الملكية » .

من رَوَى عنه

روى عنه أبو محمد عبد الله ، وأبو خالد بن رفاعة ، وأبو علي القاسمي المَعَدِيُّ
وأبو جعفر بن حكيم ، وأبو الحسن بن الضحَّاك ، وابنه أبو محمد عبد المنعم ، وهو
آخر من جدَّث عنه .

تصانيفه

ألف كتاب « الإقناع » في القراءات ، لم يُؤلف في بابِه مثله ؛ وألف كتاب
« الطرق المتداولة » في القراءات ، وأتقنه كل الإتقان ، وحرَّر أسانيدَه وأتقنها ،
وانتقى لها ، ولم يتَّسع عُمره لفرش حُرُوفهم وخلافهم من تلك الطرق . وألف غير
ما ذكر .

مولده

في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .
« وفاته » ؛ توفي ثاني جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة ، وكان عمره
تسماً وأربعين سنة .

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله^(١)

يكنى أبا جعفر ، من أهل مالقة ، ويعرف بيته بها ببني راشد ؛ قال شيخنا ،
أبو البركات : نقلتُ اسم هذا من خطِّه ، ولا نعلم له نسباً إذ لم يكتبه ، وشهر
بابن عبد النور .

(١) هكذا وردت في المخطوطين .

حاله

كان قيساً على العربية إذ كانت جُلّ بضاعته ؛ يشارك مع ذلك في المنطق ، هلى رأى الأقدمين ، وعروض الشعر ، وفرايض العبادات من الفقه ، وقرض الشعر ؛ وكان له اعتناء بفكّ المعنى ، والتّفسير عن اللّوز . وكان ذكياً الصوت عند قراءة القرآن ، خاشعاً به . رحل من بلده مالقة إلى سبتة ، ثم انتقل^(١) إلى الأندلس وأقرأ بوادي آش مدة ، وتردّد بين إلمرية وبرجة ، يُقرئ بها القرآن ، وغير ذلك مما كان يشارك فيه . وناب عن بعض القضاة وقتاً ، ودخل غرناطة أثناء هذا السّفر^(٢) .

مشيخته

قال : أخذ القرآن قراءةً على طريقة أبي عمرو الداني^(٣) ، على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي ريمحانة المرّبلي^(٤) ، ولا يُعلم له في بلده شيخ سواه ، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ ، والحمل عنهم ؛ ومن علمى أنه ألقى أبا الحسن ابن الأخضر المقرئ العروضي بسبتة ، وذاكره في العروض ، ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا . ورأيت في تقايدى أن القاضي^(٥) أبا عبد الله بن برطال حدّثني أن

(١) وردت في المخطوطين : نقل . وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» وفي «ك» السفر .

(٣) وردت في «ج» أبي عمر ، وهو تحريف . وأبو عمرو الداني من أشهر علماء القراءات والتفسير في الأندلس . وعاش في دانية دهراً يلحق علمه ، ووضع كتاباً شهيراً في «القراءات» اسمه «اليسير في القراءات» (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) .

(٤) نسبة إلى مربلة أو ماربله . وهي ثغر أندلسي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط

جنوب غربي مالقة . وبالإسبانية Marbella

(٥) هكذا وردت في «ك» . وفي «ح» و«الملكية» : الشيخ ، والأولى أصح لشهرة

ابن برطال بهذه الصفة بين قضاة الأندلس .

ابن النور قرأ معه الجزولية^(١) على ابن مفرج المالقي تفقها ، وقيد عليه تقييداً عرضه بعد ذلك ، على ابن مفرج هذا ؛ وهو محمد بن يحيى بن علي بن مفرج المالقي . وروى عن أبي الحجاج المتقدم الذكر تيسير أبي عمرو والداني ، ومجل الزجاجي ، وأشعار الستة ، وفصيح أحمد بن يحيى بن ثعلب ؛ وقفت في ذلك على رِقِّ أجاز فيه بعض الآخذين عنه ، ولم ينص فيه على كيفية أخذه لهذا السكتيب عن أبي الحجاج . قال : ورأيت في ذلك الرِقِّ أوهاماً ، تدل على عدم شعوره بهذا الباب جملة ، وقبول التلقين فيه ، فلا ينبغي أن يُرَكَّن إلى مثله فيه . ورأيت بخط بعض أصحابه ، أنه تفقه على أبي رِيحانة ، ولعل ذلك في صغره قبل أن يتحكم طلبه ويتفطن ، إذ الفنون التي كان يأخذ منها لم يكن أبو رِيحانة ، ملئاً بها ، ولا منسوبة إليها .

قصائمه

منها كتاب « الحلية في ذكر البسملة والتصلية » . وكتاب « رَصَف »^(٢) المباني في حروف المعاني ، وهو أَجَلٌ ما صَنَّفَ ، ومما يدل على تفهّمه في العربية . وجزء في العَرُوض . وجزء في شواذّه . وكتاب في شرح السكّوأمّل لأبي موسى الجزولي ، يكون نحو الموطّأ في الجرم ، وكتاب شرح مُغْرَب أبي عبد الله بن هشام الفهري المعروف بابن الشوّاش ، ولم يتم ، انتهى [فيه]^(٣) إلى همزة الوصل ، يكون نحو الإيضاح لأبي علي . وله تقييدٌ على الجُمْل غير تام .

شعره

قال : وشعره وَسَطٌ ، بعيدٌ عن طرفي الغث ، والشمينُ أبعد ؛ وكان لا يعتنى فيه

(١) الجزولية هي الحواشي التي وضعها أبو موسى الجزولي النحوي المغربي المتوفى سنة ٦٠٧ هـ

على « جل الزجاجي » . وتعرف أيضا « بالملقمة » .

(٢) وردت في « ج » رصفي . وفي « ك » وصفي ، وكلاهما تحريف .

(٣) وردت في « ك » وأغفلت في « ج » .

ولا يتكلفه ، ولا يقصد قصده ؛ وإن ذلك لعنر في عدم الإجابة . قال الشيخ ،
والديّ جزء منه ^(١) تصفحته على أن أستجيد ^(٢) منه شيئاً أثبتته له في هذا التعريف ،
فرايته بعضه أشبه ببعض من الغرابة ، فكتبت من ذلك ، لأمؤثرآله على سواه من
شعره ؛ بل لمرجّح ^(٣) كونه أوّل خاطر بالبال ، ومتملح خطّه بالبدنر ، فمن ذلك
قوله من قصيدة ، ومن خطه نقلتُ :

محاسن من أهوى يضيق لها الشرحُ	له الهمة العلياء والخلقُ السَّمحُ
له بهجة يُغنى البصائر نورها	وتعشي ^(٤) بها الأَبصار إن غلس الصُّبحُ
إذا مارني فاللحظُ سبهم مُفوقُ	وفي كل عضو من إصابته جرحُ
اذ ما انتنى زهواً ووَلَى تبختراً	يَنَارُ لَذاكَ التَّدُّ من لينه الرُّمَحُ
وإن نَفَحَتْ أزهاره عند روضةٍ	فِيخَجِلُ رِيأَ زَهْرِهَا ذلك النِّفْحُ
هو الزَّمَنُ المأمولُ عند ابتهاجه	فَلَمَّتْهُ لَيْلٌ ، وَغُرَّتْهُ صَبْحُ
لقد خَامَرَتْ نفسى مُدَامَةٌ حَبَه	قَلْبِي من سُكْرِ المُدَامَةِ لا يَصْحُ
وقد هام قلبي في هَوَاهُ فَبَرَّحَتْ	بأسراره عَيْنٌ لَمَدَمَعَهَا مَبْحُ

غفلته ونوكه

كان هذا الرجل من البلاء في أسباب الدنيا ؛ له في ذلك حكايات دائرة على السنة
الثقة من الملازمين له وغيرهم ، لولا تواترهما لم يُصدق أحدٌ بها ، تُشبه ما يحكى عن
أبي على الشلوبين . منها أنه اشترى فضلة مِلَف ^(٥) فبَلَّها ، فانتقصت كما يجرى في

(١) وردت في المخطوطين : من .

(٢) وردت في المخطوطين : تجد . والتصويب من « ت » .

(٣) هكذا وردت في « ك » ، وفي « ج » لمح وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين وتعشي ، والتصويب يستق المعنى .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » والملكية ملفا .

ذلك ، فذرعها بعد البَل فوجدتها تنقصت ، فطلب بذلك بائع العلف ، فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم . ومنها أنه سار الى بعض بساتين المريّة مع جماعة من الطلبة واستصحبوا أرزاً ولبناً ، فطلبوا قدرأ لطبخه ، فلم يجدوا ، فقال اطبخوا في هذا القدر ، وأشار إلى قدر بها بقيّة زفت مما يُطلى به السواني^(١) عندهم فقالوا له : وكيف يسوغ الطبخ بها ، ولو طبخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته ، فكيف [الأرز بالبن]^(٢) ؛ قال لهم : اغسلوا معانيدكم ، وحينئذ تدخلون فيها الطعام ، فلم يدروا مما يعجبون ، هل من طيب نفسه يأكله مما يطبخ في تلك القدر ، أم من قياسه المدة عليها . ومنها أنهم حاولوا طبخ لحم مرة أخرى في بعض النزه فذاق الطعام من الملح بالمعرفة ، فوجده محتاجاً للملح ، فجعل فيه ملحاً وذاقه على الفور ، قبل أن ينحلّ الملح ويسرى في العرقة الأولى ، فزاد ملحاً إلى أن جعل فيه قدر ما^(٣) يرجح اللحم ، فلم يقدرُوا على أكله . ومنها أنه أدخل يده في مفجر صهرج فصادفت يده ضفدعاً كبيراً ، فقال لأصحابه تعالوا إن هنا حجراً رطباً . ومنها أنه استعار يوماً من القائد أبي الحسن بن كاشة ، جواداً ملوكياً ، قرطاسي اللون ، من مراكب الأمراء ؛ فقال وجهه لى تلك الدابة ، فتخيل أنه يريد الرش كعب إلى بعض المواضع ، ثم تفتن لغفلته ، وقال : أى شيء تصنع به ، قال : أجعله يسنى شيئاً يسيراً في السانية^(٤) ، فقال : تقضى الحاجة إن شاء الله بغيره ؛ ووجه له حماراً يزسم السانية وهو لا يشعر بشيء من ذلك كله .

قلت ، وفي موجودات الله تعالى تَبَرُّ ، وأغربها عالم الإنسان ، لما جُبلوا عليه

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» ، السواق . والسانية كالساقية آلة لخبس الماء وري الأرض .

(٢) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (الرزبلين) . وهو تحريف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» .

(٤) هي الساقية كما تقدم . وهي كلمة دائمة في أدب الأندلس .

من الأهواء المختلفة ، والطباع المشتتة^(١) ، والقصور عن فهم أقرب الأشياء ، مع الإحاطة بالفوامض .

حدثنا غير واحد ، منهم عمى أبو القاسم ؛ وابن الزبير ؛ إذنا في الجملة ، قالا :
حدثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بشكوال ، أن الفقيه صاحب
الوثائق أبا عمر بن الهندي ، خاصم يوماً عند صاحب الشرطة والصلاة ، إبراهيم
ابن محمد ، فنكّل وعجز عن حجته ؛ فقال له الشرطي^(٢) : ما أعجب أمرك أبا عمر
أنت ذكرك لغيرك ، بكى^(٣) في أمرك ؛ فقال أبو عمر : « كذلك يُبين الله آياته
للناس » . ثم أنشد متمثلاً^(٤) .

صرت كأتى ذبالة نُصبت تُضىء للناس وهي تحترق
قال ، وحدثني الشيخ أبو العباس بن الكاتب ببجاية ، وهو آخر من كتبنا
معه الحديث من أصحاب ابن العمّار ، قال : كنت آوياً إلى أبي الحسن حازم
القرطباني^(٥) بتونس ؛ وكنت أحسن الخياطة ، فقال لي : إن المُستنصر خلّع على
جبة جريبة من لباسه ، وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس ، وأريد
أن تُحل أكمامها ؛ وتُصيرها مثل ملابسنا . فقلت له : وكيف يكون العمل ، فقال :
تُحل رأس السكّم ، ويوضع الضيق بالأدلى ، والواسع بالزرف . فقلت : ويوم
يُحير الأعلى ، فإنه إذا وُضع في موضع واسع ، سَطَّت علينا فرج^(٦) ما عندنا ؛
ما يُصنع فيها إلا أن رقعنا بغيرها ، فلم يفهم . فلما يئست منه تركته وانصرف .
فأين هذا الذهن الذي صنع المصوّرة وغيرها من عجائب كلامه .

(١) وردت في المخطوطين : المشتتة .

(٢) وردت في المخطوطين : الشرقي ، وهو تحريف .

(٣) بكى أى عيب وعاجز .

(٤) وردت في المخطوطين : متلا .

(٥) نسبة إلى قرطاجنة .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » فوج .

مولده

في رمضان من عام ثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي بالمرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تربة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مكنون .

أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى [بن محمد]^(١)
ابن مصادف بن عبد الله

يُكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن مصادف ؛ من أهل بسطة ، واستوطن غرناطة ،
وقرأ وأقرأ بها .

حاله

من أهل الطلب والسلطة والاجتهاد ، ومن يقصرُ مُحَصِّلَه عن مدى اجتهاده ،
خُلوِب^(٢) اللسان ، غريب الشكل ، وحشيشه ، شتيت الشعرُ معفيه ، شديد
الاقترحام والتسور ، قادر على اللصوق بالأشرف . رمى بنفسه على مشيخة الوقت
يَطْرُقهم طروق الأمراض الوافدة ، حتى استوعب الأخذ عن أكثرهم ، يُفكُّ عن
ظايدته فكَّ المُتبرِّم^(٣) ، وَيَنْتَزِعها بواسطة الحيا^(٤) ، وَيُسَلِّطُ^(٥) على قنصها جوارح

(١) وردت هذه الزيادة في «ك» فقط .

(٢) وردت في المخطوطين : خلوب ، وهو تحريف . وخلوب بمعنى خلاب وجذاب .

(٣) هكذا وردت في «ك» وفي «ج» ، الترم .

(٤) وردت في «ك» الجيا . وفي الجيا . وقد رجحنا التصويب لاستقامته مع السياق .

(٥) وردت في المخطوطين : وسلط ، بالماضي . والتصويب أرجح عطفاً على ما سبق في المضارع

التبذُّل والإطراء ، إلى أن ارتسم في المُقرَّبين بغرناطة ، محولاً^(١) عليه بالنَّحْب والملق . وسد الترتيب المدني^(٢) ؛ ولوثة تعناده في باب الرَّكوب والثَّقافة^(٣) ، وهو لا يستطيع أن يستقر بين دفتي السَّرج ، ولا يُفرق بين مَبسوط الكف^(٤) ؛ أخذ نفسه في فنون ، من قرآن ، وعربية ، وتفسير ، وامْتَحَن مرات لجر أحركة القائلة^(٥) الذي لا يَمْلِكُ عنانه ، ثم تَخَلَّص من ذلك ، وهو على حاله إلى الآن .

مشيخته

قرأ على الخطيب ببسطة ، وأبي الأصبع بن عامر ، والخطيبين بها أبي عبد الله وأبي إسحاق ابن عمه ، وأبي عبد الله بن جابر ، وعلى أبي عثمان بن ليون بالمرية ، والخطيب أبي عبد الله [بن الغربي] ^(٦) بحمة^(٧) ، وتلا القرآن بقراءته السبع على شيخنا أبي عبد الله بن الوالي العواد ؛ وروى عن شيخنا أبي الحسن بن الجيَّاب . وعلى الحاج أبي الحجاج الساحلي فكتب الإقراء ، وأخذ الفقه عن الأستاذ أبي عبد الله البيَّاني^(٨) . وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم البيَّاني ، وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني ؛ ولازم أستاذ الجماعة أبا عبد الله الفخَّار ، وقرأ عليه العربية ، وصاهره على بنته الأستاذ المذكور ، وانتفع به ، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» . وفي «ت» فحولاً . «ك» محولاً .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» ، المدني .

(٣) الثقافة بكسر ، هي الضرب بالسيف .

(٤) هكذا في «ج» ، وفي «ت» والملكية . وفي «ك» ، الكيف .

(٥) هكذا في المخطوطين ، وفي «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» (من الغرب) .

(٧) الحمة أو الحامة ، هي بلدة تقع في جنوب غربي غرناطة وقد ستر التعريف بها (ص ١٦٩)

(٨) نسبة إلى بيانة ، وهي مدينة أندلسية قديمة تقع في جنوب شرق قرطبة سلى مقربة من قبره .

فرماه بترمية بيضاء تخلتها^(١) ، مشيرة عجب ، مرة . وحاله متصلة على ذلك ، وقد ناهز الا كتهال .

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى

المؤقت بالمسجد الأعظم بقرناطة

أصله من شرق الأندلس ، وانتقل إليها والده ، يكنى أبا جعفر .

حاله

كان تسيج وحده ، وقرع دهره ، معرفة بالهيئة ، وإحكاماً للآلة الفلكية ، ينحت منها بيده ذخائر ، يقف عندها النظر والخبر^(٢) ، جمال خط ، واستواء صنعة ، وصحة وضع ، بلغ في ذلك درجة عالية ، ونال غاية بعيدة ، حتى فضل بما ينسب إليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين ، وأزوت آلاته^(٣) بالجمائريات^(٤) والصفاريات وغيرها من آلات المحككين ، وتغالى الناس في أمثالها ، أخذ ذلك عن والده [الشيخ المتقن]^(٥) شيخ الجماعة في هذا الفن .

وفاته

في عام تسع وسبعمائة .

(١) وردت في «ج» وفي «ك» تخلفت . والتصويب من «ت» .

(٢) هكذا في «ج» و«ت» والملكية . وفي «ك» الحيرة ، والأولى أرجح .

(٣) وردت في المخطوطين : (إلا أنه) والتصويب من «ت» .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» بالجمائريات .

(٥) الزيادة من «الملكية» .

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالجبالي .

حالُه

عكف صدراً من زمانه منتظماً في المدول^(١) ، أويّاً إلى تخصيص وسكون
ودمائه ، وحسن معاملة ، له بصر بالساحة والحساب ، وله بصر بصناعة التعديل
وجداول الأبراج^(٢) ، وتدرّب في أحكام النجوم ، مقصوداً في العلاج بالرقا
والعزائم ، من أولى المس^(٣) والخبال^(٤) ، تعلق بسبب هذه المنتحلات بأذيال
الدول ، وانبت من شيمته الأولى ، فنال استعمالاً في الشهادات المخزنية ، وخبر
منه أيام قرّبه من مبادئ الأمور والنواهي ، ومداخلة السلطان ، صمت ، وعقل ،
واقْتصارٌ على معاناة ما امتحن به ، وهو الآن بقيد الحياة .

مشيخته

أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبي عبد الله الفخار المعروف بأبي خزيمة ، أحد
البواقع الموسومين بصحة الحكم فيها ، وعلى أبي زيد بن مثنى ، وقرأ الطب على
شيخنا أبي زكريا بن هذيل رحمه الله ، ونسب إليه عند الحادثة على الدولة وانتقالها
إلى يد المتغلب ، اختياراً وقت الثورة وضمان تمام الأمر ، وشهد بذلك بخط ،
وغيب من إيثاوها . فلما عاد الأمر إلى السلطان المزّعج بسببها إلى العُدوة ،

(١) جمع عدل ، وهو الموثق . وقد سبق التعريف بنظام العدول (راجع الحاشية في ص ١٨٧)

(٢) هكذا في «ج» و«ت» . وفي «ك» الأرياح . والأولى أرجح حسبما يستدل من السياق .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» اللس .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» و«ت» الخيال .

أوقع به نكيراً كثيراً ، وضربه بالسياط التي لم يخلصه منها إلا أجله ، وأجله^(١) إلى تونس في جملة المغرّبين في أواخر عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

وأخبرني السلطان المذكور ، أن المترجم به كتب إليه بمدينة فاس ، قبل شروعه في الوجّه ، يخبره بعودة الملك إليه ، وبايقاعه المكروه الكبير به ، بما شهد بمهارته في الصنعة ، إن صح ذلك كله من قوانينها ، نسأل الله أن يضيئ علينا لبوس منته ، ويقينا شرّ عثرات الألسن بمنته .

أحمد بن محمد الكرتي^(٢)

من أهل غرناطة .

حاله

شبح الأطباء بغرناطة على عهده ، وطبيب الدار السلطانية . كان نسيج وحده ، في الوفاق والتزاهة ، وحسن السمّت^(٣) ، والالتزام مثلى الطريقة ، واعتزاز الصنعة ، قائماً على صناعة الطب ، مقرّناً لها ، ذا كراً لنصوصها ، موفّقاً في العلاج ، مقصوداً فيه ، كثير الأمل والمثاب ، مكبوح العنان عما تثبت به أصول^(٤) صناعته من علم الطبيعة ، منيّاً ، مقتصرّاً على المداواة ، أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله الرقّوطي ، ونازعه بالباب السلطاني ، لما شدّ ، واحتجّج إلى ما لديه في حكم^(٥) بعض الأموال للمعرضة على الأطباء ، منازعةً أوجبت من شيخه يميناً أن [لا]^(٦) يحضّر معه

(١) وردت في المخطوطين : وجلاه .

(٢) هكذا وردت في «ك» وهو الرسم الصواب للإسم . ووردت في «ج» الكنزى .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (السة) .

(٤) وردت محرقة في المخطوطين : الطول ، الصول . والتصويب من «ت» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» ، أحكام .

(٦) أغفلت هذه الكلمة في المخطوطين ، وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

بمكان ، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد ، مع التمسك بالديهما ، وأخذ عن ابن
عَرُوس وغيره ، وأخذ عنه جملةٌ من شيوخنا كالطبيب أبي عبد الله بن سالم ،
والطبيب أبي عبد الله بن سراج وغيرهما .

حدثني والدي بكثير من أخباره [في] ^(١)الوقار وحسن الترتيب ، قال ، كنت
آنس به ، ويُعجبنى استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صنعته ، على مشهوره ^(٢) ،
فلقد عَرُض عليه ، لعليل لنا ، بعض ما يخرج ، وفيه حية ، فقال على فتور ،
وسكونة ، ووقار كثير : هذا العليلُ يتخلص ، فقد قال الرئيس ابن سينا في أرجوزته :
إِنْ خَرَجَ الْخَلَطُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي يَوْمِ بُحْرَانَ فَعَنْ حَيَاةٍ
وهذا اليوم من أيام البحْرانية ، فكان كما قال .

وفاته

كان حياً سنة تسعين ومائة .

أحمد بن محمد بن أبي الخليل مُفَرِّجُ الْأُمُورِ

مولاهم ، من أهل إشبيلية ، يُكنى أبا العباس ، وكناه ابن فرُّتون ^(٣) أبا جعفر
وتفرَّد بذلك ، يعرف بالعشَّاب ، وابن الرُّومِيَّة ، وهي أشهرهما وألصقهما به .

أوليته

قال القاضي أبو عبد الله ، كان والد جدّه أحد أطباء قرطبة ، وكان قد تنبَّاه ،
وعن مولاه أخذ علم النبات .

(١) ساقطة في المخطوطين ، ويقضى إثباتها السياق .

(٢) هكذا وردت في «ك» . ووردت محرفة في «ج» ، مصوره .

(٣) هكذا في «ك» . والملكية . وفي «ج» ، فرقون ، وهو تخريف . والصواب (فرتون)

وهو اسم أدلسي دافع محرف عن القشالية Fortun ويكثر في نسب الذين تنحدرون من أصول نصرانية

حاله

كان لسيح وحده ، وفريد دهره ، وغرّة جنسه ، إماماً في الحديث ، حافظاً ، ناقداً ، ذا كراً تواريخ المُحدثين ، وأنسابهم وموالدهم ووفاتهم ، وتعديلمهم ، وتجريهم ؛ عجيبة نوع الإنسان في عصره ، وما قبله ، وما بعده ، في معرفة علم النبات ، وتمييز العُشب ، وتَحليلتها ، وإثبات أعيانها ، على اختلاف أطوار منابتها ، بمشرق أو مغرب حِسّاً ، ومشاهدة ، وتحقيقاً ، لا مدافع له في ذلك ، ولا منازع ؛ حجة لا تُرد ولا تُدفع ، إليه يُسَلَّم في ذلك ويُرجع . قام على الصنعتين ، لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات ، إذ موادهما الرحلة^(١) والتقييد ، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية ، وحفظ الأديان والأبدان ، وغير ذلك . وكان زاهداً في الدنيا ، مؤثراً بما في يديه منها ، مؤسّعاً عليه في معيشته ، كثيرَ الكتب ، جماعاً لها ، في كل فن من فنون العلم ، سَمحاً لطلبه العلم ، وبما وهب منها لمتلمسه^(٢) الأصل النفيس ، الذي يعزّه وجوده ، احتساباً وإعانة على التعليم ؛ له في ذلك^(٣) أخبار منبثة عن فضله ، وكرم صنعه^(٤) ، وكان كثير الشغف بالعلم ، والدؤوب على تقييده ، ومداومته سهر الليل من أجله ، مع استغراق أوقاته ، وحاجات الناس إليه ، إذ كان حسن العلاج في طبّه المورود ، الموضوع ، لثقته ودينه .

قال ابن عبد الملك ، إمامُ المغرب قاطبةً فيما كان سيبله ، جال الأندلس ، ومقرّب العُدوة ، ورحل إلى المشرق ، فاستوعب المشهور من إفريقيّه ، ومِصرِه ،

(١) وردت في المخطوطين : الرحلة . وهو تحريف .

(٢) وردت في المخطوطين : لمتلمسه . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (في) مرة أخرى . وهو من باب السهر .

(٤) وفي الملكية (صفته) .

وشامه ، وعراقه ، وحجازه ، وعابن الكثير مما ليس بالمغرب ؛ وعاوض كثيراً فيه ، كل ما أمكنه ، بمن يشهد له بالفضل في معرفته ، ولم يزل باحثاً على حقائقه ، كاشفاً عن غوامضه ، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره ، ممن تقدم في الملة الإسلامية ، فصار واحد عصره فرداً ، لا يجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن .

مذاهبه

كان سنياً ظاهرياً المذهب^(١) ، مُنحياً على أهل الرأي ، شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، على دين متين ، وصلاح تام ، وورع شديد ؛ انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم ، واستنسخها ، وأظهرها ، واعتنى بها ، وأنفق عليها أموالاً جمة ، حتى استوعبها جُملة ، حتى لم يشُدْ له منها إلا ما لا خطر ، متقدماً ومقتدراً^(٢) على ذلك بجِدته^(٣) ويساره ، بعد أن تفقه طويلاً على أبي الحسن محمد بن أحمد بن زرقون في مذهب مالك .

مشيخته

البحرُ الذي لا نهاية له : روى بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي ، وأبي عبد الله اليبُرى ، وأبي البركات بن داود ، وأبي بكر بن طلحة ، وأبي عبد الله ابن الحر^(٤) ، وابن العربي ، وأبي علي الحافظ ، وأبي زكريا بن مرزوق ، وابن يوسف ، وابن ميمون الشريشي ، وأبي الحسن بن زرقون ، وأبي دَرِّ مُصعب ، وأبي العباس

(١) أعنى من أتباع الظاهرية الذين يقولون بتأويل ظاهر القرآن والحديث ، والذين كان الفيلسوف ابن حزم القرطبي من أقطاب مذهبهم بالأندلس .
 (٢) وردت في «ك» ، متقدراً . وفي «ج» متقدماً . ووردت الكلمتان معا في «الملكية» .
 (٣) وردت في المخطوطين : بجِدته .
 (٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» ، الحدوى .

ابن سيّد الناس ، وأبي القاسم البراق^(١) ، وابن جمهور ، وأبي محمد بن محمد بن الجتّان ، وعبد المنعم بن فرّس ، وأبي الوليد بن عفير ، قرأ عليهم وسمع . وكتب إليه مجيزاً^(٢) من أهل الأندلس والمغرب ، أبو البقاء بن قديم ، وأبو جعفر حكم الجفّار ، وأبو الحسن الشّقورى ، وأبو سليمان بن حوط الله ، وأبو زكريا الدمشقى ، وأبو عبد الله الأندرشى ، وأبو القاسم بن سمجون ، وأبو محمد الحجرى . ومن أهل المشرق بُجامة ، منهم أبو عبد الله الحمدانى بن إسماعيل بن أبى صيف ، وأبو الحسن الحويكر نزيل مكة . وتأدى إليه أذن طائفة من البغداديين والعراقيين له فى الرواية ، منهم ظفر بن محمد ، وعبد الرحمن بن المبارك ، وعلى بن محمد اليزيدى ، وفنّاخسرو قيروز بن سعيد ، وابن سنينة ، ومحمد بن نصر الصّيدلانى ، وابن تيمية . وابن عبد الرحمن الفارسى ، وابن الفضل المؤذن ، وابن عمر بن الفخّار ، ومسعود بن محمد بن حسان المنيفى ، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدى ، وابن هوّازن القشّيرى ، وأبو الحسن النيسابورى .

وحجّ سنة اثني عشر وستائة ، فأدى الفريضة ثلاث عشر ، ولقّب بالمشرق بحب الدين . وأقام فى رحلته نحو ثلاثة أعوام ، لقي فيها من الأعلام العلماء ، أكابر بُجامة ، فمنهم ببجاية أبو الحسن بن نصر ، وأبو محمد بن مكى ، وبتونس أبو محمد المرّجاني ، وبالإسكندرية أبو الأصبع بن عبد العزيز ، وأبو الحسن بن جبّير الأندلسى ، وأبو الفضل بن جعفر بن أبى الحسن بن أبى البركلت ، وأبو محمد عبد الكريم الربيعى^(٣) ، وأبو محمد العثماني أجاز له ولم يلقه ، وبمصر أبو محمد بن سُخون النّجارى ولم يلقه ، وأبو الميمون بن هبة الله القرشى ، وبمكة أبو على الحسن

(١) هكذا فى «ج» . وفى الملكية ، البارقى

(٢) هكذا فى «ك» . وفى «ح» مخبراً . وهو أيضاً تحريف .

(٣) هكذا فى «ك» . وفى «ج» : الربيعى .

ابن محمد بن الحسين ، وأبو الفتح نصر بن أبي الفرج الحصري ؛ وبيغداد أحمد
ابن أبي السعادات ، وأحمد بن أبي بكر ، وابن أبي خنط طلحة ، وأبو نصر القرشي ،
وإبراهيم بن أبي ياسر القطيعي ، ورسلان المسدي ، والأسعد بن بقاقا^(١) ،
وإسماعيل بن بركش الجوهري ، وإسماعيل بن أبي البركات .

وَبَرْنَج مَرَوِيَّاتِهِ وَأَشْيَاخِهِ ، مُشْتَمَلٌ عَلَى مَثْنٍ عَدِيدَةٍ ، مَرْتَبَةٌ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى
الْبِلَادِ الْعِرَاقِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، لَوْ تَتَبَعْتَهَا ، لَأَسْتَبَعَدْتُ الْأُورَاقَ ، وَخَرَجْتُ عَمَّا قَصَدْتُ .

قال القاضي أبو عبد الله المراكشي^(٢) بعد الإتيان على ذلك ، مُنْتَهَى الثَّقَاةِ
أبو العباس النبائي ، من التَّقْيِيدِ الَّذِي قَيَّدَ ، وَعَلَى مَا ذَكَرَهُ فِي فَهْرَسٍ لَهُ مُنَوَّعَةٍ ،
بَيْنَ بَسَطٍ ، وَتَوْسُطٍ ، وَاقْتِضَابٍ ، وَقَفَّتْ مِنْهَا بِخِذُّهُ ، وَبِحِطِّ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ،
وَالْآخِذِينَ عَنْهُ .

من أخذ عنه

حدث بيغداد^(٣) ، برواية واسعة ، فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد
اللوشى ؛ وبمصر الحافظ أبو بكر القط . وبغيرها من البلاد أمة وقفل برواية واسعة ،
وجلب كتباً غريبة^(٤) .

تصانيفه

له فيما ينتحله من هذين الفئتين تصانيفٌ مفيدة^(٥) ، وتبسيطات نافعة ،

(١) وردت في «ج» (فقارقا) ، وفي «ك» نفاقا . وفي الملكية نفاق . والتصويب من
الدليل والتكلمة .

(٢) هو ابن عبد الملك المراكشي وقد ورد هنا باسمه الأول أبو عبد الله محمد .

(٣) وردت في المخطوطين : حديث بغداد . وهو تحريف .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» : عربية وهو تحريف ، لأن الكتب عربية بطبيعتها .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» مفيدات . والمعنى واحد .

واستدرجوا كات نبيلة^(١) بديعة ، منها في الحديث ، « رَجَالَةُ الْمَعْلَمِ بزوائد البخارى على مُسلم » ، واختصار غريب حديث مالك للدارقطني ، و « نُظْمُ الدَّرَارِي فيما تفرد به مُسلم عن البخارى » ، و « توهين طرق حديث الأربعين »^(٢) ، و « حُكْمُ الدُّعَاءِ في إِدْبَارِ الصَّلَوَاتِ » ، و « كيفية الأذان يوم الجمعة » ، واختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لأبي محمد بن عدى^(٣) ، و « الحافل في تذييل الكامل » ، و « أخبار محمد بن إسحاق » .

ومنها في النبات ، « شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس »^(٤) ، والتنبيه على أوهام ترجمتها ؛ والتنبيه على أغلاط^(٥) الغافقي ، والرَّحَلَةُ النَّبَاتِيَّةُ [والمستدرَكه]^(٦) ، وهو الغريب الذي اختصَّ به ، إلا أنه عَدِمَ عَيْنَهُ بعده ، وكان معجزة في فنِّه ؛ إلى غير ذلك من المصنِّفات الجامعة ، والمقالات المفيدة للمفردة ، والتمايق المتنوعة .

مناقبه

قال ابن عبد الملك وابن الزُّبَيْر ، وغيرهما ؛ عن تلميذه ، الآخذ به ، الناقد ،

(١) في « الملكية » نبيهه .

(٢) ورد اسم هذا الكتاب في « ك » هكذا : « توهين طرق الأربعين » .

(٣) ورد اسم الكتاب محرفا كالألق (اختصار الكامل في الضعفاء والمتكبرين) . واسم مؤلفه

محرفا كالألق : (لابي أحمد بن علي) .

(٤) دياسقوريدوس ، أودياسقوريدوس Dioscorides ، طبيب وكيمائي يوناني عاش في القرن الأول للميلاد ، واشتهر بكتابه عن «الأعشاب العلاجية» . وقد عرفه المسلمون منذ عصر مبكر ، وأهدى الإمبراطور قسطنطين السابع قيصر بيزنطية نسخة منه إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وترجمت إلى العربية منذ أوائل القرن الرابع الهجري . وعليها وضع ابن الرومية شرحه . وأما جالينوس Galen ، فهو من أطباء اليونان القديمة ، عاش في القرن الثاني للميلاد ، واشتهر ببراعته في الطب وتركيب الأدوية ، وعرف العرب كتبه الطيبة وعربوها .

(٥) هكذا وردت في « ج » ، وفي « الذيل والتكلمة . ووردت في « ل » و « الملكية (أخلاط) .

والأولى أرجح .

(٦) واردة في « الملكية » . ومكانها بياض في المخطوطين .

المحدث ، أبو محمد بن [ابن قاسم] الحرّار^(١) ، وتهمم بجمع أخباره ، ونشر ماآره ، وضمّن ذلك مجموعاً حفيلاً نبيلاً .

شعره

ذكره أبو الحسن بن سعيد في «القدح المعلى» ، وقال : جوالُ بالبلاد المشرقية والمغربية ، جالستهُ بإشبيلية بعد عوده من رحلته ، فرأيتُه متعلقاً بالأدب ، مرتاحاً إليه ارتياح البُحْثرى لحلب ، وكان غير متظاهر بقول الشعر ، إلا أن أصحابه يسمعون منه ، ويروون عنه ، وحملت عنه^(٢) في بعض الأوقات ، فقيدت عنه هذه الأبيات :

خيمٌ تَخْلُقُ بين الكأس والوسر في جنّةٍ هي ملء السمع والبصر
ومتع الطرف في مرأى محاسنها بروض فكرك بين الروض والزهر
وانظر إلى ذهبيات الأصيل بها واسمع إلى نغمات الطير في السحر
وقل لمن لام في لذاته بشراً دَعْنِي فَإِنَّكَ عندي من سوى البشر
قال ، وكثيراً ما يُطنّب على دمشق ، ويصف محاسنها ، فما انفصل عني إلا وقد امتلأ خاطري من شكلها^(٣) ، فاتمّنى أن أحلّ مواظمتها ، إلى أن أبلغ الأمل قبل المنون .

ولو أني نظرتُ بألفِ عَيْنٍ لما استوفتُ محاسنها العيون

دخوله غرناطة

دخلها غيرَ ما مرّة لسماع الحديث ، وتحقيق النبات ؛ ونقر عن عيون النبات

(١) هكذا وردت في «ج» وفي الذيل والتكلمة . وفي «ك» الحوار ، وفي الملكية الجزار ، وهو تحريف .

(٢) وردت في «ج» عليه . والتصويب . من «الملكية» .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» ثكلها وهو تحريف ظاهر .

بجبالها ، أحد خزائن الأدوية ، ومظان^(١) الفوائد الغريبة ، يجرى ذلك في تواليه
بما لا يفتقر إلى شاهد .

مولده

في محرم سنة إحدى وستين وخمسة .

وفاته

توفي بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الإثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع
وثلاثين وستائة . وكان ممارئى ؛ قال ابن الزبير ، وراثه جماعة من تلامذته كأبي
محمد الحرار ، وأبي أمية اسماعيل بن عفير ، وأبي الأصبع عبد العزيز الكبتورى^(٢)
وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطى ، وأبي العباس بن سليمان ؛ ذكر جميعهم
الحرار المذكور في كتاب ألفه في فضائل الشيخ أبي العباس ، رحمه الله .

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف

ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان

ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

أوليته

بيتُ بنى سعيد العنسى ،^(٣) بيتٌ مشهور في الأندلس بقلعة يَحْصِبُ^(٤) ،

(١) وردت محرفة في المخطوطين مضان . مصان .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين . والكبتورى نسبة إلى كبتور أوقبتور ، من قرى مدينة إشبيلية

(٣) وردت في ج « العنسى . وفي « الملكية » العسنى ، وهو تحريف (راجع جمهرة الأنساب

لابن حزم ص ٢٨١) .

(٤) قلعة يحصب أو قلعة بنى يحصب أو قلعة يعقوب أو قلعة بنى سعيد هي اليوم بلدة Alcala la Real

الإسبانية . وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١١) .

نزلهما^(١) جدهم الأعلى^(٢) ، عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ؛ وكان له حُظوة لمكانته من اليمانية بقرطبة ، وداره بقرب قنطرتها ، كانت معروفة ؛ وهو يبت القيادة والوزارة ، والقضاء ، والكتابة ، والعمل . وفيما يأتي ، وما مرّ كفاية من التنبيه عليه .

حالُه

قال الملاحى^(٣) ، كان من جِلَّة الطلبة ، ونهائهم ؛ وله حظ^(٤) باوع من الأدب ، وكتابة مفيدة ، وشعرٌ مُدَوِّن . قال أبو الحسن بن سعيد فى كتابه المسمى «بالطالع»^(٥) نشأ محبباً فى الأدب ، حافظاً للشعر ، وذا كراً لنظم الشريف الرضى ، ومهيار ، وابن خفاجة ، وابن الرقاق ، فرقت طباعه ، وكثرت اختراعه وإبداعه ؛ ونشأت معه حفصة بنت الحاج الركونى^(٦) ، أديبة زمانها ، وشاعرة أوانها ، فاشتدَّت بها غرامه ، وطال حبُّه وهيامه ؛ وكانت بينهما منادات ومغازلات أربت على ما كان بين عكوة وأبى عبادة ؛ يمر من ذلك إلمام فى شعر حفصة إن شاء الله .

نباهته وحُظوته

ولما وفدت^(٧) الأندلس ، على صاحب أمر الموحدين فى ذلك الأوان ، وهو

(١) وردت فى المخطوطين : برلم .

(٢) وردت فى «ك» . وأعملت فى «ج» وفى «الملكية» .

(٣) سبق التعريف به (انظر الحاشية فى ص ٨٥) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى «ك» والملكية خط . وهو تحريف .

(٥) هو كتاب «الطالع» لسعدى وتاريخ بى سعيد .

(٦) ورد اسمها محرراً فى المخطوطين حفصة بنت الحجاج . وسوف يترجم لها ابن الخطيب

فبما بعد .

(٧) وردت فى المخطوطين ، وهه ، والتصويب يقتضيه السياق .

محتل بجبل الفتح^(١) ، واحتفل شعراؤها في القصائد ، وخطبائها في الخطب بين يديه^(٢) ، كان في وفد غرناطة ، أبو جعفر هذا المترجم به ، وهو حدث السن في جملة أبيه وإخوته وقومه ، فدخل معهم على الخليفة ، وأنشده قصيدة . قال أبو الحسن بن سعيد ، كتبت منها من خط والده قوله :

تكلّم فقد أضغى إلى قولك الدهرُ وما لسواك اليوم نهى ولا أمرُ
ورم كل ما قد شئتَه فهو كأنُّ وحاول فلا بر يفوت ولا بحرُ
وحسبك هذا البحر فألا فإنه يقبل ترباً داسه جيشك الغمرُ
وما صوته إلا سلامٌ مرّدٌ عليك وعن بشرٍ بقربك [اليوم] ^(٣) يفتُرُه
يجيش لكي يلتقى أمامك من غداً يعاند أمراً لا يقوم له أمرُ
أطلّ على أرض الجزيرة سمعها وجدد فيها ذلك الخبر الخبرُ
فما طارق إلا لذلك مطرقُ ولا بن نصير لم يكن ذلك النصيرُ
ها مهادها كي تحلّ بأقفا^(٤) كما حلّ عند التّم بالهالة البدرُ

قال : فلما أمّها أئني عليه الخليفة^(٥) ، وقال لعبد الملك أبيه : أيهما خير عندك في ابنك ؛ فقال ياسيدنا : محمد دخل إليكم مع أبطال الأندلس وقوادها ،

(١) الحادث الذي تشير إليه هذه العبارة هو قدوم وفود الأندلس على خليفة الموحدين عبدالمؤمن ابن علي وهو مقيم بجبل طارق وذلك في أوائل سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) بعد أن نمت المدينة الجديدة التي أمر ببنائها فيه ، وهو الذي أسماه عندئذ بجبل الفتح . وقد ألقى بين يديه الشعراء والخطباء بهذه المناسبة قصائدهم وخطبهم مرحين منوهين يعظمه عهده (راجع الحلال الموشبة ص ١١٧ ، والاستقصاء للسلاوي ج ١ ص ١٦٣ ، وعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس لمحمد عبد الله عنان ج ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٥) .

(٢) وردت في المخطوطين : يد .

(٣) الزيادة من « الملكية » .

(٤) هكذا في « ج » وفي « الملكية » . وفي « ك » بأرضها .

(٥) ورد في النص بعد هذه الكلمة عبارة (كل ميسر) ، هي هنا زائدة ولا محل لها

في السياق ، فآثرنا إغفالها .

وهذ مع الشعر ، فانظروا ما يجب أن يكون خيراً^(١) عندي ؛ فقال الخليفة : كلُّ ميسرٍ لما خاق له ، وإذا كان الإنسان متقدماً في صناعة فلا يُؤسف عليه ، إنما يُؤسف على متاخر القدر ، محروم الحظ . ثم أنشد في قول الشعراء والأكابر^(٢) . ثم لما ولي غرناطة ولده السيد أبو سعيد ، استوزر أبا جعفر المذكور ، واتصلت حظوته^(٣) إلى أن كان ما يذكر من نكبته .

محتته

قال قريبه وغيره : فسك ما بينه وبين السيد أبي سعيد لأجل حفصة الساعة ، إذ كانت محل هواه^(٤) ، ثم اتصلت بالسيد ، وكان له بها [علاقة]^(٥) ، فكان كل منهما على مثل الرضف للآخر^(٦) ، ووجد حساده السبيل ، إلى إغراء السيد به ، فكان مما نمي به عنه ، أن قال لحفصة يوماً : وما هذا الغرام الشديد به ، يعني السيد ، وكان شديد الأذمة^(٧) ، وأنا أقدر أن أشتري لك من المعرض أسوداً خيراً منه بعشرين ديناراً ، فجعل السيد يتوسد له المبالك ، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ . وفي حالته تلك يقول :

مَنْ يَشْتَرِي مَنِ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا	وَوَزَارَتِي وَتَأْدِيبِي وَتَهْنِئَتِي
بِمَحَلِّ رَايِعٍ فِي ذُرَى مَلْمُومَةٍ	زُوَيْتَ عَنِ الدُّنْيَا بِأَقْعَى مَرْتَبٍ
لأَحْكَمَ يَأْخُذُهُ بِهَا إِلَّا لِمَنْ	يَعْفُو وَيَرُؤْفُ دَائِمًا بِالْمَذْنِبِ
فَلَقَدْ سَيِّمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَ امْرِئٍ	مُنْعَضِبٍ ^(٨) مَتَغَابٍ مَرْتَبٍ

(١) هكذا « ج » وفي الملكية ؛ وفي « ك » مبسراً .
 (٢) ورد في النص بعد هذه الكلمة اسم (ابن أبي مروان) ، دون أن يكون له بالسياق أي صلة فأرنا إغفاله .

(٣) وردت في المخطوطين : حضرته . والتصويب أرجح وأصلح للسياق .
 (٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » هداه . والأولى أرجح .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، والزيادة من الملكية .
 (٦) الرضف هو الحجارة المحماة ، ومعناه أن كلا منهما كان شديد الحقد على الآخر .
 (٧) أي شديد السمرة ، والأدم هو الجلد المدبوغ .
 (٨) وردت في المخطوطين : مفضب . والتصويب يستقيم الوزن والسياق .

الموتُ يلحظني إذا لاحظته ويقوم في فكري أوان تجتني
لا أهتدي مع طول ما حاولته لرضاه في الدنيا ولا للمهرب
وأخذ في أمره مع أبيه وأخوته ، وفتنة ابن مردنیش^(١) مضطربة ؛ فقال له أخوه
محمد وأبوه ، إن حرّ كُنّا حركة كُنّا سبباً لهلاك هذا البيت ، ما بقيت دولة هؤلاء
القوم ، والصبر عاقبته حميدة ، وقد كُنّا ننهاك عن المارِجة^(٢) ، فلم ترّ كِب إلهواك ؛
وأخذ مع أخيه عبد الرحمن ، واتفقا على أن يثورا في القلعة باسم ابن مردنیش ،
وساعدهما قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد ، وخطبوا ابن مردنیش ، وصر
لهم جوابه بالمبادرة ، ووصلت منه خيل ضاربة ، وتهيأ لدخول القلعة ؛ وتهيأ الحصول
في القلعة ، وخافوا من ظهور الأمر ؛ فبادر حاتم وعبد الرحمن إلى القلعة ، وتم لها
المراد ؛ وأخر الجين أبو جعفر فقاتاه ، وتوقع الثلب في الطريق إلى القلعة ، فصار
مُتخفياً إلى مالقة ، ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنیش ؛ ووضع السيد عليه
العيون في كل جهة ، فقبض عليه بمالقة ، وطولع بأمره فأمر بقتله صبراً ، رحمه الله .

جزالته وصبره

قال أبو الحسن بن سعيد ؛ حدثني الحسين بن دؤيرة ، قال : كنت بمالقة لما
قبض على أبي جعفر ، وتوصلت إلى الاجتماع به ، ريثما استؤذن السيد في أمره حين
جُلس ، فدَمَعَت عيني لما رأيته مكبولا ؛ قال : أعلّ تبكي بعد ما بلغت من الدنيا
أطايب لذاتها ، فأكلت صدور الدجاج ، وشربت في الزجاج ، وركبت كل هملاج^(٣) ،

(١) يشير ابن الخطيب هنا إلى قيام ابن مردنیش ، وهو محمد بن سعد من زعماء شرق الأندلس في
أواسط القرن السادس الهجري ، وتملكه بلنسية ومرسية وثورته على الموحدين ، ومحاربتة إياهم . وقد
توفي ابن مردنیش سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) . ويترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد (راجع
في ذلك الحلة السيرة ص ٢٢٠ و ٢٣٠ . والاستقصاء ج ١ ص ١٦٠ . وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٨
و ٢٤٠ . وراجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الثاني ، ص ٣٣-٥٧)
(٢) هكذا في «ج» ، وفي «الملكية» ، والمارِجة ، من المرح ، ومعناه الفساد أو الفتنة .
(٣) الهملاج هو الدابة الأصيلة الحسنة السير .

ونمت في الديباج ، وتمتعت بالسراري والأزواج ، واستعملت من الشمع ، السراج
الوهّاج ، وهأنا في يد الحجاج ، منتظراً محنة الحلاج^(١) ؛ قادمٌ على خافر ، لا يُخوج
إلى اعتذار ولا احتجاج . قلت : ألا أبكي على من ينطق بمثل هذا ، ثم تُفقد ،
فقت عنه ، فما رأيتُهُ إلاّ مصلوباً ، رحمه الله .

شعره

أناي كتابٌ منك يحسه الدهر^(٢) أما حيزه ليلٌ ، أما طرّمه فجرٌ
به جمع الله الأمانى لناظري وسمعى وفكرى فهو سحرٌ ولا سحرٌ
ولا غرو أن أبدى العجايب وبه وفي ثوبه برٌّ ، وفي كفه بحرٌ
ولا عجب إن أነع الزهر طيه فما زال صوب القطر يبدو به الزهر
ومن شعره ما يجرى بجري المرقص ، وقد حضر مع الرضافي والكتندي
[ومعهم مغل برؤطة]^(٣) .

الله يومٌ مسرةٍ أضوى وأقصر من ذبأله
لما نصّبنا للئى فيه من أوتارٍ حباله
ظل النهار بها كمرٌ تاعى ، وأجفّلت الغزاه
وشعره مُدوّن كما قلنا ، وهذا القدر عنوانٌ على نُبله .

(١) هو أبو مغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وهو فارسي من أصل مجوسي ، اشتغل
بعلوم الدين ، واشتهر بالتنسك والزهد . وكانت له آراء في الدين عدها فقهاء عصره مروفاً وإلحاداً ، وقبض
عليه بأمر الخليفة المقتدر ، ثم ضرب ألف سوط ، وأعدم بطريقة بشعة إذ قظمت أطرافه ، ثم قطع رأسه ،
وأحرقت جثته أمام جمهور كبير من أهل بغداد ، وذلك في ذى القعدة سنة ٣٠٩ هـ (٩٢٢ م) (ترجمته
في ابن حلكان ج ١ ص ١٨٣) .

(٢) هذا في «ك» ، وفي «ج» الزهر .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وفي «الملكية» ، وساقط في «ك» . وروطة من فرى

غريبة في أمره مع حفصة

قال حاتم بن سعيد ؛ وكان قد أجرى الله على لسانه ، إذا حرّكت الكأس بها غرامه ، أن يقول ، والله لا يقتلني أحدٌ سواك ؛ وكان يعنى بالحُب ، والقَدَرُ مَوْكَل بالْمَنْطِق ، قد فرغ من قتله بغيره من أجلها . قال ؛ ولما بلغ حفصة قتله لبست الحِداد ، وجهرت بالحزن ، فتَوَعَّدت بالقتل ، فقالت في ذلك :

هدّوني من أجل لبس الحِداد لحبيبٍ أَرْدُوهُ لى بِالْحِدَادِ
رحم الله من يجودُ بدمعٍ أو ينوح على قتيْلِ الأعدادِ
وسقته بمثل جود يديه حيث أضْحَى من البلاد الغَوَادِ
ولم يَنْتَفِعْ بعدُ بها ، ثم لحقت به بعد قليل .

وفاته

توفي على حسب ما ذكر ، في جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي
المعروف بابن فركون

يكنى أبا جعفر .

أوليته

قد مرَّ ذلك في اسم جدّه قاضي الجماعة^(١) ، وسيأتي في اسم والده .

حاله

شعلة من شعل الذكاء والإدراك ، ومجموع خلال حميدة ، على الحداثة ، طالب

(١) وردت ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي في ص ١٥٣ .

نبيل ، مدرك ، نجيب ، بذّ أقرانه كفاية ، وسما إلى المراتب ، فقرأ ، وأُعرب ،
 وتمر^(١) ، وتدرّب ، واستجاز له والده شيوخ بلده ، فمن دونهم ، ونظم الشعر ،
 وقيد كثيراً ، وسبق أهل زمانه في حسن الخط ، سبقا أفرده بالغاية القصوى ،
 فإرعه اليوم ، المشار إليه ، بالظرف^(٢) والإتقان ، والحوّاء ، والإسراح ، اقتضى
 ذلك كله ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية ، ومزية الشفوف بها ، بالخلع والاستعمال ،
 واختصّ بي ، وتادّب بما انفرد به من أشياخ توالي في ، فأثرته بفوائد جمّة ، وبطن^(٣)
 حوضه من تحكّمه ، وترشّح إلى الاستيلاء على الغاية .

شمره

أنشد له بين يدي السلطان في الميلاد^(٤) الكريم :
 حيّ المعاهد بالسكيب وجادها غيث بروى حيها وجادها

مولده

في ربيع الآخر من عام سبعة وأربعين وسبعائة .

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان

من أهل مالقة ؛ يُكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن صفوان .

حاله

بقية الأعلام ، أديب [من أدباء]^(٥) هذا القطر ، وصدر من صدور كتّابه ،
 ومشيخة طلبته ، ناظم ، ناثر ، عارف ، ثاقب الذهن ، قوى الإدراك ، أصيل

(١) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها أتمر .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «ك» بالطف .

(٣) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» ونطق .

(٤) في المخطوطين وكذا في الملكية : البلاد ، وهو تحريف . (٥) الزيادة من الملكية .

النظر ، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق ، ذا كُرِّ للتاريخ واللغة ، مشارك في الفلسفة والتصوف ، كلف بالعلوم ^(١) الإلهية ، آية الله في فكِّ المعنى ، لا يجاريه في ذلك أحد ممن تقدمه ، شأنه عجبٌ ، يفكُّ من المعميات ^(٢) والمستنبطات ، مفصلاً وغير مفصول ؛ شديد التعصب لذى ^(٣) وُدِّ ، وبالعكس ، تام الرجولة ، قليل التهيب ، مقتحم حتى أهل الجاهد والحمد والمضايقة ، إذا دعاه لذلك داع ، حَيَّل ^(٤) نقده على غاربه ، راضٍ بالخمول ، مُتَبَلِّغ بما تيسر ، كثير الدؤوب والنظر ، والتقييد والتصنيف ، على كلال الجوارح ، وعائق الكبرة ^(٥) ، متقارب نمطى ^(٦) الشعر والكتابة ، مجيد فيهما ، ولنظمه شُفوف على نثره .

مشيخه

قرأ على الأستاذ [أبي محمد] ^(٧) الباهلي ، أستاذ الجملة من أهل بلده ، ومولى النعمة عليهم ، لازمه وانتفع به ؛ ورحل إلى العُدوة ، فلقى جملة ، كالتقاضى المؤرخ أبي عبد الله بن عبد الملك ، والأستاذ التعالمى أبي العباس بن البنا ، وقرأ عليهم بمرأى كُش .

نباهته

استدعاه السلطان ، ثانى الملوك من بنى نصر ^(٨) إلى الكتابة عنه مع الجلة ^(٩) ،

(١) وردت في المخطوطين : بالعموم ، وهو تحريف ظاهر .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : المعايات .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « الملكية » : لأهل .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : حل .

(٥) الكبرة أى تقدم السن .

(٦) وردت في « ج » بمضى . والتصويب من الملكية .

(٧) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » والملكية .

(٨) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه . حكم من

سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٩) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « الملكية » الجملة . والأولى أرجح .

ببأبه ، وقد نما عُشهُ ، وعلا كعبه ، واشتهر ذكَاؤُهُ وإدراكه . ثم جَنَحَ إلى العودَةِ (١) لبلده . ولما ولى المُلْكُ ، السلطان أبو اليد ، ودعاه إلى نفسه ، ببلده مَالِقَةَ ، اسْتَسْكَبَهُ رئيساً مستحقاً ، إذ لم يكن ببلده . فأقام به واقترع على كَتَبِ الشُّرُوطِ ، معروف القدر ، بمكان من القضاة ورعيهم ، صدرأً في مجالس الشورى ؛ وإلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة ، حظاً من فصول بعض السنين ، فيُنْصَبُ (٢) بها العدالة ، ثم يعود إلى بلده في الفصل الذي لا يصلح لذلك . وهو الآن بقيد الحياة ، قد عَمَلَتْهُ أشراك (٣) الهَرَمِ ، وفيه بعد مُسْتَمْتَعٌ ، بديع ، كبير .

تصانيفه .

من تواليفه ، « مطلع الأنوار الإلهية » ، « وبغية المستفيد » ، وشرح كتاب القرشي في الفرائض ، لا نظير له . وأما تقييده على أقوال يعترضها ، وموضوعات ينتقدها ، فكثيرة .

شعره

قال في غرض (٤) التَّصَوُّفِ ، وبلغني أنه نظمها بإشارة من الخطيب ، ولي الله ،
أبي عبد الله الضنجالى ، كَلَّفَ بِهَا القوَّالونَ والمسمِّعونَ بين يديه :

بان الحميمُ فما الحمى والبانُ	بشفاء مَنْ عنه الأجابة بانوا
لم ينقضوا عهداً بينهم ولا	أنسام ميثاقك الحدَثانُ
لكن جَنَحْتَ لغيرهم فأزالهم	عن أنسهم بك موحشٌ غيران
لو صحَّ حُبُّكَ ما فقدتهم ولا	سارت بهم عن حُبِّكَ الأظمان
تشتاقهم ، وحشاك هالة بدرهم	والسرُّ منك لخلهم ميدان
ماهكذا أحوالُ أربابِ الهوى	نسخ الغرامَ بقلبك السلوان

(١) وردت في المخطوطين : العدوة ، وهي هنا تحريف .

(٢) وردت في المخطوطين : فنصب . والتصويب أصلح للسياق .

(٣) في المخطوطين : اشراك ، وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : عرض .

لايشكى ألم البعاد مُتَمِّمٌ
 ما عندهم إلا الكمال وإنما
 شغلتك بالأغيار عنهم مُقَلَّةٌ
 غمض جفونك عن سواهم مُعْرِضًا
 واصرف إليهم لِعَظْفِكِ شَاخِصًا
 ما بان عن مغناك من أطفافه
 وجياد أنعمه بيبابك تَرتَمِي
 جعلوا دليلاً فيك منك عليهم
 يا لاحتاسير الوجود بعينه
 ارجع لذاتك إن أردت تنزهًا
 هي روضة مطلولة بل جنة
 كم حكمة صارت تلوح لناظِر
 حُجِبَتْ بِشَمْسِكِ^(٢) عن عيانك شمسها
 لولاك ما خفيت عليك آياتها^(٤)
 أنت الحجاب لما توأمّل منهم
 فاطخرج إليهم عنك مُفْتَقِرًا لهم
 واخضع لعزهم ولذلهم^(٥) يلح
 هم وشحوك إلى الوصول إليهم
 أحبابه في قلبه^(١) سُكَّانٌ
 غطى على مرآتك النقصان
 إنسانها عن لمعهم وسنان
 إن الصوارم حجبها الأجفان
 ترهم بقلبك حيث كنت وكانوا
 يهيم عليها سحابها الهتان
 تسرى إليك بركبها الأكوان
 فبدا على تقصيرك البرهان
 السر فيك بأسره والشان
 فيها لعيني ذى الحجا بستان
 فيها للمني والروح والريمان
 حارت لباهر صنعها الأذهان
 شمس محاسن^(٣) ذكرها التبيان
 والجو من أنوارها ملآن
 ففناؤك الأقصى لهم وجدان
 إن الملوك بالافتقار تدان
 منهم عليك تعطف وحنان
 وهم على طلب الوصال عوان

(١) وردت في المخطوطين : بقلبه . وبالتصويب يستقيم الوزن .

(٢) مكذافي « ح » . وفي « ك » : بشخصك .

(٣) مكذافي « ك » . وفي « ج » والملكية : فحاسن .

(٤) مكذافي « ج » ، وفي « ك » آيتها .

(٥) مكذافي « ج » . وفي « ك » . لذهم وهو تحريف .

عَطَفُوا جِالْمَ عَلَى أَجْمَلِمْ
يَأْمَلِبِسِينَ عَيْبِيدَمْ (١) حَالِ الصَّنَا
لَا سَخَطَ (٢) عِنْدِي لِذِي تَرْضُونَهُ
فَبِقُرْبِكُمْ عَيْنُ الْغِنَا وَيَبْعِدْكُمْ
إِنِّي كَتَمْتُ عَنِ الْأَنَامِ هَوَاكُمْ
وَوَشَّتُ بِحَالِي [عِنْدَاكُمْ] (٤) مَدَامْعُ
وَبَدَّتْ عَلَى شَمَائِلِ عُنْدَرِيَّةِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَذَكَرْتُكُمْ لِي مُنْطَقُ
وَإِذَا صَمْتُ فَانْتُمْ سِرِّي الَّذِي
فَبِاطْنِي وَبِظَاهِرِي لَكُمْ هَوَى
وَجَوَانِحِي وَجَمِيعِ أَنْفَاسِي وَمَا
وَإِلَيْكُمْ مَنِي الْمَفْرُوقِ قَصْدُكُمْ
وَقَالَ يَذُمُ الدُّنْيَا وَيَمْدَحُ (٥) عَقْبِي مِنْ يُقَلِّلُ مِنْهَا :
حَدِيثُ الْأَمَانِ (٦) فِي الْحَيَاةِ شَجُونِ
يَمِيلُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ بِغُرُورِهَا
وَذُو الْحَزْمِ يَنْبُو عَنْ حِجَابِهَا
إِلَيْكَ صَرِيحُ الْأَمْنِ سَنَعَه (٧) نَاصِحِ

فَحُلِّي الْمَشُوقِ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانَ
جَسِي بِمَا تَكْسُونَهُ يَزْدَانُ
قَلْبِي [بِذَلِكَ مَفْرَحٍ] (٣) جَذْلَانُ
مَحْضُ الْفَنَاءِ وَمَحْبُوبِكُمْ وَأَهْلَانُ
حَتَّى ذُهَيْتُ وَخَانِي السَّكْتَانُ
أَدْنَى مَوَاقِعِ قَطْرِهَا طُوفَانُ
تَقْضَى بَأَنِي فِيكُمْ هَيْمَانُ
مَا عَنْ سِوَاكُمْ لِسَانُ بَيَانُ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي الْفُؤَادِ يُصَانُ
مِنْ جُنْدِهِ الْإِسْرَارُ وَالْإِعْلَانُ
أَحْوَى عَلَيَّ لِحُبِّكُمْ أَعْوَانُ
حَرَمٌ بِهِ لِلْخَائِفِينَ أَمَانُ

(١) هكذا في «الملكية» ووردت في المخطوطين : عبيدَمْ .

(٢) وردت في المخطوطين سخطي .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي المخطوطين (بذلك فرح) . والأولى أصح وأنسب للسياق .

(٤) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين وواردة في «ت» .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» ويحمد .

(٦) هكذا في «ج» و«الملكية» . وفي «ك» ، الجمان .

(٧) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (منحة) .

(٨) هكذا وردت في «ك» . ووردت محرفة في «ج» : السفين .

تجاف عن الدنيا ودين باطراحها
وترفيعها خفض وتنعيمها أذى
إذا عاهدت خانت وإن هي أقسمت
يروفك منها مطعم من وفاتها
وتمنحك الإقبال كفة حابل
سماه لعمرك الله إنحاضك الهوى
ومن تصد فيه وهو يقطعك القلا
ألا إنها الدنيا فلا تغترر^(٢) بها
يعم رذاها الغر والخب ذاك الدها
وتشك بلواها نيبلاً وخاملاً
أبنا لحاما الله كم فتنة لها
فلا ملك سام^(٤) أقالت عثاره
[ولا معهد إلا وقد نبهت به
أبيت لنفسى أن يدنسها الكرى
فليس قرير العين فيها سوى امرئ
أبيت طلاق الحرص فالزهد دائماً
إذا أقبلت لم يؤلها بشر شيق

فمر كبتها بالمطمين^(١) حرون
ومهلها للواردين أجون
فلا ترج برأ بالسين يمين
وسرعان ما اثر الوفاء تخون
ومن مكرها في طي ذلك كمين
لمن أنت بالبنضاء فيه قمين
وشهدى له الإعزاز وهو يهين
ولوذ الدواهي بالخداع تدين
ويلحق فيها بالكيناس عرين
ويلقى مزال^(٣) غدرها ومصون
تعلم صم الصخر كيف يلبين
ولو أنه للفرقدين خدين
بعيد الكرى للشاكلات جفون
سكون إليها موبق وركون^(٥)
قلاه لها رأى يراه ودين
خليل له مستصحب وقرين
ولا خف للإقبال منه رزين

(١) هكذا في «ك». وفي «ج» بالمطمين. وفي الملكية: بالمطمين.

(٢) هكذا في «ج»، وفي «ك» تفتت.

(٣) هكذا في المخطوطين، وفي الملكية.

(٤) هكذا في «ك». وفي «ج» سمى.

(٥) هذان البيتان واردان في «ج» وفي «الملكية». ولكنهما أدجا في «ك» في بيت واحد

نصه: (ولا معهد إلا . . . سكون إليها موبق . . .)

وإن أدبرت لم يلتفت نحوها بها
 خفيف المطا من حمل أتمال هـها
 على حفظه للفقر أبي ملاءة
 برجف تخال الخائفين منازل
 منازل نمد عندها وتهمامة
 يرود رياضاً أين سار وورده
 فهذا أيل^(٢) الملك لأمك ثامر
 وهذا عريض العز لا عز مترف
 حوت شخصه أوصافها فكأنه
 فياخابداً عشواء والصبح قد بدا
 أفق من كرى هذا التعمى ولا تضع
 إذا كان عقبى ذى جدّة إلى بلى
 ففيم التفانى والتنافس ضيلة
 إلى الله أشكوها نفوساً عمية
 وأسأله الرجعى^(٦) إلى أمره الذى
 فلا خير إلا من لدنه وجوده
 وجمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجّهى صُحبة الركاب^(٧) السلطاني

(١) هكذا فى «ج». وفى «ك» ومين .

(٢) وردت فى «ج»، وأغفلت فى «ك» .

(٣) ما بين الحاصرتين ورد بحرفاً فى المخطوطين : إلى تمنى . ثغنى .

(٤) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية»، وفى «ك» علو .

(٥) فى المخطوطين : يكون

(٦) هكذا فى «ج». وفى «ك»، الرجا .

(٧) هـهـ فى «سنخيه». ووردت فى «ج» الركبان .

إلى إصراخ الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة ؛ وقدّمت صدره خطبة ، وسمّيت الجزء « بالدرّ »^(١) الفاخرة ، واللّجج الزاخرة ، وطلبتُ منه أن يُجيزني ، وولدي عبد الله ، روايةً ذلك عنه [فكتب]^(٢) بخذّه الرائق بظهر المجموع مانصه :

« الحمد لله مستحقُّ الحمد ؛ أُجبتُ سؤالَ الفقيه ، الأجلِّ ، الأفضل ، السّري ، للماجد ، الأوحد ، الأحفل ، [الأديب]^(٣) البارِع ؛ الطّالع في أفقُ المعرفة والنّباهة ، والرفعة المكيّنة والوجاهة ، بأبهى المطالع ؛ المصنّف ، الحافظ ؛ اللّامة ، الحائز في فنيّ النظم والنثر ، وأسلوبِ الكتابة^(٤) والشّعر ، رتبة الرياسة ؛ الحامل لراية التّقدم والإمامة ؛ محلّيّ جيد^(٥) العصر بتواليه الباهرة الرواء^(٦) ؛ ومجلى محاسن بنيهِ^(٧) ، الرّائقة على منصّة الشّهاد والإنباء ؛ أبي عبد الله بن الخطيب ، وصلّ الله سعاداته ومجاداته ؛ وسني من الخير الأوفر ، والصنّع الجميل الأبهر ، ممتصّده وإرادته ؛ وبلغه في نجله الأسعد ؛ وإبنيه الرّاق^(٨) بمحتده الفاضل ، ومنشئه الأطهر ، محلّ الفرقد ، أفضل ما يؤمّل نجاته إياه في المكرّمات وإفادته ؛ وأجزتُ له ، ولابنه عبد الله المذكور ، أبقاهما الله تعالى ، في عزّة سنّية الخلال^(٩) ؛ وعافية ممتدة الأفياء ، وإرفقة الظلال ؛ روايةً جميع ماتقيد في الأوراق ؛ المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها ، من نظمي ونثري ؛ وما توليتُ إنشائه^(١٠) ، واعتمدتُ بالارتحال

(١) وردت في المخطوطين ، الدار . وفي الملكية بالدراري ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وفي « الملكية » . وينقصها السياق .

(٣) وردت فقط في « ك » . وأغفلت في « ج » ، وفي الملكية .

(٤) وردت في المخطوطين المكاتبية ، وفي « النفع » الكتابة ، وهو أرجح .

(٥) وردت في المخطوطين : جيل .

(٦) في المخطوطين : الرواية ، والتصويب من نفع الطيب .

(٧) وردت في المخطوطين : ومحلّ بنه ، مع إغفال « محاسن » . والتصويب من نفع الطيب .

(٨) وردت محرفة في المخطوطين : (إلى أقر) .

(٩) هكذا في « ج » . وفي النفع ، وفي « ك » ، الجلال .

(١٠) هكذا في « ج » وفي « النفع » ، وفي « ك » أنشاده .

والرواية ، اختياره وانتقاه ، أيام عُمرى ، وجميع ما لي من تصنيف وتقييد ، ومقطوعة وقصيدة ، وجميع ما أُحمله عن أشياخي رضى الله عنهم ، من العلوم ، وفنون المنثور والمنظوم ، بأى وجه تأتّى ذلك ، وصحّ حَمَلِي له ، وثبتت إسناده لى ، إجازة تامّة ، فى ذلك كله عامّة ، على سُنَنِ الإجازات الشرعية ، وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعى ، والله ينفَعُنِي وإيّاها بالعالم وحَمَلِهِ ، وينظّمنا جميعاً فى سبيلك جزبه المُفْلِحِينَ وأهله ، ويفيض علينا من أنوار بركته وفضله . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية ، العبدُ الفقير إلى الغنى به ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ، ختم الله له بخير ، حامداً لله تعالى ، ومصلحاً ومُسلماً على محمد نبيه المصطفى الكريم ، وعلى آله الهاهرين ذوى المنصب العظيم ، وصحبه البررة ، أولى المنصب والأثرية والتقديم ، فى سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين^(١) ، وسبعائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

واشتمل هذا الجزء الذى أذن بحمله عنه من شعره على جملة من المطوّلات ، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا على بن سينا فى قصيدته الشهيرة فى النفس التى مطلعها : « هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحُلِّ الْأَرْفَعِ » ، أولها : أهلا بمسراك المحب^(٢) للموضع . وأول قصيدة :

لِمَعْنَاكَ فِي الْأَفْهَامِ سِرٌّ مُكْتَمٌ عليه نفوسُ العارفينِ تُحْمومُ
وأول أخرى :

أزهى حجابك رؤية الأغيار فامحُ الدُّجَى بأشعة الأنوار
وأول أخرى :

ثناه وجودى فى هواكم هو الخلد ونحو رؤسومى حُسن ذاتى به يبدو

(١) هكذا وردت فى « ك » . وفى النسخ وفى « ج » : أربعة وسبعين ، وهو تحريف واضح يناقض ما ذكره ابن الخطيب فى البداية ، ويناقض ما ذكره بعد ذلك من وفاة ابن صفوان فى سنة ٧٦٣ هـ .
(٢) وردت فى المخطوطين : المحب .

ومطلع أخرى :

ألا في الهوى بالذلل تُرعى الوسائلُ ودَمَعِي أن أنادي مجيبٌ وسائلُ

ومطلع أخرى :

هُمُ القصدُ جادُوا بالرّضى أو تَمَتَّعُوا^(١) صَلُّوا اللومُ فيما أودَعُوا القَلْبَ أودَعُوا

ومن أخرى :

سَقَى زَمَنَ الرِّضاهامُ من الشَّحْبِ والله العودُ من أثوابه القُشْبِ

ومن أخرى :

يافوزُ نَفْسِي في هواك هواؤُها رَقَّتْ معانيها وراق مناؤُها

ومن أخرى :

أما الغرامُ فبالفؤادِ غَرِيمُ هيهات مني ما العَدُولُ يرُومُ

ومن شعره في المقطوعات قوله :

رَشَقَ العِندارُ لُجَيْنَه بِنِيبِالِه ففدا يدور على المحبِّ الوالِه

خَطَّ العِندارُ بصفحتَيه لامه خطًّا توَعَدَه بمحو جماله

فحسبتُ أن جماله شمسُ الضحى حُسْنًا وذاك الخطُّ خطُّ زواله

فدنا إلى تمجُّبًا وأجانبى والرَّوعُ يبدو من خلال مقالِه

إن الجمالِ آخرُه اللامُ فمُجُّ عن رَمَمِه وانديبُ على أطلالِه

ومن أبياته في التَّورِيَةِ بالفُنُونِ قوله :

كففتُ عن الوصالِ طويلَ شوقِي إليك وأنت للروح الخليلِ

وكففتُ للطويلِ فدَتَكَ نَفْسِي قبيحٌ ليس يرضاه الخليلِ

(١) وردت في المخطوطين : (وتمتعوا) . والتصويب لازم للوزن والمعنى .

وقال في التورية بالعروض :

يا كاملاً شوقى إليه وافِرُ
عاملت أسبابى لديك فقطعتها
وبسيط خدّى في هواه عزيزُ
والقطعُ في الأسباب ليس يجُوزُ

وقال في التورية بالعربية :

أيا قرأ مطالمة جناني
أأصرف في هواك عن اقتراحى
وغرته توارى عن عيان
وسهدي وانتحابي عِلتان

وقال أيضاً :

لا تصحبن [يا صاحبي] ^(١) غير الوفي
كم من خليلٍ بشره زهر الربى
كل امرئ عنوانه من يسطقى
وطى ذاك البشر حد المرهف
وأنت من إعراضه في أسفٍ
ظاهره يريك سر من رأى

ووقعت بينه وبين قاضى بكده أبى عمرو بن المنظور مقاطعة ، انبرى بها إلى مطالبته بما دعاه إلى التحول مضطراً إلى غرناطة ، وأخذ بكظمه ^(٢) ، وطوقه للوت في أثناء القطيعة ، فقال في ذلك متشفاً ، وهو من نبيه كلامه ، وكله نبيه :

تردى ابن منظور وحمّ حاهُ
تبراً منه أوليا غروره
وأودع بعد الأئس موحش بلقع
ولا رشوة يدلى القبول وشادها
وأسلمه حام له ونصيرُ
ولم يقه بأس ^(٣) المنون ظهيرُ
فجياه فيه منكر ونكيرُ
ولا شاهد يغضى له عن شهادة
فينسخ ^(٤) بالسير المريخ عسيرُ
تخللها إفك يُصاغ وزورُ

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وفي « الملكية » . والإضافة من « ت » .

(٢) وردت في المخطوطين : بكنفه بكنظه . والتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في « ك » . وفي « ج » (ولم يفقه بان) . والأول أرجح للوزن والمعنى .

(٤) وردت في المخطوطين : (فينسخ) . والتصويب أرجح .

ولا خِدْعَةٌ تُجْدِي ولا مَكْرٌ نَافِعٌ
ولسكنه حقٌّ يَصُولُ وباطلٌ
وقالوا قَضَاءُ الموتِ حَتْمٌ على الوري
فلا تَنْتَسِمِ رِيحَ اَرْتِيَا حُ لَفَقْدِهِ
فَقَاتِ بَلَى حُكْمِ المَنِيَّةِ شَامِلٌ
ولسكن تَقْدِمُ^(١) الأعداءِ إلى الردى
وأمنٌ ينام المرءُ في بُرْدٍ ذَالِهِ
وحسبي بيتٌ قاله شاعرٌ مضى
وإن بقاء المرءِ بَعْدَ عَدُوِّهِ

ولا غِشٌّ مَذْوِيٌّ عليه ضَمِيرٌ
يَحُولُ وَمَنْوِيٌّ جَنَّةٍ وَسَعِيرٌ
يُدِيرُ صَغِيرٌ كَأَسَهُ وَكَبِيرٌ
فإنك عن قصدِ السَّبِيلِ تَحُورُ
وكلُّ إلى ربِّ العِبَادِ يَصِيرُ
نشاطٌ يعوذُ القلبَ منه سُرُورُ
ولا حَيَّةٌ لِالجِدِّ نَمٌّ تَشُورُ
غداً مثلاً في العالمين يسيرُ
ولو ساعةً من عُمرِهِ لَكثيرُ

مولده

قال بعض شيوخنا ، سألته عن مولده فقال لي في آخر خمسة وتسعين وستائة ،
أظن في ذى قعدة منه الشك .

« وفاته » ، بالقة في آخر جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

أحمد بن أيوب اللماي^(٢)

من أهل مالقة ، يُكنى أبا جعفر .

حاله

قال صاحب الذيل^(٣) ، كان أديباً ماهراً ، وشاعراً جليلاً ، وكاتباً نبيلاً .

(١) هكذا في « الملكية » ، ومكانها بياض في « ك » ، وكلمة غير واضحة في « ج » .
(٢) رسمت في الذخيرة لابن بسام : « اللماي » (الذخيرة : القسم الأول من المجلد الثاني ص ١٣٢)
(٣) هو كتاب « الذيل والتكلمة » ، لكتابي الموصول والصلة « لابن عبد الملك المراكشي . وقد سبق
التعريف به (راجع الحاشية في ص ١٧٤)

كتب عن أول الخلفاء الهاشميين بالأندلس ، على بن حمود ، ثم عن غيره من أهل بيته ، وتولى تدبير أمرهم ، فجاز لذلك صيداً شهيراً ، وجلالة عظيمة . وذكره ابن بسّام في كتاب « الذخيرة » ، فقال : كان أبو جعفر هذا في وقتة أحد أئمة الكتاب ، وشهّب الأدب ، ممن سُخرت له فنون البيان ، تسخير الجن لسامان ، وتصرف في محاسن الكلام ، تصرف الرياح بالنعام ، طلع من ثنياه ، واقتعد مطايها ، وله إنشاءات ^(١) سرّية ، في الدولة الحمّودية ^(٢) ، إذ كان علم أدبائها ، والمضطلع بأعبائها ^(٣) ، إلا أني لم أجد عند تحريري هذه النسخة ، من كلامه ، إلا بعض نصول من منثور ، وهي رمادٌ من يُجور .

« فصل » : من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس : « غُصْنُ ذِكْرِكَ عِنْدِي نَاضِرٌ ، وَرَوْضُ شُكْرِكَ لَدَيَّ عَاطِرٌ ، وَوَبِحْ ^(٤) إِخْلَاصِي لَكَ صَبَاً ، وَزَمَانَ آمَالِي فِيكَ صَبَاً ، فَأَنَا شَارِبُ مَاءِ إِخْتَالِكَ ، مَتَقَنِّي ؛ ظِلٌّ ^(٥) وَفَالِكٌ ؛ جَانُ مِنْكَ ثَمْرَةٌ فَرَعٌ طَابَ أَكْلُهُ ، وَأَجْنَانِي الْبَرُّ قَدِيمًا ^(٦) أَصْلُهُ ، وَسَقَانِي إِكْرَامًا بَرِّقَهُ ، وَرَوَانِي أَفْضَالًا وَذَقَهُ ؛ وَأَنْتَ الطَّالِعُ فِي فِجَاجِهِ ، السَّالِكُ لِمِنْهَاجِهِ ، سَهْمٌ فِي كِنَانَةِ الْفَضْلِ صَائِبٌ ، وَكَوْكَبٌ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ ثَاقِبٌ ، إِنْ أَتْبَعْتَ الْأَعْدَاءَ نَوْرَهُ أَحْرَقَ ، وَإِنْ رَمَيْتَهُمْ بِهِ أَصَابَ الْحَدَقَ ؛ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَلَسَانِي يَقْصُرُ عَنْ جَمِيلِ أَنْشُرِهِ ^(٧) ، وَوَصْفِ وَدِّ أَضْرِهِ . »

- (١) هكذا وردت في « ك » والذخيرة . ووردت محرفة في « ج » ، (إنشآت) .
 (٢) وردت محرفة في المخطوطين : في « ح » الحمّدية . وفي « ك » الحمّودية . وفي الملكية (المحمّدية) .
 (٣) وردت في « ك » ، بأعيانها . وكذا في « الملكية » . وفي « ج » بأذيالها . والتصويب من الذخيرة .
 (٤) وردت في المخطوطين وفي « الملكية » : وروح . والتصويب من الذخيرة .
 (٥) هكذا في المخطوطين . وفي الذخيرة : ظلال
 (٦) في المخطوطين : قديم ، وهو تحريف .
 (٧) هكذا في المخطوطين . وفي الذخيرة : أسره .

شعره

قال ، وما وجد يخطئه لنفسه :

طلعت طلائعُ الربيع فأطلعتُ في الرّوضِ ورداً قبيل^(١) حين أوانه
 حياً أمير المسلمين^(٢) مبشراً وهو مئلاً للنَّيل من إحسانه
 ضنّت صحائبه عليه بمائها^(٣) فأتاه يستسقيه ماءً بِنَازِه
 دامت لنا أيامه موصولةً بالعزِّ والتّمكين في سُلطانِه

قال : وأنشدني الأديب أبو بكر بن معن ، قال أنشدني أبو الربيع بن العريف
 [لجدّه]^(٤) الكاتب أبي جعفر اللماي ، وامتنحن بداء النَّسمة من أمراض
 الصّدر ، وأزمن به ، نفعه الله ، وأعياه علاجه ، بعد أن لم يدع فيه غاية ،
 وفي ذلك يقول :

لم يبت من شيء أعالجها به^(٥) طمعُ الحياةِ وأين من لا يطمعُ
 « وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارها ألفت كلّ تميمةٍ لا تنفع »
 ودخل عليه بعض أصحابه فيها ، وجعل يُروّح عليه فقال له بديهة :

روّحني هائدي فقلت له لا تزدي على الذي أجيد
 أما ترى النار وهي خامدةٌ عند هبوب الرياح تتقد
 ودخل غرناطة غير مامرة ، منها تهردّداً بين أملاكه ، وبين من بها من ملوك
 صهاجة ، قالوا ولم تفارقه تلك الشكايّة حتى كازت سبب وفاته .

(١) وردت في « ج » ، وأغفلت في « ك » .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الذخيرة : أمير المؤمنين .

(٣) في المخطوطين وفي الملكية : بمائه . والتصويب من الذخيرة .

(٤) وردت محرقة في المخطوطين : الحرة . والتصويب من الذخيرة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين . ولكنها وردت في الذخيرة كما يلي : « لم يبق شيء

لم أعالجها به » .

وفاته

بمألقة عام خمس وستين وأربعمائة . ونقل منها إلى حصن الورْد ، وهو عند
 حصن مُنتِ مَيُور^(١) إذ كان قد حصَّنه ، واتَّخذه لنفسه ملجأً عند شدَّته ،
 فدُفن به ، بعَهْدٍ منه بذلك ، وأمر أن يُكتب على قبره بهذه الأبيات :
 بَنَيْتُ وَلَمْ أُسْكُنْ وَحَصَّنْتَ جَاهِدًا فَلَمَّا آتَى الْمَقْدُورَ صَيَّرَهُ قَبْرِي
 وَلَمْ يَكُنْ حَظِّي غَيْرَ مَا أَنْتَ مُبْصِرٌ بِعَيْنِكَ مَا بَيْنَ الذُّرَاعِ إِلَى الشُّبْرِ
 فَيَا زَائِرًا قَبْرِي أَوْصِيكَ جَاهِدًا عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
 فَلَا تُحْسِنَنَّ بِالذَّهْرِ ظَنًّا فَإِنَّمَا مِنَ الْحَزْمِ إِلَّا يُسْتَنَامُ إِلَى الدَّهْرِ

أحمد بن محمد بن طلحة

من أهل جزيرة شُقر^(٢) ، يكنى أبا جعفر ، ويُعرف بابن جده طلحة .

حاله

قال صاحبُ «القدح المَعْلَى» ، من بيت مشهور بجزيرة شُقر من عمل بلنسية
 كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابنُ هود^(٣) ، حين
 تغلب على الأندلس ، وربما استوزره ، وهو ممن كان والدي يُكثرُ مجالسته ،
 وبيتهما مُزاورةٌ ، ولم أستفد منه إلا ما كنتُ أحفظُه من مجالسته .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» (منت ميون) . وهو تحريف . وما أثبت «ج» وهو
 منت ميور أرجح - وهو مطابق للاسم الإسباني المقابل وهو Monte mayor أى الجبل الكبير .

(٢) سبق التعريف بها (أنظر الحاشية في ص ١٧٩) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود ، المتوكل على الله ، سليل بنى هود أمراء سرقسطة .

وقد سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ١٤١) .

شعره

قال ، سمعته يوماً يقول ، تقيمون القيامة بحبيب ، والبُحترى ، والمتنبى ، وفي عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون [فأنبرى إليه شخص له همة وإقدام ، فقال يا أبا جعفر : أين بُرهان ذلك ، فما أظنك تعنى إلا نفسك ، فقال ما أعنى إلا نفسي ، ولم لا ، وأنا الذى أقول]^(١) :

ياهل ترى الظرف من يومنا قلد جيد الأفق طوق العقيق
وأنتق الورق بعيدانها مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشربُ خمر الندى فى الروض إلا بكأس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان ، وردوه فى الغيظ^(٢) كما كان ، فقلت له : ياسيدى هذا والله السحر الحلال ، وما سمعت من شعراء عصرنا مثله ، فبالله ألا ما لازمتهى وزدتهى من هذا النمط ، فقال لى الله درك ، ودرك أيبك من مُنصف ابن مُنصف . إسمع ، وافتح أذنيك . ثم أنشد :

أدريها فالسما بدت عروساً مضمخة الملابس بالعوال
وخد الأرض خقره أصيلٌ وجفنُ النهار^(٣) كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق فى لالٍ تضبيء بهن أكناف الليل

فقلت بالله أعد وزد^(٤) ، فأعاد والارتياح قد ملأ عطفه ، والتهيه قد رفع

أنفه ، ثم قال :

(١) ما بين الخاصرتين ساقط فى المخطوطين ، ووارد فى الملكية وفى «ت» (الزيتونة) .
(٢) وردت فى المخطوطين : الغيظ . والتصويب من «ت» .
(٣) هكذا وردت فى «ك» ، و«ت» . وفى «ج» النهار .
(٤) هكذا فى «ت» . وفى المخطوطين : وأزد .

لله نهرٌ عند ما زرتَه عابن طرفي منه سحراً حلالاً
إذا أصبح الظلُّ به لَيْلَةً وجمالاً^(١) فيه الغصن مثل الخيال

قللت ما على هذا مزيدٌ في الاستحسان ، فحسب أن يكون المزيد في الإنشاد
فزاد ارتياحة وأنشد :

ولما ماج^(٢) بجرُّ الليل بيني وبينكم وقد جدّدتُ ذِكْراً
أراد لِقائكم إنسانُ عَيْنِي فدَّ له المنام عليه جِيراً

قللت إليه زادك الله إحساناً ، فزاد :

ولما أن رأى إنسانُ عَيْنِي بصَحْنِ الخلد منه غريقَ ماء
أقام له العِذار عليه جِيراً كما مُدَّ الظلامُ^(٣) على الضياء

قللت فما تكرر ويطول ، فإنه مملول ، إلا ما أوردته آتفاً ، فإنه كنسيم
الحياة ، وما أن يُمل ، فبالله ألا ما زدني ، وتفَضَّلت على بالإعادة ، فأعاد وأنشد :

هات اللدَام إذا رأيت شبيها في الأفق يافرُداً بغير شبيهه
ظالصُّبح قد ذبح الظلام بِنِصْلِهِ فغَدَّتْ سَحَابُهُ نُجُجاً فيهِ

دخولُه غَرناطَة

دخلها مع مخدومه المتوكل على الله ابن هود وفي جملته ، إذ كان يصحبُه في
حركاته ، ويباشر معه الحرب ، وجرت عليه المزائم ، وله في ذلك كله شعر .

(١) هكذا في الملكية و«ك» وفي «ج» ، و«ت» وخال .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» فاح . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» صبح .

محتته

قالوا لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس الينشتي^(١) من الإحسان ، فكان
يُوغِرُ صدره من الكلام فيه ، فذكروا أن الينشتي قال يوماً في مجلسه :
رميت يوماً بسهم من كذا ، فبلغ إلى كذا ؛ فقال ابن طلحة لشخص كان إلى
جانبه : والله لو كان قوس قزح ؛ فشعر أبو العباس إلى قوله ما يشبه ذلك ،
واستدعى الشخص ، وعزم عليه ، فأخبره بقوله ، فأسرّها في نفسه ، إلى أن قوى
الحقد عليه ، ما بلغه من عنه من قوله يهجوّه :

سمعنا بالموثق فارتحلنا وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يداً أقبلها وأخرى أعيشُ بفضلها أبداً وأتمو
فأنشدنا لسان الحال عنه يدُ شلاً وأمر لا يم

فزادت موجدته^(٢) عليه ، وراعى أمره إلى أن بلغته أبيات قالها في شهر
رمضان ، وهو على حال الاستهتار^(٣) :

يقول أخو الفضول وقد رأنا على الإيمان بأننا الحجون
أشكو شهر الصوم هلاً حماه منكم عقل ودين
قللت أصحاب سوانا فنحن قوم زنادقة مذهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فما به أبداً ندين

(١) هكذا وردت في المخطوطين : ووردت في « ت » السبتي وهو بحريف . وقد كان الينشتي
أو اليناشتي واليا لثغر سبته مستقلاً بحكها ، ويتخذ لقب الموثق .

(٢) وردت في المخطوطين : موجوه . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في المخطوطين : الإسهاد . والمرجح أنه الإستهتار حسبما يدل على ذلك معنى الشعر

فنحن على صُفوح^(١) الدهر ندعو وإبائسُ يقول لنا آمين
أيأشهر الصيام إليك عنّا ففك أ كُفْرُ ، ما نكُون

قال ، فأرسل إليه من هجم عليه ، وهو على^(٢) هذا الحال ، وأظهر إرضاء
العامّة بقتله ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستائة^(٣) . ولا خفاء أنه من صدور
الأندلس ، وأشدّهم عنوراً على المعاني الغريبة المخترعة ، رحمه الله .

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري

من أهل المرية^(٤) ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن خاتمة .

حاله

هذا الرجل صدرٌ يُشار إليه ، طالبٌ مُتَمَنِّئٌ ، مشاركٌ ، قوى الإدراك ،
سديد النظر ، قوى الذهن ، موفور الأدوات ، كثير الاجتهاد ، معين للطبع ،
جيد التريجة ، باوع الخط ، مُتَمَتِّعُ المجالسة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، حَسَنَةٌ

(١) هكذا وردت في «ج» و«الملكية» . وفي «ك» الصفوح بالتمريف وهو لا يستقيم مع وزن الشعر .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» في .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : (وسبائة) وهو سهو تاريخي لأن المتوكل بن هود الذي
التحق بخدمته الشاعر المترجم له توفي قتيلا سنة ٦٣٥ هـ ، وذلك بعد مقتل الشاعر . ولهذا اقتضى التصويب .

(٤) سبق ذكر المرية في السياق غير مرة . وقد رأينا أن نعرف بها هنا لمناسبة ترجمة شاعرها
الكبير ابن خاتمة . والمرية Almeria ، ثغر من ثغور الأندلس الشهيرة يقع في جنوب اسبانيا على البحر
المتوسط شرق مالقة . وهي مدينة مشرقة جميلة الموقع والتخطيط . وكانت أيام الدولة الإسلامية
من أعظم ثغورها الجنوبية ، وكان سكانها يومئذ يزيدون على مائة وخمسين ألفاً ، وهم لليوم لا يملكون
ستين ألفاً . وقد سقطت المرية في يد النصارى سنة ١٤٨٩ . وما تزال تقوم بها حتى اليوم أطلال القصبية
الأندلسية القديمة ، وبها عدة أبراج منيعه تشرف عليها من عل . والمرية ميناء جميل يرسو به كثير من
السفن .

من حسنات الأندلس ، وطَبَقَةُ في النظم والنثر، بعيد المَرَق في درجة الاجتهاد ، وأخذه بطرق الإحسان ؛ عقد الشروط ، وكتب عن الوُلاة ببدله ، وقعد للاقراء ببلده ، مشكور السيرة ، حميد الطريقة ، في ذلك كله .

وجرى ذكره في كتاب « التاج » بما نصه : « ناظم دُرر الألفاظ ، ومُقلد جواهر الكلام ، نحور^(١) الرواة ، وأبيات^(٢) الجفّاز والآداب ، التي أصبحت شواربها ، حلم النائم ، وسحر الأيقاظ ؛ وكَم في بياض طرسها ، وسواد مقسمها سحر الألفاظ^(٣) ؛ رفع في قطره راية هذا الشأن على وفور حلبته ، وقرع فنه البيان على مُموهضته ، وفوق مَهَمه إلى بحر الإحسان ، فأثبتته في كنبته ؛ فإن أطل^(٤) شأن الأبطال ، وكأثر المنسجم الهائل ؛ وإن أوجز ، فضح وأعجز ؛ فنسب تهبج به الأشواق ، وتضيق عن زفراتها الأطواق ؛ ودُعابه تقلص ذيل الوقار ، وتزرى بأكواس العقار ؛ إلى انتماء للمعارف ، وجنوح إلى ظلها^(٥) الوارف ؛ ولم تزل معارفه ينقش أمادها ، وتحوز خصل السباق جياؤها . »

مشيخته

حسبنا نقل بخطه في ثبوت استدعاه منه من أخذ عنه ؛ الشيخ الخطيب ، الأستاذ مولى النعمة ، على أهل طبقتَه بالمريّة ، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المرّي ؛ قرأ عليه ولازمه ، وبه جلّ انتفاعه ؛ والشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن العاص التّفوخي . وروى عن الراوية المُحدّث

(١) وردت في المخطوطين : بحور ، وهو تحريف . وحكمة التصويب واضحة .

(٢) هكذا في « ج » و « الملكية » . وفي « ك » لباب . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » اللعاظ .

(٤) وردت في المخطوطين : طال . وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » والملكية ظل . والأولى أرجح .

المكثر الرحال ، محمد بن جابر بن محمد بن حسان الوادى آشى ، وعن شيخنا أبى البركات ابن الحاج ، سمع عليه الكثير ، وأجازه [إجازة] ^(١) عامة ، والشيخ الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسى من أهل بلده ، والقاضى أبو جعفر القرشى بن فرّ كون . وأخذ عن الوزير الحاج الزاهد ، أبى القاسم محمد ابن محمد بن سهل بن مالك . وقرأ على المقرئ أبى جعفر الأغر ^(٢) ، وغيرهم .

كتابه

ما خاطبني به بعد إمام الرّكب ^(٣) السلطاني ببلده ، وأنا صحبتته ، ولقائه إياي ، بما يلقى به مثله من تأنيس ، ويرّ ، وتودّد ، وتردد :

يامن حصّلت على الكمال بما رأيت	عيناي ^(٤) منه من الجمال الرائع
مرّاي ^(٥) يروق وفي عطائي برده	ما شئت من كرمٍ ومجدٍ بارع
أشكو إليك من الزمان تحاملاً	في فضّ شملٍ لي بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضنّاً باللقا	حتى تقلّص مثل برق لامع
فلو أنّي ذو مذهب لشفاعه	ناديته يامالكي [كن شافعي] ^(٦)

شكواي إلى سيدي ومُعظّمي ، أقرّ الله تعالى بسنائه أعين المجد ، وأدرّ بثنائه السنّ الحمد ، شكوى الظمان صدّ عن القراح العذب ^(٧) لأول وروده ، والهيمان ردّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده ، من زمان هجم على بعباده ، على حين

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، وفي « الملكية » ، وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، الأغن .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، الركاب .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » عينان .

(٥) في نفع الطيب (قمر) .

(٦) وردت في نفع الطيب (ياشافعي) .

(٧) وردت في المخطوطين : الفسر ، العز . والتصويب من نفع الطيب .

النفادة^(١) ، ودكهنى بفراقه غبَّ إنارة أفقى به وإشراقه ؛ ثم لم يكفنه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر^(٢) ، حتى حرم عن تشييع كاله الباهر ، فقطع عن توفية حقه ، ومنع من تأدية مستحقه ، لاجرم أنه أنف لشارع ذكائه من هذه المطلع النافية [عن شريف الإنارة ، ويخجل بالإمتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية]^(٣) عن لذيذ العبارة ؛ فراجع أنظاره ، واسترّج معاره^(٤) ؛ وإلا فمهدى بغروب الشمس إلى طلوع ؛ وأن البدر ينصرف بين الاستقامة والرُجوع . فما بال هذا النير الأسمد ، غرب ثم لم يطلع من الغد ؛ ماذاك إلا لعدوى^(٥) الأيام وعدوانها ، وشأنها فى تغذية إسماعها وجه إحسانها ، وكما قيل عادت^(٦) هيف إلى^(٧) أديانها ؛ استغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أوليت من الأثر ، التى أزدى العيان فيها بالأثر ، وأربى الخبر على الخبر ؛ فقد سرّت متشوّفات القواطر ، وأقرّت متشرّفات النواظر^(٨) ، بما جلّت من ذلكم الكمال الباهر ، والجمال الناضر ؛ الذى قيد خطى الأبصار ، عن التشوّف والاستبصار ؛ وأخذ بأزمة القلوب ، عن سبيل كل مأمول ومرغوب ؛ وأتى للعين بالتحوّل عن كمال الزين ، أو للظرف^(٩) ، بالتحول عن خلال الظرف ؛ أو للسمع [من]^(١٠) مُراد ، بعد ذلك الإصرار والإيراد ، أو للقلب من مُراد ، غير تلسم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حُلل

(١) هكذا فى « ج » وفى « الملكية » . وفى « ك » النعاق . وفى النسخ : أسعاده .

(٢) وردت فى المخطوطين وفى الملكية الزاير . والتصويب من النسخ .

(٣) ما بين الخاصرتين ساقط فى المخطوطين وفى الملكية . وأضفناه عن النسخ .

(٤) وردت فى المخطوطين : عماره . والتصويب من النسخ .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين .

(٦) فى المخطوطين : عاد .

(٧) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين .

(٨) هكذا فى « ج » . وفى « ك » القواطر . وهو تحريف .

(٩) وردت فى المخطوطين وفى الملكية . لطره . والتصويب من النسخ .

(١٠) ساقطة فى المخطوطين . والإضافة من النسخ .

وأبراد ؛ وهل هو إلا الحسنُ جمعُ في نظام ، والبدرُ طالعُ التمام ، وأنوار الفضائل
ضمُّها جنسُ اتفاقِ والتأم ؛ فما ترعى العين منه في غير مرعى خصب ، ولا تستهدفُ
الأذان^(١) لغير سهمٍ في حدقِ البلاغة مُصيب ؛ ولا تطلعُ النفسُ سوى مطلعٍ له
في الحسن والإحسان أوفر نصيب . لقد أزرى بناظمُ حُلاه فيما تعاطاه التقصير .
وانفسح من أعلاه بكل باعٍ [قصير ، وسفه حلمُ القائل : إن الإنسان عالمٌ صغير ،
شكراً للدهر على يد أسداها بقلب مزاره ، وتُحفة^(٢)] ثناء أهداها بمطلع أنواره
على تغاليه في ادِّخار نفائسه ، ويُخله بنفائس^(٣) ادِّخاره ؛ ولا غرو أن يضيق
عنا نطاق الذِكر ، ولما يتسعُ لنا سوار الشكر ؛ فقد عُمت هذه الأقطار بما شاءت
من تحنٍ ، بين تحفٍ وكرامة ، واجتنت أهلها ثمرة الرحلة^(٤) في ظلِّ الإقامة ،
[وجرى الأمرُ في ذلك بجرى الكرامة]^(٥) ؛ ألا وإن مُفاتيحي لسيدى ومُعظمى ،
حرس الله تعالى بحمده ، وضاعف سعدَه ؛ مُفاتيحة من ظفر من الدهر بمطلوبه ، وجرى
له القدرُ على وفق مرغوبه ؛ فشرع له إلى أمه باباً ، ورفع له من خجله جلباباً ؛
فهو يكلفُ بالاقترام ، ويأنفُ من الإحجام ؛ غير أن الجِصر عن درج قصده
يقبده ، فهو يُقدم والبصرُ يُبهرج^(٦) نقده فيقعه به ؛ فهو يُقدم رجلاً ويؤخر أخرى ،
ويجدد عزماً^(٧) ثم لا يتحرى ؛ فإن أبعثُ خطابي فلو اوضح^(٨) الاعتذار ، ومثلكم
لا يقبل حياة الأعدار ؛ والله عز وجلّ يصل إليكم عوايد الإسعاد والإسعاف ،

(١) هكذا وردت في « ج » وفي الملكية . وفي « ك » الأذهان .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين : وقد أثبتناه عن النسخ .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » بنعائم . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في « ج » وفي النسخ . وفي « ك » الوحدة .

(٥) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين . ونقلناها عن النسخ .

(٦) وردت في المخطوطين : يهرج . والتصويب من النسخ .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » جزماً .

(٨) وردت شخرفة في المخطوطين : لو اوضح . فلو صح .

ويحفظ لسك مال المسجد من جوانب وأكناف ، إن شاء الله تعالى ؛ كتب في العاشر من ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وسبعمائة .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة غير ما مرة ، منها في استدعاء شمال الخواص من أهل الأندلس الأندلسية ، عند إعدام الأمراء في الدولة اليوسيفية^(١) ، في شهر شعبان من عام إحدى وخمسين وسبعمائة .

شعره

كان مجلياً^(٢) ، وأ نشد في حلبة الشعراء قصيدة أولها:

أجنانٌ خلدٍ زُخِرَتْ أم مَصْنَعُ والعيدُ عاودَ أم صَنِيعُ يُصْنَعُ

ومن شعره :

من لم يُشاهد مَوْقِعاً لِفِرَاقِ لم يدْرِ كيف تَوَلَّه العُشَّاقِ
 إن كنت لم تره فسائل من رأى يُخْبِرُكَ عن وَهْمِي وهولِ سِياقِ^(٣)
 من حَزَّ أنفاسٍ وخَفِقَ جَوَانِحِ وصدوع أكبَادٍ وفيضِ مَاقِ
 دُهِى الفؤادِ فلا لسانٌ ناطقٌ عند الوداعِ طابعِ^(٤) مُتَرَاقِ
 ولقد أُشِيرُ لمن تكلفَ رحلةً أن عَجَّ على ولو بقَدْرِ فُواقِ
 على أراجُعٍ من ذمى حَشَاشَةً أشكو بها بعض الذى أنا لاقِ

(١) الدولة اليوسيفية أعنى دولة السلطان يوسف أبى الحجاج ملك غرناطة الذى حكم من سنة ٧٣٣

إلى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م)

(٢) كلمة (كان) ساقطة في «ك» . ووردت العبارة في «ج» هكذا : مجلياً كان .

(٣) وردت في المخطوطين : وهو سياق . وفي «ت» (وعن أشواق) .

(٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» . وفي «ك» لا يبع . وفي «الكتيبة الكمامنة» (ولابد)

فَمَضَى وَلَمْ تَعِطِفْهُ نَحْوَى ذِمَّةً
 يَا صَاحِبِيَّ وَقَدْ مَضَى حُكْمُ النَّوَى
 وَاسْتَقْبَلَابِي (٢) نَسَمَةً عَنْ أَرْضِكُمْ (٣)
 إِنِّي لَيْشْفِينِي النَّسِيمَ إِذَا سَرَى
 مَنْ مَبْلَغٌ (٥) بِالْجَزَعِ أَهْلَ مَوَدَّتِي
 وَلَتَنْ تَحْوَلُ عَهْدُ قُرْبِهِمْ (٦) نَوَى
 أَنْفَتُ خَلَائِقِ الْكِرَامِ لَخُلَّتِي
 قَسَمًا بِهِ مَا اسْتَفْرَقَتْنِي فِكْرَةً
 لِي آهَةٌ عِنْدَ الْعَشِيِّ لَعَلَّهُ
 أَبْكِي إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ فَإِنْ تَجِدُ
 أَوْ مَا مَاتَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ الصَّبَا (٧)
 مَنْ لِي وَقَدْ شَحَطَ الْمَزَارَ بِنَارِجٍ (٨)
 إِنْ غَابَ عَنِّي فَمَشَوَاهُ الْحَشَا
 جَارَتْ عَلَيَّ يَدُ النَّوَى بِفِرَاقِهِ
 أَحْبَابِ قَلْبِي هَلْ لِمَاضِي عَيْشِنَا
 أَمْ هَلْ لِأَثْوَابِ التَّجَلُّدِ رَاقِعُ
 مَا غَابَ كَوَكَبِ حُسْنِكُمْ عَن نَاطِرِي
 هِيَهَاتَ لَابْقِيَا عَلَى مُشْتَاقِ
 رَوْحَا عَلَيَّ بِمَشِيمَةٍ (١) الْعُشَاقِ
 فَلَعَلَّ نَفْحَتَهَا (٤) تُحَلُّ وَثَاقِ
 مُتَضَوِّعًا مَن تَلَسُّمُ الْآفَاقِ
 أَنَّى عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ بَاقِ
 مَا حُلَّتْ عَن عَهْدِي وَلَا مِيثَاقِ
 نَسَبًا إِلَى الْإِخْلَاقِ وَالْإِخْرَاقِ
 إِلَّا وَفِكْرِي فِيهِ وَاسْتِغْرَاقِ
 يُضْفِي لَهَا وَكَذَا مَعَ الْإِشْرَاقِ
 بَلَلًا بِهِ فَبِيدِ مَعِيَ الْمُهْرَاقِ
 فَالذِّكْرُ كُتِبِي وَالرَّفَاقُ رَفَاقِ
 أَدْنَى لِقَابِي مَن جَوَى أَشْوَاقِ
 فَسَرَاهُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْأَحْدَاقِ
 آهًا لَمَّا جَعَتِ النَّوَى بِفِرَاقِ
 رَدُّ فَيُنْسَخُ بِمُدَّكُمْ بِتَلَاقِ
 إِذْ لَيْسَ مَن دَاءِ الْحَبَّةِ رَاقِ
 إِلَّا وَأَمْطَرَتِ الدِّمَا أَمَاقِ

(١) هكذا في المخطوطين : وفي الملكية وفي « الكتيبة » (بشيمة) .

(٢) وفي الكتيبة (واستقبلها) . (٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » أرضهم .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » نفحاتها .

(٥) في المخطوطين : يبلغ . (٦) في دايوان ابن خاتمة (حبه) .

(٧) هكذا وردت في هذه الشطرة في المخطوطات الأربعة : وفي الديوان والكتيبة (أومي بتسليم

إليه مع الصبا) .

(٨) ردت هذه الشطرة في المخطوطات الثلاثة : « من لي شحط المزار بنارح آني » .

إِيَّاهُ أَخِي أَدِرُّ عَلَى حَدِيثِهِمْ
وَإِذَا جَنَحْتَ لِمَاءِ أَوْ طَرَبٍ فَمَنْ
ذَكَرَاهُ رَاحِي وَالصَّبَابَةُ خُضْرَتِي
فَلِيَهُ عَنِي مِنْ لِحَانِي إِنِّي
وَقَالَ :

وَقَفْتُ وَالرَّكْبُ (١) قَدْرُمْتُ رِكَابَهُ
وَقَدْ تَمَائِلُ نَحْوِي لِلوَدَاعِ وَهَلْ
أُضْمُ مِنْهُ كَمَا أَدْمَدَى لَغَيْرِ نَوِي
يَهْفُو فَأَذْعُرُ خَوْفًا مِنْ تَقْلُصِهَا (٢)
هَلْ عِنْدَ مَنْ قَدَدَعَى بِالْبَيْنِ مُقْلَتَهُ
أَشْبَعُ الْقَلْبَ عَنِ رَغْمِ عَلِيٍّ وَمَا
أَرَى وَشَأْنِي أَنِي لَسْتُ مُفْتَقِرًا (٣)
الْوَجْدَ طَبَعٌ وَسُلْوَانِي مُصَانَعَةٌ
إِنِ الْجَدِيدُ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي
وَقَالَ أَيْضًا :

لَوْلَا حَيَاتِي مِنْ عَيُونِ (٥) النَّرْجَسِ
وَرَشَقْتُ مِنْ ثَغْرِ الْأَقَاحَةِ رِيْقَهَا
لَلشَّمْتُ خَدَّ الْوَرْدِ بَيْنَ الشَّنْدُسِ
وَضَمَمْتُ أُعْطَافَ الْغُصُونِ الْمَيْسِ

(١) هكذا في «ج» وفي «الملكية». وفي «ك»، واليين.

(٢) هكذا في الملكية. وفي «ج» «الأيام»، والأولى أرجح.

(٣) هكذا وردت في «ك». وفي «ت» و«ج» نقضها. ووردت الشطرة كلها في الملكية

كما يأتي : (يهفو فؤاداً عن خوفها من نقضها).

(٤) هكذا في «ت». وفي المخطوطين : مفترقا.

(٥) وردت في المخطوطين : العيون. والتصويب من «ت».

وهتكت أستار الوقار ولم أبك
 مالى وصهباه الدنان مطارحاً
 شان بين مظاهرٍ ومخاتل
 ومججمٍ بالعدل با كسرنى به
 نزهتُ سعى عن سفاهة نطقه
 سفهتُ فى العشاق يوماً إن أكن
 أعذول وجدى لیس عشك فادرجى
 هل تبصرُ الأشجار والأطيار والأزه
 نالله وهو [إلى كنى به] (٥)
 ماذاك من شكور ولا لخلالة (٦)
 شكراً لمن برأ الوجود بمجوده
 [وسما بساط الأرض فده] (٧)
 ووشى بأنواع المحاسن هـ
 وأدرّ أخلاف العطاء تطولاً

للأقلاء تلمحظ بطرفٍ أشوس
 سجع القيان مكاشفاً وجه المس
 ثوب (١) الحجا ومطهر ومقدس
 والطير أفصح مسعد بتأس
 وأعرته صوتاً رخيم (٢) الملس
 ذاك الذى يدعى (٣) الفصيح الأخرس
 ونصيح رشدى بان نصحك فاجلس
 ار [تلك] (٤) الخافضات الأروس
 قسماً يفسدى بره بالأنس
 لكن سجود مسبح ومقدس
 فثنى إليه السكل وجه المقلس
 ودحاً بسيط (٨) الأرض أوثر مجلس
 وأنار هذى بالجوار (٩) الكنس
 وأنال فضلاً من يطبع ومن يضى

(١) فى «ج» بثوب . وفى «ك» بثوب . و«ت» ثوب .

(٢) فى المخطوطين ، رحيم . وفى «ت» وخيم .

(٣) هكذا وردت فى «ت» والملكية . ووردت فى المخطوطين : يدع .

(٤) ساقطة فى المخطوطات الأربعة وواردة فى الديوان .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين . ووردت فى «ت» (الذى كنى به) . والألية

هنا معناها اليمين .

(٦) هكذا فى المخطوطين . ووردت فى «ت» : (ولا نجادة) .

(٧) هكذا وردت هذه الشطرة فى المخطوطات الأربعة . وفى الديوان (رفع السماء سقفا يروق

رواه) .

(٨) هكذا فى «ت» . وفى «ك» و«ج» بسيط .

(٩) هكذا وردت فى «ت» . وفى المخطوطين : بجوار .

حتى إذا انتظم الوجودُ بِسَبَبَةٍ
 واستكملت كلُّ النفوسِ كالمها
 بأجلٍ هادٍ للخلائقِ مُرشدٍ
 بالمصطفى المَهْدَى إلينا رَحْمَةً
 نعمٌ يَضِيقُ^(٢) الوصفُ عن إحصائها
 إليه فَحَدَّثَنِي حَدِيثَ هَوَاهُمْ
 إن كنتُ قد أَحْسَنْتُ نَعْتَ جَمَاهُمْ
 ما إن دَعَوَكَ بِبَلْبَلٍ إِلَّا لِمَا
 سَبَّحَانَ مِنْ صَدَعِ الْجَمِيعِ بِحَمْدِهِ
 وامتدَّتْ الأطلالُ ساجدةً له
 فإذا تراجعت الطيورُ وزايلت
 فيقولُ ذَا سَكَرَتْ لِنِعْمَةِ مُنْشِدِ
 كل يفوه بقوله^(٦) والحقُّ لا
 وقال :

زارت على حَذَرٍ مِنَ الرُّقِيَاءِ وَاللَّيْلِ مُلْتَحِفٌ بِفَضْلِ رِذَاءِ

- (١) وردت في المخطوطين : مكسة . والتصويب من « ت » .
- (٢) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطات الأربعة وفي الديوان مع اختلاف بسير .
- (٣) وردت في المخطوطين : (نعم ضاق) . والتصويب من « ت » .
- (٤) وردت هذه الشطرة في المخطوطين وفي الملكية . (فلقد سها عندي العذول بهم وسي) .
والتصويب أرجح .
- (٥) ورد هذا البيت في « ج » و « الملكية » كالاتي :
- (٦) فإذا تراجعت الطيور أعضائها (أغضها) فتأيلت بان المطيع من المسى .
- (٦) هكذا في « ت » وفي « الملكية » . وفي « ك » والديوان بدوئه ، و « ج » بدوئه .

تصل الدجا بسواد فرع فاحم
 وشى بها من وجهها وحلمتها
 أهلا بزائرة على خطر السرى
 أقسمت لولا عفة عندي
 لنقمت غلة لوعتى برضاها
 ومن ذلك ما قاله أيضاً :

أرسلت ليل شعرها من عقص
 فأرنتنا الصبح فى جنح ليل
 وتصدت براجمات نهود
 فتولت جبوش صبرى انهزاما
 ليس كل الذى يفر بناج
 كيف لى بالسؤ عنها وقلبي
 ما تعاطيت [ظاهر الصبر] (٦) إلا
 ومن ذلك قوله أيضاً :

أنا بين الحياة والموت وقف
 نفس خافت ودمع ووكف

- (١) وردت فى المخطوطين ، لتدبير وهو تحريف . والتصويب من « ت » و « الملكية » .
 (٢) هكذا وردت هذه الشطرة فى الديوان والكتيبة . وفى المخطوطات الثلاثة (وتأتى له على ..)
 وفى نص آخر (وتخوفى وشى الرقيب الرام) .
 (٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » وطنى . وفى « ت » طغن . وفى الملكية طغن .
 (٤) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » حمله . وكذا فى « الملكية » .
 (٥) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » بمعول لحوص . وفى « ت » بملعكى الخرص .
 (٦) هكذا وردت فى « ت » (الزيتونة) والملكية . ووردت فى المخطوطين : ظاهر البصير ،
 وهو تحريف ظاهر .

حلّ بي من هواك ما ليس يُذِي (١) عنه نعتٌ ولا يُعَبِّرُ وصفٌ
عجباً لانعطاف صدغيك والمعطف والجيد ثم ما منك عطفٌ
ضاق صدرى بضيق حجبك واستوقف طرفي حيران (٢) ذلك الوقفُ
كيف يُرجى فكاكُ قلبٍ مُعني في غرام قيّدها قرطٌ وشنف (٣)
ومن ذلك قوله أيضاً :

رقّ السنّ ذهباً في اللازوردى
كأما الشهب (٤) والإصباح ينهبها
فلا أفق ما بين مرقوم وموشى
لآلى سقطت من كف زنجي (٥)
ومن شعره في الحكيم قوله :

هو الدهر لا يُبقى على عائذ به
فن لم يصب في نفسه قصابه
فمن شاء عيشاً يصطبر لنوائبه
لفوت أمانيه وفقد حبايبه
ومن ذلك قوله :

ملاك الأمر تقوى الله فاجعل
وبادر نحو طاعته بعزم
تقاه عدّة لصالح أمرك
فما تدري متى يمضي بعمرك (٦)
ومن ذلك أيضاً :

فما فوق خدك أم خُلق
وما ابتسمت ثنايا أم ألق
وريق ما بشغرك أم رحيق
ويكنفها شفاه أم شقيق

(١) وردت في المخطوطين : ينسى . وفي « ت » محرفة ، يبنى .

(٢) وردت في المخطوطين : حيران .

(٣) الشنف معناه القرط أيضاً .

(٤) هكذا في « ج » وفي « الملكية » الصحيح .

(٥) في « ج » « والملكية » (على تنحى) .

(٦) في المخطوطين : لعمرك . والتصويب من « ت » .

وتلك سِنَاة نَوْمٍ ما تعاطتُ
لقد أعدت معاطِفُك انثناء
جَمَالُكَ حَضَرْتِي وهواك راحي
وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الْأَوْصَافِ :

أرسل الجَوْه ماء وَرَدَ وذاذًا
فانثني حَوْلَ اسْتَوْقِ الدَّوْحِ حَجَلًا
وسما في الغُصُونِ حُلَى بَنَانِ
فترى الزَّهْرَ تَرَقُّمُ الْأَرْضِ رَقَمًا
فكَانَ الْمِيَاهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ
وَمَجْمَعُ الْحَزَنِ وَالذَّمَامِثِ رَشَا
وجرى فوق بُرْدَةِ الرِّوْضِ رَقْشًا
أصْبَحَتْ مِنْ سُلَافَةِ الطَّلِّ رَعْشَا
وترى الرِّيحَ تَنْقُشُ الْمَاءَ نَقْشَا
وَكَانَ الْبَطَاحُ عُغْدُ مُوشِي

وكتب عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصه : « بما قلته
بديهةً عند الإشراف على جنابكم السعيد ، وقدمي مع النفر الذين آحفتهم
[السيادة] ^(١) سيادتكم بالإشراف عليه ، والدخول إليه ، وتنعيم الأبصار في
الحاسن المجموعة لديه ، وإن كان يوماً قد غابت شمسهُ ، ولم يتفق أن كل ^(٢)
أُنْسُهُ ، وأنشده حينئذ بعض من حضر ، ولعله لم يبلغكم ، وإن كان قد بلغكم
ففضلكم يجملي [في] ^(٣) إعادة الحديث :

أقول وعين الدَّمْعِ ^(٤) نَصَبٌ ^(٥) عيوننا ولاح لبُستان الوزاراة جانب
أهذى سماه أم بناء سما به كواكب غَضَّتْ عَنْ سَنَاهَا الْكَوَاكِبُ

(١) هذه الكلمة واردة في « ج » وساقطة في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : نكل . والتصويب من نفع الطيب .

(٣) الزيادة من « الملكية » .

(٤) عين الدمع مكان اشتهر أيام غرناطة الإسلامية بجمال خضرته ومنزهاته . وسبق التعريف به

(أنظر الحاشية في ص ١٢١) .

(٥) في المخطوطين تنصب . والتصويب من النفع .

تناظرت الأشكالُ منه تقابلاً
 وقد جرت الأمواهُ فيه مجرةً
 وأشرف من [علياء بهو] ^(٢) محفةً
 يُطلُّ على ماءٍ به الأسُّ داراً
 هنالك ما شاء العلى من جلالةٍ
 بها يزدهى بُدائنها والمراتب
 ولما أحضر ^(٣) الطعام هنالك ، دُعِيَ شيخنا القاضي أبو البركات إلى الأكل ،
 فاعتذرو بأنه صائم ، قد بيّنه من الليل ، فحضرني أن قلت :

دَعَوْنَا الخَطِيبَ أبا البركات
 وقد ضَمْنَا في نداءه جِنَانٌ ^(٤)
 فأعرَضَ عَنَّا لَعَنَ الصِيَامِ
 وما كُلُّ عَذْرِ له مُسْتَقْبَلٌ ^(٥)
 فإن الجنان محلُّ الجزاء وليس الجنانُ محلُّ العمل
 وعندما فرغنا [من الطعام] ^(٦) أنشدتُ الأبيات شيخنا أبا البركات ، فقال :
 « لو أنشدتَنيها ، وأنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلتُ معكم براً بهذه الأبيات ،
 والحِوَالَة في ذلك على الله تعالى . »

ولما قضى الله عزَّ وجلَّ ، بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا من العُدوة ، واشتهر
 عني ما اشتهر من الانتقباض عن الخدمة ، والثَّيْبَة على السلطان والدولة ، والتسكُّبُ
 [على أعلى رُتَبِ الخِدمَة] ^(٧) ، وتطاولتُ على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ،

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » الجانب .

(٢) وردتا محرفتين في « ج » (علياء بهو) وفي « ك » والملكية (علياء فهو) .

(٣) هكذا في « ج » ، وفي « ك » حضر .

(٤) هكذا في « ج » والنفع . وفي « الملكية » (جمال) .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » مستقبل .

(٦) الزيادة من نفع الطيب .

(٧) وردت هذه العبارة في المخطوطين وفي « الملكية » : (أعلى على المراتب) وما أثبتناه عن

نفع الطيب وأزهار الرياض ، وهو أرجح .

ورغبت في تفويت^(١) الذمة ، ونفرت عن الأندلس بالجملة ، خاطبني بعد صدر
ببلغ من حُسن الإشارة ، وبراعة الإستهلال الغاية ، بقوله^(٢) :

« وإلى هذا ياسيدي ، ومحلّ تعظيمي وإجلالي ، أمتع الله تعالى الوجود بطول
بقائكم ، وضاعف في العزّ درجات ارتقائكم ؛ فإنه من الأمر الذي لم ينب عن
رأى المقول^(٣) ، ولا اختلف فيه أرباب المحسوس والمعقول ؛ أنكم بهنه
الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ، وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ، وقِلادة
نحرها ، وفريضة دهرها^(٤) ، [وعقد جيدها المنصوص ، وكال زيتها على المعلوم
والخصوص ؛ ثم أتم مدار أفلاكها]^(٥) ، وسرّ سياحة أملاكها ، وتُرجمان
بياتها ، ولسان إحسانها ، وطبيب^(٦) مَارَسَتِهَا ، والذي عليه عقد إدارتها ،
وبه قوام إمارتها ؛ فلديه يحلّ المشكل ، وإليه يلجأ في الأمر المعضل ؛ فلا غرو
أن تنقيد بكم الأسماع والأبصار ، وتحدّق نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويُرَجَّر
عنكم السائح والبارح ، ويُسْتَنْبَأ^(٧) ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح ،
استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعترامكم^(٨) ؛ واستكشافاً لرامي سهامكم ،
لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق ، وظهوركم في مُلْتَمَع بُرُوق ، واضطراب^(٩)
الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقرّ بكم الدار^(١٠) ، ويلقى عصاه

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ : تفرقة .

(٢) وردت مكانها في المخطوطين : وهو . والتصويب من النسخ وأزهار الرياض .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ وأزهار الرياض : المعقول . والأولى أرجح حسبما يتضح
من السياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ وأزهار الرياض (دررها) . والأولى أرجح .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في « ك » ، وساقط في « ج » وفي الملكية .

(٦) هكذا في النسخ . وفي المخطوطين : طب .

(٧) هكذا في « ج » والنسخ . وفي الملكية « ويستأنف » .

(٨) هكذا في « ج » والنسخ . وفي الملكية (اعترالكتم) .

(٩) وردت في المخطوطين : وأطراب . هو تحريف .

(١٠) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ وأزهار الرياض : الديار .

التسيار؛ وله العنبر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، وسرورها بلفائكم لم يكتمل؛ فلم يبر بعد جناحها المبيض، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميّزت من داجيها لياليها البيض؛ ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها، ولا اشتملت نعاؤها، ولا أنيت غماؤها؛ بل هي كالنّاقه، والحديث العهد بالكاره، تستشمر نفس العافية، وتتمسح منكم باليد الشافية؛ فبحياتكم عليها، وعظيم حرمتكم^(١) على من لديها، لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتقتطوها^(٢) مما عودت من طيب المزاج، فما لدايها^(٣)، وحياة قربكم غير طيبكم من علاج، وإني ليعخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعينكم، مانال جانبكم صانه الله [بهذا الوطن]^(٤) من الجفاء، ثم أذكر [ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء، وأنّ الوطن إحدى المواطنين الأظار التي]^(٥) يحق لمن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة [وأولى]^(٦) الصفاء، فيغلب على ظني، أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق نفسكم [على أوليائكم]^(٧) أستمح، والتي هي أعظم قيمة في فضائلكم أوهب وأمنح؛ وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات إلى شهادة النحور^(٨) واللبات؛ والياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلائد والتيجان؛ أليس أنه أعلى للعيان،

(١) هكذا في النسخ. وفي نفاضة الجراب (مخطوط الرباط السفر الثالث) وفي المخطوطين:

مرضاتكم.

(٢) وردت في «ك» وتقطمها، وفي «ج» وتقتطوها. وفي النسخ والأزهار: وتقتطوها

والتصويب من نفاضة الجراب.

(٣) وردت في «ح» لديها. وفي «ك» لبدنها.

(٤) ما بين الحاصرئين ساقط في المخطوطين. وقد أكلناه عن نفاضة الجراب والنسخ والأزهار.

(٥) ما بين الحاصرئين ساقط أيضاً في المخطوطين، وهو سقط سهو كما يبدو. وقد أثبتناه

عن نفاضة الجراب والنسخ والأزهار.

(٦) وردت في «ج»، وأغفلت في «ك». ووردت في النفاضة، وأوداه

(٧) هكذا وردت في المخطوطين. ووردت في النسخ والأزهار: (عن حسن أوليائكم).

(٨) وردت في المخطوطين: شهود، وهو تحريف. والتصويب من النسخ والأزهار.

وأبعدُ عن مكابرة البرهان ، تألّفها^(١) في تاج الملك أنوشروان ؛ والشمس وإن كانت أمُّ الأنوار وجلاء الأبصار ، مهما أغمى مكانها من الأفق ، قيل ، الليلُ هو أمُّ نهار ؛ وكما في علمكم ما فارق ذو الأحلام ، وأولو الأرحام ، مواطن استقرارهم ، وأما كُن قرارهم ، إلا برغمهم واضرارهم ، واستبدال دارهم^(٢) خير من دارهم ، ومتى توازن الأندلس بالمغرب ، أو يُموض عنها إلا بمكة أو يثرب ؛ ما تحت أديمها أشلاء أولياء ومُبيد ، وما فوقه مرابط^(٣) جهاد ، ومعاقد ألوية في سبيل الله ، ومضاربُ أوتاد ؛ ثم يَبْوِيْ وَلَدَهُ مَبِوًّا أجداده ، ويجمع له بين طرفه^(٤) وتلاده ؛ أعيد أنظاركم المُسَدَّدة من رأى فائل ، وسعى^(٥) طويل لم يحلُّ منه بطلان [حسبكم من هذا الإياب السعيد ، والعود الحميد]^(٦) . وهي طويلة .

فأجته عنها بقولى :

لَمْ فِي الهوى العُدْرى أَوْ لَا تَلْمُ فَالعَدْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْماعِي
شَأْنُكَ تَعْنِيَنِي وَشَأْنِي الهوى كُلُّ أَمْرِي فِي شَأْنِهِ سَاعِي

« أهلا بتحفة القادم ، ورِيحانة المنادم ؛ وذكري الهوى المُتقادم ، لا يصغر الله مسراك ، فما أسراك ، لقد جأبت^(٧) إلى من همومي ليلا ، وجبت^(٨) خيلا ورجلا ، ووفيت من صاع الوفا كيلا ، وظننت بي الأسف على ما فات ،

(١) وردت في المخطوطين : (ما يمها) . والنصوب من النفع والأزهار .

(٢) في المخطوطين : هو . وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، رباط .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفع والأزهار : طارفه .

(٥) هكذا في النفع . ووردت في « ج » ومعنى .

(٦) ما بين الحاصرتين سافط في المخطوطين . وأثبتناه عن النفع والأزهار .

(٧) هكذا في « ج » ، وفي « ك » حابت . وفي النفع والأزهار : حبس . والأولى أرجح .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي النفع والأزهار : حبس .

فَأَعْمَلتِ الْإِلْتِفَاتِ ، لِكَيْلَا ، فَأَقْسَمَ لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ الْيَوْمَ بِيَدِي ، أَوْ كَانَتِ اللَّعْمَةُ
السُّودَاءَ مِنْ عُدَدِي^(١) مَا أَفَلَتِ أَشْرَاكِي الْمَنْصُوبَةَ لِأَمْثَالِكَ حَوْلَ الْمِيَاهِ وَبَيْنَ
الْمَسَالِكِ ، [وَلَا عَلِمْتُ مَا هُنَاكَ]^(٢) ، لَكِنَّكَ طَرَقْتَ رِحْمِي كَسَحْتَهُ^(٣) الْغَارَةَ
الشَّعْوَاءَ ، وَغَيْرتِ [رَبْعَهُ]^(٤) الْأَنْوَاءَ ، فَنَحْمَدُ بَعْدَ ارْتِجَاجِهِ ، وَسَكَتِ أَذِينَ
دَجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبَتِ الرِّيحُ وَالهُوجُ فَوْقَ فِجَاجِهِ ، وَطَالَ عَهْدُهُ بِالزَّمَانِ الْأَوَّلِ ،
وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ ، وَحَيًّا اللَّهُ نَدْبًا إِلَى زِيَارَتِي نَدْبَكَ ، وَبَادَابِهِ
الْحِكْمَةَ أَدْبَكَ :

فَكَانَ وَقَدْ أَفَادَ بِكَ الْأَمَانِي كُنْ أَهْدَى الشُّفَاءَ إِلَى الْعَلِيلِ^(٥)
وَهِيَ شَيْمَةٌ بَوْرَكَتٌ مِنْ شَيْمَةٍ ، وَهَبَةُ اللَّهِ قَبْلَهُ^(٦) مِنْ لَدُنِ الْمَشِيمَةِ ، وَمِنْ مِثْلِهِ
فِي صِلَةِ رَعْمِي ، وَفَضْلِ سَعِي ، وَقَوْلِي وَوَعْمِي :

قَسِمَا بِالْكَوَاكِبِ الزُّهْرُ وَالزُّهْرُ عَائِمَةٌ
إِنَّمَا الْفَضْلُ مِثْلُهُ خُتِمَتْ بِابْنِ خَائِمَةٍ

كَسَانِي حُلَّةً وَصَفَهُ^(٧) ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجْمُلِ ، وَحَمَلْنِي نَاهِضَ شُكْرِهِ ،
وَكَتَدِي وَاهٍ عَنِ التَّحْمُلِ ، وَنَظَرْنِي بِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةَ عَنِ الْعِيُوبِ^(٨) فَهَلَا أَجَادُ
التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطَلَعَ طَلْعُ نَبِيِّ^(٩) ، وَوَالِي فِي مَرْكَبِ^(١٠) الْمَعْجَزَةِ حَتَّى ، وَإِنَّمَا أَشْكُوبِي :

« وَلَوْ تَرَكَ الْقَطَا لَيْلًا لِنَامَا »

-
- (١) فِي الْمَخْطُوطِينَ وَفِي الْمَلِكِيَّةِ : عَدَقِ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ .
(٢) مَا بَيْنَ الْخَاصِرَتَيْنِ سَاقَطٌ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَأَثْبَتْنَاهُ عَنِ النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ .
(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : كَسَعْتَهُ .
(٤) وَارِدَةٌ فِي « ك » وَسَاقِطَةٌ فِي « ج » .
(٥) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْمَخْطُوطِينَ مَرْسَلًا فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ .
(٦) هَكَذَا فِي « ج » وَفِي النَّفْحِ . وَفِي الْمَلِكِيَّةِ ، قَلْبُهُ .
(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : فَضْلُهُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .
(٨) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النَّفْحِ وَالْأَزْهَارِ : الْعَيْبِ .
(٩) فِي الْمَخْطُوطِينَ : بِي .
(١٠) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » رَكْبِ .

وما حالُ شملٍ وتيدُهُ مفروق ، وقاعدته فروق ، وصواعُ بنى أبيه مسروق ؛
 وقلبُ قرُحه من عضّة الدهردام ، وبجرّة حسرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت
 الصغرى ، التي كانت الكبرى ، لمشيبي لم يرُع أن هجم ، لَمَّا نَجِم ، ثم تهلّل
 عارضُهُ وانسجم :

لا تَجْمِي هجرًا علىَّ وغرْبَةً فلهجرُ في تلف الغريب سريع
 نظرتُ فإذا [الجنب ناب]^(١) ، والنفسُ فريسة ظفرُ وناب ، والمالُ أكلةُ
 أتهبُ ، [والعمرُ رهن ذهب]^(٢) ، واليدُ صِفْرٌ من كل اكتساب ، وسوق
 المعاد مترامية ، والله سريع الحساب .

ولو نُعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان
 وهبَ أن العمر جديدٌ ، وظلُّ الأمن مديدٌ ، ورأى الاغتباط [بالوطن]^(٣)
 سديدٌ ؛ فما الحجة لنفسى إذا مرّت بمعارض جفوتها ، وملاعب هفوتها ، ومناقب^(٤)
 قناتها^(٥) ، ومظاهر عزّاتها ومُناتها ؛ والزمان ولود ، وزنادُ الكون غير صاود^(٦) .
 وإذا امرؤ لدغته أفعى مرة تركته حين يُجرُّ حبلَ يفرق
 ثم أن المرغّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وهبَ ، والعارضُ
 قد اشتهب ، وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة^(٧)
 والنية مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة ، والتوبة بفضل الله عزّ وجلّ

(١) مكان هذه العبارة في المخطوطين وفي الملكية : (الحسنات) . وهي ساقطة في النسخ . وقد
 أثبتناها عن الأزهار .

(٢) هذه العبارة ساقطة في « ج » . ووردت محرفة في « ك » : (العمر رد عن ذهب) .

(٣) ساقطة في المخطوطين ، وأثبتناها عن النسخ والأزهار .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : « مناقب » .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » قناتها .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » صلا .

(٧) هكذا في « ج » والنسخ . وفي الملكية (مرفوعة) .

شروطها غير مُعارضة ولا مُتَعَوِّدة ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛^(١) والاقتصاد قد قرّرت العين بصحبته ، والله قد عوّض^(٢) حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها^(٣) مثلى من بعد الفراق ، وقد رقى لدغتها ألف راق ؛ وجمعتني بها الحجر ، ما الذي تكون الأجرة ، جلّ شاني ، وقد رضى الوامق وسخّط الشاني^(٤) ؛ إني إلى الله [تعالى]^(٥) مُهاجر^(٦) ، وللغرض الأدنى هاجر ، ولأظمان السرى زاجر ، لأحد^(٧) إن شاء الله وحاجر ؛ ولكن دعاني إلى الهوى ، لهذا المولى النعم هوى ، خلعتُ نعلِي الوجود وما خلعتُه ، وشوق أمرتي فأطعته ، وغالبُ والله صيري فما استنطعته ؛ والحال والله أغلب ، وعسى أن لا يخببَ المطلب ؛ فإن يسره رضاه فأمل^(٨) كمل ، وراحل احتمل ، وحاد أشجى الناقة والجمل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جمُّ العوائق ، والتسليم بمقامي لائق .

ما بين غمضة عين وانتباهتها يُصرف الأمر من حال إلى حال
وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليؤمن طيره ، وعموم خيره ، وبركة جهاده ،
ومحمران رياه ووهاده ، بأشلاء عبّاده وزهّاده ، حتى لا يفضلهُ إلا أحدُ الحرمين ،
فحقّ برى من المئين ؛ لسكني للحرمين جنحتُ ، وفي جو الشوق إليهما سرّحتُ ؛^(٩)
فقد أفضت إلى طريق قصدي محجّته ، ونصرتني والمينة^(١٠) لله حجّته ؛ وقصدُ

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، سافرية . وفي الملكية (والمعاملة سامرة ، ودروع الصبر سابرة) .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، عرض ، وهو تعريف .

(٣) في «ك» ، راجعها .

(٤) الوامق أى المحب والشاني أى المبغض .

(٥) ساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا في النسخ والأزهار وفي المخطوطين : هاجر .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : لنجد .

(٨) هكذا في المخطوطين والأزهار . وفي النسخ : أمر .

(٩) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : سنحت .

(١٠) وردت في «ج» والسمة وفي «ك» والسمت . والتصويب من النسخ والأزهار .

سيدي أمتي قصد ، توخاه الشكر والحمد ، ومعروفٌ عُرِفَ به التُّسْكُرُ ، وأملٌ انتحاه الفكرُ ، والآمالُ [والحمد لله] ^(١) بعدُ تُنْتَارُ ، واللهُ يخفق ما يشاء ويختار ، ودعاؤه يظهر الغيب مدد ، وعدده وعدد ، وبره حاليّ الظنّ والإقامة مُعْتَمَلٌ مُعْتَمَدٌ ، ومجال المعرفة بفضله ، لا يحضره أحد ، والسلام ^(٢) .

وهو الآن بقيد الحياة ، وذلك ثلثي عشر شعبان عام سبعين وسبعائة ^(٣) .

أحمد بن عباس بن أبي زكريا

ويقال ابن زكريا . ثبت بخط ابن التبياني ، أنصاريّ النسب ، يكنى أبا جعفر .

حاله

كان كاتباً حسن الكتابة ، باوع الخط فصيحاً ، غزير الأدب ، قوى المعرفة ، شارعاً في الفقه ، مشاركاً في العلوم ، حاضر الجواب ، ذكياً الخاطر ، جامعاً للأدوات السلطانية ، جميل الوجه ، حسن الخلقة ، كلفاً بالأدب ، مؤثراً له على سائر لذاته ، جامعاً للدواوين العلمية ، [معنياً بها] ^(٤) مقتنياً [للجيد منها] ^(٥) مغالياً فيها ، نفاعاً من خصه بها ، لا يستخرج منها شيئاً ، لفرط بُخْلِهِ بها ، إلا لسبيلها ، حتى لقد أثرى كثيرٌ من الورّاقين والتجار معه فيها ، وجمع منها ما لم يكن عند مَلِكٍ .

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ والأزهار : (من فضل الله)

(٢) وردت رسالة ابن خاتمة ورد ابن الخطيب عليها ، في نفع الطيب ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٨

وفي أزهار الرياض (القاهرة) ج ١ ص ٢٦٥ - ٢٧٠ .

(٣) توفي ابن خاتمة وفقاً لأرجح الروايات في التاسع من شعبان سنة ٥٧٧٠ في نفس الوقت

الذي اختتم فيه ابن الخطيب ترجمته بهذه العبارة . والظاهر أن نبأ وفاته لم يكن قد وصل إليه بعد من ألمرية ، بلد الشاعر . وقد نشره ابن خاتمة أخيراً بدمشق (١٩٧٢) محققاً بعناية الدكتور محمد رضوان الداية .

(٤) هذه الزيادة من « الملكية »

(٥) وردت معرفة في المخطوطين : (لحدّها - بحدّها) . والتصويب من المدخيرة .

«يساره» ؛ يقال إنه لم يجتمع عند أحد من نُظرائه ما اجتمع عنده من عَيْن وورق ودفاتر وخِرَق ، وآنية ، ومناج وأثاث وكُرَاع .

« مشيخته » ؛ روى عن أبي تمام غالب التَّيَّانِي ، وأبي عبد الله بن صاحب الأعباس .

« نباهته وحُظوته » ؛ وَزَرَ لُزْهَيْرَ العَامِرِي^(١) الآتي ذكره ، وارئاً الوزارة عن أبيه ، وهي ماهي في قطر [مُتَحَرِّجٌ بَيْنَابِيعِ السَّخِيلَةِ ، وَثَرٌّ بِهِنَا الأُمْنَةُ]^(٢) مستنداً إل قَعَسَاءِ العِزَّةِ ، فَتَبَنَّكَ^(٣) نعيماً كثيراً ، تجاوز الله عنه .
« دخوله غرناطة » ؛ الذي اتصل علمي أنه دخل غرناطة منكوباً حسباً يتقرر .

نكته

زعموا أنه كان أقوى الأسباب فيما وقع بين أميره زهير ، وبين باديس^(٤) .
أمير غرناطة ، من المفاسدة ، وفصل صحبه إلى وقم باديس وقبيله ، وحطه في حيز هواه وطاعته ؛ وكان ما شاء الله من استيلاء باديس على جملتهم ، ووضع سيوف قومه فيهم ، وقتل زهير ، واستئصال محلته ؛ وقبض يومئذ على أحمد بن عباس ، وجيء به إلى باديس ، وصدْرُهُ يغلي حثداً عليه ، فأمر بحبسه ، وشفأؤه الولوغ في دمه ، وعجل عاياه بعد دون أصحابه من حملة^(٥) الأتلام^(٦) . قال ابن حيان

(١) هو أحد زعماء الطوائف من الفتيان العامريين عقب الفتنة البربرية . استولى على المدينة وحكمها عقب وفاة زميله خيران العامري (٤١٨ - ٤٢٨ هـ) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» وفي ت . ووردت محرفة في المخطوطين : (ببحر فينابيع السنجاية وثير بهذا الأمة) .

(٣) أي استقر في نعماء .

(٤) ترد هنا في المخطوطات الثلاثة : (بادس) . والصحيح المشهور هو (باديس) .

(٥) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة : جملة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «ت» الأقدام ، وهو تحريف .

حديث ابن عباس أنه (١) ، كان قد وُلِعَ بِبَيْتِ (٢) شعر صيره هَجَوَاهُ أوقات لعبه بالشطرنج ، أو مَعَى يسنحُ له مستطيلاً بِجِدِّهِ (٣) .

عيونُ الحوادثِ عني نِيَامٌ وهَضَى على الدهرِ شيءٌ حَرَامٌ
وشاع يدهُ هذا عند الناس ، وغازهم ، حتى تَلَبَّبه مصراعه بعضُ الشعراءِ فقال :

« سَيُوتِظُّهَا قَدَرٌ لَا يَنَامُ »

فما كان إلا كلاً ولا « قى » (٤) تَدَبَّهتِ الحواثُ لِهَضْمِهِ ، إِنْبَاهَةً (٥) انتزعت منه نَحْوَتَهُ وعزَّتَهُ ، وغادرتَهُ أُسيراً ذليلاً يَرَسُفُ في وزن أربعين رطلاً من قَيْدِهِ ، مترعجاً من عَضِّهِ لساقه البَضَّةُ (٦) ، التي تَأَلَّتْ من ضَغْطَةِ جُورِهِ ، يوم أصبح فيه أميراً مَعَاعَاً أُعْتِيَ (٧) الخلقُ على بابه ، وآمنهم بمكره ، فأخذَهُ أَخْذَ مَلِيكٍ مُتَقَدِّرٍ ، والله غالبٌ على أمره .

وفاته

قال أبو مروان : كان باديس قد أُرْجَأَ قَتْلَهُ مع جماعة من الأسرى ، وبذلك في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذهب العَيْنِ ، مالت إليها نفسُ باديس ، إلا أنه عَرَّضَ ذلك على أخيه بُلُكَيْنِ (٨) ، فَأَنْفَ منه ، وأشار عليه بقتله ،

(١) ساقطة في المخطوطين . وواردة في « ت » .

(٢) وردت هاتان الكلمتان في المخطوطين ، هكذا : ولغبت ، وهو تحريف ظاهر .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » و « ت » ، بعده .

(٤) وردت هنا في « ت » هذه العبارة : (تيقظت إليه ونهبت) وهي ساقطة في المخطوطين ، وفي الذخيرة انذى نقل نص ابن حيان الأصلي . ولذلك أسقطناها .

(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » إنباهة .

(٦) وردت هذه العبارة محرفة في « ت » (من غصة لسانه العضة) .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » وردت محرفة : على .

(٨) جرى النسخ في المخطوطات الثلاثة على كتابة اسم « بلقين » بالقاف . ولكننا فضلنا كتابتها

حيثما وردت « بالكاف » أى « بلكين » . وهو الرسم الذى يورده ابن خلدون أرتق حجة في الأعلام البربرية ، وكذلك السلاوى في « الاستقصاء » ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » .

لتوقعه^(١) إثارة فتنة أخرى على يديه ، تأكل من ماله أضعاف فديته . قال
 فانصرف يوماً من بعض ركباته مع أخيه ، فلما توسطت الدار التي فيها أحمد بقصبة
 غرناطة ، لصق القصر ، وقف هو وأخوه بلسكين ، وحاجبه على بن القروى ،
 وأمر بإخراج أحمد إليه ، فأقبل يرش في قيده حتى وقف بين يديه ، فأقبل على
 سبه وتبكيته بذنوبه ، وأحمد يلدف إليه ، ويسأله إراحته مما هو فيه ، فقال له :
 « اليوم تستريح من هذا الألم ، وتنتقل إلى ما هو أشد » ؛ وجعل يرأطن أخاه
 بالبربرية^(٢) ، فبان لأحمد وجه الموت ، فجعل يكثر الضراعة ، ويضعف عدد
 المال ، فأثار غضبه ، وهز مزراقه ، وأخرجه من صدره ؛ فاستغاث [الله]^(٣) ،
 زعموا ، عند ذلك ، وذكر أولاده وحرمة ، وللحين أمر باديس بحز رأسه ورؤي^(٤)
 خارج القصر .

حدث خادم باديس ، قال : رأيت جسد ابن عباس ثانی يوم قتله ، ثم قال لي
 باديس ، خذ رأسه ووارده مع جسده ؛ قال : فنبشت قبره ، وأضفته إلى جسده ،
 بجنب أبي الفتوح قتيل باديس أيضاً . وقال لي باديس : ضع عدواً إلى جنب
 عدو ، إلى يوم القصاص ؛ فكان قتل أبي جعفر عشية الحادى والعشرين من
 ذى حجة سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، بعد اثنين وخمسين يوماً من أسره . وكان
 يوم مات ابن ثلاثين . [نفعه الله ورحمه]^(٥) .

(١) وردت في المخطوطين محرفة (لتفرقه - لتفرمه) .

(٢) وردت في «ك» بالبربارية . وفي «ج» بالبرية .

(٣) واردة في «ك» . وساقطة في «ج» .

(٤) وردت في «ك» وروى . وفي «ج» وروى ، وهو تحريف حسبما يتضح بعد من السياق .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «ك» (رحمه الله ونفمه) .

أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعي

من أهل مراکش ، وأصله القديم من طرطوشة^(١) ثم بعد ، من دانية^(٢) يكنى أبا جعفر .

« حاله » ؛ كان كاتباً بليغاً ، سهل المأخذ ، منقاد القريحة ، سيال الطبع^(٣) « مشيخته » ؛ أخذ عن أبيه ، وعن طائفة كبيرة من أهل مراکش .

نباهته

كتب عن [على]^(٤) بن يوسف بن تاشفين ، وعن ابنه^(٥) تاشفين ، وعن أبي إسحاق^(٦) وكان أحظى كتبهم . ثم لما انقضت دولة لمتونة ، دخل في ليف الناس ، وأخفى نفسه . ولما أثار الماسي^(٧) الهداية بالسوس ، ورمى الموحدين

(١) طرطوشة ، وبالإسبانية Tortosa من مدن الأندلس القديمة ، ومن قواعد الثغرا الأعلى ، وققع على مصب نهر إيبرو جنوب غربي برشلونة .

(٢) ودانية من ثغور الأندلس القديمة . تقع جنوبي بلنسية على لسان بارز في البحر . وقد كانت أيام الطوائف قاعدة لمملكة مجاهد العامري أمير دانية والجزائر الشرقية (البليار) . وبالإسبانية Denia .

(٣) هكذا وردت في « ك » . ولكنها وردت في « ج » (القريحة) للمرة الثانية . وهو سهو .

(٤) هذا الاسم ساقط في المخطوطين . وإثباته ضروري للسياق .

(٥) وردت في المخطوطين (أبيه) . وهو تحريف لأن تاشفين هو ابن علي بن يوسف .

(٦) في إيراد هذه العبارة بعض النصوص والخلط . فإن الذي كتب عن علي بن يوسف ، ثم عن ولده تاشفين ، هو أبو جعفر بن محمد بن عطية والد صاحب الترجمة (أنظر ابن خلدون ج ٦ ص ٢١٢ ، والاستقصاء للسلاوي ج ١ ص ١٥٢) . أما صاحب الترجمة أحمد بن أبي جعفر ، فقد خدم أبا إسحاق (وليس إسحاق كما ورد في المخطوطين) إبراهيم بن علي بن يوسف ، وهو الذي انقضت على يده دولة المرابطين في المغرب سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م)

(٧) هو محمد بن هود الماسي ، أصله من أهل سلا . وقد خرج بالسوس داعياً ضد الموحدين . وجمع محاربتهم جيشاً كبيراً ، وهزمهم في البداية ، ولكنه هزم في النهاية وقتل وذلك في أواخر سنة ٥٤١ هـ (راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٢ والاستقصاء ج ١ ص ١٥٢) .

بِحَجْرِهِمُ الَّذِي رَمَوْا بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَعْيَا أَمْرَهُ ، وَهَزَمَ جِيوشَهُمْ ، الَّتِي جَهَّزَهَا إِلَيْهِ
وَانْتَدَبَ مِنْهُمْ إِلَى مَلَاقَاتِهِ ، أَبُو حَفْصِ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى الْهَنْتَاتِي ، فِي جَيْشِ خَشْنِ مَنْ
فَرَسَانَ وَرَجَّالَهُ ، كَانَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَدْلِيَّةَ ، مِنَ الرَّجَالَةِ ، مُرْتَسِمًا بِالرَّمَايَةِ ، وَالتَّقَى
الْجَمْعَانِ ، فَهَزَمَ جَيْشَ الْمَالِي ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ الْمُوْحِدُونَ ^(١) . وَقَتَلَ الدَّعِي الْمَذْكُورَ ،
وَعَظُمَ مَوْقِعُ الْفَتْحِ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْغَالِبِ يَوْمَئِذٍ أَبُو حَفْصِ عُمَرَ ، فَأَرَادَ إِعْلَامَ الْخَلِيفَةِ
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ ، فَلَمْ يَلْتَقِ فِي جَمِيعِ مَنْ اسْتَصْحَبَهُ مِنْ يُجَلِّي عَنْهُ ،
وَيُوفِي مَا أَرَادَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنْ فَتَى مِنَ الرَّمَاةِ يُخَاطِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ
وَالرِّسَالِ فَاسْتَحْضَرَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ غَرَضَهُ . فَتَجَاهَلَ وَظَاهَرَ بِالْعَجْزِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ
عِزَّهُ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ رِسَالَةً فَائِزَةً مَشْهُورَةً ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ
اشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَنَى بِهِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ ذُخْرٌ يَتَحَفَّ بِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ .
وَأَنْفَقَ الرِّسَالَةَ ، فَلَمَّا قُرِئَتْ بِمَحْضَرِ أَكْبَرِ الدَّوْلَةِ ، عَظُمَ مَقْدَارُهَا ، وَنَبِيَّهُ فَضْلٌ
مَنْشِيهَا ، وَصَدَرَ الْجَوَابُ وَمِنْ فِصُولِهِ الْإِعْتِنَاءُ بِكِتَابَتِهَا ^(٢) ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ،
وَاسْتِصْحَابُهُ مَكْرَمًا . وَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحْظَاهُ لَدَيْهِ
وَقَلَّدَهُ حُطَّةَ الْكِتَابَةِ ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ وَزَارَتَهُ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا ،
فَنَهَضَ بِأَعْيَابِ مَا فُوضَ إِلَيْهِ ، وَظَهَرَ فِيهِ اسْتِقْلَالُهُ وَغِنَاؤُهُ ، وَاشْتَهَرَ بِأَجْمَلِ السَّعْيِ
لِلنَّاسِ وَاسْتِمْلَاتِهِمْ ^(٣) بِالْإِحْسَانِ وَعَمَّتْ صَنَائِعُهُ ، وَفُشِيَ مَعْرُوفُهُ ، فَكَانَ مَحْمُودَ
السِّيَرَةِ ، مُنْتَحَبَ الْمَحَاوَلَاتِ ، نَاجِحَ الْمَسَاعِي ، سَعِيدَ الْمَأْخِذِ ، مُبَسِّرَ الْمَأْرَبِ ، وَكَانَتْ
وِزَارَتُهُ زِينَةً لِلْوَقْتِ ، كَمَا لِلدَّوْلَةِ .

مَحْنَتُهُ

قَالُوا ، وَاسْتَمَرَّتْ حَالَتُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّ النَّصَارَى

(١) هكذا في «ك» ، وفي «ج» الموحدين . وهو تحريف .
(٢) هكذا وردت في «ك» . ووردت محرفة في «ج» بكتابتها .
(٣) هكذا في «ت» . وفي «ج» واستمالاتهم .

غزوا^(١) قَصَبَةَ الْمَرْيَةِ، وَتَحَصَّنُوا بِهَا؛ وَاتَّزَنَ بِذَلِكَ تَقْدِيمَ ابْنِهِ يَعْقُوبَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ، فَأَصْحَبَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ عَدَايَةَ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ وَلَدِهِ بِهَا إِلَى الْمَرْيَةِ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهَا السَّيِّدُ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَحَصَرَ مِنْ بِهَا النَّصَارَى، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، لِيُحَاوَلَ أَمْرَ إِزْهَالِهِمْ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ، وَيَتَوَجَّهُ مِنْهَا مَعَ وَالِيهَا^(٢)، إِلَى مَنَازِلَةِ النَّائِثِ بِهَا عَلَى الْوَهْبِيِّ؛ فَعَدَلَ عَلَى مَا حَاوَلَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَاسْتَنْزَلَ النَّصَارَى مِنَ الْمَرْيَةِ عَلَى الْعَبْدِ بِحَسَنِ مَحَاوَلَتِهِ^(٣)، وَرَجَعَ السَّيِّدُ أَبُو سَعِيدٍ إِلَى غَرْنَاطَةَ، مُرْعَبَجَيْنَ إِلَيْهَا، حَتَّى يَسْبِقَ جَيْشَ الْعَبَّاسِيَّةِ؛ ثُمَّ انْتَصَرَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ لِيَقْضِيَ الْغُرْضَ مِنْ أَمْرِ الْوَهْبِيِّ. فَعِنْدَ مَا خَلَا مِنْهُ الْجُودُ، وَمَنْ اخْتَلِيفَةَ مَكَانَهُ، وَجَدَتْ حُسَّادَهُ، السَّبِيلَ إِلَى التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ، وَالسَّعْيَ بِهِ، حَتَّى أَوْغَرُوا^(٤) صَدْرَ الْخَلِيفَةِ؛ فَاسْتَوَزَرَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ ابْنَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُومِيَّ. وَأَنْبَرَى لِمُتَالَبَةِ^(٥) ابْنِ عَدَايَةَ، وَجَدَّ فِي التَّمَّاسِ، عَوْرَاتِهِ، وَتَشْنِيعَ سَقَطَاتِهِ، وَأَغْرَى بِهِ صَنَايِعَهُ، وَشَجَّنَ عَلَيْهِ حَاشِيَتَهُ، فَبَرَّهَ وَأَوْرَاشُوا وَأَتَقَلَّبُوا، وَكَانَ مِمَّا تَقَمَّ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، نَسَكَةَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ، فِي كَوْنِهِ لَمْ يَقِفْ فِي اصْطِنَاعِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَمْتُونِيِّينَ، وَأَنْتِيَاشِهِمْ مِنْ خَمُولِهِمْ، حَتَّى تَزُوجَ بِنْتَ يَحْيَى الْحَمَارِ مِنْ أَهْرَائِهِمْ؛ وَكَانَتْ أُمَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ، فَوَجَدُوا^(٦) السَّبِيلَ بِذَلِكَ إِلَى اسْتِنْتِصَالِ شَأْنَتِهِ [وَالْحَكْمِ]^(٧). حَتَّى انْظَمَ مِنْهُمْ رِوَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، طَلِيْقَهُ وَمُسْتَرْقُ اصْطِنَاعِهِ، أَيْبَاتًا طَرَحَتْ بِهَجَاسِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ.

-
- (١) هكذا في «ج». وفي «ك» عدوا.
 (٢) وردت في المخطوطين: ولها. وهو تحريف.
 (٣) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» ولايته. والأولى أصلح السياق.
 (٤) في المخطوطين: وأغروا.
 (٥) وردت في المخطوطين: لمطالبته. والتصويب أرجح.
 (٦) وردت في المخطوطين: فوجد بالمفرد. والسياق يقتضي صيغة الجمع.
 (٧) وردت هذه الكلمة في المخطوطين. ولم نستبن صلتها بالسياق.

قل للإمام^(١) أطال الله مدته قولاً تبين لذي لب حقايقه
 إن الزاجين^(٢) قوم قد وترتهم وطالب النار لم تؤمن^(٣) بوائقه
 وللوزير إلى آرائهم ميلٌ لذلك ما كثرت فيهم علاقته
 فبادر الحزم في إطفاء نارهم فربما عاق عن أمر عوائقه
 هم العدو ومن والاهم كهمُّ فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
 الله يعلم أنى ناصح لكم والحق أبلغ لا تخفى طرايقه

قالوا ، ولما وقف عبد المزم من على هذه الأبيات البليغة في معناها وجر صدره على وزيره الفاضل أبي جعفر ، وأسر له في نفسه تعبيراً ، فكان ذلك من أسباب نكبته . وقيل أفضى إليه بسر فأفشاه^(٤) . وانتهى ذلك كله إلى أبي جعفر وهو بالأندلس ، قلق وعجل بالانصراف إلى مرآ كس ، فحُجِبَ عند قدومه ، ثم قيد إلى المسجد في اليوم الثاني بعده ، حاسر العمامة ، واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا ما يعلمون من أمره^(٥) ، وما صار إليهم منه ، فأجاب كلُّ بما اقتضاه هواه ، فأمر بسجنه ، ولفَّ معه أخوه أبو عتميل عطية ، وتوجه عبد المزم في إثر ذلك زائراً إلى تربة المهدي . فاستصحبهما منكريين بحال ثقاف ، وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة ، من لطايف الأدب ، نظماً ونثراً في سبيل النوسل بتربة إمامهم ،

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» الأمير . والأولى أرجح .

(٢) في المخطوطين : الزراجين . وهو تحريف . والزراجين كلمة أطلقها المهدي ابن تومرت على المرابطين ومفردها زرجان ، وهو طائر أسود البطن ، أبيض الريش ، شبه المهدي المرابطين به لأنهم بيض الثياب سود القلوب (نظم الجمان بتحقيق الدكتور مكى ص ٨٥) .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «ك» توقد .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» فافشى .

(٥) في المخطوطين : أمرهم . والتصويب من الاستقصاء .

عجائب لم تُجيد^(١) ، مع نفوذ قَدَرِ الله فيه ؛ ولما الصرف من وُجْهته أعادها معه ،
فَافِلًا إلى مرا كَش ؛ فلما حاذى^(٢) تاقمرت^(٣) ، أنفذ الأمر بقتلها ، بالشعراء
المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك ، فمضيا لسبيلها ، ورحمها الله .

شعره وكتابه

كان مما خاطب به الخليفة عبد المزم من مُستعلمًا كما قلناه من رسالة :
« تالله لو أحاطت بي خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات ببايئة ، حتى
سخرتُ بمن في الوجود ، وأنفثُ لآدم من السجود ، وقلتُ إن الله لم يُوحِ إلى
الفلك إلى نوح ، وبريتُ لقرار مُود نبلاً ، وأبرمتُ لحطب نار الخليل حبلاً ،
وحططتُ^(٤) عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدتُ مع هامان على الطين ،
وقبضتُ قبضةً [من الطير]^(٥) من أثر الرسول فبندتها ، وافترتُ على العذراء
البتول فذقتها ، وكتبتُ صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرتُ الأحزاب
بالقُصوى من العُدوة ، وذممتُ كل قرشي ، [وأكرمتُ لأجل وحشى كل
حبشى]^(٦) ، وقلتُ إن بيعة السقيفة^(٧) لا توجب لإمام^(٨) خليفة ، وشحنتُ

(١) في المخطوطين : توجد ، وهو تحريف ظاهر .

(٢) وردت في « ج » ، حاذت . وفي « ك » حاد .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ح » ، قمرت . وينطق اسم هذه البلدة أحياناً : تاكرت وتغمرت .

(٤) وردت في المخطوطين : انحططت ، والتصويب يقتضيه السياق .

(٥) وردت هاتان الكلمتان في « ك » وأغفلتا في « ج » .

(٦) وردت هذه العبارة في المخطوطين هكذا . (وأكرمت لأجل كل وحشى) والريادة والتصويب

من الإستهزاء .

(٧) ردت في « ك » ، وأغفلت في « ج » .

(٨) هكذا وردت في « ج » وفي « ك » إمام . والأول أصوب .

شفرة غلام المغيرة [بن شعبة]^(١) ، واعتقلت من حصار الدار وقتل
أشطها^(٢) بشعبة ، وغادرت الوجه من الهامة خضيباً ، وناولت من قرع سن الحسين
قضيياً ، ثم أتيت حضرة المعصوم لائناً . وبقر الإمام المهدي عائناً^(٣) لقد آن
لقاتي أن تُسمع ، وأن تُغفر لي هذه الخطيئات أُجمع :

فغفواً أمير المؤمنين فَمَنْ لَنَا بِحَمَلِ قُلُوبٍ هَدَّهَا أَنْخَفَقَانُ
عظماً علينا أمير المؤمنين فقد بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقنا ذنوبٌ كلها لُجَجٌ وعطاقةٌ منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهامٌ كلها غَرَضٌ لها ورحمتكم أوقى من الجنين
هيئات للخباب أن تسطو حوادثه بمن أجارته رحاكم من المحن
من جاء عندكم يَسْمَعُ على ثقة بنصره لم يخف بئشاً من الزمن
فالنوب يطهر بعد الغسل من دَرَنٍ والطرف ينهض بعد الرِّكْض من وسن
أتم بَدَلْتُمْ حياة الخلق كلهم من دون من عليهم لا ولا ممن
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم تلك الحياتين من نفسٍ ومن بدن
وصببية كفراخ الورق من صِغَرٍ لم يألفوا النوح في فرع ولا قنن
قد أوجدتهم^(٤) أيدي منكم سابقة والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص ، وهي [التي]^(٥) أورثته
الكتابة العلية والوزارة كما تقدم قوله :

(١) هاتان الكلمتان ساقطتان في « ح » .

(٢) وردت في المخطوطين : شطها .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » لائناً .

(٤) وردت في المخطوطين : أوجبهم . والتصويب من الاستقصاء .

(٥) ساقطة في المخطوطين .

« كتبنا هذا من وادي ماسة بعد ما تزحزح أمر الله الكريم ، ونصر الله المعلوم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . فتح بمسرى الأنوار إشراقاً ، وأحْدَقَ بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونَبِهَ للأمانى النائمة جفوناً وأحداقاً ، واستغرق غاية الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسن كُنْهَ^(١) وَصْفَه إدراكاً ولا لحاقاً ؛ جمع أشتات الطبِّ والأدب ، وتقلَّبَ في النعم أكرم مُنْقَلَب ، وملاً دِلاء الأمل إلى عقد الكَرْب :

فَتُحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبُ
 وَتَقَدَّمَتْ بِشَارْتِنَا بِهِ جَمَلَةٌ ، حِينَ لَمْ تَعْطِ الْحَالُ بِشَرْحِهِ مُهَلَّةٌ . كَانَ أَوْلَتِكَ
 الضَّالُّونَ الْمَرْتَدُونَ قَدْ يَطْرُقُوا عِدْوَانًا وَظُلْمًا ، وَاقْتَضَعُوا الْكُفْرَ مَعَنِي وَإِسْمًا ، وَأَمَلِي
 لَمْ يَزِدَادُوا إِيمَانًا^(٢) ؛ وَكَانَ مَقْدَمُهُمُ الشَّقَى قَدْ اسْتَمَالَ النَّفُوسَ بِخَزَعِيَلَاتِهِ ،
 وَاسْتَهْوَى الْقُلُوبَ بِمَهْوَلَاتِهِ ، وَنَصَبَ [لَهُ]^(٣) الشَّيْطَانَ مِنْ حِيَالَاتِهِ ، فَاتَتْهُ الْمُخَاطَبَةُ
 مِنْ بَعْدِ وَكُنْتُ ، وَنَسَلْتُ إِلَيْهِ الرِّسْلَ^(٤) مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ، وَاعْتَقَدْتَهُ الْخِرَاطِرَ
 أَعْجَبَ عَجَبٍ ؛ وَكَانَ الَّذِي قَادَهُمْ لَذَلِكَ ، وَأَوْرَدَهُمْ تِلْكَ الْمِهَالِكَ ، وَصَوْلُ مَنْ
 بِتِلْكَ السَّوَاهِلِ ، مِمَّنْ ارْتَسَمَ بِرِسْمِ الْإِتْقَاعِ عَنِ النَّاسِ ، فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْأَعْوَامِ ،
 وَاشْتَغَلَ عَلَى رَغْمِهِ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ ، آتَاءَ اللَّيْلِ وَالْأَيَّامِ ، لَبَسُوا النَّامُوسَ أَثْوَابًا ،
 وَتَدَرَّعُوا الرِّيَاءَ جِلْبَابًا ، فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ لَهُمْ إِلَى التَّوْفِيقِ بَابًا .

ومنها في ذكر صاحبهم :

« فَصْرَعُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِحِينِهِ ، وَبَادَرْتُ إِلَيْهِ بِوَادِعِ مَنُونِهِ ، وَأَتَتْهُ وَافِدَاتُ الْخَطِيبَاتِ
 عَنْ يَسَارِهِ ، وَبِمِينِهِ ، وَكَانَ يَدَّعَى أَنْ الْمِئِيَّةَ فِي هَذِهِ الْأَعْوَامِ لِاتِّصَابِهِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الا لكته ، وهو تحريف .

(٢) واردة في « ج » ، وساقطة في « ك » .

(٣) وردت في « ج » . واغفلت في « ك » .

(٤) هكذا في « ج » . ووردت في « ك » الرمل .

يُبَشِّرُ بذلك والنوائب لا تنوبه ، ويقول في سواه قولاً كثيراً ، وَيُخْتَلِقُ^(١) على الله إفكاً وزوراً ، فلما عاينوا هيئة اضطجاعه ، ورأوا ما خَدَّتْهُ^(٢) الأسننة في أعضائه^(٣) ، وننذ فيه من أمر الله ما لم يقدروا على استرجاعه ؛ هُزِمَ لهم من كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم كَتَسَاقَطُ الذباب ، وأعطوا عن بكرة^(٤) أبيهم صَفْحَةَ الرقاب ، ولم تَقْطُرْ كلومهم إلا على الأعقاب ؛ فامتلات تلك الجلمات بأجسادهم ، وَأَذِنَتْ^(٥) الأجال بانقراض آمالهم ، وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ؛ فلم يُعَايِنَ منهم إلا من خَرَّ سَريماً^(٦) ، وسقى الأرض نُجَيْماً ، ولقى من وقع الهنديات أمراً فظيماً ؛ ودعت الضرورة باقيهم إلى الترامى في الوادى ، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرْتَجِيهِ ، وَيَسْبَحُ طامعاً في الخروج إلى ما يُنْجِيهِ ، اختطفته الأسننة اختطافاً ، وأذاقته موتاً دُعاغاً ؛ ومن لَجَّ في الترامى على لُجْبِهِ ، ورام البقاء في ثُجِّهِ ، قضى عليه شرقه ، وألوى فَرَقْتَهُ غَرَقَهُ^(٧) . ودخل الموحدون إلى الباقية الكائنة فيه ، يتناولون قتالهم طعناً وحراباً^(٨) ، ويلقونهم بأمر الله هَوْنًا عظيمًا وكرهًا ، حتى سَطَّتْ^(٩) مراقات الدماء على صفحات الماء ، وحكت سُحْرَتِهَا على زُرْقِهِ ، حمرة الشفق على زُرُقِ السماء ؛ وظهرت العبرة للمعتبر ، في جرى الدماء جَرَى^(١٠) الأبحر .

(١) في المخطوطين : ويخلق . والسياق يقتضى التصويب .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » خطبته .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : في « ج » أعطايه . وفي « ك » اغطايه .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » ، الكرة .

(٥) في المخطوطين : وأذنت . وهو تحريف .

(٦) وردت في المخطوطين : سريماً . والتصويب أنسب .

(٧) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، عرقه .

(٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » و« الملكية » وضرباً .

(٩) وردت محرفة في المخطوطين : اسطت في « ج » . واسمطت في « ك » .

(١٠) وردت في المخطوطين : تجرى . والتصويب يقتضيه السياق .

دخوله غرناطة

احتل بغرناطة عام إحدى وخمسين وخمسة مائة ، لما استدعى أهل جهات ألمرية ، السيد [أبا سعيد]^(١) إلى مُنازلة من بها النصارى ، وحشد ، ونزل عليها ، ونصب المجانيق على قصبتها ، واستصرخ من بها الطاغية^(٢) ، فأقبل إلى نصرهم ، واستمد السيد أبو سعيد الخليفة ، فوجه إليه الكبير أبا جعفر بن عطية صُحبة السيد أبي يعقوب ابنه ، فلحق به ، وأتصل الحصار شهراً سبعة ، وبُذِل الأمن لمن كان بها ، وعادت إلى مملكة الإسلام ، وانصرف الوزير أبو جعفر صُحبة السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية ، وجرت أثناء هذه أمور يطول شرحها ؛ ففي أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة ، وعُدَّ فيمن ورد عليها .

مولده

بمراكش عام سبعة وعشرين وخمسة مائة^(٣) .

وفاته

على حسب ما تقدم ذكره ، لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة .

(١) وردت هذه الكلمة في «ك» وأغفلت في «ج» .

(٢) يقصد بالطاغية هنا ألفونسو ريموندس ملك قشتالة الذي حكم من سنة ١١٢٦-١١٥٧ م . وفي عصره استطاعت الأساطيل والجيوش النصرانية المتحدة أن تنتزع ألمرية من يد المرابطين (١٠٤٢-١١٤٧ م) . واستمرت ألمرية في يد النصارى زهاء عشرة أعوام حتى حاصرها الموحدون بشدة وفق ما هو مسطور . وحاول النصارى وحليفهم ابن مردنيش أمير بلنسية وخصم الموحدون ، إنقاذها من السقوط . ولكن ذهبت جهودهم سدى ، وسقطت ألمرية في يد الموحدون ، وعادت إلى قبضة الإسلام في سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، وأفرج عن حامية النصرانية بالأمان .

(٣) هذا سهو من ابن الخطيب . وحينئذ أن مولد ابن عطية ، كان وفقاً لابن الأبار في سنة ٥١٧ هـ (الجلد السابع - الفادرة - ج ٢ ص ٢٢٨) . وهذه الرواية أكثر اتفاقاً مع مراحل حياته .

أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني

من أهل فاس ، يكنى أبا العباس ، ويعرف بابن شعيب من كرياتة ، قبيلة من قبائل الرّيف الغربي^(١) .

حاله

من « عائد الصّلة » : من أهل المعرفة بصناعة الطب ، وتدقيق النظر فيها ، مشاركاً في الفنون ، وخصوصاً في علم الأدب ، حافظاً للشعر ؛ ذكر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمُحدثين ، والنائب عليه العلوم الفلسفية ؛ وقد مُتت لذلك ، وتهنّك في علم الكيمياء ، وخلع فيه العذار ، فلم يُجل بتائل ، إلا أنه كان تفوّه^(٢) بالوصول ، شُشّنة المفتونين بها على مدى الدهر . وله شعر رائق ، وكتابة حسنة ، وخط ظريف . كتب في ديوان سلطان المغرب مُرساً ، وتسرى جارية رومية اسمها صُبْح ، من أجل الجوارى حُسناً ، فأدبها حتى لُقنت حظاً من العربية ، ونظمت الشعر ، وكان شديد الغرام بها ، فهلكت أشد ما كان حياً لها ، وامتداد أمل فيا ، فكان بعد وفاتها لا يرى إلا في تأوّه دائم ، وأسف مُتمادٍ ، وله فيها أشعار بديعة في غرض^(٣) الرّثاء .

مشيخته

قرأ في بلدته فاس على كثير من شيوخها ، كالأستاذ أبي عبد الله بن أجروم نزيل فاس ، والأستاذ أبي عبد الله بن رُشيد^(٤) ؛ ووصل إلى تونس ، فأخذ منها

(١) وردت في « ج » العربي ، والتصويب من الملكية . وقبائل الربف المغربية هي من القبائل البربرية .

(٢) هكذا في المخطوطين بصيغة الماضي .

(٣) وردت في المخطوطين : عرض .

(٤) هكذا ورد اسمه في « ج » . وفي « ك » رشد .

الطبِّ والهيئة على الشيخ رُحَلَة^(١) وقته في تلك الفنون ، يعقوب بن الدَّراس .
 وكان مما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صفوان ، وقد نشأت بينهما صداقة
 أوجبها القدر المشترك من الولوع بالصنعة المرْموزة ، يتشوّق إلى جهة كانوا إيخون
 بها^(٢) [للشيخ فيها ضيعة بخارج مائة كلاًها الله :

رعى الله وادى شنيانة وتلك الغدايا^(٣) وتلك الليال
 ومسرّحنا بين خضر الغصون وودق المياه وسحر الظلال
 وممرّتنا تحت أدواحه ومكرّنا في النّمبر^(٤) الزلال
 نشهد منها كعرض الحسام إذا ما انتشت فوقه كالغوال
 والله من دُرّ حصبائه لآلٍ وأحسين بها من لآل
 وليل به في ستور^(٥) الغصون كخود ترنم فوق الحجال
 وأسحاره كيف رافت وصحّ النسيمُ بها في اعتدال
 والله منك أبا جعفر عميد^(٦) الحلال حميد الخلال
 تطارحني برُموز الكنو ز وتُسفر لي عن معاني المعال
 وتبدلني^(٧) في شجون الحديث وبا طيبة كلّ سحرٍ حلالٍ
 فالقطُّ من فيك سحرَ البيان مجيباً به عن عريض النّوال
 أفدت الذي دونها معشرٌ كثير المقال تليل النّوال
 فأصبحتُ لا أبتغي بعدها سواك وبعدك كما لا أبال

(١) أي رحالة .

(٢) هذه العبارة وردت في «ح» . وأملت في «ك» .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : العذانا .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» النهر .

(٥) وردت في المخطوطين : الستور .

(٦) هكذا في «ج» . وفي «ك» عبد .

(٧) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» ، وبديل لي .

وخطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله [عن^(١)] شيء من علم الصناعة
بما نصه :

دارُ الهوى نجدٌ وساكِئُها أقصى أمانى النفس من نجدٍ
ومما صدر به رسالة :

أُجمَعُ هذا السُّلُ بعد شتاته ويُوصلُ هذا الحَبيلُ بعد انبثاته
أما لِلبليِّ آيةٌ عيسويَّةٌ فيَنشرُ ميثَ الأُنسِ بعد مماته
ويُورِدُ عينيَّ بعد مِلحِ مدايمي برؤيته في عَذبِهِ وفُرَّاته
وأشدُّ له صاحبنا الفقيه الجليل صاحب العلامة^(٢) بالمغرب ، أبو القاسم بن
صفوان قوله :

ياربِّ ظيِّ شعاره نُسكُ الحَاظُهُ في الورى لها فتكُ
يَتْرُكُ من هامٍ به مُكتئباً لا تعجبوا أن قومه التُّركُ
أشكو له مالقيتُ من حُرُقِ فيمَشُ^(٣) لاهياً إذا أشكو
صَبْرْتُ حتى أَطلَّ عارضُهُ فكان صبرى ختامهُ مِسْكُ
ومن المعاتبه والفكاهة قوله :

وبائِعُ للكتبِ يبتاعها بأرخص السُّومِ وأغلاهِ
في نِصفِ الاستدكارِ أعطيتُهُ ومَحَّضِ العينِ وأرضاه
وله أيضاً :

يا من توعدنى بجادث هجره إن السُّلُوَ لَدُونِ ما يتوعدُ

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «ك» .

(٢) صاحب العلامة أو كاتب العلامة ، هو الذى يتولى التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والمراسيم الملكية ، وكانت هذه الوظيفة من أهم الوظائف الإدارية في القصور المعربية .

(٣) وردت في المخطوطين بحرفة : (فتى : فشا) . والتعريب من «الملكية» .

هذا عذارك وهو موضع سلوكتي فأكيف فقد سبق الوعيد أو وعد
وأظن سلوتنا غداً أو بعده فبذاك خبرنا الغراب الأسود
وله أيضاً :

قال العذول تنقصاً لجمالها هذا حبيبك قد أطل عذاره
لا بل بدا فصل الربيع بخنده فلذا تساوى ليله ونهاره
وله يرثي :

ياقبر صبح حل فيك بهجتي أشقى الأمان^(١)
وغدوت بعد عيانها^(٢) أشهى البقاع إلى العيان
أخشى المنية إنها [تصغى]^(٣) مكانك عن مكان
كم بين مقبور بفد لس وقابر بالقيروان

وله أيضاً يرثيها :

يا صاحب القبر الذي أعلامه [درست]^(٤) وثابت حبة لم يدرس
ما اليأس منك على التصبر حاملي أياستنى فكأننى لم أياس
لما ذهبت بكل حُسن أصبحت نفسى تُعاني شجو كل الأنفس
أصبح أياى ليال كلها^(٥) لاتنجلى عن صبحك المتنفس

(١) هكذا وردت في «ك» وفي الملكية . وفي «ج» الأمان .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» . بقاعها .

(٣) وردت هذه الكلمة في المخطوطين بالرسم الآتى (تصغى) . ووردت في «ت» تنغى .

واعتقد أن هذا التصويب في محله .

(٤) الزيادة من « الملكية » .

(٥) وردت هذه الشطرة محرقة في المخطوطين : (صبح أياى ليل كلها) . وفي «ت» (صبح

أياى كلها ليل) . والوزن لا يسمي بهدس .

وقال في ذلك :

أعدت ما صنع الفراق^(١) غداة جدَّ به الرِّفاق^(٢)
ووقفت منهم حيث للنَّـمَّ ظات والدمع استباق
سبقت مداياهم فما أبطل^(٣) بنفسك في السباق
أطقت حل صدودهم للبَّين خَطْبُ لا يُطاق
عن ذات عرق أصعدوا أتقول دارهم^(٤) العراق
نزلوا [ببرقة ثمهد]^(٥) فلذاك ماشئت البراق^(٦)
وتيامنوا عسفان أن يمتنوا بمُجتمع الرِّفاق
ماضهم وهم النُّمى لو واقفوا بعض الوفاق
فلوا تفرقنا غداً فشغلت عن وعد التلاق
عمداً^(٧) رأوا قتل العميد دفكان عيشك في اتِّفاق
أولى لجسمك^(٨) أن يرق^(٩) ودمعُ عينك أن يُراق
أما الفزاد فعندهم دعه ودعوى الاشتياق
أعتاد حب^(١٠) محلهم فحلَّ صدرك عنه ضاق

- (١) هكذا وردت في «ج». وفي «ك» الفريق، وهو تحريف.
(٢) في المخطوطين - «الفراق» مرة أخرى. والتصويب من «ت».
(٣) في المخطوطين: انبطل. والتصويب من «ت».
(٤) هكذا وردت في «ت». وفي المخطوطين: وراهم. وهو تحريف.
(٥) وردت هذه العبارة محرقة في المخطوطات الثلاثة. ووردت في الملكية (ببرقة ثمهد).
(٦) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطين. وفي «ت»: (فلذاك مشئت البراق).
(٧) هكذا وردت في «ت». وفي المخطوطين: عدا.
(٨) هكذا في «ج» وفي «الملكية» بجسمك.
(٩) وردت في المخطوطات: يرنى. وفي الملكية، يروق.
(١٠) هكذا وردت في المخطوطات. وفي «ت» حجب.

واها لسالفة الشبا ب مضت بأيامي الرقاق
أبقت حرارة لوعة بين التراب والتراتق
لا تنطفي وورودها من أدمي كأس دهاق

وقال أيضاً :

ياموحشي والبعث دون لقائه
يدنيك مني الشوق حتى إنني
وأحن شوقاً للنسيم إذا سرى
كان اللقا فكان حظي ناظري
أدعوك عن شحط وإن لم تسمع
لأراك رأى العين لولا أدمي
لحديثكم وأصبح كالمستطلع
وسط الفراق فصار حظي مسمع
إن كان يجبل من مقامى موضع
فأبعث خيالك شهده نار الحشي
واصحبه من نومي بشحنة قادم
فصدى قليل ركابكم لم تجمع^(١)

دخوله غرناطة

دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد لقرب من ولايته في بعض
شونه ؛ وحقق^(٢) بها تغيير أمر الأدوية^(٣) المنفردة التي يتشوف الطيب إليها
والشحرور ، وهي بقرية شون^(٤) من خارجها .

« وفاته » رحمه الله ؛ توفي بتونس في يوم عيد الأضحى من سنة تسع وأربعين

وسبعمائة .

(١) وردت هذه الشطرة محرفة في المخطوطين كالاتي : (فصدا سفلى ركابكم لم جمع) .

(٢) في المخطوطين وفي الملكية : وخفق . وهو تحريف .

(٣) في المخطوطين : الدولة . وهي كلمة لا محل لها هنا . وكلمة الأدوية هي الصحيحة ،
لأن المترجم له هنا طبيب .

(٤) قرية شون من ضواحي مدينة غرناطة ، وهي Jun الحديثة ، وتقع في شمالها الشرق .

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة^(١) اللخمي
القيهي ، الرئيس ، المتقن ، حامل راية مذهب^(٢) الشعر في وقته ، المشار إليه
بالبنان^(٣) في ذلك ببلده ، يكنى أبا العباس .

حاله

كان فذاً في الأدب ، طرّفاً في الإدراك ، مهذب الشمايل ، ذليق اللسان ، ممتع
المجالسة والمحاضرة ، حلو الفكاهة ، يرمى كل غرضٍ بسهم ، إلى شرف النشأة^(٤)
وعز المرتبة ، وكرم المحدث ، وأصالة الرياسة .

حدثني الشيخ أبو زكريا بن هذيل ، قال : حضرت بمجلس ذي الوزارتين
أبي عبد الله بن الحكيم ، وأبو العباس بدر هالته ، وقُطبُ جلالته ، فلم يُجرِ شيئاً^(٥)
إلا ركض فيه ، وتكلم بملء فيه . ثم قننا إلى زبارين^(٦) يصلحون شجرة عنب ،
فقال لعريفهم حق هذا أن يقصر ، ويُطال هذا ، ويعمل كذا . فقال الوزير ،
يا أبا العباس ما تركت لهؤلاء أيضاً ، حظاً من صناعتهم ، يستحقون به الأجرة ؛
فصحبنا من استحضاره^(٧) ، ووساعة^(٨) ذرعه ، وامتداد حظ كفايته .

-
- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» (ابن أبي عرفة) .
 - (٢) هكذا وردت في «ج» والملكية . وفي «ك» (مهذب) .
 - (٣) وردت في المخطوطين : بالبيان ، وهو تحريف ظاهر .
 - (٤) وردت في المخطوطين محرفة : (الشاة) .
 - (٥) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» شيء .
 - (٦) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، زبارين .
 - (٧) وردت في المخطوطين : استحضارة .
 - (٧) وردت في المخطوطين : استحضارة .
 - (٨) أي سمة . وقد وردت (ساعة) في المخطوطين . (وإساعة) في «ت» والملكية .

قدومه على غرناطة

قدم عليها مع الجُمة من قومه عند تغلب الدولة النصرانية على بلدهم ، ونزول
البلاء والقلاء والمحنة بهم ، والجللاء بهم في آخر عام خمسة وسبعمئة ، ويأتي [التعريف
بهم] ^(١) بعد إن شاء الله ؛ وكان أوفر الدواعي في الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي
أدعيائهم ^(٢) ، ودخولهم على السلطان ، [أن] ^(٣) الذي تنخل ^(٤) بمثله السخائم ؛
وتذهب الإحن ^(٥) ؛ وخطب لنفسه ، فاستمرت ، حاله لطيف المنزلة ، معروف
المكاتب ، ملازماً لمجلس مُدبر الدولة ، مرسوماً بصداقته ^(٦) مشتتلاً عليه ببره ،
إلى أن كان من تقلب الحال ، وإدالة الدولة ، ما كان .

شعره

وشعره نمتّ عال ، ومحل البراعة حال ، لطيف الهبوب ، غزير المائة ^(٧) ،
أنيق الديباجة ، جهم المحاسن ؛ فنه في منهب المدح ، يخاطب ذا الوزارتين
أبا عبد الله ابن الحكيم :

تملكت رقيّ بالجمال فأجمل وحكمت قلبي بجورك ^(٨) فأعدل
أنت الأمير على الملاح ومن يجرُّ في حكمه إلا جفونك يُعزل

(١) أضفنا هذه العبارة المحتملة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا وردت في «ت» . وفي المخطوطين : إذعاهم ، وفي الملكية ، أدعاهم .

(٣) واردة في «ت» . وسانطة في المخطوطين .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» تنخل .

(٥) وردت في «ج» الأجر . وفي «ك» الأجر . وفي «ت» الأخر .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» صدقاته .

(٧) في المخطوطات الثلاثة : المائة .

(٨) وردت في المخطوطين ، يجرود . وفي «ت» ، فجود . والتصويب من أزهار الرياض .

إن قيل أنت البدرُ فالفضل الذي
 لولا الحظوظ^(١) لكنت أنت مكانه
 عيناك نازلنا القلوب فسكأها
 هزّت ظباها بعد كسر جفونها
 ما زلت أعذل في هواك ولم [يزل]^(٢)
 أصبحت في شغل بحبك شاغلي
 لم أهل الكتمان لكن أدمى
 بجمع الصحيحين الوفاء مع الهوى
 ما في الجنوب ولا الشمال جواب ما
 خلّسا له من طيب عرفك نفحة
 إن كنت بعدى حلت عمالم أحل
 أو حالت الأحوال فاستبدلت بي
 لاقيت بعدك ما لو أن أقله
 وحملت في حُبك ما لو حُملت
 من حيف دهرٍ بالحوادث مُقدم
 قد كنت منه قبل كُرّ صروفه^(٧)

لك بالكمال ونقصه لم يُجهل
 وكان دونك في الحضيض الأسفل
 إما جريحٌ أو مُصاب المقتل
 فأصيب قلبي في الرّغيل الأول
 سمى عن العذال فيك بمعزل
 عن أن أصبح إلى كلام العذال
 همأت ولو لم تعنى لم تهمل
 قلبي وأملى الدمع كُشف المشكل
 أهدى إليك مع الصبا والشمال
 تجيء بها^(٣) دماء عليها المتعل
 عنه وأهملت الذي لم أهل
 فإن حبي فيك لم يُستبدل^(٤)
 لاقى الثرى لأذاب^(٥) صمّ الجنديل
 شمّ الجبال أخفّه لم تحمّل
 حتى على حبس الهزبر المشبل^(٦)
 فوق السّنام فصرت تحت السكاكل

(١) هكذا في «ت» وأزهار الرياض . وفي المخطوطين : الخصوص .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وفي الملكية . وفي «ت» ، أضح . والإضافة عن أزهار

الرياض .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» ضحاها .

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في الملكية ووردت في «ك» و«ج» كالأق (فإن حبي

لم استبدل) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٥) في المخطوطين : لذاب .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» المسبل .

(٧) في المخطوطين : صروفها .

وَنُصُولِ شَيْبٍ قَدْ أَلَمَّ بِلَمِّي
 يَنْوِي الإِقامَةَ مَا بَقِيَتْ وَأَقْسَمَتْ
 وَمَسِيرِ ظَمْنٍ وَدَانِ حَمِيمِهِ
 يَتَوَى عَلَى جَسَدِي^(١) الضَّالُوعَ قَلْبِهِ
 فِي صَدْرِهِ مَا لَيْسَ فِي صَدْرِي لَهُ
 أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَلَوْ أَشَفَّ لَدَمُهُ
 جُلِّيْتُ فِي حَلَبَاتٍ سَبَقَ لَمْ يَكُنْ
 مَاضِرُهُ سَبْقِيهِ فِي زَمَنِ مَضَى
 سَاعَتِهِ مَنِيَّ عَجْرَفِيَّةٍ قَلْبِ
 مَتَحَرَّقٍ^(٢) فِي البَدَلِ مَدَّةَ سِيرِهِ
 حَتَّى يَثُوبَ لَهُ الغِنَى مِنْ مَاجِدِ
 مِثْلِ الوَازِرِ ابْنِ الحَكِيمِ وَمَالِهِ
 سَادَ الوَرَى بِحَدِيثِهِ وَقَدِيمِهِ
 مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ قَدْ [سَمَتْ بِقَبَابِهِ]^(٣)
 سَامِي الدِّعَائِمِ طَالِ^(٤) بَيْتِ وَزَارَةِ
 يَلْتَقِي الوَفُودَ يَبْسُطُ وَجْهَهُ مُشْرِقِ
 فَلَا مِلي جَدْوَاهُ حَوْلَ فَنَائِهِ

(١) هكذا في «ج» و«ت». وفي الملكية، جسد. وفي «ك»: قلبى.

(٢) هكذا في «ك». وفي «ج»، شجرى.

(٣) في المخطوطين: بتؤمل.

(٤) وردت في «ك» متحرق. وفي «ج» مخترق.

(٥) هكذا في «ج» و«الملكية». وفي «ك»: أسست بقبابه.

(٦) في المخطوطين: طالت، وكذا في الملكة. وهو لا ينفق مع الوزن.

وإذا نحى بالعدل^(١) فصل قضية
 يقضى على سخب الخصوم وشغبهم
 ويلقن الحج العيسى تخرُّجاً
 فإذا قضى صور المحقِّ بمحقه
 عَجِلُّ على من يستحقُّ مشوبةً
 يا كافي الإسلام كلَّ عظمة
 لم تحظُ فصلاً من إطالة مُفصل
 وقيم مُغريهم مقام المزل
 من راح عند اللجاج وأعزل
 عنده وحق^(٢) عتابه بالمبطل
 فإذا استحقَّ عتوية لم يعجل
 ومعيده غضباً كأن لم يذبل

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة من مآولاته ؛ وإنما اجتلبتُ من مدحه للوزير ابن
 الحكيم لكونه يمدح أديباً ناقداً ؛ وبلغنا بالكلام بصيراً ، والإجادة تلزم
 فيه منظومه ، إذ لا يوسع التريجة فيه عُذراً ، ولا يُقبل من [الطمع
 قدراً]^(٣) ، وهي :

أما الرسوم فلم ترق لما بي
 واستبدلت بوحوشها من أأ
 ولقد وقفت بها أرقرق عبرةً
 يبكي أطول بكاي في عرصاتها
 واستعجمت عن أن تردَّ جوابي
 س بيض الوجوه كواعب أتراب
 حتى اشتكى طول الوقوف صحاب
 صبحي ورجعت الخنين ركاب

ومن شعره في المقطوعات غير المطولات :

لم يبق ذو عين لم يُسبه
 فلاح بينهما طالماً
 وجهك من زين بلا مئين
 كأنه القمر بلا مئين

ومن ذلك قوله :

كأنما الخلال مصباحٌ بوجنته
 هبت عواصف أنفاسي فغطف

(١) وردت في المخطوطين : بالعد . وهو تعريف .

(٢) في المخطوطين : وعاق .

(٣) مكنا وردت في «ج» وفي الملكية . وفي «ك» : الطبع قدراً .

أو نقطة قطرت في الخلد إذ رَسَمَتْ
ومن ذلك قوله :

وعدتني أن تزور يا أُملى
حتى إذا الشمس للغروب دَنَّتْ
أنسى البدرُ منك حين بدا
لأنه لو ظَهَرَتْ لاحتَجَبَا
فلم أزل للطريق مُرْتَقِبَا
وصيرت من لُجَيْنِهَا ذُهَبَا

ومن ذلك قوله :

هجرُكم مالي عليه جَدَدٌ
ما قسى قلبي من هِجْرَانِكُمْ
فأعيدوا إليّ الرضى أو فعدوا
ولقد طال عليه الأمد
ومن ذلك قوله :

أبدى عذارك عُذْرِي في الغرام به
كأنه ظن أنى قد نسيت له
ومما هو أطول من المزدوجات قوله :

ويوم كساه الدجى^(٢) دَكْنًا^(٣) ثِيَابَهُ
ولاحت بأفلاك الأفق^(٤) كواكبٌ
وجالت جِيَادُ الرِّاحِ بالرِّاحِ جَوْلَةً
وهبت نسيم الروض وهو عليل
لها في البذور الضَّالِّمَاتُ أَفْوَلٌ
فلم تحلْ إلا والوقار قَتِيلٌ
ومن ذلك :

عذلوني فيمن أحب وقلوا
دَبُّ نَمْلٍ العِدَارِ في وجنتيه

(١) هذان البيتان قد وردا في «ح» و«الملكية»، وأغفلا في «ك» .

(٢) وردت في المخطوطين : الدجن .

(٣) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» : ذكر .

(٤) وردت في المخطوطين محرقة : الإفك .

وكذا النمل كما حلَّ نَيْتًا منع النفس أن تميل إليه
 قات قبل العذار أعذر فيه ثم من بعده ألام عليه
 إنما دبَّ نحو [شَهِدَ بِهِ] (١) فلذلك انتهى إلى شَفَتِيهِ
 وإحسانه كثير ، ومثله لا يُقنع منه يسير .

وفاته

قال في «عائد الصلة» : « ولما كان من تغلب الحال ، وإدالة الدولة ، وخلع
 الأمير ، وقتل وزيره ، يوم عيد الفطر من سنة سبع وسبعمائة ، وانتهت دار
 الوزير ، ونالت الأيدي يومئذ ، من كُتْلِهِ دهليز بابه ، من أعيان الطبقات ،
 وأولى الخطط والرُتب ، ومنهم أبو العباس هذا رحمه الله ، فأفلت تحت سلاح
 مشهور ، وحيزٌ مرقوف ، وثوب مسلوف (٢) ، فأصابته بسبب ذلك علة أياماً ،
 إلى أن أودت به ، فقضت عليه بفرناطة ، في الثامن والعشرين لذي حجة من
 سنة سبع وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الغرباء من الرُّبَيْطِ عَبْرَ الوادي تجاه قصور (٣) نجد ،
 رحمة الله عليه . »

أحمد بن علي الملياني (٤)

من أهل مرآ كس ، يكنى [أبا عبد الله] (٥) وأبا العباس .

(١) وردت في «ج» (شهد فيه) . وفي «ك» شهديه : والتصويب من «الملكية» .

(٢) مرقوف أى مرتعد مرتجف ، ومسلوف أعنى رقيق .

(٣) هكذا في «ك» والملكية . وفي «ج» : قطور .

(٤) نسبة إلى مليانة . وهى مدينة قديمة من مدن المغرب الأوسط تقع جنوب غربى الجزائر

(٥) وردت في «ج» والملكية . وأغفلت في «ك» .

صاحب العلامة^(١) بالمغرب ، الكاتب الشهير البعيد الشأن في اقتضاء الثروة ،
المثل المضروب [في]^(٢) العفة ، وقوة الصرامة ، و نفاذ العزيمة .

« حاله » ؛ كان نبه البيت ، شهير الأصالة ، رفيع المكاتة ، على [سجية]^(٣)
غريبة كانت فيه ، من الوقار ، والانتباض ، والصمت . أخذ يحظ من الأدب ، حسن
الخط ، مليح الكتابة ، قارصاً للشعر ، يُذهب نفسه فيه كل مذهب .

وصته

فتك فتكة شديعة أساءت الظن بحمالة الأقاليم على مرّ الدهر ؛ وانتقل إلى
الأندلس بعد مشقة ، وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه :
« الصّارم ، الفاك ، والكاتب الباتك ، أبي اضراب في وقار ، وتجهّم تحته
أنس عقار ؛ اتخذته صاحب المغرب ، صاحب علامته^(٤) . وتوّجه تاج كرامته ؛ وكان
يطالب جملة [من]^(٥) أشياخ مرا كش بنار عمه ، ويذوقهم دمه بزعمه ، ويقتصر على
الاستبصار منهم بنات همّه ، إذ سعوا فيه حتى اعتزل ، ثم جدّوا في أمره حتى
قتل ؛ فترصد كتاباً إلى مرا كش يتضمن أمراً جزماً ، ويشل من أمور الملك عزماً ،
جعل الأمر فيه بضرب رقابهم ، وسبب أسبابهم ؛ ولما أكد على حامله في العجل
وضايقه في تقدير الأجل ، تآنى حتى علم أنه قد وصل ، وأن غرضه قد حصل . فرأى إلى
تلمسان ، وهى بحال حصارها ، فانصل بأنصارها^(٦) ، حالاً بين أنوفها وأبصارها ؛

(١) سبق أن أوضحنا اختصاص هذا المنصب (أنظر الحاشية في ص ٢٧٤) .

(٢) ساقطة في المخطوطين . ويقتضها السياق .

(٣) واردة في «ك» . وساقطة في «ج» والملكية .

(٤) وردت في المخطوطين : علامة .

(٥) ساقطة في المخطوطين ، وواردة في «د» .

(٦) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» بأقطارها .

وتعجب من فراره ، وسوء اغتراره ، ورجحت الظنون في آثاره . ثم اتصلت
الأخبار بتمام الحيلة ، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة ، وتركا شئمة على
الأيام ، وعاراً في الأقاليم على سحمة الأقاليم ؛ وأقام يتلمسان إلى أن حلُّ مُخَنَّقُ
حصارها ، وأزيل اللقيان^(١) الضيقة عن خصرها ؛ فلحق بالأندلس ، فلم يعدم براً
وروعياً مستمراً ، حتى أتاه حمامه ، وانصرفت أيامه .

شعره

من الذي يدل على بره^(٢) ، وانفساخ خطاه في النفاسة ، وبعد شأوه ، قوله :

العز ما صربت عليه قبابي	والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهراً ما أهداه غصن ^(٣) براعتي	والمسك ما أبداه نقش كتابي
والمجد يمنع أن يزاحم موردي	والعزم يأبى أن يسام جنائي
فإذا بلوت صنيعه جازيتها	بجميل شكرى أو جزيل ثوابي
وإذا عقدت مودة أجريتها	بجرى طعامي من دمي وشرابي
وإذا طلبت من الفراقد والسهي	ثأراً ^(٤) فأوشك أن أنال طلابي

وفاته

توفي رحمه الله يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ، ودفن
بجبانة باب البيرة ، تجاوز الله عنه .

(١) هكذا في «ج» . الملكية وفي «ك» البيان . .

(٢) هكذا وردت في «ج» والملكية . وفي «ك» ، أفوه .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» : غضر .

(٤) وردت في المخطوطين : آثاراً . وهو تحريف .

أحمد بن محمد بن عيسى الأموي

يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالزيات

حاله

من أهل الخير والصلاح والأتباع ، مفتوح عليه في طريق الله ، نير الباطن والظاهر ، مطرح التصنع ، مُستدل ، مجانب للدنيا وأهلها ، صادق الخواطر ، مرسل اللسان بذكر الله ، مبدول النصيحة ، مثابر على أتباع السنة ، عارف بطريق الصوفية ، ثبت القدم عند زلاتها^(١) ؛ ناطق بالحكمة على الأمية ؛ جميل اللقاء ، متوغل في الكلف بالجهاد ، مرتبط للخيل ، مبادر للهبة ، حريص على الشهادة ، بركة من بركات الله في الأندلس ، يعز وجود مثله .

وفاته

توفي رحمه الله ببلده غرناطة ، يوم الخميس الثاني والعشرين لجمادى الثانية من عام خمسة وستين وسبع مائة ؛ وشارف الإكتهال .

أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي

من أهل بلش مالقة^(٢) ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بالزيات ، الخطيب ، للمتصوف الشهير .

حاله

من « عائد الصلة » : كان جليل القدر ، كثير العبادة ، عظيم الوقار ، حسن

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ، قولاتها .

(٢) بلش مالقة Velez Malaga ، سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١٢) .

الخلق ، مخفوض الجناح^(١) ، متألق^(٢) البشر ، مبدول المؤانسة ، يدكر بالسلف الصالح ، في حُسن شيمته ، وإعراب لفظه ، مزدحم المجلس ، كثير الإفادة ، صبوراً على الغاشية ، واضح البيان ، فارس المناير غير مُدافع ، مستحق التصدر في ذلك ، بشروط قلما كملت عند غيره ؛ منها حسن الصورة ، وكمال الأبهة ، وجهورية الصوت ، وطيب النعمة ، وعدم التهيّب ، [والقدرة على الإنشاء]^(٣) ، وغلبة الخشوع ، إلى التفنن في كثير من المآخذ العلمية ، والرياسة في تجويد القرآن ، والمشاركة في العربية ، والفتة ، واللغة ، والأدب ، والعروض ، والمحاسنة^(٤) في الأصلين ، والحفظ للتفسير .

قال لي شيخنا أبو البركات بن الحاج ، وقد جرى ذكر الخطابة : ما رأيت في استيفائها مثله . كان يفتح [مجالس تدرسه]^(٥) أكثر الأحيان ، بخطب غريبة ، يأتق بها مفاصل الأغراض ، التي يشرع في التسكلم فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومخاطباته ، وإجازاته ، من غير تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكةً بدبغه ، واستعمل في السفارة بين الملوك ، لدخض السخائم ، وإصلاح الأمور ، فكانوا يوجبون حقه ، ويلتمون بركته ، ويلتمسون دعاءه .

مشميخته

تحمّل العلم عن جملة ؛ منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المندرجي

(١) هكذا وردت في « ك » . وفي « ح » والملكية ، محفوظ الجناد .

(٢) وردت كلمة (كثير) في المخطوطين وفي الملكية قبل هذه الكلمة . ولا موضع لها هنا إلا أن كانت كلمة (متألق) تقرأ (تالق) . وفي ذلك تجاور .

(٣) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين وفي الملكية (والقدرة على الإمشاء) . أو الأشاء

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الملكية ، من محس ، والمقصود بها هنا الإتقان والبراعة .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي « الملكية » مجالسه .

من أهل الحمّة^(١) ، من ذوى المعرفة بالقرآن والفرائض ؛ ومنهم القاضى أبو على الحسين بن أبى الأحوص الفهرى ، أخذ عنه قراءة وإجازة ؛ ومنهم العارف الربانى ، أبو الحسن فضل بن فضيلة ، أخذ [عنه]^(٢) طريقة الصوفية وعليه ملك ، وبه تأدب ، وبينهما فى ذلك مخاطبات ؛ ومنهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعري ، وأبو عبد الله محمد بن يحيى أخوه ؛ ومنهم [أبو الفضل]^(٣) عياض ابن محمد بن عياض بن موسى ، قرأ عليه يبلّس وأجازله ؛ ومنهم الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير ، والأستاذ أبو الحسن التجلى ، وأبو محمد بن سماك ؛ وأبو جعفر بن الدّباع ؛ وأبو جعفر بن يوسف الهاشمى الطنجلى^(٤) ؛ والأستاذ النحوى أبو الحسن بن الصّائغ ؛ والسكاتب الأديب أبو على بن رшиق التّغلبى ؛ والرّواية أبو الحسن بن مسّتور^(٥) الطائى ؛ والإمام أبو الحسن^(٦) بن أبى الربيع ، والأستاذ أبو إسحاق الغافقى الميربى ؛ والإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البّاوى ، بما كان من إجازته العامة لكل من أدرك عام أحد وأربعين وستائة ؛ وغير هؤلاء ممن يشقّ إحصاؤهم .

تصانيفه

كثيرة ، منها المسماة « بالمقام المخزون فى الكلام الموزون » ؛ والقصيدة^(٧) المسماة « بالمشرف^(٨) الأصفى فى المأرب الأوفى » وكلاهما ينيف على الألف بيت ؛

(١) الحمّة أو الحامة سبق التعريف بها (أنظر الحاشية فى ص ١٦٩) .

(٢) ساقطة فى المخطوطين ، وواردة فى الملكية .

(٣) وردت هذه الزيادة فى « ج » والملكية ، وأغفلها « ك » .

(٤) الطنجلى نسبة إلى طنجة . وترسم أحياناً الطنجالى ، والطنجلى .

(٥) وردت فى المخطوطين : ابن مسفور ، وهو تحريف .

(٦) هكذا وردت فى « ح » . وفى « ك » أبو الحسين .

(٧) وردت فى المخطوطات الثلاثة (العميدة) والصويب أرجح .

(٨) هكذا أرسمت فى « ك » . وفى « ج » ، الشرف .

و«نظم السلوك في [شيم الملوك]»^(١)؛ و«المجتبى النضير والمقتنى»^(٢) الخطير؛ و«المبارة الوجيزة عن الإشارة»؛ و«اللغائف الروحانية والعارف الربانية». ومن تواليه: «أسس مبني العلم، وأس معنى الحلم» في مقدمة علم الكلام؛ و«لذات السمع من القراءات السبع» نظاماً؛ و«رصف نفائس اللآلى، ووصف عرائس المعالي» في النحو؛ و«قاعدة البيان وضابطة اللسان»، في العربية؛ و«لهجة الألفاظ وبهجة الحافظ»؛ و«الأرجوزة المسماة «بقرّة عين السائل وبغية نفس الآمل» في اختصار السيرة النبوية؛ و«الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية»؛ وكتاب «عُدّة الداعي، وعمدة الواعي»؛ وكتاب «عوارف الكرم، وصلات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحكيم وخلق الإنسان»؛ وكتاب «جوامع الأشراف والعنايات، في الصّواع والآيات»؛ و«التّفحة الوسيمة والمنحة الجسمية»^(٣)، تشمل على أربع قواعد اعتقادية وأصولية وفروعية وتحقيقية؛ وكتاب «شروف المنّارق في اختصار كتاب المشارق»، و«تلخيص الدلالة في تلخيص الرسالة»؛ و«شذور الذهب في صرّوم الخطب»؛ و«فائدة الملتقط وعائدة المغتبط»؛ وكتاب «عُدّة المحقّ وتُحفّة المُستحقّ».

نشره

من ذلك خُطبةُ الغيت الألف من حروفها، على كثرة ترددها في الكلام وتصرفها، وهي:

«حمدتُ ربّي جلّ من كريم محمود، وشكرتهُ عزّ من عظيم موجود، ونزهته عن جهل كل مُلحد كفور، وقدّسته عن قول كل مُفسد غرور، كبير لو تقدم،

(١) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» والملكية (نظم السلوك) مرة أخرى. وهو سهو ظاهر.

(٢) هكذا في «ك». وفي «ج» المتفق، والأولى أرجح.

(٣) هكذا في «ج». وفي الملكية «المنحة في الوسمة والمنحة»

في فهم نبيد ، قد يروى تصور في رسم لحد ؛ لو عدته فكرة التصور^(١) لتصور ،
ولو حدته^(٢) فكرة لتدثر ؛ ولو فهمت له كيفية لبطل قدمه ، ولو علمت له كيفية
الحصل عدمه ؛ ولو حصره^(٣) طرف لقطع بتجسسه ، ولو قهره وصف لصدع
بتقسيمه ؛ ولو فرض له شبيح^(٤) لرهقه^(٥) كيف ؛ ولو عرض له ، لالحق عجل^(٦)
وريث ؛ عظيم من غير تركيب قطر ، عليم من غير ترتيب فكر ؛ موجود من غير
شيء يسكه ، معبود من غير وهم يدركه ؛ كريم من غير عوض يلحقه ، حكيم
من غير عرض يلحقه ؛ قوى من غير سبب يجمعه ، على من غير سبب
يرفعه ؛ لو وجد له جنس لعرض في قيموميته^(٦) ، ولو ثبت له حس لنوزع
في ديموميته .

ومنها : « تقدس عن لم فعله ، وتزده عن سم فضله ، وجل عن ثم قدرته ،
وعز عن عم عزته ، وعظمت عن من صفته ، وكثرت عن كم منته ؛ فتق ورتق
صور وخلق ، وقواع ووصل ، وانصر وخذل ؛ حمدته حمد من عرف ربه ؛
ورهب ذنبه ، وصفت حقيقة يقينه قلبه ، وذكرت بصيرة دينه لبه ، فمض^(٧) لوعى
بشروط نفضته وحد ، وربط سلك سلوكه وشيد ، وهدم صرح عتوه وهد ،
وحرس معقل عقله وحد ، طرد غرور غرته ورذله ؛ علم [حلم]^(٨) تحقيق
فنجح نحوه ، وتفرده عز وجل بثبوت ربوبيته وقدمه ، وعتقد^(٩) صدور كل

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» تصور

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» حده . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» حصر .

(٤) وردت في المخطوطين : شح ، وهو تحريف .

(٥) هكذا في «ك» . وفي «ج» لرقه .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين وفي الملكية .

(٧) في الملكية ، فنه .

(٨) سافطة في المخطوطين والملكية . وواردة في « - » .

(٩) هكذا وردت في الملكية وفي المخطوطين . وعتقد . والأولى أرجح .

جوهر وعرض عن جوده وكرمه ؛ و اشهد بتبليغ محمد صلى ربه عليه وسلم ، رسوله وخير خلقه ، و لعلنا بنهوضه في تبئين فرضه ، و تبليغ شرعه ؛ ضرب قبة شرعه ؛ انسخت كل شرع ؛ وجدد عزيمته قمع عدوه خير قمع ؛ قوم كل مؤوم بقويم محته ؛ و كريم هديه ؛ و بين لقومه كيف يركنون فوره بقصده ؛ و سديد سعيه ؛ بشر مطيعه ، فظفر برحمته ؛ و نذر عاصيه فشقى بنقمة .

« و بعد فقد اُصِحتم لو كنتم تعقلون ، و هُديتم لو كنتم تعلمون ، و صُرِّتم لو كنتم تبصرون ، و ذكُرتم لو كنتم تذكرون ؛ و ظهَرت لكم حقيقة شركم و برزت لكم خبيثة حشرم ؛ فلم تركضون في طلق غفاتكم ، و اغفلون^(١) عن يوم بعثكم ؛ و الموت عليكم سيف مسلول ، و حكم عزم غير معلول ؛ فكيف بكم يوم يؤخذ كل بدننه ؛ و يخبر بجميع كسبه ؛ و يفرق بينه و بين صحبه ، و يعدم نصرة حزبه ؛ و يُشغل بهم^(٢) و كربه ؛ عن صديقه و تربيه ؛ و تُنشر له رقعة و تمين له بقعة ؛ و فرج عبد نظر وهو في مهل لنفسه ؛ و ترسل^(٣) في رضی عمله جنة لخلول رَمسه ؛ و كسر صنم شهوته ليقرب في بجبوحه قدسه^(٤) ؛ و حصر^(٥) بنظر يُنزله سرير سروره بين عقله و جسمه^(٦) .

ومنها : « فتنبه و يحك من سنتك و زومك و تفكر فيمن هلك من صحبتك^(٧) و قومك ؛ هتف بهم من أعلم ، و شب عليهم منه حرق مظلم ؛ فخربت بصيخته ربوعهم ؛ و تفرقت لهوله جموعهم ، و ذل عزيزهم ، و خشي رفيههم ، و صم سمعهم ؛ فخرج كل منهم عن قصره ، و رمى غير مؤسد في آبره ؛ فبهم بين سعيد

(١) مكنا في « ج » ، و في « ك » ، و غافلون . و هو تحريف .

(٢) مكنا في الملكية و في « ج » بقوله . و الأولى أرجح .

(٣) في المخطوطين : و ترسل .

(٤) مكنا في « ك » . و في « ج » قدمه .

(٥) مكنا في « ج » . و في « ك » ، و حصن .

(٦) مكنا في « ج » و الملكية . و في « ك » حسه .

(٧) مكنا في « ج » و الملكية . و في « ك » صحبتك

في روضته مُقَرَّب ، وبين شقي في حُفْرَتِه مُعَذَّب ؛ فَتَسْتَوْهَب منه عز وجل عصمته
من كل خذليئة ، وخصوصية تقى من كل نفس جريئة .

كتب إلى شيخنا الوزير ، ابن ذى الوزارتين ، ابن الحكيم ، جواباً عن
مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته ونُصَحَه هذا الشعر :

جلَّ اسم مولانا اللطيف الخبير	وعزَّ في سلطانه عن نظير
هو الذى أوجد ما فوقها	وتحتها وهو العليم الخبير
ثم صلاة الله تنزى على	ياقوتة الكون البشير النذير
وصحبه الأولى نالوا مرأى	يرجع عنه العرف وهو الحسير
وبعد فأنفسهم جوهر	للأرواح منه ما للأثير
فإنك استدعيت من ناصر	نُصَحاً طويلاً وهو منه قصير
ولست أهلاً أن أرى ناصحاً	لقلَّة الصدق وخُبث الضمير
وإنما يحسنُ نصحَ الورى	من ليس للشرع عليه نكير
ومستحيلٌ أن يقود امرأ	يدُ امرئٍ واهى المباني ضرير
واعجباً يلتبس الخبير من	مُعتَقَل العقل مهيبض كبير
لكن إذا لم يكن بُدٌّ فَمَنْ	[جهدا أوفيك تبر] (١) يسير
فالتنه إن كنت به قائماً	دراً نظيماً يَزْدَرى بالثبير
لازم أبا بكر على مَنهج	ذاك تفز منه بخير كثير
واقنع بما يكفى ودع غيره	فإنما الدنيا هباء نَشِير
بُنَى لا يخذعك (٢) هذى الدنا	فإنها والله شيء حقير
أين المشيدات أما زُلزلت	أين أخو الإيوان أين السدير (٣)

(١) وردت في المخطوطين : (جهرا وفيك تبرز - تدر) .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » يخذعك .

(٣) هكذا وردت في « ك » . ووردت في المخطوطين وفي الملكية : الغدير . والأولى أرجح .

أين أنو شروان أضحى كأن
هذا مقالٌ من وعاه اهتدى
وهي (١) أبو بكر به أحدا
إنقضت (٢) أيامه وانتهى
وها هو اليوم على عُدَّة

لم يكُ أين المُعتدى أزدشِير
وحيط من كل مُخوف مُبِير
وأحمدُ في الوقت شيخ كبير
وهنا ومن قبلُ أتاه النذِير
مُبرمه للشَّر وما من عذِير

ومن شعره في طريقة الذي كان ينتحله :

شهود ذاتك [شئ عنك] (٣) محبوب
علوٌ وسُؤلٌ ومن هذا وذاك معا
ومنزِل النفس منه ميمٌ مذكرة (٥)
وإن تناءت مساويها فمزلهما
والروح إن لم تُحْتَمِه النفس قام له
ومن شعره :

لو كنت تُدركه لم يبق مطالب
دورٌ على نقطة (٤) الإشراق منصوب
إن صح للغرض الظنيُّ مرغوب
أوجُ الكمال وتحت الروح تقليب
في حضرة المُلْك تخصيصٌ وتقريب

دَعْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَنْضَرَّعَ
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَابْرَأْ
أَهْلًا وَمَا شَيْءٌ بِأَنْفَعَ لِلْفَتَى
وَأَمِّحْ اسْمَ نَفْسِكَ طَالِبًا إِبْرَأْتَهُ
وَاخْضَعْ فَمَنْ دَابَّ الْمَحَبَّ خَضُوعُهُ

فَعَسَى يَلِينُ لَنَا الْحَبِيبُ وَيَخْشَعُ
بِرَادِهِ وَمَنْ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ
مَنْ أَنْ يَذِلَّ عَسَى التَذَلُّ يَنْفَعُ
وَاقْنَعْ بِتَفْرِيقِ لَعَلَّكَ تَجْمَعُ
وَلِرَبِّمَا نَالَ الْعُنَى مَنْ يَخْضَعُ

(١) هكذا في «ك». وفي «ج» أضحى .

(٢) هكذا في «ج». وفي «ك» انقضت .

(٣) وردت هاتان الكلمتان في المخطوطين هكذا : (شرعية) . والتصويب من «ت»

(الزيتونة) .

(٤) في «ج» نطقه . وفي «ك» نطقه .

(٥) هكذا في «ج». وفي «ك» مركزة .

ومن شعره :

مالي ببابٍ غير^(١) بابك موقوف هذا مقامى ما حَيِّبْتُ فَإِنْ أُمْتُ
غرضى وأنت به عليم لمحنةٌ وعليك ليس على سواك مُعَوَّلِي

لا^(٢) ولا لى عن فنائك مَصْرَفٍ فالذل مأوى للضراعة مَأْلَفٍ
تذر الشَّتِيَتِ الشَّمْلَ وهو مؤلَّفٌ جاروا على لأجل [ذا أو أُلصَفُوا]^(٣)

ومن المنظومات فى التجنيس :

يقال خِصَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَلْفٌ وَمِنْ جَمْعِ الْخِصَالِ الْأَلْفُ سَادَا وَيَجْمَعُهَا الصَّلَاحُ فَمَنْ تَعَدَّى
منه فى المعنى :

إِنْ شِئْتَ فَوْزاً بِمَطْلُوبِ الْكِرَامِ غَدَاً فَامْسُكْ مِنَ الْعَمَلِ الْمَرْضَى مِنْهَا جَا
واغلب هوى النفس لا تفرُّك خادعة فكل شىء يحيطُ القدر منها جَا

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مراراً عدة تشدُّ عن الحصر ، أوجبتها الدواعى بطول عمره ،
من طلب العلم وروايته ، وحاجة طامة ، واستدعاء سلطان ، وقدم من سفارة .
كان الناس يَنسَلُونَ^(٤) عليه ويفشون منزله ، فيما أدركت ، كلما تَبَوَّأ ضِيَاةَ
السلطان ، تبرُّكاً كما به ، وأخذاً عنه .

مولده

ولد ببِلَشْ بلده فى حدود تسع وأربعمين وستائة

-
- (١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » غيرك . وهو تحريف .
(٢) هكذا وردت فى المخطوطين والملكية . وفى « ك » كلا .
(٣) وردت هذه العبارة محرفة فى المخطوطين : دك وأنصف .
(٤) فى « الملكية » يتسلون .

وفاته

توفي ببِلْسُ سَحَر^(١) يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وعشرين وسبعمائة . ومن وراثه شيخنا ، نسيج وحده ، العالم الصالح الفاضل ، أبو الحسن بن الجيَّاب بقصيدة أولها :

على مثله خضابة الدهر فاجع تفيض نفوسٌ لا تفيض المدامع
ورثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين رحمه الله ، بقصيدة أولها :
أيساعد رائده الأمل أم يُسمع سائله الظلم
يا صاح فديتُك ما فعلتَ ذا من الأحباب وما فعلوا^(٢)
فأجاب اللمعُ مناديه أَمَا الأحباب فقد رحلوا^(٣)

ورثاه من هذه البلدة طائفة ، منهم الشيخ الأديب أبو محمد بن المربع الآني اسمه في العيادة له ، بحول الله ، بقصيدة أولها :

أدعوك ذا جزع لو أنك سامع ماذا أقول ودمع عيني هامع
وأنشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها :
عبرة تفيض حزناً وُشكلاً وشجونٌ تعم بعضاً وكُلاً
ليس إلا صباية أضرمتها حسرةٌ تبعث الأسي ليس إلا
وهي حسنة طويلة .

إبراهيم بن محمد بن مُفَرِّج بن هَمَشِك

المتأثر ، روى^(٣) الأصل .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » منحرف

(٢) في المخطوطين : فعل رحل

(٣) يقصد بروي الأصل هنا ، قشقال أو إسد .

أُولَيْتَهُ

مُفْرَجٌ أَوْ هُمُشِكٌ^(١) ، من أجداده ، نصراني أسلم على يدي أحد ملوك بني هود
بِسَرَقِصْطَةَ ، نَزَحَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ مَقْطُوعَ إِحْدَى الْأُذُنَيْنِ ، فَكَانَ النَّصَارِيُّ إِذَا رَأَوْهُ
فِي الْقِتَالِ عَرَفُوهُ ، وَقَالُوا هَامُشِكٌ ، مَعْنَاهُ تَرَى الْمَقْطُوعَ الْأُذُنِ ، إِذْ « هَا » عِنْدَهُمْ
قَرِيبٌ مِمَّا هِيَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَ« الْمُشِكُ » الْمَقْطُوعُ الْأُذُنَيْنِ فِي لُغَتِهِمْ^(٢) .

نَبَاهَتُهُ وَظُهُورُهُ

وَمَا خَرَجَ بَنُو هُودٍ عَنِ سَرَقِصْطَةَ ، نَشَأَتْ خَمُولٌ ، إِلَّا أَنَّهُ شَهِيمٌ مَتَحَرِّكٌ ،
خَدِمَ بَعْضَ الْمُوَحِّدِينَ فِي الصَّيْدِ ، وَتَوَسَّلَ بِدَلَالَةِ الْأَرْضِ ؛ ثُمَّ نَزَعَ إِلَى مَلِكِ قَشْتَالَةَ
وَاسْتَقَرَّ مِنَ النَّصَارِيِّ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَقِيَّةِ اللَّمْتُونِيِّينَ^(٣) بِالْأَنْدَلُسِ بَعْدَ شَفَاعَةِ
وَإِظْهَارِ تَوْبَةٍ . وَمَا وُلِّيَ يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ قَرْطُبَةَ ، إِذْ تَسَمَّ لَدَيْهِ بِرِسْمِهِ . ثُمَّ كَانَتْ الْفِتْنَةُ
عَامَ تِسْعَةِ وَثَلَاثِينَ [وَثَارٌ]^(٤) ابْنِ حَمْدِينَ^(٥) بِقَرْطُبَةَ ، وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَبَعَثَهُ رَسُولًا ثِقَةً بِكِفَايَتِهِ وَدَرَبَتِهِ وَعَجْزَةِ لِسَانِهِ ، لِمَحَاوَلَةِ الصَّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
ابْنِ حَمْدِينَ ، فَأَغْنَى وَنَبِهَ قَدْرَهُ ؛ ثُمَّ غَلَى مَرِجْلَ الْفِتْنَةِ وَكَثَرَ الثَّوَارَ بِالْأَنْدَلُسِ ،

(١) ترسم بالإسبانية Hamusco ومن ثم كان ضبطها على هذا النحو .

(٢) وأصلها بالقشتالية He mochico ومعناها ها هو المقطوع أو المصاب . وأما مقطوع الأذن

فهى بالقشتالية El desorejado .

(٣) أي المرابطين ، وهم كما رأينا ينتسبون إلى قبيلة لتونة .

(٤) هذه الكلمة واردة في « ج » والملكية . وساقطة في « ك » .

(٥) ورد اسمه في « ج » (ابن أحمد) . وفي « ك » (ابن أحمد) وكلاهما تحريف . وصوابه

(ابن حمدين) . وابن حمدين هذا هو القاضي أبو جعفر بن حمدين بن محمد بن علي بن حمدين . ثار

بقرطبة في رمضان سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، واستبد بحكمها ، وتلقب باسم المنصور بالله ، وحكمها

في البداية نحو أسبوعين ، ثم انتزعها منه سيف الدولة بن هود لأيام قلائل وعاد ابن حمدين إلى رياسته واستمر

في رئاسة قرطبة رهاء عشرة أشهر ، ثم انتزعها منه ابن غانية زعيم المرابطين بالأندلس ، وفر ابن حمدين

ناجياً بنفسه . راجع الحلة السيراء لابن الأبار (دوزى) ص ٢٢٥ و ٢٢٨ . (والقاهرة) ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٥

وعصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس لمحمد عبد الله عنان ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٤ .

فاتصل بالأمير ابن عياض بالشرق وغيره ، إلى أن تمكن له الامتزاز^(١) بحصن
 مَقُوبَش ، ثم تغلب على مدينه شَقُورَة^(٢) وتملكها وهي ما هي من التُّعْمَة ، فغلظ
 أمره ، وساوى محمد بن مَرْدَنِيَش^(٣) أمير الشرق وداخله ، حتى عقد معه صهراً
 على ابنته ، فانصلت له الرياسة والإمارة . وكان يُعد سيفاً لصهره المذكور ، مُسَلِّدًا
 على من عصاه ، فقاد الجيوش ، وافتتح البلاد إلى أن فسَد ما بينهما ، ففتننا
 وتقاطعا ، وانحاز بمالديه من البلاد والمعاقِل ، وعُدَّ من ثوار الأندلس أولى الشوكة
 الحادَّة ، والبأس الشديد ، والشُّبَا المرهوب . وآثاره بعد انقباض دولته تشهد
 بما تأنل من مُلك وسَلَف من الدولة ؛ والدَّار الآخرة خير لمن اتقى . قال ابن صفوان :
 وديار شكوى الزمان فَتَشُكُّ^(٤) حَدَّثَنَا عَنْ عَزَّةِ ابْنِ هُمَشِك

حاله

قال محمد بن أيوب بن غالب ، المدعو بابن حمامة : أبو إسحاق الرئيس ، شجاع
 بِهَمَّةٍ من البهيم^(٥) . كان رئيساً شجاعاً مقداً شديداً الحزم ، سديد الرأي ، عارفاً
 بتدبير الحرب ، حمى الأنف ، عظيم السَّطْوَة ، مشهور الإقدام [مُرْتَكِبًا للعظيمة]^(٦) .
 قال بعض من عرف به من المؤرخين ؛ وهو وإن كان قائد فرسان ، هو حليفُ
 قنته وغُدَّوان ، ولم يصحب قط متشرِّعاً ، ولا نشأ في أصحابه من كان متورِّعاً ،
 سلَّته الله على الخلق ، وأملى له فأضر بمن جاوره من أهل البلاد ، وحُجِبَ إليه
 العيث في العباد .

(١) هكذا في «ج» والملكية . والإمتزاز أى الامتناع .

(٢) سبق التعريف بمدينة شقوره Segura de Sierra (أنظر الحاشية في ص ١٧٣) .

(٣) سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ٢١٨) .

(٤) وردت في المخطوطين : فتشك .

(٥) تطلق على الشجاع الذى يستبهم على أقرانه مئاته . والبهمة هى الصخرة الصامته .

(٦) وردت في «ك» ، مرتكب العظيمة . ولكنها وردت محرفة في «ج» (مرتكباً للطيمة) .

سيرته

كان جباراً قاسياً ، فظاً غليظاً ، شديد النكال ، عظيم الجرأة والعبث بالخلق ؛ بلغ من عيئه^(١) فيهم ، إحراقهم بالنار ، وقذفهم من الشواهد والأبراج ، وإخراج الأعصاب والرباطات عن ظهورهم ، عن أوتار القيرى بزعمه ، وضم أغصان الشجر العادى بعضها إلى بعض ، وربط الإنسان بينها^(٢) ، ثم تسريحها ، حتى يذهب كل غصن بحظه من الأعضاء ؛ وراه بعض الصالحين في النوم بعد موته ، وسأله ما فعل الله بك فأنتده :

من سره العيث في الدنيا بخلفة من يصور الخلق في الأرحام كيف يشا
فليصبر اليوم صبرى تحت بطشه مغالاً^(٣) يمتلئ جمر الغضا قرشا

شجاعته

زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره متصديداً ، وفي صحبته محاولو اللهو^(٤) وقارعو أوتار الغناء^(٥) ، في مائة من الفرسان ، وتقاوة أصحابه ؛ فمارعهم إلا خيل العدو هاجمه على غرة ، في مائتي^(٦) فارس ضعف عددهم ؛ فقالوا العدو في مائتي فارس ، فقال وإذا كنتم^(٧) أتم مائة ، وأنا مائة ، فنحن قدرهم ؛ فعد نفسه بمائة . ثم استدعى قدحاً من شرابه ، وصرف وجهه إلى المغنى ؛ وقال أعد^(٨) لي تلك الآيات ، كان يفنيه بها فتعجبه :

(١) وردت في «ج» ، عبث . وفي «ك» غشه .

(٢) في «ج» بينهما .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ح» مغلا .

(٤) هكذا في الملكية ، وفي «ج» الهوى .

(٥) وردت في المخطوطين وفي الملكية ، أوتار عنى :

(٦) وردت في المخطوطين والملكية : مائتين . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : كان . والتصويب لازم للسياق .

(٨) وردت في المخطوطين : عد .

يتلقى النداء بوجهٍ حيٍّ وصدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكون المعالي طرق الجدد غير طرق المزاح
فقتناه بها ، واستقبل العدو ، وحمل عليه بنفسه وأصحابه ، حامة رجل واحد ،
فاستولت على العدو الهزيمة ، وأتى على معظمهم القتل ، ورجع غانماً إلى بلده .
ثم ضربت الأيام ، وعاود التصيد في موضعه ذلك ، وأطلق بآزه على حجلة ، فأخذها ،
وذهب ليذكيها ، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت ، فبينما هو يلتبسهُ ،
إذ رأى نصلاً من نصال المعتك من بقايا يوم الهزيمة ، فأخذ من التراب ، وذبح
به العائر ، ونزل واستدعى الشراب ، وأمر المغني فغناه يتي أبي الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بجر عوالينا ومجرى السوابق
وصحبة قوم يذبجون قتيصهم بفضلات ما قد كسروا في المفارق
وقد رأيت من يروى هذه الحكاية عن أحد أمراء بني مرديش ، وعلى كل
حال فهي [من] (١) مستظرف الأخبار .

دخوله غرناطة

قالوا ، وفي سنة ست وخمسين وخمسة ، في جمادى الأولى منها ، قصد إبراهيم
ابن هشام بجمعه مدينة غرناطة ، وداخل طائفة من ناسها ، وقد تشاغل الموحدون
بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب ، وتوجه الوالي بقرناطة السيد [أبي] (٢)
سعيد إلى المدونة ، فاقحمها ليلاً واعتصم الموحدون بقصبتها ، فأجاز بهم (٣) بأنواع
الحرب ، ونصب عليهم المجانيق ، ورمى فيها من ظفر به منهم وقتلهم بأنواع من
القتل . وعند ما اتصل الخبر بالسيد أبي سعيد ، بادر إليها فأجاز البحر ، والتف (٤)

(١) زيادة يقتضها السياق . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) وردت في المخطوطين وفي الملكة : أبو . وهو تعريف يقتضى التصويب .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية ، لهم .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» . ومكانها بياض في «ك» .

به السيد أبو محمد [بن] ^(١) أبي حفص بجميع جيوش الموحدين والأندلس؛ ووصل الجميع إلى ظاهر غرناطة ، وأصحرو إليهم ابن همشك ، وبرز منها ، فالتقى الفريقان « بمرج الرقاد » ^(٢) من خارجها ، ودارت الحرب بينهم ، فانهزم جيش الموحدين ، واعترضت الفلّ نخومُ الفدادين ^(٣) وجداول المياه التي تتخلل المَرَج ^(٤) ، فاستولى عليهم التمل ، وقتل في الواقعة السيد أبو محمد ؛ ولحق السيد أبو سعيد بمالقة ؛ وعاد ابن همشك إلى غرناطة فدخلها بجُملة من أسرى القوم ، أفخس فيهم المُثلة ، برأى من إخوانهم المحصورين ؛ واتصل الخبير بالخليفة بمرأ كش ، وهو بمقربة ^(٥) سَلا ، قد فرغ من أمر عدوه ^(٦) ، فجهز جيشاً ، أصحبه السيد أبا يعقوب ولده ، والشيوخ أبا يوسف بن سايمان زعيم وقته ، وداهية زمانه ؛ فأجازوا البحر ، والتقوا ^(٧) بالسيد أبي سعيد بمالقة ، وتتابع الجمع ، والتف بهم من أهل ^(٨) الجهاد من المطوعة ، واتصل منهم السير إلى قرية دِلَر ^(٩) من قرى غرناطة ؛ وكان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذي أمده بنفسه ^(١٠) وجيشه ، من نصارى وغيرهم ، ما يأتي ذكره عند اسم ابن مرّديش في الموحدين ، في حرف الميم بحول الله تعالى .

(١) وردت في «ك» . وأغفلت في «ج» .

(٢) كان هذا الاسم يطلق على موضع بظاهر غرناطة على بعد بضعة كيلو مترات من قرية الطرف Atarfe في سفح جبل البيرة Sierra de Elvira على مقربة من نهر شنيل . ومقابلها الحديث هو Merrojal أو Majorrocal (S. de Lucena Al - Andalus 1944, p. 505)

(٣) أي الحدائق والبقاع .

(٤) هو مرج غرناطة الشهير La Vega . وقد سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ٩٩)

(٥) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» بقربة . وفي الملكية (وهو بقربة من) .

(٦) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» ، عوده .

(٧) وردت في المخطوطين : وتلقوا . وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٨) أثبتها «ك» ، وأغفلها «ج» .

(٩) هكذا ورد اسمها صحيحاً في «ج» . وفي «ك» دلن ، وهو تحريف . وقرية دِلَر ما تزال

تقوم حتى اليوم . وتقع في جنوبي غرناطة على مقربة من قرية «البنول» وهي بالإسبانية Dilar

(١٠) هكذا في الملكية . وفي «ج» أمره بنفسه . وفي «ك» أمره لنفسه .

إنخلاءه للموحدين عما بيده

وجوازه للعدوة ، ووفاته بها

قالوا ، ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيس بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنيس إلى أن طلقها ، وانصرفت إلى أبيها ، وأسلمت إليه ابنا منه ، مختارة كنف أبيها إبراهيم ، نازعة في انصرامه إلى عروقتها ، فلقد حكى أنها سئلت عن ولدها ، وإمكان صبرها عنه ، فقالت : جرو كلب ، جرو سوء ، من كلب سوء ، لاجابة لي به ، فأرسلت كتبها في نساء الأندلس مثلاً ، فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة ، وعظمت المحنة ، وهلك بينهما من الرعايا الأمروردين ، المضطرين ، بقنينة^(١) الثوار ممن شاء الله بهلاكه ، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير^(٢) ملكه .

ولما صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده ، وتغلب على كثير منها ، خدم ابن هُمشك الموحدين [ولاذ بهم]^(٣) واستجارهم ، فأجاز البحر ، فقدم على الخليفة عام خمسة وستين وخمسة ، وأقره بمواضعه ، إلى أوائل عام أحد وسبعين ، فطولب بالانصراف إلى العدوة بأهله وولده ، وأسكن مكناسة وأقطع بها ساماً^(٤) لها خطر ، واتصلت تحت عنايته إلى أن هلك

وفاته

قالوا ، واستمر^(٥) مقام ابن هُمشك بمكناسة غير كبير ، وابتلاه الله بفالج

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وقنينة أعنى حظيرة .

(٢) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : تدبر . وواضح أنه تعريف لكلمة تدمير وهو ما يؤيده سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في « ج » والملكية ، وأغفلها « ك » .

(٤) هكذا في المخطوطين والملكية ، والسوام والسائمة أى الإبل الراحية .

(٥) وردت في المخطوطين : واستمر وهو تعريف .

غريب الأعراض ، شديد سوء المزاج ، إلى أن هلك ؛ فكان يدخل الحمام الحار ، فيشكو حرّه بأعلى صراخه ، فيخرج ، فيشكو البرد كذلك ، إلى أن مضى سبيله .

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد
عُمان بن أمير المسلمين^(١) أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
يكنى أبا سالم .

أوليته

الشمس تخبر^(٢) عن جلي^(٣) ، وعن حائل . فهو البيت الشهير ، والجلال
الخطير ، والملك الكبير ، والفلك الأثير ، دلاك المسلمين ، وحمّاة الدين ، وأمرأه
للمغرب الأقصى من بني مرين^(٤) ؛ غيوت المواهب ؛ وليوث العرين^(٥) ، ومعتمد
الصريح ، وسهام الكافرين . أبوه السلطان أبو الحسن ، الملك الكبير ، البعيد^(٦)
شأو الصيت والهمة والعزيمة ، والتحلّي بجلي السنة ، والإقامة لرسوم الملك ،
والاضطلاع بالهمة ، والصبر عند الشدة . وأخوه أمير المسلمين ، فذلّة الحسب ،

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» ، أمير المؤمنين . وهو سهو .

(٢) في المخطوطين : تنكر . وفي الملكية يمكن . والتصويب من «ت» . (انزوتونة)

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية «حال» .

(٤) بنو مرين هم بطن من بطون قبيلة زفاعة البربرية الشهيرة ، وكانوا في بداية أمرهم من
القبائل البدوية المتنقلة . وفي أوائل القرن السابع الهجري ساروا نحو المغرب الأقصى ، ونفذوا إلى
أراضي الموحدين . وكانت دولة الموحدين تجوز دور انحلالها . وبدأت المعارك بينهم وبين الموحدين
فظهروا عليهم نباعاً واستولوا على فاس سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) ، ثم استولوا على مراكش سنة ٦٦٩ هـ
(١٢٦٩ م) وانتهت بذلك دولة الموحدين . وقامت مكانهم دولة بني مرين في المغرب الأقصى من ذلك
الحين . واشتد بأسها وسطع نجمها . وظهر فيها ملوك عظام مثل أبي يوسف يعقوب منشيء دولتهم ، وأبي
الحسن علي بن عثمان ، وولده أبي عثمان فارس . ثم أبي سالم إبراهيم ، (وهو المترجم هنا) . وقد لبثت
دولة بني مرين دهوراً عظيماً بالأمم شرناطة بالأندلس . وقد عبروا البحر مراراً وفكراراً لغونها وإيجادها

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : البحر . وأذول أرحح وأصلح للسياق .

(٦) هكذا في «ج» . وفي «ك» : البعيد .

ونير النُصْبَة ، وبَدْرَة المعدن ، ويدت القصيد ، أبو عنان ، فارس ؛ الملكُ الكبير ،
العالمُ المتَّحَبِّرُ ، العاملُ النظَّارُ ، الجواد ، الشجاع ، القسور . الفصيح ، مدد السعادة ،
الذي خرق الله [به] ^(١) سياج العادة ؛ فما عسى أن يطلبَ اللسان ، وأين تقع
العبرة ، وماذا يحصرُ الوصف . عينُ هذا المجد فوّارة ، وحَسْبُ هذا الحَسَبِ
اشتهاره ، قولاً بالحق ، وبعداً عن الإطراء ، ونشراً للواء النِّصْفَة ، حفظ الله
[على] ^(٢) الإسلام ظلهم ، وزينَ بيدور الدين والدنيا هاتهم ، وأبقى الكلمة
فيمين اختاره منهم .

حاله

كان شاباً ^(٣) كما تطلع وجهه ، حسن الهيئة . ظاهر الحياء والوقار ، قليل الكلام ،
صليقة عن اللفظ ، آدم اللون ^(٤) ، ظاهر السكرن والحيرانية والحشمة ، فاضلاً ،
متخلتاً ؛ قدمه أبوه ، أمير الرتبة ، مؤفّي الألقاب ، بوطن سِجِلْمَاسَة ، وهي عمالة
ملكهم ^(٥) ، فاستحق الرتبة في هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه .
ولما قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده ؛ أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشّت ،
ويجمع الكلمة ، ويصون الدِّمًا سبجانه ^(٦) أحوج ما كانت الدنيا إليه ، وصير
[إلى وارثه طواعية] ^(٧) وقسراً ومستحقاً وغلاباً ، وسَلَمًا ، وذاتاً وكسباً ،

(١) زيادة يستلزمها السياق .

(٢) أنبتها « ك » . وأغفلها « ج » .

(٣) في المخطوطين : شيا .

(٤) أعنى أسمر اللون .

(٥) هكذا وردت في « ت » وفي الملكية . وفي المخطوطين ملك . والأولى أرجح .

(٦) وردت فقط في « ج » . ومكانها يياض في « ك » .

(٧) وردت هذه العبارة محرفة في « ج » (إلى وازنه طوعية) . ومكانها يياض في « ك » .

والتصويب من « ت » (الزيتونة) .

السلطان اخيه ، تحصل هو | وأخ له |^(١) اسمه محمد ، وكنيته أبو الفضل ، يأتي التعريف بحاله في مكانه إن شاء الله ؛ فأبقى^(٢) ، وأغضى ، واجتنب الهوى ، وأجاب داعي البر والشفقة والتوى ، فصرفهما إلى الأندلس ؛ باشرت إركابها البحر بمدينة سلا ثاني اليوم الذي انصرفت من بابه ؛ وصدرت عن بحر جوده ، وأفضت بإمادة عنايته ، مُصْحَباً بما يعرض^(٣) لسان الثناء من صنوف كرامته ، في غرض السفارة عن السلطان بالأندلس ، نعمه الله برحمته ؛ ونزل مَرَبَّةً^(٤) من بلاد الأندلس المصروفة إلى نظره ، واصلاً السير إلى غرناطة .

دخوله غرناطة

قدم هو وأخوه عليها ، يوم عشرين من جمادى الأولى ، من عام اثنين وخمسين وسبعمائة . وبرز السلطان إلى لقاءهما ، إبلاغاً في التَّجَلَّة ، وانحطاطاً في ذمة^(٥) التَّخَلُّق ؛ فسعيًا إليه مُرْتَجِلِينَ ، وفلوضهما^(٦) ، حتى قُضِيَت الحقوق ، واستقرَّجت^(٧) قَتْنَدَه وجرايته ، ودلاً بأحظى الأمكنة ، واحتفياً^(٨) في سرير مجلسه مقسومٌ بينهما الحظ ، من هَشْتِه ولَحْظَتِه ؛ فأما محمد فسوّلت له نفسه الأطماع ، واستقرَّته الأهواء ، أمراً كان قاطع أجله ؛ وسعد أخيه اختاره الله من

-
- (١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » أخوه .
 (٢) وردت في المخطوطين : فانى . والتصويب من « ت » .
 (٣) هكذا وردت في « ج » و « ت » والملكية . وفي « ك » يخرس .
 (٤) ورد اسم هذا المكان محرفاً في المخطوطات الأربعة : في « ك » جربله . و « ج » جذبله .
 و « ت » والملكية جربة . والمرجح المقصود ، هو مريلة ، وهي من ثغور الأندلس الجزرية . وقد سبق التصريف بها (الماشية في ص ١٩٧) وكانت وقتئذ من الثغور الأندلسية التي بيد بني مرين .
 (٥) هكذا وردت في « ج » والملكية . وفي « ت » محرفة نعة . ووردت في « ك » دست .
 (٦) هتندا في « ج » . وفي « ك » قارضها .
 (٧) في « ج » واستقرحت . وفي « ك » استقرج . والتصويب من « ت » والملكية .
 (٨) في « ت » ، وانة : او كذا في « ج » . وفي المخطوطين : اخنى .

دونه . وأما إبراهيم المترجم به ، فجنح إلى أهل^(١) العافية ، بعد أن ناله اعتقال ، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس ؛ في الأخريات لشهر ذي حجة من عام تسعة وخمسين وسبعائة ، وتقديم ولده الصبي ، المكنى بأبي بكر ، المسمى بسعيد ؛ لنظر وزيره في الحزم والكفاية ؛ حرّكه الاستدعاء ، وأقلقتَه^(٢) الأطماع وهبّ به السائل^(٣) . وعرض بفرضه إلى صاحب [الأمر]^(٤) بالأندلس ؛ ورفق عن صبوحة ، فشكا إلى غير مُصمت ؛ فخرج من الجزيرة ليلا من بعض مجارى المياه ، راكباً للخطر ، في أخريات جمادى الأولى من العام بالحضرة المكتبة الجوار ، من ثغور العدو ، ولحق بملك قشتالة ، وهو يومئذ بإشبيلية ، قد شرع في تجرية إلى عدوه من برجلونه^(٥) ؛ فطرح عليه نفسه ، وعرض عليه مخاطبات استدعائه ، ودس له المطامع المرتبطة بحصول غايته ، قبل سعايته ، وجهازه جفناً من أساطيله ، أركب فيه ، في طائفة تحريكه ، وطعن بحر المغرب إلى ساحل أزمور^(٦) ، وأقام به منتظراً إلى إنجاز المواعد ، ممن يراکش ، فألنى [الناس]^(٧) قد حطّبوها في حبل منصور بن سليمان ، وبايعوه بجملةهم ، فأخفق مسعاه ، وأخلف ظنه ، وقد أخذ منصور بمخنق البلد الجديد دار ملك فاس^(٨) ، واستوثق له الأمر ،

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة . (أصل) وقد رجحنا هذا التصويب لأنه أنسب للسياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطتين : قلعه . وفي «ت» وقلعت .

(٣) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» و«الملكية الرسائل» والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» و«ت» ، وساقطة في «ك» .

(٥) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة : في «ج» و«ك» و«الملكية» ، رحلونه . وفي «ت»

رجوله . والصواب (برجلونه) أو برشلونة ، وهي يومئذ عاصمة مملكة أراجون .

(٦) أزمور أو أزمورة من ثغور المغرب الأقصى الغربية ، وتقع شمالاً على المحيط بعد رباط الفتح

شمال مراکش .

(٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطتين . وواردة في «ت» .

(٨) وردت في «ج» دار ملك فارس ، وهو تحريف ، والمقصود فاس . والبلد الجديد صاحبها

الملكية ، وكانت مقر ملك بني مرين .

فانصرف البَجْفَنُ أدراجَه . ولما حاذى لبلاد غمارة من أحواز أصيلاً^(١) ، تنادوا به^(٢) قومٌ منهم . وانحدروا إليه ، ووعدوه الوفاء له ، فنزل إليهم ، واحتملوه ففرق أكتأدهم ، وأحدقوا^(٣) به في سفح^(٤) جبلهم . وتنافسوا في الذب عنه . ثم كبسوا^(٥) أصيلاً فلكوها [وضيق بطنجة]^(٦) ، فدخلت في أمره ، واقتدت بهاسبتة ؛ وجبل الفتح ؛ واتصل به بعض الخاصة ، وخاطبة الوزير المحصور . وتخاذل أشياع منصور ، فخذلوه^(٧) ، وفروا عنه جباراً ، بغير علة ، وانصرفت الوجوه إلى السلطان أبي سالم . فأخذ بيعاتهم عَفَوا^(٨) ، ودخل البلاد المحصور ، وقد تردد بينه وبين الوزير المحصور . مخاطبات في رد الدعوة إليه ؛ فدخل البلاد يوم الخميس خامس عشرة شعبان من عام التاريخ ؛ واستقر^(٩) وجدد الله عليه أمره ، وأعاد ملكه ، وحرف عليه حقه ؛ وبلى^(١٠) هذا الأمير من سير الناس إلى تجديد عهد أبيه ، وطاعتهم إلى أمره ، وجنوحهم إلى طاعته ، وتمني مدته ؛ حال^(١١) غريبة ، صارت عن كسب إلى أضعافها ، فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه ، فالتقط من الصبية بين مُراهق ومُحتلم ومُستجمع ، طائفة تناهز العشرين ؛ غلماناً

(١) هي من ثنور المغرب الأقصى الغربية . وتقع على المحيط جنوبي طنجة .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» تندر . والأصوب أن يكون الفعل بالمفرد . ولكنه يرد قبل

الفاعل بالجمع في أحيان كثيرة . وهذه خاصة في بعض الأساليب الأندلسية المتأخرة .

(٣) وردت في المخطوطين : وأحزنوا . والتصويب من «ت» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» سطح .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : كسبوا . وهو تحريف ظاهر .

(٦) وردت في المخطوطين : (وصينوا لطنجة) وهو تحريف . والتصويب من «ت»

(٧) هكذا في «ج» و«ت» . وفي «ك» (فقدروه) والمعنى واحد .

(٨) هكذا وردت في «ج» و«ت» . وفي «ك» عنوا .

(٩) هكذا في المخطوطين : وفي «ت» واستنقذ .

(١٠) هكذا في المخطوطين وفي «ت» وأخذ .

رَدَنَةً ، قُتِلُوا إِغْرَانًا مِنْ غَيْرِ شُفْعَةٍ^(١) تَرَجِبُ إِبَاحَةَ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَرَأَى أَنْ
 قَدْ | خَلَّاهُ الْجَوُ|^(٢) ، فَتَوَاسَلَ ، وَآثَرَ الْحُجْبَةَ . وَأَشْرَكَ الْأَيْدَى فِي مُلْكِهِ ؛
 فَاسْتَبِيحَتْ أَمْوَالَ الرِّعَايَا ، وَضَافَتْ^(٣) الْجَبَايَا . | وَكَثُرَتِ الظَّلَامَاتُ |^(٤) . وَأَخَذَ
 النَّاسُ حَرَمَانَ العَمَاءِ ، وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الإِرْجَافِ . وَحُدَّتْ | أَبْوَابُ |^(٥) القَوَاطِعِ .
 إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ .

وَفِي أَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ عَامٍ وَاحِدٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . تَحَرَّكَ الحَرَكَةُ العَظْمَى إِلَى
 تَلْمِيزَانِ . وَقَدْ اسْتَدْعَى الجِهَاتِ ، وَبَعْضَ البِلَادِ . وَنَهَدَ فِي جِيُوشِ تَجْرِ الشُّوكِ
 وَالحَجَرِ ، فَفَرَّ سَلَاتِمُهَا أَمَامَ عِزْمِهِ^(٦) ، وَطَارَ الذُّعْرُ بَيْنَ يَدَيْ الضَّلَالَةِ ؛ وَكُنَّا قَدْ
 اسْتَعْتَنَّا التَّرَارَ فِي إِيَالَتِهِ^(٧) ، وَانْتَهَى بِنَا الإِزْعَاجِ إِلَى سَاحِلِ سَلَا مِنْ سَاحِلِ
 مَمْلَكَتِهِ ؛ فَنَخَاطَبْتُهُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَقِيمٌ بِتُرْبَةِ أَبِيهِ . مُتَدَمِّمٌ بِهَا . فِي سَبِيلِ اسْتِخْلَاصِ
 أَمْلَاكِي بِالْأَنْدَلُسِ ، فِي غَرَضِ التَّهْنِئَةِ وَالتَّوَسُّلِ :

«مَوْلَايَ ، فَتَّاحُ الأَقْدَارِ وَالْأَمْصَارِ ، فَائِدَةُ الزَّمَانِ وَالْأَعْصَارِ ، أَثِيرُ هِيَاةِ اللَّهِ
 الْآمِنَةِ مِنَ الْاِعْتِصَارِ ، قَدْوَةٌ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ » .

وَفَاتِهِ

وَفِي لَيْلَةِ العِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي قَعْدَةِ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، ثَارَ عَلَيْهِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ج » وَ « ت » شَفْعَةٌ . وَالْأُولَى أَنْسَبُ لِلسَّبَاقِ .

(٢) وَرَدَتْ مَحْرُفَةً فِي المَخْطُوطِينَ هَكَذَا : (حَلَالُهُ الحَقُّ) .

(٣) هَكَذَا فِي « ت » . وَفِي « ج » ، وَصَوَّبْتُ . وَفِي « ك » وَصَرَّبْتُ .

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ العِبَارَةُ مَحْرُفَةً فِي المَخْطُوطِينَ : (وَكَانَ الظُّلَمَاتُ)

(٥) هَذِهِ الكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي « ك » . وَوَارِدَةٌ فِي الرَّشْرِيزِ .

(٦) هَكَذَا فِي المَخْطُوطِينَ . وَفِي « ت » العِزْمِ .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي المَخْطُوطِينَ . وَفِي « ت » أَضْلَهُ .

بدار الملك . وباد الإمارة المعروف | بالبلد الجديد^(١) . من مدينة فاس .
 الغادر^(٢) مُخْلِفه عليهما عمر بن عبد الله بن علي . نَسَمَةُ السوء ، وَجُمَلَةُ الشَّرِّم .
 المثل البعيد في الجرأة على قَدَر . اهتبل^(٣) غرة انتقاله . إلى التمر السلطاني .
 بالبلد القديم . مُحْتَوِلاً إليه . حَذِرًا من قاطع فلَكِي | الجدر منه^(٤) استعجله ضعف
 نفسه . وأعانه على فرض صحته به . وسدَّ الباب في وجهه ، ودعا الناس إلى بيعة
 أخيه المعتوه ؛ وأصبح حائراً بنفسه ، يروم استرجاع أمر ذهب من يده . ويطوف
 بالبلد . ياتمس وجهاً إلى نجاح حيلته^(٥) . فأعياد ذلك . ورشقت من معه السبام .
 وفرّت عنه الأجناد والوجود ، وأسلمه الدهر ، وتبرأ منه الجُدُّ ؛ وعندما جنَّ عليه
 الليل ، فرَّ على وجهه ، وقد التفت عليه الوزراء . وقد سُفِّت أحلامهم . وظلت
 آراءهم ؛ ولو قصدوا به بعض الجبال المنبعا ، لوَّوا وجوههم شامِراً مظنَّةً إخلاص ،
 واتصفوا بمنار الإقلاع^(٦) ؛ لكنهم نكلوا عنه . ورجعوا أدراجهم . وتسللوا
 راجعين إلى بَرِّ غادِر^(٧) الجملة . وقد سلمهم الله لباس الحياء والرجلة^(٨) . وتأذَّن
 الله لهم بسوء العاقبة ؛ وقصد بعض بيوت البادية ، وقد فضحه نهار الغداة^(٩) .

(١) وردت هكذا في «ت» . وفي المخطوطين : «البلد القديم الجديد» وعلى كلمة تقدمه علامة تدل على الشك . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : العامد ؛ وفي «ت» : المعادي . وفي الملكية «الغادي» والتصويب أرجح للسياق .

(٣) أي احتال وانغم .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين والملكية . وفي «ت» (الجد رقية) .

هو حذره من نبوءة على حظه .

(٥) هكذا في «ت» : وفي المخطوطين : حابه .

(٦) هكذا في الملكية . وفي «ج» بغير الإبلاغ . وفي «ت» بغير الإبلاغ .

(٧) هكذا وردت في «ج» وفي «ت» (من عادر) وفي «ك» (من عادي) . وهو تحريف .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الرسلة) . والرجله أي الرجولة .

(٩) هكذا وردت في «ت» . ووردت محرقة في المخطوطين : (العدو) .

واقْتَنَى البعث^(١) أثره ، حتى وقعوا عليه ، وسِيَق إلى مصرعه ، وقتل بظاهر
البلاد ، ثابى اليه م الذى كان غدر فيه ، جعلها الله له شهادة [ونفعه بها] ^(٢) ،
فلقد كان بقيّة البيت ، وآخر القوم ، دماثة وحياء ، وبعُداً عن الشر ،
ورُكُوناً للعافية .

وأُنشِدتُ على قبره الذى ووريت به جثته بالقامة من ظاهر المدينة ، قصيدة
أدّيت فيها بعض حقه :

بنى الدنيا بنى لَمَعَ السَّرَاب لُدُّوا للموت وأبنوا للخراب

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص

عمر بن يحيى الهتاني ، أبو إسحاق

أمير المؤمنين بتونس ، وبلاد إفريقية ، ابن الأمير أبى زكريا ، أمير إفريقية ، وأصل
الملوك المتأثلين العزّ بها ، والفرع الذى دَوَّح بها ، من فروع الموحدّين بالمغرب ؛
واستجلابه بها أباً محمد عبد المؤمن بن علي ، أباً الملوك من قومه ، وتغلب ذريته على
المغرب وإفريقية والأندلس معروف كاه ، يفتقر بسطه^(٣) إلى إطالة كثيرة ، تخرج
عن الغرض .

وكان جدُّ هؤلاء الملوك من أصحاب المهدي ، فى العشرة الذين [هبوا لبيعته]^(٤)

(١) هكذا فى «ك» . وفى «ج» (اتبعت) . وساقطة فى «ت» والملكة .

(٢) وردت فى المخطوطين . وأغفلت فى «ت» .

(٣) وردت محرفة فى المخطوطين : سبطه .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «ك» . وفى «ج» (هبوا لبيعته) . وفى «ت» (هبوا اليه)

وفى الملكية (هبوا البيعة) .

وصَجِبُوهُ فِي غُرْبَتِهِ ، أَبُو حَفْص ، عَمْرُ بْنُ يَحْيَى ، وَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَوَلَدُهُ ^(١) مِنْ بَعْدِهِ ، مَرْفُوعُ الْقَدَرِ ، مَعْرُوفُ الْحَقِّ .

ولما صار الأمر للناصر أبي عبد الله بن المنصور ، أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي ، صرف وجهه إلى إفريقية ، ونزل بالمهدية ، وتلوك ^(٢) إليه ابن غانية ^(٣) فيمن لفه من العرب والأوباش ، في جيش يسوق الشجر والمدر ، فجهز إلى لقاءه عسكرياً لنظر الشيخ أبي محمد عبد الواحد ^(٤) بن أبي حفص ، جدهم الأقرب ، فخرج من ظاهر المهديّة في أهبة ضخمة ، وتعبية ^(٥) مُحْكَمَةٌ ، والتقى الجمعان فكانت على ابن غانية ، الدايرة ، ونصر الشيخ محمد نصراً لا كفاء له ، وفي ذلك يقول أحمد بن خالد من شعر عندهم :

فتوحُها شُدَّتْ عرى الملك والدين تراقبُ منا منكم غير مَمْنُونٍ
وفُتِحَتْ المهديّة على هيئة ذلك الفتح ، وانصرف الناصر إلى تونس ، ثم تقعد

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : ووالده . وهو تحريف ظاهر .

(٢) وردت في المخطوطين : (وقلول) . وهو تحريف . وفي « ت » والملكية (وآق) وهي في حيز هذا المعنى .

(٣) هو يحيى بن إسحاق المسوق المعروف بابن غانية الميورقي ، من أسرة بني غانية وهم أسرة من القواد المرابطين اشتهرت بالمغرب والأندلس . وكان بنو غانية حينما انهارت دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، قد استولوا على الجزائر الشرقية (وكبرهاها ميورقة) وأقاموا بها دولة مستقلة ، ووضعوا خطتهم لناوأة الدولة الموحدية ، وضرب سلطانتها في أفريقية أهم ولاياتها الشرقية . ونجح بنو غانية في تنفيذ خطتهم مدى حين . واستولوا بالتحالف مع الأعراب الخليليين على معظم ثغور ومدن إفريقية ومن بينها العاصمة تونس . ولبثت الدولة الموحدية ترسل لقتالهم البعوث دون جدوى . حتى كانت الحملة التي قادها الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص ، فاستطاع أن يسحق قوى يحيى بن غانية في موقعتين : الأولى سنة ٦٠٢ هـ ، والثانية في سنة ٦٠٦ هـ . وسحقت بذلك مغامرات بني غانية في إفريقية .

(٤) وردت في المخطوطين (أبي محمد بن عبد الواحد) . وفي « ت » عبد المؤمن . وهو تحريف ظاهر .

(٥) وردت في المخطوطين وكذا في الملكية : وتبية .

البلاد ، وأحكم ثقافتها^(١) ، وشرع في الإياب إلى المغرب ، وترجّح عنده تقديم
 أوى محمد بن أبى حفص المصنوع له بإفريقية ، على مُلْكها ، مستظهِراً منه بمضاء
 وسابقة وحزم ، بسط يده في الأموال ، وجعل إليه النظر في جميع الأمور ، سنة
 ثلاث وستائة . ثم كان اللقاء بينه وبين ابن غانية في سنة ست بعدها ، فهزم ابن
 غانية ، واستولى على محلته ، فأنصل سعده ، وتوالى ظُبره ، إلى أن هلك مشايحاً
 لقومه من بنى عبد المؤمن ، مظاهراً بدعوتهم عام تسعة وعشرين وستائة^(٢) .

وولى أمره بعده ، كبيرُ ولاءه ، عبد الله ، على عهد المستنصر بالله بن الناصر
 من ملوكهم ، وقد كان الشيخ أبو محمد زُوحَم ، عند اختلال الدولة ، بالسيد أبى العلاء
 الكبير ، عم أبى المستنصر على أن يكون له اسم الإمارة بقصبة تونس ، والشيخ
 أبو محمد على ما لسائر نظره ، فبقى ولده عبد الله على ذلك بعد ، إلى أن كان ما هو
 أيضاً معروف من تصير الأمر إلى المأمون أبى العلاء إدريس ، ووقعه السيف في وجوه
 الدولة بمراكش ، وأخذته بترّة^(٣) أخيه وعمه منهم . وثار أهل الأندلس على السيد
 أبى الربيع بعده بإشبيلية وجعجعوا^(٤) بهم ، وأخذوا في التشريد بهم ، وتبديد
 دعوتهم ، واضطربت الأمور ، وكثر الخلاف ، ولحق الأمير أبو زكريا بأخيه
 بإفريقية ، وعرض عليه الاستبداد . فأنف من ذلك . وأنكره عليه إنكاراً
 شديداً ، خاف منه على نفسه ؛ فلحق بقابس فأرأ . واستجمع بها مع شيخها
 مكى . وساف شيوخها اليوم من بنى مكى ، فهد له ، وتلقاه بالرحب ، وخاطب
 له الموحدین سرّاً . فوعده بذلك ، عند خروج عبد الله من تونس إلى الحركة .

(١) ثقافتها أى تخصينها . وقد وردت محرفة في « ت » ثقافتها .

(٢) هذا سهو تاريخي وقع فيه ابن الخطيب . والحقيقة أن وفاة الشيخ أبى محمد عبد الواحد وقعت

في سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) .

(٣) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » (بترّة) . والبترّة اللفة الكثيرة الدم . والمقصود

هنا الأخذ بالنار .

(٤) هكذا وردت في « ك » ؛ وفي « ج » والملكية وجمعوا . والأول أنسب للسياق .

من جبة الفيروان . فلما تحرك | نحو اعياه |^(١) ، وطلبوا منه المال ، وتلكتا ،
 فاستدعوا أخاه الأمير أبا زكريا ، فلم يرعه وهو قاعد في خبائه آمن في سريره ،
 إلا ثورة الجند به ، والتبض عليه ، ثم طردوه إلى مراكش ، وقعد أخوه الأمير
 أبو زكريا تمده ، وأخذ بيعة الجند والخاصة لنفسه ، . فبدأ بأمره ، ورحل إلى
 تونس . فأخذ بيعة العامة . وقتل السيد الذي كان بقصبتها ، وقبض أهل بجاية
 حين بلغهم الخبر على واليها السيد أبي عمران . فقلوه تغرقاً ، وانتظمت الدولة^(٢) ،
 وتأثرت الأور ، وكان حازماً داهية مشاركا في الطلب أديباً راجح العقل . أصيل
 الرأي . حسن السياسة . مصنوعاً له . موقفاً في تدبيره ، جي^(٣) الأموال . واقتنى
 العدد ، واصطنع الرجال ، واستكثر من الجليش . وهزم العرب ، وافتتح البلاد ،
 وعظمت الأمانة بينه وبين الخليفة بمراكش الملقب بالسعيد . وعزم كل منهما
 على ملاقاته صاحبه . فأبى القدر ذلك ، فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان .
 فهو معروف ، واتصل بأبي زكريا هلك ولده ولي العهد أبي يحيى ببجاية ، فعظم
 عليه حزنه وأفرط جزعه ، واشتهر من رثائه فيه قوله :

ألا جازعٌ يبكي لفقد حبيبه	فإني لعمري قد أضربني الشكل
لقد كان لي مالٌ وأهل فقدتهم	فإننا لا مالٌ لدى أهل ولا أهل
سأبكي وأرثي حسرة لفراقهم	بكاء قريح لا يملك ولا يسئل
فلهم في ^(٤) ليوم فرق الدهر بيننا	ألا فرجٌ يرجي فينظم الشمل
وإني لأرضى بالقضاء وحكمه	وأعلم ربي أنه حاكم ^(٥) عدل

(١) هكذا وردت في « ج » والملكية . وفي « ك » ، نحو اعنه . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » الدعوة . والأولى أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين : (مجي) . والمعنى يستقيم بالتصويب .

(٤) وردت في « ج » فلهجي . والتصويب في الملكية .

(٥) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، حكم . وبالأولى يستقيم الوزن .

نسبه^(١) ابنُ عَدَارِي المَرَاكِشِي فِي البِيَانِ المَغْرِبِ . وَاَعْتَلَّ بِطَرِيقِهِ فَمَاتَ
بِبِلَادِ العُنَابِ لِانْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ مِنْ مَهْلِكِ السَّعِيدِ ؛ وَكَانَ مَوْتَ السَّعِيدِ ؛ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، مُنْصَلِحِ
صَفْرِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَبُويعَ وَوَلِدُهُ الأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَتُونِسَ وَسَنَهُ إِحْدَى
وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَوَجَدَ مُلْكًا مُؤَسَّسًا ، وَجُنْدًا مُجَنَّدًا ، وَسِلَاحًا قَاهِرًا ، وَمَالًا^(٢) وَافِرًا ؛
فَبَلَغَ العَايَةَ فِي الجَبَرُوتِ وَالتَّيْبَةِ وَالتَّنْحُوَةِ وَالصَّافِ ، وَتَسَمَّى بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .
وَتَلَقَّبَ^(٣) بِالمُسْتَنْصِرِ بِاللهِ ؛ وَتَقَرَّبَ^(٤) عَلَيْهِ أَرْبَابُ دَوْلَتِهِ أُمُورًا ، أَوْجَبَتْ مَدَاخِلَةَ
عَمِّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ المَعْرُوفِ بِالأَحْيَانِيِّ . وَبِأَيَّتِهِ سَرَّأَ بَدَارَهُ . وَانْتَهَى
الْخَبْرُ لِمُسْتَنْصِرِ . فَعَاجَلَ الأَمْرَ قَبْلَ انْتِشَارِهِ بِرَأْيِ الحَزَنَةِ ؛ مِنْ خِصَّتِهِ . كَابْنِ
أَبِي الحُسَيْنِ . وَأَبِي جَمَلِ بْنِ أَبِي العَمَّالَاتِ بْنِ مَرْدَنِيشَ . وَظَافَرَ الكَبِيرَ ،
وَاصْدَوْا دَارَ عَمِّهِ فَسَكَبُوهَا^(٥) . فَفَتَلَوْا مِنْ كَانِ بِهَا . وَعَدَّتْهُمْ تَنَاهَزَ خَمْسِينَ ؛
مِنْهُمْ عَمُّهُ ؛ فَسَكَنَ الإِرْجَانِ . وَسَلِمَ المَنَازِعَ . وَأَعْدَلَتْ مَقَادِمَهَا^(٦) . وَاسْتَمَرَّتْ
أَيَّامُهُ . وَأَخْبَارُهُ فِي الجُودِ وَالجُرْأَةِ . وَالتَّعَاطُفِ عَلَى المَلُوكِ زَمَانَهُ . مَشْهُورَةٌ . وَكَانَتْ
وَفَاتَهُ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . [وَوَلَّى أَمْرَهُ]^(٧) بَعْدَهُ ابْنُهُ المَلْتَبُ بِلِوَالِقِ بِاللهِ .
وَكَانَ مَضْعُوقًا^(٨) ، وَلَمْ تَعُضْ مَدَّتُهُ .

عَادَ الحَدِيثَ ، وَكَانَ عَمُّهُ المُرْتَجِمُ ، لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ مَهْلِكُ أَخِيهِ المُسْتَنْصِرِ ، قَدْ أَجَازَ
البَحْرَ مِنَ الأَنْدَلُسِ ، وَلِحَقِّ بِيْتَامَسَانَ ، وَدَاخَلَ كَثِيرًا^(٩) مِنَ المُوَحِّدِينَ بِهَا ،

(١) وَرَدَتْ فِي المَخْطُوطِينَ : نَسَبِ . فِي المَلِكِيَّةِ نَسَبِ ذَا ، وَبِالتَّصْوِيبِ يَسْتَقِيمُ الكَلَامُ نَوْعًا .

(٢) وَرَدَتْ فِي المَخْطُوطِينَ : وَأَمَالًا .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ك » . وَفِي « ح » تَقَلَّبَ .

(٤) وَرَدَتْ فِي المَخْطُوطِينَ وَالمَلِكِيَّةِ : وَنَظْمِ . وَالتَّصْوِيبِ مِنْ « ت » .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ فِي المَخْطُوطِيَيْنِ : (فَجَا مَكْسُوبَهَا) وَهِيَ خَبْرٌ يَرْتَفِعُ ظَاهِرًا .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ح » وَالمَلِكِيَّةِ . وَفِي « ك » مَقَالِدُهَا . وَالمَعْنَى وَاحِدًا .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « ح » . وَوَرَدَتْ مَحْرَقَةً فِي « ك » (وَوَامِرُهُ) .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي المَخْطُوطِينَ . وَهِيَ كَلِمَةٌ يَكْثُرُ المُؤَلِّفُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا .

(٩) فِي المَخْطُوطِينَ : كَثِيرًا .

كأبي هلال ، فهياً له أبو هلال تَمَلَّك بِجَايَةٍ ، ثم تحرك إلى تونس ، فتغلب عليها ، قتل الواثق ، وطائفة من إخوته وبنيه ، منهم صبيٌ يسمى الفضل ؛ وكان أمهَصهم^(١) ، واستبدَّ بالأمر ، رمت بيعته بإفريقية ، وكان من الأمر ما يذكر .

حاله

كان أيداً^(٢) ، جميلاً وسياً ، رُبْعَةٌ بادنا ، آدم اللون ، شجاعاً بهيمةً ، عَجَلًا غير مَرَّاحٍ^(٣) ، ولا حازم ، منحطاً في هوى نفسه ، مُنْقَاداً للذمة ، بريئاً من التسمت في جميع أمره . وولى الخلافة في^(٤) حال كِبَرِهِ ؛ ووظفه الشيب ، وآثر اللهو ، حتى زعموا أنه فُقِدَ [فَوُجِدَ]^(٥) في مزرعة بأقلام مزرعة أُلْفِي فيها بعد جهد ، نائماً بينها ، نشوان يتناثر^(٦) عليه سقطها ؛ واحتجب عن مباشرة سلطاته ؛ فزعموا أن خالصة^(٧) [أبا الحسن بن سهل ، داخل الناس بولده أبي فارس]^(٨) في خلعه ، والقيام مكانه ، وبلغه ذلك ، فاستعد وتأهب ؛ واستركب الجند ، ودعا ولده ، فأحضره ينتظر الموت من يمينه وشماله ، وأمر للحين فقتل وطرح بأزقة المدينة ، وعجل بإزعاج ولده إلى بجاية ، وعاد إلى حاله .

دخوله غرناطة

قالوا ، ولما أوقع الأمير المستنصر بعمه أبي عبد الله ، كان أخوه أبو إسحاق ،

- (١) هكذا في « ج » والملكية . ومكانها بياض في « ك » .
- (٢) أيداً . أعنى قوياً .
- (٣) وردت في « ج » مراحاً . وفي « ك » مرحاً . والتصويب من الملكية .
- (٤) وردت في المخطوطين بعد في ، كلمة (كل) وهي هنا حشواً لا محل له فأسقطناها . وهي ساقطة بالفعل في الملكية .
- (٥) ساقطة في المخطوطين . والإضافة . من « ت » .
- (٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : بناثر . وهو تحريف .
- (٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » خاصة . والمقصود هنا ، صفه وموضع ثقته .
- (٨) هكذا ورد ما بين الحاصرتين في « ت » وفي « الملكية » ووردت في المخطوطين (أبا الحسن بن سهل الناس داخل ولده أبا فارس) والآله إلى أرجح .

من فرّ بنفسه إلى الأندلس ، ولجأ إلى أميرها أبي عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله [بن] (١) زهير ، ثاني ملوكهم (٢) فنوّده به ، وأكرم نزله (٣) ، وبوأد بجبال عتايبه ، وجعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السيد (٤) خارج حضرته ، وهو آثر قصوره لديه ، وحضر غزوات أغزاهها ببلاد الروم ، فظهر منه في نكايته العدو وصداه [سهولة وغناء] (٥) .

ولما اتصل به موت أخيه تعجّل الانصراف ، ولحق بتلمسان ، وداخل منها كبيراً من الموحدين ، يعرف بأبي هلال (٦) بباجة (٧) كما تقدم ، فلما أبا هلال منها بجاية ، ثم صعد (٨) تونس فملكها ، فاستولى على ملك ابن أخيه [وما تمّ من ذمّه] (٩) ، وارتركب الوزر (١٠) الأَعْظَمَ فيمن قُتل معه ، وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله .

إدبار أمره بهلاكه على يد الدعي

الذي قبضه الله | لهلاك حينه [(١١)]

قالوا ، واتهم بعد استيلائه على الأمر فتى من أخصاء (١٢) فتیان المستنصر ، اسمه

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة وبقتضيا السياق .

(٢) هذا السلطان هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . حكم مملكة غرناطة بعد وفاة أبيه مؤسس المملكة في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) حتى سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) . وكان بلقب بالفتية لعلمه وتقواه .

(٣) في الملكة مثنوا والمعنى واحد .

(٤) هو القصر الذي ماتزال بقية منه تقوم حتى اليوم خارج غرناطة . ويعرف عند الإسبان بقصر شنيل Alcazar Genil . وقد سبى العريف به (أطرا الحسية في ص ١١٩) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : (وسهولة عتاً) . وهو تحريف .

(٦) وردت هذه العارة في «الملكبة» كالألفي : (وداخل منها كتهرا من الموحدين كذبي هلال بباجة) .

(٧) وردت في «ج» (بجاية) وهو تحريف . وباجة هي بلدة أخرى قرب بجاية ، تقع شرق تونس .

(٨) هكذا في «ت» . وفي المخطوطتين : صمد ، وهو تحريف .

(٩) هكذا في «ك» وفي «ت» . وفي «ج» والملكبة (وما تمّ من ذمه) .

(١٠) وردت في الثلاثة : الوزير ، وهو تحريف ظاهر .

(١١) هكذا وردت في المخطوطتين . وفي «ت» (بهلاك حينه)

(١٢) هكذا وردت في المخطوطتين وفي «ت» (خصيات)

نصير ، ببال وذخيرة ، وتوجه إليه طلبه ، ونال منه . واتهمز القتي فرصةً لحق فيها بالمغرب واستقر | بجلال المراجعة |^(١) من عرب دتاب ، وشارع الفسناد عليه ، بجملة جباهه ، حريصاً على إفساد أمره ، وعثر لقضاء الله وقدره بدعي^(٢) من أهل بجاية يعرف بابن أبي عمارة . حدثني الشيخ المسن الحاج أبو عثمان الأواتي من عدول المياسين^(٣) ، متأخر الحياة إلى هذا العهد ؛ قال خُضت^(٤) مع ابن أبي عمارة ببعض الدكاكين بتونس ، وهو يتكهن لنفسه ما آل إليه أمره . وبعد بعض ماجرى به القدر ؛ وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا^(٥) ذبيحاً ، بالأمير أبي إسحاق . وهو الفضل . فلاحت لنصير وجهه حيلته^(٦) . فبكي حين رآه . وأخبره بشبهه بمولاه ، ووعدته الخلافة ؛ فحرك نفساً مهيأة^(٧) في عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادر^(٨) ، فوجده منقاداً لهواه ، فأخذ في تلقينه ألقاب الملوك . وأسماء رجاله ، وعوايده ، وصفة قصوره ؛ وأطلعه على إمارات جرت من المستنصر لأمراء العرب . سرّاً كان يعالجها نصير ، وعرضه على العرب ، بعد أن أظهر العويل . ولبس الحداد ، وأركبه . وسار بين يديه حافياً . حزناً لما ألفاه عليه من المضجعة . وأسفاً لما جرى عليه ، فبايعته العرب النافرة ، وأشادوا بذكره ، وتقوؤوا بما قرره من إمارته ؛ فغضب أمره . واتصل بأبي إسحاق نبأه فبرز إليه ، بعد استدعاء ولده من بجاية . فالتقى الفريقان ، وتمت على الأمير أبي إسحاق الهزيمة ، واستلحم الكثير ممن كان معه ؛ وهلك ولده .

(١) هكذا وردت في المخطوطين والملكية . وفي « ت » (بجلال المراجعة)

(٢) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : (يعمي) . وفي « ت » (بد) . وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وهو اللقب الذي عرف به ابن أبي عمارة .

(٣) المرجح أن هذه الكلمة اسم موضع ، ونذكر أنه يوجد بمراكش حتى يسمى حتى المواسين

(٤) وردت في المخطوطين : (حطت) . وفي « ت » (خطت) . والتصويب أرجح .

(٥) وردت في المخطوطين و« الملكية » : (نوا) فقط . وهو سهو ظاهر .

(٦) هكذا وردت في و« الملكية » . وفي « ح » (جليلة) وفي « ك » (جليلة) . وفي « ت »

(حليته) . والإولى أرجح .

(٧) وردت في المخطوطات : (مبات) وهو تحريف .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » المنابر . وهو تحريف .

ولجأ أخوه الأمير أبو حفص لقلعة سينان. وفر هو لوجهه. حتى خنق ببجاية؛ وعاجله ابن أبي عمارة؛ فبعث جريدة من الجند^(١) لنظر أشياخ من الموحدين، أغرت^(٢) إليهم الإيقاع، فوصلت^(٣) إلى بجاية؛ فظن من رآه من الغلّ المهزم، فلم يعترضه معترض عن القصة. وقبض على الأمير أبي إسحاق، فطوقه الحمام، واحتز رأسه، وبعث إلى ابن أبي عمارة به؛ وقد دخل تونس، واستولى على ملكها، وأقام سنين ثلاثة، أو نحوها [في]^(٤) نهبها لا كغناء له، واضطلع بالأمر. وعاث في بيوت أمواله، وأجرى العظام على نسائه ورجالها إلى أن فشا أمره، واستقال^(٥) الوطن من تمرته^(٦) فيه؛ وراجع^(٧) أرباب الدولة بصايرهم في شأنه، ونهّد^(٨) إليه الأمير أبو حفص طالباً بثأر أخيه، فاستولى، ودحض عاره. واستأصل شافته، ومثل به؛ والمُلك لله، الذي لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده.

وفي هذا قلت عند ذكر أبي حفص في الرجز المسمى [بنظام]^(٩) الملوك، المشتمل على دول الإسلام أجمع؛ على اختلافها إلى عهدنا. فنه في ذكر بني حفص:

وَأُهم يحيى بن عبد الواحد وفضلهم ليس له من جاحد
وهو الذي استبدّ بالأمور وحازها ببيعة الجمهور
وعظمت في صقعها آثاره ونال ملكاً عالياً مقداره

(١) وردت في «ت» الخبر. وهو تحريف واضح.

(٢) في المخطوطين: أوغرت. والتصويب من «ت».

(٣) في المخطوطين: فوصل. والتصويب من «ت».

(٤) واردة في «ت» وساقطة في «الملكية» ومكانها في المخطوطين، (سك) وهما حرفان لا معنى لهما هنا.

(٥) هكذا وردت في المخطوطين. وفي «ت». استقل.

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة: (تمرته). والتصويب أنسب للسياق.

(٧) هكذا في المخطوطين. وفي «ت» وراجعت.

(٨) هكذا في المخطوطين. وفي «ت» و«الملكية»: نهض، والمؤدى واحد.

(٩) هكذا في «ت» و«الملكية». وفي المخطوطين بقطع. والمقصود هنا كتب ابن: الخطيب

المسمى (رقم الخلل في نظم الدول). وقد سبقت الإشارة إلى غير مرة.

ثم تولى ابنه المستنصر أصاب ملكاً رئيساً^(١) أوطانه
ودولة أهوالها مجموعة فلم تخف من عمدتها انتكافاً
هبت بنصر عزه الرياح حتى إذا أدركه شرك الردى
قام ابنه الواثق بالتدبير سطا عليه العم إبراهيم
وعن قريب سلب الإمارة عجيبية من لعب الليالى
واخترم السيف أبا إسحاقا واضطربت على الدعى الاحوا
ثم أبو حفص سما عن قرب ورجع الحق إلى أهليه
وهو الذى علياه لا تنحصر وافق عزاً سامياً سلطانه
وطاعة أذوالها مسموعة وعات في أمralها عيانا
وسقيت بسعد الرياح وانتحب النادى عايه والنداء
ثم مضى في زمن يسير والملك في أربابه عقيم
عنه الدعى^(٢) ابن أبي عمارة ماخبرت^(٣) لعائل بيال
أباهلال لقي المحاقا ل والحق لايفليه السحال
وصير الدعى رهين^(٤) الثرب وبعده محمد يليه

وهذه الأمور تستدعى الإطالة ، مخلة بالفرض ، ومقصدي أن أستوفى ما أمكن
من التواريخ التي لم يتضمنها ديوان ، وأختصر ما ليس بقريب^(٥) ، والله ولى
الإعانة [بمنه]^(٦) .

- (١) هكذا في «ت» ، و«ج» . وفي «ك» : رايماً .
- (٢) هكذا وردت في «ت» . وفي المخطوطين : الداعى .
- (٣) وردت في المخطوطين : خاطرت .
- (٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» : وهق ، وهو تحريف .
- (٥) وردت في المخطوطين : بغريب . والصحويب أنسب السياق .
- (٦) وردت فقط في «ج» .

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد
ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
يكنى أبا إسحاق .

أوليته

منزلُ جدِّهم الداخل إلى الأندلس ؛ قرية «شون»^(١) من عمل ، أو قيل من إقليم البيرة . قال [ابن البستي]^(٢) : يتهم في الأزدي ، ومجدهم مامله مجد . حازوا الكمال^(٣) ، وانفردوا بالأصالة والجلال ؛ مع عفة وصيانة ووقار ، وصلاح وديانة ، نشأ على ذلك سلفهم ؛ وتبعهم الآن خلفهم . وذكرهم مُزارف بن عيسى في تاريخه^(٤) ؛ في رجال الأندلس ؛ وقال ابن مسعدة^(٥) ، وقفت على عقد قديم لسلفي ؛ فيه ذكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ، وقد حُلِّي فيه بالوزير الفقيه أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم . وتاريخ العتد سنة ثلاث وأربعمائة ؛ فناهيك من رجال تحكُّوا^(٦) بالجلالة والعهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة ؛ ويوصفون

(١) سبق التعريف بها (أنظر الحاشية في ص ١٢٩) .

(٢) وردت في المخطوطين : ابن البسر . والمرجح أنه ابن البستي ، وهو من أدباء الأندلس في القرن الثالث الهجري .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ح» : الكلام .

(٤) مطرف بن عيسى النسائي من أدباء غرناطة في القرن الرابع الهجري . وقد صنفت كتاباً عن «فقهاء البيرة» ، وآخر عن شعرائها .

(٥) سبق أن وردت ترجمة ابن مسعدة (ص ١٦٢ - ١٦٦) . وأورد ابن الخطيب ثبت مؤلفاته (ص ١٦٤) .

(٦) وردت في المخطوطين : تجاوا . والصواب أرجح .

في عقودهم بالفتوة والوزارة منذ ثلاثمائة [سنة^(١)] في وقت كان فيه هذا المنصب في تحلية الناس ، ووصفهم ، في نهاية من الضبط والحرز^(٢) ، بحيث لا يتهم فيه بالتجاوز لأحد ، لاسيما في العقود ، فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو [الحق فيه^(٣)] والصدق ، وما كان قصدي في هذا إلا أن شرفهم غير واقف عليه ، أو مستند في الظهور إليه ؛ بل ذكرهم على قديم الزمان شهير وقدروهم خطير .

قلت ، ولما عقد لولدي عبد الله أسعده الله ، على بنت الوزير أبي الحسن بن الوزير أبي الحسن القاسم^(٤) [بن^(٥)] الوزير أبي عبد الله بن القمي العالم الوزير^(٦) ، حزم فخارهم ، ومجدد آثارهم ، أبي الحسن سهل بن مالك ، خاطبت شيخنا أبا البركات بن الحاج ، أعرض ذلك عليه ؛ فكان من نص مراجعته^(٧) ، فسبحان الذي أرشدك لبيت الستر والعافية والأصالة ، وشحوب^(٨) الأبرار ، قاتلك الله ما أجل اختيارك . [وخلف^(٩)] هذا البيت الآن على من سلفهم من التحلي بالوزارة ، والافتقار من العظمة الزاكية ، والاستناد القديم الكريم ،

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «ك» .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : الحوز .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «ت» : حق به . وفي «الملكية» أحق به . والأولى

أرجح وأنسب للسياق .

(٤) وردت بعدها كلمة (الوزير) أكثر من مرة . والظاهر أنها وردت سهواً إذ لا محل لها هنا

ووردتها قبل الاسم ولهذا أغفلناها .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ت» . ووردت في «ج» إلى . وفي «ك» بن أبي . وهو

اضطراب في النسخ لا يمتد به .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في «ت» .

(٧) وردت في المخطوطين : فراجعته . والتصويب من «ت» .

(٨) هكذا وردت في «ج» و «ك» وكذا في الملكية . ووردت في «ت» سحوب .

(٩) وردت في المخطوطين : وخف . وفي «ت» وحق . وهو تحريف وسحبه ، التصويب

واضحة .

واغتنام العمر بالنسك ، عناية من الله اطرْد^(١) لهم قانونها ، واتصلت عادتها
والله ذو الفضل العظيم .

حاله

كان من أهل السِّر والخصوصية ، والصِّمت والوقار ، ذا حظ وافر من المعرفة
بلسان العرب ، ذكىّ الذهن ، متوقد الخاطر ، مليح النادرة ، شُنشنته معروفة فيهم .
سار بسيرة أبيه ، وأهل بيته ، في الطهارة والعدالة ، والعفاف والنزاهة .

« وفاته » (٢) ؛

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني

من أهل قرطبة ، يُكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن حرّة^(٣) .
« أوليته » ، من أهل البيوتات بالحضرة ، ولى أبوه القهرمة^(٤) ، لثاني الملوك
من بني نصر ، فتأمل مالا ونباهة .

حاله

هذا الرجل من أعيان القطار ، ووزراء الصُّقع^(٥) ، وشيوخ الحضرة ، أغنى هذه
المدرة يداً ، وأشغلمهم بالعرض^(٦) الأدنى نفساً ، تحرف بالتجر المربوب في حجر

(١) هكذا رسمت في المخطوطين . والمقصود اضطرد .

(٢) ورد بعدها في المخطوطات الأربعة بياض . ولم نهند إلى تاريخ الوفاة المنشود .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : ابن جره . وفي الملكية : ابن جده .

(٤) هكذا وردت في « ك » وفي « ج » : فهرمة . والمقصود بها هنا إحدى وظائف القصر .

السلطاني الخاصة .

(٥) وردت في « ك » كالعادة : السقع .

(٦) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : بالفرض . و « ت » : بالحضرة . والأولى أصلح

للسياق .

الجاه ، ونما ماله ، تحاط به الجِدات ، وتنمو الأموال ، ففار تنورها ، وفهق حوضها ،
كثير الخوض في التصاريف الوقتية ، والأدات الزمانية ، وأمان السلع ، وعوارض
الأسعار ، متبجح^(١) بما ظهرت به يده من علق مَصْنَعَة^(٢) هُرَي المدينة ، الذي
يُنْفِق على أسواقها ، عند ارتفاع القيم ، وتمييز الأسعار ، وبلوغها الحد الذي يراه
كُفؤ حِبَّتِه ، وينتهي من غلته ؛ غَرِقُ الفِكر ، يخاطبُ الحيطان والشجر
والأساطين ، محاسباً إياها على معاملات وأغراض فنيّة ، يُرى من التلبّس شيئاً من
المعارف والآداب والصنائع ، وحجة من الحجج [في]^(٣) الرُّزق ؛ تغلب عليه
السُداجة والصحة ، دَمِثٌ ، متخلّق ، منزل ، مختصر للملبس والمطعم ، كثير
التبذل ، يعظم الانتفاع به في باب التوسعة ، بالتسلف^(٤) والمدائنة ، حسن الخلق^(٥) ،
كثير التجمّل [مُبْتَلَى بالمُوقِبِ وَالطَّانِزِ]^(٦) : يسمع ذى القمحة ، ويصم على
ذوى المسألة^(٧) .

ظهوره وحظوته

لبس الحظوة شملة ، لم يفارق طرفها رقبته ، إذ كان صهراً للتغلب على الدولة
أبي عبد الله بن المحروق^(٨) ، صار يسهم في جذور خطته ، وألقى في مرقة حظوته ،

(١) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : فنجح . والأولى أرجح .

(٢) وردت في « ج » : مطنة . وفي « ك » : مظنة .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى .

(٤) هكذا رسمت في « ج » . وفي « ك » و « ت » : بالسلف .

(٥) وردت في المخطوطين : الحق . والتصويب من « ت » .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين . وساقطة في « ت » والمملكية . والموقب والطانز أي

القادح والساخر .

(٧) هكذا وردت في « ك » ، و « ت » . وفي « ج » المتبلة وهو تحريف .

(٨) وردت في « ت » بحرفة : ابن محروق . وصحته ابن المحروق . وهو وزير محمد بن الأحمر

الثالث . وقد توفى قتيلاً في سنة ٧٢٨ هـ .

مشملا على حاله ، بعباءة^(١) جاهه ؛ ثم صاهر المصير الأمر إليه بعده القائد الحاجب
أبا النعيم رضوان ، مولى الدولة النصرية ، وهلم جرا ، بعد أن استعمل في السفارة
إلى العدو وقشتالة ، في أغراض تليق ببعثته ، مما يوجب فيه المياسير والوجوه ،
مُشرفين مُعززين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة والجواب ، والرد والقبول ؛ ووُلِّي
وزارة السلطان ، لأول ملكه في طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته ، وأياماً
يسيرة من أيام اختلاله ، [إلى]^(٢) أن رغب الخاصة من الأندلسيين في إزالته ،
وصُرف الأمر إلى الحاجب المذكور ، الذي تسقط مع رياسته المنافسة ، وترضى
به الجملة .

محتته

وامتحن هو وأخوه ، بالتغريب إلى تونس ، عن وطنهما ، على عهد السلطان
الثالث من بني نصر . ثم أب عن عهد غير بعيد ؛ ثم أمين واستسراً أديمه ؛ وضجر
عن الركوب إلى فلاحته التي هي قرة عينه ؛ وحظ سعادته ، يتطارح^(٣) في سكة
المرتدين^(٤) بإزاء بابه ، مباشر الثرى بثوبه ، قد سدكت^(٥) به شكايته شائنة ، قلما
يقلت منها الشيوخ ، ولا من شرّكها ، فهي تزفه^(٦) بولاء ، بحال تقتحمها العين
شعناً^(٧) ، وبعداً عن النظر ، فلم يطلق^(٨) الله يده من جدته على يده ، فليس
في سبيل دواء ولا غذاء إلى أن هلك .

(١) هكذا وردت في المخطوطين وفي الملكية . وفي « ت » : بعبادة . والأولى أرجح . وهي
(العبادة) .

(٢) إضافة لا بد منها لاستقامة السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : يتطاح : وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين وفي الملكية : المرتدين . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) أي علقته به ولزمته .

(٦) هكذا في « ك » ، وفي « ج » تزفه .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » شمة .

(٨) كذا في « ك » . وفي « ج » : يطل .

« وفاته » ؛ في وسط شوال عام سبعة وخمسين وسبعمائة .

« مولده » ؛ في سنة خمس وسبعين [وسبائه]^(١) .

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهَّاق الأوسى

يكنى أبا إسحاق ؛ ويعرف بابن المرأة .

حاله

سكن مالقة دهرأ طويلاً ، ثم انتقل إلى مرسية ، باستدعاء المحدث أبي الفضل المرسي والقاضي أبي بكر بن مُحَرِّز ، وكان متقدماً في علم الكلام ، حافظاً ذا كراً للحديث والتفسير ، والفقه والتاريخ ، وغير ذلك . وكان الكلام أغلبَ عليه ، فصيح اللسان والقلم ، ذا كراً لكلام أهل التصوف ، يطرز مجالسه بأخبارهم . وكان بحراً^(٢) للجمهور بمالقة ومرسية ، بارعاً في ذلك متفنناً له ، متقدماً فيه ، حسن الفهم لما يلقىه ، له وثوب على التمثيل والتشبيه ، فيما يقرب للفهم ، مؤثراً للخمول ، قريباً من كل أحد ، حسن العشرة ، مؤثراً بما لديه . وكان بمالقة يتجر بسوق الغزل . قال الأستاذ أبو جعفر وقد وصمه ، وكان صاحب حيل [ونوادير]^(٣) . مستظرفة ، يلهى بها أصحابه ، ويؤنسهم ؛ ومتطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها ، فتن بها بعض الحلبة ، واطَّلَع كثير ممن شاهده على بعض ذلك ، وشاهد منه بعضهم ما ينمه الشرع من المُرْتَكَبَات الشَّيْعة ، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه ، منهم شيخنا

(١) وردت في المخطوطين : (سبعمائة) ووردت في الملكية : خمس وثمانين وسبعمائة .

(٢) وردت في « ج » بحر . وفى « ك » ، لحن . والأولى مع التصويب متفقة مع السياق .

(٣) وردت في المخطوطين . ونوارج . والتصويب من « ت » .

القاضي العدل المسمى الفاضل أبو بكر^(١) بن المرابط رحمه الله ؛ أخبرني من ذلك بما شاهد^(٢) مما يقبُح ذكره ، وتبرأ منه من كان سعى في انتقاله إلى مرسية ، والله أعلم بغيبه وضميره .

توالياً فيه^(٣)

منها شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي ، وكان يعلته من حفظه من غير زيادة وامتداد . وشرح الأسماء الحسنى . وألف جزءاً في إجماع الفقهاء ، وشرح محاسن المجالس لأبي العباس [أحمد] بن العريف . وألف غير ذلك . وتوالياً فيه^(٤) نافعة في أبوابها ، حسنة الرصف والمباني .

« من روى عنه » ، أبو عبد الله بن أحلى ، وأبو محمد عبد الرحمن بن وصلة .
« وفاته » ؛ توفي بمرسية سنة أحد عشر وسمائة .

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري

تلمساني وقرشي الأصل ، نزل بسبته ، يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بالتلمساني .

حاله

كان فقيهاً عارفاً بعقد الشروط ، مبرزاً في العدد^(٥) والفرايض ، أديباً ، شاعراً ، محسناً ، ماهرأ في كل ما يحاول . نظم في الفرائض ، وهو ابن ثمانية وعشرين سنة^(٥)

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » أبو البركات . وهو تحريف .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : باشهادة .

(٣) كذا في « ج » . وفي « ك » : تأليفه .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » القدر .

(٥) هكذا في « ج » . وفي الملكية : ثمانية عشر .

أرجوزة محكمة بعلمها ، ضابطة ، عجيبة الوضع . قال ابن عبد الملك ، وخبرت منه في تكرارى عليه ، تيقظا وحضور ذهن ، وتواضعا ، وحسن إقبال وبر ، وجميل لقاء ومعاشرة ، وتوسطا صالحا فيما يناظر^(١) فيه من التواليف ، واشتقالاتا بما يفنيه من أمر معاشه ، وتخالفا^(٢) في هيئته ولباسه ، يكاد ينحط عن الاقتصاد ، حسب للمألوف والمعروف بسبته . قال ابن الزبير ، كان أديبا لغويا ، فاضلا ، إماما في الفرائض .

مشيخته

تلا بمالقة على أبي بكر بن دثمان ، وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد ، وأبي عبد الله ابن حفيد ، وروى بها عن أبي الحسن سهل بن مالك ؛ ولقى أبا بكر بن محرز ، وأجاز له ، وكتب إليه مجيزا ، أبو الحسن بن طاهر الدباج ، وأبو علي الشلوبين ؛ ولقى بسبته ، الحسن أبا العباس بن علي بن عصفور الهواري ، وأبا المطرف أحمد ابن عبد الله بن عفيرة ، فأجازوا له ؛ وسمع على أبي يعقوب بن موسى الحساني العُمّاري .

« من روى عنه » ؛ روى عنه الكثير ممن عاصره ، كأبي عبد الله بن عبد الملك وغيره .

تواليفة

من ذلك الأرجوزة الشهيرة في الفرائض ، لم يصنف في قتها أحسن منها . ومنظوماته في السير ، وأمداح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من ذلك المعشّرات على أوزان العرب ، وقصيدة في المولد الكريم ؛ وله مقالة^(٣) في علم العروض الدوبيتي .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» و«الملكية» : يناط فيه . والأولى أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين : وتخالفا . والتصويب يقتضيه السياق .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» و«الملكية» : مقام . والأولى أرجح .

شعره

وشعره كثير ، مبرز^(١) الطائفة بين العالى والوسط ، منحاذاً أكثر إلى الإجابة جمة ، وتقع له الأمور المعجبية فيه كقوله :

القدرُ في الناس شيمةٌ سَلَفَتْ قد طال بين الورى تصرفها
ما كلُّ مَنْ سَرَتْ له نِعَمٌ منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها مضرةٌ عنك عزٌّ مَصْرَفُهَا
أما ترى الشمس تعطف بالنـ سور على البدر وهو يَكْسِفُهَا

دخوله غرناطة

أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به إلى الأندلس ، وهو ابن تسعة أعوام ؛ فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام ، ثم رحل إلى مالقة ، فسكن بها مدة ، وبها قرأ معظم قراءته . ثم انتقل إلى سبتة ، وتزوج بها أخت الشيخ أبو الحكم مالك بن للرحل . وهذا الشيخ جد صاحبنا وشيخنا أبي الحسين التلمساني لأبيه ، وهو ممن يُطرز به التأليف ، ويُشار^(٢) إليه في فنون لشهرته .

ومن شعره ، وهو صاحب مغالاة مجيدة ، وأماح مبدية في الإحسان مَعْبِدَةٌ^(٣) ، فن قوله يمدح الفقيه أبا القاسم العزفي أمير سبتة :

أرأيت من رَحَلُوا وزمُّوا العيسا ولا نزلوا على الطلول حسيساً
أحسبت سوف يعود نسف تراها [يوماً]^(٤) بما يشقى لديك نسيماً
هل من مؤنسٍ ناراً بجانب طورها لأنيسها أم هل تحس حسيساً

(١) وردت في المخطوطين : مبرد .

(٢) وردت في المخطوطين : ويشر .

(٣) وردت في المخطوطين : بميدة . والتصويب أرجح .

(٤) الزيادة من « الملكية » .

«مولده» ، قال ابن عبد الملك ، أخبرني أن مولده بتلمسان سنة تسع وستائة .
«وفاته» ؛ في عام تسعين وستائة بسبنة ، على سن عالية ، فسحّت مدى
الانتفاع به .

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
للشهور بالطويجين ، من غرناطة .

حاله .

من كتاب «عائد الصلة» ؛ كان رحمه الله ، نسيج وحده في الأدب ، نظماً
ونثراً ، لا يشقّ فيهما غُبَارُهُ ، كلام^(١) صافي الأديم ، [غزير المائة]^(٢) ، أنيق
الديباجة ، موفور المادة ، كثير الخلاوة ، جامعٌ بين الجزالة والرقة ؛ إلى خط
بديع ، ومشاركة في فنون ، وكرم نفس ، واقتدار على كل محاولة . رحل بعد أن
اشتهر فضله ، وذاع أوجه ، فشرق ، وجال في البلاد . ثم دخل إلى بلد السودان ،
فاتصل بملكها ، واستوطنها زماناً طويلاً ، بالغاً فيها أقصى مبالغ المكينّة ، والحظوة ،
والشهرة ، والجلالة ، واقتنى مالا دثراً^(٣) ؛ ثم آب إلى المغرب ، وحوّم على
وطنه ، فصرفه القدر إلى مُستقره من بلاد السودان ، مُستزيداً من المال . وأهدى
إلى ملك المغرب [هديّة]^(٤) تشتمل على طرف ، فاثابه عليها . الا خطيراً ؛
ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه . وجري ذكره في كتاب «التاج» ، بانصه :

«جواب الآفاق ، ومحالف الإباق ، ومُنفق سعد الشعر كل الإففاق ؛ رفع

(١) هكذا «ك» . في «ج» : الكلام .

(٢) وردت محرفة في المخطوطين : عزيز المانعة . وفي الملكية (المادة) .

(٣) وردت في المخطوطين : دبرا ، وهو تحريف . وفي الملكية (تبراً) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويقتضى إثباتها السياق .

يبلده للأدب رأيةً لا تحبم ، وأصبح فيها يسوئى ويُلجم ؛ فإن نَسب ، جرى
ونظَّم نظَّم الجمان المحامد ؛ وإن ابنَ ورثى ، غبَّرنى وجوه السوابق وحنا ؛ ولما
اتفق كسادُ سوقه ، وضيقُ حقوقه ، أخذ بالحزم ، وأدخل على حروف علايه
عوامل الجزم ؛ يسقط على الدول سقوط النَيْث ، ويجلُّ كِناس الطُّبَا وغاب
الليث ؛ شيعَ العجائب ، وركَّض النَّجائب ؛ فاستضاف بِصَّرام ؛ وشاهد
[البرابى] (١) والأهرام ؛ ورمى بعزْمته الشَّام ؛ فاحتلَّ ثغوره المَحْوطة ، ودخل
دِمَشق ، وتوجَّه الغُوطة ؛ ثم عاجلها بالعراق ؛ فحيا بالسَّلام مدينة السَّلام ، وأوردَ
[بالرافدين] (٢) رَوَّاحله ، ورأى اليمنَ وسواحله ؛ ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز ،
وتوجه إلى شأنه الحجاز ؛ فاستلم الرُّكن والحجر ، وزار القبر الكريم لما صدر ؛
وتعرَّف بمجتمع الوفود بملك (٣) السُّود ، فغمره بإرفاده ؛ وصحبته إلى بلاده ،
فاستقرَّ بأول أقاليم العَرَض ، وأقصى ما يعمر من الأرض ، فحلَّ بها محلَّ [الحمر
في القار] (٤) ، والنور في سواد الأبصار ؛ وتقيَّد بالإحسان ؛ وإن كان غريب
الوجه واليد واللسان ؛ وصدرت عنه رسائلُ أثناء إغرابه ، تشهد بجلالة آدابه ،
وتعلَّق الإحسان بأهدابه (٥) .

نثره

فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده ؛ وقد وصل إلى مرَّا كُش :

-
- (١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين هكذا . الفرابى . وظاهر من ورودها إلى جانب «الأهرام»
أن المقصود هو البرابى ، وهى الكلمة التى نطلق فى التواريخ الإسلامية على المعابد الفرعونية .
(٢) وردت هذه الكلمة هكذا فى المخطوطين : بالرفدس . وقد رجحنا أنها تحريف كلمة
(الرافدين) وهما الدجلة والفرات ، وهى هنا متسقة مع المعنى .
(٣) هكذا وردت فى «ك» . وفى «ج» بلد . وهو تحريف .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» : وفى «ك» و «ت» (الحمر فى القار) .
والأولى أرجح .
(٥) هكذا فى «ج» . وفى «ك» : ناهوايه ، وهو تحريف ظاهر .

« سلام ليس دارين شعاره ، وحلق الروض والنضير به صداره ، وأنسى نجماً
شجماً^(١) الزكي وعراوه^(٢) ؛ جرّ ذيله على الشجر فتعطر ، وناجى غصن البان فاهتز
لحديثه وتأطر ، وارشف الندى من ثغور الشقائق ، وحياً حدود الورد تحت
أردية الحدائق ؛ طربت له النجدية المستهامة ، فهجرت صباها يبطن نهمته ،
وحنّ ابن دهمان لصباه ، وسلا به التميمي عن رياه^(٣) ، وأنسى النُميري ما توضع
برقيب من بطن نعيابه ؛ واستشرف السمر والبان ، وتخلق بخلوقة الآس
والظيان^(٤) ؛ حتى إذا راق أنفاس تحياته ورقّت ، وملكت نفائس النفوس
واستشرفت ؛ ولبست دارين في ملامها ، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها ، واشتغل
بها الأعشى عن روضه ولهي ، وشهد ابن بُرد شهادة^(٥) أطراف المساويك لها ؛
خيّمت في رُبّع الجود بفرناطة ورقّت ، وملأت دلوها إلى عقد رُكبه^(٦) ،
وأقبلت^(٧) منابت شرقها عن غربه ، لا عن عرفه ؛ هناك تترى لها صدور المجالس
تحمل صدوراً ، وترايبُ المعالي تُحلي عقوداً نفيسة وجنوراً^(٨) ؛ ومحاسن الشرف
تحاسن البروج في زهرها ، والأفنية في إيوانها ، والأندية في شعب بوانها^(٩) ؛
لو رآها النعمان لهجر سديره ، أو كسرى لنبذ إيوانه وسريره ، أو سيف لقصر
عن غمدانه ، أو حسان لترك جلق لغسائه^(١٠) .

(١) وردت في المخطوطين : شججه .

(٢) وردت في المخطوطين : وعزاره . والتصويب متفق مع السياق .

(٣) هكذا في « ت » . وفي « ك » زيادة . وفي « ج » ديانة .

(٤) وردت في « ج » و « ت » ، والضيان . وفي « ك » والعنان وهو تحريف . والظيان

هو نبات برى من نوع النباتات الزاحفة الملتفة .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في « ت » .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » و « ت » ركبت .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » ، وانبات .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » وجدورا .

(٩) « شعب بوان » هو اسم يطلق على أرض بفارس على مقربة من أرجان ، وكانت في القديم

من متزهات الدنيا (راجع معجم ياقوت - مصر - ج ٤ ص ٢٩٧)

(١٠) والخلق اسم يطلق على دمشق أو غوطة دمشق .

بلادها نيطت على تمائمى وأول أرض مسّ جلدى ترابها
 فإذا قضيت من فرض السلام ختماً ، وقضت من فاره^(١) الشناء حتماً ، ونقضت
 طيب عرارها^(٢) على تلك الأنداء ، واقتطفت أزاهراً محامدها أهل الود القديم
 والإخاء ، وعمت من هنالك من الفضلاء ؛ وتلت سور^(٣) آلائها على منبر ثنائها ،
 وقصت وعدّمت على من تحمل من الطلبة بشارتهم ، وصدرت^(٤) عن إشارتهم ،
 وأنارت^(٥) نجماً حول هالتهم المنيرة ودارتهم ؛ فهناك قصّ أحاديث وجدى على
 تلك المناهج ، لا إلى صلة عالج ؛ وشوقى إلى تلك العلياء ، لا إلى عبلة ،
 والجزا^(٦) إلى ذلك الشريف الجليل ؛ فسقى الله تلك المعاهد غيداً^(٧) يهيم
 دعاؤها^(٨) ، ويفرق روضها إغراقاً^(٩) ؛ حتى تتكامل منه نهور زندها دُرّاً ،
 وترنوعيون أطراف نرجسها إلى أهلها سرراً^(١٠) ؛ وتتعانق تدود أغصانها طرباً ،
 وتعطف خصور مدانها على أطراف كُشبانها لمبياً ، وتضحك ثغور أفلحها عند
 رقص أدواحها عجباً ؛ وتمحّر خدود وردها حياءً ، وتشرق حدائق وردها سناءً ،
 وتهدى إلى السنة صباها [خبر طيبة]^(١١) وإنباء ؛ حتى تشتغل المطرية عن روضتها
 المردودة ، والمتمكلى^(١٢) عن مشاويه الجودة ؛ والبكرى عن شقائق رياض روضته

(١) هكذا فى « ح » . وفى « الملكية » فارط ، والأولى أرجح .

(٢) وردت فى « ج » غرايرها . و « ك » عرايرها . و « ت » غايرها . وهو كله تحريف .

(٣) هكذا فى « ك » . وفى « ح » و « ت » سر .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة : صدر . والتصويب يقتضيه السياق .

(٥) فى المخطوطات الثلاثة : وأنار . والتصويب يقتضيه السياق .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطتين . وفى الملكية وفى « ت » وانجر .

(٧) وردت فى المخطوطتين : غيدانا . وفى « ت » غيوثاً .

(٨) هكذا وردت فى « ت » . وفى « ج » دعاوا . وفى « ك » دعافا .

(٩) هكذا فى « ج » . وفى « ك » اغترقا .

(١٠) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ت » شزراً . وفى « ج » برزا .

(١١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطات الأربعة .

(١٢) فى المخطوطتين والملكية : والمكلى . والتصويب من « ت » .

الندية ، والأخطل عن خلع [بيعته الموشية] (١) . فما الخورنق وسراد ، والرصافة
وبغداد ، وما لف الثيل في ملاته كرمًا إلى أفدين سقايته ، وحاته غمدان عن
محراب ، وقصر وايرية (٢) البلقاء عن غوطة ونهر ، بأحسن من تلك المشاهد التي
تساوى في حسنها الغائب والشاهد ؛ وما لمصر تفخر (٣) بذيلها ، والألف (٤) منها
في شيلها (٥) ، وإنما زيدت الشين هنالك | ليعد بذلك (٦) :

ويا لله من شوق حديث ومن وجدٍ تنشط (٧) بالصميم

إذا ما هاجه وجدٌ حديث صبا منها إلى عهدٍ قديم

أجنح إنساني (٨) في كل جانحه . وأنتق لساني من كل جارحة ؛ وأهيم وقلبي
رهين الأنين ، وصرع البين ؛ تهفق به الرياح البليلة إذا ثارت ، وتطير به أجنحة
البروق الخافقة أينما طارت ؛ وقد كنت أستنزل قريهم براحة الأجل ، وأقول
هسي وطن يدينهم (٩) ولعل ؛ وما أقدر الله أن يدني على الشحط ، ويبري (١٠)
جراح البين بعد اليأس والقنط . هذا شوقي يستعيره البركان لناره ، ووجدى
لايجري قيس في مضاره ؛ فما ظنك وقد حمت حول المورد الخير ، ونسبت
ريح المنبت الخضر ؛ ونظرت إلى تلك المعاهد من أمم ؛ وهمست باهتصار بماو ذلك

(١) وردت في «ج» و «ك» : (بيعة الموشية) . وفي «ت» : (بيعة المرسية) .

(٢) هكذا في «الملكية» . وفي «ك» وقصر وابره . وفي «ج» برديه . وفي «ت» برأيه .

(٣) وردت في «ج» نفخر . وفي «ك» تهجر . وهو تحريف .

(٤) وردت في المخطوطين : الف . وهو تحريف .

(٥) وردت محرقة في المخطوطين : شيلها ، شلها .

(٦) هكذا وردت في «ك» . وفي «ت» والملكية (ليمن بذلك) . وفي «ج» (ليمن ذلك) .

والأولى أرجح وأصلح للسياق .

(٧) وردت في المخطوطين : نشيط . وفي «ت» نشيط .

(٨) هكذا في «ت» . وفي المخطوطين : أساي .

(٩) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» يدينوهم .

(١٠) وردت في «ت» ويبرا . وفي المخطوطين : ويأمر .

المجداليان والكرم؛ وإن المحب مع القرب لأعظم هماً، وأشد في مقاساة الغرام غماً:
وأبرح^(١) ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار
وقربت مسافة الدوار؛ لكن الدهر ذو غير^(٢)، ومن ذا^(٣) يحكم على
القدر؛ وما ضره لو غفل قليلاً، وشفى بقاء الأحبة غليلاً؛ وسمح لنا بساعة اتفاق
ووصل ذلك الأمل القصير ببيع، وروى مسافة أيام، كما^(٤) طوى مراحل أعوام.
[لذا إبليس]^(٥) أفلا أشققت من عذابي، وسمحت ولو بسلام أحبائي:
أسلمتني إلى ذرع البید، ومخالفة [الذميل والوخيد]^(٦)، والتنقل في المشارق
والمغارب، والتمطى في الصهوات والغوارب؛ ياسابق البين دع محمله، وما بقي
في الجسم ما يحمله؛ ويابنات جدیل، مالكن وللذميل^(٧)؛ ليت سقى عقيم
فلم يلد ذات البين، المشتتة ما بين المحبين؛ ثم مالل زاجر الكاذب، والغراب
الناعب، تجمله نذير^(٨) الجلاء، ورايد الخلاء؛ ما أبعد من زاجر، عن رأى الزاجر،
إنما فعل ماري، ذات الغارب والقري، المحتالة في الأزمة والبرى، المترددة بين
التأويب والشري؛ طالما باكرت النوى، وصدعت صدع النوى^(٩)، وتركت
الهائم بين ربع محيل، ورسم مستحيل؛ يتفو^(١٠) الأثر نحوه، ويسئل الطلل

(١) في «الملكية» وأشد.

(٢) هكذا في «ك». وفي «ج» أغير. وفي «ت» غيار.

(٣) وردت في المخطوطين وفي «الملكية»: وماذا.

(٤) وردت في المخطوطين: كما. والتصويب من «ت».

(٥) هكذا في الملكية. وفي المخطوطين: (لذا يليس). وفي «ك» لك إبليس. والأولى أرجح.

(٦) وردت هذه العبارة في «ت» و«ج»: (الذميل والوحيد). وفي «ك»: (الوصيل

والوحيد). والتصويب من «الملكية». والذميل هو السير المتوسط. والوخيد هو السير الواسع الخطى.

(٧) هكذا ورد في «ج» و«ت». وفي «ك» وللذميل.

(٨) وردت في المخطوطين: قدر. والتصويب يستقيم السياق.

(٩) وردت في المخطوطين: السوى. والتصويب من «ت».

(١٠) هكذا وردت في «ج» و«ت» و«مدني». وفي «ب» يبو. وروى، صبح لسياق

عن عهده ؛ وإن أنصفت فما لعين معقودة^(١) ، وإبل مطرودة ، مالت عن الحوض والشوط ، وأسلمت إلى الجبل^(٢) والعصا والسوط ؛ ولو خير النائي لأقام ، ولو ترك القطا ليلا لنام ؛ لسن الدهر أبو براقش ، وسهم بينه وبين بنيه غير طائش ؛ فهو الذي شئت الشمل وصدّعه ، وما رُفِع سيفُ بعماده إلا^(٣) وضعه ، ولا بلّ غليلا أحرّقه بنار وجهه ولا نفعه . فأقسم ما ذات^(٤) خضاب وطوق ، شاكية غرام وشوق ؛ برزت^(٥) في منصتها ، وترجت عن قضيتها ، أو غربت عن بيتها ، ونفضت شرارة زفرتها عن عينها ؛ ميلا حكمت الميلا والغريض ، وعجماء ساجلت بسبعها القريض ؛ وكصت الفود فكأما تورت العود ، ورددت العويل ، كأما سمعت النقييل ؛ نهبت الواله فتاب ، وناحت بأشواقها فأجاب . حتى إذا افتزّ بريقها^(٦) ، استراب في أنثها ، فنادى يا حصيبة الساق ، مالك والأشواق ، أباكية ودموحك^(٧) راقية ، ومحردة وأعدانك حالية ؛ عطلت الخوافي ، وحلّيت القوادم ، وخضبت الأرجل ، وحضرت^(٨) المائم^(٩) . أمّا أنتِ فزئمة خجار ؛ وحليفة أنوار وأشجار ، تتردد بين منبر وسرير ، وتهادين بين روضة وغدير ؛ أسرفت في الغناء ، وإنما حكيت خرير الماء ، وولمت بتكرير الرء ؛ فقالت أعد نظر البقير^(١٠) ، ولأمر ما جدمع أفه قصير ؛ أنا التي أغرنت في الرزم ،

(١) هكذا في «ك» و«الملكية» . وفي «ج» ، مصفوه .

(٢) هكذا في «ج» و«ت» . وفي «ك» الجبل .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة وكذا في «الملكية» : من . والتصويب يقتضيه المعنى للسياق .

(٤) وردت في الثلاثة : ماذا . وفي «الملكية» ماذا خطاب . والتصويب أرجح .

(٥) هكذا في «ج» و«الملكية» . وفي «ك» و«ت» بررت .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» و«الملكية» بربتها . وفي «ت» بريقها .

(٧) هكذا في «ج» و«ت» . وفي «ك» : دموع .

(٨) هكذا في «ت» . وفي المخطوطين : حضرت . وفي «الملكية» حضرت .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «ك» ، المائم .

(١٠) هكذا في «ت» . وفي المخطوطين و«الملك» . البير ، والأول أرجح .

فكنيت^(١) عن الكل بالجزء ؛ كنت أربع بالفيافي ما ألقى ، وآسُ مع مقبلي ،
بكرته وأصيلي ؛ تحتال من غدیر إلى شرح^(٢) ، وتنتقل من سریر إلى سرج ؛
أونة تلتقط الحب ، وحيناً تتعاطى الحب ؛ وطورا تترا كض الفن ، وتارة
تتجاذب الشجن^(٣) ؛ حتى رماه الدهر بالشتات ، وطرفة بالآفات ؛ فهأنا بعده
دايمة العين ؛ دأمة الأين ، أتمل بالأثر بعد العين ؛ فإن صعدت منارى^(٤) ،
ألبت منقارى ؛ أونكأت أحشائى ، خضبت رجلى بدمائى ؛ فأقسم لا خلعت
طوق عهده ، حتى أردنى^(٥) من بعده ؛ بل ذات خفض وترف ، وجمال باهروشرف ؛
بسط الدهر يدها ، وقبض ولدها ؛ فهى إذا عقدت التأميم على تريب ، أولفت^(٦)
العام على نجيب ، حثت المفزود^(٧) ، وأدارت عين الحسود ؛ حتى إذا أينعت
فسالما ، وتضى حملها وفصالها ، عمر لحدّها بوحيدها كان عندها وسطى ، وفريد أضحى
فى نحر^(٨) عشيرتها ممدا ؛ استحثت له مهبّات النسيم الطارق ، وخافت عليه من
خطرات اللّحظ الرّاشق ؛ فحين هشر للجياذ ، ووهب التأمم للتّجاذ ونادى الصريم ،
بالآل والحريم ؛ فشد الأناة ، واعتقل القناة ، وبرز يختال فى عيون لامة ، ويتعرف
منه ومعه بألفه ولامه ؛ فعارضه شئن^(٩) الكفين ، عارى الشعر والمنكبين ، فأسله
لحنه ، وترك حاشية ردائه على عطفه ؛ فحين أنهبهم لشاكته ماجرى [برزت لثرى]^(١٠) :

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «ك» وتكشف . وفى «ت» ونسكت . وفى «الملكية»
ونكست . والأولى أرجح .

(٢) هكذا فى «ت» . وفى المخطوطين : سرج . وانشرح ، مسيل الماء .

(٣) هكذا وردت فى «ت» . وفى المخطوطين والملكية : الشجر .

(٤) هكذا فى «ج» و «الملكية» . وفى «ك» «نارى» .

(٥) وردت فى المخطوطات الأربعة : أردموه .

(٦) فى المخطوطين : ليف . وفى «ت» أقف .

(٧) هكذا فى «ج» و «ك» . وفى «ت» المقتودة .

(٨) وردت فى المخطوطات الأربعة : نحره .

(٩) هكذا فى المخطوطين . وفى «ت» شئن . وشئن أى خشن .

(١٠) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «ت» و «الملكية» . وفى «ك» : (أبرزت الثرى)

فلم تلق غيرَ خمسِ قوايمِ وأشلاءِ لحمٍ تحتَ لِيثِ سخايلِ^(١)
يحطُّ على أعطافه وترايبه بكفِ حديدِ النَّابِ صُلْبِ المفاصلِ

أعظم من وجد إلى تلك الأفاق، التي أطلعت وجوه الحسن والإحسان، وسفرت
عن كمال الشرف، وشرف السكال عن كل وجه^(٢) حُسان؛ وأبرزت من فوى
الهمم المنيفة، والسير الشريفة، ما أقر عين العلياء، وحلّى جيد الزمان؛ ففتقوا^(٣)
للعلم أزهاراً أربت على الروض المجرود، وأداروا للأدب هائلة استدارت حولها
بُدور السعود؛ نظم الدهر محاسنهم حلماً في جيده ونجره، [واستعار لهم]^(٤)
الأفق ضياء شمسهِ وبدوره، وأعرب بهم الفخر عن صميمه، وفسح لهم المجد عن
مصدره؛ فهم إنسان همين الزمان؛ وملتقى طريق^(٥) الحسن والإحسان؛ نظمت
الجوزاء مفاخرهم، ونثرت النثرة مآثرهم، واجتلبت الشعري^(٦) من أشعارهم؛
وطلع النور من أزرارهم^(٧) واجتمعت الثريا لمعاطاة أخبارهم؛ وود الدلو لو كرع
في حوضهم؛ والأسد لو ربح حول ربضهم، والنعام^(٨) لو غذيت بنعيمهم؛
والحجرة لو استمدت من فيض كرمهم؛ عشق^(٩) المسك محاسنهم فرق؛ وطرب
الصبح لأخبارهم فخرق جبينه وشق؛ وحام النسر حول حمامهم وحلق؛ وقد

- (١) هكذا في «ج» وفي «الملكية». وفي «ك» محائل.
(٢) وردت بعد هذه الكلمة في «ت» كلمة: الوجوه. وهي كلمة لا موضع لها هنا. والغالب أن ورودها في «ت» من باب السهو.
(٣) هكذا في «ج». وفي «ك» و«ت» فتقوى.
(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و«ت» وفي «الملكية». ولكنها وردت في «ك» واستعلام.
(٥) هكذا وردت في المخطوطين. وفي «ت» طريق. والأولى أنسب للسياق.
(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة: الشعر. والتصويب يقتضيه السياق.
(٧) هكذا في «ك» و«ت». وفي «ج» أزرارهم.
(٨) وردت في «ت» و«الملكية»: والنعم، مفردة والجمع أنسب للسياق. وفي المخطوطين (والتعليم) وهو تحريف.
(٩) هكذا وردت في «ك». وفي «ج».

الفخار جدار^(١) محامدوم وخلق؛ إلى بلاغة أخرست لسان لبيد؛ وتركت
عبد الحميد غير حميد؛ أهل ابن هلال لمحاسنهم وكبر، وأعطى القارى^(٢) ما جربه
قلبه وسطر، وأيس إياس من لحاقهم^(٣) فأقصر لما قصر.

ومنها: فما للوشى تألق ناصعه، وتأنق يانعه^(٤)، بأحسن مما وشته أنفاسهم،
ورسمته أطراسهم؛ فكلم لهم من خريدة غذّاه العلم ببره^(٥)، وفريدة حلّاه البيان
بدوره؛ واستضاءت المعارف بأنوارهم، وباهت الفضائل بسناء منارهم، وجلبت
المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم؛ جلّوا عروس المجد وحلّوا، وحلّوا^(٦) في
ميدان السيادة ونشأوا؛ وزاحوا السهى^(٧) بلنا كب، واختطوا الترب فوق
الكواكب؛ لزم محلهم التكبير، كما لزمت الياء التصغير، وتقدموا في رتبة
الأفهام، كما تقدمت همزة الاستفهام؛ ونزلوا من مراتب العلياء، منزلة حروف
الاستعلاء؛ وما عسى أن أقول ودون النهاية مدى نازح، وما أغنى الشمس عن
مدح المادح؛ وحسبني أن أصف ما أعانيه من الشوق، وما أجده من التوق؛
وأعلل نفسي بلباقهم، وأتملّ بالنسيم الوارد من تلقائهم، وإن جلاني الدهر عن
ورود حوضهم، وأقعدني الزمان عن اجتناء روضهم؛ فما ذهب ودادى، ولا تغير
اعتقادى، ولا جفت أقلامى عن مدادهم ولا مدادى؛ وأنا ابن جلافى وجدهم،
وطلاع الثنايا إلى كرم عهدهم؛ إن دعوا إلى ودّ صميم وجدونى، أضع^(٨) العمامة عن

(١) مكذافى «ج». وفى «ك» مدار، وهو تحريف.

(٢) مكذافى «ت». وفى المخطوطين: الغارى.

(٣) مكذافى «ت». وفى المخطوطين و«الملكية»: وحاقهم.

(٤) مكذافى «ت». وفى المخطوطين: أنه. وهو تحريف.

(٥) مكذافى «ت». فى المخطوطين: برره.

(٦) مكذافى «ت» و«ج». وفى «ك» وحذوا.

(٧) وردت فى المخطوطات الثلاثة: السهر. وقد رجحنا التصويب. إذ هو أكثر اتساقاً

مع المعنى والسياق.

(٨) مكذافى «ت» و«الملكية». وفى المخطوطين: أوضع.

ذوى^(١) عهد قديم عرفوني^(٢) ؛ ولو شرعوا نحوى قلم مُسكاتبتهم^(٣) ، وأَسْحَا^(٤) بالعلق الثمين من مخاطبتهم ، لكفوا من قلبى العانى قيّد^(٥) إيساره ، وبَلَّوا صدى وَجْدى المتحرق بناره ؛ ففى الكتابة بُلغة الوطر ، وقد يُغْفى عن العين الأثر ؛ والسلام الأثير الكريم الطيب الريا^(٦) ، الجميل المحيا ، [يحضّر محلهم]^(٧) الأثير ، وكبيرهم إذ ليس فيهم صغير ؛ ويعودُ على من هناك من ذوى الوُدِّ الصميم ، والعهد القديم ، من أخِ بَرِّ وصاحب حميم ؛ ورحمة الله وبركاته .

ولا خفاء ببراعة هذه الرسالة^(٨) على طولها ، وكثرة أصولها ، وما اشتملت عليه من وصف وعارضة ، وإشارة وإحالة ، وحلاوة وجزالة .

شعره

ثبت لدى من متأخر شعره قوله من قصيدة ، يمدح بها ملك المغرب ، أمير المسلمين ، عند دنوّ ركابه من ظاهر تِلْمْسان ببابه أولها :

خَيْرَت كَيْسِ^(٩) الْقَنَا الْمُتَأَطَّرُ^(١٠) وَرَنْتَ بِالْحَظِّ الْغَزَالِ الْأَعْفَرِ

ومن شعره فى النسب :

زارت وفى كل لحظ [طَرْفُ]^(١١) محترس وحول كل كِتَاس كَفُّ مَقْرَس

- (١) هكذا فى «ج» و «الملكية» . وفى «ك» ذدى .
- (٢) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين . وساقطة فى «ت» .
- (٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «ت» كتابتهم . والأولى أنسب للسياق .
- (٤) هكذا فى «ت» . وفى المخطوطين : أوسحوا .
- (٥) هكذا فى «ج» . وفى «ك» قد .
- (٦) هكذا فى «ت» . وفى «ك» التريا . وفى «ج» الريانى .
- (٧) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الملكية» (يخص علامم) .
- (٨) هكذا فى «ت» و «الملكية» . ووردت محرفة فى المخطوطين : الرياسة .
- (٩) هكذا وردت فى «ت» . وفى المخطوطين : كباد .
- (١٠) وردت فى «ت» : المتناظر . وفى المخطوطين : الناظر وهو تحريف .
- (١١) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وكذا فى «الملكية»

يشكو لها الجيد ما بالخلي من هدر
 متى^(١) تلاخدها الزاهى الصبحى نطقت
 فى لحظها سحرُ فرعون وورقها^(٢)
 تُخنى النُّومين من حلى ومُبْتَسَم
 وتُرسل اللَّحظ نحوى ثم تهزأ بى
 أشكو إليها فزاداً واجلاً^(٣) أبدأ
 يا شُتَّة النفس إن النفس قد تَلَفَت
 هذا فؤادى وجفنى فيك قد جما
 ويا لطارق^(٤) نومٍ منك أرقنى
 ما زال يشرب من ماء القلوب فلم
 ملأت طرفى عن وردٍ تفتح فى
 وقلت لألحظ والصدغ احرسا فهما
 وليلة جثتها سحراً^(٥) أجوس بها
 أستفهم الليل عن أمثال أنجمه
 وأهتك السُّتر لا أخشى بوادره

ويشتكى الزند ما بالقلب من خرس
 سيوفُ الحاظها من آية الحرس
 آيات^(٦) موسى وقلبي موضع القبس
 تحت السكتومين من شعرٍ ومن غلس
 تقول بعد نفوذ^(٧) الزميمة احترس
 فى النزاعات وما تنفك من عبس
 إلا بقية رجع الصوت والنفس
 ضدّين فاعتبرى إن شئت واقتبسى
 ليلاً ونهضى للوجد ثم نسى
 أبصرته ذابلاً يشكو من اليبس
 رياض خديك صلاً^(٨) غير مُفترس
 ما بين مضمٍ وفتاك^(٩) ومفتكس
 شبا العوالى وخيس الأخنف الشرس
 وأسأل العيس^(١٠) عن سرب المها الألس
 ما بين مُنتهزٍ طوراً ومُنْتَهَسٍ

(١) وردت فى المخطوطين محرقة : فى «ك» معنى . وفى «ج» مسمى .

(٢) وردت فى المخطوطين : ورمها .

(٣) فى المخطوطين آية . والتصويب من «ت» .

(٤) واردة فى «ج» و«ت» . وساقطة فى «ك» .

(٥) وردت فى المخطوطين : ووجه . والتصويب من «ت» و«الملك» .

(٦) وردت فى «ج» و«ت» ، وبالطرف . وفى «ك» وبالطرف .

(٧) وردت فى المخطوطين : ضلاً . وفى «ت» والملكية : بالأصيل .

(٨) فى المخطوطين : ومايا .

(٩) فى المخطوطات الأربعة : ليلاً ، وهو تحريف .

(١٠) هكذا فى «ج» و«الملكية» . وفى «ك» : العيس .

بتنا نطأ بها ممزوجة مزجت
 أنسكتها من أبيها وهي آيسة
 نورٌ ونارٌ أضاءا في زُجاجتها
 حتى إذا آب نور^(٢) الفجر في وضح^(٣)
 وهيمنت بالضنا تحت الصباح صبا
 قامت تاجر فضول الريط آيسة^(٤)
 تلوث فوق كئيب الرمل مطرفها
 فظل قلبي يقفوها بملتهب
 دهر يُلون لونه كعادته

وإحسانه كثير، ومقداره كبير. ثم آب إلى بلاد السودان، وجرت عليه
 في طريقه محنة، ممن يعترض الرفاق ويُفسد السبيل. واستقر بها على حاله من الجاه
 والشهرة، وقد أخذ^(٥) أماء للتسرى من الزُنجيات [ووزق]^(٦) من الجوالك
 أولاداً كانوا منافسة. ثم لم يلبث أن اتصلت الأخبار بوفاته بتنبؤ^(٧)، وكان حياً
 في أوائل تسعة وثلاثين وسبعمائة.

(١) في المخطوطات الأربعة : حال .

(٢) في المخطوطات الثلاثة : ليل .

(٣) ساقطة في المخطوطات الأربعة .

(٤) ساقطة في المخطوطتين . وفي « الملكية » من طهر .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » أخذ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطتين ، وكذا في الملكية ولكن السياق يقتضيها بداهة .

(٧) هي بلدة من أعمال السودان الغربي، ونقع على مقربة من منحنى نهر النيجر . وقد كانت في

العصور الوسطى عاصمة لمملكة كبيرة زاهرة هي ملكة غانة السودان . وقد كانت هذه المنطقة معروفة

للرحل المسلمين، وقد زارها الرحالة ابن بطرمة ووصفها في رحلته . ولكن يوجد قول في الجغرافيا الحديثة

بأن الذي اكتشفها هم الرحل الأوربيون في القرن الثامن عشر . وهو زعم باطل .

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن مريسي بن إبراهيم
ابن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن الحاج .

أوليته

بيت نبيه ، يزعم من يُعنى بالأخبار ، أن جدّه الداخل إلى الأندلس ثوابة
ابن حمزة النميري ، ويشركهم^(١) فيه بنو أرقم الوادي شيون^(٢) . وكان سكناه
بجهة وادي آش ، ولقومه اختصاص وانتقال ببعض جهاتها ، وهي شوظر ،
والمنظر ، وقرسيس ، وقطرش^(٣) ؛ تغلب العدو عليها على عهد عبد العزيز ، وآوى
جميعهم إلى كنف الدولة النعمانية ، فانخرطوا في سلك الخدمة ، وتمحّض خلفهم
بالعمل . وكان جده الأقرب إبراهيم ، رجلاً خيراً | من أهل الدين^(٤) والفضل
والطهارة والذكاء ؛ كتب للرؤساء من بني إشقيلولة ، عند انفرادهم بوادي آش .
واختصّ بهم ، وحصل منهم على صهر بأم ولدٍ بعضهم ، وضيبت المهتم من
أعمالهم . ثم وابنه منهم سجايا ؛ أوجبت انصرافه عنهم ، وجنوحه^(٥) إلى خالم
السلطان الذي كاشفوه بالثورة ، فعرف حقّه ، وأكرم وفادته . وقبل بيانه ؛ فقلده
ديوان جنده ، واستمرت أيام عمره تحت رعيه ، وكف عنتائه . وكان ولده

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «ك» : وبشكرهم .

(٢) الوادي شيون ، أو الوادي آشيون . نسبة إلى مدينة وادي آش .

(٣) شوظر أو شوذر . وهي الآن Jodar الحديثة ، بلدة من أعمال ولاية جيان تقع جنوبي
مدينة أبدة بقليل . ولم نوفق إلى تحقيق مواقع الثلاثة الأخرى أو أسماؤها الإسبانية . ولكن يبدو من أقوال
ابن الخليل أنها كانت تقع بجهة في هذه المنطقة الواقعة شرق جيان وشمال وادي آش .

(٤) الكلمة الأولى من هذه العبارة واردة في «ك» وساقطة في «ج» . والكلمة الثانية واردة

في «ج» وساقطة في «ك» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» . وجنوحهم . وهو تحريف .

عبد الله أبو صاحبنا المترجم به ، صدراً من صدور المستخدمين في كبار الأعمال ، على سنن^(١) رؤسائهم ، مكسباً متلاقاً^(٢) ؛ سرى النفس ، [غاض الحواز]^(٣) .
ولى الأشغال بقرنطرة وسبّية ؛ عند تصيرها إلى إيالة بني نصر ؛ وجرى طلاقه هذا ، في صلّ دنيا عريضة ؛ تغلّبت عليه بأخرة . ومضى لسبيله ، مصدوقاً بالكفاية ، وبراعة الخط ، وطيب النفس ، وحسن المعاملة .

حاله

هذا الرجل نشأ على عفاف وطهارة ؛ امتك صباية ترف من بمايا عافية ، أعانته على الاستظهار بيزّة ، وصانته من التحرف بمهنة . ثم شدّ وبهرت خصاله ، فبَطَح بالشعر . وبلغ الغاية في إجادة الخط ، وحاضر بالأبيات ، وأرسم في كتابة الإنشاء ، عام أربعة وثلاثين وسبعمئة ، مُستحقاً حسن مِحة ، وبراعة خط ، وجوده أدب ، وإطلاق يد ، وظهور كفاية ؛ وفي أثناء هذا الحال ، يُقيد ولا يفتر ، ويروى الحديث ، ويعلق^(٤) الأناشيد ، ولا يغيب النظم والنثر ، ولا يُعنى القريحة ، مُعنى ، مخولاً في العناية ، مشتملاً على الطهارة ، بعيداً في زمان الشيبية عن الرّيبة ، نزيهاً على الوسامة عن الصّبوة^(٥) والرّقية ، أعانه على ذلك ، نخوة في طبعه ، وشفوف^(٦) وهمّة . كان مليح الدّعابة ، طيّب الفكاهة ،

(١) هكذا في « ج » و « ت » . وفي « ك » سر .

(٢) هكذا وردت في « ك » . ووردت في « ح » متلاقفاً .

(٣) وردت هذه العبارة في المخطوطين غاص الحواز . وفي « ت » : (غاص للحوار) وفي

المنسكبة (ماضاً للحوار) .

(٤) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين و « الملكية » : ويفلق .

(٥) هكذا وردت في « ت » . وفي « ح » الكبوه . و « ك » الطبوة .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » و « ت » : ووممه .

[آثر المشرق] ^(١) ، فأنصرف عن ^(٢) الأندلس في محرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة ، وألم بالدول ، محرّكاً إياها بشعره ، هازراً أعطافها بأمداحه ؛ فصرف قدره ، وأعين على طبيّته ؛ فحجّ وتطوّف ، وقبّد ، واستكدر ، ودوّن في رحلة سفره ؛ وناهيك بها طرقه ؛ وقفل إلى إفريقية ، وكان علق بخدمة بعض ملوكها ، فاستقرّ بجباية لديه ، مضطّلاً بالكتابة والإنشاء . ثم انتقل إلى خدمة سلطان المغرب ، أمير المسلمين أبي الحسن ؛ ولم ينسب أن عاد إلى البلاد الشرقية ، فحج ، وفصل إلى إفريقية ، وقد دالت الدولة بها بالسلطان ^(٣) المذكور ، فتقاعد عن الخدمة ، وآثر الاقتباس ؛ ثم ضرب الدهر ضرباته ، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف ، وثابت للموحّدين برمّة بجباية بارقة لم [تكذ تنقد] ^(٤) حتى خست ، فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجباية . [ثم] ^(٥) أبي مؤثراً للدعة في كنف الدولة الفارسية ^(٦) ، ونفّض عن الخدمة يده ، لا أحقّ مضطراً أم اختياراً ، وحجة كليهما قائمة لديه ، وانقطع إلى تربة الشيخ أبي مدين بعباد ^(٧) تلمسان ، مؤثراً للخمول ، عزيزاً به ، ذاهباً مذهب التجلّة من التجريد والعكوف بباب الله ، منخرّراً لأهل نخلته ^(٨) ، وحجة على أهل الحرص والتهافت ، من ذوى طبقة ، راجع الله بنا إليه بفضل . ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة ، وأبرّته برّة

(١) وردت هذه العبارة في المخطوطات الأربعة : (إلى آثر المشرق) وهو ما لا يدل على معنى معين . ونعتقد أن التصويب على هذا النحو يحقق المعنى المقصود .

(٢) وردت في المخطوطين (إلى) وهو ما يتعارض مع ما يلي . ونعتقد أن التصويب يساعد على استقامة السياق .

(٣) هكذا وردت في « ت » . وفي المخطوطين : السلطان .

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطين : « تكن تقد » . وحكمة التصويب ظاهرة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق والمعنى .

(٦) نسبة إلى السلطان فارس أبي عنان .

(٧) العباد هي ضاحية صغيرة تقع على مقربة من تلمسان ، وبها مزار ولى المغرب الشهير

« سيدي أبو مدين » وهو في الأصل العلامة الأندلسي الشهير شبيب بن الحسين المتوفى سنة ٥٩٤ هـ .

(٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » نخلته .

النَّسك ، فعاد إلى ديدنه من الكتابة ، رئيساً ومروئوساً . ثم أفلت نفيه موتُ
السلطان أبي عنان فلحق بالأندلس ، وتلقى ببراً وجراية ، وتنويه وعناية ،
وامتعمل في السفارة إلى الملوك ؛ ووُلِّي القضاء في الأحكام الشرعية بالقلم بقرب
الجُزرة ؛ وهو الآن بحاله الموصوفة ، صَدْرًا من صدور الفطر وأعيانه ، يحضر^(١)
مجلس السلطان ، ويُدُّ من نهاء من يُنتاب بابه ، وقد توسط من الاكتمال ،
مقبلاً لرسم الكتابة والظرف مع الترخيص للباس الحرير ، والخضاب بالسواد ،
ومصاحبة الأبهة ، والحرص على التجارة .

وجرى ذكره في « التاج المحلى » بما نصه : « طَلَعَ شهاباً ثاقباً ، وأصبح
بشعره للشعري مُصاقباً ، فنَجَمَ وبرع ، وتمَّ المعاني واخترع ؛ إلى خط يستوقف
الأبصار رأيته ، وتقيَّدُ الأحداق حدايقه ، وتفتن الأبواب فنونه البديعة وطرايقه ،
من بليغ يطارد^(٢) أسراب المعاني البعيدة فيقتنصها ، ويفوص على الدرر الفريدة
فيخرجها ، ويستخلصها بطابع مذاهبه دافقة ، وتأيد رأيته خاققة ، نَبُهَ في عصره
شرف البيان من بعد الكرى ، وانتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط وانبرى ،
فداوت الأكواس^(٣) ، وتضوع الورد والآس ، وطاب الصبوح ، وتبدل الروح
المروح ، ولم تزل نفحاته تتأرجح ، وعقائلُ بناته تتهرج ، حتى دُعي إلى الكتابة ،
وخطب إلى تلك المثابة^(٤) ، فطرز المفاوق برقوم أقلامه ، وشنَّف المسمع بدُرِّ
كلامه ؛ ثم أجاب داعي نفسه التي ضاق عنها جُثمانه ، لا بل زمانه ، وعظيها لها
فكره وغمّه ، وتمب [في]^(٥) مداراتها ، وكما قال أبو الطيب المتنبي : « وأنعمُ

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » و « الملكية » : محضرة .

(٢) في المخطوطين « والملكية » : يطارب والتصويب يقتضيه السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : الكبار . والتصويب من « الملكية » .

(٤) هكذا وردت في « الملكية » . وفي « ج » « المثوية » . والأولى أرجح .

(٥) إضافة يقتضيهما السياق .

خلق الله من راد محمد « ، فارتحل لهيئته ، واقتعد غارب^(١) مطيئته ، فحج وزار ،
 وشد للأوف الإزار . ثم هبا إلى المغرب وحوم ، وقفل قفول النسيم عن الروض
 بعد ما تلوم ، وحط بإفريقيه على نار القرى ، وحمد^(٢) بها صباح الشرى ، ولم
 يلبث أن تنقل ، ووحر الحميم شفافه وتنقل ، ثم بدا له أخرى فشرق ، وكان عزمه
 أن يجتمع فنفرق . »

مشيخته

روى عن مشيخة بلده وأشجر ، وقيد واستكثر ، وأخذ في رحلته عن أناس
 شتى بشق إحصاؤهم^(٣) .

تواليفه

منها كتاب « المساهمة والمساحة » ، في تبين طرق المداعبة والمازحة
 و« إيقاظ^(٤) الكرام ، بأخبار المنام » و« تنعيم الأشباح بمحادثة^(٥) الأرواح » ،
 وكتاب « الوسائل ونزهة المناظر والحائل » و« الزهراء وإجالة النظرات »
 وكتاب في « التورية » على حروف المعجم ، أ كثره مروى بالأسانيد عن خلق
 كثير ، والله تعالى يخبره ؛ وجزءه في تبين المشكلات الحديثة الواصلة من زبيد
 اليمن^(٦) إلى مكة ؛ وجزءه في بيان اسم الله الأعظم ، وهو كبير الفائدة ، و« نزهة
 الخلق في ذكر الفرق » ، وكتاب الأربعين حديثاً البليغية ، والمستدرك عليها
 من البلاد التي دخلتها ، ورويت فيها ، زيادة على الأربعين ، و« روضة العباد
 المستخرجه من الإرشاد » ، وهو من تأليف شيخنا القطب أبي محمد الشافعي ؛

(١) وردت في المخطوطين : غاب . وهو تحريف .

(٢) في « ج » : وحم . وفي « ك » وحمل . والنصوب يقتضيه السياق .

(٣) هكذا وردت في « الملكة » . وفي « ج » احصاؤهم

(٤) وردت في المخطوطين : إيقاض .

(٥) وردت في المخطوطين : محادثة .

(٦) وردت بحرف في المخطوطين : (زبيد اليمن) .

والأربعون حديثاً التي رويتها عن الأمراء والشيوخ ، الذين [رَوَوْا] ^(١) عن الملوك والأمراء ؛ والشيوخ الذين رَوَوْا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم ؛ ووصلت بها خاتمة ذكرتُ فيها فوائد مما رويته عن الملوك والأمراء ، وعن الشيوخ الذين رَوَوْا عن الملوك والأمراء ؛ وكتاب « اللباس والصحبة » وهو الذي بُجِمت فيه طرق المتصوفة ، المدعى أنه لم يجمع مثله ؛ وكتاب فيه شطرُ الحماسة لحبيب ، وهو غير مُكَمَّل ؛ ورجز في الفرائض على الطريقة البديعة التي ظهرت ببلاد الشرق ؛ ورجز صغير في الحجب والسلاح ، ورجز في الجدال ؛ ورجز في الأحكام الشرعية سماه ^(٢) ، « بالفصول المقتضية في الأحكام المنتخبة » ؛ وكتاب سماه « بمنايا القوانين ، في التورية والاستخدام والتضمن » ، وهو كله من نظمه ؛ وله تأليف سماه « بفيض العباب ، وإجالة قِداح الآداب ، في الحركة إلى قسنطينة وانزاب » ^(٣)

شعره

ومن شعره في المقتطعات :

طاب العذيب بماء ذِكْرِكِ وانثني فكأنما ماء العذيب سلافه
واهترأ من طربِ لانيكِ الحمي فكأنما بأناتِه أعطافه

ومن ذلك :

لِي المدحُ يروى منذ كنت كأنما تصورت مدحاً للورَى وثناء
ومالي هجاء فاعجبني لشاعر وكاتبٍ سرِّ لا يُقيم هجاء

(١) واردة في « ج » و « الملكية » . وساقطة في « ك » .

(٢) وردت في المخطوطين : سميته . والتصويب يقنضيه السياق .

(٣) وردت في المخطوطين : الذباب . وهو تحريف . والزاب من أقاليم المغرب الأوسط . وقسنطينة مدينة بالجزائر على مقربة من بجاية .

ومن ذلك :

ولى فرسٌ من عليّة الشهب سابقاً
أصرفهُ يوم الوغى كيف أطلب
عدوتُ له فى حلبة القوم مالكا [يتابعنى] ^(١) ماشئت [فى السبق] ^(٢) أشهب
وقال ، وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء « فيض الثغور » وشرب منها :
تعجبتُ من نَفَر هذى البلاد وها أنت من [عينه شارب] ^(٣)
فله نعر أرى شارباً وعينُ بدا فوقها حاجبُ

ومن ذلك :

وحراء فى الكأس مشمولة تحث على العود ^(٤) فى كل بيت
فلا غرو أن جاءنى سابقاً إلى الأنس خل ^(٥) يحث الكيت
وقال مُضَمَّنَا ، وقد تذكر حراء غرناطة ، وبابها الأحفل المعروف « بباب
الفرج » ^(٦) :

أقول وحراء غرناطة تشوق النفوس وتسبى المهج
ألا ليت شعرى بطول السرى أرتنا الوجى واشتكت ^(٧) العرج
ومالى فى عرجٍ رغبةً ولكن لأقرع باب الفرَج
وقال مُلغزاً فى قلمٍ وهر ظريف :
أحاجيك ما واشٍ يُراد حديثه ويهوى الغريب النازح الدار إفصاحه

(١) هكذا وردت هذه الكلمة فى « ج » . وفى « ك » : فنى يعنى .

(٢) الزيادة من « الملكية » ومكانها بياض فى « ج » .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى الملكية : (عينها تشرب) .

(٤) أغفلت فى المخطوطين : والإضافة من الملكية ونفع الطيب .

(٥) وردت فى المخطوطين : حل . والتصويب من النفع .

(٦) كان باب الفرَج هو باب قصر الحمراء الرئيسى الذى يلى « باب الشريعة » . وهو باب

مدخلها الحالى . وقد اختفى اليوم « باب الفرَج » .

(٧) وردت فى « ك » . واستكتب . وفى « ج » واستكتبه .

تراهُ مع الاحيان أصغرَ ناحلا كمثل مريض وهو قد لازم الراحة
وقال :

وقالوا رمى في السكاس ورداً فهل ترى لذلك وجهاً قلت أحسن به قصدا
ألم تجد اللذات في السكاس حلبة فلا تنكروا فيها السكيت ولا الورد
وقال :

[كَمَا تَلَاقَتْ تَحْتَ نَقْعِ سَيْوفِهِمْ وللهم رقصٌ كلما طلب النار
فلا غرو أن غنَّت وتلك رواقصٌ ... فيهم في ماردِ الحرب أوتار]^(١)
وقال :

وعارضٌ في خدِّه نباته فحسَّنه بين الورى يسحرنا
أجرى دموعى إذ جرت شوقاله فقات هنا عارضٌ ممطرنا
وقال وقد توفى السلطان أبو يحيى بن أبي بكر صاحب تونس، وولى ابنه
أبو حفص^(٢) بعد قتله لإخوته :

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصباً وإخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضى الورى سوى عمر من بعد موت أبي بكر
وقال مضمناً، وقد حضر القى الكبير عذبر قتالا، وكان فارساً مذكوراً عند
بنى مسرين :

ولقد أقول وعذبرُ ذاك القى يلقى الفوارس في العجاج الأكور
يا عاترين لدى الجلال لماً فقد بسقت^(٣) لكم ريح الجلال بعنبر

(١) ورد هذان البيتان بنصهما في «ك»، وأغفلا في «ج» وفي «الملكية».

(٢) هكذا وردت في «ك». ووردت في «ج» أبو جعفر. والأولى متفقة مع سياق الشعر.

(٣) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» تبعت.

وقال وقد اشتاق إلى السبيكة^(١) خارج حمراء غرناطة :
 وإن إفراط بُكائي لم يرُغ مني عريكة
 قد أذاب العين لما زاد شوقى للسبيكة^(٢)

لما نزلتُ من السبيكة صادني ظبيٌ وددت لديه أن لم أنزل
 فاعجب لظبي صاد ليثاً لم يكن من قبلها مُتخبطاً^(٣) في أخيل
 وقال وهو ظريف :

قد قارب العشرين ظبيٌ لم يكن ليرى الورى عن حبه مُلوانا
 وبدا الربيع بخده فكأتما وافى الربيعُ ينادم النعمانا
 وقال :

أتوتني فمابوا من أحبُّ جماله وذاك على سَمْعِ المُحب خفيف
 فما فيه عيبٌ غير أن جفونه مِراضٌ وأنَّ الخصر منه ضعيف
 وقال :

أيا عجباً كيف تهوى الملوكُ محلىً وموطن أهلى وناسى
 وتحسدنى وهى مخدمومة وما أنا إلا خديمٌ بفاس

نثره

ونثره تلو نظمه في الإجابة، وقد تضمن الكتاب المسمى «بنفاضة الجراب»^(٤)

(١) كان اسم «السبيكة» يطلق على الساحة الكبيرة البيانة الواقعة جنوب شرق الحمراء .
 (أنظر لزيادة التعريف الحاشية في ص ١١٦) .

(٢) أدمج هذان البيتان في المخطوطين في بيت واحد . وهما ساقلان في «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» : متحصنا .

(٤) «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب» هو أحد كتب ابن الخطيب التي وضعها قبل «الإحاطة»
 وقد أشرنا إليه في المقدمة عند الكلام على مؤلفات ابن الخطيب . ومنه قطعتان مخطوطتان . الأولى توجد
 مكتبة الإسكوريال وتتضمن السفر الثاني منه . والثانية توجد بخزانة الرباط العامة وتتضمن السفر
 الثالث . وقد وردت رسالة إبي إسحق بن الحاج ورد ابن الخطيب عليها في هذه القطعة الأخيرة (راجع
 تفاصيل الوافية عن هذا الكتاب في كتابي «لسان الدين بن الخطيب» ص ٢٤٢ - ٢٤٥) .

منه ذكر كل بديع ؛ فما ثبت فيه ، مما خاطبته به . وقد ولى خُدة القضاء بالإقليم ، أداعبه . وأثير ما استحويه عجائبه :

أيا قاضي العدل^(١) الذي لم تنزل تتنارُ شهب الفضل من شمسك
 قعدت للإنصاف^(٢) بين الورى فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

« ماللقاضي ، أبقاه الله . ضاق ذرعُ عدله الرَّحيب ، عن العجيب ؛ وهمَّ عن العتب ، وضمَّ^(٣) على صديقه حتى بالكُتب ؛ أمِن لأمدونة الكبرى ركب هذا التحريج ، أم من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج ؛ أم من الواضحة امتنع عن الإمام ببديع الوفاء والتعريج ؛ من أمثالهم إرض من أخيك بمشتر وُدّه إذا ولى ، وقد قنعنا والحمد لله بحجة من مُدّه ، وإشارة من دَرَجه ، وبرّة وصاعية^(٤) معتدلة ، من زمان بلوغ أشدّه ؛ فما باله يمدل مع الغني ، ويحوج إلى العنا ، مع قرب الجنبي ؛ المحلة حلة ضالع ، ومدممع وطامع ، وممرأى^(٥) ورأى ، ومستمع وسامع ، والكفّ واسع ، والمكان لاناك ولا شامع ؛ والضرع حافل ؛ والزرع كافٍ كافل ؛ والقريمة وارية الزند ، والإمامة خاققة البند ؛ وهب أن البخل يقع بها في الإخوان على الإخوان . فما باله يسمح بالبيان ، وليس الخبر كالبيان ؛ ويتمدى حظّ الجنان ، لاخطّ البنان ؛ أعيد سيدي من ارتكاب رأي ذميم ، ينقل إلى نبيرها بيت تميم ، ويقصدُ معناه بتميم . وهلا تلاحم ؛ وعهدى بالسياسة القاضوية^(٦) ، وقد نامت [في مهاد أهل الظرف]^(٧) ، نوم أهل الكهف ، ولم

(١) وردت في المخطوطين : اعدل .

(٢) وردت في المخطوطين : للانصراف . وحكمة التصويب ظاهرة .

(٣) وردت في المخطوطين : وطر . وهو تحريف .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : واسعة . والأولى أرحح .

(٥) هكذا في « ج » : والملكية . وفي « ك » : مرأ .

(٦) في « ك » ، العاطوية . وفي « ج » ، الفاطوية . وفي « الملكية » الفاطرية .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في « ك » . وفي « ج » (في مهاد الترف) .

تُبَال بِمَرْدُّ الْوَيْلِ وَاللَّهْفِ ، أَوْ شَرْبِ لِحْفِظِ الصَّحَّةِ بِخَتَجَا ، وَدَقَّتْ لِإِعَادَةِ الشَّيْبَةِ
عَنْصَا وَرَدَّ سَخْتَجَا ؛ وَغَطَّتْ الصَّبْحَ بِاللَّيْلِ إِذَا سَجَا ، وَمَدَّتْ ^(١) عَلَى ضَاخِي
الْبِيَاضِ صَيَّلاً ^(٢) مَبْجَسَجَا ؛ وَرَدَّتْ سَوَسْنُ الْعَارِضِ بِنَفْسِجَا ^(٣) ، وَلَيْسَ بِمَجْرَهَا
الزَّاخِرُ مِنَ طُحْلُبِ الْبَحْرِ مُنْتَسَجَا ؛ وَأَحْكَامُ الْعَامَةِ ، وَمَزِينٌ ^(٤) الْمَرْأَةُ يَنْصَحُ وَيُرْشِدُ ،
وَيَطْوِي الْمَحَاسِنَ وَيَنْشُدُ ، حَتَّى حَسَدَتْ الدَّارَةَ ، وَصَحَّتِ الْإِسْتِدَارَةَ ، وَأَعْجَبَهُ
الْوَجْهُ الْجَمِيلُ ، وَالْقَدُّ الَّذِي يَمِيدُ فِي دَكَّةِ الدَّارِ وَيَمِيلُ ، وَأَغْرَى بِالسَّوَاكِ السَّمِيمِ
وَالنَّكِيلِ ، وَوَجَّعَ بَيْنَ شَفْرَتَيْ سَيِّدِ الْمِيلِ ، وَقِيلَ لَوْ صَاحَ الْبَيْنُ خَابَ فِيكَ التَّأْمِيلُ ؛
وَامْتَدَّ جَنَاحُ بَرْنَسِ السَّرِيقِ ، وَاحْتَفَلَ ^(٥) الْغَصْنُ الرَّطِيبُ فِي الْوَرَقِ ، وَرَشَّ الْوَرْدُ
بِمَائِهِ عِنْدَ رَشْحِ الْعَرَقِ ، وَتَهَيَّأَ لِمَنْطَلَقِ . فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ نِسَاءَ أَعْوَانِهِ ، وَكَتَبَتْ دِيْوَانَهُ ،
سُورَةَ الْفَلَقِ ؛ مِنْ بَعْدِ مَا وَقَفَ الْإِمْلِيْقُ ^(٦) حُجَابَهُ عَلَى إِقْدَامِهِمْ ، وَسَجَّهَهُمْ جَلَاوَزَتَهُ
مِنْ أَقْوَامِهِمْ ؛ فَمَثَلُوا وَاصْطَفَوْا ، وَتَأَلَّفُوا وَالتَّفَوُّا ، وَدَارُوا وَحَفُّوا ، وَمَا تَسَلَّوْا
وَلَا خَفُّوا ^(٧) ؛ كَأَنَّمَا أَسْمَعْتَهُمْ صَيْحَةَ النَّشْرِ ، وَأَخْرَجُوا الْأَوَّلَ الْحَشْرَ . فَعْيُونُهُمْ بِمَلْتَقَى
الْمِضْرَاعِ مَعْتَوْدَةٌ ، وَأَذْهَانُهُمْ لِمَكَانِ الْهَيْبَةِ مَقْقُودَةٌ ؛ وَجِبَالَتُهُمْ قَبْلَ الطَّلَبِ بِهَا
مَنْقُودَةٌ ؛ فَبَعْدَ مَا فَرَّشَ الْوَسَادَ . وَارْتَفَعَ بِالنَّفَاقِ الْكَسَادَ ، وَذَارَعَ ^(٨) الْبِكَا
وَأَارَجَ الْحَسَادَ ، وَاسْتَقَامَ الْكُونَ وَارْتَفَعَ الْفَسَادَ ، وَرَاجَعَتْ أَرْوَاحُهَا الْإِجْسَادُ ؛
جَاءَتْ السَّادَةُ الْقَاضِيَةُ فَجَلَسَتْ . وَتَنَعَّمَتْ الْأَحْدَاقُ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاخْتَلَسَتْ ،

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» وممرت .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» هلا .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» سفسجا .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» و «الملكية» ومدين .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» واحتمل .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» الأملين .

(٧) وردت في المخطوطين والملكية : وحفوا .

(٨) هكذا في «ك» . وفي «ج» و «الملكية» : ودارع .

وسجّت الأَكْفُ حتى أفلست ؛ وزانت شمسها ذلك العَلَك ، وجلّت^(١) الأنوار
ذلك الحلاك ، وفتحت الأبواب وقالت هيت لك ؛ ووقفت الأعوانُ مِمَّاطِينَ
ومثّلوا خَطَّين ، وتشكّلوا مجرّة تنتهي منك إلى البطين . يُعلنون بالهدية ويجهرون ،
[ولا]^(٢) يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ؛ من كل شهاب ثاقب
وطائف غاسق واقب ، وملاحظ مُراقب ؛ كيشُ الإزار ، بعيد المزار ، حامل
الأوبار^(٣) ، خصيم^(٤) مبین ، وارثُ سوفطائياً^(٥) عن رثين ، مضطلع بفقته
البين^(٦) وحریمها ، فضلاً عن تلقين الخصوم [وتعليمها]^(٧) ، يرأسهم العريف
المقرّب ، والمقدم المدرب ، والمشافه المباشر ، والنابج الشاكر ، والنهج العاشر ؛
الذي يقتضى خلاص العقد ، ويقطع الكالى والنقد ، ويُرَكِّي ويجرّح ،
ويُمسك ويسرّح ويطرّح ، ويحمل من شاء أو يشرّح . والمسيطر الذي بيده
ميزان الرزق^(٨) ، وجميع أجزاء المُفترق ، وكافة^(٩) قابلة ، وحم الدواة الفاغرة ،
ورشا بلالة الصدور الواغرة ؛ فإذا وقف الحصان بأقصى مطرح الشعاع ؛ أيّان^(١٠)
يجتمع الرعاع ، وأعلنا النداء ، وطلب الأعداء . وصاحا جعل الله أنفسناك الفداء ،
ورفع الامر إلى مُقطع الحق ، والأولى بالثوبة الأُحق ، أخذتُهُما الأيدي دفعا في
القُفِّي ، ورفعنا السّتر اللطيف الخفي ، وأمساكا^(١١) بالحجر والأحكام ، ومنعنا المباشرة

(١) في المخطوطين : وجلب . وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في « ت » و « الملكية » .

(٣) وردت في المخطوطين : للأوربار .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، خيم .

(٥) وردت في المخطوطين : سوفطائياً .

(٦) هكذا في « ك » . وفي « ج » البيق .

(٧) واردة في « ت » و « الملكية » . وساقطة في المخطوطين .

(٨) هكذا في « ج » . وفي « ك » الورق .

(٩) هكذا وردت في « ج » و « الملكية » . وفي « ك » كفة .

(١٠) وردت في « ج » و « الملكية » أمان . وفي « ك » وأماي . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(١١) وردت في « ج » : وإساکا . وفي « ك » وإمسا . وهو تحريف .

والإمام ؛ فإذا أدلى بحجته من أدلى ، وسمعها دينه عدلا ، وحق القول ، واستقر^(١) الهول ، ووجبت اليمين . أو الأداء الذي يفوت له الذخر^(٢) الثمين ، أو الرهن أو الضمين ، أو الاعتقال الذي هو على أحدها كالأمين ؛ نهش الصل ، الذي سليمه لأهل ، ولسبت^(٣) العقارب ، التي لايفلتها الهارب ، ولا تخفى منها المشارب ؛ فكم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غير ، وصدّه ربح فيها صرّ : ويهدى ارتقاب قلة شهيد ، وكبش يجره بقرنيه ، ويدفع بعد رفع ساقيه ؛ ومعزى وجدى وقلائد ، [وسرب]^(٤) دجاج ، ذوات بجاج ، يفضحن^(٥) الطارق . ويشعن^(٦) المفاوق ، فتي يستفيق سيدي مع هذا اللفظ العائد بالصلة ، والهبو المتصلة ، وتفرغ يده البيضا لأعمال ارتياض ، وخط سواد في بياض ، أو حنين لدوح أو رياض ؛ أو إمتاع طرف ، باكتشاف حرف ، أو إعمال عدل لرسول في صرف ، أو حشو طرف ، بتحفة ظرف ؛ شأنه أشد استغراقا ، ومثواه أكثر طراقا ، من ذكرى حبيب ومنزل ، وأم ممدل ؛ وكيف يستخدم القلم الذي يصرف ماءه الحبر^(٧) ، بدنوب التبر ، في ترهات عدم جناها ؛ وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها ؛ اللهم إلا أن تحصل النفس على كفاية تحتم لها الصدر ، ويثام من خلاها اللجين [الرفيع]^(٨) القدر ، أو يحي للفكاهة والألس ، أو ينفق لديها ذمام على الجنس ؛ فرما تقع المخاطبة المبرورة ، وتبيح هذا المرتكب الصعب الضرورة ؛

(١) في المخطوطين : استنفر .

(٢) في المخطوطين : الزخر .

(٣) وردت محرقة في المخطوطين : ألبست في «ك» . والبيت في «ج» .

(٤) وردت مكانها في المخطوطين : وهو درب .

(٥) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» بمحصر . والأولى أنسب للمعنى .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» يشعن .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» البحر .

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، وواردة في «آت» .

والمرغوبُ من سيدنا القاضي أن يذكَرنا^(١) يوماً بالإغفال في نعيمه ، ولا ينجيبَ
 آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه ، ويسهمنا حظاً من فرائد خطه ، لامن فوايد خطته ،
 ويجعل لنا كفلاً من فضل بُرئته وحِذَاطته^(٢) لا من فضل هِرته وقِطته^(٣) ؛ فقد
 غنينا عن الخلاوات بحلاوات لفظه ، وعن الطرف المجموعة ، بفنون حفظه ، وعن
 قصب السكر ، بقصب أقلامه ؛ وعن جنى الروم برّوامه ، وبهدية ، عن جدية ؛
 وبمجاجته ، عن دجاجته ؛ وبدلجه عن أثرجه ؛ وعن البرّ بيرة ، وعن الحبّ
 بحبّه ؛ ولا نأمل إلا طواع بطاقته ، وقد رضينا بوسع طاقته ؛ وإلا فلا بدّ أن يبيش
 جيش الكلام إلى عتبه ، ونوالى عليه ضرايب الكتائب ، حتى يتقى بضريرة
 كتبه . والسلام^(٤) .

فرايعني بما نصه :

فريت عن الإنصاف مني لأنني كما قلت لكم من فراقكم قاضٍ
 فمن سمعنا أو من بعينك إنني^(٥) بكل الذي ترّضاه يا سيدي راضٍ
 « عمرك الله أيها الإمام الفدّ؛ ومن بمدحه تطرب الأسماع وتلدّ ، أوحده الدنيا
 وحائز الرتبة العليا ؛ ولولا أنك فوق ما يقال ، والزلة إن لم تظهر المعجز عن وصفك
 لا تقال ، لأطلت في القول ، وهدرت هدير^(٦) قرع الشول ، لكن تحصيل
 الحاصل مُحال ، ولكل في تهيب كالك مقال ، ومقام وحال ؛ ولولا أن الدعاء مأمول ،
 وهو يظهر الغيب مقبول ، والزيادة من فضل الله لا تنتهي ، والنعم قد توافيك ،

(١) وردت في المخطوطين : يذكر . والتصويب يقتضيه السياق .

(٢) وردت في المخطوطين : برئته ومظنه . والتصويب من « الملكية » .

(٣) في المخطوطين : وقطعته . والتصويب يقتضيه السياق .

(٤) وردت هذه الكلمة في « ك » . وأغفلت في « ج » و « الملكية » .

(٥) وردت هنا الشطرة في المخطوطين هكذا : (فن سمعنا أو بئناك إنني) في الزي .

(٦) في المخطوطين : هدير . والتصويب يقتضيه السياق .

فوق ما تشهى، لأريت^(١) أن ذلك [أمر]^(٢) كفى، وأمرٌ ظهر [فيه ما خفى]^(٣)
[إن قلتُ لازلتَ مرفوعاً فأنت كذا أو قلتُ زانك ربِّي فهو قد فعلاً]^(٤)

إيه ياسيدي ما هذه السكاهات السحرية والأنفاس النفيسة الشجرية، والألفاظ
التي أنالت المرغوب وخالطت بشاشتها القلوب، والنزعات الرائقة، والأساليب الفائقة،
والفصاحة التي سلبت العقول، والبلاغة التي أوجبت الدهول، والبيان الذي لا يضيق
صحيفه^(٥)، ولا يبلغ أحد مده ونصيفه، يميناً بما احتوى من المحاسن، واللائف
التي لم يكن ماؤها بالأسن، وقسماً ببراعتك التي هي الواسي المطاع، وطرسك الذي
أبهجت به الأبصار والأسماع؛ لقد عاد لي بكتابتك عيد الشوق، وجاد لي بنخلة ابك
جد التوق، ولمهدي بنفسى رهن أشجاني^(٦)، غير مخلولة عهدة [لساني]^(٧)،
أشد من الصخرة جلدًا، وأغاظ من الإبل كبدًا؛ حتى إذا بدت حقيده^(٨) القلب
وهب نسيمة الرطب، وأفصح مورد العذب، وأضاء بنوره الشرق والغرب، ولم
يبق لي بث ولا شجن، ولا شاقني أهل ولا وطن؛ ومضى سيف اللسان بعد النبوء،
ونفض طرف الفكر بعد البكر، وهزني الطرب المثير^(٩) للأفراح، ومشى الجندل^(١٠)
في أطرافي وأعطاني مشي الراح؛ بيد أني خجلت ولا خجلة ربة الخدر^(١١)،

- (١) هكذا وردت في «ج» وفي الملكية. وفي «ك» لرأيتك.
- (٢) وردت فقط في «ك». وساقطة في باقي المخطوطات.
- (٣) وردت هذه العبارة في «ج». وأغفلت في «ك».
- (٤) هذا البيت وارد في «ج» و«الملكية». وساقط في «ك».
- (٥) هكذا وردت في «ج» و«الملكية». وفي «ك» حصيفه.
- (٦) وردت في المخطوطين: الشحاني. وهو تحريف ظاهر.
- (٧) وردت في «ك» و«الملكية». وأغفلت في «ج».
- (٨) هكذا في «الملكية». وفي «ج» حقيرة. وفي «ك» حريقة.
- (٩) هكذا في «ك». وفي «ج» المتين.
- (١٠) وردت في المخطوطين: الجزل.
- (١١) وردت في المخطوطين: الخدر.

وتضاءلت نفسى لجلالة ذلك القدر؛ وقلت مالى بشرية من كأس بيانه، وقطرة من
بحور إحسانه؛ حتى أودى، ولو بعض حقك، وأكتب عقد ملك رقى لرقك، إننى
على ماوليت من الصدقة والصدّاقة وبعد طلاقك؛ لكنى أقوم فى حقك مستغفراً،
ولا أرضى أن أكون لذمة المخدم خفراً؛ على أننى أقول، قد كتبت فلم يرد
جوابى، وجرمت فهاج الجوى بى، ولعمري قد لزمت فيه خطة الأدب، ولم أر
التثقيب على المولى الرفيع الرتب؛ فأما وقد نفقت عندك بضاعتى المزجاة، وشغلتنى
من لدنك الحلم والأناة، وشرفتنى بالخطاب الكريم، والرسالة التى عرفت فى وجهها
نصرة^(١) النعيم؛ فما أبغى إلا إيرادها^(٢) عليك وكلها خراج، ولبردها فى الإجابة
إنهاج؛ ولعلك ترضى التخريج من مدونة الأخبار، والمبسوطة والواضحة، لكن
من الأعذار. وأما الولاية التى يقنع بسببها من الود بالشر، أو بحجة من المد إلى
يوم النشر، فلا بد أن يكون القانع محتاجاً للوالى، ومفتقراً إلى التفقد^(٣) المتوالى؛
وأما إذا كان القانع هو الذى تولى الخطة، وأكسب المهر^(٤) الذى أشار إليه والقطعة،
فهو قياس عكسه كان أقيس، بل تعليم لمن وجد فى نفسه خيفة وأوجس؛ وهأنا قد
فهمت وعلمت، من حسن تأديبك ما علمت، وعلى ما فرطت فى جنيتك ندمت،
وإلى المعذرة^(٥) والحمد لله ألهمت؛ ومع ذلك أعيد حديث الشيخ [القاضي] ^(٦)،
وذكر عهدك به فى الزمان الماضى؛ فلقد أجاد، فى الخطاب^(٧) بالسواد، واعتمد
على قول المالكي الذى هدى [إلى الرشاد]^(٨)، وأوجبه بعضهم فى بلاد الجهاد؛

(١) هذه الكلمة واردة ثابتة فى «ك». وساقطة فى «ج».

(٢) وردت فى المخطوطين والملكية: أيراما.

(٣) وردت فى المخطوطين: تفقد.

(٤) وردت فى المخطوطين: الهند.

(٥) وردت فى المخطوطين: المعذرة.

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين و«الملكية»، واردة فى «ت».

(٧) وردت فى المخطوطين: بالخطاب. والنصوب يقتضيه السياق.

(٨) هكذا وردت فى «ج». وفى «ك»: للرشاد.

وبين عمر منافع الخضاب^(١) الصادقة الإشهاد، وخضب بالسواد جماعة من الصحابة الأجداد، وكان ذلك ترخيصاً لم يعد شرعاً، لكنه دفع شراً وجلب نفعاً، لا كأخيه الذي أبكى عين الحميم، وأنشد قول الرضي يوم السقيم، وفتح قلوب أتراه، ولم يأت بيت النصف من بابه، وإلا فقد علم أن في الخير مشروع، وتعجل الشيء قبل أوانه ممنوع، وستغيب أخاك ولو بعد حين، وما كل صاحب محمد^(٢) في إيضاح وتبيين، وإني لأرجو أن تزوجها بكراً، تلاعبها وتلاعبك، أو ثيباً تقصر عن حبها مآربك، فلا جرم ترجع إلى الخضاب، وحينئذ تمتع برشف الخضاب، وإلا قالت سيدي، لا تعظم المني، ولا تجعل القطر قبل أن يموت^(٣) عمر، لعمر الله إن هذا الموقف صعب، قد ملأ الروح منه روع ورعب، وإن أضاف إلى ذلك غلبة الأوهام، وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المتحرك المطلوب، وتنقص عند ذلك المحبوب، والله يعينك أيها المولى، ويواليك من بسطه أضعاف ما ولي. وأما الأوصاف التي حسبتها^(٤) أوصافي، وأوجبت حكمها بالقياس على خلافي^(٥)، فهي لعمرى أوصاف لا تُراد، ومراع لا شك أنها تراد، غير أني بعيد العهد بهذه البلاد، [لا أمت لها]^(٦) إلا بالانتساب والميلاد، لا كالتضارة الذين ذكرت^(٧) لهم عهداً، ونظمت حلالم^(٨) في جيد الدهر عقداً، ولو أنك [بسرك]^(٩) بصرتني بشروط القضاء وسجايا أهل الصرامة والمضاء، لحققت المناط، وأظهرت الزهد

(١) وردت في المخطوطين هنا أيضاً : الخطاب .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » يحمل .

(٣) هكذا وردت في « ت » . ووردت في المخطوطين والملكية : أموت . والأول أرجح .

(٤) وردت في المخطوطين : حسبتها .

(٥) وردت في المخطوطين : خلاف .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » والملكية . وفي « ك » : لا أمتلها .

(٧) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : يذكر .

(٨) هكذا في « ح » . وفي « ك » : حالم .

(٩) هذه الكلمة واردة في الملكية ، وساقطة في باقي المخطوطات .

والاعتباط ؛ لكنى جهلت [والآن ألهمت] ^(١) ؛ وما علم الإنسان إلا ليعلم ، والله يهديننا إلى الذى يكون أحسن وأقوم ؛ وإنى لأعلم سيدي بنجبرى ^(٢) ، وأطلع جلاله على عجبى وبجبرى ؛ ولكنى رحلتُ عن تلك الحضرة ، وعَدِمَتِ النظرة فى تلك النظرة ؛ لبستُ الإهمال ، وأطلعت فى السفر والاعتمال ، فأقيم بادي الكتابة ، مُهتاج الصبابة ، قد فارقتُ السكن ، وخلفت الدار مشيرة الشجن :

وكانت جنّتى فخرجتُ منها كآدم حين أخرجته الضرار

حتى إذا حطّطتُ رحلى بالقرى ، وقنعت بالزاد الذى كفى معياراً والقرى ؛ أذخلت إلى دار ضيقة المسالك ، شديدة ^(٣) الظلمة كالليل الحالك ، تذكرنى القبر وأهواله [وتُنسينى الذى أهواه] ^(٤) ، بل تزيد على القبر برقل ^(٥) لا يتخلص ، وبراغيث كريمة الكتان حين تُمحص ؛ وبعوض يطيل ألهمز ^(٦) ، ولا تغنى حتى تشرب ، وبوق يسقط سقوط الندى ، ويترحف إلى فراشى زحف العدا ؛ وأراقم خارجه من الكوى ^(٧) ، وحيات بلدغها نزاعة للشوى ؛ وحنون يُسمع عزيزها ^(٨) . وسراق لا يعدم تخويقها ؛ وهذا ولا قرق ^(٩) لمن بالقهر حبس ، لإحصيرُ قد اسودّ من طول ما لبس ؛ لا يجترى ^(١٠) فى طهارته بالنضح ، ولا يجشد من جلس عليه إلا بالجرح ؛ حتى إذا سجا الليل ، وامتدّ منه على الآفاق الذيل ، فارقتى

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (والى الآن أمهلت) والأولى أرجح .

(٢) وردت فى المخطوطين : بنجبر .

(٣) هكذا وردت فى «ك» . وفى «ج» : الشديدة .

(٤) وردت هذه العبارة فى «ج» و «الملكية» . واغفلت فى «ك» .

(٥) هكذا فى «ك» . وفى «ج» : بزبل .

(٦) هكذا وردت فى «ك» . وفى «ج» و «الملكية» : المنى . والأولى أصوب .

(٧) هكذا فى «ك» . وفى «ج» : الكرى .

(٨) وردت فى المخطوطين : عزيزها . وفى الملكة عزفها . والتصويب أرجح .

(٩) هكذا وردت فى المخطوطين : والقرق ، هو المكان المستوى .

(١٠) هكذا وردت فى «ج» . وفى «ك» : يجن .

العونُ فراقُ السكرى ، وروايتُ الدمعِ لما جَرَى قد جَرَى ؛ فأتوسدُ والله ذراعى
ولأحمدِ والله اضطجاعي ؛ فِكِلَا كَبَلِيَّ محمودين . والوجهُ والسَّهرُ محمولان على الرأسِ
والعينِ ؛ حتى إذا طلع الصبيحُ ، وآن لبالي وعيونُ الخصومِ الفُتْحُ ، أتانى عونٌ قد
انحنى ظهره ظهره ، ونيف عن المائةِ عمره لا يشمر^(١) بالجون الصَّيب . ولا تُسمعه كبات
أبي الطَّيِّب ؛ برَبْرَى الأصل ، غير عارف بالفصل ؛ حتى إذا أُذِنْتُ للخصومِ ،
وأردتُ إحياءَ الرسومِ ، دخل على غولان عاقلان^(٢) ، وأثقلَ كَتْفِي منهما مايلان ، قد
أكلَا الثومَ النَّيِّءَ والبصلَ ، وعَرَفا في الزنابير عرقاً اتصل ، يُهديان إلى تلك الروائحِ ،
ويظهران لي المخازي والفضائحُ ؛ فإذا حَكَمْتُ لأحدهما على خصمه ، وأردتُ الفصلَ
الذي لامطع في فِصْمِهِ ؛ هرب العونُ هرباً ، وقضى من النجاة بنفسه أرباً ؛ واجتمع
إلى النصحاءِ ، وجاء المرضى والأصحَّاءُ ، كل يتول أتريد تعجيل المنايا ، وإثكال
الولايا ، وإتعب صديقتك السيد العباد ، بمرتبته كما فعل مع القاضي الحداد ؛ فأقول هذا
جهاد ، ومالى في الحياة مُراد ، فأرتكب الخطرَ ، وأقضى في الحسك الوَطْر . والله
يسلِّم ، ويُكْمِلُ اللطفَ ويتِمِّم . وأما إذا جاء أحدكم لكتب عقد ، وطمعتُ في
نسيئةٍ أو نقد ، قطعتُ يومى في تفهيم مقصده ، مستعيناً بالله من غضبه وحرده ؛
حتى إذا ماتخلَّصتُ منه ، وهلأت السُّجُلُ بما أثبتته عنه ، كشف عن أنياب عُضَلِ ،
وعبس عبوس الحب لا تقطاع وُضَلِ ؛ وقال لقد^(٣) أخطأت فيما كتبت ، ورسمت
ما أردت وأحببت ؛ فأكتبُ عقداً ثانياً وثالثاً ، وأرتقبُ مع كل كلامٍ حادثٍ
حادثاً ؛ فإذا رضى ، فأسأله كيف ؛ ومن السَّالَى^(٤) الذى أظهره ، أو اسمه^(٥) أو السيفَ ،
أخرج من فمه درهماً نَتِيناً ، قد لزمَ ضرساً عَفِناً ؛ فأعاجله في البخور ، وأحكهُ في

(١) هكذا في «ج» . وفى «الملكية» يسمع .

(٢) هكذا وردت في «ك» . وفى «ج» و «الملكية» غاملان . والأولى أرحح .

(٣) وردت في المخطوطين : لو . (٤) هكذا وردت في «ك» . وفى «ج» : البسار .

(٥) وردت في المخطوطين : اسم . وبهذا التعديل يستقيم المعنى نوعاً .

الصخور ، حتى إذا حمل لمن يبيع خبز الذرة مُنتنًا ، ويرى أنه قد فضل بذلك أنسا وحُسناً ، وجده ناقصاً زايماً . فيرجع حامله وجلاً خائفاً : ويبقى القاضي فقيداً الهجوع ، يشدُّ الحجر على بطنه من الجوع ؛ على أنني أحمدُ خلاء البطن . وما بجسسى لا يُحكى من الوهن : لتعذر^(١) المرحاض ، وبُعد ماء الحياض ؛ وكهُون السباع في الغياض ، وتعلق الأفاعى بالرداء الفُضفاض ؛ ونجاسة الحجارة ، وكثرة ترددِ السيارة ، والانكشاف للريح العقيم ؛ والمطر المنصبُّ إلى الموضع الذميم . هذه الحال ، وعلى شرحها مجال^(٢) ؛ وقد صدقتك سنن فكري ، وأعلمتكَ بذات صدري ؛ فتجلى الغرارة غرور ؛ وشهود الشَّهيد زور ، والطمع في الشرة إصرار ؛ ودون التَّبر^(٣) يعلم الله تيار . وأما الكُنبشُ فخطى منه غباره إذا خطر ، والثور بقرته إذا العيد حضر ؛ كما أن حظي من الجدوى التآذي بمسلكه ؛ وإن جدوى السوء لأقرب لي ، من تملكه ؛ وأنا من الخلاوة سالمُ ابنُ حلاوة ؛ ولا أعهد من طرف الطرف الدماوة ؛ ودون الدجاج كل مُدجج ، وعوض الأترج رجَّة بكل معرج ؛ ولو عرفتُ أنك تقبل على حلاتها الهدايا ؛ وتوجبُ المزيد لأصحابك المزايا^(٤) ؛ لبعثتُ بالقماش ؛ وأنفذتُ الرياش ؛ وأظهرتُ الغنى ؛ والوقوف بمبنى الهنى ، وأوردتها عليك من غير هلع ؛ مضلعة في الجوف بعد بلع ؛ من كل ساحلية تُقرب إلى البحر ، وعُدوية لاتعد ، وصدر مجلس الصدر : حتى أجمع بين [الفاكحة]^(٥) والفكاهة ، ويبدولي بعد الشقف وجوه الوجاهة ؛ وأتبرأ من الصدِّ المذموم ، ولا أكون أهدأ من القطا لعُرق^(٦) اللوم ، لأنك زهدتَ في الدنيا زهد ابن آدم ، وألهمك الله من ذلك أكرم

(١) وردت في المخطوطين : لتعد . والتصويب بقنضيه السباق .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : محال .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » و « الملكية » البر .

(٤) وردت في المخطوطين : المرايا . وهو تحريف .

(٥) هذه الكلمة واردة في « ك » و « الملكية » . وساقطة في « ج » .

(٦) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » . لطوق . والأولى أسبب للسياق .

ما ألهم ؛ فَيَدُّكَ من أموال الناس مقبوضة ، وأحاديث الأله الفاتحة لِّها مرفوضة ؛
 وإذا كان المرء على دين خليله ، ومن شأنه سلوك نهجه وسبيله ، فالأليق أن أزهده
 في الصفراء والبِيضاء ، وأقابل زُخرف الدنيا بالبغضاء ، وأحقيق وأرجو على يدك
 حسن التخلّي ، والاطلاع على أسرار التجلّي ؛ حتى أسعد بك في آخرتي ودنياي ،
 وأجد بركة خاطرك في مماتي ومحياتي ؛ أبقاك الله بقاء يسر ، وأمتع بمنابك التي
 يحسبها الباقوت والدر ، ولا زلت في سيادة تروق نعتاً ، وسعادة لا ترى فيها
 عوجاً ولا أمتاً ، وأقرأ عليك سلاماً عاطر العرف ، كريم التأكيد والمطّف [ما رنى
 لحالي راث ؛ وذكرت أذاية حراث] ^(١) ، ورحمة الله وبركاته . وكتبه أخوك
 ومملوكك ، وشيعةُ مجدك ، في الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة
 وستين وسبعمائة .

مولده

بغمرناطة عام ثلاثة عشر وسبعمائة .

محتله

توجه رسولاً عن السلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى بن
 يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن [يَعْمُرَاسِين بن زيّان] : ^(٢) وظفر بالجفن الذي
 ركبته العدو ، بأحواز جزيرة حبيبة ^(٣) ، من جهة وهران ، فأسر ^(٤) هو ومن بأسطول

(١) ما بين الخاصرتين وارد في المخطوطين مع اختلاف بسير . وساقط في «ت» والملكية .

(٢) ورد هذان الإسمان محرفين في المخطوطين هكذا : (عمراسان بن زياد) . والتصويب من

«اللمحة البدرية» .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» : حبيه . وهو محريف . وجزيرة حبيبة تقع غربي

مدينة وهران على مقربة الشاطئ .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : فاتسر .

سفره من المسلمين ؛ وبلغ الخبر ^(١) فِعْظُ الفَجْعِ ؛ وبين نَحْنُ نَرُومُ سفرَ أسطول يأخذ
 الثار ، ويستقرى ^(٢) الآثار ، فيقبل العثار ؛ إذا اتَّصلَ الخبرُ بمهادنة ^(٣) السلطان
 المذكور ، ففدى ^(٤) من أُسرِ بذلك المال الذي يَنيفُ على سبعة آلاف من العَيْنِ في
 ذلك ؛ فتخلص من المحنة لأيام قلائل ، وعاد ؛ فتولى السلطان إرضاءه عما فقد ،
 وضاعف له الاستغناء وجدد ؛ وكان حديثه من أحاديث الفرج بعد الشدة محسوبا ،
 وإلى سعادة السلطان منسوبا . وأنشدته [شعراً في مصابه ، بعدها] ^(٥) ؛ وقد
 قضيت له من يرُّ السلطان على عادتي ، ما جَبَّرَ ^(٦) الكسْرَ ، وخَفَضَ الأمرُ :

خَلَصْتُ كَمَا خَلَصَ الزُّبْرُفَانُ وَقَدْ كَحَّنَ النُّورُ عَنْهُ السَّرَا

وَفِي السِّيْقِ وَالرَّارِ فِي هَذَا سَرٌّ وَفِي ذَا أُسْرَارِ

وكان تاريخ هذه المحنة المُرْدَقَةُ المِنْحَةُ ^(٧) ، حسباً نقلته من خطه ؛ قال ،
 « اعلموا ياسيدي أبقاكم الله تعالى ، أن سفرنا من أُلْرِيَّةَ ، كان في يوم الخميس
 السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، وتغلب علينا العدو في
 عَشِيَّةِ يوم الجمعة الثاني منه ، بعد قتال شديد ؛ وكان خروجنا من الأُسْرِ في يوم السبت
 الثاني والعشرين لربيع الثاني المذكور ، وكان وصولي إلى الأندلس في أسطول مولانا
 نصره الله ، في جمادى الآخرة من العام المذكور ، بعد أن وصلوا قرطاجنة وأخذوا
 أجفاناً ثلاثة من أجفان العدو ، وعمل المسلمون ^(٨) الأعمال الكريمة . »

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : البحر . وحكمة التصويب واضحة .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : ويستفرق .

(٣) وردت في المخطوطين : بمهادة . وفي « ت » بمهادات . وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي « ت » و « الملكية » : وفك ، والمعنى واحد .

(٥) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة وكذا في « الملكية » على النحو الآتي : (سمة

أصابه بعدها) . وهو تحريف لا معنى له . وقد حاولنا بما أثبتناه أن نقرب المعنى المقصود .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة : يجبر . وصيغة الماضي هنا لازمة لاستقامة السياق .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : (المحنة) مرة أخرى وهو تحريف .

(٨) وردت في المخطوطين : المسلمين . وهو خطأ اقتضى التصويب .

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله
ابن عمر بن فرقد القرشي العامري

قال ابن عبد الملك ، كذا وفتت على نسبه بخطه في غير ما موضع من أهل
مُورَة^(١) ؛ وسكن إشبيلية .

حاله

كان مُتَفَنَّئًا في معارفه ، محدثًا ، راوية^(٢) ، عدلًا ، فقيها ، حافظًا ، شاعرًا ،
كاتبًا ، بارعًا ، حسن الأخلاق ، وطيب الأكناف ، جميل المشاركة لإخوانه
وأصحابه ؛ كتب بخطه الكثير من كبار الدواوين وصغارها ، وكان من أصح
الناس كتبًا ، وأتقنهم ضبطًا وتقييدًا ، لاتكاد تلتقي فيما تولى تصحيحه خلافاً ، وكان
رؤوفًا شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى ، صليباً في ذات الله تعالى ،
يعقد الشروط مُحْتَسِبًا ، لا يقبل ثواباً عليها إلا من الله تعالى .

مشيخته

تلا بالسبع على أبي عمران موسى بن حبيب ؛ وحدث عن أبي الحسن بن سليمان
ابن عبد الرحمن المقرئ ، وعبد الرحمن بن بَقِيٍّ ، وأبي عمرو ميمون بن ياسين ،
وأبي محمد بن عتَّاب ؛ وتفقه بأبوي عبد الله بن أحمد^(٣) بن الحاج ، وابن حميد ،

(١) هكذا في «ك» . وفي «ح» (مردم) وفي «الملكية» بدره ، وهو تحريف . وموره ،
وبالإسبانية Mora ، هي لمدة من أعمال طليطلة ، وتقع في جنوبها الشرق على مقربة منها .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» راوياً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي «الملكية» (بأبي عبد الله بن محمد ... الخ) .

وأبي الوليد بن رشد؛ وأجاز له أبو الأصبغ بن مناصف ، وأبو بكر بن قزمان ،
وأبو الوليد بن طريف .

« من روى عنه »؛ روى عنه أبو جعفر ، وأبو إسحاق بن تلي المزدالي ،
وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعوي بن عفير ، وأبو بكر بن حكيم الشرمسي ، وابن خبير ،
وابن تسع ، وابن عبد العزيز الصدفي ، وأبو الحجاج إبراهيم بن يعقوب ، وأبو علي
ابن وزير ، وأبو الحسن بن أحمد بن خالص ، وأبو زيد محمد الأنصاري ، وأبو عبد الله
ابن عبد العزيز الذهبي ، وأبو العباس بن سلمة ، وأبو القاسم بن محمد بن إبراهيم
المراعي ، وأبو محمد بن أحمد بن جمهور ، وعبد الله بن أحمد الأطلس .

توالياه^(١)

دون برناجاً مُعتماً ذكر فيه شيوخه ، وكيفية أخذه عنهم ، وله رجز في الفرائض
مشهور، ومنظومٌ كثير ، وترسلٌ مُنوع ، وخطبٌ مختلفة المقاصد ، ومجموعٌ
في العروض .

دخوله غرناطة

قال المؤرخ : وفي عام أربعة وخمسين وخمسمائة ، عند تغيب الخليفة بالمهدية
استدعى السيد أبو سعيد الوالي بقرناطة ، عند استقراره بها ، الحافظ أبا بكر بن
الجد ، والحافظ أبا بكر بن حبيش ، والكاتب أبا القاسم^(٢) بن المراعي ، والكاتب أبا
إسحاق بن قرقد ، وهو هذا المترجم به ، فأقاموا معه مدة تقرب من عامين اثنين بها .

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وترد أحياناً : تأليفه .

(٢) وردت في المخطوطتين : ابن القاسم . والتصويب من « ت » .

شعره

مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء الأندلس :

ألا مُسْعِدُ مُنْجِزُ ذُو فِطْنٍ يبكي بدمعٍ مَرِيعٍ هَاتِنِ
جزيرةً أندلسٍ حَسْرَةً^(١) لا غالب^(٢) من حقود الزَّمنِ
ويَتَدَبُّ أَطْلالَهَا آسِفًا ويرثي من الشُّعرِ ما قد وَهَنَ
ويبكي الأيامِ ويبكي اليَاسَمِي ويحكى الحَمَامِ ذواتِ الشَّجَنِ
ويشكو إلى الله شكوى شَجْرٍ^(٣) ويدعوهُ في السُّرْمِ العَلَنِ
وكانت رِبَاطًا لِأَهْلِ التُّقَى فعادب مناطًا لِأَهْلِ الوَثَنِ
وكانت معاذًا لِأَهْلِ التُّقَى فصارت ملاذًا لِمن لم يَدِنِ
وكانت شَجِيًّا فِي حُلُوقِ العِدا فأضحى لهم مألها مُحتَجِنِ

وهي طويلة ؛ ولديّ خلاف فيمن أفرط في استحسانها . وشعره عندي وسط .

ومن شعره وهو حجة في عُمره عند الخلاف في ميلاده ووفاته . قال :

ثمانون عامًا مع سِتِّ عُمَرَتِ ولِيتني أَرَقْتُ دموعي بالبكاء على ذَنْبِ
فلا الدَّمعُ في محو الخدايئة غُنِيَّةُ إذا هاج من قلبٍ مُنِيبٍ إلى الرُّبِ
فيا سَمَعَ الأصواتِ رحماكِ أُرْتَجِي فهب لي انسكابِ الدمعِ من رِقَّةِ القلبِ
وزك الذي تَدْرِيهِ من شِيمة^(٤) تعلق بالمَظْلُومِ من شدَّةِ الكَرْبِ

(١) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» و «ت» حسرت .

(٢) وردت في المخطوطين : عاليًا . والتصويب من «ت» .

(٣) وردت في المخطوطين : (شجر) . والتصويب من «ت» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» شيتي .

وزكٌ مثابى^(١) في العقود وكسبها
 لوجهك لم أقبل ثواباً على كسب
 ولا تحرمني أجر ما كنتُ فاعلاً
 فحق اليتامى عندي من لذي صعب
 ولا تخزني يوم الحساب وهوله
 إذا جئتُ مذعوراً من الهول والرعب

مولده

حسباً نقل من خط ابنه أبي جعفر ، ولد ، يعني أباه سنة أربع وثمانين وأربعمائة .
 « وفاته » ؛ بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء [الثامن عشر]^(٢) من محرم
 عام اثنين وسبعين وخمسمائة . ونقل غير ذلك .

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفرى
 أبدي^(٣) الأصل ، غرناطى الإستقرار ، ويكنى أبا إسحاق .

حاله

خاتمة الرجال^(٤) بالأندلس ، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات ، صادق
 الأحوال ، شريف المقامات ، ماثور الإخلاص مشهور الكرامات ، أُصِبرُ الناس
 على مجاهداته ، وأدومهم على عملٍ وذكورٍ وصلاةٍ وصومٍ ؛ لا يفتُرُ عن ذلك ولا ينام ،
 آية الله فى الإيثار ، لا يدخر شيئاً لعد ، ولا يتحرّف بشيء ؛ وكان فقيهاً حافظاً ،
 ذا كراً للغة^(٥) والأدب ، نحويّاً ماهراً ، درس ذلك كله أول أمره ؛ كريم

(١) وردت فى المخطوطين : مثابى . وهو تحريف . وفى « ت » مقامى . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » (الثامن والعشرين عشر) وهو خلط لا معنى له .

(٣) نسبة إلى مدينة أبدة Ubeda . وقد سبق التعريف بها (أنظر الحاشية فى ص ١٥٥) .

(٤) وردت فى المخطوطات الأربعة : الرجال . وهو تحريف ظاهر .

(٥) وردت فى الملكية وفى المخطوطين : اللغات . وهو تحريف . ولا نظن أن المقصود بها غير

الأخلاق ؛ غلب عليه التصوف فُشهر به ، وبمعرفة طريقه الذي ند^(١) فيها أهل زمانه ، وصنّف فيها التصانيف المفيدة .

ترتيب زمانه

كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصّالحين ، فيتكلم لهم بما يجريه الله على لسانه ، ويُدسّر من تفسير ، وحديث وعظة ، إلى طلوع الشمس ؛ فيتنفل صلاة الضحى ، وينفصل إلى منزله ، ويأخذ في أوراده ، [من قراءة]^(٢) القرآن والذّكر والصلاة إلى صلاة الظهر ، فيبكر في رواحه ، ويؤالي التنفل إلى إقامة الصلاة ؛ ثم كذلك في كل صلاة ، ويصل ما بين العشاءين بالتنفل ، هذا دأبه أبدا .

وكان أمره في التوكل عجبا ، لا يُلوى على سبب ، وكانت تُجبي إليه ثمرات كل شيء ، فيدفع ذلك بجملته ، وربما كان الطعام بين يديه ، وهو محتاج ، فيعرض من يسأله ، فيدفعه جملة ، ويبقى طاويا ؛ فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً يَنسِلون من كل حدب ، فلا يردُّ أحداً منهم خائبا ؛ ونفع الله بخدمته وصحبته ، واستخرج بين يديه عالما كثيرا .

مشيخته

أخذ القراءة عن أبي عبد الله الحضرمي ، وأبي الكوم جودي بن عبد الرحمن ؛ والحديث عن أبي الحسن بن عمر الوادي أشي ، [وأبي محمد عبد الله بن سليمان]^(٣) ابن حوط الله ؛ والنحو واللغة عن ابن يربوع وغيره . ورَحَل وحجّ ، وجاور وتكرّر .

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » ندب .

(٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : وقراءة .

(٣) وردت في « ك » أبو محمد سليمان . وفي « ج » والملكية (وإبي سليمان محمد) والصحيح

ما أثبتناه .

وَلَقِيَ هُنَاكَ غَيْرَ وَاحِدٍ ، مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ وَأَكْبَارِ الصُّوفِيَّةِ ؛ فَأَخَذَ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ سَمَاعًا مِنْهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّمِائَةٍ عَنِ الشَّرِيفِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ يُونُسَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغْرِبَانِيِّ ، وَنَصْرِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ الْحَضْرَمِيِّ ؛ وَسُنَّ أَبِي دَاوُدَ وَجَامِعَ التِّرْمِذِيِّ عَلِيَّ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ نَصْرِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ الْبَغْدَادِيِّ ، أَحَدِ السَّامِعِينَ عَلِيَّ أَبِي الْفَتْحِ الْكُرُوخِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْتَرَى الْحِمَةِ^(١) ؛ وَأَبِي الْمَعَالِيِّ^(٢) بْنِ وَهَبِ بْنِ الْبُنَاءِ ؛ وَبِجَايَةِ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطِيَّةٍ .

« مِنْ رَوَى عَنْهُ » ؛ رَوَى عَنْهُ خَلْقٌ لَا يَحْصُونَ كَثْرَةَ^(٣) ؛ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ ابْنَ هُدَيْلِ النَّسَائِيِّ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَغَيْرُهُ .

تواليافه

. صَنَّفَ فِي طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ وَغَيْرِهَا تَصَانِيفَ مَفِيدَةً ؛ مِنْهَا « مَوَاهِبُ الْعُقُولِ »^(٤) وَحَقَائِقُ الْمَعْقُولِ ؛ وَ « الْغَيْرَةُ الْمَذْهَلَةُ ، عَنِ الْحَيْرَةِ وَالتَّفْرِقَةِ وَالجَمْعِ » ؛ وَ « الرَّحْلَةُ الْعَنُويَّةُ » ؛ وَمِنْهَا « الرَّسَائِلُ فِي الْفِقْهِ وَالْمَسَائِلِ » ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

شعره

لَهُ أَشْعَارٌ فِي التَّصَوُّفِ بَارِعَةٌ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَا نَقَلْتَهُ مِنْ خَطِّ الْكَاتِبِ^(٥) أَبِي إِسْحَاقَ ابْنَ زَكْرِيَّا فِي مَجْمُوعٍ جَمَعَ فِيهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَوْلِ :

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَرَبَّمَا أَغْفَلْتَ كَلِمَةَ (ابْنِ) قَبْلَهَا . وَرَبَّمَا كَانَتْ اسْمَ الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَنْدَلُسِ (الْحِمَةُ أَوْ الْحَامَةُ) .

(٢) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ : ابْنُ الْمَعَالِيِّ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطِينَ وَالْمَلَكِيَّةِ : كَثِيرٌ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) هَكَذَا وَرَدَ الْعُنْوَانُ فِي « ك » . وَفِي « ج » : مَوَاهِبُ الْقُلُوبِ . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ لِاتِّفَاقِهَا فِي السَّجْعِ مَعَ الشُّطْرِ الْآخَرِ مِنَ الْعُنْوَانِ .

(٥) هَكَذَا فِي « ج » . وَفِي « ك » : الْكِتَابُ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

يضيق على من وَجَدَى الفضاء
وأرضُ الله واسعة ولكن
رأينا العرش والكرسيَّ أعلا
فأين الأينُ منا أو زمانُ
شَهِدْنَا لِلإِلهِ بِكُلِّ حُكْمٍ
وَيَدْعُونِي الإِلهَ إِلِيهِ حَقًّا
وَيُقْبِضُونِي وَيُبْسِطُونِي وَيَقْضُونَ
وَيَعِينُونِي فِي وَجُودِ الخَلْقِ نَحْوًا
فَكَمْ أَخْفَى وَجُودِي وَقَتَ فَقْدِي
فَسُكْرٌ ثُمَّ صَحْوٌ ثُمَّ سُكْرٌ
فوصفني حال^(٤) من وصفني ولكن
إذا شمسُ النهارِ بَدَتْ تَوَلَّتْ
و[من]^(٥) شعره :

كم عارف سَرَحَتْ فِي العِلْمِ هَمَّتْهُ
كساه نور الهدى بُرْدًا وَقَلَدَهُ
كسب ابن آدم في التحقيق كسوته
كَلَّفَ فؤادك ما يبدى عجائبه
فمقله لحجاب العقل هَتَاكَ
دَرًّا فِي قَلْبِهِ لِلْعِلْمِ أَسْلَاكَ
إن القلوب لَأَنْوَارٍ وَأَحْلَاكَ
إن ابن آدم للأشْرَارِ دَرَاكَ

(١) هكذا وردت في « الملكية ». وفي « ج » ويسليني . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في « ج » و « الملكية ». وفي « ك » : نيمت .

(٣) وردت في المخطوطين : (أو حياً) .

(٤) وردت في المخطوطين : حلى .

(٥) ساقطة في المخطوطين والملكية .

كَيْفَ وَكَمْ وَمَتَى وَالْأَيْنَ مُنْسَلِبٍ عَنْ وَصْفِ بَارِيهَا وَالْجَهْلِ تَبَاكَ
كَبِيرٌ وَقُدْسٌ [وَنَزَهُ] ^(١) مَا أَطَقْتَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَلِكِ الْأَمْلاكِ أَمْلاكِ
كُرْسِيهِ ذَلٌّ وَالْعَرْشِ [اسْتَكَانَ] ^(٢) لَهُ وَنَزَهُ اللَّهُ أَمْلاكِ وَأَفلاكِ
كُلٌّ يَقْرَبُ أَنَّ الْعَجْزَ قَيْدُهُ وَالْعَجْزَ [عَنْ دَرَكٍ] ^(٣) الْإِدْرَاكَ دِرَاكَ

وقال ، وهو ما اشتهر عنه ، وأنشدها بعض المشاركة في رحلته في غرض اقتضى ذلك ، يقتضى ذكره طولا :

يَا مَنْ أَنْامَلَهُ كَالْمُرْنِ هَامِيَةٌ وَجُودٌ كَفَيْهِ أُجْرِي مِنْ يَجَارِيهَا
يَحِقُّ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقِيٍّ أَنْظِرْ إِلَى رِقَعَتِي وَأَفْهَمْ مَعَانِيهَا
أَنْفِي فَقِيرٌ وَمَسْكِينٌ بِلا سَبَبٍ سِوَى حُرُوفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَتْلُوها
سَفِينَةُ الْفَقْرِ فِي بَحْرِ الرَّجَا ^(٤) غَرِقَتْ فَا مَنْ عَلَيْهَا بِرِيحٍ مِنْكَ يُجْرِيها
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مِنْ يَكَابِدِهِ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مِنْ يَمَانِيها

وقال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقد ذكره ، على الجملة فيه ختم جلة أهل هذا الشأن بصقع الأندلس ، نفعه الله ونفع به .

مولده

ولد ببييان سنة اثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث وستين .

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين والملكية . وواردة في « ت » .

(٢) ساقطة في المخطوطين . وواردة في « ت » .

(٣) هكذا وردت في « ت » . وفي « ك » : دون . وفي « ج » : در ، وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في « ت » و « الملكية » ، وفي المخطوطين : الدجا . والأولى أرجح بالنسبة

للمعنى المقصود .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي
من أهل تازي^(١)؛ يكنى أبا سالم، ويعرف بابن أبي يحيى.

حاله

من أهل^(٢) «الكتاب للمؤمن»^(٣)؛ كان هذا الرجل قيماً على التهذيب، ورسالة ابن أبي زيد، حسن الإقراء لهما؛ وله عليهما تقييدان نبيلان، قيدها أيام قراءته لإياها على أبي الحسن الصغير؛ حضرت مجالسه بمدسة عدوة الأندلس من فاس، ولم أرفى متصدري بلده أحسن تدريباً منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفياً حقوقها، وذلك لمشاركته الحضر فيما في أيديهم من الأدوات؛ وكان مجلسه وقفاً على «التهذيب» و«الرسالة»؛ وكان مع ذلك شيخاً فاضلاً، حسن اللقاء، على خلق بائنة من أخلاق أهل مصره^(٤). امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله^(٥) في الرسائل، فمر في ذلك حظٌ كبير من عمره ضائعاً، لا في راحة دنيا، ولا في نصيب آخرة؛ ثم قال هذه سنة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتاً إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من عمره^(٦) وراحته؛ أن يبوؤا^(٧) بالصفقة الخاسرة، لطف الله بمن ابتلى بذلك، وخلصنا خلاصاً جميلاً.

ومن كتاب «عائد الصلة»: الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من

(١) وردت في المخطوطين: تيزي وفي الملكية تيزين. وهو تحريف لاسم المدينة المغربية القديمة.

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين والملكية. وواردة في «ت».

(٣) هذا الكتاب وعنوانه الكامل «الكتاب المؤمن في أنباء أبناء الزمن» هو من تأليف ابن الحاج

البليغي شيخ ابن الخطيب.

(٤) هكذا في «ك» و«ت». وفي «ج»: عصره.

(٥) وردت في المخطوطين: يتعلمه. وهو تحريف.

(٦) هكذا في «ك». وفي «ج» والملكية: غيره.

(٧) هكذا في «ج». وفي «ك»: تبوأ.

صدر المقرَّب ، مُشاركاً في العلم ، متبحراً في الفقه ؛ كان وجيهاً عند الملوك ، صَحيحهم ، وحضر مجالسهم ، واستعمل في السفارة ، فلقيناه بفرناطة ، وأخذنا بها عنه ؛ تام السراوة^(١) ، حسن العهد ، مليح المجالس ، أنيق المحاضرة ، كريم الطبع ، صحيح المنهَب .

تصانيفه

قيد على « المدونة » ، بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن ، كتاباً مفيداً ؛ وضم أجوبته على المسائل في سفر ؛ وشرح كتاب « الرسالة »^(٢) شرحاً عظيماً الفائدة .

مشيخته

لازم أبا الحسن الصغير ، وهو كان قارئاً كُتِبَ الفقه عليه ، وجل انتفاعه في التفقه به ؛ وروى عن أبي زكريا بن أبي ياسين ، قرأ عليه كتاب « الموطأ » ، إلا كتاب « المكاتب » ؛ وكتاب « المدير »^(٣) ، فإنه سمعه بقراءة الغير ؛ وعن أبي عبد الله بن رشد ، قرأ عليه « الموطأ » ، « وشفاء » عياض ؛ وعن أبي الحسن ابن عبد الجليل السدري ، قرأ عليه « الأحكام الصغرى » لعبد الحق ؛ وأبي الحسن ابن سليمان ، قرأ عليه « رسالة » ابن أبي زيد^(٤) ، وعن غيرهم .

وفاته

فُلِجَ بآخره ، فالتزم منزله بفاس ، يزوره السلطان فَمَنَ دونه ؛ وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : السراوة . والسراوة هي الرياسة .

(٢) الرسالة هي « رسالة » ابن أبي زيد القيرواني وهي من شروح الفقه المالكي .

(٣) هكذا رسمت في « ج » . وفي « ك » : المدر .

(٤) إن الكتب التي ورد ذكرها في هذه الترجمة كلها من كتب الحديث والفقه . وقد رأينا أن

نثبها بعنوانيها ومؤلفيها كاملة في الملحق الخاص بذلك .

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التتوخي

أصله من جزيرة طريف^(١)، ونشأ بقرنطة واشتهر .

حاله

من « عائد الصلة » : كان نسيح وحده حياً ، وصدقة ، وتخلتفاً ، ومشاركة ، وإيثاراً . ركل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف ، عام أحد وسبعين وستمائة ، مُتحولاً إلى مدينة مَبْتة ، فقرأ بها واستفاد . وورد الأندلس [فاستوطن]^(٢) مدينة قرنطة ، وكتب في الجملة عن سلطانها ، وترقى معارج الرتب ، حالاً محلاً ، من غير اختلاف على فضله ، ولانزاع في استحقاقه ؛ وأقرأ فنوناً من العلم ، بعد مهلك أستاذ الجماعة ، أبي جعفر بن الزبير^(٣) ، بإشارة منه به ؛ وولى الخطابة والإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستة عشر وسبعائة ، وجمع بين القراءة والتدريس ، فكان مُقرّناً للقرآن ، مبرزاً في تجويده ، مدرساً للعربية والفقه ؛ آخذاً في الأدب ، متكلماً في التفسير ، ظريف الخط ، ثبّتاً محققاً لما ينقله ؛ وألقى الله عليه من المحبة والقبول ، وتعظيم الخلق له ، ما لا عهد بمثله لأحد ؛ بلغ من ذلك مبلغاً عظيماً ، حتى كان أحبّ إلى الجمهور من أوصل أهلهم وآبائهم ؛ يتزاحمون عليه في طريقه ، يتمسحون به ، ويسمعون بين يديه ، ومن خلفه ؛ ويتراحم مساكينهم على بابه ، قد عودهم طلاقة وجهه ، ومواساته لهم بقوته ، ويفرقه عليهم متى وجدوه ، وربما أعجلوه قبل استواء خبزه ، ويفرقه^(٤) عليهم عجبيناً . له في ذلك أخبار غريبة .

(١) هي مدينة طريف التي سميت باسم طريف بن مالك أول من عبر البحر إلى إسبانيا من قواد المسلمين . وهي على نته في جنوبي غربي الثلث الإسباني مقابل الجزيرة الخضراء واسمها بالإسبانية Tarifa

(٢) وردت هذه الكلمة في « ك » . وأغفلت في « ج » والملكية .

(٣) سبقت ترجمته في هذا المجلد من الإحاطة (ص ١٨٨ - ١٩٣) .

(٤) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » فرقه .

وكان صادعاً بالحق ، غيوراً على الدين ، مخالفاً لأهل البدع ، ملازماً للسنة ، كثير الخشوع والتخلُّق على علوِّ الهمة ، مَبْدُول المشاركة للناس والجِدُّ في حاجاتهم ، مُبْتَلَى بوسواس في وضوئه ، يتحمل الناس من أجله مَضَضاً في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها .

مشيخته

قرأ ببلده على الخطيب القاعي المقرئ أبي الحسن عبيد الله بن عبد العزيز القرشي المعروف بابن القاري ، من أهل إشبيلية ؛ وقرأ بسبته على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله ، أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب بن زرقون القيسي الضريه ، نزيل سبته ، والأستاذ أبي إسحاق الغافقي الميوني ؛ وقرأ على الشيخ الوزير أبي الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي ، وعلى الشيخ الراوية ، الحاج أبي عبد الله محمد بن الكتامي التلمساني بن الحَضَار ؛ وقرأ بفرناطة على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير ، وأخذ عن أبي الحسن بن مستنورد^(١) .

شعره

كان يَقْرِض شعراً وسطاً ، قريباً من الانحطاط . قال شيخنا أبو بكر ابن الحكيم^(٢) في كتابه المسمى «بالفوائد المنتخبة ، والموارد المستعذبة» ؛ كتب إليه شيخنا وبرككتنا أبو جعفر بن الزيات في شأن شخص من أهل البيت النبوي بما نصه :

(١) وردت في المخطوطين : مسمفور . وهو تحريف يرد دائماً في المخطوطين بالنسبة لهذا الاسم .

(٢) سبقت الإشارة إليه (انظر الحاشية في ص ١٥٧) . وقد ترجم له ابن الخطيب فيما بعد ،

في المجلد الثاني من الإحاطة .

رجل يدعى القراية للبيت وإن الثريا^(١) منه بمعزل
سأل منى خطابكم وهو هذا ولكم في القلوب أرفع منزل
فهبوه دعاءكم وامنحوني منه حظاً ينمي الثواب ويجزل
وعليكم تحية الله ما دام أمير الهدى يؤتى ويعزل

فأجابه :

يا إمامي ومن به قطارك ذا ك وحادي البلاد أطيب منزل
لم أضغ ما نظمتم من يدي حتى أنيل الشريف تحفة منزل
وجباه بكل منيح جزيل من غدا يمنح الثواب ويجزل
دمتم تنشرون علماً نوابُ الله فيه لكم أعزُّ وأجزل
[تذكرون الله ذكراً كثيراً]^(٢) وعليكم سكينَةُ الله تنزل
وطلبتُم منى الدعاء وإني عند نفسي من الشروط بمعزل
لكن ادعو ولتدعُ لي يرضا الله وأبدي فهم ذكر قد أنزل
وحدِيث الرسول صلى عليه كل وقت ورب لنا الغيث ينزل
وعليكم تحيتي كل حين ما اطمانت بمكة أم معزل

قال ، ومما أُنشدني من نظمه أيضاً في معرض الوصية للطلبة :

إعمل بملك توت علماً إنما عدوى علوم المرء منح^(٣) الأقوم
وإذا التقى قد نال علماً ثم لم يعمل به فكأنما لم يعلم

(١) وردت في المخطوطين والملكية : الثرى . والتصويب من « ت » .

(٢) وردت هذه الشطرة في المخطوطين وفي الملكية محرقة : (ولذكر الله كثيراً) .

(٣) وردت في المخطوطين : تمنح .

وقال موطناً على البيت الأخير :

أمولاي أنت الغفور الكريم لبذل النوال مع المعذرة^(١)
على ذنوبٍ وتصحيفها ومن عندك الجودُ والمغفرة

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن خميس بن نصر [بن]^(٢) قيس الأنصاري الخزرجي
أمير المؤمنين^(٣) بالأندلس رحمه الله .

أَوْلِيَّتُهُ

تقرّر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صينو جدّه ، أمير المسلمين أبي عبد الله
الغالب بالله .

حاله

من كتاب « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر »^(٤) من تصنيفنا : « كان
رحمه الله ، حسن الخلق ، جميل الرواء ، رجل جد ، سليم الصدر ، كثير
الحياء ، صحيح العقل ، ثبتاً في المواقف ، عفيف الإزار ، ناشتاً في حِجر الطهارة ،
بعيداً عن الصبوة ، برياً من المعاقرة^(٥) ؛ نشأ مشتغلاً بشأنه متبناً نعمته أبيه ،

(١) وردت في « ج » (لبذل النوال والمعذرة) والتصويب من « الملكية » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في الملكية .

(٣) هذا اللقب تجاوز من ابن الخطيب . وقد كان لقب « أمير المسلمين » هو اللقب الصحيح

لملوك بني نصر .

(٤) سبق التعريف بهذا الكتاب في المقدمة .

(٥) وردت في المخطوطين والملكية : المعاقرة . والتصويب من الملحمة البدرية .

مختصاً بإيثار السلطان جدّه أبنى أمه ، وابن عم والده ، منقطعاً إلى الصيد ، معروف اللذة إلى استجادة سلاحه ، وانتقاء مراكبه ، واستفراه^(١) جوارحه ، إلى أن أفضى إليه الأمر ، وساعدته الأيام . وخدمه الجده ، وتنقل إلى بيته المملك به ، وثوى في عقبه الذّكر ، فبذل العدل في رعيته ، واقتصد في جبايته ، واجتهد في مدافعة عدو الله ، وسد^(٢) كَلْم ثغوره ، فكان غرة في قومه ، ودرة في بيته ، وحسنة من حسنات دهره . وسيرد نبذ من أحواله ، مما يدل على فضل جلاله .

صفته

كان معتدل القد ، وسيم الصورة ، عبل اليدين ، أبيض اللون ، كثير اللحية ، بين السواد والصبوبة^(٣) أنجل أعين أفوه مليح العين ، أقى الأنف ، جهير الصوت ، أمه الحرّة الجليّة ، العريقة في الملوك ، فاطمة بنت أمير المؤمنين ، أبي عبد الله نخبه المملك ، وواسطة العقد ، وفخر الحرم ، البعيدة الشاؤ في العز والحرمة ، وصلة الرعى ، وذكر التراث^(٤) . واتصلت حياتها ، ملتمة الرأي ، برناجما للفوائد ، تاريخاً للأنسب ، إلى أن توفيت في عهد حفيدها السلطان أبي الحجاج ، رحماً^(٥) الله ، وقد أنفت على تسعين من السنين ، فكان الحفل في جنازتها ، موازياً لمنصبها ، ومتروكها ، المفضى إليه خطيرُهُ ، وقلت في رثائها :

(١) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » والملكية : واستفراه . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : وتسد . والتصويب من الملكة .

(٣) الصبوبة هي احمرار الشعر .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : الثمرات . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في « ج » وفي « ك » : رحمه . والأولى أرجح هنا . والمقصود بها السلطنة

نُبِيتُ عَلَى عِلْمٍ بِفَائِلِهِ الدَّهْرُ وَنَعْلَمُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي قَبْضَةِ الدَّهْرِ
 وَتُرْكَنُ لِلدُّنْيَا [اغتراراً بقهرها] ^(١) وَحَسْبُكَ مِنْ يَرْجُو الْوَفَاءَ مِنَ الْقَدْرِ
 وَتُسْمَلُ بِالْعَزْمِ الزَّمَانُ سَفَاهَةً فَيَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ ، وَشَهْرٌ إِلَى شَهْرٍ
 وَتُغْرَى بِهَا نَفْسِي الْمَطَامِعِ وَالْمَهْوَى وَتَرْفُضُ مَا يَبْقَى فَيَاضِيعَةَ الْعُمْرِ
 هُوَ الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَدِيدٌ ^(٢) وَلَا يَنْفَكُ مِنْ حَادِثِ نُكْرٍ
 وَبَيْنَ الْخَطُوبِ الطَّارِقَاتِ تَفَاضُلٌ كَفَضْلِ مَنْ اغْتَالَتَهُ فِي رِفْعَةِ الْقَدْرِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ أَقْوَتُ رُبُوعُهُ وَصُوحٌ مِنْ أَدْوَاخِهِ كُلِّ مُحَضَّرٍ
 وَوَلَّحَتْ عَلَى وَجْهِ الْعِلَاءِ كِتَابَةً فَقَطَّبَ مِنْ بَعْدِ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ
 وَثَبَتْ أَسْمَاءُ فِي الْوَفِيَّاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ بِمَا نَصَهُ :

«السلطانة الحرة ؛ الطاهرة ؛ فاطمة بنت أمير المسلمين ، أبي عبد الله
 ابن أمير المسلمين الغالب بالله ، بريمة نساء الملوك ؛ الحافظة لنظام الإمارة ، رعية
 للمعات ^(٣) ، وصلة للحرمة ، وإسداء للمعروف ، وستراً للبيوتات ^(٤) ، واقتداء
 بسلفها [الصالح] ^(٥) ، في نزاهة النفس ، وعلو الهمة ، ومتانة الدين ، وكشف
 الحجاب ، ونفوذ العزم ، واستشعار الصبر ؛ توفيت في كفالة حفيدها ، أمير
 المسلمين أبي الحجاج ، مواصلاً برّها ، ملتصقاً دعاءها ، مستفيداً تجربتها وتاريخها ،
 مباشراً موارثها بمقبرة الجنان ، داخل الحمراء ، سحر يوم الأحد السابع لذي
 حجة ، من عام تسعة ^(٦) وأربعين وسبعمائة .»

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» والملكية . ووردت في «ك» : اغتراراً بقرها .

(٢) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» والملكية : حديث . والمؤدى واحد .

(٣) من متامناً . أى وصل . والمقصود : رعية للصلات .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» البيوت . والأولى أنسب للمعنى المقصود .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» والملكية وساقطة في «ك» .

(٦) في الملكية : سبع .

أولاده

تخلف^(١) من الولد أربعة ، أكبرهم محمد ، ولى الأمر من بعده ، وفرّج شقيقه التالى له بالسن ، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور ، المتقلب فى الإيالات ، الهالك أخيراً فى سجن قسبة^(٢) المرية عام أحد وخمسين وسبعمائة ، مظنوناً به الاغتيال ، ثم أخوه [أمير المسلمين]^(٣) أبو الحجاج ، تغمده الله برحمته ، أقعد القوم فى الملك^(٤) ، وأبعدهم أمدًا فى السعادة ، [ثم]^(٥) إسماعيل أصغرهم سنًا ، المبتلى فى زمان الشيبية فى الثقاف^(٦) الخيف مدة أخيه ، المستقر الآن مؤادعاً مرّ فودا ، بقصر المستخلص^(٧) من ظاهر شالوبانية^(٨) ، وبنتين ثنتين من حظيته علوة ، عقد عليهما أخوها أبو الحجاج ، لرجلين من قرابته .

وزراؤه

وزر له أول أمره القائد البهمة ، أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح الفهرى ، وبيت هؤلاء القواد شهرير ، ومكاتبهم من الملوك النصرين مكينة ؛ أشرك معه فى الوزارة الفقيه الوزير أبى الحسن على بن مسعود بن على بن مسعود الحاربي ، من أعيان الحضرة ، وذوى النباهة ، فجاذب^(٩) رفيقه حبل الخطّة ؛ ونازعه لباس الحظوة ، حتى ذهب باسمها ومساها ؛ وهلك القائد أبو عبد الله بن أبى الفتح ، فخلص له شربها ؛ وسيأتى التعريف بكل على انفراد .

(١) هكذا فى المخطوطين . وفى اللوحة البديرية .

(٢) وردت فى المخطوطين : قصبات . والمفرد هنا أرجح . ولا محل للجمع . وقد كانت قسبة المرية من أعظم وأمنع قصبات الأندلس . وما تزال تقوم بها إلى اليوم بقية كبيرة من الأسوار والأبراج قدلى بما كانت عليه من المناعة والفخامة معاً .

(٣) هذه العبارة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٤) وردت فى المخطوطين : الملوك . والتصويب من اللوحة .

(٥) واردة فى « ج » والملكية . وساقطة فى « ك » . (٦) الثقاف أى الإعتقال .

(٧) المستخلص أعنى أملاك السلطان . وقد سبقت الإشارة إليها .

(٨) شالوبانية وبالإسبانية Salobrena . سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١١٢) .

(٩) وردت فى المخطوطين : فجاذف . والتصويب يقتضيه السياق .

كتابه

كتب عنه لأول أمره بمالقة ، ثم بطريقه إلى غرناطة ، وأياماً يسيرة بها ، الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المتقدم ذكره ، [ثم ألقى المقادة ^(١)] إلى كاتب الدولة قبل ، شيخنا أبي الحسن بن الجيَّاب ، فاصل الخطَّة ، وبارى القوس ^(٢) ، واقتصر عليه إلى آخر أيامه .

قضاته

استقضى أخا وزيره ، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى بن مسعود بن علي ، رجل الجزالة ، وفيصل ^(٣) الحُكْم ، فاشتد في إقامة الحكم ^(٤) ، وغلظ بالشرع ، واستعان بلجاءه ، فخيف سطوته ، واستمر قاضياً إلى آخر أيامه .

رئيس جنده الغربي

الشيخ البهمة ، لباب قومة ، وكبير بيته ، أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء إدريس ابن عبد الله بن عبد الحق ، مشارك له في النعمة ، ضارباً بسهم في المنحة ، كثير التجني ^(٥) والدالة ، إلى أن هلك المخلوع ، وخلا الجو ، فكان منه بعض الإقصار .

الملوك على عهده

وأولاد بُعدوة المغرب ؛ كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير ،

(١) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين وفي الملكية ، وبدونها يختل السياق . وقد أضفناها من

اللمحة .

(٢) وردت في المخطوطين : القدس . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في المخطوطين : وفصل . والتصويب من اللمحة .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين والملكية . وفي « اللمحة » الحق . وقد آثرنا النص الأصلي مع

تكراره .

(٥) وردت في المخطوطين : التجني . وفي الملكية التجني .

جوادُ الملوك ، الرَّحْبُ الجَنَابُ^(١) ، السكْنِيرُ الأمل ، خِدْنُ العافية ، ومخالف الترفية ، مُنْعَمُ النِّعَمِ ، السعيد على [خاصته وعامته]^(٢) ، أبو سعيد عثمان بن السلطان الكبير ، المجاهد ، المُرابط ، أبي يوسف بن عبد الحق . وجرت بينه وبينه للراسلات ، واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه ، وصدرًا من أيام ولده أبي عبد الله حسبًا مر عند ذكره .

وبمدينة تلمسان ، وطن القبيلة ، الأمير أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيَّان ؛ ثم توفي قتيلا على عهده بأمر ولده المذكور ، واستغرقت أيام ولده المذكور الوالى بعده ، إلى أن هلك في صدر أيام أبي الحجاج ؛ وجرت بينه وبين الأمير مراسلات وهدايا .

وبمدينة تونس ، الشيخ المُتَلَقَّبُ^(٣) بأمير المؤمنين أبو يحيى زكريا بن أبي حفص المدعو باللَّحْيَانِي ، المَثُوبُ^(٤) بها على الأمير أبي البقاء خالد [بن أبي زكريا]^(٥) بن أبي حفص ، وهو كبير ، إلا أن أبا حفص أكبر سنًا وقدرًا ؛ وقد تملك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام ظهر له [اضطراب من بها]^(٦) ، أحد عشر وسبعمائة^(٧) ، وتم له الأمر ، واعتقل أبا البقاء بعد خَلْمِهِ ، ثم اغتاله في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة ، ثم رَحَلَ عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها ، وتوجَّه إلى طرابلس في وسط عام خمسة عشر ، واستناب صهره الشيخ أبا عبد الله بن أبي عمر ، ولم يعد

(١) وردت في اللحة البدرية ، وفي المخطوطين والملكية الجنان . والأولى أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين : (خاصة وعامة) . والتصويب من اللحة .

(٣) هكذا في اللحة . ووردت في المخطوطين : المقلب . وهو تحريف .

(٤) وردت في « ج » : الموثب . وفي « ك » المثوب .

(٥) الزيادة من الملكية .

(٦) وردت هذه العبارة في المخطوطين : (من اضطراب بها) . ونعتقد أن التصويب أرجح

للمعنى والسياق .

(٧) وردت في الملكية (ثلاثة عشر ، والصواب ما أثبتناه .

بعد إليها . ثم اضطرب أمر إفريقية ، وتنوّبه عدة من الملوك الحفصيين ، منهم الأمير أبو عبد الله بن أبي عمر المذكور ، وأبو عبد الله بن اللحياني ، والسلطان أبو بكر ابن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق ، لئيمة تمامهم ، وآخر رجالهم ، واستمرت أيامه إلى أيام ولده الأمير بالأندلس ومعظم أيام ولديه ، رحم الله الجميع .

ومن ملوك الروم بقشتاله ؛ كان على عهده مقروناً بالعهد القريب من ولايته ، الطاغية هراندة بن شانجه بن ألهنشة بن هراندة^(١) المجتمع له مُلك قشتالة وليون ، وهو المتغلب على إشبيلية ، وقرطبة ، ومُرسية ، وجيان ، ابن ألهنشة الذي جرت له وعليه هزيمة الأرك والعقاب^(٢) ؛ ابن شانجه^(٣) بن ألهنشة المسمى إنبردور^(٤) ، وهو الذي أفرد صهره وزوج بنته بملك برتقال^(٥) ؛ إلى أجداد ، يخرجنا تقصى ذكرهم عن الغرض .

ومن ملوك رَغُون^(٦) من شرق الأندلس ، الطاغية جايماش بن بطره بن جايماش^(٧)

(١) هو فرناندو بن ألفونسو التاسع ملك ليون . ولى الملك سنة ١٢١٤ م . وكان من أعظم ملوك اسبانيا النصرانية . وهو الذى استولى على قواعد الأندلس الكبرى : قرطبة وإشبيلية وجيان وغيرها . وقد سلكه الإسبان في ثبث القديسين . وأسبغوا عليه لقب القديس فرناندو San Fernando وحكم حتى وفاته سنة ١٢٥٢ م . وقد أورد ابن الخطيب نسبه محرقة .

(٢) ألهنشة أى ألفونسو . وهو ألفونسو الثانى ملك قشتالة . هو الذى هزم في معركة «الأرك» Alarcos سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) أمام جيوش الموحدين بقيادة الخليفة الموحدى يعقوب المنصور . أما معركة العقاب ، فقد وهم ابن الخطيب بإيرادها على هذا النحو . والحقيقة أنها هي المعركة التى هزم فيها الموحدون بزعامه خليفهم محمد الناصر ، أمام الجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثامن ، وذلك في سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) وتعرف بالإسبانية بموقعة Las Navas de Tolosa

(٣) شانجه بالإسبانية Sancho

(٤) وردت في المخطوطين : (أشردون) وهو تحريف لكلمة (إنبردور) ومعناها الإمبراطور

(٥) وردت في المخطوطين وكذا في «الملكية» محرقة : (برطال) .

(٦) رَغُون أعنى مملكة أراجون .

(٧) جايماش (وقد رسمت في المخطوطين والملكية جامس) هو بالإسبانية Jaime (خايما)

أى يعقوب . وبطره هو بيدرو Pedro أو بطرس . وقد حكم خايما أراجون من سنة ١٢٢٧ ل سنة ١٢٧٤ م . وهو المستولى على بلنسية وشاطبة وجزائر البليار (الجزائر الشرقية) .

الذى تغلب على بلنسية ، ابن بطرُه بن أهنشة ، إلى أجداد عدة كذلك . ثم هلك في أخريات أيامه ، فولى مُلك أرغون بعده أهنشة بن جايغش إلى أخريات أيامه .
ويُرْتَقال أهنشة^(١) بن يومس بن أهنشة بن شانجه ابن أهنشة بن شانجه بن أهنشة ، ويسموا أولا دُوقًا .

ذكر تصيرُه الأمر إليه

لما ولى الأمر بالأندلس ، حرسها الله ، السلطان أبو الجيوش نصر بن السلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر ، يوم عيد الفطر من عام [ثمانية]^(٢) وسبعائة ، بالمحجوم على أخيه أبي عبد الله الزمين المُقعد ، الأمن في ركن بيته ، واغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه ، والإشادة بخلمه حسبما يأتى في موضعه ، استقرَّ الأمر على ضعف أخيه ، وسارع دِخلته ، فساعت السيرة لمنافسة الخاصة ؛ وكان الرئيس الكبير عميدُ القرابة ، وعلم الدولة أبو سعيد فرج ، ابن عم السلطان المخلوع ، وأخيه الوالى بعده ، راسخًا قدمه وعُرفه ، بثوبة الوارث ؛ ولنظره عن أبيه المُسوغ عن جده مالقة وما إليها ، ولنظره مدينة سبّية ، المُضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب ، قد أفرد بها ولده المترجم به ، وجميعهم تحت طاعته ؛ وفي زمان انقياد سوغ مديد^(٣) الدولة ، بل مد سرورها^(٤) لِمَا شاء عز وجل من احتوائهم في جبل هذا الدايل ، يتعقبون على الرئيس الكبير أموراً تَبْرُخيمة^(٥) الصدور ، وتستدعى فرض الطاعة ، وتحتوى على مظنات مُخلة^(٦) ؛ واحترسوا

(١) هو ألفونسو الثالث الذى حكم البرتغال من ١٢٤٨ - ١٢٧٨ م .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض في المخطوطين وفى الملكية .

(٣) هكذا وردت فى «ك» . وفى «ج» : مدين .

(٤) وردت فى المخطوطين : سرورها . والتصويب أنسب السياق .

(٥) هكذا وردت هذه الكلمة فى المخطوطين وفى الملكية :

(٦) هكذا وردت فى «ك» . وفى «ج» والملكية . جملة .

صافيات منافعه، وأوعزوا^(١) إلى ولاية الاعمال بالتضييق على رجاله ، وصرفوا سننه عن نظره . ولما بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البيعة وتهنئة السلطان نصر، [عن روحه]^(٢) وابن عمه ، على عادته ، داخله بعض أرياب الأمر ، مُحذراً ، ومُشيراً بالامتناع ببلده . والدعاء لنفسه ، ووعد به بما وسعه . فاستعجل الانصراف إلى بلده . ولم تمر إلا برهة ، واشتعلت^(٣) نار الفتنة ، وهاجت مراحل الحفيظة ، فتلاحق به ولده ، وأظهر الانفراد والاستعداد في سابع عشر ومضان من هذا العام . وأقام ولده إسماعيل ، برسم الملك والسلطان ، ورتب له ألقاب الملك ، ودون ديوان الملك بحسبه^(٤) ، ونازل حضرة^(٥) أنتقيرة^(٦) ، وناصبها القتال ، فتملكها ، ودخلت مرَبلة^(٧) في طاعته، وتحرك إلى بَلَش^(٨) فنازلها ، ونصب عليها المجانيق فدانت ؛ فضخمت^(٩) الدعوة ، ومكنت الجباية ، والتفت إليه من مساعير الحروب ومن أجاب . وتحرك إلى غرناطة في أول شهر محرم . عام اثني عشر وسبعمائة ، ونزل بقرية العطشا من مرجها^(١٠) . وبرز السلطان نصر في جيش خشن ، مُستجاد^(١١) العدة . وافر الرجل ، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر ؛ فأظهر [الله]^(١٢) أقلّ الفئتين : وانجرت^(١٣) على

(١) في المخطوطين : وأغروا .

(٢) هكذا في المخطوطين والملكية ، ومعناها عن نفسه .

(٣) وردت في المخطوطين والملكية محرفة : واستعلت .

(٤) وردت هذه الكلمة في المخطوطين : بحسبه . والتصويب من الملكية .

(٥) وردت في «ك» : حضر وفي «ج» صر . والمرجح ما أثبتناه .

(٦) أنتقيرة وبالإسبانية Antaquera مدينة أندلسية حصينة تقع شمال غرب مالقة .

(٧) مرَبلة وبالإسبانية Marbella من ثغور الأندلس الجنوبية . وقد سبق التعريف بها .

(أنظر الحاشية في ص ١٩٧) .

(٨) سبق التعريف بها (أنظر الحاشية في ص ١١٢) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «ك» وردت محرفة : فطمخت .

(١٠) وردت في المخطوطين : جها . وهو تحريف . والتصويب من اللوحة البدرية .

(١١) وردت في «ج» : مستجد . وفي «ك» مستنجد . والتصويب من اللوحة .

(١٢) أضفنا هذه الكلمة من اللوحة . وهي ساقطة في المخطوطين .

(١٣) هكذا في «ج» واللوحة البدرية . وفي الملكية : وجرت .

الجيش الفرناطى الهزيمة، وكبأ بالسلطان نصر فرسه فى مجرى سقى لبعض الفدن ، فنجأ بعد لأى ودخل البلد مقلولا؛ وانصرف الجيش المالتى ظاهراً إلى بلده ، وطال بالرئيس وولده الأمر وضرستها الفتنة ، وعظم احتياجه إلى المال ، وكادت تفضحه المطاولة؛ وزاحه الملك بمكلف ضخم ، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح ، وإصغاره المهادنة ، على سييله من المقام ببلده ، مُسلماً للسلطان فى جبايته ، جاريةً وطايفةً فى رياسته ، وأرزاق جنده؛ قم ذلك فى ربيع الأول من العام المذكور . ثم لقيت فتنة فى العام بعده ، فعادت جذعة ، وكانت ثورة الأسيخ فى غرناطة فى رمضان من العام المذكور هاتفين بخلمان السلطان ، وطاعة مخلوعهم ، وطالبين منه إسلام وزيره خِندن^(١) الروم ، المتهم^(٢) على الإسلام أبى عبد الله بن الحاج . ثم لحق زعمائهم بمالقة عند اختلال ما أبرموه ، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها ، من استبداد [السلطان أبى الوليد]^(٣) بأمره ، والانحطاط فى القبض على أبيه ، إلى هوى جنده ، والتصميم فى طلب حقه؛ فاتصل سيره ، واحتلّ بلوثة سِرّار شوال فتملكها^(٤) . ورحل قافلاً إلى وطنه ، طريد كلب الشتاء ، وافر الخزانة ، واقتضى الرأى الفائل بمن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها ، اتهاماً له بالطاغية^(٥) ، فسجنه . ثم بدا له فى أمره ، ثم سرّحه بعد استدعاء يمينه ، فوغرت صدور حاشيته ، وتبعهم من كان على مثل رأيهم ، وهو شوكة حادة ، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل الحظ ، المحبوب إليه هوى الملك ، بما راعه ؛ ثانياً من عنانه بأحوال أوجدوته^(٦) ، إلا تثويب داعيهم ، فكرر إلى المدينة وبرز إليه

(١) فى المخطوطين : جذل . والتصويب من اللحة البدرية . والندن أى الصديق .

(٢) فى المخطوطين : المهيم . والتصويب من اللحة .

(٣) هذه الإضافة من اللحة البدرية . وهى ساقطة فى المخطوطين .

(٤) وردت محرقة فى المخطوطين : فملها . والتصويب من اللحة .

(٥) وردت هذه الكلمة فى المخطوطين : (بالصفاغية) . والمرجح صواب ما أثبتناه .

(٦) هى فيما يرجح مدينة أرشدونة Archedona وهى تقع شمالى مالقة على مقربة من أنتقيرة .

جيشها ، ملتفا على عبد الحق بن عثمان ، فأبلى ، وصدق الحملة ، فكادت تكون الدائرة ؛ فلولا ثبوت السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة ، فولوا منهزمين ، وتبعهم إلى سور المدينة ، وقد خفت ألفيف والغوغاء الناعقون بأخلعمان ، الشَّرهون إلى تبديل الدَّعوات ، وإلى تسم المآذن والمنارات والرِّيا ، وبرز أهل رَيْض البيازين^(١) ، الهاقُون إلى مثل هذه البوارق ، إلى شرف رِبوتهم ، كل يشير مستدعيا ، إعلاناً بسوء الجوار ، وملل الإيالات ، والانحطاط ، وبعد التلون والتقلب ، وسامة العافية ؛ شتَّنة معروفة في الخلق مألوفة . وبودر غلق باب البيرة ، ففض قفله ، ودخلت المدينة ، وجاء السلطان إلى معقل الحمراء بأهله وذخيرته وخاصته ، وبرز السلطان أبو الوليد بالقصبة القُدُمى تجاهها ، بالدار الكبرى المنسوبة لابن للمول ، يُنفذ الصكوك ، ويذيع^(٢) العفو ، ويؤلف الشَّارد ؛ وضعت بصائر المحصورين ، وفشِلوا على وجود الطعمة ، ووفور المال ، وتمكَّن المنعة ؛ فالتسوا لهم ولسلطانهم عهداً نزلوا به ، مُنتقلين إلى مدينة وادي آش ، في سبيل العِوض بمال معروف ، وذخيرة موصوفة ؛ وتم ذلك ، وخرج السلطان رحمه الله مخلوعاً ، ساء به القرار ، جانياً على ملكه الأخايث^(٣) والأغمار ، ليلة الثامن والعشرين من شوال عام ثلاثة عشر وسبعائة ، واستقرَّ بها موادعاً مرة ، ومحارِباً أخرى ، إلى أن هلك خسباً يأتي ذكره . وخلال للسلطان الجو ، وصُرفت إليه المقادة ، وأطاعه القاصي والدَّاني ، ولم يختلف عليه اثنان ؛ والبقاء الخُلص لله وحده .

مناقبه

اشتد رحمه الله على أهل البِدَع ، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة ؛ ولقد

(١) كان ربض البيازين أهم أحياء غرناطة الإسلامية . وما زال يقوم بها إلى اليوم وهو يقع في شمالها الشرقى مواجهاً لهضبة الحمراء . وبالإسبانية . Albaicin.

(٢) هكذا في «ج» والمعنى البديرية . وفي «ك» : ويذيع .

(٣) وردت في المخطوطين معرفة : الأجايث .

تُذوكر بين يديه [أهل] (١) البيت . فبذل في فِدية بعضهم ما يعزُّ بذله ، وتقل منهم بعضاً من [حِرَف خبيثة] (٢) ، فزعموا أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فشكر له ذلك . واشتدَّ في إقامة الحدود . وإراقة المسكرات ، وحظر (٣) تجلِّي القينات للرجال في الولايم ، وقصَّر طربهن على أجناسهن من الناس ؛ وأخذ يهود (٤) الذمة بالتزام سِمة تُشهرهم ، وشارة (٥) تميزهم ، وليوفى حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق ، وهي شواشي صُفْر .

ولقد حدثت من يخفُّ حديثه ، من الشيوخ أولى المجانة والدُّعابة ، قال : كنا عاكفين على راح (٦) ، وبرأسي شاشية ملف حمراء ، فحاول أصحابي إنامتي ، حتى أمكن ذلك ، وبأدروا إلى رفاع من ثوب أصفر ، فصنعوا منها شاشية ، ووضعوها في رأسي ، مكان شاشيتي ، وأيقظوني ، فقمت لثأني ، وقد هينوا ثمناً لشراء بقل وفاكهة ، وجهزوني لشرائه ، فخرجت حتى أتيت دكان السوق ، فساومتها ، فلما نظر إلي قال لصاحبه : جزى الله هذا السلطان خيراً ، والله لقد كنت أبادر هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنه مسلماً ، وبصق عليّ ؛ فهَمَمْتُ أن أوقع به ، ثم فَطِنْتُ للحلية ، فأنزعتها ، وبأدرت فأوسعتهم ذمّاً ، وعظمتُ خجلي ، وسبقني إليهم عينٌ لهم عليّ ، فكاد الضحك يهلكهم عند دخولي . ومناقبه كثيرة .

جهاده وبعض الأحداث في مدته

والتأثت (٧) الأمور، لأول مدته ، فجزت على جيشه بمظاهرة [جيش] (٨) الخلوخ لجيش

(١) أغفلت في المخطوطين . ويقتضيا السياق .

(٢) وردت في المخطوطين : (من صروف جيشته) . والتصويب من اللمة .

(٣) هكذا في «ك» . ووردت في «ج» حضر .

(٤) وردت في «ك» : اليهود . وأغفلت في «ج» .

(٥) وردت في المخطوطين : وإشارة . والتصويب من اللمة .

(٦) وردت في المخطوطين : راحة .

(٧) أساءت وتحرى جت . (٨) الزيادة من الملكية .

الروم، الهزيمة الشنيعة، بوادي فُرْتونة ؛ أوقع بهم الطاغية يطره^(١) ، كافل ملك الروم، المملك صغيرا على عهد أبيه، وعمه الذاب عنه ، ففشا في الأعلام القتل ، وذلك في صفر من عام ستة عشر وسبعمائة ؛ وظهر العدو بعدها فغلب^(٢) على حصن شمانس^(٣) وحصن بجيج ، وحصن طشكر ، وتغر روط . ثم صرفت^(٤) المطامع عزمه إلى الحضرة ، فقصد مرجها^(٥) ، وكف الله عاديته ، وقبمعه ، ونصر الإسلام عليه ، ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها ؛ واستولى على محلته النهب ، وعلى فرسانه ورجاله القتل ، وعظم الفتح ، وبهر الصنع وطار الذكر ، وثاب السعد . وكانت الوقعة سادس جمادى الأولى من عام تسعة عشر وسبعمائة^(٦) ، وفي ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب :

المد حق المد للرحمن كافي العدو وناصر الإيمان
 ومكيف الصنع الكريم ودافع الخطب العظيم وواهب الإحسان
 في كل أمر للمهمين حكمة أعيت على الأفكار والأذهان
 واستقر ملكهم^(٧) القتل بأيدي المسدين بعد فرارهم ، فجعل في تابوت خشب ،
 [وأنصب]^(٨) بالسور المنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها ،
 إذاعة للشهرة ، وتبتما لتخليد الفخر .

(١) هودون بيدور Don Pedro. وكان وصيا على الملك الصبي ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة

(٢) أثبتها «ك» . وأغفلها «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين : منابيس . وهو تحريف لإسم (شمانس) وقد كان أحد الحصون القريبة من غرناطة . وبالإسبانية Sietemanos أعنى الأيدي السبعة .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : صفرت .

(٥) مرج غرناطة الشهير LaVega .

(٦) في هذا التاريخ الذي يورده ابن الخطيب للموقعة بمض التحريف . ويضع ابن خلدون تاريخ الموقعة في سنة ٧١٨ هـ (ج ٤ ص ١٧٣ و ج ٧ ص ٢٥٠) . وهو يوافق تاريخها الميلادي أنواع في مايو سنة ١٣١٨ م . وراجع كتابي «نهاية الأندلس» (الطبعة الثالثة) ص ١١٨ .

(٧) إن الذي هلك في الموقعة ووضع جثمانه في التابوت هودون بيدور الوصي على الملك الصبي

وليس هو ألفونسو الحادي عشر

ومن الغريب أنني في هذه الأيام بعد خمسين سنة تماماً^(١) ، تفقدت ذلك المكان في بعض ما أباشره ، أيام نيابتي عن السلطان بدارمُلْكِه على عادي . فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة ، رجم الصبيان إياه . فظهر لي تجديد الإشادة به ، والاستفتاح بوقوع مثله . ولما كُشف عن الرِّمَّة لتُنقل إلى وعاء ثان ، أُلْفِي بَعَظْمٍ^(٢) القطن^(٣) العريض منها ، سنانٌ مُرْهَبٌ ثبت في العظم . انثُرِعَ منه . وقد غالبتني الرقة والإجهاش ، وقلت اللهم ادخر رضوانك لمن أودع^(٤) في هذه الرِّمَّة الطاغية ، سنان جهادك إلى اليوم ، وأثيبه وارفع درجته ، إنك أهل لذلك .

«رجع» ، واستقامت الأيام ، وهلك الخلع ، فصفا الجو ، واتحدت الكلمة ، وأمكن الجهاد . فتحرك في شهر رجب من عام أربعة وعشرين وسبعمائة ، وأعمل القصد إلى بلاد العدو ، ونازل حصن إشكر^(٥) ، الشَّجِيَّ المعترض في حلق بَسْطَة ، فأخذ بمُخَنَقَةٍ ، ونشر الحرب عليه ، ورمى بالآله العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد عمدة طاق البرج المنيع من معقله ، فاندفعت يتغاير شرورها ، واستترت بين محصوريه^(٦) ، فعانت عيath الصواعق السماوية ، فألقى الله الرعب في قلوبهم ، وأتوا بأيديهم ، ونزلوا قسراً على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر ، وأقام بظاهره ، فصيره دار جهاد ، وعمل في خندقه بيده ، وانصرف ، فكانت غزاة جمة البركة عظمت بها على الشرق الجندوى ، وأنشد الشعراء في هذه الوجبة قصائد أشادت بفضلها ، وشهرت من ذكرها . فمن ذلك عن كاتب سره^(٧) قوله :

(١) يوافق ذلك سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) .

(٢) وردت في المخطوطين : بعظن .

(٣) القطن هو ما انحدر من الظهر واستوى .

(٤) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» والملكية : وضع .

(٥) إشكر وبالإسبانية Huescar هي بلدة حصينة تقع شمال شرق مدينة بسطة .

(٦) وردت في المخطوطين : محصوره .

(٧) هكذا في «ك» واللمعة البدرية . وفي «ج» (كتاب بيره) وهو تحريف

أما مداك فغاية لم تلحق أعيت على غرب الجياد السبق
 ورفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هذيل . قصيدة أولها :
 بحيث القباب^(١) الحمر والأسد الورد ككتاب سكان السماء لها جند
 أنشدني منها في وصف النفط قوله :

وظنوا بأن الصمق والرعد في السما فحاق بهم من دونها الصمق والرعد
 غرائب أشكال سماهرمس بها مهندة تأتي الجبال فنهبد
 ألا إنها الدنيا تريك عجائباً وما في القوى منها فلا بد أن يبدو

وفي العاشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، تحرك للغزو بعد أخذ
 الأهبة والاستكثار والاجتهاد المطوعة . وقصد مدينة مرتس^(٢) العظيمة الساحة ، الطيبة
 البقعة ، فأضرب^(٣) بها المحلات^(٤) و[كان]^(٥) القصد إجماع الناس ؛ فصبوب الحشود
 ووجهها إلى ماها^(٦) من بحر الكروم والملتفات . وأدواح الأشجار . فأمنوا في
 إفسادها ، وبرز حاميتها [فناشبت الناس]^(٧) القتال ، فحيمت النفوس ، وأريد
 منع الناس . فأعيا أمرهم وسال^(٨) منهم البحر . فتعلقوا بالأسوار ؛ وقيل للسلطان
 بادور الكوب ؛ فقد دخل الربيض . فركب ووقف يازاها . فدخل البلد عنوة ، واعتصم
 أهله بالقصبة ، فدخلت أيضاً القصبة عنوة . وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من

(١) هكذا في «ج» . وفي اللحة : البنود .

(٢) مرتس ، وبالإسبانية Martos هي بلدة أندلسية حصينة تقع جنوب غربي مدينة جبال .
 وشمال شرق مدينة بيانة .

(٣) وردت في المخطوطين وكذا في «الملكية» : فاضطرب . والتصويب من اللحة .

(٤) وردت في المخطوطين : المحلات . والتصويب من اللحة .

(٥) الزيادة من اللحة وهي سافطة في المخطوطين .

(٦) وردت في المخطوطين محرفة : باها .

(٧) وردت محرفة في المخطوطين والملكية : (فناشبت الناس) . والتصويب من اللحة .

(٨) في المخطوطين والملكية : وهال .

ذكر وأثنى كبيراً أو صغيراً ، فساعت القتلة ، وقُبِحت الأحداث . ورفعت من الغد آكام من الجثث ، صعدت ذراها المؤذنون ؛ وقفل إلى غرناطة بنصر لا كفاً له ، فكان دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور .

وفاته

ولما فصل من مرتش تجم على أحد الرؤساء من قرابته ، وهر ابن عمه محمد ابن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة ، أمراً تقرعه عليه ، وبالغ في الإهال له ، وتوعده بما أثار حفيظته ، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء التي ارتكبها منه بياب قصره ، بين عبيده وأرباب دولته ، آمن ما كان سرباً ، وأعز سلطاناً وجنداً ، وذلك يوم الإثنين ثالث يوم من دخوله من مرتش ، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدماء ؛ فوثب به ، وهو مجتاز بين السباطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس ؛ فاعتنقه وانتضى خنجرأ كان ملصقاً في ذواعه ، فأصابه بجراحات ثلاث ، إحداهن في عنقه ، بأعلى ترقوته ، فخر صريعاً . وصاح بكر وزيره ، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك ، ووقعت الرجة ، وسلت السيوف ، وتشاغل كل بمن يليه ، واستخلص السلطان من يديه ، وحيل بينه وبينه ؛ وحين^(١) تشاغل القوم بالوزير ، رفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريماً ، فوقع البهت ، وبادروا الفرار ، فسدت المذاهب ، فقتلوا حيث وجدوا ، وأخذت الظنة قوماً من أبرياءهم ، فامتحنوا ، ونهب الفوغاء دورهم ، وعلقت بالجدوات أشلاؤهم ؛ وكان يوماً عصبياً ، وموقفاً صعباً ، واحتمل السلطان إلى بعض دور قصره ، وبه صبابة روح ، أشبه شيء بالعدم ، للزوق العامة بفوهة^(٢) شريانه المبتور ، ففاض لحينه بنفس زوال العامة ، رحمه الله .

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : وعند .

(٢) وردت في «ج» : يفهو . وفي «ك» : بهو . والتصويب من السعة .

وكان من أخذ البيعة لولده الأمير أبي عبد الله من بعده ، ما هو معروف في موضعه . ودفن غلَس ليلة الثلاثاء ، ثانی يوم فاتهُ ، بروضة الجنة من قصره ، إلى جانب جده ؛ وتنوهُ الاحتفال بقبره نقشاً ، وتخريماً^(١) ، وإحكاماً ، وحلياً ، وتمويهاً ، يشق على الوصف ، وكُتِب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصه ، من كلام شيخنا ، بعد سطر الافتتاح :

« هذا قبر السلطان الشهيد^(٢) فتّاح الأمصار ، وناصر ملة المصطفى المختار ، ومحى سبيل آباءه الأ نصار ، الإمام العادل ، المهام الباسل ، صاحب الحرب والمحراب الطاهر الأنساب والأثواب ، أسعد الملوك دولة ، وأمضاهم في ذات الله صولة ، سيف الجهاد ، ونور البلاد ، ذى الحسام المسلول في نصره الإيمان ، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن ، المجاهد في سبيل الله ، المنصور بفضل الله ، أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل ابن المهام الأعلى ، الطاهر الذات والفيخار^(٣) ، الكريم المآثر والآثار ، كبير الإمامة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس ، المرحوم أبي سعيد فرج ، ابن علم الأعلام وحامى حمى الإسلام ، صنّو الإمام الغالب ، وظهيره [المقدس]^(٤) العلى المراتب ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر ، قدس الله روحه الطيب ، وأفاض عليها [غيث]^(٥) رحمته الصيب ، ونفعه بالجهاد والشهادة . وحياه بالجسنى والزيادة ، جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد ، وصنع الله له في فتح البلاد ، وقتل كبار الأعداء ، ما يجده منخوراً يوم التناد ، إلى أن قفى الله بحضور أجله ، فتم عمره بخير عمله ، وقبضه إلى ما أعد له من كرامته وثوابه ، وغُبار الجهاد طيُّ أثوابه ، فاستشهد رحمه الله شهادةً أثبتت له في الشهداء من الملوك قدماً ، ورفعت له في أعلام السعادة علماً .

(١) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» تجميعاً . وفي اللحة : تنجيماً .

(٢) هكذا وردت في اللحة . وفي المخطوطين : الشهير .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية المفاخر . وفي «اللحة» النجار .

(٤) وردت فقط في «ج» (٥) واردة في اللحة . وساقطة في المخطوطين والملكية .

« ولد رضى الله عنه فى الساعة المباركة بين يدى الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال غام سبعة وسبعين وسمائته ؛ وبويع يوم الخميس السابع والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعائه . واستشهد فى يوم الإثنين السادس والعشرين لشهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعائة . فسبحان الملك الحق ، الباقى بعد فناء الخلق »
وبعد من جهة اللوح الأخير :

تخصُّ قبرك ياخيرَ السلاطين
قبر به من نبى نصر [إمام هدى]^(١)
أبو الوليد وما أدراك من ملك
سلطان عدلٍ وبأسٍ غالبٍ وندى
لله ما قد طواه الموت من شرف
ومن لسانٍ يذكر الله منطلق
أما الجهادُ فقد أحيا معالمة
فكم فتوحٍ له تزهو المنابرُ من
بجاهدُ نال من فضل الشهادة ما
قصى كعثمان فى الشهر الحرام ضحىً
فى عارضيه غبار الغزو تمسحه
يُسقى بها عين تسليمٍ وقائله
تبكى البلاد عليه والعباد معاً
لكنه حكم ربٌ لا مردَّ له
فرحة الله ربِّ العالمين على

تحيّة كالصبا مرت بدارين
على المراتب فى الدنيا وفى الدين
مستنصرٍ واثقٍ بالله مأمون
وفضل تقوى وأخلاقٍ ميامين
وسرٌّ مجدٍ بهذا اللحد مدفونُ
ومن فؤادٍ بحبِّ الله مسكون
وقام منه بمفروضٍ ومسنون
عُجبٍ بهن وأوراق الدواوين
يجبى^(٢) عليه بأجر غير ممنون
وفاة مستشهد^(٣) فى الدار مطعون
فى جنة الخلد أيدى حورها العين
مردّد بين زقومٍ وغسلين
فانطلق ما بين أحزان أفانين
[فأمره]^(٤) الجزم بين الكاف والنون
سلطان عدلٍ بهذا القبر مدفون

(١) وردت فى « ج » والملكية . وأغفلت فى « ك » .

(٢) وردت فى المخطوطين (بجى) والتصويب من اللحة .

(٣) وردت فى المخطوطين والملكية : مشتهر . والتصويب من اللحة .

(٤) ساقطة فى المخطوطين والملكية . وواردة فى اللحة .

بعض ما رثي به

[وعظمت فيه] ^(١) فجميعة المسلمين لما شكوا من جهاده وعزمه ، وبلوه من سعده وعز نصره ، فكثرت ^(٢) فيه المراثي ، وتراهننت في شجوه القرائح ؛ وبكاه الغادي والرائح . فمن المراثي التي أنشدت على قبره ، قول كاتبه [شيخنا] ^(٣) أبي الحسن بن الجيَّاب .

ويازفة الحزن احكى وتحكى	أيا عبرة العين امزجى الدمع بالدم
فإن الأسي فرض على كل مسلم	ويا قلب ذب وجداً وغماً ولوعة
إلى [حيث ألفت] ^(٤) رحلها أم قشم	ويا سلوة الأيام لا كنت فابعدى
وقل لشكاة الحزن أهلاً تقدمي	وصح بأناة الصبر سحفاً تأخرى
وفتّاح أبواب الندى والتكرم	ولم لاوشمس الملك والمجد والهدى
وحيداً وأصمته الليالي بأسمهم	ثوى ^(٥) بين أطباق الثرى رهن غربة
تساقط دراً بين فداً وتوأم	على ملك الإسلام فاستح بزفرة
تجلى بوجه العصر غرة آدم	على علم الأعلام والقمر الذى
أصالة أعراق وفضل تقدم	على أوحد الأملاك غير منازع
وبشرى لمكروبٍ وعفو لمجرم	ومن مثل إسماعيل نور المهتد
لأصراخ مذعور وإغناء معدم	وما مثل إسماعيل للبأس والندى
به الفتح من غرس القنأ المنحطم	وما مثل إسماعيل للحرب يجتني

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في المخطوطين والملكية ، ووارد في السحة .

(٢) في المخطوطين : فكثر .

(٣) وردت في السحة . وأغفلت في المخطوطين .

(٤) هذه العبارة واردة في « ك » والملكية . وساقطة في « ج » .

(٥) وردت في المخطوطين : ترى .

وما مثل إسماعيل سَهْمٌ سعادة
 شهيدٌ سعيدٌ صَبَّحَتْه شهادة
 أتت وغُبارُ الغزو طيَّ ثيابه
 فتبَّأ لدارٍ لا يدوم نعيمها
 ولا أنسها إلا رهينٌ بوَحْشة
 فيا من يرى الدنيا بُحاجة نَحلة
 فمن شام منها اليوم برق تبسُّم
 فضاحكها باكٍ وجذلائها شج
 وسرَّأوها تقنى^(٢) وضرَّأوها معاً
 سَطَّتْ بملوك الأرض من بعد آدم
 فكم من قصيرٍ قصرت شأو عمره
 وكم كسرت كسرى وفضت جيوشه
 ولو أنها ترعى إمام هداية لأعفت
 وما قتلت عثمان في جوف داره
 وما أمكنت فيروز^(٥) من عمر الرضى

أصاب به الإسلام شاكلة الدم
 تبوأ منها في الخلود التنعيم
 ظهيرُ أمانٍ من دخان جهنم
 فما عرسها إلا طليعة مأتم
 ولا شهدها إلا مشوبٌ بعلقم
 ألا فاعتبرها فهي نبتة أرقم
 ففي الغد تلقاه بوجه جهنم
 وطالمها^(١) هاوٍ ومُبصرها عم
 فكلتاها طيفُ الخيال المسلم
 تُبدد منهم كلَّ شغلٍ مُنظم
 فخرٌ صريعاً للبدن واللفم
 فلم تُحميه منها كتابٌ رسم
 علياً^(٣) من حُسام ابن مُلجم^(٤)
 فقدس من مُستسلم ومُسلم
 فهَدَّت من الإسلام أرفع معلم

إلى آخرها. وتضمن إجمالاً ما ذكر من ذلك ، التاريخُ المُسمى « بقطع
 السلوك »^(٦) المنظوم رجزاً من تأليفٍ بما نصه :

-
- (١) هكذا في «ك» . وفي «ج» . وطالقتها .
 (٢) في المخطوطين : تقى .
 (٣) وردت في المخطوطين : علينا . وهو تحريف ظاهر .
 (٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل الإمام علي بن أبي طالب .
 (٥) هو أبو لؤلؤة فيروز قاتل الخليفة عمر بن الخطاب .
 (٦) هذا هو اسم آخر يورده ابن الخطيب لكتابه المسمى : « رقم الحلال في نظم الدول » .

وعندما خيف انتشار السلك ووزر الرُّوم وزير الملك
تدارك الأمر الإمام الطاهر فعالج الدار طيبُ ماهر
وهو أبو الوليد إسماعيل والشمس لا يفتقد لها دليل
ابن الرئيس الماجد الهمام فردُّ العلاء وعلم الأعلام
وجده صينو الإمام الغالب مناقبُ كالثَّهْبِ الثَّواقِبِ
فقاد من مالقة الجنودا ونشر الأعلام والبُنودا
وعاد نصر بدمى حمراءه آتى وأمر الله من ورائه
فخلع الأمر وألقى باليأس من بعد عهد موثَّق مؤكَّد
وسار^(١) في الليل إلى وادي الأشي^(٢) والملك لله يعز من يشا
ولم يزل فيها إلى أن ماتا وطلَّق الدنيا بها بتاتا
وأتسق الأمر وقرَّ الملك وربما جر الحياة^(٣) الهلك

ومن الرجز المذكور في وصف جهاده ومقتله :

وكان يوم المرج في دولته ففرق الأعداء من صولته
وفتح المعازل المنيعمة وابتهجت^(٤) بعدله الشريعة
وانتبه الدهر له من نومه على يدي طائفة من قومه
بكي عليه الحرب والمحراب وندبته الضمر العراب

(١) وردت في المخطوطين : وصار .

(٢) يقصد به مدينة وادي آش .

(٣) هكذا في اللوحة . وفي المخطوطين : المهلك .

(٤) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» وانبهجت .

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر

السلطان الذي احتال^(١) على أخيه، المتوثب على ملكه ، يكنى أبا الوليد .

حاله

كان صبياً كما اجتمع وجهه ، بادناً ، دمث الخلق ، لين الجانب ، شديد البياض كثيف الحاشية ، متصلاً بالجفوة ، لطول الحجة ، وبُعد التمرن والحفكة غراً ، فاقداً لحسن الأدب ، عريقةً الفاظه في المعجزة . تصير الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم ولُبَابِ بيتهم ، يوم قتل أبوها ، وله مزية السن والرجاحة^(٢) ، والسكنى بمحل وفاة الأب ، فأبقى عليه ، وأسكنه بعض القصور لصقه^(٣) ، ولم يضايق أمه فيما استأثرت به من بيت المال ، إذ كان إقليدُهُ في يدها ، وبيضاؤه وصفراؤه^(٤) في حكمها ، ورفه مُتَبَوِّأه ، واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاته إرماقيهما ، وإعدام حياتهما، الشيخ السُّفلة^(٥) محمد البطروجي البائس ، [قرَد ذلك السُّرب]^(٦) فاستمرت أيام احتجاجه وانتظاره على قصره ، إلى رمضان من عام ستين وسبعمائة . وحرك سمسرة^(٧) الفتنة له ولأمه جواز الطمع في الملك ، وذنذروا لها حتى رقصت على إيقاعهم ، وخفت إلى مواعدهم ، وشمروا إلى خلاص الأمر ، وأحام الوثبة صهره الرئيس

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» اختال .

(٢) وردت في «ك» : الرجاحة . وفي «ح» الزجاجية .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» : لصقه .

(٤) هكذا ، «ك» . وفي «ج» : وصفراؤه .

(٥) هكذا في «ك» . وفي «ج» : السلفة .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : (حدد ذلك السر) . وفي الملكية (فرد ذلك السرفا) .

(٧) وردت في المخطوطين وفي الملكية : سمسارة .

[أبو عبد الله] ^(١)، حلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم. فسيرت إليه أمه المال، فبثه في الدّعة والشرار، حتى تم غرضه، واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، وقد هُدم منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من عام ستين وسبعائة؛ والسلطان ليلتذ غير حال بها، فملؤوها جباً ولفظاً ^(٢) وصراخاً وهولاً وتّفويراً، في جُملة تناهز المائة؛ وانضاف إليهم أخوانُ رأيهم من حرّاسها وسكانها؛ فألبس الناس، وسقط في أيديهم. وأهدى الليل فتكته ^(٣) هائلة، وأدّأها شنيعة، فاقصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين، قصدت إحداها دار كبير الدولة، وقيوم التّفويض، وشيخ رجال الملك رضوان. المستبدُّ بإحالة كورتها، الشيخ الذّهل، معزوز القدر [ورائب النّكته] ^(٤)، ومُعود الإقالة، وجرّار رسن ^(٥) الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خد الدنيا، المغضوض البصر عن النّظر، المستهين بكل سبّة ^(٦) وحية تسعى، المعول على نظره، وقوة سَعده ^(٧) وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضى الناس به، وسقوط منافستهم من أجله، ومأويهم على مؤل لفظه، وبساط معاملته، وصحة عقده. فمالجوا بابه طويلاً وتولّجوا داره، وقتلوه بين أهله وولده.

وقصدت الأخرى دار الأمير المترجم به ومعها صهره، فأخرجوه ^(٨)، وأركبوه على فرس، راعد الفرائض، منتقع اللون، مختلط القول، تحف به داياته بين

(١) في المخطوطين والملكية: أباهو.

(٢) هكذا في «ك» والملكية. وفي «ج»: وغلطا.

(٣) هكذا في «ك» والملكية. وفي «ج»: فتكة.

(٤) هكذا وردت في الملكية. ووردت في المخطوطين (وربب النكته - النكته) والأولى أرجح

(٥) الرسن هو الحبل.

(٦) وردت في المخطوطين: سبتا.

(٧) هكذا في «ك». وفي «ج»: سعادته.

(٨) هكذا وردت في الملكية. ووردت في المخطوطين: فأرجوه.

مَوْلَاةٍ^(١) ، وَتَافِلَةٍ وَمَعْرُودَةٍ ، قَدِ جَعَلُوا بِهِ سَيْفًا مُصَلَّتًا عَلَى سَبِيلِ الْوَأَعْبِ بِالنُّصُولِ
 وَالرُّوَاقِصِ ، فِي مَدَارِجِ اللّهُوِّ ؛ وَاسْتُخْرِجَتْ طَبُولُ الْمَلِكِ قَقْرَعَتْ ، وَقِيدَتْ الْخَيْلُ
 مِنْ مَرَابِطِهَا فُرُكِبَتْ ، وَقَصِدَتْ الْخِزَانُ السَّلَاحِيَّةَ^(٢) فُفِرِقَتْ ، وَتَمَّ الْأَمْرُ ، وَحُلَّ
 مِنَ الرِّيبِ عَلَى دَارِ الْإِمَارَةِ الْقَصْدُ ، وَخُرِجَتْ السُّكُتِبُ إِلَى الْبِلَادِ وَالْقَوَاعِدِ ،
 فَالْتَقَتْ بِالْيَدِ أُمَهَاتُهَا لِقَطْعٍ مِنْ بَيْهَا مِنْ أَوْلَى الْأَمَانَةِ ، بِتَهَامِ الْأَمْرِ ، وَهَلَكَ السُّلْطَانُ ،
 قَمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، وَبَادَرَ أَخُوهُ السُّلْطَانُ لِحِينِهِ^(٣) لَظْهَرَ سَابِقٌ كَانَ مَرْتَبَطًا عِنْدَ بَحْرٍ^(٤)
 لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَصِقَ الْقَلْعَةُ ، فَاسْتَأْجَرَ اللَّيْلَ ، وَوَافَقَ الْحَزْمَ ، فَاسْتَقَرَّ بِوَادِي آشٍ .
 وَكَانَ أَمْلَكَ بَيْهَا ، وَنَازَلَتْهُ الْمَحَلَاتُ ، وَأَخَذَ بِمَحَنَّتِهِ الْحَصَصَ ، وَاسْتَنْصَرَتْ لِمَنَازِلَتِهِ
 النَّاسُ ، وَأَعْمَلَتْ الْخَيْلُ ، بِوَأْتِئِذْنِ اللَّهِ بِثَبُوتِ قَدَمِهِ ، وَانْتَقَالَ إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ صَبِيحَ
 عِيدِ النَّحْرِ مِنَ الْعَامِ الْمَذْكُورِ ؛ إِلَى أَنْ أَعَادَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَمْرَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، وَتَوَلَّى
 بَعْدَ الْيَأْسِ جِبْرَهُ ، حَسْبًا يَذْكَرُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَخَلَا الْجُو لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمَضْعُوفِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى أُرَيْكَةَ الْمَلِكِ الْأَغْمَارِ وَأُولُو
 الْبَطَالَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ^(٥) صَهْرِهِ الرَّئِيسِ ، خَاطَبَهَا لَهُ ابْتِدَاءً ثُمَّ نَاقَلَهَا^(٦) إِلَى نَفْسِهِ انْتِهَاءً ،
 وَحَامَلَهَا إِلَى غَايَتِهِ دَرَجًا ، وَإِلَى إِعَاقَتِهِ سُلْمًا ، وَهُوَ مَا هُوَ مِنْ غَشِّ الْحَبِيبِ ، وَسُوءِ
 الْعَقْدِ ، وَدَخَلَ السَّرِيرَةَ ، وَاسْتَيْدِنَانِ الْمَسْكُورِ ، فَأَغْرَى مِنْهُ بِالْمَهْدِ نَفْسًا مَطَاوِعَةً
 لِلشَّهْوَةِ ، مَتَبَّرْمَةً بِالْإِتْمَحَانِ وَالْخَلْوَةِ ، بِرِيَّةٍ [مِنْ] ^(٧) نُورِ الْعِلْمِ وَتَهْذِيبِ الْحِكْمَةِ ،

(١) هكذا في «ج». وفي «ك»: ملولة .

(٢) هكذا في الملكية . ووردت في «ج» (وقصرت الخزان عن الأسلحة) وهو تحريف .

(٣) رسمت في «ج»: لجر . ومكانها بياض في «ك» . وقد رجحنا التصويب لاتساقه

مع المعنى .

(٤) وردت في المخطوطين والملكية : بمتجرا . ونعتقد أن التصويب يتفق مع السياق .

(٥) رسمت في المخطوطين ناقصة : ولا .

(٦) وردت في المخطوطين : نقلها . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) ساقطة في المخطوطين والملكية . ويقتضها السياق .

ناشئة بين أخايث القسوة ، جانية أمانى الشهوة والمخالفة ، مضادة للفلاح^(١) ، حايدة عن سبيل النجاة ، بمحل اغتراب عن النصحاء ، وانتباز عن مقاعد الأحرار ، فجرى طلق الجموح في التخلف ، حتى كبا لفيه ويديه ، وأعان نسمة السوء الرئيس على نفسه ؛ وقد كان اصطنع الرجال ، واستركب أولى البسالة ، وأسالف الدعة ؛ واختص في سبيل خدمته والذب عنه ، بالبوساء والمساعير ، يُشركهم في الأكلة . ويصافيهم النعمة . واظلم ما بينهما ، فحذر كل جانب أخيه ، [إلا أن المهين كان أضعف من أن يستأثر بنخطة المعالجة ، ويهتدى إلى سبيل الحزم]^(٢) . وفي عشيّ يوم الأربعاء [السابع والعشرين]^(٣) من شهر شعبان ، شارفه من مكمن^(٤) غدوره الرّحّب بجوار قصره ، وارتبط به الخيل واستكثر من الحاشية ، وأخفى المساعير ، وداخل المورورى^(٥) المشثوم على الدولة ، فبادر رجاله سدّ الأبواب ، وانخرط في جملة أو باشه من باب السلطان ، من الرّجل لنظر ممالئه في العنا ، وعونه على الهول المورورى ، فأحاط به ، وقد بادر الاعتصام بالمصنع ثانی الصرح المنسوب إلى هامان سموّاً ونفالاً في الشّكّك^(٦) وسعة ذرع . وبعد مارقي وصرخ بالناس ، يناشدهم الذّمّام ، فحُف إليه منهم الكثير ، وترا كوا بالطريق تحته ، وتولى استنزاله عن سويّه مملوك أبيه ، العليج المخدول عبّاد ، وقد تحصّل في قبضته الغادر ، فقتل له في الغارب والذّرورة ، ووعدّه الحياة ، فنزل عن أمان فُسحة الغدر الصّراح ، والوفاء المُستباح . ولحين استهاله ، أمر نقله^(٧) إلى المطبق ،

(١) وردت في «ك» . وأغفلت في «ج» والملكية .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين وفي الملكية .

(٣) تاريخ اليوم ساقط في المخطوطات الثلاثة . وقد أكلناه من اللحم البدرية .

(٤) وردت في المخطوطين : ممكن .

(٥) المورورى ، هو حسبها ورد في اللحم البدرية ، وزير الرئيس المتوثب ابن عم السلطان

المنتصب إسماعيل بن يوسف . والإسم ينسب إلى بلدة مورور . وهي من قواعد الأندلس القديمة وتقع جنوب شرق إشبيلية وبالإسبانية Moron .

(٦) السكالك هنا أى الجو . (٧) وردت في «ج» قبله . وفي «ك» قبله .

فقيدهُ مُخْتَبِلاً كثير الضراعة ، إلى الأري^(١) لصق قصره ، وتماورته السيوف ، وألحق به صغيره قيس ، استخرج من بعض الخزائن ، وقد جهدت^(٢) أمه في إخفائه ، ففضى لسبيله ، وطرح رأسه على الرعاع المجيين لندائه ، فانفضوا لحينه ، وبقى مطروحاً مواري ، بمجلس^(٣) دابة من دواب الظهر ، إلى يوم بعده ، فووري هو وأخوه بمقربة من مدفن أبيهم ، فكان من أمرها عبرة . وقد استوفى [ذلك]^(٤) الكتاب المسمى « بنفاضة الجراب » من تأليفنا .

وزراء دولته

قدّم للوزارة عشية^(٥) يوم ولايته ، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ، بطالع الشؤم ، ولعبة النحس . عهدى بالطيب الإسرائيلي الحبرى العظيم المهارة [فى الفن النجومى]^(٦) ، إبراهيم بن زرزار ، يتطايىر بتلك الولاية بكون النحس الأعظم فى درجة طالعها ، جذواً انفرد بنحز أدبهم الجهالة ، المعدودون فى البهيم والهمج^(٧) ، الذين لا يعبأ الله بهم ، فكان الخبر وفوق الخبر ، فلم يرفى الأندلس وزارةً أثقل وطأة ، ولا أخبث عهداً ؛ ولا أعظم شرهاً ، ولا أكثر حجراً منها ثم كان عاقبتهم أنهما فى النار خالدىن فيها ، وذلك جزاء الظالمين من رجل حبر^(٨) ، كمد اللون ، تنطف سخته مرةً ومثما ، غائر العين مطأطأ الرأس ، طرف فى الحقد والطمع ، وعى المنطق ، وجود الكف ، معدن من معادن الجهل ، مثل فى الخيابة ، تناول

(١) الأري هو محبس الدواب .

(٢) وردت فى المخطوطين : جهد . (٣) المجلس هو كساء الدابة .

(٤) هذه الكلمة ساقطة فى المخطوطين . وقد أضفناها من الملكية .

(٥) هكذا فى « ك » . وفى « ح » عشى .

(٦) هذه العبارة واردة فى « ك » . وساقطة فى « ج » .

(٧) وردت فى المخطوطين والملكية . المهج . وهو تحريف لا يستقيم مع السياق .

(٨) هكذا رسمت فى المخطوطين . ولكن الرسم الشائع هو (حبرى) . والرجل الحبرى هو :

الظلم الطويل القصير الرجلين ، ويكاد يكون مقعداً من ضعفهما .

الأمر مُزاحماً فيه بالرئيس المتوثب، وابن عم نفسه، الغادر، الضخم الجرارة، بالوَعَثَ المهين، وثور النقل، وثمان الفواكه، وصاعقة الأخونه^(١)، ووكيل الدولة المنحط عن خلاهم بالأبوّة والنشأة؛ فجرت أمورهما أسوأ مجاريها، إلى ان كان ما أذن الله به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المهين، مقلده [أنوّه الرتب]^(٢)، وتاركه وخطة الخيانة؛ ثم أخذه الأخذّة الرابية بيد من أمده في النعي، وظاهره في الخزي؛ فجعله نكلاً لما بين يديه وما خلفه، وموعظةً للمتقين، حسبما يأتي في اسمه بحول الله تعالى.

كاتبه

واستعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطوّال، الأهوج، البريّ من الخلال الحميدة، إلا ما كان من وَسَطِ الخلط وسوقِ السجع، والدرك الأسفل من النظم، عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي، الآتي ذكره. وهو الذي أفرده الله جل جلاله، بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد؛ وقلة الوفاء. وتولى القضاء، أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم بن جُزَي أياً ما، ثم شهّر به قوم من الفقهاء منافسيه، ورشقه بما أوجب صرفه؛ وقدم للقضاء الشيخ المسن^(٣)، الطويل السباحة في بحر الأحكام، المفري الودّجين والخلقوم بسكين القضاء، المنبور^(٤) بالمواقف فيه، تجاوز الله عنه، سلمون بن علي بن سلمون. وشيخ الغزاة على عهده، يحيى بن عمر بن عبد الله ابن عبد الحق، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة في قياده، ونصح له فأمر له؛ وضاعف برّه.

(١) جمع خوان وهو المائدة.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ك». وفي «ح» والملكية: أبوه الرتبة.

(٣) وردت في المخطوطين: الحسن.

(٤) أي المعروف والمشهور.

الملوك على عهده^(١)

مولده

في يوم الإثنين الثامن والعشرين لربيع الأول من عام أربعين وسبعمائة .
« وفاته » ؛ حسبما تقرر آنفاً في يوم الأربعاء [السابع والعشرين]^(٢) لشعبان
من عام أحد وستين وسبعمائة .

أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفي^(٣) الصحراوي
من أمراء المرابطين ، صهرُ علي بن يوسف بن تاشفين ، زوج أخته ، وأبو^(٤)
ولده منها يحيى ، المشهور بالكرم .
« أوليته » ؛ معروفة تُستقرأ^(٥) عند ذكر ملوكهم .

حاله

كان مثلاً في الكرم ، وآيةً في الجود^(٦) ، أنسى أجواد الإسلام والجاهلية إلى
الغاية ؛ في الحياء والشجاعة والتبريز في ميدان الفضائل . استوزر الوزير الحكيم
الشهير أبا بكر بن الصائغ ، واختصه ؛ فتجملت دولته ونُبّه قدره . وأخبره
معه شهيرة .

(١) هذا العنوان ثابت في المخطوطين وفي الملكية . ولكن لم يثبت بعده شيء .

(٢) تاريخ اليوم ساقط في المخطوطات الأربعة .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة : المسوفي . وهو تحريف لكلمة (المسوفي) نسبة لقبيلة

« مسوفة » إحدى بطون صنهاجة .

(٤) وردت في المخطوطتين والملكية : فبنوا .

(٥) وردت في المخطوطتين : تستقر .

(٦) وردت محرقة في المخطوطتين : (أجود . جود) .

ولايته

وُلِّيَ غرناطة سنة خمسمائة . ثم انتقل منها إلى سرقسطة . عند خروج المستعين ابن هود [إلى] روطنة^(١) . فأقام بها مراسم الملك ، وأنهمك في اللذات ، وعكف على المعاقرة ، وكان يجعل التاج بين ندمائه ، ويتزيياً بزى الملوك^(٢) إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد .

خروجه من الصحراء

قال المؤرخ : كان أبوبكر هذا رئيساً على بعض قبيله في الصحراء ، وكان ابن عمه منفرداً بالتدبير ، فاتفق يوماً أن يدخل على ابن عمه في خبائه^(٣) ، وزوج ابن عمه تمشط^(٤) في موضع قريب من الخباء ، فاشتغلت نفس أبو بكر بالمرأة لحسنها وجمالها . فحين دخل قال لابن عمه ، فلانة تريد الوصول إليك ، وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه ، فذائق باسم المرأة لشغل باله بها : فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة ، وقد أنكرك ذلك ، عهدى بهذا الشخص لا يستأذن علينا . فرجع عقله ، وثاب لبه ، وعلم قدراً من القبيح وقع فيه^(٥) ، فخرج من ذلك المجلس ، وركب جملة ، وهان عليه مفارقة وطنه من أجل العار ، واستصحب نفراً قليلاً من أصحابه على حال استعجال ، ورحل ليلاً ونهاراً ، حتى وصل سجلماسة^(٦) أولى عمالات على بن يوسف ابن عمه ، واتصل به قدومه ، فأوجب حقّه ، وعرف قدره ، وعقد له على أخته ، وولاه على سرقسطة دار ملك بني هود بشرق الأندلس ، بعد ولاية غرناطة .

(١) روطنة Rueda قاعدة أندلسية قديمة تقع على نهر خالون غربى سرقسطة . وكان يلجأ إليها بنو هود لمناعتها كلما شعروا بالخطر على ملكهم ، وما تزال بها أطلال حصنها الأندلسي .
 (٢) هكذا في «ج» . وفي الملكية : الملك . (٣) وردت في المخطوطين : خباء .
 (٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية : تمشط .
 (٥) هكذا في «ج» . وفي الملكية (صار إليه) .
 (٦) سجلماسة من قواعد المغرب القديمة . وهي تقع جنوب فاس .

نبذة من أخباره في الكرم

قالوا ؛ لما حل بظاهر سجلماسة ، مجهول الوفاة ، خافى الأمر ، نزل بظلمة نخل بظاهرها ، لا يعرف أحداً ولا يقصده ، فجاء في ذلك الموضع رجل حدادٌ قراه^(١) بعتز^(٢) كان عنده ، وتعرف له ، وأبو بكر يستغرب أمره ؛ فلما فرغوا من أكلهم ، قال للحداد ألا تصحبنا لموضع أمنا ، وتكون أحد إخواننا ، حتى نحمد لقاءنا ، فأجاب ؛ وصحبه الحداد ، وخدمه ، فلما قرؤوا من مرآة كُش ، استأذن أبو بكر ، على بن يوسف بن تاشفين ، وأعلمه بنفسه ، فأخرج له على بن يوسف فرساً من عتاق خيله ، وكسوة من ثيابه وألف دينار ، فأمر أبو بكر بدفعها للحداد ، فبُهِتَ الحداد ؛ وانصرف الرسول مُوجِّهاً إلى مرسله فأخبره بما عاين من كرمه وفعله ، فأعاده إليه في الحين بفرسٍ أخرى ، وكسي كثيرة ، وآلاف من المال ، فلما دخل مرآة كُش ، ولقى على بن يوسف وأنزله ، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد ، وشاركه في الأموال التي توجه بها^(٣) ، فانصرف يجر وراءه دنيا عريضة .

ولما ملك سرقسطة ، اختص الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ^(٤) ، ولطف منه محله . ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة ، ثم بكر من الغد ؛ فلما دخل قال له أين غبت يا حكيم عنا ؟ فقال يا مولاي أصابتني سوداء واغتيمت ، فأشار إلى الفتى الذي كان يقف على رأسه ، وخاطبه بلسان عجمية ، فأحضره طبقاً مملوئاً مثاقيل مُحشمة^(٥) وعليها نوادر ياسمين [فدفعه]^(٦) كله إليه ، فقال ابن باجة :

(١) أى أضافه وأكرمه .

(٢) وردت في المخطوطين : نمر . والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت في الملكية . وفي « ج » (توجب بها) والأولى أرجح .

(٤) سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ١٨٩) .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » محشمة .

(٦) ساقطة في المخطوطين . ويقتضها السياق .

يا مولاي لم يعرف جالينوس من هذا الطَّبِّ، فضحك .

وذكر أنه أُلشد شعراً في مدحه ، وقد قعد للشراب ، فاستفزَّه الطرب ، وحلَّف أن لا يمشى إلا من فوق المال إلى منزله في طريقه ، فالتمس الخُدام بُرُّسَه بأن كانوا يُلحون من المال شيئاً له خطر ، على أوعيته حتى يغمرها ، فيمشى خَطُوا إلى أن وصل إلى منزله ؛ وحسد الحكيم أصحابه ، ولم يقدرُوا على مطالبته . واتفق أن سار الأمير أبو بكر ، وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد . فاستعد ابن باجة ، واتخذ الأقبية والأخبية ، واستقرَّه (١) الجياد من بغال الحولة ، فكانت له منها (٢) سبعة صُفر الألوان ، حمل عليها الثياب والفرش والمال ؛ فلما نزل الأمير بمقره . مرَّت عليه البغال المذكورة في أجمل الهيئات ؛ فقال لجلسائه لمن هذه البغال ، ومن يكون من رجالنا هذا ؛ فأصابوا العزَّة . فقالوا هي للحكيم ابن الصائغ صاحب سر قسطة ، ويعلم مولانا أن في وسط كلِّ حمل منها ألف دينار ذهباً سوى المتاع والعمدة ؛ فاستحسن ذلك . وقال أهذا حق ؟ قالوا نعم ، فدعا الخازن على المال ، وقال له ادفع لابن باجة خمسة آلاف دينار ليُكْمَل له ذلك اثني عشر ألفاً ، فقد سمعته غير مامرة يتمنى أن يكون له ذلك ؛ ثم بعث عنه في الحين وقال له ، يا حكيم ما هذا الاستعداد ؟ فقال له يا مولاي كل ذلك من هياتكم وأعطياتكم ، ولما علمتُ أن أظهار ذلك يسركم ، فسر بذلك . وأخباره رحمه الله كثيرة .

محتته

قالوا ، ولما وُلِّيَ غرناطة سنة خمسائة . ثار بها ، وانبرى على قومه لأمر رابه (٣) . فانتبذ عنه قومه (٤) ، وناصبوه الحرب ، حتى استزلوه عنوة ، وقبضوا عليه ، ووجهوه

(١) وردت في المخطوطين : واستفر .

(٢) وردت في المخطوطين : منه .

(٣) في المخطوطين : أربه .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » والملكية أهله . والمؤدى واحد .

إلى علي بن يوسف ، فأثر الإبقاء عليه ، وعفا عنه ، واستعمله^(١) بسر قسطة ؛
كذا ذكره الملاحى ، وأشار إليه . وعندى أن الأمر ليس^(٢) كذلك ، وأن الذى
جرى له ذلك ، أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين فَيُتَحَقَّق .

وفاته

توفى بسر قسطة فى سنة عشر وخمسة بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم ، الذى
أناخ عليه بكل كاله . وعندما تُعرَّف^(٣) خبر وفاته ، واتصلت بالأمير أبى إسحاق
إبراهيم بن تاشفين ، وهو يومئذ والى مرسية ، بادر إلى سر قسطة ، فضبطها ،
ونظر فى سائر أمورها ، ثم صدر إلى مرسية .

رثاؤه

ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ بمرث اشتهر عنه منها قوله :

سلام وإلمام ووسمى مُزَنَةً على الجَدَثِ^(٤) الثانى الذى لأزوره
أحقُّ أبو بكر تقضى فلا ترى تردُّ جماهير الوفود ستوره
لئن أليست تلك اللحود بلحده لقد أوحشت أقصاره وقصوره
ومن ذلك قوله :

أيها الملك المُفدَّى لعمري نعى المجدُ ناعيك يوم قنأفمُحنا^(٥)
كما تقارعتَ والخطوبَ إلى أن غادرتك الخطوبُ فى الثرب وهنا^(٦)

(١) هكذا وردت فى « ك » . وفى « ج » : واستعملوه .

(٢) وردت هذه الكلمة فى « ك » وأغفلت فى « ج » .

(٣) هكذا فى « ج » . وفى الملكية تقرر .

(٤) فى المخطوطين : الحدث .

(٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » فبحنا .

(٦) هكذا فى المخطوطين . وفى « ت » : رهنا .

غير أتى إذا ذكرتك والدهر أخال اليقين في ذاك ظننا^(١)
وسألنا متى اللقاء فقبل الخش برقلنا صبراً إليه وحزناً

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
أمير المؤمنين الملقب بالمأمون ، مأمون الموحدين

أوليته

جدّه^(٢) عبد المؤمن ، جذع الشجرة ، ويُنبوع الجدول ؛ هو ابن علي بن
علوى بن يعلى بن موار بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن
ورجايع بن سطفور بن نفور بن مطاط بن هزرج بن قيس بن عيلان بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان . وكان طالباً بربرياً ضعيفاً ، خرج مع عمه يؤم للشرق ،
وكان رأى رؤيا هالته تدل على ملك^(٣) ، إذ كان صفحته من طعام على ركبته ،
ياكل منها الناس ، وكانت أمه رأت وهي حامل ، كأن نارا خرجت منها أحرقت
المشرق والمغرب ؛ فكانت في نفسه حركة ، لأجل هذه الرؤيا ؛ فلما حل
بسجله^(٤) ، سمع بها عن المهدي . وكان رجلاً يُعرف بأبي عبد الله السوسي ،
ووصف له بالعلم ، فتشوّف إلى لقائه ، ليرى ما عنده في تأويل رؤياه ؛ فانصرف
إليه مع بعض الطلبة ، فالتقى رجلاً قد وسمه ، على ما يزعم الناس . حدثان من أبي
حامد الغزالي ، وعلمت به دعوة منه ، في إذهاب ملك أهل اللثام ، لحرق

(١) هكذا في الملكية . وفي المخطوطين : ضنا .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : جدهم .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» الملك .

(٤) سبق التعريف بها (ص ٤٠٥) .

كتابه^(١) على أيديهم ، فهو مُغرَى بالخروج عليهم ، مهياً^(٢) في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم ؛ فوافق شنُّ طبقه «وما اجتمع^(٣) الدّا آن إلا ليقنتلا»^(٤) والله غالب على أمره . فأجلسه ، وسأله عن اسمه ، وبلده ، وسنه ، ونسبه ، بالتعريف ؛ وأمره أن يخفي من أمره ، وعبر له رؤياه ، بأنه يملك الأرض ؛ فاهتزّت الآمال وتعاضدت ، ونفذت مشيئةُ الله ؛ بأن دالت الدولة ، وهلك محمد بن تومرت^(٥) المهدي ؛ فأفضى الأمر [إلى عبد المؤمن]^(٦) ، واستولى على مُلك اللّمتونيين ، فأباد خضراءهم ، واستأصل شأقتهم ، واستولى على مُلك المغرب ، فأقام به رسماً عظيماً ، وأمراً جسيماً ، وأورثه بنيه من بعده . والله يُؤتي مُلكه من يشاء .

حاله

كان رحمه الله شهماً شجاعاً ، جريئاً^(٧) ، بعيد الهمة ، نافذ العزيمة ، قوى الشكيمة ، لبيباً ، كاتباً أديباً ، فصيحاً ، بليغاً ، أبيّاً ، جواداً ، حازماً . وذكره ابن عسکر المالقي ، في تاريخ بلده ؛ قال [دخل]^(٨) مالقة من قبيل أخيه ، فوصل إليها في الحادي عشر من محرم ، وهو شاب حَدَث ، فكان منه من نباهة القدر وجلالة النفس ، وأبهة المُلك ، ما يعجز عنه كثير من الملوك . ولحين وصوله عقد مجلس مذاكرة ، استنظر^(٩) له نهاء الطلبة ، وكان الشيخ علي بن عبد الحميد^(١٠)

-
- (١) أهل اللّثام أو اللّثمون ، هم المرابطون . وكان أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين قد أمر بإحراق كتاب الإمام الغزالي : «إحياء علوم الدين» ، وتكفير مؤلفه وذلك في سنة ٥٠٣ هـ .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : مهيناً .
- (٣) في المخطوطين والملكية : أجمع . والتصويب يقتضيه السياق .
- (٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : ليلتقيا ، والأولى أرجح للسياق .
- (٥) وردت في المخطوطين : تامرت . وهو رسم آخر لاسم المهدي .
- (٦) هكذا وردت في «ك» . وفي «ح» والملكية : لعبد المؤمن .
- (٧) في المخطوطين والملكية : جريا . (٨) ساقطة في المخطوطين . ويقتضيهما السياق .
- (٩) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : استحضر .
- (١٠) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» عبد الحميد .

يحضره . وكان يبدو منه مع [حادثة سنة] ^(١) ، من الذكاء والنبيل والتفطن ، ما كان يُبهِت الحاضرين ، وكانوا ينظرون منه إلى بَدْرِيِّ الحُسن ، وأَسَدِيِّ الهِيمة ، وكهليِّ الوِقاء والتؤدة ؛ واشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء ، كبنيان وياض السيد الذي على ضفة الوادي ^(٢) بمالقة المعروف باسمه ، لله ورسوله ، وكان عرفاء البنائين لا يتصرفون إلا بنظره ؛ واستمرت ولايته مُفخِّم الأمر ، عظيم الولاية ، إلى أن نُقل منها إلى قرطبة ، ثم نقل إلى إشبيلية وفيها ^(٣) بويغ الخلافة .
تصير الأمر إليه ، وجوازه إلى العدو

قام على أخيه العادل بين يدي مقلمة ؛ بمملاة أخيه السيد أبي زيد ، أمير بلنسية وتحريكه إياه ، فتم له ذلك ؛ وعقدت له البيعة بمرآكش والأندلس . ثم إن الموحدين في مرآكش بدا لهم في أمره ، وعدلوا عنه إلى ابن عمه أبي زكريا ابن الناصر ؛ [واتصل به خبر خلعهم إياه] ^(٤) فهاجت نفسه ، ووقدت جمرته ، واستعد لأخذ ثاره ، ورحل من إشبيلية ، واستصحب جمعا من فرسان الروم ، واستبجاز البحر سنة ست وعشرين وسمائة ؛ قاصداً مرآكش ؛ وبرز ابن عمه إلى مدافعته ، والتقى الجمعان فكانت الهزيمة على يحيى بن الناصر ، وفر إلى الجبال ، واستولى القتل على جيشه . ودخل المأمون مرآكش فأمر بتقليد شرفاتها بالرهوس فعمتها على اتساع الساحة ؛ واستحضر الناكثين لبيعته وبيعة أخيه ، وهم كبار الدولة ، واستفتى قاضيه بمرآي ^(٥) منهم ، واستحضر خطوطهم وبيعاتهم ، فأفتى بقتلهم ، فقتل جماعتهم ، وهم نحو مائة رجل ؛ واتصل البحث عن أفلت منهم ، وصرف عزمه إلى محو آثار دولة الموحدين ، وتغيير رسمها ، فأزال اسم مهديها من

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» حداثته .

(٢) يقصد بالوادي هنا نهر «وادي المدينة» Guadalmedina الذي يحترق ثمر مالقة . وقد أجدبت ضفافه اليوم .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» وبها .

(٤) هكذا في «ج» ووردت في الملكية كالألفي (واتصل به خبرهم بما أرادوا من إخلاعه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : برى .

الخطبة والسُّكَّة والمآذن ، وقطع النداء عند الصلاة «تأصليت الإسلام» وكذلك «منسوب رب» «وبادري»^(١) وغير ذلك ، مما جرى عليه عمل الموحدين ؛ وأصدو^(٢) في ذلك رساله حسنة ، من إنشائه ، يأتي ذكرها في موضعه . وعند انصرافه من الأندلس ، خلا للأمير أبي عبد الله بن هُودَ الجُو ، بعد وقائع خلت بينهما ، وانهز النصارى الفرصة ؛ فعظمت الفتنة ، وجلت المحنة .

دخوله غرناطة

لم يصح عندي أنه دخل غرناطة ، مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك ، إلا طريقه إلى مدافعتة المتوكل بن هُودَ بجهة مرسية ؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره في جيش إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبي زيد والي^(٣) بكنسية ، بعد هزائم جرت بصُتْع^(٤) الشرق لابن هود ؛ فتحرك المأمون إليه ، واحتل غرناطة ، في رمضان من عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، وأنفذ منها كتابه إلى أخيه ، يقوِّى بصيرته ، ويعلمه بنفوقه إليه ؛ والتف عليه جيش غرناطة وما والاها ، واتصل سيره إلى الشرق ، فبرز ابن هود إلى لقائه ، فكان اللقاء بخارج لورقة^(٥) ، فانهزم ابن هود ، وفرّ إلى مرسية ، وعساكر الموحدين في عقبه ؛ واستقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض .

وخاطب لأول أمره ، وأخذ الناس يبيعته . من بأقطار الأندلس ، صادعاً بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحضُّ على الصلوات وإيتاء الزكاة ، وإيتاء الصدقات ، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات^(٦) والتحريض على

(١) هذه العبارات فيما يبدو ، بربرية الأصل .

(٢) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» : وأصدل .

(٣) وردت في «ج» إلى . والتصويب أرجح للسياق .

(٤) وردت في «ك» كالمعتاد : بسقع .

(٥) لورقة من القواعد الأندلسية القديمة . وهي تقع جنوب غربي مرسية في الطريق إلى

غرناطة . وبالإسبانية Lorca .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : المسكر .

الرعاية^(١) فمن كتابه : « الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالعدل والإحسان ، إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلاة [والسلام]^(٢) على سيدنا محمد [النبي]^(٣) الكريم ، المبعوث بالشرعة التي طهرت الجيوب من الأدران ، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان ، طوراً بالشدة ، وتارة باللين ، والقائل : ولا عدول عن قوله : « ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه » تنبيهاً على ترك الشك اليقين ، وعلى آله أعلام^(٤) الإسلام ، الملقين راية الإسلام باليمين ، الذين مكنتهم الله في الأرض ، فأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وفاء بالواجب لذلك التمكن .

ومن فصل : « وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها ، ونعني بحماية أقصاها وأدناها ، فالدين أهم وأولى ، والتهمم [بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها]^(٥) ، أحق أن يُقدم^(٦) وأخرى ، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع ونُدع ، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع . ولنا أن لا تدخر عنها نصيحة ، ولا نقبها أداة^(٧) من الأدوات مريجة ، ولنا عليها أن تطيع وتسمع . »

ومن فصل : « وأول ما يتناول^(٨) به الأمر النافذ ، الصلاة لأوقاتها ، والأداء

(١) هكذا وردت في « ك » والملكية . ووردت في « ج » الدعاية .

(٢) ساقطة في المخطوطين والملكية .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الأعلام .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . ووردت في « ك » كالاتي : (بإحياء الشريعة وإقامة

شعائرها) .

(٦) هكذا في « ج » . وفي « ك » : يقوم .

(٧) وردت في المخطوطين : إدارة .

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ج » تناول .

لها على أكل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعتها . فقد قال عليه الصلاة^(١) والسلام : أحبُّ الأعمال إلى الصلاة لأوقاتها . وقال : أول ما يُنظر فيه من أعمال العبد الصلاة . وقال عمر : إن أهمَّ أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقال : لاحظْ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، وهي الركنُ الأعظمُ من أركان الإيمان ، والسور الأوثق لأعمال الإنسان ، والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثارُ ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد ، أمرٌ لا يضيعه المفلحون ، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون . قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأينا ، وما يتخلف عنها إلا المنافق^(٢) معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرجلين ، حتى يقام^(٣) في الصَّف . وشهود الصبح ، وعشاء^(٤) الآخرة شاهد بمحضر الإيمان . ولقد جاء : حضور^(٥) الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة ، وحسبكم بهذا الرجحان . ومن الواجب أن يُعنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين ، ويأخذ^(٦) بها في جميع الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : مرُّوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين . وهي طويلة في معاني متعددة .

نثره ونظمه

ولما غيّر رسوم الموحّدين ، وأوقع بأرباب دولتهم خبرُ النكث ببيعته ، وبيعتي أخيه وعمه ، كتب إلى الأقطار عن نفسه ، ولم يكمل إنشائه بكتابة رسالة بديعة اشتملت على فصول كثيرة تُنظر في كتاب «المغرب» و«البيان المغرب» وغير ذلك . وكتاباً بخطه إلى أهل أندوَجَر^(٧) : «إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة ، وقام الله عشرات

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «ك» .

(٢) وردت في «ج» : المنافقون . والتصويب من الملكية . (٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» : يقوم .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين والملكية . وفي «ك» : العشاء .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» : شهود . والمؤدى واحد .

(٦) وردت في المخطوطين : ويؤخذ . والتصويب لازم للسياق .

(٧) هي بلدة أندلسية تقع شمال شرق قرطبة على نهر الوادي الكبير . وبالإسبانية Andujar

صارماً لاهوادة عنده . قال المزورخ ؛ كان الناصر يستخلفه في سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه . وحكى ابن حارث ، أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يوماً ، فلما أخذنا مجلسهما نظر إليهما ، وقال ألقوا^(١) ما أنتم مُلقون فأبتهما . ودخل عليه محمد بن وليد يوماً ، فسكلمه في شيء ، فقال أسلم سمعنا وعصينا ، فقال ابن وليد ونحن قلنا واحتسنا . وأتاه في بعض مجالسه شهود ، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة ، وبعضهم من شلار من الرِّبض الشرقي ، يشهدون في ترشيد امرأة من الرِّبض الغربي ، فلما أخذوا مجالسهم ، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس بهليزه ، ونادى من بخارجه فاجتمعوا ؛ اسمعوا عجباً^(٢) لله ذر الشاعر حيث يقول :

واحت مُشْرِقة ورُحّت مغرباً شتّان بين مُشرق ومغرب

هؤلاء من أهل المدينة وشلار ، يشهدون في ترشيد امرأة^(٣) من ساكنات آخر بلاط مُغيث ؛ ثم سكت فدهش القوم وتسللوا^(٤) . وبلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه أُرشي في شهادته ببساط ، فلما أتى ليؤديها ، ودخل على أسلم ، جعل يخلع عليه عند المشي على بساط القاضي ، فناداه أبا فلان البساط ، الله الله ؛ فننبه بأن أمره عند القاضي ، ولم يجسر على أداء شهادته تلك . وخاصم فقيه عند أسلم رجلاً في خادم أعربها^(٥) ، وجاء بشاهد أتى به من إشبيلية ؛ فقال يا قاضي هذا شاهدي فاسمع منه ، فصعد أسلم في الشاهد وصوب ، وقال أحتسب^(٦) أو مكتسب^(٧) أصلحك الله ؛ فقال الشاهد أحسن الظن أيها القاضي ، فليس هنا إليك ، هنا إلى الله المُطلع على

(١) وردت في المخطوطين : أقوا . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : عجباً .

(٣) وردت في المخطوطين : امرأتين .

(٤) وردت في المخطوطين : وتسلوا .

(٥) وردت في المخطوطين : أعربها .

(٦) محتسب أى مدخر أجره عند الله .

(٧) وردت في المخطوطين : مستكب . وهو تحريف ظاهر .

أولى الفساد على الدول ، وصلبهم في الأشجار والأسوار^(١) ، مما كلف السلمي
بمفظها واستظرافها :

أهلُ الحرابة والفساد من الورى يعزون في التشبيه بالذكار
فساده^(٢) فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق في الأشجار
ذكارهم ذكري إذا ما أبصروا فوق الجنوع وفي ذرى الأسوار
لو عمّ عفو الله سائر خلقه ما كان أكثرهم من أهل النار

توقيعه

قال ابن عسكر ؛ وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة . فمنها أن امرأة رفعت^(٣)
رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها ، وصدر لها أمر يُنكر ؛ فوقع على رقعتها:
« يُخْرِجُ هَذَا النَّازِلَ ، وَلَا يُعَوِّضُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَنَازِلِ » . وغير ذلك مما اختصرناه .

بنوه

أبو محمد عبد الواحد وليّ عهده ، وأمير المؤمنين بعد وفاته ، الملقب بالرشيد ؛
وعبد العزيز ، ومان ؛ وأبو الحسن على ، الملقب بالسعيد ، الوالى بعد أخيه الرشيد .
« بناته » : ؛ ابنة العزيز ، وصفية ، ونجمة ، وعائشة ، وفتحونة ؛ وأمّهات
الجميع روميّات ، وسُرِّيَّات مغربيّات .

وزراؤه

وزرّ له الشيخ أبو زكريا بن أبي النعمر وغيره .

(١) وردت في المخطوطين : الصور .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ففاسدة .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

«كُتَّابَهُ» ؛ كتب له جملة من مشاهير الكتاب ، منهم^(١) أبو زكريا الغازازي ،
وأبو المطرف بن عميرة ، وأبو الحسن الرُّعَيْنِي ، وأبو عبد الله بن عِيَّاش ، وأبو العباس
ابن عمران ، وغيرهم . وما منهم إلا شهير كبير .

وفاته

توفي رحمه الله بوادي أم الربيع^(٢) وقد طوى المراحل من ظاهر سَبْتَةَ ، مُتَمَلِّماً
عن حصارها ، مبادراً إلى مَرَاكُش ، وقد اتصل به دخول يحيى بن الناصر إليها ،
فأعدَّ السير وقد اشتدَّ حَنَقُهُ^(٣) على أهلها ، وأقسم أن يُبَيِّحَ حماها للروم ، ويُذهب
اسمها ومَسَمَّيَّهَا ، فهلك عند دنوه منها فجأة ، فكانت عند أهل مراكش من غُرَّر
الفرج بعد الشدة ؛ وكتمت زوجته حُبَابَةَ الرومية ، أم الرشيد ولده ، خبر وفاته
إلا عن الأفراد من قواد^(٤) النصارى وبعض الأشياخ ، واتفق القول على
مبايعة ابنها المذكور ، بيعةً خاصةً ثاني يوم وفاته ؛ ثم جعل في هودج وأُشيع أنه
مريض ، وزحفت الجيوش على تعييبته ؛ وبرز يحيى بن الناصر من مراكش إلى
لِقَائِهِ ، والتقى الجمعان فانهزم يحيى ، واستولى الرشيد عليه ، ودخل مراكش فاستقام
الأمر ؛ وكانت وفاة المأمون أبي العلاء رحمه الله ، ليلة الخامس عشر لمحرم عام
ثلاثين وستائة .

وجرى ذكر المأمون والمهدى وأوليتهم في الرجز المتضمن ذكر بالمسألة^(٥) من
لَفْظِي بما نصه بعد ذكر الدولة الأمتونية :

وَنَجَمَ المَهْدِي وهو الدَاهِيَة فَأَصْبَحَتْ تلك المَبَانِي واهِيَة
وَأَنجَمَ الأَمْرُ له وَأَنجَمَا فِي خبر نذكر منه لَمَّا

(١) في المخطوطين : من .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : أم ربيع .

(٣) في «ك» : حنقه .

(٤) وردت في المخطوطين : عواد . وفي الملكية عوايد . وهو تحريف .

(٥) هو كتاب ابن الخطيب : « رقم الحلال في نظم الدول » الذي سبقت الإشارة إليه غير مرة .

لم يأل فيها أن دعا لنفسه وكان في الحزم فريد جنسه
أغرب في ناموسه ومذهبه وفي الذي سطره من نسبه
وعنده سياسة وعلم وجراة وكرم وحلم^(١)
وواققت أيامه في الناس لدولة المسترشد العباسي
ثم انقضت أيامه المثيفة وكان عبد المؤمن الخليفة
فضاء لونه سَعْدُه ووضعا ولاح مثل الشمس في وقت الضحى
ثم تلمسان وفاساً فتحا ومُلك أصحاب اللثام^(٢) قد محا
ولما انتهى القول إلى المأمون المترجم به ، بعد ذكر من يليه وعبد المؤمن^(٣)
جده ، قلت :

ثم تولى أمرهم أبو العَـلا فسَلَطَ البيض على بيض الطَّـلا
وهو الذي أركب جيش الروم وجدَّ في إزالة الرسوم

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي
سعد بن بكر بن عفان الإلييري

هذا هو جدُّ سعيد بن جُودي ، بن سَودة ، بن جُودي ، بن أسباط ، أمير
المغرب . وقدرهم بهذه المدينة شهير .

حاله

وكان من أهل العلم والفقهِ ، والدين المتين ، والورع الشديد ، والصلاح الشهير .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» وحزم .

(٢) هم المرابطون أو الملثمون كما تقدم .

(٣) وردت في «ك» . وعبد الرحمن وهو سهو ناسخ .

نباهته

ولاه الأمير عبد الرحمن قضاء البيرة حين بلغه زهده وورعه ؛ وأنه لم يشرك إخوته في شيء من ميراث أبيه ، إذ كان لم يحضر الفتح ، فبرئ به إليهم ؛ وابتاع مؤثلاً بوطنه أنيط به ماء ، وانفرد به للعبادة والتبتل ؛ فاستقدمه هشام ؛ فركب حماره وقدم عليه في هيئة رثة بذلة ، فتوسم فيه الخير ، وقدمه ووسع له في الرزق ، ووهب له ضياعاً كثيرة ، تعرف اليوم باسمه ؛ وتوفي هشام وهو قاض بالبيرة ، فأقره ابنه الحكم ثم ولّاه شرطته ، إلى أن توفي أسباط ؛ قلت ، انظر حال الشرطة عند الخلفاء من كان يُختار لها لولايتها^(١) .

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد

ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان

مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ يكنى أبا الجعد .

أوليته

من أهل شرق الأندلس ، أصلهم من لوشة كفتية غرناطة^(٢) وموضعهم بها معروف ، وإلى جدهم يُنسب جبل أبي خالد المطل عليها ، وكان لهم ظهور هناك ، وفيهم أعلام وفضلاء .

(١) وردت في المخطوطين : لولاية .

(٢) لوشة هي بلد ابن الخطيب . وقد سبق التعريف بها في المقدمة . وكان ابن الخطيب يسميها .

« بنت غرناطة » و« فتية غرناطة » اعترأها .

حاله

كان أسلم من خيار أهل البيرة ، شريف البيب ، كريم الأبوة ، من كبار أهل العلم ، وكانت فيه دُابة ، لم يُنسب إليه قط بسببها خزنية^(١) في دين ولا زلة . قال أبو الفضل عياض^(٢) ؛ كان أسلم من خيار أهل البيرة ، رفيعُ الدرجة في العلم ، وعلوُّ المهمة في الإدراك ، والرواية والديانة ، والصُّحبة ، وبعْدُ الرُّحلة في طلب العلم ، معروفُ النصيحة والإخلاص للأمرء .

مشيخته

لقى بمصر ، المدني ، ومحمد بن عبد الحَكَم ، ويونس ، والربيع بن سليمان المؤذن ، وأحمد بن عبد الرحيم البرقي . وسمع من علي بن عبد العزيز ، وسليمان ابن عمران بالقيروان .

« من روى عنه » ؛ سمع منه عثمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن يونس ، ومحمد بن قاسم ، وغير واحد ؛ وانصرف إلى الأندلس من رحلته ، فنال الوجاهة العظيمة .

ولايته

ولاه قضاء الجماعة^(٣) بقرنطة ، الناصرُ لدين الله ، أول ولايته ، وسط^(٤) سنة ثلاثمائة ، إلى أن استعفى سنة تسع وثلاثمائة فأعفاه ، ثم أعاده . وكان في قضاءه

(١) هكذا في « ح » . وفي « ك » : مرية .

(٢) هو فقيه المغرب الكبير ، المحافظ عياض بن موسى البحصي انسبى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) . وقد كتب عنه المقرئ كتابه الضخم « أزهار الرياض في أخبار عياض » وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

(٣) قضاء الجماعة أعنى رئاسة القضاء العليا . أو منصب قاضي القضاة .

(٤) هذه الكلمة واردة في « ك » . وساقطة في « ح » .

صارماً لاهوادة عنده . قال المزورخ ؛ كان الناصر يستخلفه في سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه . وحكى ابن حارث ، أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يوماً ، فلما أخذنا مجلسهما نظر إليهما ، وقال ألقوا^(١) ما أنتم ملقون فأبتهما . ودخل عليه محمد بن وليد يوماً ، فكلمه في شيء ، فقال أسلم سمعنا وعصينا ، فقال ابن وليد ونحن قلنا واحتسنا . وأتاه في بعض مجالسه شهود ، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة ، وبعضهم من شلار من الرِّبَضِ الشرقي ، يشهدون في ترشيد امرأة من الرِّبَضِ الغربي ، فلما أخذوا مجالسهم ، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس بهليزه ، ونادى من بخارجه فاجتمعوا ؛ اسمعوا عجباً^(٢) لله ذكره الشاعر حيث يقول :

راحت مُشْرِقة ورُحّت مغرباً شتان بين مُشرق ومغرب

هؤلاء من أهل المدينة وشلار ، يشهدون في ترشيد امرأة^(٣) من ساكنات آخر بلاط مغيب ؛ ثم سكت فدهش القوم وتسلاوا^(٤) . وبلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه أُرشي في شهادته ببساط ، فلما أتى ليؤديها ، ودخل على أسلم ، جهل يخلع نعليه عند المشي على بساط القاضي ، فناداه أبا فلان البساط ، الله الله ؛ فتنبه بأن أمره عند القاضي ، ولم يجسر على أداء شهادته تلك . وخاصم فقيه عند أسلم رجلاً في خادم أعربها^(٥) ، وجاء بشاهد أتى به من إشبيلية ؛ فقال يا قاضي هذا شاهدي فاسمع منه ، فصعد أسلم في الشاهد وصوب ، وقال أحسب^(٦) أو مكتسب^(٧) أصلحك الله ؛ فقال الشاهد أحسن الظن أيها القاضي ، فليس هذا إليك ، هذا إلى الله المُطَّلِعِ على

(١) وردت في المخطوطين : ألقوا . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين : عجباً .

(٣) وردت في المخطوطين : امرأتين .

(٤) وردت في المخطوطين : وتسلا .

(٥) وردت في المخطوطين : أعربها .

(٦) محتسب أي مدخر أجره عند الله .

(٧) وردت في المخطوطين : مستكب . وهو تحريف ظاهر .

ما في القلوب ، ولم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا وشبهه ، وإنما عليك الظاهر ، وتكلُّ الباطن إلى الله ، فإن شئت ، فاسمع الشهادة كما يلزمي أداؤها ، ثم اقبلها أو اضرب بها الحائط . وفي رواية أخرى ، وليس لك أن تكشف الستر المُسَدَّل بينك وبينى ، فإن هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك ، ويعرضُ لإهانتك أهلَ لائقةٍ ، وفي ذلك من ضياع الحقوق مالا يخفى ؛ فأجبل أسلم كلامه ؛ وقال له ، لك ما قلت . فأدَّ شهادتك يرحمك الله . قال ، فأين الخادم تحضر حتى أشهد على عينها ، قال أسلم وفتيه أيضاً ؟ هاتوا الخادم ، فجاءت من عند الأمين ، فلما مثَّلت بين يديه ، نظر منها ملياً ، ثم قال ، أعرفُ هذه ^(١) الخادم ملكاً لهذا الرجل ، لا أعرفُ ملكه زال عنها بوجه من الوجوه ، إلى حين شهادتي هذه ، سلامٌ على القاضي ؛ ثم خرج ، فبقي أسلم متعجباً منه .

محتـه

كفَّ بصره في أخريات أيامه ، فدُلب لأجل ذلك الإعفاء فأعفى ، ولزم بيته صابراً مُحْتَسِباً إلى حين وفاته .

مولده : سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي

من أهل قرية الصير مورته من إقليم البساط ^(٢) من قري غرناطة .

(١) وردت في المخطوطين هذا .

(٢) وردت في المخطوطين والملكية : الطن مورته . وهو تحريف . وقرية الصير مورته هي قرية Sierra Murada الحديثة وتقع على مقربة من غرناطة . هذا وتوجد في نسبة أسد بن الفرات ومولده رواية أخرى ، هي أنه أسد بن الفرات بن سنان ، وأنه من أهل نيسابور ، وولد بجران سنة ١٤٢ هـ وقدم مع أبيه طفلاً إلى إفريقية (راجع الخلة السيرة لابن الأبار (١٩٦٤) ج ٢ ص ٣٨٠ .

حاله

كان عظيم القدر والشرف والشهرة ، أصيل المعرفة والدين .

مشيخته

خرج إلى المشرق ، ولقى مالك بن أنس رضى الله عنه ؛ ووى عنه سُحنون
ابن سعيد .

تأليفه

ألف كتاب « المختلطة » ، وولى القضاء بالقيروان أجمل ما كانت وأكثر
علماً ، وولاه زيادة الله^(١) غزو صقلية ؛ ففتحها وأبلى بلاء حسناً .

وفاته^(٢)

توفى رحمه الله محاصراً [سرقوسة]^(٣) منها سنة ثلاث عشر ومائتين . هذا ما وقع
في كتاب أبي القاسم الملاحى . وذكره عياض فذكر خلافاً في اسمه وفي أوليته .

(١) زيادة الله بن الأغلب أمير إفريقية (تونس) من سنة ٢٠١ - ٢٢٣ هـ (٨١٦ - ٨٢٨ م)

(٢) ساقطة في المخطوطين .

(٣) وردت « سرقسطة » في المخطوطات الأربعة . فيما أن يكون الناسخ قد حرف الاسم الحقيقي
وإما أن يكون ابن الخطيب ومن نقل عنهم ، قد أخطأوا في ذكر هذا الاسم . ذلك أن المدينة التي توفى
أسد بن الفرات وهو محاصرها هي ثغر « سرقوسة » Syracuse الواقع جنوب شرق صقلية . أما
سرقسطة فهي المدينة الأندلسية المعروفة وقد كانت قاعدة الثغر الأعلى . وتقع في شمال اسبانيا وسط ولاية
أراجون الحديثة .

أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري [المُدورِي] (١)

حاله

كان أعمى ، شديد القِصَّة والشَّر ، معروفاً بالهجاء ، مُسلِّطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكي الذهن ، فطناً للمعارض ، سابقاً في ديوان الهجاء ، فإذا مدح ضعف شعره .

دخوله غرناطة

وذكر شيء من شعره ، ومهاترته مع (٢) نزهون بنت القلاعي .

قال أبو الحسن بن سعيد ، في كتابه المسمى « بالطلع السعيد » ، قدم على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد عمل (٣) غرناطة ، ونزل قريباً منه (٤) ، وكان يسمع به ، فقال صاعقةً يرسلها الله عز وجل على من يشاء من عباده ، ثم رأى أن يبدأ بالتأنيس والإحسان ، فاستدعاه بهذه الأبيات :

يا ثانيًا للمعري في حُسنِ فِظْمٍ ونَثْرٍ
وفَرَطٍ ظَرْفٍ ونُبْلٍ وغَوْصٍ فِهمٍ وفِكرٍ

(١) وردت هذه الكلمة في هامش «ج» مضافة إلى « الموروري » . والموروري نسبة إلى مورور وقد سبق التعريف بها (ص ٤٠١) . والمدورِي نسبة إلى بلدة المدور . وقد نسب ابن سعيد ، أبا بكر المخزومي إليها (راجع المغرب ج ١ ص ٢٢٣) . والمدور وبالإسبانية Almodovar بلدة أندلسية تقع شمال شرق قرطبة على مقربة من المدينة الملكية Ciubad Real الحديثة .

(٢) وردت في المخطوطين كلمة (الأسمة) قبل اسم نزهون . ولم نهد إلى علة وجودها فحذفناها .

(٣) هكذا في «ج» وفي «ك» : على . والمقصود هنا « ولاية غرناطة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ك» والملكية .

صل ثم واصل حَفِيًّا بكل شكر وبرٍ
 وليس إلا حديث كما زها عقده دُرٌّ
 وشادنٌ قد تغني على ربابٍ وزميرٍ
 وما يسامح فيه الغفور من كأس خمرٍ
 وبيننا عقدٌ حلفٍ لبانٍ شريكٍ وكفرٍ
 فقم نجدده عهداً يعيب شكر وسكرٍ
 والكأسُ مثل رَضاعٍ ومن كمثلِكَ يدوي^(١)

ووجه له الوزير [أبو بكر بن سعيد]^(٢) عبداً صغيراً قاده . فلما استقر به المجلس ،
 وأفعمته روائح النَّد والعود والأزهار ، وهزَّت عِظْفُه الأوتار ، قال :
 دارُ السَّعِيدِيّ ذِي أم دارُ رِضْوَانٍ ما تشتهي النفسُ فيها حاضرٌ دانٍ
 سقت أبارقها للند سُحِب نَدِيّ تحدو برعد لأوتارٍ والحانِ
 والبرقُ من كل دَنٍّ ساكبٌ مطراً يحيي^(٣) به مَيّت أفكارٍ وأشجانِ
 هذا النعيم الذي كنا نجدُّه ولا سبيل له إلا بأَذانِ
 فقال أبو بكر بن سعيد « ولا سبيل له إلا بأَذانِ » ؛ فقال [حتى]^(٤) يبعث
 [الله]^(٥) وَاذْنا كما أنشدتُ هذه الأبيات ؛ قال : وإن قائلها أعمى ، فقال :
 أما أنا فلا أنطق بحرف في ذلك . فقال من صمّت نجا . وكانت نزهون بنت القلاص
 الآتي ذكرها^(٦) حاضرة ، فقالت ونراك^(٧) يا أستاذ قديم النعمة ، بندٌ وغناء وطيب

(١) كتبت هذه الأبيات في المخطوطين كل منها شطرة واحدة يكلها بيت آخر .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في « ت » وساقط في المخطوطين .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٤) هذا في « ج » . وفي « ك » يحدا .

(٥) هاتان الكلمتان أغفلتا في المخطوطين . والتكلمة من « ت » .

(٦) في المخطوطين : الآتية .

(٧) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : وزيك .

شراب ، تعجب من تأتبه ، وتشبهه بنعيم الجنة ، وتقول ما كان يلم إلا بالسمع ، ولا يُبلغ إليه إلا بالعيان ؛ لكن من يجيء من حصن المدور ، وينشأ بين تيبوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النغم . فلما استوفت كلامها تنحج الأعمى ، فقالت له دعه ، فقال من هذه الفاعلة ؟ فقالت عجوز . قام أمك ، فقال كذبت ما هذا صوت عجوز ، إنما هذه نعمة قحبة محترقة تُشم روائح كذا منها على فرسخ ؛ فقال له أبو بكر : يا أستاذ هذه نزهون بذت القلاعي الشاعرة الأديبة ، فقال سمعت بها لا أسمعها الله خيراً ، ولا أراها إلا^(١) . . . فقالت له يا شيخ سوء تناقضت ، وأي خير أفضل للمرأة ؟ ففكر المخزومي ساعة ثم قال :

على وجه نزهون من الحسن مسحة وإن كان قد أسمى من الضوء عاريا
قواصد نزهون تُدارك غيرها ومن قصد البحر استقل السواقيا

فأعملت فكرها وقالت :

قل للوضيع مقالاً يُتلى إلى حين يحشر
من المدور أنثت وانخرأ منه أعطر
حيثُ البداوة أمست في أهلها^(٢) تتبختر
لذلك أميت صبا بكل شيء مدور^(٣)
خُلقت أعمى ولكن تهيم في كل أهور
جازيتُ شعراً بشعر^(٤) فقل لعمرى من أشعر
إن كنت في الخلق أنثي فإن شِعري مدكر

(١) كلمة نائمة وردت في «ح» والملكة ورأيها حذوها .

(٢) هكذا في المخطوطين : وفي «النفح» : مشيا . وفي «المغرب» : جهلها .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في المخطوطين . وورد في المغرب كالاتي (لذلك أميت تهوى :

حلول كل مدور) .

(٤) في المغرب : « جاويت هجوا بهجو »

فقال لها اسمعى :

ألا قل لنزهونة ما لها تجرثمن التيه أذيها
ولو أبصرت بشة^(١) شمرت كما عودتني سرهاها

فحلف أبو بكر بن سعيد ألا^(٢) يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة ؛ فقال الخزومي أكون هجاء الأندلس وأكف عنها دون شيء ؛ فقال أنا اشتري منك عرضها فاطلب ، فقال بالعبد الذي أرسلته فقادني إلى منزلك ، فإنه لين القد رقيق الملس . فقال أبو بكر لولا أنه صغير كنت أبلتلك فيه مرادك ، وأهبه لك ؛ ففطن لتقصده ، وقال أصبر عليه ، حتى يكبر ، ولو كان كبيراً ما آثرتني على نفسك ؛ فضحك أبو بكر وقال قد هجوت نثراً ، وإن لم نهج نظاماً ؛ فقال أيها الوزير ، لا تبديل لخلق الله ؛ وانفصل الخزومي بالعبد بعد ما أصلح بينه وبين نزهون .

وقال يمدح القاضي بقرناطة أبا الحسن بن أضحى رحمهما الله :

عجياً للزمان يطلب هضمي وملاذي منه على بن أضحى
جاره قد سما على التذاح عزاً ليس يخشى من حادث الدهر نطحا
فكأنى [علوت] ^(٣) قرن [فلان] أى تيس مطول القرن ألحا

فقال له ابن أضحى ، هلا اقتصرت على ما أنت بسيله ، فكم تقع في الناس ؛ فقال أنا أعمى وهم حفر فلا أزال أقع فيها ، فقال فأعجبني كلامه على قبضه . وحديث مقامه بقرناطة يقتضى طويلا .

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف ، كان حياً بعد الأربعين وخمسمائة .

(١) هكذا وردت في المخطوطين والملكية : وفي المغرب : فيشة .

(٢) في «ك» : أن لا .

(٣) ما بين الحاصرين ساقط في المخطوطين و«الملكية» . والتكلمة من المغرب (ص ٢٢٥) .

أصْبَغُ بن محمد بن الشيخ المهدي

يُكنى أبا القاسم ؛ عالم مشهور ،

حاله

كان محققاً بعلم العدَد والهندسة ؛ مقدِّماً في علم الهيئة والملك وعلم النجوم ، وكانت له مع ذلك عناية بالطِّب .

توآلفه

توآلفه حسان ، وموضوعاته مفيدة ؛ منها كتاب « المدخل إلى الهندسة » في تفسير كتاب إقليدس . ومنها كتاب تمار العدد المعروف « بالمعالمات » . ومنها كتابه الكبير في الهندسة تقصَّى فيه أجزاءها . ومنها كتاب^(١) في الآلة المعروفة بالأسطرلاب . ومنها تاريخه الذي ألفه وهو تاريخ كبير .

وفاته

قال ابن جماعة في تاريخه ؛ أخبرني أبو مروان^(٢) ، سليمان بن عيسى الناشئ المهندس ، أنه توفي بمدينة غرناطة قاعدة الأمير حُبوس ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة^(٣) شمسية^(٤) . وعده من مفاخر الأندلس .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : كتابان .

(٢) وردت بعدها في المخطوطين كلمة : (أن) . ولعلها بحرف تكرار الحرفين الأخيرين من كلمة (مروان) . أو لعلها (بن) . وقد رأيت حذفها .

(٣) وردت في « الملكية » خمس وستين .

(٤) وردت في المخطوطين : شمسة . ونرجح التصويب .

أبو علي بن هدية

من أهل غرناطة .

حاله

قال أبو القاسم الملاحى فيه ؛ من أهل الدين ، والفضل ، والأمانة ، والعدالة ،
والمعرفة بالتكسير والأعمال السلطانية ، ووُلِّي « المُسْتَخْلَص »^(١) بقرناطة ، فنقَّب
وأجاد النظر . قال ابن الصيرفى : ولما وُلِّي الوزير أبو علي بن هدية المُسْتَخْلَص ، وباشر
جلائل الأمور ودقائقها بنفسه ، حَمَى المناصِفِين ، ورفع المُوَن والكُلْفَ^(٢) عنهم ،
ووسع بِسَلِيف البذر^(٣) عليهم ، وآثرهم بالنَّصَفَةَ بالتزام حصَّة بيت المال ؛ ولم يكن
له حُجَّاب ولا بَوَّاب ، فكان القويُّ والضعيفُ ، والمشروف والشريف ، والكبير
والصغير ، والرجل والمرأة ، شرعاً سواءً فى الوصول إليه ، والتكلم فى مجلسه ، فلم
يُهْتَضَم جانب ، ولا دُحِضت حجة ؛ إلا أنه ارتفعت الرِّقْبَةُ ، وزالت الهَيْبَةُ ، وأُخِجَ
نور الخُطَّة ؛ وخصَّ أحياس^(٤) جامع غرناطة بنظره ، بفضل مال كثير من
غلته^(٥) ؛ ونبه باجتماعه ليزيد به بلاطين فى مسقفه من شرقه وغربه ، فأكل
الله ذلك بسعيه وعلى يديه ؛ ورام رُبْع المُسْتَخْلَص ، وزاد به فى حَمَاماته ؛ ورَمَّ^(٦)
حوانيتها ، واستحدث منيحة^(٧) ممَّاها المُسْتَحْدَثَةُ . وغرس قضبان الجوز فى مواضع

(١) أنظر الحاشية فى ص ١١٦ .

(٢) وردت فى المخطوطين : الكف .

(٣) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الزرع .

(٤) الأحياس هى ما يجبس لأغراض الخير ، وهى الأرقاف .

(٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : خلته .

(٦) هكذا فى « ك » . وفى « ج » وردم . والأولى أرجح .

(٧) هكذا وردت فى المخطوطين والملكية .

المياه ، وعوض بما ذهب ، وشتر في جمع المال ، ووالى الحفز على العمل ، ونصح
بمقتضى جهده ، ومنتهى وسعه ، ولم تُمد يده في مصانعة ، ولا مالت إلى مُداخلة ،
ولكنه لم يُحمل في حق ولا نُوقش في باطل .

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي

من أهل لَوْشَة .

نبيلة حَسِيبةٌ ، تُجيد قراءة القرآن ، وتشارك في فنون من الطَّلَب ، من مبادئ
غريبة ، وخلف وإقراء مسائل الطب ، وتنظم أبياتاً من الشعر . وذكرتها [في] (١)
خاتمة « الإكليل » (٢) بما نصه : « ثالثة سَمْدَة وولادة ، وفاضلة الأدب والمجادة ،
تقلبت المحاسن من قبل ولادة ، وأولدت أبكار الأفكار قبل سِنِّ الولادة .
نشأت في حجر أبيها ، لا يدخر عنها تدرجاً ولا سهماً ، حتى نهض إدراكها
وظهر في المعرفة جراكها ، ودرّسها الطب ففهمت أغراضه ، وعلمت أسبابه
وأعراضه » . وفي ذكر شعرها :

« ولما قَدِمَ أبوها من المغرب ، وحدثت بخبرها المغرب ، توجه بعض الصدور
إلى اختبارها ، ومطالعة أخبارها ، فاستنبل أغراضها واستحسنها ، واستطرف (٣)
لسنها ، وسألها عن الخط ، وهو أكسدُ بضاعة جُلِبت ، وأشخُ درّة جُلِبت .
فأنشدته من نظمها :

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) هو كتاب ابن الخطيب المسمى : « الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر » . وقد
سبق التعريف به في المقدمة .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : واستطرب . والمزود واحد .

الخطُّ ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزِينٌ بقراطس
والدرس سؤلى لا أبغى به بدلاً بقدر علم الفتى يسمو على الناس
وراجعها بعضُ المُجَبَّانِ (١) يغفر الله له :

إن فرط الدرس يأمى (٢) سحق (٣) وهذا هو المشهور في الناس
فخذ من الدرس شيئاً تافها خطأ وبالفهم يحى كل الناس
ومن شعرها في غرض المدح :

إن قيل من الناس ربُّ فضيلةٍ حاز العلا والمجد منه أصيلٌ
فأقول رضوانٌ وحيدٌ زمانٍ إن الزمان بمثله لبخيلٌ

بُلُوكَيْنِ (٤) بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى
بن مناد الصنهاجى

الأمير الملقب بسيف الدولة ، صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده .

حاله

قال المؤرخ : كان زيرى بن مناد ، ممن ظهر في حرب ابن يزيد بإفريقية ،
واتسم هو وقومه بطاعة العبّيديين أمراء الشيعة ، فكانوا حرباً لأضدادهم من زناة

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : المجاز .

(٢) في المخطوطين : يا أملى .

(٣) في المخطوطين : سحقاً .

(٤) ترسم دائماً في المخطوطين بالقاف : (بلقين) . وقد سبق أن أضحنا حكمة التعديل

(راجع الحاشية في ص ٢٦١) .

الموالين لأُملاك المرأونة^(١) لنحقيق جدُّهم حَزْر^(٢) بولايته عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فلما صار الأمر إلى بني مناد بعد انتقال مُلك الشيعة إلى المشرق ، وولى الأمر باديس بن منصور بن بُلْسَكِين بن زيري ، ذهب أعمامه وأعمام أبيه إلى استضعافه ، فلم يُعْطهم ذلك من نفسه ، ووقعت بينهم الحرب التي قتل فيها عم أبيه ما كَسَن بن زيري ، فرهب^(٣) الباكون منهم صولة باديس ، وخافوا عاديته على أنفسهم ، على صفر سنه ؛ فخطب شيخُ بيته يومئذ زاوى بن زيري ومعه أبناء أخيه ، المظفّر ابن أبي عامر ليجوز إليه إلى الأندلس رغبة في الجهاد ، فألقى همّه بعيدة ، وملكاً شامخاً ، يذهب إلى استخدام الأشراف واصطناع الملوك ، فأذن في ذلك ؛ فدخل منهم جماعة الأندلس مع أميرهم زاوى بن زيري ، ومعه أبناء أخيه حُباسة وحَبُوس وما كَسَن ؛ فأنزلهم المظفّر وأكرمهم ، إلا أنهم كابدوا مشقة من دهرهم الذي أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم ؛ فلما انهدمت الإمامة ، وانشقت عصا الجماعة ، سعوا في الفتننة سعى غيرهم ؛ من سائر قبائل البرابرة^(٤) ، عند تشديد أهل الأندلس للبربر ؛ وانحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس ، بملوك بني حمود^(٥) ، إلى بلاد تضمهم ، فأنحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم زاوى بن زيري إلى مدينة غرناطة. ثم آثر زاوى العودة إلى وطنه إفريقية ، فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر في موضعه . والتفّ قومه على ابن أخيه حُبُوس بن ما كَسَن ، في جماعة عظيمة تحمى حوزته ، وأقام بها مُلْكاً ؛ وغلب على ما اتصل بمدينته من الكور ، فتملك قبرة ، وجيان^(٦) ، واتسع نظره ، وسحى وطنه ورعيته ممن جاوره من البرابر ؛ وكان

(١) المرأونة أعني بني مروان أو الأمويين خلفاء الأندلس . (٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» خوز .

(٣) وردت في المخطوطين : فذهب . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ك» وفي «ج» . ويجرى ابن الخطيب على ذكر « البربر » بلفظ البرابرة .

والبرابر . (٥) وردت في المخطوطين : بني حميد . وهو محريف .

(٦) جيان Jaen سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٨٨) . وتقع قبرة Cabra جنوب

جيان وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١١) .

داهية شجاعاً ، فدامت رياسته ، واتصل ملكه ، إلى أن هلك . فولى بعده ابنه باديس ، وسيأتي التعريف به ؛ وولد له ابنه بُلكَيْن هذا المترجم به ، فرشحه إلى ملكه ، وأخذ له بيعة قومه ، وأهله^(١) للأمر من بعده . قال المؤرخ : ونشأ لباديس ابن حُبوس ، ولد اسمه بُلكَيْن ، وكان عاقلاً نبيلاً ، فرشحه للأمر من بعده ؛ ومثاه سيف الدولة ؛ وقال : وتلى مالمقة في حياة أبيه ، وكان نبيلاً جليلاً ؛ ووقعتُ على كتاب بخطه نصه بعد البسملة :

« هذا ما التزمه واعتقد العمل به ، بُلكَيْن بن باديس ، للوزير القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجندامي^(٢) سلمه الله . اعتقد به إقراره على مُخطّة الوزارة ، والقضاء في جميع كوره ، وأن يجري من الترفيع والإكرام له ، إلى أقصى غاية ، وأن يُحمل على الجراية في جميع أملاكه بالكور المذكورة ، حاضرته وباديته ، الموروثة منها ، والمكتسبة ، القديمة الاكتساب والحديثة ، وما ابتاع منها من العالي^(٣) رحمه الله وغيره ، لا يلزمها وظيفٌ بوجه ، ولا يُكلّف منها كلفة ، على كل حال ، وأن يجري في قرابته ، وخوله وحاشيته وعامري ضيعة ، على المحافظة والبرّ والحرية . وأقسم على ذلك كله بُلكَيْن بن باديس بالله العظيم ، والقرآن الحكيم ، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له ، وكفى بالله شهيداً . وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، والله المُستعان . ولا شك أن هذا المقدار يدل على نبل ، ويعرف عن كفاية .

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : وملكه . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت بحرف في «ك» : الحراس .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : العالي . و«العالي» هو خليفة الأندلس إدريس

ابن يحيى المعتلى من بني حمود ، وقد حكم غرناطة وقرمونة ولقب بالعالي . وخلق سنة ٤٣٨ هـ بعد أربع سنين من حكمه .

سبب وفاته

قال صاحب البيان المغرب وغيره: وأمضى باديس كاتب أبيه ووزيره إسماعيل ابن نغالة^(١) اليهودى على وزارته وكتابته وسائر أعماله ، ورفعته فوق كل منزلة ، وكان لولده بلسكين ، خاصة من المسلمين يخدمونه ، وكان مُبغضاً في اليهودى ، فبلغه أنه تكلم في ذلك لأبيه ، فبلغ منه كل مبلغ ، فدبر^(٢) الحيلة ، فذكروا أنه دخل عليه يوماً فقبل الأرض بين يديه ، فقال له الغلام : ولم ذلك ، فقال : يرغب العبد أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك ورجالك ، فدخل إليه بعد ذلك ، فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً ، ثم جعل الشم في الكأس لابن باديس ، فرام القى^(٣) ، فلم يقدر عليه ، فحمل إلى قصره وقضى نحبه في يومه ، وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب ، فقرر اليهودى عنده أن أصحابه وبعض جواريه سُمّوه . فقتل باديس جوارى ولده ، ومن فتياهه وبني عمه [جماعة كبيرة]^(٤) ، وخافه^(٥) سائرهم ففروا عنه . وكانت وفاته سنة ست وخسين وأربعمائة . وبعده قتل اليهودى في سنة [تسع وخسين]^(٦) .

(١) وردت في المخطوطين : (ابن نغالة) . ويسميه ابن بسام في الذخيرة : ابن النغريل : (ج ١ - ٢ ص ٢٦٥) . وورد في البيان المغرب : ابن نغزاه (ج ٣ ص ٢٦٤) . والتسمية الأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : فدفن .

(٣) وردت في «ك» : القبر . وفي «ج» وردت لفظة غير واضحة : الفل أو البيل . والتصويب من البيان المغرب .

(٤) هذه الزيادة من البيان المغرب وهي لازمة للسياق .

(٥) وردت في المخطوطين : وخافوه . وهو رسم خاطيء . وكثيراً ما يرد الفعل بالجمع قبل الفاعل في المخطوطات المغربية .

(٦) وردت في «ك» ثمان . وفي «ج» والملكية ثمانين . وهو خطأ اقتضى التصويب وفقاً لما يرد بعد في الفصل الذى عنوانه : « ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل ... »

باديس بن حموس بن ماكسن بن زيري

ابن مناد الصنهاجي

كنيته أبو مناد ، ولقبه الحاجب الظفر بالله ، الناصر لدين الله .

أولادته

قد تقدم الإجماع بذلك عند ذكر ابنه بلكين .

حاله

كان رئيساً يديماً ، طاغيةً ، جباراً ، شجاعاً ، داهيةً ، حازماً ، جلداً ، شديد
الأمر ، سيد الرأي ، بعيد الهمة ، مأثور الإقدام ، شره السيف ، وارى زناد^(١)
الشر ، جماعة للمال ؛ ضخمت به الدولة ، ونهبت الألقاب ، وأمنت حمايته^(٢)
الروايا ، وطمّ تحت جناح سيفه العمران ، واتسع بطاعته الأرهبة الجوانب بيأسه
النظر ، وانفسخ المثلث ، وكان ميمون الطائر ، مُطَمَّ الظفر^(٣) ، مصنوعاً له في
الأعداء ، يقنع أقتاله^(٤) بسلمه ، ولا يطمع أعداؤه في حربه . قال ابن عسك : يكنى
أبامسعود ، وكان من أهل الحزم وحماية الجانب ، وكان يخطب ويدعو للملويين
بمآلقه ، فلما توفي إدريس بن يحيى العالى ، ملك مالقة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

(١) وردت في المخطوطين بزناد .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : حسيته .

(٣) أعنى كثير الظفر .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : أمثاله .

وقال الفتح في قلائده^(١) : « كان باديس بن جبوس بغرناطة^(٢) عابثاً^(٣) في فريقه ، عادلاً عن سنن العدل وطريقه ؛ يجترى على الله غير مراقب ، ويسرى إلى ماشاء [غير ملتفت]^(٤) للعواقب ؛ قد حجب سنائه لسانه ، وسبقت إساءته إحسانه ؛ [ناهيك]^(٥) من رجل لم يبت من ذنب على ندم ، ولم يشرب الماء إلا من قليب دم ؛ أحزم^(٦) من كاد ومكر ، وأجرم^(٧) من راح وابتكر ؛ وما زال متقدماً^(٨) في مناحيه ، متقدماً لنواحيه ، لا يرام برأيث ولا عجل ، ولا يبيت له جار إلا على وجل . »

أخباره في وقائمه

يُنظر إيقاعه بزُهَيْر^(٩) العامري ومن معه في اسم زُهَيْر ، [فقد ثبت منه هناك]^(١٠) نبذة . وإيقاعه بجيش ابن عباد بمالقة عندما طرق مالقة وتمسكها ، واستصرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها . وغير ذلك مما هو معلوم . وشهرته مغنية عن الإطالة . ومن أخباره في الجبرية والقسوة . قال ابن حيان ، عندما استوعب الفتكة بأبي نصرين أبي نوراليفرنى^(١١) أمير رُنْدَة المنتزى^(١٢) بها وقتله ، ورجوعها إلى ابن عباد ؛

(١) هو كتاب : « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان .

(٢) في المخطوطين : غرناطة . والتصويب من « القلائد » .

(٣) هذا في القلائد . وفي المخطوطين والملكية عابثاً .

(٤) وردت في المخطوطين والملكية : (لا ملتفتاً) . والتصويب من القلائد .

(٥) ساقطة في المخطوطين والملكية . وواردة في القلائد .

(٦) هكذا في القلائد . وفي المخطوطين والملكية أجرم .

(٧) هكذا في القلائد . وفي المخطوطين : أفجر .

(٨) في المخطوطين : مبتداً . والتصويب من القلائد .

(٩) هكذا وردت في « ج » والملكية . وفي « ك » : ابن مقيم . وهو خطأ بين .

(١٠) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » والملكية . ووردت في « ك » : (وثبت في ذلك منه)

(١١) وردت في « ج » والملكية السفرى . وفي « ك » الأسفرى . وهو تحريف والصواب

ما أثبتناه .

(١٢) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : المشرى .

حكى أبو بكر الوصلشاني^(١) الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التجار، أنه حضر مدينة غرناطة، حَصْرَةَ باديس بن حبّوس الجبار، أيام حدث على أبي نصر صاحب تاكُرُّنا ما حدث، وأن أميرها باديس قام للحادثة^(٢) وقعد، وهاج من داء عَصَبِيَّتِهِ ما قد سكن، وشقَّ أنوابه، وأعلن أحواله، وهجر شرايه الذي لا صبر له عنه، وجفا ملاذُه، وأوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ وعيَّته من أهل الأندلس، على الذي دهى أبا نصر، فسوّلت له نفسه حَمَلُ السيف على أهل حضرته جميعاً، مستحضراً^(٣) لهم، وكيماً ينبرهم^(٤)، ويخلص برابرة وعبيده فيريح نفسه، ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، من قوة همومه، وشاور وزيره اليهودي يوسف بن اسماعيل، مُدبِرَ دولته الذي لا يقطع أمراً دونَه، مُسْتَخْلِياً مُسْتَكْتِماً بسرّه، مصمماً في عزمه، إن هو لم يوافقْه عليه، فنهاه عن ذلك وخطأ رأيه فيه، وسأله الأناة ونَحْضُ الروية، وقال له هَبْكَ وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك، على ما في استباحتهم من الخطر، فأتي تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك، وبسائط أعمالك؟ أترامهم يطمئنون إلى الذهول عن مصائبهم، والاستقرار في موضعهم؟ ما أراهم إلا سيوفاً يفتظّمون عليك في جموع، يُغرِقونك في لُجَجِها أنت وجندك، فردّ نصيحته، وأخذ الكتمان عليه، وتقدم إلى عارضه باعتراض الجند في السلاح، والتعبية لركوبه يوم الفتكة، يوم تلك الجمعة، فارتجّ البلد. وذُكر أن اليهودي دسّ نسواناً إلى معارف لمن من زعماء المسلمين بغرناطة، ينهائم عن حضور المسجد يومهم، ويأمرهم بالخفاء أنفسهم، وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة، ولم يأتَه إلا نفر من عامتهم، اقتدوا بمن أتاه^(٥) من مشيخة البربر

(١) هكذا في «ح». وفي «ك»: الرسلشاني. والملكية الوسائى.

(٢) وردت في المخطوطين والملكية: بالحادثة: والتصويب أنسب.

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «ك» مستعرضاً.

(٤) هكذا وردت في «ك». وفي «ج» والملكية ينفدم.

(٥) هكذا في «ك». وفي «ج»: أتاهم.

وأغفال القادمين ، وجاء إلى باديس الخبر ، والجيش في السلاح حوالى قصره ، فسأه وقت في عَضده . ولم يَشْك في فشوسرّه ، وأحضر وزيره وقلده البَوْح بسرّه فأنكر ما قرّفه (١) به ، وقال ومن أين يُنكر على الناس الخنز ، وأنت قد استركت جندك وجميع جيشك في التَّعبية ، لا لسفر ذكركه ، ولا لعدو وثب إليك ، فمن هناك حدس القوم على أنك تريد ، وقد أجمل (٢) الله لك الصنع في نِغارهم ، وقادك إصارهم ، فأعد نظرك ياسيدي ، فسوف تحمد عاقبة رأبي وغِبطة نصحي . فنصح وزيره شيخ من موالى صنهاجته ، فاعتطف لذلك بعد لأي ، وشرح الله صدره . ويجرى (٣) التمرير بشيء من أمور وزيره .

قال ابن عذاري المراكشي في كتابه المسمى « بالبيان المغرب » : أمضى باديس كاتب أبيه ووزيره ابن قرالة اليهودي ، وعمالاً متصرفين من أهل ملته ، فاكتسبوا الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين . قال ابن حيان ، وكان هذا الامين في ذاته ، على ما زوى الله عنه من هدايته ، من أكل الرجال علماً وحلماً وفهماً ، وذكاه ، ودماثة ، وركانة ، ودهاء ، ومكراً ، وميلكا لنفسه ، وبسطاً من خلقه ، ومعرفة بزمانه ، ومداراة لعدوه ، واستسلاماً لحقودهم بحلمه ؛ [ناهيك] (٤) من رجل كتب بالقلمين ، واعتنى بالعلمين ، وشغف باللسان العربي ، ونظر فيه ، وقرأ كتبه ، وطالع أصوله ؛ فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربي ، فيما احتاج إليه من فصول التَّحْمِيد لله تعالى . والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتركية لدين الإسلام . وذكر فضائله ، ما يريد ، ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام ؛ فجمع لذلك « السَّجِيح في علوم الأوائل الرياضية »

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : قربه .

(٢) في المخطوطين والملكية : أجمع . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» : ويجي .

(٤) أضفنا هذه الكلمة إذ يلوح لنا أنها سقطت في المخطوطين سهواً .

وتقدم منتجليها^(١) بالتدقيق^(٢) للمعرفة النجومية ؛ ويشارك في الهندسة والمنطق ، ويفوق في الجدل كل مُستول منه على غاية ؛ قليل الكلام مع ذكائه ، ماقناً للسباب ،^(٣) دائم التفكير ، جماعة للكتب . هلك في العَشر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، فجلل اليهود نعشه ، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين ، وتعاقدوه جازعين ، وبكوه مُعلنين ؛ وكان قد حمل ولده يوسف المُكبي بأبي حسين على مطالعة الكتب ، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية ، يُعلمونه ويدارسونه ، وأعلقه بصناعة الكتابة ، ورشحه لأول حركته ، لكتابة ابن مخدومه بُلُكَّين برتبة^(٤) المترشح لمكانه ، تمهيداً لقواعد خدمته ؛ فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت ، أدناه باديس إليه ، وأظهر الاغتياب به ؛ والاستعاضة بخدمته عن أبيه .

ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل

ابن نغالة^(٥) الإسرائيلي

قال صاحب البيان ؛ وترك^(٦) ابناً له يسمى يوسف لم يعرف [ذل الذمة ، ولا قدر اليهودية]^(٧) . وكان جميل الوجه ، حادّ الذهن^(٨) ، فأخذ في الاجتهاد في الأحوال ، وجمع المال ، واستخراج الأموال ، واستعمال اليهود على الأعمال ، فزادت منزلته عند

(١) في المخطوطين : منتجليها .

(٢) هكذا في «ك» . وفي «ج» بالتدين .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» للسباب .

(٤) وردت في المخطوطين : بربه .

(٥) هكذا وردت لأول مرة صواباً في «ك» . ولكنها على الأغلب ترد محرقة في المخطوطين .

(٦) في المخطوطين : وتحرك .

(٧) وردت في المخطوطين : (ذل اليهودية ولا قدر الذمة) . والتصويب من البيان المغرب .

(ج ٣ ص ٢٦٤) .

(٨) هكذا في «ك» . وفي «ج» : الزهد .

أميره ؛ وكانت له عليه عيون في قصره من نساء وفتيان ، يشملهم ^(١) بالإحسان ، فلا يكاد باديس يتنفس ، إلا وهو يعلم ذلك . ووقع ما تقدم ذكره ، في ذكر بلكنين من اتهامه بسّمه ^(٢) ، وتوليه التهمة به عند أبيه ، لكثير من جواريه وخدامه ، وفتك هذا بقريب له ، تأو له في الخدمة والوجاهة ، يدعى بالقائد ، شعر منه بزاحته إياه فتسكت شهيرة ؛ واستهدف للناس فشغلت به ألسنتهم ، ومثلت غيظاً عليه صدورهم ، وذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحاق الإلبيري ، في الإغراء بهم ؛ واتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صمادحية ^(٣) تقول إنها باستدائه ، ليصير الأمر الصنهاجي إلى مجزها ^(٤) الأمير بمدينة ألمرية . وباديس في هذه الحال منغمس في بطالته ، عاكف على شرا به . ونهى هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة ، فراحوا ^(٥) إلى دار اليهودي مع العامة ، فدخلوا عليه ، فاخفى ، زعموا في بيت فحم ، وسود وجهه ، يروم التنكير فقتلوه لما عرفوه ، وصلبوه على باب مدينة غرناطة ، وقتل من اليهود في يومه ، مقتلة عظيمة ، ونهبت دورهم ، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وقبره اليوم وقبر أبيه يعرف أصلاً من اليهود ينقلونه بتواترٍ عندهم ، أمام باب البيرة ، على غلوة ، يعترض الطريق ، على لحده ^(٦) حجارة كدان جافية الجرم ، ومكانه من الترفه والترف والظرف والأدب معروف ؛ وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نحلته ^(٧) .

(١) وردت في المخطوطين : يشغلهم . وفي البيان : شغلهم . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين : بنسمة . وهو تحريف .

(٣) نسبة إلى المعتصم بن صمادح أمير ألمرية يومئذ .

(٤) وردت في المخطوطين : مجزها .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فوجوا .

(٦) وردت في المخطوطين الحدة .

(٧) وردت في المخطوطين : محلة .

مكان باديس من الذكاء وتولعه بالقضايا الآتية

قال ابن الصيرفي ؛ حدثني أبو الفضل جعفر الفقي ، وكان له صدق . وفي نفسه عزّة وشهامة وكرم . وأثنى عليه ، وعرف به ، حسباً يأتي في اسم جعفر المذكور . قال ، خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلي ، من دار الشراب بقصره . واصطفت الصقاليب^(١) والعبيد بالبرطل^(٢) المتصل به لتخدم إرادته . فورد عليه نبأ قام لتعرفه عن مجلسه ، ثم عاد إلى موضعه وقد تجهّم وجهه ، وخبثت نفسه ، فحذر ندماؤه على أنفسهم ، وتخيّلوا وقوع انشربهم ؛ ثم قال أعلمتم ما حدث ، قالوا لا والله يُطلع على خير ؛ قال : دخل المرابط^(٣) الدمنة ؛ فسرى عن القوم . وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره^(٤) ، وفُسّحة عمره . ودوام دولته ؛ ثم وجّروا لوجومه ، فلما رأى تكدر صفوهم ، قال أقبلوا على شأنكم . ما نحن وذاك ، اليوم خمر وغداً أمر^(٥) ؛ بيننا وبينه أمداد التّجّو ، والنّشور الجبال وأمواج البحار ؛ ولكن لا بد له أن يتملك بلدي ، ويقعد منه مقعدى . وهذا أمر لا يلحقه أحد منا ، وإنما يشقى أحفادنا . قال جعفر ، فلما دخل الأمير القصر ، عند خَلعه حفيد باديس برحبة مؤمّل^(٦) ، طاف بكل ركن ومكان منه . وأنا في جملة حتى انتهى إلى ذلك المجلس ، فبسط له ما قعد عليه ،

(١) هم الصقالبة . وهم المماليك من مختلف الجنسيات الأوربية الذين غصت به قصور الأندلس منذ أواخر القرن الثالث الهجرى . (راجع في نشأة الصقالبة وأحوالهم وظهورهم في الأندلس ، كتابي « دولة الإسلام في الأندلس » الطبعة الرابعة ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٤٩ و ٢٥٠ ، (٢) البرطل هو الرسم العربى للكلمة القشتالية Portal وهو البهو ذو الشرفات المعقودة على الأعمدة .

(٣) يريد الإشارة إلى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين وعبوره إلى الأندلس .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : في نصره .

(٥) وردت في المخطوطين : آخر . وهو تحريف للقول المأثور .

(٦) وردت في المخطوطين محرفة : (برعبه مؤمّل) . و « رحبة مؤمّل » اسم مكان بفرنطقة الإسلامية . كان يقع في جنوب غربى الحمراء وجنوب ربض الفخارين ويشتهر برياضه ومنزهاته ومكانه اليوم الحى الفرناطى المسمى Campo del Principe .

فتذكرت قول باديس . وتعجبت منه تعجباً ظهر على^١ . فالتفت إلى أمير المسلمين مُنكرًا ، وسألني مابى ، فأخبرته وصدقتُهُ ، وقصصت عليه قول باديس ، فتعجب ، وقام إلى المسجد بمن معه ، فصلى فيه ركعات . وأقبل يترحم على قبره .

وفاته

قال أبو القاسم بن خلف : توفي باديس ليلة الأحد الموفى عشرين من شوال سنة خمس وستين وأربعمائة ، ودفن بمسجد القصر . قلتُ ، وقد ذهب أثر المسجد ، وبقي القبر يحفُّ به حلقٌ له باب ، كل ذلك على سبيل من الحمول ، وجدَّتُ القبر رخام ، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبي زكريا يحيى بن غانية^(١) المدفون في دولة^(٢) الموحدين به .

وقد أدال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته ، قدّم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه ، لما جيلهم عليه من الاقياد للأوهام [والانصياع للأضاليل]^(٣) ؛ فعلى حفرة اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والمستشفين من الأسقام ، حتى أولو الدواب الوجيمة ، ما ليس على قبر معروف الكرخي ، وأبي يزيد البسطامي .

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة رفعها إلى السلطان على يدي ، وجل من أهل الخبر مُكَنَّب^(٤) يوم^٥ في مسجد القصبية القُدُمي من دار باديس ، يُعرف بابن باق ، وهو يتوسل إلى السلطان ويسأل منه الإذن في دفنه [مجاوراً لقبره]^(٥) . وعفوا الله

(١) سبق التعريف به (تراجع الحاشية في ص ٩٧) .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بدولة .

(٣) وردت هذه العبارة محرقة في المخطوطين والملكية . (وانقطاع الأصاليل) .

(٤) أى يكتب للناس ما يرغبون كتابته .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في « ج » . وردت في « ك » : (بجوار القبر) .

أوسع من أن يضيق على مثله ، ممن أسرف على نفسه ، وضيع حقَّ ربِّه . ودايره
اليوم طلول قد تغيرت أشكالها وقسم التملك جناتها ، ومع ذلك فمعاهدنا إليه
منسوبة ، وأخباره مُتداولة .

وقد ألمعت في بعض مشاهدته بقولى من قصيدة ، غريبة الأغراض ، تشمل
على فنون^(١) أثبتنا إحصاءاً وفكاهة ، لمن يطالع هذا الكتاب ، وإن لم يكن
جلبها ضرورياً فيه . فمنها :

عسى خَطْرَةَ بَارٍ كَبِ يَاحَادَى الْعَيْسِ عَلَى الْهَضْبَةِ الشَّمَاهِ مِنْ قَصْرِ بَادَيْسِ

بَكْرُونَ بِنِ أَبِي بَكْرِ بِنِ الْأَشْقَرِ الْخَضْرَى

يَكْنَى أَبَا بَيْحِي .

حاله

كان من ذوى الأصالة ومشايخ الجند ، فارساً نَجِدًا حازماً شديد الرأى ، مسموع
القول ، شديد العُضلة^(٢) أَيْدًا ، فَحَلًّا وَسِيًّا . قائداً عند الجند الأندلسى ، فى أيام
السلطان ثانى ملوك بنى نصر ، من^(٣) أحفل ما كان الأمر ، يجره وواعه دنيا
عريضة ، ووجى الجيش على عهده مغانم كثيرة .

قال شيخنا ابن شيرين^(٤) فى تذكرة ألفيتها بخطه ، كان له فى الخدمة مكان

(١) وردت فى المخطوطين : فتوق .

(٢) أى الدهاء

(٣) كذا فى « ج » . وفى « ك » : بين .

(٤) هكذا فى « ك » و « الملكية » . وفى « ج » : ابن شيرين . وهو تحريف .

كبير، وجاه عريض، ثم صرفه الأمر عن رسمه، وأنزله الدهر عن حكمه،
تعمدنا الله وإياه برحمته .

وفاته

في عام أربعة عشر وسبعمائة، ودفن بمقبرة قومه ببناب البيرة .

بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل

يكنى أبا النصر، رومي الأصل .

حاله

كان شجاعاً داهية، حازماً فاضلاً، مصمماً تقياً، عالماً^(١) من أعلام الوفاء . لازم
مولاه في أعقاب النكبة، وصحبه إلى المغرب الأقصى، مختصاً به ذاباً عنه،
مشتتلاً عليه، وخطب له الأمر بالأندلس، فتم له بما هو مذكور .

قال أبو مروان^(٢) في المقتبس؛ إن عبد الرحمن لما شرده الخوف إلى قاصية
المغرب، وتنقل بين قبائل البربر، ودنا من ساحل الأندلس — وكان بها همه —
يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتي المضرية والبيانية، فزاد
ذلك في أطماعه؛ فأدخل إليهم بدرًا مولاه يُحسَس^(٣) عن خبرهم؛ فأتى القوم وبلى
ما عندهم، فداخل البيانيين منهم، وقد عصفت ريح المضريين بظهور بني العباس
بالمشرق، فقال لهم ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم
أودكم ويُدِرَّ ككم آمالكم . فقالوا : وَمَنْ لنا به في هذه الديار ؟ فقال بدرٌ :

(١) وردت في المخطوطين والملكية . عالماً . وهو تحريف .

(٢) هو ابن حيان مؤرخ الأندلس . وقد سبقت الإشارة إليه غير مرة .

(٣) هكلا في «ج» . وفي «ك» . يحسس .

ما أدناه منكم ، وأنا الكفيل لكم به ، هذا فلان بمكان كذا وكذا يُقدّم من نفسه [فقالوا : نجىء به أهلاً]^(١) إنا سُراعٌ إلى طاعته ؛ وأرسلوا بدرأً بكتبهم^(٢) يستدعونه ، فدخل إليه بأيمن طائر ؛ واستجمع إليه خلق [كثير]^(٣) من أنصاره قاتل بهم يوسف الفهرى ، فقهره لأول وقائمه ، وأخذ الأندلس منه وأورثها عقبه .

محتته

قال الراوى : وكان من أكبر من أمضى عليه عبد الرحمن بن معاوية حُكم سياسته وقومه معدّته^(٤) ، مولاهُ بدرُ المعتقدُ منه بكل ذمة محفوظة ، الخائضُ معه لكل غمّة مرهوبة ، وكل ذلك لم يُغن عنه تقيراً لما أسلف في إدلاله عليه ، وكثر من الانبساط لحرّمته [فجمع مركب تحامله]^(٥) حتى أوردته ألماً يضيق^(٦) الصدر عنه ؛ وآسف أميره ومولاه ، حتى كبح عِنايه عن نفسه بعد ذلك كبحة أقمى بها أو شارف حمامه ، لولا أن أبقى الأمير على نفسه التي لم يزل مسرفاً عليها . قال ، فأنتهى في عقابه^(٧) لما سَخِط عليه أن سلب نعمته ، وانتزع دوره وأملاكه وأغرّمه على ذلك كله أربعين ألفاً من صامته ، ونفاه إلى الثغر ، فأقصاه عن قربه ، ولم يُقله العثرة^(٨) إلى أن هلك ، فرفع طمع الموادة عن جميع نُقله وخدمته ، وصير خبره مثلاً في الناس بعده .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» ، وفي «ك» : (فقال يجى أهلاً به) .

(٢) وردت في المخطوطين : بكتبكم .

(٣) هذه الزيادة من الملكية .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : معتدلة .

(٥) وردت هذه العبارة محرفة في المخطوطين : (فجمع به مركب لحامله) . وبالتصويب يتضح

المعنى ويستقيم السياق .

(٦) هكذا في «ج» . وفي «ك» : يطيق .

(٧) كذا في «ج» . وفي «ك» أعقابه .

(٨) هكذا في «ج» . وفي «ك» العشرة .

تأشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين
بعد أبيه بالعدوة

صالي^(١) حروب الموحدين .

أوليته

فما يختص به التعريف بأولية قومه ، ينظر في اسم أبيه وجده إن شاء الله . قال ابن الوراق في كتاب المقياس وغيره : وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسة : ولي [الأمير]^(٢) علي بن يوسف أمير لمتونة ، الشهير بالمرابط^(٣) ولده الأمير المسمى بسير عهده من بعده . وجعل له الأمر في بقية حياته ؛ ورأى أن يولي ابنه تأشفين الأندلس ، فولاه مدينة غرناطة ، وألمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده . قلت ، وفي قولهم رأى أن يولي الأندلس فولاه مدينة غرناطة ، شاهد كبير على ما وصفناه^(٤) من شرف هذه المدينة ؛ فنظر في مصالحها ، وظهر له بركة^(٥) في النصر على العدو ، وخدمه الجليل الذي أسلمه ، وتبرأ منه في حروبه مع الموحدين حسبما يتقرر في موضعه ، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعد لها الصيت ، وشاع الذكر حسبما يأتي في موضعه . قال ، فكبر ذلك على أخيه سيرولي عهد أبيه ، وفاوض أباه في ذلك وقال له : إن الأمر الذي أهلتني إليه لا يحسن لي مع تأشفين ، فإنه قد حمل الذكر والثناء دوني ، وغطى على اسمي . وأمال إليه جميع أهل المملكة ، فليس لي معه اسم ولا ذكر . فأرضاه بأن عزله عن الأندلس وأمره بالوصول إلى حضرته ، فرحل عن الأندلس في أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسة ووصل مرآكش ، وصار من جملة^(٦) من يتصرف بأمر أخيه سيرولي ويقف بيباه كأحد حجابيه ؛

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» . طال أو كالى . (٢) الزيادة من الملكية .

(٣) وردت في المخطوطين : بالمرابطين . وهو تحريف ظاهر .

(٤) وردت في المخطوطين : أوصلنا . والتصويب من مخطوط رواق المغاربة بالأزهر المرموز له

بجرف «ر . م» . (٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي «ر . م» : بارقة .

(٦) كذا في «ج» . وفي «ك» والملكية : الجملة .

فقضى الله وفاة الأمير سير على الصورة القبيحة حسبما يذكر في اسمه ، وشكَّله أبوه واشتد جزعه عليه ، وكان عظيم الإيثار والإرضاء لأمه قر ، وهي التي تسببت [في]^(١) عزل تاشفين وإخماله نظراً إلى ابنها . فقطع المقدار بها عن أملها بهلاكه . ولما توفي [الأمير]^(٢) سير ، أشارت الأم المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحاق ، وكان رؤوياً لها قد تولت تربيته عند هلاك أمه وتبنته ، فقال لها ، هو صغير السن لم يبلغ الحلم ؛ ولكن [حتى]^(٣) أجمع الناس في المسجد خاصة وعامة ، وأخبرهم فإن صرفوا الخيار إليّ ، فعلت ما أشرت به . فجمع الناس وعرض عليهم الأمر ؛ فقالوا كلهم في صوت واحد : تاشفين ، فلم توسعه السياسة مخالفتهم ؛ فمقد له الولاية بعده ونقش اسمه في الدنانير والدرهم مع اسمه ، وقلده النظر في الأمور السلطانية ، فاستقر بذلك . وكتب إلى العدوّة والأندلس وبلاد المغرب ببيعته^(٤) ، فوصلت البيعات من كل جهة . ثم رمى به جيوش الموحدين الخارجين عليه ، فبنا جدّه ومرضت أيامه ، وكان الأمر عليه لاله ، بخلاف ما صنع الله له بالأندلس .

قال أبو مروان الوراق : [وكان أمير المسلمين]^(٥) علي بن يوسف بن تاشفين قد أمل في ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعد به ، فنشاهم به وعزم على خلعه [وصرف عهده]^(٦) إلى إسحاق ولده الأصغر ، ووجه إلى حامله على إشبيلية أنغماو ، أن يصل إليه ليجمعه شيخ ابنه ، إلى أن وافاه خبر أمضه وأقلقه ولم يمهله ، فأزعج تاشفين إلى عدوّه على غير أهبة بتفويضه إياه ، وصرف المدد في إثره ، وتونى لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين [لفعله ذلك]^(٧) .

(١) ساقطة في المخطوطين والملكية : وإثباتها انصب للسياق .

(٢) ساقطة في المخطوطين ، وواردة في « ر . م » والملكية .

(٣) ساقطة في المخطوطين والملكية ، وواردة في « ر . م » .

(٤) وردت في المخطوطين والملكية : في بيعته .

(٥) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين والملكية : الأمير .

(٦) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين والملكية : (وصرفه وعهده) .

(٧) هكذا وردت في « ج » والملكية . وفي « ك » (تفعله ذلك) . وأغفلها « ر . م » .

مُلْكُه ووصف حاله

فأفضى إليه ملك أبيه . بتفويصه إياه في حياته . لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وكان بطالاً شجاعاً حسن الرُّكبة والهيئة . سالكاً ناموس الشريعة ، مائلاً إلى طريقة المستقيمين . وكُتِبَ المریدين ؛ قيل إنه لم يشرب قط مُسكرًا ولا استمع إلى قينة^(١) . ولا اشتغل بلذة^(٢) مما يلهو به الملوك .

الثناء عليه

قال ابن الصيرفي : وكان بطالاً شجاعاً ، أُحِبَّه الناس ، خواصهم وعوامهم ؛ وحسنت سياسته فيهم ، وسدَّ الثغور ، وأذكى على العدو العيون . وآثر الجند ، ولم يكن منه إلا الجِدُّ . ولم تنل عنده الحظوة^(٣) إلا بالعناء والنجدة . وبذلك حمل على الخليل . وقلد الأسلحة ، وأوسع الأرزاق ، واستكثر من الرماة . وأركبهم ، وأقام همتهم [للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب ، ففتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو]^(٤) ولم ينهض إلا ظاهراً^(٥) ولا صدر إلا ظاهراً^(٦) . وملك الملك ومهد بالحزم وتملك نفوس الرعية بالعدل ؛ وقلوب الجند بالنصفة . ثم قال : ولولا الاختصار الذي اشترطناه لأوردنا من سني^(٧) خلاله ما يضييق عنه الرَّحْبُ ، ولا يسهه الكتب .

-
- (١) وردت محرفة في المخطوطين والملكية : (غنية . عينة) .
 - (٢) هكذا في « ك » و « ر . م » . وفي « ج » بمره .
 - (٣) هكذا في « ر . م » . وفي المخطوطين : حظوة .
 - (٤) الزيادة في ما بين الخاصرتين واردة في « ر . م » فقط .
 - (٥) هكذا في المخطوطين . وفي الملكية و « ر . م » ظهر .
 - (٦) هكذا في المخطوطين وفي الملكية و « ر . م » ظفر .
 - (٧) هكذا في « ج » . وفي « ك » : (من سنن خلاله) . والأولى أرجح .

دينه

قال المؤرخ، عكف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة، وصاحب أهل الإرادة، وكان وطىء الأُ كُناف^(١)، سهل الحجاب . يجالس الأُعيان ويذاكرهم؛ قال ابن الصيرفي، ولما قدم غرناطة أُقبل على صيام النهار، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وإخفاء الصدقة^(٢)، [وإِشاء العدل]^(٣)، وإيثار الحق .

دُعابته

قالوا مر يوماً بمرج القرون، من أحواز قلعة يحضب^(٤) فقال لزمّال من عبّيه كان يمازحه هذا مرجك؛ فقال الزمّال، ماهو إلا مرجك ومرج أبيك، وأما أنا فمن أنا؟ فضحك وأعرض عنه .

دخوله غرناطة

قالوا . وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة . ولى الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين عليّ بن أمير المسلمين يوسف، ووافها في السابع عشر لذي حجة؛ فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون، وعمد إلى رحبة القصر، فأقام بها السقائف والبيوت، واتخذها لخزن السلاح ومقاعد الرجال، وضرب السهام^(٥)؛ وأنشأ

(١) أى التواحي .

(٢) هكذا في « ر . م . » . وفي المخطوطين : صدقته .

(٣) هذه الزيادة واردة فقط في « ر . م . » .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : (يصعب) . وقلعة يحضب من حصون غرناطة القديمة . وكانت تعرف بقلعة بني سعيد . وقد سبق التمرّيف بها (أنظر الحاشية في ص ١١١) .

(٥) هكذا وردت في « ر . م . » . وفي المخطوطين : الهام .

السقي ، وعمل التراس ، ونسج الدروع ، وصقل البيضات والسيوف ، وارتبط^(١) الخيل ، وأقام المساجد في الثغور . وبنى لنفسه مسجداً بالقصر ، وواصل الجلوس ، للنظر في الظلمات^(٢) ، وقراءة الرقاع ، وردّ الجواب ؛ وكتب التوقيعات ، وأكرم الفقهاء والطلبة ، وكان له يوم في كل جمعة ، يتفرغ فيه للمناظرة .

وزراؤه

قال أبو بكر ؛ وقرن الله به ممن ورد معه ، الزبير بن عمر الأمتوني ، نُدرة^(٣) الزمان كرمًا وبسالة ، وحزمًا وأصالة . فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي شيئًا من أمور المسلمين فأراد الله به خيرًا ، جعل الله له بطانة خيرٍ ، وجعل له وزيراً صالحاً ، إن نسي شيئًا ذكره ، وإن ذكره أعانه » .

عماله

الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد بن منحل^(٤) [بن يزيد]^(٥) .

كتابه

الرئيس العالم أبو عبد الله بن أبي الخصال ، والكتاب المؤرخ أبو بكر الصيرفي [وغيرهم]^(٦) .

(١) هكذا وردت في « ر . م » وفي المخطوطين : ورباط .

(٢) وردت في المخطوطين : الظلمات . والتصويب من « ر . م » .

(٣) هكذا وردت في « ك » و « ر . م » . وفي « ج » : فورة .

(٤) هكذا وردت في « ج » . و « ر . م » . وفي « ك » : محمد .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فقط في « ر . م » .

(٦) الزيادة واردة فقط في « ر . م » .

ومن أخبار [جهاده] ^(١)

خرج الأمير تاشفين في رمضان عام أربعة وعشرين وخمسة مائة بجيش غرناطة ومطوعتها، واتصل به جيش قرطبة إلى حصن السُّكَّة من عمل طليطلة، وقد اتخذ العدو ركاباً لإضراره بالمسلمين، وشحنه وجمَّ به شوكة حادة بقوميس ^(٢) مشهور؛ فأحرق به، ونشر الحرب عليه، فافتتحه عنوة وقتل من كان به، وأحيا ^(٣) قائده «فرند» ^(٤) ومن معه من الفرسان، وصد إلى غرناطة، فبرز له الناس بروزاً لم يعهد مثله. وفي شهر صفر من عام خمسة وعشرين أوقع بالعدو المضيق على أوليته. وفي ربيع الأول من عام ستة وعشرين، تعرّف خروج عدو طليطلة إلى قرطبة، فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة، ثم نهّد ^(٥) إلى العدو في خفّ، وترك السيقة والثقل بأرجونة. وقد اكتسح [العدو] ^(٦) بسنت إسطين ^(٧) والوادي الأحمر. وأسرى الليل، وواصل الركن، وتلاحق بالعدو بقربة براشة. فترأى الجمعان صُبْحاً، وافتضح الجيش، ونشرت الرِّماح ^(٨) والرايات، وهذرت الطبول، وضاعت المسافة، وانتبذ العدو عن الغنيمة، والتف الجمع، فتقصرت الرِّماح، ووقعت المسابقة، ودارت الحرب على العدو، وأخذ السيف مأخذه، فأنى القتل على آخرهم، وصدو إلى غرناطة ظافراً ^(٩). وفي آخر هذا العام خرج العدو «للمط» وقد احتفل في جيشه

-
- (١) الزيادة واردة فقط. في «ر. م». ووردت في المخطوطين والملكية: ومن أخباره.
(٢) القومس هنا من ألقاب الشرف، وهو باللاتينية Comes أو الكونت.
(٣) هكذا في المخطوطين. وفي «ر. م.»: واستحى.
(٤) هكذا في «ر. م.» وفي المخطوطين والملكية: «فرنك». وفرند هو Fernando.
(٥) أي برز.
(٦) واردة فقط في «ر. م.».
(٧) هكذا في «ر. م.»، وهو الرسم الصواب لهذا الاسم. وفي المخطوطين: (بشط اشطن) وهو تحريف. وسنت اشطين وبالإسبانية San Esteban قاعدة حصينة قديمة من قواعد ولاية جيان.
(٨) في المخطوطين: الرياح.
(٩) وردت في المخطوطين (ظاهراً). والتصويب أنسب للسياق.

إلى بلاد الإسلام، فصَبَحَ إشبيلية يوم النصف من رجب، وبرز إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن الحاج^(١)، فكانت به الدبرة في نفر من المسلمين استشهد جميعهم؛ ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجعلها^(٢) نهباً وغارة؛ فقتل عظيماً، وسبي عظيماً؛ وبلغ الخير الأمير تاشفين، فطوى المراحل، ودخل إشبيلية، وقد أسرها؛ واستؤصلت باديتهما، وكثر بها التأديب والتنكيل^(٣) فأخذ أعقاب العدو، وقد قصد ناحية بطليوس وباجة ويابرة^(٤) في ألف عديدة من أنجاد الرجال، ومشهور الأبطال، [فراش جَوْلاً عَهْدًا بِالرُّوعِ]^(٥)، فظفر بما لا يحصيه أحد، ولا يقع عليه عدد؛ وانتنى على رِسل^(٦) انتقل السيقة، وثقته ببعده الصَّارخ، وتجمست بالأمر تاشفين الأُدلاء كل ذروة وتنية، وأفضى به الإعداد إلى فلاة بقرب الزلاقة، وهو المهيع الذي يضطر العدو إليه، ولم يكن إلا كلاً ولا، حتى أقبلت الضالعة منذرة بإقبال العدو، والغنيمة في يده قد ملأت الأرض؛ فلما تراءى الجمعان، واضطربت المحلات، ورتبت المراكب، فأخذت مصافها، ولزمت الرجال مراكبها، فكان القلب مع الأمير ووجوه المرابطين وأصحاب الطاعات؛ وعليه البنود الباسقات، مكتسبة بالآيات، وفي المجتبيين^(٧) كبار الدولة من أبطال الأندلس، عليهم حُرُ الرايات بالصور الهائلة؛ وفي الجناحين أهل الثغر والأوشاب من أهل الجلادة، عليهم الرايات المرقعات^(٨) بالمعدبات المجرعات^(٩).

(١) هكذا ورد هذا الاسم في «ج» وورد في الملكية (أبو جعفر محمد بن الحاج) والدبرة أي الهزيمة.

(٢) هكذا في «ك». وفي «ج» فحلها. (٣) في المخطوطين: التناكل.

(٤) بطليوس Badajoz من أعظم قواعد الأندلس القديمة، تقع في جنوب غربي إسبانيا على حدود البرتغال. وباجة Beja من قواعد الأندلس القديمة. وتقع بكورة الغرب Algarve جنوب البرتغال. ويابرة Evora تقع في البرتغال شمال باجة، وقد كانت من أهم قواعد الأندلس البرتغالية.

(٥) وردت هذه العبارة في المخطوطين والملكية: (فراش حوالا عهد بالرُوع). ونعتقد أن التصويب يؤدي معنى يستقيم مع السياق.

(٦) يبدو أن هنا كلمة ساقطة، ولعلها «حتى».

(٧) وردت في «ج»: المجتبيين. ومكانها بياض في «ك». والتصويب من «الملكية».

(٨) أعني حرق الألوية.

(٩) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (بالمعدبات المشرعات).

وفي المقدمة مشاهير زَنَاتِهِ^(١) ولفيفُ الحشَمِ بالرايات المصبغات المنبجّات^(٢) .
 والتقى الجمعان، ونزل الصبر، وحميت النفوس، واشتدَّ الضرب والضراب وكثرت
 الحملات؛ فهزم الله الكافرين، وأعطوا رقابهم مُدْبِرِينَ، فوقع القتل، واستلَّحَمَ
 العدوَّ السيفُ، واستأصله الهلاك والأسار؛ وكان فتحاً جليلاً لا كفاء له، وصدور
 الأمير تاشفين ظافراً إلى بلده في جمادى من هذا العام. ولو ذهبنا لاستقصاء
 حركات الأمير تاشفين وظهوره لاستدعى ذلك طولا كثيراً.

بعض ما مدح به

فن ذلك :

أما وبيضُ المند عنك خصوم فالرّوم تبذل ماظباك ترؤمُ
 تمضي سيوفك في العدا ويردها^(٣) عن نفسه حيث الكلام وخيم
 وهذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية. والمُلك سوقٌ يُجلب إليها
 ما يُنفق عندها .

وفاته

قد تقدم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وقيل سنة
 اثنين، واستقراره بمراكش مرؤوساً لأخيه سير، إلى أن أفضى إليه الأمرُ بعد أبيه
 قال، واستقبل تاشفين مدافعة جيش [أمير]^(٤) الموحدين، أبي محمد عبد المؤمن بن

(١) من أشهر القبائل البربرية، وموطنها شرق المغرب الأوسط في جنوبي منطقتي تلمسان
 ووهران .

(٢) أي المزرکشة .

(٣) وردت في المخطوطين : ويردها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

على خليفة مهديهم ، ومقاومة أمر قضي الله ظهوره ، والدفاع عن مُلكِ بلغ مداه ، وتمت أيامه . كتب^(١) الله عليه ، فالتأت سَعْدُهُ ، وفلَّ جَدَّهُ ، ولم تُقم له قائمةٌ إلى أن هُزم ، وتبدد عسكره ، ولجأ إلى وَهْران ، فأحاط به الجيش ، وأخذ الحصار ؛ قالوا فكان من تدبيره أن يلحق ببعض السواحل ، وقد تقدم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله ، ليرفعه إلى الأندلس ؛ فخرج ليلا في نفر من خاصته فرّقهم الليل ، وأضلهم الروع ، وبددتهم الأوعار ، فمنهم من قتل ، ومنهم من لحق بالقطائع البحرية ؛ وتردّى بتاشفين فرسه من بعض الحافات ، ووجد ميتاً في الغد ، وذلك ليلة سبع^(٢) وعشرين لرمضان سنة تسع وثلاثين وخمسةائة ؛ وصلبه الموحّدون ، واستولوا على الأمر من بعده ، والبقاء لله تعالى^(٣) .

ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي^(٤)

يكنى أبا الفتوح .

حاله

قال ابن بسّام ؛ كان الغالب على أدواته علمُ اللسان ، وحفظ الغريب ، والشعر الجاهلي والإسلامي ، إلى المشاركة في أنواع التعاليم ، والتصرف في حمل السلاح ، والحنق بأنواع الجنديّة ؛ والنفاذ في أنواع الفروسية ، فكان السكاهلُ في خلال جمة . قال أبو مروان ، ولم يدخل الأندلس أكل من أبي الفتوح في علمه وأدبه قال ابن زيدون

(١) هكذا وردت في الملكية . وفي « ج » كتاب .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي « ت » : تسع . والتاريخ الأول هو الصحيح .

(٣) روجعت هذه الترجمة بأكملها على مخطوط « رواق المغاربة » بالأزهر .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الأستريادي) ، وهو تحريف . وصوابه الإستراباذي

نسبة إلى إستراباذ . وهي بلد قديمة فارسية من أعمال طبرستان ، وإليها ينتسب كثير من العلماء .

لقيشه بغرناطة ، فأخذت عنه أخبار المشاركة ، وحكايات كثيرة ؛ وكان غزير الأدب ، قوى الحفظ في اللغة ، نازعاً إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة ، له بذلك قوة ظاهرة .

طروؤه على الأنداس

قال صاحب الذخيرة ؛ طراً على الحاجب منذ صدور الفتنة للذائع من كرمه فأكرمه ورفع شأنه ، وأصبحه ابنه ، المرشح لمكانه ، فلم يزل له بهما المكان المكين ، إلى أن تغير عليه يحيى لتغير الزمان ، وتقلب الليالي والأيام بالإنسان^(١) ؛ ولحق بغرناطة بعسكر البرابرة ، فحلت به من أميرهم باديس الفاقرة^(٢) .

من روى عنه

قال أبو الوليد ؛ قرأت عليه بالحضرة^(٣) الحماسة في اختيار أشعار العرب ، يحملها عن أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصرى ، ولقيه ببغداد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، عن أبي ريش أحمد بن أبي هشام بن شبيل العبسى بالبصرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وله^(٤) في الفضائل أخبار كثيرة .

محتته ووفاته

لحقه عند باديس مع عمه يدير بن حُباسه تهمة في التدبير عليه ، والتسوُّد على ساطانه ، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة ، واللحاق بإشبيلية . قال أبو يحيى الوراق ؛ واشتد شوق أبي الفتوح إلى أهله عند هربه مع يدير إلى إشبيلية لما بلغه أن باديس

(١) هكذا وردت في « ج » . وفي « ك » : بالأسن .

(٢) الفاقرة أى الداهية .

(٣) وردت معرفة في المخطوطين : (محضرق . بحضرة) . والحضرة هنا أعنى غرناطة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

قبض على زوجته وبنيه وجسهم بالمنكب عند العبد قدّاح صاحب عذابه . وكان لها من نفسه موقعٌ عظيم^(١) ، وكانت أندلسية جميلة جداً لها طفلان ذكرٌ وأنثى ، لم يُطَقِ عنهما صبراً وعمل على الرجوع إلى باديس طمعاً في أن يصفح عنه ، كما عمل مع عمّه أبي ريش ؛ فاستأمن إلى باديس يوم نزوله على باب إستجة إثر انهزام عسكر ابن عباد ، وفارق صاحبه يدّير ، ورمى هو^(٢) بنفسه إلى باديس من غير توثق بأمان أو مراسلة ؛ فلما أُدخل^(٣) عليه وسلم ، قال له ابتدى ، بأى وجه جئتني يا نمام^(٤) ، ما أجراك على خَلْقِكَ ، وأشدّ اغترارك^(٥) بسحرك ، فرقت بين بنى ما كسّن ، ثم جئت تخدعنى كأنك لم تصنع شيئاً ؛ فلاطفه ، وقال اتق الله يا سيدي ، وارع ذمّامى ، وارحم غُربقى وسوء مقامى ، ولا تُلزمنى ذنب ابن عمك ؛ فما لى سبب فيه ، وما حملنى على الفرار معه إلا الخوف على نفسى لسابق خلطته ؛ ولقد لفظتني البلاد إليك مُقرّاباً لم أجنه رغبة في صفحك ، فافعل أفعال الملوك الذين يجيلون عن الحقد على مثلى من الصعاليك ؛ قال بل أفعل ما استحقته إن شاء الله ؛ أن تنطلق إلى غرناطة ، فدُم [على] ^(٦) حالك ، والى أهلك إلى [أن] ^(٧) أقبل ، فأصاح من شأنك . فاطمأن إلى قوله ، وخرج إلى غرناطة وقد وُكِّل به فارسان ، وقد كتب إلى قدّاح بجبسه ؛ فلما شارف إلى غرناطة قبض عليه ، وحلّق رأسه ، وأركب على بعير ، وجعل خلفه أسودٌ فظٌّ ضخم يوالى صفّعه ، فأدخل البلد مُشهرّاً ، ثم أودع حبساً ضيقاً ، ومعه رجل من أصحاب يدّير أسر في الواقعة من صنهاجة ، فأقاما في الحبس معاً إلى أن قفل باديس .

(١) وردت في المخطوطين : عظيمة . والتصويب من « الملكية » .

(٢) أثبتها « ج » . وأغفلها « ك » .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ج » . دخل .

(٤) وردت في المخطوطين : (إتمام) . وقد رجحنا هذا التصويب الذى يستقيم به السياق .

(٥) وردت في المخطوطين : اعتراك . وهو تحريف .

(٦) ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٧) زيادة يستلزمها السياق .

مقتله

قال أبو مروان في الكتاب المسمى بالمتين^(١) ، واستراح [باديس] أياماً^(٢) في غرناطة يهيم^(٣) بذكر الجرجاني ، ويعضُّ أنامله ، فيعارضه فيه أخوه بلكين ، ويكذب الظنون وسعى في تخليصه . فارتبك باديس في أمره أياماً ، ثم غافض^(٤) أخاه بلكين فقتله وقتاً أمن فيه [أمر]^(٥) معارضته ، لاشتغاله بشراب وآله^(٦) ، وكانت من عادته ؛ فأحضر باديس الجرجاني إلى مجلسه ، وأقبل يشتمه ويسبه ويبيكته ، ويطلق الشتاتة ويقول ، لم تُغن عنك نجومك يا كذاب ، ألم يعد أميرك الجاهل ، يعني يديّر ، أنه سوف يظفر بي ويملكُ بلدي ثلاثين سنة ، لِمَ لم تذقق^(٧) النظر لنفسك وتحذر ورطتك ؛ قد أباح الله لي دمك . فأيقن^(٨) أبو الفتوح بالموت ؛ وأطرق ينظر إلى الأرض ، لا يكلمه ولا ينظر إليه ؛ فزاد ذلك في غيظ باديس ، فوثب من مجلسه والسيفُ في يده ، فخبط به الجرجاني حتى جده له وأمر بجزء رأسه ؛ قال ، وقدم الصنهاجي الذي كان محبوباً معه إلى السيف ، فاشتد جزعُه ، وجعل يعتذر من خطيئته ، ويلحُّ في ضراعته^(٩) ؛ فقال له باديس أما تستحي يا ابن الفاعلة ؛ يصبر المعلم الضعيفُ القلب على الموت مثل هذا الصبر ؛ ويملكُ نفسه عن كلامه لي واستعطاني ،

-
- (١) وردت محرفة في المخطوطين : بالتين . والمتين كالمقتبس ، من أشهر مؤلفات أبي مروان ابن حيان التاريخية وأضحهما ، ولكن لم يصل إلينا شيء منه .
(٢) ساقطة في المخطوطين : وواردة في « ت » .
(٣) هكذا في « ك » وفي « ج » : يهيم .
(٤) هكذا في « ج » والملكية . وفي « ك » وعاقص . وغافض أخاه أعني فاجأه وأخذه على غرة .
(٥) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .
(٦) في « ك » : والآلة . وفي « ج » : والآله .
(٧) وردت في « ج » محرفة ، تدقن ، وفي « ك » والملكية : تتقن والأولى أرجح .
(٨) وردت محرفة في المخطوطين : (فايق) .
(٩) وردت في المخطوطين : غراصته .

وأنت تجمزع مثل هنا الجزع : وطال ما أعددت نفسك في أشداء الرجال ، لا أقال
الله مقيلك : فضرب عنقه ، وانقضى المجلس .

ومن تمام الحكاية مما جلبه ابن حيان . قال ، وكلم الصنهاجيون باديس
في جثة صنهاجيم^(١) المقتول مع أبي الفتوح ، فأمرني بإسلامها إليهم ، فخرجوا
بها من فورهم إلى المقبرة على نعش ، فأصابوا قبراً قد احتفر لميت من أهل البلد ،
فصبوا صاحبهم الصنهاجي فيه ، وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة . فعجب
الناس من تسحيهم^(٢) في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم .

مولده

سنة خمسين وثلاثمائة .

وفاته

كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بتمينا من محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائه ؛
قال برهون من خدام باديس : أمرني بمراواة أبي الفتوح إلى جانب [قبر]^(٣)
أحمد بن عباس وزير زهير العامري ، فقبرأهما في تلك البقعة متجاوران^(٤) ،
وقال اجعل قبر عدو إلى جانب عدو إلى يوم القصاص ، فيالهما قبران أجمأ^(٥)
أدبا لا كفاء له ، والبقاء لله سبحانه .

(١) كذا في « ج » . وفي « ك » : صهاجر .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » والملكية : تسحيهم .

(٣) واردة في « ج » . وساقطة في « ك » .

(٤) في المخطوطين : مجاوراً .

(٥) في « ج » : أحما . وفي « ك » : أحبا .

جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي

من أهل غرناطة ؛ ويعسوب الناغية والراغية^(١) من أهل رَبَضَ البيّازين^(٢) يكنى أبا أحمد الشهير ذكره بشرق الأندلس ، المعروف بكرامة الناس ، المقصود الحفزة ، المحترم التربة حتى من العدو ، والرائق بغير هذه الملة . خرج قومه من وطنهم عند تغلب العدو على الشرق ، فنزلوا ربض البيّازين جوفى المدينة ، وارتاشوا ، وتلثوا^(٣) ، وبنوا المسجد العتيق ، وأقاموا رسم الإرادة ، يرون أنهم تمسكوا من طريق الشيخ أبي أحمد بآثاره ، فلا يغبون بيته ، ولا يقطعون اجتماعاً ؛ على حالم المعروفة من تلاوة حسنة ، وإيثار ركعات ، ثم ذكر ثم ترجيع أبيات في طريق التصوف ، مما ينسب للحسين بن منصور الجلاج^(٤) وأمثاله ، يعرفونها منهم مشيخة ، قوالون هم [لخول]^(٥) الأجمة وضرائك^(٦) تلك القطيعة ، يهيجون بلابلهم ، فلا ينشبون أن يحمي وطيسهم ، ويخلط مريهم بالهمل^(٧) ، فيرقصون رقصا غير مساق للإيقاع الموزون ، دون العجال^(٨) الغالبة منهم ، بإفراد كلمات من بعض القول ، ويكره بعضهم على بعض ، وقد خلعوا خشن ثيابهم ؛ ومرقوعات قباطيهم ودرايكهم^(٩) ، فيدوم حالم حتى يتصببوا عرقاً ، وقوالهم يحرقون

(١) يعسوب أى رئيس . والثغاء هو صريخ الشاة ، والرغاء هو صوت البعير . والمقصود أهل الشغب .

(٢) هو أحد أحياء غرناطة . وسبق التعريف به (أنظر الحاشية فى ص ٣٨٧) .

(٣) هكذا فى المخطوطين : وقد يعنى ذلك أنهم كانوا يضمون اللثام على وجوههم وأنهم اتخذوا

طريقة الملتين أى المرابطين الدينية .

(٤) سبق التعريف به (أنظر الحاشية فى ص ٢١٩) .

(٥) وردت فى المخطوطين والملكية : فحل . والتصويب لازم للسياق .

(٦) وردت فى المخطوطين صراديك . ونرجح أنها « ضرائك » ومعناها النسور .

(٧) مريهم أعنى أكابره . والهمل ، الأصاغر والرعا .

(٨) هكذا فى « ك » والملكية . وفى « ج » : الجمال .

(٩) قباطيهم ودرايكهم . من الواضح أنها أصناف الثياب التى يرتديها أهل هذه الطريقة .

فتورهم ، ويزمرون روحهم ، يخرجون بهم من قول إلى آخر ، ويصاون الشئ^{*} بمثله ، فرما أخذت نوبة رقصهم بطرفي الليل التمام ، ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم ، ويحاجونهم^(١) إلى منازلهم ؛ وربما استدعاهم السلطان إلى قصره محمضاً في لطايف نعيمه باخشيشانهم ، مبدياً التبرك بألويتهم^(٢) ؛ ولهم في الشيخ أبي أحمد والد تحلتهم ، وشحنة قلوبهم ، عصبية له وتقليد يائثاره ، أنفجت^(٣) لعقده أيمانهم ، وشرط في صحة دينهم ، وارتكبوا في النفور عن سماع المزمار القصبى المسحى بالشبابة الذى أرخص في حضور الولاثم ، مع نفتح برعه العدد^(٤) الكثير من الجلة الصلحاء القدوة مرتكباً ، حتى الحقوه بالكبائر الموبقة ، وتعدوا اجتنابه جبلة وكراهة طباعية ، فتزوى عند ذكره الوجوه ، وتقتحم عند الاتهام به الدور ، وتسقط فيما بينهم بقلنة سماعه أخوة الطريق ؛ وهم أهل سداجة وسلامة ، أولواقتصاد في ملبس وطعمة ووقيتات بأدنى بلغة ، ولهم في التعصب نزعة خارجية^(٥) ، وأعظمهم ما بين مكسب^(٦) متسبب ؛ وبين معالج مدرة ، ومريع حياكة ، وبين أظهرهم من الذعرة^(٧) والصعاليك كثير ، والطرق إلى الله عدد أنفاس أخلايق جعلنا الله ممن قبل معيه . وارتضى ما عنده ، ويسره ليسرى .

حاله

قام هذا الرجل مقام الشيخ أبي تمام قريبه على هيئة مهاكك ، فسد مسده ، على

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : (ويحاجون بهم) .

(٢) وردت محرقة في المخطوطين : (بالوهمهم . بالوليمهم) . وهي ساقطة في الملكية .

(٣) أعنى أثارت وأخرجت .

(٤) كذلك في «ك» . وفي «ج» : العود .

(٥) نسبة إلى مذهب الخوارج .

(٦) وردت محرقة في المخطوطين : مكسب .

(٧) هكذا في «ك» . وفي «ح» : الزرعة .

حال فتور وعرارة^(١) حتى لان متن الخطبة ، وخف عليه بالمران نُقلُ الوظيفة ، فأمّ
 وخطب ، وقاد الجماعة من أهل الإراة . وقضى في الأمور الشرعية بالرّبص ، تحت
 ضين^(٢) قاضي الجماعة وهو الآن بعده على حاله ، حسن السجّية ، دمث الأخلاق ،
 لين العريكة ، سهل الجانب ، مقترن الصدق والعفة ، ظاهر الجدة . محمود الطريقة ،
 تطأه أقدام الكلف ، وتطرح به المطارحُ القاصية ، حوّاً على الشفاعات ؛ مستور
 الكفاية في لفق الضعف ، متوالى شعله الإدراك في حجر الغفلة ؛ وجهٌ من وجوه
 الحضرة في الجمهورية ، مرعى الجانب ، مخفّف الوظائف : مقصوداً من مُنتامى^(٣)
 أهل طريقه بالهدايا ؛ مُستدعى إلى من بالجهاث منهم في كثير من الفصول ، ظاهر
 الجدوى في نفيّر الجهاد ، رحمه الله ، ونفع بأهل الخير .

مولده

عام تسعة وسبعمائة .

وفاته

[يوم الإثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسة وستين وسبعمائة]^(٤) .

جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي

من أهل شرق الأندلس من نظر^(٥) دانية ، يكنى أبا أحمد الولي الشهير .

(١) وردت في المخطوطين والملكية : وعرارة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) تحت ضينه أي في كنفه وتحت رعايته .

(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» : متنافي . والمقصود هنا أنصار أهل الطريقة

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في «ك» والملكية . وفي «ج» أثبتت «الوفاة» قبل «المولد»

(٥) هكذا في «ج» . وفي «ك» : سفر . ومعناها من أعمال دانية وقد سبق التعريف .

بدانية (أنظر الحاشية في ص ٢٦٣) .

حاله

كان أحد الأعلام المنقِطِعي القرين في [طريق] ^(١) كتاب الله ؛ وأولى الهداية الحقّة ، فد ؛ شهير ، شائع الخلة ، كثير الأتباع ، بعيد الصيت ، توجبُ حقّه حتى الأمم ^(٢) الداينة بغير دين الإسلام ، عند التغلب على قرية ^(٣) مدفنه بما يُتّقى منه بالمعجب . قال الأستاذ أبو جعفر بن الزُّبير عند ذكره في الصلّة : أحد أعلام المشاهير ^(٤) فضلاً وصلاحاً ؛ قرأ ببالنسبية ، وكان يحفظ نصف « المدوّنة » ^(٥) وأقرأها ، ويؤثر الحديث والتفسير والفقّه ، على غير ذلك من العلوم .

[مشيخته] ^(٦)

أخذ القراءات السبع عن المقرئ أبي الحسن بن هُذَيْل ؛ وأبي الحسن بن التّعمّة ؛ ورحل إلى المشرق ، فلقى في رحلته جِلَّةً ، أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد وأنواع سنى الأحوال ، ورفيع المقامات ، الشيخ الجليل ، الولي لله ^(٧) تعالى ، العارف ^(٨) ، أبو مدين شعيب بن الحسين المقيم ببجاية ؛ صحبه وانتفع به ، ورجع من عنده بعجائب دينية ، ورفيع أحوال إيمانية ؛ وغلبت عليه العبادة ، فشهر بها حتى رحل إليه الناس للتبرك بدعائه ، والتّيمّن برؤيته ولقائه ، فظهرت بركته على القليل والكثير منهم ^(٩) ،

(١) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » والملكية .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » الإمام .

(٣) وردت في المخطوطين : قراءة . والمرجع التصويب . وبه يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » الشهيرة .

(٥) يرجع في التعريف بهذا المصنف إلى الملحق الخاص بالكتب .

(٦) ساقطة في المخطوطين وواردة في الملكية .

(٧) في المخطوطين : الوالى . وقد سبق التعريف بأبي مدين ولى المغرب الشهير (الحاشية ص ٣٤٤) .

(٨) وردت فقط في « ك » .

(٩) وردت هذه الكلمة في المخطوطين بعد كلمة بركته . وقد أحرناها ليستقيم السياق .

وإرتورا زلّالا من ذلك العذب النّمبر ، وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور ،
وعلمه نورٌ على نور . لقيت قريبه الشيخ أبا تمام^(١) غالب بن حسين بن سيدبونة
حين ورد غرناطة ، فكان يحدث عنه بعجائب .

دخوله غرناطة

وذكر المعتنون بأخباره بالحضرة إلى طريقه ، أنه دخل الحضرة وصلى في رابطة
الرُّبُط من باب . . (٢) وأقام بها أياماً ، فلذلك المسجد المزية عندهم إلى اليوم .
وانتقل الكثير من أهله وأذياه عند تغلب العدو على الشرق على بلدهم ، إلى هذه
الحضرة ، فسكنوا منها رِبَضَ البيازين ، على دين واثقباض وصالح ، فيحجون
بكنوز من أسراهم ومبشراتة مضمون^(٣) بها على الناس . وبالحضرة اليوم منهم
بقية تقدّم الإلماع بذكرهم .

وفاته

توفي رحمه الله بالموضع المعروف بزناة في شوال سنة أربع وعشرين ومائة ،
وقد نيف على الثمانين .

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص

القرشي الفهري

لشأ بقرناطة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بابن الناظر .

(١) وردت في المخطوطين : « أبو تمام » . والخطا في رسم الأسماء الخمسة شائع في المخطوطين .
ويعتقد أنه سهو من الناسخ .
(٢) بياض في المخطوطات الأربعة .
(٣) في المخطوطين وفي الملكية : مفلون .

حاله

كان متفهمًا في جملة معارف ، أخذ من كل علم سني بحظ وافر ، [حافظاً]^(١) للحديث والتفسير ، ذا كراً للأدب واللغة والتواريخ ، شديد العناية بالعلم ، مُسكباً على استفادته وإفادته ، حسن اللقاء لطلبة العلم ، حريصاً على نفعهم ، جميل المشاركة لهم . وقال الأستاذ : كان من بقايا أهل الضبط والإتقان لما رواه ، وآخر مقرئ القرآن ، ممن يعتبر^(٢) في الأسانيد ومعرفة الطرق والروايات ، متقدماً في ذلك على أهل وقته ، وهو أوفر من كان بالأندلس في ذلك ، [أقرأ]^(٣) القرآن والعربية بفرناطة مدة ، ثم انتقل إلى مالقة فأقرأ بها يسيراً ، ثم انقبض عن الإقراء ، وبقى خطيباً بقصبة مالقة نحواً من خمسة وعشرين سنة ، ثم كرم منتقلاً إلى غرناطة ، فولى قضاء المريّة ، ثم قضاء بسطة ، ثم قضاء مالقة .

«وصته» ، قال الأستاذ: إلا أنه كان فيه خُلُقٌ^(٤) أخلت به ، وحملته على إعداء ما ليس من شأنه ؛ عفا الله عنه ، فكان ذلك مما يزهد فيه .

مشيخته

روى عن الأستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن حسين الكوَّاب ، أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك ، وعن أبي علي وأبي الحسن بن سهل بن مالك الأزدي ، وأبي عبد الله محمد بن يحيى المعروف بالحلبى ، وجماعة غير هؤلاء ، ورحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبي علي أكثر كتاب سيبويه تفقهاً ، وغير ذلك .

(١) وردت في «ك» والملكية .

(٢) وردت في المخطوطين : يعبد . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٣) ساقطة في المخطوطين والملكية . ويستلزمها السياق

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» غلة . ومؤدى واحد .

وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، وقدم عليها إذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بَقيّ، فلقبه بها وأخذ عنه؛ ورحل إلى بلنسية، فأخذ بها عن الحاج [أبي الحسن] (١) ابن خيرة، وأبي الربيع بن سالم، وسمع عليه جملةً صالحة، كأبي عامر بن يزيد بن أبي العطاء بن يزيد وغيرهم، وبجزيرة شُقر عن أبي بكر بن وضّاح، وبمُرسية عن جماعة من أهلها، وبأوربولة عن أبي الحسن بن بَقيّ، وبمالقة عن آخرين، وتحصل له جماعة نيفوا على الستين.

«تصانيفه»؛ منها المسلسلات، والأربعون حديثاً، والترشيد في صناعة التجويد، وبرنامج رواياته وهو نبيل.

«شعره»؛ كان يقرض شعراً لا يُرضى لمثله، ممن برز تبرزه في المعارف.

مولده

يوم الخميس لإثني [عشر] (٢) ليلة بقيت من شوال سنة خمسين وستائة.

«وفاته»؛ توفي بغرناطة لأربع عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة

[تسع وتسعين] (٣) وستائة.

الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي

من أهل مالقة، يكنى أبا علي.

أوليته

قال القاضي المؤرخ أبو عبد الله بن أبي عسكر فيه؛ من حُسبَاء مالقة وأعيانها

(١) ساقطة في «ك». (٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة. ويقضى إثباتها السياق.

(٣) وردت في المخطوطتين: ثمانين. والتصويب من كتاب قضاة الأندلس (ص ١٢٧)

وهو أرجح.

وقضاها ، وهو جدهُ بنى الحسن الملقين : وبينه بيت قضاء وعلم وجمالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر ؛ استتضى جده المنصور بن أبي عامر ، وكانت له ولأصحابه حكاية^(١) مع المنصور .

قال القاضي ابن بياض ، أخبرني أبي ، قال : اجتمعنا يوماً في منزله لنا بمجة النَّاعورة بقرطبة مع المنصور بن أبي عامر في حدائة سنه ، وأوان طلبه ، وهو مُرتج مؤمّل ، ومعنا ابن عمه عمرو بن عبد الله بن عسكلاجة^(٢) ، والكاتب ابن المرعزي ، والفقيه أبو الحسن الملقى ؛ وكانت سفرة فيها طعام ، فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذى كان يتكلم به ، لا بد أن نملك الأندلس ، ونحن نضحك منه ومن قوله . ثم قال : يتمنى كل واحد منكم على ما شاء أوليه ؛ فقال عمرو : أتمنى أن توليني المدينة ، نضرب ظهور الجنات ؛ وقال ابن المرعزي وأنا أشتهى الأسفج^(٣) ، القضاء فى أحكام السوق ؛ وقال أبو الحسن : وأنا أحب هذه ، أن [توليني] ^(٤) قضاء مالقة بلدى . قال موسى بن غدرون ، قال لى تمن أنت ، فشققته لحيته بيدي ، واضطربت به وقلت قولاً قبيحاً من قول السفهاء . فلما ملك ابن أبي عامر الأندلس ، ولّى ابن عمه المدينة ، وولى ابن المرعزي أحكام السوق ، وولى أبا الحسن الملقى قضاء ربه^(٥) ؛ وبلغ كل واحد ماتمى ، وأخذمى مالا عظيماً أقرقنى لقبج قولى : فبيت بنى الحسن شهير ، وسيأتى من أعلامه ما فيه كفاية .

حاله

قال ابن الزبير ؛ كان طالباً نبيلاً من أهل الدين والفضل والنهى والنباهة .

(١) فى المخطوطين جاءت كلمة (ولأصحابه) ، بمد كلمة (حكاية) . ووضمها فى مكانها أنسب .

(٢) وردت فى المخطوطين (عمر بن عبد الله بن عسقلان) وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى «ك» : الأسفنج . والأسفج ، أعنى الأقل جدوى .

(٤) وارده فى «ج» . وساقطة فى «ك» . (٥) هو الاسم القديم لولاية مالقة .

[« نباهته » ؛ قال ابن الزبير في كتاب نُزهة البصائر والأبصار ، استُنْقِضِي
بغرناطة]^(١) .

وفاته

توفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ؛ ذكره ابن بشكوال في الصلّة ، وعرف
بولايته قضاء غرناطة ؛ وذكره ابن عسكر ، وتوّم فيه الملاحى ، فقال ، هو من
أهل البيرة .

حسن بن محمد بن حسن القديسى

من أهل مالقة ، يكنى أبا على ، ويعرف بالقلنار .

حاله

كان رحمه الله بقية شيوخ الأطباء ببلده ، حافظاً للمسائل الطبية ، ذا كراً للدواء ،
فسيح التجربة ؛ طويل المزاوله ، متصرفاً في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين^(٢)
صدلة وإخراة^(٣) ، محارباً ، مقدوراً عليه في أخرياته^(٤) ، ساذجاً ، مخشوشناً ،
كثير الصحة والسلامة ، محفوظ العقيدة ، قليل المصانعة ، برياً من التشمّت ؛
يعالج معيشته بيده في صباية فلاحه . أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشى^(٥) .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فقط في « ج » .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الدين .

(٣) هكذا في المخطوطين . وقد تعنى (صيدلة واختراعاً) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : آخر أيامه .

(٥) نسبة إلى أركش Arcos وهي بلدة أندلسية صغيرة من أعمال شريش تقع على نهر وادى لكه .

ومعرفة أعيان النبات عن المصحفي وسرح معه ، وارتاد منابت^(١) العُشب في صحبته ، فكان آخر السحارين^(٢) بالأندلس ؛ وحاول عمل الترياق الفارق بالديار السلطانية عام اثنين وخمسين وسبعمئة مبرزاً في اختيار^(٣) أجزائه، وإحكام تركيبه؛ وإقدام على اختبار مرهوب حياته ؛ قتلاً وصنْجاً وتقريصاً ، بما يجب من إدلاله فيه ، وفراسته عليه .

حسن بن محمد بن باصة^(٤)

يكنى أبا علي ، ويعرف بالصعلعل ، رئيس المؤقتين بالمسجد الأعظم من غرناطة؛ أصله من شرق الأندلس .

حاله

كان قديماً إماماً في علم الحساب والهيئة ؛ أخذ عنه الجليل والنبيه قائماً على الأطلال والرُخائم والآلات الشعاعية^(٥) ، ماهرآ في التعديل ، مع التزام السنة ، والوقوف عندما حدث العلماء في ذلك ، مداوم النظر ، ذا مُسْتَنْبِطَات ومُسْتَدْرَكَات وتوالييف ، نسيج وحده ورحة وقته .

وفاته

توفي بغرناطة عام ستة عشر وسبعمئة .

(١) في المخطوطين : مناتب . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : السحارير .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : اختبار .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » ماصه .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الشعاعية .

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري

من أهل . . . (١) يكنى أبا علي ويعرف بابن كسرى .

حاله

كان متقدماً في حفظ الأدب واللغة ؛ مبرزاً في علم النحو ، شاعراً مجيداً ،
ممتع الموانسة ، كثير المواساة ، حسن الخلق ، كريم النفس . مُتَرَا (٢) في نظم
الشعر [في غير فن] (٣) ؛ مدح الملوك والرؤساء ، مؤثراً للخمول على الظهور ،
وفي تخامله يقول شعراً ثبت في موضعه .

مشيخته

روى عن أبي بكر بن عبد الله بن ميمون الكندي ، وأبي عبد الله الكندي ،
وأبي الحكم بن هرودس (٤) ، وأبي عبد الله بن غالب الرضافي .
« من روى عنه » ؛ روى عنه أبو الطاهر أحمد بن علي الهواري السبتي ،
وأبو عبد الله إبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم .

نباهته وإدراكه

من كتاب نزهة البصائر والأبصار ؛ قال القاضي أبو عبد الله بن عسكرك ، نقلت
من خط صاحبنا الفقيه القاضي رحمه الله ما معناه :

(١) مكانها بياض في المخطوطين .

(٢) أعني خصباً أكثرأ .

(٣) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » : (في فن غير) .

(٤) وردت في المخطوطين : ابن هرودس . والتصويب من صلة ابن الزبير (رقم ١٨٤) .

قال ؛ حدثني الفقيه الأديب أبو علي ، قال كنت بإشبيلية . وقد قصدتها لبعض الملوك ؛ فبينما أنا أسير في بعض طرقها ، لقيتُ الشيخَ أبا العباس ، فسلمتُ عليه ، ووقفت معه ، وكنت قد ذُكر لي أن بهار جلا من الصالحين ، زاهداً ، فاضلاً ينتقد من الشعر في الزهد والرقائق ، ببدائع تعجب | وكان بالمغرب قد قصد الهربى والنادر^(١) ؛ فسألني أبو العباس عن مصيرى ، فأعلمته بقصدي ، فرغب أن يصحبني إليه ، حتى أتيناها ، فرأينا رجلاً عاقلاً ، قاعداً في موضع قذر ، فسلمنا عليه ، فرد علينا ؛ وسألناه عن قعوده في ذلك الموضع ، فقال أتذكر الدنيا وسيرتها ، فزِدنا به غبطة ؛ ثم استنشدنا في ذلك الغرض من كلامه ، ففكر ساعة ثم^(٢) أنشدنا كلاماً قبيحاً ، تضمن من القبيح ومن الإقذاع والفواحش ما لا يحلُّ سماعه ؛ فقمنا نلغنه ، وخجلت من أبي العباس ، واعتذرت له . ثم اتفق أن اجتمعنا في مجلس الأمير الذي كنت قد قصدته ؛ فقال أبو العباس ، إن أبا علي قد حفظ لبعض الحاضرين شعراً في الزهد ، من أعذب الكلام وأحسنه ؛ فسألني الأمير وطلب مني إنشاده ، فنجلت ثم تاب إلى عقلي ، فنظمت بيتين فأنشدتهما إياه وهما :

أشهد ألا إله إلا الله محمد المصطفى رسول الله
لا حول للخلق في أمورهم إنما الحولُ كهُ اللهُ
قال ، فأعجب الأمير ذلك واستحسنه .

ومن مقاماته بين يدي الملوك وبعض حاله ؛ نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الحسن بن أبي الحسن ، قال ، المروى منسوب إلى قرية بقرب مالقة ، وهو الذي قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضي الله عنه :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . و فقط أدخلنا الباء على كلمة « المغرب » فصارت تؤدي معنى بستقيم مع السياق . وهو أن هذا الزاهد كان أثناء مقامه بالمغرب ينظم القصائد المعضلة النادرة (٢) وردت في المخطوطين كلمة (قال) بعد (ثم) فلم نر موضعاً لإثباتها .

إذا سمعت مَنْ أُسْرَى ومن إلى المسجد أُسْرَى

فَقُلْ وَلَا تَتَوَقَّفْ أبا علي^(١) بن كِسْرَى

قال وهو قريب الأستاذ الأديب أبي علي^(٢) الإِسْتِجِي^(٣) ومعلمه ، وأحد طلبته
الأستاذ أبي القاسم الشَّهيلي ، ومن نبع^(٤) صغيراً ، وارتحل إلى غرناطة ومُرْسِيَة ،
وهو الذي أنشد في طفولته السيد أبا إسحاق بإشيلية :

قسماً بِجَمِيصٍ^(٥) وإنه لعظيم وهي المقامُ وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة أبو القاسم الشَّهيلي ، فقام عند إتمامه القصيد ، وقال لمثل هذا
أَحْسِيكَ الحِسا ، وأواصل في تعليمك الإصباح والإمسا ، وكان يوماً مشهوداً^(٦) .

وأنشد الأمير أبا يعقوب حين حلها :

أمتشراًهل الأرض في الطول والعرض بهذا استنادي^(٧) في القيامة والعرض
لقد قال فيك الله ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فيك بلا نقضٍ
وإياك يُعنى ذو الجلال بقوله كذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ في الأرض

وذكره ابن الزُّبَيْر ، وابن عبد الملك ، وابن عسكر ، وغيرهم .

(١) كذا في « ج » . وفي « ك » : أبو علي .

(٢) في المخطوطين : أبو علي . وهو تحريف كثيراً ما يقع أمثاله في المخطوطين .

(٣) نسبة إلى مدينة إستجة Ecija من قواعد الأندلس القديمة ، وتقع جنوبي غربي قرطبة على

على مقربة منها .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » تبع . وقد تكون : نبع . والمعنى قائم بدون تصويب .

(٥) كان اسم حصص يطلق على مدينة إشبيلية لما كان بينها وبين حصص الشام من وجوه الشبه في

الموقع والمناخ . قال أبو البقاء الرندي في مرثيته الشهيرة مشيراً إلى إشبيلية :

وأين حصص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملائن

(٦) وردت في المخطوطين : مشهوراً . والتصويب أنسب .

(٧) وردت في « ك » : أستاذي . وفي « ج » : السادي . والتصويب من « ت » .

ومن شعره في معنى الانقطاع والتسليم إلى الله تعالى ، وهي لزومية ، ولنختتم
بها ، ختم الله لنا بالحسنى :

إلهي أنت [الله] ^(١) رُكْنِي وملجئِي ومالي إلى خَلْقِ سواكَ رُكُونِ
رأيتُ بَنِي الأَيامِ عَقْبِي سكونهم حِرَاكُ وفي عُنُقِي الحِرَاكِ سكونِ
رَضِي بالذي قَدَّرْتَ تسليمَ عَالِمِ بأن الذي لا يدُّ منه يكونِ

وفاته

توفي بمدينة مائة في حدود ثلاث وسمائة .

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي

يكنى أبا علي ، مُرَبِّي [الأصل] ^(٢) سَبِيَّ الاستيطان ، مُنْتَمٍ إلى صاحب
الثورة على المعتد .

حاله

كان نسيج وحده ، وفريد دهره ، إقنأنا ومعرفة ، ومشاركة في كثير من
الفنون اللسانية والتعاليمية ، متبحراً في التاريخ ، رباناً من الأدب ، شاعراً مُفْلِقاً ،
عجيب الإستنباط . قادراً على الإختراع والأوضاع ، جهم الحيا ، موحش الشكل ،
يضم بُرداه طويلاً لا كفاء له ، تحرّف بالعدالة ، وبرّز بمدينة سَبْتَةَ ، وكتب
عن أميرها ، وجرت بينه وبين الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل من الملاحظات

(١) ساقطة في المخطوطين .

(٢) وردت في «ك» . وأغفلت في «ج» . والملكية

والمهارات أشد ما يجرى بين متناقضين ، آلت به إلى الحكاية الشهيرة ، وذلك أنه نظم قصيدة نصها :

لكلاب سببته في النباح مداركُ
 شيخ تغاني في البطالة عمره
 كلبٌ له في كل عرض عضة
 منهم بنوى الخنا متزعمٌ^(٢)
 أحلى شمائله السبابُ المغترى
 وألذ شيء عنده في محفل
 يثشى^(٣) مخاطرَه اللثيمُ تفكُّها
 لو أن شخصاً يستحيلُ كلامه
 فكأنه التمساح يذف جوفه
 أنفاسه وفساؤه من عنصر
 [ما ضرفا من معد الله
 في شعره من جاهلية طبعه
 صدر وقافية [تمارضنا معاً]^(٧)
 قد عمَّ أهل الأرض بِلَعنه
 ولأعجبُ المعجبين أن كلامه

وأشدها | دَرَ كَأ لَذِكْ]^(١) مالِكُ
 وأحال فكَّيه الكلامُ الآفكُ
 وبكل مُحَصَّنَةٍ لسانُ آفكُ
 متهازلٌ بذوى التقي متضاحكُ
 وأعفُ سيرته الهجاء الماعكُ
 لمزٌ لأستار المحافل هاتكُ
 ويعاف^(٤) رؤيته الحليمُ النَّاسكُ
 خِرْعاً لَلآكِ الخِرْعُ منه لأمك^(٥)
 من فيه ما فيه ولا يتاسكُ
 وسعْله وضراطُه متشاركُ
 لو أسلمته نواجذٌ وضواحك^(٦)
 أُنقالُ أرضٍ لم ينلها فاكُ
 في بيت عَنَسٍ أو بعُرْسٍ فاركُ
 فللأعنية في السماء للائكُ
 نخلاله مِسْكُ يروح ووامكُ

(١) وردت مكانها في «ج» : رأس - وفي «ك» : وشن . والتصويب من «ت» (الزيتونة)

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «ك» : متدمع .

(٣) وردت في «ج» والملكبة (تخشى) والتصويب أرجح .

(٤) في المخطوطين : ويعافر .

(٥) وردت هذه العبارة في «ج» والملكبة (اللاك الحرومية لائك) . وفي «ك» :

(الملك الحروسه) .

(٦) هكذا ورد هذا البيت في المخطوطين وفي الملكبة .

(٧) في المخطوطين والملكبة : تمارض في بيت .

إن سام^(١) مكرمة جئامثاقلا
 ويدب في جنح الظلام إلى الخنا
 نبذ الوقار لصبية يهجوثة
 يئدى لم سواته ليسوعم
 والدهر باك لا انقلاب صروفه
 والسن تنصحهُ بأفصح منطق
 تب يا ابن تسعين فقد جزت المدا
 [أوماترى من حافديك]^(٢) تشابها
 هيات آية عشرة لهجت به
 يا ابن المرحل لو شهدت مرحلا
 وطريد لوم لا يحل بمعشر
 [مركوب لهو الحاجة وركاكة]^(٣)
 لرأيت للعين اللئيمة سحة
 وشغلت عن ذم الأنام بشاغل
 قسماً بمن كتمك السماء مكانها
 لأقول له فرور منك بشيبة
 لا تأمن للذئب دفع مضرة
 عار على الملك المنزة أن يرى
 فكلامه للدين سم قاتل

يرغو كما يرغو البعير البارك
 عدواً كما يعدو الظلم الراتك
 فسياله فرش لهم^(٢) وأرائك
 بمسالك لا يرتضيها سالك
 ظهراً لبطن وهو لاه ضاحك
 لو كان ينجو بالنصيحة هالك
 وارتاح للقميا بسنك مالك
 ابن بضاج جده ويناسك
 هنوات مملوك وطيع مالك
 وقد انحنى بالرحل منه الحارك
 الا أمال قفاه صنع دالك
 وأراك من ذاك اللجاج البارك
 وعلا بصنع عرك أذئك عارك
 وثناك خصم من أبيك مباحك
 ولديه نفس رداء نفسك شاك
 بيضاء طي الصحف منها حالك
 فالذئب إن أعفيتها بك فاتك^(٥)
 في مثل هذا للملوك مسالك
 وذنوه للعرض داء ناهك

(١) في «ج» و«ت» (ان سم) . (٢) هكذا في «ج» . وفي «ت» (كلهم) .

(٣) هكذا في «ت» . وفي «ك» : (لو ماترى حنفد) . وورد البيت كله في «ج»

كالآتي : (لو اما ترى حفيدا من ابن يضاجع جده ويناسك) وفي الزيتونة (أو ماترى حفيد ابن الخ) .

(٤) في «ك» و«ت» (مركوب لهو المحجة ركاكة) (٥) في «ك» أشارك .

فعلية ثم على الذي يُصنئ له ويلُّ يعاجله وحنفٌ واشك
وأناه من مثواه آتٌ مُجهزٌ لدم الخناجر بالخناجر سافك

وهي طويلة تشتمل من التعريض والصرح على كل غريب ، واتخذ لها كناية
خشبية كأوعية الكتب ، وكتب عليها : « رقاد مُعجل ، إلى ماملك بن المرَّحل » .
وعمد إلى كلب ، وجعلها في عنقه ، وأوجعه خبطاً حتى لا يأوى إلى أحد ، ولا يستقر ،
وطرده بالزقاق متكتماً بذلك . وذهب الكلب وخلفه من الناس أمة ، وقرى
مكتوب الكناية ^(١) ، واحتمل إلى أبي الحكم ، ونزعت من عنق الكلب ،
ودفعت إليه ، فوقف منها على كل فاقرة ^(٢) كفت من طمّاحه ، وغضت عن عنان
مجاراته ، وتحدث بها مدة ، ولم يغيب عنه أنها من حيل ابن رشيق ؛ فعوق سهام
المراجعة ، ثم أقصر مكبوحا ، وفي أجوبته عن ذلك يقول :

كلاب المزابل آذيني ^(٣) بأبوالهن على باب داري
وقد كنت أوجعها بالعصا ولكن عوت من وراء الجدار

واستدعاه بأخرة أمير المغرب السلطان أبو يعقوب ، فاستكتبه ، واستكتب
أبا الحكم صدقة ، فيقال أن جرّ عليه خجلة كانت سبب وفاة أبي علي . ودخل
الأندلس ، وحطّ بها بالمرية ، وقد أصيب بأسر عياله ، فتوسل إلى واليها من قرابة
السلطان الغالب بالله ، بشعر مدحه فيه من قصيدة أولها :

مُلقي النوى ملقي لبعض نوالكا فاشفر المحب ولو بطيف خيالكا
ومنها :

لا تحسبني من فلانٍ أو فلانٍ ^(٤) أنا من رجال الله ثم رجالكا

(١) في « ك » : الكناية .

(٢) أي داهية .

(٣) في « ك » والملكية : أدبني .

(٤) في « ك » : فل .

ومنها :

نصب العدو جبالاً لجبائي وعَلَقْتُ في استخلاصها بجبالكا

وفي خاتمها :

وكفالك شرّ العين عيبٌ واحد لا عيب فيه سوى فلول نصالكا

ولحق بغرناطة ، ومدح السلطان بها ، ونجحت لديه مشاركة الرئيس بالمرية .
فجبر الله حاله ، وخلص أسره .

ومما جمع فيه بين نثره ونظمه [ما كتبه]^(١) لما كتب إليه الأديب الطيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين ، اللتين تنازع فيهما الأقسام ، واتفقا^(٢) على أن يحكم بينهما الأحلام ، وعبر عن ذلك الأقلام ، ولينظرهما من تشوق إليهما بغير هذا الموضع .

توالياه

وأوضاعه غريبة ، واختراعاته عجيبة ، تعرّفت أنه اخترع في سفرة الشطرنج شكلاً مستديراً . وله الكتاب الكبير في التاريخ ، والتلخيص المسمى « بميزان العمل » وهو من أطرف الموضوعات ، وأحسنها شهرة^(٣) .

وفاته

كان حيا عام أربعة وسبعين وستمائة^(٤) .

(١) ساقطة في « ك » وفي الملكية .

(٢) في « ك » وانتفوا .

(٣) وردت في المخطوطين : شهير .

(٤) هكذا في « ح » . وفي « ك » وسبعمائة . وهو تحريف .

حُبوس بن ما كَسَن بن زيرى بن مناد الصنهاجى

يكنى أبا مسعود ، ملك إلبيرة وغرناطة ؛ وما والاها .

حاله وأوليته

أما أوليته فقد مر ذلك بما فيه كفاية عند ذكر بُلْكِين . ولما دخل زاوى ابن زيرى على الأندلس غَبَّ إيقاعه بالمرتضى ، الذى نصَّبته الجماعة ، واستيلائه على محلته بظاهر غرناطة ، وخاف تمالُّؤ الأندلس عليه ، ونظر للعاقبة ، فأسند الأمر إلى ابن أخيه ، حُبوس بن ما كَسَن ، وكان بحصن أشتر^(١) ؛ فلما ركب البحر من المُنكَب ، وودَّعه به زعيم البلدة وكبير فقهاءها أبو عبد الله بن أبى زَمَنِين ، ذهب إلى ابن أخيه المذكور واستقدمه ، وجرت بينه وبين ابن عمه المتخلف على غرناطة من قبل والده ، محاورَةٌ أنجلت عن رحيله تبعاً لأبيه ؛ وانفرد^(٢) حُبوس ، فاستبد بالملك ، ورأب الصدع سنة أحد عشر وأربعمائة ؛ قال ابن عَنادى فى تاريخه : فأبحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم حُبوس بن ما كَسَن ، وقد كان أخوه حُباسة هلك فى الفتنة ، وبقى منهم معه بعد انصراف زاوى إلى إفريقية ، جماعة عظيمة ، فأبحازوا إلى مدينة^(٣) غرناطة ، وأقام حُبوس بها مُلكاً عظيماً ، وحامى رعيته ممن جاوره من سائر البرابرة المنتشرين حوله ، فدامت^(٤) وباسته .

وفاته

توفى بفرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

(١) وردت محرفة فى المخطوطين والملكية : أشد . وأشتر من حصون غرناطة القديمة .

(٢) فى المخطوطين والملكية : وأنفد .

(٣) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : المدينة .

(٤) كذا فى « ج » . وفى « ك » : فرامت .

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

صفته وحاله

كان أصهبَ العين ، أسمر ، أفنى ، مُعسَل اللحية ، جهير الصوت ، طويل الصلْب ، قصير الساقين ، عظيم الساعد ، أفصم^(١) ؛ وكان ملسكاً جليلاً ، عظيم الصيت ، وضيع القدر ، على الهمة ، قصباً بالذهب ، عالماً بالأنساب ، حافظاً للتاريخ ، جماً للكتب ، محباً في العلم والعلماء ، مشيراً^(٢) للرجال من كل بلد ؛ جمع العلماء من كل قطر ؛ ولم يكن في بني أمية أعظم همة ، ولا أجل رتبة في العلم ، وغوامض الفنون منه . واشتهر بهمته بالجهاد ، وتحدث بصدقاته في المحلول ، وأملته الجباية والملوك .

دخوله إلى البيرة

قال ابن القياض ؛ كتب إليه من الثغر الجنوبي^(٣) أن عظيم الفريجة من النصارى حشدوا إليه [وسألوه المرة]^(٤) بطول المحاصرة^(٥) ؛ فاحتسب شخوصه بنفسه إلى المريية^(٦) في رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ، في جحفل لجب من

(١) كذا في «ج» . وفي «ك» : أفضم . وساقطة في الملكية .

(٢) كذا في «ج» والملكية . وفي «ك» : مشاراً .

(٣) وردت في المخطوطين : الحنوي وهو تحريف . وما يرد بعد ذلك يؤيد صحة التصويب .

(٤) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية (وسأله المبرة) والمقصود هنا : وسألوه الاستمرار .

(٥) وردت في المخطوطين : مطول المحاصرة .

(٦) وردت في «ج» : المريية . وفي «ك» : المرتلة . وقد رجحنا أن يكون الثغر المقصود

«المريية» . وهو قريب ما رسمه «ج» . وقد يكون هذا الثغر أيضاً هو ثغر «مربلة» وهو قريب من الرسم الذي أورده «ك» .

نَجْدَة^(١) الأولياء وأهل المراتب . ولما أحلَّ البيرة ورد عليه كتاب أحمد بن يعلى من طرطوشة بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على الروم ، ووافى المريّة ، وأشرف على أمورها ، ونظر إلى أسطولها وجدّده ، وعُدّته يومئذ ثلاثمائة قطعة ، وانصرف إلى قرطبة .

مولده

لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة .

وفاته

لأربع خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعمره نحو من ثلاث وستين سنة ، وهو خاتمة العظماء من بنى أمية .

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

ابن عبد الملك بن مروان بن أمية

كنيته أبو العاصي .

« صفته » ؛ آدَمُ ، شديد الأدمة^(٢) ، طويل ، أشمٌ ، نحيف ، لم ينجذب .
بنوه تسعة عشر من الذكور ، منهم عبد الرحمن ولى عهده .

« بناته » ؛ إحدى وعشرون ؛ أمه أمٌ ولدَ اسمها زُخْرُفُ .

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : صفحة . وفي الملكية (صفوة) والمؤدى واحد .

(٢) الأدمة : أى السرة .

« وزراؤه وقواده » ؛ خمسة منهم إسحاق بن المنذر ، والعباس بن عبد الله ،
وعبد الكريم بن عبد الواحد ، وفطيس بن سليمان ، وسعيد بن حسان .
« قضاته » ؛ مُصَعَّب بن عمران ، وعمر بن بشر ، والفرج بن كنانة^(١) ، وبشر
ابن قطن ، وعبد الله بن موسى ، ومحمد بن تليد ، وحامد بن محمد بن يحيى .
« كتابه » ؛ فطيس بن سليمان . وعطاف بن زيد ، وحجاج بن العقبلي .
« حاجبه » ؛ عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث .

حاله

كان الحكم شديد الحزم ، ماضى العزم ، ذا صولة تتقى ؛ وكان حسن التدبير
في سلطانه ، وتولية أهل الفضل ، والعدل في رعيته ، مبسوط اليد بالعطاء الكثير ،
وكان فصيحاً ، بليغاً ، شاعراً مجيداً ، أديباً ، نحويًا .

قال ابن عذارى ؛ كانت فيه بطالة ، إلا أنه كان شجاعاً ، مبسوط اليد^(٢)
عظيم العفو ، وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه ، فضلاعن ولده وخاصته ، وهو
الذي جرّت على يده الفتكة العظيمة بأهل رِبْضِ قُرْطَبَةَ^(٣) . الذين هاجوا به
وهتفوا بجلعانه ، فأظهره الله عليهم ، في خَبَرِ شهير ؛ وهو الذي أوقع بأهل طُلَيْطَلَةَ
أيضاً ، فأبادهم بحيلة الدعاء إلى الطعام بما هو معلوم .

(١) وردت في المخطوطين : قنامه ، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه . وقد كان الفرّج بن
كنانة ، قاضي الجماعة بقرطبة أيام الحكم بن هشام (أنظر قضاة الأندلس ص ٣٥ . وقضاة قرطبة
- القاهرة - رقم ٢٣) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي البيان المغرب : باسط الكف (ج ٢ ص ٨١) .

(٣) الرِبْضُ : ضاحية قرطبة . وقد حدثت هذه الواقعة التي نكل فيها الحكم بثوار ضاحية الرِبْضِ

سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م) .

دخوله غرناطة

قالوا، وبالبيرة وأحوازا تلاقى مع عمه أبي أيوب سليمان بن عبد الرحمن،
فهزمه وقتله حسبما ثبت في اسم أبي أيوب .

شعره

قالوا ؛ وكان له خمس جوارٍ قد استخلصهنَّ لنفسه ، ومَلَكُنَّ أوره ؛ فذهب
يوماً إلى الدخول عليهن ، فتأبين عليه ، وأعرضنَّ عنه، وكان لا يصبر عنهن ، فقال :
قُضِبُ من البان ماستُ فوق كُشبان ولئن عني وقد أزمعن هجراني
ناشدنَّ بحتي فاعتزمنَ على الـ عصيان حتى خلا منهن همياني^(١)
مَلَكْنِي مَلِكٌ من ذلت عزيتمه للحبِّ ذلُّ أسيرٍ موثقٍ عاني
من لي بهفتصباتِ الروح من بداني يعصِبَنِي^(٢) في الهوى عزى وسلعاني
ثم عطفن عليه بالوصال فقال :

نلتُ الوصال بعد البعاد فكأنِّي مَلَكْتُ كلَّ العباد
وتناهى السرورُ إذ نلت مالم يغن عنه تكأفُ الأجناد

مناقبه

أنهى إليه عباس بن ناصح^(٣) وقد عاد [هن] ^(٤) الثغر^(٥) أن امرأة من ناحية

(١) في الملكية و « ج » (هيان) .

(٢) وردت في المخطوطين : عصبتى . وهو تعريف .

(٣) وردت في المخطوطات الأربعة : صالح . والتصويب من البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٥)

(٤) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

(٥) كلمة الثغر يقصد بها هنا . « الثغر الأدنى » الذى يشمل طليطلة وأعمالها . وهو يقابل اليوم ولاية قشالة اتمدعة . وأما الثغر الأعلى فقد كان يشمل سرقسطة وأعمالها . ويقابل اليوم ولاية أراجون (راجع الحاشية في ص ١٨٢) .

وادی الحجارة^(١) سمها تقول . واغواناه . يا حاكم ضيعتنا ، وأساهننا . واشتغلت
عنا حتى استأسد^(٢) العدو علينا ؛ ورفع إليه شعر في هذا المعنى والغرض ، فخرج
من قرطبة كأنما وجبته ، وأوغل في بلاد الشرك ، ففتح الحصون ، وهدم المنازل ،
وقتل وسبي ، وقفل بالغنائم على الناحية التي فيها تلك المرأة ؛ فأمر لأهل تلك الناحية
بمال من الغنائم يقدون به أسراهم . ويصلحون به أحوالهم ؛ وخص المرأة وآثرها ،
وأعطاهم عدداً من الأسرى ، وقال لها ، هل أغانك الحكم ؟ قالت أي والله أغاننا
وما غفل عنا ، أعانه الله وأعز نصره .

وفاته

توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة ست ومائتين ، وكان عمره اثنين وخمسين
سنة . وجرى ذكره في الرجز من نظمي في تاريخ دول الإسلام^(٣) بما نصه :

حتى إذا الدهر عليه احتكما قام بها ابنه المسمى حكاما
وامتدشعر الثورة فيها وانقبض مستوحشاً كالليث أقمى وربض
حتى إذا فرصته لاحت تفيض فأغش الوقعة في أهل الربض
[وكان جباراً بعيداً الهمة لم يربح من آل بها أوزمة]^(٤)

(١) وادی الحجارة بى مدينه من مدنا الأندلس القديمة ما تزال قائمة حتى اليوم . وهى تقع
شمال غربى مدريد على مقربة منها . وبالإسبانية Guadalajara .
(٢) وردت محرفة فى المخطوطين : أنت أسر .
(٣) هو كتاب رقم الملل الذى سبقت الإشارة إليه غير مرة .
(٤) هذا البيت وارد فى المخطوطين والملكية ، وساقط فى « ت » .

حكيم بن أحمد بن رجا^(١) الأنصاري
من أهل غرناطة . يُكنى أبا العاصي .

حاله

كان من قرائها^(٢) ، ونبهاؤها ؛ وكان من أهل الفضل والعلم ، وإليه يُنسب
مسجدُ أبي العاصي ، وحمام أبي العاصي ودربُه بقرناطة . وكفى بذلك دليلاً على
الأصالة والتأثيل ؛ ذكره أبو القاسم ولم يذكر [من]^(٣) أمره مزيداً على ذلك .

حاتم بن سعيد بن خلف، بن سعيد بن محمد بن عبد الله
ابن سعيد بن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن
سعيد بن عمار بن ياسر
« أوليته » . قد مرَّ بعض^(٤) ذلك وسيأتي بحول الله .

حاله

قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه الموضوع في مآثر القاعة^(٥) : كان صاحب

-
- (١) هكذا « ت » . وفي « ك » : وجا . وفي « ج » : رجلا .
(٢) في « ج » : قرارها . وهو تحريف . وفي « ك » : وزارها ، وفي « الملكية » غررها .
والأولى أرجح . وتزبده سيرة المترجم له .
(٣) ساقطة في المخطوطين .
(٤) في المخطوطين : بعين . وهو تحريف .
(٥) ذو كتاب « المطالع السعيد في تاريخ بني سعيد » والقلمة هي قلعة يحصب .

سيف وقلم وعلم ، ودخل في الفتنة المرَدَنيشِيَّة^(١) حسبما مر ذلك عند ذكر أخيه أبي جعفر ، فصار من جلساء الأمير أبي عبد الله [محمد]^(٢) بن سعد بن مرَدَنيش بمرسية ، وأرباب آرائه ، وذوى الخِصَّة من وزرائه ، وكان مشهوراً بالفروسية والشجاعة [والرأى]^(٣) .

حكاياته ونوادره

قال ، كان التَّنْدِير والهزل قد غلبا عليه . وعُرف بذلك فصار يُحمل منه ما لا يحمل من غيره ؛ قالوا ، فحضر يوماً مع الأمير محمد بن سعد . يوم الجلاب^(٤) من حروبه ، وقد صبر الأمير صبراً جميلاً^(٥) ، ووالى الكَرَّ المَرَّة بعد المرة . وذلك بمرأى من حاتم ؛ فرد رأسه إليه . وقال يا قائدأ أبا الكرم كيف رأيت ، فقال له حاتم ، لو رأيك السلطان اليوم ل زاد في مرتبك . فضحك ابن مرَدَنيش . وعلم أنه أراد بذلك : لا تليق به المخاطرة ، وإنما هو للتبثبات والتدبير . وقال له يوماً وقد جرى ذكر الجنات . جُنَّ اليوم يا أبا الكرم على بستانك بالزئقات ، وأردت أن أكون من ضيافتك ؛ فقال عبد الرحمن بن عبد الملك وهو إذ ذاك وزير الأمير ، وبيده المجابى والأعمال . لعل الأمير اغتر بسمع اسمه حاتم . ما فيه من الكرم إلا الاسم ؛ فقال الحاتم^(٦) . ولعل الأمير اغتر^(٧) [أمانة]^(٨) عبد الرحمن ، فقدمة على وزرائه ، وما عنده من

(١) نسبة إلى ابن مردنیش . وقد سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ٢١٨) .

(٢) الزيادة من عندنا إكمالاً للاسم . (٣) الزيادة من « ت » .

(٤) وردت في « ح » يوم الجلاب . وهو تحريف والصواب (الجلاب) . والجلاب أو فحوص

الجلاب هو اسم لمكان يقع على مقربة من غرب مرسية . وقد نشبت فيه الموقعة التي تسمى بهذا الاسم بين قوات ابن مردنیش والموحدين . وهزم فيها ابن مردنیش هزيمة ساحقة ، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٥٦٠ هـ (أكتوبر سنة ١١٦٤ م) .

(٥) كذا في « ج » . وفي « ك » : عظيماً . (٦) هكذا في المخطوطين .

(٧) ساقطة في المخطوطين . ويحتملها السياق .

(٨) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

الأمانة إلا الاسم ؛ فقال ابن مردنيس وقد ضحك ، الأولى فهمت ، ولم أفهم الثانية ؛ فقال له كاتبه أبو محمد السلمي ، إنما أشار إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أمير هذه الأمة ، وأمين في أهل السماء ، وأمين في أهل الأرض^(١) ؛ فطرب ابن مردنيس ، وجعل يقول : أحسنهما .

شعره

قال أبو الحسن ، ولم أحفظ^(٢) من شعر حاتم ما أورده في هذا المكان إلا قوله يخاطب حفصة الرُّكُونِيَّةَ الشاعرة ، التي يأتي ذكرها ، حين فرَّ إلى مرسية ، وتركها بفرناطة :

أحنُّ إلى ديارك يا حياتي [وأبصر ذو وهد سيل الطبات]^(٣)
 وأهوى أن أعود إليك لكن [خفوق البندر عاق عن القنات]^(٤)
 وكيف إلى جنابك^(٥) من سبيل وليس يُحِلُّه إلا عُداي

مولده

في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وقال أبو القاسم الغافقي فيه عند ذكره : كان طالباً نبياً جميلاً سرياً ، تام المروءة ، جميل العشرة .

وفاته

قال ، مات بفرناطة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) وردت في « ج » (أمير في أهل السماء وأمير في أهل الأرض) والتصويب من الملكية .

(٢) كذا في « ج » . وفي « ك » : حفظت .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في المخطوطين .

(٤) وردت هذه الشطرة في المخطوطين كالأق : (خفوق البندر عاق القنات) .

(٥) هكذا في « ج » . وفي « ك » : جانبك .

جُبَاسَة [بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي]^(١)
 كان شهماً ، هيباً ، بهمةً من اليهم ، كريماً في قومه ، أبيتاً في نفسه ، صدرًا
 من صدور صنهاجة ؛ وكان أشجع من أخيه حبّوس .

وفاته

قال أبو مروان عند ذكر وقعة « رمداي » بطرف قرطبة في حروب البرابرة
 لأهلها في شوال عام اثنين وأربعمائة ، قال : واستلخّم جُبَاسَة بن ماكسن الصنهاجي
 ابن أخي زاوي بن زيري ، [وهو]^(٢) فارس صنهاجة طرّاً وفتّاهاً ؛ وكان قد تقدم
 إلى هذه الناحية . زعموا لما بلغه اشتداد الأمر فيها ، فرمى بنفسه على جملابها ، واتفق
 أن ركب بسرج طريّ العمل مُتفتح اللبّد ، وخانه مقعده عند المجاورة ؛ لتقلبه على
 الصهوة ؛ وقيل إنه كان مُتنبذاً على ذلك ، فتطارح على من يارائه ، ومضى قُدماً
 بسكركي شجاعته ونشوته ، يصفح البيوت بصفحته ، ويستقبل القنا بلبّاته ،
 لا يعرض له شيء إلا حطّه ، إلى أن مال به سرجه . فأتبع حمانه لاشتغاله بذلك ،
 بطامنة من يد المسمى النبيه النصراني . أحد فرسان الموالى العامريين ؛ فسقط لفيه ،
 وانتظمت رماحُ الموالى فأبادته ؛ وحامى أخوه حبّوس ، وبنو عمه ؛ وغيرهم من أنجاد
 البرابرة تلى جثته ، فلم يقدرُوا على استنقاذها . بعد جلاّد طويل . وغلب عليه الموالى
 فاحتزّوا رأسه ، وعجّلوا به إلى قصر السلطان . وأسلموا جسده للعامة ؛ فركبوه
 بكل عزيمة . واجتمعوا إليه اجتماع البُغاث^(٣) على كبير الصقورة . فخرّوه في الطرق

(١) وردت كلمة حساسة فقط في المخطوطين وفي الملكة . والزيادة ما بين الخاصرتين من
 عندنا . ويبدو أن هذه الترجمة وردت في الإحاطة في غير موضعها من حيث الترتيب الأبجدي .

(٢) ساقطة في المخطوطين . وواردة في الملكة .

(٣) في المخطوطين : النفاث .

وطافوا به الأسواق ، وقطعوا بعض أعضائه ، وأبدوا شِواره وكبده بكل مكروه من أنواع الأذى ، بأعظم ما رُكب ميت ؛ فلما سئموا تجراره ^(١) ، أوقدوا له ناراً فخرقوه بها جرياً على ذميم عادتهم ، في تُبجح المثلة . وازم القُدرة ؛ وانجبت الحروب في هذا اليوم لهُصابه ، عن أمر عظيم . وبلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله ، ووات أن دماء أهل قُرطبة جميعاً لاتعدله . من الكتاب « المتين » .

حبيب بن محمد بن حبيب .

من أهل النَّجَش ^(٢) ، من وادي المنصورة ^(٣) أخوه مالك ، النَّجَشِي ، دباب الحَلَقَات ، ومراد أذئاب المقربين .

حاله

كان عليّ على سجيّة غريبة من الإنقباض المشوب ^(٤) بالاسترسال ، والأمانة مع الحاجة ، بادي الزُّمى ^(٥) واللسان ؛ يحفظ الغريب من اللغة ، ويحرك شعراً لا غاية وراءه في الرِّكَاكَة . وله قيامٌ على الفقه وحفظ القرآن ونعمةٌ حسنة عند التلاوة . قدّم الحضرة غير ما مرة ، وكان الأستاذ ، إمام الجماعة . وسيدويه الصناعة ، أبو عبد الله ابن الفخّار المعروف بالبيري ^(٦) ، أبا مشواه ومحطّ طيّته ، يطالب منه مشاركته ^(٧) بباب السلطان في جراية يرغب في تسميتها ، وحال يروم إصلاحها ، فقصدني مُصحّباً

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الملكة .

(٢) هكذا في « ج » وفي الملكية (النجش) . والأولى أرجح .

(٣) وادي المنصورة هو المنطقة الواقعة على نهر المنصورة الذي يخترق شمال ولاية المرية بين برشانة ومدينة المنصورة الواقعة على النهر المذكور .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : المشوب .

(٥) هكذا في « ج » . وفي الملكية (الرأى) وأولى أرجح .

(٦) أعني الإلبيري نسبة إلى البيرة .

(٧) وردت في المخطوطات محرقة (متاركنه . ماركته) .

منه رقعة تتضمن الشفاعة ؛ وعرض على قصيدة من شعره [يروم] ^(١) إيصالها إلى السلطان ، فراجعت الأستاذ برقعة أثبتتها على جهة الإحاض ^(٢) وهي :

« ياسيدي الذي أتشرفُ ، وبالانتماء إلى معارفه أتميزُ ، وصل إلى عميدُ
 حصن النجش ، وناهض أفراخ ذلك العُش ^(٣) ، تلوح عليه مخائل أخيه المسمى
 بمالك ، ويدرّجج به الحكم في الغاية في أمثال تلك المسالك ، أشبه من الغراب
 بالغراب ، وإنما لمن عجائب الماء والتراب ؛ فألقى من ثنائكم الذي أوجبتُه
 السيادةُ والأبوةُ ، ما يقصر عن طيب الألوّة ، وتنجل عند مشاهدته الغرور
 المجلوةُ ؛ وليست بأولى بر ^(٤) أسديتم ، ومكرمة أعدتُم وأبديتُم ، والحسنات
 وإن كانت فهي [إليكم] ^(٥) منسوبة . وفي أياديكم محسوبة ، وبكوت من الرجل
 طلعة ننتفة ، لم يغادر من صفات النبل صفة ، حاضر بمسائل [من] ^(٦)
 الغريب ، وقعد مقعد الذكي ^(٧) الأريب ، وعرض على حاجته وغرضه ، وطلب
 منى المشاركة ، وهي منى لأمثاله مُفترضة ، ووعدني بإيقافي على قصيدة حبرها ، وأنى
 بالخبر خبرها ؛ وبأكرني بها اليوم مُباركة السّاقى بدّهاقه ، وعرضها على عرض
 التاجر نفائس أعلّاقه ؛ وطلب منى أن أهدب له ما أمكن من معانيها وألفاظها ،
 وأجلو القذى عن ألاحظها ؛ فنظرت منها إلى روضٍ كثرت أثنابه ^(٨) وجيشٍ من
 الكلام زاحم خواصه أو شابهه ، ورمتُ الإصلاح ما استطعت ، فمجزتُ عن ذلك واتقطعتُ ،
 ورأيت لاجدوى ^(٩) إلى ذلك الغرض ؛ ما لم تُبدّل الأرض غير الأرض . وهذا

(١) ساقطة في المخطوطين . (٢) أى على سبيل التفكهة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : العشر .

(٤) هكذا في « ج » . وفي الملكية (يد) .

(٥) ساقطة في المخطوطين . (٦) الزيادة من الملكية .

(٧) هكذا في « ك » . وفي « ج » : الزكى .

(٨) أغفلت في المخطوطين . والملكية .

(٩) هكذا في « ك » . ك ، وفي « ج » : جدنوا .

الفن . أبقى الله سيدي ، ما لم يمت إلى الإجابة بسبب وثيق ، وينتمى في الإحسان إلى محمد عريق ، كان رفضه أحسن وأحمد ، واطراحه بالفائدة أعود ، وإذا اعتبره من عدل وقسط ، وجده طريقين لا يقبل الوسط ، فمنها مال يقتنى ويُدخَر ، وسافل يُهزء به ويُسخَر ، والوسط ثقيل لا يتلبس به [نبيل]^(١) . قيل لبعضهم ألا تقول الشعر ؟ فقال أريد منه ما لا يتأني لي ، ويتأني لي منه ما لا أريده . وقال بعضهم ، فلان كمن وسط لا يجيد فيطرب ، ولا يسوء فيسلي^(٢) . فاقترضى نظركم الذي لا يفارق السداد والتوفيق ، وإرشادكم الذي رافقه^(٣) الهدى ونعم الرفيق ؛ أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها ، والامتسك عن دفعها ؛ فهو أقوى لأمته^(٤) ، وأبقى على سكنته ومحتته ، وأستر لما لديه ، قبل أن يمد أبو حنيفة رجله ؛ [وإن]^(٥) أصمت عن هذا العذل مسامحة ، وهفت به إلى النجاح مطامعه ، فليعتمد على الاختصار ، فنوال ك: نار جهم العثار ، وليعدل إلى الجادة عن ثنيات^(٦) الطرق ، ويجتري عن القلادة بما أحاط بالعنق ؛ فإذا رثبها^(٧) وهذبها ، وأوردها من موارد العبارة أعذبها ، توليت زفافها وإهداءها ، وأمطت بين يدي الكفو الكريم رداها ، والسلام .

حمدة بنت زياد المكنية

من ساكني وادي الحمة بقرية بادي من وادي آش .

-
- (١) وردت في «ج» . وأغفلت في «ك» .
 - (٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : فيلهي . والمؤدى واحد .
 - (٣) في المخطوطين : أرفقه .
 - (٤) الأمت هو المكان المرتفع . والمقصود هنا مقامه ومكانه .
 - (٥) ساقطة في المخطوطين . ويستلزمها السياق .
 - (٦) في المخطوطين وفي الملكية . نيبات . والتصويب أرجح .
 - (٧) في المخطوطين وفي الملكية : رهبا . وهو تحريف .

حالتها

قال أبو القاسم . نبيلة : شاعرة . كاتبة ، وودن شعرها وهو مشهور :
 أباحَ الدمعُ أسرارى يرادى له فى السن أنارُ بوادى
 فن نهر^(١) يطرفُ بكلِّ روضٍ ومن روضٍ بطرفِ بكلِّ وادى
 ومن بين الظُّبَا مهات إنس^(٢) | سبت لى^(٣) وقد سلبت فؤادى
 لها لحظٌ ترقده لأمرٍ وذاك الأمرُ يمنعني رقادى
 إذا سددت ذوائبها عابها رأيت البدر فى جنح السوادى
 كأن الصُّبْحُ مات له شقيقُ فمن حزن تسربل فى الحدادى
 ومن غرائبها :

ولما أبى الواشون إلا قتالنا^(٤) وما لهم عتدى وعندك من تار
 وشنوا على آذاتنا^(٥) كل غارة وقلتُّ هاتى عندك ذاك وأنصارى
 رميتهم^(٦) من مقلتيك وأدعى ومن نفسى | بالسيف والسيل^(٧) والنار

وقال أبو الحسن بن سعيد فى حمدة وأختها زينب : شاعرتان ، أدبيتان ، من
 أهل الجمال ، والمال ، والمعارف والصون ، إلا أن حب الأدب : كان يحملمهما على
 مخالطة أهلها ، مع صيانة مشهورة ، ونزاهة موثقة بها .

-
- (١) فى المخطوطين وفى الملكية : واد . والتصويب من النسخ .
 (٢) فى المخطوطين وفى الملكية . رمل . والتصويب من النسخ .
 (٣) هكذا فى النسخ . وفى « ح » هست لى . وفى « ك » هبت لى . وفى المغرب : لها لى .
 (٤) هكذا فى المخطوطين وفى الملكية . وفى النسخ والمغرب : فرافنا .
 (٥) هكذا فى المخطوطين . وفى النسخ والمغرب : أساعنا .
 (٦) هكذا فى المخطوطين . وفى المغرب والنسخ : غزوتهم .
 (٧) فى المخطوطين والملكية : السيل . واليل . والتصويب من النسخ .

حفصة بنت الحجاج الرُّكُونِي (١)

من أهل غرناطة ، فريضة الزمان في الحسن ، والظرف ، والأدب : واللَّوْذَعِيَّة ؛
قال أبو القاسم ، كانت أديبة ، نبيلة ، جيِّدة البديهة ، سريعة الشعر .

بعض أخبارها

قال الوزير أبو بكر بن يحيى بن محمد بن عمر الهمداني ، رَغِبْتُ أُخْتِي إِلَى حَفْصَةَ
أَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا بِخَطِّهَا فَكَتَبَتْ .

يَارَبَّةَ الْحُسْنِ بَلْ يَارَبَّةَ الْكَرَمِ غَضِي جُفُونِكَ عَمَا خَطَاهُ الْقَلَمِ
تَصْفِيهِ [بِلَحْظِ الْوُدِّ مُنْعَمَةً] (٢) لَا تَحْفَلِي بِقَبِيحِ (٣) الْخَطِّ وَالْكَلِمِ

قال أبو الحسن بن سعيد ، وقد ذكر أنهما باتا بحوز مؤمل (٤) في جنة له
هنالك على ما يبديت عليه أهل الظرف والأدب ، قال :

رعى الله ليلاً لم يرع بمنهم [رعانا ووارانا بحوز مؤمل] (٥)
وقد نفحت من نحر نجد أريجه (٦) إِذَا نَفَحَتْ هَبَّتْ بِرِيحِ (٧) الْقَرْنَ نَقْلِ
وغرد قمرى على الدَّوْحِ واثني قضيب من ريجان من فوق جدول
يرى الرِّوْضَ مسروراً بما قد بداله عناق وضم وارتشاف مقبل

(١) نسبة إلى ركانة Requena ، وهي بلدة أندلسية قديمة تقع غربي ثغر بانسية .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ووردت محرفة في المخطوطين : (خط الود سقيه)
(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ : بردى .
(٤) هو بقعة من منزهات غرناطة الإسلامية اشتهرت بجمالها . (راجع الحاشية في ص ٤٤١) .
(٥) هكذا وردت هذه السطر في المخطوطين ووردت في النسخ كالتالي : (عشبة دارانا بحوز مؤمل) .
(٦) في المخطوطين : أريحية . والتصويب من النسخ .
(٧) في النسخ : برية .

فقال :

لعمرك ما سرّ الرياض وصالنا^(١) ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ولا مدح^(٢) القمري إلا لما وجد
فلا تحسبن الظن الذي أنت أهله فما هر في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوي كي ما يكون لنا رصد

قال أبو الحسن بن سعيد ، وبالله ما أبدع ما كتبت به إليه وقد بلغها^(٣) أنه
علقت بجارية سوداء أسعت له من بعض القصور ، فاعتكف معها أياماً وليالي . بظاهر
غردناطة ، في ظلّ ممدود ، وطيب هوى مقصور وممدود :

يا أظرف الناس قبيل حال أوقعه نحوه القدر
عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسّن قد ستر
لا يظهر الدشّر في دجهاها كلاً ولا يبصر الحفر
بالله قل لي وأنت أدرى بكل من هام في الصور^(٤)
من الذي هام في جنان لا نوار فيه ولا زهر

فكتب إليها^(٥) بأظرف اعتذار ، وأذف أنوار :

لا حكم إلا لأمر ناه له من ذنبه معتذر
له نجيا به حياتي أعيند مداه بالسور
كصحة العيد في ابتهاج وطلعة الشمس والقمر

- (١) هكذا في المخطوطين والملكية . وفي النسخ : (لعمرك ما سر الرياض نوصلنا) .
(٢) في النسخ : غرد .
(٣) في المخطوطين : بلغنا ، وهو تحريف .
(٤) في المخطوطين : المسطور .
(٥) هكذا في « ك » . وفي « ج » : إليه .

سَعْنُهُ لَمْ أَمِلْ إِلَيْهِ إِلَّا اطْرَافًا لَهُ خَبَرٌ
عَدِمَتْ صُبْحِي فَاسْوَدَّ عَشِي سَقَى وَانعَكَسَ الْفِكْرُ وَالنَّظَرُ
إِنْ لَمْ تَلُحْ يَا نَعِيمَ رُو حَى فَكَيْفَ لَا تَفْسُدُ الْفِكْرُ

قال . وبالفننا أنه خلا مع حاتم وغيره من أقاربهم . لهم طربٌ وهو . فمرت على الباب مُسْتَتِرَةً . وأعطت البواب بطاقةً فيها مكتوب :

زائرٌ قد أتى بجيد غزال^(١) طامعٌ من مُجِبِهِ بِالْوَصَالِ
أتراكم بإذنكم مُسْعِفِيهِ أم لكم شاغلٌ من الأشغال

فلما وصلت الرقعة إليه ، قال ورب الكعبة ، ما صاحبُ هذه الرقعة إلا الرُقِيعَةُ حفصة ، ثم طلبت فلم تُوجد . فكتب إليها راغباً في الوصال والأنس الموصول :

أى شُئِلَ عَنِ الْحَبِيبِ يَعُوقُ يَا صَاحِبًا قَدْ آنَ مِنْهُ الشُّرُوقُ
صِلْ وَوَاوَصِلْ فَأَنْتَ أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ الْمَنَى فَكَمْ ذَا تَشُوقُ
بِحَيَاةِ الرُّضَى يَطِيبُ صَبُوحُ عَرَفًا إِنْ جَفَوْنَا أَوْ غُبُوقُ
لَا وَذُلُّ الْهَوَى وَعَزُّ التَّلَاقِ وَاجْتِمَاعُ إِلَيْهِ عَزُّ الطَّرِيقِ

وذكرها الأستاذ في «صلته» ، فقال : وكانت أستاذة وقتها ، وانتهت [إلى]^(٢) أن علمت النساء في دار المنصور ، وسألها يوماً أن تُنشده ارتجالاً فقالت :

أمنن علىَّ بِصِكَتِكَ يَكُونُ لِلدَّهْرِ عُدَّةٌ
تخطُ بِمَنَّاكَ فِيهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَوَحْدَهُ

قال : فَمَنْ عَلَيْهَا ، وحرز لها ما كان لها من ملك .

(١) في نفع الطيب : الغزال .

(٢) ناقصة في المخطوطين ويقضيها السياق .

وفاتها

قالوا: توفيت بمحضرة مرّاكش في آخر سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وخمسةائة .

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب « عائد الصلوة » ؛ كان رحمه الله صدرّاً من صدور القضاة ، من أهل النظر والتقييد ، والعكوف على الطلب ، مضطّلاً بالمسائل ، مسائل الأحكام ؛ مهتدياً لمظنّات النصوص ، نسخ بيده الكثير ، وقيد على الكثير من المسائل ، حتى عُرف فضله ، واستشاره الناس في المشكلات . وكان بصيراً بعقد الشروط ، ظريف الخطاب^(١) ، باوع الأدب . شاعراً ، كثيراً ، مصيباً غرض الإجابة . وتعرّف في الكتابة السلطانية ، ثم في القضاء ، وانتقل في الولايات^(٢) الرفيعة النبوية . وجرى ذكره في « التاج المحلّي » بما نصه :

« فارس في ميدان البيان . وليس الخبر كالعيان ؛ وحامل لواء الإحسان ، لأهل هذا الشأن ؛ رفل في حُلل البدائع فسحب أذيالها ، وشعشع أكواس العجائب فأدار جرياً لها ، واقتحم على الفحول أغياها^(٣) ، وطمّح إلى الغاية البعيدة

(١) هكذا في « ح » والملكة . ووردت في « ل » الخط . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ح » : الولاية . والأولى أنسب للسباق .

(٣) أي أجهتها .

فقالها . و يدو كرب للمعضلات^(١) فقال أنا لها . فكف واجتهد . و برر إلى مقارعة
 للمشكلات ونهت . فعلم وحصل . وبلغ الغاية وتوصل ؛ وتولى القضاء ، فاضطلع
 بأحكام التنريع . و برع في معرفة الأصل والفرع . و تميز في المسائل بطول الباع ،
 وسعة الذراع . فأصبح صدوراً في منبره و غرة في صفحة عصره . وسيمر من
 بديع كلامه ، وحدثت^(٢) آتلامه . و غرر إبداعه^(٣) و دُرر اختراعه . ما يستنير لعلم
 الحليم ، و تلقى له البلاغ يد التسليم .

شعره

قال في غرض الحكمة والأمثال :

عزُّ الهوى تُصان والرأى الذى
 فإذا رأيت الرأى يتبعُ الهوى
 [وكيف تخاف من الحليم مراجياً]^(٤)
 واحذر مُعادات الرجال توقياً
 فالناس إما جاهلٌ لا يتقى
 أو عاتلٌ يُرى بتهنم مكيدٍ
 فاحلم عن القسامين ندمٍ
 ودع للمعادات التى من شأنها

بُنجيك منه [إذا أتيتَ مروماً]^(٥)
 خالفٌ وفاتهُما تُعدُّ حكماً
 خيفٌ من نصيبك ذى السفاهة شوما^(٦)
 منهم ظلوماً كنت أو مظلوماً
 عاراً ولا يخشى العقوبة لئىما
 كالقوس تُرسل سَهْمها مسدوماً
 وتسد فتدعى سيِّداً وحامياً
 أن لا تُديم على الصفاة قديماً

(١) كذا في ج . هـ . وفى « ك » الخنوع .

(٢) هـ فى الكتاب . بـ فى العبارة .

(٣) كذا . ج . هـ . فى الملكيه براعه . واذولى أرجح واكثر اتفاقاً مع السيف .

(٤) وفى نس آخر : (إن فابت خزيماً) .

(٥) وفى نس آخر : (نعتا تروم من الحليم مراجياً) .

(٦) فى « ك » : تر ما . وفى « ج » : تر ما .

أبت المغالبةُ الودادُ فلا تكنُ
 وإذا مُنيتُ (١) بقُرْبِهِ فاحْفَظْ لَهُ
 إنَّ الغريبَ لكألقضيبٍ مُحَايرِ
 وارعُ (٢) الكفافَ ولا تجاوزْ حدَّهُ
 وابسطْ يدَيْكَ متى غنيتَ ولا تكنُ
 وإذا بذلتَ فلا تبذرْ إنَّ ذا التَّبذيرِ
 [يومئذٍ أخوه] (٣) رجياً
 واحسبْ ورودَ الماءِ منه حِمياً
 يصحبُ لثيمَ الأصلِ عدُّ (٤) لثيماً
 عنه فليسَ لما يقولُ كريماً
 مثلُ [جرى جرى الرياح] (٥) قديماً
 تعدمُ حُلَى التَّهوى تمدُّ عديماً

وقال يصف الشئب من قصيدة . وهي طويلة : أولها :

لاح الصباحُ ، صباحُ شئبِ المفرقِ
 هي شئبةُ الإسلامِ فأقدرِ قدرها
 خطتُ بفؤدك أبيضاً في أسودِ
 كالبرقِ راعٍ بسيفه طرفَ الدُّجَا
 كالفجرِ يُرسلُ في الدَّجَنَةِ خيطه
 فاحمدُ سراكِ نجوتَ مما تنقِ
 قد أعتقتك وحقُّ قدرِ المُعتقِ
 بالعكسِ من معهودِ خطِّ مُهرقِ
 فأعار دُهمته شتاتَ الأبلقِ
 ويحمرُّ (٦) ثوبَ ضيائه بالمشرقِ

(١) في المخطوطين : مننت .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » والملكية : وارع . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في « ج » والملكية . وفي « ك » : مثل أخيه .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : بعد .

(٥) هكذا في « ج » . وفي الملكية . وفي نص آخر : (جرى بين الأنم) .

(٦) في المخطوطين : ويحرك .

فتراه بين خلاله كالزئبق
لا يبرأ الملسوع منه إذا رقى
يا ليت شيطان الصبا لم يحرق
إلا بنصن ذابل لم يورق
يبكى العيون بدمعه المتفرق
للعين^(٢) أبكى من بياض الفرق
يجزعن من لآلئه المتألق
لمع السيوف^(٣) على المفارق يفرق
فكن خائفا ما خفن منه واتق
ويضيع خسرا فيه مال المتفق
شين السوء الفعل زين المتقى

كالماء يسرته بقعر طحلب
كالحيمة الرقشاء إلا أنه
كالنجم عدو لرجم شيطان الصبا
كالزهر إلا أنه لم يستنم^(١)
كتبسم الزنجي إلا أنه
وكذا البياض قنى العيون ولا ترى
ما للغواني وهو لون حدودها
وأخلته لمع السيوف [ومن يشم
هو ليس ذلك ولا الذي أنكرته
داه يعز على الطيب دواؤه
لكنه والحق أصدق مقول

ومن مقطوعاته قوله :

ولا دار من يالف الهون دارا
غنى النفس فاتخذها شعارا
فيحسن إلا وساء انتشارا
فيألم قلبك [منه]^(٤) انكسارا
تساقط عليك الأمانى نارا

أقل فما الفقر بالمرء عار
وما يكسب العز إلا الغنى
وما اجتمع الشمل في غيره
فدهر غيرك لا تنظرن
وهزى إليك يجذع الرضى

(١) هكذا في المخطوطين . وفي نص : يبسم .

(٢) في المخطوطين : للعيون .

(٣) هذه الكلمات وردت في « ح » وفي الملكية . وأغفلت في « ك » .

(٤) ساقطة في المخطوطين .

وقال أيضاً :

العلمُ حُسْنٌ وَزَيْنٌ والجِهلُ قُبْحٌ وَشَيْنٌ
والمالُ عِزٌّ وَعَيْشٌ والفقْرُ ذُلٌّ وَحَيْنٌ
والناسُ أَعْضَاءُ جِسْمٍ فمنهمُ أَسَتْ وَعَيْنٌ
هذى مقالةٌ حَفِيٌّ ما فى الذى قلتُ مَبِينٌ

وقال أيضاً :

إن أراك الزمانُ وجهاً عَجُوساً^(١) لا يهْمَنُكَ حالُه إنَّ فى طَرْفِ
أى عِزٍّ رأيتُ أو أَيْ ذُلٍّ لذوى الحالِّينِ فى الدهرِ يَبْقَى
سَلَّ نِجْمَ الدجى إذا ما استسارت ما الذى فى وقتِ الظَّهِيرَةِ تَلْقَى
وتفكرُ وقُلِّ بغيرِ ارتيابِ كلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَرَبِّكَ يَبْقَى
وقال أيضاً :

لو أن أيامَ الشَّبابِ تعودُ لى عَوْدُ النَّضَارَةِ لِلغَضَبِ المورقِ
ما إن بَكَّيتُ على شِبابٍ قد ذوى وبقيتُ مُنْتَظِراً لآخرِ موثقِ

وقال فى القلم :

للك القلمُ الأعلى الذى طال ثَمْرُه وإن لم يكنِ إلا قصيراً مُجَوِّفاً
تُعَلِّمُ منه [الناس] ^(٤) أبدأعَ حِكْمَةً فها هو أمضى ما يكونُ مُحَرِّفاً

(١) هكذا فى «ح» . وفى «س» : حوسا .

(٢) فى المخطوطين : فستلق .

(٣) فى المخطوطين : ويسقى .

(٤) ساقطة فى المخطوطين وفى الملكية .

وقال في التشبيه :

كأنما السُّوسنُ الغضُّ الذي افْتَتِحَتْ منه كَأَنَّهُ المَبِيضَةُ اللّون
بنانٌ كَفَّ فَنَاءَةً قَطَّ مَا خَضَبَتْ^(١) تَلَقَى بِهَا مَنْ يَرَاهَا خَيْفَةَ العَيْنِ

وقال يُعْرَضُ بقوم من بنى أَرْقَم :

إذا ما نَزَلَتْ بَوَادِي الآسِمْ قَلَّ رَبٌّ مِنْ لَدَغِهِ سَلْمٌ
وكيف السّلامَةُ في مَوْطِنِ به عُصْبَةٌ مِنْ بنى أَرْقَم

وقال مزرياً باللقمه . وهو بديع :

لِي دَيْنٌ عَلَى اللّيلَى قَدِيمٌ ثابِتُ الرِّسْمِ مِنْذُ خَمْسِينَ حِجَّةً
أَقَاعِدًا بِالْحَكْمِ عَلَيْهَا أَمْ لَهَا فِي تَقَادُمِ الدَّهْرِ حِجَّةً

ونحتم مقطوعاته بقوله :

نَجَوْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ مِمَّا أَخَافُهُ وَلَيْمَ لَا وَخَيْرُ العَالَمِينَ شَفِيعُ
وما ضِعْتُ في الدنْيا بغيرِ شفاعَةِ فَكَيْفَ إِذَا كانَ الشَّفِيعُ أَضِيعُ

وقال أيضاً :

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِيمَا تَرُومُهُ مِنْ الأَمْرِ تَخْلُصُ بِالرَّامِ وَبِالأَجْرِ
وَلَا تَرَجُ غَيْرَ اللَّهِ فِي نَيْلِ حاجَةٍ وَلَا دَفَعُ صُرٍّ فِي سِرارٍ وَلَا جَهْرٍ
فَمِنْ أُمَّ^(٢) غَيْرِ اللَّهِ أَشْرَكَ عاجِلاً وَفارِقَهُ إِيمانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرُ

(١) هكذا في «ح» . وفي «ك» . خطبت .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي «ت» رام .

وفاته

توفي قاضياً ببرجة^(١) ؛ وسيق إلى غرناطة فدفن بباب البيرة عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ربيع عام خمسة وأربعين وسبعمائة .

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوى

من أهل قَنْتُورِيَّة^(٢) . من حصون وادي المنصورة .

حاله

هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة ، كثير التواضع ، منحط في ذمّة التخلُّق ، نابه الهيئة ، حسن الأخلاق ، جميلُ العشرة ، مُحِبٌّ^(٣) في الأدب ؛ قفى ببلده وبغيره ، وحجَّ وقيدَ رحلته في سفر^(٤) ، وصف فيه البلاد ومن لقي . بفصول جلب أكثرها من كلام البلاد الأصبهاني . وصفوان وغيرهما ، من مُلح . وقفل إلى الأندلس . وارتسم في تونس في الكتابة عن أميرها زماناً يسيراً ؛ وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية .

وجرى ذكره في الرحلة^(٥) التي صدرت عني في صحبة الرُّكَّاب السلطاني عند

(١) سبق التعريف بها (أنظر الحاشية في ص ١٥٨) .

(٢) قنتورية ، وبالإسبانية Cantoria . وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية . تقع على نهر المنصورة على مقربة من بلدة المنصورية . وقد سبق التعريف بهذا النهر وواديه (راجع الحاشية في ص ٤٨٧) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «ك» محبب .

(٤) وردت في المخطوطين : سفن . وهو تحريف . وقد قام البلوى برحلته في المشرق بين سنتي ٧٣٦ ر ٥٧٤٠ . وزار المغرب ومصر والشام والحجاز وأدى فريضة الحج ووضع عن رحلته كتاباً سماه «تاج المشرق في تحلية أهل المشرق» وهو لا يزال مخطوطاً .

(٥) هي رسالة ابن الخطيب المسماه «خطرة الصيف في رحلة الشتاء والصيف» . وقد عرفنا بها في المقدمة .

تَفْتَدُ البلاد الشرقية : في فصل حَفِظَه الناس ، وأجره في فكاهاتهم وهو :

« حَتَّى إِذَا الْفَجْرُ تَبَلَّجَ ^(١) . وَالصُّبْحُ مِنْ بَابِ الْمَشْرِقِ تَوَلَّجَ . عُدْنَا ^(٢) وَتَوْفِيقُ اللَّهِ قَائِدٌ ، وَكُنْفُنَا ^(٣) مِنْ عِنَايَتِهِ صَلَوةٌ وَعَائِدٌ ، تَتَلَقَّى رُكَابُنَا الْأَفْوَاجُ ، وَتَحْيِيئُنَا الْمَضَابِ وَالْفِجَاجُ إِلَى قَنْتُورِيَّةٍ ، فَنَأْهِيكُ مِنْ مَرِحَلَةٍ قَصِيرَةٍ كَأَيَّامِ الْوَصَالِ ، قَرِيبَةٍ الْبُكَرِ مِنَ الْأَصَالِ ، كَانَ التُّبَيْتُ بِإِزَاءِ قَلْعَتِهَا السَّامِيَةِ الْارْتِفَاعِ ، الشَّهِيرَةِ الْاِمْتِنَاعِ ؛ وَقَدْ بَرَزَ أَهْلُهَا فِي الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ : وَالِاحْتِفَالِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ الْعَهْدُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ ، صَفُوقًا بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ خَيْلًا وَرِجَالًا كَشَطْرِنِجِ الرَّقْعَةِ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ وَلَدٌ عَنْ وَالِدٍ ، وَرَكِبُ قَاضِيهَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ ؛ وَقَدْ شَهَرَتْهُ النَّزْعَةُ ، الْحِجَازِيَّةُ ، وَقَدْ لَبِسَ مِنَ الْحِجَازِيِّ ، وَأُرْخِيَ مِنَ الْبِيضِ طَيْلَسَانًا ^(٤) . وَتَشَبَّهَ بِالْمَشَارِقَةِ شَكْلًا وَلِسَانًا ، وَصَبَّغَ لِحْيَتَهُ بِالْحِنَاءِ وَالسَّكَمِ ^(٥) ، وَلاَثَ عِمَامَتِهِ وَاخْتَمَ ، وَالْبِدَاوَةَ تُسَمُّهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ، وَطَبِيعُ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ يَقُودُهُ قُودَ الْجَمَلِ الْمَخْطُومِ ، فَدَاعَبَتْهُ مَدَاعِبَةُ الْأَدِيبِ لِلْأَدِيبِ ؛ وَالْأَرِيبُ لِلْأَرِيبِ ، وَخَيْرَتُهُ بَيْنَ خَصَلَتَيْنِ ، وَقَلَّتْ نَظْمَتُ مَقْطُوعَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا مَدْحٌ ، وَالْأُخْرَى قَدْحٌ ؛ فَإِنْ هَمَّتْ دِيْبَتُكَ ، وَكُرِّمَتْ شَيْمَتُكَ ، فَللَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى . وَإِلَّا فَالْمَثَلُ الْأَدْنَى . فَقَالَ ، انشِدْنِي لِأَرَى عَلَى أَيِّ أَمْرٍ أَتَيْتَ ، وَأَفْرُقُ بَيْنَ مَا جَنَيْتَنِي وَمَا جَنَيْتُ . قُلْتُ :

قالوا وقد عظمت مسبرة خالد قارى الضيوف بطارف ^(٦) وبنالدا
ماذا تممت ^(٧) به فجت بحجة قطعت بكل مجادل ومجالدا

(١) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «ك» : تَلَجَّ .

(٢) هَكَذَا فِي «ج» وَالْمَلِكِيَّةِ . وَفِي «ك» : زَهْدُنَا

(٣) هَكَذَا فِي «ك» . وَفِي «ج» وَكُنْفَهُ .

(٤) هَكَذَا فِي «ح» . وَفِي «ك» : كَيْطَلَسَانَ .

(٥) هُوَ نَبَاتٌ مَخْضَبٌ بِهِ السَّوَادُ .

(٦) فِي الْمَخْطُوبَيْنِ : بِالطَّارِفِ . وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ الْوِزْنِ وَالسِّيَاقِ .

(٧) فِي الْمَخْطُوبَيْنِ : تَمَّتْ .

أَنْ يَفْتَرِقَ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقْنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ

وأما الثانية فيكفي من البرق شعاعه ، وحسبك من شر سماعه . ويسير التنبيه كافٍ للتبيه^(١) ، فقال ، لست إلى قرأى بنى حاجة ، وإذا عزمت^(٢) فأصالحك على دجاجة ، ققلت ضريبة غريبة ، ومؤنة قريبة ؛ عجل ولا تؤجل ، وإن انصرم أمد النهار فأمسجِل ؛ فلم يكن إلا كلاً ولا ، وأعوانه من القلعة تنحدر ، والبشر منهم بقدمها يبتدر . يزفونها كالعروس فوق الرؤوس . فن قائل يقول أمها يمانية ، وآخر يقول أخوها الخصى الموجه إلى الحضرة العلية ، وأذنوا مراياها من المضرب بعد صلاة المغرب ، وأحفوا في السوال ، وتشاطوا في طلب النوال ؛ ققلت يابني الأسكينة جئتم بيازى ، باذا كنت أجازى ، فانصرفوا وما كادوا يفعلون ، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ؛ حتى إذا سلّت لذبحها المدي ، وبلغت من طول^(٣) أعمارها المدي ، قلت يا قوم ظفرتكم بقرّة^(٤) العين ، وابتشروا باقتراب^(٥) اللقاء ، فقد ذبجت لكم غراب البين .

ولقد بلغني أنه لهذا العهد بعد أن طال المدي ، يتظلم من ذلك ، وينطوى من أجله على الوجدة ، فكسبت إليه : وصل الله عزّة النقيه النبيه . المديم النظير والتشبيه ؛ وارث العدالة عن عمه وابن أبيه ، في عزّة تظلل ، وولاية تتوجّج جاهه وتسكّاله .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» : التنبيه .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : أعزمت .

(٣) وردت في «ج» . وأغفلت في «ك» .

(٤) وردت في «ج» . وأغفلت في «ك» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «ك» . بالتراب .

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر
ابن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأندلي^(١)

يكنى أباسليمان .

أوليته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ؛ من بيت علم وعفاف ، أصله من أندلس^(٢) ،
حصن بشرقي الأندلس ، وانتقل أبو سليمان هذا مع أخيه أبي محمد إلى حيث
يذكر بعد .

حالُه

قال ابن عبد الملك ، كان حافظاً للقراءة . عارفاً بإقراء القرآن بها : أتتَن ذلك
عن أبيه ، ثم أخيه كبيره أبي محمد ؛ محدثاً متسع الرواية ، شديد العناية بها ، كثير
السمع ، مُكثراً ، عدلاً ، ضابطاً لما ينقله ، عارفاً بطرق الحديث ، أطال الرحلة
في بلاد الأندلس ، شرقها وغربها ، طالبا للعلم بها ، ورحل إلى سببها وغيرها من بلاد
الأندلس العدوية^(٣) . وعُني بلقاء الشيوخ كباراً وصغاراً ، والأخذ منهم ، أتمَّ عناية ؛

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الأبدى) نسب إلى أبدة . . هو نحرينف . وصوابه (الأندلي)

نسبة إلى بلدة «أندة» كما هو مسطور في «باق الترجمة في غير موضع .

(٢) أندة بلدة أندلسية صغيرة من بلاد ولاية نانسبة .

(٣) أعني الجهات التي كانت تابعة للأندلس في «عدة الأندلي» من البحر .

وحصل له بذلك ما لم يحصل لغيره ؛ وكان فهمياً بصيراً بعقد الشروط ، حاذقاً في استخراج نكتها ، تلبس بكتبتها زماناً طويلاً بمسجد الوحيد من مالقة ؛ وكان محباً في العلم وأهله ، حريصاً على إفادته أيامهم ، صبوراً على سماع الحديث ، حسن الخلق طيب النفس ؛ متواضعا ، ورعا ، منة بضا ، لئب الجانب ، مخفوض الجناح ، حسن الهدى ، نزيه النفس ، كثير الحياء ، رقيق القلب ، تعدد الثناء عليه من الجلة .

قال ابن الزبير ؛ كان من أهل العدالة والفضل ، وحسن الخلق ، وطيب النفس والتواضع ، وكثرة الحياء . وقال ابن عبد المجيد ، كان ممن فضله الله بحسن الخلق والحياء على كثير من العلماء . وقال أبو عبد الله بن سلمة [مثل ذلك] ^(١) . وقال ابن ^(٢) . . . بمثله .

مشيخته

قال الأستاذ ؛ أقرأ بمرسيه ، وأخذ بها ، وبقرطبه ، ومالقة ، وإشبيلية ، وغرناطة وسبنة ، وغيرها من بلاد الأندلس . وغرب المدونه ؛ واعتناؤه يمينه [وأخاه] ^(٣) بباب الرواة ، والأخذ عن الشيوخ ، حتى اجتمع لهما ما لم يجتمع لأحد من أهل عصرهما ؛ فمن ذلك أبوهما أبو داود ^(٤) . وأبو الحسن صالح بن يحيى بن صالح الأنصاري ، وأبو القاسم بن حسن ، وأبو عبد الله بن حميد ، وأبو زيد الشهيلي ، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عراق الغافقي ، وأبو العباس يحيى بن عبد الرحمن المجرطي ^(٥) ، وعن

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية : كذلك .

(٢) لم يرد بعدها باق الاسم في المخطوطات الأربعة .

(٣) وردت في المخطوطين : (أخباره) . وقد رجحنا أن يكون تحريفاً لكلمة (وأخاه) . يؤيد ذلك باق السياق .

(٤) وردت في «ج» وأغفلت في «ك» .

(٥) نسبة إلى مجريط (وبالإسبانية Magerit) . وهي القاعدة الإسلامية الحصينة التي كانت

تقع شمال مدينة مدريد الحديثة ، والتي حرف اسمها فيما بعد إلى اسم العاصمة الإسبانية .

ابن بَشْكَوَال^(١) . وأخذ عن أبي بكر بن الجدد . وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي محمد ابن عبد الله . وأبي عبد الله بن الفَخَّار الحافظ . وأبي العباس بن مضاء ، وأبي محمد ابن بُونَه^(٢) . وأبي محمد بن عبد الصمد بن يعيش الغَسَّاني ، وأبي بكر بن أبي حمزة ، وأبي جعفر بن حَكَم الزَّاهِد ، وأبي خالد بن يزيد بن رفاعه ، وأبي محمد عبد المنعم ابن الفَرَس ، وأبي الحسن بن كَوَثَر ، وأبي عبد الله بن عَرُوس ، وأبي بكر بن أبي زَمَنِين ، وأبي محمد بن جُمَّور ، وأبي بكر بن النِّيار ، وأبي الحسن بن محمد بن عبد العزيز النافقي الشَّقُورِي . وأبي القاسم الحُوفِي القاضِي . وأبي بكر بن بيش^(٣) بن محمد ابن بيش^(٣) العَبْدَرِي ، وأبي الوليد بن جابر بن هشام الحَضْرَمِي ، وأبي بكر ابن مالك الشَّرِيشِي ، وأبي عبد اليُسْر الجزيري ، وأبي بكر بن عبد الله السَّكْسَكِي^(٤) وأبي الحجاج ابن الشيخ الفهري ، وغيرهم من يطول ذكرهم .

قضاؤه وسيرته فيه

قال ابن أبي الربيع^(٥) لازمت ابني^(٦) حوط الله ، فكان أبو محمد يفوق أخاه والناس في العلم ، وكان أبو سليمان يفوق أخاه والناس في الحلم . واستتضي بسبته والمريّة والجزيرة الخضراء ، وقام قاضياً بها مدة ، ثم نقل منها إلى قضاء بكنسية آخر ثمان وستائة ، ثم صرف بأبي القاسم بن نوح ، وقُدِّم على القضاء بمالقة في حدود إحدى عشر وستائة ، فشكرت أحواله كلها ، وعُرف في قضاؤه بالنزاهة . قال

(١) وردت في المخطوطين محرفة : ابن شكوال .

(٢) وردت في المخطوطين محرفة . بونو . وبونوا . والتصويب من « صلة الصلة » (ص ٧) .

(٣) هكذا وردت في « ك » . ووردتا محرفتين في « ج » : (يبشر . بيش) .

(٤) هكذا وردت في « ك » . وفي « ج » ، والسكساكي .

(٥) في المخطوطين : ابن الربيع .

(٦) وردت في المخطوطين : أبي : والتصويب يحتلزمه السياق .

أبو عبد الله بن سلامة ؛ كان إذا حضر خصوم^(١) ، ظهر منه [من]^(٢) التواضع ، ووظافة الأكتاف . وتبيين المرشد والصبر على المداواة . والملاطفة ، وتحميد الحق ، وتكريمه الباطل ، ما يُعجز عنه . ولقد حضرته . وقد أوجبت الأحكام عنده^(٣) الحدود على رجل ، فماله الأمر ، وذرفت عيناه . وأخذ يعتب عليه ويؤنبه على أن ساق نفسه إلى هدا ؛ وأمر بإخراجه ليُحدَّ بشهود في موضع آخر لرقه نفسه ، وشدة إشفاقه . واستمرت ولايته بمالقة إلى أن توفي .

مولده

ببلدة أُنْدَة سنة ستين وخمسمائة .

وفاته

قال أبو عبد الرحمن بن غالب ؛ توفي إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس وبيع الآخر سنة إحدى وعشرين وستمائة ، ودفن إثر صلاة العصر يوم وفاته ، بسفح جبل قارة^(٤) ، في الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد ، فأتبعه الناس ثناء جميلا ؛ ذكر ، واختافوا في جنازته ، وخرج إليها النساء والصبيان داعين مُتَبَكِّين .

رِضْوَانُ النَّصْرِيِّ الْحَاجِبِ الْمُعْظَمِ

حَسَنَةُ الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ ، وَفَخْرُ مَوَالِيهَا .

-
- (١) هكذا في الملكية . وردت في « ح » حضر خصما . وفي « ك » خصوماً .
 (٢) ساقطة في المخطوطين : ولازمة للساق .
 (٣) هكذا في « ك » . وفي « ح » عد .
 (٤) هو الجبل الذي يشرف على مدينة مالقة من ناحية الجنوب الشرقى . وهو يقع تجاه قسبة مالقة . ويقع عليه الحصن المسمى بنفس الاسم . وهو بالإسبانية Gibralfaro .

أوليته

روى الأصل . أخبرني أنه من أهل القلصادة^(١) ، وأن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طرف العمومة . والبرجلونية^(٢) من طرف الخؤولة ، وكلاهما نبيه في قومه . وأن أباه ألباه الخوف بدم ارتسكبه في محل أصلته من داخل قشتالة إلى السكني بحيث ذكر ، ووقع عليه سبانه^(٣) في سن الطفولية^(٤) ، واستقر بسببه بالدار السلطانية ، ومحض^(٥) إحرار رقه ، السلطان دايل قومه ، أبو الوليد المار ذكره ، فاختص به ، ولازمه قبل تصيير الملك إليه ، مؤثراً له مغتبطاً بمحافل فضله ، وتمائل استقامته ، ثم صير الملك إليه فتدرج في معارج خطوته ، واختص بتربية ولده ، وركن إلى فضل أمانته ، وخلطه في قرب الجوار بنفسه ، واستجلى الأمور المشككة بصدقه . وجعل الجوائز السنوية لعطاء دولته على يده ، وكان يوجب حقه ، ويعرف فضله ، إلى أن هلك ، فتعلق بكنف ولده ، وحفظ شمله ، ودبر ملكه ، فكان آخر اللخف ، وستراً للحرم ، وشجى للعدا وعدة في الشدة ، وزيناً في الرخاء ، ورحمة الله عليه .

حاله وصفته

كان هذا الرجل مليح الشئبة والهيئة . معتدل القمد والسحنة . مُرهب البدن .

(١) وردت في المخطوطين : (انقلاصة) بالراء . وهو تحريف . وصوابه القلصادة . وهي بلدة La Calzada de Calatrava الواقعة جنوب قشتالة في شمال مدينة بياسة في منتصف الطريق بينها وبين طليطلة .

(٢) القشتالية نسبة إلى قشتالة Castile . والبرجلونية نسبة إلى برجلونة أو برشلونة أو بعبارة أخرى إلى أراجون .

(٣) أى أسر .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) في المخطوطين : محض .

مُقبل الصورة ، حسن الخلق ، واسع الصدر^(١) . أصيل الرأي . رصين^(٢) العقل ، كثير التجمل ، عظيم الصبر ، قليل الخوف في الهيئات ، ثابت القدم في الأزمات ، ميمون النقيبة^(٣) ، عزيز النفس . على الهمة . بادي الحشمة . آية في العفة ، مثلاً في النزاهة ، ملتزماً للسنة . دؤباً على الجماعة : جليس القبلة ؛ شديد الإدراك مع السكون ، ثاقب الذهن مع إظهار الغفلة ، مليح الدعابة مع الوقار والسكينة ؛ مستظهِراً لعيون التاريخ ؛ ذا كراً للكثير من الفقه والحديث ؛ كثير الدالة^(٤) على تصوير الأقاليم وأوضاع البلاد ، عارفاً للسياسة ، مُكرماً للعلماء ؛ مُتركاً للهوادة^(٥) ، قليل التصنع ؛ نافراً من أهل البدع ؛ متساوياً الظاهر والباطن ؛ مقتصداً في المطعم والملبس .

مكانته من الدين

أثقف على أنه لم يُعاقب مُسكراً [قط]^(٦) ولا زُنَّ بهنأة ؛ ولا أُطِخ برية ؛ ولا وُصم بخلَّة تَمَدح في مَنْصِب ، ولا باشر عقاب جاز^(٧) ، ولا أظهر شفاء من غائظ ، ولا اكتسب من غير التجر والفلاحة مالا .

آثاره

أحدث المدرسة بفرناطة . ولم تكن بها بعد ، وسبب إليها الفوائد ، ووقف

(١) وردت بعدها في المخطوطين هذه العبارة : (متين . سليم الصدر) . ويلوح لنا أنه تكرر وتحريف . ولهذا رأينا حذفها .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : رصيد .

(٣) أي محمود الخبر .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين : والمقصود بها العلم والإحاطة .

(٥) في المخطوطين : للهودة .

(٦) للزيادة من الملكية .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين ، والملكية . وقد تعني عقاب مستحق له .

عليها الرُّباعُ المُغَلَّةُ ، وانفرد بِمَنْقَبِهَا^(١) : فجماعت نسيجة وحدها بهجة وصدراً
 وظرفاً وفخامة ، وجَلَبَ الماءُ | الكثير إليها من النهر^(٢) ، فأيد سقيها ؛ وأدار
 السُّورَ الأعظمَ على الرِّبضِ الكبيرِ المنسوبِ للبيازين^(٣) : فانتظم منه المنجد
 والغور : في زمان قريب : وشارف التمام إلى هذا العهد : وبني من الأبراج المنبوعة
 في منالم الثغور وروابي^(٤) مطالعها المُنذرة : ما ينديفُ على أربعين بُرجاً ؛ فهي
 مائلة كالنجوم ما بين البحر الشرقي من ثغر بيرة^(٥) إلى الأحواز الغربية ؛ وأجرى
 الماءَ بمجبلٍ مَوْرُورٍ : مُهْتدياً إلى ماخفي على من تقدّمه ؛ وأفذاذ أمثال هذه الأتقاب
 يشقُّ تعداده .

جهاده

غزا في السادس والعشرين من محرم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة بجيش مدينة
 باغة^(٦) ؛ وهي ما هي من الشهرة ؛ وكرم اليقعة ؛ فأخذ بِمُخَنَقِهَا ؛ وشدَّ حصارها
 وعاق الصريح عنها ؛ فتملَّكها عنوة ؛ وعمرها بالحجارة ، ورتبها بالمرابطة ، فكان الفتح
 فيها عظيماً . وفي أوائل شهر المحرم من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة غزا بالجيش عدو
 المشرق ؛ وطوى المراحل مجتازاً على بلاد قشتالة ؛ لُورَقة ومُرسية ؛ وأمن فيها ؛
 ونازل حصن المدوّر ؛ وهو حصن أمنٍ غائلة العدو [مكنتفٌ بالبلاد ؛ مُدَّ
 بالبسييني^(٧) ؛ موضوعٌ على طيبة التجارة ؛ وناشبه القتال ، فاستولى عنوة]^(٨)
 عليه منتصف المحرم من العام المذكور ، وآب ملوء الحقائق سبياً وغنائماً .

- (١) أي بفضلها ومآثرها .
- (٢) هذه الزيادة من الملكية . ووردت مكانها في «ج» كلمة (الموقف) .
- (٣) ما تزال ثمة إلى اليوم بقية من هذا السور قائمة وراء ربض البيازين بقرنطرة .
- (٤) هكذا في «ح» . وفي «ك» : ورواق .
- (٥) بيرة Vera وقد سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١٠٩) .
- (٦) باغة وبالإسبانية Priego هي بلدة حصينة قديمة تقع شمال لوشة في ولاية جيان .
- (٧) الآلات والتجهيزات الضخمة .
- (٨) ما بين الحاصرتين وارد في «ك» . وساقط في «ج» .

وغزواته كثيرة ، كظاهرة الأمير الشهير أبي مالك على مُنازلة جبل الفتح ، وما اشتهر عنه فيه من الجِد والصبر ، وأوثر عنه من المنقبة ، الدالة على صحة اليقين ، وصدق الجهاد ، إذ أصابه سهم في ذراعه وهو يصلي ، فلم يشغله عن صلاته ، ولا حمله توقعُ الإغارة على إبطال عمله .

ترتيب خدمته

وما تخال عن ذلك من محنته

لما استوثق أمرُ الأمير المخصوص بتربيته ، محمد ، ابن أمير المساهين أبي الوليد نصر ، وقام بالأمر وكيل أبيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن المحروق ؛ ووقع بينه وبين المترجم عهدٌ على الوفاء والمُناصحة ، ولم يلبث أن نكبه وقبض عليه ليلة كذا من رجب عام ثمانية وعشرين وسبعمائة ، وبعثه ليلاً إلى مَرَمِي المُنكَب^(١) ، واعتقله في المُطَبَّق من قصبتهما بغيّاً عليه ، وارتكب فيه أشنوعة أساءت به العامة ، وأنذرت باختلال الحال ؛ ثم أجازته البحر ، فاستقر بِسَلْمَسَان ؛ ولم يلبث أن قُتل المذكور ؛ وبادر سلعاناه المورتور بفرقة^(٢) عن سُدَّته ؛ فاستدعاه^(٣) فاحق محله من هَضْبَةِ المُلْك مُتَمَلِّياً ماشاء من عز وعناية ؛ فصُرِفَتْ إليه المقاليد ، ونيطت به الأمور ؛ وأُسْلِمَ إليه المُلْك ؛ وأُطْلِقَتْ يده في المال^(٤) ؛ واستمرت الأحوال إلى عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ؛ والتأث الأمر ؛ وظهر من سلعاناه التَنكُرُ^(٥)

(١) المنكب Almuncar هو ثغر صغير تقع على البحر الأبيض المتوسط في جنوب ولاية مرناطة . وقد اشتهر في تاريخ الأندلس بنزول عبد الرحمن الداخل فيه .
(٢) وردت في المخطوطين : بغيره ، وهو مَرَمِي . وبالتصويب يستقيم السياق .
(٣) في المخطوطين : استدعاه .
(٤) وردت في المخطوطين : الحال . ونعتقد أن التصويب في محله .
(٥) في المخطوطين : المتنكر .

عليه ، فعاجله الحمام فخاصه الله منه ، وولى أخوه أبو الحجاج من بعده ، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ، فرضى الكلُّ به . وفرحت العامة والخاصة للخطة ، لارتفاع المناقسات بمكانه ، ورضى الأضداد بتوسطه . وطابت النفوس بالأمن من غائلته ، فتولى الوزارة وسحب أذيل الملك . وانفرد بالأمر ، واجتهد في تنفيذ الأحكام . وتقدم الولاية . وجواب المخاطبات ، وقواد الجيوش ، إلى ليلة الأحد الثاني والعشرين من رجب عام أربعين وسبعمائة ، فنسبته الأمير المذكور نكبة ثقيلة^(١) البرك ، هائلة الفجأة من غير زلة مأثورة ، ولا سقطة معروفة ، إلا مالا يُعَدُّم بأبواب الملوك من شرور المناقسات ، وديبب السعيات الكاذبة ، وقبض عليه بين يدي محراب الجامع من الحمراء^(٢) إثر صلاة المغرب ، وقد شهر الرجال سيوفهم فوقه يحفون به ، ويقودونه إلى بعض دور الحمراء ، وكبس ثقات السلطان منزله ، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة . وضم إلى المستخلص^(٣) عقاره ، وسوغ الخبر عظيم غلاته ، ثم نقل بعد أيام إلى قسبة ألمرية محمولا على الظهر ، فشدَّ بها اعتقاله ، ورتب الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثاني من عام أحد وأربعين وسبعمائة ، فبدأ للسلطان في أمره واضطر إلى إعادته^(٤) . ووجد قدّم نصحه . وأشفق لما عديم من أمانته ، والاتفاح برأيه ، وعرض عليه بما لنوم الكف والإقصار عن ضره ، فعماعنه ، وأعادته إلى محله من الكرامة ، وصرف عليه من ماله ، وعرض الوزارة فأبأها . واختار برد العافية ، وأيس لذة التنجلى ، فتقدم لذلك من سدِّ الثغور . فكان له اللفظ ، ولهذا الرجل المعنى ؛ فلم [يزل]^(٥) مفرعاً للرأى ، مُحلّى في العظة على الولاية ، كثير الآمل والغاشى ،

(١) في « ح » بقبلة . و « ك » نفيلة . والنصويب أرجح .

(٢) مسجد الحمراء الكبير ، كان يقوم فوق هضبة الحمراء على مقربة من القصر ، ومكانه اليوم كنيسة سينا مربي الواقعة على مقربة من قصر سارلكان القائم تجاه قصر الحمراء .

(٣) المسخلص أى أملاك السلطان .

(٤) وردت في المخطوطين : إعانه . وبالنصوب يستقيم المعنى .

(٥) سافطة في المخطوطين .

إلى أن توفي السلطان المذكور غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة ، فشعب الثأى ^(١) ، وحفظ البلوى ، وأخذ البيعة لولده سلطاننا الأسعد أبي عبد الله ، وقام خير قيام بأمره ، وجرى على معهود استيرائه ^(٢) . وقد تحكمت التجربة ، وعكلت السن ، وزادت أنة الخشية ، وقربت من لقاء الله الشقة ؛ فلا تسأل عما حطّ من خل ، وأفاض من عدل ، وبذل من مداراة ؛ وحاول عقد السلم ، وسدّ أمور الجند على القل ؛ ودامت حاله متصلة على ما ذكر ، وسنّه تتوسط عشر التسعين إلى أن لحق بربه . وقد علم الله أنى لم يحملى على تقرير سيرته ، والإشادة بمنقبتة داعية ، وإنما هو قول بالحق ، وتسليم الحجة الفضل ، وعدل فى الوصف ؛ والله عز وجل يقول : « وإذا قلتم فاعدلوا » .

وفاته

فى ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان من عام ستين وسبعمائة ، طرق منزله بعد فراغه من إحياء ثلث الليل ، متبذلاً اللبسة ، خالص الطوية ، مقتضياً للأمن مستشعراً للعافية ، قائماً على المسلمين بالكل ، حاملاً للعظيمة ، وقد بادره الغادرون بسلطانه ، فكسروا غلقة بعد طول مماجة ، ودخلوا عايه وقتلوه بين أهله وولده ، وذهبوا إلى الدآيل برأسه ، وفجعوا الإسلام ، بالسائس الخصيب المتغاضى ^(٣) ، ركب متن الصبر ، ومطوق طوق النزاهة والعفاف ، وآخر رجال الكمال والستر . الضافى على الأندلس ؛ ولو ثم من الغديين رأسه وجسده ، ودفن بإزاء لحود ^(٤) مواليه ^(٥)

(١) وردت فى « ك » الشانن . وفى « ج » الشانن .

(٢) تقرأ فى المخطوطين : استبراده . وهو تحريف .

(٣) وردت فى « ج » والملكية ، المغاضى . وفى « ك » المقاضى .

(٤) وردت محرقة فى المخطوطين : (لحود . انجود) .

(٥) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : مواليفه .

من السبيكة^(١) ظهراً . ولم يشهد جنازته إلا القليل من الناس؛ و تُبرك بعد بقره .
وقلت عند الصلاة عليه ، أخطبه دون الجهر من القول لمكان التقية :

أرضوان لا توحشك فتكهُ ظالم	فلا موردٌ إلا سيتلوه مَصَدَر
ولله سرٌّ في العباد مُغَيَّبٌ	يشهد بخافيه ^(٢) القضاء المقدور
مميحك مرتاحٌ إليك مُسَلِّمٌ	عليك ورضوان من الله أكبر
فثُ المطاليسَ النعيم مُنْعَصٌ	ولا العيشُ في دار الخلود مُكْدَر

زاوى بن زيري بن مناد الصنهاجى

الحاجب المنصور ، يكنى أبا مُثنى .

أوليته

قدم ما حدث بين أبيه زيرى وبين قرابته من ملوك إفريقية ، وباديس بن منصور من المشاحنة التي أوجبت مخاطبة المظفر بن أبى عامر فى اللحاق بالأندلس ، وإذنه فى ذلك . فدخل الأندلس منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب وآثار^(٣) الخنوف ، مع شيخهم هذا وأميرهم ، ودخل منهم معه أبناء أخيه ما كسُن وحُباسة وحبوس . وقاموا فى جملة المظفر ، وزاوى مخصوصٌ باسم الحجابة ، فلما اختل بناء الخلافة ، بمحمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدى ، أذلهم وتنكر لهم ، وأشاع بينهم وبين أمثالهم من البرابر ، المغايرة ، فكان ذلك سبب الفتنة التى يسميها أهل الأندلس

(١) سبق التعريف بها (انظر الحاشية فى ص ١١٦) .

(٢) وردت فى المخطوطين : تجافيه .

(٣) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : وأطار .

بالبربرية؛ فأنحاشوا، ونفروا^(١) عهده، وبايعوا سليمان بن الحكم، واستعانوا بالنصارى، وحركوا على أهل قرطبة خصوصاً، وعلى أهل الأندلس عموماً. ماشاه الله من استباحة^(٢)، وإهلاك النفوس، وغلبوا على ملك الأندلس، وما وراء البيضة، واقتسموا أمهات الأقطار؛ وانجازوا^(٣) إلى بلاد ترضهم، فأنحازت صنهاجة مع رئيسهم المذكور إلى غرناطة، فأووا إليها، وأخذوها ملجأً؛ وحماها زاوى المذكور، وأقام^(٤) بها ملكاً، وأثل بها سلطاناً لذويه، فهو أول من مدّن غرناطة، وبنائها وزادها تشييداً ومنعة؛ واتصل ملكه بها، وارتشحت عروقه؛ إلى أن كان من ظهوره بها وأحوازها، على عساكر الموالي، الراجعين بإمامهم المرتضى إلى قرطبة، البادين بقتاله، والآخذين بكظمه، بما تقرّر ويتقرّر في اسم المرتضى، من لبب المحمّدين بحول الله.

وكان زاوى كبش الحروب، وكاشف الكروب، خدم قومه شهير الذّكر أصيل المجد، المثل المضروب في الدهاء، والرأى، والشجاعة، والأنفة، والحرم. قال بعضهم، أحكم التدبير، والدولة تسمده، والمقادر^(٥) تنجده، وحكيت له في الحروب حكايات عجيبة.

بعض أخباره في الرأى

قال أبو مروان، وقد مرّ ذكر الفتنة البربرية؛ لما خلاص ملاً القوم، لنشاور أميرهم، وهم فرض في خروجهم من قرطبة، عند ما اتهموا إلى فحص هلال،

(١) هكذا في «ك». وفي «ج» والملكية: ونفدوا.

(٢) وردت في «ج». واستبحه. وفي «ك» استباحات.

(٣) هكذا في «ك». وفي «ج» واجتازوا.

(٤) في المخطوطين: وقام.

(٥) بمعنى القده (هنا).

واجتمعوا على التأسى : وضرب لهم زعيمهم زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى ، مثلاً بأرماح خمسة جمعها مشدودة . ودفعها لأشد من حضره منهم ، وقال ؛ إجهد نفسك فى كسرها كما هى وأغمزها . فعالج ذلك فلم يقدر عليه ؛ فقال له حلها وعالجها رُحماً رُحماً ، فلم يبعد عليه دقها فأقبل على الجماعة ، فقال : هذا مثلكم يا برابرة ، إن جمعتم لم تطاقوا ، وإن تفرقتم لم تبقوا ، والجماعة فى طلبكم ، فانظروا لأنفسكم وعجلوا ، فقالوا نأخذ^(١) بالوثيقة ، ولا نلتقى^(٢) بأيدينا [إلى]^(٣) التهلكة ؛ فقال لهم بايعوا لهذا القرشى سليمان ؛ يرفع عنكم الأثمة فى الرياسات^(٤) ، وتستميلون إليه العامة بالجنسية ؛ ففعلوا ، فلما تمت البيعة ، قال إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الإستطالة ، فيقيد له رئيس كل قبيلة منكم ، قبيلة يتكفل السلطان بتقويمهم ، وأنا الكفيل بصنهاجة ؛ قال ، وامتارت بطون القبائل على أرحامها^(٥) ، وقبائلها إلى أخذها وفصائلها ؛ فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيده ، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوى ، ولم تزل^(٦) تلك القبائل المتألفة بالأندلس لطاعة أميرها ، المنادين^(٧) [له]^(٨) إلى أن أورتهم الإمارة .

التوقيع

قالوا ، ولما نازله المرثضى الذى أجلب به الموالى العامريين بظاهر غرناطة ، خاطبه

-
- (١) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : نأخذوا .
(٢) وردت فى المخطوطين : فلقوا على منوال ما يقع فى مواطن كثيرة من إيراد الفعل بالجمع مكان المفرد . وقد فضلنا التصويب ليستقيم السياق .
(٣) ساقطة فى المخطوطين . وواردة فى الملكية .
(٤) هكذا وردت فى « ج » . وفى « ك » : الرياسة .
(٥) هكذا فى « ك » . وفى « ج » والملكية : أرحامهم .
(٦) وردت فى المخطوطين : ولم تر الذم . وبالتصويب يستقيم المعنى .
(٧) فى المخطوطين : المنادين .
(٨) ساقطة فى المخطوطين ، ويقتضها السياق .

بكتاب يدعو فيه إليه طاعته ، وأجل موعده فيه ؛ فلما قرى على زاوى قال لكتابه ، اكتب على ظهر رقعة : « قل يا أيها الكافرون » السورة . فلما بلغت (١) المرتضى أعاد عليه كتاباً يعده فيه بوعيده ، فلما قرى على زاوى ، قال رد عليه : « ألهما كم التكاثر » إلى آخرها ، فازداد المرتضى غيظاً ، وناشبه القتال ، فكان الظهور لزاوى .

قال المؤرخ ؛ واقتلت صنهاجه مع أميرهم مُستميتين لما دهنهم من بحر العساكر ، على انفرادهم وقلة عددهم ، إلى أن انهزم أهل الأندلس ، وطاروا على وجوههم ، مُسلموهم وإفرتهم ، لا يلبون (٢) على أحد ، فأوقع (٣) البرابر (٤) بهم السيف ، ونهبوا تلك المحلات . واحتوا على مالا كفاء له اتساعاً وكثرة ؛ ظلّ الفارس يجي من أتباع المهزبين ومعه العشرة ، ولا تسل عما دون ذلك من فاخر النهب . وخير الفساطيط ، ومضارب الأمراء والرؤساء .

قال ابن حيان ؛ فخلّ بهذه الواقعة على جماعة الأندلس مصيبةً أنست ما قبلها ، ولم يجتمع لهم جمعٌ بعدها وفرّوا بإدبار ، وباعوا بالصغار .

مُنصرفه عن الأندلس

قال المؤرخ ؛ وهول ما عاينه زاوى من اقتدار [أهل] (٥) الأندلس في أيام تلك الحروب وجعاجعهم . وإشرافهم على التغلب عليه ، هان سلطانه عنده بالأندلس ، وخرج عنها نظراً إلى عاقبة أمره ، ودعا بجماعة من قومه لذلك فعصوه ، وركب البحر

(١) هكذا في « ك » . وفي « ج » . أبلغ .

(٢) وردت في المخطوطين : يلبوا . وقد لزم التصويب .

(٣) وردت في المخطوطين : فوقع .

(٤) هكذا في المخطوطين . وهو يستعمل هنا كلمة « البرابر » للتعبير عن البربر . وقد استعمل

من قبل كلمة « البرابرة » في مواطن عدة .

(٥) واردة في « ك » . وساقطة في « ج » .

بميشه وأهله ، فلحق بإفريقية وطنه . قال ، فكان من أغرب الأخبار في الدولة الحمودية^(١) انزعاجُ ذلك الشيخ زاوى عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذى [نالهُ] ^(٢) على أهل الأندلس ، وعبوره البحر ، بعد أن استأذن ابن عمه المعز بن باديس ، فأذن له . وحرص بنو عمه ^(٣) بالقَيْرُوان ، على رجوعه لهم [لحال سنه] ^(٤) ، وتقريبهم يومئذ من مثله من مشيختهم لمهلك جميع إخوتهم ، وحصوله هو [على] ^(٥) مقرر بنى مناد الغريب الشأن ، فى أن لا تُحجب عنهم نساؤهم [وكن] ^(٦) زُهاء ألف امرأة فى ذلك الوقت ، هُن ذوات بحرام من بنات أخوته وبناتهن وبنى بنين . وكان رحيل زاوى عن الأندلس سنة ستة عشر وأربعمائة . قال ابن حبان ، وأخبار هذا ^(٧) الداهية كثيرة ، وأفضاله ونوادره مأثورة .

زهير العامرى ، فتى المنصور بن أبى عامر

حاله

كان شهماً داهية ، شديد المذهب ، مؤثراً للأناة ؛ ولى بعد خيران صاحب المرية ، وقام بأمره أحمد قيام ، سنة تسعة عشر وأربعمائة ، يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى . وكان أميراً بمرسية ، فوجه عنه خيران حين أحس بالموت ، فوصل

(١) هكذا فى « ك » . وفى « ج » والملكىة : الحمودية .

(٢) ساقطة فى المخطوطين . ويستلزمها السياق .

(٣) فى المخطوطين : بنى عمه . وهو تحريف شائع فى المخطوطين .

(٤) وردت هذه العبارة فى المخطوطين : (بحال سيئة) . ونعتقد أن هذا التصوب الذى نورد

من « الذخيرة » ، أرجح وأنسب للمعنى والسياق .

(٥) إضافة يقتضها السياق .

(٦) إضافة يقتضها السياق .

(٧) فى المخطوطين : هذه .

إليه . وكان عذابه يُل أن مات . فرج زهير مع ابن عباس^(١) إلى الناس ، فقال لهم ، أمّا الخليفة خيران فقد مات ؛ وقد قدّم أخاه زهيراً هنا ، فما تقولون ؛ فرى الناس به ، فدامت مدة^(٢) ولايته عشرة أعوام ونصف عام إلى أن قُتل .

مناقبة

قال أبو القاسم الغافقي ؛ وكان حسن السيرة جميها ؛ بنى المسجد في المرية^(٣) ، ودار فيه من جهاته الثلاث المشرق والمغرب والجوف ؛ وبنى مسجداً ببجانة^(٤) ، وشاور الفقهاء ، وعمل بقولهم ؛ وملك قرطبة ، ودخل قصرها ، يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً ونصف شهر .

قال ابن عذارى ؛ وأما زهير الفتي فامتدت أطنابُ مملكته من المرية إلى قرطبة ونواحيها ، وإلى بيّاسة^(٥) ، وإلى الفج من أول طليطلة . وقالوا^(٦) : قرمابينه وبين باديس [فأرسل باديس]^(٧) ؛ إلى زهير رسوله مكاتباً مستدعياً تجديده المخالفة^(٨) ، فسارع زهير ، وأقبل نحوه ، وضيق الحزم ، واغترّ بالعجب ،

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : ابن العباس وهو تحريف . وابن عباس هو أحمد بن عباس ابن زكريا الأنصاري وزير خيران العامري . وقد سبقت ترجمته (ص ٢٥٩ - ٢٦٢) .

(٢) أغفلت هذه الكلمة في « ك » .

(٣) هكذا في « ح » . وفي « ك » بالمرية .

(٤) وردت في « ج » مجاية وهو تحريف . وبجانة وبالإسبانية Pechina بلدة صغيرة تقع

شمال شرق المرية .

(٥) وردت في المخطوطين : بنانه . والتصويب من « البيان المغرب » . والواقع أن بيانه كانت داخل المملكة الإسلامية جنوبي قرطبة والاستيلاء عليها لا يعتبر توسعاً ذو شأن . أما بياسة (وبالإسبانية Baeza) فقد كانت في الشمال ، في أطراف المملكة الإسلامية .

(٦) ما سيلي من كلام ابن حيان في « المقتبس » نقله ابن يسام في « الذخيرة » . وقد رجعتنا في

تحقيق بعض ما ورد فيه إلى الذخيرة (القسم الثاني من المجلد الأول ص ١٦٦ وما بعدها)

(٧) أغفلت هذه العبارة في المخطوطين : ونقلناها عن الذخيرة .

(٨) في المخطوطين : المخالفة . والتصويب من الذخيرة .

ووثق بالكثرة . أنبه شيء بجيء الأُمير السنخيم إلى بابل من سُلالة . قد ترك رسم
الالتقاء بالنظرَاء وغير ذلك من وجوه الحزم وأعرض عن ذلك كله ؛ وأقبل ضارباً
بسوطه^(١) ، حتى تجاوز الحد الذي جرت العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون
إذنه ؛ وصير الأوعار والمضايق خلف ظهره ، فلا يفكر فيها ، واقتحم البلد ، حتى
صار^(٢) إلى باب غرناطة . ولما وصل خرج باديس في جمعه ، وقد أنكر اقتحامه
عليه ، وعدّه حاصلًا في قبضته ؛ [فبدأ بالجيل]^(٣) والتكريم ، وأوسع عليه وعلى
رجالهِ في العطاء والقري ، والتعظيم بما مكن اغترارهم ، وثبت طمأنينتهم ؛ ووقعت
المنظرة بين زهير وباديس ، ومن حضرها من رجال دولتيهما . فنشأ بينهما عارض
الخلاف^(٤) لأول وهلة ، وحمل زهير أمره على التثبط ؛ فعزم باديس على اللقاء
وواقفه عليه قوم من خُدّامه ، فأقام المراتب ، ونصب الكتائب ، وقطع قنطرة
لا يحيد عنها زهير ، والخاص^(٥) لا يشعر ؛ وغاداه عن تمبية مُحكمة ، فلم يرعه
إلا رجة^(٦) القوم راجعين ، فدهش زهير وأصحابه ، إلا أنه أحسن تدبير الثبات
لواستتمه ؛ وقيام فنصب الحرب ، وثبت في قلب العسكر ، وقدم خليفته هذيلًا في
وجوه أصحابه إلى الموالى ، فلما رأتهم^(٧) صنهاجة ، علموا أنهم الحُمة والشوكة ،
ومتى حُصدوا^(٨) لم يثبت من وراءهم ، فاختلفوا بهم ، واشتد القتال ، فحكم
الله لأقل الطائفتين من صنهاجة ليرى قدرته ، فانهزم زهير وأصحابه وتقطعوا ،

(١) هكذا في الذخيرة . وفي المخطوطين : سوطه .

(٢) في المخطوطين : طار .

(٣) وردت هذه العبارة بحرفة في المخطوطين : (فبدأ له بالجيل . فبدأ له بالجيل) . والتصويب

من الذخيرة .

(٤) ساقطة في «ك» . وواردة في الملكية (خلافاً) .

(٥) هكذا في الذخيرة . وفي المخطوطين ، وفي البيان المغرب : الخاص .

(٦) في المخطوطين : وجوه . والتصويب من البيان المغرب .

(٧) وردت في المخطوطين رأوهم . والتصويب أنسب .

(٨) في المخطوطين : حضروا . والتصويب من الذخيرة .

وعمل السيف فيهم فمزقوا ، وقتل زهير ، وجُهل مصرعه؛ وغنم^(١) رجال باديس من المال والمرافق والأسلحة والحلّية والمُدّة والغلمان والخيام ، مالا يُحاط بوصفه . وكانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال ، سنة تسع وعشرين وأربعمائة بقرية ألفت^(٢) خارج غرناطة .

طاححة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي

وأخواه أبو بكر وأبو الحسن بنو القبطرنة^(٣)

يكنى أبا محمد .

حالهم

كانوا عيوناً من عيون الأندلس، ممن اشتهروا بالظرف ؛ والسرو^(٤) والجلالة . وقال أبو الحسن بن بسام وقد ذكر أبا بكر منهم ؛ فقال ، أحد فرسان الكلام ، وحملة السيوف والأقلام ، من أسرة أصالة ، وبيت جلالة ؛ أخذوا العلم أولاً عن آخر ، وورثوه كابراً عن كابر ؛ ثلاثة^(٥) كهقعة الجوزاء^(٦) ، وإن أربوا

(١) وردت في المخطوطين : وختم .

(٢) ألفت . وبالإسبانية Daifontes . بلدة صغيرة تقع على قيد نحو خمسة كيلو مترات من شمال غرناطة .

(٣) وفي هامش « ج » : (الوزراء بنو القبطرنة) . وقد وردت التسمية في « قلائد العقيان » (بنو القبطرنية) . ووردت في كتاب المغرب لابن سعيد (ح ١ ص ٣٦٧) : (بنو القبطورنة) . وواضح أن هذه التسمية ليست عربية . والراجح في شأنها أنها ترجع إلى أصل إسباني ، وأن أصحابها هم أهل الأغلب من الأندلسيين المولدين .

(٤) وردت في « ج » . والملكبة (والسر) وفي « ك » : والسرور .

(٥) في « ك » : كلاثمة .

(٦) ثلاثة كهقعة الجوزاء . أعنى ثلاثة نجوم فوق منكب الجوزاء ، وهي الشاة التي يشق البياض

ظهرها .

عن الشهر في السنا والسنا . كتب أبو محمد عبد العزيز وأخواه عن ملك لمتونة ،
ودخلوا معه غرناطة . ذكر ذلك غير واحد . واجتزأت^(١) بذكر أبي محمد . وأتبعه
أخويه اختصاراً .

شعره

من شعر أبي محمد ، قوله في الاستدعاء :

هلم إلى رَوْضنا^(٢) يا زُهَيْرُ ولُحِّ في سماءِ النُّيِّ يا قمر
وفوقِ إلى الأُنسِ سَهَمِ الإخا ء فقد عَطُلت قوسه والوتر
إذا لم تكن عندنا حاضرآ فما بنصون الأمانى ثمر
وقعت من القلب وقعَ للنُّيِّ وحزت من العين حُسنَ الحَوَرِ

قال أبو نصر^(٣) ؛ بات مع أخويه في أيام صباه ، واستطابة جنوب الشَّباب^(٤)
وصباه ، بالمُنية المسماة بالبديع ، وهو روض كان المتوكل يَكاف بموافاته ، ويتنهج
بمحسن صفاته ، ويقطف رَمحانه وزهره ، ويقف عليه إغفاهه وسهره ، ويستفرجه
الطرب متى ذكره ، ويتهمز فرص الأُنس فيه روحاته وُبكره ، ويدير حمياه
على ضفة نهره^(٥) ، ويخلع سره فيه لطاعة جهره ، ومعه أخواه ؛ فطاردوا اللذات
حتى أنصوها^(٦) ؛ ولبسوا بُرود السرور فما نَصَّوها ؛ حتى صرعتهم العقار ،

(١) في «ج» : وفي «ك» : واجتزأت . وهو تحريف .
(٢) في المخطوطين : أرضنا . والتصويب من «قلائد العقيان» .
(٣) هو أبو نصر الفتح بن خاقان مؤلف «قلائد العقيان» .
(٤) في المخطوطين والملكية . الشمال . والتصويب من القلائد .
(٥) هكذا في «ج» وفي القلائد . وفي «ك» : قصره .
(٦) هكذا في «ج» والقلائد والملكية : وفي «ك» (قضوها) .

وظلمحتهم^(١) تلك الأوقار ؛ فلما همَّ رداه الفجر أن يندى ، وجبين الصبح أن
يبتدى ، قام الوزير أبو محمد فقال :

يا شقيقى وافى الصّباح بوجهه ستر الليل نورُه وبهاؤه
فاصطبِح واغتمِ مسرةً يومٍ لستَ تدرى بما يجيئ مساؤه
ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال :

يا أخى قم ترّ النسيم عليلا باكر الرّوض والمدام ثمثولا
[فى رياض تعانق الزهرُ فيها مثل ما عانق الخليلُ خليلا]^(٢)
لا تم واغتمِ مسرةً يومٍ إن تحت التراب نوماً طويلا
ثم استيقظ أخوها أبو الحسن [وقد ذهب من عقله الوسن]^(٣) ، فقال :

يا صاحبي ذرّا لومي ومعتبتي قم نصطبِح قهوة^(٤) من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة الأيام واغتمنا فاليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبر^(٥)
وقال أبو بكر فى بقرة أخذها له الرنق^(٦) صاحب قلموربه^(٧) ، وقد أعاد أرضه :
وأفقدنيها الرنق أما حقيبة إذا هى حقت ألفت بين وفدين

(١) هكذا فى « ك » ، والقلائد . وفى « ج » : طرحتم .

(٢) هذا البيت ساقط فى المخطوطين والملكية . ونقلناه عن « القلائد » .

(٣) ما بين الحاصرتين من القلائد .

(٤) هكذا فى « ج » . وفى « ك » : نهوة . والمقصود بالقهوة هنا معناها القديم وهو الخمر

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة فى « ج » والقلائد . ووردت فى « ك » كما يلى : (فاليوم خمر

وليل وفى غد خبر) .

(٦) وردت فى المخطوطين وفى الملكية : (الرنق) وهو تحريف لكلمة (ابن الرنق) ، (أو ابن

الريق) وهو الاسم الذى تطلقه الرواية الإسلامية على ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال (١١٢٨ -

١١٨٥ م) وصاحب مدينة قلمرية التى كانت يرمثذ عاصمة للبرتغال . وقد عاش أبو بكر فى هذا العصر

وتوفى بعد سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) فى عهد الملك المشار إليه .

(٧) هكذا رسمت فى المخطوطين ، والرسم الأصح : قلمرية . وهى مدينة أندلسية قديمة تقع

فى شمال البرتغال . وبالإفريقية Coimbra .

تَعْنِي أُمَّيْ عَلَى أَنْ رَيْبِيهَا وَأَنْ أَتَبَعْتَهَا الدَّمَّ مِنْ دِينِ
لَهَا الْفَضْلُ عِنْدِي أَرْضَعْتَنِي [وبالرغم ما بلغتني وأمي حولين] (١)

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر

الرئيس المتوثب على الملك ، وحج كرسى الإمارة ، وعاقده صفقة الخسران
المبين ، يكنى أبا عبد الله .
أوليته ، معروفة .

حاله

« من نفاضة الجراب » وغيره ؛ كان شيطاناً ، ذميمة الخلق ، حَرَفُوشًا ، على
عُرْفِ المشاركة ، مُتْرَامِيًا للخسائس ، مَأْلَفًا للدَّعْرَةَ والأجلاف والسُّوَارِ (٢) وأولى
الريب ، خبيثًا كثير الشكر ، منغمسًا في العيْنِ ، كَلَفًا بالأحداث ، مُتَقَلِّبًا عليهم
في الطرق ، خليع الرَّمَنِ ، ساقط الحشمة ، كثير التَّبَذْلِ ، [قواد عُصْبَةَ
كِلَابٍ] (٣) ، معالجًا لأمراضها ، مباشرًا للصَّيْدِ بها ، راجلًا في ثياب مُنْتَابِ الشعر
من الجلود والسوابل والأسمال ؛ عقده له السلطان على بنته لوقوع القحط في رجال
بيتهم ، ونوَّهه (٤) بالولاية ، وأركبه ، وأغضى له عن موبقات تقصُّره ، إلى
أن هلك ؛ وحاد الأمر عن شقيق زوجته ، واستقرَّ في أخيه ، وثقل على الدولة ،

(١) هكذا رسمت في المخطوطين : وتوجد نصوص أخرى .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : السرار . والسوارى الناقمون .

(٣) في المخطوطين والملكية : (قواد عصابة كلاباً) . وهو تحريف .

(٤) هكذا في « ك » . وفي « ج » والملكية : وتوجهه .

لكراهة طلعتة ، رسوء الأهدوثة به . فأمر بترك المباشرة ، والدخول للقلمة^(١) ، وأذن له في التصرف في البلد والفحص ، وأبقيت عليه النعمة ؛ فدخل أم زوجته ، وضمن لها تمام الأمر لولدها ، وأمدته^(٢) بالمال ، فنظر من المساعير شيعةً ، من كثرة الأغلاق ، وقتلة الزقاق ، ومختلسي البضائع . ومخيفي السابلة ، واستضاف^(٣) من أسافة الدولة ، من آسفته بإقصار قصد ، أو مظل وعد ، أو حط رتبة ، أو عزل عن ولاية ، فاستظهر منهم بعدد ولا ، كالشقي الدليل الموروري ، الغريب الطور ، وإبراهيم بن أبي الفتح المنبوذ بالإضليح ، قريع الجهل . ومستور العظيمة ، وارتادوا عمرة القلمة فاهتدوا منها إلى ماشاها وتألفوا^(٤) بخارج ؛ ثم تسللوا بيطن الوادي المعروف « بهذاره »^(٥) ، إلى أن لصقوا بجناح السور الصاعد ، الرابكة قومسه جرية النهر ، وصعدوا مساوقين جناحه المتصل بسور القلمة ، وقد نقص كثير من ارتفاعه ، لحدثنان إصلاح فيه ، فتسوروه عن سلم ، ودافع بعض محاربيهم بعضاً ، في استباق أدراجه ، فدخلوا البلد في الثالث الأخير من ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان ، [عام ستين وسبعائة]^(٦) ثم استغلظوا بالمشاعل^(٧) ، وقتلوا نائب الملك رضواناً النصرى ، سايس الأمر ، وبقية المشيخة ، واستخرجوا السلطان الذي هو يزيفه^(٨) ، فنصبوه للناس ، وتم الأمر ،

(١) هكذا في « ج » وفي « ك » والملكية .

(٢) في المخطوطين : وأمرته . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ج » . وفي الملكية : واستظهر .

(٤) هكذا في « ح » . وفي « ك » : وتابموا .

(٥) هداره أو حداره ، وبالإسبانية El Darro هو اسم النهر الذي يخترق غرناطة ، وهو

فرع صغير من نهر شنيل .

(٦) هذه الزيادة من اللمحة البدرية .

(٧) في المخطوطين : بالمشاغيل . والتصويب من اللمحة .

هذا وقد وردت في « ك » وفي « ج » بعد كلمة المشاغيل هذه العبارة (واسموا الناس ومور) ولم نوفق إلى تصويبها أو استقرارها فتركناها . وهي بالفعل ساقطة في الملكية .

(٨) هكذا في « ك » . وفي « ح » : يفه .

بما دلّ على احتقار الدنيا عند الله ، وانخرط هذا الخب^(١) في طور غريب من التزهل لسلطان ، والاستخدام لأمه ، والتهالك في نصحه . وخلط نفسه فيه ، وتبذل في خدمته : يتولى له الأمور . ويمشي في زى^٢ الأشراف بين يديه . ويتأتى لشهواته ، ويتظاهر بحراسته . ولما علم أن الأمر يشقّ تصيره إليه من غير واسطة ، بغير اتقياد الناس إليه ، من غير [تدرّيج كاده]^(٣) ، فألطف الحيلة في مساعدته على اللذات ، وإغرائه بالخبائث ، وشغله بالمعهر^٤ ، وقتله بالشهوات المنحرفة ، وجعل يتبرأ من دنّيته وينفق بين الناس من سلع اغتيا به ، ويرى الجماهير الإنكار لصنيعه ، ويزين لهم الاستعاضة منه بعد ما غلظت^(٥) شوكته . وضمّ الرجال إلى نفسه مؤرياً يحفظه : والاستظهار على صوته . وفي الرابع من شعبان [عام] أحد وستين وسبعمائة . ثار به في محل سكناه في جواره . واستجاش أولياء غدرة : وكبس منزله ، مداخلًا للوزير المشثوم ، عاقداً معه صفقة الغدر . وامتنع السلطان بالبرج الأعظم ، فاستنزله وقتله ، كما مر في اسم المذكور قبل ، واستولى على الملك . فلم يختلف عليه اثنان . واستغل طاغية الروم بحرب ، كان بينه وبين القطلانيين^(٤) . فمالاً لمسلمته ، فاعتبط الصنيع وتها المنحة : وتشطط على الروم في شروط غير معتادة - ساحوه بها مكيدةً واستدراجاً . واجتاز أمير المسلمين المصاب بغدرة إلى الأندلس ، طالباً كلفه . ومبادراً إلى ردّ أمره ، فسقط في يده ، ووجه الجيش إليه بمشواه من بلاد رندة ، فانصرف عنها خائباً . ورجع أدراجه ، يشكّ في النجاة . وتفرغ إليه الطاغية ، [ففضّ عليه جمه]^(٥) ؛ وقد أجرت عليه شوكته وقبحة ، نصر الله

(١) في المخطوطين : الحب .

(٢) وردت هذه العبارة في المخطوطين والملكية ، وفيها بعض الغموض . وكاده من الكده وهو

الغلبة ، وقد تعنى الإخضاع القهرى .

(٣) هكذا في « ك » . وفي « ح » : غلظ .

(٤) أعنى القطلان سكان قطلونية .

(٥) هذا ما أثبتته « ك » . وفي « ج » والملكية : (قفر عليه فه) . والمؤدى واحد .

فيها الدّين . وأملى لهذا الوعد^(١) . فلم يُقله^(٢) العثرة بعدها . ونازل حصونه المهتضمة ، واستولى على كثير منها ، وحام فلم يُصحر غلوة . وأكذب ماموه به من البسالة . وظهر^(٣) للناس بلبس الصوف ، وأظهر التوبة على سريرة دخلة ، وفسق مبين ؛ وقل ما بيده ، ونفذ بيت ماله ، فلم يجد شيئاً يرجع إليه ، من بعد ما سبك الآنية والحلية ، وباع العقار لتبذيره ، وسحّه المال سحاً ، في أبواب الأراجيف والاختلاف ، والبهج بالغنا ، فشرف الإيقاب إلى الفرار ، وأزمع إلى الانسلا . وعندما تحرك السلطان إلى غربي مالقة ، وتجمع أهلها بطاعته ودخلوا في أمره ، وسقط عليه الخبر . اشتمل على الذخيرة جمعاء ، وهي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقاً على مثلها ، من الأحجار واللؤلؤ والقصب ، والتف عليه الجمع المستमित ، جمع الضلال ومرّد النى ، وخرج عن المدينة ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة ، وصوب وجهه إلى سلطان قشتالة ، مكظوم تجنيه ، وموثور سوه جواره ، من غير عهد ، إلا ما أمل من التبقى عنده من التّدميم به ، وضمان إتلاف الإسلام ، واستباحة البلاد والعباد بِنكرته^(٤) .

ولما استقر لديه نزله ، تقبض عليه ، وعلى شردمته المنيفة على ثلاثمائة فارس من البغاة^(٥) ، كشيخ جنده القربى إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، ومن سواه ؛ تحصل بسببهم بيد الطاغية ، كل ما تسمو إليه الآمال ، من جواد فاره ، أو منطقة ثقيلة ، وسلاح محلى ، وجوشن رفيع ، ودرع حصينة ، وبليلة^(٦) منيعة . وبيضة مذهبة ، وبرزة فاخرة ، وصامت عتيد ، وذخيرة

(١) في المخطوطين : الوعد .

(٢) في المخطوطين : يلقيه : وهو تحريف .

(٣) في المخطوطين : وطور .

(٤) وردت محرفة في المخطوطين : (بكرته . فكرته) .

(٥) وردت في المخطوطين : (البغاوة . البغارة) .

(٦) وردت في المخطوطين : وبلية .

شريفة ، فتنخَّل^(١) منهم مُتولى التسوُّر ، فجعلهم أسوة وأسمهم في القتل ؛ خراً بعضهم يومئذ على بعض ، في القتل ، وأخذتهم السيوف ، فحلّوا بعد الشهرة ، والتمثيل في أزقة المدينة ، وإشاعة النداء في الجزيرة ، ثانياً رجب من العام المؤرخ به ، وركب أسوق سايرهم الأُداهم ، واستخَلَصهم الإِسار ، وبادر بتوجيه رؤسهم ، فنصبت من فوق العورة التي كان منها تسوُّرهم القلعة ، فكثت بها إلى أن استُثرت وووريت ؛ وانقضى أمره على هذه الوثيرة^(٢) مشثوماً ذبيراً ، لم يُمتعه الله^(٣) بالنعيم ، ولا هنأه سكنى المحل الكريم ، ولا سوَّغ له راحة ، ولا ملأه موهبة ، ولا أقام على فضله حجة ، ولا أعانه على زُلْفَةٍ . إنما كان رئيس السراق وعريف الخراب ، وإمام الشرار ، نَدَر يوماً في نفسه ، وقد رفعت إليه امرأة من البدو تدعى أنها سُرقت دارها ، قال : إن كان ليلا بعد ماسد باب الحراء على وعلى ناسي ، فهي والله كاذبة ، إذ لم يبق سارق في الدنيا ، أو في البلاد^(٤) ، إلا وقد تحصل خلفه ، وقانا الله المحن ، وثبتنا على مستقر الرشد ، ولا عاقنا عن جادة الاستقامة .

وزراء دولته

استوزر الوزير المشثوم محمد في النغي ، الوغد ، الجهول ، المرتاش من السرقة ، الختود على عباد الله لغير علة عن سوء العاقبة ، المخالف في الأدب سنن الشريعة ، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة ، دودة القر ، وبغل طاحونة الغدر ، وزق القطران^(٥) ، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح النهري ؛ فانطلقت يده على الإِيشار ،

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فتخذ .

(٢) وردت في المخطوطين : الوثيرة .

(٣) هذه الكلمة أغفلها « ك » .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » . البلد .

(٥) هكذا في المخطوطين والملكية .

ولسانه على الأعراض ، وعينه على النظر الشَّرُّ ، وصدرة على التأوه والرَّين ؛ يلتقي الرجل كأنه قاتل أبيه ، مُحدِّقاً إلى كميته ، يَحْتَرِشُ بهما خبيثة ، أو يظن بهما رشوة ؛ فأجاب الله دعاء^(١) المضطَّرين ، وورغبات السَّائِلين ، وعاجله بالأخذة الرأبية ، والبَطْشَة القاضية ؛ فقبض عليه في ليلة السبت العاشر لرمضان من العام المذكور ، وعلى ابن عمه العصرفوط^(٢) وعلى الحيرا من نواض يتهمها^(٣) وأنفذ الأمر بتعريضهم^(٤) ، فمضى حكم الله بهذه المنية الفرعونية فيهم [لا تبديل لكلمات الله]^(٥) ، قاهر الجبابرة ، وغالب الغلاب ، وجاعل العاقبة للمتقين .

واستوزر بعده ، أولى الناس وأنسبهم إلى دولته ، وأحقهم بمظاهرته ، الموسس الجبَّار اليأس والفظرة ، المختبل الفكرة ، القليل ، المرَّجس ، الحول ، الشهرير^(٦) ، الضجَّير ، محمد بن علي بن مسعود ؛ فيما بلى الناس على طول الحجرة ، وانفساح زمان التجربة ، أسوأ تديراً ، ولا أشترَّ معاملة ، ولا أبذأ لساناً ، ولا أكثر شكوى ومعاينة ، ولا أشحَّ يداً ؛ ولا أجذبَّ خوَّاناً ، من ذلك المشثوم ، [ينعق البوم]^(٧) ، ينعق بما لا يسمع ، ويسرد الأكلاذيب ، ويسوء السَّمع ، فيسوء الإجابة ، ويقود الجيش فيعود بالخطية ، إلى أن كان الفرار ، فصجبه إلى مصرعه ؛ وكان ممن استؤثر به القيد الثقيل ، والأسر الشديد ، والعذاب الأليم ، عادة بذلك عبد « المالاخوينا »^(٨) ، التي كان يحجب سميتها ، زمان ترفيهه ، فقضت عليه سيء الميئة ، مطَّرح الجثة . سترنا الله بستره ولا سكبنا في الحياة ، ولا في المات ثوب عنايته .

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» والملكية : دعوة .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» والملكية : العصرفوط .

(٣) في المخطوطين : بينهما .

(٤) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» بتفريطهم .

(٥) هكذا وردت في «ج» والملكية . وفي «ك» (لا مبدل لكلمته) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في «ج» .

(٧) ساقطة في الملكية وردت في المخطوطين : (ينعق اليوم) ، والمرجح ما أثبتناه .

(٨) هكذا في المخطوطين والملكية . والظاهر أنه يعني بذلك مرضاً نفسياً معيناً .

كاتب سره

صاحبنا الفقيه الأزهوج ، قصب الريح ، وشجرة الخور ، وصوت الصدى ،
أبو محمد عبد الحق بن عطية ، المستبد بتدبير الدبير ، خُطاً فوق الرُفَاع الجاهلة ،
ومسارّة في الخلوات الفاسقة ، وصدّ عاً فوق المنابر السكببية ، بحلة لثّ الراية ،
ويذبُّ عنه ذبُّ الوالدة ، ينتهي في الاعتذار عن هناته إلى الغايات القاصرة .

قضاته

شيخنا أبو البركات ، قيسُ لَيْلَى القضاء ، المخدوعُ بزخرف الدنيا على الكبرة
والعناء . لطف الله به . وألممه رشده .

شيخ الغزاة على عهد

إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن محيو^(١) . بقية بيت الدّبرة ،
ووشيجة الشجرة المجنّنة . عدّب في الجُملة من أهل بيته عند القبض عليهم . واستقرّ
في القبض الأشهب من قَيْمِيلِه بالمغرب . مُطلق الإقطاع ، مرموقاً بعين التجلّة ،
مكنوقاً بشهرة الأب . إلى أن سعى به إلى السلطان ، نسيج وحده فارس بن علي ،
واستشعر البثّ فطار به الذُّعر لايلوى عِنَاناً ، حتى سقط بإفريقيّة . وعبر البحر إلى
ملك بَرَجْلونة^(٢) ؛ ثم اتّصل بالدولة النصرية ، بين إدالة العدر^(٣) ، وإيالة الشر ،
فقلده الدائلُ مشيخة الغزاة ، وتوّه به ، فاستراب مُعزّله يحيى بن عمر ، ففرّ إلى

(١) وردت في المخطوطين : فحو . وهو تحريف .

(٢) أعنى برشلونة . يريد ملك أراجون .

(٣) وردت محرفة في المخطوطين : (العدر . العدد) .

أرض الروم حسبما يذكر في اسمه ؛ فقام له بهذا الوظيف ، ظاهر الشهرة والأبهة ،
مخصوصاً منه بالتجلة . إلى أن كان ما كان من إزمانه وفراره ؛ فوفى له وصحبه
وكا به . وقاسمه المنسجة شق الأبله . واستقر بعد قتله أسيراً عانياً علق الدهر^(١) ،
لضنائة العدو بمثله . إلى أن أفلت من دون الأغلاق . وشد الوثاق . ولحق بالمسلمين
في خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشدة على مثله ، والإغراب منه ، يستقر
في اسمه الملع^(٢) به ؛ ثم استقر بالمغرب معتقلاً ، ثم مات رحمه الله .

من كان على عهده من الملوك

وأولاً بمدينة فاس دار ملك المغرب ، السلطان ، الخيّر ، الكريم الأبوة ، المودود
قبل الولاية ، اللين العريكة ، الشهير الفضل في الحياة ، آية الله في إغراب الصنع ،
وإغراب الإدبار^(٣) ، أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن
عبد الحق ، أمير المسلمين ، المترجم به في حرف [الألف]^(٤) . ولما قتل
يوم الحادي والعشرين لذي قعدة من عام اثنين وستين ، قام بالأمر بعده أخوه
المتحيل أبو عامر تاشفين بن علي إلى أواخر صفر عام ثلاثة وستين ؛ ولحق بالبلد
الجديد ، الأمير أبو محمد زيان بن الأمير أبي عبد الرحمن بن علي بن عثمان المترجم
به في بابه ، ثم المتولى من عام ثمانية وستين وسبعمائة السلطان أبو فارس^(٥) عمه
المؤمل للم شعث ، وصم النشر ، وتجديد الأمر بحول الله ، ابن السلطان
الكبير المقدس ، أبي الحسن بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق ، وهو بعد
متصل الحال إلى اليوم .

(١) هكذا في «ج» والملكية . وفي «ك» . الدهن .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : الأمام .

(٣) هكذا في المخطوطين .

(٤) مكانها بياض في المخطوطين . وقد ترجم ابن الخطيب لهذا الأمير فيما تقدم في حرف

الألف . (ص ٣٠٣ - ٣١٠) .

(٥) هو الملك أبو فارس عبد العزيز المريني . وقد حكم المغرب من سنة ٧٦٨ هـ إلى وفاته في

ربيع الثاني سنة ٧٧٤ هـ .

وبتلسان الأمير أبو حمو ، موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى
ابن يعمراسن^(١) بن زيان .

وبإفريقية الأمير الخليفة على عرفهم . إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يحيى
ابن حفص .

وبقشتالة ، بطره بن الهنشة^(٢) بن هراندة بن شانجه المصنوع له ، ولي النعمة
منه ، ومستوجب الشكر من المسلمين لأجله ، بإراحتهم منهم .
وبرغون ، بطره بن شانجه^(٣) .

وبرنطة ، مزاحمه بالملك^(٤) الفخم ، أمير المسلمين حقيقة ، المرتب الحق ،
المعقود البيعة ، وصاحب الكربة ، وولي حسن العاقبة ، مجتث شجرته الخبيثة ،
وصارخ إيلته الدنية ، أبو عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج ، بن أمير
المسلمين أبي الوليد بن نصر .

مولده

مولد هذه النسمة المشتومة أول يوم من رجب عام اثنين وثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي قتيلاً ممثلاً به بطيلاطة^(٥) ، من ظاهر إشبيلية ، في ثانی من رجب عام ثلاثة
وستين وسبعمائة ، وسيقت رؤوس أشياعه^(٦) ، الغادوين مع رأسه إلى الحضرة
فصلبت بها . وفي ذلك قلت :

(١) وردت محرقة في المخطوطين : (بفراسان) .

(٢) هو بيدرو الثالث بن ألفونسو الحادي عشر . وقد حكم قشتالة من سنة ١٢٥٠ إلى سنة ١٢٦٨ م

(٣) هو بيدرو الرابع ملك أراجون وقد حكم من سنة ١٢٣٦ إلى سنة ١٢٨٧ م .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» بالنتكب .

(٥) طيلاطة أو طلياطة هي بلدة أندلسية تقع على مقربة من جنوب غربى إشبيلية وجنوب
فريق لبله .

(٦) هكذا في «ج» . وفي «ك» : أتباعه .

في غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان في كل واد
لا خلفت ذكراً ولا رجمة في فم إسان ولا في فؤاد

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد
ابن أحمد بن خميس بن نصر الخرزجي

أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه رحمه الله .

أوليته

معروفة .

حاله

كان معدوداً في نبلاء الملوك . صيانة . وعزاً وشهامة ، وجمالاً . وخصلاً ؛
عذب الشمائل ، حلواً لبيتاً ، لو ذعياً هتاً ، سخياً ، المثل المضروب به في الشجاعة
المقتحمة حد التهور^(١) ، جلس^(٢) ظهور الخليل ، وأفرس من جال على ظهورها^(٣) ،
لا تقع العين ، وإن غصت الميادين على أذرب بركض الجياد منه ، مفرماً بالصيد ،
عارفاً بسماق السقار^(٤) وشتات الخليل ، يحب الأدب ، ويرتاح إلى الشعر وينبئه على
العيون ، ويبلغ بالنادرة الحارة . أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه ، وهو يوم الثلاثاء
السابع والعشرين لرجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة . وناله الحجب . واشتملت

(١) في المخطوطين : اخور .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ح » ، جلس . وكنتهما صاخره لسمى المقصود .

(٣) في المخطوطين : ظهوره .

(٤) السقار أي الصقورة .

عليه الكفالة إلى أن شبَّ وظهر . وفنك بوزيره ، المتغلب على ملكه ، وهو غلام لم يَبْقُلْ خَدَّهُ ، فهيب شأنه^(١) ، ورُهبت سطوته ، وبرز لمباشرة الميادين ، وارتباد المطارد ، واجتلاء الوجوه^(٢) ، فكان ملء العيون والصدور .

ذكاؤه

حدثني القائد أبو القاسم بن الوزير عبد الله بن عيسى وزير جدّه ، قال ،
تذوكر يوماً بحضوره تباينُ قول المتنبي :

ألا خَدَّدَ^(٣) الله وَرَدَ الخدود وقد قُدُّودَ الحِسانِ القُدود^(٤)

وقول امرئ القيس :

وإن كنتِ قد مَاءَ تَكِ مَنِي خَلِيقَةٍ فسُلي ثيابي من ثيابك تَنْسِلِ

وقول إبراهيم بن سهل :

أُتِي له من دَمِي المَسْفُوكِ مُتَدَرًّا أقولُ سَمَلْتُهُ في مَفْكَ تَعْبَا

فقال رحمه الله ، بديهةً : بينهما ما بين نَفْسِ مَلِكِ عَرَبِيٍّ وشاعِرٍ ، ونَفْسِ يَهُودِيٍّ تحتِ الذِّمَّةِ ، وإنما تَتَنَفَّسُ بِقَدْرِهِمْ سَبَابًا ، أو كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ . ولما نازل مدينةَ قَبْرَةَ^(٥) ودخل جَفْنَهَا عَنُودًا ، ونال قَصَبَتَهَا ، ورمأها بالنَّفْطِ ، وتغلب عليها ، وهى ما هى عند المسلمين ، وعند النصارى ، من الشهرة والجلالة ، بادرناه تُهْنِيهِ بما نُسِقُ له ، فزَوَى وجهه عنا ، وقال ، ماذا تهنونني^(٦) به ، كأنكم رأيتم تلك الخِرْقَةَ

(١) وردت محرفة في المخطوطين : شاء .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « ك » : الوجدة .

(٣) وفي نص (أياخذد) .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » القُدور .

(٥) سبق التعريف بها (انظر الحاشية في ص ١١١) .

(٦) وردت محرفة في المخطوطين : همونني . تهونني .

بكذا يعنى العلم الكبير فى منار إشبيلية^(١) ، فعجبنا من بعد همته ،
ومرمى عزمه .

شجاعته

أقسم أن يغير على باب مدينة بيانة^(٢) فى عدة قليلة عينها الميمن ، فوقع
البهت وتوقعت الفاقرة ، لقرب الصريح ، ومنعة الحوزة ، وكثرة الحامية ،
واتصال^(٣) نخوم البلاد ، ووفور الفرسان بذلك الصقع ، وتنخل أهل الحفاظ ،
وهجم على باب الكفار نهاراً ، وانتهى إلى باب المدينة ، وقد برزت الحامية ،
وتوقع فرسان الروم الكمناء ، فأقصرُوا عن الإحصار ، وحجى المسلمون فشدَّ
عليهم ، فأعطوهم الضمة ودخلوا أمامهم المدينة ، ورمى السلطان أحد الرجال الناشبة
بمزراق كان بيده محلى السنان رفيع القيمة ، وتحامل يريد الباب فمغ الإجهاز
عليه ، وانتراع الرمح الذى كان يجزئه خلفه ، وقال اتركوه يعالج به رُححه أن كان
أخطأته المنية ، وقد أفلت من أنشودة خطر عظيم .

جهاده ومناقبه

كان له وقائع فى الكفار ، على قلة أيامه ، وتحرك ونال البلاد ، وفتح قبرة ،
ومقدم جيش العدو الذى ببيت بظاهاها وأثن فيه ، وفتح الله على يده مدينة

(١) المقصود به منار جامع إشبيلية الأعظم الذى شيده الخليفة بمقرب المنصور الموحدى . وقد

حول أعلاه فيما بعد إلى برج الأجراس لكنسبه إشبيلية العظمى . وما يزال قائماً حتى اليوم ويعرف باسم

« الخير الدا » La Giralda وهو من أجل اذآزر الأندلسية .

(٢) بيانة سبق التعريف بها (أنظر الحاشية فى ص ٢٠٣) .

(٣) فى المخطوطين : واتصل .

باغوة^(١) ، وتغلب المسلمون على حصن قشتالة ، ونازل حصن قشرة^(٢) بنفسه لدى قرطبة ، فكاد أن يتغلب عليه ، لولا مدد أتصل للنصارى به . وأعظم مناقبه تخليص جبل الفتح^(٣) ، وقد أخذ الطاغية بكظمه ، ونازله على قرب العهد من تملك المسلمين إياه ، وناخ بكلكاه ، وهدت بالمجانيق أسواره ، فدارى^(٤) الطاغية ، واستترزل عزمه وتحمفه ، ولحق في موضع اختلاله ، إلى أن صرفه عنه ، وعقد له صلحاً ، فغازت به قِداح الإسلام ، وتخلصه من بين ناب العدو وظنره ؛ فكان الفتح عظيماً لا كفاء له .

بعض الأحداث في دولته

وفي شهر المحرم من عام سبعة وعشرين وسبعائة، نشأت بين المتغلب على دولته ، وزيره ، وبين شيخ الغزاة وأمير القبائل العدوية^(٥) ، عثمان بن أبي العلاء ، الوحشة وألقت ریحها السعايات ، فصبت على المسلمين شؤوب فتنة عظم فيهم أثرها معاطباً ، وسُم الانصراف عن الأندلس ، فلحق بساحل المريّة ، وأخوزته المذاهب ، وتحامت جوارره الملوك ، فداخل أهل حصن أندرش^(٦) ، فدخل في طاعته ، ثم استضاف إليه ما يجاوره ، فأعضل الداء^(٧) ، وتفاقت الأواء^(٨) ، وغامت سماء الفتنة ، واستنفذ^(٩)

(١) هكذا وردت في المخطوطين . ونرجح أنها باغة Priego التي سبق التعريف بها ، وهي قريبة من قبرة .

(٢) حصن قشرة ونرجح أنه حصن Castro الواقع بين بيانة وقبرة .

(٣) أعنى جبل طارق .

(٤) هكذا في « ج » . وفي « ك » : فدار .

(٥) أعنى القبائل المرية .

(٦) سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ١٥٨) .

(٧) وردت في المخطوطين : الدواء . وهو تحريف .

(٨) وردت محرقة في المخطوطين والملكية : الألواء . والالواء أعنى الشدة .

(٩) هكذا في « ن » . وفي « ج » والملكية : واستفزز .

خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو ، واستلحق الشيخ أبو سعيد عم السلطان ، وقد استقر بتلمسنا ، فلحق به ، وقام بدعوته في أخريات صفر عام سبعة وعشرين وسبعمائة ؛ واغتم الطاغية فتنة المسلمين فنزل ثغريرة^(١) ، ركب الجهاد ، وشجى العدو ، فتغلب عليه ، واستولى على جملة من الحصون التي تجاوره ، فانتسح نطاق الخوف ، وأعيى داء الشر ، وصُرف إلى [نظر]^(٢) ملك المغرب ، في أخريات العام ، رُنْدَة ومربلة^(٣) وما يليهما^(٤) ، وترددت الرسائل بين السلطان وبين شيخ الغزاة ، فأجلت الحال عن مهادنة ، ومعاودة للطاعة ، فصرف أميرهم أدواجه إلى العدو ، وانتقلوا إلى سكنى وادي آش على رَسْم الخدمة والحماية على على شروط مقررة^(٥) ؛ وأوقع السلطان بوزيره ، وأعاد الشيخ إلى محله من حضرته ؛ أوائل عام ثمانية وعشرين بعده ، واستقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم جباله^(٦) قتيله ، فقام بأمره أحسن قيام . وعبر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه في الرابع والعشرين من شهر ذي حجة من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة ، فاجتمع مع ملك المغرب السلطان الكبير أبي الحسن بن عثمان ، فأكرم نزله ، وأصحبه إلى الأندلس ، وحباه بما لم يُحِبُّ به ملك تقدمه ، من مغرَبِيَّات الخليل ، وخطير الذخيرة . ومستجد العُدَّة ؛ ونزل الجيش على أثره جبل الفتح ؛ وتوجه الحاجب أبو النعيم بأكثر إخوة السلطان . مُظَاهراً على سبيل

(١) وردت في المخطوطين : ويده - وبره . ويلوح لنا أن المقصود هنا هو ثغريرة Vera الواقعة شمال شرق المرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط ، وكان يومئذ أقصى ثغور الأندلس الشرقية (أنظر الحاشية في ص ١٠٩) .

(٢) هذه الكلمة الزائدة من اللمحة البدرية .

(٣) رُنْدَة من أهم وأمتع قواعد الأندلس القديمة وتقع غرب مالقة . وقد لعبت أدواراً هامة في تاريخ مملكة غرناطة . ومرحلة سبق التعريف بها (أنظر الحاشية في ص ١٩٧) .

(٤) هكذا في «ك» . ووردت محرفة في «ج» : وما آل إليهم

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ك»

(٦) هكذا وردت في المخطوطين .

النيابة ، وهياً^(١) الله فتحه . ثم استنقذه^(٢) بلحاق السلطان ، ومحاولة أمره كما تقدم ،
 قتم ذلك يوم الثلاثاء الثاني عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة .

وزراء دولته

وزر له وزير أبيه ، وأخذ له البيعة ؛ وهو مُشخن^(٣) بالجرارات ، التي أصابته
 يوم الفتك بأبيه السلطان أبي الوليد ، ولم ينشب^(٤) أن أجهز جرح تجاوز عظم
 الدماغ ، بعد مُصابة ألم العلاج الشديد ، حسبما يأتي في اسمه ؛ وهو أبو الحسن
 علي بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربي ؛ وترقى إلى الوزارة والحجابة وكيل أبيه
 محمد بن أحمد المحروق ؛ من أهل غرناطة ؛ يوم الإثنين غرة شهر رمضان من عام
 خمسة وعشرين وسبعمائة ؛ ويأتي التعريف بهم . ثم اغتيل بأمره ، عشيّ ثاني يوم
 من شهر فآح تسعة وعشرين وسبعمائة . ثم وزر له ؛ القائد أبو عبد الله بن القائد
 أبي بكر عتيق بن يحيى بن المول من وجوه الدولة ؛ وصدور من يمت بوصله ؛
 إلى السابع عشر من رجب من العام ؛ ثم صرف إلى العُدوة ؛ وأقام رسم الوزارة
 والحجابة والنيابة ، أبو النعيم مولى أبيه ، إلى آخر مدته ، بعد أن التأت^(٥) أمره
 لديه ، وزاحمه بأحد الماليك المسمى بعصام حسبما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله .

رئيس كتابه

كتب له كاتب أبيه قبله ، وأخيه بعده ، شيخنا نسيجٌ وحده ، أبو الحسن
 علي بن الجيّاب الآتي ذكره في موضعه إن شاء الله .

(١) في المخطوطين والملكية : هنا . وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين والملكية : استقاده .

(٣) هكذا في « ح » . وفي « ك » : مُشخن .

(٤) في المخطوطين : يتشبث . والتصويب من اللسعة البدرية .

(٥) أي التبس .

قضاته

استمرت الأحكام لقاضي أبيه ، أخى وزيره ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن مسعود رحمه الله إلى عام سبعة وعشرين وسبعمائة ، ووجهه وسولاً عنه إلى ملك المغرب ، فأدركته وفاته بمدينة سلا ، فدفن بمقبرة سلا . رأيت قبره بها رحمه الله . وتخلّف ابنه أبى يحيى مسعود عام أحد وثلاثين وسبعمائة ؛ وتولى الأحكام الشرعية القاضى أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعرى ، خاتمة الفقهاء ، وصدر العلماء ، رحمه الله ، فاستمرت [له] (١) الأحكام إلى تمام مدة أخيه بمده .

أمه

رومية اسمها « علوة » . وكانت أحظى لذاتها (٢) عند أبيه ، وأمّ بكره ، إلى أن نزع عنها فى أخريات أمره ، لأمر جرّته الدالة ، وتأخرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه .

من كان على عهد من الملوك
بأقطار المسلمين والنصارى

فبفاس ، السلطان الكبير ، الشهير ، الجواد ، خِدْنُ (٣) العافية ، وحِلْبُ السعادة ، وبجر الجود ، وهَضْبَةُ الحلم ، أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق الذى بذل (٤) المعروف ، وقرب الصلحاء والعلماء ، وأدنى مكائهم ، وأعمل

(١) الرتبة من الملكية .

(٢) وردت فى المخطوطين : لذاتها .

(٣) هكنا فى « ح » والملكية . وفى « ك » : حون . وهو تحريف .

(٤) هكنا فى « ك » . وفى « ج » . بدا .

إشارتهم ، وأوسع بأعطيته المؤمنين المُستترِفين ، وعظم قدره ، واشتهر في الأقطار صيته ، وفشا معروفه ، وعُرُفت بالكف عن الدماء والحرمات عفته ، إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة عام أحد وثلاثين وسبعمائة ؛ ثم صار الأمر إلى ولده السلطان ، مُقتني سُننه في الفضل والمجد ، وضخامة السلطان ، مبراً عليه ، بالبأس المرهوب ، والعزم الغالب ، والجِدُّ الذي لا يشوبه هزل ، والاجتهاد الذي لا يتخلله راحة ؛ الذي بَعُد مداه ، وأذعن لصولته عُداه ، واتصلت [ولايته]^(١) مدته ، ومعظم مدة أخيه الوالي بعده .

وبتلمسان الأمير عبد الرحمن بن موسى بن يعمر ابن سن ، من بني عبد الواد ، مشيد القصور ، ومروّض الغروس^(٢) ، ومُتبنك^(٣) الترف ، واتصل إلى تمام مدته ، وصدرا من مدة أخيه بعده .

وبتونس الأمير أبو يحيى ، أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي اسحاق كِبنة تمام قومه ، وصقّر الجوارح من عُشّه ، وسابق الجياد من حَلبته ، إلى تمام المدة ، وصدراً كبيراً من دولة أخيه بعده .

ومن ملوك النصارى ، ملك على عهده الجفرتين^(٤) القنيطية والتاكرونية^(٥) ، الطاغية المرهوب الشبا ، المسلط على دين الهدى ، ألهنشة^(٦) بن هراندة بن شانجه بن ألفتش بن هراندة ، الذي احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الجفرتين^(٧)

(١) هذه الكلمة سقطت في المخطوط . ويقتضها السباق .

(٢) في المخطوط : العروس .

(٣) في المخطوط : متبك . وهو تحريف . والتصويب من اللمعة . وتبنك أى أقام في ظله .

(٤) هكذا وردت في «ك» . وفي «ج» الجفرتين .

(٥) وردت في المخطوط والمملكية : التاكرونية . وهو فيها يبدو تحريف لكلمة : التاكرونية .

(٦) هو ألفونسو الحدى عشر ملك قشتالة الذي حكم من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٣٥٠ م .

(٧) هكذا في «ك» . وفي «ج» : الجفرتين . وبلوح لنا أن المقصود هنا هو افتتاح النصارى

لثغرى الجزيرة الخضراء وطريف . وهما المتقابلان للمثلث الإسباني . والجفر صفة لما اتسع جنباه .

واتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه ، وأوقع بالمسلمين على عهده ، وتملك الجزيرة الخضراء وغيرها .

وبرغون ، ألفنش^(١) بن جايماش بن ألفنش^(٢) بن بطرّه بن جايماش الذي استولى على بلنسية ، ودام إلى آخر مدته ، وصدراً من مدة أخيه . وقد استقصينا من الميون أقصى ما مسح به الاستقصاء ، وما أغفلناه أكثر ، والله الإحاطة .

مولده

في الثامن من شهر المحرم من عام خمسة عشر وسبعمائة .

وفاته

وإلى هذا العهد مات ؛ وغرت عليه من رؤوس الجند ، من قبائل المُدوة ، المُدور ، وشُحنت عليه القلوب غيظاً ؛ وكان شراً لسانه ، غير جزوع ولا هياب ، فربما يتكلم بملء فيه^(٣) من الوعيد الذي لا يخفى على المُعتمد به ؛ وفي ثاني يوم من إقلاع الطاغية من الجبيل ، وهو يوم الأربعاء الثاني عشر من ذى حجة ، وقد عزم على وكوب البحر من ساحل مريّلة^(٤) ، فهو مع وادي ياروا من ظاهر جبل الفتح ، تخفيفاً للمؤنة ، واستعجالاً للصدور ، وقد أخذت على حركته المرصد ؛ فلما توسط كمين القوم ، ثاروا إليه وهو راكب بغلاً أثابه به ملك الروم ، فشرعوا في عتبه بكلام غليظ ، وتأنب قبيح ، وبدأوا بوكيله فقتلوه ، وعجل بعضهم بطعنه ، وترامى عليه مملوك من ممالك أبيه ، زنمة^(٥) من أخايبث العلوج يسمى زياناً ، صُنع على

(١) هذا خطأ من المؤلف . فقد كان الجالس على عرش أراجون يومئذ هو بيدرو الرابع بن خايماي (جايماش) وقد حكم سنة ١٣٣٦-١٣٨٧ م . أما بلنسية فقد سقطت في يد النصارى سنة ١٢٣٨ م .
 (٢) وردت محرفة في المخطوطين : (القتيل . الفيل) .
 (٣) وردت في المخطوطين والملكية : بما فيه .
 (٤) وردت في « ج » والملكية (منزله) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .
 (٥) أي وغدزني .

مباشرة الإجهاز عليه ، فقفى لحينه بسفح الربوة المائلة ، يسرة العابر^(١) للوادي من يقصد جبل الفتح ، وتركوه بالعراء بادي البوار ، مسلوب البزّة ، سيء المصرع ، قد عدت عليه نعمه ، وأوبقه^(٢) سلاحه ، وأسلمه^(٣) أنصاره وحماته .

ولما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان أبي الحجاج ، صرقت الوجوه يومئذ إلى دار الملك ، ونقل القتييل إلى مالقة ، فدُفن على حاله تلك برياض تجاور منية السيد ، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاث و ثلاثين وسبعمائة . وأقيمت على قبره بعد حين قبة . ونوّه بقبره ؛ وهو اليوم مائلٌ رهن غربة ؛ وجالب عبرة ؛ جعلنا الله للقائه على حذر وأهبة ؛ ويلوح الرخام المائل عند رأسه مكتوب :

هذا قبرُ السلطان الأجلّ ، الملك الهام . الأَمْضَى الباسل ، الجواد ذى المجد الأثيل . والملك الأصيل ، المقدس ، المرحوم . أبي عبد الله محمد بن السلطان الجليل ؛ الكبير ، الرفيع ، الأوحد ، المجاهد ، الهام ، صاحب الفتوح المسطورة ، والمغازي المشهورة . سلالة أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ، أمير المؤمنين^(٤) ، وناصر الدين ؛ الشهيد ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد [بن فرج]^(٥) بن نصر ، قدس الله روحه وبرّد ضريحه . كان مولده في الثاني لحرم عام خمسة عشر وسبعمائة ، ويوم في اليوم الذي استشهد فيه والدّه رضى الله عنه السادس والعشرين [لرجب عام خمسة وعشرين]^(٦) وسبعمائة ؛ وتوفي رحمه الله في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة و ثلاثين وسبعمائة ، فسبحان من لا يموت .

(١) في المخطوطين : العابرة . والتصويب من اللحة .

(٢) في المخطوطين : وأواقفه والتصويب من اللحة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : وأسلموه .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي اللحة : المسلمين .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين ، والإضافة من اللحة .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين وورد في اللحة .

يا قَبْرَ سُلْطَانِ الشُّجَاعَةِ وَالنَّدَى فَرَعَ الْمَلُوكِ الصَّيْدِ أَعْلَامَ الْهَدَى
 وَسُلَالَةَ السَّلَفِ الَّتِي آثَارُهُ وَضَاحَةٌ^(١) لِمَنْ اقْتَدَى وَمَنْ اهْتَدَى
 سَلَفٌ لِأَنْصَارِ النَّبِيِّ نَبِيَّارُهُ قَدْ حَلَّ مِنْهُ فِي الْمَكَارِمِ مَحْتَدَا
 مَتَوَسِّطُ الْبَيْتِ قَدْ أَسَّسَتْهُ سَادَةُ الْأَمْلَاكِ^(٢) أَوْحَدٌ أَوْحَدَا
 بَيْتٌ بَنَاهُ مُحَمَّدُونَ ثَلَاثَةٌ مِنْ آلِ نَصْرِ أَوْرُثُوهُ مُحَمَّدَا
 أَوْدَعَتْ وَجْهًا قَدْ تَهَلَّلَ حَسَنُهُ بَدْرًا بِآفَاقِ الْجَلَالَةِ [قَدْ بَدَا]^(٣)
 وَنَدَا يَسُحُّ عَلَى الْعَفَاةِ مَوَاهِبًا مِثْنَى الْأَيْدِي السَّابِغَاتِ وَمَوْحَدَا
 يَبْكِيكَ مَدْعُورٌ بِكَ اسْتَعْدَى عَلَى أَعْدَائِهِ فَسَقَيْتَهُمْ كَأْسَ الرَّدَى
 [يَبْكِيكَ مَحْتَاجٌ أَتَاكَ مُؤَمَّلَا فَعَدَا وَقَدْ شَفَعَتْ يَدَاكَ لَهُ الْيَدَا]^(٤)
 أَمَّا سَمَّا حُكَّ فَهُوَ أَسْنَى دِيَّةً أَمَّا جَلَالُكَ فَهُوَ أَسْمَى مَصْعَدَا
 جَادَتْ ثَرَاكَ مِنَ الْإِلَهِ سَحَابَةٌ لِرِضَاهِ عَنكَ تَجُودُ هَذَا الْمَعْبَدَا

وشره ماتبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من بني أبي العلاء وأصهارهم وسواهم
 من شيوخ خدامه ، كالوكيل في مدة أخيه بعد ، الشيخ الذهول مسافرين حركات^(٥)
 وسواه ، على اكتاب عقد بعد^(٦) وفاته ، بأمور من القول تقدر في أصل الديانة ،
 وأغراض تقتضي إلى الوهن في الدين ، وهنات تسوغ إراقة دمه الذي توفرت
 الدواعي على حياطته ، والذب عنه ، تولى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ،
 مرتكباً منها وصمة^(٧) نحت على غرر فضله إلى كثير من خدامه ومماليكه ، وبعثوا

(١) في المخطوطين والملكية : واضحة ؛ والتصويب من اللحة .

(٢) في المخطوطين : أملاك . والتصويب من اللحة .

(٣) هكذا في اللحة . وفي المخطوطين : مر بدأ . وفي الملكية مبرداً .

(٤) هذا البيت وارد في اللحة . وساقط في المخطوطين .

(٥) هكذا في « ج » والملكية : وفي « ك » حرطات .

(٦) وردت في « ح » . وأغفلت في « ك » .

(٧) هكذا في « ح » . وفي « ك » : وصمته .

بها إلى ملك المغرب ، فاقنطعت جانب التمهيل والتأخير واللبث عن الحكم ، والتعليل عن السماع ، وُبروز^(١) الأغراض ، واتباع السيئة أمثالها . وقد كان رحمه الله من الجهاد^(٢) وإقامة رسم الدين ، بحيث تزل عن هذه الهنات صفاته ، وتُنكر هذه المذمات^(٣) صفاته ، وكان به كان من العز ، وإرسال السّجّية ، وبما عدله الشيخ في بعض الأمر ، فيسجّم إضجاراً وتعليحاً بإخراجه ؛ ولم يهر إلا الزمان اليسير ؛ وأوقع الله بالعصبة المتألثة عليه من أولاد عبد الله ، فسقّتهم رباح النكبات ، واستأصلت نعمهم أيدي النّعمات . ولم تقم لهم من [بعد]^(٤) ذلك قائمة . والله غالب على أمره .

وتبعت^(٥) هذا السلطان نفوس أهل الحرية . ممن له طبع رقيق ، وحس^(٦) لطيف ، ووقار كريم ؛ ممن كان بينه وبين سطوته دفاع . وفي جو اعتقاده له صفاء ؛ فصدت مرث^(٧) مؤثرة ، وأقاول للشجون مهيبة ، نبت^(٨) منها يسيراً على العادة . فمن ذلك ما نظمه الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر بن شبرين ؛ وكان على فصاحة ظرفه ؛ وجمال روايته ، عُراب قُربه ؛ وناطقة مآتمه ؛ يرثيه ويُعرض ببعض من حمل عليه من ناسه وخدامه :

استتلاً ودعاني طائفاً بين المغاني
وانعما^(٩) بالصبر إني لا أرى ما تريان

-
- (١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : وبدو .
(٢) في المخطوطين : الجياد . وهو تحريف .
(٣) هكذا في «ك» . وفي «ج» . المهمات .
(٤) ساقطة في المخطوطين . (٥) وردت في المخطوطين : وتبعث .
(٦) وردت في المخطوطين : وحسن .
(٧) في المخطوطين : مدائر .
(٨) واردة في «ك» وساقطة في «ج» .
(٩) هكذا في المصحح . وفي المخطوطين والملكية : واقما . والأول أرجح بالنسبة للمعنى .

ومن قوله :

عينُ بكى لميت غادروه في نراه مُلتي وقد غدروه
دفنوه ولم يُصلِّ عليه أحدٌ منهم ولا غسلوه
إنما مات يوم مات شهيداً فأقاموا رسماً ولم يقصدوه

محمد بن محمد [بن محمد]^(١) بن يوسف بن محمد بن أحمد بن
محمد بن نصر بن قيس الخزرجي

ثالثُ الملوك من بني نصر . يكنى أبا عبد الله .
« أوليته » ؛ معروفة .

حاله

كان من أعظم أهل بيته . صيناً وهمة . أصيل المجد . مابيح الصورة . عريق
الإمارة . ميمون النقيبة . سعيد [النصبَة]^(٢) عظيم الإدراك ؛ تهنأ العيش مدة
أبيه ، وتملى^(٣) السياسة [في]^(٤) حياته . وبأشر الأمور بين يديه . فجاء لسيج
وحده إدراكاً ، ونبلاً . وفخاراً . وشأواً . ثم تولى الأمر بعد أبيه فأجراه على ديدنه ؛
وتقبل سيرته ؛ ونسج على منواله ؛ وقد كان الدهر ضايقه في حصته^(٥) ؛ ونقصه

(١) ساقطة في المخطوطين ؛ وإبناؤها ضروري لصحة الاسم .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين والملكية . والإضافة من السعة .

(٣) في المخطوطين ؛ وتملاً . وهو رسم آخر لنفس الكلمة .

(٤) زيادة يستلزمها السياق .

(٥) مكذاني « ك » . وفي « ح » : عمنته .

ملاذ الملك بزمانة^(١)، سدركت^(٢) بعينيه لمداخلة السهر ، ومباشرة [أنوار]^(٣) ضخام الشمع ، إذ كانت تُتخذ له منها جذوع في أجسادها مواقيت تخبر باقضاء ساعات الليل ، ومضى الربيع^(٤) ؛ وعلى التزامه لكينته وغيوبته في كسر بيته ، فقد خدمته السعود ، وأملت بابه الفتوح ، وسالته الملوك ، وكانت أيامه أعياداً . وكان يقرض الشعر ، ويصنع إليه ، ويثيب عليه ، فيجيز^(٥) الشعراء ، ويرضخ للندماء^(٦) ، ويعرف مقادير العلماء ، ويؤاكل^(٧) الأشراف والرؤساء ، [ضارياً]^(٨) في كل إصلاح بسهم^(٩) ، مالتا من كل تجربة وحسكة . حاز النادرة ، حسن التوقيع ، ملىح الخط ، تغلب عليه القظاظلة والقسوة .

شعره

كان له شعر مستظرف من مثله ، لا بل يفضل به الكثير ممن ينتحل الشعر من الملوك . ووقعت على مجموع له ، ألفه بعض خدامه ، فنقمت من مطولاته :

واعدني وعداً وقد أخلفنا أقل شيء في الملىح^(١٠) الوفا
وحال عن عهدى ولم يرعه ما ضره لو أنه أنصفا

(١) أعني بمرض مزمن .

(٢) سدكت أي لزمت .

(٣) الزيادة من المصحة .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي المصحة : الهزيع .

(٥) هكذا في المصحة . وفي « ج » : ويحسن . وفي « ك » : يحرز .

(٦) في المخطوطين : (التداد . التد) . والتصويب من المصحة .

(٧) في المخطوطين ويوكل .

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وإضافة من المصحة .

(٩) هكذا في المصحة . وفي المخطوطين : سبهم .

(١٠) هكذا في المخطوطين والملكية . وفي المصحة : الملاح .

ما بأنها لم تتعطف على صاحب لها مازال مستعظفا
 يستطلع الأنبياء من نحوها ويرقبُ البرق إذا ما هفا
 خفيتُ سقماً عن عيون الورى وبان حبي بعد ما قد خفا
 لله كم [من] ليلة بثها أدير من ذاك اللمي قرعفا
 متعنتي بالوصل منها وما أخلفت وعداً خلت أن يخلفا
 ومنها :

مَلَكْتِكِ [الغالب] (١) واني امرؤ
 أوامري في الناس مسموعة
 يُرهف سيفي في الوغى متسلطاً
 وترنجي يميني يوم الندى
 نحن ملوك الأرض من مثلنا
 نخاف إقداماً ونرجي ندأ
 لي راية في الحرب كم غادرت
 ياليت شعري والمنى جمة
 هل يرتجى العبد (٢) تداينكم
 على ملك الأرض قد وقفا
 وليس مني في الورى أشرفاً (٣)
 ويثقي عزمي إذا ما أرفها
 تخالها الشحب غدت وكفا
 حزننا تليد الفخر والمطرفا
 لله ما أرجي وما أخوفا
 ربع العدا قاعاً بها صففا
 والدهر يوماً هل يرى منصفاً
 أو يصبح الدهر له مسعفاً (٤)

مناقبه

وأعظم مناقبه المسجد الجامع بالحمراء (٥)، على ما هو عليه، من الظرف والتنجيد،

(١) سقطة في المخطوطين . وواردة في اللحة .

(٢) في المخطوطين : أسرف . والتصويب من اللحة .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي اللحة : (هل يرتجى اليوم) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «ك» : مضمفاً .

(٥) سبق التعريف بموقعه . (أنظر الحاشية في ص ٥١١) .

والترقيش ، وغمامة العمد ، وإحكام أنوار الفضة ، وإبداع ثراها ، ووقف عليه الحمام بإزائه ، وأنفق فيه مال الجزية ، وأغرّمها لمن يليه من الكفار ، فدوا به زرعاً ، نهد إليه صائفته^(١) لانتسافه ، وقد أهمتهم فتنة ، فظفر بها منقبة يقيمة ، ومملوءة^(٢) فذة ، فاق بها من تقدمه ، ومن تأخره من قومه .

جهاده

أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر^(٣) ، فاستولى عليها عنوة ، وهلك من احتوت عليه المدينة ، ومن جعلتهم الزعيمة صاحبة المدينة ، من أفراد عقائل الروم ، فقدّمت الحضرة في جملة السبي ، نبيهة المراكب ، ظاهرة الملبس ، ورائقة الجمال ، خص بها ملك المغرب ، فأتخذها لنفسه ، وكان هذا الفتح عظيماً ، والصيت بمزايه عظيماً بعيداً [أنشدني]^(٤) .

ما نقل عنه من الفظاظة والقسوة

هجم لأول أمره على طائفة من ممالك أبيه ، وكان سيئ الرأي فيهم ، فسجنهم في مطبق الأري من حمرائه ، وأمسك مفتاح قفله عنده ، وتوعد من يرّمقهم بقوت بالقتل ، فكشوا أياماً ، وصارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع ، حتى خففت ضعفاً^(٥)

(١) أعنى قوات الجيش التي تخرج صيفاً للغزو .

(٢) هكذا في « ك » . وفي « ج » : مملوءة .

(٣) يفهم من كلام ابن الخطيب في مناسبة سابقة (راجع ص ٣٤٢) أن هذه البلدة كانت من أعمال وادي آش . ولكن يبدو من ذكرها مع بلدة شوطر (شودر) Jodar أنها ربما كانت من أعمال جنوبي ولاية جيان ، وعلى مقربة من البلدة المذكورة . وعلى أي حال فإننا لم نستدل بالبحث على وجودها ، أو مقابلها الإسباني . وأغلب الظن أنها دثرت .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ولم يرد بعدها شعر .

(٥) في المخطوطين : خففت . وفي الملكية خففت . وبالتصويب يستقيم المعنى .

بعد أن اقتات آخرهم موتاً من لحم من سبته : وحملت الشفقة حارساً كان برأس المطبق ، على أن طرح لهم خُبزاً يسيراً ، تنقص أكله ، مع مباشرة بلواهم . ونهى إليه ذلك ، فأمر بذبجه على حافة الجُبِّ ، فسالت عليهم دواؤه ؛ وقانا الله مصارع الشوء ؛ ومازالت المقالة (١) عنها شنيعة ، والله أعلم بجزيرتهم لديه .

وزراؤه

بقي على ختاة الوزارة . وزير أبيه أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني ، الجارى ذكره بحول الله في محله . مُتَبَرِّماً بحياته إلى أن توفى . فأنشد عند موته :

مات أبو زيد فواحسرتا إن لم يكن مات من جمعة
مصيبة لا غفر الله لي أن كنت أجريت لها دمة

وتمادى بها أمره ، يقوم بها حاشيته . وقد ارتاح إليها مُتَوَلِّياً بعده ، المترفع (٢) بدولته ، القائد الشهير ، البهمة أبو بكر بن المول . حدث قارىء العشر من القرآن بين يدي السلطان ، ويعرف بابن بكرُون ، وكان شيخاً مُتَصَاوِناً ظريفاً ، قال : عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيراً ، وكان السلطان يؤثر العال ، وله في هذا المعنى وساوس مُلازمة ، فوجه إلى الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومئذ ، أبو عبد الله بن الحكيم المستأثر بها دونه ، والمُتَقَفُّ لكرتها قبله ، وخرج لي عن الأمر ، وطلب مني أن أقرأ آياً يخرج فألها عن الغرض ؛ قال فلما غدوت (٣) لشأني تلوث بعد التعمُّد قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، إلى قوله لنا (٤) »

(١) وردت في المخطوطين والملكية : المألقة وهو تحريف .

(٢) في المخطوطين والملكية : المتوقع .

(٣) في المخطوطين عدوت

(٤) واردة في وج . وساقطة في ك . . .

فلما فرغت الآية ، سمته حاد عن رأيه الذي كان أزمعه . وقدم للوزارة كاتبه
أبا عبد الله بن الحكيم في ذى قعدة من عام ثلاثة وسبعائة . وصرف إليه تدبير
ملكه . فلم يلبث أن تغلب على أمره ، وتقلد جميع شئونه ، حسبما يأتي في موضعه
إن شاء الله .

كتابه

استقل برياسته وزيره المذكور ، وكان يبابه من كتابه^(١) جملة تباهي بهم
دسوت الملوك ، أدباً وتفناً وفضلاً وظرفاً ، كشيخنا تلووه وولى الرتبة الكتابية
من بعده ، وفاضل الخطبة على أثره . وغيره ممن يشار إليه في تضاعيف الأسماء ،
كالشيخ الفقيه القاضي أبي بكر بن شبرين^(٢) . والوزير الكاتب أبي عبد الله بن
عاصم ، والفقيه الأديب أبي إسحاق بن جابر . واوزير الشاعر المنفلتي أبي عبد الله
اللوثي ، من كبار القادمين عليه ، والفقيه الرئيس أبي محمد الحضرمي ، والقاضي
الكاتب أبي الحجاج الدارطوشي ، والشاعر الكثير أبي العباس التراقي^(٣) وغيرهم .

قضاته

استمرت ولاية قاضي [أبيه]^(٤) الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن هشام
الأثري^(٥) قاضي العدل ، وخاتمة أروى الفضل ، إلى أن توفي عام أربع وسبعائة .

(١) و المخطوطين : كتاب .

(٢) هكذا في « ح » . وفي « ك » : بشر بن . وهو تحريف .

(٣) هكذا في « ج » . وفي « ك » : العراق . وفي الملكية . الفراق .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في اللحة .

(٥) نسبة إلى ألس Elche وهي بلدة أندلسية قديمة تقع على مقربة من أوربولة في شرق

الأندلس وهي اليوم مصيف جميل وتشتهر بنبات النجيل التي تمتد بجانبها لمسافة طويلة .

وتولى له القضاء ، القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد [بن محمد بن أحمد] (١) القُرشي المنبوري (٢) بابن فركون ، وتقدم التعريف به ، والتنبيه على فضله ، إلى آخر أيامه .

مَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ بِالْأَقْطَارِ

وأول ذلك بفاس ، كان على عهده بها ، السلطان الرفيع القدر - السامى الخطر ، المهروب الشبا ، المستولى فى العز وبعد الصيت على المدى ، أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور ، بن عبد الحق ، وهو الذى وطّد الدولة المرينية ، وجبا الأموال العريقة ، واستأصل من تُتقى شوكته من القرابة وغيرهم ، وجاز إلى الأندلس فى أيام أبيه وبعده ، غازياً ، ثم حاصر تلمسان : وهلك عليها فى أوائل ذى قعدة عام ستة وسبعمائة ، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا . ثم صار الأمر إلى حافده أبي ثابت عامر بن الأمير أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع ، ونزاع انجلى عن قتل جماعة من كبارهم : منهم (٣) الأمير أبو يحيى بن السلطان أبي يوسف ، والأمير أبو سالم بن السلطان أبي يعقوب ، واستمر الأمر للسلطان أبي ثابت إلى صفر من عام ثمانية وسبعمائة ، وصار الأمر إلى أخيه أبي الربيع سايمان تمام مدة ملكه وصدرا من دولة أخيه نصر ، حسبما يذكر فى موضعه إن شاء الله .

وبتلمسان الأمير أبو سعيد عثمان [بن يعمر اسن] (٤) . ثم أخوه أبو عمران (٥) موسى . ثم ولده أبو تاشفين عبد الرحمن إلى [آخر] (٦) . مدة أخيه (٧) .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى « ج » . وساقط فى « ك » .

(٢) وردت فى المخطوطان : المنوز . وهو تحريف . وفى الملكية الملقب . والمنبور أى المعروف أو الشهير .

(٣) وردت بحرف فى المخطوطين والملكية : سلم . بلم .

(٤) واردة فى « ك » وفى الملحّة . ومكانها فى « ح » : (ثم بنصر أخيه) .

(٥) فى « ج » أبو عمر ، وفى « ك » أبو محمد . وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة واردة فى الملحّة . وسقطت فى المخطوطين .

(٧) وردت فى « ح » والملاحّة مدته . والتصوب من الملكية .

وبتونس ؛ السلطان الفاضل ، الميمون النقيبة . المشهور الفضيحة ، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص . من أولى العفة ، والنزاهة ، والتزودة ، والحشمة ، والعقل ؛ عني بالصلحين ، واختص بأبي محمد المرجاني ، فأشار بتقويمه ، وظهرت عليه بركته ، وكان يرتبط إليه ، ويقف في الأمور عنده ، فلم تعدم الرعية بركة ولا صلاحاً في أيامه ، إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة وسبعائة ، ووقعت بينه وبين هذا الأمير المنرجم به المراسلة والمهاداة .

وبقشتالة ؛ هراندة بن ثابجه بن أدفونش بن هراندة (١) ، المستولى على إشبيلية وقرطبة ، ومرسية ، وجيان ، ولا حول ولا قوة الا بالله ؛ هلك أبوه وتركه صغيراً ، مكفولاً على عادتهم ، فتنفس المخذق ، وانعدت السلم ، واتصل الأمان مدة أيامه ، وهلك في دولة أخيه .

وبرغون ؛ جايمش بن ألفتش بن بطرّه (٢) .

الأحداث

في عام ثلاثة وسبعائة ، نقيم على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالي بمدينة وادي آش (٣) . أمراً أوجب عزله عنها ، وكان مقبلاً بحضرته فأخذ [الليل] جملاً (٤) وكان أملاًك بأمرها ؛ وذاع الخبر : فاستركب الجيش ، وقد حذ ما ينزل في استعلا به ، وجدد الصكوك بولايته خوفاً من اشتعال الفتنة ، وقد أخذ على يديه ، وأغرى أهل

(١) هو الملك فرناندو الثالث المسمى بالقديس فرناندو San Fernando . وقد سبق التعريف به (أنظر الحاشية في ص ٣٨٣) .

(٢) وردت في المخطوطات : نصره . وهو تحريف .

(٣) في المخطوطات : واداش ؛ وهو تحريف .

(٤) أضفنا كلمة (الليل) ليستقيم المعنى . والظاهر أنها سقطت من المخطوطات سهواً . وهذا

التعبير يستعمله ابن الخطيب في غير مناسبة . ومعناه « سارت تحت جناح الليل » .

المدينة بحربه ، فداعوا الحين شعورهم باستعداده وأحاطوا به ، فدموه وعلجوه ، فتغلبوا عليه ، وقيد إلى بابه أسيراً مُصَفَّداً ، فأمر أحد أبناء عمه فقتله صبراً ، وتلاً فتحاً كبيراً ، وأمن فتنة عظيمة . وفي شهر شوال من عام خمسة وسبعمائة قرع الأسماع النبأ العظم ، الغريب ، من تملك سببته وحصولها في قبضته ، وانتزعها من يد رئيسها أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم ، الرئيس الفقيه ، ابن الإمام المحدث أبي العباس العزفي حسبما يتقرر في اسم الرئيس الفقيه أبي طالب إن بلغنا الله ذلك ، واستأصل ما كان لأهلها من الذخائر والأموال ، ونقل رؤساءها ، وهم عدّة ، إلى حَضْرَتِهِ غرناطة في غرة المحرم من العام ، فدخلوا عليه ، وقد احتفل بالملك ، واستركب في الأبهة الجند ، فلجموا أطرافه ، واستعطفه شعراؤهم بالمنظوم من القول ، وخطبائهم بالمنثور منه ، فطمان روعهم (١) وسكن جاشهم ، وأسكنهم في جوارده ، وأجرى عليهم الأرزاق الماللية ، وتقدم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم .

اختلاءه

في يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة أُحيط بهذا السلطان ، وأتت الحيلة عليه ، وهو مصاب بعينه ، مقعد في كفته ، فداخمت طائفة من وجود الدولة أخاه ، وفتكت بوزيره الفقيه أبي عبد الله بن الحكيم ، ونصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصرأ أخاه ، وكبست منزل السلطان ، فأحيط به ، وجعل الحرس [عليه] (٢) ، وتُسومِع بالسكائنة فكان البهت ، وسال من الغوغاء البحر ، فتعلقوا بالجرء ، يسألون عن الحادثة ، فشغلوا بانتهاب (٣) دار الوزير ، وبها من مال الله ما يفوت الوصف . وكان الفجع في إضاعته على المسلمين ، وإطلاق الأيدي الخبيثة عليه

(١) في المخطوطين : روحهم . (٢) نسخة في المخطوطات : وقضيه سيق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «ك» : بيهاب .

عظيماً؛ وفي آخر اليوم عند الفراغ من الأمر، دخل على السلطان المخلوع، الشهداء عليه بخلعه، بعد نقله من دار مُلكه إلى دار أخرى، فأَمَلَى رحمه الله، زعموا، وثيقة خالعه، مع شُعب الفسك، وعِظَم الداهية. وانتقل رحمه الله بعد، إلى القصر المنسوب إلى السيد^(١) بخارج الحضرة، أقام به يسيراً، ثم نقل إلى مدينة المنكب، وكان من أمره ما يذكر إن شاء الله.

ومما يؤثر من ظُرفه؛ حدث من كان منوطاً به من خاصته، مدة أيام إقامته بقصر نجد، قبل خالعه، قال: أرسل الله^(٢) الأغريرة على سقف القصر، وكان شديد التطير والقلق لذلك حسبما تقدم من الإشارة إلى ذلك بحديث العشر؛ وكان من جعلتها^(٣) غراب^(٤)، شديد الإلحاح، حاد النعيب والصياح، فأغرى به الرماة من ممالئكه بأنواع القسي؛ فأبادوا من الغربان^(٥) أمة؛ وتخطأ الختف ذلك الغراب الخبيث [العبقان]^(٦)؛ فلما انتقل إلى سكنى الحمراء؛ ظهر ذلك الغراب على سقفه؛ ثم لما أهبط مخلوعاً إلى قصر شنيل^(٧) تبعه، وقام في بعض السقف أمامه، فقال^(٨) يخاطبه رحمه الله: يا محروم بين الغربان، قد خلصت أمرنا، ولم يبق لك علينا طلب، ولا بيننا وبينك كلام. إرجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم؛ قال، فأضحكنا على حال السكابة بمذوبة منقعه، وخفة روحه.

(١) سبق التعريف به وبموقعه خارج غرناطة (انظر الحاشية في ص ١١٩).

(٢) هكذا في «ج». وفي «ك»: تعالى.

(٣) وردت في المخطوطين: جنتهم.

(٤) في المخطوطين: غريب.

(٥) في المخطوطين: غربان.

(٦) وردت هذه الكلمة محرقة في «ج»: (امبتاق). ولم ترد في «ك» والصواب: العبقان.

وهو السبي الخلق

(٧) هو قصر السيد الذي سبق التعريف به. وتعرف بقياه حتى اليوم في غرناطة بقصر شنيل

Alcazar Xenil

(٨) هكذا في «ك» وفي «ج»: فقام

وفاته

قد تقدم ذكرُ استقراره بالْمُنْكَبِ . وفي أخريات شهر جمادى الآخرة عام عشرة وسبعمائة ، أصابت السلطان نصراً سَكَنَتْهُ ، تُوقِعُ منها موته ، بل شُكٌّ في حياته ؛ فوقع التفاوض الذي تمحض (١) إلى التوجيه عن السلطان الخلع الذي بالمنسكب ليعود إلى الأمر ، فكان ذلك وأسرع إلى إيصاله (٢) إلى غرناطة في محفّة ، فكان حلولة بها في رجب من العام المذكور . وكان من قَدَرِ الله ، أن أفاق أخوه من مرضه ، ولم يتم للخلع الأمر ، فنقل من الدار التي كان بها إلى دار أخيه الكبرى ، فكان آخر العهد به . ثم شاعت وفاته أوائل شوال من العام المذكور ، فذكر أنه اغتيل غريباً في البركة في الدار المذكورة لما تُوقِعُ من عادية (٣) جواره ؛ ودفن بمقبرة السببكية ، ودفن قومه ، بجوار الغالب بالله جده ، ونوّه بجَدِّته وعليه مكتوب ما صه :

« هذا قبر السلطان الفاضل ، الإمام العادل ، علم الأتقياء ، أحد الملوك الصلحاء ، المُخْتَبِت (٤) الأواء ، المجاهد في سبيل الله ، الرّزقي الأورع ، الأَخْشَى اللهُ الأَخْشَع ، المراقب في السرِّ والإعلان ، المعمور الجنان بذكره واللسان ، السالك في سياسة الخلق وإقامة الحقِّ ، منبهاج التقوى والرّضوان ، كاذلُ الأمة بالرأفة والحنان ، الفاتح لها بفضل سيرته ، وصدّق سيرته ، ونور بصيرته ، أبواب اليمن والأمان ، المنيب الأواب ، العادل ما يجده نورا مُبيناً يوم الحساب ، ذى الآثار السنيّة ، والأعمال الطاهرة ، القائم في جهاد الكفاؤ بماضى العزم وخالص النيّة ،

(١) هكذا في «ك» . وفي «ج» : تخصص وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «ك» : أصانة .

(٣) وردت في المخطوطين : «عادية» .

(٤) هكذا في «ج» وفي اللوحة . وفي «ك» : المبخت .

المقيم قسطاس العدل ، المنير منهاج الحلم والفضل ، حامى الذمار ، وناصر دين المصطفى المختار ، المقتدى بأجداده الأنصار ، المتوسل بفضل ما أسلفوه من أعمال البر والجهاد ، ورعاية العباد والبلاد ، إلى الملك القهار ، أمير المسلمين ، وقامع المعتدين ، المنصور بفضل الله ، أبي عبد الله ، ابن أمير المسلمين الغالب بالله ، السلطان الأعلى ، إمام الهدى ، وغمام الندى ، محيي السنة ، حسن الأمة ، المجاهد في سبيل الله ، الناصر لدين الله ، أبي عبد الله ، ابن أمير المسلمين الغالب بالله ، أبي عبد الله ، بن يوسف بن نصر ، كرم الله وجهه ومثواه ، ونعمه برضاه .
 وُلد رضى الله عنه يوم الأربعاء الثالث لشعبان المكرم [من عام خمسة وخمسين وسمائة . وتوفى قدس الله روحه ، وبرد ضريحه ، ضحوة يوم الإثنين الثالث لشوال عام ثلاثة عشر]^(١) وسبعمائة ، رفعه الله إلى منازل أوليائه الأبرار ، وألحقه بأئمة الدين ، لهم عقبى الدار ، وصلى الله على سيدنا محمد المختار ، وعلى آله ، وسلم تسليماً .

ومن الجانب الآخر :

على قبر مـولانا الإمام المؤيد	رضى الملك الأعلى يروح ويعتدى
فقدس من معنى كريم ومشهد	مقر ^(٢) العلى والملك والبأس والندى
فبورك من مثوى زكى وملحد	ومثوى الهدى والفضل والعدل والتقى
ثوى تحت أطباق الصفيح المنضد	فيا عجباً طودُ الوقار جـلالة
مآثر فخر ^(٣) بين منى وموحد	وواسطة العقه الكريم الذى له
إمامُ الندى نجلُ الإمام محمد	محمد الرضى سليل محمد
وياعلم الأعلام غير مُفند	فيا نُجبةَ الأملاك غير منازع

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطات الثلاثة ووارد في اللوحة .

(٢) هكذا في «ج» واللمحة . وفي «ك» : قصر .

(٣) هكذا في المخطوس . وفي اللوحة : مجد .

بَكَتْكَ بِلَادُ كَنْتِ تَحْمِي (١) ذِمَارَهَا (٢)
 وَكَمْ مَعْلَمٌ لِلدِّينِ أَوْضَحَتْ رَسْمَهُ
 كَأَنَّكَ مَا سُسْتِ الْبِلَادِ وَأَهْلُهَا
 كَأَنَّكَ مَا قُدَّتِ الْجِيُوشُ إِلَى الْعِدَا
 وَفَتَحَتْ مِنْ أَقْطَارِهِمْ كُلِّ مُبْهَمٍ
 كَأَنَّكَ مَا أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي الرِّضَى
 وَإِنْصَافِ مَظْلُومٍ وَتَأْمِينِ خَائِفٍ
 كَأَنَّكَ مَا أَحْيَيْتِ لِلخَلْقِ (٤) سُنَّةً
 كَأَنَّكَ مَا أَمْضَيْتِ فِي اللَّهِ عَزْمَةً
 فَإِنْ تَحَمَّلَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَأَهْلُهَا
 تَعَوَّضَتْ ذُخْرًا مِنْ مَقَامِ خِلَافَةٍ
 وَكُلِّ الْوَرَى مَنْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
 فَلَا زَالَ جَارًا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
 وَهَذِي الْقَوَافِي قَدْ وَكَيْتُ بِنِظْمِهَا

بَعَزْمٍ أَصِيلٍ أَوْ بَرَأَى مُسَدِّدٍ
 [بَنِي] (٣) لَكَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَرْفَعُ مَصْعَدِ
 بِسِيرَةِ مَسِيُونِ النَّقِيْبَةِ مُهْتَدِ
 فَصَيَّرْتَهُمْ نَهَبَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ
 فَتَحَتْ بِهِ بَابَ النَّعِيمِ الْمُخَالِدِ
 بِتَجْدِيدِ غَزَوَاتٍ وَتَشْيِيدِ مَسْجِدِ
 وَإِصْرَاحِ مَذْعُورٍ وَإِسْعَافِ مُجْتَدِ
 تُجَادِلِ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
 تُدَافِعُ فِيهَا بِالْحَسَامِ الْمَهْتَدِ
 بِذَلِكَ ثَوْبُ اللَّهِ يَلْتَقَاكَ فِي غَدِ
 مَقِيْمٍ مَنِيْبٍ خَاشِعٍ مُتَعَبِّدِ
 صَرِيْعُ الرَّدَى إِنْ يَكُنْ فَكُنْ قَدِ
 بَدَارِ نَعِيْمٍ فِي رِضَى اللَّهِ سَرْمَدِ
 فَيَالَيْتَ شَعْرَى هَلْ يَصِيْحُ (٥) لِمُنْشَدِ

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن

خميس بن نصر الأنصاري الخزرجي

ثاني الملوك الغالبين من بني نصر ، وأساس أمرهم ، وفحلُ جماعتهم .

(١) هكذا في « ح » . والمنكبة والملحة .

(٢) في الملحة قصوره .

(٣) هذه كلمة ساقطة في المخطوطات وواردة في الملحة . وفي المنكبة . نكن .

(٤) هكذا في « ح » . وفي الملحة . للحق .

(٥) هكذا في « ح » . وفي « ش » . تصح .

أوليئته

تقرر بحول الله في اسم أبيه الآتي بعد حسب الترتيب المشروط .

حاله

من كتاب « طُرْفَة (١) العصر » من تأليفنا ؛ كان هذا السلطان أُوْحِدَ الملوك
جلالة ، وصرامة ، وحزماً (٢) . مهد الدولة ، ووضع ألقاب خدمتها . وقرر مراتبها ،
واستجداد أبنائها . وأقام رسوم الملوك فيها ، واستدرّ جباياتها : مستظهِراً على ذلك
بسعة الذرع ، وأصالة السياسة ، ورضانة (٣) العقل ، وشدة الأسر (٤) ووفور الدهاء ،
وطول الخنكة ، وتملؤ (٥) التجربة ؛ مليح الصورة ، تام الخلق ، بعيد المهمة ،
كريم (٦) الخلق ، كثير الأناة . قام بالأمر بعد أبيه ؛ وباشره مباشرة الوزير أيام
حياته ، فجرى على سنن أبيه ، من اصطناع أجناسه ، ومداراة عدوه ، وأجرى
صدقاته ، وأزبى (٧) عليه بخلال ، منها براعة الخط ، وحسن التوقيع ، وإيثار العلماء ،
والأطباء ، والمدلين (٨) ، والحكماء ، والكتاب ، والشعراء ، وقرض الأبيات
الحسنة ، وكثرة المآخ ، وحرارة النادرة . وطما يجرّ من الفتنة لأول استقرار أمره ،
وكثر عليه المنتزون والثوار ، وارتجبت الأندلس ، وسط أكلب (٩) الكفار ،
فصبر لزلزالها ، وابط الجأش ، ثابت المركز ، وبذل من الاحتيال ، والدهاء ،

(١) هكذا في «ج» . وفي «ك» : ظرف .

(٢) هكذا في «ج» واللمحة . وفي «ك» : جزماً .

(٣) هكذا في «ج» . واللمحة . وفي الملكية (ورزاة) .

(٤) وردت في «ج» الأمور . والتصويب من اللمحة .

(٥) في المخطوطين والملكية : وقلو . والتصويب من اللمحة .

(٦) هكذا في «ك» . وفي «ج» : كثير .

(٧) هكذا في «ج» . وفي الملكية . وأوفى .

(٨) هكذا في المخطوطين . وفي اللمحة : المنجمين .

(٩) في المخطوطين : كلب . وهو تحريف .

المسكنوفين بجميل الصبر، [ما أظفرد] (١) بخلو الجؤ . وطل عمره ، وجد صيته (٢) ،
 واشهر فى البلاد ذكره ، وعظمت غزواته . وسيمر من ذكره مايدل على أجل من
 ذلك إن شاء الله .

شعره وتوقيه

وقفت على كثير من شعره ، وهو نكت منحت بالنسبة إلى أعلام الشعراء (٣) ،
 ومستظرف من الملوك والأمراء . من ذلك ، يخاطب وزيره :

تذكر عزيز ليال ماضت وإعداءنا المال بالراحتين
 وقد قصدتنا ملوك الجها ت ومالوا إلينا من العذوتين
 وإذا سأل السلم منا اللعي ن (٤) فلم يحظ إلا بخفى حنين

وتوقيه يشد عن الإحصاء ، وبأيدى الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك ؛
 فما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرف فى بعض الشهادات ويلح عليها :

يموت على الشهادة وهو حى إلهى لا تمته على الشهادة

وأطل الخط عند إلهى إشعاراً بالضراعة عند الدعاء والجد . ويذكر أنه وقع
 بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجنود المتزلين فى الدور ، ونززه (٥) بالتعرض
 لزوجه : « يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل » (٦) .

(١) وردت فى المخطوطين وفى الملكية : وما أظفرد . والتصويب من اللحة .

(٢) وردت محرفة فى المخطوطين : (صمته . صننة) .

(٣) هكذا فى « ك » . وفى « ج » : الشعر .

(٤) وردت فى المخطوطين : لمعير . والتصويب من اللحة .

(٥) أى أنه .

(٦) يلاحظ أن هذه القصة وردت قبل ذلك منسوبة للمأمون خليفة الموحدين (راجع ص ٤١٦) .

بنوه

ثلاثة ، ولي عهد أبو عبد الله المتقدم الذكر ، وفرج المغتال أيام أخيه ، ونصر الأمير بعد أخيه .

بناته

أربع ، عقد لهن ، جمع أبرزهن إلى أزواجهن ، من قرابتين ، تحت أحوال ملوكية ، ودنيا عريضة ، وهن : فاطمة ، ومؤمنة ، وشمس ، وعائشة . وفاطمة منهن أم حفيده إسماعيل الذي ابتز ملك بنيه عام ثلاثة عشر وسبعمئة .

وزيره

كان وزيره ، الوزير الجليل الفاضل ، أبو سلمان ، لتقارب الشبه ، زعموا في السن والصورة ، وفضل الذات ، ومثانة الدين ، وصحة الطبع ، وجمال الرثاء ، أغنى وخسنت واسطة ، ورُزمت إليه الوسائل ، وطُرزت باسمه الأوضاع ، واتصلت إلى أيامه أيام مستورزه ، ثم صدراً من أيام ولي عهده .

كتابه

ولى له خطة الكتابة والرياسة العليا في الإنشاء جملة ، منهم كاتب أبيه أبو بكر ابن أبي عمرو اللوشى ، ثم الأخوان أبو علي الحسن والحسين ، إبننا محمد بن يوسف ابن سعيد اللوشى ، سبق الحسن وتلاه الحسين ، وكانا [توأمين]^(١) ، ووقتهما متقاربة . ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى ، آخر

(١) وردت في المخطوطين وفي المنكية : رامير . والتصويب من اللوحة .

الشيوخ ، وبقية الصدور والأدباء ؛ أقام كاتباً [مدة]^(١) إلى أن أبرمه انمطاطه في هوى نفسه ، وإيثاره المعاقرة ، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه . فأخره عن الرتبة ، وأقامه في عداد^(٢) كُتّابه إلى أن توفى تحت رِفْدِه^(٣) . وتولى الكتابة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته .

قضائه

تولى له خُطّة القضاء ، قاضى أبيه ، الفقيه العدل ، أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلي الملقب بالأشبرون . تولى قبل ذلك خُطّة الشوق ، فلقى سكران^(٤) أفرط في قحة^(٥) ، واشتد في عربدته ، وحمل على الناس ، فأفرجوا عنه ؛ فاعترضه واشتد عليه حتى تمكن منه بنفسه ، واستنصر^(٦) في حده ، وبالغ في نكاله ؛ واشتهر ذلك عنه ؛ فجمع له أمرُ الشرطة وخُطّة السوق ؛ ثم ولى القضاء ، فذهب أقصى مذاهب الصرامة ، إلى أن هلك ؛ فولى خُطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن هشام من أهل ألس^(٧) ، لحكاية غبِطت السلطان بدينه ، ودلّته على محله من العدل والفضل ؛ فأتصلت أيام قضائه إلى أيام مُستَقْضِيَة ، رحمه الله .

(١) سائطة في المخطوطين . والإضافة من اللمعة

(٢) هكذا في اللمعة . وفي المخطوطين : إعداد .

(٣) أى تحت كنفه وعطائه .

(٤) في المخطوطين والملكية . سكراناً .

(٥) وردت محرقة في المخطوطين : (عنه . محته) .

(٦) هكذا في المخطوطين والملكية . وفي اللمعة البدرية : استبصر .

(٧) هكذا وردت في اللمعة . وفي المخطوطين : الشر . وهو تحريف ظاهر . وقد سبق

التعريف بمدينة ألس (نظر الحاشية في ص ٥٤٩) .

جهاد

وباشر هذا السلطان الوقائع ، فأنجكت ظلماتها ، عن صُبح نصره ، وطُرُزت
 مواقعياً بطراز جلادته وصبره . فمنها وقبة المذران وغيرها ، مما يضيق التأليف
 عن استقصائه . وفي شهر المحرم من عام خمسة وتسعين وثمانمائة^(١) ، على تَفْتَةِ^(٢) هلاك
 طاغية الروم ، شأبجه بن أدفونش^(٣) ، عاجل الكفار حين دَهَشَهم ، فحشد أهل
 الأندلس ، واستنفر المساهين ، | فاعتنم | : الداعية ، وتحرك في جيش ، يجره
 الشوك والشجر ، ونازل مدينة قِيَبَجَاطَةَ^(٥) وأخذ بكفالمها ، ففتحها الله على يديه ،
 وتملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها : وكان الفتح في ذلك عظيماً ،
 وأسكنها جيشاً من المساهين ، وطائفة من الحامية ، فأشرقت العدو بريقه . وفي صائفة
 عام تسعة وتسعين وثمانمائة ، نازل مدينة التبنذاق^(٦) فدخل جفنها ، واعتصم من تأخر
 أجله بقصبتها ، ذات التاهرة العظيمة الشأن ، الشيرة في البلدان ، فأحيط بهم ،
 فخذلوا وزلزل الله أقدامهم ، فالتقوا باليد ، وكانوا أمنع من عذاب الجور . وتملكها
 على حكمه ، وهي من جلالة الوضع ، وشهرة المنعة ، وخصب الساحة ، وطيب الماء ،
 والوصول إلى أفلاذ الكفر ، والاطلاع على عَوْرَاته ، بحيث شهر . فكان تيسر
 فتحها من غرائب الوجود ، وشواهد الألف ، وذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد

(١) هكذا في اللحة وهو العواب . وفي «ك» سبمائة صححت إلى ستمائة . وفي «ح»
 سبمائة وهو تحريف .

(٢) أى على أثره وعلى حينه .

(٣) هكذا رسمت في «ك» . وفي «ح» . دفونش .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من اللحة .

(٥) هي مدينة أندلسية قديمة من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة من أبدة . ومكانها اليوم
 المدينة الإسبانية الحديثة Quesada .

(٦) هكذا في «ج» واللحة . وفي «ك» : التبنذان . والقبدان Alcaudete مدينة
 أندلسية قديمة من أعمال ولاية قرطبة .

الثامن لشهر شوال عام تسعة وتسعين (١) وستائة ؛ وأسكن بها رابطة المسلمين ،
وباشر العمل في خندقها بيده رحمه الله ، فتساقط الناس ، من ظهور دوابهم
إلى العمل ، قم ما أريد* منه سريعاً .

وأثدنى شيخنا أبو الحسن الجيَّاب بهنئه بهذا الفتح :

عدوك مقهورٌ وحزبك غالبُ وأمرُك منصورٌ وسهمُك صائبُ
وشخصُك مهمالاح للخلق أذعنَّتْ لهيبته عجب الورَى والأعاربُ
وهي طويلة .

من كان على عهده من الملوك

كان على عهده بالمغرب ، السلطان الجليل ، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ،
الملقب بالمنصور ؛ وكان ملكاً صالحاً ، ظاهر السداجة ، سليم الصدر ، مخفوض
الجناح ، شارعاً أبواب الدالة عليه منهم ؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك ، في إجمال اللفظ ،
والإغضاء عن الجفوة ، والنداء بالكنية (٢) . وهو الذي استولى على ملك ،
الموحدين ، واجتث شجرتهم من فوق الأرض ، وورث سلطانهم ، واجتاز
إلى الأندلس ، كما تقدم مرَّات ثلاث أو أزيد منها ، وغزا العدو ، وجزت بينه
وبين السلطان المترجم به أمور ، من سلم ومناقضة ، وإعتاب ، وعتب (٣) ، حسبما
تدلُّ على ذلك القصائد الشهيرة المتداولة ؛ وأولها ما كتب به على عهده ، الفقيه
الكاتب الصدر ، أبو عمرو بن المرابط ، في غرض استنفاد للجهاد :

هل من مُعيني في الهوى أو مُنجدى من مُتهم في الأرض أو مُنجد

(١) هكذا في « ج » . وفي « ك » وسبعين . وهو تحريف .
* وهنا ينهى مخطوط دار الكتب المصرية المرموز له فيما تقدم بحرف « ك » . وقد قطع الكلام
قطعا في لوحته الأخيرة رقم ١٢٢ بما يدل على أنه لم يكن سوى قطعة كبيرة من كتاب « الإحاطة »
حسبما أوضحنا ذلك في مقدمة الكتاب .

(٢) وردت في « ج » : والكينة . والتصويب من اللحة .

(٣) هكذا في « ج » . وفي اللحة ، وعتب وإعتاب .

وتوفى السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عُنُقوان وَحْشَة بينه وبين هذا السلطان في محرم خمسة وثمانين وستمائة ؛ وولى بعده ولده ، العظيم الهمة ، القوي العزيمة ، أبو يعقوب يوسف ، وجاز إلى الأندلس على عهده ، واجتمع به بظاهر^(١) مَرَبْلَة ، وتجدد العهد ، وتأكد الوُدُّ ؛ ثم عادت^(٢) الوَحْشَة المُقْضِيَة إلى تغلب العدو على مدينة طريف ، فُرُضَة^(٣) المجاز الأدنى ، واستمرت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به ، ومدة ولده بعده .

وبوطن تِلْمَسَان ، أبو يحيى يَغْمُور ، وهو يَغْمُرَاسِين بن زِيَّان بن ثابت بن محمد ابن بندوسن^(٤) بن طابع الله بن علي بن يمل ، وهو أُوحدُ أهل زمانه جرأة وشهامة ، وحسباً ، وجزالة ، وحزماً . مواقفه في الحروب شهيرة ، وكانت بينه وبين بني مرين وقائع ، كان عليه^(٥) فيها الظهور ، وربما نذرت الممانعة ؛ وعلى ذلك فتوى الشكيمة ، ظاهر المنعة . ثم ولى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به ، [وبعثاً من دولة ولده]^(٦) .

وبوطن إفريقية ، الأمير الخليفة ، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص ، الملقب بالمستنصر ، المثل المضروب ، في البأس والأنفة ، وعِظَم الجَبَرُوت ، وبعده الصيت ، إلى أن هلك سنة أربعة وسبعين وستمائة ؛ ثم ولده الواثق بعده ، ثم الأمير أبو إسحاق^(٧) وقد تقدم ذكره . ثم كانت دولة الدَّعِيِّ ابن أبي عمارة^(٨) المتوثب على مُلْكهم ؛ ثم دولة أبي حفص مَسْتَنْفِذها من يده ، وهو عمر بن أبي زكريا ابن عبد الواحد ؛ ثم السلطان الخليفة الفاضل ، الميمون النَّقِيبة ، أبو عبد الله

(١) هكذا في اللحة . وفي « ج » : على ظاهر .

(٢) في « ج » عاهد . والتصويب من اللحة . (٣) هكذا في اللحة . وفي « ج » : فرصة .

(٤) هكذا في اللحة . وفي « ج » : بندوسن . والأولى أرحح .

(٥) في « ج » عليها . والتصويب من اللحة .

(٦) هذه الزيادة من اللحة . (٧) هكذا في اللحة . وفي « ج » إسحاق .

(٨) سبق أن عرف ابن الخطيب بأخباره (أنظر ص ٣١٦ - ٣١٨) .

[محمد] ^(١) بن الواثق يحيى بن المستنصر أبي عبد الله ، بن الأمير زكريا .

ويوطن النصارى ، بمَشْتَالَة ، الْفُنْش بن هِرَانْدَة ، إلى أن ثار عليه ولده شَانْجُه ، واقتضت الحال إجازه سلطان المغرب ، واستجار به : وكان من لقاءه بأحواز الصَّخْرَة من كورة تا كَرْنَا ما هو معلوم . ثم ملك ^(٢) بعده ولده شَانْجُه ، واتصلت ولايته مدة أيام السلطان ، وجرت بينهما خُطُوب إلى أن هلك عم أربع وسبعين وستائة . وولى بعده ولده هِرَانْدَة سبعة عشر عاماً ، وصار الملك إليه ، وهو صبي صغير ، فننفسُ مُحَمَّدُ [أهل] ^(٣) الأندلس ، وغزاهم [وظهر] ^(٤) إلى آخر مدته . ويرغون ، الْفُنْش بن جايْمَش بن بَطْرَه بن جايْمَش المستولى على بانفسية . ثم هلك وولى بعده جايْمَش ولده ، وهو الذي نازل مدينة ألمرية على عهد نصرٍ ولده ، واستمرت أيام حياته إلى آخر مدته . وكان لانظير له في الدهاء ، والحزم . والقوة .

ومن الأحداث في أيامه

على عهده تفاقم الشر : وأعياد الفتنه : ولقحت حرب الرؤساء . الأصهار من بني إِشْقِيْلُولَة ؛ فن دونهم : وطنبُ مُرَادِق الخلاف : بأصاب الأسر وفحول الثروة الرؤساء ؛ فكان بوادي آس الرئيسان أبو محمد وأبو الحسن : وبالمالقة وقمارش الرئيس أبو محمد عبد الله : وبقيمارش . رئيس آخر [هو] ^(٥) الرئيس أبو إسحاق . فأما الرئيس أبو محمد فهلك : وقام بأمره بالمالقة ، ولده : وابن أخت السلطان المترجم به . ثم خرج عنها في سبيل الانحراف والمنايذة إلى ملك المغرب ؛ ثم تصير أمرها إلى السلطان : على يد واليها من بني علي . وأما الرئيسان فصابرا ^(٦)

(١) الزيادة من الملكية .

(٢) وردت في «ج» والملكية : هلك ، وهو تحريف ، والتصويب من اللحة .

(٣) هذه الكلمة الزائدة واردة في اللحة . (٤) هذه الزيادة من اللحة .

(٥) ساقطة في «ج» . ويقتضها السياق . (٦) في «ج» : فصار والتصويب من اللحة .

المضايقة . وعزماً على النطاق والمقاطعة بوادي آش زماناً طويلاً : وكان آخر أمرها الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب . **مُعَوِّضِينَ** (١) بقصر كِتَامَة : حسبما يذكر في أسمائهم : **إِنْ بَلَّغْنَا اللَّهَ إِلَيْهِ .**

وفي أيامه . كان جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق : إلى الأندلس . **مُعَازِيَاً وَمَجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .** في أوائل عام اثنين وسبعين وستائة ، وقد فسّد ما بين سلطان النصارى وبين ابنه (٢) . واغتنم المسلمون الغزوة ، واستدعى سلطان المغرب إلى الجواز . ولحق به السلطان المترجم به : وجمع مجلسه بين المنتزعين عليه وبينه : وأجلت الحال عن **وَحَشَّةٍ** : وقضيت الغزاة . وآب السلطان إلى مستقره . وفي العام بعده . كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم **« ذُرْبُونَه »** (٣) : واستئصال شأفته ، وحصد شوخته . ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العُدوة : واحتلّ بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة وسبعين وستائة : ونزل إشبيلية ؛ وكان اجتماع السلطانين (٤) بظاهر قرطبة : فاتصلت اليد : وصلحت الضمائر : ثم لم تلبث الحال أن استحالت لى فساد ، فاستولى ملك المغرب على مالقة ؛ بخروج (٥) المنتزى بها إليه : إلى يوم الأربعاء التاسع والعشرين لرمضان عام سبعة وسبعين وستائة . ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخلة من كانت بيده ولنظره (٦) ، حسبما يأتي بعد إن شاء الله .

(١) في « ج » : **مُعَرِّضِينَ** . وهو تحريف .

(٢) وردت في « ح » « **وَابْنَهُ** » والتصويب من المتن .

(٣) هو دون نودو دي لارا **Nuno de Lara** صهر ملك قشتالة ألفونسو العسر . وهو نود الجون القشتالي في هذه المعركة الشهيرة التي لقي فيها النصر في رحمة من المرينيد و **مُعَازِيَاً** بجملة بقيادة **« سَابَانَ أْبِي يُوْسُفَ يَعْقُوبَ عَلِيٍّ مَشْرُوعًا مِنْ مَدِينَةِ سَجِدَةَ »** . وهو من حُرِّفَ فِيهَا **« ذُرْبُونَه »** وذلك في ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ . (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) .

(٤) هكذا في اللوحة : ووردت في « ج » **« السَّابُونَ »** .

(٥) في « ج » : **« وَخُرُوجِ »** والتصويب من اللوحة .

(٦) وردت في « ج » قبلها كلمة (ومضاع) . والمضاع أمر وضعت هنا سهواً .

وعلى عهد نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء ، وأخذ بمُخَنَّقِهَا ؛ وأشرف على افتتاحها ؛ فدافع الله عنها ؛ ونفس حصارها ؛ وأجاز الروم بحرها ؛ على يد الفئة القليلة من المسلمين ؛ فعظم المَنَحُ ؛ وأسفر الليل ؛ وانجَلَّت الشِّدَّةُ ؛ في وسط ربيع الأول من عام ثمانية وسبعة وسبعين وستمائة .

مولده

بغرناطة عام ثلاثة وثلاثين وستمائة . وأيام دولته ثلاثون سنة ، وشهر واحد ، وستة أيام .

وفاته

من كتاب « طُرْفَةُ العَصْرِ » من تأليفنا في التاريخ ؛ قال ؛ واستمرت الحال إلى أحد وسبعمائة ؛ فكانت في ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر ؛ وكان السلطان رحمه الله في مصلاه ؛ متوجّهاً إلى القبلة لأداء فريضته ؛ على أتم ما يكون عليه المسلم من الخشية والتأهب ؛ زعموا أن شرقاً كان يعتاده (١) لمادة كانت تنزل من دماغه ؛ وقد رَجَمَت الظنون في غير ذلك لتناوله عشية يومه كما اتخذت له بدارولى عهد ؛ والله أعلم بحقيقة ذلك . ودفن منفرداً ؛ عن مدفن سلفه ؛ شرقاً (٢) المسجد الأعظم ؛ في الجنان المتصل بداره . ثم ثنى بجافده السلطان أبى الوليد . وعزّز بثالث كريم من سلالاته ؛ وهو السلطان أبو الحجاج ابن أبى الوليد ؛ تغمد الله جميعهم برحمته (٣) ؛ وشملهم بواسع مغفرته وفضله .

تم المجلد الأول
من كتاب « الإحاطة »

(١) هكذا في «ج» والمنكية ، والنسخة . (٢) في الزيتونة (بشرق) . (٣) في الزيتونة (بغفوه) .

الملاحق والفهارس

صفحة

- ١ - استدراقات ٥٦٨
- ٢ - ثبت المراجع ٥٦٩
- ٣ - فهرست الموضوعات والتراجم ٥٧١
- ٤ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٧٧
- ٥ - فهرست الشعر والشعراء ٥٧٨
- ٦ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ... ٥٨٢
- ٧ - فهرست القبائل والطوائف ٥٨٨
- ٨ - فهرست البلدان والأماكن ٥٩٠
- ٩ - فهرست الأعلام ٦٠٠

إستدراكات

- ١ -

سقطت في صفحة ١٠٤ هذه الحاشية الخاصة بالتعريف بأحمد بن موسى (الوارد إسمه في أول السطر الثالث من الصفحة المذكورة) . ونصها ما يأتي :

« وهو أحمد بن موسى العروى من مؤرخى الأندلس . ألف كتابا عنوانه « تاريخ الأندلس » ذكره حاجى خليفة في معجمه « كشف الظنون » . ولكنه لم يصل إلينا . . وتوفى سنة ٥٣٨٨ (١١٩٨ م) »

- ٢ -

وردت في صفحة ١٧٦ (السطر الرابع) في ترجمة (أحمد بن محمد بن على ابن أحمد بن على الأموى) ما يأتى : « وولى قضاء مدينة الأرش » . وعلقنا نحن على اسم هذه المدينة في الحاشية رقم ٢ من الصفحة المذكورة بقولنا « والظاهر أن هذا الاسم محرف » .

وقد تحققنا أن صحة الاسم هو مدينة الأربس (بضم الباء) . ومدينة الأربس هذه ذكرها الشريف الإدريسي في معجمه الجغرافى « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (طبع رومة - نابولى ١٩٧٢ ص ٢٩١) . وذكر أنها تقع بين باجة والقيروان ، وبينها وبين باجة مرحلتان . وبينها وبين القيروان ثلاث مراحل ، وأنها تقع فى وطأة من الأرض عليها سور تراب جيد ، وفى وسطها عين ماء جارية ، لا تجف ، ولها معدن الحديد .

وكذلك ذكرها ياقوت فى معجمه الجغرافى فى فقرة طويلة ، وذكّر أنها « مدينة وكورة بإفريقية . وأكثر غلتها الزعفران ، وبها معدن الحديد . وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب . وينتسب إليها بعض أكابر العلماء » (القاهرة ج ١ ص ١٧٠ ، ١٧١) .

والظاهر أن هذه المدينة قد دثرت لأنها لا تظهر اليوم فى خرائط تونس .

ثبت المراجع

- ١ -

- هذه طائفة من أهم المراجع التي رجعنا إليها في البحث والتحقيق .
 نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس المتري (القاهرة ١٣٠٢هـ) .
 أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٤٢) .
 تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) - طبعة بولاق .
 التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً (لجنة التأليف والترجمة ١٩٥١) .
 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنبريني (الأجزاء الثلاثة المنشورة
 بعناية جامعة القاهرة) .
 كتاب الصلة لابن بشكوال (القاهرة ١٩٥٥) .
 تكلمة الصلة لابن الأبار القضاعي (المكتبة الأندلسية والقاهرة ١٩٥٦) .
 صلة الصلة لابن الزبير (المنشور بعناية الأستاذ ليثي بروفنسال - الرباط ١٩٣٧) .
 الحلة السيرة لابن الأبار (المنشور بعناية العلامة دوزي (ليدن ١٨٥١) . والمنشور
 بعناية الدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٤) .
 الذيل والتكملة لكتاني الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي (الأقسام ١ و ٢
 والسفران الرابع والخامس بقسميه (بيروت ١٩٦٥) .
 اللوحة البدرية في الدولة النصرانية لابن الخطيب (القاهرة ١٩٢٨) .
 الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة لابن الخطيب (بيروت ١٩٦٣) .
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان لابن الخطيب (القاهرة ١٩٦٦) .
 روضة التعريف بالحب الشريف لابن الخطيب (القاهرة ١٩٦٨) .
 نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (السفر الثاني المنشور بعناية الدكتور مختار
 العبادي . والسفر الثالث المخطوط المحفوظ بمخزاة الرباط العامة) .
 تاريخ اسبانيا الإسلامية (قسم من كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب بيروت ١٩٥٦) .
 تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي (المنشور بعناية الأستاذ ليثي بروفنسال
 القاهرة ١٩٤٨) .

- قلائد العقيان للفتح بن خاقان (القاهرة ١٢٨٤ هـ) .
 المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي (القاهرة ١٩٥٣ و ١٩٥٥) .
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، المنشور بعناية الأستاذ ليثي بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) .
 البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي .
 الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي (القاهرة ١٣٠٦ هـ) .
 المعجب في تاختيخ أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (القاهرة ١٣٣٢ هـ) .
 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (طبع روم و نابولي سنة ١٩٧٢)
 معجم البلدان لياقوت الحموي (القاهرة ١٩٠٦) .
 ديوان أبي الطيب المتنبي (القاهرة ١٩٤٤) .
 ديوان ابن خاتمة (دمشق ١٩٧٢) .
 لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري . لمحمد عبد الله عنان .
 نثير الجمان في شعر من ضمنى وإياه الزمان للأمير إسماعيل بن الأحمر .

— ٢ —

- Brockelmann : Geschichte der Arabischen Literatur.
 Casiri : Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis.
 Direnbourg : Les Manuscrits arabes de l'Escorial (V.I. & V. III)
 P. Boigues : Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo - Espanoles (Madrid 1898)
 D. Pascual Gayangos : Mohamedan Dynasties in Spain.
 F. Codera : Mision Historica en Argelia y Tunis (Madrid 1872)
 F. J. Simonet : Descripcion del Reino de Granada sacada de los Autores Arabigos (Granada 1872)
 F. J. Simonet : Historia de los Mozarabes de Espana (Madrid 1897)
 Isidro de las Cagigas : Los Mozarabes (Madrid 1947).
 G. Remiro : Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino.
 M. Asin Palacios : Contribucion a la Toponomia Arabe de Espana.
 L. S. de Lucena : Toponomia Granadina (Al-Andalus V. XVII - 2, 1952)
 A. Gonzalez Palencia : Historia de la Literatura Arabigo-Espanola.
 M. Müller : Beitrage zur Geschichte der Westlichen Araber (München 1866)

فهرست الموضوعات والتراجم

صفحة	
٣	مقدمة
٤	كتاب الإحاطة ، موضوعه ومصادره
١٧	ابن الخطيب مؤلف هذا الكتاب
٥٣	تراث ابن الخطيب ، وبيان مؤلفاته
٧٩	مقدمة المؤلف

القسم الأول

في حلّ المعاهد والأماكن

والمنازل والمساكن

٩١	فصل في اسم هذه المدينة ووضعها على إجمال واختصار
	فصل في فتح هذه المدينة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما
١٠٠	كانت عليه أحوالهم ، وما تعلق بذلك من تاريخ
	ذكر ما آل إليه ، من ساكن المسلمين بهذه الكورة . من النصارى
١٠٦	المعاهدين ، على الإيجاز والاختصار
	ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم ، التي نزلتها العرب بخارج
١١٥	غرناطة ، وما يتصل بها من العمالة
١١٥	فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجهات
١٢٠	فصل (في وصف مدينة غرناطة وبعض ما قيل في رياضها من الشعر)
١٢٥	فصل (في قرى مدينة غرناطة وضياعها وجناتها وأعيان دورها)
	فصل (في صفات أهل غرناطة ومظاهرتهم وأنسابهم وأزيائهم وطرق
١٣٤	معيشتهم وصنوف تقدمهم ووصف نسايتهم)
١٤٠	فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار واقتصار

القسم الثاني
في حلى الزائر والقاطن
والمتحرك والساكن

صفحة

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي	١٤٧
أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الحمداني اللخمي	١٥٠
أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد النظيف ... بن غريب الحمداني الإلبيري	١٥٠
أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي (ابن فركون)	١٥٣
أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ... بن سعيد بن جزى الكابي	١٥٧
أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعد ... بن سعيد بن عبد الله العامري	١٦٢
أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي	١٦٦
أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي	١٦٨
أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي	١٦٩
أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التيمي	١٦٩
أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي (ابن برطال)	١٧١
أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة الخزومي	١٧٣
أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجذلي	١٨٠
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ... بن الصقر الأنصاري الخزرجي	١٨٢
أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن (ابن القباب)	١٨٧
أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ... بن مسام بن كعب الثقفي	
(ابن الزبير)	١٨٨
أحمد بن عبد الوالي بن أحمد الرعيني	١٩٣
أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ابن الباذش)	١٩٤
أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد	١٩٦

- أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف ٢٠٢
- أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى ٢٠٤
- أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ٢٠٥
- أحمد بن محمد الكرنى ٢٠٦
- أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأخرى (بن الترميدى) ٢٠٧
- أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خفاف بن سعيد ... بن محمد بن عبد الله
- ابن سعيد بن عمار بن ياسر ٢١٤
- أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى (ابن فركون) ٢٢٠
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ٢٢١
- أحمد بن أيوب الملمى ٢٣٢
- أحمد بن محمد بن طلحة ٢٣٥
- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصارى ٢٣٩
- أحمد بن عباس بن أبي زكريا ٢٥٩
- أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القضاعى ٢٦٣
- أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ٢٧٢
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد ... بن سايمان بن عرفه النخعى ... ٢٧٨
- أحمد بن علي المليانى ٢٨٤
- أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ٢٨٧
- أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعى ٢٨٧
- إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك ٢٩٦
- إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ...
- ابن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (أبو سالم) ٣٠٣
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتانى ... ٣١٠
- إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم ... بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي ... ٣٢٠
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الحولانى (ابن حرة) ٣٢٢

صفحة

- ٣٢٥ إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى
- ٣٢٦ إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصارى (التلمسانى)
- ٣٢٩ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى
- إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ... بن أسد
- ٣٤٢ ابن قاسم النميرى (ابن الحاج)
- ٣٦٤ إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب ... بن فرقد القرشى العامرى
- ٣٦٧ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى ..
- ٣٧٢ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولى
- ٣٧٤ إبراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبي العاصى التنوخى
- إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ... بن قيس الأنصارى
- ٣٧٧ الخزرجى
- ٣٩٨ إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
- ٤٠٤ أبو بكر بن إبراهيم ، الأمير أبو يحيى المسوفى الصعراوى
- ٤٠٩ إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ، الملقب بالمأمون
- ٤١٨ أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد بن بكر بن عفان الإلبيرى
- ٤١٩ أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد ... بن أسلم بن أيان
- ٤٢٢ أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرى
- ٤٢٤ أبو بكر الخزومى الأعمى المورورى المدورى
- ٤٢٨ أصبغ بن محمد بن الشيخ المهادى
- ٤٢٩ أبو على بن هدية
- ٤٣٠ أم الحسن بنت القاضى أبي جعفر الطنجالى
- ٤٣١ بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى
- ٤٣٥ باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى
- ٤٣٩ ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغزالة الإسرائيلى
- ٣ بكرون بن أبي بكر بن الأشقر الحضرمى

صفحة

- ٤٤٤ بلدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل
- ٤٤٦ تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة
- ٤٥٤ ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي
- ٤٥٩ جعفر بن أحمد الخزاعي
- ٤٦١ جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بوثة الخزاعي
- ٤٦٣ الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي القنوري
- ٤٦٥ الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الخداعي
- ٤٦٧ حسن بن محمد بن حسن القيسي
- ٤٦٨ حسن بن محمد بن باصة
- ٤٦٩ الحسن بن محمد بن علي الأنصاري (ابن كسرى)
- ٤٧٢ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق الغابي
- ٤٧٧ حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية (المستنصر) ٤٧٨
- الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن أمية ٤٧٩
- ٤٨٣ حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري
- حاتم بن سعيد بن خفاف ٤٨٣
- ٤٨٣ ياسر
- ٤٨٦ حباصة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي
- ٤٨٧ حبيب بن محمد بن حبيب
- ٤٨٩ حمدة بنت زياد المكتب
- ٤٩١ حفصة بنت الحاج الركوني
- ٤٩٤ الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية
- ٥٠٠ خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي

صفحة

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري الحارثي	
الأبدى	٥٠٣
رضوان النصرى ، الحاجب المعظم	٥٠٦
زائري بن زيري بن مناد الصنهاجي	٥١٣
زهير العامري ، فتي المنصور بن أبي عامر	٥١٧
طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي . وأخواه أبو بكر وأبو الحسن	
بنو القبطرنة	٥٢٠
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر	٥٢٣
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ... بن نصر	
الخزرجي	٥٣٢
محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد ... بن نصر بن قيس الخزرجي	٥٤٤
محمد بن محمد بن يوسف بن محمد ... بن نصر الأنصاري الخزرجي	٥٥٦

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

١٧٦	وصف ابن عميرة المخزومي لسقوط بلنسية...
٢٢٨	نص إجازة ابن صفوان لابن الخطيب
٢٣٣	رقعة لأبي جعفر الهاي مخاطب فيها أبا جعفر بن العباس
٢٤١	رسالة ابن خاتمة لابن الخطيب
٢٥٣	رسالة أخرى من لابن الخطيب
٢٥٥	رسالة ابن الخطيب في الرد على ابن خاتمة
٢٦٧	رسالة لابن عطية القضاعي يستعطف فيها عبد المؤمن
٢٦٩	رسالة لابن عطية في وصف معركة وادي ماسة
٢٩٠	خطبة ابن الزيات الكلاعي الخالية من حرف الألف
٣٣١	رسالة لإبراهيم الساحلي مخاطب فيها أهل غرناطة
٣٥١	رسالة لابن الخطيب مخاطب فيها ابن الحاج ويداعبه
٣٥٥	رسالة ابن الحاج في الرد على ابن الخطيب
٣٩٣	ما كتب نثرأ على قبر السلطان إسماعيل أبي الوليد النصري
٤١٣	كتاب المأمون الموحدى إلى أهل الأندلس
٤١٤	رسالته إلى أهل أندوجر
٤٣٣	مرسوم بلكين بن باديس بتعيين القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامى
٤٨٨	رسالة ابن الخطيب إلى حبيب بن محمد بن حبيب
	رسالة وصفية من الرحلة لابن الخطيب في مداعبة القاضي ابن أبي خالد
٥٠١	البلوى
٥٢١	وصف الفتح بن خاقان لليالى بنى سعيد البطليوسى
٥٤١	ما كتب نثرأ على قبر السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج النصري
٥٥٤	ما كتب نثرأ على قبر السلطان محمد بن محمد بن يوسف النصري

فهرست الشعراء (١)

صفحة	صفحة
ابن الحاج (ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم)	ابراهيم بن محمد بن ابي العالفة التنوحى
إن تقديم ابن برطال دعا ١٧٢	رجل يدعى القرابة للبيت ٣٧٦
طاب العذيب بما ذكرك وانثنى ٣٤٧	يا إماى ومن به قطركم ذلك ٣٧٦
لى المدح يروى منذ كنت كأنما ٣٤٧	إعمل بملكك تؤت علماً إنما ٣٧٦
ولى فرس من عليه الشهب سابق ٣٤٨	ابراهيم بن محمد ... بن عبيدس النفرى
تمجبت من ثمر هذى البلاد ٣٤٨	يفيق عل من وجدى الفضاء ٣٧٠
أقول وحمراء غرناطة تشوق ٣٤٨	كم من عارف سرحت فى العلم هته ٣٧٠
وقالوا رى فى الكأس وردا فهل ترى ٣٤٩	يا من أناله كالمزن هامية ٣٧١
كأه تلاقى تحت نفع سيوفهم ٣٤٩	ابراهيم الساحلى (المشهور بالطويجن)
وعارض فى غده نباته ٣٤٩	يانازحاً لعب المطى يكوره ١٢٠
وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصباً ٣٤٩	خطرت كياس القنا المتأطر ٣٣٩
لما نزلت من السبيكة صادفى ٣٥٠	زارت وفى كل لفظ طرف محترس ٣٣٩
قد قارب العشرين ظى لم يكن ٣٥٠	ابن اصفى (احمد بن محمد)
أتونى فعاوبوا من أحب جماله ٣٥٠	الله أعطاك التى لا فوقها ١٥١
أيا عجبا كيف تهوى المملوك ٣٥٠	أيا ملكا ترى به قصب الهند ١٥٢
ابن خاتمة	ابن باجه ، أبو بكر بن الصانع
يا من حصلت على الكمال بما رأته ٢٤١	سلام وإللام ووسمى مزنة ٤٠٨
أجنان خلد زخرفت أم مصنع ٢٤٤	أيها الملك المفدى لعمرى ٤٠٨
من لم يشاهد موقفاً لفراق ٢٤٤	ابن برطال
وقفت والركب قد زمت ركائبه ٢٤٦	استودع الله من لوداعهم ١٧٣
لولا حياى من عيون النرجس ٢٤٦	ابن جزى (احمد بن محمد)
زارت على حذر من الرقباء ٢٤٨	كم بكائى لبعدمكم وأننى ١٥٩
أرسلت ليل شعرها من عقص ٢٤٩	أرى الناس يولون الننى كرامة ١٥٩
أنا بين الحياة والموت وقف ٢٤٩	أقول لحزى أو لصالح أعمالى ١٥٩
رق السنأ ذهباً فى اللازوردى ٢٥٠	ابن الجباب ، أبو الحسن على
هو الدهر لا يبق على عانده به ٢٥٠	الحمد لله حق الحمد للرحمن ٣٨٩
ملاك الأمر تقوى الله فاجعل ٢٥٠	أيا عبرة العين أمزجى الدمع بالدم ٣٩٥
دماء فوق خدك أم خنوق ٢٥٠	

(١) بورر هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير الى شعرهم بايراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

	ابن صفوان
٢٢٣	بان الحميم فالحمى والبان
٢٢٥	حديث الأمانى فى الحياة شجون...
٢٣٠	رشق المذار بلحيته بنباله
٢٣١	يا كاملا شوق إليك وانفر
٢٣١	أيا قمرا مطالعه جنانى
٢٣١	لا تصحبين يا صاحبي غير الوقي
٢٣١	تردى ابن منظور وحم حماه
	ابن عبد الحق الجذلى
١٨٢	ومقارب الشطين أحكم صقله
١٨٢	وثمار نارنج نرى أزهارها
	ابن عرفه النخعي (أحمد بن عبد الله)
٢٧٩	تملكت رقى بالجمال فأجل
٢٨٢	أما الرسوم فلم ترق لما بي
٢٨٢	لم يبق ذو عين لم يسه
٢٨٣	وعدتني أن تزور يا أملى
٢٨٣	ويوم كساه اللجى دكن ثيابه
٢٨٣	عذلونى فيمن أحب وقالوا
	ابن عطية القضاعى ، ابو جعفر
٢٦٨	فعمفوا أمير المؤمنين فن لنا
	ابن عميرة المغزومي
١٧٧	قد عكفنا على الكتابة حيننا
١٧٧	يا غائبا سلبتني الأنس غيبته
١٧٧	إن الكتاب أتى وساحة طرسه
١٧٨	شرطت عليهم عند تسليم مهجتي
	ابن فرقد (ابراهيم بن خلف)
٢٦٦	ألا مسمد منجز ذو فطن
٢٦٦	ثمانون عاما مع ست عمرت وليتني
	ابن فركون (أحمد بن محمد)
١٥٦	أنا عن الحكم تائب
١٥٦	شفاؤك للملك اعزاز وتأيد

٢٤١	أرسل الجوماه ورد رذاذا
٢٥١	أقول وعين الدمع نصب عيوننا
	ابن الخطيب ، لساق الدين
٢٣	خليفة الله ساعد القدر
٢٦	سلا هل لديهما من مخبرة ذكر
٢٨	أطاع لساقى فى مديحك إحسانى
٤٣	بمدنا وإن جاورتنا البيوت
١١٥	بلد يحف به الرياض كأنه
١٢٢	يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ
١٢٢	إذا كان عين الدمع عينا حقيقة
١٨٧	أيتم دعوتى إما لشأو
٢٥٢	دعونا الخطيب أبا البركات
٣١٨	أولم يحيى بن عبد الواحد
٣٧٨	نبيت على علم بغائلة الدهر
٣٩٧	وكان يوم المرج فى دولته
٤١٧	ونجم المهدي وهو الداھية
٤٨٢	حتى إذا الدهر عليه إحتمكا
٥١٣	أرضوان لا توحشك فتكة ظالم
	ابن الرومية ، ابو العباس
٢١٣	خيم تخلق بين الكأس والوتر
	ابن الزبير ، ابو جعفر
١٩٠	مالى ولتستال لا أم لى
	ابن الزيات الكلاعى
٢٩٣	جل اسم مولانا اللطيف الخبير
٣٩٤	دعنى على حكم الهوى أنفرع
٢٩٥	مالى بباب غير يابك موقف
	ابن شبيرين
٣٣	بانوا فن باكيا بيك
٩٧	رعى الله من غرانة منبوا
٢٩٦	أيساعد رائده الأمل
٥٤٣	استقلا ودعانى
٥٤٤	عين بكى لبيت غادروه

صفحة

- احمد بن عبد النور
 محاسن من أهوى يضيؤ لها الشرح ... ١٩٩
 احمد بن عبد الله بن سعيد
 تكلم فقد أصغى إلى قولك الدهر ... ٢١٦
 من يشترى من الحاة وطيبها ... ٢١٧
 أتاك كتاب منك يحسده الدهر ... ٢١٩
 لله يوم مسرة ... ٢١٩
 احمد بن طلحة
 يا هل ترى الظرف من يومنا ... ٢٣٦
 أدراها فالسماء بدت عروسا ... ٢٣٦
 سمعنا بالموقف فارتحلنا ... ٢٣٦
 يقول أخو الفضول وقد رأنا ... ٢٣٨
 احمد بن محمد بن سعيد الكرياني
 رعى الله وادى شنيانة ... ٢٧٣
 أجمع هذا الشمل بعد شتائه ... ٢٧٤
 يا رب ظني شعاره نسك ... ٢٧٤
 يا من توعدني بحادث هجره ... ٢٧٤
 أعلمت ما صنع الفراق ... ٢٧٦
 يا موحشي والبعد دون لقائه ... ٢٧٧
 احمد بن غل الملياني
 العز ما ضربت عليه قباني ... ٢٨٦
 ام الحسن بنت القاضي الطنجالي
 الخط ليس له في العلم فائدة ... ٤٣١
 إن قيل من الناس رب فضيلة ... ٤٣١
 بنو القبطرنة
 طلحة بن عبد العزيز البطلوسي
 هلم إلى روضت يا رهبر ... ٥٢١
 ناشقني وافي الصباح بوجهه ... ٥٢٢
 ابو بكر بن عبد العزيز البطلوسي
 يا أخي قم تر النسيم عليلا ... ٥٢٢
 وأفقدنيها الرنق أما حفية ... ٥٢٢
 ابو الحسن بن عبد العزيز البطلوسي
 يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي ... ٥٢٢

صفحة

- ابن هذيل ، ابو زكريا
 بحيث القباب الحمر والأسد الورد ... ٣٩١
 ابو اسحاق التلمساني (ابراهيم بن أبي بكر)
 الغدر في الناس شعبة سلفت ... ٣٢٨
 أرايت من رحلوا وزموا العيسا ... ٣٢٨
 ابو الحسن بن سعيد
 رعى لله ليلا لم يرع لمذم ... ٤٩١
 لا حكم إلا لأمرناه ... ٤٩٢
 ابو القاسم بن قطبة (محمد بن احمد)
 أجل إن عين الدمع قيد التواظر ... ١٢٢
 وليلا بعين الدمع وصلا قطعته ... ١٢٣
 ومل بنا نحو عين الدمع نشرها ... ١٢٣
 سهرت بعين الدمع أرعى ربوعه ... ١٢٣
 ابو بكر بن طفيل
 لأمر ما تغيرت الدهور ... ١٨٦
 ابو بكر بن سعيد
 يا ثانيا للمرى ... ٤٢٤
 ابو بكر المخزومي الأعمى
 دار السميدى ذى أم دار رضوان ... ٤٢٥
 على وجه زهون من الحسن مسحة ... ٤٢٦
 ابو جعفر بن أبي حبل
 عزيز على الإسلام والعلم ماجد ... ١٩٣
 ابو جعفر اللماي
 طلعت طلائع الربيع فأطلعت ... ٢٢٤
 روحني عائدي فقلت له ... ٢٣٤
 بنيت فلم أسكن وحصنت جاهداً ... ٢٣٥
 ابو زكريا الخفصي
 ألا جازع يبكي لفقد حبيبه ... ٣١٣
 ابو محمد بن الرابع
 عبرة تفيض حزنا وتكلا ... ٢٩٦
 احمد بن عبد الرحمن بن الصغر الانصاري
 الهى لك الملك العظيم حقيقة ... ١٨٥

صفحة	
٤٩٦	لاح الصباح صباح المفرق
٤٩٧	أقل فالفقر بالمرء عار
٤٩٨	العلم حسن وزين
٤٩٨	إن أراك الزمان وجهها عبوسا
٤٩٩	عليك بقوى الله فيما ترومه
	المامون الموحدي
٤١٦	أهل الحراية والفساد من الوري
	محمد بن محمد بن يوسف النصري
٥٤٥	واعدتي وعداً وقد أخلفا
	محمد بن محمد بن يوسف النصري
٥٥٨	تذكر عزيز ليال مضت
	مروان بن عبد العزيز
٢٦٦	قل للإمام أطال الله مدته
	نزهون بنت القلامي
٤٢٦	قل للوضيع مقالا
	يوسف بن سعيد بن حسان
١١٧	أحن إلى غرناطة كلما هفت
	ماكتب شعراً على قبر السلطان إسماعيل
٣٩٤	أبي الوليد النصري
	ماكتب شعراً على قبر السلطان محمد بن
٥٤٢	إسماعيل بن فرج النصري
	ماكتب شعراً على قبر السلطان محمد بن
٥٥٥	محمد بن محمد بن يوسف النصري

	حاتم بن سعيد
٤٨٥	أحن إلى ديارك باحاثي
	الحسين بن رسبق التغلبي
٤٧٣	لكلاب سبتة في النباح مدارك
٤٧٥	لا تحسبن من فلان أو فلا
	الحسن بن محمد بن علي الانصاري
٤٧١	أمعشر أهل الأرض في الطول والعرض
٤٧٢	الهي أنت الله ركني وملجئي
	حفصة بنت الحاج الركوني
٢٢٠	هددوني من أجل لبس الحداد
٤٩١	ياربة الحسن بل ياربة الكرم
٤٩٢	لمعرك ماسر الرياض وصالنا
٤٩٢	يا أظرف الناس قبل حال
٤٩٣	زائر قد أتى بجيد غزال
	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
٤٨١	قصب من البان ماست فوق كئيبان
٤٨١	نلت الوصال بمد البعاد
	حمدة بنت زيادة المكنبي
٤٩٠	أباح الدمع أسرارى بوادي
٤٩٠	ولما أبي الواشون إلاقنا
	الحضر بن أبي العافية
٤٩٥	عز الهوى ذل والرأى الذي

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

إستنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود ؛

٦٣ ، ٥٩

الإستيعاب في أنساب أهل الأندلس للرازي ؛ ٩٧

الإشارة إلى أدب الوزارة ؛ ٦٠ ، ٦٣

أصول الفقه ؛ ٦٥ ، ١٦٤

الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة ؛ ٨٣

أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الإحتلام ؛ ٦

٥٧ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤٠ ، ٣٥

الإقتناع في القراءات ؛ ١٩٦

الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من

الجواهر ؛ ٥٨ ، ٥٩ ، ٢٨٥ ، ٤٧٥

الإمطاة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ

غرناطة ؛ ٥٨

أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من

الزهاد والأبرار ؛ ١٨٥

الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية ؛ ٤

١١٠ ، ١٠٨

الإبضاح لأبي علي ؛ ١٩٨

إيقاظ الكرام بأخبار المنام ؛ ٣٤٦

— ب —

البرهان في ترتيب سور القرآن ؛ ١٩٠

بستان الدول ؛ ٥٩ ، ٦٤

بغية المستطرف وغبة المتطرف ؛ ١٧٨

بغية المستفيد لابن صفوان ؛ ٢٢٣

البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ؛

٤ ، ٧٠ ، ٣١٤ ، ٤١٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨ —

٤٤٠ ، ٤٨٠

البيطرة والبيزرة ؛ ٦٨

— ا —

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ - ١١ ،

١٣ - ١٨ ، ٢١ - ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٧ ،

٤٧ ، ٤٩ - ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ،

١٠٧ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ٢١٨ ، ٥٦٢

الإحتفال في أعلام الرجال ، ٨٣

الأحكام الصغرى لعبد الحق ؛ ٣٧٣

أخبار بغداد ؛ ٨٢

أخبار محمد بن إسحاق ؛ ٢١٢

أخبار ملوك الأندلس ؛ أنظر تاريخ الرازي

أخبار هراة ؛ ٨٢

إختصار غريب حديث مالك للدارقطني ؛ ٢١٢

إختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين ؛ ٢١٢

الأربعون حديثاً ؛ ٤٦٥

أرجوزة في الفرائض للتمساني ؛ ٣٢٧

أرجوزة الأغذية ؛ ٦٧

أرجوزة الطب ؛ ٦٧

الأرجوزة المجهولة ؛ ٦٧

الأرجوزة المألوفة ؛ ٦٧

الإرشاد والمعالي ؛ ٣٢٦

الإرشاد والهداية ؛ ١٦٤

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٢٤ ، ٤٠ ،

٤٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٨ - ٧٠ ،

١٥٩ - ١٦١ ، ٢٥٢ ، ٤٣٠

أس مبيى العلم وأس معنى الحلم ؛ ٢٩٠

الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ؛ ٢١٦ -

٢٦٣ - ٢٦١ ، ٢١٨

- تاريخ فاس لابن عبد الكريم ؛ ٨٣
 تاريخ فاس للقونجي ؛ ٨٣
 تاريخ فقهاء قرطبة ؛ ٨٣
 تاريخ قرطبة ؛ ٨٣
 تاريخ قضاة الأندلس للنباهي ؛ ٣٧ ، ١٥٤ ،
 ٤٦٥
 تاريخ قلعة يحصب ؛ أنظر الطالع السعيد
 تاريخ قومه وقرابته ، لابن مسعدة ؛ ٤ ،
 ١٦٤ ، ٨٢
 تاريخ مالقة لابن عسكر ؛ ٤ ، ٨٣
 تاريخ المدينة ؛ ٨٢
 تاريخ مدينة بخارى ؛ ٨١
 تاريخ مصر ؛ ٨٢
 تاريخ مكة ؛ ٨٢
 تاريخ من نزل حصن من الصحابة ؛ ٨٢
 تاريخ نسف ؛ ٨٢
 تاريخ نيسابور ؛ ٨١
 تاريخ هراة ؛ ٨٢
 تاريخ همدان ؛ ٨١
 تاريخ واسط ؛ ٨٢
 تافه من جم ونقطة من يم ؛ ٦٤
 التبيان في علم البيان ؛ ١٧٨
 تحليل الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات
 ٦٨
 الترشيح في صناعة التجويد ؛ ٤٦٥
 التعريف بابن خلدون ؛ ٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ،
 ٦٣
 التعريف بطبقات الأمم ، لصاعد بن أحمد ؛ ٩٤
 التكملة لابن عبد الملك المراكشي ، أنظر الذيل والتكملة
 تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة ؛ ٦٦
 تلخيص الدلالة في تحليل الرسالة ؛ ٢٩٠
 التنبيه على أغلام النفاق ؛ ٢١٢
 تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح ؛ ٣٤٦

ت — ت

- التاج المحلى في مساجلة القلح الملقى ؛ ٥٢ ، ٥٥ ،
 ٥٤ ، ٥٨ ، ٦١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ٢٤٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٥ ، ٤٩٤
 تاج المفرق في تحلية أهل المشرق : ٥٠٠
 تاريخ ابن جماعة ؛ ٢٨
 تاريخ ابن حيان (المقتبس) ؛ ٤ ، ٩٢ ، ٤٤٤
 تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) ؛ ١٣ ،
 ١٨ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٢١٨ ، ٢٦٣
 تاريخ الأدب العربي الإسباني ؛ ٥١
 تاريخ أصبهان ؛ ٨١
 تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ؛ ٤ ، ١٠٠
 تاريخ الإسكندرية ؛ ٨٢
 تاريخ الجزيرة الخضراء ؛ ٨٣
 تاريخ الرازي ؛ ٤ ، ٩٧
 تاريخ الرقة ؛ ٨٢
 تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة ؛ ٨٣
 تاريخ ألمرية وباجة ؛ ٨٣
 تاريخ بغداد ؛ ٨٢
 تاريخ بقيرة ؛ ٨٣
 تاريخ بلنسية ؛ ٨٣
 تاريخ تلمسان لابن الأصغر ؛ ٨٣
 تاريخ تلمسان لابن هدية ؛ ٨٣
 تاريخ جرجان ؛ ٨٢
 تاريخ دمشق ؛ ٨٢
 تاريخ سبتة ؛ ٨٣
 تاريخ سرقند ؛ ٨٣
 تاريخ شقورة ؛ ٨٣
 تاريخ طبقات أهل شيراز ؛ ٨٢
 تاريخ طبقات فقهاء تونس ؛ ٨٣
 تاريخ علماء إلبيرة للناقى ؛ ٤ ، ٨٣ ، ٩٣
 تاريخ فاس لابن أبي زرع ؛ ٨٣ ؛ وأنظر
 روض القرطاس

دولة بني مروان بالأندلس لمعاوية بن هشام ؛ ١٠١
 ديوان ابن خاتمة الأنصاري ؛ ٢٥٩
 ديوان الصبابة لابن حجلة ؛ ٦٢
 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ؛ ٤ ، ٧٠ ،
 ٤٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٧٦
 الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ؛ ٥ ،
 ٢٣٢

ر - ز

رجالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم ؛ ٢١٢
 رجز في الأغذية ؛ ٦٧
 رجز في المرائض لابن فرقد ؛ ٣٦٥
 الرحلة العنوية ؛ ٣٦٩
 الرحلة النباتية ؛ ٢١٢
 رحلة ابن بطوطة ؛ ٩٧
 الرد على الشودية ؛ ١٩٠
 ردع الجاهل عن اغتياب المجاهل ؛ ١٩٠
 رسالة ابن أبي زيد القيرواني ؛ ٣٧٢ ، ٣٧٣
 رسالة تكوين الجنين ؛ ٦٨
 رسالة في السياسة ؛ ٦٠ ، ٦٣
 رسالة في الموسيقى ؛ ٦٤
 الرسائل في الفقه والمسائل ؛ ٣٦٩
 رصف نفائس اللآلئ ووصف عرائس المعالي ؛
 ٢٩٠
 رقم الخلل في نظم الدول ؛ ٢٧ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٥ ، ٣١٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٧ ، ٤٨٢
 روض القرطاس ؛ ٤ ، ٨٣ ، ١٤٨
 روضة التعريف بالحب الشريف ؛ ٤٢ ، ٥٩ ،
 ٦٢ ، ٦٣
 روضة العباد المستخرجة من الإرشاد ؛ ٢٤٦
 ريحانة الكتاب ونجمة المنتاب ؛ ١٨ ، ٢٢ ،
 ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦١
 الزهراء وإجالة النظرات ؛ ٣٤٦

التهديب لابن سعيد البراذعي ؛ ٣٧٢
 توهيس طرق حديث الأربعين ؛ ٢١٢
 التيسير في القراءات لأبي عمرو الداني ؛ ١٩٧ ،
 ١٩٨
 ثورة المربدين ؛ ١٧٨

ج - خ

جامع الترمذي ؛ ٣٦٩
 الجزولية لأبي موسى الجزولي ؛ ١٩٨
 الجمل للزجاجي ؛ ١٩٨
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم ؛ ٢١٤
 جوامع الأشراف والعنايات في الصوادع والآيات
 ٢٩٠
 جيش الترشيع ؛ ٥٩ ، ٦٥
 الحافل في تذييل الكامل ؛ ٢١٢
 حكم الدعاء في إديار الصلوات ؛ ٢١٢
 الحلة السيرا لابن الأبار ؛ ٥ ، ٧٠ ، ٧٦ ،
 ٢١٨
 الحلل المرقومة في اللع المنظومة ؛ ٦٥
 الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ؛ ٥٩ ،
 ٢١٦
 الحلبة في ذكر البسلة والتصلبة ؛ ١٩٨
 الحماة ؛ ٣٤٧ ، ٤٥٥
 حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ٦٨
 خطرة الصيف في رحلة الشتاء والصيف ؛ ٦٠ ،
 ٦٢ ، ٥٠٠
 خلخع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن ؛ ٤٠ ،
 ٤٨
 د - ذ
 الدرر الفحرة واللجج انراخرة ؛ ٤٦ ، ٦٦ ،
 ٢٢٨
 الدررة المكنونة في أخبار أشونة ؛ ٨٣

الطرق المتداولة في القراءات ؛ ١٩٦

عائد الصلة ؛ ٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٥٣ ،

١٩٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٣٢٩ ،

٣٧٢ ، ٤٩٤

العمارة الوجيزة عن الإشارة ؛ ٢٩٠

عدة الداعي وعمدة الواعي ؛ ٢٩٠

عدة المحق وتحفة المسحق ؛ ٢٩٠

عسر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ؛

١١٣ ، ٢١٦ ، ٢٩٧

عمل من طب لمن حب ؛ ٦٦

عنوان الدراية في ذكر من كان في المائة السابعة

ببجاية ؛ ٨٣

عوارف الكرم وصلات الإحسان ؛ ٢٩٠

الغيرة على أهل الحيرة ؛ ٦٨

ق - ق

فائدة الملتقط وعائدة المنتبسط ؛ ٢٩٠

فتات الخوان ولقط الصوان ؛ ٦٨

الفتح القسي في الفتح القدسي ؛ ١٧٨

فصيح ثعلب ؛ ١٩٨

الفصول المقتضية في الأحكام المنتخبة ؛ ٣٤٧

فهرس الغزيري ؛ ١٣ ، ١٤ ، ٥٥ ، ٦٩

الفوائد المستغربة والموارد المستعذبة ؛ ١٥٧ ،

٣٧٥

فيض العباب وإجالة قدهاح الآداب ؛ ٣٤٧

قاعدة البيان وضابطة اللسان ؛ ٢٩٠

القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد ؛ ٤ ،

٥ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٢١٣ ، ٢٣٥

قرة عين السائل ، وبغية نفس الآمل ؛ ٢٩٠

قطع السلوك ؛ ٦٨ ، ٣٩٦ وأنظر رقم الحلل

قلائد المعقيان ؛ ٤ ، ٦٨ ، ٤٣٦ ، ٥٢١

س - ش

سبل الرشاد في فضل الجهاد ؛ ١٩٠

السجيع في علوم الأوائل الرياضية ؛ ٤٣٨

السحر والشعر ؛ ٤٧ ، ٦٥

شذور الذهب في صرور الخطب ؛ ٢٩٠

شرح الأسماء الحسنى ؛ ٣٢٦

شرح الإشارة للبايجي ؛ ١٩٠

شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس ؛

٢١٢

شرح الشهاب ؛ ١٨٥

شرح كتاب القرشي في الفرائض ؛ ٢٢٣

شرح محاسن المجالس ؛ ٣٢٦

شرح مغرب أبي عبد الله بن هشام النهري ؛ ١٩٨

شروف المفارق في اختصار كتاب المشارق ؛

٢٩٠

شعر الحامسة ؛ ٣٤٧

شعر من لا شعر له لابن الحاج ؛ ١٩٠

الشفاء في التعريف بحق المصطفى ؛ ٣٧٣

ص - ع

صبح الأعشى للقلقشندي ؛ ٤٦

صحیح البخاری ؛ ٣٦٩

صلة لابن بشكوال ؛ ٥٠ ، ٥٨ ، ٩٤ ،

١٩٠ ، ٤٦٢ ، ٤٩٣

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ٥ ، ٩ ، ٥٨ ،

٧٠ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ، ٤٦٢ ، ٤٩٣

الصبب والحمام والماضي والكهام (ديوان

ابن الخطيب) ؛ ٦٤

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ؛

٤٨

الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ؛ ٤ ، ٨٣ ،

٢١٥ ، ٤٢٤ ، ٤٨٣

طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر ؛ ٥ ،

٥٥٧ ، ٣٧٧ ، ٥٦٦

ك

- كائنة مبرقة لابن عميرة ؛ ١٧٨
 كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب ؛ ١٦٤
 كتاب سيويه ؛ ١٦٤
 كتاب العبر ؛ أنظر تاريخ ابن خلدون
 كتاب في علاج السموم ؛ ٦٧
 كتاب المختلطة لأسد بن الفرات ؛ ٤٢٣
 كتاب المدير ، ٣٧٣
 كتاب المعالم في أصول الفقه للرازي ؛ ١٧٨
 كتاب المقياس لابن الوراق ؛ ٤٤٦
 الكتاب المؤتمن في أنباء أبناء الزمن ؛ ٣٧٢
 كتاب الوزارة ومقامة السياسة ؛ ٥٣ ، ٦٠
 الكتيبة الكامنة في من لقبناه من شعراء المائة
 الثامنة ؛ ٤٠ ، ٥١ ، ٥٤
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ٦١
 كذش منظوم في عروض الرجز ؛ ٦٦
 الكوامل لأبي موسى الجزولي ؛ ١٩٨
 كيفية الأذان يوم الجمعة ؛ ٢١٢

ل - م

- اللباس والصحبة لابن الحاج ؛ ٣٤٧
 لذات السمع من القراءات السبع ؛ ٢٩٠
 اللطائف الروحانية ، والمعارف الربانية ؛ ٢٩٠
 اللوحة البهريّة في الدولة النصرانية ؛ ١٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٢٧
 لهجة اللافظ وبهجة الحافظ ؛ ٢٩٠
 مآثر القلعة ، لابن سعيد ؛ ٤٨٣ . وأنظر
 الطالع السعيد
 المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية ؛ ٦٨
 المتن لابن حيان ؛ ٥٧ ؛ ٤٨٧
 مثاليث القوانين في السوربة والإستخدام والنضمين ،
 ٣٤٧
 مثلي الطريقة في ذم الوثيقة ؛ ٦٣ ، ١٨٧

- المجتبى النضير والمقتبى الخطير ؛ ٢٩٠
 مجموع مراسلات وتراجم ابن الخطيب ؛ ٥٤
 المدخل إلى الهندسة ؛ ٤٢٨
 مدد الجيش ؛ ٦٦
 المدونة الكبرى للإمام مالك ؛ ٣٥١ ، ٣٧٣ ،
 ٤٦٢
 المرقبة انعليا فيمن يستحق التخصاء والفتيا ؛ أنظر
 تاريخ قضاة الأندلس
 مركز الإحاطة بأدباء غرناطة ؛ ١٧
 مزية ألمرية لابن خاتمة ؛ ٨٣
 المساجلة والمساحة ، في تعيين طرق المداعة
 والممارسة ؛ ٣٤٦
 المسائل الطيبة لابن الخطيب ؛ ٦٧
 المستصق ؛ ١٦٤
 المستدركة لابن الرومية ؛ ٢١٢
 المسلسلات لابن أبي الأحوص ؛ ٤٦٥
 المشرف الأصبى في المأرب الأوفى ؛ ٢٨٩
 مطلع الأنوار الآلهية ؛ ٢٢٣
 المعاملات ؛ ٤٢٨
 المعتمدة في الأغذية المفردة ؛ ٦٨
 معجم البلدان لياقوت ؛ ٩١ ، ٩٨
 المعشرات على أوزان العرب ؛ ٣٢٧
 معيار الإختيار في ذكر المشاهد والآثار ؛ ٥٤ ،
 ٦٠ ، ٦١
 المغرب في حلى المغرب ؛ ٧٠ ، ١١١ ، ٤١٤
 المعيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة والجمع ؛ ٣٦٩
 مفاضلة (مفاخرة) بين مالقة وسلا ؛ ٦٠ ، ٦٢
 المقام المخزون في الكلام الموزون ؛ ٢٨٩
 المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لابن حيان ؛
 أنظر تاريخ ابن حيان
 مقنمه السائل عن المرض الهائل ؛ ٦٨
 ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل ؛ ١٩٠

٥٢٣ ، ٤٠٢ ، ٣٥٠ ، ٦٧

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ؛ ٨ ،

٢٢ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ،

٦٨ ، ٧٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،

٤٩١ ، ١٦٢

النفحة الوسيمة والمنحة الجسيمة ؛ ٢٩٠

الوسائل ونزهة المناظر والجماليات ؛ ٣٤٦

الوصاية النظامية في القواني الثلاثية ؛ ٢٩٠

الوصول لحفظ الصحة في الفصول ؛ ٦٧

وفيات الأعيان ؛ ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦١

اليوسقى في الطب ؛ ٦٨

مواهب العقول وحقائق المعقول ؛ ٣٦٩

الموطأ للإمام مالك ؛ ١٩٨ ، ٣٧٣

ميزان العمل ؛ ٤٧٦

ن — ي

نثير فرائد الجمال للأمير ابن الأحمر ؛ ٤٩

نزهة البصائر والأبصار ، لابن الزبير ؛ ٤٦٧ ،

٤٦٩

نزهة الحدق في ذكر الفرق ؛ ٣٤٦

نظم السلوك في شيم الملوك ؛ ٢٩٠

نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ؛ ١٨ ، ٥ ،

٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٥ ،

فهرست القبائل والطوائف والدول

- الدولة العامرية ؛ ٩٣ ، ٩٨ ، ١٤٠
 الدولة المرينية ؛ أنظر بنو مرين
 الدولة النصرية ؛ أنظر بنو نصر
- الروم ؛ ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،
 ١١٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ،
 ٤١٧ ، ٤٧٩ ، ٥٣٠ ، ٥٦٦
- الرومان ؛ ٩١
 زناقة ، قبيلة ؛ ٣٠٣ ، ٤٣١ ، ٤٥٣
 سلمان ، حى ؛ ١٨ ، ١٩
 الشاميون ؛ ١٠٢ ، ١٠٣
 الصقالبة ؛ ٤٤١
 صنهاجة ، قبيلة ؛ ٢٣٤ ، ٤٠٤ ، ٤٣٢ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٤ -
 ٥١٩ ، ٥١٦
- الطوائف ، دول أو ملوك ؛ ٥٥ ، ٩٣ ،
 ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٥
- الطاهرية ؛ ٢٠٩
 العيبديون ؛ ٥٥ ، ٤٣١
 العرب ؛ ٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١١٥ ، ٣١٣
 عرب دباب ؛ ٣١٧
 العلويون ؛ ٤٣٥
 القطالنبون (القطال) ؛ ٥٢٥
 القوط ؛ ٩١
 لتونة ، قبيلة ؛ ١٤٠ ، ١٤٨ ، ٢٦٣ ،
 ٢٩٧ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٤٦ ، ٥٢١
- المرابطون ؛ ٥٥ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١٤٨ ، ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ، ٤٠٤ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٥٢
- البربر ؛ ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٤٠ ،
 ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٦ ،
 ٤٨٧ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦
- البلديون ؛ ١٠٢ - ١٠٥
 بنو أبي العلاء ؛ ٥٤٢
 بنو أرقم ؛ ٣٤٢ ، ٤٩٩
 بنو إشقيلولة ؛ ١٩١ ، ٣٤٢ ، ٥٦٤
 بنو الأحمر ؛ ٤٩ ، ٥٧
 بنو الأغلب ؛ ٥٥ ، ٥٧
 بنو أمية ؛ ٢٥ ، ٥٧ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ٤٧٨
 بنو حمود ؛ ٩٨ ، ٢٣٣ ، ٤٣٢
 بنو سعيد ؛ ١١١ ، ٢١٤ ، ٤٨٣
 بنو عامر ؛ ٩٨
 بنو العباس ؛ ٥٥
 بنو عبد المؤمن ، ٢٣٥ ، ٣١٢
 بنو عبد الواد ؛ ٣٣
 بنو القبطرنة ؛ ٥٢٠
 بنو عمار ؛ ١٦٦
 بنو القبطرنة ؛ ٥٢٠
 بنو مردنيش ؛ ٣٠٢
 بنو مرين ؛ ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥٢ ،
 ٥٥ ، ١٧٩ ، ٣٠٣ ، ٥٦٢
- بنو مسعدة ؛ ١٦٣
 بنو مسعود ؛ ١٦٦
 بنو مكى ؛ ٣١٢
 بنو مناد ؛ ٥١٧
 بنو نصر ؛ ٤ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٢٢ ،
 ٢٧٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٢ ، ٥٠٦ ،
 ٥٠٧ ، ٥٢٩
- بنو هود ؛ ١٤١ ، ٢٩٧
 الخلافة الأندلسية ؛ ٩٢ ، ١٤٠ ، ١٥١

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٤٤ ،
 ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ،
 ٤٤٧ ، ٤٥٣ ، ٥٦٢ ،
 النصارى ؛ ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،
 ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٣٩ ،
 ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٩٧ ، ٤١٢ ، ٤٤٦ ،
 ٤٧٨ ، ٥١٤ ، ٥٣٣ ،
 النصارى المعاهدون ؛ ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٦٣ ،
 اليمانية ؛ ٢١٥ ، ٤٤٤ ،
 اليهود ؛ ١٠١ ، ١١٤ ، ٣٨٨ ، ٤٣٩

المراونة (بنو مروان) ؛ ٤٣٢ ، وانظر
 بنو أمية
 مسوفة ، قبيلة ؛ ٤٠٤ ،
 المصرية ، ٤٤٤ ،
 المعاهدون ، المعاهدة ؛ أنظر النصارى المعاهدون
 الملتصون ؛ أنظر المرابطون
 مملكة غرناطة ؛ ١٤ ، ٦١ ،
 الموالي العامرون ؛ ٩٨ ، ٢٦٠ ، ٤٨٦ ، ٥١٥ ،
 الموحدون ؛ ٥٥ ، ٥٧ ، ٩٧ ، ١٣٧ ، ١٤١ ،
 ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ،

فهرست البلدان والأماكن

إفريقية ؛ ٥٧ ، ١٠٢ ، ١٤٠ ، ١٧٦ ،
 ٢٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٦ ، ٣٨٢ ، ٤٣١ ، ٤٧٧ ، ٥١٧ ،
 ٥٦٣ ، ٥٣١
 إقليم البلاط ؛ ١٢٧
 أكاديمية التاريخ بمدريد ؛ ١١
 إلبيرة ؛ ٨٣ ، ٩١ - ٩٣ ، ٩٧ ، ١٣٠ ،
 ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ٣٢٠ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٠ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ ،
 ألبانة ؛ ١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٢٨٩ ،
 ألس ؛ ٥٤٩ ، ٥٦٠
 ألفت ؛ أنظر قرية ألفت
 الإقليم ؛ ١١١ ، ٣٤٥
 ألمرية ؛ ٦ ، ٤٦ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ،
 ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٣٦٣ ، ٤٤٠ ،
 ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ،
 ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٥٦٤ ،
 أنتقيرة ؛ ٣٨٥
 أندرش وحصن ؛ ١٥٨ ، ٥٣٥
 أندلس ، الأندلس ؛ ٤ ، ٦ ، ١٤ ، ١٧ -
 ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ - ٣١ ، ٣٣ ،
 ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥١ -
 ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٨ ،
 ٧١ ، ٩١ - ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ - ١٠٢ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ،

- ١ -

أبدة ؛ ٤٤ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٧
 أجيلار ؛ ١١١
 أراجون ؛ أنظر رغون
 أرجونة ؛ ٤٥١
 أرحبة ؛ ١٦٨
 أردستان ؛ ٨٢
 الأردن ؛ ١٠٣
 الأربس ؛ ١٧٦ ، ٥٦٨
 أرشدونة ؛ ٣٨٦
 الأرك ، موقعة ؛ ٣٨٣
 أركش ؛ ٤٦٧
 أرملة الصغرى ؛ ١٢٧
 أرملة الكبرى ؛ ١٢٧
 أرمليا ؛ ١١٩
 أزموور ؛ ٣٠٦
 إسبانيا ؛ ٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ١٤٢ ، ٢٣٩
 إستجة ؛ ٤٥٦ ، ٤٧١
 إستراياد ؛ ٤٥٤
 الإسكندرية ؛ ٨٢ ، ٢١٠
 الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال
 أشبونة ؛ ٨٣
 إشبيلية ؛ ٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٤٤ ،
 ٩٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ،
 ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٦٥ ، ٢٠٦ ، ٣١٣ ،
 ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤١١ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ،
 أصبهان ؛ ٨١
 أصيلا ؛ ٣٠٧
 أغمات ؛ ١٤٩
 إفراغة ، موقعة ؛ ١٠٨

براجلة ابن خريز ١٦٢
 براشة ٤٥١
 برتقال ٢٨٤ ، ٢٨٣
 برج هلال ١٣٠
 برجلونة ، برشلونة ٣٠٦
 برجة ٥٠٠ ، ١٩٧ ، ١٦٨ ، ١٥٨
 برشافة ١٦٤
 بستان وبشرعيون ١٢٥
 بسطة ١٦٨ ، ١٦٤ ، ١٣٢ ، ١٠٩
 ٢٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
 بسكرة ٣٦
 بطليوس ٤٥٢ ، ١٤١
 بغداد ٣٣٠ ، ٢١٩ ، ٢١١ ، ٨٢
 ٤٥٥ ، ٣٣٣
 بقيرة ٨٣
 بلاى ١١١
 البلد الجديد ٥٣٠ ، ٤٣٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٤٣٠
 بلش ، بلش مألقة ٢٨٧ ، ١٨١ ، ١١٢
 ٣٨٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥
 بلنسية ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٠٩ ، ٨٣
 ٣٨٣ ، ٢٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢١٨ ، ١٨٢ ، ١٧٩
 ٥٤٠ ، ٥٠٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٢ ، ٤١٢ ، ٤١١
 بياسة ٥٣٤ ، ٥١٨
 بيانة ٣٩١ ، ٢٠٣
 بيرة ٥٣٦ ، ٥٠٩ ، ١٠٩
 بيزنطية ٢١٢
 بيش ١١٠
 ت - ث
 تازى ٣٧٢
 تاقمرت ٢٦٧
 تدمير ١٠٣ ، ١٠١
 قنطيلة ١٨٤ ، ١٨٢
 قلمسان ٤١ ، ٤٠ ، ٣٥ ، ٣١ ، ٢٨

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٦
 ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦٣
 ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠
 ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤١٢ ، ٤١٣
 ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٤
 ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٩
 ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧
 ٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥١٦
 ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٦
 ٥٥٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥
 أندوجر ٤١٤
 أندة ٥٠٦ ، ٥٠٣
 أنطاكية ٩٤
 أوريوالة ٤٦٥
 الأهرام ٣٣٠

ب -

باب إلبيرة ٥٠٠ ، ٤٤٤ ، ٣٨٧ ، ١٣٠ ، ١٠٧
 باب إلبيرة ، جبانة ٢٨٦
 باب الشريعة ٣٤٨ ، ١١٦
 باب الفخارين ١٩٤
 باب الفرج ٣٤٨
 باب قبالة ١٦٦
 باب المحروق ٤٣ ، ٤٢
 باب يعقوب ٣٨٩
 باجة ٤٥٢ ، ٣١٦ ، ١٠٣ ، ٨٣
 بادى ٤٨٩
 باغة ٥٣٤ ، ٥٠٩
 بجانة ٥١٨
 بجاية ٣٤٤ ، ٣١٨ - ٣١٤ ، ١٧٦ ، ٨٣
 ٤٦٢ ، ٣٦٩
 بحر الشام ٩٤
 بخارى ٨١
 البرابى ٣٣٠
 البراجلة ، البراجلات ١٣٣ ، ٩٦

جثة ابن المؤذن ؛ ١١٦
 جثة الحرف ؛ ١١٦
 جثة المرض ؛ ١١٦
 جثة العريف ؛ ٢٤ ، ١١٦
 جثة قذاح بن سحنون ؛ ١١٦
 جثة نافع ؛ ١١٦
 جثة النخلة السفلى ؛ ١١٦
 جثة النخلة العليا ؛ ١١٦
 جبان ؛ ٤٤ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٤١
 ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٣٤٢ ، ٣٧١
 ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤٣٢ ، ٥٥١

ح - خ

حارة الجامع ؛ ١٢٧
 حارة الفراق ؛ ١٢٧
 الحرمين ؛ ٣٢ ، ٥٨ ، ٢٦٠
 حش أبي علي ؛ ١٢٥
 حش البكر ؛ ١٢٧
 حش البلوطة ؛ ١٣٠
 حش بني الرسيلىة ؛ ١٣٠
 حش البومل ؛ ١٣٠
 حش خليفة ؛ ١٢٩
 حش الدجاج ؛ ١٢٩
 حش رقيب ؛ ١٣٠
 حش الرواس ؛ ١٣٠
 حش زنجيل ؛ ١٢٨
 حش السلسلة ؛ ١٢٩
 حش الصحاب ؛ ١٢٥
 حش الطلم ؛ ١٢٧
 حش علي ؛ ١٣٠
 حش مصيرة ؛ ١٣٠
 حش الكوناني ؛ ١٢٩
 حش اميشه ؛ ١٢٩
 حش مرزوق ؛ ١٣٠

٥٦ ، ٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨
 ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٢٤٤ ، ٣٦٢
 ٣٨٢ ، ٤١٨ ، ٤٥٣ ، ٥١٠ ، ٥٣٦
 ٥٣٩ : ٥٥٠ ، ٥٦٣
 تنيكتو ؛ ٣٤١
 تونس ؛ ٣ ، ١٠ ، ١٢ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧١
 ٨٣ ، ١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠
 ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٣١٠
 ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٨٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٠
 التنمر الأعلى ؛ ١٠٨ ، ١٨٣ ، ٤٤٥ ، ٤٨١

- ج -

الجامع الأزهر ؛ ٤٤٦ ، ٧
 جامع الزيتونة ؛ ٣ ، ٦ ، ٩٠٧ ، ١٢ ، ١٥
 جامع غرناطة ؛ ٣٧ ، ١٧٢ ، ٤٦٥ ، ٥٦٦
 جبل أبي خالد ؛ ٤١٩
 جبل البيرة ؛ ٣٠١
 جبل طارق ؛ أنظر جبل الفتح
 جبل غدر ؛ ٩٨
 جبل قارة ؛ ٥٠٦
 جبل الفتح ؛ ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٤
 ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٠ ، ٥٣٥ ، ٥٤١
 جبل الفخار ؛ ١٢١
 جبل مورور ؛ ٥٠٩
 جرجان ؛ ٨٢
 جرف مقبل ؛ ١١٦
 الجزائر ؛ ٥٧
 الجزائر الشرقية (البلبار) ؛ ٢٦٣ ، ٣٨٣
 جزيرة الأندلس ؛ أنظر أندلس
 جزيرة حبيبة ؛ ٣٦٢
 جزيرة الخضراء ؛ ٢١ ، ٨٣ ، ٢٢٨ ، ٣٧٤
 ٥٥٥ ، ٥٤٠ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦
 جزيرة شقر ؛ ١٧٩ ، ٢٣٥ ، ٤٦٥
 جبان عمران ؛ ١١٦
 جثة ابن كامل ؛ ١١٦

دار حلف ؛ ١٢٥
 الدار السلطانية ؛ ٢٠٦
 دار السنيات ؛ ١٢٥
 دار العطشا ؛ ١٢٥
 دار الكتب التونسية ؛ ١٠ ، ٥٧ ، ٦٠
 دار الكتب المصرية ؛ ٣ ، ٧ ، ١٥ ، ٥٥
 ٦١ ، ٦٩
 دار نبلة ووتر ؛ ١٢٥
 دار هذبل ؛ ١٢٥
 دانية ؛ ٢٦٣
 دجة ؛ ١١٠
 دلالية ؛ ٩٧
 دلم ؛ ٣٠١
 دمشق ؛ ٨٢ ، ١٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٣٠
 دير الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال
 ديوان الخرص ؛ ١٢٤
 الراقدين ؛ ٣٣٠
 رباط الفتح ؛ ١٧٥
 الربض (ضاحية قرطبة) ؛ ١٩ ، ٤٢١ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٢
 ربض البيازين ؛ ٣٨٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٥٠٩
 ٤٦٣
 رحية مؤمل ؛ ٤٤١ ، ٤٩١
 الرصافة ؛ ٣٣٣
 رغون ؛ ٢٨٣ ، ٤٨١ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ ،
 ٥٥١ ، ٥٦٤
 الرقة ؛ ٨٢ ، ٩٤
 ركانة ؛ ٤٩١
 رمداي ، موقعة ؛ ٤٨٦
 رندة ؛ ٢٨ ، ٥٧ ، ٤٣٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٦
 رواق المناربة بالأزهر ؛ ٧ ، ١٥ ، ٧٠
 روط ، ثغر ؛ ٣٨٩
 روطه ؛ ٤٠٥
 ريه ؛ ٤٦٦
 الزاب ؛ ٣٤٧

حنين نوح ؛ ١٢٩
 حصن أنشكر ؛ ٣٩٠
 حصن أليط ؛ ١٤٨
 حصن بجيج ؛ ٣٨٩
 حصن السكة ؛ ١١٠ ، ٤٥١
 حـ نـ نتانس ؛ ٣٨٩
 حصن شقوبش ؛ ٢٩٨
 حصن طشكر ؛ ٣٨٩
 حصن فشرة ؛ ٥٣٥
 حصن المدور ؛ ٥٠٩
 حصن منجاس ؛ ١٧١
 حصن منت ميور ؛ ٢٣٥
 حصن الورد ؛ ٢٣٥
 حلب ؛ ٢١٣
 الحمراء ، قصر وقلعة ؛ ٢٤ ، ٢٥ ، ١٧٢ ،
 ٣٤٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٥١٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٣
 حصن ؛ ٨٢
 حوز الساعدين ؛ ١٢٦
 حوز مؤمل ؛ أنظر رحية مؤمل
 حوز وتر ؛ ١٢٦
 خانقاه سعيد السعداء ؛ ٦٣
 خراسان ؛ ٩٣
 خزانة تطوان العامة ؛ ٥٥
 خزانة الرباط العامة ؛ ١٥ ، ١٦ ، ٥٤ -
 ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣
 خزانة القرويين الكبرى ؛ ١٦ ، ٥٥ ، ٦٠ ،
 ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧
 الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٧ ، ١٥ ، ٥٥ ،
 ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠
 الحورين ؛ ٣٣٣
 د - ز
 دار ابن حزي ؛ ١٢٥
 دار أم مرضى ؛ ١٢٥
 دار البيضاء ؛ ١٢٥

شريس ؛ ٤٦٧
 شعب بوان ؛ ٣٣١
 شقر ؛ أنظر جزيرة شقر
 شقر ، نهر ؛ ١٧٩
 شقورة ؛ ٨٣ ، ١٧٣ ، ٢٩٨
 شلار ؛ ٤٢١
 شلوبانية ؛ ١١٢ ، ٣٨٠
 شليز ، جبل ؛ ٩٦ ، ٩٨
 شنت إسطين ؛ ٤٥١
 شنيل ، نهر ؛ ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ٣٣٣
 شوذر ، شوظر ؛ ١٢٨ ، ٣٤٢
 شون ؛ ١٢٩ ، ٢٧٧ ، ٣٢٠
 شيحة ؛ ١١١
 شيراز ؛ ٨٢

ص - ط

صقلية ؛ ٤٣٢
 الصيرمورقة ؛ ١٢٨ ، ٤٢٢
 طرابلس ؛ ٣٨٢
 طرش ؛ ١٧١
 طرطوشة ؛ ٩٤ ، ١٨٢ ، ٢٦٣ ، ٤٧٩
 طركونة ؛ ١٨٢
 طريف ؛ ٣٧٤ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥
 طريف ، موقعة ؛ ٢١
 طغنز ؛ ١٢٩ ، ١٦٣
 طليطلة ؛ ١٩ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،
 ٣٦٤ ، ٤٥١ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥١٨
 طنجة ؛ ٣٥ ، ١٠٠ ، ٣٠٧
 طيلاطة ؛ ٥٣١

ع -

العباد ؛ ٣٤٤
 العدو ؛ ٤ ، ٦ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ،
 ٩٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٥

الزاوية ؛ ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢
 الزلاقة ؛ ١٠٧ ، ٤٥٢
 الزهراء ؛ ٩٢

- س -

ساسان ؛ ١٢٣
 سالادو ؛ موقعة ، ٢١ وأنظر موقعة طريف
 سبتة ؛ ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٨٣ ، ١٠٠ ،
 ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ -
 ٣٢٩ ، ٣٤٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ،
 ٤١٧ ، ٥٠٣ - ٥٠٥ ، ٥٥٢
 السبيكة ؛ ١١٦ ، ١١٧ ، ٣٥٠ ، ٥١٣
 سجلماسة ؛ ١٧٠ ، ٣٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
 ٤٠٩
 السدير ؛ ٣٣١
 سردانية ؛ ٩٤
 سرقسطة ؛ ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٨٣ ، ٢٣٥ ،
 ٢٩٧ ، ٤٠٥ - ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٤٨١ ،
 ٥١٧
 سرقوسة ؛ ٤٢٣
 سلا ؛ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ١٨٧ ، ٢٦٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ،
 ٣٠٨ ، ٥٣٧
 سمرقند ؛ ٨٢
 سنجيل ؛ أنظر شنيل
 السودان ؛ ٣٢٩ ، ٣٤١
 السوس ؛ ٢٦٣

- ش -

الشارات ، الیشارات ؛ ١١١ ، ١٦٤
 شاطبة ؛ ٩٤ ، ١١٣ ، ٣٨٣ ، ٥١٨
 الشام ؛ ١٨ ، ١٩ ، ٢٠٩
 شرق الأندلس ؛ ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ٢٩٨ ،
 ٤٦١ ، ٥٠٣

غمدان ٠ ٣٣١ ٠ ٣٣٣

الغوطة ؛ ٩٧ ٠ ٩٨ ٠ ٣٣٠

- ف -

فاس ؛ ٣ ٠ ١٢ ٠ ١٦ ٠ ٢٦ ٠ ٢٨ ٠

٣٠ ٠ ٣٣ ٠ ٤١ - ٤٣ ٠ ٦٢ ٠ ٦٤ ٠

٦٦ ٠ ٧١ ٠ ٨٣ ٠ ١٧١ ٠ ١٨٦ ٠

١٨٧ ٠ ١٨٩ ٠ ٢٠٦ ٠ ٢٧٢ ٠ ٣٧٢ ٠

٣٧٣ ٠ ٤١٨ ٠ ٥٣٠ ٠ ٥٣٨ ٠ ٥٥٠ ٠

فحص الرنيسول ؛ ١١١

الفحص ٠ فحص غرناطة ؛ أنظر المرح

فحص هلال ؛ ٥١٤

فدان عصام ؛ ١١٦

فدان الميسة ؛ ١١٦

ق - ك

قابس ؛ ١٧٦ ٠ ٣١٢

القاهرة ؛ ١٣ ٠ ٦٢ ٠ ٦٣ ٠ ٧١

قبتور ؛ أنظر كبتور

التبداق ؛ ٥٦١

قبرة ؛ ٩٧ ٠ ١١١ ٠ ٤٣٢ ٠ ٥٤٣ ٠ ٥٤٤ ٠

قرطاجنة ؛ ٣٦٣

قرطبة ؛ ١٩ ٠ ٨٣ ٠ ٩٢ - ٩٤ ٠ ١٠٠ ٠

١٠٣ ٠ ١٤١ ٠ ١٨٩ ٠ ١٩٥ ٠ ٢٠٧ ٠

٢١٥ ٠ ٢٩٧ ٠ ٣٢٢ ٠ ٣٨٣ ٠ ٤٢١ ٠

٤٤٦ ٠ ٤٤٩ ٠ ٤٥١ ٠ ٤٧٩ ٠ ٤٨٠ ٠

٤٨٢ ٠ ٤٨٦ ٠ ٤٨٧ ٠ ٥٠٤ ٠ ٥١٨ ٠ ٥١٤ ٠

٥٣٥ ٠ ٥٥١ ٠ ٥٦٥ ٠

قرسيس ؛ ٣٤٢

القرية ؛ ١٥٥

قرية إيتايلس ؛ ١٣٢

قرية ابن ناطح ؛ ١٢٨

قرية أحجر - أججر ؛ ١٢٧

قرية أربل ؛ ١٣٠

قرية أرنالش ؛ ١٣١

٠ ٣٧٢ ٠ ٣٢٥ ٠ ٣٠٢ ٠ ٢٥٢ ٠ ٢٢٢

٠ ٣٨٢ ٠ ٤١١ ٠ ٤٢٦ ٠ ٤٤٧ ٠ ٤٥٤ ٠

العراق ٠ ٢٠٩ ٠ ٣٣٠

أنطنتا ٠ ٣٨٥

العقاب ٠ دوقمة ؛ ٣٨٣

عين الأبراج ؛ ١٢٥

عين الحورة ؛ ١٣٠

عين السمع ؛ ٢٥٠ ٠ ١٢١ - ١٢٣ ٠ ٢٥١

- خ -

سد ر الصبوري ؛ ١٢٧

شدير الكبرى ؛ ١٢٧

غرناطة ؛ ٣ - ٥ ٠ ١٤ ٠ ١٩ ٠ ٢١ ٠ ٢٨ ٠

٢٩ ٠ ٣٣ ٠ ٣٥ ٠ ٤١ ٠ ٤٢ ٠ ٤٦ ٠

٥٠ ٠ ٥١ ٠ ٥٣ ٠ ٥٩ ٠ ٨٤ ٠ ٨٥ ٠

٩١ - ٩٧ ٠ ١٠١ ٠ ١٠٧ - ١١٢ ٠

١١٥ - ١١٧ ٠ ١١٩ ٠ ١٢٤ ٠ ١٢٦ -

١٣٢ ٠ ١٣٨ ٠ ١٣٩ ٠ ١٤٧ - ١٥٠ ٠

١٥٣ - ١٦٢ ٠ ١٦٥ ٠ ١٦٨ - ١٧٢ ٠

١٧٩ ٠ ١٨١ ٠ ١٨٨ ٠ ١٩٢ ٠ ١٩٧ ٠

٢٠٢ ٠ ٢٠٥ ٠ ٢٠٦ ٠ ٢١٣ ٠ ٢٢٣ ٠

٢٣١ ٠ ٢٣٥ ٠ ٢٣٧ ٠ ٢٤٤ ٠ ٢٥١ ٠

٢٦٠ ٠ ٢٦٥ ٠ ٢٧١ ٠ ٢٧٧ ٠ ٢٨٤ ٠

٢٨٧ ٠ ٢٩٥ ٠ ٣٠١ ٠ ٣٠٦ ٠ ٣١٥ ٠

٣٢٨ ٠ ٣٣٠ ٠ ٣٤٢ ٠ ٣٥٣ ٠ ٣٦٥ ٠

٣٧٣ - ٣٧٥ ٠ ٣٨١ ٠ ٣٨٥ ٠ ٣٨٦ ٠

٣٩٢ ٠ ٤٠٥ ٠ ٤٠٧ ٠ ٤١٢ ٠ ٤١٩ ٠

٤٢٠ ٠ ٤٢٢ ٠ ٤٢٤ ٠ ٤٢٧ ٠ ٤٢٨ ٠

٤٣٧ ٠ ٤٤٠ ٠ ٤٤٦ ٠ ٤٤٩ ٠ ٤٥١ ٠

٤٥٥ - ٤٥٧ ٠ ٤٥٩ ٠ ٤٦٣ - ٤٦٨ ٠

٤٧١ ٠ ٤٧٧ ٠ ٤٨٣ ٠ ٤٨٥ ٠ ٤٩١ ٠

٤٩٢ ٠ ٤٩٤ ٠ ٥٠٠ ٠ ٥٠٤ ٠ ٥١١ ٠

٥١٤ ٠ ٥١٥ ٠ ٥١٩ - ٥٢١ ٠ ٥٣٧ ٠ ٥٦٦ ٠

- قرية أشتر ؛ ١٢٨
 قرية أشقطمر ؛ ١٣٠
 قرية إشكر ؛ ١٢٥
 قرية آفلة ؛ ١٢٨
 قرية ألفتنت ؛ ١٣٠ ، ٥٢٠
 قرية أنتيانة ؛ ١٢٩
 قرية أنطس ؛ ١٢٨
 قرية أنقر ؛ ١٢٨
 قرية بربل ؛ ١٣١
 قرية بردنار ؛ ١٢٨
 قرية برسانة برياط ؛ ١٣٠
 قرية برقلش ؛ ١٢٩
 قرية بشر ؛ ١٣١
 قرية بشر وواط ؛ ١٢٥
 قرية بلسانة ؛ ١٢٨
 قرية البلوط ؛ ١٢٩
 قرية بلومال ؛ ١٣٠
 قرية بليانة ؛ ١٢٩
 قرية بنوط ؛ ١٣١
 قرية بيرة ؛ ١٢٨ ، ١٢٩
 قرية بيش ؛ ١٣٢
 قريى بيش وواط ؛ ١٢٥
 قرية تجرجر ؛ ١٢٨
 قرية جيجانة ؛ ١٢٨
 قرية حارة عمروس ؛ ١٢٧
 قرية الحبشان ؛ ١٢٨
 قرية دار الغازى ؛ ١٣٠
 قرية دار وهدان ؛ ١٢٨
 قرية ددشطر ؛ ١٣١
 قرية دور ؛ ١٣١
 قرية الدوير ؛ ١٢٩
 قرية الديموس الصغرى ؛ ١٣٠
 قرية الديموس الكبرى ؛ ١٣٠
 قرية ذردر ؛ ١٣٢
 قرية ررق الخبض ؛ ١٣٠
 قرية رفاق وهدان ؛ ١٢٧
 قرية الركن ؛ ١٣٠
 قرية رومة ؛ ١٢٥
 قرية الزاوية ؛ ١٣٢
 قرية سنودة ؛ ١٢٨
 قرية سيج ؛ ١٣٢
 قرية سعلى ؛ ١٣١
 قرية سنتشر ؛ ١٢٨
 قرية سويدة ؛ ١٣٠
 قرية السبيجة ؛ ١٢٨
 قرية شمانس ؛ ١٣١
 قرية الشكروجة ؛ ١٣٠
 قرية الشلان ؛ ١٢٩
 قرية شنيانة ؛ ١٢٥
 قرية شوذر ؛ أنظر شوذر
 قرية ضوجر ؛ ١٢٩
 قرية الطرف ؛ ١٣٠
 قرية طنفر ؛ أنظر طنفر
 قرية علقاقب ؛ ١٣١
 قرية العيران ؛ ١٣٠
 قرية غرليانة (جرليانة) ؛ ١٢٨
 قرية الغروم ؛ ١٢٨
 قرية غسان ؛ ١٢٨
 قرية الغيضون ؛ ١٣٠
 قرية قنن ؛ ١٣١
 قرية الفخار ؛ ١٣١
 قرية فنثيلان ؛ ١٢٨
 قرية قبالة ؛ ١٣٠
 قرية قربسانة ؛ ١٣٠
 قرية قريش ؛ ١٣٢
 قرية قشتالة ؛ ١٢٧

قسطلية ؛ ٩٨ ، ٩١
 قسطنطينية ؛ ٣٤٧
 قشتالة ؛ ٣٢٤ ، ٣٠٦ ، ٥١٤ ، ٢٩٤ ، ٢٨٤ ، ٢٣٤ ، ٤٨١ ، ٥٠٧ - ٥٠٩ ، ٥٤١ ، ٥٥١ ، ٥٦٤
 القصبة ؛ ١٠١
 القصبة القدي ؛ ٤٨٢ ، ٣٨٧
 قصبه ألمرية ؛ ٥١١ ، ٣٨٠ ، ٢٣٩
 قصر الحمراء ، ٢٤ ، وأنظر الحمراء وقلعة الحمراء
 قصر السيد (قصر شنيل) ؛ ١٢٧ ، ١١٩ ، ٣١٦ ، ٥٢٣
 قصر كتامة ؛ ٥٦٥
 القصور النجدية (قصر نجد) ؛ ٥٥٣ ، ١١٧
 قطرش ؛ ٣٤٢
 القلصادة ؛ ٥٠٧
 قلعة بني سعيد ، أنظر قلعة بحصب
 قلعة الحمراء ؛ ١٧٢ ، ٢٤
 قلعة بحصب ؛ ٤٤٩ ، ٢١٤ ، ١٤٩ ، ١١١
 قلموردة ، قلمرية ؛ ٥٢٢
 قيارش ؛ ٥٦٤
 قنالش ؛ ١٣٢
 قنب قيس ؛ ١٢٨
 قنتورية ؛ ٥٠١ ، ٥٠٠
 قيجاطة ؛ ٥٦١
 القبروان ؛ ٥١٧ ، ٤٢٣ ، ٣١٣
 ل — ك
 كبتور ؛ ٢١٤
 الكنيانية ؛ ٩٦
 كورة الغرب ؛ ٤٥٢
 لاردة ؛ ١٨٢
 لورقة ؛ ٥٠٨ ، ٤١٢ ، ١٤٨
 لوشة ؛ ١٩ - ٢١ ، ٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨
 ٤٣٠ ، ٤١٩ ، ٣٨٦
 ليون ؛ ٣٨٣

قرية القصر ؛ ١٣١
 قرية القصيبة ؛ ١٢٨
 قرية ققلولش ؛ ١٣١
 قرية قلتيش ؛ ١٣٠
 قرية قلنيرة ؛ ١٣١
 قرية قلنقر ؛ ١٣١
 قرية القمور ؛ ١٢٩
 قرية القنار ؛ ١٣٠
 قرية قنالش ، أنظر قنالش .
 قرية قولجر ؛ ١٢٩ ، ١٠٧
 قرية قولر ؛ ١٢٧
 قرية الكدية ؛ ١٣٠ ، ١٢١
 قرية كورة ؛ ١٣١
 قرية لاقش ؛ ١٣٠
 قرية لسانة ؛ ١٢٧
 قرية لص ؛ ١٣١
 قرية اللقوق ؛ ١١٣
 قرية ماس ؛ ١٣٠
 قرية مرسانة ؛ أنظر مرسانة
 قرية مرنيط ؛ ١٣١
 قرية المطار ؛ ١٢٨
 قرية الملاحة ؛ ١٢٩ ، ٨٥
 قرية منشال ؛ ١٣٢
 قرية ناجرة ؛ ١٢٥
 قرية نبالة ؛ ١٣٠
 قرية النبيل ؛ ١٣١
 قرية نفجر و غرنظلة ؛ ١٢٩
 قرية وابشر ؛ ١٣١
 قرية واط عبد الملك ؛ ١٢٥
 قرية والة ؛ ١٢٨
 قرية واني ؛ ١٣٢
 قرية الوطا ؛ ١٣٢
 قرية وبلجر ؛ ١٣٢
 قرية ياجر الشاميين ؛ ١٢٧
 قرية ياجر البلديين ؛ ١٢٧

- م -

١٤٨ ، ٢١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٨٣ ،
 ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ ،
 ٤٨٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩ ، ٥١٧ ، ٥٥٧ ،
 المستخلص ؛ ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٣٣ ، ٤٢٩ ،
 المسجد الأعظم ، أنظر جامع غرناطة
 مسجد الحمراء ؛ ١٦٢ ، ٥١١ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،
 مسجد السلطان ؛ أنظر مسجد الحمراء
 مصر ؛ ٤٤ ، ٨٢ ، ١٠٣ ، ٢٠٨ ،
 المغرب ؛ ٣ - ٦ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
 ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٥٢ ،
 ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ - ٦١ ، ٧١ ،
 ١٤١ ، ١٨٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٥٥ ،
 ٢٦٣ ، ٢٨٥ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٤ ، ٣٧٣ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٣٠ ،
 ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٦٢ ،
 المغرب الأقصى ؛ ٨٠ ، ٣٤٤ ،
 مقبرة السبيكة ؛ ٥٥٤ ،
 مكتبة أبسال ؛ ٦١ ،
 مكتبة الإسكوريال ؛ ٣ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ،
 ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ - ٦٨ ،
 ٧١ ، ١٧٤ ،
 مكتبة أكاديمية التاريخ ؛ ٣ ، ١١ ، ١٢ ،
 ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٩ ،
 مكتبة جامع الزيتونة ؛ أنظر جامع الزيتونة
 مكتبة الجلاوي ؛ ٦١ ،
 مكتبة مدريد الوطنية ؛ ٣ ، ١٤ ، ٦٠ ، ٦٧ ،
 المكتبة الزيدانية ؛ ١٣ ، ٥٦ ،
 مكتبة الفاتيكان ؛ ٦٠ ،
 مكتبة ليدن ؛ ١٧ ،
 وانظر ، خزانة
 مكة ؛ ٨٢ ، ٢١٠ ، ٢٥٥ ،
 مكناسة الزيتون ؛ ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٣٠٢ ،
 الملاحاة ؛ ٨٥ ، ١٢٩ ،

ماردة ؛ ١٤١ ،
 مالقة ؛ ٢٨ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٩٤ ، ١٠١ ،
 ١١٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
 ١٨٠ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤١٠ ،
 ٤١١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٦٤ - ٤٦٧ ، ٤٧٢ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٦ ، ٥٥٤ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ،
 المتحف البريطاني ؛ ١٦ ، ١٧ ، ٥٥ ، ٩٤ ،
 مزييل ؛ ١١٢ ،
 مجريط ؛ ٥٠٤ ،
 مدرج السبيكة ؛ أنظر السبيكة
 مدرج نجد ؛ ١١٦ ،
 مدرسة غرناطة ؛ ٥٠٨ ،
 مدريد ؛ ٣ ، ١١ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٩٢ ،
 ٤٨٢ ،
 المدور ؛ ٤٢٤ ،
 مدينة الحمراء ؛ أنظر الحمراء
 مدينة السلام ؛ أنظر بنقاد
 المدينة الملكية ؛ ٤٢٤ ،
 مراكش ؛ ٥٩ ، ١١٣ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ،
 ١٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٠ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ،
 ٤١٧ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٩٤ ،
 مربلة ؛ ٢٦ ، ١٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٨٥ ، ٥٣٦ ، ٥٦٣ ،
 مرتش ؛ ٣٩١ ، ٣٩٢ ،
 مرج الرقاد ؛ ٣٠١ ،
 المرج ، مرج غرناطة ؛ ٩٩ ، ١٠٩ ،
 ١١٣ ، ١٢٠ ، ٣٠١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،
 مرج القرون ؛ ٤٤٩ ،
 مرسانة ؛ ١١٠ ، ١٢٩ ،
 مرسية ؛ ٩٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٤١ ،

همدان ؛ ٨١
 وادى آش ؛ ٢٤ - ٢٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ ،
 ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،
 ١٩٧ ، ٣٤٢ ، ٣٨٧ ، ٤٠٠ ، ٤٨٩ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٥١ ، ٥٣٦
 الوادى الأحمر ؛ ٤٥١
 وادى الحجارة ؛ ٤٨٢
 وادى الحمة ؛ ٤٨٩
 وادى أم الربيع ؛ ٤١٧
 وادى شنيانة ؛ ٢٧٣
 وادى فرتونة ؛ ٣٨٩
 الوادى الكبير ، نهر ؛ ١١٨ ، ١٥٥
 وادى لكه ، نهر ؛ ١٠٠ ، ٤٦٧
 وادى ماسة ؛ ٢٦٩
 وادى المدينة ؛ ٤١١
 وادى المنصورة ؛ ٥٠٠
 وادى ياروا ؛ ٥٤٠
 وشقة ؛ ١٨٢
 وهران ؛ ٣٦٢ ، ٤٥٣
 يابرة ؛ ٤٥٢
 يثرب ؛ ٢٥٥
 اليمن ؛ ٣٣٠

منار إشبيلية ؛ ٥٣٤
 المنصورة ؛ ١٠٩
 المنظر ؛ ٥٤٧ ، ٣٤٢
 المنكب ؛ ٥٥٧ ، ٥٥٣ ، ٥١٠
 منية السيد ؛ ٥٤١
 المهديّة ؛ ٣٦٥ ، ٣١١
 مورّه ؛ ٢٦٤
 مورور ؛ ٤٢٤ ، ٤٠١
 موقعة الجلاب ؛ ٤٨٤
 ميورقة ؛ ١٧٨ ، ٩٤

ن - ي

الناعورة ، ضاحية قرطبة ؛ ٤٦٦
 النجش ؛ ٤٨٧
 نسف ؛ ٨٢
 النمط ؛ ٤٥١
 نيسابور ؛ ٨١
 النيل ، نهر ؛ ١١٨ ، ٣٣٣
 حدره (حدره) ، نهر ؛ ٥٣٤
 هراة ؛ ٨٢
 همدان ؛ ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٥٠

فهرست الأعلام

- ١ —
- إبراهيم بن يوسف بن دهاق الأوسى ؛ ٣٢٥ ،
٣٢٦
- إبراهيم الفزاري ؛ ١٩١ ، ١٩٢ ،
ابن أبي الربيع ؛ ٥٠٥
- ابن أبي خط ، طلحة ؛ ٢١١
- ابن أبي زرع الفاسي ؛ ٤ ، ٨٣
- ابن أبي صيف ؛ أبو عبد الله ؛ ٢١٠
- ابن أبي عمارة الدعي ؛ ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٥٦٣
- ابن الأبار القضاعي ؛ ٥ ، ١٧٥
- ابن الباذش ، أبو جعفر ؛ ١٧١ ، ١٩٤ —
١٩٦
- ابن البستي ؛ ٣٢٠
- ابن التياتي ، أبو تمام ، غالب ؛ ٢٥٩ ، ٢٦٠
- ابن الجياب ، أبو الحسن علي ؛ ١٧ ، ٢٠ —
٢٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ١١٨ ، ١٦٧ ، ١٧٩ ،
١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٥ ،
٥٦٢ ، ٥٤٢ ، ٥٣٧
- ابن الحاج (إبراهيم بن عبد الله الفيمري) ؛ ٦
- ابن الحاج البليقي ، أبو البركات ؛ ٢١ ، ٤٦ ،
٨٣ ، ١٢٢ ، ١٧٢ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ،
٢٥٢ ، ٢٨٨ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٣ — ٥٢٩
- ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر بن محمد ؛
١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ٣٧٥
- ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله ؛ ١٧ ، ٢١ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ،
٣٨٤ ، ٤٨٠ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠
- ابن الحضار التلمساني ؛ ٣٧٥
- ابن الخطيب ، لسان الدين ؛ ٣ — ٦ ، ٨ ،
١٢ ، ١٣ ، ١٦ — ٢٠ ، ٢٢ — ٣٣ ،
٣٥ ، ٣٦ — ٤٤ ، ٤٦ — ٥١ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ — ٦٩ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٦ ،
٩١ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٩ —
- إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري ، أبو إسحاق ؛
٣٢٦ ، ٣٢٩
- إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي سعيد ، أبو سالم ،
السادان ؛ ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٣٠٣ — ٣١٠ ، ٥٣٠
- إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ؛ ٥٢٤
- إبراهيم بن أبي ياسر القطبي ؛ ٢١١
- إبراهيم بن أبي يحيى بن حفص ؛ ٥٣١
- إبراهيم بن تاشقين ، أبو إسحاق ؛ ٤٠٨
- إبراهيم بن جزبرة ؛ ٤٦٩
- إبراهيم بن ذرزار ؛ ٤٠٢
- إبراهيم بن زيد الحاربي ؛ ١٢٦
- إبراهيم بن سالم بن صالح ؛ ٤٦٩
- إبراهيم بن سهل ؛ ٦٥ ، ٥٣٣
- إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي ؛ ٣٧٢ — ٣٧٣
- إبراهيم بن علي بن يوسف ؛ ٢٦٣
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ؛
٣٢٩ — ٣٤١
- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبدس المنزي ؛
٣٦٧ — ٣٧١
- إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني ؛ ٣٢٢ —
٣٢٥
- إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم الأزدي ؛ ٣٢٠ —
٣٢٢
- إبراهيم بن محمد بن علي التتوخى ؛ ٣٧٤ —
٣٧٧
- إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
الهنداني ؛ ٣١٠ — ٣١٩ ، ٥٣١
- إبراهيم بن يعقوب ؛ ٣٦٥

ابن باجة ؛ أبو بكر بن محمد النحبي ؛ ١٨٩ ،
٤٠٦ - ٤٠٨
ابن باصة ، أبو جعفر ؛ ٢٠٤
ابن برطال ، أبو عبد الله ؛ ١٩٧
ابن برطال ، أبو جعفر ؛ ١٧١ - ١٧٣
ابن بسام ، أبو الحسن علي ؛ ١١ ، ٢٣٣ ،
٤٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٢٠
ابن بشكوال ، أبو القاسم ؛ ٢٠١ ، ٨٣٥ ،
٤٦٧ ، ٥٠٥
ابن بقي ؛ ٦٥
ابن بكرون ؛ ٥٤٨
ابن بياض القاضي ؛ ٤٦٦
ابن قسح ؛ ٣٦٥
ابن قسيمة ؛ ٢١٥
ابن جبير الأندلسي ، أبو الحسن ؛ ٢١٠
ابن جزى ، أبو جعفر ؛ ٤٠٣
ابن جزى الكلبي ، أحمد بن محمد بن أحمد ؛
١٥٧ - ١٦٢
ابن حزي ، أبو عبد الله محمد ؛ ٦
ابن جماعة الكتاني ؛ ٤٢٨
ابن جمهور ، أبو محمد ؛ ٣٦٥ ، ٥٠٥
ابن حزم ، أبو محمد ؛ ٩٤ ، ٣٠٩
ابن حفصون ، عمر ؛ ١١١
ابن حمامة ؛ ٢٩٨
ابن حدين ، أبو جعفر ؛ ٦٥ ، ٢٩٧
ابن حبان ، أبو مروان ؛ ٤ ، ٩٢ ، ١٠٣ ،
١٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ،
٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٨٦ ، ٥١٤ ،
٥١٦ ، ٥١٧
ابن خاتمة ، أبو جعفر ؛ ١٧ ، ٤٦ ، ٩٣ ،
٢٣٩ - ٢٥٩
ابن خفاجة ؛ ٢١٥
ابن خلدون ؛ ٥ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ -
٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٦ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٢٦١

١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ،
١٦٦ ، ١٧٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٣٤٢ ،
٣٥٠ ، ٣٧٦ ، ٤٨٨ ، ٢٨٩
ابن الزقاق ؛ ٢١٥
ابن الرنق (الفونسو هنري كيز) ؛ ٥٢٢
ابن الرومي ؛ ٨٥
ابن الرومية ؛ أبو العباس ؛ ٢٠٧ - ٢١٤
ابن الزبير ، أبو جعفر ؛ ٥٨ ، ٥٥ ، ١٦٦ ،
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٨ -
١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٨٩ ،
٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٣ ،
٥٠٣ ، ٥٠٤
ابن الصيرفي ، أبو بكر ؛ ٤ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،
١٤٧ ، ١٦٣ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٨
ابن العمار ؛ ٢٠١
ابن الغبريني ، أبو العباس ؛ ٨٣
ابن الفضل المزدني ؛ ٢١٥
ابن الفاض ؛ ٤٧٨
ابن القاري ، عبيد الله بن عبد العزيز ؛ ٣٧٥
ابن القباب ؛ أبو العباس ؛ ٦٤ ، ١٨٧ -
١٨٨
ابن القلاس ؛ ١٠٧ ، ١١٠
ابن القوطية ، أبو بكر ؛ ٤ ، ١٠٠
ابن اللبانة ؛ ٦٥
ابن المحروق ، أبو عبد الله محمد ؛ ٣٢٣ ، ٥١٠ ،
٥٣٧
ابن المرعزي ، الكاتب ؛ ٤٦٦
ابن المول ؛ ٣٨٧
ابن المول ، أبو بكر عتيق بن يحيى ؛ ٥٤٨
ابن الساطر ، الحسين بن عبد العزيز ؛ ٤٦٣ - ٤٦٥
ابن الوراق ، أبو مروان ؛ ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،
٤٥٥
ابن اليسر ؛ ١٥٠

ابن عبد الملك المراكشي ؛ ٥ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٤٧١ ، ٥٠٣
 ابن عبد النور ، أبو جعفر أحمد ؛ ١٩٦ - ٢٠٢
 ابن عبدون ؛ ٦٥
 ابن عذارى المراكشي ، ٤ ، ٣١٤ ، ٤٣٨ ،
 ٤٣٩ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٥١٨
 ابن عساكر ، أبو القاسم ؛ ٨٢
 ابن عسكر المالقي ، أبو عبد الله ؛ ٨٣ ، ٤٤
 ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٣٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ،
 ٤٦٩ ، ٤٧١
 ابن علقمة ؛ ٨٣
 ابن عمار ؛ ٦٥
 ابن عميرة الخزومي ، أبو المطرف ؛ ١٧٣ -
 ١٨٠ ، ٤١٧
 ابن غانبة ، أبو زكريا يحيى ؛ ٩٧ ، ٢٩٧ ،
 ٤٤٢
 ابن غانية المسوق ، يحيى بن إسحاق ؛ ٣١١ ،
 ٣١٢
 ابن فرتون ؛ ٢٠٧
 ابن فرقد ، إبراهيم بن خلف ؛ ٣٦٤ - ٣٦٧
 ابن فركون القرشي (أحمد بن سليمان) ؛ ٢٢٠ -
 ٢٢١ ، ٥٥٠
 ابن فركون القرشي (أحمد بن محمد بن هشام) ،
 ١٥٣ - ١٥٧ ، ٢٤١
 ابن قزمان ، أبو بكر ؛ ٣٦٥
 ابن قعنب الأزدي ، أبو جعفر ؛ ١٦٦ - ١٦٨
 ابن قنند ، أبو زكريا ؛ ٨١
 ابن كاشة ، أبو الحسن علي ، ٢٠٠
 ابن لب ؛ أبو سعيد فرج ؛ ١٧ ، ٢١
 ابن لبون ؛ ٦٥
 ابن مردنبيش ، محمد بن سعد ؛ ٢١٨ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
 ابن مرزوق ، أبو عبد الله ؛ ١٣ ، ٢١

ابن خلكان ؛ ٢١٩ ، ٢٦١
 ابن خمسين ، أبو بكر ؛ ٨٣
 ابن خير ؛ ٣٦٥
 ابن رذمبر (ألفونسو الأول الأرحوني) ؛
 ١٠٨ ، ١٠٩
 ابن رشد الجدي ، أبو الوليد ؛ ١١٣ ، ١٧٠ ،
 ٣٦٤
 ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد ؛ ١١٣
 ابن رفاعة ؛ ١٧١
 ابن زرقون ، أبو الحسن ؛ ٢٠٩
 ابن زرقون ، أبو عبد الله ؛ ٥٠٥
 ابن زرقون القيسي ، أبو القاسم ؛ ٣٧٥
 ابن زمرك ، محمد بن يوسف الصريحي ؛ ١٧ ،
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٨
 ابن زيدون ؛ ٤٥٤
 ابن سخون الناري ؛ ٢١٠
 ابن سلبطور ؛ ١٧
 ابن سهل بن مالك ؛ ١٠٨
 ابن سنة ؛ ٢١٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ؛ ٩٧ ، ٤٤٣ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٩
 ابن سيناء ، أبو علي ؛ ٢٠٧ ، ٢٢٩
 ابن شرف ؛ ٦٥
 ابن صفوان المالقي ، أبو جعفر ؛ ٤٦ ، ٦٦ ،
 ٢٢١ - ٢٢٢ ، ٢٧٣ ، ٣٨١
 ابن صمادح ؛ ٦٥
 ابن عاصم ، أبو يحيى ؛ ٥٠
 ابن عباد ، المعتضد ؛ ٤٣٦ ، ٤٥٦
 ابن عباد ، المعتمد ؛ ١٤٩
 ابن عبد الحلق الجذلي ؛ ١٨٠ - ١٨٢
 ابن عبد الرحمن الفارسي ؛ ٢١٠
 ابن عبد السلام الكومي ؛ ٢٦٥
 ابن عبد العزيز الصدقي ؛ ٣٦٥
 ابن عبد الكريم ؛ ٨٣

- أبو الأصبح بن عبد العزيز ؛ ٢١٠
 أبو الأصبح بن مناصف ؛ ٣٦٥
 أبو البركات بن داود ؛ ٢٠٩
 أبو البقاء بن قديم ؛ ٢٠٩
 أبو البقاء الرندي ؛ ٤٧١
 أبو الحجاج الساحلي ؛ ٢٠٣
 أبو الحجاج بن الشيخ الفهري ؛ ٤٧٠ ، ٥٠٥
 أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٥٤٩
 أبو الحسن بن أبي الحسن ؛ ٤٧٠
 أبو الحسن بن أبي الربيع ؛ ٢٨٩
 أبو الحسن بن أبي المكارم ؛ ٣٦٩
 أبو الحسن بن أبي عامر ؛ ١٦٥
 أبو الحسن بن أحمد بن خالصر ؛ ٣٦٥
 أبو الحسن بن إشقيلولة ، الرئيس ؛ ٥٦٤
 أبو الحسن بن أضحى ؛ ٤٢٧
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ١٩٥ ، ١٩٧
 أبو الحسن بن الصائغ ، أنظر ابن باجة
 أبو الحسن بن الضحاك ؛ ١٩٦
 أبو الحسن بن تقي ؛ ٤٦٥
 أبو الحسن بن خيرة ؛ ٤٦٥
 أبو الحسن بن سراج ؛ ١٧٠ ، ٢٠١
 أبو الحسن بن سعيد ، علي بن موسى الأندلسي ؛
 ٥٤ ، ٨٣ ، ١١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ -
 ٥٣٠ ، ٤٩٨
 أبو الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن ؛ ٣٦٤
 أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥
 أبو الحسن بن طاهر الدباج ؛ ٣٢٧
 أبو الحسن بن عبد الجليل السداري ؛ ٣٧٣
 أبو الحسن بن عبد العزيز البطليوس ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن عمر الوادي آشي ؛ ٣٦٨
 أبو الحسن بن كاشة ؛ ٢٠٠
 أبو الحسن بن كوثر ؛ ٥٠٥
 أبو الحسن بن محمد الغافق الشقوري ؛ ٥٠٥
- ابن مستقور الطائي ، أبو عبد الله ؛ ١٥٤ ،
 ١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٨٩
 ابن مستقور ، أبو الحسن ؛ ٣٧٧
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ؛ ٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٢ -
 ١٦٦ ، ٣٢٠
 ابن مصادف ، أبو جعفر ؛ ٢٠٢ - ٢٠٤
 ابن مفرج الملقب ؛ ١٩٨
 ابن ميمون الشريشي ؛ ٢٠٩
 ابن نباتة ؛ ٦٥
 ابن نغرالة اليهودي ، إساعيل ؛ ٤٣٤
 ابن نغرالة اليهودي ، يوسف ؛ ٤٣٧ - ٤٤٠
 ابن هاني ، السبتي ، أبو عبد الله ؛ ١٧٨
 ابن هذيل ، أبو زكريا ؛ ٢١ ، ٣٩ ،
 ٢٠٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩١
 ابن هرودس ، أبو الحكم ؛ ٤٦٩
 ابن هشك ، إبراهيم ؛ ٢٩٦ - ٣٠٣
 ابن هوازن القشيري ؛ ٢١٠
 ابن هود ، أبو عبد الله المتوكل ؛ ١٤١ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٧ ، ٤١٢
 ابن ورد التميمي ؛ أبو القاسم ؛ ١٦٩ - ١٧١
 ابن يربوع ؛ ٣٦٩
 ابن يزيد ؛ ٤٣١
 أبو إبراهيم ، السيد ؛ ١٤١
 أبو إسحاق ، السيد ؛ ١٤١
 أبو إسحاق بن جابر ؛ ٥٤٩
 أبو إسحاق بن زكريا ؛ ٣٦٩
 أبو إسحاق بن علي المزدالي ؛ ٣٦٥
 أبو إسحاق الإلييري الزاهد ، ٤٤٠ ،
 أبو إسحاق البلقيني ؛ ١٧٥
 أبو إسحاق الخشي ؛ ١٦٥
 أبو إسحاق النمشقي ؛ ٢٠٩
 أبو إسحاق الشيرازي ؛ ٢٨٩
 أبو إسحاق الغافق الميربي ؛ ٢٨٩
 أبو الأصبح بن عامر ؛ ٢٠٣

- أبو الحسن بن نصر ؛ ٢١٠
 أبو الحسن بن هذيل ؛ ٤٦٢
 أبو الحسن الأبدى ؛ ١٥٥
 أبو الحسن الأركشي ؛ ٤٦٧
 أبو الحسن التجلي ؛ ٢٨٩
 أبو الحسن التطلبي ؛ ١٨٤
 أبو الحسن الخويكر ؛ ٢١٠
 أبو الحسن الرعيبي ؛ ٤١٧
 أبو الحسن السفاح العبدري ؛ ٢٨٩
 أبو الحسن الششتري ؛ ٤٨
 أبو الحسن الصغير ؛ ٣٧٢ ، ٣٧٣
 أبو الحسن العدل ؛ ١٥٥
 أبو الحسن الكناني ؛ ١٦٥
 أبو الحسن المالتق ؛ ٤٦٦
 أبو الحسن المبارك ؛ ١٧١
 أبو الحسن المريني ، السلطان ؛ ٢١ ، ٣٠٣ ؛
 ٥٣٦ ، ٣٤٢
 أبو الحسن النيسابوري ؛ ٢١
 أبو الحسين التلمساني ؛ ٣٢٨
 أبو الحكم بن منظور الإشبيلي ؛ ٣٧٥
 أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٤
 أبو الخطار ، حسام الكلابي ؛ ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٠٦
 أبو الربيع ، السيد ؛ ٣١٢
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٤٦٥
 أبو الربيع سليمان المريني ؛ ٥٥٠
 أبو زيد عبد الرحمن المتوكل ، السلطان ؛ ٥٩
 أبو الطاهر ، تميم ؛ ١٤١
 أبو العباس بن البنا ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن الكاتب ؛ ٢٠١
 أبو العباس بن حجلة ؛ ٦٢
 أبو العباس بن سلمان ؛ ٢١٤
 أبو العباس بن عمران ؛ ٤١٧
 أبو العباس بن مضاء ؛ ٥٠٥
 أبو العباس القرأقي ؛ ٥٤٩
 أبو العباس البنشقي ؛ ٢٣٨
 أبو العباس القلةشندي ؛ ٤٦
 أبو العلاء الموحدي ، السد ؛ ٣١٢
 أبو الفتح الكروخي ؛ ٣٦٩
 أبو الفضل المرسي ؛ ٣٢٥
 أبو الفضل بن جعفر ؛ ٢١٨
 أبو القاسم بن الأصفر ؛ ١٥٥
 أبو القاسم بن العريف ؛ ١٧١
 أبو القاسم بن النزقي ؛ ٣٢٨
 أبو القاسم بن حسن ؛ ٥٠٤
 أبو القاسم بن خلف ؛ ١٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢
 أبو القاسم بن درهم ؛ ١٨١
 أبو القاسم بن سمجون ؛ ٢١٠
 أبو القاسم بن سيد الناس ؛ ٢١٠
 أبو القاسم بن صفوان ؛ ٢٧٤
 أبو القاسم بن عمران الخزرجي ؛ ١٧١
 أبو القاسم بن قطبة ؛ ١٢٢
 أبو القاسم بن محمد المراعي ؛ ٣٦٥
 أبو القاسم بن نوح ؛ ٥٠٥
 أبو القاسم البراق ؛ ٢١٠
 أبو القاسم التلمساني ؛ ٢٥
 أبو القاسم الحسني ؛ ٢٠٣
 أبو القاسم الحوفي ؛ ٥٠٥
 أبو القاسم السهلي ؛ ٤٧١
 أبو الميمون بن هبة الله القرشي ؛ ٢١٠
 أبو الوليد العطار ؛ ١٦٥
 أبو الوليد جابر الحضرمي ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن إبراهيم المسوق الصحراوي ،
 الأمير ؛ ٤٠٤ - ٤٠٩
 أبو بكر بن أبي حمزة ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن أبي زكريا بن إسحاق ؛ ٣٨٣ ، ٣٩٥
 أبو بكر بن أبي زمنين ؛ ٥٠٥

أبو بكر بن الجندب ، الحافظ ؛ ٥٠٥ ، ٣٦٥
 أبو بكر بن الطفيل ؛ ١٨٦ ، ٥٠٥
 أبو بكر بن بيشب العبدري ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن حبيش ، الحافظ ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن حكم الشرمسى ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن دهمان ؛ ٣٢٧
 أبو بكر بن سابق الصقيلي ؛ ١٧٠
 أبو بكر بن سعيد ؛ ٤٢٤ - ٤٢٧
 أبو بكر بن طلحة ؛ ٢١٠
 أبو بكر بن عبد العزيز البجليوسى ؛ ٥٢٢ - ٥٢٠
 أبو بكر بن عبد الله السكسكى ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن عبد الله الكندى ؛ ٤٦٩
 أبو بكر بن علي بن يوسف ؛ ٤٠٨
 أبو بكر بن أبي عمر اللوشى ؛ ٥٥٩
 أبو بكر بن عياش ؛ ١٩٥
 أبو بكر بن غازى ؛ ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧
 أبو بكر بن مالك الشريشى ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن محرز ؛ ٢٢٥ ، ٢٢٧
 أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيل ؛ ٥٦٠
 أبو بكر بن محمد الفراءى ؛ ٨٣
 أبو بكر بن مسعود ؛ ٥٣٨
 أبو بكر بن معن ؛ ٢٣٤
 أبو بكر بن وضاح ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن يحيى الهمداني ؛ ٤٩١
 أبو بكر بن يحيى بن مسعود ؛ ٣٨١
 أبو بكر السرقسطى ؛ ٦٥
 أبو بكر بن العربى ؛ ١٧٠
 أبو بكر الخزومى الأعمى ؛ ٤٢٤ - ٤٢٧
 أبو بكر بن النيار ؛ ٥٠٥
 أبو بكر الوسنشاني ؛ ٤٣٧
 أبو تمام ، حبيب بن أوس ؛ ٢٢٦ ، ٣٤٧
 أبو جعفر بن أبي حنبل ؛ ١٩٣
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ٣٧٥
 أبو جعفر بن مظاهر ؛ ٨٣
 أبو جعفر بن يوسف الشحلى ؛ ٢٨٩
 أبو جعفر الأعز ؛ ٢٤١
 أبو جعفر الخزمونى ؛ ١٩٤
 أبو جعفر اللماى ، أحمد بن أيوب ؛ ٢٣٢ -
 ٢٣٥
 أبو جعفر المنتصور ، الخليفة ؛ ٩٨
 أبو جميل بن أبي الحملات بن مردنيش ؛ ٣١٤
 أبو حامد الغزالي ؛ ٤٠٩
 أبو خالد بن رفاعة ؛ ١٩٦ ، ٥٠٥
 أبو ذر ، مصعب ؛ ٢١٠
 أبو زكريا بن أبي الغمر ؛ ٤١٦
 أبو زكريا بن أبي حفص ؛ ٣١٢ ، ٣١٣
 أبو زكريا بن الناصر الموحدى ؛ ٤١١
 أبو زكريا بن مرزوق ؛ ٢٠٩
 أبو زكريا الفزازى ؛ ٤١٧
 أبو زيد السهلبى ؛ ٥٠٤
 أبو زيد الموحدى ، السيد ؛ ٤١١ ، ٤١٢
 أبو زيد بن مثنى ؛ ٢٠٥
 أبو سالم بن أبي يعقوب ؛ ٥٥٠
 أبو سالم المريى ، السلطان ؛ أنظر إبراهيم بن
 أبي الحسن
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٣٦٥
 أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي ؛ ٢٦٥ ،
 ٢٧١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
 أبو سليمان بن حوط الله ؛ ٢١٠ ، ٥٠٣ -
 ٥٠٦
 أبو عامر بن يزيد بن أبي العطاء ؛ ٤٦٥

أبو بكر بن الجندب ، الحافظ ؛ ٥٠٥ ، ٣٦٥
 أبو بكر بن الطفيل ؛ ١٨٦ ، ٥٠٥
 أبو بكر بن بيشب العبدري ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن حبيش ، الحافظ ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن حكم الشرمسى ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن دهمان ؛ ٣٢٧
 أبو بكر بن سابق الصقيلي ؛ ١٧٠
 أبو بكر بن سعيد ؛ ٤٢٤ - ٤٢٧
 أبو بكر بن طلحة ؛ ٢١٠
 أبو بكر بن عبد العزيز البجليوسى ؛ ٥٢٢ - ٥٢٠
 أبو بكر بن عبد الله السكسكى ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن عبد الله الكندى ؛ ٤٦٩
 أبو بكر بن علي بن يوسف ؛ ٤٠٨
 أبو بكر بن أبي عمر اللوشى ؛ ٥٥٩
 أبو بكر بن عياش ؛ ١٩٥
 أبو بكر بن غازى ؛ ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧
 أبو بكر بن مالك الشريشى ؛ ٥٠٥
 أبو بكر بن محرز ؛ ٢٢٥ ، ٢٢٧
 أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيل ؛ ٥٦٠
 أبو بكر بن محمد الفراءى ؛ ٨٣
 أبو بكر بن مسعود ؛ ٥٣٨
 أبو بكر بن معن ؛ ٢٣٤
 أبو بكر بن وضاح ؛ ٣٦٥
 أبو بكر بن يحيى الهمداني ؛ ٤٩١
 أبو بكر بن يحيى بن مسعود ؛ ٣٨١
 أبو بكر السرقسطى ؛ ٦٥
 أبو بكر بن العربى ؛ ١٧٠
 أبو بكر الخزومى الأعمى ؛ ٤٢٤ - ٤٢٧
 أبو بكر بن النيار ؛ ٥٠٥
 أبو بكر الوسنشاني ؛ ٤٣٧
 أبو تمام ، حبيب بن أوس ؛ ٢٢٦ ، ٣٤٧
 أبو جعفر بن أبي حنبل ؛ ١٩٣
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ٣٧٥

- أبو عبد الله الرحمن بن غالب ؛ ٥٠٦
 أبو عبد الله بن أبي الخصال ؛ ٤٥٠
 أبو عبد الله بن أبي زمنين ؛ ٤٧٧
 أبو عبد الله بن أبي عمر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
 أبو عبد الله بن أحمد بن الحاج ؛ ٣٦٤
 أبو عبد الله بن أجروم ؛ ٤٧٢
 أبو عبد الله بن الحر ؛ ٢١٠
 أبو عبد الله بن الحسن الجذائى ؛ ٤٣٣
 أبو عبد الله بن السعيد ؛ ٣١٤
 أبو عبد الله بن عبد الواحد اللحياني ؛ ٣١٤ ،
 ٣٨٣
 أبو عبد الله بن العماد ؛ ٢١٠
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ٢١ ، ٤٨٧ ، ٥٠٥
 أبو عبد الله بن المؤذن ؛ ٨٣
 أبو عبد الله بن الواثق بن المستنصر ؛ ٥١٤ ، ٥٦٤
 أبو عبد بن اليسع ؛ ٨١
 أبو عبد الله بن جوير ؛ ١٧٠
 أبو عبد الله بن حسون ؛ ١٨٣
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ٣٦٤ ، ٥٠٤
 أبو عبد الله بن رشيد ؛ ٢٧٢
 أبو عبد الله بن سعيد اللوشى ؛ ٢١١
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٥٠٦
 أبو عبد الله بن عاصم ؛ ٥٤٩
 أبو عبد الله بن عبد العزيز الذهبي ؛ ٣٦٥
 أبو عبد الله بن عروس ؛ ٥٠٥
 أبو عبد الله بن عياش ؛ ٤١٧
 أبو عبد الله بن عيسى ؛ ٥٣٣
 أبو عبد الله بن غالب الرصافي ؛ ٤٦٩
 أبو عبد الله بن فرج ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن فضيلة ؛ ١٦٨
 أبو عبد الله البرى ؛ ١٧٥
 أبو عبد الله البيهقي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله الحضرمي ؛ ٣٦٨
 أبو عبد الله الرقوتى ؛ ٢٠٦
 أبو عبد الله الساحلى ؛ ١٦٧
 أبو عبد الله الشربثى ؛ ٦ ، ٧٠
 أبو عبد الله الطنجالى ؛ ١٨١ ، ٢٢٣
 أبو عبد الله الكندى ؛ ٤٦٩
 أبو عبد الله اليابرى ؛ ٢٠٩
 أبو عثمان بن الخليفة ، السيد ؛ ١٤١
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ١٨١
 أبو عثمان بن ليون ؛ ٢٠٣
 أبو علي بن الأحوص ؛ ١٦٥
 أبو علي بن رشيق التغلبي ؛ ٢٨٩
 أبو علي بن هدية ؛ ٤٢٩ - ٤٣٠
 أبو علي بن وزير ؛ ٣٦٥
 أبو علي الأستجى ؛ ٤٧١
 أبو علي الحافظ ؛ ٢٠٩
 أبو علي الشلوين ؛ ١٧٤ ، ١٩٩ ، ٣٢٧ ،
 ٤٦٤
 أبو علي الغساني ؛ ١٩٥
 أبو علي القلى الممدى ؛ ١٩٦
 أبو عمر بن عات ؛ ١٧٠
 أبو عمر بن القطان ؛ ١٤٧
 أبو عمران الموحدى ، السيد ؛ ٣١٣
 أبو عمرو بن المرابط ؛ ٥٦٢
 أبو عمرو بن المنظور ؛ ٢٣١
 أبو عمرو الداني ؛ ١٩٧ ، ١٩٨
 أبو عنان ، فارس ، السلطان ؛ ٦ ، ٢٣ ،
 ٢٥ ، ٦١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٤٥ ، ٣٢٩
 أبو فارس بن أبي الحسن بن عبد الحفي ؛ ٥٣٠
 أبو مالك المرينى ، الأمير ؛ ٥١٠
 أبو محمد بن أبي حفص ، السيد ؛ ٣٠١
 أبو محمد بن إشتقيلولة ؛ ٥٦٤
 أبو محمد بن الخليفة (عبد المؤمن) ، السيد ؛
 ١٤١ ، ١٨٤
 أبو محمد بن السيد ؛ ١٩٥
 أبو محمد بن الرابع ؛ ٢٩٦

- أبو محمد بن بونة ؛ ٥٠٥
 أبو محمد بن حوط الله ؛ ١٧٤ - ٥٠٣ ، ٣٦٨ ، ٥٠٦
 أبو محمد بن سحنون الغماري ؛ ٢١٠
 أبو محمد بن عبد الصمد النسائي ؛ ٥٠٥
 أبو محمد بن عبد الله العسال ؛ ١٧٠
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٣٦٤
 أبو محمد بن علي ؛ ٢١٢
 أبو محمد بن عطية ؛ ١٩٤
 أبو محمد بن قاسم الحرار ؛ ٢١٣ ، ٢١٤
 أبو محمد بن محمد القضاعي ؛ ١٨٤
 أبو محمد بن يونس ؛ ٣٦٩
 أبو محمد الباهلي ؛ ٢٢٢
 أبو محمد الحجري ؛ ٢١٠
 أبو محمد الحضرمي ؛ ٥٤٩
 أبو محمد السلمي ؛ ٤٨٥
 أبو محمد الشافعي ؛ ٣٤٦
 أبو محمد المرجاني ؛ ٢١٠ ، ٥٥١
 أبو مروان بن سراج ؛ ١٤٧
 أبو موسى الجزولي ؛ ١٩٨
 أبو نصر بن أبي نور اليقيني ؛ ٤٣٦
 أبو نصر صاحب ناكرونا ؛ ٤٣٧
 أبو نصر القرشي ؛ ٢١١
 أبو هلال الموحدلي ؛ ٣١٥ ، ٣١٦
 أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي ؛ ٣١٣
 أبو يحيى بن أبي بكر الحفصي ؛ ٣٤٩
 أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي ؛ ١٦٥
 أبو يحيى بن أبي يوسف ؛ ٥٥٠
 أبو يحيى الوراق ؛ ٤٤٥
 أبو يزيد البسطامي ؛ ٤٤٢
 أبو يعقوب يوسف ، أنظر يوسف بن عبد المؤمن
 أبو يعقوب يوسف الناصر ؛ ٣١١
 أحمد بن أبي السعادات ؛ ٢١١
 أحمد بن أبي بكر ؛ ٢١١
- أحمد بن أبي حممر بن عطه قضاعي ؛ ٢٦٣ -
 ٢٧١
 أحمد بن أبي سالم المرويني - اسطون ؛ ٤١ - ٢٠
 أحمد بن أبي سهل الخزرجي ؛ ١٦٩٠
 أحمد بن أبي طاهر ؛ ٨٢
 أحمد بن الحسن بن ارباب التلاعبي ؛ ٢٨٧ -
 ٢٩٥
 أحمد بن خلف النسائي ؛ ١٤٧ - ١٥٠
 أحمد بن عباس بن أبي زكريا ؛ ٢٥٩ - ٢٦٢ ،
 ٤٥٨ ، ٥١٨
 أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري ؛
 ١٨٣ - ١٨٦
 أحمد بن عبد الرحمن البرقي ؛ ٤٢٠
 أحمد بن عبد السلام البصري ؛ ٤٥٥
 أحمد بن عبد الله بن عفيرة ؛ ٣٢٧
 أحمد بن عبد الله بن عرفة اللخمي ؛ ٢٧٨ -
 ٢٨٤
 أحمد بن عبد المجيد بن هذيل النسائي ؛ ٣٦٩
 أحمد بن عبد الملك بن سعيد ؛ ٢١٤ - ٢٢٠
 أحمد بن عبد الوالي الرعيبي ؛ ١٩٣ - ١٩٤
 أحمد بن علي الرعيبي ؛ ١٦٥
 أحمد بن علي المذحجي ؛ ٢٨٨
 أحمد بن علي الملياني ؛ ٢٨٤ - ٢٨٦
 أحمد بن علي الحواري السبيي ؛ ٤٦٩
 أحمد بن محمد بن يزيد الحمداني ؛ ١٥٠
 أحمد بن محمد بن أضحى الحمداني ؛ ١٥٠ -
 ١٥٣
 أحمد بن محمد بن سعيد الفائق ؛ ١٦٨ ، ١٦٩
 أحمد بن محمد بن شبيب الكرياني ؛ ٢٧٢ -
 ٢٧٧
 أحمد بن محمد بن طلحة ؛ ٢٣٥ - ٢٣٩
 أحمد بن محمد بن عيسى الأموي ؛ ٢٨٧
 أحمد بن محمد الكوفي ؛ ٢٠٦ - ٢٠٧
 أحمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ؛ ٢٠٥ -
 ٢٠٦

- أبو محمد بن بونة ؛ ٥٠٥
 أبو محمد بن حوط الله ؛ ١٧٤ - ٥٠٣ ، ٣٦٨ ، ٥٠٦
 أبو محمد بن سحنون الغماري ؛ ٢١٠
 أبو محمد بن عبد الصمد النسائي ؛ ٥٠٥
 أبو محمد بن عبد الله العسال ؛ ١٧٠
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٣٦٤
 أبو محمد بن علي ؛ ٢١٢
 أبو محمد بن عطية ؛ ١٩٤
 أبو محمد بن قاسم الحرار ؛ ٢١٣ ، ٢١٤
 أبو محمد بن محمد القضاعي ؛ ١٨٤
 أبو محمد بن يونس ؛ ٣٦٩
 أبو محمد الباهلي ؛ ٢٢٢
 أبو محمد الحجري ؛ ٢١٠
 أبو محمد الحضرمي ؛ ٥٤٩
 أبو محمد السلمي ؛ ٤٨٥
 أبو محمد الشافعي ؛ ٣٤٦
 أبو محمد المرجاني ؛ ٢١٠ ، ٥٥١
 أبو مروان بن سراج ؛ ١٤٧
 أبو موسى الجزولي ؛ ١٩٨
 أبو نصر بن أبي نور اليقيني ؛ ٤٣٦
 أبو نصر صاحب ناكرونا ؛ ٤٣٧
 أبو نصر القرشي ؛ ٢١١
 أبو هلال الموحدلي ؛ ٣١٥ ، ٣١٦
 أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي ؛ ٣١٣
 أبو يحيى بن أبي بكر الحفصي ؛ ٣٤٩
 أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجي ؛ ١٦٥
 أبو يحيى بن أبي يوسف ؛ ٥٥٠
 أبو يحيى الوراق ؛ ٤٤٥
 أبو يزيد البسطامي ؛ ٤٤٢
 أبو يعقوب يوسف ، أنظر يوسف بن عبد المؤمن
 أبو يعقوب يوسف الناصر ؛ ٣١١
 أحمد بن أبي السعادات ؛ ٢١١
 أحمد بن أبي بكر ؛ ٢١١

أحمد بن مروى المروى ١٠٤٤ ، ٥٦٨
 أحمد بن موسى بن يوسف ٣٦٢
 أحمد بن ياسين الحداد ٨٢
 أحمد بن بعلى ٤٧٩
 إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق ٥٢٦
 ٥٢٩
 إدريس بن يعقوب بن يوسف ، المأمون ٣١٢ ،
 ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ،
 ٤١٨
 أرطياس ١٠٣
 أسباط بن جعفر بن سليمان الإليبرى ٤١٨ ،
 ٤١٩
 إسحاق بن المنذر ٤٨٠
 إسحاق بن على بن يوسف ٤٤٧
 أسد بن الفرات المرى ٤٢٢ - ٤٢٣
 أسام بن عبد العزيز بن خالد ٤١٩ - ٤٢٢
 إسماعيل بن أبي البركات ٢١١
 إسماعيل بن إسماعيل بن فرج النصرى ٣٨٠
 إسماعيل بن الأحر ، أبو الوليد ٤٩ ، ٦
 إسماعيل بن باركش الجوهرى ٢١١
 إسماعيل بن سعد السعوى ٣٦٥
 إسماعيل بن تميم ٢١٤
 إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ، أبو الوليد
 ٢٠ ، ٢١ ، ٢١٨ ، ١٤٢ ، ٢٢٣ ،
 ٣٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ -
 ٣٩٧ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٦
 إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن نصر ،
 أبو الوليد ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٧ ، ١٤٣ ،
 ٣٩٨ ، ٤٠٤
 أصبغ بن العباس ، أبو العباس ٨٣
 أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدي ٤٢٨
 الأسمد بن بققا ٢١١
 الأوزاعى ١٣٤
 ألدنش بن جالمش بن بطره (ملك أراجون) ٥٤٠ ،
 ٥٦٤

الفنش بن هراند (ألفونسو العالم) ٥٦٤
 ألدونسو السادس ١٤٨
 ألفونسو ريموندس ٢٧١
 ألنشة بن شانجه بن ألنشة (ألفونسو السالى) ٤
 ٣٨٣
 ألنشة بن هراند بن شانجه (ألفونسو الخادى
 عشر) ٥٣٩
 ألنشة بن يونس بن ألنشة (ألفونسو السالى) ٤
 ٣٨٤
 أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطحالى ٤
 ٤٣٠ - ٤٣١
 أمرو القيس ، ٥٣٣
 أنو شروان ، كسرى ١٢٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٩٤ ، ٣٩٦
 إيسايلا الكاثوليكى ١٤
ب - ت
 باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجى ٤
 ١١٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٤٣٣ - ٤٤٣ ، ٤٥٥ - ٤٥٨ ،
 ٥١٨ - ٥٢٠
 باديس بن منصور بن بلكين بن زيرى ٤
 ٤٣٢ ، ٥١٣ ، ٥١٨ - ٥٢٠
 البحترى ٢١٣ ، ٢٣٦
 البخارى ٢١٢
 بدر ، مولى عبد الرحمن الداخل ٤٤٤ ، ٤٤٥
 بدر الدين البشتكى ١٧
 بروكلهان ، كارل ، المستشرق ٦٩
 بشر بن قطل ٤٨٠
 بطره (دون بيدرو) ٣٨٩
 بطره بن ألنشة بن هراند (بيدرو الثالث) ٥٣١
 بطره بن شانجه (بيدرو الرابع) ٥٣١
 بكر بن بكار ١٦٣
 بكر بن أبى بكر الحضرمى ٤٤٣ - ٤٤٤
 بليج بن بشر القشيرى ١٠٢

الحجاج بن أبي ريحانة المرزبلي ؛ ١٩٧
 حجاج بن العقبلي ؛ ٤٨٠
 الحسن بن أبي الأحوص الغمري ؛ ٢٨٩
 الحسن بن سهل بن مالك الأزدي ؛ ٤٦٤
 الحسن بن علي بن عصفور ؛ ٣٢٧
 حسن بن محمد بن ياصة ؛ ٤٦٨
 حسن بن محمد القيسي ؛ ٤٦٧
 الحسن بن محمد بن علي الأنصاري ؛ ٤٦٩ - ٤٧٢
 الحسن بن محمد الكتبي ؛ ٨٢
 الحسن بن محمد بن مفرج القيسي ؛ ٨٣
 الحسين بن زيد بن أيوب ؛ ٤٥٠
 الحسين بن عتيق بن رشيق التغلبي ؛ ٤٧٢ ،
 ٤٧٥ ، ٤٧٦
 الحسين بن محمد بن يوسف اللوشي ؛ ٥٥٩
 حفصة بنت الحاج الركوني ؛ ٢١٧ ، ٢٢٠ ،
 ٤٨٥ ، ٤٩١ - ٤٩٣
 حكيم بن أحمد بن رجا الأنصاري ؛ ٤٨٣
 الحكيم بن عبد الرحمن ، المستنصر بالله ؛ ٤٧٨ -
 ٤٧٩
 الحكيم بن هشام بن عبد الرحمن ؛ ١٩ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٢
 الحلج ، الحسين بن منصور ؛ ٢١٩ ، ٤٥٩
 حدة بنت زياد المكتوب ؛ ٤٨٩ ، ٤٩٠
 حزة بن يوسف بن إبراهيم ؛ ٨٢
 حنش بن عبد الله الصنعاني ؛ ٩٢
 خالد بن أبي حفص ؛ ٣٨٢
 خالد بن عيسى بن إبراهيم البلوي ؛ ٥٠٠ - ٥٠٢
 خنابمي ملك أراجون ؛ ١٧٥ ، ١٧٨
 الخضر بن أحمد بن أبي المافية ؛ ٤٩٤ - ٥٠٠
 الخطيب البغدادي ، أبو بكر بن ثابت ؛ ٨٢
 خوان ، آمون ؛ ١٥
 خيران العامري ؛ ٩٨ ، ٥١٧ ، ٥١٨
 د - ز
 الدار قطنى ؛ ٢١٢
 داود بن سليمان بن حوط الله ؛ أنظر أبو سليمان
 ابن حوط الله
 الإحاطة - ٣٩

بلكين بن باديس بن جبوس الصنهاجي ؛
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٤٣١ - ٤٣٥ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤٠ ، ٤٥٧ ، ٤٧٧
 بونس بويحيى ، المستشرق ؛ ٥٠ ، ٥١ ، ٦٩
 بيدرو الثاني ؛ ٢٨ ، ٢٩
 تاشفين بن علي ، أبو عامر ؛ ٥٣٠
 تاشفين بن علي يوسف ؛ ٢٦٣ ، ٤٤٦ - ٤٥٣
 التطيلي ، الأعمى ؛ ٦٥
 ترواية بن حزة البغدي ؛ ٣٤٢
 ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح ؛
 ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٢٦٢

- ج -

جاينوس ؛ ٢١٢ ، ٤٠٧
 جايمش بن ألفنش بن بطره ؛ ٥٥١
 جايمش بن بطره ؛ ٣٨٣
 جاينجوس ؛ ٩٠٧ ، ١٢٠ ، ٦٩
 جسيار ديميرو ؛ ٦١
 جعفر بن أحمد بن علي الخراعي ؛ ٤٥٩ - ٤٦١
 جعفر بن عبد الله بن سيد بونه ؛ ٤٦١ - ٤٦٣
 جعفر بن عثمان المصحق ؛ ٢٥
 جعفر بن محمد المستعمرى ؛ ٨٢
 جودي بن عبد الرحمن ؛ ٣٦٨

- ح -

حاتم بن حاتم بن سعيد ؛ ٢١٨ ، ٢٢٠
 حاتم بن سعيد ؛ ٤٨٣ - ٤٨٥ ، ٤٩٣
 حازم القرطاجني ، أبو الحسن ؛ ٢٠١
 حامد بن محمد بن يحيى ؛ ٤٨٠
 حياطة الرومية ؛ ٤١٧
 حياطة بن ماكس بن زيري ؛ ٤٣٢ ، ٤٥٥ ،
 ٤٨٦ ، ٥١٣
 جبوس بن ماكسن بن زيري ؛ ١٤٠ ، ٤٢٦ ،
 ٤٣٢ ، ٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٣
 حبيب بن محمد بن حبيب ؛ ٤٨٧ - ٤٨٩
 الحجاج ؛ ٢١٩

سعيد بن جودي ؛ ٤١٨
 سجد بن حسان ؛ ٤٨٠
 سعيد بن الخطيب ؛ ٢٠
 السعيد بن عبد العزيز المريسي ؛ ٤١ ، ٤٢ ، ٥٧
 السعيد الموحدي ؛ ٣١٣ ، ٣١٤
 سلمون بن علي بن سلمون ؛ ٤٠٣
 سليمان بن الحكم بن الناصر ؛ ٩٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥
 سليمان بن داود ؛ ٤٢ ، ٤٣
 سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ؛ ٤٨١
 سليمان بن عيسى الناشي ، أبو مروان ؛ ٤٢٨
 سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ١٢٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٧
 سبيويه ؛ ١٦٤
 سير بن علي بن يوسف ؛ ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣
 سيكودي لوثينا ، المستشرق ؛ ١٣٢ ، ٣٠١
 سيمونيت ، المستشرق ؛ ٥١ ، ٦١ ، ٩١
 ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٣٢
 شانجه بن أدفنش ؛ ٥٦١ ، ٥٦٤
 الشريف الرضي ؛ ٦٥ ، ٢١٥
 شعيب بن الحسين ، أبو مدين ؛ ٤٦٢
 شمس الدين بن جابر الوادي آشي ؛ ٢١
 شمس الدين السخاوي ؛ أنظر السخاوي
 شيرويه بن شهر دار ، أبو شعجاع ؛ ٨٢
 ص — ظ
 الصابي ؛ ٦٥
 صاعد بن أحمد ؛ ٩٤
 صالح بن شريف ؛ ٤٧٦
 صالح بن يحيى الأنصاري ؛ ٥٠٤
 صخرين أبان ؛ ١٣٠
 الصبدلاني ، محمد بن نصر ؛ ٢١٠
 طارق بن زياد ؛ ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢١٦
 الطاعون الجارف ، أنظر الوباه الكبير
 طريف بن مالك ؛ ٣٧٤

الدليل الموروري ، ٥٢٤
 دياسقوريدس ؛ ٢١٢
 ديرنيور ؛ ١٣ ، ١٤ ، ٨
 ذنوفة (نونودي لارا) ؛ ٥٦٥
 الرازي ، أحمد بن محمد بن موسى ؛ ٩٧
 ريرا ، المستشرق ؛ ١٠٠
 الربيع بن سليمان المؤذن ؛ ٤٢٠
 ربيع بن محمد الأشعري ؛ ٢٨٩
 رسلان المسدي ؛ ٢١١
 الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد ؛ ٤١٦ ، ٤١٧
 الرشيد العباسي ؛ ٦٣
 رضوان النصرى ، الحاجب ؛ ٧ ، ٢٢ ، ٢٣
 ٢٤ ، ٤٦ ، ٣٢٤ ، ٣٩٩ ، ٥٠٦
 ٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٦
 زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي ؛ ٤٣٢ ، ٤٧٧
 ٤٨٦ ، ٥١٣ ، ٥١٧
 الزبير بن عمر ، أبو طلحة ؛ ١٤١
 الزبير بن عمر اللثوني ؛ ٤٥٠
 زخرف ، أم عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٤٧٩
 زكريا بن أبي حفص اللحياني ؛ ٣٨٢
 زهير العامري ؛ ٢٦٠ ، ٤٣٦ ، ٤٥٨ ، ٥١٧
 ٥٢٠
 زيادة الله الأغلب ؛ ٤٢٣
 زيان بن أبي عبد الرحمن بن علي ، ٥٣٠
 زيان بن سعد بن مردنيش ، أبو جميل ؛ ١٧٥ ، ٣١٤
 زيولد ، المستشرق ؛ ٥٦
 زيري بن مناد الصنهاجي ؛ ٤٣١
 زينب بنت زياد المكتب ؛ ٤٩٠
 زينب بنت علي بن يوسف ؛ ٢٦٥
 س — ش
 سارة القوطية ؛ ١٠٠
 سحنون بن سعيد ؛ ٤٢٣
 السخاوي ، شمس الدين ؛ ٤٨
 السعيد بن المأمون ، علي أبو الحسن ؛ ٤١٦

٤٠ - ٤٢ ، ٦٨

- عبد العزيز الفشتالي ؛ ٦٦
عبد العزيز الكيتوري ، أبو الأصبح ؛ ٢١٤
عبد الغافر بن إسماعيل ؛ ٨١
عبد الكريم الربيعي ، أبو محمد ؛ ٢١٠
عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ؛ ٤٨٠
عبد الكريم بن محمد السمعاني ؛ ٨٢
عبد الله بن إبراهيم بن أبي العباس ؛ ٨٣
عبد الله بن أبي القاسم العزقي ؛ ٥٥٢
عبد الله بن أحمد الأطللس ؛ ٣٦٥
عبد الله بن أحمد الحمداني ؛ ١٩٥
عبد الله بن بلكين بن باديس ؛ ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٤٩
عبد الله بن الخطيب (الأب) ؛ ٢٠ - ٢١
عبد الله بن الخطيب (الأبن) ؛ ٥٢ ، ٦٥ ،
٢٢٨ ، ٣٢١
عبد الله بن العواد ؛ ١٧٠
عبد الله بن حسين الكوآب ؛ ٤٦٤
عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر ؛ ٢١٥
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ؛ ١١١
عبد الله السوسي ، أنظر محمد بن قومرت
عبد المنعم بن الضحاك ؛ ١٩٦
عبد المنعم بن الفرس ؛ ٢١٠ ، ٥٠٥
عبد المؤمن بن علي ؛ ١٤١ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ،
٢٦٤ - ٢٦٧ ، ٣١٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ،
٤١٨ ، ٤٥٣
عبد الواحد بن يعقوب بن عبد المؤمن ؛ ١٤
عثمان بن أبي العلاء ، شيخ الفزاة ؛ ٥٣٥
عثمان بن أبي العلاء ، أبو سعيد ؛ ٣٨١
عثمان بن أبي يحيى ؛ ٢٩
عثمان بن أبي يوسف بن عبد الحق ؛ ٣٨٢ ، ٥٣٨
عثمان بن ندر اللمتوفى ؛ ١٤١
عثمان بن عفان ؛ ٣٩٦ ، ٤١٩ ، ٤٣٢
عثمان بن يغمراسن ، أبو سعيد ؛ ٥٥٠

الطغفري ؛ ١٢٩ ، ١٦١

طلحة بن عبد العزيز البطلبيوسي ؛ ٥١٩ - ٥٢٢
ظفر بن محمد ؛ ٢١٠

ع - غ

- العادل بن يعقوب الموحدى ؛ ٤١١
عاصم بن عبد الله الجعلى ؛ ١٦٣
العالي ، إدريس بن يحيى ؛ ٤٣٥
عامر بن عبد الله بن يوسف ، أبو ثابت ؛ ٥٥٠
العباس بن عبد الله ؛ ٤٨٠
عباس بن ناصح الجزيري ؛ ٤٨١
عبد الأعلى بن موسى بن نصير ؛ ١٠١
عبد الحق بن عثمان ؛ ٣٨٧
عبد الحق بن عطية ، أبو محمد ؛ ٥٢٩
عبد الحق بن عطية المحاربي ؛ ٤٠٣
عبد الحميد الكاتب ؛ ٣٣٨
عبد الرحمن بن أحمد بن نواس ؛ ٨٢
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ؛ ٤٧٩
عبد الرحمن بن المبارك ؛ ٢١٠
عبد الرحمن بن بقر ؛ ٣٦٤
عبد الرحمن بن عبد الملك ؛ ٤٨٤
عبد الرحمن بن عثمان ، أبو ثاشفين ؛ ٥٥٠
عبد الرحمن بن عوف ؛ ٤٨٥
عبد الرحمن بن محمد الأردسي ؛ ٨٢
عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسي ؛ ٢٤١
عبد الرحمن معاوية الداخل ؛ ٤١٩ ، ٤٤٤ ،
٤٤٥
عبد الرحمن بن ملجم ؛ ٣٩٦
عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن ؛ ٥٣٩
عبد الرحمن المتوكل ، أبو زيد ؛ ٥٩
عبد الرحمن الناصر ؛ ٩٢ ، ١٥١ ، ٢١٢ ،
٤٢٠ ، ٤٢١
عبد الصمد بن سعيد القاضي ؛ ٨٢
عبد العزيز بن أبي الحسن المريبي ؛ ٣٣ ، ٣٥ ،

الغزيرى ، ميخائيل ؛ ١٣ ، ١٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٦١

الغنى بالله ؛ أنظر محمد بن يوسف بن إسماعيل

ف — ل

فاطمة بنت أبي عبد الله ، الأميرة ؛ ٣٧٨ ، ٣٧٩

الفتح بن خاقان ؛ ٤ ، ٤٣٦ ، ٥٢١

فخر الدين الرازى ؛ ١٧٨

فرج بن إسماعيل ، أبو سعيد ؛ ٣٨٤ ، ٣٩٣

فرج بن إسماعيل بن فرج النصرى ؛ ٣٨٠

الفرج بن كنانة ؛ ٤٨٠

فرناندو الكاثوليكي ؛ ١٤

فستفلد ، المستشرق ؛ ٥٩

فضل بن فضيلة ، أبو الحسن ؛ ٢٨٩

فطيس بن سليمان ؛ ٤٨٠

فيروز ، أبو لؤلؤة ؛ ٣٩٦

فيروز بن سعد ، فناخسرو ؛ ٢١٠

قضاء الجماعة ؛ ١٥٤

القومس ؛ ١٠٣

القونجى ؛ ٨٣

قيس بن إسماعيل بن يوسف ؛ ٤٠٢

كعب بن مالك ؛ ١٨٨

كوديرا ، المستشرق ؛ ٧ ، ١٢

كونالث بالنسيا ، المستشرق ؛ ٧ ، ١٢

ليبد ؛ ٣٣٨

لذريق (ردريك) ملك القوط ؛ ١٠٠

— م —

الماسى ، محمد بن هود ؛ ٢٦٣ ، ٢٦٤

ماكسن بن ماكسن الصنهاجى ؛ ٤٣٢ ، ٥١٣

مالك ، الإمام ؛ ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٤٢٣

مالك بن المرحل ، أبو الحكم ؛ ٣٢٨ ، ٤١٢ ،

٤٧٥

عثمان بن يغمراس بن زيان ؛ ٥٦٣

عزيز بن علي الدافى ؛ ٥٤٨ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩

عطاف بن يزيد ؛ ٤٨٠

عطية بن خالد الحاربي ؛ ١٢٧

علي بن أبي طالب ؛ ٣٩٦

علي بن الخطيب (الإبن) ؛ ٣١ ، ٥٢

علي بن الطيب الخلافى ؛ ٨٢

علي بن حمود ؛ ٢٣٣

علي بن عبد العزيز ؛ ٤٢٠

علي بن عبد المجيد ؛ ٤١٠

علي بن عبد الله بن المغرباني ؛ ٣٦٩

علي بن عمر بن عطية ؛ ٣٦٩

علي بن محمد بن أبي العيش المرى ؛ ٢٤٠

علي بن محمد بن الصايغ ؛ ١٥٥

علي بن محمد اليزيدى ؛ ٢١٠

علي بن مسعود الحاربي ؛ ٣٧٣ ، ٣٨٠

علي بن يوسف بن قاشفين ؛ ١١٣ ، ١٤٠ ،

٢٦٣ ، ٤٠٤ - ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٤٦ ،

٤٤٧

علي الوهيبى ؛ ٢٦٥

العماد الإصبهاني ؛ ١٧٨ ، ٥٠٠

عمر بن أبي زكريا بن عبد الواحد ؛ ٥٦٤

عمر بن الخطاب ؛ ٣٤٩ ، ٣٩٦

عمر بن بشر ؛ ٤٨٠

عمر بن عبد الله ؛ ٢٨ ، ٣٠٩

عمر بن علي بن الحاج ؛ ٤٥٢

عمر بن يعقوب الهنتافى ؛ ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣١١

عمرو بن عبد الله بن عسكلاحة ؛ ١٦٦

عياض بن موسى بن عياض ؛ ٨٣ ، ١٨٤ ،

٢٨٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣

غالب بن حسين بن سيد بونة ؛ ٤٦٣

الغافق ، الطيب ؛ ٢١٢

الغافق الملاحى ؛ أنظر محمد بن عبد الواحد

محمد بن عبد العزيز القصار ؛ ٨٢
 محمد بن عبد الواحد الغافق الملاحى ؛ ٨٣ ،
 ٨٥ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٧٠ ، ٢١٥ ،
 ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٦٧ ، ٤٨٥ ، ٤٩٠ ،
 ٤٩١ ، ٥١٨
 محمد بن علي الحسنى السبى ؛ ٢١
 محمد بن علي بن مسعود ؛ ٥٢٨
 محمد بن علي بن نصر ، أبو عبد الله ، آخر ملوك
 الأندلس ؛ ١٥٨
 محمد بن قاسم ؛ ٤٢٠
 محمد بن محمد بن جابر السقطى ؛ ٢١٤
 محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٤١
 محمد بن محمد بن عراق الغافق ؛ ٥٠٤
 محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ؛
 ١٥٦ ، ٣٢٤ ، ٥٤٤ ، ٥٥٩
 محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ؛ ٣١٦ ، ٧٠ ،
 ٣٢٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٥
 محمد بن محمد الزاهد ؛ ٣٢٧
 محمد بن هشام الألبى ؛ ٥٤٩ ، ٥٦٠
 محمد بن وليد ؛ ٤٢١
 محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ؛ ١٥٥ ، ٢٨٩
 محمد بن يحيى الحلبي ؛ ٤٦٤
 محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل
 ابن نصر ، الغنى بالله ؛ ٦ ، ٧ ، ١٣ ،
 ٢٣ - ٢٦ ، ٢٨ - ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٧ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٢ ،
 ٧٠ ، ١٤٣ ، ٢٧٧ ، ٥٣١
 محمد البطروجى ؛ ٣٩٨
 المرتضى خليفة الأندلس ؛ ٤٧٧ ، ٥١٤ ،
 ٥١٦ ، ٥١٥
 مروان بن عبد العزيز ؛ ٢٦٥
 المستنصر بالله الخلفى ؛ ١٧٦ ، ٢٠١ ،
 ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٥٦٣

مالك النجشى ؛ ٤٨٧
 المنبى ، أبو الطيب ؛ ٨٤ ، ٢٣٦ ، ٣٠٠ ،
 ٣٤٥
 المتوكل بن الأفلح ؛ ٥٢١
 مجاهد العامرى ؛ ٢٦٣
 محمد بن إبراهيم بن مفرج الأوسى ؛ ١٥٥ ،
 ١٦٥
 محمد بن أبي الحسن المرينى ؛ ٣٠٦ ، ٣٠٥
 محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ؛ ٤٧ ،
 ٣٨٠ ، ٤٠٢ ، ٥٢٧
 محمد بن أبي الوليد بن نصر ؛ ٥١٠
 محمد بن أحمد بن سليمان ؛ ٨١
 محمد بن أحمد بن مرعيان ؛ ١٣١
 محمد بن إسحاق ؛ ٢١٢
 محمد بن إسماعيل ، الرئيس ؛ ٣٩٩
 محمد بن إسماعيل ، صاحب الجزيرة ؛ ٣٩٢
 محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ؛
 ١٤٢ ، ٢٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ، ٥٢٣ - ٥٣٢ ،
 محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ؛
 ٢٨ ، ٤٧ ، ٥٣٢ - ٥٤٤
 محمد بن الأهر الكبير ، مؤسس ملكة غرناطة ؛
 ٤ ، ٣٧٧
 محمد بن الخطيب (الأبن) ؛ ٥٢
 محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر ؛ ٥٥١
 محمد بن أيوب ؛ ١٨١
 محمد بن تليد ؛ ٤٨٠
 محمد بن تومرت ، المهدي ؛ ١٣٧ ، ١٤١ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٤٠٩ - ٤١١ ، ٤١٧ ،
 ٤٥٤
 محمد بن جابر الوادى آشى ؛ ٢٤١
 محمد بن سعيد القشبرى ؛ ٨٢
 محمد بن عبد الجبار ، المهدي ؛ ٥١٣
 محمد بن عبد الحكم ؛ ٤٢٠
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٩٢

— ن —

- الناسي ، أبو الحسن علي بن عبد الله ؛ ٦ ،
٤٢ ، ٣٧ ، ٣٣ ، ٣١
الناسي ، الحسن بن محمد ؛ ٤٦٥ - ٤٦٧
نزهون بنت القلاعي ؛ ٤٢٤ - ٤٢٦
نصر بن أبي الفرج الحضرمي ؛ ٣٦٩
نصر بن أبي الفرج الحضرمي ؛ ٢١١
نصر بن محمد بن محمد ، أبو الجيوش ؛ ١٤٢ ،
٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ،
٥٥٨ ، ٥٦٤
نصير (الفتي) ؛ ٣١٧
نونيودي لارا ؛ أنظر ذنونه
نييتو ، مورينو ، المستشرق ؛ ٥٠

— ه —

- هاثيل بن محمد الحلبي ؛ ١٩٥
هراندة بن ألفنش بن شانجه ؛ ٥٦٤
هراندة بن شانجه بن ألنشة ؛ ٣٨٣ ، ٥٥١ ، ٥٦٤
هشام بن عبد الرحمن ؛ ٤١٩
الوائق بن المستنصر ؛ ٣١٤ ، ٥٦٣
الوباء الكبير ؛ ٢٢ ، ٦٨ ، ١٧٣
وتيزا ملك القوط ؛ ١٠٠
وضيع بن جراح ؛ ١٦٣
ولادة بنت المستكفي ؛ ٤٣٠
الوليد بن عبد الملك ؛ ١٠١

— ي —

- يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم ؛ ١٤١
يحيى بن أبي زكريا ؛ ١٧٦
يحيى بن الناصر الموحدى ؛ ٤١١ ، ٤١٧
يحيى بن حلدون ؛ ١٣
يحيى بن عبد الرحمن ، أبو عامر ؛ ١٦٥

- المستنصر بالله الموحدى ؛ ٣١٢ ، ٣١٤
مسعود بن أبي بكر بن مسعود ؛ ٥٣٨
مسعود بن محمد المنيفي ؛ ٢١٠
مسلم ، الإمام ؛ ٢١٢
مصعب بن عمران ؛ ٤٨٠
مطرف بن عيسى النسافي ؛ ٣٢٠
المظفر بن أبي عامر ؛ عبد الملك ؛ ٤٣٢ ،
٤٥٥ ، ٥١٣
معاوية بن هشام ؛ ١٠١
المعري ، أبو العلاء ؛ ٤٢٤
المعز بن باديس ؛ ٥١٧
مغيث الرومي ؛ ١٠١
المغيرة بن شعبة ؛ ٢٦٨
المقتدر العباسي ؛ ٢١٩
المقري ، أحمد بن محمد ، شهاب الدين ؛ ٦ ،
٨ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٨
الملاحى ؛ أنظر محمد بن عبد الواحد النافق
المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٥ ، ٤٦٦ ، ٤٩٣ ، ٥١٧
متصور بن سليمان بن منصور ؛ ٨٣ ، ٣٠٧
متصور بن عبد الملك الصاعدى ؛ ٢١٠
المهدى ، أنظر محمد بن تومرت
مهيار الديلمي ؛ ٦٥ ، ٢١٥
موسى بن حبيب ، أبو عمران ؛ ٣٦٤
موسى بن عثمان بن يغمراسن ؛ ٣٨٢ ، ٥٥٠
موسى بن غدرون ؛ ٤٦٦
موسى بن نصير ؛ ١٠٠ ، ١٠٢
موسى بن يوسف بن يغمراسن ؛ ٥٣١
مولاي الزغل ؛ ١٠٩
مولاي زيدان ؛ ١٣
ميللر ، مركوس ، المستشرق ؛ ٦٢
ميمون بن ياسين ؛ ٣٦٤
أم المؤمنين ؛ ١٦٣

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ، ٦٠
 أبو الحجاج ؛ ٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٩ ،
 ٦١ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ٢٤٤ ،
 ٣٧٨ - ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٥١١ ، ٥٤١ ، ٥٦٦ ،
 يوسف بن تاشفين ؛ ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٤٠ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩
 يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ؛ ٤٤٥
 يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أبو يعقوب ؛
 ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٣٠١ ، ٤٧٤ ،
 ٤٩٣
 يوسف بن موسى الفهاري ؛ ٣٢٧
 يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق ؛ ٥٥٠

يحيى بن عبد الرحمن الجبريطي ؛ ٥٠٤
 يحيى بن عمر بن عبد الله ؛ ٤٠٣ ، ٥٢٩ ،
 يحيى بن مسعود ، أبو بكر ؛ ٣٨١
 يدير بن حباصة ؛ ٤٥٥ - ٤٥٧
 يربوع بن عبد الجليل ؛ ١٢٧
 يربوع بن عبد الملك بن حبيب ؛ ١٢٧
 يزيد بن الحميري ؛ ١٦٣
 يزيد بن يزيد ، أبو خالد ؛ ١٨٤
 يعقوب بن الدر اس ؛ ٢٧٣
 يعقوب المنصور الموحدى ، أبو يوسف ؛ ١٨٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف المنصور ؛ ٥٥٠ ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥
 يفسران بن زيان بن ثابت ؛ ٥٦٣
 يليان الرومى ؛ ١٠٠

« تمل طبع الطبعة الثانية من المجلد الأول من كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة »
 بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر بمدينة القاهرة المعزية فى يوم ٢٠ من رمضان
 المعظم سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ليوم ١٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ »

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. I

Second and Revised Edition

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1973

الخطبة
في أخبار غزاتنا

لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حقق لصفه ووضع مقلته وحواشيه

محمد عبد الله عيناين

المجلد الثاني

الناشر مكتبة النخعي بالناصرة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1974

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » تقدمه إلى القراء والباحثين ، بعد أن تم بحمد الله ، تحقيقه ، وتزويده بمختلف الحواشي التفسيرية ، وبعد أن تم كذلك لإخراج الطبعة الثانية من المجلد الأول ، من هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

ونود أن نبدأ هنا بالإشارة إلى بعض حقائق تتعلق بالأصول المخطوطة ، التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » ، فقد رجعنا في ذلك إلى الأصول الآتية :

أولاً - مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد (مخطوط العلامة جاينجوس) المحفوظ بها برقم CXLII .

ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم 8135

ثالثاً - مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال

برقم ١٦٦٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

رابعاً - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم 1840

وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس ، حسبنا فعلنا بالنسبة للمجلد الأول ، أساساً ، لتدوين نص المجلد الثاني ومقارنته . والواقع أنه لا يوجد بين هذه الأصول المخطوطة ، ما يتضمن المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بصورة مستقلة ، سوى مخطوط جامع الزيتونة ، الذي يقدم إلينا كتاب الإحاطة في ثلاثة أجزاء متتالية ، والذي يوصف خطأ ، بأنه هو النسخة الوحيدة الكاملة من الإحاطة في العالم . وقد سبق أن وصفنا هذا المخطوط وخصائصه وأحجام أجزائه بإفاضة ، في مقدمة المجلد

الأول . وبيننا بوضوح ما يعتوره من ضرورب النقص والتصحيح ، وكيف أن القول بأنه هو النسخة الكاملة الوحيدة من الإحاطة ، لا يطابق الواقع ، فلا حاجة بنا هنا إلى التكرار .

هذا ، وقد سلكتنا في تنظيم محتويات هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » وتبويبه مسلكاً جديداً ، راعينا فيه نظام « الأسفار » التي جعلها ابن الخطيب أساساً لتبويب كتابه ، ومن ثم فإننا لم نتخذ مخطوط جامع الزيتونة ، بالرغم من وصفه المتقدم ، أساساً وحيداً لتصنيف هذا المجلد الثاني من الإحاطة . ذلك أن الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، يتضمن عقب نهاية ترجمة (محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي) ابن زمرك - الإشارة الآتية :
(انتهى السفر السادس هنا ، والحمد لله رب العالمين)

ويتضمن مخطوط جاينجوس ، عقب ترجمة محمد بن يوسف الصريحي - ابن زمرك المذكور - نفس هذه العبارة .

ويتضمن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ، رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، في رأس صفحة العنوان العبارة الآتية :

(تملك هذا السفر الثاني من مختصر الإحاطة .. بن جعفر بن محمد القيت لطف الله بهم ونفعهم) .

ومن الواضح أن « السفر الثاني » يقصد بها هنا « الجزء الثاني » . ذلك لأنه قد وردت في الصفحة التالية في بداية المخطوط هذه الإشارة :

(ومن السفر السابع المفتتح بقوله : ومن الطارين منهم في هذا الباب) .
وإذا فإن مخطوط الإسكوريال ، يبدأ وفقاً لترتيب نظام الأسفار الذي اتخذ أساساً لتبويب كتاب « الإحاطة » ، عقب انتهاء السفر السادس من المخطوطين السابقين ، مخطوط الزيتونة ، ومخطوط جاينجوس ، بالسفر السابع . وعلى ذلك وبعد دراسة مقارنة عميقة ، لمختلف المخطوطات التي بين أيدينا ، رأينا أن نتخذ نظام الأسفار قاعدة لتبويب « الإحاطة » ، وأن نبدأ بعد نهاية السفر السادس من مخطوطي الزيتونة وجاينجوس ، في تدوين تراجم السفر السابع الذي يفتح به مخطوط الإسكوريال .

ويجب أن نعلم بهذه المناسبة ، أن كتاب «الإحاطة» يشغل وفقاً لنظام الأسفار المشار إليه ، والذي اتخذ المؤلف قاعدة لتقسيمه وتبويبه ، إثني عشر سفراً ، يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار ، من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر ، ويلى هذا السفر الأخير ، ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه . وهذه الأسفار فيما يبدو — عدا السفر الأخير — متقاربة الأحجام ، يحتوى كل منها على نحو أربعين ترجمة ، وهذا عدا السفر الأخير الذى يضم ثمان تراجم فقط . ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال يمثل بحجمه وعدد أسفاره ، نصف المؤلف الأصلي ، وتكون نسخة الإسكوريال هذه ، مكونة من جزئين كبيرين ، وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثانى ، الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثانى) من مختصر الإحاطة ، وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التى استولى عليها الإسبان فى عرض البحر فى أوائل القرن السابع عشر ، وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال ، وذلك حسبما فصلناه فى مقدمة المجلد الأول .

هذا وقد رأينا أن نفتح المجلد الثانى ، بترجمة السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجى (السلطان محمد الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب . هذا فى حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان ، يرد فى نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فى اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص ٣٠٦ — ٣٣٥) . ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى) ثانى الملوك النصريين .

وقد أحصينا التراجم التى وردت بالمجلد الثانى من مخطوط الزيتونة عقب الانتهاء من (السفر السادس) حتى نهايته ، فوجدناها سبعا وأربعين ترجمة ، تبدأ بترجمة (محمد بن أحمد بن عبد الله الإستجى) وتنتهى بترجمة (محمد بن على بن عبد الله اللخمى) وهى آخر التراجم الواردة بالمجلد المذكور ، وكلها من حرف الميم (المحمدون) . ووجدنا بالمراجعة الدقيقة أنه قد ورد منها فى مخطوط الإسكوريال سبع وثلاثون ترجمة ، وردت متباعدة تتخللها تراجم كثيرة أخرى من (المحمدين) أيضاً ، وتنتهى بترجمة ، محمد بن على بن عبد الله اللخمى فى اللوحة رقم 146 .

ونود أن ننوه بأنه إلى جانب البواعث النظامية والفنية ، التي حملتنا على انتهاج هذه الخطة ، توجد ثمة بواعث علمية هامة ، تتلخص في أن مخطوط الإسكوريال ، يتناول كثيراً من التراجم المذكورة بتوسع وإفاضة ، ويقرنها بكثير من مختارات المنظوم والمنثور ، التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ومنها تراجم كثيرة لشخصيات أدبية بارزة ، أمثال ابن الحداد الوادى آشى ، وابن مرج الكحل ، وابن الجنان ، وابن أبي الحصال ، وذى الوزارتين ابن الحكيم ، وابن طفيل ، ومحمد بن عبد العزيز التجيبي البرشاني ، وابن قزمان ، وابن القصيرة ، وابن خميس الحجري ، وابن جزى ، وغيرهم . وقد وردت معظم هذه التراجم في مخطوط الزيتونة في نصوص موجزة ، ينقصها الكثير من مختارات الشعر والنثر ، التي يوردها مخطوط الإسكوريال ، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بأن مخطوط الإسكوريال ، هو أقرب المخطوطات التي انتهت إلينا ، إلى نص كتاب الإحاطة المطول ، وهذا بالرغم من كونه يوصف في صفحة العنوان ، وفي نهايته بأنه «مختصر الإحاطة» . وهذا كله إلى أن نص مخطوط الإسكوريال ، يمتاز بسلامته ، وخلوه من كثير من الأخطاء وضروب التصحيف ، التي ترد خلال نص مخطوط جامع الزيتونة .

وهناك إلى جانب ما تقدم فارق التاريخ . ذلك أن مخطوط الإسكوريال قد نص في نهايته ، على أنه قد تم نسخه في أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، وذلك بمدينة غرناطة ، هذا في حين أن مخطوط الزيتونة قد تم نسخه حسبما ورد في نهاية الجزء الثالث منه ، في شهر جمادى الثانية عام 1273 ، فهو إذن مخطوط حديث . وميزة القدم بالنسبة لمخطوط الإسكوريال ، وكونه قد كتب في غرناطة موطن مؤلف « الإحاطة » ، وبعد وفاته بنحو قرن وربع فقط ، تسبغ عليه أهمية خاصة ، من حيث الاطمئنان إلى سلامة النص ، وإلى أنه قد نقل من أصول معتبرة يعول عليها .

ولسنا بحاجة إلى أن نعيد هنا شيئاً مما ورد في مقدمتنا للمجلد الأول ، من البيانات والشروح عن كتاب « الإحاطة » ، وعن مصادره وتاريخ تأليفه ، أو عن مؤلفه ابن الخطيب ، وعن حياته ، وخلالها الفكرية والأدبية الالامعة ، فكل ذلك قد استوفيناه في مقدمتنا بإفاضة ، يرجع إليها في المجلد الأول .

ويحتوى المجلد الثانى من كتاب « الإحاطة » على إحدى وثمانين ترجمة ، ويضم طائفة من الرسائل الهامة ، التى دمجها ابن الخطيب بلسان سلطانه ، فى الحث على الجهاد ، وجمع كلمة الأمة فى الذود عن الدين والوطن ، كما يضم طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس ، مثل المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق ، والمنصور بن أبى عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير ، مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغنى بالله ، سلطان ابن الخطيب . ومن أكابر الكتاب والأدباء والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك ، وابن مرج الكحل ، وابن شلبطور ، وابن أبى الحصال ، وأبى عبد الله بن الحكيم ، وابن غالب الرصافى ، وأبى بكر بن القصيرة ، وابن قرمان ، وابن خميس الحجري ، وغير هؤلاء وهؤلاء .

وتتضمن هذه التراجم كثيرا من الحقائق والتفاصيل التاريخية والأدبية الهامة . هذا فضلا عما تقرن به من مختار المنشور والمنظوم .

وقد عينا فى هذا المجلد أسوة بالمجلد الأول ، بشرح وتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، فى حواشئ خاصة ، وربما حدث خلال ذلك بعض تكرار فى التعريف بأعلام أو بلاد سبق التعريف بها فى المجلد الأول . ولكن ذلك لا ينتقص من أهميتها ، لأنها فى مكانها أقرب إلى التناول والإفادة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلد الثانى من « الإحاطة » سوف يصدر بعون الله ، فى ربيع أو صيف هذا العام — سنة ١٩٧٤ . وتوافق هذه السنة الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، وتقع هذه الذكرى فى خريف العام المذكور . وقد أشرنا فى ختام مقدمة المجلد الأول ، إلى أهمية إحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها ، وأهنا بالدوائر العلمية والأدبية فى مختلف البلاد العربية ، ولاسيما المغرب ، الذى قضى فيه ابن الخطيب أخصب فترات حياته ، ومازال يثوى الثواء الأخير بأرضه ، أن تقوم بتنظيم الاحتفاء بهذه الذكرى العلمية الجليلة ، وقد علمنا مع الغبطة أن الحكومة المغربية . تعنى الآن بالعمل لإحياء هذه الذكرى فى موعدها . ونحن نرجو لها من الله العون والتوفيق فى تحقيق هذه الأمنية النبيلة .

محمد عبد الله عنان

القاهرة فى غرة المحرم سنة ١٣٩٤
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٧٤

رموز المخطوطات

وأينا وفقاً لما تم في المجلد الأول ، أن نرّمز إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط أكاديمية التاريخ بمسريد (مخطوط جاينجوس) بحرف «ج» .
- ٢ - مخطوط جامع الزيتونة بتونس بكلمة « الزيتونة » .
- ٣ - مخطوط الخزانة للملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .
- ٤ - مخطوط مكتبة الإسكوريال بكلمة « الإسكوريال » .
- ٥ - وجرىنا في التعبير عن مخطوطي جاينجوس والزيتونة ، بكلمة « المخطوطين » .
- ٦ - وفي التعبير عن جاينجوس والزيتونة والملكية « بالمخطوطات الثلاثة » .

Handwritten Arabic text in two columns, likely a manuscript page. The text is dense and appears to be a historical or scientific document. The right column contains a large heading or title in bold script, followed by several lines of text. The left column continues the text, with some lines starting with 'و' (and) or 'ف' (so). The handwriting is in a traditional Maghrebi or Andalusian style.

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page area. There are some larger, possibly decorative or section-opening words visible, such as "بسم الله الرحمن الرحيم" (In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful) at the top left. The script is a traditional form of Arabic calligraphy, possibly Maghrebi or Maghribi style. The page shows signs of age and wear, with some darkening and fading of the ink.

صفحة من القسم الثاني من كتاب (الإحاطة) من مخطوط الإسكودريال رقم ١٦٧٣ دير القبط بكنية دير الإسكودريال

الإحاطة
في أخبار غرناطة

—
المجلد الثاني

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج
ابن يوسف بن نصر الخزرجي^(١)

أميرُ المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدرُ الصدور ، وعلمُ الأعلام ، وخليفةُ
الله ، وعمادُ الإسلام ، وقدوةُ هذا البيت الأصيل ، ونيرُ هذا البيت الكريم ،
ولُبابُ هذا المجدِ العظيم ، ومعنى السكّال ، وصورَةُ الفضل ، وعنوانُ السعدِ ،
وطائرُ اليمن ، ومحوّلُ الصُّنع ، الذي لا تبلغ الأوصاف مده ، ولا تُوفى العبارة
حقه ، ولا يجرى النظم [والنثر]^(٢) في ميدان ثنائه ، ولا تنتهي المدائحُ إلى
عليائه .

أوليتيه

أشهرُ من إمتاع الضحى ، مستوليةٌ على المدا ، بالغةٌ بالسعة بالانتساب^(٣) إلى
معد بن عبادة عنان السماء ، مُبتجحةٌ^(٤) في جهاد العدا ، بحالة من ملك جزيرة
الأندلس ، وحسبك بها ، وهي بها في أمّنى^(٥) المزّين والحلى ، وقدماً فيه بحسب
لمن سمع ورأى .

(١) وردت في الزيتونة إزاء اسم هذا السلطان العبارة الآتية في الهامش الأيسر (ترجمة
سلطان المصنف) . هذا وقد وردت بداية هذه الترجمة في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، فرأينا
أن نبدأ منها بالمراجعة عليه .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٣) هذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (على الانتساب) .

(٤) هكذا في «ج» و «الملكية» من ابتجح ، أى اقتخر وتباهى .

(٥) في الملكية ، والزيتونة ، أبهى .

حاله

هذا السلطان أيمنُ أهلِ بيته نقيبةً ، وأسعدُهم ميلاداً وولايةً ، قد جمع الله له بين حُسن الصورة ، واستقامة البنية ، واعتدالِ الخلق ، وصحة الفكر ، وثقوبِ الذهن ، ونفوذِ الإدراك . ولطافةِ المسائل ، وحُسنِ التأني ؛ [وجمع له من الظرف]^(١) ما لم يُجمع لغيره ، إلى الخِلم ، والأناة اللذين يُجبهما^(٢) الله ، وسلامةِ الصدر ، التي هي من علامة الإيمان ، ورقةِ الحاشية ، وسُرعةِ العبرة ، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة ، إلى ضخامة التَّجِد ، واستجادةِ الآلات ، والكلف بالجهد ، وثباتِ القَدَم ، وقوةِ الجَأَش ، ومشهورِ البَسالة ، وإيثارِ الرِّفق ، وتوخِّي السَّداد ، ونجحِ المحاولة . زادهُ الله من فضله ، وأبقى أمره في ولده ، وأمتعَ المُسلمين بعمره . ساقى الله [إليه] المَلِك طواعيةً واختياراً ، إثر صلاة عيد الفِطر على بِنْتِ^(٣) وفاةِ المُقدَّس أبيه ، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة ، لمخايل الخير ، ومزينةِ السِّن ، ومظنَّةِ البرِّكة ، وهو يافعٌ ، قريبُ العهد بالمرَاهمة ، فأنبتهُ الله التِّبَاتِ الحَسَن ، وسَدَل^(٤) به السُّترَ ، وسَوَّغَ العافية ، وهنأَ العَيْشَ ؛ فلم تشحُّ في مدته السماء ، ولا تَكَلِّب^(٥) الأعداء ، ولا تبدَّلت الألقاب ، ولا عُونِيت الشدائد ، ولا عُرِف الخوف ، ولا فُورِق الخِصْب ، إلى أن كانت عليه الحادثةُ ، ونابهُ التَّمحيص ، الذي أ كسبه الخِصْكة ، وأفاده العِبرة ، فشهد بعنايةِ الله في كَفِّ الأيْدِي العادية ، وأخطأ [أَلَم]^(٦) السَّهامِ الرَّاشقة ، وتخييب الآمال

(١) وردت في «ج» (وجمال الظرف) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة ، يحجم . والتصويب لازم لاستقامة السياق .

(٣) كذا في «ج» و «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة ، وسبل .

(٥) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٦) الزيادة من «الملكية» ، والزيتونة .

المكايده ، وانسداد أزوجة السُّتر والعِصمة ، ثم العودة ، الذي عرّف الإسلام ، [بدار الإسلام] (١) قدرها ، وتملاً عزّها ، ورجح (٢) وزنها ، كما اختبر ضدها فرصة الملك ، وشاع العدل ، وبعده الصيت ، وانتشر الذِّكر ، وفاض الخير ، وغزُر القطر ، فظهرت البركات ، وتوالت الفتوح ، وتخلّدت الآثار . وسيرد من بيان هذه الجمل ، مايسعه الترتيب بحول الله .

ترتيب دولته الأولى

إذ هو ذو دولتين ، ومُسوّغ ولايتين ، عزّزها الله ، بمُلك الآخرة ، بعد العمر الذي يملأ صحايف البرِّ ، ويخلد حُسن الذِّكر ، ويُعرف إلى الوسيلة ، ويرفع في الرفيق الأعلى الدرجة ، عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

وزراؤه وحجابه

انتدب إلى النيابة عنه ، والتشهير إلى الحجابة ببابه ، الشيخ القايده المعتمد بالتجّلة ، المتحول من الخلدّام النبهاء ، المتسود الأبوة ، المخصوص بالفدح المعلى من المزية ، المسلم له في خصوصية الملك والتربية ، ظهير العلم (٣) والأدب ، وأمين الجِد ، ومولى السلف ، ومُفرغِ الرأى إلى هذا العهد ، وعقد سفرته (٤) السلطان ، وبقية رجال الكمال من مشيخة الماليك ، وخيار الموالى ، أبا النعيم رضوان وجهه الله ، فحمد الكل ، وخلف السلطان ، وأبقى الرُتب ، وحفظ الألقاب ، وبذل الإنصاف ، وأوسع السكّنف ، واستدعى النصيحة ، ولم يأل جهداً في حُسن

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي «ج» و «الملكية» (بهذه الاسلام) .

(٢) هكذا في «الملكية» والزيتونة ، وفي «ج» واسترجح . والأولى أفضل .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» ، العمر ، والتصويب أرجح .

(٤) هكذا في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» سفرأ .

السيرة ، وتظاهر المحض ، وأفردني بالمزية^(١) وعاملني بما يرتدُّ عنه جسرُ أطرفِ
الموالاتة والصُّحبة ، ووفِّي لي الكيل الذي لا يقتضيه السن ، والقربة من الاشتراك
في الرتبة^(٢) ، والتَّرحُّح عن الهضبة ، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر
والغيبية ، والمحافظة على التشيع والقدمة ، بلغ في ذلك أقصى الغايات . مدارج
التخلق المأثور عن الجلة ، والتودد إلى [المرّة بعد المرّة]^(٣) ، واختصتُ بفوت
المدّة بالسلطان ، فكنتُ المنفرد بسرّه دونه ، ومفضى همه ، وشفاه نفسه ، فيما
يُنكره من فتنة تقع في سيرته . أو تصير توجيه السداجة في معاملاته ، وصلاح
ما يتغيّر عليه من قلبه ، إلى أن لحق بربه .

شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه ، أبا زكريا يحيى بن عمر بن دحو بن
عبد الله بن عبد الحق ، مطمّح الطواف^(٤) ، وموفى الاختيار ، ولُبَاب القوم ،
وبقيّة السلف . حزماً ودهاء ، وتجربة [وحُكمة وجدّاً وإدراكاً]^(٥) [ناهيك]^(٦)
من رجلٍ فذِّ المنازع ، غريبها ، مستحقُّ التقديم ، شجاعة وأصالة ، ورأياً
ومباحثةً ، نسيابة قبيله ، وأضحى قسهم ، وكسرى مساسهم ، إلى لطف السّجية ،
وحسن التأني ، لغرض السلطان ، وطرق التّنزل للحاجات . ورقة غزل الشفاعات .
وإمتاع المجلس ، وثقوبِ الذهن والفهم ، وحسن الهيئة . وزادهُ خصوصية ملازمته

(١) وردت في «ج» و «الملكية» بالزبدة ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» وفي «الملكية» بالزينة ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (المدّة بعد المدّة) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «الزيتونة» ، وفي «ج» و «الملكية» (الطرف) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (وحركة وجداً) .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضيه السياق .

مجلس الرطاع المعروضة ، والرسل الواردة . وسيأتي ذكره في موضعه بحول
الله تعالى .

كاتب سره

قتُ لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها^(١) إلى أبوه المولى المقدس ،
رحمه الله ، من الوقوف على رأسه ، والإمساك في التهاني والمبايعات بيده . والكتابة
والإنشاء والعرض والجواب . والخلمة والمجالسة ، جاهماً بين خدمة القلم . ولقب
الوزارة ، معزز الخطط برسم القيادة ، مخصوصاً بالنيابة عنه في الغيبة ، على كل
ما اشتمل عليه سور القلعة والحضرة . مطلقاً أهول الإيالة ، محكماً في أشدته تحكيم
الأمانة . مطلق الجراية . ظاهر الجاه والنعمة . ثم تضاعف العز ، وتأكد
الرعى . وتمحض القرب . فنقلني من جلسة المواجهة ، إلى صف الوزارة ؛
وعاملني بما لا مزيد عليه من العناية . وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية ،
كافاً الله فضله ، وشكر رعيه ، وأعلى محله عنده .

وأصدر لي هذا الظهير لثاني يوم ولايته : هذا ظهير كريم ، صفي شربه .
وسفرني في الرسالة عنه ، إلى السلطان ، الخليفة الإمام ، ملك المغرب ، وما إليه
من البلاد الإفريقية ، أبي عنان ، حسبما يأتي ذكره . ثم أعفاني في هذه المدة
الأولى ، عن كثير من الخدمة ، ونوّه بي عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة ،
فاخترت للكحل والبديلة ، وما صان عنه في سبيل التجلّة ، وإن كان منتهى أطوار
الرّفعة ، الفقيه أبو محمد بن عطية ، مُستنزلاً عن قضاءه وادى آس وخطابتها ،
فكان يتولى ما يكتب بنظري ، وراجماً لحكمي ، ومتردداً لبالي ، مكفني

(١) وردت في «ج» والملكية ، أسند . والتصويب أفضل .

المؤنة في سبيل^(١) الحمل الكلى ، إلى وقوع الحادثة ، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

قضائته

جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضي أبيه الشيخ الأستاذ الشريف ، نسيج وحده ، وفريد دهره^(٢) ، إغراباً^(٣) في الوقار ، وحسن السمّت^(٤) وأصالة البيت ، وتبحراً في علوم اللسان ، وإجهازاً في فصل القضايا ، وانفراداً ببلاغة الخطبة ، وسبقاً في ميدان الدهاء والرّاحة ، أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني ، الجانح إلى الإيالة النّصيرية من مدينة مبنّة . وسياتي التعريف به في مكانه إن شاء الله . وتوفي رحمه الله بين يدي حدوث الحادثة ، فأرجىء الأمر بمكانه ، إلى قدوم متلقّف السكرّة ، ومتعاور تلك الخطّة . الشيخ الفقيه القاضي ، أبي البركات قاضي أبيه . ووليها الأحقّ بها بعده ، إذ كان غائباً في السفارة عنه ، فوقع التّمحيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة .

الملوك على عهده

وأولّهم بالمغرب ، السلطان ، [الإمام]^(٥) ، أمير المسلمين ، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ، البعيد الشّأو في ميدان السّعادة ، والمُصمّي أغراض السّداد ، ومُعظّم الظّفّر ، ومُخوّل الموهبة ، المستولى على آماد السّجال ،

(١) وردت في الزيتونة بعد هذه الكلمة عبارة (المؤمنة في) وهي عبارة لا معنى لها هنا ، ومن ثم فقد أغفلناها .

(٢) هكذا في «ج» ووردت في «الملكية» ، عصره .

(٣) وردت في «ج» إعراباً . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» السمة ، والأولى أرجح .

(٥) الزيادة من الزيتونة .

عقلاً وفضلاً وأبهةً ورؤاءً . وخطاً وبلاغاً ، [وحفظاً وذكاءً]^(١) وفهماً وإقداماً ، تغمده الله برحمته ، بعثني إلى أبيه رسولاً على إثر بيعته وتمام أمره ، وخطباً إثره ووؤده ، مُستزهداً^(٢) من منحة قبوله ، فألفيتُ بشراً مبدولاً ، ورفداً ممنوحاً ، وعزاً باذخاً ، يضيق الزمان عن جلالته ، وتقصر الألسنة عن كُنْه وصفه ، فكان دخولي عليه في الثامن والعشرين من شهر ذي قعدة عام خمسة وخمسين المذكور ، وأنشدته بين يدي المخاطبة ، ومُضمن الرسالة :

خليفةُ الله ساعدَ القدرَ علاك ملاح في الدُّجَا قرُ

فأحسبُ وكفى ، واحتفل واحتقن ، وأفضتُ بين يدي كرمته^(٣) ، إلى الحضور معه في بعض المواضع المطلة على موردٍ وحب . هاج به الخُدام أسداً ، أروداً ، شئن الكفنين مُشعر^(٤) اللبدة ، حتى مرَّق عن تابوت خشبي كان مسجوناً به ، من بعد إقلاعه ، من بعض كُواه ، وأثارته من خلفه ، واستشاط وتوقد بأساً . وجلب^(٥) ثورٌ عَيْلُ الشَّوى ، منتصبُ المروى ، يقدمه صُوار^(٦) من الجواميس ، فقربت الخطأ ، وحميت الوغى ، وبلغ الزئير والجوار ماشاء ، في موقف من ميلاد الشيم العلي [ينجى]^(٧) الجبانُ مقارعة العدا ، ويوطن نفسه الشجاعُ على ملاقاتة الردى ، وخار الأسدُ عن المبارزة ، لما بلغ منه ثقافاً عن رد المناوشة ، ومضطلماً بأعباء المحاملة ، فتخطاه إلى طائفة من الرجالة ، أولى عُدَّة ،

(١) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» إدراكاً .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» مستزهداً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) وردت في «ج» مقشعر . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وجلبت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (صواراً) فاقترض التصويب .

(٧) هذه الإضافة أو ما في معناها لازمة لإستقامة الساق .

وذوى دُرْبَةٍ^(١)، حمل نفسه متطارحا كشماب الرجم، وسرك الدجاء، وأخذته
رماحهم بإبادته^(٢)، بعد أن أُرْدَى بعضهم، وجُدِّل بين يدي السلطان، متخبطا
في دمه. وعرض بعض الحاضرين، وأغرمي بالنظم في ذلك، فأشدته:

أنعامُ أرضِك تُقهرُ الآسادا طبعاً كسا الأرواح والأجسادا
وخصايصُ الله بث ضروبها في الخلق ساد لأجلها من سادا
إن الفضائل في حماك بضايغُ لم تخش من بعد النفاق كسادا
كان الهزبرُ محارباً فجزيته بجزاء من في الأرض رام فسادا
فابغ المزيده من آلايه بشكره وأرغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأتئ القريجة، وإمكان البديهة، مع قيد الصفة، وهيبة المجلس.
وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير^(٣)، من واد^(٤) أصيل، وإمداد مؤهوب،
ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب، وصامت محمول، وطعمة مشوعة. وكان الوصول
في وسط محرم من عام ست وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السعي، وأمر الجهد،
وصدقت الخيلة، وقد تضمن رحلي الوجهة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله
الذي له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفى زعموا بحيلة، وقيل حثف أنفه، لما نهكه
المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى بابه الأبناء. وخاف
مُدبر أمره، حايدة ملامته، على توقع برئه، وكان سيفه^(٤) يسبق على سوطه،
والقبر أقرب إلى من تعرض لعنته من سجنه، فقضى موضع هذا السبيل خاتمة
الملوك الجللة، من أهل بيته. جدد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب،

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (ذرية). والتصويب أرجح.

(٢) في «ج» و «الملكية» بإبارته، والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» ود.

(٤) في «ج» و «الملكية» سيفه. والتصويب من «الزيتونة».

وأغلظ العقاب ، وصير إيلته أضيّق من الخلد^(١) . وأمدّ الأندلس ، وهزم الأضداد ، وخذل الآثار ، وبنى المدارس والزوايا ، واستجلب الأعلام . وتحرّك إلى تلمسان فاستضافها إلى إيلته ، ثم ألحق بها قسنطينة وبجاية ، وجهرز أسطوله إلى تونس ، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة ، واستمرت بها دعوته إلى ذى قعدة من العام ، رحمة الله عليه . وكانت وفاته في الرابع عشر لذي حجة من عام تسع وخمسين وسبعمائة . وصار الأمر إلى ولده المسمى بالسعيد ، المسكني بأبي بكر ، مختار وزيره ابن عمر الغدووي^(٢) . ورام ضبط الإيالة^(٣) المشرقية فأعياه ذلك ، وبايع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان ، ولجأ الوزير وسلطانه إلى البلد الجديد ، مثنى الخلافة المرينية ، فكان أملك بها . ونازله منصور بن سليمان ، ثم استغضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته . وغادر^(٤) السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن أخو الهالك السلطان أبي عنان [الأندلس]^(٥) ، وقد كان استقر بها بإزعاج أخيه إيّاه عن المغرب ، كما تقدم في اسمه ، فطلع على الوطن الغربي بإعانة من ملك النصارى ، عانى فيها هولا كثيرا ، واستقر بأخرة بعد إخفاق شيعته^(٦) المرّاكشية ، بساحل طنجة ، مستدعى ممن بجبال غمارة ، ودخلت سبنة وطنجة في طاعته . وفرّ الناس عن منصور بن سليمان ، ضربة لازب ، وتقبض عليه وعلى ابنه ، فقتلا صبورا ،

(١) في المخطوطات الثلاثة (الحد) والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» الغدوى . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٣) وردت في «ج» والزيتونة «الأبالي» . والتصويب من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (ونعص) . وفي «الملكية» والزيتونة (وبعض) . وهي كلمة لا معنى لها هنا . وقد أضفنا كلمة (وغادر) ليستقيم السياق .

(٥) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

(٦) وردت في «ج» سعية . والتصويب من الزيتونة ، وبه يستقيم المعنى ، لأن السلطان

أبا سالم نزل أولا بساحل دكالة على مقربة من منطقة مراکش ، ثم تحول عنها بعد فشله إلى الشمال .

نفعهما الله . وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر لشعبان عام ستين وسبعمائة ، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه . ثم دالت الدولة . وكان من لحاق السلطان برؤنة ، واستعانته على رد ملكه ما يأتي في محله ، والبقاء لله سبحانه .

وبتداسان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يَمْرَاس بن زيان ، قريب العهد باسترجاعها ، لأول أيام السعيد .

وبتونس الأمير إبراهيم بن الأمير أبي بكر بن الأمير أبي حفص بن الأمير أبي بكر بن أبي حفص بن إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد ، لنظر الشيخ رأس الدولة ، وبقية الفضلاء ، الشهير الذكر ، الشائع الفضل ، المعروف السياسة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن تافراكين^(٢) . تحت مضايقة من عرب الوطن .

ومن ملوك النصارى بقشتالة ، بطرُه بن ألهنشة بن هراندة بن شانجه بن ألفنش بن هراندة ، إلى الأربعين ، وهو كما اجتمع وجهه ، تولى^(٣) الملك على أخريات أيام أبيه في محرم عام أحد وخمسين وسبعمائة . وعقد معه سلم على بلاد المسلمين . ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به ، وغمرت الروم . وألقت العصا ، وأغضت القضاء ، وأجالت على الكثير من الكبار^(٤) الردي ، بما كان من إخافته ساير إخوانه لأبيه ، من خاصته ، العجلة الغالبة على هواه ، فنبذوه على سوء^(٥) بعد قتلهم أمهم ، وانزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته برعية أمهم . وسلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكايه لمنصبه ،

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (أبو عمران) . وهو كنية السلطان المشار إليه

(٢) هكذا رسمت في «ج» . وترسم أحياناً بالكاف : تافراكين .

(٣) وردت مكانها في «ج» ، وكأولى . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (كبار) . والتصويب لازم للسياق .

(٥) وردت في «ج» سوا . والتصويب من «الملكية» .

إلى اختصاص عجلة ، أنف بجراه كبار قومه ، من أجل ضياع بذره وانقراض هقبه ، فال الخوارج عليه ، ودبروا القبض عليه ، وتحصل في أنشودة ، يقضى أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع ، لولا أنه أفلتت وتخلص من شرارها ، فاضطره ذلك إلى صلة السلم ، وهو الآن بالحالة الموصوفة .

الأحداث في أيامه

لم يحدث^(١) في أيامه حدث إلا العافية المسحة^(٢) والهدنة المتصلة ، والأفراح المتجددة ، والأمنة المستحكمة ، والسلم المنعمدة . وفي آخر جمادى عام ست وخسين وسبعمائة لحق بجبل الفتح فشمم شعبته ، وأبرمت موتته^(٣) ، كان على ثغره العزيز على المسلمين ، من لدن افتتاحه ، الموسوم الخطبة ، المخصوص بمزية تشييده ، عيسى [بن] الحسن بن أبي مندبل ، بقية الشيوخ أولى الأصالة والدهاء ، والتزيبي بزي الخير ، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة ، والإغراق في سوء العقبي . والله غالب على أمره . فكان أملاك بمصامه ، وقر عينه بلقاء ولده ، والتمتع منه بجواد عتيق . ملئ من خلال السياسة ، أزداه سوء الحظ ، وشؤم النصبة^(٤) . واظلم ما بينه وبين سلطانه ، مسوغه برداء العافية على تفه صغر ، وملبسه رداء العفة على قدح الأمور ، أبدى منها الخوف على ولده ، وعرض ديسم عزمه ، على ذوبان الجبل ، فانحطوا في هواه ، وغرروه بكاذب عصبية^(٥) ، فأظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور ، واتصلت الأخبار ، وساعت

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة ، تحدث . فاقضى التصويب .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» ، المسحة . والتصويب من الزيتونة .

(٣) أعني قام بتعمية أسواره وأصلاح أجزائه الحربية المالكة .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» ، النصفة ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» عهد التصويب من « . الملكية » والزيتونة .

الظنون ، وضاعت الصدور ، ونكست الرؤوس لتوقع الفارقة . بانسداد باب الصَّريح . وأنبتات سبب النُّصرة . وانبعث طمع العدو [وانجذبت الأطماع]^(١) في استرجاعه واستقالته ، لمكان حصانته ، وسموِّ الذُّروة ، ووفور العُدَّة ، ووجود الطُّعمة ، وأخذه بتلاشى الفرصة . ثم رَدِفت الأخبار بخروج جيشه^(٢) صُحبة ولده إلى مُنازلة أشتبونة^(٣) ، وإخفاق أمله فيها . وامتسك أهلها بالدعوة ، وانتصافهم من العائفة العادية ؛ فبوَدِر إليها من مالقة بالعدد . وخوَّطب السلطان [من]^(٤) ملك المغرب أيده الله بالجلية ، فتحققت المنابذة ؛ واستقرت الظنون . وفي الخامس والعشرين من شهر [ذى قعدة]^(٥) ، ثار به أهل الجبل . وتبرأ منه أشياعه ، وخذلوه بالفرار ، فأخذت شعابُه ونقابُه ، فسكرَ راجعاً أدراجه إلى القاعدة^(٦) الكبيرة . وقد أعجله الأمر ، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها . وكوثر^(٧) فآلحق به ، وقد آلحق به^(٨) بعضُ الأساطيل بسببته لداعى تسوُّر توطى^(٩) على إمارته ، فقيد هو وأبنته ، وخيض بهما البحرُ للدين ، ولم ينتطح فيها عَنزان ، رحمه الله . سَنام فِئدة ألفت برَّ كها^(١٠) ، وأناخت بكلِّ ككها . وقد تَدَّر أنها واقعةٌ . ليس لها من دون الله كاشفة . فقد كان من بالجبل برموا على إيالة ذينك المرتسين^(١١) .

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (وركمت الأطماع) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة بعدها كلمة ، إل ، وهي حشو لا محل له .

(٣) أشتبونة ، وبالإسبانية Estpona ، ثغر أندلسي صغير ، يقع جنوبي إسبانيا ، وشمال جبل طارق في منتصف المسافة بينه وبين ثغر مربلة .

(٤) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٥) مكانها بياض في المخطوطات الثلاثة ، ونعتقد صحة ما أثبتناه ، وهو متفق مع ما سياتي

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (القاهرة) . وهو تحريف ظاهر . والتصويب أرجح .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وقد تعنى كثرة خصومه .

(٨) وردت بعدما في المخطوطات الثلاثة كلمة (الأسطول) ، ووجودها هنا يخل بالسياق

والأغلب أنه من باب السهو .

(٩) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (سور تولى) .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة ، بركابها .

(١١) وردت محرفة في «ج» ، المرتسين . والتصويب من «الملكية» .

وَأَلْقُوا أَجْوَارَهَا ، وَأَعْدَوْهَا الصَّفْقَةَ . بِمَا أَطْمَعَمَهَا فِي الثَّوْرَةِ (١) . وَاسْكَرَ أَجْلُ كِتَابٍ . وَاحْتَمَلَ إِلَى الْبَابِ السُّلْطَانِي بِمَدِينَةِ فَاسٍ ، وَبَرَزَ النَّاسُ إِلَى مَبَاشِرَةِ إِيْصَالِهَا مَجْلُوبِينَ فِي مَنْصَةِ الشَّهْرَةِ ، مَرْفُوعِينَ فِي هَضْبَةِ الْمُثَلَّةِ . ثُمَّ أَضَى السُّلْطَانُ فِيهَا حُكْمَ الْفَسَادِ ، بَعْدَ أَيَّامِ الْحَرَابَةِ ، فَقَتَلَ الشَّيْخَ بِنَجَارِجِ بَابِ السَّمَارِينِ مِنَ الْبَلَدِ الْجَدِيدِ . بِأَيْدِي قَرَابَتِهِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَضَحْتُ (٢) رِمَاحَ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشَةَ اللَّهُ أَرْحَامُ هُنَاكَ تُشْتَقُّ

وَقُطِعَتْ رِجْلُ الْوَلَدِ وَيَدُهُ . بَعْدَ طَوِيلِ عَمَلٍ وَسُوءِ تَنَاوُلٍ . وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ اسْتَنْفَذَهُ حِمَامُهُ فَأَضْحَى عِبْرَةً فِي سُرْعَةِ انْتِزَالِهَا مِنْ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ . حَسَنُ طَاعَةٍ . وَذِياعُ مُحَمَّدٍ ، وَفَضْلُ شَهْرَةِ . وَاسْتِفَاضَةُ خَيْرِيَّةٍ ، وَنِبَاهَةُ بَيْتٍ ، وَأَصَالَةُ عِزٍّ ، إِلَى ضِدِّ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَقَانَا اللَّهُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَلَا سَلْبَ عِنَّا جِلْبَابَ السُّتْرِ وَالْعَافِيَةِ .

وَسَدَّ السُّلْطَانُ ثَغْرَ الْجَبَلِ بِآخِرِ (٣) مِنْ وَلَدِهِ اسْمُهُ السَّمِيدُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَحِقَ بِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَحْرَمِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ بِضَائِنَتِهِ . وَقَدَّرَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَسَوَّغَهُ رِزْقًا وَرِغْدًا ، وَعَيْشًا خَفِضًا . وَبَادَرَ السُّلْطَانُ الْمُرْتَجِمَ لَهُ ، إِلَى تَوْجِيهِ وَسُؤْلِهِ ؛ قَاضِيًا حَقَّهُ . مَقَرَّرَ السُّرُورَ بِجَوَارِهِ ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ مَا يَلِيْقُ مِنَ الْحَالِ مِنْ بَرٍّ وَمَهَادَاةٍ وَنَزَلَتْ . وَتَعَقَّبَتْ بَعْدَ أَيَّامِ الْمَكَافَاتِ (٤) ، فَاسْتَحْكَمَ الْوُدَّ ، وَتَحَسَّنَتْ الْأَلْفَةُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيْقِهِمْ (٥) وَمُسْنَى الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ (٦) عَلَى أَيْدِيهِمْ .

(١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةَ (الثَّوْرَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الزَّيْتُونَةِ ، ظَلَّتْ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» بِأَمْرٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَلِكِيَّةِ» .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ . وَفِي «ج» الْمَكَافَاةُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي «ج» تَفْوِيقُهُمْ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الْمَلِكِيَّةِ وَالزَّيْتُونَةِ ، . الْخَيْرَاتُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول ، خفضُ عيش^(١) ، وتوالى خِصب ، وشياعُ أمن . إلا أن شيخ الدولة القايد أبا النعيم رحمه الله ، أضع الحزم . وإذا أراد الله إنفاذ [قضايه وقدره]^(٢) ، سلب ذوى العقول عقولهم ، بما كان من آمنه جانب القصر^(٣) الملمزم دار سكناه ، من عليّة فيها أخو السلطان ، بتهاونه يحيل أمة المداخلة في تحويل الأمر اليه ، جملة من الأشرار ، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأَخلاف . وإبراهيم بن أبي الفتح . والدليل المورورى^(٤) . وأمدته بالمال ، فداخل القوم جملة من فرسان القيود ، وكحرة الشجون . وقلاميذ الأسوار . وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث ، المنزوع العصمة ، خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام ، اجتمعوا وقد خفي أمرهم . وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالتوس الداخل من وادي هداؤه الى البلد : لصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء ، وكان بسورها ثلم ، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه ؛ فنصبوا سلما أعد لذلك ، وصعدوا منه . ولما استوفوا ، قصدوا الباب المضاع المسلحة ، للثقة بما قبله ؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح ، واستغلظوا بالتهويل . وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء ، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القايد أبي النعيم ؛

(١) وردت في «ج» عيشة . وقد آثرنا لفظة «الملكية» والزيتونة .

(٢) هذا ما ورد في «ج» . وفي «الملكية» ، والزيتونة (أمر من أوامره) . والمزدي واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الصبر) وهو تحريف . ونعتقد أن المعنى يستقيم بالتصويب

(٤) المورورى أو الدليل المورورى ، هو أحد الزعماء الذين اشتركوا مع الرئيس محمد بن

إسماعيل بن فرج في تدبير الثورة ، التي نشبت في رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، وانتهت بعزل محمد الغني بالله ،

وإجلاس أخيه إسماعيل بن يوسف مكانه على العرش . وقد ولاء هذا السلطان وزارته ، وجعله حافظ

الباب وأمين السدة . راجع الإحاطة (١٩٧٣) ج ١ ص ٤٠١ و ٥٢٤ . واللحة البدرية ص ١١٦ .

فافتحمته غلاباً وكسرت أبوابه ، وقتلته في مضجعه ، وبين أهله وولده ، وانتهبت ما وجدت به . وقصدت الأخرى دار الأمير ، الذي قامت بدعوته . فاستنجزته واستولت على الأمر . وكان السلطان متحولاً بأهله^(١) الى مكى « جنة العريف »^(٢) خارج القلعة ، فلما طرقة النبأ ، وقرعت سمعه الطبول مدده الله ، وساند^(٣) أمره في حال الخيرة ، إلى امتطاء جواد كان مرتبداً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه ؛ وطار على وجهه ، فلاحق بوادى آش قبل سبق نكبته ، وطرق مكانه بأثر ذلك ، فلم يلبث فيه ، وأتبع فأعيا المتبع . ومن القد ، استقام الأمر لأولى الثورة ، واستكلوا لصاحبهم أمر البيعة ، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزمة ، وأرسلوا [إلى]^(٤) ملك النصارى في عقد الصلح . وشرعوا في منازلة وادى آش ، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها ، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق . وخيف فوات البدر ونفاد القوة ، فشرع السلطان في النظر لنفسه ، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه ، فتلقاه بالقبول وبعث من يهد الحديث في شأنه ، فتم ذلك ثانياً يوم عيد النحر من العام . وكنت عند الحادثة على السلطان ، ساكناً بجنتى المنسوبة إلى من الحضرة ، منتقلاً إليها بجملى ، عادة المترفين ، إذ ذاك من مثلى ، فتخطانى الحتف ، ونالتنى النسكة ،

(١) هكذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (بأمره) .

(٢) هو قصر صغير أنيق يقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من شمال شرق قسبة الحمراء . وقد كان فيما يبدو بموقعه الجميل وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به ، مصيفاً لسلاطين غرناطة ، ويعرف بالإسبانية El Generalife . وقد كان الوقت الذي وقع فيه الانقلاب الذي يرويه ابن الخطيب وهو أواخر رمضان سنة ٧٦٠ هـ يوافق أوائل سبتمبر سنة ١٣٥٧ ، أعنى أوائل فصل الخريف .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي «الملكية» والزيتونة (وسواس) وهو تحريف .

(٤) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضها السياق .

فاستأصلت النعمة العريضة ، والجدة الشهيرة ، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً ، ولا ذرت قديماً ولا حديثاً ، والحمد لله يُخفف الحساب ، وموظف أولى الألباب ، ولطف الله بأن^(١) تعطف السلطان بالمغرب إلى شفاعة بني بختة ، وجعل أمرى من فصول قصده . [فككت عنى]^(٢) أصابع الأعداء ، واستخلصت من أنيابهم ، ولحقت بالسلطان بوادى آش . فذهب البأس ، واجتمع الشمل . وكان رحيل الجميع ثانى عيد النحر المذكور . فكان النزول بفحص الفنت . ثم الانتقال إلى لوشة ، ثم إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة^(٣) يضم أهل [كل]^(٤) محل من هذه [ماتماً للحسرة ، ومناحة للفرقة]^(٥) . وكان ركوب البحر صحوة الرابع والعشرين من الشهر ، والاستقرار بمدينة سبته ، وكفى بالسلامة غمماً ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل إلى باب السلطان ، تحت بر لا تسعه العبارة ، ولقاؤنا إياه بظاهر البلد الجديد لإمام ألم عاقه عن الإصحار^(٦) والتغنى على البعد ، يوم الخميس السادس لمحرم من عام أحد وستين بعده . فى مر كب هايل ، واحتفال رابع رايق ، فعورض فيه النزول عن الصهوات ، والبر اللايق بمناصب الملوك ، والوصول إلى الدار السلطانية^(٧) ، والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل . ووقت يومئذ فوق رأس السلطان وبين يدي مؤمله ، فألشدته مغرباً بنصره ، كالوسيلة بقولى :

- (١) وردت فى «ج» . ولم ترد فى الملكية . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) وردت فى «ج» والزيتونة (فككت عن) . والتصويب أفضل للسياق .
 (٣) إن هذه البلاد كلها تقع فى الطريق من وادى آش إلى لوشة أولاً ، ثم جوبا بغرب إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة على شاطئ البحر المتوسط . وقد كانت بعد سقوط الجزيرة الخضراء وجبل طارق فيما بعد من أهم ثغور العبور بين الأندلس والمغرب .
 (٤) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة ، وبها يستقيم السياق .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى «الملكية» والزيتونة كالآتى : (ماتم الحسرة ومناحة الفرقة) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الملكية والزيتونة (الإحصار) وهو تحريف .

(٧) هكذا فى «ج» . ووردت فى الملكية والزيتونة (الإمامية) .

سلاهل لديها من مخبرة ذِكْرُ وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
 فهاج الامتعاض^(١)، وسالت العبرأت. وكان يوماً مشهوداً. وموقفاً مشهوراً،
 طال به الحديث، وعمرت به النوادى، وتوزعتنا^(٢) النزائل على الأمل.
 شكر الله ذلك وكتبه لأهله. يوم الافتقار إلى رحمة. واستمرت الأيام، ودالت
 الدولة للرئيس بالأندلس، والسلطان تغلبه المواعيد. وتونسه الآمال، والأسباب
 تتوفر، والبواعث تتأكد. وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه. واستقرت
 في الدار بمدينة سلا، مرابطاً. مستمتعاً بالغبية. تحت نعمة كبيرة، وإعفاء
 من التكليف.

وفي اليوم السابع لشوال من عام التاريخ، [قعد السلطان بقية العرض]^(٣)
 بظاهر جنة المصاراة لتشييعه^(٤)، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك؛ من آلة وحيلة^(٥)،
 وقد برز الخلق، لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع. الباعث للرقّة. المتبع
 بالدعوات، لما قدف الله في القلوب من الرحمة. وصحبه به في التعرّب من العناية،
 فلم تدب عنه عين، ولا تحل له موكب. ولا تقلصت عنه هيبة، ولا فارقت
 حشمة، كان الله له في الدنيا الآخرة. وأجاز، واضطربت الأحوال. بما
 كان من هلاك معينه السلطان أبي سالم، وغدر الخبيث المؤمن على قلعه
 به، عمر^(٦) بن عبد الله بن علي، صعر الله حزبه^(٧). وخلد خزيه، وسقط

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة: الامتعاض.

(٢) وردت في المخطوطين (توزعتنا)، وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين. ونقلناها من «المحة البدرية» و«النفح».

(٤) وردت في «ج» وتشيعه. وفي «الملكية» والزيتونة وتشيعه وهو تحريف. والمقصود

هنا هو تشيع سلطان غرناطة المخلوع.

(٥) وردت في «ج» وحيلة. وهو تحريف.

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة محرفة (عامر). والصواب ما أثبتناه.

(٧) وردت في «ج» خزيه. وبالتصويب من «الملكية» والزيتونة.

في يده ، إلا أنه ثبتت في رُنْدَة من إيالة الأندلس ، الراجعة إلى إيالة المغرب^(١) ،
 قدمه ، فتعلل بها ، وارتاش بسببها ، إلى أن فتح الله عليه ، وسدد عزمه ،
 وأراه لما ضعفت الحيل صنعه ، فتحرك إلى بر مالقة ، وقد فغر عليها العدو فمه .
 ثم أقبل على مالقة . مستميتاً دونها ، فسهل الله الصعب ، وأنجح القصد ، واستولى
 عليها . واثألت عاياه حينها البلاد ، وبدا الريس المتوثب على الحضرة ،
 بعد أن استوعب الذخيرة والمدة ، في جملة ضخمة ممن خاف على نفسه . لو وقي
 بذمة الغادر وعهده ، واستقر بنادي^(٢) صاحب قشتالة ، فأخذته بجزيرته^(٣) ،
 وحكم الحيلة في جنائته وغدره ، وألحق به من شاركه في التسور من شيعته ،
 ووجه إلى السلطان برؤوسهم تبع رأسه . وحث السلطان أسعده الله خطاه إلى
 الحضرة ، يتلقاه الناس ، مستبشرين . وتزاحم عليه أفواجهم مستقبليين مستغفرين ،
 وأحق الله الحق بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

وكان دخول السلطان دار ملكه ، وعوده إلى أريكة سلطانه ، وحلوله بمجلس
 أبيه وجده ، زوال يوم السبت المؤفي عشرين جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين
 وسبعمائة ، جعلنا الله من هم الدنيا على حذر ، وألهمنا لما يخلص عنده من قول وعمل .
 وتخلت الأمير وولده بكره ، أسعده الله ، بمدينة فاس فيمن معه من جملة ، وخلفه
 من حاشية . [ولد المستولى^(٤) على ملك المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رُنْدَة
 في معارضة هدفه . ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله ، وتم المقاصد بما عمه من سعده .
 وكان وصولي إليه معه ، في تحمل اليمن^(٥) والعمافية ، وعلى كسر التيسير من الله

(١) كانت رُنْدَة يومئذ ضمن القواعد التي نزل عنها ملوك غرناطة للملك المغرب (بنى مرين)
 لتكون لجيوشهم قواعد للزول والرباط عند عبورها إلى الأندلس لإنجادها .
 (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بنا) والتصويب لازم لاستقامة المعنى .
 (٣) وردت في «ج» بجزيرة . وفي «الملكية» (في جزيرة) وهو تحريف .
 (٤) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (المتوثب) . (٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (اليسر) .

والعناية] ^(١) يوم السبت المُوفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعائة .

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور

إلى بيعة الكور

هنا المسلمين ببركتها الوافرة ، ومزاياها المتكاثرة . السلطان أيده الله
قد مرّ ذِكْرُهُ ، ويسر الله من ذلك ما تيسر .

وزراؤه

اقتضى حَزْمُهُ إغفالَ هذا الرّسمِ بجملة ، مع ضرورته في السياسة . وعظم
الدخول ، حذراً ^(٢) من انبعاث المكروه له من قبله ، وإن كان قدّم ^(٣) بهذا اللقب
في طريق ^(٤) مُنصّرفه إلى الأندلس . وإيأماً من مقامه برُنْدَة ، فنحله عن كُرْهٍ ،
على بن يوسف بن كُاشَة ، من عتاق ^(٥) خدامه وخدام أبيه . مُستصحباً إياه ،
مَسْدول التَّجْمُلِ على باطن نَفْرَة ، مختومُ الجُرمِ ، على شوكة ، في حَظْبِهِ في حَبْلِ
المتقلب ، وإقراضه السيئة من الحسنه ، والمنزل الحَشيْنِ ، إلى الإنفاق منه على
الخلال الذميمة ، ترأسها خاصّة الشوم ، علاوة على حَمَلِ الشيخ الغريب الأخبار ،
والطّمع في أرزاقِ الدّور ^(٦) ، والاسترابة بمودّة الأب ، وضيق العَطْنِ ^(٧) ، وقصر

(١) وردت في «الملكية» مقابل هذه الفقرة التي بين الخاصرتين ، فقرة أخرى لا تمت إليها
بأية صلة ، وذلك على النحو الآتي : (يصل فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح الضعيف ، وينتظر حصول
الزمن ، يعتمد ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة في الأمر عن سد . وكان ...
في ترك الحظ ، والتبري من سجية الانتقام ، والكلف بما تيسر من الله والعناية ، يوم السبت ...)

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : حوزا . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» والملكية (قدمه) . وفي الزيتونة (قدمه) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطتين : طريقه .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : عتاق . والتصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» والملكية (الدر) .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الطن) . وهو تحريف .

الباب ، وعيَّ الأسان ، ومشهور الجبن . ولما وقع القَبْضُ ، وساء الظن ، بعثه من رُنْدَة إلى الباب المريني ليخلى منه جُندَه ، ويجسَّ مرض الأيام . بعد أن نقل من الخُطَّة كعْبَه ، فتيسر بعد مُنصرفه الأمر ، وتسبَّى الفتح . وحمله الجشعُ الفاضح ، والهوى المتبَّع ، على التشطُّط لنفسه ، والسكَّاح نُلوِيصَه بما أقطعه الجفوة ، وعسر عليه العودة على السلطان بولده ، إلى أن بلغ الخبرُ برجوع أمره . ودخول البلاد في طاعته . فألقى ماتعَيْن إليه ، وأهوى به الطمعُ البالغ في عرش الدولة ، ويرتاشُ في ريق انتقامها . وتحرك ورايةُ الإخفاق خاققةً على رأسه ، قُطِبَ مَخْلَصَه ، وجُوجوة عَوْدَه ، من شيخ تدور بين فَتسكه رَحَى جَعْبِجَة ، وتثور بين أضلاعه (١) حَيَّة مكيديَّة ، وينعق (٢) فوق مساعيه غرابُ شومٍ وطيرة . وحدث حرفاؤه صرفاً من مداخلة سلطان قشتالة ، أيام هذه المجاورة ، فبلغ أمنيته من ضرب وعدٍ ، واقتناء عهدٍ ، واتخاذ مددٍ ، وترصيد دار قرارٍ ، موهاً نفسه البقاء والتعمير والتملُّ ، وانفاسح المدة والأمر ، وقيادة الدجَن (٣) عند تحوُّل الموطنِ لِمَلَّة (٤) الكُفْرِ ، يَسْمَح (٥) لذلك . لنقصان عقله ، وقلة حَيَّائه وضعف غَيْرته . وطوى المراحل ، وقبض عُجَى تزلزل (٦) لها فكاهُ . أضلَّها الحسرة . وانتراها (٧) الخباياث . وتلقاه بالاقة ، إيعازُ السلطان بالإقامة بها ، لما يتصل به من سوء تصريفه ، ثم أطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عَتْبَه ، وصرفه إلى منزله ، ناظراً في علاج مَرَضَه . ثم لما أفاق

(١) في «ج» أغلاطه . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» ويلحق . والتصويب من الملكية وهو أرجح .

(٣) الدجن من تدجن أى بقى بأرض الوطن بعد سقوطها في أيدي النصارى . والمدجنون

هم المسلمون الأندلسيون الذين كانوا يبقون في الأرض التي يفتتحها النصارى .

(٤) وردت في «ج» الملكة ، وفي «الملكية» الملكة . ونعتقد أنه تحريف . وبالتصويب

يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (ينجح) والأولى أرجح .

(٦) وردت في «ج» تولول . وفي «الملكية» تزلزلول . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : انترام . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وَقَفَهُ دُونَ حَدِّهِ ، وَلَمْ يَسْتَدِ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِ ، فَشَرَعَ فِي دَيْدَنِهِ مِنَ الْفَسَادِ عَلَيْهِ ، وَتَمَرَّسَ سُلْطَانُ قَشْتَالَةَ ، شَاكِيًا إِلَيْهِ بِئْسَهُ ، وَأَضْجَرَ لِسُكْنَى بِأَدَيْتِهِ بِالنَّغْرِ ، فَرَابَ السُّلْطَانُ أَمْرَهُ ، وَأَمَمَهُ شَأْنَهُ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ ، وَصُرِّفًا فِي جُمْلَةٍ مِنْ دَائِرَةِ الشُّؤْمِ مِمَّنْ ثَقُلَتْ (١) وَطَأَتْهُ ، فَغُرِّبُوا إِلَى تُونِسَ ، أَوَائِلَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسِتِينَ . ثُمَّ لَمَّا قَفَلَ مِنَ الْحِجِّ ، وَاسْتَقَرَّ بِبِجَايَةِ يُرِيدُ الْمَغْرِبَ ، حَنَّ إِلَى جَوَارِ النَّصْرَانِيَّةِ ، الَّتِي رِيمَ سَلْفِهِ الْعِبُودِيَّةِ إِلَيْهَا ، فَعَبَرَ الْبَحْرَ إِلَى بَرْجَلُونِهِ ، يَنْفُضُ عِنَاءَ طَرِيقِ الْحِجِّ عَلَى الصُّلْبَانِ ، وَيَقْفُو عَلَى آثَارِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، تَقْبِيلَ أَيْدِي السُّكْفَارِ . ثُمَّ قَصَدَ بَابَ الْمَغْرِبِ رَسُولًا عَنْ طَاغِيَةِ (٢) بَرْجَلُونِهِ فِي سَبِيلِ فِسَادٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَنْجِحْ فِيهِ قَصْدُهُ ، فَتَقَاعَدَ لَمَّا خَسِرَ فِيهِ ضَمَانَهُ ، وَصَرَفَ وَكْرَهُ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِصَاحِبِ قَشْتَالَةَ ، وَعَنَّ عَلَى كَتِّيبٍ إِلَيْهِ بِخَطِّهِ ، يَتَنَفَّقُ عِنْدَهُ وَيُعْرِيه بِالْمُسْلِمِينَ ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ ، وَسُجِنَ بِقَاسٍ مَعَ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ . وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَقَرَّ حَالُهُ إِلَى الْيَوْمِ ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّجَاوُزِ فِي أَمْرِهِ . وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

وَلَمَّا وَفَدَتْ عَلَى السُّلْطَانِ بَوْلَدِهِ ، وَقَرَّتْ عَيْنِي بِلِقَائِهِ ، نَحْتِ سَدَادِهِ وَعِزِّهِ ، وَفَوْقَ أُرَيْكَةِ مُلْكِهِ ، وَأَذَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ ، عَرَضْتُ عَلَيْهِ غَرَضِي ، وَنَفَضْتُ لَهُ خِزَانَةَ سِرِّي ، وَكَاشَفْتُهُ ضَمِيرِي بِمَا عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ عَهْدِي ، وَصَرَفْتُ إِلَى التَّشْرِيقِ (٣) وَجْهِي ، فَعَلِمْتُ بِي لِرُكُومِهِ عُلُوقُ السُّكْرَامَةِ ، وَلاَطَفَنِي بِمَا عَامَلْتُ الْبِرَّ بَيْنَ الدُّعْرِ وَالضَّنَانَةِ ، وَيَضْرِبُ الْأَمَادَ (٣) [وَخَرَجَ لِي عَنِ الضَّرُورَةِ ، وَأَرَانِي أَنَّ مُؤَاوَزَتَهُ أَبْرَ الْقُرْبِ ، وَرَأَى كُنْنِي إِلَى عَهْدِي بِخَطِّهِ ، فَسَحَّ فِيهِ لِعَامِينَ أَمَدَ النَّوَاءِ ،

(١) وردت في «ج» والزيوتونة ثقلة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : طا - فقط . والتصويب ضروري لإستقامة السياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها السفر إلى المشرق لقضاء فريضة

واقْتدى بِشُعَيْبِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي طَلْبِ الزِّيَادَةِ عَلَى تِلْكَ النَّسْبَةِ ، وَأَشْهَدَ مِنْ حَضْرٍ مِنَ الْعِلْمِيَّةِ ، ثُمَّ رَمَى إِلَى بَعْدِ ذَلِكَ بِمَقَالِيدِ رَأْيِهِ ، وَحَكْمِ عَقْلِي فِي اخْتِيَارِ عَقْلِهِ ، وَغَطَى مِنْ جَفَائِي بِحِلْمِهِ ، وَحَثَانِي وَجْوهَ شَهْوَاتِهِ تَرَابَ زَجْرِي ، وَوَقَفَ الْقَبُولَ عَلَى وَعْظِي ، وَصَرَفَ هَوَاهُ فِي التَّحْوِيلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي ، وَاعْتَرَفَ بِقَبُولِ نَصْحِي ، فَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ ، وَعَامَلَتْ وَجْهَهُ فِيهِ [(١)] . وَصَادَقَنِي مُقَارَضَةَ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ ، وَرَمَى إِلَى بَدُنِيَاهُ ، وَحَكَمَنِي فِيمَا مَأْكُتُهُ يَدَاهُ ، وَغَلَّبَنِي عَلَى أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . فَأَكْمَلَ الْمَقَامُ بِيَابَهُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ مُدَّةً أُجْرِي اللَّهُ فِيهَا ، مِنْ يُمْنِ النَّقِيَّةِ ، وَأَطْرَادِ السَّدَادِ ، وَطَرْدِ (٢) الْهَوَى ، وَرَفْضِ الزُّورِ (٣) ، وَاسْتِشْعَارِ الْجِدِّ ، وَنُصْحِ الدِّينِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَصَوْنِ الْجَبَابِيَةِ ، وَإِنْصَافِ الْمُرْتَزِقَةِ ، وَمَحَاوَلَةِ الْعُدُوِّ ، وَقَرَعِ الْأَسْمَاعِ بِلِسَانِ الصِّدْقِ ، وَإِيقَازِ الْعُيُونِ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ ، وَقَدَحِ زِنَادِ الرَّجُولَةِ ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، يُعْضِدُ دَعْوَاهُ ، وَاللَّهُ الْمُنَّةُ ، سَجِيَّةُ السُّدَاجَةِ ، وَوَفْعُ التَّسْمِثِ (٤) ، وَتَسْكُوتُ الْمُنْسَاءِ ، وَتَقْوِيَتِ الْمَقَارِ فِي سَبِيلِ الْقُرْبَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الزُّبُرِجِ ، وَبَثُّ جِبَالِ الْأَمَالِ ، وَالتَّعْزِيزُ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيْمَةِ ، وَجَعْلُ الثُّوبِ غِطَاءَ اللَّيْلِ ، وَمَقْعَدُ الْمَطَالَعَةِ فِرَاشِ النَّوْمِ ، وَالشُّغْلُ لِمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ ، لِزَيْمِ الْأَنْفَاسِ ، فَاتَمَّ هَذَا الْكُرْخُ (٥) ، وَأُثْبِتَجَ هَذَا الْمَسْعَى مَنَاقِبَ الدَّوْلَةِ ، بَلَغَتْ أَعْنَانَ (٦) ، وَأَثَارًا خَالِدَةً ، مَا بَقِيَتْ أَخْضَرَاءُ عَلَى الْغُبْرَاءِ ، وَأَخْبَارًا تُنْقَلُ وَتُرَوَّى ، إِنْ تَأَنَّدَهَا الْحَاسِدُ ، فَضَحَّهُ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، وَكَأَثَرَهُ الْقَطْرُ الْمُنْتَالُ ، وَأَعْيَاهُ السَّيْلُ الْمُنْتَدِفِعُ :

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت في فصح الطيب (ج ٣ ص ٤١) ولم ترد في «ج» ولا في «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (أطراد) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الملكية» (الدور) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة (التسمية) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والزيتونة ، وفي «ج» (الكرج) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

فما يختص من ذلك بالسلطان ، فخامة الرتبة ، ونباهة الألقاب ، وتجميل الرياش ، وتريع^(١) الشريعة ، وارتفاع التشاجر ببابه ، والمنافسة والاعتباط منه ، بمجالس التنبيه والمذاكرة ، ویدارُ الدموع في حال الرقة ، والإشادة باحتقار الدنيا بين الخاصة ، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة ، والقعود لمباشرة المظالم ستة عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة ، يصل إليه فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح الضعيف ، وينتظر حضور^(٢) الزمن ، ويتغمد هفوة الجاهل ، ويتأثر لشكوى المصاب ، ويعاقب الوزعة على الأغلاط ، إلى إحسان^(٣) الملكة في الأسرى ، والإغراب في باب الحلم ، والإعياء في ترك الحظ ، والتبري من سجية الانتقام ، والكلف بارتباط الخيل ، واقتناء أنواع السلاح ، ومباشرة الجهاد ، والوقار في الهيئات ، وإرسال سجية الإيمان ، وكساد سوق المكيدة ، والنصائم عن السعاية ؛ هذا مع الشباب الغض ، والفاحم الجعد ، وتعدد^(٤) حبال الشيطان في مسالك العمر ، ومطاردة قانص اللذات في ظل السلم ، ومغازلة عيون الشهوات من ثنایا الملوك . وأيم الله الذي [به]^(٥) تستخلص الحقوق ، وتيسر الشئور ، وتستوثق العهود [ولا]^(٥) تطمئن القلوب إلا به ؛ ما كاذبته ، ولا راضيت في الهوادة طوله ، ولا ساحتته في تقيض هذه الخلال . ولقد كنت أعجب من نفاق أسواق الذكري لديه ، وانتظام أقيسة النصح عنده ، وإيقاع نبات الرشد فيه نصيحة ، وأقول بارك الله فيها من سجية ، وهنأ المسلمين بها من نفس زكية . وسيأتي بيان هذه النتائج ، وتفسير مجمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلا به

(١) وردت في «ج» (فسويج) وفي الملكية (فهويج) . ونعتقد أن السياق يستقيم بالتصويب .

(٢) وردت في «ج» (حصوا) وفي «الملكية» والزيتونة (حصو) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (أحسن) . والأولى أرجح .

(٤) وردت في «ج» التعدد . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٥) ساقطة في المخطوطين ولازمة للسياق .

سبحانه . والحال متصلة على عهد الوثير من إعادته بالوسوع (١) ، والخروج له عن هذه المهدة ، والتسليم له في البقية ، إرهافاً لسيف جهاده ، وجلاءً لمرآة نصحه ، ونسوية لميزان عدله ، وإهابة [لمحمد رُشده ، شد العقدة ، عقدة وغيره على حرمة ماله وعرضه] (٢) ، ورعاية للسان العلم المنبئ عن شأنه ، ونيابة عنه في معقل ملكه ، ومُستودع ماله وذخيرته ، ومحافظة على سيره وعلايته (٣) لحرمة وولده ، وعمراناً للجوانح بتفضيله وحبّه ، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه ، وأتحضها من أجله ، ترفعه عن جرایة [رحل هلالها ، وإقطاع تنجج قدرته ، أو فصلة تعبت البنان بشيرها ، وخطة تشد إليه على منشورها] (٤) . والله يرجح ميزاني عنده ، ويحظى وسيلتي لديه ، ويحرك مكافأة سعي في خواطر حبه ، وينبئه لتبليغ أملي من حج بيت الله ، وزيارة رسول الله ، بمنه وكرمه ، فما على استحثاث الأجل من قرار ، ولا بعد الشيب من إعدار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أولاده

كُلُّ له في هذا الوقت من الوالد أربعة ، ثلاثهم ذكور ، يوسف بكره ، وأراه يتلوه سعد ، ثم نصر ، غلمة رُوقة ، قد أفرغهم الله في قالب الكمال ، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً ، فسحَّ الله لهم أمد السعادة ، وجعل مساعيم جانحة إلى حُسنى (٥) العقبى ، سالكاً [بهم] (٦) سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

(١) هكذا في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» (بالوسع) .

(٢) هذه الفقرة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة .

(٣) وردت في «ج» وعناية . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) ما بين الجاصرتين ساقطة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» نعم . والمزودى واحد .

(٦) ساقطة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة ، على . والتصويب يستقيم السياق .

قضائيه

قدم لأول قدميه . الفقيه القاضي . الحسين ، الخبير ، أبا جعفر بن أحمد بن جزي ، شاكرًا بلاءه بمالقة . إذ كان قد ألقاه قاضيًا بها المتغلب ، فلم يأل جهدًا في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها ، والتحرير على استئزاهم ، فأتخذ زلفهً لديه ، فأجرى الأحكام ، وتوختى السداد . ثم قدم [إليها] (١) الفقيه القاضي الحسين ، أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن ، عين الأعيان ببلده مالقة ، والمخصوص برسم التجلة ، والقيام بوظيفة العقد والحل بها في الدولة الأولى ، وأصالة البيت ، والانتطاع (٢) إليه ، ومصاحبة ركابه في طلب [الملك] (٣) ، ومُنسور المشاق من أجله ، وأولى الناس باستدرار خلف دولته ، فسدد وقارب ، وحمل الكل ، وأحسن فصاحة [الخطبة] (٤) ، وأخطه ، وأكرم المشيخة وأرضى ، واستشعر النزاهة ، ولم يقف في حُسن التأني عند غاية ، واشتمل معها لفق الخطابة ، فأبرز وأعلم ، تسميًا وحفظًا وجهريةً ، فاتفق في ذلك على رجاحته (٥) ، واستصحب (٦) نظره على الأحباس . فلم يقف في النصيح عند غاية ، أعانه الله .

كتابه

أسند السكتابة إلى الفقيه المدرك ، المبرز في كثير من الخلال (٧) ، ملازمه

- (١) ساقطة في «ج» . وواردة في الملكية والزيتونة .
- (٢) وردت في «ج» والزيتونة (الإقطاع) . وبالتصويب يستقيم السياق .
- (٣) ساقطة في المخطوطين ، وإثباتها لازم السياق .
- (٤) هذه الزيادة من الزيتونة .
- (٥) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» رجحانه . والأولى أنسب للسياق .
- (٦) هكذا في الملكية والزيتونة ووردت محرفة في «ج» . واستحب .
- (٧) وردت في «ج» الخلال . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

أيضاً في طلب الملك . [ومطاردة قنص الحظ]^(١) أبي عبد الله بن زمره ، ويأتي التعريف بجمعهم .

شيخ غزاته

مُتولى ذلك في الدولة الأولى ، الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق ، قدّمه إليها مُعتباً إياه ، طاوياً بساط العدو بالجملة ، قدّموها بابنه عثمان [على]^(٢) الخِصّة يومئذ ، لمظاهرة في الوجّه ، وسعيه في عوْدة الدّولة . واستمرت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان من عام أربعة وستين وسبعمائة ، وكان القبضُ على مُجملتهم ، وأجلى^(٣) هذا البيت من سُفرة السياسة مدّة . مجتزياً فيه بنظره على رُحمه في الوزاة من قبيله . ثم قدّم إليها موعوده بها القديم الخدمه ، وسالف الأدمّة ، لما لجأ إلى وادي آش مفلتاً من وَبَقَة^(٤) الحادثة ، الشيخ أبا الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق . حلف السّداد أيامه^(٥) ، والمقاربة والفضل والذّمائة ، المخصوصَ على اختصار بيّمن النّقيبة ، واستمرت أيامه إلى نُقْبَة القفول عن غزوة جَبَّان أخريات محرم من عام تسعة وستين ، وتوفي رحمه الله حتف أنفه ، فاحتفل لمواراته ، وإقرا به من تآبِيه ، واستغفاره ، والاعترافِ بصدق موالاته ، وتَفْجِيهه لفقده ، وما أعربَ به من وفاء نَجْدِه ، وَقَدّم لها عهداً طُرف اختياره ، الأمين^(٦) ، الشّهم ، البهمة . خِذْن الشهرة ، والمشار إليه بالبسالة ، وفرع الملك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت مقابلها في «الملكية» (ومطارحة الحظ) وفي الزيتونة (ومطاردة الحظ) .

(٢) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . ويقتضيهما السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة وأحل . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في «ج» والملكية (وثبة) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) وردت في «ج» الأمير . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

والأصالة ، عبد الرحمن بن الأمير أبي الحسن على بن السلطان أبي عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إذ كان قد لحق به ، بعد ظهور أتيح^(١) له بوطنه من المغرب ، استقر مبايعاً بمهالة مسجلماً وما إليها ، وطن جده ، وميراث سلفه ، ففسح له جانب قبوله ، وأحلّه من قرّبه محل^(٢) مثله ، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونجره ، ثم استظهر به على هذا الأمر ، فأحسن الاختيار . وأعزّ الخطة . وهو القائم عليها لهذا العهد ، وإلى الله أسباب توفيقه .

ظرفُ السلطان وحسن توقيعه

بذ في هذا الباب من تقدمه ، وكثرة وقوعه ، بحيث لا [يعدّ نادره] (٣) ، وقليلُ الشيء يدل على كثيره . مرّ بي يوماً ومعى ولدّه ، يروم اتخاذ حنق القرآن ، فقلت له أيّدك الله ، الأمير يريد كذا ، ولا بدّ له من ذلك ، وأنا وكيه عليك في هذا ، فقال حسّبنا الله ونعم الوكيل . ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع . وغرابة مقاصده . ومجالسه على الأيام معمورة بهذا ومثله (٤) .

الملوك على عهده

بالمغرب السلطان الجليل إبراهيم [بن السلطان] أبي الحسن ، بن السلطان أبي سعيد بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . تولى ملك المغرب حسبما تقدم في اسمه^(٥) ، وألقى إليه بالمقاليد ، واستوسقت له الطاعة ، وبحسب ما بثّ الله من

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (أبيح) . والتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (يعد نادك) . وفي الزيتونة (يعددك) . والتصويب يستقيم المعنى .

(٤) وردت في «ج» ومثله . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (اسم أبيه) . وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، لأن

المقصود هنا هو الإشارة إلى اسم السلطان إبراهيم أبي سالم . وقد مرّت ترجمته في المجلد الأول ص ٣٠٣ .

إشرباب^(١) الخلق إليه ، وتعطشهم إلى لقاية ، وورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه ، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال ، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته ، وولعاً باغتيابه وترصباً لمكروه به ، إذ أخفقت فيه الآمال ، واستولت الأيدي من خدامه على مُلكه . وقبض الله لإبادة أمره ، وتغير حالة وهد ركنه ، الخائن الغادر نسمة السوء وقذار ناقة الملك ، وصاعقة الوطن [وحرّد السيد]^(٢) عمر بن عبد الله بن علي مؤتمنة^(٣) على البلد الجديد ، دار ملكه ومستودع ماله وذخيرته ، فسد الباب دونه . وجهرَ بخلمانه . وفض في أتباع الناعق المشنوم سور ماله ، وأقام الدعوة باسم أخيه أبي عمر ، ذى اللوثة ، الميئوس من إفاقته ، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعمائه . وبادر السلطان أبو سالم البيعة من متحول سكنائه بقصر البلد القديم^(٤) ، وصابر الأمر عامة اليوم . ولما جنّ الليل ، فرّ لوجهة ، وأسلم وزراءه وخاصته ، وقيدت خطاه الخيرية ، فأوى الى بعض البيوت ، وبه تلاحق متبوعه ، فقيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده ، وحز رأسه ، وأوتى به إلى الغادر . وكان ما بين انفصال السلطان عنه مؤدعاً إلى الأندلس بإيعازته ، ومطوق فضل تلقيه وقوله وحسن كفاله ، ثمانية أشهر ويوم واحد . واستمرت دعوة أخيه المموء به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعمائه ، واستدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيّان بن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن بن السلطان المعظم أبي الحسن . وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان أبي سالم ، وقع عليه اختيار

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (أشر) وهو تحريف . والاشرباب هو المحبة والميل .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والملكية . وفي «ج» (جرد السيد) .

(٣) وردت في «ج» ويتسنه . وهي أملاء قديمة .

(٤) أى مدينة فاس القديمة أوفاس البالي حسبها تسمى . وذلك بعكس البلد الجديد ، وهو الضاحية الملوكية التى أنشأها بنو مرين بجوار فاس .

هذا الوزير الغادر ، أذ وافق شنُّ تغلبه طبقَ ضعفه ، وأعمل الخيلة في استجلابه ، فوصل حسب غرضه ، وأجريت الأمور باسمه ، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه ، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه ، مغرماً بالشراب على فيه [وبين الصحب] (١) إلى أن ساءت حاله ، وامتلات بالموجدة على الوزير نفسه ، فعاجله بحتفه ، وبأثر اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه ، وطرحه بحاله في بعض سواقي قصره ، مُتبعاً ببعض أواني خمره ، يومئذ قاتله ، ترديه سكرأ ، وهويّه طفوحاً . ووقف عليه بالعدول عند استخراجِه ، وندب الناس إلى مواراته ، وبائع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن ، المنفرد به ، وخاطب الجهات بدعوته ، وهو صبيٌّ ظاهرُ النبل والإدراك ، مشهورُ الصون ، وأعمل الخيلة لأول أمره ، على هذا الوزير مخيف أريكة مُدسكة ، ومظنة البدا في أمره ، فطوقه الحمام [واستأصل ما زراه] (٢) من مال وذخيرة . شكر الله على الدولة صنيعة وفي ذلك يقول :

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوماً وتخشاه

تغدياً به عبد العزيز مبادراً وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليه الحق ونصيره لا إله إلا هو . وهو اليوم ملك المغرب ، مزاحماً بابن أخيه ، السلطان أبي سالم ، المعقود البيعة بمرأ كش وما إليها ، جمع الله شتات الإسلام ، ورفع عن البلاد والعباد مضرّة الفتنّة .

وبتلمسان السلطان أبو حمو موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيّان . حسباً كان في الدولة الأولى ، متفقها (٣) منه على خلال الكرم [والحزم] (٤) مضطماً بأمره (٥) والقيام على ما بيده .

(١) وردت في المخطوطين (وبين المصّب) . وهي ساقطة في الزيتونة . ونعتقد أن المعنى يستقيم بهذا التصويب .

(٢) وردت في «ج» (واستأصل ما زراه) . وفي «الملكية» والزيتونة (واستأزر ما زراه) . ولذا اخترنا الصحيح من العبارتين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . (٤) الزيادة من الزيتونة

(٥) وردت في «ج» (بدجا أمره) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

وبنولس ، الأمير أبو سالم إبراهيم بن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص ، حسبما تقدم ذكره .

ومن ملوك النصارى

فبِقَشْتَالَةَ سُلْطَانُهَا الْمُتَقَدِّمُ الذِّكْرُ فِي الدَّوْلَةِ الْأُولَى ، بَطْرُوهُ بْنُ السُّلْطَانِ الْهَنْشَةَ بْنِ هِرَانْدَةَ بْنِ شَانِجُهِ بْنِ الْهَنْشَةَ بْنِ هِرَانْدَةَ ، مَتَا كَدَّةَ بَيْنَهُمَا السَّلْمَ الْجَمَّةَ ، وَالْهَدْنَةَ الْمُبْرَمَةَ ، بِمَا سَلَفَ مِنْ مَظَاهِرْتِهِ إِيَّاهُ ، وَالْحَرَصَ عَلَى [مَا اسْتَحْكَاهُ] (١) مِنَ الْمَغْرِبِ فِي أُسْطُولِهِ ، وَبَعِثَهُ إِلَيْهِ بِرَأْسِ عَدُوِّهِ الْمُتَوَثِّبِ عَلَى مَلِكِهِ ، وَرُوُوسَ أَشْيَاعِهِ ، الظَّالِمِينَ الْغَدْرَةَ ، وَاتَّبَاعَهُ (٢) الْفَجْرَةَ ، مُسْتَمِرَّةً أَيَّامَهُ إِلَى وَسْطِ شَعْبَانَ عَامِ سَبْعَةِ وَسْتِينَ ، صَارِفًا وَجْهَهُ إِلَى مُحَارَبَةِ صَاحِبِ بَرْجَلُونَةَ ، مُسْتَوْلِيًا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ قَوَاعِدِهِ الشَّهِيرَةِ ، وَقَلَاعِهِ الْمُنِيْعَةِ ، لَمَّا أَسْلَفَهُ بِهِ مِنْ إِجَازَتِهِ (٣) أَخِيهِ أَنْدَرِيْقَ الْمَدْعُوَ بِالْقُنْدِ (٤) ، وَمَظَاهِرْتِهِ حَتَّى سَاعَتِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عَدُوِّهِ ، وَأَوْهَنْتِ الْحَرَكَاتُ قُوَى جَيْشِهِ ، وَأَضْعَفَ الْإِحْتِشَادُ عَمْرَةَ أَرْضِهِ ، وَاشْرَأَبَتِ الْقُلُوبُ إِلَى الْإِنْحِرَافِ عَنْ دَعْوَتِهِ ، وَمَالَتِ النُّفُوسُ إِلَى أَخِيهِ ، وَقَامَتِ الْبِلَادُ بِدَعْوَتِهِ ، وَتَلَاخَقَتِ الْوُجُوهُ بِجِهَتِهِ ، وَرَامَ التَّمَسُّكَ بِأَشْيَابِهَا دَارَ مَلِكِهِ ، فَنَارَ أَهْلِهَا بِهِ فِي عَامِ سَبْعَةِ وَسْتِينَ . فَخَرَجَ طَارًا عَنْهَا... (٥) بِهِ وَالسَّلَاحُ يَهْشُ إِلَى عَدُوِّهِ ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَظْهَرَ بِخَوِيصَتِهِ ، وَأَحْمَلَ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ فُخَيْرَةٍ ، وَوَرَعَ مِنْ لَهْ مِنْ وَلَدٍ وَحُرْمَةٍ ، رَأَى سُخْنَةَ الْعَيْنِ مِنْ انْتِهَابِ قَصُورِهِ ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» بحرفه (عل) اسخاته) . وقد تعني هنا ما وعده به من إجازته في أسطوله .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» (أشباعه) مرة أخرى .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (إجازة) .

(٤) الإشارة هنا إلى الكونت هنري دي ترانستارا أخى بيدرو غير الشرعى ، ومنافسه في انزاع العرش . وقد استجار بملك فرنسا فحشد له جيشاً من المرتزقة وحارب أخاه بيدرو وانتصر عليه (سنة ١٣٦٦) .

(٥) هنا بياض في المخطوطات الثلاثة .

وتشعبت منازلها ، وعبثت الأيدي في خزائنه ، وأسمعه الناس من تحض التائب (١) وأعراض الشمام ، مالا مزيد عليه ، ولاذ بصاحب برتغال ، فنأى عنه جانباً لما يجنيه أبواه من مخالفة رأى الأمة فيه ، فقصده بلاد غليسية ، وتلاحق أخوه أندريق بحضرة إشبيلية ، فاستوى على الملك وطاعت لأمره البلاد ، وعاجله المسلمون لأول أمره ، فاستولوا على كثير من الثغور والحمد لله .

ولما توسد له الأمر تحول لاستتصال شافة المخلوع ، فأجلى عن غليسية في البحر ، واستقر ببلد بيونة (٢) ، مما وراء دوروب قشتالة ، وانتبذ عن الخطة القشتالية وأمر نفسه ، ولجأ إلى ابن صاحب الأنتكيرة (٣) ، وهو المعروف ببرقسين أبي الأمير ، وبين أول أرضه وبين قشتالة ، ثمانية أيام . فقيله ولد السلطان المذكور ، الساكن بأول ما تلقاه من تلك الأرض ، وسقر بينه وبين أبيه . فأنكر الأب استئذانه إياه ، والمراجعة في نصره ، حجة له ؛ وامتعضاً للواقع . وحال هذه الأمة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقّة . والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد ، وبين يدي العشاق ، عادة العرب الأول . وأخبارهم في القتال غريبة ، من الاسترجال والزحف على الأقدام ، أميرهم ومأمورهم ، والجثو في الأرض ، أو دفن ببعض الأرض في التراب . والاستظهار في حال المحاربة ببعض الألحان المهيبة ، ورماتهم

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (التأنيث) ، وحكمة التصويب واضحة .

(٢) بيونة Bayonne ، هي ثغر ولاية غسقونية الفرنسية الواقع في زاوية خليج بسكونية بين حدود فرنسا وإسبانيا . والإشارة هنا إلى هذا القسم من جنوب فرنسا الذي يشمل ولايتي أكويتين وجوين .

(٣) صاحب الأنتكيرة أي ملك إنجلترا ، وهو يومئذ الملك إدوارد الثالث . وابنه ولي العهد ، واسمه أيضاً إدوارد (الأمير الأسود) . وقد كان يحكم باسمه ولايتي أكويتين وجوين ، اللذين اقتزعهما أبوه من ملك فرنسا ، على أثر هزيمته إياه في موقعة يواتيه (سنة ١٣٥٥) وذلك ثمناً لتنازله عن دعواه في عرش فرنسا (بطريق الميراث عن أمه الفرنسية) .

قَسِيمٌ غَرِيبَةٌ جَافِيَةٌ ، وَكَلِمُهُمْ [فِي] (١) دُرُوعٌ ، وَالْإِحْجَامُ عِنْدَهُمْ ، وَالتَّقَهُّرُ
مَقْدَارُ الشُّبْرِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ . وَعَارٌ شَدِيدٌ ، وَرِمَاتُهُمْ يَنْبُتُونَ لِلخَيْلِ فِي الطَّرَادِ ، وَحَالُهُمْ
فِي بَابِ التَّمَحُّلِ بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَثْرَةُ آلَاتِ الْفِضَّةِ ، غَرِيبٌ . وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَبْعَةِ
عَشْرٍ يَوْمًا كَانَ رَجُوعُهُ وَرَجُوعُ الْبَرْنَسِ (٢) الْمَذْكُورِ مَعَهُ مُصَاحِبًا بِأَمْرَاءِ كَثِيرِينَ
مِنْ خُزْرَانِهِ (٣) وَقَرَابَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَفُوهُ مَالًا كَثِيرًا ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ
صَاحِبُ الْأَنْتَكِرَةِ ، بِمِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
وَارْتَهَنُوا فِيهِ وَلَدَهُ وَذَخِيرَتَهُ . وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَيْشِهِ بِحَسَبِ دِينَارٍ وَاحِدٍ
مِنَ الذَّهَبِ لِلْفَارِسِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَكَانَ تَأْلِيْفُ الْجِيُوشِ فِي بَنَابِلُونَةَ فِي أَرْبَعِينَ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَسَّرَ عَلَيْهِمُ الْمَجَازُ عَلَى فَحْصِ أَحَدُونِيهِ ، لِبِلَادِ تَمَسُكِ لَطَاعَةِ الْقَنْدِ
أَخِيهِ (٤) ، فَصَالِحُ الْقَوْمِ صَاحِبُ نَبَارَةَ (٥) عَلَى الْإِفْرَاجِ لَمْ ، وَنَزَلَتْ الْحَلَّاتُ فِي فَحْصِ
نَبَارَةَ ، مَا بَيْنَ حُدُودِ أَرْضِ نَبَارَةَ وَقَشْتَالَةَ ، وَنَزَلَ الْمُتَصَيِّرُ إِلَيْهِ أَمْرٌ قَشْتَالَةَ ،
الْقَنْدِ بِأَزَابِهَا فِي جُمُوعٍ لَمْ تَلْتَنظِمُ لِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَشَهَامَتِهِ وَاعْتِرَاضِهِ ، أَجَازَ خَنْدَقًا كَانَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَبَرَ جِسْرًا نَشِبَ فِيهِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ . وَكَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ
السَّبْتِ سَادِسَ إِبْرَيْلِ الْعَجْمِيِّ ، وَبِمُوَافَقَةِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسْتِينَ . وَكَانَ هَذَا
الْجَمْعُ الْإِفْرَنْجِيُّ الْآتِي مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ (٦) فِي صُفُوفِ ثَلَاثَةِ ، مَرْتَبَةِ بَعْضِهَا

(١) واردة في «الملكية» والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٢) نعتقد أنه يقصد هنا بكلمة (البرنس) - وسوف تأتي مرة أخرى - الأمير إدوارد

ولي العهد

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ومعناها مخادعيه أو الأمراء الذين يتظاهرون بنصرتة .

(٤) يقصد الإشارة هنا إلى الكونت هنري دي تراستارا أخى الملك بيدرو .

(٥) نبارة - وفي الإستعمال الشائع نبره - هى مملكة Navarra أو بلاد البشكنس الواقعة

غربى جبال البرنيه ، وجنوب شرق خليج بسكونية ، وعاصمتها مدينة بنبلونة .

(٦) الأرض الكبيرة تسمى في الجغرافية العربية القديمة فرنسا . ويعرف جنوب فرنسا

كذلك بغاليس La Gaule .

خلف بعض ، ليس فيهم فارس واحد ، وإنما هم رجالة ، سواء^(١) أميرهم وأمورهم ، في أيديهم هصى^(٢) جافية في غلظ المعاصم ، يشرعونها أمامهم ، بعد إثبات زجاجها^(٣) فيما خلفهم من الأرض ، يستقبلون منها وجوه عدوهم ، ونحور خيله ، ويجعلونها دعائم وتسكات لبناء مصافهم ، فلم تقلقهم^(٤) المحلات ، وبين أيديهم من الرماة الناشبة الدارعة ، مالا يخصصهم إلا الله عز وجل . وسائرهم السلطان ، مستدعى نصرهم راجلاً أميلاً برأيهم ؛ إلى أن أعياء بعد ميلين منها فاز كبوه بغلة تحملوه بينهم عليها ، إلى موقف اللقاء والتقدم^(٥) . وكان على مقدمة القوم ذلك^(٦) أخو البرنس ، والبرنس^(٧) مع السلطان مستجيره في القلب ، والقند المعروف بقندار مانيان ، وكثير من الأمراء ؛ ردا وسيفه دونهم ، ومن خلف الجميع الخيل يجتنبها ساستهم وغلماهم وخذامهم ، ووراءها دواب الظهر وأبقالهم ، وفي أثناء هذه العبيية من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره . وكان في مقدمة القند المستائر بملك قشتالة ؛ أخوه شائجه في رجل قشتالة ، قد ملأ السهل والجبل ، ومن خلفهم أولو الخيل الجافية القبيلية ، المسبغة الدروع ، من رأس إلى حافر ، في نحو ألف وخمماية ، وفي القلب أخوه الآخر دنطية^(٨) في جمهور الزعماء والفرسان والدرق ، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم ، ومن وراءهم السلطان أندريق^(٩) في لفيف من الناس . ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماة الفرنج ، ثقة

(١) وردت في «ج» سوى ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين (عصا) وهو تحريف .

(٣) ومفردها (الزج) وهو عبارة عن الحديد المثبتة أسفل الرمح .

(٤) هكذا وردت في الملكية والزيبوتنة . وفي «ج» (تقلقلهم) والأولى أرجح .

(٥) أي الكونت هنرى دى ترستارا السالف الذكر .

(٦) يقصد هنا أن يشير إلى أخى ولي العهد إدوارد ، دوق لانكستر Duke of Lancaster

وكان من قواد الحملة المذكورة .

(٧) وردت في «ج» والزيبوتنة (والبرقي) . وهو تحريف .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيبوتنة (أخوه نطية) .

(٩) هو كما تقدم الكونت هنرى دى ترستارا .

بدرؤصهم، فعظم أثرهم فيمن يازا بهم من رماة عدوهم ورجالهم، [لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم] (١). وحملت خيل قشتالة الدارعة، فحزحت كراً المصاف الإفرنجي، واتصل الحرب بالبرنس، وهو مظل عليهم في ربة. فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من التراب فاستغفه، وكسر ثلاث عصي (٢)، وفعل من معه [مثل] (٣) فعله، وهي عاداتهم عند الغضب. وعلامة الإقدام الذي لا نكوص بعده. ووجه إلى أخيه في المقدمة. يقول له، إن وجدت في نفسك ضعفاً. فاذا كر أنك ولد صاحب الانتكيرة. وحمل الكل حملة رجل واحد. فلم تجد الخيل الدارعة سيلاً. وقامت في نحوها تلك الأسيئة، فولوا منهزمين.

ولما رأى القند هزيمة أخيه، تقدم بنفسه (٤) بمن معه من مدد الأمة الرغونية (٦)، وهو ينادى، يا أهل قشتالة، يا موالى، إياكم والعار. هأنذا، فلم يثبت أمره (٧)، وتراجع فله. فعند ذلك فر في أربعة من أولى ثقته، واستولى القتل والأسر على خاصته، وتردى المهزمون في الوادي خلفهم. فكان [ذلك] (٨) أعون الأسباب على هلكهم، فأناف عدد من هلك في هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلات أيدي هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يفادونهم [بمال عظيم] (٩)، واتصل القند المهزم بأرض رعون (١٠)،

(١) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (لكونهم كشفاء فكشفوهم). وفي الزيتونة (لكونهم كتفا فكشفوا إياهم).

(٢) وردت في المخطوطين: عصاة - عصات. والتصويب أفضل.

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة.

(٤) وردت في المخطوطات (في نفسه). والتصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» (هذه) وهو تحريف.

(٦) أي الأمة الأرجونية.

(٧) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (ولا) ووجودها هنا سهو لا يستقيم معه السياق.

(٨) أثبتنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية». ومكانها في «ج» (العظيمة) وهو تحريف.

(١٠) رعون هي ملكة أراجون.

ثم تَجِمَّ من البلاد الفرنسية . ودخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفاً بحميد (١) سعيهم ، وعزيز نصرهم ، وقد رابه استيلاؤهم ، وأوجسه تغلبهم ، [وساءه في الأرض الرعاة عيائهم] (٢) فاستأذنتهم في الحقوق بقواعد أرضه . وقبض الأموال التي تجبي (٣) منها نفقاتهم . وقبض منها ديونهم قبلة . وحث السير ، فوصل طليطلة ، لا يصدق بالنجاة ، وخاطب السلطان المترجم به ، وقد رده (٤) ، وحذره سورة هذه الأمة . التي فاض بحرؤها وأعبأ أمرها . وأنهى إليه شرها ، وشره إلى استيصال المسلمين . وحدته له مواعيدها التي جعلت لذلك . ووصل إشبيلية ، وانثالت البلاد عليه ، وعادت الإيالة إلى حكمه ، ثم شرع في جعل الضرايب ، وفرض الأموال ، وأخاف الناس [بالطلب والتبعات] (٥) فعاد نفورهم عنه جزعاً . وامتنعوا من الغرم ، وطرّدوا (٦) العيال . وأحس بالشر ، فتحصن بإشبيلية ، وجهاتها على نفسه ، وطال على الأمة الواصلة في [سبيل] (٧) نصره الأمر . فرجعت إلى بلادها ، ووقيت نفرة الفرسان ، وأولى الأتباع : وأظهروا الخلاف ، وكشفت جيآن وجهها في خلعاته ، والرّجوع إلى دعوة أخيه المتصرف ، فتحرك إليها السلطان المترجم به ، بعد أن احتشد المسلمين ، فكان من دخولها عنوة ، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها ، ما هو مذكور في موضعه . ثم ألقت بها مدينة

(١) وردت في «ج» والزيتونة (محمد) . والتصويب أرجح .

(٢) ما بين الحاصرتين ماقط في الملكية والزيتونة .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» يجرى . والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الملكية (وقرر رده) وفي «ج» (وقرر رده) والأولى

أرجح .

(٥) وردت في «ج» والزيتونة (والطلب بالتبعات) والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في «ج» والزيتونة . وفي «الملكية» وطرحو . والأولى أرجح .

(٧) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

أبّدة ، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله . وخالفته عليه قرطبة ، واستقر بها من الكيبار جملة ، كاتبوا أخاه ، واستمعوا له ، فتمرّف في هذه الأيام ، أنه قد بلغ أرض بُرغش ، وناز الفتنه بينهم ، ويد الإسلام لهذا العهد ، والمنية^(١) لله ، وحده غالبه^(٢) .

وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرومية ، لغرابية تاريخها ، وليستشعر الحذر ، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها ، والله ولي نصر المؤمنين بفضله^(٣) .
وبأرض رعون سلطاتها السكان على الدولة الأولى .

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولا ما يرجع إلى مناقب الحلم والكظم من مآزق^(٤) الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس .

فمن ذلك أن السلطان لما جرّت الحادثة ، وعظّمه^(٥) التمهيص ، وأجأ إلى وادي آش لا يملك إلا نفسه في خبر طويل ، يادو إلى مخاطبة ثقتة بقصبة المريّة ، قلعة الملك ، ومظنة الامتناع ، ومهاد السلامة ، وتخزن الجباية والعدة ، وقد أصبح محلّ استقراره ، بينها ، وبين المنتزى سداً ، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرع منها حكماً يناشده الله في رمقه ، ويتملقه في رعيّ ذمته ، والوفاء له ، وإبراء غرّبه ،

(١) كذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (والهيبية) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» عالية . والأولى أنسب للمعنى .

(٣) يبيد ابن الخطيب في سرد حوادث الحرب الأهلية في قشتالة ، وما تخللها من تدخل ملك فرنسا ، ثم ولي عهد إنجلترا أوصاحب إمارة أكويتين وجوين لهذا العهد ، كل إلى جانب فريق من الفريقين المتحاربين - يبيد في ذلك كله دقة واضحة ، وحسن معرفة بأطوار المعارك المختلفة ونتائجها ، وكذلك بالأوضاع الجغرافية لاسبانيا وفرنسا في ذلك العصر .

(راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - الطبعة الثالثة - ص ١٤٣ - ١٤٥) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الزيتونة (مداق) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (وعظمه) .

وتمسكك من أمانته ، فردّ عليه أسوأ الرد . وسجن رسوله في المطبق ، وخرج منها لعدوه^(١) ، وناصح بعد في البغي عليه . فلما ردّ الله الأمر ، وجبر الحق ، أعتب وأجرى عليه الرزق . ولما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي^(٢) ، هاتفاً بالدعوة لبعض القرابة ، وأكذبه الله ، وعقّه الشيطان بعد نشر راية الخلاف ، وجعل للدولة ، علو اليد ، وحسن العاقبة . وتمكّن من المذكور ، أبقى عليه ، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه ، وهو من مغرّبات الحلم المبني على أساس الدين ، وابتغاء وجه الله .

ولما أجلي عن الترشيح من القرابة ، بعد تقرب^(٣) التهمة ، وتمسّس الأيدي في المعصية ، صُرفوا إلى المغرب صرّف العافية ، وأجرى على من تخلفوه عوايد الأرزاق ، ومرافق المواسم ، ووعد^(٤) ضعفاءهم بالإرزاق ، وتجوّفى عما يرجع للجميع من عتار ورباع ، وأسعت^(٥) آمالمهم في لحاق [ذويهم]^(٦) من أهل وولد . ومما يرجع إلى عوايد الرفق ، ومرافق العدل من مازق^(٧) في جهاد النفس ، وقوف وكيل الدولة ، مع من يجاور مستخلص السلطان^(٨) من العامرين^(٩) ومما ولى الفلاحة ، وقد ادعوا أضراراً ، يجره الحوار بين يدي القاضي بالحضرة ، حتى بعد منقطع الحق ، على ما يخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف . ولا كفضية التاجر المعروف بالحاج اللباس ، من أهل مدينة وادي آش ،

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . ووردت مكانها في «ج» (لدرى لعدوه) .

(٢) سوف نشير إليه في حاشية قادمة .

(٣) هكذا في « الملكية » . والزيتونة . وفي «ج» قرب .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (توعد) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (واستعت) وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة لم ترد في المخطوطين . وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٧) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٨) مستخلص السلطان هو كما سبق شرحه الأملاك السلطانية الخاصة .

(٩) العامرين أى الذين يعمرون الأرض ويفلحونها .

وقد [تحصلت في] (١) داره ، من قبيل التاجر المذكور جارية من بنات الروم ، في سبيل تفوت الذمم ، ومُسْتَمَلِك المتوليات (٢) ، وترقت إلى تربية ولداه ، وأصبحت بعض الأظار لأمرائه . واتصل بها كلفه ، وزاد هيامه ، وغشى مدافن (٣) الصالحين من أجلها ، وأنهيت إليه خبره وبشئه . وقررت عنده شجوة ، وألعت بها ينقل في هذا الباب عن الملوك قبله ، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه ، وانتزاعها من أيدي الغبطة ، وانتزاع القهر . بحاله في جميل الزنى ، فمكنت منها يد عاشقها الذاهل ، وقد خفت (٤) نفسه ، وسكن حسه . وكاد لقاؤه إياها أن يقضى عليه . ونظائر هذا الباب متعددة .

ومن مواقف الصدق والإحسان من خارق جهاد النفس . بناء المارستان الأعظم حسنة هذه النخوشم القصوى . ومزية المدينة الفضلى . لم يهتد إليه غيره [من] (٥) الفتح الأول ، مع توفر الضرورة ، وظهور الحاجة ، فأغرى به همة الدين ، ونفس التقوى ، فأبرزه موقف الأخذان (٦) . ورحلة الأندلس . وفذلكة (٧) الحسنات ، فخامة بيوت ، وتعدد مساكن ، ورحب ساحة ، ودرور مياه ، وصحة هواء ، وتعدد خزائن ومتوضآت ، وانطلاق جراية وحسن ترتيب ، أبر على مارستان مصر (٨) ، بالساحة العريضة ، والأهوية الطيبة ، وتدقق المياه

(١) ورد مكانها في المخطوطات الثلاثة (تخلصت من) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في «ج» مدفن . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (خافت) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٨) يلوح لنا أن ابن الخطيب يشير هنا إلى المارستان المنصوري الكبير ، الذي أنشاه السلطان المنصور بن قلاوون سنة (٦٨٣ هـ) بميدان بين القصرين بالقاهرة ، وهو أقرب المارستانات القاهرية عهداً بعصر ابن الخطيب .

من فورات الرمل ، وأسود الصخر ، وتموج البحر ، والسدال الأشجار . إلى موافقته إياي ، وتسويغه ما اخترعته ^(١) بإذنه . وأجريته ^(٢) بطيب نفسه ، من اتخاذ المدرسة والزاوية ، وتعيين التربة ، مُغيراً [في ذلك كله] ^(٣) على مقاصد الملوك ، نقشاً عليه ، بطيب اسمه في المزيد ، وتخليد في الجُدُرات للذكر ^(٤) ، وصوناً للمدافن غير المعتادة ، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة ، وترتيل التلاوة ، آناء الليل ، [وأطراف] ^(٥) النهار . وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدقاته ، وعلوِّ همته . ويشهد بما ينبه الحسَّ إلى المنقبة العظيمة ، في هذا الباب ، من إمداد جبل الفتح ، مع كونه في إيالة غيره ، وخارج عن مُلكة حُكمه ، وما كان من إعاتته ، وسدِّ ثغره ، فانهار إليه على خطر السرى ، والظهر البعيد المسمى ، ما ملأ الأهواء ، وقطع طمع العُداة ، أنفقت عليه الأموال ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعُصبة أولى القوة ، بُودٍ بذلك ، بين يدي التفاؤل ، بتزول العدوِّ إياه ، فكان الكرى ^(٦) على إيصال الطعام إليه ، بحساب درهم واحد وربع درهم للرطل من الطعام ، منفعة فذة ، وحسنة كبرى ، وبدعاً من يدع الفتوى .

وفي موقف الاستعداد لعدوِّ الإسلام ، من خارق جهاد النفس ، اطلاق البنى ^(٧) ، للمدة القريبة ، والزمان الضيق ، بأثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو ، والمشاركة الحدود ، مع أراضيه ، المترامية النيران لتقرب جوابه ، منها ثغر

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : اخترعه ، والماضي هنا أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : وأجرات . وقد لزم التصويب لاستقامة السياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» الذكر ، فلزم التصويب .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٦) الكرى هنا يقصد بها الكراء أو الأجر .

(٧) البنى هنا جمع بناء .

أرشدونة^(١) ، المستولى عليه الخراب . أنفق في تجديد قصبته . واتخاذ جُبهه . ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب، وفي اليوم شجى العدو ، ومعتصم المساهين . وحصن أشير ، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج . على بعد أقطاره . واتخاذ جباب الماء به . واحتفار السانية^(٢) الهائلة برَبْضِهِ . ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله . والعناية بالإسلام . ثم ختم ذلك بتديد حصن الحمراء . رأس الحضرة ، ومَعْقِل الإسلام ، ومَفْرَع المُلْك . ومَعْقِد^(٣) الأيدي . وصوان المال والذخيرة ، بعد أن صار قاعاً صافصفاً . وخراباً بَلَقْعاً . فهو اليوم عروس يُجلى المَهْضَب . ويفازل الشهب ، سكن لمكانه الإزجاج . وذوت نجوم الأَطَاع . ونقل إليه مال الجبايه . المُنْتَفِضِل لهذا العهد . بحسب التدبير . ونفد الخراج . وصون الألقاب . وقع الخزانة بما لم يتقدم به عهد . من ثمانين سنة . والحمد لله . وتجديد أساطيل الإسلام ، وإزاحة علل جيوش المَرَج . وعساكر البحر . فهي لهذا العهد ، مَلَس الأديم ، شارعة الشبا ، مُنْقِضَةٌ جفاتها إلى مساواة الأعداء ، رابكة ظهور المحاسن ، قلقة الموافق ، قُدماً إلى الجهاد ، قد تمدد إنجازها ، وجاست البحر سوابجها ، وتعرفت بركتها والحمد لله ، وأنصاب جيش الجهاد ، استغرق الشهور المستقبلية . لرود^(٤) الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها ، على الدوام ، بعد أن كانت يتمخيفها المَطْل ، وينقصها المطال ، والحمد لله .

وفي (*) مواقف الجهاد الحسى . وبيع النفوس من الله ، وهو نعمة الجهاد الأول ،

(١) أرشدونة . وأرشدونة Archlidona . هي بلدة حصينة تقع شمال مالقة على مقربة من حدود قشتالة في هذا العصر .

(٢) السانية هي الكلمة الأندلسية لآلة الرى المعروفة بالساقية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة هنا (معل) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (لدور) .

(*) هنا يبدأ الجزء الثانى من كتاب «الإحاطة» بمخطوطة جامع الزيتونة بتونس . وسوف نوالى المراجعة عليه إلى جانب مخطوطى جاينجوس والخزانة الملكية . وسوف نرزم له بكلمة (الزيتونة) .

مالا يحتاج عليه إلى دليل . من الجوف^(١) إلى حصن أشر ، قُبْلُ الثغر، والجارحُ المطلبُ على الإسلام ، والعزم على افتتاحه . وقد غاب الناس من مساورته . وأُعْيِي عليهم فتحه ، فلزمه السلطان بنفسه . بياض يوم القيظ . مُحْرَضاً^(٢) ، للمقاتلة ، مُوَسِيّاً لهم^(٣) ، خالطاً نفسه بالمُسْتَنْفَرَةِ . يصابر لهيب النار . ووقع السلاح ، وتعميم الدُّخان ، مُفْدياً للكلمات . مُحْرَضاً لذوى الجراح ، [مباشراً الصلاة على الشهداء] ^(٤) إلى أن فتحه الله [على يده] ^(٥) ، بعزمه وصبره ، فبأشْرَ رَمِّ سوره بيده ، وتحصين عَوْرته بنفسه ، ينقل إليه الصَّخر ، وينال الطَّين ، ويخالط الفَعْلَةَ ، لقرب محلِّ الطاغية ، وتوقع المفاجأة . ثم كان هذا العمل قانوناً مُطَرِّداً في غيره ، وديداً في سواه ، حسبما نذكر في باب الجهاد .

وفي باب النصيحة للمسلمين من مآزق^(٦) الجهاد الأكبر . ما صدر في هذه الدولة ، من مخاطبة الكافة ، بلسان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، صَدَعَتْ بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر ، وأُمَّمَتْ آذان المحافل . ما لم يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر] ^(٧) .

نص الكتاب

ولما صَحَّتْ الأخبارُ بخروج الأمة الإفرنسية إلى استئصال هذه البَقِيعة^(٨) ،

(١) وردت في المخطوطين (الخوف) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» متحرصاً .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الأول) . بالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت هذه الزيادة فقط في «ج» .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) ما بين الحاصرتين واردة في «ج» و «الملكية» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت في «ج» البقعة .

والله متمُّ نوره ، ولو كره الكافرون ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه :

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ، بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، أيده الله ونصره ، وأوى^(١) أمره ، وخَلَدَ ما أثره . إلى أوليائنا الذين نُوقِظ من الغفلة أحلامهم ، وندعوهم لما يطهر من الاوتياب إيمانهم ، ويُخلص لله أسرارهم وإعلانهم ، يرثى لعدم إحسانهم ، وخيبة قياسهم ، ويغار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم ، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات ، وتخفيض الشدائد المعتورات ، وكُنْ أ كُفَّ العوادي المُبتدرات . إلى أهل فلاة ، دافع الله عن فئتهم الغريبة^(٢) ، وعرفهم في الذراري ، وأحرَم ، عوارف اللطائف القريبة^(٣) وتداركهم بالصنایع العجيبة ، سلام عليكم أجمعين ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا نشرك به أحداً ، ولا نجد من دونه مُلتحداً ، مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جليداً ، وأبعد في الصبر مداً ، ليزيد الذين اهتموا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أنقذ من الردى ، وتكفل بالشفاعة [لمن]^(٤) غداً ضارباً هام العدا ، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولداً ، والرضى عن آله الذين كانوا لسماء ملته عمداً ، فلم ترعهم السكتايب الوافرة ، وكانوا لهم أقل عدداً ، ولا هالتهم أمم الكفر . وإن كانت [أظهر جمعاً ، وأكثر عدداً]^(٥) صلاة لاتنقطع أبداً ، ورضى ، لا يبلغ مداً . فإننا كتبنا إليكم ، كتبكم

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (واوى)

(٢) وردت في «ج» (الغري) وفي «الملكية» (الغري) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه الجملة في «الزيتونة» . وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (أكثر

جمعاً وأظهر عدداً) .

الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدائه^(١) ورحمة^(٢)، ورمى بفكره غرض السداد ، فلم يُخط منه هدفاً ولا رمية . وقد اتصل بنا الخبر ، الذي يوجب نصح الإسلام ، ورعى الجوار والذمام^(٣) ، وما جعل الله للأنام على الإمام ، فوجب علينا إيقاظكم من مراقدم المستغرقة ، وجمع أهوايكم المفترقة ، وتهيبكم إلى مصادمة الشدايد المرعدة المبرقة ، وهو أن كبير النصرانية ، الذي إليه ينتقدون ، وفي مرضاته يصادقون^(٤) ويمادون ، وعند رؤية صليبه يبكون ويسجدون ، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضماً وقغماً . وأوسعهم هضماً فلم تُبق لهم^(٥) عصباً ولا عظماً ، ونثرت ما كان نظماً ، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ، ويرفع ما طرّق . ويرفي^(٦) ما مزق الشّتات وخرّق ، فرمى الإسلام بأمة عدوها كالتقطر المُنثال ، والجراد الذي تضرب به الأمثال ، وعاهدهم وقد حضر التمثال ، وأمرهم وشأنهم الامتثال ، أن يدمنوا لمن ارتضاه الطاعة ، ويجمعوا من ملته الجماعة ، ويطلعُ الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة . بغتة^(٧) كقيام الساعة . وأقطعهم قطع الله بح . | العباد والبلاد |^(٨) . والشارف والتلاد ، وسوغهم الحريم المستضعف والأولاد ، وبالله نستدفع مالا نطقه . ومنه نسأل عادة الفرج . فما سُدت لديه طريقه ، إلا أننا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنة بالبور . وأشقنا للذين من وراء البحار ، وقد أصبح معظمهم في لهوات الكفار ، وأردنا أن نهزهم بالوعظة . التي^(٩) تكحل البصائر بميل الاستبصار . وتلهبكم الاستنصار بالله ، عند عدم الانتصار ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (الله) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» النمار .

(٣) هكذا في الزيتونة والملكية . وفي ج (يصادقون) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» واردة في الزيتونة والملكية .

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي الزيتونة (يرمى) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (سقية) . والتصويب أنسب للسياق .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (البلاد والعباد) .

(٨) هكذا في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» الذي ، وهو تحريف .

فإن جَبَرَ اللهُ الخواطر بالضراعة إليه، والانكسار ونسخ الإعسار بالإيسار، وأنجد
 اليمين بآتماء اليسار، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظُّ الخَسَارِ^(١) فإن من ظهر عليه
 عدوُّ دينه، وهو عن الله معزوف، وبالباطل مشغوف، وبغير^(٢) العُرْفِ معروف،
 وعلى الخطام المسلوب ملهوف، فقد تَلَّه^(٣) الشيطان للجبيين، وخَسِرَ الدنيا والآخرة،
 وذلك هو الخسران المبين. ومن نفذ فيه قدرُ الله عن أداء الواجب وبذلك المجهود،
 وآجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن الشهوات الموبقة
 [في] ^(٤) دار الخلود، العابدة بالحياة الدائمة والوجود، أو الظهور على عدوه
 المحشود إليه صبرا^(٥) على المقام المحمود وبيعاً تكون الملائكة فيه من الشهود،
 حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهذوم، بقوة الله المحمود، والسواد الأعظم
 المدود، كان على أمر ربِّه بالحياء المردود «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
 ونحن نتربصُ بكم أن يصيبكم الله بنذابٍ من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إننا
 معكم متربصون»^(٦). فالله الله في الهمم، فقد خَبِتَ رِيحُهَا. والله الله في العقائد.
 فقد خَفَّتْ مصابيحُهَا. والله الله في الرجولة فقد فَلَ حُدُّهَا. والله الله في الغيرة.
 فقد نَعَسَ حُدُّهَا. والله الله في الدين: فقد طمع العدوُّ في تحويله. والله الله في
 الحريم. فقد مدَّ إلى استرقاقه يدُ تَأْمِيلِهِ. والله الله في المساكن التي زَحَفَ لسُكْنَاهَا

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (الخسران). والتصويب أنسب لسياق السجع.

(٢) وردت في «ج» (ويصير). ونعتقد أن هذا تحريف. والتصويب أنسب للمعنى.

(٣) تله أى صرعه.

(٤) ساقطة في «ج» والملكية، وإثباتها أنسب للمعنى.

(٥) واردة في «ج». وساقطة في الملكية.

(٦) يقول لنا المقرئ في نفع الطيب، إن هذه الرسالة أو الموعدة التي تبدأ من هنا، وتنتهى فيما بعد.

بعبارة (والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته) كتبها على بن الخطيب (وليس
 دوره لسان الدين) على لسان السلطان، نداء إلى الأمة، واستنهاضاً لهمتها، على مثل رسائل عديدة
 وجهها إليها ابن الخطيب نفسه (راجع نفع الطيب ج ٤ ص ٤١٥ - ٤١٨).

والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسنّها | وقد كُـلُّ فضلها وتناهى [١].
والله الله في القرآن العظيم . والله الله في الجيران . والله الله في الطّارِف والتّالِد .
والله الله في الوطن الذي توارثه الولدُ عن الوالد . اليوم تستأسد النفوسُ المهينة .
اليوم يُستنزَل الصبرُ والسكينة . اليوم تحتاج المهيمُ [أن] [٢] ترعى هذه النفوس
الكريمة الذّم . [اليوم يُسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشّم] [٣] اليوم يرجع
إلى الله تعالى المصرون اليوم يفيق من نومه الغافلون والمفترون . قبل أن يتفارق
الهلول ، ويحقّ القول ، ويُسد الباب ، ويحقّ [٤] العذاب ، ويُسترق بالكفر
والرّقاب . [فالنساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار] [٥] . والذّيور ترفرف لتحمي
الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها والإضرار . تمر الأيام عليكم مرّاً السحاب
وذهاب الليالي لكم ذهاب [٦] . فلا خبر يفضى إلى العين ، ولا حديث في الله [٧]
تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كدّ [٨] إلا لزينة يُحلى بها نحر وجيد ، ولا سعى إلا
في [٩] متاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد . وبالأمس نُدبتم إلى التماس [رُحى
أورضى] [١٠] مسخر السحاب ، واستقالة كاشف العذاب ، وسؤال مرسل الدّيمة ،
ومُحي البشر والبهيمة ، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء ، واغبرت جوانبكم المخضرة
احتياجاً إلى بلالة الماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون . وإليها الأَكفّ تمدون ،

(١) هذه الزيادة من نفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، وإثباتها لازم للسياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» والملكية . وفي «الزيتونة» (ويحق) والمؤدى احد .

(٥) هذه الزيادة واردة في نفع الطيب .

(٦) هذه الجملة ساقطة في المخطوطات الثلاثة وواردة في النفع .

(٧) هكذا في «ج» . وفي الملكية (بالله) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة (تقد . تمد) والتصويب من النفع .

(٩) واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في المخطوطتين .

(١٠) هذه الزيادة من نفع الطيب .

وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يَصْحَرَ^(١) منكم عددٌ معتبر ، ولا ظهر للإنابة
 [ولا للصدقة]^(٢) خبر ، وتوقَّوون^(٣) عن إعادة الرغبة إلى الفنى الحميد ، والولى
 الذى إن شاء يذُهبكم ويأت بخلقٍ جديد . وأيم الله لو كان لهموا لارتقبت
 الساعات [وضاقت المتسعات]^(٤) . وتزاحمت على جماله وغطت الجماعات^(٥) .
 أتعزُّزاً على الله وهو القوى العزيز ، وتلبيساً على الله ، وهو الذى يُميز
 الخبيث من الطيب ، والشبه من الإبريز ، أمنا بذة والنواصي بيده ، أغروراً
 فى الشدايد بالأمل [والرجوعُ بعد إليه]^(٦) . من يبدأ الخلق ثم يعيده ،
 ثم ينزل الرزق ويقيده ، من يُرجع إليه فى الملمات ، من يُرجى فى الشدايد
 والأزمات ، من يوجد فى الحيا والمات ، أفى الله شك يخلج القلوب ، أم غيرُ
 الله يدفعُ المسكروه ، ويُيسرُ المطلوب^(٧) . تفضلون على اللجا إليه فى الشدايد ،
 [بواسمَ الجهل ، وثرة الأهل]^(٨) وطايفة منكم قد بررت إلى استسقاء رحمته ،
 تمدُّ إليه الأيدى والرقاب . وتستكشف بالخضوع لعزته^(٩) العقاب^(١٠) ، وتستعجل
 إلى مواعد إجابتة الارتقاب ، وكأنكم أنتم ، عن كرمه قد استغنيتم ، أو على

- (١) وردت فى «ج» (بضجر) . وفى الملكية و«الزيتونة» (بضجر) والتصويب من النفع .
 (٢) الزيادة من نفع الطيب .
 (٣) وردت فى المخطوطين (وترفل) والتصويب من النفع .
 (٤) وردت فى «ج» و«الملكية» . (المساعات) والتصويب من النفع .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى النفع كالاتى (وتزاحمت على
 أذنيته الجماعات) .
 (٦) هذه الزيادة من النفع .
 (٧) واردة فى «ج» والنفع . وساقطة فى «الزيتونة» .
 (٨) هكذا وردت فى «ج» و«الملكية» . وساقطة فى الزيتونة . ووردت فى النفع كالاتى
 (مرائد الفضل وثرة الجهل) .
 (٩) كذا فى «ج» والملكية . وفى النفع (لعظمته) .
 (١٠) هكذا وردت فى «ج» والنفع . وفى «الزيتونة» و«الملكية» (العذاب) . والأولى
 أنسب للسياق .

الامتناع من الرجوع إليه بنيتم . أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبليغ باليسير ، والاستعداد إلى (دار الرحيل)^(١) الحق والمسير ، ومداومة الجوع ، وهجر الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع . دخلت هليه فاطمة رضى الله عنها ، وببيدها كسرة شعير ، فقال ما هنه يا فاطمة ، فقالت يا رسول الله ، خبزت^(٢) قرصة ، وأحببت أن تأكل منها ، فقال يا فاطمة ، أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم ، يستغفر في اليوم سبعين مرة . يلتمس رَحْمًا ، ويقوم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، حتى تورمت قدماه ، وكان شأنه الجهاد ، ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد . فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون . وإذا لم تهتدوا بهديه فبمن تهتدون ، وإذا لم تُرضه باتباعكم ، فكيف تعزون إليه وتنتسبون ، وإذا لم ترغبوا في الاتصاف بصفاته غضباً لله (تعالى)^(٣) وجهاداً ، وتقللاً من العرض^(٤) الأدنى [وسهاداً ففيم ترغبون ، فابتروا حبال الآمال ، فكل آت قريب ، واعتبروا بثلاث]^(٥) ما ذهَم من تقدم من أهل البلاد والقواعد ، فدهولكم عنها غريب ، وتفكروا في منابرها التي كان يعلوها واعظ أو خطيب ، ومطيل ومطيب ، ومساجدها المتعددة الصفوف ، والجماعات العمورة بأنواع الطاعات ، وكيف أخذ الله فيها بذنوب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور بما أغضوا عيونهم ، وساءت بالغفلة عن الله عُقبى جميعهم ، وذهبت النعمات^(٦)

(١) وردت في «ج» للرحيل . وما أثبتناه عن النفع .

(٢) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (أخبزته) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي النفع وفي «الملكية» (العرض) .

(٥) الزيادة من نفع الطيب .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (المنقحات) . والتصويب من النفع .

بعاصيهم ، ومن داهن في أمره من مطيعهم ، وأصبحت مساجدهم [مناصب]^(١) للصلبان ، واستبدلت آذانهم بالنواقيس من الأذان . هذا والناس ناس ، والزمان زمان . (فما)^(٢) هذه الغفلة عن من اليه الرجى وإليه المصير [وإلى متى التساهل في حقوقه ، وهو السميع البصير ، وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير]^(٣) وإلى متى نسيان اللبأ إلى الولي النصير . قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم ، وتحركت الطواغيت من [كل]^(٤) جهة اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتابُ الله قائم فيكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمنح سطورُها ، ولا احتجب نورُها ، وأتم بقايا من افتتحها من عدد قليل ، وصابرٍ فيها كلُّ خطب جليل ، فوالله لو تمحّض الإيمان ورضى الرحمن ، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عدم الإسلام فيها عزم التأييد . ولكن شمل الداء ، وصمّ النداء ، وعميت الأبصار ، فكيف الاهتداء ، والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعاً ، فهو الغفور الرحيم ، واستقبل مقبل العثرات ، فهو الرؤوف الخليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا ، فقبول المعاذير من شأن الكريم . سدّت الأبواب ، وضعفت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم [يا فتاح]^(٥) ، يا وهّاب . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم [يا أيها الذين آمنوا]^(٦) قاتلوا الذين يلوّنكم من الكفار ، وليجِدوا فيكم غلظةً ، واعلموا أن الله مع المتقين . ولا تهِنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل

(١) الزيادة من النفع .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» والنفع .

(٦) الزيادة من النفع .

وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة واغبطوها ، فمن خاف الموت رَضِيَ
 بالدنيَّة ، ولا بد على كل حال من المنيَّة ، والحياة مع الذل ليست من شيم أهل
 العقول والنفوس السنيَّة . واقتنوا السلاح والعُدَّة ، وتعرفوا إلى الله في الرِّخاء
 يرفكم في الشدَّة ، واستشعروا القوة بالله [تعالى] ^(١) على أعدايه وأعدايكم ،
 واستميتوا من دون أنبايكم . وكونوا كالبنين ^(٢) [المرصوص] ^(٣) لحملات العدو
 النازل بفنائكم ، وخطوا بالتعويل على الله وحده بلادكم . واشتروا من الله جل
 جلاله أبناءكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها . وشككت إلى بعض الصالحين ، فأشار
 عليها بالصدقة [فتصدقت] ^(٤) ، برغيف . فأطلق السبع ولدها . وسمعت النداء
 [يا هذه] ^(٥) لقمه بلقمة ، وإنما استودعناه لحافظون . أهجروا الشهوات ،
 واستدركوا الباقيات ^(٦) من قبل الفوات . وأفضوا لمساكينكم من الأثوات ،
 واخشعوا لما أنزل الله [تعالى] ^(٧) من الآيات . وخذوا نفوسكم ^(٨) بالصبر على الأزمات ،
 والمواساة في المهمات ، وأيقظوا جفونكم من السُّنات . واعلموا أنكم رُضِعَ ^(٩)
 ثدي كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب ، والدين الوحيد ، وحزب التمحيص ،

(١) الزيادة من نفح الطيب .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» وفي النفح (كالبناء)
 والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . ووردت بالملكية» محرقة (المرسوس) .

(٤) الزيادة من النفح .

(٥) الزيادة من النفح .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» والنفح (البقية) .

(٧) الزيادة من النفح .

(٨) وردت في «ج» و «الملكية» (من لكم) . والتصويب من النفح .

(٩) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» والنفح (رضعاً) .

ونفّر [المرام] ^(١) العَوِيص ، فتفقدوا معاملةكم مع الله [تعالى] ^(٢) ، فهما
وأيتم الصدق غالباً . والقلب للمولى الكريم . مراقباً ^(٣) وشهاب اليقين
ثاقباً ، فثتموا بعناية الله التي لا يغلبكم معها ^(٤) غالب ؛ ولا ينالكم [من
أجلها] ^(٥) عدوُّ مُطالب ، وأنكم في السّتر الكثيف . وعصمة الخبير اللطيف .
ومهما رأيتم الخواطر متبدّدة ، والظنون بالله متردّدة ، والجهات التي تخاف ،
وتُرجى متعدّدة ، والغفلة عن الله ملابسها مُتجدّدة . وعادة [دواعي] ^(٦) الخذلان
دائمة ، وأسواق الشهوات قائمة . واعلموا أن الله منمّذ فيكم [وعده] ^(٧) ووعيده
في الأثم الغافلين ، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم . ولا عدوان إلا على الظالمين . والتوبة
تردُّ الشارد ، والله يحب التوّابين ، ويحب المتطهرين . وهو القائل : « إن الحسنات
يُذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » . وما أقرب صلاح الأحوال ،
إذا صلّحت العزائم ، وتوالت على حزب الشيطان الهزائم ، وتخلت الدنيا الدنيّة
في العيون ، وصدقت فيها عند الله الظنون : « يا أيها الناس إن وعد الله حقٌّ ،
فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور » . وتوبوا سراعاً إلى طهارة
القاوب ، وإزالة الشوب ، واقصدوا أبواب غافر الذنوب ^(٨) ، وقابل التوب .
واعلموا أن سوء الأدب مع الله ، بفتح أبواب الشدايد ، ويسدُّ طريق ^(٩) العوايد ،
فلا تطلّوا بالتوبة أزمانكم ، ولا تأمنوا مكر الله ، فتعشوا إيمانكم ، ولا تعلقوا

(١) و(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنسخ . ووردت في «الملكية» و الزيتونة (راغباً وراقباً) .

(٤) هكذا في الزيتونة و «النسخ» . وفي «ج» عليها .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة و «الملكية» . وفي «ج» لأجلها .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) الزيادة من النسخ .

(٨) هكذا في الزيتونة . وفي «ج» و النسخ (الذنب) والأولى أنسب للسياق .

(٩) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (طرق) .

متابكم بالصراير^(١). فهو علام السراير، وإنما علينا معاشر الأولياء أن ننصحكم،
وإن كنا أولى بالنصيحة. ونعمدكم بالموعظة السريجة، الصادرة عليم الله عن صدق
البريجة. وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم^(٢) إلى الاسترجاع والاستغفار،
وإنما لكم الدنيا نفس مبدولة في جهاد الكفار. وتقدم إلى ربكم العزيز الغفار،
وتقدم لديكم إلى مواقف الصبر. التي لا ترتضى، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد
فيما يعود بالحسن وعقبى الدار. والاختيار لله ولي الاختيار. ومصرف الأقدار.
وهانحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو. [ونفدى بنفوسنا]^(٣) البلاد
والعباد. والحريم [المستضعف]^(٤) والأولاد. ونصلي من دونهم [نار]^(٥)
الجلاد. ونستوهب منكم الدعاء إلى من وعد بإجابته. وتقبل من صرف إليه وجه
إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً، وعلى أعدائك ظهيراً. ومن
انتقام عبدة الأصنام مجيراً، [اللهم]^(٦) قو من ضعفت حيلته، فأنت القوى
المعين، وانصر من لانصير له إلا أنت، إيك نعبد، وإيك نستعين. اللهم ثبت
أقدامنا [وانصرنا]^(٧) عند تزلزل الأقدام، ولا تسلمنا عند لقاء عدو الإسلام،
فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع بملايكتك^(٨) المسومين، [عن ضيقت
أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجأؤه^(٩). اللهم هي لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير

(١) هكذا في الزيتونة و « النفع ». ووردت محرفة في « الملكية » وفي « ج » (الفرايز
الفرايز).

(٢) هكذا في المخطوطين. وفي النفع (سبقناكم).

(٣) وردت في « ج » والملكية (ونفدى بنفسنا). وفي الزيتونة (ونفد بنفسنا). والتصويب

من النفع.

(٤) الزيادة من النفع. (٥) الزيادة من النفع.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) الزيادة من النفع.

(٨) وردت في المخطوطين (بلايتك) والتصويب من النفع.

(٩) وردت في المخطوطات الثلاثة (رجاؤنا) والتصويب من النفع.

[إليك] (١) . ذليلٌ بين يديك حقيرٌ . [رحمةٌ تُروى بالأزمة وتشيع ، وقوةٌ تطرد وتُسْتَنْبِج ، ياغِلب الغلاب . يهازم الأحزاب . يا كريم العوايد . يا مُفْرِجَ الشدايد ، ربَّنَا أفرِّغ علينا صبراً ، وثبَّتْ أقدامنا . وانصُرنا على القوم الكافرين] (٢) . اللهم اجعلنا من تَيَقِّظ [فتيةً] (٣) ، وذَكَرَ فتدَكَّرَ ، ومن قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمَعُوا لكم فاحشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، قانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . وقد وَرَدَتْ علينا المخاطبات من قِبَل إخواننا المسلمين ، الذين عرَّفنا في القديم والحديث اجتهادهم ، وشكرنا في ذات الله [تعالى] (٤) جهادهم ، بنى مَرِين ، أولى الامتِعاض الله والحمية ، والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزية ، بعزْمهم على الامتِعاض لحقِّ الجوار ، والمُصارخة التي تليق [بالأحرار] (٥) [والنَّفرة لانتهاك ذمار بيتهم المختار . وحركة سلاهم] (٦) محلُّ أختنا بمن له من الأولياء والأَنْصار ، إلى الإعانة على هزلاء الكفار ، ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار . [فاسألوا الله تعالى] (٧) إعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار ، والسعي الضَّمين (٨) للعزِّ والأجر والفخار ، والسلام الكريم ينحسُّكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته . في الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من عام سبع وستين وسبع مائة . عرَّفنا الله خيريه . صحَّ هذا . فكان دفاعُ الله أقوى ، وعصمته أكَفَى . والحمد لله على عوايده الحسنى .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) ما بين القوسين إبتداء من (عن ضيقت) ساقط كله في النسخ . وما بين القوسين

إبتداء من (رحمة تروى) ساقطة في الزيتونة . (٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) الزيادة من النسخ . (٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الزيتونة .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في النسخ . ووردت في «ج» و «الملكية» (فاسل . فارسل) .

(٨) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (الضامن) .

ومن الغيرة على الدين ، وتغيّر أحوال الملحدّين ، من مآزق جهاد النفس ، ما وقع به العمل من إخماد البدع . وإذهاب الآراء المضلة ، والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة . وقد أضاعت^(١) أرباب هذه الأضاليل الشريعة ، وسدّت مضرتهم في السكافة ، فیسلّط عليهم الحکّام . واستدعيت الشهادات ، وأخذهم التّشريد ، فهل تُحسّ منهم أحداً ، أو تسمع لهم ركزاً .

وقيد في ذلك عنى مقالات أخرى . منها رسالة « الغيرة على أهل الخيرة » ، ورسالة « حمل الجمهور على الشنن المشهور » . ورسالة « أنشدت على أهل الرد » . فارتفع الخوض ، وكسدت تلك الأسواق الخبيثة . وضم^(٢) منها الصدا ، ووضح نار الهدى ، والحمد لله ، ولو تتبععت مناقب الهدا ، لا أخرج ذلك عن الغرض .

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشنّاء ، المصحفة بالدولة ، وقد كان السلطان أنذر بطائفة ، تُداخل بعض القرابة ، فعاجله بالقبض عليه ، وهو في محل ولايته ، فصعد وأُحِل إلى قصبة المريّة ، وخاف أرباب المكيدة افتضح الأمر ، فتعجّلوا إبراز الكامن ، وإظهار الخبيث ، وتولّى ذلك جملة من بنى غرون ذُنابي بيت الإديار ، وقد عابهم من بنى مطرون ، يدور أمرهم على الدليل البرّكي^(٣) ، فأكذب الله دَعوتهم ، بعد أن أركبوا الشيخ عليّاً بن نصر ، ونصبوه تلقاء القلعة بباب البُنود^(٤) ، ودَعُوا الناس إلى بيعته . وأخذ السلطان حذرهم ، وناصرهم

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (أضيقّت) .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» وفي «الملكية» وضم .

(٣) الدليل البرّكي يشير به إلى أحد وزراء الغنى بالله ، وهو الذي قام بتدبير تلك الثورة

التي نشبت في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) .

(٤) باب البنود هو من أبواب حى القصبة الجديدة من غرناطة . وكان يقع قبالة الحمراء

وقباله القصبة القديمة ، يفصله عن قصبة الحمراء نهر حدره .

القتال ، وأشاع العطا ، واستركب الجيش ، وعمر الأسوار . فأخفق القصد ، وفرّ الدليل البركي ، وتقبّض على الرئيس المذكور ، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان .

وكان مما أملتّه يومئذ بين يدي السلطان . من الكلام المرسل . ما هو نصه ، بعد الصدر : وإلى هذا فيما أفادته الفطر السليمة . والحلم والقضا بالشرعية ، والنقل الشرعي والسُن المرعي ، أن مغالب الحق مغلوب ، ومزاحم الله مهزوم ، ومكابر البرهان بالجهل موسوم ، ومرتع الغي مهجور ، وسيف العدوان مغلول ، وحظّ الشيطان مؤكوس ، وحزب السلطان منصور . ولا خفاء بنعمة الله علينا ، التي أطردّها^(١) في المواطن العديدة ، والهضبات البعيدة . والشبهات غير المبينة ، والظلمات الكثيفة ، معلنٌ بوفور الحظ من رحمته ، وإبراز^(٢) القداح في مجال كرامته ، والاختصاص بسيا اختياره . فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضع أماناً ، ونهج لنا سبيل النجاة بين يدي كسبه علينا ، وسخر لنا ظهري الطريف والطريق ، بعد أن فرّق لنا بحر الليل ، وأوضح لنا خفي المسلك . وعبد لنا عاصي الحزم ، ودمت غمر الشعراء^(٣) ، وأوطأنا صهوة المنعة ، وضرب وجود الشردمة المتبعة ، بعد أن ركضوا قنيب^(٤) البراذن البادية ، من خزائن إهدائنا ، المتجملة بحلي ركبنا ، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير صلاتنا ، وأبهروا الأنفاس التي طال مارفعا إيناسنا وأبلغها الريق تأميننا ، وصببوا العرق الذي أفضله طعماننا ، شرهين إلى دمننا ، المحظور بالكتاب والسنة ، المحوط بسياج البيعة ، المحصن عنهم بتقديم النعمة ، وحزمة الأب ومتمدّد الأذمة ، فجعل

(١) وردت في «ج» اطردّها ، وفي «الملكية» اطردّها . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» وبراز . وفي «الملكية» (وبواز) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) الشعراء هي الأرض الكثيرة الشجر .

(٤) قنيب أي الجمع المتكاثف .

الله بيننا وبينهم حاجزاً ، وسدّاً ليأجوجهم [من]^(١) المرادة^(٢) مانعاً ، وانقلبوا
يُعضون الأنامل الغضة من سُريط جفاننا ، ويقلبون الأ كُفّ التي أجدبها الدهر ،
ترفعاً من المهن المترتبة^(٣) [في]^(٤) خدمتنا ، قد حالهم صغار القدر . وذلك
التخبية ، وكبح^(٥) الله جماعتهم عن التنفق بتلك الوسيلة . واحتلنا قصبه وادي
آش ، لانملك إلا أنفسنا ، لم يشبها غش العلة ، ولا كياذ الأمة . ولا دَنَسها والحد
لله عارُ الفاحشة . ولا وسمها الشوم في الولاية ، [ولا]^(٦) أحبط عمل نجاتها^(٧)
دخُل العقيدة ، ولا مرضُ السريرة ، مذ سلّمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب ،
وصير إلينا ملك أينا من غير حول ولا حيلة ، نرى أنها أملاكُ لحرمتنا . وأعلم
بما كنا^(٨) ، وأرحمُ بنا ، فنشبت بها القدم ، وحميت لنا من أهلها ، وعالم الله لهم ،
وصدقت في الذبِّ عنا العزائم ، وحاصرنا جيشُ العدو ، وأولياء الشياطين ،
وظهر^(٩) الباطل ، فبان الظفر والاستقبال ، وظهّرت الفية القليلة ، والله مع
الصابرين ، فقلّبوا هناك وانقلبوا صاغرين . ومع ما لنا من الضيق ، وأهمنّا من
الأمر ، فلم نُطلق^(١٠) به غارة ، ولا شرهنا إلى تغيير^(١١) نعمة ، ولا سرّحنا عنا
اكتساح^(١٢) على هجمة ، ولا شعننا لبساً في بيت ولا حلة ، وأمسكنا الأرزاق

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (المودة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (الترتبة) .

(٤) وضعناها ليستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» (وجمع) . والأولى أنسب للسياق

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نجاتها) .

(٨) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (بماننا) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وطهر) .

(١٠) وردت في «ج» (نطق) والتصويب من «الزيتونة» .

(١١) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (تغير) والمؤدى واحد .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» وفي «ج» (إلى) .

بَيْسِيرِ الْحَلَالِ^(١) الذي اشتملته خزائناً من أعشار وزكوات ، وحظوظ من زراعات ، وارتقبنا الفرج ممن محص بالشدة ، والإقالة ممن نبه من الغفلة ، وألهم الإقلاع والتوبة . ثم وفقنا^(٢) سبحانه ، وألهمنا من أمرنا رشداً ، وسلك بنا طريقاً في بحر الفتنه يديساً ، فإذناه بحقن الدماء ، وتأمين الأرجاء ، وشكرنا على البلاء ، كشكرنا إياه [على]^(٣) الآلاء . وخرجنا عن الأندلس ، ولقد كاد ، لولا عهيمته ، بأن نذهب [مذاهب الزوراء]^(٤) ، ونستأصل الشافة ، ونستأصل العرصة ، سبحانه ما أكل صنعه ، وأجمل علينا سيره ، إلى أن جزنا البحر ، ولحقنا بجوار سلطان المغرب ، لم تذب عنا عين ، ولا شمخ علينا أنف . ولا حمل علينا بركب^(٥) ، ولا هتفت^(٦) حولنا غاشية^(٧) ، ولا نزع عنا [للتقوى والعفاف]^(٨) ستر ، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذي أغفله الأوغاد^(٩) من أبناء دولتنا ، والضفادع ببركة نعمتنا ، حتى إذا الناس طافوا الصبيحة^(١٠) ، وتملأوا^(١١) الحسرة ، وسيموا الخسار والخيبة ، وسامهم^(١٢) الطغام الذين لا يرجون الله وقاراً ، ولا يألون لشمايره المعظمة احتقاراً ، كلاب الأطماع ، وعبيدة الطاغوت ، ومدبرو

(١) وردت في «ج» (الحال) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا في «ج» . ووردت محرفة في «الزيتونة» و «الملكية» (أوقفنا . وقفنا) .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) في المخطوطين (مذاهب ندمت الزوراء) . ونعتقد أن التصويب أفضل للسياق .

(٥) الركب - الجماعة من عشرة إلى ما فوق .

(٦) وردت في «ج» (خفت) وفي الملكية (خفت) . وفي الزيتونة (هتف) . والتصويب

أوجه .

(٧) وردت في «ج» غاشية . والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» (العفاف والتقوى) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (الأعوان) والأولى أنسب للسياق .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الملكية (الهبية) .

(١١) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (وملوا) . والأولى أنسب للسياق .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (وساسهم) .

حُبُونُ الجَهِلِ . وميَاسيسُ أسواقِ البُعدِ عنِ الرَّبِّ . وعرايسُ مَحْرَمِ الزِينَةِ ، وَوُدُ القُرْبِ ، وَتَغَارُ النَّهْمِ . الأَعزَّةُ (١) على المؤمنين بالباطل . الأذلةُ (٢) في أنفسهم بالحق ، من لا يُحسِنُ المَحاولَةَ . ولا يَلازمُ الصَّهْوَةَ . ولا يَحْمِلُ السَّلاحَ . ولا يُنزهُ مَجْتَمَعِ الحِشْمَةِ عنِ الفَحشاءِ ، ولا يُطعمُ المسكينَ ، ولا يشعرُ بوجودِ اللهِ ، جاروا (٣) من شقيهم (٤) [المحروم] (٥) ، على مضعوفٍ مُلْتَفٍ في الحَرَمِ المَحْصُورِ ، مُحْتَفٍ بلُطْفِ المهدِ ، مُعَلَّلٍ بالخِدايعِ ، مَسلوبِ الجِراةِ بأيدي اِتهامِهِم ، شَوْمٍ على الإسلامِ ، ومَعْرِيةٍ في وَجهِ الدِّينِ ، أَخَذَ اللهُ مِنْهُمُ حَقَّ الشَّرِيعَةِ ، وَأَنْصَفَ أَيْمَةَ المَلَّةِ . فلم يَنْشَبُوا أن تَهَارَشُوا ، فَعُضُّ بَعْضِهِم ، وَاسْتَأْصَلَهُمُ البَغْيُ ، وَأَلْحَمَ لَلسَيْفِ ، وَتَقَنَّ القَتْلَ ، فَمِنْ بَيْنِ مُجَدَّلٍ ، يُوَارِي بِأَحْلاسِ الدَّوَابِ الوَيْرَةَ (٦) ، وَغَرِيقٍ يُزْفُ (٧) بِهِ إِنْ ساءَ المَيْتَةُ ، وَاسْتُيْنِتَ حُرْمَةُ اللهِ ، وَاسْتُضْمِيَ الدِّينُ ، وَاسْتَبِيحَتِ المَحْرَمَاتُ ، وَاسْتَبِيحَتِ الفُرُوجُ في غيرِ الرِّشْدَةِ ، وَسَاءَتِ في عَدُوِّ الدِّينِ الحِيلَةُ ، فَتَحَرَّ كِناعِنِ اتِّفاقِ مِنْ أربابِ الفُتْيَا ، وَعَزَمَ مِنْ أُولَى الحَرِيَّةِ ، وَتَحْرِيضِ مِنْ أُولَى الحَفِيظَةِ وَالمَهْمَةِ ، وَتَدَاخِرِ (٨) مِنَ الشُّوكَةِ ، وَتَحْرِيكِ مِنْ وِراءِ البَحْرِ مِنَ الأُمَّةِ ، فَكانَ ما قَدِ عَلِمَ مِنْ تَسْكِينِ الثَّائِرَةِ [وَإِشْكا العَدِيمِ] (٩) ، وَإِصْما الصَّارِخِ ، وَشَعْبِ الثَّأْيِ ، وَمَعالِجَةِ (١٠) البَلْوَى ، وَتَدَارِكِ القَطْرِ ، وَقد أَشْفَى ، وَكشَفَ الضَّرَّ وَالبَأسا [أما

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (العزة) . وفي الملكية (الغرة) . والأولى سبب السياق .

(٢) وردت في «ج» (الأقلة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» داروا .

(٤) وردت في «ج» سقيهم . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» الدبرة . والتصويب من «الملكية» و «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يروف) والأولى

أنسب للسياق .

(٨) هكذا في «ج» و «الملكية» . والتداخر تعنى هنا الدفع .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .

(١٠) وردت في «ج» (معالجة) والتصويب من «الزيتونة» .

الخبوة فالتسما . وجَلَّ الرَّبُّ . واستشاط عليها جوُّ السماء [١] . وأما مرافق
البحر ومرافدُه . فسَدَّتْ طرقها أساطيلُ الأعداء . وأما الحِمِيَّة فبدَّدها (٢) فسادُ
السيرة ، وغَمَطَ الحقُّ ، وتفضيل الأذى . وأما المال فاصْطَلَمَ السَّفَهَ بِيضاءه وصفراءه ،
وكبس خزائنه حتى وقع الإِدْقَاعُ والإِعْدَامُ . وأقوى العامر . وافْتَقَرَتِ الجباني
والمغابن ، واغْتَرَبَتِ جفون السيوف من حُلاها . وجردتموه الآلة إلى أعلاها (٣) ،
والدَّغْلُ المُسْتَبِطُنُ [الفاضح] (٤) ، ويمحض الحين ، وأسامت للدواء
العَرَصَةُ ، وتخرَّبَتِ الثغور من غير مُدافعة ، واكتسحت الجهات فلم يُترك بها
نافخ ، ووقع القول ، وحقَّ البهت ، وخذل الناصر ، وتبرأت الأواصر ،
فما كنا العدو إلى النصفة . ولم نقره على الدنِّية ، وبأينناه أحوج ما كنا إلى
كُدْحِه ، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرتِه على الكفار مثله ، اعتزازاً بالله ، وثقةً
به ، ولجأً إليه وتوكلاً عليه ، سبْحانَه ما أبهر قدرته ، وأسرع نُصْرته ، وأوجى
أمره ، وأشدَّ قهره . ورَكِبْنَا بحر الخطر ، بجيش [من التجربة] (٥) ونَهَدْنَا
قُدْمًا ، لانهاب (٦) الهول ولا نراقبه ، وأطللنا على أحوال رِيه (٧) في الجمع القليل ،
إلا من مدد الصبر المفرد ، إلا من مظاهره الله الغفل ، إلا من زينة الحق المظلل جناح
عقابه يجتاحُ الروح ، تُسدُّ جياذُه بصهيل العزِّ ، المطالعة غُرُره بطليعة النصر . فلما أحسَّ
بنا المؤمنون المُطَهَّرُونَ (٨) بساحتهم . انتزوا من عِقَالِ الإيالة الظالمة ، والدعوة الفاجرة ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (فشدّها) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» علاها .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» . ولكن قد وردت كلمة (الفاضح) في «ج» بعد كلمة (الحين) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وفي «ج» (من تجاربه) .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (هيب) والتصويب أرجح .

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أحوال أربه) وهو تحريف . وولاية ريه المذكورة هنا هي

الولاية الأندلسية التي تقع بها مالقة وأحوالها من الشمال والغرب .

(٨) وردت في «ج» (المضطهدون) . والتصويب من «الملكية» وهو أرجح .

وتبرأوا من الشرذمة الغاوية . والطايفة المناصبة لله الحاربية . وأقبلوا ثنيتات
وأفراداً، وزرافات ووحداناً. ينظرون بعيون لم تُرو من غيبتنا . من مُحيار حمة ،
ولا اكتحلت بمنظر رافة ، ووجوه عليها قسوة الخسف ، وإبشار عليها بوس
الجهد ، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق ، يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى ،
ويجهشون بالبكاء ، ويُعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرّفناهم الأمان من الأعداء ،
وأول عارفة جعلونا عليهم ، وصرفنا وجه التأمين والتأنيس ، وجميل الود إليهم ،
وخارطناهم (١) الإجهاش والرقة ، ووثبنا (٢) لهم من الذلة ، واستولينا على دار
الملك ببلادهم (٣) . فأنزلنا منها أخايث كان الأشقياء مخلّفوم بها ، من أخلاف
لا يزال تطأ إشارهم الحدود ، وتأنف من استكفائهم اليهود ، وانثالت علينا
البلاد ، وشمر الضاغية ذيله عن الجهات ، وراجع الإسلام رمق (٤) الحياة ، وحثنا
السير إلى دار الملك ، وقد فرّ عنها الشقي الغاصب . بشوكة بغية ، التي أمدته
في الفج ، وأجرته على حرمة الله ، وقصد دار قشتالة ، بكل ماصانت الحقائق
من ذخيرة ، [وحجبت الأمهات من خريزة ثمينة] (٥) يتوعدون المسلمين بإدالة
الكفر من الإيمان ، واقتياد جيوش الصّلبان ، وشد الحيازيم إلى تبديل الأرض
غير الأرض ، وسوم الدين ، وطمس معالم الحق ، كإداداً لرسول الله في أمته ،
ومناصبة [إله] (٦) في حنيفيته ، وتبديلاً لنعمة الله كُفراً . والمعروف الحق نُكراً ،
أصبح (٧) له الناس على مثل الرّصف ، يرتقبون إطلال الكريهة ، وسقوط الظلة ،

(١) وخارطناهم (هكذا في ج والملكية) معناها وبكينا بكاء شديداً .

(٢) وثبنا بالتشديد معناها ، أكرمناهم وأقلناهم من الذلة .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و«الملكية» . وفي «ج» ببلادهم .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (إلى) والأولى أرجح للسياق .

(٥) هذه العبارة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (الله) ، وفي «الملكية» (لرسول الله) مرة أخرى . والتصويب أنسب للسياق

(٧) وردت في «ج» (أصبح) والتصويب من «الملكية» .

وعودة الكرة ، وعُقبى المعرّة ، والله من ورائهم مُحيط ، وبما يعملون محيط ،
 ولدعاء للمستضعفين من المؤمنين مُجيب ، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض
 قريب . ولم نُقدم [مذ] ^(١) حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره ،
 نناشده العَهْد ، ونُطرى له الوفاء ، ونُنجزه إلى الحق ، ونقوده إلى حُسن التلطف ،
 إلى الذي نشاء من الأمن ، فحسم الداء ، واجتث الأعداء ، وناصح الإسلام وهو
 أهدأ عدُوّه ، وحزَم الدين ، وهو المعطل ^(٢) من أدوايه ، وصارت صُغرى عناية الله
 بنا ، التي كانت العُظمى ، واندرجت أولها في الأخرى ، وأتت ركائبُ السُمن
 واليسين ، تترى ، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصُّقع سدى ولا هباء عبثاً ،
 وأن له فينا خبيثةً غيب ، وسرُّ عناية ، يبلِّغنا إياها ، ويَطوِّقنا طوقها ، لامانع
 لعطايه ، ولا مُعدِّد لآلايه ، له الحمد على أرضه وسمايه .

فمن اضطردت له هذه العجائب ، فحملته ^(٣) عوايق الاستقامة مزينة جيوب
 التقوى ، كيف لا يتمنى ، ويدين لله بمناصحته ، ويحذر عناد الله بمخالفته ، ويخشى
 عاقبة أمره ، إنها لا تعمي الأبصار ، ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . فقللنا
 أظفار اللطالبة [وأغضينا عن البقية] ^(٤) وسوَّغنا من كشف وجهه في حرِّبنا نعمة
 الإبقاء ، وأقطعنا رَحِم من قطع طاعتنا جانب الصِّفح ، وأدزَّرننا لكثير ممن شحَّ
 عنا ولو بالكلمة الطيبة جوربة ^(٥) الرزق ، ووهنا ما وجب لنا من الحق ، ودنا له
 بكظم الغيظ ، وعمرنا الرُّتب بأربابها ، وجردنا الألقاب بعد خرابها ، وقبضنا

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة وبإثباتها يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت محرفة في «ج» (المفضل) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فحمله) . والتصويب أنسب للمعنى .

(٤) وردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وأغضينا على البقية) . وفي «ج» (وأغضينا طرف

التيبة) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة والمقصود بها (الجرابية) .

الجباية مُحَمَّلَةٌ كَتَدَّ العادة ، مقودة بزمام الرِّفق . مَسوحاً عَظْمُها بِكف^(١) الطواغية .
فبَلَّنا صَدأَ الجِيشِ المَمطولِ بالأمانى ، المَعْلَلِ بالكذب ، المُستخدَمِ فى الذبِّ عن
مِجاثمِ الفَحشاءِ ، ومراقِدِ العَهْرِ ، ودارينَا الأعداءِ ، وحسَمنا الداءَ ، وظَهَرَ أمرَ الله
وهم كارهون . إلا أن تلكَ الشَّرْذِمَةَ الخبيثةَ ، أبقت جرائمِ نفاقِ ، رَكبها انجِجار
الذَّنْدَرِ ، وبَدَرَ بِها حَصيدُ الشَّرِّ ، وأخلطوا الحَقايِبِ الأَمِينَةَ مِن ساء ظنِّه ، وخبِثَ
فكره ، وظن أن العقاب لا يفلتُه ، والحق لا يندُرُه ، والسياسة لا تحفِزُه ، فدبت
عقاربُهُم ، وتدارت طَواقِمُهُم ، وتَأَبَّتْ^(٢) فسادُهُم ، فدَبَرُوا أمرًا تَبَرَّه اللهُ تَعبيراً ،
وأوسَعَه خِزياً وبيلاً ، وجفَلوا يرتادون من أذبالِ القِرابَةِ ، مَنْ استَخَلَصَه الشيطانُ
وأصحبَه الخِذلانَ ، مَنْ لا يصلح^(٣) لِشِئٍ مِنَ الوِظائِفِ ، ولا يَسْتَقِلُّ بِبعضِ الكُفِّ .
فخرَكوا مِنْهُم زاهِق^(٤) زمانه ، من شرِّ الدَّوابِّ الذين لا يسمعون ، فأجرَّهُم رِسنَه ،
وتوقف^(٥) وقفة العَيْنِ بين الوردِ والصَّدرِ . بِخلالِ ما أَطاعنا اللهُ طَلعَ نَيْتِه ، فعاجلناهُ
بالتبضِّ ، واستودعناهُ مَصْفِداً يَبمُضُ الأَطباقِ البعيدةَ ، والأجبابِ^(٦) العميقةَ ،
فخرَجَ أمرُهُم ، وخافوا أن يَحترِشَ السعاياتِ ، صبابِ مكرِهِم ، وتَتبِعَ نفاقَهُم ، فأقدموا
إقدامَ الميرِ على الأَسَدِ ، استعجالاً للحينِ ، ورجعاً لحِكمِ الخِيارِ ، وإقداماً على التى هى
أشدُّ ، تولى كِبَرها ، وكشَفَ وجِهه فى مَعْصيتها الخبيثِ البركى^(٧) حِلْفِ التهورِ
والحرقِ ، المموه بالبسالةِ وهو الكذُوبُ النَّكوثُ الفُكُولُ ، تحمانا هفوتَه ، وتممَدنا

(١) وردت فى المخطوطين (الكف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» و «الملكية» (وتبات) . والأولى أنسب

لساق .

(٣) وردت فى «ج» و «الملكية» (يصح) . وبالتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى «ج» و «الملكية» وفى الزيتونة (زهو) والأولى أرجح .

(٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (ووقف) .

(٦) وردت فى «ج» (والأجبال) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) البركى . وقد سبق أن عرفنا بصاحب هذا الاسم .

بالعمى قديماً وحديثاً زلته ، وأعرضنا فيه عن النصيحة ، وأبقينا له حكم الولاية ،
وأنسا من نقرته ، وتعافنا عن غيرته . وسوَّغنا الجرائم التي سبقت ، والجراير
التي سافقت ، من إفساد العهد وأسر المسامين ، والافتيات على الشرع ، والصدوع
بدعوى الجاهلية ، فلم يفده . إلا بطراً ، ولم يزد إلا مكرراً ، والخير في غير أهله
يستحيل شراً ، والنفع ينقلب ضرراً . والتفت عليه طائفة من الخلائق ^(١) بنوغرون
قرية الجبل والشمسة . وأذنب بيت الإديار ، ونفاية الشُّرا ، عرك جراتهم مكان
سهرم الباس . ابن بطرون ^(٢) . الضعيف المنّة السقيط الهمة ، الخامل التفصيل
والجثة . وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخيب سعيهم ، فافتحموا البلد صبيحة
يهنقون بالناس أن قد طرق حمامهم ، وأن العدو قد ذكهمهم ، ملثفتين يرون أنهم في
أذالهم ، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم ، وسرعانهم ترهقهم ، كأنهم سقطوا من السماء ،
أو روا من بين الحصباء . ثم جالوا في أزقة البلد يتذفون في الصفاح نار الجباحب ^(٣)
وكهناً فوق الصخر المرصوف ، وخوضاً في الماء غير المرهوف . ثم قصدوا دار الشيخ
الباسي بن أحمد بن نصر ، نفاية البيت ، ودردى القوم ، مسموخ ^(٤) الشكل ، قبيح اللثغ
ظاهر الكدر ، لإدمان المعاقر ، مزنون ^(٥) بالمعاقر والرَّبت على الكبرة ساقط
الهمة . عديم الدين والحشمة . مُتَمَت ^(٦) في البخل والهلح ، إلى أقصى درجات
الخطية . مثل في الكذب والنميمة ، معيب ^(٧) المائة . لا يُرق بوله ، ولا يجف
سكبه ^(٨) . فاستخرجوه مبيهاً في الخلافة . منصوباً بأعلى كرسى الإمامة ، مدعوماً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الخلاف) . والتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ابن بطرون .

(٣) نار الجباحب ، أي ما تقاير من شرر النار في الهواء من تصادم حجارة أو نحو ذلك .

(٤) مسموخ ، أي مسموم . وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (من شيوخ) . والأولى أرجح .

(٥) مزنون ، أي مسموم . وفي «ج» (موقون) . والمزنون ، المحقون البول .

(٦) مُتَمَت ، أي مسموم . وفي «الملكية» (متنجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) معيب ، أي مسموم . وفي «الملكية» معيب .

(٨) سكبه ، أي (سلسله) والتصويب من «الزيتونة» .

بالأيدي لكونه قلقاً لا يثبت على الصهوة . مختاراً الحماية البيضة . والعدل في الأمة ،
مُغتماً للذنب عن الحنيفية السمحة ، وصعدوا به إلى ربوة بإزاء قلمتنا ، مُنتترا باب
البنود^(١) ، مستنداً إلى الربض . مطلاً على دار الملك ، قد أقام له رسم الوزارة ابن
مطرون^(٢) الكارى ، الكسح الدوب برسم المسومة ، الحرْدُ ، المهينُ الحجة ،
فحل^(٣) طاحونة الغدر ، وقدر السوق والحياة ، واليهودى الشكل والنحل ،
وقرعت حوله طبول الأعراس ، إشادة بجمول أمره ، واستهجان آله . ونشرت
عليه رايةً فال رأيها ، وخاب سعيها ، ودارت به زعنفة من طعام من لا يُملى ولا
يزيد المكا والصغير من حيله ، وأنبث في سكك البلد مُناديه ، وهتف أولياء
باطله باسمه وكُنيتة . وانتجروا مواعيد الشيطان فأخلفت ، ودعوا سحاسير الغرور
فصمت ، وقدحوا زناد الفتنة فصلدت وما أوارت . ولحين شعرنا بالحادثة ،
ونظرنا إلى مرج الناس ، واتصل بنا ریح الخلاف ، وجبر الخلعان . استعنا بالله وتوكلنا
عليه ، وفوضنا أمرنا إلى خير الناصرين ، وقلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ،
وأنت خير الفاتحين ، واستركبنا الجند . وأدعنا خبر العطاء ، وأطلقنا بريح الجهاد ،
ونفير الجلال ، وملأنا الأُكف بالسلاح ، وعمرنا الأبراج بالرجال . وقرعنا طبول
الملك ، ونشرنا ألوية الحق ؛ واستظهرنا [بخلصة الأمراء]^(٤) أولياء الدعوة ،
وخطبنا فقيه الربض ، نخب مخبره ؛ ونسبر غوره ، فألفيناه متوارياً في وكره ،
مرعياً على دينه ، مُشققاً من الإخطار برمة ، مشيراً بكمه . وتفقدا البلد ، فلم ترتب
بأحد من أهله . فلما كملت البيعة . وقحمت الجملة ، أنهدنا الجيش ، ولى أمرنا ،

(١) هو أحد أبواب غرناطة القديمة ، وقد سبق التعريف به .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» ابن بكرون .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (بل) . ونعتقد أن

الأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الملكية» (بخلصة الأمر) . والأولى

أنسب للسياق .

الذي اتخذناه ظهيراً ، واستنبطناه مشيراً ، والتزمناه جليساً وصهيراً^(١) . ولم ندخر عنه محلاً أثيراً ، الشيخ الأجل ، أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو ، مُهد الرعب بقدمه ، والسعد في خدمتنا بخدمه ، في جيش كفيف الجملة ، سابغ العُدَّة ، مُزاح^(٢) العِلَّة ، وافر النَّاشِيَّة ، أخذ بباب الرِّبْض وشُعابه ، ولفَّ عليه أظنابه ، وشرع إليه أمله . ولم يكن إلا كلاً ولا حتى داسه بالسَّنابك ، وتخلَّنه بجرِّ العوالى ، وبجرى السوابق ، وهو الحِمى الذي لا يُتوعد ، والمجدُّ الذي لا يغرُب ، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السُّلم ؛ واستظلاله بظلال العافية ، لَحَث^(٣) الفارقة ، ووقعت به الرِّزِيَّة^(٤) . وفر الأعداء لأول وهلة ، وأسلموا شقيهم أذلَّ من وتد في قاع ، وسُلِّحفة في أعلى يقاع ، فتقبَّض عليه ، وأخذت الخليلُ أعقاب الغدرة أشياعه ، وقيد إلينا يرسف في قيد المهزم ، تُعلبان مكيدة ، وشكِيَّة ضلال ومظنة فضيحة ، وأضحوكة سمر . فتضرع بين أيدينا ، وأخذته الملامة ، وعلاه^(٥) الخزي ، وألَّ إلى المطبق ، حتى نستدعى حكم الله في جرِّمه ، وتقتضى الفتيا في جريرته ، ونختار في أقسام ما عرضه الوحي من قتلته . وهدأت النائرة ، والحمد لله من يومها ، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها ، فالحمد لله الذي أتم نوره ولو كره الكافرون « إن هؤلاء مُتبرِّ ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون » . وماذا رابهم مناً ، أصغر الله مُنقلبهم ، وأخزى مرَدِّهم ، واستأصل فُلُكهم . أولاً يتبني أمر وارثه . ثم عوده إلينا طواعية ، ثم رفعنا وطأة العدو وحرَّبه ، ومددنا ظلال

(١) هكذا في «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت محرفة في «ج» (وسهيرا) .

(٢) وردت في «ج» (قداح) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (المرتبة) وفي «الملكية» (المرتبة) .

والأولى متفقة مع السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و«الملكية» (وجلاه) والأولى أنسب

لسياق .

الأمن دفعة ، وأنفأنا^(١) رَمَقِ الثُّغُورَ ، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمنه ،
وبلوا من حَيْطَتِهِ^(٢) وتَسَوَّغًا من هُدْنِهِ ، وانسجبت فوق آمالمهم وحريرهم من عِمَّةٍ .
وأظهر الله علينا من نعمة . ربنا أنك تعلم ما نخفي وما نعلم ، وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا ، وعاملنا بدخلتنا فيهم ، وإن
كنا أردنا لجماعتهم شرًا ، وفي دينهم إغماضا ، وعن العدل فيهم عدولا ، فعاملنا
بحسب ما تبلوه من عقيدنا^(٣) ، وتستكشفه من خبيثتنا ، وإن كنت تعلم صحة
مناصحتنا لسوادهم ؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم ، ورعى^(٤) صلاحهم ،
وتكيف^(٥) آمالمهم ، فصل لنا عادة صنمك فيهم ، ومسلنا طاعتهم ، واهد بنا
جماعتهم ، وارفع بنظرنا إطاعتهم ، يا أرحم الراحمين .

ولما أسفر صبح هذا الصنيع عن حُسن العفو ، وأستقر على التي هي أزرى ، وظهر
لنا لا تخاف بالله دركا ولا تخشى ، وأن سبيل الحق أنجى ومحجته أحجى ،
خاطبنا كم نجلو^(٦) نعم الله قبلنا^(٧) عليكم ، ونشيد بتقوى الله بناديكم ، وعنايته
لدينا ولديكم ، ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتبارا ،
فزجوا الله وقارا ، وتزيدوا يقيناً واستبصارا ، وتصفوا العين من اختار لكم
اختيارا . وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والله يصل سمدكم ، ويمحس مجدكم . كتب
في كذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صح هنا

(١) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (حيطه) . والأولى

أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عقدنا) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وروم) والمؤدى واحد .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلف) . والأولى أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بجلو) وهو تحريف .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (قبلكم) .

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة

اقتضى نظر الحزم ، ورأى الاجتهاد للإسلام ، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين ، فعظم الأثر ، وشهرُ الذكر ، واكتسحت المشية ، وألمَّ السيف . وكان ثغر برُعة^(١) ، الفائزةُ به يدُ الكفرة ، لهذه السنين القريبة ، قد أهدم القلوب ، وشغل النفوس ، وأضاق الصدور ، لانبثات^(٢) مدينة رُنْدَة ، بحيث لا يخلص العُتيف ، ولا تبلغ الرسالة من الطير وغيرها إلى ناحية العدو^(٣) . فوقع العمل على قصده ، واستعانة الله عليه ، واستنفر لمنزلته أهل الجهات الغربية من مالقة ورندة ، وما بينهما ، ويسر الله في فتحه ، بعد قتال شديد ، وحرب عظيمة^(٤) ، وجهاد شهير ، واستولى المسلمون عليه ، فامتلات أيديهم أثاثاً وسلاحاً ورباشاً وآلة ، وطهرت للحين مساجده ، وزيدت بكلمة الله مشاهنه [وأنست بالمؤمنين معاهده]^(٥) ورُتبت فيه الحماة والرماة ، والفرسان الكفاة ، واتصلت بفتح الأيدي ، وارتفعت العوايق . وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السبل ، والحمد لله . وتوجهت بفتح الرسائل ، وعظمت المنن الجليل ، وفر العو لهذا العهد عن حصن السميلة ، من حصون الحفرة اللوَيْشِيَّة ، وسدَّ الطريق المائلة ، وذلك كله في العشر الأوسط^(٦) لشعبان من هذا العام . ثم أجلب^(٧) المسلمون في رُنْدَة في أخرياته

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة «بغرة» . وهو تحريف . وبرعة بالإسبانية Burgo ، وهي تقع شرق رُنْدَة .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (لانتباب) . وبالتصويب يستقيم المعنى . والانبثات معناها الانقطاع .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (وابه من الاعانة مسلماً بها للاستباحة) وقد رأينا الاغضاء منها نظراً لاضطرابها وغموضها .

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (عظيم) . فاقتضى التصويب .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (الأول) .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . ومعناها احتشدوا .

وقصدوا^(١) [باغة وجيرة^(٢)] فاستنزلوا أهلها ، وافتتحوها ، فعظمت النعمة ، واطرد الفتح ، واتسعت الجهة .

وكانت مما خوطبت به [الجهة المرينية^(٣)] من إملأى :

المقام الذى نبشره بالفتح ونحييه ، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه : ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهضه من أغصان [الزهور ونجنيه^(٤)] ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه ، وإعانتهم أهم ما يعنيه . مقام محل أحنينا الذى نعظم قدره ، ولننزم بره . ونعلم سره فى مساهمة المسلمين وجهره ؛ السلطان الكنا ، الذى أبقاه [الله^(٥)] فى عمل الجهاد ونيته ، متكفلة بنشر كلمة الله طويته ، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته . معظم جلاله : ومجزل ثنايه ، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادى واعتنايه . أيد الله أمره ، وأعز نصره . سلام [كريم^(٦)] عليكم ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ، واصل سبب الفتوح ، ومجزل مواهب النصر الممنوح . ومؤيد الفية القليلة بالملائكة والروح : والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ، الآتى بنور الهدى بين الوضوح . الداعى من قبوله ووصوئه إلى المنهل المورود والباب المفتوح ، والرضا

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) ورد مكانها فى «ج» (باغة وعار جيره) وفى «الملكية» (باغة وعار واجره) وفى «الزيتونة» (باعث وعار وجيره) . وهذا كله تحريف شديد . والصحيح ما أثبتناه وهو (باغة وجيرة) . وهما حصنان يقعان بين رندة ومالقة . وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله فى شعبان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . (راجع كتابى نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة) ص ١٤٨ .

(٣) المقصود هنا بالجهة المرينية هو بلاط فاس . وكان ملك المغرب يومئذ هو السلطان أبو زيان محمد حفيد السلطان أبي الحسن المرينى ، وقد حكم من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٦٨ هـ .

(٤) وردت فى «ج» (الظهور ونجنيه) . والتصويب من «الملكية» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

عن الله وأصحابه . أسود الشروح . وحماة^(١) الشروح ، والمؤمنين نهجه في جهاد
عدو الله بالعين القارئة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالعز الرفيع الصروح
فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سُبُوغ المواهب ، ووضوح المناهب ،
وعزة الجانب ، وظفرة السكتايب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله
وا كفة السحايب ، كفيلاً بذيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف ،
ويجمل الشهيد دليلاً على الغائب . وإلى هنا وصل الله إعزازكم ، وحرس أخوازكم
وعمر بالحقيقة من أمراد مجازنا ومجازكم . فإنا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من
الثغر العزيز على الإسلام ، العايد رزوه الفادح على عبادة الأصنام ، ركاب الغارات ،
وممكن حياة المضمرات ، ومخيف الطريق السابلة ، والمسارح الآهلة ، حصن برُغَة^(٢)
ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه ، وتطهر من دنس الكفار [وأنيرت
مئذنته]^(٣) بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار ، وعجلنا^(٤) ذلك على حين وضعت
الحرب فيه أوزارها ، ووفت الأوتار أوبارها^(٥) ، فسار الكتاب إليكم ، وأجبر
الأجر لم يجف عرقه ، وعذر الاستعجال لاجبة طرقة . ولما عدنا إلى حضرتنا ، بعد
ما حصناه وتمرناه ، وأجزلنا نظر^(٦) الحزم له وفرقناه . لم تكد البنود لمسرة فتحه
أن تعاد إلى أما كن صونها ، مرتبة عادة الله في عونها ، حتى طرقت الأنباء السارة
بتوالى الصنع وانفراده بتشفيح أفراده ، وذلك أن أهل رُندة حرسها الله ، نافسوا
جيرانهم من أهل مالقة ، كان الله لجميعهم ، وتولى شكر صديقهم ، فيما كان من امتيازهم

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (حملة) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (حصن أشر) . ولكن من الواضح هنا أنه يقصد حصن

(برغة) الذي افتتح في هذه الغزوة . أما حصن أشر فقد افتتح في الغزوة التالية حسبما يحتمل .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وإنارة مأذنته) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وجعلنا) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (أوتارها) . والتصويب من «الملكية» .

(٦) وردت في «ج» (نصر) . والتصويب من «الملكية» .

بحصن برغة ، الجار المُصَاقب لها ، فخميت همهم السنية ، وهانت في الله موارد المنية .
وتضافر العمل والنية - وظهر نُجج المقاصد الدينية في إتاحة الفتوح الحنية ، فوجهوا
نحو حصن وحر^(١) ، وهو الداين صحر^(٢) المدينة ونجرها - والعدو الذي لا يتر عن
ضرها ، والحية الذك التي هي مروان^(٣) أمرها ، ففتحوه بعون الله وقوته ، وتهنؤوا
بعده ساوك الحريق ، وإشاعة الريق ، ومراصد الحرس . ومجأوا الجرس ، وأنصفوا ،
وانصرفوا إلى حصن باغة ، من مشاهد تلك الحفرة^(٤) ، فناشبهوه القتال . وأذاقوه
الوبال ، وفوقوا إليه الثبال ، ففتحة الله فتحاً هيناً . لم تفت فيه للمسلمين نفس
ولا تطرق لنصر التيسير لبس ، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليه ، والمنن
المتقدمة والتالية . وأعدنا الأعلام إلى مرا كزها المشرفة^(٥) المراقب ، والطبول إلى
قرعها عملا من الإشارة بالواجب ، وشكرنا الله على اتصال المواهب ، ووضوح
المذاهب ، وخطبنا مقامكم الذي نرى الصنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده ،
ويُمتد في الحرب والسلم بمجده ، علماً بأن هذه المسرات ، نصيبكم منها النصيب
الأوفى ، وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى . ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكيات ،
التي تفتت كبد العدو تنالها ، وتروع أحوازه وما يليها ، ولا بد له من امتعاض
يروم به صرع المعرّة ، ويأبى الله أن ذلك يأتي بالكرّة ، والله يجعلها محركات
لخفنه المرقوب ، وحينه المحلوب ، ويحقق حق^(٦) القلوب ، في نُصرة المطلوب ،
عرفناكم بما تريدون عملاً^(٧) بواجب برُّكم ، ومعرفةً بقدركم ، وما يتزايد نعرفكم
به ، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه والسلام .

(١) هكذا ورد اسمه في «ج» . وفي «الزيتونة» (وصبر) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وحير) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (مراوات) .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخرصة) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (المشرقة) والأول أرجح .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (علما) والأول أرجح .

الغزاة إلى حصن أشرف^(١)

وفي أوائل شهر رمضان بعده - عمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشرف . وهو قفل^(٢) الثغر الذي فضّه الطاغية ، وسورها الذي فرغه^(٣) الكفر . وجارحُه المخلِّق على البلاد . والمتحكّم لولا فضل الله في الأموال والأولاد . فتأذن الله برد مُفْتَصِّبِه ، والشفا من وَصْبِه ، وأحاط به وناصبه الحرب ، ففتحة الله على يده عتوة . على سمو ذروته ، وبعد صيته وشهرته ، واختيار^(٤) الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله ، فاز بمزية الحمد فيها السلطان ، لمباشرة إياها بنفسه ، وحمل كلّها فوق كاهله ، واتقاد ما تحمّد من الحمية بتحريضه . ثم لما كان بعد الفتح من [استخلاص القصبَة]^(٥) وسدّ ثلمها بيده ، ومصابرة جو القيظ عامة يومه ، فجاز ذكراً جميلاً وحلّ من القلوب محلاً أثيراً ، ورحل منها ، بعد أن أسكن بها من الفرسان وابطة سُخْيرة ، ومن الرّماة جُملة ، وتخلّف سلاحاً وعدّة ، فكان الفتح على المسلمين . في هذا المعقل العزيز عليهم جليلاً ، والمنّ من الله جزيلاً ، والصنع كثيراً ، وصدوت المخاطبة للمغرب بذلك ، على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى .

الغزاة المعملة إلى أطرية

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، كانت الحركة إلى مدينة أطرية^(٦)

(١) وردت في كل من «ج» و «الزيتونة» (آش) . وهو تحريف . وحصن أشرف يقع على مقربة من أطرية شرق إشبيلية . وقد وقع غزو أطرية عقب ذلك حسبما يجيء . واستولى المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله على حصن أشرف في رمضان سنة ٧٦٧ هـ وقاموا بتحسينه . (٢) في الزيتونة (قبل) .

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (اختبار) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٥) وردت مكان هذه العبارة في «ج» (مواساة الفعل) . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (مواسات الفتح) . وهى عبارات لا معنى لها . وبالعبارة الموضوعية يستقيم المعنى والسياق .

(٦) أطرية وبالإسبانية Utrera هى مدينة صغيرة تقع جنوب شرق إشبيلية ، وشرق نهر الوادى الكبير .

بنت إشبيلية . و بلدة تلك الناحية الآمنة . مهاد الهدنة البعيدة عن العزيمة . حرك إليها بعد المدى ، وآثرها بمحض الردى ، من بين بلاد العدا ، ما أسلف به أهلها المسلمين ، من قتل أسراهم في العام قبله . فنازلها السلطان أول رمضان ، وناشها الحرب واستباح المدينة وربضها عنوة . ولجأ أهلها إلى قصبها المنيع . ذات الأبراج المشيدة ، وأخذ القتال بمخنقهم ، وأعان الزحام على استنزاهم ، فاستنزوا على حكم المسلمين ، فيما يناهز خمسة ، بما لم يتقدمه عهد ، ولا اكتحلت به في هذه المدة عين . ولا تلقته عنها أذن ، وامتألت أيدي المسلمين ، بما لم يعلمه إلا الله ، من شقى الغنaim ، وأنواع الفوايد ، واقتسم الناس السبي زُما على الأكفال والظهور ، وتقديرا بقدر الرجال ، وحملا فوق الظهور للفرسان . وعمرانا للسروج والأعضاء بالصبيية ، وبرز الناس إلى ملاقة^(١) السلطان . في هول من العز شهر من الفخر ، وبعيد من الصيت ، قرّت له أعينهم ، وقعد لبيعتهم أيما تباعا ، وولأبهم البلاد هدايا وتحنا والحمد لله [وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي]^(٢) .

الغزاة إلى فتح جيّان

وفي آخر محرم من عام تسعة^(٣) وستين وسبعمائة ، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيّان ، إحدى دور الملك ، ومدن المعمود ، وكرسية^(٤) الإمامه ، ولوان المدن الشهيرة ، افتتحها الله عنوة ، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والسلاح ، ومكّنهم من قتل المقاتلة . وسبي الذرية ، وتخريب الديار ، ومحو الآثار ، واستنساف النعم ، وقطع الأشجار . وهذا الفتح

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (قفول) . والأولى أنسب السياق .

(٢) هذه الجملة واردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في «الزيتونة» (سبعة) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

خارق . تعالى أن يحيط به النظم والنثر ، فذكره أطير ، وفخره أشهر ، وصدرت في ذلك المخاطبة من إملأني إلى ملك المغرب . وأصاب الخلق عقب القفول في هذه الغزاة . مرض وافد ، فشا في الناس كافة ، وكانت عاقبته السلامة ؛ وتدارك الله باطنه . فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء ، ومواقف الإطراء ، إلى شغل عن ذلك (١) .

الغزاة إلى [مدينة] (٢) أبدة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام ، كان الغزو إلى مدينة أبدة ، واحتل بظاها جيش المسلمين ، وأبلى السلطان في قتالها ، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أهبة . واستعدت بما في الوسع والقوة ، وكانت (٣) الحرب بها مشهورة . وافتتحها المسلمون فانهبوا ، وأعقروا مساكنها العظيمة البناء ، وكنايسها العجيبة المرأى ، وألصقوا أسوارها بالترى ، ورأوا من سعة ساحتها ، وبعد أقطارها ، وضخامة بناها ، ما يسكنب الخبر فيه المرأى ، ويبدل الأفكار ، ويحير النهى . والله الحمد على آلايه التي لا تحصى . وقفل المسلمون عنها ، وقد أخرجوها ، بحيث لا تعمّر رباعها ، ولا تأتلف حجورها وجموعها . وصدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشائي بما نصه :

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة ، بطره بن أدفونش بن هيراندة بن شائجه ، وهو الذي تهبأ به الكثير من الصنع للمسلمين ، بمزاحمة أخيه أندويق (٤)

(١) وردت بعد ذلك في «ج» العبارة الآتية (العدو إلى مدينة أبدة) . وهي عبارة لا محل لها هنا .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وكان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) سبق أن أوضحنا أن هذا الاسم يقصد به الدوق هنري دي تراسمارا الأخ غير الشرعي

الملك بيدرو الثالث (بطره) ملك قشتالة .

في الملك وتضييقه عليه ، [وحياز سبعة]^(١) من كبار أصحابه ، وأهل ملته إليه ، وافتقار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين ، وإجلابهم على من آثر طاعته ضده ، فانهزم بظاهر حصن مُنْتَيْل ، ومعه عدد من فرسان المسلمين ، ولجأ إلى الحصن على غير أهبة ولا استعداد ، فأخذ أخوه الذي هزمه بمُخَنَّقَه ، وأدار على الحصن البناء ، وفرّ جيشُ المحصور ، فاجتمع فله بأحوال أبدية ، وراسلوا المسلمين في مظهرتهم على استنقاذهم ، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك . ووقع الاستنفار والاحتشاد حرصاً على تخليصه ، ليسبب بقاءه بقاء الفتنة تستأصل الكفر ، ونشغل^(٢) بعض العدو ببعضه .

وفي أثناء هذه المحاولة تباطن^(٣) الحائز المحصور بمن معه ، وبعد عليه الخلاص من ورطته ، ومساهمة المسلمين إياه في محنته ، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته ، فداخل بعض أمراء أخيه وظهريه ، ممن يباشرون حصاره ، وكان قومياً شهيراً من المدد الذي ظاهره . من أهل إفريقية ، ووعدته بكل ما يطمع من مال ومهّد ، وتوفية عهد . فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة . ولما نزل إليه : سجنه ومن لحق به من الأدلاء [وأولى الحرّة بالأرض]^(٤) وأمسكه ، وقد طير الخبر إلى أخيه ، فأقبل في شزيمة من خواصه وخدّامه ، فهجم عليه وقتله ، وأوسع العفو من [كان]^(٥) محصوراً معه ، وطير إلى البلاد برأسه ، وأوغر الثّين^(٦) في جثته ، ولبس ثياب

(١) وردت في الزيتونة (وحياز من السبعة) وفي «الملكية» (وحياز من أسفه) . وفي «ج» (من أسط) . وبيان ترتيب يستقيم السياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاث (واشتغل . واشتغل) فاقتضى التصويب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) وردت مكانها في «الزيتونة» (وهو) وفي «الملكية» (من هو) . والتصويب أنسب

السياق .

(٦) وردت في «ج» (واوغر تبر) وفي «الزيتونة» (وادعز تبر) وفي «الملكية» (واوغر تبر)

والتصويب يستقيم السياق .

الحزن من أجله . وإن كان معترفاً بالصواب في قتله . وخاطب البلاد التي كانت
 [على] ^(١) مثل الجمر من طاعة ، الجاهر ^(٢) بظاهرة المسلمين . وما جرّ ذلك من
 افتتاح بلادهم ، وتخريب كنياسهم ، والإتيان على نعيمهم ، فأجابته ضرباً ، واتفقت
 على طاعته ، فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة . واجتمعت
 كلمة النصارى ، ووقع ارتفاع شتاتهم ، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين ، وشاع
 استنداؤهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه ^(٣) ، وعدو الأشبونة ،
 والعدو الثقيل الوطأة بإفرائسية . وقد كان الله جل جلاله ، أهدى أهل البصائر النظر
 في العواقب ، والفكر فيما بعد اليوم أعمل . ووقع لي إذن السلطان ، المخلى بيني
 وبين النصارى ، في مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد ، فأشرت عليه
 بالاحتراز من قومه ، والتفطن لمساكيد من يحطّب في حبل أخيه ، وأرئته اتخاذ
 معقل يجرز ولده وذخيرته ، ويكون له به الخيار على دهره ^(٤) ، واستظهرت ^(٥) له
 على ذلك بالحكايات المتداولة ، والتواريخ المعروفة ، لتتصل الفتن بأرضهم . فقبل
 الإشارة وشكر النصيحة ، واختار لذلك مدينة قرمونة ، المختصة بالجوار المكسب ،
 من دار ملكهم إشبيلية ، فشيّد هضابها ، وحصّن أسوارها ، وملاها بالمخازن طعاماً
 وعدة ، واستكثر من الآلات ، واستظهر عليها بالنقات ، ونقل إليها المال والذخيرة ،
 وسجن بهارهان أكبر إشبيلية ، وأسرى المسلمين ، وبالغ في ذلك ، فيما لا غاية
 وراءه ولا مطمع ، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دناه القدر إليه ، حتى تركها عدة
 خلقه ، وأودع بها ولده وأهله ، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهذنة ^(٦)

(١) هذه الكلمة لازمة لاستقامة السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (الجابر) . والتصويب أرجح .

(٣) هي مدينة برشاونة عاصمة مملكة أراجون وقتئذ .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . وفي «الزيتونة» (ظهره) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (استطرت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وردت في «ج» وفي «الملكية» (مصدنة) والأولى

ضده، ولا يُقرُّ أمان عدوه، والنفوا على صغير من ولده كالنخل على شمه، ولجأوا إلى المسلمين، فبَغَضَ عليهم الكفرة والفتح بقاء هذا الشَّيْبِي: المُعْتَرِض في حَلْقِهِ، وأهمُّه تغيير أمره، وجمعُجِبَ به المسمون لأجله. وأظهروا لمن انحاز بقرمونة. الامتسك بعمده، فعُظُم الخرق، وأظهر الله نُجُوح الحيلة. وصدق [بها] (١) المَخِيلَةَ، وتفترَّ الأمر. وسمَّيت (٢) نار ذلك الإرجاف. واشتغل الطاغية بقرمونة، بخلال ماخوطب به صاحب الأرض الكبيرة (٣)، فطمَّعه في المظاهرة. وتخطَّب له مُلْك قشتالة. وعقد السلم مع صاحب بُرْطُغال (٤) والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم. وخرجت عليهم الخوارج، فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة. وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أحوازها. وجعل الخصاص مُوجَّهة قرمونة. وانصرف إلى سدِّ الفتوق التي عليه بلطف الحيلة. ببواطن أرضه وأحشاء عمالته، وصار في مُلْكهِ أشغل من ذات الشَّحِين. [فساغ الرِّيقُ] (٥). وأمكن العُدْر، واتهمز الغُرَّة، واسترَّفت الحركة (٦). فكانت إلى حصن مُنتيل والحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبعمائة. ثم إلى ثغر رُوطة. ففتحها الله [عن] (٧) جَهْد كبير، واتصل به حصن زمرة (٨). فأمن الإسلام عادية العدو بملك الناحية، وكبس أهل رُنْدَةَ. بإيعاز من السلطان إليها، وإلى من بالجبل. جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشتور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضاً.

(١) الزيادة من الزيتونة.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخمد). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) الأرض الكبيرة هي فرنسا.

(٤) هكذا وردت في «ج»، وفي «الملكية» و«الزيتونة» (برتقال).

(٥) واردة في «ج» و«الملكية»، وساقطة في «الزيتونة».

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (الحركات) والتصويب أنسب السياق.

(٧) الزيادة من «الزيتونة».

(٨) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و«الملكية» (حصن مرة).

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء ، باب الأندلس . وبكرُ الفتح الأول ، فكانت الحركة إليها شهر ذى الحجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصه :

معاشر المسلمين المجاهدين . وأولى الكفاية عن ذوى الأعذار من القاعدين .
أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين . وجمعكم في سوى الأجر والفخر من الزاهدين ،
إعدوا رحمكم الله . أن الإهلام بالأندلس . ساكن دار . والجزيرة الخضراء بابه ،
ومُبعد مغار ، والجزيرة الخضراء رِكابه . فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث
أسبابه . ونصرتة على أعدائه وأعداء الله أحبابه . ولم يشك العدو الكافر الذى
استباحها ، وطمس بظلمة الكفر صباحها^(١) . على أثر اغتصابها . واسوداد الوجوه
المؤمنة لمصابها ، وتبديل محاربتها . وعلوق أصله الخبيث في طيب ثرائها ، أن صريح
الدين الخفيف بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يفوم . بعد أن فرى الخلقوم .
وأن الباقى رَمَقٌ يذهب . وقد سُدَّ إلى التدارك المذهب . لولا أن الله دفع الفارقة
ووقاها . وحفظ المسكنة^(٢) واستبقاها . وإن كان الجبل^(٣) عصمه الله نعم البقية .
وبمكانه حفت التقية ، فحسبك من مصراع باب بُعِثَ بثانيه ، ومضايق جوارجيل
بينه وبين أمانيه . والآن يا عباد الله قد أمكنكم الاتمياز ، فلا تُضَيِّعوا الفرصة ،
وفترَ المُخَنَّقِ فلا [نَسُوغُه غُصَّة]^(٤) . وأعمروا البواطن بحميَّة الأحرار ،
وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار . وانظروا للعون من الذرارى والأبكار ،
والنشأة الصغار ، زُغَبِ الحواصل فى الأكوار ، والدين المنتشر بهذه الأقطار ،

(١) وردت فى المخطوطات الثلاث (صاحبها) وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٣) الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح أو جبل طارق .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» وفى «الملكية» (نسوها) .

واعملوا للعواقب، تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضامير، يُبَيِّنُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَمَلَكُمْ،
فَاعْذُرْ مِنْ سَلَّمَ فِي بَابٍ وَكَرَّهُ. وماذا ينتظر من أذعن لكَيْدَ عَدُوِّهِ وَمَكْرَهُ. من
هذه الفُرْضَةِ، دخل الإسلام تروُّع أسوده. ومن هذه الجهة طلع [الفتح الأول] (١)
تَخْفِقُ بُنُودُهُ، ومنها تقتمحم الغير الغريب. إذا رامت الجواز وفُودُهُ، فيبصر
بها صفات والدليل يقوده. البابُ المسدود يعباد الله فافتحوه، وَجْهُ النَّصْرِ تَجَلَّى
يعباد الله فالمحوه، الداءُ العُضال يعباد الله فاستأصروه، حَبَلُ اللَّهِ يَارِجَالُ اللَّهِ قَدْ
انقطع فصوله. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تُخْتَبَرُ الهِمَمُ العالِيَةُ،
في مثلها تُشْهِرُ (٢) العقائد الوثيقة، وتُدَسُّ الأحياس العريضة، فنضُرُ اللَّهِ وَجْهَهُ مِنْ
نَظَرٍ إِلَى قَلْبِهِ، وقد امتلأته (٣) حَمِيَّةُ الدِّينِ، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا
مُتَهَلِّلُ الْجَبِينِ.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي
الذي أوفدت (٤) من خصوص الرِّحَمَاتِ وَأَجْزَلَتْ، وبكل نبي (٥) رُكِعَ لُوجْهِكَ
السَّكْرِيمِ وَسَجَدَ، وبكل ولى [سدَّه من إمدادك كما وجد] (٦). ألا ما ركدت
علينا ضاللتنا الشاردة، وهنأتنا بفتحها [من] (٧) نعمك الواردة، يأمسجبل المآرب
العسرة، ياجابر القلوب المنكسرة، يا ولى الأمة الغريبة، يأمنز الالاناف القريبة،
اجعل لنا من ملايكة نصرك مدداً، وانجز لنا من تمام نورك الحق موعداً. ربنا
آتينا من لدنك رحمةً، وهي لنا من أمرنا رشداً.

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الملكية» (الفتوح الأولى).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» و «الملكية» (تشعر) وهو تحريف.

(٣) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ووردت في الملكية (أملته).

(٤) وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و (فدت). والتصويب أرجح.

(٥) هكذا في «ج». وفي الملكية (ولى).

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الملكية» و «الزيتونة».

(٧) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

فوقع الانفعال ، وانتشرت الحمية ، وجُهزت الأساطيل . وكانت مُنازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وعاطاها المسلمون الحرب ، فدُخلت البنية^(١) وهي المدينة الملاصقة لها عنوة ، قتل بها من الفرسان الدارعة عدّة ، وصُرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى . فرأوا من أمر الله ، ما لا طاقة لهم به ، وخذلهم الله جلّ جلاله ، على منعة الأسوار [وبعث مهاوى الأغوار ، وكثرة العدّة والعدد]^(٢) . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، السعيد على المسلمين ، في العيد^(٣) والسرور ، [يرُد الدين]^(٤) . والله الحمد على آلايه ، وتوالى نعمه وإرغام أعدايه .

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة ، أُتمت الحركة إلى أحواز إشبيلية دار الملك ، ومحل الشوكة الحادة ، وبها نايب سلطان النصارى ، في الجمع الحشّن من أنجاد فرسانهم ، وقد عظم التضيق ببلدة قرمونة ، المنفردة بالانترزاء على ملك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة^(٥) ، ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المرّوي والمحلات . فكان الانتقال قدماً إلى مدينة مرشانة^(٦) [وقد أحدقوا بها]^(٧) . وبها العدّة والعديد من الفرسان الصناديد . ففتحها الله سبحانه ، إلا

(١) البنية وبالإسبانية La Pena هي بلدة صغيرة تقع على المحيط غربي مدينة الجزيرة الخضراء وشمال مدينة طريف .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (العيدين) .

(٤) هاتان الكلمتان واردتان فقط في «ج» .

(٥) أشونة وبالإسبانية Osona بلدة تقع جنوب شرق إشبيلية ، على مقربة من شرق مدينة مورور .

(٦) مرشنة وبالإسبانية Marchena بلدة تقع جنوب شرق قرمونة وإشبيلية ، وشمال مورور .

(٧) وردت في «ج» و«الزيتونة» (وقد أحدث إبنها) . وهو فيما يبدو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

القَصْبَة ، واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها . من الدواب والآلات على ما [لا] (١) يأخذه الحصر . وقتل الكثير من مقاتلتها . وعمَّ جميعها العدم والإحراق ، ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ، ما تَقَلُّهُ أظْهَرُ (٢) . مراكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة ، وانحطاط الأُسعار . وأوجب الغلاء في أرض السكفار ، وقفل والحمد لله في عزٍّ وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النشبية (٣) ، الميمون الطلوع والجبية

المقترن بالعافية . منقولاً من تهليل نشأته المباركة . وحرز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الإثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قُتِلَ ، وواقفه من التاريخ الأعجمي [رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين] (٤) لتاريخ الصفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيودا وبطليموس ، أن يكون الطالع ببرج (٥) القمر ، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الإثنين المذكورة . والطلوع من بُرج الثُنبلة ، خمس عشرة درجة . وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظهور) .

(٣) وردت في «ج» . و «الملكية» (النشبية) ونعتقد أن كلمة (النشبية) ومعناها النشأة

أنسب للتوافق .

(٤) إن هذا التاريخ الميلادي الذي يورده ابن الخطيب (وهو ٤ يناير سنة ١٣٧٧ م مقابل

التاريخ الهجري لمولد السلطان الغنى بالله وهو (٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٧٣٩ هـ) ينطوى على خطأ

حسابي بين . والحقيقة أن مقابل التاريخ الهجري المذكور بالميلادي هو ٢١ يناير سنة ١٣٢٨ م .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (بدرج) والأولى أرجح .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس
ابن نصر بن قيس الخرزجي الأنصاري

من ولد سعد بن عبادة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن سليمان
ابن حارثة [بن خليفة] (١) بن ثعلبة (٢) بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هُمَيْسَع بن يُمَيْن بن نَبْت بن إسماعيل
ابن إبراهيم، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم. أمير المسلمين بالأندلس ودايلها
[وخدمة النَّصْرِيِّين بها] (٣)، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله.

أوليته

وقد اشتهر عند كثير ممن عني بالأخبار أن هذا البيت النَّصْرِي من ذرية
سعد بن عبادة سيد الخزرج. وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصنف الناس
في اتصال نسبهم [بقيس بن سعد بن عبادة] (٣) غير ما تصنيف. وأقوى ما ذكر،
قولُ الرَّازِي: دخل الأندلس [من ذرية] (٤) سعد بن عبادة وجلان، نزل أحدهما
أرض تاكرونا (٥) [ونزل] (٦) الآخر قرية من قري (٧) سقرسطونة (٨) تعرف بقرية

- (١) وردت هذه الزيادة في «ج» وفي «الملكية»، ولم ترد في «الزيتونة».
(٢) وردت هذه العبارة في «ج» فقط. (وخدم . . الخ) وهي تؤدي معناها بتصحيح الكلمة
الأولى. والخدمة هي الحلقة المحكمة.
(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بسعد بن عبادة).
(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة».
(٥) يطلق هذا الاسم أحياناً على منطقة رندة.
(٦) الزيادة من «الزيتونة».
(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». وفي «ج» (نظر).
(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». ووردت في «ج» (سرقسطة). ونحن نعتقد
أنه لا مجال هنا لذكر سرقسطة التي تقع بعيداً في الشمال، وما يلي يدل على أن سقرسطونة — وإن لم نعر
على مكان بهذا الاسم — إنما يقصد بها مكان يقع في منطقة جيان.

الخزرج ، وتشأ بأحواز أرجونة^(١) من كنبانية^(٢) قرطبة ، أطيّب البلاد مدرة ، وأوفرها غلة ، وهو بلد ، وبلد جدّه ، في ظل نعمة ، وعلاج فلاحية ، وبين يدي نجدة وشهرة ، بحيث اقتضى ذلك ، أن يفيض شريان الرياسة ، وانطوت أفكاره على نيل الإجارة [وراه مرتادوا كفاء الدول أهلاً ، فقدحوا رغبته ، وأثاروا طمعه]^(٣) .

حدث شيخنا الكاتب الشاعر محمد بن محمد بن عبد الله اللوشى اليعقوبي ، وقد أخبرني [أنه كان يوجد] بمدينة جيان [رجل] من أهل المالية^(٤) ، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل ، على عادة أولى المالية . وكان له من أهل الثغور ، من ارتباط الخيل ، والتنافس في إعداد القوة . وشهرت هذه الفرس . في تلك الناحية ، وبعث الطاغية ملك الروم في ابتياعها ، فعلمت بها كفه هذا الرجل ، وآثر بها نفسه ، وازداد غبطة بها لديه ، ورأى في النوم قايلًا يقول له : سر إلى أرجونة ، بفرسك ، وابحث عن رجل اسمه كذا ، وصفته^(٥) كذا . فاعظه إياها^(٦) ، فإنه سيملك جيانًا وسواها ، ينتفع بها عقبك . وأرجى الأمر ، فعرض عليه ثانية ، وحث في ذلك في الثالثة ، فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها ، فقال له المخبر ، وكان يعرف بابن يعيش ، فوصفه له ، فتوجه العقية إلى أرجونة ، ونزل بها ، وتسومع به ،

(١) أرجونة بلدة من بلاد ولاية جيان تقع ، في جنوب غربي أندوجر ، على مقربة من نهج الوادي الكبير وبالإسبانية Arjona .

(٢) يقصد بكلمة كنبانية هنا ، السهل المنبسط من الأرض ، وهي مأخوذة من كلمة Campo الإسبانية ومعناها الحقل .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المالية) والأولى أنسب للسياق . ويبدو أنه قد شطبت من هذه العبارة بعض كلمات . وربما كان تركيب العبارة كلها كالاتي (وقد أخبرني أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالية) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (ونعمته) والمؤدى واحد .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (إياه) . فلزم التصويب .

وأقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه - فذكر غرضه فيه، وأظهر العجز عن الثمن، وسأل منه تأخير بعضه، فأسمفه، واشترى منه الفرس، بمال له خطر. فلما كُمل له القصد، طلب منه انطووة به في المسجد من الحصن، وخرج له عن الأمر، وأعطاه بيعته، وصرف عليه الثمن، واستكتمه السلطان خيفةً على نفسه وانصرف إلى بلده.

قال: وفي العام بعده، دعا إلى نفسه بأرجوثة، وتملك مدينة جيان. واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك، فقيل إن بعض العمال، أساء معاملته في حق مخزني، وقيل غير ذلك.

حاله

هذا الرجل كان آيةً من آيات الله في السداجة والسلامة والجمهورية، جندياً، ثغرياً شهماً، أيدياً، عظيم التجلد، رافضاً للدعة والراحة، مؤثراً للتشف، والاجترأ باليسير، متبليغاً بالقليل، بعيداً عن التصنع، جافٍ السلاح، شديد العزم، مرهوب الإقدام، عظيم التشمير، [مقرباً لضيفه] (١)، مُصطنعاً لأهل بيته، فظاً في طلب حظه، مُحيمياً لقرابته وأقرانه وجيرانه - مباشراً للحروب بنفسه، تتغالى الحكاة في سلاحه، وزينة دُبوره (٢). يخصف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر البداوة، ويستشعر الجلد في أموره. سعد بيوم الجمعة، وكان فيه تملكه جيان، ثم حضرة الملك غرناطة، وقيل يوم قيامه، شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة، ومنايهم إلى اليوم. وتملك مدينة إشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره، وهو عام تسعة وعشرين وستماية نحواً من ثلاثين يوماً. وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود.

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج». وساقط في «الزيتونة» و«الملكية».

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

ولما تم له القصد من تلك البيضة، والحصول على العمال، مباشراً للحسابات بنفسه، فتوفر ماله، وغصت بالصامت خزائنه، وعقد السلم الكبير، وتهيأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم (١) الأهواء. وملاً (٢) بطن الجبل المتصل بالقلعة حبوباً مختلفة. وخزائن درة. وملاً وسلاحاً وارية (٣) ظهراً. وكراعاً. فوجد فائدة استعداده، ولجأ إلى ما أذخره من عتاده.

سيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالمدوة وإفريقية، يخطب لهم زماناً يسيراً. وتوصل بسبب ذلك إلى أمدادٍ منهم وإعانة. [ولتقبل ما] (٤) افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حذو سميح ابن هود، للهج العامة في وقته. بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً، يومين في كل أسبوع. فترفع إليه الظالمات، ويشافه طالب الحاجات، وتشدده الشعراء. وتدخل إليه الوفود، ويشافه أرباب النصاب في مجلس اختص به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة. وأولى الرتب النسبية في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصحيحين، ويحتم بأعشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره (٥) فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك. ويؤا كل بالعشيات خاصته من القرابة؛ ومن (٦) يليهم من نهباء القواد.

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور، محمداً وليَّ عهده، وأمير المسلمين على أثره، والأميرين

(١) كذا في «ج» و«الزيتونة». ومعناها هنا: سكن.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وملك) وهو تحريف. وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) وردت في «ج» و«الزيتونة» (وراية) والتصويب من «الملكية».

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ومعناها هنا، وقبل ذلك.

(٥) وردت في «ج» و«الزيتونة» (أمره) وبالتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت في «ج» و«الزيتونة» (ما). والتصويب أرجح.

أبا سعيد فرج . وأبا الحجاج يوسف : توفيا على حياته : حسبما يتقرر بعد
إن شاء الله .

وزراء دولته

وزرله جماعة - الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد^(١) زعيم قاعدة
جيان ، وهو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة . واستوزر على بن إبراهيم
الشيثاني من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى الدّمائة والوقار . واستوزر
الرئيس أبا عبد الله بن الرئيس أبي عبد الله الرّميمي . واستوزر الوزير أبا يحيى
ابن السكّاب من أهل حضرته . وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم .

كُتّابه

كتب له من الجلة جماعة . كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد
ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى . ولما توفى كتب عنه ولده ، أبو بكر بن محمد .
هؤلاء مشاهير كُتّابه . ومن المرءوسين^(٢) أعلام كأبي بكر بن خطاب وغيره .

قضائه

ولى له قضاء^(٣) الجماعة . القاضى العالم الشير ، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن
ابن ربيع الأشعري ، من جلة أهل الأندلس فى كبر البيت ، وجلالة المنصب ،
وغزارة العلم . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل
ابن غالب الأنصارى الخرزجى . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(١) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (ابن صناديد) وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (المدرسين) وهو تحريف .

(٣) وردت فى «ج» (قاضى) والتصويب من «الزيتونة» .

ابن عبد السلام التميمي . وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة ، وآخر قضية العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده [الفقيه] (١) القاضي الحسين أبو عبد الله بن أضحى ، وبينه شهير ، [ولم تطل مدته] (٢) . وولى بعده آخر قضائه أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشيلي الملقب بالأشبرون .

الملوك على عهده

بمرا كُش المأمون إدريس ، مأمون الموحدين ، مُزاحماً بأبي زكريا يحيى ابن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجبيل . ولما توفي المأمون ولى الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستماية ، وولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى ، إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دُبُوس في عام خمسة وستين . وولى بعده يسيراً بنو عامر بن علي بمرا كُش (٣) ، وتعاقب منهم على عهده جلة : كالأمير عثمان وابنه كمو ، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق . واستمر الملك في أسن أملاكهم ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن يحيى إلى آخر أيامه .

وبتلمسان ، شبيهه يعمر اسن بن زيان أول ملوكهم ، وتقدمه أخوه أكبر منه برهة . ويعمر اسن [أول من] (٤) أثل الملك ، وحاز الذكر ، واستحق الشهرة . وبتونس ، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وخاطبه السلطان المترجم به ، والتمس رِفْدَه ، وقد حصل على إعانته ، وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله ، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (مراكش) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في «ج» وفي «الزيتونة» . وبإثباتها يستقيم السياق .

وبقشالة هِرَانْدَة^(١) بن أَلْمُنْشَة بن شَانْجِه الإِنْبِرَاطُور . وهِرَانْدَة هَذَا هُوَ الَّذِي
مَلَكَ قَرْطَبَة وإِشْبِيلِيَّة ، وَمَا هَلَكَ وَلى بَعْدَهُ أَلْمُنْش ^(٢) وَوَلَدَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ،
وَاسْتَمَرَ مَلَكَ مَدَّةَ وَلايَتِهِ . وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ وَوَلَدَهُ بَعْدَهُ .

وَبِرَغُونُ جَايْمِشِ ابْنِ بَطْرُهْ ابْنِ أَلْفُونْشِ قُطْبُ بَرَجَلُونِهِ . وَجَايْمِشُ هَذَا هُوَ
الَّذِي مَلَكَ بَلَنْسِيَّةَ^(٣) ، وَصَيَّرَهَا دَارَ مَلَكَه^(٤) مِنْ يَدِ أَبِي جَمِيلِ زِيَّانِ
ابْنِ مَرْدَنْيَشِ .

لمع من أخباره

قام ابن أبي خالد بدعوته بفرناطة ، كما ذكر في اسمه ، ودعاه وهو بجيآن - فبادر
إليها في أخريات رمضان من عام خمس وثلاثين وستائة ، بعد أن بعث إليه
الملك من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم . أبي بكر الكاتب ، وأبي
جعفر التيزولي .

قال ابن عَدَارِي فِي تَارِيخِهِ ، أَقْبَلَ وَمَا زِيَهُ بِفَاخِرٍ ، وَنَزَلَ عَشَى الْيَوْمِ الَّذِي
وَصَلَ بِخَارِجِ غَرْنَاطَةَ . عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الْغَدِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَدْخُلَهَا عِنْدَ غُرُوبِ
الشَّمْسِ ، نَظْرًا لِلْحَزْمِ .

(١) المقصود هِرَانْدَة هُنَا ، هُوَ فَرْنَانْدُو الثَّلَاثُ مَلَكَ قَشْتَالَةَ وَليُون (١٢١٧ - ١٢٥٢ م) ،
وهو الذي استولى على قرطبة في سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وإشبيلية سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ، واستولى
كذلك على جيآن وغيرها من القواعد الأندلسية . وهو يعتبر من أعظم ملوك إسبانيا النصرانية . وقد
أسبغت عليه صفة القداسة ، ولقب بفرناندو المقدس (سان فرناندو) .

(٢) هو أَلْمُونْسُو العَاشر الملقب بالعالم أو الحكيم El Sabio . حكم قشتالة عقب وفاة أبيه
فرناندو في سنة ١٢٥٢ ، واستمر في حكمها حتى سنة ١٢٨٢ م ، ثم ثار عليه ولده سانشو وانزع منه
العرش ، وتوفي مخلوعاً مبيوذاً في سنة ١٢٨٤ م .

(٣) جَايْمِشُ المَشَارِ إِيْلَيْهِ هُنَا ، هُوَ خَايْمِي الأول ابن بيدرو الثاني ملك أراجون . تولى الملك
بعد وفاة أبيه حدثاً في سنة ١٢١٣ م . وهو الذي افتتح الجزائر الشرقية من أيدي المسلمين (١٢٣٢ م) .
ثم افتتح ثغر بلنسية في سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ومرسية سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وتوفي بعد حكم
طويل سنة ١٢٧٦ م . ويلقب بجايمي الفاتح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (سلطانه) . والمعنى واحد .

وحدث أبو محمد البسطي قال - عاينته يوم دخوله وعليه شاشية^(١) ملفّ مضلعة أكتافها مُخرّقة ، وعند ما نزل بباب جامع القصبية ، كان مؤذن المغرب في الخيعة ، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب . فدفع الشيخُ السلطانُ إلى المحراب ، وصلى بهم ، على هيئته تلك ، بفاتحة الكتاب . « وإذا جاء نصر الله والفتح » . والثانية بِقُل هو الله أحد . ثم وصل قصر باديس . والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستماية ، صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم ، الذي طاحت^(٢) في شروطه جيان . [وكان]^(٣) واقع بالمدو الراتب تجاه حضرتة ، المختص بمحصن بليش^(٤) على بريد من الحضرة . وكان الفتح عظيما . ثم حالفه الصنح بما يضيق المجال عن استيعابه . وفي حدود اثنين وستين وستماية [صالح طاغية الروم ، وعقد معه السلم]^(٥) . وعقد البيعة لولى عهده ، واستدعى القبائل للجهاد .

مولده

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأرجوتة ، عام الأرك^(٦) .

- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (شاية) فلزم التصويب .
- (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (طاقت) . والتصويب أنسب لاستقامة السياق .
- (٣) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .
- (٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» بليش .
- (٥) وردت هذه العبارة في «الملكية» فقط .
- (٦) وردت (الأركة) في «ج» و «الملكية» . وهو تحريف ظاهر . وقد وهم ابن الخطيب في ذكر تاريخ موقعة الأرك ، إذ ذكر أنه سنة ٥٩٥ هـ . والحقيقة أن معركة الأرك وقعت في سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥م) بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور ، والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ، وأحرز فيها الموحدون نصرهم الباهر . والأرك بالإسبانية Alarcos . وهي تقع على مقربة من مدينة (ثيوداد ريال) . وسرى فيما بعد أن هذا التاريخ سوف يصحح وذلك بتصحيح تاريخ مولد ابن الأحمر وهو سنة ٥٩١ هـ .

وفاته

في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستائة ، وَرَدَ عَلَيْهِ وَقَدْ
 سَنَ . جملة من كُتَّاب (١) الرُّعَايِم ، يَقُودُونَ جَيْشًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ ، فَبَرَزَ إِلَى لِقَائِهِمْ
 بِظَاهَرِ حَمَّارْتِهِ ، وَلَمَّا كَرَّ آيًّا إِلَى قَصْرِهِ . سَقَطَ بِبَعْضِ طَرِيقِهِ ، وَخَامَرَهُ خَصْرٌ ،
 [وَهُوَ] (٢) رَاكِبٌ ، وَأُرْدِفَهُ بَعْضُ مَمَالِيكِهِ ، وَاسْمُهُ صَابِرُ السَّكْبِيرِ ، وَكَانَتْ
 وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ لِجَمَادَى الثَّانِيَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَدُفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ الْجَامِعَةِ
 الْعَتِيقَةِ بِسَنَامِ السَّبِيكَةِ (٣) ، وَعَلَى قَبْرِهِ الْيَوْمَ مَنْقُوشٌ :

« هَذَا قَبْرُ السُّلْطَانِ الْأَعْلَى ، عَزَّ الْإِسْلَامَ . جَمَالَ الْأَنْامَ ، فُخِرَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ،
 غِيَاثَ الْأُمَّةِ ، غِيَاثَ الرَّحْمَةِ ، قَطْبَ الْمَلَّةِ ، نَوْرَ الشَّرِيعَةِ ، حَامِيَ السَّنَةِ ، سَيْفَ
 الْحَقِّ ، كَافِلَ الْخَلْقِ ، أَسَدَ الْمُهَيْجَاءِ ، حِمَامَ الْأَعْدَاءِ . قَوَامَ الْأُمُورِ ، ضَابِطَ الثَّفُورِ ،
 كَاسِرَ الْجِيُوشِ ، قَامِعَ الطَّغَاةِ ، قَاهِرَ الْكُفْرَةِ وَالْبَغَاةِ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (٤) ، عِلْمَ
 الْمُهْتَدِينَ ، قُدُوةَ الْمُتَّقِينَ ، عَصْمَةَ الدِّينِ ، شَرَفَ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، الْغَالِبَ بِاللَّهِ ،
 الْجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرِ
 الْأَنْصَارِيِّ ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، وَأَخْتَقَهُ بِالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَلِدْرَضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَأَتَاهُ رَحْمَةٌ مِنْ لَدُنْهِ . عَامَ
 أَحَدٍ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (٥) ، وَبُوعِ لَهْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ [مِنْ رَمَضَانَ

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) أثبتناها ليستقيم السياق .

(٣) هو السهل المنبسط الذي تشرف عليه الحمراء من الناحية الشرقية .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (المسلمين) ، وهو لقب

يقصد به هنا التكريم فقط . ويلاحظ كذلك أنه يرد لقب (أمير المسلمين) فيما بعد .

(٥) هذا هو التاريخ الحقيقي لمولد محمد بن الأحمر ، وليس ما ذكره ابن الخطيب من قبل

وهو سنة ٥٩٥ هـ . وهذا التاريخ الصحيح لمولد ابن الأحمر ، يوافق تاريخ موقعة الأرك .

عام خمسة وثلاثين^(١) وستاية ، وكانت وفاته يوم الجمعة بحد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستاية ، فسبحان من لا يفنى سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، ولا ينقضى زمانه ، لا آله الا هو الرحمن الرحيم .

ومن جهة أخرى :

قبر الإمام الهمام الطاهر العلم	هذا محل العلى والمجد والكرم
ومن شيم علوية الشيم	لله ما ضم هذا اللحد من شرف
لا بأس عنتره ولا ندى هرم	بالجود والباس ما تحوى صفايحه
فخر الملوك الكريم الذات والشيم	مغنى الكرامة والرضوان يمهده
كالغيث في مجد وكالليث في أجم	مقامه في كلا يومى ندى ووغى
تقر بالحق فيها جملة الأمم	مآثر تليت آثارها سوراً
تضيق عنه بلاد العرب والعجم	كأنه لم يسر في محفل كجب
يفتر منها الهدى عن نغم مبتم	ولم يباد ^(٢) العدا منه ببادرة
لا تشرب الماء إلا من قلب دم	ولم يجهز لهم خيلاً ^(٣) مضرة
تأوى رعيته منه إلى حرّم	ولم يقم حكم عدل في سياسته
وما حواه لدين لله من حرّم	من كان يجهل ما أولاه ^(٤) من نعم
أبدى وأوضح من نار على علم	فتلك آثاره في كل مكرمة
سحائب الرحمة الواكفة ^(٥) الديم	لا زال تهيم على قبر تضمنه

(١) أضفنا هذه العبارة من عندنا ليستقيم السياق .

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يقاد) والتصويب أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (جيشا) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» (لولاه) . وهو تحريف .

(٥) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» الواكفة ، وهو لا يستقيم مع الوزن

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن
أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، المنصور بن أبي عامر

مُعَظَّم الظَّفَر ، وَخِدِن السَّعْد ، وَمَلَقَى عُنْيِي الْجَدِّ وَجَوْهُ رِيَّاحِ^(١) الشَّهْرَةِ ،
وَدِيْوَانِ فَنُونِ السِّيَاسَةِ ، وَحِجَابِ الدَّوْلَةِ الْعَبْشِيَّةِ^(٢) ، فِي التَّخْوِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ ،
الْمَزْيِ^(٣) بِالظَّرْفِ وَكَمَالِ السَّجِيَّةِ ، وَالْجِهَادِ الْعَظِيمِ ، الْعَرِيقِ^(٤) فِي بُحْبُوحَةِ بِلَادِ
الْكَفَارِ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

أوليته

دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق [مولى]^(٥) موسى بن نصير
في أول الداخلين من المغرب ، وكان له في فتحها أثرا جميلا . وإلى ذلك أشار
مادحه محمد بن حسان :

وكل عدو أنت تهزم^(٦) عرشه وكل فتوح عنك يفتح بابها
برأيك عبد الملوك الذي له حلا فتح قرطبة وانتهابها

ونزل عبد الملك الجريرة الخضراء لأول الفتح ، فساد أهلها ، وكثر عقبه
بها ، وتكررت فيهم النبأهة ، وجاوروا الخلفاء بقرطبة . وكان والد محمد هذا ،

(١) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (رناج) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأوية) . والعبشية من أوصاف الدولة

الأموية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمزى أى الفائق اللامع .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (العريقة) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (تهدم) . والتصويب من «الزيتونة» .

من أهل الدين والعفاف والزهد في [الدنيا]^(١) والتعود عن السلطان . سمع الحديث . وأدى الفريضة . ومات منصرفاً عن الحج بإطراب بلس .

حاله

كان هذا الرجل بكر الدهر . وفايدة الأيام . وبيضة العمر ، وفرد الخلق في اضطراد السعد ، وتملذ العاجل من الخلف . حازماً ، داهية ، شتملاً على أقطار السؤدد ، هويئاً^(٢) إلى الأتقي ، وطموحاً ، سوساً حجيئاً . مضطماً للرجال ، جالباً للأشراف ، مستميلاً^(٣) للقلوب . مطبقاً المفاصل ، مزيجاً للعلال . مستبصراً في الاستبداد ، خاطباً جميل الذكر ، عظيم الصبر ، رخيص الذرع ، طموح الطرف ، جشع السيف ، مهدي جياذ العقاب والثوبة ، مهيباً . جزلاً ، منسكف اللون ، مضفر الكيف ، آية الله جل جلاله في النصر على الأعداء ومصاحبة الظفر^(٤) . وتوالى الصنع .

نباهته

قال المؤرخ ، سلك سبيل القضاء في أوليته ، مقتفياً آثار عمومته وخؤولته ، يطلب الحديث في حدائمه ، وكتب منه كثيراً . ولقى الجلة من رجاله ، ثم صحب الخليفة الحكم متحزباً^(٥) في زمرته . وولى له الأعمال من القضاء والإمامة . ثم استكفاه ، فعدل عن سبيله ، وصار في أهل الخدمة . ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام ، فزاد يخاصته لولى العهد ، عزاً ومكانةً من الدولة . فاحتاج الناس إليه . وغشوا بابه ، وبلغ

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (هدايا) والأولى أنسب لسياق .

(٣) وردت في «ج» (مستليماً) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» الصفر . وفي «الزيتونة» السفر . والتصويب من «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» متخرجا . وهو تحريف .

الغاية من أصحاب السلطان معه^(١)، إسماعيل، وكرم لقاء، وسهولة حجاب، وحسن أخلاق. فاستطار ذكره، وعمر بابه، وساعده الجدد. ولما صار أمر المسادين إليه، فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة.

الثناء عليه

قال، وفي الدولة العامرية، وأعين محمد على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلفه^(٢) لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، والوقار، والجِدُّ والهيبة، والعدل والأمن، وحب العارة، وتعمير المال، والضبط والرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب. من [غير] ^(٣) وَهَنَ فِي دِينِهِ، وَصَحَّةِ الْبَاطِنِ، وَشَرَحَ كُلَّ فَضْلٍ، وَجَلَّبَ كُلَّ مَا يُوْجِبُ عَنِ الْمَنْصُورِ فِيهِ.

غزواته وظهوره على أعدائه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه، فيما يناهز خمسين غزوة، وفتح فيها البلاد، وخضد شوكة الكفر، وأذل الطواغيت [وفض مضاف الكفار] ^(٤)، وبلغ الأعماق، وضرب على العدو الضرايب، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه [وأتخفه بابنته] ^(٥) في سبيل الرغبة في صهره، فكانت أحظى عقابله، وأبرت في الدين والفضل على ساير أزواجه، وعقد اثني عشر بروزاً إلى تلتى ملوك الروم القادمين عليه [مُصْطَهْرِينَ بِالْحَاحِ سَيْفِهِ] ^(٦) منكبين على لثم سريره.

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٢) هكذا في «ج» وفي «الملكية».

(٣) أنشأنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق.

(٤) هذه العبارة واردة فقط في «ج». وساقطة في المخطوطتين الآخرين.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأخذ بها) وهو تعبير غامض. وبالتصويب يتضح المعنى

ويستقيم السياق. والإشارة هنا إلى زوجه المنصور النافارية ابنة سانشو غرسية ملك نافار. وقد أمدها للمنصور زوجة له، فاعتنقت الإسلام، وسميت (عبده)، وأنجب منها المنصور ولده عبد الرحمن

المنجب بشنجدول أي سانشو الصغير نسبة بلده ملك نافار. وكانت عبده أحظى نساء المنصور وأحبهم لديه.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في المخطوطتين الآخرين.

شعره

ومما يؤثر من شعره :

دميتُ بنفسى هَوَلٍ كلِّ عَظِيمَةٍ وخاطرتُ والحِرَّ الكَرِيمِ بِخاطرِ
وما صاحبي إلا جنانٌ مُشَيِّعٌ وأسمرُ خَطِيٌّ وأبيضُ باتِرِ
ومن شيمتي أني على طالب أجودُ بما لا تقيهُ المَعاذِرِ
وإني لَزَجَّاءُ الجيوشِ إلى الوغى أسودُ تلاقِيها أسودُ خوادِرِ
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة وكأنتُ حتى لم أجِدْ من أكاثرِ (١)
وما شدتُ بنيانا ولكن زيادةً على ما بنى عبد المليك وعامرِ
رفعنا العلى بالعوالى سياسةً (٢) وأورثناها في القديم مُعافِرِ

ويبلغ في مُلكه أقطار المغرب ، إلى حدود القبلة (٣) ، وبمدينة فاس ، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار ، ونَهْدُ أوليك الملوك الكبار .

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان في الدولة العامرية ، وقد مر ذكر المنصور ، قُومس الفرنجة بمدينة برشلونة : وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا ، وأوسعها ، وأوفرها من الاستعداد ، وما أوطىء من الممالك والبلاد ، وفتح من القواعد ، وهُزم من الجيوش . وقفل المنصور عنها ، وهو أطمع الناس في استيصالها ، ثم خصهم بصايغة سنة خمس وسبعين ، وهي الثالثة عشر لغزواته ؛ وقد احتفل لذلك ،

(١) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (وفانجرت حتى لم أجِدْ من أفاخر) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة . وفي نص آخر : (رفعنا العوالى بالعوالى مثلها) .

(٣) بلاد القبلة تقع في جنوب المغرب على مشارف الصحراء الكبرى شمال شرق موريتانيا ، وتسكنها قبائل ضهاجة الكبرى .

واستبلغ في النفير . واستوفى أتم الأبهة . وأكل العُدَّة . فجعل طريقه على شرفي الأندلس . لاستكمال ما هنالك من الأطعمة . فسلك طريق البيرة . إلى بسطة . إلى تدمير ؛ وهزم في هذه الغزوات بُريل ملك فرنجية^(١) ونازل مدينة برجاوتة ؛ فدخلها عنوة يوم الإثنين النصف من صفر . سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها .

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد البيرة . ما يحقّ دعوى من ادّعى دخول المعتمدين من^(٢) أهل الأندلس^(٣) لذلك العهد ؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة ، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر ؛ فضلا عن سائر الأصناف على ندارة هذا الصنف من الخدام ؛ بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم .

والذي صح أنه حضر ذلك ، أبو عبد الله محمد بن حسين الطائفي^(٤) . أبو القاسم حسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف . أبو الوضاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد . أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي^(٥) . أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن اليمني . عمر بن المنجم البغدادي . أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي . عبدالعزيز بن الخليل المحرود . أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى بن أبي طالب . مروان [بن عبد الحكم]^(٦) بن عبد الرحمن . يحيى بن هذيل بن

(١) هو الكونت بورييل أمير إمارة قطلونية وقت أن غزاها المنصور . ولم تكن قطلونية قد تحولت بعد إلى ملكة أراجون .

(٢) وردت مكانها في المخطوطات الثلاثة كلمة (هل) . ونعتقد أنه بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة كلمة (إيالك) ، وهي كلمة لا محل لها هنا .

(٤) وردت معرفة في المخطوطات (الطبيي) . والصواب ما أثبتناه . وكان الطيبي من أثر

شعراء المنصور لديه . والطبي نسبة إلى طينة من أرض الزاب بالمنغرب .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة ، وإذا كانت الكلمة من الألقاب فهي خطأ وصحتها

(البغدادي) . وإن كانت وصفاً فهي صحيحة لأن أبا العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ، كان شاعراً ولغوياً في نفس الوقت .

(٦) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

عبد الملك بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاسمي . ابن عمرو القرشي المرواني .
 علي النقاش البغدادي . أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب . محمد بن إسماعيل الزبيدي
 صاحب المختصر في اللغة . أحمد بن درّاج القسطلي مُتَنَبِّي الأندلس . أبو الفرج
 مُنِيل بن مُنِيل الأشجعي . محمد بن عبد البصير . الوزير أحمد بن عبد الملك بن
 شهيد . محمد بن عبد الملك بن جَهْوَر^(١) . محمد بن الحسن القرشي من أهل
 المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني . طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنْد .
 محمد بن مُتَرْف بن شَخِيص سعيد بن عبد الله الشُّعْتَرِي . وليد بن مَسْلَمَة المرادي .
 أغلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . أحمد بن أبي غالب الرُّصَافِي .
 محمد بن مسعود البَلْخِي ، عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن بن أبي الفيد
 الإبيري . أبو الحسن بن المضيء البَجَلِي الكاتب . عبد الملك بن سهل .
 الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري . قاسم بن محمد الجياني .
 قال المؤرخ ، هؤلاء [مَنْ]^(٢) حفظته منهم . وهم أكثر من أن يحصوا ،
 فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك ، وانفساح هذا العز .

وفاته

توفي رحمه الله منصوراً من غزواته المسماة بقنالش والرّيد ، وقد دوّخ أقطار
 قشتالة ، ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة ، وقد
 عهد أن يُدفن^(٣) ببلد وفاته ، بعد وصية شهيرة صدوت عنه ، إلى المُظفّر ولده ،
 فدفن بمدينة سالم ، التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة ، وبقصرها . وقبره

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (هجور) وهو تحريف . وآل جهور من بيوت الوزارة

المشاهير .

(٢) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت مكانها في المخطوطات كلمة (يعرف) . وحكمة التصويب ظاهرة .

معروف إلى اليوم . وكان قد اتخذ له من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد . وعاء
كبيراً بجديده رحمه الله . وكتب على قبره هذا الشعر :

آثاره تذكرك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحى الثغور سواه

محمد بن عباد بن [محمد بن] ^(١) إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] ^(١) بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم ، خلى النسب

أوليته

دخل الأندلس جدّه عطف مع بلج بن بشر القشيري . من أشرف الطالعة
الباجية ، وهم من عرب حُص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعرّيش
في آخر الجفار بين مصر والشام . ونزل عطف بقريه تعرف بيومين من إقليم
طشانة ^(٢) على ضفة النهر الأعظم ^(٣) من أرض إشبيلية . ولما هلك قريش ، وورث ^(٤)
السيادة إسماعيل بن قريش ، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ^(٥) ، يكنى
أبا الوليد . وولى الشرطة الوسطى هشام بن الحكم ، وخُذت الإمامة إلى صلاة
الجمعة . ثم خافه أبو القاسم المنفرد برياسة إشبيلية ، المتخف فيها بخطط الوزارتين
والقضاء والمظالم . وعزّ جاهه ، وكثرت حاشيته ، وتمتدت ^(٦) غلمانه ، وأذغنت

(١) نقلاً هذه الزيادة في النسبة من «الخطبة السيرة» لابن الأبار (القاهرة ١٩٦٥) ج ٢ ص ٣٤

(٢) إقليم ، أو بلدة طشانة ، وبالإسبانية Tucina ، تقع شمال شرقى إشبيلية ، وشمال غربى

قرمونة ، على مقربة من جنوب نهر الوادى الكبير .

(٣) النهر الأعظم هو نهر الوادى الكبير .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، ملك ، والمزدى واحد .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» كلمة (والده) . ونعتقد أنها تحريف لكلمة (الدهاء) .

(٦) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (وتقدمت) . والأولى أرجح .

له عُداته . ثم خلفه الأمير المعتضد ولده ، وكان خيراً حازماً ، سديد الرأي ، مَصْنُوعاً له في الأعداء ، فلما توفى ، نصير الأمر إلى ولده المترجم به ، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعاه .

حاله

قالوا كلهم ، كان المعتمد ، رحمه الله ، فارساً شجاعاً . بطالاً مقداماً . شاعراً ماضياً ، مشكور السيرة في رعيته . وقال أبو نصر في قلائده^(١) « وكان المعتمد على الله ملكاً فتح العدا ، وجمع بين البأس والنداء . وطلع على الدنيا بدر هدى . لم يتعطل يوماً كفه ، ولا بنانه ، آونة يراعه . وآونة سنانهُ . وكانت أيامه مواسم ، وثغوره برّة بواسم » . لقبه أولاً الظّافر . ثم تلقب بالمعتمد . كلفاً بجاريته اعتماداً ، لما ملكها . لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها . لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زَيْدُون^(٢) . وابن عمار . وغيرهم .

أولاده المملكون

عبيد الله . يكنى أبا الحسن ، وهو الرشيد . وهو الذي لم يوافق أباه على استِصْرَاحِ المرابطين . وعرض بزوال الملك عنهم ، فقال : أحبُّ إلى أن [أكون واعياً]^(٣) إبل بالعدوة من أن ألقى الله . وقد حوّلت الأندلس دار كفر . وكان قد ولاء عهده ، وبويع له بإشبيلية . وهو المحمول معه إلى العدو . ثم الفتح . وهو الملقب بالأمون ، كان قد بويع له بقرطبة ، وهو المقتول بها . المحمل رأسه إلى

(١) هو كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد ابن زيدون كلمة (ابن خلدون) وهو خطأ تاريخي بين

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يكون لراعى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

محنة العدو المرابطين . المحاصرة لأبيه بإشبيلية ، ثم يزيد الرازي . وكان قد ولاء
رندة ، فقتل لما ملكها اللمتونيون^(١) . ثم عبد الله . ويكنى أبا بكر . هؤلاء
الأربعة من جاريته اعتماد . السيدة الكبرى . والمدعوة بالرميكية . منسوبة إلى
مولاهارميك بن حجاج الذي ابتاعها منه المعتمد .

مؤامراته

لما تكالب أذفونش^(٢) بن فردلان على الأندلس بعد أخذه مدينة طليطلة^(٣)
ضيق بالمعتمد ، وأجحف في الجزية ، التي كان يتلقى بها على المسلمين عاديته ،
وعلى ذلك أقسم^(٤) أخذها وتجنني عليه ، وطمع في البلاد ، فحكى بعض الإخباريين
أنه وجه إليه رساله في آخر أمره لقبض تلك الضريبة ، مع قوم من رؤساء النصارى ،
ونزلوا خارج باب إشبيلية ، فوجه إليهم المال ، [مع بعض الوزراء ، فدخلوا على
اليهودى المذكور في خبايه ، وأخرجوا المال]^(٥) ، فقال لهم ، لا أخذتُ منه هذا
العيار ولا أخذتُ منه إلا ذهباً مشجراً^(٦) ، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلا أجفان البلاد
ونقل كلامه إلى المعتمد ، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ، ونكّل بهم ، وقتل
اليهودى بعد أن بذل في نفسه زنة جسمه ذهباً ، فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ،
وراسله الطاغية في إطلاقهم ، فأبى إلا أن يخلى منه حصن الحدود ، فكان ذلك .

(١) اللمتونيون هم المرابطون ، نسبة إلى قبيلتهم البربرية المغربية «لمتونة» .

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أذفونش) والتصويب من «الملكية» . وهو ألفونسو

السادس ملك قشتالة .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قوطبة) وهو سهو تاريخي . والصواب ما أثبتناه . وقد

استولى ألفونسو السادس على طليطلة من ملكها القادر بن ذى النون في سنة ٤٨٧ هـ (١٠٨٥ م) .
وكانت أول قاعدة أندلسية كبرى تسقط في أيدي النصارى .

(٤) وردت في «ج» . وفي «الملكية» (قسم) . ولم ترد في «الزيتونة» .

(٥) ما بين الخاصرتين ساقط في «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت (مشهراً) .

واستصرخ اللّٰمُتُونِيَّينَ، وأجاز البحر بنفسه وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة ألا يرفع عنه يده . وهاجت حفيظة المعتمد ، واجتهد في جواز المرابطين ، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية [في] وقعة الزلاّقة^(١) فإنه الذي أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه ، وشهرُ صبره ، وأصابته الجراح في وجهه ويده ، رحمه الله . وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّي :

وقالوا كفه جُرحت فقلنا أعاديه ثواقمها الجراح
وما لمرتد^(٢) الجراحة ما رأيت فتوهبها المناصل والرّماح
ولكن فاض سيلُ البأس منها ففيها من [مجازيه أنسيح]^(٣)
[وقد صحّت . وسحّت بالأمانى وفاض الجود منها والسّماح
رأى منه أبويعقوب فيها عقاباً لا يُهاض له جناح
فقال له لك القسحُ المعلى إذا ضربت بمشهدك القِداح]^(٤)

ولما اتصلت به الصّيحة . بين يدي دخول المدينة ركب في أفراد من عبيده ، وعليه قميص يشف عن^(٥) بدنه . والسيف مُنتَضِي بيده . ويمم باب الفرج^(٦) ، فقدم الداخلين ، فردهم على أعقابهم . وقتل فارساً منهم . فأنزعجوا أمامه . وخلفوا الباب ، فأمر بإغلاقه ، وسكنت الحال . وعاد إلى قصره . وفي ذلك يقول :

(١) وقعة الزلاّقة هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش المرابطية والأندلسية المتحدة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي عاهل المغرب والمعتمد بن عباد ، والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة . وانتهت بنصر المسلمين الباهر ، وسحق الجيوش النصرانية وذلك في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . ويقع مكان الموقعة وهو سهل الزلاّقة على مقربة من شمال شرقي مدينة بطليوس .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . ووردت في «القلائد» (وما أثر) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (محاربه انتياع) . والتصويب من «القلائد» .

(٤) نقلنا هذه الأبيات الثلاثة من «القلائد» تكلمة للقصيد (ص ١٣) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أرجح .

(٦) هو أحد أبواب إشبيلية الإسلامية ، وقد كان يقع جنوب المدينة على مقربة من القصر

[إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
 فالقلبُ بين ضلوعه لم تُسلم القلبَ الضلوع]^(١)
 قد رُمّت يوم نزالهم ألا تحصّني الدروع
 وبرزتُ ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفعوع
 أجلي تأخّر لم يكن بهواي ذبي والخضوع
 ماسرتُ قط إلى القتال وكان من أملى الرجوع
 شيمُ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع^(٢)

جوده

وأخبار جوده شهيرة، ومما يُؤثر من ذلك، على استصحاب حال العزّ -
 ووفود^(٣) ذات اليد، وأدوات^(٤) الملك، غريب. والشاهد المقبول بقاء السجّية
 وصاحبة الخلق المسكية، مع الإقتار والإيسار، وتقلب الأطوار، وتعرض له الحصرى
 القرموني^(٥) الضريب بخارج طنجة، وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال؛
 بأشعار ظاهرة المقت، غير لايقة بالوقت؛ ولم يكن بيده زعموا، غير ثلاثين ديناراً
 كانت بخفّه، معدّة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر
 طيها اعتذار عن نزرها، راغباً في قبول أمرها، فلم يراجعه الحصرى بشيء عن
 ذلك، فكتب إليه :

(١) نقلنا هذين البيتين، وهما فاتحة القصيدة من الحلة السيرة (ج ٢ ص ٦٥).
 (٢) هذا الشعر في المخطوطات الثلاثة مليء بالتحريف والتصحيف. وقد اكتفينا بنقل النص
 السليم عن الحلة السيرة.

(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» و«الملكية» (وفود).
 (٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وأداة). وفي الملكية (وأداة).
 (٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الملكية». ووردت محرفة في «الزيتونة» (القيرمواني)
 والقرموني نسبة إلى مدينة قرمونة الواقعة شمال شرق إشبيلية.

قل لمن جمع العلم وما أحصى صوابه
 كان في الثمرة تسعراً فانتظرنا جوابه
 قد أتيناك فهلاً جَلَب الشعر جوابه

حلّه

رُفِعَ إِلَيْهِ صَدْرَ دَوْلَتِهِ شَعْرٌ ، أُغْرِي فِيهِ ، بِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ ، وَهُوَ شَهِيرٌ ،
 وَتُخَيَّرُ^(١) لَهُ مَوْجِعٌ وَتَرَصَّدُ حِينَ ، وَانْتَظَرْنَا بِهِ مُؤَجَّرَهُ ، وَهُوَ :

يا أيها الملك [الأعزّ] ^(٢) الأعظم
 واحسم بسيفك ^(٤) كل منافق
 لا تترك الناس موضع شبهة
 قد قال شاعر كئيدة فيما مضى
 لا يسلم الشرف الرفيع ^(٦) من الأذى
 فوقع على الرقعة :

كذبت منكم صرّحوا أو جمجموا
 خنتم ورمتم أن أخون وإنما
 وأردتم تضيق صدر لم يضيق
 الدين أمتن والسجّة أكرم
 حاولتم أن يستخف بللم
 والسر في صدر ^(٨) النحور تحطم

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة . ووردت مكانها في «القلائد» (العلی) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» «يلم» ، وفي «القلائد» «ينم» .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بنفسك) . والتصويب من «القلائد» .

(٥) هذا ما ورد في «الزيتونة» وفي «القلائد» : وهو ساقط في «ج» .

(٦) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (الشريف) . وهو ما يخالف النص المعروف المتداول .

(٧) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات الخمسة فقط من القصيدة : وهي تقع في سبعة وعشرين

بيتاً ، وقد نشرت كاملة في «القلائد» (ص ١٤ و ١٥) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلائد» (نثر) .

وزحقتم بمحالكم لمجرب
 أتى رجوتم غدر من جربتم
 أنا ذا كم لا السعى^(١) يشمر عرسه
 كفوا وإلا فارقبوا إلى بطشة
 مازال يثبت المبحال فيهم زم
 منه الوفاء وظأ من لا يظلم
 عندي ولا مبنى الصنيفة يهدم
 يبقى^(٢) السفية بمشاه يتكلم

توقيعه ونثره في البديهة

كتب مع الهاميم إلى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة^(٣) الزلاقة^(٤).

يا بني، ومن أبقاه الله وسلمه، ووقاه الأسواء وعصمه. وأسبغ عليه آلاؤه وأنعمه
 كتبتك، وقد أعز الله الدين، وأظهر المسلمين، وفتح لهم على يدي مستدعيات الفتح
 المبين، بما يسره الله في أمسه وسناه. وقدره سبحانه وقضاه، من هزيمة أذفونش
 ابن فرذلند لعنه الله وأصلاه، وإن كان طاح للجحيم، ولا أعدمه وإن كان أهل
 العيش الذميمة، كما قنعه الخزي العظيم. وأتى القتل على أكثر رجاله وحماته،
 واتصل النهب ساير اليوم، والليلة المتصلة به، جميع محلاته، وجمع من رؤوسهم
 بين يدي، من مشهورى رجالهم، ومن كورى أبطالهم، ولم يختار منهم إلا من شهر
 وقرب، وامتألت الأيدي مما سلب ونهب. والذي لامرية فيه، أن الناجي منهم
 قليل، والمفلت من سيوف الجزع والبعد قتيل^(٥)، ولم يصبني بفضل الله إلا جرح
 أسوى، وحسن الحال عندنا والله وزكى، ولا يشغل بذلك بال، ولا يتوهم غير
 الحال التي أشرت إليها حال، والأذفونش بن فرذلاند، إن لم يصبح تحت السيوف

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ووردت مكانها في «القلائد» (البنغي).

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «القلائد» (يلقى). ونعتقد أن التصويب أرجح

وأنسب للسياق.

(٣) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (غزوة).

(٤) سبق أن قدمنا تعريفاً موجزاً بموقعة الزلاقة (أنظر الهامش في ص ١١١).

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». ووردت في «الملكية» (قليل).

فسيموت لا محالة كمداء ، وإن كان لم تعلقه أسراد الحمام | ففدأ ، فإن برأسه طمرة
ولحام^(١) . فإذا ورد كتابي هذا ، فمُر بجمع الخاص والعام ، من أهل إشبيلية ،
وجيرانها الأقربين ، وأصفينائنا المحبين ، في المسجد الجامع . أعزهم الله . وليقرأ
عليهم فيه ، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم ، ويضيفوا شكراً لله إلى صالح دُعائهم
[والحمد لله على ما صنع حقَّ حمده ، جلَّ الزيد لأمر حين ، إلا من عنده . والسلام]^(٢) .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني^(٣) : سألتني في بعض الأيام عند قدومي عليه بأغمت ،
قاضياً حق نعمته ، مُستكثراً^(٤) من زيارته ، مُستمتعاً^(٥) برايق أدبه ، على حال
مخنته ، عن كُتبي ، فأعلمته بذهابها في نهب حضرته . وكنت قد جَلبتُ في سفرتي
تلك ، الأشعار الستة ، بشرح الأستاذ أبي الحجاج الشنتمرى الأعم ، وكانت
مستعارة ، فكتمتها عنه . ووَشى إليهِ أحد الأصحاب . فحجل بكرمه وحسن شيمته ،
من الأخذ معي في ذكر ما كتمته ، فاستطرد إلى ذلك بغرض نبيل ، ونحافيه
نحواً ، يعرُب عن الشرف الأصيل ، وأملى عليّ : في جملة ما كان يُمليه :

وكواكب لم أذرِ قبل وجوها
نادمتها في جنح ليل داس
أن البدر تدور في الأزوار
فأعرنه مثلاً من الأنوار

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فند برأس طرة ولحام) .
وكلتاها يشويها الغموض .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ج» ، في هامش الصفحة . وساقط في المخطوطين الآخرين .

(٣) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة ، من شعراء عصر الطوائف ،
اتصل ببلاط إشبيلية وغدا شاعر المعتمد الأثير لديه ، وقد نظم الكثير في مديحه . ولما ذهبته
المعتمد ، ونفى أسيراً إلى المغرب ، زاره أبو بكر في أغمت . وله في دولة المعتمد وأيامه ، وفي
مخنته وأسرته قصائد كثيرة . وله في تاريخ الدولة العبادية كتاب عنوانه «نظم السلوك في مواضع الملوك»

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مستكراً) والتصويب أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (متمتعا) .

في وسط روضة نرجس كعيونها ما أشبه النوار بالثنا
 فإذا واصلنا الحديث حسبتي ألهو بملتقط لدرّ نشار
 فإذا اكتحلت برق^(١) تغير باسم سَكَبَت جُفوني أغزر الأملار
 حنر الملام وخيفة من جفوة تذر الصدور على شفير هار
 ترك الجوارى الآناس مذاهي وسولها ظفر بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد سرى إليه ، فأعلمته
 قصتها ، فبسط العنبر بفضله . وتأول الأمر ، وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيه .
 ذوى خط رائع ، ونقل حسن . وأدب بارع . أخذوا في نسخها . وصرفوا الأصل
 لأجل قريب .

محتته

ولم يلبث أمير اللمتونيين بعد جوازه إلى الأندلس ، وظهوره على طائفة^(٢)
 الروم ، أن فسده ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس ، وعزم على خلعهم . فأجاز
 من سبته العساكر ، وسرب الأمداد . وأخذ المعتمد بالعزم يحصن حصونه ، وأودع
 الماقل عدته ، وقسم على مظان الامتناع ولده . وصمدت الجموع صمدة بنيه . ونازل
 الأمير سير إشبيلية ، دار المعتمد ، وحضرة ملكة . ونازل الأمير محمد بن الحاج
 قرطبة ، وبها المأمون ، ونزل جرور^(٣) من قواده زنده ، وبها الراضي ابن المعتمد .
 واستمر الأمر ، واتصلت المحاصرة ، ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها .
 فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة ، وقتل الراضي ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» برق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت أيضاً تحريفاً لكلمة (طائفة) .

والمؤدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرور) . والصواب ما أثبتناه .

وجلب رأسه فطيف به بمراى من أبيه . وكان دخول إشبيلية على المعتد، دخول
 القهر والغلبة . يوم الأحد لعشر بقين من رجب (١) . وشملت الغارة . وادتحت
 الدور، وخرج ابن عباد فى شكته (٢) . وابنه مالك فى أمته . معها فقتل مالك
 الملقب بفخر الدولة ورهقت الخيل، وكثر، فدخل القصر ملقياً بيده . ولما جن الليل،
 وجه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير . فحجب عنه ، ووكل بعض خدمه به ،
 وعاد إلى المعتد فأخبره بالإعراض عنه . فأيقن بالهلكة . وودع أهله وعلا
 البكاء ، وكثر الصراخ ، وخرج هو وابنه ، فأنزلا فى خباء حصين . ورزقوا بالحرس ،
 وأخرج الحرم من قصره . وضم ما شتمل عليه . وأمر بالسكتب إلى ولده برئدة
 ففعل . ولما نزل ، واستوصلت ذخيرته ، سلا (٣) . وأجيز المعتد البحر . ومن معه
 إلى المنجة ، فاستقر بها فى شعبان من العام . وفى هول (٤) البحر عليه فى هذا الحال ،
 يقول رحمه الله

لم أنسُ والموت يد نينى ويُقصينى	والموت كأنَّ النني يأتينى
أبصرتُ هولاً لو أن الدهر أبصره	لما خوفاً لأمر ليس بالثون
قد كنت ضائناً بنفس لا أجود بها	فبعتها باضطرار ببيع مغبوف
كم ليلة بت مطويّاً على حرق	فى عسرٍ من عيون الدبر (٥) فى العين
فتلك أحسنُ أم ظلات به	فى ظلّ عزّة سلطان وتمكين
ولم يكن والذى تعنو الوجوه له	عرضى مُهاناً ولا مالى بمخزون
وكم خلوتُ من الهيجا بمترك	والحربُ ترقل فى أثوابها الجون
ياربُّ إن لم تدع حالاً أسرُّ به	فهب لعبيدك أجراً غير ممنون

(١) وردت فى «ج» بعد هذه الكلمة ، كلمة (الهب) ، ولا مكان لها فى السياق .

(٢) فى شكته أى فى سلاحه وعدته .

(٣) هكذا فى «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت فى «ج» (سل) .

(٤) وردت فى «ج» و«الملكية» (هو - هوا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) وردت فى «ج» (الدير) . والتصويب من «الزيتونة» .

وجرى على نياته شيء يوم خروجهن، واضطرتهن الضيقة إلى معيشتهم من غزل أيديهن، وجرت عليه محن طال لها شجنه^(١) وأقعدته قيده. إلى [أن]^(٢) نقل إلى أغمات وريكة^(٣). وحلّ عنه الاعتقال. وأجرى عليه رزقه. تملّغ به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال ابن الصيرفي. وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة، وخلع أميرها عبد الله بن بلقين حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين: ولحق ابن عباد [وحليفه ابن مسleme] ^(٤) بخيل ورجل ورملة وعتد، وحل ذلك من [ابن] عباد تضرعاً لرسرة أمير المسلمين. وتحققاً^(٥) بموالاته، فدخل عليه، وهتياه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد التامعية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استصفاء نعمة صاحبها، عوضاً عن الجزيرة الخضراء، وكان قد أشخصه معه، [فعرض بغيره] ^(٦)، فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية [كل منهما] ^(٧) التخلّص من يده، والرجوع إلى بلده. فأعمل ابن عباد

(١) وردت في «ج» (سجنه). والتصويب من «الملكية».

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أغمات أو أغمات وريكة، هي بلدة قديمة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلو مترا من جنوب شرقي مراكش، وكانت قبل إنشاء مراكش عاصمة للدولة المرابطية.

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة (وخليفة بن مسleme). وهو تحريف. والصواب ما أثبتناه. وابن مسleme هو المتوكل بن الألفس صاحب بطليوس. ويعرف بنو الألفس أيضا ببني مسleme باسم جددهم ومؤسس دولتهم عبد الله بن محمد بن مسleme.

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وتحققوا). والتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت مكان هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة عبارة مضطربة مكررة (فعرض به فأعرض عنه بغيره: فأعرض به ما عرض عنه بغيره.. الخ). وبهذا التصويب الموجز يستقيم المعنى والسياق.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كل واحد منهما).

الحيلة . فكتب ، يزعم^(١) أنه وردت عليه تحته من إشبيلية في اللحاق ، أنباء^(٢) مهمة طرقت بتحرك العدو . واستأذن بها في الصدور ، فأخذ له ولخليفة ابن مسلمة ، فانتهزا^(٣) الفرصة ، وابتدوا الرجعة . ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك رياسة أمره .

مولده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ووُلِّي سنة إحدى وستين . وخُلِع سنة أربع وثمانين .

وفاته

كانت وفاة المعتمد [على الله] ^(٤) بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد . وجزع عليها جزعاً ، أقرب^(٥) سرعة لحاقه بها . ولما أحس بالمنية . رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تُكتب تلى قبره :

قبرُ الغريب سقاك الرَّاحُ العِصَادِي
[بِالْحِلْمِ بِالْعِلْمِ بِالنُّعْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ]
بِالْمَلَأَعْنَ الضَّارِبِ الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا
بِالْمَوْتِ أَحْمَرُ بِالضَّرْغَامَةِ الْعَادِي
[بِالدهْرِ فِي نَقْمٍ بِالْبَحْرِ فِي نِعْمٍ]
حَقًّا ظَفِرَتْ بِأَشْلَاءِ ابْنِ عِبَادِ
بِالْخِصْبِ أَنْ أُجْدِبُوا بِالرِّيِّ لِلصَّادِي
بِالْبَدْرِ فِي ظُلْمٍ بِالصَّدْرِ فِي النَّادِي
نِعْمَ هُوَ الْحَقُّ [فَاجَأَنِي عَلَى] ^(٦) قَدْرِ
مِنْ السَّمَاءِ وَوَأَفَانِي لِمِعَادِ

(١) في «ج» (زعم) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في «ج» (لأنباء) . فاقتضى التصويب .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فاستهزا) . والتصويب أفضل .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (رحم الله) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (أقر) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت في «المعجم» . وفي مصادر أخرى

(حبابي به) .

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلاه
 [كفناك فارفق بما استودعت من كرم
] يبكي أخاه الذي غيبتَ وابله
 [حتى يجودك دمعُ العُلى منهمراً
 فلا تزل صلوات الله نازلةً
 أن الجبال تُهادى فوق أعواد
 رواءك كلُّ قطوب البرق رعاد
 تحت الصَّفيح بدمع رافع غادى
 من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد^(١)
 على دفينك لا تُحوى بتعداد

بعض مراثي به

قال ابن الصِّيرفي: وخالف في وفاة المعتمد، فقال: كانت في ذي حجة. فلما
 انفصل الناس من صلاة العيد. حفَّ بقبره ملاً، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل
 ابن عبد الصمد، فوقف على قبره وأنشد:

ملكُ الملوكة أسمعُ فأنادى أم قد عدتْكَ عن السَّماعِ عوادى
 لما خلَّتْ منك التصوُّرُ فلم تكن فيها كما قد كنتَ في الأعياد
 أقبلتُ^(٢) في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضعَ الإنشاد^(٣)
 ثم خرَّ يبكي، [ويقبِّل القبر]^(٤) ويعفُّ وجهه في التراب، فبكي ذلك الملاء حتى
 أخضلوا ملابسهم، وارتفع نشيجهم^(٥) فله درُّ ابن عبد الصمد، وهلاذ ذلك البلد.

(١) وردت هذه القصيدة ناقصة في المخطوطات الثلاثة. وقد اكتملتها بالأبيات التي بين
 الخواصر. وأوردتها المراكشي في «المعجم» (١٣٢٢ هـ) من ٨٧.

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (قبلة). وفي «الملكية» (مثلت).

(٣) أورد ابن الخطيب مطلع هذه القصيدة فقط. وقد أوردتها الفتح في «القلائد» كاملة
 (قلائد «مقبان» ص ٣١).

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (ويقبِّل في القبر).

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذه الكلمة عبارة (دمع البار). ولا مكان لها في

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرَدَيش الجذاي
قال بعضهم ينتمى في تُجيب. الأمير أبو عبد الله .

أوليته

معروفة . وعلى يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة . على ابن رُدْمير
الطاغية ، فجلت الشهرة ، وعظمت الأثرة . قال بعضهم ، تولى أبوه سعد قيادة
إفراغة وما إليها . وضبطها . ونازلها^(١) ابن رُدْمير . فشهر غناؤه بها في دفاعه . وصبره
على حصاره ، إلى أن هزمه الله [عز وجل]^(٢) . على يدى ابن غانية^(٣) . وظهر
بعد ذلك فحس بلاؤه . وبعد صيته . ورأس ابنه محمد ، ونفق في ألقته . وكان بينه
وبين ابن عياض المتأمر بمُرْسية صهر ، ولأه لأجله بآنسية . فلما توفى ابن عياض ،
بادرها ابن سعد ، وبأغته أثناء طريقه ، غدر المدوُّ بحصن جلال ، فكر [وقادله]^(٤)
وفتحة . وعاد فلك بآنسية ، وقد ارتفع له صيت شهير ، ثم دخلت مُرسية في
أمره ، واستقام له الشرق . وعظمت حاله .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (ونازله) .

(٢) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) واقعة إفراغة المشار إليها هنا ، هي الواقعة الحاسمة التي نشبت بين الفونس المخارب
(ابن رُدْمير) ملك أراجون وبين المرابطين تحت أسوار مدينة إفراغة الواقعة على نهر سكلابا في شرع
نهر إيبرو وبالغ الأعلى ، بقيادة يحيى بن غانية اللستوفى . وكان الأراجونيون قد ضربوا عليها الحصار
وقامتهم حامية الإسلامية بقيادة واليها سعد بن محمد بن رُدْمير أشد مقاومة ، وصمدت حتى
وافت القوات المرابطية . ومنى الأراجونيون في الواقعة بهزيمة ساحقة ، وكان ذلك في يوم ٢٣ رمضان
سنة ٥٢٨ هـ (٧ يوليه ١١٣٤ م) . وقتل الفونسوا المخارب خلال الواقعة أو توفى بعدها بيوم قتل
غماوياسا .

(٤) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

حاله

قال ابن حمّامة: ساد من صغره بشجاعته ونجابته^(١)، وصيت أبيه، فقال بذلك إلى القيادة. وسنة إحدى وعشرون سنة. ثم ارتقى^(٢) إلى الملك الراسخ، والسلطان الشاخي. بباهر شجاعته وشهامته. فسما قدره. وعظم أمره. وفشّي في كل أمة ذكره. وقال غيره، كان بعيد الغور، قوي الساعد، أصيل الرأي. شديد العزم، بعيد العفو، مؤثراً للانتقام، مرهوب العتوبة.

وقال في مختصر «نورة المرّدين»^(٣) كان عظيم القوة في جسمه، ذا أيد في عظّمته. [جزارة في لمة]^(٤)، وكان له فروسيّة، وشجاعة. وشهامة. ورياسة.

بطالته وجوده

قال وكان له يومان في كل جمعة. الإثنين والخميس، يشرب مع ندمائه فيهما، ويجود على قوّاده. وخاصته وأجناده، ويذبح البقر فيهما^(٥)، ويفرق لحومها على الأجناد، ويحضر القيان بمزاميرهن وأعوادهن^(٦)، ويتخلل ذلك لحو كثير، حتى ملك القلوب من الجند، وعاملوه بباية النصّح، وربما وهب المال في مجالس أنسه. ذكر أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قوّاده، فشرب معه ومع القرابة،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (ونجدته) والأولى أرجح.

(٢) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (ارتفع).

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (ثور المرّدين). والصواب ما أثبتناه. وثورة المرّدين كتاب من تأليف ابن صاحب الصلاة الباجي مؤرخ الموحدين وصاحب كتاب (المن بالإمامة). ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا.

(٤) وردت هذه العبارة فقط في «ج». وهي ساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (في المواسم) والأولى أرجح وأكثر.

اتفاقاً مع السياق.

(٦) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة».

في مجلس قد كساه بأحمر الوشى والوطىء^(١) والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم . فلما كمل نهاره معهم، وهبهم الآنية . وكل ما كان في المجلس من الوشى^(٢) وغير ذلك .

ما نقم عليه ووصم به

قالوا، كان عظيم الانهماك في ميدان البنالة، واتخذ جُملة من الجوارى . فصار يُراقدهن من جملة تحت لحاف واحد . وانهماك في حُب القيان، والزمر والرقص . قالوا، وكان له فتى اسمه حسن، ذو رقبة سمينة، وقفاً عريض . فإذا شرب، كان يرزّه، ويعطيه بعد ذلك عطاءً جزيلاً . وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسالى، وكان يحضر شرابه . ويخمر^(٣) .

أدر كؤوس المدام والرّز	فقد ظفّرنا بدولة العزّ
ونعم الكفّ من قنا حسن	فلنّها في ليانة الخزّ
وصاحب إن طلبتُ أخدعه	فلم يكن في بدّله بمعزّ
أنحني على أخداعي فاطربني	وهزّ عنقني أيما هزّ

وأجزل صلاة السالى حين أشدها إياه، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق، واستظرفها الناس . [فردّ مرسية دار مجونه، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين]^(٤) . وآثر زى النصارى من الملابس، والسلاح، واللّجم، والسروج . وككّف بلسانهم يتكلم مباحته^(٥)، وأجأه الخروج عن الجماعة . والانفرادُ بنفسه (إلى الاحماء)^(٦)

(١) هذه الكلمة واردة فقط في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت مكررة في «ج» (فرش وآنية)

(٣) وردت في «ج» وفي «الملكية» (ويخف - يخفه) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في المخطوطات الثلاثة . ولم تنضح حكمة وجوده هنا . والظاهر

أنه قد سقطت منه بعض كلمات .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم المعنى والساق .

بالنصارى ، ومُصانعتهم ، والاستماعة بطواغيتهم . فصالح صاحب برشاونة لأول أمره على ضريبة . وصالح ملك قشتالة على أخرى . فكان يبذل لهم في السنة [خمسين ألف مثقال]^(١) . وابتنى جيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم ، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق ، تختنق^(٢) بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر ، مؤنأ غريبة . وأمارسوم الأعراس والملاهي : فكانت قبالاتها غريبة . حدثت بعض المؤرخين عن الثقة ، قال كنت بجيآن مع الوزير أبي جعفر الوَقْشِيّ فوصل إليه رجل من أهل مرسية ، كان يعرفه . فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنیش وعن سيره فقال الرجل ، أخبرك بما رأيت من جور عماله وظلمهم . وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن ، كان له بنظر شاطبة ، ضويرة يعيش بها ، وكان لازمها أكثر من فايدها ، فأعطى لازمها حتى افتقر ، وفرّ إلى مرسية . وكان أمر ابن مردنیش ، أنه من فر من الرعية أمام الغزو^(٣) ، أخذ ماله للمخزن . قال الرجل الشاطبي ، فلما وصلت إلى مرسية فاراً عن وطني ، خدمتُ الناس في البُنَيان ، فاجتمع لي مثقلان سعديان ، فبينما أنا أمشي في السوق . وإذا بقوم من أهل بلدي شاطبة ، ومن قرابتي ، فسألتهم عن أولادى وزوجتى ، فقالوا إنهم في عافية ، وفرحت فرحاً عظيماً ، وسألتهم عن الضويرة ، فقالوا إنها باقية بيد^(٤) أولادك ، فقلت لهم عسى تبئيتوا عندى الليلة ، فاشترت لحماً وشراباً ، وضرَبنا دفاً . فلما كان عند الصباح ، وإذا بنقر عنيف

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (خمسين ألفاً من المثاقيل) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة . وربما كان القصد أنها تردع .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المدو) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عند) .

بالباب . فقلت من أنت ، فقال أنا الطرقون الذي بيده قبالة الله ، وهي متفقة بيدي .
وأنتم ضربتم البارحة الدف فأعدنا حق العرس الذي عملت . فقلت له والله ما كانت
لى [عرس] (١) . فأخذت وسُجنت . حتى افتديت بمشقال واحد من الذي خدمت به .
وجئت إلى الدار . فقيل لى أن فلاناً وصل من شاطبة الساعة . فشبث لأسأله [عن
أولادى . فقال تركتهم فى السجن . وأخذت الضويرة من أيديهم فى رسم الجبالى .
فرجعت] (٢) إلى الدار . إلى قرابتى . وعرفتهم بالذى طراً على . وبكيت طول ليلتى ،
وبكوا معى . فلما كان من الغد . وإذا بناقر بالبواب . فخرجت . فقال أنا رجل صاحب
المواريث . أعلمنا أنكم بكيتم البارحة . وأنه قد مات لكم ميت من قرابتكم
[غنى] (٣) . وأخذتم كل ما ترك . فقلت والله ما بكيت إلا نفسى . فكذبنى
وحملنى إلى السجن ، فدفعت المتقال الثانى . ورجعت إلى الدار [وقلت أخرج إلى
الوادى . إلى باب القنطرة . أغسل ثيابى من دَرَن السجن . وأفر إلى العدو] (٤)
فقلب . لامرأة تغسل الثياب . إغسلى مما على . وجردتها . ودفعت لى زناراً
ألبسه . فبينما أنا كذلك . وإذا بالخصى قائد [ابن] (٥) مردنيش ، يسوق
ستين رجلا من أهل الجبل ، لابسى الزنانير . فرآنى على شكاهم ، فأمر بحملى
إلى الشجرة والخدمة بمحصن مسقوط عشرة أيام . فلبثت أخدم وأحضر مدة عشرة
أيام ، وأنا أبكى واشتكى للقائد المذكور ، حتى أشفق على وسرحنى . فرجعت أريد
مرسية . فقيل لى عند باب البلد . كيف أسمك فقلت محمد بن عبد الرحمن ، فأخذنى
الشرطى ، وحملت [إلى] القابض بباب القنطرة . فقالوا هذا من كتبته من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) أضفنا هذه الكلمة تصحيحاً للاسم .

أرباب الخالي بكنا وكذا دينار . فقلت والله ما أنا إلا من شاطبة . وإنما إسمي وافق ذلك الاسم ، ووصفت له ما جرى علي ، فأشفق وضحك مني ، وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا .

بعض الأحداث فى أيامه ، ونبذ من أخباره

استولى على بلاد الشرق ، مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية ، ثم اتسع نطاق ملكة ، فولى جيان [وأبدة وبياسة]^(١) . وبسطة ووادى آش ، وملك قرمونة ، ونازل قرطبة وإشبيلية . وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس . فولى صهره ابن همشك ، وقد [مر]^(٢) فى باب إبراهيم ، مدينة جيان [وأبدة وبياسة]^(١) ، وضيق منها على قرطبة . واستولى على إستجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمماية وثار عليه^(٣) يوسف بن هلال من أصحابه بحصن مطرنيش^(٤) وما إليه . ثم تفسد ما بينه وبين صهره [الآخر ابن همشك]^(٥) ، فكان سبب إديار أمره . واستولى العدو فى مدة ابن سعد على مدينة طرطوشة عام ثلاثة وأربعين وخمماية . وعلى حصن إقليج . وحصن شرانية .

دخوله غرناطة

ولما دخل ابن همشك مدينة غرناطة ، وامتنعت عليه قصبتهما . وهزم

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق . وقد مررت ترجمة ابن همشك فى المجلد الأول ص ٢٩٦ .

(٣) وردت (على) فى «ج» و «الزيتونة» ؛ فلزم التصويب لاستقامة المعنى .

(٤) وردت فى المخطوطات الثلاثة (حصن بطرقش) . وهو تحريف . والصحيح ما أثبتناه .

و حصن مطرنيش يقع على مقربة من بلنسية .

(٥) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

الجيش المُصرَّخ لمن حُصر بها من الموحدين بمرج الرقاد^(١) وثاب أثناء ذلك أمرُ الموحدين . فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب . وأجار البحر ، واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة . استمد^(٢) ابن هَمَّشُك صهره الأُسعد . أبا عبد الله محمد بن سعد . فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى . فوصل إلى غرناطة ، واضطربت محلته بالرطوبة السامية المتصلة بربض البيّازين . وتُعرف إلى اليوم بكُدية مردنيش [وتلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة . فأبينوا جيش عدوهم . فكانت عليه الدَّبرة ، وفر ابن مردنيش^(٣) . فلحق ببيان ، واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين فلم يكن له بعده ظهور .

وفاته

وظهر عليه أمر الموحدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده ، وأوقعوا بجنده الوقايح العظيمة . وحُصر بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ، فمات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام [سبعة^(٤) وستين وخمسمائة وله ثمانية وأربعون عاما ، ووصل^(٥) أمره أبو القمر هلال^(٦) ، وألقى باليدين إلى الموحدين ، فنزل على عهدٍ ورسومٍ حسبما يأتي في موضعه .

(١) موقعة مرج الرقاد ، نشبت بين الموحدين وبين قوات ابن همشك صهر ابن مردنيش على أثر استيلائه غرناطة في جمادى الأولى سنة ٥٥٦ هـ ، في الموضع المسمى مرج الرقاد ، ويقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل البيرة ومقابله مكان يسمى اليوم Majorracal وقد هزم الموحدون في تلك الموقعة هزيمة شديدة

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (استمر) . وهو تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (عام احد وستين وخمسمائة) . وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وردت في ج (وهم) وفي «الملكية» (وضم) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هلال ، أبو القمر ، هو ولد محمد بن سعد بن مردنيش . وقد أقتنه القادة والأشياخ على أثر وفاة أبيه بالتسليم للموحدين . فصعد برأيهم وأعلن طاعته للموحدين . وسار إلى إشبيلية يؤكد ذلك بنفسه لخليفة الموحدين أبي يعقوب يوسف ، وتوثقت فيما بعد أواصر المودة بين خليفة الموحدى وبين آل مردنيش ، ولاسيما حين تزوج الخليفة إبنة محمد بن سعد .

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أمير المسلمين
بالأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل
على الله .

أوليته

من ولد المستعين بن هود . وأوليتهم معروفة ، ودولتهم مشهورة ، وأمرؤهم
مذكورون . خرج من مرسية تاسع وحب عام خمسة وعشرين وسماية إلى
«الصخور»^(١) من جهاتها في نفر يسير من الجنود [معه]^(٢) وكان الناس
يستشعرون ذلك . ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه ، ويندّدون^(٣) . بإمرته
وسلطانته . وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحدّين مرات ، إذ
كان بعض الماتفين بالأمور السكينة ، والتضاي المستقبلة ، يقول لهم ، يقوم عليكم
قايم من صنف الجند ، اسمه محمد بن يوسف . فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من
من أهل جيان . ويقال [إن]^(٤) شخصاً ممن يفتحل ذلك ، لقي ابن هود ، فأمن
النظر إليه ، ثم قال له [أنت سلمان الأندلس]^(٥) ، فانظر لنفسك ، وأنا أدلك
على من يقيم ملكك ، فذهب إلى المقدّم الغشّي^(٦) فهو القايم بأمرك .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الحضور) . والصواب ما أثبتناه . وهو «الصخور»
أو «الصخيرات» حسب يأتي بعد .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يندرون) والأولى أرجح

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (أنت السلطان

بالأندلس) .

(٦) وردت في المخطوطات (الغشّي) وهو تحريف .

وكان الغشي رجلاً صُعلوكاً يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال، وسبلع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال: نستفتح بمُعاوَرَة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فجلبوا كثيراً من الغنائم^(١) والأسرى، وانضاف إلى ابن هود طوايفٌ مثل هؤلاء، وبايعوه «بالصخيرات»^(٢) كما ذكر، من ظاهر مرسية^(٣)، وتجرّك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية، فأوقع به وشرّده، ثم تاب إليه ناسه، وعدل إلى الدشعاء للعباسيين، فتبعه اللقيف، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر^(٤) الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيَّش الجيوش، وقهر الأعداء، ووفى للغشي بوعده، فولاه أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبّنة، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فنار به أهلها بعد وخلصوه، وفرّ أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر بغرب الأندلس، ودام زماناً، ثم تخلص في سن الشيخوخة، ومات برباط آسفي.

حاله

كان شجاعاً، ثبّتاً، كريماً حياً، فاضلاً، وفيّاً. متوكلاً عليه^(٥)، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستغلى لذلك عليه ولأنه بالقواعد، كأبي عبد الله بن الرميح بالمرية، وأبي عبد الله بن زنون بمالقة، وأبي يحيى عتّبة بن يحيى الجزولي بغرناطة. وكان مجتهداً، لم ينهض له جيش، ولا وُفق لرأى، لغلبة الخفة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الغنى). والتصويب أرجح.

(٢) هي الصخور أو الصخيرات كما سبق شرحه.

(٣) وردت في «الزيتونة» (غرناطة) وهو خطأ ظاهر.

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (فانتصر).

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية»، ووردت محرفة في «ج» (كقالبه). والتصويب

من «أعمال الأعلام».

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم. منها هزيمة السلطان الغالب بالله إيَّاه مرتين، إحداهما بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجا^(١) بنفسه. ثم هزمه بالبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة. واستولى على محلته، ولأذ منه بمدينة مرسية. ثم شغل المأمون الأمر، وأهمته الفتن الواقعة بمرآكش، فصرف وجهه إليها، وثاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المريّة، ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستماية، تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصراخ^(٢) مدينة ماردة، وقد نازها العدو وحاصر، ولقى المناغية بظاهرها، فلم يتأن زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافه^(٣). ثم لما كرت إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. واستولى العدو على ماردة بعد ذلك.

وفتح عليه في أمور. منها تملكه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستماية، وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بمعاد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين. رجعت قرطبة إلى طاعته، واستوسق أمره. وتلك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستماية، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال. دخل في طاعته الريسان أبو زكريا، وأبو عبد الله، إبن الرئيس أبي سلطان [عزيز]^(٤) بن

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و«الملكية» (ثم نجح) والمؤدى واحد.

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وفي «أعمال الأعلام».

(٣) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (مصابه - مصارفه - مصامه). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) الزيادة من «أعمال الأعلام».

أبي الحجاج بن سعد . وخرجنا عن طاعة الأمير أبي جحيم ، وأخذنا البيعة لابن هود على منا في أيديهما . وفي سنة ست وعشرين وستمائة ، تملك الجزيرة الخضراء عنوة ، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام . وفي العشر الأوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو ووجهة مدينة وادي آش . فأسرى ليلى مسرجاً^(١) بقية^(٢) يومه . ولحق بالعدو على ثمانين ميلاً . فأتى على آخرهم ، ولم ينج منه أحد .

أخوته

الرئيس أبو النجاة سالم ، [وعلامته وثقتُ بالله]^(٣) ، ولقبه عماد الدولة ، والأمير أبو الحسن عضد الدولة ، وأسره العدو في غارة^(٤) ، وافنكّه بمال كثير ، والأمير أبو إسحاق شرف الدولة . وكلهم يُكْتَب عنه ، من الأمير فلان .

والده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله ، أخذ له البيعة على أهل الأندلس ، في كذا ، ووُلِّي بعده ولى عهده ، واستقل بملك مرسية ، ثم لم يندشِب أن هلك .

دخوله غرناطة

[دخل غرناطة]^(٥) مرّات عديدة ، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وقد وردت عليه الرأية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد . وبمصلّى غرناطة ، قرى على الناس كتابه ، وهو قايم ، وزيه السواد ، ورايته السوداء بين يديه ،

(١) وردت في «ج» (مضرجا) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بجاية) وهو تحريف ظاهر . وبالتصويب يستقيم المعنى

والسياق .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (غزوة) .

(٥) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و «الملكية» ، وساقطة في «ج» .

وكان يوم استسقاء ، فلم يستتم على الناس قراءة الكتاب يومئذ ، إلا وقد جادت السماء بالمطر ، وكان يوماً مشهوداً ، وصنعاً غريباً ، وأمر [بعد انصرافه]^(١) ، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد .

وفاته

اختلف الناس في سبب وفاته ، فذكر أنه قد عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره ، فلما تصير إليه الأمر ، أعجبتة رومية [حصلت له بسبب السبي]^(٢) من أبناء زعمائهم ، من أجل الناس ، فسترها عند ابن الرميبي خليفته ، فزعموا أن ابن الرميبي علق بها . ولما ظهر حملها . خاف اففضاح القصة ، فدبر عليه الحيلة ، فلما حل بظاهر المرية ، عرض عليه الدخول إليها ، فاغتاله ليلاً ، بأن أقعد له أربعة رجال ، قضوا عليه خنقاً بالوسايد . ومن الغداددعى أنه مات فجأة ، ووقف عليه العدول ، والله أعلم بحقيقة الأمر^(٣) . وسبحانه . وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وسماية . وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود : والأمر قبل وقوعه ، يقول الشاعر :

هُمَّامٌ بِهِ زَادَ الزَّمَانَ طَلَاقَةً وَلَدَّتْ لَنَا فِيهِ الْأَمَانِي مَوْرَدَا
فُقِلَ لِبْنِي الْعَبَّاسِ هَاهِي دَوْلَةٌ أَضَارَ بِهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأُنْجَدَا
فِيَنِ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ وَصْفُهُ بِتَمْهِيدِ هَدْيِ الْأَرْضِ قَدْ جَاءَ فَاهْتَدَا^(٤)
فِيَنِ بَشْرَتَنَا بِابْنِ هُودٍ مُحَمَّدٍ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ ابْنَ هُودٍ مُحَمَّدَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعد أن انصرف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (في سبي الروم)

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الزيتونة والملكية (ذلك) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (فابتدا) .

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب

ابن حامد بن زيد بن منخل النافق

يكفي أبابكر من أهل غرناطة . وسكن وادي آش .

أوليته

أصل هذا البيت من إشبيلية ، وذكره الرّازي في الاستيعاب ، فقال ،
ويإشبيلية بيتُ زيد النافق ، وهم هناك جماعة كبيرة . فرسانٌ ولم شرف قديم ،
وقد تعرفوا في الخدمة . بَلَدِيُون^(١) . ثم انتقلوا إلى طَلَيْطَلَة ، ثم قُرْطَبَة ، ثم
غَرْنَاطَة . وذكر الملاحى في كتابه^(٢) ، الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب
[بن زيد]^(٣) ، وعنده من أهل الشورى ، وقضاة الجماعة بقرناطة . وأحد بن زيد
ابن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد ، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب
بالله بن نصر ، وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها ، وعمن جُمع له بين الدين
والفضل والمالية .

حاله ونباهته ومحتة ووفاته

كان هذا الرجل عَيْشًا من أعيان الأندلس ، وصدرًا من صدورهما . نشأ عفاً

(١) البلديون تطلق على العرب الأوائل الذين دخلوا الأندلس واستقروا بها قبل قدوم المشيخة

مع بلج بن بشر القشيري أو الطالعة البليحية .

(٢) الملاحى ، هو محمد بن حنبل الواحد الملقب بـ « وأصله من الخلافة وهو قريب من أمية

البيرة . وقد برع في الأدب والزراعة والتجارة وألف عدة كتب تاريخية . أشهرها كتابه « تاريخ

البربر والأنساب » وأيضاً وهو الذي يلقب بـ « راجع فضل الأندلس » ، ولاسيما ابن

وقد ذكره في كتابه « تاريخ الأندلس » ، وأورد الملاحى سنة ٦١١ هـ .

(٣) محمد بن زيد بن يوسف .

مُتَّصَاوِنًا عَزُوفًا ، وَطِلَاوَةً (١) نَزِيهًا [أَبِيَا كَرِيمِ الْخَوْلَةِ] (٢) ، طَيِّبِ الْعَطْمَةِ ، حُرِّ الْأَصَالَةِ ، نَبِيهِ الصُّهْرِ (٣) . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْوِزَارَةِ بَيْلِدَهُ ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنَ الْفَرَسَانِ ، فَأَوْرَدَهُمُ الْمَوَارِدَ الصَّفِيَّةَ بِإِقْدَامِهِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنَ الْعُدُوِّ الْفُرْصَةَ ، وَأَكْسَبَهُمُ الذِّكْرَ وَالشُّهْرَةَ ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَى غَضَاضَةِ الْإِيمَانِ ، وَصِحَّةِ الْعَقْدِ ، وَحُسْنِ الشِّيْعَةِ ، وَالْإِسْتِرْسَالِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ ، وَالْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأَمْثَالِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَمَسْحَبِ أَذْيَالِ الطَّهَّارَةِ ، وَهَجْرِ الْخَبَايِثِ ، وَإِثَارِ الْجِدِّ ، وَالْإِنْحِطَاطِ فِي هَوَى الْجَمَاعَةِ .

مَشِيخَتُهُ (٤)

قَرَأَ بِفَرْتَاطَةَ عَلَى شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ ، وَبَيْلِدَهُ عَلَى الْأَسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرْسُونِيِّ ، وَبِهِ انْتِفَاعُهُ ، وَكَانَ جَهْوَرِي الصَّوْتِ ، مَتَفَاضِلًا ، قَلِيلَ التَّهَيُّبِ فِي الْحِفْلِ . وَلَمَّا حَدِثَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِيَادِ دَوْلَتِهِ ، وَتَلَا حَقَّ بُوَادِي آشٍ مُفْلِتًا ، قَامَ بِأَمْرِهِ ، وَضَبَطَ الْبِلَادَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَلْمِ الْمُدَاهِنَةَ (٥) فِي أَمْرِهِ ، وَجَعَلَ حَيْكِلَ عَدُوِّهِ ذُبْرَ أُذُنِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الْعُدُوِّ ، فَكَانَ زَمَانَ طَرِيقِهِ مُقَدِّيًا لَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِمَأْمَنِهِ ، فَتَرَكَهَا مَغْرِبَةً .

خَبَرُ فِي وَفَاتِهِ وَمَعْرَجِهِ (٦)

وَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُحَمَّدِهِ ، وَاسْتَأْثَرَ [بِهِ الدَّخْلَ] (٧) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزَيْتُونَةُ» .

(٢) وَرَدَتْ فِي «ج» [أَبِيَا كَرِيمِ الْخَوْلَةِ] وَالتَّصْوِيبِ أَرْجَحُ . وَسَاقَطَةٌ فِي «الزَيْتُونَةُ» «الْمَلِكِيَّة» .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّة» وَفِي «الزَيْتُونَةُ» (الظَّهْر) .

(٤) سَاقَطَةٌ فِي «ج» . وَوَارِدَةٌ فِي «الزَيْتُونَةُ» .

(٥) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الزَيْتُونَةُ» (الْمَرَاهِنَةُ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» وَ«الزَيْتُونَةُ» .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الزَيْتُونَةُ» . وَفِي «ج» (بِالدَّخْلِ) .

اغتيابها ، وأغرى به عقد ضنائه ، وخلطه بنفسه ، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة ، فتقبض عليه ، وعلى ولده ، لباب بنى وقته ، وغرة أبناء جنسه ، فأودعهما مطبق أرباب الجرايم ، وهم باغتيالهما^(١) ، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لحرم من عام اثنين وستين وسبعائة في جملة من النبهاء ، مأخوذتين بمثل تلك الجريرة . ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية ، في العشر الأول لربيع الأول مُصقدين . ولما حلوا بها ، أقاموا تحت برّ وتجلة ؛ ثم ركبوا البحر إلى تونس ، فقطع^(٢) بهم أسطول العدو بأحواز تكررنت ، ووقعت [بينه و]^(٣) بين المسلمين حرب ، فكرّم مقام المترجم يومئذ ، وحسن بلاؤه . قال المخبر ، عهدى به ، وقد سلّ سيفاً ، وهو يضرب العدو ويقول ، اللهم اكتبها لي شهادة . واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ، ومنهم ولده ، وكتب^(٤) اذنتك الجميع ببلد العناب^(٥) ، وانصرف ابنه إلى الحج ، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة . من سُكون وفضل ودين وحياء ، وتلاوة ، إلى ما كان يجده من الرّكض ، ويمانيه من فروسية ، فضى على هذا السبيل من الشهادة ، نفعه الله ، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعائة .

شهره

أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن [له]^(٦) :

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغتيالها) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٣) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (القبلة) . والأولى أرجح .
 والعناب هي ثغر بونة .
 (٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

يأبها المرتجى لطفَ خالقه وفضله في صلاح الحال والمال
لو كنتَ توقنَ حقاً لطفَ قدرته فاشمخَ بأنفك عن قبيلٍ وقال
فإنَّ لله لطفًا عزَّ خالقنا عن أن يُقاسَ بثُبيه وتمثال
وكل أمرٍ وإن أعياءَ ظاهره فالصنع في ذلك لايجرى على بال

محمد بن أحمد بن محمد^(١) الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، القهرمان بها، المستوزر آخر عمره، سداد من عون.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتصاؤن، جانحاً إلى الخير، محباً في أهل الإصلاح، مغضوض الطرف عن الحرم^(٢)، عفيفاً عن الدماء، متمسكاً^(٣) بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرز في جدول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطب، وخصوصاً في الفرياض، وحظته تافه^(٤) من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة [مرقوساً مع الجملة]^(٥). وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعين لحصر ما استرفع من مُنتهب ماله، وتحصل بالدار السلطانية من آثائه وخرنيته^(٦)، فحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (أحمد).

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية»، وفي «الزيتونة» (الحرام).

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية». ووردت في «ج» (متمسكا).

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرقوساً مع الجملة) ونعتقد أن تصويب الكلمة الأولى

يعطى العبارة معنى مناسباً.

(٦) الخرب أي أثاث البيت.

الوقت ، وطلّغ له جاه كبير ، وتملك أموالاً عريضة ، وأرضاً واسعة^(١) ، فجمع الدنيا بحزمه ومثابرته على تنمية داخله . [وترقى]^(٢) إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول النصرانية ، بتدبير شيخ الغزاة ، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلاء ، فوصله إلى إدوار دنياه ، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده ، فاستولى وحجّب السلطان . ثم وقعت بينه وبين مرشّحه ، الوحشة الشهيرة ، عام سبع وعشرين وسبعائة ، مارساً^(٣) لمكان الفتنة ، صلالة فارط في حجّب السلطان ، وأجلى بجمهور ما كان يبابه ، ومنع من الدخول إليه . فاضطربت حاله ، وأعمل التدبير عليه ، فهجم عليه بدار الحرّة الكبيرة جدّة السلطان ، وكان يعارضها في الأمور ، ويجعلها [تسكّاة لغرضه]^(٤) ، فتَيان من أحداث المالك ، المُستبقيين مع محجوبه ، تناولاه سَطّاً بالخناجر ، ورعى نفسه في صهريج الدار ، ومازالا يتعاورا من كل جانب [حتى فارق الحياة]^(٥) رحمه الله تعالى .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له فيه فِراسة صادقة .

(١) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (إلى ضاف طريقتهما التي لو كان له) وقد آثرنا الإغضاء عنها .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (أوسا) والأولى

أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٥) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر [ويشهر بالأشبرون] (١) . قاضي الجماعة .

حاله

كان طرِفاً في الدهاء والتخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق ، ومغامز الرّيب ، وعمل الشهادات ، فذاً في الجزالة ، والصّرامة ، مقداماً (٢) ، بصيراً بالأموار ، حسن السيرة ، عذب الفكاهة ، ظاهر الحظوة ، على الرتبة . خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها ، ووئى القضاء بمالقة وبسطة . ثم وئى الحسنة (٣) بقرناطة ، ثم جمعت له إليها الشرطة . ثم قدّم قاضياً ، واستمرت ولايته نحواً (٤) من ثلاثين سنة .

وفاته

توفي ليلة الحادى عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعى

ولد الشيخ الخطيب أبى جعفر بن الزيات ، من أهل بلّش يكنى أبا بكر .

-
- (١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .
 (٢) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة (صارما) . وهى ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» . وقد أغضينا عنها لأنها تكرر لا محل له .
 (٢) وردت في «الزيتونة» (الخدمة) وفي «ج» و «الملكية» (الجدعة - الخدمة) . ونعتقد أن التصويب أرجح ، وهو يستقيم مع المعنى والسياق .
 (٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (مدة) .

حاله

من «عائد الصلاة» من تأليفنا (١). كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقيماً للأبهة، مُستدعيّاً بأبيه ونفسه للنجلة. بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومرورة وحشمة، إلى خطِّ بديع قيد البصر، ورواية عالية. ومشاركة في فنون، وقراءة، وفقه، وعربية، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولى القضاء ببلايه، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرسم، واستعمل في السفارة، فسدَّ مسدَّ مثله، وأقرأ ببلايه، فانتفع به.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، وبغزناطة، على شيخ الجماعة الأستاذ [أبي جعفر] (٢) بن الزبير. ومن أعلام مشيخته، جدّه للأمّ خال أبيه، الحكيم العارف أبو جعفر ابن الخطيب [أبي الحسن بن الحسن المذحجي الحلي] (٣)، والخطيب الربّاني أبو الحسن فضل بن فضيلة، والوزير أبو عبد الله ابن رشيد.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الحاج.

(١) «عائد الصلاة» هو حسبا بيننا في مقدمة «المجلد الأول» مجموع صغير من التراجم كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلاً على كتاب «صلة الصلاة» لابن الزبير. وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين. وهو يقتبس منه في كثير من تراجم الإحاطة.

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في «الزيتونة».

(٣) هذه الزيادة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

أَوْلِيَّتُهُ وَحَالُهُ

[كان أبوه نجاراً من مُدَجْنِي مدينة إشبيلية^(١) من العارفين بالحِجَل الهندسية ، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية ، والعمل بها ، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق ، واتخذ له الدُّولاب ، المنفح القطر [البعيد المدى]^(٢) ، مُلَيْن المركز والمحيط ، المتعدّد الأكواب ، انخفي الحركة ، حسبما هو اليوم مائل^(٣) بالبلد الجديد ، دار الملك بمدينة فاس ، أحد الآثار التي تحمدو إلى مشاهدتها الرُّكَّاب ، وبناء دار الصَّنعة بسلا . وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثأني الملوك من بني نصر ، ومث إليه بوسيلة ، أدنّت محلّه ، وأسنت جراياته ، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين ، أبي الجيوش نصر ، واضطلع بتدبيره . وطمع الناس عليه إيثاره لمقاتلات الرُّوم ، وانحطاطه في مهوى^(٤) لهم ، والتشبه بهم في الأكل والحديث ، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان ؛ وتطرّيز المجالس بأمثالهم وحكمتهم ، سمحة وسمت منه عقلا ، لنشأته بين ظهرانيتهم ، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم ، فلم تفارقه بحال ، وإن كان آية في الدهاء ، والنظر في رجلٍ بعيد الغور ، عميق الفكر ، قائم على الدُّمنة ، مُنطوي على الرُّضف ، لين الجانب ، مبدول البشر^(٥) ، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الرُّوم

-
- (١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الملكية» . ووردت مكانه في الزيتونة الجملة الآتية (كان جده من مدينة إشبيلية) . وما ورد في «ج» أدق وأرجح ، يؤيد ما ورد بعد من وصف الأب بالمعرفة بالحيل الهندسية . والمدجنون في تاريخ الأندلس كما سبق هم المسلمون الذين بقوا في القواعد الأندلسية المغلوبة تحت حكم النصارى . وبالإسبانية Mudejares .
- (٢) هكذا وردت في «ج» ووردت في «الملكية» (البعيد المدار المحيط) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (مؤثّل) .
- (٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (تَهْرِي) . وفي «الزيتونة» (هَمْ) .
- (٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (بشرة) .

وسيرهم ، مُخَمِّم الأوضاع [في] أدب الخدمة ، ذَرِب (١) بالتصرف في أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسططانه ما تقدم ، وجهرُوا بإسلامه إليهم ، وقد ولوه بسبب الثورة ، وطوّقوه كياد الأزيمة . فضنَّ به السلطان ضنَّانة ، أعزَّبت عن وفايه ، وصان مُهَجَّته . واستمر الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك . وكان نزول [الوزير (٢)] المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة ، وكبير الطائفة . عثمان بن أبي العلي ، فانتقل محفوظ الجملة ، محوط الوفر . ولم ينشِب إلى أن لجأ إلى العُدوة ، واتصل بالأمير أبي علي عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد ، فخرَّكه . زعموا ، على مُحَادَّة أبيه ، وحمله على الانتزاع ، فكان ما هو معلوم من دُعائه إلى نفسه ، ومنازعة أبيه [(٣)] ، ولقايه إياه بالمقرمِدة (٤) وفلَّ جيشه ، وفي أثنائه هلك المترجم به .

وفاته

توفي بفاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربع عشرة وسبعمائة .

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النميري] (٥)

من أهل وادي آش . يكنى أبا يحيى .

حاله

كان صدراً شهيراً ، عالماً علماً ، حسيباً ، أصيلاً ، جَمَّ التحصيل ، قوى

(١) وردت في «ج» (دربا) . وبالتصويب من «الملكية» .

(٢) واردة في «ج» وفي «الملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الخاصرتين كلها ساقطة في «الزيتونة» .

(٤) المقرمِدة هي بلدة صغيرة تقع على مقربة من جنوب شرق فاس .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الملكية» .

الإدراك . مضطرباً بالعربية واللغة . إماماً في ذلك ، مشاركاً في علوم من حساب
وهيئة وهندسة . قال الشيخ . كان في هذا كاهن أبرع من لقيته ، إلى سِراوة
وفضل وتواضع ودين ، جارياً في ذلك على من سلفه . وعلو محنته . جلسته .
رحمه الله . كثيراً عند [عليّة] ^(١) من أدركته بقرناطة ، لإقامته بها
[وتكرر لقائى إياه بها] ^(٢) وبغيرها ، فرأيت أصيلاً جليلاً ، قد جمع علماً
وفضلاً ، وحسن خلق ، وكان حسن التقييد ، نخطه رونق يمتاز به . ويعد
عن غيره ، ولى القضاء ببلده . ثم ولى بعد مدة برشانة ^(٣) فمُدت سيرته .

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودى بن عبد الرحمن . وقرأ عليه
الغريب ^(٤) واللغة ، ولازمه في ذلك ، وأجاز له [إجازة] ^(٥) عامة . وأخذ
من غيره ببلده ، وصحب بقرناطة بجملة ^(٦) من العلماء بها . أيام اختلافه إليها ،
وإقامته بها .

توالياه

ألف كتاباً سماه « الاحتفال في استيفاء مال الخيل من الأحوال » ، وهو
كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأفدته . واختصر الغريب المصنف . وله تقايد

(١) ساقطة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (وتقرر لقائى إياه بها) .

(٣) برشانة وبالإسبانية Purchena بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة غربى مدينة المنصورة
وشمالى نجر المرية .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة . وقد تكون (جلة) .

منثور ومنظوم في علم النجوم . ورسالة في الإسطرلاب الخطي والعمل به . وشجرة
في أنساب العرب .

وفاته

توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبع وخمسين وسبعمائة ،

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن
محمد] ^(١) بن خاف بن محمد بن سايمان بن سوار بن
أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير ^(٢) بن عيَّاش

المسكني بأبي عيشون بن محمود ، الداخلى إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير ،
ابن عَبَّسَةَ بن حارثة بن العباس بن المرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيقي ^(٣)
الأصل ، مَرَوَى ^(٤) النشأة والولادة والسلف ، يعرف بابن الحاج ، وشهر الآن
في غير بلده باللفيقي ، وفي بلده بالمعرفة القديمة .

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه بجماعة بن العباس بن مرداس ، صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وأحد خطبايه وشعرايه . رئيس في الإسلام . ورئيس في الجاهلية .
وكان لسلفه . وخصوصاً لإبراهيم من الشهرة بولاية الله ؛ وإيجاب الحق من خلقه

(١) الزيادة بين الحاصرتين من «الزيتونة» .

(٢) في «الزيتونة» (سعد) فقط .

(٣) بلفيقي نسبة إلى بلفيقي Belfiq وهي بلدة من بلاد ولاية المرية ، تقع جنوب برشانة .

على مقربة من نهر المنصورة وشمال نهر المرية .

(٤) مروى هنا نسبة إلى «المرية» .

ما هو مشهور ، حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ،
 كأبي بكر بن صُهيب ، وابن عمه أبي إسحاق ، وغيرهم ، الكثير من صنف
 في رجال الأندلس ، كأبي عبد المجيد الملقب ، وابن الأبار ، وابن طلحة ،
 وابن فرثون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ،
 فليُنظر هناك .

حاله

نشأة ببلده المرية عمود^(١) العفة ، فضفاض جلباب الصيانة ، غَضِيض طرف
 الحياء ، نأى جنب السلام ، حليف الانقباض والازورار ، آوياً إلى خالص النشَب
 وبجحت^(٢) الطعمة ، لا يرى إلا في منزل من سألته ، وفي حلق الأسانيد ، أو في
 مسجد من المساجد خارج المدينة المعدّة للتعبّد ، لا يجيء سوقاً ، ولا مجمعا ، ولا
 وليمة ، ولا مجلس حاكم [أو وال]^(٣) ، ولا يلبس أمراً من الأمور ، التي
 جرت عاداته أن يلبسها بوجه من الوجوه . ثم ترمى إلى رحلة^(٤) ، فجاس خلال
 القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده ،
 وأخذه قيام ذكر ، وإغفال شهرة . ثم صرف عنانه إلى الأندلس ، فتصرف
 في الإقراء ، والقضاء ، والخطابة . وهو الآن نسيحٌ وحده في أصالة عريقة ، وسجية
 على السلامة مفطورة [فما شيت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ،
 ونصح مبذول ، وتصنع مرفوض]^(٥) ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ،

(١) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وتحت) وهو تحريف .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (حلة) والتصويب من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

ودمعة سريعة . وهزل يُشمر تجلّة . وانبساطٍ ينفيد حُسن نية ، إلى حُسن العهد . وفضل المشاركة ، ورقة الحاشية . وصلابة العود ، وصدق العزيمة ، وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة . وجلّة الوقت . وفائدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً . فارس المنابر غير الهَيَّابَة ، ولا الجزُوع ، طيب النعمة بالقرآن ، مُجَهِّشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياح الأوقات ، [مُدْمَعاً على الفينة]^(١) ، مُجِمِّمًا ، مُحَوِّلاً في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يُسَاح فيه الإيجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفى فيه الإلماع والإشارة ، أبقى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته . ولايته

تقدم قاضياً بقنالش^(٢) ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة^(٣) ثم ولى مَرَبَلَةَ ، وإِسْتَبُونَةَ^(٤) ثم كالت رحلته^(٥) إلى بجاية . ثم عاد فقعده بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسَلِّم ، مُتَّفَقاً على اضطرّاعه بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب إلى الأندلس ، واستقر ببلده المرية ، فقعده بمسجدها الجامع للإقراء [ثم قدّم قاضياً بَبْرَجَة ودَلَايَة ، والبِنِينُول^(٦) وفِنِيَانَةَ^(٧)] ، ثم نقل

(١) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) قنالش من بلاد وادي المنصورة في شمال ولاية المرية ، وتقع على مقربة من بلفيق بلد

ابن الحاج .

(٣) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (خمسة وسبعمائة) .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرية) وهو تحريف . ومربله وبالإسبانية Marbella هي

ثغر أندلسي صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غرب مالقة . وإستبونة أو إشتبونة تقع بعدها على الشاطئ . وقد سبق التعريف بها .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ولايته ورحلته) .

(٦) برجة Berja من بلاد ولاية المرية وتقع غربى ثغر المرية . ودلاية Dalias تقع

جنوب شرقى برجة . والبينول Albinol من بلاد ولاية مالقة ، وتقع غربى النهر الأحمر وشمال شرقى مزيل .

(٧) فنيانة هي بلدة صغيرة من بلاد ولاية المرية تقع جنوب شرقى وادى آش .

عنها إلى بيرة (١) ، ثم غربي ألمرية [(٢)] . ثم قُدِّم قاضياً بمالقة ، ثم قُدِّم بغيرها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب « طرفة العصر » (٣) من تأليفنا في نهر ولايته ما نصه :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعمائة ، ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى ، وانتابه (٤) الطلبة ، ووجوه الحضرة والدولة ، مهنتين بمشواه من دار الصيانة ، ومحل التجلّة ، لإحدى دور الملوك بالحمراء ، فطَفِقُوا يَعْشُونَهُ [بها] (٥) زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ، فِي إِتَاحَةِ الْخَيْرِ ، وَالْهَامِ السَّدَادِ ، وَتَسْوِيقِ الْمَوْجِبَةِ . وكان وصوله ، وَالْأَفُقُ قَدْ اغْبَرَّ ، وَالْأَرْضُ قَدْ اقْشَعَرَّتْ لِانْصِرَامِ حِظٍّ مِنْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ الْمَوْافِقِ لَشَهْرِ وَلَايَتِهِ ، لَمْ يَسِجْ فِيهِ الْغَمَامُ بِقَطْرَةٍ ، وَلَا لَمَعَتْ السَّمَاءُ بِبُرْزَةِ ، حَتَّى أَضْرَّتْ (٦) الْأَنْفُسُ الشَّحَّ ، وَحَسَّرَ الْعُسْرُ عَنْ سَاقِهِ ، وَتَوَقَّفَتْ الْبُدُورُ ، فَسَاعَدَهُ الْجَدُّ بِنَزُولِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ نَزْوِلِهِ مِنْ مِرْقَاةِ الْمَنْبَرِ ، مُجَابَةً دَعْوَةِ اسْتِسْقَايِهِ ، ظَاهِرَةٌ بَرَكَةٌ خَشُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا أَنْشَدْتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ :

ظَعِمَتْ إِلَى السَّقْيَا الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَامًا مَجْدِبًا
وَالْغَيْثُ مَسْدُولُ الْحِجَابِ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَمَامِ قَدُومَكُمْ فَتَأْدِبَا

وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها ، مضطلماً بأصالة النظر ، وإرجاء المُشْهَبَاتِ ، وسلك في الخطابة طريقةً مثلى ، يفرغ في قوالب البيان أغراضها ،

(١) بيرة بلدة صغيرة تقع شمال شرق ألمرية على مقربة من مصب نهر المنصورة .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) قد تم التعريف به في مقدمة المجلد الأول . وعنوانه الكامل «طرفة العصر في تاريخ

دولة بني نصر» . ولم تصلنا منه أية نسخة مخطوطة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وانتبه) و «الملكية» (وانتبه) وهو تحريف .

(٥) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

ويُتَّرف على الأحكام السكواين والبساطات أساليبها. من المحاكاة^(١). باختلاف التنبض والبسط. والوعد والوعيد. حظوظها على تنبض العدل. وسبب الصواب يقوم على كثير^(٢) مما يَصُدِّع به، من ذلك شاهدُ البديهة. ودليلُ الاستيعاب. قال شيخنا أبو البركات: ثم صُرِّفت عنها للسبب المتقدم. وبقيت مقيما بها، لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية، ثم أُعدت إلى القضاء والخلافة بالمرية، وكتب بذلك في أوائل رجب عام تسعة^(٣) وأربعين. وبقيت على ذلك إلى أن صُرِّفت بسبب ما ذكر. ثم أُعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين. عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فأنا الآن آتمثل بما قاله. أبو مطرف^(٤) بن عميرة رحمه الله:

قد نُسبنا إلى الكتابه يوماً^(٥) [ثم جاءت] خُطَّة القضاء تليها
وبسكُلٍ لم تُطَق للمجد إلا^(٦) منزلاً نايياً وعيشاً كريها
لِسبَّةٍ بَدَّلَتْ فلم تنغير مثلُ ما يزعم المهندس فيها
بَدَّل من لفظ الكتابة إلى الخطابة. وأغرب ما رأيت ما أحكى لك،
وأنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صدر عني في ذلك، الخلية من العمل
الذي أخلصت لله فيه، ورجوت منه المشوبة عليه، وفيه مع ذلك مفتخر

-
- (١) هكذا في «ج» و«الملكية». وفي «الزيتونة» (المحاكات).
 (٢) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة». وفي «ج» (الكثير).
 (٣) هكذا في «ج». وفي «الملكية» و«الزيتونة» (سبعة).
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وهي ترسم عادة (أبو المطرف).
 (٥) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة في المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٧٧)
 كالآتي: (قد عكفنا على الكتابة حيناً).
 (٦) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (واتصلت).
 (٧) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة كالآتي (وبكل لم يبق للجهد إلا) (المجلد الأول
 ص ١٧٧).

لمن أراد أن يفتخر [غير]^(١) ملنقت للدنيا . فعليه عولت سبحانه .
انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلى بخطه [ما نصه] . وهو فصل من فصول : وأما توألفي فأكثرها ،
أو كلها غير متممة . في مبيضات . منها كتاب ، قد يكبو الجواد في أربعين
غلطة [عن أربعين من النقاد ، وهو نوع من تصحيف الحفظ للدأر قطني ، منها
سلوة الخاطر]^(٢) فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذأ كر . ومنها كتاب
« قدر جم في نظم الجمل » . ومنها كتاب « خطر فبطر : ونظر فحظر ، على تديبات
على وثائق ابن فتوح » . ومنها كتاب « الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح » .
ومنها « حركة الدخولية في المسألة المالقية » . ومنها خطرة المجلس في كلمة وقعت في
شعر استنصر به أهل الأندلس « جزء صغير . ومنها « تاريخ المريية » غير تام .
ومنها ديوان شعره المسمى « بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج » .
ومختصرة سماه القاضي الشريف « اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج
يستخرجان »^(٤) . ومنها « عرايس بنات الخواطر المجووة على منصات المنابر » يحتوي
على فصول الخطب التي أنشئت بطول بني والخطابة . ومنها « المؤمن على أبناء
أبناء الزمن »^(٥) . ومنها تأليف [في]^(٦) أسماء السكتب ، والتعريف بمؤلفيها ،

(١) الزيادة من «الملكية» .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٣) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» و «الملكية» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذا العنوان هو كما ورد في «ج» وفي «الزيتونة» . ولكن المقرئ يورده لنا في «نفع

الطيب» كالاتي : (اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان) .

(٥) ورد هذا العنوان في «الملكية» كالاتي : (المستومان على أبناء الزمان) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

على حروف المعجم . ومنها « ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات » ومنها كتاب « ما رأيتُ وما رُئى لى من المقامات » . ومنها كتاب « المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك » ومنها « مُشَبَّهَاتُ اصطلاح العلوم » . ومنها « ما كثر وروده فى مجلس القضاء » (١) . ومنها « الغلَسِيَّات » ، وهو ما صدر عنى من الكلام على صحيح مُسلم أيام التكلم عليه فى التعلّيس . ومنها « الفصول والأبواب » فى ذكر من أخذ عنى من الشيوخ والأتباع والأصحاب .

ثم قال ، وقد ذهب شرحُ الشَّباب ونشاطه ، وتقضت أوصاله ، ورحل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال ، وقلة المبالاة التى لا يصل أحد بها إلى منال . وهذه الأعمال لا يُنشط [إليها إلا] (٢) المحرِّكات التى هى مفقودة عندى ، أحدها طلبه مجتمعون متعطشون إلى ما عندى ، منشوفون غاية التشوف ، وأين هذه بالمرية . الثانى ، طلبُ رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم ، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ فى عادة هذا الوقت ، فالتشوف لهذه الرياسة مفقود عندى . الثالث ، سلطانٌ يلاُ يد من يُظهر مثل هذا ، على يده غبطة ، وما تم هذا . الرابع ، نيةٌ خالصة لوجه الله تعالى فى الإفادة ، وهذا أيضاً مفقود عندى ، ولا يد من الإنصاف . الخامس ، قصدُ بقاء الذكر . وهذا خيال ضعيف بعيد (٣) عنى . السادس ، الشفقة على شيء ابتدئ ، [وسعى فى] (٤) تحصيل مبادئه ، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق ، وهذا السادس ، هو الذى فى نفسى منه شيء* ، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت ، وما أخذت ، ويكون إن شاء الله

(١) هذا العنوان وارد فقط فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) أضفنا هاتين الكلمتين ليستقيم السياق . ووردت مكانهما فى المخطوطات الثلاثة (الى

وهى لا تكفى لربط المعنى .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بعد) . والتصويب أرجح .

(٤) وردت فى «ج» (ونغربى) وفى «الزيتونة» (ونعى فى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

إبراز^(١)] إذا^(٢) الصحف نُشرت . وأكثرت زمانى يذهب فى كيفية الخروج عما أنا فيه . فإذا ينظر إلى العائل فى هذا الوقت بعين البصيرة ، لا يسهه إلا الشقة على . والرحمة لى . فإنه يرى رجلاً مُطرقاً أكثر نهاره ، ينظر إلى مآله ، فلا ينشط إلى إصلاحه ، وهو سابع^(٣) ولا يلبس بالعبادة . وهو فى زمانها المقارب للفوت ، ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغى لعدم المعين ، ولا يمتنع إلى شيء من راحت الدنيا ، ويشاهد من علوم الباطل^(٤) الذى لا طاقة له على رفعه . ما يضيق صدر الحر^(٥) [يقضى]^(٦) نصف النهار ، مُحْتِلاً^(٧) فى مكان غير حسن . تارة يُفكر ، وتارة يكتب ما هو على يقين منه أنه كذا لا ينتفع به ، ونصف النهار يقعد للناس ، تارة يرى ما يكره ، وتارة يسمع ما يكره ، لا صديق يُذكره بأمر الآخرة ، ولا صديق يُسليه بأمر الدنيا ، يكفينى من هذه الغزارة^(٨) . اللهم إليك المشتكى يا من بيده الخلق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

شعره

من مطوّلاته فى النزعة الغربية [التى]^(٩) انفراد بها ، منقولاً من ديوانه . قال . ومما نظمته بسببته فى ذى الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فى وصف حالى ، وأخذها عنى الأستاذ بسببته ، أبو عبد الله بن هانى ، والأديب البارع أبو القاسم الحسينى ، وأبو القاسم بن حزب الله ، وسواهم . ولما انفصلت من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وربما كانت هنا للترقيم ، أى سابع الأمور .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٥) وردت (محتل) فى المخطوطات الثلاثة . فلزم التصويب .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة وربما كانت (القدارة) .

(٧) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

سبّية إلى بلاد الريف^(١) زدّت عليها إبياتاً في أولها وكثرت ذلك بوادي لو^(٢) من بلاد الريف وهي :

تأسفتُ لا كن حين عزّ التأسف
ورام سكوناً وهو في رَجَل طائر
أراقب قلبي مرةً بعد مرة
سقيمٌ ولا كن لا يحسُّ بدايه
وجاذب^(٣) قلباً ليس بأوى لمألفٍ
وأعجبُ ما فيه استواء صفاته
إذا حَلَّت الضراء لم ينفع لها
مناهيبه لم تُبدِ غاية أمره
فما أنا من قوم قصارى همومهم
ولا لي بالإسراف فكرٌ محدثٌ
ولا أنا ممن لهوهُ جَلَّ شأنه
ولا أنا ممن أنسه غاية المني
ولا أنا ممن تزدهيه مصانع
ولا أنا ممن همه جمعها فإن
على أن دهري لم تدع لي دروفه

وكفكمتُ دمعاً حين لا عين تدرِفُ
ونادى بأُنى والمنازل تعنف
فألفيه ذياًك الذي أنا أعرفُ
سوى من له في مآزق الموت موقوف
وعالج نفساً داؤها يتضامعف
إذ الهمُّ يشقيه أو السرُّ ينزف^(٤)
وإن حَلَّت السراء لم يتكئف
فؤادٌ لعمرى لا يرى منه أطرفُ
بنوهم وأهلهم وثوبٌ وأرغفُ
سيغدو حبيبي أو سيشرُّ مطرف
بروضٍ أنيق أو غزالٍ مهفّف
بصوتٍ رخيمٍ أو نديمٍ وفرّف
ويُسببه بُستانٍ ويلهيه نخرف
تراعت يثب^(٥) بسعي لما وهو مُرجف
من المال إلا مسحة أو مجلف

(١) بلاد الريف هي المنطقة التي تقع بالمغرب الأقصى جنوبي الطرف الأخير من البحر المتوسط قبل امتداده شمالاً إلى ثغر سبّية ، وتسكنها قبائل غمارة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وادي آش) وهو تحريف

أصح لأن وادي آش من مدن الأندلس .

(٣) في «الزيتونة» (وجواب) .

(٤) وردت في «ج» يترّف . والتصويب من «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (ثبت) . والتصويب من «الملكية» .

وقد غرّه منها جمالٌ وزُخرف
 ولا أنا ممن صان عنه التعطف
 فممتهم فيها مُصَلِّي ومُصْحَف
 ولا في تُسَقِّي أمسى إلى الله يزلف
 وحرّ بك من يتضى عليك تعجرف
 فيعرض عني وهو أزهي وأصلف
 فيخرج في التوقيع أنت المصحف
 ويبدو بجبلي منه في الأخذ مُحتف (١)
 سأثبتته وهو الذي ظلّ يحذف
 فلم تبق لي فيها عليه (٢) تشوف
 لنفسي فما أجدي بتلك التسكف
 إذا ما تخطى النصلُ قصد مُرهف
 لحظي فلم يظفر بذاك التعرف
 ففي الحين ما استجرثها وهي تتعرف (٣)
 وإن كان أهلها أطالوا وأسرفوا
 على ما مضى من عمده أتلف
 لحرمية ما قد ضاع لي أخوف
 وحسبك من فرض الحال تعف

ولا أنا ممن هذه الدار همه
 ولا أنا ممن للسؤال قد انبرى
 ولا أنا ممن نجح الله سعيهم
 فلا في هوى أضحي إلى الله وقايدا
 أحارب دهرى في تقيض طباعه
 وأنظره شزراً بأصلف ناظر
 وأضبطه ضبط المحدث صحفه
 ويأخذ مني كل ما عزّ نيله
 أدور له في كل وجه لعلى
 ولما يثنا منه تهنا ضرورة
 تكأنت قطع الأرض أطلب ساوة
 وخاطرت بالنفس العزيزة مُقدماً
 وصرفت نفسي في شئون كثيرة
 وخضت لأنواع المعارف أبحراً
 ولم أحل من تلك المعاني بطايل
 وقد مر من عمري الألد وها أنا
 وإني على ما قد بقي منه لمن بقي
 أعد ليالى العمر والفرض صومها (٤)

(١) هكذا في «الملكية». وفي «ج» (محتف). وفي «الزيتونة» (محتف) والأولى أرجح.

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» و «الملكية» (عليها).

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة». وفي «الملكية» (تنزف).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة»، وفي «الملكية» و «ج» (طولها).

تعارض آمالاً عليها يُذَيِّفُ (٢)
 يُبَدِّلُ فِي تَحْدِيثِهَا وَتُحَرِّفُ
 وَبَعْدُ يَحْتَسِبُ الزَّهْدُ لِي وَالتَّكْشِفُ
 أَيْ قَرَنِي الضَّادَيْنِ يَمِيقِي التَّكْشِفُ
 وَلَكِنْ لِفَهْمِ الْحَالِ إِذْ ذَاكَ لَمْ يُفُ
 يَغْضُ وَبَعْضٌ يُرْتَى ثُمَّ يَصْدَفُ
 وَبَعْضٌ بِمَا قَدْ رَأَيْتَهُ (٦) يَتَوَقَّفُ
 مُقْتَضِي الْعَقْلِ الَّذِي عَنْهُ يَتَوَقَّفُ [٧]
 عَلَى غَيْرِ مَا تَحْذَرُهُ يَحْذَرُ وَيُخْصِفُ
 وَلَا هُوَ يُرْتَى لِي وَلَا هُوَ يَعْزِفُ
 عَرَفْنَا وَكُلٌّ مِنْهُمْ لَيْسَ يَعْرِفُ
 [وَحَطُّو الدَّيْنِيَّةَ مِنْ عَلِيلٍ وَأَنْصَفُ] (٩)
 وَلَمْ يَعْرِفُوا أَعْوَارَهَا وَهِيَ تَتَلَفُ
 وَمِثْلِي عَنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ يَكْشِفُ

على أنها إن سلمت جَدَلِيَّةٌ (١)
 تُحَدِّثِي الْأَمَالَ وَعَمِي كَدِينِهَا (٣)
 بَأْتِي فِي الدُّنْيَا سَأْتِي آرَبِي
 وَتِلْكَ أَمَانٌ [لَا حَقِيقَةٌ] (٤) عِنْدَهَا
 وَرَبٌّ أَخْلَاءٌ (٥) شَكُوتٌ إِلَيْهِمْ
 فَبَعْضُهُمْ يُزْرَى عَلَى وَبَعْضُهُمْ
 وَبَعْضُهُمْ يَوْمِي إِلَى تَعْجَبًا
 [وَبَعْضُهُمْ يُبَلِّغِي جَوَابَهُ عَلَى
 يَسْرٍ اسْتِمَاعًا ثُمَّ يُعْذِرُ إِجَابَةً
 [وَلَا هُوَ يَبْدِي لِي عَلَى تَعْقُلًا] (٨)
 رِمَا أَمْرُنَا إِلَّا سَوَاءً وَإِنَّمَا
 فَلَوْ قَدْ فَرَعْنَا مِنْ عِلَاجِ نَفُوسِنَا
 أَمَا لَمْ مِنْ عِلَّةٍ أُرْمَتْ بِهِمْ
 وَخُضْنَا لَمْ فِي الْكُتُبِ (١٠) عَنْ كُنْهٍ أَمْرِهِمْ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» و «الملكية» (جد ليلة).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (تنيّف).

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (كرينها).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية». وفي «ج» (حقيقة).

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الخلا). والتصويب من «الملكية».

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وربما كانت (رأيه).

(٧) هذا البيت وارد في «ج» و «الزيتونة» وساقط في الملكية.

(٨) هكذا وردت هذه الشطر في «الملكية». وردت في «ج» و «الزيتونة» (فلا هو يبدى

عن تعقل على).

(٩) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة مع تحريفات يسيرة في كل منها..

(١٠) هكذا وردت في «ج» و «الملكية». وفي «الزيتونة» (الكتاب).

وصنفتُ في الآفات كلَّ غريبة
وليس عجبياً من تركب جهلهم
إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله
فما جاءنا إلا بأمرٍ مناسب
ولا كن عجباً الأمر علمي وغفلي
إلا أنها الأقدار يظهم سرها
أياربُّ إن الأب طاش بما جرى
وإننا لندعوهم ونخشى وإنما
أقول وفي أثناء ما أنا قائلُ
وإني مع الساعات كيف تقلبت
وما جرَّ ذا التسوية إلا شبيتي
إذا جاء يومٌ قلتُ هو الذي يلي
أقدم رجلاً عند تأخير أختها
[كأنني لداني المراقدة منهم]^(١)
وهي أعيش هل إذا شاب مفرقي
وكيف ويستدعي الباريق رياضةً
متى يقبل التَّوْبِم غير عطوفة
ولو لم يكن إلا ظهورة^(٢) سره

فجاء كما يهوى الغريب المصنف
فإن يحجبوا عن مثل ذلك وصرف^(١)
إذا ما مثلناه أزهى وأسخف
أينهم عن كنف الجبان المشف
فديتكم أيُّ المحاسن^(٢) أكشف
إذا ما وفي المقذور فالرأي يخلف
به قلم الأقدار والقلب يرجف
على رسمك الشرعي من لك يعكف
رأيتُ المناسيا وهي لي تتخطف
لأشهرها إن فوقت مهتدئ
تُخيل لي طول المدى فأسوف
ووقتك في الدنيا جليسٌ تخفف
إذا لاح شمسٌ فالنفس تكف
ولم أودعهم وألخص ريان ينسف
وولي شبابي هل يباح التشوف
وتلك على عصر الشباب توظف
وبى بعد حيساً فالنار تنسف
إذا مادنا التدليس هان التنطف

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخطيبين) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (كان لداني المراقدة منهم)

وهذا لا يستقيم مع الوزن .

(٤) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (ظهوره) .

أمرولى الأسارى أنت أولى بهازهم
 قدفنا بلج البحر والقيد أخذ
 وفي السكون من سر الوجود عجائب
 وكمت (١) عليهم نكشة (٢) فتأخروا
 فليس لنا إلا أن نمحط رقابنا
 فهذا سبيل ليس للعبد غيرها
 وقال ، وضمها محاورة بينه وبين نفسه ، وقيدتها عنه زوال يوم الثلاثاء
 التاسع والعشرين لمحرم خمس وخمسين (٣) وسبعمائة ، برابطة العقاب (٤) ، متعبد
 الشيخ ولي الله أبي إسحاق الإلبيري ، رحمه الله ، فمنها :

يأبى شجونٌ جديثي الإفصاح إذ لا تقوم بشرحه الألواح
 قالت صفيّة [إذمرت] (٥) بها أفلا تنزل ساعة ترتاح
 فأجبتُها لولا الرقيب لكان (٦) لي [ما تبتغي بعد الغدو رواح (٧)

(١) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (ركعت).

(٢) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (نكشة).

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (خمس وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، لأن هذا

التاريخ المتأخر يوافق أواخر أيام ابن الخطيب بالمغرب قبيل مصرعه بوقت يسير .

(٤) رابطة العقاب كانت إحدى الروابط التي تخصص للعبادة ، وكانت تقع على مقربة

من غرناطة . وأبو إسحاق الإلبيري هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإلبيري ، وهو فقيه ورع

وشاعر غرناطي توفي في أواخر سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بقصيدته في التحريض على البطش باليهود أيام

باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم ، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وفتك

باليهود وذلك في صفر سنة ٤٥٩ (راجع كتابي دول انطوائف (الطبعة الثانية) ص ١٣٥ و ١٣٦) .

(٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (عند ما مرت) ، وهو لا يستقيم مع وزن الشعر . فلزم

التصويب .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية» . مع إضافة كلمة إلى . ووردت بحرفة في «ج»

(فاجبت لولا أن الرقيب لكان لي) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (رباح) .

قالت وهل في الحى حى غيرنا
فأجبتها إن الرقيب هو الذى
وهو الشهيد على موارد عبده
قالت وأين يكون وجود الله إذ
فأفرح بإذن الله جل جلاله
وانهج على ذم الرجال ولا تخف
وانزل على حكم السرور ولا تبيل
واخلع عذارك فى الخلاعة يا أخى
وانظر إلى هذا النهار فبينه
أنواره ضحكك وأترع كأسه
وانظر إلى الدنيا بتظرة رحمة
فأجبتها لو كنت تعلم ما الذى
ما كان معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرت من الأمر الذى
لعذرتنى وعامت أنى طالب
فاترك صفيك (٢) قارعا باب الرضى
يا حى حى على الفلاح وخلفى
وقيدت من خطه فى جملة ما كتب إلى مالهه :

ومما نظمته بفرناطة ، وبعضه ببرجة (٤) ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتب
لك ، وهو غريب المنزع ، وإنه كما قال :

(١) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٤) سبق التعريف بها .

خُذَهَا عَلَى وَغَمِ الْفَقِيهِ سُلَافَةِ
 أَبَدِي أَطْبَاءِ انْقِلَابِ لِأَهْلِهَا
 وَإِذَا امْرُؤٌ^(٢) قَالَ فِي أَشْوَانِهَا
 بِإِقْوَةِ^(٤) دَارَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا
 مُرِجَتْ فَعَارَ الشَّيْخَ مِنْ تَرَكِيهَا
 فَبَدَتْ فَعَارَ الشَّيْخَ مِنْ إِظْهَارِهَا
 لَا تَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
 وَكَذَلِكَ لَا تَعْتَبُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
 سَكَرَانٌ^(٦) يَعْتَرُ فِي ذِيُولِ لِسَانِهِ
 كَمُ الْهَوَى حَرْبٌ بَعْضٍ وَبَعْضٍ
 لَا تَحْشِينُ عَلَى الْعَدَاةِ هَاتِفًا
 الْحَبُّ خَمْرُ الْعَارِفِينَ وَقَدْ صَفَتْ
 فَاشْطَحَ عَلَى هَذَا الْوَجُودِ وَأَهْلِهِ
 كَبُرُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مَوْتَى عَلَى
 وَاهزَأَ بِهِمْ فَتَى يَقُلُ نَصْحَاؤُهُمْ
 وَإِذَا أَرِيْبُهُمْ^(٨) اسْتَخَذَ فُقُلَهُ لَهُ

تُجَلِّي بِهَا^(١) الْأَقْمَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى
 مِنْهَا شَرَابًا لِلنَّفُوسِ مُبْرَحًا
 [قُلْ أَنْتَ]^(٣) بِالْإِخْلَاصِ فَيَمْنِ قَدْ صَحَا
 فَاهْتَزَّتْ الْأَقْدَامُ مِنْهَا وَاللِّحَا
 فَلِذَاكَ جَرَّدَهَا وَصَاحَ وَسْرَحًا
 فَاشْتَدَّ يَبْتَدِرُ الْحِجَابَ مُلَوِّحًا
 قَدْ غَارَ مِنْ أَسْرَارِهَا^(٥) أَنْ يُفْضَحَا
 لَمْ يَدْرِ مَا الْإِيضَاحُ لَمَّا أَوْضَحَا
 كُفْرًا وَيَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ سَبَّحَا
 ضَاقَ ذَرْعًا بِالغَمِّ رَامَ فَبْرَحَا
 تُغْرُ^(٧) أَرْتِيَا حِ الْعَاشِقِينَ فُجْرَحَا
 حَمًا عَلَى مِنْ ذَاقَهَا أَنْ يَشْطَحَا
 عَجَبًا فَلَيْسَ بِرَاجِحٍ مِنْ رَجَبَا
 غَيْرِ الشَّهَادَةِ مَا أَعْرَّ وَأَقْبَحَا
 أَهْجُ فُقُلٌ حَتَّى أَلَاقِي مُفْلَحَا
 بِاللَّهِ يَا يَمْحِي بِنِ يَمْحِي دَعَّ جِجَا

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (به).

(٢) وردت في «ج» (المراي). وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المراء). والتصويب أرجح.

(٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (ما أنت).

(٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (يا قوة). وبالتصويب يستقيم الوزن والمعنى

اللاحق.

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي الزيتونه (استارها).

(٦) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (بسكران).

(٧) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (نقر).

(٨) وردت في «ج» وفي «الملكية» (زرهم).

أَبِي سُلَيْمٍ قَدْ نَجَا بِمَجْنُونِكُمْ مَجْنُونٌ إِلَى الْعَارِفِينَ بِهِ قَدْ مَحَا
 هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَمْ يُبْسِحْ بِحَبِيبِهِ مَعَ مَنْ يَدْرِكُ حَبِيبَهُ قَدْ أَفْصَحَا
 فَافْرَحَ وَطِبَّ وَابْهَجَ وَقَلَّ مَا شِئْتَ مَا أَمْلَحَ الْفُقَرَاءَ يَامَا (١) أَمْلَحَا
 وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ الَّتِي هِيَ آيَاتُ الْعَجَائِبِ ، وَطَرَّرُ حَالَ الْبِدَائِعِ فِي شَقَى الْأَغْرَاضِ
 وَالْمُقْتَصِدِ ، قَوْلُهُ يَعْتَذِرُ لِبَعْضِ الْعُذْبَةِ ، وَقَدْ اسْتَدْبِرَهُ (٢) بِيَعُضِ حُلُقِ الْعِلْمِ بِسَبْتَةِ :
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ بِصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهَا
 لَا غَرَوْتُ لَمْ أَشَاهِدْكُمْ فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي غَرَضِ التَّوْرِيَةِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ :

يَلُومُونِي بَعْدَ الْعِنَارِ عَلَى (٣) الْهَوَى وَمِثْلِي فِي وَجْدِي لَهُ (٤) لَا يَفْنَدُ
 يَقُولُونَ لِي أَمْسِكْ عَنْهُ قَدْ ذَهَبَ الصَّبَا وَكَيْفَ يُرَى الْإِمْسَاكُ وَالْخَيْطُ أَسْوَدُ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَجْنُونَاتِ (٥) ، وَهُوَ مِنَ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ :

وَمُصْفَرَّةُ الْخَلْدِينَ مَطْوِيَّةُ الْحَشَا عَلَى الْجُبْنِ وَالْمُصْفَرُّ يُؤْذَنُ بِالْخَوْفِ
 لَهَا هَيْئَةٌ (٦) كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَسْكَهَا فِي الْحَيْنِ تَغْرُبُ فِي الْجَوْفِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي النَّصْحِ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ تَقْتَضِي ذَاكَ :

لَا تَبْدُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلَقَى لِبَدَلِ النَّصْحِ مِنْهُ قَبُولًا
 فَالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُولًا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ما) .
 (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (استدركه) .
 (٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي النسخ .
 (٤) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» (به) .
 (٥) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات الثلاثة (المجنبات) . والأولى أرجح حسبما يبدو
 من سياق البيت التالي .
 (٦) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . ووردت في النسخ (بهجة) .

ومنها في الحكم:

ما رأيت الموم تَدْخُلُ الا من دروب العيون والآذان
غُضَّ طَرْفًا وَسُدَّ سَمْعًا وَمَهْمَا تَأْتَقُ هَمًّا فَلَا تَتَّقُ بَضَان

ومنها قوله ، وهو من المعاني المبتكرات :

حزنت عليك العينُ يَا مَعْنَى الهوى فالدمع منها بعد بُعْدِكَ مَا رَقَا
ولذلك [قد صُبِغَتْ] ^(١) بلون أزرق أو ما ترى ثَوْبَ الْمَاتَمِ أَزْرَقًا
ومنها قوله في المعاني الغريبة . قال ، ومما نظمته في عام أربعة وأربعين
في التفكير في المعاني ، مُغْلَقِ الْعَيْنِينَ :

أُبْحَثُ فِيهَا أَنَا حَصَلَتُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْعَيْنِ فِي جَفْتِهَا
أَحْسَبُنِي كَالشَّاةِ بِمَجْتَرَةٍ تَمْضَعُ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا

وقال ، ومما نظمته بين أندرش وبرجة ^(٢) عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب
مسافر ، وهو مما يُعْجِبُنِي ، إذ ليس كل ما يصدر عني يُعْجِبُنِي . قلتُ وَبِحَقِّ
أن يعجبه :

تَطَالِبُنِي نَفْسِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ يَدَّانُ فَأَعْطِيهَا الْأَمَانَ ^(٣) فَتَقْبَلْ
عَجِبْتُ نَخْصَمُ لِحْ فِي طَلِبَاتِهِ يَصَالِحُ عَنْهَا بِالْمَحَالِ فَيَفْصَلْ

[قال ومما نظمته في السنة المذكورة من ذم النساء :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي النسخ (ما ظهرت) .

(٢) نعود هنا إلى الإشارة إلى برجة لورودها مع أندرش . فبرجة وأندرش كلتاهما من مقاطعة المرية ، تقع الأولى شرق النهر الأخضر . وتقع الثانية غربية على مقربة من مصبه . ومما هو جدير بالذكر أن أندرش هي البلد التي أقام فيها أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس بعد سقوط غرناطة في سنة ١٤٩٢ ، ومكث بها نحو عامين ، ثم غادرها إلى منفاه في المغرب .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأمان) .

ما رأيت النساء يصلحن إلا للذي يصلح الكنيف من أجله
 فعلى هذه الشريفة صالحهن لا تمدن بأمرى عن محله^(١)
 قال . ومما نظمته في السنة المذكورة :

قد هجرتُ النساءَ دهرًا فلم أبلغ آذاني^(٢) صفهاتهن الذميمة
 ما عسى أن يُقال في هجو من قد خصه المصطفى بأقبح شيمة
 أو يبقى لنا قصر العقل والدين إذا عدت المشالب قيمة
 وقال ، وما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن . هذان البيتان ، ولم أر معناها
 لمن مضى . ولورحل رجل إلى خراسان ، ولم يأت إلا بهما ، كان ممن لم يخفق
 مسماه ، ولا أجذب مرعاه ، ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح ، إذا أجهده
 ما يسكابد من المضاضة . ونقض العهود ، واختلاف الوعود . وهذه الخنة من
 شر ما ابتلى به بنو آدم ، شئشنة نعرفها من أمرهم . ولقد عهدنا إلى آدم من
 قبل فدى :

رعى الله إخوان الحياة إنهم كفونا مؤونات البقا على العهد
 فلو قد وفوا كنا أسارى^(٣) حقوقهم تراوح بين النسب والنقد

وقال يداعبني ، وعلى سبيل الكناية يخاطبني ، وانتم لقيت^(٤) ، رجلا ببلاد
 الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج ، وكان برد^(٥) في بستان كان له ، فقلت
 أهجوه عام أربعة وأربعين وسبعمائة :

(١) ما بين الخاصرتين وورد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» «الملكية» (أذى) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (أسرى) . ونعتقد أن الوزن يستقيم بالتصويب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (رأيت) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (بردا) .

قالوا أبو البركات جَمَّ (١) ماؤه فعدا أبو البركات لا أبا البركات
 قلنا لأن يُكنى بموجوداته أولى من أن يكنى بمعدومات
 ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة :

قد كنتُ معذورا بعلی وما أبثُّ من وعظي بين البشر
 من حيث قد أملت إصلاحهم بالوعظ والعلم فخان النظر
 فلم أجد أوَعظَ للناس من أصوات وُعَاظِ جلود البقر

ومما نظمته بمرسى تلهي . من بلد هُنين (٢) ، عام ثلاثة وخسين ، وقد
 أصابني هوسٌ في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأسى به هوسٌ جديد لا الذي تدريه من هوس قديم فيه
 قد حلَّ ما أبديه من هذا كما قد حلَّ من ذاك الذي أخفيه

ومن الملح قوله ، قال ، وبِثُّ بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة
 الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفرداً ، فطُفِي [المصباح] (٣) ، وبقيت
 مُفكراً ، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن [في] (٤) الأرحاء والحمامات ،
 وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذَّ عند دخولها مُنفردين بالليل : لا سيما
 في الظلام ، واستشعرتُ قوة في نفسي عند ذلك ، أعراضٌ وأوهام ، فقلت
 مرتجلاً ، رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها إن عُرِضت للبيع غير ثمين

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (هم) . وفي «الملكية» (ضم) . وهو تحريف

(٢) هنين أو مرسى هنين هو ثغر صغير يقع غربى وهران ، وشمال تلمسان على شاطئ

البحر المتوسط .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

أن الرّحاً معسورة بلجن والحمّام عندهم [كذا]^(١) بيقين
 إن كان ماقلوه حقاً فاحضروا للحرب هذا اليوم من صيفين
 فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة بآنى صارع قيس المجنون

قال ، ودخلت رياضا يوما . فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه
 من حوايجي ، ولا من حوايج حارسة البستان ، فسألها فقالت ، هو
 لجارتى فقلت :

مَنْ مُنْصَفِي مِنْ جَارَتِي^(٢) جَارَتِ عَلِيٍّ مَالِي كَأَنِّي كُنْتُ مِنْ أَعْدَائِهَا
 عَمَدْتُ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي انْتَشَرَتْ^(٣) عَلَيَّ أَرْضِي وَأُمَّتٌ فِيهِ [بَيْسُ كَسَائِهَا]^(٤)
 لَوْلَا غُيُومٌ يَوْمَ تَيْبَسُ الْكَسَا سَرْتُ لِحِجْبِ الشُّحْبِ جَلَّ ضِيَاءُهَا
 لَقَضَيْتُ مِنْهُمْ الْخَسَارَ لِأَنِّي أَصْبَحْتُ مُزَوَّرًا عَلَيَّ بِخُلَايَاهَا

قلت ، وصرت إلى معنى^(٥) بجمّة بجانة^(٦) وسار معي كلب كان يحرس
 رياضي اسمه قطمير ، وهو فيما يُدّكر كلب أهل الكهف ، في بعض الأقوال ،
 فتبعني من المرية إلى الحمة ، ثم من الحمة إلى المرية ، فقلت :

رَحَلْتُ وَقَطْمِيرُ كَلْبِي رَفِيقِي يُونُسُ قَلْبِي بِطُولِ الطَّرِيقِ
 فَلَمَّا أَنْخْتُ أَنَاخَ حَدَائِي يَلَاحِظُنِي لِحَظِ خَلِّ شَفِيقِ
 وَبِرْعَى أَدْمَةَ رَفِيقِي كَمَا يَتَعَنَّى الصَّدِيقُ الصَّدُوقِ

(١) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم وزن الشعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (جاريق) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (انتشرت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (مالي) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) بجانة ، وبالإسبانية Pechina بلدة تقع على نهر أندرش ، على مقربة من شمال شرقي

على حين قومي بني آدم بلؤمهم لم يوفؤوا حقوق
ولا فرق بين الأبايد منهم وبين أخ مُستحب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقه هوى اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولي حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يُفضل كلباً عليهم فياويلهم من رفيق
ألا من يرقّ لشيخ غريب أبي البركات القتي البلفيق

وقال ؛ ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وأين الخير من ^(١) زمانى وأهله على أنى للشر أولُ سابق
لحا الله دهرًا قد تقدمتُ أهله فتلك لعمر الله إحدى البوايق
ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله فى الزهاد إنهم لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياه فلم يُصايروها فملوا ثقل حملهم
وعظم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة التترك ^(٢) فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زاداً وأعلى الناس طراً فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا الترجيح دونهم لاشيء أبين ^(٣) من ترجيح فضلهم
فالمال والجود والراحات ^(٤) غاية ما يحكى لنا الزهد فى ذاعن ^(٥) أجلبهم

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية». ووردت فى «ج» (عن).

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة ..

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى نص (أحسن).

(٤) وردت فى «ج» (الراحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «الملكية» (فى ذلك) وفى «ج» (فيه) وفى «الزيتونة» (فى) . وبالتصويب

والزاهدون براحت^(١) القلوب مع الأبدان سُروا وعزُّوا بعد ذلِّهم
فكل ما فرَّقوا قد حصلوا غرضاً^(٢) منه وزادوا ثناء الناس كلِّهم
قال ، ومما نظَّمته عام أربعين في ذم الحمر من جهة الدنيا ، لامن جهة الدين ،
إذ ليس بغريب :

لقد ذمَّ بعضَ الحمرِ قومٌ لأنها
وقد سلَّموا قولَ الذي قال إنها
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى
فيُمسى كريماً سيِّداً ثم يفتدى
وقالوا تسلى وهو عارية لها
وصلةٌ ونور^(٣) وحسنا طفلة
وهل يُداوى من مرارتها التي
ولو أشرب الإنسان مهلاً بهذه
ومن حُسن حال السَّارِبين يقيونها^(٤)
ومن حُسن ذا المحروم أن مُدامه
فيختلف الندمان طراً لروحه
ومن حُسنه بين الوري ضربُ ظهره
مجانين في الأوهام قد ضلَّ سعيهم

تُكرُّ على دين القتي بفساد
تَحلُّ من الدنيا بأعظم ناد
لُدُّمنها من طارفٍ وتلاد
سفيهاً حليفاً الغيُّ بعد رشاد
وإلا فلم يأتوا لذاك بشاد
ومرأى به للطريف سير جواد
أواخرها مقرونةً بهماد
لأصبح مسروراً بأطيب زاد
بالرغم [من] برقي وساد
إذا غلَّبت تكسوه ثوبَ رقاد
ويجدوهم نحو المروعة حادي
فيُمسى بلا حرب وهين جِلاذ
يخففون بيعاً بحسن عواد^(٥)

(١) وردت في «ج» (براحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (عوضاً) والأولى

أرجح .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (نوار) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وغاد) .

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ، واستبماد وجوه المتألب في جنسه ، مما
نظمته يوم عرفة عام خمسين | وأنا مُتَرَوِّ في غارٍ |^(١) ببعض جبال المرية :

زعموا أن في الجبال قوماً^(٢) صالحين قالوا من الأبدال
وادعوا أن كل من ساح فيها فسيلة — اعلم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال — راراً بنعمال طوراً ودون نعمال
مارأينا فيها سوى الأفاعى وشبا عترب كمثل النبال
وسباعاً^(٣) يخترون بالليل عدواً لا تملنى [عنهم] بتلك الفيال^(٤)
ولو كُنَّا لدى العدو الأخرى رأينا نواجذ الرئبال
وإذا أظلم الشجى جاء إبليس إلينا يزور طيف الخيال
هو كان الأئيس فيها ولولا ه أصيبت عقولنا بالخبال
خل عنك المحال يا من تعني ليس تلتقى الرجال غير الرجال

قال ، ومن المنازع الغربية ذم الأصحاب | ومدح^(٥) الأعداء ، فمن

ذلك قولي :

جزى الله بالخير [أعداءنا]^(٦) فوردم أنسى^(٧) المصدر
هم كحلونا على العرف كرهاً وهم دَرَفونا عن المنكر
وهم أقعدونا بمجلس حكمهم وهم يؤؤونا ذرى المنسبر

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) في النسخ (رجالا) .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (وسباع) . والأول أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . وفي النسخ (الفيال) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وهم) . والتصويب يقتضيه السياق ، ويؤيده قول

الآيات .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإنيها لازم لضبط المعنى والسياق .

(٧) كذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي الملكية (أن)

وهم صَيَّرُونَا أُمَّةً عَالَمٌ وَدِينٌ وَحَسْبُكَ مِنْ مَفْخَرٍ
 عَدُوِّي بِأَوْلِ فِدَى مَأْتَمٍ وَإِنْ جِئْتُ بِالْإِثْمِ لَمْ يَمْنُرْ
 وَأَنْتَ تَرَى تَمَيِّصٌ مِنْ يَمِينِ [بَيْنَ الْمُسَىءِ وَبَيْنَ الْبَرِّ] (١)
 وَلَا زُودَ اللَّهِ أَصْحَابِنَا بَزَادَتِ تَقِيٍّ وَلَا خَيْرٍ
 هُمْ جَرَّوْنَا عَلَى كُلِّ إِثْمٍ وَمَا كُنْتُ لَوْلَاهُمْ بِالْمُخْبِرِ (٢)
 وَعَدُوا مِنْ إِكْبَارِ آثَامِنَا فَكَانُوا أَضْرًا مِنَ الْفَاتِرِ (٣)
 أَطَارَنِي الْقَوْمُ ثَوْبَ التَّقِيِّ وَإِنِّي مِمَّا أَعَارَوْنِي بَرِي
 إِذَا خَدَعُونِي وَلَمْ يَنْصَحُوا وَإِنِّي بِالنَّصِيحِ مِنْهُمْ حَرِي
 فَمَنْ كَانَ يَكْذِبُ حَالَ الرُّضِيِّ يَصْدُقُ فِي غَضَبٍ يَفْتَرِ (٤)
 بَلَى سَوْفَ تَلْقَى لَدَى الْحَالَتَيْنِ يَحْكُمُ النَّفْسُ هَوَى الْفَرِي
 فَيَاوَبٌ أَبَقَ عَلَيْنَا عَقُولُنَا (٥)
 قَالَ ، وَمَا رَأَيْتُ هَذَا الْمَعْنَى قَطُّ لِأَحَدٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ مَا مَعْنَاهُ :
 عُدَاتِي لَمْ فَضَّلْ عَلَى وَمِنَّةٍ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
 هُمْ يَحْتَوُوا عَنِ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتَهَا وَهِيَ نَافَسُونِي فَكَتَسَبْتُ (٦) الْمَعَالِيَا
 فَوَقَعَ حَافِرِي (٧) عَلَى سَاقِ هَذَا . [قَالَ] وَمِمَّا نَظَّمْتَهُ ، مَتَخَيَّلَا (٨) أَنِّي

سابقٌ معناه :

(١) هكذا وردت هذه الشطر في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (يعادل بين المسىء والبر) .

(٢) وردت في «ج» (بالخبر) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (الفتري) . والأولى أصلح للسياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها هنا (يفتري) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الملكية (عقولا) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فارتكبت) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (حافي) .

(٨) وردت في «ج» (مختلا) . والتصويب من «الزيتونة» .

خَلَسْنَا لِيَاةٍ مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَنِينٌ (١) بِاللَّيَالِي الطَّيِّبَاتِ
 سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَقْلِ فِيهَا مَسَالِكَ قَدِ جُلِينٍ عَنِ الشُّتَاتِ
 قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَّفْسِ فِيهَا وَحَقُّ اللَّهِ مَرَعَى الثُّبَاتِ (٢)
 فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا بَدَّتْ حَسَنَاتُهُ فِي السَّيِّئَاتِ

ثم رأيت بعد ذلك [على هذا] (٣) .

لا وليالٍ على المصلى تسرق في نسكها الذنوب
 فوقعت ساقى على حافر هذا المحروم ، إلا أنى جرّدت ذلك فى المعنى ،
 وأوضحته ، وجلّوته على كرسى التّعبد والتّنجيد ، فلولا التاريخ لعاد سارق
 البرق .

نثره

وأما نثره فنمطٌ مرتفع عن مُعتاد عصره ، استنفاراً وبلاغةً ، واسترسالاً
 وحلاوةً ، قلما يُعرج على السُّجع ، أو يأمر على التّكليف ، وهو كثيرٌ يبحث
 لا يتعين عيونه ، ولكن نلّمع منه نُبذةً ، ونجلب منه يسيراً . كتب إلى عند
 إبابى من الرّسالة إلى ملك المغرب ، متمثلاً ببينتين لمن قبله ، صدر بهما :

يأيتها النفس إليه اذهبي فخبية المشهور من مذهبي
 إياسى التّوبة من حبه طلوعه شمساً من المغرب

بل محلك (٤) ، أمثل من التّمثيل بالشمس ، فلو كان طلوعك على هذه الأقطار

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (ظنين) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الاهمات) .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (نجلك) . والتصويب من «الملكية» .

شمساً ، لأصبح [جُلها لك] (١) عبّاد . ولو كان نزولك مطراً لتكَيِّفَت الصُّخُور
 تُراباً دَمِنًا . ولو لامعرتنا مَعَشِرُ إِخْوَانِ (٢) الصِّفا ، بأَقْرَارِ (٣) أَنفُسِنَا ، لحكنا بأن
 قلوبنا تماييم لأصدقائنا ، ولكن سبقت عيون السعادة ، بالسكّلات (٤) فلو تُصادف
 بالرضى محلاً ، لأن تحصيل الحاصل مُحال ، لا زلت محروساً ، بعين الذي لا تأخذه
 سِنَّةٌ ولا نوم [مَكْنُوفَةٌ بِبِرِّكَه الذي يرومه راييم] (٥) والسلام .

وكتب إلى عندما تقلدت من رياسة الإنشاء ما تقلدت : تخصم يا محلّ الإبن
 الأرضى ولادة ، والأخ الصادق إخلاصاً ووُدّاً ، خصمك الله من السعادة بأعلاها
 مرقى ، وأفضلها عقبى ، وأحدها غني ، وأكرمها مسعى ، تحية اللّه فان (٦) إلى
 أيام لقاءك ، المُسلى (٧) عنها بتأميل العود إليها ، المزججى أوقاته بترداد الفكر فيها ،
 محمد بن الحاج ، أبقاه الله ، عن شوق ، والذي لا إله إلا هو ، لم أجد قط مثله إلى
 وليّ حميم . والله على ما نتول وكيل ، معرفاً أننى بعلاقته (٨) ، وتُصلينى عن كسره
 مجامعهُ (٩) ، لما اعتنى به من توفيقكم بالرتبة ، التي ما زال أحببناؤكم (١٠) بها تطول
 برّه . على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية ، والمكاته

(١) هكذا في «الزيتونة» . ومكانها في «ج» «اللقاء» . وفي «الملكية» «حلها بك» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (إخواننا) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وهى جمع قرارة . ومعناها هنا الأعماق . وقد

تكون تحريفاً لكلمة (بأسرار) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (إسناد) ونعتقد أن

الأولى أرجح .

(٧) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» «المتسلى» .

(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٩) وردت في «ج» و «الملكية» (مجاهه) . وبالتصويب من «الزيتونة» .

(١٠) وردت في «ج» (أحببناؤها) والتصويب من «الزيتونة» وهو أكثر تمشياً مع السياق .

العليّة ، إلا عند الأطفال والأغفال ، والمحائذين من النساء والرجال ، لا كن
أفزعنا هذه المخاطبة المحظية (١) في قالب الجمهور ، ولم نسر فيها ، على الأصح ،
لا كن على الجمهور . ولو كانت مصارف الوجود بيدي ، لوأفتك من الوجود ،
منازلُ أَسْمَايَه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ،
وأحللتك أرفعه معقلاً ، وأقبستك بُدْرَه (٢) مصباحاً ، وأهدتك (٣) أسرارُه تحملاً .
وقد تبلغ المقاصدُ مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نُضمره لتلك الجملة
الجليلة الفاضلة ، مما الله رقيبٌ عليه ، ومحيطٌ بدقايقه . ولو كانت لهذا العبد
الغافل ، المأسور في قيد نفسه ، الحزُون على انتهاب الأيام ، رأس (٤) عمره في غير
شيء ، دعوةٌ يساعدها الوجدُ حتى يغلبَ على ظنّه ، أن العليم بذات الصدور ،
ولآها من قبوله بارقةً لخصاك بها ، والله شهيد على ما تُكثِّنه الأفتدة ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

والفضلُ جمٌّ ، والمحاسنُ عديدة ، فلنقصر اضطراراً ، ولنكف (٥) امتثالاً
للرسم ، واثقياداً ، أمتع الله به .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المخطئية) .

(٢) وردت في «ج» (بدوره) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأهديتك) . والتصويب يستقيم انسيق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و«الزيتونة» (ونكف) .

محمد بن عبد الله^(١) بن منظور القيسي

من أهل مالقة . يكنى أبا بكر

أوليته

أصله من إشبيلية ، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم ، والأصالة ،
تشهد بذلك جملة أوضاع ، منها «الروض المحظور»^(٢) في أوصاف بني
منظور ، وغيره .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» . كان جم التواضع والتخلق ، كثير البر ،
مفرط^(٣) الهشة ، مبدول البشر ، عظيم المشاركة ، سريع اللسان إلى الثناء ،
مسترسلا في باب الإطراء ، دَرِباً على الحكم ، كثير الحنكة ، قديم العالة ،
بصيراً بالشروط . وُلِّيَّ القضاء بمجبات كثيرة ، وتقدم بمالقة ، بلده^(٤) فشكرت
سيرته ، ومُحَدَّت مدارته ، وكان سريع العبرة ، كثير الخشية ، حسن الاعتقاد ،
معروف الإيثار والصدقة ، شايح الإقراء^(٥) لمن ألمَّ بصقعه ، واجتاز على محل ولايته ،
جارياً على سنن سلفه ، ينظم وينثر ، فلا يقصر .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي ، ولازمه وانتفع به ، وسمع

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (عبد الله) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (المنثور) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (منفوض) والأولى أرجح .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (ببلده) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (القراء) وهو تحريف .

على غيره من الأعلام ، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والعدل الراوية
المسنن أبي عبد الله بن الأديب ، والمسند أبي الحكم مالك بن المرحل ، وعلى
الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد (١) الأشمري الفاسي ، ولبس عنه
خرقة التصوف ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد ، وعن الشيخ القاضي
أبي المجد بن الأحوص ، وعلى ابن مجاهد الرندي المعروف بالتمار ، والخطيب
أبي العباس بن خيس بالجزيرة الخضراء ، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله
السلال . وكتب إليه بالإجازة ، أبو عبد الله بن الزبير ، والفقير أبو الحسن
ابن عقيل الرندي ، والوزير المعمر أبو عمر (٢) الطنجي ، وأبو الحكم بن منظور
ابن عم أبيه ، والأستاذ أبو عبد الله بن الكباد . نقلت ذلك من خطه .

تواليفه

أخبرني أنه ألف «نفحات المسوك» ، و«عيون التبر المسبوك» (٣) في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب «السحب الواكفة والظلال الوارفة» ، في
الرد على ما تضمنه المضمون (٤) به على غير أهله من اعتقاد (٥) الفلاسفة . وكتاب
الصيبي الهتان الواكفة بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من
الأحاديث الصحيحة النبوية وسور القرآن . وكتاب «البرهان والدليل في خواص
سور التنزيل» ، [وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل] (٦) . وكتاب يشتمل

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة بهذا الاسم كلمة (أمين) وهو اسم آخر لم تجر العادة

بوروده على هذا النحو .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (أبو علي) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (المسوك) . وفي «الملكية» (المسوك) .

والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (المظنون) .

(٥) وردت في «ج» (الاعتقاد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

على أربعين حديثاً في الرقاق . موصولة الأسانيد . وكتاب « تحفة الأبرار في
مسألة النبوة والرسالة ، وما اشتملت ^(١) [عليه] ^(٢) من الأسرار » . وكتاب
« الفعل المبرور ، والسعي المشكور ، فيما وصل إليه . أو تحصل لديه من نوازل
القاضي أبي عمر بن منظور »

شعره

ومن شعره قوله :

ما للعطاس [ولا] ^(٣) للقال من أثر فنق فدينك بالرحمن واصطبر
وسلم الأمر فالأحكام ماضية تجرى على السنّ المربوط بالقدر

محمد بن علي بن الخضر بن هارون النسائي

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عسكر

حاله

من كتاب « الذيل والتكلمة » ^(٤) . كان مغرباً ^(٥) مجوّداً ، نحوياً ، متوقّداً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (اشتمل) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن والسياق .

(٤) هو كتاب «الذيل والتكلمة لكتابي الموصول والصلة» للعلامة المغربي الثقة ابن عبد الملك المراكشي المتوفى في سنة ٧٠٣ هـ . وهو معجم نفيس للتراجم ، يتضمن تراجم جمهرة كبيرة من أعلام المغرب والأندلس حتى القرن السابع الهجري . ويقع في أربعة مجلدات كبيرة . ومنه أجزاء مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية والمتحف البريطاني ومكتبة الإسكوريال ودار الكتب المصرية . وقد نشرت منه الأسفار الأول والثاني والرابع والخامس بيروت (سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (مغربياً) وفي «الزيتونة» (مغربياً) .

والأولى أرجح .

الذهن ، متفتنًا في جملة معارف . ذا حظ صالح من رواية الحديث ، تاريخياً ، حافظاً ، فهِمًا ، مشاوراً ، ذَوِيًّا في الفتوى ، متيناً في الدين ، تامَّ المروءة ، سنيًّا فاضلاً ، مُعَظِّمًا عند الخاصة والعامة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، رحيب الصدر ، مسارعاً إلى قضاء الحوائج ، شديد الإجمال ، محسناً إلى من أساء إليه ، نفاطاً بجاهه ، سَمَحًا بذات يده ، متقدِّمًا في عقد الوثائق ، بصيراً بعمانيها ، سريع البديهة في النظم والنثر ، مع البلاغة ، والإحسان في الفنَّين

وُلِيَ قضاء مالقة نائباً عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ، ثم وُلِيَ مستبداً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر (١) ، يوم السبت لليلتين بقيتا من من رمضان [عام] (٢) خمس وثلاثين . وأشفق من ذلك وامتنع منه [وخاطبه مُسْتَعْفِيًا ، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخُطَّة تورُّعاً منه] (٣) فلم يُسْعِفِه . فتقلَّدها ، وسار فيها أحسن سيرة ، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمَّرها ، ونفَّذَ الأحكام .

وكان ماضى العزيمة ، مقداماً ، مهيباً ، جزلاً في قضاائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، واستمر على ذلك بقية عمره

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبي إسحاق الزَّوَالِي (٤) ، وأبي بكر بن عتيق بن منزول ، وأبي جعفر الجليان ، وأبي حسن الشَّقُورِي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي الخطَّاب بن واجب ، وأبي زكريا الإصْبِهَانِي مُقِيم (٥) غرناطة

(١) هو الأمير محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة . وقد حكم من سنة ٦٣٥-٦٧١ هـ .

(٢) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) هكذا في «الملكية» . ووردت في «ج» (الزوالى) . ومكانها بياض في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمعنى المقصود هنا هو (المقيم بغرناطة) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته ، وأبو العون ، وأبو عبد الله ابن بكر الإلبيري . وحدث عنه بالإجازة ، أبو عبد الله الأبار ، وأبو القاسم ابن مهران ، وكتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوها من أهل الأندلس ، حسبما تقدم في رسم أبي بكر بن هشام ، وضمنها نظماً ونثراً اعترف له بالإجادة فيهما .

تصانيفه

صنّف كتباً كثيرة ، أجاد فيها وأفاد . منها المشرع الروى في الزيادة على المروى . ومنها أربعون حديثاً التزم فيها موافقة اسم شيخه ، اسم الصابى ، وما أراه سبق إلى ذلك ، وهو شاهدٌ بكثرة شيوخه ، وسعة روايته . ومنها نزّهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر . ومنها الخبر المختصر ، في السلوى عن ذهاب البصر ، ألفه لأبي محمد بن أبي الأحوص الضرير الواعظ . ومنها رسالة في ادّخار الصبر ، وافتخار القصر والفقر . ومنها الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة السكرام . وله اسم آخر ، وهو مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخبار ، وتقييد من المناقب والآثار . واخترّمته المنية عن إتمامه فتولى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور ، وقد نقلتُ منه في هذا الكتاب .

شعره

ومن شعره . وقد نُعت إليه ^(١) نفسه [قبل] ^(٢) أن تغرب من سماء معاوفه شمسه :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (إل) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

ولما انقضى إحدى وخمسون حجة
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها
إذا هو قد أدنت إليه كأنما
وقال في أحذب :

وأحذبُ تحسب في ظهره
مُثلت الخِلقة لا كمنه
جابه في نهر عايمه
في ظهره زاوية قائمه

ومن أمثال نظمه قوله ، وقد استُدعيت منه إجازة :

أجبتك لا ثنى لما رُمته أهلُ
[وما العلم إلا بحرٌ طال مدانه] (٣)
ولا كن ما أجبتُ مُحتمل سهل
ومالي تحم (٤) في الورد ولا سهل
فكيف أراني أهل ذلك وقد آتى
على المحتبان (٥) البطالة والجهلُ
وأسأل ربي العفو عني فإنه
لما يرتجيه العبدُ من فضلِ أهلِ
مولده : [تخميناً] (٦) في نحو أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته : ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة ، عام ستة
وثلاثين وستماية .

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بكر) .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة . «ج» (فيها نحوه) . وفي «الزيتونة» و «الملكية»
(فيه نحوه) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر في «الملكية» . ووردت في «ج» (وما العلم البحر طاب مذاقه) .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (بمائل) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) هذا الكلمة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
أبي بكر بن سعد الأشعري الملقب

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بكر ، من ذرية بُلج بن يحيى بن خالد بن
عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بردة . واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى . واسمه
عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن حزم (١) في جملة
من دخل الأندلس من العرب (٢) .

حاله

من «عائد الصلة» . كان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء ، سداجةً
ونزاهة ومعرفة وتفناً . فسيحَ الدرس ، أصيل النظر ، واضح المذهب ، مؤثراً
للإنصاف ، عارفاً بالأحكام والقراءات ، مبرزاً في الحديث ، تاريخاً وإسناداً ،
وتعديلاً وتجريماً ، حافظاً للأنسب والأسماء والكُنى ، قائماً على العربية ،
مشاركاً في الأصول والفروع ، واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض
الجناح ، حسن التخلق ، عطوفاً على الطلبة ، محباً في العلم والعلماء ، مجللاً لأهله ،
مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس ، بادي الظاهر - عزيز النفس ، نافذ الحكم ،
صوالة . معروف بنصرة [من أزر إليه] (٣) . تقدم للشيخة يبلده مالقة ، ناظراً
في أمور العقْد والحل ، ومصالح الكفاة . ثم ولى القضاء بها ، فأعزَّ الخُلعة ، وترك

(١) في كتابه (جمهرة أنساب العرب) .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (المغرب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

الموادة ، [وإنفاذ الحق]^(١) ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً للأوقات ، حريصاً على الإفادة .

ثم وثى القضاء والخلافة بعزناطة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعمائة ، فقام بالوظائف ، وصدع بالحق ، وجرح الشهود فزيّف منهم ما ينيف على السبعين عدداً ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضاة ، خاض تبيجها ، وصادم تيارها ، غير مبال بالمغيبة ، ولا حافل بالتبعية ، فناله لذلك من المشقة ، والكد العظيم ، ما نال مثله . حتى كان يمشى إلى الصلاة ليلا في مسلة . لا يطحن على حاله . جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أَرَادَهُ اللهُ . وعزم عليه الأمير في بعض من الخطة ، ليردّه إلى العدالة ، فلم يجد في قذاته مغمزاً ، ولا في عوده معجماً ، وتصدّر لبث العلم بالحضرة ، يقرى^(٢) فنوناً منه جمّة ، فنفع وخرج ، ودرّس العربية والفقه والأصول ، وأقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث ، شرحاً وسماعاً ، على سبيل^(٣) من انشراح الصدر ، وحسن التجمل ، وخفض الجناح .

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ، فقال ، وأما شيخنا ، وقربينا مصاهرةً ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، فصاحب عزم ومضاء ، وحكم صادق وقضاء . كان له رحمه الله ، مع كل قولة ، صولة ، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة ، فأحرق قلوب الحسدة والشب ، وأعز الخطة ، بما أزال عنها من الشوائب ، وذهب وفضض^(٤)

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها ترك أهدار الحق ، أو بعبارة أخرى الحرص على إقامته .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (يقراً) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (سبل) .

(٤) ذهب وفضض ، أى جعلها ناصعة كالذهب والفضة .

كواكب الحق بمعارفه ، ونفذ في المشكلات ، وثبتت في المذهلات ، واحتج
وبكت ، وتفقّه ونكّت (١) .

توقيعه

قال ، وحدثنا صاحبنا ، أبو جعفر الشُّقُورِي ، قال كنت قاعداً في مجلس
حُكْمِهِ ، فرفعت إليه امرأة رُقعة ، مضمونها أنها مُحِبَّة في مُطَلَّقها ، وتبغى من
يَسْتَشْفَع (٢) لها في رُدِّها ، فتناول الرُقعة ، ووقع في ظهرها للحين من [غير] (٣)
مُهَلَّة : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب (٤) ، فليصغ لسماعه إصاغة مُغِيث ،
وليشفع للمرأة عند زوجها ، تأسياً بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبربرة في
مُغِيث . والله يُسَلِّم لنا العقل والدين ، ويسلِّك بنا مسالك المهتدين . والسلام يعتمد
على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها ، ورحمة الله . قال صاحبنا ، فقال لي
بعض الأصحاب ، هالاً كان هو الشفيع لها . فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي
أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره

ولم يُسمع له شعر إلا بيتين في وصف قوس عربي النُسب في شعر من لا شعر
له ، وهما :

عام الفؤاد في بنت التبع والنشم زوراً تُزرى بعطف البان والصنم (٥)
قوامُ قامتها تمامٌ معنهما من يلقى مقتلها تُصميه أو تُصم

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة مرة أخرى (وبكت) . ونعتقد أن التعديل أرجح وأكثر
عشياً مع مقتضيات البيان والسجع .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» ، وفي «ج» (يشفع) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) بالقلوب هنا يقصد بها ما يظهر الورقة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (زورا ترى
بعطف البان والصنم) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ المتقن الخطيب أبي محمد بن أبي الشداد الباهلي القرآن العظيم
 جَمْعاً وإفراداً ، وأخذ عنه العربية [والفقه] ^(١) والحديث ، ولازمه ، وتأدب به .
 وعلى الشيخ [الراوية] ^(٢) الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخَزْرَجِي القرطبي ،
 قرأ عليه كثيراً من كُتُب الحديث ، منها كتاب صحيح مُسلم ، وسمع عليه
 جميعه إلا دولة واحدة . ومن أشيائه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن
 السَّكُوت . والفقيه [المشاور] ^(٣) ، الصَّدر الكبير ، أبو عبد الله بن ربيع ،
 والخطيب ^(٤) القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطَّنْجَالِي ، والشيخ القاضي
 أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصاد ، والأستاذ خاتمة المقرئين
 أبو جعفر بن الزُّبير ، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشيد . والخطيب الولي
 الصالح أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن بن اللباد المشرفي ^(٥) . والشيخ
 الأستاذ أبو عبد الله بن السَّكَّاد السُّطِّي اللَّبْلِسِي . وأجازه من أهل سبته شيخ الشرف
 أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع ، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن
 الهواري ، وأبو إسحاق التمهساني . والحاج [العدل] ^(٦) الراوية أبو عبد الله بن
 الحصار ، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي ، والأستاذ أبو بكر
 ابن عُبَيْدة ، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري .
 ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون ، وأبو العباس أحمد

(١) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (والفقيه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المسرف) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

ابن محمد الأشعري المالقي [نزيل تونس] (١) ومحمد بن محمد بن سيّد الناس اليعمري،
وعثمان بن عبد القوي البلوي . ومن أهل مصر النسابة شرف الدين عبد المؤمن
ابن خلف الدميمي . والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق ، وجماعة غيرهم
من المصريين والشاميين والحجازيين .

مولده

في أواخر ذي حجة من عام أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

فُقِدَ في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف (٢) شهيداً [مُحَرَّضاً] (٣) ،
زعموا أن بَغْلَةً كان عليها [كَبِتْ به] (٤) ، وأفاق رابط الجأش ، مجتمع القوي .
وأشار عليه بعض المهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال انصرف هذا يوم
الفرج ، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ،
وذلك ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية .

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) موقعة طريف هي الموقعة العظيمة التي نشبت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو
الحادي عشر ملك قشتالة ، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ومعه قوات
الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة ، على مقربة من ثغر طريف ، وعلى ضفاف
نهر سالادو الصغير ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون
هزيمة شديدة . وكانت محنة عظيمة بالنسبة للمغرب والأندلس .

(٣) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد
ابن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حُيَون بن القاسم
ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[رضي الله تعالى عنه] (١)

حسباً نقل من خطه :

أولَّيْتَهُ معروفة [كان وليته مثله] (٢) .

حاله

هذا الفاضل مجلّة من مجل الكمال ، غريب في الوفاة والحصافة ، وبلوغ
المدى ، واستولى على الأمم حِلماً وأناة ، وبعُدّاً عن الريب (٣) ، وتمسكاً بعُرى
النزاهة ، واستمساكاً مع الاسترسال ، وانقباضاً مع المداخلة ، معتدلاً بالطريقة ،
حسن المداراة ، مالكاً أزمّة الطوى ، شديد الشفقة ، كثير المواساة ، مغار حَبَل
الصبر ، جميل العشرة ، كثيف ستر الحياء ، قوى النفس ، رابط الجأش ، رقيق
الحاشية ، ممتع المجالسة ، متوقد الذهن (٤) ، أصيل الإدراك ، بارعاً بأعمال (٥) المشيخة ،
إلى جلال المُنتهى ، وكرم المنصب ، ونزاهة النفس ، وملاحة الشَّيْبَةِ (٦) . وحمل راية
البلاغة ، والإعلام في ميادين البيان ، رُحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان . حيا

(١) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و«الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» . و«الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» «الريب» .

(٤) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» «الزهد» وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغفال) ، ونعتقد أن التصويب يتماشى مع السياق

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

الخصل [والفضل^(١)] في ميدانها، غريبة غريزة الحفظ، مُقنعة الشاهد، مُستبحرة النظر، أصيلة التوجيه، بريئة عن النوك والغفلة، مرهفة بالغة والغريب، والخبر والتاريخ والبيان، وصناعة البديع، وميزان العروض، وعلم القافية وتقدماً في الفقه، ودرساً له، وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والصبر، والدؤوب عليه، باوع التصنيف، حاضر الذهن، فصيحُ اللسان [مفخرة من مفاخر أهل بيته]^(٢).

ولايتيه

قَدِمَ عَلَى الحَضْرَةِ فِي دَوْلَةِ الخَامِسِ مِنْ مَلُوكِ بَنِي نَصْر^(٣)، كَمَا اسْتَجْمَعُ شَبَابَهُ، يَفْهَقُ عِلْمًا بِاللِّسَانِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ البَيَانِ، وَيَنْطِقُ بِالْعَذْبِ الزُّلَالِ مِنَ الشَّعْرِ، فَسَهَّلَ لَهُ كَنْفَ البِرِّ، وَنُظِمَ فِي قِلَادَةِ كِتَابِ الإِنْشَاءِ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ ثَمِينَةٌ^(٤) الخِرَاتِ، مُحْكَمَةُ الرَّصْفِ^(٥) [فشاع]^(٦) فضله، وذاع رجله^(٧). [ثم تقدم]^(٨)، فَنَقَلَ مِنْ طُورِ الحَكْمِ، إِلَى أَنْ قُلِّدَ [الكتابة]^(٩) والقضاء والخطابة بالحاضرة، بَعْدَ وَايَةِ غَيْرِهَا [التي أعقبها ولاية مالقة]^(١٠) فِي الرَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الأخر

(١) واردة في «الزيتونة» و«الملكية». وساقطة في «ج».

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في «ج»، وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (مفخر أهل بيته).

(٣) الخامس من ملوك بني نصر، ملوك غرناطة، هو السلطان أبو الوليد إسماعيل، وقد حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٧٢٥ هـ (١٣١٤ - ١٣٢٥ م).

(٤) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (ج - ثمنية - الزيتونة - تمية - الملكية - ثمنية).

(٥) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة». وفي الملكية (وصف). والأولى أرجح.

(٦) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» و«الملكية» (أرجله).

(٨) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٩) الزيادة من «الزيتونة».

(١٠) هذه العبارة وازدة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

عام سبع وثلاثين وسبعماية . فاضطلع بالأحكام . وطبق مفصل الفضل [ماضى
 الصريعة ، وحى الإجماع] (١) . نافذ الأمر . عظيم الهيبة . قليل الناقد ، مُطعم
 التوفيق ، يصدع في مواقف الخطب . بكل بليغ من القول . مما يريق ديباجته ، ويشف
 صقاله . وتبرأ من كلال الخطباء جوانبه وأطرافه . واستعمل في السفارة للعدو
 ناجح المسمى ، ميمون النقيية . جزيل الحياء والكرامة . إلى أن عزل عن القضاء
 في شعبان من عام سبعة وأربعين وسبع مائة . من غير زلة تخفيض (٢) ، ولا هنة
 تؤثر ، فتحيّر إلى التحليق لتدريس العلم ، وتفرغ لإقراء العربية والفقهاء . ولم يذشب
 أميره المنطوى على الهاجس . المغرى بمثله ، أن قدمه قاضياً بوادى آش ، بنت
 حضرته ، معرّزة بسندها الكبير الخطّة . فانتقل إليه بجملته ، وكانت بينه وبين
 شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب . صداقة صادقة . ومودة مستحكمة ، فجرت بينهما
 أثناء هذه النقلة . بدائع . منها قوله . يوس عنه . خطة القضاء التي اخترعها . ويوليها
 خطة الملامة :

لا مرحباً بالناشر الفـارك	إن جُهِلت رفعة مقـدارك
لو أنها قد أوتيت رُشدها	ما برحت تَعْشـو إلى نارك
أقسمتُ بالثـور المبين الذى	منه بدت مشكاة أنوارك
ومَظهِرِ الحـكم الحكيم الذى	يتلو عليه طيب أخبارك
ما لقيت منك كفوّاً لها	ولا أوتُ أكرم (٣) من دارك

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة ، فوليتها واستمرت حاله وولايته على متقدّم
 سمته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة ، إلى أن

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (تحفظ) . والأولى أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الكريم) . وبالتصويب يستقيم الشعر والمعنى .

هلك السلطان مُسْتَعْتِضِيَةً مَأْمُومًا بِهِ . مُقْتَدِيًا بِسُجْدَتِهِ . يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ . خَمْسَةَ
وخمسين وسبعماية . وولى الأمر ولده الأسعد . فجدد ولايته . وأكّد تجلّته . ورفع
رتبته . واستدعى بحالته

• شَيْخَتُهُ

قرأ ببلده سبّية على أبيه الشريف المطاهر . نسيح وحده [فى القيام] (١) .
وعلى أبى عبد الله بن هانى [وبه جل] (٢) انفذعه ؛ وعليه جل استفادته . وأخذ
عن الإمام شيخ المشيخة أبى إسحاق الغافقى . وروى عن الخطيب أبى عبد الله
الغمارى ، والخطيب المحدث أبى عبد الله بن رُشيد . والقاضى أبى عبد الله
القرطبي . والفقير الصالح أبى عبد الله بن حُرَيْث . وأخذ عن الأستاذ النظار
أبى القاسم بن الشاط وغيره .

• مُحْتَمُهُ

دارت عليه يوم مهلك السلطان المذكور [رَحَى الْوَقِيعَةَ] (٣) ، فَعَرَّكَتَهُ بِالثَّقَالِ ،
وَتَخَلَّصَ مِنْ شِرَارِهَا هَوَلًا (٤) ، لَتَطَارِحَ الْأَمِيرَ الْمُتَوَكَّبَ (٥) أَمَامَ الْمَرِيَّةِ عَلَيْهِ .
خَاتَمًا فِي السَّجْدَةِ . وَدَرَسَ الْحَمَامَةَ إِيَّاهُ عِنْدَ الدَّجَلَةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّمَاتِ لِحُلِّ الْوَطْأَةِ .
وَلَا افْتِقَادَ (٦) لِحُلِّ (٧) صَلَاةِ تِلْكَ الْأُمَّةِ . فَعَشِيَهُ مِنَ الْأَرْجُلِ ، رَجُلُ الرَّبِّي كَثِيرَةٌ .

(١) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» .

(٥) وردت فى «ج» (المتبث) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت فى «الملكية» . وفى «ج» (إبتغاء) .

(٧) إلى هنا تمت المراجعة على مخطوط «الإحاطة» المحفوظ بخزانة الرباط الملكية ، إلى جانب

مخطوط الزيتونة . وهو ينتهى حسبما ذكرنا فى المقدمة بالترجمة الحالية . وستجرى المراجعة منذ

الآن فصاعدا على مخطوط «الزيتونة» وحده .

والتفت عليه مُرسِل طيلسانه . سادًّا بجري النَّفْس إلى قابه . فعالج الحمام وقتًا .
إلى أن نفَس الله عنه . فاستقلَّ من الرَّدَى . وانتبذ من مُطَّرَح ذلك الوَغَى . وبُودِر
بالفَّصَاد ، وقد أَشْفَى . فكانت عثرة لقيت لُمًا ومناغًا . فسمح له المدى آخر من
يوثق به . من محل البَث . وودعات السَّرِّ من حِظَّيات المَلِك . أن السلطان
عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم ، كونه في محراب مسجده . مع قاضيه المُترجم
به . وقد أقدم عليه كَلْبٌ . أصابه بثوبه ، ولطَّخ ثوبه بدمه . فأهَمَّتْهُ رؤْياه . وطرقت
به الظنون مطارقتها ، وهمَّ بعزل القاضي ، انقيادًا لبواعث الفكر ، وسدًّا لأبواب
التوقيعات ، وقد تَأَذَّن الله بإرجاء العزم . وتصديق الحلم . وإمضاء الحكم . جل
وجهه . وعزَّت قدرته . فكان من الأمر ما تقرر في محله .

تصانيفه

وتصانيفه بارعة ، منها ، رَفَعُ الحُجُبِ المستورة في محاسن المَقْصُورة (١) ، شرح
فيها مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بما تنقطع الأَطَاع فيه . ومنها رياضة الأبي
في قصيدة الخزرجي ، أبدع في ذلك بما يدل على الاطلاع وسداد الفهم . وقصيد على
كتاب التَّسْهِيل لأبي عبد الله بن مالك تَقْصِيدًا جليلًا ، وشرحًا بديعًا ، قارب
التمام . وشرح في تَقْصِيدٍ على الخبر المسمى ، بَدْرُ السَّمْط في خبر السَّبْط . ومحاسنه
جدة ، وأغراضه بديعة .

شعره

وإما الشعر فله فيه القَدْحُ والمُعَلَّى ، والحظُّ الأَوْفَى ، والدرجة العليا . طبقة وقته ،

(١) «المقصورة» المشار إليها هنا هي القصيدة الطويلة التي وضعها أديب المغرب الكبير الإمام
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأندلسي في مدح الخليفة الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر
بالله ، والشرح الذي وضعه لها أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي هو شرح كبير يقع في مجلدين
ومنه نسخ مخطوطة في الخزائن المغربية وغيرها . وقد طبعت المقصورة وشرحها بالقاهرة (سنة ١٣٤٤هـ)

ودرجة عصره، ووجهة زمانه . كلامه متكافئ في اللفظ والمعنى ، صريح الدلالة ،
 كريم الخليم ، متحصّد الخليل . خالص السبك . وأنا أثبت منه جزءاً ، خصني (١) به ،
 سماه جهد المقل . اشتمل من حرّ الكلام ، على مالا كفاء (٢) له .
 الحمد لله تردّدُه أخرى الليالي . فهو المسؤول أن يعصمنا من الزلل (٣) ، زلل
 القول . وزلل الأعمال . والصلاة على سيدنا محمد خاتم الإرسال . هذه أوراق
 ضمّنتها جملة من بنات فكري . وقطعاً مما يُجيش به في بعض الأحيان صدرى ،
 ولو حَزَمَتْ (٤) لا تُضرب عن كتبها كل الإضراب ، ولزمت في دَفْنِها وإخفائها
 دين الأعراب . لا كني (٥) آثرت على المحو الإثبات ، وتمثلت بقولهم (٦) [إن
 خير ما] (٧) أوتيتهُ العربُ الأبيات . وإذا هي عُرُضت على ذلك المجد ، وسألها
 كيف نجت من الوأد . فقد أوتيتُها من حُرْمِكم (٨) إلى ظلِّ ظليل . وأحللُها من
 بنيكم ، مُعَرِّساً ومقيل ، وأهديتها علماً بأن كرمكم ، بالإغضاء عن عيوبها جدُّ
 كفيل ، فاعثم قلة التهديدية مني ، إن جهده المقل غير قليل ، فحسبها شرفاً أن
 تبوأت في جنابك كنفناً ، وكفاها مجدداً وفخراً . أن عقّدت بينها وبين فكرك
 عقداً وجواراً ، [ومما قلت في حرف الهمزة] (٩) .

م ولده

بسببته في السادس لشهر ربيع الأول من عام سبعة وتسعين وستماية .

-
- (١) وردت في «ج» (أخصني) . والتصويب من «الزيتونة» .
 - (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (كفو) .
 - (٣) وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» وحده ، ووردت بحرفة (الزلال) .
 - (٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (حُرمت) .
 - (٥) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (لا كني) .
 - (٦) وردت في «ج» (بقوله) . والتعديل أنسب للسياق .
 - (٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (إن من أحسن ما) .
 - (٨) وردت في «ج» (كرمكم) . والتصويب من «الزيتونة» .
 - (٩) وردت هذه العبارة هكذا في المخطوطين . ولم يليها شيء .

وفاته

وفى قاضياً بقرنطة في أوائل شعبان من عام ستين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي^(١)

قاضى الجماعة ببليضة الإسلام فاس، يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل له أبوةٌ صالحة ، وأصالةٌ زاكية ، قديم الطلب ، ظاهر التخصص ، مفرط في الوفاق [نابه البرة والركبة ، كثير التهمة ، يؤهم به الفار]^(٢) ، وصدور الصُّور في الوثيقة والأدب ، فاضل النفس ، ممحوض النصح ، جميل العشرة لإخوانه ، مجرى الصداقة [نصحاً ، ومشاركة ، وتنفيقا ، على سجية الأشراف وسنن الحسباء]^(٣) ، مديد^(٤) الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، عارف بالتحسين والتقبيح ، من أدركه ، أدرك علماً من أعلام المشيخة . قدمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس ، قاضياً بحضرته ، واختصه ، واشتمل عليه ، فاتصل بعمه سمده^(٥) ، وعرف حقه . وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه ، فذاع فضله ، وعلم قدره . ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النبوة^(٦) التي أصابت

(١) نسبة إلى قشتالة وهي إحدى القبائل الجبلية التي تقطن في تمالى مدينة فاس .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) هذا أيضاً وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (مديع) ، وبالـتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في «ج» وكذا في «الزيتونة» (استعماله) . ونعتقد أن هذا التصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بحو النبوة) . والنبوة هنا تعنى السقطة أو

الدولة ، بَلَوْتُ من فضله ونصحه وتأنيسه ، ما أكَدَّ الغِبْطَةَ ، وأوجب الشناء ،
وخاطبته بما نصه :

من ذا يَعُدُّ فضائل الفِشْتَالِي والدهر كاتب آيها والتسالي
عَلَّمَ إذا التمسوا الفنون بعلمه مرعى المشيخ^(١) ونُجْمَةُ الكُتَالِ
نال الذي لا فوقها من رفعة ما أملتُها حيلةُ المحتالِ
وقضى قياس تراثه عن جدِّه إن المُقَدِّم فيه عين التالي

قاضى الجماعة ، بماذا أثنى على خلائك المُرْتَضَاة^(٢) ، أيقديك الموجب
لتقديك ، أم بحديثك الداعي لتحمل حديثك ، وكلاهما غاية بعد مرماها ،
وتحامي المتصور حماها ، والضالع لا يسام سبِقاً ، والمنبت لأرضاً قطع ، ولا ظهراً
أبقى . وما الظن بأصالة تعترف [بها]^(٣) الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة ؛ كانت
في غير ذات الحق تزهد ، وفي نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد
الحق وتمهد ، وتهمز الشبه إذا تشبه . وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر على
جوار ، ولا حَتَّ من غصني ورقاً ولا نواراً^(٤) . هذا وقد زار على أسدٍ وحمل
ثوراً^(٥) . فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها ، وأظهر
خلوص إبريزه معيارها ، تحت كنف وعز مؤتمف ، وجوار أبي دلف ، وعلى
ثقة من الله بحسن^(٦) خلف . وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إلا رحلة ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المهم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المرضاة) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (نورا) ونعتقد أنه بالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (نورا) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» (مجنس) . وفي «الزيتونة» (تجنس) . وبالتصويب يستقيم السياق .

لم يبرك بعد سخلها ، ولا قرّ عملها ، وأوحال حال بينى وبين مسوّر البلد القديم (١) مهلها . ولولا ذلك لا غتبطت الزايد (٢) ، واقتنيت الفوايد ، والله يطيل بقاءه ، حتى تتأكد القرية ، التي تُنسى (٣) بها العرّبة ، وتعظم الوسيلة ، التي لا تُذكر معها الفضيلة . وأما ما أشار به من تقييد القصيدة التي نفق سوقها استحسانه ، وأنس باستظرافها إحسانه ، فقد أعمل وما أمهل ، والقصور باد إذا تأمل ، والإغضاء أولى ما أمّل ، فإنما هي فكرة ، قد أخذت نارها الأيام ، وغيرت آثارها الليام . وقد كان الحق إجلال مطالعة سيدي من خلّها ، وتنزيه رجله عن تقبيل مُرتجلها . لا كنّ أمره مُمتثل ، وأتى من المجد أمراً لا مرد له مثّل . والسلام على سيدي من مُعظم قدره ، ومُلتزم برّه ، ابن الخطيب ، ورحمة الله .

فكتب إلى مراجعاً ، وهو الملىء بالإحسان :

وافت يجرّ الزهو فضلة بُردها حسناء قد أضحت لسيجة وحدها
 لله أي قصيدة أهديت لو يهتدى المعارض نحو غاية قصدها
 لابن الخطيب بها محاسنُ جمة قارعت عنه الخطوب ففلّت من حدّها
 سرُّ البلاغة عنه أودع حافظاً قد صانه حتى فشى من عندها
 في غير عقيد نفثته (٤) بسحرها فلذا أتى سلساً منظم عقدها
 لم أدر ما فيها وقت معاوناً (٥) من طرسها أو مُعلماً من بُردها

(١) يقصد مدينة فاس القديمة أو فاس البالي ، وذلك تمييزاً لها عن «البلد الجديد» وهو ضاحيتها الذي به مقر الملك والبلاط .

(٢) وردت في «ج» (الرايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطين (تنسى) . وهو تعريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت في «ج» (نفثت) . وفي «الزيتونة» (نبشت) . والتصويب رجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

حتى دفعتُ بها لأبمد غاية
 حدان (١) من نظم ونثر إن من
 أولى يداً (٢) بيضاء موليتها فما
 ورفضت تكذيب المنى متشيعاً
 فبدلتُ شعري رافعاً من برها
 باعاً تقصُر في البلوغ بجدها
 يلقيها منها بذلة عبيدها
 لى مزية أن أقوم بجمدها
 لعلى مرآها يُصادق وعدّها
 وهزرتُ عطفي رافلاً من برّها

خُذْهَا أَعَزَّ اللهُ جَنَابِكَ، وَأَدَالِ لِلْأَنْسِ عَلَى الْوَحْشَةِ اغْتِرَابِكَ، كَغَيْبَةِ (٣) الطَّائِرِ
 الْمُنْتَجِدِ، وَنُهْبَةِ النَّارِ الْمَسْتَوْفِزِ، وَمِثْمَةِ (٤) اللَّحْظِ، قَلِيلَةِ الْفَلْظِ، قَدْ جَمَعْتَ مِنْ
 سُومِهَا وَانْتِحَامِهَا، بَيْنَ نَظْمٍ قَيِّدٍ، وَصُلُودِ زَنْدٍ، وَنَوَعَتْ، فَعَلَى إِقْدَامِهَا وَانْحِجَامِهَا (٥)
 إِلَى قَاصِرٍ وَمُعْتَدٍ، وَلِيْنِي إِذَا جَاءَتْ سَحَابَةٌ ذَلِكَ الْخَطَطِ الْمَطَرِ الْوَدْقِ، وَانْجَابِ (٦)
 الْعَانِي عَنْ مُزْنَةِ فِكْرَتِي، بِتَقَاضِي الْجَوَابِ، انْجِيَابِ (٧) الْوَدْقِ، وَأَيَقَنْتُ أَنِّي قَدْ
 سُدَّ عَلَى بَابِ الْقَوْلِ وَأُرْتَحِجُ، وَقَلْتُ هَذِهِ السَّالْفَةُ السَّكِيَّةُ فَسَدَّتْ لَهَا الدَّائِمَةُ مِنْ
 تَكَلُّمِ الْإِمْرَةِ [وَلَمْ أَفْهَ إِذْ أَعُوذْتُ الْمُرَّةَ بِالْحُلُوةِ] (٨)، لَا كُنِي قَلْتُ، وَجَدُّ الْمُسْكَنْتِ
 كَجَهْدِ الْمُقَلِّ، وَالْوَاجِبُ قَدْ يَقْلُ الْإِمْتِثَالَ فِيهِ بِالْأَقْلِ. فَبَعَثْتُ بِهَا عَلَى عِلَاتِهَا،
 وَأَبْلَغْتُهَا عِذْرَهَا. فِي أَنْ كَسَبَتْ عَنْ شَوْقِهَا بِلِغَاتِهَا، وَهِيَ لَا تَعْدَمُ مِنْ سَيْدِي
 فِي إِغْضَاءِ كَرِيمٍ، وَإِرْضَاءِ سَلِيمٍ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَصِلُ بِالتَّائِسِ الْحَبْلُ، وَيَجْمَعُ الشَّمْلُ.

(١) وردت في «ج» (خوان). والتصويب من «الزيتونة».

(٢) وردت في المخطوطين (يد). ولزم التصويب.

(٣) وردت في المخطوطين (كتفة). وبالتصويب يستقيم السياق. والغبة هي البلغة اليسيرة.

(٤) هكذا في المخطوطين. ويقصد بها هنا اللحظ الضعيف أو الفاتر.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (وانجمها).

(٦) وردت في المخطوطين (وانجاية). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» (انجياب) فلزم التصويب.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته . من محمد بن أحمد
الفتشالى .

وهو الآن قاض بفاس المذكورة ، محمود السيرة . أبقاه . وأمتع به .

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن

أبي بكر بن علي [بن داود] ^(١) القرشي المقرئ

يكنى أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان .

أوليته

نُقلت من خطّه ، قال ، وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن
قبله مراراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ ، صاحب أبي مدين ^(٢) ، الذي
دعاه ولدزيتته ، بما ظهر فيهم من قبول وتبين . وهو أبي الخماس [فأنا محمد بن
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن] ^(٣) ، وكان هذا الشيخ
عروى الصلاة ، حتى أنه [ربما] ^(٤) امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،

(١) الزيادة من «الزيتونة» . وهي غير واردة في نفع الطيب .

(٢) الشيخ أبو مدين هو ولي المغرب الكبير . وضريحه بضاحية تلمسان المسماة «العباد» . وهو
في الأصل العلامة الأندلسي شعيب بن الحسين الأنصاري ، ويكنى أبا مدين . ولد سنة ٥٢٠ هـ
بقتلانة من أعمال إشبيلية ودرس حيناً بالأندلس ، ثم عبر البحر إلى المغرب . ودرس في سنة
وفاس ومراكش . ثم مال إلى التصوف ، واعتنق طرائقه ، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج .
ثم عاد إلى المغرب ، ونزل بطنجة بجاية . وكان حجة لا يبارى في الشريعة والحديث وعلوم الدين .
واشتهر أبو مدين أثناء حياته بكراماته . وسمع به الخليفة الوندي يعقوب المنصور ، وبما يتمتع به من
واسع الشهرة والنفوذ ، فأمر باستدعائه إلى مراكش ، فأخذ إلى الخليفة ، ولكنه توفي في طريقه على
مقربة من تلمسان وذلك في ربيع الأول سنة ٥٩٩ هـ . ودفن برابطة العباد ضاحيتها . وما زال ضريحه
لى اليوم مزاراً يقصده الألوف من الزوار من سائر أنحاء المغرب .

(٣) الزيادة من نفع الطيب (ج ٣ ص ١١٢) . (٤) الزيادة من نفع الطيب .

ولا استشعر منه شعور^(١). ويقال إن هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتحاية، فمهدوا، طريق الصحراء بحفر الآبار. وتأمين التجار. واتخذوا طبل الرحيل، ورواية التقدّم عند المسير. وكان ولد^(٢) يحيى. الذى كان أحدهم أبو بكر. خمسة رجال. فعقدوا الشّركة بينهم فيما ملكوه، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال. وكان أبو بكر ومحمد. وهما أرومتا نسبي من جميع جهات [الأم والأب]^(٣) يتامسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد^(٤) وعلى. وهما شقيقاهم الصغيران. بأى والاتن^(٥) فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار. فتزوجوا [النساء]^(٦). واستولدوا الإمام. وكان التامسانى يبعث إلى الصّحراوى^(٧) [بما يرسم له من السلع. ويبعث إليه الصّحراوى بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسى كإسان الميزان]^(٨) يعرفهما بقدر الرّجحان والخسّران، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت فى الفخامة أحوالهم، ولما افتتح التّسكروور [كورة]^(٩) أى والاتن وأعمالها، أصيبت أموالهم، فيما أصيب من أموالها، بعد أن جمّع من كان بها منهم إلى نفسه الرّجال، ونصب [دون ماله]^(١٠) القتال. ثم اتصل بملكهم فأكرم مشواه، ومكّنه

(١) وردت فى المخطوطين (شهور) والتصويب من النفع.

(٢) هكذا فى «ج» والنفع. وفى «الزيتونة» (أولاد).

(٣) فى النفع (أبى وأبى).

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (عبد الرحمن) والتصويب من النفع.

(٥) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة». وأبى والاتن موضع بالصحراء.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) فى «ج» (الصحراء). والتصويب من النفع.

(٨) ما ورد بين الحاصرتين كله ساقط فى «ج» و «الزيتونة» وورد فى النفع.

(٩) الزيادة من النفع.

(١٠) هكذا وردت فى «ج». وفى النفع (دونها دف مالم).

من التجارة بجميع بلاده ، وخاطبه بالصديق الأحب ، والخلصة الأقرب . ثم صار يكتب مَنْ بتلمسان ، يَسْتَقْضَى منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندى من [كُتِبَهُ]^(١) وكُتِبَ الملوك بالمغرب ، ما ينبىء عن ذلك . فلما استوثقوا^(٢) من الملوك ، تذلّت^(٣) لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحدّ ، وكادت تفوق الحصر والعَدَّ ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر^(٤) | كانت تجلب لها من المغرب |^(٥) ما لا بال له من السلّع ، فيعَاوِض عنه [بما له بال من الثمن]^(٦) . [ثم قال أبو مدين]^(٧) « الدنيا ضمّ جنب أبي حمو ، وشمل ثوباه . كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بنجيث السلّع ، ويأتون بالتّبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتى إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يُغير من العوايد ، ويجرّ السفهاء إلى المفاسد »^(٨) .

ولما هلك هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم [ولم يقوموا]^(٩)

(١) الزيادة من النفع .

(٢) وردت في «ج» (است تقوى) وفي «الزيتونة» (استانتوى) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (ذلت) .

(٤) إن الإشارة إلى أهل مصر هنا بما يستوقف النظر ، ويحمل على الاعتقاد بأن التجار المصريين ، كانوا في ذلك العصر (القرن الرابع عشر الميلادى) يؤمون هذه الأقطار (ممالك السودان الغربى) بكثرة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفع (كان يجلب إليها من المغرب) .

(٦) وردت هذه العبارة في «ج» (بمال ومال من الثمن) . وفي «الزيتونة» (بمال من التمر) .

والتصويب من النفع .

(٧) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في النفع .

(٨) وردت هذه الفقرة التى بين الشولتين في المخطوطين وفي نفع الطيب ، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ . ولم نفهم حكمة نسبتها هنا إلى الشيخ أبي مدين . وهى على العموم ظاهرة الإضطراب .

(٩) وردت في المخطوطين (ويقولوا) . والتصويب من النفع .

بأمر التسمير قيامهم ، وصادفوا توالى الفتن ، ولم يسلموا من جور السلطان (١) ، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان [فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً ، وأصوله حرمة . ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ، وأسباب كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء ، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء ، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن] (٢)

حاله

هذا الرجل مشارٌ إليه بالعدوة المغربية (٣) اجتهادا ، ودؤوبا ، وحفظاً وعناية ، وإطلاعا (٤) ، وتقللاً ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ، مسلوب التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، ظاهر السداجة ، ذاهب أقصى ، مذاهب التخلق ، محافظ على العمل ، مشابر على الانتطاع ، حريص على العبادة ، مضايق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم يُغافض الوقت فيها ، ويوقعها دُفعةً متبعماً إياها زعقةً التكبير ، برجفة ، ينبو عنها سمح من لم يكن تأنس بها عادة ، بما هو دليل على [حسن] (٥) المعاملة ، وإرسال السجية ، قديم النعمة ، متصل الخيرية ، مكب على النظر والدرس والقراءة ، معلوم الصيانة والعدالة ، منصف في المذاكرة ، حاسر الذراع عند المباحثة ، راحب عن الصدر في وطيس المناقشة ، غير [مختار] (٦) للقرن ، ولا ضان

(١) في النسخ (السلطين) .

(٢) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين لم ترد في المخطوطين ، ونقلناها عن النسخ .

(٣) وردت في المخطوطين (الغربية) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (اضطلاحاً) .

(٥) هذه الزيادة من النسخ .

(٦) هذه الزيادة من النسخ .

بالفايدة . كثير الالتفاف ، متقلّب الحدقة^(١) . جهيرٌ بالحُجّة ، بعيد عن المراء والمباهة ، قائل^(٢) بفضل أولى الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على العربيّة والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتمجر^(٣) . يحفظ الأخبار والتاريخ والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصولين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر مصيباً في ذلك [غرض الإجابة]^(٤) . ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ، ويعتني بالتدوين^(٥) فيها . شَرَق وحجّ ، ولقى جلّة ، واضطّبن^(٦) رحلة مفيدة ، ثمّ آب إلى بلده ، فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم . فلما ولى ملك المغرب السلطان ، محالف الصنع ونشيدة الملك ، [وأثير الله من بين القرابة والإخوة]^(٧) أمير المسلمين أبو عنان فارس ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال ، وأنفذ الحكم^(٨) ، وألان [الكلمة ، وآثر التّسديد ، وحمل الكَلّ ، وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة ، وأحبّته]^(٩) الخاصّة والعامة . حضرتُ بعض مجالسه للحكم ، فرأيت من صبره [على اللد ، وتأتيه للحجج]^(١٠) ورّفقه بالخصوم ، ما قضيتُ منه العجب .

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الحدقة) ، والتصويب من النفع .

(٢) وردت في «ج» (قائد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يتحين) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه الزيادة من النفع .

(٥) وردت في «ج» (بالزميق) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٦) وردت في «ج» (واضطرب) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٧) ما بين الخاصرتين وورد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي النفع (الحق) .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» و «الزيتونة» . وورد في النفع .

(١٠) هذا وورد في «ج» والنفع ، وساقط في «الزيتونة» .

دخوله غرناطة

ثم لما أُخِّرَ عن القضاء، استعمل بعد لأى في الرسالة، فوصل الأندلس، وأوایل جمادى الثانية من عام ست وخمسين وسبعمائة. فلما قَضَى غرض الرسالة، وأبرم عقده وجهته. واحتل مالقة في منصرفه، بدأ له في نبد السكُلفة، واضطراح وظيفة الخدمة، وحل التقيّد، إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد، وشهر غرضه، وبت في الانتقال، طمع من كان صحبته، وأقبل على شأنه، فخلّى بينه وبين همه. وترك وما انتحل^(١) من الانقطاع إلى ربه. وطار الخبر إلى مُرسله، فأنف من تخصيص إيلته بالمجرة، والعدول عنها، بقصد التخلي والعبادة، وأنكر ما نحل^(٢) غاية الإنكار، من إبطال عمل الرسالة، والانقباض قبل الخروج عن العهدة، فوَّغَر صدره على صاحب الأمر: ولم يُبعد حمله على الظنة والمواطأة على النفرة، وتجهزت^(٣) جملة من الخدام المجلبين^(٤) في مآزق الشبهة، المضطلمين بإقامة^(٥) الحججة، مؤلین خِطّة الملام [مُخَيَّرِينَ بَيْنَ سَحَابِ عَادٍ مِنَ الْإِسْلَامِ] ^(٦) مَظَنَّةَ إِغْلَاقِ النِّعْمَةِ ^(٧)، وإيقاع المثلة، والإساءة^(٨) بسبب القطيعة والمنابذة. وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتدّهم بمسجدها، وجار بالانقطاع إلى الله، وتوعد من يجيرُه، بنسكير من يجير ولا يُجار عليه [سبحانه] ^(٩) فأهم أمره، وشغلت القلوب أيدته، وأمسك

- (١) هكذا وردت في النسخ. ووردت في «ج» و«الزيتونة» (انتحل).
- (٢) هكذا وردت في «ج». و«الزيتونة». وفي النسخ (ما حقه).
- (٣) وردت في «ج» (تجهز). والتصوب من النسخ.
- (٤) هكذا وردت في «ج» والنسخ. وفي «الزيتونة» (المجلبين).
- (٥) وردت في «ج» و«الزيتونة» (لاقالة). والتصويب من النسخ.
- (٦) هذه العبارة وردت محرفة في «ج» و«الزيتونة». واتبعنا فيها نص النسخ.
- (٧) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» والنسخ (النفقة) والأولى أرجح.
- (٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» والنسخ (الإشادة) والأولى أرجح.
- (٩) الزيادة من النسخ.

الرسول بخلال ما صدرت شفاعته [اقتضت له رفع التَّيْبَةِ] (١) ، وترَّكه إلى تلك الوجهة .

ولما تحَّصل ما تيسر من ذلك ، انصرف محفوفاً بعالمي (٢) القطر ، قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني المترجمُ به قَبْلَهُ ، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج ، مُستهلين (٣) لوروده ، مُشافهين للشفاعة في غرضه ، فأقشعت العُمة ، وتنفَّست الكُرْبَةُ . [وَجَرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة ، ما تضمَّنه الكتاب المسمى « بكناسة الدُّكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا] (٤) ما صورته (٥) :

« المقامُ الذي يجبُ الشَّفاعة ، ويرعى الوسيلة ، ويُنجز العُدَّة ، ويتم الفضيلة ، ويُضفي مجدهُ المننَ الجزيلة ، ويُعيِّ حمدُه المادح العريضة الطويلة . مقام محلُّ والدنا الذي كرمُ مجدهُ ، ووضح سعدهُ ، وصحَّ في الله تعالى عقدهُ ، وخلَّص في الأعمال الصالحة قصدهُ ، وأعجز الألسنة حمدُه ، السلطان الكذا (٦) ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله سبحانه لوسيلةٍ يرعاها ، وشفاعةٍ يكرمُ مسعاها ، وأخلاق جميلةٍ تحجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . وفي النسخ (اقتضى فيها رفع التَّيْبَةِ) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و النسخ . ووردت في «ج» (بعلمي) .

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي النسخ (مسلمين) والأولى أرجح .

(٤) ما بين الخاصرتين وأرد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) إن الرسالة التالية لم ترد في المخطوطين . وقد أوردتها المقرئ في نصح الطيب مباشرة

ضمن ترجمة جده ، وهي التي نقلها بلا ريب من مخطوط أكل من «الإحاطة» . ومن ثم فقد رأينا من الواجب إكمال الترجمة بإيراد هذه الرسالة ، معتمدين في ذلك على نصها الذي أوردته المقرئ ، وكذلك على نصها الأصلي الوارد بكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) . (راجع نصح الطيب ج ٣ ص

١١٣ و ١١٤ وكناسة الدكان - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٧) .

(٦) المقصود بالسلطان الكذا هنا ، هو السلطان فارس أبو عنان المريني ابن السلطان

أبي الحسن الكبير ، ملك المغرب المتوفى في أواخر سنة ٧٥٩ هـ .

مُعَظَمُ سُلْطَانُهُ السَّكْبِيرُ ، وَمُجَبَّدُ مَقَامِهِ الشَّهِيرُ ، الْمُتَشَيِّعُ لِأَبُوْتِهِ الرَّفِيعَةِ ، قَوْلًا
بِاللِّسَانِ ، وَاعْتِقَادًا بِالضَّمِيرِ ، الْمُعْتَمِدُ مِنْهُ بِعَدَالَتِهِ عَلَى الْمُلْجَأِ الْأَحْمَى ، وَالْوَالِيُّ
النَّصِيرِ . فَلَانٌ ^(١) . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طَيِّبٌ بَرٌّ عَمِيمٌ ، يُخَصُّ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ،
وَأَبُوْتَكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَا بِعَدَمِ حَمْدِ اللَّهِ ، الَّذِي جَعَلَ الْخُلُقَ الْحَمِيدَةَ دَلِيلًا عَلَى عِنَايَتِهِ بِمَنْ حَلَاهُ حُلَاهَا ،
وَمَيَّزَ بِهَا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ ، الَّتِي اخْتَصَمَهَا بِكَرَامَتِهِ وَتَوَلَّاهَا ، حَمْدًا يَكُونُ كُفْوًا لِلنِّعَمِ الَّتِي
الَّتِي أَوْلَاهَا ، وَأَعَادَهَا وَوَالَاهَا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ عَبْدِ
وَرَسُولِهِ ، الْمُرْتَقَى مِنْ دَرَجَاتِ الْاِخْتِصَاصِ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، الْمُمْتَازِ مِنْ أَنْوَارِ
الْهُدَايَةِ بِأَوْضَحِهَا وَأَجْلَاهَا ، مُطَّلِعِ آيَاتِ السَّعَادَةِ يَرُوقُ مِنْحَتَلَاهَا . وَالرِّضَاعِ عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ خَبَّرَ صِدْقَ ضَمَائِرِهِمْ لَمَّا ابْتَلَاهَا ، وَعَسَلُ ذِكْرِهِمْ فِي الْأَفْوَاهِ فَمَا أَعَذَّبَ أَوْصَافِهِمْ
عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَحْلَاهَا . وَالِدَعَاءِ لِمَقَامِ أَبِي تَوَكَّم ، حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى عُجْلَاهَا ، بِالسَّعَادَةِ
الَّتِي يَقُولُ الْفَتْحُ أَنَا طَلَّاعُ الشَّنَائِيَا وَابْنُ جَلَّالَاهَا ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي تَخْتَرِقُ الْمَفَاوِزَ بِرِكَائِبِهَا
الْمُبَشِّرَاتِ فَتَقْلَى فَلَاهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عِزَّةً مَشِيدَةً
الْبِنَاءِ ، وَحَشْدًا عَلَى أَعْلَامِ صِنَائِعِكُمُ السَّكْرَامِ جِيُوشِ الشَّنَاءِ ، وَقَلْدَمَ قَلَائِدِ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، مَا يَشْهَدُ لِدَاتِكُمْ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْاِعْتِنَاءِ . مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ ،
وَالْوُدُّ بِأَهْرِ الشَّنَاءِ ، مُجَدُّ عَلَى الْأَنْاءِ ، وَالنَّشِيْعُ رَحْبُ الدَّسِيْعَةِ وَالْفَنَاءِ .

وَإِلَى هَذَا ، وَصَلَّ اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مُجَدَّكُمْ ، فَإِنَّا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ
السَّكْرِيمَ ، فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرِيِّ ، خَارِ اللَّهُ تَعَالَى
لَنَا وَلَهُ . وَبَلَّغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ مِنْ مَثَابِكُمْ فِيهِ ، مِنْ
الْإِشَارَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ ، وَالْمَارَبِ الْمُعْمَلَةِ ، وَالْقَضَايَا غَيْرِ الْمَهْمَلَةِ ، نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي

(١) هو السلطان محمد الثاني بالله ملك غرناطة (الأندلس) الذي حكم منذ سنة ١٤٩٢ هـ ،

وتوفى سنة ١٤٩٣ هـ ، والذي يخصه ابن الخطيب في بداية هذا المجلد بترجمة مستفيضة .

مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّآهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَجْلِي وَلَا تُصَدُّ ، حَسْبَاسِنَّهُ
 الْأَبُّ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ . وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضِعَ مِنْهُ فِي الْمَسْكَومِ . الرَّسْمُ وَالْحَدُّ .
 وَلَمْ نَصْدِرْ الْخَطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صَدَقُ الْمُخَيَّلَةِ . وَتَبَلَّجَ صَيِّحَ الزَّهَادَةِ
 وَالْفَضِيلَةِ ، وَجُودِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى الْبَخِيلَةِ . وَظَهَرَ تَخَلُّيهِ عَنِ
 هَذِهِ الدَّارِ . وَاخْتِلَاطِهِ بِاللَّفِيفِ وَالغُفَارِ ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى مَا يُعْنَى مِثْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْأَوْرَادِ ،
 وَمَدَاوِمَةِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالِقَةَ لِهَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَّرَهُ ،
 وَالْفَضْلَ الَّذِي أُبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ ، أَمَرْنَا أَنْ يُعْتَنَى بِأَحْوَالِهِ . وَيُعْمَانَ عَلَى فِرَاقِ
 بَالِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ سَيْبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَعْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا
 أَمَا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٌ مُسْتَنْدَةٌ صَحِيحٌ لِاسْتِدْلَالِهِ ، فَفَرَّ مِنْ مَالِقَةَ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا
 لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعَدَ بِحَضْرَتِنَا مُسْتَوْرًا مُنْتَمِيًّا وَالْمُنْتَسِبِ ، وَسَكَنَ بِالْمَدْرَسَةِ بَعْضَ
 الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَّةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ ، وَالْمُحْتَرِفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِمَيْثِ
 لَمْ يُتَعَرَّفْ وَرُودِهِ وَوَصُولِهِ إِلَّا مِنْ لَا يُؤْبَهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ زَوَائِدُهُ وَأَصُولُهُ
 لِقَلَّةِ تَصْرِيفِهِ . ثُمَّ تَلَا حَقَّ إِسْرَائِلِكُمْ الْجِلَّةِ ، فَوَجِبَتْ حَيْثُئِذِ الشَّفَاعَةُ ، وَعُرِضَتْ
 عَلَى سَوْقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْإِسْتِيْطَافِ وَالْإِسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ ، وَقَرَرْنَا
 مَا تَحَقَّقْنَا مِنْ أَمْرِهِ ، وَاتَّقَبَّضَهُ عَنْ زَيْدِ الْخَلْقِ وَعُومَرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْوُجْهَةَ الَّتِي مِنْ
 وَلِيِّ وَجْهِهِ شَطْرَهَا فَقَدْ آثَرَ أَثِيرًا ، وَمِنْ ابْتِعَافِهَا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَالَ فَضْلًا كَبِيرًا ،
 وَخَيْرًا كَثِيرًا ، وَسَأَلْنَا مِنْكُمْ أَنْ تَبِيحُوهُ ذَلِكَ الْغَرَضَ الَّذِي رَمَاهُ بِعِزِّهِ ، وَقَصَّرَ
 عَلَيْهِ أَقْصَى هِمَّةٍ . فَمَا أُخْلِقَ مَقَامَكُمْ أَنْ يَفُوزَ مِنْهُ طَالِبُ الدُّنْيَا بِسَهْمِهِ ، وَيَحْصُلَ مِنْهُ
 طَالِبُ الْآخِرَةِ عَلَى حِظِّهِ الْبَاقِي وَقِسْمِهِ ، وَيَتَوَسَّلَ الزَّاهِدُ بِزَهْدِهِ وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ ، وَيَعْوَلُ
 الْبَرِيءُ عَلَى فَضْلِهِ . وَيَتَّقِ الْمَذْنِبُ بِجِلْمِهِ . فَوَصَلَ الْجِرَابُ الْكَرِيمَ بِمَجْرَدِ الْأَمَانِ ،
 وَهُوَ أَرَبٌ مِنْ آرَابٍ ، وَفَائِدَةٌ مِنْ جِرَابٍ ، وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ إِعْرَابٍ ، فَرَأَيْنَا
 أَنَّ الْمَطْلَ بَعْدَ جَفَاءٍ ، وَالْإِعَادَةَ لَيْسَ يَثْقُلُهَا خِفَاءٌ ، وَلِجِدِّكُمْ بِمَا ضَمَّنَّا عَنْهُ وَفَاءٌ ،

وبادونا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله . وأن يقتضى له نعمة المقصد ، ويبلغ طيبة الإسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لثله ممن تعلق بجناب الله : من مثلكم حاصلًا ، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبنا كيمياء السعادة بإعانتكم واصلا . ولما مدت اليد في تسوية حالة هديكم عليها أبدأ بجرّض ، وعلمكم يصرّح بمزيتها ولا يعرّض ، فكلموا أبقاكم الله ما لم نسمعنا فيه مشاحة الكتاب ، وألقوا بالأصل حديث هذه الإباحة ، فهو أصحّ حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، وخلّوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشهير ليوم العرّض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذى تعلق به ، أعلق الله به يدكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكتملة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحد المناب ، ويقضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعداء لكان في هذا الغرض أعمال الرّكاب بسبق إعلام الكتاب ، وأتمّ تؤون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الشاء الجميل ، ويربى على التأميل ، ويكتب على الودّ الصريح العقد وثيقة التسجيل . وهو سبحانه يبيّكم لتأييد المجد الأثيل ، وإنالة الرّفد الجزيل . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته . فى الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعائة [والله ينفع بقصده ، وييسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله] (١)

مشيخته

قال : فممن أخذتُ عنه ، واستفدت منه علمها (٢) [يعنى تلمسان] (٣)

(١) هذه الخاتمة واردة فى المخطوطين دون الرسالة .

(٢) وردت فى «ج» (علمها) . وفى «الزيتونة» (علمها) . والتصويب من نفع الطيب .

(٣) الزيادة من نفع الطيب . وهى لازمة لاستقامة السياق .

الشافحان ، وعلمها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ،
 إبننا محمد بن عبد الله بن الإمام ، وحافظها ومدرّسها ومفتيها أبو موسى عمران بن
 موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين ، أبي علي ناصر الدين علي إبنته ،
 ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها] ^(١) يضيء ولو لم تمسسه نارٌ ، الأستاذ أبو إسحاق
 إبراهيم بن حكيم الكِنَاني السَّوى رحمه الله . ومنهم القاضي أبو عبد الله
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن ^(٢)
 البرُّوني ، وأبو عمران موسى بومِن المصَّودي الشهير بالبُخاري . قال سمعت
 البرُّوني يقول : كان الشيخ أبو عمران يُدرِّس البُخاري ، ورفيق له يدرِّس صحيحَ
 مُسلم ، وكانا يُعرفان بالبُخاري ومُسلم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهودُ عليه
 بالإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران أتمكِّنه من الإعذار في الصَّحيحين ، البُخاري
 ومُسلم ، فضحك القاضي ، وأصلح بين الخصمين . ثم قال ، ومن شيوخ الصلحاء
 الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي
 الخياط ، أدرك أبا إسحاق الطيَّار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني ، وكان
 بصيراً بنفسير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه ، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف
 ابن عبد الحق [مع من] ^(٣) كان فيه ، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى
 أبا جمعة على التَّلَاسي الجرايمي منهم ، كأنه قائم على ساقية دايرة ، وجميع أقداحها
 وأقواسها تصب [في] ^(٤) بغير في وسطها ، فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا
 فيه فرثٌ ودَمٌ ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل
 إلى خاصّة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، [وهو النهار] ^(٥) ، فأخبره ، فقال

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (زيتها يكاد) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (الحسين) .

(٣) وردت في المخطوطين (بن) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (من) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

إن صدقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف ، قال الساقية الزمان ، والتمير السلطان ، وأنت جرايحي ، تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم ، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل] ^(١) ، فأخرج ، فوجد السلطان مطعونا بخنجر ، فأدخل يده في جوفه ، فناله الفرث والدم ، فخاط جراحته وخرج ، فرأى خاصة ماء ، فغسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفي ، وسرحوا من كان في سجنه . ومن أشياخه الإمام لسيحج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن أحمد الآبلي التلمساني ، وهو رُحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قدم على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، عرف بن المسفر . رسولا من صاحب بجاية . وزاره الطلبة ، فكان مما ^(٢) حدثهم أنهم [كانوا] ^(٣) على زمان ناصر الدين ، يستشكلون كلاماً وقع [في] ^(٤) تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكله الشيخ معهم . وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية ، ان المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي لما رجعوا إليه ، فتأمله ثم قال ، هذا كلام مُصَحَّف ، وأصله أن المركب قبل البسيط في الجنس ، والبسيط قبل المركب في العقل ، وان الجنس أقوى من العقل ، فأخبروا ابن المسفر ، فاجب : فقال لهم الشيخ ، التمسوا النسخ ، فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ .

(١) أضفنا هذه العبارة لاستقامة المعنى والسياق .

(٢) وردت في «ج» (ممن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

رحلته

رحل إلى بجاية مُشْرِقًا ، فلقى بها جلَّةً ، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المُسَفَّر . ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزَّوَاوِي ، فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو علي حسن بن حسن إمام المَعْقُولَات بعد ناصر الدين . وبتونس قاضي الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام ، وحضر دروسه ، وقاضي المناكح أبو محمد اللخمي ، وهو حافظُ فقهاها في وقته ، والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول . ثم حجَّ فلقى بمكة إمام الوقت ^(١) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزَّرِي المعروف بخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضي الدين الشافعي ، وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد . ثم دخل الشام ، فلقى بدمشق ، شمس الدين بن قسيم الجوزية صاحب ابن تيميَّة ، وصدر الدين الغُمَارِي ^(٢) المالكي ، وأبا القاسم بن محمد الياني الشافعي وغيرهم . وبيت القدس أبا عبد الله بن مُثَبَّت ^(٣) ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان ، وغيرهم .

تصانيفه

ألَّف كتابًا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمَّها كل أصيل من الرأى والمباحثة . ودوَّن في التَّصَوُّف ، إقامة المُريد ، ورحلة المُتَبَتِّل ، وكتاب الخفايق والرقائق ، وغير ذلك .

شعره

نقلتُ من ذلك قوله . هذه لحمة العارض لتسكلة [الأبنية] ^(٤) ابن الفارض ،

(١) وردت هذه الكلمة في «ج» (الموقف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطين (الغازي) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت هكذا في «ج» والنسخ . ووردت محرفة في «الزيتونة» (منبت) .

(٤) الزيادة من النسخ .

سَكَبَ الدهر من فرايدها^(١) مائة وسبعة وسبعين ، فاستعنت على رُدِّها بحول الله المعين .

من فصل الإقبال

رفضتُ السَّوى^(٢) وهو الطهارة عندما
 تَلَفَّتْ في مرط الهوى وهو زينتي^(٣)
 وجئتُ الحَمَى وهو المصلى مُيمِماً
 بوجهة قلبي وجهها وهو قبلي
 وقتُ وما استفتحت إلا بذكرها
 وأحرمتُ إحراماً لغير تجلَّة
 قديني إن لاحت ركوعُ وإن دنت
 على أننا في القرب والتبعد واحدُ
 وكم من هجير خضت ظمان طاوياً
 وفيها لقيتُ للموت أحمرَ العدا
 ويدي وبين العذل فيها منازلُ
 ولما اقتسمنا خطتينا فحامل
 خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته
 وكم لي على حُكم الهوى من تجلِّدٍ
 يقول تميرى والأسا سالم الأسى
 لو أن مجوساً بت موقد نارها
 ولو كنتُ بحرًا لم يكن فيه نضحة

تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي^(٣)
 بوجهة قلبي وجهها وهو قبلي
 وأحرمتُ إحراماً لغير تجلَّة
 سجودُ وإن لاهت قيامُ بحسرة
 تألَّنا بالوصل عين التشتت
 إليها وديجور طويت برحلة
 مرزقة أسنان الرماح وحدة
 تنسيك أيام الفجار ومونة
 فجار بلا أجر وحامل برة
 فعاد ختام الأمر أصل القضية
 دليل على أن الهوى من سيجتي
 ولا توضع الأوزار إلا للحنة
 لما ظل إلا منهلاً ذا شريعة
 لعين إذا نار الغرام استحرت

(١) هكذا في النسخ . وفي «ج» (فوايدها) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (الهوى) .

(٣) ورد في المخطوطين هذا البيت فقط من القصيدة ، وهي في خمسة وثلاثين بيتاً . وقد أوردتها المقرئ كاملة في نفع الطيب ، وذكر خلال حديثه عن جده ، أنه نقلها عن «الإحاطة» . وكذا نقل بعدها من «الإحاطة» أربع قصائد طويلة أخرى من نظم جده . وقد رأينا نحن تكملة للنص الأصلي ، أن ننقل هذه القصائد كلها (نفع الطيب ج ٣ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

ولا هَدَمُ إِلَّا كُ شَيْدُ بِقِوَة
 عِلَامِ مَزَاجُ رَكِبَتْ أَوْ طَبِيعَة
 وَإِلَّا فَأَنْتِ الدَّهْرُ صَاحِبُ قِعْدَة
 أُمُّ النَّارِ أُمُّ دَسَّاسِ عِرْقِ الأُمومة
 وَحَالِي أَقْوَى القَائِمِينَ بِحُجَّة
 وَمَا شَاكَهُ مِعْشَارُ بَعْضِ شِكَايَتِي
 وَلَمْ أُنْسَهَا إِلَّا احْتَرَقَتْ بِلَوْعَة
 جَوَائِي وَأَخْفَى الوَجْدُ صَبْرَ المودَة
 أَحَبُّ أَفْلَى ذِكْرَهَا وَفَضِيحَتِي
 بِالْأَمْسِ وَسَلُّ حَرِّ الجُفُونِ الغَزِيرَة
 كَمَا شَاءَتْ الحِسنَاءُ يَوْمَ المَهِزِمَة
 وَأَعْدُو وَمَا يَعْدُو التَّفَجُّعُ خِطَّتِي
 مَسَاءَتُهَا فِي طَيِّ طَيْبِ المِسْرَة
 وَحَسْبُكَ أَنْ لَمْ يُخْبِرِ الحَبُّ رَوْيَتِي
 أَوْ أَمَّ بِلَا رِيٍّ دَمٌ لَا بِقِيمَة
 وَإِنْ تَرَضَ مِنْهَا الصَّبْرُ فَهُوَ بِعَيْتِي
 رِكَابُ مَلَاحِي فَهُوَ أَوَّلُ مَحْنَتِي
 وَخَلَّوْا سَبِيلِي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَلَوْ عَنِي
 وَلَكِنْ رَأَتْ ذَاكَ الجَمَالَ فَجُنَّتِ
 وَرُشْدِي غَاوٍ وَالعِمَائَاتِ عَمَّتِ
 وَرَاجَعْتُ أَبْصَارِي لَهُ وَبَصِيرَتِي

فَلَا رَدْمٌ مِنْ تَقْيِيبِ المَعَاوِلِ آمَنُ
 فَمَنْ تَقُولُ الأَسْفِطَسَاتِ مِنْكَ أَوْ
 فَإِنْ قَامَ لَمْ يَنْبُتْ لَهُ مِنْكَ قَاعِدُ
 فَمَا أَنْتِ يَا هَذَا الهَوَى مَاءٌ أَوْ هَوَا
 وَإِنِّي عَلَى صَبْرِي كَمَا أَنْتِ وَاصْفُ
 أَقْلَ الضَّنَى إِنْ عَجَّ مِنْ جَسَمِي الضَّنَى
 وَأَيْسَرُ شَوْقِي أَنْفِي مَا ذَكَرْتَهَا
 وَأَخْفَى الجَوَى قَرَعُ الصَّوَاعِقِ مِنْكَ فِي
 وَأَسْهَلُ مَا أَلْقَى مِنَ العَدْلِ أَنْفِي
 وَأَوْجُ حَظوظِي اليَوْمِ مِنْهَا حَاضِيضُهَا
 وَأَوْجَزُ أَمْرِي إِنْ دَهَرِي كَلَّه
 أَرْوَحُ وَمَا يَلْقَى التَّأْسَفُ رَاحَتِي
 وَكَالْبَيْضِ بَيْضُ الدَّهْرِ وَالشَّمْرِ سَوْدَهُ
 وَشَأْنُ الهَوَى مَا قَدِ عَرَفْتُ وَلَا تَسَلْ
 سَقَامٌ بِلَا بُرْمٍ ضَلَالٌ بِلَا هَدْيِي
 وَلَا عَتَبٌ فَالْأَيَّامُ لَيْسَ لَهَا رِضًا
 أَلَا أَيُّهَا اللُّؤَامُ عَنِي قَوِّضُوا
 وَلَا تَعْدِلُونِي فِي البِكَاءِ وَلَا البُيْكَى
 فَمَا سَكَسَلْتِ بِالدَّمْعِ عَيْنِي إِنْ جَنَّتِ
 تَجَلَّى وَأَرْجَاهُ الرَّجَاءِ حَوَالِكُ
 فَلَمْ يَسْتَبِنْ حَتَّى كَأَنِّي كَاسِفُ

ومن فصل الاتصال

وكم موقف لي في الهوى خُضت دونه
 فجاوزت في حدى مجاهدتى له
 وحلّ جمالى في الجلال فلا أرى
 وغبت عن الأغيار في تيه حالى
 وكأنت ناسوتى بأماره الهوى
 وعلم يقينى صار عيناً حقيقة
 وبدلت بالتأوين تمكين عزّة
 وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى
 وكم جُلت في سَم الخياط وضاق بي
 وما اخترت إلا دن بقراط زاهداً
 وفقرى مع الصبر اصطفت على الغنى
 وأكتم حبي ما كنى عنه أهله
 وإنى في جنسى ومنه لواحد
 تسببت في دعوى التوكل ذاهباً
 وآخر حَرَفٍ صار منى أولاً
 تعرّفت يوم الوقف منزل قومها
 فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى
 فبايعتها بالنفس داراً سكنتها
 فخلص الاستحقاق نفسى من الهوى
 فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا

عُبَاب الرّدى بين الغلبا والأسنة
 مُشَاهِدتى لما سمّيت بي همى
 سوى صورة التّنزيه فى كل صورة
 فلم أنتبه حتى امتحى اسمى وكنيتى
 وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
 ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
 ومن كل أحوالى مقامات رفعة
 مع الحو والإثبات عند تثبتي
 لبسطى وقبضى بسطوجه البسيطة
 وفى ملكوت النفس أكبر عبدة
 مع الشكر إذ لم يحظ فيه مشورتى
 وأكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
 كنوع ففصل النوع علة حصتى
 إلى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
 مريداً وحرف فى مقام العبودة
 فبت بجمع سدّ خرق التثنت
 وأقضى على قلبى برعى الرعية
 وبالقلب منه منزلاً فيه حلّت
 وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
 ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

ومن فصل الإدلال

تبدب لعيني من جمالك لمحة
ومرت بسمي من حديثك ملحمة
ملامي ابن عذري استبين وجددي استعن
فمن شاهدي سخط ومن قاتلي رضا
مراعي إشارات مراعي تعكر
وفي موقفي والدار أقوت رسوما
معاني إمارات معاني تذكر
وبث غرام والحبيب بحضرة
ومطلع بدر في قضيب على تقا
ومكن سحر بابلي له بما
ومنت مسك من شقيق ابن منذر
ورصف اللآلي في اليواقيت كلما
سل السلسيل العنب عن طعم ريقه
ورمان كافور عليه طوابع
ولطف هواء بين خفق وبانة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه
وأنت وإن لم تبق مني صباية
وكل فصيح منك يسرى لمسمى
تهون على النفس فيك وإنها
فإن تنظريني بالرضا تشف علقى

أبادت فؤادي من سناها بلمعة
تبدت لها فيك القرآن وقرت
سماعي أعين حالي ابن قاتلي أصمت
وتلوين أحوالي وتمكين رقتي
مراقى نهايات مراسي تثبت
تقرب أشواقى تبعد حسرتي
مباني بدايات مئاني تلمت
ورد سلام والرقيب بغفلة
فويق محل عاطل دون دجية
حوت أضلعي فعل القنا السهمرية
على سوسن غض بجنة وجنة
تعل بصرف الراح في كل سخرة
ونسكته يخبرك عن علم خبيرة
من الندم لم تحمل به بنت مزنة
ورقة ماء في قوارير فضة
سراقة لحظ منك للمتلفت
منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل مليح منك يبدو لمقلتي
لتكرم أن تعشى سواك بنظرة
وإن تظفري باللقا تطف علقى

وإن تذكريني والحياة بقيدها
 وإن تذكريني بعد ما أسكن الثرى
 صليبي وإلا جددى الوعد تدركي
 فما أم بؤها لك بتسوفة
 فلما رآته لا ينسازع خلفها
 بككت كلما راحت عليه وأنها
 بأكثر منى لوعة غير أنى
 فرحت كما أهدو إذا ما ذكرتها
 أهون ما ألقاه إلا من القلى
 أخوض الصلى أطفئ الملا والعلو لا
 ألا قاتل الله الحماة غدوة
 وقاتل مغناها وموقف شجوها
 فغنت غناء أعجمياً فهيجت
 فأرسلت الأجنان سحبا وأوقدت
 نظرت بصحراء البريقين نظرة
 فيالها قابلاً شحياً ونظرة
 وواعجباً للقلب كيف اعترافه
 وللعين لما سؤئلت كيف أخبرت
 وكنا سلكنا فى صعود من الهوى
 إلى مستوى ما فوقه مستوى
 وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
 مؤكدة بالنذر أيام عهد

عدلت لأمنى منيتى بمنيتى
 تجلت دجاء عند ذلك وولت
 صباية نفس أيقنت بتغلث
 أقيم لها خلف الحلاب قدرت
 إذا هي لم ترسل عليه وضنت
 إذا ذكرته آخر الليل حنت
 رأيت وقار الصبر أحسن حلية
 أظان أحشائى على ما أجت
 هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
 أصل السلا أرمي الخلى بين عبرتى
 لقد أضلت الأحشاء نيران لوعة
 على الغصن ماذا هيجت حين غنت
 غرامى من ذكرى عهد تولت
 جواى الذى كانت ضلوعى أكنت
 وصلت بها قلبى فصل وصلت
 حجازية لوجن طرف لجنت
 وكيف بدت أسراره خلف سيرة
 وللنفس لما وطنت كيف دلت
 يسامى بأعلام الملا كل رتبة
 فلما توافيننا ثبت وزلت
 على نحر قربان لدى قبر شيبه
 فلما توائفنا اشتددت وحلت

ومن فصل الاحتمال

أزور أعماراً أرضها بتدشك
 وفي نشأتى الأخرى ظهرت بما علمت
 ولولا خفاء الرمز لاولن ولم
 ولولم يعبد عهدنا عقده خلة
 بعثت إلى قلبى بشيراً بما رأت
 فلم يعد أن شام البشارة شام ما
 فيالك من نور لو أن التفتاة
 تحدث أنفاس الصبا أن طيها
 وتذى أصال الربيع عن الربا
 وتخبر أصوات البلابل أنها
 فهذا جمالى منك فى بعد حشرتى
 تبدى وما زال الحجاب ولادنا
 له كل غير فى تجلية مظهر
 تجلى دليلى واحتجاب تنزى
 فاشئت من شىء وآليت أنه
 وفى كل خلق منه كل عجيبة
 وفى كل خاف منه مكن حكمة
 أراه يقلب القلب واللغز كامناً
 وفى طى أوقات الحساب وسرماً
 وفى نفشات السحر فى العقد التى

وأقصد حجا بيتها بتحالة
 له نشأتى الأولى على كل فطرة
 تجدها لشملى مسلكا بتشتت
 قضيت ولم يقض المنى صدق توبه
 على قدم عيناى منه فكفت
 جفالشام من نور الصفات الكريمة
 تعارض منه بالنفوس النفيسة
 بما حملته من حراقة حرقه
 وأشجاره إن قد تجلت فجلت
 تغنت بترجيمى على كل أئكة
 فكيف به إن قربتنى بخلة
 وغاب ولم يفقهه شاهد حضرتى
 ولا غير إلا ما تحت كف غير
 وإثبات عرفان ومحو تثبت
 هو الشىء لم تحمد فجار ألبتى
 وفى كل خلق منه كل لطيفة
 وفى كل باد منه مظهر جلوة
 وفى الزجر والقال الصحيح الأدلة
 يتر من الأعداد فابدأ بسنة
 تطوع لها كل الطابع الأبية

يصور شكلاً مثل شكل ويعتلى
 وفي كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفي التثؤيم تجلى لرؤية
 وفي خضرة الكهون تزجي شرابه
 وفي شجر قد خوفت قطع أصلها
 وفي النخل في تلقينه واعتبر بما
 وفي الطابع السبتي في الأحرف التي
 وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
 وفي حرز أقسام المؤدب محرز
 وفي سيمياء الحاتمي ومنه ب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدعة
 وفي المثل الأولى وفي النحل الألى
 وفي كل مافي الكون من عجب وما
 فلا سر إلا وهو فيه سريرة
 سل الله كره عن إصناف أصناف ما بقى عليه الكلام من حروف سليمة
 وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما
 فلا بد من رمز الكون الذي الحجا
 ولولا سلام ساق للأمن خيفتي
 ولو لم تداركني ولكن بعدلها
 ولو لم تؤانسني عنا قبل لم ولم
 ونعم أقامت أمر ملكي بشكرها
 عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 مواعيد عرقوب على أثر صفرة
 فبان بها حمل لأقرب مدة
 أتى فيه عن خير البرية واسكت
 يبين منها النظم كل خفية
 وحزب أصيل الشاذلي وبكرة
 بها أو هموا لما تساموا بسنة
 حوى الكون إلا ناطقاً بمجيبة
 ولا جهر إلا وهو فيه كحلية
 أعاجل مس البرد خوفي لميئتي
 درجت رجائي أن نعمتني خيبي
 قضى العتب مني بغية بعد وحشتي
 كما هونت بالصبر كل بليّة

ومن فصل الاعتقال

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي وسارت ولم تثن العنان بعطفة

وذلك لما أطلع الشمس في الدجى
 يمانية لو أنجبت حين أنجبت
 لأصحمة في نضحها قد سم نبي
 أملت فحطت رحلها ثم لم يكن
 فلو سمحت لي بالتفات وحل من
 ولكنها همت بنا فتذكرت
 أجلت خيالا إنني لا أجله
 على أنني كلّي وبعضى حقيقة
 وجنسى وفصلى والعوارض كلها
 وجسمى ونفسى والحشا وغرامه
 وفي كل لفظ عنه مئيل لمسمى
 ودهرى به عيد ليوم عزوبة
 ووقتي شهود في فناء شهده
 أراه معي حسا ووهما وأنه
 وأسمعه من غير نطق كأنه
 ملأت بأنوار المحببة باطنى
 وجلت بالإجلال أرجاء ظاهرى
 فأنت الذى أخفيه عند تسرى
 فته أحتمل واقطع أصل وأعل استفل
 قلبي إن عاتبته فيك لم أجد
 ونفسى تنبؤ عن سواك نفاسة
 تعلقت الآمال منك بفوق ما

محيا إبنة الحيين فى خير ليلة
 لما أبصرت عيناك حيا كيت
 لكل نجاشى بها حصن ذمة
 سوى وقفة التوديع حتى استقلت
 مهاوى الهوى والهون جده تغلتي
 قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
 ولم أنتسب منه لغير تبعالة
 وباطل أوصافى وحق حقيقتى
 ونوعى وشخصى والهواء وصورتى
 وعقلى وروحانيتى القدسية
 وفى كل معنى منه معنى للوعى
 وأمرى أمرى والورى تحت قبضتى
 ولا وقت لى إلا مشاهد غيبة
 مناط الثريا من مدارك رؤيتى
 يلقن سسمى ما توشوس مهجتى
 كأنك نور فى سرار سريرتى
 كأنك فى أفقى كواكب زينة
 وأنت الذى أبدية فى حين شهرتى
 ومر أمثل وأملل أميل وارم أثبت
 لعنبي فيه الدهر موقع نسكنة
 فلا تلتنى إلا إليك بمنة
 أرى ذونه ما لا ينال بحيلة

سحائبُ يَسِي أمطرت ماءً عَبرتي
 بعفو بكيتُ الدهر قوتُ فضيلة
 بكيتُ على ما كان من سَبْقِيَّةِ
 أرى كلَّ حيٍّ كلَّ حيٍّ وميتٍ
 أجد عنده عالماً يُبرِّدُ غُلَّتِي
 فقلُّ كيف أرجو عنده بُرءَ عِلَّتِي
 وفي ابن طفيلٍ لاحتِثَاكُ مَطِيَّتِي
 من الله سعى بينهم طولُ مُدَّتِي
 وأيقظني من أنومٍ جهليٍّ وغَفَلَتِي
 بتركِ قُلِّي من رغبةٍ ربحَ رهبةٍ
 وأنقذته من أسرِ حُبِّ الأُسرةِ
 وألقيتُ بامامِ التَّفاني بهوةِ
 وفعلِي محمودٍ بكلِّ مَحَلَّةِ
 وأجلستني بعد الرِّضا فيه جُلَّتِي
 وصرتُ حبيباً في ديارِ أُحِبَّتِي
 مُبَلِّغُ نَفْسِي منهم ما تَمَلَّتِ (١)

وحامت حواليتها وما وافقت رِحِّي
 فلو فاتني منك الرِّضى ولحقتني
 ولو كنتُ في أهلِ اليمينِ مُنعماً
 وكم من مقامٍ قتُ عنك مسائلاً
 أتيتُ بفارابِ أبا نصرها فلم
 ولم يدر ما قولي ابنُ سيناءِ سائلاً
 فهل في ابنِ رُشدٍ بعد هذينِ مُرْتَجِي
 لقد ضاع لولا أن تدار كني رِحِّي
 فقَيِّضْ لي نَهْجاً إلى الحقِّ سالِكاً
 فحَصَّنْتَ أنظارَ الجندِ جُنَيْدِها
 وكسَّرت عن رَجُلِ ابنِ آدمِ أذْهَمَا
 وُعِدْتَ على حلاجِ سُكْرِي بصلْبِهِ
 فقَوِّلي مشكورٌ ورأيي ناجح
 رضيتُ بعرفاني فَعَلَيْتِ للعلا
 فعشتُ ولا ضيراً أخاف ولا قَلِي
 فيها أنا إذا أُمسي وأصبح بينهم

وَأُنشِدُنِي قَوْلَهُ فِي حَالِ قَبْضِ وَقَيْدِهَا عَنْهُ :

إليكَ بسِيَّاتِ السُّكْفِ اسْتَنْزَلَ الفَضْلَا
 ومنها أنا إذا قد قَدِمْتَ يُقَدِّمُنِي الرَّجَا
 ومنك قبضتُ الطَّرْفُ اسْتَشْعَرُ الذَّلَا
 ويُحْجِمُنِي (٢) الخوفُ الذي خامر العَقْلَا

(١) وإلى هنا انتهى ما نقلته عن نفع الطيب من شعر جده المقرئ الذي ورد في «الإحاطة» وأغفله المخطوطان .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» وفي «تريون» (حجبي) وفي نفع الطيب (ويحجم بي).

أقدم رجلا إن يغى^(١) برق مطمع^(٢) وتظلم أرجائي فلا أنقل الرجل
ولى عثرات لست آمل أن هوت بنفسى ألا أستقل وأن أصلى^(٣)
[فإن تذركنى رحمة أتمش بها وإن تسكن الأخرى فأولى بي الأولى]^(٤)

قال ، ومما نظمته من الشعر :

وجد^(٥) تسعره الضلو ع وما تبرده المدامع
هم تحركة الضبسا به والمهابة لا تطاوع^(٦)
أملى إذا وصل الرجا أسبابه فالموت^(٧) قاطع
بالله يا هذا الهوى ما أنت بالعشاق صانع

قال ومما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشيء :

نحن إن تسأل بناس معشر أهل ماء فجرته الهمم
عرب من ييضهم أرواقهم ومن السمر البطوال الخيم
عرضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض وهى الكرم
أورثونا المجد حتى أننا نرتضى الموت ولا نزدحم
ما لنا فى الناس من ذنب سوى أننا نلوى إذا ما اقتحموا^(٨)

قال ، ومما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى :

- (١) وردت فى المخطوطين (يقضى) والتصويب من النفع .
- (٢) وردت فى المخطوطين (مظهر) والتصويب من النفع .
- (٣) وردت فى المخطوطين (أصلا) والتصويب من النفع .
- (٤) هذا البيت وارد فى النفع وساقط فى المخطوطين .
- (٥) وردت فى «ج» (وحوث) . وفى «الزيتونة» (وحررة) . والتصويب من النفع .
- (٦) وردت فى «ج» (تظلم) وفى «الزيتونة» (نظامع) . والتصويب من النفع .
- (٧) وردت فى «ج» (خوف) . والتصويب من النفع .
- (٨) هذه الأبيات وردت فى النفع نقلا عن «الإحاطة» . وهى ساقطة فى المخطوطين .

أما والمسجدُ الأقصى وما يتلى به نصًّا
لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحي رقصا

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستمدى على الجئان فاستعوى
فهمت أجول بينهما فلا أدنى ولا أقصى (١)

قال ، ومما قلته في التورية بشأن راوى المدونة :

لا تعجبني لظي (٢) قد دها أسداً فقد دها أسداً من قبل سُحنون

قال ، ومما قلته من الشعر :

أُنبِتُ عوداً بنهأ بدأتُ بها فضلاً والبسها بعد اللحي الورقا
فظلُّ مُستشعراً مُستدثراً أوجاً وبيان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تُشَنِّه بِمَكْرُوهِ الجِنِّي فليكم عودته من جميل من لدن خلقتا
وأنف القذى عنه وأثر الدهر منبته وغدته برجاء واسمه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ماجاء منها على ضوء وما طرَقاً (٣)

ومما قيدتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بفرناطة ، وقد أجرى ذكر أبي زيد ابن الإمام ، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو ، ذكر فيه أبو زيد المذكور ، أن ابن القاسم مقيد بالنظر بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي ، وادعى أنه مُطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه

(١) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي النسخ . وفي «الزيتونة» (اصبى) .

(٣) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلاً عن الإحاطة . وهي ساقطة في المخطوطين .

لما ليس من قوله ، وآتى من ذلك بنظائر كثيرة . قال فلو تقيّد بمذهبه ، لم يخالفه لغيره . فاستظهر أبو زيد بنص^١ لشرف الدين بن التلساني . ومثّل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم ، بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي . فقال أبو موسى عمران ، هذا مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح به أبو زيد [ابن الإمام]^(١) وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر تكلم [فقال]^(٢) لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم [أنه]^(٣) لا يلزم من فساد المثال فساد المثل به ، فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي مُحقق ، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السنن ، ما أنصفهما الرجل ، فإن المثل كما يؤخذ على جهة التحقيق ، كذلك يؤخذ على جهة التقريب ، ومن ثمّ جاء ما قال هذا الشيخ ، أعنى ابن أبي عمران . وكيف لا وهذا سيئويه يقول ، وهذا مثال ولا يُتَكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً ، فلا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل [لفساده]^(٤) فهذان القولان من أصل واحد .

وقال ، شهدتُ مجلساً آخر عند هذا السلطان ، قرئ فيه على أبي زيد [ابن الإمام]^(٥) حديث : لقننوا موتاكم لا إله إلا الله ، من صحيح مسلم . فقال له الأستاذ أبو إسحاق [بن حكم السلوي]^(٦) هذا الملقن مُحْتَضِر حَقِيقَة ، ميّت مجازاً فما وجه [ترك]^(٧) مُحْتَضِرِكم إلى موتاكم ، والأصل الحقيقة ، فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه . وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض التنقيح ، فقلت

(١) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هذا واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) هذا واردة في «ج». وساقطة في الزيتونة .

(٧) الزيادة من النسخ .

زعم القرافي أن المُشْتَقَّ [إنما] (١) يكون حقيقة في الحال . مجازاً في الاستقبال .
مختلفاً فيه في الماضي . إذا كان محكوماً به . وأما إذا كان متعلقاً بالحكم
كما هنا ، فهو حقيقةٌ مُطْلَقاً إجماعاً . وعلى هذا التقرير ، لا مجاز ولا سؤال .
ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر ، لأننا نقول إنه نقل الإجماع ،
وهو أحد الأربعة ، التي لا يُطالب عنها (٢) بالدليل ، كما ذكر أيضاً . بل نقول
إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج
على وجوب الطهارة ونحوها . بل هذا أشنع لسكونه مما علم كونه من الدين
ضرورة . ثم إننا لو سلمنا نفي الإجماع ، فلنا أن نقول إن ذلك [إشارة إلى] (٣)
ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك ، إن لم يدهش ، فقد
يُوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لَقِّنُوا [من] (٤) تحكّون بأنه ميت .
أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام (٥) . ألا ترى اختلافهم فيه ،
هل هو أخذ من حضور الملايكة [أو حضور الأجل ، أو حضور الجُلاس] (٦) .
ولاشك أن هذه حالة خفيفة (٧) يُحتاج [في نصها إلى دليل الحكمة] (٨) أو (٩)
إلى وصفٍ ظاهر يضبطها ، وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو

(١) وردت في المخطوطين (لا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (مدعيها) .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (الأنهام) .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٧) وردت في «ج» (خفيفة) . وفي «الزيتونة» (حقيقة) والتصويب من النسخ .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت مقابلها في النسخ ما يأتي (في نصها

دليلاً على الحكيم) .

(٩) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

[أيضاً]^(١) مما لا يُعرَّف بنفسه ، بل بالعلامات . فلما وجب اعتبارها^(٢) . وجب كون تلك التسمية إشارة إليها . والله أعلم .

وقال ؛ وكان أبو زيد يقول^(٣) . فيما جاء من الأحاديث ، ما معنى قول ، ابن أبي زيد . وإذا سلم الإمام^(٤) ، فلا يلبث بعد سلامه ولينصرف ، وذلك بعد أن ينتظر من يُسلم من خلفه لثلاثين بين يدي أحد . وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة .

وقلت ، وهذا من مُلحِ القفيه^(٥) . وقال كان أبو زيد يعنى الإمام ، يُصحِّف قول الخونجى فى الجمل والمقارنات التى يمكن اجتماعه معها ، فيقول ، والمفارقات^(٦) ، ولعله فى هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمى لما قرأ عليه :

وغررتنى^(٧) وزعمت أنك لابن فى الصَّيف تأمر

فقال :

وغررتنى وزعمت أنك لا تنى بالصَّيف تأمر

فقال ، أنت فى تصحيفك أشهر من الخطيئة ، أو كما يُحكى عن الشافعى أنه لما صلى فى رمضان بالخليفة ، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر فى المصحف ، وقرأ الآية « صنعة الله أصيب بها من أساء . إنما المشركون نجس .

(١) ساقطة فى المخطوطين وواردة فى النسخ .

(٢) وردت فى المخطوطين (اعتبارها) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الكلمة وأرددة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٤) واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) وردت فى «ج» (الفقه) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت فى المخطوطين (والمقارنات) والتصويب من النسخ .

(٧) وردت فى المخطوطين (وعورتى . وعورتى) والتصويب من النسخ .

وعدها إياه ؛ تقية لكم خير لكم . هنا أن دعوا للرحمان ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وقال ، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً ، أنه سُئِلَ بالمشرق عن هاتين الشريطتين : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون» فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون» [وهو] (١) محال . ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم (٢) ؛ قال الخونجى ، والإهمال بإطلاق لفظه . لو وأن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مهملتان ، والمهملّة في قوة الجزئية (٣) ، ولا قياس على جزئيتين . فلما اجتمعت ببجاية بأبي على حسين بن حسين ، أخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزمخشري وغيره ، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار (٤) الوسط . [فقال لي الجوابان في المعنى سواء ، لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط] (٥) . وأخبرت بذلك [شيخنا] (٦) أبا عبد الله الآبلى ، فقال إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن [لا] (٧) يكون من جزئيتين ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط . فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفضيلاً لمجمل ما ينبئ عليه الوسط وغيره ، وإلا فلا مانع] (٨) لما قاله ابن حسين . قال الآبلى ؛ وأجبتُ بجواب السّلوى ، ثم رجعتُ إلى ما قاله الناس ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الزيتونة (ابن الحكم) .

(٣) وردت في «ج» (الخيرية) وفي «الزيتونة» (الخيرية) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تكرير) . والأولى أفضل .

(٥) ما بين الحاصرتين ووردت في «ج» والنسخ . وساقط في الزيتونة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» والنسخ .

(٧) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٨) ما بين الحاصرتين ووردت في «ج» والنسخ . وساقط في «الزيتونة» .

لوجوب كون مُهملات القرآن كَلِيَّة ، لأن الشرطية لا تنتج جزئية . فقلت هذا فيما يُساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . أما في مثل هذا فلا قلت . وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولى سبب تأخر ، حسبما تبين في مسألة ، لو لم يطع الله ، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله .

وقال ، لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون ، نزيل طيبة ، على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

وأنت قر السماء فأذكرتني ليالي وصلينا بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قرأ ولكن رأيت بعينها ووأت بعيني

[ففسكر ثم قال] (١) لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهي تنظر إلى قر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة . فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة . وأيضاً وهو ينظر إلى قر مجازاً ، وهو لإفراطه استحسانها (٢) يرى أن قر السماء هو المجاز ، فقد رأته بعينه لأنها ناظرة المجاز . قلت ، ومن هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى « فأذكروني أذكركم » والفاء فأذكرتني [بمثابة قولك أذكرتني] (٣) ، فتأملها ، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ، ينشده « وأذكرتني » . فالفاء في البيت الأول ، مُنبهة على الثانی ، وهذا النحو يسمى « الإيدان في علم البيان »

وقال ، سألتني ابن حكم عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :
ومهتف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب ما قتل الحب حرام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في المخطوطين (فقال) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» . وفي «الزيتونة» (استحسانه إياها) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

ففسكرت ثم قلت له ، أراه تمييزاً لإلفائه « ما » النافية . فاستحسنه مني [لصغر سنِّي يؤمئذ]^(١) . وسأل [ابن فرحون]^(٢) ابن حكيم يوماً ، هل تجيد في التنزيل ست فاءات مُرتبة ترتيبها في هذا البيت :

رأى^(٣) فخب فرام الوصل فامتنعت فسأم صبراً فأعيا نيله فقضى

ففكر ابن حكيم ، ثم قال نعم قوله عز وجل « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فاصبحت كالضريم ، فتنادوا إلى آخرها » ، فمنعت له البناء في [فتنادوا] . فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره ، فقال نعم ، قوله عز وجل « فقال لهم رسول الله ، ناقة الله وسقياها إلى آخرها » فنع لهم بناء الآخرة لقراءة الواو . فقلت له امنع [ولا تُسند]^(٤) ، فيقال إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع [الكلام]^(٥) عليه . وأكثر ما وجدت الفاء تنهى في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ، كقول نوح عليه السلام « فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم » . وكقول امرئ القيس « غشيت ديار الحى بالبكرات ، البيتين » لا يقال قوله ، فالحب سابع ، لأننا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة أنها أول الأعداد التامة ، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها . وشأن اللسان عجيب .

(١) هذه الإضافة من النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفع .

(٣) وردت في «ج» (وانى) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من النفع .

وقال ، سمعت ابن حكيم يقول ، كتب^(١) [بعض]^(٢) أدباء [فاس]^(٣) إلى صاحب له :

إبعث إلى بشيء مدار فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشيرُ إليه

فبعث [إليه]^(٤) بيضة من مَرَى شُرب [يشير بذلك إلى]^(٥) الرِّبَاء .
وحدث أن قاضيها^(٦) أبا محمد عبد الله [بن أحمد بن الملقوم دعى]^(٧) إلى وليمة ، وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر غُضاراً من اللوز المطبوخ بالمَرَى ، لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عرَّض له بالربء . وكان ابن الأشقر يُذكر بالوقوع في الناس ، فقدم له القاضي غُضاراً المقرَّوض ، فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي [دخلت عليه بالقتية أبي عبد الله السطحي في أيام عيد . فقدم لنا طعاماً ، فقالت لو أكلت معنا ، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث . « من أكل مع مغفور له ، غُفر له » فتبسّم ، وقال لي ، دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاي بالأسكندرية . فقدم لنا طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث ، فقال وقع في نفسي شيء ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فسألته عنه . فقال لم أقله ، وأرجو أن يكون كذلك ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (بعث) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) وردت في المخطوطين (قاصيد والتصويبات من النسخ) .

(٧) ما بين الحاصرتين وردت في النسخ . وساقط في المخطوطين .

وصاحفته بمصاحفته الشيخ أبا عبد الله زيان . بمصاحفته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعدي ، بمصاحفته أبا العباس أحمد الملقب ، بمصاحفته المعمر . بمصاحفته رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي ، أنه كان له ملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان يخصصه لدينه وعقله ، بالنداء باسمه ، وإنما كان ينطق بماليكه [ياساق] [٢] ، يا طبيخ ، يا مزين . فناداه ذات يوم ، يا قرّاش ، فظن أن ذلك لموجدة عليه . فلم ير أثر ذلك ، وتصوّرت له به خلوة . فسأله عن مخالفته لعادته ، فقال له لا عليك ، كنت يومئذ جُنُبًا ، فكرهت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الحالة . وقال أنشدني المجاصي ، قال أنشدني [الإمام] [٣] نجم الدين الواسطي ، قال أنشدني شرف الدين الدمياطي ، قال أنشدني تاج الدين الآمدي ، مؤلف الحاصل ، قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثرُ سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا	وحاصلُ دنيانا أذى ودبال
ولم استفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيلُ وقال
وكم من رجال قد رأينا ودولة	فبادوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكم من جبال قد عدلت شرفاتها [٤]	رجالٌ فماتوا والجبال جبال

وقال ، وقد مرَّ من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف [بن يحيى] [٤] الحسني في عداد شيوخه [وقال] [٥] حدثني أبو العباس الرندي ، عن القاضي أبي العباس

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الحاصرتين كلها ساقطة في المخطوطين . وواردة في نصح الطيب .
 (٢) الزيادة من النصح .
 (٣) الزيادة من «الزيتونة» .
 (٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و نصح . وفي «ج» (تروفيها)
 (٤) الزيادة من النصح .
 (٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

ابن الغمّاز . إقال لما قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية ، نزل بجاية ،
فجاس بها في اليهود مع عبد الحق بن ربيع ، فجاء عبد الحق يوماً ، وعليه بُرّنس
أبيض ، وقد حَسُنَتْ شارته ، وكَمَتْ هيئته ، فلما نظر إليه ابن الغمّاز أنشده :

لبس البرّنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها
لو زليخا رآته حين تبدّى لتمنته أن يكون فتأها

وقال أيضاً [إن ابن الغمّاز] (١) جالس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة (٢) ، فنزل
اليهود من المشذنة وأخبروا أنهم لم يهّلوه . وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهله ،
فردهم معه ، فأراهم إياه ، فقال ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع بن سالم (٣) ، فأنشدنا فيه :

تواری هلال الأفق عن أعين الواری وأرخی حجاب الغيم دون محيّا
فلما تصدّى لارتقاب شقيقه تبدّى له دون الأنام فحيّا

وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار ، الشيخ التعالبي (٤) من أهل تلمسان ،
فقال ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يُجرّم من النساء بالقرابة ، وهي [أصول

(١) ما بين الحاصرتين كله ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٢) جامع الزيتونة ، هو جامع تونس الأعظم ، ومن أقدم الجوامع في العالم الإسلامي . أنشأه
حسان بن النعمان في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وأعيد بناؤه مراراً . وما زالت توجد به أجزاء
من بناء القرنين الثالث والرابع .

(٣) هو الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي من أهل
بلنسية . ولد سنة ٥٦٥ هـ . وكان عمدة المحدّثين والرواة في عصره . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب
«الإكتفاء في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء» ، وكتاب في تاريخ الصحابة والتابعين . وقد
توفي مجاهداً شهيداً في موقعة أنيشة التي نشبت بين المسلمين والنصارى على مقربة من بلنسية في
شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (التعاليمي) .

وفصول] (١) . أول أصوله ، وأول فصل من كل [أصل] (٢) وإن علا ، فقال إن تركب لفظ التسمية العرفية (٣) من الطرفين حلت وإلا حرمت . فتأملته . فوجدته كما قال ، لأن أقسام هذا الضابط أربعة . التركيب من الطرفين . كابن العم [وابنة العم] (٤) مقابله كالأب والبنت . والتركيب من قبيل الرجل . كإبنة الأخ والعم مقابله كابن الأخت والخالة .

وذكر الشيخ الرئيس أبا محمد [عبد المهيم بن محمد] الحضرمي . وقال . كان يُنكر إضافة الحول إلى الله [عز وجل] (٥) ، فلا يجوز أن يقال «بحول الله وقوته» ، قال ، لأنه لم يُرد إطلاقه ، والمعنى يقتضى امتناعه لأن الحول كالحياة ، أو قريب منها .

وحكى عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي . عن القاضي أبي زيد [عبد الرحمن بن علي] (٦) الدكالي ، أنه اختصم عنده رُجلان في شاة . ادعى أحدها أنه أودعها الآخر ، وادعى الآخر أنها ضاعت منه [فأوجب اليمين على المودع أنها ضاعت] (٧) من غير تضييع ، فقال كيف أُضييع . وقد شغلتنى . حراستها عن الصلاة . حتى خرج وقتها ، فحكم عليه بالغرْم . فقيل له في ذلك ، فقال تأولت قول عمر [ومن ضييعها] (٨) فهو لما سواها أُضييع .

وحكى عن الشيخ المقيي رُحلة الوقت أبي عبد الله الآبلي . حكاية في باب الضرب ،

(١) وردت في المخطوطين (أصوله وفصوله) و تصويب من النسخ .

(٢) وردت في المخطوطين (فصل) و تصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ح» والنسخ . وفي «الزيتونة» (العربية) وهو تحريف

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ .

(٨) ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

وقوة الإدراك ، قال . كنت [يوماً^(١)] مع القاسم بن محمد الصنهاجي . فوردت عليه . طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيراتُ ما تحويه مبدولةٌ ومطلبي تصحيفٍ مقلوبها

فقال لي ما مطلقه ، فقلت « نارنج » . ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب أبو عبد الله الدبّاع الملقب ، فأخبرنا أن أديباً استجدي وزيراً بهذا الشطر : « نَمَّ حَيْبٌ قَلَمًا يَنْصِفُ » فأخذته وكتبته ، ثم قلبته وصحّفته فإذا به قصبنا مِلْفٌ شحى .

وقال ، قال شيخنا الأبلّ ، لما نزلت تازة^(٢) مع أبي الحسن بن برّى ، وأبي عبد الله التّرجالي^(٣) ، فاحتجت إلى النوم ، وكرهت قيامهما إلى الكلام ، فاستكشفتُ منهما عن [معنى]^(٤) هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

لجملنا يفكران فيه ، فنمتُ حتى أصبحنا ولم يجدها ، وسألوني عنه ، فقلت معناه « أقول لعبد الله لما ، وهي سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم لنا برقا » .

قلت ، [وفيه نظر]^(٥) ، وإن استقصينا مثل هذا ، خرجنا عن الغرض .

(١) هذه الكلمة واردة في المخطوط بعد عبارة (فوردت عليه) . وهذا مكانها وفقاً للنسخ ، وهو

أنسب .

(٢) وردت في المخطوطين (تازا - تاز) . والأصح أنها تازة أو تازي ، وهي من مدن

المغرب الأوسط .

(٣) نسبة إلى «ترجاله» وبالإسبانية Trujillo . وهي مدينة أندلسية تقع على مقربة من جنوبي

نهر التاجه ، وشمال شرقي بطليوس .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في النسخ كالاتي (وفي جواز مثل هذا نظر) .

مولده

نقلت من خطه ، كان مولدى بتهسان ، أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن
يَعْمِرِ اسين بن زيّان . وقد وقفتُ على تاريخ ذلك ، ورأيت الصّفح عنه ، لأن
أبا الحسن بن موسى ، سأل أبا الطاهر السّلفى عن سنّه ، فقال ، أقبّل على شأنك ،
فإني سألتُ أبا الفتح بن زيّان بن مسعدة عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك ، فإني
سألت محمد بن على بن محمد اللّبان عن سنه فقال ، أقبّل على شأنك ، فإني سألت
[حمزة بن يوسف السّهمى عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك ، فإني سألت أبا بكر
محمد بن على الثّفزى عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك]^(١) ، فإني سألت بعض
أصحاب الشافعى عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك ، فإني سألت أبا إسماعيل
الترمذى عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك ، فإني سألت الشافعى عن سنه ، فقال
أقبّل على شأنك ، فإني سألت مالك^(٢) بن أنس عن سنه ، فقال ، أقبّل على شأنك ،
ليس من اللروعة إخبار الرجل عن سنه .

وفاته

توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة^(٣) وأراه
توفى فى ذى حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبّته ، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل [عياض]^(٤) ، يكنى أبا عبد الله .

(١) هذا كله ساقط فى الزيتونة .

(٢) وردت فى «ج» (السايب) وهو تحريف ، وحكمة التصويب واضحة .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الزيتونة (عام تسعة وسبعمائة) وهو تحريف .

(٤) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . كان من عدُول القضاة . وجَلَّة سراتهم .
وأهل النزاهة فيهم ، شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط . صابراً على الضعيف
فيهم والمملوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوى السطوة . فاضلاً . وقوراً . حسن
السَّمْت (١) . يُعْرِفُهُ كَلَامُهُ أَبَدًا . وَيَزِينُهُ ذَلِكَ لِكثْرَةِ وَقَارِهِ ، مُحِبًّا فِي الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
مُقَرَّبًا لِأَصَاغِرِ الطَّلِبَةِ ، وَمَكْرَمًا لَهُمْ ، وَمُعْتَنِيًّا بِهِمْ ، مُعْمِلًا جَهْدَهُ فِي الدَّفْعِ عَنْهُمْ ، لِمَا عَسَى
أَنْ يَسُوءَهُمْ . لِيُحْبِبَّ إِلَيْهِمُ الْعِلْمَ [وَأَهْلَهُ] (٢) . مَا رَأَيْنَا بَعْدَهُ [فِي هَذَا مِثْلَهُ] (٣) . سَكَنَ
مَالِقَةَ مَعَ أَبِيهِ ، عِنْدَ انْتِقَالِ أَبِيهِ إِلَيْهَا ، إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةَ .
حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجِيَّابِ ، [وَجَرَى ذِكْرُ إِعْرَابِهِ لَفْظٍ مِنْ حَدِيثِهِ
عَنْ شَيْوْخِهِ] (٤) . قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الْقَاضِي الْمَذْكُورِ ، فَسَأَلْتُ أَحَدُنَا عَنْ أَبِيهِ ،
فَقَالَ ابْنُ فُلَانٍ ، وَذَكَرَ مَعْرِفَةً مَشْتَرَكَةً بَيْنَ تَجَارِ فَاسٍ . فَقَالَ أَيُّهُمَا الَّذِي يَنْحِتُ
فِي الْخَشَبِ ، وَالَّذِي يَعْمَلُ فِي السَّلَاحِ ، فَمَا فَطِنَ لِقَصْدِهِ لِسَدَاجَتِهِ وَحَدَّثَنِي عَنْ ذِكْرِ
جَزَالَتِهِ . أَنَّهَا كَانَتْ تَقَعُ لَهُ مَعَ السُّلْطَانِ مُسْتَقْضِيَةً . مَعَ كَوْنِهِ مَرْهُوبًا ، شَدِيدَ السُّطُوَّةِ ،
وَقَائِعِ تَنْبِيٍّ عَنْ تَصْمِيمِهِ ، وَبُعْدِهِ عَنِ الْمَوَادَّةِ . مِنْهَا أَنَّ السُّلْطَانَ أَمَرَ بِإِطْلَاقِ
مُجْبُوسٍ ، كَانَ قَدْ سَجَنَهُ . فَأَنْفَقَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْأَمْرَ لِلسَّجَانِ [بِجَبْسِهِ] (٥) ،
وَتَوَعَّدَهُ إِنْ أَطْلَقَهُ . وَمِنْهَا إِذَاعَةُ ثُبُوتِ الْعِيدِ ، فِي أُخْرِيَاتِ يَوْمٍ ، كَانَ قَدْ أَمَلَ
السُّلْطَانُ الْبُرُوزَ إِلَى الْعِيدِ فِي صَبَاحِهِ ، فَنَزَلَ عَنِ الْقَلْعَةِ يَنَادِي ، عَبْدَ اللَّهِ يَا مَيْمُونُ ،
إِخْبِرِ النَّاسَ عَنْ عِيدِهِمُ الْيَوْمَ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (السمعة) . والأول أنسب للسياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه لعبارة وردت في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) بين الحاصلين . ووردت في «ج» . وساقطت في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

مشيخته

قرأ بسبته ، وأسند بها . فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره ، ورحل إلى الجزيرة الخضراء . فأخذ بها كتاب سيديويه وغيره تفقيهاً^(١) على النحوى الجليل أبي القاسم عبد الرحمن ، ابن القاسم القاضى المتقن . وأخذ بها أيضاً [كتاب]^(٢) « إيضاح الفارسي » عن الأستاذ أبي الحجاج بن مَنور ، وأخذ بإشبيلية وغيرها عن آخرين . وقرأ على القاضى أبي القاسم بن بَقي بن نافحة . وأجاز له . وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة ، منهم أبو جعفر محمد ابن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصَّيدلانى ، وأجاز له بإصبهان^(٣) ، وهو سبَّط حسن ابن مَدة ، أجاز له في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسة . وتحمل عن أبي علي الحداد ، شيخ السُّننى الحافظ عن محمود الصيرفى ونظايرها ، وجماعة من إصبهان كثيرة كتبوا [له]^(٤) بالإجازة . وكتب له من غيرها من البلاد [نيف]^(٥) وثمانون . وجل ، منهم أحد وستون رجلاً كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس الغربى ، والقاضى أبي عبد الله الأزدي ، [وقد نصح على جميعهم فى برنامجهما ، واستوفى أبو العباس الغربى نصوص الإستراعات ، وفيها اسم القاضى أبو عبد الله بن عياض]^(٦) .

من روى عنه

قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله ، أجاز لى مرتين اثنين . وقال حدثنى

- (١) هكذا وردت فى المخطوطين . وربما كانت (تفقيها) .
- (٢) أضيفت هذه الكلمة إيضاحاً للسياق .
- (٣) وردت فى المخطوطين (أصبهان) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .
- (٤) أضيفت هذه الكلمة لاستقامة السياق .
- (٥) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (ما ينيف على الثمانين) والمؤدى واحد .
- (٦) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» .

أبو عبد الله مشافهة بالإذن ، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابة من دمشق ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الخطاب بالحاء المهمله ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط ، أخبرنا موسى ابن محمد بن عرفة السمسار ببغداد ، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل القفزي ، أخبرنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا^(١) عمر بن شاكر عن أس بن مالك ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتى على الناس زمان : الصابر^(٢) منهم على دينه ، كالقابض على الجزر .

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا ، ممن مولده بعد الستمائة ، وإسماعيل بن موسى من شيوخ الترمذي ، قد خرَّج عنه الحديث المذكور ، لم يقع له في مُصنِّفه ثلاثي غيره .

مولده

بسبئة سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته

توفي بفرناطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة .

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر

ابن موسى بن عياض اليحصبي

من أهل سبئة ولد الإمام أبي الفضل ، يكنى أبا عبد الله .

(١) واردة في المخطوطين (نا) فقط .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي نص (القابض) .

حاله

كان فقيهاً جليلاً ، أديباً ، كاملاً . دخل الأندلس ، وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلاة ، وولى قضاء غرناطة ، قال ابن الزبير ، وقفت على جزء ألفه [في شيء] ^(١) من أخبار أبيه ، وحاله في أخذه وعلمه ، وما يرجع إلى هذا ، أوقفني عليه خفدته بمالقة .

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير [بن محمد] ^(٢) بن سعيد
ابن جبير بن محمد [بن مروان] ^(٣) بن عبد السلام [بن مروان
ابن عبد السلام بن جبير] ^(٣) الكِنَانِي

الواصل إلى الأندلس .

أوليته

دخل جدّه عبد السلام بن جبير في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم ثلاث وعشرين ومائة . وكان نزوله بكورة شدونة . وهو من ولد ضمرة

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٣) هذه الزيادات في النسبة من كتاب «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك (السفر الرابع -

مخطوط المتحف البريطاني لوحة ١٣٠) .

ابن كِنانة بن بكر بن عبدمناف بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرُكة بن إلياس | بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [١]. بَلَدُنْسِي الْأَصْل ، ثُمَّ غَرَّ نَاطِي الْأَسْتِيْطَان . شَرْقٌ ، وَغَرْبٌ ، وَوَادٌ إِلَى غَرْنَاطَةِ .

حالُه

كان أديباً بارعاً^(٢) ، شاعراً مجيداً ، سَنِيّاً فاضلاً ، نزيه المهمة ، سَرِيّ النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة [في الخط]^(٣) . كَتَبَ بِسَبْتَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ عَثْمَانَ ابْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، وَبِغَرْنَاطَةِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَمْدَاحٌ كَثِيرَةٌ . ثُمَّ نَزَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ أَدْبَاءِ عَصْرِهِ ، مَخَاطِبَاتٌ ظَهَرَتْ فِيهَا بَرَاعَتُهُ وَإِجَادَتُهُ . وَنَظْمُهُ فَايِقٌ ، وَنَثْرُهُ بَدِيعٌ . وَكَلَامُهُ الْمُرْسَلُ ، سَهْلٌ حَسَنٌ ، وَأَغْرَاضُهُ جَلِيلَةٌ ، وَمَحَاسِنُهُ ضَخْمَةٌ ، وَذِكْرُهُ شَهِيرٌ ، وَوَحْلَتُهُ نَسِيجَةٌ وَحْدِهَا ، طَارَتْ كُلُّ مَطَارٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

رحلته

قال من عُني بخبره ، رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق ، وحبَّ في كل واحدة منها . فَصَلَّ [عن غَرْنَاطَةِ]^(٤) أَوَّلَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ لَثْمَانَ خُلُونَ مِنْ شِوَالٍ ، ثَمَانَ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ ، صَحْبَةَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ حَسَّانٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ غَرْنَاطَةَ لَثْمَانَ بَقِيْنَ مِنْ مَحْرِمٍ وَاحِدٍ وَثَمَانِينَ . وَلَقِيَ بِهَا أَعْلَامًا يَأْتِي التَّعْرِيفُ^(٥) بِهِمْ فِي مَشِيخَتِهِ ، وَصَنَّفَ الرَّحْلَةَ الْمَشْهُورَةَ ، وَذَكَرَ [مَنَاقِلَهُ]^(٦) فِيهَا [وَمَا شَاهَدَهُ]^(٧)

(١) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة» - المخطوط السابق الذكر .

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الذيل والتكملة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (التحريف) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «ج» وفي «الذيل والتكملة» . وفي الزيتونة (ما نقله) .

(٧) وردت في «ج» (مشاهده) والتصويب من الزيتونة والذيل والتكملة .

من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدايع الصنایع، وهو كتاب مؤنس ممتع،
 مُثير سواكن النفوس إلى [الرَّفادة على] ^(١) تلك المعالم [المكرمة والمشاهد العظيمة] ^(١)
 ولما شاع الخبرُ المبهج بفتح [بيت] ^(٢) المقدس على يد السلطان الناصر
 صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ^(٣)، قَوِيَ عزْمُهُ على عمل ^(٤) الرحلة
 الثانية، فتحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من
 سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت
 من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس، منقطاً
 إلى إسماع الحدیث والتصوف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، وورعه يتحقق،
 وأعماله الصالحة تزكو ^(٥). ثم وحل الثالثة من سبتة، بعد موت زوجته عاتكة
 أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي، وكان كافياً بها، فعظم وجدُّه عليها. فوصل
 مكة، وجاور بها طويلاً، ثم بيت المقدس، ثم تجول بمصر والإسكندرية، فأقام
 يُحدث، ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته

روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي
 عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن
 يسعون. وبسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي. وأجاز له أبو الوليد
 ابن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التولسي، وأبو حفص عمر بن

(١) الزيادة من «الذيل والتكلمة».

(٢) أضفنا هذه الكلمة تكلمة لاسم المدينة.

(٣) وردت (ابن بوري) في «ج»، وفي «الذيل والتكلمة». ووردت في «الزيتونة»

(ابن بوري).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (إعمال).

(٥) وردت في المخطوطين (تذكر). والتصويب من «الذيل والتكلمة».

عبد الحميد بن عمر القرشي الميائجي^(١) ، نزيلا مكة ، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنكي ، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي ، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بإصبهان .
 وينغداد العالم الحافظ^(٢) المتبحر [نادرة الفلك]^(٣) أبو الفرج ، وكناه أبو الفضل ابن الجوزي . وحضر بعض مجالسه الوعظية [وقال فيه]^(٤) « فشهدنا رجلا ليس بعمر ولا زيد^(٥) . وفي جوف الفراسكل الصيد » . وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوارى . وأبو سعيد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون ، وأبو الطاهر بركات الخشوعي ، وسمع عليه ، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني من أئمة الكتاب ، وأخذ عنه بعض كلامه ، وغيره ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر ، وسمع عليه ، وأبو الوليد إسماعيل [بن علي]^(٦) بن إبراهيم [والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرُّبَعي . وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ، وأجازوا له ، وبجران الصوفي العارف أبو البركات حيان بن عبدالعزيز ، وابنه الحاذي حذوه]^(٧) .

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك ، أخذ عنه أبو إسحاق بن مهيبي ، وابن الواعظ ، وأبو تمام

- (١) وردت في «ج» (المبايحي) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (٢) وردت هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (الواعظ) . والأولى أرجح حسبما يبدو بعد في السياق .
- (٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .
- (٤) الزيادة من «الذيل والتكلمة» .
- (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ليس من عمرو ولا زيد) .
- (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
- (٧) ما بين الحاصرتين ساقط كله في «الزيتونة» .

ابن إسماعيل، وأبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن [بن علي] ^(١) الشّادي. وأبو سليمان بن حَوْط الله. وأبو زكريا. وأبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغُصن ^(٢)، وأبو عبد الله بن حسن بن مجير. وأبو العباس بن عبد المؤمن البنّاني، وأبو محمد بن حسن اللّواتي ^(٣) وابن تاميت، وابن محمد الموروري، وأبو عمر بن سالم، وعثمان بن سفيان بن أشقر التّميمي التونسي.

ومن [أخذ عنه] ^(٤) بالإسكندرية، رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله، وبمصر رشيد الدين بن العطار ^(٥). ونفخ القضاة بن الجيّاب، وابنه جمال القضاة.

تصانيفه

منها نظمه. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد [متوسط] ^(٦) يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. ومنه جزء سماه «تليجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» في مرأى زوجه أم المجد. ومنه جزء سماه «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان». «وله ترسيل بديع، وحكم مستجادة» ^(٧)، وكتاب رحلته. «وكان أبو الحسن الشّادي، يقول إنها ليست من تصانيفه، وإنما قيّد معاني ما تضمنته، فتولى ترتيبها، وتنضيد معانيها بعض الأخذين عنه، على ما تلقاه منه» ^(٧). والله أعلم.

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في المخطوطين.

(٣) وردت في المخطوطين (اللّوابي). والتصويب من «الذيل والتكملة».

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (روى عنه).

(٥) وردت في المخطوطين (عطار). والتصويب أرجح.

(٦) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة».

(٧) هاتان الفقرتان نقلهما ابن الخطيب عن «الذيل والتكملة» مع تغييرات يسيرة.

شهره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها ، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة ،
على ساكنها من الله أفضل الصلوات ، وأزكى التسليم :

اقول وآستُ بالليل نارا لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بالُ أفقِ الدُّجى كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حِنْدِس فما باله قد تجلّى نهارا
وهذا التَّسِيمُ شذا المسكِ قد أُعير أم المسك منه استعازا
وكانت رواجِلُنَا تشتكى وجاهها فقد سابقتنا ابتداءرا
وكنا شكونا عناء الشرى فعِدنا نُبارى سِراعِ المهارة
أظن النفوس قد استشمرت بلوغ هوى تخذته شِمارا
بشائر صبح الشرى آذنت بأن الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكرُ طيبة ما بيننا فلا قلبَ في الركب إلا وطارا
حينئذ إلى أحمد المصطفى وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أهدُ مُشرقاً بنور من الشهداء استعارا
فمن أجل ذلك ظلَّ الدُّجى يحل عقود النجوم انتثارا
ومن طَرَبِ الرُّكْبِ حثَّ^(١) الخطا إليها ونادى البدار البدارا
ولما حللنا فِيناء الرسول نزلنا بأكرم مجدِ جوارا
وحين دنونا لفرض السلام قصَرنا الخطا ولزِمنا الوقارا
فما نرسل اللّحظ إلا اختلاساً ولا نرجع الطرف إلا انكساراً
ولا نُظهِر الوجد إلا اكتتاماً ولا نلفظ القول إلا سِراراً

(١) وردت في المخطوطين (حط) ، والتصويب من الدليل والتكلمة .

سوى أنسالم نطق أعيننا بأدمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نُعيد السلام عليها مراوا
[ولولا مهايته] ^(١) في النفوس لثمننا الثرى والترمنا الجدارا
قضينا بزورته حجبنا وبالعمرتين ختمنا اعتماراً
إليك إليك نبي الهدى وكبت البحار وجبت الفقارا
وفارقتُ أهلي ولا منة وربّ كلام يجرُّ اعتذارا
وكيف نمنُّ على من به نُؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني إليك هوى كامنٌ أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديتك لبيك داعي الهوى وما كنت عنك أطيق اصطبارة
[ووطنت نفسي بحكم الهوى على وقلت رضى اختيارا] ^(٢)
أخوض الدجى وأروض السرى ولا أطمع ^(٣) النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لطرتُ ولو لم أصادف مطارا
[وأجدُر من نال منك الرضى محبُّ ثراك على البعد زارا] ^(٤)
عسى لحظة منك لي في غدٍ تمهد لي في الجنان القراوا
فاضلٌ من بمسراك ^(٥) اهتدى ولا ذلٌّ من بذراك استجارا

وفي غبطةٍ من من الله عليه لحج بيته ، وزيارة قبره صلى الله عليه

وسلم يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحط عن النفس أوزارها

(١) هكذا في «ج» و«الذيل والتكملة» . وفي الزيتونة (ومن إيمانه) .

(٢) في «الزيتونة» أدمج هذا البيت والذي قبله في بيت واحد :

فناديت لبيك داعي الهوى على وقلت رضى اختيارا

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الذيل والتكملة» . وفي «الزيتونة» (أطمع) .

(٤) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» . (٥) في «الذيل والتكملة» (بهذاك) .

وإن السعادة مضمونة لمن حجَّ طيبة أوزارها
وفي مثل ذلك يقول :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمَّله
وإن زار قبر نبيِّ الهدى فقد أكل الله ما أمَّله
وفي تفضيل المشرق :

لا يستوى شرقُ البلادِ وغربُها الشرقُ حاز الفضلَ باستحقاق
أنظر [إلى جمال الشمس] ^(١) عند طلوعها زهراء تُعجب بهجة الإشراف
وانظر إليها عند الغروب كثيفة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم ^(٢) فراق
وقال في الوصايا :

عليك بكمان المصائب واضطرب عليها فما أبقى الزمان شفيقاً
كفالك بالشكوى إلى الناس أنها تسرُّ عدواً أو تُسيء صديقاً
وقال ؛

وصانع ^(٣) المعروف فلتة عاقل إن لم تَضَمَّها في محلِّ عاقل
كالنفس في شهواتها إن لم تسكن وفقاً لها عادت بضرراً عاجل

نثره

من حكمه قوله : إن شرف الإنسان ، فشرف ^(٤) وإحسان . وإن فاق

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي نص (تري الشمس) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بشوك) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فصانم) .

(٤) هكذا وردت في المحلوطين . وفي «الذيل والتكملة» (فضل) .

فتمفضل وإرفاق^(١) . ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه . كما يحفظ الجفن إنسانه .
 فرب كلمة تقال . تحدث عثرة لا تقال . كم كست فلتات الألسنة الحداد ،
 من ورائها ملابس حداد^(٢) . نحن في زمن لا يحظى^(٣) فيه بنفاق إلا من عامل
 بنفاق . شغل الناس عن | طريق الآخرة |^(٤) بزخارف الأغراض . | فلجوا في |^(٥)
 الصدود عنها والإعراض . آثروا دنيا هي أضغاث أحلام ، وم هفت في حبها من
 أحلام ، أطالوا فيها آمالمهم^(٦) ، وقصروا أعمالهم . ما بالهم ، لم يتفرغ لغيرها بالهم ،
 ما لهم في غير ميدانها استبأق ، ولا (يسوى هواها)^(٧) اشتياق . تالله
 لو كشفت الأسرار ، لما كان هذا الإصرار ، ولسهرت العيون^(٨) ، وتفجرت من
 شئونها الجفون^(٩) . فلو أن عين البصيرة من سننها هابة ، لرأت جميع ما في الدنيا
 ربحا هابة [ولكن استولى العمى على البصائر]^(١٠) ولا يعلم الإنسان ما إليه
 صاير . أسأل الله هداية سبيله ، ورحمة تورد نسيم الفردوس وسلسيله ،
 إنه الحنان المنان لا رب سواه^(١٠) .

ومنها: فلتات الهبات ، أشبه شيء بفلتات الشهوات . منها نافع لا يعقب
 ندما ، ومنها ضار يبقى في النفس ألماً . فضرر الهبة وقوعها عند من لا يعتقد

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وإرفاق) . وفي «التكلمة» (واتفاق) .
- (٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «التكلمة» (الحداد) .
- (٣) وردت في المخطوطين (تحصى) . والتصويب من «التخلة» .
- (٤) وردت في المخطوطين (الطريق) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .
- (٥) وردت في المخطوطين (فمجوا) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .
- (٦) وردت في المخطوطين (للمهم) . والتصويب من «التكلمة» .
- (٧) وردت في «ج» (سوى هداها) والتصويب من «التكلمة» .
- (٨) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» (العين الجفن) .
- (٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت محرفة في «ج» كالأق : (ولكن استولى على العمى ربح البصائر) وكلمة ربح هنا حشو لا معنى له .
- (١٠) رجعتنا إلى نص «التكلمة» في تصويب كثير من عبارات هذه الفقرة .

لحقها أداء ، وربما أثرت عنده اعتداء . وضرد الشهوة أن لا توافق ابتداء ، فتصير لتبعها^(١) داء ، مثاها كمثل السكر يلتذ صاحبه^(٢) بجلاوة جناه ، فإذا صحا يعرف قدوم ما جناه . عكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

مولده

يَبْلَغُ سِنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ [وَخَمْسِمِائَةٍ]^(٣) وَقِيلَ بِشَاطِبَةَ [سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ]^(٤)

وفاته

توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستماية

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين^(٥)

يكنى أبا بكر ، شيخنا الفقيه القاضى المؤرخ الكاتب البارع رحمة الله عليه

أوليته

أصله من إشبيلية ، من حصن شاب من كورة باجة ، من غربى صقعها ، يعرفون فيها ببني شبرين^(٥) ، معرفة قديمة . ولى جدّه القضاء بإشبيلية ، وكان من

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لمستمها) . وفي الذيل والتكملة (لمستمها) .

(٢) وردت في المخطوطين (صاحبها) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت مكان هذا التاريخ في «الزيتونة» (في هذا التاريخ) .

(٥) وردت في «ج» في الموضعين (ابن شبرين) . والتصويب في الموضعين من «الزيتونة» .

كبار أهل العلم (تشهد بذلك الصلاة)^(١) . وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وسماية ، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة ، ثم انتقل إلى سَكْنَى سَبْتَة ، وبها وُلد شيخنا أبو بكر ، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة ، فارتسم بالكتابة السلطانية ، وولى القضاء بمدة جهات ، وتأثر مالا وشهرة ، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها .

حاله

كان فريد دهره ، ولسيخ وحده في حُسْن السَمْتِ^(٢) والرَّوَاء ، وكَمال الظَّرْفِ ، وجمال الشَّارَة ، وبراعة الخطِّ ، وطيب المجالسة . خاصِّيا ، وقورا ، تام الخُلُقُ ، عظيم الأبهة ، عذب التَّلَاوَة لكتاب الله ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، تاريخيًّا ، مقيِّدا ، طَلَمَة اختيار [أصحابه]^(٣) محققا لما ينقله ، فكها مع وقاره ، غَزَلًا ، لو دَعِيَ ، على شأن الكتابة ، جميل المشرة ، أشد الناس على الشعر ، ثم على المحافظة ، ما يحفظه من الأبيات من غير اعتيाम ولا تنقيح ، يُناغى الملكين في إثباتها ، مَقْرُوءَة التواريخ ، حتى عظم حجم ديوانه ، [تفرَّدت أشعاره بما أبرَّ على المكثرين]^(٤) مَلِيحَ الكتابة ، سهلها ، صانعا ، سابقا في ميدانها ، وأجحا كفة المنثور . وكانت له رحلة إلى تونس ، اتسع بها نطاق روايته . وتغلب بين الكتابة والقضاء ، منحوس الخط في الاستعمال ، مُضِيِّقا فيه ، وإن كان وافر الجِدِّ ، مُوسِعًا عليه .

سهو الاسم الصحيح . وابن شيرين . ابن شيوخ ابن الخطيب الأثيرين ، وقد ذكره فضلا عن هذه الترجمة في مواضع كثيرة من الإحاطة ، راجع المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٩٧ ، و ٤٤٣ ، و ٥٤٩ ، ٥٤١ .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» دون حكمة واضحة من إيرادها في هذا المكان .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (السمة) .

(٣) هذه الكلمة وأردة في «الزيتونة» وساقطة في «ج» .

(٤) هذه العبارة وأردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى»^(١) بما نصه :

خاتمة المحسنين ، وبقية الفصحاء اللسنين ، ملاء العيون هدياً وميمناً ، وسلك
من الوقار طريقة ؛ لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ، ماشئت من فضل ذات ، وبراعة
أدوات . إن خطاً ، نزل ابن مقلّة عن درجته [وإن خطاً]^(٢) . وإن نظم أو نثر ،
تبعمت الباطن ذلك الأثر . وإن تكلم أنصت الحفل لاستماعه ، وشرع^(٣) لدرره
النفيصة صديق أسماعة . وفد على الأندلس عند كائنة سبنة ، وقد طرحت النوى
برحاله ، وظعن عن ربه بتوالى إمحاله ، [ومُصَرِّف بلاد]^(٤) ، والمستولى على
طارفها وتالدها ، أبو عبد الله بن الحكيم ، قدس الله صده ، وسقى مُنتداه ، فاهتز
لقدومه اهتزاز الصّارم ؛ وتلقاه تلقى الأكارم ، وانهبض إلى لقاءه آماله ، وألقى^(٥)
له قبل الوسادة ماله ، ونظمه في سخط الكتاب ، وأسلاه عن أعمال الاقتاد ، ونزل
ذمامه تأكداً في هذه الدول ، وقوفى له الآتية منها على الأول ، فتصرفت في القضاء
بجهاتها ، ونادته السيادة هاك وهاتها ، فجدد عهد حُكّامه العدول من سلفه
وقضاتها . وله الأدب الذى تحلّت بقلايده اللبات والنحور ، وقصرت عن
جواهره البحور . وسيجر من ذلك فى تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرعه ،
ويخبر بكرم عنصره ، وطيب نبعه^(٦) .

(١) هو كتاب «التاج المحلى فى مساجلة القندح المولى» ، وهو أحد كتب ابن الخطيب التاريخية ،
ويتضمن مختصراً لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها فى القرن الثامن الهجرى . وقد سبق التعريف به
فى مقدمة المجلد الأول .

(٢) واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وسمى) والأولى أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وأمنى) .

(٦) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (نعمه) والأولى أرجح .

مشيخته

قرأ على جدّه لأمه الأستاذ الإمام ، أبي بكر بن عُبَيْدَةَ الإشبيلي ، وسمع على
 الرئيس أبي حاتم ، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق
 العافقي ، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، وعلى الإمام أبي عبد الله بن حُرَيْث .
 وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري . وسمع بمحضرة غرناطة على
 الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، [وعلى العدل أبي الحسن بن مستمور]^(١) وعلى
 الوزير أبي محمد بن المؤذن ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد . وبمائلة على
 الخطيب ولي الله تعالى ، أبي عبد الله الطنجالي ، وعلى الوزير الصدر أبي عبد الله
 ابن ربيع ، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن بُرطال . وببجاية على الإمام أبي علي
 ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي العباس الغبريني . وبتونس على أبي علي بن
 علوان ، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّفيع ، وسمع على الخطيب
 الصّوفي ولي الله تعالى ، أبي جعفر الزيات ، والصوفي أبي عبد الله بن بُرطال ،
 وعلى الصدر أبي القاسم محمد بن قايد الكلاعي . [وأجازوه عالم]^(٢) كثير
 من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره متعدّد الأسفار ، كثير الأغراض . وفي الإكثار مجلّ الإختيار ،
 [فمنه قوله]^(٣) :

(١) هذا الاسم ساقط في «الزيتونة» . وقد ورد اللقب محرفاً في «ج» (مغمسور) . والتصويب
 من كتاب قضاة الأندلس للنهاي .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (وأجازوه علماء) .

(٣) أضفنا هذه العبارة تكلمة للسياق .

وأضرمت في طي الحشى لاعج الجوى
 وهل تحسُن الدنيا وهل يرجع الهوى
 وعند النوى وجدى وفي ساكن الهوى
 إلى يوم ألقاهم ولدره ما نوى

أخذت بكلم الروح يا ساعه النوى
 فمن نخبري ياليت شعري متى اللقا
 سلا كل مشتاق وأكثر وجده
 ولي نية ما عشت في حفظ عهدهم

وقال :

هذي ركاب الشرى بلا شك
 إلى بطون الرُّبى إلى العُلك
 إلى صبوب جواهر السلك^(١)
 ما في حديث الفراق من إفك
 هذا النوى جل من مالك العُلك

بانوا فن كان با كياً يبك
 [فن ظهور الرُّكاب معاملة
 تصدع الشمع مثلما انحدرت
 كن بالذى حدثوا على ثقة
 من النوى قبل لم أزل حذراً

وقال :

يسوءنى هجر رُك والله
 لا أفك عن وبه وعزاه
 من ذا الذى رآه^(٢)
 يُشغله فى الدنيا بتياه
 على مُعني جسمه واه
 يُثنى عندك ذا جاه^(٣)

يا أيها المُعرض اللأهى
 [فيا ليت شعري كم أرى فيك
 ويحيى مغيرى إلى باخل واه
 من يُرد الله فيه فتنة
 يا غصن البان ألا عطفه
 أو سعى بمدك ذلاً وقدرأ

(١) أكلنا هذه المقطوعة بهذين البيتين . وقد أوردها ابن الخطيب ضمن خطاب الوداع الذى وجهه إلى مليكه الفنى بالله حينما غادر الأندلس إلى المغرب لآخر مرة (راجع المجلد الأول من «الإحاطة» ص ٣٣) .

(٢) أورد كل من المخطوطين نصوصاً مضطربة لهذين البيتين . وقد حاولنا جهد الاستطاعة أن نخرج من هذه النصوص المضطربة أفضل صيغة ممكنة . بيد أن هذه الصيغة ليست واضحة كل الوضوح .

(٣) هذا البيت وارد فى «ج» وساقط فى «الزيتونة» .

ذِكْرُكَ لَا يَنْفَكُ عَنْ خَاطِرِي وَأَنْتَ عَنِّي غَافِلٌ سَاهٍ
يَكْفِيكَ يَا عَثْمَانُ مِنْ جَفَوْنِي لَوْ كَانَ ذَنْبِي ذَنْبَ جِهْجَاهٍ
هِيَاهُ لَا مُعْتَرِضٌ ^(١) لِي عَلَى حُكْمِكَ أَنْتَ الْأَمْرُ النَّاهِ

قلت جِهْجَاهُ المشار إليه رجل من غُفَارٍ [قبيل] ^(٢) إنه تناول عصا الخُطْبَةِ من يد عثمان رضي الله عنه ، فسكرها على ركبته ، فوَقَعَتْ فِيهَا الْأَكِلَةَ فَهَلَكَ .

وقال :

يَا مَنْ أَعَادَ صَبَاحِي فَقَدَهُ حَلَنُكَ قَتَلْتِ ^(٣) عَبْدَكَ لَكِنْ لَمْ تَخْفِ دَرْكََا
مَصِيبِي لَيْسَتْ كَالْمَصَائِبِ لَا وَلَا بُكَائِي عَلَيْهَا مِثْلَ كُلِّ بُكََا
فَمَنْ أُطَالِبُ فِي شَرِّعِ الْهَوَى بَدْمِي لُحْطِي وَلِحْظُكَ فِي قَتْلِي قَدْ اشْتَرَا

وقال ، وقد سبقه إليه الرُّصَافِيُّ ، وهو ظَرِيفٌ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَرَطَ بِلْبَالِي وَلَوْعَةَ لَا تَزَالُ تَذْكِي لِي
بِمَهْجَتِي حَايِكَ تَغَلَّتْ بِهِ حُلُو الْمَعَانِي طِرَازِهِ عَالِي
سَأَلْتَهُ لَنْمِ خَالِهِ فَأَبِي وَمَنْ ذَا نَخْوَةٍ وَإِذْلالِ
وَقَالَ حَالِي يَصُونُ خَالِي يَدُنِي فَوَيْحِي بِالْحَالِ وَالْحَالِ
يَقْرُبُنِي الْأَلْ مِنْ مَوَاعِدِهِ وَأَنْتِي مِنْهُ سَطْوَةُ الْأَلِ
لَسَكُنَ عَلَى ظُلْمِهِ وَقَسْوَتِهِ فَلَسْتُ عَنْهُ الزَّمَانَ بِالسَّالِي

وقال أيضاً مضمناً :

لِي هِمَّةٌ كَمَا حَاوَلْتَ أُمْسِكَهَا عَلَى الْمَدَلَّةِ فِي أَرْجَاءِ ^(٤) أَرْضِهَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (معرض) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (أملت) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أرجال) .

قالت ألم تكن أرض الله واسعة
وقال مُسترجماً من ذنبه ، ومُستوحشاً من شَيْبِهِ :

قد كان عيبي من قبل في غَيْبٍ فمذ بدا شَيْبِي بدا عَيْبِي
لا عُذْر اليوم ولا حُجَّة فضَحَّتَنِي وَاللَّهِ يَا شَيْبِي

وقال :

أثْقَلْتَنِي الذُّنُوبَ وَيَحْيَى وَوَيْسَى لَيْتَنِي كُنْتُ زَاهِداً كَأَوْيسَى

وَجَرَّتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ ثَالِثُ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(١) ، بعد خلعهِ مِنْ مُلْكِهِ ، وَانْتِشَارِ سِلْكِهِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ بِقَصْبَةِ الْمُنْكَبِ ، غَرِيباً مِنْ قَوْمِهِ ، مَمْعُوضاً بِالسَّهَادِ مِنْ نَوْمِهِ ، قَدْ فَلََّ الدَّهْرَ سَبَاتَهُ ، وَتَرَكَ يَنْدِبَ مَافَاتِهِ ، وَالْقَاضِيَ الْمَتْرَجِمَ بِهِ يَوْمَئِذٍ ، مُدَبِّرُ أَحْكَامِهَا ، وَعَلِمَ أَعْلَامِهَا ، وَتَمَوَّلَى نَقْضِهَا وَإِيرَامِهَا ، فَارْتَاخَ يَوْمًا إِلَى إِيْنَانِيهِ ، وَاجْتَلَابَ أَدْبَهُ وَالتَّمْيَاسَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْبِرَ عَنْ حَالِهِ بِبَيَانِهِ ، وَيُنِيبَ فِي بَشْتِهِ عَنْ لِسَانِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَفَا نَفْسًا فَالْخُذَابُ فِيهَا يَمُونَ وَلَا تَعْجَلَا إِنْ الْحَدِيثُ شَجُونَ
عَلِمْنَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ صَرَفِ دَهْرِنَا وَلسْنَا [عَلِي]^(٢) عِلْمٌ بِمَا سَيَكُونُ
ذَكَرْنَا نَعِيمًا قَدْ تَقْضَى نَعِيمُهُ فَأَقْلَقْنَا شَوْقًا لَهُ وَحْنِينَ
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا كَيْفَ شِئْنَا وَاللَّهِ نَا^(٣) جِرَاكِ عَلَيَّ أَحْكَامِنَا وَسَكُونُ

(١) هو أبو عبد الله محمد المخلوع ، محمد بن محمد بن الأحمر ، وقد حكم مملكة غرناطة من سنة ٧٠١ إلى سنة ٧٠٨ هـ . ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر ، واضطربت ضده الثورة في عيد الفطر سنة ٧٠٨ هـ ، وأرغم على النزول عن العرش ، ثم اعتقل بحصن المنكب ، ولبث فيه حتى توفي في سنة ٧١٢ هـ .

(٢) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة الوزن والمعنى . وهكذا وردت هذه الشطر في «ج» . وفي لزيتونة» (ولا نعلموا هذا الذي سيكون) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وللذنيا) .

وإذا بابنا مثنوى الفؤاد ونحونا
فَنفَّصُ من ذلك السرور مَهْنًا
ونبا عن الأوطان بين ضرورة
أيا معهد الإسعاد^(٢) حَيِّيتْ مَعَهْدًا
تريد الليالي أن تُهين مكاننا
فإن تكن الأيام قد لَعِبَتْ بنا
فمن عادة الأيام ذلُّ كِرَامِهَا
لئن خانتا الدهر الذي كان عَيْدَنَا
وما غَضَّ منا مَخْزِي غير أنه
تُمدُّ رِقَابُ أو تُشير عيون
وَكَدَرُ من ذلك النعيم مَعِين
وقد يَقْرُبُ^(١) الإنسان ثم يَبِين
وجادك من سَكَبِ الغمام هَتُون
رُويدك إن الخير ليس يَهُون
ودارت علينا لِلْمَخْطُوبِ فنون
ولكنَّ سَبِيلَ الصَّابِرِينَ مُبِين
فلا عجب إنَّ العَبِيدَ تَخُون
تضاعف إيمانٌ وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود، وهو شاهد المواريث بهذه الدطابة التي
تستخفُّ الوقور، وتلجج السمع المرقور:

أطال الله بقاء أخى وسيدى، لأهل الفرائض، يُحسِّن الاحتيال في مُداراتهم،
وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط في أمواتهم، ودامت أقدامه مُشرعة
لصِرم الأجل المُنتسأ. مُعدة لتحليل هذا الصنف المُنتسأ من الصلصال والحمأ. فمن
مَيِّتٍ يُغسل وآخر يُقبر: ومن أجَلٍ يُطوى، وكفنٍ يُنشر، ومن رَمْسٍ يُفتح،
وباب يُغلق. ومن عاصبٍ يُحبس: ونعشٍ يُطلق. فسكما خُرِبَتْ ساحة، نشأت
في الحانوت راحة. وكما قامت في شعبٍ مناخة، اتسعت للرزق مساحة. فببنا
سيدى الحانوت، وقد اختسى مَرَقته، وسهل عَنَقْفته، فيرى الصَّعْبَةَ بالمناصب
شَطْرًا. فيلاحظ هذا برفق، وينظر إلى هذا شِزْرًا. ويأمر بشقِّ الجيوب تارة،
والبحثِ عن الأوساط أخرى. ثم يأخذ القلم أخذًا رقيقًا. ويقول وقد خَلمَرَه

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (يفرب).

(٢) هكذا دت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (الإسناه) وهو تحريف.

السرور، رَحِمَ اللهُ فلانا، لقد كان لنا صديقاً، وربما أذِيبَهُ (١) بالانزعاج الخبيث، وقال مستريحٌ منه كما جاء في الحديث. وتختلف عند ذلك المراتب، وتبين الأصدقاء والأجانب، فيَنصرف هذا، وحظه التهميب، والنظر الحديد، وينفصل هذا، وبين يديه المنذر الصييت، والنعش الجديد. ثم يَفشى دار الميت ويسلُ عن الكيِّت والكيِّت، ويقول على بما في البيِّت. أين دماء الثَّاغية والرَّاغية. أين عقود الأملاك بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذُكر في الأسماء (٢) الحمسة [فقيل] (٣) ذو مال. وعميون الأعوان ترنو من علي (٤)، وأعناقهم تشريبٌ إلى خلف الكيلل، وأرجلهم تدبُّ إلى الأسفاط ديب الصقور (٥) إلى الحجل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر الموروث والمكسوب. وقيد المطعوم والمشروب. وعدت الصحاح. ووُزنت (٦) الأبطال، وكيلت الأقداح. والشهود يَنظرون على الورثة في الآية [ويصونهم بالبتات] (٧) في النشأة الأولى. والروائح حين تُفعم الأرض طيباً، وتهدى الأرواح شنداً يفعل في إزاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدلال يقول هذا مفتاح الباب. والسَّمسار يصيح قام الندأ فما تنتظرون بالثبات. والشاهد يصيح فتعلو صيحته، والمشرَّف يشرب فسقط سيجته. والمحتضر يهسُّ ألاحى فلا تسمعون [ويباهي لون المباء عليه] (٨) الجواب رب أرجعون. ما هذا النشيج والضجيج. مُتٌ كلام أمت.

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (أدره).

(٢) وردت في «ج» (أسماء) والتصويب من الزيتونة.

(٣) وردت في المخطوطين (فقال). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) وردت في «ج» (من خل). والتصويب أرجح.

(٥) وردت هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (الصقر).

(٦) وردت محرفة في «ج». و«الزيتونة» (وزيت. وزينت).

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين. وهي بحالها لا تدل على معنى واضح.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

ومن حجج له الحجيج . فترتفع له الأصوات ، كي لا يفسح فيه الملمات . ويُبَيِّنُ بطنه برغمه ، ويحفر له بمجانب أبيه وبمخدا أمه . ثم يشرع في نفسه الفرض ، ولو أ كَفِيَتْ السموات على الأرض . ويقال لأهل السَّهَام ، أَحْسِنُوا ، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام . وقد نصَّ ابن القاسم على أجره القَسَام . وسوغه أصبَغ وسُحْنُون ، ولم يختلف فيه مطرف وابن الماجشون . إن قيل إيصال الحقائق إلى أَرْجَائِهَا ، حَسَنٌ فجزاء الإحسان إحسان . وقيل إخراج النَّسَب والسكور كِفايه ، [فللكاهنين حُلُوان] (١) . اللهم غَفراً ، ونَسْتَقِيلُ الله من انبساط يجرُّ غَدراً ، ونَسَلُ الله حَمداً يوجب المزيد من نعمائه وشكراً . ولولا أن أُغْفَلَ (٢) عن الخضم ، وأثقل رَحْلُ الفقيه أبي النجم ، لَأَسْتَفِلْنَ المجلس شرحاً (٣) ، ولسكان لنا في بحر المباسطة سبيح ، ولأفضنا في ذكر الوارث والوراث (٤) . وبيننا العلة في أقسام الشهود ، مع المُسْتَعْلَ بِنسبة الذكور مع الأنثى . والله يَصِلُ عزَّ أخى ومجده ، ويهب له قوة تخصه بالفايدة ، وجده (٥) ، ويزيده بصيرة يتبع بها الحقوق إلى أقصاها ، وبصراً لا يُغَادِرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ودام يُحصى الخرايب والفلوس والأطوار ، ويملا الطوامر بأقلامه البديعة الصنعة ، [ويصل] (٦) الطَّوْمَارُ بالطَّوْمَارِ والسلام .

والشيء بالشيء يذكر ، قلت ، ومن أظرف ما وقعت عليه في هذا المعنى .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» . ولم تتضح لنا حكمة إيرادها على

هذا النحو .

(٢) وردت في «ج» (انحفل) . وقد آثرنا نص «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (شرح) .

(٤) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

قال بعض كتاب الدولة الحكومية^(١) بمنورقة ، وقد ولاه خطة المواريث ، وكتب إليه راغباً في الإعفاء :

ومائلتُ من شغل المواريث رُقعة [سوى شرح]^(٢) لعشٍ كلما مات ميت
وأُكتب للأموات صكاً كأنهم يُخاف عليهم في الجباب التفلت
كأنى لعزرائيل صرتُ مُناقضاً بما هو مجهولٌ يوم وأثبت^(٣)
وقال ، فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم^(٤) وأعفاه .
مولده : في أواخر أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

قال في العايد^(٥) ، ومضى لسبيله ، شهاباً من شهب هذا الأفق ، وبقية من بقايا حلبة السبق ، رحمه الله ، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبماية ، وتخلّف وقرأ لم يشتمل على شيء من الكتب ، لإيثاره اقتناء النقادين ، وعين جراية لمن يتاوى كتاب الله على قبره [على حد من التعمرة والمحافظة على الإتيان]^(٦) . ودفن بباب البيرة^(٧) في دار اتخذها لذلك .

(١) الدولة الحكومية هي دولة سعيد بن حكم الأموي حاكم منورقة . وسيجري التعريف به أدناه .

(٢) ورد مكان هاتين الكلمتين في «ج» (غير أن أشرح) . وفي «الزيتونة» (سوى أن أشرح) فلزم التصويب لاستقامة الشعر .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي ، وقد حكم جزيرة «منورقة» ثانية الجزائر الشرقية وقتاً ، بعد سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الأرجونيين . واستمر على حكمها حتى توفي سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وخلفه في حكمها لبضعة أعوام أخرى ، ولده أبو عمر حكم بن سعيد (راجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) ص ٤٠٨ و ٤٠٩) .

(٥) المرجح أنه يشير إلى كتاب «عايد الصلة» الذي سبق التعريف به .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) باب البيرة هو أحد الأبواب الباقية من أبواب غرناطة الإسلامية . وهو يقع شمال غربى المدينة على مقربة من ساحة الثيران الحديثة . وما يزال يحتفظ بهيكله الإسلامى كاملاً . وإلى جانبه قطعة من سور غرناطة القديم .

محمد بن أحمد بن قُطبة الدَّوسِي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا القاسم .

حاله

مجموع خلال بارعة ، وأوصاف كاملة ، حسن الخط ، ذا كُرُّ للتأريخ والأخبار ، مستول على خصال حميدة من (١) [حُسن رواء] (٢) وسلامة صدر ، إلى نزاهة الهمة ، وإرسال السَّجِيَّة ، والبُعد عن المُصانعة ، والتحلِّي بالوقار والحِشمة ، شاعر ، كاتب . ومناقِبُهُ يَقْصُرُ عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفروسية ، والتجند (٣) ، والبسالة (٤) ، والرماية ، والسباحة ، والشطرنج ، [متحمَّد بِحَمَلِ القَنَا] (٥) ، مع البراعة ، مديم (٦) على المروعة ، مؤاس للمحاويج من معارفه . ارتسم في الديوان فظهر غِنَاؤُهُ ، وانتقل إلى الكتابة ، معززة بالخط التَّبيهة العِلْمية ، وحاله الموصوفة متصلة إلى هذا العهد ، وهو معدود من حَسَنَاتِ قَطْرِهِ .

وثبت في « التاج المحلى » بما نصه : « سابق ر كُض المحلِّي ، آتى من أدواته بالمعجائب ، وأصبح صدراً في السُّكُتاب ، وشهياً في السُّكُتاب . وكان أبوه رحمه الله ، بهذه البلدة ، قُطِبَ أفلاكها ، وواسطة أسلاكها ، ومؤتمن روساها وأملاكها ، وصدراً وجالها ، ووليُّ أرباب مجالها ، قد نثّل ابنه (٧) »

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها الانخراط في سلك الجنديّة .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ومكانها في «ج» (الثقافة) ، والأولى أرجح وأكثر اتزاناً

مع السياق .

(٥) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (مدع) والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (بينه) والتصويب من «الزيتونة» .

سهامها ، فخير عدالة وبراعة وفهماً ، وألقاه^(١) بينهم قاضياً شهماً ، فظهر منه
نجيباً ، ودعاه إلى الجهاد سميماً مجيباً^(٢) . فصحب السرايا الغريبة المغيرة ،
وخضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وعلى مصاحبة البعوث ،
وجوب السهول والوعوث ، فما رفض البراعة الباتر ، ولا ترك الدفاتر
للزمان الفاتر .

شعره

وله أدب باوع المقاصد قاعد للإجادة بالمراصد ، وقال من الرؤضيات
وما في معناها :

دعيني ومطول الرياض فإني أنادم في بطحايتها^(٣) والأس والورد
أعلل هذا بخضرة شارب وأحكي بهذا في تورده الخدا
وأزهر غض البان رايد لسة ذكرت به لين المعاطف والقدا
وقال :

وليل أدونها سلفاً كأنها على كف ساقها تُضرم ناراً
غُنينا^(٤) عن المصباح في جنح ليلها بخد مدير لا بكأس عقار
وقال :

يومنا يوم سرور فلتقم تصدع الهم بكاسات المدام
إنما الدنيا منام فلتسكن مغرماً فيها بأحلى المنام

(١) وردت في المخطوطين (والفاهم) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين (بطحايتها) . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وغنينا) .

وقال :

وَبِيْ مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ لِالشَّرْبِ مَا صِحَّاحًا وَبِالْهَيْمِ مَا رَوَّتْ صَدَاهَا الْمَنَاهْلُ
أَحْبَبْتُ مَا هَبَّتْ مِنَ الرُّوْضِ نَسْمَةٌ وَمَا هَتَزَ غَصْنٌ فِي الْحَدِيقَةِ مَا يَلُ
فَإِنْ شَتَّتْ أَنْ تَهْجُرَ وَإِنْ شَتَّتْ فَلتَقْبَلِ فَإِنِّي لَمَسَا حَمَلْتَنِي الْيَوْمَ حَامِلُ

وقال :

كَمْ قَلْتُ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ إِذَا بَدَا هَيْهَاتَ وَجْهٌ فَلَانَةٌ تَحْكِي لَنَا
فَأَيُّنِي بِلِسَانِ حَالٍ وَعَانِي لَا الشَّمْسُ تَحْكِيهَا فَأَحْكِيهَا أَنَا
وَصَرَفْتُ وَجْهِي نَحْوَ غُصْنِ أَمْلَدٍ قَدْ رَامَ يُشْبِهُ قَدَّهَا لَمَّا اثْنَانَا
فَضَحَكَتْ هُزْأً عِنْدَ هَزِّ قَوَامِهَا إِذَا رَامَ أَنْ يُحْكِي قَوَامًا كَالْقَنَا (١)

وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات :

جَوَانِحُنَا نَحْوَ اللِّقَاءِ جَوَانِحُ وَمَقْدَارُ مَا بَيْنَ الدِّيَارِ قَرِيبُ
وَتَمَضَى اللَّيَالِي وَالْتِزَاوُرُ مُعَوِزُ عَلَي الرِّعْمِ مَنَّا وَإِنِّي ذَا لَغْرِيبُ
فَدَيْتُكَ عَجَلَهَا لِعَيْنِي زِيَارَةٌ وَلَوْ مِثْلَ مَا وَدَّ اللَّحَاظُ مَرِيبُ
وَإِنْ لِقَائِي جَلُّ عَنْ ضَرْبِ مَوْعِدِ لِأَكْرَمِ مَا يُهْدِي الْأَرِيبُ أَرِيبُ
فِرَاجِعِي بِقَوْلِهِ ، وَالنَّجْوِي شِيمَةٌ :

لَعَمْرُكَ مَا يَوْمِي إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا سَوَى [يَوْمِ صَبٍّ] (٢) مِنْ عَدَاهُ يَغِيبُ
أَزُورُ فَلَا أَلْفِي لَدَيْكَ بِشَاشَةً فَيَبْعُدُ مِنِّي (٣) الْخَطُؤُ وَهُوَ قَرِيبُ
فَلَا ذَنْبَ لِلْأَيَّامِ فِي الْبَعْدِ بَيْنَنَا فَإِنِّي لِدَاعِي الْقُرْبِ مِنْكَ مَجِيبُ
وَإِنْ لِقَاءٌ جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ لِيَحْسَنَ لَا كُنْ مَرَّةً وَيَطِيبُ

(١) وردت في المخطوطين (كالعنا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت مكانها في المخطوطين (منه) .

(٣) وردت مكانها في «ج» (منه) .

وإجسامة كثير . وفيما ثبت كفاية ليلا نخرج [عن غرض الاختصار]^(١).

محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدوسي

يكنى محمد أبابكر ، أخو الذي قبله .

حاله

تلوه في الفضل والسراوة ، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف]^(٢) مُرب عليه بمزيد من البشاشة والتزل ، وبذل التودد . والتبريز في ميدان الانقطاع متأخر عنه في بعض خلال غير هذا . ذكي الذهن ، مليح الكتابة . سهلها ، جيد العبارة [متأثري اليراع]^(٣) ، معلق اليد ، حسن الخط ، سريع بديهته المنشور ، مغم ، مخول في التخصص والعدالة . كتب الشروط بين يدي أبيه ، ونسخ كثيرا من أمهات الفقه ، واستظهر كتباً ، من ذلك « المقامات الحريرية » . وكتب بالدار السلطانية ، واختص بالمراجعة عمّن بها ، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها . حميد السيرة ، حسن الوساطة ، نجدي الجاه ، مشكور التصرف ، خفيف الزطاة . وولى الخطابة العلية . مع الاستمسك بالكتابة . ولم يؤثر عنه الشعر ، ولا عرّس عليه .

محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدوسي

يكنى أبابكر ، وقد ذكرنا أباه وعمه ، ويأتي ذكر جدّه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ومكانها في «الزيتونة» (عن الغرض) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي ، مشغول به ، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر مطبوعٌ مُكثراً^(١)] انقاد له مَرَّ كِبِ النظم ، في سن المراهقة ، واشتهر بالإجادة ، وأثمد السلطان ، وأخذ الصلة ، وارتسم لهذا العهد في الكتابة . وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره .

شعره

ومما خاطب به أحد^(٢) أصحابه :
 إذا شمتُ من نحو الحمي في الدجا برقا
 ومهما تذكرتُ الزمان الذي مضى
 خليلي لا تجزع لمحل فادمعي
 وما ضره من أصبحتُ ملك يمينه
 ففيتُ به عشقا وإن قال حاسداً
 تلهب قلبي من تلهب خده
 ومنها
 وكم من صديق كنت أحسبُ أنه
 إذا كذبت أوهامنا رفع الصدقا
 أبي الدمعُ إلا أن يسيل ولا يرق
 تقطعت الأحشاء من حرِّ ما ألقى
 تبادر سقياً في الهوى لمن استسقى
 إذا رقى^(٣) لي يوماً وقد حلزني رقاً
 أضلّ الوري من مات في هاجر شقاً
 فيانيم^(٤) ذاك الخلدُ فاض بأن أشقى

[محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي]

ابن عم المذكورين قبله ، يكنى أبا القاسم .

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (شاعراً مطبوعاً مكسراً) .
- (٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعض) .
- (٣) وردت في المخطوطين (راق) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .
- (٤) وردت في «ج» (فنم) . والتصويب من «الزيتونة» .

حاله

حسن الصورة ، لازم القراءة على شيوخ بلده ، ونظم الشعر على الحدائث ،
وترشح للكتّاب بالدار السلطانية مع الجماعة ، ممن هو في نظمه .

ومن شعره . كتب إلى بما نصه :

أحسب وحده يوم رأسك ربما تهبطي السلامة في الصراع سلماً^(١)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور

حاله

شاب حسن فاضل ، ذمّث ، متخلّق ، جميل الصورة ، حسن الشكل ، أحمر
الوجنتين^(٢) . حفّظ كتباً من المبادئ النحوية ، وكتب خطاً حسناً ، وارتسم
في ديوان الجند مثل والده ، وهو الآن بحاله الموصوفة .

شعره

قيد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه ، قوله :

حلفت بمن^(٣) زاد عنى الكرى وأسهر جفنى ليلاً طويلاً
وألبس جسمي ثياب النحول وعذب بالمعبر قلبي العليلاً
ما^(٤) حلت عن وُدّه ساعة ولا اعتضت منه سواه بديلاً

(١) هذه الترجمة الموجزة وارادة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الوجنة) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (لن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (لأ) . وحكمة التصويب واضحة .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلابي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يكنى أبا عبد الله .

أوليته

تُنظر (١) في اسم أبيه في ترجمة الأتريين والعلماء .

حاله

من أعلام الشهرة على الفتاوة (٢) . وانتشار الذكر على الحدائث . تبريزاً في الأدب ، واضطراباً بمائة الشعر ، وإتقان الخط ، وإيضاحاً للأحاجي والمفردات . نشأ بقرناطة في كنف والده رحمه الله . مقصود التدريب عليه ، مشاراً إليه في ثوب الذهن ، وسعة الحفظ ، ينطوي على نبيل لا يظهر أثره [على التفاتة ، وإدراك ، تغطي شعلته مخيلة غير صادقة ، من تغافله . ثم جاش طبعه ، وفوق حوضه ، وتفجرت ينابيعه ، وتوقد إحسانه] (٣) .

ولما فقد والده ، رحمه الله ، ارتسم في الكتابة . فبدأ جلة الشعراء ، إكثاراً واقتداراً ، ووفور مادة ، بحيداً في الأمداح . عجبياً في الأوضاع ، صدقاً (٤) في النسيب ، مطبوعاً في المقامات . معتدلاً في الكتابة ، نشيط البنان ، جليلاً على العمل ، سيال المجاز (٥) ، جموح عنان الدُّابة ، غزلاً ، مؤثراً للفكاهة ،

(١) وردت في المخطوطين (تنظيم) ، فلزم التصويب .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفتاوى) وهو تحريف ، والمقصود بها هنا (الفتوة) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المزاج) . والأولى أرجح .

انتقل إلى المغرب لشُوف خصله ، على ما قد قسم^(١) المخطوط . سبحانه من رزقه
بهذه البلاد . فاستقرَّ بباب ملكه . مرعى الجناح ، أثير الرتبة . مطلق الجراية ،
مقرر^(٢) السهام . مُعتبا وطنه | راضيا عن جيرته . دَيْدَنُ من يستند إلى قديم ،
ويتحيزُ إلى أصالة^(٣) .

تواليفه

أخبرني عند لقاياه أيى بمدينة فاس في غرض الرسالة ، عام خمس وخمسين
وسبعماية ، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ، ذاهبا هذا المذهب ، الذي انتدبت
إليه ، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعها ، وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة^(٤)
والفوايد والأشعار ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد . وجرى ذكره في «التاج»
بما نصه :

« شمسٌ في البلاغة بازغة^(٥) ، وحجةٌ على بقاء الفطرة الغريزية^(٦) في هذه
البلاد المغربية بالغة ، وفريدةٌ وقت أصاب من فيها نادرةٌ أو نابغةٌ ، من جُدع
ابن على القادح ، وجرى من المعرفة كل بارح ، لو تعلقت الغوامض بالثرىا
لناها ، وقال أنا لها . وربما غلبيت^(٧) الغفلة على ظاهره ، وتنطق أكمامها
على أزاهره ، حتى إذا قدح في الأدب زنده ، تقدم المواكب بنده ، إلى خط^(٨)

(١) وردت في المخطوطين (قاسم) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطين هكذا (مقدر مقرر) . وقد آثرنا الكلمة الثانية .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها فيما يبدو ، الحديثة وقت كتابة هذا التاريخ .

(٥) وردت في المخطوطين (بارعة) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الغربية) . والتصويب أنسب لصفة الفطرة .

(٧) وردت في «ج» (وبلغت) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (خط) . والتصويب أرجح .

بارع^(١) ، يعنُو^(٢) طَوال الطويل منه [إلى سرِّ وبراعة ، كما ترضى المسك
والكافور عن طرس وحرير]^(٣) .

شعره

فمن غرامياته وما في معناها [قوله]^(٤)

متى يتلاقى شايق ومشوق	ويصبح غيرُ الحُبِّ وهو طليق
أما أنها أُمْنِيَةٌ عزَّ نيلُها	ومرَّحى لعمري في الرِّجاء سحيق
ولكني خدعتُ قلبي تملَّة	أخافُ انصداع القلب فهو رقيق
وقد يُرزق الإنسان من بعد يأسه	وروضُ الرُّبِّي بعد الذبول يروق
تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً	أهل فؤادي من جَواه يَفِيق
ورمتُ شفاء الداء بالداء مثله	وإني بالألأ أشتفى لحقيق
وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحةٌ	على كلِّ حال إنه لمشوق
وياربُّ قد ضاقت عليَّ مسالكي	فها أنا في بحر الغرام غريق
ولا سلوةٌ ترجى ولا صبرٌ ممكن	وليس إلى وصل الحبيب طريق
ولا الحبُّ عن تعذيب قلبي يَنْثني	ولا القلبُ للتعذيب ^(٥) منه يُطيق
شجونٌ يضيق الصدر عن زفراتها	وشوقٌ يُطاق الصبر عنه يضيق
نثرتُ عقود الدمع ثم نظمتها	[قريضاً فذا دُرٌّ وذاك عقيق] ^(٦)

(١) وردت في «ج» (براعة) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (يرنو) .

(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بالتعذيب) والأولى أكثر تمشياً مع المعنى .

(٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالاتي : (قريضاً فصار

لون ذلك عقيق) .

بكيتُ أسيء^(١) حتى بكى حاسد [ي معى]^(٢) كأنَّ عذُولِي عاد وهو صديق
ولو أن عند الناس بعض محبتي
أيا عين كفى الدمع ما بقي السكرى
لما^(٣) كان يُلقي في الأنام مُفنيق
ويانايمًا عن ناظري أما ترى
إذا منعوك النوم سوف تذوق
لشمسك من^(٤) بعد الغروب شروق
عليك وإن عاديتَه لشفيق
نقضت عهدى ظالما بعد عقدها
إلا إن عهدى كيف كنت وثيق
كتمتُك حُبى يعلم الله مدّة
وبين ضلوعى من هواك حريق
فمازلت بي حتى فُضحت فإن أكن
صبرتُ بعد اليوم لستُ أُطيق
وقال :

ومورّد الوجنات معسول اللّمي
فمّاكُ بلحظ العين في عشاقه
الجر بين لثاته والزهر في
وجناته والسحر في أحداقه
ينادى غصنُ البان في أثوابه
ويلوحُ بدرُ التّم في أطواقه
من للهلاك بتقره أو خده
هَبْ أنه يُحكّيه في إشراقه
ولقد تشبّهت الطّبا بشبّهة
من خلقه وعجزن عن أخلاقه
نادمته وسنًا محيّا الشمس قد
ألتى على الأفاق فضل رواقه
في روضة ضحكت ثغورُ أفاحها
وأمال فيها المزن من آماقه
أسقيه كأس سُلافة كالمسك في
نفحاته والشهد عند مذاقه
صفراء لم يُدر القى أكواسها
إلا تداعى همُّ لفراقه

(١) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في «ج» ووراد في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ما) .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

ولقد تلين الصخر^(١) من سطاواته
وأظلم أُرشف من سلافة^(٢) نغره
ولربما عطفته عندي نشوة
أرجو نداءه إذا تبسم ضاحكا
أشكو القساوة من هواي وقلبه
ياهل لهدي قد مضى من عودة
يا ليت شعري لو كانت لذلك حيلة
فلقد يروق الغصن بعد ذبوله
ومما اشتهر عنه في هذا الغرض :

ذهبت حشاشة قلبي الصدوع
ما أنصف الأجاب يوم وداعهم
أنجيد بغيثك يا غمام فإني
من كان ييكي الظاعنين بأدمع
إيه وبين الصدر مني والحشا
هات الحديث عن الذين تحمّلوا
عندي شجون في التي جنت النوى
من وصلّى الموقوف أو من سهدى الموصول^(٤) أو من نومي المقطوع
ليت الذي ييني وبين صيأتي

(١) وردت في المخطوطين (الخمير) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطين (أفاح) . وبهذا التعديل يستقيم المعنى والسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (فعل) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» الموصوف . والأولى أنسب للمعنى

يا قلب لا تجزع لما فعل النوى
أبعد ما غودرت في أشراكه
ومهففت مها هبت ريح الصبا
جمع المحاسن وهو منفرد بها
والشمس لولا إذنه ما آذنت
مازلت أسقى خده من أدمعي
إن كان يرنو عن^(١) نواظر شادين
عجبا لذلك الشعر زاد بفرقه
منع الكرمي ظلما وقد منع الضنا
جردت ثوب العز عن طائما
لم أنتفع لبسا من الملبوس في
بجماله استشفعت في إجماله
يا خادعي عن سلوتي وتصبري
أوسعتني بعد الوصال تفرقا
أسرعت فيما ترتضى^(٢) فجزيثني
أشرعت رُحما من قوامك دايلا
خذ من حديث تولعي وتولهي
يرويه^(٣) خدي مسندا عن أدمعي

فالحر ليس لحادث يجزوع
تبغى التزوع ولات حين تزوع
أبدت له عطفاه عطف مطيع
فاعجب لحسن مفرد مجموع
خجلا وإجلا له مطلوع
حتى تفتح عن رياض ربيع
فرب ضرام بهن صريع
حسنا كحسن الشعر بالتصريع
فشقيت بالمنوح والمنوع
[أترأه يعطفه على خضوع]^(٤)
حبي ولا ينداري الخـ
ليحوز أجر منعم^(٥) وشفيع
لولا الهوى ما كنت بالمنوع
وأثبتني سوءا لحسن صنيع
بطويل هجران إلى سريع
فمنعت من ماء الرضاب شروعي
خبرا صحيحا ليس بالمصنوع
عن مقلتي عن قلبي المصدوع

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (على).

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطين. وفي نص آخر: (أترأه يولي عطفه لخضوعي)

(٣) هكذا في المخطوطين. وفي نص (مشفع).

(٤) هكذا في «ج». والتصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (برؤ) وهو تحريف.

كم من ليالي في هواك قطعتها
لا والذي طبع الكرام على الهوى
ما غيرتني الحادثات ولم أكن
لا خير في الدنيا وساكنها معا
وأنا لذكرهن في تقطيع
وبر^(١) سوا أن الهوى المطبوع
بمذيع سر للعهد — ود مضيع
إن كان قلبي منك غير جميع
وقال في غير ذلك [في غرض]^(٢) يظهر من الآيات :

وقالوا عداك البخت والحزم عندما
ألم يعلموا أن اغترابي حُرامة
نعم لست أرضى عن زمانى أو أرى
لقد سميت نفسى المقام ببلدة بها العيشة الكراء^(٣) والمكسب السحت
ويجفوه بين السميت^(٤) من سنة ست
أذى ويرى فيه أذاً يبت
يقولون بغداد لغرناطة أخت
مقالهم زورٌ ووُدُّهم مَقَّتْ
هى السَّمُّ يالآل المشود لها لَتُ
إلى بإخلاص المودة قد متوا
مقالهم صدقٌ ووُدُّهم بَحَّتْ
تمامٍ وعن ما ليس يعينهم صَمَّتْ
ولا علموا أن الكروم لها ينث
إذا ما أتاه منهما النبا البَغَّتْ

يُدل بها الحرُّ الشريف لعبدته
إذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها
ولست كقوم في تعصبهم عتواً
رغبتُ بنفسى أن أساكن معشراً
يدسون فى لين الكلام دواهاياً
فلا دُرُّ دُرُّ القوم إلا عصبية
وآثرتُ أقواماً حمدتُ جوارهم
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت
فما أَلِفُوا هُواً ولا عَرَفُوا خَيَّ
به كل مُرتاح إلى الضيف والوَغَى

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ومن).

(٢) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (النكداء).

(٤) وردت في «ج» (الستين). والتصويب من «الزيتونة».

وأشعثُ ذى طمرين أغناه زُهدُه
صبورٌ على الإيذاء بغِيضٍ على العدا
ولى صاحبٌ مثلى يمانٍ جعلته
وأجرُدُ جرار الأَعنة فارِح
تسامتُ به الأعراق^(١) فى آل أعوج
وحسبى لعضات النوائب مُنجداً
قطعتُ زمانى خبرةً وبلوتهُ
ومارستُ أبناء الزمان مباحثاً
وذى صلفٍ يمشى الهوينا ترفقاً
إذا غبتُ فهو المروة القوم عندهم
وإن ضمّنى يوماً وإياه مَشهد
فحسبى عُداتى أن طويتُ مآربى
وقلتُ لديّاهم إذا شئتُ فاعربى
وأغضيتُ عن زلاتهم غير عاجز
وقال :

لا تُعد ضيفك إن ذهبت لصاحب
أوما ترى الأشجار مَهمارٌ كُبت
ومنه فى المقطوعات :

وشادن تيمنى حبسه
مورّد الخدين حلو اللّمسى
حظى منه الدهر هجرانه
أحمر مضمّى الطرف وسنانه

(١) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (الأعذار).

(٢) وردت فى «ج» (وأنفق) ، والتصويب أرجح .

لم تنطو الأغصان في الروض بل
يا أيها الظبي الذي قلبه
هل عطفةٌ ترجى لصبِّ شبح
يود أن لو زُرته في الكرى
قد رام أن يكتب ما نابَه
فأفضيتُ أسراره واستوى

وقال :

بينهما الشوق يُستثار
فأين لي عنهما الفرار
يطلبه الليل والنهار
نهار وجهٌ وليل شعير
قد طلبنا بالهوى فؤادي
وكيف يُبغى النجاة شيء
وقال في الدوبيت :

صُبْحًا جَمَعَتْ بَيْنَ صَبْحٍ وَظِلَامٍ
لَمَّا بَصُرْتُ بِالشَّمْسِ قَالَتْ يَا فَيْ
[جَمْعُ الإِنْسَانِ بَيْنَ] (٢) الأَخْتَيْنِ حَرَامٍ
وقال في غرض التورية :

أَبِجْ لِي [فِي] (٣) رِيَاضِ الحِمَاسِ نَظْرَةً
وَبِاللَّهِ لَا تَبْخَلْ عَلَيَّ بِعَظْفَةٍ
إلى ورد ذلك اخذاً أروى به الصدى
فإني رأيت الروض يوصف بالندا
وقال :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (قلبي).

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في «الزيتونة» (الجمع بين الأختين).

(٣) الزيادة من «الزيتونة».

وعاشقٌ صلي ومحـرابه
قالوا تعبد فقلت (١) نعم
وجهُ غزالٍ ظلَّ يهـواه
تعبدًا يفهم معناه

وقال وهو مليح جداً :

وصديقٌ شكى بما حـلوه
قلتُ فاردُدْ ما حـلوك عليهم
من قضاء (٢) يقضى بطول العناء
لسانان هجياً (٣) من خصماه
قال من يستطع ردَّ القضاء
لسان الفتى ولسان القضاء
فلست أرى لك أن تنطقاً (٤)

وقال :

تلك الذؤابة ذُبت من شوقى لها
يا قلبُ فأنجح لا إخالك ناجياً (٥)
واللحظ يحميها بأى سلاح
من فتنة الجمدي والسفاح
| وإحسانه كثير . ويدل بعضُ الشيء على كفه . ويحجُرُ طلُّ الغيث على
وبله (٦)

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته بناس مَبْطُوناً في أوائل ثمانية وخمسين وسبعماية . ثم
تَحَقَّقْتُ [أن ذلك] (٧) [في آخر شوال من العام قبله] (٨)

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قلنا) .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قضى) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (هجياً) .
- (٤) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ناجماً) . والأولى أرجح لاستقامة المعنى .
- (٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٧) أضفت هاتين الكلمتين ليستقيم السياق .
- (٨) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وورد مكانها في «الزيتونة» العبارة الآتية (ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام) . والكلام عليه علامة الشطب ابتداءً من كلمة (في أوائل) .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم
ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي

يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : فرع دوحه الأصالة والخصوصية ، والعلم والدين ،
والمسكاة والجلالة ، [مُجلى بيته] ^(١) . ومجدد ماثره [براً ، ومجاملة ، وخيرية] ^(١) .
نشأ بأطراف مجلته من الفنون ، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة ، إلى
خط حسن ، وأدب تكفله ^(٢) ، حتى اتقاده أو كاد . أعبط ^(٣) في وقية الطاعون
قاضياً ببعض الجهات . وكاتباً للدار السلطانية ، فكانت فيه الفجيرة عظيمة .

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه : « من فروع مجد وجلالة ، وورث
الفضل لآعن كلاله . أشرف ^(٤) ، مجيد ، معظم ، مخول في العشرة ^(٥) ، وصل
لباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة ، وأصبح طرفاً ^(٦) في الخير والعفاف ، واتصف
من العدالة بأحسن اتصاف ، وسلك من سُنن سلفه ، أثر هذا ، لا يزال يرشده
ويدله ، ويسدده فيما يعقده أو يحله ، واتسم بميسم الحيا ، والحيا خير كله ، إلى
نزاهة لاترضى بالدون ، ونجابة تمالك في صون ^(٧) الفنون . وطمح في هذا العهد

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلفه) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت شرفقة في «ج» (اغبط) . وأعبط أى هلك .

(٤) وردت في «ج» (يشرب) . وبالتصويب من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العشرة) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . والطرف ، أى القوى .

(٧) وردت في المخطوطين (هون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

إلى تَمَطُّ في البلاغة رفيع، وَجَنَحَ إلى مساجلة [ما يستحسنه^(١) من مُخْتَرَعٍ وبديع،
وصدوت منه طُرْفٌ تُسْتَمَلِحُ، وتُسْتَحَلِي إذا استحلى . ونحن نورد ما أمكن
من آياته، ونجلى بعض غرره وشيائه .

شـمـرـه

ومن مقطوعات آياته :

وهيبت فهزت عند ما رأت به الطلأ مثل الطفل يرضع في المهد
والرّوض حياه المزن خالعة بركة وباتت رُباه من حباه على وعد
يحدثناعن كرمها^(٢) ما من مزينها^(٢) فتبدي ابتسام الزهر في لئمة الخلد
عجينا لما رأينا من برّها بدور حُباب الكأس تلعب بالنرد

وقال :

شربنا وزنجي الدياجي مُوقدٌ مصابيح من زهر النجوم الطوالع
عقاوا وأنه حين أقبل حالكا فجاءت بمُصفر من اللون فاقع
عجبت^(٣) لها ترتاع منه وإنها لفي الفرقد قرّت لدم المدامع^(٤)

وقال :

لاح في الدرّ العقيق فخيّا أم مزاج^(٥) أذاه صرف الحيا

(١) وردت في «الزيتونة» (من يستحسنه) . ووردت في «ج» (من يقتبسه) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردتا في «الزيتونة» (كرمه . قربه) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (عجبا) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراضع) ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (زجاج) . والتصويب من «الزيتونة» .

من بنات الكروم والروم بكرا
خلتها والحباب يطفو عليها
قهوة كالعروس في الكأس تجلى
أقبلت ترتدى حيا بهيا
شفقا فوقه نجوم الثريا
صاغ من لؤلئها المزج حليا

وقال :

ويوم أنس صقيل الجوؤ ذى نظر
مازلت فيه لشمس الطست^(٢) مضطجبا
صفراء كالعسجد المسبوك إن
كذلك الشمس في أخرى عشيتها
كأنه من وميض البرق^(١) قد خلقا
وبالنجوم وبالآ كواس مغتبقا
شربت تبدي احمررا أعلى الخدين مؤتلقا
إذا توارت أثارها بعدها شفقا^(٣)

وقال :

بنفسى حبيب صال^(٤) عامل قدّه
ويا عجباً منه متى صار ذابلا
وأعجب من ذا أن سيف لحاظه
على ولما ينمطف وهو كالغصن
ونضرتة تنار عن حوطة اللدن
يمزق أفلاذ الحشى وهو فى الجفن

وقال :

يابى وغير أبى غزال نافر
قرم تلالاً واستنار حبيبّه
لم يرض غير القلب منزلة فهل
بين الجوانح يفتدى ويروح
غارت^(٥) به بين الكواكب بوح
يا ليت شعري بالذراع يلوح
ومما نسب لنفسه وأنشديه :

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (الروض) والأولى أنسب للمعنى .

(٢) وردت فى «ج» (الطلب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذا البيت وارد فى «الزيتونة» وساقط فى «ج» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (جمال) والأولى أنسب للمعنى .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (عادت) .

ليلُ الشَّبَابِ انْجَابُ أَوَّلِ وَهْلَةٍ عَنْ صُبْحِ شَيْبٍ لَسْتُ عَنْهُ بَرِاضٌ
 إِنْ سَرَّ نِيَّ يَوْمًا سِوَا دُخْضَابِهِ فَنُصُولُهُ عَنِ سَاقِ بِيِيَاضِ
 هَلَّا اخْتَفَى فَهُوَ الَّذِي سَرَقَ الصُّبْيَا وَالْقَطْعُ فِي السَّرْقَاتِ [أَمْرًا مَضًى] (١)
 فَعَلِيهِ مَا اسْتَطَاعَ الظُّهُورَ بَلَمَّتِي وَعَلَىَّ أَنْ أَلْقَاهُ بِالْمَقْرَاضِ

وفاته

توفي رحمه الله بقرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة ،
 في وقيعة الطاعون ، ودفن بباب البيرة [رحمة الله عليه] (٢) .

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي] (٣)

ابن محمد اللوشي اليحصبي

يكنى أبا عبد الله ويعرف باللوشي

أوليته

من لوشة . وقرأ العلم بها ، وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير
 الملك [له] (٤) وتقدم عنده . تضمن ذكره الكتاب المسمى « بطرفة العصر

(١) وردت في المخطوطين (أرماس) . وهو تعريف . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» .

في أخبار بني نصر»^(١) ، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشي ، كاتب الدولة النصرانية رحمه الله .

حاله

من كتاب «عايد الصلة» . كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة ، شاعراً ، مداحاً . نشأ مُدَلِّلاً في حُجُور الدولة النصرانية ، خفيفاً على أبوابها ، مُفضَّلاً على مُدَّاحها . ثم تَجَنَّبَ بآخرة ، ولزم طوراً من الخمول في غير تَشَكُّك ، أعرض به عن أرباب الدنيا ، وأعرض عنه ، واقتصر على تبليغ من علالة مؤمِّل كان له خارج [غرناطة]^(٢) غير مُسَاد من ثلمه ، ولا مُصْلِح في خَلِّه ، أخذ نفسه بالتَتَشُّف ، وسوء المسكن ، والتهاون بالملبس ، حملا عليها في غير أبواب الرياضة ، مجاناً أرباب الخُطَط ، وفيما لمن لحقته من السلطان مَوْجِدَة ، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرَّات ، من إعراض عنه ، وقَبُول عليه ، ولصوق به ، كل ذلك عن سلامة ، وتهيب نفس . مليح الدُّعَابَة ، ذا كرا لفنون من الأناشيد ، حسن الجِدِّ ، متجافياً عن الأعراض .

وجرى ذكره في «الناج» بما نصه : «شاعر مُفَلِّق ، وشهابٌ في أفق البلاغة متألِّق ، طبَّق مفاصل الكلام بحُسام لسانه ، وقلَّد نحور الكلام ، ما يُزري بجواهر الملوك من إحسانه . ونشأ في حُجُور الدولة النصرانية مُدَلِّلاً بمتاته ، متقلِّباً من العزِّ في أفانينه وأشتاته ، إذ لسلفه الذُّمام الذي صَفَّت (٣) منه الحياض

(١) هو مؤلف وضعه ابن الخطيب في تاريخ الدولة النصرانية منذ قيامها حتى عصره ، وهو غير كتاب «اللمحة البدرية» الذي يتناول نفس الموضوع . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الخطيب التاريخية (راجع كتابنا لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٠ ، والمجلد الأول من الإحاطة (الطبعة الثانية - ص ٥٨) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (بعث) . والتصويب من «الزيتونة» .

والحمام، والوداد الذي قصرت عنه الأنداد . والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أرجونة^(١) وجيان ، محيّر ثمره الطيب . وله همّة [عالية] ^(٢) ، بعيدة المرعى ، كريمة المنتمى ، كملته بأخرة على الانتقباض والازدواء ، والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والافتقار، فعطف على انتجاع غلته، والتزام محلته ، ومباشرة فلاحه صان بها وجهه ، ووفاه الدهر حقه ونجمه ، واحتجبت عقايل بيانه لهذا العهد وتنتعت وراودتها النفس فتنتعت ، وله فسكاهة، وأنس الزمان ، مناجاة القينات ، عند البيات ، وأعذب من معاطاة^(٣) الراح في الأقداح .

شعره

قال ، [وله أدبٌ بلغ في الإجابة الغاية] ^(٤) ، ورفع للجبين من السنن الرأية . ومن مقطوعاته يودع^(٥) شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجاج :

وأحرقْتُ في نارِي لَدَى زَفْرَاتِي	رَأُونِي وَقَدْ أَغْرَقْتُ فِي عِبْرَاتِي
فَقَلْتُ سَلُّوا عَنِّي أبا البركات	فَقَالُوا سَلُّوا تَعَلَّمُوا كُنْهَ حَالِهِ
رَوَتْ عَنْهُ أَجْفَانِي غَرِيبَ ثَبَاتٍ	فَمَنْ قَالَ إِنِّي بِالرُّحِيلِ مُحَدِّثٍ
تَرَحَّلْ وَكُنْ فِي الْقَوْمِ بَعْضَ عُدَاتٍ	وَنَادَى فَوَادِي رَكْبِهِ فَأَجَابَهُ

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية :

سيخطب قس العزم في منبر السرى وهل في الدنيا^(٦) يوم المسير أطيق

(١) هي موطن بني نصر ملوك غرناطة، وقد سبق التعريف بها . (٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (معاطب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالآتي : (وله أدب بليغ

في الإجابة بلغ الغاية) .

(٥) وردت في المخطوطين (يردد) والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الدنيا) . والتصويب يستقيم الوزن .

وأقطع زَند الهَجْر والقَطْع حَقَّهُ فَمَازال طيبُ العَمْر عَنى يَسْتَرِقُ

مولده : فى حدود ثمانية وسبعين وستايه

وفاته

فى الموفى عشرين من شهر ربيع الثانى من عام اثنين وخمسين وسبعماية

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي

يكنى أبابكر

أوليته

[مرت] ^(١) فى اسم ذى الوزارتين .

حاله

من كتاب «عائد الصلوة» : «كان صدر أبناء أصحاب التعم ، وبقية
أعلام البيوت ، ترف نشأة ، وعز تربية ، وكرم نفس ، وطيب مجالسة ،
وإمتاع محاضرة ، وصحة وفاء ، وشياع مشاركة فى جملة فاضلة ، محدثا تاريخيا ،
كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، مليح الدعاة ، ظريف التوقيع ، متقدم الحيلة ^(٢)
فى باب التحسين والتنقيح . يقرض الشعر ، ويفك المعنى ، ويقوم على مجمل
الكتاب العزيز . حفظاً ونجويداً . وإتقاناً ، ويسرُ د نَتَف التاريخ . وعيون
الأخبار ، إلى حسن الخلق ، وكال الأبهة . وحلاوة الساطة ، واحتمال المنابشة .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت فى «ج» (الحيلة) . وفى «الزيتونة» (الحملة) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

والمشاركة على حفظ المودة. والاستقامة من الذمومة. والتمسك بالاستعتاب والمندرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عمره. وتصدر بعد في قيادة المواضع النبوية، [مخارباً ذا قدرة في ذلك] (١). ومع ذلك فشاع المعروف، ذابح المشاركة. قيّد الكثير. ودون وصنّف، وحمل عن الجلالة ممن يشق إحصاؤهم، وكان غرة من غرر هذا القطر، وموكبا من مواكب هذا الأفق، لم يتخلف بعده مثله.

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه: «ماجد أقام رسم المجد بعد عفايه، فوفى الفضل حق وفايه. بيته في رندة، أشهر في الأصالة من بيت امرئ الفيس، وأرسى في بحبوحة الفخر» (٢)، من قواعد الرضوى وأبي قيس. استولى على الجود [البديع] (٣) البعيد المدا، وحجبت إليه من كل فيج طلاب النداء، وعشت إلى ضوء ناره، فوجدت على النار التقي والهدى. ولى الوزارة النصرية، التي اعتصر منها طريفاً بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد (٤). ولما أدار عليها الدهر كأس النوايب، وخلص إليها سهمه [الصائب] (٥) بين صحايف الكُتُب وصفائح الكتابيب، تطاعت من خلالها الرايقة لباب الوجود، وبكتنها بسيل أجفانها عين الباس والجود، وطلع على أعقاب هذه الفضائل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة». ووردت في «ج» كالاتي: (مخاربا مقدرًا عليه). والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى والسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (الفضل).

(٣) الزيادة من «الزيتونة».

(٤) هو يحيى بن خالد البرمكي وزير هارون الرشيد. وأحد اعلام أسرة البرمكية الشهيرة، التي استولت على السلطة في الدولة العباسية، واضطر الرشيد إلى نكبتها (سنة ١٨٧ هـ) حرصاً على سلطانه، وتحرراً من قبضتها.

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

[مُحَلِّي من صفحاتها] (١)، وأعاد لوساعده الدهر من لمحاتها، وارتقى من الكتابة إلى المحل النبوية، واستحقها من بعض ميراث أبيه، [وَبْنِي] (٢) وشيّد، ودوّن فيها وقيد وشهر في كتب الحديث وروايته، وجنّى ثمرة رحلة أبيه، وهو في حجر ذؤابته (٣). وأنشأ الفهارس، وأحيى الأثر الدارس، وألف كتابه المسمى «بالموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة» فسرح (٤) الطرف، وروضه طيب الجنى والعرف، وله شعر أنيق الحلية، حاز في نمط العلية. وبيّن وبين هذا الفاضل وداد صافي الحياض (٥)، وفكاهة كقدّاع الرياض، ودُعاة سحبت الدالة أذيالها، وأدارت الثقة والمقة جريالها. وسيمر في هذا الديوان كل رايق الحيا، عاطر الريا.

مشيخته

قرأ على [الأستاذ] (٦) أبي جعفر الحريري، والأستاذ أبي الحسن القيجاطي، والأستاذ إسحق بن أبي العاصي. وأخذ عن الطم والرّم، من مشايخ المشرق والمغرب. فتمهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المعافري، إلى العدد الكثير من أهل الأندلس، كأطالبا الصلحاء أبي عبد الله الطنجالي، وأبي جعفر الزياتي، وأبي عبد الله بن الكماد، وغيرهم من الرنديين والمالقيين والغرناطين، حسبما تضمنه برنامجهم.

تواليفه

ألف الكتاب المسمى، «الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة» (٧). وكل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة». ووردت محرقة في «ج» كالآتي: (بجلى من صباحها).

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) وردت في «ج» (دأبته). والنص: «من «الزيتونة».

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (فسمع) وهو تحريف.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (الحيطة).

(٦) الزيادة من «الزيتونة».

(٧) سبق أن ورد عنوان هذا الكتاب فيما تقدم كالآتي: «الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة».

التاريخ المسمى « بيزان العمل » لابن رَشِيْق . ودوْن كتاباً في عبارة الرؤيا سماه « بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب » و « الأخبار المذهّبة » و « الإشارة الصوفية ، والنسك الأدبية » . والهَوْدَج في السكّيب . والإشارة في ألف إنشاده .

شعره وكتابه

قال في التاريخ مانصه : « وتهادته إلى هذا العهد رُتِب السيادة ، واستعمل في نبيات القيادة ، فوجّه إلى معقل قرطمة^(١) من كورة ريه وهو واليه ، وبطاحه في مجرى جواده وصحْر عواليه . وقد حلت مالقة صُحبة الركب^(٢) السلطاني في بعض التوجّهات ، إلى تلك الجهات ، في بعض ما أتخف [من مقعده]^(٣) ، المتصل المستمر ، بهدية مشتمة على ضروب من البر . فخطبته مقيا لسوق^(٤) الانبساط ، وغير حايد عن الوداد والاختباط ، على ما عوّل [عليه]^(٥) من حمل الإفراط ، والانتظام في هذا المعنى والانخراط :

ألم على أخذ القليل وإنما أطامل أقواماً أقل من الذر
فإن أنا لم آخذ منهم فقدته ولا بد من شيء يُعين على الدهر
سيدي أطلق الله يدك بما تمّك ، وفتر عن منحك البخل ليلاً تهلك .

(١) وردت في المخالطين (قرطبة) وهو تحريف ظاهر ، لأن قرطبة كانت قد سقطت في أيدي النصارى قبل ذلك بنحو قرن ، ولأنها من جهة أخرى ليست واقعة في كورة ريه أو كورة مالقة . والصواب هو «معقل قرطمة» Cartama . وقرطمة هي بلدة حصينة تقع غربي ثغر مالقة وسط كورة ريه .

(٢) هكذا وردت في «ج» ، وفي «الزيتونة» (الركائب) .
(٣) وردت في «ج» (ما فقدته) ، والتصويب من «الزيتونة» .
(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (سوق) .
(٥) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

كنت قد هومت^(١)، وحذرني القلق فتلوّمت . ولوْمي^(٢) كما علمت سيء الخصال ، عزيز الوصال . يهطل دَيْني ، ويعاف طيره ورْد عيني . فإذا الباب يدقُّ بحجر ، فأباني عن ضَجْر ، وجارُ الجنب يُؤخذ بالذنب . فقامت مُبادراً وجَزعت . وإن كان الجزع مني نادراً . واستفهمتُ من وراء^(٣) الغلق ، عن سبب هذا القلق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابضة الفؤاد يا قوم ، رسول خير ، وناعق طير ، وقرعُ إذلال لا فرعُ إذلال . حطوا شعار الحرب والحرب ، فقد ظفرتم ببلوغ الأرب ، فتأخرتُ عن الإقدام ، وأنهدتُ إليه ، فخن^(٤) عمر بن أبي ربيعة عن كان بالدار من الخدام . فأسفرت الوقيعة عن سلام وسلم ، ولم يزن أحد منا بكلم . ونظرتُ إلى رجل قرطبي الطلعة والأخلاق ، خاوع على الإطلاق . تنهد قبل أن يُسلم ، وارتضى^(٥) لما ذهب من الشبهة وتألّم . شنشنة معروفة . وعين^(٦) تلك الجهات معاذ الله مصروفة . وقد حملته سيادتكم من المبرة ضروباً شتى . وتجاوزت في المسرات غاية حتى . ولم تضع عضواً من جسده ، فضلاً عن منسكبه ويده ، إلاّ علقته وعاءً ثميلاً ، وناطت به زنبيلاً . واستلقت كالمئي إذا ترك المعترك . وعأت حوله تلك الأثقال . وتعاورها الانتقال^(٧) [وكثر بالزقاق القليل والقال . فلما تخلصت إلى الدار^(٨) ، وسرت معرقها بالجدار ، وتناولها

(١) وردت في «ج» (هرمت) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (قومي) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٣) وردت في «ج» (دار) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (خن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (وارتط) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (وعن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) ما سياتي منذ بداية هذه الحاضرة حتى نهايته عند الحاضرة الختامية -- كله ساقط في «ج» .

ورورد في «الزيتونة» وقد اعتمدنا في نقله على مخطوط «الزيتونة» دون سواء .

(٨) وردت في «الزيتونة» (بالدار) والتصويب أنسب للسياق .

الاختبار الفاضح ، وبان قصورها الواضح ، ففلاشت ، بعد ما جاشت ، ونظرت
إلى قعب من اللبن الممزوق الذي لا يُستعمل في البيوت ، ولا يباع في السوق ،
فأذ كر تي قول الشاعر :

في تلك المسكارم لأقعبان من لبن شيبت بماء فمادت بعد أبو الـ
أما زبده فرُفع ، وأما جُبْنُه فاقْتِيبت به وانتفع . وأما من بعثه من فضلاء
الخدّام فدُفِع ، وكأني به قد ألحَّ وصُفِع ، والتفت إلى قُمَّة فد خيدات ، وبعنق
ذاك البائس قد نِيدت ، رمس^(١) فيها أفراخ الحمام . وقُلدت بجيده^(٢) كما يُتقلد
بالتمام ، وشدَّ حبُّها بمخنقه ، وألزم منها في العاجل طائرُه في عنقه ، هذا بعد
ما ذُبجت ، وأما حشوها فرُبجت . ولو سلسكتكم الطريقة المثلى ، لحفظتم جثتها من
العنن ، كما تحفظ جثة القتلى ، وأظنكم لم تفعلوا هذا الغرض الأدنى ، ولا أهملتم
هذه الهمم الذي غريزة في المبنى . فإني رميتُ منها اللّهُو رمي المختبر ، فسكّج من
مرارة الصبر ، ولما أخرجتها من كفن القفة ، واستدعيت لمواراتها أهل الصفة ،
تمثلت تمثل اللبيب بقول أبي تمام حبيب :

هُنَّ الحمامُ فإن كسرت عيافةً من حائهنَّ فإنهنَّ حمام

ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مخيطة سير . لسكانت من بقايا مواطني
ديوك بني مرّ ، وبعث بها حلالك حلاله . وأهدى منها اجتهاد من أحسن . ولم يكن
بالهدية ما يذكر ، ولا كانت مما يُسكر ، أستغفر الله ، فلو لم تكن التحفة ،
إلا تلك الفسكاهة العاطرة والغامة الماطرة . التي أحسبها الأمل الأقصى ، وتجاوزت
إلا من التي لا تُعد ولا تُحصى ، للزم الشكر ووجب ، وبرز من حر المدح ما تيسر

(١) وردت في «الزيتونة» (ومس) ، وهو تحريف اقضى التصريب .

(٢) وردت في «الزيتونة» (بلسه) . وبالتصريب يستقيم المعنى والحيال .

واحتجب . فالكلوم وإن تغيّرت أنسابها ، وجُهل انتسابها . وادّعى إرثها
واكتسابها . إليكم تنشر يدها ، وتسعى لأقدامها ، ولبئيتكم تميل بهواديها ،
وبساحتكم يسيل واديها ، وعلى أرضكم تسحّ غواديها . ومثلي أعزكم الله ، لا يُفنى
من قدر مُحفكم الحافلة ، ولا يُقدر من شكرها على فريضة ولا نافلة ، ولكنها
دُعابة معتادة ، وفكاهة أصدرتها ودادة . ولا شك أنكم بما جُبلتم عليه قديماً
وحديثاً ، تغتفرون^(١) جفائي ، الذي سيرتموه مكرراً وحديثاً ، في جنب وفائي ،
وتغضون وتمحلمون ، وبقول الشاعر تتمثلون ، وأسمع من الألفاظ اللغوية التي
يُسر بها ستمعي ، وإن ضمنت شتمى ووصفى :

بعثت بشيء كالخفاء وإنما	بعثت بُمذرى كالدلّ إلى غدر
وقلت لنفسى لا تردعي ^(٢) فإنه	كما قيل شيء قد يُعين على الدهر
وما كان قدر الودّ والمجد مثله	فخذه على قدر الحوادث أو قدرى
وإن كنت لم أحسن صنيعي فأنتي	سأحسن في حُسن القبول له شكري
وقد ترك قدر النيل عندي وإني	لدى قدرك العالى أدق من الذر
قنعت وحظي من زمانى وودّكم	هباء ومثلى ليس يقنع بالنزر
أتانى كتاب منك باهٍ مبارك	لقيت به الآمال باهتة ^(٣) الشمر
جلا من بنات الفكر بكرةً وزفها	إلى ناظرى تختال في حبر الخبر
فالفاظها كالزهر والزهر يانع	وقدر المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معانٍ فى سماء صحيفة	ولكنها تسرى النجوم ولا تسرى
تضمّن من نوع الدعابة ما به	رجوت الذى قد قيل فى أشوة الخمر

(١) وردت فى «الزيتونة» (تعدون) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

رعى الله مشراها السكريم فجل ما
 لعمري لقد أذكرتني دولة الصبا
 ولما أتت تلك الفكاهة غدوة
 ولا سيما إن كان ملحم بُردها
 نشرتُ بها ما قد طويتُ بساطه
 ونعم خليل الخير أنت محافظاً
 ودونكمها تلهو بها وتدورها
 جلتنه من البشري وأبدت من البشر
 وأهديت لي نوع الجلال من السحر
 وجدتُ نشاطاً سائر اليوم في بشري
 عميدُ أولى الألباب نادرة العصر
 زماناً وبى طى الأمور مع النشر
 على سنن الإخلاص في السر والجر
 سُحيرية الأنفاس طيبة النشر (١)

فراجعني بقوله :

وقد من سيدي الجواب ، محتويًا على العجب العجيب ، فيالك من فكاهة
 كوثرية المناهل ، عنبرية المسائل ، ولو لم يكن إلا وصف القرطوب ، المستوى (٢)
 الطلعة ، الشرطي الصنعة . وأما وصف اللبن وفراخ الحمام ، فقد بسطتم في المزاح
 القول . وامتنعتم في الكلام الفصل . وذلك شيء يعجز عن مساجلتكم فيه
 فيه أربابُ البلاغة والبيان ، فكيف بمثلي ممن له القول المهمل النسيج ، الواهي
 البيان . ولا بد من عرض ذلك على سيدي (٣) القطب الكبير الإمام ، وأستاذنا
 علم الأعلام ، وكبير أئمة الإسلام . فيحكم بيننا بحكم الفصل . وينصف بما لديه
 من الحق والعدل . وقد كنت أحميد نمن مراجعتكم حبيدة الجبان . وأميل عن
 ذلك مائة الكودن (٤) عن مجازاة السمر الهجان . وأعدل عن مساجلة أدبكم
 الهتان . عدول الأعزل عن مبارزة جيّد السنان . إلى أن وثقت بالصفح .

(١) إلى هنا انتهى ما نقلناه منذ الحاضرة الفاتحة من مخلوط «الزيتونة» . وهو ساقط كله في «ج» .

(٢) وردت في «ج» (المشوى) . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» (سبيل) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا في المخطوطين . والكودن هو البطيء المتشاكل في مشيئه .

وعوّلت على ما لديكم من الإغضاء والسّمح ، ووجهتُ حاملَةَ السّر والظروف ،
 كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . وأستقيل من انبساط يجرُّ عذراً . وأسأله
 سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً . دام سيدي وآاله مساعدة .
 والسكامة على فضله واحدة .

ومن شعره في النّسك والأجأ إلى الله تعالى :

أيامن له الحكم في خلقه ومن بيكربي له أشتكى
 تولّ أمورى ولا تُسأنى وإن أنت أسألتنى أهلك
 تعاليت من مفضل (١) منعم ونزّهت من طالب مُدرك
 ومن ذلك وتقلته من خطّه :

تصبر إذا ما أدركتك مُامة فصنّع إله العالمين عجيب
 وما يدرك الإنسان عارٌ بنكبة يُنكب فيها صاحب وحيب
 ففي من مضى للمرء ذى العقل أسوة وعيش كرام الناس ليس يطيب
 ويوشك أن تهوى سحائب نعمة فيخصب [من] (٢) ربع السّرور جديب
 إلهك يا هذا مجيب لمن دعا وكلّ الذى عند القريب قريب
 مولده : عام خمسة وستين وسبعمائة .

وفاته

من « عائد الصلة » . قال ، وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتهجد ،
 والتزام الورد ، وإن كان مُستصحب الخيرية . وحلّ ببلد ولاينهم رُندة ، فكانت
 بها تربته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فاضل) والأول أرجح .

(٢) أصلت هذه الكلمة لاستفابة الشعر والمدني .

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري

ولد المذكور بعد ، الكاتب بالدار السلطانية .

حاله

من كتاب طرفة العصر وغيره ، قال ، [كان] (١) كاتباً مشهوراً ، بايقاً ، ذا معرفة ، بارع الخط ، أوحد زمانه في ذلك ، وقوراً ، معذب (٢) اللفظ ، منجماً في هوى نفسه ، مُحارفاً (٣) بحرفة الأدب على جلالة قدره . وكتابه نقيّة ، جانحة إلى الاختصار .

شعره

وثيق ثقلٌ فيه أرواح المعاني ، كشعر أبيه ، وتوشيح فائق . تولى كتابة الإنشاء لثاني الملوك النصريين (٤) ، واستمر قيامه (٥) بها على حَجْرٍ شديد من السلطان وتحمّل ، لملازمته المعاقرة وانهماكه في البعالة ، واستعمال الخمر ، حتى زعموا أنه قام يوماً بين يديه ، فأخره عنها ، وقدم الوزير أبا عبد الله بن الحكيم . وفي ذلك يقول :

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أجنفاً (٦) لأن زعموا أني تحسبها حيرفاً

وأقام بقية عمره تحت رِفْدٍ وبرٍ .

(١) ساقطة في المخطوطين . وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، والمقصود بها (عذب) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين والمقصود بها (محرّفاً) .

(٤) ثاني ملوك بني نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم الملكة

غمرناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى سنة ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

(٥) وردت في «ج» (تأمة) ، والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في المخطوطين (جلماً) ، والتصويب بتعليم السهال .

وفاته

توفي في حدود التسعين وسبعمائة . وكان شيخنا ابن الجيّاب [قد آثره]^(١) بكتُبِهِ . وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله .

محمد بن مالك المرّي الطنّجيري^(٢)

من أهل غرناطة ، من ذوى البيتمية^(٣) والحسب فيها . ذكره الأستاذ^(٤) ، في الكتاب المسى بالصلة ، والغافقي^(٥) ، وغيرها .

حاله

أديب نبيل ، شاعر ، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة . ثم إنه استيقظ من غفلته ، وأقلع عن راحته ، وأجّب في توّبه . وكان من أهل الفضل والخير والعلم .

من تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة ، وهو بديع ، سماه « زهرة البستان ، ونزّهة الأذهان » ، عبرة في الظرف . قال ، وجرى له مع سماجة^(٦) ، خليفة

(١) وردت في المخطوطين (فأثره) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) ورد هذا الاسم محرفاً كله في «ج» كالأق : (محمد بن ملك الميرى الصمرى) . وكذا في الزيتونة» (محمد بن ملك المرى الصمرى) والإسم الصحيح هو ما أثبتناه . والطنّجيري نسبة إلى (طنّجر) . هي قرية من قرى غرناطة ، وقد سبق التعريف بها .

(٣) وردت في «ج» (البيتمية) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) الأستاذ هنا يقصد بها الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (صلة الصلة) . وقد سبق التعريف به .

(٥) الغافقي يقصد بها هنا ، محمد بن عبد الواحد الغافقي الشهير بالملاحى . وقد سبق التعريف به .

(٦) هو من شيوخ قبيلة صنهاجة البربرية . وقد تولى الوزارة لعبد الله بن بلقين أمير غرناطة . وكان وزيراً حازماً قوى العزم ، شديد السطوة ، فبرم به عبد الله ، وصرفه بالحسنى ، فسار في أهله وأمواله إلى المريّة ، وعاش في كنف صاحبها ابن صبادج .

عبد الله بن بلةين قصة . إذ فاجأه سماجة مع إخوان له ، ولم يشعروا به ، فأنشده ابن مالك أوتجالا ، وقد أخذ بلجام دابته :

بينما نحن في المصلى نساق^(١) وجناح العشي فيه جنوح
إذا أتانا سماجة يتلألأ ردَى الشمس من تجليله يوح
فطمةتنا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبوح

قال ، فتكلم الوزير سماجة [باللسان البربرى]^(٢) مع عبیده ، فرجموا مسرعين ، ووقف سماجة مع الوزير ابن مالك ، إلى أن أتاه عبیده ، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم ، تنيف على الثلاثمائة دينار . فقال ادفعوها إليه ، وانصرف . وأتاهم العبید مع الدراهم ، بطعام وشراب . قال ابن مالك ، وذلك^(٣) أول مال^(٤) تأثمته^(٥) .

شعره

[ومنه]^(٦)

صب على قلبى هوى لاعج ودب في جسمى ضناً دارج
في شادنٍ أحر مستأنس لسانُ تذاكرى^(٧) به لاهج
قدرُ نهمان إذا ما مشى وما عسى يفعله عالج

(١) وردت في المخطوطين (نسق) . وبالتصويب يستقيم الوزن والسياق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (باللسان الغربي) .

(٣) وردت في «ج» (بذلك) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (ما) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (تأثله) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تذاكرى) .

فقدته من رقبة مائس^١ وردفته من ثقله مائج^(١)
 عنوان ما في ثوبه وجهه^(٢) تشابه الداخل والخارج
 فلا تقيسوه بيدر الدجى ذا معلّم الوجه وذا ساذج
 وقد لسبها بعض الناس لغيره

وفاته

قال الأستاذ ، كان حيًّا [سنة] ثمانين وأربعمائة . وأمر أن يكتب

على قبره :

يا خليلي عرّج على قبري تجد من أكلة التُّرب بين جنبي ضريح
 خافت الصوت إن نقتُ ولكن أي نطق إن اعتبرت فصيح
 أبصرت عيني العجايب لكن لما فرّق الموت بين جسمي وروح^(٣)

محمد بن علي بن محمد [بن عبد الله]^(٤) بن عبد الملك الأوسى^(٥)

المدعو بالعتّرب ، من إقليم الآش^(٦)

حاله

كان حسن النظم والنثر ، ذكيًّا من أهل المعرفة بالعربية والأدب . ووصوفا
 بجودة القريحة ، والنبيل والفظنة .

(١) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (مارج) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» ((جسمه) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الروح) .

(٤) الزيادة في النسبة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأسدي) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (لاش) . ولا يوجد في الجغرافية الأندلسية

إقليم بهذا الاسم . ولعل المقصود هنا هو إقليم وادي آش . وقد أورد اسمه على سبيل الإلتصاف .

أدبه وشعره

ذكره الملاحى، وقال حدثني قاضى الأحكام بفرناطة، أبو القاسم الحسن بن قاسم، الهلالى صاحبنا. قال، كان الأستاذ أبو عبد الله العقرب جازنا، قد وقع بينه وبين زوجه، زهرة بنت صاحب الأحكام أبى الحسن على بن محمد تنازع؛ فرفعته إلى القاضى بفرناطة، أبى عبد الله بن السماك العاملى، وكنت يومئذ كاتباً له، فرأى القاضى قوته وقدرته على الكلام وضعفها، وإخفاق^(١) نظمها، وشفق لحالها. وكان يرى أن النساء ضعاف، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمين. وكان كثيراً ما يقول فى مجلسه: رُويدك، رفقا بالقوارير. وحين رأى، [ما صدر عن القاضى من الجمل]^(٢)، فقلت له وأين حلاوة شعرك، والقاضى أديب، يهتز إليه ويرتاح، فطلب منى قرطاساً، وجلس غير بعيد، ثم كتب على البديهة بما نصه:

لله حى يا أميم حواك وحمام فوق الفصون حواك
غذبن حتى خلتهن عنفئتي بغنائهن فنمحت [فى]^(٣) مغناك
ذكرتني ما كنت قد أنسيتُهُ بخطوب هذا الدهر من ذكراك
أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى صرف الزمان إلى الزمان فشاكى
يا ابن السماك المستظل^(٤) برحمة والعزل ترهب ذال السلاح الشاكى
راع الجوار فبيننا فى جونا حق السرى والسير فى الأفلاك

(١) وردت فى الخطوطين (اتفاق). وبالصواب يسعيم المسمى.

(٢) هكذا وردت هذه الجملة فى الزيتونة. ووردت محرقة فى «ج» كالاتى: (ان القاضى

من الحمل).

(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج». وساقطة فى «الزيتونة».

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» (المستقل). والأولى أرجح.

وابسط إلى الخلق المنوب ببسطة ظرف الكرام بعفة الشاك
وأنا ذا كرا إن لم يفت من لم يمت فدارك ثم دارك ثم (١) ذلك
ثم دفعها إلى القاضي ، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة : لبيك ، لبيك .
[ثم أرسلني] (٢) أصاح بين العقر ب وزوجه ، فإن وصل صاحبهما إلى خمسين
دينارا ، فأنا أؤديها عنه من مالي ، فجمعت بينهما ، وأصلحت بينهما عن تراض
منهما ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي (٣)

من أهل غرناطة

حاله

كان قتي حسن السمّت ، ظاهر السكون ، بادي التصوّن والعفة ، دميث
الأخلاق ، قليل الكلام ، كثير الحياء ، مليح الخط ، ظريفه ، بادي النجابة .
أبوه وجدّه من تجار سوق العطار ، نهباء السوق . نظم الشعر ، فجا من بهمجب ،
استرسالا وسهولة ، واقتداراً ، ونفوذاً في المطوّلات ، فأنفت (٤) له من الإغفال ،
وجذبته إلى الدار السلطانية ، واشتدّت براعته ، فسكاد يستولى على الأمر .
لولا أن المنيّة انترمته شاباً ، فسكّل منه الشعر ، قريع إجابة ، وبارع ثنية
شهرة ، لو انفسح له الأمد .

(١) هذه الدخلة ساقطة في «الر» و«ن» .

(٢) وردت في «ج» (ثم أرسل عني) . وبالتصوير يستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات وقد تكون من عدد عرودا أي قوي واشتد .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات .

مولده : في ذى الحجة عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي مبدلونا على أيام قريبة من إسراعه بغرناطة ، عن سن قريبة من العشرين ، في عام خمسة وخمسين وسبعمائة . وأبوه أمين المطارين .

محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة فاس .

حاله

من خطِّ القاضي أبي جعفر بن مسعدة ، علم كتاب دار الإمارة النصرية الغالبية ، الذي ينوره يستصحبون ، وسراجهم الذي بإشراقه وبهجته ، ونهج تحديته يهتدون . رفع لواء الحمد ، وارتدى^(١) بالفهم والعلم والحلم . كان رحمه الله إماماً في الكتابة ، والأدب ، واللغة ، والإعراب ، والتاريخ والفرائض والحساب ، والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق] ^(٢) أربى على الموثقين من الفحول ، المبرزين في حفظ الشعر ونظمه ، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً . درس الحديث ، وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي ، ونسخ الدواوين السكبار ، وضبط كتب اللغة . وقيد على كتب الحديث ، واختصر التفسير لازمخشري ، وأزال عنه الاعتزال ، لم يفتر^(٣) قط من قراءة أو درس أو نسخ أو مطالعة ، ليله ونهاره .

(١) وردت في المخطوطين (وارندا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» . وقد وردت في «ج» بحرفة

كالاتي (عارف والسجلات والتوثيق) .

(٣) وردت في «ج» (يفتن) . والتصويب من «الزيتونة» .

لم يكن في وقته^(١) مثله .

مسيرته

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي ، وأبي عبد الله بن البيوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالي ، وغيرهم .

شعره

ومنه قوله :

طرقت تتيه على الصبّاح الأبلج حسناء تخذل اختيال تبرّج
في ليلة قد ألبست بظلامها [فضفاض بُردٍ بالنجوم مدبّج]^(٢)
وشعره مدون كثير .

وفاته

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة [في ذى القعدة منه]^(٣) .

محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأردزي الإلبيري الغرناطي
من أهل قرية سُكون ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالأندلسي ، وكانها
تفرقة بينه وبين الحسكي أبي نواس .

(١) وردت في «ج» (وقته) ، والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالآتي : (فضفاض البجوم مدبج) .

(٣) هذه العبارة الواردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

أوليته

قال غير واحد من المؤرخين ، هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة^(١) بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد [أخيه]^(٢) رُوح بن حاتم .

حاله

كان من فحول الشعراء ، وأمثال^(٣) النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يدرك شأوه ، ولا يشقُّ غُبارَه ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فكِّ المعنى . خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة ، فلقى جوهرًا [المعروف بالسكاتب مولى المعزِّ بن المنصور العبَّيْدِي صاحب المغرب]^(٤) وامتدحه ، وكان لثيا ، فأعانه مائتي درهم ، فوجد لذلك ، وقال أها هنا كريمٌ يقصد ، فقيل بلى ، جعفر بن يحيى بن علي بن فلاح بن أبي مروان ، وأبو علي بن حمدون ، فامتدحهما^(٥) ، ثم اختصَّ بجعفر بن يحيى وأبي علي ، فبالغا^(٦) في إكرامه ، وأفاض عليه من [النعم و]^(٧) الإحسان ما لم يمرُّ بباله ، وسارت أشعاؤه فيهما ، حتى أنشدت للمعزِّ العبَّيْدِي ، فوجهه جعفر بن علي إليه في جُملة طُرف وتُحف بعث بها إليه ، كان أبو القاسم أفضلها عنده ، فامتدح [المعز لدين الله]^(٨) ، وبلغ المعزُّ من من إكرامه الغاية . ثم عاد إلى إفريقية ، ثم توجه إلى مصر ، فتوفى ببرقة .

(١) وردت محرفة في المخطوطين (فيضة . قبطة) . والصواب ما أثبتناه (عن الوفيات) .

(٢) الزيادة من (الوفيات) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا جمع (مثيل) . ومعناها الفاضل .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فامتدحهم) ، فاقترضى التصويب .

(٦) وردت في «ج» (فبالغا) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) الزيادة من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (المعز بالله) . والصواب ما أثبتناه .

وجرى ذكره في «تخليص الذهب» (١) من تأليفنا بما نصه : «العقاب الكاسرة ، والصمصامة الباترة ، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي أعجز عنها» (٢) السِّبَاق .

«وصيته» : وذكره ابن شَرَف في مقاماته ، قال : وأما ابن هاني محمد ، فهو نَجْدِي الكلام ، سَرْدِي النظام ، إلا أنه إذا ظهرت معانيه ، في جزالة مبانيه ، رمى عن (٣) منجنيق لا يؤثر في النفيق . وله غَزَل مَعَرِّي (٤) ، لا عُدْرِي ، لا يقنع بالطَّيف ، ولا يُصْفَعُ بغير السيف [وقد قدّه به الذات ، وعظّم شأنه فاحتمل الثواب] (٥) ، وكان يقف دولته في أعلى منزلته [ناهيك] (٦) من رجل يستعين على صلاح ديناه ، بفساد أخراه (٧) ، لرداءة دينه ، وضعف يقينه . ولو عَقِل ما ضاقت عليه معاني الشعر ، حتى يستعين عليه بالكفر .

شعره

كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله :

أَحْبِبْ بِتِيَاك الْقَبِيَابَ قَبَابَا لَا بِالْخِدَاةِ وَلَا الرَّكَّابَ رَكَابَا
فِيهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَخَالِبَا عَنَّمَا بِأَيْدِي الْبَيْضِ وَالْعَتَابَا

وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة :

أَلَيْلَتُنَا إِذْ أُرْسِلَتْ وَارِدًا وَجِفًا وَبَأَنْتَ لَنَا الْجُوزَاءُ فِي أُذُنِهَا شَنْفًا

(١) هو كتاب «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات» . وهو من مؤلفات ابن الخطيب التي لم تصل إلينا .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (عندها) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (على) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (آخرته) .

وبات لنا ساقٌ يقوم على الدجى
 أغنُ غضيضٌ جَفَّ اللين قدَّه
 ولم يُبقِ إرعاش المدام له يداً
 نزينُ قضاة السكر إلا ارتجابه
 يقولون جَفَّ (٣) فوق خيزُرانة
 جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا
 فن كبدٍ تُدنى إلى كبدٍ هوى
 بِمَيْشِك نَبِه كاسه وجفونه
 وقد فكت الظلماء بعض قيودنا
 وولت نجوم للثريا كأنها
 ومـر على آثارها دُبرانها
 وأقبلت الشعري العبور مُدَمَّة (٧)
 وقد قبيلتها أختها من ورائها
 تخاف (٩) زئير الليث قدَّم نثره
 كأن مُعلاً قُطبها فإوس له

بشمعة صُبح لا تَقَط (١) ولا تُظفا
 وأثقلت الصهباء أجفانه الوظفا
 ولم يُبقِ إعنات (٢) التَنَنِي له عطفاً
 إذا كلَّ عنها الخصر حَمَلها الرُدا
 أما يعرفون الخيزُرانة والحقفا
 وقدت لنا الظلماء من جِلدها الحفا
 ومن شَفَةِ تُوحي (٤) إلى شَفَةِ رَشفا
 فقد نَبِه الإبريقُ من بعد ما أغفا
 وقد قام جيش الليل للصبح فاصدفاً
 خواتيم (٥) تبدو في بَدان يدي تخفا
 كصاحب وديء كُمَمَت (٦) خيله خلفا
 بمرزَمها (٨) اليعسوب تجنُّبه طرفا
 لتخرق من ثنِيًا بَجَرَّتْها سِجفا
 وبربر في الظلماء يَنسُفها نسفا
 لواءان مرَّ كوزان قد كره الزحفا

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تغط). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أعبات) وهو تعريف.

(٣) وردت في المخطوطين (خفف). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ترمي) والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (خواتم).

(٦) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أكت).

(٧) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (مبلة).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (مرزامها).

(٩) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تخال).

كأن السما كين اللذين تظاهرا
 فذاريح يهوى إليه سينانه
 [كأن قدامي النسرو والنسرو واقع
 كأن أخاه حين دؤم طائرا
 كأن رقيب الليل أجدل مرقب
 كأن بنى نعش ونعش مطافل
 كأن سهاها عاشق بين عود
 كأن سهيلا في مطالع [ألقه] (٢)
 كأن الهزيع الأبنوسى مؤهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميالة
 كأن نجوم الصباح خاقان معشر (٣)
 كأن لواء الشمس غرة جعفر
 [وقد جاشت الظلماء بيضا صوراما] (٤)
 وجاءت عنق الخيل تردى كأنها
 هنالك تلتقى جمفرا خير جعفر
 فكانين (٥) تراه في الكريمة عاجلا
 على لبنتيه ضامنان له الختفا
 وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
 قصصن فلم تسم الخوا في لهضعفا (١)
 أتي دون نصف البدر فاخطف النصفنا
 يُقلب تحت الليل في ريشه طرفا
 بوجرة قد أضلأن في مومه قشفا
 فآونة يسودو وآونة يخفا
 مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
 سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
 صريع مدام بات يشربها صرفا
 من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
 رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
 ومركوزة سمرا وفضفاضة زعفا
 تخط لنا أقلام آذانها صحفا
 وقد بدلت يمينه من لينها عنفا
 عزيزته برقا وصولته خطفا

(١) هذا البيت ساقط في «ج». ووارد في «الزيتونة»، وفي شطرته الثانية بعض التحريف والنقص كالآتي (قصص فلم يستطع ضعفا).

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة». وساقطة في «ج».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (مشر) وهو تحريف.

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة». وقد وردت في «ج» كالآتي (وقد جاشت

الدينا بيضا صوراما).

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كابين).

وشعره كثير مدون ، ومقامه شهير . وفيما أوردناه كفاية . وهو من
إلبيرة (١) الأصبية (٢) .

وفاته

قالوا ، لما توجه إلى مصر ، شرب بيرة وسكر ونام عريانا ، وكان البرد
شديداً فأفلج (٣) ، وتوفي في سنة إحدى وستين وثلاثمائة ؛ وهو [ابن] (٤) اثنين
وأربعين سنة . ولما بلغت المزموفاته ، تأسف عليه وقال ، هذا رجل كنا
نطمع (٥) أن نفاخر به أهل المشرق .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم [بن علي] (٦)
الفساني البرجي [الغرناطي] (٦)

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة .

حاله

فاضل يجمع على فضله . صالح الأبوة ، طاهر الذمات ، بادي الصيانة والعفة ،

(١) إن رواية ابن الخطيب عن كون ابن هاني من «إلبيرة الأصبية» (وكان موقعها بجوار
غرناطة) تخالف الرواية الجارية من كونه قد ولد ، وفقاً لـ بن خلكان ، بمدينة إشبيلية (الونيات ج ٢
ص ٥) . ويلاحظ لنا أن رواية ابن خلكان هي الأرجح . لأنها أقدم بكثير من رواية ابن الخطيب ،
وأقرب لمصر الشاعر .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأصبية) والمؤدى واحد .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ففلج) . والأولى أفضل .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نريد) .

(٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» . ووردت في هامش «ج» عبارة (ابن يحيى

البرجي) .

طُرِفَ في الخِير والحِشْمَة ، صدرٌ في الأدب . جُمَّ المشاركة ، ثاقبُ الذهن ، جميل العشرة (١) ، مُتَمِّعُ المَجَالِسَة . حَسَنُ الخَطِّ والشَّعْر والسُّكْنَابَة . فذُّ في الانطِبَاع . صَنِيعٌ (٢) اليَدِين ، يَحْكُمُ على الكَثِيرِ من الآلاتِ العِلْمِيَّةِ . وَيَجِيدُ تَفْسِيرَ الكِتَابِ . رَحَلَ إلى العُدْوَة ، [وتوسَّلَ إلى ملكها] (٣) ، مُجَدِّدُ الرِّسْمِ ، ومَقَامُ الجِلَّةِ . وَعِلْمُ دَسْتِ الشَّعْرِ والسُّكْنَابَةِ [أمير المَسْلَمِينَ] (٤) ، أَبِي عَنَّانِ فَارِسٍ ، فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ ، وَتَوَّهَ بِهِ ، وَمَلَأَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، فَاقْتَنَى جِدَةً وَحِظْوَةً وَشُهْرَةً ، وَذَكَرًا ؛ وَاتَّقَبَضَ مَعَ اسْتِرْسَالِ الْمَلِكِ ، وَآثَرِ الرَّاحَةِ ، وَجَهَّدَ فِي التَّمَاسِ الرِّحْلَةَ (٥) الْحِجَازِيَّةَ ، وَنَبَذَ السُّكْلَ ، وَسَلَا الخُطَّةَ ، فَأَسْمَعَهُ سُلْطَانَهُ بِغَرَضِهِ ، وَجَعَلَ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ . وَأَصْحَبَهُ رِسَالَةً إِلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مِنْ إِنْشَائِهِ ، مُتَّصِلَةً بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِهِ ، وَكَلَامَاتٍ تُعْلَنُ (٦) فِي الخِلْفَاءِ بَعْدَ شَأْوِهِ ، وَرَسُوخِ قَدَمِ عِلْمِهِ ، وَعِرَاقَةِ البَلَاغَةِ ، فِي نَسَبِ خِصْلِهِ ، حَسْبِ تَضَمُّنِهِ الكِتَابِ الْمَسْعِيِّ « بِسَاجِلَةِ الْبَيَانِ » . وَلَمَّا هَلَكَ وَوُلِّيَ ابْنَهُ ، قَدَّمَهُ قَاضِيًا بِمَدِينَةِ مُلْكِهِ (٧) ، وَضَاعَفَ التَّنْوِيهِ بِهِ ، فَأَجْرَى الخُطَّةَ ، عَلَى سَبِيلِ مِنَ السَّدَادِ وَالنِّزَاهَةِ . ثُمَّ لَمَّا وُلِّيَ السُّلْطَانُ أَبُو سَالِمٍ عُمَّهُ ، أَجْرَادَ عَلَى الرَّسْمِ الْمَذْكُورِ . وَهُوَ الْآنَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ ، مَفْخَرٌ مِنْ مَفَاخِرِ [ذَلِكَ الْبَابِ السُّلْطَانِيِّ عَلَى تَمْدُّدِ

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (المعاشرة).

(٢) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (صنيع) وهو تحريف . وصنيع أي

ماهر في الصنعة .

(٣) وردت مكانها في المخطوطين هذه العبارة المحرفة (وترسل إلى ملحق) . والتصويب من

نفع الطيب .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) وردت في المخطوطين (الراحة) وهو تحريف . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا في «ج». ووردت في «الزيتونة» (تعل).

(٧) مدينة ملكة ، أي المدينة التي بها مقر ملكه ، وهي مدينة فاس .

مفاخره ^(١) [يخفى] ^(٢) بكل اعتبار .

شعره

[^(٣) ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا ، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر من أنشد ليلثند من الشعراء مانصه :

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي ، بجملة السذاجة ، وكرم الخلق ، وطيب النفس ، وخذن العافية ، وابن الصلاح والعبادة ، ونشأة القرآن ، المتحيز إلى حزب السلامة ، المنقبض عن الغمار ، العزوف عن فضول القول والعمل ، جامع المحاسن ، من عقل رصين ، وطلمب ممتع ، وأدب نقادة ، ويد صناع ، أبو القاسم ابن أبي زكريا البرجي ، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه	صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق بدا	فضل من ظل إرشاداً يخاطبه
لولا النوى لم يبت حيران مكتئباً	يقالب الوجد كتباً وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما	نمليه أشجمانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقي الجمي ستمحت	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرّقا	يُصلى بها من صميم القلب ذاتيه

(١) ما بين الحاصرتين منقول من نفع الطيب . وقد ورد مكانه في المخطوطين (ذلك

السلطان) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) أوردنا المقرئ في «نفع الطيب» ترجمة أبي القاسم البرجي نقلاً عن كتاب «الإحاطة» .

وقد وردت بها بعد كلمة «شعره» البيضة المسطورة . ثم القصيدة الكبيرة التي نظمها البرجي في مديح الرسول ، وهي تحتوي على ثلاثين بيتاً وهذا كله ساقط في المخطوطين . ومن ثم فقد اعتمدنا في عملهم على «نفع الطيب» (ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٥) .

كهدنا أو يردُّ القلبُ ساكِبَه
 والقربُ قد أبهت دوني مذاهِبَه
 وصادعُ الشعل يومَ الشعبِ شاعِبَه
 يبكي عهدك مُضنيَّ الجسمِ شاحِبَه
 في كل أوبٍ له شوقٌ يُجاذِبَه
 والنفسُ بالميلِ للفاني تطالبُه
 والأنسُ بالإلفِ نحو الإلفِ جاذِبَه
 يا للرجالِ سبَّت جدي ملاعبه
 ولا كوعد المني أحلاه كاذِبَه
 من عزَّ نفساً لقد عزَّت مطالِبَه
 بل هان في ذلك ما يلقاه طالِبَه
 آثاره ولما لاحت كواكبُه
 ظهر السرى فأجابتهم نجايبُه
 طيَّ السجبل إذا ما جدَّ كاتبُه
 لولا الضرام لما خفت جوائِبُه
 فخاص في لجة الظلماء راسِبُه
 فخلّفوه وقد شابت ذوائِبُه
 بجانب الحرم المحيِّ جانبِه
 من ذنبه وينال القصد راغبُه
 يصاحب القلب منه ما يصاحبُه
 سقى نراه عميمُ الغيث ساكِبُه
 شوقُ المقيم وقد سارت جبايبُه

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا
 ويا أهيل ودادي والنوى قنفُ
 هل ناقض العهد بعد البعد حافظُه
 ويا ربوع الحى لازلت ناعمَة
 يا من لقلب مع الأهواء مُنعطفُ
 يسو إلى طلب الباقي بهمتُه
 وفتنة المرء بالمألوف مُعضلة
 أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بي
 ولن ترى كالهوى أشجاه سالفه
 وهمة المرء تغليه وتُرخصه
 ما هان كسبُ المعالي أو تناؤلها
 لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت
 في ذمة الله ركبٌ للعلا ركبوا
 يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض
 كأنهم في فؤاد الليل سرُّ هوى
 شدوا على لُهبِ الرضاء وطأتهم
 وكانوا الليل من طول السرى شططاً
 حتى إذا أبصروا الأعلام مائة
 بحيث يأمن من مولاة خائفه
 فيها وفي طيبة الغراء لي أمل
 لم أنس لا أنس أياماً بظلمها
 شوقٍ إليها وإن شطَّ المزار بها

في الشمس من أيداه لا نعاتبه
 من فضله شرفٌ تعلو مراتبه
 ربُّ العباد أمين الوحي عاقبه
 أعلام كراماً جلّت مناقبه
 زكّت حلاه كما طابت مناسبه
 من أجلها كان آتية وذاهبه
 كالصبح تبدو تباشيراً كواكبه
 يدبّر تيماء ما أبداه واهبته
 وطبّق الأرض أعلاماً تجاوبه
 والجنّ تقذف إحراقاً ثواقبه
 حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
 والنجم لا يهتدى في الأفق ساربه
 عن الأنام وجبرائيل صاحبه
 وامتاز قرباً فلا خلق يقاربه
 نفس بمقدار ما أولاه واهبه
 في الخلق والأمر باديه وذاهبه
 والصبح لما يؤب للشرق آيبه
 سبيل النجاة بما أبدت مذاهبه
 وأدبر الغي فانبجابت غياهبه
 يهدي بها من صراط الله لاجبه
 بحر من العلم لا تنفى عجائبه
 في موقف الحشر إذ نابت نوابه

إن ردها الدهر يوماً بعد ما عبثت
 معاهد شرفت بالمصطفى فلها
 محمد المجتبي الهادي الشفيع إلى
 أوفى الوري ذمماً أسماهم همماً
 هو المُسكّن في خلق وفي خلق
 عناية قبل بدء الخلق سابقة
 جاءت تبشّرنا الرُّسل الكرام به
 أخباره سرّ علم الأولين وسئل
 تطابق الكون في البشري بمولده
 فالجنّ تهتف إعلناً هو اتفه
 ولم نزل عصمة التأييد تكنيفه
 سرى وجنح ظلام الليل مُنسدل
 يسمو لكل سماء منه منفرد
 لمنتهى وقف الروح الأمين به
 لقلب قوسين أو أدنى فما علمت
 أواه أسرار ما قد كان أو دعه
 وآب والبدري في بحر الدجى غرق
 فأشرقت بسناه الأرض واتبعته
 وأقبل الرشد والتأحت زواهره
 وجاء بالذكور آيات مفصلة
 نور من الحكم لا تخبو سواطعه
 له مقام الرضا المحمود شاهده

والرُّسُلُ تحت لواء الحمد يُقدِّمُها
 له الشَّفَاعَاتُ مقبولاً وسائلها
 والحوضُ يروى الصِّدْقُ من عَدْبٍ مورده
 لا يشتكى غُلَّةَ الظَّمَانِ شاربُه
 محامدُ المصطفى لا ينتهي أبداً
 فضلُ تكفلِ بالدَّارينِ يوسِعُها
 حسبي التَّوسُّلُ منها بالذي سَمَّحت
 حَيَّاهُ من صلواتِ الله صَوَّبُ حَيَّاهُ
 وخلدَ اللهُ مُلْكُ المستعِينِ به
 إمامٌ عدلٌ بتقوى الله مشتمل
 مسدَّدُ الحُكْمِ ميمونٌ تقيتهُ
 مشعراً للتقى أذيلٌ مجتهدٌ
 قد أوسعتُ أهلَ الرَّاجِي مكارمُه
 وفازَ بالأمنِ مجبوراً مسالمةُ
 كم وافدِ آملٍ معهودِ نائله
 ومستجيرٍ بـمـزٍ من مثابته
 وجاءه الدهرُ يَسْتَرْضِيهِ مُعتذراً
 لولا الخليفةُ إبراهيمُ لانبهت
 سمَّتْ لنيلِ تراثِ المجدِ همتهُ
 يُنميه لائزٌ والعليا أبو حسن
 من آلِ يعقوبِ حَسْبُ الملكِ مَفنخرًا
 أطوادِ حِلْمٍ رسا بالأرضِ محتدُه
 تحفها من مَرِينِ أبحرٍ زخرتْ

محمدٌ أحمدُ السامِي مراتبه
 إذا دهِى الأمرُ واشتدت مصاعبه
 لا يشتكى غُلَّةَ الظَّمَانِ شاربُه
 تعدادُها هل يعدُّ القَطْرُ حاسبه
 نَعْمَى وَرَحْمَى فلا فضلٌ يناسبه
 به القوافي وجلَّتْها غرائبُه
 تُجدي إلى قبره الزاكي نجائبُه
 مؤيدُ الأمرِ منصوراً كتابتهُ
 في الأمرِ والنهي يُرضيه يُراقبه
 مظفرُ العزمِ صِدْقُ الرأى صائبُه
 جرَّارٌ أذيلٌ سحبِ الجودِ ساحبه
 وأحسبتُ رغبةَ العافي وغائبه
 وباءَ بالخزى مقهوراً محاربه
 أثنى وأثنتُ بما أولى حقائبه
 عزَّتْ مراميه وانتادت مآربه
 مُستغفراً من وقوعِ الذنبِ تائبه
 طرقِ المعالي ونال الملكِ غاصبه
 والملكُ ميراثُ مجدٍ وهو عاصبه
 سَمَّحِ الخلائقِ محمودُ ضرائبُه
 بيابِ عزِّهم السامِي تعاقبه
 وزاحت مَنَسِيبُ الجوزِا مناكبه
 أمواجها وغمامٌ ثارِ صائبه

بكل نهم لدى الهيجاء ملتهب
أكفهم في دياجيبها مطالعة
ياخير من خلصت لله نيته
جردت والفتنة الشعواء ملبسة
وخضتها غير هياب ولا وكي
صبرت نفساً لعقبي الصبر حامدة
فليهن دين الهدى إذ كنت ناصره
لا زال ملكك والتأييد يخدمه
ودمت في نعم تضيفوا ملايسها
ثم الصلاة على خير البرية ما
ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
وفي نحور أعادتهم مغاربه
في الملك أو خطب العلياء خاطبه
سيفاً من العزم لا تنبو مضاربه
وقلما أدرك المطلوب هائبه
والصبر مذ كان محمود عواقبه
أمن يواليه أو خوف يجالبه
تقضى بخفض مناويه قواضيه
في ظل عز علا تصفو مشاربه
سارت إليه بمشتاق ركائبه (١)

ومن شعره ما قيده لي بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية (٢)،
القيه الرئيس الصدر المتقن [أبو زيد بن خلدون] (٣).

صحا القلب عما تعلمين فأقلعها (٤)
وأصبح لا يلوى على حد منزل
وأضحى من السلوان في حرز معقل
[يرد الجفان الثجل عن شرفاته
وعطل من تلك المعاهد أربعا
ولا يتبع الطرف الخلى المودعا
بعيد على الأيام أن يتعضعا
وإن لحظت عن كل أجييد أتلعما (٥)

(١) إلى هنا تم ما نقلناه عن «نفح الطيب» مما نقله بدوره عن «الإحاطة» في ترجمة أبي القاسم
البرجي خاصة بشعره، وهو كذلك ما دونه ابن الخطيب بكتابه «نفاضة الجراب». وكل ذلك حسبما
قدمنا ساقط في مخطوطي «ج» و«الزيتونة». ونعود بعد ذلك لاستئناف النقل عن المخطوطين.

(٢) الحضرة المرينية أو حاضرة بني مرين، هي ضحية مدينة فاس المسماة «بالبلد الحديد».

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «ج». وورد في «الزيتونة» والنفح.

(٤) هكذا في «ج» والنفح وفي «الزيتونة» (فأقلعاً).

(٥) هكذا. وهذا البيت في «النفح». وقد ورد محرفاً في المخطوطين على النحو الآتي:

(يرى الحيوان الخلل من شرفاته وإن لحظت عن كل أجييد املعا - ملعة)

عزیز علی داعی الغرام اتقیاده
 وكان إذا ناداه^(١) للوجد أظعما
 أهاب به للشيب أنصح واعظ
 أصاخ له قلباً منيباً ومسمعا
 وسافر في أفق التفكر والحجا
 زواهره لا تبرخ^(٢) الدهر طلعا
 لعمري لقد انضيت^(٣) عزمي تطالبا^(٤) وقضيت^(٤) عمري رقية وتطلعا
 وخضت عباب البحر أخضر مزبدا
 ودست أديم الأرض أغبر أسفعا
 ومن شعره حسبما قيده المذكور :

نہاہ النهی بعد طول التجارب
 ولاح له منهج الرشد لاجب
 وخطبه دهره ناصحا
 بالسنة الوعظ من كل جانب
 فأضحى إلى نصحه واعيا
 وأغنى حديث الأمانى الكواذب
 وأصبح لا تستبيه الفوانى
 ولا تزدریه حظوظ المناصب

وإحسانه كثير في النظم والنثر ، والقصار والمطولات . واستعمل في السفارة
 إلى ملك مصر [وملك]^(٥) قشتالة ، وهو الآن قاضي مدينة فاس ، نسيج وحده ،
 في السلامة والتخصيص ، واجتناب فضول القول والعمل ، كان الله له .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن يوسف [بن محمد]^(٦) الصرمي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زمرك . أصله من شرق الأندلس ، وسكن
 سلفه ربض البيّازين من غرناطة ، وبه^(٧) ولد ونشأ ، وهو من مفاخره^(٨) .

(١) وردت في «ج» أنداه . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٢) هكذا وردت في «ج» و «النفع» . وفي «الزيتونة» (يرتجى) .

(٣) هكذا في «الزيتونة» والنفع وفي «ج» أمضيت (٤) هكذا في «ج» و «النفع» وفي «الزيتونة» وقطعت

(٥) الزيادة من النفع : (٦) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٧) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (وبها) . . والظاهر أن الإحالة هنا على غرناطة .

(٨) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» (مفاخرها) . والإحالة هنا على غرناطة .

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبتها، مختص، مقبول، هش، خلوب، عذب الفكاهة، حلوا المجالسة حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعاريض، حاضر الجواب، شغلة من شغل الذكاء، تسكاد تحتدم^(١) جوانبه، كثير الرقة، فكاهة، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفواً، طاهراً، كلفنا بالقراءة، عظيم الثؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظهر النبل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أرجه^(٢)، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة^(٣) من الفنون، وأصبح [مُتَلَقِّفُ كُرَّة] ^(٤) البعث، وصارخ الحلقة^(٥) وسابق الحلبة، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] ^(٦) درج^(٧) المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلماً فوق الكرسي [المنصوب] ^(٨) وبين الحفل المجموع، مستظهراً بالفنون التي بُعد فيها شأوه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لُج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقاً مع ذلك، إلى السلوك، مصاحباً للصوفية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، [ثم عانى الأدب، فكان أمداًك به، وأعمل الرحلة

(١) هكذا في «ج» والنسخ. وفي «الزيتونة» (تنحرم) وهو تحريف.

(٢) وردت في المخطوطين (رجله) والتصويب من النسخ.

(٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي النسخ (كثير).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ. وقد وردت محرفة في المخطوطين كالألق (مقلب

من كثرة).

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي النسخ. ووردت في «الزيتونة» (الحلقة).

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» والنسخ (درجة) والأولى أرجح.

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين. وواردة في النسخ.

في طلب العلم^(١) والازدياد ، وترقى إلى السكتابة ، عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب ، ثم عن السلطان ، وعرف [في] باب الإجادة . ولما جرت الحادثة على السلطان^(٢) صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس به ، وانقطع إليه ، وكرت صحبة ركابه ، إلى استرجاع حقه ، فأطف منه محله ، وخصه بكتابة سره . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة^(٣) ، فأقره^(٤) على رسمه ، معروف الاقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مضطلعا بالخطة ، خطأ وإنشاء ولأسنا وتقدياً ، فحسن منابه ، واشتهر فضله ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته^(٥) ووسع الناس تخلقه ، وأرضى السلطان حمله^(٦) . وامتد في ميدان النثر والنظم باعه ، فصدر عنه [من المنظوم]^(٧) في أمداحه ، قصائد [بعيدة الشأو]^(٨) في مدى الإجادة ، حسبما يشهد بذلك : ما تضمنه اسم السلطان أيده الله في أول حرف الميم ، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات ، وغيرها . وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن]^(٩) . أعانه الله وسدده .

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رحلة الوقت^(١٠) في فنها أبي عبد الله بن الفخار [نم]^(١١)

(١) ما ورد بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . واردة في النسخ .

(٣) وردت في المخطوطين (طائفة) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «النسخ» . ووردت في «ج» «فأقر له» وهو تحريف .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . ووردت في «الزيتونة» (واسطته) .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» والنسخ . ووردت في «ج» (جملة) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ . وساقطة في المخطوطين .

(٨) هذه العبارة واردة في «ج» وفي النسخ . وساقطة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (إلى هذا العهد) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» . وفي النسخ (المغرب) .

(١١) الزيادة من النسخ .

على إمامها القاضي الشريف . إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني ، والفقهاء العربية على الأستاذ المفتي (١) أبي سعيد بن لب ، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق ، فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس وذاكره ، وقرأ الأصول [الفقيهية] (٢) على أبي علي منصور الزواوي ، وروى عن جملة ، منهم القاضي أبو البركات بن الحاج ، والمحدث أبو الحسن بن التماساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي ، والمقرئ أبو عبد الله بن بيش . وقرأ بعض الفنون [العقلية] (٣) بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله [العلوي] (٤) التماساني [واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة مران ، وحسنة في الصناعة] (٥) .

ش—مره

وشعره مترام إلى نمط (٦) الإجادة ، خفاجي (٧) التزعة ، كلف بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصعبة ، غزير المادة . فمنه في غرض النسيب :

رضيتُ بما تقضى عليّ وتحكمُ أهان فأقصى أم أصافي فأكرم
إذا كان قلبي في يديك قيادهُ فإلى عليك في الهوى أتحمكم
على أن رُوحى في يديك بقاؤه بوصلك يحى أو بهجرك يُعدم

(١) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) ما بين الخاصرتين ووردت في «ج» وفي «النسخ» وساقطت في «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «النسخ» (هدف) .

(٧) وردت في المخطوطين (خفاجيد) . والتصويب من النسخ .

وأنت إلى المشتاق نارٌ وجنةٌ
 ولي كبدٌ تغدى إذا ما ذكرتم
 ولو كان مابى منك بالبرق ما سرى
 أراعى نجوم الأفق في الليل ما دجى
 ومازلت أخفى الحب عن كل عادل
 كسأنى الهوى ثوب السقام وإنه
 فيأمن له العقل الجميل سجيّة
 وعنه يروى الناس كل غريبة
 إذا أنت لم ترحم خضوعي في الهوى
 وحلمك حلمٌ لا يليق بمذنب
 ووالله ما في الحى حىٌ ولم ينل
 ومن قبل ما طوقنى كل نعمة
 وفتحت لى باب القبول مع الرضى
 ولو كان لى نفس تخونك في الهوى
 وأترك أهلى في رضاك إلى الأسمى
 أما والذى أشقى فؤادى في الهوى
 يبعدك يشقى أو بقربك ينعم
 وقلبٌ بنيران الشوق^(١) يتضرم
 ولا استصحب الأنواء تبكى وتبسم
 وأقرب [من عيني للنوم]^(٢) أنجم
 وتشفى دموع الصب ما هو يكم
 متى صحَّ حبُّ الرء لا شيء يسقم
 ومن جود يمناه الحيا يتعلم
 تُخطُّ على صفح الزمان وتُرسَم
 فمن ذا الذى يحنى^(٣) على ويرحم
 فما بال ذنبى عند حلمك يعظم
 رضاك وعمته أياذ وأنعم
 كأنى وإياها سوار وميصم
 [يفض الحى طرفى كأنى مجرم]^(٤)
 لفارقتها طوعاً وما كنت أندم
 وأسلم نفسى فى يديك وأسلم
 وإن كان فى تلك الشقاوة ينعم

(١) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (التشوق).

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». ووردت فى «ج» (من نومى للعين). والأولى أنسب للوزن والسياق.

(٣) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (يحنو).

(٤) هكذا وردت هذه الشطره فى «ج». ووردت فى «الزيتونة» كالأتى: (فما بال ذاك أنياب دونى مهم).

لأنت من قلبي ونزهة خاطري ومورد آملٍ وإن كنتُ أُحرم^(١)
 [ومن ذلك ما خاطبني به ، وهي من أول نظمه ، قصيدة مطامها : «أما وانصداع
 النور في مطلع الفجر» وهي طويبة^(٢) . ومن بدائمه التي عقم عن مثلها قياسُ
 قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتهاؤ الزهد بأويس ، ولم يحل تجاريه ومباريه
 إلا بويج وويس ، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه المنوّه بمكانه ، وهي
 من الكلام الذي عنيت الإجابة بتذهيبه وتهذيبه ، وناسب الحسن بين
 مديحه وأسيبه :

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا	وأن يُشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعطِ الحب فضل مقادتي	ويقضى على الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صبوة	رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما انبرق أومض موهنا	قدحت به زناداً من الشوق واريأ
خليلي إني يوم طاوقة النوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم النفر يأم مالك	تخلفت قلبي في جبالك عانيا
وذى أشر عذب الثنايا مخصر	يسقى به ماء النعيم الأفاحيا
أحوم عليه ما دجى الليل ساهرا	وأصبح دون لورد ظمان ضاريا
يضى ظلام الليل ما بين أضلعي	إذا البارق النجدي وهنا بداليا

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» ولم ترد في «نفتح الطيب» . ومن جهة أخرى فإن ترجمة ابن زمرك التي ينقلها إلينا المقرئ في نفتح «الطيب» من «الإحاطة» تتضمن عدة قصائد طويلة لم ترد في «المخطوطين» . وقد رأينا أن نتبع نص الترجمة في «نفتح الطيب» ، وأن نورد من هذه القصائد أجزاء فقط لأنها من المطولات . ثم نعود بعد ذلك فننتبع نص المخطوطين .

(٢) يقول في هذه القصيدة بعد أبيات :

لك الله فذ الجلالة أرحم تطاوعه الآمال في النهى والأمر

أجبرتنا بالرَّمْل والرَّمْل منزل
ولم أروبعاً منه أقضى لبانة
سقت طله الغر الغواذى ونظمت
أبشكم أنى على النأى حافظ
أناشدكم والحُرُّ أوفى بهمه
مضى العيش فيه بالشبية حاليا
وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
من القطر فى جيد الغصون لآليا
ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
ولن يعدم الخير والأحسان جازيا^(١)

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الأحابيش
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة ، فأمر من
يعانى الشعر من الكتّاب بالنظم فى ذلك الغرض ، فبقال وهى من بدائعه :

لولا تألق بارق التذكار
لكنه مهما تعرض خافقاً
وعلى المشوق إذا تذكر معهدا
أمدكرى غرناطة حلت بها
كيف التخلّص للحديث وبيننا
وغريبة قطعت إليك على الونى
تنسيه طيته التى قد أمها
يقتادها من كل مُشتمل الدجى
خاضوا بها لجج الفلا فتخلّصت
سكمت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك ياملك الزمان غريبة
موشية الأعطاف رائقة الحلى
ماصاب واكف دهمى المدرار
قدحت يد الأشواق زند أوارى
أن يعرى الأجنان باستعبار
أيدى السحاب أزرة النوار
عرض الفلاة وطافح زخار
بيداً تبيدُ بها هموم السارى
والركب فيها ميّت الأخبار
وكأنما عيناه جنوة نوار
منها خلوص البدر بعد سرار
وكفى بسعدك حامياً لذار
قيد النواظر نزهة الأبصار
رقمت بدائعه يد الأقدار

(١) تقع هذه القصيدة فى أربعة وثمانين بيتاً . وقد وردت فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٧٥

راق العيون أديمها فكأنه
ما بين مبيض وأصفر فاقع
يضحكى حدائق نرجس في شاهق
تنسب فيه أراقم الأنهار^(١)
وأنشد السلطان في ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من
البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى .

تأمل أطلال الهوى فتألمنا
أخو زفرة هاجت له منه ذكرة
وسيا الجوى والسقم منها تعلمنا
فأنجد في شعب العزام وأثمنا
وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك
الطراد وأرسلها قوله :

حيك يا دار الهوى من دار
وأعاد وجهه رباك طلقاً مشرقاً
أمدكرى دار الصباة والهوى
عاطيتنى عنها الحديث كأنما
إليه وإن أذكيت نار صبايتى
يا زاجر الأظمان وهى مشوقة
حننت إلى نجد وليست دارها
شافت به برق الحمى واعتادها
ومن شعره فى غير المطولات :

(١) تقع هذه القصيدة فى نحو تسعين بيتاً . وقد وردت مع الاختصار فى نفح الطيب ج ٤

ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) تقع هذه القصيدة فى أربعة وسبعين بيتاً . وقد وردت فى نفح الطيب ج ٤ ص

٢٨٠ - ٢٨٣ . وإلى هنا ينتهى ما أورده نفح الطيب من مطولات ابن زمرك . ومن بعدها نستأنف
تدوين نص المخطوطين .

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى
تُشير وراء الليل منه [بنازة] (١)
تلوح سناناً حين لا تنفح (٢) الصبا
تطمتُ به ليلاً يُطارحني الجوى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
إلى أن أفلق الصبح من غمرة الدجى
لك الله يا مصباح أشبهت مُهجتي
[ومما ثبت له في صدر رسالة :

أرور بقلبي معهد الأُنس والهوى
ومهما سألتُ البرق يهفو من الحُمى
فياليت شعري والأمانى تعالُّ
وهل حيرتني الأولى كما قد عهدتهم
ومن أبياته الغراميات (٧) :

قيادي (٨) قد تملكه الغرام
ووجدي لا يطساق ولا يُرام

(١) الزيادة من النفح .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» وفي النفح . وساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفح . ووردت في «الزيتونة» (تفتي) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفح كالاتي (لا يخفى

الضياء به كفا) .

(٥) هذا البيت وارد في «الزيتونة» وفي النفح . وساقط في «ج» .

(٦) لم يرد هذا الشعر في المخطوطين ، ونقلناه عن نفح الطيب .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» وفي النفح . ووردت في «الزيتونة» كالاتي (ومنه

مثل ذلك) .

(٨) هكذا وردت في «ج» والنفح وفي «الزيتونة» (فؤادي) .

ودمى دونه صوب الفوادی
وإذا ما الوجد^(١) لم يبرح فزادى
وشجوى فوق ما يشدو الحمام
على الدنيا وساكنها السلام
وفي غرض يظهر من الأبيات :

ومُشتمل بالحسن أحوى مهفب
فأبصرت^(٢) أشباه الرياض محاسناً
قضى رجع طرفي من محاسنه الواطر
وفي خدّه جرح^(٣) بدا منه لى أثر
فقلت لجلّاسى خدوا الخدر إنما
به وصب من أسهم الفنج والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لظه
ومن شأنها تدمى من [الأصح بالبصر]^(٤)
بدا كلف منه على صفحة القمر
تُخيل للعينين جرحاً وإنما

ومما يرجع إلى باب الفخر ، ولعمري لقد صدق في ذلك :

يا لا يمي^(٥) في الجود والجود شيمتى
جُبلت على آثارها يوم مولدى^(٦)
ذرىنى فلو أنى أخذ بالغنى
لكنت ضنيناً بالذى ملكت يدي
ومن مقطوعاته :

لقد علم الله أنى امرؤ
فكم غمض الدهر أجفانه
أجرر ثوب العفاف القشيب
وفازت قداحى بوصل الحبيب
فقلت أخاف الإله الرقيب
وقيل وقينك فى غفلة

- (١) وردت فى المخطوطين (المجد) . والتصويب من النفع .
- (٢) وردت فى المخطوطين (فأبصر) والتصويب من النفع .
- (٣) هكذا وردت فى «النفع» . ووردت فى المخطوطين (حسن) والأولى أرجح .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «النفع» ووردت فى المخطوطين (الحفظ والبصر) والأولى أرجح .
- (٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النفع» (الأئمة) .
- (٦) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «النفع» . ووردت فى «ج» (مولود) وهى تحريف .

[وفي مدح كتاب الشفاء^(١) طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع

في شرحه :

ومسرى ركاب للصبا قد وُنت به
تسل سيف البرق أيدي حُداتها
ونجائب سُحُب للتراب نزوعها
فتنهل خوفاً من سَاطاها دهوعها
ومنها :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه
بمراة حُسن قد جَلَّتْها يد النهى
نجوم اهتداء والمداد يُجَنِّبها
لقد حُزت فضلاً يا أبا الفضل شاملاً
ولله ممن قد تصدَّى لشرحه
فكم يُجمل فصّلت منه وحكمة
محاسن والإحسان يبدو خلاها
إذا ما أصول المرء طابت أرومة
بقيت لأعلام الزمان تُنِيلها
فقد بان فيه للعقول جميعها
فأوصافه يُلْتاح فيه بديعها
وأسرار غيب واليراع تُذيعها
فِيحزبك عن نصيح البرايا شهيعها
فلبّاه من غرُّ المعاني مطيعها
إذا كتم الإدماج منه تُشيعها
كما افتَرَّ عن زهر البِطاح ربيعها
فلا عجب أن أشبهتها فروعها
هُدَى ولأحداث الخطوب ترُوعها^(٢)

ومما امتزج فيه نثره ونظمه ، وظهر فيه أدبه وعلمه ، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد ، وهم مع مولانا أيده الله بالمنكب :

مالي بحمل الهوى يدان^(٣) من بعد ما أعوز التّداني
أصبحت أشكو من زمان ما بتُّ منه على أمان

(١) هو كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» وهو أشهر كتب الحافظ الفقيه القاضى عياض بن موسى السبكي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

(٢) تقع هذه القصيدة فى عشرين بيتاً . وهى غير واردة فى المخطوطين ، وقد وردت فى النسخ (ج ٤ ص ٣٨٤) .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» وفى «ج» (يدانى) .

ما بال عينيـك تسجـان والدمع يرفض كالجمان
ناداك والإلفُ عنك وانٍ والبعد من بعده كوان
ياشقة النفس من هوان كجج (١) في أبجر الهوان
لم يُثن عن هواك ثانٍ يا بغية القلوب قد كفانٍ

يا جانحة الأصيل ، أين يذهب قرصك المذهب ، وقد ضاق بالشوق المذهب .
أمست شمس [الأ نس] (٢) محجوبة عن عيني ، وقد ضرب البعد الحجاب بينها
وبيني ، وعلى كل حال . من إقامة وارتحال . فما حلك من قلبي محلا بينها . وما كنت
لأقع من وجهك تخيلا وشبيها . ومن أين انتظمت لك عقول التشبيهه وأتقت ، ومن
بعض المواقع والشمس لو قطعت (٣) . صادك منذور ، وأنت تتجمل بثوبى زور ،
وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزور ، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم ،
ومطالب تتقلب منه في كفه المطالب . ويا بريق الغمام من أي حجاب تتسم ، وبأى
صبح ترسم ، وأي غفل من السحاب تسم . أليست مباسم الثغور لا تنجد بأفقى
ولا تغور . هذا وإن كانت مباسمك مساعدة ، والجو ملبس لها من الوجوم شعارا ،
فلطالما فحكت فأبكت الغواذى ، وعقت الريح والغاذى . أعوذ بواشم البروق ،
بنواسم الطفل والشروق ، ذوات الزايرات المتعددة الطروق ، فهى التى قطعت وهادا
ونجادا ، واهتدت بسيف الصباح من السحاب قرايا . ومن البروق نجادا ، واهتدت
خبر الذين أحبهم مستظرفا مستنجادا ، فعالمها ولعلمها . والله يصل في أرض الوجود
نهلها وعلها ، وأن يُبيل ظميين الشوق بنسيمها البليل ، وأن نعوضه من نار الغليل ،
بنار الخليل ، وخير طبيب يداوى الناس وهو عليل . فشكواى إلى الله لا أشكو

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، (يحج) وهو تحريف .

(٢) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نطقت) والأولى أن يحج .

إلى أحد . هل هو إلا فرد تَسْطُو رياح الأشواق على ذُبالته ، وعُمر الشوق قد شبَّ
على الطوق ، ووهب الجمع للفرق ، ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذوق . وقلب
تُقسم أحشاؤه الوجد ، وقَسَمُ بالله العُور والتجد . وهموم متى وردت قُليب القاب ،
لم تَبْرَح ولم تُعَد ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

أستغفر الله ياسيدي الذي يو قد^(١) أفسكاري حلوا لقائه ، وأنتسَم أرواح القبول
من تلقايه . وأسأل الله أن يُديم لي آمالي^(٢) بدوام بقايه . إن بُعد مداه ، قربت
منا يده ، وإن أخطأنا رِفْده أصبنا نده . فنمرات آدابه الزهر تجيء إلينا ،
وسحايب بنانه الفرُّ تُصوب دوالينا أو علينا ، على شحط هواه ، وبُعد منتواه .
ولا كرسالة سيدي الذي عمّت فضايله وخصّت ، وتلت على أولياء نعمته أبناء
الكمال وقصّت ، وآي^(٣) قفى كل منها عجبا ، ونال من التماح عُزتها واجتلاء
صفحتها أربا . فلقد [كُرمت عنه]^(٤) بالاشتراك في بُنوته الكريمة نسبا ،
ووصلت لي بالعناية [منه]^(٥) سيبا . تولى سيدي خيرك من يتولى خير الحسين ،
ويُجزل شكر المُتعمين . أما ما تحدّث به من الأغراض البعيدة العذبية ، وأخبر
عنه من المعاني الفريدة العجيبة ، والأساليب المطيلة ، فيعجز عن وصفه ، وإحكام
رصفه ، والقلم واللسان ، ويعترف لها بالإبداع المستولى على أمد الإحسان البديع
وحسان . ولقد أجهت جِياد الارتجال ، في مجال الاستعجال ، فما سمحت القريحة
إلا بتوقع الأجل ، وعادت من الإقدام إلى الكلال . فعلمت أن تلك الرسالة
الكريمة ، من الحق الواجب على مَنْ قرأها وتأملها ، أن لا يجرى في لجة من

(١) وردت في «ج» (ترقدن) . وفي «الزيتونة» (توقدون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطين (مالي) . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في «ج» (وألوان) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لايت عنى) .

(٥) إضافة يقضيها السياق .

ميادينها ، ويديم يراع سيدي الإحسان كرينها . لاكن على أن يفسح الرياض
 للقصى مدى ويقندى بأخلاق سيدي التي هي نُور وهُدَى . فإنه والله يبقيه ، وبقيه
 مما يتقيه ، بعد ما أعاد في شكوى البين وأبدي ، وتظلم من البعد واستعدى (١) ،
 ورفع حكم العتاب عن ذوات التسميم والاعتباب ، ورعى وسيلة ذكرها في مُحكم
 الكتاب . وولى فضله ما تولى ، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور (٢)
 السعادة على رأيه ، أيده الله تُجَلَّى ، ونمرة فكره المقدس ، أيده الله تتَحَلَّى . شكر الله
 له عن جميع نعمه التي أولى ، وحفظ عليه مراتب الكمال التي هو الأحق بها
 والأولى . وقد طال الكلام ، وجمحت الأقلام . واسيدي وبركتي الفضل ، أبقى
 الله بركته ، وأعلى في الدارين درجته ، والسلام الكريم بخصمكم ، من مملوككم
 ابن زمرك ، ورحمة الله وبركاته ، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة
 وستين (٣) .

وخاطبني كذلك ، وهو من الكلام المرسل : أبو معارف . وولى نعمتي ، ومعيدي
 جاهي ، ومقوم كمال ، ومورد آمالي ، ممن توالى نعمه عليّ ، ويتوفر قسمه لدى ؛
 وأبوء له بالعجز ، عن شكر أياديه . التي أحيت الأمل ، وملأت أكنف الرغبة ،
 وأنظقت الحدايق ، فضلا عن اللسان ، وأياديه البيض وإن تعددت ، ومننه العميمة ،
 وإن تجددت ، تقصر عن إقطاع أسمي شرف المجلس في الروض المطور بيانه .
 فماذا أقول ، فيمن صار مؤثراً إلى بالتقديم ، [جالياً صورة] (٤) تشريفي ،

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (استدعا) . والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (سور) .

(٣) وردت في المخطوطين (وسبعين) ، وهو تحريف ظاهر ، متى ذكرنا أن ابن الخطيب

قد توفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الزيتونة» (جانبا سورة) .

بالانتساب إليه في أحسن التقويم . . . (١) وإني ثالث اثنين أشرف بخدمتها ،
وأسحب في أذيال نعمتها .

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمتى إليه عبيد
اللهم أوزعنى شكر هذا المنعم ، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر ، وأنهضت
كامل (٢) الحمد ، اللهم أدم بجميع حياته ، وأمتع بدوام بقاياه الإسلام والعباد ، وأمسك
بئمن آرائه رَمَق نعر الجهاد . يا أكرم مسئول ، وأعز ناصر . تفضل سيدى ،
والفضل عادته ، بالتعريف بما يقر عين المتطلع (٣) ويقنع غلة التشوف . ولقد كان
المالِك لما مثلنا بين يدي مولانا ، أيده الله ، لم يقدم عملا عن السؤال [ولا] (٤) عن الحال ،
إقامة لرسم الزيارة ، وعملا بالواجب ، فإني أرى الديار بطرفى ، فعلى أن أرى الديار
بعينى ، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله . وإن سألت سيدى شكر الله احتفاه ،
وأبقى اهتمامه ، عن حال المالِك ، من تعب السفر ، وكد الطريق ، فهى بحمد الله دون
ما يظن . فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلاعة ، محرزين شرف المساوقة ،
لمواكب (٥) المولى ، يمين الله وجبهته ، وكتب عصمته ، واستقر جميعنا بمحل
القصة ، وتاج أهدتها ، ومهب رياح أجزاها ، تحت النعم الثرة ، والأنس الكامل
الشامل . قرب الله أمد لقايتكم ، وطلع على ما يسر من تلقايتكم . ولما بلغنا هذه
الطية ، وأنحنا المطية ، قننا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار ، ورفعنا مخاطبة
المالك على الابتداء . والسلام .

مولده : فى الرابع عشر من شوال ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

[انتهى السفر السادس هنا . والحمد لله رب العالمين]

- (١) كلمة غير مقروءة . (٢) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (كامل) .
(٣) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المتطلع) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .
(٤) ساقطة فى «ج» . وورادة فى «الزيتونة» .
(٥) هكذا فى «ج» . و«الزيتونة» (لمراكب) . والأولى أرجح .

ومن السفر السابع المفتتح بقوله
 ومن الطّائرين منهم في هذا الباب *
 محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبّائي
 سكن غرناطة يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، متقدماً في الكتابة والنصاحة،
 جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش،
 وأبي علي الغساني وغيرهم. وصحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

توابعه

صنّف في شرح غريب البخاري مصنفًا مفيداً.
 توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
 من أهل مالقة، وأصله من إستبجة^(١)، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى
 أبا عبد الله.

(*) هنا يبدأ مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور.

(١) هي بلدة أندلسية متوسطة تقع على ضفة نهر شنيل فرع الوادي الكبير، جنوب لجرني غربي

قرطبة وبالإسبانية Ecija.

حاله

كان من جملة^(١) حَمَلَة العلم ، والغالب عليه الأدب ، وكان من أهل الجلالة ،
[ومن بيت علم ودين]^(٢) . أقرأ ببلده ، وقعد بالجامع الكبير منه ، يتكلم على
صحيح البخارى ، وانتقل فى آخر عمره إلى غرناطة .

وقال الأستاذ^(٣) ، كان من أبرع أهل زمانه فى الأدب [نظماً ونثراً]^(٤) .

شمره

منقولاً من خط الوزير الراوية أبى محمد عبد المنعم بن سَمَّاك ، وقد ذكر
أشياخه فقال : الشيخ المتفنن الأديب ، البارع ، الشاعر المُتَلَق ، قرأ على
أشياخها ، وأقرأ وهو دون^(٥) العشرين سنة . وكانت بينه وبين الأستاذ المقرئ
الشهير أبى العباس الملقب بالوَزَعى قرابة ، وله قصيدة أولها :

« ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً »

ومنها :

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلعوا عليه رقّةً ونُحولاً
[وكان يقول : كان الأستاذ أبو العباس ، يستعيدنى هذا البيت ، ويقول
نعم أنت قريبى ، وقدم على غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة]^(٦) .

(١) هذه الكلمة واردة فى مخطوط الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ووردت فى المخطوطين (من بيت أهل العلم والدين) .

والأولى أرجح .

(٣) يقصد بها الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الزبير ، صاحب كتاب «صلة الصلة» ، المتوفى

سنة ٥٧٠٨ هـ .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وفى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بن) .

(٦) الفترة الواردة بين الحاصرتين مطبوسة وممحة فى الإسكوريال ، وقد نزلناها عن «ج» .

محتـه

قال الأستاذ جرى له قصة ، نقل بعض كلامه فيها ، على بعض أحاديث
الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها ؛ غالب أدبه . فأطلق عنان الكلام ،
[وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه ، إدراكات] (١) تلك الأفهام . ولكل مقام مقال .
ومن الذي يسلم من قيل وقال . وكان ذلك سبب الانتطاع ، ولم يؤت من قصر
باع ، وانتقل إلى غرناطة ، فتوفي في أثر انقضاءه (٢) وانتقاله .

شعره

من ذلك قوله في غرض يظهر من الأبيات :

قضوا في ربي تجرد [في القلب مرساه] (٣) وغنموا إن أبصرتهم ثم مغناه
أما هذه نجد أما ذلك الحمى فهل تحميت عيناه أم صمت (٤) أذناه
دعوه يوفى ذكـره باتشامه ديون هواه قبل أن يتوفاه
ولا تسأله سألوه فن العنا رياضة من قد شاب في الحب فوداه
أيحسب من أصلى (٥) فؤادي بحبه أنى أسألو عنه حاشاه
متى غدر الصب الكريم (٦) وفي له وإن أتلف القلب الحزين تلافاه
وإن حجروا معناه وصرحوا به فإن معناه أحق بمعناه
وياسابقاً عيس الغرام سيـوفه وكل إذا يخشاه في الحب يخشاه
أرحها فقد ذابت من الوجد والشرى ولم يبق إلا عظما أو بقاياها

(١) ما بين الحاصرتين مكانه بياض في الإسكوريال .

(٢) واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وفي الحمى مرماه) . والأولى أبلغ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال و«ج» (صم) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (أبل) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الكتيب) .

ويا صاحبي عَجِبْني على الخليف من مَنى
وعرَّج على وادي العميق لعنني (١)
وقل لليالي قد سَلَفن بَعْدِشسه
هل العود أوجوه أم العمر ينتضى
[ومن شعره أيضاً ، قوله ، رحمه الله :

سَرَّت من رُبِّي نجد مُعَطَّرَة الرِّيا
تمسح أعطاف الأراك بليـلة
ومرتد في جِبْرِ الرياض مريضه
وبشرت بأنفاس الأحيبة سحرة
سقتني الله دهرأ ذكره بنعيمه
ملني مُحَيَّاه الأنيق وحُسنه
وبى رَشَأ من أهل غرناطة غدا
رمانى فأصابني بأول نظيرة
وبدد جسمي نوره وكأنه
تصور لي من عالم الحسن خالصاً
وهم بأن يرقى إلى الحور جسمه
إذا ما اتنى أولاح أوجاح أورنا
رعى الله دهرأ كان ينشر وصله

يموت لها قلبي وأونة يميها
وتنثر كافوراً على التربة اللميا
فتحي بطيب العرف من لم يكن يحيا (٢)
فيسرع دمع العين في إثرها جريا
فكم لطفوني عند ذكراه من سقيا
ومن خلقي قد كنت لأحمل النايا
يجود بتعديبي ويبخل باللقيا
فيا عجباً من علم الرشأ الرميا
أشعة شمس قابلت جسدي مليا
فمن عجب أن كان من عالم الدنيا
فثقلته كُتبا وحملته حليا
سبأ القُصْب والأقار والمِسك والضيا
برود طواها البين في صدره طيا (٣)

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي المخطوطين (ثاني).
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (سكناه).
(٣) وردت في المخطوط (فنجيا) وبالتصويب يستقيم السياق .
(٤) هذا الشعر المخصوص بين الحاصرتين وارد فقط في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

مشيخته

ومما يشتمل على أسماء شيوخه ، ويدل على تبجّره في الأدب وورسوخه ، إجازته
أبا الوليد إسماعيل بن تير الأيادي ، وعندها يقال ، آتى الوادي .

إن لي عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين
نظرةً والتفاته أتعى أن تكوني حملت فيما تليينا
ما هذه الأنوار اللايحة ، والنوار الفايحة ، إنى لأجد ريح الحكمة ،
ولا مفند ، وأرد مورد النعمة ولا منكند (١) ، أميسك دارين يُنهب ، أم المنذل
الرطب في الغرام الملهب ، أم ففحت أبواب الجنة ففاح نسيمها ، وتوضحت
أسباب المنّة ، فلاح وسيمها .

مُحْيَاك أم نور الصباح تبسما وريالك أم نور الأقاح تنسما
فن شم من ذا نفحة رق شيمة ومن شام من ذا لحة راق مبسما
أجل خلق الإنسان من عجل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتفهموا
أسرار الحكم وتعووا ، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، يعني مجالس الذكر ،
ومأنس النظر والفكر ، ومطالع المناظرة ، ومواضع المحاضرة ، فهذه بتلك ،
وقد انتظمت الجواهر النبوية في سبائك ، ولها من حمى العطاراة (٢) وطيس ، بين
مسك المداد ، وكافور القراطيس . فيا أيها المعلم (٣) الأوحى ، والعالم الذي لا تنسك
أمامته ولا تُجحد ، حوّمت على علم الملوك ، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلوك ،
فلم تعد أمل الحكماء ، ولم تعد إلا بعمل العلماء ، وقد قال حكيمهم الفاضل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (بكذا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (للمعاصرة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (العلم) والأولى أرجح .

وعظيمهم] الذى لا مُناظر له ولا مُفاضل [١] ، إذا خدمت الأُمراء ، فكن بين [استلطاف واستعطاف] [٢] ، تَجَنُّ المَعَارِفِ وَالْعَوَافِ ، دَانِيَةِ الْقَطَافِ . فَتَعَلَّمَهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ ، وَتُرَوِّهِمْ [٣] ، وَكَأَنَّكَ تَرَوِي عَنْهُمْ ، فَأَجْرِيَتَ الْبَابِ ، وَامْتَرِيَتَ مِنَ الْعِلْمِ الْبَابِ ، ثُمَّ لَمْ تُبْعِدْ ، فَقَدْ فَعَلَ النُّحَوِيُّونَ ذَلِكَ فِي يَكْرُمٍ ، وَيَعِيدُ ، وَيَعِزُّ [٤] ، وَلَا غَرَوْ أَنَّ تَقْرَأُ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ . وَتَسْتَعِيزُ الْإِجَازَةَ [عَنِ الْقَوْمِ الْعِظَامِ] [٥] ، يَقْصِدُونَكَ . فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَقْرَأَ عَلَى أَبِي [بْنِ كَعْبٍ] [٦] ، [فَهَلْ فِي حَيْ خَطِ الْخَوَاطِرِ الذِّكْيَةِ مِنْ حَيْ] [٧] ، فَقَالَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، [اللَّهُ أَمْرُكَ] [٨] أَنْ تَقْرَأَ عَلَى ، وَالْعِنَايَةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، تُنَادِي إِلِيَّ إِلِيَّ ، وَإِذَا قَالَ لِي مَنْ أَحَبُّ مَوْلَايَ ، وَاسْتَعَارَ لَزِينَتَهُ حُلَايَ :

فَمَا عَلَى الْحَبِيبِ مِنْ اعْتِرَاضٍ وَالطَّبِيبِ تَصَرُّفٌ فِي الْمَرَضِ
قَدْ يَرْحَلُ الْمَرءَ لِمَطْلُوبِهِ وَالسَّبَبِ الْمَطْلُوبِ فِي الرَّاحِلِ

عَجَّتَ مَتَوَاضِعًا ، فَمَا أَبْرَمْتَ فِي مَعَاجِكَ ، وَلَا ظَلَمْتَ فِي السُّؤَالِ ، نَعَجَّتَهُ إِلَى نَعَايِكَ ، فَإِنَّ سِرَّهُ اللَّهُ ، لَا يَجِلُّ فِيهِ الْإِنْشَاءُ ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ ، وَاللَّهُ يُوَقِّي

(١) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين (ج ، والزيتونة) . ووردت في الإسكوريال كالاتي (الذى لا يناظر ولا يناضل) . و الأولى أرجح .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (استعطاف واستلطاف) . و الأولى أرجح .

(٣) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٤) ساقطة في الإسكوريال . و واردة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال مكانها (للاعلام) .

(٦) الزيادة عن المخطوطين .

(٧) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال وفي «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (أمرك) . و الأولى أرجح .

الحكمة من يشاء ، وإن لبست من التواضع شعاراً ، ولبست عن الترفع تبيهاً^(١) على السر المكتوم وإشعاراً . فهذه الثرياً من العجايب إذا ارتفعت في أعلى صعودها ، وأسمى راياتها الخافقه وبنودها . نهاية وجودها الحسنى عدم ، وغاية وصفها الشبهي ، أن تشبهه بقدم ، فإذا همت بالركوع ، وثمتت في المغرب ربح الوقوع ، كان لها من السمو القيدح المعلنى ، وعادت قرطاً تنزين به الآذان وتتحلى .

وفي الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي وسط السماء قدم
هذه آثار التواضع متلوة الشور ، مجلوة الشور ، وكان بعضهم إذا أعلت الصدقة ، يطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا تفهم المايل . فإنه لما سمع النبوة تقول ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أراد أن يؤثر المقام^(٢) الأعلى . ولما أعطى أبو بكر ، رضى الله عنه . ماله كله ، أعطى عمر رضى الله عنه النصف [من المال]^(٣) لا احتياطاً على ماله ؛ ولسكن ليقيم لأبي بكر فى مقام القصور عن كماله ، تقوى بوضاً وتسليماً ، وتنبهاً لمن كان له قلب وتعلماً . وروى الدارقطنى^(٤) [رحمة الله عليه] ^(٥) يحبس أباه^(٦) بركابه ، فلا ينكر عليه ، فقيل له فى ذلك ، فقال رأيت يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفتها .

فوق السماء وفوق الزهر ما طلبوا وإذا ما أرادوا غايمة نزلوا
وإلى هذا وصل الله حفظك ، وأجزل من الخيرات حظك ، فإنه وصلنى
السكراسة المباركة ، الدالة على التفنن فى العلوم والمشاركة ، فبينما أنا أتلو الإجازة ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى «ج» . وفى «الزيتونة» (شبهها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (بالمقام) . والتصويب من «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «ج» .

(٤) هو الحافظ الإمام أبو الحسن على الدارقطنى ، نسبة إلى دار القطن أو دار قطن وهى بجدة

كانت ببغداد ، وكان من أقطاب الفقه الشافعى ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٥) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال .

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة (أبوه) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

وأريق صدور البيان وإعجازه ، ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من أبي الوليد ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فخرت ، ووقفت كأذني سُحرت ، وقلت ساحران
تظاهرا مآ ، وأحدهما قاتلي ، فكيف إذا اجتماعا .

فلو كان رُحماً واحداً لا تقيته^(١) ولا كنه رُحاً وثان وثالث

[ومن لعيت بشيمته المشاني فأحرى أن تطير به الثالث]^(٢)

وطار بي الشوق كل مطار ، وقرأت سماء فكرتي سورة الانفطار ، وكذبت
أصعد إلى السماء توقداً ، واختلط بالهواء تودداً .

كانت جواهرنا أو ايل قبل ذان^(٣) فالآن صارت بالتحول ثوان^(٤)

وُجِدت وراء الحسن وهي كشيعة فوجودهن^(٥) الآن في الأذهان

ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب ، حتى أمرت أن أنظم على ذلك الأسلوب ،
وبالحري لذلك النثر البديع ، الحريري أو البديع ، ولذلك النظم المعجيب ، المتنبى
أو حبيب ، ولذلك النصوص الرقيق ، الحارث بن أسد ذى التحقيق . وأما
الحديث ، فمالك تقطع تلك المسالك ، إلا أن العربية^(٦) ليس لأحد معه فيها دليل ،
أستغفر الله إلا للخليل ، لا كن أصول الدين مجرّبة ، تركت تلك الميادين . هناك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لاستنيته) . وفي «الزيتونة»
(لما التقيته) .

(٢) هذا البيت وارد بمكانه في «ج» و«الزيتونة» . ولكنه وارد في الإسكوريال بعد كلمة
(الإنفطار) الواردة في الجملة التالية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (تبيدان) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (فوجودها) .

(٦) هذه الكلمة واردت في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

الله يجمع كل منقبة جليلة ، فترى الفضيلة لا ترد فضيلة ، فمر الرديف وقد ركب
 غضنفرا ، أو المدعى صفة فضل ، وكل الصيد في جوف الفِرا . من يُزحم^(١) البحر
 يغرق ، ومن يُعلم الشجر يشرق . وهل يُبارى التوحيد بعمل ، أو يُجارى البراق
 بجمل . ذلك انتهى إلى سِدرة المنتهى . وهل^(٢) انبرى ليلطم خدّه في الثرى .
 لا تقاس الملائكة^(٣) بالحدادين ، ولا حُكّاء يونان بالفدادين . أفي طريق
 الكواكب يُسلك ، وعلى الفلك الأثير يُستملك^(٤) . أين الغد من الأمس ، وظلمة
 الغسق من وضح الشمس . ولولا ثقتي بغمام فضلك الصّيب لتمثلت لنفسي^(٥) بقول
 أبي الطيب :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أواه غبارى ثم قال له الحق
 فإن رضيت أيها العلم ، فما لُجرح إذا أرضا كم ألم . [تر] (٦) كيف أجازى
 أعوج بمغرب أهوج وأجازى ذا العقال بمحش في عقال . ظهر بهنه الظلمة ، ذلك
 الضياء ، وبضدّها تتبين الأشياء . وما يزكو بياض العاج حتى يُضاف إلى سواد
 الأبنوس . أفاظ تذوب رقة ، وأغراض تملك حبّ الكريم ورقّة الزهر ، والزهر
 بين بنان وبيان ، والدر طوع^(٧) لسان وإحسان .

وقالوا ذاك سحرٌ بأهلى فقلت وفي مكان الماء باء

(١) وردت في الإسكوريال (يرحم) . ووردت في المخطوطين (يحزم) . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(٢) وردت في الإسكوريال (وهذا) . والتصويب من «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (الملوك)

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (يستغلب) . والأولى أنسب

للسياق .

(٥) هذه الكلمة واردة فقط في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بين) .

وأما محاسن أبي الوليد ، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد .
 معان لبسن ثياب الجمال وهزّت لها الغانيات القدودا
 كسّون عبيداً ثياب عبيد وأضحى لبيدٌ لديها بليداً
 وكيف أعجب من إجرايك لهذه الجياد ، وأياديك^(١) من إياد . أورثت هذه
 البراعة^(٢) المساعدة ، عن قسّ بن ساعدة . أجدك أنت الذي وصف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقال ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي سَوْقٍ عَكَظَ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَقٍ ،
 وهو يقول أيها الناس : مطرٌ ونبات ، وآباءٌ وأمّهات ، إلى قوله :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
 لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
 أيقنت أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر

إيه بغير تمويه . رجّع الحديث الأول إلى ما عليه المعول . سألتني أيها السيد
 الذي يجب إسعافه ، أن أرغم^(٣) أذنّ القلم حتى يجرى رُعافه ، وأن أكلج جفون
 الأوراق بمداد الأفلام ، وأن أجمع الطروس والأمدّة ، بين إصباح وإظلام ، وأطرز
 بياض الشوسن بنخضرة الآس ، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بني العباس ، فقلت
 مبادراً ممتثلًا ، وجئت في ميدان الموافقة متمثلًا :

لبّيك لبّيك أضعافاً مضاعفة إنّي أحببتُ ولكن داعي الكرم
 أنّي من المجد أمرٌ لا مرّدٌ له أمشي على الرأس فيه لا على القدام^(٤)
 دعاه والله مُجّاب ، ونداء ليس دونه حجاب

(١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (وإنه أيك - وإذايك) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في الإسكوريال (أرمت) .
 (٤) وردت في المخطوطين (أهم) . والتصويب من الإسكوريال .

أكتب ولو أني أستطيع لإجلال قـدرك بين البشر
قددتُ اليراعة من أنملى وكان المداد سواد البصير^(١)

نعم أجزتُ سيدى الفقيه الأجل ، الخطيب الأكرم ، العالم العالم ، الأوحده
الأكل ، الحسيب الأحفل الأطول ، أبا الوليد بن الفقيه الأجل ، المعظم^(٢) الموقر ،
المكرم المبارك الأظهر ، المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد^(٣) بن قترى الأيادى
القرموفى^(٤) ، وبنيه السادات ، النجباء المباركين ، أبا القاسم أحمد ، وأبا إسحق
إبراهيم ، وأبا الحسين بتزيا^(٥) . ونعمت الأغصان والشجرة ، والأقنان والثمرة ، أقر
الله بهم أعين المجد ، ولا زالوا بدورا فى مطالع السعد . ولا برحوا فى مكارم ،
يجنون ثوارها ، ويحتلون أنوارها ، وتفيض عليهم [يد]^(٦) العناية الإلهية ،
نهرها السكوثرى ونهارها ، جميع مارويته ، قراءة وسماعا ، وإجازة ومناولة من
العلوم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، بأى وجه رويته ، وعلى أى وصف
تقلدته ودريته ، وكذلك أجزتهم جميع ماقلته وأقوله . من مسطور^(٧)
ومرسوم . ومنثور ومنظوم ، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم ، وقصايدى
المسبأة بالروحانيات ، وممشراتى الحبيبات . وما نظمته من الوتريات ،
وشرحى لشعر أبى الطيب المسمى^(٨) بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ،

(١) هكذا ورد هذان البيتان فى الإسكوريال . ووردا فى المخطوطين مرسلين على صفة

المشور .

(٢) واردة فقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (إسماعيل) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (القرموفى) وفى «ج» (القرموفى)

والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وهى ساقطة فى «الزيتونة» .

(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال ، و«الزيتونة» ، وساقطة فى «ج» .

وكتابي المسى « شمس البيان في لمس البنان » ، والزهرة الفايحة في الزهرة اللابحة ، ونفح السكيمات في شرح المقامات ، واقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين ، وكتاب التصور والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ، ورقم الحلل في نظم الجمل^(١) ، [ومفتاح الإحسان في إصلاح اللسان]^(٢) . وما أنشأته من السلطانيات نظماً ونثراً ، وخطابة وشعراً . والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه بئنه وكرمه . فليقل الفقيه الأجل ، وبنوه الأكرمون^(٣) رضى الله عنهم ، [أبنائنا وأخبرنا وحدنا]^(٤) أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية ، بعد تحرى الشروط المرعية ، في الإجازات الشرعية ، وإن ذهبوا حفظ الله كلامهم ، وأراعهم في الدارين آمالهم ، إلى تسمية من لى من المشايخ قدس الله أرواحهم ، وزحزح عن النار أشباحهم :

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير ، العالم الفاضل الجليل ، البقية الصالحة ، آخر الأدبا ، وخاتمة الفضلاء ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبي الدار ، رضى الله عنه . قرأت عليه بقرطبة ، شعر أبي الطيب ، قراءة فهم لمعانيه ، وأعراب لألفاظه ؛ وتحقيق لفته ، وتنقيح عن بديعه . وكذلك قرأت عليه أكثر شعر أبي تمام . وسمعت عليه كتاب الكامل لأبي العباس [المبرد]^(٥) ، ومقامات التيمي ، كان يرويها عن منسبها ، وكانت عنده بخط أبي الطاهر . وتفقته عليه « تبصرة الضمري » . وكان على شياخته^(٦) رحمه الله ، ثابت الذهن ، مقبل الخاطر ، حافظا المعيا .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (الدول) وهو تحريف لأن (رقم الحلل في نظم الدول) هو اسم كتاب لابن الخطيب .

(٢) هكذا ورد اسم هذا الكتاب في الإسكوريال ، وورد في «ج» (مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (المباركون) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (أخ. نا أو أبنائنا) .

(٥) أضفنا هذه الكلمة زيادة في الإيضاح .

بروع رَكَاةٌ وَيَدُوبُ ظَرْفًا فَمَا تَدْرِي أَشَيْخَ أُمِّ غَلَامٍ
 نَأْتِيهِ بِمَقَاطِيعِ^(١) الشَّعْرِ فَيُصَلِّحُهَا لَنَا ، وَيَقِفُ عَلَيَّ مَا لَسْتُ حَسَنَةً^(٢) مِمَّا ،
 فَتَجِدُهُ أَثْبَتَ مِنَّا ، وَلَقَدْ أُنْشِدْتَهُ يَوْمًا ، فِي فِتْيٍ مَقْقُودِ الْعَيْنِ الْيَسْرِيِّ :

لَمْ تَزُوْا إِحْدَى زَهْرَتَيْهِ وَلَا ائْتَيْتُمْ عَنْ نُورِهَا وَبَدِيعِ مَا تَحْوِيهِ
 لَكِنَّهُ قَدْ رَامَ يُغْفِقُ جَفْنَيْهِ لِيُصِيبَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَرْمِيهِ

فَاسْتَفَادَهَا وَحَفَظَهَا . وَلَمْ يَزَلْ رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَعْبُدُهَا مُسْتَحْسِنًا لَهَا ، مَتَى وَقَعَ
 ذِكْرُهَا . وَكَانَ يَرُوي عَنْ الْإِمَامِ الْمَازِرِيِّ بِالْإِجَازَةِ ، وَعَنْ الْقَاضِي أَبِي مَرْوَانَ بْنِ
 مَسْرُورَةَ ، وَعَنْ الْأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ .

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ [الْعَالِمُ الْعَدْلُ]^(٣) ، وَالْمُحَدِّثُ الْأَكَلُ ، الْمُتَمَتِّنُ ، وَالْخَطِيبُ ،
 الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ حَوْطِ اللَّهِ . سَمِعْتُ عَلَيْهِ كِتَابًا كَثِيرًا بِمَالِقَةَ ، بِقِرَاءَةِ الْفَقِيهِ
 الْأَسْتَاذِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ غَالِبٍ ، وَلَقِيْتَهُ بِقَرْطَبَةَ أَيْضًا ، وَهُوَ قَاضِيهَا . وَحَدَّثَنِي عَنْ
 جَدِّي ، وَعَنْ جَمَلَةَ^(٤) شَيْوُخٍ . وَلَهُ بَرْنَامَجٌ كَبِيرٌ . وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو سُلَيْمَانَ
 أَيْضًا مِنْهُمْ .

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجَلُ ، الْعَالِمُ الْعَلَمُ ، الْأَوْحَدُ . النَّحْوِيُّ ، الْأَدِيبُ الْمُتَمَتِّنُ ، أَبُو عَلِيٍّ عَمْرِيْنَ
 عَبْدَ الْجَمِيدِ الْأَزْدِيَّ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مُفْرَدَاتٍ ، وَكُتَابَ الْجَمَلِ ، وَالْإِيضَاحِ
 وَسِيْبِيُوهِ تَفْقَهُمْ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَارُ السَّنَةَ تَفْقَهُمْ ، وَمَا زِلْتُ مُوَاطِبًا لَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى
 رَحِمَهُ اللَّهُ . وَكَانَ فَرِيدَ عَصْرِهِ فِي الذِّكَاةِ [وَالزَّكَاةِ]^(٥) ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَلْبَةِ الْأَسْتَاذِ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (بمقطعات) . وفي «ج» (بمقاطع

والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (نسخناه) وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (جملة) ، الأمل إلى أرجح .

(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

أبي زيد السهيلي أنجب منه [على كثرتهم] (١) . وقد قال الأستاذ أبو القاسم السهيلي للإمام المنصور رضى الله ، هو أقعدُ لكتاب سيبويه منا . وقال لى يوما ، وقد نظر إلى طالب يُصغى بكليته إلى ثان ، فقلت ماذا ، فقال إنَّ حُبَّ الشيء يعنى ويصم (٢) ، فقلت له ، ويعيد الصبيح [ليلا] (٣) مُدَاهِم ، فاستحسته .

ومنهم الفقيه الأجل ، الأديب الأريب الكامل ، اللغوى الشهير ، أبو على ابن كسرى المورى ، قريبي ومعلمي . وكان من طلبة أبي القاسم السهيلي ، ومن نبغ صغيراً . وهو الذى أنشد فى طفولته السيد أباسحق الكبير بإشيلية :

قسما بمحمض وإنه لعظيم فهى المقام وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة (٤) الأستاذ أبو القاسم السهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ، فقال لمثل هذا كنت أحسبك الحسا ، [ولمثل هذا] (٥) كنت أواصل فى تعليمك الإصباح والإمسا . وقد أنشد هذا الأمير المؤمنين أبى يعقوب رضى الله عنه :

أمشراهل الأرض بالطول والعرض بهذا أنادى فى القيامة والعرض
فقد قال الله فىك ما أنت أهله فيقضى بحكم الله فىك بلا نقض
فيايك يعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكنا ليوسف فى الأرض

ومنهم الفقيه الأجل ، العالم المحدث ، الحافظ الفاضل المؤثر ، السيد أبو محمد القرطبي . قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات ، وتفقهت فى الجمل والأشعار ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ويصغى) .

(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بالحضرة) .

(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

وأجازني [جميع] ^(١) مارواه . وكذلك فعل كل واحد ممن تقدم ذكره . وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق ، وجمال سمّت [وأبهة] ^(٢) ووقار ، وإتقان وضبط ، وجودة وحفظ .

ومنهم الفقيه الأجل ، الحاج الفاضل ، الشهيد في كائنة العقاب ^(٣) ، المحدث الورع ، الزاهد الطاهر ، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصاري ، وعليه كان ابتدأ للقراءة ، وكان مبارك التعليم . حسن التفهيم ، شديد التواضع . ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع ، المحدث ، الحاج الملمّم ، المحجّب الدعوة ، الميمون النقيية الأواب . أبو الحاج بن الشيخ . رضي الله عنه . وهذا الكتاب ^(٤) على الإطالة مني . ولكن القرطاس في ، والسلام الاتمّ عليكم ، ورحمة الله وبركاته . قال ذلك ، وكتبه ، العبد المعترف بذنبه ، الراجي رحمة ربه . محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستجى ، في أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستائة .

وفاته

من خطّ الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك . قال ، قدّم غرناطه ، أظن سنة تسع وثلاثين وستائة ، وشكى علة البطن مدة ثمانية أشهر يدار أبي [رحمه الله] ^(٥) ، مرضناه الثلاثة الأخوة ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بمدفنه ، معني الأعب ، بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك .

(١) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) كائنة العقاب هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة الموحدي الناصر لدين الله ، والجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، في هضبة سانتا إيلينا شمال غربي مدينة أبدة ، وهزم فيها الموحدون هزيمة ساحقة ، وذلك في سفر سنة ٦٠٩ هـ (ديريه ١٢١٢ م) . وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa .

(٤) وردت هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الكتب) . (٥) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن أحمد بن علي الهواري^(١)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر من أهل المريّة .

حاله

رجل كفيف البصر ، مدلٌّ على الشعر ، عظيم الكفاية والمِنَّة ، على زمانته .
 رحل إلى المشرق ، وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صارا
 رُوحيين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين نخعي أسد ، وشعرا للسكندية ، فكان
 وظيف الكفيف النظم ، ووظيف البصير الكُتُب ، وانقطع الآن خبرهما . وجرى
 ذكره في الإكليل بما نصه : محسوبٌ ، من طلبتها الجلّة ، ومعدود فيمن طلع
 بأفهام الأهلّة ، رحل إلى المشرق ، وقد أصيب ببصره ، واستهان في جذب
 الاستفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضره .

شعره

وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلوا مسرّاً ذلك الخال في صفحة الخلدِ متى رقوا بالمسك في ناعم الورد
 ومن هو غصن القدّ منها لفتنتي وأودعه رمانتي ذلك النهْد
 ومزمتي القُضْبُ اللدان بوصلها إلى أن أعزرت الحسن من ذلك القد
 فتاة تفتُّ القلب متى بمقالة له رقة الغزلان في سَطوة الأسد
 تمنيت أن تُهدى إلى نهودها فقالت رأيت البدر يُهداه أو يهد
 فقلت وللرمان بدٌّ من الجنا فتـ هات وقالت باللواحظ لا الأيد
 فقلت ليس للقلب عندك حاصلٌ وقالت قلوب الناس كلهم عندي

(١) لم ترد هذه الترجمة في «ج» ، ولا في «الزيتونة» . ووردت فقط في الإسكودريال .

فقلت كفاً كم الحسنى من عبء
هووى ولا تشكى واصبر على ألم الصّد
لأجل الذى تجنيه من خالص الشهد
لما يكسب الإنسان من شرف الحمد
كريم المالم فى طلب المجد

وقلت اجعلينى من عبيدك فى الهوى
إذا شئت أن أرضاك عبداً فمت
ألم تر أن النحل يُحمل ضرّها
كذلك بذل النفيس سهل لذى النهى
أست ترى أجزاته طالما أضع
ومن شعره أيضاً قوله :

وأشدّ فديتك إن خلّ فوادى
فاشرح هنالك لوعتى وسهادى
أرب الأجابة والحمى والوادى
فانزل فديتك قد بدا إسماعى
بان القديب ونور حسنه سعادى
وكذا الهلال علامة الأعياد

عرج على بان القديب وناد
وإذا مررت على المنازل بالما
إيه فديتك يا نسيمه خبرى
ياسعد قد بان القديب وبانه
خذ فى البشارة مهجتى يوماً إذا
قد صح عيدى يوم أبصر حسنها

ومما نقلناه من خبر قيده لصاحبنا الفقيه الأستاذ أبى على منصور الزواوى ،
ومما أدعاه لنفسه :

ولى بمدارك المجد اهتمام
وصحبته معشر بالمجد هام
على قم النجوم لها مقام
كما مالت بشارتها المرام
ليسفر من مرادهم الظلام
فدعزموا الرحيل فقد أقام

على لكل نى كرم ذمام
وأحسن مالمى لقاء حر
وإنى حين أسب من أناس
يميل بهم إلى المجد ارتياح
هم لبسوا أديم القيل برداً
هم جعلوا متون العيش أرضا

فمن كل البلاد لنا ارتحال
وحوّل موارد العلياء منها
تصيب سهامنا غرض المعالي
وليس لنا من المجد اقتناع
نتره عرضنا عن كل لوم
ونبذل لا نقول العام ماذا
إذا ما المحل عم بلاد قوم
وإن حضر الكرام في يدينا
وفينا المستشار بكل علم
فيدان الكلام لنا مداه
كلا الأمرين ليس له يقوم
يريق دم المهاد بكل طرس
ونكتب بالثقة العوالي
إذا عبست وجوه الدهر منا
لقد علمت قلوب الرّوم أنا
وليس يضيرنا أناس قليل
إذا ما الرّاية الحمراء هزّت
وما أحرّت سدى بل من ديماً
تظلل من بنى نصر ملوكا
فكم قطعوا الدجى في وصل مجد
أبا الحجاج لم تأت الليالى
ولا تحلت ظهور الخيل أمضى

وفي كل البلاد لنا مقام
لنا مع كل ذى شرف زحام
إذا ضلّت عن الغوص السهام
ولو أن النجوم لنا قيام
فليس يشين سُوددنا ملام
سواء كان خصب أو حطام
أثبناها فجاد بنا الغمام
ملاك أمورهم ولنا الكلام
ومنا الأيثار والبطل الهام
وميدان الحروب بنا يقام
سوانا يوم نازلة تمام
وليس سوى البراع لنا سهام
بمحيث الطرس لبيات وهام
إليها فانتنت ولها انتقلم
أناس ليس يعوزنا مرام
لعمرك أبيك ما كثر الكرام
نعم فهناك للحرب ازدحام
ليس على جوانبها انسجام
حلال التّوم عندهم حرام
وكم سهروا إذا ما الناس نام
بأكرم منك إن عدّ الكرام
وأشجع منه إن هزّ الحسام

وأني جئت من شرقٍ لغربٍ
وجرّبت الملوك وكل شخص
فلم أر مثلكم يا آل نصر
ومنها:

لأندلس بكم شرفٌ وذكرٌ
سعى صوبُ الغمام بلاد قوم
إليك بها مهديّةُ المعاني
لها لجناب مجدكم انتظام
تودُّ بلوغُ أدناه الشّام
هم في كل مجديّة غمام
يرينها ابتسام وانتظام
طواف وفي أركان إلام
نجزت وما كادت ، وقد وطئ الإيطاء صروحكم ، وأعيان الإكثار حازتها
وسروجها ، والله وليّ التّجاوز بفضله .

محمد بن أحمد بن الحدّاد الوادي آثي

يكفي أبا عبد الله

حاله

شاعر مُقلِّق ، وأديب شهير ، مُشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها ،
في الموسيقى ، مضطلع بفنّ المَعنى . سكن المرية ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني
صّادح . وقال ابن بسّام ، كان أبو عبد الله هذا ، شمسُ ظهيرة ، وبجرّ خير
وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة ، وضُح في طريق المعارف ، وضوح الصبح
المتهلل ، وضرب فيها بمدح ابن مقبل ، إلى جلالته منقطع ، وأصاله متنوع ، ترى
العلم يرم على أشعاره ، ويتبين في منازعه وآثاره .

تواليا فيه

ديوان شعر كبير معروف . وله في العروض تصنيف ، مزج فيه بين الأنحاء^(١) للموسيقية^(٢) ، والآراء الجليلة .

بعض أخباره

حدث بعض المؤرخين ، مما يدل على ظرفه ، أنه فقد مسكناً^(٣) عزيزاً عليه ، وأحوجت^(٤) الحال إلى تكلف سلوة ، فلما حضر الندماء ، وكان قد رصده الخسوف بالقمر^(٥) ، فلما حقق أنه قد ابتداء ، أخذ العود وغنى :

شقيقك غيب في لحده وتشرق يا بدر من بعده
فهلأ خسفت وكان الخسوف حداداً لبست على فقهه

وجعل يرددّها ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضه^(٦) الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب . قال ، وكان منى في صباه بصبية من الروم ، نصرانية ، ذهبت بلبه وهواه ، تسمى نويرة ، افتضح^(٧) بها ، وكثر نسيبه .

شعره

قال في الغرض المذكور :

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الألمان) .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الذخيرة . وفي المخطوطين (الوصفية) وهو تحريف .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مسكنا) .
- (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ووردت في المخطوطين (واحتاج) .
- (٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (القمرى) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واستعرضه) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فتهم) .

حديثك ما أحلى [فزيدى وحدتى] ^(١) عن الرُّشَا الفردِ الجمالِ المنثُ
 [ولاتسمى] ^(٢) ذِكْرُ ادْفَالِدِ كرمؤنسى وإن بَعَثَ الأشواقِ من كلِّ مَبْعَثِ
 وبالله فاروقِ خَبَلِ نفسى بقوله وفى عِقْدِ [وَجَدَى] ^(٣) بالإعادة فابعث
 أحقاً وقد صرَّحتُ ما بى أنه تَبَسَّمِ [كاللاهى بنا المتعَبِّثِ] ^(٤)
 وأقسمُ بالإنجيلِ أنى شابق ^(٥) وناهيك دهمى ^(٦) من مُحِقِّ مُحْنَتِ
 ولا بدُّ من قصى على التمسِّ قصتى عساه مُعْيِثِ المَدَنَفِ المُتَعَوِّثِ
 ولم يأتهم عيسى بدين قساوة فيقسو على بَنَى ويلهو بمكرث
 وقلبي من حُلَى التجلُّدِ عاقلِ هوئى فى غزالِ الواديين المرعثِ
 سيصبح ^(٧) سرى كالصبحِ مُشهرآ ويمنى حديثى عُرْضَةَ المتحدِّثِ ^(٨)
 ويُغرى بذكري بين كأس وروضة ويشدُّ وبشعرى فوق مَثَقِ ومثلثِ
 ومن شعره فى الأمداح الصَّادِحِيَّةُ :
 لعلك بالوادي المقدس شاطىءُ وكالعنبرِ الهندى ما أنت واطىءُ
 وإنى فى ريباك واجد عرْفِ ريمهم فروحِ الجوى بين الجوامعِ ناشىءُ
 ولى فى السرى من نارهم ومقارهم هداةُ حداءةُ والنجومِ طوافىءُ

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين وفى الذخيرة . وفى الإسكوريال (فزيدى وحدتى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت محرقة فى المخطوطين (ولاتسمى من) .

(٣) الزيادة من الذخيرة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة ومكانها بياض فى «ج» . وهذا البيت ساقط

فى « الزيتونة » .

(٥) هكذا وردت فى المخطوطين وفى الإسكوريال . وفى الذخيرة (لمانن) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال والذخيرة . ووردت فى المخطوطين (دمى) والأولى أرجح .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والذخيرة . وفى المخطوطين (فيصبح) والأولى أكثر تمشياً مع السياق .

(٨) هكذا فى المخطوتين والذخيرة . وفى الإسكوريال (للتحدث) .

لذلك ما حننت وكايبي وحممحت
 قبل حاجها ما حاجني أو لعلها
 زويداً فذا وادي لبيني وإنه
 ميادين تهيامي ومسرح ناظري
 ولا تحسبوا غيباً حتمها مقاصر
 عيرابي وأوحى سيرها المتباطيء
 إلى الوخذ من نيران وجدى لواحيء
 لورد لباناتي وإني لظلميء
 فلهشوق غايات لها ومبادئء
 فتلك قلوب ضممتها جاجيء

ومنها :

محا ملة السلوان مبعث حسنه
 فكيف أرتي كلم طرفك في الحشا
 ومالي لا أسمع مراداً وهمة
 وما أخرتني عن تناه مبادئء
 ولسكنه الدهر المناقض فعله
 كأن زمانى إذ رآنى جديله
 فداويت إعتابا ودارات عاتبا
 فألقيت أعباء الزمان وأهله
 ولازمت سمت الصمت لاعتن مذامه
 ولولا علا الملك ابن مهن محمد
 لآلىء إلا أن فكرى غائص
 تجاوز حد الوهم واللخط والمنى
 فكل إلى دين الصبابة صابيء
 وليس لتمزيق المهتد رافيء
 وقد كرمت نفس وطابت ضاضيء
 ولا قصرت بي عن تباه^(١) مناشيء
 فذوالفضل منحط وذوالنقص ناميء
 [يلايسنى منه]^(٢) عدو مماليء
 ولم يغثنى أنى مدار مداريء
 فما أنا إلا بالحقايق عابيء
 فلى منطق للسمع والقلب صابيء
 لما برحت أصدافهن الآلىء
 وعلمى [ذوماء]^(٣) ونطقى شاطيء
 وأعشى الحجا لألاؤه المتلاىء

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (تناه) مرة أخرى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذخيرة (قلان فلى) والأول أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذخيرة (داماء) .

فتنعكسُ الأبصار وهي حَوَاسِرُ وتنعلم الأفسكار^(١) وهي حَوَاسِيءُ^(٢)
وقال من أخرى :

أقبلن في الخبرات يقصرن الخطا ويرين حُلل الواشين القطا
سربُ الجوى لا الجوى عودُ حسنه أن يرئعى حبُّ القلوب ويلتطا
مالت معاطفهن من سكر الصبأ ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وبمسقط العلمين أوضح معلّم لمهفهم سَكَن الحسا والمستقنا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال وألحوظ النضير إذا خطا
ومنها في المدح .

يا وادى شرق البلاد وغربها أكرمتا خيل الوفاة فاربطا
ورأيتا ملك البرية فاهنا ووردتتا أرض المربة فاحططا
يدى نُحور الدارعين إذا ارتأى ويذللُّ عزَّ العالمين إذا سطا^(٣)
وإحسانه كثير . دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه^(٤) رحمه الله .

محمد بن إبراهيم بن خيرة^(٥)

يكفى أبا القاسم . ويعرف بابن الموعيني ، حرفة أبيه ، من أهل قرطبة .

(١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (الأبصار) مرة أخرى .

(٢) لم ترد من هذه القصيدة ، التي وردت كلها في الإسكوريال وفي الذخيرة ، في «ج» وفي

«الزيتونة» سوى البيتين الأولين .

(٣) ورد هذا الشعر في الإسكوريال . ولم يرد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٤) يقصد بها مدينة وادي آش ، وهي من أعمال ولاية غرناطة .

(٥) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

واستدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغير ناطة إليه ، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، استكتبه أبو حفص ابن عبد المؤمن ، وحظي عنده حظوة عظيمة ، لصهر كان بينهما بوجه ما ، ونال فيها جاهاً عظيماً ، وثروة واسعة . وكان حسن الخط ، ورائقه ، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتقن أبى بكر بن خيرة .

مشيخته

روى عن أبى بكر بن عبد العزيز ، وابن العربى ، وأبى الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وأبى عبد الله حفيد مكى ، وابن أبى الخصال ، وابن بقر .

توالياه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها « ريجان الآداب ، وريعان الشباب » لانظير له . والوشاح المفضل . وكتاب فى الأمثال السائرة . وكتاب فى الأدب ، نحافيه منحى أبى عمر بن عبد البر فى « بهجة المجالس » . توفى بمراكش سنة أربع وستين وخمسمائة .

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى^(١)

مرسى الأصل ، غرناطى النشأة ، مات فى الإسكان ، يكنى أباً عبد الله .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . وترد فى « ج » ولا « الزيتون » .

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله ، كاتباً أديباً ذكياً ، لوذعياً ، يجيد الخط ، ويرسل النادرة ، ويقوم على العمل ، ويشارك في الفريضة . وبذ السباق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس . عمّر زماناً من عُمره ، محارفاً للفاقة ، يعالج بالأدب الكُدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكته البخت من امتطاء غاربه ، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر ، فأثرى ونما ماله ، وعظمت حاله ، وعهدتد ما شارف الرحيل ، بجملة تناهز الألف من العين ، لتُصرف في وجوه من البر ، فتوهم أنها [كانت] ^(١) زكاة امتسك بها .

وجرى ذكره في التاج بما نصه : مديرٌ أكواس البيان المعتق ، ولعوبٌ بأطراف الكلام المُشقق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز دُرّ معانيه من أصدافه ، وجنى ثمرة الإبداع حين قطفه . ثم تجاوزه إلى المُعرب وتخطاه ، فأدار كأسه المُترع وعاطاه ، فأصبح لفنّيه جاهماً ، وفي فلكيه شهاباً لامعاً ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تتبلج عُره ، وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البارق الوامض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الضمانة يشعره . مُغلٍ لسِعْره .

شعره

أخبرني السكاتب أبو عبد الله بن سلمة ، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله ، في رويته :

أحرز الخصل من بني سلمة كاتبٌ تخدم الظُّبا قلمه
يحمل الطرس عن أنامله إثر الطرس ^(٢) كلما رقه

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحسن) والأول أرجح .

ويمدُّ البيان بفكرته مُرسلاً حيث يمتد ديمه
 خَصَى مُتَحَفاً بِخَمْسِ إِذَا بَسَمَ الرَّوْضَ فَقَنَّ مُبْتَسِماً
 قلت أهدى زهر الربا خضلاً فإذا كل زهرة كَلِمَةٌ
 أقسم الحسن لا يفارقها فأبر أنتقاؤها قسَمَهُ
 خطُّ أسطارها ونمقها فأنت كالعقود منتظمة
 كاسياً من حاله لي حلاً رَسَمَهَا مِنْ بَدِيعِ مَا رَسَمَهُ
 طالباً عند عاطسٍ نَهلاً ولديه الغيوث مُنْسَجِمَةٌ
 يبتغي الشعر من أخي بلكه أُخْرَسَ العيُّ والقُصورُ فَمَهْ
 أيها الفاضل الذي حَمِدْتَ (١) ألسنُ المَسحِ والشَّنَا شِيمَهُ
 لا تُكَلِّفْ أَخَاكَ مَقْتَرِحاً نَشْرَ عَارٍ لَدَيْهِ قَدْ كَتَمَهُ
 وابق في عزة وفي دَعَا صَافِي العَيْشِ وَارِدَا شِبْهِهِ
 ما ثى العنصن عطفه طرباً وشدا الطير فوق نغمه

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر الزبير ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى .
 توفي بمالقة في اليوم الثامن والعشرين لمُحْرَمِ عام اثنين وخمسين وستائة ،
 وأوصى بعد أن حُفِرَ قبره ، بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي ،
 وأبي عثمان بن عيسى ، أن يدفن ، وأن يكتب على قبره هذه الأبيات :

ترحم على قبر ابن باقي وحيه فمن حق ميته الحى تسليم حيه
 وقل آمن الرحمن روعة خائف لتفريظه في الواجبات وغيه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (حفظت) .

فداختار هذا القبر في الأرض راجياً من الله تخفيفاً بقرب^(١) وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره ويشمل بالمعروف أهل نديه
وإني بفضل الله أوثق واثق وحسبي وإن أذنبتُ حبّ نبيه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة الماعزى^(٢)

من أهل المريّة يدعى بالبيّو، ويكنى أبا عبد الله

حاله

من الإكليل الزاهر^(٣)، شيخٌ أخلاقه لينة، ونفسه كما قيل هيئة، ينظم الشعر سهلاً مساقه، مُحْكماً اتّساقه، على فاقة ما لها من إفاقة. أنشد السلطان بظاهر بلده قوله:

سَرَّتْ رِيحٌ تَجِدُ مِنْ رَبِّي أَرْضَ بَابِلَ فَهَاجَتْ إِلَى مَسْرَى سَرَاهَا بِلَابِلِ
وَذَكَرْنِي عَرَفُ النَّسِيمِ الَّذِي سَرَى مَعَاهِدَ أَحْبَابِ سُرَاةِ أَفْضَلِ
فَأَصْبَحْتُ مَشْفُوقاً بِذِكْرِ مَنَازِلِ أَلْفَتْ فَوَاشِقَ لَتَلِكِ الْمَنَازِلِ
فِيَارِيحِ هُمِّي بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَسِيرِي بِجَسَمِي لِتَلْقَى الرُّوحَ عِنْدَهَا فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ
وَقَوْلِي لَهَا عَنِّي مَعَنَّكَ بِالْمُهْوَى^(٤) لَهْ شَوْقٍ مَعْمُودٍ وَعَبْرَةٍ ثَائِلِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (بقدر).

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة».

(٣) وعنوانه الكامل «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الخواهر» من كتب ابن الخطيب

الصغيرة. وفيه يترجم لبعض أعلام معاصرة. وذلك بإيجاز وبأسلوب مسجع. وقد سبق التعريف به

عند استعراض كتب ابن الخطيب ومقدمة المجلد الأول من الإحاطة

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (بالهوى)

فيا بآبي هيفاء كالغصن تَدْنَى بَقْدٌ يَقْدُ كَادَ يَنْقَدُ مَايِلُ
 فتاة براها الله من فِتْنَةٍ فمن رآها ولم يُفْتِنِ فليس بعامل
 لها مَنْظَرٌ كالشمس في رَوْنِقِ الضُّحَا ولحظٌ كحَيْلٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ بَابِلُ
 بطيب شذآها عَطَّرَتْ كُلَّ عَاطِرِ كما بِحُلَاهَا زَيَّنَتْ كُلَّ عَاطِلِ
 رَمْتَنِي بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِ جُفُونِهَا فصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمِ مِنْ مِقَاتِلِ
 فَظَلِمْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارِ مِنَ الْهُوَى وما الْحَبُّ إِلَّا لُجَّةٌ دُونَ سَاحِلِ
 فَيَا مَنْ سَبَّتْ عَقْلِي وَأَفْنَتَ تَجَلْدِي صَيِّبِي فَإِنَّ الْبُعْدَ لَا شَكَّ قَاتِلِ
 فلي كَبِدِ شَوْقِي إِلَيْكَ تَقَطَّرَتْ وقلب بنيران الْجَوَى فِي مِشَاعِلِ
 ولى أَدْمَعُ تُحْكِي نَدَاكَ يَوْسُفُ أمير العلى الأَرْضِيِّ الْجَمِيلِ الْفَضَائِلِ
 إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَامِلُ لَمْ تَزَلْ بِحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَامِلِ
 ومن شعره قوله من قصيدة :

بَهَّرَتْ كَشْمَسٌ فِي غُلَّالَةِ عَسْجِدِ وَكَبْدَرِي تَمَّ فِي قَضِيبِ زَبْرَجِدِ
 ثُمَّ انْتَنَتْ كَالْغَصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا طَرِبًا قَتَرِي بِالْفِصُونَ الْمَيْدِ
 حَوْرَاءُ بَارِعَةُ الْجَمَالِ غَرِيْدَةٌ تَزْهِي قَتَرِي بِالْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
 إِنْ أَدْبَرْتَ لَمْ تُبْقِ عَقْلٌ مَدْبُرٌ أَوْ أَقْبَلْتَ قَتَلْتَ وَلَكِنْ لَا تَدِ

تواليفه

قال شيخنا أبو البركات ، وأبلى باختصار كتب الناس ، فمن ذلك مختصره
 المسمى « بالدُرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة » ، وكتاب
 في حكايات تسمى روضة الجنان ، وغير ذلك .

توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، ودخل غرناطة

غير مرة .

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
من أهل جزيرة شقر^(١)، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن مَرَج الكحل

حاله

كان شاعراً مُقلِّقا غزلاً^(٢)، بارع التّوليد، رقيق الغزل. وقال الأستاذ أبو جعفر: كان شاعراً مطبوعاً، حسن الكفاية، ذا كراً للأدب، متصرفاً فيه. قال ابن عبد الملك: وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات، ظهرت فيها إجادته. وكان مُبتذلاً اللباس، على هيئة^(٣) أهل البادية، ويقال إنه كان أمياً.

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الورّاد، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن الأتبار، وابن عسكر، وابن أبي البقاء، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برّطلّة، وأبو الحسن الرعيني.

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّةِ نَهْرِ الْغُنْدَاقِ ، خَارِجَ بِلْدَانِ لَوْشَةَ بِنْتِ الْخَضْرَاءِ ، وَالْمَحْسُوبِ

(١) هي بلدة من أعمال شرقي الأندلس تقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية، على نهر شقر El Jucar، وعلى مقربة من مصبه في بقعة في منتهى الحصب والنضرة، وقد كان إلى جانبها داخل مصب النهر الجزيرة الشهيرة في الشعر الأندلسي - جزيرة شقر - وهي التي اشتهرت بإبحائها رهطاً كبيراً من العلماء. وبالاسبانية Alcira.

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» والإسكوريال، وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ. وفي الإسكوريال (أهل) وهو سهو ظاهر في

تكرار نفس الكلمة.

من دخلها فقد دخل البيرة ، وقد قيل إن هذا النهر من أحواز بركة ، وهذا الخلاف داع إلى ذكره .

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ السَّكَايِبِ الْأَعْفَرِ بين الفُراتِ وبين شَطِّ السَّكُوثرِ
وَلِنَعْتَبَقِهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً من وَاحَتِي أَحْوَى المَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وَعُشِيَّةٌ قَدْ^(١) كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتَهَا سَمَحْتُ بِهَا الأَيَّامَ بَعْدَ تَعَدُّرِ
[نَلْنَا بِهَا آمَالِنَا]^(٢) فِي رَوْضَةٍ تُهْدِي لَنَا بِشَقِهَا شَمِيمَ العُنْبُرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ نَدَمِ يَسْفَهُ رَأْيَهُ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِغَيْرِ تَكْدُرِ
وَالوُرُقُ تَسْدُو وَالْأَرَاكُ تُتَشَنَّى وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَيْصِ أَصْفَرِ
وَالرَّوْضُ بَيْنَ [مُنْفَضٍ وَمُدْهَبٍ]^(٣) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْرَمٍ وَمُدْرَرِ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومِ الأَبَاطِحِ وَالرَّبِيِّ بِمُصْنَدِكَ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْضَفِ
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خَضْرَةَ شَطِّهِ سَيْفٌ يَسِلُ عَلَى بَسَاطِ أَخْضَرِ
وَكَأَنَّمَا^(٤) ذَاكَ الحِجَابِ فَرِنْدُهُ مَهْمَا طَفَا فِي صَفْحَةِ كَالجَوْهَرِ^(٥)
وَكَأَنَّهُ وَجْهَاتِهِ مَحْفُوفَةٌ بِالأَسِّ وَالنُّعْمَانِ خَسْدُ مُمَدَّرِ
نَهْرٍ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مِنْ لَمْ يَهَمَّ وَيُجِيدُ فِيهِ الشُّمْرُ مِنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا أَصْفَرُوا وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إِلا لِفُرْقَةٍ حَسُنَ ذَاكَ المَنْظَرِ

ولا خفاء بپراعة هذا النظم . وقال أيضا :

- (١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال والنفع (كم) والأولى أنسب للسياق .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . ووردت في النفع (قلنا بهذا مالنا) ، وهو تعريف .
(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي المخطوطين (مذهب ومفضض) .
(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» (وكان من) .
(٥) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» .

أرأت جفونك مثله من منظر^(١) ظلّ وشمس مثل خدّ ممدوّ
وهذا تميم عجيب لم يسبق إليه . ثم قال منها :

وقرارة^(٢) كالعشر بين خميلة سألت مذاربها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمضندل من يانع الأزهار أو بمضفر
أملٌ بلغناه بهضب حديقة قد طرّزته يدُ الغمام الماطر
فكأنه والزهر تاجٌ فوقه مُلكٌ تجلّى في بساط أخضر^(٣)
راق النواظر منه رايقٌ منظر يصف النضارة عن حنان الكوثر
كم قاد [خاطر خاطر]^(٤) مُستوفز وكم استغزّ جماله من مبصر
[لولا ح لي]^(٥) فيما تقدم لم أقل عرجٌ بمنعرج الكئيب الأعفر

قال أبو الحسن الرّعيّني ، واثدني لنفسه :

وعشيّة كانت قنيصة فتية ألفوا من الأدب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوراً
شملتهم آدابهم فتجسذبوا سرّ السرور محدثاً ومهيبنا
والورق تقرأ سيرة الطرب التي يُنسيك منها ناسخاً منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة فتيّمت من كان فيه منيخا
فتخالهم حُلل السماء كواكبا قد قارنت بسعودها المريخا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفح . وفي المخطوطين (إذا أجمانك مثله

منظر) . وهو تحريف

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح ، وفي المخطوطين (قرارة) .

(٣) هذا البيت ساقط في المخطوطين ، «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي «ج» و «الزيتونة» (كم قاد خاصر مستوفز)

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و «الزيتونة» والنفح . وفي «ج» (لولا ذلتي) .

خرق العوائد في الشرور نهارهم
ومن أبياته في البديهة :
فجمَلتُ أبياتي لهم (١) تاريخنا (٢)

وعندي من مرآشفها حديث
وفي أجفانها السكرى دليل
يُخبر أن ريقتها مُـدام
تعالى الله ما أجرى دموعي
وأشجاني إذا لاحت يروق
وما ذُقنا ولا زعم الهمام
إذا عنت لقلتي الخيام
وأطربني إذا غنت حمام
ومن قصيدة .

[عذيري من الآمال خابت قُصودها (٣) ونالت جزيل الحظ منها الأخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم
خولاً وما ذكر مع البخل ما كثر
يهون علينا أن يبيد أئاثنا
وتبقى علينا المكرمات الأثابت
وما ضراً أصلاً طيباً عدمُ الغنى
إذا لم يغيره من الدهر حادث (٤)]
وله يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث :

أبا عمرو متى تُقضى الليالي
أبت نفسي هوى إلا شريشاً
بلقياكم وهن قصصن ريشي
وما بعد الجزيرة من شريش
وله من قصيدة :

طُفّل المساء وللنسيم تَضوع
والأنسُ ينظّم (٥) شملنا ويجمع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (له) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال والنسخ ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ . ووردت في الإسكوريال (قصورها) .

(٤) هذه الأبيات واردة في الإسكوريال والنسخ . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووردت في النسخ (بجمع) .

والزهر يضحك من بكاء غمامة
والنهر من طرب يصفق موجه
فانعم أبا عمران وأله بروضة
ياشادن البان الذي دون النقا
[الشمس يغرب نورها ولربما
إن غاب نور الشمس يتنا^(٢) نتقى
أفلت فتاب سنائك عن إشراقها
فأمنت يا موسى الغروب ولم أقل
وقال :

ألا يشروا بالصبح منى باكياً
ففي الصبح للصب المتيم راحة
ولا عجب أن يسك الصبح عبرتي
ومن بديع مقطوعاته قوله :

مثل الرزق الذي تطلبه
مثل الظل الذي يمشى معك
أنت لا تدركه متبهما
فإذا وليت عنه أتبعك
وقال :

دخلتم فأفسدتهم قلوباً بملككم^(٥)
فأتم على ما جاء في سورة النمل

- (١) هذا البيت ساقط في المخطوطين وفي الإسكوريال . وورد في النسخ .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال والنسخ (لسنا) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .
(٣) هذه الكلمة واردة في المخطوطين وفي النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . ووردت في المخطوطين (بكا) .
(٥) هكذا وردت في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (بملكها) .

وبالعدل^(١) والإحسان لم تتخلقوا فأنتم على ما جاء في سورة النحل
وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور: رأيت لابن مرج السكحل مرّجاً أحمر
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُنجب، فقلت:

يا مرّج كُحلّ ومن هذى المروج له ما كان أحوج هذا المرح للسكحل
يا حُمرة الأرض من طيب ومن كرم فلا تسكن طعماً في رزقها العجول
فإن من شأنها إخلاف أمليها^(٢) فما تفارقها كيفية الخجل
فقال مجيباً بما نصه:

يا قائلًا إذ رأى مرّجى وحمرته ما كان أحوج هذا المرح للسكحل
هو احمرار دماء الروم سيّلها بالبيض من مرّ من آباء الأول
أحبته إن من فتنت به في حُمرة الخلد أو إخلافه أملى

وفاته

توفي ببغداد يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وسمّية، ودفن في اليوم بعده.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل مرسية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الجنان

حاله

كان محدثاً راوية، ضابطاً، كاتباً بليغاً، شاعراً بارعاً، رايق الخط،

(١) هكذا في المخطوطين والإسكوريال. وفي النسخ (وبالحود).

(٢) هكذا في الإسكوريال وريال والنسخ. وفي المخطوطين (أمليها).

ديثا فاضلا ، خيرًا ، زكيًا . استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرم من ذلك ، ويقلق^(١) منه . ثم خلصه الله منه . وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القامة^(٢) ، حتى يظن رائيه إذا استدبره ، أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها . متناسب الخلقة ، لطيف الشمايل ، وقورا . خرج من بلده ، حين تمكن العدو من بيضته عام أربعين وسماية ، فاستقر بأوريولة^(٣) ، إلى أن استدعاه إلى سبتة ، الرئيس بها ، أبو علي بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته ، وأجزل إفادته ، وحظي عنده حظوة تامة . ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية . وكانت بينه وبين كُتَّاب عصره مكاتبات ، ظهرت فيها براعته .

مشيخته

روى ببلده وغيرها عن أبي بكر عزيز بن خطاب^(٤) ، وأبي الحسن بن سهل ابن مالك ، وابن قطرال ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عيسى بن أبي السداد ، وأبي علي الشلوبين ، وغيرهم .

من روى عنه

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل ، وأبو الحسن محمد بن رزيق .

شعره

[قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وكان له في الزهد ، ومدح النبي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . وفي «الزيتونة» (يفسيق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القائمة) وهو تحريف .

(٣) أوريولة وبالإسبانية Orihuela من بلاد شرق الأندلس . تقع على نهر شقورة شمال شرق مرسية . وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دورا هاما ، وسقطت في أيدي الأراجونيين في سنة ١٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (ابن خابط) وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم بدائع ، ونظم في المواعظ له مذكرين كثيرًا^(١). فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر :

مضى رمضان وكأن بك قد مضى	وغاب سنه بعد ما كان أو مضى
فيا عهدَه ما كان أكرم معهدا	ويا عصرَه أعز على أن انقضا
ألم بنا كالطيف في الصيف زائرا	فخيم فينا ساعة ثم قوضا
فيا ليت شعري إذ نوى غربته النوى	أيا السخط هنا قد تولى أم الرضا
قضى الحق فينا بالفضيلة جاهدا	فأى فتى فينا له الحق قد قضا ^(٢)
وكم من يد بيضاء أسدى لذي تُقى	بتوبته فيه الصحيف بيضا
وكم حُسن قد زاده حُسنًا وسنى	محاه وبالإحسان والحسن عوضا
فلا من شهر كريم تعرضت	مكارمه إلا إن كان أعرضا
نفي بينه وبين شجونك معلما	وفى إثره ارسل جفونك فيضا
وقف بثنيات ^(٣) الوداع فإنها	تخص مشتاقا إليها وتخصضا
وإن قضيت قبل التفرق وقفة	فمقضيها من ليلة القدر ما قضا
فيا حُسنا من ليلة جل قدرها	وحض عليها الهاشمي وحرضا
لعل بقايا الشهر وهي كريمة	تبين سرا للأواخر ^(٤) أغضا
وقد كان أضفى وردَه كي يفيضه	ولا كن تلاحى [من تلاحى] ^(٥) فقضيضا
وقال اطلبوها تسعدوا يطلابها	فحرك أرباب القلوب وأنهبضا
جزى الله عنا أحمد الجزا على	كريم أصفاه بُردا وفَضفا

(١) وردت هذه الفقرة التي بين الخاصرتين في المخطوطين . ولم ترد في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (مضى) والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بشنيات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (في الاواخر) .

(٥) هكذا وردت الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (لأبواب فيها) . وهي ساقطة في «ج»

وصلى عليه من نبي مبارك
له عزة أعلى من الشمس منزلا
له الذكري حتى فض مسك ختامه
عليه سلام الله ما انهل ساكب
ومن ذلك قصيدة في الحج :

[تذاكر الذكرو تهيج اللواعجا
ركاباً سرت بين العذيت وبارق
تيمنن من وادي الأراك منازل
لهن من الأشواق حاد فإن
الأيام بين تلك الركب إذا سرت
براهم سواح أو مراهم فأصبحوا
لهم في مني أسنى المنا ولدى الصفا
سماهم طوف بيت طامح
فأبدوا من اللوعات ما كان كامنا
ولما دنوا نودوا هنيئاً وأقبلوا
وقضوا بتقبيل الجدار ولثمه
إذا اعتنقوا تلك المعالم خلتهم
فله ركب يمموا نحو مكة لقد
أناخوا بأرجاء الرجاء وعرسوا
فبشروا لهم كم خولوا من كرامة

فعالجن أشجاناً يكاثرن عالجا
نواييج في تلك الشعاب نواعجا
يطرنها إلا في الأراك سجاجا
ونت حدها يرجعن الحنين أهزجا
هوادي يملأن الفلاة هوادجا
رسوماً على تلك الرسوم عوألجا
يرجون من أهل الصفا المناها
أراهم قبأياً للعلى ومعارجا
وأذروا دموعاً بل قلوباً مناخجا
إلى الركن من كل النجاج أدارجا
حقوقاً تقضى للنفوس حوايجا
أساور في إيمانها وجهالجا
كروا قصداً وحلوا مناسجا
فأصبح كل ما بز القديح فالجا
فكانت لما قدموه نتايجا

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وعزمتنا) والأول أنسب للسياق .

بفتح بابٍ للقبول وللرضا
 تَمَيَّزَ أَهْلُ السَّبْقِ لَا كُنْ غَيْرَهُمْ
 أَيْلَحِقُ جِلْسُ لَلْبَيْوتِ مَدَاهِمُ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي لِلضَّرُورَةِ هَلْ أَرَى
 لَهُ اللَّهُ مِنْ ذِي كُرْبَةٍ لَيْسَ يُرْتَجَى
 قَدْ أَسْمَعْتَ شَقِيَّ الْمَسَالِكِ دُونَهُ
 يَخْوَضُ بِحَارِ الذَّنْبِ لَيْسَ يَهَابُهَا
 جِبَانٌ إِذَاعِنَ الْمُدَى وَإِذَا الْمَوَى
 يَتِيهِ ضَلَالًا فِي غِيَابَةِ هَمِّهِ
 فَوَاحِرَبًا لَاحَ الصَّبَاحِ لِمُبْصِرٍ
 لَعَلَّ شَفِيحِي أَنْ يَكُونَ مَعَاجِلًا
 فَيُنْشِئُنِي بَيْتُ الْإِلَهِ نَوَاحِلًا
 فَالَى لِإِمَاتِي سِوَى حُبِّ أَحْمَدِ
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةِ
 وَلَوْ أَنْصَفْتَ أَجْفَانَهُ حَقٌّ وَجَدَهُ

وَوَفَدُهُمْ أَضْحَى عَلَى الْبَابِ وَالْجَا
 غَدَا هَمَجًا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ هَامَجَا
 وَلَمْ يَلْعَبْ فِي تَلْكَ الْمَدَارِجِ دَارِجَا
 إِلَى اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْمَحْجَبِ خَارِجَا
 لِمُرْتَجِيهَا يَوْمَا سِوَى اللَّهِ فَارِجَا
 فَلَا نَهْجَ يَلْتَقِي فِيهِ اللَّهُ نَاهِجًا
 وَيُضْعَقُ ذُعْرًا إِنْ يَرَى الْبَحْرَ هَامِجَا
 يَعْنُ لَهُ كَانَ الْجَرِيءُ الْمُهَارِجَا
 فَلَا حِجْرَ تَهْدِيهِ لِرُشْدِهِ وَلَا حِجَا
 وَقَلْبِي لَمْ يُبْصِرْ سِوَى اللَّيْلِ إِذْ سَجَا
 لِدَاءِ ذُنُوبٍ بِالشِّفَاءِ مُعَاجِلَا
 وَيُعْبَقُ لِي قَبْرِ النَّبِيِّ نَوَاحِلَا
 وَصَلَّتْ لَهُ مِنْ قَرَبِ قَلْبِي وَشَايِجَا
 حَلِيمِينَ شَجًّا يَكْنَى مِنَ الْبَعْدِ نَاشِجَا
 سَفَّكَتَ دَمًا لِدَمِوعِ مَوَازِجَا^(١)

كُتَابَتُهُ

وكتابته شهيرة، تضرب بذكره فيها الأمثال، وتطوى عليه الخناصر.
 قالوا، لما عمده^(٢) أمير المسلمين: أبو عبد الله محمد بن يوسف [بن هود]^(٣)
 البيعة لابنه الواثق بالإمارة من بعده، تولى إنشائها، وجعل الحياء المهمة

(١) وردت هذه القصيدة في الإسكوريال فقط؛ ولم ترد في المخطوطين «ح» و«الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي المخطوطين (جمل).

(٣) الزيادة من الإسكوريال.

سَجَّعَهَا مُرْدَفًا إِيَّاهَا بِالْأَلْفِ ، نَحْوَ صَبَاحًا وَصَلَاحًا^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، طَالَ
مَجْمُوعَهَا فَنَاهَزَتْ الْأَرْبَعِينَ . وَطَابَ مَسَمَعُهَا^(٢) ، فَأَحْرَزَتْ بَغِيَةَ الْمُسْتَمَعِينَ :
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ ، وَرَسَالَتَهُ الشَّهِيرَةَ ، يَدَاعِبُهُ فِي ذَلِكَ ، وَهِيَ
الَّتِي أَوْلَاهَا :

« تَحْيِيكَ الْأَقْلَامَ تَحْيِيَةَ كَيْسَرِي ، وَتَقِفِ دُونَ مَدَاكِ حَسْرِي » . وَمِنْهَا
فِي الْفَرَضِ : « وَمَالِكُ أَمِنْتَ تَغْيِيرَ الْحَالَاتِ^(٣) ، فَشَنَنْتِ غَارَتِكَ عَلَى الْحَامَاتِ ،
وَنَفَضْتَ عَنْهَا الْمَهَارِقَ : وَبَعَثْتَ فِي طَلِبِهَا السَّوَابِقَ ، وَلَفَظْتَهَا مِنَ الْأَفْوَاهِ ، وَطَلَبْتَهَا
بَيْنَ الشَّمَاهِ ، حَتَّى شَهِدَ أَهْلُ اللِّسَانِ^(٤) ، بِتَرْحُزِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَتَوَارَتْ
بِالْحُلُوقِ . وَلَوْ تَعَلَّمْتَ إِلَى الْعُرُوقِ ، لَأَثَرْتَهَا جِيَادُكَ ، وَاقْتَنَصْتَهَا قَلَمِكَ وَمِدَادِكَ »
[وَهِيَ طَوِيلَةٌ]^(٥)

فَرَاغَهُ^(٦) بِقَوْلِهِ : « مَا هَذِهِ النَّحْيَةُ الْكَيْسَرِيَّةُ ، وَمَا هَذَا الرَّأْيُ ، وَمَا هَذِهِ
الرُّوْيَةُ ، [أُنْتَكَيْتِ مِنَ الْأَقْلَامِ ، أَمْ تَبْسَكَيْتِ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَمْ كَلَا الْأَمْرِينَ
تُوجِّهُ الْقَصْدَ إِلَيْهِ]^(٧) وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْأَفْهَمِيُّ بِالْقَلَمِ ،
يَتَسَامَى عَنْ عَكْسِهِ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ بِنَفْسِهِ ، فَتَى لَأَنْتَ أَنْيَابِيهِ لِلْعَاجِمِ ،
وَدَانَتْ أَعَارِبُهُ^(٨) بِدِينِ الْأَعَاجِمِ . وَاعْجَبَا لِقَدِ اسْتَنْوَقِ الْجَمَلِ ، وَاخْتَلَفِ الْقَوْلِ

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وفلاحا) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (مسوعها) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الحارات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الشان) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (فأجابته) .

(٧) ما بين الخاصرتين وورد في «ج» والإسكوريال . وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ح» . وفي «الزيتونة» (إعزابه) .

والعمل . لأمر ما جَدَعَ أَنْفَهُ قَصِيرٌ ، وارتد على عقبه الأعمى ^(١) أبو بصير . أمسُ
استسقى من سحابه ، فلا يُسْتَقَى ، واستسقى بأسمائه فلا يُسْتَقَى . واليوم يُحَلِّي
محلُّ أنو شروان ، ويشكو بني شكوى الزيدية من بني مروان ، ويزعم أني
أبطلت سحره ، كما أبطل سحرُ بردوران ، ويخفي في نفسه ما الله مُبْدِيهِ ،
ويستجدي بالأثر ^(٢) ما عند مُسْتَجْدِيهِ . فمن أين جاءت هذه الطريقة المُتَّبَعَةُ ،
والطريقة المُبْتَدَعَةُ ، أيظن أن معناه لا يفك ، وأنه لا يتجلى هذا الشك . هل
هذا ^(٣) منه إلا إحماض النية ، وإحماض تقنية ، ونشوة من خمرة الهزل ، ونخوة
من ذى ولاية أمين العزل . تالله لولا محله من القسَم ، وفضله في تعليم النَّسَم ،
لأسمتته ما ينقطع به صلته ، وأودعته ما ينصدع به صدقه ، وأشدتُ بشرف
المشرق ومجده ، وأشرتُ إلى تعاليه عن اللعب بجده . ولكن هو القلم الأول ،
فقوله على أحسن الوجوه يتأول ^(٤) ، ومعدود في تهذيبه ، كلُّ ما لسانه يهنى به .
وما أنسانيه ^(٥) إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ^(٦) ، وأما أقول ليت التحية
كانت لي فأشكرها ، ولا عتب إلا على الحياء ، المبرحة بالبرحاء ، فهي التي
قيمت قيأتي في الأندية ، وقامت على قيام المعتدية ، يتظلم وهو عين الظالم ،
ويُدين القول ، وتحت سُم الأراقم ، ولعمر البراعة وما نصعت ، والبراعة وما
صنعت ، ما خابني هواها ، ولا كلفت بها دون سواها . ولقد عرّضت نفسها
على مراوا ، فأعرّضت عنها أزراراً ، ودفعتها عنى بكل وجه ، تارة بلطف ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بالأسد) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذلك) .

(٤) وردت في المخطوطين (يتأمل) والتصويب من الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنساني) .

(٦) وردت في المخطوطين (أذكره) والتصويب من الإسكوريال .

وأخرى بنجعه، وخفتُ منها السامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبي جهنم وسوء سلكته، وابن أبي سفيان وصمكسكته، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة، وأسمع من سجاح في استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عثرتها، واستئصال الاجتماع من عثرتها^(١)، وأرى من القبن والسقاء^(٢) [أخذها، وترك بنات الأفواه والشفاة]^(٣) إذ هي أيسر مؤنة؛ وأكثر معونة. فغلطي فيها، أن كانت بمنزل تنواري صوتاً عن الشمس، ومن لسوة خفرات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للسكف، والعنان للوكف، والمعنى للإسم، والمعنى للرسم، والظل للشخص، والمستبدل للنص. فمأعرت منها إلا خبراً^(٤) أرضاه [حتى حسبتها]^(٥) من الحافظات للغيب بما حفظ الله؛ فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشزت فدشرت ما استكتمها بعلمها، واضطربت [في رأيها]^(٦) اضطراب المختار أبي عبيد، وضربت في الأرض تسعى على بكل مكر وكيد، وزعمت أن حرف الجيم خدعها، والآن أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور، فقد جاءت إنكاً وزورا، وكثرت من أمرها شزورا، وكانت كالقوس أرنت وقد أصممت القميص والمرادة، قالت ما جزاء، وهي التي قدت القميص، وربما يُظن بها الصدق، وظن الغيب

(١) هكذا ورد ترتيب هاتين الكلمتين في المخطوطين. وفي الإسكوريال (عثرتها ... عثرتها).

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (والسافة). وفي الإسكوريال (السفة) والأولى أكثر تمشياً مع السياق.

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال. وساقط في المخطوطين.

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال (خيرا). والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (وحسبتها).

(٦) هذه العبارة وردة في المخطوطين. وساقطة في الإسكوريال.

ترجم ، ويقال [لقد خُفِضَت الحياء . بالمجاورة لهذا الأمر الجسم]^(١) ، وتنتصر لها أختها^(٢) التي خيَّمت بين النرجسة والرَّيحانة ، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم [نبيُّ على الله سبحانه]^(٣) ، فإن امتعضت لهذه المنظَّمة ، تلك التي سبقت بكلامها بشارة المتكلمة ، فأنا ألوذ بعلمها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها ، وتعمل بمقتضى : فابتنوا حكماً من أهله ، وحكماً من أهلها . على أن هذه التي قد أبدت مئينها ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، أن قال الحكمان منها كان النشوز ، عادت حرورية العجوز ، وقالت التحكم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك يُخصِّص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ، من دعوة سعيدة حين الدعوى ، ويأويحها أن أرادت [أن تجني على نجنت لي ، وأناخت]^(٤) لي مرَّ كَب^(٥) السعادة ، وما ابتغت إلا ختلي ، فأني شرها بالخير ، وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بما يشيرُه اعوجاجُها ، ويتجلى عنه عجاجُها . فقد أفادت عظيم الفوائد ، ونظيم الفرايد ، ونفَس الفخر ، ونفيس الذخر^(٦) ، وهي لا تنكر^(٧) أن كانت من الأسباب ، ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب . وإنما يستوجب الشكر جسيماً ، والشناء الذي يتضوع نسيماً ، الذي شرف إذ أهدى أشرف السحاهات^(٨) ، وعرف بما كان من انتحاء تلك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في «الزيتونة» (لقد حفظت الحوار بالحوار). وفي الإسكوريال (لقد خففت بالحوار هذا الجسم).

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة في «ج» .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال و «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (موكب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و «الزيتونة» . وفي «ج» (الدر) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (تشكر) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (السجلات) .

الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن الم بالفكاهة ، فما أملى من البداة ،
وسمى باسم السابق الشكيت ، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت ،
[وتلاعب بالصفات] ^(١) ، تلاعب السيل ^(٢) بالصفة ، والصبا بالبانة ، والصبا
بالعاشق ذي اللبانة ، فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب ^(٣) بفنونه ،
ونفت بجفنه ^(٤) الأطراف ، وعبث من السلام المشتق الأطراف ، وعلم
كيف يُلخّص البيان ، ويُخلص العقيان . فمن الحق أن أشكره على أباديه
البيض ، وأن آخذ لفظه من معناه في طرف التقيض . تالله أيها الإمام الأكبر ،
والغمام المُستَطر ، والخبر الذي يُشفي سايله ، والبحر الذي لا يُرى ساحله ،
ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل النور لهذا الحلك ، وصح أن
يقاس ، بين الحداد والملك . إنه لتواضع الأعزة : [وما يكون للأكلوم عند
المكالم من العزة ^(٥)] ^(٦) ، وتحريض الشيخ للتلميذ ؛ في إجازة الوضوء
بالتبذير . ولو حضر الذي قضى له بجانب الغربي أمرُ البلاغة ، وارتضى
ماله في هذه الصناعة ، من حُسن السبك حلّيتها والصياغة ، وأطاعته فيما أطلعته
طاعة القوافي الحسان ، وأتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان لأذعن كما أذعنت ،
وظعن عن محل دعوى ^(٧) الإجابة ، كما ظعننت . وأنى يضاهي القرات المعين ^(٨)
بالنغبة ، ويباهى بالفلوس من أوتي من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، وأى

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وتلاعبت الصفات) .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القلب) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بخفيه) .

(٥) وردت في الإسكوريال «ج» (الهزة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . «الزيتونة» . وفي «ج» (وما يكون عند

الكرام من الهزة)

(٧) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٨) واردة في الإسكوريال و «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

حظاً للسكراللة في النَّسَب ، وقد اتصل للورثة عمود النَّسَب . هيهات والله بُعد^(١)
المطلب : وشتان الدر والخشب ، وقد سيم الغلب ، ورجع إلى قيادة السلب ،
وإن كنا ممن تقدم لشدة الظمأ إلى المنهل ، وكن أقدم إلى عين تبوك بعد النهى
للعل والنهل^(٢) . فقد ظهرت بذلك المعجزة عياناً ، وملء ما هناك جناناً ، وما
تعرضنا بإساعة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشراب ساقى القوم ، وإن
أسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن اعرقنا فهوانا في الحجاز ، فلم
قصيرات الحجال ، ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا
من القفر في قفر^(٣) وذلة . ومن لنا بواحدة يُشرق ضياؤها ، ويخفى للنجوم خجلها
منها وحياتها ، إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كليلة الوصل .
فلوسطع^(٤) نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت
النيران ليوسف ذلك الجمال ، ووجدت نفعات رباها في أعطاف الجنوب والشمال ،
وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم النفر ، وسار خبرها^(٥) وسرى ، فصار
حديث المُقيمين والسفر . وما أظن تلك السأخرة في تدليها ، إلا السأخرة بتجنُّبها ،
إذ كانت ربيبتها ، بل ربيبتها ، هذه التي سبقتنى لما سقتني بسينها ، ووجدت
ريحتها ، لما فصلت من مصرها غيرها . وحين وصلت ، لم يداني على سابقها^(٦)
إلا عبيرها ، وكوامت أن تستتر عنى بليل حبرها في هذه المعاني . فأغراني
بهاؤها^(٧) ، وكل مُعَرَّم مُعَرَى ببياض صُبْح الألفاظ والمعاني . وهل كان ينفعها

(١) واردة في «الزيتونة» . وساقطة في الإسكوريال و«ج» .

(٢) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (قطع) والأولى أنسب للسياق .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (حديثها) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (سارها) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (ها) . وساقطة في «الزيتونة» .

تلفحها بمرطها وتلفعها ، إذ نادتها المودة ، فقد عرفناك يا سوّدة . فأقبلتُ على شمّ نثرها ، وعرفها ولثم سطرها وحرّفها ، وقرّيتها^(١) الثناء الحافل ، وقرأتها فزُيّنت بها المحاضر والمحافل . ورُمتُ أمر الجواب ، فغرّثني في الخطاب ، لكن رسمتُ هذه الرقعة التي هي لديكم بعجزى واشية ، وإليكم مني على استحياء ماشية ، وإن رقت وجهها فما رقت لها حاشية ، فسنوا بقبولها على علائها^(٢) ، وانقعوا بماء سماحتكم حرّاً غلّلتها ، فإنها وافدة من استقرّ قلبه عندكم وثوى ، وأقرّ بأنه يلقط في هذه الصناعة ما يُلقى للمساكين من النوى . بقيتم ، سيدي الأعلى للفضل والإغضاء ، ودمتم غرّة في جبين السمحة البيضاء ، واقتضيتُم السعادة المتصلة مدّة الاقتضاء ، بيؤمن الله سبحانه . انتهى .

ومحاسنه عديدة ، وآماده بعيدة .

دخوله غرناطة

دخلها مع المتوكل مخدومه ، أو وجدّه بها .

من روى عنه : روى عن أبي الحسن سهل بن مالك .

وفاته

قال الأستاذ في الصلة : انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عشر [الحسين] ^(٣)

وسمائه .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وزودتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (علاها) .

(٣) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي^(١)

من أهل المريّة ، يكنى أبا عبد الله . من وجوه بلده وأعيانه ، نشأ نبيه البيت ، ساحباً بنفسه وبماله ذيل الخطوة ، متحلياً بنخصل من خطّ وأدب . وزيراً ، متجنّداً ، ظريفاً ، درّياً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل . ثم انحطّ في هواه انحطاطاً ، أضاع مروءته ، واستهلك عقاره ، وهدّ بيته ، وأجأه أخيراً إلى اللحاق بالعدوة فهلك بها .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : مجموع شعر وخطّ ، وذكاه عن درجة الظرفاء ، غير مُنحط إلى مجادة أثيلة البيت ، شهيرة الحى والميت . نشأ في حجر الترف والنعمة ، محفوقاً بالماليّة الجمّة ، فلما غفل عن ذاته ، وترعرع بين لذاته ، أجرى خيول لذاته ، فلم يدعّ منها ربماً إلا أقره ، ولا عقاراً إلا عقّره ، حتى حطّ بساحلها ، واستولى بسير^(٢) الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنه خلّص بنفس طيية ، وسراوة سماؤها صيية ، وتمتع ما شاء من زير وبم ، وتأنس لا يعطى القياد لهم . وفي عفو الله سعة ، وليس مع التوكل على الله ضيعة .

شعره

من شعره [قوله]^(٣) يمدح السلطان ، وأنشدها إياه بالمضارب من وادى الغيران عند قدومه من المريّة

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ، ولا «الزيتونة» . ويبدو من لقب هذا الشاعر وهو شلبطور - وبالإسبانية Salvador - أنه ينتمي إلى أصل من المولدين ، أعنى الإسبان الذين دخلوا في الإسلام ، منذ فتح الأندلس . وينتمي إلى هؤلاء المولدين كثير من أعلام الأدب والتفكير الأندلسي .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي نصح الطيب (بسنه) .

(٣) الزيادة من النصح .

وريقك أم مسك به الراح تُنختم
 وفرعك أم دايح من الليل مُظلم
 وهل ينفع التعليل والخطب أعظم (٢)
 لو ان جفوني بالنمام تنعم
 سلوت لأنى بالمكارم مُفرم
 فؤادى مشغوف بها ومُتمم
 فها أنذا فى جنة الخلد أنعم
 ويحسن فيه النظم من ليس ينظم
 وقام منار الحق والشرك مُفرم
 والله مُهيد إلى الرشد مُلمم
 فمن فعله فى جوده يتعلم
 لألقوا إليه الأمر طوعاً وسلم
 لكم يا بنى نصر مقامٌ معظم

حمايل شكر طيرها مُترنم
 إذا يفوه لراوٍ فى الندى بها فم
 ويعزى فى أقصى البلاد ويشم
 وأتجدنى فيه حبيبٌ ومُسلم
 ومن بعض ما نشدت وتولى وتنعم

أفرُّك أم سمطٌ من الدر يُنظم
 ووجهُك أم بادٍ من الصبح نير
 [أعلل منك النفس والوجد مُتلفى] (١)
 وأفتح من طيف الخيال يزورنى (٣)
 كملت الهوى حيناً فلما علمته
 ولى فى أمير المسلمين محببة
 بلغت المنى لما لثمتُ يمينه
 يصوغ قومي الشعر فى طيب ذكره
 فاستمسك الدين الحنيف زمانه
 له نظرٌ فى المشكلات مُؤيد
 ويستغرق طارحاً فيه وابل جوده
 فلو أن أملاك البسيطة أنصفوا
 وفى الدين والدنيا وفى البأس والندى
 ومنها:

إليك أمير المسلمين اقتضيتها
 ثم بعرف المسك أنفاسها
 فبامتك سيرت فى المسامع ذكرها
 ولو أننى فى المدح سحبان وائل
 لما كنت إلا عن علاك مُقصر

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ كالأتى (اعلل منك الوجد والليل ملتقى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (مؤلم) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (بضرورة) .

بِهِتِ مَلَاذًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً وَسَاعَدَكَ الْإِسْعَادَ حَيْثُ يُتَمِّمُ
وَمِنْ شِعْرِهِ مَذِيلًا عَلَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ حَسْبًا نُسِبَ إِلَيْهِ :

نَامَتْ جَفْسُونَكَ يَا سُؤْلَى وَلَمْ أَنْمِ مَاذَاكَ إِلَّا لِفِرْطِ الْوَجْدِ وَالْأَلَمِ (١)
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا نَلَقَى مِنَ السَّقَمِ (٢)
إِنْ كَانَ مَسْأَلُكَ دُمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ فَمَا غَلَّتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكَ دَمِ
وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ :

قَفَيْتُ بِي وَنَادَ بَيْنَ تِلْكَ الطُّلُولِ أَيْنَ الْأَلَى كَانُوا عَلَيْهَا نُزُولُ
أَيْنَ لِيَالِنَا بِهِمْ وَالْمُنَى تَجَنَّبِيهِ غَضًّا بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ
لَا تَحْمَلُوا بَعْضَ الَّذِي حَمَلُوا يَوْمَ تَوَلَّتْ بِالْقِيَابِ الْحُمُولِ
إِنْ غَبَيْتُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَنِي قَلْبِي أَنْتُمْ وَضُلُوعِي حُلُولِ
وَمَا خَاطَبَنِي بِهِ :

تَاللَّهِ مَا أَوْزَى زِنَادَ الْقَلْقِ سَوَى رِيحٍ (٣) لَاحِ لِي بِالْأَبْرِقِ
أَيَقَنْتُ بِالْحَيْنِ فَلَوْلَا نَفْحَةٌ نَجْدِيَّةٌ مِنْكُمْ تَلَاَفَتْ رَمَقَ (٤)
لَكُنْتُ أَقْصَى بِنَلْظِي زَفْرَةَ وَحَسْرَةَ بَيْنَ الدَّمِوعِ تَلْتَقُ (٤)
فَأَهْ مِنْ هَوْلِ النَّوَى وَمَا جَنِّي عَلَى الْقُلُوبِ مَوْقِفَ النَّفْرِقِ
يَا حَاكِي الْغُضْنِ انْتَهَى مُتَوَجًّا بِالْبَدْرِ تَحْتَ كَلْمَةٍ مِنْ غَسَقِ
اللَّهُ فِي نَفْسٍ مُعْنَى أَقْصَدَتْ مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ بِمَا لَمْ تُطَقِّ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (والسقم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رمق ، نلتق) .

أتى على أكثرها بَرَحَ الأسي
 ولو بالمام خيال في السكري
 فَرُبَّ زورٍ من خيالٍ زائرٍ
 سُفيت من بَرَحِ الأسي لو أن من
 ففي مُعانة الليالي عائق
 وفي ضمان ما يعانى المرء من
 هذا العمري مع أتى لم أبت
 فقد أخذت من خُطوب غَدَرها^(٢)
 فخر الزاوة الذي ما مثله
 ومنذ أرائيه زمانٍ لم أبل
 لاسيا مذ حَطَطْتُ في حِما
 أيقنت أتى في رجائي^(٤) لم أخب
 ندب له في كل حُسن آية
 في وجهه مَسْحَة بشرٍ إن بدت
 تُعتبر الأبصار في لألأها^(٥)
 كالدهر في استينائه وبطشه
 إن يخل الغيث استهلَّت يده
 وإن وشت صفحة طرس انجلا

دع ما مضى منها وأدرك ما بق^(١)
 إن ساعد الجفن رقيب الأرق
 أقر عيني وإن لم يصدق
 أصبح رقي في يديه مُعْتِق^(١)
 عن التصابي وفنون القلق
 نوايب الدهر مشيب المفروق
 منها بشكوى روعة أو فرق
 بابن الخطيب إلا من مما أتق^(١)
 بدر علفا في مغرب أو مشرق
 من صرفه من مُرعد أو مُبرق
 جواره^(٣) الأمتع رخل أينق
 وأن مسمى بغيتي لم يخفق
 تناسبت في اتخلق أو الخلق
 تبهرجت أنوار شمس الأفق
 عليه من نور السّماح المشرق
 كالسيف في حدّ الظبا والرونق
 بوابل من غيث جود غديق
 ليل دُجاها عن سنى مؤتلق

(١) هكذا وردت كلها في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأتي (بق ، معتي ، اتق ، أينق) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . ووردت في الإسكوريال (دهرها) والأولى أنسب للسنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (مقامه) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (رجا) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الألاما) .

يمثلها من حَبَرَات أُخْجِلت حواشي الرُّوضِ خُدود المَهْرَق
 ماراق في الآذان أَشْنافِ سِوَى ملتَقِطَات لفظه المَفْتَرَق
 تود أجياد الغواني أن يُرى حَلِيهَا من درّ ذاك المنطق
 فسَلْ به هل آده الأمر الذي كَحَمَلٍ في شَرخِ الشبَابِ المَوْثِقِ
 إذا رأى الرأى فلا يخطئه يُبَيِّنُ اختيارِ للطريق الأَوْفِقِ
 أيه أبا عبد الإله هاكها عذراء تَحْشُو في وجوه السَّبِقِ
 خذها إليك بِكْرٍ فِكْرٍ بَزْدَرِي لَدَيْكَ بالأعشى لدى المَحْلَقِ
 لازلت مرهوب الجناب مُرْتَجِي مَوْصُولِ عَزٍّ في سَعْوِدِ تَرْتَقِ
 مَبْلَغُ الأمالِ فيما تَبْنَعِي مُؤَمِّنُ الأَغْرَاضِ فيما تَتَّقِي
 ناب في القيادة البحرية عن خاله القايد أبي على الرُّنداحي ، وولي أسطول
 المُنْكَبِ برهة . توفي بمرأ كش في عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله .

محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمَلِ الأَسْلَمِي (١)

من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالبلياني .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، ناب عنى في بعض الأعمال بالمرية ، وخطب بِنَحْائِسِ
 من فريبها ، ثم خطب بِحِمَّةِ مُرْشَانَةِ ، وهو الآن بها ، وعقد الشروط قبل بالمرية .
 عفيفٌ طاهر الذليل ، نبيل الأغراض ، مهذب الأخلاق ، قِيمٌ على القراءات ،

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا في «ب» .

والنحو والأدب ، جيدُ الشعر والكتابة (١) من الضبط ، وإجادة
العبارة عن المعنى المراد .

تواليفه

قال ، له رَجَزٌ في علم الكلام جيد ، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب ، عَرِيٌّ
عن الحشو ، على تَعْمِيرٍ فيه يُفْتَنُ لما جمع من اقتصاره ، وله تأليف في الوبا سماه
بإصلاح النية في المسئلة الطاعونية .

مشيخته

قال ، أخذ عنى وعن أبيه جملة من الدواوين ، وعن غيرى من أهل بلده .

شعره

قال ، ومما أنشدنى من شعره قوله :

هَفا بى من بين المغانى عقيقتها ومن بينه انفضت لعينى عقيقتها
ومالت ليد قبائه وأشرقتنى بالدمع منها شروقها
يبهيج أنفاسى غراماً لسيماها وتقدهح نار الشوق عندى بروقها
ومن دون واديهما ظباً خوادل حكى لحظها ماضى الشفاد وقيتها
فلوبرزت الشمس منهن فى الضحى مخدرة أضحت ككلا تفوقها
نسيم الصبا أن سئرت نحو الحى فقل تحي الديار النازحات تشوقها
غريب كيبب مستهام مشيم جريح الجفون الساهرات عريقها
فهل عطفة تُرجى وهل أمل يرى بعودة أيام تقضى أنيقها
سقى وتعلم من أدمع الصب جودها من ديم الغيث الملتات ريقها

(١) مكانها بالمخطوطات كلمات مشوهة ومحاة .

قال وأُشِدُّنِي أَيْضاً ، وَقَالَ كَلِّفْتُ إِجْزَاةَ هَذَا الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ،
إِذْ لَيْسَ لِي :

مَنْ عَادَى وَمَنْ نَاصِرِي وَمُنْصَفِي
أَوْ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَقَدْ أَوْهَى صَحِيحُ
جَفْنُ تَحْيِيرِ وَالْهَوَى يُهْدِيهِ
مُتَنَاعِسُ يُهْدِي الشُّهَادَ وَيَصْرَعُ
تَبْدُو وَتَشْدُو لِلْعَيُونَ وَالْمَسَامِعِ
مَلَكَتْ بِصَنْعَتِهَا عِنَانِ عِنَانِهَا
تُغْنِي إِذَا غَنَّتْ بِطَيْبِ صَوْتِهَا
أَمَا تَغَنَّتْ أَوْ تَذَنَّتْ تَهْتَفُ
يَأْتِي عَلَى تَكَرُّرِ مَا عَنَّتْ بِهِ صَدَقًا
تُهْدِي لِلنَّفُوسِ عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعِهَا
كُنَّا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عِنَانِ نَاعِسُ
حَتَّى وَشَى بِالسَّرِّ دَهْرُ حَاسِدِ
وَإِخْجَلْنَا إِنْ لَمْ أُمَّتْ يَوْمَ النَّوَى
لَكِنِّي مِمَّا نَحَلْتُ وَذُبْتُ لَمْ
كَمْ ذَا أَيْتُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مُسْعَدِ
يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانَ وَصَرَفُهُ
صَبْرًا أَمَا يَعْقُوبُهُمْ فِيهِ النَّوَى
هَذَا دَمْعِي سَفَكَتَهُ بِنْتُ الْمُنْصَفِ
الْجِسْمِ مِنِّي لِحَظِّ طَرَفِ مُدْنَفِ
لِفَزَادِ كُلِّ مَنْ الْهَوَى لَمْ يَأْلَفِ
الْبَطْلَ السَّكْمِيَّ بِلِحْظِهِ الْمُتَضَعِّفِ
فِيهِ بَيْنَ مُكْحَلِّ وَمُشَنَّفِ
وَعَدَّتْ عَلَيْهَا كَأَنَّ لَمْ تُعْرِفِ
عَنْ أَنْ يَزُودَ لِحْنِهَا بِالْمِعْرِفِ
قُمْرِي نَعَمَتِهَا وَغَضُّ الْمِعْطَفِ
بِكُلِّ غَرِيبٍ أَوْ مُسْتَطَرَفِ
مَنْ نُبِّلَهَا مَا تَشْتَهِي بِتَلْطَفِ
خَلْفَ سِتْرِ الْأَمَانِ مَسْجَفِ
كَلِّفْتُ بِتَنْغِيصِ السَّكْرِيمِ الْأَشْرَفِ
لَهْفًا وَمَا إِنْ كُنْتُ بَعْدُ بِمُنْصَفِ
يَرِنِي الْجَمَامُ فَكُنْتُ عَنْهُ أَخْتَفِ
فِي حَالِي غَيْرِ الدَّمْعِ الذَّرْفِ
هَلْ يَسْمَعَانِ بَعُودَةَ وَتَأَلَّفِ
لَوْلَا هَمَّتْ شَوْقًا لِلْقِيَا يَوْسُفِ
قَالَ وَأُشِدُّنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ ، وَالْبَيْتِ الْأَخِيرِ لغيره :

مَالِ الْأَجِيَّةِ فِي أَحْكَامِهِمْ جَارُوا نَاوَا جَمِيعًا فَلَا خِيَلٌ وَلَا جَارُ

كيف البقا وقد بانث قبايهم
 حُداة تمسهم بالقلب قد رحلوا
 جار الزمان علينا في فراقهم
 ساروا فحيمت الأشواق بعدهم
 تراك ياربهم ترجو رجوعهم
 ودعت منهم شمساً ما مطالعها
 أستودع الله من فاز الفراق بهم
 قلت ، ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجابة ، والله يقبض ويبسط ،
 وشافِعنا عرضُ الإكثار .

توفى في آخر أربعة وستين وسبع مائة .

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه .

حاله

دَمَتْهُ متخلق ، سهل الجانب ، كثير الدُّعابة ، خفيف الروح ، له خطُّ حسن
 ووراقة بديعة ، وإحكام لبعض العمليّة ، واقتدار على النظم . اتصل بباب السلطان
 ملك المغرب ، وأرتم كاتباً مع الجملة ، فارتاش ، وحسنت حاله .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر^(١) بما نصه : واقم واشي ، رقيق الجواب
 والحواشي ، تزهى بخيئه المهارق والطروس ، وتنجلي في حُلل بدايعه ، كما تنجلي

(١) هو من كتب ابن الخطيب الصغرى . وقد سبق التعريف به .

العروس ، إلى خلق كثير التجميل ، ونفس عظيمة التحمل . ودود^(١) سهل الجانب ،
عذب المناب . لما قضيت الواقعة بطريف^(٢) ، أقال الله عشارها ، وعجل
ثارها ، قذف به موج ذلك البحر ، وتقلت إفلات الهدى المقرب إلى النحر ،
ورمى به إلى رُنْدَة^(٣) القرار ، وقد عرى من أثوابه ، كما عرى الغرار ، فتعرف
للحين بأديبها المُلقق ، وبارقها المتألق أبي الحجاج المُنتشأ فرى ، فراقه ببشر
لغايه ، ونهل على الظمأ في سقائه ، وكانت بينهما مخاطبات ، أنشدنيها بعد إيباه ،
وأخبرني بما كان من ذهب زاده ، وسلب ثيابه .

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه : ولما دخلت رُنْدَة الأنيقة
البطاح ، المحتوية على الأدب والسماح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها
شيخنا المعمر رئيس الأدباء ، وقُدوة الفقهاء ، أبا الحجاج المُنتشأ فرى ، وكنت
لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سمح لي بلقاية صرفُ الزمان ، ولم أزل أكلّف
بمخطوطاته العجيبة ، وأولع بضرايبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تُزرى بالعقود
بهجة ، وتطير لها العقود باحة . نظم كما تنفس الصبح عن تسنيمه ، ونثر كما
تأسس الدر بتنظيمه ، فأحاطى منه محلّ الروح من الجسد ، وشهد لي أتى أعزُّ
منّ عليه وُرد ، ورائى قد ظهرت على مضاضة الاكتياب ، لكوني قريب عهد
بالإيباب ، مهزوماً انهزام الأحزاب ، خالى الوطاب ، نزر النياب ، فقال فيم
الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأمن الفرع ، فأجبتة عَجلاً ، وقلت
أخاطبه مرتجلاً .

(١) وردت في المخطوط (وود) وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) سبق أن عرفنا بموقعة طريف ، وهى التى نشبت بين المسلمين والنصارى على ضفاف
نهر سالادو على مقربة من طريف فى سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة
(راجع ص ١٨٠) .

(٣) هى من قواعد الأندلس الخالدة ، وتقع فى شمال المثلث الإسباني ، غربى مالقة ،
وجنوب نهر وادى لكه . وقد سقطت فى أيدي النصارى فى سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) .

وذهب مالى فى سبيل القادر
وبها أبو حجاج المنتشافرى
قتزِيل كل كآبة فى الخاطر

لا تُجزعنى نفسى لفقْد معاشرى
ورُندة ها أنتِ خير بلادِه
سِيرِيك حُسْن فرايد من نظمه
فأجابنى مرتجلاً :

بمزار ذى الشرف السَّني الطاهر
ومن أوصافه أعيت ثنا الشاكر
من كابن حزبِ الله نور الناظر
فقدت به أفقا لبدر زاهر
قد أينعت عن فكر حَبْر ماهر
أعْظِم به من صانعٍ للمآثر
كانت لسامعها معاً والذاكر
فتنعمت كالأقمار نواظرى
تُجْرِى له بالخطِّ حكم مُعادر

سُرَاى يا قلبى المشوق وناظرى
روضُ المعارف زهرها الزاهى
ولوادِ آسٍ فخار لم يزل
وافى يُشرفُ رُندة بقدمه
من روضة الأدياء أبدى زهرة
جمع المآثر بالسَّنة والسَّنا
مازلت أسمع من ثناء مآثرآ
حتى رأى بصرى حقائق وصفه
لا زال محبوباً بكل مسرَّة

ثم خاطبه القاضى المنتشافرى بعد انصرافه إلى وطنه بقوله :

لدهر يبعْدك فى الحُكم جارا
للنوى جَرعاتٍ مُراراً
بكُ أشواقنا قد أثاراً
وفقدى أناة وصل قصاراً
فوادى التريح قد أذكت أواراً
إلى وادِ آسٍ تُحِى الدياراً
بأربابه الأكرمين استناراً

أبى الدمع بعدك إلا انفجاروا
أذاق اللقاه الحلو لو لم يصل به
رعى الله لَمَح ذاك اللقاه وإن
قصاراى شكواى طول النوى
سَقَتْ القِداح من بعده
ألا يا صَباً هُبْ من أربعى
ألا خصَّ من ربعا منزلاً

وهم إلى حزبِ إلاتِ الألى
فأجابه بأبيات منها :

تألّق بَرَقُ العُلا واستنارا
وذكّرني وقت أنسٍ مضاً بُرّندة
وكانت لنفسى سنّاً في حماها
فأجريت دمع العيون اشتياقاً
وقالت لي النفس من لم يجد
قطعتُ المنا عندها لمحّة
وضيّعت تلك المنا غفلة
ومنها :

أرقتُ لذلك السنا ليلة
وجسّى أجلُّ الجسوم التهابا
إلى أن تجمّعت كأس النوى
وصبّرتُ نفسي لفقدانها
وما نومها ذقتُ إلا غراوا
وقلبي أشدُّ القلوب انكسارا
وقلت زمانى على الشمل جارا
هنالك بالرغم ليس اختيارا
وقال من قصيدة :

حلتُ لبرق لاح من سرّحتي نجمد
وقلت لعل القلب تبرأ كلومه
إن شاركتني في المحبة فرقة
وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة .
حين تتهامى تحنُّ إلى نجد
ومن ذا يصدُّ النار عن شيمة الوقد
فها أنا في وجدى وفي كلّنى وجد

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عيسى

حاله

كان أديباً ، حسن الخط ، جيد النظم ، متظرفاً ، لودعياً ، مطبوعاً ، مُنحطاً في هواه ، جامعاً في ميدان بطالته ، معاقراً للتبديد ، على حفظ للرسم ، واضططلاع بالخدمة ، وإيثار للعروعة ، ومعرفة بمقادير الأمور ، وتشبث بأذيال الخطوة . كتب للرياسة السعيدية بمالقة ، ونظر على ألقاب جبايتها ، وانتفع الناس بجاهه وماله ، ووقع الثناء على حسن ومباطنه . ثم سافر عنها ، وقد سميت بجادة السلطان في غرض انتقالها إلى العُدوة ، مُعوضة بمدينة سلامن مالقة . وكان ما كان من معاجلة الأمر ، والقبض على الرئيس ، وقيام ولده بالأمر ، فأُنبت للمذكور بالعدوة ، وكانت بها وفاته .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه : [عَلَمٌ]^(٢) من أعلام هذا الفن ، ومشعشعي راح هذا الدن ، بمجموع أدوات ، وفارس يراعة ، ظريف المنزع ، أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة ، وأدار فلك إماتها ، واتسم باسم كتابتها ووزارتها ، ناهضاً بالأعباء ، راقياً^(٣) في درج التقريب والاجتباء ، مُصانماً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخصب ساحة ، كلما فرغ من شأن خدمته ، وانصرف عن رب نعمته ، عقد شرباً^(٤) ، وأطلقاً من الاهتمام

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) الزيادة من نفتح العليب .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ صاعداً .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تربا) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعيده ، وظرف يديه ويعيده . فلما تقلبت
بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرحال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريباً ،
ويلحظ الدنيا تبعه عليه وتثريباً ، وإن كان لم يهدم من أمرايها حُظوةً وتقريباً ،
وما برح ييوح بشجنة ، ويرتاح إلى عهود وطنه .

شعره وكتابه

مما كتبه ، وبين فيه أدبه قوله :

يا نازحين ولم أفارق منهم شوقاً تأجج في الضلوع ضرامه
غيبتم عن ناظري وشخصكم حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شلى فشتت نظمه^(١) والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فينا وجداً مبالغا وجرت بحكم جوره أحكامه
أثرى الزمان مؤخرًا في مدتي حتى أراه قد انتقضت أيامه

تعملها يا نسيم نجدية النفحات ، وجدية الفحات ، يؤدي عنى نغمها^(٢) إلى
الأحبة سلاماً ، ويورد عليهم لفتحها برداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملى ناراً ،
وترسل على الأحبة مني إعصاراً . كلا إذا أهديتهم تحية إيناسي ، وأنسوا من
من جانب هبوبك^(٣) نار ضرام أنفاسي ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في
كف مسرى جنوبك ، وتعللوا بها^(٤) تمليلاً ، وأوسعوا آثار مهجك تقبيلاً ،
أوسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تلطئك تمليلاً . ألم تروني كيف جتكم
بما حملى عليلاً .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شمله) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (حقوقك) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (بك) .

كذلك تركته مُلقًى بأرض له فيها التعلُّل بالرياح
 إذا هبَّت إليه صبا إليها وإن جاءته من كلِّ النواح
 تساعده الحمايم حين يبكي فما ينفكُّ موصول النِّياح
 يخاطِبُن مهباً طِرُن شوقاً أما فيكنَّ واهيةُ الجناح

ولولا تعلقه بالأمانى ، وتحدثت نفسه بزمان التَّدانى ، لكان قد قضى نَجْمَه ،
 ولم أَبْلُغْكُمْ إلا نَعْيَه أو نَدْبَه ، لا كنهه يتعلل من الآمال بالوعد المَطول ،
 ويتطَّرح^(١) باقتراحاته على الزمن المجهول ، ويحدث نفسه ، وقد قنعت من برُوق^(٢)
 الآمال بالخُلْب ، ووثقت بمواعيد الدهر القلْب ؛ فيناجيهما بوحى ضميره ، وإيماء
 تصويره ، كيف أجِدُّكَ يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلُّص من رِبْقَةِ الاغتراب ،
 أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب . كأنَّي بك وقد استقرَّكَ ولهُ السرور ، فصرفت
 عن مشاهدة الحضور ، وعاقنتك غشاوة الاستعبار للاستبشار ، عن اجتلاء محيا
 ذلك النهار .

يوم يداوى زماناتي من أزمانى أزرِب^(٣) تنغيص أحياني فأحياني
 جعلتُ لله نذراً صومه أبداً أفي به وأوفى شرط إيماني
 إذا ارتفعنا وزال البُعد وانقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطاني
 أعدده خير أعياد الزمان إذا أو طأني السعد فيه تُربَّ أو طأني

أرأيت كيف ارتياحى إلى التَّذكار ، وانقيادى إلى معاللات توهُمات الأفكار ،
 كأنَّ البُعد باستغراقها ، قد طُويت شُقَّتَه ، وذهبت عنى شقَّتَه ، وكأنَّي بالتخيل
 بين تلك الخمايل أتَنَسَّم صباها ، وأتَسَّم رُبها ، وأجتنى أزهارها ، وأجتنى

(١) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (بطارح) والأول أنسب للمعنى .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (برق) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (أزان) .

أنوارها ، وأجول في خمايلها . وأنتعم ببيكرها وأصايلها ، وأطوف بمعلمها ،
 وأنتشق أزهار كمامها ، وأصيحخ بإذن الشون إلى سجع حمايمها ، وقد داخلتني
 الأفراح ، ونالت مني نشوة الارتياح . ودنا الشروور لتوشم^(١) ذهاب الأتراح .^(٢)
 فلما أفقت من غمرات سُكرى ، ووثبت من هفوات فكرى ، وجددت مرارة
 ما شابه لُبي في استغراق دهرى ، وكأني من حينئذ عالجت وقففة الفراق ، وابتدأت
 منازعة الأشواق ، وكأما أغمضتني للنوم ، وسمح لي بتلك الفكرة الحلم :

ذَكَرَ الدِّيَارِ^(٣) فهاجه تذكاره وسَرَّتْ به من حينه أفكاره
 فاحتلَّ منها حيث كان حُلُولُهُ بالوهم فيها واستقرَّ قراره
 يالْقُرْبَ الآمالِ من هفواته لو أنه قضت بها أوطاره

فإذا جيتها أيها القادم ، والأصيل قد خلم عليها برُداً مُورساً ، والربيع قد
 مدَّ على القيعان منها سُندساً ، اثخنها فديتك مَعْرَساً ، واجرر ذيولك فيها
 تَبَخُّراً ، وبثَّ فيها من طيب نَفَحَاتِكَ عَنبراً ، وافتنق عليها من نوافح أنفاسك
 مِسْكَاً أَذْفِراً ، واعطف بماطف بانها ، وارقص قُضْبَ رِيحانها ، وصافح صفحات
 نهرها ، ونافح نَفَحَاتِ زهرها . هذه كلها أمارات ، وعن أسرار مقاصدى عبارات ،
 هنالك تنتعش بها صبايات ، تعالج صبايات ، تتعامل بإقبالك ، وتمكف على لثم
 أذيالك ، وتبدولك في صفة الفاني المُتَهالك ، لاطفها بلطافة اعتلاك ، وترفق
 بها ترفق أمثالك ، فإذا أمالت بهم إلى هواك الأشواق ، ولووا إليك الأزؤس
 والأعناق ، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق . وتقليبي بين الأشام والأعراق ، فقل
 لهم عَرَضَ له^(٤) في أسفاره ، ما يعرض للبدر في سراه ، من سير السرار ، وطاق

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (لتوشم) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الانتزاح) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تقييد) والأولى أنسب للمعنى .

(٤) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لم) .

الحق ، وقد تركته وهو يُسامر الفرّاقين ، ويُسائر النّيرين ، وينشد إذا واعه
البين :

وقد نكون وما يُخشي ^(١) تفرّقنا واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
لم يفارق وعشاء الأسفار ، ولا ألقى من ^(٢) يده عصا التسيار ، يتهداه للغور
والنجد . ويتداوله الأرقال والوخذ ، وقد لفحته الرّمضاء ، وسيمه الإنضاء . فالجبات
تلفظه ، والآكام تُهظه ، تحمل هومه الرّواسم ، [وتحنّى به النّواسم] ^(٣) .
لا يستقرُّ بأرض حين يبلغها ولا له غير حدّو العيس إيناس
ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالي ، وتقلبي بين حالي ^(٤) حلي وترحالي ،
وبلغت القلوب منهم الحناجر ، وملأت الدموع المحاجر ، وابتلت ذبولك بمائها ،
لا بل تضرّجت بدماؤها ، فخيّم عني تحية مُنفصل ، وودّعهم وداع مُرتحل . ثم
اعطف عليهم ركابك ، ومهد لهم جنابك ، [وقل لهم] ^(٥) إذا سألني عن المنازل
بفد سُكّانها ، والرّبوع بمد ظنن أظلمائها ، بماذا أجيبه ، وبماذا ^(٦) يسكن
وجيبه ، فسيقولون لك هي البلاقيع المُقفرات التي أصبحت نكّرات .
صمّ صمّداها وعفّ رسمها واستعجمت عن منطق السائل
قل لهم كيف الرّوض وآسه ، وعمّاذ ^(٧) تتأرجح أنفاسه ، عهدى به والحمامُ يردد

(١) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (ولا) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (عن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في النسخ (وتحنّاه البواسم) .

والأولى أكثر تشبيهاً مع المعنى والسياق .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٥) هذه الزيادة من النسخ .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ولماذا) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعما) . والأولى أنسب للمعنى .

أسجاعه ، والدُّبابُ يعني به هَرَجًا ، فيحكُّ بذراعه ذراعَه ، وغُصونه تعتنق ، وأحشاء
جداوله تَصْطَفِقُ ، وأسحاره تَنْسِمُ ، وأصاله تَنْتَبِقُ (١) . كما كانت بقية نَضْرته ،
وكما عهدتها أُنَيْقَة خُضْرته ، وكيف التفاتة عن أَرْزَق نَهْره ، وتأثقه في تَكْلِيل
أَكْلِيله بيانع زهره . وهل رقَّ نسيم آصاله ، وصفت موارد جداوله ، وكيف
انفِيساحُ ساحاته ، والتفافُ دَوْحاته ، وهل تمتدُّ كما كانت مع العشيِّ فَيَمَانَة
سَرَحاته . عهدى بها ، المديدة الظلال ، المزعفرة السُّربال ، لم تُحْدِقُ الآن به
عُيون تَرْجِسُه ، ولا سُدَّ بساط سُندسه . وأين منه مجالس لذاتي ، ومعاهد غداواتي
ورَوْحاتي ، إذ أبارى في الجُون لمن أبارى ، وأسبق إلى اللذات كلَّ من يُجارى .
فسيقولون لك ذَوْتَ أُنْفانِه ، وانْقَصَفَتْ أَعْصانه ، وتسكدرت عُدرانه ، وتغيَّر
ريحُه وريحانه ، وأقفرت معاله ، وأخرست حَمايِمه ، واستحالت به حُلُلُ حَمايِلِه ،
وتغيَّرت وجوه بُكْره وأصايِلِه . فإن صَلَّصَل حَنِين رَعْدٍ ، فَمَنْ قَلْبِي لفراقه خَفَقُ ،
وإن تَلَأَلَا بَرَقُ ، فَمَنْ حَرَّ حَشَايِ امْتَلَقُ ، وإن سَحَّتِ السُّحُبُ فَمُسَاعِدَة جَلْفَتِي ،
وإن طال بكَاؤُها فَعَنِي ، حَيَاها اللهُ منازل لم تَزَلْ بِمَنْظُومِ الشَّمْلِ أوَاهِل . وحين
انْتَثَرَتْ نُثِيرت أزهارها أسفاً ، ولم تُننِ الرِّيحُ من أَعْصانِها مِعْطَفاً ، أعاد اللهُ الشَّمْل
فيها إلى مُحْكَمِ نِظَامِه ، وجمل الدهر الذي فرَّقَه يَتَأَثَقُ في أَحكامِه . وهو سبحانه
يَجْبُرُ الصَّدْعَ ، وَيُعْجِلُ الْجَمْعَ ، إنه بالإجابة جَدِير ، وعلى ما يشاء قَدِير . إليه بَنِي
كيف حال من استودَعْتهم أمانتَكَ ، وألْزَمْتهم صَوْنَكَ وصِيانَتَكَ ، والبَسْتهم
نَسَبَكَ ، ومهدت لهم حَسَبَكَ ، اللهُ في حِفْظهم ، فهو اللَّائِقُ بفعالِكَ ، والمناسبُ
لشرفِ خِلالِكَ ، إرْعَ لهم الاغترابَ لَدَيْكَ ، والاتقِطاعَ إِلَيْكَ ، فهم أمانةُ اللهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (تنويع) . والأول أكثر تشبيهاً مع

[تعالى] (١) في يديك ، وهو سبحانه يحفظك بحفظهم ، ويوالى بلحظك أسباب
 لحظهم ، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال ، فنعم الله مُتَدَّة الظلال ، وخيراته (٢)
 ضافية (٣) السربال ، لولا الشوق الملائم ، والوجد الذي سكن الحيازم .

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة ، أثبتها وهي :

وللورق تشدو وتسهل السوايح	أللبرق يبدو تسطير الجوانح
ووجدى للورق الشكالى مطارح	وقلبي للبرق الخفوق مساعده
فللوجد في زند الصبابة قادح	إذا البرق أوزى في الظلام زنادى
أعاد بها شكوى الجوى وأراوح	وكم وقفة لي حيث مال بي الهوى
ويكدر بئى عندها فأساح	تنازعنى منها للشجون فأشتكى
ويُسعدنى فيما تُبيح التباح	أبت شجونى والحمام يُصيح لي
إلى صفحة النهر الثقيل تصافح	وتطرب أغصان الأراك فتغننى
فتهدى إليها عرفها وتنافح	فتبتسم الأزهار منها تعجباً
وطرفى أبدي هزة وهو مارح	كذلك حتى ماد عطف شعفى
فقلت أمثلى يشتكى الوجد نابح	فلما التظى وجدى ترتم صاهلاً
وقلت له شمر فإننى سابع	صرفت عدو البید أرخو عنانه
سيلقاك غيظان بها وممايح	تهباً لقطع البید واعتسف السرى
بمثلى تلقى هذه وتكافح	فختم لو يستطيع نطقاً لقال له
فقام به مستقبلاً من يفاطح	وحلته عزماً تعود مثله
سوى جلد لا يتقى منه فاضح	ويمت يدا لم أصحاب الجوها

(١) هذه الزيادة من النسخ .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (وخيرد) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (وارفة) .

وماضي الغرايين استجدت مضاها
ومندج صدق الأنايب نافذ به
وميرت فلا ألقى سوى الوحش نافرأ
تحدث نحوى أعيننا لم يلح لها
وقد زارت أسد تقحمت غيلها
وكم طاف بي للخبر من طائف بها
ويعرض لي وجهاً دميّاً ومنظراً
فما راعني منه تلون حاله
فلما اكنت شمس العشي شحوبها
تسرّبت للإدلاج جئح دجنة
فخضت ظلام الليل والنجم شاخص
يرده شزراً إلى كأنما
وراقب من شكلي السماء نظيره
يخط وميض البرق لي منه أسطراً
إذا خطها ما بين عيني لم أزل
ومازلت سرّاً في حشي النبل كامناً
وهب نسيم الصباح فانمطفت له
تجاذب ذكري أحاديث لم أزل
وملت إلى التعريس لما انقضى الشرى
ومال الكرى بي ميلة سكنت لها
كن أخذت منه الشمول بشارها
وقربت الأحلام لي كل مؤمل

إذا جرّدت يوم الجلال الصفايح
عند كرى في الحروب أفاح
وقد شرّدت في الظلما السواح
سناً لك أسنى ولا هو لايح
فقلت تماوت إنها لنوايح
فلم أصنع سمماً نحوها وهو صايح
شنيماً له تبدو عليه القبايح
بل أيقظ عزمي فانشى وهو كالح
ومالت إلى أفق الغروب تنازح
فها أنذا غرسي إلى القصد جانح
إلى بلخط طرفة لي لايح
على له حقد به لا يساع
خلا لزمكلى أعزل وهو راح
على صفحة الظلماء فهي لوايح
أكليف دمي نحوها فهو طايح
إلى أن بدا من نسيم الصباح فاتح
قدود غصون قد رقتها صواح
يردّها مني مجد ومازح
أروض له نفسي وعزمي جامع
على نصب الوعشاء مني الجوارح
فبات يشقى وهو ريان طافح
فأدنته مني وهو في الحق نازح

أرتنى وجوهاً لو بذلتُ لقرَّبها
لقلَّ لها عمريَ وما ملكتُ يدي
وما زلتُ أشكو بيننا غصص النوى
فمنها تغور للشُّرور بواسمٍ
تُقربها الأحلامُ مِنِّي ودونها
وبحرٍ طمَّت أمواجه وشآئيب
قضيتُ حقوق الشوق في زوِّرة
يُقِرُّنَّ آمالاً تباعدُ بينها
فلما تولَّى عنى النومُ أَعْقَبَتْ
وعُدتُ إلى شكوى البلاء ولم أزل
وما بلغتُ عنى مشافهةً السكرى
وحسبُك قلبٌ في أسار اشتياقة

حياتي لمن بالقرب منه يسأح
وحدثت نفسي أن تجرى رايح
وما طوَّحت بي في الزمان الطوايح
لقربه ومنها للفراق نوايح
مهامه فيها للهجير لوافح
وقفر به للسالكين جوامح
للكرى فإن زيادات السكرى لموانح
وتعمبت فيها للنفوس الطوايح
هموم أثارها الشجون فوادح
أرددها والمدر منى واضح
تبلغها عنى الرياح اللوافح
وقد أسلمته في يديه الجوامح

وفاته

قال شيخنا أبو بكر بن شبرين ، توفى بسجلماسة في صفر عام
سنة عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة ، يكنى أبا بكر .

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

حاله

من كتاب الإكليل : نابغة مالقية ، وخلف ببقية ، ومغربي الوطن أخلاقه
 مشرقية . أزمع الرحيل إلى المشرق ، مع اخضرار العود ، وسواد المفرق ، فلما
 توسطت السفينة اللجج ، وقارعت الشبج ، مال عليها البحر ، فسقاها كأس الحمام ،
 وأولدها قبل التمام ، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على نوره
 سوادها ، جملة من الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحسباء ، أصبح كل منهم
 مطيعاً لداعي الردى وسميماً ، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً ، فأجرُوا الدموع حزناً ،
 وأرسلوا العبرات عليهم مژنا . وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدّها ،
 وأحال هضبة سفينتهم وهدّها ، غار على نفوسهم النفيسة واستردها . والفقير
 أبو بكر ، مع إكثاره ، وانقياد نظامه ، ونثاره ، لم أظفر من أدبه إلا بالقليل التافه ،
 بعد وداعه وانصرافه .

فن ذلك قوله وقد أبصر فتي عائراً :

ومُهْهَفِ هَافِيِ المَعَاظِ أَحْوَرُ فَضَّحَتْ أَشْعَةُ نوره الأَمَارَا
 زَلَّتْ لَهُ قَدَمٌ فَأَصْبَحَ عَائِراً بَيْنَ الأَنَامِ لَمَّا لِدَاكَ عَنَاوَا
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يَكُونُ فَرَشْتُ فِي ذَاكَ المَسْكَانِ الخَدَّ والأَشْفَارَا
 وَقَالَ مَتَفَرِّلاً :

أَيَابْنِي الرِّفَاءِ تُنْفِي (١) ظِبَاؤُهُمْ (٢)
 لَقَدْ قَطَعَ الأَحْشَاءَ مِنْهُمْ مَهْفُفٌ
 يَسُدُّ إِذْ يَرْمِي قَسِيَّ حَوَاجِبِ
 وَتُسْتَمْنِي عَيْنَاهُ وَهِيَ سَقِيمَةٌ
 جُفُونِ ظِبَاهِمِ وَالفَوَادِ كَلِيمِ
 لَهُ التَّبَرُّ خَدٌّ والأَلْبَجِينِ أَدِيمِ
 وَأَسْبَحَهَا مِنْ مَقْلَتِيهِ تَسُومِ
 وَمِنْ عَجَبِ سُقْمِ جَنَاهِ سَقِيمِ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تمنى) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ظباهم) .

ويندبَلُ جَسْمِي فِي هَوَاهُ صَبَابَةً وَفِي وَصْلِهِ لِلْعَاشِقِينَ نَعِيمٌ
تَوَفَّى فِي حُدُودِ أَخْرِيَاتِ عَامِ تِسْعَةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ غَرِيقًا بِأَحْوَازِ الْغَيْبَةِ
مِنْ سَاحِلِ الْمَرْيَةِ .

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي (١)

ولد الشيخ أبي الطاهر، من أهل مالقة .

من كتاب الإكليل : نبيلٌ فنانٌ ، متحركٌ ذهنٌ ، كان أبوه رحمه الله ،
يتبرم بمجداله ، ويخشى مواقع رَشَقِ زَبَالِهِ ، وَيُسَيِّمُ بِأَرْقِ الْعَارِضِ فِي سَوَالِهِ ،
فِيُشْفِقُ مِنْ اخْتِلَالِ خِلَالِهِ ، إِذْ طَرِيقُهُ إِنَّمَا هِيَ أَذْوَاقٌ لَا تُشْرَحُ ، وَأَسْرَارٌ لَا تُفْضِحُ .
وكان ممن اخترم ، وجُدَّ حَبْلُ أَمَلِهِ وَصُرْمٌ ، فَأَقْلَ عَقْبُ أَبِيهِ ، وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ
يَخُوضُ فِيهِ .

فمن ذلك ، وقد أبصر فتى وسيا على ربحانه :

بَدْرٌ تَجَلَّى عَلَى غِصْنٍ مِنَ الْأَسَى يُبْرَى وَيُسْتَمُّ فَهُوَ الْمَرَضُ الْأَسَى
عَادَى الْمَنَازِلَ إِلَّا الْقَلْبَ مَنَزَلَةً فَمَالَهُ وَجَمِيعَ النَّاسِ مِنْ نَاسٍ

وقال :

يَا عَالِمًا بِالسُّرِّ وَالْجَبْرِ وَمَلْجَأِي فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
جُدْ لِي بِمَا أَمِلْتَهُ مِنْكَ يَا مَوْلَايَ وَاجْبِرْ بِالرُّضَا كَثْرِي

وفاته : في عام خمسة وسبعماية .

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، ولم ترد في «سج» ولا «الزيتونة» .

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى^(١)
 من أهل المريّة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه ، وقد مر ذكر أبيه
 في العمّال .

حاله

هذا الرجل من أبناء النعم ، وذوى البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل
 به ذلك أخيراً للوثة ، لم يستفق منها لطف الله به . حسن الخط ، مطبوع الأدب ،
 سيال الطبع ، معينه . وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر ، يتمنى
 أهله وفاته ، والله وليّ المعافاة ، بفضله .

وجرى ذكره في الإكمال بما نصه : من أولى الخلال البارعة والخصال ،
 خطأ رايقا ، ونظما بمثله لايقا ، ودُعابة يسترها مجهم ، وسكوتاً في طيئه إدراك
 وتمهم . عُنى بالرواية والتقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة ثبتت
 في السُرور عروقها ، وتألقت في سما المجادة بروقها ، وتصرف بين النياحة في الأحكام
 الشرعية ، وبين الشهادات العملية المرعية .

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به ، مهيناً في إعدار أولادى أسعدهم الله ، افتتح ذلك
 بأن قال .

قال ، يعتدو عن خدمة الإعدار ، ويصل المدح والثنا على بُعد الدار ، وذلك^(٢)
 بتأريخ الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعمائة :

(١) هذه الترجمة واردة فقط في الاسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) ورد في المخطوط (ولان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

وإن نأى وطنى وشطّ مزارى
 نقضُ الأمان عادة الأعصار
 وأخطر حليّ عند باب الدار
 متشمرّاً فيه بفضل إزار
 ويرى جلا الإشعاع^(١) في الأفكار
 فيفوز بالإعظام والإكبار
 يسمو ويملو في ذوى الأقدار
 وقل نلتُ المنى بتلطف ووقار
 له الحسبُ الصميم العبدُ يوم فخار
 فى الفرقدین النیرین یسار
 أملان مرجوان فى الاعتبار
 فرعان من أصل زكا وبحار
 ينميهما نورٌ من الأنوار
 جم الفضائل طيب الأخبار
 فكأنما خلقتا من الأزهار
 خلعت عليه رقة الأسحار
 أو وقع درٌّ من نحدور جوار
 بالروض غبّ الواكف المدرار
 فيريك نظم الدرّ فى الأسطار
 نهلت تفتح ناضر النور

لا عذرلى عن خدمة الإعدار
 أو عاقى عنه الزمان وصرفه
 قد كنت أرغب أن أفوت بخدمتى
 باب المسرة بالضيع وأهله
 من شاء أن يلقى الزمان وأهله
 فليات حتى ابن الخطيب ملبيا
 كم ضمّ من جيد كرام فضلهم
 إذ حيث ناديه فقف عنى
 يا من له الشرف القديم ومن
 يهنئك ما قد نلت من أمل به
 تجلاك قطبا كل تجر باذخ
 عبد الإله وصنوه قمر الملا
 ناهيك من قرين فى أفق الملا
 زاكى الأرومة مفرق فى مجده
 رقت طبايه وراق جماله
 وجلت شمائل حسنه فكأنما
 فإذا تكلم قلت ظلّ ساقط
 أو فت مسك الخبر فى قرطاسه
 تتسم الأقلام بين بنانه
 فتخال من تلك البنان كأنما

(١) وردت فى المخطوط (الإشعاع) ، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

تلقاه فياض الندى مُتهللاً
بجر البلاغة قسبها وأياؤها
إن ناظر العلماء فهو أمامهم
أربى على العلماء بالصيت الذي
ماضره إن لم يجيء متقدماً
إن كان أخره الزمان لحكمة
الشمس تُحجب وهي أعظم تبر
يا ابن الخطيب خطبها لعلكم
جاءتكم من خجل على قدم الحيا
وأنت تؤدي بعض حق واجب
مدت يد التوفيل نحو غلامكم
فابذل لها في النقد صفحك إنها
لازلت في دعة وعز دايماً

ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها :

تبسم ثغر الدهر في القضب الملد
ونبه وقع الطل الحاظ نرجس
ونم سبر الروض في مسكة الدجا
وغطى ظلام الليل حمره أفته
وياست قلوب الشهب تخفق رقة
وأهمى عليه الغيم أجنان مُشفق
ومنها

فأذكي الحيا خجلة وجنة الورد
فقال الوستان وعد إلى الشهد
نسيم شدا الخير كالمسك والند
كما دار مسود العذار على الخد
لما حل بالمشتاق من لوعة الوجد
بذكره فاستمطر الدمع للخد

غداة افترقنا والنوى رُندها يمدُّ
 لعلنى أبثك وجدى إن تمر على نجد
 سوى الملك المنصور فى الرفق والرؤد

وحلوني ولو بطيف خيال
 لست أنفك إلا عن عقاب
 وفؤادى من سحر كم فى اشتغال
 حبي بما قد جرّ . . . (١) ال
 حلل الهجر بعد طيب الوصال
 طال منه الجوى بطول الليال
 ورماء من غنجه بنبال
 قصده فى النوى بذاك النحال
 مذ روى فى الغرام باب اشتغال
 غير تاج الملا وقطب السكال
 المجد بدز أفق الجلال
 هو شمس الهدى فريد المعال
 صفحة الطرس خلّيت باللال
 راية الصبح فى ظلال الضلال
 صادق العزم ضيق المجال
 جل فى الدهر يا أخى عن مثال
 لا بجدوى ولا لنيل نوال

كأنى لم أقي فى الحى وقفة عاشق
 وناديت حادى العيس عرج
 فقال أتيد يا صاح مالك ماجأ
 وبما خاطبني به قوله :

علموني ولو بوعد محال
 واعلموا أنى أسير هواكم
 فدموعى من بينكم فى انسكاب
 يا أهيل الحى كفانى غرامى
 من مجيرى من لحظ ريم ظلوم
 ناعس الطرف أسمر الجفن منى
 يابلى اللحاظ أصغى فؤاده
 وكسا الجسم من هواه نحولا
 ما ابتدا فى الوصال يوماً يعطف
 ليس لى منه فى الهوى من مجبر
 علم الدين عزه وسناه ذرورة
 هو غيث النداء وبحر العطايا
 إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا
 أو دجا الخطب فهو فيه شهاب
 أوينا العضب فهو فى الأمن ماض
 لست تلقى مثاله فى زمان
 قد نأى حبي له عن ديارى

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال يتخللها البياض .

لكن اشتقت أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنور الهلال
وكما هممت فيه ألتئم كفاً قد أنت بالنوال قبل السؤال
سألها ابن الخطيب هذراً أجابت تلتئم النعل قبل شنع النعال
وتوفى حق الوزارة عن هو ملكٌ لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشُّديد^(١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه : شاعر مجيد ، حَوَك الكلام ، ولا يَقْصُر فيه
عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول أمره ، فطال بالبلاد المشرقية ثَوَاؤه .
وعُيِّت أنبأؤه ، وعلى هذا العهد وقفتُ [له] على قصيدة بخطه غرضها نبيل ،
ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفس ونفس ، وإضاعة قَبَس . وهي :

لنا في كل مَكْرَمَة مَقَام ومن فوق النجوم لنا مَقَام
روينا من مياه الجَمَد لما وردناها وقد كثر الزحام
ومنها :

فنحن همُّ وقل لي مَنْ سوانا لنا التَّقْدِيم قُدُماً والكلام
لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهزُّ به لدى الروح الحسام
ونحن اللابسون لكل دِرْع يصيبُ الشمس منهنَّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب موافقهنَّ في الدنيا عظام

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . وقد نقل المتري عن الإحاطة نبذة في ترجمة المذكور جاء فيها أنه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجبالي الأصل ثم المالقي . ثم نقل عنه بعد ذلك ما أورده ابن الخطيب في الإكليل (الفتح ج ٤ ص ٤٢٤ و٤٢٥).

تَوَى مِنْهَا قُلُوبَ الرُّومِ خَوْفًا
 تَحْمِينًا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا
 وَتَحْتَ الرَّايَةِ الحِمْرَاءِ مَنَّا
 بَنُو نَصْرٍ وَمَا أُدْرَاكَ (١) مَا مِمَّ
 لَمْ فِي حَرْبِهِمْ فَتَكَاتِ عَمْرُو
 يَقُولُ عِدَاتِهِمْ مَهْمَا أَلَمُوا
 إِذَا شَرَعُوا الأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبٍ
 كَأَن رَمَحَهُمْ فِيهَا نَجْمُومٌ
 أَنَاسٌ تَخْلُفُ الأَيَّامَ مِينَتًا
 رَأَيْنَا مِنْ أَبِي الحِجَّاجِ شَخْصًا
 مُؤَوِّقَ العِرْضِ مُحَمَّدِ السَّجَايَا
 يَجُولُ بِذَهْنِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 قَوِيمَ الرَّأْيِ فِي نَوْبِ اللَّيَالِي
 لَهُ فِي كُلِّ مَعْضَلَةٍ مِضَاءٌ
 رَوْوفٌ قَادِرٌ يَغْضَى وَيَعْفُو
 تَطُوفُ بَيْتِ سُوْدُودِهِ القَوَافِي
 وَتَسْجُدُ فِي مَقَامِ عُلَاهِ شُكْرًا
 أَفَارِسُهَا إِذَا مَا الحَرْبُ أُخِنَتْ
 وَمَمَطَرُهَا إِذَا مَا السَّحْبُ كَفَّتْ
 يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي المَهْدِ الغَلَامُ
 فِيهَا هُوَ لَا يُيْهَانُ وَلَا يُضَامُ
 كِتَابِيْبُ لَا تَطَاقُ وَلَا تَرَامُ
 أُسُودُ الحَرْبِ وَالقَوْمُ السَّكْرَامُ
 فَلِلْأَعْمَارِ عِنْدَهُمُ انْصِرَامُ
 أَنُونَا مَا مِنْ المَوْتِ اعْتِنَامُ
 فَحَقُّ أَنَّ ذَاكَ هُوَ الحِمَامُ
 إِذَا مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَ الغَمَامُ (٢)
 بِحَيٍّ مِنْهُمْ فَلَهُمْ دَوَامُ
 عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لَهُ قِيَامُ
 كَرِيمِ الكَفِّ مُقَدِّمِ هَمَامُ
 فَيَدْرِكُهُ وَإِنْ عَزَّ المَسْرَامُ
 إِذَا مَا الرَّأْيُ فَارَقَهُ القَوَامُ
 مِضَاءُ الكَفِّ سَاعِدُهُ الحِمَامُ
 وَإِنْ عَظُمَ اجْتِنَاءُ وَاجْتِرَامُ
 كَمَا قَدْ طَافَ بِالبَيْتِ الأَنَامُ
 وَنَعْمَ الرَّكْنُ ذَاكَ وَالمَقَامُ
 عَلَى أَبْطَالِنَا وَدَنَا الحِمَامُ
 وَكَفُّ أَخِي النَّدَى أَبْدَاءُ غَمَامُ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات (ما أدريك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القتام) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بيحيا) .

لك الذكر الجميل بكل قطر لك الشرف الأصيل المُستدام
لقد جِينَا^(١) البلاد فحيث سِرْنَا رأينا أن مُلْكك لا يرام
فَضُلْت ملوكها شرقاً وغرباً وبتَّ لملكها يقظاً ونامُ
فأنت لسكل معلوَّة مدار وأنت لسكل مَكْرَمة إمام
جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصرُ والشَّام
مكان أنت فيه مكان عزِّ وأوطان حَلَّت بها كرام
وهبتك من بنات الفكرِ بكرةً لها من حُسن لقياك ابتسام
فنزّه طرف مجدك في حلّائها فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن مسعود بن خالصة^(٢) بن فرج بن مجاهد

ابن أبي الخصال الغافقي

الإمام البليغ، المحدث الحجّة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من شُقورة، من كورة جيّان، وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله

قال ابن الزبير عند ذكره: ذُو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال. كان من أهل المعارف الجمّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقديد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة^(٣) والأدب، والنسب

(١) وردت في الإسكوريال (جنت). والتصويب من النسخ.

(٢) هكذا وردت في «ج»، وفي «الزيتونة». وفي الإسكوريال (خلصة).

(٣) وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وساقطة في «ج».

والتاريخ، متقدماً في ذلك كله . وأما الكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحكما فيهما إليه .
ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن في عصره مثله ، مع دين وفضل وورع .

قال أبو عمرو بن الإمام الإِسْتِجْبِيّ في سِمَطِ الْجَمَانِ ، لما ذكره : البحر الذى لا يُبَاحُ ولا يُسَاطِرُ ، والغِيثُ الذى لا يُسَاجِلُ ولا يُقَاطِرُ^(١) ، والروض الذى لا يُفَاحُ ولا يُعَاطِرُ ، والطَّوْدُ الذى لا يزاحم ولا يخاطر ، الذى جمع أشتات المحاسن ، على [ماءٍ غير ملح]^(٢) ولا آسِنَ ، وكثرت فواضله ، فأَمِنَتِ المُمَاطِلُ والمُحَاسِنُ ، الذى قُصِرَتِ البلاغة [على تَحْتَدِه]^(٣) ، وألقيت أزيمة الفصاحة فى يده ، وتشرفت الخطابة والكتابة باعترائهما إليه ، فنشئ كِنَانَتِهَا ، وأرسل كَابِنِهَا ، وأوضح أسرارها ودفاينها ، فحسبُ الماهر التَّحْرِيرُ ، [والجَهْدُ العلامة البصير]^(٤) إذا أبدع فى كلامه ، وأينع فى روض الإِجَادَةِ نِشَارُهُ ونِظَامُهُ ، [وطالت قَمَى الخَطِيَّةِ الذبل أَقلامه]^(٥) ، أن يستدير بأنواره ، [ويقتضى بعض مناهجه وآثاره]^(٦) وينثر على أثوابه مِسْكَ غُبَارِهِ ، وليعلم كيف يتفاضل الخبَرُ والإِنشَاءُ ، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء .

[وعضه العَقُورُ أبو نصر]^(٧) فى قَلَانِدِهِ . حيث قال ، « هو وإن كان خامل المَدَشَأَ نازِلَهُ ، لم يُنْزَلْهُ المَجْدُ مَنَازِلَهُ ، ولا فَرَعُ اللَمَاءِ هِضَابَا . ولا ارتشف للسَّنَارِ ضَابَا ،

(١) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (يخاطر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال (على غير طوق) . والأولى متشبية مع المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال (عليه) . والأولى أنسب للسياق ومقتضيات السجع .

(٤) وهـ (٦) هذه العبارات الثلاثة المحصورة بين الخواصر واردة فى الإسكوريال . والأولى منها

ساقطة فى المخطوطين . والثانية والثالثة ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى المخطوطين (وذكره الفتح

فى قَلَانِدِهِ) وأبو نصر هو كنية الفتح بن خاقان صاحب القلانيد .

فقد تميّر بنفسه ، وتمييز من [أبناء] ^(١) جنسه ، وظهر بذاته ، ونُقِر بأدواته .

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، في الصلة ، روى عن الغساني ، والصدفي ^(٢) وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي عمران بن تليد ، وأبي بحر الأسدي ، وأبي عبد الله الثفزي ، وجماعة غيرهم .

توالياه

قال الأستاذ ، وأما كتبه وشعره ^(٣) وتوالياه الأدبية ، فكل ذلك مشهور ، متداول بأيدي الناس ، وقل من يُعلم بعده ، أن يجتمع له مثله ، رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال ، وابن جيش ، وابن مضاء وغيرهم ، وكل ذلك ذكره في رحاله ، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

شعره ^(٤)

وله شعر كثير . فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق بن خفاجة :
هبّ النسيم هبوب ذي إشفاق يُذهبن الهوى بجناحه الخفاق

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفي القلائد
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الصدقي) .
(٣) هذه الكلمة واردت في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .
(٤) لم يرد في «ج» و «الزيتونة» من شعر ابن أبي السعال سوى عشرة أبيات ، في حين أن شعره في مخطوط الإسكوريال يملأ عدة صفحات من لوحة ٢٢ إلى لوحة ٢٨ ، ويورد ضمن ذلك الأبيات العشرة التي وردت في المخطوطين . ومن ثم فقد رأينا أن نتبع مخطوط الإسكوريال في إيراد شعره .

باحت لها سراير العشاق
 لعب الغرام بمهجة المشتاق
 لم يبق من تلك الصباية باق
 أنا قد أذنتك مفارق بفراق
 والموت في نظري وفي استنشاق
 قرْبته هَدْيًا إلى أشواق
 والأمن ظِلِّي والشباب رواق
 ضيزى لأن السكر من أخلاق
 ولذلك قام السكر باستحقاق
 بها من بعدما انبسطت بين الساق
 هامت بها الوسطى من الأغلاق
 أنى أدين اللهو دين نفاق
 سدكت يد الملسوع منه براق
 نورٌ تحيِّم من ندى الأحداق
 فأثارها وسرى عن الأحداق
 فتانة الأوصاف والأعراق
 وهى السريرتى فى هواها الباق
 لو شعثت برضا أبى إسحاق

وكأنا صبح الغصون بنشوة
 وإذا تلاعبت الرياح بيـانـه
 مةً يانسيم فقد كبرت عن الصبا
 إن كنتَ ذاك فلست ذاك ولا
 ولقد عهدت سُرَّك من عهد الهوى
 أيام لو عنَّ السلو نلحاطرى
 الهوى إلفي والبطلالة مرَّكبي
 فى حيث قُسمت المدامة قسمة
 لا ذنب للصبياء أنى غاصب
 ولقد صدت الكأس فانقبضت
 وتركت فى وسط الندامى خلة
 فاستسرفونى مذكرين وعندهم
 وحبائبها نفث الحجاب وربما
 وكأنه لما توقر من فوقها
 لو بارح نفث النوى فى روضة
 ولقد جلوا والله يدراً كيدهم
 أغوى بها إبليس قدماً أدمًا
 تالله أصرف نحوها وجدَّ الرضا

ومن نسيبه :

رويت فيها السرور من طرق
 ناراً من الراح برقت حرق

وليه عنبرية الأفق
 وكمت حران فاندحت بها

وافت بها طابلا وقد لبست
فأجابها الدهر من بنيه دُجا
قامت لنا في المقام أوجهُهم
وأطلع البدر من ذرى غصن
من عبء شمس بدا سنانه
مدَّ بجمراء من مُدامته
فخلتها وردة مُنعمة
نشرت في الراح حين نشرتها
وقال :

يا حبذا ليله لنا سلفت
دارت بظلمائها المُدام فكم
وقال [في مُعَنَّ زار ، بعده أغبَّ وشطَّ المزار] (٢) .
[وإني وقد عظمت على ذنوبه
فحما إسـاءته لنا إحسانه
وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم
يخبئكم عنى بمُضجيره بعدى

(٢) ورد هذان البيتان في «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وقد ورد مكانها في المخطوطين (في غائب
آب بعد ما غب المزار) . ويلوح لنا أن عبارة الإسكوريال هي الأرجح . حيث وردت في البيب
الثاني كلمة (أو تاره) ، وهي ما يقترن بذكر المعنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (حظيت) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أنواره) . وفي الزيتونة (أماره) .

(٥) ورد هذان البيتان في «ج» و«الزيتونة» .

فلو قلبتني الحادثات مكانكم
لم تعاموا آتى وأهلى وواحد
لأنهبتها وفرى واو دلاتها خدى
فدا ولا أرضى بتفديية وحدى

ومن قوله في غرض المدح يخاطب تاشفين بن علي^(١) ويذكر الواقعة
بكركى ، يقول فيها :

الله أعطاك فتحاً غير مشترك
أرسل عينان جواد أنت راكبه
حتى يصير إلى الحسنى على ثقة
قد كان بعدك للأعداء تملكه
سارت بك الجردا وطار القضا بها
فما تركت كنياً غير منعفر
ناموا وما نام موتور على خنق
فصبتهم جنود الله باطشة
من كل ميتدو كالنجم منسكدر
فظاعنوك بأرماع وما طعنت
تعجل النحر فيهم قبل موثمه
فالطير عاكفة والوحش واقفة
عدت على كل عاد منهم أسر
كلى هنيئاً مريئاً واشكرى ملسكاً

ورد عزمك عن فوت إلى درك
واضمم يديك ودعه في يد الملك
يهدى سبيلك هاد غير مؤتمك
حتى استدرت عليهم كورة الفلك
والحين قد قيد الأعداء في شرك
ولا تركت نجماً غير منسكك
أسدى إذا فرصة من السلك
والصبح من عبرات الفجر في مسك
تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
وضاربوكم بأسياف ولم تحك
وقدم الهدى منهم كل ذى نسك
فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
بعشه في حنجر رجب وفي حنك
قرتك أسيافه في كل معتك

(١) هو الأمير تاشفين بن علي بن يوسف المرابطى ، أمير المسلمين بالمغرب والأندلس
(٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) . وقد ولاء أبوه شتون الأندلس سنة ٥٢٢ هـ . وقد خاص تاشفين عدة معارك
ظالفة ضد القشتاليين ، كانت منها معركة كركى في سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) . وكركى بلدة
حصينة تقع على مقربة من قلعة رباح جنوب نهر وادى بانه .

فلو تَنَصَّدتِ الهامات إذ نشرت
 أبرح وطالب بباقي الدهر ماضيه
 وكم مضى لك من يوم بنت له
 بالنقع مررتكم بالموت ملتيم
 فخص القباب إلى فخص الصماب
 وكم على حبر محمود وجارته
 وفيت للعفر حتى قيل قد غدروا
 فأسلحتهم إلى الإسلام غدوتهم
 يا أيها الملك السامى بهمته
 ما زلت تسمعه بشرى وتطلعه
 بيضت وجه أمير المؤمنين بها
 فاستشعر النضر واهتزت منابره
 فأخلدك ولن والاك طاعته
 وافيت والغيث زاخر قد بكا طربا
 وتمم الله ما أنشأت من حسن
 وعن قريب تباهى الأرض من زهير سماها
 فعد وقد واعتمد وأجد وسد وأبد

وقل وصل واستظل واستول وانتك
 وحسبك الله فردا لا نظير له تغنيك نصرته عن كل مشترك

ومن قوله في غرض الرثاء ، يرثى الفقيه أبا الحسن بن مغيث :

الدهر ليس على حر يموتين وأى حلق نخطته يد الزمن

يَأْتِي الْعَقَا عَلَى الدُّنْيَا وَسَا كُنْهَا
يَا بَا كَيْمَا فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ عَنْ شَحَطِ
نُورِ تَقْيِيدِ فِي طِينِ إِلَى أَجْلِ
كَالطَّيْرِ فِي شَرْكَ يَسْمُو إِلَى دَرَكِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رِضَى اللَّهِ التَّقَا وَهَمَا
يَا شِدًّا مَا افْتَرَقَا مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَقَا
وَرَبِّ سَارٍ إِلَى وَجْهِ يُسْرُ بِهِ
أَتَى إِلَى اللَّهِ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرَاقٍ لَا بَقَاءَ لَهُ
أَعْيَا أَبَا حَسَنٍ فَقَدَ الَّذِينَ مَضُوا
كَأَنَّ الْبَقِيَّةَ فِي قَوْمٍ قَدْ انْقَرَضُوا
يُؤَدُّ فِدَاءً وَفِي أَثْوَابِهِ رِمَزٌ مِنْ
وَإِنَّ مِنْ أَوْجَدْنَا كُلَّ مُفْتَقِدٍ
مِنَ الْمَلُوكِ إِذَا خَفَّتْ حُلُومُهُمْ
ومنها :

يَا يُوَاسَ لَا تَسِرْ أَصْبَحْنَا لَوْحَشْتَنَا
وَيَا مُطَاعَا مُطِيعًا لَا عِنَادَ لَهُ
كَمْ خَطَّتْ كَارِئِجَاكِ الْبَحْرَ مُبْهِمَةً
طُلُودَ الْمَهَابَةِ فِي الْجَلَا وَإِنْ جَذَبَتْ
أَكْرَمَ بِهِ سَبِيًّا تَلَقَى الرَّسُولَ بِهِ
نَاهِيكَ مِنْ مَنْهَجِ سَمِّ الْقُصُورِ بِهِ
نَشَكُوا اغْتِرَابًا وَمَا بِنَا عَنْ الْوَطَنِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى الْإِسْلَامِ مُؤْتَمِنِ
فَرَجَّتْهَا بُجْسَامِ سُلِّ مِنْ لَسَنِ
عِنَانِهِ خَلْوَةٌ هَزَّتْ ذُرِّي وَتَرَّ
لِحْسِ وَارِدَةٍ فِي الْفَرَضِ وَالشَّنَنِ
هُوَى فَن قَدَّرَ حَالٍ إِلَى قَدَرِ

من كل وادي التقي يسقى الغمام به
تجملت بك في أحسابها مضر
من دولة حوّلها الأنصار حاشدة
من الذين هم رووا وهم نصروا
إن يبدؤ مطلع منهم ومستمع
ما بعد منطقته وشي ولا زهر
أقول وفيها فضل سودده
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
تقيلاً هديته في كل صالحة
ما حلّ حبوته إلا وقد عدا حياً
غرّ الأجابة عند حسن عهدها
علماً وحلماً وترحيباً وتسكّرة
يا وافر الغيث أوسع قبره نزلاً
وطبق الأرض وبلا في شفاعته
وأنت يا أرض كوني مرةً بأبي
وإن تردت بترب فيك أعظمه

فيستهل شروق الضرع باللبن
وأصل مجدك في جرثومة اليمن
في طامح شامخ الأركان والقنن
من عيسة الدين لامن جذوة القنن
فارغب بنفسك عن لخطوع عن أذن
ولا لأعلاق ذاك الدر من تمن
استغفر الله ملء السر والعلن
ها سلاله ذاك العارض الهتن
نصر السوابق عن طبع وعن مرين
بما اختار من أيد ومن ممن
وإن يونس في الأثواب والجنان
للزائرين وإغضاء على زكن
وروماً حول ذاك الدميم من سكن
فنعم رابد ذاك الريف واليمن
مشوى كريم ليوم البعث مرتين
فكم لها في جنان الخلد من ردن

ومن شعره قوله مخمّساً [كتب بها] ^(١)، وقد أقام بمراكش ينشوق إلى

قرطبة :

بدت ^(٢) لهم بالعُور والشمل جامع بروق بأعلام المديب لوامع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وردت في المخطوطين (وكتبت).

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (سجت) والأولى أنسب للسياق .

فباحث بأسرار الضمير المدامع ورُبَّ غمّ رام لم تنله المسامع
[أذاع بها]^(١) من فيضها التصويب^(٢) .

[ألا في سبيل الشوق قلبٌ مؤثّلُ هو المسوت إلا إنني أتحمّلُ
ورايةٌ برقٍ نحوها القلبَ يَجْنِبُ .

أبي الله إماما كل بُعْدٍ فسابت ولا يُلْفِتُ البين المصمّم لافِت
غرابٌ بتفريق الأحبّة يَنْعَبُ .

خذوا بدمي ذاك الوَسِيق المُضْرَجَا عني الله عنه قاتلاً ما تخرّجَا
وفي كل شيءٍ للخيّة مذهب .

سقى الله عهداً قد تقلّص ظلّه وعى به شخصاً كريماً أُجِلّه
ويُلمّهُ بالذكر طَوْرًا ويُشْعَبُ

رمانى على قُربٍ بشرخ ذكائه وغُصّت بأدنى شعبة من سمايه
فأعشّت جفونى نظرة من ذكايه فكل قرب ودع خدييه يركب

ألم يأتته أننى ركنتُ قعوداً ولم أعتصر للذِّكر بعدك عوداً
وأجمعت عن وفز الكلام قعوداً وأزهقتنى هذا الزمان صُعوداً

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ودام بها) .

(٢) هذه المقطوعة الحماسية واردة في المخطوطين .

فَرَبَّعَ الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ سَبَسَبَ .

عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالِ دَعَوْتِ سَمِيمَا
وَتَمَلُّ الشَّعْبَ الْمَذْحِجِي جَمِيعًا
وَأَحْدَاقَ عَيْنِ بِالْحَمَامِ تُقَلِّبُ

وَلَمْ أَنْسَ مَمْسَانَا إِلَى الْقَصْرِ ذِي النَّخْلِ
وَأَشْرَفُ لَا عَنْ عَظْمِ قَدَرٍ وَلَا فَضْلٍ
يَقِيهِ تَبَارِجَ الشَّمَالِ وَيَحْجُبُ .

فَكَمْ تَوَجَّعَ يَنْتَابُهُ بِرَيْسِهِ
إِبْنُ أُمِّ عَمْرٍو فِي بَقَايَا دَرِيْسِهِ
فَرُوقَتُهُ تُسَبِّي الْقُلُوبَ وَتُعْجِبُ

وَبِيضَاءَ لِلْبَيْضِ الْبِهَائِلِ تَعْتَرِيهِ
سِوَى أَنهَا بَعْدَ الصَّنِيعِ الْمُطْرَزِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدِبُ .

وَكَمْ لَكَ بِالزُّهْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّدٍ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَلَا هَيْبَةَ تُخَشِي هُنَالِكَ وَتُرْهَبُ .

لَنَعْمَ مَقَامُ الْخَاشِعِ الْمُتَنَسِّكِ
مَتَى يُوْرِدُ النَّفْسَ الْعَزِيزَةَ يَسْفِكُ
وَأَيُّ مَرَامٍ رَامَهُ يَتَصَبَّبُ

قُصُورٌ كَانَ الْمَاءُ يَعْشَقُ مَبْنَاهَا

وَذَكَرْتُ رَوْضًا بِالْعُقَابِ مَرِيْمَا
وَسِرْبًا بِأَكْنَافِ الرُّصَافَةِ وَيَمَا

بِحَيْثُ تَجَانِي الطُّودَ هَنْ دَيْتِ سَهْلٍ
وَلَسْكَنَدُ لِلْمَلِكِ قَامَ عَلَى رِجْلِ

وَيَرْتَحِلُ الْفَتَى بِأَرْجْلِ عَيْسِيهِ
كَسَحَقِ الْبِيَانِيِّ مُعْتَلِيهِ نَفْسِيهِ

وَتَعْتَرِ بِالْبَيَانِ جَلَالًا وَتَنْتَزِي
كَسَاهَا الْبَيْلَى وَالشُّكْلُ أَثْوَابُ مُعْوِزِ

وَوَقْفَةُ مُنْسَقِ الْجَمَاعِ مُقْصِدِ
وَيَهْتِكُ حُجْبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ

وَكَانَتْ فِي مَحَلِّ الْعَبْشَمِينَ الْمَلِكِ
وَإِنْ يَسْمُ نَحْوَ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَمْلِكُ

فَطَوْرًا يَرَى تَلْجَا بِمَفْرَقِ أَعْلَاهَا

إِذَا زَلَّ وَهَنًا مِنْ ذَوَائِبِ يَهْوَاهَا

وَكُلُّهُ مُنِيفٌ لِلنَّجْمِ مِرَاهِقٌ
فَأَوْدَعَ فِي أَحْشَائِهَا وَالْمَفَارِقِ

تَنَاصَفَ أَقْصَاهَا جَمَالًا مَعَ الْأَدْنَى
تَوَافَقْنَ فِي الْإِتْقَانِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى

وَأَيْنَ الْغُصُونِ الْمَائِثَاتِ بِهَا مَيْلًا
وَأَيْنَ الثَّرَى رَجُلًا وَأَيْنَ الْحَصَاخِيلَا

وَكَمْ فَوَوَّحَتْ فِيهَا الرِّيَاضُ الْمَجَامِرَا
وَكَمْ قَدْ أَجَابَ الْعَلِيرُ فِيهَا الْمَزَامِرَا

وَيُجْبَى إِلَى خَزَائِنِهَا الْبَرْهَ وَالْبَحْرُ
وَيُصْبِحُ مَخْتَوْمًا بِطَيْنَتِهَا الدَّهْرُ

وَنَاصِحَةٌ تُعْزَى قَدِيمًا لِنَاصِحِ
يُنْخَبِرُ عَنْ عَهْدِ هُنَالِكَ صَالِحِ

وَطُورًا يَرَى خُلُخَالَ أُسُوقِ سُفْلَاهَا

يَقُولُ هَوَى بَدْرًا أَوْ انْقَضَ كَوْكَبِ

أَتَاهَا عَلَى رَغَمِ الْجِبَالِ الشَّوَاهِقِ
وَكَمْ دَفَعَتْ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ بَعَانِقِ

حَسَابًا بِأَنْفَاسِ الرِّيَاحِ يَنْدَرِبِ

هِيَ الْخُلُودُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمِ حُسْنًا

وَدَرَجٍ كَالْأَفْلَاقِ مَبْنَى عَلَى مَبْنَى

وَأَسْبَابِ هَذَا الْحُسْنِ قَدْ تَتَشَعَّبِ

فَأَيْنَ الشَّمُوسِ الْكَالِفَاتِ بِهَا لَيْلًا

وَأَيْنَ الظُّلْمَا السَّابِحَاتِ بِهَا ذَيْلًا

فَوَا عَجِبَا لَوْ أَنَّ مِنْ يَتَعَجَّبِ

كَمْ احْتَضَنْتَ فِيهَا الْقِيَانَ الْمَزَاهِرَا

وَكَمْ سَاهَرْتَ فِيهَا الْكُورَا كَبِ سَامِرَا

عَظِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا شِعَاعِ مُطَنَّبِ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يُقْضَى بِهَا النَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وَيُسْفَرُ مَخْفُورًا بِذِمَّتِهَا الْفَخْرُ

وَأَيَّامُهُ تُعْزَى إِلَيْهَا وَتُنْسَبِ

وَمَالِكٍ مِنْ ذَاتِ الْقِيَمِيِّ النَّوَاضِحِ

وَذَى أَثَرٍ عَلَى الدَّهْرِ وَاضِحِ

وَيَعْمُرُ ذِكْرَ الذَّاهِبِينَ وَيَخْرُبِ

تَصَعَّدُ مِنْ سِفْلٍ وَأَقْبَلَ مِنْ عَلِيٍّ
وَمَا اتَّفَقَا إِلَّا إِلَى خَيْرِ مَنْزِلٍ
فَسَارَا إِلَى وَصْلِ النَّضَاءِ وَسَافَرَا
فَقَالَ وَلِيُّ الْحَقِّ مَهْلًا تَظَافَرَا
وَأَنَّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ النُّصْفَ مُنْبَتُّ
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَقُّ وَأَتَجَهَّ السَّمْتُ
وَمُسْتَشْرِفًا يُلْهِى الْعَيُونَ وَمَنْظَرًا
وَجَوْسِقَ مَلِكٍ قَدْ عَلَا وَتَجَبَّرَا
تَلَاقَى عَلَيْهِ فَيْضُ نَهْرٍ وَجَدُولٍ
فَهَذَا جَنُوبِيٌّ وَذَلِكَ شِمَالِيٌّ
وَالْإِنِّ الْفَضْلُ مِنْهُ مُجَرَّبٌ
كَأَنَّهُمَا فِي الطَّيِّبِ كَانَا تَنَافَرَا
وَمَا تَلَاقَى السَّابِقَانِ تَنَاضَرَا
فَكُلُّمَا عَذْبُ الْمَجَاجَةِ طَيِّبٌ
أَلَمْ يَعْلَمَا أَنَّ الْأَلْبَاجَ هُوَ الْمَقْتُ
وَمَا مِنْكُمَا إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا وَقْتُ
تَقَشُّعٍ مِنْ نَوْرِ الْمُرْدَةِ غَيْبٌ .
وَأَنَّ لَهَا بِالْعَامِرِيَّةِ الْمَظْهَرَا
وَرَوْضَنَا عَلَى شَطْرِ خَضَارَةِ أَخْضَرَا
لَهُ تَرَّةٌ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ تُطَلَبُ
غَيْرُهُ فِي عُتْفَوَانِ الْمَوَارِدِ
وَأُبْرُزُهُ لِلْأَرِيحِيِّ الْمَجَاهِدِ
حَفِيزَتُهُ فِي صَدْرِهِ تَتَلَهَّبُ
تَقَدَّمَ عَنْ قِصْرِ الْخِلَافَةِ فَرَسَخَا
فَخَالَتَهُ أَرْضُ الشُّرْكِ فِيهَا مُنَوَّخَا
فَرَدَّعَتْهُ فِي الْقَلْبِ تَسْرِيٌّ وَتُرْهَبُ
أُولِيكَ قَوْمٌ قَدْ مَضُوا وَتَصَدَّعُوا
فَهَلْ لَمْ رِكْزٌ يُحْسُّ وَيُسْمَعُ
إِلَّا أَنَّهُمْ فِي بَطْنِهَا حَيْثُ غَيْبُ .

وَأَنْ بِيَاضِ الصُّبْحِ لَيْسَ بِنَدَى خَفَا
وَكَأَنَّ حَدِيثًا لِلْفُؤُودِ مُعْرِفًا

أَخْلَاءَ صِدْقٍ كَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأُرْجِعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ

وَلَا بِمِثْلِ إِخْوَانِي بِعَفْنَاكَ إِخْوَانِ
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهْ شَانِ

وَأَنْتِ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعِ
وَكَلِّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعِ

وَدَانَتْ لَمْ فِيهَا مَلُوكِ الطَّوَايِفِ
بِكُلِّ حَسَامٍ مُرْهَفِ الْحَدِّ وَاعْفِ

وَكَعْبَتِهَا نَدَا الْوُفُودِ وَيَمَّحُوا
وَغَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرِهِمْ وَتَحَرَّمُوا

هُوَ أَوْكَ مَخْتَارٍ وَتُرْبِكَ مُنْتَقَا
وَيَدَّتْكَ مَرْبُوعِ الْقَوَاعِدِ بِالثَّقَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا
وَكَمَ رَسَمَ دَارٍ لِلْأَجْنَةِ قَدْ عَفَا
فَأَصْبَحَ وَحَشَّ الْمُنْتَدَى يُتَجَنَّبُ

وَاللَّهُ فِي الدَّارَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
أَشْيَعُ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَبْيَضٍ نَاصِعِ
فِي الْيَتَنِ فِي قِسْمَتِي أَنْهَيْبِ

أَقْرَبِيَّةٍ لَمْ يُثْنِنِي عَنْكَ سُؤْلَانُ
وَإِنِّي إِذَا لَمْ أُسَقِّ مَاءَكَ ظَمَّانُ
وَمَوْطِنِي آثَارُ تَعَدُّ وَتُكْتَبِ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطْوَى وَيُرْفَعُ
إِلَيْكَ تَنْهَاهِي وَالْحَسُودُ مُعَذِّبِ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخَلَائِفِ
وَعَضَّ تِقَافِ الْمُلُوكِ كُلِّ مُخَالَفِ
بِهِ تَحْقِنِ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسْكَبِ

إِلَى مُلْكِهَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا
وَفِيهَا اسْتَفَادُوا شَرْحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا
فَنَكَبَ عَنْهُمْ صَرْفَهُ الْمُنْتَسَحِبِ

عَلَوْتَ فَمَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَقَا
وَجِسْرُكَ لِلدُّنْيَا وَاللَّذِينَ مُلْتَقَى

إلى فضله لأُكباب تُنفض وتُضرب

تولى خيار التابعين بقاءه

ومدّوا طويلا صيته وثناءه

ولا زال سعى الكايدين يُخَيِّب

وبالغ فيه كلُّ أروع أُصَيْد

وشادوا وجادوا سيِّداً بعمد سيد

يقوم عليه الثناء ويخطب

مصاييحه مثلُ النجوم الشّوابك

وتحفظه من كلِّ لاهٍ وسالك

فإبشارهم بالطَّبِطبية تُنهَب

أجدك لم تشهد بها ليلة القدر

وقد أُسِرِجت فيه جبالٌ من الزُّهر

لأوشاك نور الفجر يَفِي ويَنْضَب

كأنَّ للثرياوات أطوادٌ من ترجس

وطيب دخان الثُّد من كلِّ مُعَطَس

وأذياله فوق الكواكب تُسحب

إلى أن تبدت راية الفجر تزحف

تولوا وأزهار المصاييح تُنطف

كما تُنصل الأرماع ثم تُركب

سلامٌ على غيابها وحضورها

وخطّوا بأطراف العوالم فناءه

فلا زال مخلوعٌ عليه سَناءه

طويل المعالي والمكارم واليد

فبادوا جميعاً عن صنيع مُخلِّد

تمزّق أبواب النجوم السّوالك

أجادل تنقضُّ انقضاض النّيّازك

وقد جاش برُّ الناس منه إلى بحر

فلو أن ذلك النور يُقبس من فجر

ذوائبه تهفو بأذنى تنفس

وأنفاسه في كلِّ جسم وملبس

وقد قضى الذى لا يُسوف

وأبصارها صوتاً تغضُّ وتطرف

سلام على أوطانها وقصورها

سلام على صحرايها وقبورها
فحسن دفاع الله أحمى وأرهب
وفي ظورها المعشون كل مرفع
متى تاته شكوى الظلّامة تُرفع
من الله في تلك المواطن يُقرب
وكم كربة مليء الجوانح والقلب
بروعتها قبر الولي لى وهب
فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب
فيا صبحي حان قبلك مصرعي
فخط بضاحي ذلك الشرى مضجعي
فعندهم للعجار أهـل ومرحب
رعى الله من يرعى العهود على التوى
ولبيته من مستحكم الوُدّ والهوى
وأهدى سبيله الذي يتجنب

ولا زال سور الله من دون سووها
وفي بطنها الممشوق كل مُشفع
وكل بعيد المُستغاث مُدفع
طرقت وقد نام المواسون من صخب
وناديت في التراب المقدس ياوب
وكنت على عهد الوفا والرّضا معي
وذرتني نجار القوم غير مُروّع
ويظهر بالقول الحبر ما نوى
يرى كلّ وادٍ غير واديه مجتوى
[١]

كتابه

وكتابة ذى الوزارتين رحمه الله ، كالشمس^(٢) ، شهرة ، والبحر^(٣) والقطر

(١) إن جميع الشعر الخاسى المحصور بين الخواصر وارد كله في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الشمس) .

(٣) ساقط في «ج» وواردة في الإسكوريال والزيتونة .

كثرة ؛ ونحن تثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه .
كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ، من رسالة ، كتب بها إليه مع حاج
يضرب القرعة :

أطال الله بقاء وليي^(١) ، وإمامي^(٢) ، الذي له إكباري وإعظامي ، وفي سلكه
اتساعي وانتظامي ، وإلى ملكه انتسابي واعتزالي ، وبودده افتخاري وانتراني^(٣) ،
للفضائل مجيباً ومبدياً ، وللمحامد مشتملاً ومُرْتدياً^(٤) ، وبالغرايب مُتَحَفّاً ومُهَيِّداً ،
[ولازال الرِّخاء وأزل ، وجدّ من المصافاة وهزّل ، وسحّت من المراعاة وجزل]^(٥) .
وصل كتابه صحبة عراف اليمامة ، وفخر^(٦) تجمّد وتيهامه ، [يُقرّظه ويزكّيه ، ويصمّه
بالخب^(٧) يفسّره ويُجلبه]^(٨) ، وانخفي^(٩) يظهره وييديه . ولعله رائد^(١٠) ، لابن
أبي صايد ، أو هاد للمسيح الدجال قايد . أشهد شهادة إناصاف ؛ أن عنده لعَضْباً
صاف^(١١) ، ولو كان هناك ناظر صادق^(١١) طاف ، والله خنايا الأنطاف ، لقلتُ
هو باد غير خاف ، من بين كل ناعلي وحاف . وسأخبرك أيديك الله ، بما
اتفق ، وكيف طار وتمعق . وتوسّد الكرامة ، وارتفق ، [طرّق له وصمك

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ريسي) .

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في «ج» و«الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مجنديا) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» مع فروقات يسيرة ؛ وساقط في «ج» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وحادي) . والزيتونة (وحرا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحق) .

(٨) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . ومكانه في «ج» عبارة (بقرظه

ويجلبه) فقط .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (والخفا) .

(١٠) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (أمداق) .

(١١) وردت في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

وَنَعْتِكَ ، وَثَقَّفَهُ بَرِيكَ وَنَحْنُكَ ، وَرَفَعَهُ لَلْعِيُونَ جَدُّكَ وَبِجْتِكَ [(١)] ، وَامْتَدَّتْ
نَحْوُهُ النَّوَاطِرُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ الْغَايِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ النَّابِهَ (٢) وَالخَامِلُ ،
وَازْدَحَمَ عَلَيْهِ الْعَاظِلُ وَالْعَامِلُ . هَذَا يَلْتَمِسُ مَزِيدًا ، وَذَلِكَ يُبْتَغَى حِظًّا (٣) جَدِيدًا ،
وَهَذَا يَطْلُبُ تَقْلِيدًا ، [وَذَلِكَ يَسْأَلُ إِلَى مَعَالِيْقِهِ إِقْلِيدًا] (٤) . فَكُلُّمَا حَزَبٌ ،
وَعَلٌّ وَجَلْبٌ ، حَلَبٌ وَاسْتَدْرٌ ، وَتَلْقَاهُ [وَإِنْ سَاءَهُ الْغَيْبُ] (٥) بِمَا سَرَّ . وَكُنْتُ
وَاتَعْتُ جَمَلَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَوَأَفَقْتُ نُكْلَةً مِنْ جِلَّةِ الْإِخْوَانِ ، عَلَى تَمَشُّيَةِ أَمْرِهِ ، وَتَوَشُّيَةِ
ذِكْرِهِ ، فَلَمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، وَاسْتَوَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، أَحْضَرْنَا لَهُ السَّبَّارَ ،
وَأَقْعَدْنَا لَهُ النَّقْدَ وَالْإِخْتِيَارَ ، وَأَرْدْنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى جَلَالِهَا تِلْكَ الْأَخْبَارَ ، فَأَحْضَرْنَا
طَحْنًا وَنَطْمًا ، وَسَرَيْنَا عَنْهُ مِنَ الْوَحْشَةِ قَطْعًا ، وَقَانَا لَهُ خِذَّ حَفْوِكَ ، وَلَا تَوَرِّدْنَا (٦)
إِلَّا صَفْوِكَ ، وَلَا تَصَائِعُنَا فِي السَّكْرِيَّةِ الَّتِي نَرَاهَا ، وَالْحَادِثَةَ تُسْتَفْظَعُ ذِكْرَاهَا ،
فَمَا عِنْدَنَا جَهْلٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا مُحْتَنِكٌ كَهْلٌ ، لَا يَتَكَادَهُ حَزْنٌ ، وَلَا يَسْتَخْفَهُ
سَهْلٌ ، فَسَكَنَ جَائِشُ فَوْزِهِ ، وَضَرَبَ بِلِحِيَّتِهِ عَلَى زَوْرِهِ ، ثُمَّ صَدَّدَ فِينَا النَّظَرَ وَصَوَّبَ ،
وَاسْتَهْلَ صَارِخًا وَثَوَّبَ [وَتَحَرَّجَ مِنَ الْكُنْبِ وَتَحَوَّبَ] (٧) ، وَقَالَ لَسْتُ لِلْعَشْرَةِ
خَابِئًا ، وَلَا لِلطَّرْفِ غَامِضًا ، وَلَا عَنِ الصَّدَقِ إِذَا صَدَعَ حَائِدًا ، وَلَا لِلْعُدْرِ مَمْنٌ وَقَعَ
مِنْهُ ذَائِدًا ، وَلَا بِمَعْجَزَاتِ النَّبُوَّةِ لَاعِبًا ، وَلَا لِعَمْرِيحِ الْجِدِّ مُدَاعِيًا ، وَلَا تَطْيِبُنِي
مَسْأَلَةً وَلَا حُلُوانَ ، وَلَا تَسْتَفْزِنِي لَضَائِدَ كَثِيرَةً وَلَا أُلُوانَ . إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ وَخَطٌّ ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (التيه) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (شينا) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و« الزيتونة » . وساقط في «ج» .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي « الزيتونة » (تزدنا إلى) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

ورفع وَحَطَّ ، ونَحَسَّ وسَعَدُّ ، ونَقَدَّ ووَعَدُّ ، ويوم وُعْدٌ ^(١) . فقلنا له الآن صحَّت
 الو فاده [وأَيْتَمَّتْ الإرادة] ^(٢) . ثم نظر إلينا نظر المستقل واجتنب النطع اجتذاب
 المُدِل ^(٣) ، ونثل الطَّيِّبُ وهاله ، وأداره حتى [استدار هاله] ^(٤) ، ثم قال يا أيها
 اللأ هذا المبتدأ ^(٥) ، فأيسم يبدأ . فرمى القوم بأبصارهم ، وفغروا وكبروا ،
 وليتهم [عند ذلك] ^(٦) صغروا . فقلت يا قوم قد عضضتُ على ناجذني حِلْمًا ،
 [وقلت شأني كَأَ عِلْمًا] ^(٧) ، [وعقدت بيني وبين غدٍ سَلْمًا] ^(٨) ، فكيف
 أسنكشيف عما أعرف ، وأسبقهم عما لا يستبهم . على الرحمن توكلت ، وعلى
 الشيطان ترشكت ، ومن كسبي أكلت ، [وفي مَبْرَكِ السَّلَامَةِ بِرَكَتٍ] ^(٩) ،
 وجيأت الأمور تر كَثِي وتَرَكْتُ ، والنفس ^(١٠) المطمئنة رجوت ، ولعلني
 قد نجوت ، [وأصبت فيما نَحَوْتُ] ^(١١) . فلحظتني عند هذه المقالة عينه ،
 وطواني ^(١٢) صدقه وميننه . [ثم صار القوم دوني أنجية ، وأعدُّ له كل تورية

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وبعد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين «ج» و«الزيتونة»
 (وتعينت الزيادة) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (المستقل) . وفي الزيتونة (المقل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استهاها) .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (النبا) .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وورد مكانها في «ج» (وقلت
 كل ذلك أتقنه حفظا) .

(٨) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كالتالي
 (وعن مبرك الشيطان نكلت) .

(١٠) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (المسة) .

(١١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» و«الزيتونة» (صدقت -
 أصبت فيما قد رجوت) .

(١٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وأدهشني) .

وتعمية . فقال قائل منهم ، تعالوا اشترك في ضمير ، ونزّمه بهذا الطاغية ابن رذمير [(١)] ففي كل قلب منه ندب كبير ، والسؤال عنه دين وأدب ، فإن أصابه استرحنا من النصب والشُّخوص . وجرنا من العموم إلى الخصوص ، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ ، ولما يدعيه ويريدُه منه أبطأ . فقالوا نعم ما عرضت ، وأحسين بما رويت وفرّضت . فلما رأيناه يُثقل التّريض ، ويُحْكَم التّقرير والتعويض ، قلنا له حقّ ضميرك كل التحقيق ، وضع مسبّحتك في الدقيق . [فابتدو ما أمر] (٢) وحسّر عن ذراعه وشعر ، ومرت أصبمه في خطّه مر الذرّ المتهالك ، ووقعت وَقَع القطر المتدارك ، [لا تمس الطّحن إلا تحليلا ، وعمزاً كالوهم قليلا] (٣) فطوراً يستقيم سبيلا ، وتارة يستدير إكليلا ، وآونة يأتي بالسما ونجومها قميلا . فكان هنالك لنعش من بنات ، وللثريا من إخوات ، وطير قابضات ، وصافات وأسراب ناشرات خافقات . فلما استوفى عدده ، وبلغ أمدّه ، وختم طرائقه وقيدّه ، وأعطى الأصول وفروعها ، وتدبر تفاريقها وجموعها . فجمع وتقبّض ، وفتر ثم انتفض ، [وصعد ذهنه وتسافه ، وأخذ الطّحن فسافه] (٤) ، وزفر وشهق ، وعشّر ونهق ، والبصق بظهره حشاه ، وكنم الرّبّو ثم أفشاه ، وقال هذا الذي كنت أخشاه ، عمّيت الأثر ، [وكنتم حقيقة الخبير] (٥) . [وعثرتم خاطي فما عثّر ، ونثرتم نظام الحدس فما اثتر] (٦) .

(١) هذه العبارة ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال . ولم يرد منها في المخطوطين سوى عبارة (ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذمير) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «الزيتونة» كالأتي (لا تمس

الضخمي إلا عليلًا ، و عمراً كالوهم ولو خليلاً) . وهي ساقطة في «ج» .

(٤) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٥) ما بين الخاصرتين واردة في المخطوطين . وساقط في الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» وساقط في «ج» .

سألتم عن رُوح شارد وشيطان مارود، وصادر مع اللحظات وارد. لا بوطن داراً .
ولا يأوى قراراً ولا يُطعم النوم إلا غيراراً . نعم أمره عندي مستقر . هو
زِنْدِيقٌ مُسْتَمْتِرٌ، وشهاب من شُهَبِ السكفر مستمر . ثم رجَّع البصر واختصر .
وعاد إلى الحساب يتقرّاه، والصواب يتجرّاه . وتتبع أديم الطّحن فقراه . وقال
أعوذ بالله من شرّ ما أراه . إلى كم أرى في غلاء وبلاء ؛ كأنى لست ذا أمرار
وأحلاء ، تالله لو كانت قرعة رفعة وعلاء ؛ ما غاب عني اللّحياني ذو السبلة ،
ولواجهنا البياض ذو الغرة المستقلة ، مواجهة حسان جبّله . النّحس على هذه
الروح قدرُتَب (١) ؛ وكُتِبَ عليه [من الشقاء] (٢) ما كُتِبَ ، وأخرج النّصرة
الداخلة من العتب . ثم أشار إلى الحجرة ، وكأنما وضع يده على بجرة ، وقال
كُوَسِّجَ نَهْيٌ ، وسِنَاطُ الوجه شَقِيٌّ ، وثِقَافٌ وطريقٌ ، وجماعةٌ وتفريقٌ ، وقَبْضٌ
خُلُوجٌ ، وَمَنْسُكُوسٌ مارج . ثم وضع عمامته ، ولوَلَب (٣) هامته ، وأمال وجهه
فجراً طلقاً ، ثم عرضه بجنباً مُطْرَقاً ، وعقد أنامله عضاً . [وأدعى صدره دعاً ورضاً ،
وقطع بصره لهاً وعضاً ، وتكفناً وتقلعاً] (٤) وأذّلع لسانه فاندلّع . فقلنا شرٌّ
تأبطه ، أو شيطان يتخبّطه ، أو قرين يستزله ويختله (٥) أو رؤى في الذرة
والغارب يفتله . [ثم تجاحظ وتجادر . وتضائل وتناذر] (٦) ، وقال ، والذي أحيا
عازر ، وأخرج إبراهيم (٧) من آزر ، وملك عِنان الريح وأذعن له كل شيء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (غلب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (من التآوه) . وهي ساقطة في «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أبدى) . والزيتونة (أو أركب) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (ويختلبه) .

(٦) هكذا ورد ما بين الحاصرتين في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثم تجاحظ وتكادن ،

وتضائل وتبادن) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (البرائح) .

بالسجود والتسبيح ، إنه لمن عباد المسيح . هيهات هيهات . لا أضعف بظن ، ولا يُعمق لي بشن ، ولا أنزع من هذه الفنون في فن . قد ركبت أتباج البحار ، وقطعت نياط المفاوز والقفار . وشافهني الحرم والبيت ، وصاغني الحجر الكميئ ، وأحرمت وآبيت ، وطفت ووقيت ، وزرت المصطفى صلى الله عليه وسلم ومحفيت . ثم ملت على عدن ، وانحدرت عن اليمن ، واستسقيت كل راعدة ، وأتيت كل قاعدة ؛ ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعدة ، ووردت عنكاظ ، وصدقت الحفاظ ، وقدت العصية بنسح ، ومسحت الشامات بأخمس وتسع ، ووقفت حيث وقف الحكمان ، وشهدت زحف الثركان ، وكيف تصاولت القروم ، وغلبت الروم ، [وهزم المدبر المقبل ، واكتسحت الجحاش الإبل]^(١) . فقلنا لله أنت ، لقد جليت عن نفسك ، وأراني يومك على أمسك ، ولقد صدق مطريك ، ووفت صحيفة تزكيتك ، [وما كانت فراستنا لتخيب فيك]^(٢) . فماذا تستقرى من اللوح ، وتري في ذلك الروح ، يعيشك [ألا ما أمتعتنا]^(٣) بالإفشاء والبوح . فرجع في البحث أدواجه ، وطالع كواكبه وأبراجه ، وظل^(٤) على مادة الطحن ، يرقم ويرمق ، ويفشق ويرتق . ثم جعل يينسم ، وقال أحلف بالله وأقسم . لقد استقام النسم ، وإنه لسكا أرسم وأيسم ، وإنى لا أجده إلا لاغباً مبهراً ، ومنكرداً مقهوراً . ولن يلبث إلا شهوراً ، قد أفل طالع^(٥) جدّه ، وفلّ حدّه . وأتى عليه نقي خدّه ، وصبي لم يملك أبوه ومالك

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (وما كادت

مراصة - فراستنا لثناء فيك) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الاما أمتنت) .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» والإسكوريال .

جَدُّهُ ، فقلنا صرحت وأوضحت، وشهرت هذا المستور وفضحت وإن ساعدك
 قدر، وكان لك عن هذا الورود صدر، فحظك مبتار؛ وخطك^(١) صاف لا يشوبه
 كدر . فقال هذا أمر قد آن أو كان ، وسيأتيكم الخبر الآن . فانفصلنا وأصغينا
 الأذان ، وجعلنا نتلقى الرُّكبان ، فلم يرعنا إلا النعمى الناجمة ، والبشرى
 الهاججة بما بان ، فأدهنا في شأنه ، ولم يكن يعاوده خوف طفيانه ، فإذا الخبر لم
 يَحْطُ صِماخه ، وكأتما كان عوداً وافي مناخه ، أو طيراً أمّ أفراخه . فلم ينشب
 أن أقبل يصمد نحونا أي صمد، ويتعرضنا على محمد ، تعرض الجوزاء للنجوم؛
 [وينقض انقضاء نيازك النجوم]^(٢) ، وقال ألم يأن أن تدينوا لي بالإكبار،
 وتعلموا أنى من الجهابذة السكبار ، فقلنا منك الإسجاح، فقد ملكت ومنك
 ولك النجاح ، آية سلكت . فأطرق زهواً ، وأعرض عنا لهواً ، وقال اعلوا
 أن القرعة لو طوت أسرارها ، ومنعتنى^(٣) أخبارها ، لمزقت صدارها ، وذروت
 غبارها ، ولـكان لي عنها أوسع مُنتدح ، وأنجد زناد يقُدح ، أين أتم عن
 رصدي الأحلاك ، وعلمي بالأفلاك ، أنا في مَرَج الموج ، وأوج الأوج ، والمتفرد
 بعلم الفرد والزوج ، ومُسْترط السرطان ، ومُسْتدِير الدبران ، وبائع المُشترى
 بالميزان ، والقابض بيوم^(٤) الحساب والعمل ، على روق الشور وذنوب الحمل ،
 [أعقد نصل العقرب]^(٥) ، وأقيد الأبعد والأقرب ، لصيد أوابدها بالدقايق

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (ولحظك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (وانقض انقضاء المارد

المرجوم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (غيبتنى) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بيد) . والأولى أرجح

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (عندى نصل العقرب)

والأولى أرجح .

والدَّرَج ، اِحْقِ اضْعُرُّ سَارِحَهَا إِلَى الْحَرَجِ ، وَأَصْبِغْهَا فِي أَضْيِقِ مُنْعَرَجٍ [(١) ،
] أَنَا اسْتَدْرَكْتُ بِالْأَنْبَارِ فَرَحَةَ الْإِقْبَالِ وَتَرَحَةَ الْإِدْبَارِ [(٢) ، وَطَالَمْتُ إِقْلِيدِسَ ،
 فَاسْتَنْبَطْنُهُ ، وَصَارَعْتُ الْمَجْسُطِي فَجَسَطْنَتْهُ ، وَارْتَمَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ بِمَاطِيقِي ،] وَأَطَقْتُ
 الْأَوْطِيقِي [(٣) ، وَلَحِظْتُ التَّحْلِيلَ بِحُلِّ مَا عَقَدَهُ ، وَانْتَضَيْتُهُ مَا مَطَّالٌ بِهِ الْجِهَابِذَةُ ،
 فَنَفَذْتُهُ . وَعَايَنْتُ (٤) زُحْلًا ، حِينَ اسْتَقَلَّ عَلَى بَعِيرِهِ (٥) وَرَجَلَ ، وَضَايِقْتُهُ فِي سَاحَتِهِ ،
 وَحَصْرْتُهُ فِي مِسَاحَتِهِ ، وَحَضَرْتُ قِرَانَهُ ، وَشَهِدْتُ تَقَدُّمَهُ وَمُرَانَهُ ، وَشَاهَدْتُهُ
 [شَفْرًا بِشَفْرٍ] (٦) ، وَنَاجَانِي بَرَقًا يُعَدُّ فِي الْكُفْرِ ، وَتَخْرِيبُهُ لِمُلْكِ الصُّفْرِ ،
] وَتَفْرِيقَهُ لِبِلَادِ اللَّطِينَةِ [(٧) وَإِنْجَازِ الْوَعْدِ فِي فَتْحِ قُسْنَطِينَةَ . أَنَا عَقِدْتُ رِشَا
 الدَّلْوِ ، وَذَرَوْتُ غُبَارَ الْحُرْتِ لِلْفُلُو . أَنَا اقْتَدَحْتُ [سَقَطَ الْجَوْزَهْرُ] (٨) ، فَفَلَّاحُ
 بَعْدَ خَفَايِهِ وَظَهَرَ . أَنَا اسْتَشْرَتُ (٩) الْهَلَالَ مِنْ مَكَانِ سَرِّهِ ،] وَأَخَذْتُ عَلَيْهِ
 ثَنَائِيًا بِشَفْرِهِ [(١٠) ، وَقَدَدْتُ قَلَامَتَهُ مِنْ ظَفْرِهِ ، وَدَلَّتْ طَيْرَ الصَّائِرِ عَلَى شَجَرِهِ ،
 فَجَنَيْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ ، أَنَا طَرَقْتُ الزَّهْرَةَ فِي خِدْرِهَا ، وَصَالِحْتُمَا مِنَ الْفِكْرَةِ بِيَدِ

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (واضطر من ها هنا إلى
 الحرج ، وأجمعهم في ضيق المنعرج) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال . (أنا استدركت بالانبار ، حركة الإقبال
 والإدبار) . والأولى أبلغ معنى .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال (أنا عادلتي) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزيتونة » . وفي « ج » (رحيله) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (شبرا وشبرا ... شبرا بشبرا) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وتقريره لبلادهم طينه) . والأولى

أدل على المعنى .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (زلند جوزائه - الجوزاء) .

(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استخرجت) .

(١٠) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزيتونة » . وساقطة في « ج » .

لم تَدْرِهَا . أنا أذ كيت على ذكاء فظلمت تَلْتَهَب . وأخرزتها من الوهم شَطْنَا ،
 [أجذبها به فتنجذب] ^(١) . أنا أنى المعتبرين حياتها ، [فيشبهون الحسنة ،
 ويتحرون أوقاتها ، حتى تنتشر بعد الطي حياتها] ^(٢) ، وتستقيل من العنار
 آياتها . أنا انتضيت للشباب شرخاً ، وأضمرت للمريخ عقاراً ومرخاً ، حتى أتفاني
 بلاحم حُروبه ، وحوادث طلوعه وغُروبهِ ، وتلمظهِ إلى النجيب ، وولوغهِ في مُهجة
 البطل السجيع . أنا أبرى من اللَم ، وأشفى من الصم ، وأنقل العَطس إلى الشَّم .
 قتلنا أما الأولى ، فقد سلمنا لك جميعها ، وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها . قال
 فلم تعجزون ولا تستعززون . قتلنا من كان له علاج فينبفسه يبدأ ، ونغب بغيره .
 ولسنا نريدك ، ولكن تهتره يدك . قال أما من يذهم روى . وألقى في رُوعه
 ما ألقى في رُوعى ، فشله كالصارم ، حُسْنُهُ في فِرْدُهُ ، لا غمده ، وجماله في
 حدّه لافي خدّه ، والمرء كما قيل بأصغريه ، لا بمنخريه ، والشأن في الخيزوم ،
 لا في الخيشوم ، وفي الذُكرين ، لافي الأنثيين ، وبعد فهو كلام ظاهره إجمال ،
 وباطنه احتمال ، وسأنبئكم [بغزارة سيّله ، وفجر ليله] ^(٣) . أما الأفطس فيدلى
 الضغنة ، ويتزوج في آل جفنه . فإن الله أنم ، جاء الولدُ أنم ، وإن نام عرقُ
 خاله ، بَقِيَ الولدُ بحاله . وأما الأصم ، فيخرج عن الغلام ، وبلا فال ، ويدالب في بنى
 السميعة بركة الإنسيّة والغال ، فإن الله أراد ، ظفر بالمراد ، وجاء ابنه ^(٤)
 أمتع من قراد . فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً ، وعين طرفاً غَضِيضاً ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (حتى جرت جرى المذهب) .

(٢) هذه العبارة واردة فقط في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ح» (فجر سيّله لا بفجر ليله) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الولد) . والمردى واحد .

افتعسك وتشدّر [١] ، وطوف وحذر ، وقال صاحب الشريعة ، سأمهم بني السميعة ، قوموا يا بني السميعة ، فقد قطعتم رزقي ، وأذيتم [٢] طريقي ، وأذلتهم ضربتي وطريقي ، وسددتكم طوقي ، وأخذتم على أفقي غربي وشرقي . [ذروني لتي هي للبليّة تجني ، ثم الوجد يعني . لو شرب نواديه إثر تجني] [٣] . ثم نجا بعزمته سميلاً ، وأرسل بنات نعش ذيلاً ، وقد أفاد بما استصحب من ميامنك ليلاً [كذبني أيدك الله عند نواه] [٤] ولم يُطعني طلع ما نواه ، وما ذاك إلا لمطعم نواه ، ومعتم هواه فرُفعت لي بعد وداعه نجوه ، ورمتني بشخصه نجوة [فقلت ما أراك إلا غائل ، أورتك عنك الجبائل] [٥] . فسراك سرى قين ، وحديثك ميين ، ألم تعبر دُجيلاً ، ويهمت سهيلاً . فقال طربتُ إلى الأصفية الصغار ، وشاقني الشوق بين الطواغيت والأصفار . فقلت له هلم إلى خطّ نعيده ، وحظّ نستفيده . فقال لولا أن تقولوا الساعة متى ، وتطالبوني بإحياء الموتى ، لما أجمعتُ إلى الغرب غروباً ، ولأريتكم من الخندق ضروباً . ثم قال إن لي بالخضرة أفراناً ، وأما استصرختُ عليها استصراناً ، والسلختُ منها السلاخاً ، وأعيا عليّ أمره ، فلم أعلم له طعمناً ولا مناخاً . فلبثت كذلك أياماً ، قد اهتمتُ على أمره اعتيماً . ولم أعرف له إنجاداً ولا اهتماماً [٦] ، فإذا به وقد اضمرتُ عنه بأساً ، ولم أطمع فيه رأساً ، قد أشبّ لي شباباً ، ولمعت صاعته شهاباً ، تسكتنفه صرة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فتكاد وتثور) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وداريتم) . و«الزيتونة» (واردتيم) .

(٣) هكذا وردت هذه الفقرة التي بين الحاصرتين في «الزيتونة» . وهي ساقطة في «ج» . وفي الإسكوريال وردت على النحو الآتي : (ذروني لتي هي الليل يهز ، ثم للوقد يين ، لو شرب نواديه ترن) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين وورد في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (اتهاما) . و«الزيتونة» (اتهاما) .

وَبَيْعِنَاهُ قَوْمًا مَرَّةً . وَتَوَدُّ يَسْرَاهُ جِرَّةً . فَقُلْتُ لَهُ قَاتِلْكَ اللَّهُ . [مَا أَشَدَّ فَقْدَاتِكَ ،
إِلَّا فَقْدَاتِكَ ، وَمَا أَذْكَرُ وَجْدَاتِكَ إِلَّا وَجْدَاتِكَ] (١) أَيْنَ أَفْرَاخُكَ ، وَالْأُمُّ الَّتِي
جَذِبَهَا اسْتِصْرَانُكَ . فَقَالَ الصَّعْلُوكُ ، لَوْ أَعْلَمُ مَذَاهِبَهُ . تَحْرَمُ مِنْهَا ، وَتُحْتَمُّ
مِرَاهِبَهُ . ذَرْنِي وَعِلَاجِي ، أَحْلَجِي وَأَدَاجِي ، وَأَعَايِنِ وَأَنَاجِي ، وَأَتَقَلَّبْ فِي بَرَكَةِ
دُعَاءِ الْبَاجِي . فَقُلْتُ لَهُ مَالِكُ وَالْمَيْتُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَيِّتٌ . قَالَ ، لَمَّا أَدْنَى اللَّهُ
فَالْتَأَمْتُ (٢) الشَّيْمَةَ ، وَتَمَزَّقْتُ عَنِي الْمَشِيْمَةَ ، هَمَمْتُ بِالسَّرْقِ ، وَلَفَفْتُ فِي الْخُرْقِ ،
[وَفَارَقْتُ مِنَ الضِّيْقِ مُنْتَدَاهُ] (٣) ، وَأَفْلَتُنِي يَدَاهُ ؛ فَخَسَّكَنِي السَّعْدُ (٤) بِشَمْرِ
الْمَدِينَةِ ، وَسَقَانِي مِنْ مَاءِ الْبَلْدَةِ الْأَمِينَةِ ، وَعَوَّذَنِي بِدَعْوَاتِ مَدِينَةٍ . فَهَا أَنَا كَمَا
تَرَى [أَتَهَادِي وَاجْتَذِبُ] (٥) وَأَسْتَحْلِي وَأَسْتَعَذِبُ . فَقُلْنَا لِعَمْرُكَ (٦) إِنَّهُ لِفَضْلِ عَمِيمٍ ،
لَوْلَا الصَّمِيمُ ، [وَإِنِهَا لَمَنْقَبَةٌ] (٧) ؛ لَوْلَا الْعَقْبَةُ [وَأَثَرَةٌ مُلْتَمَسَةٌ ، لَوْلَا الْعَطْشَةُ] (٨) .
قَالَ دَعْنَا مِنْ زَخَارِيْفِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ عِنَانِ تَصَارِيْفِكَ . الْبَازِلُ لَا يَكُونُ
إِلَّا ذَمِيًّا ، وَاللَيْثُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا شَمِيًّا (٩) ثُمَّ [قَامَ وَحَلَّ] (١٠) ، وَابْتَدَرَ وَارْتَجَلَ :
عَيْشُنَا كُلَّهُ خُدَّعَ فَاتَرَكَ الْيَوْمَ عِنْدَكَ وَدَّعَ
أَنَا كَاللَيْثِ وَاللَيْثُوتِ بِأَسَانِيهَا (١١) تَرُوعَ

(١) هذه الفقرة واردة في الإسكوريال . ووارد منها في "الزيتونة" عبارة (ما أشد بفقدك إلا
وما أذكر كما) وهي ساقطة كلها في «ج» .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بإتمام) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في الإسكوريال (ومثلت في منتداه) .

(٤) هذه الكلمة واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هاتان الكلمتان في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (استحلي واستجذب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (لعمري الله) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (رنواتي معتقبة) .

(٨) ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (سثيا) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قال وأحل) .

(١١) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بأسانها) والأولى أرجح .

ولها الأوجه السَّيِّمة من يَلْقَمُها يُرَع
 أيُّ حسنٍ لمَازن بيدِ الدَّلِّ يُخْتَرَع
 أنا كالسِّيفِ حَدُّهُ لا يبالى بها وقع
 إنما الحُسْنُ للهاته وللظُّبى يا كَع

قلت تبتاً لك ساير اليوم ، إنك لتَريش وتَبرى ، وتُقَدُّ وتفري ، وتحاسن
 وتُناجِح (١) ، وتُهاش وتُنابِح ، [وتُحب وتُتأمل ، وتُحسِن وتُغافل] (٢) وتُشاعر
 وتُراجز ، وتُنطاح وتُنَاجز . وأنت على هذا كله مُصِرٌّ (٣) ، ما جزاؤك إلا ربح فيها
 صِرٌّ ، فما هو إلا أن غفلت عنه لمحَّة طَرْفٍ ، أو نفحة عَرَفٍ ، ثم التفتُّ ، وإذا
 به قد أفلس ، وكأنما كان برقاً خُلِّس ، ولم أدر أقام أو جلس .

ومحاسنه القَطْرُ (٤) الذي لا يُعد ، والأمر الذي يأخذه الحدُّ . وكفى بهذه الرسالة
 دليلاً على جلالته مقداره ، وتدقيق بحاره [وفخازه] (٥) ، لما اشتملت عليه من بلاغة
 وبيان ، وبساط حال أنت على خبره بعيان ، وعلوم ذات افئنان ، خلد الله عليه
 الرحمة : وضاعف له [المنة والنعمة] (٦) .

[مولده : بأوایل ربيع الثاني عام خمس وستين وأربع مائة] (٧) .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وتخاشن) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالأتي : (وتحب وتنجب وتناقل

وتخاتل - تحامل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معجب بها - مفرما) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (كالقطر) .

(٥) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين ، وفي الإسكوريال (المنحة) .

(٧) هكذا وردت هذه الفقرة في «الزيتونة» . وهي ساقطة في . ووردت في

الإسكوريال (ولد سنة خمس وستين وأربعماية) .

وفاته

من خطأ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال رحمه الله . كان ممن أصيب أيام
 الهرج بقرطبة ، فعظم المصائب به ، الشيخ^(١) الأجل ، ذو الوزارتين ، السيد الكامل
 [الشبير الأثير]^(٢) ، الأديب [اللغوي السرى]^(٣) الكاتب البليغ ، معجزة زمانه
 [وسابق أقرانه]^(٤) ، ذو المحاسن آجلة ، [الجليله الباهرة]^(٥) ، والأدوات الرفيعة
 الزكية ، العاهرة الكاملة ، المجمع على تنهاى نباهته ، وحمد^(٦) خصاله وفصاحته ،
 [من لا يُشق غباره ، ولا تلحق آثاره ، معجزة زمانه فى صناعة النثر والنظم]^(٧) ،
 أبو عبد الله بن أبى الخصال [رحمه الله تعالى ورضى عنه]^(٨) ونصر وجهه . أُلقي مقتولا
 قرب [باب داره]^(٩) بالمدينة ، وقد سلب ما كان عليه ، بعد نهب داره ، واستيصال
 حاله ، وذهاب ماله . وذلك يوم السبت الثانى عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين
 وخمماية . فاحتمل إلى الربض الشرقى^(١٠) بحومة الدوب ، فمُسل هنالك وكفن ، ودفن
 بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ، ونهى إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا
 بسبيله من الفتنة . فكثرت التفجعات له قومه ، والتأسف على مصاب مثله ، وأجمعوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (الفيح) .

(٢) هذه الزيادة من المخطوطين . . .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى المخطوطين .

(٤) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٥) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) هذا واردة فى المخطوطين . وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) هذا واردة فى المخطوطين . وساقطة فى الإسكوريال .

(٩) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (١٠ ر . هـ) .

(١٠) كان « الربض الشرقى » من فرصة . يقع فى يمينها المسمى « م . هـ » . وعند « أو » الترابية « فى

شمالها الشرقى ، عند منحى نهر اودى الكبير

على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً، وفيها ومعرفة . وذلكاء وحكمة وبقظة ،
وجلالة ونباهة ، وتفنناً في العلوم . وكان له [رحمه الله]^(١) اهتمام بها ، وتقدم
في معرفتها وإتقانها . وكان رحمه الله ، صاحب لغة وتاريخ^(٢) وحديث ، وخبر
وسير ، [ومعرفة برجال الحديث ، مضطلماً بها]^(٣) ، ومعرفة [بوقائع العرب]^(٤)
وأيام الناس ، وبالنثر والنظم . وكان جَزَل القول ، عذب اللفظ ، حلو الكلام
[عذب الفكاهة]^(٥) فصيح اللسان ، باوع الخطِّ [حِسْنُه ومُتَقْنُه]^(٦) . كان في ذلك
كلمة واحد عصره . ونسيج وحده ، يُسَلَّم إليه في ذلك كله ، مع جمال منظره ، وحسن
خلقه ، وكرم فعاله ، ومشاركته لإخوانه . وكان مع ذلك كله [جميل التواضع ،
حسن المعاشرة لأهل العلم]^(٧) مسارعاً لمهماتهم ، نهاضاً بتكالييفهم ، حافظاً لعهدهم ،
مكرماً لنهائهم ، واسع الصدر ، حسن المجالسة والمحادثة ، كثير المذاكرة ، جَمُّ
الإفادة . له تصانيف جليلة^(٧) نبهية ، ظهر فيها علمه وفهمه ، أخذها الناس عنه
مع سائر ما كان يحمله ويتقنه ، عن أشياخه الذين أخذ عنهم ، وسمع منهم ،
وقرأ عليهم^(٨) .

وقال غيره : قتل بدرب الفرعوني بقرب رَحْبَةِ أبان ، بداخل مدينة قرطبة ،
قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصاري مع أميرهم ملك طليطلة ، يوم قيام

(١) زائدة في المخطوطين .

(٢) زائدة في المخطوطين .

(٣) الزيادة من المخطوطين .

(٤) الزيادة من المخطوطين .

(٥) الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٧) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ح» (رقمية الفهرس) .

(٨) تتبعنا في هذه الفقرة الأخيرة نص المخطوطين والإسكوريال . وأخرجناها في صياغة

ابن محمد بن علي بن غانية المسوفي [الملثم المرابطي] (١) يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين وخمسة . قتله بربر المصامدة وجمالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه ، ولم يعرفوه ، وقتلوا معه [ابن أخته] (٢) عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ، وكان أنكحه إبنته ، فقتلا معا . وكان محمد خيرة الشيوخ ، وعبد الله خيرة الأحداث ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي (٣)

يكنى أبا بكر من أهل شلب (٤) من العلبيا .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، كان منقبضاً عن الناس ، أديباً ، شاعراً ، خمس عشرينيات الفنازاي ، رحمه الله تعالى . وذكره صاحب الذيل . وقال لي شيخنا أبو البركات ، وهو جدّه ، أبو أيه ، ما معناه : كان شريفاً ، على الهمة ، عظيم الوقار ، أوفياً ، صموتاً ، نحيف الجسم ، آدم اللون ، خفيف العارض ، مُقَطَّبُ الوجه ، دايم العيوس ، شاخ الأنف ، إلا أنه كان رجلاً طالما راسخاً ، عظيم النزاهة ، حافظاً للمروعة ، شهير الذكر ، خطيباً مصقماً ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (من المرابطين) .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» . ولا «الزيتونة» .

(٤) هي بلدة برتغالية صغيرة ، تقع في نهاية ولاية الغرب الأندلسية ، في جنوبي البرتغال

على مقربة من المحيط . وينسب إليها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار . وبالبرتغالية Silves

مهيبياً كشميرته ، قديم الرياسة ، يُعزّد حديثه قديمه . واستقر بالمرية ، لما تغلب العدو على بلاد سلفه . ولما توفي شيخ المشايخ : أبو إسحاق بن الحجاج . تنافس الناس من البلدين ، وغيرهم ، في خطبة بنته . قال شيخنا أبو البركات : ومن خصّة نقلت ، وكان ابن مهييب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة ، متقدماً في حلبتهم ، بجيوش الأشعار . ورام غلبته ذوو اليسار ، من حيث كان بجمراه جيش الإعسار ، فأذلم بالمقابلة في عُقر الدار ، فلم يرجعوا من الغنيمة إلا بالفرار . قلت ، وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً ، ناسب الغرض . ونال من المتغلب على المرية ، على عهده ، حُظوة ، فاستظهر به تارة على معتل مرشانة^(١) وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس . ولما آب من سفره إليها ، سعى به لديه بما أوجب أن يحجّر عليه التصرف ، وسجنه بمنزله . فلما قصد المرية الغالب بالله^(٢) ، مُستخلصاً إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرميحي^(٣) ونزل بمديفتها ، وحاصر قصبها ، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين ابن مهييب ، بمحاولة الأمر ، وعقد الصلح ، ورضى بدينه وأمانته ، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرميحي القصبه ، ويُعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده ، فتأني ذلك واكتسب عند الغالب بالله ، ما شاء من عزة ومجالة .

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني ، صدر عن الأمير الغالب بالله ،

يدل على جلالة قدره نصه :

(١) سبق التعريف بها .

(٢) الإشارة إلى الغالب بالله هنا يقصد بها محمد بن يوسف بن نصر أو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة ، وكانت المرية وقت قيامه ، في يد منافسه المتوكل بن هود ، وعليها من قبله الوزير أبو عبد الله بن الرميحي . وتوفي ابن هود في المرية في ظروف نامضة في أو ثل سنة ٦٣٥ هـ . فلما ملك ابن الأحمر غرناطة واستقر بها في رمضان من هذا العام ، سار إلى المرية وحاصرها واستولى عليها .

هذا ظهيرٌ كريم ، أظهر العناية الحافلة المُستوحيا ومُسْتَحِقِّها ، وأجراه من
الرعاية الكاملة على الحُبِّ طرُقُها . أمر بإحكام أحكامه ، والتزام العمل بفصوله
وأقسامه ، الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن نصْر ، نصّر الله أعلامه ، وأدام
لإقامة قِسْطِ العدل أيامه ، أوليّه العليّ المسكّنة ، وصفيه الملىء بأثرَتِي المعرفة والديانة ،
الحريّ بما اختصه ، أيده الله ، من الحفظ لمرتبته السامية والصيانة . للشيخ الفقيه ،
الجليل ، العالم ، الأوحد ، العَلَم ، الأتقى ، الأزهر ، الفاضل ، الخطيب الأرفع ،
المحدث الثقة ، الراوية ، الصالح ، السّفي ، الحافظ ، الحافل ، الماجد ، السّري ،
الطاهر ، المُكرّم ، المبرور ، الكامل ، أبي بكر بن الشيخ الوزير الأجل ، الفقيه ،
الحسيب ، الأصيل ، الأجد ، المكرم ، المبرور ، الأفضل ، المرحوم ، أبي عمرو
ابن مهيب ، أدام الله عزّة جانبه ، ووصل بالعلم والعمل أرتقاء مراتبه ، أقام به
الشّواهد على اعتقاده ، أنه أخصُّ أوليائه وُدّاً ، وأفضلهم قصداً ، وأكرمهم عهداً ،
حين ظهرت له . أيده الله ، آثار آوايه الأصيلّة ، وبانت في الصّلاح والإصلاح ،
ميامينُ مناقبه الجميلة ، ووجب له من العناية والمزيناات ، أتمّ ما توجبه معارفه ،
وتقتضيه بحادته وزهادته ، التي لا يفنّد في وصفها واصف . وأعلن ، بأنه دام
عزّه ، أحقُّ من حَفِظَتْ عليه ، مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم ،
وأبقيت مزينةً ما تميز به من التّقى والورع الكافي والحلم ، وبرع بصلة
العناية بجانبه ، لما أهلته إليه معرفته من نفع المتعلمين ، وإرشاد من يَسْتَرْشده
في مسابيل الدين من المسلمين ، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجلة والتوقير ،
وأجدُر منصوص على أن قدره لديه معتمدٌ بالتكريم والتكبير . وأمر ، أعلى الله
أمره ، أن يستمر له ، ولزوجه الحرّة الأصيلّة الزكية ، النقية الصالحة ، المصونة المكرمة
المبرورة ، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السّني ، الزاهد الفاضل ،
للمرحوم المقدس . الأَرْضِي . أبي إسحق بن الحاج ، ما أطردت به العادة لها قدماً

وحديثاً، وتضمنه الظهيران السكريمان المروخ أحدهما بالآخر لشوال عام
خمس وثلاثين وستماية، من صرف النظر في أعشارها وزكواتهما إليهما، ليضعا
ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق الله تعالى، ما مثلهما علماً وديناً من يؤديه،
موكولاً ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفاً إلى نظرها الجاري،
مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهائر والأوامر القديمة والحديثة،
المنضمنة تسوية الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما
وللعقاب أعقابهما، على التأيد والتخليد، والمحاشاة من اللوازم، والمعاوز
وللغارم، وأن يطرد لشركائهما، وعمرة أملاكهما، ووكلايها، وحواشيها،
ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار
الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتنوالت التمشية له، من غير انصرام على الدوام،
مؤفياً بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله
عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعاد آمار العنايات الشريفة،
الفسيحة المجال، مقتضى على حق ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين
أضفياً عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير السكريم من الولاة
والعمال، وسائر ولاة الأشغال، وليتلقه بغاية الائتمار والامتثال، إن شاء الله.
وكتب في الثاني عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وأربعين وستماية.

مشيخته

أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية. وعن أبي عباس
ابن عطية أبي عمرو. وروى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، وصحب
أبا الحسن بن زرقون وثقه عليه. وانتقل إلى ألمرية. فصحب أبا إسحق البليفيقي
وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره.
ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره

نقلت من خطِّ شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية :

أيل النَّوى هل من سبيل إلى فَجْرٍ	ويا قلبُكم تأسى ويا دمعُكم تجرى
أبي القلبُ إلا أن يهيم بحبِّكم	وأن تبحروا إلا القليل عن الفكر
رحلتُ عنكم لا بقلبي وإنما	تركتُ لديكم حين ودَّعتكم سِرِّي
أعود بدهر الوصل من حين هجركم	ورُبَّ وصال مُستعاد من الهجر
للعباب نفسي لست أنفق قربكم	لزُهدي فيكم بل حَرِصت على البرِّ
تُقَطِّع أكبادُ عليكم صِباية	فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم	وإن كان خيرا فهو عنهم من الشرِّ
فلولاهم ما كنت أحسبُ ساعة	فقدتكم فيها عياناً من العُرِّ
ألا يا أخي فاسمع ووصاني فإنها	لبتَّك لعمري من أخ سالم الصدرِّ
يُجَبِّك في ذات الإله ويتنسى	بجبك عند الله مُدخِر الأجر
لا إنما التوفيق كنت من أهله	مراعاة حقِّ الله في السرِّ والجر
بتوجيهه في ذاته وصفاته	وأفعاله أيضا وفي الندى والأمر
فتابر على القرار والأثر الذي	يصحُّ عن المختار والسادة الغرِّ
وعُدَّ لك الخيرات عما سواها	وكن بها مُستمسكا أبد الدهر
إذا يسلك الشيطان نجماً سوى الذي	سلكت ولا يلفي سبيلا إلى مكر
وفرق الأجناس حاشى تقيهم	فقد ظهر الإفساد في البرِّ والبحر
ولا تنسني واذكر أخاك بدعوة	فإنك منه يا أخي لعلى ذِكر

قال شيخنا أبو البركات ، ومن شعره ، ومن خطِّه نقلت :

للاصالحين إلى الصلاح طريق رَحِبَتْ بهم وعدَّت عليك تضيق

صرفوا النفوس من الهوى عن صوابها
منها بعد أبيات :

في صدره قلبٌ عليك شفيق
روحٌ لروحك في الخلوص شقيق
وخزْ عَمَلَاتٍ للجهول تروق
فالشغل عنك لغيره تفریق
هذا الذي للمؤمنين يليق
يتضاعف الإيمان والتصديق
نَفَقَتْ لهم يوم القيامة سُوق
فسيبائه قال الرسول فسوق
والعبد طول حياته مرزوق
ودع الفضول فمنه ضلّ فريق
إن التحكم بالعقول مُرُوق
في أوق حُبِك يا حبيبُ شُروق
فمَكَانَ سَدَّتْهَا إِلَيْكَ سَحِيق
فأخوك غايةُ بآزهِ التَّحْلِيْق
في الصَّعْبِ مِمَّنْ شَأْنُهُ التَّصْفِيْق
يذهب بك التثقيق والتوفيق
عَطَشًا إِذَا لَمْ تُسْقِ مِنْهُ رَحِيْق
منه الرّكك نَعَمٌ ومنه وقيق
تسألوا النفوس به ومنه نهيق
قَابٌ إِلَيْكُمْ أَجْمَعِ مَشُوق

ياقظة العين استمع من ناصح
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لى
لا تخذَعْنَكَ تُرّهاتُ أُحْدِثتْ
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
إن الحديث وفهقه وعلومه
واهجر بنى الدنيا فإنّ بهجرهم
والحق يقوم قد عنوا بتجارة
واحفظ لسانك عن إذاية مُسَلِّم
لا تَبْكُ هَمُّ الرزق فهو مُتَقَدِّر
ولترض بالرحمن ربّاً حاكماً
حلّوا عقول عقولهم وتحكّموا
ولقد أتتك نصيحتي ولشمسها
فكن التريب مكانه من نفعها
واصطد بيارى العزم أطيّار الرضا
ولتجعل التسبيح شأنك إزّه
واقنع بعلم الوحي علماً ثم لا
لا ترض فيه بالدنيّة ولتعت
ما كلُّ عِلْمٍ يُهْتَدَى بِحَصُولِهِ
كمدارك الأصوات منها طيبٌ
وعليكم من تهيئه من له

وقال ، ألفيت بخطه ما نصه ، وكان بعض السفهاء قد كتب إلى بيتين

من شعرهما :

إليك أبا بكر رفعت وسيلتي ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غرقت ببحر الذل يوما وليس لي بأرضكم إلا اهتمامك ساحل
وأساء المحاولة في دفعها ، فصرفته ، ولم أقف عليهما ، فضرب عليهما ،
وكتب في ظهرهما :

حللت أبا بكر بموطن عزة فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبرا وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل
وكتبت إليه صحبة دراهم وجهت بها إليه :

جفوت وما زال الجفاسا سجية لمثلك ما إن زال تُبلى بها مثل
وما قلت في أصلي فكذبة فاجر رأى الفرع محموداً فعاب على الأصل
وبالإفك ما عثرت لا بحقيقة فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل
وما زلت والله الحميد مُكرماً وفي نائبات الدهر للعقد والحل
ولو كنت من يتقى الله لم تكن تمد متى تسخط وعند الرضا تحل
أما قلت أتى ساحل لك عندما غرقت ببحر الذل في زمن المحل
وكيف نسخت المدح بالذم قبل أن تبث لي الشكوى وتُدلى بما تُدل
ولكن لؤم الطبع يحمل أهله على الصعب من سب الكرام أو النبل
إن كان بعض الكبر تقصا فإنه عليك من الأوغاد يُحسب في الفصل
وما الذل إلا ما أتى بك نحونا فقيراً من التقوى سلباً من العقل
ومطلوبك الدنيا فخذها خسيصة توافي خسيس النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانه ومهما فقتت الأصل لا عار في البخل

ومثلك من يُجنى ويقلب خاسئاً فلست لإسداء الصنعة بالأهل
ولكنني عودت نفسي عادةً من البذل لم أعدل بها قط عن نذل
فخذها لحاك الله غير مبارك لسعيك فيها يا بن خانية النعل
ومثلي من يُوذى فيحتمل الأذى ولكنه قد يُدر الجهل بالجهل
وقد قال من لا شك في قوله من الحكما القتلُ أذهبُ للقتل
فإن زدنا زدنا وإن كنت نادماً قبيلناك أخناً في أمورك بالعدل
ففي كل شيء لستُ عنك مقصراً بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ ، قول الملاحى ، وأصلك من كبر ، معناه التعريض يكون سلف أبي
بكر بن مهيب ، علوا في أنفسهم وتكبروا ، فثاروا بسبب ذلك بطيرة^(١) وجهاتها ،
ثار منهم عبد الرحمن جدُّ أبي بكر ، ثم حسن ، ثم عامر أخوه ، وإلى هنا أشار
أبو بكر بن مهيب بقوله في بعض شعره :

إن لم أكن ملكاً فكنتُ ريساً

وأنشد في الصلة الزبيرية^(٢) قوله رحمه الله :

أملى من الدنيا المباحة كسرة أبقى بها رمقى وداراً نابية
قد أضرب الزمان عن سكانها فكأنها في القفر داراً خالية
ومن شعره في المقطوعات :

ترحل صبرى والولوع مقيم وصحَّ اشتياقى والسُّلُو سقيم
فياليت شعرى هل أفوز بعطف من زينت خدى ورداً عليه أقوم

(١) طيرة Tavera ، هي بلدة من بلاد ولاية الغرب الأندلسية تقع في جنوبي البرتغال على
شاطئ المحيط ، على مقربة من مصب نهر وادي يانة . وقد وقعت بها عدة ثورات في أوائل العهد
الموحدي في ، منتصف القرن السادس الهجري .

(٢) الصلة الزبيرية ، يمتد بها كتاب «صلة الصلة» لأبي جعفر بن الزبير .

ويا جنّة قد حيل بيني وبينها بقلي من شوقتي إليك ججيم

دخوله غرناطة

قال الشيخ ، دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن ابن عُبَيْدة ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، وممن راق جده في الكتّاب عن بعض الأمراء مدة ، وفي الخطابة بالمرّية أخرى .
توفي بسبّعة أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وستمائة

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله

من صلة ابن الزبير : كان كاتباً بارعاً ، شاعراً مجيداً ، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام ، وغير ذلك ، مع نباهة وحسن فهم ، [ذو فضل وتعلّق]^(١) وحسن سمّت . وورد على غرناطة ، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة ، وكان معلوم^(٢) القدر ، معظماً عند الكافة^(٣) . ثم إنه رجع إلى مرسية ، وقد ساءت أحوالها ، فأقام بها مدة ، ثم انفصل عنها ، [وقد اشتدت أحوالها]^(٤) ، وابتقر بالعدوة بعد مكابدة .

قلت ، أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب رحمه الله ، قال ، كان شكس^(٥)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» «ذانباهة» .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (عظيم) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (صنفة) .

(٤) هذه الجملة واردة في الإسكوريال ، وساطلة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (شكس) وهو تحريف .

الأخلاق ، متقاطبا ، زاهياً^(١) بنفسه ؛ ابتداء يوماً كتاباً ، صَدْرًا بِجِدَابَتِهِ ، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفو العفو »^(٢) ، وتركه لأمر عرض له ، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشى ، وهو كاتب المقام السلطاني ، فظن لقصوره أنه وهم ، وأراد « الصفوة » فأصلحه ، فلما عاد ونظر إليه مزقه ، وكسر الآلة ، وقال لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]^(٣) ، ويتسور به الإصلاح ، على قلم يطمع بعد في مقامه . وانصرف ، واستقر بتامسان ، كتاباً عن سلطانها أبي يحيى بَعْمُرَ اسن^(٤) بن ريان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا ، استقدمه على عادته في استدعاء الكتّاب المشاهير والعلماء^(٥) وبعث إليه ألف دينار من الذهب العَيْن ، فاعتذر ورد عليه المال ، وكانت^(٦) ، أشق ما مر على المستنصر ، [وظهر له علو شأنه]^(٧) ، وبعده همته .

مشيخته

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد ، وأبي بكر بن مُحَرِّز ، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده ، [وأجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم وغيره]^(٨) .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذاهبا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ومعها (خيرة الخيرة) . ووردت في المخطوطين (صفوة الصفوة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (يحصل فيه هذا الغنير) .

(٤) هكذا وودت في المخطوطين ، وهو الاسم الكامل . ووردت في الإسكوريال (ينمور) وهو مختصر الاسم .

(٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (فكان ذلك) .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال «الزيتونة» (لأجل باره) .

(٨) هذه الجملة واردة في الإسكوريال «والزيتونة» . وساقطة في «ج» .

شمره

من ذلك قوله :

أفنع بما أوتيته تنكّل الغينا وإذا دهتكَ ملة فتصبر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو رُمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل أحداً تعش عيش الكرام وتُجر
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة ورأيت نفسك [قد غوت فاتبصر] (١)
وانظر [إلى من كان دونك] (٢) تذكر لعظيم نعمته عليك وتشكر
[ومما قاله في صباه :

يا دعوة شاكٍ ما قد دهاه من لحاظ رشاك
ظبي تصدى للذلوب بصيدها من ناظرٍ به في سلاح شاك
ورحى وإن قالوا رننا عن فآثر ساج عليه سيم النساك
قد كنت أحذر بطشه لو أنى أبصرت منه مخايل الفتاك
أو ما عليه ولا عليه حاكم يحمى ثغورك أو يحوط حماك
أو ما لجارك ذمة مرعية أبدا يظل دم الغريب طلاك
إني استنمت إلى ظلالك ضلة فإذا ظباءك ماضيات ظباك
مالي أخاطب بآنة ما أن تعى قولاً ولا ترنى لدمعة بساك
أكرمة الحيين هل لتتيم رحى لديك فأرتجى أرحماك
أصبتني بعد المشيب وليس من عذر لمن لم يُصبه ثراك
لولا ما جذبت عذاني لوعه والله يشهد أنى لولاك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قد ثبت فاستغفر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (إلى من دون حالك) .

لما دعا داعي هـ وَاك أُجِبْتُهُ
أَصْلَيْتَنِي نَارَ الصُّدُودِ وَإِنِّي
وَأَبَحْتُ مَا مَنَعَ التَّشْرِعَ مِنْ دَمِي
وَتَرَكْتُ قَلْبِي طَائِرًا مَتَخَبِّطًا
وَمَنَعْتُ أَجْفَانِي لِذَيْدٍ مَنَامِهَا
وَلَقَدْ عَجِبْتُ وَأَنْتِ جِدٌّ بِجَنِيَّةِ
إِنِّي لِأَيَّاسُ مِنْ وَصْلِكَ تَارَةً
أَسْمَاكَ أَنْكَ قَدْ خَفَضْتَ مَكَانَتِي
إِنِّي مُعْنَاكَ الْمُتَمِّمُ فَلْيَكُنْ
تَنَّتِي مَعَاظِفُكَ الصَّبِيَّا خُوطِيَّةِ
أُبَعْدَتَنِي مِنْهَا بِطَاعِنَةٍ رَاغِحِ
أُمُوتٍ مِنْ عَطَشٍ وَتَفْرَكِ مَوْرُدُ
هَلَا تَنِي عَنْ حُلُوةِ فَلَعْلَةٍ
وَقَالَ يَجِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَنْ قَصِيدَةٍ بَمَثَلِهَا

إليه أولها :

رُدُّ فِي حِدَائِقِ مَايَهَا مَرْتَادٌ
زُرُقِ الْأَسْنَةِ دُونَ زُرُقِ إِحْمَامِهَا

هذه الأبيات :

نعم المراد لمن غدى يرتاد
سألت على العافى جداوله
مرعى يرفّ نباته ومهاد
كما صالت على العادى بدا ناد
إلى حيث السيادة تُبَتْنِي وَتُشَادُ

وركبتُ ناجيةً مبارية الصبَا
 يقنأدُها سكانها قُلب على
 عجباً لهم أحلامهم عاديةً
 خبر تلمسناً بأنى جيتها
 وعاقبتها سمعاً ولم أر حُسنها
 ولربَّ حُسنٍ لا ثواه ناظرٌ
 ودخلتها فدخلت منها جنةً
 ورأيت فضلاً باهراً ومكارماً
 أهل الرواية والدراية والندا
 فهم إذا سئلوا بحار معارف
 درجاتها ينحطُّ عنها غيرهم
 فأجلهم وأحلهم من مهجتي
 وأودُّ حين أخط أطيّب ذكرهم

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة :

رقت حواشي طبعك ابن خميس
 ومثله يصبو الحلِيم ويمتري
 لك في البلاغة والبلاغة بعض ما تحويه من أثر محل ربيسي
 نظمٌ ونثرٌ لا تُبارى فيهما تهادت ذاك وذابعلم الطوس^(١)

وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره :

ربُّ أنت الحلِيم فاغفر ذنوبي
 ليس يعفو عن الذنوب^(٢) سواك

(١) الشعر المحصور بين الخاصرتين وأورد كنه في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الذنب) .

ربُّ ثبت عند السؤال لسانى وأقمت على طريق هداكا
 رب كن إذا وقفت ذليلاً ناكس الرأى استجى أن أراكا
 رب من لى والنار قد قرّبت لى [وأنا قد أبحت عهدِ حماكا] (١)
 رب مالى من عدّة لى (٢) غير أنى أعددت صدق رجاكا
 رب أقروث أنى عبداً سوء حلمك الجلم غره فعصاكا
 رب أنت الجواد بالخير دوماً لم تنزل واحماً فهب لى رضاكا
 رب إن لم أكن لفضلك (٣) أهلاً باجترابى فأنت أهلٌ لذاكا

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمرسية من مدينة إشبيلية :
 كتبته ، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى ، وأجناكما من ثمرات (٤) إحسانه
 أكثر ما يجنى . من إشبيلية ، وحالى بحمد الله حسنة ، ونفسى بحب قريبك
 مرهنة ، وعلى بما لديكما من السراوة التى جُبِيتما على فطرتما ، [وامتزتما فى الاجتلاء
 بغرَّتْها] (٥) ، علم لا يدخله الشك ، ويسبقى إلى ودك الذى لبسته معلماً وتقدمته
 محرماً ، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال ، ولا ينفك . فلنئن عنان القلم عن
 مداده ، ونأخذ فى حديث سواه . وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع
 الآخر ، ولقينا الإفانت (٦) على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين كالاتى (وأنا تحت
 أحمد وحماكا) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لما بى) والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لذلك) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ثمرة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (وامتزتما بقوتها) .

(٦) الإفانت هنا يقصد بها «الإفانتى» Infante ، وهو لقب يطلق على ولى عهد ملك قشتالة ،

ويجب أن نذكر أن إشبيلية كانت فى الوقت الذى يتحدث فيه الكاتب عنها قد سقطت فى أيدي القشتاليين
 وذلك فى شعبان سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ١٢٤٨ م) ، وغدت مدينة نصرانية ، ثم جعلت عاصمة لمملكة قشتالة .

الخطار ، وقررة العين ، وازلنا في الأخبية خارج البلد ، موضعا (١) يعرف بالقنب ،
 فد تفجر عيوننا ، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا ، وعرض عاينا النزول
 في الديار داخل المدينة ، فرأينا المقام فيه (٢) ، أحد الأسباب المسعدة (٣) على
 حفظ الصحة المعينة ، ورجبنا عن المدينة لحرها الوهاج ، وغبارها العجاج ،
 ومايها الأجاج . ولما تاب من النشاط البارح ، واستقل من المطى الرازح ، طفت
 في خارجها وداخلها ، ووقفت (٤) على مبانيها المشيدة ومنازلها ، ورأيت انسياب
 أراقشها ، وتقصيت آثار طرُبانيتها (٥) وبراقشها (٦) فشاهدت من المباني العتيقة ،
 والمنارة (٧) الأنيقة ، ما يلا (٨) أعين النظار ، وينفسح فيه مجال الاعتبار . على
 أنى ما رأيتهما إلا بعد ما استولى عليها الخسف . وبان عنها الظرف ، ونبا عنها
 الظرف ، فلا ترى من مغايبها إلا ظللا دارسا ، ولا تلمح من بدايعها (٩) إلا محيما
 عابسا ، لكن الرأى إذا قدر وضعها الأول ، وركب وهمه من مبانيها ما تمثال ،
 وتخييل في ذهنه حسنها وتمثل ، تصور حسنا يدعو إلى المجون ، ويسلى عن الشجون

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (سيوضع) .
 (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي الإسكوريال (فيها) . وفي «ج» (القنب) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (المساعدة) .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واطلعت) .
 (٥) طريانتها يقصد بها طريانة Triana ضاحية إشبيلية الخيلة الواقعة إزاءها على الضفة
 الغربية من نهر الوادى الكبير . وما تزال طريانة حتى اليوم من أجمل ضواحي إشبيلية .
 (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (وفلسها) . وفي الزيتونة (وعشها) والأولى
 أرجح وأنسب للسياق .

- (٧) المنارة يقصد بها هنا منارة الجامع الأعظم الواقعة في قلب إشبيلية ، وهي التي حولت
 فيما بعد من أعلاها إلى برج لأجراس كنيسة إشبيلية العظمى ، التي بنيت فوق موقع الجامع ، وما تزال
 حتى اليوم من أعظم الآثار الأندلسية الباقية . وتعرف بالإسبانية باسم (لاخيرالدا) La Giralda .
 (٨) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (بستميل) .
 (٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

[لولا أنها عُرِضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ . لِمَا دَانَ إِلَّا بَدَنَهُ ، وَلَا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قَارِبٍ]^(١) وحسبى أن أصفها بما يقيها من القبول ، وأقول إنها فى البلاد بمنزلة الربيع من الفصول ، ولولا أن خاطرى مُقَسِّمٌ وفكرى حده مثل ، لفضيت من الإطناب وطراً ، ولم أدع من معاهدها^(٢) عينا إلا وصفتها ولا أثراً .

توفى بتاسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأحمى^(٣)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الصايغ ، بالصاد المهملة ، والغين المعجمة ، من أهل المريّة .

حاله

من خطّ شيخنا أبى البركات فى «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» . كان سهلاً ، سلس القياد ، لذيد العشرة ، دَمِث الأخلاق ، ميالا إلى الدّعة ، نفورا عن النّصب ، يركن إلى فضل نباهة وذكا ، يُحاسب بها عند التحصيل والدّراسة ، والدثؤوب على الطلب ، من رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف ، ولم يكن له صوت رخيم ، يُساقق إنطباعه فى التّلحين ، يخبر ذلك بالأوتار . وحاول من ذلك بيده مع أصحابه ، مالاذبه الظرفاء منهم . واستعمل بدار الأشراف بالمريّة ، فأحكم تلك الطريقة فى أقرب زمان ، وجاء زمّامه يروق من ذلك العمل شأنه . ثم

(١) مدين احصرتين وازردى الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطى فى «ج» .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (معالمها) .

(٣) وردت هذه الترجمة فى مخطوط الإسكوريال فقط ولم ترد . فى «ج» ولا «الزيتونة»

نهضت به همته إلى أرفع من ذلك ، فسار إلى غرناطة ، وقرأ بها العربية وغيرها ، وانخرط في سلك نهباء الطلبة لأدنى مدة . ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة ، فلم يتجاوز القاهرة لمواقفة هراها علة ... كان يشكوها ، وأخذ في إقراء العربية بها ، وعرف بها إلى أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوى . قال شيخنا المذكور ، ورأى في صغره فارة أنى ، فقال هذه قرينة ، فلقب بذلك ، وصار هذا اللقب أغلب من اسمه ومعرفة .

وجرى ذكره في التاج بمائنه : ليح معرفة لا يغيض ، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض . نشأ ببلده مستمراً عن ساعد اجتهاده ، وشارك في إقنن العلم ووهاده ، حتى أئنع روضه ، وفهق حوضه . ثم أخذ في إراحة ذاته ، وشام باوقه لذاته ، ثم سار في البطالة سير الجموح ، وواصل الغبوق بالصُّبوح ، حتى قضى وطره ، وسيم بطره ، وركب الفلك ، وخاض الشَّجج الحُلك ، واستقر بمصر على النعمة العريضة ، على شك في قضاء الحجة العريضة ، وهو بمدرستها الصالحة ، نبيه المسكانة ، معدود في أهل العلم والديانة .

مشيخته

قرأ بالمريية على المكثب أبي عبد الله الميرقي ، وأخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن بن أبي العيش ، وقرأ بالحضرة على الخطيب أبي الحسن القبيجاطي وغيره . وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان ، وانتفع به وبجابه .

شعره

قال شيخنا أبو البركات ، وكان أخذ من قرص جيد الشعر بالحظ الوافر . فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ المكثب أبو جعفر بن غصن ، حسبما قيده عنه بمصر .

بمَد المسزاد ولوَّعته أشواق حُكماً بفيض مدامع الآماق

أذكى لهيب فؤادى الخلفاق
 من ذا الذى لغدٍ فدَيْتُك باق
 وإذا تولت لم تُنسل بلحقاق
 صوبُ الغمام الواكف الرِّقراق
 قلبُ سليم ياله من راق
 لا كان فى الأيام يومُ فراق
 يفتري للعلا بنجايب ونياق
 خيرُ البرية ذى المنخل البراق
 حفظُ اليهود وصحةُ الميثاق
 والظاهر الأخلاق والأعراق
 وجبينه كالشمس فى الإشراق
 بالجرود والإرفاد والإرفاق
 سارت رسالته إلى الأفاق
 قبضت عنان المجد باستحقاق
 كحى الوطيس وشمرت عن ساق
 وتجوّل سبجاً فى الدم المِهراق
 من بعد إشراق مضى ونفاق
 ظلّ ظليل وارف الأوراق
 ما ناله كسفٌ ونكسٌ تحاق
 أمين السفين غوايل الإغراق
 ذابت نفوسهم من الإشفاق
 والجاء والشرف القديم الباق

وخفوقٌ نجدى النسيم إذا سرى
 أمملى إن التواصل فى غمد
 إن الليالى سبقت قد أقبلت
 فصنح تمدّوه على الحمى سقى الحما
 فيه لذى القلب السليم وداده
 قلبُ غداة فراقهم فارقتـه
 يا سارياً والليل ساجر عاكف
 عرج على مثنوى النّبى محمد
 ورسول ربّ العالمين ومن له
 الظاهر الآيات قام دليلهما
 بدرُ الهدى البادى آياته
 الشافع المقبول من عمّ الورى
 والصادق المأمون أكرم مرسل
 أعلى السكرام نداءً وأبسطهم يداً
 وأشدُّ خالق الله إقداما إذا
 أمضاهم وانخيل تعثر فى القنا
 من صير الأديان ديناً واحدا
 وأحلنا من حرمة الإسلام فى
 لو أن للبدن المنير كاله
 لو أن للبحرين جود يمينه
 لو أن للآباء رحمة قلبه
 ذو العلم وانلغى المنجلى

آياته شهبٌ وغرُّ بنائه
 فاحت فيوح الأرض وهو غياثها
 ذو رافة بالمؤمنين ورحمة
 وخصال مجد أفردت بالخصل في
 ذو المعجزات الغرُّ والآي التي
 ننت المعارض خيراً لما حكمت
 يقظ الفزاد سرى وقد هجع
 وسما وأملك السما تحفة
 منها:

ياذا الذي اتصل الرجا بجبله
 حبيُّ إليك وسيلتي وذخيري
 وإليك عملت الرواحل ضمراً
 تجباً إذا نشرت تلك الفلا
 يحدو بهن من النجيب مردد
 غرضٌ إليه فوقنا أسهماً
 وأنخسها بفنايك الرحب الذي
 وقوى مؤملاك الشفاعة في غدي
 وعليك ياخير الأنام تحية
 تتأرجح الأرجاء من لفحاتها
 منها:

قسماً بطيب ثراب طيبة إنه
 وأثبار مسجده الذي برحابه
 وابتت من هذا للورى بعلاق
 إني من الأعمال ذو إملاق
 تختال بين الوخذ والأعناق
 تطوى الفلا ممتدة الأعناق
 وتقودهن أزيمة الأشواق
 وهي القبي برين كالأفواق
 وسع الورى بالنائل الدفاق
 وكفى بها هبة من الرزاق
 تحي النفوس بدثرها الفتاق
 أرجُ الندى بمدحك المصداق
 مسك الأنوف وأتمد الأحداق
 لمعامل الرحمن أى نفاق

لا جود فيه بأدمع أسلاكها
 أغدو بتقبيل على حصبايه
 وعليك ذا الثورين تسليم له
 كفوواً لنبي وكفوا على جنة
 وعلى أب السبطين من سبق الألى
 الطاهر الصهر ابن عم المصطفى
 مبدى القضا من وراء حجابها
 يغزو العداة بغلظة فيعيدهم
 راياته لاشيء من عقباتها
 وعلى كرام سنة عثرت بهم
 ما بين أروع ما جد نيرانه
 وأخى حروب صده رشف القنا
 ما غررت شجواً مطوقة وما
 وعلى القرابة والصحابة كلهم
 ولما سني الله في الروم الواقعة المبيرة والواقعة الشهيرة^(١)، التي أجلت عن قتل مليكهم
 معركةها، وانتهت للفتح معركةها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاث فل الكفر بركتها،
 قديم مع الوفود من أهل بلده، وهنا أمير المسلمين^(٢) بفتح ذلك، وطلوع ولده، فقال :

(١) الإشارة هنا إلى الموقعة التي نشبت بين القشتاليين بقيادة الدون بيدرو والدون خوان
 الوصيين على ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر، والجيش الغرناطي بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان
 ابن أبي العلاء في هضبة البيرة على مقربة من غرناطة، وذلك في ٢٠ ربيع الثاني سنة ٧١٨ هـ (مايو
 سنة ١٣١٨ م) وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة، وقتل دون بيدرو وزميله دون خوان وجمهرة
 من النبلاء والقادة والكبراء النصارى، وغرق من النصارى عدد جم بهر شليل، وحصل المسلمون على
 مقادير عظيمة من الغنائم والأسلاب. وكان ذلك في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل (٧١٣ - ٧٢٥ هـ).

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا هو السلطان أبو الوليد إسماعيل السابق ذكره.

أمليكُ أم بدرُ الدُّجَا الوضاح
 أعلى المسالك ما بنته يدُ الشُّقَى
 وأحقُّ من يدعى خليفةُ ربِّه
 كأمير أندلس وناصرها الذي
 أسمى الملوك أبو الوليد المرتضى
 هو دَوْحَةُ الملك العليِّ فروعها
 وبمحور رسم عداته بلبساته
 بدرُ السَّكَّال لو أن بدرًا مثله
 بحرُ النِّوَال لو أن بدرًا مثله
 ولمثله قَاد الجياد عَدُوهُ
 أهْوَاه شيطان الهوى في جُلَّة
 طمعُ الشُّقَى أضلَّهُ وأذله
 فأبادهم وملوكهم فتحَّ بدا
 وقواصل تُبرى بهن مفاصل
 لم تُقن كلَّهم سيوفُ الهند بل
 ما زال حتى عُدَاك يحمدهم مَيْتَهُم
 فأقتلُ كبيرهم واحي صغيرهم
 تستبيح ما حاط العُدَاة وما حوا
 يامة الكُفْرَان تفتيداً وهـل
 أتركتم يطرو^(١) وحيدا مفردا

وحُسامه أم بارق لمُـسَاح
 وعمادها الأعلام والأرماح
 ملك خلافته هُدَى ونجَاح
 أفنى العُدَاة حُسامه السَّفَاح
 وأعزُّ من شَرُفت به الأمداح
 وبراحتيه ترزق الأذواح
 نطق الكتابُ وخُطَّت الألواح
 لم يبد خِشْيَة نوره الإصباح
 لارتاع خِشْيَة فيضه المـالِح
 فخبأ له قِدْحٌ وخبَّ قِدَاح
 إن الهوى بأليفه طَمَّـسَاح
 كل المطامع للغبي فُصَّاح
 وبَسَمَد جَدِّك ربُّنا فتَّاح
 وصِفَاح يُفَرى بهن صِفَاح
 لسيوف جُودك في النفوسِ جِراح
 ويحشُّ فَوْتًا عاجلا فيُرَاح
 واسب النِّسَا فما عليك جُنَاح
 وِحَاك يامنصور ليس يُبَاح
 لجنون أعمى ينجلي مصباح
 يشدو عليه الطائر الصِّبَاح

(١) بطرو هنا هو الدون بيدرو (وبالعربية بطروه) الروصي علي ملك قشتالة المتقدم ذكره .

وجوان^(١) يرتشف الندى فندمه غربانه ووساده الصّباح
 وكذلك المطران جاد رسومه قطر المنايا الصارم الطّماح
 أروس أم تبيض النعام بمرّجنا أصنافكم هذى أم الأشباح
 ما للمطامير اشتكت من ضيقها بالمال والأسرى وهنّ فساح
 جارت بكم أبطالنا فكأنكم كشّح وجيش المسلمين وشاح
 تبا لرؤى بهم براحة أيرام عن خيل الإله براح
 قصت قوادكم فما إقدامكم ولليل جنح الكفر تغيض جناح
 هنا فلا تستعجلوا ببلادكم سترون كيف يكون الاستفتاح
 قد انثنت بطحاؤنا بحطامكم ونبأها الريحان والنفاح
 تالله ما كنتم بأول عسكر أمل النجاح وحينه يمتاح
 القس غرّكم ليهلك نسلكم بسيوفنا إن إفكّه لصراح
 كم ذا يسخركم ويسخر منكم غداً ومكراً إنه لو فاح
 منها:

وفوارس نشوا لنهب فراس طلبوا انتشاو الدما للراح
 أربوا على الأسد الهزبر بسالة مع أنهم غرّ الوجوه صباح
 خاضوا بحار الحرب يطمو بحرّها ووطيسها حامى الصلى لفاح
 ما هم يبذل نفوسهم ونفيسهم عن النوال والنزال سباح
 وإذا هم ذكروا بناد فاندشق مسكا تزوع عرفه النفاح
 فغدا وراح النصر يقدم جمهم ويحفهم حيث اعتدوا أوراخ
 سناك دولانا بسعد قبل خلصاه قد عمّتهم له أفراح

(١) جوان هو الدون خوان الوصي على ملك قشتالة المشار إليه فيما تقدم.

وبنجلك البدر الذي آفاقه
 بدرُ البدر فلا يدار عليه
 فلکم عدوٌّ أفلّ بزوغه
 ومنا ونالك بالأمير تجدد
 قد جاء بعد العسر يسرٌ شامل
 فالحمد لله الذي قد خصنا
 وعلى المقام المولوى تحية
 ما خط مدحك في الطروس محبّر
 ملكٌ وهالته هدى وصلاح
 وبذا نارت أربع وبطاح
 خسفت به الأوجال والأتراح
 كلُّ بجنبك نفسه ترتاح
 قد جاء بعد الشدة الإنجاح
 ولنا بحمدك بعده إفصاح
 كالزهر إذ تهدي شذاه رياح
 ونحي دجاجر الأصيل صباح

وقال يرثي الخطيب بيده ، الشهير الفاضل ، أبا الحسن بن شعيب
 رحمه الله .

بوادى لقد حملت ما ليس لقواه
 بليت بذا التفريق فاصبر فرما
 شجا كل نفس فقد أنفس جوهر
 بكى كلنا حزناً عليه كما بكى
 فله خطب جليل لقد رمى
 فلولاكم يغلب تأسينا الأسي
 فلم يبق إلا من جفا جفنه الكرى
 وفاة لمرى وفي فؤفى أجره
 أبى الحسن العدل الرضا المحسن الذى أتته بأضعاف الزيادة حسنه
 خطيبٌ جلا فصل الخطاب بيانه
 وأعدل قاض فاضل فى قضايه
 وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه
 فراقٌ ولى شرف الأرض تقواه
 بلغت بحسن الصبر ما تمناه
 تعد ولا تحصى كرام سجايه
 لفرقتة محرابه ومصلاه
 أجل خطيب بالجلالة مصماه
 ولم يشمل الشمل التفجع لولاه
 ومن جانبته وصل المضاجع جنباه
 وأصنى بإصفاه الإله وصافاه
 ولفظ العلى الفخ الأصيل ومعناه

مطيعٌ رفيع خاضع متواضع كريم
متى يمشى هوناً ليس إلا لمسجد
تكلمه عرفٌ وذكرٌ وحكمة
كذا صمته خوفٌ وفكرٌ وخشية
يصوم وقد طال النهار مهجرآ
فكم دارس أحياء من أربع الشفا
فياطيباً أصلاً وذكرآ وتربية
وفي حشرة تحن ومرتبجآ وباطنا
محيآ يروى الناظرين تهلاًلاً
بُحْبُكْ هَامَتْ كُلْ نَفْسٌ مُنْبِيَةٌ
فَمَا أَنْعَمَ الْأَرْضَ الَّتِي بَكَ قُدُّسَتْ
بُشْرَاكَ إِنْ أَقْدَمْنَا شَغْلَنَا بِحِزْنِنَا
عِزًّا لِأَهْلِيهِ الْأَهْلَةُ أَنْهَمْ
نَالَ شُعَيْبٌ فِي الزَّمَانِ بَدْوَرَهُ
أَعَزَّى أَوْلَى الْإِيمَانِ كَلَّا بِفَقْدِهِ
سَقَى اللَّهُ وَسَمِيحِي الْحَيَا ذَلِكَ الثَّرَى
كَمَا قَدْ سَقَاهُ لِيَسْلَةَ الدَّفْنِ وَبِهِ
تَرْضَوْنَا عَنِ الْقَاضِي الْإِمَامِ خَطِيْبِكُمْ
وَصَلُّوْا عَلَى هَادِي الْأَنَامِ نَبِيِّكُمْ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا الرُّوضُ فَاح

حلیم طاهر القلب أوَاه
تمید خجلا أرضُ بها حطّ نعلَاه
تلذ بها الأسماع ما كان أحلاه
فما زال يخشى الله والكل يخشاه
وتبحر بالليل للتعْمُض عيناه
وكم غاسق من حنْدِس الليل أحياء
ومنه امتفاد الطَّيِّب أطيب رِيَّاه
وأمن سقى شمس الضحى من محيَّاه
فتعرفه في الصالحين بسياه
كذا من أحبَّ الله حبيه الله
وآثر ذيك الضريح وأنذاه
ورضوانُ بُشْرَاهُ بذلك بُشْرَاهُ
لهم يعترى من بعده العزُّ والجاه
ولم تكن الشمس المنيرة إلآه
نعمٌ وأسنيه بحبه مأواه
وغاداه صوبُ الغاديات ومياه
من الغيثِ وكاف السحاب وأسغاه
فقد رضى الرحمن عنه وأرضاه
صلاةً بها يمحو المسىء خطاياها
إن سرتْ سحرآ ربيع الصبأ بخراماه

توفي رحمه الله في رمضان تحقيقاً من سنة خمس على شك وسبع مائة^(١) ،
أنهبرني بذلك من يوثق به .

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة^(٢)

من أهل مالقة ، وتردد كثيراً على الحضرة ، مُسترفداً ومُنشداً ، وفي غير
ذلك من الأغراض يكنى أبا عبد الله .

حاله وشعره

من الإكليل^(٣) : شاعر اتخذ النظم بضاعة ، وما ترك السعي في مذاهبه
ساعة ، أجرى في الملا ، لا في الخلا ، وجهل ذكره دِلوه في الدِّلا ، وركض
في حَلبة النجبا النجايب ، ورمى في الخراطي بسهم صايب ، فخرج بهرجه وفنق ،
وارتقد بسببه وارتنق . وهو الآن قد سالمته السنون ، وكأتما أمن العَمون ، من
رجل مَكفوف الأذى ، حسن الحالة إلا إذا ، هذا قلت ، ثبت هذا والمذكور
حي ، وقد مات رحمه الله .

ومن شعره :

(١) من الواضح أن تاريخ وفاة ابن لب الأمي ، لا يمكن أن يكون سنة ٥٧٠٥ حسبما يذكر ابن الخطيب
وقد فاتته ما ذكره من قبل من أنه قدم مع الوفود إلى غرناطة للتهنئة في النصر الذي أحرزه أمير المسلمين
على النصارى في الواقعة التي حدثت سنة ٧١٨ هـ ، وأنه أي ابن لب قد ذكر في شعره دون بيدرو
ودون خوران ثنائيي القشتاليين الذين اُكبا في الموقعة ، كما أنه هنا السلطان أبي الوليد في شعره .
ولم يحكم السلطان أبو الوليد إلا من سنة ٧١٣ هـ . وربما كان التاريخ الصحيح له وفاة ابن لب الأمي سنة
٧٢٥ هـ .

(٢) ردت هذه الترجمة فقط في مخطوط الإسكوريال ، وهو محفوظ في مكتبة جامعة مدريد .

(٣) سبق التعريف بكتاب «الإكليل الزاهر» .

رجاى فى المولى العظيم عظيم غنيت به حيث الغنى بهديم
وحسبى الرجا فيمن عليه معولى حديث حديث لم يزل وخديم
وما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن السكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قات سيئ كفيف بغفران الذنوب وحم
وما اعتصم المملوك إلا بحببه فجانبه نعمى لنا ونعيم
رضاه سبيل للنجاة وحبه طريق لجنات النعيم قديم
وأشد يوما الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر^(١) يهنيه بالملك ويعزبه :
على من تُنشر اليوم البؤود وتحت لواء من تُسرى الجنود

وقال [على هذا الكذا، الذى بين يديك] ^(٢) فحجل ، وعظام استظراف
الحاضرين لذلك .

توفى فى كذا وسبعائة .

محمد بن عبد الله بن فطيس^(٣)

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة . وقال الأستاذ^(٤) من بيت فطيس
الألبيريين .

(١) ثالث الأمراء من بنى نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الفقيه . وكان ضريراً ،
ويلقب بمحمد الخلوع . وقد حكم من سنة ٧٠١-٧٠٨ هـ (١٣٠١-١٣٠٨ م) .

(٢) وردت هذه العبارة فى اللوحة البدرية كالاتى (على هذا الزيلخ الذى ترى قدامك - يمين
نفسه (ص ٤٨) .

(٣) وردت هذه الترجمة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

(٤) الإشارة هنا إلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة .

حاله

قال ، طبيبٌ ماهر ، وأديبٌ شاعر ، كان في أيام بني حسون^(١) ، يحنثُ عليهم ، وله فيهم أمداح كثيرة . يُذكر أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حسون ، بعد انقطاع عن زيارته ، فمتبّهه القاضي ، فاعتذر ، ثم أنشد :

يا حاملاً من عـُـلاه تاجاً ومن سنا وجهه سراجا
لو كان رودي عدل وُدِّي لسكنت من بابك الرتاجا
إن لم يُـمـرَّج عليك شخصي نقى وروحي عليك عاجا
وذكره ابن عسك^(٢) في كتابه .

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح
[ابن محمد بن أيوب]^(٣) ابن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين

يكنى أبا عبد الله رندي النشأة ، إشبيلي الأصل ، يرجع بيته ، وبيت بني
حجاج ، وبيت بني عباد ، إلى جُرثومة واحدة ، وانتقل سلفه إلى رندة [في دولة
بني عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبّه . وقدم ذو الوزارتين على

(١) الإشارة هنا إلى القاضي أبي الحكم بن حسون قاضي مالقة في أواخر العهد المرابطي .
وقد ثار على المرابطين بمالقة واستولى على الحكم وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وتسمى بالأمير ، وجعل
أخاه أبا الحسن بن حسون قائداً لجيشه . ولكن المرابطين في القواعد المجاورة تألبوا عليه ودبروا
إسقاطه بالتفاهم مع بعض خدامه ، واستطاعوا الاستيلاء على القصبية . فامتنع ابن حسون بقصره ،
واضطر في النهاية إلى الانتحار ، فاقتحم المرابطون القصر ، وبعثوا برأسه إلى مراکش (سنة ٥٤٧ هـ) .

(٢) هو محمد بن علي بن الخضر بن هارون الفسافي ويعرف بابن عسك ، وقد ترجم
له ابن الخطيب فيما تقدم من هذا المجلد (ص ١٧٢-١٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من الإسكوريال .

حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُفُولِهِ من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رُشيد الفهرى ، فألقاه السلطان بكتابه ، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن توفي هذا السلطان ، وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع ، فقلده الوزارة والسكرتابة ، وأشرك معه في الوزارة ، أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني . فلما توفي أبو سلطان ، أفرده السلطان بالوزارة ، ولقبه ذا الوزارتين ، وصار صاحب أمره ، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً ، نفعه الله تعالى : غَدْوَة يوم الفِطْرِ ، مستهل شوال سنة ثمان وسبعائة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين ، أبي الجيوش ، مكانه [١] .

حاله

[كان رحمه الله تعالى عالماً في الفضيلة والسراوة ، ومكرم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحرمة ، على الهمة ، كاتباً بليغاً ، أديباً ، شاعراً ، حسن الخط ، يكتب خطوطاً على أنواع ، كلها جميلة الانطباع ، خطيباً ، فصيح القلم ، زاكي الشيم ، مؤثراً لأهل العلم والأدب ، يراً بأهل الفضل والحسب ، نفقت بمدته للفضائل أسواق ، وأشرفت بإمداده للفضائل آفاق]^(٢) . ومن «عائد الصلة» : كان رحمه الله فريدهره سماحة^(٣) ، وبشاشة ، وكودعية ، وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزيمة^(٤) ، مبتزاً للمديح ، طلقاً للأمل ، كمفاً للغريب ، برمكي

(١) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الخاصرتين واردة في النسخ وساقطة في «الزيتونة» وفي الإسكوريال . و فقط وردت في هذين المخطوطين بعد كلمة رندة ، وقبل بداية الفقرة ، هذه العبارة «فناحيك من أصالة وجلالة وكرم طعمة» .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال . وورد في النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» : (ساحة) .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (العزيمة) .

للسائدة ، مُهَلَّبِي الحَلْوَى^(١) . رِيَّان من الأدب ، مضطاماً بالرواية ، مستكثراً من الفائدة . يقوم على المسائل الفقهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتتبيح ، ورفع راية^(٢) الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الضلب ، وأحيا معالم الأدب ، وأكرم العلم والعلماء^(٣) ، ولم تشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبير الملك ، عن المسالمة والسماع ، والإفراط^(٤) في اقتناء الكتب ، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها ، وأثرت أندية من ذخائرها . قام له الدهر على رجل ، وأخدمه صدور البيوتات ، وأعلام الرياسات ، وخوطب من البلاد النازحة ، وأمل من^(٥) الأفاق النامية .

رحلته ونبأته

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده ، على فتاء سنه ، أول عام ثلاث وثمانين وستائة ، فحج وزار ، وتجول في بلاد المشرق ، مُنتجعاً عوالى الرواية في مظانها ، ومُنقراً عنها عند مُسَيِّ شيوخها ، وقيد الأناشيد الغريبة ، والأبيات المُرقِصة ، وأقام بمكة شرفها الله ، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم ، فأخذ بها عن جماعة يأتى ذكرهم في مشيخته . وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قفل مع الركب الشامى إلى دمشق ، ثم كُرَّ إلى المغرب ، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا ردوى أوزووى . واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستائة ، وأقام بها عِيناً في قرابته ، وعلماً في أهله ، مُعظماً عندهم^(٦) ، إلى أن أوقع السلطان بلوزراء

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخلوة) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (روية) . وفي الإسكوريال (آية) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (العامل) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (وأفراط) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (ف) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (لديهم) والمؤدى واحد .

من بنى حبيب ، الوقيعة البرمكية . وورد رندة في أثر ذلك ، [في شهر جمادى
الآخرة من عام ستة وثمانين وسماية] ^(١) فمعرض إليه ، ومدحه ^(٢) ، وهنأه بقصيدة
طويلة ، من أوليات شعره ، أولها :

هل إلى ردّ عشيّات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال
فلما أنشدها إياه ، أعجب به ، وبحسن خطّه ونصاعة ظرفه ، فأثنى عليه ،
واستدعاه إلى الوفادة على حضرته ^(٣) ، [فوفد إليها في آخر العام المذكور] ^(٤) ،
فأثبتته في خراسان دولته ، [وأحفظاه لديه] ^(٥) إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء
ببابه . واستمرت حاله ، معظم القدر ، مخصوصاً بالميزية ، إلى أن توفي السلطان ،
ثاني الملوك من بنى نصر ، وتقلد الملك بعده ، وليّ عهده أبو عبد الله ، فزاد
في إحفظائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والزواوة ، ولقبه بذي الوزارتين ؛
وأعطاه العلامة ، وقلده الأمر ، فبمعد الصيت وطاب الذكر ، إلى أن كان من
الأمر ما يأتي [به الذكر] ^(٦) قريباً بإنشاء الله تعالى .

مشيخته ^(٧)

قرأ بُرُندة على الشيخ النحوي أبي الحسن علي بن يوسف العبدي السفاح ،

- (١) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخرسة) .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» كالاتي :
(فوفد آخر عام ستة وثمانين) .
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي «الزيتونة» (وأحيا ملكه) وفي الإسكوريال
(وأحفظها ملكه .)
- (٦) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٧) جاء في مخطوط الإسكوريال تحت كلمة «مشيخته» ما يأتي : «قلت لم أر في هذا الكتاب
مشيخة أطول منها فاختصرتها لولها . على أن في هذا الإختصار لهذا الكتاب أفيد المشيخة قاصداً
للترك بذكر أشياخ العلم وجملة الدين وقادته ، جماعى الله من انتظم في غمارهم ، وسلك مسلك أتباعهم =

القرآن العظيم بالروايات السبع . والعربية وغير ذلك . وعلى الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ، وأخذ عن والده جميع مروياته . واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان ، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجملة]^(١) الذين يضيق عن أمثالهم الحصر .

فمنهم أبو اليمين جوار الله بن عساكر ، لقيه بالحرّم الشريف ، وانتفع به ، واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرّاني المعروف بابن هبة الله الحرّاني . [ومنهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى بن الإمام الجزائري ، جزائر المغرب ، نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادى الحنبلي ، لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطنطيني أبو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميّاطى إمام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها]^(٢) . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمى شهاب الدين أبو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن على ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مُطَلِّباً^(٣) ليس لي في غيره أرب
إليك آل النعمى وانتهى الطالب

== وآثارهم . وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق ، قال في آخر ذلك ، « إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب » . ومن الواضح أن هذا كلام الناسخ الذى قام « باختصار » الكتاب . ولكننا رأينا أن لا نجاربه في ذلك ، وأن نذكر مشيخة ابن الحكيم مفصلة حسبما وردت في مخطوطى « ج » و « الزيتونة » .

(١) هذه الزيادة من « الزيتونة » .

(٢) وردت الأسماء المحصورة بين الحاصرتين في مخطوط الزيتونة على النحو الآتى : « وشرف الدين أبو العباسي من أهل الجزائر عمالة إفريقية ونزيل بغداد ، ومنهم خليل بن أبي بكر بن محمد المرادى نايب قاضى الخناقلة بالقاهرة المصرية يكنى أبا الصفا لقيه بالقاهرة المعزية ، ومنهم أبو بكر بن عمر بن على القسطنطيني رضى الدين ، ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين الحضرى الدميّاطى ... » .

(٣) هكذا وردت في « ج » ، وفي النسخ . وفي الزيتونة (ياطالها) «

ومنها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعلى الرقمتين بدا لقد حَكَيْتَ ولكن فأنك السَّببُ (١)

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البَعَابِكِي، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة .
ومنهم محمد بن بكر بن خلف بن أبي القاسم الصَّفَار . ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن
يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق ، ومن تخريج الأدهون المروية
بالأسانيد المصرية . وسمع الحَلَبِيَّات (٢) من ابن عماد الحرَّانِي ، والشيخ
أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .
ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ
محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنطاقي . ومنهم أبو البدر بن عبد الله
ابن أبي الزبير السكاتب المصري . ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن
خلف التدميري . ومن رؤساء شيوخه ؛ الشيخ محيي الدين أبو الفضل . ومنهم
زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن علي] (٣) البغدادي ،
تُكْنِي أم الفضل ، وسمعت (٤) من أبيها . ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أحمد الخراساني ، أبو عبد الله مُوقِرُ الدين ، وألبسه خِرْقَةُ التصوف . ومنهم
الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشَّيْبَانِي شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السَّلْفِي . ومنهم الشيخ
علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدَّشَقِي ، أبو الحسن ، ولد سنة سبع وتسعين

(١) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تحمل عن)

وخمسةماية . ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي . ومنهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بمحرم الخليل . سمع من أبي الحسن علي بن شجاع . [ومنهم يوسف بن دواد بن عيسى بن أيوب الحنفي] (١) .

ومنهم الملك الأوحدي يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ، ودواد بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ ابن بدوان ، ويُدعى علي الدين من أهل بانياس ، سمع من ابن صيصري . ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم ابن يوسف بن أسلم القرشي ، جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي [البغدادي الإمام تقي الدين . ومنهم عبد الجليل بن أحمد بن الزجاج] (٢) . ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي ، الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوي . ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد [بن مزروع] (٣) أبو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي الأديب نزيل دمشق ، ومولده بتلمسان .

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستي القسطلاني قطب الدين ، الإمام المفتي شيخ دار الحديث السكاملية بالقاهرة المعزّية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق ، سمع على ابن المغيرة البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الفسائي^(١) . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين ، سمع من علم الدين الشيخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يدعى شمس الدين ، سمع من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ، يعرف بابن عز الدولة .

وأجاز له جماعة منهم ابن عماد الحرّاني ، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين ، وسمع من ابن الزجاج وابن رّواح الحميري . ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ، عُرف بابن الجوزي سمع على جماعة ، منهم شعيب الزعفراني ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحاكي . ومنهم الإمام مفتي المسلمين رضي الله عنه . ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المسكي . ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رُحيمة الكِنَاني خطيب بجايه . ومنهم قاضي القضاة بيلاد إفريقية أبو العباس

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

ابن الغمّاز^(١) البَلَدَسِي ، لقيه بتونس . ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزى السكّابي . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابي . ومنهم الشيخ المغربي أبو محمد الحجاج ابن يوسف بن إبراهيم بن عتّاب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن يربوع السبّتي . ومنهم الإمام قُدوة النحاة أبو الحسين^(٢) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي . ومنهم الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد ابن عبد الحق الزواوي المشدالي من أهل بجاية . ومنهم الخطيب القاضي أبو عمرو إسحاق بن أبي إسحاق بن عبد الوهاب الرندي . إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

محتة

أغرّني به الأمير ولي العهد ، بسبب أمور اختلف فيها ، منها أبيات في هَجْوِ الدولة النصرية ، الله أعلم بصحة نسبتها إليه ، فأورق به [وناله بين يديه نكالٌ كبير]^(٣) أفلّت منه برفق^(٤) ، واختمني مدة في المآذن المُتَقَفِّلة والأماكن الخفية ، حتى أصحى له جوُّ سخطه ، [وقضى الله برده أمره إليه ، واستيلايه على ما وراء بابه]^(٥) .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العمار) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أبو الحسن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» «والزيتونة» . ووردت في الإسكوريال على النحو الآتي (فتنول بين يديه بنكال كبير) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (برفق) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال «والزيتونة» . ووردت في «ج» (وقضى الأمر باستيلايه) .

من روى عنه (١)

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي ، وتدبج معه رفيقه
عبد الله بن رُشيد وغير واحد . وكان ممدوحاً ، ومن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الحضرمي ، والرئيس أبو الحسن بن الجيَّاب ، ونَاهِيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجيَّاب له ، قصيدة رائقة ، يهنئه فيها بعيد الفطر منها
في أولها :

أهلاً بمقدمك الميمون طأره	يا قادماً عمّت الدنيا بشأره
من السعادة أجناد تُظَاهره	ومرحباً بك من عيد تحف به
أبدى بك البشر باديه وحاضره	قدّمت فالخلق في نعمى وفي جدل
والرّوض قد بسّمت منه أزاهره	الأرض قد لبست أثواب سُندسها
لما سقاها دوا كآ منك باكره	حَاكّت يدُ الغيث في ساحاته حُملا
وفاح فيها من النّوار عاطره	فلاح فيها من الأنوار باهرها
والزهر قد رُصّمت منه منابره	وقام فيها خطيب الطّير مرتجلا
فها هو اليرم للأبصار ناشره	موشى ثوب طسواه الدهر آونة
والطّير من طرب تشدو مزاهره	فالفصن من نشوة يثنى معاطفه
كما بدت لك من خلّ ضمائرُه	وللكمام انشفاق عن أزاهرها
قامت لدين الهوى فيه شعائرُه	لله يومك ما أذكى فضائله
وكم جمال بدا للناس ظاهره	فكم سريرة فضل فيك قد خبثت
فما لفضلك من نبت يظَاهره	فأفخر بحمق على الأيام قاطبة
قيست بفخر أولي العُلما مفاخره	فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا

(١) وردت الفقرة « الية تست هذا العراز والقصيدة التي تليها ، وهي من نظم ابن الجيَّاب

فقط في مخطوط جاينجوس . ولم ترد في « الزيتونة » ولا في « الإسكوريال » .

يَلْتاح منه بأفق الملك نور هدى
 مجد صميم على عرش السماء كما
 وزارة الدين والعلم الذي رفعت
 وليس هنا يدع من مكارمه
 يلقى الأمور بصدر منه منشرح
 راعي أمور الرعايا معتملاً نظراً
 والملك سير في تدبيره حكماً
 سياسة الحكم لا بطش يكرها
 لا يصدر الملك إلا عن إشارته
 تجري الأمور على أقصى إرادته
 وكل مقام له في كل مكرمة
 فضلها طبق الأفاق أجمعها
 فليس يجحدُه إلا أخو حسد
 لا ملك أكبر من ملك يدبره
 يا عز أمير به اشتدت مضاربه
 تثنى البلاد وأهلها بما عرفوا
 بشرى لآمله الموصول مآمله
 فالعلم قد أشرق نوراً مطالعه
 والناس في بشر وملك في ظفر
 والأرض فدملت أماناً جوانبها
 وإلى أيديه من مشى وواحدة
 فكل يوم تلقانا عوارفه

تضائل الشمس مهما لاح زاهره
 طالت مبانیه واستعلت مظاهره
 أعلامه والندى الفياض زاخره
 ساوت أوائله فيه أواخره
 بحر وأراؤه المعطى جواهره
 كمثل علياه معدوماً نظائره
 تنال ما عجزت عنه عما كره
 فهو المهيب وما تُخشى بوادره
 فالرشد لا تتعداه مصائبه
 كأنما دهره فيه يُشاوره
 أنست موارده فيها مصادره
 كأنه مثل قد سار سايره
 يرى الصباح فيعشى منه ناظره
 لا ملك أسعد من ملك يؤزره
 يا حسن ملك به ازدانت محاضره
 ويشهد الدهر آتية وعابره
 تمساً لحاسده المقطوع دابره
 والوجود قد أسبلت سحاً مواطره
 عال على كل أعلى القدر قاهره
 يمين من خلصت فيها سرائره
 تساجل البحران فاضت زواخره
 كساه أمواله الطولى دفاتره

فمن يؤدّي لما أولاه من نعم
يا أيها العبد بادِرْ لِمَ راحتهِ
واخِرْ بأن لَقِيتَ ابنَ الحكيمِ على
ولّى الصيامَ وقد عَظمتَ حرمتَهُ
وأقبلَ العيدُ فاستقبلَ به جَدلاً
شكراً ولو أن سَجَبانا يُظَاهره
فلثمها خيراً مأمول تُبادره
عصرِ يُباريك أو دهر تُفآخره
فأجرُهُ لكَ وافيهِ ووافره
واهدأ به قادماً عمّت بشائرُهُ

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الخضرمي له قوله :

تراى سَحيراً والنسيم عليل
وللفجر نَهْرٌ خاضه الليل فاعتلت
بريقٌ بأعلى الرِّقْمَتَيْنِ كأنه
فمزق ساجى الليل منه شرارة
تبسمُ نَعْرُ الرّوضِ عند ابتسامه
ومالت غصون البان تشوى كأنها
وغنّت على تلك الغصون حمام
إذا سَجَمَتِ في لحنها ثم قرّرت
سقى الله ربّماً لا يزال يشوقني
وجاد ريتاه كلما ذرّ شارق
ومالى أستسقى الغمام ومدّمعى
وعاذلةٌ باتت تلوم على السرى
تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربةٌ
ذرينى أسهى لاقى تُكسِبُ الملا
فأما ترينى من مُمارسةِ الهوى
وفوق أنايب البراعة صفوة

وللتّجم طرفٌ بالصباح كليل
شوى أدهم الظّماء منه خجول
طلائع شهبُ والسماء تجول
وخرق ستر الغيم منه نُصول
وفاضت عيونٌ للغمام همول
يُدار عليها من صباه تُحمول
لهن حفيفٌ فوقها وهديل
يطيح خفيفٌ دونها وثقيل
إليه رسومٌ دونها وطول
من الودق هتانُ أجشُّ هطول
سفوحٌ على تلك العيراص همول
وتُسكر من تعذّالها وتُطيل
ونأى على ما خيّلت ورحيل
سناء وثيقى الذّكر وهو جميل
نحيلاً فهدُ المشرفى نحيل
تزين وفى قد القناة ذبول

ولولا السرى لم يَحْتَمِلُ البدرُ كاملاً
 ولولا اغتراب المرء في طلب الملا
 ولولا نوال ابن الحكيم محمد
 وزيرٌ سما فوق السماك جلاله
 من التوم أما في الندى فإنهم
 حووا واشرف العلياء إرثاً ومكسباً
 وما جونة هطالة ذات هيدب
 لها رَجَلٌ من رَعْدِها ولوامع
 كما هدوت وسط القلاص وأرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
 إذا ما توالى للسنين محول
 يَنَمُ عليها أذخرٌ وجليل
 تُعَطَّرُ منها للنسيم ذيول
 تردُّها أجفانها وتُحِيل
 تفاقم خَطْبُ للزمان يهول
 تفوت يَدَي مَنْ رامها وتطول
 ونائلُ يَمناك الكريمة نيلُ
 ببخلٍ وهل نال العلاء ببخل
 فكان له مما أراد حصول
 إليك فلم يَعْدِلْ يمينك سؤل
 نهوضٌ بما أعياسواك كفيل
 مبيدُ العدا للمعتفين مُئيل
 على وَجنتيه للنضار مَسِيل

تميم به العلياء حتى كأنها بُثينة في الحبِّ وهو جميل
 له عزّمت لو أغير مضأوها حُسامٌ لما نالت ظُباه فلول
 سرى ذكره في الخاقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميّل
 وأغدَى قريضي جوده وثناؤه فأصبح في أقصى البلاد يجول
 إليك أيا فخر الوزارة أركلت برحلى هوجاء الشجاء ذلول
 فكيتُ إلى لقياك ناصيةَ القلا بأيدي ركابٍ سيرهنّ ذميل
 تسدّ ذنى سهماً لكل ثنية ضوامرٍ أشباه القسيّ نحول
 وقد لفظتني الأرض حتى رمتُ إلى ذراك برحلى هوجل وهجول
 فقيت أفراسي به وركائبى ولذّ مقامٌ لى به وحلول
 وقد كنت ذا نفسٍ عزوفٍ وممة عليها لأحداث الزمان دحول
 وتهوى الملاحظى وتقرى بضده لذاك اعتزته رقةٌ ونحول
 وتأبى لى الأيام إلا إدالةً فصونك لى أن الزمان مُديل
 فكل خضوعٍ فى جنابك عزّةٌ وكل اعتزازٍ قد عدّك نحول^(١)

شعره

وبضاعته فى الشعر مُزجاة ، وإن كان أعلم الناس بنقده^(٢) ، وأشدهم
 تيقظاً^(٣) [لمواقفه الحسنة وأضدادها]^(٤) . فمن ذلك قوله ، ورفعهُ إلى السلطان

(١) وردت هذه القصيدة فى «ج» فقط . ولم ترد فى «الزيتونة» ، ولا فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (به) «والزيتونة» (ببهره) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» «والزيتونة» . وفى الإسكوريال (تفظنا) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (لموافقة الحسن وضده)

ببلده رُنْدَة ، وهو إذ ذاك فتى يملأ العين أبهة ، ويستميل القلوب لباقة ، وهي (١) ،
ومن خطه نقلتُ :

هل إلى رد عَشِيَّات الوصال سبب أم ذاك من ضَرْب المُحال
حالة يسرى بها الوهم إلى أنها تُنْبِتُ بُرءاً باعتلال
وليالى ما تبقى بعدها غيرُ أشواقى إلى تلك الليال
إذ مجال الوصل (٢) فيها مسرحى ونعيمي أمرٌ فيها ووال
ولحالات التراضي جـوله مزجّت بين قبُول واقْتَبال
فبوادى الخيف خوفي مُسَعَّدُ وبأكناف منى أُسْنِي نوال
لست أنسى الأُنسُ فيها أبداً لا ولا بالعنْدلُ فى ذاك أبال
وغزالٌ قد بدا لى وجهه فرأيتُ البَدْرَ فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه لم يَكُنْ إلا على فضل اعتدال
خُصَّ بالحسن فما أنت ترى بعده للناس حظاً فى الجمال
من تسلى عن هواه (٣) فأنا بسواه عن هواه غيرُ سال
فلئن أتعبنى حُسبى له فكم نِلْتُ به أنعم حال
إذ لآلىء حيدرِهِ من قبلى ووشاحاه يميني وشمسال
خَلَفَ النومَ لى الشَّهْدُ به وترامى الشخص لا طيف الخيال
فیداوى بِلِمْه ظمئى مزجك الصهباء بالماء لزلال
أو أشادت ثنا المَلِكِ الأوحـد الأسمى الهُمَامِ المُتعال أو أشادت ثنا المَلِكِ الأوحـد الأسمى الهُمَامِ المُتعال
مَلِكٌ إن قلت فيه مَلِكاً لم تكن إلا محققاً فى المقال

(١) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى «ج» (الليل) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنسخ . وفى «ج» «الزيتونة» (هواها) . والأولى

أيد الإسلام بالعدل فما
ذو أياذٍ شملت كلّ الورى
همة هامت بأحوال التقى
وقف النفس على إجهادها

ومنها في ذكر التوم الموقع بهم :

وفريق من عتاة^(٣) عاندوا

غرهم طول التجسافى عنهم

فلقد كانت بهم زئدة أو

ولقد كان التفاق مذهباً

ما يعود اليوم إلا بادرُوا

طوقوا النعمى فلما أنكروا

[ماطل الدهر بهم غريمه

ولقد كنت غريم الدهر إذ

ولكم نافرته مجتهداً عندما

أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا

وهي طويلة ومنها :

أيها المولى الذى نعاؤه أعجزت عن شكرها كمنه المقال

(١) هكذا في «ج» والفتح . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أرباب) .

(٢) هذا البيت وارد في «ج» والإسكوريال . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «ج» (عقاد) ، وفي «الزيتونة» (عتاة) . والأولى

أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (النكال) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (دال) .

(٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «ج» و«الزيتونة» .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من بديع النظم بالسحر اخلال
فأنا العبد الذي حبسكم لم يزل والله في قلبي وبال
أورقت روضة آمالي لكم وتولاها الكبير الأتعال^(١)
واقنيت الجاه من خدمتكم فهو ما أدخره من كثر مال^(٢)
ومنها :

يا أمير المسلمين هذه خدمة تنبي عن أصدق^(٣) حال
هي بنت ساعة أو ليلة سهلت الحب في ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها من بعيد الفهم يُلغىها وقال
فهي في تأدية الشكر لكم أبدأ بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس :

حيّ حيّ بالله يارب نجد^(٤) وتحمّل عظيم شوقي ووجدى
وإذا ما بنشت حالي فبلغ من سلامي لهم على قدر وددي
ما تناسيتهم [وهل في معنى]^(٥) هم^(٦) نسوني على نطاؤل بعدي
بي شوق إليهم ليس يعزى لجميل ولا لسكان^(٧) نجد
يانسيم الصبا إذا جئت قوماً ملئت أرضهم بشيح ورند
[فتلطف عند المرور عليهم وحقوقاً لهم على فأدّ

(١) وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» والإسكوريال والنفح على النحو الآتي : (مد تولاها الرباب المنوال).

(٢) هذا البيت وارد في «الزيتونة» والإسكوريال ، وساقط في «ج» .

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (صادق) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . ووردت في «ج» (مجد) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (وها في يقيني)

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والنفح والإسكوريال (ما) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي «ج» (أسكان) . وفي الزيتونة (كساكن) .

قل لهم قد شاورت من وجدتم^(١) في حال شوق لسكل رُند^(٢) ورُند^(٣)
 وإن استفسروا حديثي فإني باعتناء الإمام بلغت قصدي
 فله الحمد إذ حباني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

[قال شيخنا أبو بكر ولده ، وجدت بخطه رحمة الله عليه ، رسالة خاطب بها أخاه
 أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها] ^(٤) .

ذَكَرَ اللَّوَى شَوْقًا إِلَى أَقْصَارِهِ قَضَى أُمِّي أَوْ كَادَ مِنْ تَذْكَارِهِ
 وَعَلَا زَفِيرُ حَرِيقٍ^(٥) نَارَ ضُلُوعِهِ فَرَمَى عَلَيَّ وَجْهَاتِهِ بِشِرَارِهِ
 لَوْ كُنْتُ تُبْصِرُ خَطَّهُ فِي خَدِّهِ لَقَرَأْتُ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
 يَا عَاذِلِيهِ أَقْصِرُوا فَلربَّما^(٦) أَفْضَى عَنَابِكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
 إِنْ لَمْ تَعِينُوهُ عَلَيَّ بِرَجَائِهِ لَا تُنْكِرُوا بِاللَّهِ خَلْعَ عِدَارِهِ
 مَا كَانَ أَكْتَمَهُ لِأَسْرَارِ الْهَوَى لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّرِّ مِنْ أَلْصَارِهِ
 مَا ذَنْبُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ أَسْفًا وَأَذْكَى النَّارِ فِي أَعْتَارِهِ
 بِخَيْلِ اللَّوَى بِالنَّاسِ كَنِيهِ وَطَيْفِهِمْ وَحَدِيثِهِ وَنَسِيمِهِ^(٧) وَمِزَارِهِ
 يَا بَرْقُ خُذْ دَمِي وَعَرِّجْ بِاللَّوَى فَأَنْفُحْهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أجلهم) .

(٢) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «ج» . وفي «الزيتونة» (ورخذ وندي) .

(٣) هذان البيتان ساقطان في الإسكوريال وواردان في «ج» وفي «الزيتونة» والهج .

(٤) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ووردت في «ج» على النحو الآتي :

(وافتح مخاطبته لأخي الأكبر أبي إسحق إبراهيم بقصيدة أولها) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (رحيق) .

(٦) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (فلشدنا) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» (ونسيه) .

وإذا لقيت بها الذي بإخائه
فاقر السلام عليه قدّر محبتي
وألمم بسائر أخوتي وقرابتي
ما منهم إلا أخ أو سيّد
فأثبت لذاك الحسى أن أخاهم
ما منزل اللذات في أوطانه
ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فيه وترفعني إلى مقاداره
من لم أكن لجوارهم بالكاره
أبدأ أرى دأبي على إكباره
في حفظ عهدهم على استبصاره
كلاً ولا السلوان من أوطاره^(١)

وقال رحمه الله في غرض كأنه ساطانه القول فيه :

ألا واصل مواصلة العقار
وقم واخلع عذارك في غزال
قضيّب مائس من فوق دِعْص
ولاح بنجده ألف ولام
رماني قاسم والسين صاد
وقد قسّمت محاسن وجنتيه
فذاك الماء من دهمي عليه
عجبت له أقام بربع قاسبي
ألفت الحب حتى صار طبعاً
فألى عن مذاهبه ذهاب
ودع عنك التخلّق بالوقار
يحقّ لئله خلع العذار
تعمم بالدجى فوق النهار
فصار معرفاً بين الدراري^(٢)
بأشفار تنوب عن الشفار
على صيدين من ماء ونار
وتلك النار من فرط استعمار
على ماشب فيه من الأوار
فما احتاج فيه إلى ادّكار
وهذا فيه أشعاري شعار

وقال العلامة ابن رشيد في «ملء العبّية» ، لما قدّمنا المدينة سنة ٥٦٨٤هـ ، كان
معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم ، وكان أرمداً ، فلما دخلنا
ذا الحليفة أومحوها ، نزلنا عن الأكوار ، وقوى الشوق لقرب المزار ، فنزل وبادر

(١) هذا البيت زائد في الإسكوريال . هذا ولم ترد هذه القصيدة في مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال (الدرار) .

إلى المشى على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حلّ في تلك الديار ،
فأحسنّ بالشفاء ، فأنشده لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا
وبالترّب منها إذ كحلنا جفوننا
و حين تبدّى للعيون جمالها
نزلنا من الأكوار نمشى كرامة
نسيحُ سبجال الدمع في عرّصاتها
وإنّ بقائى دونه لخسارة
فياعجباً ممن يحبُّ بزعمه
وزلاتٍ مثلى لا تعدُّ كثيرة
ومن شعره قوله :

ما أحسن العقل وآثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه
لاسيما إن كان في غربته
وقوله رحمه الله :

إني لأعير أحيساناً فيلحقني
يقول خيرُ الورى في سنّة ثبتت
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .

ومن شعره قوله :

يُسِرُّ من الله أن العسر قد زال
أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالاً^(٣)

(١) لم ترد هذه القصيدة في مخطوط «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

فقدتُ حياتي بالفراق^(١) ومن غدا
بِحال نوى عنى يحجب فقد فند
ومن أجل بعدى من ديار ألفتها
جحيم فزادى قد تلظى وقد وقد
وحكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبي مدين.
أنشده ابن أبي مدين :

عشقتكمو بالسمع نبل لقاكم
وسمعتُ الفتى يهوى لعمري كطرفه
وسببى ذكر الجليس إليكمو
فلما التقينا كنتم فوق وصفه^(٢)

فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله :

مازلت أسمع عن عليك كل مني
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت
أبهى من الشمس أو أجلي من القمر
أذنى فوق بين السمع والبصر^(٣)

ومن نظمه مما بكتب على قوس :

أنا عُدَّةٌ للدين فى يد من غدا
أحكى الهلال وأسهمى فى رجبها
قد جاء فى القرآن أنى عُدَّة
وإذا العدو أصابه سهمى فقد
لله منتصراً على أعدائه
لمن اعتدى تحكى رجوم سمائه^(٤)
إذ نصَّ خير الخلق مُحكم آية^(٥)
سَبَقَ القضاء بها كة وفسائه

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبى بكر فى كتابه المسمى «بالموارد المستعذبة»،
وكان [بمدينة وادى آش]^(٦) الفقيه [الكذا أبو عبد الله محمد بن غالب]^(٧)

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال . وفى «ج» (بالمراق) .

(٢) لم يرد هذان البيتان فى «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان فى «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (نجوم) والأولى روجن .

(٥) هذا البيت ساقط فى الزيتونة .

(٦) هكذا وردت فى الزيتونة والإسكوريال . وفى «ج» (بوادى آشي) .

(٧) هذه كلها زيادات وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال .

الطريفي ، فكتب يوماً إلى [الشيخ]^(١) خاصة والدي [وخلصته]^(١) أبي جعفر
ابن داود قصيدة [طويلة]^(١) على روى السنين يشتكى فيها من [جور]^(١) مشرف
بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان منها :

فياصنيّ أبي العباس كيف ترى وأنت كيّس^(٢) من فيهما من أكياس^(٣)
ولوّه إن كان ممن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف في فاس^(٤)
ومنها يستطرذ ذكر ذى الوزارتين [رحمه الله]^(٥) :

للشرق فضلٌ منه أشرقت شهبٌ من نورهم اقتبسونا كل مقياس^(٦)
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه]^(٧) :

إن أفرطت يا بن حسان غوائله فالأمريكسوه ثوب الذل والياس^(٨)
وإن تزلّ به في جوره قدّم كان الجزاء له ضرباً على الراس
فقد أقامني المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل في الناس

كتابه

وهي مرتفعة^(٩) عن نمط شعره^(١٠). فن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح

مدينة قيجاطة^(١١) :

- (١) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (أكيس) .
- (٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (جلاس) .
- (٥) هذه الزيادة من الإسكوريال .
- (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أقباس) .
- (٧) الزيادة من الزيتونة .
- (٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الباس) . والأولى أرجح .
- (٩) هكذا في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (مترفعة) وهو تحريف .
- (١٠) هكذا في «ج» و«الزيتونة» وفي الإسكوريال (تلمه) .
- (١١) قيجاطة وبالإسبانية Quesada ، مدينة أندلسية من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير شمال شرق مدينة جيان . وينتسب إليها عدد من العلماء .

من الأمير فلان ، أيده الله ونصره ، [ووقفه لما يحب ، حتى يكون ممن قام
بفرض الجهاد ونشره]^(١) . إلى ابننا الذي نمنحه الحب والرضى ، [ونسأل الله
أن يهبه الخلال التي تستحسن]^(٢) ، والشيم التي ترتضى ، الولد الأئيب^(٣) ،
الأرضى ، الأئجد ، الأرشد ، الأسمد ، محمد ، وإلى الله تعالى إسعاده ، وتولى
بالتوفيق والإرشاد سداده^(٤) ، وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر
المنوح ، ما يكمل من بغيته في نصر دين الإسلام [ويُسنى]^(٥) مراده .

أما بعد حمد الله ، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال ، [الذي يقربه
إلى رضاه]^(٦) ، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه ، فقال يا أيها النبي حرّض
المؤمنين على القتال ، تنبها على محل الثقة ، بأن الفئة القليلة من أوليائه ، تغلب
الفئة الكثيرة من أعدائه ، وتُدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله ، وليَنصُرَنَّ
الله من ينصره ، على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ، تعالى الله عن خذلان
جنده]^(٧) . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومُجتباه ، لهداية الخلق لسلك
سبيل الحق ، والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل : قاتلوا الذين يلوونكم من
الكفار ، تحريضاً على أن يحو ظلام ضلالم بنور هداة . صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى
آله الأبرار ، وأصحابه الأشداء على الكفار ، الذين جرّدوا في نُصرة دينه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال كالاتي (وكافأ سعيه الذي وقفه
على إقامة فرض الجهاد ونصره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونشكر الله على ما وهبنا من
الخلال) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الأحب) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (مراده) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال . وورد مقابلها في «الزيتونة» (وينهى) .

(٦) الزيادة من الزيتونة .

(٧) ورد مكان هذه العبارة في الزيتونة والإسكوريال ما يأتي (إنه إن غدله أفاض الكفر دماه) .

صَوَارِمَ^(١) العزم ، وأمضوا ظُبَاهُ ، وفتحوا مازَوَى له من مشارق الأرض ومغاربها ، حتى عمَّ الإسلام حدَّ المعمور ومنتهاه . فإننا كتبنا لكم . كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل^(٢) الأحوال ، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح ما يلوح بأفاق الآمال^(٣) ، مُبَشِّرًا بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ . من قيجاطة ، وبركات تفتنا بالله وحده ، تُظْهِرُ لَنَا عَجَائِبَ مَكْنُونَاتِ الطَّافَةِ ، وَتَجْنِدُنَا نِمَارَ النُّصْرِ فِي إِبْتَانِ قِطَافِهِ ، وَتُسَخِّرُ^(٤) لَنَا وَرْدَ مَشْرِعِ الْفَتْحِ فَتَرِدُ عِنْدَ طَافِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَأَنْ نَتَّقِلَّ تَجَادُهَا ، وَنَمْتَلِي جَوَادَهَا ، وَنَسْتَوْرِي زَنَادَهَا ، وَنَسْتَفْتِحُ بِهَا^(٥) مَغَالِقَ الْمَآرِبِ ، [وَلَطَائِفِ الْمَطَالِبِ]^(٦) حَتَّى دَخَلْتَ الْمَلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، أَغْوَارَهَا وَأَنْجَادَهَا . وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ اشْتِهَارُ الصَّبْحِ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ ، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جِهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَنَسْمَحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ، لِأَلْعَرِضِ^(٧) دُنْيَا ، وَأَنَا مَا قَصَّرْنَا فِي الْإِسْتِنْصَارِ وَالْإِسْتِنْفَارِ [وَلَا قَصَّرْنَا عَنْ الْإِعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمَلْنَا مَعُونَتَهُ^(٨) وَالْإِسْتِظْهَارِ]^(٩) ، وَلَا أَكْتَفِينَا بِمَطْوَلَاتِ الرِّسَائِلِ وَبِنَاتِ الْأَفْكَارِ ، حَتَّى اقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا أُنْجَبَ الْبَحَارِ ، وَسَمَحْنَا بِالطَّرَافِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ [نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ]^(١٠) مَوْفُورِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ ،

(١) هكذا وردت «في الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» «صارم» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (بتمهيد) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الإيمان) . والأولى أرجح

وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (وتسجل) . والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونستهل مصاعب المطالب) .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» «لعرض» .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (معاملته) . والأولى أرجح .

(٩) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (نصر الله) .

واشترينا بما أنعم الله به علينا، ما فرَضَ الله على كافة أهل الإسلام من الجهاد، فلم يكن بين تلبية المدعوِّ ورُده، وبين قبوله وردّه، إلا كما يحسُّو الطائر ماء الشَّداء، وبأبي الله أن يسكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه، وأن يجعل فيها سبباً^(١) إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه. ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية^(٢) إلى مثاويه؛ وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباده؛ ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده]^(٣) يد الاستسلام، وثمرنا عن ساعد الجدِّ والاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَخْذَ الْعِزَامِ، فأمدنا الله تعالى بتوالي البشائر، وتصرنا بالظافِ أغنى فيها خلوص الضمائر عن قواد^(٤) العساكر، وتقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السببِ والغنائم؛ ما عدَّ ذكره في الآفاق كالمثل السائر، وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها، وكيف يُحصيها المحصى أو يُحصُرُها الحاصر. وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتوح^(٥) سافرة الحياء. وانتشقتنا [نسيم]^(٦) النصر المنوح عبق الرِّيا، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا، ونعم المُستخار، وكتبنا إلى من قرب من عمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار. وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد والمطوِّعين، وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم، وتصرُّ الله تعالى أهدي دليل، وعناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين، تقضى^(٧) بتقريب

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (شيئا) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الغربية) والزيتونة (العربية) . والأولى

أرجح بالنسبة للمعنى المقصود .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قود) .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (الفتح) . والأولى أرجح وأكثر

مشياً مع السياق .

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (تقتضى) .

البعيد من آمالنا، وتكثير القليل . ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق يفضى إلى بلوغ الأمنية والمأمول ، إلى أن حملنا عشية يوم الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة^(١) حصن اللقوة^(٢) ، فأدركنا به . التدبير ، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير ، فافتضى الرأي المقترن بالرشاد ، المؤذن بالإسعاد ، قصد قيحاطة [لما رجى من]^(٣) تيسير فتحها ، وأملا في إضاعة فجر الأمانى لديها ، وبيان صُبْحها ، فسرنا [نحوها]^(٤) في جيش ؛ يجره على المجرّة ذيل النقع المثار ، ويضيق عن كثرتة واسع^(٥) الأقطار ، ويقر عين الإسلام ، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم]^(٦) بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار . فلما وصلنا إلى وادي يانه^(٧) على مقربة منها ، نزلنا به نريح الجياد ، ونسكل التأهب للقتال والاستعداد ، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم^(٨) الإحاطة بتأييده والإمداد . وحين فجر الفجر وأنار النهار ، وقدحت به الأصباح زند الأنوار ، ركبنا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها ، والسيوف قد كادت تانفظها عُمودها ، وبصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معبودها . فلما وصلناها ، وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبؤس ، وهتكوا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (بمقربة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (اللقون) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (رغبة في تيسير) .

وفي «الزيتونة» (من تيسير) .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (واسعة) وفي الإسكوريال (واسعات) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت محرفة في «ج» (يطير بهم نياتهم) و«الزيتونة»

(يطير بهم نياتهم) .

(٧) الإشارة هنا إلى نهر وادي يانه وبالإسبانية Guadiana ، الذي تقع قيحاطة على مقربة

من شرقيه .

(٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (يلهم) وفي الإسكوريال (يلهمهم) .

سِتْرَ عَصَمَتِهَا المحروس، [وَأُذِنَ لَهَا] ^(١) بزوال النعم، وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها حُرَّ المنايا من زُرْقِ النَّصَالِ، [وَرَشَقُوا جنودها بالنِّبَالِ، وَجَدُّوا بنات الأجال] ^(٢)، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا بالفرار من الأسوار، وولّوا الأدبار، وودّعوا الديار وما فيها من الآثار. وتَسَنَّمَ المسلمون ذِرْوَةَ البلد الأول فملكوه، وخرّقوا حجاب السِّتْرِ المسدول عليه وَهَتَّكُوهُ، وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ النصارى أسواره] ^(٣) من حُجَّةِ رجالهم، وانتقوهم من مُتَخَيَّرِي أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم ^(٤) المسلمون حُمَّة عرفوهم بها كيف يكون اللقاء، [وصرّفوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشقاء] ^(٤)، وأظهروا لهم [من صدق العزائم] ^(٥) ما علموا به أنلائن الإسلام أنصلاً لا يفسد من أنفوس عن الله عز وجل حيلة يادته،

تُبَشِّرُ بتيسير كل مرام^(١) . ودخلوا المدينة ، فألفوا بها من القوت والعتاد ، والمتاع الفاخر ، الذي يربو على التعداد ، [ما ملأ^(٢) كل^(٣) يمين وشمال ، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على السكال ، [وقتلوا بها من الجملة أعداء ، أبدوا فى حماية ضلالهم ماضى الفنا والاعتزام]^(٤) وأعملوا فيهم ماضى العوامل وشبا الإضرار . وارتفع النصرارى إلى القصبه لائذين بامتناعها ، مُعْتَصِمِينَ بِمُلُوكِهَا وارتفاعها ، مُتَخَيِّلِينَ [لضلالهم ، وعدم استبصارهم]^(٥) أن نور الهدى لا يحلُّ بديارهم . فرأينا أن تُرْفَى الرجال إلى أبراج البلد وأسواره ، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على من اعتصم بالقصبه فى حصاره ، وعمدنا بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصودة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق ، ولاح وجه^(٦) الغزاة طارحاً شعاعه على الآفاق ، أمرنا بترتيب العساكر على القصبه للحصار ، وعيِّنا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشد^(٧) البدار ، فاتهمى المسلمون من ذلك [إلى غاية لم]^(٨) تَخْطُرُ للكافرين بيال ، وجرعواهم كؤوس المنايا ، وأذاروا بها بنات الحنايا ، [فأفضت السجال]^(٩) وأظهر الكفار ، مع وقوعهم فى بحر الموت صبدا وطمعوا ، أن يقيموا بذلك لصلبانهم

(١) هكذا وردت فى «ج» والإسكوريال . وفى «الزيتونة» (مراد) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» . وفى «ج» (فعلثوا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» مع تحريف يسير . ووردت

فى «ج» كالآتى (وقتلوا من بها من أهل الضلال والظلام) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال و«الزيتونة» (متخيلين لاستبصارهم

فى ضلالهم) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» وفى الإسكوريال و«الزيتونة» (قرن) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (أوفى) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى «ج» (الذى لم) والأولى أنصح

وأنسب للسياق) .

(٨) الزيادة من الإسكوريال .

عُدُوا . فلما رأوا من عزِّ منا ما لم تتخيله ظنُّوهم وأوْهامهم ، وصابروهم المسلمون عند النِّزال مصابرةً عظُم فيها إقدامهم [وثبَّتت أقدامهم]^(١) ألقوا بأيديهم إلى التَّهْلُكَة ، إلقاءً [من هاله لمعان الأسننة ، واهتزاز رُدَيْنِيَات القنا]^(٢) ، ولاذوا بطلب الأمان ليأذ الغريق بالساحل ، بعد ما أشرف على الفناء وهبط زعيمهم ، مقتحماً خطر تلك المسالك ، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك ، وشرط أن يملكنا القصبه . ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة [والكتيبة]^(٣) المنتخبة ، فلم يظهر له عند ذلك قبُولاً ، [ولم نجعل له]^(٤) إلى تكميل ما رغب فيه سبيلاً ، فقادته البأس الشديد إلى الإذعان : ورغب أن يُكمل ما نريده على شرط^(٥) الأمان . فأسمعنا رغبته على شروط ، بعد عهد المسلمين بمنها ، [وهَيَّمت الأسباب بما نعمده]^(٦) من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها ، وذلك على كذا وكذا . وحين كملت الشروط حق التكميل ، وظهرت لنا [منه]^(٧) إمارات الوفاء الجميل ، دخلنا القصبه حماها الله ، وقد أغنى [يوم]^(٨) النصر عن شهر السلاح ، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح]^(٩) ، ورُفعت على أبراجها حمر الأعلام ، ناطقةً عن الإسلام ، بالتعريف والإعلام . وفي الحين وجهنا من يقبض تلك الحصون ، ويؤزِل ما بها من جُرم^(١٠) الكفر المأفون ، أمناء

(١) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ولا جعلنا له) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (شروطاً) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وهيات أسبابها ما يعتمد) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٨) هذه الكلمة زائدة في «الزيتونة» .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (عن فعل الصفايح) و«الزيتونة» (عن فعل المصباح) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» وفي الزيتونة والإسكوريال (حريم) .

رجالنا . فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا ، وخففت
 [عَلَمَ التَّثْلِيثِ] ^(١) ، ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للعلة الخفيفة على أعدائها
 اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح [وإن كان] ^(٢) سَامِي الْفَخْرِ : باقي الذكر
 بقاء الدهر ، فإننا لَنرجو من فضل الله أن يُتبعه ^(٣) بما هو أعلى منه متانة ،
 وأعظم ^(٤) في قلوب أهل الإيمان موقعا وأعز مكانة ، وأن يرغم بما يظهر على
 أيدينا من عز الإسلام ، أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح
 العظيم وبشروا ، واشكروا الله عليه ، فواجب أن تشكروا . وقد كتبنا هذا ، ونحن
 على عزمنا في غزو بلاد الكفار ، والسعي الحميد [إلى التنكيل بهم] ^(٥) والإضرار ،
 والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار ^(٦) ، ويمتلكون الأنجاد منها
 والأغوار ، ويكثرون القتل والأسار ، ويحكمون أيما منزلوا السيف والنار ،
 [والسلام] ^(٧) .

ومن نثر آخر إجازة ما صورته :

[وها أنا أجرى منه على حسن مُعْتَقَدِهِ ، وَأَكْرَهُهُ فِي هَذَا الْفَرْضِ إِلَى مَاوَاهُ
 بِمَقْتَضَى تَوَدُّدِهِ ، وَأَجِيزَ لَهُ وَلَوْلَدِيهِ ، أَقْرَّ اللَّهُ بِهِمَا عَيْنَهُ ، وَجَعَّ بَيْنَهُمَا وَيِينَهُ ،
 رَوَايَةَ جَمِيعِ مَا نَقَلْتَهُ وَحَمَلْتَهُ ، وَحُسْنُ إِطْلَاعِهِ يُفَضِّلُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجَلْتَهُ ، قَدْ
 أَطَلَقْتُ لَهُمُ الْإِذْنَ فِي جَمِيعِهِ ، وَأَبْحَثُ لَهُمُ الْكَمَلَ عَنِّي ، وَلَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي تَنْوِينِهِ . وَاللَّهُ
 سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخْلِصُ أَعْمَالَنَا لِذَاتِهِ ، وَيَجْعَلُهَا فِي ابْتِغَاءِ مُرْضَاتِهِ . قَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (علما) . وفي الإسكوريال (للشرك علما) .

(٢) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يشفعه) .

(٤) هكذا في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وأسى) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة والإسكوريال (في القطع بهم) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (النارات) . وفي الإسكوريال (المغوار) .

(٧) واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة في «ج» .

عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عز وجل ، ومصلياً ومسلماً^(١) .

وفاته

قُتِلَ رحمه الله صَبِيحَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَذَلِكَ لِتَارِيخِ خَلْعِ سُلْطَانِهِ . وَاسْتَوْلَتْ يَدُ الْغَوْضَاءِ عَلَى مَنَازِلِهِ ، شَغَلَهُمْ بِهَا مُدَبِّرُ الْفِتْنَةِ ، خِيفَةَ مِنْ أَنْ يَعْاجِلُوهُ قَبْلَ تِمَامِ أَمْرِهِ . فَضَاعَ بِهَا مَالٌ لَا يُكْتَبُ ، وَعُرُوضٌ لَا يُعْلَمُ لَهَا قِيَمَةٌ مِنَ الْكُتُبِ ، وَالذَّخِيرَةُ وَالْفَرَشُ وَالْأَنْيَةُ وَالسَّلَاحُ وَالْمَتَاعُ وَالْخُرْمِيُّ ، وَأُخْفِرَتْ ذِمَّتُهُ ، وَتُعَدُّ بِهُ عُدْوَةٌ الْقَتْلِ إِلَى الْمَثَلَةِ ، وَقَانَا اللَّهُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، فَطَيِّفَ بِشَلْوِهِ ، وَاتَّهَبَ فِضَاعَ [وَلَمْ يُقْبَرَ]^(٢) ، وَجَرَتْ فِيهِ شِنَاعَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مولده

بُرُودَةَ ظَهَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُبَارَكِ ، مِنْ عَامِ سِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ^(٣) . وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَيْبَانَ وَحَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ :

[سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ كَرُمٍ عَلَى الْبَلِي	وَمَا غَضَّ مِنْ مَقْدَارِهَا حَادِثَ الْبِلَا
وَمَا شَجَانِي أَنْ أَهِيَنَّ مَكَانَهَا	وَأَهْمَلُ قَدْرُ مَا عَهْدَنَاهُ مُهْمَلًا
أَلَا أَصْنِعُ بِهَا يَادَهُرُ مَا أَنْتَ صَانِعُ	فَمَا كُنْتَ إِلَّا عَبْدَهَا الْمُتَدَلِّلًا ^(٤)
سَفَكْتَ وَمَا كَانَ الرَّقُومُ نَوَالَهُ	لَقَدْ جَثَّهَا شَنْعَاءُ فَاضِحَةَ الْمَلَا
يَكْفِي سِبْنَتِي أَزْرُقَ الْعَيْنِ مُطْرِقُ	عَدَا فَعْدَا فِي غَيْهِ مَتَوَعَّلًا
لِنِعْمَ قَتِيلُ الْقَوْمِ فِي يَوْمِ عِيدِهِ	قَتِيلُ تَبْكِيهِ الْمَكَارِمِ وَالْمَلَا

(١) هذه الفقرة التي بين الخاصرتين وردت فقط في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (فلم يجر) والأولى أرجح وأكثر تمشياً مع السياق .

(٣) هذه الفقرة الخاصة بمولد ابن الحكيم لم ترد في «ج» . ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال

(٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من القصيدة في «الزيتونة» .

إلا إن يوم ابن الحكيم لشكل
 فقدناه في يوم أغر محجل
 تمت نحوه الأيام وهو عميدها
 تعاورت الأسياف منه ممدحا
 وخاتنه رجل في الطواف به سعت
 وجدل لم يحضره في الحى ناصر
 يد الله في ذلك الأديم مبرزقا
 ومن حزني أن لست أعرف مملحدا
 رؤيدك يا من قد غدا شامتا به
 وكنا نفادى أو نراوح بابيه
 ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا
 ومازج منه الحزن طول اعتبارنا
 وهاج لنا شجوا تذكرك مجلس
 به كانت الدنيا تؤخر مديرا
 لتبكي عيون الباكيات على فتي
 على خادم الآثار تتلى صحاحها
 على عضد الملك الذي قد تضرعت
 على قاسم الأموال فينا على الذي
 وأني لنا من بعده متعلل
 ألا يا قصير العمر يا كامل العلاء
 يسوء المصلى أن هاسكت ولم تقم

فوادى فما ينفك ما عشت مشكلا
 ففي الخشيرة نلقاه أغر محجلا
 فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الوالا
 كريما سحافوق السما كين منزلا (١)
 فناء بصدر للعلوم تحملا
 فمن مبلغ الأحياء أن مهلهلا
 تبارك ما هبت جنوبا وشمالا
 له فأوى للتراب منه مقبلا
 فبالأمس ما كان الهواد المؤملا
 وقد ظل في أوج العلاء متوقلا
 بدمع إذا ما انحلت العام أخضلا
 ولم ندر ماذا منهما كان أطولا
 له كان يهدى الحى والملا الألى
 من الناس حتما أو تقدم مقبلا
 كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلا
 على حامل القرآن يتلى مفصلا
 مكارمه في الأرض يسكا ومتدلا
 وضعنا لديه كل إصري على علا
 وما كان في حاجتنا متعللا
 يمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
 عليك صلاة فيه يشهدا الملا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (مرحلا) . والأول أرجح .

وذاك لأن الأمر فيه شهادة
 فيا أيها اللئيت الكريم الذي قضى
 لتنهك من رب السماء شهادة
 وثبتك عن حب نوى في جوانحي
 ويارب من أوليته منك نعمة
 تناسك حتى ما تمر بيباله
 يرباض في مشواك كل عشية
 كلى الله من ينسى الأذمة وافضاً
 حنانيك يا بدر الهدى فلشد ما
 وكنت لآمالى حياة هنيئة
 فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى
 فانت الذى آويتنى متغرباً
 [فإن لم أنل منك الذى كنت آملاً
 فآليت لا ينفك قلبى مكمداً

وسئتها محفوظة لن تبدلاً
 سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
 تلاقى ببشرى وجهك المتهللاً
 فما ودع القلب العميد [وما قلاً] (١)
 وكنت له ذخراً عتيداً وموثلاً
 ولم يدكر ذاك الندى والتفضلاً
 صفيف شواء أو قديداً معجلاً
 ويذهل مهما أصبح الأمر مُشكلاً
 تركت بدور الأفق بعد أفلاً
 ففادرت منى اليوم قلباً مقتلاً
 على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
 وأنت الذى أكرمتنى متطفلاً
 فما كنت إلا الحسين المتفضلاً] (٢)
 عليك ولا ينفك دمعى مسبلاً

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى (٣)

من أهل وادى آش ، وسكن غرناطة .

حاله

فقيه أديب متعطب ، متفنن فى علوم جمة ، شاعر مطبوع ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا فى «وج» . وفى الإسكوريال (ولا قلاً) .

(٢) هذا البيت زائد فى الإسكوريال .

(٣) هذه الترجمة واردة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

مدح الأمير على بن يوسف اللمتوني بقوله :

رحلوا الركائب موهناً فأذاع عُرْفُهُمُ السَّنا
والحلى قد أغرى بهم لما ترتم مُعلنا
كم حفّ حول حِمام من كل خطار القنا

قال أبو جعفر بن الزبير ، ينفك منها قصايد :

رحلوا الركاب موهناً ليكتموا ظعن الحمول وهل تواري الأنجم
فأذاع سرهم السنا ورمى بهم فله الذميل شدام المتنسم
كم حفّ حمل قباهم وركابهم من ليث غاب في برائنه الدم
من كل خطار القناة مموه بين الرحيل نصبه يستسلم

وهي طويلة ، خاطب بها أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . وقال

في وصف القصيدة :

أيا ملكا يسمو بسعد مُساعد وقد رعى علو الكواكب مساعد
نظمت قصيداً في علاك مُضَمَّناً ثلاث قواف في ثلاث قصايد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإز وصلت كانت ككعب وساعد
فأجازه بظهير كريم بتحرير ماله وتنويهه .

محمد بن عبد الرحمن ^(١) المتأهل

من أهل وادي آش يعرف ^(٢) بهماق

حسالة

من التاج : ناظم أبيات ، وموضح غرر وشيآت ، وصاحب توقيعات

(١) هكذا وردت في أواخر الجزء الأول من مخطوط الزيتونة . ووردت في الإسكوريال

(عبد الرحيم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (المعروف) .

رفيعات ، وإشارات ذوات شارات : وكان شاعراً مكثاراً ، وجواداً لا يخاف^(١) عِثاراً . أُدْخِلَ على أمير بلده المخلوع عن مُلْكِهِ ، بعد انتشار^(٢) سَيْكِهِ ، وخروج الحضرة عن ملكه ، واستقراره بوادي آش ، مروع^(٣) الببال ، ممللاً بالآمال ، وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته ، فأنشده من ساعته :

خَدَمَا إِلَيْكَ طَبْرَنْشَا شَفَعُ بِهَا وَاوَادِي الْأَشَا
وَالْأُمُّ تَتَّبِعُ بِتَمَّهَا وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبية :

أَنْلِنِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خُطَّةً تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتَكْسِبُنِي عِزًّا
فَأَعْتِزُّ فِي أَهْلِي كَمَا اعْتَزَّ بَيْدَقُ عَلَى سَفْرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا انْتَهَى فِرْزًا

فوقع الأمر بظهر رقعته ، ما ثبت في حرف النون عند ذكره ، والاحتجاج

بفضله .

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمئة . وقد على الحضرة مرات كثيرة .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي

من أهل وادي آش ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (مخلف) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (استنثار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (موروع) .

حاله (١)

كان عالماً ، صدراً ، حكياً ، فيلسوفاً ، عارفاً بالمقالات والآراء ، كلفاً بالحكمة
المشرقية ، محققاً ، متصوفاً ، طبيباً ماهراً ، فقيهاً بارع الأدب ، ناظماً ، ناثراً ،
مشاركاً في جملة من الفنون .

مشيخته

روى عن أبي محمد الرشاشي ، وعبد الحق بن عطية وغيرها .

حظوته ودخوله غرناطة

اختص بالريس أبي جعفر ، وأبي الحسن بن ملاحان . قال ابن الأبار في تحفته ،
وكتب لوالى غرناطة وقتاً .

تواليفه

رسالة حتى بن يقطان ، والأرجوزة الطبية المجهولة ، وغير ذلك .

شعره

قال ، وهو القايل من قصيدة في فتح قفصة سنة [ست وتسعين] (٢) وأُنذت
إلى البلاد :

ولما انقضى الفتح الذي كان يُرتجى وأصبح حزب الله أغلب غالب
وانجزنا وعد من الله صادق كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب

(١) واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وهو تحريف ، وصحته (ست وسبعين) أعنى
عام ٥٧٦ هـ وهو العام الذي افتتح فيه الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة ، التي خرجت
على طاعته ، وكان في ركابه طبيبه الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له . وقد أنذت قصيدة ابن طفيل
مع رسالة الفتح التي بثت إلى البلاد .

وأذعن من عليا هلال بن عامر
وهبوا إذا هبّ النسيم كما سرى
يغصّ بهم عرض الفلا وهو واسع^(١)
كأنّ بسيط الأرض حلقة خاتم
ومدّ على حكم الصغار لسلمنا
يُصرّح بالرويا وبين ضلوعه
وعى من لسان الحال أفصح خطبة
وأبصر مشن الأرض كفة حامل
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
إلى بقعة قد بين الله فضلها
على الصفوة الأذنين منّا تحية
وله أيضاً :

ألّت وقد نام الرقيب^(٢) وهو ما
وراح إلى تجدي فرحت منجدا
وجرت على ترّب المخضب ذيلها
تناقله أيدي التجار لطيمة
ولما رأت أن لا ظلام يجنّها
سرت^(٤) عنذبات الرّبط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظلمها^(٥)

(١) وفي بعض النصوص تروى هذه الشطرة كالأق (يغص بهم عرض الفيافي وطولها).
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب لعبد الواحد المراكشي (المشبخ).
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (إلى الوادي).
(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المعجب (نفت).
(٥) وردت هذه الشطرة في المعجب كالأق (فأبدت محيا يدهش المتوسما).

فكان تجليها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولم أدت زهر الكواكب أنها هي النير الأسمى وإن كان باسما
بكت أسفاً أن لم تقز بجوارها وأسعدها صوب الغمام فأسجما
فجأت يمشج القطر ريان بردها فتنفضه كالدر فذاً وتوأما
يضم علينا الماء فضل زكاتها كل بل سقط العلق نوراً مكمما
ويفتق نضح الغيث طيب عرفها نسيم الصبا بين العرار منذما
جلت عن ثناياها وأومض برقها^(١) فلم أدر من شق الدجفة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر وجداً^(٢) أينما كان أسجما
ونظم سيطى ثغرها ووشاحها فأبصرت دُر الثغرا حلى وأنظما
تقول وقد ألمت أطراف كها يدي وقد أنمكت أخصبها الغما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً يسهل صعباً أو يرخس مائماً
فأقصرت لا مستغنياً عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرماً^(٣)
وقال:

أتذكر إذ مسحتُ بفيك عيني وقد حلَّ البكا فيها عقوده
ذكرتُ بأن ويقك ماء وورد فقابلتُ الحرارة بالبروده
وقال:

سألتُ من الملية برء دابي برشف برودها المنب المزاج
فما زالت تُقبيلُ في جفوني وتبهرني بأصناف الحجاج
وقالت إن طرفك أصلاً لدايك فليقدم في العلاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (بارق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (دما) .

(٣) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان^(١) جنازته .

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله

ابن عيَّاش التُّجِيبِي البُرْشَانِي

من أهل حصن برُشانة^(٢) المحسوب في هذه العمالة ، يكنى أبا عبيد الله ،
كاتب الخلافة .

حالُه

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك^(٣) ، كان كاتباً بارعاً ، فصيحاً ،
مُشرفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات الآداب ، جزلاً ، سرى المهمة ، كبير المقدار ،
حسن الخلق ، كريم الطباع ، نفاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلب العلم ،
والسعي الجميل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصاده ، مستعِيناً على ذلك بما نال من
الثروة والحظوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المزين ، إذ كان صاحب
القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، رفيع المنزلة والمسكنة لديهم ، قاصداً
الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاريق أحوالهم ،
إلا بكلام مُعَرَّب ، وربما استعمله في مخاطبته قديمته وأمتة ، من حوشى الألفاظ ، لا يكاد
يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألفها واستمرت
حاله عليها .

(١) المقصود بالسلطان هنا ، هو الخليفة الموحد يعقوب المنصور ، وكان ابن طفيل طبيبه
الخاص ، وصديقه الأثير لديه .

(٢) برُشانة وبالإسبانية Purchina بلدة تقع على نهر المنصورة شمالى المريّة وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الدليل والتكملة» . وقد سبق التعريف به .

شيوخه

روى عن أبي عبد الله بن حميد ، وابن أبي القاسم [السهيلي]^(١) ، وابن حَبَيْش ، [وروى عنه بنوه أبو جعفر ، وأبو القاسم ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر ابن عثمان ، وأبو القاسم البلوى]^(١) .

تو اليفه

له اختصارٌ حسن في إصلاح المنطق ، ورسائل مشهورة ، تناقلها الناس ، وشعرٌ يُحسِن في بعضه .

جاهه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوى ، قال كنت أخيفُ إليه ، وأشفع عنده في كبار المسائل ، فيسرع في قضائها . ولقد عرّضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مهمّةً كبيرة ، وجب على السعي فيها ، والتماس قضائها وفاءً لربّها ، ولم يكن لها إلا ما قدّرتُ من حسن نظره فيها ، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها ، وكان قد أصابه حينئذ التّياثُ لزم من أجله داره ، ودخلت عليه عابداً ، فأطال السؤال عن حالي ، وتبسّط معي في الكلام ، مبالغة في تأنيسي ، فأجلت ذكر الحاجة ، ودرّبت منه في الشّفاة عند السلطان في شأنها ، وكان مضطجماً ، فاستوى جالساً ، وقال لي ، جهل الناس قدّري ، وكرّرها ثلاثاً ، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ، هات الدّواة والقرطاس ، فناولته إياها ، فكتب برغبتي ، ورفعها إلى السلطان ، فصرف في الحين معلّماً ، فاستداني ، ودفعه إليّ ، وقال يا أبا القاسم ، لا أرضى منك أن تُحجّم عني في التماس قضاء حاجة تعرّضت لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة ، كبرت أو صغرت ، فألتزم قضاءها ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «الزيتونة» وساقط في الإسكوريال .

وعلى الوفا ، فإن لكل مكسب زكاة ، وزكاة الجاه بذله .

وحدثني شيخى أبو الحسن بن الجيَّاب ، عن حدثه من أشياخه ، قال ، عرض أبو عبد الله بن عيَّاش والسكاتب ابن القالى^(١) على المنصور كتابين ، وهو فى بعض الغزوات ، فى كسب البرد ، وبين يديه كانون بجره . وكان ابن عيَّاش بارع الخط ، وابن القالى ركيكه ، ويفضله فى البلاغة ، أو بالعكس الشك منى . وقال المنصور أى كتب لو كان بهذا الخط ، وأى خط لو كان بهذا السكتب ، فرضى ابن القالى ، وسخط ابن عيَّاش . فانتزع الكتاب من يد المنصور ، وطرحه فى النار وانصرف . قال ، فتغير وجه المنصور ، وابتدر أحد الأشياخ ؛ فقال يا أمير المؤمنين ، طعنتم له فى الوسيلة التى عرفته ببابكم ، فعظمت غيرته لمعرفة بقدر السبب للوصول إليكم . فسرى عن المنصور ، وقال لأحد خدامه ، اذهب إلى السبي ، فاختر أجمل نساء الأبرار ؛ وأت ببن عيَّاش ، فقل له هذه تطفى من خلقتك . قال ابن عيَّاش يخاطب ولده ، وقد حدث الحديث : هى أمك يا محمد أو فلان .

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورته الدالة على جلالة قدره

قال ابن خميس ؛ حدثني خالى أبو عبد الله ابن عسكر ، أن السكاتب أبا عبد الله بن عيَّاش ، كتب يوماً كتاباً ليهودى ، فكتب فيه ، ويحمل على البر والكرامة . فقال له المنصور^(٢) ، من أين لك أن تقول فى كافر ، ويحمل على البر والكرامة . فقال ففكرت ساعة ، وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى ، فقلت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذا أتاكم كريم قوم ، فأكرموه ؛

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ابن القالى) .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة فى الإسكوريال الكلمات الآتية (ففكرت ساعة وقد علمت) . وهى

مكررة وقد جاء مكانها بعد .

وهذا عام في الكافر ، وغيره . فقال نعم هذه الكرامة ، فلمبرة أين أخذتها ، قال فسكت^١ ولم أجد جوابا ، قال فقرأ المنصور ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا ينهاكم الله عن الدين ، لم يقانواكم في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تَبْرَهُوهم وتُفْسِدُوا إليهم ، إن الله يحب المُقْسِطِينَ » . قال فشهدتُ بذلك ؛ وشكرته .

شعره

من شعره :

بإنسية بيئى عن العلياء سلوة^٢ فإنك روض لا أحن لزهرك
وكيف يجب المرء داراً تقسمت على صارمى جذع^(١) وفتنة مشرك

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في « زاد المسافر » عند اسم ابن عيَّاش ؛ قال ، اجتمعنا في ليلة بمراكش ، فقال أبو عبد الله ابن عيَّاش :

وليلة من ليالى الصّفح قد جمعت إخوان صدقٍ ووصل للهـر غيرُ مختلس
كانوا على سنة الأيام قد بعدوا فالتفت بينهم لو ساعد العكسُ
وقال من قصيدة :

أشفارها^(٢) أم صارمُ الحجاج وجفونها أم فتنة الملاج
فإذا نظرت لأرضها وسماها لم تلتف غير أسنة وزجاج

وقال في المصحف الإمام ، المنسوب إلى عثمان بن عفان ، لما أمر المنصور بتحلّيته بنهيس الدر من قصيده :

(١) وردت في الإسكوريال (جوع) والتصويب من «الزيتونة» .

دكلماني الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (بأشفارها) .

وَنَقَلْتِ مِنْ كُلِّ مُلْكٍ فُخَيْرَةً كَاتِبُهُمْ كَانُوا بِرَسْمِ مَكْسَبِهِ
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاقَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَأَبْسَتْهُ الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ حَلِيَّةً وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمِّ صَاحِبِهِ

كتابتته

قال ابن سعيد^(١) في المرقصات والمطربات ، أبو عبد الله بن عياش ، كاتب الناصر وغيره ، من بني عبد المؤمن ، وواسطة عقد ترسيده ، قوله في رسالة كتبها في نزول الناصر على المهديّة بجرّاً وبرّاً ، واسترجاعها من أيدي الملثمين^(٢) :

ولما حللنا عرى السفر ، بأن حللنا حجي المهديّة ، تناهنا بأن تكون لمن حلّ بساحتها هديّة ، فأخذنا قنابها إحداق الهدب بالعين ، وأطرنا لمختلس وصلها غرّبان البين ، فبانت بليلة باسنيّة^(٣) ، وصايح يوماً صاحفته فيه يد المنية . ولما اجتلينا منها عروساً ، قد مدّت بين يديها بساط الماء ، وتوجهت باللال ، وقرطته بالثريا ، ووُشجت بنجوم السماء ، والشعب تسحب عليها أردانها ، فترأديها تارة متأسّمة ، وطوراً سافرة ، وكانما شرفاتها المشرفة أنامل مخضبة بالدياجي ،

(١) هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي ، وأصله من سادة قلعة يحصب من أعمال غرناطة . وهو سليل أسرة من الأدباء تعاقبت في تصنيف مؤلف أدبي وتاريخي ضم أئمة علي بن موسى آخر من نبع من الأسرة ، وهو يضم كتابين كبيرين هما «المشرق في حلى المشرق» و«المغرب في حلى المغرب» وموضوعهما الحديث عن فضائل مدن المشرق والمغرب . ولابن سعيد كتب أخرى منها «المرقص والمطرب» ، و«الطالع السعيد في تاريخ بني سديد» و«ملوك الشعر» ، وغيرها . وولده سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٣ هـ . وسوف يترجم له ابن الخليل فيما بعد .

(٢) يقصد بالملثمين هنا بنو غانية ، سادة ميورقة ، وأولياء المرابطين (الملثمين) . وكانوا قد غزوا إفريقية ، في أواخر القرن السادس الهجري ، واستولوا على معظم قواعدها ومنها نذر المهديّة ، الذي استرده الموحدون من يحيى بن غانية الميورقي في سنة ٦٠٢ هـ ، في عهد الخليفة الناصر بن يمتوب المنصور .

(٣) هكذا وردت هذه الكلمة في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال كلمة محرقة رسمها (مابنية) .

مُخْتَمَةً بالسكواكب الزاهرة ، تُضْحَى عن شَذْبٍ لا تَزَالُ تُقْبَلُهُ أفواه المجانيق ،
 وَوَسِيٍّ بِاسْمَةٍ عن لَعْسٍ ، لا تَبْرَحُ تَرَشِّفُهُ شِفَاهُ سِهَامِ الحَرِيقِ . خَطَبْنَاهَا ،
 فَأَرَادَتِ التَّنْبِيهَ على قَدْرِهَا ، وَالتَّوْفِيرَ في إِعْلَاءِ مَهْرِهَا ، وَمِنَ خَطَبِ الحَسَنَاءِ ،
 لَمْ يُغْلِه المَهْرُ ، فَتَمَنَعَتْ تَمَنَعُ المَقْصُورَاتِ في الخِيَامِ ، وَأَطَالَتْ إِعْمَالَ العَامِلِ
 في خِدْمَتِهَا ، وَتَجْرِيدِ الحُسَامِ ، إِلَى أَنْ تَحَقَّقَتْ عِظَمَ مَوْقِعِهَا في النَفُوسِ ، وَرَأَتْ (١)
 كَثْرَةَ مَا أُلْقِيَ لَهَا مِن نِشَارِ الرُّؤُوسِ ، جَنَحَتْ إِلَى الإِحْصَانِ بَعْدَ الذُّشُوزِ ، وَرَأَتْ
 اللِّجَاجَ في الامْتِنَاعِ مِن قَبُولِ الإِحْسَانِ لا يَجُوزُ ، فَأَمَكَّتْ زَمَامِهَا مِن يَدِ خَاطِبِهَا ،
 بَعْدَ مَطَاوِلَةِ خَطَبِهَا وَخِطَابِهَا ، وَأَمْتَمَّتْهُ على رِغْمِ رُقِيهَا بِعِنَاقِهَا ، وَرَشَفِ رُضَائِهَا ،
 فَبَانَتْ مُعْرَسًا ، حَيْثُ لا حِجَالُ إِلا مِنَ البُنُودِ ، وَلا خُلُوقُ إِلا مِنَ [دَمَاءِ] (٢)
 أَبْطَالِ الجُنُودِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدِ تَلَأَلَتْ بِهِنَّ البَشَائِرُ وَجُوهَ الأَفْكَارِ ، وَطَارَتْ بِمَسَارِهَا
 سِوَايِحُ البَرَارِيِّ ، وَسِوَانِحُ البَحَارِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَأَ الحَقَّ في نِصَابِهِ ،
 وَاسْتَرْجَعَهُ مِن أَيْدِي غُصَّابِهِ ، حَمْدًا يَجْمَعُ شَمْلَ النِّعَمِ ، وَيُلْقِحُهَا كَمَا تُلْقِحُ الرِّيحُ
 الدِّيمَ ، فَشَنَّفُوا الأَسْمَاعَ بِهِنَّ البَشَائِرَ ، وَامْلَأُوا الصُّدُورَ بِمَا يَرُويهِ لَكُمْ مِن أَحَادِيثِهَا
 كُلِّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ ، فَهُوَ الفَتْحُ الَّذِي تَفْتَحُ لَهْ أَبْوابُ السَّمَاءِ [وَعِمْمُ الخَيْرِ وَالْبَيْنِ
 بِهِ] (٣) بِسَبِيحِ الشَّمْرِقِ وَالْمَاءِ ، فَشَكَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَرَضُ ، فِي كُلِّ قَطْرٍ مِن
 أَقْطَارِ الأَرْضِ .

دخل غرناطة ، مرْتادًا ، ومُتعلما ، ومُجتازًا .

مولده : بُيرِشانة بِلده ، عامِ خَمْسِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ .

وفاته : توفى بِمِراكِشَ في شَهرِ رَجَبِ الفَرْدِ مِن عامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرَةِ وَسِتِّمِائَةٍ ،

رَحِمَهُ اللهُ .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وزادت) وهو تعريف .

(٢) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني^(١)

من أهل وادي آش ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان محدثاً حافظاً ، واويةً مكثراً ، ثقةً ضابطاً ، شهيراً بحفظ كتب كثيرة ، من الحديث ، وغيره ، ذا نظر صالح في الطلب ، أديباً بارعاً ، كاتباً بليغاً ، مكثراً لجيده ، سريع البديهة في النظم والنثر ، والأدب أغلب عليه . قال أبو القاسم بن المواصي ، ما رأيت في عباد الله ، أسرع ارتجالاً منه .

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ، وأبي بكر بن زرقون ، وابن قيد ، وابن إبراهيم بن المل ، وابن النعمة وصحبه^(٢) ، ولقيه بمراكش ، ووليد بن موفق ، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة ، ولازمه أزيد من ست سنين ، وأكثر عنه ، وابن العمرسي ، وأبي العباس بن إدريس ، والخروبي ، وتلا عليه بالسبع ، وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيراً ، وابن مضاء ، وأبي علي بن عرب ، وأبي القاسم بن حبيش ، وابن عبد الجبار ، وأبي محمد بن سهل الضرير ، وعاشر وقاسم بن دحمان ، وأبي يوسف بن طلحة . وأجازله أبو بكر بن العربي ، وابن خير ، وابن مندلة . وابن تمارة ،

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، وساقطة في «الزيتونة» و«ج» .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونحبه) ، وهو فيما يبدو تعريف اقتضى التصويب .

وأبو الحسن شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل مفرج بن سلامة،
وأبو عبد الله حفيد مكي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن
أحمد السالمي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله وأبو مروان
البيضاقي، وابن قزمان، وأبو الوليد بن حجاج.

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو الحسن بن محمد بن بقی الغسانی، وأبو
عبد الله محمد بن يحيى الشكري، وأبو العباس النبائي، وأبو عمرو بن عبيد،
وهو أسن منه وأبو الكرم جودي.

توالياه

صنّف في الأدب مصنّفات منها « بهجة الأفكار ، وفرصة التذكّار ،
في مختار الأشعار » ، ومباشرة ليلة السفوح ، ومقاله في الإخوان ، خرّجها من شواهد
الحكم ، ومصنّف في أخبار معاوية ، والدر المنظم في الإحسار العظيم ، ومجموع في
الألغاز ، وورقة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ، مجموع نظمه ونثره ، وملقى
السبل في فضل رمضان ، وقصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطرات
الواجد في رثاء الواحد ، ورجوم الإنذار بهجوم العذار ، إلى غير ذلك .

محبته

غرّبه الأمير ابن سعد^(١) من وطنه ، وألزمه سكنى مرسية ، ثم بلكنسية .
ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع وستين وخمس مائة ، عاد إلى وطنه
واستقر به يفيدة الديّة ، إلى آخر عمره .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيس الجنداي أمير بلكنسية ومرسية ، وقد سبق أن ترجم له
ابن الخطيب فيما تقدم (ص ١٢٠ - ١٢٧) .

شعره

وشعره كثير . فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ذكر صحابته :

سأقتك هاتفةً على نغماتها	بالمضرب هضّب زروداً أو تلاماتها
فبين نفث السحر في نفثاتها	مصدورة تفتن في جميعها
جَنَحَ الدُّجَا سِيَّانَ فِي ذِكْرَاتِهَا	إِنْ رَاغِبَا رَادَ الضَّحَى أَوْ رَاعِهَا
والموت في يقظاتها وسناتها	هَذَا يُمْتَعُّهَا وَذَلِكَ يَشُوقُهَا
نضحت فزور الطيف برح شكاها	ولولا التعلل بالسكرى يفتابها
خرزاً تثير الذهب في كراتها	لكن بين جفونها وهنامها
يلقى الرياح بملتي هباتها	ولئن زدقت لها به فتقول من
كثفاً ويلثمها المني زهراتها	مطلولة الفرعين يلحفها الرهي
إغياضها من مجتني نجلاتها	وتسيعها ماء النخيلة جرعة

منها :

بالواضحات الغرّ من آياتها	يا من تبلج نوره عن صايع
وسداً فغالت مستدام حياتها	يا شارعاً في أمّة جعلت به
حيث الشباب يرف في جناتها	في دار خلد لا يشيب وليدها
وشيم الرياحان من جنباتها	وتتشم الرضوان في أكنافها
يا كنفها يا منتهى علمياتها	يا مصطفاها مرفع قدرها
يا هاشم الصلبان في زواتها	يا منتقاها من أرومة هاشم
يا يافعاً للرب في جمراتها	يا خاضداً للشرك شوكة حزبه

قلت ، نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه . إلى أن قال ، وهي طويلة ، قلت وثقيلة الروح . ولقد صدق في قوله .

ومن شعره :

يا بَدْرُ تَمِّ طالِعاً في الحَشِيِّ
حُظُّكَ من قَلْبِي تعذِيبُهُ
فمن يَكُن يُزْهِى بلبس المُنَى
في سَاعَةِ قَصْرِ أنيَابِهَا
لعلَّ من بَاعِد ما بيننا
[وقال] (١) :

رئوا القِيَاب بأدمع مَفْضُوضَةٍ
فلانفَس في تلك الرُّبُوع حَبِيبَةٌ
هل لي بهساتيك الظُّبَا المَاعَةِ
حقاً ففقدتُ الذات عند فراقهم
ذوى للفراق وأكْبِد تَتَصَرَّم
والقلب في إثر الوداع مُتَّسِمٌ
أم هل لذاك السُّرْب شَمَلٌ يُنظَم
فالشَّخص يُوجد والحقيقة تُعَدَم

وفاته

توفي ببلده لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمس مائة . قال أبو القاسم
المواعيني ، عَرَّر في مَشْيِهِ فسقط ، فكان سبب مَنِيَّتِهِ ، ودخل غرناطة ، في غير
ما رُجِّهَ منها ، واويا عن أبي القاسم بن الفرس . ومع ذلك فهو من أحوازاها
وَبُنْيَاتِهَا .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري (٢)
من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من كتاب الإكليل ما نصه : ممن شكَّته البراعة ، وفقدته البراعة ، تأدب

(١) وضعنا هذه الكلمة لاختلاف الشعر .

(٢) وردت لمحمد بن خاتمة الأنصاري أيضا في «الزيتونة» ترجمة مؤبزة لا تعدو أربعة عشر سطرًا .

بأخيه^(١)، وتهذب، وأراه في النظم المذهب، وكساه من التفهيم والتعليم البرد المذهب، فاقتفى واقتدى، وراح في الخلبة واعتدى، حتى نبأ وشدا. ولو أمهله الدهر لمبلغ المدا. وأما خطه فقيد الأبصار، وطرفة من طرف الأمصار، واعتبط يانع الشيبية، مخضراً السكتيبة.

شعره

كفوا الملام فلا أضغى إلى العذل عقلي وسمعى عن العذل في شغل
[يقول في هذه القصيدة :

هزلُ المحبة جدُّ والهوان هوى
من مُسعدٍ وفؤادى لا يساعدى
أعللُ النفس بالأمال أُطمعها
لئن كنت تجهل ما فى الحب من محن
أنا الذى قد حلبتُ الحب أشطره
لا أشرب الرّاح كى أحلو براحتها
ولا أجول بطرفى فى الرياض سوى
أنا العهدُ مضى ما كان أعذبه
كم فديتك يا قلبى وأنت على
فاختر لنفسك إما أن تصاحبنى
فقد تبعتك حتى سرت من شغفى

ومن شعره :

ومضُ البرقُ فزار القلقُ ومضى النومُ وحلَّ الأرقُ

(١) وردت ترجمة أخيه أحمد بن خاتمة فى المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٥٩.

وَيَنْعَانِي مِنْ غِرَاحِي قَدْ شَكَا
 وَدَلِيْلِي فِي غَلِيْلِي زَفَرَتِي
 وَحَسُوْدِي مِنْ وَقُوْدِي رَقَّ لِي
 وَعِشِيَّاتُ تَقَضَّتْ بِاللَّوِي
 إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَابِي جُمَا
 شَتَّ يَوْمَ البَيْنِ شَمَلِي
 آه مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فُرْقَةَ
 وَمِنْ ذَلِكَ :

أَيَا جِيْرَةَ الحَيِّ الْمَمْنَعِ جَارُهُ
 مَتَى غَبِيتَ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِمَخَاطِرِي
 عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَبُخْلُكُمْ نَدَى
 وَأَنْتُمْ نَعِيْمِي لَا نَعِيْمَتُ بِغَيْرِكُمْ
 وَمِنْ ظَرِيْفِ نَزَعَاتِهِ قَوْلُهُ :

الرَّفْعُ نَمَّتْكُمْ لَا خَابِكُمْ أَمَلُ
 هَلْ مِنْكُمْ لِي عَضْفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ
 وَأَخْلَفُضُ شِيْمَةٌ شَاتِي وَالهَوَى دُولُ
 إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَا سَادَتِي بَدَلُ

وفاته

اعتبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمائة . وركد إلى
 المحضرة غير ما مرة

(١) كل ما ورد من الشعر بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » ، وورد في الإسكوريال .

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (١)

من أهل قرطبة يكنى أبا بكر

حاله

نسيحٌ وحده ، أدباً و ظرفاً و لَوْذَعِيَّةً و شهرة . قال ابن عبد الملك ، كان أدبياً باوعاً ، محسناً ، شاعراً حلو الكلام ، مليح التندير ، برزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل . قلت وهذه الطريقة بديعة يتعمك فيها ألقاب البديع ، و تنفسيخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مَبْلَغاً حَجَرَهُ اللهُ عن سواه . فهو آيتها المعجزة ، و حجتها البالغة ، و فارسها العَلم ، و المبتدئ فيها و المتمم ، رحمه الله . و قال الفتح (٢) فيه : « برز في البيان ، و محرز السبق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالاً رقباه إلى مجالس ، و كساه ملابس ، و اقتطع أسمى الرتب و تبوأها ، و نال أسمى الخطط و ما تملأها » .

شهره

قال الفتح ، و قد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ، و يعرف كيف أسا الزمن بغيره ، قوله :

ركبوا السيول (٣) من الخيول و ركبوا فوق العوالي السمر زرق قطاف
و تجلّوا الغدوان من ماذيهم مرتجة إلا على الأكتاف (٤)

(١) لنا في خاتمة هذا المجلد تعليق على هذه الترجمة .

(٢) هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب «قلائد العقيان» المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

(٣) وردت في الإسكوريال (الخيول) والتصويب من القلائد .

(٤) وردت هذه الشطرة في الإسكوريال كالاتي : (مرتجة إلا على الأكتاف) . والتصويب

من « القلائد » .

[وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى
مجلس أنس :

وبيننا كل ما تدرية من ذم
بمالك من الآداب والحكم
وردد دعوة أهل المجد والكرم
إليك سعي مشوق هائم قديم
وجهي وكننت من الأعوان والخدم
وفي حديثك ما يشفي من الألم
فاطلع علينا طالع السيد العيم

أني أهزك هز الصارم الخدم
ذاك شك من قطع أنس أنت وأصله
وشت شمل كرام أنت ناظمه
ولو دعيت إلى أمثالها لسمت
وإن نشطت لتصريف صرفت له
وما أريد سوى عفو تجود به
أنت المقدم في خير وفي أدب
فأجابه رحمه الله :

نمشي على الرأس فيه لا على القدم
إني أجبت ولكن داعي الكرم
لا زلت في كل مجد مطمح المهم
وكيف يوجد عندي غير ملتزم
عندي وأكثر ما تدرية من شيم
عند الصباح وما بالعمد من قدم
سقى زمانك هطال من الديم^(٢)

أني من المجد أمر لا مراد له
لبيك لبك أضعافاً مضاعفة
لي همة ولأهل العز مطمحها
وإن حقت معروف وملتزم
زفن^(١) ورقص وما أحببت من ملح
حتى يكون كلام الحاضرين بها
يا ليلة السفح هلاً عدت ثانية
وقال في غرض النسيب :

من أطلع من غربه كوكبا
ينشع من خديه ماء الصبا

يارب يوم زادني فيه
ذوشقة لمياء معسولة

(١) زفن أي طرب ورقص .

(٢) الشعر الذي بين الحاصرتين كله ساقطه في «الزيتونة» .

قلت له وهب لي بها قبلة
فذقت شيئاً لم أذق مثله
أسعدني الله بإسعاده

وقال :

جئت لتوديعه وقد ذرفت
في موكب البين باكين ولا
معانقاً جيداً على حذر
نقص توديعه لماشقه

عيناي من حسرة وعيناه
أصعب من موقف وقفناه
فمن رأني مقبلاً فاه
ما كان من قبل قد تمناه

وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد :

يا أهل ذا المجلس السامي سراوتة
وإن أكن مظهرنا مصباح يبتكم
وقال يهني بعرس :

صرفت إليك وجوهها الأفراح
فاقضى للآرب في زمان صالح
إن كان كالشمس المنيرة حسنها
لا فرق بينكما لرأي فاستوى
هل يؤقد المصباح عند كما مهبجا
أحرزت يا عبد العزيز محاسنا
يا من له كف تجود وأضلع
ما ألفت الحاجات دوني قفلها
في كل ما تنحو إليه ملاحه

وتكتمتِك سعادة ونجاح
لا سدُّ عنك من الزمان صلاح
فالبدر أنت وما عليك جناح
زى النساء قلادة ووشاح
وكلا كما يبهاه مصباح
كثرت فلم تستوفها الأمداح
معلوي على حفظ الوداد شجاج
إلا ويمن يمينك المفتاح
وكذاك أفعال المليح ملاح^(١)

(١) الشعر الذي بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة .

ومن حكمه قوله :

كثير المال تَبَدُّله فيبقى ولا يبقى مع البُخل القليل
ومن غرست يداه ثمار جودٍ ففي ظلِّ الشَّاء له مقيل

وقال رحمه الله :

وعهدى بالشباب وحسن قدي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
فصرت اليوم مُنَحِنياً كآني أفتش في التراب على الشباب

وقال رحمه الله :

يُمسك الفارس رُمحاً وأنا أمسك فيها قَصَبَةً (١)
وكلانا بِإِلِّ في حربِهِ إن الأعلام رِماح السكِّبَةِ

قال ابن عبد الملك : أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعيني ، قال ، أخبرنا الراوية أبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، قال سألته ، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذنا ، أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المُغْرَب (٢) ، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده . وقال أنشدني أبي رحمه الله لنفسه :

أحسن ما نبيط في الدُّعا لمن رُئِبَ في حُطَّةٍ من الخُطط
خَلَّصك الله من عوايقها ودُمتَ في عِصْمَةٍ من الغلط
مُغْرَباً منك ما تُسرُّ به وكل مكروهة على شَحَط
الكلُّ بالعدل منك مُعْتَبَط وليس في الناس غيرُ مُعْتَبَط
وليس يخليك من أنا لَسَكْها (٣)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (القصبة) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (المغرب) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» (أما لكها) .

فأنفد بعون الله مجتهدا
يا صاحب الأمر والذي^(٢) يده
رفعتم يا بني رفاة ما كان
ومنهبر الحق من سواه بكم
وانضبط الأمر واستقام لكم
أتيت في كل ما أتيت به
جئلت عن سيواك منزلة
أنت من المجد والملا طرف
بقاب|صفي بالضمير|^(١) مرتبط
نايلها للعفاة غير بط
من العلوات| في هبط|^(٣)
فها هو الآن غير مختلط
ولم يكن من قبل ذا بمنضبط
فالغيث بعد الرجا والتهنط
فأست من سيواك في نط
وكلمهم في العلا من الوسط

كتابتة

وقفت من ذلك على أفانين . منها في استهلال شهر رمضان قوله :
سلام على أنس المجتهدين ، وراحة المتجهدين ، وقرّة أعين المهتدين ، والذي
زين الله به الدنيا ، وأعز به الدين . شرف الله به الإسلام ، وجعل أيامه رقوما
في عواتق الأيام . وشهوره غرراً في جباه الأعلام ، وحل به عن رقاب الأمة
قلأيد الآثام ، ونزه فيه الأسماع عن المكاره ، وصان الأفواه من رفك الكلام .
أشهد أن الله أنى عليك ، وأدخل من شاء الجنة على يديك ، وخصك من
الفضائل بما يمشى فيه التفسير حتى يسكل ويسأم ، ذلك اللسان ويمل ، وأبادت ذنوب
الأمة بما أبادت الشمس الظل ، ذلك الذي يتهاى للسماء هلاله ، ويهتز العرش
لجلاله ، وترتج الملائكة في حين إقباله ، وتدخل الحور العين في زينتها تكريماً ، وتلتزم
إجلاله وتعظيماً ، ويهتدى فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً ، وتغل الشياطين على ما

(١) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (صافى الضمير) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (التي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (منهبط) .

خُيِّلَتْ . وتذوق وبال ما كادت به وتخيَّلت ، ويشمرُّ التَّقِيُّ لعبادة ربِّه ذليلاً ، وتهبط الملائكة إلى سماء^(١) الدنيا ليلاً ، وينتظم المتَّقُونَ في ديوانه انتظام السَّلَكِ . ويكون خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عند الله أطيب من ريح المسك ، وتفتح الجنة أبواباً ، ويُغفر لمن صامه إيماناً واحتساباً ، جزاءً من ربك عطاءً حساباً ، وبما فضلك الله على سائر المشهور ، وقضى لك بالشرف والفضل المشهور . فرَضَك في كتابه ، ومدحك في خطابه ، حيث قال ، شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، يعني تكبيرُ الناس عليك ، وتقليبُ أحقادهم بالنظر إليك ، حين لُثِمْتَ بالسحاب ، ونظرتَ من تحت ذلك النُّقَابِ ، وقد يمتاز الشَّيْبُ وأن استتر بالخضاب ، حتى إذا وقف الأيِّمة منك على الصَّحِيح ، وصرَّحوا برؤيتك كلَّ التصريح ، نظرتَ كل جماعة في اجتماعها ، وتأهبت القراء لإشفاها ، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها ، وتضرعت^(٢) الأبواب ، وطلبت المواقف أواخر الأعشار والأحزاب ، وابتدیت آلم^(٣) ذلك الكتاب ، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصباح ، ورقصت رقص النواهد عند هبوب الرياح ، والله نُور السموات والأرض ، مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح ، فأملأ المسكون في سرِّ وجهر ، وحطت أقال السيئات عن كل ظهْر ، والتست الليلة التي هي خيرُ من ألف شهر ، فشط الصالحون بك صوماً ، وهجر المتَهَجِّدُونَ في ليلك نوماً ، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً . فيما أيها الذي رحل ، رحل^(٤) بعد مقامة ، وقام للسفر من مقامه ، ورأى من قضى حقّه ، ومن قصر في صيامه ، فشئ الناس إلى تشييعه ، وبسكوا لفراقه وتوديعه ، وندم المضيِّع على ما كان من تضييعه ، ولم يثق

(١) وردت في الإسكوريال (السماء) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (واصطرعت) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال (أ.ل.م) .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة مكررة في الإسكوريال . ولم تكرر في الزيتونة .

بدوام العيش إلى وقت رجوعه ، فعض على كفه ندماً ، وبكت عينه ماء وكبده دماً . رويدا حتى أمرح في ميدان فراقك ، وأتضرع إلى حنانك وإشفاقك ، وأتشفى من تقبيلك وعناقك ؛ وأسلُ منك حاجة إن أراد الله قضاها ، وشاء نفوذها وإمضاها ، إذا أنت وقفت لرب العالمين ، فقبيك من قوم ، وردك في وجوه آخرين . إن تُننى جيلاً ، فعسى يصفح لعهدك وإن أسأ ، فعلم الله أنى نويت التوبة أولاً ، وآخرأ ، وأملت الأداء باطنا وظاهراً ، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً ، وإنما علم ، من تقصير الإنسان ما علم ، والمرء ما أقضى عليه به وحكم ، وإن النفس لأمارأة بالشوء إلا من رحم ، فإن غفر فبطوله وإحسانه ، وإن عاقب فيما قدمت يدُ العبد من عصيانه ، فيأوحشة لهذه الفرقة ، ويا أسفا على بعد الشقة ، ويا شد^(١) ما خلفته لنا بفراقك من الجهد والمشقة ، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه ، وراقب إعظاما لكربه ، وشرحت إلى أعمال البر قلبه . ومع هذا أترك ترجع وتري ، أم تُضم علينا دونك أطباق الترى . فيأويلتنا إن حل الأجل ، ولم أقض دينك ، ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك . فأغرب ، لا جعله الله آخر التوديع ، وأى قلب يستطيع .

وقال في استهلال شوال :

ولكل مقام مقال . الله أكبر هذا هلال شوال قد طلع ، وكر في منازله وقطع ، وغاب أحد عشر شهراً ، ثم رجع . مالى أراه رقيق الاستهلال ، خفي الهلال ، وروحاً ترد في مثل أملال ، ما باله أمسى الله رسمه ، وصحح جسمه ، ورفع في شهور العام اسمه ، على وجهه صفة بيئة ، وناو إشراقه ليئة ، وأرى السحاب أعمده وتقيف ، وتغشاه سوية وتنصرف ، ما أراه إلا يطول ذلك المقام ، وتوالى الأهوال العظام . أصابه مرض في فصل من فصول العام ، فعادته كما يعاد المريض ، وبكته

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وياسر) والأول أرجح .

الأيام الغر والليالي البيض ، وقُلْنَ كلاك الله وكفناك ، وحاطك وشفاك ، وقُلْ
 كيف نجدك ، لافض فاك ، هذا على الظن لا على التحقيق ، ومجاز لا يحكم
 التصديق . وإنه ليبعُدُ مثل هذا المقدار ، أن يقدح فيه طول الغيب ، وتواتر
 الأسفار . أليس هو قد أَلِفَ بجالي الرياح ، وصحب برود الصباح ، وشاهد الأهوية
 مع العدو والروح ، وطواها بتجربته طي الوشاح . ما ذاك إلا أنه رأى الشمس
 في بعض الأيام ماشية ، والحسن يأخذ منها وسطاً وحاشية ، ودلائل شبابه ظاهرة
 فاشية ، فوقع منها في نفسه ما وقع ، وثبتت على قلبه من النظر ما زرع ، ووقع في
 شرَكها ، وحق له أن يقع . فرئت هي لحاله وأشفقت ، ونهجت بوصالها وتأنتت ،
 وقطعت من معدن نيلها وأنفقت ، ورأت أنها له شاكلة يبلغ أملاكها ، وتبلغ
 مأملة ، ولذلك ما مدت لذيد السباح ، فتمرضت بالعشي ، وارتصدها في الصباح ،
 مع ما أيقنا به من الانقطاع ، ويمسنا من الاجتماع ، كما نفذ القدر ، وصدرا الخبر .
 وقال تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فوجد ذلك وجداً شديداً ،
 وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً ، وأصبح بها دنفياً ، وأمسى عميداً ، حتى سلب
 ذلك بهاء ، وأذهب سنه ، وردده النحول كما شاه ، ولقي منها مثل ما لقي غيلاًن
 من بيته ، وجميل من بئنته ، وحن إليها حنين عروة إلى عفرأ ، وموعدها
 يوم وهب ناقتة الصفراء . على رسلك أني وَهَمْتُ ، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت .
 والآن وقد فطنت ، وأصبت الفص فيما ظننت ، إنه لقي رمضان في إنباله .
 وضمه نقصان هلاله ، وصامه فجأة ولم يك في باله ، فأثر ذلك في وجهه الطلق ،
 وأضعفه كما فعل بسائر الخلق ، وها هو قد أقبل من سفره البعيد ، فقل هو هلال
 الفطر أو قل هو هلال العيد ، فللقه صباح مَشَى الناس فيه مَشَى الحباب ، ولبسوا
 أفضل الثياب ، وبرزوا إلى مُصَلَّاهم من كل باب ، فارتفعت هممة الإسلام .
 وشرفت أمة محمد عليه السلام ، وخطب بالناس ودعا للإمام ، عندما طلعت

الشمس بوجه كدور المرأة ، ولون كصف المهرأة . وخرج لا ينسبها ريم الفلاة .
وقضوا السنة ، وبذلوا الجهد في ذلك والمنة ، وسألوا من الله أن يدخلهم الجنة ،
ثم خطبوا حمداً لله وشكراً ، وذكره كذكرهم آبائهم أو أشد ذكراً ، ثم انصرفوا
راشدين ، وافترقوا حامدين ، وشبك الشيخ بيديه ، ونظر الشاب في كفيه ،
ورجموا على غير الطريق الذي أتوا عليه ، فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين ،
وتذكر العاشق موقف البين ، وشق المتنزّه بين الصّفين ، فنقل عينيه من الوشي
إلى الديباج ، ووجه كضوء السراج ، وعيون أقتل من سيف الحجاج ،
ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج ، وقد زينت العيون بالتسكيل ، والشعور
بالترجيل ، وكرر السواك على مواضع التقبيل ، وطوقت الأعناق بالعقود ،
وضرب الفكر في صفحات الخدود ، ومدّ بالغالية على مواضع السجود ، وأقبلت
صنعا بأوشيتها ، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقت الكفوف
بالحناء ، وأثني على الحسن وهو أحقّ بالثناء ، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء ،
وغصّ الذراع بالسوار ، وتختّم في اليمن واليسار ، وأمسكت الثياب بأيدي
الأبكار ، ومشت الأمام أمام الأحرار ، وتقدمت الدآيات بالأطفال الصغار ،
وامتلأت الدنيا سروراً ، وانقلب الكلّ إلى أهله مسروراً . وبينما كانت الحال
كما نصّبت ، والحكاية كما قصّصت ، إذ لأت الدنيا برقاً ، وامتدّ مع الأفتين
غرباً وشرقاً ، وردّ لمعانه عيون الناظرين زرقاً ، ولولا أنه جرب حتى يدرا ،
لقل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى ، حتى أقبل من شرفت العرب بنفسه ،
وفخر الإسلام بسببه ، من انتسب إلى زهرة وقصي ، وازدانت به آل غالب
وآل لؤي ، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بئده ، أو الفضل فهو لابس برده ،
أو الفخر فهو واسطة عقده ، أو الحسن فهو نسيج وحده ، الذي رفع لواء العليا ،
وعارضت مكارمه صوب^(١) الجبا ، وحكّت محاسنه زهرة الحياة الدنيا . فأما

(١) أول الكلمة في المخطوط مخفف تحت الجهر وترجع هذه القراءة .

وجهه فكما شرقت الشمس وأشرقت ، وغربت كواكب سماها وشرقت ،
 وتفتحت أطواق الليل عن غرر مجده وثشقت . ولولا حياً يغلب عليه ، وخفر
 يصحبه إذا نظرت إليه ، لاستحال النهار ، وغارت لنوره كواكب الأسحار ،
 ولكاد سنا بركة يذهب بالأبصار ، لا يحفل بالصبح إذا انقلب ، ولا بالفجر إذا
 عم آفاق الدجاء وطبق ، ولو بدا للمسافر في ليله لطارق ، قد عجم الأبنوس على
 العاج ، وأدار جفنًا كما عطف على أطفالها النعماج ، يضرب بها ضرب السيف ،
 ويلم بالفؤاد إمام الطيف ، ويتلقاها السحر تلقى الكريم للضيف ، لو جردها
 على الرقيم لوقف ، أو على فرعون ما صرف من سحره ما صرف ، أو على بسطام
 ابن قيس لألقى سلاحه وانصرف . وأما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها ،
 وأخذت زخرفها في إنباتها ، ونفخ عرف النسيم في جنباتها ، يتفنن أفانين
 الزهر ، ويتقلب تقلب الدهر ، وتطلع له نوادر كالنجوم الزهر ، لو أبصره
 مطرف ما شهر بخيله ، ولا جر من العجب ذيل مرطه ، ولا كان الخبر معه من
 شرطه . وأما أنه لو قرى على سحبان كتابه ، وانحدر على نهره عبابه ، وملاّت
 مسامع أطنابه وأسبابه ، ما قام في بيانه ولا قعد ، ولنزل عن مقامه الذي إليه
 صعد ، ولا خلف من بلاغته ما وعد . لعمر ك ما كان بشر بن المعتمر يتفنن
 للبلاغة فنوناً ، ولا يتقبلها بطوناً ومثوناً ، ولا أبو العتاهية ليشرطها كلاماً
 موزوناً ، ولا نقي الحسن بن سهل الألفاظ ، ولا رفيع قس بن ساعدة صوته
 بعكاظ ، ولا أظاظ زيد بن علي . هشاماً بما أظاظ . وأما مكارمه فكما
 انسكب الغيث عن ظلاله وخرج الودق من غلاله ، فتدارك النعمة عن فوتها ،
 وأحيا الأرض بعد موتها . ذلك الشريف الأجل ، الوزير الأفضل ، أبو طالب
 ابن القرشي الهري ، أدام الله اعترازه ، كما رقم في حلال الفخر طرازه ، فاجتمعت
 به السيادة بعد افتراقها . وأشرق وجه الأرض لإشراقها ، والتفت الشباب

باليثاب ، وضمَّ الرُّكَّابَ بالركاب ، ولا عهدٌ كأيام الشباب ، فوصل القريب
 البعيد ، وهنوه كما جرت العادة بالعيد ، فوقف مع ركابه وسلَّمت ، وجرت كلاماً
 وبه تكلمت ، فقلت تقبَّل الله سعيك ، وزكَّي عملك ، وبلغك فيما توده أملاك ،
 ولا تأملت وجهاً من الشرور إلا تأمَّلك ، ونفَعك بما أوليت ، وأجزل حظك
 على ما صمَّت وصلَّيت ، ووافقتك لعلَّ وساعدتك لئيت ، وهناك عيد الفطر
 وهنأته ، وبداك بالمسرات وبدأته ، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته . وهكذا
 بحول الله أعيادٌ واعتياد ، وعمرٌ في دوام ، وعزٌّ في ازدياد ، والسنة تفصح
 بفضلك إفصاح الخطباء من إياد ، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحا ، ودوام
 الفِطْرِ والأضحى (١) .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة ، وتردَّد إليها غير ما مرة ، وأقام بها ؛ وامتدح ابن أضحى (٢)
 وابن هاني ، وابن سعيد وغيرهم من أهلها . قال ابن سعيد في «طالع» (٣) ، وقد
 وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة ، واجتماعه بجنَّته بقرية الزاوية (٤) من خارجها ،
 بترهون القليعية الأدبية ، وما جرى بينهما ، وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع ،
 وكان لبس غفارة صفراء ، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسُرُّ
 الناظرين ، فقال لها إن لم أسُر الناظرين ، فأنا أسُر السامعين ، وإنما يُطلب سرور

(١) وردت هذه الرسالة التي قيلت في شوال ، في مخطوط الإسكوريال فقط ، (لوحه ٥٧-٥٩)
 ولم ترد في «الزيتونة» .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، وهو أحد ثوار الأندلس ، في أواخر عهد
 المرابطين . وقد ثار بغرناطة في سنة ٥٣٩ هـ ولكنه لم يستطع الصمود ضدهم ، فاعتصم بالقصبة وتوفي
 سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) .

(٣) سبق التعريف بابن سعيد ، و«طالع» أي كتابه (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) .

(٤) الزاوية هي قرية صغيرة تقع على مقربة من غرناطة . وبالإسبانية La Zubia

الناظرين منك، يا فاعلة يا صانعة . وتمسك السكر من ابن قزمان، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلا وثيابه تقطر، وقد شرب كثيراً من الماء، فقال إسمع يا وزير ثم أنشد:

إيه أبا بكر ولا حوّل لي بدفع أعيان وأنذال
وذات جرحٍ واسع دافق بالماء يحكى حال أذبال
غرقتني في الماء يا سيدي كغفّره بالتغريق في المال

فأمر بتجريده، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر]^(١) لهم بعد عهدهم بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة، إلا بعد ما أجزل له من الإحسان، ومدحه بما هو في ديوان أزداله .

محبته

جرت عليه بابن حمدين^(٢) محنة كبيرة، عظم لها نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها، وحادثة شقي بسببها . وقد ألمّ الفتح في قلايده بذلك، واختلّت حاله بآخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذي نوه به . توفي بقرطبة لليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة . رحمه الله .

محمد بن غالب الرضاقي

يكنى أبا عبد الله، بلنسي الأصل، سكن غرناطة مدة، ثم مالقة

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (ومر) والأولى أرجح وبها يستقيم المعنى .
(٢) هو القاضي أبو جعفر بن حمدين قاضي قرطبة . ثار بقرطبة عندما ضعف أمر المرابطين في سنة ٥٣٩ هـ، وأعلن نفسه أميراً عليها واستدرت رياسته بها نحو عام . ثم تغلب عليه ابن غانية قائد المرابطين . وجرت له بعد ذلك خطوب لم يتمكن خلالها من استرداد رياسته . وتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

الهـ

قال الأستاذ^(١) ، كان فحلاً من فحول الشعراء ، ورئيساً في الأدباء ، عفيفاً ، ساكناً ، وقوراً ، ذا سمعة وعقل . وقال القاضي^(٢) ، كان شاعراً مجيداً ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، بارع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ، دينياً ، وقوراً ، عفيفاً ، متفقها ، عالي الهمة ، حسن الخلق والخلق والسمت ، تام العقل ، مقبلاً على ما يعنيه من التعميش بصناعة الرّفي^(٣) التي كان يعالجها بيده ، لم يبتذل نفسه في خدمة ، ولا تعرض لانتجاع بقافية ، خلا وقت سُكناه بفرناطة ، فإنه امتدح واليها حينئذ ، ثم نزع عن ذلك ، راضياً بالثمول حالاً ، والقناعة مالاً ، على شدة الرغبة فيه ، واغتنام ما يصدر عنه .

أخبار عقله وسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكر بن الفخار المالقي ، وكان خبيراً بأحواله : ما رأيت عمرى رجلاً أحسن سمّاً ، وأطول صمّاً ، من أبي عبد الله الرصافي . وقال غيره من أصحابه ، كان رفاءً ، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد . وقال أبو عمرو ابن سالم ، كان صاحباً لأبي ، ولقيته غير ما مرة ، وكان له موضع يخرج إليه في فصل العصور ، فكنت أجتاز عليه مع أبي فأثم يده ، فربما قبّل رأسي ، ودعاني ، وكان أبي يسأل الدماء فيخجل ، ويقول أنا والله أصغر من ذلك . قال ، وكان بإزايه أبو جعفر البلنسي . وكان مستوقد الخاطر ، فربما تكلم مع أحد التجار ، فكان منه هفوة ، فيقول له جلساؤه ، شتان والله بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت ، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها . فما يزيد على التبسّم .

(١) الأستاذ هنا ، يعني الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (مسألة الصلوة) .

(٢) القاضي يقصد بها هنا ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب «الدين والتكلمة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (الرفوف) .

فلما كان أحد الأيام، جاء البانسي ليمفتح دكانه. فتعمد إلقاء الغلق من يده، فوقع على رأس أبي عبد الله. وهو مقبل على شغله، فسال دمه، فمأزاد على أن قام ومسح الدم، ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترامي عليه، وجعل يقبيل يديه، ويقول، والله ما سمعت برجل أصبر منك، ولا أعقل.

شعره

وشعره لا نهاية فوفه رونقا ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقة ديباجة، وتمكن ألفاظ، وتأصل معنى. وكان رحمه الله، قد خرج صغيرا من وطنه، فكان أبدأ بكثر الحنين إليه، ويقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فن ذلك قوله:

خليلي ما لليد قد عمقت نثرا	ومارؤوس الركب قد وجحت سكرًا
هل المسك مفتوتًا بدرجة الصبا	أم القوم أجروا من بانسية ذكرا
خليلي عوجا بي قليلا فإنه حديث	كبرد الماء في الكبد الحارًا
قفا غير مأمورين ولتتصديا	على ثقة للمزن فاستسقىا النظرا
بجسر معان والرصافة إنه على القطر	ر أن يسقى الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويد متى بها	فربحًا وأورثتني قرارتها وكرا
فبادي أنيق العيش في ريق الصبا	أبي الله أن أنسى اغتراري بها غرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها	ولسكن عرينا من حلاه ولم تعرا
أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي	طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا
محل أغره العهد لم نبذ ذكره	على كبد إلا امتري أدما حمرًا
أكله مكان كان في الأرض مسقطًا	لرأس الفتى يهواه ما عاش مضرا
ولا مثل مدحوا من المسك تربة	تملى الصبا فيه حبة عطرًا

نباتٌ كأنَّ الخلدَ يحملُ نوره
 وما كتر صيغِ الحجرِ جَلَّتْ
 أنيقُ كريَّانِ الحياةِ التي خَلَّتْ
 وقالوا هل الفردوسُ ما قد وصفتهُ
 بلنسيَّةِ تاركِ الزمردِ التي
 كأنَّ عروساً أبدعَ اللهُ حُسْنَهَا
 يويدُ منها شمسَ عمانيةِ الضحى
 تراجمُ أنفاسِ الرياحِ بزهرها
 وإن كان قد مُدَّتْ يَدُ البَيْنِ بيننا
 هي الدرةُ البيضاءُ من حيثِ جدِّتها
 أضاءتْ ومن للدرِّ أن يشبهَ الدرَّ
 خليلي أن أصدرَ لها فإنها
 هي الوطنِ المحبوبِ أو كَلَّتْهُ الصِّدْرَا
 ولم أطوِّعْها الخَطَا وهجرًا لها إذا
 ولكن إجلالاً لُتَرْتَبَهَا التي
 فبادتْ لياليهم فهل أُشْتَكِي الدهرَا
 أكارمُ عاثِ الدهرِ ما شاء فيهم
 هجوعُ بيطنِ وأرضٍ قد ضربَ الردى
 عليهم قُبَيْبَاتِ فَوْقِ النَّزَى غُبْرَا
 تقضوا فمن نجمِ سالِكِ ساقطِ
 أبى اللهُ أن يرعى السَّمَاكِ أو الذَّنْبُرَا
 ومنَ سابقِ هذا إذا شا غايَةً شا
 وغيرِ محمودِ جِيَادِ العلي خُضْرَا
 أناسٌ إذا لا قبت من شِيتِ منهم
 تَلْتَمُوكِ لا غثُ الحديثِ ولا غمْرَا
 وقد دَرَجَتْ أعمارهم فتظلموا
 هلالِ ثلاثِ لو شفا رَقَّ أو بَدْرَا
 ثلاثة أجدادِ من النَّفَرِ الألى
 زكوا خبراً بين الوردِ وزكوا خُبْرَا
 تَكَلَّمْتُمْ أَكْثَرًا دَهَى العَيْنِ وَالْحَشَى
 فعَجَرَ ذَا أُمَّا وسَجَرَ ذَا جَمْرَا
 كفى حَزَنًا أنى تباعدت عنهم
 فلم ألق من سرى منها ولا سُرَا

لِيُظَهَّرَ لِي خَيْرًا تَأْبِطُ لِي شِرَا
 فَيَسْبِي بِنَا يَفْصِمُ الظُّهْرَ
 وَسَاكِنُ قَصْرِ أُخْرَى مَسْكِنُهُ الْقَبْرَا
 سِنَاءٌ كَمَا يَسْتَقْبِلُ الْأَرِيقُ الْفَجْرَا
 وَلَمْ يَتَنَاسِ الْجُودَ أَصْرَمَ أَمْ أُنْرَا
 أَنَامِلُهُ لَا بَلْ هُوَ أَطْلَهُ الْغُرَا
 تَخْطِي بِهِ فِي الْبَرْدِ خَطِيئَةَ سَمْرَا
 خَلَائِقُ هُنَّ الْخَمْرُ أَوْ تَشْبَهُ الْخَمْرَا
 حُمِيَّاهُ فِي وَجْهِ الْأَصِيلِ لَمَّا أَصْفَرَا
 لَمَنْ بَلَّ فِي شَفْرَى ضَرْيَحٍ لَهُ شَفْرَا
 طَوَيْنَ عَنِ النَّجْدِ وَالصَّبْرَا
 تَرَى مَبْسَمَ النَّوَارِ عَنْدَ مَعْتَرَا
 إِذَا مَا جَعَلْتَ الْبُعْدَ عَنْ قُرْبِهِ عُدْرَا^(١)

وإلى متى أسلُّ بهم كلَّ واكب
 أباحثُهُ عن صَالِحَاتِ عَهْدِهَا هُنَاكَ
 مَحِيًّا خَلِيلٍ غَاضٍ مَاءَ حَيَاتِهِ
 وَأَزْهَرَ كَالْإِصْبَاحِ قَدْ كُنْتُ أُجْتَلِي
 قَتِيَّ لَمْ يَكُنْ خِلَاؤُ الصَّفَاتِ مِنَ النَّدَى
 يَصْرِفُ مَا بَيْنَ الْبِرَاعَةِ وَالْقَنَا
 طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ لِأَنَّ كَاتِمَا
 سَقَّتَهُ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ أَوْجِحِيَّةِ
 وَنَشْرُ مَحِيَّا لِلْمَكْرَمِ لَوْ سَرَتْ
 [هَلِ السَّعْدُ إِلَّا حَيْثُ حَطَّ صَعِيدُهُ
 طَوَيْنَ اللَّيْلِي طَيِّهَنَ وَإِنَّمَا
 فَلَا حُرْمَتَ سَقِيَاهُ أَدْمَعُ مُزْنَةَ
 وَمَا دَعْوَتِي لِلْمُزْنِ عُدْرًا لِدَعْوَتِي

وقال يرثي أبا محمد بن أبي العباس بمالقة :

هَبْهَا عَكَّظُ فَأَيْنَ قِسُّ أَيَادِ
 فِيكُمْ بِفَنَسْكَتِهِ الْحِمَامِ الْعَادِ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الشَّهَابِ الْهَادِي
 لِأَلَى ذَاكَ السُّكُوبِ الْوَقَادِ
 نُنْزَتْ كُوبٌ قَنَاكُمُ الْمَنَادِ
 إِلَيْهِ فِدَى لَكَ غَابِرُ الْأَجْمَادِ
 إِنْ لَمْ يَصِرْ بُرْدًا إِلَى الْأَبَادِ

أَبْنَى الْبَلَاغَةِ فِيمَ حَفَلُ النَّادِي
 أَمَا الْبَيَانُ فَقَدْ أَجَرَ لِسَانَهُ
 عَرَّشَتْ سَمَا عَلَايِكُمْ مَا أَنْتُمْ
 حُطُّوا عَلَى عُدْمِ الطَّرِيقِ فَقَدْ خَبِتْ
 مَا فُلٌّ لَهْزَمَهُ الصَّقِيلُ وَإِنَّمَا
 إِلَيْهِ عَمِيدُ الْحَيِّ غَيْرُ مُدَافِعِ
 مَا عُدْرَ سِلِّكَ كُنْتُ عِقْدَ نَظَامِهِ

(١) الأبيات المحصورة بين الخاصرتين ، واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حيث الزمان عليك شيكلاً أن يرى
 يَوْمِي بِأُنْجُمِهِ لَمَّا قَلَّدْتَهُ
 كَشَفُ الْحِجَابِ فَمَا تَرَى مُتَفَضِّلاً
 أَلِمِمَ بِرَبِّكَ غَيْرَ مَأْمُورٍ فَقَدِ
 خَبِراً يُبَلِّغُهُ إِلَيْكَ وَدُونَهُ
 قَدْ طَاطَأَ الْجَبَلُ الْمَنِيْفُ قَدَالَهُ
 أَعِدِ التَّفَاتِكَ نَحُونًا وَأُذُنَهُ
 وَامْسَحِ لِنَاعِنِ مُقَلَّتِيكَ مِنَ السَّكْرَى
 هَذَا الصَّبَاحِ وَلَا تَهَبْ إِلَى
 وَكَأَنَّمَا قَالَ الرَّدَى تَمَّ وَادْعَاً
 أُمُوسَداً تَلِكِ الرَّخَامِ بِمَرْقَدِ
 خَصِيْبَتِ بَقْدَرِكَ حَفْرَةً فَكَأَنَّهَا
 وَرَّ الْجَنْبِكَ مِنْ أَثَاثِ حُخَيْمِ
 يَاظَاعِنَا رِكَبَ الشَّرَى فِي لَيْلَةٍ
 أَعَزَزَ عَلَيْنَا أَنْ حَطَطْتَ بِمَنْزَلِ
 جَارِ الْأَفْرَادِ هُنَالِكَ جِيْرَةً
 السَّاكِنِينَ إِلَى الْمَعَادِ قِيَابَهُمْ
 مِنْ كُلِّ مُلْقِيَةِ الْجِرَابِ بِمَضْرِبِ
 بَعْرَسِ السَّفَرِ الْأَلَى رَكَبُوا
 سَيَّانَ فِيهِمْ لَيْسَلَةٌ وَنَهَارُهَا
 يَلْحَقُ الْبَطُونُ مِنَ اللَّعْبِ عَلَى الطَّوَى
 اللَّهُ هُمْ فَلَشِدَّ مَا نَفَضُوا مِنْ
 مِنْ طُولِ لَيْلٍ فِي قَمِيصِ جِدَادِ
 مِنْ دَرٍّ أَلْفَاسِظٍ وَبِيضِ أَيَادِ
 فِي سَاعَةٍ تُصْنَعِي بِهِ وَتُنَادِ
 غُصَّ الْفَنَّا بِأَرْجُلِ الْقُصَادِ
 أَمِنْ الْعُدَاةِ وَرَاحَةِ الْحَسَادِ
 لِلجَارِ بِعَدِكَ وَاقْشَعِرِّ الْوَادِ
 مِثْلَ الْحَدِيثِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَعَادِ
 نَوْمًا تَسْكَابِدُ مِنْ بُسْكِ وَمُهَادِ
 مَتَى طَالَ الرَّقَادُ وَلَاتِ حِينَ رِقَادِ
 سَبَقَتْ إِلَى الْبُشْرَى بِحُسْنِ مَعَادِ
 أَحْسَنَ بِهِ مِنْ مَرْقَدِ وَوَسَادِ
 مِنْ جَوْفِهَا فِي مِثْلِ حَرْفِ الصَّادِ
 تُرَبُّ نَدًّا وَصَفَاحِ أُنْفُسَادِ
 طَارَ الدَّلِيلُ بِهَا وَحَادَ الْحَادِ
 تَبَلُّ عَنْ الزُّوَارِ وَالْعُوَادِ
 سُقِيًّا لَتَلِكِ الْجِيْرَةِ الْأَفْرَادِ
 مَشْوَرَةُ الْأَطْنَسَابِ وَالْأَغْمَادِ
 نَابِ الْجِلَى فِيهِ عَنِ الْأَوْتَادِ
 الشَّرَى مَجْهُولَةَ الْغَايَاتِ وَالْأَمَادِ
 مَا أَشْبَهَ التَّأْوِيْبِ بِالِاسْتَادِ
 وَعَلَى الرَّوَاحِلِ عُنْفُوَانِ الزَّادِ
 أَمْتَعَةَ الْحَيَاةِ فِي حَقَايِبِ الْأَجْسَادِ

ياليت شعري والمنا لك جنة
 هل للعلا بك بعدها من نهضة
 بأبي رقد ساروا بنمشك صارم
 ذلت عوانق حامليك فإنهم
 نعم الذما البره ما قد غووروا
 عليا خص بها الضريح وإنما
 أبنى العباس أي حلال
 هل كان إلا العين وافق سهمها
 أخليل جد لا يسد مكانه
 ولكم يرى بك من مضاب لم يكن
 ما زلت تفتشها بسبيك قابضاً
 حتى أراك أبا محمد الردي
 يا حرها من ججرة مشبوبة
 كيف العزاء وإنها لرزية
 صدع النعاة بها فقلت لمدمعي
 لك من دمي ما شئت غير منهنه
 بقصير مجتهد وحسبك غاية
 أما الدموع فهي أضعف ناصر
 ثم السلام ولا أغب قراره
 تسقيك ما سفحت عليك يراعة
 ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة:

عاد الحديث إلى ماجر أطيبه
 والشبي، يبعث ذكر الشيء عن سبب

والحال مرذنة بطول بعد
 أم لانقضاء نواك من ميعاد
 كثرت حمايله على الأكناد
 شاموك في غمد بغير نجاد
 جمانه بالأبرق المنقـاد
 نعم الغوير بأبؤس الأنجاد
 سآمتكم الدنيا وأي مصاد
 قدراً فأقصد أيما إقصاد
 بالإخوة النجباء والأولاد
 لولاك غير دكادك ووهاد
 منها على الأضباع والأعضاء
 كيف انهداد بواذخ الأطواد
 يلقى لها الأيدي على الأكتاد
 خرج الأسي فيها عن المعتاد
 كيف السكابك يا أبا الجواد
 صب كيف شيت معصفر الأبراد
 لو قد بلغت بها كبير مراد
 لسكنهن كثيرة التعداد
 وأرتك صوب رواج وغواد
 في خد قرطاس دموع مباد

إيه عن الكُدَيْة البيضاء إنَّ لها
 راوِح بها السَّهل من أكنافها
 وانضح نواحيها من مُقلتيك وسلِّ
 وقل لسرحته يا مريحة كرمت
 يا عذبة الماء والظل انعمي
 ما ذا على ظلك الأملَى وقد قلصت
 أهكنا تنقضي نفسي لديك ظمًا
 لولاك يا سرحُ لم يبق الفلا عطلًا
 ولم نبت تنقاضي من مدامعنا
 إنا إذا ما تصدَّى من هوى طلكِ
 مُستعطفين سخيات الشئون له
 سَلِي نُحْمِلنك الرِّيا بأية ما
 عن فِتيية نزلوا على سرارِها
 محافظين على العُليا وربما
 حتى إذا ما قضوا من كأسها وطرا
 راحوا رواحًا وقد ريدت عما بهم
 لا يظهر الشكر حالًا في ذوايهم
 المُنزِلين القوافي من معاقلها
 ومن مقطوعاته قوله :

دعاك خليل والأصيل كأنه
 إلى شط مُنساب كأنك ماؤه

هوَى يغلب أخيك الواله الوصِب
 وأرح ركابنا ليلنا هذا من التعب
 من الكَشيب الكريم العهد في الكُتب
 على أبي عامر عَزَى عن الشَّحب
 طفلا حَيَّيتِ مُمِسيَّة ميادة الغضب
 أفيأوه لو ضنني شيئاً لمغترب
 الله في رمقٍ من جارك الجنب
 من الشرى والدجا خفاقة الطنُب
 دِينًا لُتربك من رِقراقها العرب
 عَجنا عليه فحسيناه عن كُتب
 حتى يُحاك عليه مُموق العُشب
 كانت تُرفُّ بها ربحانة الأدب
 عفت محاسنهم إلا من الكُتب
 هزوا السجايا قليلا بابنة السنب
 وضاحكوها لدى جدٍ من الطرب
 حُلماً ودارت على أسنى من الشَّهب
 الالنفات الصبا في السن العذب
 والخاضدين لديها شوكة العرب [١]

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

ومَهْوَى جَنَاحِ الصَّبَا يَمْسَحُ الرُّبَا
 وَفَتِيَانُ صَدَقِ كَالنَّجُومِ تَأَلَّفُوا
 عَلَى حِينِ رَاحِ الْبَرْقِ فِي الْجُومِ مُعَمَّدَا
 وَجَالَتْ بَعِينِي فِي الرِّيَاضِ التَّفَاتَا
 عَلَى سَطْرٍ خَيْرِي ذَكَرْتِكَ فَاثْنِي
 وَقِفْ وَقِفَةَ الْمَحْبُوبِ مِنْهُ فَإِنَهَا
 وَصِلْ زَهْرَاتٍ مِنْهُ صَفْرًا كَأَنَّهَا
 وَقَالَ وَكَلَّفَهَا فِي حَايِكَ [وَهُوَ بَدِيعٌ]^(١) .

قَالُوا وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي جِهَةِ عَدَلٍ
 فَقُلْتُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي فِي الصَّبَابَةِ لِي
 فِي كُلِّ قَلْبٍ عَزِيزَاتٍ مُدَلَّةً لِلْحُسْنِ
 عَلِقْتَهُ حَبِيبِي الثُّغْرَ عَاطِرُهُ
 إِذَا تَأَمَّلْتَهُ أَعْطَاكَ مَلْتَمَتَا
 هَيْهَاتَ أَبْغَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ بَدَلَا
 غَزِيلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْغَزَلِ جَائِلَةٌ
 جَدْلَانِ تَلْعَبُ بِالْحَرَكَاتِ أَمَلُهُ
 مَا أَنَّ يَبْنِي تَعْبَ الْأَطْرَافِ مُشْتَغَلَا
 ضَرْبًا بِكَفِّهِ أَوْ فِصًّا بِأَخْصِهِ
 وَقَالَ :

وَمَهْفَفٌ كَالْفَصْنِ إِلَّا أَنَّهُ
 أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَخَدَّدُ^(٢) خَدَّهُ

(١) هاتان الكلمتان وردتان في الإسكوريال ، وساقطتان في «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (تجيب) .

وقال :

أدِرُّهَا فالغَمامة قد أجالت
وراق الروضُ طاووساً بهيًّا
تقول وقد ثنى قُزْحُ عليه
خذوا للصَّحو أهبتكم فإني

سيوف البرق في ليم البطاح
تهبُّ عليه أنفاس الرياح
ثياب العيم مُعامة النواح
أعرتُ المزن قادمتي جناح

وقال :

أدِرُّهَا على أمر فما ثم من بأس
وما هي إلا ضاحكات غمام
ووفد رياح زَعزَع النَّهر مده
وقال في وصف مغنٍ مُحسن :

وإن جدت آذانها ورقُ الأس
لواعبُ من وعض البروق بمقياس
كما وطيت درعاً سنابك أفراس

ومُطارح مما تحس بلسانه
يُثنى الحمام فلا يروح لوكره
وقال يصف جدول ماء عليه سَرحة ، ولها حكاية معروفة :

صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
طرباً ورزق بنيه في منقاره

ومُهْدَل الشُّطين تحسب أنه
فاعت عليه مع العشيَّة^(٢) سرحة
فتراه أزرق في غلالة مُثمرة

صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
طرباً ورزق بنيه في منقاره
صدئت لفينتها صفيحة مايه
كالدارع استلقى بظل لوابه^(٣)

نثره

قال من مقامة يصف القلم :

قصير كالأنابيب لكنه يطول مضاً طوال الرِّماح
إذا عبَّ للنفس في دامسٍ ودبَّ من الطَّرس، فوق الصِّفاح
تجلت به مُشكلات الأمور ولان له الصعب بعد الجراح

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (متسايل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (الهجرة) .

(٣) هذا البيت ساقط في الزينونة .

فلولا هو^(١) لغدت أغصان الا كتساب ذاوية^(٢)، وبيوت الأموال خاوية،
 وأسرعت إليها البومى، وأصبحت كفضاد أم موسى، فهو لا محالة تجرُّها الأريج،
 وميزانها الأريج. به تديرُ البانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
 وهو رأس مالها، وقطبُ عمَّالها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها،
 وتحكم في طيِّها ونشرها، وهو قُطب مدارها، وجهينة أخبارها، وسرُّ اختيارها
 واختبارها، وظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من
 اللبنة كل صافية المقييل، صافية السربال، يُطفى جَمرة [الهرب] العوان،
 ويكايد العُدُوَّ بلا صارم ولا سنان، يقعدُ المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعائل،
 ويقمع الحواسد والمواذل.

وفاته : توفى بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقية من رمضان سنة اثنين
 وسبعين وخمسمائة . وقبره مشهور بها .

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة ، وسكن غرناطة وتردد إليها

حال

كان ليبيالودعيا ، جامعاً لخصال ؛ من خطِّ بارع وكتابة ، ونظم ، وشطرنج ،
 إلى نادرٍ حار ، وخاطر ذكي ، وجُرأة . توجه إلى العُدوة ، وارتسم بها طبيبا ،
 وتولى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمائة

شعره

أشدنى بمدينة فاس عام ستة وخمسين ، في وُجْهتي رسولا إلى المغرب ، قوله
 في رجل يقطع في الكاغد :

- (١) هكذا في الإسكوريال «الزيتونة» . وهي مقابل الرسم الحديث (فلولاه) .
- (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال، (خاوية) وهو تحريف .
- (٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

أبا علي حَسِينِيسَا أين الوفا منك أيننا
 قد بين الدمع وجدى وأنت تزداد بيننا
 بَلَّتْ لحاظك قلبي تا لله ما قلتُ مينا
 قط المقص لهذا سباب الصب مينا
 بقيت تفتخر حُسْنَا ودمتَ تزداد زِينَا

وقال أيضاً :

فَضْلُ التجارات باد في الصناعات لولا الذي هو فيها هاجر عات
 حاز الجلال فأعياني وأعجزني وإن دعيت بوصاف ونعات
 وكان شديد المغالطة ، ذاهباً أقصى مذاهب القحة ، يحرك من لا يتحرك ، ويغضب
 من لا يفضب . عتب يوماً جدته على طعام طبخته له ، ولم يستطبه ، وكان بين يديه
 [القَط] يصدعه بصياح طلبه ، فقال له ضجراً ، خمسمائة سوط ، فقالت له جدته
 لم تعط هذه السباط للقَط ، إنما عنيتني بها ، وأعطيتها باسم القَط ، فقال لها حاش
 لله يا مولاتي ، وبهذا البخل تدريني أو الزحام عليها ، بل ذلك للقَط حلالاً طيباً ،
 ولك أنت ألف من طيبة قلب ، فأرسلها مثلاً ، ومازلنا نتفكرك بذلك ، وكان
 في هذا الباب لا يُشَقُّ غباره .

مولده : بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة .

وفاته : بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشديد ، يعرفني أنه توفي في أواسط عام

سبعة وخمسين وسبعمائة .

محمد بن سليمان بن القصير

أبو بكر ، كاتب الدولة الأموية ، وعلم وقته .

حاله

قال ابن الصيرفي^(١) الوزير الكاتب ، الناظم ، الناثر ، القايم بعمود الكتابة ، والحامل للواء البلاغة ، والسابق الذي لا يُشَقُّ غباره ، ولا تخمد أبداً أنواره . اجتمع له براعة النثر ، وجزالة النظم ، رقيق الدسيح ، حصيف المتن ، رُفَعته ماشيت في العين واليد . قال ابن عبد الملك ؛ وكان كاتباً مجيداً ، بارع الخط ، كتب عن يوسف بن تاشفين .

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعمى ، وأبي الحسن بن شريح ، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم ، لقيه بمراكش .

شعره

وهو عندي في نمط دون ما وُصف به . فن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذى النون ، ومدح ابن عباد ، عند خلع ابن جهور ، أبي الوليد ، وتصيير قرطبة إليه :

سَرَى إِلَيْهَا سَكُونٌ مَنذُزْلَهَا الدُّعْرُ	فَسَلَّ عَنْهُ أَحْشَاءُ ابْنِ ذِي النُّونِ هَلْ
الظُّهُورُ عَلَيْهِ أَنْ تُؤْنِسَهُ الْحَمْرُ	وَهَلْ قَدَّرْتَ مَذَاؤُ حَشْتَهُ طَلَابِعُ
سَبَّجَالِكْ هِيَهَاتِ السُّهْبَى مِنْكَ يَا بَدْرُ	[أَلَمْ يَجْنِ يَحْيَى مِنْ تَعَاطِيكَ ظَلَهْ
وَأَخْرَهَ عَنِ شَأْوِكَ الْكُفَّ وَالْعَثْرُ	جَارَاكَ وَاسْتَوْفَيْتَ أَيْمَدَ غَايَةَ
وَكَفَّهُ عَلَى رَغْمِهِ مِمَّا تَوَهَّمَهُ صَفْرُ	فَأَحْرَزْتَ فَضْلَ السَّبْتِ عَفْوَاً
أَبْشَرْتَهَا خَيْلُنَا فَكَانَ لَكَ الدَّرُّ ^(٢)	وَيَا شَدَّ مَا أَغْرَتَهُ قَرْطَبَةُ وَقَدَّ

(١) ابن الصيرفي ، مؤرخ الدولة المرابطية . سبق التعريف به .

(٢) الأبيات الأربعة التي بين الحاصرتين ساقطة في «الزيتونة» .

ومنها :

[أَتَتْكَ وَقَدْ أُرزَى بِبَهْجَةِ حُسْنِهَا
فَأَلْبَسْتَهَا مِنْ سَابِغِ الْعَدْلِ حَلَّةً
وَجَاءَتْكَ مَتَفَالًا فَضَمَّخَ حَيْبَهَا
وَأَجْرِيَتْ مَاءَ الْجُودِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَطَابَ هَوَا أَفْقِهَا فَكَأَنَّهَا تَهْبُ نَسِيماً فِيهِ أَخْلَاقُكَ الزُّهْرُ
وَمَا أُذْرِكُكُمْ فِي هَوَاكَ هَوَادَةً
وَمَا قَلْدُوكَ لِأَمْرٍ إِلَّا لَوَاجِبُ
وَبِوَأَمِّ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ مَعْقَلًا
وَأُورِدُهُمْ مِنْ فَضْلِ سَيْبِكَ مُورِدًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَفْضَلْ عُرَى الْإِصْرِ عَنْهُمْ
أَعَدَّتْ نَهَارَ لَيْلِهِمْ وَلَطَالَمَا
وَلَا زِلْتَ تُؤْوِيهِمْ إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ
وَلَا لَأَنَّهَا مِنْ جُورِ مَالِكِهَا طَعْرُ
زَهَايَا بِهَا تَيْهٌ وَغَازِلَهَا كِبِيرُ
وَأَزْدَانِهَا مِنْ ذِكْرِكَ الْمُعْتَلَى عَطْرُ
فَرَوْضِ حَقِّكَ كَادَ أَنْ يُورِقَ الصَّخْرُ
وَمَا أُتْمِرُوا إِلَّا لِمَا أَمَرَ الْبِرُّ
جِئْتَهُ فِيهِ الْمُجْرِبُ وَالغَمْرُ
حَرَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ الْإِلْمَامُ حَجَرُ
عَلَى كَثْرَةِ الْوَارِدِ مَشْرَعُهُ غَمْرُ
وَلَا انْفَكَّ مِنْ رَبِيقِ الْأَذَى لَمْ أُسْرُ
أَرَاهِمُ نَجْمِ اللَّيْلِ فِي أَفْقِهِ الظُّهْرُ
مِنْ الْعَزِّ فِي أَرْحَابِهَا النَّعْمُ الْخَضْرُ (١)

كتابه

وهي من قلة التصنع والإخشوشان ، بحيث لا يخفى غرضها ، واسكل زمان
رجاله . وهي مع ذلك تُزينها السداجة ، وتشفع لها الغضاضة . كتب عن الأمير
يوسف بن تاشفين ولاية عهده لولده :

« هذا كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية حميم كريم ، مهتد (٢) على
الرضا قواعده ، وأكدت بيد (٣) التقوى [مواعده] (٤) ومعاقده ، وسدّدت

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال . وساقطة في « الزيتونة » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بيت) وفي نص آخر (صدرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (على) .

(٤) الزيادة من « الزيتونة » .

إلى الحسنى مقاصده ، وأبعدت عن [الهوادة والهوى] ^(١) ، مصادره وموارده .
أنفذه أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله
أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه منه ، ويرضى به عنه عمره ، غير محاب ،
ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين ، مَوْضِعُ ارْتِيَابِ ارْتَابِ ، الأمير
الأجل أبي الحسن عليّ ابنه ، المُتَقَبِّلُ هَمِمَةَ وَشَيْبَةَ ، المتأنل حِلْمَهُ وَتَحْلَمَهُ ، الناشئ
في حِجْرٍ تَقْوِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ ، المتصرف بين يدي تخريبه وتدريبه ، أدام الله عزّه
وتوفيقه ، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهتم بهم تحت عصاه من
المسلمين ، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين] ، ولم ير أن يتركهم بعد
سُئِيَ غير مدينين ^(٢) ، واعتماد في التّصائب الرفيع ، واختار واستنصح أولى
الرأى والدين ، واستشار فلم يوقع ^(٣) . بعد طول تأمل ، وتراخي مدة ، ومثل
اختياره ، واختبار من فاضله في ذلك من أولى التقوى ^(٤) ، وألحكة واستشارة
الأعلية ، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه ، ولا التقى زوَادِ الرأى
والنشاور إلا لديه . فوَلَاهُ عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ، وعهد ، وأفضى
إليه الأمر والنهي ، والتبضّ والبسط [عنده] ^(٥) ، وجعله خليفته السّاد
في رعاياه مسّده ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناظ به مهمات الأمور والأعمال ،
وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمّت العدل وحكم الكتاب
والسنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا ينام عن حمّاه ^(٦) الخيف والخوف بالاضطّجاع ،
ولا يتلّين دون معان شكوى ، ولا يتصّام عن مُستصرخ لذي بلوى ، وأن ينظم

(١) وردتا هكذا في الإسكوريال . ومكانهما في « الزيتونة » (الحوادث) .

(٢) ما بين الخاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (يوافقه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (التقى) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (جملة) .

أقصى البلاد وأدناها في سلك تدبيره ، ولا يكون بين القريب والبعيد بونٌ في إحصائه^(١) وتقديره . ثم دعا أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر ودنا من المسلمين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مُهْطِيعِينَ ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة، والتزام سنن^(٢) الجماعة، وبذل الصبيحة جهد^(٣) الاستطاعة ، ومناصفة من ناصفه . ومُحاربة من حاربه ، ومكايده من كايده، ومُعاندة من عانده، لا يدخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة، ولا يحتجون^(٤) في حالي الرضا والسخط إلى معذرة . ثم أمر بمخاطبة ساير أهل^(٥) البلاد لمبايعته ، كل طائفة منهم في بلدها^(٦) ، وتعطيه كما أعطاه من حضر ، صفقة يدها ، حتى ينظم في التزام طاعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بجبل دعوته ، الغائب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة ، وتنام عيون لم تزل مخافة إقنائها مودقة^(٧) ، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار ، وتمكن لديهم الدعة ، ويتمهد القرار ، وتنشأ لهم في الصلاح آمال ، ويستقبلهم جنة صالح وإقبال . والله يبارك لهم بيعة رضوان ، وصفقة رُجحان ، ودعوة يمين وأمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو ، نعم المولى ونعم النصير . شهد على إشهاد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته، ولقيه حُلة^(٨) عنه من التزم البيعة المنصوصة قبل ، وأعطى صفقته طائفاً متبرعاً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (أحكامه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (سنة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (قدر) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يججون) والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وطنها) .

(٧) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلمة) .

بها . وبالله التوفيق . وكتب بحضرة قرطبة في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

دخل غرناطة غير ما مرة ، وحدثه ، وفي ركاب أميره .
توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة^(١) .

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
من أهل سرقسطة ، ودخل غرناطة ، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها ،
يكنى أبا الطاهر . وله المقامات اللزوميات المعروفة .

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً ، معتمداً في الأدب ، فرداً ، متقدماً في ذلك في وقته ،
وله المقامات المعروفة ، وشعره كثير مدون .

مشيخته

روى عن أبي علي الصديقي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ،
وأبي عبد الله بن سليمان المعروف بابن أخت غانم ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي
الحسن بن الباذش ، وأبي محمد عبد الله بن محمد التنجيبي الدكلي ، وأبي القاسم
ابن صوابه^(٢) ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وغيرهم . أخذ عنه القاضي أبو العباس
ابن مضاء ، أخذ عنه السكامل المبرد ، قال . وعليه اعتمد في تقييده . وروى
عنه المقرئ المسين ، الخطيب أبو جعفر بن يحيى السكتاني ، وذكره هو
وابن مضاء .

(١) وردت في الإسكوريال (وربعائة) . وهو تحريف . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (صرافه) .

توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادى والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمماية، بزمانة لازمتة نحووا من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره

أيا قمر أتطلع من وشاح على غضٍ فاخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خمرًا معتقة فأسكر كلَّ صاح
وأهدى إذ تهادى كلُّ طيبٍ كحُوط البان في أيدي الرياح
وأحيا حين حيا نفسَ صبِّ غدت في قبضة الحب المتاح
وسوِّغ منه عتبي بعد عتب وعلاى براح فوق راح
وأجنانى الأمانى فى أمانٍ وجنحُ الليل مسدول الجناح

وقال أيضاً :

ومنعم الأعراف معسول الأما ماشيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرتُ بليلة من وصله والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضحتُ وردة خده بنفسى وظللت أشرب ماءها من فيه

وقال أيضاً :

حكَّت السلاف صفاته بجبابها من نغره ومناقها من رشفه
رتوردت حكَّت شقايق خده وتأرجت فيسيميها من عرفه
وصفت فوق^(١) أديمها فكأنها من حُسن رونق وجنتيه ولطفه
لعبت بالباب الرجال وغادرت أجسامهم صرعى كقيلة طرفه

(١) مكنا فى «الزيتونة». وفى الإسكوريال (فرق) وهو تحريف.

« ومن الغرباء في هذا الحرف »

محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويًا ساذجًا ، خشن البزة ، غير مُرهِف التَّجَنُّد ، ينظم الشعر ، ويذكر كثيراً من مسائل الفروع ، ومعاني الفرائض ، يُجَمِّعُ بها في مجالس الدروس ، تشقى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السَّجِيَّة ، وحسن العهد ، وقلة التصنع .
وجرى ذكره في الإكليل : كريم الاتناء ، مستظل^(١) بأغصان الشجرة الشَّماء ، من وجل ، سليم الضمير ، ذى باطن أصقَى من الماء النَّمِير ، له في الشعر طبع يشهد بعروبية أصوله ، ومضاء نصوله .

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين ، وقد أمر له بكسوة :

مَنْحَتٌ مَنْحَتِ النَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالرِّضَا	ولا زلت بالإحسان له مُقْرَضًا
ولا زلت للعَلِيَّاءِ جَنِّيٌّ مُكَلِّمًا	وللإمر الملك العزيز مُقْبِضًا
ولا زلت الأملاكِ بِاسْمِكَ تُتَّقَى	وجيشك وفرأ يهلاً الأرض والفضا
ولا زلت ميمون النَّقِيْبَةِ ظَافِرًا	مهيِّبًا ووهَّابًا وسيفك مُقْتَضَا
تَقَرُّ بِهِ الدِّينُ الْخَنِيْفُ وَأَهْلُهُ	وتقعع جَبَّارًا وتُهْلِكُ مُبْغِضَا
وَصَلَّتْ شَرِيْفُ الْبَيْتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وخولته أسنى مرادٍ ومُقْتَضَا
وَجُدَّتْ بِإِعْطَاءِ الْعَجِيْنِ وَكُسُوَّةِ	سُتْكُوسِي ثَوْبًا مِنْ النُّورِ أَيْضَا
وما زالت الأنصار تفعل هكذا	نال عليٌّ في الزمان الذي مضى

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ ، متظل .

هم نصروا الهادى وآووا وجَدَلُوا
 تُخَذُ ذَا أبا الحجاج من خير مادح
 فقد كان قبل اليوم غاض قريضه
 ونظَّمُ القى يسمو على قدر ما يرى
 ومن حِكْمِ القولِ اللهُمَّ مَتَّحِ اللهُمَّ
 فلا زال يهديك الشريف قصائدنا
 وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه ، وخابت لديه وسائل قوافيه :
 الشعر أسنى كلام خُصَّ بالعرب
 وأفضل الشعر أبيات يقدِّمها
 فما يُوفى كريمٌ حقَّ مادحه
 المسال يفتنى إذا طال الثواء به
 وقد مدحت لأقوام ذى حسب
 مدحتهم بكلام لو مدحتُ به
 فماد مدحى لهم هجواً يصدقه
 فكان ما قلتُ من مدحهم كذباً
 وقال فى غرض يظهر من الأبيات ، يخاطب السلطان :

مالى أرى تاج الملوك وحواله
 فكأنه البازى الصيود وحواله
 يا أيها الملك الكرام جدوده
 أبدلها من بالبيض من صفيفها
 عبدان لا حلم ولا آداب
 نفرُّ يقلب ريشه وغراب
 أسنى المحافل غيرها أتراب
 إن العبيد محلها الأبواب

وفساته

توفى فى حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
قرطبي الأصل ، تولى الولادة والمنشأ ، ابن نعمة وغذى جاه وحرمة

حاله

كان حسيًا فاضلاً كريماً ، سخياً . ورد على الأندلس ، مُفانئاً من نسكة أبيه ،
وقد عرَّكته عرَّك الرِّحى لثقالها ، على سُنن من الوقار والديانة والحمأ ، يقوم على
بعض الأعمال النبوية .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : جواد لا يُتعاظى طلقه ، وصبح
فضل لا يُمائل فلقه . كانت لوالده رحمه الله ، من الدول الحفصية منزلة لطيفة
المحل ، ومفاوضة في العقد والحل ، ولم يزل يسمو^(١) به قدم النجابة ، من العمل
إلى الحجابة . ونشأ ابنه هذا ، مَقضى الديون ، مُفدى بالأنفس والعيون . والدهر ذو
ألوان ، ومارق حرب عوان ، والأيام كرات تُتلقَّف ، وأهوال^(٢) لا تتوقَّف ،
فألوى بهم الدهر وأنحى ، وأغام جوهم^(٣) بعقب ما أضحى ، فشملهم الاعتقال ؛
وتعاورتهم النوب الثقال ، واستقرت بالمشرق ركابه ، وحطت به أقتابه ؛ فنجح
واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر ، وعكف على كتاب الله فجود الحروف ،
[وأحكم الخلف المعروف]^(٤) وقيد وأسند ، وتكرَّر إلى دور الحديث وتردد ،
وقدم على هذا الوطن قدوم النَّسيم البليل على كبد العليل . ولما استقر به^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسمو) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أحوال) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جوه) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النسخ (وقرأ المعروف) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بها) .

قراره ، واشتمل على جفنه غراره ، باهت إلى مؤانسته ، وثابت على مجالسته .
فاجتليت للسر و شخصاً ، وطالمت ديوان الوفا مستقصا .

شعره

وشعره ليس بحايد عن الإحسان ، ولا غفل من السنكت الحسان . فمن ذلك
ما خاطبني به :

يُيْمَنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ يُمِّنْ	هَدَأُ الْقَطْرُ وَالسَّجْمُ الْقَطْرُ
أَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ	بِحُورِ الدَّيْمِ الْمَدِّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَسْنَلَمًا عَدِمْنَا مَغَانِيًا	إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا عِبْرُ
هَنِيئًا بِعِيدِ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَاجِدِ	كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمْتُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال :

لعل عفوك بعد السُّخْطِ يَشْتَانِي	يَوْمًا فَيُنْعَشُ قَلْبُ الْوَالِدِ الْعَانِ
مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنِّي قَدْ عَهَدْتُكَ	ذَا حِلْمٍ وَعَفْوٍ وَإِسْفَاقٍ وَتَحَنُّانِ
فَاصْرِفْ حَنَانَكَ وَأَعْطِفْ عَلَيَّ	وَجُدْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تَحِيَّ جِسْمِي الْفَانِ
فَقَدْ تَنَاهَى الْأَسَى عِنْدِي وَعَذَّبَنِي	وَشَرَّدَ النَّوْمُ عَنِ عَيْنِي وَأَعْيَانِ
وَحَتَّى أَلَايِكَ الْحُسْنَى وَمَالِكَ مِنْ	طَوْلٍ وَفَضْلِ وَإِنْعَامٍ وَإِحْسَانِ
إِنِّي وَلَوْ حَلَّتْ الْبَلْوَى عَلَيَّ كَيْدِي	وَأَسْبَكْتُ فَوْقَ خَدِّ دَمْعِي الْقَانِ
لَوَانِقُ بَحْنَانٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي	عَمَّا قَرِيبٍ وَعَفْوٍ عَاجِلِ دَانِ
دَامَتْ سَعُودُكَ فِي الدُّنْيَا مَضَاعِفَةٌ	تَدُلُّ طَوْعًا كُلَّ سُلْطَانِ

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد

ابن سعيد الأنصارى الأوسى

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك ، من أهل مراكش ، وسكن

غرناطة .

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله غريب المنزَع ، شديد الانقباض ، محبوب المحاسن ، تذبو العين عنه جهامة ، وغرابة شكل ، ووحشة ظاهر ، فى طى ذلك أدبٌ غضُّ ، ونفسٌ حرّة ، وحديثٌ ممتع ، وأبوّةٌ كريمة ، أحد الصابرين على الجهد، المتمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة . وأبوه قاضى القضاة ، نسيخٌ وحده ، الإمام العالم، التاريخى ، المتبحر فى الأدب^(١) ، تقلّبت به أيدي الدهر بعد وفاته لتبعية سلطت على نسبه ، فاستقر بمالقة ، متحارفا مقدورا عليه ، لا يهتدى لمكان فضله ، إلا من عثر عليه جزأفا .

شعره

من لم يصبُ فى أمل وجهه عنك فصنُ وجهك عن ردّه
واعرف له الفضل وعرف به حيث أحلّ النفس من قصده
ومما خاطبني به قوله :

وليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه ذنى القدر ليس لها بمدرك
وأنشدنى فى ذلك أيضاً رحمة الله عليه :

وليت فقيل أحسن خير وال فعاق مدى مداركها بفضله

(١) الإشارة هنا إلى أبيه القاضى ابن عبد الملك المراكشى صاحب « الذبل والتكملة » .

وكم والِ أساء قبيـل دنا فحما نحاسنها بفعـله
 ومما خاطب به السلطان يستعديه على من مَطله من العمال ، وعذّر عليه واجبه
 من الطعام والمال :

مولاي نصيراً فكم يُضام مَنْ ماله غيرك اعتصام
 أمرت لي بالخلاص فر لي عنده المال والطعام
 فقال ما اعتاده جواباً وحسبي الله والإمام
 هذا مقام ولا فعـال بغير مولاي والسلام

وفاته

فقد في وقية على المسلمين من جيش مالقة بأخواز إسبانية^(١) في ذي قعدة من
 عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة .

محمد [بن خميس]^(٢) بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد

ابن خميس الحجري حَجْرُ ذِي رُعين التلمساني

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس

حاله

من عايد الصلاة : كان رحمه الله نسيجاً وحده زهداً وانقباضاً ، وأدباً وهمة ،
 حسن الشببة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الريا

(١) يبدو أن هناك لبساً في إيراد هذا الاسم . لأن إسبانية تقع جنوب شرق مدينة إسبجة
 على مقربة من قرطبة . والظاهر أن المقصود هنا ، هو ثغر إشبونة Estepona الصغير الواقع على
 شاطئ البحر المتوسط بين مريلة وجبل طارق ، على مقربة من ثغر مالقة .
 (٢) هذه الزيادة في النسبة من الزيتونة ، . (ج ٢ لوحة ٢٣٩)

والموادة^(١) عاملا على البياحة والعزلة ، علما بالمعارف القديمة . مضطاما بتفاريق النحل ،
 قائما على صناعة العربية والأصليز ، طبقة الوقت في الشعر . ونخل الأوان في النظم
 المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ومزج الجزالة بالسلاسة ، ووضع
 الألفاظ البيانية مواضعها . شديد الانتقا وإلارجا ، خامدا زو الروية ، منافسا
 في الطريقة منافسة كبيرة . كتب بتلمسان عن ملوكها من بنى زيان ، ثم فرأ
 عنهم ، وقد أوجس منهم خيفة . لبعض ما يجري بأبواب الملوك . وبعد ذلك
 بمدة ، قدم غرناطة ، فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه ، ومت إليه بالوسيلة
 العلمية ، واجتدبه بخطبة^(٢) التلميد ، واستفزه^(٣) بتأنيسه وبره ، وأقعد له للإقراء
 بجواره . وكان يروم الرحلة ، وينوى السفر ، والقضاء يُشبطه . حدثني شيخنا
 الرئيس أبو الحسن بن الجياب ، قال بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر
 فشق ذلك عليه ، وكفنا تحريك الحديث بحضورته . وجرى ذلك . فقال الشيخ
 أنا كالدّم بياحي ، أتحرك في كل ربيع .

شعره

وشعره بديع . فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر ، ويذكر الوحشة الواقعة
 بينه وبين أبي بكر بن خطاب :

مشوق زار ربك يا إماما	محا آثار دمنتها التماما
تتبع ريقه الطل ارتشافا	فما نفعت ولا نعتت أواما
وقبل خد وردتها جهارا	وماراعى لضرتهما اذا ما
وما لحريم بيتك أن يداني	ولا لعلا قدرك أن يساما
ولكن عاش في رسم مغمق	تجشسه سلاما واستلاما

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي أزهار الرياض (الهوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بمخطفة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال ربما قرئت (واستفسره) .

نَفْسٌ رَوْضَةُ الْمَطْلُولِ وَهَنَا
 تَلْقَى طَيْبٌ بـ... تَهْ (١) حَدِيثَنَا
 فَيَا نَفْسَ الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاخَا
 وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِمَاهَا
 فَلَا تُبْصِرْ بِسَرْحَتِهَا قَضِيبَا
 وَعَاتِقِ قُرْبَانَتِهَا أَوْتِبَاطَا
 وَنَافِحِ عَرْفِ زَهْرَتِهَا كَيْبَا
 وَيَا بَرَقًا أَضَاءَ (٢) عَلَى أَوَالِ
 أَثَرِ إِمَامَةٍ أَنْتِ ابْتِسَامَا
 خَفَقَتْ بِبَطْنِ وَادِيهَا لَوْأَا
 أَمْشِيهِ قَلْبِي الْمُضْنَى احْتِدَامَا
 وَلَمْ | أَسْرَتْنِي وَطَرَدْتِ | (٣) عَنِي
 وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجْفِي
 تَعَرَّضْ لِي فَأَيْقَظْتِ (٤) الْقَوَافِي
 وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَمَا مَسِي
 وَجَرَّعَتِ الْعَدُوَّ سُمًّا زُعَافَا
 دَعَوْتَ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَا سَا
 نَزَعْتَ شَوَاهِ كَبْشَهُمْ نَطَاحَا
 أَضَامُ وَفِي يَدِي قَلْبِي لِمَاذَا
 فُحْنٌ وَشَمٌّ وَيَبَاهُ فِهَامَا
 رَوَتْ مُسْنَدًا عَنْهُ الشُّعَامَا
 وَلَمْ تَعْرِفْ لِسَا كُنْهَهَا مَقَامَا
 فَرَدَّتْكَ الْعِرَادَةَ وَالْحَزَامَا
 وَلَا تُدْعِرْ بِمَسْرَحِيهَا سَوَامَا
 وَصَافِحِ كَفِّ سَوْسِنِيهَا التَّرَامَا
 تَعَاطِكَ مَاءَ رَيْقَتِهَا مُدَامَا
 يَمَانِيًّا مَتَى جِيتِ الشَّامَا
 أُمُّ الدُّرِّ الْأَوْامِي أَنْتِظَامَا
 وَنَحْتُ عَلَى ثُنَيْتِهَا حُسَامَا
 عَلَى مِ دُدَّتْ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا
 خِيَالًا كَانَتْ يَأْتِينِي لِمَامَا
 كَلَامٌ أَنْخَنَ الْأَحْشَا كِلَامَا
 وَلَوْ تُرِكَ النُّظَا يَوْمًا لِنَامَا
 جَدَعْتَ رَوَاطِبَا وَقَلْبَتِهَا مَامَا
 فَكَانَ لِحَسَدِ مَوْتَا زُومَا
 وَرُعْتَ خَمِيْسَهُمْ ذَاكَ اللَّامَامَا
 وَلَمْ أَتْرِكْ لِقَرْمِهِمْ سِنَامَا
 أَضَامُ أَيَا سَعِيدِ (٥) أَوْ عَلَامَا

(١) هكذا في الإسكوريال حرفان بينهما يياض .

(٢) وفي نص (أظز) .

(٣) وفي نص (أسكرتني وصددت) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فانبطت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي نص آخر (بغير جرم) .

به وبما أذلق من لسانى
وغرام الوزير أبى سعيد
به وبنجده البر انتصارى
أعثنى بن عامر لا تكفى (١)
وردت فلم أريد إلا سرايا
قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً
وجاجانبي على كرم ندام
وذلت المذامع من إياي
ومن أدبى نصبت لهم جبالا
فلم أر مثل ربى دار أنس
ولا كآبيه أو كنى أيبه
كفانى بآبن عامر خفض عيش
وإنى من ولايك فى يفاع

ومن شعره رحمه الله قوله :

تراجع من دنياك ما أنت تارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها
حلالك منها ما خلا (٤) لك فى الصبا
تظاهر بالسؤلوان عنها تجملا
وتسلها (٢) العتي وهامى فارك (٣)
وشر وداد ما تود الترائك
فأنت على حلاويه متهاك
فقلبك محزون وشرتك ضاحك

(١) وردت هذه الشطرة فى نص آخر كالاتى (خلىل إن قدرت فلا تكلى).

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (تسألها) .

(٣) ورد فى مخطوط الإسكوريال (اللوحة ٦٨ فى أسفل الصفحة) ما يأتى : الفرك بغض

المرأة زوجها ، وقد فكرته تفركه فهى فارك .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (حلال) والأول أرجح .

تنزهتُ عنها نَحْوَةٌ لا زهادة
 ليالى تُغرى بى وإن هى أعرَضت
 غصون قُدودٍ فى حِمافِ روادِفِ
 تطاعِننى منهن فى كل ملعب
 ومِ كَلِيَّةٍ فيها هتكتُ ودونها
 ولا خِدْنٌ إلا ما أعدت رَدِينه
 تُضِلُّ فواد المرء عن قصدِ رشده
 وفى كل سِنِّ لابنِ آدمٍ وإن تَطُل
 وإلا فسالى بعد ما شاب مَفْرِقى
 أجوب إليها كلَّ بَيْداءٍ مَمْلُوقِ
 واسترشد الشهب الشوايكِ جارِ
 نُهازِرِ أمثال الجيادِ تُودِدُ
 ظمًا ، وما غير السَّماوةِ موردِ
 ذو أهلٍ عن عضِّ الرجالِ ظهورها
 إذا ما نباعن سُنْبُكِ الأرضِ سُنْبُكِ
 تَقْدُ بنا فى كل قاعٍ وفدْفِدِ
 فأمامها رى كالسحابِ مَوَالِيعِ
 قِلاصٍ بأطوافِ الجَدِيلِ بَوَالِيعِ
 تراى بها ليد النُوقِ كل مُرْتَمِى
 ومِ منزلِ خَلَيْتِه لَطالِبِها
 وشَعْرُ عِذارى أسودُ اللونِ حالِكِ
 زَنابِ من ضَوّاتِها وَعَوّاتِكِ
 تَمائِلُ من ثِقَلِ بَيْنِ الأَرائِكِ
 تُدى كَأَسنانِ الرماحِ فَواتِكِ
 صدور العوالى والشُيوفِ البواتِكِ
 لَطالِبِها أو ما تحيّر هالكِ
 فواتِرُ الحَماظِ لِلطُّبّا الفَواتِكِ
 سنوه طِباعِ جَمَّةٍ وَعَوائِكِ
 وأعجَزُ رَأى عَجَزُ من الرِّكَارِكِ
 تَرافِقنى فيها الرِجالِ الحَواتِكِ (١)
 إذا اشتَبَهت فيها حى المسالكِ
 أغوارِبِ أمثالِ الهضابِ تَوامِكِ
 وَيَنجى وما دونِ الصَّوأةِ مِبارِكِ
 إذا ما اشتكتِ عضَّ السَّروجِ المَوارِكِ
 هَلَعنِ فَلَانتِ تَحْمَنِ السَّنابِكِ
 بَوائِكِها والمُنغِياتِ الدِّراهِكِ
 وأمامِها رَكا كَلرِياحِ بَواشِكِ
 وجُرْدُ لأَوساطِ الشِّكِمِ عَوالِكِ
 فَمَن نَواحٍ لِلرَدى أو هَوالِكِ
 تَعفِيه تَمدى السَّافِياتِ السَّواهِكِ

(١) الحواتك من حتك أى أسرع فى السير .

يمرُّ به زُوَّارُه وعُفَّاتُه
 وآثارتُنَّا تُفْسادم عهدهم
 لواربِ أفراس ووزي حناة
 تمرُّ عليه نَسمة الفجر مثلما
 وأرْكبُ كالشَّهيدِ يَنْفُحُ بُرْدَه
 يطلبها مِنِّي غريمٌ مُمَّاحِك
 أحاولُ منها لما تَعذَّر في الصُّبَا
 يسألُ الفتي منها وإن راق حُسْنُها
 فنَّها مَلالٌ دَائمٌ لا تَمَلُّه
 تهاونُ بالإفكِ الرجالُ جهالةً
 تزن طولَ تَشهادي وقدري تَمَلُّملي
 تغيَّر على الدهر منه جَحافلُ
 فليت الذي سوَّدتُ فيها مُعوضُ
 ألا لا تُذَكِّرني تَلسانُ والموى
 فإنَّ أدِّكار ما مضى من زمانها
 ولا تَصِفَنَّ أمواها لي فإنها
 ومَنْ حال عن عهدٍ أو أخْفَر ذِمَّةً
 سَقَى منزلي فيها وإن نَحَّ رِحمه
 وجادت تَرى قَبْرَ بِمسجدِ صالح
 ولا أقَلَمْتُ عن دارِ يونس مُرْزَنة

وما آن به إلا الصُّووقُ الحبايك
 وهنَّ عليه جائيات بَوارِك
 ثلاثُ أثافٍ كاللحْمِ سَوادِك
 تمرُّ على طيبِ العروس المداوِك
 لمجهولٍ حَسَى ماله للدهر مُبائِك
 ويَمْطُلُنِي منها عديمٌ مُمَّاعِك (١)
 ومن دونه وَقَعُ الجِمامُ المُواتِك
 حَسايِف لا تُحصى ومَبَارِك
 وتُرورُ إفكٍ عن رِضى الحقِّ أفك
 وما أَهَلَك الأحياءُ إلا الأفايك
 طَوالُ الليالي والنجومُ النوابِك
 كأنَّ مُدَوِّمَ الرِّجْمِ فيها نِيازِك
 بما بَيَّضتُ مني دُجَها الحواك
 وما دَهَكَتُ مِنَّا الخُطوبُ الدِّواهِك
 لِجَسَمي ولِلصِّبرِ الجَميلِ لِنَهاك
 لنيرانِ أشواقِ إلهيها مُحِبَّارِك
 فإني على تلكِ العهودِ لَراهِك
 عَهْدِ الفِراوى والدُّمُوعِ السَّوافِك
 رَواعِدُها والمُدُخِجاتُ الجِواهِك
 يَري صِداها لِقَطَرِها المُتدَارِك

(١) ورد في هامش المخطوط : ماعك (الماعزل) والملك (اللباج) . وفي انقاموس ماعك ،

إلى ان يروق النصارين رواؤها
 ويصبح من حول الحيا في عراصها
 ولا برحت منه ملايكة الرضى
 وطوبى لمن روى منزله الحيا
 ألا ليت شعرى هل تقضى لباتى
 وهل تمكن الطيف المغيب زيارة
 وهل تفعل الأيام عنها بقدر ما
 وبليت شعراى أرض تقلنى إذا
 وأى غرار من صفاها يحثنى
 إذا جهل الناس الزمان فإنى
 تشببت إذا ما قت تعمل خطوة
 ولا تبدل وجهاً لصاحب نعمة
 تجشم ما استطعت واحذر إذا هم
 فكل على ما أنعم الله حاسد
 ولا تأنس ريبة الزمان فإنه
 تمنى مصاب بربر وأعاره
 وبدرت الليالى الجون حوضى بالاجها
 فما أذعنت إلا إلى عشار
 ولا قصدت إلا فنائى وقودها
 به شرفت أذواها وملوكها
 فلا تدعون غيرى لدفع ملة

ويرضى الرعاوى نبتها المتلاحك
 زرزق تحكى بسنها ودرآنك (١)
 تصلى على ذاك الصدى وتبارك
 وبترى لمن صلت عليه الملائك
 إذا ما انقضت عشر عليها دك
 فيرقب أو تلقى إليه الروامك
 تودى إليها بالعتاب الخالك
 كل عن وحلى الجلال اللالك
 إذا فقدتني مسها والدك
 بدونهم دون الأنام لحاتك
 فإن بقاع الأرض طراً شوائك
 فما مثل بذل الوجه للسترها تاتك
 ولا تلقهم إلا وهرشك شانك
 وكل إذا لم يعصم الله حاسك
 بمن فات منا لا محالة فانك
 وترضى ذكامى فارس والهنادك
 وتعرف إقدامى عليها المهالك
 ولا أصفقت إلا على الشكاك
 ولن أملت إلا قتامى الضرارك
 كما شرفت بالنوهار البرامك
 إذا ما دهمى من حادث الدهر داهك (٢)

(١) فى هامش المخطوط : الدرآنك ضرب من البسط .
 (٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (داعك) .

وما إن لبيت المجد بعدى سامك
بما أورتنتني حمير والسكاسك
وطيب ثنای^(٣) لاصق بي صايك
وقد سحطت منا اللحا والأفانك^(٤)
إذا عاد للثنيا عقيل ومالك

فما إن لذاك الصوت غيري^(١) سامع
يغص ويشتجى نهشل وجاشع
تفارقني ووحى^(٢) التي آست غيرها
وماذا عسى ترجر لداتي وأرتجى
يعود لنا شرخ الشباب الذي مضى
ومن شعره أيضاً قوله :

وتصرمت سفاً عليك الأضلع
جاوى مؤملك الغيوث الهمع
قد كنت أعلم أنها لا ترجع
بئسيم أنفاس البديع تسعشع
مرعى لأفكار الندام^(٥) ومشرع
أجدى بميدان الكلام وأسرع
بجنابها وهو الجناب الأمتع
والنفث في عقد الثرى لا يمنع
وكسا ربها وشبه المتنوع
بدعاً تفرق تارة وتجمع
إذ بت منها ما تفرق مضقع

سحت بساحك يا محل الأدمع
ولطالما جادت ثرى الآمال من
لله أيام بها قضيتها
فلقد رشفت بهارضاب مدامة
في روضة يرضيك منها انها
تجوى بها فقر سكنت^(٦) وهانها
فقر كريمان الشباب وعهدنا
نفائة الأنواء في عقد الثرى
حتى إذا حاك الربيع برودها
بدأت كإيم زهرها تبدي بها
قد ضم منها ما تجمع مغلق

(١) وردت في الإسكوريال (نير) . والتصويبه من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الروح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ثنائي) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الأفانك) .

(٥) وفي نص (الندام) .

(٦) وفي نص (كيت) .

وكلاهما مهما أردت مُسالم
كل له شرع البيان مُحلّل
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
فَرَجَلٌ من رِقْمها ومُهَلَّل
أبدى البديعُ بها بدايعَ صنعه
ومَوْشَحٌ ومُرَشَّحٌ ومُصَدَّرٌ
كلُّ يروقُ بها بِحُسْنٍ^(١) رُوَايَةٍ
ولقد غدوت بها وفي وَكُنَاتِهَا
بمُطَهِّمِ الفِكرِ الذي ما إن له
قيد المغالب لا يزال نجبه
أرمى به الأمدَ البعيدَ وإنه
من بعد ما عفت السواري سبيله
لكنتي جدت دائر رسمه
أوضحت فهم حدوده وضروره
حتى وَرَدْتُ من السماع موارداً
مع كل مصقول الذكاء فمدسه
يرتاد من نَجْعِ العناصرِ نُجْمَةٌ
لا شيء أبعد من تجاورها وما
فإذا تشعشع مزجها أورى بها

ومُحَارِبٌ ومُؤْمِنٌ ومُرَوِّعٌ
المُنْكَرُ في مثل هذا مُدْفَعٌ
أدباً يُنْظَمُ تارةً وَيُسْجَعُ
وَمُسَهَّطٌ من نظمها ومُصْرَعٌ
فمُجْنَسٌ ومُبَدَّلٌ ومُصْرَعٌ
ومُكَرَّرٌ ومُفْرَعٌ ومُسَبَّحٌ
وإذا تزين به كلامك تبرع
طيرٌ لها فوق الغصون تُرْجَعُ
إلا بِمُسْتَنِّ الأَدْلَةِ مرتع^(٢)
بين الجياد لعنقه أو يوضع
حِجْلٌ يضلُّ به الدليل الأصمَعُ
وَمَحَّتْ معالمة الرياح الأربع
فطريقه من بعد ذلك مَهْبِيعٌ
والسكُلُ في كلِّ المسالكِ يَنْفَعُ^(٣)
فيها لظمان المباحث مَسْرَعٌ
لذكاء أسرار الطبايع مَطْلَعٌ
فيها مصيفٌ للعقول ومَرْبَعٌ
يُبْتَدَى بها ذاك التجاور أبديع
نار الجبابر مَرَجَّها المُتَشَعِّشُ

(١) وردت في الإسكوريال (حسن).

(٢) هكذا في الإسكوريال، وفي نص (مصرع).

(٣) هكذا في الإسكوريال، وفي نص (يدفع).

فَكَيْنُ سِرُّ حَيَاتِهِ بِجَبَابِهَا من بعد قَدَحِ زَنَادِهَا مَسْتَوِدِعِ
وهنا تُفَاضُ عَلَيْهِ صُورَتُهُ الَّتِي لِبَهَائِهَا شَمُّ الطَّبَايِعِ تَخَضِعِ
من وَاهِبِ الصُّورِ [الَّتِي قَدْ خَعَّهَا] ^(١) بِبِدْيَعِ حِكْمَتِهِ الْحَكِيمِ الْمُبْدِعِ
رَبُّهُ لَهْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ يَقْضِي بِهَا الْبَدْعَى وَالْمُتَشَرِّعِ
وَحَلَّتْ مِنْ أَرْضِ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعًا نَفْسَى الْفِدَاءِ لَهَا وَهَنَى الْأَرْبَعِ
قَامَتْ زَوَايَاهَا فَمَا أَوْتَادِهَا إِلَّا تَقُومُ مَا تَقِيمُ الْأَضْلَعِ
وَتَنَاسَبَ أَقْدَارُهَا نَسَبًا لَهَا لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُهَا فِرْعُوعُ فِرْعِ
فَأَجَلٌ مَا تَدَسَّخَتْ بِحُلُولِهَا مِنْ بَارِقِ كُنْجَابِ رُشْدِي يَلْمَعِ
لَا شَكَّ أَنْ وِرَاةَهُ مَطَرًا لَهُ فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِيَاسِي مُوقِعِ
بِحَرِّ رَوِيٍّ مُتَرَعٍّ مَلَاخُهُ مِنْ فَيْضِهِ هَذَا الرَّوِيِّ الْمُتَرَعِ
لَمْ لَا أَضْيَعُ بِهَا عِبَادِ مَدَامَعِي إِنْ إِذَا لَعُوهَا لَمْضِيعِ
خَلِيٌّ لَوْ لَمْ تَسْعُدَانِي فِي الْبَسْكَ لَقَطَعْتُ مِنْ حَبْلِيكَمَا ^(٢) مَا يُقْطَعِ
أَرَأَيْتَا نَفْسًا تَفَارِقُ جِسْمَهَا وَبِهِ تَنْعَمُهَا وَلَا تَتَوَجَّعِ
عَظُمْتَ رَزِيئَتُهَا وَأَيُّ رَزِيَّةٍ ظَلَّتْ لَهَا أَلْكَبَادَانَا تَتَصَدَّعِ ^(٣)
هَذِي حَمَامُكَ يَا عَلِيٌّ سَوَاجِعُ وَأَخْلَاهَا أَسْفَاً عَلَيْهَا تُسْجَعِ
إِنْ طَارَحْتَنِي وَرَقَهَا فَبِأَضْلَعِي شَوْقٌ يَطَارِحُهُ إِذَا كَارَ مُوجِعِ
أَهْ عَلَى جِسْمِي الَّذِي فَارَقْتَهُ لَا كُنْتُ مِنْ جِسْمِهِ لَا يُرْجَعِ
وَمِنْ الْعُجَابِ رَجُوعٌ مَا أَوْدَى ^(٤) بِهِ دَهْرٌ بِتَشْتِيتِ ^(٥) الْأَحِبَّةِ مَوْلِعِ

(١) وردت في الإسكوريال (الذي قد خصه).

(٢) وردت في الإسكوريال (حبلكما) والتصويب أرجح للوزن والسياق.

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (تقطع).

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (أردى).

(٥) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (بتشتيت).

الجورُ منه إذا استمر طبعه
 هذى عقوبة زلة سلفت بها
 قد كنتُ أمتنع رَسَخَ نفسى قبلها
 لم لا وقد أصبحتُ بعد محلة
 دار يدرُ الرزق من أخلاقها
 وكان مجلسها البهى بصدرها
 وكان مجمر عنبرٍ بفنايها
 وكانها التوكلية بهجة
 فى حجر ضب خافض بجواره
 يا نفثة المصدور كم لك قبلها
 وعساک تنقع غلة بك إنها
 لله أنت مداة أودعتها
 بدوية فى لفظها ونظامها
 لم لا تشفع فى الذى أشكوبها
 كملت وما افترت فأى خريدة
 بارت على فأصبحت لحياها

والعدلُ منه إذا استقام تطبع
 من أكل طعمته التى لا تشبع
 واليوم أوجب أنه لا يمنع
 فيها انسحاب بالراغب تهمع
 ولكم دعا داعٍ بها من يوضع
 ملك بأعلى دسته (١) متربع
 يذكى ما قد سيف (٢) منه يسطع
 وعلى بن الجهم فيها يُبدع
 من كان قبيل له العوامل تُرفع
 من زفرة بين الجوانح تسفع
 بجحيم ما أسبلته لا تنقع
 من كل سر بالضمائر يُودع
 حضرية فيما به يترجع
 ومثالها فى مثله يتشفع (٣)
 لو كان يفرعها همام أروع
 منى بضافى مرطها تتلفع

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، وهى من

مشاهير أمداحه :

(١) وردت فى الإسكوريال (دستها) . والتصويب أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (ضاع) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تشفع) والتصويب أرجح .

سَلَّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السَّفِينَ أَنْوَاءَ
 وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
 تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
 وَإِنِّي لِأَصْبُو لِأَصْبَا كَمَا سَرَّتْ
 وَأُهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ^(١) تَحِيَّةً
 وَاسْتَجْلِبُ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِعِي
 لَعَلَّ خَيْالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
 وَكَيْفَ خُلُوصِ الدُّيُفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا ^(٢)
 وَإِنِّي لِمُسْتَقٍ إِلَيْهَا وَمُنْبِيءٍ
 وَكَمْ قَائِلٍ تَفَنَّى غَرَامًا بِحَيْبِهَا
 لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمْتُ
 يَطْنِبُ فِيهَا عَابَثُونَ ^(٣) وَخَزْبٌ
 كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ لِمَلِكِهَا
 فَلَا تَبْعِينَ فِيهَا مَنَاخًا لِرَاكِبٍ
 وَمِنْ عَجْبِي ^(٤) أَنْ طَالَ سَقَمِي وَتَزَعَمْتُ
 وَكَمْ أَرْجَفُوا غَيْظًا بِهَا ثُمَّ أَرْجَوْا
 يَرُدُّهَا عِيًّا بِهَا الدَّهْرُ مِثْلَمَا
 فِيهَا مِزْلًا نَالَ الرَّدَى مِنْهَا اشْتَهَى تَرَى
 وَهَلْ لِعُمُرِ الْآنَسِ بَعْدَكَ إِنْ سَاءَ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يوم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ودونها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عائثون) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وشناء) والأول أرجح .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (عجب) .

وهل للظي الحرب التي فيك تلتظي
 وهل لي زمان أرتجى فيه عودة
 فواسيئي حالي^(١) إن هلكت ولم أقل
 ولم أطرق الدبير الذي كنت طارقاً
 أطيّف به حتى تهـرّ كلابه
 ولا صاحب الأحسام وهـنـم
 وأسـم قارى كشمري حـلـكـة
 فما إـشـرابي في سواك مرارة
 وبإداري الأولى بدوب [حلاوة]^(٢)
 أما [آن] أن يحمي حماك كهده
 أما أن أن يعشو لنارك طارق
 يُرجى نوالاً أو يؤمل دعوة
 أحـن لها ما أطت النيب حولها
 فما فاتها منى نزاع على النوى
 كذلك جدّي في صحابي وأسرني
 ولولا جوار ابن الحكيم محمد
 حماي فلم تنتب محلي نوايب
 وأكفاه بيتي في كفالة جاهه

إذا ما انقضت أيام بوسك إطفاء
 إليك ووجه البشر أزهر وضاء
 لصحبي بها الغر الكرام ألاهاؤا
 كهادي^(٣) وبدوا الأفق أسلغ مسناء
 وقد نام عساس وهوم سباء
 وطرف نلت الليل مذ كان وطاء
 تلالاً فيه من سنى الصبيح أضواء
 ولا لطعاهي دون بابك إمراء
 وقد جدت عيشت في بلاها وأرداء
 وتجتاز أحماش^(٤) عليك وأحماه
 جنيب له رفع إليك ودأداء
 فما زال قاري في ذراك وقراء
 وما عاقها عن مورد الماء إظاء
 ولا فاتي منها على القرب إجشاء
 ومن لي به من^(٥) أهل وُدّي إن فاؤوا
 لما فات نفسي من بني الدهر إقواء
 بسوء ولم ترزأ فؤادي أرزاء
 فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاء

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (فواجريال) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص آخر (بليل) .
 (٣) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (اصحاب) .
 (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (في) .

يؤثمون قصدي طاعةً وحبيةً
دعاني إلى المجد الذي كنتُ آملاً
وبوأتني من هَضْبَةِ العزِّ تَعَةً
إيشاعني فيها^(٣) إذ اسررتُ حافظاً
ولا مثلُ نومي في كفالة غيره
بغِيضَةٍ لِيثٍ أو بمِرْقَبِ خالِبٍ
إذا كان لي من نايبِ المُلْكِ كِافِلٌ
وأخوانُ صدقٍ من صنایعِ جاهه
سُرَاعٌ لما يُرْجى من الخيرِ عندهم
إليكُ أيا عبدِ الآلهِ صنعتهَا
مُبرَّاةٌ مما يعيبُ لزومَهَا
أذعتُ بها السر الذي كان قبلَهَا
وإن لم يكن كلُّ الذي كنتُ^(٥) آملاً
ومن يتسكَّفُ مُفجَّحاً شُكْرٍ مِنَّةً
إذا مُنْشِدٌ لم يكن عنك ومُنْشَى
ومن شعره قوله .

أطار فؤادي برق ألاحا
قم ضم بعد لو كرت جناحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شاءوا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يشيعني منها) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تبز) .

(٥) وردت في الإسكوريال (أنت) . والتصويب من النسخ .

كأنَّ تَأَلَّقَهُ فِي الدُّجَا
 أضَاءَ وَلَعِينِ إِغْفَاءَةً
 كَمَنِّي خَفِيٌّ بَدَأَ بَعْضُهُ
 كَانَ النُّجُومُ وَقَدْ غَرُبَتْ
 لَوَاغِبٌ ^(١) بَاتَتْ تُجِدُّ الشَّرِي
 وَقَدْ لَبَسَ اللَّيْلُ أُمَّسَالَهُ
 وَأَيْقَظَ رَوْضَ الرَّبَا زَهْرَهُ
 كَانَ النَّهَارُ وَقَدْ غَالَمَا
 أَتَى يَسْتَفِيضُ دَمُوعِي امْتِيَا
 فَلَمْ يَلْقَ دَجْنَ انْتِحَابِي شَحِيحَا
 وَلَوْلَا تَوَقُّدُ نَارِ الْحَثِي
 وَمِمَّا يُشْرَدُ عَنِّي السَّكْرَى
 يَنْوَحُ عَلَيَّ وَأَبْكِي لَهُ
 أَعِينِ أُرِيحِي أَطَلَّتِ الْأَسَى
 دَعِينِي أُرِدُّ مَاءَ دَمْعِي ^(٢) فَلَمْ
 أَحْنُ إِلَيْكَ إِذَا سَفَتْ رِيحَا
 وَأَفْنَى التِّيَا حَا إِلَيْكَ وَكَمْ
 وَلَوْلَا سَخَايِمُ قَوْمِ أَبْوَا
 أَبَا حَوَا حِمَايَ وَكَمْ مَرَّةً

حُسَامُ جَبَانِ يَهَابِ الْكِفَا حَا
 تَلَدُّ إِذَا مَا سَنَى الْفَجْرَ لِاحَا
 وَزَيْدٍ بَيَانَا فَزَادَ اتِّضَا حَا
 فَوَاهِلُ مَاءِ صَدْرُنُ قُمَا حَا ^(١)
 فَأَدْرَكَهَا الصَّبْحُ رَوْحِي وَإِلَا حَا
 فَحَتَّ ^(١) عَلَيْهِ بَلَاءً وَأَنْصِيَا حَا ^(١)
 فَيَا نَسِيمُ صَبَاهِ الصَّبَا حَا
 مَبِيتِ مَالِ حَوَاهِ اجْتِيَا حَا
 وَيُلْهَبُ نَارِ ضُلُوعِي اقْتِدَا حَا
 وَلَمْ يَلْفَ زَنْدَ اشْتِيَا قِي شَحَا حَا
 لِأَنْفَدْتُ مَاءَ جَفُونِي امْتِيَا حَا
 هَدِيلِ تَمَامِ إِذَا نَمْتُ صَا حَا
 فَأَقْطَعُ لَيْلِي بَكَأً أَوْ نِيَا حَا
 عَلَيْكَ وَمَا زَدْتُ إِلَّا انْتِرَا حَا
 أُرِدُّ بَعْدَ مَا يَكُ مَاءُ قَرَا حَا
 وَأَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا ذُقْتُ رَا حَا
 أَشَحْتُ بِوَجْهِ عَنكَ اتِّشَا حَا
 لِمَا بِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ الرِّيَا حَا
 كَحَيْتُ حَيَّ عَرَضَهُمْ أَنْ يُبَا حَا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : قمح البعير إذا رفع رأسه وامتنع من الشراب ربا -
 لواغب روي ملاحا : كل ذلك بمعنى أعياء - مع الثوب إذا بلى ، وانصاح الثوب إذا انشق .
 (٢) وفي نص : عيني .

ودافعتُ عنهم بشعري انتصارا
 أباعوا ودادي بخسا فسَلَّ
 وأغروا بنفسى طلابها
 وآلو يمينا على أن ما
 فشاورتُ نفسى فى ذا فما
 فبتُ أناغى نجوم الدجا
 أجوب الدياجير وحدى ولا
 وإلا الثالب تحنس فى
 أجوز الأفاحيص فيحاً قنارا
 فأعبي شوارد هذى عداء
 وجواب بدو إذا استنبحوا
 يرون قتلى فى الحجر حلاً
 قصدتُ هناهم (٤) فلم أخطهم
 فسَلَّ كيف كان خلاصى من
 ولا مثلُ بيت تيممته فلم
 عيابا ملاء ونيباً سمانا
 وإلا أعارب شُم الأنوف
 وإلا يعافير سودُ العيون
 يردُّذن فينا لحاظاً مُراضا
 فكان الجزاء جلاى المتاحا
 أكان سماحهم بي رباحا
 سراراً فجاءوا لقتلى صراحا
 توهمت لم يك إلا مزاحا
 رأيت لى بغير الفلاة فلاحا
 نجاء فلم ألق (١) إلا نباحا
 مؤانس إلا القظا والسراحا (٢)
 مبيتى فتعلاً سمعى ضباحا (٣)
 وأعرو الأداهى غربا فباحا
 وأعلو لوانى تلك صياحا
 أجابوا عواءً وأموا النباحا
 وإذهاب نفسى فيه مباحا
 أعاجمُ شوس العيون قباحا
 أسارهم أسرى أم سراحا
 ألف إلا الغنا والسماحا
 وغيداً خدالاً (٥) وعوداً أفاحا
 كرامُ الجدود فصاحاً صباحا
 برين فساد الحُب صلاحا
 يمرضن منا القلوب الصباحا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (ألف) .

(٢) فى الهامش : جمع سرحان وهو الذئب . (٣) الضباح هو صوت الثعلب .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (سناهم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (حسانا) .

وتحت الوجاج طلاً رَّبَّرب
 أداني محاسن منه فلم
 مُحِيّاً وسيّاً وفرعاً أثينا
 وأبدى لعيني بدائع لم
 إذا لم يُرد غير سَفَك دمي
 وما زلت مُتَمَحّاً بنفسى كذا
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 وقد ضاق صدري عن كُتْمه
 وبابن رُشيد تعوّذت من
 ألح الزمان بأحداثه
 أعاد شبابي مَشِيّاً كما
 وفرق بيني وبين الأهيل
 أخى وسميُّ أصيخ مُسْعداً^(٢)
 فقد جبَّ ظهري على ضعفه
 وطوّح بي عن تِلْمَسان ما
 وأعجل سيري عنه ولم
 نأى بصديقتك عن رَبِّه
 وكان عزيزاً على قومه
 فها هو إن قال لم يُلتفت
 عجبتُ لدهري هذا وما

لو أن القيان رفَعن الوجاجا
 أطق عن حِماه بقلبي براحا
 وتمدّاً قويمّاً ورِدفاً رداحا
 يدعى على عقلاً بها حين راحا
 فحلَّ وبل له ما استباحا
 متى ما رأيتُ الوجوه الملاحا
 هواه فقد زدتُ فيه افتضاحا
 وأودعته جَفْن عيني فباحا
 خطوبٍ أجَلن على القِداحا
 فألقتُ طوعاً إليه السِّلاحا
 سمعت وصير نسكى طلاحاً^(١)
 ولم يرَ ذا عليه جُناحا
 لشجو حَزِينٍ إليك استراحا
 كُداماً وأدهى شواتي نطاحا
 ظننتُ فراق لها أن يُتاحا
 يدعى أودع تلك البِطاحا
 فكان له النَّأى موتاً صراحا
 إذا هاج خاضوا إليه الرِّماحا
 إليه امتهاناً له واطراحا
 ألقى مساءً به وصباحا

(١) مكذافي الإسكوريال . وفي نص (صلاحا) . والأولى أرجح .

(٢) مكذافي الإسكوريال . وفي نص (مسما) .

لقد هدني مقي ركننا شديداً
 وقيت الردي من آخر مخلص
 وإني على فيح ما بيننا
 أحن إليه حنين الفحول^(١)
 وأسأل عنه هبوب النسيم
 وإن شئت عرفان حالي وما
 قلب يذوب إليك اشتياقا
 وغرس وداد أصاب فضاء
 كراسخ مجد تأثنته
 وعلياء بوتهها لو بنى
 مكارم جمعت أفذاذها
 ودرس علوم تهيم بها
 نشأت عن الخير واعتدته
 وقت^(٢) لها أيما رحلة
 بهرت رجال الحديث اقتداء
 فما [إن جليس]^(٣) إذا قلت قال
 ولو لم تمحجج بها مكة
 وأما أنا بعد نهى النهى

وذل مني حياء لقاحا
 لو استطعت طرت إليه ارتياحا
 لأتبع ذلك الشذا حيث فاحا
 ونوح الحمام إذا هو ناحا
 وخفق الوميض إذا ما ألحا
 يعانبه جسمي ضني أو صحاحا
 وصدري يفتح إليك اشراحا
 ندياً وصادق أرضاً برأحا
 فلم تخش بعد عليه امتصاحا
 سهواً إليها السماك لطاحا
 فكانت لعطف^(٤) علاك وشاحا
 عمرت الغدو به والرواحا
 فلم تدر إلا التقي والأصلاحا
 كسحت المعارف فيها اكتساحا
 وقت رجال الكمال اقتراحا
 أو أن الخطيب إذا لحت لأحا
 لحتج الملايك عنك صراحا
 فما زادني^(٥) الطبع إلا جماحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المجول) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (لغصب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (رحلت) .

(٤) وردت محرفة في الإسكوريال (ابن حبيش) .

(٥) وردت في الإسكوريال (زاد) والتصويب لازم لاستقامة الوزن والسياق .

أدير كؤوسَ هواي اغتباقا
وأشرب ماء دموعي اصطباحا
فبرد جواي برد جواب
تو بچ فيه مٹی الوقاحا
وهن بنیات فكري وقد
أتينك فاحفض لمن الجناحا

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره ، ويدكر غفارة
وجبهها له مع هديه :

كبت العدى إنعامك البغت
يا من إلى جدوى أنامله
اولاك لم يوصل بناحية
لولاك لم يطلع بها نشر
خولتني مالم تسعه يدي
شئ أباد كلما عظمت
يعني لساني عن إذاعتها
وطأت لي الدنيا فلا عوج
أمكنتني منها فما ليدي
بانعت في برى ولا نسب
لكن حسبي إن متت به
بوركت من رجل برؤيته
لوسار في بهماء مقفرة
لنفجر الماء النير بها

فلى الهنا وللمدى الكبت
يزجى (١) للسفين وتزجر البخت
وخذ ولم يقطع بها دشت (٢)
منه ولم يهبط بها خبت
فأصابني من كثره عمت
عندي تلكا خاطري الهت
ويضيق عن شكرى لها الوقت
فيا أرى منها ولا أمت
ردء ولا لقيتني عت
أذلي إليك به ولا حسب
يوماً إليك ودادى البحت
يوسى الضنا ويعالج الغت
في حيث لا ماء ولا نبت
ولأعشبت أرباؤها (٣) المرث

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يرجى) .

(٢) الدشت هنا بمعنى الصحراء .

(٣) مكانها بياض بالخطوط . والإضافة من (المنتخب النفيس) .

لا تَحْسَبَنَّ الْبَحْتَ نَيْلَ عَيْنِي
 آلتَ جَلالَتِهِ وَحَقِّي لَهَا
 أَظْهَرْتَ دِينَ اللَّهِ فِي زَمَنِ
 شِدَّتِهِ وَهَدَدْتَ مُتَمَعِضًا
 أَمِنْتَ أَرْضَ الْمَسْلُومِينَ فَلَا
 وَحَفِظْتَهَا مِنْ كُلِّ نَائِيَةٍ
 وَنَهَجْتَ سَبِيلَ الْمَكْرُمَاتِ فَمَا
 لَمْ تُبْقِ غَفْلًا مِنْ مَتَالِعِهَا
 هَادِنَ طُغْيَاةِ الْكُفْرِ مَا هَدَاتِ
 دَعْوَاهَا تَوَدَّعَ فِي مَعَاقِلِهَا
 كَمْ ذُدَّتْهَا عَنَّا وَقَدْ هَبَّتْ
 بِوَقُوفِ طَرْفِكَ عِنْدَ شِدَّتِهِ
 وَيَشْكُرُ مَا أَظْهَرْتَ مِنْ كَرَمِ
 لَكَ مِنْ مَمَالِكِهَا وَإِنْ رَغِمَتْ
 وَلِكُلِّ أَصِيدٍ مِنْ بَطَارِقِهَا
 لَوْلَا لِبَاكِ الْبَيْضُ مَا أَرِقَتْ
 عِنْدَهُ لَمَنْ يَنْتَابُهُ مَقَّةٌ
 وَلَوْ أَنَّ بَيْضَكَ لَمْ تَسَلْ لِمَا
 يَا ابْنَ الْحَكِيمِ أَمِنْتَ صَرَفَ رَدِّي
 وَيُسَمِّنُهُ أُنِسْتُ مِنْ أَمَلِي
 نَيْلُ الرِّضَا مِنْهُ هُوَ الْبَحْتُ
 أَنْ لَا يَحِيطُ بِكُنْهَيْهَا نَعْتُ
 مَا زَالَ يَغْلِبُ حَقَّهُ الْبَهْتُ
 لِضِيَاعِهِ مَا شَيْدَ الْجَبْتُ
 ذَنْبٌ يُخَافُ بِهَا وَلَا لَصْتُ
 تُخَشَى فَأَنْتَ حَفِيزُهَا الشَّبْتُ
 لِمَوْلٍ عَنْ غَايَةِ أَلْتُ
 إِلَّا وَفِيهِ لِحَايِرٌ بُرْتُ
 حَتَّى يَجِيءَ نَهَارُهَا أَمَحْتُ
 مَا لَمْ تَعُدْ جُنْفُهَا الْعَفْتُ
 لِهَرِاشِنَا أَشْدَاقِهَا الْهَرْتُ
 يَبْأَى وَيَفْخَرُ مُلْكُهَا الرُّتُ
 فِي ذَاكَ تَفْصِحُ عَجْمُهَا الْمَرْتُ
 مَا جَالَ فِيهِ جَوَادِكُ الْخَتْ
 فِي كُلِّ أَرَى لَهُ دَعْتُ
 لِلْقَائِمِهَا أَفْرَاسُنَا الْكَمْتُ
 وَلَمَنْ يُنِيبُ لغيرِهِ مَقْتُ (١)
 ذَلَّتْ أَنْوْفُ طُغْيَاةِهَا الشَّلْتُ
 أَبَدًا لَهُ فِي أَثْلَتِي نَحْتُ
 مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لَهُ عَرْتُ

(١) هذا البيت مدون بهامش المخطوط . وى نص (المقت).

مَشَيْ الوِزَارَةَ مِوَالِي وَلَهُ
 وَبِأَسِهِ أُطِنِي شِرَارَةَ مِنْ
 عَمِّ الْوَرَى جُوداً وَفَضَلَ غِنَى
 وَهَمَّى عَلَى عَالٍ وَمُنْخَفِضِ
 ظِلِّ إِذَا نَصَطَافُ مَعْتَدِلُ
 يَنْضَاعِلُ الصَّبِيحَ الْمُنِيرَ إِذَا
 حَتَّى كَأَنَّ شَمْسَ الضَّحَى قَرَّ
 وَغَرِيبَةً فِي لُطْفِ صَنَعَتِهَا
 يَنْأَى النَّدَى بِهَا إِذَا لَبِسَتْ
 زَنْجِيَّةً لَكِنْ لِحْتِيَدِهَا
 مِثْلُ الْعُرُوسِ عَلَى مِئْصَرَتِهَا
 لِأَنَّ كُونَ أَنْحَلُ مَا أكون هُدَى
 وَبِمِثْلِ شَيْبِي فَوْقَ حُلُكَّتِهَا
 تَطْهَرِي بِلِبَاسِهَا وَبِهِ
 لَازَلْتَ تُؤَثِّرُنِي بِهَا أَيْدِياً
 وَبَقِيَتْ تُدْرِكُ مَا تُرِيدُ وَمَا

مادمت أملك قدرتي أقت
 يعشوا وأقدح أنف من يعت
 حتى تساوى العبد والغلت
 لم يبق فوق لا ولا تحت
 عطر الشذا وحيًا إذا نشت
 لاقى سناه جبينك الصلت
 وكان ضوء شعاعها نقت
 يمضي الزمان وما لها أخت
 ويديه إن طويت بها التخت
 في الرثوم يعنو القس والشنت^(١)
 من شأنها التزيين والزت
 فيها فيعبل جسي الشنت
 يبدو الوقار ويحفظ السميت
 عندي لها الإيثار ما عشت
 ولا تف من يشقى^(٢) بدا السلت
 تهوى بقاء ماله فت

ومن شعره أيضاً في المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت في ديوان مجموع
 من أمداحه منها قوله :

طَارَتْكَ وَهِنًا أَخْتِ آلِ عِلَاجِ وَالرَّكْبُ بَيْنَ دَكَدِكَ وَحِرَاجِ
 فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ لَمْ يَنْبِجْ بِهَا كَلْبٌ وَلَمْ يَصْرُخْ أَذِينُ دِجَاجِ

(١) يرمز بها هنا إلى القداسة - مثل شنت ياقب ، وشنت مريه . وبالإسبانية Santo

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يشجي) .

منها لهتك دياجرٍ ودياج
 فيه قِداح في رماية ساج
 لخارمٍ مجهولةٍ وفجاج
 أخوين^(١) من هييج ومن هيجاج
 كسوار تاج أو كدملج عاج
 وُرُقٍ وأسمجٍ دائمٍ التَّشجاج
 يبكي صداه بدمعه التَّججاج
 خُضَرَ الظلال ذكبة الأراج
 حُللا ثُبُورٍ صنعة الديداج
 بردت حرارة قلبي المهتاج
 وقضيتُ منها في شبابي حاج
 غيري وغير منادى وسراج
 كأس الهوى صيرفاً بغير مزاج
 بمرأزي من فِضِّها^(٢) وأحاج
 بمدارج النَّسات من دَرَّاج
 كسلاف راح في صفاء زجاج
 أعني مراسي أهله وعملاج
 وتركت كلُّ ثمادقٍ مرَّاج
 غَيباً وداهنٍ من أردتَ وداج

أني اهتدت لمضالين توهنوا
 متسريلي بُردَ الظلام كأنهم
 وثقوا بمحمود الشرى وتسلوا
 ومنازلٌ دُرسُ الرسوم بلاقع
 تحت معالمهنَّ غير منلم
 وموائلٌ مثل الحمام جوائم
 ومُشججٌ مازال منهل الحيا
 حتى أعاد لعوده أوراقه
 وكسا عرأة عراضه من وشيه
 لا مثل ليلات [مَصْنُوعٍ سريرة]^(٣)
 أدركت منها في صباي مطالبي
 كم ليلة مرّت ولم يشعر بها
 بتنا نُدير إلى انبلاج صباحها
 وتُدير أعيننا حديث غرامنا
 بمارج^(٤) النفحات من دارين أو
 وخلص وُدّ في نقاء سريرة
 أمحضته حظي من الزمن الذي
 واخترتُ قرب جواره خلوصه
 ما في زمانك غيره فاخلص له

(١) وردت في الإسكوريال (أقوين).

(٢) وردت في الإسكوريال (بنمب سويقة). والتصويب من (المنتخب).

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي نص (فضة).

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (بمؤرج).

لا تخنلن بغيره واستعفين
 أترك بني الدنيا وأعرض عنهم
 نزّهت نفسى عنهم بنواله
 أصبحت من آلايه وولايه
 ولو أنى عجت الركب مئيمما
 طلق إذا احتلك الزمان أنار فى
 طود الرصانة والرزانة والحجا
 وغمامه الهامى على أماله
 وهزبر أجام القى الضارى إذا
 ضمن الإله له على أعبايه
 أبى أبو عبد الإله محمد
 وبني أبو إسحق قبل وذنوه
 وجرى على آثار^(٤) أسلاف لهم
 ما منهم إلا أعز مبارك
 بيت بنوه من سراوة خير
 كم كان فى الماضين من أسلافهم
 أساس كل رياسة ورؤس
 أعيّت نجوم الليل من سهر وما
 بوقاره عن كل شمر ماج
 فساك^(١) تطعم لذة الإلاح
 وحفظتها من جاهه بسياج
 فى عزّة ضحيا وعز داج
 أحداً سواه ما حجت معاج
 ظلما كالكوكب الوهاج
 بحر الندى المتلاطم الأمواج
 من غير إرعاد ولا إرعاج
 سقطت عواتمها^(٢) على الأزجاج
 ما شاء من ظفر ومن إفلاج
 ما شاد والده أبو الحججاج
 ركننا الضعيف ومعدنا^(٣) المحتاج
 درجوا وكلهم على منهاج
 مصباح ليل أو صباح عجاج
 فى الذروة العلياء من صنهاج
 من رب إكليل وصاحب تاج
 كل سياسة وليوث كل هياج
 أعيأ أبو موسى من الإدلاج

(١) وردت فى الإسكوريال (باسا).

(٢) وردت فى الإسكوريال (عواملها). والتصويب من المتن.

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى نص (هؤلا).

(٤) وردت فى الإسكوريال (أسال).

حتى أصارته لرحمة ربه يوم العقاب وقيعة الأعلاج
 وأقيم نجل أخيه بعد مقامه فيهم يطاعن مثله ويواج
 فردا يلف كتائباً بكتائب ويكب أفواجا على أفواج
 حتى تجلى دجن كل عباجية عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
 من مثل يوسف في قراع^(١) كتائب ولقاء أعداء وخوض لجاج
 أو من يشق من الأنام غباره في رد آراء ونقض حجاج
 إن خاض يوماً في بيان حقيقة [أنهى عن]^(٢) الثورى والحلاج^(٣)
 وإذا تكلم في الغريب وضبطه لم يعبا بالعنى والزجاج
 أنست قصايد جرول^(٤) أشعاره وأراجز المعجل^(٥) والمعجاج
 جمع الفصاحة والصباحة والتقا والجود في وجد وفي إخراج
 تحشاه أسد الغاب في أجماتها والرؤم في الأسوار والأبراج
 إنا بنى قحطان لم نخلق لنـ ير غياث ملهوف ومنعة لاج
 نبرى طلا الأعراب في الهيجا وفي اللاواء سوف نمارى الأعراج
 بسيوفنا البيض اليمانية التي طبعت لحر غلاصم ووداج
 تآبى لنا الإحجام عن أعدائنا يوم اللقاء طهارة الأمشاج
 أنصار [خير العالمين]^(٥) وحزبه وجماته في الجحفل الرجراج
 وفداته بنفوسهم ونفيسهم من غدر مغتال وسببة هاج
 هم صفوة الخلق التي اختيرت له وسواهم همج من الأهماج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (نزال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي نص (أربى على) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (الحجاج) . والأول أرجح .

(٤) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : جرول هو الخطيئة . والمعجل هو أبو النجم .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (دين الهاشمي) .

إلا الألى سبوا بياهر فضلهم
 وكفى بحكمتنا إقامة حجة
 ولنا مفاخر في القديم شهيرة
 منّا التبابعة الذين يبابهم
 ولأمرهم كانت تُدين ممالك الدنيا بلا قهر ولا إخراج
 من يقتدح زناداً فإن زنادهم
 أبوابهم مفتوحة لضيوفهم
 وأبداً بلا قفل ولا مزلاج
 ومما اشهر من شعره قوله :

أرق عيني بارق من أثال
 أثار شوقاً في ضمير الحشى^(١)
 حكى فؤادى قلماً واشتعال
 [جوانح تفتح نيرانها
 قولوا وشاة الحب ما شتم
 عنذراً للوأمى ولا عنذرى
 قم لطردهم بهم بمشولة
 وعاطها صفراء ذميمة
 كالمسك ريحاً والأما مطعماً
 عتقها في الدن سخارها
 لا تُثقب المصباح لا واسقنى
 فالعيش نوم والردي يقظة
 كأنه في جنح ليلي ذبال
 وعبرنى في صحن خدى أسال
 وجفن عيني أرقاً وانهمال
 وأدمع تنهل مثل العزال^(٢)
 مالذة الحب سوى أن يُقال
 فزلة العالم ما إن تُقال
 تقصر الليل إذا الليل طال
 تمنعها الذمة من أن تُقال
 والتبر لونا والهوا في اعتدال
 والبكر لا تعرف غير الحجال
 على سنى البرق وضوء الهلال
 والمرء ما بينهما كالخيال

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحشا) .

(٢) هذا البيت وارد في النسخ . وساقط في الإسكوريال .

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمِ مِسْطَارِهَا بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِ
 فِي رَوْضَةِ بَاكِرٍ وَنَمِيمِهَا^(١) أُخْمِلُ دَارِينَ وَأُنْسِي أَوَالِ
 كَأَنَّ فَاةَ الْمِسْكَ مَنبُوقَةٌ^(٢) فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شَمَالِ
 مِنْ كُلِّ^(٣) سَاجِي الطَّرْفِ الْحَاطِظِ مُفَوَّقَاتٍ أَبَدًا لِلنُّضَالِ
 مَنْ عَاذَنِي وَالسُّكْلَ لِي عَاذِلٌ^(٤) مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
 مِنْ خُلِّيِّ الْوَعْدِ كَذَّابِهِ لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيْ أَمْرِي يَبْقَى عَلَى حَالٍ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 أَمَا تَرَانِي آخِزًا نَاقِضًا عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(٥) مِنْ مَحَالِ
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَابًا كَمَثَلِ مَا عَابَتْهُ قَبْلِي رِجَالِ
 يَا بِي ثَرَاءَ الْمَالِ عَلَيَّ وَهَلِ يَجْتَمِعُ الضَّدَّانَ عِلْمٌ وَمَالِ
 وَتَأَنَّفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ
 لَوْلَا بَنُو زِيَّانَ مَا لَدَى الْعَيْشِ وَلَا هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَّفُوا عَلَيَّ بَنِي الدَّهْرِ^(٦) خُطَاهُ الثَّقَالِ
 وَرِثْتُ^(٧) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا نَعْمَ رِثْتُ دَاءَ الْحَمْدِ عَمْرَ^(٨) النَّوَالِ
 وَكَبَيْتُ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةً يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ^(٩)

(١) وردت في الإسكوريال (وسميته) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (مفتوتة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (كف) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (عاذر) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سوفي) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الدنيا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (لقيت) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جم) .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بال) .

خُذْهَا أَبَازِيَانٍ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَمَلِحِ النَّزْعَةِ عَذْبِ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَاطَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظِمُ الْأَلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
بُجَارِيًّا مَهْيَارًا فِي قَوْلِهِ مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ^(١)

ومما قال أيضاً ، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره . وهذا الرجل مقربُ
النزعة ، في شغوف نظمه على نثره :

عَجِبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَعْمٍ وَصَالِهَا مِنْ لَيْسٍ يَطْمَعُ^(٢) أَنْ يَمُرَّ بِبِالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّمِ سَاعَةٍ مِنْهَا وَتَمْنَعِي زَكَاةَ جِوَالِهَا
كَمْ [ذَا وَعَنْ] ^(٣) عَيْنِي الْكَرَى مُتَأَنِّفٌ^(٤) يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفَى مَطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدَّجَا مُتَضَايِلًا كِتَضَاهِلِ الْحُسْنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا فَتَصِيْبُنِي الْحَاظُهَا بِذِبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِهِ فَكَأَنَّهَا زُفَّتْ عَلَى ذِكَاةٍ وَقَتِ زَوَالِهَا
أُسْرَى فِعْطَرُهَا^(٥) وَعُظْلُ شُهِبِهَا يَا بِي شَذَا الْمِعْطَارِ مِنْ مِعْطَالِهَا
وَسَوَادُ طُرَّتِهِ كَجَنَحِ ظَلَامِهَا وَبِيَاضُ غُرَّتِهِ كَضُوءِ هَالِهَا
دَعَى أَشْمُ بِالْوَمِ أَدْنَى لِحْمَةٍ^(٦) مِنْ نَفْرِهَا وَأَشْمُ مِسْكَةٍ خَالِهَا
مَا رَادَ طُرْفِي فِي حَدِيقَةِ خُدَّهَا إِلَّا لِفِتْنَتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا

(١) وقصيدة مهيار مطلعها : ما كنت لولا طمعي في الخيال أنشد ليلى بين طول الليال
(الفتح ج ٣ ص ١٨٧) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يا مل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كم زاد عن) والتصويب من النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (متألق) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نعلها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لمعة) .

أنسيبُ شعري رِقّ مثل نسيماها فشمول واحك مثل ربح شمالها
 وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها وأذكري ثقات رجالها
 وإذا مررت برامة فتوقّ من أطلابها وتمشّ في أطالها
 وانصب لمغزلهما حباله فانص ودع الكرى شرّاً كالصيد غزالها
 وأمل جداولها بفيض دموعها وانضح جوانحها بفضل سيجالها
 أنا من بقیة معشر عرّكتهم هنى النوى عرّك الرّحى يثقالها
 أكرم بها فئة أريق نجيحها بنياً فراق العين حسن جمالها (١)
 حلّت مُدامة وصلها وحلّت لهم فإن انتشوا فبطلوها وحلالها
 بلغت بهرّمس غاية مانالها أحدت وناء بها لبعدها منالها
 وعدت على سقراط صورة (٢) كأسها فهريق ما فى الدن من جريالها
 وسرت إلى قباب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلهها
 ليصوغ من ألحانه فى حانها ماسوغ القسيس من أرمالها
 وتعلقت (٣) فى سهر ورد فانتسرت عيناً يؤرقها طروق خيالها
 فحبا شهاب الدين لما أشرفت وخبا (٤) فلم يثبت لنور جلالها
 ما جنّ مثل جنونه أحد ولا سمحت يد بيضا بمثل نوالها
 وبدت على الشوذى منها نفحة (٥) ملاح منها غير لمعة آلهها
 بطلت حقيقته وحالت حاله فيما يُعبّر عن حقيقته حالها
 هنى صبايتهم ترّق صباية فيروق شاربها صفاء زلالها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (مالها) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (سورة) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (وتغللت) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (وخوى) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (نشوة) .

إعلم أبا الفضل بن يحيى أنى
 فإذا رأيت مؤلماً مثلى فخذ
 لا تعجبين لما ترى من شأنها
 فصلاحها بفسادها ونعيمها
 ومن العجائب أن أقيم ببلدة
 شغلوا بدنيهم أما شغلهم
 حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
 وإن انتسبت فإنى من دوحية
 من حمير^(٣) من ذى وعين من ذرى
 وإذا رجعت لطينتى معى فما
 لله دوك أى نجل كريمية
 ولأنت لاعدى منك والد فخرها
 أغلظ على من عاث من أذلها^(٦)
 والبس بها^(٨) أوليتها من نعمة
 خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
 ماجال فى مضمارها شعرٌ ولا
 من بعدها أجرى على آسائها
 فى عذله إن كنت من عذالها
 فى حلها إن كان أو ترحلها
 بعذابها ورشادها بضلالها
 يوماً وأسلم من أذى جهالها
 عنى فكم ضيقت من أشغالها
 شمس الهدى عشوا^(١) بضوء ذبالها
 تنقيل الأقيال برد^(٢) ظلها
 حبر من العطاء من أقيالها
 سلسلم بأرق من صلصالها
 ولذته فاس^(٤) منك بعد جبالها^(٥)
 وسماك سؤددِها وبدوكها
 واخشع لمن تلقاه من أبدالها^(٧)
 حلل الثناء وجراً من أذيالها
 جاءتك لم ينسج على منوالها
 سمحت^(٩) قريحة شاعر بمثالها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى أذهار الرياض (عشوا) .

(٢) فى الإسكوريال (أرد) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (فلس) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أبدالها) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (أبدالها) . التصويب من الزيتونة .

(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لما) .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (سمحت) .

وانلُ أبا البركات من برّكاتها وادفع بحال شكوكه بمحاملها
 هذه أمتع الله ببقاياك، وأسمد ببقاياك. وأراها بما تؤمله من شريف اعتنايك،
 وترجوه من جميل احتفايك، ما تعرفُ به من احتذايك، وتعترفُ له ببركة
 اعتفايك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء، بنت الأذواء والأقيال،
 ومقصورة الإسرة والحجال؛ بل أسيره الأساوير والأحجال. على أنها حليفة
 آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صبابة أغراب من صيابة أعراب،
 جاورت سيفَ بن ذى يزن في رأس عُمدان، وجاوزت مسلمةَ بن مخلد يوم
 جابية الجولان، وذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت لركة حده جسم
 بنى عبد المدان، وقرّبه وماشيم من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان،
 قربت ببني جفنة مزار جلتق، وسعرت لبني تميم نار محاق، ومرّت على مُعتاد
 غالب، فما أنست ناره، وطافت ببيت عبد الله بن دارم، فلم ترض جواره،
 ولو حلت بقناية، واستحكمت ما أحل لها من مبدول حيايه، لاغتفر لها ما جنته
 ببطن أواره، وكلمت لها حبوتاً مجاشع وزرارة، مزقت على مزيقياً جمللاً، وأذهبت
 يوم حليلة مثلاً، وأركبت عنزاً شر يومها يجمع^(١) بجلاً، وناطت بأذن
 ماوية^(٢) قرطها، وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول فحوهل
 فوقفت، وأنفها يومَ دارة جُلجل فأنفت منه وما ألقت، عقر ناقته وانتهمس
 عبيطها، ودخل خدر عنيزة وأمال غبيطها. أغرت أبا قابوس بزياد، واسرّجت
 للزبيدي فرس أبي داود^(٣)، ونافرت بجاتم طى كعب إياد، وساورت للمساور

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (يحدج).

(٢) وردت في الإسكوريال (ريه) والتصويب من (المتخب).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (أدواد).

بمثل جوده السَّير . ولئن بليت الجعفري لبيدا ، فلقد استعبدت الأسدى عبيداً ،
وقطعت به في أثر سُلَيْمَاءِ الأَسَدِيَّةِ^(١) بيدياً ، أرتة المنية على حربة هندها المَلْحُوبِ ،
وما حال [قريضه]^(٢) دون جريضه ، وأقفر من أهله مَلْحُوبِ ، وما زالت تخبِط
في شعاب الأنساب ، فترشِد ، وتُنشِد ضالتها اليمانية ، فننشد :

إن كنت من سيف بن ذى يزن فاتزل بسيف البحر من عدَن
وذِرِ الشَّامِ وما بناه به السُّرُومى من قصر ومن قدَن^(٣)

تعلف سُيْلَ العِرمِ ، وترد غسان ، وتمهد لها أهضام تباله ، فتقول مرعى ولا كالسَّمدان ،
تساجل عن سَمِيحَةِ بَابِنِ خُرَامِ ، وتناضل بسير يوم خزام ، وتُنشِى قاتل ستة آلاف ،
وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف ، فلو ساجلت بنسبها أبا كَرَبِ ، وأرتة ضراعة
خدها التُّربِ ، لساجلت به أخضر الجلدة في بيت العرب ، ماجداً يمالا الدُّلو إلى عقَدِ
السُّكْرِبِ ، بل لو حطت بفناء بيتها الحجرى رَحْلَهَا^(٤) ، وساجلت بفناء جدِّها ذى
رُعَيْنِ ، لاستوفت سجلها . كم عاذت بسيفها التِّزْنِي ، فأدركت ذحلها ، ولاذت
برُكْنِهَا اليمى فأجزل محلها . ولو استسقت بأوديتها ، لأذهبت محلها . كاخفت عن
دينها الخنيفة ، فما كُهم حُسامها ، ونافحت عن نبيها الأُمى ، فأيدت بروح القدس
سهامها . سدَّت باب الدرب دون بنى الأصقر ، وشدَّت لموته ثوب موتٍ أحمر ،
وما شغلها كسرُ تاجِ كِسْرَى عن قرع هامة قيصر . ولقد حلت من سنام نسبها
اليعربى باسمك ذروة ، وتعلقت من ذمام نبيها العربى بأوثق عروة . تفرَّد صاحب
تيام بأبلقه الفرد فعز ، وتمرد ربُّ دومة الجندل لما كان من مارد فى حرز ، فما

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الأمهرية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المنتخب .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى رواية (مدن) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رجلها) .

ظنك ، أعزك الله ، بمن حلُّ من قُدسَى عقله ، بِمَعْقِلِ قُدس ، يُطار إليه فلا يُضار ،
وراد من فردوس أدبه ، في جَنَّة لا يُضام رايدها ولا يُضار . زَها بِمجاورة المَلَك
فازدهى رؤساء الممالك ، وشُعِف بِمجاورة الملك ، فاشتغل عن مطالعة المسالك ، أَيَشَقُّ
غُبارَه ، وعلى جبين المرزم مِثارَه ، أو يُنْتَمِك ذماره ، وقابُ الأسد بيته ، ودار
أخيه أسامة زاره . ولما قُضت من أُنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف
منازعا الأدبية أطوارها ، وعطرت بنوافح أنفاسها الذِّكِيَّة آثارها ، وأطلعت
في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عطفت على مَعقِلتها الشاذلية
فحلت عقالها ، وأمرها فراق الوطن . فلما استمر [لها] ^(١) حلالها ، استودعت بطنان
تباله آله ، وتركت أهضامها المُخَصِّبة وحلالها . أطلت على دارات العرب فحيت
أطالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية ، أذواء حَخير وأقياها . أطمعتها بلعمية ألمعيتها
الأعجمية ، ومثلها يُطمع ، وجاء بها من قُدماء الحكماء كلُّ أوحدى الأحودية ،
فباتت تخبُّ إليه وتوضع ، باحثة عن مركز داورهم ^(٢) الفيناغورية ؛ آخذة
في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية ^(٣) ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا
علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم
السكندانية ، من ماثور تأثير لا هوتية قواهم السِّماوية ، راغبة فيما يُفاض على
على مادتها الجثمانية ، ويطرأ على عاقلبيستها الهَيولانية ، من علويات آثار مواهبها
الربانية ، موافقة لثلمهم المفارقة أفضل موافقة ، موافقة لما وافق من شوارِد آراهم
المؤفَّقة أحسن موافقة . وتحت هذه الأستار مُحذرات أسرار أضربها الإسرار ،
وطالما نكر معارفها الإنكار ، ونقمت من صُدور أولئك الصُدور ، إلى بطون

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي نص (دائرنهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي نص (الإنكسارية) .

هذه الأوراق ، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق . وفي تلك
المعاني ، أبكار معاني ، سكن الجوانح والصدور ، بدل الأرايك والحدور ، ولكن
في دياجى ظلم هذه الأحاجى ، كأقمار في أطمار ، بهرن وما ظهرن ، وسطن
وما لمعن ، فعشيقن وما رمقن ، واستملمحن وما لمحن . أدرن خمور أجفانن على
ماخوريات ألخانن ، فهيجت البلابل نعم هذه البلابل ، واستقرغته الأكياس ،
مثرعات تلك الأكواس . ماسحر بابل ، كخمر بابل ، ولا [منتقى] (١) أغانيهن
الأوايل ، كحمايكم الروادل ، إن وصلت هديها بخفيف ، وصلن ثقيلهن بخفيف .
إيه أيها الشمري المشعل ، دعنا من حديثك المضمحل ، سيربنا أيها الفارس الندس ،
من حظيرة النفس ، إلى حضرة القدس ، صرح بإطلاق الجمال ، وجل من
عالميتك الملكوتية في أفسح مجال ، تمش بين مقاصر قصورها ، ومعاصر
خمورها ، رخي البال ، رخي السربال ، فما يفسح لك على منوال ، نادم عليها من
شغف دن مقراط ، إن استحسننت لها حسان ، فما يصلح لك ، صالح بن علاط .
بت صريع حياها ، فقد أوصت بمعالجة عقير معاقره هقارها بقراط ، لا تخش
صاحب شرطها ، فلا شرط له عليك ولا اشتراط ، مالك غير مبيدك الأول ،
من قال امتثل الأمر ، وما عليك من أمر وال . على رسلك ما هذا العجل ،
لا خطأ تنوقه ولا خطل ، أمكره أنت في هذه الكريهة ، أم بطل . لو علم أنك
ضباوية هذا الخميس ، وخبيثة (٢) ذلك الخميس ، لما عانى اليم رسيس ، شوقاً إليك
محمد بن خيس ، على أن لا غالب اليوم لا في غالب ، ولا طالب يُدرك شأو هذا
الصالب ، فقه بلا تفهيق ، وحذق في تحذلق . أقسم أبا الفضل بمالك على أبي
البركات [من الفضل] ، ذلك العراق الأرومة ، لا هذا الفارسي الجرثومة ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مقلات) والأول أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنعشته) .

وإن يك ذلك ، إسرائيلى الأصل ، وهذا إسماعيلى الجنس ، عاوى الفضل . فلتلك الذات ، شرف تلك الأذوات . قدّم لى غالبنا المذكور ، من بأسه الغر لاُرفع ، وأسمى من مقعد ، وقوطيهم المشهور ، من إغرناطة الحبراء ، ومن متبواً أبى أميتهم المرحوم ، من جنات جزيرتهم الخضراء ، فيما لنت أبا الفضل من هذه الربيحة^(١) ، وألوك^(٢) . أوأيت فى عمرك ، مثل هذا الصلوك ، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بنى غبرا . فأى شيء هذا المترع إيش ، لآحال لنا معك ولا عيش ، من يضحك على هذا العايش . ما هذا الخليل ، أخار بك أم نمل ، إرجع إلى ما كنت بصدده ، وقيت الزلل ، خذ فى الجدّ فما يليق بك الهزل . رق عن ذلك فحك لنا منه أرقّ غزل ، ماذا أقول ، وأى عقل يطاوعنى على هذا المعقول . أفحنتى والله عن مكالتكم هذه المحن ، ومنعتنى من طلب مسالتكم ، مالكم علىّ فى دنياكم هذه من الإحن . إن تكلمت كُلمت ، وإذا استعجبت عُجبت . أما لهذه العلة آس ، أم على هذه الفيلة مواس ، ما حيلقى فى طبع بلدكم الجاسى . إما يلين لضعفى [أما يرق]^(٣) قلب زمانكم القاسى . ما هذه الدمن يا بنى حضراوات الدمن ، اظهرتم المحن ، فقلب لكم ظهر الميحن . إن مرّ بكم الولي حقتموه ، وإن زجركم العالم فجزئتم عليه ففسقتموه ، وإذا نجم فيكم الحكيم ، غصصتم به ، فكفرتموه وزندقتموه ، كونوا فوضى ، فما لكم اليوم [مسراً سواه]^(٤) واذهبوا من مراعيكم المستوبلة ، حيث شتم ، فقد أهلكم الرعاة . ضيعتم النص

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (العجرتة) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (والدك) .

(٣) وردت فى الإسكوريال ، (أما يلين) مرة أخرى . والتعديل من كتاب (المنتخب

النفيس) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (سراه) والتصويب من «الزيتونة» .

والشرائع ، وأظهرتم في يدعيسكم العجايب والبدائع . نَفَقْتُمْ التَّفَاق ، وأقمتم سوق
 الفسوق على ساق . استصغرتكم الكباير ، وأبجثتم الصغائر . أين غنييكم الشاكر ،
 يتفقد فقيركم الصابر ، أين عالمكم الماهر ، يرشد متعلمكم الحاير . مات العلم
 بموت العلماء ، وحكم الجبل بقطع دابر الحكماء . جرّد لنا شريعتك يا أفضل
 الشارعين . أتمّ فيها وعظمتك يا أفصح النابعين . لا والله [ما يوقظكم]^(١)
 من هذا الوسن ، وعظ الحسن ، ولا يفقدكم من فتن هذا الزمن ، إلا سيف معلمه
 أبي الحسن والسلام .

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعماية . وتوفي في يوم مقتل صاحبه الوزير
 أبي عبد الله بن الحكيم ، فرّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام ، بعد أن
 نهبت ثيابه ، حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول ، هكذا تقوم
 الساعة بقتة . ولقيه بعض قرابة السلطان ، ممن كان الوزير قد وتره ، فشرع الرشح
 إليه ، فتوسل إليه برسول الله ، فلم يقبل منه ، وطمنه ، فقتله يوم عيد الفطر عام
 ثمانية وسبعماية ، وآخر العهد به ، مطرّحاً بالعراء ، خارج باب الفخارين ، لا يعلم
 قبره^(٢) ، لمكان الهرج في تلك الأيام . نسلُ الله جميل ستره . وساء بأثر قتله إياه
 حال [ذلك الرجل]^(٣) وفسد فكره ، وشرّد نومه ، وأصابته علة رديّة ، فكان
 يثيب المرة بعد الأخرى ، يقول ابن خيس يقتاني ، حتى مات لأيام من مقتل
 المذكور^(٤) .

(١) هذه الزيادة من الزيتونة ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مكانه) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قائله) .

(٤) نود أن نشير هنا إلى أننا قد اتفقنا بمراجعة شعر ابن خيس ونثره ، على ما ورد منهما في

كتاب (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خيس - تلمسان سنة ١٩٦٥) لصديقنا العلامة الأستاذ
 عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي

يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان فاضلاً ، متعلماً ، أديباً ، شاعراً ، صوفياً ، جميل العشرة ، حسن الخلق كريم العهد ، طيب النفس . كتب عن الأمراء بإفريقية ، ونال حظوة ، ثم شرف وحج ، ولقى جلّة ، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعماية ، فلقى بفرناطة حفاية ، وانسحبت بها عليه جراية ، ثم انصرف إلى وطنه ، وناله به اعتقال ، ثم فخلص من النسكة ، وأقام به ، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » : كاتبُ الخلافة ، ومُشعشع الأدب المنزوي بالسلافة ، كان يرحمه الله ، بدل مجال ، ورب روية وارتمجال ، قدم على هذه البلاد ، وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عطنه ، فلوّم بها تلوم النسيم بين الجمال ، وحلّ بها محل الطيف من الوشاح الجليل ، ولبث مدة إقامته تحت جراية واسمة ، وميرة يانعة . ثم آثر قطره ، فوّلّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنابة ، وقلده خطة الكتابة ، واستقامت حاله ، وحطت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوفٌ وتحقيق ، ورحلته إلى الحجاز ، صبهها في الخبر وثيق ، وسبها في الصالحات^(١) عريق .

شعره

نقلت من خط الوزير أبي بكر بن ذي الوزاتين ، مما قيّد عنه ، وكان

خبيراً بحاله :

(١) وردت في الإسكوريال (الصامحت) . والتصويب من النسخ .

رضى نلت من كل ما يهوى فلا توقفتى موقف الذل والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه كفاه الذى يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قنى أتشكى لوعة البين ساعة^(١) ولايك هذا آخر العهد بالنجوى
قنى [ساعة فى] ^(٢) عرصة المدار وانظرى إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكم فما حن مسراها إلى ولا أوى
فياربع حتى أنت من يغار بي ويأبجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
خلقت لى قلب جليد على النوى ولا كن على فقد الأحبة لا يقوى

وحدث بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي ليلة بيباب
الملعب فى أبوابها ظميمة من ظبيات الأوس ، [وفتنة من فتن] ^(٣) هذا الجنس ،
فخطب وصلها ، وأتقى بقواده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف
الغصن المياد ، فأبقى على نفسه ، وأمسك ، وأنف من خلع العذار ،
بعد ما تنسك ، وقال :

لم أنس وقفتنا بيباب الملعب بين الرجا واليأس من متجنب
وعدت فكنت مراقباً لحديثها يا ذل وقفة خائف مترقب
وتدللت فدللت بعد تعزى يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها ماشيت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنباً فتكاد تحسبها مهارة الربرب
ورنت بلحظ فار لك فائن أنضى وأمضى من حسام المضرب

(١) وردت فى الإسكوريال (باغوا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ساعدي) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى النسخ (قينة من قينات) .

وأرتك^(١) بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها
بمنظم في عقد سخطى جوهـر
وتمايلت كالغصن أخضله الندى
تثنيه أرياح^(٢) الصبابة والصبأ
أبت الروادف أن تميل بميله
مستوجاً بهلال وجه لاح في
يامن رأى فيها محباً مفرماً
ما زال مذولاً يحاول حيلة
فأجال نار الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الأرواح قبل جسومها
ومن مقطوعاته البديعة ، مما يجمع منه بغرناطة ، حرسها الله ، أيام مقامه

بها قوله :

أرى لك يا قلبي قلبي محببةً
فقابله بالبشر واقبل عشيةً
ولا تعتمد بالقطر أو بلل الندى
وتقلت من خط الفقيه القاضي أبي جعفر الرهيني ، مما أملاه عليّ بهنزه بغرناطة .
قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعماية ، يوم إحرام الكعبة العلية ، وذلك

(١) وردت في الإسكوريال (واتاك) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لمعان) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرواح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسلك) .

في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك ، وصِفته أن يتزين سدنة البيت من شيبه
 بأحسن زي ، ويمدوا إلى كرسى ، يصل فيه صاعده ، إلى ثلث الكسوة ،
 ويقطعها من هنالك ، ويبقى الثلثان إلى الموسم ، وهو يوم مشهود عند سكان الحرم ،
 يحتفل له ، ويقوم المنشدون أدراج الكعبة ينشدون . فقلت في ذلك :

ألم ترها قد شمرت تطلب الجداً وتخبّر أن الأمر قد بلغ الحدداً
 فجد كما جُدت إليها وشمّر عن الساعد الأقوى تنل عندها سعداً
 طوّت بُردها على السجل كنايةً لأمر خفي سره طوّت البرداً
 وأندت محيّاها فخياً جماله وقبّل على صون المقلّة ذلك الحدداً
 فكم سترت سودّ البرود جالها وغطته لا كن عن سنّها الرمداً
 وم خال ذاك الخال عما مقصّر عن العلم بالأنساب لا يعرف الحدداً
 لقد سَفرت عن وجهها الكعبة التي لها المسنيّ في حُسْنها المبدأ
 وقالت ألا أين مُكَلّي ، قصدوا إلى جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبداً
 فلبت لها المشاق من كل جانب يومونها يستقربون لها التبعداً
 فمن نَدَفِ أشفي على تلفٍ ومن مُحَبٌّ على قرب يهيم بها وَجداً
 ومن ساهر على النجوم ولم يذق بعينيه طعم النور أو يبلغ القصد
 يسأل عن بدرٍ وبدرٍ تجاهه كذلك اشترك اللفظ قد ينقص الحدداً
 ومن مُسْتَهَام لا يقرُّ قراره كأن به من حرٍّ أشواقه وقد
 يقلب قلباً بين جنبيه مورياً أوار الأسي فيه فتحسبه زنداً
 إذا ما حدى حدى الرُّكَب ركابه كأن قلوب الراكبين له تجمداً
 أحاد بها إن أنت جنت بها مِنِّي ونلت المنى والأمن فانزل ورُدورداً
 ولا خوف هذا الخفيف والتربة التي سرت قد عين المصطفى عداً
 وفي عرفات فاعترف وانصرف إلى مشاعر فيها يرحم المالك العبداً

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
 لين صدقت فيك الوعيد جرايم
 فعفوا لجميل الصبح يصدقك الوعدا
 وعُد مفضياً للبيت طُف واستلم وقم
 بهاللمقام الرحب واسجدوكن عبدا
 ورد في الثنا والحمد والشكر واجتهد
 فمن عرف الإحسان زادته حمدا
 وعُجْ نحو فرض الحب وأقض حقوقه
 وزوق قبر من أولئك من هديه رشداً

قال ، وكنت في زمن الحداثة ، أفضل الأصيل على السحر ، وأقول فيه ورقة
 المودع ورقة المعتذر . فلما كان أوان الأسفار ، واتصلت ليالى السير ، إلى أوظت
 الأسفار ، وأيت أفق الشرق أشرق ، ووجدت القاييل بفضل السحر أصدق ،
 فابتدأت راكباً ، فلما جيت لذكر الجناب العلي النبوي ، أتممت ماشياً ، وأنا
 في رملة بين مصر وعقبة إيله ، وقلت :

ما أحسن الأفق الشرق إسفاراً
 إذا بدا سارت الأظمان هاديةً
 يجلو غياهب ليل طالما سدلت
 ونم منه نسيم ثم ذا بعد على
 سرت سحيراً فبرت سرّذي سحر
 سرت بيانات أكتاف اللوى
 طابت بعالية أرواح معطرة
 كأنما فلق الإصباح حين بدا
 حتى بدت وتبدت حسن صورتها
 كأنه دعوة المختار حين بدت
 من نوره كل نور أنت تبصره
 فكم هدا في دُجى الإدلاج أسفارا
 له وصارت به الظلماء أنوارا
 على المحبين في الظلماء أستارا
 أحاديث كانت ثم أسراراً
 أهبت له ريح من بهواه معطاراً
 ففدت كأن دارين قد أصبحت داراً
 بها فأصبح أفق الشوق عطاراً
 خدو بهجة حسن الشمس قد وارا
 فغمته الأرض أنجاداً وأغواراً
 دانت لها الخلق إعلاناً وإصراراً
 ونوره زاد الأبصار إبصاراً

هدا به الله أقواماً به سماء
 هو الشفيح الذي قالت شفاعته
 هو العمود عن الجاني وإن عظمت
 هو الكريم الذي مارد سائله
 هو الحبيب الذي ألقى محبته
 أحبه كل مخلوق وهام به
 والنشق بدر الدجاء من نور غرته
 لولاه كانوا مع الكفر كفاراً
 للمؤمنين ألا لا تدخلوا النار
 من المسيء ذنوب كان غفارا
 يوما ولو كرر التسأل تكرارا
 في كل قلب فقلبي نحوه طارا
 حتى الجمادات أحجاراً وأشجارا
 وانهلّت السحب من كفيه أنهارا
 ومن مقطوعاته ، قال ، ومما نظمته في ليل الشرى ، وتخيل طيف الكرى ،
 أ قصيد قصده أي معنى أردته ، أشغل عنه ما بي منه :

منع الهجر من سلمي هجوعا
 بعثته ليلا يملأ قلبا
 لم يجد غير طرف جفن قريح
 فأنثى طبعها يزيد الرجوعا
 مستهاما بها محباً ولوعا
 شاخصا يحوها يذره الدموعا
 وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بجاية ، وهو معتقل بقصبتها ،
 وقد امتنحه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس :

شرح حالي لمن يريد سؤالي
 مُطلق الحمد والثناء عليه
 لا أرى للولاء في احتكاما
 أرتجى بالمصاب تكفير ذنبي
 لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها
 فاغتم ساعة الوصال وكم
 فإذا غبتُ عنك فاحضر
 إنني في اعتقال مولى الموال
 وهو للمظف والجميل موال
 ووليُّ مال على كل وال
 حسبما جاء في الصّحاح العوال
 وكذا الشرّ ذا وذا للزوال
 من محنة وهي منحة من نوال
 تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهي نورٌ للنهار والنور منها وهي الالاس في الليالي الطوال
 فاستدبرتها تدبم ولا تضحج منها وأدرها على اليمين ووال
 فإن الكأس مجراها على اليمين ، ومسراها لفي الصبح المبين ، تغنى عن
 الإصباح والمصباح ، وتدنى لهم معنى النور المشرق في الوجوه الصُّباح ، وتجرى
 في الأشباح ، فتسرى في الأرواح . وهذه الرسالة طويلة ، فيها كل بديع من
 نظم ونثر .

فأجابه رحمه الله :

أرغمن هذه القيود الثقال ربُّ وُدِّ مصيره للتغال
 طال صبرى على الجديدين حتى كدت مما نقيت أن يشقنال
 إن بعض الرضا لديه فسيح أى مدد به وأى ابتقال
 حاش لله أن أكون لشيء شاده الصانع القديم بنال
 إن عندي من الثناء عليه لأمانى لم يملن القال
 يا إمامى الذى بودى لو أمكن لعمى إليه أوار قال
 أرجُ دنياك وارج مولاك واعلم أن راجى سواه غير مُقال
 وابتغاء الثواب من ربك اعمل فهو يجزى الأعمال بالمتقال
 واغتم غيبة الرقيب ففيها لقلوب الرجال أى صقال
 وأحل في الوجود فكر غنى عن ضروب الإنعام والأحقال
 وإذا الوقت ضاق وسعته بالصبر ولا تنس من شهير المقال
 وبما تسكره النفوس من الأمر له فرحة كحل العقال

لا غرور أن وقع توان ، أو تلوم دهر ذو أوان ، فالأمر بين الكاف والتون ،
 ومن صبره لم ينوء بصفقة المغبون - وللسمداء تخصيص - ومع التقريب تمحيص ،

وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير ممتوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادى أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامى العلية نظره، ناطقا بلسان التفويض، سارحا من الرضا في القضاء المريض، لا يبدأ بالانقياد والتسليم، قائما على أسكفة باب الأدب، لمثابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقايح عافا كم الله وُعَاطَ ونحن هُجُود. وفي الحى إيقاظ، وما كل المعاني تؤذيها الألفاظ. وهذا الفنا الذى نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هى إلا فتون، وجنون فنون، وحديث كاه مجنون. وقد يجمع الله الشئتين، ولن يغلب عسرٌ يسرين ولا باس، وياخطب لا مساس، وأبعد الله اليأس، وإنما يوفى الأجر الصابرون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهى طوياله بديعة.

أسمع بمحضرة غرناطة لما قدم عليها، وارتسم فى جملة الكتاب بها، وحدث عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخميرى عن أبى الطاهر السلفى، وعن جماعة غيرهم. وكان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقى من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، وأحل بسبته، فأكرم وبيسها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، وأنزله بدار جلييلة، كما أن بها علو مطلق على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأن مقتضى ذلك، فكتب إليه:

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله فى مغرب أو مشرق

منها :

وخفضت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرفٍ مُعْطَرَقٍ
وتجول في البلاد ، ولقي من بها ، واتصل بالأمير أبي علي بسجلهامة . ومدحه
بقصيدة حُفظ له منها :

فيا يوسف الحسن والصفح والرضا تصدق على الدنيا بسلمائك العدل
ثم اتصل بوطنه .

وفاته

نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور : وفي عام أربعين وسبعمائة ، توفي
بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف ، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي
المليكشي الشهير بابن عمر ، صدوق في الطلبة والكتاب ، شهير ذو تواضع
وإيثار ، وقبول حسن ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني

من أهل تونس يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل الفاضل ، صاحب رُواء وأبهة ، نظيفُ البزّة ، فارهُ المَرْكَب ،
صدوق عن الملة ، مقيم للرسم ، مطفّف في مكيال الإطراء ، جوح في إيجاب الحقوق ،
مترام إلى أقصى إمامة التوغل ، سخي اللسان بالثناء نثراره ، فمكة مطبوع ، حسن الخلق ،

عذب الفكاهة ، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأثرّة ، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالأبيات ، ويتقدّم في باب التحسين والتّقييح ، ويقوم على تاريخ بلده ، ويثابر على لقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولى الرواية . قدّم على الأندلس في إحدى جمادين ، عام خمسين وسبعماية ، مُفْلِتًا من الواقعة بالسلطان أبي الحسن بالجّهات الشرقية ، بأيدي بني زيّان وأخلافهم^(١) ، فمهّد له سلطانتها ، رحمه الله ، كنف برّه ، وأواه إلى سعة رعيه ، وتأكّدت بيني وبينه صحبة .

شعره

كتبتُ إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أحنو حنو أبيات ، ذكر أن شيخنا
أبا محمد الحضرمي خاطبه بها :

أمن جانب الغربي نفحةُ بارح	سرت منه أرواح الجوى في الجوانح ^(٢)
قدحت بها زند الغرام وإنما	تجاقت في دين الشؤ لقادح
وما هي إلا نسمة حاجرية	رعى الشوق منها كل قلب بقادح
وجحنا لها من غير شك ^(٣) كأنها	شمايل أخلاق الشريف ابن راجح

(١) الواقعة التي يشير إليها ابن الخطيب ، وقعت بين السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب وبني زيّان ، على أثر عودته من حملته إلى تونس بعد فقدها ، وبعد غرق أسطوله في مياهها ، مرتدًا بفلول قواته عبر الجزائر في طريقه إلى المغرب الأقصى . وكان بنو زيّان ملوك تلمسان السابقين ، قد استطاعوا استردادها ، وقت سير السلطان أبي الحسن إلى تونس . فحاول السلطان أبو الحسن عند عودته مهاجمتها لاستعادتها ، فتصدى له بنو زيّان في قواتهم بقيادة أبي ثابت بن زيّان ، أخى سلطان تلمسان عثمان ابن عبد الرحمن ، فهزم السلطان أبو الحسن ، ونهب معسكره ، وقتل ولده الناصر . وارتد في فلوله ميمما صوب المغرب من طريق الجنوب ، وكان ذلك في أواخر سنة ٧٥٠ هـ . ويلوح لنا أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر السنة التي قدم فيها المترجم إلى الأندلس وأنها سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الجوانح) .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (مكر) والأول أرجح .

وصبراً مُعار الحبل^(١) في كل فادح
 طرازُ لُضار في بُرود المدايح
 حبياً الله منه كل صدرٍ بشارح
 صحيفته أنست مضاء الصفايح
 وجزلٌ كما راعتك صولة جارج
 وخيض خضم القول منه بسابح
 أسنة حربٍ للعيون اللوائح
 ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
 وقد غص بالشم الأنوف الججاجح
 علا خواتمها موصولة بالفوائح
 لمراك من فوق الرشي والأباطح

فتي هاشمُ سبقاً إلى كل علية
 أصيلُ العلاجم السيادة ذكره
 وفرقان مجدي يصاع الشك نوره
 وفارسُ ميدان البيان إذا التضي
 رقيقٌ كما واقنك نعمة ساجع
 إذا ما احتبي مستحفظاً في بلاغة
 وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه
 فما ضعضعت منه لصولة صادق
 تذكرت قسماً قائماً في عكاظه
 ليهنك شمس الدين ما حزت من
 رعى الله ركباً أطلع الصبح مسفراً

ومنها:

وساعدها السعدان وسط المسارح
 بمعرض سوء فهي ناقة صالح
 بطوع القوافي وانبعث القرايح
 وموردُ ظمان وكهبة مادح
 أرحمت السرى من كل غاد ورايح

أقول لقومي عندما حط كورها
 ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها
 إذا ما أردنا القول فيها فمن لنا
 بقيت مني نفسٌ وثخنة رايد
 ولا زلت تلتقي الرحب والبرحينما
 فأجابني بما نصه:

[تمار مفقود]^(٢) من الحى نازح
 غليلٌ غليلٌ للتواصل جانح

أمن مطاع لأنوار لمحمة لائح
 وهل بالمئي من مورد الوصل يرتوى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مفاقر الفتل) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ كالآتي (تمار مفقود) .

فيأفئض عين الدمع مالك والحمى
 مرابع آرامي ومورد ناقتي
 سقى الله ذاك الحمى ودقاً فإنه
 وأبدى لنا حور الخيام تُزف في
 ترى حمى تلك الحور للحور مهيب
 ويا دوحة الرؤيخان هل لي عودة
 وهل أنت إلا طلة^(٣) حامية
 أقام بها الفخر ابن الخطيب منابراً
 وشفع بالإنجيل حمد مديحه
 وفرق بالفرقان كل فرقة
 وهل هو إلا للبرية مُرشد
 [فبشراك شمس الدين]^(٥) ساد بك الوري وأوزى الهدى للرشد أوضح واضح
 متى قلت لم ترك مقالا لقابل
 فمن حام بالحمى الذي أبت أهله^(٧)
 يحق له أن يشفع الحمد بالثنا
 ويا فوز ملك دمت صدر صدوره
 بأرايك التي تدل على الهدى
 ورُند الحمى والشيخ شيخ المشايخ^(١)
 فستيا لها ستمياً لناقة صالح
 حمى كحمت العين عن ملح ساح^(٢)
 حلى الحسن والحسنى وحلى الملاح
 يدل وهل حسم لداء التبارح
 لعقر عقار الألس بين الأباطح
 تعص نواديهما بغاد ورايح
 لترتيل آيات للندى والمنايح
 وأوتر بالتوراة^(٤) شفح المدايح
 نأت عن رشاد فيه معنى النصايح
 لكل هدى هاد لأرجح راجح
 وعام ببحر من عطايك طافح
 وينغدو بذاك البحر أسبح سابع
 وبشري له قد واح أريج راجح
 وتبدي لمن خصصت سبيل المناجح

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفع (الأشايخ) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لامح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (حلة) .

(٤) وردت في الإسكوريال (التورية) . والتصويب من النفع .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (فبشري لسان الدين) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مدح) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ره) .

مَلَكَتْ خِصَالَ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَمَلَكَتْ مَنْ مَلَكَتْ يَا ابْنَ الْجَحَاجِجِ
 مَضَامِجُ آمَالٍ لِأَشْرَفِ هِمَّةٍ أَقْلُ مَرَامِيهَا أَجْمَلُ الْمَطَامِحِ
 فِدُونِكُمَا يَا مُهْدِي الْمَدْحِ مَدْحَةً أَجَبْتُ^(١) بِهَا عَنِ مَدْحِ أَشْرَفِ مَادِحِ
 يُهْنِيكَ بِالْعَامِ الَّذِي عَمَّ تَحْمَدُهُ مَوَاهِبُ هَاتِيكَ الْبِحَارِ الطَّوَافِحِ
 فَخَذَهَا مَبِيِّ الْفَخْرِ يَا خَيْرَ مُسْبِلِ عَلَى الْخَلْقِ أَغْضَا سَتُورِ التَّسَامِحِ
 وَدَمِ خَاطِبِ الْعَلِيَّاهَا خَيْرَ خَاطِبِ وَأَتَوْقُ تَوَاقٍ وَأَطْمَحُ طَامِحِ
 وَتَلْقَانِي بِمَالِقَةٍ عِنْدَ قُدُومِي مِنَ الرَّسَالَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مَحْرَمِ عَامِ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ
 وَسَبْعِمِائَةٍ، وَنَظَمْتُ لِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :

قُدُومُكَ ذَا أَبْدَى لَدَى الرَّايَةِ الْحَمْرَا
 وَأَيْنَعُ فَجْرُ الرَّشْدِ مِنْ فَلَاقِ الْهُدَى
 سَرِينَا لَهُ كَيْ يُحْمَدُ السَّيْرُ وَالسَّرَى
 وَنَصْبِحُ فِي أَحْيَانِ الْمُنِّ نَسْتَمُ
 وَنَخْطُبُ مَا يَأْتِي ابْنَ الْخَطِيبِ تَشَا
 فَقَابِلَتْ بِالْإِقْبَالِ وَالْبِرِّ وَالرُّضَا
 فَأَبْنَا قُدُسَ الْحَمْدِ حَضْرَةَ قُدُسْنَا
 هُنِيَّا لَنَا نَلْنَا وَنَلْنَا وَلَمْ نَزَلْ
 وَأَيْنَا وَزِيرَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكِ وَاللَّوِي
 سَجَدْنَا وَكَبَّرْنَا وَقَلْنَا رَسُولَنَا
 وَيُهْنِي الْوَدَى هَذَا الْإِيَابِ فَإِنَّ فِي
 أَرَانَا سَنَا ذَا الْيَوْمِ أَجْمَلِ مَنْظَرِ
 أَمَا وَالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ غَدَّتْ
 نُغُورُ الرُّضَا تَعْبِرُ عَنِ شَنْبِ الْبُشْرَا
 وَكَوْنُهُ نَهْمٌ — رَا وَجْرَهُ نَجْرَا
 وَتَرْقُبُ شَمْسَ الدِّينِ مِنْ فِرْعَانَ الْفَجْرَا
 مَوَاطِنُكُمْ شَفَعًا وَأَنَارُكُمْ وَتَرَا
 مِنْ كَرَامِي ذَلِكَ الْحَى إِذْ نَهَزَ الشُّعْرَا
 وَأَقْرَبَيْتَ مَنْ يَقْرَأُ وَأَقْرَدَتْ مَنْ قَرَا
 وَأَقْدَامُنَا تَمَلَّا وَأَمْدَا حُكْمَ تَقْرَا
 نَتَالُ وَلَا كُنْ هُنَا الْمَنَّةُ الْكُبْرَا
 وَحَزْبُ اللَّوِي كُلُّ يَشُدُّ بِهِ أَزْرَا
 آتَى بِالَّذِي يُرْضَى بِشْرَى لَنَا بُشْرَا
 تَتَأَيَّجُ لِلدَّهْرِ مَا يُشْهَرُ الدَّهْرَا
 وَجَلَّى لَنَا مِنْ وَجْهِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرَا
 تَعَلَّمْنَا لِلنُّعْمِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَا

(١) وردت في الإسكوريال، (أصبحت). والتصويب من النسخ.

لأنت لسان الدين للدين حجة
بقيت لنا كيتفاً منيعاً مشرفاً
وَدُمْنَا بِكُمْ فِي كُلِّ أَمِينٍ وَمِنَّةٍ
وَمِنْ أَمْتَلِ مَا مَدَحَ بِهِ السُّلْطَانُ لِأَوَّلِ قَدُومِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ :
أَمَا وَالْعُيُونُ النَّجَلُ تَرْمِقُ عَنْ سِحْرِ
وَرِيحَانُهُ وَالرَّاحُ وَالطَّلُّ وَالطَّلَا
وَنُورُ جَبِينِ الشَّمْسِ فِي رَوْنِقِ الضُّحَا
لَقَدْ قَلَّدَتْ آرَاهُ يَوْسُفُ مُلْكُهُ
وَقَدْ أَيَّدَهُ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِنَاصِرٍ
هُمُ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَجِيهِ
وَحَسْبُكَ مِنْ قَوْمِ حَمَوَ سَيِّدِ الْوَرَى
سَقَى شِرْعَةَ الْإِسْلَامِ وَذُقُّ سَيُوفِهِمْ
فَأَصْبَحَ رَوْضُ الرُّشْدِ يَبْقَى طَيِّبُهُ
فِي سَائِلِي عَنْهُ وَعَنْ سَطَوَاتِهِ إِذَا
وَجَزَّ مَعَ الْأَقْدَامِ جَيْشًا عَرْمَرَمَا
نَجْلِيلَةَ تَنْبِيكِ عَمَّا وِرَاةَهَا
فِي فَوْزٍ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْغَنَمِ وَالْغِنَا
مِينًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزَتْ
لَقَدْ أَصْعَدَتْ بَجْدِي مَدَامُحَكَ الَّتِي
وَحَقُّ لِمَثَلِي يُشْفَعُ الْحَمْدُ بِالشُّنَا
فَأَخْتِي بِتَمَارِ الْأُنْسِ مِنْ رَوْضَةِ الْمُنَا
وَأَشْرَبَ مَاءَ الْفَوْزِ عَذْبًا خِيَامَهُ
تَوْبَدُهُ سِرًّا وَتَعَضُّدُهُ جَهْرًا
وَدُمْتَ لَهُ عَضْدًا وَدُمْتَ لَهُ نَصْرًا
نُدِيرُ الْمُنَا خَيْرًا أَوْ نُصَلِّي الْعِدَا جَهْرًا
وَوَرْدُ وِيَاضِ الْخَلْدِ وَالسُّكَّاسِ وَالخَمْرِ
وَنَزَجِيهِ وَالزَّهْرِ وَالنُّورِ وَالنَّهْرِ
وَهَالَةُ بَدْرِ التَّمِّ مُنْتَصِفِ الشَّهْرِ
قَلَايِدَ نَصْرِ بْنِ تَبِيدَ مَعَ الدَّهْرِ
نَصِيرٍ وَخَيْرِ النَّصْرِ نَصْرُ بَنِي نَصْرِ
زَبِيهِ وَعَصْبَةِ الْأَعْلَامِ فِي التَّيْسِرِ وَالْعُسْرِ
وَقَامُوا بِنَصْرِ الْحَقِّ فِي السُّرِّ وَالْجَهْرِ
رَحِيقُ الْأُمَاتِي طَيِّبُ الْعَرَفِ وَالنَّشْرِ
وَدَوْحُ الْهَدْيِ بِالزَّهْرِ أَزْهَارُهُ تُزْرَى
لَا حَ مَحْفُوقًا بِرَايَاتِهِ الْجُمْرِ
وَشَرَّدَ بِالتَّأْيِيدِ شِرْذِمَةَ الْكُفْرِ
وَلَا غَرَّوْ فَالْإِفْصَاحُ يَعْرِفُ بِالْعَجْرِ
وَيَا وَيْلَ مَنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْفَقْرِ
مِنْ الْمُلْكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّهْمِي وَالْأَمْرِ
وَمَجْدُكَ وَالْعَلْيَا مَدَحَتْ بِهَا شَعْرِي
وَيَتَلَوُ مَعَانِيَهُ مَعَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَأَقْطَفَ زَهْرَ الْحَمْدِ مِنْ شَجَرِ الشُّكْرِ
رَحِيقُ بَرَاكِ السَّمْحِ فِي أَكُوسِ الْبَشْرِ

ولا برحت أمداحكم تعجز النهي
ولا زالت الأقدار تخدم رأيكم
وإلا فكم تمنجني من العسر ليسر
ورأياتكم ما دام نجم السرا يسر
وكتب إلي في غرض يظهر منه نص المراجعة ، وحسبنا الله :

أما والذي لي في حلاك من الحمد
لقد أشعرتني النفس أنك معرض
فإن زلة بدت لك جهرة فصفحا
وما لك ملاكي على من الرfid
عن المسرف اللابي لفظرك يستجد
فما والله إذ كنت عن عمد
فراجعته بقولي :

أجلك عن عتب يفض من الود
ولا كنى أهدى إليك نصيحتي
إذا مقول الإنسان جاوز حده
فأصبح منه الجذ هزلاً مذمماً
فما استطعت فيضاً للعنان فإنه
وأكرم وجه العذر منك عن الرد
وإن كنت قد أهديتها لم تجرد
تحوّلت الأغراض منه إلى الضيد
وأصبح منه الهزل في معرض الجذ
أحق السجايا بالملأ والمجد

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعمائة، وقد ناهز السبعين سنة، ودفن بروضتنا بباب البيرة، وأعني شارب الشعر من نابي مقصه. وغير هذه الدعوى قرارها تجاوز القضية.

محمد بن علي بن عمر العبدي

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاق العافية، وتلى أبوه الحجابة بتونس عن

سلطانها برهة ، ثم عدا عليه الدهر ، واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالمشرق ، فاتصل به مسكناه وحجج ، وآب إلى هذه البلاد . ظريف التزعة ، حلو الضريبة ، كثير الانطباع ، يكتب ويشعر ، ويكلف بالأدب ، ثم انصرف إلى وطنه . وخطبني إلى هذا العهد ، يُعرفني بتقلده خُطة العلامة ، والحمد لله .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : غدي نعمة هامية ، وقريب رتبة سامية ، صُرفت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق بإفريقية إلا من يخافه ويرجوه ، وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من الترف . ثم قلب الدهر له ظهر المجن ، واشتد به ^(١) الحمار عند فراغ الدن ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق ، بعد خطوط سيرة ، وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينل في أوطانه ، واكتسب الشمايل العذاب ، وكان كابن الجهم ، بُعث إلى الرصافة ، ليرق فذاب ، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر ، وألم بهذه المدينة ^(٢) الإمام الخيال الزاير ، فاعتنمت صفة وُدّه ، لحين وروده ، وخطبت مولاته على انقباضه وشروده ، فحصلت منه على درة تفتى ، وحديقة طيبة الجنى .

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببره :

لكل أناس مذهبٌ وسجيةٌ	ومذهبٌ أولاد النظام المسكارم
إذا كنت فيهم ثاوياً كنت سيّداً	وإن غبت عنهم لم تنالك المظالم
أولئك صعبى لا عديمت حياتهم	ولا عدمو السعد الذي هو دايم
أغنى بذكراهم وطيب حديثهم	كما غرّدت فوق الغصون الحمام

(١) وردت في الإسكوريال (هم) . والتصويب من النسخ

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البلاد)

ومن شعره يتشوق إلى تلك الديار ، ويتملّل بالتذكار ، قوله :

أَحْبَبْتَنِي _____ بِمِصْرَ لَوْ وَأَيْتَمَ
لَكُنْتُمْ تُشْفِقُونَ لِفَرْطِ وَجْدِي بَكَأْنِي عِنْدَ أَطْرَافِ النَّهَارِ
وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَزَارِ (١)

ومن شعره :

تَنَفَّنِي حَمَامَ الْأَيْكَ يَوْمًا بِذِكْرِهِمْ فَأَطْرَبْتُ حَتَّى كَدْتُ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَفْنَا
فَقُلْتُ حَمَامَ الْأَيْكَ لَا تُبَيْكُ جَبْرَةَ نَاهُوا وَانْقَضَتْ وَصَلُّهُمْ عَنَّا
فَقَالَ وَلَمْ يُرِدْ جَوَابًا لِسَائِلِ أَلَا لَيْتَنَّا كُنَّا جَمِيعًا بِذَا الْخَلْقِنَا
ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته ، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن
في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة :

تَقْرَ مَلُوكِ الْأَرْضِ أَنْكَ مَوْلَاهَا وَأَنْ الدُّنَا وَقَفَ عَلَيْكَ قَضَايَاهَا
ومنها :

طَلَمْتَ بِأَنْقِ الْأَرْضِ شَمْسًا مَنِيرَةً أَنْارَ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ مُحْيِيَاهَا
حَكَيْتَ لَنَا لِلْفَارُوقِ حَتَّى كَأَنَّانَا بَعِينٍ لَا نُسْكَدُّ بِرُؤْيَاهَا
وَسَرْتَ عَلَى آثَارِهِ خَيْرَ سِيرَةٍ قَطَعْنَا بِأَنْ اللَّهُ رَبُّكَ يَرْضَاهَا
إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ الْمُلُوكِ بِمَحْفَلِ وَنَادَى بِهَا الْفَنَادَى وَحَسَنَ دُنْيَاهَا
فَجُودُكَ رُؤَاؤَاهَا وَمَلَاسِكُكَ زَانُهَا وَعَدَلُكَ زَاهَا وَذِكْرُكَ حَلَاهَا
وَأَنْتَ لَهَا كَهْفٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ تَلُوذُ بِهَا أَوْلَى الْأُمُورِ وَأَخْرَاهَا
ومنها بعد كثير :

وَمِنْكُمْ ذُووُ التَّيْجَانِ وَالْمَهْمِ التِّي أَنْافَ عَلَى أَعْلَى السَّمَاءِ كَيْنِ أَدْنَاهَا
إِذَا غَابَ مِنْهُمْ مَالِكٌ قَامَ مَالِكٌ مَجْدُدٌ لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ عَلَيْهَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الديار)

بناها على التقوى وأسس بينها
وأورثها عثمان خير خليفة
وقام على بعده خير مالك
على بن عمر بن يعقوب ذو الملا
أدام الله وأعطى الخلافة وقتها
ونور أخلاك الخطوب وجلاها

ووصلني كتاب منه مؤرخ في التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام
أربعة وستين وسبعماية جدد عهدي من شعره بما نصه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
فيا أدمى مُهَلَّةً إثر بينهم
فيا معهداً قد بنتُ عنه مكلفاً
سقتك غوادى المزن كرعشية
فإن تسكن الأيام لم تقض بيننا
يعزُّ علينا أن نفارق ربكم
ولو بلغتني العيرُ عنكم رسالة
لكمنا على ما تعلمون من الهوى

ففاضت لروحات الفراق عيون
كأن جفوني بالدموع عيون
بديلي منه أنه وحنين
ودادك محلول النطاق هتون
بوصل فأيتهضى فسوف يكون
وأنا على أيدي الخطوب نهون
وساعد دهرُ باللقاء ضنين
ولا كن لأحداث الزمان فنون

تم المجلد الثاني

من كتاب « الإحاطة »

ملحق

في التعليق على ترجمة

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ، أبو بكر

(الواردة في صفحة ٤٩٤ - ٥٠٥)

نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ، ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشى في قوله : « كان أديباً ، بارعاً ، محسناً ، شاعراً ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل » . ثم علق على ذلك بقوله : « وهذه الطريقة بديعة ، يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً ، حججه الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العليم ، والمبتدى فيها والمتمم » .

وهذا كلام لاغبار عليه ، إذا ذكرنا أن اسم صاحب الترجمة ، هو بالفعل اسم ابن قزمان ، أمير الزجل الأندلسى المشهور ، وأن تاريخ وفاته الذى يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح . ولكن ابن الخطيب ، يورد لنا بعد ذلك في وصفه ، فقرة من كلام صاحب «القلائد» ، وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس ، وحظى لديه . وهنا يتغير الاتجاه ويبدأ الخطأ ، ويغدو ابن الخطيب ، فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره - وهو مالا يحتوى على أية مقطوعة من الزجل - وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بنى قزمان ، هو عم إمام الزجل ، واسمه الحقيقى هو أبو بكر ، محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القوطى . وقد أورد لنا ابن بشكوال في «الصلة» ترجمة المذكور في أسطر قلائل ، ووصفه بأنه كان « من أهل العلم والذكاء والفهم ، وكانت عنده دراية ورواية ولغة ، وأدب وافر » . ثم قال إنه توفى في سنة ٥١٨ هـ (كتاب الصلة - القاهرة - ج ١ ص ٥٤٠) .

وذكره الفتح في كتاب «القلائد» ، ووصفه بالوزير الكاتب ، وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس ، أمير بطليوس ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وحظى لديه .

وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمدين المتغاب على قرطبة، وخدمه، ثم لقي بعد ذلك على يده شر الموان والأذى، لحدّة كانت في طبعه . وهذه الفقرة الأخيرة ، لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمدين لم يحكم قرطبة الا في سنة ٥٣٩ هـ ، على أثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس . وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر ، وهو أمير الزجل (قلاند العقيان - القاهرة - ص ١٨٧) .

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر (العم) ، وابن أخيه ابن قزمان الأصغر (أمير الزجل) ابن سعيد الأندلسي ، في كتابه « المغرب في حلى المغرب » ، فيمن ذكره من بيت بني قزمان . فترجم لنا أولاً لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي ، وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في « الذخيرة » من خدمته للمحتوكل صاحب بطليوس ، ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في « القلائد » من ذكر اتصاله بابن حمدين (المغرب في حلى المغرب - القاهرة - ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠) .

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر (ج ١ ص ١٠٠) . ثم عاد لترجمه مرة أخرى (ج ١ ص ١٦٧ - ١٧١) . ووصفه في الترجمتين بأنه « إمام الزجالين بالأندلس » . وأورد له في الترجمة الثانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة .

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد ، وقد كتب كتابه « المغرب » حول منتصف القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٣ هـ ، وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك وابن الخطيب ، هي أقرب إلى التحقيق والثقة . وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته ، في الفصل الذي عقده عن « الموشحات والأزجال بالأندلس » إلى ابن قزمان ، ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق، وذكر أنه كان لعهد الملتمين ، أي المرابطين (المقدمة بولاق - ص ٥٢٤) . وهذا تأييد آخر لرواية ابن سعيد ، لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي ٤٨٤ و ٥٥٠ هـ ، وقد توفي ابن قزمان ، أمير الزجل حسبما تقدم في سنة ٥٥٥ هـ .

فهارس المجلد الثاني
من كتاب «الإحاطة»

صفحة

- ١ - فهرست التراجم..... ٥٨٤
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع الثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ٥٩٨
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

فهرست التراجيم

صفحة

٣	مقدمة
	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن
١٣	نصر الخزرجي
١٨	الملك على عهده
٢٣	الأحداث في أيامه
٢٦	الحادثة التي جرت عليه.....
٣١	ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور
٣٩	الملك على عهده
٤٨	بعض مناقب الدولة لهذا العهد
٦٥	الأحداث
٧٨	الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة
٨٢	الغزاة إلى حصن أشرة
٨٢	الغزاة المعملة إلى أطرية
٨٣	الغزاة إلى فتح جيان
٨٤	الغزاة إلى مدينة أبدة
٨٨	الحركة إلى الجزيرة الخضراء.....
	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي
٩٢	الأنصاري
٩٧	الملك على عهده
٩٨	لمع من أخباره

صفحة.

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن عبد الملك
 ١٠١ المنصور بن أبي عامر
 محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أسلم
 ١٠٨ عطاء بن نعيم
 محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرديش الخداعي
 ١٢١
 محمد بن يوسف بن هود الخداعي
 ١٢٨
 محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن منجل الغافقي
 ١٣٣
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري
 ١٣٦
 محمد بن فتح بن علي الأنصاري
 ١٣٨
 محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي
 ١٣٨
 محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج
 ١٣٩
 محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النخري
 ١٤١
 محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر
 ابن سعد الخير بن عياش (ابن الحاج البليقي)
 ١٤٣
 محمد بن عبد الله بن منظور القيسي
 ١٧٠
 محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني (ابن عسكر)
 ١٧٢
 محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن سعد الأشعري الماتقي
 ١٧٦
 محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ... بن ناصر بن حمون بن
 القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 ١٨١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
 ١٨٧
 محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر
 ابن علي القرشي المقرئ
 ١٩١
 محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
 ٢٢٦
 محمد بن عياض بن موسى بن عياض ... بن موسى بن عياض اليحصبي
 ٢٢٩
 محمد بن أحمد بن جبير ... بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني ...
 ٢٣٠

صفحة

- ٢٣٩ ... محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ...
- ٢٥٠ ... محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ...
- ٢٥٣ ... محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ...
- ٢٥٣ ... محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي ...
- ٢٥٤ ... محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ...
- ٢٥٥ ... محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي ...
- ٢٥٦ ... يوسف بن جزى الكابي ... محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الرحمن بن
- ٢٦٦ ... الحكيم اللخمي (أبو القاسم) ...
- ٢٦٩ ... محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ... بن محمد اللوشي اليحصبي ... محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
- ٢٧٢ ... (أبو بكر) ...
- ٢٨١ ... محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري ...
- ٢٨٢ ... محمد بن مالك المري الطغترى ...
- ٢٨٤ ... محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي (العقرب) ...
- ٢٨٦ ... محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي ...
- ٢٨٧ ... محمد بن علي بن العابد الأنصاري ...
- ٢٨٨ ... محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي ... محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني
- ٢٩٣ ... البرجي الغرناطي ... محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد
- ٣٠٠ ... الصريحي (ابن زمرك) ...
- مخطوط الإسكوريال المفتوح بالسفر السابع
- ٣١٥ ... محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبائي ...

صفحة

٣١٥	...	محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
٣٣٠	...	محمد بن أحمد بن علي الهواري
٣٣٣	...	محمد بن أحمد بن الحيداد الوادي آشي
٣٣٧	...	محمد بن إبراهيم بن خيرة (ابن المواعيني)
٣٣٨	...	محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٣٤١	...	محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٣٤٣	...	محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (ابن مرج الكحل)
٣٤٨	...	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ابن الحنان)
٣٦٠	...	محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٣٦٤	...	محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي
٣٦٧	...	محمد بن محمد بن حزب الله
٣٧١	...	محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري
٣٧٩	...	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
٣٨١	...	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي
٣٨٢	...	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الباوي
٣٨٦	...	محمد بن محمد بن الشديد
٣٨٨	...	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الحصال الغافقي
٤١٨	...	محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي
٤٢٦	...	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي
٤٣٣	...	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي
٤٤٢	...	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
٤٤٣	...	محمد بن عبد الله بن فطيس
		محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد
٤٤٤	...	ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين)
٤٧٦	...	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

صفحة

٤٧٧	...	محمد بن عبد الرحمن المتأهل
٤٧٨	...	محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي
٤٨٢	...	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني
٤٨٨	...	محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني
٤٩١	...	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري
٤٩٤	...	محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري
٥٠٥	...	محمد بن غالب الرصافي
٥١٥	...	محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالتي
٥١٦	...	محمد بن سليمان بن القصيرة
٥٢١	...	محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التيمي المازني
٥٢٣	...	محمد بن حسن العمراني الشراف
٥٢٥	...	محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ، ابن العشاب
٥٢٧	...	محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي
		محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الحجري
٥٢٨	...	التلمساني
٥٦٣	...	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
٥٧١	...	محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني
٥٧٧	...	محمد بن علي بن عمر العبدي

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٤٨ رسالة في مناقب الحالم والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب ...
رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان
الغنى بالله ، بقلم ابن الخطيب ، وهي المعروفة « بحمل الجمهور على السنن
المشهور »
٥٤ رسالة أخرى عن السلطان الغنى بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث
الثورة التي أطاحت بملك الغنى بالله ، وتمكنه بعد ذلك من استرداد
ملكه
٦٦ رسالة أخرى بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد لمناسبة محاولة استرداد
شجر الجزيرة الخضراء
٨٨ ما نقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير (محمد بن يوسف بن نصر)
نثراً ونظماً
١٠٠ رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة
١١٤ رسالة أبي البركات ابن الحاج إلى ابن الخطيب عن كتبه وأحواله
١٤٨ رسالته إلى ابن الخطيب عن تقلده رياسة ديوان الإنشاء
١٦٨ رسالة من ابن الخطيب إلى قاضي الجماعة محمد الفشتالي
١٨٨ رسالة الفشتالي في الرد على ابن الخطيب
١٨٩ رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طلب الشفاعة في شأن قاضي
الجماعة أبي عبد الله المقرئ الكبير
١٩٧ قطعة في الحكم لابن جبير
٢٣٧ رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها
٢٤٦ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم
٢٧٥ رد ابن الحكيم على ابن الخطيب
٢٧٩

صفحة

- رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب ٣١٠
- رسالة أخرى منه إلى ابن الخطيب ٣١٣
- رسالة من محمد بن أحمد الإستنجي الحميري إلى أبي الوليد اسماعيل بن قفري
الإيادي يمنحه فيها إجازته العلمية ٣١٩
- رسالة ابن الحنان في الرد على أبي المطرف بن عميرة حين كتب عليه أن
جعل الحاء المهملة قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالوائق بن هود ٣٥٣
- رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميري تتخللها بعضه طواعيات شعرية ... ٣٧٢
- رسالة طويلة لأبي عبد الله بن أبي الحصال موجهة إلى أبي بكر بن عبد العزيز
والى بلنسية ٤٠٤
- نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالخرابات اللازمة لابن
مهيب اللخمي ٤٢٠
- رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافقي يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية
النصرانية إلى صديقيين من مرسية ٤٣٢
- رسالة لأبي عبد الله بن الحكيم اللخمي عن لسان السلطان محمد بن محمد
ابن الأحمر (الفقيه) عن منازل قيجاطة وفتحها سنة ٦٩٥ هـ ٤٦٦
- قطعة من رسالة أبي عبد الله بن عياش التجيبي البرشاني في وصف نزول
الخليفة الناصر الموحدى على ثغر المهدي واسترجاعه من أيدي الملثمين ٤٨٦
- مقامة لابن قزمان الزهرى الكبير في استهلال رمضان ٤٩٨
- مقامة له في استهلال شوال ٥٠٠
- نص كتاب البيعة بولاية العهد الذى أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشقين
لولده على بن يوسف من إنشاء كاتبه أبي بكر بن القصيرة ٥١٨
- مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجري ملحقة بقصيدته «عجبا أيدوق
طعم وصالها» أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس
يشف على نثره ٥٥٧

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة	صفحة
رشادن تيمنى حبه ٢٦٣	ابن ابى الحصل الغافقى (ابو عبد الله)
نهار وجهه وليل شعر ٢٦٤	هبت النسيم هبوب ذى إشفاق ٣٩٠
زارت ليلا وأطلعت فجرها ٢٦٤	وليلة عنبرية الأفق ٣٩١
أبج لى فى رياض المحاسن نظرة ٢٦٤	ياحبذا ليلة لنا سلفت ٣٩٢
وصديق شكى بما حلوه ٢٦٥	واقى وقد عظمت على ذنوبه ٣٩٢
تلك الذؤابة ذبت من شوق لها ٢٦٥	ألم تعلموا والقلب رهن لديكم ٣٩٢
ابن الجنان (محمد بن محمد الأنصارى)	الله أعطاك فتحاً غير مشترك ٣٩٣
مضى رمضان وكان بك قد مضى ٣٥٠	الدهر ليس على حر بمؤتمن ٣٩٤
تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا ٣٥١	بدت لهم بالنور والشمل جامع ٣٩٦
ابن الجباب (ابو الحسن على)	(قصيدة قرطبة الخراسية الكبرى)
لامرجباً بالناشز الفارك ١٨٣	عيشنا كله خداع ٤١٤
ياقادما عمت الدنيا بشائره ٤٥٣	أفى أهزك هز الصارم الخدم ٤٩٥
ابن الحاج البلغيقى (ابو البركات)	ابن باق الأموى (محمد بن ابراهيم)
تأسفت لاكن حين عز التأسف ١٥١	أحرز الحصل من بنى سلمة ٣٣٩
يأبى شتون. جديثى الإنصاح ١٥٥	ابن جبير الكنانى (محمد بن احمد)
خذها على رغم الفقيه سلافة ١٥٧	أقول وآنست بالليل ناراً ٢٣٥
إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتى ١٥٨	هنيئاً لمن حج بيت الهدى ٢٣٧
يلوموننى بعد العذار على الهوى ١٥٨	إذا بلغ المرء أرض الحجاز ٢٣٧
ومصفرة الخدين مطوية الحشا ١٥٨	لا يستوى شرق البلاد وغربها ٢٣٧
لا تبدلن نصيحة إلا لمن ١٥٨	عليك بكمآن المصائب واصطبر ٢٣٧
ما رأيت المهموم تدخل إلا ١٥٩	وصانع المعروف فلنتة عاقل ٢٣٧
حزنت عليك العين يا مغيى الهوى ١٥٩	ابن جزى الكلبى (محمد بن محمد بن احمد)
أبحث فبما أنا حصلته ١٥٩	منى يتلاقى شايق ومشوق ٢٥٨
تطالبنى نفسى بما ليس لى ١٥٩	ومورد الوججات معسول اللبى ٢٥٩
ما رأيت النساء يصلحن إلا ١٦٠	ذهبت حشاشة قلبى المصدوع ٢٦٠
قد هجرت النساء دهرأ فلم ١٦٠	وقالوا عدالك البخت والحزم عندما ٢٦٢
رعى الله إخوان الخيانة إنهم ١٦٠	لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب ٢٦٣

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة هل حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن عبد الرحمن
ابو عبد الله)

- هل إلى رد عشيات الوصال ... ٤٥٨
حي حى بالله ياريح نجد ... ٤٦٠
ذكر اللوى شوقا إلى آثاره ... ٤٦١
ألا واصل وواصله العتار ... ٤٦٢
ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... ٤٦٣
ما أحسن العقل وآثاره ... ٤٦٣
إني لأعسر أحيانا فيلحقني ... ٤٦٣
فقدت حياقي بالفراق ومن غدا ... ٤٦٤
أنا عدة للدين في يد من غدا ... ٤٦٤
إن أفرطت بأبن حسان غوائله ... ٤٦٥

ابن خاتمة الانصاري (محمد بن علي)

- كفوا الملام فلا أصغى إلى العذل ... ٤٩٢
ومض البرق فثار القلق ... ٤٩٢
أيا جيرة الحى الممتع جاره ... ٤٩٣
الرفع نعتكم لا خابكم أمل ... ٤٩٣

ابن الخطيب السلماي (لسان الدين)

- خليفة الله ساعد القدر ... ١٩
أنعام أرضك تفهر الآسادا ... ٢٠
ظمئت إلى السقيا الأباطح والربا ... ١١٦
من ذا يمد فضائل الفشتالى ... ١٨٨
جوانحنا نحو اللقاء جوانح ... ٢٥٢
الأم على أخذ القليل وإنما ... ٢٧٥
بعثت بشيء كالجفاء وإنما ... ٢٧٨
أمن جازب الغربي نفحة بارح ... ٥٧٢
أجلك عن عتب يفض من الود ... ٥٧٧

ابن خميس الحجري التلمساني (محمد بن خميس)

- مشوق زار ربك بإماما ... ٥٢٩
تراجع من ذنيك ما أنت تارك ... ٥٣١
سحت بساحك يا محل الأدمع ... ٥٣٥
سل الريح إن لم تسعد السفن أنواع ... ٥٣٩
أطار فؤادي يرق ألاحا ... ٥٤١
كبت العدى أنعامك البيت ... ٥٤٦
طرقتك وهنا أخت آل علاج ... ٥٤٨
أرق عيني بارق من أثال ... ٥٥٢
عجبا لها أيدوق طعم وصالها ... ٥٥٤

صفحة

- قالوا أبو البركات جم ماؤه ... ١٦١
قد كنت ممدورا يعلمى وما ... ١٦١
زعم الذين عقولهم قدرها ... ١٦١
من منصف من جارتي جارت على ... ١٦٢
رحلت وقطير كلبى رفيق ... ١٦٢
لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها ... ١٦٤
زعموا أن في الجبال قوما ... ١٦٥
جزى الله بالخبر أعداءنا ... ١٦٥
خلصنا ليلة من كف دهر ... ١٦٧

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله)

- رجاى في المولى العظيم عظيم ... ٤٤٣
يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤

ابن الحداد الواثى آشى

- شقيقك غيب في لحده ... ٣٣٤
حديثك ما أحلى فزيدي وحدتي ... ٣٣٥
لعلك بالوادي المقدس شاطيء ... ٣٣٥
مجانلة السلوان مبعث حسنه ... ٣٣٦
أقبلن في الخبرات يقصرن الخطا ... ٣٣٧
يا وادى شرق البلاد وغربها ... ٣٣٧

ابن حزب الله (محمد بن محمد)

- سراى يا قلبى المشوق وناظرى ... ٣٦٩
تألق برق الملا واستنارا ... ٣٧٠
حللت لبرق لاح من سرحتى نجد ... ٣٧٠

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو القاسم)

- وهبت فهزت عندما رأت به ... ٢٦٧
شربنا وزنجى الدياجى موقد ... ٢٦٧
لاح في الدر العقيق فحيا ... ٢٦٧
ويوم أنس صقيل الجو ذى نظر ... ٢٦٨
بنفسى حبيب صال عامل قده ... ٢٦٨
بأبى وغير أبى غزال نافر ... ٢٦٨
ليل الشباب انجاب أول وهلة ... ٢٦٩

ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد أبو بكر)

- أيا من له الحكم في خلقه ... ٢٨٠
تصبر إذا ما أدركتكم ملمة ... ٢٨٠

صفحة

- ٢٤٥ قد كان عيرى من قبل في غيب
- ٢٤٥ قفا نفسا فالخطب فيها يهون
- ٤٧٤ سقى الله أشلاء كرم من على البيل
- ٥٦٩ أرغم من هذه القيود الثقال
- ابن الشدييد (محمد بن محمد)
- ٣٨٦ لنا في كل مكرمة مقال
- ابن شلمطور الهاشمي
- ٣٦١ أفرغك أم سمط من الدر ينظم
- ٣٦٢ نامت جفونك يا سؤلى ولم أتم
- ٣٦٢ قف بي وناد بين تلك الطلول
- ٣٦٢ تالله ما أورى زناد القلق
- ابن صفوان القيسى
- ٣٨١ بدر تجلى على غصن من الآس
- ٣٨١ يا عالما بالسر والجهر
- ابن طفيل القيسى (محمد بن عبد الملك)
- ٤٧٩ ولما انقضى الفتح الذى كان يرتجى
- ٤٨٠ ألمت وقد نام الرقيب وهوما
- ٤٨١ أتذكر إذ مسحت بفيك عيني
- ٤٨١ سألت من المليحة برء داي
- ابن عبد الصمد
- ١٢٠ ملك الملوك أسامع فأنادى
- ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضرمي)
- ١٧٥ ولما انقضى إحياء وخسوف حجة
- ١٧٥ وأحذب تحسب في ظهره
- ١٧٥ أجبتهك لأنى لما رمته أهل
- ابن العشاب (محمد بن ابراهيم)
- ٥٢٦ بين ابن عبد الله محمد يمن
- ٥٢٦ لعل عفوك بعد السخط يفتشاني
- ابن عياش التجيبى البرشاني (محمد بن عبد العزيز)
- ٤٨٥ بلنسية بينى عن العلياء سلوة
- ٤٨٥ وليلة من ليالى الصنفح قد جمعت
- ٤٨٥ أشفارها أم صارم الحجاج

صفحة

- ابن داود الحميرى (محمد بن ابراهيم)
- ٣٧٢ يا نازحين ولم أفارق منهم
- ٣٧٣ كذلك تركته ملقى بأرض
- ٣٧٣ يوم يداوى زماناقي من أزمانى
- ٣٧٤ ذكر الديار فهاجه تذكاره
- ٣٧٧ ألبرق يبدو تسطير الجوانح
- ابن راجح الحسنى (محمد بن علي)
- ٥٧٢ أمن جانب الغربى نفضة بارح
- ٥٧٣ أمن مطلع الأنوار لمح لأمح
- ٥٧٥ قدومك ذا أبدي لذي الراية الحمرا
- ٥٧٦ أما والعيون النجل ترمق عن سحر
- ٥٧٧ أما والذى لى فى حلاك من الحمد
- ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي)
- ٣٠٣ رضيت بما تقضى على وتحكم
- ٣٠٥ مماذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا
- ٣٠٦ لولا تألق بارق التذكار
- ٣٠٧ تأمل أطلال الهوى فتألم
- ٣٠٧ حياك يا دار الهوى من دار
- ٣٠٧ لقد زادنى وجدا وأغرى بي الهوى
- ٣٠٨ أزور بقلبي م عهد الأوس والهوى
- ٣٠٨ قيادى وقد تملكه الغرام
- ٣٠٩ ومشتعل بالحسن أحوى مهفهف
- ٣٠٩ بالايى فى الجود والجود شيمتى
- ٣٠٩ لقد علم الله أنى امرؤ
- ٣١٠ ومسرى ركاب للصبا قد ونت
- ٣١٠ مالى بحمل الهوى يدان
- ابن شبرين ، ابو بكر
- ٢٤٣ أخذت بكظم الروح ياساعة النوى
- ٢٤٣ بانوا فن كان باكيا يبك
- ٢٤٣ يا أيها المعرض اللامى
- ٢٤٤ يا من أعاد صباحى ففقدته حلكا
- ٢٤٤ أشكو إلى الله فرط بلبالى
- ٢٤٤ لى همة كلما حاولت مسكها

صفحة

- ابن قطبة الدوسي (محمد بن احمد)
 دعيني ومطاولي الرياض فيأني ... ٢٥١ ...
 وليل أدرناها سلافا كأنها ... ٢٥١ ...
 يومنا يوم سرور فلتقم ... ٢٥١ ...
 وفي منك ما لو كان للشرب ما تخا ... ٢٥٢ ...
 كم قلت للبدر المنير إذا بدا ... ٢٥٢ ...
 لمرك ما يومي إذا كنت حاضرا ... ٢٥٢ ...
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)
 إذا شمت من نحو الحى في الدجا برقا ... ٢٥٤ ...
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد
 ابن احمد)
 حلفت بمن زاد عنى الكرى ... ٢٥٥ ...
- ابن كسرى المورى (ابو على)
 أمشتر أهل الأرض بالطول والعرض ... ٣٢٨ ...
- ابن لب الامى (محمد بن عبد الله)
 بعد المزار ولوعته أشواق ... ٤٣٤ ...
 أمليك أم يدر الدجا الوضاح ... ٤٣٨ ...
 بوادى لقد حملت ما ليس لقواه ... ٤٤٠ ...
- ابن مالك الطغفرى
 بينا نحن فى المصلى نساق ... ٢٨٣ ...
 صب على قلبى هوى لاجع ... ٢٨٣ ...
 خليلي عرج على قبري تجد ... ٢٨٤ ...
- ابن مرج الكحل
 عرج بمنعرج الكتيب الأعفر ... ٣٤٤ ...
 أرأت جفونك مثله من منظر ... ٣٤٥ ...
 وعشية كانت قنصة فتية ... ٣٤٥ ...
 وعندى من مرأشفا حديث ... ٣٤٦ ...
 عذيري من الآمال خابت قصودها ... ٣٤٦ ...
 أبا عمرو متى تقضى الليالى ... ٣٤٦ ...
 طفل المساء وللنسيم تضوع ... ٣٤٦ ...
 ألا بشروا بالصبح متى باكيا ... ٣٤٧ ...
 مثل الرزق الذى تطلبه ... ٣٤٧ ...
 دخلتم فأنسدتم قلوبا بملككم ... ٣٤٧ ...

صفحة

- ونقلت من كل ملك ذخيرة ... ٤٨٦ ...
- ابن غالب الرصافى (ابو عبد الله)
 خليلي ما ليد قد عبت نثرا ... ٥٠٧ ...
 أبى البلاغة فيم حفل النادى ... ٥٠٩ ...
 عاد الحديث إلى ما جر أطيبه ... ٥١١ ...
 دعاك خليل والأصيل كأنه ... ٥١٢ ...
 قالوا وقد أكثروا فى حبه عدل ... ٥١٣ ...
 ومهتف كالغصن إلا أنه ... ٥١٣ ...
 أدرها فالغامة قد أجالت ... ٥١٤ ...
 أدرها على أمر فاثم من بأس ... ٥١٤ ...
 ومطارح مما تحس بنائه ... ٥١٤ ...
 ومهدل الشطين تحسب أنه ... ٥١٤ ...
 قصير كالأنابيب لكنه ... ٥١٤ ...
- ابن فضيلة المعافى (محمد بن ابراهيم)
 سرت ربح نجد من ربى أرض بابل ... ٣٤١ ...
 بهرت كشمس فى غلالة عسجد ... ٣٤٢ ...
- ابن فطيس (محمد بن عبد الله)
 يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤ ...
- ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى)
 ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... ٤٩٤ ...
 أتى من المجد أمر لا مرد له ... ٤٩٥ ...
 يارب يوم زادنى فيه ... ٤٩٥ ...
 جئت لتوديعه وقد ذرفت ... ٤٩٦ ...
 يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ... ٤٩٦ ...
 صرفت اليك وجوهها الأفراح ... ٤٩٦ ...
 كثير المال تبدله فيبقى ... ٤٩٧ ...
 وعهدى بالشباب وحسن قدى ... ٤٩٧ ...
 يمسك الفارس رجحا ... ٤٩٧ ...
 أحسن ما نيط فى الدعاء لمن ... ٤٩٧ ...
 إيه أبا بكر ولا حول لى ... ٥٠٥ ...
- ابن القصيرة (محمد بن سليمان)
 فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل ... ٥١٧ ...

صفحة	
٢٢٢	نهاية إقدام العقول عقاب
	محمد بن احمد بن عبد الله الاستنجي
٣١٦	حتى التسميم إذا أم بأرضهم
٣١٧	تضوا في ربي نجد في القلب مرساه
٣١٨	سرت من ربي نجد معطرة الريا
٣١٩	محيك أم نور الصباح تيسا
٣٢٠	فا على الحبيب من اعتراض
٣٢٢	فلو كان ريحا واحدا لاتقيته
٣٢٢	كانت جواهرنا أوائل قبل ذان
٣٢٤	معان لبسن ثياب الجمال
٣٢٥	كتبت ولو أني أستطيع
	محمد بن احمد بن علي الهواري
٣٣٠	سلوا مسر ذاك الحال في صفحة الخلد
٣٣١	عرج على بان العذيب وناد
٣٣١	عل لكل ذي كرم ذمام
	محمد بن احمد الفشتناني
١٨٩	واقفت يجر الفضل فضلة بردها
	محمد بن احمد بن منخل الغافقي
١٣٦	يا أيها المرتجي لطف خالقه
	محمد بن حسان
١٠٢	وكل عدو أنت تهزم عرشه
	محمد بن حسن العمراني الشريف
٥٢٣	منحت منحت النصر والعز والرضا
٥٢٤	الشعر أسنى كلام خصص بالعرب
٥٢٤	مالى أرى تاج الملوك وحوله
	محمد بن سعيد الأشعري المالقي
١٧٨	هام الفؤاد في بنت النيج والنشم
	محمد بن عبد الله بن داود الغافقي
٤٢٨	أقنع بما أوتيته تلى الغنا
٤٢٨	يا دعوة شاك ما قد
٤٢٩	نعم المراد لمن غدى يرتاد
٤٣٠	رب أنت الحكيم فأغفر ذنوبي

صفحة	
٣٤٨	يا فائلا إذا رأى مرجى وحرته
	ابن مشتمل الاسلمي
٣٦٥	هفابي من بين المغاني عقيقتها
٣٦٦	من عادي ومن ناصري ومنصفي
٣٦٦	ما للأحبة في أحكامهم جاروا
	ابن مقاتل ، ابو بكر
٣٨٠	ومفهم هاني المعاطف أحور
٣٨٠	أيأ لبني الرفاه تنضي ظباؤهم
	ابن منظور الفيسي
١٧٢	ما للعطاس رولا للفأل من أثر
	ابن مهيب اللخمي (ابو بكر)
٤٢٢	أليل النوى هل من سبيل إلى فجر
٤٢٢	للسالحين إلى الصلاح طريق
٤٢٤	جفوت ومازال الجفاء سجية
٤٢٥	أمل من الدنيا المباحة كسرة
٤٢٥	ترحل صبري والولوع مقيم
	ابن هاني الأزدي الألبيري الغرناطي
٢٩٠	أحبيب بتيك القباب قبابا
٢٩٠	أليتنا إذ أرسلت واردا وجفا
	ابو بكر بن عبادة المري
١١١	وقالوا كفه جرحت فقلنا
	ابو العباس بن الغضاز
٢٢٣	لبس البرنس الفقيه فباهي
	ابو عبد الله العنقري (محمد بن علي الأوسي)
٢٨٥	لله حتى يا أميم حواك
	السالمي الكاتب
١٢٣	أدر كؤوس المدام والرز
	عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمي
٤٤٨	يا مطلبيا ليس لي في غيره أرب
	عبد المهيم الخضرمي (ابو محمد)
٤٥٥	تراهى سحيرا والنسيم عليل
	فخر الدين (الامام)

صفحة

محمد بن محمد بن عبد الله الانصاري
 من لم يصن في أمل وجهه ... ٥٢٧
 وليت ولاية أحسنت فيها ... ٥٢٧
 وليت فقيل أحسن خير وال ... ٥٢٧
 مولاي نصيرا فكم يضام ... ٥٢٨

محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي

راؤني وقد أغرقت في عبراتي ... ٢٧١
 سيخطب قس العزم في منبر السرى ... ٢٧١

محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

لا عذر لي عن خدمة الإعدار ... ٣٨٣
 تبسم ثغر الدهر في القضب الملد ... ٣٨٤
 عللوني ولو بوعد محال ... ٣٨٥

محمد بن يحيى الفسائي البرجى

أصنى إلى الوجد لما جد عاتبه ... ٢٩٥
 صحا القلب عما تعلمين فأقلما ... ٢٩٩
 نهاه النبى بعد طول التجارب ... ٣٠٠

محمد بن يوسف التميمى المازنى

أيا قمر أتطلع من وشاح ... ٥٢٢
 ومنم الأعطاف معسول اللها ... ٥٢٢
 حكمت السلاف صفاته بحباها ... ٥٢٢

المشهد بن عباد

إن يسلم القوم العدا ... ١١٢
 قل لمن جمع العلم ... ١١٣
 كذبت مناكم صرحوا أو جمجما ... ١١٣
 وكواكب لم أدر قبل وجوها ... ١١٥
 قبر الغريب سقاك الراحى الغادى ... ١١٩

شمر مرفوع إليه

أيها الملك الأغر الأعظم ... ١١٣

المقرى أبو بكر (محمد بن محمد القرشى)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما ... ٢٠٤

صفحة

محمد بن عبد الرحمن العقيل

رحاوا الركائب موهنا ... ٤٧٧
 أيا ملكا يسمو بسعد مساعد ... ٤٧٧

محمد بن عبد الرحمن المناهل

خذها إليك طبرنشا ... ٤٧٨
 أنلني يا خير البرية خطة ... ٤٧٨

محمد بن علي بن عمر العبدي

لكل أناس مذهب وسجية ... ٥٧٨
 أحبتنا بمصر لو رأيتم ... ٥٧٩

تغنى حمام الأيك يوما بذكرهم ... ٥٧٩
 تقر ملوك الأرض أنك مولاها ... ٤٧٩
 ومنكم ذوو الشيجان والهمم التي ... ٤٧٩
 رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا ... ٥٨٠

محمد بن علي بن محمد الهمداني

بالهضب هضب زرود أو تلعاتها ... ٤٩٠
 يا بدر تم طالعا في الحشى ... ٤٩١
 رثوا القباب بأدمع مفضوضة ... ٤٩١

محمد بن عمر بن علي المليكنسى

رضى نلت من كل ما يهوى ... ٥٦٤
 لم أنس وقفنا بباب الملعب ... ٥٦٤
 أرى لك ياتلبي بقلبى محبة ... ٥٦٥
 ألم ترها قد شمردت تطلب الجدا ... ٥٦٦

ما أحسن الأفق الشرقى إسفارا ... ٥٦٧
 منع الهجر من سليمان هجوعا ... ٥٦٨
 شرح حالى لمن يريد سؤالى ... ٥٦٨
 يا صاحب البلد المليح المشرق ... ٥٧٠
 فيا يوسنى الحسن والصفح والرضا ... ٥٧١

محمد بن قاسم بن أبى بكر المالقى

أبا على حسينا ... ٥١٦
 فضل التجارات باد فى الصناعات ... ٥١٦

محمد بن محمد بن جهود

يا مرج الكحل ومن هذى المروج له ... ٣٤٨

المنصور بن ابي عامر

- ١٠٥ ... رميت بنفسى هول كل عظمة ...
 ما كتب على قبره
 ١٠٨ ... آثاره تنبيك عن أخباره
 شعر فى وصف المتوكل ابن هود
 ١٢٢ ... همام به زاد الزمان طلاقة ...
 ما نقش على قبر محمد بن الأحمر الكبير
 ١٠٤ ... هذا محل الهلى والمجد والكرم ...

- ٢٠٦ وكم موقف لى فى الطوى خضت دونه
 ٢٠٧ تبدت لعينى من جمالك لمحمة ...
 ٢٠٩ أزور اعتمارا أرضها بتنسك ...
 ٢١٠ سرت بقوادى إذ سرت فيه نظرقى ...
 ٢١٢ إليك بسطت الكف أستنزل الفضلا ...
 ٢١٣ وجد تسعره الضلوع
 ٢١٣ نحن إن تسأل بناس معشر ...
 ١٤ أنبت عودا بنماء بدأت بها ...

فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب

٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٤٢٤
تاريخ المرية ؛ ١٤٨
تاريخ غرناطة ؛ ٢٥٧
تبصرة الضمري ؛ ٣٢٦
تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ؛ ١٧٢
تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب ؛ ٢٩٠
تحفة القادم لابن الأبار ؛ ٤٧٩
كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك ؛ ١٨٥
التصوير والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ؛ ٣٢٦
تفسير الزمخشري ؛ ٢٨٦
ثورة المريدين ؛ ١٢٢

ج - خ

حركة الدخولية في المسألة المالكية ؛ ١٤٨
كتاب الحقائق والرقائق ، للمقرئ الجدي ؛ ٢٠٣
حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ٦٥
حي بن يقظان ، رسالة ابن طفيل ؛ ٤٧٩
الخبر المختصر في السلوى عن ذهاب البصر ؛ ١٧٤
خطر فيطر ، ونظر فحظ ؛ ١٤٨
خطرات الواجد في رثاء الواحد ؛ ٤٨٩
خطرة المجلس في شعر استنصر به أهل الأندلس ؛ ١٤٨

د - ز

الدر المنظم في الإحساس المعظم ؛ ٤٨٩
در الشحط في خبر السبط ؛ ١٨٥
الدر المنظومة الموسومة في حروف الهجاء المرسومة ؛
٣٤٢

ديوان ابن جبير ؛ ٢٣٤
ديوان ابن الحداد الوادي آشي ؛ ٣٣٤
ديوان ابن شبرين ؛ ٢٤٠
الذخيرة لابن بسام ؛ ٥٨٢
الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة ؛ ١٧٢

ـ ا -

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧٤٦
الاحتفال في استيفاء ما للخيال من الأحوال ؛ ١٤٢
كتاب الأحكام ، لعبد الحق الإشبيلي ؛ ٢٨٧
أخبار معاوية ؛ ٤٨٩
الأخبار المذهبة ؛ ٢٧٥
الأرجوزة الطيبة المجهولة ، لابن طفيل ؛ ٤٧٩
كتاب الاستيعاب للرازي ؛ ١٣٣
الإشارة الصوفية ، والكتب الأدبية ؛ ٢٧٥
إصلاح المنطق لابن عياش ؛ ٤٨٣
إصلاح النية في المسئلة الطاعونية ؛ ٣٦٥
الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح ؛ ١٤٨
إقامة المرید لأبي عبد الله المقرئ الجدي ؛ ٢٠٣
إقتراح المتعلمين في إصلاح المتكلمين ؛ ٣٢٦
الإكليل الزاهري فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛
٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ،
٣٨٠ - ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ،
٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٨
ألفية ابن الفارض ؛ ٢٠٣
كتاب الأمثال السائرة ؛ ٣٣٨
أنشدت على أهل الردة ؛ ٦٥
إيضاح الفارسي ؛ ٢٣٨

ب - ث

البرهان والدليل في خواص سور التنزيل ؛ ١٧١
بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب ؛ ٢٧٥
بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار ؛ ٤٨٩
البيان المغرب لابن عذارى ؛ ٩٨
التاج المحلى في القدر الممل ؛ ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ٢٨٢ ، ٣٥٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦

الصيب الملتان الواكف بغايات الإحسان... من
الأحاديث النبوية والقرآن ؛ ١٧٣
الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ؛ ٥٠٤
طرفة العصر في أخبار بنى نصر ؛ ١٤٦ ، ٢٦٩ -
٢٨١

ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ؛ ٣٢٥

ع - غ

عائد الصلة ؛ ١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ،
٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ ،
٤٤٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨
المذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج ؛
١٤٨

عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر ؛
١٤٨

الغلميات لابن الحاج ؛ ١٤٩

النيرة على أهل الخيرة ؛ ٦٥

ف - ك

الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنى من الشيوخ
والأتباع والأصحاب ؛ ١٤٩

الفعل المبرور والسعى المشكور... من نوازل
القاضى أبي عمر بن منظور ؛ ١٧٢

كتاب في الفقه والأصول لابن الحاج ؛ ٢٠٣
الفوايد المنتخبة والموارد المستعذبة ؛ ٢٧٤

قدر جم في نظم الجمل ؛ ١٤٨

قد يكبو الجواد في أربعين غلطة ؛ ١٤٨

قلائد المقيان ؛ ١٠٩ ، ٣٨٩ ، ٥٠٥ ، ٥٨١ ،
٥٨٢

كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ؛ ٣٢٦

الكامل والإتمام في صلة الأعلام... من أهل مالقة
الكرام ؛ ١٧٤

رجز في ألفاظ فصيح ثعلب ؛ ٣٦٥

رجز في علم الكلام ؛ ٣٦٥

رجوم الإنذار بهجوم العذار ؛ ٤٨٩

رحلة ابن جبير ؛ ٢٣١

رحلة المثبت للمقرئ الجدي ؛ ٢٠٣

رسالة في ادخار الصبر واقتنار القصر والفقير ؛
١٧٤

رسالة في الأسطرلاب الخطي ؛ ١٤٣

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ؛ ١٨٥

رقم الحلال في نظم الجمل ؛ ٣٢٦

روضة الجنان ؛ ٣٤٢

روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ؛ ٤٨٩

الروض المظهور في أوصاف بنى منظور ؛ ١٧٠

رياضة الأبي في قصيدة الخزرجي ؛ ١٨٥

ريحان الآداب وريحان الشباب ؛ ٣٣٨

زاد المسافر لصفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغزى ؛ ٢٨٢

الزهرة الفايحة في الزهرة اللايحة ؛ ٣٢٦

س - ظ

السحب الواكفة والظلال الوارفة... من اعتقاد
الفلاسفة ؛ ١٧١

سلوة خاطر فيما أشكل من نسبة النسب المرتب إلى
الذاكر ؛ ١٤٨

سط الجمان ؛ ٣٨٩

كتاب سيويه ؛ ٣٢٨

شجرة أنساب العرب ؛ ١٤٣

شرح غريب البخارى ؛ ٣١٥

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ؛ ٣١٠

شمس البيان في لمس البنان ؛ ٣٢٦

صحيح البخارى ؛ ٣١٦

صحيح مسلم ؛ ١٤٩ ، ١٧٩

كتاب الصلة لابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٥٨١

مقالة الإخوان ؛ ٤٨٩
 مقامات التيمى ؛ ٣٢٦ ، ٥٢١
 المقامات الحريرية ؛ ٢٥٣
 مقدمة ابن خلدون ؛ ٥٨٢
 ملق السبل في فضل رمضان ؛ ٤٨٩
 ملء العيبة ؛ ٤٦٢
 الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة ؛ ٢٧٤ ، ٤٦٤
 ميزان العمل لابن رشيق ؛ ٢٧٥

ن - ي

نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح ؛ ٢٣٤
 نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر ؛ ١٧٤
 نظم الجبان في التشكى من إخوان الزمان ؛ ٢٣٤
 نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٢٩٥
 نفتح الكامات في شرح المقامات ؛ ٣٢٦
 نفتحات المسوك وعيون التبر المسبوك في أشعار
 الخلفاء والوزراء والملوك ؛ ١٧١
 الوشاح المفضل ؛ ٣٣٨

الكتاب المؤمن على أنباء أبناء الزمن ؛ ١٤٨ ، ٤٣٣
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٩٧

ل - م

اللؤلؤ والمرجان من المذب والأجاج يستخرجان ؛
 ١٤٨
 ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات ؛ ١٤٩
 ما رأيت وما رمى لي من المقامات ؛ ١٤٩
 ما كثر وروده في مجلس القضاء ؛ ١٤٩
 مختصر الإحاطة ؛ ٦
 المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك ؛ ١٤٩
 المرقصات والمطربات لابن سعيد ؛ ٤٨٦
 مساجلة البيان ؛ ٢٩٤
 مشبهات اصطلاح العلوم ؛ ١٤٩
 المشرح الروى في الزيادة على المروى ؛ ١٧٤
 مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ... من الرؤساء
 والأعلام والأخبار ؛ ١٧٤
 المغرب في حلل المغرب ؛ ٥٨٢
 مفتاح الإحسان في إصلاح البيان ؛ ٣٢٦

فهرست القبائل والطوائف والدول

دولة الشام ٤١٨	الإسلام ١٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدولة الممتونية ٥١٦	٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠
الدولة النصرية ١٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥٢	بنو إسرائيل ٥٠٤
الروم ٢٢ ، ١٤٠ ، ٤٣٧	بنو بطرون ٦٥
الصحابة ٤٩٠	بنو تميم ٥٥٣
الصوفية ١٩٤ ، ٣٠١	بنو جفنة ٥٥٣
الطوائف ١١٦	بنو حجاج ٤٤٤
المغرب ٤٣ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٤١٦ ، ٥٥٨	بنو حسون ٤٤٤
القرنج ٤٦	بنو زيان ٥٧٢ ، ٥٣٩
اللتونيون ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦	بنو عباد ٤٤٤
المرابطون ١١٠ ، ١١١ ، ٥٨٢	بنو العباس ٣٢٤
المسلمون ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥٣	بنو عبد المؤمن ٤٨٢ ، ٤٨٩
٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٧ ، ٩٠	بنو غانية و أنظر الملتون
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	بنو غرون ٦٥ ، ٧٤
٤٧٢	بنو مرين ٦٤
المصامدة ٤١٨	بنو نصر ١٨٢ ، ٢٤٥
الملتون (بنو غانية) ٤٨٦	حمير ، ٥٥٩
الموحدون ١٢٧ ، ١٢٨	الخرزج ٩٢
النصارى ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤١٦	الددجن - المدجنون ٣٢ ، ١٤٠
٤٧٠ ، ٤٧١	الدولة الحكيمة ٢٤٩
النصرانية ٣٣ ، ١٠٥	الدولة العامرية ١٠٣ ، ١٠٥

فهرست البلدان والأماكن

المرية ؛ ٤٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ -
 ؛ ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٣٣٠ ،
 ؛ ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٠ ، ٣٣١
 ؛ ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،
 ٤٩١

أنتقيرة ؛ ٢٨

الأنتكيرة ؛ ٤٣ ، ٤٦

أندرش ؛ ١٩٥

الأكدلس ؛ ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٩ - ٣١ ،

؛ ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ،

؛ ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،

؛ ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ - ١٤٥ ،

؛ ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ -

؛ ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٩ ،

؛ ٤١٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ،

أوريولة ؛ ٣٤٩

أى ولاتن ؛ ١٩٢

ب - ت

باب البيرة ؛ ٢٤٩ ، ٢٦٩

باب البنود ؛ ٦٥ ، ٧٥

باب الربض ؛ ٧٦

باب عبد الجبار ؛ ٤١٦

باب الفخارين ؛ ٥٦١

باب الفرج ؛ ١١١

باب القنطرة ؛ ١٢٥

باسجة ؛ ١١٩ ، ٢٣٩

باغة ؛ ٧٩

بجانة ؛ ١٦٢

بجاية ؛ ٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٢ ،

؛ ٢٠٣ ، ٣١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

- ١ -

أبادة ؛ ٤٨ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ١٢٦ ، ٨٥ ،

أبينية ؛ ٩٠

أجدونية ؛ ٤٤

أرجدونة ؛ ٥٢

أرجونة ؛ ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٧١ ،

الأرض الكبيرة ؛ ٤٤

الأرك ؛ ٩٩

إستبة ؛ ٥٢٨

إستجة ؛ ١٢٦ ، ٣١٥

الإسكندرية ؛ ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ،

الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال

أشونة ؛ ٨٦ ، ٨٧

إشيلية ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ،

؛ ٩٨ ، ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

؛ ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،

؛ ١٤٠ ، ١٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

؛ ٤٢١ ، ٤٣١ .

أشتبونة ؛ ٢٤ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ، ٥٢٨

أشونة ؛ ٩٠

إصهبان ؛ ٢٢٨ ، ٢٣٣

إطرابلس ؛ ١٠٣

أطرية ؛ ٨١

أغمات وريكة ؛ ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ،

إفراغة ؛ ١٢١

إفرنسية ؛ ٨٥ ، ٨٦

إفريقية ؛ ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٩ ، ٥٦٣ ، ٤٥١ ،

أكاديمية التاريخ بمدريد ؛ ٣

ألبينول ؛ ١٤٥

إلبيرة ؛ ١٠٥ ، ١٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٤٤ ،

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٠ ،
٤٥٢ ، ٥٧٧ ، ٥٧١ ، ٤٦٠

ج-خ

جامع الزيتونة ؛ ٣ - ٦ ، ١٣ ، ٢٢٣
جبال ألمرية ؛ ١٦٥
جبال غمارة ؛ ٢١
جبل الفتح ؛ ٢٣ - ٢٥ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٨٨
الجزيرة الخضراء ؛ ٨٨ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،
١٣١ ، ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٥٦١
جزيرة شقر ؛ ٣٤٣
جنة العريف ؛ ٢٧
جيان (وكورة) ؛ ٣٨ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،
٢٧١ ، ٣٨٨
جيرة ؛ ٧٩
الحجاز ؛ ٤٤٦ ، ٥٦٣
الحجر الأسود ؛ ٣٣
حران ؛ ٢٣٣
حصن أشر ؛ ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٢
حصن إقليج ؛ ١٢٦
حصن برج الحكيم ؛ ٨٥
حصن برشانة ؛ ٤٨٢
حصن برغة ؛ ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١
حصن بلياش ؛ ٩٩
حصن جلال ؛ ١٢١
حصن الخويز ؛ ٨٧
حصن زمرة ؛ ٨٧
حصن السهلة ؛ ٧٨
حصن شرانية ؛ ١٢٦
حصن شلب ؛ ٢٣٩
حصن القشور ؛ ٨٥
حصن القوة ؛ ٤٦٩
حصن مسقوط ؛ ١٢٥

٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٨

برجلونة (برشلونة) ؛ ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٥ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٣
برجة ؛ ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٣٤٤
برشانة ؛ ١٤٢ ، ٤٨٧
برغش ؛ ٤٨
برقة ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
برطفال (البرتفال) ؛ ٤٣ ، ٨٧
بسطة ؛ ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٨
بطليوس ؛ ٥٨١
بغداد ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ ،
٤٤٨
بلاد الريف ؛ ١٥١
بلاد القبلة ؛ ١٠٥
بلاد الهند ؛ ١٦٥
البلد الجديد ؛ ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠
بلد العناب ؛ ١٣٥
البلد القديم ؛ ٤٠
بلش ؛ ١٣٨
بلنسية ؛ ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ،
٤٨٥ ، ٥٠٧
بنبلونة ؛ ٤٤
البيت الحرام ؛ ٥٥٨
بياسة ؛ ١٢٦
بيت المقدس ؛ ٢٣٢ ، ٤٥٠
بيرة ؛ ١٤٦
بيونة ؛ ٤٣
تاكرونا ؛ ٩٢
تدمير ؛ ١٠٦
تكرنت ؛ ١٣٥
التكرور ؛ ١٩٢
تلمسان ؛ ٢١ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٢٩
تونس ؛ ٣ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ١٣٥ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
 ٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،
 السبيكة ؛ ١٠٠
 سجلماسة ؛ ٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧١
 سقر سطونة ؛ ٩٢
 سكون ؛ ٢٨٨
 سلا ؛ ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٧١
 شاطبة ؛ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 الشام ؛ ١٠٨
 شذونة ، كورة ؛ ٢٣٠
 شرق الأندلس ؛ ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٠٠
 شقورة ؛ ٣٨٨
 شلب ؛ ٤١٨
 الصخور ؛ ١٢٨ ، ١٢٩
 طبرنش ؛ ٤٧٨
 طابيرة ؛ ٤٢٥
 طرطوشة ؛ ١٢٦
 طريانة ؛ ٤٣٢
 طريف ؛ ١٨٠
 طشانة ؛ ١٠٨
 طليطلة ؛ ٤٧ ، ١٣٣ ، ٤١٦
 طنجة ؛ ١١٢ ، ١١٢ ، ١١٧
 طيبة (المدينة) ؛ ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢

ع - غ

العدوة ؛ ٩٥٣ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩١ ، ٢٩٤
 ٣٧١ ، ٤٢٦
 المريش ؛ ١٠٨
 عقبة إيطة ؛ ٥٦٧
 غرناطة ؛ ٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ،
 ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ،

حصن مطرنيش ؛ ١٢٦
 حصن منبيل ؛ ٨٥ ، ٨٧
 حصن وحبر ؛ ٨١
 الحمراء (قصر وقلعة) ؛ ٢٦ ، ٥٢ ، ٨٠ ،
 ١٤٦ ، ١٩٨
 حص ؛ أنظر إشبيلية
 الحمة ؛ ١٦٢
 حمة مرشانة ؛ ٣٦٤
 حومة الدرب ؛ ٤١٦
 خراسان ؛ ١٦٠
 الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٣

د - ز

دار الحديث الكاملة ؛ ٤٥١
 دائية ؛ ١٢٦
 درب الفرعوني ؛ ٤١٦
 دلالية ؛ ١٤٥
 دمشق ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
 دومة الجندل ؛ ٥٥٨
 ذكوان ؛ ٢٨
 رابطة العقاب ؛ ١٥٥
 رباط آسفي ؛ ١٢٩
 ربيض البيازين ؛ ١٢٧ ، ٣٠٠
 الربيض الشرقي ؛ ٤١٦
 رحيبة أبان ؛ ٤١٦
 رغون ؛ ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٨
 رندة ؛ ٣٠ - ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٧ ،
 ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ ،
 ٣٦٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ،
 روطلة ؛ ٨٧
 رويه ، كورة ؛ ٢٧٥
 الزاوية ؛ ٥٠٤

س - ط

سبتة ؛ ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٦ ،

القتب ؛ ٤٣١

قيجاطة ؛ ٤٦٧

كديية مردنيش ؛ ١٢٧

الكمة ؛ ٥٦٦ ، ٥٦٥

ل - م

لوشة ؛ ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٢٤٣

ماردة ؛ ١٣٠

المارستان الأعظم ؛ ٥١٥ ، ٥٠٠

مارستان مصر ؛ ٥٠

مالقة ؛ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٧

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٢

١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٩

٤٤٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٦

٥٢٨ ، ٥٦٤ ، ٥٧٥

المدينة ؛ أنظر طيبة

مدينة سالم ؛ ١٠٧

مراكش ؛ ٤١ ، ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٤

٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٧

مريلة ؛ ٢٨ ، ١٤٥

مرج الرقاد ؛ ١٢٧

مرسى تلهي ؛ ١٦١

موسية ؛ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٣٥ - ١٣١

٣٤٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١

مرشالة ؛ ٩٠ ، ٤١٩

المشرق ؛ ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢

٢٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٥

مشهد الحسين ؛ ٤٤٨

مصر ؛ ١٠٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

المغرب ؛ ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣

٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٤

١٠٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢

٢٨٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٥

٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣

٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ - ٥٠٦

٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٥

٥٧٠

غليسية ؛ ٤٣

غمدان ؛ ٥٥٧

ف . ق . ك

فاس ؛ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠

١٤١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٥١٥

٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

فحص الفنت ؛ ٢٨

فرغليط ؛ ٣٨٨

القساط ؛ ٢٢٩

فنيانة ؛ ١٤٥

القاهرة ؛ ٤٣٤ ، ٤٥١

قرطبة ؛ ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢

١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٤

٥٠٥ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢

قرطمة ، معقل ؛ ٢٧٥

قرمونة ؛ ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٢٦٠

قرية الخرج ؛ ٩٣

قشالة ؛ ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٣٠٠

قصة ألمرية ؛ ٦٥ ، ٤١٩

قصة قيجاطة ؛ (٤٧) ، ٤٧٢

قنصة ؛ ٤٧٩

قنالش ، غزوة ؛ ١٠٧ ، ١٤٥

نجد ؛ ٣١٧ ، ٣١٨
 النهر الأعظم (الوادى الكبير) ؛ ١٠٨
 نهر الغدقاء ؛ ٣٤٣
 هين ؛ ١٦١
 وادى آش ؛ ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩
 ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١
 ١٨٧ ، ٣٦٧
 وادى الحجارة ؛ ١٠٧
 وادى النيران ؛ ٣٦٠
 وادى لو ؛ ١٥١
 ادى هدارة ؛ ٢٦
 وادى يانة ؛ ٤٦٩
 يومين ؛ ١٠٨

مقبرة ابن عباس ؛ ٤١٦
 المقرمدة ؛ ١٤١
 مكتبة الإسكوريال ؛ ٣ - ٦
 المكتبة الزيدانية ؛ ٥
 مكة ؛ ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦
 المنكب ؛ ١٣٥ ، ٣١٠ ، ٣٦٤
 منورقة ؛ ٢٤٩
 المهديّة ؛ ٤٨٦
 موقعة بكركى ؛ ٢٩٣
 موقعة الزلاقة ؛ ١١٤
 موقعة طريف ؛ ٣٦٨
 موقعة العقاب ؛ ٣٢٩
 ن - ي
 نبارة ؛ ٤٤

فهرست الأعلام

ابن بشكوال ؛ ٢٣٠ ، ٣٩٠ ، ٤١٦ ، ٤٨٩ ، ٥٨١

ابن بطرون ؛ ٧٤

ابن بقی (أبو الحسن بن محمد) ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩

ابن تافراقین ، أبو محمد ؛ ٢٢

ابن تیمیة ؛ ٢٠٣

ابن جابر (محمد بن أحمد الهواری) ؛ ٣٣٠

ابن جبیر ، عبد السلام ؛ ٢٣٠

ابن جبیر ، محمد بن أحمد ؛ ٧ ، ٢٣٠

ابن جزى الكلبي ، أبو عبد الله (محمد بن محمد)

ابن أحمد) ؛ ٢٥٦ ، ٢٥٧

ابن جزى الكلبي (محمد بن عبد الله بن يحيى) ؛

٤٥٢

ابن جهور ، أبو الوليد ؛ ٥١٧

ابن الجنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري) ؛

٦ ، ٣٤٨

ابن الجياب ، أبو الحسن علي ؛ ١٨٣ ، ٢٢٧ ،

٢٨٢ ، ٤٥٣

ابن الحاج البلقي ، أبو البركات ؛ ١٨ ، ١٤٣ ؛

١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ،

٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ،

٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤

ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله) ؛ ٤٤٢

ابن الحاج (محمد بن علي) ؛ ١٣٩

ابن الحاجب ؛ ٢٠٣ ، ٢٢٣

ابن حبيش ، أبو القاسم ؛ ٣٩٠ ، ٤٨٣ ،

٤٨٨

ابن الحداد الوادي آشي ؛ ٦ ، ٣٣٣

ابن حزب الله (محمد بن محمد) ؛ ٣٦٧

ابن حزم ، أبو محمد ؛ ١٧٦

ابن حسون ، أبو مروان ؛ ٤٤٤

— ١ —

إبراهيم بن أبي بكر الحفصي ، السلطان ؛ ٢٢

إبراهيم بن أبي الفتح ؛ ٢٦

إبراهيم بن أبي الوليد ؛ ٣٢٥

إبراهيم بن أبي يحيى الحفصي ، السلطان ؛ ٤٢

إبراهيم بن إسحاق النسافي ؛ ٢٣٢

إبراهيم بن الحكيم ، أبو إسحاق ؛ ٤٦١

إبراهيم بن حكيم الكناني ؛ ٢٠١

إبراهيم بن المل ؛ ٤٨٨

ابن الأبار القضاعي ، أبو عبد الله ؛ ١٤٤ ،

٤٧٩

ابن أبي البقاء ؛ ٣٤٣

ابن أبي خالد ؛ ٩٨

ابن أبي الخصال (محمد بن مسعود بن خالصة) ؛

٦ ، ٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٦ ، ٤٩٥

ابن أبي خيشمة الجباني ؛ ٣١٥

ابن أبي زيد ؛ ٢١٧

ابن أبي السداد الباهلي ، أبو محمد ؛ ١٣٩ ،

١٧٠ ، ١٧٩

ابن أبي العيش ، أبو الحسن محمد ؛ ٢٢٣

ابن أبي القاسم السبيلي ؛ ٤٨٣

ابن أرقم الغميري ؛ ١٤١

ابن الأزرق ؛ ١٢٢

ابن أضحى (أبو الحسن علي بن عمر) ؛ ٥٠٤

ابن الأفتس ، عمر المتوكل ؛ ١١٨ ، ١١٩ ،

٤٩٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٢

ابن الباذش ، أبو الحسن ؛ ٣١٥ ، ٥٢١

ابن باق الأموي ؛ ٣٣٨

ابن برطلة ، أبو محمد عبد الرحمن ؛ ٣٤٣

ابن بسام ؛ ٣٣٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

- ابن سيد الناس اليعمرى (محمد بن محمد) ؟ ١٨٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ؟ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٤
 ابن الشديد (محمد بن محمد) ؟ ٣٨٦ ، ٥١٦
 ابن شرف ؟ ٢٩٠
 ابن شلبطور الهاشمي ؟ ٣٦٠ ، ٣٦٤
 ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) ؟ ١٠٧
 ابن صاحب الصلاة ؟ ١٠٧ ، ١٤٤
 ابن صفوان القيسي ؟ ٣٨١
 ابن الصيرفي ؟ ١١٨ ، ١٣٠ ، ٥١٧
 ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك) ؟ ٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٢
 ابن طلحة ؟ ١٤٤
 ابن عبد الصمد ؟ ١٢٠
 ابن عبد الملك المراكشي ؟ ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
 ٥٨١ ، ٥١٧
 ابن عبد الواحد البلوي (محمد بن محمد) ؟ ٣٨٢
 ابن عذارى المراكشي ؟ ٩٨
 ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسين) ؟ ٢٣٣
 ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضرمي) ؟ ١٧٢ ،
 ٣٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٤
 ابن عماد الحراني ؟ ٤٤٩
 ابن عمار ؟ ١٠٩
 ابن عمر القدوري ؟ ٢١
 ابن عميرة ، أبو المطرف ؟ ١٤٧ ، ٣٥٣
 ابن عياش التجيبي البرشاني ؟ ٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ابن عياض (والى بلنسية) ؟ ١٢١
 ابن غالب الرصاصي ؟ ٧ ، ٥٠٥ - ٥٠٧
 ابن غانية المسوفي ، يحيى ؟ ١٢١ ، ٤١٨
 ابن الغماز البلنسي ، أبو العباس ؟ ٢٢٣ ، ٤٥٢
 ابن فرتون ؟ ١٤٤
 ابن الفرس ، أبو القاسم ؟ ٤٩١
 ابن حكيم ، أبو عثمان ؟ ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ؟ ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ٦ ، ٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ؟ ٢٦٦
 ابن حمادة (محمد بن أيوب بن غالب) ؟ ١٢٢
 ابن حدين ، أبو جعفر ؟ ٥٠٥ ، ٥٨٢
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ؟ ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ؟ ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ؟ ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ؟ ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ؟ ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خميس الحجري ؟ ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ؟ ٤٨٧
 ابن خيرة المواعيني ؟ ٣٣٧
 ابن دراج القسطلي ؟ ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ؟ ٥١٧
 ابن رذيم ؟ ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ؟ ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٥٣ ، ٤٦٢
 ابن الزبير ، أبو جعفر ؟ ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٠٦
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ؟ ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحي) ؟ ٤ ،
 ٧ ، ٣٠٠
 ابن الزييات الكلاحي ؟ ١٣٨
 ابن زيدون ؟ ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى) ؟ ٦ ، ٥٨٢

ابن هشامك - إبراهيم ؛ ١٢٦ ، ١٢٧
 ابن هود - المتوكل (محمد بن يوسف) ؛ ٧٠
 ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٨ - ١٣٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩
 ابن هيش ؛ ٩٣
 أبو إسحق بن أبي العاصم ؛ ٥٣
 أبو إسحق الإلبيري ؛ ١٥٥
 أبو إسحق البليقي ؛ ٤٢١
 أبو إسحق الزوالى ؛ ١٧٣
 أبو إسحق بن الحاج ؛ ٤١٩ ، ٤٢٠
 أبو إسحق بن حبيب ؛ ٢٣٣
 أبو إسحق بن حكم السلوى ؛ ٢١٥ ، ٢١٨
 أبو إسحق ؛ شرف الدولة ؛ ١٣١
 أبو إسحق الطيار ؛ ٢٠١
 أبو إسحق بن عبد الرفيع ؛ ٢٤٢
 أبو إسحق النفاق ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢ ، ٢٨٢
 أبو إسحق الموحدى ، السيد ؛ ٣٢٨
 أبو البدر بن عبد الله بن الزبير ؛ ٤٤٩
 أبو بكر ، الخليفة ؛ ٣٣١
 أبو بكر بن إبراهيم بن يربوع السبي ؛ ٥٥٢
 أبو بكر بن خيس ؛ أنظر ابن خيس
 أبو بكر بن خيرة ؛ ٣٣٨
 أبو بكر الداني ؛ ١١٥
 أبو بكر بن زرقون ؛ ٤٨٨
 أبو بكر بن سابق ؛ ٣١٥
 أبو بكر بن السعيد ، السلطان ؛ ٢١ ، ٢٢
 أبو بكر بن صبيب ؛ ١٤٤
 أبو بكر بن عباد المري ؛ ١١١
 أبو بكر بن عبد العزيز ؛ ٣٢٨ ، ٤٠٤
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ٢٤٢
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢١٣ ، ٣٨٠
 ٤٨٧
 أبو بكر الكاتب ؛ ٩٨
 أبو بكر بن محمد اليحصبي ؛ ٩٦

ابن فطرس (محمد بن عبد الله) ؛ ٥٤٣
 ابن القاسم ؛ ٢١٤ ، ٢١٥
 ابن القائل الكاتب ؛ ٤٨٤
 ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى) ؛ ٦ ، ٧ ، ٥٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥
 ابن القصيرة ، أبو بكر ؛ ٦ ، ٧ ، ٥١٦
 ابن قطبة الندوسى (محمد بن أحمد) ؛ ٢٥٠
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن أحمد) ؛ ٢٥٣
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد) ؛ ٢٥٥
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) ؛
 ٢٥٤
 ابن قطبة (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) ؛ ٢٥٥
 ابن قطرال ؛ ٣٤٩
 ابن قيد ؛ ٤٨٨
 ابن الكجاد ، أبو عبد الله ؛ ١٧١ ، ١٧٩
 ابن لب الأمى (محمد بن عبد الله) ؛ ٤٣٣
 ابن مجاهد الرندى ؛ ١٧١
 ابن مرج الكحل (محمد بن إدريس) ؛ ٦ ، ٧ ، ٣٤٧
 ابن مرزوق ، الخطيب ، أبو عبد الله ؛ ٣٠٣ ، ٣١٠
 ابن مشتمل (محمد بن محمد بن جعفر) ؛ ٣٦٤
 ابن مضاه ، أبو العباس ؛ ٣٩٠ ، ٥٢١
 ابن مقاتل (محمد بن محمد) ؛ ٣٧٩
 ابن منخل الغافقى (محمد بن أحمد) ؛ ١٣٣
 ابن منذر الإشبيلي (أبو العباس أحمد) ؛ ٤٢١
 ابن منظور القيسى ؛ ١٧٠
 ابن مهيب اللخمي ، أبو بكر ؛ ٤١٨ ، ٤١٩
 ٤٢٥
 ابن النعمة ؛ ٤٨٨
 ابن هاني الأزدي الإلبيري ؛ ٢٨٨ - ٢٩٠ ،
 ٥٠٤
 ابن هبة الله الحراني ؛ ٤٤٨

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٦
 أبو جعفر الإلييري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزى ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٣٤٣ ، ٤٨٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكناني ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعمى ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مغرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسعون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن بربى ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعيني ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥

أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥ ، ٣٤٩
 أبو الحسن بن شريح ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٧
 أبو الحسن بن شعيب ؛ ٤٤٠
 أبو حسن الشقوري ؛ ١٧٣
 أبو الحسن بن عبيده ؛ ٢٤٦
 أبو الحسن عضد الدولة ؛ ١٣١
 أبو الحسن بن عقيل الرندي ؛ ١٧١
 أبو الحسن بن علي الشادي ؛ ٢٣٤
 أبو الحسن بن فرحون ؛ ٢١٩ ، ٢٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ؛ ١٧٩
 أبو الحسن القيحاوي ؛ ٢٧٤ ، ٤٣٤
 أبو الحسن المريني ، السلطان ؛ ٤١
 أبو الحسن بن مستنور ؛ ٢٤٢
 أبو الحسن بن ملحان ؛ ٤٧٩
 أبو الحسن بن موسى ؛ ٢٢٦
 أبو حفص بن عبد المؤمن الموحدى ؛ ٣٣٨
 أبو حمو (موسى بن يوسف) ؛ ٢٢ ، ٤١ ،
 ١٩٣
 أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
 ٤٢٦
 أبو زكريا بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو زكريا الإصبهاني ؛ ١٧٣
 أبو زيان (محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن) ؛
 ٤٠
 أبو زيد بن الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
 ٢١٨
 أبو زيد السهيلي ؛ ٣٢٨
 أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) السلطان ؛ ٢١ ،
 ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩ - ٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧ ، ٣٣٨
 أبو سعيد بن لب ؛ ٣٠٣
 أبو طالب بن القرشي الزهري ؛ ٥٠٣

أبو الطاهر السلقى ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرزدي ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البناي ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الخبزي ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغربي ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النباي ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعي ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحى ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلبيري ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميحي ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ،
 ٤١٩ ، ١٣٢
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمي ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكرسوني ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩

أبو عبد الله بن ائنجار ؛ ٢٢٣
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن هارون ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٥٠ ، ١٨٣
 أبو عبد الله بن هشام الشواش ؛ ٤٢١
 أبو عبد الله الآبلي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٢٨
 أبو عبد الله الترجالي ؛ ٢٢٥
 أبو عبد الله الدباغ المالقي ؛ ٢٢٤
 أبو عبد الله السلال ؛ ١٧١
 أبو عبد الله الشطلي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله الطرسوني ؛ ١٣٤
 أبو عبد الله الطنجالي ؛ ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ،
 ٢٧٤ ، ٣٤٠
 أبو عبد الله المقرب (محمد بن علي الأوسي) ؛
 ٢٨٤ ، ٢٨٥
 أبو عبد الله العلوي التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله الفمري ؛ ١٨٤
 أبو عبد الله الفاسي ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله اللوشي اليحصي ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٣
 أبو عبد الله الميرقي ؛ ٤٣٤ ، ٤٨٩
 أبو عبد الحميد المالقي ؛ ١٤٤
 أبو عبيد بن يوسف بن سعادة ؛ ٤٨٨
 أبو عبيد الله بن أبي القاسم الأنصاري ؛ ١٧٩
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٣٤٠
 أبو علي بن أبي الشرف ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن حمدون ؛ ٢٨٩
 أبو علي بن خلاص ؛ ٣٤٩
 أبو علي بن طاهر بن ربيع ؛ ١٧٩
 أبو علي بن علوان ؛ ٢٤٢
 أبو علي بن كسرى الموري ؛ ٣٢٨
 أبو علي الحداد ؛ ٢٢٨
 أبو علي الراندحي ؛ ٣٦٤
 أبو علي الشلوين ؛ ٢٤٩
 أبو علي الصدق ؛ ٥٢١

- أبو محمد الرشاطي ؛ ٤٧٩
 أبو محمد بن سهل الضرير ؛ ٤٨٨
 أبو محمد بن السيد ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن الصايغ ؛ ١٤٦
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن عطية ؛ ١٧
 أبو محمد بن المؤذن ؛ ٢٤٢
 أبو محمد البسطي ؛ ٩٩
 أبو محمد الدلاصي ؛ ٢٢٢
 أبو محمد القرطبي ؛ ٣٢٨
 أبو مدين ، شعيب بن الحسين ؛ ١٩١ - ١٩٣
 أبو مروان البياضي ؛ ٤٨٩
 أبو مروان بن مسرة ؛ ٣٢٧
 أبو النجاة سالم ، عماد الدولة ؛ ١٣٠ ، ١٣١
 أبو الوليد بن حجاج ؛ ٤٨٩
 أبو الوليد بن شبكة ؛ ٢٣٢
 أبو الوليد بن يحيى بن سعد ؛ ٣٢٥
 أبو يحيى بن عبد الحق ؛ ٩٧
 أبو يحيى بن الكاتب ؛ ٩٦
 أبو يعقوب الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧
 أبو يوسف بن طلحة ؛ ٤٨٧
 أبي بن كعب ؛ ٣٢٠
 أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني ؛ ٤٤٩
 أحمد بن أبي الوليد (أبو القاسم) ؛ ٣٢٥
 أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي ؛ ٤٥٠
 أحمد بن إسحاق ، أبو المعالي ؛ ١٨٠
 أحمد بن زيد بن الحسن ؛ ١٣٣
 أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ؛ ٤٤٨
 أحمد بن أبي غالب الرصافي ؛ ١٠٧
 أحمد بن قاسم الأصول ؛ ٢٨٨
 أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٨٠
 أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري ؛ ٣٢٦
 إدريس المأمون ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧ ، ١٣٠
- أبو علي النسائي ؛ ٣١٥
 أبو عمر الطنجي ؛ ١٧١
 أبو عمر الاوشي ؛ ٢٧٠
 أبو عمران بن أبي تلب ؛ ٥٢١
 أبو عمرو بن أحمد النفزي ؛ ٢٢٩
 أبو عمرو بن سالم ؛ ٥٠٦
 أبو عمرو بن عباد ؛ ٤٨٩
 أبو عمرو بن العلاء ؛ ٢١٧
 أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٤
 أبو عيسى بن أبي السداد ؛ ٣٤٩
 أبو الفتح بن زيان بن مسعدة ؛ ٢٢٦
 أبو الفرج بن الجوزي ؛ ٢٣٣
 أبو القاسم البلوي ؛ ٤٨٣
 أبو القاسم بن يقي بن نافحة ؛ ٢٢٨
 أبو القاسم بن حزب الله ؛ ١٥٠
 أبو القاسم بن حسان ؛ ٤٦٥
 أبو القاسم بن الشاط ؛ ١٨٤
 أبو القاسم بن صوابة ؛ ٥٢١
 أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ٤٩٧
 أبو القاسم بن عباد ؛ ١٠٨
 أبو القاسم بن عمران ؛ ١٧٤
 أبو القاسم بن نبيل ؛ ٣٤٩
 أبو القاسم بن يسر ؛ ٤٤٨
 أبو القاسم الحسيني ؛ ١٥٠ ، ١٩٧
 أبو القاسم السهيلي ؛ ٣٢٨
 أبو القاسم الملاحي (محمد بن عبد الواحد الفائق) ؛
 ١٣٣ ، ٣٨٩
 أبو القاسم المواهبي ؛ ٤٨٧ ، ٤٩١
 أبو القمر هلال ؛ ١٢٧
 أبو الحجد بن الأحوص ؛ ١٧١
 أبو محمد بن أبي الأحوص ؛ ١٧٤
 أبو محمد بن أبي الهباس ؛ ٥٠٩
 أبو محمد بن حسن اللواق ؛ ٢٣٤

جوهـر الصقلـى ؛ ٢٨٩
 الحـاج اللبـاس ؛ ٤٩
 الحارث بن أسد ؛ ٣٢٢
 حارثة بن العباس بن مرداس ؛ ٤٣
 حازم القرطاجنى ، أبو الحسن ؛ ١٨٥
 حسان بن مالك بن هانى ؛ ١٠٧
 الحسن بن أيوب بن زيد ؛ ١٧٣
 الحسن بن قاسم الهلالى ؛ ٢٧٥
 حسين بن حسين ؛ ٢١٨
 الحسين بن هبة الله الربيعى ؛ ٢٣٣
 حسين بن يوسف الحسنى ؛ ٢٢٦
 الحصرى القيروانى ؛ ١١٢
 الحكم المستنصر ؛ ١٠٣
 حمزة بن يوسف السهمى ؛ ٢٢٦
 حيان بن عبد العزيز ؛ ٢٣٣
 خليل بن أبي بكر المرادى ؛ ٤٤٨
 الخليل النحوى ؛ ٣٢٢
 الخونجى ؛ ٢١٧

د - ز

الدارقطنى ؛ ١٤٨ ، ٣٥١
 داود بن الملك المعظم عيسى ؛ ٤٥٠
 الدليل البركى ؛ ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣
 الدليل المورورى ؛ ٢٦
 الدك (الدوق) ؛ ٤٤
 دنطية ؛ ٤٥
 ديرنبور ، هارتفج ؛ ٣
 الرازى ، أحمد بن محمد بن موسى ؛ ١٣٣
 الرشيد بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٧
 رشيد الدين العطار ؛ ٢٣٤
 الرشيد ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 رضوان النصرى ، أبو النعمان ؛ ١٥ ، ٢٦
 رضى الدين القسطنطينى ؛ ٤٤٨
 رميك بن حجاج ؛ ١١٠

إدريس الوائق ، أبو دبوس ، الخليفة الموحدى ؛

٩٧

إدغونش بن فردلاندى ؛ ١١٠ ، ١١٤

إسحاق بن أبي العاص ؛ ٢٧٤

إسماعيل بن تبر الأيادى ؛ ٣١٩

إسماعيل بن قریش بن عباد ؛ ١٠٨

إسماعيل بن موسى ؛ ٢٢٩

إعتاد الرميكية ؛ ١١٠ ، ١١٩

إمروء القيس ؛ ٢٢٠

أندريق (الكونت) ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

أنس بن مالك ؛ ٢٢٩

أيوب بن عبد الله الفهرى ؛ ٢٢٨

ب - ث

باديس بن حبوس ؛ ١١٨

برقسين ؛ ٤٣

بركات الخشوعى ، أبو الطاهر ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣

البرنس ؛ ٤٤ - ٤٦

بطره بن أدغونش بن هرانده ؛ ٨١

بطره بن الهنشه بن هرانده ؛ ٢٢ ، ٤٢

بلج بن بشر القشبرى ؛ ١٠٨ ، ٢٣٠

بلج بن يحيى بن أبي بردة ؛ ١٧٦

بوريل ، الكونت ؛ ١٠٦

تاج الدين الآمدى ؛ ٢٢٢

الترمذى ، أبو إسماعيل ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٩

تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٣

ثابت بن علي بن عبد العزيز ؛ ٤٥١

ج - خ

جار الله بن عساكر ، أبو اليمن ؛ ٤٤٨

جايمش بن بطره (خايى الفاتح) ؛ ٩٨

جاينجوس ، المستشرق ؛ ٣ ، ٤

جرور ، القائد ؛ ١١٦

جعفر بن علي بن فلاح ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٠

جودى بن عبد الرحمن ؛ ١٤١

زيان بن مردئيش ، أبو جميل ؛ ٩٨
زيئب بنت عبد اللطيف البغدادي ؛ ٤٤٨

من - ظ

السالمي الكاتب ؛ ١٢٣

سعد بن عبادة ؛ ٩٢

سعد بن الفقى بالله ؛ ٣٦

سعد بن إبراهيم الخياط ؛ ٢٠١

سعيد بن عبد الله الشنتريني ؛ ١٠٧

سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ؛ ٤٥٠

سماجة الوزير ؛ ٢٨٢ ، ٢٨٣

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ٣٢٩ ، ٣٥٩

سيبويه ؛ ٢١٥

الشافعي ، الإمام ؛ ٢١٧ ، ٢٢٦

شاكر بن الفخار الماتق ؛ ٥٠٦

شرف الدين بن التلمساني ؛ ٢١٥

شرف الدين الدمياطي ؛ ٢٢٢

شمس الدين بن قيم الجوزية ؛ ٢٠٣

شيخ الغزاة ؛ ١٦

صاعد بن الحسن اللغوي ؛ ١٠٦

صدر الدين الغفاري ؛ ٢٠٣

صفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

ضمرة بن كتافة بن بكر ؛ ٢٣٠

طارق بن زياد ؛ ١٠٢

طاهر بن محمد (المهند) ؛ ١٠٧

ع - غ

عائكة ، أم الحجد ؛ ٢٣٢ ، ٢٣٤

العاذل ، الملك ؛ ٢٢٢

عباس بن عطية ، أبو عمرو ؛ ٤٢٠

عبد الحق بن ربيع ؛ ٢٢٣

عبد الرحمن بن أبي حمو ، أبو تاشفين ؛ ٢١٤

عبد الرحمن الصنهاجي ؛ ٢٢٤

عبد الرحمن بن علي بن عمر ، الأمير ؛ ٣٩

عبد الرحمن بن قاسم ؛ ٢٢٨

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ؛ ٢٠١

عبد الرحيم بن عبد المنعم التدميري ؛ ٤٤٩

عبد العزيز بن سلطان الداني ؛ ٤٤٥

عبد العزيز الجزيري ؛ ٢٤٢

عبد العزيز المريني ، السلطان ؛ ٤١

عبد الكبير الإشبيلي ، أبو محمد ؛ ٤٢١

عبد الكريم بن عطاء الله ، أبو محمد ؛ ٢٣٤

عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي ؛ ٤٥١

عبد اللطيف الحجري ، أبو محمد ؛ ٢٣٣

عبد الله بن أحمد بن الملجوم ؛ ٢٢١

عبد الله بن بلقين ؛ ١١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

عبد الله بن عباد ، أبو بكر ؛ ١١٠

عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ؛ ٤١٨

عبد الله بن قيس ؛ ١٧٦

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ؛ ٤٥١

عبد الله بن محمد التجيبي الدكلي ؛ ٥٢١

عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ١٠٧

عبد الملك بن سهل ؛ ١٠٧

عبد الملك بن صناديد ، أبو مروان ؛ ٩٦

عبد الملك المعافري ؛ ١٠٥

عبد الملك بن مفضل الواسطي ؛ ٤٥١

عبد المنعم بن سهاك ، أبو محمد ؛ ٣١٦ ، ٣٢٩

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمي ؛ ٤٤٨

عبد المنعم بن يحيى القرشي الزهري ؛ ٤٥٠

عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٤٥٣

عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ؛ ١٨٠ ، ٤٤٨

عبيد الله بن أحمد بن أبي ربيع القرشي ؛ ٤٥٢

عتبة بن يحيى الجزولي ؛ ١٢٩

عثمان بن أبي العلاء ؛ ١٣٧ ، ١٤١

عثمان بن أبي محمد بن جندرة ؛ ٤٥١

عثمان بن عبد القوي البلوي ؛ ١٨٠

عثمان بن عبد المؤمن ، السيد أبو سعيد ؛ ٢٣١ ،

الغزيري ، ميخائيل ٣٤

الغشقي ، المقدم ؛ ١٢٨ ، ١٢٩

ف - ك

فاطمة بنت إبراهيم البليكي ٤٥٠

فاطمة بنت الرسول ٥٩

الفتح بن خاقان ، أبو نصر ؛ ١٠٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥

فخر الدين الرازي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٢

فرج بن محمد بن قنبر ، أبو سعيد ؛ ٩٦

فضل بن فضيلة المعافري ؛ ١٣٩ ، ٢٧٤

قاسم بن أحمد بن السكوت ؛ ١٧٩

القاسم بن محمد الصنهاجي ؛ ٢٢٥

قن بن ساعدة ؛ ٣٢٤

ل - م

المازري الإمام ؛ ٣٢٧

مالك بن أنس ؛ الإمام ؛ ٣١٤ ، ٢١٥

مالك بن عباد ؛ ١١٧

المأمون بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٦

المتنبي ، أبو الطيب ؛ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦

محمد بن إبراهيم الحكيم ؛ ٩٧

محمد بن إبراهيم بن داود الحميري ؛ ٣٧١

محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل الأنصاري ؛ ٩٦

محمد بن إبراهيم بن فضيلة ؛ ٣٤١

محمد بن إبراهيم المرادي (ابن العشاب) ؛ ٥٢٥

محمد بن أبي بكر ؛ ١٧٧

محمد بن أحمد الأتشمري الفاسي ؛ ١٧١

محمد بن أحمد البندادي ؛ ٢٢٩

محمد بن أحمد الحسني ؛ ٣٠٣

محمد بن أحمد الرازي (ابن الخطاب) ؛ ٢٢٩

محمد بن أحمد السلمي ؛ ٤٨٩

محمد بن أحمد الصندلاني ؛ ٢٢٨

محمد بن أحمد بن عبد الله الإستنجي ؛ ٥ ، ٣١٥

٣٢٩

عثمان بن علي ؛ ٩٧

عثمان بن يحيى بن عمر بن رحو ؛ ٣٨ ، ٧٦

عزيز بن خطاب ، أبو بكر ؛ ٣٤٩

عطاف بن نعيم ؛ ١٠٨

علم الدين الشيخوني ؛ ٤٥١

علي بن إبراهيم الشيباني ؛ ٩٦

علي بن أحمد الميموني القسطلاني ؛ ٤٥١

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ؛ ٣٨

علي التللسي الجرايحي ؛ ٢٠١

علي بن عبد الرحمن المقدسي ؛ ٤٥٠

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي ؛ ٤٤٩

علي بن عبد الله بن الحسن ؛ ٣٧

علي بن محمد بن أبي القاسم ؛ ٤٥٠

علي بن محمد بن سعيد اليحصبي ؛ ٩٦

علي بن نصر ؛ ٧٤

علي بن يوسف ، أمير المسلمين ؛ ٤٧٧ ، ٥١٩

علي بن يوسف العبدري السفاح ؛ ٤٤٧

علي بن يوسف بن كاشة ؛ ٣١

عمر بن أبي ربيعة ؛ ٢٧٦

عمر بن أبي سعيد ، الأمير ؛ ١٤١

عمر بن الخطاب ؛ ٣٢١

عمر بن شاذان ؛ ٢٢٩

عمر بن عبد الله بن علي ؛ ٢٩ ، ٣٩ ، ٤١

عمر بن عبد الحميد الأزدي ؛ ٣٢٧

عمر بن عبد الحميد الميايحي ؛ ٢٣٣

عمر اللوشي ؛ ٤٥٧

عمر بن المنجم البندادي ؛ ١٠٦

عمران بن موسى المشدالي ؛ ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٥

عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٢٢٣

عيسى بن الحسن بن أبي مندليل ؛ ٢٣

عيسى بن محمد بن عبد الله ؛ ٢٠١

غازي بن أبي الفضل بن الجلاوي ؛ ٤٥٠

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ؛ ٤٥١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٣٥
 محمد بن أحمد بن محمد الحسيني ؛ ١٨
 محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ؛ ١٨١
 محمد بن إسحاق الزبيدي ؛ ١٠٧
 محمد بن إسحاق بن عبد الله الأنماطي ؛ ٤٤٥
 محمد بن إسحاق بن فرج ؛ ٢٦
 محمد بن حسان ؛ ١٧٢
 محمد بن الحسن البروني ؛ ٢٠١
 محمد بن حسن العمري الشريفي ؛ ٥٢٣
 محمد بن الحسن القرشي ؛ ١٠٧
 محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٢٤ ، ١٢١ ، ٧
 ٥٠٥ ، ٤٨٩ ، ١٢٧ ، ١٢٥
 محمد بن صالح بن رحيمة الكناني ؛ ٤٥١
 محمد بن عباس الأشعري ؛ ٤٤٩
 محمد بن عبد الرحمن العقيلي ؛ ٤٧٦
 محمد بن عبد الرحمن المتأهل ؛ ٤٧٧
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٤٢٦
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ؛ ٢٠١
 محمد بن عبد الملك بن جهور ؛ ١٠٧
 محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ؛ ٤٩١
 محمد بن علي بن العابد الأنصاري ؛ ٢٨٧
 محمد بن علي بن عبد الله القيسي ؛ ٢٨٦
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ؛ ٥
 محمد بن علي بن محمد الهمداني ؛ ٤٨٨
 محمد بن عياض الخزرجي ؛ ١٧٩
 محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٢٢٦ ، ٩٧
 ٢٢٩ ، ٢٢٨
 محمد بن غالب الطريفي ؛ ٤٦٤
 محمد بن فتح الإشبيلي (الأشبرون) ؛ ١٣٨ ، ٩٧
 محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ؛ ٥١٥
 محمد بن قايده الكلاعي ؛ ٢٤١

محمد بن مالك الطغئري ؛ ٢٨٢
 محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني ؛ ٢٣٣
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزري ؛ ٢١٣
 محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٩٣
 محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ؛
 ٥٢٧
 محمد بن محمد القرشي ؛ ٤٢٧
 محمد بن محمد بن نصر ؛ ٩٥
 محمد بن محمد بن يوسف ... بن نصر الخزرجي ؛
 السلطان ؛ ٥
 محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، السلطان ؛
 ٤٤٥ ، ٤٤٧
 محمد بن مطرف بن شخيص ؛ ١٠٧
 محمد بن هارون ؛ ١٧٩
 محمد بن يحيى الأشعري الملقب ؛ ١٧٦
 محمد بن يحيى الباهلي (ابن المسفر) ؛ ٢٠٢ ،
 ٢٠٣
 محمد بن يحيى السكري ؛ ٤٨٩
 محمد بن يحيى الفسافي البرجي ؛ ٢٩٥ ، ٢٩٣
 محمد بن يحيى بن هيرة الشيباني ؛ ٤٤٩
 محمد بن يوسف بن إسحاق (السلطان الغني بالله) ؛
 ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ،
 ٥٤ ، ١٣٤
 محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي ؛ ٥٢١
 محمد بن يوسف ... بن نصر (محمد بن الأجر
 الكبير) ؛ ٧ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ،
 ١٣٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥
 المرتضى بالله ، الخليفة الموحد ؛ ٩٧
 المستنصر بالله الحفصي ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 المستنصر بالله العباسي ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١
 المعتمد بن عباد ؛ ١٠٨ - ١١١ ، ١١٦ - ١٢٠ ،
 ٥١٧

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ؛ ٤٥١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٣٥
 محمد بن أحمد بن محمد الحسيني ؛ ١٨
 محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ؛ ١٨١
 محمد بن إسحاق الزبيدي ؛ ١٠٧
 محمد بن إسحاق بن عبد الله الأنماطي ؛ ٤٤٥
 محمد بن إسحاق بن فرج ؛ ٢٦
 محمد بن حسان ؛ ١٧٢
 محمد بن الحسن البروني ؛ ٢٠١
 محمد بن حسن العمري الشريفي ؛ ٥٢٣
 محمد بن الحسن القرشي ؛ ١٠٧
 محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٢٤ ، ١٢١ ، ٧
 ٥٠٥ ، ٤٨٩ ، ١٢٧ ، ١٢٥
 محمد بن صالح بن رحيمة الكناني ؛ ٤٥١
 محمد بن عباس الأشعري ؛ ٤٤٩
 محمد بن عبد الرحمن العقيلي ؛ ٤٧٦
 محمد بن عبد الرحمن المتأهل ؛ ٤٧٧
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٤٢٦
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ؛ ٢٠١
 محمد بن عبد الملك بن جهور ؛ ١٠٧
 محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ؛ ٤٩١
 محمد بن علي بن العابد الأنصاري ؛ ٢٨٧
 محمد بن علي بن عبد الله القيسي ؛ ٢٨٦
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ؛ ٥
 محمد بن علي بن محمد الهمداني ؛ ٤٨٨
 محمد بن عياض الخزرجي ؛ ١٧٩
 محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٢٢٦ ، ٩٧
 ٢٢٩ ، ٢٢٨
 محمد بن غالب الطريفي ؛ ٤٦٤
 محمد بن فتح الإشبيلي (الأشبرون) ؛ ١٣٨ ، ٩٧
 محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ؛ ٥١٥
 محمد بن قايده الكلاعي ؛ ٢٤١

وليد بن موفق ؛ ٤٨٨
 يحيى بن جاد البعلبكي ؛ ٤٤٩
 يحيى الحكيم ؛ ٤٤٤
 يحيى بن عبد الرحمن الأشعري ؛ ٩٦
 يحيى بن عبد الله القرشي ؛ ٤٤٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ؛ ٩٧
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ١٦ ، ٣٨
 يحيى بن محمد بن أبي الغصن ؛ ٢٣٤
 يحيى بن الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 يزيد بن حاتم بن قبيصة ؛ ٢٨٩
 يزيد الراضى (ابن عياد) ؛ ١١٠ ، ١١٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ، السلطان ؛
 ٩٧
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٥
 يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ؛ ٤٥٠
 يعمراس بن زيان ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ؛ ٤٨٨
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ١٤ ، ٩٦
 يوسف بن أبي ناصر السفاوى ؛ ٤٥٠
 يوسف بن تاشفين ؛ ١١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٩
 يوسف بن عبد الحق ، أبو يعقوب ، السلطان ؛
 ١٩٧
 يوسف بن هارون الزيادى ؛ ١٠٦
 يونس بن مغيث ؛ ٤٨٩

المعز لدين الله الفاطمى ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
 مفرج بن سلمة ؛ ٤٨٩
 المقرئ ، عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ١٩١
 المقرئ ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ؛
 ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٠٢
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥
 منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالى ؛ ٤٥٢
 منصور الزواوى ، أبو على ؛ ٣٠٢ ، ٣٩١
 منصور بن سليمان ؛ ٢١
 المنصور بن عبد الحق ، أبو يوسف ؛ ١٤٠
 موسى بن نصير ؛ ١٠٢

ن - ي

ناصر الدين المشدالى ، أبو على ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ٢٤٢
 الناصر بن المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٦
 نزهون القليمية ؛ ٥٠٤
 النبي العربي ؛ ٨٩ ، ٥٩
 نصر ، أبو الجيوش ، السلطان ؛ ١٤٠ ،
 ٤٤٥
 هرانده بن الهنش بن شانجه (فرناندو الثالث) ؛
 ٩٨
 هشام المؤيد ، الخليفة ؛ ١٠٣
 هشام بن يوسف بن الملجوم ؛ ٥١٧

كامل طبع المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٤ هـ الموافق لليوم
الرابع من شهر يولييه سنة ١٩٧٤ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. II

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1974

الخطبة في أخبار غزاة طبرستان

ليدئ الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه

محمد عبد الله عياني

المجلد الثالث

الناشر: مكتبة الحاجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
الحقوق كإيها محفوظة
Copyright, Cairo, 1975

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » . نقدمه إلى القراء والباحثين . في كثير من الغبطة والحمد والرضى .

ولقد استوعبنا في مراجعة المجلدين . الأول والثاني . من هذه الموسوعة الأندلسية الحليّة . سائر المخطوطات التي نوهنا بها في مواضعها . في مقدمة كل من هذين المجلدين . والآن ينحصر مدى المراجعة بالنسبة لهذا المجلد الثالث من « الإحاطة » في أصليين مخطوطين .

الأول - مخطوط « المكتبة الزيدانية » . المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال ، برقم ١٦٨٨ الغزيري ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .

الثاني - مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية التونسية . الجزآن الثاني والثالث ، ويحملان رقمي 8135 و 8136

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق إلى جانب هذين الأصليين المخطوطين . على عدد من المراجع والموسوعات الأدبية والتاريخية . مثل «نفتح الطيب» . و«أزهار الرياض» للمقرئ ، و«الذيل والتكملة» ، للقاضي ابن عبد الملك المراكشي ، «وصلة الصلوة» لأبي جعفر بن الزبير . و«جذوة الاقتباس» لابن القاضي ، وغيرها مما سبق أن ذكرناه في ثبات المراجع في نهاية المجلد الأول .

ويبدأ هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » بترجمة محمد بن يحيى بن عبد الله ابن محمد بن أحمد الغزفي ويسمى بترجمة عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن ... من

لوحة . من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . ويستغرق بقية السفر الثامن من «الإحاطة»
ثم السفر التاسع بأكمله ، وجزءا من السفر العاشر :

« نختار . هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » عن سابقه في علم الأدب ،
أولها نوحى الإخبار في كتب من التراجم . وراو ذلك من مغاربه علماء التراجم
التي يحتويها هذا المجلد . بما يحتويه منها كل من المجلدين الأول والثاني . فبينما يحتوي
المجلد الأول على ست وتسعين ترجمة ، ويحتوي المجلد الثاني على اثنين وثمانين
ترجمة ، إذا بالمجلد الثالث يحتوي على مائة وأربع وتسعين ترجمة . وفي اعتقادنا
أن ذلك يرجع بالأخص إلى سببين ، الأول توخى ابن الخطيب الإنجاز في كثير
من التراجم الملوكية والخلافية الأندلسية . مثل تراجم عبد الرحمن بن معاوية
(الداخل) ، والمطرف بن عبد الله بن محمد ، وعبد الرحمن الناصر ، والخليفة
المرتضى بالله وغيرهم ، وذلك لأنه تناول أخبارهم مفصلة في كتابه « إعمال
الأعلام » . هذا بينما بقيض ابن الخطيب ، إفاضة ظاهرة في المجلدين الأول
والثاني ، في تراجم سلاطين الدولة النصرية ، ولاسيما سلطانه محمد الغني بالله .
الذي تشغل ترجمته ، وما يتبعها من رسائل ، ثمانين صفحة من المجلد الثاني .
والسبب الثاني هو تصرف ناسخ مخطوط المكتبة الزيدانية ، بالاختصار المخل
في كثير من تراجم النصف الثاني من هذا المخطوط ، وحذفه معظم أبواب
« المشيخة » . ومعظم القصائد والرسائل الثرية ، الملحقة بكثير من التراجم ،
أو الاقتصار على اليسير منها .

على أن المجلد الثالث من « الإحاطة » يحتوي مع ذلك على كثير من التراجم
الهامة ، والتراجم المطولة ، كما يحتوي على مجموعة من التراجم الملوكية . ونسنتج
أن نذكر من التراجم الهامة التي وردت في هذا المجلد ، من العلماء ورجال التفكير
والأدب . تراجم محمد بن يحيى بن أحمد العزفي ، ومحمد بن أحمد بن مرزوق
العجيسى ، ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ، وأبي جعفر بن الزبير .
ومحمد بن يحيى بن تباد النفزي . ومحمد بن يوسف بن خالصون . وصالح بن
شريف الرندي ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري ، وعبد الله بن

بوعرف بن رضوان النجارى ، وعبد الرحمن بن خلدون الحضرمى ، وعبد الرحمن ابن يخلفين الفازازى ، وعبد الملك بن حبيب ، وابن أبى السداد الباهلى ، وعبد الحق بن محمد بن عطية الحاربنى . وعبد الملك بن سعيد بن خلف العنسى ، وعبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ، وعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين العكى وغيرهم . ومن تراجم الزعماء والأمرء والملوك ، منذر بن يحيى التجيبى ، وأبو حو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن . والسلطان أبو الحيوش نصر بن يوسف ابن نصر الأنصارى ، والصميل بن حاتم ، وعبد الله بن بلقين بن باديس ، وعبد الرحمن الداخل . وعبد الرحمن الناصر ، وغيرهم .

وقد اتبعنا فى هذا المجلد ، نفس ماسبق أن اتبعناه فى المجلدين السابقين ، من مقارنة النصوص المخطوطة ، والتعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية . ومن الواضح أن التعريف بهذه الأعلام قد جرى فى هذا المجلد على نطاق محدود نظرا لما سبق التعريف به فى المجلدين السابقين من الأعلام الكثيرة ، الواردة فى كتاب « الإحاطة » . ومن ثم فقد جرينا بالنسبة للأعلام المكررة فى هذا المجلد ، على الإحالة على المجلدين السابقين .

ونود أن نستدرك هنا سهوا وقع فى وصف « السفر الثانى » (الجزء الثانى) من مخطوط « الإحاطة » ، وهو مخطوط المكتبة الزيدانية المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيرى ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، فقد ذكرنا فى مقدمة المجلد الأول من الإحاطة أنه مكتوب بخط أندلسى (ص ١٣) . والحقيقة أنه مكتوب بخط مغربى . وقد أشرنا إلى ما ذكر فى نهاية هذا المخطوط من أنه قد تم نسخه بغرناطة فى أوائل شهر ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وثمانمائة (ص ١٤) . وهذا يقصد به بالطبع المخطوط الأندلسى الأسمى ، الذى تم نسخه بغرناطة فى هذا التاريخ . ومن الواضح أن مخطوط المكتبة الزيدانية قد نقل عن المخطوط الأسمى ، وأدجت فيه هذه الإشارة التى وردت فى خاتمته ، ونقل بالخط المغربى ، إما بغرناطة ذاتها قبل السقوط ، أو بالمغرب من نسخة منه كانت قد نقلت إليه ، واستطاع السلطان مولاي زيدان أن يحصل عليها ، وأن يضمها إلى مكتبته النفيسة .

هذا ، وقد بقى علينا بعد إخراج هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » أن نخرج المجلد الرابع . ثم السفر الثاني عشر منه ، وهو المتضمن لترجمة ابن الخطيب لنفسه . ويشتمل هذا المجلد الرابع والأخير من « الإحاطة » على بقية تراجم حروف العين ، والغين ، فالفاء . فالسين . فالهاء . فالياء . ويحتوى على مائة وإحدى وعشرين ترجمة ، تليها ترجمة ابن الخطيب لنفسه . وهي ترجمة مسنيفة تشغل نحو مجلد بأسره . وبإخراج هذين القسمين الأخيرين ، نختم ، بعون الله وتوفيقه ، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى .

محمد عبده عثمان

القاهرة في غرة رمضان سنة ١٣٩٥ هـ

الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٥ م

وطلبه من ربي
سنة ١١٢٣
سنة ١١٢٤
سنة ١١٢٥
سنة ١١٢٦
سنة ١١٢٧
سنة ١١٢٨
سنة ١١٢٩
سنة ١١٣٠
سنة ١١٣١
سنة ١١٣٢
سنة ١١٣٣
سنة ١١٣٤
سنة ١١٣٥
سنة ١١٣٦
سنة ١١٣٧
سنة ١١٣٨
سنة ١١٣٩
سنة ١١٤٠
سنة ١١٤١
سنة ١١٤٢
سنة ١١٤٣
سنة ١١٤٤
سنة ١١٤٥
سنة ١١٤٦
سنة ١١٤٧
سنة ١١٤٨
سنة ١١٤٩
سنة ١١٥٠
سنة ١١٥١
سنة ١١٥٢
سنة ١١٥٣
سنة ١١٥٤
سنة ١١٥٥
سنة ١١٥٦
سنة ١١٥٧
سنة ١١٥٨
سنة ١١٥٩
سنة ١١٦٠
سنة ١١٦١
سنة ١١٦٢
سنة ١١٦٣
سنة ١١٦٤
سنة ١١٦٥
سنة ١١٦٦
سنة ١١٦٧
سنة ١١٦٨
سنة ١١٦٩
سنة ١١٧٠
سنة ١١٧١
سنة ١١٧٢
سنة ١١٧٣
سنة ١١٧٤
سنة ١١٧٥
سنة ١١٧٦
سنة ١١٧٧
سنة ١١٧٨
سنة ١١٧٩
سنة ١١٨٠
سنة ١١٨١
سنة ١١٨٢
سنة ١١٨٣
سنة ١١٨٤
سنة ١١٨٥
سنة ١١٨٦
سنة ١١٨٧
سنة ١١٨٨
سنة ١١٨٩
سنة ١١٩٠
سنة ١١٩١
سنة ١١٩٢
سنة ١١٩٣
سنة ١١٩٤
سنة ١١٩٥
سنة ١١٩٦
سنة ١١٩٧
سنة ١١٩٨
سنة ١١٩٩
سنة ١٢٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي جعل في القرآن العظيم
مناجاة لكل قلوب
وانت يا ارحم الراحمين
انا عبدك المذنب
والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في القرآن العظيم
مناجاة لكل قلوب
وانت يا ارحم الراحمين
انا عبدك المذنب
والله اعلم بالصواب

سنة ١٦٧٣
سنة ١٦٧٤
سنة ١٦٧٥
سنة ١٦٧٦
سنة ١٦٧٧
سنة ١٦٧٨
سنة ١٦٧٩
سنة ١٦٨٠
سنة ١٦٨١
سنة ١٦٨٢
سنة ١٦٨٣
سنة ١٦٨٤
سنة ١٦٨٥
سنة ١٦٨٦
سنة ١٦٨٧
سنة ١٦٨٨
سنة ١٦٨٩
سنة ١٦٩٠
سنة ١٦٩١
سنة ١٦٩٢
سنة ١٦٩٣
سنة ١٦٩٤
سنة ١٦٩٥
سنة ١٦٩٦
سنة ١٦٩٧
سنة ١٦٩٨
سنة ١٦٩٩
سنة ١٧٠٠

سنة ١٦٧٣
سنة ١٦٧٤
سنة ١٦٧٥
سنة ١٦٧٦
سنة ١٦٧٧
سنة ١٦٧٨
سنة ١٦٧٩
سنة ١٦٨٠
سنة ١٦٨١
سنة ١٦٨٢
سنة ١٦٨٣
سنة ١٦٨٤
سنة ١٦٨٥
سنة ١٦٨٦
سنة ١٦٨٧
سنة ١٦٨٨
سنة ١٦٨٩
سنة ١٦٩٠
سنة ١٦٩١
سنة ١٦٩٢
سنة ١٦٩٣
سنة ١٦٩٤
سنة ١٦٩٥
سنة ١٦٩٦
سنة ١٦٩٧
سنة ١٦٩٨
سنة ١٦٩٩
سنة ١٧٠٠

رموز المخطوطات

- رجعنا في تحقيق هذا المجلد الثالث من « الإحاطة » حسبما تقدم إلى المخطوطتين الآتيتين ، ونرمز لكل منهما في حواشي الكتاب على النحو الآتي :
- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ بها برقم ١٦٨٨ الغزيرى ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة « الإسكوريال »
- ٢ - الجزآن الثاني والثالث من مخطوط جامع الزيتونة بتونس ، المحفوظان الآن بدار الكتب الوطنية التونسية برقمى 8I35 و8I36 ونرمز لهما ، بكلمة « الزيتونة »

الإحاطة
في أخبار غرناطة

—
المجلد الثالث

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي

من أهل سبته ، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب^(١) .

حاله

من أهل الظرف والبراعة ، والطبع المعين ، والذكاء ، ربيس سبته ،
[وابن رؤسائها]^(٢) ، وانتقل الى غرناطة عند خلعها ، وانصرافه عن بلده .
أقام بها . تحت رعي حسن الروا ، مألفا للظرفاء ، واشتهر بها أدبه ، ونظر
في الطب ، ودون فيه . وبرع في التوشيح . ثم انتقل إلى العُدوة ، انتقال
غبطة وأثرة . فاستعمل بها في [خطط نبيهة]^(٣) ، وكتب عن ملوكها .
وهو الآن بالبحالة الموصوفة .

وجزى ذكره في «الإكليل» بما نصه : فرع تاود^(٤) من الرياسة في
دوحة . وتردد بين غدوة في المجد وروحة ، نشأ والرياسة العزفية ، تعله

- (١) هكذا وردت في الإسكوربال . وفي الزيتونة (أبو القاسم بن أبي يحيى) .
- (٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة . ونود أن نذكر بهذه المناسبة أن رياسة آل الزي لسبته بدأت في سنة ٦٤٧ هـ ، حينما قامت بها الثورة ضد الموحدين ، وانتهت باختيار قنينة وكبير علمائها أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين اللخمي العزفي رئيسا لها . واستمرت رياسة أبي القاسم لسبته (وأحيانا لطبقة أحواره) حتى وفاته في سنة ٦٧٧ هـ ، وهو الذي أكل كتاب أبيه العامه الورع التاود أبي العباس العزفي (تد المظن في تاريخنا العظمى) ووجهه في يوم دسبه واده . ولما أوردت في كتابي الذي نشرته في سنة ١٩٥٠ هـ ، في كتابي الذي نشرته في سنة ١٩٣٠ هـ ، على مضمون الأمر . ولم يكن ذلك ريسه من قبل من مرده في يومه . والله اعلم .
- (٣) رياستها حتى وفاته في سنة ١٩١٩ هـ ، ثم بولي والده المنجز له الرياسة بصفه . ونسج في سنة ١٩٣٠ هـ ، انتقل الى سبته . وكان آل العزفي من أهل سبته . والله اعلم .
- (٤) هذا ورد في الأصل . وفي الزيدية (احظ الد .)
- (٥) في الأصل . والله اعلم .

وتنهاله . والدَّهْرُ^(١) يُسِيرُ أَمَلَهُ الْأَوْحَى وَسَهْلَهُ . حَتَّى اتَّسَقَتْ أَسْبَابُ سَعْدِهِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاةُ سَلْفِهِ مِنْ بَعَادِهِ . فَأَلْقَتْ إِلَيْهِ رِحَالَهَا وَخَطَّتْ ، وَمَتَّعَتْهُ بِقَرْبِهَا بَعْدَ مَا شَعَلَتْ . ثُمَّ كَلَّحَ لَهُ الدَّهْرُ بَعْدَ مَا تَبَسَّمَ ، وَعَادَ زَعَزَعًا نَسِيمَهُ الَّذِي كَانَ يَتَنَسَّمُ ، وَعَاقَى هَلَالَهُ عَنْ تِمِّهِ . مَا كَانَ مِنْ تَغْلُبِ ابْنِ عَدِهِ ، وَاسْتَقْرَرَّ بِهِدَ الْبِلَادِ ، نَائِي^(٢) الدَّارِ بِحَكْمِ الْأَقْدَارِ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيهِ الْمَكَانَةَ وَالْمَتَدَارِ ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جِرَايَةٌ وَاسِعَةٌ . وَرِعَايَةٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَلَهُ أَدَبٌ كَالرُّوْضِ بِأَكْرَمَتِهِ الْغَمَامِ ، وَالزُّهْرُ تَفْتَحَتْ عَنْهُ الْكَمَامِ ، رَفَعَ مِنْهُ رَايَةً خَافِقَةً ، وَأَقَامَ لَهُ سَوْقًا نَافِقَةً . وَعَلَى تَدْفُقِ أَنْهَارِهِ ، وَكَثْرَةِ نِظْمِهِ وَاشْتِهَارِهِ ، فَلَمْ أَظُنُّرْ مِنْهُ إِلَّا بِالْيَسِيرِ التَّافِهِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ .

شعره

قال : أفديك يا ربيع الصبا عوجي على تلك الربا
واحد النعابي سحرا تُرسل غماما صبا
على ربي غرناطة لكي تقضى ماربيا
ثم أبلغني يا ربيع عن صب سلاما طيبا
ومن منظومه أيضا في بعض القضاة الفاسيين ، وهو من البديع ، وورى
فيه ببابين من أبواب المدينة :
وليت بفاس أمور القضاة فأحدثت فيها أمورا شنيعة^(٣)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والفتح ، وفي الزيتونة (والزمن) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نازح) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال «والزيتونة» . وورد في « جذوة الإقتباس » لاس

القاضي كالاتي :

(أقاضي فاس لقد شنها وأحدثت فيها أمورا شنيعة)

(طبعة الرباط ١٩٧٣ - ص ٣٠٠)

وَعَلَّقْتَ لِلْمَاسِ بِأَبِ الثَّمْرِ
بِعِزِّكَ عَنْهَا فَبَيْلُ الدَّرِيعةِ^(١)

فَتَحَّتْ لِنَفْسِهِ بِأَبِ الْفَتْوحِ
فَبَادِرِ مَوَالِ الْوَرَى فِـسـالِـسِ

وَقَالَ

وَأَدِرْ كَوْوَسْكَ يَا أَخَا اللَّذَاتِ
وَاقْطَعْ زَمَانِكَ بَيْنَ هَاكَ وَهَاتِ
لِيَنَّ الْمَعَاطِفَ فَاتِرِ الْحَرَكَاتِ
مُثَبَّتَا فِي فَتْسِرِهِ اللَّحْظَاتِ
فِي الْكَاسِ كَالْمَصْبَاحِ فِي الْمِشْكَاتِ
لَمَا عَدْتَ تُجَلِّيَ عَلَى الرَّاحَاتِ
تَبْدُو مُحَاسِنُهَا لَدَى الْكَاسَاتِ
فَمَهْمٌ لَا كُنَّ مَطَالِعُهَا مِنَ الْوَجَنَاتِ
فِي جَنَّةٍ تُزْهِى عَلَى الْجَنَّاتِ
مِنْ كُلِّ غَضٍّ يَانِعِ الثَّمَرَاتِ
وَجَدَاوِلُ تُفْضِي إِلَى دَوْحَاتِ
فِيهِبٌ وَهُوَ مُورِّجُ النَّفْحَاتِ
حَازَ الْمَدَا سَبْقًا إِلَى الْغَايَاتِ
جَعَلَتْ تَحْيِيَّتُهَا لَدَى الرَّكَّاتِ
قُرْبَانَهَا وَحَفَّتَهُ بِالزُّهْرَاتِ
فِي رِدَائِنَاتِ عَلَى رِنَّاتِ
فِي الْيَمِّ مِنْهُ ثَقِيلَةُ النَّعْمَاتِ
أَلْحَانَهَا أَلْقَاءُ اللَّعِينَاتِ

دَخَ عِنْدَكَ فَوَلَّ عَوَازِلَ وَوَشَاهِ
وَاخْلَعْ عِذَارِكَ لَاهِيَا فِي شُرْبِهَا
نَخِذَهَا إِلَيْكَ بِكَفِّ سَاقِ أَعْيَدِ
قَدْ قَامَ مِنَ الْإِلْحَاطِ أَنْسَانُهَا
يُسْقِيكُمُهَا حَمْرَاءُ يَسْطَعُ نَوْرَهَا
رُقَّتْ وَرَائَتْ فِي الزُّجَاجَةِ مَنَظَرَا
لَا تَمَزِجَنَّهَا فِي الْأَبَارِقِ إِنْهَا
عَجَبًا لَهَا كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي
نَلْنَا بِهَا مَا نَشْتَهِيهِ مِنَ الْمُنَا
رَقَّتْ عَلَيْهَا كُلُّ طَلٍّ سَجَسَجِ
مَا بَيْنَ خَضِرِ حَدَائِقِ وَخَمَائِلِ
سَرَى النَّسِيمِ بِهَا يَصَافِحُ زَهْرَهُ
وَشَدَا لَنَا فِيهَا مُغْنٌ شَادِنِ
طَرَبَتْ لَهُ الْقَضْبُ اللَّدَانِ وَبَادَرَتْ
مَرَّتْ عَلَيْهِ رَكْعًا لَا كُنْهَهَا
قَصَصَتْ صَدْلَةَ الْخَوْفِ مِنْهُ فَقَرَّبَتْ
وَالْعُودُ مَشْدَا يُطَابِقُ زِيَّهَا
إِنْ جُسَّ مِثْلُهُ بَانَ بِئِنَّةِ
فَكَانَ مَا غَنَّتْ عَلَيْهِ الْوُرْفُ مِنْ

(١) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت - فقط من شعر العزبي في مخطوط الزيتونة .

عَكَفَتْ عَلَى أَلْحَانِهَا تَشَاوُ لِنَا
فَكَأَنَّهَا عُجْمٌ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ
نَطَقَتْ بِأَفْصَحِ نَعْمَةٍ فِي شِدْوَاهَا
خَلْفَ السَّيَابِرِ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِ
وَرَدَّدَتْ سُورًا مِنْ التَّوَارَاتِ
تَتَلَوُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْآيَاتِ

ومما أنشده ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِذَا لَمْ أُطِقْ نَحْوُ نَجْدٍ وَصَوْلًا
وَكَمْ حَلَّ قَلْبِي رَهِينًا بِهَا
مَحَلَّهَا فِي الْحِلَالِ الَّتِي ضُحِيَّ
وَكَمْ بَتُّ فِيهَا غَدَاةَ النَّسْوَى
عَلَى شَمْسٍ حُسْنِ سَمَا نَاطِرِي
وَقَفْتُ بِوَادِي الْغَضَا سَاعَةً
وَفِي الْبِسَانِ مِنْ أَيْكِهِ سَاجِعٌ
بِدَعْوَى الْهُوَيِّ يَا حِمَامَ الْحِمَى
فَقَدْ هِجَّتْ تَاللهَ أَشْوَاقُهُ
أَلَمْ تَذَرْ أَنْ أَدَّكَارِي الْهُوَى
رَعَى اللهُ تِلْكَ الْمَطَايَا الَّتِي
وَيَاعَجِبَا كَيْفَ خَفَّتْ هَمُّ
وَوَدَّعْنِي الصَّبْرُ إِذْ وَدَّعُوا
وَأَثَرْتُ يَا وَيْحَ نَفْسِي الْمَقَامِ
وَجَادُوا رَجَا الرِّضَا بِالنَّفُوسِ
نَدِمْتُ عَلَى السَّيْرِ إِذْ وَانِي
وَفَازَ الْمُخْتَمُونَ إِذْ يَمْسُهُ
وَحَوَا

بَعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا
غَدَاةَ نَوَى الرَّكْبِ فِيهَا النَّزُولَا
أَصْبَحَ الْقَوْمُ فِيهَا حُلُولَا
أَسْحُ مِنْ الْعَيْرِ دَمْعًا هُمُولَا
إِلَيْهَا وَعَنِّي تَوَارَتْ أَفْوَالَا
لِعَلِّي أَنْدُبُ فِيهَا الْعُطُلُولَا
يَرْجِعُ بِالْقَضْبِ مِنْهَا الْهَدِيلَا
تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمَعْنَى قَلِيلَا
بِدَكْرِكِ الْإِلْفَا ثَانِي أَوْ خَلِيلَا
يُدَيْبُ وَيُعِي الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا
إِلَى الْحَجِّ وَخَدَا سَرَّتْ أَوْ ذَمِيلَا
وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ حَمَلًا ثَقِيلَا
فَمَا أَنْ وَحَدَّتْ إِلَيْهِ سَسِيلَا
وَأَثَرَ أَهْلَ الْبُودَادِ الرَّحِيمِلَا
وَكَنْتُ بِنَفْسِي ضَمِينًا بِخِيلَا
وَلَا زِمْتُ حُزْنِي دَهْرًا طَوِيلَا
مَنَازِلَ آثَارِهَا لَنْ تَسْزُولَا
مَحَامِدِ الْهَاشِمِيِّ الرَّسُولَا

وفازوا بإذراك ما أملسوا
 ولو كنت في عزمهم مثلهم
 ولا كنتي أثقلتيني الذنوب
 ركبت مطية جهل الصبينا
 ومالت بي النفس نحو الهوى
 فطوبى لمن حل في طيبة
 ونال المنى في منى عند ما
 وأصفي الضناير نحو الصفا
 وجاء إلى البيت مستبشرا
 وطاف ولبي بذاك الحما
 بلاد بها حل خير الورى
 نبي كريم سما رفعة وقدر
 وكان لأمته رحمة بفضله
 وكان رؤوفا رحيمًا لهم
 له يفرعون إذا ما رأوا
 وإن جاء في ذنبهم شافعا
 له معجزات إذا عُدَّتْ تفتوت النهى وتكلم العقول
 ولن يبلغ القول معشارها
 وتُس البيان وسخباته يرى
 تخيرد الله في خلقه فكان الخطير لذيته المشيلا
 ولم ير في الناس زيدا له ولا
 وأبقي له الحكم في أرضه
 ونالوا لذيته الرضا والقبولا
 إذا لأنصرفت إليه عجبولا
 وما كنت للثقل منها حولا
 وكانت أوان التصابي ذلولا
 وقد وجدتنى غمرا جهولا
 وعزيتي بالسفح منها الجحولا
 نوى بالمنازل منها فيزولا
 يؤمل للوظيل فيه الوضولا
 ليظهر بالأمن فيه دخولا
 ونال من الحجر قصدا وسولا
 فطوبى لمن نال فيها الحلولا
 نبي كريما سما رفعة وقدر
 وكان لأمته رحمة بفضله
 وكان رؤوفا رحيمًا لهم
 له يفرعون إذا ما رأوا
 وإن جاء في ذنبهم شافعا
 له معجزات إذا عُدَّتْ تفتوت النهى وتكلم العقول
 ولن يبلغ القول معشارها
 وتُس البيان وسخباته يرى
 تخيرد الله في خلقه فكان الخطير لذيته المشيلا
 ولم ير في الناس زيدا له ولا
 وأبقي له الحكم في أرضه

وكل ظلام وظلم بها على الفسور لما أتى قد أزيلا
 وكانت كنفار لظي فتنة فعمادت من الأمن ظللاً ظليلا
 وقد زان حسن الدجاجة له إذا ذكر الدهر جيلا فجيلا
 وأيامه غرر قد بدت بوجه الدنيا والليالي حجلا
 رسول كريم إذا جيته ويسمت مغناه تلقى القبولا
 يعولده في زمان الربيع أتانا يجرُّ الذبولا
 فأهلا به الآن من زاير وقام الإمام به المرتضى
 هو المستعين أبو سالم ملك أتاننا بفضل الفضولا
 وحاز من الصيت ذكراً أثيراً فقال ثوابا وأجرا جزيلا
 مليل على غمام الندى ترفع قدراً جليلا
 فتى أوسع الناس من جوده ومن كرم الخيم مجداً أثيلا
 حلاة الوقار ولاقيه إذا ألا أيد الله ذاك السليلا
 وقد شاع عنه جميل الثنا عطا جزياً وبيراً حفيلا
 وما من بالوعد إلا وفى ارتاح للجود يلفى عجولا
 ولا في علاه مغال لمن وعم البسيطة عرضاً وطولا
 تفرّد بالفضل في عصره فلم يك بالوعد يوماً مطولا
 أطاعت له حين وافي البلاد يكثر في الملك قالاً وقيلا
 وجا لطاعته أهلها سراعاً وكان بعرف الأيادي كفيلا
 فنبه قدر العوالي بها رضى عند ما حل فيها حلولا
 ومهد بالأمن أفكارها وأمن يرومون فيها الدخولا
 وكف أكف التعدي بها وأكسف فيوما المعادي خمولا
 فلا يظلم الناس فيها فتيلا

وعصر الكروب الذي قد مضى زمانُ المسرات منه أديلا
 أتانا الى الغرب في شوكةٍ بها عاد جَمْعُ الأعادي قليلا
 وفوق رؤوس الطغاة انتضى حُساماً ليُسْمِعَ فيها صليلا
 وجرد من عزمه مرهفاً لحسم أمور المناوى صقيلا
 وكل كُفُور مُعَادٍ لَهُ سيأخذه الله أَخْذًا وَبَيْلا
 أعزَّ الخلائقَ لما ولى ونوّه من كان منهم ذليلا
 وراعى لمن جاءه داخلا جِماه من القاضدين الدخِلا
 فكان بأفعاله قصده إلى مَنهَجِ الفضلِ قصداً جميلا
 وصحَّ انتعاش المعالي به وقد كان شخصُ المعالي عليلا
 وشيد مبنى العُلا بالندى ووثقه خَشِية أن يميلا
 يُنيل ويُعطى جزيل العطا فما زال أُخرى الليالى مُنيلا
 ودام مدى الدهر في رفعة تغير من انحاستين الغليلا
 ولا بَرِحَ السعد في سابه يومٌ به مَرَبِعاً أو مَقِيلاً (١)

محمد المَكودي

من أهل فاس يكنى أبا عبد الله

حاله

من «الإكليل»: شاعر لا يتعاطى (٢) ميدانه ، ومرعى (٣) بيان ورَف

(١) لم يذكر لنا ابن الخطير - كما عدته مولد المترجم له ولا تاريخ وفاته . ونحن نتولى ذلك فنقول إن أبا انعام اعزى ولد بسببة في شوال عم ٦٩٩ هـ ، وتوفي بفاس كاتباً للملكة المرينية وذلك في ١١ صفر سنة ٧٦٨ هـ (راجع أزهار الرياض - ج ٢ ص ٣١٨) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وى النفع (يتقاضى) .

(٣) هكذا في النفع . وى الإسكوريال . (مرعى) .

عضله^(١) ، وأينع سعدانه ، يدعو الكلام فيهطع لداعيه ، ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه . غير أنه أفرط في الانهماك ، وهوى إلى السمكة من أوج السماء . وقدم على هذه البلاد مُفْلِتاً من رهق تلمسان حين الحصار ، صفر اليمين ، واليسار من اليسار ، ملئ^(٢) هوى أنجى على طريقه وتيلاده ، وأخرجه من بلاده . ولما [جدّ به]^(٣) البين ، وحلّ هذه البلاد [بحال تقبّحها العين]^(٤) والسيف بهزته ، لا بحسن بزته ، دعوته إلى مجلس ، أعاره البدر هالته ، وخلع عليه الأصيل غلالته ، وروض تفتح كمامه ، وهما عليه غمامه ، وكاس أنس تدور ، فتلقى نجومها البُدر . فلما ذهبَت الموانسة بخجله ، وتذكر دواه ، ويوم نواه ، حتى خضنا حلول أجله ، جدبنا للموانسة زمامه ، واستقينا منها غمامه ، فامتّع وأحسب ، ونظر ونسب ، وتكلّم في المسائل ، وحضر بطرف الأبيات ، وعيون الرسايل . حتى نشر الصباح رايته ، وأطلع النهار آيته .

وما أنشدنا ونشبت لنفسه :

غرامى فيكِ جلُّ عن القياس	وقد أسّيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني	عليك أقاربي طراً وناس
ولا أدري لنفسى من كمال سوى	أنى لعهدك غير ناس
وقال في غرض معروف :	

بعثت بخمرٍ فيه ماء وإنما	بعثت بما فيه رايحة الخمر
فقلّ عليه الشكر إذ قلّ سكرنا	فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر

(١) هكذا الإسكوريال وفي النسخ (عضاهه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بل) . والنصوب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (جذبه) . الأول أوسع .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ ، مكانها في الإسكوريال (بحال نعر) ، والأولى

أكثر اتساقاً مع المعنى والسباق .

ومما خاطبني به :

رَحْمَاكَ بِي فَلَقَدْ خَلَّدتْ فِي خَلْدِي
 حَلَلتْ عِقْدَ سَلْوِي فِي ^(٢) فُوَادِي
 مَرَّآكَ بَدْرِي وَذِكْرَاكَ التِّدَاذُ فَمِي
 وَمِنْ جَمَالِكَ نُورٌ لَاحَ فِي بَصْرِي
 لَا تَحْسِبَنَّ فُوَادِي عَنْكَ مُضْطَبِر
 وَهَذَاكَ جِسْمِي قَدْ أَوْدَى النُّحُولَ بِهِ
 بَمَا بِطَرْفِكَ مِنْ غَنَجٍ وَمِنْ حَوْرٍ
 كُنْ بَيْنَ طَرْفِي وَقَلْبِي مَنصِفَا فَلَقَدْ
 فَقَالَ لِي قَدْ جَعَلتُ الْقَلْبَ لِي وَطْنَا
 وَكَيْفَ تَطْلُبُ عَدْلَا وَهَوِي حَكْمٌ
 مِنْ لِي بِأَعْيَدٍ لَا يَرْتِي إِلَى شَجَنٍ
 مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ إِذْعَانِي لَصَوْلَتِهِ
 إِنْ جَادَ بِالْوَعْدِ لَمْ تَصْدُقْ مَوَاعِدُهُ
 شَكْوَتِهِ عِلَّتِي مِنْهُ فَقَالَ الْأَمْرُ لِلطَّبِيبِ فَمَا بُرِّئُ الضَّنَا بِيَدِي
 فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ بُرِّئِي أَوْ شِفَا أَلْمِي
 وَإِنْ بَعَثْتَ قَلِي مَوْلِي يَجُودُ عَلَيَّ
 وَخَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فَطَّال ^(٣)

(١) دكدا في الإسكودريال وفي النفيس (حرقة) .

(٢) دكدا في الإسكودريال . وفي النفع (عن) .

(٣) . بذكر لنا ابن الخطيب تاريخ ودة المترجم له . وقد نوفي محمد المكدودي بقاس سنة ٥٣٢ هـ

(جذوة الاقتباس - ١٩٧٣ - ص ٢٢٩) .

المقرئون والعلماء — الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكلبي

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوى الأصالة والنباهة فيها ، شيخنا
رحمة الله عليه

أولَّيته

أصل سلفه من ولة^(١) من حصون البراجلة ، نزل بها أولهم عند الفتح
صحبة قريبهم أبي الخطار حُسام بن ضرار الكلبي . وعند خَلْع دعوة
المرابطين ، وكانت لجدهم بجيان رياسة وانفراد بالتدبير .

حاله

كان رحمه الله ، على طريقة مُثلى من العُكوف على العلم . والاقتصاد
على الاقتيات من حُرِّ النَّسَب ، والاشتغال بالنَّظر ، والتَّقْيِيد والتَّدْوِين^(٢) ،
فقيهها حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون [من]^(٣) العربية .
والفقه ، والأصول ، والقراءات ، والحديث ، والأدب . حفظةً^(٤) للتفسير
مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، مُلوَكِي الخِزَانة . حسن المنهج .

-
- (١) هكذا ورد هذا الاسم في الإسكوريال والردونة . وورد في النسخ (ولة) . وعنه
الغروض بصحة اسم هذا المكان ، لأن حصون البراجلة تقع في منطقة البراجلة ، وجرى
غرناطة . ونظر (ولة) يقع في ولاية الغرب الأندلسية جنوب شرق إشبيلية .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ وفي الزيتونة (التدبير) .
(٣) زائدة في « الزيتونة » والنسخ .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة (حافظاً) .

متع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن . تقدمَ خطيباً بالمسجدِ الأعظم من بلده على حداثة سنِّه ، فاتَّفِقَ على فضله ، وجرى على سنن أصالته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وأخذ عنه العربية والفقهِ والحديث والقرآن . وروى عن أبي الحسن بن مَسْتَقُور^(١) . وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المكثر أبي عبد الله بن الكمَّاد ، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد ، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن ، وعلى الراوية المُسِنَّة أبي الوليد الحضرمي . يروى عن سهل بن مالك وطَبَّقَتِهِ . وروى عن الشيخ الراوية أبي زكريا البُرْشَانِي ، وعن^(٢) الراوية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري ، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص ، والقاضي أبي عبد الله بن بُرْطَال ، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع ، والخطيب الولي أبي عبد الله الطَّنْجَالِي ، والأستاذ النظَّار المتَّفَنِّن أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشَّاطِ . وألَّفَ الكثير في فنون شتى .

توالياه

منها كتاب « وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مُسَلِّم » وكتاب « الأنوار السنية في الكلمات السنية » وكتاب « الدعوات والأذكار المُخْرَجَة من صحيح الأخبار » وكتاب « القوانين الفقهية في تلخيص^(٣) مذهب المالكية » . « والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية » وكتاب « تقريب الوصول إلى

(١) وردت في الإسكوريال (مسعود) وفي الزيتونة (مسعود) وهو تعريف .

(٢) وردت في الخطوط (عل) . والتصويب أرحح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (تخلص) .

علم الأصول » وكتاب « النور المبين في قواعد عقايد الدين » وكتاب « المختصر البارع في قراءة نافع » وكتاب « أصول القراء الستة غير نافع » وكتاب « الفوائد العامة في لحن العامة »، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك . وله فهرسة كبيرة . اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب .

شعره

قال في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب الجماعة كَنَّبِي العلاء المعري .
والرييس أبي المظفر ، وأبي الطاهر السلفي ، وأبي الحجاج بن الشيخ ،
وأبي الربيع بن سالم ، وأبي علي بن أبي الأحوص ، وغيرهم ، كلهم نظم
في ذلك :

لكل بني الدنيا مُراد ومقصد	وإنَّ مُرادى صحَّة وفراغ
لأبْلُغَ في عِلْم الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا	يَكُونُ بِهِ لِي لِلجِنَانِ بِلَاغ
وفي مثل هذا فلينافس أولو النهي	وحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الغُرُورُ بِلَاغ
فما الفوزُ إلا في نعيمٍ مؤبَد	به العيشُ رَغْدٌ والشَّرَابُ يُسَاعِغ

وقال في الجناب النبوي :

أروم امتداح المصطفى ويسرذني	قُصُورِي عَنِ إِدْرَاكِكَ تِلْكَ المَذَاقِ
ومَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ والبَحْرِ زَاخِر	وَمَنْ لِي بِرَحْمَةِ الحَمِيمِ والكَوَاكِبِ
ولو أن أعضاءي غدتْ أُنْسًا إِذَا	لَمَّا بَلَعْتَ فِي المَدْحِ بَعْضَ مَا رَبِّ
ولو أن كلَّ العالمين تَأَلَّفُوا عَلَيَّ ^(١)	مَدْحِهِ لَمْ يَبَاغُوا بَعْضَ وَاجِبِ
فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدَّبَا	وَخَوْفًا ^(٢) وَإِعْظَامًا لِأَرْوَاحِ حَائِبِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تساقوا إلى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وعجزا) .

وَرُبُّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ وَرُبُّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُشْفِقًا مِنْ ذَنْبِهِ :

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَا
 وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جِلْدًا
 فَانظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي وَلَا تُذَيِّقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا
 وَقَالَ فِي مَذْهَبِ الْفَخْرِ :

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو فَيُسَلِّي^(١) حَسْنَهَا قَلْبَ الْحَزِينِ
 غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا مَحَافِظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي

وفاته

فُقِدَ وَهُوَ يُشْحَذُ النَّاسَ وَيُحَرِّضُهُمْ ، وَيُثَبِّتُ بِصَايِرِهِمْ ، يَوْمَ الْكَايِنَةِ
 بِطَرِيفِ^(٢) ، ضَحْرَةَ يَوْمِ الْإِثْنِينَ السَّابِعِ لِحَمَادَى الْأُولَى عَامٍ أَحَدٍ وَأَرْبَعِينَ
 وَسَبْعِمِائَةٍ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ . وَعَقِبَهُ ظَاهِرُ بَيْنِ الْقَضَاءِ وَالكِتَابَةِ .

محمد بن أحمد بن فتوح بن سُقْرَالِ اللَّخْمِيِّ

شَرْقِي الْأَصْلِ مِنْ سَكَانِ غَرْنَاطَةَ ، يَكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَعْرِفُ بِالطَّرْسُونِيِّ

حالُه

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ . أَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ كَنِّي نَفْسِهِ
 أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) ، وَدُعِيَ بِهَا وَقْتًا ، وَكُوتِبَ بِهَا . وَكَانَ لَهُ ابْنٌ سَمَّاهُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (فيسي) .

(٢) سبق تعريف هذه الموقعة (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٨٠ - حاشية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (أبو عبد الله) .

عبد الرحيم ، فقلنا له سمّه عبد الرحمن ، ليعضد لك الكنية التي اخترت ،
فبأي . كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة^(١) ، مجيداً في
ذلك ، مُحكماً لما يأخذ فيه منه ، وكانت لديه مشاركة في الأصلين والمنطق ،
طمح إليهما بفضل نباهته وذكايه ، وشعوره بمراتب العلوم ، دون شيخ
أرشده إلى ذلك . يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً ، وظرفاً وفكاهةً ، وسخاً
نفس ، وجميل مشاركة لأصحابه . بأقصى ما يستطيع . وكان صنّاع البيدين
يرسم بالذهب ، ويُسفر ، ويُحکم عمل التراكيب الطيبية . وعلى الجملة
فالرجل من أجل نبلاء عصره ، الذين قل أمثالهم .

مشيخته

أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ [أبي الحسن]^(٢) ابن أبي العيش ،
وبه تفقه ببلده ألمرية . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والخطيب
أبي جعفر بن الزيات ، والراوية أبي الحسن بن مستقور ، والولي أبي عبد الله
الطنجالي ، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سيدبونه ، والخطيب
أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد وغيرهم .

شعره

من شعره قوله :

إذا قَدَفْتُ بي حينما شاءت النَّوى ففي كلِّ شِعْبٍ^(٣) لي إليك طريق
وإن أنا لم أبصر مُحَيَّاك باسمًا فإنسان عَيْني في الدموع غريق

(١) مكنا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (امته) .
(٢) ساقطة في الإسكوريال .
(٣) مكنا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (صعب) والأولى أرجح .

فإن لم تحصل كفى بكفك وإيًّا [فأشمال أحبائي لدى فتوق] (١)

مخنته

أحظاه وزيرُ الدولة أبو عبد الله ابن المحروق (٢) ، واختصه ، ورتب له بالحمراء جاريةً ، وقلد نظره خزانة الكتب السلطانية . ثم فسد ما بينهما ، فاتهمه ببراءات كانت تُطرح بمذامه (٣) بمسجد البيّازين (٤) ، وترصد ما فيها ، فزعم أنه هو الذي طرّحها بمحراب المسجد ، فقبض عليه واعتقل ثم جالاه إلى إفريقية .

وفاته

ولما بلغت إفريقية وفاة مُخيفه ، كرّر راجعاً إلى الأندلس ، فتوفى في طريقه ببونه (٥) ، من بلاد العنّاب أو بأحوازها في أواخر عام ثلاثين ، أو أقرب من الأواخر وسبعماية .

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال ووردت في الزيتونة « كالأق (باسان أجفاني ملوق فتوق) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المحروق . تولى الوزارة للسلطان أبي عبدالله بن اسماعيل الذي تولى الملك سنة ٧٢٥ هـ ، فاستبد بالأمور ، واستأثر بالسلطة ، فحقد عليه السلطان ، وبطش به فقتل بأمره في المحرم سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بحراممة المسجد) والأولى أرفع .

(٤) كان جامع البيارين أحد مسجدين كبيرين يقعان في حي البيارين أشهر أحياء غرناطة الإسلامية وكذلك أشهر أحياء غرناطة المعاصرة ، وقد حول بعد سقوط غرناطة إلى كنيسة ، وبنيت فوقه كنيسة سان سلبادور San Salvador . ومدارات تقوم إلى جانبها حتى اليوم بقبة من أسوار الجامع وعدة من بوائكه ، وجزء من صحنه .

(٥) هي لغور من مملكة إفريقية (تونس) ، تقع على شاطئ البحر المتوسط شمال غربي تونس في ساحة المسافة بينها وبين بجاية . وهي اليوم من عهد جمهورية الجزائر الجدد وتسمى عناية أي بلد العنّاب .

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذى النون التَّغَلبي

ويعرف بابن الرَّمَالِيَّة^(١) ، من أهل غرناطة ، ويعرف خلفه الآن ،
ببني مَرْزَبَةَ^(٢) ، ولهم أصالة وقِدَم وجِدَّة .

حاله

فقيه ، نبيه ، نبيل ، ذكى ، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية ،
حسن المشاركة والمحاضرة ، حاضر الذهن ، ذاكر لما قرأه .

مشيخته

روى عن الإمام أبي بكر بن العربي . قال أبو القاسم الملاحى^(٣) ،
وحدثنى سنة أربع وستاية ، قال حدثنى الإمام أبو بكر بن العربي رضى الله
عنه ، قال حدثنى محمد بن عبد الملك السبتي ، قال خرجت مع أبي الفضل
الجزيري مشيعين لقافلة الحاج من بغداد ، ومودعين لها من الغد ، وحين
أصبحنا أثيرت الجمال ، وفرض الناس الرِّحال ، ونحن بموضع يعرف
بجُبِّ عميرة ، إذا بفتى شاحب اللُّون ، حسن الوجه ، يُشيع الرواحل .
راحلةً بعد أخرى ، حتى فنيت ، ومشى الحاج ، وهو يقول فى أثناء نردده
ونظره إليها :

أحجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ فى أَىِّ هُودِجٍ وفى أَىِّ بَيْتٍ من بيوتكم حَبِي
أَأَبْتِى رَهِيْنَ الْقَلْبِ^(٤) فى أَرْضِ غُرْبَةٍ وحاديكم يحدُّ وفؤادى مع الرِّكْبِ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الذمالة)

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (بنى مرزقة) .

(٣) سبوات التعريف به (راجع المجلد الثانى من « الإحاطة » ص ١٣٣ حانية) . وسوف يترجم

له ابن الخطيب فيما بعد .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى « الزيتونة » (الحب) .

فوا أسفا لم أقض منكم لبانتى ولم أتمتع بالسلام وبالتقرب
 وفرق بينى بالرحيل وبينكم فها أنذا أقضى على إثركم نحبي
 يقولون هذا آخر العهد منكم فقلت وهذا آخر العهد من قلب
 قال ، فلما كمل الحاج المشي ، وانقطع رجاؤه ، وجعل يخطو هائماً ،
 وهو ينشد ، ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال :

خلّ دمع العين ينهمل بان من تهواه وارتحل
 أي دمع صائه كلف فهو يوم البين ينهمل
 قال ، ثم مال على الأرض . فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً ، فحفرنا له
 لحداً ، وغسلناه وكفناه في رداء وصلينا عليه . ودفناه .
 وفاة المترجم به سنة خمسين وستماية

محمد بن محمد بن محمد بن يبيش العبدري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن يبيش^(١)

حاله

كان خيراً . منقبضاً . عفاً ، متصاونا . مشتغلاً بما يعنيه . مضطرباً
 بالعربية ، عاكفاً عمره على تحقيق اللغة^(٢) ، مشاركا في الطب . متعيشاً
 من التجارة في الكتب . أثرى منها . وحسنت حاله . وانتقل إلى سكي
 سبته ، إلى أن حططت بها رسلاً في عام اثنتين وخمسين وسبعماية . فاستدعيته
 ونقلته إلى بلده . فتمعد للإقراء به إلى أن توفي .

(١) هذا الاسم مازال ذاته حتى اليوم في الأندلس . ويعرف بصورته الإسبانية Vives

(٢) هكذا وردت في الإسكندر . وفي «الزمانية» (نقد) . وأقول أكرر نشب مع

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه : مُعَلِّمٌ مُدَرَّبٌ ،
 مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ ، له في صَنَعَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَاعٌ مَدِيدٌ ، وَفِي هَدَفِهَا سَهْمٌ سَدِيدٌ ،
 وَمِشَارِكَةٌ فِي الْأَدَبِ ، لَا يَفَارِقُهَا تَسْدِيدٌ ، خَاصِيُّ الْمَنَازِعِ ، مَخْتَصِرُهَا ،
 مُرْتَبٌ الْأَحْوَالِ ، مُقَرَّرُهَا ، تَمَيِّزٌ لِأَوَّلِ وَقْتِهِ بِالتَّجَارَةِ فِي الْكُتُبِ ، فَسَلَّطَ
 عَلَيْهَا مِنْهُ أَرْضَةَ آكِلَةٍ ، وَسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمِيَّتِهَا شَاكِلَةً (١) ، أَتْرَبٌ بِسَبَبِهَا
 وَأَثْرَى ، وَأَغْنَى جِهَةً ، وَأَفْقَرٌ أُخْرَى ، وَانْتَقَلَ لِهَذَا الْعَهْدِ الْأَخِيرِ إِلَى سُكْنَى
 غَرْنَاطَةَ مَسْقُطِ رَأْسِهِ ، وَمَنْبِتِ غَرْسِهِ ، وَجَرَّتْ عَلَيْهِ جَرَايَةُ مِنْ أَحْبَابِهَا ،
 وَوَقَعَ عَلَيْهِ قَبُولٌ مِنْ نَاسِهَا ، وَبِهَا تَلَا حَقُّ بِهِ الْحِمَامِ ، فَكَانَ مِنْ تُرَابِهَا الْبِدَايَةَ
 وَإِلَيْهِ التَّامَ . وَلَهُ شَعْرٌ لَمْ يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَا ، وَأَدَبٌ تَوَشَّحَ بِالإِجَادَةِ وَارْتَدَى

مشيخته

قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير ، وعلى الخطيب
 أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي ، والأستاذ
 عبد الله بن الكماد ، وسمع على الوزير المُسَنِّ أبي محمد عبد المنعم بن سِيَاكِ .
 وقرأ بسببته على الأستاذ أبي إسحق الغافقي

شعره

أَنشَدَنِي بَدَارُ الصَّنَاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ سَبْتَةِ تَاسِعِ جَمَادَى الْأَوَّلَى مِنْ عَامِ
 اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورِ ، عِنْدَ تَوَجُّهِ فِي غَرَضِ الرِّسَالَةِ إِلَى السُّلْطَانِ بِإِثْمِ
 الْمَغْرِبِ ، قَوْلُهُ يَجِيبُ عَنِ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي أَكْثَرَ فِيهَا النَّاسُ وَهِيَ :

يَا سَاكِنَا قَلْبِي الدُّعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ ثَانِ
 لِأَيِّ مَعْنَى كَسَرْتَ قَلْبِي وَمَا اتَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الشاكلة) .

فقال :

نَحَلْتَنِي طَيَّارًا فَوَادًا فصار إذ حُزته مكان
لا غَرَوِ إذ كان لي مُضَافًا إِنِّي على الكَسْرِ فيه بانٍ
وقال يخاطب أبا العباس عميد سبته ، أعزّه الله ، وهي مما أنشدني في

التاريخ المذكور ، وقد أهدى إليه أقلاما :

أنا ملك الغرّ التي سبب جودها يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أتتني منها تحفة مثل عدّها إذا انتضيت كانت كمرهفة السمّر
هي الصفر لا كن تعلم البيض أنها محكمة فيها على النفع والضرر
مهدّبة الأوصال ممشوقة كما تصاغ سهام الرمي من خالص التبر
فقبلتها عسرا ومثلت أنسى ظفرت بلثم في أناملك العشر

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله :

أساجعة بالواديين تبيوئي ثماراً جنتها خاليات خواضب
دعى ذكر روض زاره ^(١) سقى شربه صباح ضحى [طير طما] ^(٢) عصائب
غرام فوادي قاذف كل ليلاة متى ما نأى وهنا هواه يُراقب

ومن مطولاته ما رفعه على يدى السلطان وهو قوله :

ديار خطها مجد قديم وشاد بناءها شرف صديم
وحلّ جنبها الأعلى عملاً يقصر عنه رضى أو شميم
سقى نجداً بها وهضاب نجد عساد نرد وحيأ تديم
ولا عدمت رباه رباب مزن يغادى روضهن ويستديم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الفح (رأه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النفع (طى ظباء)

فيصبح زهرها يحكى شذاه
 وتنثره الصبا فتريك دراً
 وظلت في طلال الأيك تشدو
 ترجع في الغصون فنون سجع
 أهرم بملتقى السوادى تجدد
 وكنت صرفتُ عنه النفس كرهاً
 وما ينفك لي ولها نزاع
 له بيتُ سما فوق الثريا
 تبوأ من بنى نصر علاها
 أفاض على الورى نيلاً وعدلاً
 ملاذُ للملوك إذا ألمت
 تؤمّله فتامن في ذراه
 ويبدو في ندى المُلْك بدرأ
 بوجه يوسفي الحسن طلق
 وتلقاه للعفاة له ابتسام
 فيا شرف الملوك لك انقطاعي
 وآمالى أملت لحملك حتى
 فللظما ورودك خير ورد
 ولا أضحى وفي معنك ظل
 ركبت البحر نحوك والمطايا
 وإنَّ عُلاك إن عضنت بالخط

فتيت المسك يُذكيه النسيم
 نشيراً خانه عقدُ نظم
 مُطرقة لها صوت رخيم
 بالأحان لها يصبو الحليم
 وليس سواه في واد أنيسم
 وما برحت على نجدِ تحوم
 إلى مغنى به ملك كريم
 وعز لا يخيم ولا يريم
 وأنصار للنبي له أروم
 سواء فيه مثير أو عديم
 صروف الدهر أو خطب جسيم
 وتدنو من علاه فيستقيم
 تحف به الملوك وهم نجوم
 يضي بنوره الليل البهيم
 ومنه للعدي أخذ للديم (١)
 وإنني في محلّكم خديم
 وردن على نذاك وهن هيم
 نمير ماؤه عذب جسيم
 ظليل حين تحنم السوم
 تسير لها ذميل أو رسيم
 على فذاك العز المقيم

(١) وردت في الإسكوريال (الليم) والنصوب أرجح .

فوالأسفى على عُمرٍ تقضى بدارٍ ليس لى فيها حميم
سوى ثمرٍ للفرؤاد ذهبته عنه وبين جوانحي منه كلوم
ودون لقاها عرّض الفيسافى ونجد موجهُ طودٍ عظيم
لعل الله يُنعم باجتماع وينظم شدائنا البسر الرحيم
بقيت بغبطة وقرار عيسن بملك سعده أبداً يسدوم
كما دامت حلى الأنصار تُتلى يُشيد بذكرها الذكر الحكيم
عليك تحية عطرٍ شذاها تُعرف الروض جادته الغيوم

مولده بغرناطة فى رجب^(١) ثمانين وستمائة^(٢) . وتوفى عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، ودفن بباب البيرة^(٣) ، وتبعه من الناس ثناءً حسن ، رحمه الله .

محمد بن محمد النمري الضرير

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه

حاله

من عايد الصلاة : كان حافظاً للقرآن ، طيب النغمة به ، طرّفاً فى ذلك . من أهل المشاركة فى العلم ، واعظاً بليغاً ، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق ، ويستحضر الشواهد من كتاب الله ، وخطب العرب وأشعارها ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . فى الزينونة (حنود) .

(٢) وردت فى الإسكوريال عن مولده هذه العبارة (توفى بغرناطة فى رجب ثمانين وستمائة . يا مولد) . وقد رأينا أن نصحح النص مباشرة على نحو الذى أوردناه .

(٣) باب البيرة أحد أبواب غرناطة الإسلامية ما زال قائماً حتى اليوم . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٠٧ حاشية . والمجلد الثانى ص ٢٤٩ حاشية) .

بعيدُ القرين في ذلك ، آخذاً في الأدب ، حَفَظَةً لِلأناشيدِ والمطوّلات ، بقيةً
حسنة ممتعة .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي^(١) وبه تأدب ،
ولازمه كثيراً ، فانتفع به .

شعره

تَمَّ صَدْرٌ بِهِ رِسَالَةُ الزَّوْجِ وَهُوَ نَازِحٌ عَنْهَا بِبَعْضِ النِّبْلَادِ . فَقَالَ :

سلام كرشف الطَّل في مَيْسِمِ الْوَرْدِ وهبيلُ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالْقَضْبِ الْمُدِّ
سلام كما ارتاح المُشَوِّقُ مَبْشَرًا برويا من يهواه من دون ما وَعَدِ
سلام كما يُرْضَى الْمَحَبُّ حَبِيبِهِ مِنْ الجَدِّ فِي الْإِخْلَاصِ وَالصَّدْقِ فِي الرَّعْدِ
سلام وتكريمٍ وَبِرٍّ وَرَحْمَةٍ بقدرِ مَزِيدِ الشَّوْقِ أَوْ مَنْتَهَى الْوُدِّ
على ظَبْيَةٍ فِي الْأَنْسِ مَرْتَعُهَا الْحِشَا فِتَاوِي إِلَيْهِ لَا لِشَيْخٍ وَلَا رُنْدِ
ومن أَطْلَعِ الْبَدْرَ التَّمَامَ جِينُهَا يُرَى تحت لَيْلٍ مِنْ دُجَا الشَّعْرِ مُسَوِّدِ
وثَغْرُ أَقْحَاحٍ زَانِهِ سَمَطٌ لَوْلُو يُجَبُّ بِهِ الْمَرْجَانُ فِي أَحْكَمِ النَّضْدِ
يجول به سِلْسَالُ رَاحٍ مَعْتَقٍ حَمَّتُهُ ظُبَا الْأَلْحَاطِ صَوْنًا عَنِ الْوَرْدِ
فلله عَيْنًا مِنْ رَأْيِ بَدْرِ أَسْعَدِ وروضةَ أَزْهَارٍ عَلَّتْ غُصْنُ الْقَدِّ
ويُشْرَى لَصَبٌ فَازَ مِنْهَا بِلَمْحَةٍ مِنَ الْقُرْبِ بُشْرَاهُ بِمَسْتَكْمَلِ السَّعْدِ
وأضحى هواها كَامِنًا بَيْنَ أَضْلَعِي كدزنِ خَفِيِّ النَّارِ فِي بَاطِنِ الزَّنْدِ
وراحتُ فَرَاخُ الرُّوحِ إِثْرَ رَحْلِهَا وودَّعتُ صَبْرِي حِينَ وَدَّعْتُ كَبِيدِ

(١) نسبة إلى بلدة أركش الأندلسية ، وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من
الإحاطة ص ٤٦٧ حاشية) .

وصارت لى الأيام تبدو لياليها
فساعاتها كالدهر طولاً وطالها
وقد كان ليل الوصل صُبْحاً بها يبْدُ
حكى الدهر ساعات بها قِصراً عندي
ومنها :

تُرَى قَلْبُهَا هَلْ هَامَ مِنِّي بِمَثَلِ مَا
وهل ترعى ذِمَّتِي وَمَوَدَّتِي كَمَا
يَقْلُبِي مِنَ الْحُبِّ الْمَلْزَمِ وَالْوَجْدِ
أَنَا أُرْعَاهَا عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
إِلَيْكَ حِطَابِي وَالْحَدِيثِ لَغَايِبِ
كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغْيِبِكَ بِالْعَمْدِ
عَلَيْكَ سَلَامِي إِنِّي مُتَشَوِّقٌ
لِلْقِيَاكِ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكِ بِالرَّدِّ

توفى بغرناطة تحت جراية من أمراها، لاخصاصه بقراءة القرآن على
قبورهم ، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن عبد الولى الرعيني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالعواد (١)

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ المَكْتَب ، الأستاذ الصالح ، سابق الميدان
وعَلِمَ أعلام القرآن ، في إتقان تجويده ، والمعرفة بطرق روايته . والاضطّلاع
بمفهومه . لا يُشَقُّ غبارد . ولا يتعاطى طلقه (٢) . ولا تَأْتِي الأيام بمثله .
تستقصر بين يديه مدارك الأعلام . وتظهر سَقَطَات الأية . مهتدياً إلى
مكان الحجج على المسائل . مصروفٌ عنان الأشغال إليه . مستنانياً إلى نعمة

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي (الأستاذ العواد الرعيني) . وورد في « التروية »

(ويعرف من العواد) . ووردت في النسخ (الأستاذ ابن العواد ج ٣ ص ١٩٦) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوا بال والزيتونة .

رخيمة ، وإتقان غير متكلف ، وحفظ غزير ، وطلب إلى التصدير للإقراء ،
فأبى لشدة انقباضه ، فنبتت^(١) بالباب السلطاني على وجوب^(٢) نصيبه
لنناس ، فكان [ذلك]^(٣) في شهر شعبان من عام وفاته ، فانتفع به ،
وكان أداب الناس على سنة ، والزمهم لميثاق ورد ، يجعل جيرانه حركته
إلى ذلك ليلا ، ميقاناً لا يختلف ولا يكذب ، في ترحيل الليل . [شديد
الطرب] مليح الترتيب ، لا تمر به ساعة ضياعاً ، إلا وقد عمّرها
بشأن ديني ، أو دنيوي ، ضروري مما يسوغه الورع ، يلازم المكتب . ناصح
التعليم ، مسوياً بين أبناء النعم ، وحلفاء الحاجة ، شامخ الأنف على أهل
الدنيا ، تخلص السكك عند ترنمه بالقرآن ، مساوقاً لتلاوة التجويد ،
ومباشراً أيام الأخمسة والأثنين ، العمل في مؤيل كان له ، على طريقة القدماء
من الإخشيشان عند الحين ونقل آلة الخدمة ، غير مفارق للظرف
والخصوصية . ويرة أيام الجمعات ، كتب الوعظ والرقائق على أهله ،
فيصغي إليه الجيران ، عداة لا تختلف . وكان له لكل عمل ثوب ، ولكل
مهنة زي ، ما رأيت أحسن ترتيباً منه . وهو أستاذي وجاري الألتصق ،
لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه . رحمة الله عليه .

مشيخته

قرأ على بقمية المقرئين الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، ولازمه وانتفع به ،
وعلى الأستاذ أبي جعفر الجزيري الضرير ، وأخذ عن الخطيب المحدث
أبي عبد الله بن رشيد .

(١) الكلام هنا لابن الخطيب .

(٢) وردت المخطوطين (وجوه) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

ميلاد : في حدود عام ثمانين وسماية .

وفاته : توفي رحمة الله عليه في^(١) المرفى ثلاثين لذي بقعدة من

عام خمسين وسبعماية .

محمد بن علي بن أحمد الخولاني

يكنى أبا عبد الله أصله من مجلقر^(٢) ويعرف بابن الفخار وبالبيري ،

شيخنا رحمه الله

حاله

من « عايد الصاة » : أستاذ الجماعة ، وعالم الصناعة ، وسبويه العصر ،
وأخر الطبقة من أهل هذا الفن . كان رحمه الله فاضلاً ، تقياً ، منقبضاً .
عاكفا على العلم ، ملازماً للتدريس ، إمام الأئمة من غير مدافع ، مبرزاً
أمام أعلام البصريين من النحاة ، منتشر الذكر ، بعيد الصيت ، عظيم
الشهرة ، مستبحر الحفظ ، يتفجر بالعربية تفجر البحر ، ويسترسل
استرسال القطر ، قد خالطت دمه ولحمه ، لا يشكل عليه منها مشكل .
ولا يعوزه توجيه . ولا تشدُّ عنه حجة . جدد بالأندلس ما كان قد درَس
من لسان العرب . من لدن وفاة أبي علي الشلوبين^(٣) . فقيم السوفى على

(١) اسم اليوم سافط في كتاب الخولان .

(٢) لم نجد هذا الاسم من قري مراد له إلى أن وجدنا ابن الخطيب في الجملة التي ذكرنا فيها

(ص ١٢٦ - ١٣٢) ولكن وردت في كتابنا تلمذة ما نقلناه ، وفوقه ، وهو ...
هذا الاسم الوارد في المخطوط (مجلقر) حروفه اسم اصحبه .

(٣) هو محمد بن محمد بن أبي الأصبغ المدوني بائنا من من عمل في الأندلس

... في طالع العروة ، ص ١٢٦ - ١٢٧ . الأندلس هذا كان يدعى في المغرب ، وندسة

٥٦٢ هـ ، وفي ٦٤٥ هـ (١٢٤١ م) .

عهده . وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه ، وعروض ، وتفسير . وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم ، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية^(١) ، وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة . واستعمل في السفارة إلى العُدوة ، مع مثله من الفقهاء ، فكانت له حيث حلَّ الشُّهرة وعليه الازدحام والغاشية ، وخرَّج ، ودرب ، وأقرأ ، وأجاز ، لا يأخذ على ذلك [أجزاً]^(٢) وخصوصاً فيما [دون]^(٢) البداية ، إلا الجراية المعروفة ، مقتصداً في أحواله ، وقوراً ، مُفرط الطُّول ، نحيفاً ، سريع الخطو ، قليل الالتفات والتعريج ، متوسط الزِّي ، متبدلاً في معالجة ما يتملِّكه بخارج البلد ، قليل الدَّهاء والتَّصنُّع ، غريب النَّزعة ، جامعاً بين الحرص والقناعة .

مشيخته

قرأ بسبته على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي ، ولازمه كثيراً ، وأخذ عنه ، وأكثر عليه . وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث ، والمقبري الشريف الفاضل أبي العباس الحسيني ، والشيخ الأستاذ النظَّار أبي القاسم بن الشَّاط . وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . والتماضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم . وهو أستاذي ، قرأت عليه القرآن . وكتائبُ الجُمْل والإيضاح . وحضرتُ عليه دولاً من الكتاب ، ولازمته مدة ، وعاشرتُه . وتوجَّه صحبتي في الرسالة إلى المغرب .

(١) المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة ، أنشأها السلطان يوسف أبو الحجاج (٧٣٣ - ٥٧٥٥هـ) ، والشهير ذكرها في ظل بني الأحمر أو بني نصر - لاطين غرناطة ، وأنها التلاط من الأندلس والشَّرق ، وأوروبا . وما زال مكانها معروفاً إلى اليوم بقرطبة ، وهو يقع تجاه الكنيسة اعطى التي أنشأت على موقع المسجد الجامع .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الإثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ، وكانت جنازته حافلة . وخدمت قرابح الأخذلين عنه ، ممن يُدلى دلو أدب . فيأتى بماءٍ أو حمأة ، على كثرتهم ، تقصيراً عن الحق ، وقدحاً في نسب الوفاء ، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه ، وهو محمد بن عبد الله اللوشى ، فإنه قال : وعين هذه الأبيات قرارها :

ويوم نعى الناعى شهاب المحامد	تغيرت الدنيا لمصرع واحد
فلا عذر للعينين إن لم تُسايحا	بدمع يحاكي الوبل يُشقى لواجد
مضى من بنى الفخار أفضل ماجد	جميل المساعى للعلا جد شاهد
طواه الردى ما كل حتى يهابه	وما ورده عاراً يشين لوارد
لقد غيّبت منه المكارم فى الثرى	غداة نوى وانسد باب الفوايد
فياحاملى أعواده ما علمتم	بسؤدده الجرم الكريم المَحَاتِد
ويا حُفرةً خُطت له اليوم مضجعا	سقتك الغواذى الصادقات الرواعد
إلا يا حَمَام الأيك ساعدنى بالبيكا	على عَلم الدنيا وزين المشاهد
على أنى لو استطعت الفدا فديته	بأنفس آل من طريف ونال
محمد ما للنعمى لموتك غُضّة	توقف ولا ماء الحياة ببارد
وكيف وباب العلم بعدك مُغلق	وهورده المتروك بين الموارد
أستاذنا كنت الرجا لآمل	فأصبحت مهجور الفئسا لفامد
فلا تبعدن شيخ المعارف والحجا	ليس الذى تحت الشراب بيساعد
لتبك العلوم بعدك شجوها	ويقف لها ربيع العُلا والمعاهد
ليبك عليك الجود والدين والتقا	وحسب السكا أن صرنت ملاحد لاحاد
أمولاي من للمشكلات يُبينها	فيجلى غمى كل القلوب الشواد

ومن ذا يحل المقفلات صعابها
 فياراحلا عنّا فزِعنا لفقده
 وياكوكبا غال النهار ضيائه
 سَابِكِك ما لاحت برُوقٌ لشايم
 عليك سلام الله ما دامت الصِّبَا
 ومن ذا الذي بهت السبل للحايد
 لتند أُونِسْت منك القبور بوافد
 وشيكًا وهل هذا الزمان بخالد
 وأرعاك ما كان الغمام بعباد
 بغُصْنِي في الأراكة مايد

[قلت : العجب من الشيخ ابن الخطيب ، كيف قال ، وخمدت قرايح
 الآخذين عنه ، وهو من أجلّ من أخذ عنه ، حسبما قرره آنفياً ، بل أخصّ
 من ذلك ، المعيشرة والسفارة للعدوة . وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن ،
 وأسماهم قريحة في هذا الميدان ، وإن أتى غيره بماءٍ أو حمأة ، أتى هو بالبحر
 الذي لا ساحل له . ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك ، لزال القدح في
 نسب وفاء الغير ، فعين ما نسيه من التقصير عن الحق في ذلك ، متوجه
 عليه ، ولا يحق له . ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه
 مما يقع في الأزمان ، ولا سيما بين أهل هذا الشأن ، فيكون ذلك سبباً في
 إعراض الغير شيئاً في غرضه ، ومساعدة له . والله أعلم بحقيقة ذلك كله]^(١)

محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

طالبٌ هُش . حسن اللقَاء . عفيفُ النشأة . مكبٌ على العلم ، حريص
 على استفادته^(٢) . مع زمانةٍ أصابت يمينه يديه . نفعه الله . قيادٌ بأختها

(١) من الواجح أن ما التقية المحصورة من الماصرين إمامي من كلام صاحب الكتاب .

(٢) هكذا في الإسكورييل . وفي « الريونة » (الإستفادة) .

وانتسخ ، قايمٌ على العربية والبيان ، ذاكر الكثير من المسائل ، حافظٌ مُتقِنٌ ، على نزعة عربية . من التَّجاذُع في المشي ، وقلة الالتفات لإيجملته ، وجهورية الصوت . متحلٌّ بسداجة ، حسنُ الإلقاء والتقرير ، متٌ للمتغلب على الدولة بِيضُنٌ ، أفاده جاها واستعمالاً في خُطَّة السوق ، ثمَّ اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب ، جرَّ عليه آخرُ النكبة بموقاد المحنة ، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتهما ، رجالاً بعثهم من بُندة ، فأسروه في طريقه ، وقدموا به سلبياً ، قديم الشهرة والمثلة ، موقناً بالقتل . ثمَّ عطفَ عليه حنيناً إلى حُسن تِلاوته في محبسه ليلاً ، فانتاشه لذلك من هفوة^(١) بعيدة ونكبة مُبيرة . ولما عاد لمُلكه ، أعاده للإقراء .

مُشِخته

جلَّ انتفاعُه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار ، لازمه وانتفع به ، وأعادَ دُؤل تاريسه ، وقرأ على غيره . وألَّف كتاباً في تفسير القرآن ، متعدِّد الأسفار ، واستدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً ، رفَّعه على يدي السلطان . وهو من فضلاء جنسه ، أعانَه الله وسدَّه .

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن

بن حسن بن عبد الرحمن بن بقر

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدِّه

أولَّيته

كان القاضي العامل أبو عبد الله بن هشام ، قاضي الجماعة^(٢) بالأندلس

(١) حديث في الإسدوريل . وفي «أثره» (نحوه) .

(٢) واضي الجماعة ، هو في نظام القضاء الأندلسي ، القاضي الأكبر . وهو بقر في

يجلُّ سَلَفَهُ ، وبنسبِهِ إلى بَقِيٍّ بنِ مَخْلَدٍ^(١) ، قاضي الخِلافة بقَرطِبة .
وابن هشام مَسْنُونٌ بَحْتَجَ بِهِ .

حالُه

هذا الرَّجُلُ فاضِلٌ ، حَسَنُ الخُلُقِ ، جَمِيلُ العِشْرَةِ ، كَرِيمُ الصَّحْبَةِ ،
مَبْدُولُ المِشَارَكَةِ ، مَعْرُوفُ الذِّكَاةِ وَالعِفَّةِ ، مَبْسُوطُ الكِنْفِ ، مَعَ الانْقِيَاضِ ،
فَكَهُ مَعَ الحِشْمَةِ ، تَسَعُ الطَّوَائِفُ أَكْثَافَ خُلُقِهِ ، وَيُعِيمُ المِتضَادِّينَ رَحْبُ
ذَرْعِهِ . طَالِبٌ مَحْتَمَلٌ . حَصِيْفُ العَقْلِ ، حَسَنُ المِشَارَكَةِ فِي فنونٍ ، مِنْ فِقْمِهِ
وقراءاتٍ ونحوٍ وغير ذلك . تَكَلَّمَ لِلنَّاسِ بِجَامِعِ الرِّبْضِ ثُمَّ بِمَسْجِدِ البَكْرِيِّ
المِجَاوِرِ لِلزَّوِيَةِ وَالتَّرْبَةِ اللَّتِيْنِ أَقَمْتُهُمَا بِأَخْشَارَتِنِ^(٢) مِنْ دَاخِلِ الحَضْرَةِ ،
وَحَلَّقَ بِهِ لِتَعْلِيمِ العِلْمِ ، فَانْثَالَ عَلَيْهِ المَتَعَلِمُ وَالمُسْتَفِيدُ وَالمَسَامِعُ ، لِإِجَادَةِ
بَيَانِهِ ، وَحَسَنِ تَفْهِيمِهِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ القُرْآنَ بِجُرْفٍ نَافِعٍ ، عَلِيٌّ ابْنُهُ ، وَعَلِيُّ السَّيِّخِ المِخْطِيبِ الدَّارِيُّ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ طَرْفَةِ ، وَالمِخْطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَاهُورٍ . وَقَرَأَ العَرَبِيَّةَ بِعَلِيٍّ
إِمَامِ الجَمَاعَةِ الأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ الفَتْخَارِ ، وَجَوَّادِ عَلَيْهِ القُرْآنَ بِالقُرْبَانِ
السَّبْعِ ، وَقَرَأَ عَلِيٌّ الأُسْتَاذَ أَبِي سَعِيدِ بنِ أَسْبَاطِ

- نظام انصاف المشرق ، نفس المتضاه . وقد كان قاضي الجماعة الأندلسي ، وهو اثر فوايه من احوال ،
لسادة المذهب المالكي ، كما هو معروف بالأندلس والمغرب .

(١) بَقِيٌّ بنِ مَخْلَدٍ مِنْ أشهر فقهاء الأندلس ، وَأَغْرزَهُمْ علما . نشأ في قرطبة ، ورحل إلى
المشرق ، ودرس دراسة مستفيضة ، ودرع بالتحصن في الحديث والرواية . وكان فقيها حرا مخلصا
واسع الأفق . وكانت له حظوة لدى أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ثم رجع إلى قرطبة
وزدهه . وقد اثبت عسراً عمدة الفقهاء والمحدثين بالأندلس ، وتوفي في سنة ٢٧٦ هـ (١٨٩ م) .

(٢) يبدو أن هذا الاسم كان يطلق على حتى من أحياء غرناطة المنصعين للزوايا والمدارس .

(٣) ورد في هامش المخطوط بقلم الناسخ ما يأتي تعليقا على مشيخة ابن بق : « وروى -

شعره (١)

أرشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة :

كم أرى مُدْمِنَ لَهْوٍ ودَعَسَةٍ لستُ أخلى ساعة من تبعه
 كان لي عذر لدى عهد^(٢) الصِّبَا وأنا آمل في العُمُسر سَعَه
 أو ما يوقظنا من كَلْنَا أنفأً لقبره قد شَيَّعَه
 سَيِّمًا وَقَد بَدَا في مَفْسرِقِي ما إخال الموت قد جاءَ معه
 فدعوني ساعة أبكى على عُمُسرٍ أمسيت مَمَّن ضيَّعَه
 ومن شعره في النوم ، وهو كثير ما يَطْرُقُه :

أباد البينُ أجساد التَّسْلَاقِ وحالت بيننا خيلُ النَمْرَاقِ
 فجددوا وارحموا وارثوا ورقوا على مَنْ جَفَنُه سَكَب المَآقِ
 ومن ذلك ما أنشد في النُّوم على لسان رجل من أصحابه :

يا صاحبي قِنَّمَا المَطَايَا واشفِقًا فالعُبَيْد عَبَسَدَه
 إذا انتهى وانقضى زمان [هل يرسل]^(٣) الله من يردُه
 مولده : في الثاني عشر لصفبر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة .

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل مراكمة . يكنى أبا عبد الله . وروى بالطراز .

من الشيخ إليه من الخطيب ابن مرزوق التلمساني ، والشيخ الإمام العاصمي أبي عبد الله المقرئ البغدادي .
 عنه ابن ماجه ، وابن أخذ عنه رحمه الله الشيخ أبو عبد الله المنطوري وتزوج بدمه أيضاً . والشيخ
 أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد رواه في والله أعلم - كتابه .

(١) - في نسخة واحدة من " نسج " . وقد رأينا إبهامه لا ينظم السيف .

(٢) - في نسخة واحدة من " نسج " وفي الزبونة (مصر) .

(٣) - هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (فيرسل) .

حاله

من صلة ابن الزبير : كان رحمه الله مُقْرِياً جليلاً ، ومحدثاً حافلاً ، به نُخَيْمَ بالمغرب هذا الباب البتة . وكان ضابطاً مُتَقِناً ، ومُتَمِّداً حافلاً ، بارع الخط ، حسن الوراقة ، عارفاً بالأسانيد والطُّرق والرِّجال ، وطبقاتهم ، مُقْرِياً عارفاً بالأسانيد والقراءات ، ماهراً في صناعة التَّجويد ، مشاركاً في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك ، كاتباً نبيلاً ، مجموعاً فاضلاً مُتَخَلِّقاً ، ثقةً فيما رَوَى ، عدلاً ممن يُرجع إليه فيما قيد وضبط ، لإتقانه وحذقه . كتب بخطه كثيراً ، وترك أمهات حديثية ، اعتمدها الناس بعده ، وعولوا عليها . وتجرد آخر عُمره ، إلى كتاب « مشارق الأنوار » تأليف القاضي أبي الفضل عياض ، وكان قد تركه في مَبِيضَةٍ ، في آهبي درجات النسخ والإدماج والإشكال ، وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها^(١) ، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف ، وجمع عليها أصولاً حافلةً ، وأمّهات جامعة ، من الأخرية وكتب اللُّغة : فتخلَّص الكتاب على أتم وجه وأحسنه ، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة . والكتاب في ذاته لم يؤلف بثله .

مشيخته

روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْحُون ، والقاضي ابن الطَّبَّاع ، [وعن أبي جعفر بن سُراحيل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم ، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا]^(٢) وأبي القاسم الملاحى . وأبو محمد

(١) يبدو أن هناك بعض كلمات سقطت من النسخ . واسم متائل في الخطوط

(٢) هذه الزيادة وردة في « الزيتونة » .

الكتّاب وغيرهم ، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده ^(١) ، وبقرطبة عن جماعة ، وبمالقة كذلك ، وبسبّنة . وبإشبيلية عن أبي الحسن بن زرقون ، وابن عبد النور . وبفاس وبمرسية عن جماعة .

قلت : هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله ، واختصرتها لطولها .

توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وسبعمائة ، وكانت جنازته من أحفل جنازة ، إذ كان الله قد وضع له وُدًّا في قلوب المؤمنين .

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النَّفْزِي ^(٢)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا حيّان ، ويلقب من الألقاب المشرقية
بأثير الدين

حاله

كان نسيج وحده في ثقوب الدهن ، وصحة الإدراك [والحنظ] ^(١) والاضطلاع بعلم العربية ، والتفسير وطريق الرواية ، إمام النحاة في زمانه غير مُدافع ، نشأ ببلده غرناطة ، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك ، وتغيير السوابق في مضممار التحصيل . ونالته نبوة لحق بسببها بالمشرق ، واستقر بمصر ، فمال ما شاء من عز وشهرة ، وتأنل وبرّ وحظوة ، وأضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ، ملجأً وعدة . وكان شديد البسّط ، مهيباً ، جهّورياً ، مع الدعابة والغزل ، وطرح السمت ، شاعراً مكثراً ، مليحاً

(١) هذه الزيادة في الزنونة .

(٢) نسبة إلى قبيلة نضرة ، وهي من القبائل المغربية ، التي عبر الكثير من أبنائها إلى الأندلس في فترات مختلفة .

الحديث ، لا يُعملُ وإن أطال ، وأسَنَّ جداً ، وانتفع به . قال بعض أصحابنا ، دخلت عليه ، وهو يتوضأُ ، وقد استقرَّ على إحدى رجليه لغسل الأخرى ، كما تفعل البرُّك والأوزُ ، فقال لو كنت اليوم جار شلير^(١) ، ما تركني لهذا العمل في هذا السن .

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذ حايض الرياسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه ، وانتسب إليه ، وانتفع به ، وشاد له بالمشرق ذكراً كبيراً . ويقال إنه نادى في الناس عند ما بلغه نعيه ، وصلى عليه بالقاهرة ، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها ، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر على بن محمد الرعيني الطباع ، والخطيب الصالح وليُّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي ابن ابراهيم بن فضيلة المعافري . وروى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين ابن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهرى ، والمكاتب أبي سهل اليُسربن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليُسربن القشيري ، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هرون الطائى بتونس ، وعلى المُسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن اسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسنى بالأسكندرية ، والمُسند الأصولى وجيه الدين أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصارى بالشعر ، والمحدث نجيب المدين^(٢) أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة ، وغيرهم ممن يشق إحصاؤهم . كالإمام بهاء الدين محمد بن ابراهيم

(١) يقصد أنه لو كان بفرنطة على مقربة من جبل شلير أو جبل الناج (Sierra Nevada)

الذى يشرف على غرناطة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الريتونه» (جباب الدين) .

ابن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي . قرأ عليه جميع كتاب سيوييه في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وقال له عند ختمه ، لم يقرأ على أحد غيره .

تواليافه (١)

وتواليافه كثيرة ، منها شرحه كتاب « تسهيل الفوايد لابن مالك » . وهو بديع ، وقد وقفتُ على بعضه بقرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمائة . وكتابه في تفسير الكتاب العزيز ، وهو المسمى « بالبحر المحيط » تسمية زعموا موافقة للغرض . وألف كتاباً في نحو اللسان التركي ، حدثنا عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا ، كالحاجّ أبي يزيد خالد بن عيسى ، والمقرئ الخطيب أبي جعفر الشقوري ، والشريف أبي عبد الله بن راجح ، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق . وقال حدثنا شيخنا أنير الدين في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية ببيّن القصرين بمنزله منها . قال حدثنا الأستاذ العلامة المتقن أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، سماعاً من لفظه ، وكتباً من خطه بقرناطة ، عن الكاتب أبي إسحق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء ، حدثنا أبو عبد الله بن محمد الغنسي (٢)

القرطبي ، وهو آخر من حدث عنه ، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني . نا حكم بن محمد . نا أبو بكر بن المهندس ، نا عبد الله ابن محمد . نا طالوت بن عياد بن بصال بن جعفر ، سمعت أبا إمامة الباهلي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أكفّلوا لي بيت أهلي لكم في الجنة . إذا حدث أحدكم بلا كذب ، وإذا ابتعن فلا يخن ، وإذا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : « ذكر عبد القادر المتكي في مقدمه شرح السهيل

له ، أن بعضهم ذكر أن تواليافه أبي حيان تربو على خمسين تأليفاً ، رحمة الله تعالى عليه » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (القيسي) .

وعد فلا يُخلف . غضوا أيساركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم .
 وقال ، أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطباع . قال أنشدنا ابن خاتمون .
 قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد . قال أنشدنا أبو عمران مرسى
 ابن أبي تاليد لنفسه :

حالى مع الدهر فى تقلبه كطائر ضم رجليه السريرك
 فهمه فى خلاص مهجته يروم تخايسها فيشتبك

ومن ملحه : قال قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر
 البخارى الفرضى بالقاهرة فى طلب الحديث . وكان رجلاً حسناً طيب
 الأخلاق ، لطيف المزاج ، فكنا نسايرد فى طلب الحديث ، فإذا رأى صورة
 حسنة ، قال هذا حديث على شرط البخارى ، فنظمت هذه الأبيات :

بدا كهلال العيد وقت طلوعه وماس كعصن الخيزران المنعم
 غزال رخيّم الدلّ وافى مواصلا موافقة منه على رغم لوم
 مليح غريب الحُسن أصبح معلماً بخمرة خد بالمحاسن معلم
 وقالوا على شرط البخارى قد أنى فقلنا على شرط البخارى ومسلم
 فقال مولاي أنا البخارى فمن مسلم فقلت له أنت البخارى وأنا مسلم

محتته

حملته حدة الشببية على [التعريض للأستاذ]^(١) أبي جعفر الطباع ، وقد
 وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه ، وتصدى للتأليف
 فى الرد عليه ، وتكذيب روايته ، ورفع أمره إلى السلطان . فادتهض له ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى « الزبوتة » . ووردت فى الإسكوردال الآتى :
 (التعريض على الأستاذ) . والأولى أفضل . .

ونفذ الأمر بتثنيته ، فاختم ، ثم أجاز البحر مُخْتَفِياً ، ولحق بالمشرق
يَلْتَفِتُ خَلْفَهُ

شعره

وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها . فمن مطولاته رحمه الله

قوله :

العقل مُخْتَبِلٌ . والقلبُ مَتَّبِعٌ	لا تَعْدِلَاهُ فما ذو الحبِّ معدول
فما انثنى للصبِّ إلا وهو مقتول	هزَّتْ له أسمراً من خُوطِ قامتها
فكم لها جُمْلٌ منه وتفصيل	جميلةٌ فصل الحسن البديع لها
والشَّعْرُ جَوْهَرُهُ والرِّيقُ مَعْسُولٌ	فالنَّحْرُ مَرْمَرُهُ والنَّشْرُ عَنَبَرُهُ
والخَصْرُ مُخْتَطَفٌ والعنقُ مَجْدُولٌ	والطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ والعَرْفُ ذُو أَرَجٍ
رَدْمًا تُخْرَسُ في الساقِ الخلائيل	هيفاءٌ يَنْبِسُ في الخَصْرِ الوشاح لها
يَشْقِينُ آباؤُها الصَّيْدَ البهاليل	من اللواتي غَدَّاهُنَّ النَّعِيمُ فما
يُسَلِّنُ بعد الصِّحَا حُصْرٌ مكاسيل	نُزِرَ الكلامُ غَمِيَّاتِ الجوابِ إذا
فليس يلحقها دُعْرٌ وتضليل	من حَلِيهَا ومناها مونسٌ وهُدَى
شُوسًا غَيَارَى فَعَقْدُ الصَّبْرِ محلول	حَلَّتْ بِمُنْعَقِبِ الزَّوْرَاءِ زَارَةٌ
على التَّنَائِي لِتَعْدِيْبٍ وتعليل	فمدَّ عن ذِكْرٍ لَيْلِيٍّ إِنْ ذِكْرَهَا
وبادرُ التَّوْبِ إِنْ التَّوْبُ مقبول	أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَأَنْذِرْ بِهِ
قَدْ فَا إِنْ رَضِيَ اللهُ إِنْ العَفْوُ مأمول	وَأُمِّلُ العَفْرَ واسألِكَ مَهْمَهَا
بِزَوْرَةِ المصطفى للعفو تأميل	إِنْ الجِهَادُ وَحَجُّ البَيْتِ مُخْتَمًا
أخا خرام به قد يبلغ السؤل	فشقَّ حَيَزُومَ هذا الليلِ مُسْتَطِيًا
وجهُ أَعْرُوفِ الرجلين نَحْجِيل	أَقْبَّ أَعْوَجَ يعزى للموجيه له

جُفْرٌ حَوَافِرِدُ مُعْرٌ قَوَايِمُهُ
 إِذَا تَوَجَّهَ أَصْغَى وَهُوَ مَلْتَمَتٌ
 وَإِنْ تَعَارَضَ بِهِ هَوَجًا هَاجَ لَهُ
 يَحْمَى حَوَازَةُ الْإِسْلَامِ مُتَّقِيًا
 كِتَابِيًّا قَدْ عَمُوا عَنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ
 فِي رِمَاقِطَ ضَرْبِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ بِهِ
 هَيْجًا يُشْرَفُ فِيهَا الْمُشْرِفِيُّ عَلَى
 تَدِيرِ كَاسِ شُعُوبٍ فِي شُعُوبِهِمْ
 وَإِذَا قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفَيْتَ عَمَلًا
 وَاصِلٍ بِسُرِّ يَابِنِ أَنْدَلَسِ وَالطَّمِ
 يُلَاطِمُ الرِّيحَ مِنْهُ أَبْيَضُ نَفَقٌ لَهُ
 يَعْلُو حَضَارَةٌ مِنْهُ شَامِخٌ جَلَلٌ
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي طُخْيَا لُجْنِيَّةِ أَيُّمٍ
 مَا زَالَتْ الْمَوْجُ تَعْلِيهِ وَتُخْفِضُهُ
 وَكَبُرَ النَّسَاسُ أَعْلَاهُ الرِّنِيمِ
 وَصَافِحُوا الْبَيْدَ بَعْدَ الْيَمِّ وَابْتَدَرُوا
 عَلَى نَجَايِبَ تَتَلَوُهُ أَجْنَاسُ خَيْلٍ
 فِي مَوَكِبَ تَزْحَفُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ
 يَطَارِدُ الْوَحْشَ مِنْهُ فَيَلْقَى لَجِبٌ
 سَيُوفُهُمْ طُرْبٌ نَحْوَ الْحَجَّازِ فَهَمُ
 شَعْتُ رُؤْسَهُمْ يُبَسِّسُ شِفَاهُهُمْ
 حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَيْتِ الْإِلَهِ لَهُمْ

ضُفْرٌ أَيَاظِلُهُ وَلِلدَّيْسِلِ عَشْكَوْلُ
 سَسَاعِرٌ اعْتَقَمَا فِيهِنَّ تَأَلِيْلُ
 جَرِيٌّ يُرَى الْبَرْقُ عَنْهُ وَهُوَ مَخْذُولُ
 كِتَابِيًّا غَضَّ مِنْهَا الْعَرَضُ وَالطُّوْلُ
 مِنَ الْكِتَابِ وَغَرَّتْهُمْ أَبَاطِيْلُ
 سُرَادِقًا فَعَالِيَهُمْ مِنْهُ تَخْيِيْلُ
 هَامَ الْعَدُوُّ وَيَصْحَبُ النَّقْعَ تَضْلِيلُ
 فَكَلَّهْمُ مُنْهَلٌ بِالْمَوْتِ مَعْلُوسُ
 لِلْحَجِّ فَالْحَجُّ لِلْإِسْلَامِ تَكْمِيلُ
 رَفَ أَدْهَمُ بِالْأَشْطَانِ مَعْدُولُ
 مِنَ السَّحْبِ الْمُرْبِسِ الْكَلِيْلُ
 سَامٌ طَفًا وَهُوَ بِالنَّكْبَاءِ مَحْمُولُ
 يَخْرُو أَدِيمُ السَّيْلِ شِمْلِيْلُ
 حَتَّى بَدَأَ مِنْ مَنَارِ الثَّغْرِ قَنْدِيْلُ
 وَكَلَّهْمُ طَرْفُهُ بِالشَّهْدِ مَكْحُولُ
 سُبُلًا بِهَا لَجْنَسَابُ اللَّهِ تَوْصِيْلُ
 بِهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ وَمَعْتَمُولُ
 أَضْحَتْ وَمُوحِشَهَا بِالنَّاسِ مَأْمُولُ
 حَتَّى لَقَدْ دَعَرَتْ فِي بَيْدِهَا الْغُولُ
 ذَوُو ارْتِيَا حَ عَلَى أَكْوَارِهَا مِيْلُ
 خَوْصٌ عِيُونُهُمْ غَرْبٌ مَهَايِيْلُ
 نَوْرٌ إِذَا هَمَّ عَلَى الْغَيْرِ أَرَا حِيْلُ

يُعَفَّرُونَ وجوهاً طالما سَمَتْ
 حَفُّوا بكعبة مولاهم فكَعَبُهُم
 وبالصففا وقتهم صافٍ بسعيهم
 تعرَّفوا عرفاتٍ واقفين بها
 لما قضينا من الغراء مَنَسَكَنَا
 شدنا إلى الشَّد قممات التي سكنت
 إلى الرسول تُزجى كل تعلقة
 من أنزلت فيه آيات مطهرة
 وعطرت من شذاه كل ناحية
 سر من العالم العلوى ضمَّنه
 نور تمثَّل في أبصارنا بشرًا
 لقد تَسامى وجبريلُ مُصاميهِ
 أوحى إليه الذي أوحاه من كُتُب
 يتلو كتاباً من الرحمن جاء به
 جارٍ على منهج الأعراب أعجزهم
 بلاغةً عندها كعَّ البليغ فلم

ومنها :

وطولبوا أن يُجيبوا حين رابهم
 لاذو بدو بيان خطى وبتر ظبسا
 فمونت في جبال الوهد منحدرد
 مازال بالعصب هتاكاً سوايغهم
 وقد تحطم في نحر العدا قصد
 بسورة مثله فاستعجز القيل
 يوم الوغا واعتراهم منه تنكيل
 وموثق في حبال الغد مكبول
 حتى انشئ العصب منهم وهو مفلول
 أصم الشج وخانتها العواميل

من لا يُعَدُّهُ القرآنَ كان له من الصَّفادِ وبيض البتْرِ تعديل
 وكم له معجزاً غير القرآن أتي فيه من الحقِّ مَنْقولٌ ومُقول
 فلرسول انشِيقاً البدرِ نَشَهُدُه كما لموسى انفِلاقَ البحرِ مَنْقول
 ونبع ماءِ فراتٍ من أنامله كالعين ثرَّت فجا الهتان ماءُ النيل
 رووا الخميس وهم زهاء سبع مَيَّ مع الركبِ فَمَشروبٌ ومَحْمول
 ومَيَّ عينٌ بكفٍّ جاءَ يحملها قَتادةٌ وله شكوى وتَعْوِيل
 فكانت أحسنَ عينيه ولا عجبٌ مسَّت أناميل فيها اليُمنُ مَجْعول
 والجذع حنَّ إليه حين فارقه حنينٌ ولَهَى لها للدرِّومِ مشكول
 وأشيع الكثر من قِلِّ الطعام ولم يكن ليعوزه بالكثُرِ تَقْلِيل
 وفي جراب لي هنَّ عجائب كم يَمْتارُ منه فَمَبْدُولٌ ومَأْكول
 وفي ارتواءٍ لي ذرٌّ بزمزم ما يكفى تَبَدَّنَ منه وهو مَهْزول
 والعنكبوت بباب الغار قد نسجت حتى كأنَّ رداءً منه مسدول
 وفرَّخت في جِماه الورق ساجعة تَبكى وما دُمعُها في الخدِّ مَطْلول
 هذا وكم معجزات للرسول أتتْ لها من الله أمداد وتَأْصِيل
 غَدَّت من الكثر أعداد النجوم فما يُحصى لها عدداً كَتَبٌ ولا قِيل
 قد انقَضتْ معجزات الرُّسل منذ قضاوا نَحْباً وأعْجَمَ منها ذلك الجِيل
 ومعجزات رسول الله باقيةٌ محفوظةٌ ما لها في الدهرِ تحوِيل
 تكفل الله هذا الذِّكرَ يحفظه وهل يَضِيعُ الذي بالله مَكْفول
 هندي المفاخرُ لا يَحْظَى الملوك بها المُلكُ منقطعٌ والوحي مَوْصول^(١)
 ومن مطولاته في غرض يظهر منها :
 هو العِلْمُ لا كالعلمِ شيءٌ تراوِدُه لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

(١) وردت هذه القصيدة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

وما فضل الإنسان إلا بعلمه
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا
وفي كلها خيرٌ ولكن أصلها
به يُعرف القرآن والسنة التي هما
وناهيك من علمٍ على مُشيد
لقد حاز في الدنيا فخاراً وسوداً
هو استنبط العلم الذي جلّ قدره
وساد عطا نجله وابن هرمرز^(١)
وعنيسة قد كان أبرع صحبه
وما زال هذا العلم تُنميه سادة
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد
وبالبصرة الغراً قد لاح فجره
يا ذكي الورى ذهناً وأصدق لجة
وما أن يروى بل جميع علومه^(٢)
هو الواضع الثاني الذي فاق أولاً
فقد كان ربانيّ أهل زمانه

وما امتاز إلا ثاقبُ الذهن واقده
يطول علينا حصرها ونكايده
هو النحو فاحذر من جهول يعانده
أصلُ دين الله ذو أنت عابده^(١)
مبانيه أعزُّ بالذي هو شايده
أبو الأسود الديلي^(٢) فللجّر سانده
وطار به للعرّب ذكرٌ نعاوده
ويحيي ونصر ثم ميمون ماهده
فقد قلّدت جيد المعالي قلايده
جهايزة تبلى به وتعاضده
من الأزد تُنميه إليه فرايده
أقرّ له بالسبق في العلم حاسده
فنارت أدانيه وضاءت أبايده
إذا ظنّ أمراً قلتُ ما هو شاهده
بداية أعميت كلّ حبرٍ تُجالده
ولا ثالثُ في الناس تصمى قواصده
صومٌ قومٌ رايغ الليل ساجده

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالأتي (أصل
ذا الدين الذي أنت عابده) .

(٢) الإشارة هنا إلى أبي الأسود الذي يعتبر أول واضع للنحو ، المتوفى سنة ٦٩ هـ .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالأتي (وتبادر

نبطاً لوجه وابن حيدر) .

(٤) وردت هاه شطرة في الزيتونة كالأتي (وما أن يرى مثل تجمع علومه) .

يقيم منه دهره^(١) في مَثُوبَةٍ
 فعَامٌ إِلَى حَجِّ وَعَامٌ لَغَزْوَةٍ
 وَلَمْ يُثْنِهِ يَوْمًا عَنِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى
 وَأَكْثَرَ سَكَنَاهُ بِتَمَفَّرٍ بِحَيْثُ لَا
 وَمَا قُوَّتُهُ إِلَّا شَعِيرٌ يُسَيِّغُهُ
 عَزُوبًا عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ زَهْرَاتِهَا
 وَلَمَا رَأَى مِنْ سَيَّبِيوِيهِ نَجَابَةَ
 تَخْيِرُهُ إِذْ كَانَ وَارِثَ عِلْمِهِ
 وَعَدَمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا عُلُومِهِ
 فَإِذْ ذَلِكَ وَافَاهُ مِنَ اللَّهِ وَعَدُّهُ
 أَتَى سَيَّبِيوِيهِ نَاشِرًا لِعُلُومِهِ
 وَأَبْدَى كِتَابًا كَانَ فَخْرًا وَجُودَهُ
 وَجَمَعَ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى
 بِعَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قُنْبَرِ الرِّضَا
 عَلَيْكَ قُرْآنَ النَّحْوِ نَحْوَ ابْنِ قَنْبَرٍ
 كِتَابَ أَبِي بَشِيرٍ^(٢) فَلَا تَكُ قَارِيًا
 هُمْ خُلُجٌ بِالْعِلْمِ مَدَّتْ فَعِنْدَمَا
 وَلَا تُعَدُّ عَمَّا حَازَهُ إِنَّهُ^(٣) الْفَرَا
 إِذَا كُنْتَ يَوْمًا مُحْكَمًا فِي كِتَابِهِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الدهر) .

(٢) أبو بشر ، هو كنية سيبيويه ، فهو أبو بشر عمرو بن عثمان .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فهو) .

ولست تبالى إن فككت رموزه
هو العَضْبُ إن تلق الهياج شهرته
تلقاه كلُّ بالقبول وبالرضى
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة
وجسره طعن الميرد قبله
هُما ما هُما صارامدى^(٢) الدهر ضحكة
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسه
ولم يشتغل إلا بنزر مسابيل من
وقد نال بين الناس جاهاً ورتبة
وما ذاق للآداب طعاماً ولم
فينكح أبكار المعاني ويبتغي لها
رأى^(٣) سيبويه فيه بعض نكادة
فقلت أتيت ما أنت أهل لفهمه
لعمرك ما ذو لحية وتسمت
فيمشى على الأرض الهوينا كأنما
وإيهامك الجهال أنك عالم
بأجلب للنحو الذى أنت هاجر

أعصك دهر أم عزتك ثرايده
وإن لا تُصِب حرباً فإنك غامده
فدو الفهم من تبدو إليه مقاصده
وكان طرياً لم تقادم معاهده
وإن الشمالى^(١) بارد الذهن خامده
يزيف ما قالا وتبدو مفاصدُه
تبارى أبا بشر ، إذا أنت فاسدُه
وقد ظن أن النحو سهل مقاصده
الفقه وفى أوراقه هو راصده
وأهلك عن نيل المعالى ولا يديه
يبت يعنى بمنظوم ونثر يجاوده
الكفو من لفظ بها هو عاقده
وعجمة لفظ لا تجل معاقده
وما أنت إلا غايض الفكر راكده
وإطراق رأس والجهات تساعده^(٤)
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وأنك فرد فى الوجود وزاهده
من الدرس بالليل الذى أنت هاجده

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (النخلى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (امد) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أرى) . وفى الزيتونة (روى) . و نعتقد أن التصويب

أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (تصاعده) و نعتقد أن الأولى أرجح .

أصاحِرِ تَجَنَّبَ مِنْ غَوِيٍّ مُخَذَلٍ وَخَذَ فِي طَرِيقِ النَّحْوِ أَنْكَرَ رَاشِدِهِ
لَكَ الْخَيْرُ فَادَّأَبَ سَاهِرًا فِي عِلْمِهِ [فَلَمْ تُشْمِمْ] ^(١) إِلَّا سَاهِرَ الطَّرْفِ سَاهِدُهُ
وَلَا تَرَجُّ فِي الدُّنْيَا ثَوَابًا فَإِنَّمَا لَدَى اللَّهِ حَقًّا أَنْتَ لَا شَكَّ وَاجِدُهُ
ذُوو النَّحْوِ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ حَظُوظَهُمْ وَذُو الْجَهْلِ فِيهَا وَافِرٌ الْحِظُّ زَائِدُهُ
لَهُمْ أَسْوَةٌ فِيهَا عَلَى لَغْدٍ مَضَى وَلَمْ يَلْقَ فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا يُسَاعِدُهُ
مَضَى بَعْدَهُ عَنْهَا الْخَلِيلُ فَلَمْ يَنْلُ كِفَافًا وَلَمْ يَعْلَمْ حَسُودًا يَنَاطِدُهُ
وَلَا قَى أَبَابِشِرٍ سَفِيهَهَا غَدَاةٌ تَمَالَتْ فِي ضَلَالٍ يُمَادِدُهُ ^(٢)
أَتَى نَحْوَ هَارُونَ ^(٣) يَنَاطِرُ شَيْخِهِ فَانْفَحَ حَتَّى تَبَدَّتْ مَنَاطِدُهُ
فَاطَّرَقَ شَيْئًا ثُمَّ أَبَدَى جَوَابِهِ بِحَقِّ وَلَا كُنْ أَنْكَرَ الْحَقِّ جَاحِدُهُ ^(٤)
وَكَادَ عَلَى عَمْرًا إِذَا صَارَ حَاكِمًا وَقَدْ مَا عَلَى كَانَ عَمْرُو يَكَايِدُهُ
سَقَاهُ بَكَاسٍ لَمْ يَفْقَ مِنْ خِمَارِهَا وَأَوْرَدَهُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ وَارِدُهُ
وَلَابَنَ زِيَادَ شَرِكَةَ فِي مَرَادِهِ وَلَابَنَ رُشَيْدَ بَشْرِكٍ لِلْقَلْبِ رَابِدُهُ
هُمَا جَرَّعَا إِلَى عَلِيٍّ وَقُنْبِيرِ أَفَاوِيقِ ^(٥) سُمِّ لَمْ تَنْجِدَ أَسَاوِدُهُ
أَبْيَكِي عَلَى عَمْرُو وَلَا عَمْرُ مِثْلِهِ إِذَا مُشْكَلٌ أَعْيَا وَأَعْوَزَ نَاقِدُهُ
قَضَى نَحْبَهُ شَرَّخَ الشُّبَيْبَةَ لَمْ يُرْعَ بِشَيْبٍ وَلَمْ تَعْلُقْ بِدَامٍ مَعَاقِدُهُ
لَقَدْ كَانَ لِلنَّاسِ اعْتِنَاءٌ بِعِلْمِهِ بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ تُسْتَنَارُ فَوَايِدُهُ
وَالآنَ فَلَاشْخَصَ عَلَى الْأَرْضِ قَارِيئُهُ كِتَابَ أَبِي بَشْرٍ وَلَا هُوَ رَايِدُهُ
سَوَى مَعْشَرٍ بِالْغَرْبِ فِيهِمْ تَلَفَّتُ إِلَيْهِ وَشَوْقٌ لَيْسَ يَخْبُو مَوَاقِدُهُ ^١

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فلا تسافر) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بغادده) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هو هارون بن موسى . وكان يهوديا من أهل البصرة ، اعتنق الإسلام وانتقل به إلى

واشتهر بفضيلة النحو والبراهمة فيه .

(٤) وردت في الإسكوريال (جاهده) . والتصويب من الزيتونة .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (أباريق) والاولى أرجح .

وما زال منّا أهلُ أندلسٍ له
 وإني في مصر على ضعفِ ناصري
 آثار أثيرُ الغُربِ للذبحِ كامنًا
 وأحيا أبوحَيَّانَ مَيِّتَ علومه
 إذا مغربي حطَّ بالشعرِ رَحْلَه
 مُنيبنا بقومِ صُدُّوا في مجالس
 لقد أحرَّ التصدير عن مُستحقِّه
 وسوف يلاقى مَنْ سَعَى في جلوسهم
 علا عقلمه فيهم هواه فما ذرى
 أقمنا بمصر عشرين^(١) حجة يُشاهدنا
 فلما نزلَ منهم مدى الدهر طايلا
 لنا سلوة^(٢) فيدن سرِّدنا حديثهم
 أخى إن تصيل يوماً وبلِّغت سالماً
 وقبَّل ثرى أرض بها حلَّ ملكنا
 مُبيد العدا قتلاً وقد عمَّر شرهم
 أفاض على الإسلام جوداً ونجدةً
 وعمَّ بها إخواننا بتحيَّة
 جزى الله عنا شيخنا وإمامنا
 لقد أطلعت جياناً أوحد عصره

جهاًبذُ تُبدي فضله وتُناجده
 لناصره ما دمت حياً وعاضده
 وعالجه حتى تبيدت قواعده
 فأصبح علمُ النحو ينمق كاسده
 تيقن أن النحو أخفساه لاحده
 لإقراءِ علمِ ضلَّ عنهم مرأشده
 وقدم غمراً خامدُ الذهن جامده
 عُقبى ما أكننت عقبايده
 بأن هوى الإنسان للنار قايده
 ذو أمرهم ونشاهدده
 ولما نجد فيهم صديقاً نوادده
 وقد يتسلى بالذى قال سارده
 لغرناطة فانمذ لما أنا عامده
 وسلطاننا الشَّهمُ الجميلُ عوايده
 ومُحبي النداء فضلاً وقد رمَّ هامده
 فعزَّ مواليه وذلَّ مُعانده
 وخُصَّ بها الأستاذُ لا عاش كايده
 وأستاذنا الحَبيرُ الذي عمَّ فايده^(٣)
 فللغرب فخرٌ أعجز الشرق خالده

(١) رردت في الإسكوريال (نحو) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أسوة) .

(٣) يشير هنا إلى استاذه أيام دراسته بغرناطة العلامة الخدث المقرئ المغوى أبو حمزة ابن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨ هـ ؛ وأصله من مدينة جيان . وقد ترجم به ابن الخطيب في المحلِّ الأوم من الإحاطة (الطبعة الثانية ص ١٨٨ - ١٩٣) .

مؤرخةٌ نحويةٌ وإمامةٌ مُحدثةٌ
 جاءَ عظيمٌ من ثقيفٍ وإنما به
 وما أنس لا أنسى سُهادى ببابه
 فيجتلو بنور العلم ظلمة جهلنا
 وإننى وإن شطت بنا غربة النوى
 بغرناطة رُوحى وفى مصر جُثتى
 أبا جعفر خذها قوافى من فتى
 يسيرُ بلا إذن إلى الأذن حسنُها
 غريبةٌ شكلي كم حوت من غرايب
 فلولاك يامولاي ما فاه مقولى
 لهدبنتى حتى أحوك^(١) مُفوقاً
 وأذكيت فكري بعد ما كان خامداً
 جعلتُ ختاماً فيه ذكرك إنسه
 ومما دُونَ المطولات قوله رحمه الله :
 تفردت لما أن جمعت بذات
 فلم أر فى الأكوان غيراً لأنسى
 وقدستها عن رتبة لو تعينت
 فها أنا قد أصعدتها عن حضيضها
 تشاهد معنى روضةٍ أذمب العنسا
 أقامت زمانا فى حجاب فعندما
 لنقضى بها ما فات من طيب أنسنا بها وننال الجَمع بعد شستات

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى «الزيتونة» (أجود) .

ومن النسب قوله :

وثنوى الأسي عندي وأسي راحا
نشرا وما زال الهوى إفصاحا
ومن الإشارة ما يكون صراحا
ويروم عنى جفوةً وجماحا
ضدين ذا ليلاً وذاك صباحا
ولكم بأرواح أثار جراحا
أخذ البرى فما بيطيق براحا
أخوه البدر عارف لآحا
ومدت لتوصال جناحا

كتم اللسان ومدعى قد باحا
إنى أحب طي ما نشر الهوى
ومهجتي من لا أصرح باسمه
ريم أروم حنوه وجنوحه
أبدى لنا من شعره وجبينه
عجبا له يأسو الجسم بطنه
فبلقظه برء الأخيد ولحظه
ناديته فى ليلة لا ثالث إلا
يا حسنها من ليلة لو انها دامت

وقال :

ورضى بجفئك أم فتور عقار
وسنى بثغرك أم شعاع دزار
غدت قيد القلوب وفتنة الأبصار
أغضى حياً فى سكون وقار
من نرجس مع وردة وبهار
فأدار من أسر سجاج عذار
ليردن شهدة ريقه المعطار
فوقفن بين الورد والإصدار
ولقد وشى بى فيه فرط أوار

نور بخدك أم توقد نار
وشداً بريقك أم تارج مسكة
جمعت معانى الحسن^(١) فيك فقد
متصاون خفير إذا ناطقتسه
فى وجهه زهرات لفظ تجلى
خاف اقتطاف الورد من جنباتها
وتسللت نمل العذار بخده
وبخده ورد حمتها وردها
كم ذا أوارى فى هواه محبتى

ومن نظمه من المقطوعات فى شتى الأغراض قوله رحمه الله :

أزحت نفسى من الإيناس بالناس لدا غنيت عن الأكياس بالياس

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال (المسك) والأولى أرجح .

وصرت في البيت وحدي لا أرى أحداً
وقال :

وزهدني في جمعي المال أنه إذا
فلا رُوحه يوماً أراح من العنسا
وقال :

سَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ شَعْرِهِ نَحْوَ صَدْغِهِ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّ سِلْسَالَ رِيْقِهِ
وقال :

راض حبيبي عارضٌ قد بدا
وظنَّ قومٌ أن قلبي سالا
وقال :

سال في العخدِّ للحبيب عذار
وسألتُ التثامه فتجنى
وقال :

جُنت بها سوداء لونٍ وناظرٍ
وجدتُ بها بَرْدَ النعيمِ وإنَّ
وقال في فتي يُسمى مظلوم :

وما كنت أدري أن مالك مُهجتي
إلى أن دعاني للصبأ^(١) فأجبتسه
ويا طالما كان الجنون بسوداء
فؤادي منها في جحيم والأواء
يَتَسَمَّى بمظلوم وظلم جنساوه
ومن يك مظلوماً أُجيب دعاؤه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصلاد) .

وقال :

جُنَّ غَيْرِي بِعَارِضٍ فَتَرَجَّى
أَهْلَهُ أَنْ يَنْفِيقَ عَمَّا قَرِيبُ
وَفَوْادِي بِعَارِضِينَ مَصَابُ
فَهُوَ دَاءٌ أَعْيَى دَوَاءَ الطَّبِيبِ

وقال :

شَكِي الْخَصْرَ مِنْهُ مَا يَلَاقِي بَرْدُفَهُ
وَأَضْعَفَ غِصْنَ الْبَانِ جَرًّا كَثِيبُ
إِذَا كَانَ مِنْهُ الْبَعْضُ يُظْلَمُ بَعْضُهُ
فَمَا حَسَالَ شَطُّ الْمَزَارِ غَرِيبُ

وقال :

وَذُو شَفَقَةٍ لَهَا زِينَتٌ بِشَامَةٍ
مِنَ الْمَسْكِ فِي رُشَافِهَا يَذْهَبُ النَّسْكَ
ظَدِيتَ إِلَيْهَا رِيْقَةً كَوَثْرِيَّةَ
بِمَثَلِ لِقَائِي تُغْرِهَا يُنْظِمُ السَّلْكَ
تَعَلَّ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابِيَهُ
مُدَامَ مِنَ الْفَرْدِ وَسِرُّ خَاتَمِهِ مِسْكَ

وقال :

أَجَلُّ شَفِيعٍ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ
دِرَاهِمُ بَيْضٍ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ^(١) أَسْهَلًا مَا تَرَى
وَيَقْضِي لِبَانَاتٍ لِلنَّفْتَى وَهُوَ نَائِمُ

وقال :

نُعِيدُ وُدَّ قَرِيبٍ ضَلَّ
كَبِيرَ عَتَبٍ قَلِيلٌ عَتَبَا
كَالشَّمْسِ ظَرْفًا كَالْمَسْكِ عَرْفًا
كَالْخَشْفِ طَرْفًا كَالصَّخْرِ قَلْبَا

وقال :

عُدَاتِي لِمَنْ فَضَّلَ عَلَيَّ وَمَنْسَةٌ
فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنَ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هَمْ بِحَثْوَا عَنْ رَيْتِي فَاجْتَنِبْتُمَا
وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبَتْ الْمَعَالِيَا

مولده : ولد بقرنطرة عام اثنين وخمسين وستاية .

هكذا وردت في الإزسكوريال . وفي التزيتونة (خي) .

وفاته : أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُورِي رحمه الله .
قال ، توفي عام خمسة وأربعين وسبع مائة بمصر ، ودفن بالقرافة . وكانت
جنازته حافلة .

ومن الطارين عليها في هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكبي^(١)

من أهل بَلَدَش^(٢) يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الكماد

حاله

من « عايد الصلوة » : كان من جلة صدور [الفقهاء]^(٣) الفضلاء
زهدا وقناعة وانقباضا ، إلى دماثة الخلق ، ولين الجانب [وحسن اللقاء]^(٤)
والسداجة المموهة بالغفلة ، والعمل على التقشف والعزلة ، قديم السماع
والرحلة ، إماما مشهورا في القراءات ، يُرحل إليه ، ويعول عليه ، إتقانا
ومعرفة منها بالأصول ، كثير المحافظة والضبط ، محدثا ثبتا ، بليغ
التحرز ، شديد الثقة ، فقيها متصرفا في المسائل ، أعرف الناس بعقد
الشروط ، ذا حظ من العربية واللغة والأدب . رحل إلى العُدوة ، وتجول في
بلاد الأندلس ، فأخذ عن كثير من الأعلام ، وروى وقيد وصدف وأفاد ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللبكي) .

(٢) بلش اوبلش مالقة وبالإسبانية Velez Malaga هي بلدة أندلسية قديمة تقع على قيد
ثلاثين كيلومترا من شرق مالقة وعلى قيد خمسة كيلو مترات من البحر المتوسط ، ويبلغ سكانها
اليوم نحو ثلاثين ألف نسمة .

(٣) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الاسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في الاسكوريال ، وساقطة في الزيتونة .

وتصدّر للإقراء بغرناطة وبَلَّش وغيرهما ، وتخرَّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة ، وانتفعوا به .

(١) مشيخته

قرأ ببيلده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد ابن أبي بكر الرُّقُوطي ، والمُقَرِّي أبي الحسن بن خلف الرُّشَاطي ، والمحدِّث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عَيْشُون اللخمي ، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطَّاب الغافقي المُرسِي . ومن أجازَه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البَطْرَني ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، لقيه ببَلَّش مالقة وبَسْطَة ، فروى عنه الكثير ، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي لقيه بالمرية . ولقي بغرناطة الأستاذَ أبا جعفر الطَّبَّاع ، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن جُزَي الكلبِي ، روى عنه وأجازَه . وكسب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب ، حسبما تضمنه برنامجه .

توالياً

اختصر كتاب « المقتنع » في القراءات اختصاراً بديعاً وسماه كتاب « الممتع في تهذيب المقتنع » وغير ذلك .

شعره

من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصَّقر في فضل الحديث :

(١) وردت للمترجم له في مخطوط الزيتونة « مشيخة » طويلة من نحو لوحين . وقد رأى ناسخ الإسكوريال أن يضرب صفحا عنها ، وأن يكفي بقوله : « قلت له مشيخة في الأصل طويلة اختصرتها لطلوها » . وقد رأينا نحن أن نورد مشيخته مختصرة من الزيتونة ، وأن نقتصر فيها على عدد من جلة الأساتذة الذين أخذ عنهم المترجم له .

لقد حاز أصحابُ الحديثِ وأهلُه
وصحَّتْ لهم بين الأنامِ مزيَّةٌ
بدعوةِ خيرِ الخلقِ أفضلِ مُرسلِ
فهم دونوا عِلْمَ الحديثِ وأتقنوا
وجاءوا بأخبارِ الرُّسولِ وصحبه
وهم نقلوا الآثارَ والسُّننَ التي
وما قصَّروا فيها بفقهِ ولا ونوا
وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم
جزاهم إلهُ العرشِ عنا بنصحهم
ونسَلَه سبحانه نَهجَ هَديهم

ومن شعره رحمه الله قوله :

عليك بالصَّبرِ وكُن راضياً
واسلُك طريقَ المجدِ والهَجِّ به
بما قضاه اللهُ تَلقى النِجَاحَ
فهو الذي يرضاه أهلُ الصِّلاحِ

وقد أَلَّفَ شيخنا أبو البركات بن الحاج ، جزءاً سماه «شعر من لا شعر
له» ، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير

مولده : قبل الأربعين وسمايه . وتوفى ثانياً شهر الله المحرم عام اثني عشر

وسبعماية

(١) هذه قصيدة واردة في الإسكورييل وساقفة في ريبونة .

« انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب « الإحاطة في تاريخ
 غرناطة » . يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله . ومن السفر الثامن
 من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله »^(١) .

(١) بعد اختتام السفر السابع من كتاب « الإحاطة » على هذا النحو ، أورد الناسخ نبذة طويلة
 استهأها يقوله أن الأستاذ أبا جعفر بن الزبير قيد بخطه « تقييدا حسنا ساير فيه طبقات الأمم لصاعد
 فنقص منها ، وزاد في بعض أسماء رجالها حكايات وأخبارا » . ويدور الحديث في هذه النبذة كلها ،
 عن فلاسفة اليونان أوحكامها الخمسة بيقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، وعن
 أخبارهم وآرائهم ، ويتناول بصفة خاصة آراء أرسطاطاليس ومؤلفاته وعلاقته بالأسكندر المقدوني .
 وقد رأينا نحن أنه لا محل لإيراد هذه النبذة ، لأنه لا علاقة لها بكتاب الإحاطة ، وهي تشغل من مخطوط
 الإسكوريال (لوحات ١٠٢ إلى ١٠٥) .

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الفسّاني

من أهل مالقه ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

كان من أهل العلم والفضل والدين المتين ، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه . استظهر كتاب « الجواهر » لابن شاس ، واضطلع بها : فكان مجلسه من مجالس الحُفَاط ، حُفَاط المذْهَب ، وانتفع به الناس . وكان معظماً فيهم ، متبركاً به ، على سُنن الصالحين ، من الزُّهد ، والانقباض . وعدم المبالاة باللبس والمطعم . وقال صاحبنا الفقيه أبو الحسن النُّباهي في تذييله لتاريخ مالقة : كان رجلاً ساذجاً ، مُخْشَوْسِنًا ، سُنِّي المنازع ، شديد الإنكار على أهل البِدْع . جلس للتَّحْلِيْق العام بالمسجد الجامع . وأقرأ به الفِقه والعربية والفرايض .

مشيخته

قال ، منهم أبو علي بن أبي الأحوص ، وأبو جعفر بن الزبير . وأبو محمد بن أبي السِّداد ، والقاضي أبو القاسم ابن السَّكوت . قال ، وأنشد للزاهد أبي اسحق بن قشوم ، قوله :

يروقك يوم العيد حسنُ ملابس
أجل لحظات الفكر منك فلا تری
ونعمة أجسام ولین قدود
سوی خرق تبلی وطعمة دود
وأنشد لأبي عمرو الزاهد :

تختبرُ الدنیر فی مَیْدِقِ والدَّهرم الزایف اذِیْبهم
والمرءُ إن رُمّت اختباراً له مَیْدِقُه الدنیر والدَّهرم
من عَفَّ عن هذا وهذا معاً فهو التَّقِ الورع المسلم

تواليفه

له تقييد حسن في الفرائض ، وجزء في تفضيل التين على التمر ،
وكلام على نوازل الفقه .
وتوفي في الكائنة العظمى بطريف^(١) .

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتاس^(٢) ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من سُرّة بلده وأعيانهم ، أستاذاً مُتَمَنِّناً
مُتَمَرِّياً لكتاب الله . كاتباً بليغاً ، شديد العناية بالكتب . كثير المغالاة في
قِيمها وأثْمانها ، حتى صار له من أَعْلَاقها وذخايرها ، ما عجز عن تحصيله
كثير من أهل بلده . كتب بخطه ، وقيد كثيراً من كتب العلم . وكان

(١) سبق التعريف بهذه الموقعة (راجع المجلد الثاني من « الإحاطة » ص ١٨٠ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ونرجح أنها ملتاس Montemas من قرى منطقة بلش ،
على نضأ أماكن أخرى في الأندلس الجنوبية مثل . وونتيمبور Montemayor ومونتي فريو Montefrio وغيرها

مُتْقِرِيًّا مَجُودًا ، عَارِفًا بِالْقَرَاءَاتِ ، بِصِيرًا بِالْعَرَبِيَّةِ ، ثِقَةً ضَابِطًا ، مَبْرَزًا فِي الْعَدَالَةِ . حَرِيصًا عَلَى الْعِلْمِ اسْتِمَادَةً ثُمَّ إِفَادَةً ، لَا يَأْنِفُ مِنْ حَدِّهِ عَنْ أَقْرَانِهِ ، وَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُ بَلَدِهِ ، وَالْغُرَبَاءُ أَكْثَرُ .

مَشِيخَتُهُ

أَخَذَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . مِنْهُمْ الشَّيْخَانِ الرَّحْلَتَانِ . أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْكَمَّادِ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَّاتِ عَظِيمَا بَلَدِهِ ، وَالْخَطِيبُ وَلى اللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِي ، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ . وَرَوَى عَنِ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعٍ ، وَابْنِهِ الرَّأْوِيَةَ أَبِي عَامَرَ ، وَالْخَطِيبَ الصَّالِحَ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي . وَرَوَى عَنِ الشَّيْخِ الرَّأْوِيَةَ الرَّحَّالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَامَرَ الْوَادِيَّ آشِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ، وَدَخَلَ غَرْنَاطَةَ . .

مولده : ولد ببليش عام ثمانية وثمانين وستماية

وفاته : توفي ببليش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الفسّاني

من أهل مالقة ، يكنى أبا الحكم ، ويعرف بابن حفيد الأمين

حاله

من « العايد »^(١) : كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين . والجري على سنن الفقهاء المتقدمين ، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة ، في العدول المبرزين ، وجلس للتعليم في المسجد الأعظم من مالقة . بعد فقد

(١) أى كتاب « عايد الصلة » .

أخيه أبي القاسم ، وخطب بمسجد مالقة الأعظم . ثم أُخِرَّ عن الخطبة لمشاخنة وقعت بينه وبين بعض الولاة ، أثمرت في إحتنته . ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة ، والتقيد للعلم ، والاشتغال به ، والعناية بأهله ، إلى أن توفي على خير عمل .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي ، وروى عن جلة من الشيوخ . مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، وشاركه في أكثر شيوخه ، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القبتوري^(١) وغيرهم مولد : ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستاية .

وفاته : توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعماية . ودخل غرناطة غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده ، وفي أغراضه الخاصة

محمد بن أحمد الرقوتي^(٢) المرسي

يكنى أبا بكر

حاله

كان طرُفًا في المعرفة بالفنون القديمة ، المنطق والهندسة والعدد والموسيقى

(١) نسبة إلى قبتور أو كيتور Captor من بلاد منطقة إشبيلية (أنظر المجلد الأول من الإحطة ص ٢١٤ حاشية) .

(٢) نسبة إلى رقوطة ، وبالإسبانية Ricate ، وهي بلدة صاردة في شرق الأندلس . تقع على مقربة من شمال غربي مرسية على الضفة الغربية لنهر شقورة R . Segura

والطَّبِّ ، فيلسوفاً ، طبيباً ماهراً ، آية الله في المعرفة بالألسن . يُقَرِّى الأُمَمَ
بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فنونهم التي يرغبون في تعلمها ، شديد البَآو ، مترفعاً . متعاطياً .
عَرَفَ طَآغِيَةَ الرُّومِ حَقَّهُ ، لما تغلَّب على مرسية ، فبنى له مدرسة يُتَرَى فيها
المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يزل معظماً عنده . ومما يحكى من مُلَحِّه
معه ، أَنه قال له يوماً ، وقد أدنى مَنْزِلَتَه ، وَأَشَادَ بِفَضْلِهِ ، لو تنصَّرت
وَحَصَّلت الكمال ، كان عندي لك كذا وكذا ، وَكُنْتَ كذا ، فَأَجَابَه
بما أَقْنَعَه . ولما خرج من عنده ، قال لأصحابه ، أَنَا الْآنَ أَعْبُدُ واحداً ، وقد
عجزتُ عما يجب له ، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما أَرَادَ منى .
وطلبه سلطان المسلمين ، ثانى الملوك من بنى نصر^(١) ، واستقدمه ، وتلمذ
له ، وَأَسْكَنَه فى أعدل البُقْع من حضرته . وكان الطلبة يَغشون منزله
المعروف له ، وهو بيدى الآن ، فتعلَّم عليه الطب والتعاليم وغيرها ، إذ
كان لا يُجَارَى فى ذلك . وكان قوى العارضة ، مضطَّلاً بالجدل ، وكان
السلطان يجمع بينه وبين مُنتابى حضرته ، ممن يُقدم مُنتحلاً صناعة أو
علماً ، فيظهر عليهم ، لتمكُّنه ودالته . حسبما يابى فى إسم أبى الحسن
الأبدي ، وأبى القاسم بن خَلصون إن شاء الله . وكان يركب إلى باب
السلطان ، عظيم التَّوَدَّة ، مُعار البَغْلَة ، رايق البِرَّة ، رفيق المشى ، إلى أن
توفى بها . سمح الله له .

محمد بن إبراهيم بن المُفَرِّج الأوسى

المعروف بابن الدبَّاع الإشبيلي .

(١) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه لئله وتقوا . وقد
حكى ملكة غرذمة من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .

حاله

كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك ، وفي عَقْد الوثائق ، ومعرفة عِلْمها . عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ . وكان كثير البشاشة ، عظيم الانقباض ، طيب النفس ، جميل المعاشرة ، كثير المشاركة ، شديد التواضع ، صبوراً على المطالعة ، سهل الألفاظ في تعليمه وإقرايه . أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علماءها ، الفقيه وأصوله ، وأقرأ به الفروع والعمائد للعامه مدة . وأقرأ بجامع باب الفخارين ، وبمسجد ابن عزرة وغيره .

مشيخته

قرأ على والده الأستاذ أبي إسحق إبراهيم ، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج ، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج التجيبي القرطبي ، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض
وفاته : توفي برُنْدَة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستاية .

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى

ن أهل مَرْسِيَة - نزيل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الرِّقَام
الشيخ الأستاذ المتفنز

حاله

كان نسيج وحده ، وفريد دهره ، علماً بالحساب والهندسة والطب

والهيئة ، وغير ذلك . مايدُّ الباع . أصيل المعرفة . مضطَّلاً . متبحراً
لا يُشَقَّ غبارة . أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان
ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية ، فانتفع الناس به . وأوضح
المشكلات ، وسُيِّلَ من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة ، ودون في هذ
الفنون كلها ، ولخص ، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين

تواليافه

وتواليافه كثيرة ، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب « الشفا » ،
والزيج القويم الغريب المرصد ، المبنيَّة رسايله على جداول ابن إسحق ،
وعدل مناخ الأهله ، وعليه كان العمل . وقيد أبكار الأفكار في الأصول ،
ولخص المباحث ، وكتاب الحيوان والخواص . ومقالاته كثيرة جداً ،
ودواوينه عديدة .

وفاته : توفي عن سن * عالية بغرناطة في الحادى والعشرين لصفر من عام
خمسة عشر وسبع مائة

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد^(١)

ابن مأمون^(٢) الأنصارى

ونسبه أبو محمد القرطبي ، أمويًا من صريحهم . بلنسى الأصل ،
يكنى أبا عبد الله

(١) وردت في الإسكوريال إلى جانب هذا الإسم كلمة (مكبرا)

(٢) وردت في الإسكوريال (ابن مانون) ، و نرجح التصويب .

حاله

كان صَدْرًا في مُتَمَيِّنِي الْقُرْآن الْعَظِيم . وَأَيِّمَةً تَجْوِيدَهُ ، مَبْرُزًا فِي النُّحُو ،
 إِمَامًا مَعْتَمَدًا عَلَيْهِ ، بَارِعَ الْأَدَبِ ، وَافِرَ الْحِظِّ مِنَ الْبِلَاغَةِ ، وَالتَّصَرُّفِ
 الْبَدِيعِ فِي الْكِتَابَةِ ، طَيِّبَ الْإِمْتِنَاعِ بِمَا يُوْرِدُهُ مِنَ الْفُنُونِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ،
 حَسَنَ السَّمْتِ ، كَثِيرَ الْبِشْرِ ، وَقَوْرًا ، دِينًا ، عَارِفًا ، وَرِعًا ، وَافِرَ الْحِظِّ
 مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ

مشيخته

رَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي رَكْبٍ ، وَأَبِي جَعْفَرَ
 ابْنِ ثَعْبَانَ ، وَأَبِي الْحِجَّاجِ التَّمَقَّالِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ
 ابْنِ عَطِيَّةٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ هُدَيْلٍ ، وَتَلَا عَلَيْهِ
 بِالسَّبْعِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْحِجِيِّ الْغَرْنَاطِيُّ ، وَابْنُ فَرَحِ
 الْقَيْسِيِّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ خَلْفِ بْنِ فُرْتُونٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُمْ أَجَازُوا لَهُ . وَكُتِبَ
 لَهُ أَبُو بَكْرٍ^(١) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُدَيْرٍ ، وَابْنُ الْعَزْفِيِّ ، وَابْنُ قَنْدَلَةَ ،
 فَأَبُو^(١) الْحَسَنِ طَارِقِ بْنِ مُوسَى ، وَابْنُ مُوَهَّبٍ ، وَيُونُسُ بْنُ مُغِيثٍ ،
 وَأَبُو جَعْفَرَ بْنِ أَيُّوبٍ ، وَأَبُو الْحَكَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَشِيَانَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 الْجَبْيَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْبَغْدَادِيِّ . وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَرْبُوعٍ أَنَّ لَهُ رِوَايَةَ عَنْ
 أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ

من روى عنه

رَوَى عَنْهُ أَبُو بَحْرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسٍ . وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَتِيقِ الْأَزْدِيِّ
 وَابْنُ قَتْرَالٍ . وَأَبُو جَعْفَرَ الْجَبْيَارِ ، وَالذَّهَبِيُّ . وَابْنُ عَمِيرَةَ الشَّهِيدِ ،

(١) وردت في الإسكوريال (أبا ثم (فأبا) فافتضى التصويب .

وأبو الحسن بن عزمون . وابن عبد الرزاق . وأبو لحسن عبيد الله بن عاصم
الداري ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو زكريا الجعفري . وأبو سليمان
ابن حوط الله ، وأبو عبد الله الأندلسي ، وابن الحسين بن محبر . وابن
ابراهيم الريسي ، وابن صلتان ، وابن عبد الحق التلمساني ، وابن يربوع .
وأبو العباس العزفي ، وأبو عثمان سعد الحفّار . وأبو علي عمر بن جميع .
وأبو عمران بن إسحق ، وأبو القاسم الطيب بن هرقال ، وعبد الرحيم
ابن إبراهيم بن قريش الملاحى ، وأبو محمد بن دلف بن اليسر . وأبو الوليد
ابن الحجاج .

تواليافه

له شرح على « إيضاح الفارسي » ، وآخر على « جمل الزجّاجي »

مولده : ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

وفاته : توفي بمرسية إثر صدره عن غرناطة عشى يوم السبت لثلاث

عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي

من أهل سرقسطة . سكن غرناطة ثم فاس . يكنى أبا جعفر

حاله

كان مُقرباً محوِّداً محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه . محصلاً لها .

متقدماً في النحو . حافظاً للغة ، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم . جيد

الطير . متوقّد الذّهن . ذكّي القلب . فصيح اللسان . وُلّي أحكام فاس .
وأفتى فيها ، ودرّس بها العربية . كتاب سيبويه وغير ذلك

مُشِيخْتَهُ

روى عن أبي الأَصْبَغِ بن سهل ، وأبوى الحسن الحضرمي ، وابن سابق ،
وأبي جعفر بن جرّاح . وأبي طالب السَّرْقَسْتِي . الأديبين ، وأبوى عبد الله
ابن نصر . وابن يحيى بن دشام المحدث ، وأبي العباس الدلاءي ، وأبي
عبيد الله البكري ، وأبي عُمر أحمد بن مروان القَيْرَوَانِي ، وأبي محمد
ابن قورش ، وأبي مروان بن سراج . وأجاز له أبو الوليد الباجي رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه أبو إسحق بن قرقول ، وأبو الحسن صالح بن خلف ،
وأبو عبد الله بن حسن السَّبْتِي ، وأبو الحسن الأَبْدِي ، وتوفى قبله ،
وابن خلف بن الأيسر ، والنميري ، وأبو العباس بن عبد الرحمن
ابن الصَّقَر ، وأبو علي حسن بن الجزّار ، وأبو الفضل بن هرون الأزدي ،
وأبو محمد عبد الحق بن بونه ، وقاسم بن دَحْمَان . وأبو مروان بن الصَّقِيل
الوَقَّشِي (١)

توَالِيْفُهُ

شرح « إيضاح الفارسي » . وكان قيماً على كتابه ، وصنّف في الجدل
مُصَنَّفَيْنِ ، كبيراً . صغيراً . وله عقيدة حيدة
وفاته . توفى بفاس . وفيل بتامسان سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة (٢)

(١) هكذا ورد في الإسكندرية . ورد في حدود الراجح . لأن قصراً .

نسبة إلى وشقه .

(٢) ورد في « جذوة الإقباس » . من وفاته كانت بتامسان .

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف ابن خلف الأنصاري

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الحاج . وابن صاحب الصلاة .

حاله

كان مُقرباً صَدْرًا في أئمة التجويد ، محدثاً مُتقناً ضابطاً ، نبيل الخطِّ والتقيد ، ديناً ، فاضلاً . وصنّف في الحديث ، وخطب بجامع بلده . وأمّ في الفريضة زماناً ، واستمرت حاله كذلك ، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقعة العقاب^(١) .

دخوله غرناطة ، راوياً عن ابن الفرّس ، وابن عروس ، وغيرهما

مشيخته

روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ ، وأبي الحسن بن كوشر ، وأبي خالد يزيد بن رفاعة ، وأكثر عنه ، وأبوى عبد الله بن عروس ، وابن الفمخار ، وأبي محمد بن حوط الله ، وعبد الحق بن بونّه ، وعبد الصمد ابن يعيش ، وعبد المنعم بن الفرّس ، وأجازوا له . وتلا القرآن على أبي عبد الله الإستجى . وروى الحديث عن أبي جعفر الحصار . وحجّ في نحو

(١) موقعة العقاب وبالإسبانية Las Navas de Tolosa ، نشبت في شهر صفر سنة ٦٠٩ ، بين الجيوش الإسبانية المتحدة ، وبين الجيوش الموحدية وسبق التعريف بها (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٣٢٩ حاشية) .

سنة ثمانين وخمسمائة . وأخذ عن جماعة من أهل المشرق ، كأبي الطاهر الخشوعي وغيره

وفاته : توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة وستماية

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قرال ، من أهل مالقة

حاله

طالبٌ عفيفٌ مجتهدٌ خيرٌ . قرأ بقرنطة ، وقام على فنّ العربية قياماً بالغاً ، وشارك في غيره ، وانتسخ الكثير من الدواوين بخطّ بالغٍ أقصى مبالغ الإجادة والحسن ، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية ، واقتدى بصهره الصّالح أبي عبد الله القطن ، فكان من أهل الصلاح والفضل . وتوفي في محرم عام خمسين وسبعماية .

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك ابن محمد بن سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطنبول^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بالقللوسي

حاله

كان رحمه الله إماماً في العربية والعروض والقوافي ، موصوفاً بذلك .

(١) إسطنبول أو إشتونيه وبالاسبانية Estepona ثغر صغير يقع على شاطئ البحر الموسى جنوبي غربي مالقة ، وشمالى جبل طارق ، على مقربة من ثغر مربلة .

مَنْسُوباً إِلَيْهِ ، يَحْفَظُ الْكَثِيرَ مِنْ كِتَابِ سَيْبُويَه ، وَلَا يَفَارِقُهُ بَيَاضُ يَوْمِهِ ، شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لَهُ ، مَعَ خِفَّةٍ وَطَيْشٍ يَحْمِلُهُ عَلَى التَّوَعُّلِ فِي ذَلِكَ . حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ ، وَقَفَ أَبُو بَكْرٍ الْقَلْلُوسِيُّ يَوْمًا عَلَى الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ الرَّنْدُونَ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْوَقَارِ ، مَهِيْبًا ، وَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، نَقَلَهَا عَنْ سَيْبُويَه ، فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو . أَخْطَأَ سَيْبُويَه . فَأَصَابَ أَبَا بَكْرٍ الْقَلْلُوسِي قَلَقٌ كَادَ يَلْبِطُ بِهِ الْأَرْضَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَوَابِهِ بِمَا يَشْفِي بِهِ صَدْرَهُ لِمَكَانِ رُتْبَتِهِ ، قَالَ ، فَكَانَ يَدُورُ بِالْمَسْجِدِ ، وَالْدُمُوعُ تَنْحَدِرُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ أَخْطَأَ مِنْ خَطِّئِهِ ، يَكْرُرُهَا وَالْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو يَتَغَافَلُ عَنْهُ ، وَيَزُرِي عَلَيْهِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ . مَشَارِكًا فِي فَنُونِ ، مِنْ فِقْهِ وَقَرَاءَاتِ . وَفَرَايِضِ ، مِنْ أَعْلَامِ الْحُفَّاظِ لِللُّغَةِ ، حُجَّةً فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، يُخَطِّطُ بِالْقَافِي عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي الْكُتُبِ . وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيفٌ بَدِيعَةٌ . وَوُلِّيَ الْخُطَابَةَ بِبَلَدِهِ مَدَّةً ، وَقَعَدَ لِلتَّدْرِيسِ بِهِ ، وَأَنْشَأَ عَلَيْهِ النَّاسَ وَأَخَذُوا عَنْهُ . وَنَسَخَ بِيَدِهِ الْكَثِيرَ وَقَيَّدَ ، وَكَانَ يَقْطُرُهُ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ الْفَضْلِ وَالْإِيْثَارِ وَالْمَشَارِكَةِ

توَالِيفُهُ

نَظَمَ رَجَزًا شَهِيرًا فِي الْفَرَايِضِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَنَظَمَ فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي وَأَلَّفَ كِتَابَ « الدَّرَّةُ الْمَكْنُونَةُ فِي مَحَاسِنِ إِسْطَبُونَةِ » ، وَأَلَّفَ تَأْلِيفًا حَسَنًا فِي تَرْحِيلِ الشَّمْسِ ، وَسُوسَطَاتِ الْفَجْرِ ، وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَنَظَمَ أَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ مَلَاْحِنِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، وَأَرْجُوزَةً فِي شَرْحِ كِتَابِ « الْفَصِيْحِ » . وَرَفَعَ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْحَكِيمِ كِتَابًا فِي الْخَوَاصِ وَصَنَعَةَ الْأَمَدَّةِ وَالتَّطْبَعُ الشَّابِ . غَرِيبًا فِي مَعْنَاهِ

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع ، ولازمه ، وأخذ عنه . وعن
أبي القاسم بن الحصار الضرير السبتي ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير
بغرناطة ، وغيرهم .

شعره

من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم :

عُلاه رياضُ أورقت بِمِحامد	تُتورُّ بِالْجَدوى وتُثمر بالأمل
تَسحُّ عليها من نَداه غمامةٌ	تروى ثرى المعروف بالعلِّ والنيل
وهل هو إلا الشمس نفساً ورفعةٌ	فيغرب بالجدوى ويبعد بالأمل
تعمُّ أياديه البرية كلها فدانٍ	وقاصٍ جودٌ كفيه قد شمل

وهي طويلة . ونقلت من خطِّ صاحبنا أبي الحسن النباهي . قال يمدح
أبا عبد الله الرنداحي :

أَطْلِعْ بِأَفقِ الرَّاحِ كاسَ الرَّاحِ	وَصِلِ الزَّمانَ مَساءَهُ بِصَباحِ
خُذْها على رِغمِ العَدولِ مُدامَةً	تَنفِي المَومِ وتَأْتِ بالأفراحِ
والأَرْضِ قَد لَبِستِ بُرودَ أَزاهِرِ	وَتَمَنَّطقتِ من نَهْرها بِوِشاحِ
والجَوِّ إِذْ يَبكى بِدمعِ غمامَةٍ	ضَحِكَ الرَّبيعِ لَه بِشَعرِ أَفصاحِ
والرَّوضِ مَرقومٌ بِوِشَى أَزاهِرِ	والطَّيرِ يَفصَحُ أَيما إِفصاحِ
والغُصنِ من طَرَبِ يَميلِ كَأَنا	سَقيت بِكفِّ الرِّيحِ كَأَسِ الرَّاحِ
والورْدِ مُنتظِمِ على أَغصانِهِ	يَبْدو فَتَحسِبُهُ خَسدودَ مَلاحِ
وكأَنَّ عَرَفَ الرِّيحِ من زَدرِ الرَّبِّي	عَرَفَ امْتِداحِ القايِدِ الرُّنداحِ

وفاته : ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعماية

محمد بن محمد بن محارب الصّريحي

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن أبي الجيش

حاله وأوليّته

أصل سلفه من حصن يُسر من عمل مُرسية ، من بيت حَسَبٍ وأصالة ،
ولخؤولته بالجهة التاكرونية ثورة

وقلت فيه في « عايد الصلة » : كان من صُذور المُقربين ، وأعلام
المُتصدّرين تفنناً واضطّلاعاً ، وإدراكاً ، ونظراً . إماماً في الفرائض والحساب
قايماً على العربية ، مُشاركاً في الفقه والأصول ، وكثير من العلوم العقلية .

قعد للإقراء بمالقة ، وخطب بجامع الرّبض

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي المُتفّنن أبي عبد الله بن بكر ، ولازمه . ثم
ساء ما بينهما في مسألة وقعت بمالقة ، وهي تجويز الخُلف في وَعْدِ الله ،
شنعَ فيها على شيخنا المذكور ، ونسبه إلى أن قال ، وَعْدُ الله ليس بلازم
الصّدق ، بل يجوز فيه الخُلف . إذ الأشياء في حقه متساوية . وكتب في
ذلك أسئلة^(١) للعلماء بالمغرب ، فقاطعه وهجره . ولما ولى القاضي أبو
عبد الله بن بكر القضاء ، خافه ، فوجه عنه إثر ولايته ، فلم يشك في

(١) وردت في الإسكوريال (أسولة) فاقضى التصويب .

الشر ، فلما دخل عليه ، رَحَّبَ به ، وأظهر له القَبُولَ عليه ، والعفو عنه ،
واستأنف مودَّتَه ، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي رحمه الله
ورحل المذكور إلى سَبْتَةَ ، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ومن
عاصره ، ثم عاد إلى مالقة ، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مرات ، متعلِّماً ، وطالب حاج . ودُعِيَ إلى الإقراء بمدرستها
النَّصْرِيَّة^(١) ، عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، فقدم على الباب السلطاني ،
واعْتَذَرَ بما قُبِلَ فيه عُذْرُه . وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب
« التسهيل »^(٢) لابن مالك . في غاية النبل والاستيفاء والحُضْر والتَّوْجِيه ،
عاقته المنية عن إتمامه .

وفاته : توفي بمالقة في كايئة الطاعون الأعظم^(٣) في أخريات ربيع الآخر
من عام خمسين وسبع مائة ، بعد أن تصدق بمال كثير ، وعهد بريع مُجد
لطلبة العلم ، وحبس عليهم كتبه

محمد بن مُب الكِنَانِي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن مُب

(١) المدرسة النصرية أو مدرسة أو جامعة غرناطة ، هي المدرسة الشهيرة التي أسَّسها السلطان
يوسف أبو الحجاج ، في سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) . وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ٣٦ من هذا
المجلد من الإحاطة) .

(٢) هو كتاب « تسهيل الفوائد وتكامل المقاصد » في النحو للعامة المنوي الكبير ابن مالك
الهدني ، صاحبة الألفية الشهيرة . المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) الطاعون الأعظم أو الوباء الحارث هو الوباء العظيم الذي طاف بالشرق وأوربا والأندلس
سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وقد كتب عنه ابن الخطيب رسالة ، مقنعة لسائل عن المرض أسائل « وقد
أشرف إليهم في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٦٨) .

حاله

كان ذاكراً للعلوم القديمة . مُعْنِيًا بِهَا . عَاكِفًا عَلَيْهَا . مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِهَا عَلَى أَهْلِ وَقْتِهِ . لَمْ يَكُنْ يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي مَعْرِفَتِهَا ، مِنْ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ . ذَاكِرًا لِمَذَاهِبِ الْقَدَمَاءِ . وَمَاخِذِهِمْ فِي ذَلِكَ . حَافِظًا جَدًّا ، ذَاكِرًا لِمَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، مِنْ الْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُ يُوَثِّرُ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ مَاخِذِ خِصُومِهِمْ . وَكَانَ نَفُوذَهُ فِي فَهْمِهِ ، دُونَ نَفُوذِهِ فِي حِفْظِهِ ، فَكَانَ مُعْتَمِدَهُ عَلَى حِفْظِهِ فِي إِيرَادِهِ وَمِنَاطِرَتِهِ ، وَكَانَ ذَاكِرًا مَعَ ذَلِكَ لِأَصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ ، عَجَبًا فِي ذَلِكَ ، إِذَا وَرَدَتْ مَسْأَلَةٌ ، أَوْرَدَ مَا لِلنَّاسِ فِيهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ . وَعَزِمَ عَلَيْهِ آخِرَ عَمْرِهِ ، فَقَعَدَ بِجَامِعِ مَالِقَةَ ، يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَوْطَأِ ، وَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِ تَهِيَّاءٍ لِذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ سَتَرَ عَلَيْهِ حِفْظَهُ ، وَتَعْظِيمُ أَهْلِ بَلَدِهِ لَهُ . قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَتْ فِيهِ لَوْثَةٌ ، وَاخْشِيشَانٌ ، وَكَانَ لَهُ أَرْبُ فِي التَّطَوُّافِ ، وَخِصُوصًا بِأَرْضِ النَّصْرِيِّ (١) ، يَتَكَلَّمُ مَعَ الْأَسَاقِفَةِ فِي الدِّينِ ، فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَتْ أُمُورُهُ غَرِيبَةً ، مِنْ امْتِزَاجِ الْيَقِظَةِ بِالْغَفْلَةِ ، وَخَلْطِ السَّدَاجَةِ بِالدُّعَابَةِ . يَحْكِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ شَجَرَةٌ تَيْنٌ بَدَارُهُ بِمَالِقَةَ ، فَبَاعَ مَا عَلَيْهَا مِنْ أَحَدِ أَهْلِ السُّوقِ ، فَلَمَّا هَمَّ بِجَمْعِهَا ، ذَهَبَ لِيَمْهَدَ لِلتَّيْنِ بِالْوَرَقِ فِي الْوَعَاءِ ، فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَ التَّيْنَ . وَلَمْ تُدْخَلِ الْوَرَقُ فِي الْبَيْعِ ، فَتَعَبَ ذَلِكَ الْمُشْتَرِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَجَلَبَ وَرَقًا مِنْ غَيْرِهَا ، حَتَّى انْقَضَى الْأَمْرُ ، وَعَزِمَ عَلَى مَعَامَلَتِهِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ . فَأَوَّلُ مَا اشْتَرَطَ الْوَرَقَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْغَلَّةِ ، دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ، أَحْمِلْ وَرَقَكَ ، فَإِنَّهُ يُؤْذِنِي ، فَأَصَابَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي جَمْعِهِ مِنْ أَطْرَافِ

(١) وردت في الإسكوريال (النصرى) ، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

الغصون ما لم يكن يَحْسَبُ ، ولم تبات السنة الثالثة ، إلا وللرجل فقيه ،
اشترط مقدار الكفاية من الورق ، فسامحه ورَفَّقَ به .

دخل غرناطة وغيرها ، وأخباره عجيبة . قال أبو جعفر بن الزبير :
عَرَّضَ لي بمالقة مسأيل ، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية ، والمآخذ الأدبية ؛
وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها ، وفي آيات من الكتاب العزيز ،
فاستدعيته إلى منزلي ، وكان فيه تخلُّقٌ ، وحسن ملاقاته . مع خفته الطبيعية
وتشتت منازعه ، فأجاب ، وأخذتُ معه في ذلك ، فألفيته صائماً عن ذلك
جملة .

وصمته

قال ، وكان القاضي الجليل ، أبو القاسم بن ربيع ، وأخوه أبو الحسن
ينافرانه على الإطلاق ، ويحذران منه ، وهو كان الظاهر من حاله . قال ،
واستدعاني في مرض اشتدَّ به ، قبل خروجي من مالقة على انفراد ، فتنصَّل
لي مما كان يُذَنُّ^(١) به ، وأكثر البكاء ، حتى رثيتُ له .

وفاته : توفي بمالقة ، ووصي قبل موته بوصايا من ماله . في صدقات
وأشباهاها ، وحبس داره وطابفةً من كتبه على الجامع الكبير بمالقة .

محمد بن محمد البدوي

الخطيب بالرَّبَضِ من بَلَش ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله حسن التلاوة لكتاب الله ، ذا قَدَمٍ في

(١) يذَنُّ هنا بمعنى يوصم ويتهم من (الذنن) وهو القدر

الفقه ، له معرفة بالأصلين ، شاعراً مُجيداً ، بصيراً ، بليغاً في خطبته ،
 حسن الوعظ ، سريع الدمعة . حجج ولقي جلة . وأقرأ بببلش زماناً ، وانتفع
 به ، ولقي شدايد ، أصلها الحمد

مشيخته

قرأ العلم على الشيخين السُقريين ، الحُجّتين ، أبي جعفر بن الزيات ،
 وأبي عبد الله بن الكماد ، وقرأ العربية والأصلين ، على الأستاذ أبي عمرو
 ابن منظور ، ولازمه وانتفع به ، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله
 ابن عبد السلام بمدينة تونس .

شعره

من شعره قوله في غرض النسيب :

وَلَوْلُوْ ثَغْرُكَ أَمَّ جَوْهَر	خَالَ عَلَى خَدِّكَ أَمَّ عَنَبِر
فصارت النار به تسعر	أوريت نار الوجد طي الحشا
لقلت خمر عسل سكر	لو جدت لي منك برشف اللما
سفك دم العاشق لا ينكر	دعني في الحب أذب حسرة

وقال :

ووردُ خدك يذكي في الحشا نارا	عيناي تفهم من عينيك أسرارا
قد أثر الدمع في خديه آثارا	ملك قلب محب فيك مكتيب
ياليت نفسي تقضى منه أوطارا	رُضاب ثغرك يروي حر غلته
ماذا عليك بطيف منك لو زارا	أنعم بطيف خيال منك ألمحه
يصبو له القلب مضطرا ومختارا	نفسى فداؤك من ظنبي به كلف

وقال :

أَيُّهَا الظُّبَى تَرَفَّقْ بِكَيْبِيبٍ قَدْ هَلَكَ
 أَلِدَنْبٍ تَتَجَنَّى أُمَّ لَشَيْءٍ يُوصِلُكَ
 إِنَّ رُوحِي لَكَ مِلْكٌ وَكَذَا قَلْبِي لَكَ
 إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالٌ فَلَكَ الْقَلْبُ فَلَكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به ، وقد طلبتُ من أدبه لنبعض ما صدر عنى من المجموعات : « يا سيدى أبقاك الله بهجةً للأعيان الفضلاء ، وُحُجَّةً لأعلام العلاء ، ولا زلت تسير فوق النسر ، وتجرى فى الفضائل على كرم النجر . ذكر لى فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم ، بعض المهديان ، الصادر عن معظّم جلالكم ، فأكبرتُ ذلك ، ورأيتنى لستُ هنالك ، وعجبتُ أن يُنظم مع الدرّ السَّبَّح ، أو يضارع العَمَّش الدَّعَج . بيد أنّ لنظم الدرّ صنّاع ، والحديث قد يُذاع ، ولا يُضاع ، وحين اعتذرتُ له فلم يَعدُرْنى ، وانتظرته فلم ينظرُنى ، بعد أن استعفيتهُ فأبى ، واستنهضت جواد الإجابة فكبى ، وسلك غير طريقي ، ولم يُبلِّغنى ريقى ، وفئتُ الغرض ، وقضيتُ من إجابته الحقّ المُفترض ، ورددت عن تعذّاله النَّصِيح ، وأثبتتُ هنا ما معناه صحيح ، ولفظه غير فصيح :

بريتُ من حولى ومن قوتى بحولٍ من لا حول إلا له
 رثقتُ بالخالق فهو الذى يُدبِّر العَبْدَ وأفعاله

وقلت بالحرم عند المُلتزم من المنظوم فى مثل ذلك :

أمولاي بالسباب ذو فاقة وهذا يحطُّ خطايا الأمم
 فجُدُّ لى بعفوك عن زلتى بجُود الكريم بقدر الكرم

وما أعددت له للوفادة على خير من عُقِدَتْ عليه أَلْوِيَةُ السِّيَادَةِ :

حَمَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَاحِ سُرَاهَا وَأَتَتَكَ تَطَلُّبٌ مِّنْ نَّدَاكَ قِرَاهَا
وَسَرَّتْ إِلَيْكَ مَعَ النَّسِيمِ بَيْنَهَا شَوْقًا يَسَابِقُ فِي السَّرَى يُسْرَاهَا

ولولا العَجْرَ لوصلتُ ، والعدرَ لأَطلتُ ، لكن ثَنَيْتُ عَنَانِي لثَنَائِكَ «
لِحُسْنِ اعْتِنَائِكَ ، وَقَلْتُ مَعْتَذِرًا مِنَ الصُّورَةِ لِمَجْدِكُمْ ، وَتَالِيًا سُورَةَ حَمْدِكُمْ :

المجد تخبر عن صِدْقِ مَآثِرِهِ وَنَاظِمُ الْمَجْدِ فِي الْعَلِيَاءِ نَائِرُهُ
وَالجُودِ إِنَّ جَدَّ جَدُّ الْمَرْءِ يُنْجِدُهُ وَقَلَّمَا نَمَّ فِي الْأَيَّامِ ذَاكِرُهُ
مِن نَالِ مَا نَبِلْتَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ فَلَيْسَ فِي النَّاسِ شَخْصٌ يُنَازِرُهُ
يَا سِيدَا طَابَ فِي الْعَلِيَاءِ مَحْتِدُهُ مَا جَدَا رَسَخَتْ فِيهِ أَوَاصِرُهُ
سَرَيْتَ فِي الْفَضْلِ مُسْتَنًا عَلَى سُنَنِ فِي الْفَضْلِ مَارِبُهُ حَقًّا وَسَامِرُهُ
وَرِثْتَهُ عَنِ كَبِيرٍ أَوْحَدٍ عِلْمِهِ كَذَلِكَ يَحْمِلُهُ أَيْضًا أَكَابِرُهُ
مُبَارَكُ الْوَجْهِ وَضَاحُ الْجَبِينِ لَهُ نُورٌ يُنِيرُ أَغْرُ النَّوْرِ بَاهِرُهُ
مُؤَفَّقٌ بِكَفَيْلٍ مِنْ عَنَانِيهِ مُرَفَّعٍ الْعُدْرُ سَامِي الذِّكْرِ طَاهِرُهُ
رَعَيْتَ فِي الْفَضْلِ حَقَّ الْفَضْلِ مَجْتَهِدًا مَفْهُومٌ مَجْدِكَ هَذَا الْحَكْمُ ظَاهِرُهُ
عَلَوْتُ كَالشَّمْسِ إِشْرَاقًا وَمَنْزِلَةً فَأَنْتَ كَالغَيْثِ يُخْبِي الْأَرْضَ مَاطِرُهُ
يَنْمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مَشْتَهَرًا كَمَا يَنْمُ بِزَهْرِ الرَّوْضِ عَاطِرُهُ
دُمُ وَابِقٍ لِلْمَجْدِ كَهْفًا وَالْعُلَا وَزَرًا^(١) فَإِنَّمَا الْمَجْدُ شَخْصٌ أَنْتَ نَاطِرُهُ
مُؤَمَّلًا مِنْكَ خَيْرًا أَنْتَ صَانِعُهُ وَصَانِعُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ شَاكِرُهُ
وَمَا وُلِّيتُ وَمَا أَوْلَيْتُ مِنْ حَسَنِ فَلِلنَّاسِ وَالْعَالَمِ الْعُلُوِّ ذَاكِرُهُ
بَقِيَّتَ تَكْسِبُ مِنَ الْإِلَهِ مَكْرَمَةً وَنَاصِرًا أَبَدًا مِنْ قَلِّ نَاصِرُهُ

(١) الوزر هو الحبل المنيع أو الملجأ والمعتم .

عذراً لك الفضيل عما جيت من خطياً أن يُخطِ مثلي يوماً أنت عاذره
 ثم السلام على عليّك من رجل تُهدى الذي يخفى ضمائره
 دخوله غرناطة : دخلها غير ما مرة ، ولقيته بها لتقضى بعض أغراض
 بباب السلطان ، مما يليق بمثله .
 مولده : (١)

وفاته : توفي ببليش في أخريات عام خمسين وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد

ابن عبد الله العبدي

قرطبي ، استوطن مدينة مراكش ، يكنى أباً بكر .

حاله

كان عالماً بالقراءات ، ذا كراً للتفسير ، حافظاً للفقهاء واللغات والأدب ،
 شاعراً محسناً ، كاتباً بليغاً ، مبرزاً في النحو ، جميل العشرة ، حسن الخلق ،
 متراضماً ، فكه المحاضرة ، مليح المداعبة . وصنف في غير ما فن من العلم
 وكلامه كثير مدون ، نظماً ونشراً .

مشيخته

روى عن أبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن شريح - وعبد الرحمن
 ابن بقي ، وابن الباذش ، ويونس بن مغيث ، وأبي عبد الله بن الحاج -
 وأبي محمد بن عتاب . وأبي الوليد بن رشد ، ولا زمه عشرين سنة . قرأ

(١) بياض في الأصل .

عليهم وسمع ، وأجازوا له ، وسمع أبا بَحر الأَسدى ، وأبوى بكر عِيَّاش
ابن عبد الملك ، وابن أبي ركب ، وأبا جعفر بن سانجة ^(١) ، وأبا الحسن
عبد الجليل ، وأبا عبد الله بن خلف الأيسرى ، وابن المناصف ، وابن أخت
غانم ، ولم يذكر أنهم أجازوا له ، وروى أيضاً عن أبوى عبد الله مكّي ،
وابن المعمر ، وأبي الوليد بن طريف .

من روى عنه : روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم ، وأبو الحسن
ابن مؤمن ، وأبو زكريا المرجعي ، وأبو يحيى أبو بكر الضرير واختص به .

تواليـفه

من مُصنِّفاته « مَشَاهِدِ الأَفْكارِ فِي مآخِذِ النِّظَارِ » وشرحاه الكبير والصغير
على « جُمَلِ الزَّجَّاجِي » ، وشرح أبيات الإيضاح العَضُدِي ، « ومقامات
الحريري » ، وشرح مُعشَّراته الغزليَّة ، ومُكفِّراته الزهدية ، إلى غير ذلك ،
وهما مما أبان عن وفور علمه ، وغزارة مادته ، واتساع معارفه . وحسن
تصرفه .

دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذش ومثله .

محنة—ه

كان يحضر مجلس عبد المؤمن ^(٢) مع أكابر من يحضره من العلماء ،
فبيشف على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف . إلى أن أنشد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وقد تكون صحتها (شأنه) ، وهو تعريب لاسم ملوك
إسبانيا المشهور (سانشو) Sancho . وربما كان هذا العالم من طائفة المولدين (أى مسلمي
الإسبان) .

(٢) هو الخليفة عبد المؤمن بن علي ، أول خلفاء الدولة الموحدية بعد المهدي ابن تومرت .
واسطرت خلفته بعد وفاة المهدي في سنة ٥٢٤ هـ حتى وفاته في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) وفد أشهر
بمجالسه العلمية التي كانت تضم مئات من طلبة العلم . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٤١ حاشية)

أبا محمد عبد المؤمن أبياتاً كان نَظَمَها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد
ابن تَسْت وهي :

أبا قاسم والهوى جِنَّة وها أنا من مَسَّها لم أفُتق
تقحَّمت جامع نار الضلوع كماخضت بحردموع الحدق
أَكُنْتَ الخليلَ أَكُنْتَ الكَلِيمَ أَمِنْتَ الحريقَ أَمِنْتَ الفَرَقَ

فهجره عبد المؤمن ، ومنعه من الحضور بمجلسه ، وصرف بنيه عن
القراءة عليه ، وسرى ذلك في أكثر من كان يقرأ عليه ، ويتردد إليه .
على أنه كان في الطبقة العليا من الطهارة والعفاف .

شعره

قال في أبي القاسم المذكور ، وكان أزرَق ، وقد دخل عليه ومعه أبو
عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي ، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة . فقال
ابن قوسرة :

عابوه بالزَّرَق الذي يَجْفُونَه والماءُ أزرَقُ والعينان كذلكا
فقال أبو عبد الله الشَّاطِبي :

الماءُ يَهْدِي للنفوس حياتها والرُّمَحُ يَشْرِعُ للَمَنُونِ مسالكا

فقال أبو بكر بن ميمون الدُّمَرُجَم به :

وكذلك في أجفانه سَبَبُ الرُّدَى ولاكن أرى طيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله في زمن الصِّبَا عفا الله عنه :

لا تكترث بنراق أوطان الصِّبَا فعسى تنال بغيرهن شُعُودا
والدُّرُ يُنظَمُ عند فُتْدٍ بحساره بجديل أجساد الحسان عقودا

ومن مشهور شعره :

توسلتُ يا ربّي باني مؤمن - وما قلتُ أنّي سَامِعٌ ومُطِيعٌ
أَيضلي بحرّ النارِ عاصٍ مُوحِّدٌ - وأنتُ كريمٌ والرسولُ شَفِيعٌ

وقال في مرضه :

أيرتجى العيش من عليهِ - دلائلُ للردى جليسة
أولها مُخبرٌ بثسانٍ - ذلك أمانٌ وذا منية

وفاته : توفي بمراكش يوم الثلاثاء اثنى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش ، وقد قارب السبعين سنة .

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النجيري

من أهل وادي آش^(١) ، يكنى أبا عامر .

حاله

كان أحد شيوخ بلده وطالبته ، مشاركاً في فنون ، من فقه وأدب وعربية ، وهي أغلبُ الفنون عليه ، مطرّح السّمّت ، مُخشّوشن الرّزي ، قليل المبالاة بنفسه ، مُختصراً في كافة شيوته ، مليحُ الدّعابة ، نديب الحمل ، كثير التواضع ، وبيته معمور بالعلماء أولى الأصالة والتبيين تصدّر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع .

(١) تقع وادي آش ، وبالإسبانية Guadix شرق حضرة غرناطة . وإليها ينسب كثير كثير من الوزراء والعلماء والأدباء . وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ١٠٩ من المجلد الأول من الإحاطة - حاشية) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي أبي خالد بن أرقم ، والأستاذ أبي العباس ابن عبد النور . وروى عن أبيه مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع ، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وولى الله الحسن بن فضيلة .
ورحل إلى العُدوة ، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة ، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث ، وأبي عبد الله بن الخضار ، وأبي القاسم بن الشاط ، وغيرهم .

شعره

وهو من الجزء المسمى « بشعر من لا شعر له » والحمد لله . فمن ذلك قوله
يمدح أبا زكريا العزفي بسبته ، ويذكر ظفيره بالأسطول من قصيدة أولها :
أما الوصال فإنه كالعيد عُذر المتيم واضح في العيد
وفاته : توفى ببلده عام أربعين وسبعماية . ودخل غرناطة ، راوياً
ومتعلماً ، وغير ذلك :

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجدد الفهرى

الحافظ الجليل يكنى أبا بكر ، جليل إشبيلية ، وزعيم وقته في الحفظ .
لبني^(١) الأصل ، إشبيلية ، استدعاه السيد أبو سعيد والى غرناطة ، فأقام بها

(١) نسبة إلى مدينة لبله وبالإسبانية Niebla ، وهي إحدى مدن ولاية الغرب الأندلسية Algarve ، وتقع غرب إشبيلية على الضفة اليمنى للنهر الأحمر Rio Tinto ، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بأسوارها الموحدة المحيطة بها كاملة . وقد سقطت لبله في يد المونسو العاشر (الحكيم) ملك قشتالة في سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) .

عنده ، في جُمْلَةٍ من الفضلاءٍ مثله سِنين . ذكر ذلك صاحب كتاب « ثورة المرّيدين »^(١) .

حاله

كان في حِفْظِ الفقه بحرًا يَغْرِفُ من مُحِيط . يقال إنه ما طالع^(٢) شيئاً من الكتب فنَسِيَهُ^(٣) ، إلى الجلالة والأصالة ، وبُعْدِ الصَّيْتِ ، واشتهار المَحَلِّ . وكان مع هذا يتكلّم عند الملوك ، ويخُطِّب بين يديها ، ويأتى بعُجَاب ، وفي كتاب « الإعلام » شيءٌ من خبره ، قال ابن الزبير .

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبي الحسن بن الأخضر ، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك ؛ وعن أبي محمد بن عتّاب ، وسمع عليه بعض الموطّأ ، وعن أبي بحر الأسدي ، وأبي الوليد بن طريف ، وأبي القاسم بن منظور القاضي ، وسمع عليه صحيح البخاري كله ، وشُريح بن محمد ، وأبي الوليد بن رُشد . وناوله كتاب « البيان والتحصيل » . وكتاب « المقدمات » . لقي هؤلاء كلهم . وأجازوا له عامة . وأخذ أيضاً عن مالك بن وهيب .

من حدّث عنه

أبو الحسن بن زرقون ، وأبو محمد القرطبي الحافظ ، وإبنا حوط الله ، وغيرهم . وعليه من خُتِمت به المائة السادسة كَأبي محمد بن جُمهور ،

(١) كتاب « ثورة المرّيدين » من تأليف ابن صاحب الصلاة صاحب كتاب « المن بالإمة » (الخالص بتاريخ الموحدين) . وهو يعالج فيما يبدو ما وصل إلينا من الإشارات تاريخ وفلسفة ابن قسي وزملائه ، زعماء ثورة الغرب في بداية حكم الموحدين للأندلس . ولم يصل هذا الكتاب إلينا .

(٢) وردت في الإسكوريال (طلع) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في الإسكوريال (فانسيه) ، والتصويب من الزيتونة .

وأبي العباس بن خليل وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله ، وأبي زيد عبد الرحمن ، وأبي محمد عبد الحق . قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : حدثني عنه ابن خليل وأبو القاسم الجبائي ، وأبو الحسن بن السراج . مولده : [بلبله]^(١) في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة : وتوفي [بإشبيلية]^(١) في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة . ذكره ابن الملجوم ، وأبو الربيع بن سالم ، وابن فرتون .

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد
ابن أحمد بن الفخار الجذامي

يكنى أبا بكر ، أرُكُشِي^(٢) المولد والمنشا ، مألقي الاستيطان ، شريشي^(٣)
التدرب والقراءة .

حاله

من « عايد الصلّة » : كان رحمه الله خيراً صالحاً ، شديد الانقباض ،
مُغْرِقاً في باب الورع ، سليم الباطن ، كثير العكوف على العلم والملازمة ،
قليل الرياء والتصنع . خرج من بلده أرُكُش عند استيلاء العدو على
قصبتهما ، وكان يصنفها ، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن
الكرماني :

أكرم بأرُكُش دارا تاهت على البدر قدرا
يخاطب المجد عنها لقلب تاذني شكرا

(١) الزيادة من « جذرة الاقتباس » .

(٢) نسبة إلى مدينة أرُكُش وقد سبق التعريف بها .

(٣) نسبة إلى شربش وإسبانية Xerex أو Jerez ، هي مدينة أندلسية تقع على نهر

وادي لكه على مقربة من ثغر قانس .

واستوطن مدينة شَرِيْش ، وقرأ بها ، وروى بها عن علماءها ، وأقرأ بها .
ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء ، فدرس بها ، ثم عبر البحر
إلى سَبْتَة . فقرأ بها وروى . ثم كَرَّ إلى الأندلس ، فقصد غرناطة ، وأخذ عن
أهلها . ثم استوطن مالقة ، وتصدَّر للإقراء بها . مفيدُ التعليم ، متفَنِّنه ،
من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث ، عظيمُ الصبر ، مستغرقُ الوقت .
يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزوال . ثم يُسند ظهره إلى طاق المسجد
بعد ذلك ، فيقرئ ، وتأتيه النساءُ من خلفه للفتيا ، فيفتيهنَّ على حال
سؤالهنَّ إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى . ثم يأتي المسجد الأعظم
بعد الغروب ، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة ، من غير أن يقبل من أحد
شيئاً . ومن أخذَ منه بعد تحكيم الورع ، أثابه بمثله . ما رثى في وقته أروع
منه . وكان يتخذ روميةً مملوكةً ، لا يشتمل منزله على سواها ، فإذا أنيس
منها الضمجر للحصر وتمادى الحجاب ، أعتقها^(١) ، وأضحَبها إلى أرضها .
ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة^(٢) في أمور عدوها عليه ، ما ارتكبها
اجتهاده في مناط الفتوى ، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس ، مجلساً ،
أجلى عن ظهوره فيه ، وبقاء رسمه ، فكانت محنة ، وخلَّصه الله منها .
وبلغ من تعظيم الناس إِيَّاه ، وانحياشهم إليه مَبْلَغاً لم ينلْه مثله ، وانتفع
بتعليمه ، واستُفيد منه الأدب ، على نُسكهِ وسداجته .

مشيخته

قرأ ببلد شَرِيْش على المُكْتَب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر
ابن داود القيسي . وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الرباح . وعلى

(١) هكذا الإسكوريال ، وفي الزيتونة (أطلقها)

(٢) هكذا وردت في الزيتونة ، ووردت في الإسكوريال (مشاحة ، مشاحنة) والأولى أرجح .

الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرماني . أخذ عنه العربية والأدب ، وعلی الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى المعروف بابن متيوان ، وعلی الأصولي الكاتب أبي الحسن دلال بن أبي سنان الأزدي المرآكشي ، وعلی الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري ، وعلی الفقيه أبي عبد الله الجنيدى المعروف بالغراق ، وعلی الفقيه العدي أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الكاتب المكناسي . وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرّكبي ، وزوى عنه ، وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس ، وعلی الأصولي أبي أمية . وقرأ بسبته على الأستاذ الفرّضى إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع ، وعلی أبي يعقوب المحبساني ، وعلی المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله العبدري ، وعلی الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المشوي ، والأصولي أبي الحسن البصري ، والفقيه المعمر الراوية أبي عبد الله محمد الأزدي ، والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكماد ، وعلی الأستاذ العروضي الكفيف أبي الحسن بن الخضّار التلمساني . ولقى بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم ابن أبي عامر بن ربيع ، والأستاذ أبا جعفر الطباع ، وأبا الوليد إسماعيل ابن عيسى بن أبي الوليد الأزدي ، والأستاذ أبا الحسن بن الصّايغ . ولقى بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم بن الشيخ، والراوية أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجذامي السهيلي . وسمع على الراوية أبي عمرو ابن حوط الله ، وعلی الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي

تواليه

كن رحمه الله مغرّي بالتأليف ، فألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة . منها كتاب « تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن » ،

و « انتفاع الطلبة النبهاء في اجتماع السبعة القراء » . و « الأحاديث الأربعة بما ينتفع به القارئون والسامعون » ، وكتاب « منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر » ، و « كتاب نصح المقالة في شرح الرسالة » ، وكتاب « الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم » ، وكتاب « استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج » ، وكتاب « الفيصل المنتقى المهزوز في الرد على من أنكروا صيام يوم النيروز » ، وكتاب « جواب البيان على مصارمة أهل الزمان » ، وكتاب تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المختار على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتداء » ، وكتاب « إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك » ، وكتاب « الجوابات المجمععة عن السؤالات المنوعة » ، وكتاب « إملا فوايد الدول في ابتداء مقاصد الجمل » ، وكتاب « أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات مسائل الكتاب » ، وكتاب « منهج الضوابط المقسمة في شرح قوانين المقدمة » ، وكتاب « التوجيه الأوضح الأسماء في حذف التنوين من حديث أسما » ، وكتاب « التكملة والتبيرة في إعراب البسمة والتصلية » ، وكتاب « سح مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب » . ومنها الأليح المعتمد عليه في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه ، وغير ذلك من مجيد ومقصر

شعره

وشعره كثير ، غريب النزعة ، دال على السداجة ، وعدم الاسترابة والشعور ، والعقلة المغربية عن السلامة ، من ارتكاب الحوشى ، واقتحام الضرر^(١) ، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تشبث بها أطراف الملايين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الضراير) .

والمعاريض ، وَلَع كثير من أهل زمانه بالرّد عليه ، والتَّمْلُح بما يصدر عنه ،
منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك .

ومن منتخب شعره قوله :

أُنظِرْ إلى ورد الرِّياض كائِه ديباجُ خَدِّ في بَنان زَبَرَجِد
قد فَتَحَتْهُ نضارةٌ فبدا له في القلب رونقُ صُفْرَةٍ كالعَسْجِد
حَكَّتْ الجوانبُ خَدَّ حُبِّ ناعم والقلبُ يحكي خَدَّ صبِّ مُكَمَد

حدّث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مُفضل المالقى ، قال ، قال لي
يوما الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخّار ، خرجت ذات يوم وأنا شاب من
حَلَقَةِ الأستاذ بشَرِيش ، أعادها الله للاسلام ، في جملة من الطلبة ، وكان
يقابل باب المسجد حانوت سَرَّاج ، وإذا فتىٌ وسيمٌ في الحانوت يَرُقَمُ جِلْدًا
كان في يده ، فقالوا لي لا تجاوز هذا الباب ، حتى تَصنع لنا شعراً في هذا
الفتى . فقلت :

وربُّ معذّرٍ للحبِّ داع^(١) يروق بهاءُ مَنْظَرِه البهيج
وشى في وجنتيه الحسنُ وشياً كَوْشَى يَدَيْهِ في آدم السروج

مولده : بحصن أَرُكُش بلده ، وكان لا خُبْر به ، في ما بين الثلاثين
والأربعين وست مائة .

وفاته : توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وكانت جنازته

بمالقة مشهورة

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي « الزيتونة » (دارع) .

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الفستائي

من أهل الحَمَّة من عمل التَّريَّة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم العربي وينتمي في بني أسود من أعيانها .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أجل العلم والدين والفضل ، طَلُقُ الوجه ، حسن السَّير ، كثير الحياء ، كأنك إذا كلمته تُخاطب البكر العذراء ، لا تُلَقَّاهُ إِلَّا مُبْتَسِماً ، في حُسْنِ سَمْتٍ ، وفضل هوى ، وجميل وقار ، كثير الخشوع ، وخصوصاً عند الدخول في الصَّلَاة ، تلوح عليه بذلك ، عند تلاوته سِيَمَى الحضور ، وحلاوة الإقبال . وكان له تحقُّقٌ بضبط القراءات ، والقيام عليها ، وعناية بعلم العربية ، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السَّنية ، والعلوم الدينية . انتصب للإقراء والتدريس بالحَمَّة المذكورة ، فقرب النَّجعة على أهل الحصون والقرى الشَّرقية ، فصار مُجْتَمِعاً لأربابِ الطُّلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم . وكان رجلاً صالحاً ، مُبارك النِّيَّة ، حسن التَّعليم ، نفع الله به من هنالك ، وتخرَّج على يديه جمعٌ وافر من الطُّلبة ، عمَّرت بهم سائرُ الحصُون . وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين ، ومُنْتَدَى عذبٌ للواردين . تجول في آخِرَةِ الأندلس والعُدوة ، وأخذ عمن لقي بها من العلماء ، وأقام مدَّةً بسبَّته ، مُكبِّاً على قراءة القرآن والعربية . وبعد عوده من تَجْوَالِه لزم التصدُّر للإقراء بحيث ذكر ، وقد كانت الحواضر فقيرةً لمثله ، غير أنه آثر الوطن ، واختار الاقتصاد .

• مشيخته

أخذ يألمرية عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش ، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والعدل أبي الحسن بن مستنور . وببلش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكماد ، والخطيب أبي جعفر بن الزيات . وبالمقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري . وبالجزيرة عن خطيبها أبي العباس بن خديس . وبسبته عن الأستاذ أبي إسحق العافقي ، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد ، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حريث ، والقاضي أبي عبد الله القرطبي ، والزاهد أبي عبد الله بن معلى ، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري . وبمكناسة عن القاضي وارياش . وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مفتح اللجائي ، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان ، والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي ، والحاج أبي القاسم بن رجا ابن محمد بن علي وغيرهم ، وكل من ذكر أجاز له عامة ، إلا قاضيمكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش .

مولده : في أول عام اثنين وثمانين وسماية

وفاته : توفي بالحمة ليلة الإثنين الثامن عشر لشهر محرم عام

ثمانية وأربعين وسبعماية .

محمد بن علي بن محمد العبدي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باليتيم

حاله

كان رحمه الله أحد الظرفاء من أهل بلده ، مليح الشكل ، حسن الشيبة ،

لَوْ دَعِيَ فِي وَقَارٍ ، رَشِيقَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، غَزَلًا مَعَ الصَّوْنِ ، كَثِيرِ الدَّعَابَةِ مِنْ
 غَيْرِ إِفْحَاشٍ ، غَزِيرِ الْأَدَبِ ، حَسَنِ الصَّوْتِ ، رَائِقِ الْخَطِّ ، بَدِيعِ الْوِرَاقَةِ ،
 مَعْتُولِ الْأَلْفَازِ ، مُتَمَنِّعِ الْمُجَالَسَةِ ، طَيِّبِ الْعِشْرَةِ . أَدَبِ الصَّبِيَّانِ مَدَّةً ،
 وَعَقْدِ الشَّرُوطِ أُخْرَى ، وَكَانَ يَقْرَأُ كَتَبَ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالرَّقَائِقِ
 لِلْعَامَةِ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ ، بِأَعْدَبِ نَعْمَةٍ ، وَأَمْثَلِ طَرِيقَةٍ ، مَذْ أَزِيدَ مِنْ
 ثَلَاثِينَ سَنَةً ، لَمْ يُخَلِّ مِنْهَا وَقْتًا إِلَّا لَيْلَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا بِسَبَبِ امْتِسَاكِنَا بِهِ
 فِي تَزْهَةِ بَرِيَاضِ بَعْضِ الطَّلَبَةِ . لَمْ يُخَلِّفْ مِثْلَهُ بَعْدَهُ . وَخَطَبَ بِقَصَبَةِ
 مَالِقَةَ ، وَمَالَ أُخِيرًا إِلَى نَظَرِ الطَّبِّ ، فَكَانَ النَّاسُ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَتَفَعُونَ بِهِ
 لِسِيَاحِ مَشَارِكِهِ ، وَعُجُومِ انْقِيَادِهِ ، وَبِرِّهِ ، وَعَمَلِهِ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّجَمُّلِ .

وَجَرَى ذِكْرَهُ فِي « التَّاجِ الْمُحَلِّيِّ » بِمَا نَصَّهُ : مَجْمُوعُ أَدْوَاتِ حِسَانٍ ، مِنْ
 خَطِّ وَنَعْمَةٍ وَلِسَانٍ ، أَوْرَاقِهِ رَوْضٌ تَضْوَعُ نَسَمَاتِهِ ، وَبِشْرُهُ صَبْحٌ تَتَأَلَّقُ
 قَسَمَاتِهِ ، وَلَا يُخْفَى مِمَّانِهِ . يُقَرِّطِسُ أَغْرَاضَ الدَّعَابَةِ وَيُضْمِيهَا ، وَيُفَوِّقُ سِيَهَامَ
 الْفُكَاكَةِ إِلَى مَرَامِيهَا ، فَكَلَّمَا صَدَرَتْ فِي عَصْرِهِ قَصِيدَةٌ هَازِلَةٌ ، أَوْ أَبْيَاتٌ
 مُنْحَطَّةٌ عَنِ الْإِجَادَةِ نَازِلَةٌ ، خَمَسَ أَبْيَاتَهَا وَذَبَّلَهَا ، وَصَرَفَ مَعَانِيهَا وَسَهَّلَهَا ،
 وَتَرَكَهَا سَمَرَ الثُّلَمَانِ ، وَأَضْحَكَ الزَّمَانَ . وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى
 مِنْ مَالِقَةَ ، مُتَحَلِّ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ ، حَالٍ مِنْ أَهْلِهَا بِمَكَانَةِ مَكِينَةٍ ، لِسَهُولَةٍ
 جَلْبَةٍ ، وَاتِّضَاحِ مَقَاصِدِهِ فِي الْخَيْرِ وَمَذَاهِبِهِ . وَاشْتَغَلَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ بِالتَّعْلِيمِ
 وَالتَّكْوِينِ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْوَقَارِ وَالتَّرْتِيبِ ، وَلِلشَّبَابِ لَمْ يَنْصِلْ خَضَابَهُ ،
 وَلَا شَلَّتْ لِلْمَشِيْبِ عِضَابُهُ ، وَنَفْسُهُ بِالْحَاسِنِ كَلِيفَةٌ ، وَشَأْنُهُ كُلُّهُ هَوَى
 وَمَحَبَّةٌ . وَلِذَلِكَ مَا خَاطَبَهُ بِهِ بَعْضُ أَوْلَادِيهِ ، وَكَلَاهُمَا رَمَى أَهْلَهُ بِدَايِهِ ،
 حَسْبَمَا يَأْتِي خِلَالَ هَذَا الْمَقُولِ وَفِي أَثْنَائِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

شعره

كتبتُ إليه أسألُ منه ما أُثبتُ في كتابِ «التَّاجِ» من شعره ، فكتب إلي :
 أما العرام فلم أُخلل بمذهبه فلمَ حرمتَ فُوَادِي نَيْلِ مَطْلِبِه
 يا مُعْرَضاً عن فُوَادٍ لم يزل كَلِفاً بحبِّه ذا حِذَارٍ من تَجَنُّبِه
 قطعتَ عنه الذي عودته فغدا وحظُّه من رضاه بَرَقَ خُطْبِه
 أيامَ وَصْلِكَ مَبْدُولٌ وبرُّكُ بي مُجَدِّدٌ قد صفا لي عَذْبُ مَشْرِبِه
 وَسَمِعُ وَدَلُّهُ عن إِفْكَ العَوَازِلِ في شُغْلٍ وبدرُ الدُّجَى نَاسٍ لَدَغْرِبِه
 أَلَأَنْتَ تَمْنَعُنِي نَيْلَ الرُّضَا كَرَمًا ولا فُوَادِي بَوَانٍ في تَطَلُّبِه
 اللهُ عَرَفَكَ ما أَذْكَى تَنَسُّمِه لو كنتَ تَمْنَحُنِي اسْتِنشَاقَ طَيْبِه
 أنتَ الحَيِّبُ الذي لم أَتَّخِذْ بدلا منه وحاشَ لقلبي من تَقَلُّبِه
 يا ابنَ الخطيبِ الذي قد فُتِّتَ كسلٌ سناً أزال عن ناظري إِظْلَامَ غَيْبِه
 مُحَمَّدُ الحَسَنِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ كَمَلَّتْ بِاسْمِكَ معني الحُسْنِ فَازَهْ بِهِ
 نَأَيْتَ أَوْ غَيْبْتَ مَالِي عن هَوَاكِ غِنِيٍّ لا يَنْقُصُ البدرُ حُسْنًا في تَغْيِيْبِه
 سِيَّانَ حَالِ التَّدَانِي والبُعَادِ وهل لِمُبْصِرِ البَدْرِ نَيْلٌ في تَرْقُبِه
 يامنُ أَحْسِنَ ظَنِّي في رضاهُ وما يَنْفَكُ يَبْدِي قَبِيحًا من تَغَضُّبِه
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي الهوى فالقلبُ مِنِّي لا يُصْغِي لِسَمْعِ مَلامٍ من مُؤَنَّبِه

فأجبتَه بهذه الرسالة ، وهي ظريفة في معناها :

«ياسيدي ، الذي إذا رُفِعَتْ رايَةُ ثَنَائِهِ تَلَقَّيْتُهَا بِالْيَدَيْنِ ، وَإِذَا قُسِّمَتْ
 سِيَّاهُ وَدَادَهُ عَلَي ذَوِي اعْتِقَادِهِ ، كُنْتُ صَاحِبَ الفَرِيضَةِ وَالذِّينِ ، دَامَ
 بِقَاوُكِ لَطْرُفَةٍ تُبَدِّلُهَا ، وَغَرِيبَةٍ تُرَدِّدُهَا ، بِأُخْرَى تَلِيهَا ، وَعَقِيلَةٍ بَيَانٍ تُحَلِّيهَا
 وَنَفْسٍ أَخَذَ الحُزْنَ بِكُظْمِهَا ، وَكَلِيفَ الدَّهْرِ بِشَتْ نَظْمِهَا ، تُؤَنِّسُهَا وَتُسَلِّيهَا ،
 لَمْ أَزَلْ أَعَزَّكَ اللهُ ، أَشَدُّ عَلَي بِدَايِعِهَا يَدَ الضَّئِنِ ، وَأَقْتَنِي دُرَرَ كَلَامِكَ ،

ونفثات أقلامك ، اقتناء الدرّ الثمين ، والأيام بلقىك تعد ولا تسعد ،
 وفي هذه الأيام انثالت على سماؤك بعد قحط ، وتوالت على آلوك على شحط ،
 وزارتنى من عقايل بيانك كل فاتنة الطرف ، عاطرة العرف ، رافلة في حُلل
 البيان والظرف ، لو ضربت بيوتها بالحجاز ، لأقرت لنا العربُ العاربة
 بالإعجاز ، ماشيت من رصف المبنى ، ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى ،
 وطيب الأسلوب ، والتشبت بالقلوب . غير أن سيدى أفرط في التنزل ،
 وخلط المخاطبة بالتغزل ، وراجع الألتفات ، ورام استدراك ما فات . يرحم
 الله شاعر المعرة ، فلقد أجاد في قوله ، وأنكر مناجاة للشوق ، بعد انصرام
 حوله فقال :

أبعدَ حَوْلَ تُناجى للشوق ناجية هلاً ونحن على عشر من العشر
 وقد تجاوزت في الأمل ، وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد ، فأقسم
 بالألفات القُدود ، وهَمَزات الجفون السود ، وحاملى الأرواح مع الألواح ،
 بالغدو والرواح ، لولا بُعد مزارك ، ما أمنتُ غايلة ماتحت إزارك . ثم
 إننى حققتُ الغرض ، وبحشتُ عن المُشكل الذى عَرَض ، فقلتُ للخواطر
 انتِقال ، ولكلِّ مقام مقال ، وتختلفُ الحوايجُ باختلاف الأوقات ، ثم رفع
 اللبس خبر الثقات .

ومنها : وتعرفتُ ما كان من مُراجعة سيدى لحرفة التكتيب والتعلیم ، والحنين
 إلى العهد القديم ، فسُررت باستقامة حاله ، وفضل ماله . وإن لاحظ
 المُلاحظ ما قال الجاحظ ، فاعتراض لا يُرد . وقياس لا يُضطرّد . حبذا والله
 عيش أهل التاديب ، فلا بالضنك ولا بالجديب ، معاهدة الإحسان .
 ومشاهدة الصور الحسان . يمينا إن المعلمين لسادة المسلمين . وإنى لأنظر
 منهم ، كلما خطرت على المكاتب . أمراً فوق المراتب ، من كل مُسيطر

الدرّة ، مُتَقَطَّبُ الأَسِرَّةِ ، مُتَمَرِّ لِلوَارِدِ تَنَمَّرُ المَهْرَةَ ، يَغْدُو إلى مَكْتَبِهِ ،
والأمير في مَوْكِبِهِ ، حتى إذا اسْتَقَلَّ في فرشه ، واستولى على عرشه ، وترنم
بتلاوة قانونه وورثه ، أظهر للخَلْقِ احتقاراً ، وأندى بالجبال وقاراً ،
ورُفِعَتْ إليه الخصوم ، ووقَّفَ بين يديه الظَّالِمَ والمظلوم ، فتقول كِشْرَى
في إيوانه ، والرَّشِيدَ في زمانه ، والحجَّاجَ بين أعوانه . وإذا استولى على
البَدْرِ السَّرارِ ، وتبين للشهر القرار^(١) ، وتحرك إلى الخَوْجِ ، تحرك القرد
إلى الفَرْجِ . أَسْتَغْفِرُ اللهَ ما يشقُّ على سيدي سماعه ، وتشجُّزُ من ذكره
طباعه ، شِيمَ اللِّسانِ ، خَلَطُ الإِسَاءَةِ بالإِحْسَانِ ، والغفلة من صِفاتِ الإنسانِ .
فأى عَيْشٍ هذا العيش ، وكيف حال أمير هذا الجيش ، طاعة معروقة ،
ووجوهٌ إليه مَصْرُوفَةٌ ، فإن أشار بالإنصات ، تتحقق الغُصَّاتُ ، فكأنما
طَمَسَ الأفواه ، ولام بين الشُّفاهِ . وإن أمر بالإفصاح ، وتلاوة الألواح ،
علا الضَّجِيجَ والعَجِيجَ ، وحفَّ به كما حفَّ بالبيت الحجِيجِ . وكم بين
ذلك من رِشْوَةٍ تُدْمَسُ ، وغَمَزَةٍ لا تُحَسُّ ، ووعد يُسْتَنْجَزُ ، وحاجة تُسْتَعَجَلُ
وتُحْفَزُ . هنا اللهُ سيدي ما خولّه ، وأنساه بطيب آخره أوله . وقد بعثتُ
بدُعابتي هذه مع إجلال قَدْرِهِ ، والثِّقَّةِ بِسَعَةِ صَدْرِهِ ، فليَتَلَقَّها بيمينه ،
ويَفْسَحَ لها في المَرْتَبَةِ بَيْنَهُ وبين خَدَيْنِهِ ، ويُفَرِّغَ لمراجعتها وقتاً من أوقاته ،
بِمُقْتَضَى دِينِهِ ، وَفَضْلِ يَمِينِهِ ، وَالسَّلَامِ .

ومن شعره ما كتب به إلى :

آيات حسنك حُجَّةٌ للقِال	في الحب قائمةٌ على العُدال
يا من سبأ طوعاً عقول ذوى النهى	ببلاغةٍ قد أيدتْ بجمال
يستعبد الأبصار والأسماع ما	يجلُّو ويتلُّو من سِنِّي مقال

(١) وردت في الإسكوريال (المرار) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وعليك أهواء النفوس بأسرها
 رفعت لريه^(١) في البلاغة راية
 وغدت تُباهى منك بالبدر الذي
 ماذا ترى يا ابن الخطيب لخطاب
 جَدَّبَتْهُ نحو هواك غُرُّ محاسن
 وشمايل رقت لرقّة طبعها
 وحلّى آداب بمثل نفيسها
 يستخدم الياقوت عند نظامها
 سبق الأخير الأولين بفضلها
 شغفى بذكر من عقايلها إذا
 فابعث بها نلت المنا مهوره
 لازلّت شمساً في الفضائل يهتدى
 ثم السلام عليك يترى ما تلت
 ومن الدعابة ، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل ، ما كتّبت به إليه

صديقه الملاطف أبو علي بن عبد السلام :

أبا عبد الله نداء خلّ وفي
 إلى كم تألف الشبان غياً
 فأجابه رحمه الله :

فديرتك صاحب السمة المليحة
 ومن قلبي وضعت له محلاً
 وأكباد لفرقتكم قريحة

(١) ريه هنا هو اسم الولاية الأندلسية التي يقع بها ثغر مالقة بلد المترجم له . وبالإسبانية Reijo

وطرفي لا يتاح له رُقَاد وهل نَوْمٌ لأجْفَانِ جَرِيحة
 وزاد تَشَوُّقِي أبياتُ شعر أتت منكمُ بِالْفَاطِ فَصِيحة
 ولم تَقْصِدْ بها جَدًّا ولا كُن قَصَدتَ بها مُدَاعِبَةً قَبِيحة
 فقلتُ أَتَأَلَفُ الشَّبَانَ غِيَا وخِذْلَانَا أَمَا تَخْشَى الفُضِيحة
 وفيهم جِرْفَتِي وقَوَامُ عَيْشِي وَأَحْوَالِي بِخُلُطَتِهِمْ نَجِيحة
 وأمري فيهم أَمْرٌ مُطَاع وَأَوْجُهُمْ مَصَابِيحُ صَبِيحة
 وتعلمُ أَنَّنِي رَجُلٌ حَصُورٌ وتعرفُ ذاكَ مَعْرِفَةً صَحِيحة

قال في « التَّاج »^(١) : ولما اشتهر المَشِيْب بعارضه وليمته ، وخَفَرَ الدهر
 لعمود صباه وإذمته ، أَقْلَعَ واسترجع ، وتَأَلَّمَ لما فَرَطَ وتوجَّع ، وهو الآن
 من جِلَّة الخطباء ، طاهرُ العَرَضِ والثَّوْبِ ، خالِصٌ من الثَّوْبِ ، بادٍ عليه
 قبولٌ قَابِلُ التَّوْبِ .

وفاته رحمه الله : في آخر صفر من عام خمسين وسبعماية في وقية
 الطاعون العام^(٢) ، ودخل غرناطة .

ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى

من أهل تِلْمَسَانَ ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية

بشمس الدين

(١) هو كتاب « التاج المحلى في مساجلة القدر المولى » من كتب ابن الخطيب الصغيرة . وقد سبق

ذكره فيما تقدم غير مرة .

(٢) سبق التعريف بهذا الطاعون في ترجمة ابن محارب الصريحي (راجع ص ٧٩ من هذا

المجلد - حاشية) .

حاله

هذا الرجل من طُرفِ دهره ظُرفًا وخصوصيةً ولطافةً ، مليح التوسل^(١) ، حسن اللقاء ، مبدول البشر ، كثير التودد ، نظيف البزّة ، لطيف التأتّي ، خيّر البيت ، طلق الوجه ، خلوب اللسان ، طيب الحديث ، مُقدر الألفاظ ، عارف بالأبواب ، دربٌ على صُحبة الملوك والأشراف ، مُتفاضٍ لإيثار السلاطين والأمراء ، يسحرهم بخلاصة لفظه ، ويفتليهم في الذروة والغارب ، بتنزله ، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينية بحذقة ، ويضع غاشيتهم بتلطفه ، مزوجُ الدعابة بالوقار ، والفكاهة بالنسك ، والحشمة بالبسط ، عظيم المشاركة لأهل وُدّه ، والتعصب لإخوانه ، إلفٌ مألوف ، كثير الأتباع والعلق ، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة ، مُجدي الجاه ، غاص المنزل بالطلبة ، مُنقاد الدعوة ، بارع الخط ، أنيقة ، عذب التلاوة ، متسع الرواية ، مشارك في فنون ، من أصول وفروع وتفسير ، يكتب ويشعر ويُقيّد ويؤلف ، فلا يعدو السداد في ذلك ، فارسٌ منبرٍ غير جزوع ولا هيابة^(٢) .

رحل إلى المشرق في كنفِ حشمة من جناب والده رحمه الله ، فحجَّ وجاور ، ولقى الجلّة ، ثم فارقة ، وقد عُرف بالمشرق حقّه ، وصرف وجهه إلى المغرب ، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره ، اشتمالاً خلطه بنفسه ، وجعله منفضي سِرّه ، وإمام جُمعته وخطيب منبره ، وأمّين رسالته ، فقَدِم في غرضها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعماية ، واجذبه سلطانها رحمه الله ، وأجراه على تلك الوتيرة ، فقلّده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وأقّعه للإقراء بالمدرسة من

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي جذوة الاقتباس (الزجل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (هياب) .

حَضْرته . وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أُطْرَفَ عنه حِفْنٌ بِرّه ، في أسلوب طِمَاحٍ^(١) ودالّةٍ ، وسبيل هوىٍ وقِحةٍ ، فاغتنم العِبْرَةَ ، وانتَهز الفرصة ، وأنفَذَ في الرَّحِيلِ العَزْمَةَ ، وانصرف عزيز الرُّحْلَةِ ، مغبوط المُنْقَلَبِ ، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية ، فاستقرَّ بباب ملك المغرب ، أمير المؤمنين أبي عِنان فارس في مَحَلٍّ تَجَلَّه ، وبِساطِ قُرْبٍ ، مُشترك الجاه ، مُجْدَى التوسُّطِ ، ناجحُ الشَّفاعةِ ، والله يتولاه ويزيده من فضله .

مُشِيخَتُهُ

[من كتابه المسمى « عَجالةُ المستوفز المستجاز في ذِكر من سُمِعَ من المشايخ دون من أجاز ، من أئمة المغرب والشَّام والحجاز » . فممن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام ، الإمام العلامة عزُّ الدين محمد أبو الحسن ابن علي بن إسماعيل الواسطي صاحب خُطَبِي الإِمامة والخطابة بالمسجد النبوي الكريم ، وأفرد جزءاً في مناقبه . ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السَّعدِي العَبَّادِي ، تحمَّلَ عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليمن وغيره . والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الإِمامة والخطابة به ، ومُنْشِدُ الأمداح النبوية هنالك]^(٢) . وبمكَّة شرفها الله ، الشيخ المُعَمَّرُ الثَّقَّةُ شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجِّي المكي . والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي . والشيخ مُقَرِّي السحرم

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الزيتونة (طمع) .

(٢) هذا ما ورد في الزيتونة عن مشيخة ابن مرزوق . وورد عنها في الإسكوريال ما باتى فقط (منقولة من خطه وكتابه المسمى عَجالةُ المستوفز المستجاز . في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشَّام والحجاز ، اختصرتها لطولها إذ هي نحو من ثلاثة أوراق) . وقد أضفنا نحن إليها عدة أسماء أخرى . وأوردها المقرئ بجملة في نفح الطيب (ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٠)

برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأبلى المصري . والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة ، انتهت إليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم . والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكِنَانِي قاضي القضاة بمصر . وبمصر الشيخ علاء الدين القُونَوِي . والتقى السعدى ، وقاضي القضاة القزويني ، والشرف أفضى القضاة الإخميمي ، وكثيرون غيرهم . وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء بتونس ، وبجاية ، والزَّاب ، وتِلْمَسَان

محنته

اقتضى الخوض الواقع بين يدي تاميل الأمير أبي الحسن رحمه الله ، وتوقع عودة الأمر إليه ، وقد ألقاه اليوم بالساحل بمدينة الجزائر ، أن قبض عليه بتلمسان ، أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة ، من بني زيان ، إرضاءً لقبيلهم ، المتهم بمداخلته ، وقد رحل عنهم دسيماً من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمرايين ، فصرف مأخوذاً عليه طريقه ، مُنتهباً رحله ، مُنتهكة حرمته ، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر ، مُقفل المسلك ، حريز القفل ، ثاني اثنين . ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شفى تلك الركية ، وانقطع لشدة الثقاف أثره ، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه . ولزمان [من] ^(١) محنته ظهرت عليه بركة سلفه ، في خبر ينظر بطرقه ^(٢) إلى الكرامة ، فنجا ولا تسل كيف ، وخلصه الله خلاصاً جميلاً ، وقديم على الأندلس ، والله ينفعه بمحنته ^(٣) .

(١) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (بطرف) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بنيته) ف

شعره

وما وقع من المكاتبة بيني وبينه

رَكِبَ مع السلطان خارج الحمراء ، أيام ضَرَبَت اللُّوز قبابها البيض ،
وَزَيَّنَت الفَحْص العريض ، والروض الأريض ، فارتجل في ذلك :

[أنظر إلى النوار في أغصانه يحكى النجوم إذا تبَدَّت في الحَلَك]^(١)
حيًا أمير المسلمين وقال قد عَمِيَّت بصيرةً من بغيرك مثلك
يا يوسفًا حُزَّت الجمال بأسره فمحاسنُ الأيام تُومى هَيْت لك
أنت الذى صَعَدت به أوصافه فيقال فيه ذا مليكٌ أو مَلِك

ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة ، خاطبني بمنزل الشاطبي

على مَرَحَلَة منها بما نصه :

يا قادمًا وافي بكل نجاج أبشِّر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذُ بها تنل المني وتفزُ بكل سماح
مغنى الإمام أبي عنان يَمَمُّن تظفر ببحر في العلي^(٢) طَفَّاح
من قاس جودَ أبي عنان ذى الندى يسواه قاس البحر بالضُّحاح
ملكٌ يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بَسْطَة راح
فلجود كعبٍ وابن سعدى في الندى ذكرٌ محاه من نِداء ماح
ما أن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله من أريحي للندى مُرتاح
بَسَط الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظلِّ جناح
وهَمَى على العافين سيبُ نواله حتى حكى سَحَّ الغمام السَّاح
فنواله وجلاله وفعاله فاقت وأعيت ألسن المُدَّاح

(١) هذا البيت وارد في « الزيتونة » والنسخ ، وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الاستقصا (بالندا) (ج ٢ ص ٩٢) .

وبه الدنيا أضحت تروق وأصبحت كلُّ المنى تنقاد بعد جِماح
 من كان ذا ترحٍ فرؤية وجهه متلافةً الأحزان والأتراح
 فانفض أبا عبد الإله تَفُزُ بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
 لازلت تترتشف الأمانى راحةً من راحةِ المولى بكلِّ صباح

والحمد لله ياسيدى وأخى على نعيمه التى لا تحصى حمداً يوم به
 جميعنا المقصد الأسنى ، فيبلغ الأمد الأقصى ، فطالما كان معظم سيدى
 للأسى فى خيال ، وللأسف بين اشتغال بال ، واشتغال بلبال . ولقدومكم
 على هذا المقام العلى فى ارتقاب ، ولمواعدكم بذلك فى تحقق وقوعه من
 غير شك ولا ارتياب ، فهأ أنت تجتلى ، من هذا المقام العلى ، لتُشيعك
 وجوه المسرات صباحاً ، وتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مُسندة صباحاً
 بحول الله . ولسيدى الفضل فى قبول مرَّكوبه الواصل إليه بسرِّجه ولجامه ،
 فهو من بعض ما لدى المحب^(١) من إحسان مولاي وإنعامه . ولعمري لقد
 كان وافداً على سيدى فى مُستقرِّه مع غيره . فالحمد لله الذى يسرَّ فى إيصاله
 على أفضل أحواله .

فراجعته بقولى :

راحتْ تذكُّرُنِي كؤوس الرّاح والقُرب يخفض للجنوح جناح
 وسرّتْ تدلُّ على القبول كأنما دلّ النسيم على انبلاج صباح
 حسناء قد غنيت بحسن صفاتها عن دملج وقلادة ووشاح
 أمست تحضُّ على اللياذبن جرّت بسعوده الأقلام فى الأفراح
 بخليفة الله المؤيد فارسٍ شمس المعالى الأزهر الوضاح
 ماشيت من هممٍ ومن سيمٍ غدت كالزهر أو كالزهر فى الأدواح

(١) مكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (المعظم) .

فضلُ الملوكِ فليس يُدرِكُ شأوهُ أني يُقاسُ الغمُّ بالضحاحِ
 أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفاح
 وغدت مغاني الملك لما حلها تزهي ببدر هدى وبحر سماح
 وحياء من أهداك تحفة قادم في العرف منها راحة الأرواح
 ما زلتُ أجعل ذكره وثناءه رُوحى وزيحاني الأريج وراح
 ولقد تمازج حبه بجوارحي كما مزج الأجسام بالأرواح
 ولو أنني أبصرت يوماً في يدي أمرى لطرتُ إليه دون جناح
 فالآن ساعدني الزمان وأيقنت من قربه نفسي بفوز قِداح
 إليه أبا عبد الإلاه وإنسه لنداء ود في علاك صُراح
 أما إذا استنجذتني من بعد ما ركذت لما نخبَت الخطوب رِيّاح
 فأليكمها مهزولة وأنا امرؤ قررت عجزى وأطرحتُ سلاح

سيدى : أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولى بعين الولاء تلحظه . وصلتني
 رُفعتك التي ابتدعت ، وبالحق من مدح المولى الخليفة صدعت ، وألفتني
 وقد سَطَّتْ بي الأوحال ، حتى كادت تُتلف الرِّحال ، والحاجة إلى الغذاء ،
 قد شمَّرت كشح البَطِين ، وثانية العجماءوين قد تُوقع فوات وقتها ،
 وإن كانت صلاحها صلاة الطين ، والفكر قد غاض مَعِينُهُ ، وضعف وعلى الله
 جزاء المولى الذي يُعِينُهُ ، فغزتني بكتيبة بيان أسدُها هُصور ، وعلمها منصور ،
 وألفاظها ليس فيها قُصور . ومعانيها عليها الحُسن مَقْصور ، واعتراف مثلى
 بالعجز في المضايق حولُ ومنَّة . وقول لا أدري للعالم فكيف لغيره جنَّة .
 لآكنها بشرتني بما يقل لمهديه^(١) بذل النفوس وإن جَلَّت ، وأطلعتني من

(١) هكذا في الإسكورييل . وفي النسخ والاستقصاء (لمؤديه) .

السَّراءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ ، بما أعلمت^(١) به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله ، في عبْدِه ، وصِدْقِ المَخِيلَةِ في كَرَمِ مَجْدِه . وهذا هو الجود المحض ، والفضل الذي شُكِرُهُ هو الفَرَضُ . وتلك الخلافة المُولَوِيَّةُ تَتَّصِفُ بصفة^(٢) من يبدأ بالنوال ، من قَبْلِ الضَّرَاعَةِ والسؤال ، من غير اعتبار للأسباب ، ولا مجازاة للأعمال . نسأل الله أن يُبْقِيَ منها على الإسلام أَوْفَى الظُّلالِ ، ويبلِّغها من فضله أَقْصَى الآمالِ . ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية ، والتحفة الودية ، لوقبلتها امتثالاً^(٣) ، واستجليتُ منها عِتْقاً وجمالاً . وسيدي في الوقت أنسبُ إلى اتخاذ ذلك الجِنْسِ ، وأقدرُ على الاستكثار من إناث البَهْمِ والإنسِ . وأنا ضعيف القدرة ، غير مستطيع لذلك إلا في النَّدرة ، فلو رأى سيدي ، ورأيه سَداد ، وقصده فضل ووداد ، أن ينقل القَضِيَّةَ [إلى باب العارية من باب الهبة]^(٤) مع وجوب الحقوق المترتبة ، لبسط خاطري وجمعه ، وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه ، وقد استصحبت مركوبا يَشُقُّ على هجره ، ويناسب مقامي شكله ونَجْرُه ، وسيدي في الإسعاف على الله أَجْرُه ، وهذا أمر عرض ، وفرض فَرِض ، وعلى نظره المَعُول ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول . والسلام على سيدي من مُعَظِّم قدره . ومُلْتَمِز بِرِّه ، ابن الخطيب ، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة خمسة وخمسين وسبعماية ،

(١) هذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (أعلسى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والاستقصاء (بصمت) .

(٣) هذه العبارة وردة في النسخ والاستقصاء ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت هذه العبارة في الإسكوريال (من باب الهدية إلى باب العارية) والنصوب من

النسخ والاستقصاء .

والسَّمَاءُ قد جادت بِمَطَرٍ سَهَرَتْ منه الأَجْفَانُ ، وَظُنَّ أَنَّهُ طُوفَانٌ ، واللُّحَاقُ
فِي غَدِّ بِالْبَابِ المَوْلَى ، مؤمَلٌ بحولِ اللَّهِ .

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه ، ما أنشد عنه ، وبين يديه ، في ليلة

الميلاد العظيم ، من عام ثلاثة وستين وسبعمايةً بتدنية فاس المحروسة :

[أيا نسيم ^(١) السَّحَرُ بالله بُلُغَ خبِر
 إن أنت يوماً بالحِمَى جررتَ فضلَ المُنْزَرِ
 ثم حثتَ الخطو من فوق الكَيْثِيبِ الأَغْفَرِ
 مُستَقْرِيًّا في عُشْبِهِ خَفِيَ وَطِيءُ المَطَرِ
 تروى عن الضَّحَاكِ في الرُوضِ حديثَ الزَّهْرِ
 مُخَلِّقِ الأَذْيَالِ بالعَبِيرِ أو بالعَنْبَرِ
 وصِفِ لجيرانِ الحِمَى وَجَدَى بهم وَسَهَرَى
 وحقهم ما غَيَّرَتْ وُدِّي صرُوفُ الغَيْرِ
 لله عهدٌ فيه قضيتُ حَمِيدَ الأَثَرِ
 أَيَّامَهُ هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا من عُمَرَى
 وبِاللَّيْلِ فيه ما عَيْبُ بَغْيَسِرِ القِصْرِ
 العَمْرُ فَيَنانُ ووجهُ الدهرِ طَلِيقُ الغُرْرِ
 والشَّمْلُ بالأَحْبَابِ منظومِ كَنَظْمِ الدُّرْرِ
 صَفْوُ من العيشِ بلا شائِبَةٍ من كَدْرِ
 ما بين أهلِ تَقَطُّفِ الأُنْسِ حَنَى الشَّمْسِ
 وبين آمالِ تَبْيِيحِ القُرْبِ صافِي القُدْرِ
 يا شجراتِ الحَيِّ حَيَّاكَ الحَيَا من شَجَرِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (قل نسيم) .

إذا أجال الشوق في تلك المغناني فكري
 خرّجت من خدي حديث الدمع فوق الطّور
 وقلت يا خدّ ارو من دمي صِباح الجوهري
 عهدي بحادي الرّكب كالورقاء عند السّحر
 والعيس تجتاب الفلا واليغمالات تنبري
 تخبط بالأخفاف مظلوم البرا وهو بـبري
 قد عطفت عن مئيد والتفت عن حور
 قسي سير ما سنوي العنزم لها من وتسر
 حتى إذا الأعلام حلست لحنى البشر
 واستبشر النازح بالقرب ونيل الوطر
 وعين الميقات للسفر نجاح السفر
 والناس بين مخرم بالحج أو مُعتمر
 لبيك لبيك إله الخلق باري الصور
 ولاحت الكعبة بيت الله ذات الأثر
 مقام إبراهيم والمامن عند الذّعـر
 واغتنم القوم طواف القمام المبتدر
 وأعقبوا ركعتي السعي استلام الحجر
 وعرفوا في عرفات كل عرف أذفر
 ثم أفاض الناس سعياً في غد للمشعر
 فوقفوا وكبروا قبل الصبح المُسفر
 وفي منى نالوا المنى وأيقنوا بالظفر
 وبعد رمى الجمرات كان خلق الشّعر

أَكْرَمَ بِذَلِكَ الصَّحْبِ ^(١) وَاللَّهُ وَذَلِكَ النَّفْسِ ^(٢)
 يَا فَوْزُهُ مِنْ مَوْقِفٍ يَا رَبِّحُهُ مِنْ مَتَجَسِّرٍ
 حَتَّى إِذَا كَانَ الْوَدَا عَ وَطَوَافِ الصُّدْرِ
 فَأَيُّ صَبْرٍ لَمْ يَخُنْ أَوْ جَلْدٍ لَمْ يَغْدُرْ
 وَأَيُّ وَجْدٍ لَمْ يَصُلْ وَسَلْوَةٍ لَمْ تُهْجِرْ
 مَا أَفْجَعَ الْبَيْنَ لِقَلْبِ الْوَالِدِ الْمُسْتَفْهِرِ ^(٣)
 ثُمَّ ثَنَّوْا نَحْوَ رَسُو لِ اللَّهِ سَيْرِ الضُّمَيْرِ
 فَعَابِنُوا فِي طَيْبَةِ الْأَلَاءِ نَوْرَ نَيْرِ
 زَارُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْتَشْفَعُوا بِلَثْمِ الْجُدْرِ
 نَالُوا بِهِ مَا أَمَلُوا وَعَرَّجُوا فِي الْأَنْرِ
 عَلَى الضَّجِيعِينَ أَبِي بَكْرِ الرَّضَا وَعُمَرَ
 زِيَارَةَ الْهَادِي الشُّفِيعِ جَنَّةً فِي الْمَخْشِرِ
 فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَزَا ءَ قَاصِدٍ لَمْ يَسْزُرْ
 رَبِّعٌ تَرَى مُسْتَنْزِلَ الْآيِ بِهِ وَالسُّورِ
 وَمَلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الزَّكِيِّ الْعُنْصُرِ
 وَرَوْضَةَ الْجَنَّةِ بَيْنَ رَوْضَةِ وَمَنْبَرِ
 مُنْتَحَبِ اللَّهِ وَمُخْتَسِرِ الْوَرَى مِنْ مُضْضِرِ
 وَالْمُنْتَقَى وَالْكُونِ مِنْ مَلَابِسِ الْخَلْقِ عَرِي
 إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أَفْئِقِ مِنْ زُحَلٍ أَوْ مُشْتَرِ ^(٤)

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (السفر) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (السفر) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال وفي النفع (المستعبر) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ومشترى) .

ذو المعجزات الغرِّ أمثال النجوم الزهر
 يشهد بالصِّدق له منها انشقاق القمر
 والضَّب والظَّبِي إلى نُطق الحصى والشجر
 من أظعم الألف بصا ع في صحيح الخبر
 والجيش رواه بما ء الراحة المنهمر
 يا نكتة الكون التي فاتت منال الفكر
 يا حجة الله على الرا ئح والمبتكر
 يا أكرم الرُّسل على الله وخير البشر
 يامن له التقدّم الحقُّ على التأخّر
 يامن لدى مولده المقدّس المُطهر
 إيوان كسرى ارتجَّ إذ ضاقت^(١) قُصور قيصر
 ووقد النار طفا كأنها لم تُسعر
 يا عُمدتي يا ملجئي يا مفرعي يا وزري
 يا من له اللواء والحوض وورد الكوثر
 يا منقذ الغرقى وهم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تُحقّق أملى بُوتُ بسعى المُخبر
 صلّى عليك الله يا نور الدجا المُعتر
 يا ويحُ نفسي كم أرى [من غفلتي في عُمر]^(٢)
 واحسروا من قيلة السزاد وبعد السفر
 يُججني والله بالبرهان وعظ المنبر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ضامت).

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وفي النسخ (في غفلة من عمري) .

يا حُسْنَهَا مِنْ خُطْبٍ لو حُرِّكَتْ مِنْ نَظَرٍ^(١)
 يا حُسْنَهَا مِنْ شَجَرٍ لو أُورِقَتْ مِنْ ثَمَرٍ
 أَوْ مَسَلِ الأَوْبَتَةَ والأَمْرَ بِكَفِّ القَبَدْرِ
 أَسَوْفُ العِزْمِ مِنْ شَهْرٍ لِشَهْرٍ
 مِنْ صَفَرٍ لِرَجَبٍ مِنْ رَجَبٍ لَصَفَرٍ
 ضَمِيْعَتْ فِي الكَبْرَةِ مَا أَعْدَدْتُهُ فِي صِغَرٍ
 وَلَيْسَ مَا مَرَّ مِنْ الأَيْنَامِ بِالمُنْتَظَرِ
 وَقَلَّ مَا أَنْ حَمِدْتُ سَلَامَةً فِي غَمْرٍ
 وَلى غَرِيمٍ لا يَنْبَى عَنْ طَلَسِبِ المُنْكَسِرِ
 يَا تَفْسَ جَدِّي قَدْ بَدَأَ الصَّبِيحَ أَلَا فاعْتَبِرِي
 وَأَتَعَطَى بِمَنْ مَضَى وَارْتَدَعَى وَازْدَجَرِي
 مَا بَعْدَ شَيْبِ القَوْدِ مِنْ مُرْتَقِبِ فِشْمِـرِي
 أَنْتِ وَإِنْ طَالَ المَنْدَى فِي قَلْعَةٍ أَوْ سَفَرِ
 وَلَيْسَ مِنْ عُذْرٍ يُقِيمُ حِجَّةَ المُعْتَلِرِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالمُنَى تَسْرِقُ طَيْبَ العُمَرِ
 هَلْ ارْتَجَى مِنْ عودَةٍ أَوْ رَجَعَةٍ أَوْ صَدَرِ
 فإُبْرِدُ الغُلَّةَ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ الخَصِـرِ
 مَقْتَلِدِيًّا بِمَنْ دَضَى مِنْ سَلَفٍ وَمَعْشَرِ
 نَالُوا جِوَارَ اللهِ وَهُوَ الفَخْرُ للمَفْتَخِرِ
 أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ لَنَا بِلِسُوغِ الوَطْرِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الشح (نظري) .

فوَعَدَهُ لَا يَمْتَنِرِي فِي انْصَدَقَ مِنْهُ الْمُتَمَتِرِ^(١)
 فَهُوَ الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى وَالْخَيْرُ ابْنُ الْخَيْرِ
 أَكْرَمَ مِنْ نَالَ الْمَنَى^(٢) بِالْمُرْهَفَاتِ الْبُتْرِ
 مُمَهَّدُ الْمَلِكِ وَسَيْفُ الْحَقِّ وَاللَيْثُ الْجَسْرِي
 خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي فَاقَ بِحَسَنِ السُّسَيْرِ
 وَكَانَ مِنْهُ الْجُبْرُ فِي الْعَلْبَاءِ وَفَقَّ الْخَيْرِ
 فَصَدَّقَ التَّصْدِيقَ مِنْ مَرَّاهِ لِلتَّصْصُورِ
 وَمَسْتَعِينُ اللَّهِ فِي وَرَدٍ لَهُ وَصَدَّرِ
 فَاقَ الْمَلُوكَ الصَّيْدَ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْخَطَرِ
 فَأَصْبَحَتْ أَلْقَابُهُمْ مَنَسِيَّةً لَمْ تُذْكَرِ
 وَحَازَ مِنْهُمْ^(٣) أَوْحَسِدُ وَضَفَّ الْعَدِيدَ الْأَكْثَرِ
 بِرَأْيِهِ الْمَأْمُونِ أَوْ عَسْكَرِهِ الْمُظْفَرِ
 بِسَيْفِهِ السَّفَاحِ أَوْ بَعَزَمِهِ الْمُقْتَدِرِ
 بِالْعَلَمِ الْمَنْصُورِ أَوْ بِالذَّابِلِ الْمُسْتَنْصِرِ^(٤)
 بِابْنِ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الْبَرِّ الزُّكِيِّ السَّيْرِ
 مَدْحُكَ قَدْ عَلَّمَ نَظْمَ الشُّعْرِ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ^(٥)
 جُهْدُ الْمُقِيلِ الْيَوْمِ مِنْ مِثْلِي كَوْشَعِ الْمُكْثَرِ
 فَإِنْ يُقْصَرُ ظَاهِرِي فَلَمْ يُقْصَرِ مُضْجِرِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تمتري) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (العلا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المتنصر) .

(٥) هذه الأبيات الأخيرة كان قد نظمها ابن مرزوق في مديح ملك المغرب يومئذ السلطان أبي سالم إبراهيم المريني ، ولكنه لقي مصرعه في ذي القعدة ٧٦٢ هـ قبل حلول المولد النبوي .

وَوَرَدَتْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الْعَالِمِ أَبِي عَنَانَ ، فَبَلَوْتُ مِنْ مَشَارِكْتِهِ .
وَحَمِيدِ سَعِيهِ ، مَا يَلِيْقُ بِمِثْلِهِ . وَلَمَّا نَكَبَهُ لَمْ أَقْصُرْ عَنْ مُمَكِّنِ حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ .
وَلَمَّا هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ [الْمُتَلَحِّقِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ] ^(١) كَانَ مِنْ دُمُثَ لَهُ
الطَّاعَةَ ، وَأَنَاخَ رَاحِلَةَ الْمُلْكِ ، وَحَلَبَ ضِرْعَ الدَّعْوَةِ ^(٢) ، وَخَطَبَ [عُرُوسِ] ^(٣)
الْمَوْهَبَةَ ، فَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِي مَتَاتٍ مَعْقُودَةٍ مِنَ لَدُنِّ الْأَبِّ ، مَشْدُودَةٍ مِنَ لَدُنِّ
الْقُرْبَةِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ كَثْبٍ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْرِهِ ،
وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ عَنْهُ بَيْئَةٌ ، وَلَا أَنْفَرِدَ بِمَا سِوَى بَضْعِ أَهْلِهِ .
بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ . وَلَا يَمْحُو وَيُثَبِّتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ
حَدِّهِ . فَغَشِيَتْ بَابَهُ الْوَفُودُ ، وَضُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأَمَالُ .
وَخَدِمَتْهُ الْأَشْرَافُ ، وَجُلِبَتْ إِلَى سُدَّتِهِ بَضَائِعُ الْعُقُولِ وَالْأَمْوَالِ . وَهَادَتْهُ
الْمُلُوكُ ، فَلَا تَحْدُو الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَحْطُّ الرَّحَالُ إِلَّا لَدَيْهِ . إِنْ خَضَرَ
أَجْرَى الرَّسْمِ ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَحْظًا أَوْ سِرَارًا أَوْ مَكَاتِبَةً ، وَإِنْ غَابَ ،
تَرَدَّدَتْ الرَّقَاعُ ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ . ثُمَّ أَنْفَرِدَ أَخِيرًا بِبَيْتِ الْخَلْوَةِ ،
وَمُنْتَبِذَ الْمُنَاجَاةِ ، مِنْ دُونِهِ مُضْطَفُّ الْوُزَرَاءِ ، وَغَايَاتِ الْحُجَابِ ^(٥) ، فَإِذَا
انْصَرَفَ تَبِعَتْهُ الدُّنْيَا ، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ ، وَوُقِفَتْ بِبَابِهِ الْأَمْرَاءُ ،
قَدْ وَسِعَ الْكُلُّ لِحْظَهُ ، وَشَمِلَهُمْ بِحَسَبِ الرُّتْبِ وَالْأَمْوَالِ رَعِيَهُ ، وَوَسَمَ
أَفْدَادَهُمْ تَسْوِيْدُهُ ، وَعُقِمَتْ بِبَنَانِ عِلِّيَّتِهِمْ بَنَانُهُ . لَٰكِنْ رِضَى النَّاسُ غَايَةَ

(١) هذه الزيادة من النسخ . ومكانها في المخطوط هذه العبارة (بعد ولده) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الدولة) .

(٣) هذه الزيادة من النسخ

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (التقرب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحجاية) .

لا تُدرِك ، والحِقْد^(١) بين بنى آدم قديم ، وقَبِيلُ الملكِ مَبَايِنٌ لِمِثْلِهِ ، فَطُويْتُ
الجوانح منه على سَل ، وَحُنِيْتُ الضُّلُوعَ على بَثٍّ ، [وَأُغْمِضْتُ الجفونَ
على قَدَى] ^(٢) إلى أن كان من نَكْبَتِهِ ما هو معروف جعلها اللهُ له طُهوراً .

ولما جَرَّتِ الحادثة على السلطان^(٣) [بالأندلس] ^(٤) ، وكان لحاقُ جميعنا
بالمغرب ، جَنَيْتُ ثمرة ما أَسْلَفْتُهُ في وُدِّهِ ، فوفى كَيْلَ الوَفا ، وَأَشْرَكَ في
الجاه ، وَأَدْرَ الرِّزْقَ ، ورفع المجلس [بعد التَّسْبِيبِ في الخلاص] ^(٥) ،
والسَّعى في الجَبْرِ ، جَبْرَهُ اللهُ [تعالى وكان له] ^(٦) أَحوج ما يكون إلى ذلك ،
يوم لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنونٌ ، إلا من أتى اللهُ بقلب سليم .

ولما انقضى أمرُ سلطنةِ رَحْمَةِ اللهِ ، وَقَدَفَ به بحرُ التَّمْجِيسِ إلى شَطْلِهِ ،
وأضحى جوُّ النُّكْبَةِ بعد انطِباقِهِ ، آثَرَ التَّشْرِيقَ بنأهله وجُمَلَتِهِ ، واستقرَّ
بتوتس ، خطيبُ الخِلافةِ ؛ مَقِيمًا على رسمِهِ من التَّجَلَّةِ ، ذايِعُ الفضلِ
هتالك والمشاركة ، وهو بحالِهِ الموصوفة إلى الآن كان اللهُ له .

وكنْتُ أَحْسَسْتُ منه في بعضِ الكُتُبِ الوارِدة ، صاغية إلى الدُّنيا ،
وحنيناً لما فارق من غُرُورِها ، فحملني الطَّيرُ الذي ارتكَبْتَهُ في هذه الأيام
بتوفيقِ اللهِ . على أن خاطبته بهذه الرسالة ، وحثُّها أن يجعلها خدمةَ الملوكِ
ممن يُنسب إلى نُبيل ، أو يُلم بمعرفة ، مُصْحَفًا يَدْرُسُهُ ، وشِعَارًا يَلْتَزِمُهُ ، وهى:
سَيْدِي ، الذي يَدُّهُ البِيضَاءُ لم تَذْهَبْ بشهرتها المكافاة ، ولم تختلِفْ

(١) هذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحسد) .

(٢) هذه الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الدول) .

(٤) هذه الزيادة من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (تسبیب الخلاص) . والتصويب من النسخ .

(٦) الزيادة من النسخ .

في مدحها الأفعال ، ولا تغايرت في حمدها الصفات ، ولا تزال تعترف بها
العظام الرفات ، أطلقك الله من أسر الكون ، كما أطلقك من أسر بعضه ،
ورشدك في سمايه العالية وأرضيه ، وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يحملك
على رفضه . أتصل بن الخبير السار من تركك لشأنك ، وإجناء الله إياك ثرة
إحسانك ، وإنجياب ظلام الشدة الحالك ، عن أفق حالك . فكبرت لانتشاق
عمو الله العاطر ، واستعبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج ، لا يسوى
ذلك من رضى مخلوق يومر فيأتمر ، ويدعوه القضاء فيبتدر ، إنما هو فيء
وظل ليس له من الأمر شيء ، ونسأله جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك
بالدنيا وبنيها ، وأول معارج نفسك . التي تقرها من الحق وتذنيها ،
وكأننى والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك ، ومضادتها ولا حول
ولا قوة إلا بالله لطبعك ، وأنا أنافرك إلى العقل الذى هو قسطاس الله فى
عالم الإنسان ، والآلة لبث العدل والإحسان ، والملك الذى يبين عنه
ترجمان اللسان ، فاقول لبت شعرى ما الذى غبظ سيدى بالدنيا ، وإن بلغ
من زبرجها الرتبة العليا ، وأفرض الميثال لحالة إقبالها ، ووصل جبالها ،
وضراعة سبيلها ، وخشوع جبالها . ألتوقع المكروه صباح مسا ، وارتقاب
الحوالة التى تدل من النعيم البأسا . ولزوم المنافسة التى تعادى الأشراف
والرؤسا . ألترب العتب ، حتى على التقصير فى الكتب ، وظعينة جار
الجنب ، وولوع الصديق بإحصاء الذنب . أالنسبة وقايع الدولة إليك
وأنت برى ، وتطويقك الموبقات وأنت منها عرى . ألاستهدافك للمضار
التي تنتجها غيره الفروج . والأحقاد التى تظطبنها ركة السروج وسرحة
المروج ، ونجوم السما ذات البروج . ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه
طاقتك . وصحت إليه فافتك ، من حاجة لا يقتضى قضاها الوجود .

ولا يُكَيِّفُهَا الرُّكُوعَ لِلْمَلِكِ وَالسُّجُودَ . أَلِقَطَعَ الزَّمَانَ بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعْبَدُ ،
 وَسِهَامٍ لِلْغُيُوبِ تُكَبَّدُ ، وَعَجَاجَةَ شَرِّ تَلْبَدٍ . وَأَقْبُوحةً تُخَلَّدُ وَتُوَبَّدُ . أَلِوزِيرِ
 يُصَانِعُ وَيُدَارِي ، وَذِي حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ يُجَادِلُ فِي مُرْضَاةِ السُّلْطَانِ وَيُمَارِي ،
 وَعَوْرَةٍ لَا تُوَارَى . أَلِمُبَاكِرَةَ كُلِّ غَائِبٍ حَاسِدٍ ، وَعَدُوِّ مُسْتَأْسِدٍ ، وَسُوقِ
 لِلْإِنصَافِ وَالشَّفَقَةِ كَاسِدٍ ، وَحَالِ فَاسِدٍ . أَلِدُفُودَ تَتَزَاحِمُ بِسُدَّتِكَ ، مُكَلِّفَةٌ
 لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوْفِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَنْلِ أَغْرَاضَهَا . قَلَبْتَ عَلَيْكَ السَّمَاءَ مِنْ فَوْقِكَ .
 أَلِجُلَسَاءِ بَبَابِكَ ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَانَ رَجُوعِكَ وَإِيَابِكَ ، إِلَّا بِقَبْضِ غَيْبِيَابِكَ .
 فَالْتَّصِرْفَاتِ تُمَقَّتْ ، وَالقَوَاطِعِ النُّجُومِيَّاتِ تُوَقَّتْ ، وَالْأَلَاقِ (١) تُبَثُّ ،
 وَالسَّعَايَاتِ تُحَثُّ ، وَالْمَسَاجِدِ يُشْتَكَى قَيْهَا الْبَثُّ ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي
 يَدِكَ ، بِمَنْزِلَةِ الْجِمَارِ الْمَدْبُورِ . وَالْيَتِيمِ الْمُنْحَجُورِ ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ .
 لَيْسَ لَهُ شَهْرَةٌ وَلَا غَضَبٌ . وَلَا أَمَلٌ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَرْبٌ . وَلَا مَوْجِدَةٌ لِأَحَدٍ
 كَامِنَةٌ . وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ . وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَن رَأْيِ نُفْرَةٍ . وَلَا بِلِزَاءِ مَا لَا
 يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفْرَةٌ . إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصَيْدِكَ . وَعَانَ فِي قَيْدِكَ . وَآلَةٌ لَتَصْرُفِ
 كَيْدِكَ ، وَأَنَّكَ عِلَّةٌ حَيْفِهِ ، وَمُسَلِّطٌ سَيْفِهِ . الشُّرَّارُ يُسْمِلُونَ عُيُونَ النَّاسِ
 بِاسْمِكَ ، ثُمَّ يُمَزَّقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَرْقَ جِسْمِكَ . قَدْ تَنَخَّلَهُمُ الْوَجُودُ أَخْبَثَ
 مَا فِيهِ . وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ . إِذِ الْخَيْرُ يُسْرُهُ اللَّهُ عَنِ الدُّوْلِ وَيُخْفِيهِ .
 وَيَقْذِمُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ . فَهَمَّ يَمْتَا حُونَكَ . وَيُولُونُكَ الْمَلَامَةَ . وَيَقْتَحِمُونَ
 عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ . وَيَسُدُّونَ طَرِيقَ السَّلَامَةِ . وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ
 إِلَّا مَا يَعْزُزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ ، وَلَا يَنْمُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ . وَذَهَابِ صُدَاعِهِ . مِنْ
 غِذَاءِ يُشْبِعُ ، وَثُوبِ يُقْنَعُ ، وَفِرَاشِ يُنِيمُ ، وَخَدِيمِ يَقْعُدُ وَيُقِيمُ . وَمَا الْفَايِدَةُ
 فِي فُرْشِ تَحْتَهَا حَمْرُ الْعَضَا ، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا . وَحَادٍ نُحَلِّقُ عَلَيْهِ

(١) الألاق جمع القية ، ومعناها الأعمار والاحاجي .

سيفٌ مُنْتَضَا . وَإِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ مَا لَا تَمْلِكُ ، وَاللَّجَاجَ حَوْلَ الْمَسْقُطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَمْلِكُ . فَكَيْفَ يُنْسَبُ إِلَى نُبُلٍ أَوْ يُسَرَّ مَعَ السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ فِي التُّعُودِ بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي أَىُّ شَيْءٍ زَادَهَا ، أَوْ مَعْنَى أَفَادَهَا ، إِلَّا مُبَاكَرَةَ وَجْهِ الْحَاسِدِ ، وَذَى الْقَلْبِ الْفَاسِدِ ، وَمَوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ . أَوْ شَعْرَتَ بَعْضِ الْإِيْنَانِ فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ ، هَلْ التَّدَّتْ إِلَّا بِحِلْمٍ كَاذِبٍ ، أَوْ جَذْبِهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَاذِبٍ . إِنَّمَا الْحَلِيَّةُ وَافْتِكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْبِزَّةِ ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدَّتْ بِخَبْرِكَ ، وَيَتَّبِعُ بِالنَّقْدِ وَالتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظْرِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ شَارَةِ أَنْسِكَ . وَيَحْتَالُ عَلَى فِرَاقِ كَيْسِكَ ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لَكَ وَلِرَسِيكَ . وَأَىُّ رَاحَةٍ لِمَنْ لَا يُبَاشِرُ قَصْدَهُ ، وَيَسِيرُ مَتَى شَاءَ وَخَدَهُ ، وَلَوْ صَحَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ لِلَّهِ حِظٌّ ، وَهَبَهُ زَهِيداً ، أَوْ عَيَّنَ لِلرُّشْدِ عَمَلاً حَمِيداً ، لَسَاغَ الصَّابُ^(١) . وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ ، وَسَهَّلَ الْمُصَابُ . لَآكُنَ الْوَقْتُ أَشْغَلُ ، وَالْفِكْرُ أَوْغَلُ ، وَالزَّمَنُ قَدْ غَمَّرْتَهُ الْحِصْصُ الْوَهْمِيَّةُ ، وَاسْتَنْفَدَتْ مِنْهُ الْكَمِّيَّةُ . أَمَا لَيْلُهُ ففِكْرٌ أَوْ نَوْمٌ ، وَعَتَبٌ يَجْرُ الضَّرَاسُ وَلَوْمٌ ، وَأَمَا يَوْمُهُ فَتَدْبِيرٌ ، وَقَبِيلٌ وَدَبِيرٌ ، وَأُمُورٌ يَعْبَاهَا ثَبِيرٌ ، وَبِلَاءٌ مُبِيرٌ ، وَلَغَطٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ حَكِيمٌ كَبِيرٌ . وَأَنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ . وَوَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ، وَمَنْ فَلَقَ الْحَبَّ وَأَخْرَجَ الْأَبَّ . وَذَرَا مِنْ مَشَى وَمَا دَبَّ . وَسَمَى نَفْسَهُ الرَّبَّ ، لَوْ تَعَلَّقَ الْمَالُ الَّذِي يَجِدُهُ هَذَا الْكَذْحُ ، وَيُورِي سَقِيظَهُ هَذَا الْقَدْحُ ، بِأَذْيَالِ الْكُوكَبِ . وَزَاحَمَتِ الْبِيدَرُ بِدُرِّهِ بِالْمَنَاكِبِ ، لَا وَرَثَهُ عَقِيبٌ ، وَلَا خَلَصَ بِهِ مُخْتَقِبٌ ، وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ وَلَا مُنْتَقِبٌ . وَالشَّاهِدُ الدُّوْلُ وَالْمَشَايِمُ الْأُولُ . فَأَيُّ الرُّبَاعِ الْمُقْتَنَاةِ ، وَأَيُّ الدِّيَارِ الْمُتَبَدَاةِ . وَأَيُّ الْحَدَائِقِ الْمُغْتَرَسَاتِ . وَأَيُّ النَّخَائِرِ

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتى الصابة شجرة مرة . وجمعه صاب .

المُخْتَلَسَات ، وَأَيْنَ الْوَدَائِعِ الدُّوْمَلَةِ ، وَأَيْنَ الْأَمَانَاتِ الْمُحَمَّلَةِ ، تَأْذَنَ اللَّهُ بِتَتَبِيرِهَا ، وَإِدْنَاءِ وَتَارِ التِّيَّارِ مِنْ دَنَانِيرِهَا ، فَقَلِمَا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا أَعْرَبًا لِلطُّسُورِ ، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَائِاتِ الشُّهُورِ ، مُتَعَلِّلِينَ بِالْهَبَاءِ الْمُنْشُورِ ، يُطْرَدُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي حُجِبَ عِنْدَهَا آبَاؤُهُمْ ، وَعُغِرَ مِنْهَا إِبَاؤُهُمْ ، وَشَمَّ مِنْ مَقَاصِيرِهَا عَنَبَرُهُمْ وَكِبَاؤُهُمْ ، لَمْ تُسَامِحْهُمْ الْأَيَّامُ إِلَّا فِي إِرْثِ مُحَرَّرٍ ، أَوْ حَلَالٍ مُقَرَّرٍ ، وَرَبِّمَا مَحَقَّهُ الْحَرَامُ ، وَتَعَذَّرَ مِنْهُ الْمَرَامُ . هَذِهِ أَعَزَّكَ اللَّهُ حَالُ قَبُولِهَا وَمَالِهَا مَعَ التَّرْفِيهِ ، وَعَلَى فَرَضٍ أَنْ يَسْتَوْفِيَ الْعُمُرَ فِي الْعِزِّ مُسْتَوْفِيهِ . وَأَمَّا ضِدُّهُ مِنْ عَدُوٍّ يَتَحَكَّمُ وَيَنْتَقِمُ ، وَحُوتٌ بَغَى يَبْتَلِعُ وَيَلْتَقِمُ ، وَطَبَقٌ يَحْجِبُ الْهَوَا ، وَيُطِيلُ فِي التَّجْرَابِ الثَّوَا ، وَتُعْبَانُ قَعِيدٌ^(١) يَعْضُ السَّاقَ ، وَشَوْبُوبُ عَذَابٍ يُعَزِّقُ الْإِبْشَارَ الرَّقَاقَ ، وَغِيلَةٌ يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ الْغَاسِقُ ، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ الْفَاسِقُ ، مَعَ الْأَفْوَالِ وَالشُّرُوقِ . فَهَلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا مُنْتَبِطٌ لِنَفْسِ حُرَّةٍ ، أَوْ مَا يَسَاوِي جُرْعَةَ حَالٍ مُرَّةٍ .. وَاحْسَرْتَنَادَ لِلْأَحْلَامِ ضَلَّتْ ، وَلِلْأَقْدَامِ زَلَّتْ ، وَيَالِهَا مُصِيبَةٌ جَلَّتْ ، وَلَيْسِيذِي أَنْ يَقُولَ حَكَمْتَ عَلَيَّ بِاسْتِثْقَالِ الْمَوْعِظَةِ وَاسْتِجْفَانِهَا ، وَمُرَاوِدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خِيَلَانِهَا وَأَكْفَانِهَا ، وَتَنَاسِيِ عَدَمِ وَفَائِهَا ، فَأَقُولُ الطَّيِّبُ بِالْعِلَلِ أَدْرِي ، وَالشَّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى . وَكَيْفَ لَا وَأَنَا أَقِفُ عَلَى السَّحَابَاتِ ، بِحِطِّ سَيْدِي ، مِنْ مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ ، وَمَثَاقِفِ النُّوبِ الثَّقَالِ ، وَحَلَوَاتِ الْإِسْتِعْدَادِ لِقَاءِ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَنَوْشِ الْأَسِنَّةِ الْحِدَادِ ، وَحَيْثُ يَجْمَلُ بِمُثْلِهِ إِلَّا نَصْرَفَ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَدَانًا . وَلَا يَثْنِي لِمَخْلُوقٍ عِنَانًا . وَأَتَعْرِفُ أَنَّهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوَّ وَالِدَوَّ ، وَقَصَّدَتْ الْجَمَادَ وَالْبَوَّ ، تَقْتَحِمُ أَكْفَ أَوْلَى الشَّمَاتِ ، وَحَفَظَةَ الْمَذَمَّاتِ . وَأَعْوَانَ النُّوبِ الْمُؤَلِّمَاتِ ، زِيَادَةَ فِي الشَّقَا . وَقَصَّدَ أَبْرِيَاءَ مِنْ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْتِقَا . مُشْتَمَلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ

(١) قسد أعنى طويلا من قسد قندا أى طاله حسبه .

على أَعْرَبَ من العَنْقَا ، ومن النِّقَاقِ على أَشْهَرِ من البَلْقَا . فهذا يُوصَفُ بالإِمَامَةِ ، وهذا يُنسَبُ في الجودِ إلى كَعْبِ بنِ مَامةٍ ، وهذا يُجْعَلُ من أَهْلِ الكِرَامَةِ ، وهذا يُكَلِّفُ الدُّعَاءَ وليس من أَهْلِ ، وهذا يُطَلَبُ منه لِقَا الصَّالِحِينَ وليسوا من شَكَلِهِ ، إلى ما أَحْفَظَنِي اللهُ من البَحْثِ عن السُّمُومِ ، وَكُتِبَ النُّجُومِ ، والمَدْمُومِ من المَعْلُومِ ، هَلَّا كانَ من يَنْظُرُ في ذلكِ قد قُوطِعَ بِنَاتًا ، وأَعْتَقَدَ أَنَّ اللهُ قد جَعَلَ لِرِزْمِ الخَيْرِ والشَّرِّ مِيقَاتًا ، وَأَنَا لا نَمْلِكُ مَوْتًا ولا نُشُورًا ولا حَيَاتًا ، وَأَنَّ اللُّوحَ قد حَصَرَ الأَشْيَاءَ مَحْوًا وإِثْبَاتًا ، فَكَيْفَ نَرْجُو لِمَا مَنَعَ مِنَالًا ، أَوْ نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَرَ إِفْلَاتًا . أَفِيئِدُونَا ما يُرْجِعُ العَقِيدَةَ المُقَرَّرَةَ ، نَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ ، وَبَيِّنُوا لَنَا الحَقَّ . نَعُوذُ بِهِ . اللهُ اللهُ يَا سَيِّدِي في النَّفْسِ المُرَشَّحَةِ ، وَلِلذَّاتِ المُخَلَّاتِ بِالفَضَائِلِ المُوشَّحَةِ . والسَّلَفِ الشَّهِيرِ الخَيْرِ ، وَالعُمُرِ المُشْرِفِ على الرِّحْلَةِ بَعْدَ حَثِّ السَّيْرِ ، وَدَخِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا ، فَمَا أَوْكَسَ حُطُوطَهُمْ ، وَأَخْسَ لِحُوطَهُمْ ، وَأَقْلَ مَنَاعَهُمْ ، وَأَعَجَلَ إِسْرَاعَهُمْ ، وَأَكْثَرَ عَنَاءَهُمْ ، وَأَقْصَرَ أَنَاءَهُمْ :

ما تَمَّ إِلا ما رَأَيْتُ وزبما تَعْبَى السَّلَامَةَ
والنَّاسَ إِما جَاءَتْ أَوْ حَايِرٌ يَشْكُو ظُلَامَةَ
واللهُ ما اِخْتَقَبَ الحَرِيصُ سِوَى الذُّنُوبِ أَوْ المَلَامَةَ
هَلْ تَمَّ شَكُّ في المَعَادِ الحَقُّ أَوْ يَوْمَ القِيَامَةِ
قُولُوا لَنَا ما عِنْدَكُم أَهْلَ الخُطَابَةِ والإِمَامَةِ

وإن رَمِيَتْ بِأَحْجَارِي ، وَأَوْحَرَتْ المَرَّ من أَشْجَارِي ، فواللهِ ما تَلَبَّسْتُ مِنْهَا لِيَوْمِ بَشِيٍّ قَدِيمٍ ولا حَدِيثٍ ، ولا اسْتَأَثَرْتُ بِطَيْبٍ فَضْلًا عن خَبِيثٍ . وما أَنَا إِلا عابِرٌ سَبِيلٍ ، وَهاجِرٌ مَرْعَى وَبَيْلٍ ، وَمُرْتَقِبٌ وَعَدِيدٌ قَدَرٍ فِيهِ الإِنْجَازُ ، وَعَاكِفٌ عَنِ حَقِيقَةِ لا تَعْرِفُ المَجَازُ . قد فَرَرْتُ مِنَ الدُّنْيَا

كما يُفَرُّ من الأسد ، وحاولت المقاطعة ، حتى بين رُوحى والجَسَد ، وغَسَلَ
 الله قلبى ، وله الحمد ، من الطَّمع والحسد ، فلم أَبْقِ عادةً إِلَّا قَطَعْتُهَا ،
 ولا جَنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا أَدْرَعْتُهَا . أمَّا اللِّباس فالصُّوف ، وأمَّا الزُّهد فَمَا فِي أَيْدِي
 النَّاسِ فَمَعْرُوف ، وأمَّا المَالُ الغَيْبِيط فَعَلِي الصَّدَقَةُ مَعْرُوف . ووالله لو عَلِمْتُ
 أَنَّ حَالِي هَذِهِ تَتَّصِل ، وُعْرَاهَا لَا تَنْفَصِل ، وَأَنْ تَرْتَبِي هَذَا يَدُوم ، وَلَا
 يَجِيزُنِي الوَعْدُ المَحْتَمُوم ، والوقت المَعْلُوم ، لَمْتُ أَسْفَاً ، وَحَسْبِي اللهُ وَكَفَا .
 ومع هذا ياسيدى ، فالموعظة تُتَلَقَّى من لسان الوُجُود ، والحكمة ضَالَّةُ
 المُؤْمِنِ يَطْلُبُهَا بِبَدَلِ المَجْهُود ، وَيَأْخُذُهَا من غير اعتبار بِمَحَلِّهَا المَذْمُوم أَوْ
 المَحْمُود . ولقد أَعْمَلْتُ نظري فَمَا يَكْفِيءُ عَنِي بَعْضُ يَدِكَ ، أَوْ يَنْتَمِي فِي
 الفَضْلِ إِلَى أَمْدِكَ ، فلم أَرِ لَكَ الدُّنْيَا كَفَاً . هذا لو كُنْتُ صَاحِبَ دُنْيَا .
 وَأَلْفَيْتُ بِذَلِكَ النَّفْسَ قَلِيلاً لَكَ من غير شرطٍ وَلَا ثُنْيَاً . فلما أَلْهَمَنِي اللهُ
 لِمَخَاطَبَتِكَ هَذِهِ النَّصِيحَةَ المَفْرَغَةَ فِي قَالِبِ الجَفَا ، لَمَنْ لَا يُثَبِّتُ عَيْنَ الصَّمَا ،
 وَلَا يُشِيمُ بَارِقَةَ الوَفَا ، وَلَا يَعْرِفُ قَادُورَةَ الدُّنْيَا مَعْرِفَةً مِثْلِي من المُتَدَنِّسِينَ
 بِهَا المُنْهَمَكِينَ ، وَيَنْظُرُ عَوَارِهِ الفَادِحَ بِعَيْنِ اليَقِينِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا المَومِئَةُ الَّتِي
 حُسْنُهَا زُور ، وَعَاشِقُهَا مَغْرُور ، وَسُرُورُهَا سُرُور ، تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ كَافَيْتُ
 صَنِيعَتَكَ المَتَقَدِّمَةَ ، وَخَرَجْتُ عَن عَهْدَتِكَ المُلْتَزِمَةَ ، وَمَحَضْتُ لَهِىَ النَّصِيحِ
 الَّذِي يُقِرُّ بِعِزِّ اللهِ ذَاتِكَ ، وَيُطِيبُ حَيَاتِكَ ، وَيُحْيِي مَوَاتِكَ ، وَيَبْرِيحُ
 جَوَارِحَكَ من الوَصْبِ ، وَقَلْبِكَ من النَّصْبِ ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا فِي
 عَيْنِكَ إِذَا اعْتَبَرْتَ ، وَيُلَاثِي عِظَايِمَهَا لَدَيْكَ إِذَا اخْتَبَرْتَ ، كُلُّ مَنْ تَقَعُ
 عَلَيْهِ عَيْنُكَ حَقِيرٌ قَلِيلٌ ، وَفَقِيرٌ ذَلِيلٌ ، لَا يَفْضُلُكَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِاقْتِفاءِ
 رُشْدٍ أَوْ تَرَكَ غِيً . أَثْوَابُهُ النَّبِيهِةُ يَجْرُدُهَا الغَاسِلُ . وَعُرْوَةُ غَيْرِهِ يُفْصَلُهَا
 الفَاصِلُ ، وَمَالُهُ الحَاضِرُ الحَاصِلُ ، يَعْثُ فِيهِ الحُسَامُ الفَاصِلُ ، وَاللهُ

ما تَعَيَّنَ لِلخَلْفِ إِلَّا ما تَعَيَّنَ لِلسَّلَفِ ، وَلَا مَصِيرُ المَجْمُوعِ إِلَّا إلى التَّلَفِ ،
 وَلَا صَحَّ من الهِياطِ والمِياطِ ، والصِّياحِ والعِياطِ ، وَجَمَعَ القِيراطِ إلى
 الهِهراطِ ، والاستظهارِ بالوَزَعَةِ والأَشْراطِ ، والخَبِطِ والخَبَّاطِ ، والاستِكنارِ
 والأَهْطِباطِ ، والغُلُوِّ والأَشْطِطاطِ ، وبِنا الصَّرْحِ وعَمَلِ السَّاباطِ ، ورفعِ العِمادِ
 وإِهارةِ الفُسطاطِ ، إِلَّا أَلَمَ يُذْهَبِ القُوَّةُ ، وَيُنْسَى الآمالُ المَرْجُوَّةُ ، ثُمَّ
 نَفْسٌ يَصْعَدُ ، وَسَكَراتٌ تَتَرَدَّدُ ، وحِسراتٌ لِفِراقِ الدُّنيا تَتَجَدَّدُ ، وَلِسانٌ
 يَثْقُلُ ، وَعَينٌ تُبْصِرُ الفِراقَ الحَقَّ وتَمُقِلُ . قَلَّ هُوَ نَبِأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتَمَ عَنْهُ
 مُعْرَضُونَ . ثُمَّ القَبْرِ وما بَعْدَهُ ، وَاللَّهُ مَنجِزٌ وَعَيدُهُ ووَعْدُهُ . فالإِضْرابُ
 الإِضْرابُ ، والتُّرابِ التُّرابُ ، وَإِنْ اعتَذَرَ سَيدى بِقِلَّةِ الجَلَدِ ، لكَثْرَةِ
 الوَلَدِ ، فَهُوَ ابنُ مَرزُوقٍ ، لا ابنُ رَزَاقٍ ، وبِيدِهِ مِنَ التَّسَبُّبِ ، ما يَتَكَفَّلُ
 بِإِمْساكِ أَرْماقِ . أَيْنَ النِّسْخُ الَّذِي يَتَبَلَّغُ الإِنسانُ بِأُجرَتِهِ ، فِي كِنِّ حُجْرَتِهِ ،
 لا بَلِ السُّؤالِ الَّذِي لا عارَ عِنْدَ الحَاجَةِ بِمَعْرَتِهِ ، السُّؤالِ وَاللَّهُ أَقوْمُ طَريقاً ،
 وَأَكْرَمُ فَرِيقاً ، مِنْ يَدِ تَمَنَّدَ إلى حَرَامٍ ، لا يَقُومُ بِمَرَامٍ ، ولا يُومِنُ مِنَ ضِرْما
 أُحْرِقَتْ فِيهِ الحُللُ ، وَقُلِبَتِ الأَدِيانُ والمِلالُ ، وَضُرِبَتِ الأَبْشارُ ، وَنُحِرَتْ
 العِشارُ ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلى يَدَيِ واسِطَةِ السُّوءِ المِعْشارِ . ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ
 الشَّدَّةِ فَفُضِّحَ ، وَبانَ سَوْمُهُ ووَضَّحَ ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ مَنَّا أَيْدِيانا وَقُلُوبَنا ، وَبَلِّغْنا
 مِنَ الانْصِرافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنا ، وَعَرِّفْنا بِمَنْ لا يَعْرِفُ غَيْرَكَ ، وَلا يَسْتَرْفِدُ
 إِلَّا خَيْرَكَ يا اللَّهُ . وَحَقِيقٌ عَلى الفُضلاءِ إِنْ جَنَحَ سَيدى مِنْها إلى إِشارةٍ ، أَوْ
 أَعْمَلَ فِي اِحتِلاها إِضْبارَهُ . أَوْ لَبِسَ مِنْها شَارةً ، أَوْ تَشَوَّفَ إلى خِدمةِ إِمارةٍ .
 أَلَا يُحْسِنُوا ظَنونَهُمَ بَعْدَها بِابْنِ ناسٍ . وَلا يَغْتَرُّوا بِسَمْتِ ولا خَلْقِ ولا لِبِباسٍ ،
 فَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا . تَقْضَى العُمُرُ فِي سِجْنِ وَقَيْدِ ، وَعَمُرُوا وَزَيْدٌ ، وَضُرُّ
 وَكَيْدٌ ، وَطِرادٌ صَبْدٌ . وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ . وَعَبْدٌ وَعَبِيدٌ ، فَمَتى تَظْهَرُ الأَفْكارُ ،

ويَقِرُّ القَرَارَ ، وتُلازِمُ الأَدْكارَ ، وتُشَامُ الأَنْوارَ ، وتَتَجَلَّى الأَسْرارَ ، ثم يَقَعُ الشُّهُودَ الَّذِي تَذْهَبُ مَعَهُ الأَفْكارَ ، ثم يَحَقُّ الوُصُولَ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ القَرَارِ ، وَعَلَيْهِ السَّادَرُ . وَوَحَقَّ الحَقُّ ، الَّذِي مَا سِوَاهُ قَباطِلِ ، وَالقَيْضِ الرَّحْمَانِي ، الَّذِي رَبَابِيَّةٌ لَا بَدَّ هَاطِلِ ، مَا شَابَ مُخَاطَبَتِي لَكَ شَائِبَةً بِرَيْبٍ ، وَلَقَدْ مَخَضَّتْ لَكَ مَا يَسْحَضُهُ الحَبِيبُ إِلَى الحَبِيبِ ^(١) ، فَيَحْمِلُ جَفَاءً فِي الَّذِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ الغَيْرَةَ ، وَلَا تَظُنُّ بِي غَيْرَهُ . وَإِنْ أَقْدَرُ قَدْرِي فِي مُكَاشَفَةِ سِيادَتِكَ بِهَذَا البَثِّ ، فِي الأَسْلُوبِ الرَّثِّ ، فَالحَقُّ أَقْدَمُ ، وَبِنَاوُهُ لَا يُهْدَمُ ، وَشَأْنِي مَعْرُوفٌ فِي مُوَاجَهَةِ الحِجَابِ ، عَلَى حِينِ يَدِي إِلَى رِفْدِهِمْ مَمْدُودَةٌ ، وَنَفْسِي فِي النُّفُوسِ المُتَهَافِتَةِ عَلَيْهِمْ مَعْدُودَةٌ ، وَشَبَابِي فَاجِحٌ ، وَعَلَى الشُّهُواتِ مُزَاجِحٌ ، فَكَيْفَ بِي اليَوْمِ مَعَ الشَّيْبِ ، وَنُضْحِ الجَيْبِ ، وَاسْتِكْشَافِ العَيْبِ ، إِنَّمَا أَنَا اليَوْمِ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَنِي كَلُّ ثَقِيلٍ ، وَسَيْفُ العَدْلِ فِي كَفْيِ صَقِيلٍ ، أَغْدِلُ أَهْلَ الهَوَى ، وَلَيْسَتْ النُّفُوسُ فِي القَبُولِ سِوَا ، وَلَا لِكُلِّ مَنْ ضَرَّ دَوَا ، وَقَدْ شَفَيْتُ صَدْرِي ، وَإِنْ جَهَلْتُ قَدْرِي ، فَاحْمِلْنِي حَمَلَكِ اللهُ عَلَى العِجَادَةِ الوَاضِحَةِ ، وَسَحَبَ عَلَيْكَ سِتْرَ الأَبْوَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّلَامِ .

وَمَا شَرَحَ كِتَابَ « الشُّفَا » ^(٢) لِلقَاضِي أَبِي الفَضْلِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى ابْنَ عِيَاضِ رَحِمَهُ اللهُ ، وَاسْتَبْحَرَ فِيهِ ، طَلَبَ أَهْلَ العُدُوتَيْنِ بِنَظْمِ مَقْطُوعَاتٍ تَتَضَمَّنُ الشَّنَاءَ عَلَى الكِتَابِ المَذْكَورِ ، وَإِطْرَاءً مُؤَلَّفَهُ ، فَانْثَالَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الطَّمِّ والرَّمِّ ، بِمَا تَعَدَّدَتْ مِنْهُ الأَوْرَاقُ ، وَاخْتَلَفَتْ فِي الإِجَادَةِ وَغَيْرِهَا

(١) وردت في الإسكوريال (الجيب) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) كتاب « الشفا بتعريف حقوق الصطفى » هو أعظم كتب القاضي الإمام الحافظ عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في حرفة الدين .

الأرزاق ، إيثاراً لِعَرَضِهِ ، ومبَادِرَةً من أهل الجهات لِإِسْعَافِ أَرِيهِ ، وَطَلَبِ
مَنِيَّ أَنْ أَلِيْمٌ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ ، فَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ :

شِفَا عِيَاضٍ لِلصُّدُورِ شِفَاءً	وَلَيْسَ بِفَضْلٍ قَدْ حَوَاهِ خِفَاءً
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لِحَزْبِهَا	سِوَى الْأَجْرِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ كَفَاءً
وَفِي لَيْبِيَّ اللَّهِ حَقٌّ وَفِائِهِ	وَأَكْرَمُ أَوْصَافِ الْكِرَامِ وَفَاءً
وَجَاءَ بِهِ بَحْرًا يَقُولُ بِفَضْلِهِ	عَلَى الْبَحْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءً
وَحَقٌّ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ	رِعَاةٍ وَإِغْفَالِ الْحُقُوقِ جَفَاءً
هُوَ الذُّخْرِيُّ غِنَى فِي الْحَيَاةِ عَتَادَهُ	وَيَتْرُكُ مِنْهُ الْيَقِينَ رِفَاءً
هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودِ لَيْسَ يَنَالُهُ دُثُورٌ	وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عَفَاءً
حَرَصْتُ عَلَى الْإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ	وَتَمَجِيدِهِ لَوْ سَاعَدْتَنِي فَاءً

وَاسْتِزَادَ مِنْ هَذَا الْغَرَضِ ، الَّذِي لَمْ يَقْنَعْ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ ، فَبِعَثْتُ إِلَيْهِ
مِنْ مَحَلِّ انْتِقَالِي بِمَدِينَةِ سَلَا حَرَسَهَا اللَّهُ :

أَزَاهِيرِ رِيَاضِ	أَمَّ شِفَاءً لِعِيَاضِ
جَدَلِ الْبَاطِلِ لِلْحَقِّ	بِأَسْيَافِ مَوَاضِ
وَجَلَا الْأَنْوَارِ بُرْهَانِ	نَاً بِحَقِّ ^(١) وَافْتِرَاضِ
وَشَفَى مِنْ يَشْتَكِي الْغُلَّةَ	فِي زُرْقِ الْحِيَاضِ
أَيُّ بُنْيَانِ مُعَارٍ ^(٢)	آمِنٍ فَوْقَ انْقِضَاضِ
أَيُّ عَهْدٍ لَيْسَ يُرْمَى	بِأَنْتِكَاتٍ وَانْتِقَاضِ
وَمَعَانٍ فِي سَطُورِ	كَأَسْوَدٍ فِي غِيَاضِ
وَشِفَاءٍ لَصُدُورِ	مِنْ ضَنْيِ الْجَهْلِ مُرَاضِ

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (بِخَلْفِ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النَّفْحِ .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ وَفِي النَّفْحِ (مَقَالٌ) .

حَرَّرَ الْقَصْدَ فَمَا شِئِنُ بِنَقْدِ اعْتِرَاضِ
 يَا أَبَا الْفَضْلِ أَذْرُ بَأَنَّ اللَّهَ عَنْ سَعِيكَ رَاضٍ
 فَازَ عَبْدٌ أَقْرَضَ اللَّهَ بِرُجْحَانِ الْقِرَاضِ
 وَجَبَتْ عِزُّ الْمَزَايَا مِنْ طَوَالِ وَعِرَاضِ
 لَكَ يَا أَضْدُقَ رَاوٍ لَكَ يَا أَعْدَلَ قَاضِ
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَفَيَّتَ بِجِدِّ وَانْتِهَاضِ
 خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَالٍ فِي آتِ وَمَاضِ
 سَدَّدَ اللَّهُ ابْنَ مَرْزُوقٍ إِلَى تِلْكَ الْمُسْرَاضِ
 زُبْدَةُ الْعِرْفَانِ مَعْنَى كُلِّ نُسْكَ وَارْتِيَاضِ
 فَتَوَلَّى بَسْطَ مَا أَجْمَلْتَ مِنْ غَيْرِ انْقِيَاضِ
 سَاهَرُ لَمْ يَذُرْ فِي اسْتِخْلَاصِهِ طَعْمَ انْتِمَاضِ
 إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْأَيْسَامِ قَدْ حَانَ التَّقَاضِ
 دَامَ فِي عُلُوٍّ وَمِنْ عَادَاهُ يَهْوَى فِي انخِفَاضِ
 مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي فِي سَوَادِ بِيَاضِ

ثم نظمت له أيضاً في الغرض المذكور ، والإكثار من هذا النمط ،
 في هذا الموضع ، ليس على سبيل التَّبَجُّحِ بغرابته وإجادته ، ولاكن على
 سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه ، فهو بالغ غاية الاستبحار .

حُبِّيتَ يَا مُخْتَطَّ سَبَّتَ بِنُوحٍ بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحِ
 وَحَمَلُ الرِّيحَانِ رِيحَ الصَّبَا أَمَانَةٌ فِي كُلِّ إِلَى كُلِّ رُوحِ (١)
 دَارُ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي أَضْحَتْ بَرِيَّاهُ رِيَاضاً تَفُوحِ
 يَا نَاقِلَ الْأَثَارِ يُعْنَى بِهَا وَوَاصِلاً فِي الْعِلْمِ جَرَى الْجَمُوحِ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الاسكوريال . وفي النسخ (أمانة فيك إلى كل روح) .

طِرْفِكَ فِي الْفَخْرِ بَعِيدُ الْمَدَا
 كِفَاكَ إِعْجَازاً كِتَابَ الشُّفَا
 لِلَّهِ مَا أَجْزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ
 رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ
 فَمِنْ بَيَانِ الْحَقِّ زَهْرٌ نَسْدُ^(١)
 تَأَرَّجَ الْعَرْفِ وَطَابَ الْجَنَى
 وَحُلَّةٌ مِنْ طَيِّبِ خَيْرِ الْوَرَى
 وَمَعْلَمٌ لِلدَّيْنِ شَيْدَتَهُ
 فَقُلْ لِهَامَانَ كَذَا أَوْ فَلَا
 فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ أَنْشَأْتَهُ
 فَعُمُرُهُ الْمَكْتُوبُ لَا يَنْقُضِي
 كَأَنَّهُ فِي الْحَقْلِ رِيحُ الصَّبَا
 مَا عُدَّ مَشْغُوفٍ بِخَيْرِ الْوَرَى
 عَجِبْتُ مِنْ أَكْبَادِ أَهْلِ الْاَفْوَى
 إِنْ ذُكِرَ الْمُحِبُّوبُ سَالَتْ دِيمَا
 يَا سَيِّدَ الْأَوْضَاعِ يَا مَنْ لَهُ
 يَا مَنْ لَهُ الْفَخْرُ عَلَى غَيْرِهِ
 يَا خَيْرَ مَشْرُوحٍ وَفِيَّ وَاكْتَفَى

طِرْفِكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحِ
 وَالصَّبْحِ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحِ
 مِثْلُهَا تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُنُوحِ
 مِنْ صَيَّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السَّفُوحِ
 وَمِنْ لِسَانِ الصِّدْقِ طَيْرٌ صَبْدُوحِ
 وَكَيْفَ لَا يُثْمَرُ أَوْ لَا يَفُوحِ
 فِي الْجَيْبِ وَالْأَعْطَافِ مِنْهَا نُضُوحِ
 فَهَذِهِ الْأَعْلَامُ مِنْهُ تَلْبُوحِ
 يَا مَنْ أَضَلَّ الرُّشْدَ تَبَتَّى الصُّرُوحِ
 خَلَقاً جَدِيداً بَيْنَ جِسْمِ وَرُوحِ
 إِذَا تَقَضَّى عُمُرَ سَامٍ وَنُوحِ
 وَكُلُّ عَطْفٍ فَهُوَ غَضٌّ^(٢) مَرُوحِ
 إِنْ هَاجَ مِنْهُ الذِّكْرُ أَنْ لَا يُبُوحِ
 وَقَدْ سَطَا الْبُعْدُ وَطَالَ النُّزُوحِ
 مَا هُنَّ أَكْبَادٌ وَلَكِنْ جُرُوحِ
 بِسَيِّدِ الْإِرْسَالِ فَضْلُ الرَّجُوحِ
 وَالشُّهُبِ^(٣) تَخْفَى عِنْدَ إِشْرَاقِ يَوْحِ^(٤)
 مِنْهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ بِخَيْرِ الشُّرُوحِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بدا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (غصن) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (والشمس) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بوح) .

فَتَحَّ من الله حَبِساهُ بِهِ ومن جَنابِ الله تاتى الفُتوح
مولده : بتلمسان عام أحد عشر وسبعماية^(١)

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التَّميمي النَّسيلي^(٢) الكَرَسوطي
من أهل فاس ، نزيل ما لقة يكنى أبا عبد الله .

حاله

الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله ، غزيرُ الحِفْظ ، مُتَبَحَّرُ الذِّكْر ،
عديم القَرين ، عظيم الاطِّلاع ، عارفٌ بأَسْماءِ الأَوْضاع ، يَنُتْهالُ منه على
المسائل كَثيبٌ مَهيل ، ينقلُ الفِقهَ منسوباً إلى أمانة ، ومنوطاً برجاله ،
والحديثُ بأَسانيدِهِ ومُتُونِهِ ، خَوَّارُ العِنانِ^(٣) ، وسَّاعُ الخَطْوِ ، بعيدُ
الشَّأو ، يفيضُ من حديثٍ إلى فقه ، ومن أدبٍ إلى حكاية ، ويتعدى ذلك
إلى غرائبِ المَنظُومات ، مما يختصُّ بنظمه أولو الشُّطارة والجِرْفَة من
المغاربة ، ويستبْطِهرُ مُطوَّلَاتِ القِصاصِ ، وطَوابيرِ الوُعَاظِ ، ومَساطيرِ أهلِ
الكُذْبَةِ ، في أسلوبٍ وقاحٍ يَفْضِحه الإعرابُ . حسن الخُلُقُ جَمُّ الاحتمالِ . مُطَرِّحُ
الوَقَارِ ، رافِضُ التَّصَنُّعِ ، مُتَبَدِّلُ^(٤) اللِّبْسَةِ . رَحيبُ أَسْكَافِ المِرارةِ لأهلِ
الولاياتِ ، يُلقَى بمعاطِنِهِمُ البَرَكِ . وينوطُ بِهِمُ الوسائلِ ، كثيرُ المِشاركةِ

(١) جاء في « جلدوة الاقتباس » أنه توفي بعد الثمانين وسبعماية (ص ٢٢٧) . وورد في هامش
الخطوط ما يأتي بعد ذكر مولد ابن مرزوق : « قال الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ الحياة ،
مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبعماية » . هذا وإن يكن من الميسور أن يذكر ابن الخطيب
وفاته ، وقد توفي قبله خمسة أعوام .

(٢) نسبة إلى قبيلة « تمولة » إحدى قبائل البربر النازلة في شمال نربي المغرب الأقصى .

(٣) خوار العنان أي سهل المعطف لينه .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ومتبدل اللبسة نزيير مع - تنبسه وهدمه . وذلك
بخلاف متبدل اللبسة أعني رث الملابس .

لوصلايه ، مُخَصَّبٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، حَدِبٌ عَلَى بَنِيهِ . قَدِمَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ
عَامَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِالْجَزِيرَةِ مَقْرِباً بِمَسْجِدِ الصَّوَّاعِ مِنْهَا ،
وَمَسْجِدِ الرَّايَاتِ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى مَالِقَةَ وَأَقْرَأَ بِهَا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى غرناطة عام
خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَتَعَرَّفَ عَلَى أَرْبَابِ الْأَمْرِ ، بِمَا نَجَحَتْ حِيلَتُهُ ،
وَخَفَّ بِهِ مَوْقِعَهُ ، فَلَمْ يَعْذَمِ صَلَاتُهُ ، وَلَا فَقَدَ مِرْفَقَةً ، حَتَّى ارْتَأَشَ وَتَنَاقَلَ
بِمَحَلِّ سُكْنَاهُ مِنْ مَالِقَةَ ، مَدْرَةَ مُغَلَّةً ، وَعَقَارًا مَفِيدًا . وَطَالَ تَعَوُّدُهُ لِسُرْدِ
الْفَقْهِ بِمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ ، نَمِيرٌ فِي الرِّكْبِ ، مَهْجُورُ الْحَلَقَةِ ، حَمَلًا مِنْ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، لِتَلَبُّسِهِ بِالْعَرَضِ الْأَذْفَى . وَهُوَ الْآنَ خَطِيبُ مَسْجِدِ الْقَصْبَةِ
بِهَا ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الشُّهُرَةِ ، بِالْحِفْظِ وَالِاسْتِظْهَارِ لِفُرُوعِ الْفَقْهِ ، كَبِيرٌ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ، مِنْهُمْ أَبُوهُ ، وَالْأَسْتَاذُ
أَبُو الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِيُّ الْبَلْوِيُّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْحَرِيرِيُّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ
سُلَيْمَانَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَجْرُومَ . وَقَرَأَ الْفَقْهَ عَلَى أَبِي زَيْدِ الْجَزُولِيِّ ،
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَفَّانَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ ، وَعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْجَانَانِيِّ ^(١) .
وَقَرَأَ الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَدَّةً ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلِذَلِكَ حِكَايَةٌ . حَدَّثَنِي الشَّيْخُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُرْسُوطِيُّ ، الْمُتَرْجِمُ بِهِ ، قَالَ قَرَأْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فِي قَوْلِ
أَبِي سَعِيدٍ فِي التَّهْذِيبِ ، وَالِدُّجَاجِ وَالْأَوْزِ الْمُخْلَاتِ ، فَقَالَ أَنْظِرْ هَلْ يُقَالُ
الدُّجَاجُ أَوْ الْجَدَّادُ ، لِغَةِ الْقُرْآنِ أَفْصَحَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَجَدَّدُ بِيضَ .
[وَحَمْرٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا] ^(٢) . وَغَرَابِيبُ سُودٍ . فَأَرَزَى بِهِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ
إِزَارَهُ ^(٣) ، فَعَزَلَهُ . وَقَعَدَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَقْرَاءِ بِفَاسَ ، كَذَا حَدَّثَ وَأَخَذَ عَنْ

(١) هَكَذَا وَ . . . فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ ، وَفِي الْخَنْزُومَةِ (الْخَنْقِ)

(٢) هَذِهِ الْعُدَّةُ وَرَدَتْ فِي « الزَّيْتُونَةِ » وَسَاقَطَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّاتِ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي « الزَّيْتُونَةِ » ، وَفِي الْإِسْكُورِيَّاتِ (أَرْزَاهُ) .

أبي إسحق الزناتي^(١) ، وعن خلف الله المجاصي ، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن
الجزولي ، وأبي الحسين المزدغي ، وأبي الفضل ابنه ، وأبي العباس بن راشد
العمرائي ، وأبي عبد الله بن رُشيد . وروى الحديث بسببته عن أبي عبد الله
الغماري ، وأبي عبد الله بن هاني ، وذاكر أبا الحسن بن وشاش . ومالقة
عن الخطيب الصالح الطنجالي ، وأبي عمرو بن منظور . وبغرناطة عن
أبي الحسن القيجاطي ، وأبي إسحق بن أبي العاصي . وببلس عن أبي جعفر
الزيات

تواليافه

منها « الغرر في تكميل الطرر » ، طرر أبي إبراهيم الأعرج . ثم « الدرر
في اختصار الطرر » المذكور . وتقييدان على الرسالة ، كبيرٌ وصغيرٌ ،
ولخص « التهذيب » لابن بشير ، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة ،
[البخاري ، والترمذي ، ومسلم]^(٢) ، والتزم إسقاط التكرار ، واستدراك
الصحيح^(٣) الواقعة^(٤) في التهذيب على مسلم والبخاري . وقيد على مختصر
الطليطلي ، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى
ابن عياض ، برسم ولدى أسعده الله .

شعره

أنشدني ، وأنا أحاول بمالقة لوث العمامة ، وأستعين بالغير على إصلاح
العمل ، وإحكام اللياسة :

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (البرناسي) .
(٢) هذه الزيادة واردة في « الزيتونة » وساقطة في الإسكوريال .
(٣) وردت في الإسكوريال (الصحيح) . والتصويب من النسخ
(٤) وردت في الإسكوريال ، وفي « الزيتونة » (المرافقة) .

أَمُعَمَّماً قَمَرًا تَكَامِلُ حُسْنَهُ أَرَبِيٌّ عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الْبَهَا
لَا تَلْتَمِسُ مَنِّ لَدَيْكَ زِيَادَةً فَالْبَدْرُ لَا يَجْتَارُ مِنْ نُورِ السُّهَا
وَيَصْدُرُ مِنْهُ الشَّعْرُ مُصَدَّرًا ، لَا تَكْنِفُهُ الْعِنَايَةُ .

محتنه

أُسِرَ بِبَحْرِ الزُّزَّاقِ^(١) ، قَادِمًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ ، فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْفَضْلَاءِ ،
مِنْهُمْ وَالِدُهُ . وَاسْتَقَرَّ بِطَرِيفِ^(٢) عَامِ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَلَقِيَ بِهَا
شِدَّةً وَنِكَالًا ، ثُمَّ سُرِّحَ وَالِدُهُ ، لِمَحَاوَلَةِ فِكَاكِ نَفْسِهِ ، وَفُكَّ ابْنُهُ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ
عَلَيْهِ ، فَتَخَلَّصَا مِنْ تِلْكَ الْمَحْنَةِ فِي سَبِيلِ كُذْيَةِ . ، وَأَفَلَّتْ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ
مَشَقَّةٍ

بعض أخباره

قَالَ ، لَقِيتُ الشَّيْخَ وَلى اللَّهِ أَبَا يَعْقُوبَ بِسَاحِلِ بَادَسِ^(٣) ، قَاصِدًا
الْأَخْذَ عَنْهُ ، وَالتَّبَرُّكَ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَآفِي قَطْ ، وَأَلْفَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . عِنْدَ
دُخُولِي عَلَيْهِ ، رَجُلًا يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ . فَلَمَّا فَرَّغَ ، أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ
أَسْطُرًا مِنَ الرِّسَالَةِ . فَقَالَ لَهُ ، اقْرَأْهَا عَلَى هَذَا الْفَقِيهِ . وَأَشَارَ إِلَيَّ ، وَرَأَيْتُ
فِي عَرْصَةٍ لَهُ أَصُولَ خَصٍّ ، فَتَمَنَّيْتُ الْأَكْلَ مِنْهَا ، وَكَانَ رَبَّاعَهَا غَيْرَ حَاضِرٍ ،
فَقَامَ عَنِ سُرْعَةٍ ، وَاقْتَلَعَ مِنْهَا أَصُولًا ثَلَاثَةً ، وَدَفَعَهَا إِلَيَّ ، وَقَالَ كُلْ . فَقَلَّتْ
فِي نَفْسِي ، تَصَرَّفَ فِي الْخَضْرَاءِ قَبْلَ حُضُورِ رَبَّاعِهَا ، فَقَالَ لِي ، إِذَا أَرَدْتَ

(١) بحر الزقاق ، يطلق على الطرف الغربي الضيق من البحر المتوسط ، الواقع شرق جبل طارق أو جبل الفتاح ، فيما بين ثغر أنورية شمالا ومليلة جنوبا . وقد يشمل مضيق جبل طارق نفسه .
(٢) ثغر طريف أو جزيرة طريف . سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٣٧٤ حاشية) .

(٣) بادس أو باديس ثغر مغربي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط الجنوبي مقابل ثغر مالقة الأندلسي . وغربي ثغر مليلة الإسباني .

الأكل من هذه الخَضْرَة ، فكلُّ من هذا القسم فإنَّهُ لى . قلت . وخَبِرْتُ من اضْطِّلاع هذا المترجم به بعبارة الرُّؤْيَا ، ما قضيت منه العَجَب فى غير ما شىءٍ جَرَّبْتُهُ . وهو الآن بحاله الموصوفة . وأصابه لهذا العهد جلاءٌ عن وطنه ، لتوفر الحَمَلِ عليه من الخاصِّ والعامِّ ، بما طال به نَكَدُه . ثم آلتُ حاله إلى بعض صلاحٍ ، والله يتولَّاهُ .

مولده : بمدينة فاس عام تسعين وستماية .

محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عبد المنعم ، من أهل سبَّته . الأستاذ

الحافظ

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله رجلاً صِدْقٍ ، طيَّب اللهجة . سَدِيم الصدر ، تام الرُّجولة ، صالحاً ، عابداً ، كثير القُرب والأوراد فى آخر حاله ، صادق اللسان . قرأ كثيراً ، وسنَّه تنيف على سبع وعشرين . ففات ^(١) أهل الدُّوب والسَّابِقة ، وكان من صدور الحُفَظاء . لم يَسْتَظْهر أحدٌ فى زمانه من اللُغة ما اسْتَظْهره . فكاد يستظهر كتاب التَّاج للجَوْهرى وغيره . آيةٌ تُتلى ، ومثلاً يُضرب ، قائماً على كتاب سيبويه ، يَسْرُدُه بلفظه . اختبَرهُ الفاسيون فى ذلك غير ما مرة . طبقةٌ فى الشطرنج ، يلعبُها محجوباً . مُشاركاً فى الأصول آخذاً فى العلوم العقلية . مع المُلازمة للسُّنة . يُعرب أبداً كلامه ويزينه

(١) ورد فى الإسكوريال (مسأى) والتصويب من « الزيتونة »

مشيخته

أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي ، ولازم أبا القاسم بن الشاط ، وانتفع به وبغيره من العلماء .

دخوله غرناطة

قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده ، عند ما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر ، لما وصلوا بالبيعة .

وفاته : كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان [عند] ^(١) مُنصرفهم عن باب السلطان ، ملك المغرب ، بأحواز تيزي ^(٢) ، حسبما وقع التنبية على بعضهم .

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد

ابن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري

من أهل سبتة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رُشيد

حاله

من « عايد الصلة » : الخطيبُ المحدثُ ، المُتبحِّرُ في علوم الرواية والإسناد . كان رحمه الله فريداً دهره عدالةً وجلالةً ، وحفظاً وأدباً . وسَمْتاً وهدياً ، واسع الأسبغة ، عالي الإسناد . صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بصناعة الحديث . قيماً عليها بصيرابها ، محققاً فيها ، ذا كراً فيها للرجال ، جماعاً للكُتُب ، محافظاً على الطَّرِيقَة ، مضطّلاً بغيرها ،

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

(٢) بلدة تازة المغربية ، وهي تقع شمال شرق فاس .

من العربية واللغة والعروض ، فقيهاً أصيلاً النظر ، ذاكراً للتفسير ، رياناً من الأدب ، حافظاً للأخبار والتواريخ ، مشاركاً في الأضلين ، عارفاً بالقراءات ، عظيم الوقار والسكينة ، بارع الخط ، حسن الخلق ، كثير التواضع ، رقيق الوجه ، متجملاً ، كلف الخاصة والعامّة ، مبدول الجاه والشفاعة . كهذا لأصناف الطلبة . قديم على غرناطة في وزارة صديقه ، ورفيق طريقه في حجه وتشريقه ، أبي عبد الله بن الحكيم ، فلقى براً ، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم ، ونفع الله لده بشفاعته المبدولة ، طائفة من خلقه ، وانصرف إثر مقتله إلى العُدوة ، فاستقر بمدينة فاس ، معظماً عند الملوك والخاصة ، معروف القدر عندهم .

مشيخته

[قرأ ببلده سبته على الأستاذ إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سيبويه ، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً ، وأخذ عنه القراءات . وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطار . ورحل من بلده سبته لأداء الفريضة . حج ولقى المشايخ عام ثمانية وثمانين وستمائة ، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية ، ذا الوزارتين بعد ، أبا عبد الله الحكيم ، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم . فممن لقي بإفريقية الراوية العدل أبا محمد عبد الله بن هارون يروى عن ابن بقی ، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم ابن محمد القرطاجني . وروى بالمشرق عن العدل الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر . لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة ، وهو موضع جلوسه للسماح ، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة ، وعن غيره ، كابي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله

وغيرهم ممن ثبتت في اسم مرافقة في السماع والمرحلة أبي عبد الله بن الحكيم
رحمه الله ، فليُنظر هنالك ^(١)

تواليفه

ألّف فوايد رحلته في كتاب سماه « مليء العيبة فيما جمع بطول الغيبة
في الوجهتين ^(٢) الكريمتين ، إلى مكة وضيبة » . قال شيخنا أبو بكر
ابن شيرين ، وقفت على مسودته ، ورأيت فيه فتوناً وضروباً من الفوايد
العلمية والتاريخ ، وطرفاً من الأخبار الحسان . والمُسندات العوالي والأناشيد .
وهو ديوان كبير ^(٣) ، ولم يسبق إلى مثله . قلتُ ورأيتُ شيئاً من مُختصره
بسببته .

دخوله غرناطة

ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستماية . فعقد مجالس
للخاص والعام ، يُقرى بها فنوناً من العلم . وتقدم خطيباً وإماماً بالمسجد
الأعظم منها . حدثني بعض شيوخنا ، قال . قعد يوماً على المنبر ، وظن
أن المؤذن الثالث قد فرغ ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه ،
فاستعظم ذلك بعض الحاضرين . وهم آخر بإشعاره وتنبيهه . وكلمه آخر ،
فلم يُثنه ذلك عما شرع فيه ، وقال بديهياً . أيها الناس . رحِمكم الله ،
إن الواجب لا يُبطله المندوب . وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع
الوجوب ، فتأهبوا لطلب العلم . وانتبهوا . وتذكروا قوله عز وجل :

(١) نقلنا مشيخة ابن رشيد عن مخطوط الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال . و فقط
أورد عنها النسخ هذه العبارة (قلت اختصرتها لطولها وكتوبها متى في اسم مرافقة في السماع
والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الجهتين)

(٣) وردت في الإسكوريال (كثير) والتصويب من ريبه .

وما أناكم الرسول فحذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وقد رُوينا عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، مَنْ قال لأخيه والإمام يَخْطُبُ ، أَضْمَتُ ، فقد لغا ، ومن لغا فلا جُمعةَ له . جَعَلْنَا اللهَ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ عَلِمَ فَعَمِلَ ، وَعَمِلَ فَقُبِلَ ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ . وكان ذلك مما استُدِلَّ به على قُوَّةِ جَزَانِهِ ، وانقيادِ لِسَانِهِ لِبَيَانِهِ .

شعره

وله شعر يتكلفه إذ كان لا يَزِنُ أعاريضه إلاَّ بميزان العَرُوضِ ، فمن ذلك ما حدَّث به ، قال لما حَلَلْتُ بدمشق ، ودخلتُ دار الحديث الأَشْرَفِيَّةَ ، برَسْمِ رُؤْيَةِ النَّعْلِ الكَرِيمَةِ ، نَعَلِ الْمُصْطَفَى صلوات الله عليه ، ولَثْمَتِهَا ، حَضَرْتَنِي هذه الأبيات :

هيناً لعيني أن رأيت نعل أحمدٍ	فيا سَعْدُ جَدِّي قد ظَفِرَتْ بِأَسْعَدِ (١)
وقبلتها أشفى الغليل فزادني	فيا عَجَباً زاد الظُّما عند مُورِدِ
فله ذلك اللثم فهو ألدُّ من	لِما شَفَّةَ لَمِيَا وخَدُّ مُورِدِ
ولله ذلك اليوم عيداً ومعلماً	بتاريخه أَرَّخْتُ مَوْلِدَ أَسْعَدِ
عنيه صلاةٌ نشرها طيبٌ كما	يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا لِمَحْمَدِ

[وقال ، وقعت في موسم عام ستة وثمانين وستماية ، بشجر سَبْتَةَ حرسها الله تعالى :

أقول إذا هبَّ النَّسيمُ المُعَطَّرُ	لعلَّ بشيراً باللقاء يُبَشِّرُ
وعلى الصَّبا مرَّت على رُبْعِ جِبرتي	فَعَنَ طِيْبِهِمْ عَرَفُ النَّسيمِ يُعْبِرُ
وأذكر أوقاتي بسَلَمَى وبالجمي	فتذكو لظيِّ في أضلعي حين أذُكُرُ
ربوعٌ يودُّ العسك طيبٌ تراها	ويهوى حصيَّ فيها عقيقٌ وجوهر

(١) مكدا في الإسكوريال . وفي « الجذوة » (بمقصدي) .

بها جيرة لا يخفرون بدمية
 إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم
 ومن جود جدواهم يرى الليث
 ومن سيب يمناهم يرى الروض يزهر
 رعى الله عهداً بالمصلى عهدته
 زماناً نعيمنا فيه والظل وارف
 والله أيام المصلى وطيبها وأنفسنا
 بالقرب والأنس تخبى
 وروضته فردوس وحوض ومينبر
 ولثماً فتاى هبة وتوقر
 فطرى مفضوض وخدى معفر
 وحالى بهم حلل وعيشى أخضر
 يجر أذبال الفخار وينشر
 وإذ فات عيني أن تراهم فردوا على مسمى ذكر المصلى وكرروا
 صدرت فواحزنى فلا كان مصدر
 على مثل من فارقت عز التصبر
 وأسرت هجرانى وحالى تخبر
 ومن أضلنى نار تفور وتسعر
 وعيشى مغبر ودمى أحمى
 وحان الذى ما زلت منه أخذر
 وسارت مطاياهم وظلت أقهقر
 وظل فوادى لوعمة يتفطر
 ولا أنشئ فالموت أجدى وأجدر

ولو أنني بعث الحياة بنظرة
وما باختياري إنما قدر جرى
حيني إلى معنى الجمال مواصل
وغير جميل أن يرى عن جمالها
أبصير ظمان يغال بغللة
فيا عينها الزرقاء إن عيونها
ساقط ليل بالسرى أو أزورها
وأنضى المطايا أو أوافي ربها
حظرت على نفسى الجدار من الردى
أينكر تغرير المشوق بنفسه
وقفت على فتوى المحبين كلهم
وإني إذا ما خطرة خطرت قضا
أقيم فالقى بين عيني همى
إذا ما بدت للعين أعلام طيبة
وللقبة الزهراء سمك سما غلا
لها منظر قيد النواظر والنهى
فمرجوا على كمال الكمال وسلموا
بنفسى لا بالمال أرضى بشارة
وما قدر نفسى أن تكون كفا
أقول إذا أوقيت أكرم مرسل
وأحظى بتقريب الجوار مكرماً

لأبت وحطى فيه أوفى وأوفى
رضيت بما يقضى الآله ويقدر
وشوقى إلى معنى الجمال موقر
فؤادى صبوراً والسير ميسر
وفى روضة الرضوان شهد وكوثر
من الحزن فيض بالنجيع تفجر
وأحمى الكرى عيناً لبعذك يظهر
فتنجدنى طوراً وطوراً تغور
أتخذت نفس الحبيب تسيير
وقد علموا أن المحب مغرر
فلم أجد التغيرير فى الوصل ينكر
وإنى إذا ما خطرة خطرت قضا
أقيم فالقى بين عيني همى
إذا ما بدت للعين أعلام طيبة
وللقبة الزهراء سمك سما غلا
لها منظر قيد النواظر والنهى
فمرجوا على كمال الكمال وسلموا
بنفسى لا بالمال أرضى بشارة
وما قدر نفسى أن تكون كفا
أقول إذا أوقيت أكرم مرسل
وأحظى بتقريب الجوار مكرماً

وأقنى بقُربٍ من حِمَاك وأجبر
 بحيث ثوى جسمٌ كريمٌ مُطَهَّرٌ
 بطيبة طابَتْ فهي مسكٌ وَعَسْبِر
 مدحه المدّاح يزهى ويفخسر
 فكلُّ طويلٍ في معاليك يُقَصِّر
 المجدَ إلا والذي نِلتَ أكبرُ
 وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفرَّخُ
 إليك وما هبَّ النَّسيمُ المعطَّرُ

وَأزْتَجَّ في ظلِّ الجِنسانِ منعماً
 هُنَاكَ هُنَاكَ القُرْبُ فانعمِ بنَيْلِهِ
 ودَعْ عنكَ تَطَوَّافَ البلادِ وخَيْمِنِ
 فَخَرْتُ بِمدْحِي للنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمِنِ
 أَطَلْتُ وَإِنِّي في المديحِ مُقَصِّرُ
 فما بَلَغتُ كَفُّ أَمْرِي متناولُ بها
 وما بَلَغَ المُهدونُ في القولِ مِدْحَةً
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ ما مرَّ سَبِقُ

وقال يرثي إينا نجيباً ثكله بغرناطة :

وغُصن ذوى تاقَتِ إليه الحدايقُ
 رَمَتْهُ سَهَامٌ للعيونِ رَواشِقُ
 فلا أَبْصَرَتْ تلكَ العيونُ الرَوانِقُ
 أَلَمَ بِهِ نَقْصُ وَجَدَّتْ مَواهِقُ
 عِظَاماً سَطَاها للِعِظامِ عَوارِقُ
 وإن طال ما لَجَّتْ وَجَدَّتْ بَوايقُ
 على أَنه حُلُو المِثُوبَةِ سَابقُ
 وإن جَلَدَأ فالوعدَ لِلَّهِ صادِقُ
 ولا راقِي مَرَأى لِعَيْنِي رايِقُ
 فَنُبِلُ وَهَمُّ للعوایدِ خَمارِقُ
 وإن أَسْتَمِعَ فالصَّوتُ لِلأذُنِ طارِقُ
 فإن اسْمَكَ المِحبُوبِ لِلنَّطِقِ سابِقُ
 يَطِيرُ عِنْدَها قَلْبٌ لِذِكْرِكَ خَافِقُ

شِبابُ ثَوَى شابَتْ عليه المِفارِقُ
 على حينِ راقِ النَّاظِرِينَ بسَوقِهِ
 فما أَخْطَأَتْ مِنْهُ الفُؤادَ بَعْمَدِها
 وحينَ تَدانِي لِلكمالِ هِلالِهِ
 إلى اللَّهِ أَشْكو فَهو يُشْكِى نَوازِعاً
 ولا مِثْلُ فُقدانِ البَنِيِّ فَجِيعَةً
 مُحَمَّدُ إنَّ الصَّبِرَ صَبْرٌ وَعَلَقَمُ
 فإن جَزَعاً فاللَّهُ لِلعَبْدِ عَازِرُ
 وتالهُ ما لِي بَعْدَ عَيْشِكَ لَذَّةُ
 فَأَنى بِهِ والمَذْكَراتِ عَديدَةُ
 فَأينَ التَّفَتُّ فالشَّخْصَ للعينِ ماثِلُ
 وإن أَدْعُ شَخْصاً بِاسمِهِ لَضَرُورَةُ
 وإن تَقَرَّعَ الأبوابَ رَاحَةً قارِعُ

وكلُّ كتابٍ قد حويتَ فمُذَكَّرٌ
سبقتَ كهولةً في الطفولة لا تني
فلو لم يُغلك الموتُ دُمتَ مجلياً
على مهليٍ أحرزتَ ما شيتَ ثانياً
رأنتَ المنايا سابقاً فأغرتهما
لين سُلِبتَ مني نفيسُ ذخائر
وقد كان ظنِّي أنني لك سابقٌ
غريبين كُنَّا فرَّقَ البينُ بيننا
فبينُ وبعْدُ بالغريبِ توكللاً
عسى وطنٌ يذنو فذنو مني
فلولا الأسي ذاب الفؤاد من الأسي
فخطَّ الأسي خطاً تروقُ سطورُهُ
فيا واحداً قد كان للعين نورها
عليك سلام الله ما جنَّ ساجعٌ
وما همعتُ سحبٌ عوادٍ روايحُ
رجاد على مشواك غيثٌ مروضٌ

وآثاره كلُّ إليك توايق
وأرَهقتَ أشياخاً وأنت مُراهق
واقبل سَكِّيتاً وجيبةً ولاجسق
عنانك لا تجهد وأنت مُسابق
فجُدَّ طلاباً إنهن لواحق
فإنني بمدخور الأُجور لوائحق
فقد صار علمي أنني بك لاحق
فأبرحُ ما يلقي الغريبُ المُفارق
قد رعى بما حمَلتُ والله ضايق
وأيُّ الأمانى والخطوبُ عوايق
ولولا البُكا لم يحمل الحُزن طايق
وتَمحو البكا فالدمعُ ماحٍ وساحق
اتلُ ضيماً بعدَ بُعدك غاسق
وما طلعت شمسٌ وما ذرَّ شارق
وما لَمعتَ تحذو الرعودُ بوارق
عبادُ لِرِضوانِ الإلهِ موافق^(١)

محتنه

تعرّض إليه قومٌ ، يوم قتل صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذابة
قبيحة . وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وتَرهم القتلُ ،
فتخلص ولا تسَلْ كيف ، وأزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك .
وفاته : كانت وفاته بمدينة فاس . في اليوم الثامن من شهر المحرم

(١) هذا الشعر كله وارد في إلسكوريال ، وساقط في الزيتونة .

مفتتح عام أحد وعشرين وسبعماية . ودفن في الجبانة التي بخارج باب
الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة ، التي اشتملت على العلماء والصلحاء
والفضلاء ، من الغرباء الواردين مدينة فاس . وكان مولده بسبته عام سبع
وخمسين وستماية .

محمد بن علي بن هاني [اللخمي] ^(١) السبتي

يكنى أبا عبدالله ، ويعرف باسم جدّه ، أصلهم من إشبيلية .

حاله

كان رحمه الله فريداً دهره في سموّ الهمة ، وإيثار الاقتصاد والتحلّي
بالقناعة ، وشموخ الأنف على أهل الرياسة ، مقتصراً على فائدة ^(٢) ربيع له
ببلده ، يتبّلغ مع الاستقامة ، مع الصبر والعمل على حفظ المروعة ، وضون
ماء الوجه ، إماماً في علم العربية ، مبرزاً متقدماً فيه ، حافظاً للأقوال ،
مستوعباً لطريق الخلاف ، مستحضرراً لحجج التوجيه ، لا يُشقُّ في ذلك
غبارُه ، ريان من الأدب ، بارع الخطُّ ، سهل مقادة الكلام ، مشاركاً في
الأصليين ، قائماً على القراءات ، حسن المجلس ، رايق البرّة ، [بارع]
المحاضرة ، فايق التّرسُّل ، متوسط النّظم ، كثير الاجتهاد والعكوف ، مليح
الخلق ، ظاهر الخشوع ، قريب الدّعة ، بيته شهير الحسب والجلالة .
وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » ^(٣) بما نصه : عَلِمُ تَشِيرَ إِلَيْهِ الْأَكْفُ

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فايد) .

(٣) كتاب « الإكليل الزاهر » من كتب ابن الخطيب الصغرى وقد سبق التعريف به (أنظر

مقدمة المجلد الأول من الإحاطة ، ص ٥٨ ، والمجلد الثاني ص ٣٤١ حاشية) .

ويعمل إلى لقاياه الحافر والخف، رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر، ومرج منها لجة تنزخر، فانفسخ مجال درسه، وأثمرت أدواح غرسه، فركض بما شا وبرح، ودون وشرح، إلى شمائل تملك الظرف زمامها، ودعابة راشت الحلاوة سهامها. ولما أخذ المسلمون في منازلة الجبل^(١) وحصاره، وأصابوا الكفر منه بجارحة أبصاره، ورَمَوْا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممن انتدب وتطوع، وسمع النداء، فأهبط، فبلاغه إلى أن نَفِدَ لأهله القوت، وبلغ من فتحة الأجل الموقوت، فأقام الصلاة بمحاربه، وقد غير مَحْيَاه طولُ اغترابه، وبأدْرَه الطاغية قبل أن يستقرَّ نصلُ الإسلام في قِرابه، أو يعلُق أصلُ الدين في تُرابه. وانتدب إلى الحصار به وتبرَّع، ودعا له أجله فلبى وأسرع. ولما هَدَرَ عليه الفتيق، لوركت إلى قبيلته المجانيق^(٢)، أصيب بحجر دؤم عليه كالجراح المخلق، وانقضَّ إليه انقضاض البارق المتألق، فاقتنصه، واختطفه، وعمد إلى زهره فقطفه^(٣) فمضى إلى الله طوع نيته، وضحبت غرابة المنازع حتى في منيته.

مشيخته

قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحق الغافقي، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله ابن حريث.

توالياه

ألف كتباً، منها كتاب «شرح التسهيل لابن مالك»، وهو أجل كتبه،

(١) الجبل يقصد بها جبل طارق أو جبل الفتاح.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. وفي النسخ (وركب إلى قبلة المنجنيق).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (فاقتطفه).

أَبْدَعَ فِيهِ ، وَتَنَافَسَ [النَّاسَ] ^(١) فِيهِ . وَمِنْهَا « الْغُرَّةُ الطَّلَاعَةُ فِي
شِعْرَاءِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ » . وَمِنْهَا « إِنْشَادُ الصُّوَالِ ، وَإِرْشَادُ السُّوَالِ فِي لِحْنِ
الْعَامَةِ » ، وَهُوَ كِتَابٌ مَفِيدٌ ، « وَقَوْتُ الْمُقِيمِ » . وَدَوَّنَ تَرْسُلُ رَيْسِ
الْكِتَابِ أَبِي الْمُطَّرَفِ بْنِ عَمِيرَةَ وَضَمَّهُ فِي سَفَرَيْنِ . وَلَهُ رِجْزٌ فِي الْفَرَايِضِ
مَفِيدٌ

شعره

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ ، نَسِيحٌ وَحْدَهُ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ ،
قَالَ ، خَاطَبَتْهُ الْأُسْتَاذُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أَوْهَا :

هَلَّتْ الْحَدِيثَ عَنِ الْكَرْبِ الَّذِي شَخَّصَا

فَأَجَابَنِي عَنْ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ فِي رَوِيَّهَا :

لَوْلَا مَشِيبٌ بِقَوْدِي لِلْفَوَادِ عَصَا	نَضَيْتُ فِي مُهْمَةِ التَّشْيِيبِ لِي قَلْصَا
وَاسْتَوْقَفْتَ عِبْرَاتِي وَهِيَ جَسَارِيَةٌ .	وَكَفَاءُ تَوْهَمٍ ^(٢) رَبْعًا لِلْحَبِيبِ قَصَا
مُسَايَلًا عَنِ لِيَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزْتَ	أَيْدِي ^(٣) الْأَمَانِي بِهَا مَا شَيْتَهُ فُرْصَا
وَكَنتُ جَارِيَتُ فِيهَا مِنْ جَرَى طَلْقًا	مِنَ الْإِجْسَادَةِ لَمْ يُحْجَمْ وَلَا نَكْصَا
أَصْسَابِ شَاكِلَةِ الْمَرْمَى حِينَ رَمَى	مِنَ السُّوَارِدِ مَا أَوْلَاهُ مَا اقْتَنَصَا
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نُبْلًا حِجًّا	لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْيِ قَنَصَا
ثُمَّ انْتَشَى ثَانِيًا عَطْفَ النَّسِيبِ إِلَى	مَدْحٍ بِهِ قَدْ غَلَا مَا كَانَ قَدْ رَخَصَا
فَظَلْتُ ^(٤) أَرْفَلُ فِيهَا لَيْسَةً شَرُفْتُ	ذَاتًا وَمُنْتَسِبًا أَعَزَزَ بِهِ قَمَصَا

(١) الزيادة من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (يومم) . والتصويب من النفع .

(٣) وردت في الإسكوريال (فيها) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النفع .

يقول فيها وقد خولت منحتها
 هذى عقايل وافت متك ذا شرف
 فقلت هلاً عكست القول منك له
 وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف
 لها حل حُسنيات على حليل
 خولتها وقد اعتزت ملايسها
 خذها أبا قاسم متى نتيجة دى
 جاءت تجاوب عما قد بعثت به

وهى طويلة . وما ينسب إليه ، وهو مليح في معناه :

ما للنوى مدت لغير ضرورة
 إن الخليل وإن دعت ضرورة
 وقال مضمناً :

لا يلمنى عاذلى حتى^(٣) يرى
 لو رأى وجه حبيبي عاذلى
 وقال في الفخر :

قل للموالى عيش بغبطة حامد
 المزن كفى والثريا همى
 وقال في غير ذلك .

غنيست بي دون غيرى الدهر عن مثل
 بعضى لبعضى أضحى يضرب المثالا

(١) وردت في الإسكوريال (س) . والتصويب من النفع .

(٢) هذه الزيادة من « الزيتونة » والنفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (حير)

ظَهْرِي انْحَنِ لِمَشِيْبٍ لَاحٍ وَاعْجَبَا غَضُّ إِذَا أَيْنَعْتَ أَزْهَارَهُ ذُبْلًا
أَذْكَ أَمْ زُهْرٌ لَاحَتْ تَخْبِرُ أَنْ يَوْمَ الصَّبَا وَالتَّصَابِي أَنْسَ الطُّفْلَا
وَمَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ تَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ، مَا رَاجَعَ بِهِ شَيْخَنَا الْقَاضِي الشَّرِيفَ

أَبَا الْقَاسِمِ الْحَسَنِ . عَنِ الْقَصِيدَةِ الْهَمْزِيَّةِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي اسْمِهِ :

يَا أَوْحَدَ الْأَدْبَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الْفُضْلَا أَوْ يَا أَوْحَدَ الشُّرْفَا
مَنْ ذَا تَرَاهُ أَحَقَّ مِنْكَ إِذَا التَّوَتْ طَرَقَ الْحِجَاجُ بَيَّانٌ يَجِيبُ نِدَاءَ
أَدَبٌ أَرَقُّ مِنَ الْمَوَاءِ وَإِنْ تَشَا فَمِنْ الْهَوَى وَالْمَاءِ وَالصُّهْبَاءِ
وَأَلْدُّ مِنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ وَظُلْمِهِ بِالظَّاءِ مَفْتُوحًا وَضَمُّ الظَّاءِ
مَا السُّحْرُ إِلَّا مَا تَصُوعُغُ بِنَانُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ حَلِيَّةِ الْإِنْشَاءِ
وَالْفُضْلُ مَا حَلِيَّتُهُ وَحَبِيَّتُهُ وَحَبَوْتِي مِنْهُ بِخَيْرِ جِهَاءِ
أَبْكَارُ فِكْرِكَ قَدْ زُفِّتْ بِمَدْحِي تَمْشِي رَوَاعِيهَا عَلَى اسْتِحْيَاءِ
لَا مِنْ قُصُورٍ بَلْ لَتُقْصِيهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَظْفَرَنَّ بِالْإِرْفَاءِ
لَا كَنْ جُبِينٍ وَقَدْ جُبَانٌ ^(١) عَلَى الرِّضَا فَالْجَبْرُ لِلْأَبْكَارِ لِلْإِبْسَاءِ
هَذَا إِلَى الشَّرْفِ الَّذِي قَدْ فَزَتْ مِنْ عَلِيَّانِهِ بِالْعَمْرَةِ الْقَعْسَاءِ
شَرَفُ السَّلِيلِ مِنَ الرَّسُولِ وَسَيْلُهُ قَامَتْ بَابِنِ سَنَا وَابِنِ سَسْنَاءِ
حَسَنٌ وَأَبُو حَسَنِ وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ الْهَادِي الْبَرِيَّةِ خَاتَمِ النَّبَلَاءِ
شَرَفٌ عَلَى شَرَفٍ إِلَى شَرَفَيْنِ مِنْ ذَا حَازَ مَا حَزَّتْ مِنْ عَلِيَّاءِ
هَذِي ثَلَاثٌ أَنْتَ وَاحِدٌ فَخَرِّهَا فَاشْمَخْ لَهَا شَرْفًا بِأَنْفِ عِلَاءِ
مَنْ رَامَ رُتْبَتَكَ السَّنِيَّةَ فَلْيَقِفْ دُونَ الْمَرَامِ مَوَاقِفَ الْإِقْصَاءِ
هَذِي مَائِرٌ قَدْ شَاوَتْ بِصِيَّتِهَا مَنْ كَانَ مِنْ آبِ لَهَا أَوْ شِئَاءِ
وَاللَّيْثُ يُرْهَبُ زَأْرُهُ فِي مَوْطِنِ مَا كَانَ مِنْ نَقْدٍ بِهِ أَوْ شِئَاءِ

(١) وردت في الإسكوريال (جاين) ونعتقد أن التصويب أرجح .

يكفيك من نكد المعاند أن يرى
السِّنُّ يُفنى بالأنامل قـسرعه
أتحفتني بقصيدة همزية
كم بين تلك وهذه لاكنها
ذو الشيب يعدره الشَّبَاب فما
من قارب الخمسين خطواً سنه
أبني إنك أنت أسدى من به
لله نفثة سحر ما قد شدت لى
عارضت صفواناً بها فأريت ما
لو راء لؤلؤك المنظم لم يفز
بواتنى منها أجل مبروا
وسمى بها أسى ساير فانا بما
وأشدت ذكري فى البلاد فلى بها
ولقوى الفخر المشيد بنيته
فليهن هانيهم يد بيضاء ما
حليت أبياتا (٣) لهم (٤) لخمية
فليشمخوا أنفا بما أوليتهم
هذا ، بنى ، وصل الله لك ولي بك علو المقدار ، وأجرى وفق أو فوق

إرادتك أو إرادتي لك جاريات الأقدار . ما سمح به الدهن الكليل واللسان

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (مستوطناً) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ثناء) مرة أخرى ، والتصويب من النسخ .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أبا) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (له) .

القليل في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية للسراء، الآخذة بمجامع القلوب،
الآتية^(١) بجوامع المطلوب، الحسنة المهيعة والأسلوب، المتحلية بالحلى
الحسنية^(٢)، العريقة المنتسب في العلى الحسنية، الجالبة صدا قلوب
ران عليها الكسل، وخانها المسعدان، السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني
حولها، ولو أقامت حولها، شككت ويلها وعولها، وحرمت من فريضة
الفضيلة عولها، وعهدى بها، والزمان زمان، وأحكامه الماضية أمانى مقضية
وأمان، تتوارد آلافها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل
سهل ممتع، مفترق مجمع، مستانس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح
الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين،
أيد من الفصاحة بإياد، فلم يحفل بصاحبى طى وإياد، وكسى بضاعة^(٣)
البلاغة، فلم يعبأ بهمأم وابن المراغة. شفاء المحزون، وعلم السر المخزون،
ما بين منشوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مبهج [ولا مرشد ولا منهج]^(٤)
عكست القضايا فلم تنتج، فتبلد القلب الذكى، [ولم يرشح القلب
البكى]^(٥)، وعم الإفحام وغم الإحجام، وتمكن الإكداء والإجبال،
وكورت الشمس وسيرت الجبال، وعلت سامة، وغلبت ندامة، وارتفعت
ملامة، وقامت لنوعى الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، وفرع
غضنه المورق، تغنى به الحمام الأورق، وأحاط بعداد عُداته الغصص
والشرق، وأمن من الغضب والسرق، وأقبل الأمن، وذهب بإقباله الفرق،

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (الموفية).

(٢) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (السنية).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (نصاعة).

(٤) الزيادة من النسخ. (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ومكانها في

النسخ (ولم يرشح القلم الذكى).

نفخ في صور أهل المنظوم والمنثور ، وبُعثر ما في القبور ، وحُصِّل ما في
الصدر ، وتراءت للأدب صور ، وعمرت للبلابة كُور ، وهمت للبراعة
دُرر ، ونظمت للبراعة دُرر ، وعندها يتبين أنك واحد حلبة البيان ،
والسابق في ذلك الميدان ، يوم الرهان ، فكان لك القدم ، وأقر لك مع
التأخر السابق الأقدم ، فوحي نِصاعة^(١) ألفاظ أجَدَّتْها ، حين أوردتْها ،
وأسلتْها حين أرسلتْها ، وأزنتها حين وزنتها ، وبراعة معان سلكتها حين
ملكنتها ، وأزويتها حين روَّأتها^(٢) وأزويتها ، وأصلتها حين فصلتها ووصلتها ،
ونظام جعلته لجسد البيان قلباً ، والمِعصمة قلماً ، وهصرت حدايقه غلباً ،
وارتكبت روية صعباً ، ونشاراً أتبعته له خديماً ، وصيرته لمدير كاسه
نديماً ، ولحفظ ذمامه المُدَامِي ، أو مُدامه الذمَامِي مُديماً ، لقد فتنتني حين
أنتني ، وسبنتني حين نصبتني^(٣) ، فذهبت خفتها بوقاري ، ولم يرعها بعد
شيب عذاري ، بل دعت للتصابي فقلت مرحبا ، وحللت ليفتنها الحبا ، ولم
أحفل بشيب ، وألفيتُ مارد نِصَابِي نُصيب ، وإن كنا فرسَى رِهان ، وسابقي
حلبة ميدان ، غير أن الجِلْدَةَ^(٤) بيضاء ، والمرجو الإغضاء . بل الإرضاء .
بُنِيَّ كيف رأيت للبيان هذا الطوع ، والخروج فيه من نوع إلى نوع .
أين صَفْوَان بن إدريس ، ومحلُّ دَعْوَاه بين رحلة وتعريس ، كم بين
ثُغَاء [بقر]^(٥) هذا الفلا ، وبين زئير^(٦) لَيْثِ العَريس . كما أني أقطع

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فصاحة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رويتها) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (صبنتي) .

(٤) وردت في الإسكوريال (الجادة) . والتصويب من النسخ .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال . وواردة في النسخ .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ ، وأثبتتها لازم لاستقامة السياق

عِلْمًا ، وَأَعْلَمُ قَطْعًا . وَأَحْكَمُ مَضَاءً ، وَأَمْضَى حُكْمًا ، أَنَّهُ لَوْ نُظِرَ إِلَى قَصِيدَتِكَ الرَّائِقَةِ ، وَفَرِيدَتِكَ الْحَالِيَةِ الْفَائِقَةِ ، الْمَعَارِضَةَ بِهَا قَصِيدَتَهُ ، الْمُنْتَسَخَةَ بِهَا فَرِيدَتَهُ ، لَذَهَبَ عَرْضًا وَطَوَّلًا ، ثُمَّ اعْتَقَدَ لَكَ الْيَدَ الطُّوْلَى ، وَأَقْرَبَ بَارْتِفَاعِ النَّزَاعِ ، وَذَهَبَتْ لَهُ تِلْكَ الْعُلَّالَاتُ وَالْأَطْمَاعُ ، وَنَسِيَ كَلِمَتَهُ اللَّؤْلُؤِيَّةَ ، وَرَجَعَ عَنِ دَعْوَاهِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَبَّهُ مِنْ تِلْكَ الْإِلَهِيَّةِ . بُنِيَ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ ، مِنَ الْجَرَى فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ ، وَالتَّبَسُّطِ فِي تِلْكَ الْمَأْخَذِ وَالْمَتَارِكِ ، أَيْتَزَجُ غَيْرِي هَذَا السَّنْزَعِ : أُمُّ الْمَرْءِ بِشِعْرِهِ^(١) وَابْنُهُ مُوَلَعٌ . حَيَّا اللَّهُ الْأَدَبَ وَبَيْنَهُ ، وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ أَيَّامِهِ وَسِنِّيهِ ، مَا أَعْلَى مَنَازِعِهِ ، وَأَكْبَأَ مَنَازِعَهُ ، وَأَجَلَّ مَأْخَذَهُ ، وَأَجْهَلَ تَارِكَهُ ، وَأَعْلَمَ آخِذَهُ ، وَأَرْقَّ طِبَاعَهُ ، وَأَحَقَّ أَشْيَاعَهُ وَأَتْبَاعَهُ ، وَأَبْعَدَ طَرِيقَهُ ، وَأَسْعَدَ فَرِيدَتَهُ ، وَأَقْوَمَ نَهْجَهُ ، وَأَوْثَقَ نَسْجَهُ ، وَأَسْمَحَ أَلْفَاظَهُ ، وَأَفْصَحَ عُمَاظَهُ ، وَأَضْدَقَ مَعَانِيَهُ وَأَلْفَاظَهُ ، وَأَحْمَدَ نِظَامَهُ وَنِشَارَهُ ، وَأَغْنَى [شِعَارَهُ وَدِثَارَهُ]^(٢) . فَعَابِيَهُ مَطْرُودٌ ، وَعَاتِبُهُ مَصْفُودٌ ، وَجَاهِلُهُ مَحْضُودٌ . وَعَالِمُهُ مَحْشُودٌ . غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ ، وَلَطَرِيقَ الْإِصَابَةِ فِيهِ عِلْمٌ وَدَلِيلٌ ، مِنْ ظَفِيرِ مَهْمَا وَصَلَّ ، وَعَلَى الْغَايَةِ الْقَصُورَى مِنْهُمَا حَصَلَ ، وَمَنْ نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ ، لَمْ يَعُدْ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، فَلِيَهْنُكَ أَيُّهَا الْإِبْنُ الذَّكِيُّ ، الْبَرُّ الزَّكِيُّ ، الْحَبِيبُ الْحَفِيُّ ، الصَّفِيُّ الْوَفِيُّ ، أَنْتَ حَامِلُ رَايَتِهِ ، وَوَاوِلُ غَايَتِهِ : لَيْسَ أَوْلُوهُ وَآخِرُوهُ لِذَلِكَ بِمُنْكَرِينَ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ . وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ ، وَيَنْحَرَفَ الشُّعْرَاءُ وَالْكِتَابُ ، لِنَاضَتْ يَتَابِيعُ هَذَا النَّمِضِ فَيُضَاءُ ، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا ، قَرَّتْ عُيُونَ أَوْدَابِكَ . وَمُلِئَتْ غَيْظًا صُدُورُ أَعْدَابِكَ . وَرَقِيتَ دَرَجَ الْأَمَالِ ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بنفسه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (دثاره وشعاره) . والتصويب من النسخ . وهو أكثر تماثيا

مع السياق .

وَوُقِيَتْ عَيْنُ الْكَمَالِ ، وَحُنِظَ مَنْصِبُكَ الْعَالِي ، بِفَضْلِ رَبِّكَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى .
 وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ ^(١) الْأَعْمُ يَخُصُّكَ بِهِ ، مِنْ طَالٍ فِي مَدْحِهِ أَرْقَالَكَ
 وَأَعْدَاذَكَ ، وَرَادَ رَوْضُ حَمْدِهِ طَلَّكَ وَرَذَاذِكَ [وَوَعَدَتْ مِصَالِحُ سَعْيِهِ فِي سَعْيِ
 مِصَالِحِكَ ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وَفَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ مُعَاذُكَ] ^(٢) وَوَسَمَّتْ
 نَفْسَكَ بِتَلْمِيذِهِ ، فَسَمَّتْ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ أُسْتَاذُكَ ، ابْنُ هَانِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .
 دَخُولُهُ غَرْنَاطَةَ : دَخَلَ غَرْنَاطَةَ مَعَ الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ بِلَدِهِ عِنْدَ تَصْيِيرِهَا إِلَى
 الْإِبَالَةِ النَّصْرِيَّةِ ، حَسْبَمَا ثَبِتَ فِي مَوْضِعِهِ .

تَوَفَّى بِجَبَلِ الْفَتْحِ ، وَالْعَدُوُّ يُحَاصِرُهُ ، أَصَابَهُ حَجَرٌ الْمَنْجَنِيْقِ فِي رَأْسِهِ ،
 فَذَهَبَ بِهِ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ وَنَفَعَهُ ، فِي أَوَاخِرِ ذِي قَعْدَةِ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ
 وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ^(٣)

وَمِنْ رِثَائِهِ قَاضِي الْجَمَاعَةِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ ، وَهِيَ
 الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضْرَاءِ أَشْلَاءَ سُودِدٍ تَضَمَّنَّهِنَّ التُّرْبُ صُوبَ الْغَمَامِ

وَقَدْ ثَبِتَ فِي «جُهْدِ الْمُقِيلِ» فِي اسْمِ الْمَذْكُورِ فَلْيُنظَرْ هُنَاكَ .

وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بِنْ شَيْبَرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ :

قَدْ كَانَ مَا قَالَ الْيَزِيدُ ^(٤) فَنَاصِرٌ فَحُزْنُكَ لَا يَفِيْسِدُ

(١) واردة في النفع . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(٣) كان النصارى (الفشتاليون) قد انتزعوا جبل الفتح (جبل طارق) من المسلمين في سنة ٧٠٩ هـ - ١٣١٠ م) ولبت المسلمون يتحينون الفرص لاسترداد هذا الثغر المنيع ، وبعث السلطان محمد بن اسماعيل (ابن الأحمر) ملك غرناطة يستنجد بملك المغرب السلطان الكبير أبو الحسن المريني فذى نداءه . وحاصرت القوات المتحالفة جبل طارق بشدة من البر والبحر ، واستطاعت في النهاية أن ترغم الحامية النصرانية على التسليم (سنة ٧٣٣ هـ - ١٣٣٣ م) ، وأن تسترد الجبل إلى يد المسلمين عصرا آخر .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (البريد) .

أَوْدَى ابْنَ هَلْفَى الرُّضَا فاعْتَادَنِ لِلشَّكْلِ عِيدَ
بِحُرِّ العِلْمِ وَصَدْرُهَا وَعَمِيدُهَا إِذْ لَا عَمِيدَ
قَدْ كَانَ زَيْنًا لِلوُجُودِ دَفْنِيهِ قَدْ فُجِعَ الوُجُودِ
العِلْمُ وَالتَّحْقِيقُ وَالتَّوْفِيقُ وَالحَسْبُ التَّلْيِيدُ
تَنَدَى خَلَايِقَهُ فَقَطَّلَ فِيهَا هِيَ الرُّوضُ المَجْجُودِ
مُغْضٍ عَنِ الإِخْوَانِ لَا جَهْمُ اللِّقَاءِ وَلَا كَنُودِ
أَوْدَى شَهِيدًا بِسَادِلًا . مَجْهُودِ فِعْسِ الشَّهِيدِ
لَمْ أَنَسَهُ حِينَ المَعَا رَفَ بِاسْمِهِ فِينَا تَشِيدِ
وَلَهُ صُبُوبٌ فِي طَمَالًا بِالعِلْمِ يَتَلَسَّوهُ صُعُودِ
لِللَّهِ وَقَبْتِ كَانَ يَنْظِمُنَا كَمَا نُظِمَ الفَرِيدِ
أَيَّامَ نَفَسُوا أَوْ نَرُوحُ حَسَعِينَا السَّعَى الحَمِيدِ
وَإِذَا المَشِيخَةُ جَنَّمُ هَضْبَاتِ جِلْمِ لَا تَبِيدِ
وَمُرَادُنَا جَمِ النَّبَا ت وَعَيْشُنَا خَضِرَ البُرُودِ
لَهْفَى عَلَى الإِخْوَانِ وَالأَنْرَابِ كُلُّهُمْ فَقِيدِ
لَوْ جِيتُ أَوْطَانِي لِأَنْكُرِنِي التَّهْلِيمِ وَالنُّجُودِ
وَلِرَاعِ نَفْسِي شَيْبُ مِنْ غَادَرْتَهُ وَهُوَ الوَلِيدِ
وَلَطْفَتُ مَا بَيْنَ اللُّحُودِ د وَقَدْ تَكَاثَرَتِ اللُّحُودِ
سُرْعَانِ مَا عَاثَ الجِمَا م وَنَحْنُ أَيْقَاطُ هُجُودِ
كَمْ رُمْتُ إِعْدَالَ المَسِيرِ فَقِيدَتِ عَزْمِي قُبُودِ
وَإِنِّ أَخْلَفْتُ الوَعْوِ د وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ البُرُودِ
مَا لَلْفَتِي مَا يَبْتَسِفِي وَاللَّهِ يَنْعَمُ مَا يُرِيدِ
أَعْلَى القَدِيمِ المُلْكِ يَا وَيْلَادِ يَعْتَرِضُ العَبِيدِ

يَا بَيْنُ قَدْ طَالَ الْمَدَى أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِوَابَةٌ وَلرَبِّمَا لَانَ الْحَدِيدُ
 إِلَيْهِ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَدُونَنَا مَرْمَى بَعِيدُ
 أَيْنَ الرِّسَالِ مِنْكَ تَأْتِينَا كَمَا نُظِمُ^(١) الْعُقُودُ
 أَيْنَ الرُّسُومِ الصَّالِحَاتِ تَصَرَّمَتْ أَيْسَنَ الْعُهُودُ
 أَنْعَمَ مَسَاءً لَا تَخَطَّتْكَ^(٢) الْبِشَايِرُ وَالسُّعُودُ
 وَأَقْدَمَ عَلَى دَارِ الرُّضَا حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالخُلُودُ
 وَالسَّقَّ الْأَحْبَسَةَ حَيْثُ دَارُ الْمُلْكِ وَالْقَصْرِ الْمَشِيدُ
 حَتَّى الشَّهَادَةِ لَمْ تَفْتُكْ فَجَمُّكَ النَّجْمُ السَّعِيدُ
 لَا تَبْعُدَنَّ وَعْدُ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ^(٣) فِي الدُّنْيَا يَعُودُ
 وَلَيْنَ بُلَيْتَ فَإِنَّ ذَكَرَكَ فِي الدُّنْيَا غَضَّ جَدِيدُ
 تَالَهُ لَا تَنْسَاكَ أَنْدَبِيَّةَ الْعُلَى مَا اخْضَرَ عُودُ
 وَإِذَا تَسَوَّحَ فِي الْحَقْوِ قِ فَحَقُّكَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ
 جَادَتْ صِدَاكَ عِمَامَةٌ يُرَوَى^(٤) مَهَا ذَاكَ الصَّعِيدُ
 وَتَعَهَّدَتْكَ مِنْ الْمُهَيْمِنِ رَحْمَةٌ أَبَدًا وَجُودُ

محمد بن يحيى العبادري

من أهل فاس . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بالصادق

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نسق) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تخطيك) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البده) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ريرن) وهو تحريف .

حاله

قال الأستاذ في « صلته »^(١) : إمامٌ في العربية ، ذاكرٌ لللغات والآداب ، متكلمٌ ، أصولي مفيد ، مُتَفَنِّنٌ ، حافظٌ ، ماهرٌ ، عالمٌ ، زاهدٌ ، ورِعٌ ، فاضلٌ . أخذَ عِلْمَ العربية والآداب عن النحوي أبي الحسن بن خروف ، وعن النحوي الأديب الضَّابِطِ أَبِي ذَرِّ الحُشَنِيِّ ، وأكثرَ عنهما ، وأكَمَلَ الكتابَ على ابن خروف ، تَفَقُّهُماً وتَقْيِيداً وَضَبْطاً . وكان حسن الإقراء ، جَيِّدَ العبارة ، متينَ المعارف والدين ، شديدَ الورع ، مُتَوَاضِعاً جليلاً ، عالماً عاملاً ، من أَجَلٍّ من لَقِيَّتُهُ ، وَأَجْمَعِهِمْ لفتون المعارف ، وَضُرُوبِ الأَعْمَالِ ، وكان الحِفْظَ أَغْلَبَ عليه ، وكان سريعَ القَلَمِ إِذَا كَتَبَ أَوْ قَيَّدَ ، وسمعتُه يقول ، ما سمعت شيئاً من أحد من أشيأخي ، من نُكْتِ العِلْمِ ، وتَفْسِيرِ مُشْكِلي ، وما يرجع إلى ذلك ، إِلَّا وقَيَّدْتُهُ ، ولا قَيَّدْتُ بِخَطِي شيئاً إِلَّا حَفِظْتُهُ ، ولا حَفِظْتُ شيئاً فَنَسِيْتُهُ . هذا ما سمعت منه .

مشيخته

أخذَ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف ، وعن النحوي الأديب الضَّابِطِ أَبِي ذَرِّ الحُشَنِيِّ . وأكثرَ عنه ، وأخذَ معهما عن أبي محمد بن زيدان ، ولازم ثلاثتهم ، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح وَأَخَذَ^(٢) عن غير من ذكر .

دخوله غرناطة

قال ، دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعة كانت لديه يتجر فيها ،

(١) يقصد بها كتاب « صلته الصلة » لاي جعفر بن الزبير (راجع ترجمته في المجلد الأول من الإحاطة ص ١٨٨) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واكبر) رالأرنج أرجح .

ودخل إشبيلية ، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته .
توفي رحمه الله شهيداً بمرسى جبل الفتح . دخل عليهم العدو فيه .
فقاتل حتى قُتل ، وذلك سنة أحد وخمسين وستماية . وسمعتُه يتوسل إلى
الله ، ويسأله الشهادة .

المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء

وأولاً الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير

من أهل غرناطة ، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، يكنى
أباً عمرو

حاله

هذا الشيخ سَكَيْتُ حَلْبَةَ ، ولدُ أبيه في علوِّ النَّبَاهَةِ . إلا أنه لوذَعِيَ
فكِهِ ، حسن الحديث ، رافضٌ للتَّصَنُّعِ ، ركض طَرْفَ الشَّيْبَةِ في ميدان
الراحة ، مُنْكَباً عن سُنَنِ أبيه وقومه ، مع شُغُوفٍ إِذْرَاكٍ ، وجودة حِفْظٍ .
كانا يُطْطِعَانِ والدَّهَ في نجابته ، فلم يَعْلَمَ قَادِحاً . ورحل إلى العُدُوَّةِ .
وشرَّقَ^(١) ونال حُطُوءَهُ ، وجَرَّتْ عليه خطوب . ثم عاد إلى الأندلس على
معروف رَسْمِهِ يَتَكَوَّرُ بها ، وهو الآن قد نال منه الكِبَرُ . يُزَجِّي الوقت
بمَانِقَةٍ . متعللاً بوقفٍ من بعض الخِدمِ المَخْزِنِيَّةِ . لطف الله به .

(١) شرق أي رحل إلى الشرق .

مشيخته

استجاز له والده الطمّ والرّم ، من أهل المغرب والمشرق ، ووقف عليه منهم في الصغر وقفاً لم يغتبط به عمره ، وأذكره الآن بعد أمة ، عندما نقرّ عنه لديه : فآثرت به يده من علو رواية ، وتوفّر سبب مبرّة ، وداعية إلى إقالة عثرة : وسرّ هيبّة شيبّة . فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي ، إجازة ثم لقاءً وسماعاً ، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون . وأجازه الأستاذ أبو إسحق الغافقي ، وأبو القاسم بن الشّاط ، والشّريف أبو العباس أحمد الحسنی ، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي نزيل سبّته . ومحمد ابن صالح بن أحمد بن محمد الكتّاني الشّاطي ببجاية ، والإمام أبو اليمن ابن عساكر بالمسجد الحرام ، وابن دقيق العيد وغيرهم . ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السّداد ، وأبو جعفر بن الزيات ، وأبو عبد الله بن الكّاد ، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري ، وأبو عبد الله بن برطال ، وأبو محمد عبد المنعم بن سيمك ، والعدّل أبو الحسن بن مستقور . وأجازه من أهل المشرق والمغرب : عالم كبير .

شعره

وبضاعته فيه مزجاة ، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان :

عَلِمُ نَعِمٍ كَسَتْ طَوْلًا وَعَرَضًا	نوالى الشُّكر للرحمن قَرَضًا
منه الذي يشاء... (١) وأمضا	وكم لله من لُطف خَفِيٍّ لَنَا
تنال بها نعيم الدهر مَحْضًا	بِمَقْدَمِكَ السَّعيدَ أَنْتَ سَعُودُ
به والاك بارينا وأَرْضًا	فيا بُشْرَى لِأَنْدَلَسٍ بِمَا قَد

(١) هنا بياض في الإسكوريال .

رِيا لله من سَفَرِ سَعِيدٍ قَد
 نَهَضْتَ بِنِيَّةٍ أَخْلَصْتَ فِيهَا
 وَثَبْتَ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لَمَّا
 لَقِدْتَ أَحْيَيْتَ بِالتَّقْوَى رُسُومًا
 وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِيْنَا
 وَرُضْتَ مِنَ الْعُلُومِ الصُّعْبِ حَتَّى
 فَرَأَيْتَ نَاجِحٌ فِيْمَا تَرَاهُ
 تُدَبِّرُ أَمْرَ مَوْلَانَا فَيَلْقَى الْمُسِيءُ
 فَاعْتَبَرْنَا شِفَاءً وَأَنْبِيْسَاطًا
 وَمَنْ أَضْحَى عَلَى ظَمَأٍ وَأَمْسَى
 أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ إِلَيْكَ أَشْكُو
 وَمِنْ نِعْمَاكَ اسْتَجْدَى لِبَاسَا
 بِقِيَّتِ مُؤَمَّلًا تُرْجَى وَتُخْشَى
 تُوْفَى فِي التَّاسِعِ لِمَحْرَمٍ مِنْ عَامِ خَمْسَةِ وَسْتَيْنِ وَسَبْعِمَايَةِ .

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب النسائي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا أبكر ، ويعرف بالقليعي .

أوليته : قد جرى من ذكره ، وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية (١)

حاله

كان نبيه البيت ، رفيع القدر ، عالي الصيت . من أهل العلم والفضل
 والحسب والدين ، وأجمع على استيفائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سمحون
 سنة ثمان وخمسمائة .

(١) أورد ابن الخطيب ترجمة وافية لأبيه ، في المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٤٧ - ١٥٠) .

توفي بغرناطة، أوائل صفر عشرة وخمسمائة . ودفن في روضة أبيه
ذكره ابن الصيرفي وأطنب .

محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة .

حاله

من « عايد الصلوة » : كان رحمه الله شيخ الفقهاء والمؤثقيين ، صدرَ
أرباب الشورى ، نسيج وحده في الفضل ، والتخلق والعدالة ، طرُفاً في
الخير ، مُحبباً إلى الكافة ، مجبولاً على المشاركة ، مطبوعاً على التفضيلة ،
كهنفاً للغرباء والقادمين ، مألفاً للمتعلمين ، ثمالاً للأسرى والعائنين ،
تخلص منهم على يديه أُممٌ ، لقصد الناس إياه بالصدقة ، مقصوداً في
الشفاعات ، مُعتمداً بالأمانات ، لا يُسدل دونه سترٌ ، ولا تُحجب عنه
حرمة ، فقيها حافظاً ، إخبارياً محدثاً ممتعا ، متقدماً في صناعة التوثيق ،
حسن المشاركة في غيرها ، كثير الحُض على الصدقة في المُحول والأزمات ،
يقوم في ذلك مقامات حميدة ، ينفع الله بها الضعفاء ، وينقاد الناس
لموعظته ، ويؤثر في القلوب بصدقه . فقد يفقدانه رَسْم من رسوم البرِّ
والصدقة .

مشيخته

ترى على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، والخبيب ولي الله أبي الحسن
ابن زينة ، وروى عن الشيخ الوزير الحسين المحدث ابن محمد عبد المنعم
ابن حمال ، وأبي القاسم بن السكوت الملقى ، والخطيب أبي عبد الله

ابن رُشيد . والقاضي أبي يحيى بن مسعود ، والعدل أبي علي البجلي ، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني . وأجازه جماعة من أهل المشرق والمغرب ، وناب عن بعض القضاة بقرناطة . ولد عام تسعة وستين وسبعمائة ، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة . وكانت جنازته مشهودة .

محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن أحمد بن محمد

ابن يوسف بن رويل الأنصاري

من أهل قرناطة ، ويكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن السراج . طليطلي الأجل ، طيبُ الدار السلطانية .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل التّفنن والمعرفة ، مُتَناهى الأبهة والحُظوة ، جميل الصورة ، مليح المجالسة ، كثير الدُّعابة والمؤانسة ، ذا كراماً للأخبار والطرف ، صاحب حظٍّ من العربية والأدب والتفسير ، قارضاً للشعر ، حسن الخط ، ظريف الوراثة ، طرُفاً في المعرفة بالعُشب ، وتمييز أعيان النّبات ، سَنِيّاً ، محافظاً ، مُجبا في الصالحين ، ملازماً لهم ، مُعْتَنِيّاً بأخبارهم ، مُتَلَمِّداً لهم . انحاش إلى الولي أبي عبد الله التُّونسي ، وانقطع إليه مدة حياته ، ودونَ أحواله وكراماته . وعينَ ربيع ما يستفيدة في الطب صدقة على يديهِ . أجرى ذلك بعد موته لبنيه . ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان ، فاطرح حظَّ نفسه مع المساكين والمحتاجين ، فكان على باوهِ على أهل الدنيا . بوثر ذوى الحاجة ، ويخفُّ إلى زيارتهم ، ويرفدهم ، ويُعينهم على معالجة عَالمهم .

مشيخته

قرأ الطب على الشيخ الطبيب . نسيح وحده أبي جعفر الكزفي . رئيس الصناعة في وقته ، ولقى فيه الأستاذ إمام التعاليم والمعارف ، أبا عبد الله الرقوطي المُرسي وغيره . وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطباع بالروايات السبع ، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصايغ الإشبيلي ، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير .
تواليفه : ألف كتباً كثيرة . منها في النبات والرؤيا . ومنها كتاب سماه ، « السرُّ المُذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع » .

شعره

من ذلك قوله مُلغزاً في المَطَر :

وما زائرٌ مهما أتى ابْتَهَجَتْ به نفوسٌ وعمَّ الخلقَ جوداً وإحسانا
يُقيّمُ فيشكو الخلقُ منه مُقسامه ويكرُبهم طراً إذا عنهم بسانا
يَسُرُّ إذا وافى ويكرُب إن نَسَى ويكرَه منه الوصل إن زار أحيانا
وأعجبُ شيءٍ هَجَسُ حُبِّ مواصلي به حين يُطلُّ هواه إن لم يُطلِّ خانانا

محدثه

ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر^(١) فجأة ، وهو يُصَلِّي المغرب ، وباكراً الطبيب بابه غداة ليلة موته . سأل عن العلمام القريب عهد موته بتناوله ، فأخبر أنه تناول كعكاً وصلته من وليّ عهده ،

(١) ثاني ملوك بني نصر بمملكة غرناطة هو محمد بن محمد بن يوسف المنتقب بالفقيه . وقد ولي الملك عقب وفاة أبيه محمد بن الأحمر الكبير في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) . وحكم مملكة غرناطة حتى وفاته في سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

فقال كلاماً أوجِبَ نكبتَه ، فامتحن بالسَّجْن الطويل ، والتُمتت الأسباب
الموصلة إلى هلاكه ، ثم أُجلى إلى العُدوة . ثم دالت الأيام ، فعاد إلى وطنه
مستأنفا ما عَهِدَ من البرِّ وفَقَدَه من التَّجَلَّة .

ميلاده : بغرناطة عام أربعة وخمسين وستماية .

وفاته : ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين
وسبعماية .

محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي

يكنى أبا عبد الله ، وبيته معلوم

حاله : كان من أهل المعرفة والنبل والذكاء

مشيخته

قرأ القرآن على أبي بكر بن النَّفيس ، وأبي عبد الله بن شهيد المُرِّي
المُقبَرى ببطخشارش من غرناطة . ودرس الفقه عند المشاور أبي عبد الله
بن ملك المَقْرِي ، وأبي الحسن على بن عمر بن أضْحَى ، وعلى غيرهما
من شيوخ غرناطة .

توفى سنة أربعين وخمسمائة .

قلت ، وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ،
ألاً أذكر هذا النمط لمكان مُصَاهِرَتِي في هذا البيت . ولعل حافِدَ هذا المترجم
به من ولدى ، يطلع على تعدادهم وذكرهم في هذا التاليف وتردادهم ،
فيكون ذلك محرضاً له على النَّجَابَةِ . محرضاً للإجابة . جعلنا الله ممن
انتمى للعلم وأهله ، واقتضى من سُنَّته واضح سُبُلِهِ .

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي
الوادآشي الأصل والمعرفة ، التونسي الاستيطان ، يكنى أبا عبد الله ،
ويعرف بابن جابر

حاله

من « عايد الصلة » : نشأ بتونس ، وجال في البلاد الشرقية والمغربية ،
واستكثر من الرواية ونقّب عن المشايخ ، وقيد الكثير ، حتى أصبح جماعة
المغرب ، ورواية الوقت . ثم قدم الأندلس ظريف النزعة ، عظيم الوفاق ،
قويم السمّت ، يأوى في فضل التعيش إلى فضل ما كان بيده ، يصرفه في
مصارف التجارة . وقعد للإسماع والرواية . وانتقل إلى بلّش ، فقرأ بها
القرآن العظيم والروايات السبع ، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات . ثم
رحل إلى المغرب ، ثم أعاد الرّحلة الحجازية ، وأغرق ، فلقى أمة من
العُلماء والمحدثين ، وأصبح بهم شيخاً وحده ، أنفَساح رواية ، وعلوّ إسناده .

مشيخته

من شيوخته قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخزرجي
البلكنسي . وقاضي الجماعة بها أبو إسحق بن عبد الرّبيع . وقاضي قضاة
الديار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن
جماعة بن صخر الكِناني . وقاضي الجماعة ببجاية . أبو العباس الغُبَريني .
وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضصر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم
ابن محمد ابن منصور الأصبَحي . وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدى
المصرى . ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفرى .
وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى

ابن عبد الواحد بن سرور المقدسى . وأبو الفضل أبو القاسم بن حماد بن
 أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمى اللبيد . وعبد الله بن يوسف بن موسى
 الخِلاسى . وعبد الله بن محمد بن هرون . وإبراهيم بن محمد بن أحمد
 ابن محمد بن عبد الله بن الحاج التُّجيبى . وأحمد بن يوسف بن يعقوب
 ابن على الفِهرى اللَّبلى^(١) . وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين ،
 وعزُّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ، وجمال الدين أبو عبد الله
 محمد بن عبد الباقي بن الصَّفَّار ، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة
 العزفى ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التُّجيبى ، وأبو يعقوب يوسف بن
 إبراهيم بن أحمد بن على بن إبراهيم بن عقاب الجُدَامى الشاطِئى ،
 وعبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الله الأنصارى الأسدى القيروانى ،
 وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القَبْتُورى^(٢) ، وعلى بن محمد بن أبي القاسم
 ابن رزين التُّجيبى ، وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرِنى^(٣) ، وقر القضاة
 فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير ، وتقى الدين
 محمد بن أحمد بن عبد الخالقي المصرى ، وصَدْرُ النحاة أبو حيان ،
 وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومى المقدسى الدِّلاصى ،
 ورضىُّ الدين بن إبراهيم بن أبى بكر الطُّبْرِى . والمُعَمَّرُ بهاء الدين
 أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقى .
 وأما من كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب .

قدم غرناطة فى أول عام ستة وعشرين وسبعمائة ، فهو باعتبار أصله
 أصلى ، وباعتبار قدومه طارىءٌ وغريب .

(١) نسبة إلى مدينة لبلة من قواعد الغرب الأندلسى .

(٢) نسبة إلى قبور أو كتور من بلاد منطقة إشبيلية .

(٣) نسبة إلى بطرنة . وهى بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غربى بلنسية .

تواليافه

له توالياف ءلءلثة ءملة ، منها أربعون ءءلثاً ، أءرب فلهما بما ءل
على سعة ءطوه وانفساح رءله .
وفاته : كان ءفا سنة أربعم وسبعمافة ، وبلغنى أنه توفى عام سبعة
بعءها .

ءمء بن ءلف بن موسى الأنصارى الأوسى

من أهل الببرة ، فكنى أباء عبء الله .

ءاله

كان مءكلماً ، واففا على مءاهب المءكلمفن ، مءءقفا برأى الأشعرفة ،
ءاكرأ لءءب الأصول والاعءقءاءات ، مءاركافى الأدب ، مءءمأ فى الطب .

مشفءته

روى عن أبى ءعفر بن مءمء بن ءكم بن باق ، وأبى ءعفر بن ءلف
ابن الهفثم ، وأبوى ءءسن بن ءلف العنسى ، وابن مءمء بن عبء العزفز
ابن أءمء بن ءمءفن ، وأبوى عبء الله بن عبء العزفز المورى ، وابن فرء
مولى الطلاءع ، وأبى العباس بن مءمء البءامى . وأبى على الغسانى ، وأبى
عمرو زفاء بن الصفار ، وأبى القاسم أءمء بن عمر . وأءء علم الكلام
عن أبى بكر بن ءءسن المرءى . وأبى ءعفر بن مءمء بن باق ، وأبى ءءءاء
ابن موسى الكلبى . وتءءب فى بعض مسائل النحو ببأى القاسم بن ءلف
ابن فوسف بن فرءون بن الأبرش .

من روى عنه : روى عنه أبو إسءق بن قرقول ، وأبو ءالء المروانى ،

وأبو زيد بن نزار ، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسى ، وأبو القاسم
عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان ، وأبو الوليد بن خيرة .

تواليفه

من تواليفه : « النُّكت والأُمالي في الرَّد على الغزالي » ، و « الإيضاح
والبيان في الكلام على القرآن » ، و « الوصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول »
ورسالة « الاقتصار على مذاهب الأئمة الأخيار » ، ورسالة « البيان في حقيقة
الإيمان » ، والرَّد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في
الجزء الأول من مُقدماته ، و « شرح مشكل ما وقع في الموطَّأ وصحيح
البخارى » ، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وسماية^(١) في
شوال منه ، وبلغ في الكلام فيه إلى النُّكتة الرابعة والخمسين ، وقطعت
به قواطع المرض ، وشرع في معالجة العين لرؤيا رآها ، يقال له أَلْفَتَ
في نور البصيرة ، فألَّف في نور البَصَر تَنْفَع وتَنْتَفَع ، فأقْبَل على تأليفه
في مداواة العين ، وهو كتاب جُمُّ الإفادة ، ثم أكمل النُّكت .

شعره

وكان له حظٌّ من قرض الشعر ، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين
أبا المعالي الجويني :

حُبُّ حَبْرٍ يَكْنَى أبا المعالي هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا والله مُغْرَمٌ في هِوَاهُ عَلَّلوني بذكره عَلَّلوني

مولده : ولد يوم الثلاثاء لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة
سبع وخمسين وخمسمائة .

(١) ورد هذا التاريخ في الإسكوريال « الزيتونة » (عام ثمانية عشر وخمسمائة) . ومن
الواضح أنه تاريخ محرف ، وأن الحقيقة فيه أنه (ثمانية عشر وسماية) حسبما أثبتناه . وذلك أولاً =

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشريشي

حسالة

من أهل التصاؤون والحشمة والوقار ، مُعْرَقٌ في بيت الخَيْرِيَّةِ والعَفَّةِ ، وكان والده صاحبنا رحمه الله ، آيَةً في الدُّؤُوبِ والصَّبْرِ على انْتِسَاخِ الدَّوَابِّ والعِلْمِيَّةِ والأَجْزَاءِ ، بحيث لا مَظِنَّةَ معرفةٍ أو حُجْرَةَ طَلَبِ تَخْلُوعِ شَيْءٍ من خَطِّهِ إِلَّا ما يَاقِلُ ، على سكونٍ وعدالةٍ وانْقِباسٍ وصَبْرٍ وقَنَاعَةٍ ، وأكْتَبَ لِلصُّبْيَانِ في بعض أطواره . ونشأ ابنه المذكور ، ظاهر النُّبْلِ والخصوصِيَّةِ مشاركاً في فنون ، من عربيَّةٍ وأدبٍ وحسابٍ وفريضةٍ ، وتصرَّفَ في الشهادةِ المَخْزَنِيَّةِ برهةً ، ثم نُزِعَ عنها انقياداً لداعي النزاهة ، وهو الآن بحاله الموصوفة

شعره

وشعره من نمط الإِجَادَةِ ، فمن ذلك قوله :

بي شادن أهيف مَهْمَى انْشَى	يحكى تَشْنِيهِ القَضِيْبِ الرُّطِيْبِ
ذو غُرَّةٍ كالْبَدْرِ قد أُطْلِعَتْ	فوق قَضِيْبِ نَابِتٍ في كَثِيْبِ
خضت حَشَا الظُّلْمَاءِ من حُبِّهِ	أَخْتَلِسُ الوَصْلَ حِذَارِ الرُّقِيْبِ
فبتُّ ولِلْوَصْلِ لَنَا ثَالِثُ	يُضْمِنَا ثَوْبُ عَفَافِ قَشِيْبِ
حتى إذا ما الليل ولَّى وقد	مالت نجوم الأفق نحو الغروب
ودَّعْتُهُ والقلب ذو لَوْعَةٍ	أسيل من ماء جفوني غروب

يُنْفِذُ الفيلسوف ابن رشد الحفيد صاحب «المقدمت» توفي سنة ٥٩٥ هـ ، وثانياً ، لأن ابن الخطيب

نفسه يقول لنا إن صاحب الترجمة قد ولد سنة ٥٥٧ هـ .

فلست أدري حين أودعته قلبٌ بأضلاعى غدا أم قُليب
ومن ذلك فى النسب :
يا أجمل الناس ويا مَنْ غَدَتْ
غُرَّتُه تمحو سَنَا الشمس
أنعم على عَبْدِكَ يا مالِكى
دون اشتراء ومُنَى نفسى
بأن تُرى وَسْطى لعِقدى وأن
تُعيد رَبِّعى كامل الأنس
فإن تَفَضَّلْت بما أرتجى
أبقيتنى فى عالم الإنس
وإن تكن تُرْجِعنى خايباً
فإنسى أذْرَجُ فى رَمْسِ
وقال فى فضل العلم :

يا طالب العلم اجتهد إنسه خيرٌ من التَّاليد والطَّسارِف
فالعلم يَذْكُو قَدْرَ إنْفِاقه والمال إذا أَنْفَقْتَه تَالِيف

وترقى إلى هذا العهد بإشارتى إلى التى لا فوقها من تعليم وَلَدِ السلطان ،
والرياسة القرآنية بباب الإمارة ، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة ^(١) ،
حَمِيدُ الطريقة فى ذلك كله ، معروفُ الحق ، تولاه الله .
مولده : عام ثمانية عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن على بن سُودة المُررى

يكنى أبا القاسم

أولَّيْتَه

من نُبهاء بِيُوتات الأندلس وأعيانها ، سكن سلفه البشارة ^(٢) ،

(١) الإشارة هنا إلى قلعة (أوتصبه) اخمراء الملاصقة للتصير السلطانى .

(١) منطقة البشارة أو البشرات هى المنطقة الجبلية الواقعة على جنوبى سفوح جبال سييرا Nevada ، جنوب غربى غرناطة ، وعلى مقربة من البحر المتوسط . وبالإسبانية Alpujarras . وتشتهر برقاها الحصينة وحدائق فواكهها الياضنة .

بشارةً بنى حسان ، وولى جدّه الأشغال ، حميد السيرة ، معروف الإدانة .

حاله

هذا الفتى من أهل الخُصُوصِيَّة والسكون والحياء، المانع عن كثير من الأغراض . مال إلى العلوم العقلية ، فاستظهر على المماسَّة في بعض أغراضها بالدؤوب والعكوف . المورثين تأثير حبل الرُّكِيَّة في جحرها ، فتصدَّر للعلاج ، وعانى الشُّعر ، وأرسم في الكتابة ، وعُدَّ من الفضلاء ، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء . وتشوَّف إلى العهد للرحلة الحجازية ، والله يُيسِّر قصده .

مشيخته

قرأ الطبَّ والتَّعْدِيل على الحَبْر طبيب الدَّار السُّلْطَانِيَّة ، فارس ذينك الفئتين ، إبراهيم بن زرزار اليهودي ، ورَّحَلَ إلى العُدوة . فقرأ على الشُّريف العالم الشهير، رُحْلة الوقت في المغرب، أبي عبد الله العَلَوِي ، وبلغتايه نجح

شعره

أنشد السلطان قوله :

جَادَ الحِمَى صَوَّبَ الغَمَامَ هُتُونَهُ	تُرْجَى البُرُوقَ سَحَابَهُ فَتَعِينَهُ
وَسَقَى دِيَارَ العَامِرِيَّةَ بَعْدَ مَا	وَأَفَى بِجَرْعَا الكَثِيبِ مَعِينَهُ
يَنْدَى بِأَفْنَانِ الأَرَاكِ كَأَنَّهُ	عَقْدُ تَنَاطُرٍ بِالعَمِيقِ ثَمِينَهُ
وَمَحَى الكَثِيبُ سَكُوبَهُ فَكَأَنَّهُ	خَطٌّ تَطَلَّسَ مِمْهُ أَوْ نُونُوسَهُ
حَتَّى إِذَا الأُرُوحُ هَبَّتْ بِالضُّحَا	مَسَحَتْ عَلَيْهِ بِالجِنَاحِ تُبِينَهُ
وَكَأَنَّهُ والرَّعْدُ يَحْسِدُو خَلْفَهُ	صَبَّ يَطُولُ إِلَى اللِقَاءِ حَنِينَهُ
أَوْسَعَ دَمْعِي فَوْقَ أَكْنَافِ اللُّوِي	جَادَتْ بِلَوْلُؤَةِ النِّفِيسِ عَمِيُونَهُ

والبرق في حُلِّ السَّحابِ كأنه
 أو ثوبٌ ضافية الملبس كاعبٌ
 هنَّ الديار براءة لا دهرها
 ولقد وقفتُ برسمها فكأنني
 قلبي بذاك اللوى خلفته
 لا تسَلُّ العُدَّالَ عني فالهوى
 إن يخف عن شرحى حديث زميرتي
 عجباً لدعوى لا يكفُّ كأنما
 مُحيي المكارم بعدما أودى بها
 مولى المملوك عميدُ كلِّ فضيلة
 يُضفي إلى داعي الندى فيهزه
 من ذا يُسابق فضله لوجوده
 إن تلقه تلقَ الجمال وقاره
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 وأخيرا رسومَ الدين وهي دوارس
 شمس الهدى حنْفُ العِدا مُحيي النُّدا بحر الجِدا طول المدى تمكينه
 ليثُ الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنَّ القيرى عمَّ القيرى تأمينه
 فليأسه يوم الوغى ولعزمه
 لا تسَلُّ الهيجاء عنه إنه
 لو كان يُشغله المنام عن العُلا
 وإذا تطاولت المملوك بماجد
 يابن الألي نصرُوا الرسول ومن بهم نطق الكتاب فصيحُه ومبينه

مكنون سرٌّ قد أذيع مضمونه
 عمدت بحاشية النضار تزينه
 سلس القياد ولا العتاب يليه
 من ناجل الأطلال فيه أكونه
 ألوى بمزْدَلِف الرفاق ظمينه
 ذا يخامر بالضلوع دفينه
 فعلى الفنون فريضة تُبينه
 جدوى ألي عبد الآله هُتونه
 زمنٌ تقلب بالكِرام خُونه
 علق الزمان ثمينه ومكينه
 وبملتقى الجععين طال سكونه
 ويلجُ فيض البحر فاض يمينه
 والحلم طبعُ والسماحة دينه
 غمر الأنام نواله ومحا الضلال رشاده
 ولطالما صدع الشكوك يقينه
 شمس الهدى حنْفُ العِدا مُحيي النُّدا بحر الجِدا طول المدى تمكينه
 ليثُ الشرى غوثُ الورى قمر السرى سنَّ القيرى عمَّ القيرى تأمينه
 جاش الهزبرُ إذا الهزبرُ يخونه
 يصل المراد كما تحب ظنونه
 هجر المنام وباعدته جفونه
 بمحمد دون الأنام يكوونه

خُصُوا ببيعته وحاموا دونسه
 أمعاضد الإسلام أنت عميده
 لم يبق إلا من بسيفك طابع
 وبجيشك المنصور لو لاقيته
 ولو اصطنعت إلى العدو إدالة
 خذها إليك قصيدة من شاعر
 جعل القوافي للمعالى سلماً
 غطى هواه عقله واقتساده
 ولو أخذته أيدي التحرير والنقد ، لرجى أن يكون شاعراً ، وبالجملة
 فالرجل معدود من السراة بيتاً وتخصصاً .

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

منكبي (٢) الأصل يكنى أبا عبد الله ، طبيب الدار السلطانية .

حاله

من « عايد الصلة » : كان رحمه الله فذاً في الانطباع واللؤذعية ،
 حسن المشاركة في الطب ، مليح المحاضرة ، حفيظة ، طلعة ، مستحضراً
 للأدب ، ذا كرا لصناعة الطب ، أخذها عن إمام وقته ، أبي جعفر الكزني ،
 وانتصب للعلاج ، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني . ووئى
 الحسبة ، ومن شعره يخاطب السلطان على السنة أصحابنا الأطباء الذين

(١) يقصد بها هنا ملك تشالة ، وقد كان هذا الاسم يطلق على ملوك الصاري لان معظمهم

كان يحمل اسم الفنش (الفونسو) .

(٢) منكبي الأصل ، أي ينتمى إلى نجر المنكب Almuñcar . الواقع شرق مالقة .

جَمَعَتْهُمُ الخِدمَةُ بِيابِهِ يَوْمَئِذٍ ، وَهَمَّ أَبُو الْأَصْبَغِ بنُ سَعَادَةَ ، وَأَبُو تَمَامٍ
غَالِبُ الشَّقُورِيِّ :

قد جمعنا ببابكم سَطْرَ عِلْمٍ لِبَلُوغِ المَتَى وَنَيْلِ الإِرَادَةِ
وَمِنْ أَسْمَانِنَا لَكُمْ حُسْنُ فَالٍ غَالِبٌ ثُمَّ سَالِمٌ وَسَعَادَةُ
تَوَفَى فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ عَشَرَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِينِ

من أهل البيرة ، يكنى أبا عبد الله

حاله

من الملاحى^(١) : قال وُلِّيَ الأحكام ، وكان فقيهاً نبيهاً .

وفاته : توفى بفرناطة في عَشْرِ السِّتِينَ وأربعمائة

قلت ، قد تقدم اعتذارى عن إثبات مثله في هذا المختصر ، فليُنظَر

هناك إن شاء الله .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد

ابن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِينِ عدنان بن بشير بن كثير العُمَرِيُّ

حاله

كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين ، وأجلُّ وقته قدراً في
العلم والرواية والحفظ للرأى والتمييز للحديث ، والمعرفة باختلاف العلماء ،

(١) هو أبو القاسم الملاحى صاحب كتاب «تاريخ علماء البيرة» وقد سبق التعريف به .

رسوف بورد لنا ابن الخطيب ترجمته بهه قليل .

مُتَفَنِّناً فِي الْعِلْمِ ، مُضْطَّلِعاً بِالْأَدَبِ ، قَارِضاً لِلشُّعْرِ ، مُتَصَرِّفاً فِي حِفْظِ
 الْمَعَانِي وَالْأَخْبَارِ ، مَعَ النَّسْكِ وَالزُّهْدِ ، وَالْأَخْذِ بِسُنَنِ الصَّالِحِينَ ، وَالتَّحَلُّقِ
 بِأَخْلَاقِهِمْ . لَمْ يَزَلْ أُمَّةً فِي الْخَيْرِ ، قَانِتاً لِلَّهِ ، مُنِيباً لَهُ ، عَالِماً زَاهِداً صَالِحاً
 خَيْراً مُتَقَشِّفاً ، كَثِيرَ التَّبَتُّلِ وَالتَّزَلُّفِ بِالْخَيْرَاتِ ، مُسَارِعاً إِلَى الصَّالِحَاتِ ،
 دَائِمُ الصَّلَاةِ وَالبِكَاءِ ، وَاعْظَا . مَذْكَراً بِاللَّهِ ، دَاعِياً إِلَيْهِ ، وَرِعاً ، مُدَبِّبِي
 الصَّدَقَةِ ، مَعِيناً عَلَى النَّايِبَةِ . مَوَاسِياً بِجَاهِهِ وَمَالِهِ ، ذَا لِسَانٍ وَبِيبَانٍ ، تُصَغَى
 إِلَيْهِ الْإِفْتِدَاءُ ، فَصِيحاً ، بَهِيماً ، عَرَبِيّاً ، شَرِيفاً ، أَبِي النَّفْسِ ، عَالِي الْهَمَةِ ،
 طَيِّبِ الْمَجَالِسَةِ ، أَنَيْسِ الْمَشَاهِدَةِ ، ذَكِيّاً . رَاسِخاً فِي كُلِّ جَمٍّ مِنَ الْعُلُومِ ،
 صَبِيرَفاً جَهْدِداً ، مَا رَأَى^(١) قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، مِثْلَهُ .

مَشِيخْتَهُ .

سَكَنَ قَرْطَبَةَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَطْرُفٍ ، وَوَهَّابِ بْنِ مَسْرَةَ
 الْحِجَارِيِّ ، وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَنْبِيرٍ ، وَعَنْ وَالِدِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 بْنِ عَيْسَى .

مِنْ رَوَى عَنْهُ : رَوَى عَنْهُ الزَّاهِدُ أَبُو اسْحَقَ إِبرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ الْإِلبِيرِيِّ
 وَغَيْرِهِ .

تَوَالِيْفُهُ

أَلْفَ كِتَابِ الْمَغْرِبِ فِي اخْتِصَارِ « الْمُدَوَّنَةِ » ثَلَاثِينَ جُزْءاً ، لَيْسَ فِي
 الْمُخْتَصَرَاتِ مِثْلَهُ بِإِجْمَاعٍ ، وَالْمُهَذَّبُ فِي تَفْسِيرِ « الْمُوْطَأُ » . وَالْمُشْتَمَلُ فِي
 أُصُولِ الْوَثَائِقِ ، وَحَيَاةِ الْقُلُوبِ . وَأَنْسُ الْفَرِيدِ ، وَمُنْتَخِبِ الْأَحْكَامِ ،
 وَالنِّصَائِحِ الْمُنْظُومَةِ ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

(١) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (رِى .) رَفْتَقْدَ أَنْ التَّصْرِيْبِ أَفْضَلَ .

مولده : في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .
وفاته : توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة
السبيرة ، رحمه الله ونفع به .

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشرف بن قاسم
ابن محمد بن هاني اللخمي القايصي

يكنى أبا الحسن

حاله

كان وزيراً جليلاً ، فقيهاً ربيعاً ، جواداً ، أدبياً ، جيد الشعر ، عارفاً
بصناعة النحو والعروض ، واللغة والأدب والطب ، من أهل الرواية والدراية

مشيخته

روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي الوليد
بن رشد القاضي الإمام ، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمَجُون .

شعره

من شعره قوله :

يا حُرْفَةَ البَيْنِ كَوَيْتِ الحِشَا حَتَّى	أَذْبَتِ القَلْسَبَ فِي أَضْلَعِهِ
أَذَكَيْتِ فِيهِ النَّسَارَ حَتَّى غَدَا	يَنْسَابُ ذَاكَ الدَّوْبُ مِنْ مَذْمَعِهِ
يَا سُوْلَ هَذَا القَلْبِ حَتَّى مَتَى	يُوسَى بَرَشَفِ الرِّيقِ مِنْ مَنْبَعِهِ
فَإِنَّ فِي الشَّهْدِ شَيْفَاً لِلسُّورَى	لَا سِيْمَا إِنْ يَصِيرُ مِنْ مَكْسِرِعِهِ
وَاللَّهِ يُدْنِي مِنْكُمْ عَاجِلاً	وَيَبْلُغُ القَلْبَ إِلَى مَطْمَعِهِ .

مولده : ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة
سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .
توفي في آخر جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف
ابن أحمد النساني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله
حاله

كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً ، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب» ،
واختصاراً حسن في « اقتباس الأنوار » للرشاطي . وكان كاتباً وافر الحظ من
الأدب ، يقرض شعراً لا بأس به .

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب :

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعَمَّارَةٌ	بَطْنٍ وَفَخْدٍ وَالْفَصِيلَةُ تَابِعُهُ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَمَاعَةٌ
وَالْبَطْنُ يَجْمَعُهُ الْعِمَارُ فَاغْلَمَنَ	وَالْفَخْدُ يَجْمَعُهُ الْبَطُونُ الْوَاسِعَةُ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ لِلْفَصَائِلِ كُلِّهَا	جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ لَهَا مُتَّابِعَةٌ
فَحُزِيمَةُ شَعْبٌ وَإِنَّ كِنَانَةَ	لِقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْفَصَائِلُ شَاسِعَةٌ
وَقُرَيْشُهَا تَسْمُو الْعِبَارَةَ يَأْتِي	وَقُصَى بَطْنُ الْأَعَادِي قَامِعَةٌ
ذَا مَا ثُمَّ فَخْدٌ وَذَا عَبَّاسُهَا	إِلَّا الْفَصِيلَةُ لَا تُنَاطُ بِسَابِعَةٍ

ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وفاته : بمُرْسِيَّة في رمضان تسع عشرة وستماية .

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد بن عبد الواحد
ابن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحه من قَسْبِ قَيْس^(١) من
عمل البيرة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاحى . وقد نقلنا عنه الكثير ،
وهو من المفاخر الغرناطية .

حاله

كان محدثاً راوية مُعْتَنِيَا ، أديباً ، مؤرخاً ، فاضلاً جليلاً . قال
الأُستاذ في « الصلة » : كان من أفضل الناس ، وأحسنهم عِشْرَةً ، وألينهم
كلمة ، وأكثرهم مروية ، وأحسنهم خُلُقاً وخلُقاً ، ما رأيت مثله ،
قدس الله تربته . وذكره صاحب « الذيل »^(٢) ، الأُستاذ أبو عبد الله بن
عبد الملك ، وأطنب فيه ، وذكره المحدث أبو عبد الله الطنجالى ، وذكره
ابن عساكر في تاريخه .

مشيخته

روى عن أبيه أبي محمد ، وأبي القاسم بن بَشْكُوَال ، وأبي العباس بن
البيتم ، وعالمٍ كثير من غير بلده ، ومن أهل بلده سوى أبيه ، وعن
أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السعدى القلعي . لازمه مدة . وعن
أبي خالد بن رَفَاعَةَ اللخمي . وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدري .

(١) سبق التعريف بهذين الموضعين ، الملاحه وبالإسبانية La Mala ، وقنس قيس .
بالإسبانية Camba (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٨ ، و١٢٨ ، و١٢٩ حواشئ) .
(٢) أعنى كتاب « الذيل وانتكله » . وقد ورد بعد هذه الكلمة في مخطوط الإسكوريال كلمة
(ذكره) مرة أخرى ونعتقد أن وجودها هنا سهو من النسخ ، ومن ثم فقد أغفلناها .

وأبي جعفر عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ، وأبي بكر بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المُحاربي ، وأبي محمد عبد المنعم بن
عبد الرحيم ، وأبي جعفر بن حَكَم الحَصَّار ، وأبي عبد الله بن عَرُوس ،
وأبي الحسن بن كَوَثر ، وأبي بكر الكَتُندي ، وأبي إسحق بن الجَلَّ ،
وأبي بكر بن أبي زَمَين ، وأبي القاسم بن سَمُجون ، وأبي محمد عبد الصمد
ابن محمد بن يَعيش الغساني . وكان من المكثرين في باب الرواية ، أهل
الضبط والتقيد والأتقان ، بارع الخط ، حسن الوراق ، أديباً بارعاً ذا كرا
للتاريخ والرجال ، عارفاً بالأنساب ، نقاداً حافظاً للأسانيد ، ثقةً عدلاً ،
مشاركاً في فنون ، سياسياً . وروى عنه الأستاذ ، واعتنى بالرواية عنه .
وقال الأستاذ ، حدثني عنه من شيونخي جماعة ، منهم القاضي العدل
أبو بكر بن المرابط .

تواليايفه

ألف كتابه في « تاريخ علماء البيرة » ، واحتفل فيه . وألف كتاب
« الشجرة في الأنساب » ، و « كتاب الأربعين حديثاً » ، و « كتاب فضائل
القرآن » ، و « برنامج روايته » وغير ذلك .
مولده : سنة تسع وأربعين وخمسمائة
وفاته : توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستماية ببلده .

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشَّقُوري ، منسوباً إلى مدينة شُقورة^(١)
(١) هي بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق مدينة أبدة ، وشمال غرب مرسية على مقربة من
هر شقوره وبالإسبانية Segura .

ومنها أهله ، صاحبنا طبيب دار الإمارة ، حفظه الله .

حاله

هذا الرجل طُرْفٌ في الخير والأمانة ، فذُّ في حسن المشاركة ، نَقِيٌّ في حب الصالحين ، كثير الهوى إلى أهل التقوى ، حَذِرٌ من التفريط ، حريص على التعلُّق بجناب الله . نشأ سابغ رداء العفة ، كثيف جَلْبَاب الصيانة ، متصدراً للعلاج في زمن المراهقة ، مُعِمًّا ، مُخَوِّلاً في الصنّاعة بادي الوقار في سنّ الحشمة . ثم نظر واجتهد ، فأحرز الشهرة بدينه ، ويُمن نَقِيْبته ، وكثرة حيطته ، ولطيف علاجه ، ونُجْح تجربته . ثم كَلِف بصحبة الصالحين ، وخاض في السلوك ، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة ، حتى ظهرت عليه آثار ذلك . واستدعاه السلطان لعلاج نفسه ، فاغْتَبَط به ، وشدَّ اليَدَ عليه ، وظهر له فضله ، وهو لهذا العهد ببابه ، حميدُ السيرة ، قويم الطريقة ، صحيح العقْد ، حسن التدبير ، عظيم المشاركة للناس ، أشدُّ الخلق حرصاً على سعادة من صَحِبِه ، وأكثرهم ثناءً عليه ، وأضرَحُهم نصيحة له ، نبيلُ الأغراض ، فَطِنُ المقاصد ، قايِمٌ على الصنعة ، مُبِينُ العبارة ، معتدل في البحث والمذاكرة ، متكلم في طريقة الصُوفية ، عديم النظر في الفضل ، وكرم النفس .

شيوخه

قرأ على جده للأب ، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة ، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُدَيْل ، ولازمه ، وانتفع به ، وسلك بالشيخ الصوفي أبي مُهذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات ، والتزم طريقته ، وظهرت عليه بَرَكَته .

تواليافه

ألف كتبا نبيلة ، منها « تحفة المتوسل فى صنعة الطب » وكتبا أسماه « الجهاد الاكبر » ، وآخر سماه « قمع اليهودى عن تعدى الحدود » أحسن فيه ما شاء .

شعره

أنشدنى بعد ممانعة واعتذار ، إذ هذا الغرض ليس من شأنه :
 سألت ركاب العز أين ركابى فابدى عنادا ثم رد جوابى
 ركابك مع سيرى يسيرُ بسيره بغير حُلُولِ مذ حَلَلتَ جنابى
 فلا تلتفت سيرا لذاتك إنما تسير بها سيرا لغير ذهاب
 وهى متعددة .
 ولد فى عام سبعة وعشرين وسبعماية .

محمد بن على بن فرج القربليانى^(١)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشُّفرة^(٢)

حاله

كان رجلا ساذجا ، مشغلا بصناعة الطب ، عاكفا عليها عمره .
 محققا لكثير من أعيان النّبات ، كلفا به ، مُتَعَيِّشاً من عُشْبِهِ أول أمره ،

(١) بهذه الترجمة يبدأ الجزء الثالث من كتاب الإحاطة ، مخطوط الزيتونة الذى يحفظ بدار الكتب التونسية الوطنية (مكتبة المطارين) برقم 8136 . ومخطوط المتحف البريطانى (من كتاب الإحاطة) المحفوظ برقم 8674 . Or ، ومخطوط مكتبة الرباط العامة المنقول عنه . ويحمل رقم 2704 (الكتانية)

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الشفر) .

وارتاد المنايا ، وسرح بالعجال ، ثم تصدّر للعلاج ، ورأس به ، وحفظ الكثير من أقوال أهله ، ونسخ جملة من كنانيشه على ركافة خطّه ، وعالج السلطان نصر المُستقر بوادي آش ، وقد طرق من بها مرضٌ وافد [حمل علاجه المُشاقحة لأجله ، وعظّم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره ، فطوّف القلب المبارك بمُبراه . ثم رحل إلى العُدوة ، وأقام بمراكش سنين عدة ، ثم كَرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين ، وبها هلك على أثر وصوله .

مشيخته

زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قَرَبليان بلد الدّجن^(١) ، وأخذ الجراحة عن فوج من مُحسني صناعة عمل اليد من الرُّوح . وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره .

توالمفه : ألف كتاباً في النّبات .

وفاته : في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعماية [^(٢)

محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة ، أصله من جهة قمارش^(٣)

حاله

رحل في فتايه ، بعد أن شدا شيئاً من الطلب ، وكلف بالرواية والتقيد

(١) أي البلد الذي يسكنه المسلمون الذين تحت حكم النصارى . والظاهر أن هذه البلدة ، أي قَرَبليان كانت داخلة في حدود قشتالة .

(٢) كل ما هو محصور بين الحاصرتين وارد في مخطوط الزيتونة . وساقط في الإسكوريال .

(٣) قمارش بلدة أندلسية حصينة تقع شمال شرق ثغر مالقة في سفح جبال سيرا نفاذا

(جبل الثلج) ، وبالاسبانية Comares .

فلقى مشيخةً ، وأخذ عن جِلَّة ، وقدم على بلده حسن الحالة ، مستقيم الطريقة ، ظاهر الانقياض والعفة ، وأدخل الأندلس فوايد وقصايد ، وكان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية .

شعره

مما نسبته إلى نفسه من الشعر قوله :

يا من عليه اعتمادي	في قِلِّ أمرى وكُثْرِهِ
سَهْلٌ على ارتحالي	إلى النبي وقَبْرِهِ
فذاك أَقْصَى مُرادى	من الوُجُود بأُسْرِهِ
وليس ذا بعزيز	عليك فامنن بِيُسْرِهِ

ومن ذلك :

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى	أميل لزور بالغرور مصاغ
وأرتاح للذات والشيب مُنذر	بما ليس عنه للأنام مراغ
ومن يَمُتْ قبل المشيب فإنه	يُراع بهول بعده ويُراغ
فياربٌ وقُنى إلى ما يكون لى	به للذى أَرْجُوهُ منك بلاغ

توفى مُعْتَبِطاً فى وقية الطاعون^(١) عام خمسين وسبعماية ، خطيباً بحصن

قُمارش .

(١) إن وقية الطاعون التي يشير إليها ابن الخطيب هنا والتي سبق أن أشار إليها غير مرة والتي سوف يشير إليها فيما بعد مرارا أخرى باسم الطاعون الأعظم ، هي كارثة الوباء الجارف الذي اجتاح أم الشرق والغرب معا فيما بين سنتي ١٣٤٨ و ١٣٤٩ م (٧٥٠ هـ) ، والذي طاف بالأندلس كما طاف من قبلها بمصر وبلاد المغرب وحمل منها مئات الألوف . وتشير إليه الرواية الإسلامية باسم « الفناء الكبير » وقد سبق التعريف بهذا الحادث .

محمد بن سُودة بن إبراهيم بن سُودة المُرى

أصله من بُشرة غرناطة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من بعض التواريخ المتأخرة : كان شيخاً جليلاً ، كاتباً مجيداً ، بارع الأدب ، رايق الشعر ، سيال القريحة ، سريع البديهة ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ ، ذاكرةً لأيام السلف ، طيب المحاضرة ، مליح الشببة ، حسن الهيئة ، مع الدين والفضل ، والطهارة والوقار والصمت .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرّس ، وغيره من شيوخ غرناطة . وبالمقة ، على الأستاذ أبي القاسم السهيلي وبجيان على ابن يربوع ، وبإشبيلية على الحسن بن زرقون وغيره من نظرائه .

أدبه

قال الغافقي ، كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سهل بن مالك ، مكاتبات ومراجعات ، ظهرت فيها براعته ، وشهدت له بالتقدم براعته .

محنته

أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة ، أسر هو وأولاده ، فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم نفعه الله . توفي في حدود سبعة وثلاثين وستماية .

محمد [بن يزيد] ^(١) بن رَفاعة الأموي ^(٢) البيري ^(٣)

أصله من قرية طُرش ^(٤)

حاله

طلب العلم وعنى بسمعه ^(٥) ، ونسخ أكثر كتبه بخطه ، وكان لُغويا شاعرا ، من الفقهاء المشاورين الموثقين ، وولى الصلاة بالحاضرة ، وعُزل وسرد الصوم عن نذرٍ كزِمه عُمره .

مشيخته

سمع من شيوخ البيرة ، محمد بن فطيس ، وابن عمّريل ، وهاشم ابن خالد ، وعثمان بن جهير ، وحفص بن نجيح ، وبقرطبة من عبّيد الله ابن يحيى بن يحيى وغيره .

من حكاياته : قال المؤرخ ، من غريب ما جرى لأبي على البغدادي ، في مقدّمه إلى قرطبة ، أن الخليفة الحكم ، أمر ابن الرّما حس عامله على كُورتى البيرة وبجّانة ، أن يجيء مع أبي على في وفد من وجوه رعيّته ، وكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ، إلى أن تجاروا يوما وهم سايرون ، أدب عبد الملك بن مروان ، ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل ، وإنشاده بيت عبّدة بن الطبيب :

(١) الزيادة في النسب من الزيتونة . ووردت مصححة في هامش الإسكويال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأسدي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الإلبيري) .

(٤) طرش وبالإسبانية Torrox بلدة أندلسية صغيرة تقع بين المنكب وبلش مالقة على

مقربة من البحر المتوسط .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بجمعه) والأولى أنسب .

نَمَّتْ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلَ
 وكان الذَّاكِرُ لِلْحِكَايَةِ أَبُو عَلِيٍّ ، فَأَنشَدَ الْكَلِمَةَ فِي الْبَيْتِ أَعْرَافُهَا ،
 فَلَوَى ابْنَ رِفَاعَةَ عِنَانَهُ مِنْصَرَفًا ، وَقَالَ ، مَعَ هَذَا يُوفَدُ عَلِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتُتَجَسَّمُ الرَّحْلَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَهُوَ لَا يَقِيمُ وَزْنَ بَيْتِ مَشْهُورٍ فِي النَّاسِ ،
 لَا يَغْلُطُ فِيهِ الصُّبْيَانُ ، وَاللَّهُ لَا تَبِعْتُهُ خَطْوَةَ ، وَأَنْصَرَفَ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَنَدَبَهُ
 أَمِيرُهُ ابْنَ الرَّمَاحِسِ ، وَرَامَهُ بَأَنَّ لَا يَفْعَلُ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ حِيلَةَ ، فَكَتَبَ
 إِلَى الْخَلِيفَةِ يَعْرِفُهُ بِابْنِ رِفَاعَةَ ، وَيَصِفُ مَا جَرَى مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ الْحَكَمُ
 عَلِيُّ ظَهَرَ كِتَابُهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي بَادِيَةِ مَنْ بُوَادِينَا مِنْ يُخْطِئُ وَفَدَ
 أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَابْنَ رِفَاعَةَ بِالرِّضَا أَوْلَى مِنْهُ بِالسُّخْطِ ، فَدَعَاهُ لِشَأْنِهِ ، وَأَقْدَمَ
 بِالرَّجُلِ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ تَكْرِيمِهِ ، فَسَوْفَ يُعْلِيهِ الْاِخْتِبَارُ أَوْ يَحْطُهُ .
 توفى سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة^(١)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي
 ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء

حاله

كان فاضلاً وقوراً ، مشاركاً ، خطيباً ، فقيهاً ، مُجَوِّدًا لِلْقُرْآنِ ، قَدِيمَ
 الطَّلَبِ . شهير البيت ، معروف التَّعْيُنِ ، نَبِيهِ السَّلْفِ فِي الْقَضَاءِ ،
 وَالخِطَابَةِ وَالْإِقْرَاءِ ، مَضَى عَمْرُهُ خَطِيبًا بِمَسْجِدِ بِلْدَةِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ،

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (وثلاثمائة) وهو تصحيف واضح ، وصحته ما اثبتناه
 وهو (أربعمائة) ، لأن الخليفة الحكم المستنصر توفى بعد حكم دام ستة عشر عاماً في سنة ٣٦٦ هـ
 (٩٧٦ م) .

إلى أن تغلب العدو عليها ، وبأشر الحصار بها عشرين شهرا ، نفعه الله
ثم انتقل إلى مدينة سبته ، فاستقر خطيبا بها إلى حين وفاته .

مشيخته

قرأ على والده رحمه الله ، وعلى شيخه ، وشيخ أبيه أبي عمر ، وعباس
ابن الطفيل الشهير بابن عظمة ، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ،
والخطيب أبي عبد الله بن رشيد بغرناطة عند قدومه عليها ، والقاضي
أبي المجد بن أبي الأحوص قاضي بلده ، وكتب له بالإجازة الوزير أبو
عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، وأجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد الله
الطنجالي ، وأبو محمد الباهلي ، وأبو عثمان بن سعيد ، وأخذ عن القاضي
بسبته أبي عبد الله الحضرمي ، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حريث ،
والمحدث أبي القاسم التيجيبي ، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ،
والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم ابني يربوع . قال ، وكلهم لقيته
وسمعت منه . وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حريث فإنه أجاز لي ،
ولقيته ولم أسمع عليه شيئا ، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المشدالي ،
والخطيب ابن عزمون وغيرهما ، ممن تضمنه برنامجه .

توالياه

قال ، وكان أحد بلغاء عصره ، وله مصنفات منها ، «النفحة الأرجية» ،
في الغزوة المرجية» ، ودخل غرناطة مع مثله من مشيخة بلده في البيعات ،
أظن ذلك .

توفي في الطاعون بسبته آخر جمادى الآخرة من عام خمسين وسبع مائة .

محمد بن أحمد بن عبد الله المطار

من أهل المريّة .

حاله : من بعض التقييدات ، كان فتىً وسيماً ، وقوراً ، صيباً ، متعقفاً ، نجيباً ، ذكياً . كتّبت عن شيخنا أبي البركات بن الحاج ، وناب عنه في القضاء ، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة ، فكتّبت بها . وكان ينظم نظماً مترفعاً عن الوسط . وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصّه : ممن نبغ ونجّب ، وخلق له البرّ بذاته ووجب ، تحلى بوقار ، وشعشع للأدب ككاس عفار ، إلا أنه اخترم في اقتبال ، وأصيب الأجل بنيبال .

ومن شعره قوله من قصيدة :

دعاني على طول البُعاد هواها	وقد سدّ أبواب اللقا نواها
وقد شمتُ برقاً للقا مبشراً	وقد نَفَحَتْ رِيح الصَّبَا بشذاها
وجنّ دُجى ليلٍ بخيلٍ بصُبحه	كما بَخِلتْ لَيْلَى بِطَيْفِ سُرَاها
وقاد زمانى قايِدُ الحبِّ قاصدا	ربوعاً ثَوَتْ لَيْلَى بِطُولِ قَنَاها
وناديت والأشواق بالوجدِ برحت	ودمعى أجرى سابغاً ليلفاها
أبا كعبَةَ الحُسْنِ التى للنفس تُرتجى	رضاهَا وحاشى أن يَخِيبَ رجاها
أحبك يا لَيْلَى على البُعد والنوى	وبى منك أشواق تَشُبُّ لظاها
لين حُجبتْ لَيْلَى عن العينِ إننى	بعينِ فَوَادى لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المُشْتَمَّتْ شَمَلنا	وما بَلَغَتْ نَفْسَ المُشَوِّقِ مُناها
فمدتْ يميناً للوداع ودمعها	يُكفِّكُفُهْ خَوْفُ الرَقِيبِ سُرَاها
وقالت وداعاً لا وداع تفرُّق	لعلَّ اللَّيالى أن تُدِيلَ نَسَواها
تُذَكِّرنا لَيْلَى معاهد باللسوى	رعى الله لَيْلاتِ اللّوى ورعاها

توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة .

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمُراكشي .

حاله

كان فتي جميل الرؤيا^(١) ، سَكُونًا ، مَطْبُوعًا عَلَى الْمُغَافِصَةِ^(٢) وَالغَمَزِ ، مهتديا إلى خِصْيِ الحيلة ، قادرا على المُباحِثَةِ ، ذَكِيًّا ، مُتَسَوِّرًا^(٣) عَلَى الكلام في الصَّنَائِعِ وَالْأَلْقَابِ ، من غير تَدَرُّبٍ وَلَا حُنُكَةٍ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، لِينِ العريكة ، انتحل الطب ، وتصدَّرَ للعلاج والمداواة ، واضطَبَّنَ أَغْلُوطَةَ صَارَتْ لَهُ بِهَا شَهْرَةٌ ، وَهِيَ رِقٌّ يَشْتَمَلُ عَلَى أَعْدَادٍ وَخُطُوطٍ وَزَايِرِجَةٍ ، وَجَدَاوِلٍ غَرِيبَةٍ الْأَشْكَالِ ، تَحْتَهَا عِلَامَاتٌ فِيهَا اصْطِلَاحَاتُ الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ ، وَيَتَصَلُّ بِهَا قَصِيدَةٌ رَوِيهَا لَامُ الْأَلْفِ أَوْلَمًا ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ .

يَقُولُ سَبْتِيُّ وَيُحَمِّدُ رَبَّهُ مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أُرْسِلَا

وَأَنَّهَا مَدْخَلٌ لِلزَّيْرِجَةِ ذَكَرَ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي مَطْنَةٍ غَرِيبَةٍ ، وَظَفَرَ بِرِسَالَةِ الْعَمَلِ بِهَا ، وَتَحَرَّى بِالْإِعْلَامِ بِالْكَنَائِيَّاتِ ، [وَالْإِنْخِبَارِ بِالْخَفِيِّ]^(٤) وَتَقْدِيمَةِ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْإِنْذَارِ بِالْوَقَائِعِ ، حَتَّى اسْتَهْوَى بِذَلِكَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَشَيْخَةِ ، مِمَّنْ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الرواية) . وهو تحريف .

(٢) المغافصة أى المفاجأة .

(١) وردت في الزيتونة (مستورا) وفي الإسكوريال (سنسورا) وهو تحريف . والتصويب

أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وإخراج الحب) والأولى أفصح وأنسبها

للسياق .

كان يركنُ إلى رُجحان نظره ، وسلامة فِطْرته ، واستُغِلَّت الشهادة له بالإصابة ، سجيّة النفوس في حِرصها على إثبات دعاوى المتحرّفين ، أخبرني بعضهم أنه خبياً له عَظْماً صغيراً ، يكون في أطراف أجنحة الطّير ، أخذه من جناح ديك ، وزعم أرباب الخواصّ أنه يُزيل الإعياء إذا عُلّق ، فتصرّف على عاداته [من الدخول] ^(١) في تلك الجداول ، وأخذ الأعداد الكثيرة ، يَضْرِبُهَا آوَنَةً ، وَيُقَسِّمُهَا أُخْرَى ، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً ، وياخذ جذوراً ، وينتج له العمل آخرأ حروفاً مقطعة ، ببقيةا الطرح ، يُولف منها كلاماً ، تُقْتَنَصُ منه الفائدة ، فكان في ذلك بيت شعر :

وفي يدكم عَظْمٌ صغيرٌ مُدَوَّرٌ يُزيل به الإعياء مَنْ كان في السفر
وأخبرني آخرون أنه سئل في نازلة فقهية لم يُلق فيها نص ، فأخبر
أن النص فيها موجود بمالقة ، فكان كذلك . وعارض ذلك كله جلة من
أشياخنا ، فدكرني الشيخ نسيج وحده ، أبو الحسن بن الجياب أنه سامره
يُخرج خبيثته سواد لَيْلَةٍ ، فتأمل ما يصنعه ، فلم يأت بشيء ، ولا ذهب
إلى عمل يُتَعَقَّلُ ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على نَخِيلٍ
وتخمين ، تختلف فيه الإصابات وضدها ، بحسب الحالة والقبائل ، لتصرف
الحيلة فيه ، فافتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدّول إياه ، وانسجوا
نظاير من تلك الزيرجة الموهّمة ، ممطولين منه بطريق التّحسُّرُف فيها إلى
اليوم ، واتصل بالسلطان . فأرسم بيبابه ، وتعدى الإنس إلى طبّ العجن .
فافتضح أمره ، وهُمَّ به . فنجا مُفْلِتاً . ولم تزل حاله مضطربة ، إلى أن
دُعِيَ من العُدوة وسلطانها . منازل مدينة تلمسان . ووصلت الكتب عنه ،

(١) الزيادة من الزيتونة .

فتوجه في جفن هيبىء له ، ولم ينشِب أن تُوفى بالحلَّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعماية .

محمد بن بكر بن حزب الله

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من أهل الخصوصية والفضل ، ظاهر الاقتصاد ، كثير التخلُّق ، حسن اللقاء ، دائم الطريقة ، مختصر اللبس والمأكل ، على سنن الفضلاء وأخلاق الجِلَّة . انتظم لهذا العهد في نَمَط من يُستَجاز ويُجيز . وكان غفلاً فأقام رثماً محموداً ، ولم يُقَصِّر عن غاية الاستعداد .

مشيخته

منهم الأستاذ مولى النعمة على أهل بلده ، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي ، قرأ عليه القرآن العظيم أربعة عشر ختمة قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة ، وسمع عليه كتباً كثيرة ، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات : ولازمته رضى الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته ، ونلتُ من عظيم بركاته ، وخالص دعواته ، ما هو عندي من أجلِّ الوسائل ، وأعظم الذخيرة ، وأفضل ما أعدَّته لده الدار والدار الآخرة . وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من علم اليقين . وهو علمٌ يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه ، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه ، والتزام الصبر ، ومُجاهدة الهوى ، ومُحاسبة النفس ، ومراعاة خواطِر القلب ، والمُراقبة لله ، والحياء من الله ، وصحَّة المعاملة له ، ودوام الإقبال عليه ، وصحَّة النية ،

واستشعار الخشية . قال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ، فكفى
 بخشية الله علماً ، وبالإقبال عليه عزا . قلت ، وإنما نقلت هذا ، لأن مثله
 لا يصدر إلا عن ذى حركة ، ومُضْطَبَّن بركة ، ومنهم الشيخ الخطيب
 الفاضل ولى الله ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالى .
 دخل غرناطة راوياً ، وفى غير ذلك فى شئونه ، وهو الآن ببلده مألقة يخطب
 ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة .

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصارى الخزرجى

الميورقى^(١) الأصل ، سكن غرناطة .

حاله

كان محدثاً على الرواية ، عارفا بالحديث وعلله ، وأسماء رجاله ،
 مشهورا بالإنقان والضبط ، ثقةً فيما نقل وروى ، ديناً ، زكياً ، متحاملاً ،
 فاضلاً ، خيراً ، متقللاً من الدنيا ، ظاهرى المذهب داوديه^(٢) ، يغلب
 عليه الزهد والفضل .

مشيخته

روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الجعبارى ،
 وأبي على الصمدى الغسافى ، وأبي مروان الباجى ، ورحل إلى المشرق راجعاً ،
 وأخذ بمكة كرمها الله . عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البصاوى
 وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمرانى . قلت وغيرهم اختصرتهم

(١) نسبة إلى مدينة ميورقة Mallorca عاصمة جزيرة ميورقة ، كبرى الجزر الشرقية
 (البليار) .

(٢) يريد الإشارة هنا إلى خلف بن داود الإصفهانى ، مؤسس المذهب الظاهرى المتوفى سنة ٨٢٧٠هـ .

لطولهم . وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها ، لتجواله فيها .
 من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن رزق ، وأبو جعفر بن الغاسل
 وغيرهم .

محنته

إمتحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين ، فحُمل إليه صحبة
 أبي الحكم بن يوجان ، وأبي العباس بن العريف ، وضرب بالسوط عن أمره ،
 وسجنه وقتا ، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس ، وأقام بها يسيراً ، ثم انصرف
 إلى المشرق ، فتوقف بالجزائر ، وتوفى بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين
 وخمسمائة .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف ببلده مالقة بالمعتم .

حاله

كان طبقة من طبقات الكفاة ، ظرفاً ورؤاءً وعارضةً وترتيباً ، تجلجل
 بفضل شهرة أبيه ، وجعل بعض المترفين من وزراء الدول بالمغرب أيام
 وجهته إليه ، صحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة ، مالا عريضاً
 لينفقه في سبيل البر ، فبنى المدرسة غرب المسجد الأعظم ، ووقف عليها
 الرباع ، وابتنى غيرها من المساجد ، فحصلت الشهرة ، ونبه الذكر ،
 وتطور ، ورام العروج في مدارج السلوك ، وانقطع إلى الخلوة ، فنصلت
 الصبغة ، وغلبت الطبيعة ، وتأنل له مال جم ، اختلف في سبب اقتنايه ،

[وأظهر]^(١) التجرُّمُ الرَّهْفُ الجوانبُ بالجاه العَرِيضُ ، والحِرْصُ الشَّدِيدُ ، والمُسَامَحَةُ في بابِ الوَرَعِ ، فَتَبَنَّكَ به نعيماً من ملبسٍ ومطعمٍ وطيبٍ وترَفُّه ، طارد به اللَّذَّةُ ما شاءَ في بابِ النُّكاحِ اسْتِمْتاعاً وذَواقاً يَتَّبَعُ رايدَ الطَّرْفِ ، وَيُقَلِّدُ شاهدَ السَّمْعِ ، حتَّى نُعِيَ عليه . ووُلِّيَ الخطابةَ بالمسجدِ الأَعْظَمِ بعد أبيه ، فأقامَ الرسمَ ، وأوسَعَ المنبرَ ما شاءَ من جَهْوَرِيَّةٍ وعارِضَةٍ ، وتسوَّرَ على أَعْرَاضٍ^(٢) ، وألْفَاطٍ في أسلوبِ نابٍ عن الخشوعِ ، عريقٍ في نسبِ القِحَّةِ . ثم رَحَلَ إلى المشرقِ مرةً ثانيةً ، وكرَّرَ إلى بلدِهِ ، مليحَ الشَّيْبَةِ بادي الوَقَارِ ، نبيه الرُّتْبَةِ ، فتولى الخطابةَ إلى حين وفاته .

مشيخته

حسباً قيِّدته من خطِّ ولده أبي الحسن ، وارثه في كثيرٍ من خِلالِهِ ، وأغلبها الكفائية . فمنهم والده رحمه الله . قرأ عليه وتآدب به ، ودوَّن في طريقه ، حسباً يتقرر ذلك . ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي ، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش ، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الريات ، والأستاذ ابن الفخار الأركُنِيُّ ، والقاصي أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم ، كابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرْطال ، وابن مَسْعَدَةَ ، وابن ربيع ، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم .

توالياه

وتسوَّرَ على التَّأليفِ ، بفِرْطِ كفايته ، فمما يُنسبُ إليه كتاب :

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطه في الإسكوريال .

(٢) وردت في المخطوطين (أنراض) . والتصويب أرجح بالنسبة للمعنى والسيان .

«التجر الربيع في شرح الجامع الصحيح» . قال ، منه ما جرّده من المبيضة .
ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه . وكتاب بهجة الأنوار . وكتاب الأسرار ،
وكتاب «إرشاد السائل لنهج الوسائل»^(١) ، وكتاب بغية السالك في أشرف
المسالك في التصوف . وكتاب «أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار» .
وكتاب النّفحة القدسيّة ، وكتاب «غنية الخطيب بالاختصار والتّقريب»
في خطب الجُمع والأعياد ، وكتاب «غرايب النّجب في رغائب الشّعب» ،
شعب الإيمان ، وكتاب في مناسك الحج ، وكتاب «نظم سننك الجواهر في
جيد معارف الضُّدور والأكابر» ، فهرسة تحتوى على فوايد من النّعلم
وما يتعلق بالرواية ، وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد .

دخوله غرناطة

دخلها مراتٍ تشدُّ عن الإحصاء . ولد عام ثمانية وسبعين وسبائة ،
وتوفى بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية .

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالطنجالي ، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله .

حاله

من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن . قال ، كان هذا
العالم الفاضل ممن جمع بين الدراية والرواية ، والتراث^(٢) والاكتساب .
وعُلو الانتساب ، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّول ، وطول

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسائل) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (والثراء) .

الألسنة بالطول ، وهنوا إلى الطيب من القول ، أثرُ الشموخ يبرق من أنفه ، ونسيم الرُسوخ يعبقُ من عَرَفه . وزاجر الصَّلاح يُومى بِطَرَفِه ، فتخاله من خَوْفِ اللهِ ذَا لَمَمٍ ، وفي خلقه دماثة ، وفي عِرْيِينِه شَمَمٌ . ووصفه بكثير من هذا النمط .

ومن « العايد » : كان من أهل العلم والتفنن في المعارف والتَّهَمُّمِ بطلبها ، جمع بين الرواية والدراية والصلاح . وكانت فيه خِفَّةٌ ، لفرط صحَّةٍ وسداجةٍ وفضل رُجولة^(١) به ، بارع الخطِّ ، حسن التَّقْيِيدِ ، مَهِيْباً جَزْلاً ، مع ما كان عليه من التَّواضِعِ ، يحبه الناس ويعظمونه ، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة ، وأقرأ به العلم .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي ، وأبيه الولي الخطيب رحمه الله . وروى عن جدِّه أبي جعفر ، وعن الرواية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير ، والرواية أبي عبد الله بن عيَّاش ، والقاضي أبي القاسم بن السَّكُونِ ، وغيرهم ممن يطول ذكره ، من أهل المشرق والمغرب . وفاته : توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية [وكان عُمره]^(٢) نحواً من تسع وخمسين سنة .

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بلا أسلم ، لكثرة صدور هذه اللفظة عنه ، مُرْسِي الأَصْلِ ، وسكن غرناطة ووادي آش وألمرية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وجولة) .

(٢) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم السياق .

حاله

من كتاب « المؤمن »^(١) : كان دَمِثَ الأخلاق ، قبل أن يحرجه شيء من [هُضَيِّقاتِ الصُّدور]^(٢) يشارك في العربية ، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى ، لا يخلو بعضه عن كَحْن . وكان يتعيش من صناعة الطَّب . وجَرَّت له شهرة بالمعرفة [تَرَفُّعُ به بتلك الصُّنعة على حَدِّ شهرة ترك النصيحة فيها ، فكانت شُهْرَتُهُ بالمعرفة ترفع به]^(٣) . وشُهْرَتُهُ بترك النصيحة تُنزلُه ، فيمرُّ بين الحالتين بشَطَفِ العيش ، وَمَقْتِ الكافَّةِ إِيَّاه .

قلت ، كان لا أَسْلَم ، طِرْفاً في المعرفة بطُرُقِ العلاج ، فسيح التجربة ، يشارك في فنون ، على حال غريبة من قِلَّةِ الظُّرف ، وجَفَاءِ الآلات ، وخَشْنِ الظاهر ، والإِزراءِ بنفسه وبالناس ، متقدِّم في المعرفة بالخصوم ، يُقصد في ذلك . وله في الحرب والحِيلِ حكايات ، قال صاحبنا أبو الحسن ابن الحسن : كانت للحكيم لا أَسْلَمَ خَنْزُ مُخْبِئاً ، في كَرَمٍ كان له بالمرية عَثَرَ عليها بعض الدَّعرة ، فسرقها له . قال ، فعمد إلى جرَّةٍ وملاها بخمر أخرى ، ودفنها بالجهة ، وجعل فيها شيئاً من العقاقير المُسهَّلات^(٤) ، وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تُسرق ، وإنما باقية ، بموضع كذا . فعمد إليها أولئك الدَّعرة ، وأخذوا في استعمالها ، فعادت عليهم بالاستيْطَاقِ القَبِيحِ المُهْلِكِ ، فقصدوا الحكيم المذكور . وعرضوا عليه ما أصابهم . فقال لهم إِيَّاه . أدوا إلى ثمن الشَّريفة . وحينئذ أُسْرِعُ لكم في

(١) وعنوانه الكامل « المؤمن على أبناء أبناء الزمن » من تأليف أبي البركات ابن الحاج البلغيتي ، من شيوخ ابن الخطيب الأثريين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ضيق الصدر) .

(٣) ما بين الخاصرتين وازد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المسهلة) .

الدواء ، ويقع الشُّفا بحول الله . فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خَمْرُهُ ،
وعالجهم حتى شفوا بعد مشقَّة . وأخباره كثيرة .
وفاته : توفى عقب إقلاع الطَّاغية ملك برجلونة عن المَريَّة عام
[تسعة] ^(١) وسبعماية . وخلفه ابنُ كان له يسمى إبراهيم ، ويعرف بالحكيم ،
وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه ، مرت عليه ببَختٍ وقَبُول ، وتوفى بعد
عام خمسين وسبعماية .

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري

جَيَّانِي الأَصْل مالَقِيه ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشُّدِيد على بِنِيَّة
التبصغير ، وهو كثير التردُّد والمُقَام بحضرة غرناطة .

حاله

من أهل الطَّلَب والذِكااء والطَّرْف والخصُوصِيَّة ، مجموع خِلال من خطُّ
حسن واضطُّلاع بحمل كتاب الله . بُلْبُل دَوْح السَّبْع المِثاني ، وما شطَّة
عروسن أبي الفرج الجوزي ، وآية صُقعهِ في الصَّوت ، وطيب النِّعمة ،
اقتحم لذلك دسوت المملوك ، وتوصَّل إلى صُحبة الأشراف ، وجرَّ أذْيال الشهرة .
قرأ القرآن والعَشْر بين يدي السلطان ، أمير المسلمين بالعدوَّة ، ودنا منه
محلُّه ، لولا إيثار مَسَقَط رأسه . وتقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه ،
وصلَّى التَّراويح بمسجد قصر الحمراء ، غريب المنزِع ، عذبُ الفكاهة .

(١) ورد مكانها بيان في المخطوطات . والحادث الذي يشير إليه ابن الخطيب هو قيام خايبي
الثاني ملك أراجون (وعاصمتها يومئذ برشلونة أو برجلونه) بغزو ثغر المرية في سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م)
وذلك بالاتفاق مع ملك قشتاله فرناندو الرابع الذي قام في نفس الوقت بغزو الجزيرة الخضراء وجبل
طارق . ولكن جنود الأندلس استطاعوا أن يهزموا الجيش الأراجوني ورده عن المرية وبذلك ، نجت من
خطر السقوط (راجع كتاب نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة ص ١١٥ و ١١٦) .

ظريف المجالسة ، قادرٌ على الحكايات ، مستورٌ جَمى الوقار ، مُلبٌ داعى .
الانبساط ، على استرجاعٍ واستقامة ، مبرور الوفاة ، مُتَوَّه الإنزال ، قُلْدُ
شهادة الديوان بمالقة ، مُعَوَّلًا عليه في ذلك ، فكان مَغَارِ جَبَلٍ ^(١) الأمانة ،
صَلِيبِ العود ، شامخًا ، صادقَ النَّزَاهَةِ ، لوحًا للألقاب ، مُحْرزًا للعمل .
وَوُؤَى الحِسْبَةِ بمالقة حرسها الله تعالى ، فخاطبته في ذلك أَدَاعِيهِ ، وأشير
إلى قوم من أجداده ، وأولى الحَمَلِ عليه بما نصه :

يا أيها المُحْتَسِبُ الجنزل ومن لديه الجَدُّ والهزلُ
تُهْنِيكَ والشكز لمولى الورى ولايةٌ ليس لها عَزْلُ

كتبتُ أيها المحتسب ، المنتمى إلى النزاهة المنتسب ، أهنئك ببلوغ
تمنيك ، وأحذرك من طمع نفسٍ بالغرور تُمنيك . فكأني وقد طافت
بركابك الساعة ، ولزم لأمرِك السَّمْعَ والطَّاعَةَ ، وارتفعت في مصانعتك
الطَّماعَةَ ، وأخذت أهل الرُّيبِ بَغْتَةً كما تقوم الساعة . ونهضت تقعد
وتقيم ، وسكوتك الريح العقيم ، وبين يديك القِسْطاس المُسْتَقِيم ، ولا بُدَّ
من شَرِكٍ يُنصب ، وجماعة على ذى جاه تتعصب ، وحالة كَيْتٍ بها الجناب
الأخْصَبُ ، فإن غَضَضْتَ طَرْفَكَ . أمنت عن الولاية صَرْفَكَ . وإن ملأت
ظَرْفَكَ ، رحلت عنها حَرْفَكَ . وإن كَفَفْتَ فيها كَفَّكَ ، حَفَّكَ العزُّ
فيمن حَفَّكَ . فكن لقالى المَجْبَنَةِ قالياً ، ولحوت السَّلَّةِ ساليا . وابدِ
لدقيق الحَوَارَى زُهدَ حَوَارَى ، وازهد فيما بأيدي الناس من العَوَارَى .
وسير في اجتناب المَحْلُو ^(٢) على السبيل السَّوَا . وارفُضْ في الشَّوَا ^(٢) دواعى
الأهوا . وكن على المَرَّاسِ . وصاحب فريد الرأس . شديد المَرَّاسِ . وثيب

(١) وردت في الإسكوريال (حبل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة على التوالى : الحلوى . الشوى . الأهوى .

على بايع طَبِيخ الأعراس ، لَيْثاً مزهوب الافتراس ، وأدب أطفال السوق في السوق ، سَيْمًا من كان قبل البلوغ والسُّبوق ، وصَمِّم في استخراج الحقوق ، والناس أصناف ، فمنهم خَسِيس يطمع منك في إكْلة ، ومُسْتَعْدٍ عليك بوَكَزَّة أو رَكْلة . وحاسدٌ في مطيئة تُركبُ ، وعطيئة تُسكَبُ ، فاخفض للحاسد جناحك ، وسدّد إلى حربه رِماحك ، وأشبع الخَسِيس منهم مَرَقَةً دَسِمةً فإنه حَنِيقٌ ، ودَسْ له فيها عَظْماً لعله يَحْتَنِقُ ، واحفُرْ لشريبرهم حُفْرَةً عميقةً . فإنه العدوُّ حَقِيقَةٌ ، حتى إذا حَصَلَ ، وعلمت أن وقت الانتصار قد وَصَلَ . فأوْقِعْ وأوْجِعْ . ولا تَرْجِعْ ، وأولِياه من [حِزْب] (١)

الشیطان فَأَفْجِعْ ، والحقُّ أَقْوَى ، وإن تَعْفُوْ أقرب للتعوی . سدّدك الله إلى غرض التَّوْفِيقِ ، وأَعْلَقْنَا من الحقِّ بالسَّبَبِ الوَثِيقِ ، وجعل قلوبك مقروناً برُخْص اللّحم والزَّيْتِ والدَّقِيقِ . بَمَنِّه وفضله .

مشيخته

قرأ القرآن على والده المَكْتَبِ النَّصُوحِ رحمه الله ، وحَفِظَ كُتُباً كرسالة أبي محمد بن أبي زيد . وشهاب القضاعي ، وفصيح ثعلب (٢) . وعَرَّضَ الرِّسَالَةَ على ولي الله آبي عبد الله الطَّنْجَالِي ، وأجازه . ثم على ولده الخطيب أبي بكر . وقرأ عليه من القرآن : وجوّد بحرف نافع على شيخنا أبي البركات . وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي . ثم رَحَلَ إلى المغرب ، فلقى الشيخ الأستاذ الأُوحد في الثَّلَاوَةِ . أبا جعفر الدَّرَاجِ . وأخذ عن

(١) هذه البرادة من الزبوتونة .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٩ هـ . من أشهر متون الفقه المالكي .
 . كتاب « الشَّهاب » لأبي عبد الله القضاعي الشافعي المصري المتوفى سنة ٤٥٤ هـ من كتاب الحديث . واه
 . كتاب « مسند المغرب » في الحديث أيضاً . وكتاب الفصيح أو فصيح ثعلب من كتب اللغة والبلاغة
 لأبي عيسى أحمد بن محمد بن ثعلب اللغوي النحوي المتوفى سنة ٢٩١ هـ .

الشَّريف المُقَرِّي أبي العباس الحسني بسبَّته ، وأذرك أبا القاسم التَّجِيبِي ، وتلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ولازمه ، واختصَّ بالأستاذ ابن هاني السَّبَّتي ، ولقى بفاس جماعةً كالفقيه أبي زيد الجَزُولِي ، وخلف الله المجاصي ، والشيخ أبا العباس المِكناسي ، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرازي ، وقرأ على المُقَرِّي الفدَّ الشهير في التَّرنُّم بِالْحان القرآن أبي العباس الزَّواوي سَبْعَ خَنَمات . وجمع عليه السَّبْع ، والمُقَرِّي أبي العباس بن حِزب الله ، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرِي .

شعره

من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير الدولة المَغْرِبِيَّة في غرض الاستِطَاف :

يا من به أبدأ عُرِفَت ومن أنا	لولا لى دامتْ عُلاه وداما
لا تأخُذَنَّكَ في الشُّديد لومةً	فشُخِصَ نَشاتَه بفضلك قاما
ربِّئُسه عَلَّمتُه أدبُته	قدَّمته للفرُّض منك إماما
فجزاك ربُّ الخلق خيرَ جزاية	عني وبوأك الجِنسان مُقاما

وهو الآن بالحالة الموصوفة ، مستوطناً حضرة غرناطة . وتالياً الأعرار القرآنية ، بين يدي السلطان أعزه الله ، مرفَع الجانب ، معزِّز الجِراية بولايته أحباس المدرسة ، أطروفة عَضْره . لولا طَرَشُ نَقص الأُنس به ، نفعه الله .

ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعماية .

ومن الثَّرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التَّمَسَّاني الأنصاري

السُّبَّي الدَّار ، الغرناطي الاستيطان ، يكنى أبا الحسين ، ويعرف
بالتَّمَسَّاني .

حاله

طُرِفُ في الخير والسلامة ، مُعْرَق في بيت الصُّون وانفضيلة ، مُعِمُّ (١) ،
تَخَوُّل في العدالة ، قديم الطَّلِب والاستعمال ، معروف الحق ، ملبح البَسْط ،
حُلُو الفكاهة ، خفيف إلى هيعة الدُّعابة ، على سَمْتٍ ووقار ، غَزَلٌ ،
لوذَعِي ، مع استبرجاع وامتسك ، مُتَرَفٌ ، عزيزٌ في الحضارة ، مؤثر للراحة ،
قليل التَّجَلُّد ، نافرٌ عن الكدِّ ، مُتَّصِل الاستعمال ، عريضُ السعادة في باب
الولاية ، محمول على كَتَد المبررة ، جار على سُنن شيوخ الطَّلِبة والمُقتاتين
من الأرزاق المُقدَّرة ، أولى الخُصوصية والضُّبْط ، من التَّظاهر بالجاه
على الكِفاية . قديم على الأندلس ثمانية عشر وسبعماية ، فمهد كنف القَبُول
والاستعمال ، فوُلِّي الحِسبة بغرناطة ، ثم قُلِّد تنفيذ الأرزاق ، وهي الخُطَّة
الشرعية ، والولاية المُجدية ، فاتَّصلت بها ولايته . وناب عني في العَرَض
والجواب بمجلس السلطان ، حميدُ المنأى في ذلك كله ، يقوم على كتاب الله
حِفْظاً وتَجْوِيداً ، طيبُ النِّعْمَةِ ، راوياً محدثاً . إخبارياً ، مُرتاحاً للأدب ،
ضارباً فيه بسهم . يقوم على كُتب السيرة النبوية . فذاً في ذلك . قرأه
بالمسجد الجامع للجمهور . عند لحاقه بغرناطة ، مُعرباً به عن نفسه . منبهاً
على مكانه . فزعموا أن رجلاً فاضتْ نفسه وجداً لشَجْو نَعْمَتِهِ . وحسن

(١) مع ، أعنى الذي يعم بغيره الناس .

إلقاياه . وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به ، واتسم بمجلسه
بالسلامة والخير ، فلم تُؤثر عنه في أحد وقية ، ولا بدرت له ، في الحمل
على أحد بنت شفه .

مشيخته

منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التقا طاهر بن أبي الشرف
ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن
أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي
ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب . ومنهم والده المترجم به ، ومنهم أبوه وجدّه ، ومنهم
الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس
أحمد بن محمد العزفي ، والمُقري أبو القاسم بن الطيب ، وإمام الفريضة
أبو عبد الله محمد بن محمد بن حُرث ، والأستاذ مُلحِق الأبناء بالآباء أبو إسحق
الغافقي ، والكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القيتوري ،
والأستاذ المُعمر أبو عبد الله بن الخضار ، والخطيب المحدث أبو عبد الله
ابن رُشيد ، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغُمّاري ، والأستاذ أبو البركات
الفضل بن أحمد القنطري ، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد
ابن سهل بن مالك ، والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب
الصالح أبو جعفر بن الزيات ، والقاضي الأعدل أبو عبد الله بن بُرطال ،
والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع ، والصوفي الفاضل أبو عبد الله
ابن قَطْرال ، والأستاذ الحسّابي أبو اسحق البرغواطى ، هؤلاء لقيهم وقرأ
وسمع عليهم . ومن كتب له بالإجازة ، وهم خلق كثير . كخال أبيه ،
الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل ، والخطيب أبي الحسن فضل

ابن فضيلة ، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير ، والعدل أبي الحسن
 ابن مستقور ، والوزير المعمار أبي محمد بن سيماء ، والخطيب أبي محمد
 مولى الرئيس أبي عثمان بن حكيم ، والشيخ الصالح أبي محمد الحلاسي ،
 والقاضي أبي العباس بن الغمّاز ، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللبيدي ،
 والعدل المعمار الراوية أبي عبد الله بن هرون ، والمحدث الراوية أبي الحسن
 القراني ، وأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن
 أبي المنصور ، والإمام شرف الدين أبي محمد الدمياطي ، وبهاء الدين بن
 النحاس ، وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، وضياء الدين
 أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد ، وكتب في الإجازة له :

ولدتُ لعام من ثلاث وعشرة وستٌ مئين هجرةً لمحمد
 تطوّفتُ قُدماً بالحجاز وإنني بمصر هو المرَبليُّ وسبّته مَوْلِد

إلى عالم كثير من أهل المشرق ، يشق إحصاؤهم . قد ثبت معظمهم
 في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي رحمه الله .

محنته

نالته محنة بجرى الأمور الاشتغالية وتبّعاتها ، قال الله فيها لعثرته لغاً ،
 فاستقلَّ من النكبة ، وعاد إلى الرتبة . ثم عفت عليه بآخرة ، فهلك تحت
 بركها بعد مناهزة التسعين سنة . نفعه الله .

ولد عام ستة وسبعين وستماية . وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين
 وسبعماية .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري

من أهل مرّاكش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن قطرال .

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله فاضلاً صوفياً، عارفاً ، متحدثاً ، فقيهاً ، زاهداً ، تجرّد عن ثروةٍ معروفة ، واقتصر على الزهد والتّخلّي ، وملازمة العبادة ، والغروب عن الدنيا . وله نظمٌ رائق ، وخطٌ بارع ، ونشر بليغ ، وكلام على طريقة القوم . رفيع الدرّجة ، على القدر . شرح قصيدة الإسرائيلى ، بما يشهد بفسوخ قدمه ، وتجوّل في لقاء الأكابر على حال جميلة من إيثار الصّمت والانقباض والحشمة . ثم رحل إلى المشرق حاجاً صدر سنة ثلاث وسبعمائة .

مشيخته

من شيوخه القاضى العالم أبو عبد الله محمد بن على ، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادى . والفقيه أبو فارس الجرّوى ، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع ، والعدل أبو محمد بن عبيد الله . والحاج أبو عبد الله بن الخضّار . وأبو إسحق التلمسانى . وأبو عبد الله بن خميس . وأبو القاسم بن السكوت . وأبو عبد الله بن عيَّاش . وأبو الحسن بن فضيلة . وأبو جعفر بن الزبير ، وأبو القاسم بن خير . هؤلاء كلهم لقيهم . وأخذ عنهم . وكتب له بالإجازة جملة ، كالقاضى أبى على بن الأخوص ، وأبى القاسم العزّقى . وأبى جعفر الطنجالى . وصالح بن شريف ، وأبى عمرو الدارى . وأبى محمد بن الحجّام . وأبى بكر بن خبيش ، وأبى يعقوب بن عقاب . وعز الدين الجداى . وفخر الدين بن البخارى ، وابن طرخان . وابن البواب ، وأمين الدين بن عساكر . وقطب الدين بن القسطلانى . وغيرهم .

شعره .

وأما شعره فكثير بديع . قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين كتبت

إليه :

يا مُعمل السَّيرِ أَىِّ إعمالٍ سلِّم على الفاضل ابن قَطْرال

من أبيات راجعني عنها بأبيات منها :

زارتْ فأزرتْ بِمِسْكِ دارين تَفْتَنُ للحسن في أفانين

ومثلها في شتَّى محاسنها ليست بِبِدْعٍ من ابن شبرين

توفى بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال ، معرضاً عن زهرة

الحياة الدنيا ، إلى أن اتصل خبر وفاته ، وفيه حكاية ، عام تسعة وسبعماية

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة .

وغير ذلك .

العمال في هذا الاسم وأولا الأصليون

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل

يكنى أبا يحيى .

حاله

شيخٌ حسن الشَّيْبَةِ ، شامل البياض ، بعيدُ مدى الذَّقْنِ . خدوع الظاهر ،

خَلُوب اللفظ ، شديد الهوى إلى الصُّوفِيَّةِ . والكَلْفِ بإطراء الخيريَّةِ ،

سِيا عند فِقدان شُكر الولاية ، وجِماح الحُظوةِ . من بيت صَوْنٍ وحشمة ،

مُبين عن نفسه في الأغراض ، مُتقدِّم في معرفة الأمور العملية . خايضٌ

مع الخايضيين في غمار طريق التصوُّف . وانتحال كيميائ السَّعادة ، راكبٌ

مَتَنِ دعوى عريضة في مقام التَّوحيد ، تكذِّبها أحواله الرَّاهنة جُملةً ،

ولا تسلم له منها نبذة . لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره ،
وعَلَبِ سلطان الشهوة . فلم يَجُنْ من جِعْجاعه المُبرم فيها إلا استغراق
الوقت في القواطع عن الحق ، والأسف على ما رَزَتْه الأيام من متاع الزور ،
وقينية الغرور ، والمشاحة أيام الولاية ، والشباب الشاهد بالشره ، والحلف
المتصل بياض اليوم ، في ثمن الخردلة باليمين التي تجرُّ فساد الأنكحة ،
والغضب الذي يقلب العين ، والبدا الذي يُصاحب الشين ، مغلوبٌ عليه
في ذلك ، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ ، وتفويت جدّة ، وإطباق رَوْع ،
وقيدٌ للعذاب ، فألقيتُ عليه رداي . ونفّس الله عنه بسببي ، محوًّا للسيئة
بالحسنة ، وتوسلاً إلى الله بترك الحظوظ ، والمِنَّة لله جلّ جلاله على ذلك .

شعره

خاطبني بين يدي نكبتة أو خلفها بما نصه . ولم أكن أظن الشعر مما تلوكة
جَحْفَلْتُهُ ، ولكن الرجل من أهل الكفاية :

راجوتك بعد الله يا خير منجد	وأكرم مأمول وأعظم مُرشد
وأفضل من أملت للحادث الذي	فقدت به صبري وما ملكت يد
وحاشي وكلاً أن يخيب ماملِي	وقد علقتُ بابن الخطيب محمد
وما أنا إلا عبْدُ أنعمه السّي	عهدتُ بها يُمْنِي وإنجاح مقصد
وأشرف من حضّ الملوك على التقي	وأبدى لهم نصحاً وصية مُرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة	مباركة في كل غيبٍ ومشهد
وأعرض عن دنياه زهداً وإنها	لمظهرة طوعاً له عن تودد
وما هو إلا اللئيث والغَيْث إن	أتى له خائف أوجاء مغناه مُجدد
وبحر علوم ذرّه كلماته إذا	رُدّدت في الحفل أيّ تردد

صُقَيْلٌ مَرَأَى الْفِكْرَ رَبُّ لَطَائِفِ
 بَدِيعٌ عَرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلَأِ الَّذِي
 شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمِ الْحَلْمِ رَاحِمٌ
 صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي عَلَى حِينِ قَدْرَةٍ
 أَيَا سِيدِي يَا عُمْدَتِي عِنْدَ شِدَّتِي
 حَنَانِيكَ وَالطُّفَّ بِي وَكُنْ لِي رَاحِمًا
 رَجَاكَ رَجَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَأَمَّكَ مَضْطَرًّا لِرَحْمَاكَ شَاكِيًا
 وَعِنْدِي افْتِقَارٌ لِأَنْوَالِ مَوَاصِلًا
 تَرَفَّقَ بِأَوْلَادِ صِغَارِ بَكَوَاهِمِ
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ تَطَّلِعُ
 أَنْلَهُمْ أَيَّامَ مَوْلَايَ نَظْرَةَ مُشْفِقِي
 وَقَابِلِ أَخَا الْكُرْهِ الشَّدِيدِ بِرَحْمَةٍ
 وَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَّا لِفَضْلِكَ لَا إِلَى
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ إِيَّيْكَ تَائِبٌ
 بِقِيَّتِ بَخِيرِ لَأَنْوَالِ وَعِزَّةٍ
 وَسُخْرِكَ الرَّحْمَنِ لِلْعَبْدِ إِنَّهُ

وقد وُلِّيَ خُطَطًا نَبِيهَةً ، مِنْهَا خُطَّةُ الْإِشْتِغَالِ عَلَى عَهْدِ الْغَادِرِ الْمُكَايِدِ
 لِلدَّوْلَةِ ، إِذْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ شَيْطَانِهِ وَمُدِّيهِ فِي غِيهِ ، وَسَمَاسِيرِ شَعْوَذْتِهِ ،
 فَلَمْ يَزَلْ مِنْ مُسَيِّطَرِي دِيْوَانِ الْأَعْمَالِ ، عَلَى تَهْوُّرِ وَاقْتِحَامِ كَبْرَةٍ ، وَخَطُّ
 لَا غَايَةَ وَرَآئِهِ فِي الرَّكََاكَةِ ، كَمَا قَالَ الْمَعْرِيُّ :

تَشَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَابِسَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مَسِيخَتْ نَمَالَا

استحضرته يوماً بين يدي السلطان ، وهو غُفْلٌ لَفَكٌ ما أشكل من
مَعْمِيَّاتِهِ في الأعمال عند المطالعة ، فوصل بحال سيئة ، ولما أُعْتِبَ بسببه ،
ونعيتُ عليه هُجنته ، أحسن الصِّدر عن ذلك الوِرد ، ونَدَرَ في نفسه ، وقال
حيّاً اللهُ رداة الخَطِّ ، إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم ،
فاستُحسن ذلك ، لطف اللهُ بنا أجمعين .
توفي عام سبعة وستين وسبعماية .

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد النافقي

يكنى أبا الوليد .

أوليته

أصله من طليطلة ، انتقل منها جدُّ أبيه ، وسكنوا غرناطة ، وعدوا
في أهلها .

حاله

كان أبو الوليد طالباً نبيلاً ، نبياً ، سرياً ، ذكياً ، ذا خطٍّ بارع ،
ومعرفة بالأدب والحساب ، ونزَّع إلى العمل فكان محمود السيرة ، مشكور
العمل . ووُلِّيَ الإشراف في غير ما موضع . قلتُ ، وآثاره في الأملاك المنسوبة
إليه ، التي من جُملة المُستَخْلَص السلطاني بغرناطة وغيرها ، مما يدل على
قَدَم ، وتَعَمَّة أصيلة .

توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسماية ، وسنه دون الخمسين .

محمد بن محمد بن حسن النافقي

إشبيلي الأصل ، غرناطي المنشأ . يكنى أبا عبد الله . ويعرف بابن

حسان .

حاله

من « العايد » : كان من أهل السَّرو والظَّرْف والمروعة ، وحسن الخلق .
تولى الإشراف بغرناطة ، وخُطَّ الأَشغال ، فحسن الثناء عليه . وله أدب
ومشاركة . حدَّثني بعض أشياخنا ، قال ، كنت على مائدة الوزير ابن
الحكيم ، وقد تحدَّث بصَرَف ابن حسان عن عمل كان بيده ، وإذا رُقِّعة
قد انتهت إليه أحفظ منها :

لكم أيادٍ لكم أيادٍ كسررتها إنها كثيرة
فإن عزمتم على انتقالٍ ربه أبلغى أو الجزيرة
وإن أبيتم الأُمقاهى فنعمةٌ منكم كبيرة

وقال لي بعضهم ، جرى بين ابن حسان هذا ، وبين أحد بني علاق^(١) ،
وهم أعيان ، كلام وملاحة^(٢) فقال ابن حسان ، إنما كان جدكم مولى بني
أضحى ، وجد بني مشرف ، فاستعدى عليه ، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم
فما أظن ، فلما استفهمه عن قوله ، قال أعزك الله ، كنت بالكتبيين ،
وعرض على كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي :

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء^(٣) المجد إشراق
فلم يزل ينتمى للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراق
فإن تُرد شرفاً يمم مُشرفه^(٤) وإن ترد علق مجد فهو علاق
فعلم الوزير أن ذلك من نظمه ، ونتيجة بديته ، فعجب من كفايته ،
وترضى خصمه . وصرفهما بخير . وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعماية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنى غيلان) .

(٢) وردت في الإسكوريال (ملاحة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سناء) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مشرفهم) .

محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم
ابن عبد العزيز بن اسحق بن أحمد بن أسد بن قاسم النُميري المدعوب ابن الحاج
يكنى أبا عمرو ، وقد مر ذكر أخيه

حاله

تولى خِطَّةَ الإِشْرَافِ بِلَوْشَةَ وَأُنْدَرَشَ^(١) ومالقة . وُوُلِّيَ النَّظْرَ فِي
مَخْتَصِ الْمَرْيَةِ ، وَالْأَعْشَارِ الرَّومِيَةِ بِغَرْنَاطَةَ . وَكَانَ لَهُ خِطٌّ حَسَنٌ ، وَجُودَةٌ
كَامِلَةٌ ، وَحُسْنٌ خُلُقٍ ، وَوَطْأَةٌ أَكْنَافٍ ، تَشْهَدُ لَهُ بِجَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَرَفِيعِ
خَطَرِهِ . وَصَاهِرٌ فِي أَعْيَانِ كَالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ [فَاضِلٌ ،
سَرِيٌّ ، مَتَخَلِّقٌ ، حَسَنُ الضَّرْبِيَّةِ ، مَتَمِيزٌ بِخِصَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، مِنْ خِطِّ بَدِيعٍ ،
وَنَظْمٍ ، وَمِشَارَكَةٍ فِي فَنُونٍ ، مِنْ طَبِّ وَتَعْدِيلٍ ، وَارْتِيَاضِ سِمَاعٍ ، وَذِكْرِ
التَّارِيخِ . حَجَّ جِبَالِ فِي الْبِلَادِ . وَلَقِيَ جِلَّةً ، وَتَوَلَّى بِالْمَغْرِبِ خُطَطًا نَبِيهَةً
عَلِيَّةً^(٢)]^(٣) . ثُمَّ كَرَّرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَامَ سِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَاجْرَى مِنْ
الاسْتِعْمَالِ عَلَى رَسْمِهِ . ثُمَّ اقْتَضَتْ لَهُ الْعَنَاءُ السُّلْطَانِيَّةَ بِإِشَارَتِي ، أَنْ يُوَجَّهَ
فِي غَرَضِ الرِّسَالَةِ إِلَى تُونِسَ وَصَاحِبِ مِصْرَ ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ مُرَانِهِ عَلَى تِلْكَ
الْبِلَادِ ، وَجَوْلَاتِهِ فِي أَقْطَارِهَا ، وَتَعَرُّفِهِ بِمُلُوكِهَا وَالجِلَّةِ مِنْ أَهْلِهَا ، فَآبَ بَعْدَ
أَعْوَامٍ ، مَشْكُورَ التَّصَرُّفَاتِ ، جَارِيًا عَلَى سُنَنِ الْفَضْلَاءِ ، مُضْطَّلَعًا بِالْأَحْوَالِ
الَّتِي أُسْنَدَتْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمْ يَزَلْ مُعْتَنِيًا بِهِ ، مُرَشَّحًا إِلَى الْخُطَطِ الَّتِي تَطْمَحُ
إِلَيْهَا نَفْسٌ مِثْلَهُ ، مُسْنِدًا النَّظْرَ فِي زِمَامِ الْعَسْكَرِ الْغَرْبِيِّ إِلَى وَلَدِهِ ، الَّذِي

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٥٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الزينونة . وفي الإسكوريال (عملية) والأولى أرجح وأنسب لتسبيح .

(٣) انفقرة التي بين الخاصرتين وردت في الزيتونة في أول الترجمة .

يخلفه عند رحلته نايبا عنه ، مُعَزَّزاً ذلك بالمرتبات والإحسان ، تولاه الله
وأعانه

شعره

مدح السلطان ، وأنشد له في المواليد النبوية . ورَفَعَ إلى السلطان
بحضرتي هذه الأبيات :

ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين	مولاي يا خير أعلام السلاطين
وأفت بأكرم تحسين وتحصين	ومن له سيرٌ ناهيك من سيرٍ
فوق النجوم التي فوق الأفق تُعلن	شرفتَ عَبْدك تشريفاً له رُتبٌ
وزاد في العزُّ بعد الرتبة الدون	وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه
ولو أتيتُ به حيناً على حين	والله ما الشكر مني قاضياً وطرى
ولو ملأتُ به كل الدواوين	ولا الثناء مؤفٍ حق أنعمه
كفا أفعاله الغر الميامين	لكن دُعائي وحبِّي قد رضيتهما
في خدمةٍ لم يزل للخير تُدنين	وعند عَبْدك إخلاصٌ يواصله
رضى إمام له فضل يُرجين	وسوف أنصح كل النصيح مغتتما
ترضاه للملك من نصرٍ وتمكين	جوزيتَ عنى أمير المسلمين بما
ومن عم البلاد بتسكين وتهدين	وأنت أكرمٌ من ساس الأنسام
الفخار لنا رُحْبُ الميادين	ومن كوشل أبي عبد الآله إذا أضحى
أهدى إليه مدحا بالسعد يحظين	محمد بن أبي الحجَّاج خيرةٌ من
ودولةٍ دولة المأمون تُنسين	وجهٌ جميل وأفعال تناسبه
(١) لازال في السعد والإسعاد ما سَجَعَتْ	ورق الحمام على قضب البساتين [

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال . وساقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله من أهل غرناطة . أصله من وادي آش

حاله

كان طالبا نبيها [كاتبا] ^(١) جليلا ، جيد الكتابة . كَتَبَ عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب ، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة ، وبشرق الأندلس ، وكان أثيراً عنده مكرماً . وكان رحمه الله شاعرا ، مطبوعا ، ذا معرفة جيدة بالعدد والمساحة ، ثم نَزَعَ عن الكتابة ، واشتغل بالعمل ، فراش فيه ، ووُئِيَ إشراف بُنيات غرناطة . ثم وُئِيَ إشراف غرناطة ، فكفَّ يده ، وظهرت نصيحته . ثم نُقِلَ إلى حضرة مرّاكش ، فوُئِيَ إشرافها مدة ، ثم صُرف عنها إلى غرناطة ، وقُدِّمَ على النظر في المُستخلص إلى أن توفي .

مناقبه

أشهد لما قربت وفاته . أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه ، أربعة «آلاف دُنير من صميم ماله لتتيم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل ^(٢) بخارج غرناطة ^(٣) . وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله ، وتأنق في بنائه ، وأصلح مساجد عدة ، وفعل خيرا . نفعه الله .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هو نهر شنيل الذي يخترق غرناطة من شرقها (enil . او Genil) . ويسمى أيضا في الجغرافية الأندلسية بنهر سنجيل أو شنجيل من اسمه اللاتيني .

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في الزيتونة عبارة (وشرق الأندلس) فرأيت إعمالها لاها ليست مستقيمة مع السياق . ووجودها هنا حشو لا محل له .

شعره

من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران وزير الخلافة ،
وهو بحال شكاية أصابته :

شكوت فأضنى المجد بَرُحُ شِكَاتِهِ	وفارق وجه الشمس حسن آياته
وعادت بِعَدِيكَ الزَّمانُ زمانَةً	تعدت إلى عَوادِ وأَساتِهِ
وغيض ما للبشر لسا تبسَّطت	يدٌ للِسُقْمِ في ساحاتِ كافي كفاتِهِ
فكيف بمقصُوصٍ وصلتَ جناحِهِ	وأذهم قد سرَّبلتَهُ بشاتِهِ
ومُمتَحِنٌ لولاك أذعن خبِرَةً	وهان على الأيامِ عَمَزُ قَناتِهِ
أَمَعَلَقَ آمالي ومطمسِحَ هَمَّتِي	وواهبُ نفسي في عِدادِ مِباتِهِ
سأستقبل النعمى ببرك غُضَّة	ويضغُرُ ذنُبُ الدهرِ في حَسَناتِهِ
وتسطو عينُ الحق منك بمُرَهَفٍ	تُراعِ الخطوبِ الجُورِ من فُتكاتِهِ
وتطلِّعُ في أفقِ الخلافةِ نيراً	تُطالِعُنا الأَقمارِ من قَسَماتِهِ
حرامٌ على الشكوى اعتيادِ مطهر	حياةِ الدُّنا والدينِ طيَّ حياتِهِ
فما عَرَضتُ في قصده بمساءة	ولكن ترجت أن تُرى في عفاته ^(١)

مشيخته

قال الغافقي ، قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السهيلي رحمه الله .
وتوفي بغرناطة سنة سبع وستمائة ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها
على ضفة الوادي .

(١) هذا الشعر وارد في الإسكوريال ، وسقط كله في الزيتونة .

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان
ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

أوليَّته

قد وقع التَّنْبِيه عليها ويقع بحول الله .

حاله

كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهممة ، كثير الأمل^(١) .

نباهته

ذكره ابن صاحب الصلاة فى تاريخه فى الموحدين^(٢) ، فنبه على
مكانة محمد بن عبد الملك منهم فى الرأى والحظوة ، والأخذ عنه^(٣) فى
أمور الأندلس ، وأثنى عليه . وذكره أبو زيد السهيلي فى شرح السيرة
الكريمة ، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
الموجه إلى هرقل ، وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش ، مكرماً ،
مُفتخراً به . والقضية مشهورة . وأما محلّه من أمداح الشعراء ، فهو الذى
مدحه الأديب أبو عبد الله الرضاوى بقوله :

أبدأ نفيض وخاطراً متوقداً دعها تبت قَبَساً على عِلْمِ النداء

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة :

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (الأمال) .

(٢) ابن صاحب الصلاة هو عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجى المتوفى حول سنة
٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) وكتابه المشار إليه هو كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، وتوجد منه
قطعة كبيرة مخطوطة بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، وقد قام بنشرها الأستاذ عبد الهادى النازى بروت
سنة ١٩٦٤)

(٣) وردت فى الإسكوريال (معه) والتصويب من الزيتونة .

يارحمة الله للرجى ونقمة له لكل باغٍ طغا عن خيرة الرسل
 لم تُبَق منهم كفورا دون مرقبة مطالعاً منك حتفا غير مُنفصل
 كما بُزئت لم تترك بأرضهم وحشاً يفر ولا طيرا بلا وجل
 وكان كثير الصيد ، ومرتدد الغارات .

مناقبه في الدين

قالوا لما أنشده أبو عبد الله الرضا في القصيدة التي مطلعها :
 لمحك الترفيع والتعظيم ولوجهك التقديس والتكريم
 حلف ألا يسمعها ، وقال علي جازيتك ، لكن طباعى لا تحتمل مثل
 هذا ، فقال الرضا ، ومن مثلك ، ومن يستحق ذلك في الوقت غيرك ،
 فقال له ، دعنى من خداعك أنا وما أعلمه عن نفسى .

شعره

أنشده صاحب « الطالع » (١) ، ولا يذكر له غيره : (٢)
 فلا تظهرن ما كان في الصدر كامناً ولا تركبن بالغيظ في مركب وعر
 ولا تبحنن في عذر من جاء تايباً فليس كريماً من يباحث في عذر
 وولى من الأعمال للموحدين كثيراً ، كمختص حضرة مراکش ، ودار
 السلاح ، وسلا ، وإشبيلية ، وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال
 غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

محدثه

وعمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلى ، مالا يكون إلا عند الملوك ،

(١) هو كتاب « الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد » لأبي الحسن على بن سعيد ، وقد سبقت الإشارة إليه غير مرة .

(٢) وردت في الإسكوريال (قوله) ، وهو تحريف ، والتصويب بن الزيتونة .

وأنه إذا ركب في صلاة الصبح ، من دار الرُخام التي يجري الماء فيها ، في
 إثني عشر مكاناً ، شوشَّ الناس في الصلاة ، دوىُّ الجلاجل بالبُرْاة ،
 ومناداة الصيادين ، ونباح الكلاب ، فأمر المنصور بالقبض عليه ، وعلى
 ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين ، في سنة ثلاث وسبعين
 وخمسمائة . ثم رضى عنهما ، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه
 كلَّ ما أخذ له ، فصرفه عليه ، ولم ينقصه منه شيء ، وغرم ما فات له .
 ولد سنة أربع عشر وخمسمائة ، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين
 وخمسمائة .

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن
 ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسى
 يكنى أبا بكر ، وقه تقدّم التعريف بأوليته .

حاله

قال في « الطالع » ساد في دولة الملثمين^(١) ، وولّوه بغرناطة الأعمال ،
 وكانت له دار الرُخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة . قال الغافق
 فيه : شيخ جليل ، فقيه نبيه من أهل قلعة يحضب^(٢) . كان في عداد
 الفقهاء ، ثم نزع إلى العمل ، وولّى إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد
 الميمون بن بدر اللمتونى . وقال صاحب « المُشهب » وحسب القلعة كَوْن
 هذا الفاضل الكامل منها ، وقد رقم بُرد مجده بالأدب ، ونال منه بالاجتهاد

(١) الملثمون أو أهل اللثام هم المرابطون .

(٢) قلعة يحضب أو قلعة بنى سعيد ، تقع شمال غرناطة ، وهى بلدة Alcalá la Real

الحديثة وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

والسجّية القابلة ، أعلى سبب ، وله من المكارم ما يُغيّر في وجه كعب
وحاتم ، لذلك ما قصده الأدباء ، وتهافتت في مدحه الشعراء ، وفيه أقول :

وكان أبو بكر من الكُفّر عصمةً وردّ به الله الغُواة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظاً أهله بلين وسبّط في المسبّرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر بغرناطة ناغاه في الرأى والصدق
فهذا لنا بالعرب يَجْنى معالمنا تُباهى الذى أحيا الديانة بالشرق
وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزّمان ، ويجرى عند ذكر
نزهون بنت القلاعى ما فيه كفاية ، إذ كان مَفْتُوناً بها ، وبِحَمْدَةِ
وزَيْنَبِ بِنْتِي زِيَادِ الْمُؤَدِّبِ مِنْ أَهْلِ وادى آش ، وفيهما يقول :

ما بين زينب عمري أَحَثُّ كَأْسِي وَحَمْدِهِ
وكل نظم ونشر وَحِكْمَةِ مُسْتَجِدِّهِ
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ الْمِرَّةَ قَصْدِهِ
ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى ، وقد سَهَا عن رَسْمِ تَفَقُّدِهِ ، فَكُتِبَ
إلى عليّ بن يوسف في شأنه بما كان سبب عَزْلِهِ وَنَكْبَتِهِ :

إليك أمير المؤمنين نصيحة يعجز بها البحر المُجمَّع شاعر
بغرناطة ولّيت في الناس عاملاً ولكن بما تحويه منه المسآزر
وأنت ما تخفى عليك خفيةً فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر
وما لإلاه العرش تفنيه حمدةً وزينب والكأس الذى هو داير

شعره : من ذلك قوله :

يا هذه لا تسروى خداع من ضاق ذرعه
تبسكى وقسد قتلتينى كالسيف يقطر دمه

وقال عنى الله عنه :

لقد صدعت قلبي حمامة أيككة
ورق نسيم الريح من نحو أرضكم
أثارت غراماً ما أجمل وأكرما
ولطف حتى كاد أن يتكلمها

وقال فى مذهب الفخر :

فخرنا بالحديث بعد القديم
نحن فى الحرب أجبل راسيات
من معال توارثت كالنجوم
ولنا فى الندى لطف النسيم

ولد فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وتوفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ومن الطاريين فى هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري

من أهل وادى آش ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان رجلاً شديد الأدمة ، أعين ، كث اللحية ، طرُفاً فى الأمانة ، شديد الاسترابة بجليسه ، مخيناً لرفيقه ، سيء الظن بصديقه ، قليل المداخلة ، كثير الانقباض ، مختصر اللبس والمطعم ، عظيم المحافظة على النفير والقطمير ، مستوعب للحضر والتقييد ، أسير محبي وعابد زمام ، وجنّيب أمانة ، وحلس سقيفة ، ورقيب مشرف ، لا يقبل هودة . ولا يلبس رشوة ، كثير الالتفات ، متفقداً للآلة ، متمماً للعمل .

جرى ذكره فى بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعرٍ خامل نسب إليه بما نصه : رجل غليظ الحاشية . معدود فى جنس السائمة والماشية . تليت على العمال به سورة الغاشية ، ولم الأشغال السلطانية . فذعرت الجبابة

لولايته ، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته ، وقنطوا كل القنوط ، وقالوا جاءت الدابة تُكلمنا ، وهي إحدى الشروط ، من رجل صايم الحسوة ، بعيد عن المصانعة والرثوة ، يتجنب الناس ، ويقول عند المخالطة لهم لا مساس ، عهدى به في الأعمال يخبط ويتبر ، وهو يهلل ويكبر ، ويحسن ويتقيح ، وهو يسبح ، انتهى . قلت ، وولئ الأشغال السلطانية ، فضم النشر ، وأوصد باب الحيلة ، وبث أسباب الضياع ، وترصد ليلا وأصيب بجراحة أخطائه ، ثم عاجلته الوفاة ، فنفس عن أقتاله المخنق .

شعره : قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نباهته :

عمادى ملاذى مؤبلى ومؤملى ألا انعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذى فى العلم يُعرف قدره بخير زمان منه لازلت فيه تعطل
فهئيت يا مغنى الكمال برتبة تقير لكم بالسبق فى كل محفل
توفى عام ثلاثة وأربعين بغرناطة أو قبل ذلك بيسير ، وله خط حسن ، وممارسة فى الطلب ، وقد توسط المعترك .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

من أهل المريّة ، يكنى أبا بكر .

أوليته

من كتاب « المؤمن »^(١) قال ، يُشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة بيرة^(٢)

(١) سق التعريف به (أنظر ص ١٩٥ من هذا المجلد) .

(٢) بيرة بلدة أندلسية تقع جنوب المصورة الواقعة على نهر المدورة ، شمال شرق المريّة

إِما من بجانة^(١) ، وإما من البريج^(٢) ، واستوعب سبب انتقالهم .

حاله

من « عايد الصلة » ، كان أحد الشيوخ من طبقتة ، وصدر الوزراء من نمطه ببلده ، سراوة وسماحة ، ومبرة^(٣) وأدباً ولوذعية ودُعابة ، رافع راية الانطباع ، وحابز قصب^(٤) السبق في ميدان التخلق ، مبدول البر ، شايح المشاركة .

وقال في « المؤمن » ، كان رجلاً عاقلاً ، عارفاً بأقوال الناس ، حافظاً لمراتبهم ، مُنزلاً لهم منازلهم ، ساعياً في حوائجهم ، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مُداراته . التفت إلى نفسه ، فلم ينس نصيبه من الدُّل ، ولا أغفل من كان يالفه في المنزل الخشن ، واصلاً لرحمه ، حاملاً لوطة من يجفوه منهم ، في ماله حظاً للمساكين ، وفي جاهه رِفْدٌ للمضطرين ، شيخاً ذكياً المُجالسة ، تَسْتَطِيب معاملته ، على يقين أنه يخفى خلاف ما يُظهر ، من الرجال الذين يصلحون الدنيا ، ولا يعلّق بهم أهل الآخرة ، لعُروه عن النخوة والبَطْر ، رحمه الله . تكررت له الولاية بالديوان غير ما مرّة ، وورد على غرناطة ، وافداً ومادحاً ومُعزياً .

مشيخته [وما صندرمه]^(٥)

قرأ على ابن عبد النور ، وتادّب به ، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأخوص أيام قضايه ببسطة ، ونظم رَجْزاً في الفرياض .

- (١) بجانة وبالإسبانية Pechina ، تقع غربي نهر أندرش وشمال غربي ثغر ألمرية . وقد سبق التعريف بها (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٦٢ حاشية) .
- (٢) بلدة من بلاد مقاطعة ألمرية تقع على مقربة من بجانة .
- (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مباراة) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قصب) .
- (٥) الزيادة من الزيتونة .

شعره

قال الشيخ^(١) في «المؤمن» ، كانت له مشاركة في نظم الشعر الوَسَط ، وكان شعرُ تلك الحَلْبَةِ الآخِذَةِ عن ابن عبد النور ، كأنه مصوغٌ من شعر شيخهم المذكور ، ومحذوٌّ عليه ، في ضعف المعاني ، ومِهْنَةُ الألفاظ . تنظر إلى شعره ، وشعر عبد الله بن الصَّايغ ، وشعر ابن شُعبَةَ ، وابن رُشيد ، وابن عُبَيْد ، فتقول ذرِّية بعضها من بعض .

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن

من الحجاز :

إلهي أجرتني إنني لك تائب	وإني من ذنبي إليك لهارب
عصيتك جهلاً ثم جئتك نادماً	مقراً وقد سدت علي المذاهب
مضى زمن بي في البطالة لاهياً	شبابي قد ولي وعمري ذاهب
فخذ بيدي واقبل بفضلك توبتي	وحقق رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوباً جنيتها	وحاشاك أن أشقى وأنت المحاسب
وإني لأخشى في القيامة موقفاً	ويوماً عظيماً أنت فيه المطالب
وقد وُضع الميزان بالقسط حاكماً	وجاء شهيدٌ عند ذاك وكاتب
وطاشت عقول الخلق واشتدَّ خوفهم	وفرَّ عن الإنسان خلُّ وصاحب
فما ثمَّ من يُرجى سواك تفضيلاً	وإن الذي يرجو سواك لخائب
ومن ذا الذي يُعطى إذا أنت لم تجدْ	ومن هو ذو مَنعٍ إذا أنت واهب
عبيدك يا مولاي يدعوك رغبة	وما زلتَ غفَّاراً لمن هو تائب

(١) يقصد بها هنا أبو البركات بن الحاح شيخ ابن الخطيب .

دَعْوَتُكَ مَضْطَرّاً وَعَفْوُكَ وَاسِعٌ فَأَنْتَ الْمَجَازِيُّ لِي وَأَنْتَ الْمَعَاقِبِ
 فَهَبْ لِي مِنْ رَحْمَاكَ مَا قَدَرَجَوْتَهُ وَبِالْجُودِ يَا مَوْلَايَ تُرْجَى الْمَوَاهِبِ
 تَوَسَّلْتُ بِالْمَخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَمِنْ نَحْوِهِ قَصِداً تُحِثُّ الرِّكَابِ
 شَفِيعُ الْوَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهُهُ وَمَنْقُذٌ مِنْ فِي النَّارِ وَالْحَقُّ وَاجِبُ
 وَمَا بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى مَبَالِغِ الْإِجَادَةِ ، قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةِ هُنَا فِيهَا سُلْطَانُنَا أَبَا
 الْحِجَاجِ بْنِ نَصْرٍ ، لَمَّا وَفَدَ هُوَ وَجَمَلَةٌ أَعْيَانِ الْبِلَادِ أَوْلَاهَا :

يُهْنِي الْخِلَافَةَ فَتَحَّتْ لَكَ بَابَهَا فَادْخُلْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ يُمْنًا غَابَهَا
 مِنْهَا وَهُوَ بَدِيعٌ ، اسْتَظْرَفَ يَوْمَئِذٍ :

يَا يَوْسُفِيَّ بِاسْمِهِ وَبِوَجْهِهِ اصْعِدْ لِمَنْبَرِهَا وَصَنِّ مِحْرَابَهَا
 فِي الْأَرْضِ مَكَّنَكَ الْإِلَهَ كِيَوْسُفَ وَلْتَمَلُكَنَّ بَرَبُّهَا أَرْبَابَهَا
 بَلَغَتْ بِكُمْ آرَابَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَالَتْ لِنَذَلِكَ نَسْوَةٌ مَا رَابَهَا
 كَانَتْ تُرَاوِدُ كُفُوهَا حَتَّى إِذَا ظَفِيرَتْ بِيَوْسُفَ غَلَقَتْ أَبْوَابَهَا

[قلت ، ما ذكره المؤلف ابن الخطيب رحمه الله ، في هذا المترجم
 به ، من أنه ينظم الشعر الوَسَطَ ، ظهر خلافه ؛ إذا أثبت له هذه المقطوعة
 الأخيرة . ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجابة كما قال ، وحاز بها
 نطقاً أعلى مما وصفه به . وأما القصيدة الأولى فلا خفاء أنها سهلة المأخذ ،
 قريبة المنزع ، بعيدة من الجزالة . ولعل ذلك كان مقصوداً من ناظمها
 رحمه الله]^(١) .

توفي ببليده عن سن عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين
 وسبعمائة .

(١) وردت هذه الفقرة ابى بن الحاضر بن فى خطوط الإسكندرية فقط . ومن الواضح أنها
 من تعليق الناسخ .

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله بقوله :

يا عين سحى بدمع واكفٍ سرب لحامل الفضل والأخلاق والأدب
بكيتُ إذ ذُكر الموتى على رجل إلى بلى من الأحياء مُنتسب
على الفقيه أبي بكر تضمَّنه رَمْسٌ وأعمل سيرا ثم لم يُؤب
قد كان بي منه وُدُّ طاب مشرعه ما كان عن رغبٍ كلاً ولا رهب
لكن ولا على الرحمن مُحسباً في طاعة الله لم يمدق ولم يشب
فاليوم أصبح في الأجداث مُرتهانا ما ضرت الرياح أملودا من الغضب
إنا إلى الله من فقد الأجابة ما أشدَّ لذعا لقلب الثاقل الوصيب
من للفضائل يُسديها ويُلحمها من للعلى بين مَوروث ومُكتسب
قل فيه أما تصفُ رُكناً لمُنتبذ روضٍ لمُنتجع أنسٍ لمُعترب
باقٍ على العهد لا تننيه ثانية عن المكارم في وِردٍ ولا قُرب
سهل الخليفة بادي البشر مُنبسط يلتقى الغريب بوجه الوالد الحدب
كم غير الدهر من حال فقلَّبيها وحال إخلاصه ممتدة الطنُب
سامى المكانة معروف تقدمه وقدره في ذوى الأقدار والرتب
أكرم به من سجايا كان يحملها وكلها حسنٌ تُنبئك عن حسَب
ما كان إلا من الناس الألى دَرَجوا عقلا وحلما وجوداً هامى السحب بلقعةٍ لكن محامده تبق على الحُقب
أمسى ضجيج الثرى في جنب وإنما صبرها من أعجب العُجب
ليست صباية نفسى بعده عجباً لو غير منعاها نادى الدمع لم يُجب
أجاب دمعى إذ نادى النعى به في كل يوم تناديه الردى اقترب
ما أغفل المرء عما قد أريد به بين البطالة والتسويف واللعب
يا ويحُ نفسى الأنفاس مَضت هدرأ غلظت بل كانت الأيام تهزأ بي
ظننت أنى بالأيسام ذو هزء

أشكو إلى الله فقري من معاملة
 ما المال إلا من الله قوَى فأفلح
 أبا بكر الأَرْضَى نداءً أَخٍ بِأَكِ
 أهلاً بِقَدَمَتِكَ الميمونُ ظاهرها
 نم في الكرامة فالأسباب وافرة
 لله لله والآجال قاطعةٌ ما
 ومن فرايد آداب يُحسبُها
 أما الحياة فقد مُلِّتَ مدتها
 لولا قواطعُ لى أشراكها نُصِبت
 وقلّ ما شُفيت نفسٌ بزورة
 يا نُخْبَةً ضمها تُرْبٌ ولا عجب
 كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا
 عليك منى سلام الله يتبعه

لله أنجو بها في مَوْقِفِ العَطَبِ
 من جاء القِيامةَ ذا مالٍ وذا نَسَبِ
 عليك مدى الأيَّامِ مُكْتَسَبِ
 على محل الرضى والسَّهْلِ والرَّحْبِ
 وربما نِيلَتِ الحُسنى بلا سبب
 بيننا من خطاباتٍ ومن نُطَبِ
 فيودع الشُّهْبُ أَفلاكاً من الكُتُبِ
 فعوَضَ اللهُ منها خير مُنْقَلَبِ
 لَزُرْتُ قَبْرَكَ لا أشكو من النَّصَبِ
 من حِلِّ البَقِيعِ ولكن جُهْدِى أَرَبِ
 إن التراب قديماً مدفن النُّخْبِ
 بينى وبينك ما بقى من الحجب
 حسنُ الثَّنَا وما حيَّيت من كُتُبِ

محمد بن محمد بن شعبة الغسانی

من أهل ألمرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

قال شيخنا أبو البركات في الكتاب « المؤمن » ، من أهل ألمرية ووجهها
 لا حظَّ له في الأدب ، وبضاعته في الطلب مُزَجَاة . قطع عمرة في الأشغال
 المخزنية ، وهو على ذلك حتى الآن . قلت هذا الرجل أحد فرسان الطريقة
 العنكبية . ماضٍ على لين ، متحرك في سكون ، كاسدٌ سوقَ المروعة ، ضانٌ
 بما يملك من جدّة ، مُنْحَطٌّ في هوة اللذة ، غير مُعْرِجٍ على رَيْعِ الهمة ، لطيفٌ

التَّائِي ، مُتَنَزِّلٌ فِي الْمَعَامِلَةِ ، دَمِثُ الْأَخْلَاقِ ، مَلِيحُ الْعَمَلِ ، صَحِيحُ الْحِسَابِ ، مُنْجِبُ الْوَالِدِ .

مشيخته : قرأ علي ابن عبد النور، والقدر الذي يُحس به عنه أخذه .
شعره : من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة :

وَأَقْبَلُ السَّعْدُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْأَمَلُ	وَإِنِّي الْبَشِيرُ فَوَافِي الْأَنْسِ وَالْجَدَلُ
وَإِخْضَرَّتْ مِنْهَا الرَّبِّيُّ وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ	وَرَأَقَتْ الْأَرْضُ حُسْنًا زَاهِرًا وَسَنِيًّا
لَهُ شِعَاعُ كَضْوَى الشَّمْسِ مُتَّصِلُ	وَلَا حُجَّةَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَا فَعْدَا
أَحْشَاؤُنَا بِلَهَيْبِ الشَّقِيقِ تَشْتَعِلُ	مَدَّ غَابَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لَنَا وَغَدَّتْ
عَادَ الظُّلَامُ ضِيَاءً وَانْتَفَى الْخَبَلُ	وَحِينَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِغَرَّتِهِ
مَهْمَى اعْتَرَّتْ شِدَّةٌ أَوْ ضَاقَتْ الْحِيلُ	إِيَّاهُ أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ الرَّجَاءُ لَنَا
نَالَ الْمُنَى وَبَدَأَ عَيْشٌ لَهُ خَضِيلُ	وَأَنْتَ كَهْفٌ مَنِيعٌ مَنَ نَحَاكَ فَقَدْ
مَشِيْدَةٌ قَدْ بَنَّتْهَا السَّادَةُ الْأُولُ	يَا سَيِّدًا قَدْ غَدَا فِي الْمَجْدِ ذَا رُتَبِ
بَاهَتْ بِهِمْ فِي قَدِيمِ الْأَعْصُرِ الدُّوَلُ	بَنُو كُمَاشَةَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ شُهِرُوا
وَالْبَاذِلُونَ نَدَى وَالنَّاسُ قَدْ بُخِلُ	السَّالِكُونَ هَدَى السَّابِقُونَ مَدَى
وَالسَّيِّدُ الْمُرْتَجَى وَالْفَارِسُ الْبَطْلُ	أَنْتَ الْأَخِيرُ زَمَانًا وَالْقَدِيمُ عَلَاءُ
أَضْحَى بِجُودِ يَدَيْكَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ	إِنْ كُنْتَ جِئْتَ أَخِيرًا فَلَقَدْ
مَنْ رَامَ إِحْصَاءَهَا سُدَّتْ لَهُ السُّبُلُ	حُزَّتْ الْمَائِثُ لَا تُحْصَى لِكثْرَتِهَا
وَأَنْتَ تَجْرُ النَّدَى وَالْوَابِلُ الْهَطْلُ	جُزَّتِ الْبُدُورُ سَنِيًّا وَالْفَرَقْدَيْنِ عَلَاءُ
وَجْهٌ طَلِيقٌ وَلَفْظٌ كُلُّهُ عَسَلُ	مَنْ جَاءَ يَطْلُبُ مِنْكَ السَّلَامَ قَابِلَهُ
لَقَدْ تَرَفَّعَ فِي بُرْجٍ لَهُ زُحَلُ	وَمَنْ يَرُدُّ غَيْرَ ذَا تَبَا لَهُ وَرَدَى
وَعِشْتَ فِي عَزَّةٍ تَتَرَى وَتَتَّصِلُ	هَنَّاكَ رَبُّكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نَعْمِ
مَنْ دُونَهَا رَفَعَةٌ فِي الْأَبْرُجِ الْحَمَلُ	وَلَا عَدِمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ مَنَزَلَةً

وَنَحْذُهُ بَعْدَ سَلامَا عَاطِراً أَرِجاً يَدُومُ ما دَامَتِ الأَسْحارُ والأُصُلُ
 مَن خادِمٍ لِعَلائِكُم مَخْلُصٍ لَكُم مَن حُبِّكُم لا يُرى ما عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعلى ما يُؤمِلُهُ فَجُدْ بِهِ فَشِفا المَهِيمِ القُبُلِ
 وفاتهُ ، في أولِ عامِ أربِعةِ وستينِ وسبعمِائةِ .

محمد بن محمد بن العراقي

وادی آشی ، یکنی أبا عبد الله .

حِماله

فاضل الأُبوَّة ، معروف الصَّون والعِفَّة ، بادى الاستِقامة ، دَمِث
 للأخلاق ، حَسَن الأَدوات ، يَنْظِمُ وَيَنْشُرُ ، وَيَجيدُ الحَظَّ ، تولى أَعمالاً نَبِيهَةً ،
 ثم عَلِقَتْ بِهِ الحِرْفَةُ ، فَلَقِنى ضِغْطاً ، وفقد نَشْباً ، واضطُرَّ إلى التَّحوُّلِ
 عن وِطْنِهِ إلى بَرِّ العُدُوَّةِ عامِ ستَّةِ وخمسينِ وسبعمِائةِ ، وتُعرَّفُ لَذا العَهدِ
 أَنَّهُ تولى الأَشغالَ بِقُسْطِ مَدِينَةِ المِوَاءِ^(١) مَن عَمِلَ إِفْرِيقِيَّةَ .

شعره

كُتِبَ إِلىَّ وَقَد أَبى عَملاً عُرِضَ عَلَيْهِ :

أَصَمْتُ أَلْفاً ثُمَّ أَنْطَقَ بِالخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفاً ثُمَّ آنَسُ بِالْجِلْفِ
 وَأُهْسِكُ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ عَلْقَمًا وَيَمْحَقُ بَدْرِي ثُمَّ أَلْحَقُ بِالْخَسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لا كُنْتُ بِالذُّلِّ عاهلاً وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَمِي إِلى حَتْفِ
 فَإِنْ تُعَدِلُونِي فِي تَصَرُّفِ عِزَّةٍ وَعَدَلِ وَإِلَّا فَاحْسِدُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
 بِقِيَّتِ وَسُحْبِ العَطْفِ مِنْكُمْ تُظَلِّئِي وَعَطْفُ ثَنائِي دائِمًا ثَاني العَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسنطينة (معجم البلدان - مصر - ج ٧ ص ٨٩) . وهي اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن قُرتون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا

أوليتته

يُنسب إلى القاضي ببَطْلَيْوُس ، قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سَلَفِهِ تدل على نباهة ، وقد قيل غير ذلك . والنص الجلي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صَدْرُ نَمَطِهِ ، وفريدُ فَنِّهِ ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعاً وإدراكاً
وتجلداً وصبراً . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطُّلب والخصُوصية ، ورحل
إلى الحجاز الشريف في فتايه^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سُنن من السُّرو^(٢) والحشمة ، فذاً في الكفاية ، جرياً مقداماً
مهيباً ، ظريف الشَّارة ، فارِه المَرَكب ، مليح الشَّيبة ، حسن الحديث ،
وقاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية ،
بعبادة باهظة ، وأوراد ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبكاء النَّاسِك ،
في حالة واحدة ، هساً ، مفرط الجِدَّة ، يَشُرُّد عليه مَجْلُ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سابعه) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصبر) والاولى أرجح وأنسب للسائق .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مجد) والاولى أرجح .

وَنُحِذُهُ بَعْدَ سَلَامَا عَاطِرًا أَرْجَا يَدُومُ مَا دَامَتِ الْأَسْحَارُ وَالْأَصْلُ
 مِنْ خَادِمٍ لِعِلَّاكُمْ مَخْلُصٍ لَكُمْ مِنْ حُبِّكُمْ لَا يُرَى مَا عَاشَ يَنْتَقِلُ
 تَقْبِيلُ كَفِّكَ أَعْلَى مَا يُؤْمَلُهُ فَجُدْ بِهِ فَشِيفَا الْمَسَايِمِ الْقَبْلُ
 وَفَاتِهِ ، فِي أَوَّلِ عَامٍ أَرْبَعَةَ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةَ .

محمد بن محمد بن العراقي

وادي آشي ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

فاضل الأبوة ، معروف الصون والعفة ، بادي الاستقامة ، دمث
 الأخلاق ، حسن الأدوات ، ينظم وينثر ، ويجيد الخط ، تولى أعمالاً نبهية ،
 ثم علقبت به الحرفة ، فلقى ضغطاً ، وفقد نشباً ، واضطر إلى التحول
 عن وطنه إلى بزّ العُدوة عام ستة وخمسين وسبع مائة ، وتعرف لهذا العهد
 أنه تولى الأشغال بقسنطينة الهواة^(١) من عمل إفريقية .

شعره

كتب إلى وقد أبي عملاً عرض عليه :

أَصَمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقَ بِالْخُلْفِ وَأَفْقِدُ أَلْفًا ثُمَّ آنَسُ بِالْجِلْفِ
 وَأَهْسِكُ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ عَلَقْدًا وَيَمْحَقُ بَدْرِي ثُمَّ أَلْحَقُ بِالْخَسْفِ
 وَعَزُّكُمْ لَا كُنْتُ بِالذُّلِّ عَاهِلًا وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَمِي إِلَى حَتْفِ
 فَإِنْ تُعْمَلُونِي فِي تَصْرُفٍ عَزَّةٍ وَعَدَلٍ وَإِلَّا فَاحْسِدُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
 بَقِيَّتِ وَسُحِبَ الْعَطْفِ مِنْكُمْ تُظَلُّنِي وَعَطْفُ ثَنَائِي دَائِمًا ثَانِي الْعَطْفِ

(١) هكذا كانت تسمى مدينة قسنطينة (معجم البلدان - مصر ج ٧ ص ٨٩) . وهي اليوم من مدن الجزائر الزاهرة .

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن
عبد الله بن قُرتون الأنصاري

من أهل مالقة ، يكنى أبا القاسم ويعرف بالهنا

أولَّيته

يُنسب إلى القاضي ببَطْلَيْوُس : قاضي القضاة رحمه الله . وبمالقة
دورٌ تنسب إلى سلفه تدل على نباهة ، وقد قيل غير ذلك . والنص الجلي
أولى من القياس .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية . صدرُ نمطه ، وفريدُ فنّه ، رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعاً وإدراكاً
وتجلداً وصبراً . نشأ بمالقة ، معدوداً في أهل الطلب والخصوصية ، ورحل
إلى الحجاز الشريف في فتاياه^(١) ، فاستكثر من الرواية ، وأخذ عن أكابر
من أهل المشرق والمغرب ، حسبما يشهد بذلك برنامجه .

وكان على سنن من السُرور^(٢) والحشدة ، فذاً في الكفاية ، جرياً مقداماً
مهيباً ، ظريف الشارة ، فاره المَرَكب ، مليح الشببية ، حسن الحديث ،
وقاد الذهن ، صابراً على الوظائف ، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية ،
بعبادة باهظة ، وأوراد ثقيلة ، ويجمع ضحك الفاتك ، وبكاء الناسك ،
في حالة واحدة ، هساً . مفرط الجدة ، يشرُد عليه مجلٌ^(٣) لسانه في

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سباه) والله دى واحد .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العبير) والاولى أرحح وأنسب للدين .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مجد) والاولى أرحح .

المجالس السلطانية بما تعرفه المندمة بسببه . قاوما على حمظ القرآن وتجويدة وتلاوته . ذا خصال حميدة . صنَّاع اليد ، مقتدرا على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب . معدودا من صُدُور الوقت وأعلام القطر ، ورجال الكمال .

مشيخته

أخذ عن الجلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي ، لازمه وانتفع به ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى أخذ عنه ^(١) ، والولي أبي عبد الله الطنجالي ، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدوة والأندلس والمشاركة .

محتته

لقى نصبا في الخدمة السلطانية ، وغضا من الدهر لبأوه ، بتعنته وعدم مبالاته مرات ، ضيق لها سجنه ، وعرض عليه النكال ، ونيل منه بالإهانة كل منال ، وأغرم مالا أجحف بمحتجته ، وعرض للأيدى نفايس كتبه ، وعلى ذلك فلم يدعر سربه ، ولا أضعفت النكبة جاشه . ولد عام ثلاثة وسبعين وستماية . ومات ميتة حسنة . صلى الجمعة ظهرا ، وقد لزم الفراش . ونفت دم الطاعون . ومات مُستقبل القبلة . على أتم وجوه التأهب ، سابع شوال من عام خمسين وسبعماية .

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة . يكنى أبا القاسم . أزدى النسب . إشبيلي الأصل .

من بيت نزاهة ونباهة .

(١) ورد بعد هذا الاسم في مخطوط الربوة ما يبي (ومن أهل السرف جبار الله بن الدين ، وأبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن القرشي الدلاصي ، قرأ عليه القرآن بالحرم الشريف) .

حاله

كان فاضلاً وقوراً سَمِحاً ، مليح الدُّعابة ، عذبُ الفكاهة ، حُلُو النادرة ،
يكتُبُ ويُشعر . طِرْفاً في الانطباع واللُّوذة . آيةً في خلط الجدِّ بالهزل .
وُلِّي الإشراف بمدينة مالقة ، وتقلَّب في الشهادة المَخزنية عُمره .

شعره

من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم رحمه الله :
فؤادى من خَطْب الزمان سَقِيم وفيه لسَهْم الحادثات كلُّوم
ولم أشكُ داي في البرية لأمري أشكو به وابن الحكيم حَكِيمُ
توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين
وسبعمائة .

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو

حاله

كان راويةً ثقةً ، بارع الأدب ، بليغ الكتابة . طيب النفس ، كامل
المروءة ، حَسِن الخلق . جميل العشرة ، تلبس بالأعمال السلطانية دهرا ،
ووُلِّي إشراف غرناطة وغيرها ، إلى أن قَعَد لشكاية منعه من القيام والتَّصَرُّف
فَعَكَّف على النَّظر ، فانتفع به .

مشيخته

كانت له رِحْلة سَمِع فيها بالأسكندرية علي أبي عبد الله بن منصور
وغيره ، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن ابنا صالح بن سالم .

تواليفه

له اختصار حسن في « أغاني الإصبهاني » ، وردَّ جيّد على ابن غرسيّة في رسالته الشعوبية^(١) لم يقصّر فيها عن إجادة .
وتوفى لسبع خلون من محرم من عام اثنين وسماية .

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء

وأولا الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالصنّاع .

حاله

من « عايد الصلة » : الشيخ الصوفي ، الكثير الأتباع ، الفدّ الطريقة المُجَبَّب إلى أهل الثغور من البادية . كان رحمه الله شيخاً حسن السمّت ، كثير الذّكر والمداومة ، يقود من المُخشوشين عددَ ربيعة ومضر ، يعمل الرّحلة إلى حُصونهم ، فيتألّفون عليه ، تألّف النّحل على أمرها ويعاسيها ، مُعلنين بالذّكر ، مهرولين ، يغيثون مشواه ، بأقواتهم على حالها ، ويتناغون

(١) ابن غرسيّة ، هو أبو عامر بن أحمد ، وهو مولد أندلسي من كتاب شرق الأندلس ، وقد نشأ بدانية في كنف محاهد العامري صاحب مملكة دانية والجزائر (٤٠٠ - ٤٣٦ هـ) ، واشتهر برسالته في « تفضيل العجم على العرب » التي وجهها إلى ابن الحداد الشاعر ببلاط المعتصم بن صمّاح أمير ألمرية . وهذه الرسالة نفيض تحاملا ضد الجنس العربي ، وتبالغ في تعداد نفاذته ومثالبه . وتشيد بالعكس بصفات العجم (أي الروم أو النصارى) . وقد كان لرسالة ابن غرسيّة وقع عميق في سائر الأوساط الفكرية والأدبية في عصره وبعد عصره ، ورد عليه كثيرون من المفكرين والأدباء في رسائل عنيفة يسفهون فيها آراءه واتهاماته للجنس العربي (راجع كتابي دول الطوائف - الطبعة الثانية ص ٢٠٤ - ٢٠٨ - ونص رسالة ابن غرسيّة في نفس الكتاب (ص ٤٥٥ - ٤٥٩) .

في التماس القرب منه ، وبياشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة . وكان من الصالحين ، وعلى سُنن الخيار الفضلاء من المسلمين ، وله حظٌّ من الطَّلب ومشاركة ، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه ، ويتكلم في طريق المتصوِّفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه ، كالأما جهوريا ، قريب الغمر^(١) . وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافتَ على دفاتيرها ، وأهل مُنتحليها ، ليستعين بها بزعمه على آماله الخيريَّة ، فلم يَحُلْ بطايل .

مشيخته

قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له في حاله فِراسة . حدَّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي رحمه الله . وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي .

وتوفى ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال ، قدِم لها العهد ، ونفَر لها الناس من كل أوب ، وجيء بسريره ، تلوح عليه العناية ، وتحفُّه الأتباع المقتاتون من حِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية ، فتولوا مواراته ، تعلقوا الأصوات حوله ، ببعض أذكاره .

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالمواق .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (القصر) .

لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي^(١) . قال : ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى ، ينتسبون إليه ، ويَجْرُونَ من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته ، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار ، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق ، وملازمة الوظائف ، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين ، كتاب سماه « بالأنوار في المخاطبات والأسرار » مضمّنه جملة من كلام شيخهم تاج الدين ، وكلام أبي الحسن الشاذلي ، ومخاطبات خوطب بها في سرّه ، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي ، وحقايق الطريق ، وبعض كرامات غير مَنْ ذُكِرَ من الأولياء ، وذكر الموت ، وبعض فضائل القرآن .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه ، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك ، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه ، ثم رحل فحجّ ودخل الشام ، وعاش مدة من حراسة البساتين ، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة ، وكان ملياً بأخبار من لقي منهم ، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله ، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي ،

مناقبه

قال ، دخلت معه إلى من خفّ على قلبي الوُصُول إلى منزله لما قدم المرية . وهو رجل يعرف بالحاج رحيب ، كان من أهل العافية ، ورقّت حاله ، ولم يكن ذلك يظهر عليه . لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته ، ولم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله ، بل أثاث العافية باق فيه من

(١) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال ، وساقط في الزيتونة .

فَرِيشٍ وَمَاعُونَ . فساعة وصول هذا الشيخ ، قال الله يجبرُ حالك ، فحسبتُها
فراصة من هذا الشيخ . قال ، وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات :

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكهُ ما لم يُرد من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبُ أهسواءٍ فيقلقه هذا ويأخذه هذا ويتسركه
طوراً يؤمنهُ طوراً يُخوفُـه طوراً يُيقنهُ طوراً يُشككُه
حيناً يوحشه حيناً يونسُه حيناً يسكنُه حيناً يحركُه
عسى الذى يمسك السبع الطِّباق على يدك يا مُطلع الأنوار يمسكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزُخرفها مهمى أبيضه بالذكر تُسركه
عسى الذى شانهُ السُّرَّ^(١) الجميل كما غطى عليه زماناً ليس يهتكه

فلما قرأ منها ، فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها ، قال هذه عِلَّتِي .

مولده : سألتُه عنه ، فقال لي عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم
وفاته : بقرية قنجة^(٢) خطيباً بها ، يوم الإثنين عشرين من شهر
شعبان المكرم عام خمسين وسبع مائة ، في الوباء العام ، ودفن بقرية قنجة ،
رحمة الله عليه ورضوانه .

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد

ابن صفوان القيسى

وبيته شهير بمالقة يكنى أبا الطاهر ، ويعرف بابن صفوان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، ووردت في الزيتونة (قرنجة) والأولى أرحح نظراً

لما تقدم من أن المترجم له يشهر (بالقونجى) .

حاله

كان مفتوحاً عليه في طريق القوم ، مُلْهِماً لرموزهم ، مصنوعاً له في ذلك ، مع المحافظة على السُّنة ، والعمل بها . آخر الرَّعيل ، وكوكبَ السُّحر ، وفذلِكَ الحساب ببلده ، اقتداءً وتخلُّقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادةً ونصحاء . رَحَلَ فحجَّج ، وقفل إلى بلده ، مؤثراً الاقتصار على ما لديه ، فإذا تكلم في شيءٍ من تلك النُّحلة ، يأتى بالعجائب ، ويفكُّ كل غامض من الإشارات . وعُني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الروبي المسمى « بمنازل السَّارى إلى الله » فقام على تدريسه ، واضطلع بأعبائه ، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولوا العناية ، ولازمه الجُملة من أولى الفضل والصلاح ، فانتفعوا به ، وكانوا في الناس قُدوة . وولى الخطابة بالمسجد الجامع من الربض الشَّرقي ، وبه كان يقعد ، فيقصدُه الناس ، ويتبركون به ، وكان له مشاركة في الفقه ، وقيامٌ على كتاب الله .

تواليفه

ألَّف بإشارة السلطان على عهده . أمير المسلمين أبي الحجاج رحمه الله ، كتاباً في التَّصوُّف والكلام على اصطلاح القوم ، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب بظهره ، لما وقع عليه ، هذه الأبيات :

أيام مولاي الخليفة يوسف	جاءت بهذا العالم المتصوِّف
فكفى بما أسدى من الحكم التي	أبدين من سرِّ الطريقة ماخف
وحقايق رُفَع الحجاب بهن عن	نور الجمال فلاح غير مكيف ^(١)
كالشمس لاكن هذه أبدى سناً	للحسن والمعنى لعين المنصف

(١) هذه الأبيات الثلاثة فقط هي التي وردت في الزيتونة من قصيدة ابن الجيَّاب .

فيه حياةٌ قلوبنا ودواؤها فمن استغاث بجرعة منها شف
 إن ابن صفوان إمام هداية صافي فصوفي فهو صوفي صاف
 وإن اختبرت فإنه صفو ابن صفو ظاهر في طيبه صفو خف
 علم توارثه وحال قد خلت ذوقاً فنعم المقتدى والمقتسف
 فليهنلي المولى سُعود إيالة فيها سراج نوره لا ينطف
 جلي وجوه شريعة وحقيقة صبحاً سناه باهر لا يخف
 لازلت تسلك كل نهج واضح منها وتحبي كل سعى مزلف
 ومن تواليفه « جرُّ الحرِّ » في التوحيد ، وعلّق على الجزء المنسوب لأبي
 إسماعيل الهروي .

من أخذ عنه

أخذ عنه ببلده ، وتبرّك به ، جلة ، وكان يحضر مجلسه عالم ، منهم
 شيخ الشيوخ الأعلام ، أبو القاسم الكسكلان ، وأبو الحسين الكواب ،
 والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان ، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال
 والعابد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم .

شعره

رأيت من الشعر المنسوب إليه ، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا .
 يُذيل قول أبي زيد رضي الله عنه :
 رأيتك تُذنيني إليك تُباعدي فأبعدت نفسي الابتغاء التقرب^(١)
 فقال :

هويت بدمني إليه فلم يكن بي البعد في بعدى فصَحَّ به قرب

(١) وردت في الإسكوريال (لابنغاي في القرب) وهو تحريف . والتصويب من الرينونة

فكان به سَمعى كما بَصَرى به وكان به لَأى لِسانى مع القلب
فقرَّبى به قُربٌ بغير تباعد وقُرَّبى فى بُعدى فلا شىء من قُرب

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة فى بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحراً يرتاد ماءً لوضويه . فتردى فى حفرة تردباً أوهن قواه ، وذلك بخارج بلدش ، فرُدَّ إلى مالقة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلى .

حاله

من « عايد الصلة » : المثل السائر فى عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المُجاهدة . قطع عمره فى التَّبَتُّل والتَّهَجُّد لا يفتتر لسانه عن ذكر الله ، والصلاة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوك والده ، واقتصر على التَّمَعُّش من جِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدَّها إلى النَّسْخ والتَّعْلِيم : وسلك على الشيخ أبي القاسم المُريد ، نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيا الصالحين ، وأقام عمره مُستوعباً ضروب الخير : وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكور ، ونسخ وقراءة ، وملازمة خَلْوَةٍ . ذا حظٌّ من الفصاحة . وجُرْأَةٌ على الوعظ ، فى صوت جَهِير ، وعارِضَةٌ صَلِيبَةٌ . اقتدى به طوايف من أصناف الناس على تباعد الدِّيار ، وألزَمَهُم الأذكار . وحوَّلَهُم للسلوك ، فأصبح كثير الأتباع ، بعيد الصِّيت . ووُلَّى الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نبوةٍ عرضت له بسبب ذنابي
ذرية طرقتوا الكدر إلى سربه^(١) ، ثم عاد إلى بلده متين ظهر الخطوة ،
وثيق أساس المبرة .

مشيخته

قرأ ببليده مألقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ،
وأبي عبد الله بن لب ، وأبي جعفر الحرار ، وأبي عبد الله بن الحلو ،
والخطيب أبي عبد الله بن الأعور .

محنته

ابتلى بعد السبعين من عمره بفقْد بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر
والرضاء بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان
يقول ، سألت الله أن يكف بصرى خوفاً من الفتننة . وفي هذا الخبر نظر
لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع
بالإسراع والإبصار .

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق ، الملوك فَمَنّ دونهم ، من تعظيمه
ما لا شيء فوقه ، حتى أن الشيخ المعمر الحجّة الرحلة أبا علي ناصر الدين
الرشدالي كتب إليه من بجاية بما نصه : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضّر ،
وجينا ببضاعة مُزجاة ، فداؤف لنا الكيّل ، وتصدّق علينا ، إن الله يجزي
المتصدّقين . وبعده : من العبد الأصغر والمُحِب الأكبر فلان ، إلى سيّد
العارفين ، وإمام المحققين ، في ألنماظ تناسب هذا المعنى .

حدّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

فكان به سَمْعِي كما بَصْرِي به وكان به لَأْيُ لِسَانِي مع القلب
فَقُرْبِي به قُربٌ بغير تباعد وَقُرْبِي في بُعْدِي فلا شَيْءَ من قُرْب

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها ، وذهب سَحْرًا يرتاد ماءً لوضوئه . فتردى في حفرة تردبًا أوهن قواه ، وذلك بخارج بَلَّش ، فرُدَّ إلى مالقة ، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعماية .

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « عايد الصلوة » : المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة ، وصبره على المُجاهدة . قطع عمره في التَّبَتُّل والتَّهَجُّد لا يفتُر لسانه عن ذكر الله ، والصلوة على نبيه ، صلى الله عليه وسلم . خرج عن مَتْرُوك والده ، واقتصر على التَّمَعُّش من حِرْفَةِ الخياطة . ثم تعدّاها إلى النَّسْخ والتَّعْلِيم . وسلك على الشيخ أبي القاسم المُريد ، نفع الله به ، حتى ظهرت عليه سِيَا العِصَالِحِينَ ، وأقام عمره مُسْتَوْعِبًا ضروب الخير : وأنواع القُرب من صوم وأذان وِذْكَر ، ونَسْخ وقراءة ، وملازمة خُلُوة . ذا حظٌّ من الفصاحة . وجُرْأَة على الوعظ ، في صوت جَهِير ، وعارِضَة صَلِيْبَة . اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الدِّيار ، وألزمهم الأذكار . وحولهم للسلوك ، فأصبح كثير الأتباع ، بعيد الصِّيت . ووُلِّي الخطابة بالمسجد الجامع من

بلده ، ونُقل إلى الخطابة . بجامع غرناطة في نبوةٍ عرضت له بسبب ذنابي ذرية طرَقوا الكَدْرَ إلى سِرِّهِ^(١) ، ثم عاد إلى بلده متيناً ظَهَرَ الحُطْوَةَ ، وثيق أساس المَبْرَةَ .

مشيخته

قرأ ببِلده مألقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن لُب ، وأبي جعفر الحرَّار ، وأبي عبد الله بن الحُلُو ، والخطيب أبي عبد الله بن الأَعْوَر .

محتسه

ابتلى بعد السبعين من عمره بفقد بصره ، فظهر منه من الصبر والشكر والرضاء بقضاء الله ، ما يظهر من مثله . وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول ، سألت الله أن يكفَّ بصري خوفاً من الفتنه . وفي هذا المخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية ، والإمتاع بالابصار .

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق ، الملوك فَمَنَ دونهم ، من تعظيمه ما لا شيء فوقه ، حتى أن الشيخ المُعَمَّر الحُجَّةَ الرَّحْلَةَ أبا علي ناصر الدين الوشداً إلى كتب إليه من بجاية بما نصمه : يا أيها العزيز مسناً وأهلنا الضُّر ، وجينا ببضاعة مُزجاة ، فأوفِّ لنا الكَيْل ، وتصدق علينا ، إن الله يعجزى المتصدقين . وبعده : من العبد الأصغر والمُحِبِّ الأكبر فلان ، إلى سيد العارفين ، وإمام المحققين ، في ألفاظ تناسب هذا المعنى .

حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب ، وكان من أعلام تلاميذه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شرفه) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

وصدور السالكين على يديه - قال قصدت منه خلوة ، فقلت يا سيدى .
 أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبرنى وأشف
 صدرى هل هذد الرؤيا عينية أو قلبية ، قال ، فأفكر^(١) ساعة ، ثم قال ،
 عندى شك فى رؤية ابن الجيَّاب الساعة ومحدثته ، فقلت لا ، فقال كذلك
 الحال ، قلت وهذا أمر غريب ، ولا يصح إلا رؤية القلب ، ولكن غلبت
 عليه حتى تخيَّل فى الحسُّ الصورة الكريمة ، إذ وجود جوهر واحد فى
 محلين اثنين محال .

شعره

نظم الكثير من شعر مُنحط لا يصلح للكتِّب ولا للرواية ، ابتلى به
 رحمه الله ، فدن لبابه قوله ، وهو من الوسط :

إن كنت تأمل أن تنال وصالهم فامحُ الهوى فى القيل والأفعال
 واصبر على مرِّ الدواء فإنسه ياتيك بعدُ بخالص السُّلسال
 تواليفه : ألف كتاباً سماه « إعلان الحجَّة فى بيان رسوم الحجَّة » .
 توفى يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعماية ،
 وكانت جنازته مشهودة ، تراحم الناس على نعشه ، وتناولوه تمزيقاً على
 عادتهم من ارتكاب القحَّة^(٢) الباردة فى مسلاخ حُسن الظن .

محمد بن أحمد بن قاسم الأمى

من أهل مالقة . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالقطان ، الفقيه الأواب
 المتكلم المجتهد .

(١) عبادى الإسكوريال والريثونة .
 (٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الحجَّة الباردة) .

حاله

من « العايد » : كان هذا الرجل غريب المنزَع ، عجيب التَّصَوُّف . قرأً وعقد الشروط ، وتصدَّر للعدالة ، ثم تجرَّد ، وصدق في معاملته لله ، وعول عليه ، واضطلع بشروط التَّوْبَةِ ، فتحلَّل من أهل بلده ، واستفاد واسترحم ، واستغفَرَ ، ونَفَضَ يديه من الدُّنْيَا ، والتزم عبادة كبيرة ، فأصبح يُشار إليه في الزُّهْدِ والوَرَعِ ، لا تراه إلا متبسِّمًا ، ملازمًا لذكر الله ، متواضعًا لأصاغر عبادِه ، محبًا في الضُّعْفَاءِ والمساكين ، ، جميل التَّخَلُّقِ ، مُعْضِيًا عن الهِنَاتِ ، صابراً على الإفادة . وجلس للجُمُهور بمجلس مألقة ، يتكلم في فنون من العلم ، يعظُّ الناس ، ويُرشدهم ، ويُزهدهم ، ويحملهم على الإيثار ، في أسلوب من الاستنفار^(١) والاسترسال ، والدلالة ، والفصاحة والحفظ ، كثيرُ التَّأثيرِ في القلوب ، يخبر بإلهام وإعانة . فمال الخلق إليه ، وتزاحموا على مجلسه ، وأعلنوا بالتَّوْبَةِ ، وبادر مُتَرْفُوهِم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات ، والاستقالة من الزَّلَّاتِ . ودَهَمَ الوَبَاءُ ، فبذلوا من الأموال في أبواب البرِّ والصَّدَقَةِ ، ما لا يأخذه الحَضْرُ ولا يُدرکه الإحصاء ولولا أن الأجل طرَّقه ، لعظُم صيته ، وانتشر نفعه .

وفاته

توفي شهيد الطَّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفَر من عام خمسين وسبعماية ، ودفن بجبانة جبل فارِه^(٢) ، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته . وصلى عليه خارج باب قِنْتِيْنَالَةِ ، وألحده في قبره الخطيب البغدادي الصالح ، أبو عبد الله الطَّنْجَالِي ، رحم الله جميعهم .

(١) وردت في الإسكوريال (الاستنفار) . وفي الزيتونة (الاستعار) .
السويب أرجح .

(٢) جبل فارِه وبالإسبانية Albralfaro ، هو الجبل الذي كان على ما كان الجوار وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

ومن رناهُ الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال :

وغير قلبي من كلوم تترجم	[أبعد ولي الله دمعي يسبحم
لذاك جفوني دمعتها كلهم (١)	فؤادي مكلوم بحزني لفقدته
وماذا عسى يجدي الأسي والتبرم	وماذا عسى يُغني التفجع والبكا
فصبر الفتى عند الشدايد يُعلم	سأصبر للبلوى وإن جلَّ خطبها
كذا العلم بالسيف الصقيل لدى	الوغي فويق الذي من حسنه يُوسم
خطوب من الدنيا على الناس تعظم	على قدر صبر المرء تصغر عنده
ومخمة أحلام لمن بات يحلم	إلا إنها الدنيا تعلقة باطل
وأغرق فيها الجاهلون وأشام	تجنبها أهل العقول فأقصروا
وانس بما تقضى عليك وتحكم	أعد نظراً فيها تجبك براحة
من البؤس والتلويح والله أرقم	أعد لها درياق صبرك إنها
وماذا بها يلقي كئيب ومغرم	تلفت إلى تعذيبها لمحبتها
ولا منتهى إلا الردى والتندم	يظن بها ريحانة وهي سدرة
وذلك لأننا في الحقيقة نُوم	عجبت لها تخفى علينا عيوبها
على عاجل من وصلها يتصرم	أليس عجيباً أن يعول عاقل
ولكنه صرف للدهر أذوم	وما وصلها معشار عشر ضادورها
فدا إن لنا منها يسدوم التيسم	إذا ابتسدت يوماً ترقب عبوسها
فلم يمس حتى بان منه التعجبم	ضحى كان وجه الدهر سبر بشره
مكين لدى العلياء سام معظم	درينا بهند من ولي مكانه
فجملنا ليل من الخطب مظلم	هوى مثل مادي من الأفق كوكب
وعاليتها النحر يسر والمتعلم	تساوت لديها صيدها وعبيدها

(١) ورد في الزيتونة هذان البيان فقط من التصيدة .

هو الموت لا ينفكُ للخلق طالبا
وما هو إلا الداء عَزَّ دواؤه
دها كلُّ مخلوق فما منه سيدٌ
ولو كان ذا كان النبي محمد
تعتى به موسى ويوسف قبله
به باد بهرام وتبرُّ بهم
وكم من عظيم الشأن حلَّ بربعه
ولكننا ننسى ونأبى حديثه
فحتى إذا حلَّ ساحة ماجد
نسينا حديث الموت جهلاً بغيره
وفاة ورعى في التراب مؤسدا
خبا ضوء نادى أقفر ربعة
تردى فأردى فقداه أهل ربة
غدا أهلها من فجعة بمصابه
وهل كان إلا والد مات عنهم
قضى نخبه الاستاذ واحد عصره
قضى نخبه القطان فالحزن قاطن
وهل كان إلا روضة رفَّ ظلها
وهل كان إلا رحمة عاد فقداه
سأل التائبين العاكفين على الهدى
أفادهم من كلِّ علم لبابه
جزى الله ربَّ الناس خيرا جزائه
أبان لهم طرُق الرشاد فأقدّموا

يروح ويغدو كلَّ حين عليهم
فليس لشيء في البسيطة يحسم
له الجاه عند الله ينجو فسلم
تجنبه صلوا عليه وسلم
ونوح وإدريس وشيث وادم
وكسر من كسرى سوار ومعصم
فإن تختبره فهو ربُّ وأعظم
ونجد في الإعراض عنه ونتهم
نطلُّ بها من حسرة نتسكلم
فألهمنا إذ هزنا منه ملهم
وأثاره فوق السماك تخيم
من العلم والتعليم ربع ومعلم
فما منهم إلا كئيب ومغرم
وعيشهم صاب قطيع وعلقم
فيا من لقوم يتموا حين أو يتم
فكاد الأسي يقضى إلى الكل منهم
مقيم بأحناء الضلوع مُحكم
أتيح له قيظ من الجون صيلم
علامة فقد العلم والله أعلم
لكم منة أسدى وأهدى إليهم
وفهمهم أسراره فتفهم
دليلا بهم نحو الهدى حيث يم
وحذرهم عن كل غي فأحجم

وجاء من التعلیم للخیر كله
فصاحة ألفاظ وحسن عبارة
يُصيب فلا يخطئ إذا مقصدا
يحدث في الآفاق شرقاً ومغرباً
سرى في الوری ذكر له ومدايح
لعهرك ما يأتي الزمان بمثله
فقيه نزيه زاهد متواضع
يود لو ان الناس أئرى جميعهم
يود لو ان الله تاب على الوری
عليه من الرحمن أوسع رحمة

بأبين من يأتي به من يعلم
مضى كما ينضى الحسام المصمم
ولمن يجيب فلا يبطل ولا يتلعم
فأخباره أضححت تخط وتروم
يكاد بها طير العلى يتروم
وما ضرني لو كنت بالله أقسم
رؤوف عطوف مشفق مترحم
فلم يبق مسكين ولم يبق معدم
فتابوا فما يبق من الكل مجرم
فقد كان فينا الدهر يحنو ويرحم

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد

ابن عبد الرحمن ابن حميد الهاشمي الطنجالي

لوشى^(١) الأصل ، مالقي النشأة والاستيطان .

أوليتسه

[بيتهم نبيه إلى هاشمية النبه]^(٢) وهم ببلدنا لوشة أشراف ، وكانت لهم فيها ثروة وثورة ، اجتثها الدهر ببعض طوارقه ، في أبواب المغالبات . وامت سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعى طولاً ، وانتقل خلفهم إلى مالقة .

(١) لوشى أى نسبة إلى لوشة Lota وهي بلد ابن الخطيب وهي تقع غرب غر ناطة جنوبي نهر

شليل .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال وفي الزبيرية دت كالتالي : (بيتهم

ينسب إلى الهاشمية أهل بيت نبيه) .

حاله

من « عايد الصلة » : كان هذا الوالي الفاضل ، المُجمَع على ولايته وفضله ، سهل اللقائ ، رفيقاً بالخلق ، عَطُوفاً على الضعفاء ، سالكاً سُنن الصَّالح من السَّلف ، سَمْتاً وَهَدِيّاً ، بصره مغضوض ، ولسانه صامت ، [إِلَّا من ذكر الله ، وعلمه نافع]^(١) وثوبه خَشِن ، وطعمته قد نَفِدها الورعُ الشَّدِيد ، حتى اصْطَفاها مختارة ، إذا أَبْصرت بها العينُ ، سَبَقَتْها العَبْرَةُ . بلغ من الخَلْق ، الملوكَ فَمَنْ دونهم الغاية ، فكان يلجأُ إليه المضطرُّ ، وتُمدُّ إلى عناية الأيدي ، وتُحطُّ بفنايه الوسائل ، فلا يَرْتفع عن كُلفِ الناس ولا حوايجهم ، ولا يَنْقَبِضُ عن الشَّفاعة لهم ، وإصلاح ذات بينهم . له في ذلك كلُّه أخبارٌ طريفة . واستعمل في السَّفارة بين ملكي العُدوة والأندلس ، في أحوال المسلمين ، فما فارق هيئته ، وركوبَ حِماره واستيْصحاب زاده ، ولبس الخَشِن من ثوبه . وكان له حظٌّ رَغيبٌ من فقه وحديث ، وتفسير ، وفريضة . ولى الخطابة ببلده مالقة ، واستسقى في المُحول ، فسقى الناس .

حدَّثني بعضُ أشياخنا : قال ، حضرت مُقامه ، مُسْتَسْقِيّاً ، وقد امتنع الغيث ، وقحط الناس ، فما زاد عند قيامنا أن قال ، أستغفر الله ، فوضِح الخَلْقُ بالبكاء والعجيج ، ولم يَبْرَحوا حتى سُقوا . وكراماته كثيرة ، ذابعة من غير خلاف ولا نزاع .

حدَّث بعضُ أشياخنا عن الخطيب الصَّالح أبي جعفر الزيات ، قال رأيت في النَّوم قايلاً يقول . فقيد الليلة من يَعْبُرُ بَيْت الإخلاص بالأناليس . فما انتصف النهار ، من تلك الليلة . حتى وَرَدَ الخبر بَوْتِه .

(١) ما بين الحاصرتين وورد في الزنونة ، وساقط في الإيكور بال .

مشيخته

من شيوخه الذين قرأ عليهم ، وأسند إليهم الرواية والده رحمه الله ، وأبو عمرو بن حوط الله ، والخطيب ابن أبي ربحانة المرزبلي ، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص ، والراوي أبو الوليد بن العطار ، والراوي المحدث أبو بكر بن مشليون ، والمقرئ أبو عبد الله بن مستقور الطائي ، والاستاذ أبو جعفر الطباع ، وأبو الحسين بن أبي الربيع ، والمحدث أبو عبد الله بن عياش ، والاستاذ أبو الحسن السفاج الرندي ، والخطيب بذلمرية أبو الحسن الغزال . وقرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير . وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رزيق الشافعي ، والعباس أحمد ابن عبد الله بن محمد الطبري ، وأبو اليمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات المعروف بالنجم ، والحسن بن هبة الله بن عساكر ، وإبراهيم بن محمد الطبري إمام الخليل ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطبري ، ومحمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي وغيرهم .

ميلاده : بمالقة في رجب سنة أربعين وستائة .

وفاته : بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعماية . وقد ناهز الثمانين سنة ، لم ينتقص شيء من أعماله المقربة إلى الله . من الصوم والصلاة ، وحضور الجماعات ، وملازمة الإقراء والرواية ، والصبر على الإفادة .

حدث من يؤتى به . أن ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه . وهو في

حال النَّزْع ، وَالْمَنِيَّةُ تُحْشَرُجُ فِي صَدْرِهِ ، فَقَالَ يَا وَالِدِي أَوْصِنِي ، فَقَالَ
وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ ، يَا وَلِدِي اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ كُنْتَ [وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ
تُمَجِّحُهَا]^(١) ، وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي^(٢) ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات . وقد مرَّ في ذكر النسب المتَّصل بعباس
ابن مرداس ، والأولوية النبوية ما يُغني عن الإعادة .

حاله

من خطِّ ولده شيخنا على الاختصار ، قال يخاطبني في بعض ما كتب
به إلى : ذكر أبي ، وهو ممن طلبتم ذكره إلى في أخباره جزءاً من نحو
سبعين ورقة في المقسوم ، لخصتُ لك من مبييضته ما يُذكر :
نشأ رحمه الله بسببته على طهارة تامة ، وعفة بالغة ، وصور ظاهر ،
كان بذلك علماً لشبان مكتبه . قرأ القرآن بالقراءات السبع ، وحفظ
ما يُذكر من المبادئ ، واتَّسم بالطلب . ثم تاقته نفسه إلى الاعتلاق بالعمرة
الوُثقى ، التي اعتلق بها سلفه ، فنبذ الدنيا ، وأقبل على الآخرة ، وجرى
على سنن المتقين ، أخذاً بالأشد من ذلك والأقوى ، طامحاً بهمة إلى أقصى
ما يؤمله السالكون . فرفض زي الطلبة ، ولبس الخشنية^(٣) ، وترك
مُلابسة الخلق بالجُدلة ، وبالغ في الانقباض عنهم ، وانقطع إلى الله

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتي (واتبع الحسنه
بالسنة تمحها) وهو قلب للمعنى المقصود .

(٢) نسبة إلى بليقي ، وبالإسبانية Vellefique ، وهي بلدة أندلسية صغيرة تقع بولاية
المرية على مقربة من جنوبي يرشانة (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٤٣ حاشية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخشينة) .

برباطات سبّية وجبالها ، وخصوصا بيناها ، وعكف على ذلك سنين ثم سافر إلى المغرب ، سايحا في الأرض ، على زى الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم ، فأحرز من ذلك ما شاء . ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس ، وورد المريّة ، مستقرّ سلّمه ، وأخذ في إيثار^(١) بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها ، على ما كان عليه من التبتّل والإخبات . وكان على ما تلقينا من أصحابه وخدّانه ، صواماً ، قواماً ، خاشعاً ذا كراً ، تالياً^(٢) ، قوَّالاً للحق ، وإن كان مرّاً كبيراً في إسقاط التصنع والمباهاة ، لا يُضاهى في ذلك ، ولا يُشقُّ غبارده . وقدم على غرناطة ، ودخل على أمير المسلمين ، وقال له الوزير ، يتمول لك السلطان ما حاجتك ، فقال ، بهذا الرسم رحلتُ ، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله ، فعارُ على من انتسب إليه ، أن يقصد غيره . ثم أجاز البحر وقد اشتدت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوهم ، وقدم على ملكه ، ووعظه موعظةً ، أعنف عليه فيها ، فانفعل لموعظته ، وأجاز البحر بسببه^(٣) إلى جزيرة الأندلس ، وغزا بها ، وأقام بها ما شاء الله ، [وتآدب الروم لو تم المراد]^(٤) قال ، وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب ، قال كل رجل صالح دخل على كانت يده ترعد في يدي ، إلا هذا الرجل ، فإن يدي كانت ترعد في يده عند مصافحته .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أثارة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تلا) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بسبته) والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وورد مكانها في الزيتونة (وتآدب لتوهم

الراد) . ولم تنضح علاقتها تماما بالسياق .

كراماته

وجلب له كراهات عدة ، فقال في بعضها ، ومن ذلك ما حدثني الشيخ
المُتلمم الثُّمَّة أبو محمد قاسم الحِصَّار ، وكان من الملازمين له ، المنقطعين
إلى خدمته ، والسَّفر معه إلى البادية ، فقال ، إني لأحفظ لأبيك أشياء من
الاحوال العظيمة ، منها ما أذكره ، ومنها ما لا أستطيع ذكره . ثم قال ،
حدثني أهل وادي الزَّرَجون ، وهو حُشٌّ^(١) من أعمال سَبْتة ، قالوا ، انصرف
السيد أبو عبد الله من هنا ، هذا لفظه ، فلما استقرَّ في رأس العقبة ،
المشرفة على الوادي ، صاح عليه أهل القرى ، إذ كانوا قد رأوا أسدًا
كبيراً جداً ؛ قد تعرَّض في الطريق ، ما نجأ قط من صادفه مثله ، فلما سمع
الضياح قال ما هذا ، فقيل له أهل القرى يصيحون عليه خيفةً من السبع
قال ، فأعرض عنهم بيده ، ورفع حاجبه كالتكبر على ذلك ، وأسكتهم ،
وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد ، فأشار عليه بالقضيب ، وقال له ،
من هاهنا من هاهنا ، أخرج عن الطريق ، فخرج بإذن الله عن الطريق ،
ولم يوجد هنالك بعد . وأمثال ذلك كثيرة .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي ، وأجازته والده
أبو إسحق إجازة عامة . ومن شيوخه القاضي المُسنُّ أبو عبد الله الأزدي ،
والمحدث أبو بكر بن مشليين ، وأبو عبد الله بن جَوْهر ، وأبو الحسين بن
السراج ، وأبو عبد الله ، محمد بن عبد الله الخرزجي ، وأبو عبد الله بن
الأبَّار ، وأبو الوليد بن العطار ، وأبو العباس بن عبد الملك ، وأبو إسحق

(١) الحشُّ أعنى البستان .

ابن عيَّاش ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية ، وأبو بكر القرطبي حميد ، وأبو إبراهيم الطَّربُسي ، والقاضي أبو عبد الله بن عياض ، والكاتب أبو الحسن الرُّعيني ، وأبو الحسن الشَّاربي ، وأبو يحيى بن الفَرَس ، وأبو إسحق بن عبيد الله ، وأبو الحسن الغزَّال ، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء . ومن أهل العُدوة كتاب يعقوب المحاسبي^(١) وابن فُرْتُون وغيرهم .

محنته

نُحى عنه إلى السلطان بالأندلس ، أنه أغرَى به ملك المغرب ، وتخلَّص بعد لآى في خيبر طويل ، وانتهب السلطان ماله ، وألحق أملاكه بالمختص^(٢) واستمر . وذلك إلى دولة والده وامنحن السَّاعون به ، فعجَّل الله عقوبتهم .
مولده : قال شيخنا نقلت من خطِّ أبيه ما نصه : وُلد إِبْنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ أَسْعَدَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ ، فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ لَيْلَةِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ لَذِي قَعْدَةٍ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

وفاته : قال أَلْفَيْتُ بِخَطِّ الْقَاضِي الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَيْبَرِينَ وَكَانَ مِنْ حَضَرَ جَنَازَتِهِ بِسَبْتَةٍ . وَكَانَتْ وَفَاةَ الْفَقِيهِ النَّاسِكِ السَّالِكِ الصَّالِحِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقِ السَّلْمِيِّ الْبَلْفِيْقِيِّ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ أَرْبَعَةَ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِمَحْرُوسَةِ سَبْتَةٍ ، وَدُفِنَ إِثْرَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِجَبَّانَةِ الْخَرْوَبَةِ مِنْ مَنَارَتِهَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْ قَبْرِ رِيحَانَ الْأَسْوَدِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ نَفَعَ اللهُ بِهِ . وَصَلَّى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنِ حُرَيْثٍ .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المحافى) .

(٢) المختص هنا يقصد بها الأملاك السلطانية ، ويعبر عنها عادة في لغة الأملاك الأندلسية

(بالمستخلص) .

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى
ابن عبّاد النُّفْزِي

من أهل رُنْدَةَ ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن عبّاد ، الحاجّ الصُّوفي

حاله

نشأ ببلده رُنْدَةَ ، وهو من ذوى البيوتات الأصيلة بها ، ثم رَحَلَ إلى
المشرق ، ولقِيَ العلماء والصُّوفية ، وحضر عند المَشَيْخَةِ ، ثم كَرَّ إلى
الأندلس ، فتصوف ، وجال في النّواحي ، وأطرح السُّموت ، وفوت ما كان
بيده من متاع الدُّنيا ، وكان [له مالٌ]^(١) له خُطَرٌ ، وألقى التَّصَنُّعَ
لأهله رأساً . وكان فيه توكُّه وحِدَّةٌ ، وله ذهنٌ ثاقبٌ ، يتكلم في المعقولات
والمثقولات ، على طريقة الحكماء والصُّوفية ، ويأتى بكل عبارة غريبة ،
وآثاره هايلة من غير تمكُّنٍ عِلْمٍ ، ولا وثاقة إدراكٍ ، غير أنك لا تسمع منه
إلا حسناً ، وهو مع ذلك طوّاف على البلاد ، زوّار للربط ، صَبَّار على المجاهدة
طَوْعاً وضرورةً ، ولا يسأل ثيابا البتّة إلا بَذْلَةً من ثوبٍ أو غيره ، صَدَقَةٌ
واحد في وقته

محنته وفضله وشعره

نُهِى عنه كلامٌ بين يَدَيِّ صاحب المغرب ، أَسِيفَ به مُدَبِّرُ الدولة يومئذ ،
فأشخص عند إِيابه إلى رُنْدَةَ وسُجِنَ بسُجُنِ أَرْباب الجرايم ، فكتب إلى
وليّ الأمر :

تركتُ لكم عزَّ الغنى فابَيْتُمُ وأن تتركوني للمادَّة والفقر
ونازعتوني في الخمول وإنه لذى مُهَجَّتِي أَحْلَى من البنى والأمر

(١) وردت هذه العبارة في الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال .

ثم قال ، يا مَنْ رَمَانِي بِسَهْمِهِ ، الغرْبُ ، قد رُدَّ عَلَيْكَ مَخْضُوبًا بِالْدَّمِ .
قال فوالله ما مَرَّتْ ثَلَاثَةٌ ، حَتَّى نَفَذَ حُكْمُ اللَّهِ فِيْمَنْ عَدَا عَلَيْهِ .

وشعره حسن يدل على طبعٍ مَعِينٍ ، فمن ذلك :

سُرِّي يُسِيرٌ إِلَى أَنْكَ تَارِكِي	نَفْسِي الْفِيْدَا لِلطَّفِيْكَ الْمُتَدَارِكِ
يَا مَا لَكَي وَلِيَ الْفَخْصَارُ بَأَنِّي	لَكَ فِي الْهُوَى مَلِكٌ وَأَنْكَ مَا لِيْكَ
الْتَرَكُ هَلْكَ فَاعْفِنِي مِنْهُ وَعِدْ	بِالْوَصْلِ تُحْيِي ذِمًّا مُجِبُّ هَالِكِ
وَأَعِدْ جَمِيْلًا فِي الْهُوَى عَوْدَتِي	إِنْ لَمْ تُعِدَّهُ إِلَى مَنْ لِلْهَالِكِ
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ	فَتِيْنِ الْوَرَى مِنْ فَاتِكِ أَوْ نَاسِكِ
أَأْتِيَهُ دُونَكَ أَوْ أَحَارُ فِي سَنِي	ذَاكَ الْجَمَالِ جِلَا الظَّلَامِ الْحَالِكِ
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِيْنَ لَمْ	تَكُنِ الدَّلِيْلَ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ
وَلَقَدْ عَرَفْتَ بَسْتَرِ سُرِّي فِي الْهُوَى	فَهَجَرْتَنِي فَكُسِيْتُ ثَوْبَ الْهَاتِكِ
مَا السَّتْرُ إِلَّا مَا يَحُوكُ رِضَاكَ لَا	مَا حَاكَهُ لِلْبَيْتْرِ (١) كَفُّ الْحَايِكِ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ فَضُنْ	وَأَهْتِكِ وَصِلْ إِنْ شِيتَ أَوْ كُنْ تَارِكِ
مَا لِي سِوَى حَبِيْبِكَ يَا حُبِّي فَدَعْ	تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَلِكُ تَرَكَ الْمَالِكِ

وقال أيضا :

هَذَا الْعَقِيْقُ فَسَلْ مِعَاطِفَ بَانِهِ	هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتُهُ مِنْ نُعْمَانِهِ
وَاسْأَلْهُ (٢) إِنْ زَارْتَهُ مَاذَا أَخْبِرْتَ	عَنْ أَجْرِعِ الْعَلَمِيْنَ أَوْ سُكَّانِهِ
وَأَصِيْحُ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعَدَهُ	لِلْمُضْضِنِي ففِيْسِهِ الْبُرْهُ مِنْ أَشْجَانِهِ
يَا حَبِيْدًا ذَاكَ الْحَدِيْثُ وَحَبِيْدًا	مِنْ قَدِ رَفِيَاهِ وَحَبِيْدًا (٣) بَبِيْسَانِهِ

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وهي ساقطة في الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت في «الكتيبة الكامنة» لابن الخطيب . وفي الإسكوريال (وارسله) والأولى أرجح .
(٣) وردت في الإسكوريال (وحب أن) . والتصويب من الكتيبة الكامنة .

وسقى الآله رمزانه ومكانه
يا سعدُ ساعدُ مُستهماً فيه لا
وأصخُ لما يتلو الوجود عليك من
وأبنة لي واقبل ذمائي بشارة
وسل النسيم يهبُ من واديهم
أرحمُ بروحٍ منه روحى تُحيه
وبنشره انشر نفس مُشتاق
يا سعدُ حدثنى فكل مُخبّر
يا سعد حدثنى فكل حديث عنهم
يا سعد طارخنيه واملأ مسمعى
أنا فى الغرام أخوك حقاً والفتى
قل كيف وادى ودُّ سُكَّان الحمى^(٣)
هل قلصت أيدى النوى من ظله
وهل الربوع أو اهلُ بجدهم
وهل التقى بان على عهد النوى^(٤)
فبروض أنسهم غمدت نضارة
وأرى هجير المنجر أذبل يانعا
وأحال حال الأنس فيه وحشة

ويعزُّ قدر زمانه ومكانه
ذقت الهوى ونجوت من عدوانه
أنبأهم بلسان حال كيانه^(١)
ويقلُّ بذل ذمائي فى تبيسانه
شذا خزاماه وطيبُ لُبانه
ويُسقِمه سُقْمى فديتك عانه
قضت شوقاً لنفحة نسمة^(٢) من بانه
عن خسر من أهواد أو إحسانه
ويجلُّ قدرُ الحُبِّ عن نسيانه
من سرّه إن شيت أو إعلانه
لا يكتم الأسرار من إخوانه
ومنى أمانيه وروض لسانه
أو ماجرى هل عاث فى جريانه
فسقّى للربوع الودق من هتانه
وهل اللوى يلوى بعود زمانه
نزّهت منها الطرف^(٥) فى بُستانه
منه وأذوى الغص من ريحانه
وطوى بساط الأنس فى هجرانه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة النكامة (بيانه) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (هبه) .

(٣) هكذا وردت فى الكتيبة النكامة . وفى الإسكوريال (الفضا) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (الهوى) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الكتيبة (القلب) . ٣

عهداً عَرَفْتُ الأُنْسَ في أزمَانِه
حِبُّ غَدَائِي حُسْبُهُ بلبَانِه
كُلُّ الهوى فحملتُ كُلَّ هَوَانِه
أزهُو بذلِّي في يَدَيَّ سِلْعَانِه
يَرْضَى فطيبُ العيشِ في رِضْوَانِه
عن حُسْبِه فسَلَوْتُ عن سُلْطَانِه
تَبغِي السُّلُوَ ولاتِ حينَ أَوَانِه
فالكلُّ فِيه عَلِيٌّ من أَعْوَانِه
في الكونِ ^(١) عاذره على شِيمَانِه
أبدي الجمالُ العُدْرُ عن هَيْمَانِه
في الحبِّ فاتركه وثني عِنَانِه
قد سامه ما لَيْسَ في إمكَانِه

آهاً ووالهفنى وويحى أن مضى
وبأجرع العلمين من شرقيه
حاز المحاسن كلها فجمعن لي
وزها على بعزة فبواجب
وقضى بأن أقضى وليت بما قضى
واختار لي أن لا أميل لسكوة
يا عاذلي أو ناصحي أو لايمي
غلب الغرام وعز سلطان الهوى
فعلام تغيب مستهماً كلما
دع عنك لوى إنني لك ناصح
وإذا الفتى قام الجمال بعذره
من سام قلبي في هواه سلكوة

وقال في الغرض المذكور :

في ذا الغرام فأبكيه ويبكين
وهنت والصبب أولي الناس بالهون
ومت في يده فردا فدلّسون
ما بين يأس وآمال نرجسين
في ذا الهوى بتس أو دأمين
لفي ذا الهوى ^(٢) بين محبوب ومحب
بذلّي وافتنقار ألبؤراسيون

يا للرجال ألا حيب يساعدي
غلبت فيه وما أجدت مغالبي
ركبت لوجته وحدى فأذهشني
واضيعة العمر والبلى مضاعفة
والهف نفسي إن أودت وما ظفرت
فليت شعري وعسرى ينقضى طمعاً
هل الأولى ملكوا رقي وقد علموا

(١) نسقها نحي في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الدياتية (و الحب) .

فكم أكفكف دمعى بعدهم وأرى
 وكم أمرٌ على الأطلال^(١) أنديها
 وفي الفؤاد لهم ما ليس يعلمه
 أهمل المدامع كى أروى فتعطشنى
 وكل من لدحت عيني أسايله
 يا أهل نجد وفخرى أن أحبكم
 هل للهوى من سبيل للمنى فلقد
 مجدداً نار يابى وهى تبلىن
 وبالمنازل من خيف ودارين
 إلا هم علمهم بالحال يكفين
 وألزم الذكر للسأوى فيشجين
 عنهم فيغرى بهم قلبى ويغرين
 لا أطلب الوصل عز الحب يغنين
 عزت أمانبه فى الدنيا وفى الدين^(٢)

محمد بن يوسف بن خَلصون

يكنى أبا القاسم ، روطى الأصل لوشيه^(٢) سكن لوشة وقرنطة ومالقة

حاله

كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة ، فاضلا ، منقطع القرين فى

(١) وردت فى الاسكوريال (الأطناب) والتصويب من الكتبية .

(٢) إن الترجمة الموجزة التى وردت فى مخطوطى الإسكوريال والزيتونة عن ابن عباد الرندى وكذا ما أورده عنه ابن الخطيب فى «الكتبية الكامنة» (ص ٤٠ وما بعدها) هى تراجم موجزة ينقصها الكثير من صفات ابن عباد ومزاياه العلمية والصوفية . وربما كان السبب فى هذا الإيجاز راجعا إلى اختصار الناصح . ونحن نستدرك هنا بعض الشيء فنقول إن لابن عباد مؤلفات كثيرة ، أشهرها شرحه لحساب الحكم العطنانية الذى وضعه العلامة الصوفى المصرى تاج الدين بن طهارة السكندرى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، وهو بالرغم من صغر حجمه يعزب من أشهر كتب الحكم والنصوف . ولابن عباد أيضاً مجموعة فى أجوبة العلوم فى مجلدين . وقد توفى ابن عباد فى سنة ٧٩٢ هـ .

راجع ترجمة وافية لابن عباد بقلم صاحبه الشيخ أبى زكريا السراج وغيره أوردها المقرئ فى نصح الطيب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٧) .

(٢) روطى نسبة إلى روطه أو روضه وبالنسبانية Rueda ، وهى بلدة صغيرة نفع على المحيط قرب نهر شلوقه San Lucar شمال مدينة سريش . وهى خير روطه القرية من سرقسطة . ولوشيه نسبة إلى بلدة لوشة وقد سبق التعريف بها .

المعرفة بالعلوم العتقالية . متبحراً في الإلهيات ، إماماً في طريقة الصوفية . من أهل المقامات والأحوال ، كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، كثير الحلاوة والطلاوة ، قائماً على القرآن ، فقيهاً أصولياً ، عظيم التخلق ، جميل العشرة . انتقل من حصن زوطة إلى الخطابة والإمامة بلوشة ، كثير الدؤوب على النظر والخلوة ، مقصوداً من منتهج ما لديه ضرورة . لم يتزوج ، وتمالأت عليه طائفة من شأنها الغص من مثله ، فانزعج من لوشة إلى مالقة ، فتحرّف بها بصناعة الطب ، إلى حين^(١) وفاته .

حدثني والدي ، وكان خبيراً بأحواله ، وهو من أصحاب أبيه . قال . أصابت الناس شدة قحط ، وكانت طائفة من أصداده تقول كلاماً مسججاً . معناد ، إنكم إن أخرجتم ابن خلصون من بينكم ، مطرتم . قال ، فانزعج عنها . ولما [كان على أميال]^(٢) ، نزل الغيث الرغد ، قال فسجد بموضعه ذلك ، وهو معروف ، وقال ، سيدى ، وأسأوى عندك هذا المقدار . وأوجب شكراناً . وقدم غرناطة ، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرقوطينى ، وله استيلاء على الحظوة^(٣) السلطانية ، وشأنه اختبار من يرد على الحضرة . ممن يحمل فداءً . وللسلطان على ابن خلصون موجدة ، لمدحه في حديثه . أحد الشوار عليه بقمارش^(٤) ، بقصيدة شهيرة . فلما حضر . سأله الأستاذ ما صناعتك ، فقال التصوف ، فالتفت إلى السلطان وقال : هذا رجل ضعيف لا شيء لديه . بحيث لا يفرق بين الصناعة وغيرها ، فصرفه رحمه الله .

(١) ورد في الإسكوريال (حد) والتصوف من الريونة

(٢) هكذا في الإسكوريال . قال . وفي الريونة (ولما جاء أمالاً)

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الريونة (الحضرة) وهو خريب .

(٤) هي بلدة من أعمال مقاطعة مالقة . وقد سبق التعريف بها (جع من ١٨٠ - ١٨١)

توالييفه

وتوالييفه كثيرة ، تدل على جلالته وأصالته معرفته ، تنطق علماً وحكمة ، وتروق أدباً وظرفاً . فمن ذلك كتابه في « المحبة » ، وقفت عليه بخط جدّي الأقرب سعيد ، وهو نهاية . وكتاب « وصف السلوك » ، إلى ملك الملوك » ، عارض به ومراج الحاتمي ، فيان له الفضل ، ووجبت المزية ، ورسالة « الفتق والرتق » ، في أسرار حكمة الشرق .

شعره

من ذلك قوله :

هل تعلمون مصارع العُشاق	عند الوداع بلوعة الأشواق
والبينُ يكتبُ من نَجيع دمايهم	إن الشهيد لمن يمت بفسراق
لو كنتَ شاهدَ حالهم يوم النوى	لرأيتَ ما يلقون غير مُطاق
منهم كئيبٌ لا يملُّ بكأوه	قد أغرقتَه مدامعُ الآماق
ومُحرقُ الأحشاء أشعل نارَه	طولُ الوجيب بقلبه الخفاق
وموئلُه لا يستطيعُ كلامه	ما يُقاسى في الهوى ويلاق
خرس اللسان فما يُطبق عبارة	ألم المرورَ وماله من راق
ما للمحبِّ من المُنون وقايةٌ	إن لم يُغنّه حبيبُه بتلاق
مولاي عبدك ذاهبٌ بغرامه	فأذكرِ بوصلك من دماه الباق
لإني إليك بذلتني متوسلٌ	فاعطف باعطفٍ منك أو إشفاق

ومن شعره أيضاً :

أعد الحديث إذا وصفتَ جماله	فيه نهيج للمحبِّ خياله
يا واصف المحبوب كرر ذكره	وأدر على عشائه جرياله

فِيذْكَرُ مِنْ أَهْوَى وَشَرَحَ صِفَاتِهِ
 طَابَ السَّمَاعُ بِوصْفِهِ لِمَسَامِعِي
 قَلْبِي يَلِدُ مِلَامَةً فِي حَبِّهِ
 يَا عَاذِلِي أَوْ مَا تَرِقُّ لِنَامِرِي
 وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً :

إِنْ كُنْتَ تَنْزَعُ حُبَّنَا وَهَوَانَا
 فَاسْجُرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالِنَا
 وَاخْلَعْ فَوَادِكَ فِي طِلَابِ وِدَادِنَا
 فَإِذَا فَنَيْتَ عَنِ الوجودِ حَقِيقَةً
 أَوْ مَا عَلِمْتَ الْحَبَّ فِيهِ عِبْرَةٌ
 وَابْدَلْ لُبَّابَكَ إِنْ وَقَفْتَ بِبَابِنَا
 مَا لَعْلَعُ مَا حَاجِرٌ مَا رَامَةٌ
 إِنْ الْجَمَالَ مُخَيِّمٌ بِقِيَابِنَا
 نَحْنُ الْأَحْيَاءُ مِنْ يَلِدُ بِفَنَائِنَا
 نَحْنُ الْمَوَالِي فَاخْضَعْنَ لِعِزِّ نَالِنَا
 إِنْ التَّدَلُّ لِلتَّدَلِّ سَحْرٌ
 وَاصْبِرْ عَلَى ذُلِّ الْمُحِبَّةِ وَالْمَسْوِي
 نُونِ الْهَوَانِ مِنَ الْهَوَى مَسْرُوقَةٌ
 فَاتَّخَوَّلْنَ مِثْلَهُ وَهَسَوَانَا
 وَاغْضَبْ عَلَيْهَا إِنْ طَلَبْتَ رِضَانَا
 وَاسْمَحْ بِمَوْتِكَ ^(١) إِنْ هَوَيْتَ لِقَانَا
 وَعَنِ الْفَنَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْرَانَا
 فَاخْلِصْ لَنَا عَنْ غَيْرِنَا وَسِوَانَا
 وَاتْرِكْ حِمَاكَ إِذَا فَقَدْتَ حِمَانَا
 مَا رِيْمُ أَنْسٍ يَسْحَرُ الْأَشْيَاءَ
 وَظِبَاوَهُ مَحْجُوبَةٌ بِظُبَيْبَانَا
 نَجْمَعُ لَهُ مَعَ حُسْنِنَا إِحْسَانَا
 إِنَّا لَنُدْفَعُ فِي الْهَوَى مَنْ هَنَا
 فَاخْلِدِ إِلَيْنَا عَاشِقًا وَنَهَانَا
 وَاسْمَعْ مَقَالَةَ هَايِمٍ قَدْ لَانَا
 فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنفسك) .

(٢) اللعلع أعني المراب

ومن لطيف كلامه [ورقيق شعره] (١)

لو خيالٌ من حبيبي طرّقا لم يدعْ دمعى بخدّي طرّقا
 نسيمُ الريح منه لو سرى بشّذاه لأزال الحسْرَقا
 ومضى هبتٌ عليّلات الصّيبا صحح جسمي فهنّ لي نفثُ رقا
 عجباً يشكو فؤادي في الهوى لهب النار وجفني الفرقا
 يا أهل الحى لي فيكم رشا لم يدع لي رمقاً مذ رمّقا
 بدرٌ تم طالع أثمره غصن بانٍ تحته دِعْصُ نقا
 راق حُسنًا وجمالا مثلما رق قلبي في هسواه ورّقا
 [أنسى الشمس ضياه ذهباً وكسى البدر سنّاه ورقاً] (٢)
 حلل الحُسن عليه خلعت

ومن شعره .

دعوتُ من شفّتي رفقا على كبدي فقال لي خُلق الانسان في كبد
 قلت الخيال ولو في النوم يقنعني فقال قد كحلت عينك بالسهد
 فقلت حسبي بقلبي في تذكّره فقال لي القلب والأفكار ملك يدي
 قلت الوصال حياتي منك يا أملي قال الوصال فراق الروح للجسد
 فقلت أهلاً بما يرضى الحبيب به فإن قلبي لا يلسوى على أحد

ومن أقواله الصوفية ، وكلها تشير إلى ذلك [المعنى] (٣)

ركبنا مطايا شوقنا نبتغي السرى وللنجم قناديل يضيئ لمن سرا
 وعين الدجا قد نام لم يدز ما بنا

(١) هذه الزيادة من الر. ب. ج. د.

(٢) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الرينونه .

(٣) هذه الأكلمة واره في الرسواه وساقط في الإسكوم وال .

ولاح عمودُ الفجرِ غُضناً مُنوراً
فسرنا لها نَبْغِي الكرامةَ والقراً
لحانةَ دِيرٍ بِالنواقيسِ دُوراً
وأبصرنا القسيسَ قامَ مُكبِّراً
فأفصحَ بِالمسرِّ الذي شاءَ مُخبِّراً^(١)
وعند الصِّباحِ يَحْمَلُهُ القنومُ السرى
فقلنا له إنا أتيناك زُوراً
فان لِدِينا^(٢) فيه أربِخَ مُشترى
مخلدةً من قبل آدمٍ. أعْضِرا
وَجَلَّتْ عن النجسيمِ قُدماً فلا تُرى
فأسدى لنا مسكاً فتيقاً وعَبِرا
فأدْهَشَ الأبابِ الأنامِ وحِيراً
وغَيْبنا سُكراً فلم نَدْرِ ما جِرا

إلى أن رأينا الليلَ شابَ قذاله
لمحنا برأسِ البُعدِ ناراً منيرة
وأفضى بنا السيرَ الحثيثَ بسُحرة
فلما حللنا حَبْوةَ السيرِ عنده
وحركَ ناقوساً له أعْجَمَ الصدا
وقال لنا حُطُّوا حَمِدتم مسيركم
نَعِمْتُمْ صباحاً ما الذي قد أتى بكم
وراحُنا في الرِّاحِ إن كنتِ بايعاً
فقال لكم عندي مُدام عتيقة
مُشْمِعةٌ كالشمسِ لكن ترؤخنتِ
وحلَّ لنا في البحينِ ختمٌ فِداهِها
وقلنا من السَّاقِ فلاحِ بوجهه
وأشعلنا عن نَحْمَرِه بِجماله

ومن شعره في المعنى :

فيك العيان ونَبْغِي بعد آثارا
والفلكِ والفلكِ العُلوى قد دارا
على العوالمِ إعلاناً وإسراراً
أقلامُ قُدْرته في اللوحِ آثارا
مِشكاةَ قَلْبِكَ قد أسْرَجْنَ أنوارا

يانايماً يطلب الأسرارِ إسراراً
أرجع إليك ففِيكَ المُلْكُ مُجتمِع
أنت المِشالِ وكُرْسِي الصِّفَاتِ فَتُهُ
والطُّورِ والدُّرِ^(٣) منشوراً وقد كَتَبَتْ
والبيتُ يَعْمرُه سرُّ الملائِكِ في

(١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لنا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (والرق) والتولى أرجح .

ورَفَعَ اللهُ سَقْفاً أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وِبِحْرٍ فِكْرِكَ مَسْجُورٌ بِجَوْهَرِهِ
 فَإِنْ رَأَيْتَ [بِوَادِي الْقُدْسِ] ^(١) نَارَهُدَى
 وَاخْلَعْ لَسْمِعَ النَّدَا نَعْلِيكَ مُفْتَقِراً
 وَغِبْ عَنِ الْكَوْنِ بِالْأَسْمَاءِ مَتَّصِفاً
 وَمِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَطْلَبُ مَا فِي الرُّوحِ مِنْ غَامِضِ السَّرِّ
 عَرَضْتُ لِإِعْلَامِ أَبْنِهِمَ الشَّرْعِ بِأَبِهِ
 وَلَكِنْ خَبِيراً قَدْ سَأَلْتُ مُحَقِّقاً
 وَبَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكَ قَدِّمْ وَسِيلَةً
 وَلَا تَلْتَفِتْ جِسْمًا وَلَا مَا يَخْصُهُ
 وَخُذْ صُورَةَ كَلِيَّةٍ جَوْهَرِيَّةٍ
 وَلَكِنْ بِمِرَاةِ الْبَيْقِينَ تَوَلَّدَتْ
 كَذَلِكَ لَمْ تَحْدُثْ وَليست قَدِيمَةً
 وَلَكِنْ بِذَاتِ الذَّاتِ كَانَ ظُهُورَهَا
 وَمِنْ هَذَا الْغَرَضِ قَوْلُهُ :

مُشَاهِدَتِي مَعْنَاكَ يَا غَايَتِي وَقْتٌ
 مُقَامِي بِقَائِي عَاكِفًا بِجَمَالِكُمْ
 لَنْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ دُونَ لِقَائِكُمْ
 وَإِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى خَانَ عَهْدَهُ
 فَمَا أَشْتَكِي بَعْدًا وَحُبِّكَ لِي نَعْتٌ
 فَكُلُّ مُقَامٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِي تَحْتِ
 فَإِنِّي عَلَى حُكْمِ الْمَحَبَّةِ مَا حُلْتُ
 فَإِنِّي وَأَيْمُ اللهِ عَهْدِي مَا خُنْتُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بالقدس) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (التحسيس) .

ومالي رجاً غير نَبِيلٍ وصالكم
نعم إن بدا من جانب الأنس بارق
ومهما تذكرتُ العناب مهزني لهيبتكم^(١) قبض يغيب به النعت
تواجدتُ حتى صار لي الوجدُ مشرباً
فها أنا بين الصَّخو والمحو داير
قُصودي إليكم والورود عليكم
وفي غيبتني عنى حضورى لديكم
وفي فرقتي الباني بحق جمعتني
تجليته لي حتى دهشتُ مهابة
مواردُ حق بل مواهبُ غاية إذا
لوايح أنوار تلوح وتختفي^(٢) ولكن
ومهمى بدت تلك الطواع أدهشتُ
وهيهات هيبات الجلال تردني
نسفن جبالى فهى قاع صَفْصَفُ
ولى أدمع أججن نار جوانحي ولى
ألا فانظروا قلبَ العيان حقيقةً
مراتبُ فى التلوين نلتُ جميعها
وعند قبائى عن فناي وجدتكم
ورودُ وشربُ ثم لا رى بعده

ولا نخوفُ إلا أن يكون له قوت
يُحركنى بسطُ به نحوكم طرتُ
ولاح وجودُ للحقيقة إذ غيبتُ
أقول فلا حرفُ هناك ولا صوتُ
ومنكم سُهودى والوجودُ إذا عُدت
وعند امتحان^(٢) الرِّسم والمحو أثبتُ
وفي جمع جمعى فى الحقيقة فرقت
ولما رددتُ اللَّحظ بالسرى عشتُ
ما بدتُ تلك البوادة لى تهتُ
وميضَ البرق ليس له ثبتُ
وإن غيبتُ تلك اللوامع أظلمت
وعند التجلى لا محالة دكدكت^(٤)
وليس يرى فيهن زبغ ولا أمتُ
نفسُ لولاه من حُبكم ذبتُ
فناي ووجودى والحياة إذا متُ
وفى عالم التمكنين عن كلِّها بنتُ
فلا رتبةُ علوية فوق ما نلت
لين كنت أروى من شرابك لا كنت

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لطيبتكم) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (امتحا) والتصويب أرجح .

(٣) وردت فى الإسكوريال (واختنق) والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (تككدكت) .

شربتُ أكْوَاسَ الوجودِ مُدَامَةً
وكيفَ وأَقْداحِ العوالمِ كُلِّهَا
تعلقَ قومٌ بالأوانيِ وإِنِّي
وأَرْضَعْتُ كَأَسَا لَمْ تُدَنَّسْ بِمَزْجِهَا
شَرَابُهَا الأبرارُ طابَ مَزاجُهُمْ
بِهَا آدَمُ نالَ الخِلافةَ عِنْدَمَا
وَنَجَّيْتُ لِنُوحٍ حِينَ فَرَّ لِفُلْكِهِ
وَقَدْ أَخْمَدَتِ نارَ الخَلِيلِ بنورِها
وَهَبْتُ لِرُوحِ اللَّهِ رُوحَ نَسِيمِها
وَسارَ بِها المُخْتارُ سَيرى لِرَبِّهِ
هِنِئاً لَمَنْ قَدْ أَسْكَرَتْهُ بِعَرفِها

فَلَسْتُ أَجْلَى عَن رُؤُودِ مَتى شِيتُ
وَلَكِنِّي مَن صَاحِبِ الدَّيْرِ أُسْكَرْتُ
جَمالِ المَعانِي لا المَعانِي عُلِمْتُ
وَقَد نَلِئُها صِرفاً فيا لِعُمري ما ضِعتُ
وَأَرْضَعُها صِرفاً لِأَنِّي قُرِبتُ
تَبَدَّتْ لَه شَمساً طابَ نَحوهِ سَمْتُ
وَمَن بانَ عَن أَسرارِها عَمَدُ المَوْتُ
وَكانَ لِمُوسى عَن أَشعَّتِها بُهْتُ
فَأَبْصَرَهُ الأَعْمى وَكَلِمَهُ المَيِّتُ
إِلَى حَيْثُ لا فَوْقَ هِناكَ وَلا تَحْتُ
لَقَدْ نالَ ما يَبْغى وَساعَدَهُ البَخْتُ

ومن نشر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خَلصون المترجم به ، قوله من رسالة :
« وصلني أيها الإبن الشَّجيب ، المُخلص الحبيب ، كتابك الناطق
بِخُلوصِ وُدِّكَ ، ورُسوخِ عَهْدِكَ ، وتلك سَجِيَّةٌ لا يَقبَلُ بِمَجدِكَ ، وشِيشِنَةُ
تُعرفُ مِنَ والدِكَ وَجَدُّكَ ، وَصَلَّ اللهُ أَسبابَ سَعْدِكَ ، وَأَنهَضَ عِزمَ جَدِّكَ ،
بِتَوفيقِ جَدِّكَ ، وَبِبلَّغِكَ مِنَ مَأمُوكِ ، أَقصى قَصدِكَ ، فَلتَعلَمَ أَيها الحبيب
أَن جَنانِي يَنطَوِي لَكِمْ أَكثَرَ مِمَّا يَنشُرُهُ لِسانِي . فَإِنِّي مُغرَى بِشُكْرِكِمْ وَإِن
أَعجَبَتِ ، وَهُفِصِحَ بِجَميلِ ذِكرِكِمْ وَإِن جَمَعَتِ ، لا جَرَمَ أَن الوَقتِ
حَكَمَ بِما حَكَمَ ، وَاستولى الهَرَجُ فَاستَحَكَمَ ، حَتى انقَطَعَتِ المَسالِكُ ، وَعَدِمَ
الوارِدُ وَالسَّالِكُ ، وَذلكَ تَمحيصٌ مِنَ اللَّهِ جارٍ عَلى قَضيةٍ قَسَطِهِ ، وَتَقليبُ
لِقلوبِ عِبادِهِ بَينَ إِصْبَعِي قَبْضِهِ وَبَسَطِهِ ، حِينَ مُدَّ عَلى الخَلِيقَةِ ظِلُّ
التَّلويِنِ ، وَلو شاءَ لَجعلَهُ ساكِناً ، ثُمَّ جَعَلَ شِيسَ المَعرِفَةِ لِأهلِ التَّمكينِ ،

عليه دليلاً باطنياً ، ثم قبض كل الفرق عن خاصيته قبضاً يسيراً ، حتى أطلع عليهم من الأنس بداراً مُنيراً . وإلى ذلك يا بُنيَ فإني أحمَد الله تعالى إليك على تشويقه إليك إلى مُطالعة كُتب المعارف ، وتعطُّشك للورود على بحر اللطائف . وإنَّ الإمامَ أبا حامد^(١) رحمه الله ، لمَنَّ أحرزَ خصلها ، وأحكَمَ فرعها وأصلها ، لا يُنكر ذلك إلا حاسدٌ ، ولا ياباه إلا مُتَعَسِّفٌ جاحد . هذا وصفه ، رحمه الله ، فيما يخصه في ذاته . وأما تَهْلِيْمُهُ في تواليفه ، وطريقه التي سلكها في كافة تصانيفه ؛ فَمِنْ عُلَمَائِنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، من قال إنه خلط النهاية بالبداية ، فصارت كُتُبُهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّضْلِيلِ منها إلى الهداية ، وإن سُمَّان لم يقصد فيها إلا النفع ، فيما أمه من الغرض ، فوجد في كتبه الضرر بالعرض ، ومن قال بهذا الفقيه الحكيم أبو بكر بن الطفيل^(٢) . قال ، وأما أبو حامد ، فإنه مضطرب التأليف ، يربط في موضع ، ويحل في آخر ، ويتمذهب بأشياء ، ويكفر بها ، مثل أنه كفر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد روحاني ، وإنكارهم حشر الأجساد . وقد لوح هو بأن ذلك مذهبه في آخر كتاب « الجواهر والأربعين » وخرج بأنه مُعْتَقِدُ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ ، في كتاب آخر ، وقال إن مُعْتَقَدَهُ كَمُعْتَقَدِهِمْ ، وأنه وقع على ذلك بعد بحثٍ طويلٍ وعناءٍ شديدٍ . قال ، وإنما كلامه في كُتُبِهِ ، على نحو تعليم الجمهور . وقد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب ، « ميزان العمل » ، على أغلب ظني ، فإن لي من مُطالعة الكتب مُدَّة . قال ، ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يُشَكِّكُ في اعتقادك الموروث ،

(١) هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

(١٠٥٨ - ١١١١ م) .

(٢) مكلا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ابن طفيل) وهو الأكثر شيوعاً . وقد

ترجم له ابن الخطيب فيما تقدم (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

يَعْنَى التَّقْلِيدَ ، فَإِنَّهُ مِنْ لَمْ يَشْكُ . لَمْ يَنْظُرْ ، وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ ، لَمْ يُبْصِرْ ، وَمَنْ لَمْ يُبْصِرْ فَفِي الْعَمَى وَالْحَيْرَةِ . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

خَذَ مَا تَرَاهُ وَدَعَّ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلَعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَسَمَ آرَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ : رَأَى يُجَابُ بِهِ كُلُّ مُسْتَرْشِدٍ سَائِلٍ ، بِحَسَبِ سَوَالِهِ ، وَعَلَى مَقْدَارِ فَهْمِهِ . وَرَأَى يُجَابُ بِهِ الْخَاصَّةُ ، وَلَا يُصْرَحُ بِهِ لِلْعَامَّةِ . وَرَأَى بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ شَرِيكِهِ فِي اعْتِقَادِهِ . وَأَمَّا الْفَقِيهُ الْفَاضِلُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ بِالْبَالِغِ فِي ذَلِكَ مَبَالِغٍ عَظِيمَةٍ ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَصَفَ فِيهِ مَنَاجِحَ أَدَلَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى طُرُقِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ ، وَالْفَلَّاسِفَةِ ، وَالصُّوفِيَّةِ ، وَالْحَشَوِيَّةِ ، وَمَا أَحْدَثْتَهُ ^(١) الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الضَّرْرِ فِي الشَّرِيعَةِ بِتَوَالِيْفِهِمْ ، انْعَطَفَ فَقَالَ ، وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ ، فَإِنَّهُ طَمَّ الْوَادِيَّ عَلَى الْقُرَى ، وَلَمْ يَلْتَزِمِ طَرِيقَةً فِي كُتُبِهِ ، فَتَرَاهُ مَعَ الْأَشْعَرِيَّةِ أَشْعَرِيًّا ، وَمَعَ الْمُعْتَزَلَةِ ، مُعْتَزَلِيًّا ، وَمَعَ الْفَلَّاسِفَةِ فَيَلْسُونًا ، وَمَعَ الصُّوفِيَّةِ ، صُوفِيًّا ، حَتَّى كَأَنَّ بِهِ

يَوْمًا يَمَانٌ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَانَ وَإِنْ لَقَيْتَ مَعَدِيًّا فَعَدْنَانُ

ثُمَّ قَالَ ، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنْ يُنْهَوْا الْجُمْهُورَ عَنْ كُتُبِهِ ، فَإِنَّ الضَّرْرَ فِيهَا بِالذَّاتِ ، وَالْمَنْفَعَةَ بِالْعَرَضِ . قَالَ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ بِنَتَائِجِ الْحِكْمَةِ ، دُونَ مَقْدَمَاتِهَا ، وَأَفْصَحَ بِالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَجُوزُ أَنْ تُؤَوَّلَ لِلْجُمْهُورِ ، وَلَا أَنْ تُذَكَرَ فِي غَيْرِ كُتُبِ الْبُرْهَانِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ كِتَابَهُ فِي الْأَضْلِينَ ، أَعْنَى أَصُولِ الدِّينِ ، وَأَصُولِ الْفِقْهِ . فِي غَايَةِ النَّبِيلِ وَالنَّبَاهَةِ . وَبَسْطِ الْفَلِظِ ، وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ ، وَقُرْبِ الْمَسَائِلِ . وَكَذَلِكَ كُتِبَ الْفَقْهِيَّةُ

(١) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (وَمَا أَخَذْتَهُ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

والخلافية والمذهبية ، التي أُلْفِها على مذهب الشافعي ، فإنه كان شافعي المذهب ، في الفروع . وأما كتبه التي ذَهَبَ فيها مذهب التصوف ، فهي التي يوجد فيها ما ذُكِرَ من الضرر بالعرض . وذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تَأَدَّى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة ، ونَسَبَها إلى المتصوفة . وقد نَبَّه على ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي^(١) في كتابه الذي سماه «بمراقى العارفين» . قال ، وقد دَخَلَ على السالكين ضرر عظيم من كُتُبِ هذا الرجل الطوسي^(٢) ، فإنه تشبَّه بالصوفية ولم يَلْحَقْ بمذاهبهم ، وخالط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم ، حتى غَلِطَ الناس فيها . على أنني أقول إن باعته في الفلسفة كان قصيراً ، وإنه حَدَا حدو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد ، وَمَنْطِقِها الذي نقله في معيار العلم ، لكن قَصُرَ عنه . وتلك الاعتقادات ، منها حقٌّ ومنها باطلٌ ، وتلخيصه لا يتأتَّى إلا لصنِّفَيْنِ من الناس ، أعنى أهل البرهان ، وأهل المكاشفة ، فبحسب ذلك نحتاج كُتُبُه إلى تَقْدِمة علوم البرهان ، أو رياضة أهل المكاشفة . ولذلك صنَّفَ هو معيار العلم ، ليكون الناظر في كُتُبِه يَتَقَدَّمُ ، فيتعلَّمُ منه أصناف البراهين ، فيلحَقَ بأهل البرهان . وقدم أيضاً تصنيف «ميزان العمل» ليكون المرئاض فيه ، وبه يَلْحَقُ بأهل المكاشفة ، وحينئذ يُنظَرُ في ساير كتبه . وهذه الرسالة طويلة ، تكلم فيها على كُتُبِ أبي حامد الغزالي رحمه الله ، بما يدل على تفنُّنه ، وعلى اضطرَّاعه . رحمه الله .

(١) أبو بكر الطرطوشي فقيه ومفكر سياسي واجتماعي أندلسي ، ولد بقرطوبة من أعمال النصارى سنة ٤٥١ هـ ، وتلقى دراسته الأولى بسرقة ، ثم نرح إلى المشرق وطاف بجواضره ، وتلقى الكثير من علماءه ، واستقر أخيراً بالإسكندرية وتوفي بها سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٧ م) ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (سراج الملوك) وهو يعالج نظريات في السياسة والاجتماع .

(٢) نسبة إلى طوس من أعمال فارس ، وهي مسقط رأس الإمام الغزالي .

ومن الثَّرَبَاءِ فِي هَذَا الْاسْمِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَمِينِ بْنِ مَعَاذِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَمِيلِ بْنِ يُونُسَ الْمُرَائِقِيَّ

ثُمَّ الْخَلَّاطِيَّ ، ثُمَّ الْأَفْشُرِيَّ الْفَارْسِيَّ ، وَبُنِعَتْ مِنْ النُّعُوتِ الْمَشْرِقِيَّةِ

بِجَلَالِ الدِّينِ ، مِنْ بِلَادِ فَارَسَ

حَالِهِ

كَانَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْمُتَجَرِّدِينَ مِنَ الْمَالِ وَالْعِيَالِ ، ذَا وَقَارٍ وَتَوَدَّةٍ ، وَسُكُونٍ وَمَحَافِظَةٍ عَلَى ظَاهِرِهِ . أَكْثَرَ فِي بِلَادِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْأَخْذِ عَنِ الشُّيُوخِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَّصِفِينَ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَغْرِبَ ، فَاسْتَوطنَ بَعْضَ بِلَادِهِ ، ثُمَّ أَجَازَ الْبَحْرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَامَ أَرْبَعَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَأَخَذَ عَمَّنْ بِهَا مِنَ الشُّيُوخِ ، وَدَخَلَ غَرْنَاطَةَ . وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ . يُشَارِكُ فِي قِرْضِ الشُّعْرِ .

مَشِيخَتُهُ

أَخَذَ عَنِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّشْرِيثِيَّ بِفَاسَ ، وَعَنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَسْبِيٍّ الْمُوْمِيَالِيَّ ، وَلَبِيسَ الْخِرْقَةَ الصُّوفِيَّةَ مِنْ جَمَاعَةِ بِالْمَشْرِقِ ، وَبِالْمَغْرِبِ ، مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمَاجَرِيُّ ، عَنِ أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحٍ ، عَنِ أَبِي مَدِينٍ .

تَوَالِيْفُهُ

أَخَذَ عَنْهُ تَالِيْفُهُ فِي نَحْوِ اللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ ، وَشَرَحَ أَلْفَاظَهَا . قَالَ شَيْخُنَا . الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْحَكِيمِ ، كَتَبَ إِلَى وَالِدِي بِيَابِهِ ، وَقَدْ أَحْسَسَ بَعْضُ مِنَ الشُّيُخِ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَمِيْسٍ ، عَمِيْدَ مَجْلِسِ الْوِزَارَةِ الْحَكِيمِيَّةِ :

عُبَيْدُ بِيَابِ الْعُلَى واقف أَيْقُبَلُهُ الْمَجْدَامُ يَنْصَرَفُ
فَإِنْ قَبِلَ الْمَجْدُ نِلَتْ الْمُنَا وَإِلَّا فَقَدَرِي مَا أُعْرِفُ
ثم كتب على لفظه ما من وصححه . قال فأذن له ، واستظرف منزعه .

محمد بن أحمد بن شاطر الجَمَحِي المَرَاكَشِي

يكنى أبا عبد الله . ويُعرف بابن شاطر .

حِصَالُهُ

فقيرٌ متجردٌ ، يلبس أحسن أطوار الخِرْقَةِ . ويؤثر الاصطلاح . مليح
الشَّيْبَةِ ، جميل الصورة ، مُسْتَظْرَفُ الشَّكْلِ ، ملازمٌ للمسجد ، مساكنٌ
بالمدارس ، محببٌ إلى الخواص . كثير الذكر ، مترددٌ التَّأَوُّهُ ، شارد
اللِّسَانِ ، كثير الفَلَتَاتِ ، مُطَّرِحٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلسَّمْتِ ، ينزع إلى
هدفٍ تايه ، تَشِمُّ عَلَيْهِ الْقَبِيحَةَ وَالْمَجَانَةَ ، مُقْتَحِمٌ حِمَى الْجِشْمَةِ فِي بَابِ
إِيْهَامِ التَّلْبِيْسِ . يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته ، وإن قارب الانهماك ، غير
مبالٍ بناقد ، ولا حافلٍ بدم . ولا حامدٍ . كلما أتبع أنفرد . ومهملٍ
استقام شرد . تغليب النفس به على نعمة . ويحسن الظن بباطنه على سوء
ظاهره . مليح الحديث ، كثير الاعتبار . دايم الاسترجاع والاستغفار . فعال
الموعظة . عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن . مع عدم الحفظ ، مُسْتَشْهِدٌ
بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ . قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقرئ :
لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين . أحدهما عالم الدنيا . والآخر ناديتُها .
أما العالم فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبَّارِي الأَبْلِي ،
وأما النّادِةُ ، وأبو عبد الله بن شاطر . قال

كثيراً ، وأباً عبد الله بن تجلات^(١) . وأباً العباس بن البنا ، وإخوانهم من
المُراكشين ومن جاورهم ، واختصَّ بأبي زيد الهزيمى ، وآثره وتبناه ،
وكان يقول له ، وألقيت عليك محبة منى ، فيظهر أثر ذلك عليه ، من
ستر الهنات ، ووضع القبول ، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط .
دخل الأندلس ، وقدم على غرناطة ، وتلوم بها أياماً .

نيسد من أقواله

فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول ، أنا ولى مفسود ، وفي هذا
من النصفة ، وخفة الروح ما لا خفاء به . قال بعض شيوخنا ، قلت له
يوماً ، كيف أنت ، فقال ، كيف أنا محبوس في الدم . ومن حكمه ،
الليل والنهار حرسيان ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، وقد أخذت بمجامع
الخلق إلى يوم القيامة ، وإن مررنا إلى الله . ومرَّ يوماً بأبي العباس بن شعيب
الكاظم وهو جالس في جامع الجزيرة ، وقد ذهبت به الفكرة ، فصاح به
فلما رفع رأسه ، قال ، وله نعش خاطر ، أنظر إلى مركب عزراييل ،
قد رفع شراعه ، والندا عليه ، أركبوا يا عزا . قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ ،
وجدته يوماً في المسجد ذا كراً ، فقلت له ، كيف أنت ، فقال مُهيم في
روضة يجبرون ، فهمت بالانصراف . فقال أين تذهب من روضة من
رياض الجنة . يقام فيها على رأسك بهذا التاج . وأشار إلى المنار ، مملوءاً
بالله أكبر . قال وأنشدنى أبو العباس بن البنا ، وكتبهما عنه :

قصدت إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار

(١) عندي في الإيسكوريال . وفي الرينونه (بجلاس) .

ولم أحمَدُ فهو ما دون فهمي ولكن خِضْتُ لِزُرَّاءِ الكِبَارِ
 فشأنُ فحولَةِ العُلَمَاءِ شَانِي وشأنُ البَسْطِ تَعْلِيمِ الصِّغَارِ
 قال ، وأخبار ابن شاطرٍ تَحْتَمِلُ كُرَّاسَةَ ، قلت رأيتُه بفاس في أخريات
 عامِ خمسةٍ وخمسين ، وهو الآن بحاله الموصوفة ، قد أُرْبِي على السَّبْعِينَ .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ، ابن الحفاوي (١)

من أهل تونس ، يكنى أبا عبد الله ، نَزِيلُ غرناطة ، ويعرف بالتونسي
 وبابن المؤذن ببلده .

حاله

من « العايد » : قال ، وليُّ الله المُجَابُ الدعوة ، الظاهرُ الكرامة ،
 المشهودُ له بالولاية . وَرَدَ الأندلس في جملة من تُجَارُ بلده ، وبيده مالٌ
 كبير ، بذله في معاملة ربِّه ، إلى أن استأصله بالصدقة ، وأنفقَه في
 سبيل الله ، ابتغاءَ مَرْضَاتِهِ ، وتجرَّد عن الدنيا ، وأخذَ نَفْسَهُ بالصَّلَاةِ والصُّومِ
 والتَّلَاوةِ ، وكثرةِ السُّجُودِ . والتَّطَارُحِ [على ذلك] (٢) ، محفوظاً في ذلك
 كله ، حِفْظَةَ الأولياءِ ، مُذَكِّراً بمن سَلَفَهُ من الزُّهَادِ ، عازباً عن الدنيا
 [أخذَ نَفْسَهُ] (٣) بسلوك الإيتاب عنها ، رحمةً للخلق . وتمالاً للمساكين ،
 يقصده الناس بصدقاتهم ، فيبثُّها في ذوى الحاجات (٤) . فيتألَّف في باب
 مسجده آلافٌ من رجالهم ونسائهم وصبيانهم ، حتى يعمُّهم الرِّفْدُ ، وتسعُّهم

(١) هكذا في الإسكوريال . ووردت في الزينونة (الحفاوي) .

(٢) هذه الزيادة من الزينونة .

(٣) هذه الزيادة من الزينون .

(٤) هكذا وردت في الزينونة . وفي الإسكوريال (الحاجه) . وانظر في السب .

الصدقة . وكان غريبَ الأحوال ، إذا وصلَ وقت الصلاة ، يظهر عليه البشرُ والسُّرور ، ويدخل مسجده الذي ابتناه ، واحتفل فيه ، فيخلو بنفسه آخذاً في تعبدات كثيرة ، غريبة شاملة لجميع أركان المسجد ، ويزدحم الناس حول المسجد ، وأكثرهم أهلُ الفاقة ، فإذا تمكَّن الوقت ، أذن أذانا مؤثراً في القلوب ، جداً وصدقاً ووقاراً ، كان صدره ينصدع عند قول ، لا إله إلا الله . ثم يعيدُ التَّعَبُّدَ والسُّجودَ في الصَّومعة وأذراجِها ، حتى يُفتَحَ باب المسجد ، وينتقل إلى صدرِ المحراب ، فيصلي ركعتا خفيفة . فإذا أقام الصلاة ، ووقف عند المحراب ، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرُّع والتَّمَلُّق^(١) والرغبة ، ما لا تفي العبارة بوصفه ، كأن موقفَه موقفَ أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة . فإذا أتمَّ الصلاة على أتمِّ هيئاتها ، ترى كأن الغبار على وجهه ، أو كأنه حُشير من قَبْرِ ، فإذا شرع في الدعاء بآثر الصلاة ، يتلوه بترداد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل دَعْوَةٍ ، ويتوسَّلُ به ، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمراقبة ، وينجلي عن وجهه ما كان به . وكان يَخْتِمُ القرآن في شهر رمضان مائة ختمة ، فما من ليلة ، إلا ويُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فيها بمسجده . هذا ترتيبه . ولو تَبَّعْنَا ما شوهد من كراماته وأحواله ، لخرجنا عن الغرض .

ولد بتونس في حدود الأربعين وسماية .

توفي في شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيماً ، استوعب الناس كافة ، وحضر السلطان ، فمن دونه ، وكانت تنمُّ . زعموا . على نعشه وقبره رائحة المسك . وتبرك الناس بجنازته ،

(٤) هكذا وردت في الإسحور يال . وفي الزينونه (التخلق) .

وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات . وبتى القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة . وتصدق على قبره بجملة من مال ، ففدى به طائفة من الأسرى . وقبره بباب إسيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال ، معروف هنالك .

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي
من أهل طنجة ، يكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بابن بطوطة .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات ، قال ، هذا رجلٌ لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعماية ، فدخل بلاد مصر والشام والعراق ، وعراق العجم ، وبلاد الهند والسند ، والصين ، وصين الصين ، وبلاد اليمن . وحين عام سنة وعشرين وسبعماية . ولقى من الملوك والمشايخ عالماً ، وجاوز بمكة . واستقر عند ملك الهند ، فحظي لديه ، وولاه القضاء ، وأفاده مالاً جسيماً . وكانت رحلته على رسم الصوفية زيا وسجية ، ثم قفل إلى بلاد المغرب ، ودخل جزيرة الأندلس ، فحكى بها أحوال المشرق ، وما استفاد من أهله ، فكذب . وقال ، لقيته بقرناطة ، وبتنا معه ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نبله ، وحدثنا في تلك الليلة ، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها ، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى ، وهي على قدر مدينة مسقفة كلها . وفيها اثني عشر ألفاً استوف . قلت ، وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا . وانتقل إلى العُدوة ، فدخل

بلاد السودان . ثم تُعرَّف أن ملك المغرب استدعاه ، فلدحق بيابته : وأمر بتدوين رحلته (١) .

سائر الأسماء في حرف الميم

الملوك والأمراء ، وما منهم إلا طارىء علينا أو غريب

مَزْدَلِي بن تيوالتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن وِزْبَابطن بن منصور
ابن نِصَاله بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللتموني

حاله

كان الأمير مَزْدَلِي عَضَدَ القايم بالدولة اللمتونية يوسف بن ناشفين ، وقريبه لالتقائهما في تَرْقُوت ، راش به وبرى ، وجز وفري ، فهو شيخ الدولة اللمتونية ، وكبير العصابة الصنهاجية ، بطلاً ثبُتًا ، بُهْمَة من البُهم بعيد الصيت ، عظيم الجلد ، شهير الذكر ، أصيل الرأي ، مُسْتَحْكَم الحُنْكَة ، طال عمره ، وحمَدت مواعقه ، وبعُدت غاراته ، وعظمت في العدو وقايعه ، وشُكرت عن سلطانه نيابته .

من مناقبه ، استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسعيه ، وردّه إلى مُلْكَة الإسلام بحميد غنايه في مُنتصف رجب عام خمس وخمسين مائة .

(١) إنه لمن بواعث الأسف والدهشة معاً ، أن يقتصر ابن الخطيب في التعريف بابن بطوطة ، أعلم الرحل المسلمين ، على هذه الأسطر العليلية ، التي نقلها من خط سجد ابن الحاج . وقد أثار حزننا به أن يعطى سيرة هذا الرحاله العظيم شيئاً من الأهمية ، فيعدها إليها على الأقل في الحيز الممنول الذي ترجم فيه لمواطنه الرحاله الغرناطي ابن حبير (راجع هده الرحمة في المجلد الثاني من الإحاطة ص ٢٣٠ - ٢٣٩) والتي عرف فيها بحاله ورحلته ومشيخته ونثره وشعره بافاضة . ولقد كان ابن الخطيب ، قبل أن يضع لابن بطوطة هذه الترجمة الموجزة ، على ما قد موده ، صداقه . وقد وجد الله وقت أن كان قاضياً بالسوس بتامسنا (في سنة ٥٧٦٣هـ) أثناء إقامته بسلا ، رسالة يستشير فيها في شراء الأرض بجواره (راجع هذه الرسالة في كتابنا لسان الدين ابن الخطيب . ص ٣٣٤) .

دخله عرباطه . ولى قرطبة وغرناطة وما إليهما من قبل يوسف بن

ناشقين سنة خمس وخمسمائة

قال ابن الصيرفي^(١) ، توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وخمسة مائة . غازيا على مقربة من حصن قسطانية ، طرقت به إلى قرطبة . فوصل يوم الأربعاء ثاني يوم وفاته ، وصلى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي بقرطبة أبو القاسم بن حمد بن ، ودفنه قريب أبيه ، وبُنيت عليه روضة حسنة . وكان ، نصر الله وجهه ، البتية الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف .

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاتي

السيد أبو عمران .

حاله

بيته معروف . وكان أديباً شاعراً ، جواداً ، واختص بالعدل ، فجل قدره في دولته ، وأمله الناس بإشبيليه في حوايجهم لمحلته منهم . ولما انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة ، قدمه عليها ، فبلغ الغاية . وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستماية ، كانت على جيشه الواقعة ، أوقعها به السيد أبو محمد البياسي ، وأخباره شهيره . وتوفي تغريماً في البحر بعد أن ولى بجاية ، رحمه الله وعفما عنه .

شعره

قال ، وكان أبو المطرف بن عميرة ، ينشد له ، يخاطب الفقيه

(٢) هو من علماء غرناطة وكتابه في النصف الأول من القرن السادس الهجري . وقد سبق

التعريف به . (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٠٨ حاشية) .

الأديب أبا الحسن بن حريق بَسْتَحِثُّهُ على نظم الشعر في عَرُوضِ الخَبَبِ .
 خذْ في الأشعار على الخَبَبِ فقُصُوركِ عنه من العَجَبِ
 هذا وبنو الآداب قُضُوا بعُلُوِّ مَجْدِكَ في الرُّتَبِ
 فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة ، منها :

أَبْعَيْدُ الشَّيْبِ هَوَى وَصَبَا كَلَّا لَا لَهْوًا وَلَا لِعِبَا
 ذرَّتْ السُّتُونُ بُرَادَتَهَا فِي مِسْكَ عِدَارِكَ فَاشْتَهَبَا
 وَمِنْهَا : يَا نَفْسَ أَحْيِي تَصَلِي أَمَلًا عَيْشِي رُوْحِيَا تَرَوِي عَجْبَا
 وَخُذِي فِي شُكْرِ الْكِبْرَةِ مَا لَاحَ إِلا صُبْحًا وَمَا ذَهَبَا
 فِيهَا أَحْرَزْتُ مَهَارِفَ مَا أَبْلَيْتَ بِجِدَّتِهِ الْحِقْبَا
 وَالْخَمْرُ إِذَا أُعْتِقَتْ وَصَفَّتْ . أَعْلَى ثَمْنًا مِنْهَا عِنْبَا
 وَبَقِيَّةُ عُمُرِ الْمَرْءِ لَهُ أَنْ كَانَ هِيَ طَبَّا دَرِيَا
 هَبْنِي فِيهَا بِإِنَابَتِهِ مَا هَدَمَهُ أَيَّسَامَ صَبَا

دخل غرناطة ، فوجِبَ ذكره مع مثله .

مَنْدِيلُ بنِ يَعْقُوبِ بنِ عَبْدِ الْحَقِّ بنِ نَحْيِوِ الْأَمِيرِ أَبُو زَيْتَانَ

حَالُهُ

كَانَ فَاضِلًا عَاقِلًا جَوَادًا ، عَيْنُهُ أَبَوُهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو يُوسُفَ بنِ
 عَبْدِ الْحَقِّ ، لِلضَّرْبِ عَلَى أَحْوَازِ مَالِقَةَ عِنْدَ الْفِتْنَةِ . فَاضْطَّرَبَ الْمَحَلَّةَ تَجَاهَ
 سَهِيلٍ ^(١) . وَضَيْقَ عَلَى تِلْكَ الْأَحْوَازِ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ الْجَيْشُ لِنَظَرِ مُوسَى بنِ

(١) سَهِيلٌ ، وَتَسَى الْيَوْمَ بِالْإِسْبَانِيَةِ Fuengirola بَلَدَةٌ مِنْ إِقْلِيمِ مَالِقَةَ ، تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ
 الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ ، عَلَى قَيْدِ نَحْوِ ثَلَاثِينَ كِيلُو مِتْرًا غَرْبِي مَالِقَةَ .

زُحُو من قرابته ، النَّازِعِينَ عن إيالة المغرب من بني رَحُو . وَكَانَ اللِّقَاءُ ،
فوقعت به الدَّبْرَةُ ، وانهزم جيشه ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَسِيقَ إِلَى السُّلْطَانِ ،
فَتَلَقَّاهُ بِالْبَرِّ ، وَرَعَى مَا لَبَيْتَهُ الْكَبِيرُ مِنَ الْحَقِّ ، وَأَسْكَنَهُ مَجَاوِرًا لِقَضْرَه
بِحَمْرَايَه ^(١) ، مَرْفَهًا عَلَيْهِ ، مَحْجُوزًا عَنِ التَّصَرُّفِ ، إِلَى أَنْ كَانَ سَمًا تَلَا حَقَّ
بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء ، وَتَصَّيَّرَ
الْأَمْرَ إِلَى وَلَدِهِ السُّلْطَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ . وَتَجَدَّدَتِ الْأَلْفَةُ
وَتَأَكَّدَتِ الْمَوَدَّةُ ، وَارْتَفَعَتِ الْإِحْنَةُ ، فَكَانَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنَ التَّقَابِهِمَا عَلَى
تَعْنِينَةٍ ^(٢) إِجَازَةً مَلِكِ الْمَغْرِبِ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَحْرَ عَلَى ظَاهِرِ مَرْبَلَّةَ ^(٣) ، وَصُرِفَ
الْأَمِيرُ أَبُو زِيَانَ مَحْبُوبًا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ .

حَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو زَكْرِيَا بْنُ هُدَيْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ ، نُصِبَ لِلْسُّلْطَانِ
أَبِي يَعْقُوبَ خِيَاءٌ اِحْتَفَلَ فِي اتِّخَاذِهِ لَهُ أَمِيرٌ سَبْتَةٌ ، فَبَلَغَ الْعَايَةَ الَّتِي
لَا تَسْتَطِيعُهَا الْمُلُوكُ ، سُمُوَّ عِمَادٍ ، وَامْتِدَادَ ظِلِّ ، وَانْفِسَاحَ سَاحَةِ ، إِلَى إِحْكَامِ
الصَّنْعَةِ ، وَالْإِعْيَاءِ فِي الزُّخْرَفِ . وَقَعَّدَ فِيهِ السُّلْطَانُ مَلِكَ الْمَغْرِبِ ، وَأَجْلَسَ
السُّلْطَانَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْغَالِبِ بِاللَّهِ ، عَنِ يَمِينِهِ ، وَأَخَاهُ
الْأَمِيرَ أَبَا زِيَانَ عَنِ يَسَارِهِ ، وَقَرَأَ عِشَارَهُ الْمَعْرُوفَ بِالْوَقَادِ ، آيَةَ اللَّهِ فِي حُسْنِ
الصُّوْتِ ، وَبَعْدَ مَا سَمِيَ السَّمْعُ ، وَطَيَّبَ النَّعْمَةَ ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ، « يَا أَيُّهَا
الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ ، وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ ،
وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَّصِدِّقِينَ . قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ

(١) بحمرايه أى قصر الحمراء مقر سلاطين غرناطة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (تعبه) .

(٣) مربة . بالإسبانية Marbella ثغر من ثغور شاطيء اسبانيا الجنوبي المسمى بساحل
الشمس Costa del sol ، نظراً لصفو منطلقاته ، وصفاء جوهه ، تقع على نحو ستين كيلو متراً غربى مالمقة
(وراجع المحند الأندلس من الإحاطة ص ١٩٧ حاشية) .

وأخيه ، إذ أنتم جاهلون ، قالوا إنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ، إنه من يتق ويصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » . فكان مقاماً مُبهِتاً . كان السلطان رحمه الله يقول ، لشد ما جنى عليّ عدو الله بقبحته ، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله ، أنا يوسف وهذا أخي . ثم أجاز للعدوة ، فطاح بها لعهد غير بعيد .

وكان الإيقاعُ بجيش الأمير أبي زيّان في أخريات ذى الحجة عام أربعة وثمانين وستاية . فاتصل بذلك موتُ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده ، وكان لقاء السلطانين بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه ، وكان اللقاء كما ذكر في شهر ربيع الآخر من العام المذكور .

ومن الطارئين

المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد ابن [عبد الرحمن بن الحكم] بن هشام
ابن عبد الرحمن بن معاوية^(١)

حاله

كان المُطَرِّف ، ولد الخليفة^(٢) عبد الله أمير المسلمين بالأندلس ، شجاعاً مقداماً ، جريئاً . صرّفه والده الخليفة في الغزوات ، وقوّد العساكر ، وهو الذي بنى حصن لَوْشَة . ووقم كثيراً من الخوارج على والده .

(١) وردت نسبة المطرف محرقة في الإسكوريال حيث ذكرت (المطرف بن عبد الله ابن عبد الله) وأسقط منها من بعد محمد اسم (عبد الرحمن) . ولكنها وردت صحيحة في الزيتونة .
(٢) إن استعمال كلمة (الخليفة) هنا هو من باب التجاوز ، لأن عبد الله لم يكن سوى أمير الأندلس ، ولم تبدأ الخلافة إلا من بعده على يد حفيده عبد الرحمن الناصر .

دخوله غرناطة

قال ابن حيان^(١) غزا المطرف ببشتر^(٢) بسبب ابن حفصون ، إذ كان صالح الأمير عبد الله ، ودفع رهينةً لابنه ، فلما امتحن الطفل ، وُجد غير ابنه ، فنهض إليه المطرف ، وكان القياد على العسكر قبله عبد الملك ابن أمية ، فنهض أصحابه ، ونازل المطرف ابن حفصون ، فهتك حوزته ، وتقدم إلى بنية كان ابنتها بموضع يعرف باللويات ، فشرع في خرابها ، وخرج ابن حفصون ومن معه من النصرانية يدافع عنها ، وعن كنيسة كانت بقربها ، فغلب ابن حفصون ، وهُدمت الكنيسة ، وقتل في هذه الحرب حفص بن المرأة قيده ووجوه رجاله ، وعند الفراغ من ذلك . انصرف المطرف ، فدخل كورة البيرة ، وبنا لوشة ، وتقدم منها إلى البيرة ودخلها ، ثم طاف بتلك الجهات والحصون ، ثم انصرف .

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب ، الإحنة بينه وبين أبيه

قال ، وفي هذه الحركة ، أوقع بعبد الملك بن أمية ، لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له ، وتمزيق العهد في خبر يطول . وكان والده قد أخذ عليه الميثاق عند خروجه إلى شذونة^(٣) ، ألا يعرض إليه بمكروه ، وأقسم له بالإيمان ، لين نال منه شيئاً ليعاقبته بمثله ، فلما قتله ، عقد

(١) أبو مروان بن حيان القرطبي من أعظم مؤرخي الأندلس (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ) . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية) .

(٢) ببشتر وبالإسبانية Bobastro ، بلدة حصينة تقع في شمال غربي مالقة ، وعلى مقربة من شمال شرق رندة ، وكانت أيام الفتنة الكبرى من معقل زعيم ثورة الجنوب ابن حفصون .

(٣) شذونة أو مدينة شذونة وبالإسبانية Medina Sidonia ، تقع في منطقة المرنتيرة في المثلث الإسباني على مقربة من جنوب شرق شريش ، وعلى مقربة منها كانت الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها طارق بن زياد فاتح الأندلس على القوط سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) .

الوثائق عليه ، وأخذ الشهادات فيها بالظلم والشؤم خوفاً من أبيه ، وكتب إليه يعتذر له ، ويحكمه في نفسه .

مقتل المطرف

قال ، وظهرت عليه ، فعال قبيحة ، من أذى جيرانه بما أكد غايلة أبيه عليه ، وأعان عليه معاوية بن هشام ، لما ذكروا أن المطرف كان قد خلا به ، فذكروا أنه نزل يوماً عنده بمنزله ، وأخذوا في حديث الأبناء ، وكان المطرف عقيماً ، فدعا معاوية بصبي يكلف به ، فجاء وبرأسه ذؤابتان ، فلما نظر إليه المطرف حسده ، وقال يا معاوية ، أنتشبه بأبناء الخلفاء في بنيهم ، وتناول السيف فحز به الذؤابة ، وكان معاوية حية قريش دهاء ومكراً ، فأظهر الاستحسان لصنعه وانبسط معه في الأنس ، وهو مضطغن . فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتصاله إليه ، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرف [بما أزعجه ، وأقام على ذلك ليلاً أحكم أمره عند الخليفة] (١) بلطف حيلته ، فأصاب مقتله سهم سعايته . قال ابن الفياض ، بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرف عسكراً للقبض عليه ، مع ابن مضر ، فقتل في داره حتى أخذ ، وجى به إليه ، فتشاور الوزراء في قتله ، فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله ، وقال بعضهم إن لم تقتله قتلك ، فأمر ابن مضر بصرفه إلى داره ، وقتله فيها ، وأن يدفنه تحت الرياحانة التي كان يشرب الخمر تحتها ، وهو ابن سبع وعشرين سنة ، وذلك في يوم الأحد ضحى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

(١) هذه العبارة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

مُنْذِرُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِي

أمير الثغر المنتزى بعد الجماعة بقاعدة سرقسطة ، يكنى أبا الحكم
ويُلقَّب بالحاجب المنصور ، وذى الرياستين

حاله

قال أبو مروان ، وكان [أبو الحكم]^(١) رجلاً من عَرْضِ الجند ،
وترقى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر . وتناهى أمره في الفتنه إلى
الإمارة . وكان أبوه من الفرسان غير النُبهاء . فأما ابنه منذر ، فكان فارساً
نقى الفُرُوسة ، خارجاً عن مدى الجهل ، يتمسك بطرف^(٢) من الكتابة
الساذجة . وكان على غُدْره ، كريماً ، وهبَ قُصَّاده مالا عظيماً ، فَوَدَّوا عليه ،
وعَمَّرت لذلك حَضْرته سرقسطة . فحسنت أيامه ، وهتف المدَّاح بذكره .
وفيه يقول أبو عمرو بن درَّاج القَسْطَلِي^(٣) قصيدته المشهورة ، نحين

صَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَهُ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ :

بُشْرَاكَ مِنْ طَوْلِ التَّرْحُلِ وَالسُّرَى صُبْحَ بَرْوَحِ السَّفْرِ لَاحٍ فَاسْفَرَا
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الْهَلِيِّ حَجَبِ الدُّجَا فَجَرًّا^(٤) بِأَنْهَارِ الذَّرَى مُتَفَجِّرَا

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنسب) .

(٣) هو أبو عمرو (وهو الأرجح في كنيته) أحمد بن محمد بن دراج القسطل ، من أعظم شعراء الأندلس في أواخر عهد المنصور وأوائل عهد الطوائف . ولد سنة ٣٤٧ هـ بقسطة من أعمال جيان . وتوفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) وله مدائح كثيرة لأمرء الطوائف . وقد قام على تحقيق ديوانه ونشره الدكتور محمود علي مكى (دمشق سنة ١٩٦١) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فجرى) . والتصويب من الديوان .

نادى بحى على الندى ثم اعتدلا
لبيك أسمعننا نذاك ودوننسا
من كل طارق ليلى هم^(١) ينتحى
سار ليعدل عن سايك أنجضى
فكأنما أعدته^(٢) أسباب النوى
أو غار من همى فأنحى شأوها
حتى علقنت النيرين فأعلقسا
فسريت في حرم الأهله مظلما
وشعيت أفلاذ الفيواد ولم أكد
ست نسراها الجلاء مغربسا
لا يستفيق الصبح منها ما بدا
ظعن الفن القفر في غول الدجا
يطلبن لج البحر حيث تقاذفت
هيم وما يبغين دونك موردا
من كل نضو الآل محبوبك المنى
بدن فدت منا دماء نحورها
نحرت بنا صدر الدبور فأنبطت
وصبت إلى نحو الصبا فاستخلصت
خوص نفخن بنا البرى حتى انثنت

سُبل العُفاة مهلاً ومكبراً
نوء الكواكب مخويا أو مُنظرا
وجهى بوجه من لقايك أزهرأ
وقد ازدهاها عن سنالك محيرا
نور الهدى عن يديك منورا^(٣)
فلك البروج مغربا ومغورا
مثنى يدي ملك الملوك النيرا
ورفقت في خلع السموم مهجرا
فحدوت من حدو الثريا منظرا
وحدا بها حادى النجاء مشمرا
فلقأ ولا جدى الفراقدا سرا
وتركن مألوف المعاهد مقفرا
أواجبه والبر حيث تنكرا
أبدا ولا عن بحر جودك مصدرا
يزجيه نحوك كل محبوبك القرا
بيغائها فى كل أفق منحرا
قلق المضاجع تحت جو أكذرا
سكن الليالى والنهار المبصرا
أشلاؤهن كمثل أنصاف البرا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (همى) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الديوان (أغرتة)

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال ، ووردت فى الديوان كالتى (تقدر لبعدى

من يديك مقدرأ) .

نَذَرْتُ لَنَا أَنْ لَا تُلَاقِي رَاحَةً
 وَتَقَاسَمْتَ أَنْ لَا تُسَبِّحَ حَيَاتِهَا
 لِلَّهِ أَيَّ أَهْلَةٍ بَلَغْتَ بِنَا
 بَلْ أَيُّ غُضُنٍ فِي ذَرَاكَ هَصْرَتَهُ
 فَلَمَّا صَفَا مَاءُ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي
 وَلَمَّا خَلَعْتَ عَلَيَّ بُرْدًا أَخْضَرَا
 وَلَمَّا مَدَدْتَ عَلَيَّ ظِلًّا بَارِدَا
 [وَكُفَيْلِنَ] (٢) جَعَلَ الْحَيَاةَ بَضَاعَةً
 فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ
 لَهْفَانَ لَا يَرْتَدُّ [طَرْفُ جَفُونِهِ] (٣)
 أَبْنَى لَا تَذْهَبُ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً
 فَلَمَّا تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقَ دَاجِيَا
 وَلَقَدْ وَرَدْتُ مِيَاهَ مَارِبٍ حُقْلًا
 وَنَظَّمْتُ لِلنَّعِيدِ الْحَسَانَ قَلَانِدًا
 وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَصْبًا وَهَاجَا
 وَلِيَعْلَمَ الْأَمْلَاكُ إِنِّي بَعْدَهُمْ
 وَرَمَى عَلَيَّ رِدَائِهِ مِنْ دُونِهِمْ
 ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي

مِمَّا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مُنْزِلِرَا
 دُونَ ابْنِ يَحْيَى أَوْ تَمُوتُ فَتُعْذِرَا
 يُمْنَاكَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ الْمُقْمِرَا
 فَجَرَى (١) فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْكَ وَأَثَرَا
 فَمَا شَرِقْتَ إِلَيْكَ بِالمَاءِ الصَّرِي
 فَلَقَدْ لَبِسْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا
 فَلَكُمْ صَلَبْتُ إِلَيْكَ جَوْأً مُسْعَرَا
 وَرَأَى رِضَاكَ يَهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى
 قَلْبَا بِكَادٍ عَلَيَّ أَنْ يَتَفَطَّرَا
 إِلَّا تَذَكَّرَ عَبْرَتِي فَاسْتَعْبَرَا
 عَنْ غَوْلِ رَحْلِي مُنْجِدَا أَوْ مُغَوَّرَا
 فَلَقَدْ لَقِيتُ الصَّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
 وَأَسَمْتُ خَيْسَلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبْقَرَا
 مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبِهَاءِ وَقَيْصَرَا
 ذَهَبًا يَرِفُ لِنَظْرِي وَجَوْهَرَا
 أَلْقَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
 مَلِكُ تُخَيَّرَ لِلْعَلَا فَتَخَيَّرَا
 مِنْ كَانَ بِالْقَدْحِ الْمُعْلَى أَجْدَرَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (نخر)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (وكفالك من)

(٣) وردت في الإسكوريال (في أجفانه) بعبارة الديوان (طرف جفونه) أنسب

مِنْ فَلَكَ طَرْفِي مِنْ تَكَالِيفِ الْفَلَا
 وَكَفَا عَسَابِي مِنْ أَلَامِ مُعَسِّدِرَا
 وَمَسَائِلِ عَنِي السَّرْفَاقِ وَوُدَّهُ
 وَبِقَيْتِي فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلَا
 كَلِيلًا وَقَدْ آتَسْتُ مِنْ هُودِ هُدًى
 [وَأَصَبْتُ فِي سَبَابِ مَوْرَثِ مُلْكِهِ
 فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تَبِعَ رَانِعَسَا
 وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ مَمْنُوعِ الْجِمَى
 وَحَطَطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمِ
 وَلَقَيْتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتِ عَجَاجَةِ
 وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَسَائِقَ ذِمَّةِ
 وَأَتَيْتُ بَحْدَلٍ وَهُوَ يَرْفَعُ مِنْبِرَا
 وَحَطَطْتُ بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا
 تِلْكَ الْبَحُورُ تَتَابَعْتُ وَخَلَفْتُهُمَا
 وَلَقَدْ تَمَّوْكَ وَوَلَادَةٌ وَسِيَادَةٌ
 فَمَمَّرْتُ بِالْأَمَالِ (٣) أَكْرَمَ أَكْرَمِ
 وَشَمَائِلِ عَيْقَتِهَا سُبُلَ الْهُدَى
 أَهْدَى إِلَى شَعْفِ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى
 وَمَشَاهِدِ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَيَّامُهَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (السادات) .

(٢) هذا البيت ساقط في الإسكوريال . ووارد في الديوان .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الديوان (بالإقبال) .

لاقيت فيها الموت أسود أدهما
 ولو اجتلى في زِيِّ قِرْنِكَ مُعَلِّمًا
 يسا من تَكْسِيرٍ بِالنَّكْرَمِ قَدْرُهُ
 والمنذر الأعداء بالبشرى لنا
 ما صُورَ الإِيمانُ في قلبِ امرئٍ
 فارفع لها عِلْمَ الهُدَى فلمثلها
 وانصُرْ نُصِرْتَ من السماءِ فإنما
 واسلَمَ ولا وجَلُوا لجوكِ مَنفَسًا
 فذَعَرَتْهُ بالسَّيفِ أبيضَ أَحْمرا
 لتركتَه تحت العجاجِ مُعْفَرًا
 حتى تكسرمَ أن يُرى مُتَكَبِّرًا
 صدَقَتْ صفاتك مُنذرا ومُبَشِّرًا
 حتى يراك اللهُ فيه مُصَوِّرًا
 رَفَعَتْكَ أعلامُ السيادةِ في الذُّرى
 ناسبتُ ^(١) أنصارَ النبي لتُنصرا
 في النائباتِ ولا لِبَحْرِكَ مَعْبَرًا ^(٢)

س سيرته

قال ، وساس لأول ولايته عظيم الفِرْنَجَةِ ، فحُفِظَتْ أطرافُه ، وبلغ من
 استمالته طوايفَ النصرانية ، أن جرى على يديه بحضرتَه . عقد مصاهرة
 بعضهم ^(٢) ، فقَرَفَتْهُ الألسنة لسعيه في [نظام سلكِ النصراني] ^(٤) . وعَمُرَ
 به الثَّغرُ إلى أن أُلُوْتُ به المنيَّةُ . وقد اعترف له الناس بالرأى والسياسة .

- (١) هكذا وردت في الديوان وفي الإسكوريال (ناصبت) والاول أرجح .
- (٢) لم يرد في الزيتونة من هذه القصيدة سوى البيتين الأولين . ووردت القصيدة برمتها في ديوان ابن دراج القسطل السابق ذكره (ص ١٢٤ - ١٣١) . وأورد منها ابن بسام في الذخيرة ثلاثين بيتا (القسم الأول من المجلد الأول ص ٥٦ - ٥٨ طبعة الجمعية المصرية) .
- (٣) كانت هذه المصاهرة بين سانشو ملك نافار (أذربه) ورامون بوربل أمير برشلونة حيث اقترن الأول بابنة الثاني . وعقد الزواج بقصر الأمير المنذر بقرقطة ، وحضره الفقهاء والقساوسة وأعيان الملتين .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الربوبه دلائق : (نظام ملك النبار) وملك النبار ، هنا يعني ملك نافار أونبره ، وكلا القراءتين صحيحة ، وتزدى معنى مناسيا .

كُتِبَهِ واستكتب عدة كتّاب كابن مندور وابن أزرُق . وابن واجب وغيرهم .

وصوله إلى غرناطة

وصل غرناطة صُحبة الأمير المُرتضى الآلئ ذكره ، وكان ممن انهزم بانهزاه . وذكروا أنه مرَّ بسليمان بن هُود ، وهو مُثبِت للإفرنج الذين كانوا في المحلّة لا يريم موقفه^(١) ، فصاح به النجاة ، يا ابن الفاعلة ، فلست أقف عليك ، فقال له سليمان ، جيت والله بها صلماً ، وفصّحت أهل الأندلس ، ثم انقلع وراه .

وفاته

وكانت على يَدَي رجل من أبناء عمه يدعى عبد الله بن حَكَم ، كان مُقدِّماً في قُواده ، أضمر غُدْره ، فدخل عليه ، وهو غافل في غلالة ، ليس عنده إلا نفرٌ من خواصّ خُدّمه الصُّقُلب ، قد أكبَّ على كتاب يقرؤه ، فوالاه بسِكِّين أجهز به عليه . وأجفل الخدم إلا شَهْم منهم أكبَّ عليه فمات معه . ومَلِك سَرَقِسطة ، وتمسك بها أياما ، ثم فرَّ عنها ، ومَلِكها ابن هُود . وكان الإيقاع به غرة ذى حجة سنة ثلاثين وأربعمائة ، رحمة الله عابه .

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعقوب بن زيان
الأمير يتلمّسان ، يكنى أبا حَمُو .

(١) أى لا يريم .

أُولَيْتِهِ

أُولَيْتِهِ مَعْرُوفَةٌ تَنْظُرُ فِيهَا سَلْفٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ .

حَالِهِ

هَذَا السُّلْطَانُ مُجْمَعٌ عَلَى حَزْمِهِ ، وَضَمُّهُ لِأَطْرَافِ مُلْكِهِ ، وَاضْطِرَّاعُهُ بِأَعْيَاءِ مُلْكِ وَطَنِهِ ، وَصَبْرُهُ لِدَوْلَةِ قَوْمِهِ وَطُلُوعِهِ بِسَعَادَةِ قَبِيلِهِ . عَاقِلٌ ، حَازِمٌ . حَصِيفٌ ، ثَابِتُ الْجَأَشِ ، وَقَوْرٌ مَهِينٌ ، جَمَاعَةٌ لِلْمَالِ ، مَبَاشِرٌ لِلْأُمُورِ ، هَاجِرٌ لِلذَّاتِ ، يَقِظٌ ، مُتَشَمِّرٌ . قَامَ بِالْأَمْرِ غُرَّةَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي عَاشِرِ سِتِينَ ^(١) ، مُرْتَأَشُ الْجَنَاحِ بِالْأَخْلَافِ مِنْ عَرَبِ الْقِبْلَةِ ، مَعُولًا عَلَيْهِمْ عِنْدَ قَصْدِ عَدُوِّهِ ، وَحَلَبُ ضِرْعِ الْجَبَايَةِ ، فَأَثَرَى بَيْتُ مَالِهِ ، وَنَبِهَتْ دَوْلَتُهُ ، وَاتَّقَتْهُ جِيرَتُهُ ، فَهُوَ الْيَوْمَ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالسَّدَادِ .

أَدَبُهُ وَشَعْرُهُ

وَوَجَّهَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي جُمْلَةِ هَدَايَا وَدِّيَةِ ، وَمَقَاصِدِ سِنِيَّةٍ ، نَسَخَةً مِنْ كِتَابِهِ الْمَسْمُومِ «بِوَاسِطَةِ السُّلُوكِ فِي سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ» ^(٢) ، افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ نِعْمَتَهُ عَلَى الْخَلْقِ ، بِمَا أَلْفَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ، شَامِلَةً شَائِعَةً ، وَيَسَّرَ طَوَائِفَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْيُسْرَى ، فَأَتَتْ إِلَيْهَا مُسَاعَدَةٌ مُسَارِعَةً ، وَحَضَّهَمَ عَلَى الْأَخْذِ بِالْحُسْنَى ، وَلَا أَحْسَنُ مِنْ نَفْسٍ أُرْشِدَتْ ،

(١) أَمِنْ سِتَّةِ سَعْدَانَةٍ وَسِتِّينَ ٥٧٦٠ .

(٢) نَوَجِدُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ نَسَخَةَ مَحْطُوطَةٍ مَحْبُوبَةِ جِرَانِزِ الْوَطَنِيِّ حَفِظَ بِهَا فِي ١٣٧٤ مِنْ فِهْرَسِ Jagnan وَتَقَعُ هَذِهِ النُّسخَةُ فِي ٩٣ لَوْحَةٍ كَدْرَةٍ مَكْتُوبَةٍ بِحِطِّ مَغْرِبِي . وَغَدًا نَطَّلِعُ عَلَى الْكِتَابِ وَهُوَ يَجْتَمِعُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ . الْأَوَّلُ فِي « الْوَسَائِلِ وَالْحَدِيمِ » وَالثَّانِي فِي « فُرُوعِ الْمَلِكِ وَأَرْكَانِهِ » وَالثَّلَاثُ فِي « الْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ الْمَلِكِ » وَالرَّابِعُ فِي « الْفِرَاسَةِ » وَيَخْتَلِلُ هَذِهِ الْأَبْوَابُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَايَاتِ وَالسُّوَابِقِ .

فَأَقْبَلَتْ لِإِرْثِهَا طَالِبَةً وَلرَبِّهَا طَائِعَةً . وَلَا أُسْمَى مِنْ هِمَمٍ نَظَرَتْ بِحُسْنِ
السِّيَاسَةِ فِي تَدْبِيرِ الرِّيَاسَةِ . الَّتِي هِيَ لِأَشْنَاتِ الْمَلِكِ جَامِعَةٌ . وَلِأَسْبَابِ
الْمَلِكِ مَانِعَةٌ ، وَأَظْهَرَتْ مِنْ مَعَادِنِهَا دُرَّرَ الْحِكْمِ ، وَغُرَّرَ الْكَلِمِ لِإِيحَةِ لَامِعَةٍ ،
فَاجْتَلَتْ أَقْمَارَهَا طَالِعَةً ، وَاجْتَنَّتْ أَزْهَارَهَا يَانِعَةً . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ
الْكَرِيمِ ، الْمَبْعُوثِ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، سَاطِبَةِ سَاطِعَةٍ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْمُعْجَمَاتِ
قَاصِمَةً لظُهُورِ الْجَاحِدِينَ قَاطِعَةً . الَّذِي زُوِّبَتْ لَهُ الْأَرْضُ ، فَتَدَانَتْ أَفْكَارُهَا
وَهِيَ نَابِيَةٌ شَاسِعَةٌ ، وَاشْتَاقَتْ لَهُ الْمِيَاهُ ، فَبَرَزَتْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ يَانِعَةً ،
وَأَمْتَلَّتْ السَّحَابَ أَمْرَةً ، فَسَحَّ بِاسْتِسْقَايِهِ دُرًّا هَامِيَةً هَامِعَةً ، وَحَنَّ الْجِدْعُ
لَهُ ، وَكَانَ حَنِينُهُ لِهَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ آيَةً رَابِعَةً ، إِلَى مَا لَا يُحْصَى بِمَا أَتَتْ
بِهِ مُتَوَاتِرَاتِ الْأَخْبَارِ ، وَصَيِّحَاتِ الْآثَارِ ، نَاصِرَةً لِشُبُوتِهِ سَاطِعَةً . صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَعَجَّرْتِهِ الَّتِي أَجَابَتْ دَاعِيَ اللَّهِ خَاشِيَةً خَاشِعَةً ،
وَأَذَعَنْتِ لِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ مِنَ الْاسْتِيْدَادِ
خَالِيَةً ، وَلِلْأَنْدَادِ خَالِعَةً ، صَلَاةً دِيمَتُهَا دَائِمَةٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَسَلْمٌ كَثِيرًا « .
جَمَعَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُلُوكِ وَسَيَّرِهِمْ ، وَخَصَّ بِهِ وَوَلَدَهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ ،
فَجَاءَ مَجْمُوعًا يُسْتَنْظَرُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الْأَدَبِ وَمَحَلِّهِ .
وَتَبَيَّنَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنْ شِعْرِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةٌ أَجَابَ فِيهَا أَحَدَ
رُؤُوسِ الْقَبَائِلِ ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ الرَّجُوعَ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَالْإِنْتِظَامَ فِي سَبِيلِ
جَمَاعَتِهِ ، وَهِيَ :

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرَّبُوعِ الطَّوَّاسِمِ وَمَا قَدْ مَضَى مِنْ عَهْدِهَا الْمُتَقَادِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ [بَعْدَ أَنْسِهَا] ^(١) بِصَبْرِ مُنَافٍ أَوْ بِشَوْقِ مُلَازِمِ
تَهِيمٍ بِمَعْنَاهُمْ وَتَنْدُبِ رَبِّعِهِمْ وَأَيَّ فُؤَادِ بَعْدِهِمْ غَيْرِ هَامِيمِ

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هذا نسيمها)

وما حبُّ سلمي للفتى بمُسالِم
ولا تقُل في تذكّار تسلك المعالم
ولا يَسْتَبِي إلا الضَّعيف العزائم
قريبٌ من التَّقوى بعيدُ المائِم
يُساق بِخَلْقِ الشَّهيد مُرَّ العَلاقِم
بحارِ الرّدى في لُجَّها المِتلاحِم
وتنثُرُ دُرّاً مِنْ دُموعِ سَواجِم
مقالةُ باكٍ أو ملامَةٌ لايسِم
لنجنِب اللُّوم اجتناب المَحارِم
إذا هام قوم بالحسان النِّواعِم
أحبُّ إلينا من بروق المباسِم
فأشجى لدينا من غنا الحمائم
قدود العوالى أو خدود الصوارِم
إلا غمادها الأبحرُ الغلاصِم
بتفريق ما بين الطلّى والجماجِم
ويرهب منا الحرب كلُّ مُسالِم
ونقدم إقدام الأسود الضّراغِم
يعسود إلى أوطنانه بالغنائِم
إذا شيك مظلوم بشوكة ظالم
ويحميه منا كل ليثٍ صيارِم^(٢)

تَحِنُّ إلى سلمى ومن سَكَن الحِمى
فلا تَندِب الأطلال. واسلُ عن الهوى
فإنَّ الهوى لا يَسْتَفِيزُ ذوى النهى
صبورٌ على البَلوى طَهُورٌ من الهوى
ومن يَبِغ دَرَكَ المَعَلّوات ونيلها
ولايمَةُ لما رَكِبنا إلى العُلا
تقول بإشفاقٍ أَتَنسى هوى الدِّما
إليك فإنّا لا يَرُدُّ اعتزامنّا
ألم تَدُر أن اللوم لومٌ وأننا
فما بسوى العُلّيا هِمنا جلالَةٌ
بزوق السُّيوف المَشرفيات والقنا
وأما صَميل السَّابحات لذي الوغى
وأحسنٌ من قدِّ الفتساء وخدّها
إذا نحن جردنا الصوارِم لم تُعد
نواصل بين الهند [وإلى الطّلا]^(١)
فيرغب منا السِّلْم كلُّ مُحارب
نقسود إلى الهيجاء كلُّ مُضَمَّر
وما كلُّ من قاد الجيوش إلى العدا
وننصر مظلوما ونمنع ظالمسا
ويأوى إلينا المُستجير ويلتجى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وإلى الطّلا) .

(٢) هكذا وردت في « الزيتونة » . وفي الإسكوريال (ضبارم) .

ألم تر إذ جاء السَّبَّيْعِيُّ (١) قاصداً
 وذلك لما أن جفاه صحابه
 وأزمع إرسالاً إلينا رسالةً
 وكان رأى أن المهامة (٢) بيننا
 وقال ألا سل من عليم مجربٍ
 فيبلغ عنه الآن خيرَ رسالةٍ
 على ناقةٍ وجناء كالحرفِ ضامرٍ
 [من اللابي يُظلمن الظليم إذا عدى
 إذا أتلت فوق السحاب جوابها
 وإن هملجت بالسير في وسط مهمه
 ولم يأمن الخلان بعد اختلاهم
 فقالوا فحملها الحمائم قال لا
 وما القصد إلا في الوصول بسرعة
 فقال لنعم المرسلات وإتما
 فلم يلف فيها للأمانة مَوْضِعاً
 فحينئذ وافى إلينا بنفسه
 يجوب إلينا البَيْدَاءَ قصداً وبشرنا (٦)
 طُلاب الملا تَسْرَى مع الوحش في الفلا ويصحب منها كل باغٍ وباغم

- (١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (السبيع) والأولى أنسب للوزن.
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (بكي).
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (الملامة).
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (نجريها).
 (٥) هذان البيوتان في الإسكوريال وساقطان في الزيتونة.
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي الزيتونة (سرنا).

على سَلَهَبٍ ^(١) ذى صوتين مُطَعَمٍ ^(٢)
 إذا شاءَ أَىَّ الوَحْشِ أدركه به
 ويُقدِّمه طوعاً إِيَّنا رِجلوه
 ألا أيها الآتى لظِلِّ حَناننا
 وقوبلتَ منا بالذى أنتَ أهله
 كذا دأبنا للقادمين محلننا
 وهذا جوابٌ عن نظامك إِيَّنا
 ونحن ذوو التيجان من آلِ حَمير
 بهمتنا العليسا سمونا إلى العلاء
 شددنا لها أزرأً وشدنا بناءها
 نَظَمنا شتيت المجد بعد افتراقه
 ورَضنا جِياد المُلِك بعد جِماحها
 مناقِبُ زِيانِيَّةٍ ^(٣) موسَوِيَّةٍ
 يَقْصُرُ عن إدراكها كلُّ مُبتَغٍ
 فله منا الحمدُ والشكرُ دائماً
 ونختصُّكم منا السلام الأثير ما

من المَغْرَبات الصَّافنات الصَّلام
 فتحسبه في البيد بعض النعائم
 حمايتنا إِيَّما من كلِّ ظالم
 نزلتَ برحْب في عِراض المكارم
 وفاض عليك الجودُ فيض النعائم
 حمىً ونسداً يُنسى به جودُ حاتم
 بُعثنا به كاللؤلؤ المتنبساضم
 لعمرك ما التيجان غيرُ العمايم
 وكم دون إدراك العلاء من ملاحم
 وكم مكثتُ دهرأً بغير دَعائم
 وكم باتَ نهياً شمله دون ناظم
 فذلَّت وقد كانت صِعباب الشكايم
 يُدُلُّ لها عزُّ الملوك القمايم
 ويعجز عن إحصائها كلُّ ناظم
 وصلى الله على المختار من آل هاشم
 تضاحك روض عن بُكاء النعائم

قلت ، ولما تعرَّفتُ كلفه بالأدب . والإمام بمجاورته ، عزمتُ على
 لقائه ، وتشوَّقتُ عند العزم على الرِّحلة الحجازية . إلى زيارته ، ولذلك
 كنتُ أخاطبه بكلمة منها :

(١) فرس ساهب أى طويل ، وخيل ساهب .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (مطمع) .

(٣) نسبة إلى يغمراسن بن زيان بن ثابت زعيم بنى عبد الواد ، ومؤسس مملكة تلمسك

المستقلة فى سنة ٦٤٠ هـ ورأس هذه الأسرة الملوكية .

على قَدَرٍ قد جِيتَ قومَكَ يا موسى فجلَّتْ بك النُّعمَى وزالتْ بك البُوسَى
فحالتْ دون ذلك الأحوال . وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد .
وفَّقَه اللهُ ، وسائر من تولَّى أمراً من أمور المسلمين .
وجرى ذكره في رجز الدول ^(١) من نظمي :

بأدرها المُفدَى الهمامُ موسى فآذهب الرحمن عنهما البُوسَى
جدد فيها المَلِكُ لما أخلقا وبعث السَّعد وقد كان لقسا
ورتب الرُّتبَا والرُّسوما وأطلَّع الشُّمس والنُّجوما
واختجن المال بها والعُدَّة وهو بها باق لهذى المُدَّة
ولد بمدينة غرناطة حسباً وقعتُ عليه بخط الثُّقة من ناسه ، في أول عام
ثلاثة وعشرين وسبعماية ^(٢) .

مُبارك ومُظفر الأَميران مَوليا المنصور بن أبي عامر

حالهما

قال أبو مروان ^(٣) ، ترقياً إلى تَمَلُّك بَلَنْسِيَة من وكالة السَّاقِيَة ،
وظَّهر من سياستهما وتعاوُضهما صحَّة الألفَة طول حياتهما ، ما فاتا به في
معناها أشقاء الأُخوة ، وعُشاق الأَحِبَّة . إذ نَزَلَا معاً بقصر الإمارة مُختَلِطِينَ ،
تجمعهما مائةٌ واحدةٌ من غير تَمييزٍ في شَيْءٍ ، إلا الحُرْمَ خاصَّةً . وكان
التَّقدُّمُ لمُبارك في المُخاطبة . وحفظ رسوم الإمارة . أفضلُ صرامةً وذكراً ،

(١) يقصد ابن الخطيب هنا الإشارة إلى كتابة (رقم الحلل في نظم الدول) وقد عرفنا به في مقدمة هذا الكتاب .

(٢) توفي السلطان العالم الأديب أبو حو - موسى بن يوسف بن عبد الرحمن في سنة ٧٩١ هـ ، قتيلاً خلال ثورة قام بها ولده أبو تاشفين لانزعاع الملك منه بمعاونة بني مرين .

(٣) يعنى أبو مروان ابن حيان (بن خلف بن حيان) .

قَصَرَ عَنْهُمَا مُظْفَرٌ ، لدمائة خُلِقَ ، وانحِطَاطِهِ لصاحبه في ساير أمره ،
على نخلته بكتابة ساذجة وفروسة ، فيلغا الغاية من اقتناء الأسلحة
والآلات الملوكية ، والجَيل المُغْرِبَات ، ونفيس الحُلِيِّ والخَلَلِ ، وإشادة
البناء للقصور . واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما ، ومن تعلق بهما
من وزراءهما وكتّابهما ، ولم يعرض لهما عارضٌ إنفاق يبتلك الآفاق^(١) ،
فانغمسا في النعم إلى قِمَمِ رؤوسهما حتى انقضى أمرهما .

قال ، وكان موتُ مبارك أنه ركب يوماً من قصر بلنسية ، وقد
تعرض أهلها مُستَغِيثِينَ من مالٍ افترضه عليهم ، فقال لهم ، إن كنت
لا أريد إنفاقه فيما يعمُ المسلمین نفعه ، فلا تُؤخر عقوبتي يومى هذا .
وركب إثر ذلك . فلما أتى القنطرة ، وكانت من خشب ، خرجت رجلاً
فرسه من خدها فرمى به أسفلها ، واعترضته خشبة ناتئة شَرَحَتْ وجهه ،
وسقط الفرس عليه ، ففاضت نفسه ، وكفاهم الله أمره يومئذ .

وفي مبارك ومُظْفَرٍ يقول أبو عمرو بن دراج القسطلي رحمه الله :

أنورك أم أوقدت بالليل نارك	لباغ قيرارك أو لباغ جوارك
وربّك أم عرف المجامر أشعلت	بعود الكباء والألوة نارك
ومبسمك الوضاح أم ضوء بارق	حداه دعائي أن يجود ديارك
[وخلقالك استنضيت أم قمر بدا	وشمس تبّدت أم ألحت سوارك] ^(٢)
وطرة صبح أم جبينك سافراً	أعرت الصباح نوره أم أعارك
وأنت هجرت ^(٣) الليل إذ هزم الضحى	كتائبه والصبح لما استجارك

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتون (الأقطار) .

(٢) هذا البيت وارد في ديوان ابن دراج (السابق التعريف به) وساقط في الإسكوريال

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (أجرت) .

فَللصُّبْحِ فِيمَا بَيْنَ قِرطِينِكَ مَطْلَعٌ
 فَيُنَالُ التَّهْنَارَ لَا يُغِيضُ ظِلَامُهُ
 وَنَجْمُ الشَّرِييَا أَمْ لَأَلْ تَقَسَّمَتْ
 لِسُلْطَانِ حُسْنٍ فِي بَدِيحِ مَحَاسِنِ
 وَجُنْدُ غَرَامٍ فِي دَرُوعِ صَبَابَةٍ
 هُوَ الدُّنْكَ لَا بَلْقَيْسَ أَدْرَكَ شَأْوَهَا
 وَقَادِحَةُ (١) الْجَوْزَاءِ رَاعِيَةٌ مَوْهِنًا
 وَطَيْفُكَ أَسْرَى فَاسْتَشَارَ تَشَوُّقِي
 وَمَوْقِدُ (٢) أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتِظَارَانِي
 فَكَمْ جُزْتِ مِنْ بَحْرِ إِلَى وَمَهْمَةً
 [أَدْوُ الحِطِّ مِنْ عِلْمِ الكِتَابِ حَدَاكَ لِي
 وَكَيْفَ كَتَمْتَ اللَّيْلَ وَجَهَكَ مَظْلَمًا
 وَكَيْفَ اعْتَسَفْتَ الْبَيْدَ لَافِي ظِعَانِي
 وَلَا أَدِّنُ الحَيَّ الْجَمِيعُ بِرَحْلَةٍ
 وَلَا أَرْزَمْتُ خَوْضَ المَهَارَى مَجِيبَةً
 وَلَا أَذَكَّتَ الرُّكْبَانَ عَنْكَ عِيُونَهَا
 وَكَيْفَ رَضِيْتَ اللَّيْلَ مَلْبَسَ طَارِقِ
 وَكَمْ دُونَ رَحْلِي مِنْ بَرُوجِ (٥) مَشِيدَةٍ

وَقَدْ سَكَنَ اللَّيْلَ البِهِيمِ خِمَارِكِ
 وَبِالظُّلَامِ لَا يُغِيضُ نَهَارَكَ
 يَمِينِكَ إِذْ ضَمَّخْتَهَا أَمْ يَسَارَكَ
 يَصِيدُ القُلُوبَ النَّافِرَاتِ نِفَارَكَ
 تَقْلُدُنِ أَقْدَارَ الهَوَى وَاقْتِدَارَكَ
 مَدَاكَ وَلَا الزَّبَاءُ شَقَّتْ لُنُبَارَكَ
 بَحْرًا هَوَاكَ أَمْ تَرَسَّمْتُ أَدَارَكَ
 إِلَى العَهْدِ أَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتِشَارَكَ
 أَمْ الرُّوحَ لِمَارِدٍ فِي اسْتِطَارَكَ
 يَكَادُ يُنْسِي المُسْتَهَامِ ادِّكَارَكَ
 أَمْ الفَّلَكُ الدَّوَارِ نَحْوِي أَدَارَكَ (٣)

أَشْعَرَكِ أَغَشَيْتِ (٤) السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ
 وَلَا شَجَرُ الخَطِيَّ حَفَّ شَجَارَكَ
 أَرَاكِ لَهَا رَاعِي المَخَاضِ عِشَارَكَ
 صَهِيلِ جِيَادِ يَكْتَنِفُنِ قِطَارَكَ
 حِذَارِ عِيُونِ لَا يَنْمُنُ حِذَارَكَ
 وَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إِلَّا اسْتِنَارَكَ
 تُحَرِّمُ مِنْ قَرَبِ المِزَارِ مِزَارَكَ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (وقادحة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (ومرتد) .

(٣) هذا البيت ساقط في الإسكوريال ووارد في الديوان .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (أنشيت) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (قصور) .

وقد زارتُ حولي أسودٌ تهاَمست
وأرضي سيولٌ من خيولٍ مُظفَّر
بحيث وجدتُ الأَمَنَ يهتفُ بالمُنَى
هَلُمِّي إلى بَحْرَيْنِ قد مَرَجَ النَّدَى
هَلُمِّي إلى سَيْفَيْنِ والحدُّ واحدٌ
هَلُمِّي إلى طِرْفَيِ رِهَانٍ تقدِّما
هَلُمِّي إلى قُطْبِي نجومٍ كتائب
وحِيٍّ^(٢) على دَوْحَيْنِ جادَ نَداهما
وبُشْرَاكَ قد فَازَتْ قِداحُكَ بالعلَا^(٤)
شريكانِ في صِدْقِ المُنَى وكلاهما
هما سَمعا دَعواكَ يادَعوةَ الهدى
[وسلّا سيوفاً لم تزل تَلتَطِي أَسَى
ويَهْنِيكَ يا دارَ الخِلافةِ مِنهما
كلا القَمَرَيْنِ بين عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ
فَقادَ إِلَيْكَ الخِيلَ شُعْناً شَوازِيا
سَوابِقَ هَيْجاءَ كَأَنَّ صَهِيلَها
بِكلِّ سَرِيٍّ العِتقِ سَرِيٍّ عن الهدى

لها الأَسَدُ أَنْ كُفِّي عن السَّمعِ زارَكَ
وليلي نجومٌ من سِماؤِ مُبْشارِكَ
هَلُمِّي إلى عَيْنَيْنِ جادا سَرايِكَ
عُبابَيْهِما لا يَسْأَمانِ اانتظارِكَ
يُجيرانِ من صَرَفِ الحِوادِثِ جارِكَ
إلى الأَمَدِ الجالِي عَليكِ ااختيارِكَ
تَنادى نجومٌ التَّعَسُّ غُورى مَغارِكَ^(١)
ظِلالِكَ واستَدْنِي إِلَيْكَ^(٣) ثِمَارِكَ
وأعْطيتِ من هذا الأَنامِ خِيارِكَ
إِذا قارَنَ^(٥) الأَقْرانِ غيرَ مُشارِكَ
وقد أوثِقَ الدهرُ الخُشُونِ إِسارِكَ
بشارِكَ حتى أَدْرَكَكَ لَكَ ثارِكَ
هَلالانِ لاحاً يَرُفَعانِ مَنارِكَ
أَثارتِ كُسُوفَ يَافِئِكَ وجَلَّتِ سَرايِكَ^(٦)
يُلبِّينِ بالنَّصرِ العَزيزِ اانتصارِكَ
يُجاوِبُ تحتِ الخافِقاتِ شِعارِكَ
وكلِّ حَمِيٍّ الأَنفِ أَحْمَى ذِمَارِكَ

- (١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الديوان .
(٢) هكذا وردت في الديوان . وفي الإسكوريال (وحبا) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الديوان (إلى) .
(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بالمنى) .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (بارز) .
(٦) هذه الأبيات الثلاثة واردة في الديوان وساقطة في الإسكوريال .

تحلّوا من المنصور نصراً وعزّة
 إذا انتسبوا يوم الطّمان لعامر
 يقودهم منهم سراجاً كتائب
 إذا اقترت الرايات عن غرّتيهما
 وإن أشرق التّادى بنور سناهما
 وكم كشفنا من كربة بعد كربة
 وكم لبيا من دعوة وتسداركا
 ويانفس غاوى كم أقرّاً نفارك
 ولست ببدع حين قلت لهمتي
 [فله صدق العزم آية غرة
 فإن غالت البيد اصطبارك والسرى
 وياخلة التّسويف قومي فأغدي
] وحسبك بي ياخلة النّاي خاطري
 فقد آن إعطاء النّوى صفقة الهوى
 وياستر البيض النّسواعم أعلني
 نواجسي واستودعتهن نواجيسا
 ودونك أفلاذّ الفؤاد فشمّري
 صرفت الكرى عنها بمعتق^(٥) السرى

فأبلوك في يوم البلاء اختيارك
 فعمرك يا هام العدى لا عمارك
 يقولان للدنيا أجدى افتخارك
 فيا للعدى أضللت منهم فرارك
 فيسرى الأماني عينك لاضيمارك
 تقول لها النيران كفى أوارك
 شفى رمق ما كان بالمتدارك
 ويارجل هاو سم أقالا عثارك
 أقلّ لإعتاب الزمان انتظارك
 إذا لم تطيعني في لعل اغترارك^(١)
 فما غال ضيم الكاشحين اصطبارك
 قناعك من دوني وشدى إزارك
 بنفسى إلى الحظّ النفيس حطارك^(٢)
 وقولك للأيام [جورى مَجارك]^(٣)
 إلى اليعملات والرّحال بدارك^(٤)
 حفاظك يا هذى بذى وازدهارك
 ودونك يا عين اللّبيب اعتبارك
 وقلت أديرى والنجوم عمارك

(١) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٢) هذا البيت وارد في الديوان وساقط في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الديوان (حورى محارك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الديوان (سراك) .

(٥) هكذا وردت في الديوان ، وفي الإسكوريال (بمعتق) والأولى أنسب للسياق

فإن وجبتَ للمغربتين جنوبهما
 فأورى بزندی سُدفة ودجنة
 وإن خلع الليلُ الأصائلَ فاخلعي
 بلنسيةً مشوى الأمانى فاطلسى
 سينبىك زجرى عن بلاءِ نسيته
 وأظفرُ سعى بالرضا من مظفر
 قصيُّ المنى^(١) قد شام بارقة الحيسا
 وحمداً يمينى قد تملأتِ بالمسنى
 وقل لسماء المزن إن شئت أقلعى
 ولا توحشى. يادولة العزِّ والمنى^(٢)

فداوى برقراق السراب خُصارك
 إذا كانتا لى مَرخك وعَفْصارك
 إلى الدلمكين الأكرميين عذارك
 كنوزك فى أقطارها وادخارك
 إذا أصبحت تلك القصور قُصارك
 وبورك لى فى حُسن رأى مُبصارك
 وانشقت يا ظئر الرجا حُوارك^(٣)
 وشكراً يسارى قد حَويتِ يسارك
 ويا أرضها^(٤) إن شئت غيضى بحارك
 مساءك من نُورَيْهما وابتكارك^(٥)

وصولهما إلى غرناطة

وصلامع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المرتضى، وكان من انهزام الجميع
 بظاهاها، وإيقاع الصنهاجة^(٦) بهم ما هو معلوم حسب ما مر ويأتى بحول الله.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء

بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

- (١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الديوان (فظم).
 (٢) هكذا وردت فى الديوان . وفى الإسكوريال (جوارك) . والأولى أنسب للسياق .
 والحوار هو ولد الناقة الرضيع .
 (٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (ويا أرضها) .
 (٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الديوان (الندى) .
 (٥) وردت هذه القصيدة برمتها فى ديوان ابن دراج القسطللى الذى سبقت الإشارة إليه
 (ص ١٠١ - ١٠٨) .
 (٦) أى جنده صنهاجة .

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحقي بن مخيبر

يكنى أبا علي

أوليته

معروفة قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه .

حاله

كان رحمه الله فتى القوم ، لساناً ، مفوهاً ، مُدرّكاً ، متعاطياً للأدب والتاريخ ، مُخالطاً للنُّبلاء ، مُتَسَوِّراً خُلُقَ العلماء ، غزلاً ، كلفاً بالدعابة ، طرفاً من طرف أهل بيته ، قوى الشكيمة ، جواداً بما في وسعه ، مُتَنَاهياً في البدانة . دخل غرناطة في الجُمْلَةِ من إخوانه وبني عمّه ، مُغَرَّبِينَ عن مَقَرِّ الملوكة بالمغرب ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة . ورَكِبَ البحر في الخامس والعشرين منه ، عندما لَحِقَ أخود عبد الحكيم بالمغرب ، وبإيعاع الناس ، ولاحت له بارقةٌ ، لم تكِدْ تُقَدُّ حتى خَبَتْ ، فبادر إلى مُظَاهَرته في جَفْنِ عَزَّوَى من أسطول الأندلس ، وصَحِبَهُ قومٌ ممن يَخْطُبُ الخُطْبَ ، وَيَبْتَدِرُ رَمَقَ الدُولِ . وهال عليهم البحر ، فطَرَحَ الجَفْنَ بِأَحْوَازِ غَسَّاسَةِ ، وقد عادتها مُلْكَةُ عُدُوهم ، فَيَتَّقِبُّضُ عليه ، وأدخل مدينة فاس في الثاني لربيع الآخر من العام ، مشهور السركب على الظهر . يُضْرَبُ بين يديه طبلٌ للشهرة . وناقورُ المُثَلَّةِ ، وأجلس بين يدي السلطان . فأبْلَى بما راق الحاضرين من بيانه من العُدْرِ للمخروج بالاستئالة حتى لرجى خلاصه . واستقر مُثَقَّفاً تتعلّق به الأراجيف ، ويخوم حول مطرحة الاختبار إلى حين وفاته .

شعره

أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطبة من شعره ، وكان صاحبه في الرحلة ، ومُزامله في أسطول المنحسة ، وذلك قوله :

سوف ننال المني ونسرق مراقي العزِّ والمعسال
إذا حططنا بأرض فاس وحكمت في العدى العوال
فأنت عندي لها حقيقٌ يا حايـز الفضل والكمال

وفاته

في وسط جمادى الأولى من العام . دُخل عليه في بيت مُعتقله فقتل ، ودُفن ببعض مدافنهم . رحمة الله عليه .

مقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب ، وقال فيه أبو القاسم الغافقي ، من أهل غرناطة ، ويُلقَّب بذي الوزارتين ، ويعرف بالريه^(١) لحُمرة كانت في وجهه .

حاله

كان من الفرسان الشجعان لا يُضطلي بناره ، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال . وولاه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس مدينة اليُسانة^(٢) ، والتقى به ابن عباد وأخذ بمُخَنَّقها ، وكان (١) كذا في الإسكوريال والزيتونة . والظاهر أن كلمة « الريه » هذه مأخوذة من الكلمة الإسبانية El Rojo ، معناها الأحمر . وقد كان تقرب إلى العامة الأندلسية كذا . من الكلمات القشتالية .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اللسانة) . واللسانة ، وتسمى أحيانا اليُسانة ، وبالإسبانية Lucena وهي بلدة حصينة من أعمال مقاطعة غرناطة تقع شمال غربي مدينة لوشة على مقربة من نهر شليل .

عبد الله يَحْدُرُهُ . وعندما تحقّق حركة اللّمتونيين إليه ، صرّفه عن جهته ،
فقلّ لذلك ناصِرُهُ ، وأسرع ذهابُ أمره .

شجاعته

قال ، وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلُقَيْن أمير غرناطة وقبيلة النّيبيل
في صدر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ، فأبلى فيها بلاء عظيماً ، وجرح
وجهه ، ومزّق درعه بالطّعن والضّرب . وذكر من حضرها ونجا منها ،
قال ، كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر ، وحملتُ التّرس ولم أعلم
به ، وحملني الله إلى طريق منجاة فرَكِبْتُها ، مرّة أقع ومرّة أقوم ، فأدركت
فارساً على فرس أذهبهم ورُمحه على عاتقه ، ودَرَقتُه على فخذِه ، ودِرعه
مُهتّكة بالطّعن ، وبه جرح في وجهه يُثعب دما تحت مغفّره ، وهو مع ذلك
ينهض على رَسْله ، فرجعت إلى نفسي فوجدتُ ثِقْلاً ، فتذكرت التّرس ،
فأخرجتُ جِمالتَه عن عاتقي ، وألقيته عنى ، فوجدتُ خِفّةً ، وعدتُ إلى
العَدُوِّ ، فصاح ذلك الفارس ، خُذْ التّرس ، قلت لا حاجة لي به ، فقال
خُذه ، فتركته وولّيت مسرعاً ، فهمز فرسه ووضع سِنان رمحه بين
كَيْفِيٍّ ، وقال خذ التّرس . وإلا أخرجته بين كَنَفِيك في صدرك ، فرأيت
الموت الذي فررت منه ، ورجعت إلى التّرس فأخذته ، وأنا أدعو عليه ،
وأسرعتُ عَدُوّاً . فقال لي « على ما كنتَ فليكن عدوك » . فاستعدتُ وقلت ،
ما بعثه الله إلا لهلاكى . وإذا قطعة من خيّل الروم قد بصرت به ، فوقع
في نفسه أنه يُسرّع الجرى فيسلم وأقتل . فلما ضاق الطّلق ما بينه وبين
أقربهم منه ، عطّف عليه كالعقاب ، وطعنه ففطره ، وتخلّص الرمح منه ،
ثم حمل على آخر فطعنه . ومال على الثالث فانهزم منه . فرجع إليّ ، وقد

بِهتٌ من فعله ، ورشاش دم الجرح . يتطير من قناع المغفر لشدة
نفسه . وقال لى يا فاعل يا صانع أتلقى الرُّمَحَ ومعك مقاتل الرية .

« انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة»^(١)

(١) هذا ما ورد في المخطوط في حتام هذا السفر أى السفر السابع - الذى بدأ بترجمة
(محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي خزيمة الجبائي (الخلد الثاني ص ٣١٥) ، وهو أكبر أسفار
الإحاطة ، ويشغل في مخطوط الإسكوريال من اللوحة رقم ١ إلى اللوحة رقم ١٨٨ .

ومن السَّفَرِ التَّاسِعِ مِنْ تَرْجُمَةِ الْقَضَاءِ
مُؤَمَّلِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ رَجَاءِ الْعُقَيْلِيِّ

من البيرة

حَسْبَالَهُ

كَانَ شَيْخًا مَضْعُوفًا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْبَلَّةُ ، مِنْ أَهْلِ التَّعِينِ وَالْحَسَبِ
وَالْأَصَالَةِ ، عَرِيقًا فِي الْقَضَاءِ ، قَبَاضُ ابْنِ قَاضِ ابْنِ قَاضٍ . وَوَلِيُّ قَضَاءِ
إِلْبِيرَةَ ، لِلْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ .

مِنْ حِكَايَاتِهِ : رَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ كِتَابَ صَدَاقِهَا ، فَقَالَ الصَّدَاقُ
مَفْسُوخٌ ، وَأَنْتُمْ عَلَى حَرَامٍ ، فَافْتَرَقَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَكُمَا . ثُمَّ رَمَى بِالصَّدَاقِ
إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وَقَالَ عَجَبًا لِمَنْ يَدْعِي [فِقْهًا] ^(١) وَلَا يَعْلَمُهُ ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ
بُوثِقٌ وَلَا يُتَّقِنُهُ ، مِثْلَ أَبِي فُلَانٍ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ يَكْتُبُ هَذَا الصَّدَاقَ ، وَهُوَ
مَفْسُوخٌ ، مَا أَحَقُّهُ أَنْ يُغْرَمَ مَا فِيهِ . فَدَارَ الصَّدَاقُ عَلَى يَدَيْ كُلِّ مَنْ حَضَرَ ،
وَكَلُّ يَقُولُ مَا أَرَى مَوْضِعَ فَسْخٍ ، فَقَالَ أَنْتُمْ أَجْهَلُ مِنْ كَاتِبِهِ ، لَكِنِّي
أَعْدُرُكُمْ ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، يَسْتُرُّ عَلَى صَاحِبِهِ خَطَأَهُ ، أَنْظَرُوا
وَأَمْنَحِكُمْ الْيَوْمَ ، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا يُوجِبُ فَسْخًا . فَدَنَا مِنْهُ مُحَمَّدُ
ابْنُ فُطَيْسِ الْفَقِيهِ ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ ، إِنْ اللَّهُ مَنَحَكَ مِنَ الْعِلْمِ
وَالْفَهْمِ ، مَا نَحْنُ مَقْرُونُونَ بِالْعَجْزِ عَنْهُ ، فَأَفَدْنَا هَذِهِ الْفَائِدَةَ ، فَقَالَ ، ادْنُ
فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ ، أَوْ لَيْسَ فِي الصَّدَاقِ « وَلَا يَمْنَعُهَا زِيَارَةُ ذَوِي مَحَارِمِهَا ،
وَلَا يَمْنَعُهُمْ زِيَارَتُهَا بِالْمَعْرُوفِ » ، وَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِمَحَبَّتِكَ مَا أَعْلَمْتُكَ . فَشَكَرَهُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (صداقها) .

الشيخ . وأخذ بطرف لحيته يجزئه إليه حتى قبلها . وكان عظيم اللحية طويلاً . شيمة أهل هذه الطبقة . قال ابن فطيس ، أنا المخصوص بالفائدة ، ولا أعرف بها إلا من تأذن بتعريفه إياها ، فتبسّم القاضي معجباً بما رأى ، وشفعوا إليه أن لا يفسخ الصداق ، وقيل للزوجين ^(١) ، لا تطلبنا به عنده شيئاً . ووئلى قضاء جيان .

ومن الطارئين والغربا

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل المريّة يكنى أبا القاسم .

حاله

كان من أدهى الناس وأفصحهم ، ومن أهل التّعين والعناية التامة ، وأستقضى بالمريّة .

مشيخته

سمع من أبي محمد الإصبهاني . ورحل وروى عن أبي ذرّ الهروي .
تواليفه : ألف كتاباً في « شرح البخارى » . أخذه الناس عنه .
وفاته : توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة . وقيل سنة . . . ^(٢) .

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرّج

ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيدون (للروس) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة مكتوبة بخط نفس الناسخ في دمشق بخطوط (لوحه 188) فرأينا إثباتها ، وقد مضى منها السطر الأخير . فلم يتدر لنا قراءته .

المُنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرج المنسوبة إليه الآن .
قال ابن عبد الملك ، كذا كتب لي بخطه بسبته ، وهو مصمودى ثم
شصادى مولى بنى مخزوم ، مالتقى ، سكن سبته طويلا ثم مدينة فاس ،
ثم عاد إلى سبته مرة أخرى ، وبأخرة فاس ، يكنى أبا الحكم وأبا المجد ،
والأولى أشهر ، ويعرف بابن المرحل ، وصف جرى على جدّه على بن
عبد الرحمن لما رحل من شنتمرية^(١) حين إسلامها للروم عام خمسة
وستين وخمسمائة .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، شاعر رقيق مطبوع ، متقدم ،
سريع البديهة ، رشيق الأغراض ، ذا كبر للأدب واللغة . تحرف مدة بصناعة
التوثيق ببليده ، وولى القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها . وكان حسن
الكتابة إذا كتب ، والشعر أغلب عليه . وذكره ابن خلاد ، وابن عبد
الملك ، فأما ابن عبد الملك فلم يستوف له ما استوفى لغيره . وأما ابن خلاد
فقصّر به ، إذ قال ، كانت نشأته بمالقة ببلده ، وقرارة مولده في ناسها
ووسط أجناسها ، لم يتميز بحسب ، ولم يتقدم في ميدان نسب ، وإنما
أنهضه أدبه وشعره ، وعوضه بالظهور من الخمول نظمته ونشره ، فطلع في
جبين زمانه غرة منيرة ، ونصع في سلك فصحاء أوانه ذرة خطيرة ، وحاز
من جيله رتبة التقديم ، وامتاز في رعيه بإذراك كل معنى وسيم . والإنصاف

(١) هي شنتمرية الشرق أو شنتمرية ابن رزين ، وبالإسبانية Albarracin وهي مدينة
أندلسية ، تقع شرق وادي الحجارة . وكانت أيام الطوائف قاعدة لإمارة صغيرة تحت حكم بنى رزين ،
ولما تولى محمد بن سعد بن مردنيش إمارة بلنسية (وشرق الأندلس) كانت شنتمرية ضمن أملاكه ،
وهو الذى أسلمها إلى الروم (القشتالين) ، ولكن في تاريخ أسبق من الذى يورده ابن الخطيب
(نحو سنة ٥٥٥هـ) .

فيه ما ثبتَ لى فى بعض التقييدات وهو ، الشيخ الحسين المَعمرُ الفقيه ،
 شاعرُ المغرب ، وأديبُ صُقعِهِ . وحاملُ الرّاية ، المُعلِّمُ بِالشُّهرة ، المثلُ فى
 الإكثار ، الجامع بين سهولة اللفظ ، وسلاسة المعنى ، وإفادَةِ التّوليد ،
 وإحكام الاختراع ، وأنقياد القريحة ، واسترسال الطّبع ، والنفاذ فى
 الأغراض . استعان على ذلك بالعلم بالمقاصد اللسانية ، لغةً وبياناً وعربيةً
 وعروضاً ، وحفظاً واضطّلاعاً ، إلى نفوذ الدّهن ، وشدة الإدراك ، وقوّة
 العارضة ، والتّبريز فى ميدان اللّوذعية ، والقحة والمجانة ، المؤيدُ ذلك
 بخفة الرّوح ، وذكاء الطّبع ، وحرارة النّادرة ، وحلاوة الدّعابة ، يقوم
 على الأغرّبة والأخبار ، ويُشارك فى الفقه ، ويتقدّم فى حفظ اللغة ، ويقوم
 على الفرائض . وتولى القضاء . وكتبَ عن الأمراء ، وخدمَ واسترُفدَ ، وكان
 مقصوداً من رُواة العلم والشّعْر ، وطُلابِ الدُّلح ، ومُلتَمِسى الفوائد ،
 لسعة الدُّرع وانفِتاح المعرفة ، وعلوِّ السّن ، وطيبِ المجالسة ، مهيباً
 مخطوباً السّلامة ، مرهوباً على الأغراض ، فى شدّقه شفرته وناره ،
 فلا يتعرّض إليه أحدٌ ينقذ ، أو أشار إلى قناته بغمز ، إلاً وناط به آبدّة ،
 تركته فى المثلات ، ولذلك بَخَسَ وزنه ، واقتحم حِماد ، وساءت بحاسنه
 القالة ، رحمه الله وتجاوز عنه .

مُشِيخته

تلا بالسبع على أبى جعفر بن على الفخّار ، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره .
 وصحب وجالس من أهلها ، أباً بكر عبد الرحمن بن على بن دحمان ،
 وأباً عبد الله الإستجى ، وابن عسكر ، وأباً عمرو بن سالم ، وأباً النعم
 رضوان بن خالد ، وانتفع بهم فى الطريقة . وبفاس أباً زيد اليرناسنى
 الفقيه . ولقى بإشبيلية أباً الحسن بن الدّباغ ، وأباً على الشّلوّيين ،

وأبا القاسم بن بَقي ، وأجازوا له . وروى عنه أبو جعفر بن الزبير ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك وجماعة .

دخوله غرناطة

قال ابن الزبير ، تكرر قدومه علينا بغرناطة ، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وسماية ، وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا ، أنشد السلطان الغالب بالله ، مجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء ، قبل بناء الحمراء . وقال غيره أقام بغرناطة ، وعقد بها الشروط مدة . وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيَّاب ، ولى القضاء بجهات من البشارات^(١) ، وشكى للسلطان بضعف الولاية ، فأضاف إليه حصن أشكر يانتشر^(٢) ، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكل ، فقال أبو الحكم رحمه الله عند وقوفه عليه ، قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم ، « أشكر يا تيس »^(٢) وهي من المقاصد النبيلة .

تواليافه

وهي كثيرة متعددة ، منها شعره ، والذي دون منه أنواع . فمنه مختاره ، وسماه بالجولات . ومنه ، الصدور والمطالع . وله العشريّات والنّبويّات على حروف المعجم ، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروي ، وسماها ، « الوسييلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى » . وعشريّاته

(١) البشارات أو البشرات وبالاسبانية Alpujurras ، قد سبق التعريف بها (انظر هذا المجلد من الإحاطة ص ١٦٨ حاشية) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اشكر يانش) . وأشكر أو حصن أشكر ، بالاسبانية Huescar محلة أندلسية تقع شمالي مدينة بسطة ، في شمال شرقي ولاية غرناطة .

الزهدية . وأرجوزته المسماة « سلك المنخل لمالك بن المرحل » نظم فيها
 منخل أبي القاسم بن المغربي ، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة ،
 والأرجوزة المسماة « اللؤلؤ والمرجان » والموطأة لمالك . والأرجوزة في
 العروض . وكتابه في كان ماذا ، المسمى « بالرهي بالحصا » ، إلى ما يشق
 إحصاره ، من الأغراض النبيلة ، والمقاصد الأدبية .

شعره

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، كان مكثرا من النظم ،
 مجيدا ، سريع البديهة ، مستغرق الفكرة في قرضه ، لا يفتتر عنه حينما من
 ليل أو نهار . شاهدت ذلك وأخبرني أنه دأبه ، وأنه لا يقدر على صرفه من
 خاطره ، وإخلاء باله من الخوض فيه ، حتى كان من كلامه في ذلك ،
 أنه مرض من الأمراض المزمنة ، واشتهر نظمه ، وذاع شعره ، فكلفت به
 السنة الخاصة والعامة ، وضار رأس مال المستمعين والمُعنين ، وهجير
 الصادريين والواردين ، ووسيلة المكدين^(١) ، وطراز أورد المؤذنين
 وبطريقة^(٢) البطالين ، ونحن نجتزئ منه بنبذ من بعض الأغراض تدل
 على ما وراءها إن شاء الله . فمن ذلك في غرض النسيب :

دَيفٌ تَسْتَرُّ بِالغَمَامِ طَوِيلًا حَتَّى تَغَيِّرَ رَقَّةً وَنُحُولًا
 بُسِطُ الْوِصَالِ فَمَا تَمَكَّنَ جَالِسًا حَتَّى أُقِيمَ عَلَى الْبِسَاطِ دَلِيلًا
 يَا سَادَتِي مَاذَا الْجَزَا قَدَيْتُكُمْ الْفَضْلُ لَوْ غَيَّرَ الْفَتَى مَا قَبِيلًا
 قَالُوا تَعَاطَى الصَّبْرَ عَنْ أَحْبَابِهِ لَوْ كَانَ يَصْبِرُ لِلصُّدُودِ قَلِيلًا
 مَا ذَاقَ إِلَّا شَرْبَةً مِنْ هَجْرِنَا وَكَأَنَّهُ شَرِبَ الْفُرَاتِ شُمُولًا

(١) وردت في الإسكوريال . (الم) فقط بعدها بياض والنكلة من الزيتون .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتون (ومطامة) .

لو قال مُتُّ لكان أقوم قبلا
 إن لم يدعه ميتا فعليلا
 فطعت فلم تسمع لمن صليلا
 ماذا الملال وما عهدت ملولا
 أترك تقطع حبلها الموصولا
 ولبست ظلا من رضاك ظليلا
 عند الهجير فما وجدت مقيلا
 أحرقت في نار هجرك لوعة وغليلا
 شوقاً وما ألقى اليك سبيلا
 بالناس لو حشروا إليه قبيلًا
 أيطيق قلبي غصبة ورحيلا
 فوجدت يا ربح القبول قبولا
 فارقت بعث النسيم رسولا
 يا قلبُ ويكُ أما وجدت دليلا
 نكلت عيني بالبكا تنكيلا

أيقول عشت وقد تملكه الطوى
 حلف الغرام بحبنا وجمالنا
 إن الجفون هي السيف وإنما
 قل للحبيب ولا أصرح باسمه
 بيني وبينك ذمة مرعية
 ولكم شربت صفا وذلك خالصاً
 فيا غصن بان بان عني ظله
 إعطف على المضنى الذى
 فارقت فتقطعت أفلاذه
 لو لم يكن منك التغير لم يسأل
 يا راحلاً عني بقلب مغضب
 قل للصبأ هيجت أشجان الصبأ
 هل لى رسول فى الرياح فاز من
 يا ليت شعرى أين قرر قراره
 إن لم يعد ذاك الوصال كعهدنا

وقال نسيباً ومدحاً :

مالى به قبل ولا بفنونه
 من ذا يجير عليه ذلك يمينه
 فعبدت نود الحسن فوق جبينه
 فتبين التمكين فى تنوينه
 لم يجن منها الصب غير منونه

أعدى على هواه خصم جفونه
 إن لم تجرنى منه رحمة قلبه
 صاب من الأتراك أصبى مهجتي
 متمكن فى الحسن نون صدغه
 تنساب عقرب صدغه فى جنه

فعل الكليم ارتاع من تبينه
لو أذكنتني فيه رقة دينة
كالرمح شدة طأته في لينة
أعدى على من الذي يجفونه
وشعرت من لفظ السلام بسينه
مماته وحضراكه كسكونه
فمنساه أن يلقاه زيب موته
فأمانه من ذلك ظهر أمونه
فيرى محل الفصل حق يقينه
في حد مجد جامع لفنونه
نجب مرزن على العطا بركوبه
وتطوف بالحاجات عند حجونه
ورث البيسان وزاد في تبينه
طورا ويحى العز في عرينه
بسط الغنا نفوسنا بلحونه
كاليسك إذ يثنى على دارينه^(١)

لبي الخيار وأما في هـ - هـ
آيت أذنى أن تسمع التذلا
كفى بخلك غدراً أن يقال سلا
وقلب غيرى صحا من بعد ما تملا

ولوى ضفيرته فولى مذبراً
قد أطأ منى فيه رقة خده
ورجوت لين قوامه لو لم يكن
شاكي السلاح وما الذي في جفنه
فاديتنه لنا نددت في سينه
رحمك في دتف غداً وحياته
إن لم تمن على منة زاحم
ولذا آبيت سوى يمان غدوه
سننبحها في باب أروع ماجد
حيث المعارف والعوارف والعلا
بدر وفي الحسن بن احمد التقت
تبغى منهاها في منهاها عنده
فرع من الأصل اليماني طيب
يبدى البشاشة في أسرة وجهه
بسطت شهايله للزمان كمثيل ما
يثنى عليه كل فعل ساير

ومن النسب قوله :

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلا
تالله ما قصر العذال في عدلى لىكن
أما السلو فثنى لست أعرفه
جفون غيرى أصحت بعد ما قطرت

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريبونة (سارينه) .

وُعَصْنُ بَانَ تَشْنَى مِنْ مَعَاظِفِهِ
 آثَرُهُ نَسِيمُ الشُّعْرِ آوْنَسَةٌ
 أَمَلْتُ وَالْهَمَّةُ الْعَلِيَاءُ طَامِحَةٌ
 وَقَالَ إِيْهَا طُفَيْلِي وَمُقْتَرِحُ
 مَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي
 نَيْطَتْ خُدْيُ خَوْفِ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ
 تُقْبِلُ الْأَرْضَ أَعْضَائِي وَتَخْدُمُهُ
 يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ
 وَمِنْ نَظْمِهِ فِي عَرُوضٍ يَخْرُجُ مِنْ دُوبَيْتِي مَجْزُوءًا مُقْصِرًا قَوْلُهُ . وَمُلْحَحُهُ

فِي اخْتِرَاعِ الْأَعْيَانِ كَثِيرَةٌ :

وَالْحَبُّ لِمَسْدَقِهِ دَلَايِلُ
 إِنْ رَوَّجِعَ سَائِلٌ بِسَائِلِ
 وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ
 مَا حَالَ مِنَ الْحَبِيبِ حَائِلُ
 تُقَسِّرُ سَاحَتِي الْعَمَوَازِلُ
 يَشْفِي بِلِحْظَةِ الْمُنَسَائِلِ
 مَخَارِقُهُ لِسِهِ حَمَائِلُ
 وَاللِحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلُ
 وَاللِحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ
 مَا أَقْبَلُ فِيهِ قَوْلَ قَسَائِلِ
 أَوْ جَدَّلْنِي فَلَا أَجَادِلُ
 وَالصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَائِلُ
 وَالذَّمُّ لِسَائِلِي جَسَوَابُ
 وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالِ
 لَوْ سَاعَدَ مِنْ أَحِبِّ سَعْدُ
 يَا عَاذِي إِلَيْكَ عَنِّي لَا
 مَا نَازَلْنِي ^(١) كَمَثَلِ ظَبْيِ
 مَا بَيْنَ دَفُونِهِ حُسَامُ
 وَالسِّيفُ يَبِيتُ ثُمَّ يَنْبُو
 وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطَى
 مَهْلًا قَدَمِي لِسِهِ حِلَالُ
 إِنْ صَدَّقْنِي ^(٢) فَذَلِكَ قَصْدِي

(١) وردت في الإسكوريال (ما نازل) والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (انصدي) والتصويب من الزيتونة .

يا حسن طلوعه علينا
 ظمآن مُخَفَّفَ الأَعْمَالِ
 قد نَمَّ به شذا الغوالي
 والطيب منبهٌ عليه
 والعَنَجُ مُحَرِّكُ إِلَيْهِ
 والسُّحْرُ رَسولُ مُقْلَتِيهِ
 والروض يعير وجنتيه
 واللين يَهْزُ معْطَفِيهِ
 والكاس تلوح في يديه
 يُسْقِيكَ بِرِيقِهِ مُدَامَا
 يُسْبِيكَ بِرَقَّةِ الحَوَاشِي
 ما أَحْسَنَ ما وَجَدْتَ خَدًّا
 والسُّكْرُ بِمَعْطَفِيهِ مَائِيسِل
 رِيَّانٌ مَثَقَلُ الأَسْفَالِ
 إِذْ هَبَّ وَنَمَّتِ الغَالِيلِ
 من كان عن العِيَانِ غَافِلِ
 من كان مُسَكِّنَ البِلَابِلِ^(١)
 ما أَقْرَبَ عَهْدِهِ بِبِابِلِ
 ورداً كهوای غیر حَسَائِلِ
 كَالغُصْنِ تَهْزُهُ الشَّمَائِلِ
 كَالنَّجْمِ بِأَسْعَدِ المَنَازِلِ
 ما أَمْلَحَ سَاقِيَا مُوَاصِلِ
 عِشْقًا وَلِكَافَةِ الشَّمَائِلِ
 إِذْ نَجْمِ صِبَايَ غَيْرِ آفِلِ

ومن مستحسن نزعاته :

يا راحِلين وبى من قريهم أَمَلُ
 سِرْتُمْ وَسَارِ اشْتِيَاقِي بَعْدَكُمْ مَثَلًا
 وظلُّ يَعْدِلُنِي فِي حَبُّكُمْ نَفْسِر
 عَطْفًا عَلَيْنَا وَلَا تَبْغُوا بِنَا بَدَلًا
 قد ذقت فضلكم دهرًا فلا وأبى
 وقد هَرَمْتَ أَسَى مِنْ هَجْرِكُمْ وَجوى
 لو أَغْنَتِ الحَلِيَّتَانِ لِي القَوْلُ وَالْعَمَلُ
 من دونه السَّامِرَانِ^(٢) الشُّعْرُ وَالْمَثَلُ
 لا كَانَتِ المَخْتَتَانِ^(٣) الحُبُّ وَالْعَدَالُ
 فَمَا اسْتَوَى التَّابِعَانِ العَطْفُ وَالْعَمَلُ
 ما طَابَ لِي الأَحْمَرَانِ^(٤) الخمرُ وَالْعَسَلُ
 وَشَبَّ مِنِّي^(٥) اثْنَتَانِ الحَرَضُ وَالْأَمَلُ

(١) هذا البيت وارد في الإسكوريال وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والجدوة . وفي الإسكوريال (السايران) وهو تعريف .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المختنان) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والجدوة . ووردت في الزيتونة (الخميران) .

(٥) وردت في الإسكوريال (من) والتصويب من الزيتونة .

غدرتم أو مللتم يا ذوى ثقتى
قالوا كبرت ولم تبهرح كذا غزلاً
لم أنس يومَ مانادوا للرحيل ضحى
وأشرفت بهوادهم هـوادجهم
وودعوني بأجفان^(٢) مَرَضَةٌ تَغُضُّهَا
كم عفروا بين أيدي العيس من بطل
ذارت عليهم كؤوس الحب مُترعة
وآخرين اشتفوا منهم بضمة^(٣)هم
كأننا الروض منهم روضة أنف
من لمشرق الروابى والوهاد هم
يا حادى العيس خذنى مأخذاً حسناً
لم يبق لى غير ذكر أو بكاء طلل
يا ليت شعرى ولا أنس ولا جدل

ومن قوله على لسان التبع ينطق بالسجين ثاءً ويقرأ بالرويين :

عمرت ربيع الهوى بقلب
لبثت فيه أحر ذيل النحول
إن ميت شوقاً فى غسرام
أما حديث المسوى فحق
تعبت بالشوق فى حبيب
لقوة الحب غير ناكس
أحببت به لابس
نباته بالسقام وادس
يصرف بلواه كل حادس
أنا به ما حيتت يابس

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الزبونة والحذوة . ووردت فى الإسكوريال كالاتى

(ليبست الخصلتان) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ودعوا) . والتصويب من الزبونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . ووردت فى الزبونة (ينهى) .

يَخْتَالُ كَالْعُصْنِ مَا سَ فِيهِ طَرَفٌ فَنَازِرِي كُلَّ مَا يَسُ ث
 دُنْيَا تَبَدَّتْ لِكُلِّ وَآيٍ فَهُوَ لِدُنْيَا أَيُّ حَارِسِ ث
 يَلْعَبُ بِالْعَاشِقِينَ طُرًّا وَالْكُلُّ رَاضُونَ وَهُوَ عَابِسِ ث
 وَمِنْ شَعْرِهِ فِي الزَّهْدِ يَصِفُ الدُّنْيَا بِالْعُرُورِ وَالْحَذَائِجِ وَالزُّورِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا طَلَبْتِ غُرُورًا وَقَبِلْتِ مِنْ تِلْكَ الْمَجَالِسِ زُورًا
 دُنْيَاكَ إِمَّا فِتْنَةٌ أَوْ مِخْنَةٌ وَأَرَاكَ فِي كِلْتَيْهِمَا مَقْهُورًا
 وَأَرَى السَّنِينَ تَمُرُّ عَنْكَ سَرِيعَةً حَتَّى لِأَحْسِيَهُنَّ صِرْنَ شَهُورًا
 بَيْنَا ثَرِيكَ أَهْلَةً فِي أَفْقِهِمَا أَبْصَرْتَهَا فِي إِثْرِ ذَاكَ بُدُورًا
 كَانَتْ قِنِيًّا ثُمَّ صِرْنَ دَوَائِرًا لِأَبْدًا أَنْ تَرْنِي الْوَرَى وَتَسْأُورًا
 يَأْتِي الظَّلَامُ فَمَا يَسُودُ رُقْعَةً حَتَّى تَرَى مَسْطُورَةً مَنَشُورًا
 فَإِذَا الصَّبَاحُ أَتَى وَمَدَّ رِدَاءَهُ تَقَضَّ الْمَسَاءُ رِدَاءَهُ الْمَنَشُورًا
 يَتَهَاقَبَانِ عَلَيْكَ هَذَا نَاشِرًا مِسْكًَا وَهَذَا نَاشِرًا كَافُورًا
 مَا الْمَسْكَ وَالْكَافُورُ إِلَّا أَنْ تَرَى مِنْ فِإْمِكَ الْإِمْسَاكَ وَالْتَّكْبِيرَا
 أَمْسِي عَلَى قَوْدِيكَ مِنْ لَوْنَيْهِمَا سِمَةٌ تَسُومُ كِتَابَةَ وَبُسُورَا
 حَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوى وَإِلَى مَتَى أَوْ مَا لَقِيتَ مِنَ الْمَشِيبِ نَائِيرَا
 أَحْشَى عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَرْمَا تَلْفَى الصَّغِيرِ مِنَ الذُّنُوبِ كَسِيرَا
 فَانظُرْ لِنَفْسِكَ إِنْنِي لَكَ نَاصِحٌ وَاسْتَغْفِرِ الْمَوْلَى تَجِدُهُ غَفُورَا
 مِنْ قَبْلِ ضَجْعَتِكَ الَّتِي تَلْقَى لَهَا خَدَّ الصُّغَارِ عَلَى التُّرَابِ حَقِيرَا
 وَالهُولُ ثُمَّ الْهُولُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَجِدُ الَّذِي قَدَمَتَهُ مَسْطُورَا

وقال في المني المذكور :

إِشْفِ الْوَجْدَ مَا أَبْكِي الْعَيْونَا وَأَشْفِي الدَّمْعَ مَا نَكَّأَ الْجُفُونَا

فيا ابن الأربعين اركب سفيناً
 ونوح إن كنت من أصحاب نوح
 بدا الشيب في فوديك رقم
 لأنتم أهل كهف قد ضربنا
 رأيت الشيب يجرى في سواد
 وقد يجرى السواد على بياض
 فهذا العكس يوذن بانعكاس
 نبات هاج ثم يرى حطاماً
 نذير جاءكم عريان يعدو
 أخى إلى متى هذا التصابي
 هي الدنيا وإن وصلت وبرت
 فلا تخذعك أيام تديها
 فذاك إذا نظرت سلاح دنيا
 وبين يديك يوم أي يسوم
 فإما دار عز ليس يفنى
 فطوبى في غد للمتقينسا
 وآه ثم آه ثم آه على نفسي
 أخي سمعت هذا الوعظ أم
 إذا ما الوعظ لم يورد بصدق
 وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام ، ويمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 شوق كما رفعت نار على علم
 تشب بين فروع الضال والسلم
 ألنه بصلوعي وهو يحرقها
 حتى براني برياً ليس بالقلم^(٢)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (مينا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (للقلم) .

من يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى وَبِالْكَيْ
 دَعٌ لِلْحَبِيبِ ذِمَامِي وَاحْتَمَلْ
 يَا أَهْلَ طَيْبَةِ طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ
 عَايَتُمْ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِنْ كَذَبٍ
 لَنْتَرَكَنَّ بِهَا الْأَوْطَانَ خَالِيَةً
 رِكَابُنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مُثْقَلَةً
 ذُنُوبَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَتْ
 ذَنْبٌ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّارِهِ نَدَمٌ
 نَبِكِي فَتُشْغَلْنَا الدُّنْيَا فَتُضْحِكُنَا
 يَا رِكَابَ مِصْرَ رُويِدَا يَلْتَحِقُ بِكُمْ
 فِيهِمْ عُبَيْدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زَفْرَتَهُ
 يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعاً لَا نَظِيرَ لَهُ
 ذَلِكَ الْحَبِيبِ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
 صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض ، وهي نقطة من قطر ، وبإلالة
 من بحر ، قوله مما يكتب على حمالة سيف ، وقد كلف بذلك غيره من
 الشعراء بسببته . فلما رآها أخفى كل منظومه ، وزعم أنه لم يأت بشيء ،
 وهو المخترع المُرْقِصُ :

جماله كرياض جاورت نهرا
 كحبة الماء عامت فيه وانصرفت
 فأنبتت شجراً راقت أزهرها
 فغاب أولها فيه وآخـرـها

وقوله وقد تناول الرئيس ابن خلاص^(١) بيده مقصداً فأدى
يده فأنشده :

عداوةٌ لا لكفك من قد نَمَّ
لكن أذمك فهو لما شبيهه

وقوله في الخضاب :

سترت مشيبي بالخضاب تعللاً
كأنى وقد زورت لونا على الصبا
غراب خضاب لم يقف من حذاره
وأغرب شئ في الحذار غراب

وقوله وهو من البديع المخترع :

لا بد من ميل إلى جهة فلا
إن الفؤاد وإن توسط في الحشا
وقوله وهو معنى قد قيل فيه :

لا تعجبوا للهريء يجهل قدره
فالعين تبصر غيرها مع بعده

وقوله :

أرى المتعلمين عليك أعمداء
فما عند الصغير سوى عُقوق

وقوله في وصفه ذى الجاه :

يضع الناس صاحب الجاه فيهم
إن أوه يوماً ترَجَّح وزناً

(١) هو الرئيس أبو علي بن أبي جعفر بن خلاص البغدادي ، تولى حكم سبته من قبل الموحدون
في سنة ٦٣٤ هـ ، ثم خلع طاعة الخلافة الموحدية في سنة ٦٤٢ هـ ، واعترف بطاعة الدولة الحفصية
بأنس .

أو رأوا منه نقصَ حبةً وزن ما كسوه في حبة الجُلْجُلان
وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين :

يا أيها الشيخ الذي عُمُرُه قد زاد عَشْرًا بعد سَبْعِينَا
سَكِرْتَ من أكْوَسِ خَدْرِ الصَّبَا فحدِّك الدهر ثمانينَا

وقال ، هيهات ما أظنه يُكْمَلُهَا ، وقال في الكَبْرَة :

يا من لشيخ قد أَسَنُّ وقد عَفَا مذ جاوز السَّبْعِينِ أَضْحَى مُدْنَفَا
خانته بعد وفاها أَعْضَاؤُه فغدا قَعِيدًا لا يُطِيقُ تَصْرَفَا
هَرِمًا غريبًا ما لديه مُوَانِسِ إِلَّا حَدِيثُ مُحَمَّدٍ وَالْمُصْطَفَى

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطُّرْسُونِي في مراجعة :

با سيدى شاكر كم مَالِكِ قد صَيَّرْتِ بِمِ اسمِه هَمَاءَ
ومن يَعِشُ خَمْسًا وَتِسْعِينَ قد أَنهَى في التعميرِ إِنهَاءَ

ومن نظمه في عُرْسٍ ، صَنَعَهَا بِسَبْتِئَة عَلَي طَرِيقَه في المَجَانَة :

الله أكبر في منسار الجماع من سَبْتَة تاذين عَبدِ خاشع
الله أكبر للصلاة أقيمها بين الصُفوف من البلاط الواسع
الله أكبر مُخْرِمًا وَهُوَ جَسْمًا وِدْبِرَة إِلَى رَبِّي بِقَلْبِ خَاضِع
الحمد لله السلام عليكم آمين لا تُفْتَسِحْ لِكُلِّ مَخَادِعِ
إن النساء خَدَعْنِي وَمَكَّرْنَ بِي وَمَلَأْنَ مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ مَسَامِعِ
حتى وقعتُ وما وقعتُ بِجَانِبِ لَكِنِ عَلَي رَأْسِ لِأَمْرٍ وَاقِعِ
والله ما كانت إليه ضرورة لَكِنِ أَمَرَ اللهُ دُونَ مَدَافِعِ
فَعَطَبِينَ لِي فِي بَيْتِ حُسْنِ قَلْبِي فِي بِنْتِ قُبْحِ شَانِعِ
بِكْرًا زَعَمْنَ صَغِيرَةً فِي سَنِّهَا حَسَنَاءُ تُسْفِرُ عَنْ جَمَالِ بَارِعِ
خوداً لها شَعْرٌ أَثِيثٌ حَالِكِ كَاللَّيْلِ تُجَلِي عَنْ صَبَاحِ سَاطِعِ

حَوْرَاءُ يَرْتَاعُ الْغَزَالَ إِذَا رَنْتُ
 تَتَلَوُ الْكِتَابَ بَعْنَةً وَفَصَاحَةً
 بِسَامَةٍ عَنِ لَوْلُوِّ مُتَنَاسِقِ
 أَنْفَاسُهَا كَالرَّاحِ فَضَّ خَتَامُهَا
 شَمَاءَ دُونَ تَفَاوُتِ عَرَبِيَّةٍ
 عَيْدَاءِ كَالغَصْبَنِ الرَّطِيبِ إِذَا
 تَخَطَّوْا عَلَى رِجْلِي جَمَامَةً أَيْكَةً
 وَوَصَفْنِي لِي مِنْ حَبْسِنِهَا وَجَمَالِهَا
 فَدَنَوْتُ وَاسْتَمَنْتُ بَعْدَ تَوْحُّشِي
 فَحَمَلْتَنِي نَحْوَ الْوَلِيِّ وَجِئْتَنِي
 وَبَعِيفِهِ مِنْ نَافِعٍ لَتَعَادِلِ
 فَشَرَطَنْ أَشْرَاطًا عَلَى كَثِيرَةٍ
 ثُمَّ انْفَصَلْتُ وَعَلِمْتُ بِأَنِّي
 وَقَرَّ كَنَفِي يَوْمًا وَعِيدَنْ وَقَلَنْ لِي
 وَاصْنَعْ لَهَا عُرْسًا وَلَا تَحُوجْ إِلَى
 وَقَرَعْتُ سِنِّي عِنْدَ ذَلِكَ نَدَامَةً
 وَلِزِمْتَنِي حَتَّى انْفَصَلْتُ بِمَوْعِدِ
 فَلَوْ أَنَّي طَلَّقْتُ كُنْتُ مَوْفَقًا
 لَكِنْ طَمَعْتُ بِأَنْ أَرَى الْحُسْنَ الَّذِي
 فَانظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ مُعْجَلًا
 وَطَمَعْتُ بِأَنْ تُجَلِّي وَيُبْصِرَ وَجْهَهَا

بِجُفُونِ خَشْفٍ^(١) فِي الْخَمَائِلِ رَافِعِ
 فِيمِيلِ نَحْوِ الذِّكْرِ قَلْبُ السَّمْعِ
 فِي ثَغْرَهَا فِي نَظْمِهِ مُتَتَابِعِ
 مِنْ بَعْدِ مَا خُتِمَتْ بِمَسْكِ رَائِعِ
 بِبِسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَمَنْبِزَاعِ
 مَشَبَتْ نَاءَتِ بَرْدٍ لِلتَّعَجُّلِ مَانِعِ
 مَخْضُوبَةٍ تُسَبِّي فَوَادِ السَّمْعِ
 مَا الْبَعْضُ مِنْهُ يُقِيمُ عُذْرَ الْخَالِعِ
 وَأَطَاعَ قَلْبٌ لَمْ يَكُنْ بِمَطَاوِعِ
 بِالشَّاهِدِينَ وَجِلْدِ كَبِشٍ وَاسِعِ
 وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِنَسَائِعِ
 مَا كُنْتُ فِي حَمَلِي لَهَا بِمَطَاوِعِ
 أَوْثِقْتُ فِي عُنُقِي لَهَا بِجَوَامِعِ
 حُجْدٌ فِي الْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِمِرَافِعِ
 قَاضٍ عَلَيْكَ وَلَا وَكَيْلٍ رَافِعِ
 مَا كُنْتُ لَوْلَا خُدَعْتُ بِقَسَارِعِ
 بَعْدَ الْيَمِينِ إِلَى النَّهَارِ الرَّابِعِ
 وَتَفَضُّتُ مِنْ ذَلِكَ النِّكَاحِ أَصَابِعِ
 زَوْرَنْ لِي فَذَمَمْتُ سُوءَ مَطَامِعِ
 وَصَنَعْتُ عُرْسًا يَا لَهَا مِنْ صَانِعِ
 وَيَقْرُ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّمَالِعِ

(١) الخشف هو ولد الظبية .

وظننتُ ذاك كما ذكّرُن ولم يكن
وحَمَلَنِي لَيْلًا إِلَى دَارِ لَهَا
دَارُ خَرَابٍ فِي مَكَانٍ تَوَحُّشٍ
فَقَعَدْتُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مَظْلَمٍ
فَسَمِعْتُ حَسًّا عَنِ شِمَالِي مُنْكَرًا
فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْجُو بِنَهْمِي هَارِبًا
فَلَقَيْتُهُنَّ وَقَدْ أَتَيْنَ بِجَذْوَةٍ
وَدَخَلْنِي فِي الْبَيْتِ وَاسْتَجَلَسْنِي
وَأَشْرَنِي لِي نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَلْنِي
هَذِي خَلِيلَتُكَ الَّتِي زَوَّجْتَهَا
وَبَتْنَا النُّعْمَى الَّتِي خَوْلَتْهَا
فَنظَرْتُ نَحْوَ خَلِيلَاتِي [مَتَأَمَّلًا] (١)
وَأَتَيْتَهَا وَأَرَدْتُ نَزْعَ حِمَارِهَا
فَوَجَلَّتْهَا فِي صَدْرِهَا وَحَذَوْتَهُ
فَوَجَدْتَهَا قَرْعَاءَ تَحْسِبُ أَنَّهَا
حَوْلَاءٌ تَنْظُرُ فَوْقَهَا فِي سَاقِهَا
فَطُسَاءَ تَحْسِبُ أَنْ رَوْثَةَ أَنْفِهَا
صَمَاءٌ تُدْعَى بِالْبَرِيحِ (٢) وَتَارَةً
بِكَمَاءٍ إِنْ رَامَتْ كَلَامًا صَوْتَتْ

وَحَصَلْتُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَارَعِ
فِي مَوْضِعٍ عَنِ كُلِّ خَيْرٍ سَاعٍ
مَا بَيْنَ آثَارِ هُنَاكَ بِلَاقِعِ
لَا شَيْءَ فِيهِ سِوَى حَصِيرِ الْجَمَاعِ
وَتَنَحَّنُحًا يَحْكِي نَقِيقَ ضِفَادِعِ
وَوَثِبْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَثَبَّةٌ جَازِعِ
فَرَدَّدْتَنِي وَحَبَسْتَنِي بِمَجْمَاعِ
فَجَلَسْتُ كَالْمُضْرُورِ يَوْمَ زَعَاذِعِ
هَذِي زُوبِيعَةٌ وَبِنْتُ زُوبَاعِ
فَاجْلِسْ هُنَا مَعَهَا لِيَوْمٍ سَابِعِ
فَلَقَدْ حَصَلْتُ عَلَى رِيَاضِ يَانِعِ
فَوَجَدْتَهَا مَحْجُوبَةً بِسِرَاقِعِ
فَعَدَّتْ تُدَافِعُنِي بِجِدِّ وَازِعِ
وَكَشَفْتُ هَامَتَهَا بِغَيْظِ صَارِعِ
مَقْرُوعَةٍ فِي رَأْسِهَا بِمَقَارِعِ
فَتَخَالَّهَا مَبْهُوتَةً فِي الشَّارِعِ
قَطَعْتُ فَلَا شَلَّتْ يَمِينُ الْقَاطِعِ
بِالطَّبْلِ أَوْ يُؤْتَى لَهَا بِمَقَامِعِ (٣)
تَصْوِيَتٌ مِعْزَى نَحْوِ جَدْيٍ رَاضِعِ

(١) هكذا وردت بالزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) البريح هنا معناها ، التعب .

(٣) جمع قملة . وهي عبارة عن ذباب أزرق نحم يدخل أنوف الدواب . ويهاجم الإبل

إذا اشتد الحر ويلسها .

فَقَمَاءٌ إِنْ تَلْتَقَى أَسْنَانُهُمَا تَفْسُو إِذَا نَطَقَتْ فِسَاءُ الشَّابِعِ
 عَرَجَاءٌ إِنْ قَامَتْ تَعَالِجُ مَشِيهَا أَبْصَرْتَ مِشِيَةَ [ضَالِعٍ أَوْ خَامِعٍ] (١)
 فَلَقِينَهَا وَجَعَلْتَ أَبْصَقَ نَحْوَهَا وَأَفْرُ نَحْوِ دُجَاءٍ وَغَيْثٍ هَسَامِعِ
 حَيْرَانٌ أَغْدُو فِي الرُّقَاقِ كَأَنِّي لَصُّ أَحْسُ بِطَالِبٍ أَوْ تَابِعِ
 حَتَّى إِذَا لَاحَ الصَّبَاحُ وَفَتَّحُوا بَابَ الْمَدِينَةِ كُنْتُ أَوَّلَ كَاسِعِ
 وَاللَّهُ مَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِأَمْرَهَا عِلْمٌ وَلَا بِأُمُورِ بَيْتِي الضَّيَّاعِ

نشره

وَفَضَّلَ النَّاسَ نِظْمَهُ عَلَى نَشْرِهِ ، وَنَحْنُ نُسَلِّمُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْكُثْرَةِ ،
 لَا مِنْ بَابِ الْإِجَادَةِ . وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ مُعْلَمَةٌ بِالشَّهَادَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ .

كُتِبَ إِلَى الشَّيْخَيْنِ الْفَقِيهَيْنِ الْأَدِيبَيْنِ الْبَلِيغَيْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ
 الْفَخَّارِ وَأَبِي الْقَاسِمِ خَلْفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَبْتَوِيِّ :

« اللَّهُ دَرَكَمَا خَلِيفِي صَفَاءُ ، وَأَلِيفِي وِفَاءُ ، يَتَنَازَعَانِ كَاسَ الْمُوَدَّةِ ،
 تَنَازُعَ الْأَكْفَاءِ ، وَيَتَهَادِيَانِ رِيحَانَ التَّحِيَّةِ هَادِيِ الظَّرْفَاءِ . قَسِيمِي نَسَبُ ،
 وَقَرِيبِي حَسَبُ ، يَتَجَاوِزَانِ بِمَطْبُوعٍ مِنَ الْأَدَبِ وَمُكْتَسَبِ ، وَيَتَوَارِدَانِ عَلَى
 عِلْمٍ مِنَ الظَّرْفِ وَنَسَبِ ، رَضِيْعِي لِبَانِ ، ذَرِيْعِي لُبَانِ ، يَحْرُزَانِ مِيرَاثَ
 قُسِّ وَسَخْبَانِ ، وَيُبْرِزَانِ مِنَ الدَّكَاةِ ، مَا بَانَ عَلَى أَبَانِ ، قَسِيمِي مُجَالِ ،
 فَصِيْحِي رُوِيَّةٌ وَارْتَجَالِ ، يَتَرَعَانِ فِي أَشْطَانِ الْبِلَاغَةِ ، سَجَالًا بَعْدَ سَجَالِ ،
 وَيَضْرَعَانِ فِي مِيدَانِ الْفَصَاحَةِ رَجَالًا عَلَى رَجَالِ . مَا بِالْكَمَا لَا حُرِمْتَ حِبَالِ الْكَمَا
 وَلَا قُصِمْتَ نِبَالِ الْكَمَا . لَمْ تَسْمَحْ لِي مِنْ عُقُودِ كَمَا بِدُرَّةٍ ، وَلَمْ تُرَشِّحَانِي مِنْ
 نُقُودِ كَمَا بِدُرَّةٍ . وَلَمْ تَفْسَحْ لِي بِحُلُودِ وَلَا مُرَّةٍ . لَقَدْ ابْتَلَيْتُ مِنْ أَدْبِكَمَا
 بِنَهْرِ أَقْرَبِهِ وَلَا أَشْرَبِهِ . وَمَا أُرْدَهُ وَلَا أَتَبَرَّدَهُ . وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . فِي الزَيْتُونَةِ (الْخَامِعِ أَوْ ضَالِعِ) .

طالوت لا فسحت لي غرفة ، وأتيحت لي ترفة . بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماء ، ما جليت بعد الظمإ عن الماء . ولا دخلت بالإشفاق مدخل العجماء . كيف وأنا ولا فخر في صورة إنسان ، ناطق بلسان . أفرق بين الإساءة والإحسان . وإن قلت إن باعى في النظم قصير ، ومالي على النثر ولي ولا نصير . وصنعة النحو عنى بمعزل . ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل ، ولم أقدم على العلم القديم ، ولا استأثرت من أهله بنديم . فأنا والحمد لله غني بصنعة الجفر ، وأقتنى اليراع كأنها شبابيك التبر ، وأبرى البرية المغا تنيف على الشبر ، وأزين خدود الأسطار المستوية ، بعقارب اللامات الملتوية ، ولا أقول كأنها ، فلا ينكر السيدان أعزهما الله ، أنها نعم بعود أزاعم ، وبمثل شكسى تحضر الملاحم . فما هذا الأزدراء والاجتراء في هذا الأمر مر الواقير . تالله لقد ظلمتاني على علم ، واستندتما إلي غير حلم ، أما رهبتما شبابي ، أما رغبتما في حسابي ، أما رفعتما بين نفح صبابي ، ونفح صبابي . لعمرى لقد ركبتما خطرا ، وهجتما الأسد بطرا ، وأبحتما حمى محتضرا ، ولم تمنعنا في هذا الأمر نظرا .

أعد نظراً يا عبد قيس لعلماً أضاءت لك النار الحمار المقيدا
ونفسى عين الحمار في هذا المضمار ، لا أعرف قبيلة من دبير ، ولا أفرق بعجسى بين صغير وكبير ، ولا أعهد أن حصاة الرمي أخف من ثبير ، أليس في ذوى كبد رطوبة أجر ، وفي معاملة أهل التقوى والمغفرة تجر ، وإذا حوّلتماني نعمة ، أو نفلتماني نفلاً ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، وما نقص مال من صدقة ، ولا جمال من كمح حذقة ، والعلم يزيد بالإنفاق ، وكنمه حرام باتفاق ، فإن قلتما لي إن فهمك سقيم ، وعوجك على الرياضة لا يستقيم ، فلعل الذي نصب قامتي ، بمن باستقامتي ، وعسى

الذى يَشُقُّ سمعى وبصرى ، أن يزيل عيى وحصرى ، فأعى ما تَقْصَان ،
وأجئلى ما تَنْصَان ، وأجنى ثمار تلك الأغصان ، فقد شاهدتما كثيراً من
الحيوان ، يُناغى فيتعلّم ، ويُلقن فيتكلّم . هذا والجنس غير الجنس ،
فكيف المُشارك في نوعيّة الإنس ، فإن قلنا إن ذلك يَشُقُّ ، فأين الحقُّ
الذى يحقُّ ، والمشقة أخت المروة ، وينعكس مساق هذه الأخوة ، فيقال
المروة أخت المشقة ، والحجيج يصبر على بُعد الشقة ، ولولا المشقة ، كثر
السادة ، وقلت الحسادة ، فما ضر كما أيها السيدان ، أن تحسبا تحويجى ،
وتكتسبا الأجر في تدريجى ، فإنكما إن فعلتما ذلك ، نُسبت إلى ولايكما ،
كما حُسبت على علايكما ، وأضيفت إلى نديكما ، كما عرفت بمنندا كما . ألم
تعلمنا أن المرء يُعرف بخليله ، ويُقاس به في كثيره وقليله ، ولعلى أمتحن
في مرام ، ويعجم عودى رام . فيقول هذا العود من تلك الأعواد . وما في
الحلبة من جواد ، فأكسو كما عاراً ، وأكون عليكم شعاراً . على أنى إذا
دُعيت باسمكما ، استرّبت من الإدعاء ، فلا أستجيب لهذا الدعاء ، ولكن
أقول كما قال ابن أبي سفيان . حين عرف الإدارة ، وأنكر الإمارة ، نعم
أخوتى أصح ، وأنها بها أشح ، إلا أن غيرى نظم في السلك ، وأنهم في
الملك ، وأنا بينكما كالمحجوب بين طلاب ، يشاركهم في البكا لا في
الثراث ، إن حضرت فكنتم في الإقحام . أو لمقعد في زحام ، وإن غبت
فيُقضى الأمر ، وقد سطر زيد وعمرو . ناشدتكما الله في الإنصاف ، أن
تربعا بوادٍ من أودية الشحر . في نادٍ من أندية الشعر بل السحر ، حيث
تندرج الأنهار ، وتتأرجح الأزهار ، ويتبرّح الليل والنهار ، ويقرأ الطير
صُحفاً منتشرة ، ويجلو النور ثغورا مؤشرة ، يُغازل عيون النرجس الوجل
خدود الورد الخجل . وتمايل أعطاف البان ، على أرذاف الكُثبان ، فيرقد

النسيم العليل في ججر الروض وهو بليلى ، وتبرُّز هوادج الرياح على الرياح .
وقدهيت بأقمار ، وحديت بأزهار ومزمار ، وركبتها الصبا والكُميت في
ذلك المضمار ، ولم تزالا في طيب ، وعيش رطيب ، من قباب وخدور .
وشموس وبُدور ، تصلان الليالي والأيام ، أعجازاً بضدور ، وأنا الطريدُ
منبوذٌ بالعراء ، موقودٌ في جهة الوراء ، لا يُدنى محلي ولا يُعتنى بعقدى
ولا حلي ، ولا أدرج من الحرور إلى الظل ، ولا أخرج من الحرام إلى الجِل ،
ولا يُبعث إلي مع النسيم هبة ، ولا يتاح لي من الآتي عبه . قد هلكت لغواً ،
ولم تقب لي صفواً ، ومت كمدأ ، ولم تبعثا لبعثي أمدأ . أتراه خلقتُماني
جرضاً . وألقيتُماني حرضاً ، كم أستسقى فلا أسقى ، وأسترقى فلا أرقى ،
لا ماء أشربه ولا عمل في ضلكما أدربه . لم يبق لي حيلة إلا الدعاء المجاب .
فغسى الكرب أن ينجاب . اللهم كما أمددت هذين السيدين بالعلم الذي
هو جمال ، وسدَّدتُهما إلى العمل الذي هو كمال ، وجمعت فيهما الفضائل
والمكارم . وختمت بهما الأفاضل والمكارم ، وجعلت الأدب الصريح أقلَّ
خصالهما ، والنظر الصحيح أقلَّ نصالهما ، فاجعل اللهم لي في قلوبهما رحمة
وحناناً . وابسط لي منهما وجهاً ، واشرح لي جناناً ، واجعلني اللهم ممن
اقتدى بهما ، وتعلق بأهدابهما ، وكان دأبه في الصالحات كدأبهما . حتى
أكون بهما ثالث القمرين في الآيات . وثالث العُمَيرين في عمل البرِّ وطول الحياة .
اللهم آمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين . وكأني أنظر إلى سيدي
أعزهما الله ، إذا وقفنا على هذا الخطاب ، ونظرا إلى هذا الاحتطاب ، كيف
يديران رمزاً ، ويسيران غمراً ، ويقال استتب^(١) الفِصال ، وتعاطى البيدق
ما تفعل النجبال . وحن جذع ليس منهما ، وخذ عجفائك وسَمَّنها .

(١) هداى الإسكوريال . وفي الزيتونة (استثيت) .

فَأَقُولُ وَطَرْفِي غَضِيضٌ ، وَمَحَلِّي الْحَضِيضُ ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي الْبُرُوجِ ، وَمَا تَقَاسَ الْأَكْفُ بِالسُّرُوجِ . فَأَضْرِبَا عَنِّي أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ ، مَا أَنَا مِّنْ تَنَاضِلَانِ ، وَالسَّلَامُ » .

مولده

قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله بن القاضي المتبحر العالم أبي عبد الله بن عبد الملك ، سألته عن مولده فأنشدني :

ياسايلى عن مولدى كى أذكره ولدتُ يوم سبعة وعشرة
من المُحَرَّمِ افْتِتاحِ أربَعِ من بعد ستمائة مُفَسَّرَةِ

وفاته

في التاسع عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستماية ، ودفن بمقبرة فاس ، وأمر أن يكتب على قبره :

زر غريباً بمقره نازحاً ماله ول
تركوه مُوسَداً بين تُرْبِ وَجَدَلِ
ولتقل عند قبره بلسان التَّدَلِّ
يرحم الله عبده مالك بن المُرَحَّلِ

ومن طارئي المقريين والامام

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا ، يكنى أبا علي .

حاله

هذا الرجل طرّفٌ في الخير والسلامة ، وحسن العهد ، والصون والطهارة

والعنة . قليل التصنع ، دؤثر للاقتصاد ، مُنقبض عن الناس . مكفوف اللسان واليد ، مُشتغل بشأنه ، عاكف على ما يُعنيه ، مستقيم الظاهر . ساذج الباطن . مُنصف في المذاكرة ، مُوجب لحق الخصم ، حريص على الإفادة والاستفادة ، مثابر على تعلم العلم وتعليمه ، غير أنيف عن حمله عمّن دونه ، جُملة من جُمَل السذاجة والرُجولة وحسن المعاملة ، صدر من صدور الطلبة ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية . وإطلاعٌ وتقيد ، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام ، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات . يكتب الشعر فلا يعدو الإجابة والسداد .

قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، فلقى رَحْباً ، وعُرف قَدْرُه ، فتقدم مُقرئاً بالمدرسة^(١) تحت جراية نبيهة ، وحلّق للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير . وتصدّر للفتيا ، وحضر بالدار السلطانية مع مثله . جربته وصحبتُه . فبلوتُ منه دِيناً ونَصَفَةً ، وحسن عشرة .

محتنه

أمتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية ، لمتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنسوة ، وشك في القول بتكفيره ، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولطخه بالعباب^(٢) الكبير ، إذ كان كثير المشاحة^(٣) لجماعتهم ، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعماية .

(١) المقصود بالمدرسة هنا ، المدرسة النصرية أو جامعة غرناطة السهرية ، التي أسسها السلطان يوسف أبو الحجاج في سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العباب) وهو تحريف

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المشاحة) والمؤدى واحد

مشيخته

طلبتُ منه تقييد مشيخته ، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه :
« يتفضّل سيدي الأعلى الذي أهدتني بمصباحه ، وأعشوا إلى غرره
وأوضحاه . جامعُ أشنات العلوم ، وفاتقُ رتقُ الفهوم ، حاملُ راية البديع ،
وصاحبُ آيات التّورية^(١) فيه والترصيع ، نُخبة البلغاء ، وفخر الجهابذة
العلماء . قاريدُ جِياد البلاغة من نواصِيها . وسابقُ شوارد الحِكم من أقاصِيها ،
أبو عبد الله بن الخطيب ، أبقاه الله للقرِيض ، يَقْطِف زهره ، وَيَجْتَنِي
غُرره . وللبديع يُطلع قَمَره ، وينظم دُرره . وللأدب يَحْجُوك حُلّه . ويجمع
تفاصيله وجُمَله ، وللمعاني يَجُوس بجيوش البراعة خِلالها ، ويفتتح
بعوامل البراعة أقبالها ، وللأسجاع يُقَرِّط^(٢) الأسماع بفرايدها ، ويُحَلِّي النحور
بقلايدها . وللنظم يُورد جِياده أحمى الموارد ، ويُجِيلها^(٣) في مِضمار البلاغة
من غير مُعانَد ، وللنشر يفتَرع أبكاره . ويودعها أسرارها ، ولساير العلوم
يَصوغها في مفرق الآداب تاجاً ، ويضعُها في أسطر الطُّروس سراجاً ، ولا زال
ذا القلم الأعلى ، وبدر الوزارة الأوضح الأجلّي ، ببقاء هذه الدولة المولوية
والإمامة المحمدية . كعبةً للملوك الإسلام . ومقصدًا للعلماء الأعلام . ورضى
عنهم خلفاً وسلفاً ، وبورك لنا فيهم وسطاً وطرفاً ، ولا زالت آمالنا بعلماهم
منسوجة . وفي جاههم العريض مبسّوطة ، بقبول ما نَبّه عليه . من كتب
شيوخى المشاهير إليه ، فها أنا أذكر ما تيسر لي من ذلك بالاختصار .
إذ لا تفى بذكرهم وحُلاهم المجلّدات الكبار .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (آية التفوييف) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (بقطر) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ويحيها) .

فمنهم ، مولاى الوالد على بن عبد الله لقاء الله ، الروح والريحان ، وأوسع الرضا والغفران . قرأت عليه القرآن ، وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط . ثم بعثنى إلى شيخنا المجتهد الإمام ، عَلم العلماء ، وقُطب الفقهاء ، قُدوة النظار ، وإمام الأمصار ، منصور بن أحمد المشدلى رحمه الله وقدس روحه ، فوجدته قد بلغ السنُّ به غاية أوجبت جلوسه في داره ، إلا أنه يُفيد بفوايده بعض زواره . فقرأت من أوائل ابن الحاجب^(١) عليه لإشارة والدى بذلك إليه ، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين وسبعماية . واشتد الحصار ببجاية لساعنا أن السلطان العبد الوادى^(٢) ينزل علينا بنفسه ، فأمرنى بالخروج رحمه الله ، فعاقنى عايق عن الرجوع إليه لأتمم قراءة ابن الحاجب عليه . ثم مات رحمه الله عام أحد وثلاثين وسبعماية ، فخص مصابه البلاد وعمِّ ، ولف ساير الطلبة وضم ، إلا أنه ملأ ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها ، وأنظارها بالفهم النقلية والعقلية . فصار^(٣) من طلبته ، شيخنا المعظم ، ومفيدنا المُقَدِّم أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى المعروف بالمُفسِّر^(٤) رحمه الله ، بالطريقة الحاجبية ، والكتابة الشرعية والأدبية ، مع فضل السن وتقرير حسن ، إلى معارف^(٥) تحلاها ، ومحاسن اشتمل حُلاها . واستمر في ذكر شيوخه

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب ، إذ كان والده حاجبا لأحد أمراء الدولة الصلاحية المصرية . ولد بالقاهرة وبرخ في الفقه وعلوم اللغة ، واشتهر بكتبه في النحو وفي مقدمتها « الكافية » و « الشافية » . وكانت كتبه من أهم نصوص الدراسة اللغوية طوال العصور الوسطى . وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٦ هـ .

(٢) نسب إلى بن عبد الواد ملوك مملكة تلمسان بالمغرب الأوسط .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (فنار) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالمسفر) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (معان) .

على هذه الوثيرة من التزام السَّحح ، بتقرير الحُكْلُ ، فأجاد ، وتجاوز^(١) المعتاد . فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور ، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم ، فأفرده بقراءة الإرشاد . والأستاذ أبا علي بن حسن البجلي ، وقرأ عليه جملة من الحاصل . وجملة من المعالم الدينية والفقهية ، والكتب المنطقية ، كالخونجي ، والآيات البيّنات . والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف ، قاضي الجماعة ببجاية ، وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي اليانبولى^(٢) . قال ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى تلمسان . راغباً في علوم العربية ، والفهوم الهندسية والحسابية ، فأول من لقيت شيخنا الذي علّمت في الدنيا جلالته وإمامته . وعُرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته ، وذكر رئيس الكتاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي . والمحدث البقية أبا العباس بن يربوع ، والقاضي أبا إسحق بن أبي يحيى . وقرأ شيئاً من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرندي . ولقي بالأندلس جلّة . فممن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخّار الشهير بالبيري^(٣) ، ولازمه إلى حين وفاته ، وكتب له بالإجازة والإفان له في التّحليق بموضع قُعوده من المدرسة بعده . وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني ، نسيجٌ وحده ، ولازمه . وأخذ عنه تواليفه ، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك . وقيد عليه . وروي عن شيخنا إمام البقية أبي البركات بن الحاج ، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي . وهو الآن بالبحال الموصوفة أعانه الله وأمتع به

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جواز) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اليانبي) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الالبيري) . والمؤدى واحد ، وهو

النسبة إلى البيرة .

شعره

زُرنا معاً والشيخ القاضي المتفَنَّ أبو عبد الله التُّمَرِي عند قدومه إلى الأندلس رباط العقاب^(١) . واستنشدتُ القاضي . وكتب لي يومئذ بخطه ، استنشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب ، أطال الله بقاه كما أطال ثناهُ ، وحفظ مُهجته . كما أحسن بهجته ، فأنشدته لنفسى :

لما رأيناك بعد الشَّيبِ يا رَجُلٌ لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقيناً بما كنا نصدقه عند المشيبِ يَشْبُ الجِرْصُ والأمل

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب ، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعماية . وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول : منصور بن علي الزواوي ، في رابطة العقاب في كذا ، أجزتُ صاحبنا الفقيه المعظم ، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله . ومحمداً . وعلياً ، أسعدهم الله ، جميع ما يجوز لي وعنى روايته ، وأنشدته قولي أخطب بعض أصحابنا :

يحيبك عن بعض المنازل صاحب صديق غدت تهدي إليك رسايه
مقدمة حفظ الوداد وسيلة ولا ود إلا أن تصح وسائله
يسأل عنك الدارين ولم يكن تغيب لبعد الدار عنك مسايه

وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة :

يا مَنْ وجدناه لفظاً حقيقة في المعسالى
مقدمات عُلاكم أنتجن كل كدال

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب ، كانت أحد الرباط التي عند مدينة ، وكانت تقع على مقربة من غرناطة ، وقد سبق التعريف بها (أنظر الجلد الثاني من إيجاده من سنة ١٥٥٠ هـ) .

وكل نظم قياس خلوت منه فخال
وهو من لدن أزعج عن الأندلس ، كما تقدم ذكره . مقيم بتلمسان .
على ما كان عليه من الإقراء والتدريس .

مسلم بن سعيد التَّمَلِّي (١)

حاله

كان غير نبيه الأبوة . ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين . ثانی الملوك
من بنى نصر ، بمزيد كفاية ، فقلده خطة الحفازة ، وهي تعميم النظر في
المجاني ، وضم الأموال ، وإيقاع التكبير في محل التقصير ، ومظان الریب
فتمت حاله ، وعظم جاهه ، ورهبت سطوته ، وخيف إيقاعه . وقربت
من السلطان وسيلته ، فتقدم الخدام ، واستوعب أطراف الخطوة . واكتسب
العقار ، وصاهر في نبيه البيوتات ، وأروث عنه أخبارا ، تشهد له بالجود
وعلو الهمة ، وشرف النفس ، إلى أن قضى على هذه الوتيرة .

ذكروا أن شخصاً جلب سِلعة نفيسة ، مما يُطعم في إخفاها ، حيلة عن
وظيفة المغرم الباهظة ، في مثل جنسه ، فبينما هو يروم المحاولة ، إذ بصُر
بنييه المركب والبزة ، ينفض في زوايا الفحص عن مثل مضطبنه ، فظنه
رئيساً من رؤساء الجند ، فقصده ورغب منه إجازة خبيثته بباب المدينة .
وقرر لتخوفه من ظلم الحافظ الكذا مسلم ، فأخذها منه وخبأها تحت
ثيابه ، ووكل به . ولم يذهب المسكين الا يسيراً . حتى سأل عن الرجل ،

(١) هكذا ورد في الإسكوريال . وفي الريبويه (الخل) وهو تحريف . والتَّمَلِّي نسبة إلى بلدة تيملل . وهي بلدة صغيرة تقع فوق سوح جبال الأطلس ، في جنوب غرب مراكن ، ومنها كان هو من المهدي ابن تومرت ، ومبعث دولة الموحدين .

فَأُخْبِرَ أَنَّهُ الَّذِي فَرَّ عَنْهُ . فَسُقِطَ فِي يَدِهِ . ثُمَّ تَحَامَلُ فَأَلْفَاهُ يَنْظُرُهُ فِي دَاخِلِ السُّورِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ ، وَقَالَ سِرٌّ فِي حِفْظِ اللَّهِ ، فَقَدَّ عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ ، فَخَجَلَ الرَّجُلُ ، وَانصَرَفَ مُتَعَجِّبًا . وَأَخْبَارُهُ فِي السَّرَاوَةِ . وَنَجَحَ الْوَسِيلَةَ . كَثِيرَةٌ .

وفاته

توفي في عام ثمانية وتسعين وسبعمائة ، وشهد أميره دفنه . وكان قد أَسَفَّ ولى العهد بأمر صانعه فيها من باب خدمة والده . فكان يتَلَمَّظُ لِنَكْبَتِهِ ، وَنَصَبَ لثَاتِهِ لِأَكْلِهِ . فَعَا جَلَهُ الحِمَامَ قَبْلَ إِيقَاعِ نَقْمَتِهِ بِهِ . وَلَمَّا تَصَيَّرَ إِلَيْهِ الأَمْرَ . نَبَشَ قَبْرَهُ ، وَأَخْرَجَ شِدْلُوهُ . فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ ، إِغْرَاقًا فِي شَهْوَةِ التَّشْفِي رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ (١) .

ومن العمال الأثراء

مؤمل ، مولى باديس بن حبوس

حاله ومحنته

قال ابن الصيرفي . وقد ذكر عبد الله بن بُلُقَيْنٍ حفيد باديس . واستشارته عن أمره . لَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَةُ يَوْسُفَ بْنِ تَاشُفِيْنَ إِلَى خَلْعِهِ . وَكَانَ فِي الجُمْلَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ . رَجُلٌ مِنْ عِيْنِ جَدِّهِ اسْمُهُ مُؤْمَلٌ . وَلَهُ سِيْنٌ . وَعِنْدَهُ دِهَاءٌ وَفِطْنَةٌ . وَرَأْيٌ وَنَظَرٌ . وَهَالِكٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ . وَلَمْ يَكُنْ فِي وَزَرَاءِ

(١) وَرِدَتْ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ فِي هَامِشِ اللُّوْحَةِ 198 مِنْ مَخْطُوطِ الإسْكُودَرِيَّالِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ السَّجَّكَ . فَدَنْسِيَا ، وَهِيَ وَارِدَةٌ فِي مَكَانِهَا بِمَخْطُوطِ الزَيْتُونَةِ بِاللُّوْحَةِ 84 مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي .

مملكته وأخبار^(١) دولته ، أصيلَ الرأي ، جَزَلَ الكلمة ، الا ابن أبي خَيْثَمَةَ من كَتَبَتَهُ ، ومؤمَّل من عبِيد جَدَّهُ ، وجعفر من فِتْيَانِهِ . رجِع ، قال ، فَأَلْطَفَ له مؤمَّل في القول ، وأَعْلَمَهُ بِرِفْقٍ ، وحُسْنِ أدبٍ ، أن ذلك غَسْرُ صوابٍ ، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قَرُبَ ، والتَّطَارُحُ عليه ، فإنه لا تُمْكِنُهُ مُدافعتُهُ ، ولا تُطَاقُ حَرْبُهُ ، والاستِجْداءُ^(٢) له . أحمدُ عاقبة وأيمنُ مَغَبَّةٍ . وتابعه على ذلك نُظَرَاؤُهُ ، من أهل السِّنِّ والحُنْكَ ودافع في صدِّ رأيه الغِلْمَةَ والأَعْمَارَ ، فاستشَاط غِيظاً على مؤمَّل [ومن نَحَا نَحْوَهُ]^(٣) ، وهمَّ بهم ، فخرجوا ، وقد سلَّ بهم فِرْقاً منه . فلما جَنَّهُم الليلُ فرُّوا إلى لَوْشَةَ ، وبها من أبناء عبِيد باديس قايدها ، فملكوها وثاروا فيها ، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفَس . وبادر مؤمَّل [بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور]^(٤) وقد كان سَفَرَ إليه عن سلطانه ، فأعجبه عقلاً ونُبلاً ، فاهتَزَّ إليه ، وكان أقوى الأسباب على حَرَكَتِهِ . وبادر حفيد باديس الأمر ، فأشخَصَ الجيشَ لنظرِ صِهرِهِ ، فتغَلَّبَ عليهم ، وسيق مؤمَّل ومن كان معه شرَّ سوقٍ في الحديد ، وأرْكَبُوا على دوابٍ هِجَنَ ، وكُشِفَتْ رؤوسهم ، وأرْدِفَ وراءَ كلِّ رجلٍ من يَضْفَعُهُ . وتقدَّم الأمرُ في نَصْبِ الجُدُوعِ وإحضارِ الرِّمَةِ . وتلَطَّفَ جعفرُ في أمرهم . وقال للأمير عبد الله : إن قَتَلْتَهُم الآن ، أطفأت غضبكَ ، وأذهبتَ مُلكَكَ . فاستخرج المسال : وأنت من وراء الانتقام ، فثَقَّفْهُمْ ، وأطْمِعُوا في أنفسهم ريثما شغله الأمرُ ،

(١) وردت في الإسكوريال (أحبا) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (الاستجداء) وهو تحريف .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت مكابها في الإسكوريال (بخطاب

يوسف المذكور) . والأولى أنسب للسياق .

أُنْفَذَ إِلَيْهِ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ فِي حُلِّ اعْتِقَالِهِمْ ، فَلَمْ تَسَعَهُ مَخَالَفَتُهُ وَأُطْلِقَهُمْ . وَلَمَّا مَلَكَ غَرْنَاطَةَ عَلَى تَفْيِئَةِ تِلْكَ الْحَالِ ، قَدَّمَ مُؤَمَّلًا عَلَى مُسْتَخْلَصِهِ (١) وَجَعَلَ بِيَدِهِ مَفَاتِيحَ قَصْرِهِ ، فَنَالَ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَحُطُوتٍ ، وَاقْتَنَى مَا أَرَادَ مِنْ صَامِتٍ وَذَخِيرَةٍ . وَنُسِبَتْ إِلَيْهِ بِغَرْنَاطَةَ آثَارٌ ، مِنْهَا السَّقَايَةُ بِبَابِ الْفَخَّارِيِّنَ وَالْحَوْزُ الْمَعْرُوفُ بِحَوْزِ مُؤَمَّلٍ (٢) ، أَدْرَكَتْهَا وَهِيَ بِحَالِهَا .

وفاته

قال ابن الصِّيرَفِيِّ ، وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْعَامِ ، وَهُوَ عَامُ اثْنَيْنِ وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، تَوَفَّى بِغَرْنَاطَةَ مُؤَمَّلٌ مَوْلَى بَادِيَسِ بْنِ حَبُّوسٍ ، عَبْدُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَابِي مُسْتَخْلَصِهِ [وَكَانَ لَهُ دِهَاءٌ وَصَبْرٌ] (٣) ، وَلَمْ يَكُنْ بِقَارِيءٍ وَلَا كَاتِبٍ . رَزَقَهُ اللَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، مَنْزِلَةً لَطِيفَةً وَدَرَجَةً رَفِيعَةً . وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَنِيَّةِ ، أَحْضَرَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْتَخْلَصِ ، وَأَشْهَدَ الْحَاضِرِينَ عَلَى دَفْعِهِ إِلَى مَنْ اسْتَوْثَقَهُ عَلَى حَمَلِهِ . ثُمَّ أَبْرَأَ جَمِيعَ عَمَالِهِ وَكُتَّابِهِ . وَأَنْفَذَ رِجَالًا مِنْ صَنَائِعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، يَرِيهِ أَنَّ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا اكْتَسَبَهُ فِي دَوْلَتِهِ ، أَيَّامَ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ أَوْلَى بِهِ ، وَرَغِبَ فِي سِتْرِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، أَظْهَرَ الْأَسْفَ عَلَيْهِ ، وَأَمْضَى تَقْدِيمَ صَنِيعَتِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْهُ مِنْ مُحْتَجَنِهِ ، وَشَقَاءِ مَنْ خَلَفَهُ بِسَبَبِهِ ، وَعَدَدِ مَا لَمْ يَذْخِرْهُ .

(١) المستخلص هنا يقصد بها الأملاك والأموال الأميرية .

(٢) حوز مؤمل أو رجة مؤمل ، اسم مكان بغرناطة الإسلامية كان يقع في جنوب غربي الحمراء ويشتهر برياضه ومنتزهاته . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١ ؛ حاشية) .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة . ومكانها بياض بالإسكوريال .

حرف النون

الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن

محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري

أمير المسلمين بالأندلس ، بعد أبيه وجدته وأخيه . يُكنى أبا الجيوش
وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة .

حاله

من كتاب « طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر »^(١) من تصنيفنا .
قال . كان قتي ملاً العيون حسناً وتمام صورة ، دمث الأخلاق . ليين العريكة ،
عفيفاً ، مجبولاً على طلب المدنة وحب الخير . مُعمد السيف ، قليل الشر ،
نافراً للبطر وإراقة الدماء ، مُحبا في العلم وأدله . أخذاً من صناعة التعديل
بحظ رغب . يخطُ التقاويم الصحيحة ، ويصنع الآلات الطريفة بيده ،
اختص في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرقام . وحيد عصره . فجاء
واحد دهره ظرفاً وإحكاماً . وكان حسن العهد . كثير الوفاء . حمّله الوفاء
على اللجاج في وزيره المطلوب بعزله . على الاستهداف للخلع .

تقدم يوم خلع أخيه ، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية .
وسنه ثلاث وعشرون سنة . فكان من تمام الخلق ، وجمال الصورة ، والتأنق
في ملوكي اللباس ، آية من آيات الله خالصة . واقتدى برسوم أبيه وأخيه ،
وأجرى الألقاب والعوايد لأول دولته . وكانت أيامه كما شاء الله ، أيام

(١) قمنا بالتعريف بهذا الكتاب . ضمن مؤلفات ابن الخطيب ، في مقدمة المجلد الأول من

« الإحاطة » (ص ٥٨) .

نحس مستمر . شملت المسلمين فيها الأزمة ، وأحاط بهم الذعر ، وكَلِبَ العدو . وسيمر من ذلك ما فيه كفاية . وكان فتىً أى فتىً ، لو ساعده الجَدُّ . والأمر لله من قبل ومن بعد .

وزراء دولته

وزر له مُقيم أمره ومُحكّم التدبير على أخيه ، أبو بكر عتيق بن محمد ابن المؤل . وبيت بنى مؤل بقرطبة ، بيت له ذكر وأصالة . ولما تغلب عليها ابن هود ، اختفى بها أبوه أياما عدة . ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة . خرج إليه وصحبه إلى غرناطة ، فاتصلت قرباه بعقدته على بنتٍ للرئيس أبي جعفر المعروف بالهَجَاب ابن عم السلطان . واشتد عَضُدُهُ . ثم تَأَكَّدت القرُوبى بعقد مؤل أخى هذا الوزير على بنت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد . مُنْجِب هؤلاء الملوك الكرام ، فقام بأمره ، واضطلع بأعباء سلطانه ، إلى أن كان من تغلب أهل الدولة عليه ، وإخافة سلطانه منه ، ما أوجب صرفه إلى المغرب فى غرض الرسالة ، وأشير عليه فى طريقه بإقامته بالمغرب . فكان صَرْفًا حسنًا . وتولى الوزارة محمد بن على بن عبد الله بن الحاج ، المُسَيَّر لخلعِهِ ، واجتثاث أصله وفرعه ، وكان خبيًا داهية ، أعلم الناس بأخبار الروم وسيرهم وآثارهم . فحدثت بين السلطان وبين أهل حضرته الوحشة بسببه .

قضياته

أقر على خطة القضاء بحضرته قاضى أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشنى الحُنْبِز بابن فركون ، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله^(١)

(١) وردت ترجمة ابن فركون النشيد إليه ، فى المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٥٣ - ١٥٧)

كتابه

شيخنا الصدر الوجيه ، نسيج وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيَّاب إلى آخر مدته

من كان على عهده من الملوك

بالمغرب ، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحواز طنجة ، في صفر عام ثمانية وسبع مائة ، وكان مشكوراً ، مُبخت الولاية . وفي دولته عادت سبته إلى الإيالة المرينية ، ثم توفي بتازي^(١) في مستهل رجب من عام عشرة وسبعماية . وتولى الملك بعده عمُّ أبيه السلطان الجليل الكبير ، خذُّن العافية ، وولى السلامة ، ومهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير ، وكثيراً من أيام من بعده . وقد تقدّم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية .

وبتلمسان ، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يعمراسين ، سلطان بني عبد الواد^(٢) ، مذل الصقع ، والمثل السائر في الحزم والتيقظ ، وصلابة الوجه ، زعموا ، وإحكام القiche ، والإغراب في خبث السيرة . واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعماية ، إلى أن سطا به ولده ، عبد الرحمن أبو تاشفين .

وبتونس ، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن

(١) تازي أو تازة أو تازا بلدة مغربية تقع شرق مدينة فاس ، وجنوبي ثغر المزمة .

(٢) وردت في المخطوطين (عبد الوادى) والأصح ما أثبتناه

المستنصر محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص . ثم توفي في ربيع
 الآخر عام تسع وسبع مائة . فولى الأمر قريبه الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن
 ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق بن الأمير أبي زكريا بن
 عبد الواحد بن أبي حفص . ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء
 خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا بن
 عبد الواحد بن أبي حفص ، فالتقيا بأرض تونس ، فهزم أبو بكر ، ونجا
 بنفسه ، فدخل بستانا لبعض أهل الخدمة ، مختفياً فيه ، فسعى به إلى
 أبي البقاء ، فجيء به إليه ، فأمر بعض القرابة بقتله صبراً ، نفعه الله .
 وتم الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه ، إلى أن وفد الشيخ المعظم
 أبو يحيى زكريا الشهير باللحياني ، قافلاً من بلاد المشرق ، وهو كبير
 آل أبي حفص نسباً وقدرأ ، فأقام بإطرابلس ، وأنقذ إلى تونس خاصته ،
 الشيخ الفقيه أبا عبد الله المرثوري ^(١) محارباً لأبي البقاء ، وطالباً للأمر .
 فتم الأمر ، وخلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعماية .
 وتم الأمر للشيخ أبي يحيى ، واعتقل أبو البقاء ، فلم ينزل معتقلاً إلى أن
 توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعماية ، ودفن بالجبانة المعروفة لهم
 بالزللاج ، فضرريحه فيما تعرفنا بإزاء ضريح قتيله المظلوم أبي بكر . لا فاصل
 بينهما . وعند الله تجتمع الخصوم .

وأتصلت أيام الأمير أبي يحيى ، إلى أن انقرضت مدة الأمير أبي
 الجيوش . وقد تضمن الإلماع بذلك الرجز المسمى بقطع السلطنة ^(٢) .

(١) هكذا ورد اسم هذا الفقيه في الإسكوريان وهو اسم الصحيح . وفي الزيادة (٢) بن
 عبد الله المرثوري وهو تحريف .

(٢) في ابن الخطيب هنا إلى كتابه (رقم الخلل في نظم الدرر) الذي سبقت الإشارة إليه .

نظمي . فمن ذلك فيما يختص بملوك المغرب قولي في ذكر السلطان أبي يعقوب :

ثم تفضي معظم الزمان	مواصلاً حضر بني زيّان
حتى [أبي] ^(١) أهل تلمسان الفرج	ونشقوا من جانب اللطف الأرج
لما ترقى درج السعد درج	فانفض ضيق الحصر عنها وانفرج
وابن ابنه وهو المسمى عامراً	أصبح بعد ناهياً وأمراً
وكان ليثاً دامي المخالب	تغلب الأمر بجهد غالب
أباح بالسيف نفوساً عدّة	فلم تطل في الملك منه المدة
ومات حتف أنفه واخترما	ثم سليمان عليها فؤدها
أبو الربيع دهره ربيع	يئسني على سيرته الجميع
حتى إذا الملك سليمان قضى	تصير الملك لعثمان الرضا
فلاح نور السعد فيها وأضا	وسى العهد الذي كان مضى

وفما يختص ببني زيّان ، بعد ذكر أبي زيّان :

حتى إذا استوفى زمان سَعده	قام أبو حمّو بها من بعده
وهو الذي سطا عليه ولده	حتى انتهى على يديسه أمده

وفما يختص بآل أبي حنص بعد ذكر جملة منهم :

ثم الشهيد الأمير خالد	هيهات ما في الدهر حتى خالد
وزكرياً بها بعد ثلوا	ثم نوا الرحلة عنها والثوا
رحل بالشرق وبالشرق ثلوا	وربما فاز امرؤ بما نلوا

ومن ملوك النصراري بقشتاله : هرانده بن شانجه بن ألنشيه بن هرانده بن

(١) ناقصة في الإسكوريال وواردة في الزيتونة واللحة البدرية

شانجُه^(١) . ونازل على عهده الجزيرة الخضراء ، ثم أفلح عنها عن ضريبة وشروط ، ثم نازل في أخريات أمره حصن القَبْدَاق^(٢) ، وأدركه أَلَمُ الموت بظاهره ، فاحتُمل من المحلَّة إلى جِيَّان ، وبقيت المحلَّة مُنيخة على الحصن ، إلى أن تَمَلَّك بعد موت الطَّاغية بأيام ثلاثة ، كتموا فيها مَوْتَه . ولسبب هلاكه حكاية ظريفة ، تضمنتها « طُرْفَة العصر في تاريخ دولة بني نصر » . وقام بعده بأمر النصرانية ولده أَلْهَنْشُه^(٣) ، واستمرت أيامه إلى عام خمسين وسبعماية .

بعض الأحداث في أيامه

نازل على أول أمره طاغية قشتالة ، الجزيرة الخضراء في العام العشرين من عام تسعة وسبعماية ، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور ، وأفلح عنها بعد ظهوره على الجَبَل^(٤) وفوز قِدَاجِه^(٥) به . ونازل صاحب بَرَجْلونة مدينة ألمرية غرة ربيع الأول من هذا العام ، وأخذ بمُخَنَّقِهَا ، وتفرقت الطبَّا على الخِرَاش ، ووقَّعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقبعة كبيرة ، واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان ، ونفس الله الحَصْر ، وفرَّج الكرب . وما كاد أهل الأندلس يستنشِقون ريح العافية ،

(١) هرانده أى فرناندو، وشانجه أى سانشو ، وألنشه أى ألفونسو ، وهو الملك فرناندو الرابع ابن سانشو الباسل الذى تولى عرش قشتالة سنة ١٢٩٦ م (٦٩٦ هـ) ، تحت وصاية أمه ماريادى مولينا ، وتوفى سنة ١٣١٢ م .

(٢) القَبْدَاق ، وبالإسبانية Alcaudete ، بلدة حصينة تقع جنوب غربى جيان على مقربة من شمال غربى قلعة يحصب

(٣) ألنشه أى ألفونسو ، وهو هنا ألفونسو الحادى عشر ، وقد حكم قشتالة من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٣٥٠ م (٧٥١ هـ)

(٤) يقصد به هنا جبل الفتح أو جبل طارق .

(٥) أى من حظه وحسن طالعه .

حتى [نشأ نجم الفتنة] (١) . ونشأت ربيعُ الخلاف ، واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها ، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصراري والصاغية (٢) إلى العدو ، وأظهر الرّيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد فرج ابن اسماعيل ، صينو الغالب بالله ابن نصر ، الامتسك بما كان بيده ، والدعاء لنفسه ، وقدم ولده الدّايل إلى طلب الملّك . وثار أهل غرناطة ، يوم الخامس والعشرين لرمضان من العام ، وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير ، وخبطوا العشواء ، ونزل الحشم ، فلاذ الناس منهم بديارهم ، وبرز السلطان إلى باب القلعة ، متقدماً بالعفة عن الناس ، وفرّ الحاسرون عن القيناع ، فلاحقوا بالسلطان أبي الوليد بمالقة ، فاستنهضوه إلى الحركة ، وقصد الحضرة ، فأجابهم وتحرك ، فأطاعته الحصون بطريقه ، واحتل خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه ، فابتدره الناس من صايح ومشير بثوبه ، ومُتطارح بنفسه . فدخل البلد من ناحية ربض البيّازين ، واستقر بالقصبة ، كما تقدم في اسمه . وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر ، نزل الحمراء دار الملك ، وانفصل السلطان المترجم به ، موفى له شرط عقده من انتقاله إلى وادي آش ، مستبداً بها ، وتعيين مالٍ مخصوص ، وغير ذلك . ورحل نيّلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام . واستمرت الحال ، بين حرب ومهادنة ، وجرت بسبب ذلك أمور صعبة إلى حين وفاته . رحمه الله .

مولده

وُلد في رمضان عام ستة وثمانين رست مائة . وكانت سنه ستاً وثلاثين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الملحّة البدرية (نجيب نهاب الفتنة)

(٢) هكذا وردت في الملحّة البدرية وفي المخطوطين (الطانية) والاولى أنسب للسياق

والصاغية معناها هنا الخاصة والأنصار

سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهراً واحداً ، ومُقامه بوادى آش تسعة أعوام وثلاثة أيام .

وفاته

توفى رحمه الله ، ليلة الأربعاء سادس ذى قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعماية بوادى آش ، ودفن بجامع القصبة منها ، ثم نقل فى أوائل ذى الحجة منه إلى الحضرة ، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه ، وبرز إليه السلطان ، والجمع الكثير من الناس ، ووُضع سريره بالمصلى العيذى ، وصُلى عليه إثر صلاة العصر ، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة ، وكان يوماً من الأيام المشهودة ، وعلى قبره مكتوب فى الرُخام :

« هذا قبر السلطان المرفَّع^(١) المقدار ، الكريم البيت ، العظيم النُّجار سلالة الملوك الأعلام الأخيار ، الصَّريح النَّسب فى صميم الأنصار ، الملك الأوحد ، الذى له السلف العالى المنار ، فى الملئك المنيع الذُّمار ، رابع ملوك بنى نصر ، أنصار دين المصطفى المختار ، المجاهدين فى سبيل الملك الغفار ، الباذلين فى رضاه كرايم الأموال ، ونفايس الأعمار . المعظم المقدس المرحوم ، أبى الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى الهمام الأسمى ، المجاهد الأحمى ، الملك العادل ، الطاهر الشَّمايل ، ناصر دين الإسلام ، ومُبيد عبدة الأصنام ، المؤيد المنصور ، المقدس ، المرحوم أمير المسلمين أبى عبد الله بن السلطان الجليل . الملك الشهير ، مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان ، وحافظ كلمة الإسلام ، وناصر دين الإيمان ، الغالب بالله . المنصور بفضل الله ، المقدس المرحوم ، أمير المسلمين أبى عبد الله بن نصر ، تغمدته الله برحمته وغُفرَّانه ، وبوَّاه منازل إحسانه . وكتبه فى أهل رضوانه . وكان

(١) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى اللوحة البدرية (الرفيع) .

مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين
وستمائة . وبويع يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعماية . وتوفي رحمه الله
ليلة يوم الأربعاء السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعماية فسبحان
المَلِكِ الحقِّ المبين ، وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وفي جهة :

يا قبر جاد ثراك صوب غمام	يَهْمِي عليك برحمة وسلام
بُورِكَتَ لَحْدًا فِيهِ أَيُّ وَدِيعَةٍ	ملك كريم من نجار كرام
ماشيت من حلم ومن خلق رضى ^(١)	وزكاء أعراق ومجد سمام
فأسعد بنصر رابع الأملاك من	أبناء نصر ناصري الإسلام
من خزرج الفخر الذين مقامهم	في نصر خير الخلق خير مقام
يا أيها المولى المؤسس بيته	في معدن الأحساب والأحلام
ماللمنية والشباب مساعد	قد أقصدتك بصائبات سهام
عجلت على ذلك الجمال [فغادرت] ^(٢)	ربيع المحاسن طامس الأعلام
فمحي الردى من حُسن وجهك آية	نحو النهار لسدفة الإظلام
ما كنت إلا بذر تيم باهراً	أخنى الخسوف عليك عند تمام
فعلي ضريح أبي الجيوش تحية	كالمسك عرفاً عند فض ختام
وتغممته رحمة الله التي	ترضيه من عدن بدار مُقسام

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى

يكنى أبا الفتح . أصلهم من حصن أربول من عمل مرسية . ولهم في

(١) هكذا وردت في الزيتونة واللحة البدرية . وفي الإسكوريال (رضا) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال والزيتونة ، وواردة في اللحة البدرية .

الدولة النصرية مزية خُصوا لها بأعظم رُتب القيادة ، واستعمل بعضهم في ولاية السلطان .

حاله

تقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شبرين : قال ، وفي السادس عشر لذي قعدة منه ، يعنى عام عشرة وسبعماية ، توفى بغرناطة القايد المبارك ، أبو الفتح ، أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى ، أولى النزاهة والوفاء .

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهرى

يكنى أبا الفتح ، حفيد المذكور [معه في هذا الباب] (١) .

حاله

من كتاب «طرفة العصر» : نسيحٌ وحده في الخير والعفاف ، ولين العريكة ، ودمائة الأخلاق (٢) ، إلى بُعد الهمة ، وجمال الأبهة ، وضخامة التجنُّد ، واستجادة المرَّكب والعدَّة ، وارتباط العبادة . استعان على ذلك بالنَّعمة العريضة بين مُنادية (٣) إليه بمبرات . ومُكتَسبٍ من جرَّاء المُتغلب على الدولة صِهْرُه ابن المحروق معياشة لُبْنْتِه . ونَمَت حال هذا الشهم النَّجد ، وشَمَخَتْ رُتْبَتِه حتى خُطِبَ للوزارة في أخريات أيامه ، وعاق عن تمام المراد به ، إلحاح السَّقْم على بدنه ، وملازمة الضَّنا لجُثمانه ، فمضى لسبيله ، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة ، ذائع الثَّنَا . نقى العِرْض : صدرأ في الولاية . وعلمأ في القُواد الحُماة .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي الزيتونة مكانها كلمة (قبله) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (الأخلاق) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (متاوية) .

وفاته

توفى بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال ، ركب إليها السلطان ، ووقف بإزاء لَحْدِهِ ، إلى أن وُورى ، تنويهاً بقَدْرِهِ ، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه . وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته .

ومن الكتاب والشعراء

زهون بنت القليبي^(١)

قال ابن الأثير ، وهو فيما أَحْسَبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف ابن عبد الملك بن غالب الغساني ، غرناطية .

حالها

كانت أديبة شاعرة ، سريعة الجواب ، صاحبة فكاها ودعابة . وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزَّمان ، والمخزومي الأعمى . وأبي بكر بن سعيد^(٢) .

شعرها

دخل الأديب أبو بكر الكُتُنْدِي الشاعر ، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى ، فلما نظر إليها ، قال أجز يا أستاذ :
« لو كنت تُبصر من تكلُّمُهُ »^(٣) . فأفحَمَ المخزومي زامِعاً ، فقالت :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القليبي) وذكروها ابن الخطيب من قبل (زهون بنت القلاعي) (المجلد الأول ص ٤٢٥)
(٢) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٤٢٥-٤٢٧) ، والمجلد الثاني (ص ٥٠٤ و ٥٠٥) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (تجالسه)

« لَغَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ » ثم زادت :
 إليه البدرُ يطلعُ من أزرته والغصنُ يُمسِرُ في غلايله
 ولاخفاءً ببراءة هذه الإجازة ، ورفاعة هذا الأدب .
 وكتب إليها أبو بكر بن سعيد ، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من
 الأدباء الأعيان :

يا من له ألف خل^(١) من عاشق وعشيق
 أراك خلّيت للناس سدّ ذاك الطريق
 فأجابته بقولها :

حلّلت أبا بكر محلاً منعته سواك وهل غير الرفيع^(٢) له صدري
 وإن كان لي كم من حبيب فإنما^(٣) يقدم أهل الحق فضل^(٤) أبي بكر
 وهذه غاية في الحُسن بعيدة . ومحاسنها شهيرة ، وكانت من غرر
 المفاجير الغرناطية .

حرف الصاد

من الأعيان والوزراء

الصَّمِيلُ بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر [بن]

ذِي الجَوْشَن^(٥) الصَّبَّابِي الكَلْبِي

وهو من أشرف عَرَب الكوفة .

-
- (١) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (شخص)
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحبيب) .
 (٣) هكذا وردت هذه الشطرة في النسخ . وفي الإسكوريال (وإن كان حلالاً لي كثيراً فإنما) .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (حب) .
 (٥) وردت في الإسكوريال والزيتونة (ذى الجيوش) وهو تحريف

أوليتته

قال صاحب الكتاب « الخزائني »^(١) جدّه أحد قتلته الحسين بن علي ،
والذي قدّم برأسه على يزيد بن معاوية . فلما قام المختار ثائراً بالحسين ،
فرّعه شمر ، ولحق بالشام فأقام بها^(٢) في عزٍّ ومنعة . ولما خرج كلثوم بن
عياض غازياً إلى المغرب ، كان الصمّيل ممن ضرب عليه البعث في أشرف
أهل الشام . ودخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري^(٣) ، فشرّف
ببذنه إلى شرفٍ تقدّم له . وردّ ابن حيان هذا ، وقال في كتاب « بهجة
الأنفس ، وروضة الأنس » ، كان الصمّيل بن حاتم هذا جدّه شمر قاتل
الحسين رضي الله عنه ، من أهل الكوفة ، فلما قتله ، تمكّن منه المختار^(٤)
فقتله ، وهدم داره ، فارتحل ولده من الكوفة ، فرأس بالأندلس ، وفاق
[أقرانه]^(٥) بالنجدة والسخاء .

حاله

قال ، كان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً ، إلا إنه كان رجلاً أمياً
لا يقرأ ولا يكتب ، وكان له في قلب الدول ، وتدبير الحروب ، أخبار
مشهورة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (الجزاد)

(٢) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٣) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

(٤) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي . وقد خرج بالكوفة في سنة ٦٦ هـ مطالباً بشار الحسين
ومن قتل من آل البيت . واستولى على الكوفة ، وبايعه الناس على سنة كتاب الله ورسوله ، والمطالبة
بشار الحسين وآل البيت ، وتجرد المختار لمطاردة قتلة الحسين ، فقتل شمر بن ذي الجوشن ، و عمر
ابن سعد بن أبي وقاص ، وكل من اشترك في مأساة مقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء

(٥) واردة أيضاً في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال

من أخباره . حكى ابن القوطية ، قال ، مرَّ الصَّمِيلُ بِمَعْلَمٍ يَتْلُو
« وتلك الأيام نداؤها بين الناس » ، فوقف يسمع ، ونادى بالمعلم ، يا هناه
كذا نزلت هذه الآية ، فقال نعم ، فقال ، أرى^(١) والله أن سيُشركنا في
هذا الأمر ، العبيد والأراذل والسُّفلة .

خبره في الجود : قال ، كان أبو الأجرى الشاعر ، وقفاً على أمداح
الصَّمِيلِ ، وهو القائل :

بني لك حاتم بيتاً رفيعاً رأيناه على عمُد طُوال
وقد كان ابنتي شمرٌ وعمرو بيوتاً غير ضاحية الظلال
فأنت ابن الأكارم من معدٍ تَعْتَلِجُ الأباطحُ والرَّمال

وقارضه بإجزاله لعطايه ، وانتمائه في ثوابه ، بأن أغلظَ القَسَمَ على
نفسه ، بأن لا يراه ، إلا أعطاه ما حَضَره ، فكان أبو الأجرى قد اعتمد
اجتنباه^(٢) في اللقاء ، حياةً منه ، وإبقاءً على ماله ، فكان لا يزوره إلا
في العيدين ، قاضياً لحقه . وقد لقيه يوماً مواجهةً ببعض^(٣) الطريق ،
والصَّمِيلُ راكبٌ ، ومعه إبناه فلم يحضره ما يُعطيه ، فأرَجَلَ أحدَ ابنيه ،
وأعطاه دابته . فضرب في صنعه . وفيه يقول من قصيدة :

دون الصَّمِيلِ شريعةٌ مُورُودَةٌ لا يستطيع لها العدوُّ وروداً
فُتَّ الوري وجمعت أشتات العلاءِ وحويتَ مجداً لا يُنالُ وجوداً
فاذا هلكتَ فلا تحمِلَ فارسٌ سيفاً ولا حمَلُ النساءُ وليداً

وكان صاحب أمره ولأه الأندلس قبل الأمويين ، لهم الأسماء . وله
معنى الإمرة . وكان مظفر الحروب . سديد الرأي . شهير الموقف ، عظيم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يارب)

(٢) وردت هذه الكلمة في الزيتونة ، ومكانها بياض في الإسكوريال

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (في)

الصبر . وأوقع باليمانية وقايح كثيرة ، منها وقية شقنودة ، ولم يكن بالأندلس مثلها ، أئخن فيها القتل باليمانية .

أنفته

قال ، وكان أبا للضم ، مُحاميا عن العشيرة ، كَلَّمَ أبا الخطار الأمير ، في رجل من قومه ، انتصر به ، فأفجمه ^(١) ، وردَّ عليه ، فأمر به ، فتعَّع ومالت عمامته . فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير ، يا أبا الجوشن ما بال عمامتك مايلة ، فقال إن كان لي قومٌ فسَيُقيمونها ، وخرج من ليلته ، فأفسد مُلكه .

وفاؤه : وخبرُ وفائه مشهور ، فيما كان من جوابه لرَسُولِي عبد الرحمن ابن معاوية إليه ، بما قطع به رجاء الهوادة في أمرِ أميره ، يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، والتستُّر مع ذلك عليهما ^(٢) ، فليُنظر في كتاب «المقتبس» ^(٣) .

دخوله غرناطة

ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية ، صَقَّر بني أمية ، وقَهَّر الأمير يوسف الفهري ، ووزيره الصمَّيل ، إذ عَزَلَه الناس ، ورجع معه يوسف الفهري والصمَّيل إلى قرطبة . ولم يلبثا أن نَكثا ، ولحقا فحَصَّ غرناطة ، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خَبر طويل ، واستنزَلهما عن عهد، وعاد الجميع إلى قرطبة ، وكان يوسف والصمَّيل يَرَكبان إلى

(١) هكذا وردت في الزيتونة وفي الإسكوريال (فنجمه) والأولى أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (عليها)

(٣) هو كتاب «المقتبس في أخبار أهل الأندلس» أو «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس»

لأبي مروان بن حيان ، أعظم مؤرِّخي الأندلس ، وأوثقهم رواية ، وأبرعهم نبدا (٣٧٧-٦٩ ، د) وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٢ حاشية)

القَصْر كل جُمعة إلى أن مضيا لسبيلهما . وكان عبد الرحمن بن معاوية
يَسْتَرْجِع . ويقول ما رأيت مثله رجلاً . لقد صَحَّيْنِي من السَّيِّرة إلى قرطبة ،
فما مَسَّت رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ ، ولا خَرَجَتْ دَابَّتُهُ عن دَابَّتِي .

ومن الكتاب والشعراء

صَفْوَان بن إِدْرِيس بن إِبراهيم بن عبد الرحمن بن

عيسى بن إِدْرِيس التُّجَيْبِي

من أهل مُرْسِيَّة ، يُكنى أبا بجر .

حاله

كان أديبا ، حَسِيباً جليلاً ، أَصِيلاً ، مُمْتَعاً من الظَّرْف ، رِيَّان من
الأدب ، حافظاً ، حسن الخطِّ ، سريع البديهة ، تَرِفَ النَّشْأَةَ ، عَلِيَّ تَصَاوُنَ
وَعَفَافاً ، جميلاً سَرِيّاً ، سَمْحاً ذكياً ، مليح العِشْرَةَ ، طَيِّبَ النَّفْسِ ، مَمَّنَّ
تساوى حُظَّهُ في النظم والنثر ، على تبايُنِ الناس في ذلك .

مشيخته

روى عن أبيه وخاله ، ابن عم أبيه القاضي أبي القاسم بن إِدْرِيس ،
وأبي بكر بن مُغَاوِر ، وأبي الحسن بن القاسم ، وأبي رِجَال بن غَلْبُون ، وأبي
عبدالله بن حُمَيْد ، وأبي العباس بن مَضَاء ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وأبي
محمد الحِجْرِي ، وابن حَوْطِ اللهِ ، وأبي الوليد بن رُشْد . وأجاز له أبو القاسم
ابن بَشْكُوَال .

من روى عنه : أبو إسحق اليابري . وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله

ابن أبي البقاء . وأبو عمرو بن سالم ، ومحمد بن محمد بن عَيْشُون .

تواليفه

له تواليف أدبية منها . « زاد المسافر » ، وكتاب « الرحلة » ، وكتاب « العجالة » سفران يتضمنان من نظمه ونثره ، أدباً لا كفاء له . وانفرد من تأبين الحسين رضى الله عنه ، وبكاء أهل البيت: بما ظهرت عليه بركته في حكايات كثيرة .

شعره

ثبت من ذلك في العجالة قوله :

جاد الزمان بآنة الجرعاء	توقان من دمعى وغيث سماء
فالدَّمع يقضى عندها حق الهوى	والغيمُ حق البانة الغيناء
خَلَّتْ الصُّدُور من القلوب كما خَلَّتْ	تلك المقاصِرُ من مهى وطيء
واقعد أقول لصاحبي وإنما	ذُخر الصديق لأمجد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل إذا أنا	ناديت من إن تُصغيًا لنداء
عوجا بحار الغيم في سقى الجما	حتى ترى كيف انسكاب الماء
ونسُنُّ في سقى المنازل سُنَّة	نمضى بها حكماً على الظرفاء
يا منزلاً نشطت إليه عبرى	حتى تبسّم زهره لبكاء
ما كنتُ قبلُ مزار ربّك عالماً	أنّ المدامع أصدق الأنواء
ياليت شعرى والزمان تنقل	والدهر ناسخ شدة برحاء
هل نلتقى في روضة موشية	خفاقة الأغصان والأفياء
وننال فيها من تألّفنا ولو	ما فيه سُخمة ^(١) أعين الرقباء
في حيث أتلت الغصون سوالفاً	قد قلدت بلالئ الأنداء

(١) وردت في الإسكوريال (سخنة) والتصويب من الزيتونة

وَجَرَتْ ثُغُورُ الْيَاسْمِينِ فَقَبَّلْتِ
 وَالْوَرْدُ فِي شَطْطِ الْخَلِيسِجِ كَأَنَّهُ
 وَكَأَنَّ غِصْنَ الزَّهْرِ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ
 وَكَأَنَّمَا جَاءَ النَّسِيمُ مَبْشُراً
 فَكَسَاهُ خِلْعَةً طَيِّبَةً وَرَمَى لِسْمَهُ
 وَكَأَنَّمَا احْتَقَرَ الصَّنِيعُ فَبَادَرَتْ
 وَالغُصْنُ يَرْقُصُ فِي حُلِيِّ أَوْرَاقِهِ
 وَافْتَسَرَ ثُغْرَ الْأُقْحُسُوانِ بِمَا رَأَى
 أَفْئِدِيهِ مِنْ أُنْسٍ تَصْرَمُّ فَاَنْقَضَى
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ذِكْرٍ أَوْ مَنَى
 أَوْ رُقْعَةٍ مِنْ صَاحِبِ هِيَ تُحْفَةُ
 كِبْطَاقَةِ الْوَسْمِيِّ إِذْ حَيَّا بِهَا
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ . وَقَالَ مَرَاجِعًا عَنْ كِتَابٍ أَيْضًا :

أَلَا سَمِحَ الزَّمَانُ بِهِ كِتَابًا
 فَلَا أَدْرِي أَكَانَا تَحْتَ وَعْدٍ
 وَقَدْ ظَفِرَتْ يَدِي بِالْغَنَمِ مِنْهُ
 فَلَوْ لَمْ أَسْتَفِدْ شَيْئًا سِوَاهُ
 إِذَا أَحْرَزْتُ هَذَا فِي اغْتِرَابِي
 رَجَمْتُ بِأَنْسِهِ شَيْطَانَ هَمِّي
 رَشَفْتُ بِهِ رُضَابَ الْوُدِّ عَذْبًا
 ذَرَى^(١) بَوْرُودَهُ^(٢) أُنْسِي قَبَابًا
 دَعَا بِهِمَا لِبُرِّي فَاسْتَجَابَا
 فَلَيْتَ الدَّهْمِ سَسْنِي لِي إِيبَا
 قَنِعْتُ بِمَثَلِهِ عِلْقًا لُبَابًا^(٣)
 فَدَعْنِي أَقْطَعُ الْعُمُرَ اغْتِرَابًا
 فَهَلْ وَجَّهْتُ طِرْسًا أَمْ شَهَابًا
 يُذَكِّرُنِي شَمَايِلَكَ الْعِزَابَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (روى)

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (فوروده)

(٣) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ليابا)

ولكن خِلْتُ قَوْلَهُمْ تَصَابَا
 فَتَحْتُ بِفَضِّهِ لِلرُّوْحِ بَابَا
 اسكى أَسْتُوْدِعِ الزُّهُرَ السَّحَابَا
 خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْسِنِي التَّهَابَا
 لَكُنْتُ عَلَى كِتَابِكُمْ الْجَوَابَا
 وَأَجْرِلُ مِنْ ثَنَائِكُمْ الثَّوَابَا
 وَقِيَدْتُ غَرَضِي ^(٣) إِلَّا الْخَطِيَا
 سَلَامَا أَوْ مَنَامَا أَوْ كِتَابَا
 لِأَنَّ السَّهْمَ مَهْمَا رِيَشُ صَابَا
 وَلَوْ أَضْعَيْتُ لَمْ أَرْفَعِ جَوَابَا
 أَقْلُ مِنْ أَنْ أَضَيِّقَ بِهَا جَنَابَا
 وَقَارَأُ وَاخْتَسَابَا وَاصْطَبَارَا
 عَرِينُ اللَّيْثِ لَا يَعْشَى الذُّبَابَا
 وَهَلْ تَسْتَرْفِضُ الرِّيْحَ الْمُضْطَابَا
 مَلَأْتُ مَسَامِعَ الدُّنْيَا عِتَابَا
 فَمَا صَمَّتْ وَلَا قَالَتْ صَوَابَا
 عَهْدْتُ بِهَا الْقَرَارَةَ وَالشُّبَابَا
 إِذَا مَا فَارَقَ السَّيْفُ الْقِرَابَا
 إِذَا قَطَعَ الْجَمَاجِمَ وَالرَّقَابَا

وَكِدْتُ أَجْرُ أَدْيَالِي نَشَاطَا
 فَضَضْتُ خَتَامَهُ عَنِّي كَأَنِّي
 فَكِدْتُ أَبْثُهُ [فِي جَفْنِ عَيْنِي ^(١)]
 وَكُنْتُ أَصُونُهُ فِي الْقَابِ لَكِنِ
 وَلَسُو أَنْ اللَّيْسَالِي سَامَحْتَنِي
 فَأَبْلِي ^(٢) عِنْدَكُمْ بِالشُّكْرِ عُدْرَا
 وَلَكِنِ اللَّيْسَالِي قَيَّدَتْنِي
 فَمَا تَلْقَانِي ^(٤) الْأَحْبَابِ إِلَّا
 لِأَمْرٍ مَا يَقْضُ الدَّهْرُ رِيَشِي
 وَعَاذَلْتُ تَقُولُ وَلَسْتُ أَضْغِي
 تُخَوِّفُنِي الدَّوَاهِي وَهِيَ عِنْدِي
 إِذَا طَرَقَتْ أَعْدُ لَهَا قِرَاهَا
 وَمَا مَشِيْلِي يُخَوِّفُ بِالدَّوَاهِي
 تُعَاتِبُنِي فَلَا يَرْتَدُّ طَرْفِي
 وَلَوْ أَنَّ الْعِتَابَ يُفِيدُ شَيْثَا
 وَقَدْ وَصِيْتُهَا بِالصَّمْتِ عَنِّي
 تَعْنُفُنِي عَلَى تَرْكِي بِلَادَا
 تَقْبُولُ وَهَلْ يَنْمَلُ السَّيْفُ إِلَّا
 فَتَقْلَتُ وَهَلْ يَضُرُّ السَّيْفُ فَلُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (محميص)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فامل)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عدي)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تلق)

يَحْوِضُ الْهَوْلُ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
 فَلَيْثُ الْغَسَابُ يَفْتَرَسُ الْأَنْسَابِي
 وَلَوْ كَانَ انْقِضَاضُ الطَّيْرِ سَهْلًا
 دَعِينِي وَالنَهْسُ لَأَسِيرُ فِيهِ
 أَغَازِلُ مِنْ غَزَالَتِهِ فَتَسَاةٌ
 إِذَا شَاءَتْ مُوَاصَلَتِي تَجَلَّسَتْ
 وَأُسْرَى اللَّيْلُ لَا أَلْوِي عِنَانًا
 أَطَارِحُ مِنْ كَوَاكِبِهِ كَمَا مَا
 وَأَرْكَبُ شُهْبًا غُبْرًا كِبَاعِي
 وَأَخِذْ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ حَقِّي
 وَلَسْتُ أَذِيلُ بِالْمَدْحِ الْقِسْوَانِي
 أَأَمْدَحُ مِنْ بِهِ أَهْجُو مَدِيحِي
 سَأَخْزِنُهَا^(٤) عَنِ الْأَسْمَاعِ حَتَّى
 فَلَسْتُ بِمَادِحٍ مَا عِشْتُ إِلَّا
 أَبَا مُوسَى وَإِنِّي أَخَى وَدَادٍ
 وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ مَهْمَةٌ لِسُو
 أَخَى بَرُّ الْمَوَدَّةِ كُلِّ بَرٍّ^٥
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَظْمِي بِسَدْرٍ
 عِدَانِي الدَّهْرِ إِنْ يَلْقَاكَ شَخْصِي

يَحِجِلُ السَّهْلُ مِنْ رَكِيبِ الصُّعَابَا
 وَلَيْثُ الْبَيْتِ يَفْتَرَسُ الذُّبَابَا
 لَكَانَتْ كُلُّ طَائِرَةٍ عُقَابَا
 أَسِيرُ عَزَائِمِ تُفْرَى الصُّلَابَا
 تَبْيِضُ فَوْدُهَا هَرَمًا وَشَابَا
 وَإِنْ مَلَّتْ تَوَارَتْ لِي احْتِجَابَا
 وَلَوْ نِيلُ الْأَمَانِي لَمَا^(١) أَصَابَا
 وَأَزْجُرُ مِنْ دَجْنَتِهِ^(٢) غُرَابَا
 وَخُضْرًا مِثْلَ خِطَاطِرِي انْسِيَابَا
 جِهَازَ الْبَيْتِ اسْتَلْبِ اسْتِلَابَا
 وَلَا أَرْضِي بِخَطِّهَا اِكْتِسَابَا
 إِذَا طَيَّبْتُ^(٣) بِالْمَسْكِ الْكَلَامَا
 أَرَدُّ الصَّمْتِ بَيْنَهُمَا حِجَابَا
 سِيوْفًا أَوْ جِيَادًا أَوْ صِحَابَا
 أَنَا جِي لَوْ سَمِعْتُ إِذَا أَجَابَا
 طَوْتَهُ الرِّيحُ لَمْ تَرْجِ الْإِيَابَا
 إِذَا بَرَّ الْأَشَقَّةَ الْاِنْتِسَابَا
 شَقَقْتُ عَلَيْهِ مِنْ فِكْرِي عُبابَا
 فَأَغْنِي الشُّعْرَ عَنْ شَخْصِي وَنَسَابَا

(١) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال كله . و واضحة (سى)

(٢) ورد في الإسكوريال (دحبه) والصواب من الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (أطب)

(٤) هكذا ورد في الإسكوريال وفي الزيتونة (سأضربها)

وقال في الغرض الذى نظم فيه الرصافي من وصف بلده ، وذكر إخوانه ومعاهده^(١) ، مساجلا في العروض والروى ، عقب رسالة سماها « رسالة طراد الجياد في الميدان . وتنازع اللدان والإخوان ، في تنفيتي مُرسية على غيرها من البلدان » .

هل رسول البرق يفتنم الأجر
معاملة أربو بها غير مُذنب
ليستنى من تدمير^(٢) قطرا مُحَبَّباً
ويقرضه ذوب اللجين وإنما
وما ذاك تقصيراً بها غير أنه
خليلي قوما فأحيسا طرق الصبا
فإن الصبا ربح على كريمة
خليلي أعنى أرض مُرسية المنا
محلى بل جوى الذى عبقت به
ووكرى الذى منه درجت فليتنى
وما روضة الخضراء قد شلت بها
بأبهج منها والخليج مجرة
وقد أسكرت أزهار^(٤) أغصانها الصبا

فينشر عنى ماء عبته نثراً^(٢)
فأقضيه دمع العين من نقطة بحر
يقرب بعين التطر أن تشرب القطرا
توفيه عيني من مدامها تبرا
سجية ماء البحر أن يذوى الزهرا
مخافة أن تحمى بزفرى الحرا
بآية ما تسرى من الجسنة الصغرا
ولولا توخى الصدق سميتها الكبرا
نواسم آدابى مُعطرة نثرا
فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
مجرتها نهراً وأنجمها زهرا
وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
وما كنت أعتد^(٥) الصبا قبلها خمرا

(١) وردت قصيدة الرصافي المشار إليها في ترجمته التي تنامت (المباد الثاني من الإحامة ص ٥٠٧ - ٥٠٩) ومطلها :

خليلي ما للبيد قد عبقت نثراً وما لرؤوس الركب قد رجحت سكرا .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتون كالاتى :

(فيشر عنى ما عبقت به نثراً) .

(٣) تدمير هو اسم آخر لمرسية ، وهو اسم الولاية التي تقع فيها .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أعطاف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أعددت) .

هنالك بين الغصن والقطر والصبأ
 إذا نَظَمَ الغصن الحيا قال خاطرى
 وإن نَشَرْتُ رِيحُ الصَّبَا زهر الرُّبَى
 فوايد أَسْحَارٍ هَنَّاكَ أَقْتَبَسْتَهَا
 كَأَنَّ هَزِيذَ الرِّيحِ يَمْدَحُ رَوْضَهَا
 أَيَارَنْقَاتٍ [الحسن] ^(٢) هل فيك نظرة
 فَأَنْظِرْ مِنْ هَذِي لَتَلِكْ كَأَنَّمَا
 هِيَ الْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ تُمَمُّ حَسْنَهَا
 إِذَا خُطِبَتْ أَعْطَتْ دَرَاهِمَ زَهْرَهَا
 وَقَامَتْ بِعُرسِ الْأَنْسِ قِينَةُ أَيَكَةُ
 أَغَارِيدَهَا تَسْتَرْقِصُ الْغُصْنَ النَّضِيرَا
 وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا قَصِيرَا
 كَصَفْحَةِ سَيْفٍ وَسُمُّهَا قُبْعَةٌ ^(٣) صَضْرَا
 بِسَطْرٍ ^(٤) لَجِينِ ضَمٍّ مِنْ ذَهَبٍ عَشْرَا
 لِنَهْرٍ يُوَدُّ الْأَفْقَ لَوْ زَارَهُ فَجَسْرَا
 وَقَدْ بَكِيَا مِنْ رَقَّةٍ ذَلِكَ النَّهْرَا
 مِنْ الْأَنْسِ مَا فِيهِ سَوَى أَنَّهُ مَرَا
 وَكَمْ لِي بِالْبَابِ الْجَدِيدِ ^(٥) عَشِيَّةُ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (فلاذفاها) .

(٢) الزيادة من الزيتون والنخ .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (نبعة) والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة وفي النسخ (بسط) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (بايات الحديد) . والأول

عَشِيَّاتٍ^(١) كَأَنَّ الدَّهْرَ غُصَّ^(٢) بِحَسَنِيهَا
 عَلَيْهِنَّ أَجْرَى خَيْلٍ دَمَعِي بَوَجْنَتِي
 أَعْهَدِي بِالغَرَسِ الْمُنْعَمِ دَوْحُوسِهِ
 فَكَمْ فِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَغْسَرَ مُحَجَّلٍ
 عَلَيَّ مُدَنَّيبٍ كَالنَّحْرِ^(٤) مِنْ فَرَطِ حُسْنِهِ
 سَقَتِ أَدْمَعِي وَالْقَطْرُ أَيُّهُمَا انْبَرَى
 وَإِخْوَانِ صِدْقٍ لَوْ قَضَيْتِ حَقُّوْقَهُمْ
 وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي وَلَمْ أَكُنْ
 وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبُعْدَ إِلَّا ضَرْوَةً
 قَضَى اللَّهُ أَنْ [يَتَأَيَّ بِالدَّهْرِ]^(٥) عَنْهُمْ
 وَوَاللَّهِ لَوْ نِلْتُ الْمُنَا مَا حَمِدْتِهَا
 أَيْبَانِسَ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونَهُمْ
 وَيَصْحَبُ هَادِي اللَّيْلِ رَاءَهُ وَحُرْفَةً^(٧)
 فَدَيْتُهُمْ بَانُوا وَضُنُّوا بِكُتْبِهِمْ
 وَلَوْلَا عُلَا هِمَاتِهِمْ لَعَتَبْتُهُمْ^(٩)

فَأَجَلْتُ سِيَاطِ^(٣) الْبَرْقِ أَفْرَاسَهَا الشُّقْرَا
 إِذَا رَكِبْتَ حُمْرًا مِيَادِينَهَا الصَّفْرَا
 سَقَّتْكَ دَمَوَعِي إِنَّهَا مُزْنَةٌ شُكْرَا
 تَقَضَّتْ أَمَانِيهِ فَخَلَّدَتْهَا ذِكْرَا
 تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ نَحْرَا
 نَقَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءُ فَالْنَهْرُ فَالْجِسْرَا
 لَمَّا فَارَقْتُ عَيْنِي وَجُوْهَهُمُ الزَّهْرَا
 لَمَّا بَيْتٌ أَسْتَحْلِي فِرَاقَهُمُ الْمُسْرَا
 وَهَلْ تَسْتَجِيرُ الْعَيْنُ أَنْ تَفْقَدَ الشُّفْرَا
 أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أَعْتَبَ الدَّهْرَا
 وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يُحْمِدَ الْهَجْرَا
 مَرَامٍ يَجِدُ الرِّكْبَ^(٦) فِي طَيْهَا شَهْرَا
 وَصَادًا وَنُونًا قَدْ تَقَوَّسَ^(٨) وَأَصْفْرَا
 فَلَا خَبْرًا مِنْهُمْ لَقِيْتُ وَلَا خُبْرَا
 وَلَكِنْ عُرَابِ الْخَيْلِ لَا تَحْمِلُ الزُّجْرَا^(٩)

- (١) هكذا وردت في النسخ. وفي الإسكوريال والزيتونة (عشايا) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (غض) وفي النسخ (غضا) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة والنسخ (بساط) والأولى أرجح .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كالبحر) .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (تنأى في الدار) .
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي النسخ (الكرب) والأولى أرجح وأنسب للسياق .
 (٧) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (وحزمة) .
 (٨) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (تقدس) والأولى أرجح .
 (٩) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة ، وساقط في النسخ .

بـحيث جعلتُ الليل في ضربه حِبراً
 وطرحاً وتجميلاً فأخرج لي صفراً
 يُطارحني كسراً أما يُحسن الجِبراً^(١)
 فيمدحني سراً وَيَشْتَمِنِي جَهراً
 وقلتُ لسِرْبِ الشُّعْرِ [لا تهمُّ الفِكر] ^(٢)
 ومن خُلِقَ العَذْرَاءُ أَنْ تَأَلَّفَ الخِدرَا
 فَإِنَّ مع العُذر الذي يُتَّقَى يُسرا

ضربتُ غُبار البيد في مَهْرَقِ السُّرى
 وحققتُ ذاك الضَّرْبِ جَمْعاً وَعُدَّةً
 كأنَّ زَمَانِي حاسبٌ مُتَعَسِّفٌ
 فكَم عارفٍ بي وهو يَحْسُبُ رُتَبِي
 لذلك ما أَعْطَيْتُ نَفْسِي حَقَّهَا
 فما بَرِحَتْ فِكْرِي عَذَارِي قِصَايِدِي
 ولست وإن طاشتُ سَهَامِي بِبَايسٍ
 ومن مقطوعاته :

له سوادُ القلب منها غَسَقُ
 فناب فيها لونها عن شَفَقِ
 وصدتني في شَرَكٍ من حَدَقِ
 في البحر منه شُعلة لا حترق

يا قمرا مَطْلَعَه أَضْلَعِي
 وربما اسْتَوْفَدَ نارَ المَسْوِي
 مَلَكْتُنِي فِي دَوْلَةٍ من صِبا
 عندي من حُبِّيبيك^(٣) ما لوسرتُ

ومن مقطوعاته أيضاً :

سوى جناحاً للغرام وطارا
 بين الجوانح لَوَعَةٌ وَأُوارا
 ماءً وَيُثْمِرُ فِي ضُلُوعِي نارا

قد كان لي قلبٌ فلما فارقوا
 وجرتُ سَحَابٌ بالدموع فأوقدت
 ومن العجايب أنَّ فَيُضِرُّ مدامعي

وشعره الرَّمْلُ والقطرُ كثرةٌ ، فانختم له المقطوعات بقوله :

قالوا وقد طال بي مدى خطي
 أَعَدَدْتُ شَيْئاً تَرْجُو النجاة به
 ولم أزل في تَجْرُمِي ساء
 فقلتُ أَعَدَدْتُ رَحْمَةَ الله

(١) أورد الناسخ هذا البيت في هامش الصفحة (206)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة والنفح (لا ترم الذكر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (حبك) .

نشره

كتب يهني ، قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقى من رسالة : لان قدره ^(١) ،
 دام عُمره ، وامْتِثِلْ نِهْيَهُ [الشرعى] ^(٢) وأمره ، أعلى رتبةً ، وأكْرَمَ محلا ،
 من أن يَتَحَلَّى بِخُطَّةِ هِى بِهِ تَتَحَلَّى . كيف يهنا بالقعود لسماح دَعْوَةِ الباطل ،
 ولمعانة الإنصاف المَطُول من الماثل ، والتَّعب في المعادلة . بين ذوى
 المجادلة . أما لو عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ إلى خُطَّةِ الأَحْكام ، المُسْتَشْرِقُونَ إلى مالها
 من التَّبَسُّطِ والاحتكام ، ما يجب لها من اللُّوازم ، والشروط الجوازِم ،
 كَبَسْطِ الكَنْفِ ، ورَفْعِ الجَنْفِ ، والمساواة بين العدوِّ وذى الدَّنْبِ ، والصاحب
 بالجنْبِ ، وتقديم ابن السَّبِيلِ ، على ذى الرَّحْمِ والقَبِيلِ ، وإيثار الغريب
 على القريب ، والتوسُّع في الأخلاق ، حتى لِيَمُنَّ لِيَسْ له من خلاق ، إلى
 غير ذلك مما عَلِمُ قاضي الجماعة أَحْصاه ، واستعمل لخلقه الفاضل أدناه
 وأقْصاه ، لِيَجْعَلُوا خُمُولَهُمْ مامولهم ، وأضربوا عن ظُهُورِهِمْ ، فنبذوه وراء
 ظُهُورِهِمْ ، اللهم إلا من أوتى بَسْطَةً في العِلْمِ ، ورَسَا طوداً في ساحة الحِلْمِ ،
 وتساوى ميزانه في الحرب والسُّلم . وكان [كقاضي الجماعة] ^(٣) ، في
 المماثلة بين أجناس الناس ، فقصاراه أن يتقلد الأحكام للأجر ،
 لا للتَّعَسُّفِ ^(٤) والزَّجر ، ويتولأها للثواب . لا للغلظة في رد الجواب . ويأخذها
 نُحْسَنَ الجزاء ، لا لُقْبَحِ الاستهزاء . ويلتزمها لجزيل الذُّخْرِ لا للإزراء
 والسُّخر . فإذا كان كذلك . وسلك المتولَّى هذا السَّالك . وكان كقاضي ^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال والزيونة . وفي النسخ (محله) .

(٢) هذه الكلمة الزائدة من الذيل والتكلمة ، والنسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (كونالا) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الذيل والتكلمة والنسخ (للتعنيف) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي الذيل والتكلمة (مثل قاضي) .

الجماعة ولا مثل له ، ونفع الحقُّ به عِلله ، ونَقَعَ غلله ، فيومئذ تَهَنَأُ به خُطَّةُ القِضَاءِ ، ويعرف ما لله عليه ^(١) من اليَدِ البَيْضَاءِ ^(٢) .

ومحاسنه في النشر أيضاً جمعة .

ومن أخباره أنه رحل إلى مرآكش متسبباً في جهاز بنتٍ بَلَغَتْ التَّزْوِيجَ ، وقصد دار الإمارة مادحاً ، فما تيسر له شيءٌ من أمله . ففكر في خيبة قصده ، وقال لو كنت تأملتُ جهةَ الله ، ومدحتُ المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وآل بيته الطاهرين ، لبَلَغْتَ أَملي بِمحمودِ عملي . ثم استغفر الله في توجُّهه الأول ، وعلم أن ليس على غير الثاني من مُعَوَّلٍ ، فلم يكن إلا أن صوّب نحو هذا القصد سَهْمه ، وأمضى فيه عزمه ، وإذا به قد وُجِّه عنه ، وأدخل على الخليفة ، فسأله عن مقصده . فأخبره [منصحاً به] ^(٣) فأنقذه وزاده عليه . وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يأمره بقضاء حاجته . فانفصل مُوفى الأغراض . واستمر في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك .

وفاته

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وسنه دون الأربعين سنة . وصلى عليه أبوه ، فإنه كان بمكان من الدين والفضل رحمة الله عليه . وتلقيت من جهات ، أنه دخل غرناطة ، لما امتدح القايد أبا عبد الله بن ضنايد بمدينة جيان ، حسبما يظهر من عُجالاته ، من غير تحقيق لذلك .

(١) وردت في الإسكوريال (على) وفي النسخ (عليها) والتصويب أرجح .

(٢) وردت هذه الرسالة بأكملها في الذيل والكتلة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بما جاء له) .

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النعمري

من أهل رُنْدَةَ ، يكنى أبا الطَّيِّبِ .

حاله

قال ابن الزُّبَيْرِ ، شاعرٌ مُجِيدٌ في المدح والغزل ، وغير ذلك . وعنده مشاركة في الحساب والفرايض . نظم في ذلك . وله توالييف أدبية ، وقصائد زُهْدية ، وجزءٌ على حديث جبريل عليه السلام ، وغير ذلك مما روى عنه . وكان في الجملة معدوداً في أهل الخير ، وذوى الفضل والدين . تكرر لقائى إياه ، وقد أقام بمالقة أشهراً ، أيام إقراءى . وكان لا يفارق مجالس إقراءى ، وأنشدنى كثيراً من شعره .

وقال ابن عبد الملك ، كان خاتمة الأدباء بالأندلس ، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره ، فقيهاً حافظاً ، فريضياً ، متفنناً في معارف شتى ، نبيل المقاصد ، متواضعاً . مقتصداً في أحواله . وله مقامات بديعة في أغراض شتى ، وكلامه نظماً ونشراً ، مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن آباء الحسن أبيه^(١) ، والدبَّاج ، وابن الفخَّار الشَّريشى ، وابن قَطْرال . وأبي الحسن بن زَرْقُون . وأبي القاسم بن الجَدِّ .

توالييفه

ألَّف جزءاً على حديث جبريل ، وتضمنيفاً في الفَرايض وأعمالها ،

(١) هكذا في الإسكوريال والزيتونة .

وآخر في العروُض ، وآخر في صنعة الشعر سماه «الوافي»^(١) في علم القوافي^(٢) .
وله كتاب كبير سماه «رَوْضَةُ الأَنْس ، ونُزْهَةُ النَّفْس»^(٣) .

دخوله غرناطة

وكان كثير الوفادة على غرناطة ، والتردد إليها ، يَسْتَرْفِدُ : ملوكها ،
ويُنشِدُ أمراءها ، والقصيدة التي أولها : «أواصِلني يوماً وهاجرتي ألفاً» ،
أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللُّوشِي ، أنه نظمها باقتراح السلطان رحمه الله .
وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين المُلْك ، حتى يكملها في
معارضة محمد بن هاني الإلبيري .

شعره

وهو كثير ، سهل المأخذ ، عذب اللفظ ، رايقُ المعنى ، غيرُ مؤثر
للجزالة . فعن ذلك قوله رحمه الله في غرض المدح من السلطانيات :
سَرى والحبُّ أمرٌ لا يُرام وقد أغرى به الشوق والغرام
وأغفَى أهلها إلا وُشاة إذا نام الحوادثُ لا تنام
وما أخفا بين القسوم إلا ضناً وربما نفع السقام
فقال بها على قدر مُناه وبين التَبْضِ والبَسْطِ القوام
وأشهى الوصل ما كان اختيلاسا وخيرُ الحبِّ ما فيه اختتام

(١) وردت في الإسكوريال وأزيتونة «الكافي» ، وكذا في نسخة لابن عبد الملك
(السفر الرابع ص ١٣٧) وصححت في هامش الإسكوريال (الوافي) .

(٢) وعنوان الكتاب الصحيح حسبما اطلعنا على نسخة شحوظة منه بمكتبة الرباط العامة
(رقم ١730 الكتانية) هو : «الكتاب المسمى بالوافي في نظم القوافي» ، وهو شطوط قديم جمع
في ١٨٧ صفحة كبيرة ، مكتوب بخط منبري جميل . وفي ديباجته ما يدل على أن مؤلفه أبا الطيب
الرندي . قد تولى منصب القضاء .

(٣) هو كتاب في التاريخ والأدب . وقد كتبه أبو الطيب برسم حاميهِ السلطان محمد
ابن يوسف بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦١١ هـ) ، وكان شاعره الأثير .

وما أَخْلَى الوِصالَ لو أنَّ شَيْثًا
 بَكَيْتُ من الفِرَاقِ بغيرِ أَرْضِي
 أَعَاذِلْتِي وقد فارقْتِ إلـفِي
 أَأَفْتِدُهُ فلا أَبْكِي عليه
 أَنَسَاهُ فَأَحْسَبُهُ كصَبْرِي
 رُوَيْدًا . إنَّ بعضَ اللُّومِ لومٌ
 ويومٌ نوى^(١) وضعتُ الكفَّ فيه
 ولولا أنَّ سَفَحْتُ به جفونًا
 وليلٌ بتُّه^(٢) كالدهرِ طولًا
 كأنَّ سِماه زُهر^(٣) تجلَّى
 كأنَّ البَدْرَ تحتَ الغَيمِ وجهٌ
 كأنَّ الكوكبَ الدرِّيَّ كأسٌ
 كأنَّ سَطُور^(٤) أفلاكِ الدراري
 كأنَّ مَسَدَارَ قُطبِ بَناتِ نعشٍ
 كأنَّ بَناتِه الكسبري جِوارٍ
 كأنَّ بَناتِه الصُّغرى جُمانٌ
 كواكبُ بَيْتِ أَرعاهُنَّ حتى
 إلى أن مسزقتُ كَفُّ الثُّرَيَّا

من الدُّنيا للسدَّته دَوام
 وقد يَبْكِي الغَريبَ المُسْتَهام
 أمِثْلِي في صِبابَتِه يُسَلِّم
 يكونُ أرقَّ من قَلْبِي الجِمام
 وهَل يُنسى لمحبوبِ ذِمِّم
 ومثلي لا يُنهنهُه الملام
 على قلبٍ يطيرُ به الهيام
 تَميِضُ دَمًا لأخْرَقَها الضُّرام
 تَنكَّرُ لي وعَرَفَه التَّمَام
 بزَهْر الزُّهرِ والشُّوقِ الكِمَام
 عليه من مَلاحِه لِثام
 وقسا رِقَّ السُّزْجاجةِ والمُدَام
 قَسِيُّ والرَّجومُ لها سِهَام
 نَدِيُّ والنجومُ به نِدام
 حَوارٍ والسُّهى فيها غلام
 على لَبَّاتِها منها^(٥) نِظام
 كأنِّي عاشقٌ وهى الذَّمَام
 جيوبَ الأفقِ وانجبابِ الظلام

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النوى) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكملة (صباية) . والبيت ساقط في الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي التكملة (روض) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (سلوك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي الذيل والتكملة (منه) .

قرباً يُنتضى مسنه حُام
 بوجهك أيها الملك الهُمام
 فللبدر الملاحه والتمام
 كأنك في مُحياه ابتسام
 كأنك لاسيها ألف ولام
 صنائعه كُفرتَه وسام (١)
 فقد بخست وقد خدع الغمام
 يُراعُ بذكره الجيش اللّهام
 على أمر فسلم يا سلام
 فما يدرى أمجياً أم حِمام
 سُراة من بنى نصرٍ كرام
 ولولا المسك ما طاب الختام
 ولولا الجد ما قطع الحُمام
 جواراً لا يذم ولا يُضام
 وسلم تحيته سلام
 له بعده الإله بك اعتصام
 وغب السلم نصر مُستدام
 بحمد الله قد سهل المرام
 ففيه لكل مكرمة دوام
 وما للعروة الوثقى انفصام
 ومعنى أنت ولللفظ الأنعام

فما خلت أنصداع الفجر إلا
 وما شبّهت وجهه الشمس إلا
 وإن شبّهته بالبدر يوماً
 تهلل منه حُسن الدهر حتى
 وعرف ما تنكر من معال
 ومل العين منك جلال مول
 إذا ما قيل في يده غمام
 وحشو الدرع أروع غالي
 إذا ما سل سيف العزم يوماً
 تناهى مجده كراماً وبأساً
 نمته للمكسارم والمعالي
 هم الأنصار هم نصرُوا وآووا
 وهم قادوا الجيوش لكل فتح
 وهم منحوا الجزيرة من حماهم
 فمن حرب تشيب له النواصي
 بسعدك يا محمد عز دين
 وباسمك تم للإسلام سلم
 وكان مرأته صعباً ولكن
 أدام الله أمرك من أمير
 وأنت العروة الوثقى تماماً
 وروح أنت والجسم السعال

(١) في الرينونة (وشم).

إذا ما ضاقت الدنيا بحُرٍّ كفاه لثمُّ كفك والسلام
ومن شعره أيضا :

أواصلتى يوماً وهاجرتى أَلْفَاً وصالك ما أخلَى وهجرِك ما أَجْفا
ومن عجبٍ للطَّيفِ أَنْ جاءَ واهتدى فعاد علينا^(١) عاد كالطَّيفِ أمْ أَخْفا
فيا سايراً لولا التخيُّل ما سَرى ويا شاهداً لولا التعلُّل ما أَعْفا
أَلَمْ فَأَحْيَانِي وولَّى فراعِنِي ولم أَرَّ أَجْفَى منك طبعاً ولا أَشْفا
بِعَيْنِي شِكْوَى لِلْغَرَامِ وتِيهه إلى أَنْ تَنْنِي عَطْفُه فانْشَنِي عَطْفا
فعانقته شوقاً وقبَلته هسوى ولا قُبلة تكفى ولا لوعة تَطْفا

ومن نزعاته العجيبة قوله ، وقد سبق إلى عرضه غيره :

يا طَلْعَةَ الشمسِ إِلَّا إنه قمرٌ أَمَا هَوَاك فلا يُبْقَى ولا يَنْدُر
كيف التخلُّص من عَيْنِكَ لى ومى وفيهما القاتلان الغنج والحور
وكيف يُسْلى فؤادى عن صِبابته ولو نهى النَّاهِيان الشَّيبُ والكِبَرُ
أنت المُنَا والمنايا فيك قد جُمعت وعندك الحالتان النَّفْعُ والضَّررُ
ولى من الشُّوق ما لا دواءَ لسه ومنك لى الشَّافِيان القُرب والنَّظرُ
وفى وصالك ما أُبْقَى به رَمَقى لو ساعد المُسْعِدان الذِّكْر والقَدْرُ
وكان طَيْفُ خيالٍ منك يُقْنَعْنِي لو يذهب المانِعان الدَّمع والسَّهرُ
يانابياً^(٢) لم يكن إِلَّا لِيملِكْنِي من بعده المُهْلِكان الغَمُّ والغَيْرُ
ما غِبْتَ إِلَّا وغاب الجنسُ أجمعه واستوحش المُؤنسان السَّمع والبصرُ
بما تُكِنُّ ضلوعى فى هواك بمن يعنو له السَّاجدان النجم والشجرُ
إدرك بقيَّة نفسٍ لست مُدْرِكُها

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (معلياً) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ياغايا) .

يبكى له القاسيان الدهر والحجر
 إذا نبا المذهبان الورد والصدر
 في ضمنها المبهجان اليمن والظفر
 خانت القدمان^(١) البيض والسمر
 إذا استوى المهطعان الصر والصبر
 ونعمت الحليتان^(٢) البأس والخفر
 كما مشى الصاحبان الشاة والنمر
 فما يرى الدايلان الخوف والحذر
 وحبذا الطيبان [الخبر والخبر]^(٣)
 كأنها الرايقان الظل والزهر
 ينسى به الأجودان البحر والمطر
 كأنها النهيران الشمس والقمر
 لم يسهل الأضعبان البين والخطر
 كما اقتضى المبرمان الجمل والسفر
 فحسبى المحسبان الظل والثمر
 أن يبلغ الغايبان السؤل والوطر

ودل حيرة مهجور بلا سبب
 وإن أبيت فلي من ليس يسلمني
 مؤيداً لملك بالآراء يحكمها
 من كالأمير أبي عبد الله إذا ما
 الواهب الخيل آلافا وفارسها^(٢)
 والمثبه الليث في بأس وفي خطر
 تأمن الناس في أيامه ومشوا
 وزال ما كان من خوف ومن حذر
 رأيت منه الذي كنت أسمعه
 ما شيت من شيم عليا ومن شيم
 وما أردت من إحسان ومن كرم
 وغرة يتلأ من سماحتها
 إليه فلولا دواع من محبته
 نبأت عنه اضطرارا ثم عدت له
 فإن قضى الله أن يقضى به أمل
 ولست أبعد إذ والحال متسع

ومن شعره في أغراض متعددة . قال في الليل والسهر :

أطال ليلى الكمد فالدهر عندي سرمد

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العدمان) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ومارسا) والأولى أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (الحليتان) والتصويب أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (الحر والخبر) .

وقد آثرنا الأولى لأنه لا محل لذكر الحر هنا باعتبارها من الطيبات .

وما أظن أنه ليلي لالهجر غد
يا ناعيا عن لوعتي عوفيت مما أجيد
أرقد هنيئا إنني لا أستطيع أرقد
لواعج^(١) ما تنظفي وأدمع^(٢) تضطرد
وكبدي كبد الهوى وأين مني الكبد^(٣)
ولا تسل عن جلدي والله مالي جلد

ومن شعره أيضا في المقطوعات

وليلة قصر من طولها بزورة من رشاً نافير
أستوفر الدهر بها غالطاً فأذغم الأول والآخـر

وقال من قصيدة مغربة في الإحسان :

وليلة نبتت أجفانها والفجر قد فجر نهر النهار
والليل كالمهزوم في يوم الوغا والشهب مثل الشهب عند الفرار
كأنما استخفى السهي خيفة وطولب النجم بثأر فثار
لذلك^(٤) ما شابت نواصي الدجى وطارح^(٥) النسر أخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر عن غرة غير منها الشفار
كأن عنقوداً [بها مائل^(٦)] إذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تسبك ديناره وكفها تفتل منه سوار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي ازيتون (تراجمي)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ردمي) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة وورد في الإسكوريال كالآتي (وكبد في كبد ،

لمنى واين الكبد) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (كذلك) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (طير) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (تنى به) .

كأنما الظلماء مظلومة كأنما الصُّبْحُ لمشتاقه^(١)
 تحكّم الفجرُ عليها فجار [إقبالُ دُنْيَا]^(٢) بعد ذلّ افتِقار
 كأنما الشمس وقد أشرقت وجهُ أبي عبد الآله استنار
 وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك :

البحر أعظمُ مما أنت تحسبه من لم ير البحر يوماً ما رأى عجباً
 طامٍ له حَبَبٌ طاف على زورقٍ مثلُ السماءِ إذا ما ملئت شهباً
 وقال في وصف نهر :

وأزرق محفوظٌ بزهر كأنه نجوم بأكناف المجرّة تزهر
 يسيل على مثل الجمان مُسلسلاً كما^(٣) سُلّ عن غمد حُسامٍ مُجوهر
 وقد صافح الأدواح من صفحاته حتى حبابٍ بالنسيم مُكسّر
 فما كان في عطف الخليج قلامه وما كان في وجه الغدير فمُغفّر
 وفي العقل والتَّغْرِبُ :

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إيثاره
 يَصُونُ بالعقل الفتي نفسه كما يصون الحرُّ أسرارَه
 لا سيما إن كان في غُربة يحتاج أن يُعرف مِقْدَارَه
 ومن وصفه الجيش والسلاح :

وكتيبة بالدارعين كثيفة جرت ذيول الجحفل الجرار
 روض المنايا بينها القُضْبُ التي زُفّت بها الرايات كالأزهار
 فيها الكُماة بنو الكُماة كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لشاقه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (سزغى) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كمل) والتصويب من الزيتونة .

مُتَهَلِّلِينَ لَدَى اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ
 مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فَوْقَ بَرَقٍ خَاطِفٍ
 مِنْ كُلِّ مَاضٍ قَدْ تَقَلَّدَ مِثْلَهُ
 لَبَسُوا التَّمْلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَسْرَعُوا لَأَكْفُهُمْ نَاراً لِأَهْلِ النَّارِ
 وَتَقَدَّمُوا وَلَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
 فَارْتَاعَ نَاقُوسٌ بِخَلْعِ لِسَابِهِ
 ثُمَّ انْتَنُوا عَنْهُ وَعَنْ عِبَادِهِ
 وَفِي السَّيْفِ :

وَأَبْيَضُ صَيْغٍ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبٍ
 مَاضِي الْغِرَارِ يَهَابُ الْعُمُرِ صَوْلَتَهُ
 أَبْهَى مِنَ الْوَصْلِ بَعْدَ الْمَجْرِ مَنْظَرَهُ
 وَأَسْمَرُ ظَنٍّ مَا كُلُّ سَابِغَةٍ فَخِصَاصُ
 هَامِ الْكَمَاةِ بِهِ حَبًّا وَلَا عَجَبٌ
 إِذَا الطُّعِينُ تَلَقَّاهُ وَأَرْعَفَهُ
 عَلَى اعْتِدَالٍ فَلَمْ يَخْمُدْ وَلَمْ يَسِيلِ
 كَأَنَّمَا هُوَ مَطْبُوعٌ مِنَ الْأَجَلِ
 حُسْنًا وَأَقْطَعُ مِنْ دَيْنٍ عَلَى مَالِ
 مِنَ الْوَعْدِ بِمَلِيحِ الْقَدِّ مُعْتَدِلِ
 حَسْبَتَهُ عَاشِقًا يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ قَوْسٍ :

تَنْكَبُهَا كَحَاجِبِهِ وَسَوَى
 فَلَمْ أَرِ قَبْلَهُ بِسَادِرًا مَنِيرًا
 وَمِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِ قَلَمٍ :

وَأَصْفَرُ كَالصَّبِّ فِي رَوْنَقِ
 بَدِيعِ الصُّفَاتِ حَدِيدِ السَّبَاتِ
 يُعْبَرُ عَمَّا وَرَاءَ الضَّمِيرِ
 تَظُنُّ بِهِ الْحُبَّ مِمَّنْ نَحَلِ
 يَطُولُ الرِّمَاحِ وَإِنْ لَمْ يَطُلِ
 وَيَفْعَلُ مَا فَعَلَ الطُّبَا وَالذُّبُلِ

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها :

تفاخر السيفُ فيما قيل والقلمُ
كلاهما شرف الله درهما
والفصلُ بينهما لاشك منفسهم
وحبذ الخُطَّانِ الحُكْمِ والحكْمِ

ومن ذلك قوله في سكين الدواة :

أنا صمَّصامةُ الكتابةِ مالى
فكأننى فى الحُسنِ يومِ وصالِ
من شبيهه فى المرهفات الرقاق
وكأننى فى القطعِ يومِ فراقِ
ومن ذلك قوله فى المقصِّ :

ومُعْتَنِقِينَ ما اشتهرا بعشوقِ
لِعَعْرِ أبىك ما اعتنقا لمعنى
وإن وُصِفا بِضَمٍّ واعتناقِ
سوى معنى القَطِيعَةِ والفِراقِ
ومن ذلك قوله فى الوَرْدِ :

الوَرْدُ سلطان كلِّ زَهْرٍ
بعد حدود المِلاحِ شَيْءٍ
[لو أنه دايم الوُرودِ]^(١)
ما أشبهه الورد بالخُدودِ
ومن ذلك قوله فى الخَيْرِ^(٢) :

وأزرق كمثل السماءِ
شَحَّ مع الصُّبحِ بأنفاسِهِ
فيه لمن ينظر سرُّ عَجيبِ
كأنما الصُّبحُ عليه رقيبِ
وباح بالليل بأسْراره
ومن ذلك قوله فى الرِّيحانِ :

وأخضر فسْتُقى اللونَ غَضُّ
يرُوق بحسن منظره العيونَا

(١) أنا ووردت هذه تشطيرة فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريان كآتى (ما به

اللمع) . ووردت فى المصنفين تشطيرة الثانية لبيت الثاني كوردت فى المصنفين كآتى (ما به

(٢) أنا . ووردت فى الإسكوريان . ومن الزيتونة (الحمر) . والخبرى ذات بنو فى

المرمر . ووردت فى المصنفين كآتى (ما به) .

أغار على الترنج وقد حكاه وزاد على اسمه أَلِفاً ونسونا
وقال من جملة قصائده المَطُولَات . التي تَفَنُّنُ فيها رحمه الله :
وغانيةٌ يُغنى عن العُود صوتُها وجاريةٌ تَسقى وساقيةٌ تَجْرى
بحيث يجرُّ النهر ذيل مجرَّةٍ يرفُّ على حافاتِها الزَّهر كالزَّهر
وقد هزَّت الأرواح خِصر كتائب بألويةٍ بيضٍ على أسلٍ سُمر
رمى فزَحَّ نَيْلاً إليها فجُرِّدت سيوفٌ سواقِها على دارع النَّهر
وهبَّت صبا نجدٍ فجرت غلايلا تُجفِّف دمع الطَّل عن وجنة الزَّهر
كَأَنَّ بَصْفَحِ الرُّوضِ وَشَيْءُ صحيفه وكالآلِفاتِ القُضْبِ والطَّرْسِ كالتَّبْرِ
كَأَنَّ به الأَفْحُوَانِ خِصَوَاتِمَا مُفَضَّضَةً فيها فُصُوصٌ من التَّبْرِ
كَأَنَّ به النَّرجسِ الغُضُّ أَعْيَا تُرْقِرِقُ في أجفانها أَدْمَعُ القَطَارِ
كَأَنَّ شَذَا الخَيْرِيِّ زُورَةَ عاشِقٍ يَرَى أَن جَنَحَ اللَّيْلِ أَكْتَمَ المِسْرَ
وقال في وصف الرُّمان :

لله رُمَانَةٌ قد راق مَنْظَرُهَا فَمِثْلُهَا ببديعِ الحِسنِ مَنَعُوتُ
القِشْرِ حَقٌّ لها قد ضَمَّ داخله والشَّحْمُ قَطَنٌ والحَبُّ ياقوتُ
أَنْظُرْ إلى جِذْرِ في اللونِ مختلفِ البعضِ من سَجِّ والبعضِ من ذهبِ
ومن ذلك قوله في الجزر :

إن قلتَ قِصبٌ فقل قِصبٌ بلا زهراً أو قلتَ شَعٌ فقل شَعٌ بلا لُهبِ
وفي الاغتراب^(١) وما يتعلق به مما يقرب من المطولات :

غريبٌ كلَّمَا يلقى غريبٌ فلا وطنٌ لديه ولا حَبِيبُ
تذكرُ أصله فبكى اشتياقاً وليس غريباً أن يبكي غريبُ
ومما هاج أشواقُ حديثُ جَرَى فجرى له اللِّدْمَعُ السُّكُوبُ

(١) هكذا وردت في الإيسكوريال . وفي الزيتونة (الإغراء) وهو تحريف .

ذَكَرْتُ بِهِ الشَّبَابَ فَشَقَّ قَلْبِي
 عَلَى زَمَنِ الصَّبَا فَلَيْبِكَ مِثْلِي
 جَهَلْتُ شَيْبَتِي حَتَّى تَوَلَّيْتُ
 أَلَّا ذَكَرَ الْآلَةَ بِكُلِّ خَيْرٍ
 بِلَادٌ مَاؤُهَا عَذْبٌ زُلَالٌ
 بِهَا قَلْبِي الَّذِي قَلْبِي الْمَعْنَى
 رُزِقْتُ الصَّبْرَ بِلَيْنِ أَبِي وَأُمِّي
 أَلَّا فَتَوَخَّ بَعْدِي مِنْ أُوْخِي
 وَلَا تَحْكُمَ بِأَوْلٍ مَا تَسْرَاهُ
 إِلَّا إِنَّا خُلِقْنَا فِي زَمَانٍ
 وَقَدْ لَدَّ الْجِمَامُ وَطَابَ عِنْدِي
 لِحَى اللَّهِ الضَّرُورَةَ فَهِيَ بَلْوَى
 رَأَيْتَ الْمَالَ يَسْتُرُ كُلَّ عَيْبٍ
 وَفَقَدُ الْمَالَ فِي التَّحْقِيقِ عِنْدِي
 وَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي فِي اجْتِهَادٍ
 وَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قِيَّاسٍ
 كَأَنَّ الْعَقْلَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ
 إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْإِنْسَانُ بَخْتًا

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمام :

بَرَزَتْ مِنَ الْحَمَامِ تَمَسُّحٌ وَجْهَهَا
 عَنِ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُنَابِ
 وَالْمَاءُ يَقَطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا
 كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابٍ
 فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى
 طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابِ

ومن مقطوعاته أيضاً قوله :

وَمُتِّمٌ^(١) لو كان صَوْرَ نَفْسِهِ
ما كان يَرْضَى بِالصَّدُودِ وَإِنَّمَا
كثُرَتْ عليه مسائل العُشَّاق
وقال :

وإني وقد زانه جمال
ثلاثة ما لها مثال
فمن رآه رأى رياضاً
الورد والآس والبهار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء :

ليس لإخوةٍ باللسان أخوةٌ
لا أنت في الدنيا تُفْرَجُ كَرْبِهِ
فإذا تُراد أخوتي لا تنفع
عني ولا يوم القيامة تشفع

وقال كذلك :

ولقد عرفتُ الدهر حين خبّرتَه
فإذا الأُخوةُ باللسان كثيرةٌ
وبلّوت بالحاجات أهلَ زمان
وإذا الدرّاهم مِيلَقُ الإخوان

ومن ذلك قوله في ثَقِيل :

تزلزلت الأرض زلزالها
فقالوا أئانا أبو عامر
فقلت لسكانها ما لها
فأخرجت الأرض أثقالها

ومن ذلك قوله في الصَّبِر :

الدهر لا يُبْقَى على حالة
فإن تلقاك بمكروهه
لكنه يُقْبَلُ أو يُسَدِّبِر
فأصْبِر فإن الدهر لا يصبر

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (ومتتم) والتصويب أرجح .

ومن ذلك قولة في الموت :

الموت سرُّ الله في خلقه وحكمةٌ دلَّت على قهره
 ما أضعب الموت وما بعده لو فكر الإنسان في أمره
 أيام طاعات الفتي وحدها هي التي تُحسب من عُمره
 لا تُلهيك الدنيا ولذاتها عن نهْي مولاك ولا أمره
 وأنظُر إلى من ملك الأرض هل صحَّ له منها سوى قَبْره

نثره

قال في كتاب « روضة الأنس » ما نصه :

« ويتعلق بهذا الباب ، ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل ، أبو بكر البرذعي من أهل بلدنا ، أعزه الله : أخبرك بعُجاب ، إذ لا سرٌّ دونك ولا حجاب ، بعد أن أتقدم إليك أن لا تعجل باللوم إلى قبل علم ما لدى ، فإن الدهر أخذع من كفة الحابل ، وقلب الإنسان للآفات قابل . مشيت يوماً إلى سوق الرقيق ، لأخذ حق فؤاد عتيق ، فرأيت بها جارية عسجدية اللون ، حديثة عهد بالصون ، متائلة القد ، قايمة النهد ، بلحظ قد أوتى من السحر أوفر حظ ، وفم كشرطة رُشحت بدم ، داخله سِمطان لولاهما ما عُرف النظم ، ولا حُكم على الدر للعظم ، في صمدغها لآمان ، ما خطَّ شكلهما قلم ، ولا قصَّ مثلهما حِلْم . لها جيدٌ تتمناه الغيد ، وخضر هو قبضة الكف في الحصر ، وردف يظلمه من يُشبهه به بالحقف . ويدان خلقتا للوشى . وقدمان أهلتا للثم لا للمشى ، فتناولت إليها الأعناق . وبُذلت فيها الأعلاق ، والمياسير عليها مُغرم^(١) في القوم . وتسوم أهل السوم ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكور بال (يعزم) .

وكل فيها يزيد ، ليلبلغ ما يريد ، إلى أن جاء فتى صادق في حبه ، لا يبالي
 بفساد ماله في صلاح قلبه ، فعَدَّ المال عدًّا ، ولم يجد غيره من التسليم
 بُدًّا . فلما فاتتني ، تركتُ الأشواق وأتتني ، وانتقمضت عزائم صبري
 فما أتتني ، فالله الله ، تدارك أخاك سريعاً ، قبل أن تُلفيه من الوجد سريعاً ،
 واستنزله خادماً ، قبل أن تُصبح عليه نادماً ، ولن أحتاج أن أصفها إليك
 مع ما قصصته عليك ، وقد أهديتها دُرراً ، فخذها على وجه الفكاهة
 والدُّعابة .

ولا تطلع أخا جهلٍ عليها فمَنْ لَمْ يَدْرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ

فأجبتُه ، نعم نعم ، أنعم الله بالك ، وسنى آمالك ، أنا بحول الله
 أرتادُ لك ، من نحو هاتيك ، ما يُسليك ويؤاتيك ، وإلا فبييضاً كاللَّجِينِ ،
 هل القلب والعين ، زهرة غُصْنِ في روضة حُسن ، ذات ذَوَابِبِ ، كأنها الليل
 على نهار ، أو بنفسيج في بهار . لها وجه أبهى من الغنا ، وأشهى من نَيْلِ المنا ،
 فيه حاجبان كأنهما قَوْسٌ صُنعت من السَّبْحِ ، ورُصِّعت بعاج من البلح ،
 على عينين ساحرتين ، بالعقل ساخرتين ، بهما تُصاب الكُبود ، وتُشَقُّ
 القلوب قبل الجلود ، إلى فمٍ كأنه خِتَامُ مسك ، على نظام سِلْكٍ ، سقاه
 الحُسن رَحِيقَه ، فأنبَت دُرَّره وعَقِيقَه ، وجيدٍ في الحسن وحيد ، على
 صدرٍ كأنه من مرمر ، فيه حُقَّتَا عاج طوَّقْتَا بعنبر ، قد خلقتا للعض ، في
 جسم غَضٍّ ، له خَصْرٌ مُدْمَجٌ ، وردفه بتموج ، وأطراف كالعنم ، رُقِست
 رَقْمُ القلم ، من اللابي شهيدن ابن المؤمِّل ، وقال في مثلها الأول ، إن هي
 تاهت فمثلها تاهها ، أو هي باهت فمثلها باها ، من أين للغصن مثل قامتها .
 أو أين للبدر مثل مرآها . ما فعلت في العقول صابية . ما فعلت في العقول

عينها . تملِكُنِي بالهوى وأملِكُهَا ، فهأنا عَبْدُهَا ومولاها ، فأَيُّهُمَا لست
 بذلتُ فيه الجُهد . وأرْقَيْتُ للمجد والوُدِّ إن شاء الله تعالى . وأنا فيما عَرَضَ
 لسيدى ، حَفِظَها اللهُ ، على ما يُحِبُّ : أَعْدِرُهُ ولا أَعْدِلُهُ ، وأنصُرُهُ ولا أَخْذِلُهُ
 لكنى أقول كما قال بعض الحكماء . لا ينبغي لمن قلبه رقيق ، أن يدخل
 سوق الرقيق ، إلا أن يكون قد جمع بين المال والجمال : يتنافس في العالى ،
 ويسترخص بالثمن الغالى ، ولا يُبالي بما قال الأئمة ، إذا وجد من يلابمه ،
 كما قال الشاعر :

ما انتفاع المُحِبِّ بالمال إذا لم يتوصَّل به لوصل الحبيب
 إنما ينبغي بحكم الهوى أن يُنْفَقَ المال في صلاح القلوب

والسلام على سيدى ، ما كانت الفكاكة من شأن الوفا ، والمداعبة من شيم
 الظرفا ، ورحمة الله وبركاته .

مولده : ولد في محرم سنة إحدى وستماية .

وفاته : توفى في عام أربعة وثمانين وستماية

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ ، أبي الحسن بن الحسن . قال :
 أنشدنى الشيخ الراوية الأديب القاضى الفاضل أبو الحجاج يوسف بن
 موسى بن سليمان المنتشافرى ، قال أنشدنى القاضى الفاضل أبو القاسم
 ابن الوزير أبي الحجاج ابن الحُقالة . قال أنشدنى الأديب أبو الطيب
 صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن شريف الرُّندى لنفسه ، ليكتب
 على قبره :

خليلٌ بالوُدِّ الذى بيننا اجعلا إذا متُّ قبرى عُرضة للترحم

عنى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فإنى محتاج لدعوة مسلم^(١)

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس

أبو محمد بن إسقيولة

أوليته

قد مرَّ شيءٌ من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه .

حاله

كان أميراً شهماً ، مضطّلعاً بالقضية ، شهير المواقف : أبي النفس ، على الهمة . انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله^(٢) ، وكان أمّلك

(١) من الذائع المعروف أن أبا الطيب الرندي (صالح بن شريف) هو ناظم قصيدة مرثية الأندلس الشهيرة التي مطلعها (لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغير بطب العيش انسان) ، والتي أوردها لنا المقرئ في نوح الطيب ، ونقلها فيما يرجح عن كتاب (الخيرية السنية في تاريخ الدولة المرينية) والتي ما زالت حتى يومنا تحتفظ بزينها المحزن . وبالرغم من ابن الخطيب قد أورد لنا طائفة شتارة من شعر أبي الطيب ، وفيها ثلاث قصائد من مطولاته ، فإنه لم يشر بكلمة واحدة إلى مرثيته الأندلسية ، بالرغم من أنها من غرر قصائده . وهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل ، ولما أن الناسخ لخطوط كتاب «الإساعة» قد أغفل إيراد هذه القصيدة اختصاراً أو ظناً منه بأن شهرها نفي عن إيرادها . ولما أن ابن الخطيب قد أغفل إيرادها عمداً . ذلك أن هذه القصيدة قد نظمت تحت انهباء الأندلس وسقوط قواعدها الكبرى ، وفزول ابن الأحمر مؤسس ملكة غرناطة عن عدد كبير من البلاد والحصون للصارى . وقد كان ابن الخطيب من أولياء نعمة بني نصر (بني الأحمر) ملوك غرناطة وريبيب نمتهم ، وربما رأى أن وجود هذه القصيدة في مؤلفه قد يسيء إلى ذكريات ابن الأحمر الكبير ، الذي وقعت في عهده محنة الأندلس ، ثم نظمت القصيدة في عصره أيضاً بقلم شاعره الأندلسي أبي الخطيب فرأى إغفالها .

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر

مؤسس ملكة غرناطة (٦٣٥ - ٦٤٥ هـ)

لما بيده من مدينة وادي آش وما إليها ، مُعزِّزا بأخيه الرئيس أبي الحسن
مُظَاهِرُهُ في الأمر ، ومُشاركه في السلطان ، واستمرت الحال مدة حياة خاله
السلطان . ولما صار الأمر إلى مُخيفه ولي العهد^(١) . اسْتَشْرَى الداء ،
وأَغْضَلَ الأمر ، وعمت الفتنة ، وزاحمه السلطان بالمُنْكَب ، انفَجَم ،
واعْتَوْرَهُ بالحيلة ، حتى تحيَّف أطرافه ، وكان ما هو معلوم ، من إجازة
أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(٢) البحر إلى الجهاد .
ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى
التَّقْاطِع ، وتصيَّرت مالقة إلى الإيالة المغربية^(٣) ، ثم عادت إلى السلطان .
وفي أخريات هذه الأحوال ، أحكم السلطان مع طاغية الروم ، السُّلم ،
وصَرَف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد ، صاحب وادي آش ، فالجَّاه
الحال إلى أن صَرَف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شِعاره ،
فأَقْعَد عنه . ووَقَّعتْ مراسلات ، أَجَلَّتْ عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى
المغرب ، معوضاً عن مدينة وادي آش بقصر كِتامة^(٤) . وذلك في عام تسعة
وثمانين وستماية .

(١) ولي العهد المشار إليه هو ولده السلطان أبو عبد الله محمد (٦٧١ - ٧٠٢) الملقب بالفقيه لعلمه وتقواه ، وهو ثاني ملوك غرناطة بعد أبيه .

(٢) هو أعظم سلاطين بني مرين ملوك المغرب ، وهو الذي قضى نهائياً على دولة المرحدين (سنة ٦٦٨ هـ) . وعبر إلى الأندلس أربع مرات برسم الجهاد ، وأحرز عن النصارى عدة انتصارات باهرة استحق من أجلها لقب المنصور . وتوفي سنة ٦٨٥ هـ ، وترك دولة بني مرين الفتية في أوج قوتها ومجدها .

(٣) وردت في الإسكوريال والزيتونة (الغربية) وهو تحريف والمقصود (بالإيالة المغربية) هنا المملكة المغربية أو مملكة بني مرين .

(٤) قصر كتامة أو القصر الصغير ، هو ميناء مغربي صغير يتبع على مضيق جبل طارق في منتصف المسافة بين سبتة وطنجة ، قبالة ثغر طريف الإسباني . وقد كان في منسبت عديدة ، منزل الجيوش الفاهية إلى الأندلس والآتية منها .

وفاته

دخلتُ قصر كِتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذى قعدة عام
خمسة وخمسين وسبعماية في غرض الرسالة ، وزُرْتُ مقبرة الرؤساء بنى
إشقيلولة بظاهرها ، وفي قُبَّة ضخمة البناء رَحِيبة الفناء ، نسيجة وجدها
بذلك البلد ، بين منازل البلى ، وديار الفناء ، وبها قبر الرئيس أبي محمد
هذا ، عن يسار الداخل ، بينه وبين جدار القبلة قبر ، وسماه رخام
مكتوب عليه :

قبر عزيز علينا لو أن من فيه يُفدا
أَسكنتُ قرَّة عيني وقطعة القلب لَحدا
ما زال حُكماً عليه وما القضاء تَعداً
فللصبر أحسن ثوب به العزيزُ ترداً

وعند رأس السنام الرخامى ، مَهْدٌ مائلٌ من الرخام فيه :

« أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله
على سيدنا محمد وآله ، وسلِّم تسليماً . هذا قبرُ الرئيس الجليل ، الأعلى
الهمام ، الأُوحد ، الأَسعد ، المبارك ، الأَسنى ، الأَسْمى ، الأَخفل ، الأَكمل ،
المجاهد ، المقدس ، المرحوم ، أبي محمد عبد الله ، ابن الرئيس الجليل ،
الهمام ، الأُوحد ، الأَسعد ، المبارك ، الأَمضى ، الأَسنى ، الأَسْمى ، المعظم ،
المرفَّع ، المجاهد ، الأَرضى ، المقدس ، المرحوم أبي إسحق إبراهيم بن
إشقيلولة ، رحمه الله وعفا عنه ، وأَسكنه جنَّته . ظهر عفا الله عنه ،
بوادى آش . أمَّنْها الله ، قاعدة من قواعد الأندلس ، وتَسَلطن ، ونُشرت
علامات سلطنته . وضربت الطبول . وجاهد منها العدو ، قَصَمه الله ،
وظهر على خاله سلطان الأندلس . وأقام في سلطنته ، نحواً من ثلاث

وعشرين سنة . ثم قام بدعوة الملك الأعلى ، السلطان المؤيد المنصور ، أمير المسلمين ، المؤيد بالله أبي يعقوب أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته ويُسره ، وأمره أيده الله ، أن يتخلى عن وادي آش المذكورة ، ويصل للمغرب ، فتنحى عن الأندلس للمغرب^(١) ، آنسه الله ، في جمادى الأولى من عام ستة وثمانين وستاية ، فأعطاه أيده الله ، قصر عبد الكريم^(٢) آمنه الله ، وأنعم عليه ، فأقام به مدة من ثمانية أعوام ، وجاز منه إلى الأندلس ، آمنها الله ، وجاهد بها مرتين ، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور ، وتوفى ، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة ، عشى يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستاية .

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى

أمير غرناطة .

أوليته : قد مر من ذلك فى اسم جدّه ما فيه كفاية .

حاله

لقبه المُظفّر بالله ، الناصر لدين الله . ولى بعد جدّه باديس فى شوال سنة خمس وستين وأربعمائة ، وصحبه سماجه الصنهاجى تسع سنين . قال الغافقى ، وكان قد حاز خطأً وافراً من البلاغة والمعرفة ، شاعراً ، جيداً

(١) وردت فى الإسكوريال (لغرب) فاقتضى التصويب .

(٢) ما جاء فى هذا النقش الذى على القبر ، يخالف ما تقدم من أن السلطان أيا يوسف بعث بارتس عبد الله إلى قصر كتامة أو القصر الصغير ، موعضاً إياه به عن وادى آش . أما قصر عبد الكريم أو القصر الكبير فهى بلدة تقع داخل المغرب على مقربة من ثغر العرايش .

الشعر ، مَطْبُوعَةٌ ، حسن الخطِّ . كانت بخرناطة رُبْعَةٌ مُصَحَّفٌ بِخَطِّهِ فِي
 نِهَايَةِ الصَّنْعَةِ وَالْإِنْقَانِ . وَوَصَفَهُ ابْنُ الصَّيْرِي فِي فَقَالَ ، كَانَ جَبَانًا مُغْمَدًا
 السِّيفِ ، قَلَقًا ، لَا يَثْبِتُ عَلَى الظَّهْرِ ، عَزْمَاةٌ لَا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ ، هَيَّابَةٌ ،
 مُقْرَطُ الْجَزَعِ ، يَخْلُدُ إِلَى الرَّاحَاتِ ، وَيَسْتَوِزِرُ الْأَغْمَارَ .

خلعه

قال ، وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، تحرك أمير المسلمين ، يوسف
 ابن تاشفين ، لخلع رؤساء الأندلس ، فأجاز البحر ، وعم قرطبة ،
 وتواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة ، بما يُغَيِّظُهُ وَيُحْقِدُهُ ،
 حسبًا تقدم في اسم مؤمل ، مولى باديس . وقدم إلى غرناطة أربع محلات ،
 فنزلت بمقربة منها ، ولم تمتدَّ يده إلى شيء يوجد ، فسرَّ الناس واستبشروا ،
 وأمنت البادية ، وتمايل أهل الحضرة إلى القوي . وأسرع حفيد باديس
 في المال بنًا ، وَأَلْحَقَ السُّوقَةَ وَالْحَاكَةَ ^(١) ، واستكثر من اللِّيفِ ، وَالْحِجَّ
 بِالكَتْبِ عَلَى أَذْفُونَشٍ بِمَا يُطْمِعُهُ . وتحقق يوسف بن تاشفين استشراف
 الحضرة إلى مقدمه ، فتحرك . وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب .
 اجتمع إلى حفيد باديس صينائمه ، فخوفوه من عاقبة التربص ، وحمَلُوهُ عَلَى
 الخروج إليه ، فركب وركبت أمه وتركا القصر على حاله ، ولقى أمير المسلمين
 على فرسخين من المدينة ، فترجل ، وسأله العفو ، فعفا عنه ، ووقف عليه ،
 وأمره بالركوب ، فركب ، وأقبل حتى نزل « بالمشايخ ^(٢) » من خارج
 الحضرة . واضطربت المحلات ، وأمر مؤملاً بثقافه في القصر ، فتولَّى ذلك ،
 وخرج الجُمُّ من أهل المدينة ، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .
 فلقيهم ، وأنسهم ، وسكن جاشهم ، فاطمأنوا . وسهل مؤمل إليه دخول

(١) الحَاكَةُ أعنى السفلة وأهل الشر ، ومفردها (الحاك) .

(٢) هو ، كما يبدو ، مكان من ضواحي غرناطة الإسلامية ، يصعب اليوم تحديد موقعه .

الأعيان ، فأمر بكتب الصُّكوك ، ورفَّع أنواع القبالات والخراج ،
 إلَّا زكاة العين ، وصدقة الماشية ، وعُشْر الزَّرْع . واستقصى ما كان بالقصر ،
 فظهر على ما يحول الناظر ، ويروغ خاطر ، من الأعلاق والذخيرة ،
 والحلى ، ونفيس الجواهر ، وأحجار الياقوت ، وقصب الزُّمرد ، وآنية
 الذهب والفضة ، وأطباق البلُّور المُحكَّم ، والجرذاذنان^(١) ، والعراقيات ،
 والثياب الرِّفِيعَة ، والأنماط ، والكِلَل ، والسِّتائر ، وأوطية الديباج ، مما
 كان في ادُّخار باديس واكتسايه . وأقبلت دوابُّ الظَّهر من المُنكَّب بأحمال
 السَّبِيك والمَسْبُوك ، واختلفت أم عبد الله لاستخراج ما أودع بطن
 الأرض ، حتى لم يبق إلا الحرثي والثقل والسَّقَط . وزَّع ذلك الأمير على
 قُوَّاده ، ولم يستأثر منه بشيء . قال ، ورغب إليه مؤمِّل في دخول القصر ،
 فركب إليه ، وكثر استحسانه إياه ، وأمر بحفظه . وتفقد أوضاعه
 وأفنيته . ونقل عبد الله إلى مرَّاكش ، وسنه يوم خلع ، خمس وثلاثون
 سنة وسبعة أشهر ، فاستقرَّ بها هو وأخوه تميم ، وحلَّ اعتقالهما ، ورُفِّه عنهما ،
 وأجرى المرتب والمُساهمة عليهما . وأحسن عبد الله أداء الطاعة ، مع لين
 الكلمة ، فقضيت مآربه ، وأسعفت رغباته ، وخفَّ على الدولة ، واستراح
 واستريح منه ، ورزق الولد في الخُمول ، فعاش له ابنان وبنتٌ ، جمَّع لهم
 المال . فلما توفى ترك مالا جمًّا^(٢) .

(١) هكذا وردت في المخطوط . وربما كانت (الجرجانيات) .

(٢) كان الأمير عبد الله بن بلقين ، حسبما وصفه لنا الناقد ، أدبياً شاعراً . وقد ترك
 لنا كتاباً عنوانه « البيان » وهو عبارة عن مذكرات في ترجمة حياته وحوادث عصره ، وهو عصر
 ملوك الطوائف ، ويتناول فيها مقدم بن زيري إلى الأندلس ، وإمارة والد جده جبوس بن ماكسن ،
 ثم إمارة جده باديس بن جبوس ، وحوادث عصره ، وحروبهِ وسير ، ملوك الطوائف المعاصرين .
 ومقدم المرابطين وتدخلهم في شؤون الأندلس ، ثم يتناول حوادث حياته الشخصية ، حتى انبثاء
 ملكه واستلامه للأمير المسامير يوسف بن تاشفين . وقد كتب هذا السفر عبد الله بن بلقين أثناء
 حياته في المنفى ، وأخرجه لنا العلامة الأستاذ ليبي بروغنسال بعنوان « مذكرات الأمير عبد الله »
 (القاهرة - دار المعارف - ١٩٥٥) .

مولده

ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

عبد الله بن علي بن محمد التحيبي ، الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة^(١)

حاله

كان رئيساً شجاعاً ، بُهَمَةً ، حازماً ، أيّداً ، جليداً . تولى مدينة مالقة ، عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، صينو أمير المسلمين ، الغالب بالله ، في أوائل عام خمسة وخمسين وستماية . وكان صهر السلطان على إحدى بناته ، وله منه محلٌ كبير ، ومكان قريب ، وله من ملكه حظٌّ رغيب . واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين وستماية ، وفَسَد ما بينه وبين وليّ العهد ، الأمير أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله ، إذ وَغَر له صدره ، ولابني أخيه الرئيسين أبي محمد وأبي الحسن إبنى الرئيس أبي إسحق بن إشقيلولة المتأمرين بوادي آش ، فضايقهم وأخافهم ، بما آذاهم إلى الامتناع ، والدُّعاء لأنفسهم ، والاستمسك بما بأيديهم ، وعمت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم . فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة ، وكان أملاك لما بيده ، واستعان بالنصري ، وشمر عن ساعد العجذ ، فأباد الكثير من أعيان البلدة ، في باب تَوْسَم التهم ، وتطرق السعيات ، واستولى على أمواهم . واستمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبةُ الأمير مخيفه ، ولي العهد ، بجيش النصري ، ونازل مالقة أربعين يوماً ، وشعث الكثير بظاھرھا ، وتسمى بعلم الأمير عند أهل مالقة ،

(١) هذه الترجمة ساقطة في الزيتونة .

وما بين سلم ومهادنة . وفي عام ستين وستاية ، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرَه ، وأعيا عليه أمرُ مالقة ، لاَضْطِلاع هذا الرئيس بأمره ، وَضَبَطَ مَنْ لِنَظَرِه ، واستمساكه بعروة حزمه .

وفي بعض الأيام ، ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه ، متخفياً^(١) ، كاتماً غرضه ، وقعد بباب المدينة . فلما بَصُرَ به الرجال القايون به ، هالهم الأمر ، وأذهشتهم الهيبة ، فأفرجوا له ، موقرين لجلاله ، آتسين لقلّة أتباعه ، فدخل ، وقصد القصبه ، وقد نُذِرَ به الرئيس أبو محمد ، فبادر إليه راجلاً ، مُتَبَدِّلاً ، مُهْرُولاً^(٢) ، حافياً . ولما دنا منه ، ترامى على رجليه يُقبِّلُهما ، إظهاراً لحقُّ أبوته ، وتعظيماً لقدره ، ودخل معه إلى بنته وحفدته ، فترامى الجميع على أطرافه يلثمونها ، ويتعلقون بأذياله وأذرانه ، وهو يبكي إظهاراً للشفقة والمودة ، وتكلم الجميل . وأقام معهم بياض يومه ، ثم انصرف إلى محلته ، وأتبعه الرئيس ، فأمره بالاستمساك بقصبته وملازمة محلّ امرته ، وما لبث أن شرع في الارتحال عن اللطاف ومهادات ، وتقدير جرايات ، وإحكام هديّة ، وتقدير إمارة ، إلى أن توفي السلطان رحمه الله ، فعادت الفتنة جَزَعَةً ، ووالى ولده أمير المسلمين بعده ، الضرب على مالقة ، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد ، واستقر بالأمور ولده المذكور في المحمدين ، وكان من الأمر ما ينظره في مكانه من أراد استيفاءه بحول الله .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي

يكنى أبا طالب ، الرئيس الفقيه ، الكبير الشهير ، صاحب الأمر

(١) وردت في الإسكوريال (مخفياً) والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مهزولاً) . والتصويب أنسب للسياق .

والرياسة والإمارة بسببته ، نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم بحكم الاستقلال في ذلك ، والاستبداد التام ، من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور ، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك ، لخروج البتة عنه ، وإيثاره العزلة . واشتغاله بنفسه .

حاله

قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية . وكان من أهل الجلال والصيانة ، وطهارة النشأة ، حافظاً للحديث ، ملازماً لتلاوة كتاب الله عارفاً بالتاريخ ، عظيم الهيبة ، كبير القدر والصيت ، على الهمة ، شديد البأس ، معظماً عند الملوك ، جميل الشارة ، مُمْتَثِل الإِشارة لديهم ، عجيب السكينة والوقار ، بعيد المرعى ، شديد الانقباض ، مُطاع السُّلطان بموضعه مَرهُوب الجانب ، من غير إيقاع بأحد ، ولا هتاك حُرمة ، محافظاً على إقامة الرسوم الحنبيَّة والدينية .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره .

نكته

«عُتِبَ على بلده أيام إمارته ، وثار أهله إليه في السلاح والمُدَّة يُحِيطُوا بِمَنْ فِي الْقَصَبَةِ . فخرج إليهم ، وشكر مساعيهم ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولِ ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلِ . فأنصرفوا . ودخل منزله ، مُلقياً بيده ، ومُسَلِّماً لتضاء الله [سبحانه] في كبره ، إلى أن قبض عليه ، وعلى ساير بنيهِ وقومه ، عند ارتفاع^(٢) النار

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (امتاع) والصويب من الزيتونة .

وانتشار المُتَغَلِّبِينَ على القَصْبَةِ ، فَنَقَفُوا متحرِّجين من دمَاءِ المسلمين ،
 وَصُرِفُوا إِلَى الأَنْدَلُسِ ، فِي ضُحُو يَوْمِ الخَمِيسِ الثَّانِي عَشْرَ مِنْ ذِي قَعْدَةِ عامِ
 خَمْسَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ خَمْسَةِ عَشْرَ يَوْمًا مِنْ تَمَلُّكِ بِلَدِهِمْ . فَاسْتَقَرَّ
 بِغَرْنَاطَةَ ، تَحْتَ سِتْرٍ واحْتِرَامٍ ، وَجَرِيَةٍ فِيهَا كَفَافٌ . ثُمَّ لما خَرَجَتْ سَبْتَةٌ
 عَنْ طَاعَةِ أميرِ المسلمين ، انصَرَفَ القَوْمُ إِلَى فاسٍ ، فَتُوفِيَ بِهَا .
 وَفَاتِهِ : فِي شَعْبَانَ المَكْرَمِ مِنْ عامِ ثَلَاثَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِمِائَةٍ .

عبدالله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي

مِنْ أَهْلِ لَوْشَةَ ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ مِنَ الغَرْنَاطِيِّينَ . قَالَ الأُسْتَاذُ ، مِنْ
 أَعْيَانِهَا ذُو الشَّرَفِ وَالجَلَالَةِ ، قَلَّتْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ بِهَا مَعَاهِدٌ تَدُلُّ عَلَى قِدَمِهِ
 وَأَصَالَةٍ .

حاله

قَالَ أَبُو القَاسِمِ المَلَّاحِيُّ ، كَانَ أَدِيبًا بَارِعَ الأَدَبِ ، كَاتِبًا ، بَلِيغًا ،
 شَاعِرًا مَطْبُوعًا ، لَسِينًا مُفَوِّهًا ، عَارِفًا بِالنَّحْوِ والأَدَبِ واللُّغَاتِ . وَقَدْ مَالَ فِي
 عُنْفُوَانِ شَبِيبَتِهِ إِلَى الجُنْدِيَّةِ لِشَهَامَتِهِ ، وَعِزَّةِ نَفْسِهِ ، فَكَانَ فِي عَسْكَرِ المَأْمُونِ
 ابْنِ عَبَّادٍ ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ المَأْمُونُ ، وَكَانَ مِنْ أَظْرَفِ النَّاسِ ، وَأَمْلَحِهِمْ
 شَيْبَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ شَارَةً ، وَأَتَمَّهُمْ مَعْرِفَةً .

مشيخته

أَخَذَ عَنْ أَشْيَاحِ بِلَدِهِ غَرْنَاطَةَ ، وَأَخَذَ بِمَالِقَةَ عَنْ غَانِمِ الأَدِيبِ .
 وَبِقَرطِبَةَ عَنْ ابْنِ سِرَاجٍ

شعره

وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْبٌ ، فمن ذلك قوله :

يا هاجرِين أَضَلَّ اللهُ سَعِيَكُمْ كم تهجرون محببكم بلا سبب
ويا مُسِرِّين للإِخْوانِ غائِلَةً ومُظْهِرين وجوه البرِّ والرَّحْبِ
ما كان ضُرَّكم الإِخْلاصَ لو طَبِعَتْ تلك النفوس على عِلياء أو أدب
أَشْبَهُتُمُ الدَّهْرَ لما كان والدُكم فأنتم شرُّ أبنائِ لشرِّ أب

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي الساماني

والد المؤلف ، رضى الله عنه ، يُكنى أبا محمد ، غرناطى الولادة
والاستيطان ، لَوْشَى الأَصْل ، ثم طُلَيْطِلِيه ، ثم قُرْطَبِيه .

أوليته

كان سَلَفُه يعرفون بقرطبة ، ببني وزير ، وهم بها أهلُ نباهة ، وبيتهم
بيت فقهٍ وخَيْرِيَّةٍ وماليَّةٍ ، وِنِجارهم نِجارُ فرسانِ يمانِيَّةٍ . ولما حَدَّثَ على
الحَكَم بن هشام الوَقِيعة الرِّبْضِيَّة ، وكان له الفلجُ ، وبأهل الرِّبْضِ الدِّبْرَة ،
كأنَّ أعلامُ هذا البيت من الجالِيَّةِ أمام الحِكم ، حسبما امتُنحَن به الكثير
من أعلام المشيخة بها ، كالفقيه طالوت ، ويحيى بن يحيى ، وغيرهم ،
ولحِقُوا بَطُلَيْطِلَةَ ، فاستقروا بها ، ونَبأ بهم وطنُهم ، ثم حَوَّموا على سُكنى
المَوْسَطَةَ ، وآب إلى قرطبة قَبْلَهم بعد عهدٍ مُتَقادِم ، ومنهم خَلَفَ
رعبد الرحمن ، وقد مرَّ له ذِكرٌ في هذا الكتاب . ووُلِّي القضاء بالكُورَة .
ومنهم قوم من قَرابَتهم تملَّكوا مُنتَفِرِيْد (١) ، الحصن المعروف الآن بالمنعة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

والخِصْب ، وتمدَّن فيهم ، وبُنيت به القلعة السَّامِيَّة ، ونُسب إليه ذلك المجد ، فهم يُعرفون ببلدنا ببني المنتفريدين . واستقرَّ منهم جَدُّنا الأعلى بلَوْشَةَ خطيباً وقاضياً بالصُّمَّع ومُشاوراً^(١) وهو المُضَاف إلى اسمه التَّسْوِيد بلَوْشَةَ عُرْفاً كأنه اسمُ مُرَكَّب ، فلا يقول أحد منهم في القديم إلا سَيِّدِي سعيد . كذا تعرَّفنا من المشيخة ، وإليه النُّسبة اليوم ، وبه يُعرف خَلْفُه ببني الخطيب ، وكان صالحاً فاضلاً ، من أهل العلم و العمل . حدثني الشيخ المُسنُّ أبو الحكم المنتفريدي ، وقد وقَفَنِي على جِدَار بُرْج ببعض أَمَّاكنا بها ، على الطَّرِيق الآتية من غرناطة إلى لَوْشَةَ ، ثم إلى غيرها ، كإشبيلية وسواها ، فقال كان جَدُّك يسكن بهذا البُرْج كذا من فصول العام ، ويتلو القرآن ليلاً ، فلا يتمالك المارُّون على الطَّرِيق ، أن يقربوا إصغافاً لحُسن تِلاوته وخُشوعاً . وكان ولدُه عبد الله بعده ، على وَتيرة حسنة من الخير والنِّبَاهة وطيب الطُّعْمَة ، ثم جدُّه الأقرب سعيد على سُننه ، مُربٍ عليه بمزيد المعرفة ، وحُسن الخَطِّ . ولما وقع بلَوْشَةَ ببلده ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطَّنْجَالِي ، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجَمَات من التَّشَاجر ، فرَّ عنهم خيفةً على نفسه ، وعلى ذلك فناله^(٢) اعتقال طويل ، عدا به عليه عن تلك الثورة . ثم بان عُذره ، وبُرِّت ساحتُه ، واستظَّهر به السلطان ، وأقام بغرناطة ، مُكْرَماً ، مُؤَثَّراً ، مُؤْتَمَناً ، وصاهر في أشرف بيوتاتها ، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العليِّ أضحى بن أضحى الهمداني ، وتوفيت تحته ، فأنجز له بسببها الحظُّ في الحَمَامِ الأعظم المنسوب إلى جدها اليوم . ثم تزوج بنت القايِد أبي جعفر أحمد بن محمد الجَمَّعْدَالَة السَّلْمِي ، أم

(١) كانت « الشورى » من الخطط الفرعية الملحقه بالقبضاء في العصور الأخيرة بالأندلس ، ويطلق على من يتقلدها « المشاور » ، واختصاصها يدور حول الإفتاء وإبداء الرأي في المسائل الشرعية . (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناله) .

الأب المترجم به ، ولما إلى السلطان ثاني ملوك بني نصر وعظيمهم^(١) ،
ماتت ببُنوّة الخُوولة من جهة القمواد الأصلاء القرطبيين بني دحون ، فوَضَح
القصد ، وتأكدت الحُظوة . وقد وقَّعتُ الإشارة إلى ذلك كله في محلّه .
ثم رَسَخَتْ لولده أبي ، القِدْمُ في الخِدْمَة والعناية ، حسبما يتقرر في موضعه .

حاله

كان رحمه الله فذاً في حُسن الشكل والأُبّهة ، وطلاقة اللسان ، ونصاعة
الظرف ، وحضور الجواب ، وطيب المجالسة ، وثقوب الفهم ، مُشاراً إليه
في الحلاوة وعُدوية الفكاهة ، واسترسال الأنيساط ، مُغنياً في ميدان الدُّعابة ،
جزلاً ، مهيباً ، صارماً ، مُتَجَنِّداً ، رايق الخُصْل رَكْضاً وثقافةً ، وعدواً
وسباحةً وشطرنجاً ، حافظاً للمُثل واللُّغة ، إخبارياً ، مضطلعاً بالتاريخ ،
ناظماً ناثراً ، جميل البِزّة ، فارِه المَرَكَب ، مليح الشَّيْبَة . نشأً بغيرناطة
تحت تَرْفٍ وِنِعْمَة ، من جهة أمّه وأبيه ، وقرأ على أبي إسحق بن زُرْقَال ،
وأبي الحسن البَلُّوطي ، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزُّبَيْر ، ظاهرةً
عليه مُخَيَّلَة النَّجَابَة والإدراك . ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّووب ،
وانتقل إلى بَلَد سَلْفِيهِ ، متحيفاً الكثير من الأصول في باب البَدَل وقِرَى
الضُّيُوف ، ومُداومة الصَّيْد ، وإيثار الراحة ، مُعْتَمِداً بالتَّجَلَّة ، مَقْصُود
الحِجَلَّة ، مخطوب المُدَاخَلَة ، من أبناء أشراف الدولة ، مُنْتَجِعاً لأولى الكُدِيَة .
ولما قام بالأمر السلطان ، أمير المسلمين أبو الوليد ، وأمّه بنت السلطان
ثاني الملوك من بني نصر ، جَزَم ما تقدّم من المَتَات والوسيلة ، اسْتَنْهَضَهُ

(١) ثاني ملوك بني نصر ، هو السلطان محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه
للمه وتقواه . حكم ملكة غرناطة عقب وفاة أبيه في سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) حتى وفاته في سنة
٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) .

للإعانة على أمره ، وجعل طريقه على بلده ، فَحَطَبَ^(١) في حَبْلِهِ ، وتمسك بدعوته ، واعتمده بنزله وضيافته ، وكان أعظم الأسباب في حصول الأمر بيده ، ودخوله في حكمه ، وانتقل إلى حضرة الملك بانتقاله ، فنال ما شاء من اصطناعه ، وحُطوته ، وجرى له هذا الرسم في أيام من خَلَفَهُ من ولده إلى يوم الوقعة الكبرى بطريف تاريخ فقده .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : إن طال الكلام ، وجمحت الأقلام ، كنت كما قيل ، مَادِحُ نَفْسِهِ يُقْرَأُكَ السَّلَامَ ، وَإِنْ أَحْجَمْتُ ، فَمَا أَسْدَيْتُ فِي الثَّنَاءِ وَلَا أَلْحَمْتُ ، وَأَضَعْتُ الْحَقُوقَ ، وَخِفْتُ وَمَعَاذَ اللَّهِ الْعُقُوقَ . هذا ، ولو أَنِّي زَجَرْتُ طَيْرَ الْبَيَانِ مِنْ أَوْكَارِهِ ، وَجِيتَهُ^(٢) بَعِيون^(٣) الإِحْسَانَ وَأَبْكَارِهِ ، لَمَا قَضَيْتُ حَقَّهُ بَعْدَ ، وَلَا قَلْتُ إِلَّا الَّتِي عَلِمْتُ سَعْدَ . فقد كان رحمه الله ذَمَرَ عَزْمَ ، وَرَجَلَ رِخَاءَ وَأَزْمَ ، تَرُوقُ أَنْوَارَ خِلَالِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَتُضِيءُ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ مِنْ صُورَتَيْهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، ذِكَاةً يَتَوَقَّدُ ، وَطَّلَاةً يَحْسُدُ نُورَهَا الْفَرْقَدَ ، فَقَدَّتُهُ بِكَائِنَةِ طَرِيفِ^(٤) ، جَبَرَ اللَّهُ عِثَارَهَا ، وَعَجَّلَ ثَارَهَا .

حدّث خطيب المسجد الأعظم ، وهو ما هو ، من وفور العقل ، وصحة النّقل ، قال ، مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة ، وخُذلت تلك الأسرة ، وقد كبا بأخيك الطّرف ، وعُرض عليه الحجام للصرف ، والشيخ رحمه الله

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (فخطب) والتصويب أنسب للدعوى والسياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (وجهته) والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في الإسكوريال (بعون) ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٤) هي المدركة التي نشبت في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) بين القشاليين وجيش المسلمين المتحد من المغاربة والأندلسيين . على ضفاف نهر سالادو ، على مقربة من نهر طريف وهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة . وقد سبق التعريف بها تفصيلا .

لم تَزِلْ قدمُه ، ولا راعه الموقف وعِظْمُه . ولما آيس من الخلاص وطلَّابه ،
صَرَفَنِي وقال أنا أولى به ، فتمضى سعيداً شهيداً ، لم يَسْتَنْفِرْهُ الهول ، ولم يُثْنِه
ولا رضى عار الفرار عن ابنه .

شعره

قال فى « الإكليل » ، وكان له فى الأدب فريضة ، وفى النادرة العذبة
منادح^(١) عريضة . تكلمت يوماً بين يديه ، فى مسائل من الطب ، وأنشدته
أبياتاً من شعرى ، وقرأتُ عليه رُقاعاً من إنشائي ، فسُرَّ وتهلَّل ، وعبرَ
عما أُمِّل ، وما برح أن ارتجل قوله رحمة الله عليه :

الطبُّ والشُّعرُ والكتابةُ سِمَاتُنَا فى بنى النَّجَابَةِ
هِنَّ ثَلَاثٌ مُبَلَّغَاتٌ مراتباً بعضها الحِجَابَةُ
ووقَّع لى يوماً بخطُّه على ظهر أبيات ، بعثتها إليه ، أعرض عليه فمطَّها :
ورَدَّتْ كما وردَ النسيم بسحره عن رَوْضَةِ جاد الغمام رُبَاهَا
فكأنما هاروت أودع سِخْرَه فيها وآثرها به وحبَّها
مصقولة الألفاظ يبهر حسنها بمثلها افتخر البليغ وباهى
فقررت عيناً عند رؤية حسنها إلى أبوك وكنت أنت أباهَا
ومن شعره قوله :

وقالوا قد نأوا فاصبُرْ ستُشفى فتيرياق الهوى بُعد الدِّيَارِ
فتملت هبوا بأنَّ الحق هذا فقلبي^(٢) يمدوا فيم اصطبَّارِ
ومن قوله مما يجرى مجرى الحكيم والأمثال :

عليك بالصمت فكم ناطق كلامه أدى إلى كلمه
إن لسان المرء أهـدى إلى غرته والله من خصمه

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (منادج) . وفى النفع (منادم) .
والأولى أرجح . (٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة والنفع (بقلي) .

يُرى صغير الجِرم مُستضعفاً وجُرمه أكبر من جِرمه
وقال وهو من المستحسن في التجنيس :
أنا بالدهر يا بنى خبير فإذا شئت علمه فتعالى
كم مَلِكٍ قد ارتغى منه روضا لم يدافع عنه الرحمن ما ارتغى لا
كل شئٍ تراه يَفنى وَيَبقى ربنا الله ذو الجلال تعالى
أنشدني هاتين المقطوعتين .

مولده

ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستاية .

وفاته

بعد يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع
لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعماية .

من رثاه

قلت في رثايه من قصيدة أولها :
سهام المنايا لا تطيش ولا تُخطى وللدهر كف تستردُّ الذى تعطى (١)
وإننا وإن كنا على ثبج الدُّنسا فلا بدَّ يوماً أن نحسلَّ على الشَّط
وسيان ذلُّ الفقر أو عِزَّةُ الغنى وهنَّ أسرع السَّير الحثيث وهنَّ يُبْطِ
تساوى على وردِ الردى كلِّ وارد فلم يُغن ربُّ السَّيف عن ربة القِرط
وقال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها :

إذا أنا لم أرث الصديق فما عُذرى إذا قلتُ أبياتاً حساناً من الشعر

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة كالاتى (والدهر

كف يسترد الذى يعطى) .

ولو كان شعري لم يكن غير نذبة
لما كنت أقضي حقَّ صحبتته التي
رماني عبد الله يوم وداعه
قطعتُ رجائي حين صح حديثه
وهل مؤنس كابن الخطيب لو حشيتي
وأجريت دمعى لليراع عن الجبر
توخيتها عوناً على نوب الدهر
بداهية ذهياء قاصمة الظهر
فإن لم يوف دمعى فقد خانني صبري^(١)
أبتُّ له همى وأودعته سري

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، وقد مر ذكر أبيه شيخنا وأخويه ،
وتقررت نباهة بيتهم .

حاله

هذا الفاضل قريع بيت نبيه ، وسلف شهير ، وأبوة خيرة ، وأخوة
بليغة ، وخزولة تميزت من السلطان بحظوة . أديب حافظ ، قام على فن
العربية ، مشارك في فنون لسانیة سواه ، طرف في الإدراك ، جيد النظم ،
مطواع القريحة ، باطنه نبل ، وظاهره غفلة . قعد للإقراء ببلده غرناطة ،
معيداً ومستقلاً ، ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة ، على زمن الحداثة ، وهو
لهذا العهد مخطوب رتبة ، وجارٍ إلى غاية ، وعين من أعيان البلدة .

مشيخته

أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبي القاسم حديث الرحمة بشرطه .
وسمع عليه على صغر السن ، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة .
كبعض صحيح مسلم . وبعض صحيح البخاري . وبعض الجامع للترمذي .

(١) هكذا وردت في الزيتونة والنفح . وفي الإسكوريال (صبر) .

وبعض السنن للنسائي ، وبعض سنن أبي داود ، وبعض موطأ مالك بن أنس
 وبعض الشفاء ليعياض ، وبعض الشمائل للترمذي . وبعض الأعلام للشميري ،
 وبعض المشرع السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأحوص ، وبعض
 كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ، وبعض كتاب التبصرة للمكي ، وبعض
 الكافي لابن شريح ، وبعض الهداية للمهدي ، وبعض التلخيص للطبري ،
 وبعض كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع ، وبعض
 كتاب حلبة الأسانيد وبُغية التلاميذ لابن الكناد ، وبعض كتاب وسيلة
 المسلم في تهذيب صحيح مسلم من توالييف والده ، وبعض القوانين
 الفقهية ، وبعض كتاب الدعوات والأذكار . وبعض كتاب النور المبين
 في قواعد عقائد الدين من تأليفه ، وبعض تقريب الوصول إلى علم
 الأصول ، وبعض كتاب الصلاة ، وبعض كتاب الأنوار السنية في الكلمات
 السنية ، وبعض كتاب برنامجه . كل ذلك من تاليف والده ، رحمه الله .
 وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه ، مع رواية جميع مروياته وتوالييفه
 وتقييداته ، إجازة عامة . ولقنه في صغره ، جملة من الأحاديث النبوية
 والمسائل الفقهية ، والمقطوعات الشرعية .

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج ، حدثه بألمرية حديث
 الرحمة بشرطه ، وسمع عليه بها وبغرناطة عدّة من أبعاض كتب ، وأجازه
 عامة ، وأنشده من شعره ، وشعر غيره . ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم
 لازمه مدة القراءة عليه . واستفاد منه . وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير
 من النصف الثاني من كتاب سيبويه ، وفي كثير من النصف الثاني من
 كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وفي كثير من كتاب التسهيل لابن مالك ،
 وفي القصيدة الخزرجية في العروض ، وسمع من لفظه الربع الواحد أو

نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورَة حازم ، وتفقه عليه فيه ، وأنشده كثيراً من شعره وشعر غيره . ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البيّاني . لازمه مدة القراءة عليه ، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التّسهيل البديع في اختصار التّفريع إلّا يسيراً منه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها ، ككتاب التهذيب ، وكتاب الجواهر الثمينة ، وكتاب التّفريع ، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد ، وكتاب الأحكام لابن العربي ، وكتاب شرح العمدة لابن دقيق العيد ، وغير ذلك مما يطول ذكره . ومنهم الأستاذ الأعراف الشهير أبو سعيد بن لب ، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي ، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه ، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة ، في فنون مختلفة ، كالمُدَوْنَة والجواهر ، وكتاب ابن الحاجب ، وكتاب التّلقين ، وكتاب الجُمْل ، وكتاب التّسهيل والتنقيح ، والشّاطبيّة ، وكتاب العمدة في الحديث وغير ذلك . ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بيّش ، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد ، جميع كتاب الموطأ ، وكتاب الشّفا إلّا يسيراً منه ، وأجازه روايتهما عنه ، ورواية جميع مرّويّاته ، إجازة عامة ، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره . ومن أجازته عامة ، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب ، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري ، والخطيب أبو علي القرشي ، والأستاذ أبو محمد بن سلّمون ، والحاج الراوية أبو جعفر ابن جابر ، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عتيق الشّاطبي الأزدي ، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شبرين ، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ،

والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايح . وممن كتب له بالإجازة من المشايخ ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان ، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحضرمي ، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره نبيل الأغراض ، حسن المقاصد . فمن ذلك قوله :

سَنَى ^(١) اللَّيْلَةَ الْغَرَّاءَ وَأَفْتَكِ بِالْبُشْرَى	وَأَبْدَى مِنْهَا وَجْهَ الْقَبُولِ لَكَ الْبِشْرَا
تَهَلَّلَ وَجْهَ الْكُونِ مِنْ طَرْبِهَا	وَأَشْرَقَتْ لِلدُّنَا بَغْرَتَهَا الْغَسْرَا
لَهَا الْمِنَّةُ الْعَظْمَى بِمِيلَادِ أَحْمَدِ	لَهَا الرَّتْبَةُ الْعُلْيَا لَهَا الْعِزَّةُ الْكُبْرَا
طَوَى سِرَّهُ فِي صَدْرِهِ الدَّهْرَ مُدَّةً	فَوَافَى رَبِيعاً نَاشِراً ذَلِكَ السُّرَا
حَوَى شَهْرَةَ الْفَضْلِ الشَّهِيرِ وَفَضْلَهُ	فَأَحْسَنَ بِهِ فَضْلاً وَأَعْظَمَ بِهِ شَهْرَا
لَقَدْ كَانَ لَيْلُ الْكُفْرِ فِي اللَّيْلِ قَدْ جَفَا	فَأَطْلَعَ مِنْهُ فِي سِمَةِ الْهُدَى فَجَسْرَا
وَفِي لَيْلَةِ الْمِيلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدُ قَضَتْ	أَنَّ دِينَ الْكُفْرِ قَدْ أَبْطَلَ الْكُفْسْرَا
لَقَدْ أَخْمَدَتْ أَنْوَارَهَا نَارُ فَارَسِ	وَأَرْجَفَ كَمَا ارْتَجَّ إِيْوَانُهُ كِسْرَى
لَهُ مَعْجَزَاتٌ يُعْجِزُ الْقَلْبَ كُنْهَهَا	وَيُحْصِرُ إِنْ رَامَ اللِّسَانَ لَهَا حَصْرَا
مَعَالٍ يَكْلُ الشُّعْرَ عَنْ نَيْلٍ وَصَفَهَا	وَتَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِ مَصْعَدِهِ ^(٢) الشُّعْرَا
بِهِ بَشَّرَ الرُّسُلَ الْكِرَامَ وَلَمْ تَنْزَلْ	شَمَايِلُهُ تُتْلَى وَآيَاتُهُ تَنْسْرَا
فَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى مَنَاقِبُهُ الْعُلَى	وَفِي الذِّكْرِ آيَاتٌ رَخِصَ لَهُ قَدْرَا
لَقَدْ خَصَّهُ مَوْلَاهُ بِالْقُرْبِ وَالرِّضَى	وَحَسْبُكَ مَا قَدَّ نَصَ فِي النَّجْمِ وَالْإِسْرَا
وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدَ غُرُوبِهَا	وَشَقَّ عَلَى رَغْمِ الْعُسْدَاةِ لَهُ الْبَدْرَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (هني) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

وكان له في مايه وطعامه
 غدا الماء من بين الأصابع نابعاً
 وكم نايل أُولَى وكم سائل حَبِسا
 كفى شاهداً أن رَدَّ عَيْنٍ قَتْسَادَة
 وحنَّ إليسه الجِدُّع عند فِراقه
 وحقَّ له إذ بان عنه حَبِيبُسه
 خليليَّ والدنيا تُجَدِّدُ للفقر ضروباً
 بعَيْشِكُما هل لي إلى أرض طيِّبَة
 مُنَّا للنفس من تلك المعاهد زُورَة
 وتعفير خدِّي في عروق تُسراها
 تُعلِّني نفسي بإدراكها المُنسا
 ومن كانت الآمال أَقْصَى اجتهاده
 وكم زَجَرْتها واعظتات زمانها
 وكنت لها عَصْر الشبيبة عاذراً
 وأما وقد ولَّت ثلاثون حجَّة
 إذا أنت لم تتركِ سوى النفس طايِعا
 ولم أدخِر إلاَّ شفاعة أحمد
 لقد عاقَتْ كَفُّ الرجاء بحملسه
 هو المرتضى الداعي إلى منهج الرضا
 هو الحاسر الماحي الضلالة بالهدى
 بآي كلام يَبْلُغ المرء وَصْفَ مَنْ

لطايف ربّانية تَبَهَّر الفِكر را
 وعاد قليل الزَّاد من يُمنه كَثُرا
 وكم مُشْتَكِ أَشْفَى وكم مُدْنِفِ أبر ا
 فكان لها الفضل المبين على الأخر ا
 ولا حَذَّت الخنساء إذ فارقت صَخرا
 ومن [ذاق طعم] ^(١) الوَصْل لم يحْمَل الهجرا
 من الأشواق لو تنفع الذُّكرا
 سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
 أبثُّ بها شكوى وأشكو بها وزرا
 لِيَمْحُوَ لي ذنبا ويُثَبِّت لي أجرا
 وما أجهدتُ عَيْشاً ولا مُلِّكت قفرا
 غَدَّت كَفُّه مما تأمله صِفْرا
 فما سمعت وعظاً ولا قَبِلت زجرا
 سقاه الحيا ما كان أَقْصَره عصرا
 فلست أرى للنفس من بعدها عُذرا
 فلا بدُّ بعد الشيب من تركه قسرا
 لتخفيف وزرٍ شدَّ ما أوْتق الظهرا
 لعل كَسِير القلب يَقْلِبْسه بِسِرا
 هو المصطفى الهادي الميسر لليسرا
 هو الشافع الواق إذا شهر الحشرا
 مكارمه تستغرق النظم والنشرا

(١) وردت في الإسكوريال (ذا - وبعدها بياض) . والتصويب من الزيتونة .

تَكَرُّ عَلَى الْأَعْقَابِ خَاسِئَةٌ خَسِرَا
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّوضِ عَاطِرُهَا نَشْرَا
فَنَعْمَاؤُهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرَا
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسَكَانَهَا طُرَا
بِأَفْعَالٍ بَرٍّ أَضْحَكَتْ لِلْهُدَى ثَغْرَا
أَقْرَّتْ لَهَا عَيْنَا وَسُرَّتْ لَهَا صَدْرَا
فَأَحْسَنْتَهَا شُكْرَا وَأَوْلَيْتَهَا بِرًّا
وَأَعْقَبَهَا الْإِحْسَانَ وَالنَّائِلَ الْعَمْرَا
تَجَسَّمُ فِيهِ السُّخْرُ حَتَّى بَدَأَ قَضْرَا

خِلَالُ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النَّجْمِ بَاهِرُهَا سَنَى
سَقَى لَيْلَةَ حَيَّتْ بِهِ وَاكْفَ الْحَيَا
لَقَدْ خَصَّهَا سِنْدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ
أَقَمْتَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا
لَقَدْ سِرْتَ فِيهَا إِذْ أَتَيْتَ بِسِرِّهِ
عَرَفْتَ بِهَا حَقَّ الَّذِي عَرَفْتَ بِهِ
وَأَضْحَبْتَهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَالتَّقْصَا
لِلَّذِي مَضَعَ مَلَأَ الْعَيْسُونَ مَحَاسِنَا

منها بعد أبيات في المدح للسلطان :

أَعَادَ لَنَا دَهْمَ اللَّيَالِي بِهَا غُرًّا
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَصْرَا
لَقَيْتُ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمُعْقِلَ الْوَعْرَا
أَحَدًا يُنْبِيكَ عَنْهُمْ وَسَلُّ بَدْرَا

رَوَى عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ غُرَّ شَمَائِلٍ
وَمَنْ كَبَّنِي نَصَرَ جَلَالَةَ مَنْصَبِ
هُمْ مَا هُمْ إِنْ تَلَقَّوهُمْ فِي مَهْمَةٍ
سَلَالَةَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَسَلُّ

ومن شعره في المقطوعات . قال في التورية العروضية :

بِهَجْرٍ طَالَ مِنْكَ عَلَى الْعَلِيلِ
التَّقْطِيعُ مِنْ شَأْنِ الْخَلِيلِ

لَقَدْ قَطَعْتَ قَلْبِي يَا خَلِيلِي
وَلَكِنْ مَا عَجِيبٌ مِنْكَ هَذَا إِنَّهُ

وقال في التورية النحوية :

بِهَجْرٍ وَمَا مِثْلِي عَلَى الْهَجْرِ يَصْبِرُ
وَعَهْدِي بِالْمَحْبُوبِ لَيْسَ يُغَيِّرُ

لَقَدْ كُنْتُ مُوصُولًا فَأَبْدِلْ وَضَلِّكُمْ
فَمَا بِالْكُمْ غَيَّرْتُمْ حَالَ عِبْدِكُمْ

وقال في التورية مداعباً لبعض المقرئين للعدد وهو بديع :

لِقْنَا صَ ظِي سَاحِرِ الْأَلْبَسَابِ
فَالْبَدْرُ يَرِزُقُنَا بِغَيْرِ حَسَابِ

يَا نَاصِبًا عِلْمَ الْحِسَابِ حِسَابِهِ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو بِالْحِسَابِ وَصَالِهِ

وقال في التورية العروضية :

لقد كَمَل السُّودُ بيننسا
فإن دخل القَطْعُ في وَصلنسا
وقال في تضمين مَثَل :

وادمنا على فَرَحٍ شامل
فقد يدخل القَطْعُ في الكامل
وقال في تضمين مَثَل :

وَأَشْنَبُ الثَّغْرُ له وَجَنَسُهُ
ما ذاك إِلَّا حَسْدٌ إذ رَأَتْ
وقال في التورية بأسماء كُتِبَ فقهية جوابا غير مُعَمَّى :

رُضابُه أَعَدَبَ من شَهِدَها
حَبْتَنِي من أبايَها بالنوادِر
رسالة رَمز في الجمال نهاية
وقال في التورية أيضا :

إلى اللهُ أَشْكَو عُنْداً تَرَدُّدا
لقد خدعوني إذ أَرُونِي مَوَدَّةً
إلى فلما لاح سِرِّي لهم حالوا^(١)
ولكنه لا غَرُو أَن يُخْدَعِ الآل

وقال يخاطب رجلا من أصحابه :

أيا حَسَنُ إن شَتَّت الدهر شَمَلنا
وإن حُلَّتْ عن عهد الإخاء فلم
وهَبْنِي سَرَّتْ مِنِّي إِلَيْكَ إِساءةً
وقال في النسب :

وَلَمْ يَبْقَ لي في نَيْلِ وَنَمَلِكَ مَطْمَع
إن كان باب القُرب قد سُدَّ بيننا

(١) وردت هذه الشطر في الإسكورييل كالاتي (والى فلما لاح سرى لهم حالوا) .
ووردت في الزيتونة كالاتي (الى فلما لاح سرام خال) .

وَأَخْفَرَتْ عَهْدِي دُونَ ذَنْبِ جَنِيئِهِ
وَلَمْ تَرْتِ لِي عَمَّا أَلَاقِي مِنَ الْأَسَى
وَضَاقَتْ بِي الْأَحْوَالُ عَنِ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَمَا نَظَمَهُ فِي التَّضْمِينِ مَخَاطِبًا بَعْضَ الْمُنتَحِلِينَ لِلشُّعْرِ قَوْلُهُ :

لَقَدْ صرْتُ فِي غَضَبِ الْقَصَايِدِ مَاهِرًا
وَلَمْ تُبْقِ شِعْرًا لِأَمْرِي مِمَّا مَتَقَسَّمُ
فَشِعْرُ جَرِيرٍ قَدْ غَضِبْتَ وَرَوَيْسُهُ
وَإِنْ دَامَ هَذَا الْأَمْرُ أَصْبَحْتَ تَدْعَى
وَأَصْبَحَ وَدِّي فِيكَ وَهُوَ مُضَيِّعٌ
وَصِرْتُ أَنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ
فَمَا أَرْتَجِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْ سَعُ
فَمَا اسْمُ جَمِيعِ [الشعر] ^(١) عِنْدَكَ غَزِيلٌ
وَلَمْ تَبْقِ شِعْرًا يَا بَنَ بَشْتِ ^(٢) لِأَوَّلِ
وَشِعْرُ ابْنِ مَرْجِ الْكُحْلِ وَابْنِ الْمَرْحَلِ
قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ

ومن المقرين والاماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدي الكوَّاب

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد الخطيب ، المقرئ

حاله

من « الصُّلَّة » : كان رحمه الله أَتَقَنَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِي تَجْوِيدِ كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ ، وَأَبْرَعَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْفَعَهُمْ لِلْمَتَعَلِّمِ ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ ، وَتَرَكَ بَعْدَهُ جُمْلَةً يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَيُعْمَلُ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ نَبِيَهُ الْأَغْرَاضِ ، فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِهِ [ذَا كِرَا لِالِاخْتِيَارَاتِ الَّتِي تَنْسَبُ لِلْمَقْرئين] ^(٣) ، مِنْ يُرْجَعُ وَيُعَلَّلُ ، وَيَخْتَارُ وَيُرَدُّ ، مُوَفَّقًا فِي

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) كذا في الإسكوريال والزيتونة .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت بحرفة في الإسكوريال كالآتي :

(زَاكِرَا لِاخْتِيَاتِ الْمَقْرِينِ) .

ذلك ، صابرا على التعليم ، دايماً عليه نهاره وليله ، ذاكرا لخلاف السبعة . رحل الناس إليه من كل مكان ، خاصتهم وعامهم ، وملاً ببلده تجويدا وإتقاناً ، وكان مع هذا فاضلاً ورعا جليلاً . خطب بجامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة ، إلى حين وفاته .

مشيخته

أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين بن كوثر، وأبي خالد بن رفاة ، وأبي عبد الله بن عروس . ورحل إلى بياسة ، فأخذ بها القراءات عن أبي بكر ابن حسون ، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حكّم ، وأبي جعفر بن عبد الرحيم ، وأبي الحسن الصدفي الفاسي ، وسمع عليه كثيرا من كتاب سيبويه تفتُّها ، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبي جَمرة مع آخرين ممن أخذوا عنه .

من أخذ عنه

روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم : منهم ابن أبي الأخص ، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ .

وفاته

توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستاية ، ودفن بمقبرة باب إلبيرة .

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

من أهل غرناطة . يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن سلمون

حاله

كان رحمه الله ، نسيجاً وحده ، ديناً وفضلاً ، وتخلُّقاً ودماثة ، ولين

جانب ، حسن اللقاء . سليم^(١) الباطن ، مُعرقاً في الخير ، عظيم الهشة^(٢) والقَبُول ، كريم الطَّوية ، عظيم الانقياد ، [طيب اللهجة]^(٣) ، مُتَهالكا في التماس الصالحين ، يتقلب في ذلك بين الخطأ والإصابة ، صدرأ في أهل الشورى . قرأ ببلده وسمع وأسمع وأقرأ ، وكتب الشروط مدة ، مأثور العدالة ، معروف النزاهة ، مثلاً في ذلك ، ويقوم على العربية والفقهِ ، خصوصاً باب البيوع ، ويتقدم السباق في معرفة القراءات ، منقطع القرين في ذلك ، أشد الناس خُفوفاً في الحوايج ، وأسرعهم إلى المشاركة .

مُشِيخته

قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير بقرنطة ، ولازمه ، فانتفع به ، درايةً وروايةً . وقرأ على الخطيب أبي الحسن بن فضيلة ، والمُكْتَب أبي الحسن البلوطي ، وأبي محمد النَّفْزِي ، والخطيب أبي جعفر الكحيلي . وبمألقة على الأستاذ أبي محمد الباهلي . وبسببته على الأستاذ المقرئ رُحْلَةَ وقته أبي القاسم بن الطيب ، وسمع عليه الكثير . وعلى الأستاذ أبي عبد الله الدراج ، ولازم مجلس إقرايه ، وعلى الشيخ المعمر أبي عبد الله ابن الخطار الكامي ، وهو أعلى من لقيه من تلك الحُلبة . وأخذ بالإجازة عن العَدْل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن النولي ، وروايته عالية . لقي أبا الربيع بن سالم ، ولقي بسببته الشريف الراوية أبا علي الحسن بن أبي الشرف ربيع ، والأديب الكاتب أبا علي الحسين بن عتيق بن الحسين ابن رَشِيْق . وبفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سالم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الهيبة) .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في الزيتونة .

المَغِيلِي . وقرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . وسمع على ذى
الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم . ولقى الأديب المعمّر مالك بن المرّحل .
وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن الدّارِي برُنْدَة . وأجازه
من أهل المشرق كثير ، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسنِي بقيّة
الأشراف بالديار المصرية ، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله
الظاهري ، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني ، وجمال الدين أحمد
ابن أبي الفتح الشّيباني ، وأحمد بن عبد المنعم الصّوفي ، ومولده عام
أحد وستاية ، وأحمد بن سلّمان بن أحمد المقدسي ، وأحمد بن عبد الحميد
ابن عبد الهادي ، وشمس الدين ابراهيم بن سرور المقدسي ، والخطيب
بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِنّاني ، وأبو عبد الله محمد
أبي خمسة^(١) محمد بن البكري بن أبي بكر ، وأبو عبد الله محمد بن علي
ابن وهب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشَيْرِي ، وابن دقيق العيد تقي الدين ،
وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ، والشيخة الصالحة
أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني .
وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب . ولقى بفاس الشّيخة
الأديبة الطيبة الشاعرة ، سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيّة
وأجازته ، وألبستهُ خرقة التصوّف .

قال ، وأنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث ، أبا عبد الله

ابن رُشيد ، أولها يعنى قصيدة ابن رُشيد :

سرى نسيم من جمى سارة عاد به كلُّ نسيم عاطر
وجال أفكار الدنيا ذكرها فسار فيها مثلاً سايرا

(١) هكذا وردت في المخطوطين .

دايرةٌ والمجدُّ قطبٌ لها
دارت عليه فلَكَّا دايرا
فقالَت :

وإني قريضٌ منكم مذ غدا
أطلع من أنفاسه الحجبا
أعاد مَيِّتَ الفكر من خاطري
يَبْهَرُ طَرْفِي حَسَنُ مَنْظَرِهِ
فقلتُ لها هالني حُسْنُهُ
أم روضة هذي التي قد نوى^(١)
أم ضربٌ من فمه سايل
لله ما أعذبَ ألفاظه
يا ابن رُشيد بل أبا الرُشد
خذ ما فدتك النفس يا سيدي
ما تصل الأُنثى بتقصيرها
لازلت تحيي من رسوم العُلا
لبعض أوصافكم ذاكرا
ومن شذاه نفساً عاطرا
من بَعْدَ دَفْنٍ في الثرى ناشرا
أَحِبُّ بِهِ نِظْمًا غدا باهرا
أشاعراً أصبح أم ساحرا
أم بدرٌ تيم قد بدا زاهرا
أم جوهر أضحي لنا نائرا
وأنورَ الباطن والظَّاهرا
يا من لم يزل لطي العُلى ناشرا
وكن لمن نَظَمَها عاذرا
لأن تباري ذكراً ماهرا
ما كان منها دارساً دائرا

تصانيفه

الكتاب المسمى « بالشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير
والتبصرة والكافي » لا نظير له .

مولده

ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين
وست مائة .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قرا) .

وفاته

فُقد في الواقعة العظمى بطريف يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعماية . حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل ، وجُرَّحٌ بصدرة يثُغَب دماً ، وهو رابط الجأش ، فكان آخر العهد به . تقبَّل الله شهادته .

عبد الله بن سهل الغرناطي

يكنى أبا محمد ، ويُنبز (١) بالوجه نافع (٢)

حاله

من كتاب ابن حمارة ، قال عني بعلم القرآن والنحو والحديث ، عناية تامة ، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ ، في حال طفولتي (٣) بغرناطة ، ثم شُهر بعد ذلك بعلم المنطق ، والعلوم الرياضية ، وسائر العلوم القديمة ، وعَظُم بسببها ، وامتدَّ صيته من أجلها ، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى ، أن ليس في زمانه مثله ، ولا في كثير ممن تقدمه ، وبين هذه المِليل الثلاثة من التَّحاسد ما عُرف . وكانت النصرارى تقصده من طُلَيْطة ، تتعلَّم منه أيام كان ببياسة (٤) ، وله مع قسيسهم مجالس في التناظر ، حاز فيها قَصَب السِّبق . قال ، ثم خرج عن بياسة ، وسار إلى نظر ابن هَمُّشك (٥) عند خروج النصرارى عن بياسة . وله تواليف . وهو الآن بحاله .

(١) ينزمتها يلقب .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النافخ) .

(٣) وردت في الإسكوريال (قفولتي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) بياسة ، وبالإسبانية Baeza ، بلدة أندلسية قديمة تقع شمال شرق جيان بينها وبين

أبدة ، وقد سبق التعريف بها .

(٥) ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢٩٦ - ٢٠٣) .

قلت ، تاريخ هذا القول ، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة .

عبد الله بن أيوب الأنصاري

يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن خروج ، من أهل قلعة أيوب^(١) .

حاله

فقيه حافظٌ لمذهب مالك . استوطن غرناطة وسكنها .

تواليايفه

ألّف في الفقه كتابا مفيدا سماه « المنوطة » على مذهب مالك ، في ثمانية أسفار أتقن فيها كل الإتيان :

وفاته : توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وقد قارب المائة .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري

مالقي ، قرطبي الأصل ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بالقرطبي ، وقرأ بغرناطة .

حاله

كان في وقته ببلده ، كامل المعارف ، صادرا في المقرئين والمجودين ، رئيس^(٢) المحدثين وإمامهم ، واسع المعرفة ، مكثرا ، ثقة ، عدلا ، أمينا ، مكيّن الرواية^(٣) ، رايق الخطّ ، نبيل التقييد والضبط ، ناقد ، ذا كرا

(١) قلعة أيوب ، وبالإسبانية Calatayud ، بلدة حصينة من أعمال النغر الأعلى تقع جنوب غربي سرقسطة على نهر خالون أحد أفرع نهر إيرو (إبره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (رأس) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يكر الدراية) . والتصويب من الزيتونة .

أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم ، وما حلوا به من جرحٍ وتعديل ، لا يدانيه أحد في ذلك : عزيز النظر ، متيقظاً ، متوقد الذهن ، كريم الخلال ، حميد العشرة ، دمثاً ، متواضعاً ، حسن الخلق ، مُحَبِّباً إلى الناس ، نزيه النفس ، جميل الهيئة ، وقوراً ، مُعَظِّماً عند الخاصة والعامّة ، ديناً ، زاهداً ، ورعاً ، فاضلاً . نحوياً ماهراً ، رياناً من الأدب ، قائلاً الجيد من الشعر ، مَقْصِداً ومَقْطِعاً . وكان له بجامع مالقة الأعظم ، مجلس عام ، سوى مجلس تدريسه ، يتكلم [فيه] ^(١) على الحديث ، إسناداً ومَثَناً ، بطريقة عجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه . وتصدر للإقراء ابن عشرين سنة .

« من أخباره في العلم والذكاء » : قالوا قرئ عليه يوماً باب الابتداء بالكلم التي يُلَفِّظُ بها في إيضاح الفارسي ، وكان أحسن الناس قياماً عليه فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب ، المتعلقة بعلم العروض ، وكان في الحاضرين من أحسن صناعته ، فجاذبه الكلام ، وضايقه المباحثه ، حتى أحس الأستاذ من نفسه التَّقْصِيرَ ، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض ، فكفَّ عن الخَوْضِ في المسألة ، وانصرف إلى منزله ، وعكف ساير اليوم على تَصَفُّحِ عِلْمِ العَرُوضِ ، حتى فهم أغراضه ، وحصل تواليفه وصنّف ^(٢) فيه مختصراً نبيلاً ، لخص في صدره ضروبه ^(٣) ، وأبدع فيه بنظم مثله ، وجاء به من الغد ، مُعْجِزاً من رآه أو سمع به ، فُبهِتَ الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه ، ونفوذ فهمه ، وسبوّ همته .

ومن أخباره في الدين : قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي الملقب تلميذه الأخص به ، بتُّ معه ليلة في دُويْرته التي كانت له بجبل

(١) الزيادة من الذيل والنكلة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والذيل والنكلة . وفي الإسكودريال (وضبط) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكودريال (فرشه) .

فَارَهُ^(١) للإقراء والمطالعة . فقام ساعة كنت فيها يتمظانا ، وهو صاحك مسرور ، يَشِدُّ يده كأنه ظفر بشيء نفيس ، فسألته فقال ، رأيت كأن الناس قد حُشروا في العَرَضِ على الله ، وأنى بالمحدثين ، وكنت أرى أبا عبد الله التميمي يؤتى به . فيوقف بين يدي الله تعالى . فيعطى براءته ، من النار ، ثم يُؤتى بي ، فأوقفت بين يدي ربي ، فأعطاني براءتي من النار ، فاستيقظت ، وأنا أشدُّ عليها يدي اغتباطا بها وفرحا ، والحمد لله .

مشيخته

تلا بمالقة على أبيه ، وأبي زيد السهيلي ، والقاسم بن دحمان ، وروى عنهم ، وعن أبي الحجاج بن الشيخ ، وأبوي عبد الله بن الفخار ، وابن نوح ، وابن اليتيم ، وابن كامل ، وابن جابر ، وابن بونة . وبالمناكب عن عبد الوهاب الصدفي . وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجعد ، وابن صاف ، وأبي جعفر بن مضاء ، وأبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة ، وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبي القاسم بن عبد الرازق ، وأبي محمد بن جهور . وبغرناطة عن أبوي جعفر بن حكيم الحصار ، وابن شراحيل ، وأبي عبد الله بن عروس ، وأبوي محمد عبد الحق النوالشي ، وعبد المنعم بن الفرس . وبمرسية عن أبي عبد الله بن حميد ، وأبي القاسم بن حبيش ، وبسبته عن أبي محمد الحجري . وأجاز له من الأندلس ابن محرز وابن حسون وابن خيرة ، والأركشي ، وابن حنص وابن سعادة ، ويحيى المجرطي ، وابن بشكوال ، وابن قزمان . ومن أهل المشرق جماعة كبيرة .

(١) جبل فاره وبالإسبانية Gibralfaro ، مكان مرتفع بشرق مالقة . وقد سبق التعرف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٦ حاشية) .

شعره وتصانيفه

ألف في العروض مجموعات نبيلة ، وفي قراءة نافع : ولخص أسانيد
الموطأ ، وله المبدى لخطا الرندي . ودخل يوما بمجلس^(١) أقرأ به أبو
الفضل عياض ، وكان أفتى منه ، غير أن الشيب جار عليه ، وتأخر شيب
الأستاذ ، فقال يا أستاذ شينا وما شبتهم ، قال فأنشده ارتجالا :

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق
لئن كان خطب الشيب يوجد حسه^(٢)
وقد شاب أترابي وشباب لدائي
بتربي فمعناه يقوم بذاتي
ومن شعره في التجنيس :

لعمرك ما الدنيا بسرعة سيرها
حقيقتها أن المقام بغيرها
بسكانها إلا طريق مجاز
ولكنهم قد أولعوا بمجاز
ومما يؤثر أيضا من شعره قوله :
سهرت أعين ونامت عيون
فاطردهم ما استطعت عن^(٣)
لأمور تكون أولا تكون
النفس فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان
فسيكفيك في غد ما يكون

مولده

ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الإثنين لثمان بقين من ذى القعدة عام
ستة وخمسين وخمسماية . «وفاته» سحر ليلة السبت أو سحر يومها ،
ودفن إثر صلاة العتس من اليوم السابع لربيع الآخر سنة أحد عشر وستماية

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بمسجد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الدليل والتكلمة (عينه) .

(٣) وردت هذه الشطرة في الزيتونة كالاتي (فاطردهم عن النفس ما استطعت) .

من رثاه

رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسن البرجسي من قصيدة حسنة

طويلة :

خليليُّ هُبًّا ساعداني بعبسرة
 نبكى العلي والمجد والعلم والتقى
 فقد سلب الدين الحنيفة رُوْحَه
 وقد طُمِسَتْ أنوار سنة أحمد
 مضى الكوكب الوقاد والمرهف الذي
 تمنى علاه النيران ونسوره
 أأسلوا وبحر العلم غيضت مياهُه
 عزيز على الإسلام أن يودع الثرى
 بكى العالم العلوى والسبع حسرة
 على القرطبي الحبر أستاذنا الذي
 فقد كان فيما مضى من زمانه
 ويجمع سرب الأنس روض حياته
 فسحقاً لدنيا خادعتنا بمكرها
 ركينا السهل الذلول فقادنا
 ونغفل عنها والردى يستفزيننا
 وقولا لمن بالرئى ويحكم هبوا
 فمأتم أحزاني نوائحه^(١) الصحب
 ففى كل سرب من نباهته نهب
 وقد خلّت الدنيا وقد ظعن الركب
 يُصحح في نص الحديث فما ينب
 وقالوا بزعم أنه لهما سرب
 ومحي رسوم العلم يحجبه الترب
 مُسدده الأسرى^(٢) وعالمه الندب
 أولئكم حزب الله ما فوقهم حزب
 على أهل هذا العصر فضله الرب
 به تحسن الدنيا ويلتئم الشعب
 فقد جف ذلك الروض وافترق السرب
 إذا عاقدت سلما فستصددها حرب
 إلى كل ما في طيه مركب صعب
 كفى وانظراً بالموت لو كان لي لب

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يوايحه) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي الذيل والتكلمة (الأهدى) .

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن

إسماعيل بن سيمك العاملي^(١)

يكنى أبا محمد ، مالقي الأصل .

حاله

كان فقيهاً أديباً ، بارع الأدب ، شاعراً مطبوعاً ، كثير النادر ، حلو
الشمايل ، أدرك شيوخاً جلّة ، ووُلّي قضاء غرناطة مدة .

مشيخته

روى عن جده لأمه وابن عم أبيه أبي عمر أحمد بن إسماعيل ، وأبي علي
[الغساني ، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سمحون والمرسائي^(٢) الأديب ،

شعره

الروض مُخَضَّرُ الرَّبِّي مُتَجَمِّلٌ	للناظرين بأجمل الألوان
وَكَاثِمًا بَسَطَتْ هُنَاكَ سِوَارَهَا	خُودٌ زَهَتْ بِقَلَائِدِ الْعِقيَانِ
وَكَاثِمًا فَتَقَّتْ هُنَاكَ نَوَافِحُ	مِنْ مِسْكَةٍ عَجَنْتَ بِعَرَفِ الْبِيَانِ
وَالطَّيْرُ يَسْجَعُ فِي الْغُصُونِ كَاثِمًا	تَقْرَأُ الْقِيَانِ فِيهِ عَلَى الْعِيدَانِ
وَالْمَاءُ مُطْرَدٌ يَسِيلُ عُبَابَهُ	كَسَلَاسِلٍ مِنْ فِضَّةٍ وَجُمَانِ
بِهَجَاتٍ حُسْنٍ أَكْمَلْتَ فَكَاثِمًا	حُسْنُ الْيَقِينِ وَبِهَجَّةِ الْإِيمَانِ

وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(٣) في أثناء رسالة :

تَفْتَحُ الْكِتَابَةَ عَنْ نَسِيمِ	نَسِيمُ الْمِسْكِ فِي خُلُقِ الْكَرِيمِ
أَبَا نَصْرٍ رَسَمْتَ لَهَا رَسُومًا	تَخَالُ رَسُومُهَا وَضَحَّ النُّجُومِ

(١) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 223، من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزينونة

(٢) هكذا في الإسكوريال .

(٣) هو الفتح بن خاقان من أشهر كتّاب عصر الطوائف ، ومؤلف كتاب « قلائد العقيان » .

وقد كانت عَفَّتْ فَأَثَرَتْ مِنْهَا سراجاً لاح في الليل البهيم
فَتَحَّتْ مِنْ الصَّنَاعَةِ كُلِّ بَابٍ فسارة في طريق مستقيم
فَكُتِّبَ الزَّمَانُ وَلَسْتَ مِنْهُمْ إذا راهوا مَرَامَكَ فِي هُمُومٍ
فَمَا قِيسٌ بِأَبْدَعٍ مِنْكَ لَفْظاً ولا سَحْبَانٍ مِثْلَكَ فِي الْعُلُومِ

« وفاته » : في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة

وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد^(١) بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن

مُنخَل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يُكنى أباً محمد ، ويُنسب إلى غافق بن
الشَّاهد^(٢) بن عك بن عدنان ، لا إلى حِصْنِ غافق .

حاله

من « العايد » كان رجلاً صحيح المنهَب ، سليم الصدر ، قليل
المُصانعة ، كثير الحركة والهشَّة ، والعجدة ، ملازم الاجتهاد والعُكوف ،
لا يفتر عن النسخ والتقييد والمطالعة ، على حال الكِبَرَة ، قديم التَّعِينِ
والأصالة ، وُلِّي القضاء عُمُرُه بمواضع كثيرة ، منها بيرة ورُنْدَة ثم مالقة ،
مضافاً إلى الخطابة بها .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أبي أحمد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الشاهك) . والتصويب من الزيتونة .

مشيخته

حجّ في حدود سبعة وثمانين وستماية ، وروى عن جِلَّة من أهل المشرق ،
 كالإمام تقى الدين بن دقيق العيد ، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن
 الدُمياطي ، وشمس الدين المصنّف^(١) أبي عبد الله بن عبد السلام . وأجازه
 من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير ، والقاضي
 ابن أبي الأحوص ، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن
 ابن الصّايغ الإشبيلي ، وأبو جعفر الطّباع ، وغيرهم .

تواليفه

ألّف كتابا سماه « بالمنهاج في ترتيب مسائل الفقيه المشاور أبي عبد الله
 ابن الحاج » .

مولده

ولد بغرناطة في حدود ستين وستماية .
 « وفاته » : توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعماية .

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن

أبي زَمَنِين المرثي

يكنى أبا خالد .

حاله

كان فقيها جليلا ، ووُلى القضاء ببعض جهات غرناطة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المصنف) .

(٤) وردت هذه الترجمة في لوحة 224 من مخطوط الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

مشيخته

أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال ، وأبي محمد بن سِماك القاضي .
والعربية عن الخضر بن رضوان العبدي . والحديث عن الحافظ أبي بكر
ابن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد ،
والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بقرنطة .

مولده

ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة .
« وفاته » : توفي في ذي قعدة سنة أربع وأربعين وخمسة مائة .

عبد الله بن يحيى بن محمد^(١) بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن
يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا محمد ، من أهل قرنطة ، شرقي الأصل ، مُرسيه ، من
بيوتاته النبوية ، وقد مر ذكر أخيه .

حاله

كان على طريقة حسنة من دماء الأخلاق ، وسلامة السجية ، والتزام
الحشمة ، والاشتغال بما يعنى . وُلّي القضاء دون العشرين سنة ، وتصرف
فيه عُمره بالجهات الأندلسية ، فأظهر فيه عدلا ونزاهة ، ولم يختلف
عليه اثنان مدة حياته ، من أهل المعرفة بالأحكام ، والتقدم في عقد الشروط ،
وصناعة الفرائض ، علماً وعملاً ، ثاقب الذهن ، نافذاً في صنعة العدد .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عمر) .

مشيخته

قرأ على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا ، وله رواية عالية عن أعلام من أهل المشرق والمغرب . وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الولي الصالح ، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الأثيني ، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، والحاج أبي محمد^(١) بن جابر ، وأبي بكر القللوسي . وقرأ العَدَد وما أشبهه على الأستاذ التعاليمي أبي عبد الله الرقَام ، ولازمه ، [وأجازه]^(٢) طائفة كبيرة . أخبرني ولده الفاضل أبو بكر ، قال : وَرَدَ سَوَالٌ من تونس مع تاجر وصل في مَرَكِبٍ إلى مدينة المُنَكَّب أيام قضاائه بها ، في رَجُلٍ فَرَطَ في إخراج زكاة ماله سنين مُتَعَدِّدة ، سُمِّيت في السؤال مع نسبة قدر المال ، وطلب في السؤال ، أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبة ، إذ عَمَلُهَا بذلك ، أصعبُ من عملها بالجبر والمُقَابِلَة ، فَعَمِلَهَا وأخرجها بالعمَلَيْن ، وعبر عنها بعبارة حسنة ، وكتبها في بطاقة بخط جميل ، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه ، إلا ونسخ منها نسخة ، واستحسنها .

مولده

ولد يوم الخميس السابع عشر لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة .

« وفاته » : توفي قاضيا بِبَسْطَة في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعماية .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العلوي) .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جرة الأزدي

من أهل مُرَبِّييه ، نَزِيل غرناطة ، يُكْنَى أبا محمد ، وبَيْتِه بِمَرْسِيَةِ من
أعلام بيوتاتها ، شهير التَّعِين والأَصَالَةِ ، يَنْكح^(١) فِيهِ الأُمراء .

حاله

كان من أعلام وقته فضلا وعدالة وصلاحا ووقارا ، طاهر النشأة ،
عَفَّ الطُّعْمَةَ ، كثير الحياء ، مليح التَّخَلُّق . نشأ بِمَرْسِيَةِ ، ثم انتقل
إلى غرناطة فتولَّى القضاء ببيرة وجهاتها ، ثم جاز إلى سَبْتَةَ ، وانعقدت
بينه وبين رؤسائها المُصَاهِرَةِ في بعض بَنَاتِهِ . ثم آب إلى غرناطة عند
رجوع إيالة سبتة إلى أميرها ، فتقدَّم خطيبا بها .

مشيخته

روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الربيع بن سالم وأمثاله .

وفاته

الغريبة المُسْتَحْسَنَةِ . قال بعض شيوخوا ، كنت أَسْمَعُهُ عند سجوده ،
وتَبَثُّلُهُ وضراعتة إلى الله . يقول اللهم أَمْتِنِي مَيْتَةً حَسَنَةً ، ويكرِّر ذلك .
فأجاب الله دعاءه ، وتوفاه على أتم وجوه التَّائِبِ طَهَارَةً وخشوعاً وخضوعاً
وتأهباً ، وزمانا ومكاناً ، عندما صعد أول دَرَجٍ من أدراج المنبر ، يوم
الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبع مائة ، فكان يوما
مشهودا لا عهد بمثله ، مارئي أكثر باكياً منه ، وأكثر الناس من الشناء عليه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيوتة ، ومعناها هنا (يُزَوِّج من بناته الأُمراء) .

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن
حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي

يكنى أبا محمد .

حاله

من « الصُّلَّة » : قال ، القاضى المحدث الجليل العالم ، كان فقيهاً
جليلاً أصولياً ، نحويّاً ، كاتباً ، أديباً ، شاعراً ، مُتَفَنِّناً في العلوم ،
ورعاً ، دينياً ، حافظاً ، ثبُتاً ، فاضلاً . وكان يُدرِّس كتاب سيبويه ،
وَمُسْتَضْنَى أَبِي حَامِد ، ويميل إلى الاجتهاد في نظره ، وَيُغَلِّبُ طَرِيقَةَ الظَّاهِرِيَّةِ (١) ،
مشهوراً بالعقل والفضل ، معظماً عند الملوك ، معلوم القدر لديهم ، يخطب
في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية ، مُقَدِّماً في ذلك ، بلاغةً وفصاحةً
إلى أبعد مضمار . وللملوك الموحدين به اعتناء كبير . وهو كان أستاذ الناصر (٢)
وإخوته ، وكان له عند المنصور والدهم ، بذلك أَكْرَمَ أَثْرَةً ، مع ما كان
مشهوراً به من العلم والدين والفضل . وُلِّيَ القضاةَ بِإِشْبِيلِيَّةٍ وَقُرْطُبَةَ وَمُرْسِيَّةَ
وَسَبْتَةَ وَسَلَا وَمَيُورِقَةَ ، فتظاهر بالعدل ، وعُرفَ بما أَبْطَنَ من الدين والفضل ،
وكان من العلماء العاملين ، سُنِّيًّا ، مُجَانِبًا لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، بارِعِ
الْخَطِّ ، حَسَنِ التَّقْيِيدِ .

مشيخته

تردّد في طلب العلم ، فسمع ببيلنسية وشاطبة ومرسية وألمرية وقرطبة

(١) طريقة الظاهرية أي المذهب الظاهري ، وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من
الإحاطة ص ٢٠٩ حاشية) .

(٢) الناصر هو الخليفة المرحى محمد الناصر الدين الله ولد الخليفة يعقوب المنصور ،
وقد حكم من سنة ٤٩٥ - ٦١٠ هـ (١١٩٩ - ١٢١٣ م) ، وهو المهزوم في موقعة العقاب
الشهيرة بالأندلس في سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) .

وإشبيلية ومالقة ، وغيرها من البلاد الأندلسية ، وتحصل له سماعٌ جمٌ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب . قرأ القرآن على أبيه ، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغسائي ، وأخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقهاً . وعن غيره ، وسمع عن ابن بشكوال ، وقرأ أكثر من ستين تأليفاً بين كبار وصغار ، وكَمَل له على أبي محمد بن عبد الله ، بين قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفاً ، منها الصّحيحان . وأكثر عن ابن حُبَيْش ، والسّهيلي ، وابن الفخّار وغيرهم . واستيفاءً مشيخته يشق .

شعره

قال الأستاذ ، أنشدنيّه ابنه أبو القاسم ، ونقلت من خطه :
 أتدرى أنّك الخطأءُ حقاً وأنك بالذي تَدْرِي رهين
 وتَعْتَبُ^(١) الألى فعلوا وقالوا وذاك الظن والإفكُ المُبين

مولده

في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .
 « وفاته » : كان آخر عمره قد أُعيد إلى مُرسية ، قَصَدَهَا من الحضرة ، فمات بغرناطة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وسبعمائة ، ونُقل منها في تابوته الذي أُجِد فيه ، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة ، فدفن بها .

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن

عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة . يكنى أبا القاسم ويعرف بابن ربيع .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وتغابوا) .

حاله

كان رحمه الله أديبا، كاتباً شاعراً، نحويًا . فقيهاً أصولياً ، مُشاركاً في علوم ، مُحبّاً في القراءة ، وطياً^(١) عند المناظرة ، مُتناصفاً ، سنياً ، أشعري المذهب والنسب ، مُصمماً على طريقة الأشعرية ، مُلتزماً لمذهب أهل السنة المالكي ، من بقايا الناس وعليتهم ، ومن آخر طلببة الأندلس المشاركين الجلة ، المُصممين على مذهب أهل السنة . المُنافرين للمذاهب الفلسفية ، والمبتدعة ، والزبيغ . ولى قضاءً مواضع من الأندلس . منها مدينة شريش ورُنْدَة ومالقة ، وأمّ وخطبَ بجامعها . ثم ولى قضاء الجماعة^(٢) بحضرة غرناطة ، وعقدَ بها مجلساً للإقراء . فانتفع به طلبتها ، واستمر على ذلك ، وكانت ولايته غرناطة نحواً من سبعة أعوام .

مشيخته

أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به ، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الحميري ، وتلا عليه ، وتأدّب به . وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف ، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بَقِي . وأبي محمد بن حَوْطِ الله ، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ وغيرهم ، وأجاز له الشيخ المُسنُّ أبو الحسن علي ابن أحمد بن علي الغافقي الشُّقُوري ، وله به علوٌ . وبالأستاذ الخطيب المُسنُّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم .

وفاته

توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وسبعمائة . ولم يَخْلِفْ بعده مثله ، ولا مَنْ يُنْأَرِبُهُ .

(١) هكذا وردت و الإسكوريال . وفي الزيتونة (مرصياً) .

(٢) منصب قاضي الجماعة في النظام القضائي الأندلسي هو منصب قاضي القضاة ، أو رياسة

القضاء العليا .

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي
من ولد عاصم بن مسلم الداخل في طلعة بلج الملقب بالعريان ، أخو
الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، شقيقه ، يكنى أبا محمد .

حاله

كان طبيباً ماهراً ، كاتباً شاعراً ، ذا كراً للغة ، صنّع^(١) اليدين ،
متقدماً في أقرانه نباهة وفصاحة^(٢) ، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام ،
يحضر الغزوات : فارساً وراجلاً ، ولقى بفحص غرناطة^(٣) ليلاً ، نصرانياً
يتجسس ، فأسره وجره ، وأدخله البلد : ولم يلتفت إلى ثمنه ، استكثما
لتلك الفعلة .

مشيخته

أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مسنور^(٤) ، وروى عن أبي
يحيى بن عبد الرحيم ، وأبي الوليد العطار ، وأبي القاسم بن ربيع [وأبي
الخطار بن خليل ، وأخذ عن أبي عمر بن حوط الله بمالقة ، وابن أبي ریحانه .
وبسببته على أبي بكر بن]^(٥) مشليون . وأجاز له أبو بكر بن محرز ، وأبو الحسن
الشاربي . وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِنَانِي .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كأصابع) والأول أرجح . وصنع
اليدين أي ماهر في الأعمال اليدوية .

(٢) وردت في الإسكوريال (فصا) فقط . وهي ساقطة في الزيتونة .

(٣) فحص غرناطة أو مرج غرناطة La vega de Granada ، هو البسيط الأخضر الذي
يقع جنوب شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩ حاشية) .

(٤) وردت في الإسكوريال (مسنور) . وفي الزيتونة (مسفور) وهو تعريف .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الزيتونة ، وسقط في الإسكوريال .

مولده

وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وأربعين وستماية .
وفاته : توفى بها سحر أول يوم من ذى قعدة سنة ثلاث وثمانين وستماية .

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي

يكنى أبا يحيى .

حاله

طالبٌ نبيلٌ فاضلٌ ، ورعٌ زاهدٌ ، مؤثرٌ في الدنيا بما تملكه ، تالٍ لكتاب
الله في جميع الأوقات .

أخباره [في الإيثار]^(١)

وجّه له السيد [أبو اسحاق]^(٢) ابن الخليفة ابن يعقوب خمسمائة
دُنَيْر^(٣) ليُصلح بها من شأنه . فصرّف جميعها على أهل السّتر في أقل من
شهر . ومرّ بفتى في إشبيلية ، وأعوان القاضى يحملونه إلى السّجن ، وهو
يبكى فسأله ، فقال : أنا غريبٌ ، وطولبت بخمسين دُنَيْرًا . وبيلدى
عقود ، وطولبت بضامن فلم أجده ، فقال ، له الله ، قال نعم ، قال ،
فدفع له خمسين دُنَيْرًا ، قال أشهد لك بها ، فضجّر وقال إن الله إذا أعطى
عبده شيئًا لم يُشهد به عليه ، وتركه وانصرف لشأنه ، وكانت عنده
معرفة وأدب .

« مولده » بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة^(٤) .

(١) هذه العبارة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . (٢) الزيادة من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار) .

(٤) وردت هذه الترجمة في هامش لوحة 226 من مخطوط الإسكوريال . والظاهر

أن الناسخ كان قد نسيها فأثبتها في هذا الموضع .

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي

من أهل بلش يكنى أبا محمد . ويعرف بابن المربع^(١)

حاله

من نُبهاء أدباء البادية ، حَشِن الظاهر ، مُنطَوٍ على لَوَدَعِيَّة ، مُتَوَارِيَّة في مظهر جَفْوَةٍ ، كثير الانطِباع عند الخُبْرَةِ ، قادر على النظم والنثر ، متوسط الطَّبَقَةِ فيهما ، مُسْتَرَفِدٌ بالشعر ، سيَّال القريحَةِ ، مَرهُوب الهِجاءِ ، مشهور المكان ببلده ، يعيش من الخِدم^(٢) المَخزَنِيَّة ، بين خارِص^(٣) وشاهد وجدَّ بذلك وقته ، يوسِّط^(٤) رِقَاعَتَهُ ، فتنجح الوسيلة ، [ويتمشَّى له بين الرِّضا والسُّخْط الغرض]^(٥) .

وجرى ذكره في « التاج » بما نصه : « طويل القوادم والخوافي ، كَلِيفٌ على كبر سنه بعقائل القوافي ، شابٌ في الأدب وشبٌّ ، ونَشِيق رِيح البيان لما هبَّ ، قحاول^(٦) رَفِيعَةٌ ، وجزله . وأجاد جدّه وأحكم هزله . فإن مَدَحَ صَدَحَ ، وإن وَصَفَ أَنْصَفَ ، وإن عَصَفَ قَصَفَ . وإن أنشأ ودونَ ، وتقلَّبَ في أفانين البلاغة وتلونَ ، أفسد ما شاء الله وكَوَّنَ : فهو شيخُ الطريقة الأدبيَّة وفتاها ، وخطيب حَقْلها^(٧) كلما أتاها . لا يتوقَّف عليه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ابن الربيع) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الخدمة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (خارج) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يوسع) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ويبرز له بين السُّخْط والرضى)

(٦) وردت في الإسكوريال (فحاوِر) . والتصويب من النسخ .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ ، وفي الزيتونة (حلفه) وهو تحريف

من أغراضها غرض ، ولا يَضِيعُ لديه منها مُفترض . ولم تنزل برُوقه تتألق ،
ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلّق . حتى برَزَ في أبطال الكلام وفرسانه ،
وذعرت القلوب لسطوة لسانه ، وألقت إليه الصنّاعة زمامها ، ووقفت
عليه أحكامها . وعبرَ البحر ، مُنتجعاً بسعره ، ومُنْفِقاً في سوق الكساد من
شعره ، فأبرق وأرعَد ، وحذر وتوعَد^(١) ، وبلغ جهْدَ إمكانه ، في التعريف
بمكانه ، فما حرك ولا هزَّ ، وذلك في طلب الرّفْد وقد عزَّ ، وما برح أن رجع
إلى وطنه الذي اعتاده ، رجوع الحديث إلى قتاده .

شعره

قال في « التاج » ، وقد أثبت من نزعاته ، وبعض مُخترعاته ، ما يدل
على سعة باعه ، ونهضة ذِراعِهِ . فمن النسب قوله :

ما للمُحِبِّ دواء يُذهِبُ الألما	عنه سوى لِمَمٍ فيه ارتشاف لِمَا
ولا يَرُدُّ عليه نَومٌ مُقلته	إِلَّا الدُّنُوُّ إلى من شفّه سَقَمَا
ياحاكماً والهوى فينا يُؤَيِّدُهُ	هواك فيّ بما ترّضاه قد حَكَمَا
أشغلتني بك شُغلاً شاغلا	فلما تناسى فديتك عنى بعد ذلك ما
ملكته رُوحى فأرْفِقْ قد علمت بما	يلقى ولا حجة تبقى لمن عَلِمَا
ما غيبت عنى إلا غاب عن بصري	بدرأ إذا لاح يُجلى نوره الظلما
ما لُحِتَ لى فدنا طرفي لغيرك يامولى	لحا فيه جفنى النوم قد حرما
طوعاً لطيعك لا أعصيك فافضِ بما	ترضاه أرضى بما ترضى ولاجرما
إنّ الهوى يتمتضى ذلاً لغيرك لو	أفادنى فيك قرباً يُبرِّد الألما
سَلِمْتُ من كل عَيْبٍ يا محمدا	كن قلب صبك من عيّنك ما سلما

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (وأوعد) .

ومن مخاطباته الأدبية . ما كتب هـ إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع
من ولده :

مُماليكم قد زاد فيكم مُربَعٌ من الأفق الكَوْنِي بِالْيَمْنِ طالع
بأنواركم يهدى إلى سُبُل الهدى وَيَسْمُو لما تَسْمُو إليه المَطالع
فواسوه منكم بالدُعَاءِ فَإِنَّه مُجَاب بفضل الله للخَلْقِ نافع
أفاض عليه الله من بَرَكَاتِكُمْ وَأَبْقَاكم ذوالعرش ماجنٌ ساجع^(١)
فوقَّع له الشيخ المخاطب بها : أبو جعفر بن الزيات رحمه الله ، بما نصه :

عسى الله يؤتية من العلم حِصَّةً تُصَوَّب على الألباب منها يَنابع
ويجعله طَرْفًا لكل سَجِيَّةً مُطَهَّرَةً للناس فيها منافع
ويُلجِّقه في الصالحات بجده فيثني عليه الكلُّ دانٍ وشاسع
وذو العرش جلَّ إِسْمَا عميمٍ نواله وخير الورى في نصِّ ما قلت شافع
فما أنت دوني يا أباه مُهنأً به فالسرور الكلُّ بابنك جسامع

وله يستدعى إلى الباكور :

بِدَارِ بَدَارٍ قد آن البِدَارُ إلى أَكْوَاسِ باكورٍ تُدارُ
تبدَّتْ رافلاتٍ في مُسوحٍ له لون الدِّياجي مُستعمار
وقد رَقَمْتُ بياضاً في سوادٍ كأنَّ الليل خالَطَه النهارُ
وقد نَضِجَتْ وما طُبِخَتْ بنارٍ وهل يُحْتَاج للباكورِ نِزارُ
ولا تحتاج مَضْغاً لا وليس^(٢) عجيبٌ لا يُشَقُّ له غِبَارُ
فقل للخَلْقِ قُلْ للضررسِ دَعْنِي ففى البَلْعِ اكتفاءً واقتصارُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (شافع) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (لا لسر) .

ومما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره ، مقطوعة سهلة وهى :

رَعَىَ اللهُ عَهْدًا حَوَىَ مَا حَوَى لِأَهْلِ الْوِدَادِ وَأَهْلِ الْهَوَى
 أَرَاهِمُ أُمُورًا حَلَا وَرُدُّهُمَا وَأَعْطَاهُمُ السُّؤْلَ [كَيْفَ نَوَا] (١)
 وَلَا حَلَا الْوَصْلَ صَالُوا لَهُ وَرَأْمُوهُ مَلُؤُوا وَمَا رَوَا
 وَأُورِدُهُمْ سِرًّا سِرَارَهُمْ وَرُودًا إِلَى الْكَلِّ ذَا دَوَا
 وَمَا أَمَلُّ طَال إِلَّا وَهَهَا وَلَا أَمَلُّ صَال إِلَّا هَوَا

وقال يرثى ديكاً فقدته ، ويصف الوجد الذى وجده ، ويبكى من عدم
 أذانه ، إلى غير ذلك من مُسْتَطَرَف شأنه :

أُوودى به الحتف لما جاءه الأجل ديكاً فلا عوض منه ولا بدل
 قد كان لي أملٌ في أن يعيش فلم يثبت مع الحتف في بُغْيَالِهَا أَمَل
 فقدته فلعمري إنها عظيمة وبالمواعظ تذرى دمعها المُثْمَل
 كأن مطرفاً وثى فوق ملبسه عليه من كل حُسن باهر حُلل
 كأن إكليل كبرى فوق مفرقه وتاجه فهو على الشكل مُحْتَفَل
 مؤقت لم يكن بطريق له خطأ فيما يرتب من وردٍ ولا خَطَل
 كأن زرقيل فيما مرَّ علمه عِلْمُ الْمَوَاقِيتِ فِيمَا رَتَّبَ الْأَوَّل
 يرحل الليل يحيى بالصراخ فدا يصدُّه كَلَلٌ عَنْهُ وَلَا مَلَل
 رأيتُه قد وهنت منه القوى فهوى للأرض فعلا يُريه الشَّارِبُ الثَّمَل
 لو يُفتدى بديوك الأرض قلَّ له ذاك الفِدا ولكن فاجأ الأجل
 قالوا الدَّواء فلم يُغن الدَّوا ولم ينفعه من ذاك ما قالوا وسافعلوا

(١) هكذا وردت في الزيتونة ووردت بحرفة في الإسكوريال (كلا بهوا) .

أَمَلْتُ فِيهِ ثَوَاباً أَجْرٌ مُخْتَسِبٌ إِنَّ قَلْتُ ذَلِكَ صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ
 وَأَمْرُهُ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَادِسُ الْمُلُوكِ النَّصْرِيِّينَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ،
 وَقَدْ نَظَرَ إِلَى شُلَيْبٍ ^(١) . وَتَرَدَّى بِالثَّلْجِ وَتَعَمَّمَ ، وَكَمَّلَ مَا أَرَادَ مِنْ بَزْتِهِ ^(٢)
 وَتَمَّمَ ، أَنْ يَنْظُمَ أَبْيَاتاً فِي وَصْفِهِ ، فَتَمَّالَ بِدِيَهَةِ :

وشَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ	وما عِنْدَهُ عِلْمٌ بِطُولٍ وَلَا قِصْرٍ
عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السَّنَا	وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَحْكَمْتَهُ يَدُ الْبَشْرِ
وَطَوْرًا تَرَاهُ كُلَّهُ كَأَسِيًّا بَسَّهُ	وَكُسُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ النَّهْيِ عِبْرٌ
وَطَوْرًا تَرَاهُ عَارِيًّا لَيْسَ يَشْتَكِي	لِحَرٍّ وَلَا بَرْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى	عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرَ
فَذَاكَ شُلَيْبٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ الَّتِي	لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذَكَرْتُ قَدْ انْتَشَرَ
بِهَا مَلِكٌ [سَامِي الْمَرَاقِي أَطَاعَهُ] ^(٣)	كَبَارِ الْمُلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ
تَوَلَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بِعِصْمَةٍ	تَقْيِيهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضَرَرَ

نشره

ونشره كثير ما بين مخاطبات وخطب [ومقطعات] ^(٤) ولعب ، وزرديات
 شأنها عجب . فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي
 أضحية :

يقول شاكر الأيادي . وذاكر فخر كل نادى ، وناشر غرر العزير
 للعاكف والبهادي ، والرايح والغادي . إسمعوا مني حديثاً تَلَدَّهُ الْأَسْمَاعُ ،

(١) شُلَيْبٌ هُوَ الْجَبَلُ الشَّهْرُ الْمَرْفُوعُ عَلَى غَرْنَاطَةَ ، وَيُسَمَّى كَذَلِكَ حَيْلُ اللَّحْمِ ، وَبِإِسْمَائِيَّةِ
 Sierra Nevada . وَقَدْ سَبَقَ الْعَرَبُ بِهِ (أَنْبَاءُ الْمَلِكِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِحْمَالَةِ ص ٩٦ حَاشِيَةٌ)
 (٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورْدِيَالِ . وَفِي الرَّبْتُونَةِ (حَرْنَةُ) وَمَعْنَاهَا الْإِسْمُ الْمَذْمُومُ
 أَوْ السَّحَابُ الْمَطْرُ . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .
 (٣) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكُورْدِيَالِ . وَفِي الرَّبْتُونَةِ (سَائِرُ الرَّابِعِ طَائِعَةٌ) .
 (٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي الزَيْتُونَةِ ، وَسَاقَطَةٌ فِي الْإِسْكُورْدِيَالِ .

وَيَسْتَطِرْفُهَ الاسْتِمَاعَ . وَيَشْهَدُ بِحَسَنِهِ الْإِجْمَاعَ . وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِحْتِمَاعُ . وَهُوَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَمْ تَتَّفَقْ إِلَّا لِمِثْلِي وَلَا ذَكَرْتُ عَنْ أَحَدٍ قَبْلِي . وَدَلِكُ يَا مَعْشَرَ الْأَلْبِيَاءِ ، وَالخُلَصَاءِ الْأَحْيَاءِ . أَنِّي دَخَلْتُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ دَارِي . فِي بَعْضِ أَطْوَارِي ، لِأَقْضَى مِنْ أَخَذَ الْغِذَاءَ أَوْ طَارِي . عَلَى حَسَبِ أَطْوَارِي . فَقَالَتْ لِي رَبَّةُ الْبَيْتِ ، لَمْ جِئْتِ . وَبِمَا أَتَيْتِ . قُلْتُ جِئْتُ لِكَذَا وَكَذَا فَهَاتِ الْغَدَا ، فَقَالَتْ لَا غَدَا لَكَ عِنْدِي الْيَوْمَ . وَلَوْ أَوْدَى بِكَ الصَّوْمُ . حَتَّى تَسَلَّ الِاسْتِخَارَةَ ، وَتَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ زَوْجُ الْجَارَةِ ، طَيَّبَ اللَّهُ نِجَارَهُ . وَمَلَأَ بِالْأَرْزَاقِ وَجَارَهُ . قُلْتُ وَمَا فَعَلَ قَرِينِي . وَأَرْنِي مِنَ الْعَلَامَةِ مَا أَحْبَبْتِ [أَنْ] تَرِينِي . قَالَتْ إِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْعِيدِ . وَنَظَرَ فِي أَسْبَابِ التَّعْيِيدِ . وَفَعَلَ فِي ذَلِكَ مَا يَسْتَحْسِنُهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ . وَأَنْتِ قَدْ نَسِيتِ ذِكْرَهُ ؛ وَمَحَوْتَهُ مِنْ بَالِكَ ، وَلَمْ تَنْظُرِي إِلَيْهِ نَظْرَةً بَعِينِ اهْتِبَالِكَ . وَعِيدِ الْأَضْحَى فِي الْيَدِ . وَالنَّظْرَ فِي شِرَاءِ الْأَضْحِيَّةِ الْيَوْمِ أَوْفَقَ مِنَ الْعَدِّ . قُلْتُ صَدَقْتِ ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتِ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، وَشَكَرَ جَمِيلَ تَحْقِيقِكَ . فَلَقَدْ نَبَّهْتِ بَعْلِكَ لِإِقَامَةِ السُّنَّةِ ، وَرَفَعْتَ عَنْهُ مِنَ الْغَفْلَةِ مَنَّةً . وَالْآنَ أَسِيرُ لِأَبْحَثَ عَمَّا ذَكَرْتِ . وَأَنْظُرِي فِي إِحْضَارِ مَا إِلَيْهِ أَشْرْتِ . وَبِتَانَّتِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِسَعْدِكَ . وَتَنَالِينَ فِيهِ مِنْ بِلْوَغِ الْأَمْرِ غَايَةَ قَصْدِكَ . وَالْجِدُّ لَيْسَ مِنَ الْهَزْلِ ، وَالْأَضْحِيَّةُ لِلْمَرْأَةِ وَاللِّرْجَلُ الْغَزْلُ . قَالَتْ ذَعْنِي مِنَ الْخِرَافَاتِ . وَأَخْبَارِ الزَّرَافَاتِ . فَإِنَّكَ حَلَوُ اللِّسَانِ ، قَلِيلُ الْإِحْسَانِ . تَخَذْتَ الْغُرْبَةَ صُحْبَتِكَ إِلَى سَاسَانَ . فَتَهَاوَنْتِ بِالنِّسَاءِ ، وَأَسَأْتَ فِيمَنْ أَسَا . وَعُودْتَ أَكَلِ خُبْزِكَ فِي غَيْرِ مَنَدِيلِ . وَإِيقَادِ الْفَتِيلِ دُونَ قَنَدِيلِ ، وَسُكْنَى الْخَانَ . وَعَدَمِ ارْتِفَاعِ الدُّخَانِ . فَمَا تَقِيمِ مَوْسِمًا ، وَلَا تَعْرِفِ لَهُ مَيْسِمًا . وَأَخَذْتَ مَعِي فِي ذَلِكَ بِطَوِيلِ وَعَرِيضِ . وَكَلَانَا فِي طَرْفِ نَقِيضِ . إِلَى أَنْ قُلْتُ مَا إِزَارُكَ وَرَدَانِي ، فَقَدْ تَفَاقَمَ بِكَ أَمْرٌ دَائِي ،

وما أظنك إلا بَعْضُ^(١) أعدائي . قالت مالك والإزار ، شطُّ بك المزار ،
لعلك تريد إرْهانه في الأضحية والأبزار ، أخرج عنى يا مقيت ، لا عميرتُ
معك ولا بقيت ، أو عَدِمْتَ الدين ، وأخذ الورق بالعين . يلزمنى صوم
سنة ، لا أغفيتُ معك سنة ، إلا إن رجعت بمثل ما رجعت به زوج جارتي ،
وأرى لك الربح في تجارتي . ففقت عنها وقد لوت رأسها وولكت^(٢) ،
وابتدرت وهزلت ، وجالت في العتاب وصولت ، وضمت بنتها وولدها ،
وقامت باللجاج ، والانتصار بالحجاج أودها ، فلم يسعنى إلا أن عدوت
أطوف السكك والشوارع ، وأبادر لما غدوت بسبيله وأسارع ، وأجوب
الآفاق ، وأسبل الرفاق ، وأخترق الأسواق ، وأقتحم زريبة بعد زريبة ،
وأختبر منها البعيدة والقريبة ، فما استرخضته استنقصته ، وما استغلتيه
استعليته ، وما وافق غرضي ، اعترضنى دونه عدمُ غرضي ، حتى انقضى
ثلثا يومى ، وقد عييت بدورانى وهومى ، وأنا لم أتحصل من الابتياح على
فايدة ، ولا عادت علىّ فيه من قضاء الأرب عايده ، فأومأت الإياب ، وأنا
أجد من خوفها ، ما يجد صغار الغنم من الذئاب ، إلى أن مررت بقصاب
[يقصب]^(٣) فى مجزره ، قد شدّ فى وسطه مئزره ، وقصّر^(٤) أثوابه حتى
كشف عن ساقيه ، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مرفقيه ، وبين يديه عنز
قد شدّ يديه فى رقبتة^(٥) ، وهو يجذبه فيبرك ، ويجرّه فما يتحرك ، ويروم
سيره فيرجع القهقري ، ويعود إلى ورا ، والقصاب يشدّ على إزاره ، خيفة

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (من جملة) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (وولت) .

(٣) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (وربط) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (روقيه) . والتصحيح من الزيتونة .

من فراره ، وهو يقول : اقتله من جانِ باغٍ ، وشيطانِ طاغٍ ، ما أشده
وما ألدّه ، وما أصدّه ، وما أجده ، وما أكثره بشخْم ، وما أطيبه بلحم ،
الطلاق يلزمه ، إن كان عاين تَيْساً مثله أو أضحية تشبهه قبله ،
أضحية حَفِيلَة ، ومنحة جليلة . هناً اللهُ من رزقها ، وأخلف عليه رزقها .
فاقتحمت المزدحم ، أنظر مع من نظر ، وأختبر فيمن اختبر . وأنا والله
لا أعرف في التقليل والتخمين . ولا أفرق بين العجف والسمين ، غير أني
رأيت صورة دون البغل وفوق الحمار ، وهيكلًا يُخبرك عن صورة العمار ،
فقلت للقصاب كم طلبك فيه ، على أن تمهل الثمن حتى أوفيه ، فقال
ابغني فيه أجيرا ، وكن له الآن من الذبح مجيرا ، ونُخذ بما يرضى ، لأول
التقضي . قلت استمع الصوت ، ولا تخف الفوت . قال ابتعه مني نسيّة
ونُخذ هديّة ، قلت نعم ، فشقّ لي^(١) الضمير . وعاكسني فيه بالنقيير
والقطمير . قال تضمن لي فيه عشرين دينارا^(٢) أقبضها منك لانقضاء
الحول دُنيرا دُنيرا^(٣) . قلت إن هذا لكثير ، فاسمح منه بإحاطة اليسير .
قال والذي فلقَ الحبة ، وبرأ النّسمة ، لا أنقصك من هذا . وما قلت لك
سيمسة ، اللهم إن شئت السّعة في الأجل . فأقضى لك ذلك دون أجل ،
فجلبني للابتياح منه ، الإنساء في الأمد^(٤) . وغلبنى بذلك فلم أفتقر منه
لرأى والد ولا ولد ، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد ، وقلت قد
اشتريته منك ، فضّع البركة ، ليصحّ النّجح في الحركة . فقال فقيه ،
بارك الله فيه ، قد بعته لك . فاقبض متاعك . وثبت ابتياحك . وها هو في

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فشقني) .

(٢) وردت في الإسكوريال (كبارا) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دينار دينار)

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأجل) والمؤدى واحد

قَبْضِكَ ، فاشدُّدْ وثاقه ، وهلمَّ لنعمد عليك الوثاقه . فأنحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السعة إلى الضيق ، وأوثقني بالشادة تحت عمْد وثيق ، وحمّلتني من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق . ثم قال لي هذا تَيْسُكَ فشأنك وإياه ، وما أظنك إلا تَعْصِيَاهُ^(١) ، وأت بحمّالين أربعة ، فإنك لا تقدر أن ترفعه ، ولا يتأتى لك أن يتبعك ولا أن تتبعه ، ولم يبق لك من الكلفة إلا أن يحضل في محلّك ، فيكمل سرور أهلِكَ . وانطلقت للحمّال ، وقلت هلم إليّ ، وقم الآن بين يديّ ، حتى انتهينا إلى معجزة القصاب ، والعنز يُطلب فلا يُصاب ، فقلت أين التيس يا أبا أويس . قال إنه قد فرّ ، ولا أعلم حيث استقرّ . قلت أتضيع عليّ مالي ، لتخيب آمالي ، والله لا يُحزنك بالعصا كمن عصا ، ولا رفعتك إلى الحُكّام ، تُجرى عليك منهم الأحكام . قال مالي علم به ، ولا بمنقلبي ، لعلّه فرّ لأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيّه ، فعليك بالبريح . فاتجهت أنادي بالأسواق ، وجيران الزقاق ، من ثَمِف لي تيساً فله البشارة ، بعد ما أتى بالأمارة ، وإذا برجلٍ قد خرج من دهليز ، وله هدير وهزيز ، وهو يقول من صاحب العنز المشوم ، لا عديم به الشوم ، إن وقعت عليه عيني ، يرتفع الكلام بينه وبينى . قلت أنا صاحبه فما الذي دهاك مني أو بلغك عني . قال إن عنزك حين شرد، خرج مثل الأسد ، وأوقع الرهج^(٢) في البلد ، وأضرّ بكل أحد ، ودخل في دهليز الفخّارة ، فقام فيه وقعد ، وكان العمل فيه مطبوعاً ونياً ، فلم يترك منه شياً ، ومنه كانت معيشتي ، وبه استقامت عيشتي ، وأنت ضامن مالي ، فارتفع معي إلى الوالي ، والعنز مع هذا يَلُور وسط الجمهور ،

(١) مكدا في الإسكوريال ، وفي الزيتون (إلا أنك تنماه) .

(٢) مكدا في الإسكوريال . وفي الزيتون (الرهجة) .

ويكُرُّ كَرَّةً العِفْرِيَتِ المزجور ، ويأْتِي بالكَسْرِ على ما بقى في الدهليز من الطَّوْاجِنِ والقُدُورِ ، والخَلْقُ قد انحسروا للضجيج ، وكثُر العِيَاطُ والعَجِيجُ وأنت تعرف عَفْرَطَةَ البَاعَةِ ، وما يحوون من الوضاعة ، وأنا أحاول من أَخَذَهُ ما أستطيع ، وأرُومُ الإِطَاعَةِ من غير مُطِيع ، والبَاعَةُ قد أُكْسِبْتَهُ من الحمَاقَةِ ، ما لم يَكُنْ لِي به طَاقَةٌ . ورجل يقول المُحْتَسِبُ ، واعرف ما تَكْتَسِبُ ، وإِلى من تَنْتَسِبُ ، فقد كثر عنده بك التَّشْكِي ، وصاحب الدهليز قُبَالَتِهِ يبكي ، وقد وَجَدَ [عنده] ^(١) عَلَيْكَ وَجَدَ الشُّكُوى ، وأيقن أنك كَسَرْتَ الدَّعْوَى ، وأمر بإحضارك ، وهو في انتظارك ، فشدَّ وَسَطَكَ ، واحفظ إِبْطَاقَكَ ، وإنك تقوم على من فتح باعه للحكم على الباعة ، ونُصِبَ لأرباب البراهين على أرباب الشواهين ، ورفع على طبقة ، ليملاً طبقة ، ثم أمسكني باليمين ، حتى أُوصلني للأمين ، فقال لي أرسلت التيس للفساد كأنك في نعم الله من الحُساد . قلت إنه شَرَدَ ، ولم أدر حيث وَرَدَ ، قال ولم لا أخذت ميثاقه ، ولم تشدّد وِثاقه ، يا شرطى طرّده ، واطرح يدك فيه وجرّده . قلت أتجرّدني الساعة ، ولست من الباعة ، قال لا بدّ من ذلك أو تضمن ما أفسده هناك . قلت الضمان الضمان ، الأمان الأمان . قال قد أُمِنْتُ إن ضَمِنْتَ ، وعليك الثُّقَافُ ، حتى يقع الإنصاف ، أو ضامنٌ كافٍ ، فابتدر أحد إخواني ، وبعض جيراني ، فأدّى عني ما ظهر بالتقدير ، وآلت الحال للتكدير . ثم أردت الانصراف بالتيس ، لا كان كيانه ، ولا كَوْنُ مكانه ، وإذا بالشرطي قد دار حولي ، وقال لي كُلفَ فِعلِي بِأداءِ جَعَلِي ، فقد عطّلت من أجلك شُغْلِي ، فلم يك عندي بما تكسر سورتَه ، ولا بما تُطْفِي جَمْرَتَه ، فاسترهن مئزري في بيته لياخذ مايته ^(٢) . وتوجّهت لداري ، وقد

(١) زائدة في الزيتونة . (٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (هافته) .

تقدّمت أخبارى . وقدمت بغبارى . وتغيّر صغارى وكبارى . والتيس على
كاهل الحمّال . يرغو كالبعير . ويزأر كالأسد إذا فصلت العير . فلدت
للحمال إنزله على مهل . فهلال^(١) التعيد قد استهلّ ، فحين طرحه في
الأسطوان . كراً إلى العُدوان ، وصرخ كالشيطان . وهم أن يقفز الحيطان ،
وعلا فوق الجدار ، وأقام الرّهجة في الدار ، ولم تبق في الزقاق عجوز
إلا وصلت لتراه ، وتسل عما اعتراه ، وتقول بكم اشتراه ، والأولاد قد
[دارت به]^(٢) ، وأرهقهم لهُفه ، ودخل قلوبهم خوفه ، فابتدرت ربّة
البيت . وقالت كيت وكيت ، لا خلّ ولا زيت ، ولا حى ولا ميّت ،
ولا موسم ولا عيد ، ولا قريب ولا بعيد . سُقت العفريت إلى المنزل ،
ورجعت بمعزل ، ومن قال لك اشتره ، ما لم تره ، ومن قال لك سقه
حتى توثقه ، ومتى تفرح زوجتك ، والعنز أضحيّتك ، ومتى تطبخ القدور
وولئك منه معذور . وبأى قلب تأكل الشويّة ، ولم تخلّص لك فيه النيّة
واقلة سعيها ، وأخلف وعدّها . والله لو كان العنز يخرج الكنز ، ما عمّر
لى داراً . ولا قرب لى جواراً . أخرج عنى يا لكيع ، فعل الله بك وصنع ،
وما حبسك عن الكباش السّمان . والضّان الرّفيعة الأثمان ، يا قليل التّحصيل ،
يا من لا يعرف الخياطة ولا التّفصيل . أدلك على كبش سمين . واسع
الصدر والجبين . أكحل عجيب . أقرن مثل كبش الخطيب . يعبق من
أوداكه كلّ طيب . يغلب شحمه على لحمه . ويسيل الودك من عظمه ،
قد عُلف بالشعير . ودبرّ عليه أحسن تدبير . لا بالصغير ولا بالكبير ،
تصلح منه الألوان . ويستطرف شواه في كل أوان . ويستحسن ثريده

(١) و دت في الإسكوريال (١٤٠١) و تصوب من التريثونة .

(٢) ازيادة من التريثونة

وقليده في سائر الأحيان . قلت بيّني لي قولك . لأتعرّف فعلك . وأين تُوجد هذه الصّفة . يا قليلة المَعْرِفة . قالت عند مولانا ، وكَهْفِنَا وَمَأْوَانَا الرئيس الأعلى ، الشّهَاب الأَجَلِي ، القمَر الزّاهِر . الملك الظّاهر ، الذي أعزّ المسلمين بنِعْمَتِهِ ، وأذلّ المشركين بنِقْمَتِهِ . واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبّت كِفَايَةَ .

وفاته

في كايئة الطاعون ببيلده بلّش في أواخر عام خمسين وسبعماية ودفن بها .

عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى^(١) الصنّهاجى

الأديب المصنف ، يكنى أبا محمد .

حاله وأوليته

أبوهُ أديب مدينة الفرج بوادى الحجارة^(٢) ، المصنّف للمأمون بن ذى النون^(٣) كتاب « مغنيطاس الأفكار فيما تحتوى عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار » ، وكان أبو محمد هذا ما هراً ، كاتباً ، شاعراً ، رحّالاً . سكن مدينة شلب^(٤) . بعد استيلاء العدو على بلاده « بالشّفر » .

(١) نسبة إلى مدينة « وادى الحجارة » .

(٢) مدينة الفرج هو اسم يطلق على مدينة وادى الحجارة وبالإسبانية Guadalajara وهى مدينة أندلسية حصينة ، تقع على أحد أفرع نهر التاجه على مقربة من منابعه جنوبى الثغر الأعلى . وكانت أيام المسلمين من المواقع الأندلسية الأمامية ، ونشبت حولها خلال العصور المتوالية ، وقائع عديدة بين المسلمين والنصارى .

(٣) المأمون بن ذى النون ، هو من ملوك الطوائف ، وقد حكم طليطاة من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٦٧ هـ وكان من أعظم ملوك بنى ذى النون ، وأعظم ملوك الطوائف .

(٤) شلب Silves هى مدينة صغيرة بولاية الغرب الأندلسى تقع جنوبى البرتغال ، وإليها ينتسب الشاعر الكبير ابن عمار ، وقد كانت أيام بنى عباد قاعدة منطقة الغرب القصى ، وما زالت بها بعض أطلال قصر الشراييت الشهير .

وله في التَّحْوُلِ أشعار وأخبار . قَدَمَ غرناطة ، وقصد عبد الملك بن سعيد صاحب القلعة^(١) من بُنيَّاتها : واستأذن عليه في زِيٍّ موحِشٍ ، واستخَفَّ به القاعدون ببابه ، إلى أن لطف بعضهم ، وسأله أن يُعرِّفَ به القايِدَ ، فلما بُلِّغَ عنه ، أمر بإدخاله . فأنشده قصيدة مطلعها :

عليك أحوالي الذِّكر الجميل فجيئُ ومن ثُنَّايك لي دَليل
أتيتُ ولم أقدم من رسول لأنَّ القلب كان هو الرُّسول
منها في وصف زِيِّه البدوي المُستقل وما في طيِّه :

ومثَّلني بَدَنٌ فيه خمر يحف بها ومنظِّره ثَقيل
فأكرم نَزله ، وأحسَّن إليه ، وأقام عنده سنة ، حتى أَلَّفَ بالقلعة
كتاب « المُشهب في غرايب المغرب » ، وفيه التَّنْبِيه على الحُلَى البِلادية
والعبَّادية . وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطَة ، بعد أن عدَّله عن التَّحْوُلِ
عنه ، فقال النَّفس تواقَّة ، ومالي بالتَّغْرُبِ طاقة ، ثم أفكَّر وقال :

يقولون لي ماذا الملال تقيم في محلُّ فعند الأُنس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحَمَّام إذا شدا على غُصْنِ أَمَسَى بآخر نازلا

نكبته

قال علي بن موسى بن سعيد^(٢) : ولما قصد الحِجْرِي رُوطَة . وحلَّ

(١) القلعة أو قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب ، وهي الآن Alcalá la Real (القلعة الملكية) بلدة حصينة تقع شمالي غرناطة . وقد سبق التعريف بها (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية) .

(٢) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي من سادة قلعة بني سعيد التي سبقت الإشارة إليها . وهو أديب ورحالة . وسليل أسرة من الأدباء والمؤرخين ، وهو آخر من عصف من أسرته كتاب « المغرب في حلى المغرب » الشهير ، والذي توالى على تصنيفه عدة من أسلاف أسرته . وقد توفى بدمشق سنة ٦٧٣ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد .

لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود^(١) . وتحرك لغزو من قصده من البشكنس^(٢) ، فهزم جيشه ، وكان الحججاري أحد من أسر في تلك الواقعة ، فاستقر ببسقاية^(٣) ، وبقي بها مدة ، يُحرِّك ابن هود بالأشعار ويحثُّه على خلاصه من الأسار ، فلم يجد عنده زمامة ، ولا تحرك له اهتمامه ، فخطب عبد الملك بن سعيد بقوله :

أصبحت في بسقاية مسلماً إلى الأعدى لا أرى مسلماً
مكلفاً ما ليس في طاقتي هُصِّفَّدا مُنتَهراً مُرْعَمَا
أطلب بالخدمة واحسرتي وحالتي تقضى بسان أخذما
[فهل كريم يُرتجى للأسير يفكُّه أكرم به مُنتَمَا]^(٤)

وقوله :

أرئيس الزمان أغفلت أمرى وتلذذت تاركاً لي بأسر
ما كذا يعمل^(٥) الكرام ولكن قد جرى على المعود دهرى
فاجتهد في فدايه ، [ولم يمر شهر^(٦)] إلا وقد تخلص من أسره ،

(١) المستنصر بن هود ولد عماد الدولة عبد الملك بن المستعين بن هود ، وهو آخر بني هود ملوك سرفسطة . وكان بعد سقوط سرفسطة في أيدي المرابطين (سنة ٥٠٣ هـ) قد لجأ إلى بلدة روضة الحصينة الواقعة على نهر خالون جنوبي سرفسطة واستقر بها . ولما توفي خلفه في الإمارة ولده أبو جعفر أحمد الملقب بسيف الدولة المستنصر بالله ، واستمر في حكم روضة وما حولها تحت حامية ملك أراجون حتى خلع عنها سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) .

(٢) البشكنس Vascones هم سكان مملكة ولاية نذار (نبرة) الواقعة شمال غرب الثغر الأعلى بين سفوح البرنيه وخليج غسقونية .

(٣) بسقاية وبالإسبانية Vizcaya ، هي إحدى ولايات مملكة نافارا أو نبرة ، السالفة الذكر .

(٤) هكذا ورد هذا البيت في الزيتونة . وفي الإسكوريال كالاتي (فهل كريم يرتجى له فكاك يا أكرمهم منتا) وهو نص محرف .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (ويفعل) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتي (ولم تمر به أشهر)

واستقرَّ لديه . فكان طليق آل سعيد . وفيهم يقول

وجذر سعيداً مُنْجِباً خَيْرَ عُصْبَةٍ هم في نبي أعصارهم ^(١) كالمواسم
مُشَنَّفَةٌ أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ ^(٢) مُسَوَّرَةٌ أَيْمَانُهُمْ بِالصَّوَرَامِ
[فكم لهم في الحرب من فضل ناثِرٍ وكم لهم في السلم من فضل ناظِمٍ] ^(٣)

تواليفه

وتواليفه الحِجَارِي بديعة . منها « الحديقة » في السديع . وهو كتاب مشهور . ومنها « المسهب في غرائب ^(٤) المغرب » . وافتتح خطبته بقوله : « الحمد لله الذي جعل العباد من البلاد بِمَنْزِلَةِ الأرواح من الأجساد ، والأسياف من الأعماد » . وهو في ستة مجلدات ^(٥) .

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد
ابن الخطيب السلماني

يكنى أبا محمد .

« أوليته » ، تُنظر في اسم جدّه .

حاله

حسن الشكل . جيد الفهم ، يُغَطِّي منه [رماً] ^(٦) السُّكُون جُمرة حركة ، مُنْقَبِضٌ عن الناس . قليل البشاشة . حسن الخطِّ . وسط النظم . كتب

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (أزمهم)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي كتاب المغرب (بفضاير)

(٣) هذا البيت وارد في كتاب المغرب ، وساقط في الإسكوريال والزيتونة

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المغرب «فضاير» .

(٥) لم يذكر لك ابن الخطيب تاريخ وفاة الحجارى وقد توفي في سنة ٥٢٠ هـ (١١٥٥ م)

(٦) الزيادة من نفع الطيب

عن الأمراء بالمغرب ، وأنشدهم . واقتضى خلعهم وصكوكهم بالإقطاع والإحسان . ثم لما كانت الفتنه ، كتب عن سلطان وطنه ، مُعزّز الخُطّة بالقيادة ، وأنشدهم .

مشيخته

قرأ على قاضي الجماعة ، الشيخ الأستاذ الخطيب أبي القاسم الحسني ، والأستاذ الخطيب أبي سعيد فرج بن لبّ التغلبي ، واستظهر بعض المبادئ في العربية ، واستُجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره مُترَفَع عن الوَسَط إلى الإِجَادَة ، بما يكفله ^(١) عُذْر الحَدَاثَة ، وقد ثَبِت في اسم السلطان لهذا العهد ، أبي عبد الله بن نصر ، أيده الله ، ما يدل على جودة قريحته ، وذكاء طبعه . ومما دون الذي ثَبِت له حيث ذكر قوله :

لِمَنْ طَلَّلَ بِالرَّقْمَتَيْنِ مُحِيلٌ عَفَّتْ دِمْنَتَيْهِ شِمَالٌ وَقَبُولٌ
يلوح كباقي الوشم غيره البلى وجادت عليه السحب وهي همول
فيا سعدُ مهلاً بالركاب لعلنا نسايل ربعاً فالمحب سئول
قف العيسر ننظر نظرة تذهب الآسى ويشفى بها بين الضلوع غليل
وعرّج على الوادي المقدس بالحِمَى فطاب لديه مَرَبَعٌ وَمَقْمِيلٌ
فيا حبذا تلك الديار وحبذا حديثها للعاشقين طویل
دعوت لها ستميا الحمى [عندها سرى] ^(٢) وميض وعرف للنسيم عليل
وأرسلت دمعى للغمام مساجلاً فسال على الخدين منه مَسِيلٌ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يكلفه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ مكانها كلمة (وربوعه)

فأصبح ذلك الرُّبْعُ من بعد مَحَلِّه رياضاً لها الغُضنُ المُرُوحُ ^(١) يَمِيلُ
لَيْنَ حَالِ رَسْمِ الدَّارِ عَمَّا عَهَدْتَهُ وَعَهْدُ الهَوَى فِي القَلْبِ لَيْسَ يَحُولُ
وَمَا شَجَانِي بَعْدَ مَا سَكَنَ الهَوَى بِكَأَمْ حَمَامَاتٍ لَمَنْ هَدَيْلُ
توسَّدنَ فَرَعُ البَانِ والنَّجْمُ ما يَلُ وَقَدِ آنَ مِنْ جَيْشِ الظَّلَامِ رَحِيلُ
فيا صاحبي دَعُ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّهُ كَلَامٌ عَلَى سَمْعِ المُحِبِّ ثَقِيلُ
تَقُولُ اصْطَبَاراً عَنِ مَعَاهِدِكَ الأُلَى وَهِيَهَاتَ صَبْرِي ^(٢) مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَللهُ عِيناً مِنْ رَأْيِي وللأسَا غَدَاةً اسْتَقَلَّتْ بِالخَلِيطِ ^(٣) حُمُولُ
يُطَاوِلُ لَيْلَ التَّمِّ مَنَى مُسْهَدِ ^(٤) وَقَدِ بَانَ عَنِي مَنْزَلٌ وَخَلِيلُ
فِياليتَ شَعْرِي هَلْ يَعودُنَّ مَا مَضَى وَهَلْ يَسْمَحُنَّ الدَّهْرُ وَهوَ بِخَيْلِ ^(٥)

نشره

أجابني لما خاطبتُ الجُمْلَةَ مِنَ الكُتَابِ ، والسُّلْطَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،
بِالمُنْكَبِ . فِي رِحْلَةِ أَعْمَلِهَا بِمَا نَصَهُ :

« اللهُ مِنْ فَدَّةِ المَعَانِي ، حَيْثُ مَشُوقِ الفُؤَادِ عَانِي . لَمَّا أَنْارَتْ بِهَا المَعَانِي ،
غَنِينِ عَنِ مُطَرَّبِ الأَغَانِي ، يَا صَاحِبَ ^(٦) الإِدْعَانِي ، أَجِبْ بِاللَّهِ مِنْ دَعَانِي ،
إِذَا صِرْتَ مِنْ كَثْرَةِ الأَمَانِي . بِالشُّوقِ وَالوَجْدِ مِثْلَ مَانِي . وَرَدَّتْ سَحَاتِ
سَيْدِي الَّتِي أَنْشَأَتْ لَعَمَامِ الرِّحْمَةِ . عِنْدَ اشْتِدَادِ الأَزْمَةِ رِياحاً . وَمَلَأَتْ

(١) هَكَذَا فِي الإسْكَورِيالِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (الرُّطْبِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الإسْكَورِيالِ (بَيْكِي) . وَالأَوَّلَى أُرْجِحُ .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الإسْكَورِيالِ وَفِي النَّفْحِ ، وَوَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ (بِالنَّحِيطِ) .

(٤) وَرَدَتْ فِي الإسْكَورِيالِ وَالزَّيْتُونَةِ (مَسْعَدًا) وَالتَّصْحِيحُ مِنَ النَّفْحِ .

(٥) نَشَرْتُ القَصِيدَةَ بِأَكْلِهَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٤ ص ٢٦٨-٢٦٩) وَهِيَ فِي مَسْنُونِي .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الزَّيْتُونَةِ ، وَفِي الإسْكَورِيالِ (يَا صَاحِبِي) .

العيون محاسناً ، والصُّدُور انشراحاً ، وأصبح رحيب قِرطاسها ، وعميم
 فضلها [ونوالها]^(١) ، وأيناسُها لفرسان البلاغة ، مَغْدَى ومَرَاحاً . فلم
 أَدْر أَصْحِيْفَةَ نُسخَتِ مَسْطُورَةٍ ، أم رَوْضَةَ نُفِحتِ مَمْطُورَةٍ ، أَطِيبُ من
 المِسْكِ مُنْتَشِقًا ، وَأَحْسَنُ من السِّلِكِ مَتَسَقًا ، فَمَلَكْتُهَا مَقَادَةَ خَاطِرِي ،
 وَأَوْدَعْتُهَا سَوَادَ قَلْبِي وَنَاطِرِي ، وَطَلَّعْتَ عَلَيَّ طُلُوعَ الصُّبْحِ ، على عقب
 السُّرَى ، وَخَلَّصْتَ خَلُوصَ الخِيَالِ مع سِنَةِ الكَرَى . فَلَله ما جَلَبَتُ من
 أَنَسٍ ، وَأَذْهَبْتَ لطايفَةَ الشَّيْطَانِ من مَسٍّ ، وَهَاجَتِ من الشُّوقِ ، الِذِي شَبَّ
 عَمْرُهُ عَنِ الطُّوقِ ، وَالوَجْدُ الِذِي أَصْبَحَ وارِي الزَّنْدِ . فَأَقْسَمَ بِبَارِي النَّسَمِ ،
 وَوَاهَبَ الحِظُوظَ والقَسَمَ ، لو أَعْطَيْتُ لِنَفْسِ مَقَادَتِهَا ، وَسَوَّغْتُهَا إِرَادَتِهَا ،
 ما قَنِعْتُ^(٢) بِنِيَابَةِ القِرطاسِ والمِدَادِ ، عَن مُبَاشِرَةِ الأرواحِ والأجسادِ ، وَإِن
 أَعْرَضْتَ عَقْبَةَ للشُّعَيْرِ ، ورَأْسَ المِزَادِ [وَشَمَخَ بِأَنفِهِ وَزَادَ]^(٣) ، وما بَينَ
 ذَلِكِ من عَلمٍ بِأَذخِ ، وَطُودِ شامِخِ ، قَدِ أَذْكَرْتَ العِقبابَ عُقَابِهِ ، وَصَافَحتِ
 النُّجُومَ هِضابِهِ ، قَدِ طَمَحَ بِطَرْفِهِ . وَشَمَخَ بِأَنفِهِ ، وَسَالَ الوُقارِ على عَظْفِهِ :

مَلَكْتَ عِنانَ الرِّيحِ^(٤) رَاحَتُهُ فَجِياذُها من تَحْتِهِ تَجْرِي
 وَأَما الحَمَلُ^(٥) الهَايِجِ ، وَالبَحْرُ المُتَمَايِجِ ، وَالطَّلُّ المَايِلِ ، وَالذَّنَبُ
 الشَّايِلِ ، فَمُساجِلَةُ مَولايِ في ذَلِكِ المِجالِ ، من المِحالِ ، إِذِ العِمدُ قُصاراهِ
 أَلْفاظُ مَرَكَّبَةٍ ، غيرَ مَرْتَبَةٍ :

هُوَ جَهِدُ المُقِيلِ وَأَفْاكِ مَنِيَّ إِنَّ جُهِدَ المُقِيلِ غيرَ قَليلِ

(١) الزيادة من الزيتون .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتون (تمت) .

(٣) هذه العبارة وازدة في الزيتون ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتون (الرمح) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتون (الجمال) .

وأقرأ على مولاي ، أبقاه الله . سلاما عميما ، تنسم روضه نسيما ،
ورف نظره ، وعبق شميما ، والأوفر الأذكي منه عليه مُعادا ، ما سَفَحَ
السحاب إرعادا ، وأبرق الغمام رعدا والحسام أبعادا ، ورحمة الله وبركاته .
من عبده الشَّيْقَ لوجهه . عبد الله بن الخطيب ، في الخامس عشر لجمادى
الأولى عام تسعة وستين وسبعماية .

مولده : بحضرة غرناطة . يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة
وأربعين وسبعماية .

عبد الله بن محمد بن ساره البكري

شَنْتَرِينِي^(١) ، سكن ألمرية وغرناطة ، وتردد مادحا ومنتجعا [شرقاً
ومغرباً]^(٢) ويضرب في كثير من البلاد .

حاله

كان ذا حظّ صالح من النحو واللغة ، وحفظ الأشعار ، أديباً ماهراً ،
شاعراً مجيداً ، مطبوع الاختراع والتوليد . تجوّل في شرق الأندلس وغربها ،
مُعَلِّماً للنحو ، ومادحاً ولاتها ، وكتبَ عن بعضهم ، وتعيّش بالوراقة زماناً ،
وكان حسن الخطّ ، جيّد النقل والضبط .

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن الأخضر .

(١) نسبة إلى شترين . وبالبرتغالية Santarem ، وهي بلدة أندلسية قديمة من بلاد
الغرب الأندلسي وتقع على نهر التاجه ، شمال شرق أشبونة .

(٢) الزيادة من الزيتون .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن مسعود ، وأبو جعفر بن
الباذش ، وأبو عثمان بن هرون ، وأبو الظاهر التَّمِيمِي . وأبو العباس بن
علي اللص ، وأبو العلاء بن الجَنَان . وأبو محمد بن يوسف القضاعي ،
وإبراهيم بن محمد السَّبْتِي .

شعره

وشعره كثير [جيد] ^(١) شهير . منه في جِرْفَةِ الْوَرِاقَةِ قوله :

أما الورِاقَةُ فهى أَيْكَةُ حِجْرَفَةٍ أغصانها وثمارها الحِجْرمان
شَبَّهت صاحبها بإبرة خايطٍ يكسو العُسرَةَ وظَهْرُهُ عِريان

وقال في نَجْمِ الرَّحِيمِ ، وهو من التَّشْبِيهِ الْعَقِيمِ :

وكوكبٌ أبصر العِفرِيتَ مُشرقاً فانقضى يذكى سريعا خلفه قلبه
كفارسٍ حلَّ إخصاراً عمامته تجسرها كلها من خلفه عُدْبَهُ
وقال منه في المواعظ :

يا من يُصَيِّخُ إلى داعي السُّفاهِ وقد نادى به النَّاعِيانِ الشَّيبُ والكِبير
إن كنت لا تسمع الذُّكْرَ ففصيمٌ تَرى فى رأسك الواعِيانِ السَّمْعَ والبِقَر
ليس الأَصْمُ ولا الأَعْمى سِوى رجلٍ لم يُهداه الخادِيانِ العَيْنُ والأَنْسُرُ
لا الدهرُ يَبقى على حالٍ ولا الفَلَكُ الأعلى ولا النَّيرانُ الشَّمسُ والنَّمِر
لأَرْحَلَنَّ عن الدنيا ولو كَرَّها فراقها انشاويانِ البَدْهُ والحَضِر
وقال في موت ابنته له :

ألا ياموتُ كُنتُ بنا رؤوفاً فجددتُ السُّرورَ لنا بزورة
حَمَدنا سعيك المشكورَ لما كنفيتُ مؤنة وسترتِ عورة
فأنكحنا الضُّريحَ بلا صِداقٍ وجهزنا العروسَ بغيرِ شورة

(١) الزيادة من الزيتونة .

وفاته

توفي عبد الله بن ساره سنة تسع عشرة وخمسمائة .

عبد الله بن محمد الشراط

يكنى أبا محمد ، من أهل مالقة .

حاله

طالبٌ جليل . ذكي ، مدرك ، ظريف . كثير الصلِّف والخترُوانة^(١) والإزراء بمن دونه ، حادُّ النَّادرة ، مرسلٌ عِنان الدُّعابة . شاعرٌ مُكثِر ، يقوم على الأدب والعربية ، وله تقدُّم في الحساب ، والبرهان على مسأله . استُدعى إلى الكتابة بالباب السلطاني . واخنص بولى العهد . ونيط به من العمل ، وظيفٌ نبيه^(٢) ، وكاد ينمو عُشبه ، ويتأشب^(٣) جاهه ، لو أن الليالي أمهَلته ، فاعتبِطَ لأمد قريب من ظهوره ، وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، إحنةٌ . تخلَّصه الحِمام لأجلها ، من كفِّ انتقامه .

شعره

وشعره كثير ، لكنى لم أظفر منه إلا باليسير . نقلت من خطِّ صاحبنا القاضى المؤرخ أبي الحسن بن الحسن ، من نظم أبي محمد الشراط . فى معنى ، كان أدباء عصره ، قد كَلِمُوا بالنظم فيه ؛ يظهر من هذه الأبيات فى شَمعة :

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيونة (الخدعونة) والخر هو نغث

والإفساد ، والعدر أحياناً .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . ود الريتونة (ببيل) .

(٣) من تأشب أى تجمع .

وكنْتُ أَلِفْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِلْفًا
 وَكُنَّا مِثْلَ وَضَلِ الْعَهْدِ وَضَلًا
 فَفَرَّقَ بَيْنَنَا صِرْفُ اللَّيْسَالِي
 فَصِرتْ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ شَسْعًا
 فَدَمَعِي لَا يَتَمُّ أَسَىٰ وَجِسْمِي
 ثُمَّ فِي الْمَعْنَى أَيْضًا :

حَالِي وَحَالِكَ أَضَحَّتْ آيَةٌ عَجَبًا
 إِذَا دَنَوْتُ فَإِنِّي مُشْعَرٌ طَسْرَبًا
 كَذَاكَ الشَّمْعُ لَا تَنْفِكُ حَالَتَهُ
 وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا :

رَحَلْتُمْ وَخَلَفْتُمْ مَشُوفَكُمْ نِسْبِيَا
 فَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَاعْتَصَصَ مَذْهَبِي
 وَمَا بَاخْتِيَارِ شَتَّتِ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
 فَذَا أَضْلَعِي لَمْ تَخْبُ مِنْ أَجْلِكُمْ جَوِيَّ
 كَأَنِّي شَمْعٌ فِي فِئَادِ وَأَدْمَعِ
 وَذَكَرَ لِي ، أَنَّ هَذَا صَدَرَ عَنْهُ فِي مَجْلِسِ أَنْسٍ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ عَيْسَى بِمَالِقَةَ ، بِحَضْرَةِ طَايِفَةٍ مِنْ ظُرَفَاءِ الْأَدْبَاءِ .

وفاته

كان حيا سنة سبعمائة ، وتوفي بقرنطة ، وهو على حاله من الكتابة ،
 رحمه الله .

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (ينفط) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (نومي) .

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التجارى^(١)
يكنى أبا القاسم ، ويعرف باسم جدّه ، من أهل مالقة ، وصاحب القلم
الأعلى لهذا العهد بالمغرب .

حاله

هذا الفاضل نسيحٌ وحده ، فهماً وانطباعاً ، ولودعيّة ، مع الدّين
والصّون ، مُعِمٌّ ، مخولٌ في الخير ، مُستولٍ على خصال حميدة ، من خطّ
وأدب وحفظ ، مشاركٌ في معارف جملة . كتب ببلده عدلاً رضى ، وأنشد
السلطان عند حلوله ببلده . ورحل عن بلده إلى المغرب ، فارتسم في كتابة
الإيشاء بالباب السلطاني ، ثم بان فضله ، ونبّه قدره ، ولطف محلّه ،
وعاد إلى الأندلس ، لما جرّت على سلطانه الهزيمة بالقيروان^(٢) ، ولم ينتشله
الدهر بعدها مع جملة من خواصّه . فلما استأثر الله بالسلطان المذكور ،
مؤسوم التّمحيص ، وصيرّ أمره إلى ولده بعده ، جنح إليه ، ولحق
ببابه ، مُقترن الوفادة ، بيمن الطّائر ، وسعادة النّصبية ، مظنة الاصطناع ،
فحصّل على الحظوة ، وأصبح في الأمد القريب ، محلاً للبتّ وجليسا في
الخلوة ، ومؤتمنا على خُطة العلامة ، من رجل ناهض بالكلّ ، جليد على
العمل ، حذر من الذّكر ، متقلّص ذبل الجاه ، مُتهيب^(٣) ، غزير المشاركة ،

(١) هكذا وردت واضحة في الإسكوريال والزيتونة وجذوة الاقتباس . ووردت في
الكتيبة الكامنة (بيروت ص ٢٥٤) البخارى وهو تحريف .

(٢) من الواقع أن ابن الخطيب يشير هنا أولا إلى السلطان أبي الحسن المريني ، ثم يشير
ثانيا إلى ولده السلطان فارس أبي عثمان ، وهو الذي خرج عليه عقب هزائمه في حملته إلى تونس ،
وانزع الملك نفسه (٧٥٢ هـ) واستمر في الحكم حتى وفاته في سنة ٧٥٩ هـ . وقد أشار ابن خلدون
في التعريف إلى ذلك صراحة عند ذكره لابن رضوان ، حيث قال إنه كان ممن ورد في جملة السلطان
أبي الحسن . (راجع التعريف - القاهرة ١٩٥٢ - ص ٢٢ و ٢٣) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (متصيب) .

مطفّفٍ في حقوق الدُّول ، عند انخفاض الأسعار ، جالبٍ لسوق المُلْك ما يُنفق فيها . حارُّ النَّادره . مليح التَّندير ، حُلُو الفكاهة . غَزَلٍ مع العفة . حافظ للعيون . مُقدِّم في باب التَّحسين والتَّنقيح . لم ينشِب المَلِكُ أن أنس منه بهذه الحال ، فشَدَّ عليه يدَ الغِبطه . وأنشَب فيه فيه برائين الأثره : ورمى إليه بمقاليد الخِدمة . فسَمَّا مكانه : وعلا كعبه . ونما عُشه . وهو الآن بحاله الموصوفة : من مفاخر قُطره . ومناقب وطنه . كثر الله مثله .

مشيخته

قرأ ببليده على المُقرى أبي محمد بن أيوب ، والمُقرى الصالح أبي عبد الله المهندس^(١) ، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق ، وروى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر بن منظور . وبغرناطة عن جلّة ، منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب . وقاضي الجماعة أبو الفاسم بن أحمد الحسني ، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبيد المُهيمن الحَضْرَمِي ، والقاضي أبا إسحق إبراهيم بن أبي يحيى ، وأنا العباس بن ربه بن السبتي . وبتلمسان عن أبي عبد الله الآبلي . وأبي عبد الله بن الشجاع وغيرهما . وبتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام . وغير جماعة غيرهم .

شعره

ونظمه ونشره متجاربان لهذا العهد في ميدان الإجداد . أما شعره فمُتناسب الوضع . سهل المأخذ ، ظاهر الرّوء . مُحكّم الإمرة للتَّنفيح . وأما نشره

(١) مكذافي الإسكوريال . وى الربوة (المدى)

فطريف السجع ، كثير الدالة ، مطيع لدعوة البدية ، وربما استعمل الكلام المرسل ، فجرى يراعُه في ميدانه مليء عِنانه .

وجرى ذكره في « التاج » أيام لم يفهق حوضه ، ولا أزهر روضه ، ولا تباينت سماؤه ولا أرضه . بما نصه : أديب أحسن ماشا ، وفتح قلبه^(١) فملاً اللؤلؤ وبل الرشا . وعانى على حدائته الشعر والإنشا ، وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ، ومجد وديانة . ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون . فما مال إلى فساد بعد الكون . وله خط بارع . وفهم إلى الغوامض مسارع . وقد أثبت من كلامه ، ونفثات أقلامه ، كل محكم العقود ، زارياً بنت العنقود . فمن ذلك قصيدة أنشدها للسلطان أمير المسلمين^(٢) ، مهنياً بهلاك الأسطول الحربى بالزقاق الغربى^(٣) ، أجاد أغراضها وسبك المعانى وراضها ، وهى قوله :

لعلكما أن ترعياً^(٤) لى وسايلا فبالله عوجا بالركاب وسايلا
بأوطان أوطار قفا ومساربي^(٥) وبالحب خصا بالسلام المنازلا
ألا فانشدا بين القباب من الحما فوادشج^(٦) أضحي عن الجسم راحلا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (قليله) .

(٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا ، هو السلطان يوسف أبو الحجاج ملك الأندلس الذى حكم من سنة ٧٣٣ إلى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) .

(٣) الزقاق الغربى يقصد بها هنا مضيق جبل طارق أو جبل الفتح كما كان يسمى عندئذ ، وكان النصارى (القشتاليون) قد ضربوا حوله الحصار فى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) بقصد الإستيلاء عليه . ولكنهم منوا بالفشل ، ودب الوباء إلى قواتهم . وهلك فيه ملكهم ألفونسو الحادى عشر ، وهلكت معظم سفنهم المحاصرة ، وانسحبوا إلى ترك الحصار والانسحاب ، وذلك فى سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) .

(٤) هكذا ورد فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (تعوجا) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ومآرب) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (شجى) .

وَبُنَا صَبَابًا هُنَالِكَ وَاشْرَحَا
 رَعَى اللَّهُ مَثْوَاكُمْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
 وَهَلْ لَزِمَانٍ بِاللَّوَى سَقَى اللَّوَى
 فَجَطَّيْ بَعِيدُ الدَّارِ مِنْهُ بِقُرْبِهِ
 لَقَدْ جَارَ دَهْرِي أَنْ نَأَى بِمَطَالِبِي
 وَحَمَلْنِي مِنْ صَرْفِهِ مَا يُوْدُنِي ^(١)
 عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَاغْتَدَى لِي عَاتِبَا
 أَتَعْتَبْنِي إِذْ قَدْ أَفْدَتَكَ مَوْقِفَسَا
 مَلِيكَ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْخُلُقِ الرُّضَا
 مَلِيكَ عَلَا فَوْقَ السَّمَاكِ فَطَرْفَهُ
 إِذَا مَا دَجَا لَيْلُ الْخَطُوبِ فَيَشْرُهُ
 نَمَاهُ مِنَ الْأَنْصَارِ غَرَّ أَكَابِرِ
 تَلَوَا شُورَ النَّعْمَاءِ فِي حِزْبِهِمْ كَمَا
 تَسَامَتْ لَهُمْ فِي الْمَعْلُوتَاتِ مَرَاتِبِ
 عِصَابَةِ نَصْرِ اللَّهِ طَابَتْ أَوْاخِرَا
 لَقَدْ كَانَ رَبُّعُ الْمَجْدِ مِنْ قَبْلِ خَالِيَا
 إِذَا يُوسُفُ مِنْهُمْ تَلْسُوحُ يَمِينِهِ
 كِتَابِيهِ فِي الْفَتْحِ تَكْتَبُ أُسْطَرَا
 عَوَامِلُهُ بِالْحَذْفِ تَحْكُمُ فِي الْعِدِ
 يَبْدُدُ جَمْعَ الْكُفْرِ رُعبَا وَهَيْبَةً

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (يوده) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (ودايلا) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بهلال) ، والأولى أرجح .

ومنها في وصفه الأسطول واللقاء :

ولما استقامت بالزقاق أساطل
 رآها عدو الله فانفض جمعسه
 ومن دهش ظن السواحل أبحرا
 ومن جندكم هبت عليه عواصف
 تفرقهم أيدي سببا وتبيدهم
 وعهدى بمرّ الرياح للنار موقدا
 وكان لهم برد العذاب ولم يكن
 حداهم هواهم للإسار وللفنسا
 فهم بين عان في القيود مُصَفَّد
 ستهلك ما بالبر منهم جنودكم^(١)

واستقلّت نلسعود محافلا
 وأبصر أمواج البحار أساطلا
 ومن رعب خال البحار سواحلا
 تدمر أدناها الصلاب الجنادلا
 فقد خلّفت فيهم حساما وذابلا
 فقد أطفأت تلك الحروب المشاعلا
 سلاماً وما كأدوه قد عاد باطلا
 فما أفلتوا من ذا وذاك حبايلا
 وفان عليه السيف أصبح صايلا
 كما أهلكت من كان بالبحر عاجلا

وقال أيضا يمدحه :

نشرت لواء النصر واليمن والسعد
 أعدت لنا الدنيا نعيماً ولسدة
 بنوركم والله يكلأ نـوركم
 تحلى لكم بالملك نحسرو لبة
 مآثركم قد سطرته يد العسلا
 بمدحك للقرآن أثني منزلا
 كفاكم فخارا أنه لكم أب
 ثناؤكم هذا أم الوسك نافع

وأطلعت وجه اليسر والأمن والرشد
 ألا للمعالي ما تُعيد وما تُبد
 تبدت لنا سبل السعادة والرشد
 فراق كذاك العجيد يزدان بالعقد
 على صفحات الفخر أو مفرق الحداد
 وقد حزتم مجدا بجدكم سعد
 ومن فخره إن أنت تدعوه بالجد
 وذكركم أم عساظر العنبر الورد

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جودم) والأول أنسب للمعنى

أَجَلٌ ذَكَرْكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقٍ
 طَلَعَتْ عَلَى الْآفَاقِ نَوْرًا وَبِهَجَّةٍ
 وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلَاقِ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ
 وَلَوْ أَنِّي قُفْتُ سَحْبَانَ وَابْسَلُ
 لَمَا قُمْتُ بِالْمِعْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ

كما أنكم أجلى وأعلا لمشهد
 فما أنت إلا البدر في طالع السعد
 ودُم في خلود الملك والنصر والسعد
 وأرَبَيْتُ في شعري على الشاعر الكند
 من الجود والأفضال والبذل والرِّفْد^(١)

وقال في شيخه أبي بكر بن منظور رحمه الله :

جَلَالُكَ أَوْلَى بِالْعُلَا الْمَخْلُودِ
 لِمَجْدِكَ كَانَ الْعَزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا
 فَهَنَيْتَ بِالْفَخْرِ السَّنَى مَحَلَّهُ
 تَشَبَّهْتُ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ عَوَارِفِ
 وَمَا حَزَّتْ مِنْ مَجْدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ
 لَقَدْ نَبَّأْتَنِي بِالرُّوْحِ^(٢) لِعَزِّكُمْ
 تُحَدِّثُنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
 دَلِيلِي بِهَذَا أَنَّكَ الْمَاجِدُ الَّذِي
 لِيَفْخُرَ أَوْ لَوْ الْفَخْرُ الْمَنِيْفُ بِأَنَّكُمْ
 إِمَامُ عُلُومٍ مُعْتَلَى الْقَدْرِ لَمْ يَزَلْ
 وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَيلَ أَمْرَهَا
 إِذَا الْحَقُّ أَبَدَى نَوْرَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ
 وَإِنْ جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ

وذكرك أعلى الذكر في كل مشهد
 وأنت للأولى بأرفع سُودد
 بمقعد خير العالمين محمد
 وهنيت بالمجد الرفيع المُجدد
 وخولت من نعمي وأسديت من يد
 وما لك من مجد ورفعة مَحْتَدِ
 مخايل إسعاد تروح وتغسد
 بأن سوف تلقى كاملا كل مقصد
 تسامى علوا فوق كل ممجد
 لهم علم أعلى به الكل مُقتدى
 رداء المعالي والعوارف يرتد
 جلا لها برأى الحقيقة مُرشد
 رأيت له حد الحسام المهند
 سواسية ما بين دانٍ وسسيد

(١) وردت هذه القصيدة في هامش اللوحة 234 من مخطوط الإسكوريال . وم ترد في

مخطوط الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالعام) .

بقاضي حليم في القضاء مُسَدِّد
وأحيا بما أولاه شريعة أحمد
لأمر بعُرف أو ليزام بمسجد
وللشريعة البيضاء يهدى ويهتدى
وإحسانه للمعتفين بمرصد
فما إن بنى عن مُطلق أو مُقيد
بشيمته الغراء في الفضل يُبتدى
ويا طارقاً يطوى السرى كلَّ فدفد
تجد خيرَ نارٍ عندها خيرَ موقد

هنياً لنا بَلُّ للقضاء وفضله
أَمَات به الرحمن كل ضلالة
وكاينُ تراء لا يزال ملازماً
وما زال قِدماً للحقيقة حامياً
ويمنح أفضالاً ويولى أيادياً
يُقيد أحراراً بمنطق جموده
نعم إن يكن للفضل شخص فإنما
أيا نائراً أسنى المعارف والغنا
ألا الق عصا التسيار واعش لناره

ومن مقطوعاته قوله :

برحماك آمالي فصيح يقيني
وحسني يقيني باليقين يقيني

تبرأت من حولي إليك وأيقنت
فلا أرهب الأيام إذ كنت ملجأ

ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطه ، قال مما نظمه فلان ، يعني نفسه

في كتاب الشفا ، نفع الله به :

هل زانها إلا الأيمة معشر
آى الكتاب وخارتها الأعصر
يوم القيام إذا يهول المخسر
فخرأ هديهم للنعم الأكبر^(١)
منهم وحوله الفخار الأظهر

سل بالعلی وسنى المعارف يبهر
وهل للمفاخر غير ما شهدت به
هم ما هم شرفاً ونيل مزائب
ورثوا الهدى عن خير مبعوث به
وعياض^(٢) الأعلى قداحاً فى العلى

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتونة كالاتى : (ففخارهم حول العظيم الأكبر) .

(٢) هو الفقيه الحافظ عياض بن موسى اليحصبي السبكي (٤٧٦-٥٤٤هـ) . وسوف يترجم له

ابن الخطيب فيما بعد فى الإحاطة .

بشفايه^(١) تشفى الصدور وإنه
هو للثوالف روح صورتها وقل
أفنت محاسنه المدايح مثل ما
وله اليد البيضاء في تأليفه
هو مورد الهيم العطاش هفت
فيه ننال من الرضى ما نبتغى
أنظر إليه تميمة من كل ما
لكأننى بك يا عياض مهنا
لكأننى بك يا عياض منعم
لكأننى بك يا عياض متوجاً
لكأننى بك راوياً من حوضه
فعلى محبته طويت ضمائرا
ها إنهن لشرعة الهادى الرضا
فجزاك رب العالمين تحية
وسقى هزيم الودق مضجعك الذى
وقال فى محمل الكتب :

أنا الحبر فى حمل العلوم وإن تقل
أقيد ضروب العلم ما دمت قائما
خدمت بتقوى الله خير خليفه
أبا سالم لزال فى الدهر سالما

بأنى حلى عن خلاهن تسدل
وإن لم أقم فالعلم عنى بمغزل
فبوانى من قربه خير منزل
يسوغ من شرب المنا^(٢) كل منهل

(١) الإشارة هنا إلى كتاب القاضى عياض « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » وهو أشهر كتبه . وظاهر أن القصيدة كلها تقرىظ ومديح للتماضى عياض وكتابه المذكور .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الملا) .

وكان قد رأى ليلة الإثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعماية
 في النوم ، كأن الوزير أبا علي بن عمر بن يعقوب بن عمران القُدودي ، يأمره
 أن يجيب عن كلام من كتب إليه . فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم ،
 ولم يحفظ منها غير هذين البيتين :

وإني لأجزى^(١) بما قد أتاه
 صديقي احتمالاً لفعل الحرفاء
 بتمكين ودِّ وإثبات عهد
 وإجزال حمد وبذل حياء
 ومن نظمه في التورية :

وبخيلٍ لما دعوه لسكنى
 منزل بالجنان صنّ بذاك
 قال لي مخزن بدارى فيه
 جلُّ ما لي فليست للدار شك
 لا تعرج على الجنان بسكنى
 ولتكن ساكناً بمخزن مالك
 ومن ذلك أيضا :

يا ربّ منشأة عجبت لسانها
 وقد احتوت في البحر أعجب شان
 سكنت بجنيسها عصابة شدة
 حلّت محلّ الروح في الجنان
 فتحركت بإرادة مع أنها
 في حُسنها ليست من الحيوان
 وجرت كما قد شاء سكانها
 فعلمت أن السرّ في السكان
 ومن ذلك أيضا قوله :

وذى خِدادٍ دعوهُ لاشتغال
 وما عرفوه غثاً من سمين
 فأظهر زُهدَهُ وغنى بمال
 وجيشُ الحرّص منه في كمين
 وأقسم لا فعلتُ بمن خبّ
 فيسا عجباً لخلاف مهين
 يمتدّ بسيره ويمين حلفٍ
 ليأكلَ باليسار وباليمين

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لانجز) .

شئ من نشره

خاطبته من مدينة سلا بما نصه ، حسبما يظهر من غرضه :
 مرضتُ فأيامى لذاك مريضة وبرؤك مقرون ببرىء اعتلالها
 فما راع ذاك الذات للضر رائع ولا وُسِمت بالسقم^(١) غرُّ خلالها
 وينظر باقى الرسالة فى خبر التعريف بمؤلف الكتاب^(٢)
 فراجعنى عن ذلك بما نصه :

متى شئت ألى من علايك كل ما يُنيل من الآمال خير منساها
 كبير اعتلال من دعايك زارنى وعادات بر لم ترُم عن وصالها
 أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطوِّلاً بتأكيد البرِّ ، متفضلاً بموجبات
 الحمد والشكر . وردتني سِماة سيدى المشتملة على معهود تشريفه ، وفضله
 الغنى عن تعريفه ، متحفياً فى السؤال عن شرح الحال ، ومُعلنأ ما تحلَّى
 به من كرم الخلال ، والشرف العال ، والمعظم على ما يسرُّ ذلك الجلال ،
 الوزارى ، الرياسى ، أجراه الله على أفضل ما عوده ، كما أعلى فى كل
 مكرمة يده ، ذلك ببركة دُعائه الصالح ، وحبِّه المُخيم بين الجوانح .
 والله سبحانه المحمود على نعمه ، ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه
 المستول أن يسنى لسيدى قرارَ خاطر ، على ما يسره فى الباطن والظاهر .
 بِمَنِّ الله وفضله ، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته . كتبه
 المعظم الشاكر ، الداعى المحب . ابن رضوان وفقه الله .

ومما خالبنى به ، وقد حوت بينى وبين المتغلب على ددلتهم ، رُقاغ ،
 فيها سلم وإيتاع ما نصه :

(١) دكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزنتونة (بالنسر) .

(٢) تشغل ترجمة ابن الخليل نفسه السفر الثنى عشر من كتاب « الإحاطة » الذى يبدأ

بلوحه ٤٢٥ ، من مخطوط الإسكوريال (١٦٧٣ ديرنبور) ، وهو خاتمة أسفار الكتاب .

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وخطراً ، وسما ذكره في الأندية الحافلة
 ثناءً وشكراً ، وسما فخره في المراتب الدينية والديوية حمداً وأجراً ،
 أبغاك الله جميل السعي ، أصيل الرأي ، سديد الرمي ، رشيد الأمر والنهي ،
 ممدوحاً من بُلغَاءِ زمانك ، بما يقصر بالنوايع^(١) والعشي ، مفتوحاً لك
 باب القبول ، عند الواحد الحق . وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية ،
 وللإحسان غاية ، ولشاهد الحسن تبريز ، ولثوب الأدب تطريز ، وفي النقد
 إبريز ، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجايبه ، ولا يحيد الفضل كله
 عن مذاهبه ، من كل أسلوب طار في الجو إغراباً وإغراباً ، ومَلَك من سحر
 البيان خطاباً ، وحميد ثناهُ مُطالاً وحديثاً مُطاباً ، شأن من قَصَرَ عن شأو
 البلغاء ، بعد الإغياء ، ووقف دون سباق البديع بعد الإغياء ، فلم يُشَقُّ
 غُبارهُ ، ولا اقتُفِيَتْ إلا بالوهم آثاره ، فإله من سيدي إتحاف سر ما شاء ،
 وأحكَم الإنشاء ، وبر الأَكابر والأنشاء ، فما شئت من إفصاح وكتابة ،
 وبر ورعاية ، وفهم وإفهام ، وتخصيص وإبهام ، وكنج لطف النفس وقمع ،
 وخفض في الجواب ورفع ، وتحرج وتورع ، وترقص وتوسع ، وجماع
 وأصحاب ، وعتب وإعتاب ، وإدلال على أحباب ، إلى غير ذلك من أنواع
 الأغراض ، والمقاصد السالمة جواهرها من الأعراض ، جملة جمعت المحاسن ،
 وأمتعت السامع والمُعاین ، وحلت من امتناعها مع السهولة الحرَم ، إلا من
 زاد الله تلك المعارف ظهوراً ، وجعلها في شرع المكارم دُلى ونوراً . وأما
 شكر الجناب الوزاري ، أسماه الله ، بحكم النياية عن جلالكم . فقد
 أبلغت فيه حمدى ، وبذلت ما عندى ، ووُدّى لكم وُدّى ، ووَرَدّى لكم

(١) هكذا ورتت في الإسكوريال . وفي الزينونة (بالنوايع) .

من المُخالصة لكم وِرْدَى ، وكل حالات ذلك الكمال ، مُجْمَع على تفضيله ،
مُعْتَمَد من الثناء العاطر بإجماله وتفضيله . وأما مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ أَخِي وَسِيدِي
الفقيه المعظم ، قاضي الحضرة وخطيبها ، أبو الحسن ، أدام الله عزته ،
وحَفِظَ أَخُوْتَهُ ، فقد قرر من أوصاف كمالانكم ، ما لا تُنْهَى بتقريره
الأمثلة من أولى العلم بتلك السجيا الغرِّ ، والشيم الزهر ، وما تحلّيتم به
من التقوى والبرِّ ، والعدل والفضل ، والصبر والشكر ، ولحمّل المتاعب
في أمور الجهاد ، وترك الملاذ والدعة في مرضاة رب العباد ، والإعراض عن
الفانية ، والإقبال على الباقية ، فيالها من صفات خلعت السعادة عليكم
مطارفها ، وأجزلت عوارفها ، وجمعت لكم تالدها وطارفها ، زكّى الله ثوابها
وجدد أثوابها ، ووصل بالقبول أسبابها . وذكر لي أيضا من حسناتكم ،
المنقبة الكبيرة ، والقربة الأثيرة ، في إقامة المارستان بالحضرة^(١) ،
والتسبب في إنشاء تلك المكرمة المبتكرة ، التي هي من مهمات المسلمين
بالمحل الأعلى ، ومن ضروريات الدين بالميزية النفضلى ، وما ذخره القدر
لكم من الأجر ، في ذلك السعي المشكور ، والعمل المبرور ، فسرتني لتلك
المجادة ، إحراز ذلك الفضل العظيم ، والفوز بثوابه الكريم ، وفخره
العميم . ومعلوم ، أبقاكم الله ، ما تقدم من ضياع الغربا والضعفا ، من
المضي فيما سلف هنالك ، وقبل ما قدر لهم من المرتفق العظيم وبذلك ،
حتى أن من حَفِظَ قول عمر رضى الله عنه . والله لو ضاعت نخلة بشاطيء
النرات . لخننت أن يُمأل الله عنها عمر . لاشك في أن من تقدم من أهل

(١) يشير الكتاب هنا إلى المارستان الكبير الذى أنشاه ابن الخطيب بحضرة غرناطة أيام
وزارته الثانية . وذكر لنا أنه كان يفوق بسعته وروعة تنظيمه . ارسلنا القاهرة الشهير (راجع المجلد
الثاني من الإحاطة ص ٥٠٠) .

الأمر هُنَالِكُمْ ، لا بَدَّ مِنْ سؤَالِهِ عَسَّ ضَاعَ لِعَدَمِ الْقِيَامِ بِهَذَا الْوَاجِبِ الْمُغْفَلِ .
والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّكُمْ بِهِ مِنْ مَزِيَّةِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِخَلِيفَةٍ خَيْرًا ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا ، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ ، وَإِنْ
ذَكَرَ أَعَانَهُ .

وَأَمَّا « كِتَابُ الْمَحَبَّةِ » ^(١) فَقَدْ وَقَفَ الْمُعْظَّمُ عَلَى مَا رَجَّهْتُمْ مِنْهُ ،
وَقَوْفًا ظَهَرَ بِمَزِيَّةِ التَّأَمُّلِ ، وَعَلِمَ مِنْهُ مَا تَرَكَ لِلْآخِرِ لِلْأَوَّلِ ، وَلَمْ يَشْكَ فِي
أَنَّ الْفَضْلَ لِلْحَاكِي ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْبَاكِي وَالْمُتْبَاكِي . حَقًّا لَقَدْ فَاقَ التَّأَلِيفُ
جَمْعًا وَتَرْتِيبًا ، وَذَهَبَ فِي الطَّرْقِ الصُّوفِيَّةِ مَذْهَبًا عَجِيبًا . وَلَقَدْ بَهَرَتْ مَعَانِيهِ
كَالْعَرَائِسِ الْمَجْلُوءَةِ حَسَنًا وَنَضَارَةً ، وَبَرَعَتْ ^(٢) بِبَدَائِعِهِ وَرَوَائِعِهِ سَنَى وَإِنَارَةً ،
وَأَلْفَاظًا مُخْتَارَةً ، وَكَوْوَسًا مُدَارَةً ، وَغِيوِثًا مِنَ الْبَرَكَاتِ مُدْرَارَةً ، أَحْسِنَ
بِمَا أَدَّتْهُ تِلْكَ الْغُرُرُ السَّافِرَةُ ، وَالْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ ، وَالْخَمَائِلُ النَّاطِرَةُ ، وَاللَّالِيَةُ
الْمُفَاخِرَةُ ، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ . أَمَا إِنَّهُ لِكِتَابٍ تَفْصِيحٌ زُبْدَةُ الْعُلُومِ ، وَثَمَرَةٌ
الْفُهُومِ ، وَإِنْ مَوْضُوعُهُ لِلْبَابِ الْبَابِ ، وَخُلَاصَةٌ الْأَبَابِ ، وَفَذَلِكَ الْحِسَابُ ،
وَفَتَحَ الْمَلِكُ الْوَهَّابُ ، سَنَى اللَّهُ لَكُمْ وَلَنَا كَمَالَهُ ، وَبَلَغَ الْجَمِيعَ مَنَا آمَالَهُ ،
وَجَعَلَ السَّعْيَ فِيهِ خَالِصًا لِوَجْهِهِ ، وَكَفَيْلًا بِمَعْرِفَتِهِ بِمَنِّهِ وَكِرَمِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ
يُبْقِي بَرَكَتِكُمْ ، وَيَكْفُلُ ذَاتِكُمْ الْكَرِيمَةَ وَحَوَازَتِكُمْ ، بِفَضْلِهِ [وَطَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ] ^(٣)
وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ^(٤) يَخْتَصُّكُمْ بِهِ كَثِيرًا أَثِيرًا ، مُعْظَّمًا مَقْدِرًا كُمْ ، وَمُلْتَمَزًا
إِجْلَالَكُمْ وَإِكْبَارَكُمْ ، ابْنُ رِضْوَانٍ ، وَفَقْدَهُ اللَّهُ ، وَكُتِبَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ
لِرَجَبٍ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(١) « كِتَابُ الْمَحَبَّةِ » أَوْ « رَوْضَةُ التَّعْرِيفِ بِالْحَبِيبِ الشَّرِيفِ » هُوَ مِنْ أَعْمِ سَبِّ ابْنِ الْحَبِيبِ .
وَبِرَاجِعِ فِي التَّعْرِيفِ بِهِ وَأَسْبَابِ تَأْلِيفِهِ ، انْجَلِدُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِحَاطَةِ (ص ٦٢) .
(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَبَهْرَتِ) .
(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الزَّيْتُونَةِ (وَقُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ) .
(٤) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (الْكَثِيرِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الزَّيْتُونَةِ .

وهو الآن بحاله الموصوفة : أعانه الله . وله ترددٌ إلى حضرة غرناطة ،
واجتياز وإمام^(١) .

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن
محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن
عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر
غرناطى ، قلعى^(٢) الأصل ، سكن مالقة .

حاله

قال صاحب « الطالع »^(٣) هو المشهور باليربطول^(٤) . زاد على أخيه بخفة
الروح ، وطيب النوادر ، واختار سكنى مالقة ، فما زال بها ، يمشى على
كواهل ما تعاقب فيها من الدول ، ويقلب طرفه ، مما نال من ولاياتها^(٥) ،
بين الخيل والخول ، حتى أن ابن عسكر ، قاضى مالقة وعالمها ، كان من
جملة مَنْ مدحه ، وتوسل به إلى بلوغ أغراضه عند القوم ، وصنّف له
شجرة الأنساب السعيدية . وكان قبيح المنظر ، مع كونه من رياحين الفضل
والأدب . فمن الحكايات المتعلقة بذلك ، أنه دخل يوما على الوالى
بغرناطة ، السيد أبى إبراهيم ، وجعل يساره ، وكان مُختصا به ، واقتضى

(١) توفى ابن رضوان النجارى بألف سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (جذوة الأقباس - القسم
الثانى - ص ٤٣٧) .

(٢) قلعى الأصل نسبة إلى قلعة بحصب أو قلعة بن سعيد . وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو كتاب « الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد » لأبى الحسن على بن موسى المعروف
بابن سعيد الأندلسى وقد سبقت الإشارة إليه .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (اليربطول) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ولاياتها) .

ذلك أن رَدَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل ، عميد البلدة ، أبي الحسن سهل بن مالك ، ثم التفت فردَّ وجهه إليه ، وقال اعتذرُ لكم بأمر ضروري فقال أبو الحسن ، إنما تعتذر لسيدنا ، فانقلب المجلس ضحكاً . ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمي المشهور أيضا بخفة الروح ، وكان مسلَّطاً على بني سعيد ، فبينما هو واقف ، إذ النخاس ينادى على فرَس ، فمُ يشرب من القادوس ، وعَيْنٌ تحصد بالمنجل ، فقال له يا قايد أبا محمد ، سرُّ بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي ، ولا أقدر لك بحيلة ، فعلم مقصده ، ولم يخف عليه أن تلك صورته ، فقال سل جارتك عنها ، فمضى لأمه ، وأوقع بينها وبينه ، فحلف أن لا يدخل عليها الدار . قال أبو عمران بن سعيد ، واتفق أن جُرَّت بدار أم الحضرمي ، فرأيته إلى ناحية ، وهو كئيب مُنكسر ، فقلت له ما خبرك يا أبا يحيى ، فقال لي عن أمه وعن نفسه ، النساء يرمين أبناء الزنا صغاراً ، وهذه العجوز الفاعلة الصانعة ، ترميني ابن خمسين سنة ، فقلت له وما سبب ذلك ، فقال ابن عمك يوسف الجمال ، لا أخذ الله له بيد ، فمازلتُ حتى أصلحتُ بينها وبينه .

ومن نوادر أجوبته المُسكتة ، أنه كان كثير الخِططة بمراكش لأحد السادة ، لا يفارقه ، إلى أن ولى ذلك السيد . وتمول ، واشتغل بدُنياه عنه . فقيل له ، نرى السيد فلانا أضرب عن صُحبتك ومُنادمتك ، فقال . كان يحتاج إلى وقتاً كان يتبخَّر بي ، وأما اليوم فإنه يتبخَّر بالعود والند والعُمبر . وقال له شخص كان يُلقب « بفُسيوات » في مجلس خاص . أي فائدة في « اليربطول » ، وفيه ذاً يُحتاج إليه ، فقال له لا تقل هذا ، فإنه يقطع رايحة الفسا . فودَّ أنه لم ينطق . وتكلم شخص من المُترفين

فقال ، أمس بعنا الباذنجان التي بدار خالتي ، بعشرين مثقالا ، فقال
لو بعتم الكريز التي فيها لساوي أكثر من مائة .
وأخباره شهيرة ، قال أبو الحسن علي بن موسى ، وقعت في رسائل
الكاتب الجليل ، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي ، على رسائل في حق
أبي محمد اليربطول ، ومنه إليه ، فمنها في رسالة عن السيد أبي العلاء
صاحب قرطبة ، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة ، ويصلكم به إن شاء الله ،
القايد الأجل الأكرم ، الحسيب الأجد الأنجد ، أبو محمد أدام الله
كرامته ، وكتب سلامته ، وهو الأكيد الحرمة ، القديم الخدمة ، المرعى
[المائة والذمة]^(١) المستحق البر في وجوه كثيرة ، ولیمان أثيرة ، منها
أنه من عقب عمار بن ياسر رضوان الله عليه ، وحسبكم هذا مجدا مؤثلا ،
وشرفا موصلا ، ومنها تعين بيته وسلفه ، واختصاصهم من النجابة
والظهور ، بأنوّه الاسم وأشرفه ، وكونهم بين معتكف على مضجعه ، أو
مجاهد بمرهقه ومثقفه ، ومنها سبقتهم إلى هذا الأمر العزيز ، وتميزهم
بأثرة الشفوف والتّمييز ، ومنها الانقطاع إلى أخيكم ، ممدّ موره ومصنّره ،
وكرم مغيبه ومحضره ، وهذه وسایل شتى ، وأذمة قلّ ما تتأتى لغيره .

وفاته

كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستماية ، قال الريبس ، أبو عمر بن
حكّم ، شاهدته قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي أيام ثورته^(٢) ، وهو
بشنتلية^(٣) مع وفاد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستماية .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزبوتنة (الأمانة والحرمة) .
(٢) هو أبو محمد بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ، وكان حينما اضطرب أمر
الخليفة الموحدية في أوائل القرن السابع الهجري واليا على حيان ، فلما نهى السيد عبد الله بن يعقوب
المنصور بالأندلس ، داعيا لنفسه بالخلافة ، منسحبيا على حيان ، خرج عليه ، وأهض بدوره يدور
النفس بالخلافة في منطقة حيان ، واستولى إلى حيان حيان على أباة ورياسة ثم مرطاد . ورفعه
بالبياسي واستمرت ثورته زهاء ثمانية أموام ، ثم أهل فرطية لإفراطة في محالفة النصارى . وقائلوه
حتى قتل (٦٢١ - ٦٢٣ هـ)
(٣) شنتيلة أو شنتبالة بلدة أندلسية تقع على مقربة من نهر شنبيل جنوبي قرطبة وشرقي إستجة .

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيبي
من أهل أرجدونه^(١) من كورة ريه ، يكنى أبا محمد ، ويعرف
بابن أبي المجد .

حاله

كان من أعلام الكور سلفاً ، وترتّباً ، وصلاحاً ، وإنبأً ، ونيةً في
الصالحين ، مُتَّسِعُ الدَّرْعِ للوارد ، كثير الإيثار بما تيسر ، مليح التخلُّق ،
حسن السَّمْت ، طيب النفس ، حسن الظن ، له حظ من الطُّلب ، من
فقه وقراءات وفريضة ، وخَوْضٍ في طريقة الصوفية ، وأدب لا بأس به ،
قطع عُمَرَه خطيباً وقاضياً ببلده ، ووزيراً ، وكتب بالدار السلطانية ، في
كل ذلك لم يفارق السَّداد .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزبير . رَحَلَ إليه من وطنه عام
اثنين وتسعين وسبائة ، ولازمه وانتفع به ، أخذ عنه الكتاب العزيز
والعربية ، وسمع عليه الكثير من الحديث ، وعلى الخطيب الصوفي
المحقق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري ، وعلى الخطيب
المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد ، وسمع على الشيخ القاضي
الراوية أبي محمد التَّبَعْدِي ، والوزير المَعْمَر المحدث الحَسِيب أبي محمد
بن النعم بن سِمَاك العاملي ، والعدل الراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور .
وزراً ممالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخَّار ، وأجازه من أهل المشرق طائفة .
(١) أرجدونه أو أرشدونه وبالإسبانية Archidona هي بلدة أندلسية قديمة تقع شمال ،
مالمدة في منطقة وعة تحيط بها الجبال .

شعره

مما حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد . قال نظم الفقيه
القاضي الكاتب أبو بكر بن شيرين بيت الكتاب مألّف الجملة ،
رحمهم الله ، هذين البيتين :

ألا يا مُجِبَّ المصطفى زِدْ صَبَابَةً وَضَمِّخْ لسانَ الذِّكْرِ مِنْهُ بِطِيبِهِ
وَلَا تَعْبَأَنَّ بِالْمُبْطِلِينَ فَإِنَّمَا عِلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ
فَأَخَذَ الْأَصْحَابُ فِي تَذْيِيلِ ذَلِكَ . فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب رحمه الله :
فَمَنْ يَعْمرُ الْأَوْقَاتَ طُرّاً بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدَى كَنَصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُعْرَضاً طُولَ دَهْرِهِ فَكَيْفَ يَرْجِيهِ شَفِيعَ ذُنُوبِهِ
وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية :

أليس الذي جَلَى دُجَا الْجَهْلِ هَدْيُهُ بِمُورِ أَقَمْنَا بَعْدَهُ نَهْتَادِي بِهِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دَابِهِ شُكْرُ مُنْعَمٍ فَمَشْهُدُهُ فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ
وقال أبو بكر بن أرقم :

نبيُّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحَيْرَةٍ إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيبِهِ
فَهَلْ يَذْكَرُ الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ وَيَغْمَطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ
وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد فقال رحمه الله ما ذلّا كذلك :

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا حِجَابُكَ ذَكَرَهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عَيْبِهِ
وَذَكَرُ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُعْجِقٍ قَسَائِلُ بُوْجُوبِهِ
وقال يوماً شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في
اختيار الأذهان :

جَاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَسَا فَتَنَبَّتْ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلِيَكُنْ حَكَاكُ الْمَسَدِّ فِيهَا حَكْمُ سَعْدِ نِي تَنْلِسُهُ لِلْيَهُودِ

قال ، فأجابه أبو محمد بن أبي المجد :

أيها العارف المُعَبِّرُ ذوقنا عن معانٍ غزيرة في الوجود
 إن حال الفنا عن كل غير لمقام المُراد غير المُريد
 كيف لي بالجهاد^(١) غير معان وعدوه مُظاهراً بجنسود
 ولو أني حكمت فيمن ذكرتم حُكم سعد لكنت جد سعيد
 فأراها صِباة^(٢) بي فتوناً وأراني في حبيها كيزيد
 سوف أسلوب بحبكم عن سواها^(٣) ولو أبدت فعل المحبِّ الودود
 ليس شيءٌ سوى إلهك يبقو واعتبر صدق ذا بقول لبيد

وفاته

توفي رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعماية . وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم ، وتظهر عليه حالٌ ، لا يتمالك معها ، وربما أُوْحِشت من لا يعرفه بها .

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي ، تلمسائي يكنى أبا محمد ، وينتمي إلى بني زيان من بيت أمراءهم :

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر ... قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون ، وله بأحواله عناية ، وله إليه تردد كثير وزيارة . قال ورد الأندلس مع أبيه ، وهو طفل صغير . واستمر بقمثورية

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بالجماد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (حباة) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (هداها) والأولى أرجح .

في ديوان غزائها . ولما توفي أبوه ، سلك مسلكه برهة ، ورفض ذلك ، وجعل يتردد بين الولد ، وانقطع لشأنه .

حاله

هذا الرجل غريب النزعة في الانقطاع عن الخلق ، ينقطع ببعض جبال بني مشرف ، واتخذ فيها كهوفاً وبيوتاً من الشعر أزيد من أربعين عاماً ، وهلم جراً ، منفرداً ، لا يُداخل أحداً ، ولا يُلابسه من العرب ، ويجعل الحلفاء في عنقه^(١) اختلف فيه ، فمن ناسب ذلك إلى التلبيس وإلى لوثته تأتيه ، وربما أتاب بشيء ، ويطلبون دُعاؤه ومُكالمته ، فربما أفهم ، وربما أبهم .

محنته

ذكروا أنه ورث عن أخ له ما لا غنياً ، وقدم مالقة ، وقد سُرق تاجر بها ذهباً عيناً ، فأتهم بها ، فجرت عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع ، ثم ظهرت براءته ، وطلب الحاكم الجاير منه العفو ، فعفا عنه ، وقال لله عندى حقوق وذنوب ، لعل بهذا أكفرها ، وصرف عليه المال فأباه ، وقال لا حاجة لي به فهو مال سوء ، وتركه وانصرف ، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر .

شيء من أخباره : استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى ، وتفريج الكُرَبات^(٢) إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة . وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة ، وهو عام سبعين وسبعماية .

مولده : بتلمسان عام تسعين وستماية . ودخل غرناطة غير ما مرة .

(١) هنا كلمات ممحاة استحالت قراءتها .

(٢) هنا بقية قائمة يتخللها المحو ، فرأينا الإغضاد عنها .

قال الفقيه أبو الطاهر منها في عام عشرة وسبعماية [١].

عبد الله بن فرج بن غزّون اليحصبي

يعرف بابن العسال ، ويكنى أبا محمد ، طليطلى الأصل . سكن
غرناطة واستوطنها ، الصالح المقصود الثري ، المبرور البقعة ، المفزع
لأهل المدينة عند الشدة.

حاله

قال ابن الصيرفي ، كان رحمه الله ، فذاً في وقته ، غريب الجود ،
طرفاً في الخير والزهد والورع ، له في كل جو مُتَنَفِّس ، يضرب في كل
عِلْمٍ بِسَهْمٍ ، وله في الوعظ توالييف كبيرة ، وأشعاره في الزهد مشهورة ،
جارية على ألسنة الناس ، أكثرها كالأمثال جيّدة الرضعة ، صحيحة المباني
والمعاني . وكان يُحَلِّقُ في الفقه . ويجلس للوعظ . وقال الغافقي ، كان
فقيهاً جليلاً ، زاهداً ، مُتَفَنِّئاً ، فصيحاً لَسِيناً ، الأغلِبُ عليه حفظ الحديث
والآداب ، والنحو ، حافظاً ، عارفاً بالتفسير ، شاعراً مطبوعاً . كان له
مجلس ، يُقْرَأُ عليه فيه الحفظ والتفسير ، ويتكلم عليه ، ويقصُّ من
حِفْظِهِ أَحَادِيثَ . وألّف في أنواعٍ من العلوم ، وكان يعظ الناس بجامع
غرناطة ، غريباً في وقته ، فذاً في دهره ، عزيزاً الوجود .

مشيخته

روى عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب ، وأبي عمرو ، المقرئ الداني ،
وأبي عمر بن عبد البر ، وأبي إسحق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد ،

(١) وردت هذه الترجمة ، في بضعة أسطر قاتمة وممحاة في آخرها ، في هامش اللوحة 239
لإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة . وقد رأينا أن نثبتها هنا بالرغم مما تخللها من الحو والسقط الكثير .

وعن أبيه فرَج ، وعن أبي زيد الحشا^(١) القاضى ، وعن القاضى أبي الوليد الباجى .

شعره

وشعره كثير ، ومن أمثل ما رُوى منه قوله :
لست وَّجِيها [لدى إلهي]^(٢) في مبدأ الأمر والمعاد
لو كنت وَّجِيها لما برانى في عالم الكون والفساد

وفاته

توفى رحمه الله يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة [وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين . ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال . وكان له يوم مشهود ، وأوقد نيف على الثمانين رحمه الله ، ونفع به]^(٣) .

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، أمير المؤمنين الناصر لدين الله الخليفة الممتنع ، المجتود ، المظفر ، البعيد الذكر ، الشهير الصيت .

حاله

كان أبيض ، أشهل ، حسن الوجه ، عظيم الجسم ، قصير الساقين .

(١) هكذا الإسكوريال . وفي الزيتونة (النشا) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (هذا الأمر) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في هامش الإسكوريال ، استكمال واستدراك . ووارد في

مكانه بالزيتونة .

أول من تسمى أمير المؤمنين ، ولي الخلافة ، فعلا جده ، وبعده صيته ، وتوطأ ملكه ، وكان خلافته كانت شمسا نافية للظلمات ، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته ، على حداثة السن ، وجدة العمر ، فجدد الخلافة ، وأحيا الدعوة ، وزين الملك ، ووطد الدولة ، وأجرى الله له من السعد ، ما يعظم عنه الوصف ، ويجل عن الذكر ، وهياً له استنزال الثوار والمنافقين ، واجتثاث جراثيمهم .

بنوه : أحد عشر ، منهم الحكم الخليفة بعده ، والمنذر ، وعبد الله ، وعبد الجبار .

حُجَّابُه : بدر مولاة ، وموسى بن حُدَيْر .

قضاة : جملة منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن بَقِيٍّ ، ومنذر

ابن سعيد البلوطي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راض .

أمه : أم ولد تسمى مُزْنَةَ . وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع

وتسعين ومائتين^(١) .

دخوله إلى البيرة

قال المؤرخ ، أول غزوة غزاها بعد أن استَحَجَبَ بدرا مولاة ، وخرج

إليها يوم الخميس رابع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة مَفْوضاً إليه ، ومُستدعياً نصره ، واستيلاف الشاردين ، وتأمين الخائفين ، إلى ناحية كورة جَبَّان ، وحصن المُنتَلون ، فاستنزل منه سعيد بن هذيل ،

(١) هكذا ورد هذا التاريخ في الزيتونة . وفي الإسكوريال (تسع وسبعين ومائتين)

وكلاهما خطأ . والصواب أن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر) بويع له في مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠ هـ .

وأُنبأ إليه من كان نافرأً عن الطاعة ، مثل ابن اللبانة وابن مسرة ودحون الأعمى^(١) ، وانصرف إلى قرطبة ، وقد تجول ، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان . وبسطة وناجرة^(٢) وإلبيرة وبجانة والبشرة وغيرها بعد أن عرض نفسه عليها . وعلى عهده توفي ابن حفصون . وجرت عليه هزيمة الخندق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وطال عمره ، فملك نيفاً وخمسين سنة ، ووجد بخطه ، أيام السرور التي صفت لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا ، فعدت ، فوجدت أربعة عشر يوماً .

وفاته

في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة^(٣) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية

يكنى أبا المطرف ، ويلقب بالمرتضى .

حاله وصفته

(١) هكذا وردت هذه الأسماء في المخطوطين . وليس فيها ما يطابق الاسم الصحيح سوى ابن مسرة . وهو الفقيه الفيلسوف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) . وقد اتهم أيام الناصر بالكفر والزيغ ، وأصدر الناصر في حقه خطابه المشهور بدحض بعض آرائه وتكفيرها (راجع كتابي دولة الإسلام في الأندلس - الطبعة الرابعة - ص ٤٣٠ - ٤٣٤ و ص ٦٩٨ - ٦٩٩) .

(٢) وردت في المخطوطين (وتاجلة) . وهو تحريف و نعتقد أن الصواب ما أثبتناه .

(٣) هذه الترجمة التي اختصرها الناسخ من الترجمة الأصلية لعبد الرحمن الناصر ، هي مع الأسف ترجمة ضئيلة مضطربة ، مليئة بالأخطاء التاريخية ، وهي بهذه الصورة لا يمكن نسبتها كما هي إلى ابن الخطيب ، وقد كتب ابن الخطيب عن عبد الرحمن الناصر فصلاً قويا جزلاً قيماً في كتابه « إعمال الأعلام » (طبع بيروت) ص ٢٨ - ٤١ . وراجع ما ورد عن عبد الرحمن الناصر من فصول متماثلة في كتابي دولة الإسلام في الأندلس (الطبعة الرابعة) ص ٣٧٢ - ٤٦٣ .

كان أبيض أشقر أفتى ، مخفف البدن ، مدور اللحية ، خيراً ،
فاضلاً . من أهل الصلاح والتقوى ، قام بدولته خيران العامري ، بعد
أن كثر السؤال عن بني أمية ، فلم يجد فيهم أسداً للخلافة منه ، بورعه
وعفاهه ، ووقاره ، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده ، فاستجاب
الكل إلى الطاعة ، بعد أن أجمع^(١) الفقهاء والشيوخ ، وجعلوها شورى ،
وانصرفوا يريدون قرطبة ، وبدأوا^(٢) بصنّهاجة بالقتال ، فكان نزوله
بجبل شقشتر على محجة واط .

وفاته

يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمائة . وكانت
الهزيمة على عساكر المرتضى ، فتركوا المحلات وهربوا ، وفشى^(٣) فيهم
القتل ، وظفرت صنّهاجة من المتاع والأموال ، بما يأخذه الوصف ، وقتل
المرتضى في تلك الهزيمة ، فلم يوقع له على أثر ، وقد بلغ سنه نحو
أربعين^(٤) .

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن
أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

يكنى أبا المظرف ، وقيل أبا زيد ، وقيل أبا سليمان ، وهو الداخل
إلى الأندلس ، والمجدد للخلافة بها لذريته ، والملقب بصقر بني أمية^(٥) .

(١) وردت في الزيتونة (أجمعوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٢) وردت في الزيتونة (أبدوا) والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في الزيتونة (وفشوا) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت هذه الترجمة في الزيتونة فقط . ولم ترد في الإسكوريال .

(٥) المعروف المتداول أن عبد الرحمن بن معاوية الداخل يلقب « بصقر قریش » وليس

« بصقر بني أمية » .

حاله

قال ابن مفرّج ، كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، راجح العقل ، راسخ العلم ، ثابت الفهم ، كثير الحزم ، فذَّ العزم ، بريئا من العجز ، مستخفا للثقل ، سريع النهضة ، متّصل الحركة ، لا يَخُلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دَعَة ، ولا يَكِل الأمور إلى غيره ، ثم لا ينفرد بإيرامها برأيه . وعلى ذلك فكان شجاعا ، مقداما ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، قليل الطمأنينة ، بليغا ، مُفَوِّهاً ، شاعراً مُحْسِنًا ، سَمِحًا ، سَخِيًا ، طَلِقًا^(١) اللسان ، فاضل البنان ، يلبس البياض ، وَيَعْتَمُّ به ويؤثره . وكان أُعْطِيَ هَيْبَةً من وليّه وعدوّه لم يُعْطَها واحد من الملوك في زمانه . وقال غيره ، وألّفى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغرا من أنأى الشغور القاصية ، غُفلا من سمة المُلك ، عاطلا من حِلْيهِ الإمامة ، فأزْهَبَ أهله بالطاعة السلطانية ، وحرّكهم بالسيرة الملوكية ، ورفعهم بالآداب الوسطية^(٢) ، فألبسهم عما قريب المودّة ، وأقامهم على الطريقة . وبدأ يدوّن الدواوين ، وأقام القوانين ، ورفع الأواوين . وفرض الأعطية ، وأنفذ الأفضية ، وعقد الألوية ، وجنّد الأجناد ، ورفع العِماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للمُلك آله ، وأخذ للسلطان عُدَّتَه .

نبذة من أوليته

لما ظهر بنو العباس بالمشرق ، ونجا فيمن نجا من بنى أمية ، معروفًا بصفته عندهم ، وخرج يُؤم المغرب لأمرٍ كان في نفسه ، من مُلك الأندلس ، اقتضاه حدثان . فسار حتى نزل القيروان ، ومعه بدرٌ مولاة ، ثم سار حتى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حلو) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (الواسطية) .

لحق بأخواله من نينزة ، ثم سار بساحل العُدوة ، في كنف قوم من زفاته ،
 وبعث إلى الأندلس بداراً ، قد اخل له بها من يوثق به ، وأجاز البحر إلى
 المُنكَب ، وسأل عنها ، فقال نكَبُوا عنها ، ونزل بشاط من أحوازها ،
 وقدم إليه أولو دعوته ، وعقد اللوا ، وقصد قرطبة في خبر يطول ،
 وحروب مُبيرة ، وهزم يوسف الفهري ، واستولى على قرطبة ، فبُوع له
 بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن خمس وعشرين
 سنة .

دخوله إلى البيرة

قالوا ، ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، لحق بالبيرة
 فامتنع بحصن غرناطة ، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معوية ، وأحاط
 به ، فنزل على صلح ، وانعقد بينهما عقد ، ورهته يوسف ابنيه أبا زيد
 وأبا الأسود ، وشهد في الأمان وجوه العسكر ، منهم أمية بن حمزة الفهري ،
 وحبيب بن عبد الملك المرواني ، ومالك بن عبد الله القرشي ، ويحيى بن
 يحيى اليحصبي ، ورزق بن النعمان الغسالي ، وجدار بن سلامة المذحجي .
 وعمر بن عبد الحميد العبدري ، وثعلبة بن عبيد الجذامي ، والحريش
 ابن حوار السلمى ، وعتاب بن علقمة اللخمي ، وطالوت بن عمر اليحصبي ،
 والجراح بن حبيب الأسدي ، وموسى بن خالد ، والحُصين بن العقيلي ،
 وعبد الرحمن بن منعم الكلبي ، إلى آخرين سواهم ، بتاريخ يوم الأربعاء
 لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة . نقلت أسماء من
 شهد ، لكونهم ممن دخل البلدة ، ووجب ذكره ، فاجتزأت بذلك ، فرارا
 من الإطالة ، إذ هذا الأمر بعيد الأمد ، والإحاطة لله .

بلاغته ونثره وشعره

قال الرّازى ، قام بين يديه رجل من جنّد قنّسرين ، يستنجد به .
وقال له ، يا ابن الخلايف الراشدين والسّادات الأكرمين ، إليك فرّزنا .
وبك عُذت من زمنٍ ظلوم ، ودهرٍ غشوم ، قلّل المال ، وذهب الحال .
وصيرّ إلىّ بذاك المنال ، فأنت ولىّ الحمد ، ورُبىّ المجد ، والمرجو للرفد .
فقال له ابن معاوية مسرعا ، قد سمعنا مقالتك ، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله ؛
من إراقة وجهك ، بتصريح المسئلة ، والإلحاف فى الطلّبة ، وإذا ألمّ بك
خَطْبٌ [أو دهاك أمر ، أو أحرقتك حاجة]^(١) فارفعه إلينا فى رُقعة
لا تعدو ذكيا ، تَسْتُرْ عليك خِلَّتكَ ، وتكفُّ شماتة العدوِّ بك ، بعد
رَفْعِها إلى مالِكنا ومالِكها ، عن وجهه ، بإخلاص الدُّعاء ، وحسن النية
وأمر له بجائزة حسنة . وخرج الناس يعجبون من حسن منطقته ، وبراعة
أدبه .

ومن شعره قوله ، وقد نظر إلى نخلة بمُنية الرّصافة ، مُفردةً ، هاجت
شَجْنَه إلى تذكّر بلاد المشرق :

تبدأت لنا وسط الرّصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرّب والنوى	وطول التّنائى عن بنيى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غوادى المزن من صوبها الذى	يسحّ ويستمرى السّماكين بالوبل

وفاته

توفى بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر سنة اثنتين

(١) هكذا وردت هذه الجملة فى الزيتونة . ووردت مكانها فى الإسكوريال عبار

(واحرقتك أمر) .

وسبعين ومائة ، وهو ابن تسعة وخمسين عاما ، وأربعة أشهر ، وكانت
 مُدَّةُ مُلْكِهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَخْبَارُهُ شَهِيرَةٌ .
 وجرى ذكره في الرَّجَزِ الْمَسْمِيِّ بِقَطْعِ السُّلُوكِ ، فِي ذِكْرِ هَذَيْنِ مِنْ
 بَنِي أُمِيَّةٍ ، قَوْلِي فِي ذِكْرِ الدَّخْلِ :

وغمر الهول كَقَطْعِ اللَّيْلِ	وبفِتْنَةِ الْفَهْرِيِّ وَالصَّمِيلِ
وَجَلَّتِ الْفِتْنَةُ فِي أُنْدَلُسِ	فَأَصْبَحَتْ فَرِيْسَةَ الْمُفْتَرَسِ
فَأَسْرَعَ السَّيْرُ إِلَيْهَا وَابْتَدَرَ	وَكَلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ وَقَدَرِ
صَقْرُ قَرِيْشٍ عَابِدِ الرَّحْمَنِ	بَانِي الْمَعَالِي لِبْنِي مِرْوَانَ
جَدَّدَ عَهْدَ الْخُلَفَاءِ فِيهَا	وَأَسَّسَ الْمَلِكُ لِمُتْرَفِيهَا
ثُمَّ أَجَابَ دَاعِيَ الْجِمَامِ	وَوَخَّلَفَ الْأَمْرَ إِلَى هِشَامِ
وَقَامَ بِالْأَمْرِ الْحَفِيدُ النَّاصِرُ	وَالنَّاسُ مَخْضُورٌ بِهَا وَحَاصِرُ
فَأَقْبَلَ السَّعْدُ وَجَاءَ النَّصْرُ	وَأَشْرَقَ الْأَمْنُ وَضَاءَ الْقَصْرِ
وَعَادَتِ الْأَيَّامُ فِي شِبَابِ	وَأَصْبَحَ الْعَدُوُّ فِي تِيَابِ
سَطَى وَأَعْطَى وَتَغَاضَى وَوَفَا	وَكَلَّمَا أَقْدَرَهُ اللَّهُ عَمَّا
فَعَادَ مِنْ خَالَفَ فِيهَا وَانْتَزَا	وَحَارِبَ الْكُفَّارَ دَابَا وَغَزَا
وَأَوْقَعَ الرُّومَ بِهِ فِي الْخَنْدَقِ	فَانْقَلَبَ الْمَلِكُ بِسَعْيِ مُخْفِقِ
وَاتَّصَلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَا فَتْوَحٍ	تَغْدُو عَلَى مَثْوَاهِ أَوْ تَرُوحُ
فَاغْتَنَمُوا السَّلْمَ لِهَذَا الْحِينِ	وَوَصَلَتْ إِرْسَالُ قُسْطَنْطِينِ
وَسَاعَدَ السَّعْدُ فَنَالَ وَاقْتَنَمَا	ثُمَّ بَنِي الزَّهْرَاءِ فِيمَا قَدُّبْنَا
حَتَّى إِذَا مَا كَمُلْتَ أَيَّامُهُ	سَبْحَانَ مَنْ لَا يَنْقُضِي دَوَامَهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَةَ وأعيانها ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الحكيم ،
وجده يحيى ، هو المعروف بابن الحكيم ، وقد تقدم ذكر جُملة من هذا
البيت .

حاله

كان رحمه الله عين بلده المشار إليه ، كثير الانقباض والعزلة ،
مجانبا لأهل الدنيا ، نشأ على طهارة وعِفَّة ، مَرَضَى الحال ، معدودا في
أهل النزاهة والعدالة ، وأفرط في باب الصَّدقة ، بما انقطع عنه أهل الإثراء
من المُتَصَدِّقين ، ووقفوا دون شأوه . ومن شهير ما يُروى من مناقبه في
هذا الباب . أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً ، وفي ذلك يقول
بعض أدباء عصره :

أَعْتَقَ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً وَاَعْتَدَّ ذَلِكَ ذَخْرًا لِيَوْمِ الْعَقَبَةِ

لَا أَجِدُ مَنْقَبَةَ مِثْلِ هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ

مشيخته

روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرَال ، وعن أبي محمد بن
ابن عبد الله بن عبد العظيم الزهرى ، وأبي البركات بن مَوْدُود الفارسي .
وأبي الحسن الدباج ، سمع من هؤلاء وأجازوا له . وأجاز له أبو أمية
ابن سعد السُّعُود بن عُفَيْر ، وأبو العباس بن مكنون الزاهد ، قال الأستاذ
أبو جعفر بن الزبير ، وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطَّاب
ابن خليل ، يَظُنُّب في الشناء عليه . ووقفت على ما خاطبه به معربا عن ذلك .

شعره

منقولاً من « طرفة العصر » من قصيدة يرددها المؤذنون منها :

كم ذا أعلل بالتسويف والأمل قلبا تغلب بين الوجد والوجل
 وكم أجرد أذيال الصبا مرحاً في مسرح اللهو وفي ملعب الغزل
 وكم أماطل [نفسى بالمتاب] ^(١) ولاعزم فيوضح لي عن واضح السبل
 ضللتُ والحق لا تخفى معامه شتان بين طريق الجد والهزل

وفاته

يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن الفرس ، ويُلقب بالمُهر ، من أعيان

غرناطة .

(٢)

حاله

كان فقيهاً جليلاً القدر . رفيع الذكر ، عارفاً بالنحو واللغة والأدب ،
 ماهر الكتابة ، رايق الشعر . بديع التوشيح ، سريع البديهة ، جارياً على
 أخلاق الملوك في مركبه وملبسه وزيه . قال ابن مسعدة ^(٣) : وطىء من
 درجات [العز] ^(٤) والمجد أعلاها ، وفرع من الأصالة ^(٥) منهاها . ثم علت

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (نفساً بالمتاب) .

(٢) أغفلت في المخطوطين . ورواها ابننا إتياناً جريئاً على أسلوب ابن الخطيب في ترتيب مادة تراجمه .

(٣) هكذا في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (أبو مسعدة) .

(٤) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (البطنة) وهو تحريف .

هَمَّتُهُ إِلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ ، فَارْتَحَلَ إِلَى بِلَادِ العُدُوَّةِ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الخَلْقُ الكَثِيرُ . وَالجَمُّ الغَفِيرُ . وَدَعَا بِاسْمِ الخَلِيفَةِ ، وَحَيُّوهُ بِتَحِيَّةِ المَلِكِ . ثُمَّ خَانَتْهُ الأَقْدَارُ . وَالدَّهْرُ بِالإِنْسَانِ غَدَّارٌ ، فَاحْطَاطَتْ بِهِ جِيُوشُ النَّاصِرِ بِنِ المَنْصُورِ ، وَهُوَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ البَرْبَرِ ، فَقَطَّعَ رَأْسَهُ ، وَهَزَمَ جَيْشَهُ ، وَسَيَّقَ إِلَى بَابِ الخَلِيفَةِ ، فَعَلَقَ عَلَى بَابِ مَرَاكُشَ ، فِي شَبَكَةِ حديدٍ ، وَبَقِيَ بِهِ مَدَّةً مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً (١) .

قال أبو جعفر بن الزبير ، كان أحد نبيهاء وقته ، لولا حدة كانت فيه ، أدت به إلى ما حدثني به بعض شيوخي من صحبه . قال ، خرجنا معه يوماً على باب من أبواب مراکش برسم الفُرْجَةِ ، فلما كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس مُعلَّقة ، وتعوذنا بالله من الشر وأهله ، وسألناه سبب حانته العافية . قال ، فأخذ يتعجب منا ، وقال ، هذا خورُ طريقة وخساسةُ همه ، والله ما الشرف والهمة إلا في تلك ، يعني في طلب الملك ، وإن أدى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصفة . قال ، فما برحت الليالي والأيام ، حتى شرع في ذلك ، ورام الثورة . وسيق رأسه إلى مراکش ، فعلق في جملة تلك الرؤوس ، وكتب عليه ، أوقيل فيه :

(١) إن عبد الرحيم بن إبراهيم بن الفرس المذكور هو في الأصل أندلسي ينتمي إلى قبيلة «جزولة» البربرية . ويعرف بالمهر وبأبي قصبه . وكان على جانب كبير من العلم والمعرفة . نزع إلى المغرب ، وحضر ذات يوم مجلس الخليفة الموحد يعقوب المنصور ، وبدرت منه بعض آراء غشى عاقبتها فاختفى حيناً ، ثم ظهر بعد وفاة المنصور في السوس في منازل قبيلته جزولة ، وانتحل الإمامة ، وادعى أنه «القحطاني» الذي ورد ذكره في الحديث بأنه لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان ، يقود الناس ، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وذاعت دعوته في بلاد السوس وانتفت حولها جموع كثيرة ، ووجدت عليه حكومة مراکش عدة حملات صغيرة متوالية ، كان يهزمها تباعاً . ثم جهز الخليفة الناصر الموحد حملة كبيرة لمحاربه وسحقه ، فانفض عنه معظم جموعه ، وقتل منهم من وقف إلى جانبه ، وقبض على الدعي . وقتل واحتر رأسه ، وعلق على باب مراکش ، وكان مصرع ابن الفرس وأنهيار ثورته على هذا النحو في سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) .

لقد طَمَحَ المُهَرِّجُ الجُمُوحَ لغاية فقطعَ أعناقَ الجِيَادِ السَّوَابِقِ
جَرَى وَجَرَتْ رِجَالُهُ لَكِنَّ رَأْسَهُ أتَى سَابِقاً والجِسْمَ لَيْسَ بِسَابِقِ
وَكَانَتْ ثَوْرَتُهُ بِبَعْضِ جِهَاتِ دَرْعَةٍ مِنْ بِلَادِ السُّوسِ .

مشيخته

أَخَذَ عَنْ صِهْرَدِ القَاضِي أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ المَنَعِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ . وَعَنْ
غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَتَفَقَّهَ بِهِمْ ، وَبَهَرَ فِي العَقَلِيَّاتِ وَالعُلُومِ القَدِيمَةِ ، وَقَرَأَ
عَلَى القَاضِي المَحْدَثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ ، وَتَلَا عَلَى الأَسْتَاذِ الخَطِيبِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرُوسِ ، وَالأَدَبِ وَالنَّحْوِ عَلَى الأَسْتَاذِ الوَازِرِ أَبِي يَحْيَى بْنِ
مَسْعُودَةَ . وَأَجَازَهُ الأَسْتَاذُ الخَطِيبُ أَبُو جَعْفَرِ العَطَّارِ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الثَّوْرَةِ :

قُولُوا لِأَوْلَادِ^(١) عَبْدِ المُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ تَأَهَّبُوا لَوُقُوعِ الحَادِثِ الجَلِيلِ
قَدِجَاءِ فَارَسِ قَحْطَانَ وَسَيِدِهَا^(٢) وَوَارِثِ المَلِكِ وَالعَلَابِ لِلدُّوَلِ^(٣)

وَمِنْ شِعْرِهِ القَصِيدَةُ الشَّهِيرَةُ وَهِيَ :

اللَّهُ حَسْبِي لَا أُرِيدُ سِوَاهُ هَلْ فِي الوُجُودِ الحَقِّ إِلَّا اللَّهُ
ذَاتِ الإِلَهِ بِهَا تَقُومُ دَوْلَتُنَا هَلْ كَانَ يَوجِدُ غَيْرَهُ لَوْلَاهُ
يَا مَنْ يَلُودُ بِذَاتِهِ أَنْتَ الذِّي لَا تَطْمَعُ الأَبْصَارُ فِي مَرَاةِ
لَا غَرَوْنَا قَدِ رَأَيْنَاهُ بِهَا فَالْحَقُّ يَظْهَرُ ذَاتَهُ وَتَرَاهُ^(٤)
يَا مَنْ لَهُ وَجِبَ الكَمَالِ بِذَاتِهِ فَالْكَلُّ غَايَةَ فُوزِهِمْ^(٥) لَقِيَاهُ

(١) هَكَذَا فِي الإسْكَورِيَالِ ، وَفِي نَصِّ آخَرَ (لأَبْنَاءِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الإسْكَورِيَالِ . وَفِي نَصِّ آخَرَ (قَدِ جَاءَ سَيِدِ قَحْطَانَ وَعَالِمَاهَا) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الإسْكَورِيَالِ . وَفِي نَصِّ آخَرَ (وَمُنْتَهَى القَوْلِ وَالعَلَابِ لِلدُّوَلِ)

(٤) هَكَذَا وَرَدَ هَذَا البَيْتُ فِي الإسْكَورِيَالِ وَفِي الزَيْتُونَةِ كَالآتِي : (لَاغْرُوْنَا قَدِ رَأَيْنَاهُ :

دَلْحَقُ يَظْهَرُ يَظْهَرُ ذَاتَهُ وَتَرَاهُ) .

(٥) هَكَذَا فِي الإسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (قَدْرَهُمْ) .

أنت الذى لما تعالى جده قصرت خطأ الأبواب دون حماه^(١)
 أنت الذى امتلأ الوجود بحمده لما غدا ملاّن من نُعمياه
 أنت الذى اخترع الوجود بأسسه ما بين أعلاه إلى أدناه
 أنت الذى خصصتنا بوجودنا أنت الذى عرفتنا معناه^(١)
 أنت الذى لو لم تلج أنواره لم تُعرف الأضداد والأشباه
 لم أفش ما أوذعتنيه إنه ما صان سرّ الحق من أفشاه
 عجز الأنام عن امتداحك إنه تُعضّئل الأفكار دون مبداه
 من كان يعلم أنك الحق الذى يهرّ العقول فحسبه وكفلسه
 لم ينقطع أحد إليك محبةً إلا وأصبح حامدا عُقباه
 وهى طويلة ..

من أهل غرناطة يكنى أبا ورد ويعرف بابن القصبة
 عديم رواء الحس ، قريب العهد بالنجعة ، فارق وطنه وعيصره ،
 واستقبل المغرب ... الوفادة ، وقدم على الأندلس فى أخريات دولة الثانى
 من الملوك النصرين ، فمهد جانب البر له ، وقرب مجلسه ، ورعى وسياته ،
 وكان على عمل بر ، من صوم واعتكاف وجهاد .

نباهته

ووقف بى ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم ، على رسالة كتب بها أمير
 مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثانى الملوك النصرين رحمهم الله ، وعبر
 فيها عن نفسه ، من عبد الله المؤيد بالله محمد بن سعد الحرسنى ، فى غرض
 المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان رحمه الله من فصولها :

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الزيتونة .

«ثم أنكم رضى الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأويتموه من أجلنا، وأكرمتوه، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جَدُّنا عليه السلام» وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك الببال بمكة المباركة .
وفاته: توفي شهيداً في الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر المرية عندما وقع الصريخ لإنجادها، ورفع العدو البرجلوني عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة^(١).

ومن ترجمه المقرين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصْبَغ بن

حسن بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخشعمي

مالقي [يكنى] ^(٢) أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة،

شهر بالسهيلى .

حاله

كان مُقْرِياً مجوداً، متحققاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعاني البديعة، ظريف التهدي إلى المقاصد الغريبة^(٣)، محدثاً واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدماً، ذا كرا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرزاً في الفهم، ذكياً، أديباً كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، نحويًا عارفاً

(١) وردت هذه الترجمة بهامش اللوحة 242 إسكوريال، مطموس أولها، وغير واضح اسم صاحبها (الذي ذكر فيما بعد أنه الشريف أبو القاسم)، فرأينا أن نقلها كما هي، وأن نتخذ مكانها بعد ترجمة ابن الفرس .

(٢) ساقطة في الإسكوريال وواردة في الزيتونة .

(٣) هكذا في الإسكوريال، وفي الزيتونة (الطريقة) .

بارعا ، يَقِظًا ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . اسْتَدْعَى آخِرًا إِلَى التَّدْرِيسِ بِمَرَاكَشَ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ مَالِقَةَ ، مَحَلَّ إِقْرَائِهِ ، وَتَبَوَّأَ إِفَادَتَهُ ، فَأَخَذَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ ، إِلَى حَيْثُ وَفَاتِهِ .

مَشِيخَتُهُ

تَلَا بِالْحَرَمَيْنِ عَلِيَّ خَالَ أَبِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبِالسَّبْعِ عَلِيَّ أَبِي دَاوُدَ بْنِ يَحْيَى ، وَعَلِيَّ أَبِي عَلِيٍّ مِنْصُورَ بْنِ عَلَاءٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ خَلْفِ بْنِ رَضِيٍّ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ ، وَابْنِ قَنْدَلَةَ ، وَأَبِي الْحَسَنِ شُرَيْحٍ ، وَابْنَ عَيْسَى ، وَابْنَ مُونِسَ بْنِ مُغِيثٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُ فِي عُلُومِ اللِّسَانِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَفِيدًا^(١) مَكِّيًّا ، وَابْنَ أُخْتِ غَانِمٍ ، وَابْنَ مُعَمَّرٍ ، وَابْنَ نَجَاحٍ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ يُونُسَ ، وَابْنَ يُمُنَّ اللَّهِ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ ابْنَ الْأَبْرَشِ ، وَابْنَ الرَّمَّانِ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ رَشْدٍ ، وَالْقَاسِمِ بْنِ دَحْمَانَ ، وَأَبِي مَرْوَانَ بْنَ بُونَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ . وَنَظَرَ فِي « الْمَدُونَةِ » عَلَى ابْنِ هِشَامٍ . وَأَجَازَ لَهُ وَلَمْ يَلْتَقِهِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ عَبَّادُ بْنُ سَرْحَانَ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ وَرْدٍ .

مَنْ رَوَى عَنْهُ

رَوَى عَنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ النَّزَوَالِي . وَأَبُو إِسْحَاقَ الْجَانِي ، وَأَبُو أُمِيَّةَ بْنِ عُفَيْرٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنِ دَحْمَانَ ، وَابْنُ قَنْتَوَالٍ . وَالْمُحَمَّدُونَ ابْنَ طَلْحَةَ ، وَابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَابْنَ عَلِيٍّ جُوَيْحِمَاتٍ . وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ ، وَالْحَفَّارَ وَسَهْلَ بْنَ مَالِكٍ ، وَابْنَ الْعَفَّاصِ ، وَابْنَ أَبِي الْعَافِيَةِ . وَأَبُو الْحَسَنِ السَّرَّاجِ ، وَأَبُو سَلِيمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ ، وَالسَّمَاتِي . وَابْنُ عِيَّاشِ الْأَنْدَرُسِيِّ ، وَابْنُ عَطِيَّةٍ ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساطقة في الزيتونة .

وابن يربوع ، وابن رُشيد ، وابن ناجح ، وابن جَمُهور ، وأبو عبد الله بن عيَّاش الكاتب ، وابن الجِذع : وأبو علي الشُّلُوبين ، وسالم بن صالح ، وأبو القاسم بن بَقِي ، وأبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، وعبد الرحيم بن الفَرَس ، وابن المَلْجُوم ، وأبو الكرم جُودِي : وأبو محمد بن حَوَظ الله ، إلى جملة لا يحصرها الحدُّ .

دخل غرناطة . وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أَضْحَى قاضيتها ورئسها^(١) . وله في مدحه أشعار كثيرة ، وذكر لي من أرَّخ في الغرناطيين ، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمن يثق به .

تواليفه

منها كتاب « الشَّريف والإعلام بما أُبْهَم في القرآن من أسماء الأعلام » . ومنها شرح آية الوصية ، ومنها « الرُّوض الآئِف والمُشرع الرُّوا فيمَا اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى » . وابتداءً إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة ، وفرغ منه في جمادى منها . ومنها « حِلْيَةُ النَّبِيل في معارضة ما في السَّبِيل » . إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو عبد الله بن عبد الملك : أنشدني أبو محمد القطَّان ، قال أنشدني أبو علي الرُّندي ، قال أنشدني أبو القاسم السَّهيلي لنفسه :
أسايل عن جيرانه من لَقَيْته وأعرض عن ذكراه والحال تنطق

(١) هو من ثوار الأندلس في أواخر عهد المرابطين . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد

الثاني من الإحاطة ص ٥٠٤ حاشية) .

ومالى إلى جيرانه من صباية ولكن قلبي عن صبوح^(١) يوفق
ونقلت من خطّ الفقيه القاضى أبى الحسن بن الحسن ، من شعر أبى
القاسم السهيلي ، مذيلاً بيت أبى العافية فى قطعة لزومية :

ولما رأيتُ الدهر تسطو خطوبه بكل جليد فى الورى وهدان
ولم أر من جرّز ألوذ بظلمه ولا من له بالحداث يمدان
فزعت إلى من تملك الدهر كفه ومن ليس ذو ملك له بمران
وأعرضت عن ذكر الورى متبرماً إلى الرب من قاص هناك ودان
وناديتُه سرا ليرحم عبّرتى وقلت رجائى قادى وهدان
ولم أدعه حتى تطاول مفضلاً على بالهام الدعاء وعسان^(٢)
وقلت أرجى عطفه متمثلاً ببیت لعبد صايل برّدان
تغطيت من دهري بظل جناحه فعسى ترى دهري وليس برانى

قلت ، وما ضره ، غفر الله له ، لو سلّمت أساتته من برّدان ، ولكن
أبت صناعة النحو إلا أن تخرج أعناقها .

ومن شعره قوله :

تواضع إذا كنت تبغى العسلا وكنت راسيا عند صفو الغضب
فخفض الفتى نفسه رفعة له واعتبر برسوب الذهب
وشعره كثير ، وكتابته كذلك ، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة .

وقال ملغزاً فى محمل الكتب ، وهو مما استحسن من مقاصده :

حامل للعلوم غير فقيسه ليس يرجو أمرا ولا يتقيه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (هواه) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . ووردت فى الإسكوريال مرة أخرى (وهدان) .

يحمل العلم فاتحا قدميه
ومن ذلك قوله في المجنبات :
بردت فؤاد الصَّب وهي حرار
شَعَف الفؤاد نواعمُ أبكار
نشقاً وألذُّ من صباً حين تُدار
أذكى من المسك العتيق لنا
وكانما ألوانهن نُضار
وكان من صافي اللجين بطونها
لكن حكّت ألوانها الأزهار
صفت البواطن والظواهر كلها
عجبا لها وهي النعيم يصبوغها
نارٌ وأين من النعيم النار
ومن شعره وثبت في الصلة :

إذا قلتُ يوماً سلام عليك
ففيها شفاءٌ وفيها سيقام
شيفاً إذ قلتها مُقبلاً
وإن قلتها مُدبراً فالحمام
فأعجب لحال اختلافيهما
وهذا سلامٌ وهذا سلامٌ

مولده : عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة .

وتوفى في مراکش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين
وخمسمائة ، ودفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج مراکش ، وكان قد عمى
سبعة [عشرة]^(٢) عاماً من عمره

[عبد الرحمن بن هاني اللخمي]

يكنى أبا المطرف ، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة .

حاله

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انضمتا) .

(٢) واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

كان فقيهاً فاضلاً ، وتجوّل في بلاد المشرق . قال أنشدني إمام الجامع^(١)
بالبصرة :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ عداوةٌ غير ذى حَسَبٍ ودين
يُنِيَاكُ منه عِرْضاً لم يَصْنَه وَيَرْتَعُ منك في عِرْضٍ صُونٍ^(٢)

[عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي]

من أهل غرناطة ، يكنى أبا جعفر ، ويعرف بابن القصيص .

حاله

كان فقيهاً^(٣) جليلاً ، بارع الأدب ، عارفاً بالوثيقة ، نقّادا لها ، صاحب رواية ودراية ، تقلّب ببلاد الاندلس ، وأخذ الناس عنه بمرسية وغيرها . ورحل إلى مدينة فاس ، وإفريقية ، وأخذها ، ووُلّي القضاء بتقرش من بلاد الجريد .

مشيخته

روى عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد ، وعن عمه أبي مروان ، وعن أبوي الحسن ابن دُرّي ، وابن الباذش ، وأبي الوليد بن رشد ، وأبي إسحاق بن رشيق الطليطلي نزيل وادي آش ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي الحسن ابن وَدَّع ، وأبي محمد عبد الحق بن عطية ، وأبي عبد الله بن أبي الخِصَال ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الصلاة) .

(٢) وردت هذه الترجمة الموجزة في موضعها المعتاد بالزيتونة . وأشار إليها الناسخ بالإسكوريال في هامش اللوحة 244 بقوله (قلت سقط هنا في جملة من اختصرتهم عبد الرحمن بن ماني اللخمي) وأورد البيهقي .

(٣) مكانها كلمات غير مقروءة .

وأبي الحسن يونس بن مغيث . وأبي القاسم بن وُرد ، وأبي بكر بن مسعود الخُشني ، وأبي القاسم بن بَقِي ، وأبي الفضل عِياض بن موسى بن عِياض ، وغيرهم .

توآلفه

له توآلف وخطب ورسائل ومقآمات ، وجمع مناقب من أدركه من أهل عصره ، واختصر كتاب الجمل لابن خاقان الإصبهاني ، وغير ذلك ، وألف برنامجاً يضم رواياته .

من روى عنه

روى عنه ابن الملجوم ، واستوفى خبره

وفاته

ركب البحر قاصدا الحج ، فتوفى شهيداً في البحر ، قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين ، صباح يوم الأحد ، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة^(١) .

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفصآل .

حآله

هذا الرجل فاضل عريق في العدالة . ذكي ، نبيل . مُختصر الجرم ، شعلة من شعل الإدراك ، مليح المحاوره ، عظيم الكفاية . طالب مُتتزن .
(١) وردت هذه الترجمة في هامش اللوحة 244 من مخطوط الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

قرأ على مشيخة بلده ، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه ، أنى سعيد ابن لب ، واستظهر من حفظه كتباً كثيرة ، منها كتاب التفریح في الفروع ، وارتسم في العُدول ، وتعاطى لهذا العهد الأدب ، فبرز في فنّه .

أدبه

مما جمع فيه بين نظمه ونثره ، قوله يخاطب الكتاب ، ويُسحر ببراعته الألباب :

لعل نسيم الريح يسرى عليه فأهدى صحيح الود طي سقيم
لتحملها عنى وأزكى تمحيصة لقينته كهف ماسع ورقيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى وشوق إليهم مقعد ومقيم^(١)

يا كُتَّابَ المحلِّ السامى ، والإمام المُتسامى ، وواكف الأدب البسامى ، أناشدكم بانتظامى فى محبتكم وارتسامى ، وأقسم بحقكم علىّ وحبداً إقسامى ، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة ، وأسعدتم بأفكاركم النيرة الواقعة ، على إخراج هذا المُسمّى ، وشرح ما أهبه المُعمّى^(٢) ، فلعمرى لقد أحرقت مزاجى ، وفرقت امتزاجى ، وأظلم به وهاجى ، وغطى على مرآة ابتهاجى ، فأعينونى بقوة ما استطعتم ، وأقطعونى من مددكم ما قطعتم ، وآتونى بذلك كله إعانةً وسداً . وإلا فها هو بين يديكم ، ففكروا غلقه ، واسرّدوا خلقه ، واجمعوا مُضغّه المتباينة وعلقه ، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته ، متصفاً بصفاته المذكورة ولدنائه ، قايلًا بتسلييه أسلوباً مُصححاً كان أو مقلوباً . وإن تأبى عليكم وتمنع ، وأدركه الحياء [فتستّر]^(٢) وتقنع ، وضرب على آذان

(١) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الزيتونة .

(٢) زائدة فى الزيتونة .

الشُّهَداءُ ، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء : فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ إِلَى
المدينة لِيَسْأَلَ عَنْهُ خَدِيْنَهُ :

أَحَاجِي ذَوِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مِمَّنْ	تَرَى شُعْلَةَ الْفَهْمِ مِنْ زَنْدِهِ
عَنْ اسْمٍ هُوَ الْمَوْتُ مَهْمَا دَنَا	وَإِنْ بَاتَ يُبْكِي عَلَى فَقْدِهِ
لذَيْدٌ وَلَيْسَ بَدَى طَعْمِ	وَيُؤَمِّرُ بِالْغُسْلِ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَطْيَبُ مَا يَجْتَنِيهِ الْفَتَى	لَدَى رَبَّةِ الْحَسَنِ أَوْ عَبْدِهِ
مَضْجَعُهُ عَشْرُ الثَّلَاثِ فِي حِسَابِ	الْمُصْحَفِ مَنْ خَسَدَهُ
وَإِنْ شِيَتْ قُلُوبَ مَطْعَمِ ذَمِّهِ	الرَّسُولِ وَحَضَّ عَلَى بُعْدِهِ
وَقَدْ جَاءَ فِي الذِّكْرِ إِخْرَاجُهُ	لِقَوْمِ نَبِيِّ عَلَى عَهْدِهِ
وَتَصْحِيفِ ضِدِّهِ لِهَ آخِرِ	يُبَارِكُ لِلنَّحْلِ فِي شَهْدِهِ
وَتَصْحِيفِ مَقْلُوبِهِ رَبِّهِ	تَرَدَّدَ مِنْ قَبْلِ فِي رَدِّهِ
فَهَاكُمْ مَعَانِيهِ قَدْ بَدَتْ	كَنَارُ الْكَرِيمِ عَلَى نَجْدِهِ

وكتب للولد أسعده الله ، يتوسل إليه ، ويروم قضاء حاجته :

أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَزِيزُ تَصَدَّقْ	فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ لِي بِالْوَسِيلَةِ
عِنْدَ رَبِّ الْوَزَارَتَيْنِ أَطَالَ اللَّهُ	أَيْسَامَهُ حَسَانًا جَمِيلَةً
عَلَيْهِ أَنْ يَجِيرَنِي مِنْ زَمَانِ	مَسْنَى الضَّرِّ مِنْ خُطَاةِ الثَّقِيلَةِ
وَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ بِالنَّهْبِ جَوْرًا	مِنْ يَدِيهِ الْخَفِيفَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ
لَمْ تَدْعُ لِي بِضَاعَةَ غَيْرِ مُزْجَاةٍ	وَنَزَرَ أَهْوَاؤَ بِي مِنْ قَلِيلِهِ
وَإِذَا مَا وَفَى لِي الْكَيْلُ يَوْمًا	حَشَفْنَا مَا يُكِيلُهُ سَوْءَ كَيْلِهِ
فَشَفَى بِي غَلِيلَهُ لَا شَفَى بِي	دُونَ ابْنَانِيهِ الْجَمِيعِ غَلِيلِهِ
مِنْ لِهَذَا الزَّمَانِ مُذْ نَالَ مِنِّي	لَيْسَ لِي بِالزَّمَانِ وَاللَّهِ حِيلَةَ
غَيْرَ أَنْ يَشْفَعَ الْوَزِيرُ وَيَدْعَى	عَبْدَهُ أَوْ خَدِيْنَهُ أَوْ خَلِيلَهُ

دُمَّتْ يَا بِنَ الْوَزِيرِ فِي عِزِّكَ السَّامِي وَدَامَتْ بِهِ اللَّيَالِي ^(١) كَفَيْلَةَ

سَيِّدِي الَّذِي بَعَزَةً جَاهَهُ أَصُول ^(١) ، وَبِتَرْسُلِي بِعِنَايَتِهِ أَبْلُغُ الْمَأْمُولِ وَالسُّوْلَ ،
وَأُرُوْمَ لِمَا أَنَا أَحُوْمُ عَلَيْهِ الْوَصُوْلَ ، بِبِرْكَاتِ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ وَالرَّسُوْلَ ،
الْمَرْغُوْبَ مِنْ مَجْدِكَ السَّامِي الصَّرِيْحَ ، وَالْمُوْمَلَّ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ السَّنِّيِّ
الصَّبِيْحَ ، أَنْ تَقُوْمَ بَيْنَ يَدَي نَجْوَى الشَّفَاعَةِ ، هَذِهِ الرَّقَاعَةُ ، وَتُعَيِّنَ
بِذَاتِكَ الْفَاضِلَةَ النَّفْعَةَ ، مِنْ لِسَانِكَ مِصْقَاعَةَ ، حَتَّى يَنْجَلِيَ حَالِي عَنْ بَلْجٍ ،
وَأَتَنْسَمَ مِنْ مَهَبَّاتِ الْقَبُوْلِ طِيْبِ الْأَرْجِ ، وَتَتَطَّلِعَ مُسْتَبْشِرَاتِ فَرَحْتِي مِنْ
ثَنِّيَّاتِ الْفَرَجِ ، فَإِنَّ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى ، وَمَلَاذِ هَذِهِ الْبَسِيْطَةِ وَفِخْلَهَا
الْأَجْلَى ، فَسَّحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَيْدَانِ هَذَا الْوُجُوْدِ بِوُجُوْدِهِ ، وَأَضْفَى عَلَيَّ هَذَا
الْقَطْرَ مَلَابِسِ السُّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّلِيْدِ وَسُعوْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ فِي جَمِيْعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ
وَمَقْصُوْدِهِ ، قَلِمًا تَضْمِيْعَ عِنْدَهُ شَفَاعَةُ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَوْ يَخِيْبَ لَدَيْهِ مِنْ
تَوْسُّلٍ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعِ كَيْدِهِ ، وَبِحَقِّكَ أَلَا مَا أَمَرْتَ هَذِهِ الرَّقْعَةَ بِالْمَثُوْلِ
بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزَّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةَ ، وَقَلَّ لَهَا قَبْلَ الْحُلُوْلِ بَيْنَ
يَدَيِ هَذَا الْمُوْلِ الْكَرِيْمِ ، وَالْمُوْتَلِّ الرَّحِيْمِ ، بِعَظِيْمِ التَّوْقِيْرِ وَالتَّبَجِيْلِ ،
وَاعْلَمِي يَا أَيْتَهَا السَّائِلِ ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمُوْمَلُّ ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا
الْحَجِيْلِ ، وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ فِي تَبْلِيْغِ رَاجِيِهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعْجِيْلِ ،
وَخَاتِمَةَ كَلَامِ الْبِلَاغَةِ ، وَتَمَامَ الْفَصَاحَةِ ، الْمُوَقَّفَ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالتَّسْجِيْلِ ،
وَعُغْرَةَ صَفْحِ دِيْنِ الْإِسْلَامِ الْمُوَيَّدَةَ بِالتَّحْجِيْلِ . وَهَذَا هُوَ مَدُبِّرُ فَلَكَ الْخِلَافَةَ
الْعَالِيَةَ بِإِيَالَتِهِ . وَحَافِظُ بَدْرِ سَمَايَاهَا السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ ، فَفَقِرِّي بِالْمَثُوْلِ بَيْنَ
يَدَيْهِ عَيْنًا . وَلِتَمَدِّ قَضِيَّتُ عَلَيَّ الْأَيَّامَ بِذَلِكَ دَيْنًا ، وَإِذَا قِيلَ مَا وَسِيْلَةُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأول) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أطول) .

مُؤمِّلِكَ ، وحاجة مُتوسِّلِكَ ، فوسيلته تشيِّعه في أهل ذلك المعنى ، وحاجته يتكفَّلُ بها مجدكم الصميم ويُعنى ، وليست تكون بخرمة جاهكم من العرَضِ الأدنى ، وتمنَّ فإنَّ للإنسان هنالك ما تمنَّى ، وتولَّى تكليف مرسلٍ بحسب ما وسِعكم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم . ثم اثن العِنان ، والله المستعان ، وأعيدى السلام ، ثم عودى بسلام .

وخاطب قاضي الحضرة ، وقد أنكر عليه لباس ثوب أصفر :
 أبقي الله المثابة العلية ، ومثلها أعلى ، وقدحها في المعلوات المعلى ،
 ما لها أمرت ، لا زالت بركاتها تنثال ، ولأمر ما يجب الامتثال ، بتغيير
 ثوبى الفاقع اللون ، وإحالته عن معتاده في الكون ، وإلحاقه بالأسود الجون
 أصبغه جِداداً ، وأيام سيدى أيام سُور ، وبنو الزمان يعدله ضاحك
 ومسرور ، ما هكذا شيممة البرور ، بل لو استطعنا أن نزهو له كالميلاد ،
 ونترى في أيامه بزى الأعياد ، ونرفل من المشروع في مُخبِر وموروس ،
 ونتجلى في حلال العروس ، حتى تقرَّ عينُ سيدى بكتيبة دفاعه ، وقيمة^(١)
 نوافله وإشفاعه ، ففى علم سيدى الذى به الاهتداء ، وبفضله^(٢) الاقتداء ،
 تفضيل الأصفر الفاقع ، حيثما وقَّع من المواقع ، فهو مهما حَصُر نزهة
 الحاضرين ، وكفاه فاقع لونها تسرُّ الناظرين . ولقد اعتمه جبريل عليه
 السلام ، وبه تطرَّز المُخبرات والأعلام ، وإنه ليزى الظرفاء ، وشارة أهل
 الرفاء ، اللهم إلا إن كان سيدى ، دام له^(١) البقاء ، وساعده الارتقاء ،
 يُنهى أهل التبريز ، عن مقاربة لون الذهب الإبريز ، خيفة أن تميل
 له منهم ضريبة . فيزنوا بريبة ، فنعم إذا ونعمى عين . وسمعا وطاعة
 لهذا الأمر الهين اللين ، أتبعك لا زيدا وعمراً . ولا أعصى لك أمراً ، ثم

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (قيم) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (بعلمه) مرة أخرى والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (أدام الله له) .

لا ألبس بعدها إلا طمراً ، وأتجرد لطاعتك تجريداً ، وأسلك إليك فقيراً
ومزيداً ، ولا أتعرض للسُّخَطِ بلبس شَفِيفٍ ، استنشِقُ هَبَاهُ ، وألبس
عَبَاهُ ، وأبرأ من لباسِ زِي يُنْشِي عِتَابَا ، يلقي على لسانٍ مثل هذا كِتَابَا ،
وأُتُوبُ منه مَتَابَا ، ولولا أُنَى اللَّيْلَةِ صِفْرِ اليدين ، ومُعْتَقِلِ الدِّينِ ، لَبَاكَرْتُ
به من حانوتِ صَبَاغِ رَأْسِ خَابِيَةِ ، وقاعِ مِظْلَمَةِ جَابِيَةِ ، فَأَصِيرُهُ حَالِكَا ،
ولا ألبسه حتى استفتى فيه مالِكَا ، ولعلِّي أجدُ فَارُضِي سِيدِي بِالتَّزْيِي بِشَارْتِهِ ،
والعملِ بِمَقْتَضَى إِشَارْتِهِ ، والله تعالى يُبْقِيهِ لِلْحَسَنَاتِ ، يُنَبِّهُ عَلَيْهَا ، وَيُومِي
بِعَمَلِهِ^(١) وَحِظَّهُ إِلَيْهَا ، وَالسَّلَامُ .

وخاطبني وقد قديم في شهادة المواريث بحضرة غرناطة :

يا منتهى الغايات دامت لنا غايتك القُصوى بلا قوت
طلبتُ إحيائي بكم فانتهي من قبله حالي إلى الموت
وحقُّ ذلك الجاهِ جاهُ العُلا لا مِتُّ إلا أن أتى وقت

مولاي الذي أتأذى^(٢) من جَوْرِ الزمانِ بِذِمَامِ جلاله ، وأتعوذُ من نَقْصِ
شهادة المواريث بِتَمَامِ كماله ، شهادةً يَأْبَاهَا المُعْسِرُ وَالْحَيُّ ، وَيُودُّ أَنْ لَا يُوَافِيَهُ
أجله عليها الحيُّ ، مُنَاقِضَةً لِما العَبْدُ بِسَبِيلِهِ ، غير مُرْبِحٍ قَطْمِيرُهَا من
قليله ، فَإِنْ ظَهَرَ لِمَوْلَايَ إِعْفَاءُ عِبْدِهِ ، فَمِنْ عِنْدِهِ . والله تعالى يُمَتِّعُ الْجَمِيعَ
بِدَوَامِ سَعْدِهِ ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمِ ، يَخْتَصُّ بِالظَّاهِرِ مِنْ ذَاتِهِ وَمَجْدِهِ ، وَرَحْمَةِ
اللهِ وَبَرَكَاتِهِ ، من عبدٍ إنعامكم ابن الفصَّال لطف الله به :

قد كنت أسترزق الأحياء مارزقوا شيئا ولا وفوني بعض أقوات
فكيف حالي لما أن شكوتهم رجعت أطلب قوتي عند أموات
والسلام يعود على جناب مولاي ورحمة الله وبركاته :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بعله) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اتلذذ) والأولى أرجح .

ونخاطب أحد أصحابه ، وقد استخفى لأمر قُرف به ، برسالة افتتحها
بأبيات على حرف الصاد ، أجابه المذكور عن ذلك بما نصه ، وفيه إشارة
لغلط وقع في الإعراب :

يا شُعلةً من ذكاءٍ أرسلت شررا إلى قريبٍ من الأرجاء بعد قَصِص
وشبهةً حملت دعوى السِّفاحِ علي فحلٍ يليق به مضمونها وَخِص
رحمك بي فلقد جرعتني غُصصا آثار تعريضها المكتوم من غِص
بليتني بنكاة القرُح في كبدى كمثِل مرتجف المجذوم بالبرِص

أيها الأَخ الذي رقى ومسح ، ثم فَصَح ، وغَشَّ ونَصَح ، ومَزَّق ثم
نَصَح ، وتلاعب بأطراف الكلام المشقَّق فما أَفْصَح ، ما لسحَّاتك ذات
الجيد المنصوص ، توهم سِمة الودِّ المرصوص ، ثم تعدل إلى التأويلات
عن النُّصوص ، وتونس على العموم ، وتوحش على الخصوص ، لا درَّ
دره من باب برُّ ضاع مفتاحه ، وتأنيس حرُّ سبق بالسجن استفتاحه ، ومن
الذي أنهى إلى أخى خبر ثقافى ، ووثيقة تحببسى وإيقافى ، وقد أبى ذلك
سَعْدُ فرعه باسق ، وعزُّ عقده متناسق . ويا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق
[بنبيأ] ^(١) ، بل المثوى والحمد لله جنات وغُرف ، والمُنْتَهَى مجد وشرف ،
فإن كان وليي مكترثاً فيحق له السرور ، أو شامِتاً ، فلي الظلُّ وله الحرور .
أنا لا أزنُّ والحمد لله بها من هناءه ، ولما أدين بها من عزى ومُناه ، ولا تمرُّ لي
ببال فلست بذى سيف . ولست بنكال نفسى أرقَّ شِمة . وأكرم مَشِمة .
وعينى أغزُر دِيمة ، لو كان يُسئل لسان عن إنسان . أر مُجاولته بمعبه
نِوان ، أوقفنى إخوان لا بمأزق عُدوان . لارتسمتُ منه بديوان . لا يُغنى

(١) هذه الكلمة وارد في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريان .

في حربٍ عَوَانٍ . عين هذا انشكَل بالحمد لله فراره . وعنوان هذا الحدَّ غراره . وأما كوفي من جملة الصُّفرة . ومن أجهز سيدي الفقار على ذي الفمرة . فأقسم لو ضرب القَتِيل ببعض البقرة . لتعين مقدار تلك الغمرة . اللهم لو كنتُ مثل سيدي ممن تتضاءل النخلة السَّحوق لقامته ، ويعترف^(١) عوجٌ لديه بقماعته ودمايته . مُقبل الظَّن كالْبُدور في سحاب الخُدور ، وخليفة السَّيد الذي بلغت سراويله تندوة العدو الأيِّد ، أطلت بباع مديد ، وساعدني الخَلق بساعد شديد . وأنا لي جسم شحت ، يحف به بخت ، وحسبُ مثلي أن يعلم في ميدان هوى ، تُسلُّ فيه سيوف اللِّحَاز على ذوى الحِفاظ ، وتشرع سيوف القُدود . إلى شكاة الصُّدود^(٢) ، وتسطو أولو الجُفون السُّود بالأسود ، فكيف أخشى تبعَةً تَزِلُّ عن صفاتي ، وتنافي صفتي ، ولا تطمع أسبابها في التناهي ، ولا تستعمل في حربها قنا ألفتي . والله يشكر سيدي على افتباله . ويحل كريم سباله ، على ما ظهر لأجلي من شَعْف باله ، إذ رَفَع ما يُتصب ، وغير ما لو غيره الحجاج ، لكان مع الهيبة يُحصب^(٣) ، ونكَّت بأن نفقت بالحظسوق . وظهر لأجله فسوق^(٤) ويا حبذا هو من شَفيع رَفيع ، ووسيلة لا يخالفها الرَعْيُ ، ولا يخيب لها السَّمي . والله دَرُّ التمايل .

لله بالإنسان في تعليمه بوساطة القلم الكريم عناية
فالخطُ خطُّ والكتابة لم تزل في الدهر عن معنى الكمال كناية

وما أقرب يا سيدي هذه الدعوى لشهامتك . وكبيرَ هامتك :

(١) هكذا وردت في الریتونة . وفي الإسكوريال (يغترف) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصمود) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بصب) وهو تحريف .

(٤) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (بسوق) .

لو كنت حاضرهم بخندق بلج ولحمل ما قد أبرموه فصال
لخصصت بالدعوى التي عموا بها ولقيل^(١) فصل جلاه الفصال
وتركت فرعون بن موسى عبرة تتقدمته بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها ، ولم تشهد يوم حليمتها .
وأما اعتذارك عما يقل من تنمق الكنز ، ومنتطح العنز ، فورع في سیدی
أتم من أن يتهم بغيبة ، ولسانه أعف من أن ينسب إلى ريبة ، لما اتصل به
من فضل ضريبة ، ومقاصد في الخير غريبة ، إنما يستخف سیدی أفرط
التهم ، رمى العوامل بالتهم ، فيجری أصح مجرى أختها ، ويلبسها ثياب
تحتها ، بحيث لا إثم يترتب ، ولا هو ممن تعتبه ، وعلى الرجال فجنايته
عذبة الجناء ، ومقاصده مستظرفة^(٢) لفصح أو كنى . أبقاه الله رب نفاضة
وجرادة ، ولا أخلى مبرده القاطع من برادة ، وعوده الخير عادة ، ولا أعده
بركة وسعادة ، بفضل الله . والسلام عليه من وليه المستزيد من ورش^(٣)
وليه ، لا بل من قلايد حليه . محمد بن فركون القرشي . ورحمة الله وبركاته

فراجع المترجم بما نصه ، وقد اتهم أن ذلك من إملاي :

يا ملبس النصح ثوب الغش متهما يلوى النصيحة عنه غير منتكص
وجاهلا باتخاذ الهزل مادبسة أشد ما يتوقى محمل الرخص
نصحته فتمصاني فانقلبت إلى حال يغص بها من جملة الغصص
بالأمس أنكرت آيات القصاص له واليوم يسمع فيه سورة القصاص
ممن استعرت يا بابلي هذا السحر . ولم تسكن بناصية السحر . ولا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ولقت) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مستظرفة) .

(٣) وردت في الإسكوريال (ورش) . وفي الزيتونة (ورش) .

أعملت إلى بابل هاروت امتطاءً ظهر ، ومن أين جيت بقلايد ذلك النحر ،
 أمّن البحر ، أو مما وراء النهر . ما لمثل هذه الأريحية الفاتقة ، استنشقتنا
 مهيبك ، ولا قبل هذه البارقة الفايقة ، استكثرتنا غيكت . يا أيها الساحر ادع
 لنا ربك . أأضغات أحلام ما تريبه الأقلام ، أم في لحظة تلد الأيام ،
 فرايد الأعلام . لقد عهدت بربعك محسن دُعابة ، ما فرعت شعبه ، أو
 مُصيباً في صُبابه ، ما قرعتُ بابَه ، ولا استرجعت قبل أن أعبر عُبابه .
 اللهم إلا أن تكون تلك الآيات البيّنات ، من بنات يراعتك ، لا براعتك
 ومُغترس تلك الزهر ، الطالعة كالكوكب الزهر ، مختلس يد استطاعتك ،
 لا زراعتك ، وإلا فنطرح مصايد التعليم والإنشاء ، وننتظر معنى قوله
 عز وجل ، يؤتى الحكمة من يشاء ، أو نتوسل في مقام الإلحاح والإلحاف .
 أن ننقل من غايلة الحسد إلى الإنصاف ، وحسبي أن أطلعت بالحديقة
 الأنيفة ، ووقفت من مثل تلك الطريقة على حقيقة ، فألفت بها بيانا
 قد وضح تبيانا أو أطلق عنانا ، ومحاسن وجدت إحسانا ، فتمثلت إنسانا ،
 سرح لسانا ، وأجهد بنانا ، إلا أن صادح أيكتها يتململ في قيظ ، ويكاد
 يتميز من الغيظ ، فيفيض ويغيض ، ويهيض وينهض ، ثم يهيض ، ويأخذ
 في طويل وعريض ، بتسبيب وتعريض ، ويتناهض في ذلك بغير مهيض ،
 وفاتن كمايمها^(١) تسل عن الصادح ، ويتلقف عصا استعجاله ما يُفكّه
 المادح ، ويحرق بناره زند القادح ، ويتعاطى من نفسه بالإعجاب ، ويكاد
 ينادى من وراء حجاب ، إن هذا لشيء عجاب . إيه بغير تمويه ، رجع
 الحديث الأول ، إلى [ما عليه المَعُول]^(٢) ، لا در درها من نصيحة غير

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (كأينها) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالأتي (ما إليه أمل)

صحيفة ، ووصية مودة صريحة ، تعلقت بغير ذى قريحة ، فهي استعجلتني
 بدهية كاتب ، واستطالة ظالم عاتب [قدسل مرهفه واستنجد مترفه] (١) ،
 وجهزها نحو كتيبتة تسفر عن تحجيل ، بغير تبجيل [وسحابة سبجل ترمى
 بسبجيل] (٢) ما كان إلا أن استقلت ، ورممتني بدائها وانسلت ، وألقت
 ما فيها وتخلت ، فحسبي الله ، تغلب على فهمي ، ورُميت بسهمي ، وقُتلت
 بسلاحي ، وأسكرت براحي ، برُيت برُيت ، مما به دُهيت ، أنت أبقاك الله
 لم تدن (٣) بها منى منالاً وعزاً ، فكيف بها تنسب إلى بَعْدك وتُعزأ ، نفسى
 التى هى أرقُّ وأجدرُّ بالمعالى وأحقُّ ، وشكلى أخفُّ على القلوب وأدقُّ ،
 وشمايلى أملك فلا تُسترق ، ولسانى هو الذى يُسئل فلا يُفَل ، وقدرى
 يُعزّه ويُجَل ، عما فَخَرْت أنت به من مَلْعَب مايدة ، ومجال رِقاب مُتايدة ،
 فحاشى سيدى أن يقع منه بذلك مَفخر ، إلا أن يكون يلهو وَيَسخر ، ومَوْجُ بَحْرِهِ
 بالطيب والخبيث (٤) تزخر ، وعَيْنُ شكلى هى بحمد الله ، عينُ الظرف (٥)
 المُشار إليه بالبنان والظرف . وأما تعريض سيدى بصغر القامة ، وتكبيره
 لغير إقامة ، فمُطَرِدٌ قول ، ومُدامة غَوْل ، وفريضة (٦) نشأ فيها عَوْل ،
 إذ لا مبالاة تجسم كائنا ما كان ، أو ما سمعت أن السُر فى السُكَّان ، وإنما
 الجَسَدُ للروح مكان [ولم يبق إليه فقد يروح] (٧) ، وقد قال ، ويسئلونك

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتون كالاتى (قد فله
 مذهبه واستنجد مضره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الزيتون كالاتى (وسحابة
 بسبجيل ترمى بتعجيل) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتون (تدر) .

(٤) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتون .

(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتون .

(٦) هكذا وردت فى الزيتون . وفى الإسكوريال (فراضة) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الزيتون ، وفى الإسكوريال (ولم ين اليه بعد سروح) .

عن الروح ، والمرء بقلبه ولسانه ، لا بمُسْتَظْهَرِ عِيَانِهِ ، والله درُّ القبايل :

لم يُرَضِّنِي أَنِي بِجِسْمِ هَائِيلِ وَالرُّوحِ مَا وَفَّتْ لَهُ أَغْرَاضُهُ

وَلَقَدْ رَضِيْتُ بِأَنَّ جِسْمِي نَاحِلٌ وَالرُّوحُ سَابِغَةٌ بِهِ فِضْفَاضَةٌ

ولما وَقَعَ سَيْدِي بِمَكْتُوبِي عَلَى الْمَرْفُوعِ وَالْمَنْصُوبِ ، وَظَفِرْت يَدَهُ بِالْمَغْضُوبِ ،
وَالْبَاحِثِ الْمَغْضُوبِ ، لَمْ يُقْلِعْهَا ^(١) زَلَّةَ عَالِمٍ . وَإِنِّي وَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنِيَّةَ حَالِمٍ ،
فَعَدَّدَ وَأَعَادَ ، وَشَدَّدَ وَأَشَادَ ، هَلَّا عَقِيلٌ مَا قَالَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَقِيلَ سَيَكُونُ مَقَالٌ ،
[وَزَلَّةَ الْعَالِمِ لَا تُقَالُ] ^(٢) وَأَنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ . وَقَبِيضَةٌ غَيْرُهُ هُوَ الْمُتَلَاعِبُ
فِي الْحِجَالِ ^(٣) ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَكَ الْفَضْلُ يَا سَيْدِي ، مَا اعْتَنَى بِمَعْنَاكَ ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ
مَعْنَى الْكِرَامِ مَعْنَاكَ ، فَمَدَّةُ رُكُوبِكَ الْحُمْرَانِ ^(٤) لَا تُجَارَى ، وَلَا يَشْتَقُّ أَحَدٌ لَكَ
غُبَارًا . أَبَيْتُكَ اللَّهُ تَحْفَظُ عُرَى هَذَا الْوِدَادِ ، وَيَشْمَلُ الْجَمِيعَ بِرُكَّةِ ذَلِكَ
النَّادِ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ الْفَصَّالِ ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

وَجَعَلَا إِلَى التَّحْكِيمِ ، وَفَوْضَا لِنَظَرِي التَّفْضِيلِ فَكَتَبْتُ :

يا بَارِكْ عَلَيْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَصَصِ	وَإِذْ كَرَّمَا أَتَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ
حَيْثُ اغْتَدَى السُّحْرُ يَلْهُو بِالْعُقُولِ	وَقَدْ أَحَالَ بَيْنَ حَالِ كَيْدِهِ وَعَيْصِ
عَقَائِلِ الْعَقْلِ وَالسُّحْرِ الْحَلَالِ قُوتٌ	مِنْ كَافِلِ الصُّونِ بَعْدَ الْكُونِ جَحْرُ وَصِ
وَأَقْبَلَتْ تَتَهَادَى كَالْبُدُورِ إِذَا	بَسِخَرٍ مِنْ فَلَكِ النُّدُورِ فِي حِصَصِ
مِنْ اللَّبْدُورِ وَرَبَّاتِ الْخُدُورِ بِهَا	الْمِثْلُ غَيْرِ مَطِيعِ وَالْمِثْلَانِ عَصِ
مَا قُرِصَةُ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ أَنْ	قِيَسَتْ بِمَنْ سِوَى مِنْ جُمْلَةِ الْقُرُصِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يلقها) .

(٢) هذه العبارة وأردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحبال) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

تالله ما حُكِّمَهَا يوماً بِمُنْتَقِضٍ كلاًّ ولا بدرها يوماً بِمُنْتَقِصٍ
 إن قال حُكْمِي فِيهَا بالسَّوَادِ فَقَدْ أَمِنْتُ مَا يَحْذَرُ الْقَاضِي مِنَ الْغُصَصِ
 أَوْ كُنْتُ أَرَخَصْتُ فِي التَّرْجِيحِ^(١) مَجْتَهِداً لَمْ يَقْبَلِ الْوَرَعَ الْفُتْيَا مَعَ الرَّخَصِ
 يَا مُدْلِجَ لَيْلِ التَّرْجِيحِ قِفْ ، فَقَدْ خَفِيَتِ الْكَوَاكِبُ ، وَيَا قَاضِي طَرْفِ
 التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ ، تَسَامَتِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَّاكِبُ ، وَيَا مُسْتَوْكِفَ خَيْرِ
 الْوَقِيعةِ مِنْ وَرَاءِ أَقْتَامِ الْوَقِيعةِ^(٢) ، تَصَالَحَتِ الْمَوَاكِبُ . حَصَّحَ الْحَقُّ
 فَارْتَفَعَ اللَّجْاجُ ، وَتَعَارَضَتِ الْأَدْلَةُ فَسَقَطَ الْاِخْتِجَاجُ ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ
 أَوْزَارَهَا فَسَكَنَ الْعَجَاجُ ، وَطَابَ نَحْلُ الْأَقْلَامِ بِأَزْهَارِ الْأَحْلَامِ ، فَطَابَ
 الْمُجَاجُ ، وَقَلَّ لِفِرْعَوْنَ الْبَيَانُ وَإِنْ تَأَلَّهْ ، وَبَلَدَ الْعُقُولُ وَبَلَّهْ ، وَوَلَّى بِالْفِرْعَوْرِ
 وَدَلَّهْ . أَوْسَعَ الْكِنَانَيْنِ^(٣) نَثَلًا ، وَدُونِكَ أَيَّدَا شَثَلًا ، وَشَخْرَا حَثَلًا ، لَا خَطْمًا
 وَلَا أَثَلًا . إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثَلِي ، وَإِنْ
 أَثَرْتُ أَدَبَ الْحَلِيمِ مَعَ قِصَّةِ الْكَلِيمِ^(٤) ، فَقَلَّ لِمُجْمِلِ جِيَادِ التَّعَالِيمِ ،
 وَوَضَعَ جِغْرَافِيَا الْأَقَالِيمِ ، انْدَلُسَا مَا عَلِمْتَ بِلَدِ الْأَجْمِ ، لَا سُودَ الْعَجْمِ ،
 وَمِنَاحِضِ السَّقُوطِ ، عَلَى شَوْكِ قَتَادِ الْقُوطِ ، وَلَمْ يَذَرِ إِنْ مَحَلَّ ذَاتِ الْعَجَائِبِ
 وَالْأَسْرَارِ ، الَّتِي تُضْرَبُ إِلَيْهَا أَبْطَابُ النَّجَابِ فِي غَيْرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا
 الْوَطْنَ بِشَهَادَةِ الْقَلْبِ الْحَوْلِ . إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ دَارِسٌ . لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مُعَوَّلٍ .
 فَهَذَا لَكَ يَتَكَلَّمُ الْحَقُّ فَيُفْصِحُ وَيُعْجِمُ ، وَيُرِدُّ الْمَلْدَ عَلَى النُّفُوسِ الْجَرِيئَةِ ،
 مِنْ مَطَالِعِ الْأَضْوَاءِ^(٥) فَيُحَدِّثُ وَيُلْهِمُ . وَيَجُودُ خَازِنُ الْأَمْدَادِ ، عَلَى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (التحريج) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الوقية) مرة أخرى .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الكنى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحكيم) .

(٥) كذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأصول) .

المُتوسِّل بوسيلة الاستعداد ، فيقطع ويُسهَم . وأما إقليمنا الرابع والخامس ،
 بعد أن تكافأت المناظر والملابس ، وتناصف الليل الدَّامس واليوم الشَّامس ،
 باعتدال ربيعي ، ومجرى طبيعي . وذكىُّ بليد ، ومعاش وتوليد ، وطريف
 في البداوة وتليد ، ليس به يرباه ولا هَرَم ، يخدم بها دربٌ مُحترم ، ويشبُّ
 لقرياته حُرْم ، فيفيد روحانياً يتصرف ، ورييساً يتعرَّض ويتعرَّف ،
 كلما استنزل صاب^(١) ، وأعمل الانتصاب ، وجلب المآرب ، وأذهب
 الأوصاب ، وعلم الجواب ، وفهم الصواب . ولو فرضنا هذه المدارك ذوات
 أمثال ، أو مسبوقة بمثال ، لتلقينا منشور القضاء بامثال ، لا كِنَّا نخاف
 أن نميل بعض الميل ، فنَجني بذلك أبخس الجرى وإرضا الذَّميل ، ونجرُّ
 تنازُع الفهري مع الصَّميل . فمن خيرٍ مَيِّز ، ومن حَكَم أزرى به وتُهَكِّم ،
 وما سلُّ سيوف الخوارج في الزمن الدَّارج ، إلا التَّحكيم ، حتى جهل^(٢)
 الحكيم ، وخلع الخِطام^(٣) ، ونزع الشُّكيم ، وأضرَّ بالخلق نافع ،
 وذهب الطفل لجراه واليافع ، وذم الذَّمام وردَّ الشَّافع ، وقَطَّر سيف
 قَطْرِي بكل نجيع طري ، وزار الشَّيب الأسد المصهور ، وصلت الغزالة
 بمسجد الثَّقفي وهو محصور ، وانتهبت المقاصير والمُصهور ، إلا أن مُسْتأهل
 الوظيفة الشرعية ، عند الضرورة يُجبر ، والمنتدب للبرِّ مُحبي عند الله
 ويُجبر ، واجعلني^(٤) على خزائن الأرض ، وهو الأوضح والأشهر ، فيها به
 يُسْتَظهر . وأنا فإن حكمتُ على التعجيل ، فغير مُشهِد على نفسى بالتَّسجيل ،
 إنما هو تَلْفِيح برضى وتَطْفِيل ، يُعْتَب عليه من تصدُّع بالحق ويمضى إلا أن

(١) كذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الصاب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (سجل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الخصام) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي الزيتونة (وجعلني) .

يُغْضَى ، ورأى فيها المراضاة والاستصلاح ، وإلا فالسلاح والرُّكاب الطلّاح ،
والصلح خير ، وما استُدْفِعَ بمثل التَّسامح ضَيْر . ومن وقف عليه ، واعتبر
مالديه ، فليعلم أَنى صَدَعَتْ وقطعتُ ، والحقُّ أَطَعْتُ ، وإن أُريدُ إلاَّ
الإصلاح ما استطعتُ ، والسلام .

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر
ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي

من ذرية عثمان أخي كُريب المذكور في نُبهاء ، ثوار الأندلس . وينتسب
سلفهم إلى وائل بن حُجر ، وحاله عند القُدوم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروف .

أوليته

قد ذكر بعضُ منها . وانتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نَباهة وتعيّن
وشهرة عند الحادثة بها ، أو قبل ذلك ، واستقرَّ بتونس منهم ثالث
المحمليين ، محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سِراوة وجِشمة ورسوم حسنة ،
وتصرفَ جدُّ المترجم به للموكها في القيادة

حاله

هذا الرجل الفاضل حسن الخلق ، جم الفضائل^(١) باهر الخصل ،
رفيع القَدْر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصي الزّي ،
على الهمة ، عزوف^(٢) عن الضمّ ، صعب المَقادة ، قوى الجأش ، طامح

(١) وردت في الإسكوريال (الفضل) والتصويب من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (عزوب) وهو تحريف .

لقنن الرياسة ، خاطبٌ للحظّ : متقدم في فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ . صحيح التصوّر ، بارع الخط ، مفرى بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، مبدول^(١) المشاركة ، مقيم لرسوم التعيين ، عاكف على رعى خلال^(٢) الأصالة ، مفرخة من مفاخر الترخوم المغربية .

مشيخته

قرأ القرآن ببلده على المكتب ابن برال . والعربية على المقرى الزواوى وابن العربي ، وتأدب بأبيه ، وأخذ عن المحدث أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى ، وحضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد السلام ، وروى عن الحافظ عبد الله السطى . والرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى ، ولازم العالم الشهير أبى عبد الله الأبلى ، وانتفع به .

توجهه إلى المغرب

انصرف عن إفريقية منشئه . بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحدائة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة . وعرف فضله ، وخطبه السلطان منفق سوق العلم والأدب أبو عنان فارس بن على ابن عثمان ، واستقدمه . واستحضره بمجلس المذاكرة ، فعرف حقه ، وأوجب فضله ، واستعدله فى الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ، ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التانى ، وشفوفه بثقوب الفهم ، وجودة الإدراك . فأغروا به السلطان إغراءً عضده ما جُبل عليه عندئذ من إغفال التحنظ . مما يريب لديه . فأصابته شدة تخلصه

(١) وردت فى الإسكوريال (بدول) . والتصويب من النسخ .

(٢) وردت فى الإسكوريال (طلل) وهو تحريف .

منها أجله ؛ كانت مُغربة في جناء ذلك الملك ، وهناة جواره ، وإحدى العواذل لأولى الهوى في القول بفضله ، [واستأثر به الاعتقال باقى أيام دولته على سُنن الأشراف من الصبر]^(١) وعدم الخشوع ، وإهمال التوسل ، وإبادة المكسوب في سبيل النفقة ، والإرضاخ على زمن المحنة ، وجار المنزل الخشن ، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده ، فأعْتَبَه قِيمَ الملك لحينه ، وأعادته إلى رسمه . ودالت الدولة إلى السلطان أبى سالم ، وكان له به الاتصال . قبل تسوُّغ المحنة^(٢) ، بما أكد حُطوته ، فقلَّده ديوان الإنشاء مُطلق الجرايات ، محرر السَّهام ، نَسِبَه الرُّتبة ، إلى آخر أيامه . ولما أَلقت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله ، مُدبِّر الأمر وله إليه [قَبْل ذلك]^(٣) وسيلة ، وفي حَلِيه^(٤) شركة ، وعندد حق رابَه تقصيره ، عما ارتعى إليه أمَله ، فسَاء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المرينى .

دخوله غرناطة

ورد على الأندلس في أوائل شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية ، واهتز له السلطان . وأرْكَب خاصته لتلقّيه ، وأكرم وفادته ، وخلع عليه ، وأجْلَسَه بمجلسه الخاص . ولم يدخر عنه برا ومواكله ومُطايبة وفكاهة .

وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن
فأجبتة عنها بقولى :

حللت حلول الغيث في البلاد المحل على الطائر الميمون والرحب والسَّهل

(١) هذه العبارة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتيحة) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في النسخ .

(٤) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (جلّه) .

يميناً بمن تَعَنُوَ الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدي^(١) والكهل
 لتمتد نَشَاتٌ عندي للقميالك غبطة تُنسى اغتباطي بالشَّيْبَةِ والأهل
 أقسمت بمن حجت قريش لبيته ، وقبرٍ صرفت أزمة الأحياء لميته ،
 الذي زيارته الأمنية السنية ، والعارفة الوارفة ، واللطيفة المُطيفة ، بين
 رَجْعِ الشَّبَابِ يَقْطُرُ مَاءً ، ويرِفُ نَمَاءً ، ويُعَاذِلُ عُيُونَ الكَوَاكِبِ ، فضلاً عن
 الكَوَاعِبِ ، إشارةً وإيماءً ، بحيث لا الوَخِيطُ يَلْمُ بِسِيَّاحِ لِمَتِهِ ، أو يقْدَحُ
 ذُبَالَةَ فِي ظُلْمَتِهِ ، أو يقوم حواريه في ملته ، من الأحابش وأُمته ، وزمانه
 روح وراح ، ومَعْدَى فِي النِّعَمِ وَمَرَّاحٍ ، وقصِفُ صِرَاحٍ ، ورُقَى وَجِرَاحٍ ،
 وانتخاب واقتراح ، وصدور ما بها إلا انشراح ، ومسرات تردفها أفراح .
 وبين قُدومك خليع الرِّسَنِ ، ممتعاً والحمد لله ، باليقظة والوَسَنِ ، مُحْكَمَا
 فِي نُسْكَ الجَنِيدِ ، أو فتك الحَسَنِ ، ممتعا بظرف المعارف ، مائلاً أَكْفَتِ
 الصَّيَارِفِ ، ما حياً بأزوار البراهين شُبَه الزُّخَارِفِ - لما اخترت الشَّبَابِ ،
 وإن شاقني زمنه ، وأعياني ثمنه ، وأجرت سحاب دمعِي دِمْنَهُ . فالحمد لله
 الذي رقى جنون اغترابي ، وملكني أزمة آرابي ، وغبطني بمأى وترابي ،
 ومألِفِ أَتْرَابِي ، وقد أغضني بلذيد شرابي ، ووقع على سطورهِ المعْتَبِرَةِ
 إِضْرَابِي ، وعجّلت هذه مغبّطة بمناخ المطيية ، ومنتهى الطيية ، ومُلْتَقَى السُّعُودِ
 غير البطيية ، وتَهْنَى الآمال الوثيرة الوطيية ، فما شئت من نفوس عاطشة
 إلى رِيِّكَ ، متجمّلةً بزِيَّكَ ، عاقلة خطى مُهْرِيَّكَ ، ومولى مكارمه نشيدة
 أمثالك ، ومظانٌ مثالك ، وسيصدق الخبر ما هنالك ، ويسع فضيل مجدك
 فِي التخلُّفِ عن الأَصْحَارِ ، لا بل اللقاء من وراء البحار ، والسلام .
 ولما استقرّ بالحضرة ، جرت بيني وبينه مكاتبات ، أقطعها الظرف

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي التعريف بابن خلدون ، ووردت في الإسكوريال

جانبه ، وأوضح الأدب فيها مذاهبه . فمن ذلك ما خاطبته به ، وقد تسرى
جارية رومية إسمها هند [صبيحة الابتناء بها]^(١)

أوصيك بالشيخ أبي بكره لا تأمنن في حالة مكره
واجتنب الشك إذا جئته جنبك الرحمن ما تكره

سیدی ، لازلت تتصف بالواجب ، بين الخلاخل والدماج ، وتركض
فوقها ركض الهمالج . اخبرني كيف كانت الحال ، وهل حطت بالقاع
من خير البقاع الرّحال ، وأحكم بمروء المرأودة الاكتحال ، وارتفع بالسقيا
الإمحال ، وصحّ الانتحال ، وحصحص الحق وذهب المّحال ، وقد
طولعت بكل بشري وبشر ، وزقت هند منك إلى بشر ، فلله من عشيّة
تمتّت من الربيع بفرش موشية ، [وابتدلت منها أي وساد وحشية]^(٢)
وقد أقبل ظبي الكيناس من الدّماس ، ومطوق الحمام من الحمام ، وقد
حسنت الوجه الجميل النظرية ، وأزيلت عن الفرع الأثيث الأبرية ،
وصقلت الخدود فهي كأنها الأمرية ، وسلطت الدلك على الجلود ، وأغرقت
النورة بالشعر المولود ، وعادت الأعضاء ينزلق^(٣) عنها اللّمس ، ولا تنالها
البنان الخمس ، والسحنة يجول في صفحتها الفيضية ماء النعيم ،
والمسواك يلبي من ثنية التنعيم ، والقلب يرمي من الكف الرقيم بالمقعد
المقيم ، وينظر إلى نجوم الوشوم ، فيقول إني سقيم . وقد تفتح ورد الخفر ،
وحكم لزنجى الظفيرة بالظفر ، واتصف أمير الحسّن بالصدود المغتفر ،
ورش بماء الطيب ، ثم أعلّق بباله دُخان العود الرطيب . وأقبلت الغادة

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في النفع كالاتي

(وَأبدلت منها أي آساد وحشيتها) .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي المخطوطين (يزل) والأولى أرجح .

يهدبها اليمُن . وتزفُّها السعادة ، فهي تمشي على استحياء ، وقد ذاع طيب
الريّا ، وراق حُسن المُحيا ، حتى إذا نزع الخُفُّ ، وقُبِلت الأَكُفُّ ،
[وصَحِب المزمَر]^(١) وتجاوب الدَّف ، وذاع الأَرَج ، وارتفع الحَرَج ،
وتجوَّز اللّوا والمنعرج ، ونزل على يشر بزيارة هند الفرَج ، اهتزّت الأرض
وربّت ، وغوصيت الطُّباع البشرية فأبّت . والله در القائل :

ومرت فقالت متى نلتقى فهشّ اشتياقاً إليها الخبيث
وكاد بمزق سربالسه فقلت إليك بُساق الحديث

فلما انسدل جَنح الظلام ، وانتصفت من غريم العِشاء الأخيرة فريضة
الإسلام ، وخاطت خيوط المنام ، عُيون الأنام ، تأنى دُنُو الجلسة ، ومُسارقة
الجلسة ، ثم عَضَّة^(٢) النهد ، وقبلة الفم والخد ، وإرسال اليد من النُجد
إلى الوهد ، وكانت الإمالة القليلة قبل المد ، ثم الإفاضة فيما يُغبط
ويُربغ ، ثم الإماطة لما يُشوّن ويُشغب ، ثم إعمال المسير إلى السرير .
وصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورَضّت فذات صَعبة أي إذلال

هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة ، يراها الغيد من حسن السيرة ،
ثم شرع في حل التُّكة ، ونزع الشُّكة ، وتهيئة الأرض الغرار^(٣) عمل السُّكة ،
ثم كان الوحي والاستعجال . وحَمَى الوطيس والمجال ، وعلا الجزء الخفيف ،
وتضافرت الخُصور الهيف ، وتشاطر الطُّبع العَفيف ، وتواتر التقبيل ،
وكان الأخذُ الوَبيل ، وامتاز الأنوك من النَّبيل ، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ
السَّبيل ، فيالها من نِعَمٍ مُتداركة ، ونفوس في سبيل القِحة مُتسالكة ،
(١) وردت في الإسكوريال (وصحب المزمَر) وفي الزيتون (وصحب المزمَر) .
والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال والزيتونة (عضن) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتون (المرار) . وفي النفع (الغزاز) .

وَنَفْسٌ يَقْطَعُ حُرُوفَ الْحَلْقِ . وَسِبْحَانُ الَّذِي يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ . وَعَظُمَتْ
 الْمَهَانَةُ ، وَكَثُرَتْ بِالْيَدِ الْمُصَانَعَةِ ، وَطَالَ التَّرَاوُغُ وَالتَّرَاوُرُ . وَشَكِيَ التَّجَاوُرُ ^(١)
 وَهَذَا كُلُّهُ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ . وَتَعْظَمُ الْأَهْوَالُ ، وَتُخْسِرُ أَوْ تُرْبِحُ الْأَمْوَالَ ،
 فَمَنْ عَصَا تَنْقَلِبُ ثَعْبَانًا مُبِينًا ، وَنُونُهُ تَصِيرُ تَنْينًا ، وَبَطْلُ لَمْ يَهْلُهُ
 الْمُعْتَرِكُ الْهَائِلُ ، وَالْوَهْمُ الزَّائِلُ ، وَلَا حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ قُرَّتِهِ الْحَائِلُ ، فَتَعْدَى
 فَتَكَةُ السُّلَيْكِ إِلَى فَتَكَةِ الْبِرَاضِ ، وَتَقْلُدُ مَذْهَبَ الْأَزَارِقَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي
 الْإِعْتِرَاضِ ، ثُمَّ شَقَّ الصَّفَّ ، وَقَدْ خَضَّبَ الْكُفَّ ، بَعْدَ أَنْ كَادَ يَصِيبُ
 الْبِرَى ^(٢) بِطَعْنِهِ ، وَيَبْهَوُ بِمَقْتِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ :

طَعَنْتَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفَقَةٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءَهَا
 وَهَذَا هَدَى الْقِتَالَ ، وَسَكَنَ الْخَبَالَ ، وَوَقَعَ الْمَتَوَقَّعُ فَاسْتَرَاحَ الْبِبَالَ ،
 وَتَشَوَّفَ إِلَى مَذْهَبِ الثَّنَوِيَّةِ ، مِنْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّوْحِيدِ بِمُبَالَ ، وَكَثُرَ السُّؤَالُ
 عَنِ الْبِبَالِ بِمَا بَالَ ، وَجَعَلَ الْجَرِيحُ يَقُولُ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى دَمِهِ يَسِيلُ عَلَى
 قَدَمِهِ :

أَنْبَى لَهُ عَنِ دَمِي الْمَسْفُوكِ مُعْتَدِرٌ أَقُولُ حَمَلْتُهُ فِي سَفْكِهِ تَعْبًا
 وَمِنْ سِنَانِ عَادِ عِنَانَا ، وَشَجَاعِ صَارِ هِدَانَا ^(٤) جِبَانَا ، كَلِمَا شَابَتْهُ
 شَائِبَةُ رِيْبَةٍ ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَانْجَحَرَتِ الْحَيَّةُ ، وَمَاتَتِ الْغَرِيْبَةُ
 الْحَيَّةُ ، وَهَذَا يَزِيغُ الْبَصَرَ ، وَيُخْذِلُ الْمُتَنَصِّرَ ، وَيَسْلِمُ الْأَسْرَ ، وَيَغْلِبُ
 الْحَصْرَ ، وَيَجِفُّ اللَّبَابُ ، وَيُظْهِرُ الْعَابَ ، وَيَخْفِقُ الْفَمُؤَادُ ، وَيَكْبُو الْجَوَادُ ،
 وَيَسِيلُ الْعَرَقُ ، وَيَشْتَدُّ الْكَرْبُ وَالْأَرْقُ ، وَيَنْشَأُ فِي مَحَلِّ الْأَمْنِ الْفَرَقُ ،

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النَّفْحِ (التَّحَاوُرِ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَفِي النَّفْحِ (الْبُؤْسِي) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا فِي الزَيْتُونَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (ابْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ) .

(٤) وَارِدَةٌ فِي الْمَخْطُوطَيْنِ . وَسَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ .

وَيُدْرِكُ فِرْعَوْنَ الْغَرَقَ . وَيَقْوَى اللَّجَاجَ وَيَعْظُمُ الْخَرْقَ . فَلَا تَزِيدُ الْحَالَ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا تَعْرِفُ تِلْكَ الْجَارِحَةَ^(١) الْمُؤْمِنَةَ إِلَّا رِدَّةً :
 إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَكَثُرَ^(٢) مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادَهُ
 فَكَمْ مُغْرَى بِطُولِ اللَّبِثِ ، وَهُوَ مِنَ الْخَبْثِ ، يَوْمِلُ الْكُرَّةَ ، لِيَزِيلَ
 الْمَعْرَةَ ، وَيَسْتَنْصِرُ الْخِيَالَ ، وَيَعْمَلُ بِالْيَدِ الْاِحْتِيَالَ :

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصْمِتٍ فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَّقِيلِ أَوْمِتْ
 وَمُعْتَذِرِ بِمَرَضِ أَصَابِهِ ، جَرَّعَهُ أَوْصَابِهِ . وَوَجَعَ طَرْقَهُ ، جَلَّبَ أَرْقَهُ ،
 وَخَطِيبِ أُرْتِجَ عَلَيْهِ أَحْيَانًا ، فَقَالَ سَيُحَدِّثُ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرِ يُسْرًا ، وَبَعْدَ عِيٍّ
 بِيَانًا ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِضَائِحِ الْفُرُوجِ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ أَقْفَالُهَا ،
 وَلَمْ تُسَمَّ^(٣) بِالنَّجِيعِ أَغْفَالُهَا^(٤) ، وَمِنْ مَعْرَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَالنَّكُولِ عَنِ
 الْأَبْكَارِ ، وَمِنْ النُّزُولِ عَنِ الْبِطُونِ وَالسُّرْرِ ، وَالْجَوَارِحِ الْحَسَنَةِ الْغُرْرِ ،
 قَبْلَ ثَقْبِ الدُّرِّ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَحْيِي مِنَ الْبُكْرِ بِالْغَدَاةِ ، وَتُعَلِّمُ مِنْهُ
 كَلَالَ الْأَدَاةِ ، وَهُوَ مَجَالٌ فُضِّحَتْ فِيهِ رِجَالٌ ، وَفِرَاشٌ شُكِّيتَ فِيهِ أَوْجَالٌ ،
 وَأُعْمِلْتَ رَوِيَّةً وَارْتَجَالَ . فَمَنْ قَاتَلَ :

أَرْفَعَهُ طَوْرًا عَلَى إِضْبَابِ سَعَى وَرَأْسَهُ مَضْطْرِبَةً^(٥) أَسْفَلَهُ

كَالْحَدَشِ الْمَقْتُولِ يُلْقَى عَلَى عَوْدٍ لَكِي يَطْرَحُ فِي مَزْبَلِهِ

أَوْ قَابِلٍ :

عَلِمْتَ مِنْ أَيْرَى قَوَى حَسَّهُ يَا حَسْرَةَ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجارحة) . وفي النفع (الجماعة) .
 (٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (فأول) .
 (٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (تسم) .
 (٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال والنفع (أغفالها) . والأولى أرجح .
 (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة والنفع (مضطرب) .

تراه قد مال على أضله
كحائط خرّ على أسه

وقايل :

أبخسني إبليس دأين أصبحا
برجلي ورأسي دُملاً وزُكاما
فليتهدما كانا به وأزیده
رَخاوة أير لا يريد قيساماً

وقائل :

أقول لأبرى وهو يرقب فتكة
به خبت من أير وغالتك داهية
إذا لم يكن للأير بختٌ تعذرت
عليه وجوه من كل ناحية

وقايل :

تعفف فوق الخصيتين كأنه
رشاء إلى جنب الركبة ملتف
كفرخ ابن ذي يؤمين يرفع رأسه
إلى أبويه ثم يدركه الضعف

وقايل :

تكرش أيرى بعدما كان أملسا
وكان غنياً من قواه فأفلسا
وصار جواي للمها أن مرزن بي
مضى الوصل إلا مُنية تبعث الأسي

وقايل :

بنفسي من حبيته فاستخف بي
ولم يخطر المجران منه ^(١) على بال
وقابلني [بالمزء والنجة] ^(٢) بعدما
حططت به رجلى وجردت سيرىالى
وما ارتجى من موسر فوق دكة ^(٣)
عرضت له شيئاً من الحشف البالى
علل ^(٤) لا تزال تُبكى ، وعلل على الدهر تشكى ، وأحاديث تُقص
وتحكى . فإن كنت أعزك الله من النمط الأول ، ولم تُقل . وهل عند

(١) مكذافى المخطوطين . وفى النسخ (يوما) .

(٢) مكذافى الإسكوريان . وفى النسخ (بالغور والنجد) . والبيت ساقط فى الزيتون .

(٣) مكذافى المخطوطين . وفى النسخ (تكة) .

(٤) مكذافى المخطوطين . وفى النسخ (هموم) .

رسم دارس من مُعَوَّل ، فقد جَنَيْتَ الشَّمْر . واستَطَبَّتَ السَّمْر ، فاستدع
الأبواق من أقصى المدينة ، واخرج على قومك في ثياب الزينة . واستبشّر
بالوفود ، وعرف السمع عارفة الجود ، وتبجج بصلاية العود ، وإنجاز
الوعود ، واجن رمّان النُّهود . من أغصان التُّدود ، واقطف ببنان^(١) اللثم
أقح الثُّغور وورد الخُدود . وإن كانت الأخرى ، فاخف الكمد ، وأرض
الشمد ، وانتظر الأمد ، واكذب التوسم ، واستعمل التَّبسم ، واستكثم
النسوة ، وأفض فيهن الرُّشوة ، وتقلد المغالطة وارتكب ، وجيء على
قميصك^(٢) بدم كذب ، واستنجد الرحمن . واستعن على أمورك^(٣) بالكتمان

لا تظهرن لعاذلٍ أو عاذرٍ حالبك في [السراء والضراء]^(٤)

فلرحمة المتنجِّعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وانتشي الأرج ، وارقب الفرج . فكم غمام [طبّق وما همي]^(٥) ،

ومارميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، وأملك بعدها عنان نفسك ، حتى

تُمكِّنك الفرصة ، وتُرفع اليك القبصة ، ولا تشتره^(٦) إلى عمل لا تنفيء

منه بتمام ، وخذ عن إمام ، والله در [عروة بن حزام]^(٧) .

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مُهرى بأشقر مُزبد

وعلمت أني إن أقاتل دونهم أقتل ولم يضرر عدوي مشهدي

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الزيتونة (بنار) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (قميصه) . والعبارة ساقطة في الزيتونة .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (أمرك) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في النفح (السراء والضراء) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في النفح (طما) .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (نسرع) .

(٧) هكذا ورد هذا الاسم في الإسكوريال . ولم يرد في الزيتونة سوى كلمة (عروة) .

وورد في النفح (الحرث بن هشام) .

ففررت منهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مُنْسِد
واللبانات تَلين وتَجْمَح ، والمآرب تَدنو وتَنْزَح ، وتَحْرَن ثم تَسْمَح ،
وكم من شُجَاعٍ خَام . ويَقْظُ نَام ، ودليل أخطأ الطريق ، وأضلَّ الفريق ،
والله عز وجل يجعلها خَلَّةً موصولة ، وشَمَلًا أكنافه بالخير مَشْمُولَةٌ ، وبِنِيَّةِ
أركانها لركاب^(١) اليَمَن مأمولة ، حتى يكثر خَدَم سیدی وجواریه ،
وأسرته وسراریه ، وتَضْمُنُو عليه نعمة^(٢) باریه ، ما طُورِد قَنِيص ، واقتُحِم
عِيص ، وأذرك مرام عویص ، وأعطى زاهد وحُرْم حریص . والسلام .

تواليفه

شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً ، دلَّ فيه على انفساح
ذُرْعِهِ ، وتفنُّن إدراكه ، وغزارة حِفْظِهِ . ولخص كثيراً من كُتُب ابن رشد .
وعلق للسلطان أيام نظره في العلوم العقلية ، تقييداً مفيداً في المنطق ،
ولخص مُحَصِّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب [الرازي]^(٣) . وبذلك
داعبته أول لُقمية لُقميته ببعض منازل الأشراف ، في سبيل المبرة بمدينة
فاس ، فتملت له لي عليك مُطالبة ، فإنك لخصت « مُحَصِّلِي » . وألف
كتاباً في الحساب . وشرع في هذه الأيام في شرح الرَّجَز الصادر عنى في
أصول الفقه ، بشيء لا غاية وراءه في الكمال^(٤) . وأما نشره وسُلْطانيَّاته ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (لركائب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (نعم) .

(٣) يعرف الإمام فخر الدين الرازي (وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المتوفى

سنة ٦٠٦ هـ) يعرف بابن الخطيب .

(٤) ورد في آخر اللوحة 252 إسكوريال ، بعد هذه الكلمة ، ما يأتي مدونا بقلم الناسخ :

« قلت هذا المقدار هو الذي ذكره الشيخ ابن الخطيب عن تواليفه هذا الفاضل المترجم به لمكان وفاة
الشيخ قبل المترجم . ولو علم الشيخ رحمه الله بكتابه المشهور ، الذي سحر به الخاص والجمهور
المسمى « بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الأكبر » لخلاه بما يجب في حقه ، وإن انتهى إلى غاية فلا يتأدى في صدقه . ولقد =

مُرْسَلُهَا وَمُسَجَّعُهَا ، فَخُلِجَ بِلَاغَةِ ، وَرِيَاضُ فَنُونِ ، وَمَعَادِنُ إِبْدَاعِ ، يُفْرَغُ
عَنْهَا يِرَاعُهُ الْجَرِيُّ ، شَبِيهَةُ الْبَدَائِعَاتِ بِالْخَوَاتِمِ ، فِي نِدَاوَةِ الْحُرُوفِ ،
وَقُرْبِ الْعَهْدِ بِجَرِيَةِ الْمِدَادِ ، وَنَفُوذِ أَمْرِ الْقَرِيحَةِ ، وَاسْتِرْسَالِ الطَّبِيعِ .
وَأَمَّا نَظْمُهُ ^(١) ، فَنَهَضَ لِهَذَا الْعَهْدِ قُدَمًا فِي مِيدَانِ الشُّعْرِ . وَأَغْرَى نَقْدَهُ
بِاعْتِبَارِ أَسَالِيْبِهِ ، فَانْتَالِ عَلَيْهِ جَوْهُ ، وَهَانَ عَلَيْهِ صَعْبُهُ ، فَآقَى مِنْهُ بِكُلِّ
غَرِيبَةٍ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَخَاطِبُ السُّلْطَانَ مَلِكَ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْمِيْلَادِ الْكَرِيمِ
عَامِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةَ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ :

وَأَطْلُنْ مَوْقِفَ عَبْرِي وَنَحِيْبِي	[أَسْرَفْنَ فِي دَجْرِي وَفِي تَعْذِيْبِي
لِوَدَاعِ مَشْغُوفِ الْفُؤَادِ كَثِيْبِي	وَأَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيِّنِ مَوْقِفَ سَاعَةِ
قَلْبِي رَهْمِيْنَ صَبِيْبَابَةٍ وَوَجِيْبِي	لِلَّهِ عَهْدَ الظَّاعِنِيْنَ وَغَسَادِرِوَا
فَشَرِقَتْ بَعْدَهُمْ بِمَاءِ غُرُوبِي	غَرَبَتْ رَكَائِبُهُمْ وَدَمَعِي سَافِحِي
رَحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي	يَا نَاقِعًا بِالْعَتَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ
مَاءِ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيْبِي	يَسْتَعْذِبُ الصَّبَّ الْمَلَامِ وَإِنِّي
لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلِي وَحَبِيْبِي	مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوِي
لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسِ رَبِيْبِي	أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعًا
فِي عِظْفِهَا لِلدَّهْرِ آيَ نَحُطُوبِي	عَبَّئْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَيْلِي وَتَرَدَّدْتُ
لِيَجِدَّهَا وَصَفِي وَحُسْنَ نَسِيْبِي	تَبْلِي مَعَاهِدَهَا وَإِنْ عَهْدُهَا
هَزَّتْهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْبِيْبِي	وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتِيْمِي
أَلْوِي بَدِيْنِ فُؤَادِي الْمَنْهُوبِي	إِلَيْهِ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيْلِ فَإِنَّهُ

= اخترع فيه ، من بين المناحي مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وسلك فيه من الحديث على العلوم ، وتنقيح الفهوم ، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من الأعراض الذاتية والخيالات والحلوم ، مسلكا غريبا . رحم الله مبدعه ، ومتع في أعلى عليين مخترعه .

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (شعره) . وقد أثرنا الأول تجنبنا للتكرار

لم أنسها والدهر يثني صرفه
 والدار مونة محاسنها بما
 يا سائق الأظعان تغتسب الفلا
 تهافتاً عن رخل كل مُدلل
 تهناذب النفحات ففضل رداه
 إن هام من ظما الصباية صحبه
 في كابل شُعب مُنية من دونها
 هلاً عطفمت صدورهن إلى التي
 فتبم من أكتاف يشرب مأمنا
 حيث النسوة أيها مجلوة
 سر غريب لم تحجبه الثرى
 باسيد الرسل الكرام ضراعة
 عاقت ذنوبى عن جنابك والمنى
 لا كالآلىء صرفوا العزائم للثقى
 لم يُخلصوا الله حى فرقوا
 دب لى شفاعتك التى أرجو بها
 إنَّ النجاه وإن أتيت لا هرى
 إني دعوتك واثماً بإجابتي
 قصرت فى مدحى فإن يك طيباً
 ماداعسى يبعنى المطيل وقدحوى
 يا هل تبلىنى الليلالى زورة
 أمحو خطيئاتي بإخلاصى بها

ويغض طرفى حسادٍ ورقيب
 لبيست من الأيام كل قشيب
 وتواصل الآساد بالتأويب
 نشوان من أين ومسر لغوب
 فى ملتقاها من صباً وجنوب
 نهلوا بمورد دمه المسكوب
 هجر الأمانى أو لقاء شعوب
 فيها لبانة أعين وقلوب
 يكفنيك ما تخشاه من تشريب
 تتلو من الآثار كل غريب
 ما كان سر الله بالمحجوب
 تقضى من نفسى وتذهب حوبى
 فيها تعللنى بكل كسئوب
 فاستأثروا منها بخير نصيب
 فى الله بين مضاجع وجنوب
 صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبى
 فيفضل جاهك ليس بالتسبيب
 يا خير مدعو وخير مجيب
 فيها لذكرك من أريج الطيب
 فى مدحك القرآن كل مطيب
 تبنى إلى الفوز بالمرغوب
 وأحط أوزارى وإضر ذنوبى

في فتية هجروا المنى وتعودوا
 يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا
 إن رثم الحادى بذكرك رددوا
 أو غرد الركب الخلى بطيبة
 ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم
 الطاعنون الخيل وهى عوابس
 والواهبون المقربات هواتناً
 والمانعون الجار حتى عرضهم
 تُخشى بواديرهم ويرجى حلمهم

ومنها بعد كثير :

سائل به طامى العباب وقدسرى
 تهديه شهب أسنة وعس...زائم
 حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه
 يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى
 جمعوا بحفظ الدين آى مناقب
 لله مجدك طارفاً أو تالداً
 كم رهبة أو رغبة لك موالعلا
 لا زلت مسرورا بأشرف دولة
 تحبى المعالى غادياً أو رائحاً

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان . وفيها الحيوان

الغريب المسمى بالزرافة :

(١) وردت هكذا فى الإسكوريال والفتح . وفى التعريف (تزجيه ريج) .

قَدَحَتْ يَدَ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي وَكَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةَ الْوَجْدِ
 وَنَبَذَتْ سُلُوَانِي عَلَى ثِقَةٍ بِالْقُرْبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ
 وَلِرُبِّ وَصَلْتُ كُنْتُ آمَلُهُ فَاعْتَصَمْتُ مِنْهُ مَوْلِمُ الصَّدِّ
 لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلِبُهُ إِنْ الْغَرَامِ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي
 يَلْحَى الْعُدُولَ فَمَا أَعْنَفُهُ وَأَقُولُ ضَلُّ فَأَبْتَنِي رُشْدِي
 وَأَعَارِضُ النَّفْحَاتِ أَسَاطِمَا بَرْدَ الْجَوَى فَتَزِيدُ فِي الْوَقْدِ
 يَهْدِي الْغَرَامَ إِلَى مَسَالِكِهَا لِتَعَلُّي بِضَعِيفٍ مَا تُهْدِي
 يَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ^(١) مُعْتَسِفًا طَى الْفَلَاةَ لَطِيَّةَ الْوَجْسِدِ
 أَرِحِ الرَّكَّابَ فِي الصَّبَا نَبَاً يُغْنِي عَنِ الْمُسْتَنَةِ الْجُرْدِ
 وَسَلِ الرَّبُوعَ بِرَامَةٍ خَيْرًا عَنِ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ
 مَا لِي تُلَامَ عَلَى الْهَوَى خُلُقِي وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي سَوَى الْحَمْدِ
 لِأَبَيْتُ إِلَّا الرَّشْدَ مَذْوَضِحَتِ بِالْمُسْتَعِينِ مَعَالِمِ الرَّشْدِ
 نَعَمِ الْخَلِيقَةَ فِي هُدًى وَتَقَى وَبِنَاءِ عِزِّ شَامِخِ الطُّودِ
 نَجَلُ السَّرَاةِ الْغُرِّ شَانَهُمْ كَسِبَ الْعُلَا بِمَوَاهِبِ الْوَجْدِ

ومنها في ذكر خلوصه إليه : وما ارتكبه فيه :

اللَّهُ مِنْبِي إِذْ تَأَوَّبَ بِنِي ذَكَرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقِ فَرْدِ
 شَهْمٌ يَفْلُ بَوَاتِرِ قُضْبَا وَجَمْعٍ أَقْيَالِ أَوْلَى أَيْدِ
 أَوْرَيْتُ زَنْدَ الْعِزْمِ فِي ظَلِي وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قِصْدِي
 وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمَأٍ مَسَادِلِهِ فَرَوَيْتُ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ رِفْدِ
 هِيَ جَنَّةُ الْمَاوِي لِمَنْ كَلِمَتِ آمَسَالِهِ بِمِثَالِبِ الْمَجْدِ
 لَوْلَمْ أُعَالَ بِوَرْدِ كَرْدِهَا مَا قَلَّتْ هِنْدِي جِنَّةَ الْخُلْدِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفتح . وفي التعريف (الأطمان) .

من مُبْلَغٍ قَوِيٍّ وَدُونِهِمْ
إِنِّي أَنْفَتُ عَلَى رَجَائِهِمْ
وَمِنْهَا

وَرَقِيمَةَ الْأَعْطَافِ حَالِيَةً
وَحَشِيَّةَ الْأَنْسَابِ مَا أَنْسَتُ
تَسْمُو بِجَيْدٍ بِالْغِصَصِ
طَالَتْ رُؤُوسُ الشَّامِخَاتِ بِهِ
قَطَعْتَ إِلَيْكَ تَنَائِفًا وَصَلْتَ
نَحْدَى عَلَى اسْتِصْعَابِهَا ذُلًّا
بِسَعُودِكَ اللَّائِي ضَمِنَّا لِنَا
جَاءَتْكَ فِي وَفْدِ الْأَحَابِشِ لَا
وَأُفُوكَ أَنْضَاءُ تُقَلِّبُهُمْ
كَالطَّيْفِ يَسْتَقْرَى مَضَاجِعَهُ
يُثْنُونَ بِالْحُسْنَى الَّتِي سَبَقَتْ
وَيُرُونَ لِحَظِّكَ مِنْ وِفَادَتِهِمْ
يَا مُسْتَعِينًا جَلًّا فِي شَرَفٍ
جَازَاكَ رَبُّكَ عَنْ خَلْقِيَّتِهِ
وَبَقِيَّتِ لِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا

وَقَالَ يَخَاطَبُ صَدْرَ الدَّوْلَةِ فِيمَا يَظْهَرُ مِنْ غَرَضِ الْمُنَظُومِ (٣) :

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النسخ (بالقرد) وهو تحريف .
(٢) كل ما تقدم من شعر ابن خلدون المحصور بين الحاصرتين ، وارد في الإسكوريال
وساقط في الزيتونة .
(٣) المقصود بصدر الدولة هنا هو الوزير عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب يومئذ .

نادى لشكوى البتِّ خَيْرَ سَمِيعٍ
 بالقرب كنت لها أَجَلٌ شَفِيعٍ
 منها فأصبح في الأجاجِ شروعي
 ليس الزمان لشمْلِها بصدوع
 إني المصون وأنت غير مُضِيعٍ
 دون الأنام هَواك قبل نُزوعٍ
 فصهدتَهم عني وكنْتَ مَنِيعِي
 وتقطعت أنفاسهم بصنِيعِي
 حسداً فرأوني بكلِّ شَنِيعٍ
 قد صُنَّتْها عنهم بفضْلِ قُنُوعِي
 ما كان طيِّعه لهم بمُطِيعٍ
 حسي بعلمك^(٢) ذاك من تفرِيعِي
 اعتدُّها لفؤادي المصدوع
 فتحول ما بيني وبين هُجُوعِي
 نَفَثَ الإِبَاءُ صُدُودَهم في رُوعِي
 وأروح أَعَثُرُ في فضولِ دموعِي
 فتُسِيرُ في الأوهامِ كلِّ مروعٍ
 حملُ الهمومِ تَجُولُ بين ضلُوعِي
 بحوادثِ جاءت على تنويعِ

يا سَيِّدَ الفضلاءِ دعوة مُشْفِقٍ
 مالي وللإقصاءِ بعد تَعَلَّةٍ
 وأرى الليالي رَنَقَتْ لي صافيا
 ولقد خَلَصْتُ إِلَيْكَ بالقرب التي
 ووثقتُ منك بَأَى وعد صادقٍ
 وسما بنفسِي للخليفة طاعةً
 حتى انتَحاني الكاشِحون بسعيهم
 رَغِمَتْ نفوسهم^(١) بنُجُوحِ وسائلِي
 وبغوا بما نَقِمُوا عَلَيَّ خلائقِي
 لا تُطْمِعْهُمْ ببَدَلٍ في السِي
 أَلِيَّ أَضامُ وفي يدي القَلَمُ الذي
 ولي الخصائصِ ليس تَأبِي رُتَبَةَ
 قسماً بمجدك وهو خير أَلِيَّةٍ
 إني لتَصْطَحِبُ الهمومِ بمُضْجَعِي^(٣)
 عطفاً على بوخلتِي عن معشرِ
 أغدو إذا باكرتهم مُتَجَلِّداً
 حيرانُ أوجس عند نفسي خيفة
 أطوى على الزَفَرَاتِ قلباً إِدُهُ
 ولقد أقول لَصَرْفِ دهرِ رابِي

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الاسكوريال والنفح (أنوفهم) .

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال والزيتونة . وفي النفح (بعلمي) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطرة في الاسكوريال والنفح . ووردت في الزيتونة كالآتي (اني ليضطجع

الوم بمضجعي) .

مَهْلًا عَلَيْكَ فليس خَطْبُكَ ضَائِرِي
 إِنِّي ظَفِرْتُ بِعَصْمَةٍ مِنْ أَوْحَدٍ
 وَأَنْشُدُ السُّلْطَانَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبَا الْحِجَّاجِ،
 لِأَوَّلِ قَدُومِهِ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ الْكَرِيمِ، مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ :

[حَىِّ الْمَعَاهِدِ كَانَتْ قَبْلُ تُحْيِينِي
 إِنْ الْأَلَى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارِهِمْ
 وَقَفْتُ أَنْشُدُ صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمْ
 أَمْثَلُ الرَّبْعِ مِنْ شَوْقٍ وَالْثُمَّه
 وَيَنْهَبُ الْوَجْدُ مِنِّي كُلَّ لَوْلُؤَةٍ
 سَقَّتْ جَفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ
 قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الْهَوَى شُغْلٌ
 أَحْبَابُنَا هَلْ لِعَهْدِ الْوَصْلِ ^(٢) مَدَّكَرٌ
 مَالِي وَاللَّطِيفُ لَا يُعْتَادُ ^(٣) زَائِرُهُ
 يَا أَهْلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا
 أَعِنْدَكُمْ أَنِّي مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ
 أَصْبُوا إِلَى الْبَرْقِ مِنْ أَنْجَاءِ أَرْضِكُمْ
 يَا نَازِحًا وَالْمُنَى تُدْنِيهِ مِنْ خَلْدِي
 أَسْأَلِي هَوَاكَ فَوَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا
 تَرَى اللَّيَالِي أَنْسَتَكَ ادِّكَارِي يَسَا

بِوَاكِفِ الدَّمْعِ يُرْوِيهَا وَيُظْمِينِي
 تَحْمَلُوا الْقَلْبَ فِي آثَارِهِمْ دُونِي
 فِيهِمْ وَأَسْأَلُ رَسْمًا لَا يُنَاجِينِي
 وَكَيْفَ وَالْفِكْرُ يُدْنِيهِ وَيُقْصِينِي
 مَا زَالَ جَفْنِي ^(١) عَلَيْهَا غَيْرَ مَأْمُونٍ
 فَالِدَمْعُ وَقَفَّ عَلَى أَطْلَالِهِ الْجُونِ
 لَوْ أَنَّ قَلْبِي إِلَى السُّلْوَانِ يَدْعُونِي
 مِنْكُمْ وَهَلْ نَسْمَةٌ مِنْكُمْ تُحْيِينِي
 وَلِلنَّسِيمِ عَلِيلًا ^(٤) لَا يُدَاوِينِي
 حُسْنًا سَوَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْنِ
 إِلَّا أَنْشَيْتُ كَأَنَّ الرَّاحَ تُشْنِينِي
 شَوْقًا وَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ يُصْبِينِي
 حَتَّى لِأَخْسِيهِ قُرْبًا يُنَسَاجِينِي
 سِوَاكَ يَرِمَا بِحَالِ عَنكَ يُسْلِينِي
 مَنْ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ الْأَيَّامَ تُنْسِينِي

(١) هكذا وردت في الزيتونة والنفح . وفي التعريف (قلابي) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح والتعريف . وفي الزيتونة (الود) .

(٣) هكذا في الاسكوريال والنفح والتعريف . وفي الزيتونة (يعود) .

(٤) هكذا في الاسكوريال والنفح والتعريف . وفي الزيتونة (عليل) .

ومنها في ذكر التفريط :

أَبْعَدُ مَرَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي ذَهَبْتُ
أَضَعْتُ فِيهَا نَفْسًا مَا وَرَدْتُ بِهِ
وَاحْسَرْتَا مِنْ أَمَانِي كُلِّهَا خِدَعٌ
أَوَّلَى الشَّبَابِ بِإِحْسَانِي وَتَحْسِينِي
إِلَّا سَرَابٌ غُرُورٌ لَيْسَ يَرُويُنِي
تَرِيشٌ غَيِّبِي وَمَرُّ الدَّهْرِ يُبْرِينِي

ومنها في وصف المشور المبتنى لهذا العهد :

يَا مُصْنَعًا شِيدَتْ مِنْهُ السُّعُودُ حَمِي
لَا يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بِتَوْهِينِ
صِرْحٌ يَحَارُ لَدَيْهِ الطَّرْفُ مُفْتَتِنًا
فَمَا يَرُوقُكَ مِنْ شَكْلِ وَتَلْوِينِ
بُعْدًا لِإِيْوَانِ كَسْرِي إِنَّ مَشُورَكَ السَّامِي لِأَعْظَمِ
مِنْ تِلْكَ الْأَوَاوِينِ
وَدَعَّ دَمَشِقًا وَمَغْنَاهَا فَكُصْرُكَ ذَا
أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ (١)

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الصَّحْبِ الْأَلَى جَهَلُوا
وُدِّي وَضَاعَ حِمَاهِمُ إِذْ أَضَاعُونِي
إِنِّي أَوَيْتُ مِنَ الْعَلْيَا إِلَى حَرَمٍ
كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرَى تَحِينِي
وَإِنِّي ظَاعِنٌ لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ
دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصْمًا يُشَاكِينِي
لَا كَالَّتِي أَخْفَرَتْ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهَوْنِ
سُقْيَا وَرَعِيًّا لِأَيَامِي إِلَى ظَفِيرَتِ
يَدَايِ مِنْهَا بِحِظٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ
ارْتَادَ مِنْهَا مَلِيًّا لَا يَمَاطِلْنِي
وَعَدًّا وَأَرْجُو كَرِيمًا لَا يُعْنِينِي
وَهَاكَ مِنْهَا قَوَافٍ طِيهَا حِكْمٌ
مِثْلَ الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيَاحِينِ
تَلُوحُ إِنْ جُلَيْتِ دُرًّا وَإِنْ تُلَيْتِ
تُشَى عَلَيْكَ بِأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ
عَانَيْتُ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ
لَوْلَا سُعُودُكَ مَا كَانَتْ تُوَاتِينِي
يَمَانِعُ الْفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ
مِنْ حُزْنٍ بَطِيٍّ الصَّدْرُ مَكْنُونِ

(١) ما بين الخاصرتين من بداية هذه القصيدة ساقط في «الزيتونة». ولم يرد منها فيه

سوى قسمها الأخير في التعريض بالوزير عمر بن عبد الله.

لكن بسعدك ذللت لي شواردها فرضتُ منها بتحبير وتزيين
 بقيت دهرك في أمنٍ وفي دعةٍ ودام مُلكك في نصرٍ وتمكين
 وهو الآن قد بدا له في التحول ، طوع أملٌ ثاب له في الأمير أبي عبد الله
 ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص ، لما عاد إليه مُلك بجاية ، وطار إليه
 بجناح شراع ، تفيماً ظله ، وصك من لدنه رآه مستقرا عنده ، يُدعم ذلك
 بدعوى تقصير خفي أحس به ، وجعله علّة مُنقلبه ، وتجنّ سار منه في
 مذهبه وذلك في^(١) من عام ثمانية وستين وسبعمائة . ولما بلغ بجاية
 صدق رأيه ، ونجحت مُخيلته ، فاشتمل عليه أميرها ، وولاه الحجابة بها .
 ولم ينسب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة ،
 ومملك البلدة بد مهلكه ، وأجرى المترجم به على رسمه بما طرق إليه الظنة
 بمدخلته في الواقع . ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس ، وانصرف عنه ،
 واستوطن بسكرة ، متحوّلاً إلى جوار ربيسها أبي العباس بن مزني ، متعلّلاً
 برفده إلى هذا العهد .

وخاطبته برسالة في هذه الأيام ، تنظر في اسم المؤلف في آخر الديوان .

مولده

بمدينة تونس بلده ، حرسها الله ، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين
 وسبعمائة^(٢) .

(١) هنا بياض في المخطوط . ونقول تكلّة للسياق إن استيلاء الأمير أبي عبد الله محمد الحفصي
 على بجاية كان في رمضان سنة ٧٦٥ هـ ، وأن ابن خلدون غادر الأندلس ، تلبية لدعوة الأمير ، حسبما
 يحدثنا في « التعريف » ، في منتصف عام ٧٦٦ هـ ، وأقلع من ثغر المرية ، فوصل إلى بجاية لخمسة
 أيام من سفره (رجب سنة ٧٦٦ هـ) (راجع التعريف بابن خلدون ص ٩٧ و ٩٨ - وراجع كتابي
 « ابن خلدون » (الطبعة الثالثة - ص ٥٠ و ٥١) .

(٢) توفي ابن خلدون بمدينة القاهرة المعزية في^٦ السادس والعشرين من شهر رمضان سنة
 ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ م ، ودفن ، حسبما يذكر لنا السخاوي في ترجمته ، « بمقابر
 الصوفية » خارج باب النصر .

[عبد الرحمن بن الحاج بن القمبي الإلبيري]

حاله : كان شاعراً مجيداً، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة قاضي
غرناطة ، ومن نصره من الفقهاء ، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً ، وطيف به
على الأسواق بغرناطة ، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبيري الزاهد ،
وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور ، الأبيات الشهيرة :

السَّوْطُ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ قِيلٍ وَمِنْ نَبَاحٍ سَفِيهِ بِالْأَبَاطِيلِ
مِنَ الدَّارِ كَحَرِّ النَّارِ أَبْسَرَاهُ يَعْقِلُ التَّقَاضِي أَي تَعْقِيلٌ ^(١)

عبد الرحمن بن يخلف بن أحمد بن تفلت الفازازي

يكنى أبا زيد .

حاله

كان حافظاً نظاراً [ذكياً] ^(١) ذا حظٍّ وافر من معرفة أصول الفقه
وعلم الكلام ، وعناية بشأن الرواية ، مُتَبَدِّلاً في هيئته ولباسه ، قلماً يرى
راكباً في حَضْرٍ إِلَّا لضررة ، فاضلاً ، سَنِيًّا ، شديد [الإنكار] ^(٢) والإنحاء
على أهل البدع ، مُبَالِغاً في التحذير منهم ، عامر الإتياء ^(٣) ، يطلب العلم
شَغْفًا به ، وانطباعاً إليه ، وحبًّا فيه ، وحرصاً عليه ، آية من آيات الله في
سرعة البديهة ، وارتجال النظم والنثر وفور مادته ، وموالات استعماله ،
لا يكاد يُقْمِدُ ، ولا يصرفه عنه ، إِلَّا نَسِخَ أو مطالعة علم . أو مذاكرة

(١) وردت هذه الترجمة الموجزة في مخطوط الزيتونة (لوحه ١٨١ من الجزء الثاني)

ولم ترد في مخطوط الإسكوريال فرأينا إثباتها .

(٢) واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (أناه) . وفي الزيتونة (لأناه) ، ونعتقد أن التصويب

أنسب للسياق .

فيه ، حتى صار له ملكة ، لا يتكلف معها الإنشاء ، مع الإجابة ، وتمكن البراعة . وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ، ملتزماً بذلك ، كارها له ، حريصاً على الانتظام عنه ، واختص بالسيّد أبي إسحق بن المنصور ، وبأخيه أبي العلاء ، وبلازمتهما استحق الذكر فيمن دخل غرناطة ، إذ عدّ ممن دخلها من الأمراء .

مشيخته

روى عن أبيه أبي سعيد ، وأبي الحسن جابر بن أحمد ، وابن عتيق بن مون ، وأبي الحسن بن الصايغ ، وأبي زيد السهيلي ، وأبي عبد الله التُّجيبِي ، وأبي عبد الله بن الفخّار ، وأبي محمد بن عبّاد الله ، وأبي المعالي محمود الخراساني ، وأبي الوليد بن يزيد بن بَتمِي وغيرهم . وروى عنه ابنه أبو عبد الله ، وأبو بكر بن سيّد الناس ، وابن مهدي ، وأبو جعفر بن علي ابن غالب ، وأبو العباس بن علي بن مروان ، وأبو عمرو بن سالم ، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم ، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن سالم ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمران ، وأبو يحيى بن سليمان ابن حَوْطِ الله ، وأبو محمد بن قاسم الحرار ، وأبو الحسن الرُّعيني ، وأبو علي الماقري .

توآلفه ومنظوماته

له المَعْشَرَاتُ الزُّهْدِيَّةُ ، التي ترجمها بقوله : «المعشرات الزهدية ، والمذكرات الحقيقية الجدّية ، ناطقة بالسنة الوجليلين المُشْفِقِينَ ، شايقة إلى مذاهب السالكين المُسْتَبْقِينَ . نظمها متبركاً بعبادتهم^(١) متيماً بأغراضهم وإشاراتهم ، قابضاً عنان الدعوى عن مُداناتهم ومُجاراتهم ، مهتدياً إهداء

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي الإسكوريال (بعبادتهم) .

السُّنن الخمس ، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم ، مُخَلِّداً دون أفقهم العالى ، إلى حَضِيضِهِ ، جامعاً لحسن أقواله . وقبح أفعاله ، بين الشَّيْءِ وَنَقِيضِهِ . عبد الرحمن » . وله « المَعَشَّرَاتِ الحُبِّيَّةِ ، وترجمتها النَّفْحَاتِ القَلْبِيَّةِ ، واللَّفْحَاتِ الشُّوقِيَّةِ ، منظومة على ألسنة الداهيين وَجَدّاً ، الدَّايِبِينَ كَمَدّاً ، وَجَهْدّاً ، الذين غَرَبُوا ، وبقيت أنوارهم ، واحتجَبُوا وظهرت آثارهم ، ونطقوا وَصَمَّتْ أخبارهم ، ووفَّوا العُبودية حقها ، وَمَحْضُوا المحبة مُسْتَحَقَّهَا ، نَظْمٌ من نَسَجٍ على منوالهم ، ولم يشارِكهم إلا فى أقوالهم فلان . والقصايد ، فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، التى كل قصيدة منها عشرون بيتاً ، وترجمتها الوسائل المُتَقَبَّلَةُ ، والآثار المسلمة المُتَقَبَّلَةُ ، مُودَعَةٌ فى العشرينية^(١) النبوية ، والحقايق اللفظية والمعنوية ، نَظْمٌ من اعتقدها من أركى الأعمال ، وأعدَّها لما يستقبله من مُذهِشِ الأهوال ، وفرَعِ خاظره لها ، على توالى القواطع ، وتتابع الأشغال ، ورجا بَرَكَةَ خاتم الرِّسالة ، وغاية السُّودِّ والجلالة ، مَحْوً ما لسلفه من خطأ فى الفعل ، وزَللٍ فى المقال ، والله سبحانه ولىُّ القبول للتَّوبَةِ ، والمنان بتسويغ هذه المِنَّة المطلوبة ، فذلك يسير فى جَنبِ^(٢) قدرته ، ومَعْهُودِ رحمته الواسعة ومَغْفِرته .

شعره

وشعره كثير جداً ، ونشره مشهور وموجود . فمن شعره فى غرض الشكر لله

عز وجل ، على غَيْثِ جَاءَ بَعْدَ قَحْطِ :

نعم الإله بشكره تتقيَّد فالله يُشكر فى النِّوالِ ويحمد
مُدَّتْ إليه أَكْفُنَا محتاجةً فأنا لها من جُوده ما نعهد

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الشعرية) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (جانب) .

وأغاثنسا بغماسيم وكافسة
 حملت إلى ظمها البسيطة ربه
 فالجوُّ برّاق والشُّعاع مُنضَض
 والأرض في حلي الأتي كأنما
 والروض مَطْلُول الخمايل باسم
 تاهت عقول الناس في حركاتها
 فيقول أرباب البطالة تنشني
 وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها
 هذا هو الفضل الذي لا ينقضي
 إحضر فؤادك للقيام بشكره
 وانفضْ يديك من العباد فكلُّهم
 وإذا افتقرت إلى سواه فإنما
 نعم الإله كما تشهد حُجَّة
 فانظر إلى آثار رحمته التي
 يا ليت شعري والدليل مُبلِّغ
 من ذا الذي يرتاب أن إلهة
 كل يصرح حاله ومقاله
 ومن شعره أيضاً قوله :

عجباً لمن ترك الحقيقة جانباً
 وابتاع بالحق المُصَحَّح حاضراً
 وغدا لأرباب الصواب مُجانباً
 ما شاء للزور المُعَلَّل عسايباً

(١) وردت في الإسكوريال (المجلد) . والتصويب من الزيتونة .

وأشدَّ عاديةً^(١) وأمضى قاضياً
حتى ترى الإحضرار منه عواقبها
دون الصواب هوىً وأصبح غالباً
كتبُ تعبُّ من الضلال كتابها
طاليس ودونهما تسلك طريقاً لاجباً^(٢)
ومتألم تأني الأحقِّ الواجبها
أعزَّز على بآنٍ تعمر جانبها
في بحر هلك ليس يُنجي عابها
حتى جعلت له الحبير^(٣) شايها
فيمن تسرى إلا دعياً كاذبها
فارتد مسلوباً ويحسب سالبها
من أن أكون عن المحجَّة ناكبها

من بعد ما قد صار أنفذ أسهما
لا تخذعنك سوابق من سابق
فلربما اشتدَّ الخيسال وعاقه
ولكم إمامٌ قد أضرَّ بفهمه
فانحرف بأفلاطون وأرسطا
ودع الفلاسفة الذميمة جميعهم
ياطالب البرهان في أوضاعهم
أغرَضت عن شطِّ النجاة ملججاً
وصفاً للدليل فما نفعت بصفوه
فانظر به ذلك هل ترى متفلسفاً
أعيتته أعباءُ الشريعة شديدةً
والله أسألُ عصمةً وكفايةً

ومن شعره :

ومنك وجدتُ اللطف في كل نايب
وهل مستحيل في الرجاء كرايب
شماتة عدوٍّ أو إسائة صاحب
وسترك ضافٍ من جميع الجوانب
وكانت شجاً بين الحشا والترائب
سوى حسن ظني بالجميل المواهب

إليك مددتُ الكف في كل شدة
وأنت ملاذُ والأنام بمغزل^(٤)
فحقق رجائي فيك ياربُّ واكفني
ومن أين أخشى من عدوِّ إسائة
وكم كربة نعبتني من غمارها
[فلا قوة عندي ولا لي حيلة]^(٥)

(١) وردت في الإسكوريال (عاليه) وفي الزيتونة (عليه) . ولتتد أن التصويب أنسب

للسياق . (٢) الطريق اللاحق أي الطريق الواضح .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الحي) . والأول جمع .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فلا قوة عندي إلى حيلة) .

فيا مُنحَى المُضطرَّ عند دُعَايِهِ
 رجاؤك رأس المال عندى وربِّحْهُ
 إذا عجزوا عن نفعهم فى نفوسهم
 فيا محسناً فيما مضى أنت قادرٌ
 وإنى لأرجو منك ما أنت أهله
 [فصلٌ على المختار من آل هاشم

وقال فى مدعى قراءة الخطِّ دون نظير :

[وأدور مياس العواطف أصبحت
 يُدير على القرطاس أنمل كفسه
 ففسال فريقٌ سخرٌ بابل عنده
 فقلت لهم لم تفهموا^(٤) سرِّ دركه
 ستكفه^(٥) حبُّ القلوب فأصبحت
 وفاته : استقدمه المأمون^(٦) على
 وُرد الرضا على مرآكش فى شعبان سنة سبع وعشرين وستماية . وتوفى فى
 ذى قعدة بعده ، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرنايهما ،
 رحم الله جميعهم .

انتهى السفر التاسع بحمد الله

- (١) زائدة فى الزيتونة .
- (٢) هذا البيت وارد فى الزيتونة وساقط فى الإسكوريال .
- (٣) هذا البيت وارد فى الزيتونة وساقط فى الإسكوريال .
- (٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (تدركوا) .
- (٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فتكفه) .
- (٦) هو الخليفة الموحدى أبو العلاء ولد الخليفة يعقوب المنصور ، وقد تولى الخلافة فى ربيع الأول سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفى فى أواخر سنة ٦٢٩ هـ .

ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المُنجِب ، كاتب أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين .

حاله

لحق به بالعُدوة ، فاتَّصل بخدمته ، وأغراه بالأندلس ، إذ ألقى إليه أموراً على صُورتها ، حتى كان ما فرغ الله عزَّ وجل ، من استيلائه على ممالكها ، وخلَّعه لرؤسائها . وكان عبد الرحمن قبل اتصاله به ، مَمْدُوراً عليه في رِزقه ، يتحرَّف بالنسخ ، ولم يكن حَسِين الخَطِّ ، ولا مُعَرَّب اللفظ ، إلى أن تَسَيَّر للكتابة في باب الدِّيوان بالمرية ، ورأى خلال ذلك ، في نومته ، شخصاً يوقظه ، ويقول له قم يا صاحب رُبْع الدنيا ، وقصَّ رؤياه على صاحب له بمثواه ، فبَشَّره ، فطلب من ذلك الحين السُّمُوَ بنفسه ، فأجاز البحر ، وتعلَّق بحاشية الحرة العُليا زينب^(١) ، فاستكثبته . فلما تُوفِّيت الحرة . أقره أمير المسلمين كاتباً ، فنال ماشاء ، مما ترنمى إليه الممَّم . جاهاً ومالاً وشهرةً . وكان رجلاً حَصيفاً ، سَكُوناً ، عاقلاً . مُجدي الجاه . حَسِين الوساطة ، شهير المكانة .

توفى فجأةً بمدينة سبته . في عام سبعة وثمانين وأربعمائة . وتقلد

(١) هي زينب بنت إسحاق السراوية ، زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . وكانت من قبل زوجة لابن عمه أبي بكر المنوري . فنزلها ونزل له عنها ، حينما اعترم السير إلى الغزو في الصحراء ، حتى لا تشاطره حياة الفقر الحثنة . وكانت زينب من أجل وأذكى نساء عصرها .

الكتابة بعده ، أبو بكر بن القَصِيرَة . ذكره ابن الصَّيرفي (١) .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافى

وتكرر مالك في نسبه

أوليته

قالوا من ولد عُقْبَة بن نعيم الداخلى الى الأندلس ، من جند دمشق ،
نزىل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لَوْشَة ، غرناطى
يكنى أبا محمد .

حاله

كان أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس ، كثير الصناعات ، جزل
المواهب ، عظيم المكارم ، على سنن عظماء الملوك ، وأخلاق السادة الكرام .
لم ير بعده مثله فى حال الأندلس ، ذاكرا للفقه والحديث ، بارعا فى
الأدب ، شاعرا مجيدا ، وكاتباً بليغا ، حلو الكتابة والشعر ، هشا مع وقار ،
ليناً على مضاء ، على الهمة . كثير الخادم والأمل .

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحمّام ، بجوفى الجامع الأعظم من غرناطة .
بدأ بنائه أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة . وشرع فى الزيادة
فى سقف الجامع من صحنه سنة ست عشرة ، وعوض أرجل قسيه ، أعمدة
الرخام ، وجلب الروس والموايد من قرطبة ، وفرش صحنه بكُذّان الصُخيرة .
ومن مكارمه أنه لما ولى مُستخلص غرناطة وإشبيلية ، وجهه أميره على بن
يوسف بن تاشفين إلى طرطوشة برسم بنائها ، وإصلاح خللها ، فلما استوفى

(١) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتونة .

الغاية فيها ، قلده ، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصة به ، فلما احتلها سال قاضيها ، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضُعب حاله وقل تصبرفه ، من ذوى البيوتات ، فاستعملهم أمناء في كل وجه جميل ، ووسع أرزاقهم ، حتى كمل له ما أراد من عمله . ومن عجز أن يستعمله ، وصله من ماله ، وصدر عنها وقد أنعش خلقا كثيرا .

شعره

من قوله في مجلس أطربه ساعه ، وبسطة احتشاد الأنس فيه واجتماعه :
 لا تلمني إذا طربت لشجو يبعث الأنس فالكريم طروب
 ليس شق الجيوب حقا علينا إنما الحق أن تشق القلوب
 وقال ، وقد قطف غلام من غلمانه نؤارة ، ومد بها يده إلى أبي نصر
 الفتح بن عبيد الله^(١) . فقال أبو نصر :

ويذر بدا والطرف مطلع حسنه وفي كفه من رايق النور كوكب
 يروح لتعذيب النفوس ويعتدى ويطلع في أفق الجمال ويغرب
 فقال أبو محمد بن مالك :
 ويحسد منه الغصن أي مهنهف يجي على مثل الكتيب ويذهب

نشره

قال أبو نصر ، كتبت إليه مودعا ، فكتب إلى مُستدعيا ، وأخبرني
 رسوله أنه لما قرأ الكتاب وضعه ، وما سوى ولا فكر ولا روى :

ياسيدي ، جرت الأيام بجمع افتراقك ، وكان الله جارك في انطلاقك ،
 فغيرك روع بالظعن ، وأوقد للوداع جامع الشجن ، فأنت من أبناء هذا

(١) هو أبو نصر الفتح بن خافان مؤلف « قلائد العقيان » ، المتوفى سنة ٥٣٥ هـ ، وقد سبقت الإشارة إليه غير مرة .

الزمن ، خليفة الخضر ، لا يستقرُّ على وطن ، كأنك والله يختار لك ما تأتيه وما تدعه ، موكَّل بفضاء الأرض تذرعه ، فحسبُ من نوى يعشرتك الاستمتاع ، أن يعدك من العواري السريعة الارتجاع ، فلا يأسفُ على قلة الثوى وينشد : وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى .

وفاته

اعتلَّ بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة ، فزادت علته بها ، وتوفي رحمه الله بها في غرة شعبان سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة ، وحضر جنازته الخاصة والعامه . « من رثاه » : رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله ،

لقال :

إن كنت تشفق من نزوح نواه	فهنالك مقبرةٌ وذا مشواه
قسّم زمانك عبرةً أو عبرةً	وأجل تشوقه على ذكره
وأعدده ما امتدت حياتك غائباً	أو عاتباً إن لم تزر زُرناه
أو نائماً غلبت عليه رفة	لمسه لم تغتمض عيناه
أو كوكبا سرت الركاب بنوره	فمضى وبلغنا المحل سنه
فمتى تبعد والنفوس تزوره	ومتى تغيب والقلوب تراه
يا واحد عدل الجميع وأصلحت	دنيا الجميع ودينهم دنياه
طالت أذاتك بالحياء كرامة	والله يكرم عبده بأذاه
ليشهادة التوحيد بين لسانه	وجنانه نور يرى مسراه
ويوجهه سيمى أغر محجل	مهما بدا لم تلتبس سيماه
وكأننا هو في الحياة سكينه	لولا ادتزاز في الندى يغشاه
وكانه لحظ العفاة توجعا	فتلازمت فوق الفؤاد يسده

أَبْدَى رِضَى الرَّحْمَنِ عَنْكَ ثَنَاؤُهُمْ
يا ذا الذى شَغَفَ القلوبَ به
ما ذاك إلا أَنَّهُ فَرَعُ زَكَا
فاليوم أَوْدَى كلَّ مَنْ أَحَبَبْتَهُ
ماذا يُؤْمَلُ فى دَمَشقِ مُسَهَّدُ
يَعْتادُ قَبْرَكَ لِلبِكا أَسِفاً بما
يا تُرْبَةً حَلَّ الوَزيزِ ضَرِيحَها
وَسَرَى إِلَيْكَ وَمَنْكَ ذَكَرُ ساطِعِ
إِن الثَّنَاءَ عَلامَةٌ لِرِضاهِ
وذا لا تَرْتَجِيهِ وَذاك لا تَخْشاهِ
وَسِعَ الجَميعَ بِظِلِّهِ وَحَناهِ
وَنَعى إلى النَفْسِ مِنْ يَنْعاهِ
قَد كُنْتَ نَاطِرُهُ وَكُنْتَ تَراهِ
قَد كانَ أَضْحَكَه الذى أَبْكاها
سَقاكِ بَلِ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ
كالمسكِ عَاطِرَةٌ بِهِ الأَفْواهِ^(١)

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشيتى

يكنى أبا بكر ، أصله من مدينة باغة^(٢) ، ونشأ بلوشة ، وهو محسوب من الغرناطين .

حاله

كان شيخاً يبدو على مخيلته النبيل والدهاء ، مع قُصور أدواته . ينتحل النظم والنثر ، فى أراجيز يتوصل بها إلى غرضه ، من التصرف فى العمل . وجرى ذكره « فى التاج المحلى » وغيره بما نصه : قارض حاج ، مُداهن مُداج ، أَخْبَثُ من نظر من طَرَفِ خَفِيى ، وَأَعْدَرُ من تلبس بسعار وَفِي ، إلى مكيدة مبثوثة الحبايل ، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبائل ، من شيوخ طريقة العمل ، المُتَقَدِّبين من أحوالها ، بين الصَّحْوِ والشَّمْلِ ، المتعللين برسومها ، حين اختلط المرعى بالهمل . وهو ناظم أَرْجَاز ، ومستعمل

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ولم ترد فى الزيتونة .

(٢) باغة وبالإسبانية Priego بنة مُدَنسية من إقليم غرناطة تقع شمال لوشة ، وعلى مقربة

من قلعة يحصب .

حقيقةً ومجازاً . نظم مُختَصِر السَّيْرَة ، في الألفاظ اليسيرة ، ونظم رَجَزاً في الزَّجْر والقال ، نبه به تلك الطريقة بعد الإغفال ، فمن نظمه ما خاطبني به مستدعياً إلى إعدار ولده :

أريد من سيدي الأعلى تكلفه
يزيدني شرفاً منه ويُبصر لي
على الوصول إلى داري صباح غَد
صناعة القاطع الحجَّام في ولدي
فأجبتُه :

يا سيدي الأوحد الأسمى ومُعتمدي
دعوت في يوم الاثنين الصُّحَاب ضُحَى
وذا الوسيلة من أهل ومن بلد
وفيه ما ليس في بيت ولا أحد
فاصفح وإن عثرت رجلى فخذ بيدي
والعُذر أوضح من نارٍ على عَسَم
فعدُّ إن غبتُ عن لوم وعن فَنَد
يقيت في ظل عيش لا نفاذ له
مُصاحباً غير محصور إلى أمد
ومنه أيضاً :

قل لابن سيد والديه لقد علا
ما ساد والده فيحمد أمره
وتجاوز المقدار فيما يَفْخَر
إلاً صغير العنز حتى يكبر

وصدرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى مما عُدب به الميجنى ، منها قوله :

إنَّ الولاية رفعةٌ لسكنها
فانظر فضائل من مضى من أهلها
أبدا إذا حققتها تنتقل
تجد الفضائل كلها لا تغزل
وقال :

هنيا أبا إسحق دُمت موفقاً
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي
سعيدا قرير العين بالعرس والعرس
تملكتها في الحسن أسنى من الشمس
فقلت نعم إنَّ أَلِفَ الجِنس للجنس
وقالوا عجيبٌ نور بَدْرَيْن ظاهر
وكتب إلى :

إذا ضاق ذرعى بالزمان شكوتسه
لمولاي من آل الخطيب فينفرج

هو العُدَّة العظمى هو السيد الذى
وزيرٌ علا ذاتاً وقدرًا ومُنصَّباً
وفى بابهِ نِلْتُ الأمانى وقادئى
فلا زال فى سَعْدٍ وعزٍّ ونعمةٍ
توفى فى الطاعون عام خمسين وسبعماية بفرناطة^(١)

وفى سائر الأسماء التى بمعنى عبد الله وعبد الرحمن ، وأولاد الأُمراء
عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم

أوليته

أَبوه المنسُوب إليه فتح الأندلس ، ومحطه من الدين والشهرة ،
وعِظَم الصِّيت معروف .

حاله

كان عبد الأعلى أميراً على سُنن أبيه فى الفضل والدين ، وهو الذى
باشَر فتح غرناطة ومالقة ، واستحق الذكر لذلك . قال الرأزى ، وكان
موسى بن نصير ، قد أخرج ابنه عبد الأعلى فىمن رتبته من الرجال إلى
إلبيرة وتُدْمير ، لفتحها ، ومضى إلى إلبيرة ففتحها ، وضمَّ بها إلى غرناطة
اليهود ، مستظهِراً بهم على النَّصر ، ثم مضى إلى كورة رِيه ، ففتحها^(٢)

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن نَجِيو
يكنى أبا محمد ، أوليته معروفة .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ، ولم ترد فى الزيتونة .

(٢) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ولم ترد فى الزيتونة .

وقَسَدَ ما بين أبيه وبين جدِّه ، أمير المسلمين ، بما أوجب انتيادَه إلى سكنى مدينة سِجِلْمَاسَة ، مُعَزَّزَةً له ألقابُ السلطان بها . مَدُونُحاً ما بأحوازها من أماكن الرياسة ، منسوبة إليه بها الآثار ، كالسِّدِّ الكبير الشهير ، وقُصُور الملك . فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن ، وأمضى قِتْلَتَه بالفِصَاد ، نشأ ولده ، وهم عدَّة بباب عمِّهم ، يَسْعُهُم رِفْدُهُ ، ويقودهم ولده ، ثم جلاهم إلى الأندلس إلى ابنه السلطان أبو عِنان ، عندما تصيَّر الأمر إليه ، فاستقرُّوا بقرنطة ، تحت برِّ وجراية ، فليقاً بمكانهم من جلاهم ومن بعده ، لإشارة عيون الترشيح إليهم ، مغازلة من كتب ، وعودهم بحيث تَعَثَّرَ فيهم المظنَّة . إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصيانة ، ودَمَّت الخُلُق ، وحسن المداراة ، يألَف أهل الفضل ، خاطبٌ للرُتبة بكل جهد وحيلة ، وسُدَّ عنه باب الأطماع . حُذِر من كان له الأمر بالأندلس من لُدُن وصوله ، كى لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرْف وجود أهله إلى غزو عدو البلَّة ، ومُحوِّلى القبيلة ، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة ، وربما عيت عنهم الحركات والهموم . فثَقَّفُوا من فيها عليهم . إلى أن تبرأ ساحتهم ويُظن به السكون . فلما دالت الدولة ، وكانت للأخابث الكرَّة ، واستقرَّت بيد الرئيس الغادر الكرَّة ، وكان ما تقدَّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم ملك المغرب . على إجازة السلطان وليِّ مُلك الأندلس ، المُزعج عنها بعلَّة البَغْي . ذهب الدَّايِل الأخرق إلى المقارضة . فعندما استقرَّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح . حاول إجازة الأمير عبد الحلِيم إلى تِلْمَسَان بعد مفاوضة . فكان ذلك في أخريات ذى قعدة ، وقد قُضى الأمر

في السلطان أبي سالم . وانحلَّت العُقْدَةُ ، وانتكثت المريرة ، وولى الناس الرجل المعتود . وقد إلى تِلْمَسَانِ من لم يَرْضَ محله من الإدالة، ولا قويت نفسه على العِوضِ ، ولا صابرت غَضَّ المخافة ، وحرك ذلك من عزمه ، وقد أنجده السلطان مُستدعيه بما في طَوْقَةٍ . ولما اتصل خيره بالقيام بالأمر بفاس ، ومُعَوَّلِ التدبير على سلطانه . أعمل النظر فيهم ، زعموا بتسليم الأمر ، ثم حذر من لحق به من أضداده ، فصمَّ على الحصار ، واستراب بالقبيل المَرِينِي ، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفتهم ، فنفروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعماية ، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم ، فتوجهت إليه وجهوهم اتفقا ، وانثالوا عليه اضطرارا ، ونازل البلد الجديد ، دار الملك من مدينة فاس ، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام . واضطربت المحلات بظاهره ، وخرج إليه أهل المدينة القُدْزِي ، فأخذ بيعتهم ، وخاطب الجهات ، فألقت إليه قواعدها باليد ، ووصلت إليه مخاطباتها .

ومن ذلك ما خوطب به من مدينة سَلا ، وأنا يومئذ بها :

يا إمام الهدى وأبى إمام أوضح الحق بعد إخفاء رسمه
أنت عبد الحليم جلمك نر جو فالسمي له نصيب من اسمه

وسلك مسلكا حسنا في الناس ، وقسح الآمال ، وأجمل اللقاء ، وتحمل الجفاء ، واستفز الخاصة بجميل التأتى وأخذ العفو ، والتظاهر بإقامة رسوم الديانة ، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور ، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الروم والجنود الرحل ، واستكثير من آلات الظهور وعُدد التهويل ، فكانت بين الفريقين حرب مرة تولى كبرها الناشبة ،

فأرسلت على القوم حَواصِبَ النَّبِيلِ ، غارت لها الخَيْلُ ، واقشعرت الوجوه ،
وتقهقرت المواكب . وعندها برَزَ السلطان المَعْتُوهُ ، مصاحبةً له نَسَمَةُ
الإقدام ، وتهوُّرُ الشجاعة عند مفارقة الخلال الصَّحِيَّةِ ، وتوالت الشُّدَاتُ ،
وتكالبت الطَّايِفةُ المحصورة ، فتمرَّست بأختها . ووقعت الهزيمة ضَعُوةً
اليوم المذكور على قَبِيلِ بنى مَرِينِ ومن لَفَّ لِفَهُمَ ، فصَرَفوا الوجوه إلى
مدينة تَازِي ، واستقرَّ بها سلطانهم ، ودخلت مِكناسة في أمرهم ، وضاق
دَرْعُ فاس للمُلكِ بهم ، إلى أن وصل الأمير المُستَدْعَى ، طِيَّةَ الصبر ، وأجدى
دَفْعَ الدِّينِ ، ودخل البلد في يوم الاثنتن الثاني والعشرين لصفري من العام .
وكان اللقاء بين جيش السلطان ، لنظر الوزير ، مُطَعَمَ الإمهال ومُعَوَّدَ
الصُّنْعِ . وبين جيش بنى مَرِينِ ، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان
أبي علي . فرحل القوم من مِكناسة ، وفرَّ عنهم الكثير من الأولياء ، وأخلوا
العَرَصَةَ ، واستقروا أخيراً ببلد أبيهم سِجْلَمَاسَةَ ، فكانت بين القوم
مُهادنة . وعلى أثرها تَعَصَّبَ للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة ، وقد برز
إليهم في شأن استخلاص الجبابرة ، فرجعوا به إلى سِجْلَمَاسَةَ . وخرج
لمدافعتهم الأمير عبد الحلِيمِ ، بمن معه من أشياخ قبيله والعرب أولى
مظاهر ، فكانت بينهم حرب أُجِّلَتْ عن هزيمة الأمير عبد الحلِيمِ ،
واستلَّحِمَ للسيف جملة من المشاهير . كالشيخ الخاطب في حَبِيلِهِ ، نَحْدَنُ
النُّكْرُ وقادح زَنْدِ الفِتْنَةِ ، الدَّائِنُ بالحَمَلِ على الدول على التفصيل
والجُمْلَةِ ، المُعْتَمِدُ بالمغرب بالرأى والمشورة ، يحيى بن رَحْوِ بن مَسْطَى
وغيره . وأذعن عبد الحلِيمِ بعدها للخَلْعِ ، وخرج عن الأمر لأخيه ، وأبقى
عليه ، وتحرَّج من قتله . وتُعرَّفُ لهذا الوقت صَرْفُهُ عنه إلى الأرض
الحجازية على صحراء القِبْلَةِ ، فانتهى أمره إلى هذه الغاية .

دخوله غرناطة

قدم على الحَضْرَة مع الجملة من إخوته وبنى عمه في (١)
 جَلاهم السلطان أبو عنان ، عندما تصير له الأمر ، فاستقروا بها ، يناهز
 عبد الحلیم منهم بلوغ أشده .
 وتوفى (١) وستين وسبعمائة (٢)

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى

أخو الأمير عبد الحلیم يكنى أبا محمد

حاله

كان رجلاً وقوراً ، سكونا ، نحيفا ، آية الله في جمود الكف ، وإيثار
 المسك ، قليل المداخلة للناس ، مشتغلا بما يُغنيه من خويصة نفسه ،
 موصوفاً ببسالة وإقدام ، حسن الهيئة . دخل الأندلس مع أخيه ، وعلي
 رسمه ، وتحرك معه ، وابن أخ لهما ، فتولى كثيرا من أمره ، ولقى الهول
 دونه . ولما استقروا بسجلماسة ، كان ما تقرّر من توبته على أمره ، والعمل
 على خلعه ، مُعتادرا زعموا إليه ، موفيا حقه ، موجبا تجلته إلى حين
 انصرافه ، ووصل الأندلس خطابه ، يُعرف بذلك بما نصّه في المَدْرَجَة .
 ولم ينشِب أن أحس بحركة جيش السلطان بفاس إليه . فخاطب عميد
 المساكه (٣) ، عامر بن محمد الهينثاني ، وعرض نفسه عليه . فاستدعاه .

(١) بياض بالخطوط .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) نسبة إلى هسكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية ، انصارية في بلاد اسوس
 جنوب شرق مراكش ، وغرب سلجلماسة .

وبَدَل له أماناً . ولما تحَصَّل عنده ، قبض عليه . وثَقَّفه . وشدَّ عليه يده ،
وحَصَّل على طلبه دهيَّة ، من التَّوعُد بمكانه ، واتخاذ اليد عند السلطان
بكفِّ عاديته إلى هذا التاريخ^(١)

ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طاروون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر ، بعد
ما توجه إلى المغرب ، وجرت عليه الهزيمة من بني زيَّان .

حاله

كان صبياً ظاهر السكون والأدب ، في سِنِّ المراهقة ، لم يَنْشِب أن
نازله جيشُ عدوِّه ، ومالاه أهل البلد ، وأخذ من معه لأنفسهم وله الأمان ،
فنزل عنها ولحق بالأندلس . قال في كتاب « طُرُفة العصر » ، وفي ليلة
العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة ، اتَّصل الخبر من
جهة الساحل ، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن
معه ، بساحل شلوبانية^(١) ، مُفْلِتَيْن من ذَهق الشُّدة ، بما كان من منازل
جيش بني زيَّان مدينة الجزائر ، وقيام أهلها بدعوتهم ، لما سَيَمَوْه من
المطاوله ، ونهكهم من الفِتنة ، وامتنع الأمير ومن معه بقَصَبَتِها ، وأخذوا
لأنفسهم عهداً ، فنزلوا وركبوا البحر ، فرافقتهم السَّلَامة ، وشملهم سِتْر
العِصمة . ولحين اتَّصل بالسلطان خبره ، بادر إليه بمر كبين ثَقِيل الحِلية ،
وما يناسب ذلك من بِنزة ، وعجَّل من خدامه بمن يقوم ببيِّره ، وأصحابه

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٢) شلوبانية وبالإسبانية Salobrena ثغر أندلس صغير يقع على البحر المتوسط جنوبي غرناطة
وقد سبق التعريف بها (أنظر ص ١١٢ من المجلد الأول حاشية) .

إلى منزل كرامته ، ولرابع يوم من وصوله . كان قدومه ، ويرز له السلطان
بروزاً فخماً ، ونزل له ، قارضاً إياه أحسن القرض ، بما أسلفه من يد ،
وأسداه من طول . وأقام ضيفاً في جواره ، إلى أن استدعاه أخوه ملك
المغرب ، فانصرف عن رضى منه ، ولم ينشب أن هلك مغتالاً في جملة
أرذاهم الترشيح^(١) .

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني

يكنى أبا ملك . وبيته في الموحديين الملوك بتونس . وأبوه سلطان
إفريقية المترقى إليها من رتبة الشياخة الموحدية .

حاله

كان رجلاً طوالاً نحيفاً ، فاضلاً حسيباً ، مقبياً للرؤوم الحسيية ،
حسن العشرة ، معتدلاً الطريقة . نشأ بالبلاد الشرقية ، ثم اتصل بوطنه
إفريقية ، وتقلد الإمارة بها برهة يسيرة ، ثم فر عنها ولحق بالمغرب ،
وجاز إلى الأندلس ، وقدم على سلطانها ، فرحب به ، وقابله بالبر ، ونوه
محلّه ، وأطلق جرابته ، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدوة ، ووقعت بينه وبينه
صُحبة ، أنشدته عند وداعه :

أبا ملك أنت نجلُ الملوك	غيوثُ الندى وليوثُ النزال
ومثلك يرتاح للمكرّمات	ومالك بين الورى من مثال
عزيزُ بأنفسنا أن نسرى	ركابك مؤذنة بارتحال
وقد خبرتُ منك خلقاً كريماً	أناف على درجات الكمال

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

وفازتُ لديك بساعات أنس كما زار في النوم طيف الخيال
فلولا تعلُّدنا أننا نَزُورك فسوق بساط الجلال
ونبلغ فيك الذي نَشْتَهَى وذلك على السَّهل المَنال
لما فَتَرْت أنْفُس من أَسَى ولا بَرِحْت أَدْمَعُ في انْهَمال
تَلَقَّتْكَ حيثَ اِخْتَلَدْت السُّعُود وكان لك اللهُ على كلِّ حال^(١)

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محيُو

يكنى أبا إدريس ، شيخ الغزاة بالأندلس .

حاله

كان شجاعاً عفيفاً تقياً ، وقوراً جليداً ، معروف الحق ، بعيد الصيت .
نازع الأمر قومَه بالمغرب ، وانتزى بمدينة تازى ، على السلطان أبي الربيع ،
وأخذ بها البيعة لنفسه . ثم ضاق ذرعُه ، فعبر فيمن معه إلى تلمسان .
ولما هلك أبو الربيع ، وولى السلطان أبو سعيد ، قدّم للكتيب في شأنه إلى
سلطان الأندلس ، وقد تعرّف عزمه على اللحاق ، ولم ينشب أن لحق
بالمريّة من تلمسان ، فثقف بها ، قضاةً لحق من خاطب في شأنه . ثم بدا
للسلطان في أمره ، فأوعز لرُقبايه في الغفلة عنه . وفر فلحق ببلاد النصرى^(٢)
فأقام بها ، إلى أن كانت الواقعة بالسلطان بغرناطة ، بأحواز قرية العطشا
على يد طالب الملك أمير المسلمين أبي الوليد . وأبى يومئذ شيخ الغزاة
حمو بن عبد الحق ، وترجّح الرأى في إطلاقه وصرفه . إعلانا للتهديد .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) ومعناها هنا النصرى أى بلاد ملك النصرى أو ملك قشتالة .

فنجحت الحيلة ، وعُزل عن الخُطة ، واستُدعى عبد الحق هذا إليها ، فوصل غرناطة ، وقُدِّم شيخا على الغزاة . ولما تغلَّب السلطان أبو الوليد على الأمر ، واستوسق له ، وكان ممن شمله أمانه ، فأقرَّه مرؤوساً بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة . ثم لَحِقَ بِأَمِيرِهِ المخلوع نَصْر ، المستقرُّ مُوَادِعاً بوادي آش ، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية ، الواقعة الشَّنيعة بقرمونة ، وأقام لدية مُدَّة . ثم لحق بأرض النَّصرى ، وأجاز البحر إلى سبْتة . مظاهراً لِأَمِيرِهَا أَبِي عمرو يحيى بن أَبِي طالب العزفى ، وقد كشف القِناع فى مُنايذة طاعة السلطان ، ملك المغرب ، وكان أَمَلِك لما بيده . وأُتيح له ظَفَرٌ عَظِيمٌ على الجيش المُضَيِّق على سبْتة ، فبيته وهزمه . وتخلَّص له ولده ، الكاين بمضرب أمير الجيش فى بيت من الخشب رهينةً ، فصُرف عليه ، فما شئت من ذِياع شهرة ، وبُعد صيت ، وكَرَمَ أَحْدُوثة . ثم بدا له فى التَّحول إلى تلمسان ، فانتقل إليها ، وأقام فى إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره .

وفاته

توفى يوم دخول مدينة تلمسان عتوة . وهو يوم عبد الفطر من عام ثمانية وثلثين وسبعماية : قُتل على باب منزله ، يُدافع عن نفسه ، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غناء ، وكُور واستلحم ، وحزُّ رأسه . وكان أسوة أميرها فى المَحْيَا والمَمَات : رحم الله جميعهم . فانتقل بانتقاله وقُتل بمقتله . وكان أيضاً علماً من أعلام الحروب . ومثلاً فى الأبطال . وليثاً من ليوث النزال^(١) .

(١) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . ولم ترد فى الزبيونية .

عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه

حالهما

قال ابن مسعدة : أبو محمد وأبو مروان توليا خُطَّة الوزارة في الدولة الحَبُوسِيَّة^(١) ، ثم توليا القيادة بشغور الأندلس ، وقهرا ما جاورهما من العدو ، وغلباه . وسَمَّياه كَأْس المنايا ، وجَرَّعاه . ولم يزالا قائمين على ذلك ، ظاهرين عَلمَين ، إلى أن استشهدا رحمهما اللهُ^(٢) .

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله

قال ابن مسعدة ، كان بارع الأدب ، شاعرا . نحويا ، لُغويا ، كاتباً متوقِّد الذهن ، عنده معرفة بالطَّب ، ثم اعتزل الناس ، وانقبَض ، وقصد سُكنى البِشارات^(٣) ، لينفرد بها ، ويُخفي نفسه ، فرارا من الخدمة ، فنهياً له المُراد .

شعره

وكان شاعرا جيِّد القريحة سريع الخاطر ، ومن شعره :

يا صاح لا تعرض لزوجةٍ كلُّ البَلا من أجلها يَعتري
الفقر والذلُّ وطول الأسي لستُ بما أذكره مُفتَري

(١) نسبة إلى حبوس بن ماكسن ، أمير غرناطة . وأول أمرائها من البربر أيام الطوائف وقد حكم من سنة ٤١١ إلى سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٣) هي المنطقة الجبلية الواقعة بين جبال سيرا نفادا (جبل شلير) وبين البحر جنوبي غرناطة ، وقد سبق التعريف بها . (أنظر ص ١٦٨ من هذا المجلد من الإحاطة) .

ما في فم المرأة شيء سوى اشترلي واشترلي واشتر^(١)

القضاة الفضلاء وأولا الأصليون

عبد الحق بن غالب [بن عطية]^(٢) بن عبد الرحمن بن غالب بن
عبدالرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن
عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي

أوليتته

من ولد زيد بن مُحارب بن عطية ، نزل جده عطية بن خفاف بقرية
قِسلة من زاوية غرناطة ، فأنسل كثيراً ممن له خطرٌ ، وفيه فضل .

حاله

كان عبد الحق فقيهاً ، عالماً بالتفسير والأحكام والخديث والفقهِ ،
والنحو والأدب واللغة ، مُقَيِّداً حسن التقييد ، له نظم ونثر ، وُلِّي القضاء
بمدينة ألمرية في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكان غاية في الدَّهَاءِ
والذكاء ، والتَّهَمُّمُ بالعلم ، سَرَى الهمة في اقتناء الكتب . تَوخَّى الحق ،
وعَدَل في الحكم ، وأعزَّ الخُطَّة .

مشيخته

روى عن الحافظ أبيه ، وأبوي علي الغساني والصدفي ، وأبي عبد الله
محمد بن فرج مولى الطلاع ، وأبي المُطَرِّف الشعبي ، وأبي الحسين بن البيان ،
وأبي القاسم بن الحصار المُقَرِّي ، وغيرهم .

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال . ولم ترد في الزيتونة .

(٢) الزيادة من الزيتونة .

تواليفه

ألف كتابه المسمى « بالوجيز في التفسير » فأحسن فيه وأبدع ، وطار
بحسن نيته كل مطار . وألف برنامجاً ضمنه مرويّاته ، وأسماء شيوخه ،
وجرّز وأجاد .

شعره

قال الملاحى ، ما حدثنى به غير واحد من أشياخه عنه ، قوله :

وليلة جيت^(١) فيها الجذع مُرتديا بالسيف أسحب أذبالا من الظلم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق والبدر في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله جرح فيثغب أحيانا له بدم

وقال يندب عهد شبابه :

سقياً لعهد شباب ظلت أمرح في ريعانه وليالى العيش أسحر
أيام روض الصبا لم تدو أغصنه وروّق العمر غض والهوى حمار
والنفس تركض في تضمين ثرتها طرفاً له في زمان اللهو إحضار
عهداً كريماً ليسنا منه أردية كانت عيوناً ومحييت فهى آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسي كوني سلاماً أو برداً فيه يا نار
أبعد أن نعت نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب أسفار
ونازعتنى الليالى وانثنت كسراً عن ضيغم ماله ناب وأظفار
ألا سلاح خيال أخلصت فلها في منهل المجد إيراد وإصدار
أضبو إلى روض عيش روضه خصل أو ينثنى بي عن اللقيا إقصار
إذا تعطلت كفى من شبا قلم أكاره في رياض العلم أزهار

(١) مكذافى الإسكوريال . وفى الزيتونة (بات) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن أبي جَمْرَةَ ، وأبو محمد بن عبد الله ، وأبو القاسم بن حُبَيْش ، وأبو جعفر بن مَضَاء ، وأبو محمد عبد المنعم ، وأبو جعفر ابن حَكَم ، وغيرهم .

مولده : ولد سنة إحدى وثمانين وأربع مائة .

وفاته : توفى في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مائة بمدينة لُورَقَة^(١) . قَصَدَ مرسية يتولى قضاءها ، فُصِدَ عنها ، وُصِرَفَ منها إلى لُورَقَة ، اعتداءً عليه .

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج النخزجي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن الفَرَس ، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته .

حاله

كان حافظاً جليلاً ، فقيهاً ، عارفاً بالنحو واللغة ، كاتباً بارعاً ، شاعراً مطبوعاً ، شهير الذكر ، على الصُّيت . وُلِّيَ القضاء بمدينة سُقْر ، ثم بمدينة وادي آس ، ثم بجيَّان ، ثم بغرناطة ، ثم عُزل عنها ، ثم وليها الولاية التي كان من مُضَمَّن ظهيره بها ، قول المنصور له ، أقول لك ما قاله موسى عليه السلام لأخيه هرون ، إخلفني في قومي ، واضلح ولا تتبع سبيل المُفسدين ، وجعل إليه النظر في الحِسبة ، والشُّرطة ، وغير ذلك ،

(١) سبق التعريف بها (انظر المجلد الأول من الإحاطة ص ٤١٢ حاشيته) .

فكان إليه النظر في الدماء فما دُونها ، ولم يكن يُقطع أمرٌ دُونه ببلده وما يرجع إليه .

وقال ابن عبد الملك ، كان من بيت علم وجمالة ، مُستبحراً في فنون المعارف ، على تفاريقها ، متحققاً بها ، نافذاً فيها ، ذكياً القلب . حافظاً للفقهِ . استظهر أوان طلبه للكتابين ، المُدَوَّنة ، وكتاب سيبويه وغيرهما ، وعنى به أبوه وجدُه عناية تامة . وقال أبو الربيع بن سالم ، سمعت أبا بكر ابن الجُدِّ ، وحسبك شاهداً ، يقول غير ما مرة ، ما أعلم بالأندلس ، أحفظَ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس ، بعد أبي عبد الله بن زرقون .

مشيخته

روى عن أبيه الحافظ أبي عبد الله ، وعن جده أبي القاسم ، سمع عليهما وقرأ ، وعن أبي بكر بن النفيس ، وأبي الحسن بن هُدَيْل ، وأبي عبد الله ابن سعادة ، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامى ، وأبي عامر محمد ابن أحمد الشُّلبي ، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن ابنى زيادة الله . هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه . وأجاز له من غير لقاء وبعضهم باللقاء من غير قراءة ، ابن ورد ، وابن بقى . وأبو عبد الله ابن سليمان التونسى ، وأبو جعفر بن قبلال ، وأبو الحسن بن الباذش ، ويونس بن مغيث ، وابن مُعَمَّر ، وشريح ، وابن الوحيدى ، وأبو عبد الله ابن صاف . والرُّشاطى ، والجَميرى ، وابن وضَّاح ، وابن موهب ، وأبو مروان الباجى ، وأبو العباس بن خلف بن عيشون ، وأبو بكر بن

طاهر ، وجعفر بن مكي ، وابن العربي ، ومساعد بن أحمد بن مساعد ،
وعبدالحق بن عطية ، وأبو مروان بن قزمان ، وابن أبي الخصال . وعياض
ابن موسى ، والمآزري ، وغيرهم .

تواليقه

ألف عدة تواليق ، منها كتاب الأحكام ، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين
عاماً ، فاستوفى ووفى ، واختصر الأحكام السلطانية ، وكتاب النسب
لأبي عبيد بن سلام ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين ، وكتاب
المُحتَسَب لابن جني . وألف كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون
من أهل البصرة والكوفة ، وكتاباً في صناعة الجدل . ورد على ابن غرسية
في رسالته في تفضيل العجم على العرب . وكتب بخطه من كتب العربية
واللغة والأدب والطب وغير ذلك .

من روى عنه

حدّث عنه الحافظ أبو محمد القرطبي ، وأبو علي الرندي ، وإبنا
حوط الله ، وأبو الربيع بن سالم ، والجهم الغفير .

شعره

[أَيْ مَا بَقَلِي الْيَوْمَ أَنْ يَنْكَتَمَا
وَأَعْجِبْ بِهِ مِنْ أَخْرَسَاتٍ مُفْصِحَا
فَكَمْ عِبْرَةٌ فِي نَهْرِ شُقْرِ بَعَثَهَا
يَرْجِعُ تَرْجِيعَ الْأَنْبِيِ اضْطِرَارَه
كَمَلْنُ بِصَحْبِي فِي قَوْفَةِ الدَّمْعِ نَائِرٌ
وَلِلَّهِ لَيْلٌ قَدْ لَبِسَتْ ظِلَامَه
وَحَسْبُكَ بِالْدمْعِ السَّفُوحِ مُتَرْجِمَا
يُبَيِّنُ لِلوَاشِينِ مَا كَانَ مُبْهَمَا
سَبَاقَا فَأَمْسَى النُّهْرُ مُخْتَضِبَا دَمَا
كَشْكُوى الْجَرِيحِ لِلْجَرِيحِ تَأَلَّمَا
شَقَائِقِ نُعْمَانَ عَلَى مَتْنِ أَرْقَمَا
رَادَا بِأَنْوَارِ النُّجُومِ مُنْمِنِمَا

أناوح فيه الورق فوق غصونها
 ومالي إلا للفرقدين مُصاحب
 أبيتُ شتيت الشمل والشمل فيهما
 فيا قاصداً تُدمير عرّج مُصافحا
 وأعلمُ بآبواب السلام صبابتي
 وإن طُفنت في تلك الأجارع لا تُضيع
 وما ضرّها لو جاذبت ظبية النقا
 فيُثنى قضيباً أثمر البدر مايساً
 وما كنت إلا البدر وافي غمامة
 وما ذلك من هجر ولكن لشقوة
 فياليتني أصبحت في الشعر لفظة
 والله ما أذكى نسيمك نفحة
 والله ما أشفى لِقاك للجوى
 وما الرّاح بالماء القسراح مشوبة
 فمالي وللأيام قد كان شملنا
 وما جنيتُ الطيب من شهد وصلها
 وقد ذقت طعم البين حتى كأنني
 فمن لفؤاد شطره حازه الهوى
 وياليت أن الدار حان مزارها
 ولو صح قرب الدار لي لجعلته إلى
 فقد طال ما ناديت سراً وجّهرة
 ومن شعره :

فكم أوزقّ منهنّ قد بات مُعجماً
 ويا بُعد حالي في الصّباية منهما
 جميعٌ كما أبصرتُ عقداً مُنظماً
 نسألك رَسماً بالعقيق ومعلّماً
 كما كان عَرَف المسك بالمسك علماً
 بحقّ هواها إن لم تلمّ مُسلماً
 فضول رداء قد تغشّته معلماً
 بحقّف مسيل لقه السيل مُظلماً
 فما لاح حتى غاب فيها مُغيماً
 أبت أن يكون الوصل منها مُتمماً
 تردّدني مهما أردت تفهماً
 أنت أعزت للروض طيباً تنسماً
 كأنك قد أصبحت عيسى بن مرّياً
 بأطيب من ذكراك إن خامرت فما
 جميعاً فأضحى في يديها مُقسماً
 جنيتُ من التّبديد للوصل علقماً
 لألفة من أهواه ما ذقت مطعماً
 وشطرٌ لإحراز الثواب مُسلماً
 فلو صحّ قرب الدار أدركت مغناً
 مُرتقى السلوان والصبر سلماً
 عسى وطن يَدنو بهم ولعلّما ؟

سلامٌ على من شَفَّنِي بعدُ داره
ومن هو في عَيْني أَلَدُّ من الكَرَى
سلام عليه كلما ذرَّ شارق
لَعَمْرُكَ ما أَخشى غداة وداعنا
وسال على الخدَّين دمعُ كأنه
وعانقتُ منه غُصنَ بانٍ منعمًا
وأصبحتُ في أرضٍ وقلبي بغيرها
نأى وجهُ من أهوى فأظلم أفقه
سَلِ البرق عن شوقِي يُخبرك بالذي
وهل هو إلا نارٌ وجدى وكلمًا
ومن شعره أيضا رحمة الله عليه :

أقرأ على شِنْجِلٍ^(٢) سلامًا
من مُغرم القلب ليس ينسى
إذا رأى مَنْظرا سواه
وإن أتى مَشربا حميدا
وقف بنجد وقوف صبب
وأنذب أراكا بشعب رَضوى
وأذكر شبابًا مضى سريعا
أطيب من عَرَفه نَسِما
منظَّره الرايق الوَسِما
عاف الجَنَى منه والشِّمِما
كان وإن راقه ذَمِما
يستذكر الخِـمْدن والحَمِما
قد رَجعت بعدنا مَشِما
أصبحتُ من بعده سقيما

(١) هذا الشعر المحصور بين الخاصرتين وارد في الاسكوريال وساقط في الرهونفة .
(٢) شنجل يقصد بها هنا نهر شليل ، وهو فرع الوادى الكبير الذى تقع عليه غرناطة ،
ويعرف عند الأندلسيين أيضا بنهر سنجيل أو شنجيل محرفا عن اسمه اللاتينى Singilis . وقد سبق
التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١٦٨)

هيهات ولى وجاء شيبٌ وكيف للقلب أن يهيمَا
 ما يُصلح الشيب غير تقوى تخجُب عن وجهه الجعِيمَا
 في كل يوم له ارتِحَال أعجِب به ظاعناً مقيما
 ما العمر إلا لذيده دَيْن قد آن أن يقضى الغريما
 فعد إلى تسوية نَصوح وارج إلهاً بنا رَحِيمَا
 قد سبق الوعد منه حتى أطمعَ ذا الشقوة النعيمَا

مولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة

« وفاته » : عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع
 وتسعين وخمسمائة . وشهد دفنه بباب البيرة الجم الغفير ، وازدحم الناس
 على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه . وأمر أن يكتب على قبره :
 عليك سلام الله يا من يُسلم ورحمته ما زرتنى تترحم
 أتحتبني وحدي نُقلت إلى هنا ستلحق بي عما قريب فتعلم
 فيا لمن يُمسي لندياه مؤثرا ويُهمل أخراه ستشقى وتندم
 فلا تفرحن إلا بتقديم طاعة فذاك الذي يُنجى غدا ويُسلم

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تاذررت

الشمالي اليدرأزيتي ثم الواغديني

أصله من تينملل^(١) من نظر مراكش ، وانتقل جده عبد الملك مع

(١) تينملل بلدة من بلاد السوس بالمغرب الأقصى ، تقع فوق سفح جبال الأطلس جنوب
 غرب مراكش . وقد اتخذها المهدي ابن تومرت في أواخر حياته مركزا لدعوته ورياسته ، وأقام
 بها مسجده الذي ما زال باقيا إلى اليوم ، ثم دفن فيه عقب وفاته .

الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية . ونشأ عبد الملك ببجاية ، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين . وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة .

حاله

من تعريف شيخنا أبي البركات : كان من أهل المعرفة ، بالفقه وأصوله ، على طريقة المتأخرين . وكان مع ذلك رجلاً كريم النفس . صادق اللّهجة ، سليم الصدر ، مُنصفاً في المذاكرة . قلتُ يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به ، الأصالة ببلده إفريقية . وثبتُ اسمه في «عائِد الصلاة» بما نصه : الشيخ الأستاذ القاضي ، يكنى أبا محمد . كان رحمه الله من أهل العلم بالفقه ، والقيام على الأصليين ، صحيح الباطن ، سليم الصدر ، من أهل الدين والعدالة والأصالة . بثَّ في الأندلس علم أصول الفقه ، وانتُفع [به]^(١) . وتصرف في القضاء في جهات .

مشيخته

منقولاً من خطِّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا ، الكاتب بالدار السلطانية . قرأ ببلده على الفقيه الصِّدر أبي علي بن غنَّوان ، والشيخ أبي الطاهر بن سرور . والإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي ، والشيخ أبي الشَّمل جماعة الحلبي ، والشيخ أبي الحجَّاج بن قسوم وغيرهم . [ومن خطِّ المحدث أبي بكر بن الزيات ، يحمل عن أبي الطاهر بن سرور ، وعن أبي إسحق بن عبد الرفيع]^(٢) .

(١) أضفنا هـ الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في نهاية الفقرة الخاصة « بتوايفه » ولكننا رأينا أنها أولى

بأن توضع مع « المشيخة » .

تواليفه

من تواليفه : « المعانى المُبتكرة الفكرية فى ترتيب المعالم الفقهية » ،
« والإيجاز فى دلالة المجاز » ، ونُصرة الحق ، وردّ الباغى فى مسألة الصّدقة
ببعض الأضحية ، والكُرّاس المرسوم « بالمباحث البديعة فى مقتضى الامر
من الشريعة » .

مولده

ببجاية فى أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستائة .
وتوفى قاضيا بشالش^(١) يوم الجمعة ، و الرابع عشر لجمادى
الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعماية . ودفن ببجاية باب إلبيرة
بمقربة من قبرولى الله أبى عبد الله التونسى . وكانت جنازته مشهورة^(٢) .

ومن المقربين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون بن جلهمة^(٣) بن

العباس بن مرداس السامى

أصله من قرية قورت ، وقيل حصن واط من خارج غرناطة ، وبها
نشأ وقرأ .

حاله

قال ابن عبد البر . كان جماعا للعلم ، كثير الكُتب ، طويل اللسان ،

(١) لم نجد فى القرى الغرناطية الماصرة ، أية بلدة يتفق إسما أو يقترب من اسم هذه البلدة
والظاهر أنها من الأماكن التى دثرت .

(٢) هذه الترجمة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى الزيتونة .

(٣) كذا فى الإسكوريال والزيتونة ، وفى ترتيب المدارك (الرباط ج ٤ ص ١٢٢) .

فقيها ، نحويا ، عروضا ، شاعرا . نَسابة ، إخبارياً . وكان أكثر من
يختلف إليه ، الملوك وأبناؤهم . قال ابن مخلوف ، كان يأتي إلى معالي
الأمور . وقال غيره ، رأيتُه يخرج من الجامع ، وخلفه نحو من ثلاثمائة ،
بين طالبِ حديثٍ ، وفرايض ، وفقه ، وإعراب ، وقد رتَّب الدُّول
عليه ، كل يوم ثلاثين دولة ، لا يُقرأُ عليه فيها شيءٌ الا توألفه ،
وموطاً مالك . وكان يلبس الخَزَّ والسَّعيد^(١) . قال ابن نمير ، وإنما كان
يفعله إجلالا للعلم ، وتوقيرا له . وكان يلبس إلى جسمه ثوب
شعر ، وكان صواما قواما . وقال المغاسي ، لو رأيتَ ما كان على
باب ابن حبيب ، لآذريتَ غيره . وزعم الزبيدي ، أنه نعى إلى سُحنون^(٢)
فاسترجع ، وقال مات عالم الأندلس . قال ابن الفَرَضِي . جمع إلى إمامته
في الفقه ، التبجُّح في الأدب ، والتفنُّن في ضروب العلوم ، وكان فقيها
مُفتيا . قال ابن خَلْف أبو القاسم الغافقي ، كان له أرضٌ وزبتون بقرية
بيرة من طوق غرناطة ، حبَّس جميع ذلك على مسجد قرطبة . وله ببيرة
مسجد ينسب إليه . وكان يهبط من قرية قورت يوم الإثنين والخميس
إلى مسجده ببيرة ، فيُقرأ عليه ، وينصرف إلى قريته .

مشيخته

روى عن صَعَصَعَة بن سلام ، والغازي بن قيس ، وزياد بن عبد-
الرحمن . ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين . وهو ابن ثلاث وثلاثين

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السميري) .

(٢) سُحنون بن سعيد من أعظم أقطاب الفقه المالكي ، وازدهرت مدرسته الفقهية بالقرية واد

في أوائل القرن الثالث ، وتوفي بها سنة ٢٤٠ هـ .

سنة ، وكانت رحلته من قريته بفتحصر غرناطة^(١) . وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون ، ومطرف بن عبد الله ، وأصبغ بن الفرج ، وابنه موسى ، وجماعة سواهم ، وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهورا . وعاد إلى البيرة ، إلى أن رحله عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة ، في رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين .

« من روى عنه » : سمع منه إبناه محمد وعبد الله ، وسعيد بن نمر ، وأحمد بن راشد ، وإبراهيم بن خالد ، وإبراهيم بن شعيب ، ومحمد بن قُطيس . وروى عنه من عظماء القرطبيين ، مطرف بن عيسى ، وبقي بن مَخلد ، ومحمد بن وضاح ، والمقامي في جماعة .

تواليافه

قال أبو الفضل عياض بن موسى ، في كتابه في أصحاب مالك^(٢) قال بعضهم ، قلت لعبد الملك بن حبيب . كم كُتبت التي ألقت ، قال ألف كتاب وخمسون كتابا . قال عبد الأعلى ، منها كتب المواعظ سبعة ، وكتب الفضائل سبعة ، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابا ، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب ، وكتب الباه والنساء ثمانية ، وغير ذلك . ومن كتب ساعاته في الحديث والفقہ ، وتواليافه في الطب ، وتفسير القرآن . ستون كتابا . وكتاب المغازي ، والناسخ والمنسوخ ، ورغائب القرآن ، وكتاب الرهون والحديثان^(٣) . خمسة وتسعون كتابا . وكتاب مقام رسول الله صلى عليه وسلم ، اثنان وعشرون

(١) فحص غرناطة La Vega de Granada ، هو البسيط الأخضر الواقع جنوب شرق غرناطة . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٩) .

(٢) هو كتاب « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » .

(٣) وردت في الإسكوريال (المغازي) مرة أخرى ، والتصويب من الزيتونة .

كتابا ، وكتاب فى النسب ، وفى النجوم ، وكتاب الجامع ، وهى كتب فيها مناسك النبى ، وكتاب الرغائب ، وكتاب الورع فى المال ، وكتاب الربا . وكتاب الحُكْم والعَدْل بالجوارح . ومن المشهورات الكتاب المسمى بالواضحة . ومن تواليفه كتاب إعراب القرآن ، وكتاب الحِسبة فى الأمراض ، وكتاب الفرائض ، وكتاب السَّخاء واضطِناع المعروف ، وكتاب كراهية الغِناء .

شعره

أنشد ابن الفرضى مما كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين :
أحبُّ بلادَ الغربِ والغربُ موطنى ألا كلُّ غِربى إلى حبيب
فيا جَسداً أضناه شوقٌ كأنَّه إذا انتَضِيت عنه الثياب قَضِيب
ويا كَبِداً عادت زماناً^(١) كأنما يلدغُها بالكاويات طَبيب
بليت وأبلانى اغترابى ونأيسه وطولُ مُقامى بالحجـمـاز أجوب
وأهلى بأقصى مغرب الشمس دارهم ومن دونهم بحرٌ أجشُّ مهيب
وهــسول كَرِبِه ليلُه كنهاره وسيرٌ حثيث للركاب دُوب
فما الداء إلا أن تكون بـُسرْبِةٍ وحسبُك داءٌ أن يُقـمـال غريب
فيا ليت شعرى هل أبیتنَّ ليلةً بأكناف نهر الثلج حين يصبوب
وحولى أصحابى^(٢) وبنتى وأمها ومعشرُ أهلى والرؤوف مُجيب
وكتب إلى الأمير عبد الرحمن فى ليلة عاشوراء :

(١) وردت فى الإسكوريال (أزمانا) والتصويب من المدارك (ج ٤ ص ١٣٩) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وأصحابى) ، والتصويب من المدارك .

لا تَنْسَ لا يُنْسِكِ الرَّحْمَنُ عَاشُوراءَ واذكره لازلت في الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تَشْمَلُه قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراءِ ذا سَعَة يَكُنْ بِعَيْشِه في الحَوْلِ محبورا
فارغب فِدَيْتُكَ فيما فيه رَغِبْتنا خير الورى كلهم حياً ومقبورا

وفاته

توفى في ذى الحجة سنة ثمانى وثلاثين . وقيل تسع وثلاثين ومايتين .
قال ابن خَلَف ، كان يقول في دعائه ، إن كنت يارب راضيا عني ،
فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمان وثلاثين ، فقبضه الله في أحب
الشهور إليه ، رمضان من عام ثمانية وثلاثين ، وهو ابن أربع وستين
سنة ، وصلى عليه ولده محمد ، ودفن بمقبرة أم سلمة بقبلي محراب
مسجد الضيافة من قرطبة . قالوا ، والخبر متصل ، إنه وجد جسده
وكفنه واقرين لم يتغيرا بعد وفاته ، بتسع وأربعين سنة ، وقُطعت من
كفنه قطعة ، رُفعت إلى الأمير عبد الله ، وذلك عندما دُفن محمد بن
وضاح إلى جنبه ، رحمهم الله . ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره ، فقال :

لئن أَخَذَتْ منا المنايا مُهْتَبِسا وقد قل^(١) فيها من يُقال المهْتَبِ
لقد طاب فيه الموت والموت غِبْطَة لمن هو مغموم الفؤاد مُعَذِب

ولأحمد بن ساهى فيه :

ماذا تَضَمَّنَ قَبْرُ أَنْتِ ساكنه من التُّقى والنَّدَى ياخير مفقود
عجبتُ للأرض في أن غَيَّبْتِك وقد ملأتها جُكَمًا في البيض والسُّود

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قير)

قلت^(١) . فلو لم يكن من المفاخر العرناطية إلا هـ الحُرُّ نكفَى

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السِّدَادِ الأُمَوِي المَالِقي ، الشهير بالبَاهِلِي

حاله

كان رحمه الله بعيدَ المدى ، منقطعَ القَرِينِ في الدِّينِ المتينِ والصَّلاحِ .
وسكونِ النفسِ ، ولينِ الجانبِ . والتواضعِ ، وحُسْنِ الخُلُقِ . إلى وسامةِ
الصُّورةِ . وملاحةِ الشَّيْبَةِ ، وطيبِ القِراءةِ . مولى النِّعمَةِ على الطَّلَبَةِ
من أهلِ بلدهِ . أستاذاً حافلاً ، متفنناً ، مضطَّعاً ، إماماً في القِراءاتِ .
حايِزاً خُصْلَ السِّبَاقِ إتقاناً ، وأدائاً . ومعرفةً ، وروايةً ، وتحقيقاً . ماهراً
في صناعةِ النحوِ ، فقيهاً ، أصولياً ، حسنَ التعلِيمِ ، مستمرَ القِراءةِ ،
فسيحَ التَّحْلِيْقِ ، نافعاً . متحبباً ، مقسومَ الأزمنةِ على العِلْمِ وأهلهِ ، كثيرَ
الخُضُوعِ والخُشُوعِ ، قريبَ الدُّمعةِ . أقرأَ عمره . وخطبَ بالمسجدِ الأعظمِ
من مالقةَ وأخذَ عنه الكثيرَ من أهلِ الأندلسِ

مشيخته

قرأَ على الأستاذِ الإمامِ أبي جعفرِ بنِ الزبيرِ . وكانَ من مفاخره .
وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوصِ . وعلى المقرئِ الضَّريرِ أبي عبدِ الله
محمد بنِ علي بن الحسنِ بنِ سالمِ بنِ خلفِ السُّهَيْلي . والرَّوِيَةِ أبي الحجاجِ
ابنِ أبي ربحانةِ المربليِّ . وكتبَ له بالإجازةِ العالمةِ . الرَّوِيَةِ أبو الوليدِ
الطارِ . والإمامِ أبو عبدِ الله بنِ سَمْعونِ البُزْجِي . وسَمِعَ على الرَّوِيَةِ أبي عمرِ
عبدِ الرحمنِ بنِ حَوْطِ اللهِ الأَنْصاريِّ . وقرأَ على القاضي أبي القاسمِ . قاسمِ

(١) مكذو و ابرسكور مال و الزيتونة (قال ابن الخطيب)

ابن أحمد بن حسن الجبجري الشهير بالسكوت الملقب . وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم . ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله .
«تواليفه» : شرح التيسير في القراءات . وله تواليف غيره في القرآن والفقه .

شعره

حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافي . قال ، رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها ، وهو قائم يذكر الناس ويعظمهم . فعلمت من قوله ، أتحسبونني غنياً فقيراً ، أنا فقير ، أنا . فاستيقظت وقصصتها عليه ، فاستغفر الله ، وقال ، يا بني حتما رأيت . ثم رفع إلى ثاني يوم تعريفه ، رُقعة فيها مكتوب :
لئن ظن قوم من أهل الدنيا بأن لهم قسوة أو غنسا
لقد غايطوا ويحهم بجمع ما لهم فتاهوا عقولا وعموا أعينا
فلا تحسبوني أرى رأيهم . فإني ضعيف فقير أنا
وليس افتقاري وفسري معاً إلى الخاق^(١) فما عند خلقي غنا
ولكن إلى خالستي وحده وفي ذلك عزٌ ونيل المنا
فمن ذلّ للحق يرق العلاء ومن ذلّ للخاق يلدق العنا

وفاته

ببلده مالقة رضي الله عنه . ونفّع به . في خامس دي القعدة من عام خمسة وسبعماية . وكان الحفل في جنازته عظيماً . وحف الناس زرعته ، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم . سكن غرناطة وأقرأ بها .

(١) هكذا وردت في اريبونه . يري بزسو يل (خفق) .

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف
عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن
أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة .

حاله

كان هذا الرجل في حال الدعة التي استصحبها ، وقبل أن تبعته
أيدي الفضول ، بعفاف وطهارة ، إلى خصل خط ، نشط البنان ، جلد
على العمل . ونظمه وسط ، ونشره جمهوري^(١) عامي ، مبين عن
الأغراض . وولى ببلده الخطابة والقضاء^(٢) في الحداثة . ثم
انتقل إلى غرناطة ، فجاجأت به الكتابة السلطانية باختيارى ، مُستظهرة
منه ببطل كفاية ، وبإذل حمل كلفة ، فانتقل رئيسا في غرض إعانتى ،
وانتشالى من الكلفة ، على الضعف وإمام المرض ، والترفع عن الابتدال ،
والأنفة من الاستخدام ، فرفع الكال ، ولطف من الدولة محله . ثم لما
حال الأمر ، وحتم التمحيص ، وتُسورت القلعة ، وانتشر النظم ، واستأثر
به الاضطناع ، كشفت الخبرة منه عن سوءة لا تُوارى ، وعورة لا يُرتاب
في أشنوعتها ولا يُتمارى ، فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها ،
إذ لصق بالذليل الفاسق . فكان آلة انتقامه ، وجارحة صيده ، وأحبولة

(١) وردت في الإسكوريال (جهوزى) ، والتصويب أرجح

(٢) بياض بالإسكوريال .

كَيْدِهِ ، فَسَفَكَ الدِّمَاءَ ، وَهَتَكَ الأَسْتَارَ ، وَمَزَّقَ الأَسْبَابَ ، وَبَدَّلَ الأَرْضَ
 غَيْرَ الأَرْضِ ، وَهُوَ يَزُقُّهُ فِي أُذُنِهِ . فِيؤْمُ النَّصِيحَةِ ، وَيَنْحَلُهُ لِقَبِّ الهُدَايَةِ ،
 وَيَبْلُغُ فِي شِدَّةِ أَرْزِهِ إِلَى الغَايَةِ : « عُنْوَانُ عَقْلِ الفَتَى اخْتِيَارُهُ . يَجْرَى فِي
 جَمِيلِ دَعْوَتِهِ » . طَوَالاً ، أُخْرَقَ ، بُسِيءُ السَّمْعِ ، وَيَنْسَى الإِجَابَةَ ،
 بَدْوِيّاً ، قُحّاً ، جَهْوَرِيّاً ، ذَاهِلاً عَنِ عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى : طِرْفُفٌ فِي سُوءِ
 العَهْدِ ، وَقَلَّةُ الوَفَا ، مَرْدُودٌ فِي الحَافِزَةِ . مُنْسَلَخًا مِنْ آيَةِ السَّعَادَةِ ، تَشْهَدُ
 عَلَيْهِ بِالحَمْلِ يَدُهُ . وَيَقِيمُ عَلَيْهِ الحُجُجَ شَرُّهُ ، وَتَبُوهُ هَفْوَاتِ النَّدَمِ
 جَهَالَتِهِ . ثُمَّ أَسْلَمَ المَحْرُومَ مُضْطَّنِعَهُ ، أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ ،
 وَلَحِقَتْهُ بَعْدَهُ مُطَابِقَةٌ مَالِيَّةٌ . لَقِيَ لِأَجْلِهَا ضَعْفًا . وَهُوَ الآنَ بِحَالِ خِزْيٍ ،
 وَاحْتِقَابِ تَبِعَاتٍ ، خَلَّصْنَا اللهُ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى .

أُولَيْتِهِ وَشِيُوخِهِ

وَبَسْطُ كَثِيرٍ مِنْ مُجْمَلِ حَالِهِ حَسْبَمَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ .

قال يخاطبني بما نصه :

وفات سَبَقاً بِفَضْلِ الذَّاتِ وَالسَّلْفِ	يا سَيِّدًا فاقَ فِي مَجْدِ وَفِي شَرَفِ
وعن سَبِيلِ المَعَالِي غَيْرِ مُنْحَرَفِ	وفاضلاً عَنِ سَبِيلِ الدَّمِ مُنْحَرَفًا
أَرَبِّي بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّحَفِ	وتَحْفَةَ السِّزْمِ الأَتَى فَلَقد
حَوَاهِ مِنْهُ لَدَى التَّشْبِيهِ كَالصَّمَدِ	ومَعَدناً لِنَفِيسِ الدُّرِّ فَهُوَ لِمَا
مِنْهُ وَنَيْلِ المَعَالِي حِظًّا مُنْتَرَفِ	وَبِحَرِّ بَعْلَمِ جَمِيعِ النَّاسِ مُنْتَرَفًا
فَالكُلُّ فِي ذاكَ مِنْهُمُ غَيْرِ مُخْتَلَفِ	وَسابِقًا بَدَّ أَهْلَ العَصْرِ قاطِبَةً
أَوْ يَجْجِدُ الشَّمْسَ نُورًا وَهُوَ غَيْرِ خَفِ	مَنْ ذَا يُخالِفُ فِي نارِ عَلِيٍّ عِلْمِ
وَفِي ذِكاؤِ وَفِي عِلْمِ وَفِي ظَرْفِ	ما أَنْتَ إِلاَّ وَجيدُ العَصْرِ فِي شَرِيمِ
بِالفَضْلِ مُتَّسِمِ بِالْعِلْمِ مُتَّصِفِ	لِللهِ مِنْ مُنْتَمِ لِلْمَجْدِ مُنْتَسِبِ

لله من حَسَبٍ عُدَّ ومن كسرم
 أيهِ أيا من به تَبَيَّ الوزاره إذ
 يا صاحب القلم الأعلى الذي جُمعت
 يا من يَقْصُرُ وُضْفِي في علاه ولو
 شرفتنى عندما استَدْعيت من قبلي
 وربنا راق ثَغْرُ في مَباسمه حتى
 أَجَلٌ قَدْرِك أن ترضى لِمُنْتَجِع
 هذا ولو أَنِي فيما أَتيتُ به
 لكنت أفضى إلى التَّقْصير من خجل
 فحَسْبِي العَجْزُ عما قد أَشرت به
 لكن أَجبتُ إلى المطلوب مُنْتَهلاً
 فانظر إليها بعين الصَّفْح عن زَلال
 بقيتَ للدهر تَطْوِيه وتَنْشره

جيتك ، أعزك الله ، ببضاعة مُرْجاة ، وأَعْلَقْت رَجاي من قبولك
 بأُمْنِيَة مُرْجاة ، وما مثلك يُعامل بِسَقْط المتاع ، ولا يُرضى له بالحَشْف
 مع بَخْس المدِّ والصَّاع . لكن فضلك يُغْضى عن التَّقْصير ويسمح ، ويتجاوز
 عن الخطأ ويصْفح ، وأنت في كل حال إلى الأَدْنى من الله أَجْنَح . ولولا
 أَنَّ إشارَتَكَ واجبة الامتثال ، والمُسارعة إليها مُقَدِّمة على ساير الأعمال ،
 لما أَتيتُ بها تَمْشِي على اسْتِحْياء . ولا عَرَّضْتُ نفسي أن أقف مَوْقف
 حِشْمَة وحياء . فما مثلي فيما أَعْرَضه عليك ، أو أَقَدِّمه من هذا الهَذَر بين
 يديك ، إلا مَثَلُ من أهدي الخرز لجالب الدر ، أو عارض لِنُوشل موج
 البحر ، أو كاتر بالحصى عدَدَ الأنْجُم الزُّهر . على أني لو نظمتُ الشُّعْرى

شِعْراً . وَجِئْتُكَ بِالسُّحْرِ الْحَلَالِ نِظْماً وَنَشْراً ، وَنَافَحْتُكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرَّوْضَةِ
الْأَدْبِيَّةِ ، الَّتِي تَعْبَقُ أَزَاهِرَهَا نَشْراً . لَمَّا وَصَفْتُكَ بِبَعْضِ الْبَعْضِ مِنْ نَفَائِسِ
خُلَاكَ ، وَلَا وَفَّيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ نَشْرِ مَآثِرِ عُلَاكَ . فَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي تِلْكَ
الْمَآثِرِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالذَّاتِ الْمَوْسُومَةِ بِاسْمِ التَّعْرِيفِ وَالْعِلْمِيَّةِ ، أَوْ أُعْبِرَ عَنْهُ
فِي وَصْفِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَالْمَفَاخِرِ الْحَسَبِيَّةِ . إِنْ وَصَفْتُ مَالِكَ مِنْ
شَرَفِ الذَّاتِ ، مِلْتُ إِلَى الْإِخْتِصَارِ ، وَقَلْتُ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ . وَإِنْ ذَهَبْتُ
إِلَى ذِكْرِ مَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ الْآيَاتِ ، بَلَغْتُ فِي مَدَى الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ إِلَى أْبْعَدِ
الْغَايَاتِ ، وَإِنْ حَلَّيْتُكَ بِبَعْضِ الْحُلَا وَالصِّفَاتِ ، سَلَبْتُ مَحَاسِنَ الرَّوْضِ
الْأَرِيحِ النَّفْحَاتِ . فَكَمْ لَكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الرَّايِقَةِ ، وَالْبِدَائِعِ الْفَائِقَةِ ،
وَالْآدَابِ الْبَارِعَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ الْجَامِعَةِ . فَمَا شِيتَ مِنْ حُدَايِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ ،
كَأَنَّمَا جَادَتْهَا سُحْبُ نَيْسَانَ ، وَجَدَّتْ ثَمَرَاتَهَا صِنْوَانَ وَغَيْرُ صِنْوَانَ ،
تُزْرَى بِبِدَايِعِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، وَتُخْجَلُ الرَّوْضُ كَمَا يُخْجَلُ الْوَرْدُ ابْتِسَامِ
الْأَفْحْوَانِ . نَظْمٌ كَمَا انْتَشَرَ الدُّرُّ ، وَنَشْرٌ تَتَمَنَّى الْجَوْزَاءُ ، أَنْ تَتَقَلَّدَهُ
وَالْأُنْجُمُ الزُّهْرُ ، وَمَعَانٍ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ ، تَهَبُّ عَلَى صَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ .
فَاهْلًا بِكَ يَا رَوْضَةَ الْآدَابِ ، وَرَبَّ الْبَلَاغَةِ ، الَّتِي شَمَسَ آيَاتُهَا لَا تَتَوَارَى
بِالْحِجَابِ ، فَمَا أَنْتِ إِلَّا حَسَنَةُ الزَّمَانِ ، وَمَالِكُ أَرْزَمَةِ الْبَيَانِ ، وَسَبَّاقُ
غَايَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ . وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فِي إِوْصَافِكَ ،
وَمَا فِي تَحْلِيَّتِكَ بِالْفَضَائِلِ وَاتِّصَافِكَ . لَكِنِّي رَأَيْتُ أُنَى لَوْ مَدَدْتُ فِي ذَلِكَ
بَاعَ الْإِطْنَابِ ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا تَقْصِيرٌ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ
وَالْمَسَاكِ ، وَالْعَجْزُ عَنِ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ . إِلَيْهِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى ، وَالْفَاضِلُ
الَّذِي لَهُ فِي قِدَاحِ الْفَخْرِ ، الْقِدْحُ الْمُعْلَى ، فَإِنَّكَ أَمَرْتَ أَنْ أَعْرَضَ عَلَيْكَ
لِتَعْرِيفِ بِنَفْسِي وَمَوْلَدِي ، وَذَكَرَ أَشْيَاخِي الَّذِينَ بَأَنْوَارِهِمْ أَقْتَدِي ،

فعلمتُ أن هذا إنما هو تهَمُّ منك بشأني . وجَرَّيُّ على مُعتادِ القُضَلِ الذي يَقْضُرُ عنه لساني . وفضل جميل لا أزال أَجْرِي في الثناء عليه مِلْءُ عِنَانِي . وإلا فَمَنْ أَنَا في الناسِ حتى أُنْسَبَ . أو من يذهب إلا أنت هذا المذهب .

أما التَّعْرِيفُ بِنَفْسِي . فأبداً فيه باسم أبي . هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب ابن عطية المحاربي . وجدِّي عطية هو الدَّاخلُ إلى الأندلس عام الفتح ، نزل بالبيرة ، وبها تفرَّع من تفرَّع من عَقْبِهِ . إلى أن انتقلوا إلى غرناطة ، فتأثَّلَ بها حالهم . واستمر بها استيطانهم ، إلى حدود المائة السابعة ، فتسبَّبَ في الانتقال من بقي منهم ، وهو جدِّي الأَقْرَبُ الأَنسابِ ، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادي آش ، ولكلِّ أَجْلِ كتاب . وذلك أنه استُقْضِيَ بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله ، أول ملوك هذه الدولة النصرية ، نصر الله خَلْفَها ، ورحم سَلَفَها . فاتخذ فيها صِهراً ونَسباً ، وكان ذلك لاسْتِيْطانِهِ بها سبباً ، واستمر مُقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة ، فكان إلى أشرف الحالات مُرْتَحِله ، وقضى في إِيابِهِ من الحجِّ أَمَلَهُ . واستمرت به الاستيطان . وتعدَّرت بعوده إلى غرناطة بعدما نَبَتْ فيها الأوطان . على أنه لم يَعْدَمْ من الله السُّرَّ الجَمِيلَ . ولا حظَّ من عنايته بإيصال النُّعْمَةِ كَفِيلَ . فإنه سبحانه حَفِظَ مَنْ سَلَفَ فيمن خَلَفَ ، وجعلهم في حال الاغتراب . فيمن اشتهر بنباهة الحال واتَّصَفَ ، وقِيضَ لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف . وبذلك حَفِظَ اللهُ بَيْتَهُمْ ، وشَمَلَ باتصال النُّعْمَةِ حَيْثُهم ومَيْتَهُمْ . فالحمد لله ، بجميع محامده . على جميل عوايده . وتخلَّفَ بوادي آش أبي وأعمامِي . تغمدهم الله وإيائي برحمته ، وجمع شملنا في جَنَّتِهِ .

واما التعريف بهم ، فأنتم أبقاك الله ، بمن سَدَفَ قديما منهم أَعْلَمَ ،
وسبيلك في معرفتهم أَجْدَى وَأَقْوَم . بما وهبكم الله من عَوَارِفِ المَعَارِفِ ،
وجعل لكم من الإِحَاظَةِ بالتألد منها والطَّارِفِ . وأما مَنْ لِمَ يَقَعُ به تعريف ،
مَنْ بَعْدَهُمْ . فمن اِقْتَنَى رَسْمَهُمْ في الطريقة العلمية ، ولم يتجاوز جدهم
وهو جدِّي أبو بكر عبد الله بن طلحة و رابع أجدادي . كان رحمه الله
ممن جرى على سُنَنِ آبائه . وقام بالعلم أحسن قيام ، ونهض بأعجابه .
ألَّفَ كتابا في « الرقايق » ، ففات في شأوه سَبَقُ السَّابِقِ ، وتصدَّرَ ببلده
للْفُتْيَا ، وانتفع به الناس ، وكان شيخهم المُقَدِّم . ولم أَقِفْ على تاريخ
مولده ولا وفاته ، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة رحمه الله ،
وأما مَنْ بَيْنِي وبينه من الآباء ، كجدِّي الأَقْرَبِ وأبيه ومن خَلَفَهُ من بنيهِ .
فما منهم من بلغ رُتْبَةَ السَّابِقِ ، ولا قَصُرَ أيضا عن درجة اللأحق ، وإنما
أخذ في الطلب بنصيب ، ورمى فيه بسَهْمٍ مُصِيبِ .

وأما مولدى فبوادى آش في أواخر عام تسعة وسبع مائة . وفي عام
ثلاثة وعشرين ، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُّرْسُونِي وغيره
من يأتى ذكره . ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وُلِّيَهَا من القضاة أولى
العدالة والسَّيْرِ المرتضاة ، ولم يطل العهد حتى تقدَّمت في جامعها الأَعْظَمِ
خطيبا وإماما ، وارتسمت في هذه الخُطَّةِ التي مازالت على من أحسن
مأما ، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين . ثم وُلِّيْتُ القضاء بها ،
وبما يرجع إليها من النَّظَرِ ، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين ،
واستمرت الولاية إلى حين انتقالى للحضرة ، آخر رجب من عام ستة
وخمسين ، أسأل الله الإقالة والصَّفْحَ عما اقترفت من خطأٍ أو زَلَلٍ ،
أو ارتكبته من عَمْدٍ وسَهْوٍ ، في قول أو عمل بمَنِّهِ .

واما أشياخي ، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القبيجاطي ، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى . وبالمالقة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن منظور . وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العيش ، وسيّد القاضي أبي البركات بن الحاج ، والأستاذ أبي عثمان بن ليون ، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب ، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم . كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه ، وعرضتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقّه والأدب ، أكبرها كتاب المقامات للحريري . وأما من لقبته من المشايخ واستفدت ، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة ، وبالمالقة القاضي أبو عبد الله بن بكر ، والقاضي أبو هبّد الله بن عيَّاش . والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين . ومن لقبته لقاءً بترك ، سيدي أبو جعفر بن الزيات بهلّش ، وبالمالقة الخطيب أبو عبد الله السّاحلي ، والصّوفي أبو الطاهر بن صفوان ، والمُقري أبو القاسم بن درهم . وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب ، والخطيب ابن فرخون . ولقبّيت أيضا القاضي أبا جعفر بن فرّكون القرشي ، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ . ومن رأيتهُ بوادي آش ، وأنا إذ ذاك في المكتب ، وأخذت بحظّ من التبرك به ، سيدي أبو عبد الله الطنجالي نفع الله به . والحمد لله رب العالمين .

شعره

من مطولاته قوله . ومن خطّه نقلت :

ألا أيها الليل البطي الكواكب	متى يَنجلى صبحُ بنيل المسارب
وحتى متى أَرعى النجم - يوم مُراقبا	فمن طالع منها على إثر غارب
أحدت نفسي أن أرى الركب سايرا	وذنبى يُقَصيني بأقصى المغارب

فلا فزتُ من نَيْل الأمانى بطايل
وكم حَدثتني النفس أن أَبْلُغ المُنَا
وما قَصُرَت بي عن زيارة قَبْرِهِ
ولاحبُ أوطان نَبَتُ بي ربُوعها
ولكن ذنوبٌ أَثْقَلتني فهأنا من
إليك رسول الله شوقى مُجَدِّدٌ
وأعملت في تلك الأباطح والرُّبى
وقضيتُ من لثم البقيع لُبانتى
ورويتُ من ماء زمزم غُلَّتى
حبيبي شفيعى مُنتهى غايتى التى
محمد المختار والحاشير السدى
رؤوفٌ رحيمٌ خصه الله باسمه
رسول كريم رفع الله قَدْرَهُ
وشرفه أصلاً وفرعاً ومَحْتَدِداً
سراجُ الهدى ذو الجاه والمجد والعلا
هو المصطفى المختار من آل هاشم
هو الأمدُ الأقصى هو الملجأ الذى
إمام النبیین الكرام وإنه لَكا لَبْدُر فيهم بين تلك المواكب
بشير^(١) نذير مفضل متطوّل سراجٌ منير بَدُّ نور الكواكب
شريف مُنِيف باهر الفضل كاملٌ نفيس المعالى والحُلا والمنساقب
عظيم المزايا ماله من تماثيل كريم السجايا ماله من مُناسب

(١) وردت في الإسكوريال محرقة (نير).

يلوذ به من يبسن آتٍ وذاهب
 نظيرٌ ووصف الله حجةً غالب
 إلى خير مجد من لؤى بن غالب
 بدور الدياجسي أو بدور الركائب
 وآيات صدقٍ مالها من مغالب
 وماذاك عمّن حاد عنها بعائب
 ونور سنى لا تختفى للمراقب
 وهل بعد نور الشمس نورٌ لطلب
 له في مقام الرُّسل أعلى المراتب
 جلا نوره الأسنى دياجى الغياهب
 فلا غرو أن للفخر ضربةً لازب
 بنور شهابٍ نير الأفق ثاقب
 وإن نال من موله أسنى الرغائب
 وذكر الكرام الطاهرين الأطائب
 فسار على نهجٍ من الرشد لاجب
 بتخليد سلطان وحسن عواقب
 غرايب صُنع فوق كل الغرايب
 بسمر العوالى أو ببيض القواضب
 بما سوف يبق ذكره في العجايب
 أراه بعين الرُّشد أسنى المطالب
 لموهبةً فاتت جميع المواهب

ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن
 حلیم^(١) جميل الخلق والخلق ماله
 وناهيك من فرع نمته أصوله
 أولى الحسب العد الرفيع جنابه
 له معجزات مالها من معارض
 تهدى بهن الخلق شرقاً ومغرباً
 فدونكها كالأنجم الزهر عدة
 فأحصارها مهما تتبعت معوز
 لقد شرف الله الوجود بمُرسل
 وشرف شهراً فيه مولسده الذى
 فشهر ربيع فى الشهور مقدم
 فله منه ليلسة قد تلالأت
 ليهن أمير المسلمين بها المنا
 على حين أحياها بذكر حبيبه
 وألف شملاً للمحبسين فيهم
 فسوف يُجازى عن كريم صنيعه
 وسوف يُسريه الله فى لهم دينه
 فيحى حى الإسلام عمّن يرومه
 ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً
 إلآهى مالى بعد رحماك مطلب
 سوى زورة القبر الشريف وإنها

(٢) وردت فى الإسكوريال (حليل).

عليه سلام الله ملاح كوكب وما فارق الإطعمان حادى الركائب
وقال في غرض المدح والتهنئة بعرض الجيش ، وتضمن ذلك وصف

حاله في انتقاله إلى الحضرة :

يا قاطع البيد يطوى السهل والجبالا
بينكى في آفاق أرض لا يونسه
أوظبية أذكرت عهد التواصل تحكى
أستغفر الله في تلك اللحاظ فقد
أو هادل فوق غصن البان تحسبه
أو لامع البرق إذ تحكى إنارته
ماذا عسى أن تقضى من زمانك في
وكم معالم أرض أو مجاهلهسا
إن كنت تأمل عزاً لا نظير له
فالعز مرسى بعيد لا ينال سوى
والدر في صدق قلت نفاسته
فارباً بنفسك عن أهل وعن وطن
وانس الديار التي منها نأى وطنى
وعد عن ذكر محبوب شغفت به
واقصد إلى الحضرة العليا وحط بها
غرناطة لا عفا رسم بها أبداً
آفهى التي شرف الله الأنام بمسن
خليفة الله مولانسا وموئلنسا

وَمُنْضِيَا فِي الْفِيَا فِي الْخَيْلِ وَالْإِيْلَا
إِلَّا تَذَكَّرُ عَهْدَ لِلْحَبِيبِ خَلَا
اللُّحَاظِ الَّتِي عَاهَدْتِ وَالْمُقْلَا
أَرْبَى بِهَا الْحُسْنَ عَنْ ضَرْبِ الْمَهَا مَثَلَا
صَبًّا لَفَقَدَ حَبِيبَ بَانَ قَدْ ثَكَلَا
كَفًّا خَضِيْبًا مُشِيرًا بِالسُّدَى عَدَلَا
قَطَعَ الْمَهَامَةَ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ عُلَا
قَطَعْتَهَا لَا تَمَلُّ السَّرِيْثَ وَالْعَجَلَا
وَتَبْتَغِي السُّؤْلَ فِيمَا شِيَتْ وَالْأَمَلَا
بِعِزْمٍ مَنْ شَدَّ عِزْمَ الْبَيْنِ وَارْتَحَلَا
وَلَمْ يَبَيِّنْ فِخْرَهُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَا
..... (١)

وعهد أنس به قلب المحب سلا
ولا تلم به مدحا ولا غزلا
رخلا ولا تبغ عن أرجائها حولا
ولا سلا قلب من يبغى بها بدلا
في مقعد الملك من حمراها نزلا
وخير من أمن الأرجاء والسبلا

(١) في المخطوط بياض مكان هذه الشطرة .

قَدْ قَامَ فِينَا بِحَقِّ اللَّهِ إِذْ عَدَلَا
 بَهَّرَتْ عُلَاهُ كَالشَّمْسِ لِمَا حَلَّتِ الْحَمَلَا
 فِيهَا بِدَوْلَتِهِ إِذْ فَاقَتْ الدُّوَلَا
 وَكَانَ أَرْحَمَ مِنْ آوَى وَمَنْ كَفَلَا
 لَمْ يَخْشَ إِحْنَ اللَّيَالِي فَادْحَا جَلَلَا
 مَا قَدْ تَحَلَّلَا مِنْ نَفْيِيسِ عُمَلَا
 وَالْجُودِ مِمَّا عَلَى أَوْصَافِهِ اشْتَمَلَا
 وَالْفِعْلُ أَجْمَلُ مِنْهُ كَلِمَا فَعَلَا
 مِنْ قَدْ رَجَاهُ وَلَا اسْتَجْدَى وَلَا سَأَلَا
 مِنْهُمْ بِأَبْلَغٍ مِنْهُمْ كَلِمَا سَأَلَا
 أَسْنَى الْعَطَا وَأَبَدُوا بَعْدَهُ الْخَجَلَا
 إِذْ حَكَّمُوا فِي الْأَعَادَى الْبَيْضِ وَالْأَمَلَا
 يَعْدِلُ بِأَخْلَتِهِمْ فِي سَنِّهِ بَصَلَا
 أَيُّشِبُهُ الْبَحْرُ فِي تَمَثِيلِهِ الْوَشَلَا
 رِيَائَتَهُ وَلِسَوَاءٍ الْفَخْرُ قَدْ حَمَلَا
 بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَيْسَلِ وَالْخَوَلَا
 أَقَامَ مِمَّا دَامَرَ الدَّيْسَانَ فَاعْتَدَلَا
 لِمَا اكْتَسَى مِنْكَ نَوْرَ الْحَقِّ مَكْتَسَلَا
 أَضْحَى عَلَيْهِ إِذَا مَا لَاحَ مُنْسَدَلَا
 قَدْ أَسْبَلَ اللَّهُ مِنْهَا النَّصْرَ فَانْسَدَلَا
 فَمَنْ بَرَّاقِعَهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حُسْلَلَا
 يَمْشُونَ مِنْ فَرَطِ زَهْوِ مِشْيَةِ الْخَيْلَا

محمد بن أبي الحجاج أفضل من
 من آل نصر أولى المملك الذي
 هو الذي شرف الله البلاد ومن
 أقام عدلا ورفقا في رعيته
 فهو المجرار به من لا مجير له
 إن المدائح طرا لا تنى أبدا ببعض
 بالحزم والفهم والإقدام شيمته
 إن قال أجمل في قول وأبدعه
 يولى الجميل ويعطى عز نائيه
 من سائل عن بنى نصر فما أحد
 هم الذين إذا ما استمنحوا منحو
 هم الألى مهدوا أرجاء أنسدلس
 فإن تسل عنهم يوم الرهان فلم
 من ذا يجاريهم في كل مكرمة
 مولاى يا خير من للنصر قد رفعت
 لله عيني لما أبصرتك وقد أعددت
 وأنت في قبة يسمو بها عمد
 والجيش يعشى عيون الخلق منظره
 لا غرو أن شعاع الشمس يشمل ما
 وراية النصر والتأييد خافقة
 والخيل قد كسيت أثواب زينتها
 ترى الحماة عليها يوم عرضهم

فمن رُماةِ قِسيِّ العُربِ عُثِّبَتْ
 ومن كُماةِ شِدادِ البِئاسِ شَأْنُهُمْ
 بِسَعْدِكَ انْتَضَمَتْ تِلْكَ الْجِيُوشُ لِأَنَّ
 وَخَلَّدَ اللهُ مُلْكًا أَنْتَ ناصِرُهُ
 لِأَزَلَّتْ تَزْدَادُ بِهَا نَعْمَى مِضَاعِفُهُ
 ومن ذلك قوله :

يا عاذلي في الهوى أقصر عن العذل
 فكيف أضغى إلى عدل العذول وقد
 تملكته كما شئت بنظرتها
 مُعبِرة عن نفيس الدر فاضحة
 من نور غرثها شمس تسروق سنى
 يا حياناً عهدنسا والشمل منتظم
 أيام أعين هذا الدهر نائمة
 وخبداً أرتبغ قد ظلال ما نظمت
 قضيت منها أمانى النفس في دعة
 سطى الغنم رباها كل منهمر
 وجادها من سماء الجود صوب حياً
 خليفة الله والمساخى بسيرته
 محمد بن أبي الحجاج أفضل من
 والباعث الجيش في سهل وفي جبل
 من آل نصر أولى الفخر الذين لهم
 مهما أردت غنائاً في الأمور به

وعن حديثي مع المحبوب لا تسل
 تملص القلب مني صايد المقل
 فتانة الطارف والألحاظ تنهدل
 بقددها الغض الميـاس في الميسل
 نحتل منها محل الشمس في الحمل
 بجانب الغور في آيامنا الأول
 عتا وأحداثه منا على وجـسـن
 عقد التواصل في عيش بها خصل
 من الزمان موقى الأنس والجذك
 وكم سَطَّتْها دموعى كل منهمل
 بالعارض الهطل ابن العارض الهطل
 رشم الضلال ومجيبى واضح السبل
 سارت أحاديث علياه سرى المثل
 حتى تُغص نواحي السهل والجبل
 مزية أورثت من خاتم الرسل
 شاهدت منه جميع الخلق في رجل

إلا غدا تحت ظلُّ منه مُسَدَّلٌ
 إلا كَفَاهُ انْتِيَابُ الحَادِثِ الجَلَلِ
 مُلْكاً على سالفِ الأَعْصَارِ لم يَزَلْ
 واللهِ واليه لا يَخْشَى من العَطَلِ
 بِالمُشْرِفِيَّاتِ وَالخَطِيئَةِ الذُّبُلِ
 فِي الخَلْقِ مِلَّتُهُ العَلِيَا على المِلَلِ
 جوداً كَفِيلاً له بِالمَعَلِ والنَّهْلِ
 فَضْلَ النَّوَالِ ذِيوَلِ الوَشْيِ وَالْحَلْلِ
 كَالنَّعْتِ وَالتَّكْوِينِ وَالبَدَلِ
 بِمَا أَجَادْتَهُ من مَسَدَحِ وَمِنْ غَزَلِ
 لَعَمْرِي فِي مَنَحِي وَلَمْ أَطَلْ
 سِيَّانَ مُحْتَفِلِ أَوْ غَيْرِ مُحْتَفِلِ
 تَسْمُو بِكَ الدُّوَلَةُ العَلِيَا على الدُّوَلِ
 مُبَلِّغَا كَلِمَا تَبْنِي من الأَمَلِ
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ لِيُنْقَشَ فِي بَعْضِ المَبَانِي الَّتِي أَنشَأْتُهَا :

فَمَا مَنزَلُ زَهْيِ بِمِثْلِ بَسَدَائِعِ
 لِكُلِّ المَعَانِي جَامِعِ أَيْ جَامِعِ
 لَدِيَّ فَيَا لِلَّهِ إِسْدَاعِ صَانِعِ
 بِسُكْنَانِي قَدْ وَافَاهُ أَيَّمَنُ طَالِعِ
 مَزِيَّةِ فَخِيرِ مَا لَهَا مِنْ مُدَافِعِ
 لِمَسِ يَوْمَلِهِ مِثْلُ السَّيِّئِ وَفِ القَوَاعِعِ
 كَشَمْسِ الضُّحَى حَلَّتْ بِأَسْنِي المَطَالِعِ

لَنْ يَسْتَظِلَّ بِعَلِيَّاهُ أَخُو أَمَلِ
 وَلَا اسْتِجَارَ بِهِ مَنْ لَا مُجَسِّيرَ لَهُ
 يُنْمِي إِلَى مَعِشَرِ شَادِ الآلِهِ لَهُمْ
 بِمُلْكِهِمْ قَدْ تَحَلَّى الدَّهْرُ فَهُوَ بِهِ
 هُمُ الأُلَى نَصَرُوا أَرْجَاءَ أُنْدَلَسِ
 هُمُ الأُلَى مَهَّدُوا دِينَ الهُدَى فَسَمَّتْ
 مِنْ أُمَّهُمُ صَادِيَّ الآمَالِ نَالَ بِهِمْ
 أَوْ أُمَّهُمُ ضَاحِيَاً أَضْحَى يُجْرِرُ مِنْ
 إِنْ الفَضَائِلِ أَضْحَتْ لِاسْمِهِ تَبَعَا
 مَوْلَايَ خَذَهَا تَرُوقِ السَّامِعِينَ لَهَا
 لَكِنِّي بِاعْتِبَارِ عِظَمِ مِلْكِكَ لَمْ أُجِدْ
 فَإِنْ خُبِرْتُ كَذَاكَ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
 لَازَلْتُ فخرِ مَلُوكِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ
 وَدُمْتُ لِلدَّهْرِ تَطْوِيئِهِ وَتَنْشُرُهُ
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَظَّمَهُ لِيُنْقَشَ فِي بَعْضِ المَبَانِي الَّتِي أَنشَأْتُهَا :

أَنَا مَصْنَعٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ المَصَانِعِ
 فَرَسِي إِذَا حَقَّقْتَهُ وَاعْتَرَّتَهُ
 فَفَسَدَ جَمْعُ اللَّهِ المَحَاسِنِ كُلِّهِمَا
 ظِلٌّ كَمَا جُمِعَتْ كُلُّ الفَضَائِلِ فِي الَّذِي
 وَزِيرِ أَمْسِيرِ المُسْلِمِينَ وَحَسْبُ بِهِ
 وَذُو القَلَمِ الأَعْمَلِي الَّذِي فِعْلُهُ
 وَمُطَالَعِ آيَاتِ البَيَانِ لِمُبْصَرِ

وإنسان عَيْن الدهر قَرَّتْ لِنَابِهِ
هو ابن الخطيب السيد المُنْتَمِي
لقد كنت لولا عَطْفَة من خَنَانِهِ
فصيرتني مَغْسِنِي كَرِيمَا وَمُرْبَعَا
فها أنا روضُ يروق نَسِيمُهُ
وقد جَمَعْتَنَا نسبة الطَّبِيعِ عِنْدَمَا
فَأَشْبِهَ إِزْهَارِي بِطِيبِ ثَنَائِهِ
فَلَا زِلْتُ مَعْمُورًا بِهِ فِي مَسْرَةِ
وَلَا زَالَ مِنْ قَدِّ حَلْسِنِي أَوْ يَحْلُنِي
وَدَامَ لِمَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ سَعْدُهُ

وفي التهنية يا بلال من مرض :

الآن قد قامت الدنيا على قدم
والآن قد عادت الدنيا لبهجتها
والآن قد عمت البُشْرَى بِرَاحَتِهِ
لا سيما عند مثلي ممن اتضحت
فكيف لي وأيادي فضله مَلَكَتْ
وصيرتني في أهلي وفي وطني
وأحسبت أُمْلِي الْأَقْصَى لِغَايَتِهِ
وماذا عسى أن أوفى من ثنای أو
ولو ملكتُ زمام الفضل طَوَّعَ يَدِي
يُهْنِكُ بُشْرِي قَدْ اسْتَبَشَّرْتُ مَدَّ وَرَدَتْ
ومد دَعَتْ هَذِهِ الْبُشْرَى بِتَهْنِيَةِ

لما استقلَّ رَئِيسَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
مَدَّ أَنْسَتَ بُرْءَهُ مِنْ طَارِقِ الْأَلَمِ
فلم تزل للورى من أعظم النعم
منه دلائل صدق غير متهم
رقى بما أجزلت من وافر القسم
وبين أهل النهى زياراً على علم
إذ صرتُ من جاهه المأسوم في حَرَمِ
أنهى إلى مجده من فاضل الشيم
قصرتُ في ضمن منشور ومنتظم
فمنحز أولى ومحض العهد والكرم

لازلت للعزة القمساء منتطياً مستصحباً لعلاءٍ غير مُصمره
ودمتَ بندرَ سَنَى تَهْدَى إِنْارتهِ فِي حَيْثُ يَغْضُلُ خَطْبُ أَوْ يَحَارُ عَم
ولا عِدمتَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَافِيَةً تَسْتَصْحِبُ النِّعَمَ الْمُنْهَلَّةَ الدَّيْمَ
وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشعر والكتابة . وغير هذا
للشعر فراره . فقلَّ أن ينتهي الشعر في الضعة والاستيزال إلى ما دون هذا
النمط . فهو بعبير^(١) ثان : شعراً وشكلاً وبلداً ، لطف الله به . وهو لهذا
العهد . على ما تقدم من النكبة ، واتصال السخط من الدولة . تغمدنا الله
وإياه بلطفه . ولا نكص عنا ظلَّ عنايةه وسنوره .
« مولده » : حسباً تقدم من بسط حاله مما قيده بخطه في عام تسعة وسبعماية .

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة ، أبو محمد .

حاله

فقيه أديب كاتب سري . موصوف بكرم نفس . وحسن خلق .
لقى أسيافاً وأخذ عنهم

شعره

يا مُنَعَمَا مازال من أممه يسرفل في السابغ من أميئته
ويا حُساماً جردتسه العلاء فريع صرف الدهر من سكوته
عبدك قد ساءت هنا حاله شوقاً لمن خلف من إخسوته

(١) ورد في هامش المخطوط تعليقا على هذه النكبة ما يتق . . . والله أعلم أنه كاد

يشبه للشيخ عبد العليم الوادي أمتي المنقب بالمير .

شوقها يبث الجمر في قلبه ويخلسع السهيد على مقاتله
فسكن المؤلم من شوقه وانس المقلق من وحشته
وامن عليه ببلسوغ السنأ في علمكم من مقتضى بغيته
وهاكها نفثة ذى خجلة تفهم ما يلقيه من نفثته
إذا شدا مداحكم ساجعاً يحسده الطيسار في نغمته
« وفاته » : سنة إحدى وسبعين وخمسمائة عن سن عالية (١) .

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي

من أهل قلعة بحصب (٢) من عمل البيرة .

حاله ونسبه

هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعد بن عمارة بن ياسر ،
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عيناً من أعيان الأندلس ،
مُشاراً إليه في البيت والرأى ، والجزالة والفضل . علقبت به الآمال ،
ورُفعت إليه المادح ، وحُطت لديه الرّحال . وكان من أولى الجلالة
والنّباهة . والطلب والكتابة الحسنة . والخطّ البارع . واشتمل على
حُظوة الأمير يحيى بن غانية اللّمتوى ، وكتب عنه . بلده قلعة بني
سعيد ، فثقفها ، وجعل بها أكبر بني عبد الرحمن ضابطاً لها
وحارساً . فحصّنها أبو مروان ومهدّها بالعمارة . فكانت في الفتنة مثابة

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم نرد في الرتبة .

(٢) قلعة بحصب أو قلعة بني سعيد سبق التعرف بها . (راجع المجلد الأول من الإحاطة

ص ١١١ حاشية) .

وَأَمْنَا . وَحِرْزًا لَهُ وَلِبْنِيهِ . فَانْجَلَّتِ النَّاسُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَلَمَّا قَبِضَ ابْنُ غَانِيَةَ ^(١) عَلَى الْقُمَطِ مَرِينٍ وَأَصْحَابِهِ النَّصَارَى عِنْدَمَا وَصَلُوا لِاسْتِنْجَازِ الْوَعْدِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ جِيَّانٍ . وَتَحَصَّلُوا بِيَدِهِ بِإِشَارَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ سَعِيدٍ ، حَسْبًا ثَبِتَ فِي اسْمِ الْأَمِيرِ يَحْيَى ، ثَقَّفَهُمْ بِالْقَلْعَةِ بِيَدِ ثِقَّتِهِ الْمَذْكُورِ وَأَمِينِهِ أَبِي مَرْوَانَ ، فَتَحَصَّلُوا فِي مَعْقَلِ حَرِيرِزٍ ، عِنْدَ أَمِيرٍ وَافِرِ الْعَقْلِ ، سَدِيدِ الرَّأْيِ . وَمَاتَ ابْنُ غَانِيَةَ بِغَرْنَاطَةَ لِأَيَّامِ قَلَائِلٍ ، وَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ ، فَنَظَرَ أَبُو مَرْوَانَ لِنَفْسِهِ ، وَعَاهَدَ الْقُمَطِ مَرِينٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزُّعَمَاءِ عَلَى عُهُودٍ ، أَخَذَهَا عَلَيْهِمْ وَعَلَى سُلْطَانِهِمْ ، أَنْ يَكُونَ تَحْتَ أَمْنٍ وَحِفْظٍ طَوِيلٍ مَدَّتِهِ ، فَأُجْرِيَتِ الْقَلْعَةُ فِي الْأَمْنِ وَالْحِمَايَةِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ التَّعْدَى مَجْرَى مَا لِمَلِكِ النَّصْرَى ^(٢) مِنَ الْبِلَادِ ، فَشَمِلَ أَهْلُهَا الْأَمْنَ ، وَاتَّسَعَتْ فِيهَا الْعِمَارَةُ ، وَتَنَكَّبَتْهَا التَّكْبِيَاتُ ، وَتَحَاشَتْهَا الْغَارَاتُ . وَلَمْ يَزَلْ أَبُو مَرْوَانَ بِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ فِي أَمْرِ الْمُوَحِّدِينَ . وَوَصَلَ هُوَ وَابْنُهُ إِلَى السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدِ بِغَرْنَاطَةَ ، وَحَضَرَ مَعَهُ غَزْوَةَ الْمَرْيَّةِ . ثُمَّ دَخَلَ بِجَمَلَتِهِ ، فَكَمَلَ لَهُ الْأَمْنَ ، وَأَقْرَعَ عَلَى الْقَلْعَةِ ، وَأَمَرَ بِسُكْنَى غَرْنَاطَةَ بِوَلَدِهِ . ثُمَّ وَصَلَ ثَانِيَةً إِلَى مَرَاكُشَ صَحْبَةَ السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ . وَلَقِيَ مِنَ الْبَرِّ وَلُطْفَ الْمَكَانَةِ عَادَتِهِ . وَاسْتَكْتَبَ ابْنَهُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْخَلِيفَةَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ . وَانْتَضَمَ فِي جَمَلَةِ الْكُتَّابِ وَالْأَصْحَابِ .

مَحْنَتُهُ

وَعَادَ أَبُو مَرْوَانَ وَبَنُوهُ إِلَى غَرْنَاطَةَ صُحْبَةَ وَالِيهَا السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ ،

(١) هُوَ يَحْيَى بْنُ غَانِيَةَ كَبِيرُ قَوَادِمِ الْمُرَابِطِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ (رَاجِعِ

الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِحَاطَةِ ص ٩٧ حَاشِيَةً) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَمَعْنَاهُ هُنَا النَّصْرَانِي . وَأَنْ تَقَعُمَ الْقَلْعَةُ بِالسَّلَامِ

أَسْوَدَ بِأَمْلَاكِ مَلِكِ النَّصَارَى

فبقي في جملة العسكر عند دخول ابن مرَدْنِيش وصِهْرَه غرناطة . وقد اضطربت الفتنة . وفَسَد ما بين السيد وبين أُنَى جعفر بن أبي مروان منهم ، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة^(١) . ولما ظهرت دلائل التغيير ، وخافوا على أنفسهم ، أداروا الرأى في الانحياز إلى خدمة ابن مردنيش ، ونهّاهم والدهم أبو مروان . وأشار عليهم بمصابرة الأمر ، فلحق عبد الرحمن بالقلعة . وفرَّ أحمد لما انكشف الأمر ، وعُثِر عليه بجهة مالقة ، فقتل . وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد ، فبقيا بغرناطة ، ومن يُشار إليه من أهل بيتهما ، واستُصْفِيَت أموالهما ، واستخلصت^(٢) ضياعهما ، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم ورد أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة ، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم . ولما هلك ابن مردنيش ، ورُدَّ من اتصل به صحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك ، فقدموا على رجب وسعة . وثاب جاه أبي مروان . واتصل عزه ، واتسعت حُظوته ، إلى أن هلك بعد أن ولى بمراكش النَّظْر في العُدَّة والأسلحة ، والقيام على دار الصَّنعة .

« وفاته » : بغرناطة سنة ستين وخمسمائة^(٣) .

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن

محمد بن عبد العزيز بن يست^(٤)

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سلطان .

(١) راجع المجلد الأول من الإحاطة (ص ٢١٧ - ٢١٩) .

(٢) استخلصت ضياعهما ، أى وضعت في المستخلص أو الأملاك السلطانية .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . و « نرسونة » (كُتِب)

حاله

فاضل . حَيِّ ، حسن الصورة ، بادي الحشمة ، فاضل البيت ،
سريه . كتب في ديوان الأعمال ، وترقى إلى الكُتُب مع الجملة بالدار
السلطانية ، وسفر في بعض الأغراض الغربية ، ولازم الشيخ أبا بكر بن
عتيق بن مُقدم ، من شيوخ الصوفية بالحضرة ، فظهرت عليه آثار ذلك
في نظمه ومقاصده الأدبية .

شعره

وشعره لا بأس به ، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم :
القلب يعشق والمدامع تنطق بـرح الخفاء فـكل عُضو منـطق
[قلت ، قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم
في السفر الخامس ، فلا فائدة في تكرارها هنا]^(١) .
ومما خاطبني به :

أطلتُ صَتَبَ زَمانٍ فلَّ من أَمَلٍ	وسِمتَه السَّدَمُ في جِـلٍّ ومُرْتَحِلٍ
عانتبته ليلسين للعتب جانبيه	فما تراجع عن مَطْلٍ ولا بُخْلِ
فعدت أمنحه العُتبي ليشفق بي	إِنِّ فَقال لي إِنِّ سَمِعِي عَنكَ في شَغْلِ
فالعتب عندي والعُتبي فلست أرى	أُصغِي لمـدحك إذ لم أُصغِ للعَدَلِ
فقلت للنفس كُفِّي عن مُعاتبَةٍ لا	تنقضي وجواب صِبيغ من وَجَلِ
من يَعتَلق بالدُّنا بابن الخطيب فقد	سَما عن الدُّلِّ واستوى على الجَدَلِ
فقلت من لي بتَقْرِبي لخدمته	فقد أُجاب قريبا من جوابك لـ
قد اشتغلتُ عن الدنيا بآخرتي	وكان ما كان في أَيامِ الأَوَّلِ

(١) واضح أن ما بين الحاصرتين ، هو من إنشاء ناسخ المخطوط ، وقد وردت هذه

وقد رَعِيَتْ وما أَهْمَلتْ من مِئْزَح
 ولست أَرْجِعُ لِلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
 أَلَسْتَ تَبْصُرُ أَطْمَارِي وَبُعْدِي عَن
 فَقْدَالِ ذَلِكَ قَبُولُ صَحِّحٍ مُجْمَلِهِ
 ما أَنْتَ طَالِبٌ أَمْرٍ تَسْتَعِينُ بِهِ
 وَلَا تُحِجُّ حَرَاماً أَوْ تُحْرِمُ مَا
 وَلَا تَبْغِ أَجَلَ الدُّنْيَا بِعَاجِلِهَا
 وَأَيْنَ عَنكَ الرَّشَاءُ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُهَا
 هل أَنْتَ تَطْلُبُ إِلَّا أَنْ تَعُودَ إِلَى
 فَمَا لِأَوْحَدِ أَهْلِ الكَوْنِ قَاطِبَةٌ
 لَمْ يَلْتَفِتْ نَحْوَ مَا تَبْغِيهِ مِنْ وَطْرٍ
 إِنْ لَمْ تَقَعْ نَظْرَةً مِنْهُ عَلَيْكَ فَمَا
 فَدُونِكَ السَّيِّدِ الأَعْلَى فَمَطْلِبِكُمْ
 فَقَدْ خَبِرْتُ بَنِي الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهِمْ
 فَمَا رَأَيْتُ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ شَبِهِ
 قَصْدَتِكَ يَا أَسْمَى الْوَرَى نَسْباً
 مَوَاكٍ لَمَّا أَمَلْتُ مِنْ أَمَلٍ
 لِحَالِي فَقَدْ رَقَّ الحَسُودُ لَهَا
 لِنَسَا وَلِدَيْنِ اللَّهِ تَرْفَعُهُ
 تَ مُعْتَلِيَا عَن كُلِّ حَادِثَةٍ

فكيف يختلط المرعى بالهمس
 بعد شيب غدا في الرأس مشتعل
 نيل الحظوظ وإعداد إلى أجل
 لسكن من شأنه التفصيل للجمل
 على المظالم في حالٍ ومقتبيل
 أحل ربك في قول ولا عمل
 كما الولاية تبيع السيم بالوشل
 هذا لعمرى أمر غير مُتفعل
 كتب المقام الرفيع القدر في الدول
 وأسمخ الخلق من حافٍ ومُنتعل
 ولم يشد الذي قد بان من خلل
 يصبو لديك للذي أملت من أمل
 قد نيط منه بفضلٍ غير مُنفضل
 من عالم وحكيم عسارفٍ دول
 قلّ النّظير له عندي فلا تسئل
 وليس لي عن عليّاك من جِوَل
 وليس لي عنك من زئغٍ ولا ميل
 واخيم زمانة ما قد ساء من علل
 ما أعقبت بكر الإصباح بالأصل
 كما علّت ملّة الإسلام في الملل

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الفسائي
 وادى آثى الأصل . يكنى أبا محمد .

حاله

كان من جلة الأدباء . وفحول الشعراء . وبرعة الكتّاب . كتب
 عن الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي المسوفي الميورقي^(١) .
 الثائر على منصور بن عبد المؤمن^(٢) ، ثم على من بعده من ذريته إلى
 أيام الرشيد منهم ، وانقطع إليه وصحبه في حركاته . وكان آية في بُعد
 الهمة ، والذهاب بنفسه ، والعناء ، ومواقف الحرب . فإنه دهم في المثل .
 أشبه امرءاً يعض بزّه ، فقد كان أليق الناس بصحبة الميورقي ، وأنسبهم
 إلى خدمته .

« مشيخته » : روى عن أبي زيد بن السهيلي .

بعض أخباره

في البأو والصرامة . حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب عمّن حدثه
 من أشياخه ، قال ، وجّه الميورقي في عشية يوم من أيام حروبه إلى المازق .
 وقد طال العراك ، وكاد يكلُّ الناس عن الحرب . إلى أن يباكروها من
 الغد ، فنفد لما أمر به . ولما بلغ الصدر ، اشتد على الناس . وذعر أرباب
 الحفيظة . وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحمله . فانهزم عدوهم
 شرّ هزيمة ، ولم يعد أبو محمد إلا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة .

(١) سبق التعريف بأبي زكريا يحيى بن إسحاق المسوفي في المعروفين بديننا
 (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٣١١ - حاشية) .

(٢) الإشارة هنا إلى الخليفة الموحد أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى
 بعمقوب المنصور الذي حكم من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٨٤ - ١١٩٩ م) .

وقال له ما حملك على ما صنعت ، فقال له . الذي عمّلت هو شأنى ، وإذا أردت من يَصْرِفُ الناس عن الحرب ويُبْذِبُ ريعهم ، فانظر غيرى .
 وحدثنى كذلك أنّ ولدًا له صغيرًا ، تشاجر مع تيرب له من أولاد أميره أبى زكريا ، فقال منه ولد الأمير ، وقال وما قدر أبىك . ولما بلغ ذلك أباه ، خرج مُغْضِبًا لحينه ، ولقى ولد الأمير المخاطب لولده ، فقال حَفِظْكَ اللهُ ، لست أشك فى أنى خديم أبىك . ولكنى أحبُّ أن أعرفك بمقدارى ومقداره ، أعلم أن أباك وجّهنى رسولاً إلى الخليفة ببغداد بكتاب عن نفسه ، فلما بلّغت بغداد نزلت فى دار اكترت لى بسبعة دراهم فى الشهر ، وأجرى على سبعة دراهم فى اليوم ، وطولع بكتابى ، وقيل من الميورقى الذى وجّهه ، فقال بعض الحاضرين ، هو رجل مغربى ثائر على أستاذه . وأقمت شهرا ، ثم استدعيت إلى الانصراف ، ولما دخلت دار الخلافة ، وتكلمت مع من بها من الفضلاء ، أرباب المعارف والآداب ، اعتذروا لى ، وقالوا للخليفة ، هذا رجل جاهل بمقداره ، فأعدت لى محل ، اكترت بسبعين درهما ، وأجرى على مثلها فى اليوم ، ثم استدعيت ، فودعت الخليفة^(١) ، واقتضيت ما تيسر من جوابه ، وصدر لى شيء له خطر من صلاته . وانصرفيت إلى أبىك . والمعاملة الأولى كانت على قدر أبىك عند من يعرف الأقدار ، والثانية كانت على قدرى والمنّة لله . وأخبار ابن قُرسان كثيرة .

شعره

وقد تععم الأمير بعمامة بيضاء ، ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء ،
 فقال :

(١) وردت فى الإسكوريهال (الخلافة) . والتصويب أنسب للسياق .

فديتك بالنفس التي قد ملكتها
تسوددت للحسن الحقيقي بهجة
ولما تلالاً نور غرتسك السى
تلقفتها خضراء أحسن ناظر
وأسدلت حُمر الملابس فوقها
وأصبحت بدرا طالعا في غمامة
ومن شعره ، ولا خفاء ببراعته :

ندى مُخضلا ذاك الجناح المُنمنا
أعدهنّ ألعانا على سَمع مُعرب
وطر غير مقصوص الجناح مرفها
وقال أيضا رحمه الله :

كنى حزننا أن السرماح صقيلة
وأن بياذيق الجوانب فرزنت
وأن الشبا رهنّ الصدا بديمايه
ولم يعد رخ الدست بيت بنايه^(١)

عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حستان الغساني

جلياني^(٢) من أهل وادي آش . وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا
محمد ، وأبا الفضل .

حاله

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكرو بال ولم ترد في الزيتونة .
(٢) نسبة إلى جليانة وهي محلة قدمه من أعمال وادي آش كانت تسمى جليانة تنفاج لانتشار
هذه المنطقة بإنتاج تنفاج الجيد الفحمر (يافوت) . ولسكنها دثرت اليوم ، ولا عدها أثرا في
خرائط شمال غرناطة أو وادي آش الحديثة .

تجول ببلاد المشرق سائحا . وجحّ ونزل القاهرة . وكان أدبيا ،
بارعا حكما . ناظما ناثرا .

تواليافه

وله مصنفات منها « جامع أنماط السائل في العروض والخطب
والرسائل » ، أكثر كلامه فيه نظما ونثرا .

« مشيخته ومن روى عنه » . روى عنه أبو الحسن على بن عبد الله
ابن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل ، وأبو عبد الله بن يحيى المرسي .

شعره

قال من شعره :

ألا إنما الدنيا بحارٌ تسلطت فما أكثر الغرقى على الجنّيات
وأكثر من لاقيت يُغرق إلفه وقلّ فتى ينجو من الغمرات
« وفاته » : سنة ثلاث وستماية^(١) .

تم المجلد الثالث
من كتاب الإحاطة

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة .

فهارس المجلد الثالث

من كتاب « الإحاطة »

صفحة	
٥٨٠	١ - فهرست التراجم
٥٨٩	٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية
٥٩١	٣ - فهرست الشعر والشعراء
٥٩٧	٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب
٦٠١	٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول
٦٠٢	٦ - فهرست البلدان والأماكن
٦٠٧	٧ - فهرست الأعلام

استدراك

ذكرنا في مقدمة هذا المجلد من « الإحاطة » أننا سوف نمضي في تراجمه حتى ترجمة عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبيع العكبي ، وأنه سوف يشمل من مخطوط الإسكوريال مائة وثمان وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٨٣ . بيد أننا رأينا بعد ذلك ، لأسباب فنية ، أن ينهى هذا المجلد بترجمة عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني ، مشتملا على مائة واحد وتسعين لوحة ، من اللوحة ٨٥ إلى اللوحة ٢٧٦ إسكوريال .

فهرست التراجم

صفحة	المقدمة
٣	
١١	محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفى .
١٧	محمد المكودى .
٢٣	محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي .
٢٧	محمد بن محمد بن محمد بن بيشش العبدرى
٣١	محمد بن محمد الفرى الضرير .
٣٣	محمد بن عبد الولى الرعينى .
٣٥	محمد بن على بن أحمد الخولانى
٣٨	محمد بن على بن محمد البلنسى .
٣٩	محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقى
٤١	محمد بن سعيد بن على بن يوسف الأنصارى
٤٣	محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان النفزى
٦٠	محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكى
٦٤	محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
٦٥	محمد بن أحمد بن على بن قاسم المذحجى
٦٦	محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسانى
٦٧	محمد بن أحمد الرقوطى المرسى
٦٨	محمد بن إبراهيم بن المفرج الأوسى .
٦٩	محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسى .
٧٠	محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأنصارى
٧٢	محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الخذامى
٧٤	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصارى

صفحة

- محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري ٧٥
 محمد بن محمد بن إدريس بن مالك ... بن عبد الواحد بن أحمد
 ابن عبد الله التضاعى ٧٥
 محمد بن محمد بن محارب الصريحي ٧٨
 محمد بن محمد بن لب الكناني ٧٩
 محمد بن محمد البدوي ٨١
 محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري ٨٥
 محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النيري ٨٨
 محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن الجند الفهري .. ٨٩
 محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي ٩١
 محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني ٩٦
 محمد بن علي بن محمد العبدري ٩٧
 محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى ... ١٠٣
 محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمي التسلي الكرسوطى ١٣٠
 محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى. ١٣٤
 محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد ... بن عمر
 ابن رشيد افهري ١٣٥
 محمد بن علي بن هانى اللخمي السبتي ١٤٣
 محمد بن يحيى العبدري ١٥٤
 محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير ١٥٦
 محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني ١٥٨
 محمد بن أحمد بن محمد الدوسى ١٥٩
 محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل
 الأنصاري ١٦٠
 محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمنين المري ١٦٢

صفحة

- ١٦٣ محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي .
- ١٦٥ محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسى
- ١٦٧ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحولاني
- ١٦٨ محمد بن محمد بن علي بن سودة المري
- ١٧١ محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
- ١٧٢ محمد بن عبد الله بن أبي زمين
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد . . . بن أبي زمين
- ١٧٢ عدنان بن بشير بن كثير المري
- ١٧٤ محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم ... بن هاني اللخمي القايسى ...
- ١٧٥ محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني .
- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج . . . بن سعيد بن محمد بن
- ١٧٦ حقل الغافقي
- ١٧٧ محمد بن علي بن عبد الله اللخمي
- ١٧٩ محمد بن علي بن فرج القربلياني
- ١٨٠ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني
- ١٨٢ محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري
- ١٨٣ محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري
- ١٨٤ محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي بكر بن خميس الأنصاري ...
- ١٨٦ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
- ١٨٧ محمد بن أحمد بن المراكشي
- ١٨٩ محمد بن بكرون بن حزب الله
- ١٩٠ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي
- ١٩١ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
- ١٩٣ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي
- ١٩٤ محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

صفحة

١٩٦	محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري
٢٠٠	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري
٢٠٢	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الأنصاري
٢٠٤	محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلحل
٢٠٧	محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
٢٠٧	محمد بن محمد بن حسان الغافقي
					محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم . . . بن قاسم الثميري
٢٠٩	المدعو بابن الحاج . . .
٢١١	محمد بن عبد الرحمن الكاتب ..
					محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٢١٣	سعيد بن عمار بن ياسر . . .
					محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد . . . بن محمد بن عبد الله بن عمار بن
٢١٥	ياسر العنسي
٢١٧	محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري
٢١٨	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي
٢٢٣	محمد بن محمد بن شعبة الغساني . . .
٢٢٥	محمد بن محمد بن العراقي
٢٢٦	محمد بن عبد الله بن محمد بن علي . . . بن عبد الله بن فرتون الأنصاري
٢٢٧	محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل . . .
٢٢٨	محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي
٢٢٩	محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري
٢٣٠	محمد بن أحمد الأنصاري
٢٣١	محمد بن حسنون الحميري
٢٣٢	محمد بن محمد البكري ..
٢٣٣	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

صفحة

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد . . . بن ريد بن عامر بن	
نصر بن حفاف السلمى ..	٢٣٤
محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن	
صفوان القيسى ..	٢٣٦
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى	٢٣٩
محمد بن أحمد بن قاسم الأُمى ..	٢٤١
محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر . . . بن عبد الرحمن بن حميد	
الهاشمى الطنجالى .	٢٤٥
محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلغيتى ، ابن الحاج	٢٤٨
محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد . . . بن يحيى بن عباد الغزى	٢٥٢
محمد بن يوسف بن خلصون	٢٥٦
محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ . . . بن يوسف العراقى ..	٢٦٨
محمد بن أحمد بن شاطر الحمحى المراكشى ..	٢٦٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التيمى ، ابن الخلفاوى	٢٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللوائى	
(ابن بطوطة) ..	٢٧٣
مزدلى بن تيولتكان بن حمى بن محمد بن ترقوت . . . بن واباتن	
الصنهاجى الامتوفى ..	٢٧٤
موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على الهنتانى	٢٧٥
منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو . الأمير أبو زيان	٢٧٦
المطرف بن عبد الله بن محمد . . . بن عبد الرحمن بن معاوية	٢٧٨
مندى بن يحيى التجيبى .	٢٨١
موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعمراسن بن ريان ، أبو حو	٢٨٦
مبارك ومظفر الأُمراء موليا المنصور بن أنى عامر	٢٩٢
منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو	٢٩٨

٣٠٠	مقاتل بن عطية البرزالي .
٣٠٢	مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي .
٣٠٣	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي
								مالك بن عبد الرحمن بن علي . . . بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرغ ،
٣٠٣	ابن المرحل .
٣٢٤	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي .
٣٣٠	مسلم بن سعيد التتملي .
٣٣١	مؤمل ، مولى باديس بن حبوس
								نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر . . . بن عقيل الخزرجي
٣٣٤	الأنصاري ، السلطان
٣٤٢	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري
٣٤٤	نزهون بنت القليعي
٣٤٥	الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذى الحوشن الكلبي
٣٤٩	صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن إدريس التجيبي
								صالح بن يزيد بن صالح بن موسى . . . بن شريف النفزي (أبو الطيب
٣٦٠	الرندي)
								عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي (الرئيس أبو محمد بن
٣٧٦	إشقيلولة)
								عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد
٣٧٩	الصنهاجي
٣٨٢	عبد الله بن علي بن محمد التجيبي ، الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة
٣٨٤	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي
٣٨٥	عبد الله بن الحبير بن عثمان بن عيسى بن الحبير اليحصبي
٣٨٦	عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السلماني .
٣٩٢	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

صفحة

٣٩٩	عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكواب .
٤٠٠	عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني
٤٠٤	عبد الله بن سهل الغرناطي
٤٠٥	عبد الله بن أيوب الأنصاري...
٤٠٥	عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري
٤١٠	عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى . . . بن سمالك العاملي
٤١١	عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد . . . بن منخل بن زيد الغافقي
٤١٢	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن . . . بن أبي زمنين المري
٤١٣	عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد . . . بن يحيى بن زكريا الأنصاري
٤١٥	عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد . . . بن أبي حمزة الأزدي
٤١٦	عبد الله بن سليمان بن داود . . . بن حوط الله الأنصاري
٤١٧	عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن . . . بن ربيع الأشعري..
٤١٩	عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي
٤٢٠	عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي
٤٢١	عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (ابن المربع)
٤٣٢	عبد الله إبراهيم بن وزمر الحجاري الصنهاجي
٤٣٦	عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد . . . بن الخطيب السلماي
٤٣٩	عبد الله بن محمد بن ساره البكري
٤٤١	عبد الله بن محمد الشراط
٤٤٣	عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان النجاري
	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد . . . بن عبد الله بن
٤٥٦	سعيد بن عمار بن ياسر .
٤٥٩	عبد الله بن عبد البر بن سليمان . . . بن أشعث الرعيني
٤٦١	عبد الله بن فارس بن زيان
٤٦٣	عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية ، الناصر لدين الله ٤٦٤
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، المرتضى ٤٦٦
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ٤٦٧
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي ٤٧٢
- عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي (ابن الفرس) ٤٧٣
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن بن فتوح الخثعمي ٤٧٧
- عبد الرحمن بن هاني اللخمي ٤٨١
- عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي ٤٨٢
- عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ٤٨٣
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ٤٩٧
- عبد الرحمن بن الحاج بن القمبي الإلبيري... .. ٥١٧
- عبد الرحمن بن مخلف بن أحمد بن تفلت الفازازي ٥١٧
- عبد الرحمن بن أسباط ٥٢٣
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري ٥٢٤
- عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي ٥٢٧
- عبد الأعلى بن موسى بن نصير ٥٢٩
- عبد الحلیم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو... .. ٥٢٩
- عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محبو ٥٣٣
- عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ٥٣٤
- عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني ٥٣٥
- عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن محبو ٥٣٦
- عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه ٥٣٨
- عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري ٥٣٨

صفحة

- عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن . . . بن أسلم بن مكتوم
 ٥٣٩ المحاربي
- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي (ابن الفرس) ...
 ٥٤١
- عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الله . . . التتمالي اليدرأزيتي الواغديني ...
 ٥٤٦
- عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون . . . بن مرداس السلمى ...
 ٥٤٨
- عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد ، الشهير بالباهلي
 ٥٥٣
- عبد الحق بن محمد بن عطية . . . بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية
 ٥٥٥ المحاربي
- عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري ..
 ٥٦٩
- عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي .
 ٥٧٠
- عبد العزيز بن علي بن أحمد . . . بن عبد العزيز بن يست
 ٥٧٢
- عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الغساني .
 ٥٧٥
- عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني ..
 ٥٧٧

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- رسالة خاطب بها محمد بن محمد البدوي ابن الخطيب ٨٣
رسالة كتب بها محمد بن علي بن محمد العبدري إلى ابن الخطيب ردا على
ما طلبه منه أن يثبت له شيئا من شعره ٩٩
رسالة يرحب فيها ابن مرزوق العجيسى بمقدم ابن الخطيب إلى فاس .: ١٠٩
رسالة كتب بها ابن الخطيب إلى ابن مرزوق يروم فيها دستورا لخدمة
الملوك ١١٨
رسالة كتب بها محمد بن هاني السبتي إلى القاضي الشريف أبي القاسم
الحسنى ١٤٧
رسالة يخاطب بها ابن الخطيب محمد بن القاسم الأنصاري على أثر توليه
منصب الحسبة ١٩٧
رسالة لأبي القاسم بن خلصون يستعرض فيها نظريات الغزالي ، ثم
نظريات ابن رشد ٢٦٤
رسالة كتب بها مالك بن المرحل إلى أبي بكر بن يوسف الفخار وأبي
القاسم خلف بن عبد العزيز القبثوري ٣٢٠
ما كتبه منصور بن علي الزواوي إلى ابن الخطيب عن مشيخته ٣٢٦
ما كتب نثرا على قبر السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف ... ٣٤١
ما كتبه صفوان بن إدريس التجيبي في تهنئة القاضي أبي القاسم بن بقي . ٣٥٨
نبذة مما كتبه أبو الطيب الرندي (صالح بن يزيد بن شريف النفزي)
في كتابه « روضة الأنس » ٣٧٣
ما كتب نثرا على قبر الرئيس أبي محمد بن إشقياولة ٣٧٨
ما كتبه عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ابن المربع) في وصف جولته
للبحث عن أضحية لعيد الأضحى ٤٢٥
رسالة بعث بها عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الخطيب إلى والده لسان الدين
بالمناكب ٤٣٧

صفحة

- رسالة ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ردا على رسالته التى بعث بها إليه من 'سلا' ٤٥٢
- رسالة أخرى من ابن رضوان النجارى إلى ابن الخطيب ينوه فيها بمناقبه ومؤلفه « كتاب المحبة » ٤٥٣
- رسالة لعبد الرحمن بن إبراهيم الأنصارى (ابن الفصال) يخاطب بها الكتاب رسالة إلى أحد أصحابه ، وقد استخفى لتهمة نسبت إليه ... ٤٨٩
- رسالة رد بها المترجم ، وقد اتهم بأن ذلك من إملاء ابن الخطيب ... ٤٩١
- رسالة ابن الخطيب فى التحكيم بين الرسالتين ... ٤٩٤
- رسالة ابن الخطيب فى الترحيب بابن خلدون حينما وصل إلى حضرة غرناطة ... ٤٩٩
- رسالة منه إليه يخاطبه فى شأن جاريته هند صبيحة الابتناء بها... ٥٠١
- رسالة يخاطب بها عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى ، ابن الخطيب... ٥٥٦

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة	صفحة
بدا كهلال العيد وقت طنوعه ... ٤٦	ابن بقی ، محمد بن سعد بن محمد بن لب
لا تمذلاه فما ذر الحب معذول .. ٤٧	كم أرى مدمن هو ودعة ... ٤١
هو العلم لا كالعلم شيء تراوده .. ٥٠	ابن بيبش العبدري ، محمد بن محمد
تفردت لما أن جمت بذات ... ٥٦	يا ساكنا قلبي المعنى ... ٢٨
كتم اللسان ومدسعي قد باحا ... ٥٧	أنا ملك الغر التي سيب جودها... ٢٩
نور نجدك أم توقد نار... ٥٧	أساجعة بالواديين تبوئي ... ٢٩
مقطوعاته المختلفة ٥٨ و ٥٩	ديار خطها مجده قديم ... ٢٩
ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين	ابن جزى الكلبي ، محمد بن أحمد بن محمد
راحت تذكرني كووس الراح . ١٠٨	لكل بني الدنيا مراد ومقصد ... ٢٢
شفاء عياض الصدور شفاء ... ١٢٧	أروم امتداح المصطفى ويردني ... ٢٢
أزاهير رياض .. ١٢٧	يارب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ٢٣
حييت يا مخطئ سبت بن نوح ... ١٢٨	وكم من صفحة كالشمس تبدو . ٢٣
يادرها المغنى الهمام موسى ... ٢٩٢	ابن جزى الكلبي عبد الله بن محمد
ثم تقضى معظم الزمان ... ٣٣٨	سنى الليلة الغراء وافتك بالبشرى . ٣٩٥
حتى إذا استوفى زمان سعدة . ٣٨	لقد قطعت قلبي يا خليلي ٣٩٧
ابن خلدون الحضرمي ، عبد الرحمن بن محمد	لقد كنت موصولاً فأبدل وصلكم ٣٩٧
أسرفني في هجري وفي تمديدي . ٥٠٨	يا ناصباً علم الحساب حباله ... ٣٩٧
قدحت يد الأشواق من زندي . ٥١	لقد كل الود بيننا ... ٣٩٨
يا سيد الفضلاء دعوة مشفق ... ٥١٣	ألا أكنتم حب من أحببت ... ٣٩٨
حي المهاد كانت قبل تحييني ... ٥١٤	وأشئب الثغر له وجنة ... ٣٩٨
ابن خلسون ، محمد بن يوسف	إلى الله من غل حباتي برقمة ... ٣٩٨
هل تعلمون مصارع العشاق ... ٢٥٨	إلى الله أشكو عذرا تردددا ... ٣٩٨
أعد الحديث إذا وصفت جماله .. ٢٥٨	أيا حسن إن شئت الدهر شملتنا... ٣٩٨
إن كنت تزعم حينا وهو أنا .. ٢٥٩	إن كان باب القرب قد سد بيننا ٣٩٨
لو خيال من حبيبي طرقا ٢٦٠	لقد صرت في غضب القصايد
دعوت من شفتي رفقا على كبدي ٢٦٠	ماهرا ٣٩٩
ركبنا مطايا شوقنا نبتني . السرى ... ٢٦٠	ابن الحاج النميري ، محمد بن عبد الله بن ابراهيم
يا نايماً يطلب الاسرار أسراراً ... ٢٦١	مولاي يا خير أعلام السلاطين . ٢١٠
أطالب ما في الروح من غامض السر . ٢٦٢	ابن حوط الله الانصاري ، عبد الله بن سليمان
مشاهدتي مغناك يا غايبي وقت ... ٢٦٢	أتدري أنك الخطاء حقا ... ٤١٧
	ابن حيان النغزي ، محمد بن يوسف

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة

الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة	
٢٥٥	يا للرجال ألا حب يساعدي ...
	ابن المغازي الملقب ، محمد بن عبد الرحمن
٩٥	أنظر إلى ورد الرياض كأنه ...
	ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد الخزرجي
٥٤٣	أبي ما بقلبي اليوم أن يتكلم ...
٥٤٥	سلام على من شفى يمد داره ..
٥٤٥	أقرأ على شنجل سلاما ...
٥٤٦	عليك سلام الله يا بن مسلم ...
	ابن الربيع ، عبد الله بن إبراهيم الأزدي
٤٢٢	ما للحب دواء يذهب الألم ...
٤٢٣	بدار بدار قد آن البدار ...
٤٢٤	رعى الله عهدا حوى ما حوى ..
٤٢٤	أودى به الحنف لما جاءه الأجل .
	ابن مرزوق العجيسي ، محمد بن أحمد
١٠٧	أنظر إل النوار في أغصانه. ...
١٠٧	يا قادما وأنى بكل نجاح
١١١	ايا نسيم السحر ...
	ابن ميمون العبدي
٨٧	لا تكثرت بفراق أوطان الصبا
٨٨	توسلت ياربي بأني مؤمن ...
	ابن وزم الحجاري ، عبد الله بن إبراهيم
٤٣٣	عليك أحوالي الذكر الجميل ...
٤٣٣	يقولون ماذا الملل تقيم في ...
٤٣٤	أصبحت في بسقاية مسلما ...
٤٣٤	أرييس الزمان أغفلت أمري ..
٤٣٥	وجدنا سعيدا منجبا خير عصابة .
	ابن ياست ، عبد العزيز بن علي بن أحمد
٥٧٣	أطلت عتب زمان فل من أمل ...
	أبو الأجر ، شاعر الصميل
٣٤٧	بني لك حاتم بيت رقيعا ..
٣٤٧	دون الصميل شربة مورودة ..
	أبو الحسن الكرمانى
٩١	أكرم داركش دارا ..
	أبو اسحق بن قسوم الزاهد
٥	يروقتك يوم العيد حسن ...
	أبو بكر بن سعيد
٣٤٥	من له ألف خل

صفحة	
	ابن دراج القسطل ، أبو عمر
٢٨١	بشارك من طول الترحل والسرى .
٢٩٣	أنورك أم أوقدت بالليل نارك ..
	ابن رشيد الفهري ، محمد بن عمر بن محمد
١٣٨	هنيئا لعيني أن رأيت نعل أحد ...
١٣٨	أقول إذا هب النسيم المعطر ...
١٤١	شباب ثوى شابت عليه المفارق .
٤٠٢	سرى نسيم من حوى سارة ...
	ابن رضوان النجاري ، عبد الله بن يوسف
٤٤٥	لملكنا ترعيا لى وسايلا ...
٤٤٧	نشرت لواء النصر واليمن والسعد
٤٤٨	جلالك أولى بالملا الخلد
٤٤٩	تبرأت من حولى إليك وأيقنت ..
٤٤٩	سل بالعلى وسنى المعارف يهر ..
٤٥٠	أنا الخبر فى حل العلوم وإن تقل .
٤٥١	وبخيل لما دعوه لسكنى ...
٤٥١	يارب منشأة عجبت لشأنها ...
٤٥١	وذى خدع دعوه لاشتغال ...
	ابن روييل الانصاري ، محمد بن إبراهيم
١٦١	وما زاير مهما أقى ابتهجت به ..
	ابن الزبير ، محمد بن أحمد بن إبراهيم
١٥٧	نوالى الشكر للرحمن فرضا ...
	ابن سمالك العامل ، عبد الله بن أحمد
٤١٠	الروض محضر الربى متحمل ...
٤١٠	تفتحت الكتابة عن نسيم
	ابن سودة المري ، محمد بن محمد
١٦٩	جاد الحمى صوب الغمام هتونه .
	ابن شبرين ، أبو بكر
١٥٢	قد كان ما قال الزيد
٢٢٠	ناعين سحى بدمع واكف سرب ..
	ابن شعبة الفسافى ، محمد بن محمد
٢٢٤	وأفى البشير فوائى الأفس والخذل
	ابن صفوان القيسى ، محمد بن أحمد
٢٣٨	هونت بدنى إله فلم يكن فى
	ابن عباد النفري ، محمد بن يحيى
٢٥٢	سرى يسرى أنتك تار دى ..
٢٥٢	هذا المقيت نسل معاطف نانه

صفحة

- إن كنت تشفق من نزوح نواه.. ٥٢٦
 أبو عبد الله القرى
 لما رأيتك بعد الشيب يا رجل .. ٣٢٩
 أبو عبد الله بن شرف
 يا رحمة الله للراجع ونقمته .. ٢١٤
 أبو عمرو الزاهد
 تختبر الدينير في ميلق ... ٦٥
 أبو محمد بن أبي المجد
 أيها العارف المعبر ذوقاً .. ٤٦١
 أبو الطريف بن عمره
 خذ في الأشعار على الحبيب ... ٢٧٦
 سارة بنت أحمد بن عثمان الخلبية
 واني قريض منكم مذ غدا ... ٤٠٣
 صفوان بن ادريس بن ابراهيم التميمي
 جاد الزمان بأنة الجرعاء ... ٣٥٠
 ألا سمح الزمان به كتابا ... ٣٥٢
 هل رسول البرق يفتنم الأجرأ .. ٣٥٤
 يا قمرا مطلعته أضلحى ... ٣٥٧
 عبد البر بن فرسان الفسائري
 فديتك بالنفس التي قد ملكتها .. ٥٧٧
 عبد الحق بن غالب بن عطية المحاذبي
 سقيا لمهد شباب ظلت أمزح ... ٥٩٠
 عبد الحق بن محمد عطية المحاذبي
 يا سيذا قد فاق في مجد وفي شرف ٥٥٦
 ألا أيها الليل البطي الكواكب ٥٦١
 يا قاطع البيد يطوى السهل والجبلا ٥٦٤
 يا عاذل في الهوى أقصر من العذل . ٥٦٦
 أنا مصنع قد فاق كل المصانع ... ٥٦٧
 الآن قد قامت الدنيا على قدم .. ٥٦٨
 عبد الموزاق بن يوسف الأشعري
 يا منما مازال من أمد .. ٥٦٩
 عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي
 قل لابن سيد والديه لقد علا .. ٥٢٨
 إن الولاية رفعة لكها .. ٥٢٨
 عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافري

صفحة

- أبو الحسن بن هريق
 أهد الشيب هوى وصبا .. ٢٧٦
 أبو الحسن الورد
 أهد ولي الله دمي يسجم ... ٢٤٣
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد النفزي
 سرى والحب أمر لا يرام ... ٣٦١
 أواصلتي يوما وهاجرتي ألفا .. ٣٦٤
 يا طلعة الشمس إلا أنه قمر ... ٣٦٤
 أطال ليلى الكند ... ٣٦٥
 وليلة نهبت أجفانها ... ٣٦٦
 البحر أعظم مما أنت تحسبه ... ٣٦٧
 وأزرق محفوف بزهر كأنه .. ٣٦٧
 ما أحسن العقل وآثاره .. ٣٦٧
 وكتيبة بالدارعين كثيفة .. ٣٦٧
 وأبيض صيغ من ماء ومن لب .. ٣٦٨
 وأصفر كالصب في رونق ... ٣٦٨
 تفاخر السيف فيما قبل والقلم .. ٣٦٩
 أنا صمصامة الكتابة مالي .. ٣٦٩
 ومعتنقين ما اشتهرا بعشق ... ٣٦٩
 الورد سلطان كل زهر .. ٣٦٩
 وأزرق كمثل السماء ... ٣٦٩
 وأخضر فستق اللون غض ... ٣٦٩
 وغانية يغنى عن العود صوتها ... ٣٧٠
 لله رمانة قد راق منظرها ... ٣٧٠
 غريب كلما يلتقى غريب .. ٣٧٠
 برزت من الحمام تمسح وجهها ٣٧١
 ومتميم لو كان صور نفسه ... ٣٧٢
 وافي وقد زانه جمال .. ٣٧٢
 الدهر لا يبق على حالة .. ٣٧٢
 الموت سر الله في خلقه ... ٣٧٣
 خليل بالود الذي بيننا اجملا .. ٣٧٥
 أبو عبد الله بن أبي الخصال

صفحة

حالى وحالك أضحت آية عجبا ٤٤٢

رحلتهم وخلقتهم مشوقكم نسيا .. ٤٤٢

عبد الملك بن حبيب بن سليمان

أحب بلاد الغرب والغرب موطنى ٥٥١

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشوراء. ٥٥٢

الفتح بن خاقان

وبدر بذا والطرف مطلع حسنه... ٥٢٥

مالك بن المرحل ، مالك بن عبد الرحمن بن الفرج

دنفت تستر بالفرام طويلا ... ٣٠٧

أعدى على هواه خصم جفونه ... ٣٠٨

هو الحبيب قضى بالبحر أم عدلا... ٣٠٩

انصب إلى الجمال مايل... ٣١٠

يا راحلين وبى من قرهم أمل... ٣١١

عبرت ربع الهوى بقلب... ٣١٢

يا خاطب الدنيا طلبت غرورا .. ٣١٣

أشف الوجد ما أبكى العيوننا ... ٣١٣

شوق كما رفعت نار على علم ... ٣١٤

جماله كرياض جاورت نهرا .. ٣١٦

عداوة لا لكفك من قدتم ... ٣١٦

سترت مشيبي بالخضاب تمللا ... ٣١٦

لا يد من ميل إلى جهة فلا ... ٣١٦

لا تمججوا للمرى مجهل قدره .. ٣١٦

أرى المتعلمين عليك أعداء ... ٣١٦

يصنع الناس صاحب الجاه فيهم . ٣١٦

يا من شهب قد أسن وقد عفا .. ٣١٧

الله أكبر فى منار الجامع ... ٣١٧

زر غريبا بمقره... ٣٢٤

محمد بن أحمد بن داود اليكبي

لقد حاز أسماء الحديث وأهد ٦٢

عليك بالصبر وكن راضيا ... ٦٢

محمد بن أحمد بن عبد الله المطار

دعاني على طول البعاد هواها .. ١٨٦

صفحة

لا تلمنى إذا طربت لشجو... ٥٢٣

عبد الرحمن بن يخلفتن الأزازى

نعم الإله بشكره نتقيد .. ٥١٩

عجبا لمن ترك الحقيقة جانبا ... ٥٢٠

إليك مددت الكف فى كل شدة ٥٢١

وأدور مياض العواطف أصبحت . ٥٢٢

عبد العظيم بن عمر بن عبد الله الفسائى

إلا إنما الدنيا بحار تلاطمت ... ٥٧٨

عبد القهار بن مفرج القزاري

يا صاحب لا تعرض لزوجية ... ٥٣٨

عبد الله بن الجبير اليحصبي

يا هاجر بن أضل الله سعيكم ... ٣٨٦

عبد الله بن الحسن الانصارى

وهل نافع أن أخطأ الشيب مفرق ٤١٨

لمعرك ما الدنيا بسرعة سيرها .. ٤٠٨

سهرت أعين ونامت عيون ... ٤٠٨

عبد الله بن حسون البرجى

خليل هيا سعادنى بعبرة ... ٤٠٩

عبد الله بن سعيد بن على السلمانى

الطب والشعر والكتابة .. ٣٩٠

وقالوا قد نأوا فاصبر ستشقى .. ٣٩٠

عليك بالصبر فكم فاطق .. ٣٩٠

أنا بالدهر يا بى خبير .. ٣٩١

عبد الله بن محمد بن الخطيب السلمانى

من طلل بالرقمتين محيل ... ٤٣٦

عبد الله بن محمد بن سارة البكرى

أما الوراقة فهى أيكة حرفة ... ٤٤٠

وكوكب أنصرت العفرت مسرقا ... ٤٤٠

يا من نصيخ إلى داعى اسماء وقد ٤٤٠

ألا يا موت كن بس رؤوف ... ٤٤٠

عبد الله بن محمد الشراط

وكنت ألفت قبل النوم ألفا .. ٤٤٢

- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل
راجوتك بعد الله يا خير منجد... ٢٠٥
- محمد بن أحمد بن المناهل العبدى
عمادى ملاذى مويلى وموئل... ٢١٨
- محمد بن أحمد بن يوسف العراقي
عبيد بباب الملا واقف... ٢٦٩
- محمد بن سعيد بن خلف بن عمار بن ياسر
العنسى
- ما بين زينب عمرى ... ٢١٦
- يا هذه لا تروى... ٢١٦
- فخرنا بالحديث بعد القديم... ٢١٧
- محمد عبد الرحمن بن عبد السلام الغساني
الشعب م قبيلة وعمارة... ١٧٥
- محمد بن عبد الرحمن الكاتب
شكوت فأضى المجد برح شكاته... ٢١٢
- محمد بن عبد الله اللوشى
ويوم ندى الناس شهاب المحامد... ٠٣٧
- محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر
فلا تظهرن ما كان في الصدر كما منا ٢١٤
- محمد بن علي بن محمد الصبرى
أما الغرام فلم أخلل بمنهيه... ٩٩
- آيات حسنك حجة للقال... ١٠١
- فديتك صاحب السمة المليحة... ١٠٢
- محمد بن علي بن هانيء السبتي
لولا مشيب بفودى للفواد عصا... ١٤٥
- غنيت في دون غيرى الدهر عن مثل... ١٤٦
- يا أوحى الأدبا يا أوحى الفضلا... ١٤٧
- محمد بن علي بن يوسف السكونى
يا من عليه اعتمادى... ١٨١
- أمن بعد ما لاح الشيب بمفرقى... ١٨١
- محمد بن قاسم بن أحمد الأنصارى
يا من به أبدا عرفت ومن أنا... ١٩٩
- محمد بن محمد بن إبراهيم الشربشى
في شادن أيف مهى اتى... ١٦٧
- يا أجمل الناس ومن غدت... ١٦٨
- محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى
أرى الكلاب بشم الناس قد ظلمت... ٢٧٤
- محمد بن محمد بن إدريس بن القضاى
علاء رياض أورتت بمجامد... ٧٧
- أطلع بأفق الراج كاس الراج... ٧٧
- محمد بن محمد البدي
خال على خدك أم عنبر... ٨٢
- عينى تفهم من عينيك أسرار... ٨٢
- أيها الظبي ترفق... ٨٣
- أمولاي بالباب ذو ذقة... ٨٣
- المجد تخبر عن صدق مآثره... ٨٤
- محمد بن محمد البكرى
يا غاديا في غفلة ورايحا... ٢٢٢
- محمد بن محمد بن حسان الغافقى
لكم أياد لكم أياد... ٢٠٨
- أضحى الزمان بأضحى وهو مبتهم... ٢٠٨
- محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى
إلهى أجرنى إني لك تائب... ٢٢٠
- سنى الخلافة فتحت لك بابها... ٢٢١
- محمد بن محمد العراقي
أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف... ٢٢٥
- محمد بن محمد النمرى الضربى
سلام كرشح الطل في مبسم الورود... ٣٢
- محمد المكودى
غرامى فيك جل عن تيباس... ١٨
- بعثت بخمر فيه ماء وإتما... ١٨
- رحماك بي فلقد خلدت في خلدى... ١٩
- محمد بن يحيى بن عبد الله العزلى
أفديك يا دريح الصبا... ١٢

صفحة	صفحة
موسى بن يوسف .. بن يفراس بن زيان	وليت بفاس أمور القضا ... ١٢
تذكرت أطلال الربوع الطواسم . ٢٨٨	دع عنك قول عواذل ووشاة .. ١٣
نزهون بنت القليم،	إذا لم ألق نحو نجد وصولا ... ١٤
حللت أبا بكر محلا منته ... ٢٤٥	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي
ما كتب نظما على قبر السلطان نصر	يحييك عن بعض المنازل صاحب ٣٢٩
يا قبر جاد ثراك صوب غمام . ٢٤٢	يا من وجدناه لفظا ... ٣٢٩
ما كتب نظما على قبر الرئيس ابي محمد بن	منصور بن عمر .. بن عبد الحق بن يحيو
سقبولة	سوق نبال المني و نرقى ٢٩٩
قبر عزيز علينا ٣٧٨	

فهرست الكتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

إبلاء فوايد الدول في ابتداء مقاصد الجمل ؛ ٩٤

أنس الفريد ؛ ١٧٣

إنشاد الضوال وإرشاد السوال في لحن العامة ؛

١٤٥

أعماط السائل في العروض ، ٥٨٧

ب - ث

البحر المحيط ؛ ٤٥

البردة ؛ ٥٠٧

بنية السالك في أشرف المسالك ؛ ١٩٣

بهجة الأنفس وروضة الأنس ؛ ٣٤٦

بهجة الأنوار ؛ ١٣٣

البيان في حقيقة الإيمان ؛ ١٦٦

التاج المحلى ؛ ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٤٤٢١

٤٤٥ ، ٥٢٧ .

تاريخ علماء البصرة ؛ ١٧٧ .

تاريخ مالقة ، لابن عسكر ؛ ٦٤

تاريخ مالقة ، لإبي الحسن بن الحسن ؛ ١٩٣

التجر الربيع في شرح الجامع الصحيح ؛ ١٩٣

تحرير نظم الجمان في تفسير أم القرآن ؛ ٩٣

تحفة المتوسل في صنعة الطب ؛ ١٧٩

تسهيل الفوائد ؛ ٤٥ - ٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤

تصنيف في الفرائض ؛ ٣٦٠

تفسير القرآن ؛ ١٧٣

تقريب الوصول إلى علم الأصول ؛ ٢١ ، ٣٩٣

تقييد في المنطق لابن خلدون ؛ ٥٠٧

الكلية والتجربة ، في إعراب البسملة والتعليلية ؛

٩٤

التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ؛

٢١

التهذيب لابن بشر ؛ ٣١ ، ١٣٢

الأحاديث الأربعون بما يتنفع به القارئون

والسامعون ؛ ٩٤

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٦ - ٣

الأحكام السلطانية ؛ ٥٤٣

الإختيار على مذاهب الأئمة الأخيار ؛ ١٦٦

الأربعون حديثاً ، ١٦٥ ، ١٧٧

الأصول إلى معرفة الله وبنوة الرسول ؛ ١٦٦

الإكامل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر ؛

١١ ، ١٤٣ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٣٨٨

الأنوار السنية في الكلمات السنية ؛ ٢١ ، ٣٩٣

الإيضاح والبيان في الكلام على القرآن ؛ ١٦٦

أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات الكتاب ؛

٩٤

أرجوزة في العروض ، ٣٠٧

أرجوزة في شرح كتاب الفصيح ؛ ٧٦

إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن

مالك ؛ ٩٤

إرشاد المسائل لمنهج الوسائل ؛ ١٩٣

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٢٣

استهواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج ؛ ٩٤

أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأفتكار ؛

١٩٣

أصول القراءة الستة غير نافع ؛ ٢٢

إعلان الحجة في بيان رسوم المحجة ؛ ٢٤١

إعمال الأعلام ؛ ؛

اقتباس الأنوار ، للرشاطي ؛ ١٧٥

إنقاذ الطلبة النباه في اجتماع السبعة القراء ؛

٩٤

ثورة المرطيين ٦٠٠

ج - ز

الجامع للترمذى ٣٩٢

جذوة الاقتباس ٣

جزء على حديث جبريل ٣٦٠

الجهاد الأكبر ١٧٩

جواب البيان على مصارعة أهل الزمان ٩٤

الجوابات المجتمة عن السؤالات المتنوعة ٩٤

الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين

بلاد الروم ٩٤

حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ ٣٩٣

حلية النبيل في معارضة ما في النبيل ٤٧٩

حياة القلوب ١٧٣

الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار ٢١

الدور في اختصار الطرر ١٣٢

الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول ٧٦

ذيل تاريخ مالقة ١٩٣

الذيل والتكلمة لكتابي الموصول والصلة ١٧٦ ، ٣

رجز في أصول الفقه ٥٠٧

رجز الدول ٢٩٢

رجز في الزجر والقال ٥٢٨

رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٩٨ ، ٣٩٤

رسالة الشعوبية لابن غرسية ٢٢٩

رسالة طراد الجهاد في الميدان ، في تفضيل

مرسية على غيرها من البلدان ٣٥٤

الرمي بالحصى ٣٠٧

الروض الآنف والمشرع الروا ، فيما اشتمل

عليه كتاب السيرة واحتوى ٤٧٩

روضة الأوس ونزهة النفس ٣٧٣ ، ٣٦١

زاد المسافر ٣٥٠

الزيج القويم ٧٠

س - ط

سح مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب ٩٤٤

السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من

البقاع ١٦١

سلك المنخل لمالك بن المرحل ٣٠٧

سنن أبي داود ٣٩٣

الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين

التيسير والتبصرة والكافى ٤٠٣

الشجرة في الأنساب ١٧٧

شرح البخارى ٣٠٣

شرح التسهيل لابن مالك ١٤٤

شرح العمدة ، لابن دقيق العيد ٣٩٤

شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح

البخارى ١٦٦

التعريف والإعلام بما أهدم في القرآن من أسماء

الأعلام ، ٤٧٩

شعر من لا شعر له ٦٢ ، ٨٩

الشهاب للقضاعي ١٧٥ ، ١٩٨

صحيح البخارى ، ٩٠ ، ٣٩٢

صحيح مسلم ٣٩٢

الصدر والمطالع ٣٠٦

صلة الصلة ٣ ، ٤٢ ، ١٥٥ ، ١٧٦

صنعة الشعر : ٣٦٠

الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٤٥٦

طرفة العصر في تاريخ دولة بنى نصر ، ٣٣٤ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٤٧٣

ع - ك

عايد الصلة ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٦ ،

٧٨ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٣٥ ،

- كتاب التفريع والفروع ؛ ٤٨٤
 كتاب التلقين ؛ ٣٩٤
 كتاب التيسير لأبي عمرو اندلسي ؛ ٣٩٣
 كتاب الجامع ؛ ٥٥١
 كتاب الجمل ؛ ٣٦ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٣٩٤ ، ٤٨٣
 كتاب الجواهر والأربعين ؛ ٢٦٥
 كتاب الجواهر الثمينة ؛ ٦٤ ، ٢٩٤
 كتاب الحكم والعدل بالجوارح ؛ ٥٥١
 كتاب الحيوان والخواص ؛ ٧٠
 الكتاب الخزائني ؛ ٢٤٦
 كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة ؛ ٣٩٣
 كتاب الرحلة لصفوان ؛ ٣٥٠
 كتاب الرهون والحدثان ؛ ٥٥٠
 كتاب السنن للنسائي ؛ ٣٩٣
 كتاب سيبويه ؛ ٧٦ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ٣٩٣
 ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٤٢
 كتاب الشفالمياض ؛ ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 كتاب الشمايل للترمذي ؛ ٣٩٣
 كتاب الصلة ؛ ٢٩٩ ، ٤١٦
 كتاب الفرائض ؛ ٥٥١
 كتاب الكافي لابن شريح ؛ ٣٩٣
 كتاب المحبة ؛ ٢٥٨ ، ٤٥٥
 كتاب المعراج للحاتمي ؛ ٢٥٨
 كتاب المقدمات ؛ ٩٠
 كتاب ميزان العمل ؛ ٢٦٥
 الكتاب الموثق على أدباء أبناء زمن ؛ ١٩٥
 كتاب الزهد ؛ ٥٤٣ ، ٥٥١
 الكراس المرسوم بالمباحث الالهيوية في مقتضى
 الأمر من الشريعة ؛ ٥٤٨
 ل — ي
 المراتب والرجاء ؛ ١ ، ٣٠

- ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ٤٠١
 ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩
 ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٢٤٦ ، ٤١١ ، ٤٤٧
 عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من
 المشايخ دون من أجاز ؛ ١٠٥
 العمدة في الحديث ؛ ٣٩٤
 غرائب النجب في رغبات الشعب ؛ ١٩٣
 الغرر في تكليل الطرر ؛ ١٣٢
 الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة ؛ ١٤٥
 غنية الخطيب بالاختصار والتقريب ؛ ١٩٣
 الفتق والرتق في أسرار حكمة الشرق ؛ ٢٥٨
 فصيح ثعلب ؛ ١٩٨
 فضائل القرآن ؛ ١٧٧
 الفوائد العامة في لحن العامة ؛ ٢٢
 الفيصل المتضمن للمهزوز في الرد على من أنكروا
 صيام النوروز ؛ ٩٤
 القصيدة الخزرجية ؛ ٣٩٣
 قطع السلوك ؛ ٣٣٧ ، ٤٧١
 قمع اليهودي عن تعدى الجيود ؛ ١٧٩
 القوازين الفقهية في تلخيص مذاهب المالكية ؛
 ٢١
 قوت المقدم ؛ ١٤٥
 كتاب ابن الحاجب ؛ ٣٢٧ ، ٣٩٤
 كتاب الأحكام لابن العربي ؛ ٣٩٤ ، ٤٤٣
 كتاب الأبرار ؛ ١٩٣
 كتاب إعراب القرآن ؛ ٥٥١
 كتاب الإفصاح ؛ ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
 كتاب البيان والتحصيل ؛ ٩٠
 كتاب التاج للجوهري ؛ ١٣٣
 كتاب التحبير في أسماء الله الحسنى ؛ ٢٣١
 كتاب التحصيل والتنقيح ؛ ٣٩٤

- المبدى لخطام الرندى ٤٠٨ ؛
المحتسب لابن جنى ٥٤٣ ؛
محصل الإمام فخر الدين الرازى ٥٠٧ ؛
المختصر البارع فى قراءة نافع ٢٢ ؛
مختصر الطليطل ١٣٢ ؛
المدونة للإمام مالك ٤٣٨ ، ٣٩٤ ؛
مستنقن أبى حامد ٤١٦ ؛
المسهب فى غرايب المغرب ٤٣٣ ، ٢١٤ ؛
مشارك الأنوار ٤٢ ؛
مشاهد الأفكار فى مأخذ النظر ٨٦ ؛
المشتغل فى أسول الوثائق ١٧٣ ؛
المشرع السلس فى الحديث المسلسل ٣٩٣ ؛
المعانى المبتكرة الفكرية فى ترتيب المعالم
الفقهية ٥٤٨ ؛
المعشرات الحية للفازازى ٥١٩ ؛
المعشرات الزهدية للفازازى ٥١٨ ؛
المغرب فى اختصار المدونة ١٧٣ ؛
مغنياس الأفكار فيما تحوى عليه مدينة الفرج
من النظم والنثر والأخبار ٤٣٢ ؛
المقتبس لابن حيان ٣٤٨ ؛
المقصورة لحازم ٣٩٤ ؛
مقامات الحريرى ٥٦١ ، ٨٦ ؛
ملاحن ابن دريد ٧٦ ؛
ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين
الكريميتين إلى مكة وطيبة ١٣٧ ؛
المجتمع فى تهذيب المقنع ٦١ ؛
منازل السارى إلى الله ٢٣٧ ؛
مناسك الحج ١٩٣ ؛
منتخب الأحكام ١٧٣ ؛
منظوم الدرر فى شرح كتاب المختصر ٩٤ ؛
المهذب فى تفسير الموطأ ١٧٣ ؛
منهج الضوابط المقسمة فى شرح قواذير
المقدمة ٩٤ ؛
المنوطة فى الفقه ٤٠٥ ؛
الموطأ لمالك ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٩٠ ؛
الموطأة ٣٠٧ ؛
ناسخ القرآن ومنسوخه ٥٤٣ ؛
نحو اللغة الفارسية ٢٦٨ ؛
النصائح المنظومة ١٧٣ ؛
نصح المقالة فى شرح الرسالة ٩٤ ؛
نظم سلك الجواهر فى جيد معارف الصدور
والأكابر ١٩٣ ؛
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٣ ؛
النفحة القدسية ١٩٣ ؛
النفحة الأرجية فى الغزوة المرضية ١٨٥ ؛
النكت والأمال فى الرد على الغزالي ١٦٦ ؛
النور المبين فى قواعد عقايد الدين ٢٢ ؛
واسطة السارك فى سياسة الملوك ٢٨٧ ؛
الواضحة ٣٢٧ ؛
الواقى فى علم القوافى ٣٦٠ ؛
الوجيز فى التفسير ٥٤٠ ؛
وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم ٢١ ؛
٣٩٣
وصف السلوك إلى ملك الملوك ٢٥٨ ؛

فهرست القبائل والطوائف والدول

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| صنهاجة ، الصنهاجة : ٢٩٧ ، ٤٦٧ | الأشعرية : ٨٠ ، ١٦٥ ، ٢٦٦ |
| الصوفية : ١٧٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ | آل البيت : ٣٥٩ |
| الظاهرية : ٤١٦ | البربر : ٤٧٤ |
| عرب أقبلة : ٢٨٧ | البشكنس : ٤٣٤ |
| القرنجة : ٢٨٥ ، ٢٨٦ | بنو إشقيلولة : ٣٥٩ |
| قريش : ٢٨٠ | بنو أمية : ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ |
| قنرين : ٤٧٠ | بنو برزال : ٢٩٩ |
| اللتونيون : ٣٠٠ | بنو الخطيب : ٣٨٧ |
| المتكلمون : ٢٦٦ | بنو زيان : ٣٣٨ ، ٤٦١ ، ٥٣٤ |
| المسلمون : ٦٨ ، ٤٠٤ | بنو العباس : ٤٦٨ |
| مغر : ٢٢٩ | بنو عبد الواد : ٣٣٦ ، ٤٦١ |
| المتزلة : ٢٦٦ | بنو مومين : ٥٣٤ |
| مارك الطوائف : ٤٦٧ | بنو نصر : ٤٧٦ |
| النصارى : ٦٨ ، ٢٨٥ ، ٤٠٤ | بنو بوزير : ٣٨٦ |
| نفزة ، قبيلة : ٤٦٩ | الحشوية : ٢٦٦ |
| المساكرة . مسكرة : ٥٣٣ | ويمة : ٢٢٩ |
| الموحدون : ٥٣٥ ، ٥٧١ | الدولة المصرية : ٣٤٣ |
| اليهود : ٦٨ ، ٤٠٢ ، ٥٢٩ | الروم : ٣٠٠ ، ٣٣٥ ، ٤٨٣ ، ٥٣١ |
| | زناقة : ٤٦٩ |

فهرست البلدان والأماكن

٤٨٢ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣

٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧

أيسانة : ٢٩٩

ب - ث

باب إلبيرة : ٣١ ، ٢٧٣

باب الشريعة : ١٣

باب الصفا : ١٣٦

باب الفتوح : ١٣ ، ١٤٣

باب قشتالة : ٢٤٢

باديس : ١٣٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

باغة : ٥٢٧

بيشتر : ٢٧٩

بجاجة : ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٩

بجاية : ٧٠ ، ١٠٦ ، ١٥٧ ، ٢٤٠ ،

٢٧٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٤٦٦ ،

٥١٦ ، ٥٤٨

بحر الزقاق : ١٣٣

بسطة : ٦١ ، ٢١٩ ، ٤١٤ ، ٤٦٦

بسقاية : ٤٣٤

بسكرة : ٥١٦

البشارة ، البشرات : ١٦٨ ، ٣٠٦ ،

٤٦٦ ، ٥٣٨

بظليوس : ٢٢٦

بلاد الجربد : ٤٨٤

بلاد السودان : ٢٧٤

بلد الدجن : ١٨

بلج : ٤١٩

البلد الجديد : ٥٣١

بلش مالقة : ٦١ ، ٦٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ،

٩٧ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،

٤٢١

أخشارش : ٤٠

أرشدونة : ٤٥٩

أركش : ٩١

إسطبونة : ٧٥

الإسكندرية : ٢٢٨

إشبيلية : ٤٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٥٦ ،

١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ، ٣٨٧ ،

٤٠٧ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٩٧ ،

٥٢٤ ، ٥٢٥

إطرابلس : ٣٣٧

إفريقية : ٢٥ ، ١٣٦ ، ٤٨٢ ، ٤٩١ ،

٥٤٧ ، ٥٣٥

إلبيرة : ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٧٩ ،

٣٠٢ ، ٣٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ،

٥٢٩ ، ٥٥٠

ألرية : ٢٤ ، ٦١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،

٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٣٣ ،

٣٩٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٩ ، ٤٧٧ ، ٥٧٣ ،

٥٣٦ ، ٥٧١

أندرش : ٢٠٩

الأندلس : ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٦٤ ،

٩٢ ، ٩٦ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،

١٥٥ - ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،

٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ - ٣٦٠ ،

٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤٤٣ ،

٤٦٥ ، ٤٦٦ - ٤٦٩ ، ٤٧٦ ،

جبل فاره ٢٤٢ ؛
 الجزائر ١٠٦ ؛ ١٩١ ؛ ٥٣٤ ؛
 الجزيرة الخضراء ٩٢ ؛ ٩٣ ؛ ٩٧ ؛
 ١٣١ ؛ ١٨٤ ؛ ٢٧٧ ؛ ٣٣٩ ؛
 جيان ٢٥ ؛ ٣٣٩ ؛ ٣٥٩ ؛ ٥٤١ ؛ ٥٧٠ ؛
 الحجاز ١٠٠ ؛ ٥٢٦ ؛
 الحرم ١٠٦ ؛
 حصن أركش ٩٥ ؛
 حصن أريول ٣٤٢ ؛
 حصن أشكر ٣٠٦ ؛
 حصن روضة ٢٥٧ ؛ ٤٣٣ ؛
 حصن شقشتر ٤٦٧ ؛
 حصن القباذق ٣٣٩ ؛
 حصن قسطانية ٢٧٥ ؛
 حصن المتلون ٤٦٥ ؛
 حصن يبر ٧٨ ؛
 حصون البراجلة ٢٠ ؛
 الحمراء ٢٥ ؛ ١٠٧ ؛ ٢١٨ ؛ ٣٠٦ ؛
 ٣٤٠
 الحمة ٩٦ ؛ ٩٧ ؛
 حوز مؤبل ٣٣٣ ؛
 ذ-ز
 دار الحديث الأشرفية ١٣٨ ؛
 دار الرخام ٢١٥ ؛
 دار الصناعة السلطانية ٢٨ ؛
 دار الكتب التونسية ٣ ؛
 دمشق ١٣٨ ؛ ٥٢٤ ؛
 رباط المقاب ٣٢٩ ؛
 الرياض ٣٨٦ ؛
 رياض البيازين ٣٤٠ ؛
 رياض الفخارين ٢٣١ ؛
 رندة ٥٩ ؛ ٢٥٢ ؛ ٣٦٥ ؛ ٤٠٢ ؛
 ٤١٨ ؛ ٤١١

بلنسية ٧٢ ؛ ٢٩٢ ؛ ٤١٦ ؛
 بونة ٢٥ ؛
 بياسة ٢٣١ ؛ ٤٠٤ ؛ ٤٠٠ ؛
 بين القصرين ٤٥ ؛
 بيرة ٢١٨ ؛ ٤١١ ؛ ٥٤٩ ؛
 تاجرة الجمل ٥٢٤ ؛
 تدمير ٥٢٩ ؛
 تلمسان : ١٨ ؛ ٧٣ ؛ ١٠٦ ؛ ١٣٠ ؛
 ١٩٨ ؛ ٢٦٩ ؛ ٣٢٨ ؛ ٣٣٦ ؛
 ٣٣٨ ؛ ٤٤٤ ؛ ٤٦٣ ؛ ٥٣٠ ؛
 ٥٣١ ؛ ٥٣٦ ؛ ٥٣٧ ؛
 تونس ٤٤ ؛ ٨٢ ؛ ١٠٦ ؛ ١٦٣ ؛
 ٢٠٩ ؛ ٢٧١ ؛ ٢٧٢ ؛ ٣٢٦ ؛
 ٣٣٧ ؛ ٤١٤ ؛ ٤٤٤ ؛ ٥١٦ ؛ ٥٣٥ ؛
 تيزي - تازي ١٣٥ ؛ ٣٣٦ ؛ ٥٣٢ ؛
 ٥٣٦
 الثغر ٢٨١ ؛ ٤٣٢ ؛

ح-ج

جامع بجاية ٤٠٢ ؛
 جامع البصرة ٢٨٢ ؛
 جامع الجزيرة ٢٧٠ ؛
 جامع الرياض ٧٨ ؛ ٤٠ ؛
 جامع الزيتونة ٣ ؛
 جامع غرناطة : ١٣١ ؛ ١٣٧ ؛ ٢٠٠ ؛
 ٢١٥ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٦٣ ؛ ٥٢٤ ؛
 جامع قصبية وادي آش ٣٤١ ؛ ٥٦٠ ؛
 جامع مالقة ٦٧ ؛ ٨٠ ؛ ٨١ ؛ ٩٨ ؛
 ١٩١ ؛ ١٩٢ ؛ ٢٥٢ ؛
 جبانة جبل فاره ٢٤٢ ؛
 جبانة الشيوخ ٤٨١ ؛ ٥٢٢ ؛
 جبل شلير ٤٢٥ ؛
 جبل طارق-جبل الفتح ١٤٤ ؛ ١٥٢ ؛
 ٣٣٩ ؛ ١٥٦

طريف . كايبة ؛ ٢٣ ، ٦٥ ، ٣٨٩ ،

٤٤٠ ، ٣٩١

طليطلة ؛ ٢٠٧ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤ ،

طنجة ؛ ٢٧٣ ، ٣٣٦

العدوة ؛ ١١ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٨٩ ، ١٣٦ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ،

١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٢٥ ،

٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ،

٢٧٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٥٢٣ ،

٥٣٥

المراق ؛ ١٨٤ ، ٢٧٣

المطشا ، قرية ؛ ٥٣٦

غرب الأندلس ؛ ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ،

غرناطة ؛ ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٩ ،

٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ،

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٢ ،

١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،

٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ،

٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٣٣ ،

٣٠٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،

٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،

٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ،

٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٥ ،

٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٣٩ ،

٤٤٤ ، ٤٥٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،

٤٩٩ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ،

٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤١ ،

٥٤٨

الزاب ؛ ١٠٦

الزقاق الغربي ؛ ٤٤٥

س - غ

سبتة ؛ ٢٧ ، ٢٩ - ٤٣ ، ٤٣ ، ٧٩ ، ٨٩ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٣٢ - ١٣٧ ،

١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٤ ،

٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٨٤ - ٤٠١ ،

٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٥٢٣ ،

٥٣٧

سجلماسة ؛ ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ،

سرقسطة ؛ ٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ،

سلا ؛ ١٢٧ ، ٢١٤ ، ٤١٦ ، ٤٥٢ ،

٥٣١

السند ؛ ٢٧٣

سبيل ؛ ٢٧٦

شاطبة ؛ ٤١٦

شالط ؛ ٥٤٨

الشام ؛ ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٣٤٦ ،

شبنونة ؛ ٢٧٩

شرق الأندلس ؛ ٢١٢ ، ٤٣٩ ،

شريش ؛ ٩٢ ، ٩٥ ، ٤١٨ ،

شقورة ؛ ١٧٧

شكيب (غرناطة) ؛ ٥٢٤

شلب ؛ ٤٣٢

شلوبانية ؛ ٥٣٤

شنتلية ؛ ٤٥٨

صحراء القبلة ؛ ٥٣٢

الصين ؛ ٢٧٣

مخشارش ؛ ١٦٢

طرش ؛ ١٨٣

طرطوشة ؛ ٥٢٤

مزرود ؛ ١٣٣

قمارش ؛ ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٥٧
 قورت ؛ ٥٤٨
 القبروان ؛ ٤٤٣ ، ٤٦٨
 الكبة ؛ ١٣٦٤
 كنيسة قسطنطينية العظمى ؛ ٢٧٣
 كورة جيان ؛ ٤٦٥ ، ٤٦٦
 كورة ريه ؛ ٤٥٩ ، ٥٢٩
 الكوفة ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦

ل - م

لبلة ؛ ٩١
 لورقة ؛ ٥٤١
 لوشة ؛ ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧
 ٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٧
 اللويات ؛ ٢٧٩
 مالقة ؛ ٤٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٤
 ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥
 ٩٧ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢
 ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩
 ٢٤٥ ، ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٤
 ٣٠٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢
 ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١١
 ٤١٦ - ٤١٩ ، ٤٤١ - ٤٤٣ ، ٤٥٦
 ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٨ ، ٥٢٩
 ٥٥٤ ، ٥٦١
 المدرسة الصالحية ؛ ٤٥
 المدرسة النصرية ؛ ٣٦ ، ٧٩ ، ٣٢٥
 المدينة ؛ ١٠٥
 مدينة شقر ؛ ٥٤١
 مدينة الفرج ؛ أنظر وادي الحجارة .
 مراکش ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٨٠ ، ٢٠٢
 ٢١١ ، ٢١٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨١ ، ٤٥٧

ف - ك

فاس ، ١٧ ، ٤٣ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٧
 ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦
 ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٩٩
 ٢١٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥
 ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٣١
 ٥٣٣
 فحص غرناطة ؛ ٤١٩
 فرقد ؛ ٤٨١
 القاهرة ؛ ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٧٨
 قربليان ؛ ١٨٠
 قرطبة ؛ ٤٣ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٧٥
 ٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ - ٤٧٠
 ٥٢٤ ، ٥٥٠
 قرمونة ؛ ٥٣٧
 قرية الحيط ؛ ٢٣٦
 قرية قنب قيس ؛ ١٧٦
 قرية قنجة ؛ ٢٣٦
 قرية نبله ؛ ٢٧٣
 القسطنطينية ؛ ٢٧٣
 قسطنطينية الهواد ؛ ٢٢٥ ، ٥٢٦
 قشتالة ؛ ٣٣٨
 قصبه أركش ؛ ٩٥
 قصبه سبتة ؛ ٣٨٤
 القصبه القديمة ؛ ٢٣١
 قصر بالنسية ؛ ٢٩٣
 قصر عبد الكرم ؛ ٣٧٩
 قصر كتامة ؛ ٣٧٧ ، ٣٧٨
 قلعة أيوب ؛ ٤٠٥
 قلعة غرناطة ؛ ٣٤٠
 قلعة بحمص ؛ ٢١٥ ، ٤٣٣ ، ٥٧٠

مقبرة باب الحيرة ؛ ٤٦٤ ، ٥٢٥ ، ٥٤٨
 مقبرة تاغزوت ؛ ٨٨
 مقبرة السيكة ؛ ٣٤١
 مقبرة فاس ؛ ٣٢٤
 مكتبة الإسكوريال ؛ ٣ ، ٥
 المكتبة الزيدانية ؛ ٣ ، ٥
 مكناسة ؛ ٩٧ ، ٥٣٢
 مكة ؛ ١٠٥ ، ١٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦
 الملاحة ؛ ١٧٦
 ملتماس ؛ ٦٥
 المنكب ؛ ٣٧٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤٣٧ ،
 ٤٦٩
 موقعة شقندة ، ٣٤٨
 ميورقة ، ٤١٦
 فاجرة ؛ ٤٦٦

أ - ح

الهند ؛ ٢٧٣
 وادي آش ؛ ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٨٢ ، ٥٤١ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٧
 وادي الحجارة ؛ ٣٠٤ ، ٤٣٢
 وادي شنجيل ؛ ٢١١
 واقمة الخندق ؛ ٤٦٦
 وقيعة الربض ؛ ٣٨٦
 وقيعة الطاعون ؛ ٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ٢٤٢
 وقيعة العقاب ؛ ٧٤
 اليمن ؛ ٢٧٣

٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٥٢٢
 مربلة ؛ ٢٧٧
 مرسية ؛ ٦١ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٧٥ ، ٧٨ ،
 ٢٣١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٠٠ ،
 ٤١٥ - ٤١٧ ، ٤٨٢ ، ٥٧١
 المستخلص ؛ ٢١١ ، ٢٣٣
 مسجد البيازين ؛ ٢٥
 مسجد الجزيرة الخضراء ؛ ١٨٤ ، ٢٧٠
 المسجد الحرام ؛ ١٥٧
 مسجد الرايات ؛ ١٣١
 مسجد الصواع ؛ ١٩١
 مسجد قرطبة ؛ ٥٤٩
 مسجد قصبة الحمراء ؛ ١٦٨
 المسجد النبوي ؛ ١٠٥
 المشايخ ؛ ٣٨٠
 المشرق ؛ ٤٧ ، ٦١ ، ٧٥ ، ١٣٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٣ ، ٣٣٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ،
 ٤١٤ ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٥٤٩
 مصر ؛ ٤٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ،
 ٢٧٣ ، ٤٠٢
 المغرب ؛ ٣٦ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٧٨ ، ١١٨ ،
 ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٧٧ ،
 ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٤٣ ،
 ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥
 مقبرة أدرسانة ؛ ٥٢٥

فهرست الأعلام

- ٥٤٢ - ٤٨٢
 ابن برزاق : ٤٩٨
 ابن بشكوال ، أبو القاسم : ١٧٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٦ ،
 ابن بطوطة - محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي :
 ٢٧٣
 ابن يونس : محمد بن سعد بن عبد الرحمن : ٣٩ ،
 ١٣٦ - ٣٠٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٨ ، ٤٧٩ ،
 ٥٤٢ - ٥٨٣
 ابن بيتس العبدري ، محمد بن محمد : ٢٧ ،
 ٣٩ ،
 ابن جابر النوادي آشي : ٤٩٨
 ابن اسد القهري ، محمد بن عبد الله بن يحيى :
 ٨٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٧ ، ٥٤٢
 ابن حزي الكلبى ، محمد بن أحمد بن محمد :
 ٢٠ ، ٦١ ، ١٩٨ ، ٥٦١
 ابن حزي الكلبى ، عبد الله بن محمد بن أحمد :
 ٣٩٢
 ابن جرة الكنانى ، محمد بن إبراهيم بن سعد :
 ١٠٦ ، ٤٠٢
 ابن جهور : ٤٧٩
 ابن أخايق البلقى ، أبو البركات : ٢٣ ، ٤٦٢ ،
 ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٣ ،
 ٣٢٨ ، ٣٩٣ ، ٥٤٧ ، ٥٦١
 ابن الحجج ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم النيرى ،
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٨
 ابن حريش - أبو عبد الله : ٣٦ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ١٤٤ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٥١
 ابن الحسين بن مجير : ٧٢
 ابن حسون : ٥٧
 ابن حنسر سيق : ٧٧
 ابن حنسون - : ٤٦٦
 ابن حنوف سيق قنوجي : ٢٣٤
 ابن الحكيم ، أبو عبد الله : ٧٦ ، ٧٧ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٢٨
- أ
 أبان بن عيسى بن دثير : ١٧٣
 إبراهيم بن أبي يحيى : ٤٤٤
 إبراهيم بن خالد : ٥٥٠
 إبراهيم بن زرزار اليهودى : ١٦٩
 إبراهيم بن شعيب : ٥٥٠
 إبراهيم بن محمد السبى : ٤٤٠
 إبراهيم بن محمد الطبرى : ٢٤٧
 إبراهيم بن مسعود الآبلى المصرى : ١٠٦
 إبراهيم بن مسعود الألبيرى : ١٧٣ ، ٤٦٣
 ابن أبى السداد الباهلى ، أبو محمد عبد الواحد :
 ٦٤ ، ٦٧ ، ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ،
 ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٤٤١ ، ٥٥٣
 ابن أبى الأحوص ، أبو محمد على : ٢١ ،
 ١٨٥ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٢
 ابن أبى الأحوص ، أبو على : ٤٤ ، ٦١ ،
 ٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٧ ، ٥٥٣
 ابن أبى جرة الأزدي ، عبد الله بن محمد :
 ٤١٥
 ابن أبى خيشمة ، ٣٣٢
 ابن أبى ريحانة المربلى ، أبو الحجاج : ٢٤٥ ،
 ٤١٩ ، ٥٥٣
 ابن أبى زمنين المرى ، عبد الله بن محمد بن
 عبد الرحمن : ١٧٢ ، ٤١٢
 ابن أبى زمنين المرى ، محمد بن إبراهيم بن
 عبد الله : ١٦٢ ، ١٧٧
 ابن أبى العافية : ٤٧٨
 ابن أبى العيش ، أبو الحسن ، ٢٤ ، ٩٧
 ابن أخت غانم : ٨٦ ، ٤٧٨
 ابن أرقم النيرى : ٨٩
 ابن أزرق : ٢٨٦
 ابن الباذش ، أبو جعفر : ٨٥ ، ٤٤٠ ،

ابن الرمائية ، محمد بن جابر ؛ ٢٦٤
 ابن روييل الأنصاري ؛ ١٦٠
 ابن سابق ؛ ٧٣
 ابن سارة البكري ، عبد الله بن محمد ؛ ٤٣٩
 ٤٤١
 ابن سبعين المكي ؛ ٥ ، ٣
 ابن سيدبونة ، غالب بن حسين ؛ ٢٤
 ابن شامس ، جلال الدين السعدي المصري ؛ ٤
 ابن الشاط ، قاسم بن عبد الله ؛ ٢١ ، ٣٦
 ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٥٧
 ابن شاطر الجمحي ، أبو عبد الله ؛ ٢٦٩
 ابن شعبة ، محمد بن محمد ؛ ٢١٩ ، ٢٢٣
 ابن شقرال اللخمي ؛ ٢٣
 ابن صاحب الصلاة ؛ ٢١٣
 ابن صاف ؛ ٤٠٧
 ابن صفوان القيسي ، محمد بن أحمد ؛ ٣٦
 ابن صلتان ؛ ٧٢
 ابن صنديد ، أبو عبد الله ؛ ٣٥٩
 ابن الصيرفي ؛ ١٥٩ ، ٢٧٥ ، ٣٣١
 ٣٣٣ ، ٤٦٣ ، ٥٢٤
 ابن عباد النعزي ، محمد بن يحيى بن إبراهيم
 ٢٥٢ ، ٤
 ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف ؛ ٤٦٣
 ابن عبد الحق التلمساني ؛ ٧٢
 ابن عبد الملك المراكشي ؛ ٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٤
 ابن عبد النور ، أبو جعفر أحمد ؛ ٤٣ ، ٨٩
 ٢٢٤ ، ٢١٩
 ابن عروس ، أبو عبد الله ؛ ٧٤ ، ١٧٧
 ٤٧٥ ، ٤٠٠
 ابن عساكر جاد الله أبو اليمن ؛ ١٣٦
 ابن عساكر ، أبو محمد بن هبة الله ؛ ١٦٤
 ٢٤٧

٤٤١ ، ٤٠٢
 ابن الخلقاوي ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ؛
 ٢٧١
 ابن حمارة ، محمد بن أيوب ؛ ٤٠٤
 ابن حيان ، أبو مروان ؛ ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
 ٢٩٢ ، ٣٤٦
 ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين ؛ ٤ ،
 ٥ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ،
 ٥٧٧
 ابن خلاد ؛ ٣٠٤
 ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن
 الحسن بن جابر ؛ ٥٥ ، ٤٩٧
 ابن خلدون ، محمد بن يوسف ؛ ٤ ، ٦٨ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤
 ابن خيرة ؛ ٤٠٧
 ابن الدباغ الإشبيلي ؛ ٦٨ ، ٣٠٥
 ابن دراج القسطلي ؛ ٢٨١ ، ٢٩٣
 ابن دقيق العيد ، تقى الدين ؛ ١٥٦ ، ٢٠٢ ،
 ٤٠٢ ، ٤١٢
 ابن ربيع الأشمري ؛ ٩٧
 ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد ، ٨٥ ، ٩٠ ،
 ١٧٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧
 ابن رشيد الفهري ، محمد بن عمر ؛ ٢٤ ،
 ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ١١٢ ،
 ١٣٥ ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ،
 ٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ ، ٤٧٩
 ابن رضوان التجاري ؛ ٥ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٦
 ابن الرقام ؛ ٦٩ ، ٣٣٤
 ابن الرماحس ؛ ١٨٣ ، ١٨٤
 ابن الرماك ، أبو العباس يوسف ؛ ٤٧٨

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله . ٣٠٥ و
 ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاح الدين ؛ ٢٣٤ ،
 ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ؛ ٤٤
 ابن عمري ؛ ١٨٣
 ابن عميرة الشيب ؛ ٧١
 ابن عياش الأندلسي ؛ ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ؛ ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ؛ ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ؛ ٣٢٤ ،
 ١٩٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الخولاني ؛ ٣٥ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجذامي الشريشي ؛ ٩١ ، ٩٧ ،
 ٣٦٠
 ابن القرات الحسني ؛ ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ؛ ٧١ ،
 ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ؛
 ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ؛ ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ؛ ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد
 الرحيم الخزرجي ؛ ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ،
 ٥٤٢
 ابن فرحون ؛ ٥٦١
 ابن الفرضي ؛ ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ؛ ٣٣٥ ،
 ٥٦١
 ابن الفصالح ، عبد الرحمن بن إبراهيم ؛
 ٤٨٨ ، ٤٨٣
 ابن فطيس ، محمد ؛ ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 ٥٥٠
 ابن الفياض ؛ ٢٨٠
 ابن القاضي ؛ ٣
 ابن قترال ؛ ٧١
 ابن قترال ، أبو الحسن ؛ ٤٧٢
 ابن قندلة ؛ ٧١ ، ٤٧٨
 ابن القوطية ؛ ٣٤٦
 ابن الكاد ، أبو عبد الله ؛ ٢١ ، ٢٨ ، ٦٦ ،
 ٨٢ ، ٩٧ ، ١٥٧ ، ٣٩٣
 ابن مأمون الأنصاري ؛ ٧٠
 ابن المحروق محمد بن أحمد ؛ ٢٥
 ابن مدور ؛ ٢٨٦
 ابن المربع ، عبد الله إبراهيم الأزدي ؛ ٤٢١
 ابن مردئيش ، محمد بن سعد ؛ ٥٧٢
 ابن مرزوق العجيسي ، محمد بن أحمد ؛ ٤ ،
 ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٢٥
 ابن مسرة الجبلي ؛ ٤٦٦
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ؛ ٨٩ ، ١٩٢ ،
 ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٣٨
 ابن مفرج ؛ ٤٦٨
 ابن الملجوم ؛ ٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣
 ابن المؤيد الهندي ؛ ٤٤
 ابن المناصف ؛ ٨٦
 ابن منخل بن زيد الغافقي ؛ ٤١١
 ابن موهب ؛ ٧١
 ابن هشلك ، إبراهيم ؛ ٤٠٤
 ابن هود ، المستنصر ؛ ٣٣٥ ، ٤٣٣
 ابن واجب ؛ ٢٨٦
 ابن ورد ؛ ٥٤٢
 ابن وزمر النجاري ، عبد الله بن إبراهيم ؛
 ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥
 ابن حبي بن شام ؛ ٧٣

ابن عسكر المالح ، أبو عبد الله . ٣٠٥ و
 ٤٥٦
 ابن عطاء الله السكندري ، تاح الدين ؛ ٢٣٤ ،
 ٢٣٥
 ابن عمران الأنصاري ؛ ٤٤
 ابن عمري ؛ ١٨٣
 ابن عميرة الشيب ؛ ٧١
 ابن عياش الأندلسي ؛ ٤٧٨
 ابن عيشون اللخمي ؛ ٦١ ، ٥٤٣
 ابن غرسية ، أبو عامر ؛ ٢٢٩
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ؛ ٣٢٤ ،
 ١٩٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٥١٨
 ابن الفخار ، محمد بن علي الخولاني ؛ ٣٥ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٣٢٨
 ابن الفخار الجذامي الشريشي ؛ ٩١ ، ٩٧ ،
 ٣٦٠
 ابن القرات الحسني ؛ ٤٤
 ابن فرتون ، أبو القاسم خلف ؛ ٧١ ،
 ٩١ ، ١٦٥ ، ٢٥١
 ابن فرتون الأنصاري ، محمد بن عبد الله ؛
 ٢٢٦
 ابن فرح القيسي ؛ ٧١
 ابن الفرس ، عبد الرحيم ؛ ٤٣٣ ، ٤٧٩
 ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد
 الرحيم الخزرجي ؛ ٧٤ ، ١٨٢ ، ٤٠٧ ،
 ٥٤٢
 ابن فرحون ؛ ٥٦١
 ابن الفرضي ؛ ٥٥٠
 ابن فركون القرشي ، أبو جعفر ؛ ٣٣٥ ،
 ٥٦١
 ابن الفصالح ، عبد الرحمن بن إبراهيم ؛
 ٤٨٨ ، ٤٨٣
 ابن فطيس ، محمد ؛ ١٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
 ٥٥٠

أبو إمامة الباهلي ؛ ٤٥
 أبو أمية بن سعد السعدي بن عفير ؛ ٤٧٢
 أبو بجر الأسدي ؛ ٨٦ ، ٩٠
 أبو البركات بن داود الفارسي ؛ ٤٧٢
 أبو بكر بن أبي جعفر الزيات ؛ ٢٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦
 ١٩٢ ، ١٧٨ ، ١٦٣ ، ١٥٧ ، ١٣٢ ، ٩٧
 ٢٠١ ، ٢٤٦ ، ٣٩٤ ، ٥٤٧ ، ١
 أبو بكر بن أبي جبرة ؛ ٤٠٠ ، ٥٤١
 أبو بكر بن أبي ركب ؛ ٧١ ، ٨٦
 أبو بكر البرذعي ؛ ٣٧٣
 أبو بكر بن حيش ؛ ٢٠٣
 أبو بكر بن حسون ؛ ٤٠٠
 أبو بكر بن الحسن المرادي ؛ ١٦٥ ، ٠٣
 أبو بكر بن الحكيم ؛ ٢٦٨
 أبو بكر بن دحمان ، عبد الرحمن بن ع
 ٣٠٥ ، ٤٧٨
 أبو بكر بن زلق ؛ ١٩١
 أبو بكر بن زكريا ؛ ٤١٤
 أبو بكر بن سعيد ؛ ٣٤٤ ، ٣٤٥
 أبو بكر بن سيد الناس ؛ ٥١٨
 أبو بكر بن شبرين ؛ ١٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢
 ٢٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠
 أبو بكر الضرير ، أبو يحيى ؛ ٨٦
 أبو بكر بن طاهر ؛ ٤٧٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر الطرطوشي ؛ ٢٦٧
 أبو بكر بن الطفيل ؛ ١٦٥
 أبو بكر بن عبد الباقي الحجاري ؛
 أبو بكر بن عبد الرحمن ؛ ٣٣٧
 أبو بكر بن عسدة ؛ ٨٩ ، ١٤٤
 أبو بكر بن هتيق الأزدي ؛ ٧١ ، ٢٣١
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٦٤ ، ٨٥ ، ٧٨
 ٤٨٥ ، ٤٩٨ ، ٥٤٣
 أبو بكر بن عطية ؛ ١٧٤

ابن يست ، عبد العزيز بن علي ؛ ٥٧٢
 أبو إبراهيم الطوسي ؛ ٢٥١
 أبو إبراهيم الماجري ، ٢٦٨
 أبو إبراهيم بن يربوع ؛ ١٨٥
 أبو الأجرى الشاعر ؛ ٣٤٧
 أبو أحمد بن جعفر بن زعرور العاملي ؛ ٤٠٦
 أبو إسحق بن أبي يحيى ؛ ٣٢٨
 أبو إسحق بن أبي العاصي ؛ ٦٦ ، ١٣٢
 أبو إسحق بن يعقوب ، السيد ؛ ٤٢٠
 أبو إسحق بن إشقيلولة ؛ ٣٧٦ ، ٣٨٢
 أبو إسحق الإلييري الزاهد ؛ ٥١٧
 أبو إسحق البرغواطي ؛ ٢٠١
 أبو إسحق التلمساني ؛ ٢٠٣
 أبو إسحق الجاني ؛ ٤٧٨
 أبو إسحق الجزيري ؛ ١٢١
 أبو إسحق بن أبلخا ؛ ١٧٧
 أبو إسحق بن رشيق الطليطلي ؛ ٤٨٢
 أبو إسحق بن زرقال ؛ ٣٨٨
 أبو إسحق الزناتي ؛ ١٣٢
 أبو إسحق الزوالي ؛ ٤٧٨
 أبو إسحق بن صالح ؛ ٧١
 أبو إسحق بن عامر الهمداني الطوسي ؛ ٤٥
 أبو إسحق بن عبد الرفيع ؛ ١٦٣ ، ٥٤٧
 أبو إسحق بن عياش ؛ ٢٥١
 أبو إسحق الفائق ؛ ٢٨ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٧
 ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ٢٠١
 أبو إسحق بن قرقول ؛ ٧٣ ، ١٦٥ ، ٤٠٧
 أبو إسحق بن قسوم ؛ ٦٤
 أبو إسحق اليابري ؛ ٣٤٩
 أبو إسحق بن المنصور ، السيد ؛ ٤٢٠ ، ٥١٨
 أبو الأسود بن يوسف الفهري ؛ ٤٦٩
 أبو الأصمغ بن سادة ؛ ١٧٢
 أبو الأصمغ بن سهل ؛ ٧٣

٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٢ ،

٤٧٤ ، ٥٥٣

أبو جعفر بن شاذخه ؛ ٨٦

أبو جعفر بن شراحيل ؛ ٤٢

أبو جعفر الشقورى ؛ ٤٥ ، ٦٠

أبو جعفر بن صابر ؛ ٣٩٤

أبو جعفر الطباع ، على بن محمد الرعيبي ؛ ٤٢ ،

٤٤ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٩٣ ، ١٦١ ، ٢٤٧ ،

٤١٢

أبو جعفر الطنجالي ؛ ٤٤٤ ، ٥٥٤

أبو جعفر بن عبد الرحيم ؛ ٤٠٠

أبو جعفر بن عبد الحق ؛ ٤٤٤

أبو جعفر بن عبد الحميد ؛ ٤٧٨

أبو جعفر العطار ؛ ٤٧٥

أبو جعفر بن علي بن غالب ؛ ٥١٨

أبو جعفر بن الغاسل ؛ ١٩١

أبو جعفر بن قبال ؛ ٥٤٢

أبو جعفر الكحيل ؛ ٤٠١

أبو جعفر الكزني ؛ ١٦١ ، ١٧١

أبو جعفر بن مضاء ؛ ٤٠٧ ، ٥٤١

أبو جعفر بن هلال ؛ ٤١٣

أبو جعفر بن يحيى الحميري ؛ ٤١٨

أبو حاتم بن أبي القاسم الغزفي ؛ ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤

أبو حامد الغزالي ؛ ٢٦٥ ، ٢٦٦

أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٢١ ، ٧٤ ، ٤٠٧

أبو الحجاج الطرسوفي ؛ ٣١٧

أبو الحجاج بن قسوم ؛ ٥٤٧

أبو الحجاج القفال ؛ ٧١

أبو الحجاج المتشافري ؛ ٥٥٤

أبو الحجاج بن موسى الكلبي ؛ ١٦٥

أبو الحسن بن أبي الحسن ؛ ٣٦٥ ، ٤٤١ ،

٤٧٩ ، ٤٨٠

أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية ؛

٤١٣

أبو بكر انقرطاي ، حميد ؛ ٢٥١

أبو بكر بن قزمان ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤ ، ٤٠٧

أبو بكر بن القصيرة ؛ ٥٢٤

أبو بكر الكندي ؛ ١٧٧ ، ٣٤٤

أبو بكر بن محمد الرندي ؛ ٢٣٥

أبو بكر بن مسعود الحشني ؛ ٤٤٠ ، ٤٨٣

أبو بكر بن مشليون ؛ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٤١٩

أبو بكر بن مغاور ؛ ٣٤٩

أبو بكر بن منصور ؛ ٤٤٤

أبو بكر المهندس ؛ ٤٥

أبو بكر بن النفيس ؛ ٦٢ ، ٥٤٢

أبو بكر بن ميمون ؛ ٨٧

أبو بكر بن يوسف الفخار ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٤٦٩

أبو تاشفين ، عبد الرحمن بن موسى ؛ ٣٣٦

أبو ثابت ، عامر ؛ ٣٣٦

أبو جعفر بن أيوب ؛ ٧١

أبو جعفر بن ثعبان ؛ ٧١

أبو جعفر بن جراح ؛ ٧٣

أبو جعفر الجزيري ؛ ٣٤

أبو جعفر الجليار ؛ ٧١

أبو جعفر الحرار ؛ ٢٤٠

أبو جعفر بن حكيم الحصار ؛ ٧٤ ، ١٧٧ ،

٤٠٧ ، ٥٤١

أبو جعفر بن خلف بن الهيثم ؛ ١٦٥

أبو جعفر الدراج ؛ ١٩٨

أبو جعفر بن الزبير ؛ ٣ ، ٤ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٨ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ ،

٧٧ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٣٠٤ ،

٣٠٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٤١٢ ،

- أبو الحسن الصدق القاسي ؛ ٤٠٠
أبو الحسن الصايغ الإشبيلي ؛ ٤٤ ، ٩٣ ،
١٦١ ، ٤١٢ ، ٥١٨
أبو الحسن بن الطراوة ؛ ٤٧٨
أبو الحسن بن عباس ؛ ٤٧٨
أبو الحسن عبد الجليل ؛ ٨٦
أبو الحسن بن عزمون ؛ ٧٢ ، ١٨٥
أبو الحسن الغزال ؛ ٢٤٧ ، ٢٥١
أبو الحسن بن فضيلة المعافري ؛ ٤٤ ، ٨٩ ،
١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٤٠١ ،
٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٥٩
أبو الحسن بن القاسم ؛ ٣٤٩
أبو الحسن القراني ؛ ٢٠٢
أبو الحسن القرطاجي ، حازم بن محمد ؛ ١٣٦
أبو الحسن القيجاطي ؛ ١٣١ ، ١٣٢ ، ٥٦١
أبو الحسن الكرمانى ؛ ٩١
أبو الحسن بن كاشة ؛ ٢٢٤
أبو الحسن الكواب ؛ ٢٣٨ ، ٣٩٩
أبو الحسن بن كوثر ؛ ١٧٧ ، ٤٠٠
أبو الحسن بن لب ؛ ٦١
أبو الحسن المريني ، السلطان ؛ ١٠٤ ، ١٠٦ ،
٥٣٠
أبو الحسن المزديني ؛ ١٣٢
أبو الحسن المتيوي ؛ ٩٣
أبو الحسن بن مؤمن ؛ ٨٦
أبو الحسن النباهي ؛ ٦٤ ، ٧٧
أبو الحسن بن هذيل ؛ ٧١ ، ٥٤٢
أبو الحسن الوراد ؛ ٢٤٢
أبو الحسن بن وهيب ؛ ٤٨٢
أبو الحسن بن وشاش ؛ ١٣٢
أبو الحسين بن أبي الربيع ؛ ٢٠٣ ، ٣٨٤
أبو الحسين التلمساني ؛ ٣٠٦
أبو الحسين المتفريدي ؛ ٣٨٧
أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٧٧ ، ٨١ ، ٩٣ ،
١٣٦ ، ٣٤٧ ، ٢٥٠
أبو الحسن بن أبي العيش ؛ ٢٤ ، ٩٧ ، ٥٦١
أبو الحسن بن أحمد ؛ ٤٨٢
أبو الحسن بن الأخصر ؛ ٩٠ ، ٤٣٩
أبو الحسن بن إسحاق يولة ؛ ٣٧٧
أبو الحسن بن أضحى ؛ ١٦٢ ، ٤٧٩
أبو الحسن البصري ؛ ٩٣
أبو الحسن البلوطي ؛ ٢٣٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠١
أبو الحسن بن البيان ؛ ٥٣٩
أبو الحسن بن ثابت ؛ ٧١
أبو الحسن بن الجياب ، ١٨٨ ، ٢٣٢ ،
٢٤٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ ،
٤٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٥
أبو الحسن بن حريق ؛ ٢٧٦
أبو الحسن بن الحصار التلمساني ؛ ٩٣
أبو الحسن بن خروف ؛ ١٥٥ ، ٤١٨
أبو الحسن بن خلف الرشاطي ؛ ٥٤٣
أبو الحسن بن الخطار ؛ ١٣٦
أبو الحسن بن خلف العنسي ؛ ١٦٥
أبو الحسن بن الدياج ؛ ٦٩ ، ٣٦٠ ، ٤٧٢
أبو الحسن بن دري ؛ ٤٨٢
أبو الحسن الرعيبي ؛ ٥١٨
أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٣ ، ٩٠ ، ١٨٢ ،
٣٦٠
أبو الحسن بن السراج ؛ ٩١ ، ٢٥٠ ، ٤٧٨
أبو الحسن السفاح الرندي ؛ ٢٤٧
أبو الحسن بن سليمان ؛ ٩٧ ، ١٣١
أبو الحسن الشاذلي ؛ ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٤١٩
أبو الحسن بن شريح ؛ ٧ ، ٨٥ ، ٩٠ ،
٤٧٨ ، ٥٤٢
أبو الحسن الشقوري ؛ علي بن أحمد ، ٤١

٤٢٥ ، ٥٣٦
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ٨٩
 أبو سعيد الميمون بن بدر المتوفى ؛ ٢١٥
 أبو سليمان بن حوط الله ؛ ٧٢ ، ٤٧٨
 أبو الشمل جماعة الحلبي ؛ ٥٤٧
 أبو طالب السرقسطي ؛ ٧٣
 أبو الطاهر التيمي ؛ ٤٤٠
 أبو الطاهر الخشوعي ؛ ٧٥
 أبو الطاهر بن سرور ؛ ٥٤٧
 أبو الطاهر السلي ؛ ٢١
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٥٦١
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن يزيد بن شريف
 النفري ؛ ٣٦٠ ، ٣٧٥
 أبو عامر بن ربيع ؛ ٣٩٣
 أبو عامر بن عبد العظيم ؛ ٥٦١
 أبو العباس أحمد الحسني ، ٣٦ ، ١٥٧ ،
 ١٩٩
 أبو العباس أمير قسنطينة ؛ ٥١٦
 أبو العباس بن الينا ؛ ٢٧٠
 أبو العباس بن خميس ؛ ٩٧
 أبو العباس بن خلف بن عيشون ؛
 أبو العباس بن خليل ؛ ٩١
 أبو العباس بن راشد العمراني ؛ ١٣٢
 أبو العباس الزواوي ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن عبد الملك ؛ ٢٥٠
 أبو العباس بن المريف ؛ ١٩١
 أبو العباس العزفي ؛ ٢٩ ، ٧٢
 أبو العباس بن علي بن مروان ، ٥١٨
 أبو العباس بن علي اللص ؛ ٤٤٠
 أبو العباس الغبريني ؛ ١٦٣
 أبو العباس بن الغماز الخرجي ؛ ١٦٣ ،
 ٢٠٢

أبو الحكم بن يوجان ، ١٩١
 أبو حيان النحوي ، محمد بن يوسف ؛ ١٦٤ ؛
 ٣٩٥
 أبو خالد بن رفاعة ؛ ٤٠٠
 أبو خالد المرواني ؛ ١٦٥
 أبو الخطار بن خليل ؛ ٤١٩ ، ٤٧٢
 أبو داود بن يحيى ؛ ٤٧٨
 أبو رجال بن غلبون ؛ ٣٤٩
 أبو ذر الخثني ؛ ١٥٥
 أبو ذر الهروي ؛ ٣٠٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٣٤٩ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ،
 ٥٣٣ ، ٥٤٢
 أبو الربيع سليمان ، السلطان ؛ ٥٣٦ ، ٥٣٤
 أبو زكريا البرشافي ؛ ٢١
 أبو زكريا الجعفري ؛ ٧٢
 أبو زكريا المرجعي ؛ ٨٦
 أبو زكريا بن هذيل ؛ ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٣٩١
 أبو زيد البرناسي ؛ ٣٠٥
 أبو زيد الجزولي ؛ ١٣١ ، ١٩٩
 أبو زيد الحشا ؛ ٤٦٤
 أبو زيد السبيلي ؛ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٤٠٧ ،
 ٤١٧ ، ٥١٨ ، ٥٧٥
 أبو زيد بن عبد الرحيم الشريف ؛ ٤٧٦
 أبو زيد الفزازي ؛ ٤٥٨
 أبو زيد بن زرار ؛ ١٦٦
 أبو زيد الموحدى ، السيد ؛ ٢١١
 أبو زيد الهزميري ؛ ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو زيان ، الأمير ؛ ٢٧٨
 أبو سالم ، السلطان ؛ ١١٧ ، ٤٩٩ ،
 ٥٣٠ ، ٥٣١
 أبو سعيد بن لب ؛ ٤٠ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ،
 ٤٨٤
 أبو سعيد بن نصر ، الرئيس ؛ ٣٣٥ ، ٣٤٠ ،

أبو عبد الله الجثناني : ٧١
 أبو عبد الله الجثناني (الفراق) : ٩٣
 أبو عبد الله بن الحسن : ٢٠٩
 أبو عبد الله بن حسن البجلي : ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو عبد الله بن حسن السبتي : ٧٣
 أبو عبد بن الحسن بن عبد الغني المقدسي : ١٦٣
 أبو عبد الله بن الخطار الكامي : ٤٠١
 أبو عبد الله الحضرمي : ١٨٥
 أبو عبد الله بن الحلوة : ٢٤٠
 أبو عبد الله بن حميد : ٤٠٧ ، ٤١٦
 أبو عبد الله بن الحضارم : ٢٠١
 أبو عبد الله بن خلف الأيسري : ٨٦
 أبو عبد الله بن نحميس : ٩٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٣ ،
 ٢٦٨
 أبو عبد الله الدراج : ٤٠١
 أبو عبد الله بن راجع : ٤٥٤
 أبو عبد الله بن ربيع الأشعري : ٦٦ ، ٨٩ ،
 ١٥٧
 أبو عبد الله الرصافي ، محمد بن غالب : ٢١٤ ،
 ٣٥٤ ، ٢٧٣
 أبو عبد الله بن رزيق الشافعي : ٢٤٧
 أبو عبد الله الرندي : ٣٢٨
 أبو عبد الله الرشاشي : ٥٥٢
 أبو عبد الله الرقام : ٤١٤
 أبو عبد الله بن زرقون : ٤٠٧ ، ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سعادة : ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سليمان التونسي : ٥٤٢
 أبو عبد الله بن سمعون الطائي : ٥٥٣
 أبو عبد الله الشاطبي : ٨٧
 أبو عبد الله بن شهيد المري : ١٦٢
 أبو عبد الله بن صاف : ٥٤٢
 أبو عبد الله بن صالح الكناني : ٤٠٢
 أبو عبد الله بن الصقيل المرسى : ١٦٦

أبو العباس بن محمد الجذامي : ١٦٥
 أبو العباس المرسى : ٢٣٤ ، ٢٧٥
 أبو العباس بن مزني : ٥١٦
 أبو العباس المكناسي : ١٩٩
 أبو العباس بن مكنون : ٢٣٢ ، ٤٧٢
 أبو العباس بن اليتيم : ١٧٦ ، ٤٠٧
 أبو العباس بن يربوع السبتي : ٣٢٨ ، ٤٤٤
 أبو عبد الله بن الأبار : ٢٥٠ ، ٣٤٤
 أبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ : ٤٠٠
 أبو عبد الله بن أبي البقاء : ٣٤٩
 أبو عبد الله بن أبي الجيوش : ٤٤٤
 أبو عبد الله بن أبي الخصال : ٤٨٢ ، ٥٢٦ ،
 ٥٤٣
 أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حفص :
 ٥١٦
 أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع : ٢١ ،
 ١٨٥
 أبو عبد الله الأبلبي : ٤٩٨
 أبو عبد الله بن أجروم الصنهاجي : ٩٧ ،
 ١٣١
 أبو عبد الله الأزدي : ٢٥٠
 أبو عبد الله الإستنجي : ٧٤ ، ٣٠٥
 أبو عبد الله بن أصبغ : ٤١٨
 أبو عبد الله بن الأعور : ٢٤٠
 أبو عبد الله الأندلسي : ٧٢
 أبو عبد الله بن بكر : ٦٦ ، ٧٨ ، ٥٦١
 أبو عبد الله البكري : ٧٣
 أبو عبد الله البياني : ٣٩٤
 أبو عبد الله بن تجملات : ٢٧٠
 أبو عبد الله التجيبي : ٥١٨
 أبو عبد الله التونسي : ١٦٠

أبو عبد الله الطرطوسي ؛ ٥٦٠
 أبو عبد الله بن طرنه ؛ ٤٠
 أبو عبد الله الطنجالي ؛ ٢١ ، ٢٣ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ،
 ٥٦١
 أبو عبد الله بن عامر بن ربيع ؛ ٨٩
 أبو عبد الله بن عامور ؛ ٤٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي ؛ ١٣٢
 أبو عبد الله بن عبد السلام ؛ ٨٢ ، ٤١٢ ،
 ٤٤٤ ، ٤٩٨
 أبو عبد الله بن عبد الملك ؛ ٩٥ ، ٣٠٦ ،
 ٤٧٩ ، ٣٠٧
 أبو عبد الله بن عبد المنعم ؛ ١٨٥ ، ١٩٩
 أبو عبد الله بن عبد الولي ؛ ٢٣٠
 أبو عبد الله العلوي ؛ ١٦٩
 أبو عبد الله بن العنسي ؛ ٤٥
 أبو عبد الله بن عياش ؛ ١٩٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٣ ، ٢٤٧ ، ٤٧٩ ، ٥٦١
 أبو عبد الله بن عياض ؛ ٦٩ ، ٢٥١
 أبو عبد الله بن عيسى ؛ ٤٤٢
 أبو عبد الله بن غالب ؛ ٥٦١
 أبو عبد الله بن غريون ؛ ١٥٧
 أبو عبد الله الغماري ؛ ٩٧ ، ١٣٢ ، ٢٠١
 أبو عبد الله القرطبي ؛ ٣٦ ، ٩٧
 أبو عبد الله القطان ؛ ٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن لب ؛ ٢٤٠
 أبو عبد الله المروددي ؛ ٣٣٧
 أبو عبد الله بن مستقور ؛ ٢٤٧ ، ٤١٩
 أبو عبد الله بن المقرئ ؛ ٢٦٩ ، ٢٧٠
 أبو عبد الله بن مكى ؛ ٨٦

أبو عبد الله بن ملك المقرئ ؛ ١٦٢ ، ٣٢٩
 أبو عبد الله المهندس ؛ ٤٤٤
 أبو عبد الله بن النجار ؛ ٤٤٤
 أبو عبد الله بن نصر ، السلطان ؛ ٤٢٥ ،
 ٤٣٦ ، ٤٣٧
 أبو عبد الله التولي ، محمد بن عبد الرحمن ؛ ٤٠١
 أبو عبد الله بن هرون ؛ ٢٠٢
 أبو عبد الله بن هشام الأثلي ؛ ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤١٤
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٣٢
 أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري ؛ ٣٩٤
 أبو عبد الله بن يحيى المرسى ؛ ٥٧٨
 أبو عبد الله بن يربوع ؛ ٧١ ، ٧٢ ، ١٨٥ ،
 ٤٧٩
 أبو عبد الله بن يعلى ؛ ٩٧
 أبو عثمان بن سعيد ؛ ١٨٥ ، ٤٦٠
 أبو عثمان بن ليون ؛ ٥٦١
 أبو عثمان بن هرون ؛ ٤٤٠
 أبو العلاء بن الجنان ؛ ٤٤٠
 أبو العلاء المعري ؛ ٢١ ، ١٠٠ ، ٢٠٦
 أبو علي البغدادي ؛ ١٨٣ ، ١٨٤
 أبو علي بن حسن البجلي ؛ ١٦٠ ، ٣٢٨
 أبو علي الرندي ؛ ٤٧٩ ، ٥٤٣
 أبو علي الشلوبين ؛ ٣٠٥ ، ٤٧٩
 أبو علي الصدفي الغساني ؛ ١٩٠
 أبو علي القرشي ؛ ٣٩٤
 أبو عمرو بن حكيم ؛ ٤٥٨
 أبو عمران بن إسحق ؛ ٧٢
 أبو عمرو بن حوط الله ؛ ٩٣ ، ٢٤٧ ،
 ٣٤٩ ، ٤١٩ ، ٥٥٣
 أبو عمرو الداري ؛ ٢٠٣
 أبو عمرو الداني ؛ ٤٦٣
 أبو عمرو بن الرندون ؛ ٧٦
 أبو عمرو الزاهد ؛ ٦٥

أبو القاسم السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ؛

١٨٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠

أبو القاسم الصقر ؛ ٦١

أبو القاسم بن الطيب ؛ ٢٠١ ، ٤٠١

أبو القاسم بن العليلسان ؛ ٤٧٩

أبو القاسم بن عبد الرازق ؛ ٤٠٧

أبو القاسم الغافق ؛ ٥٤٩

أبو القاسم القشيري ؛ ٢٣١

أبو القاسم بن قطبة ؛ ٢٩٩

أبو القاسم اللاسكلان ؛ ٢٣٨

أبو القاسم بن محمد بن الخطيب ؛ ١٦٤

أبو القاسم المرید ؛ ٢٣٩

أبو القاسم بن المغربي ؛ ٣٠٧

أبو القاسم الملاحي ، محمد بن عبد الواحد . بن

حقل الغافق ؛ ٢٦ ، ٤٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢

٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٦٣

٥٤٠

أبو القاسم بن منظور ؛ ٩٠

أبو القاسم بن ورد ؛ ٤٨٣

أبو محمد بن أبي المجد ؛ ٤٦٠٤

أبو محمد الأصفهاني ؛ ٣٠٣

أبو محمد بن إشقيلولة ، عبد الله بن إبراهيم

٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣

أبو محمد بن أيوب ؛ ٤٤٤

أبو محمد البياسي ؛ ٢٧٥ ، ٤٥٨

أبو محمد بن جابر ؛ ٤١٤

أبو محمد بن جمهور ؛ ٩٠ ، ٤٠٧

أبو محمد الحجري الأندلسي ؛ ٣٤٩ ، ٠٧

أبو محمد الحضرمي ؛ ٣٩٥

أبو محمد بن حوط الله ؛ ٤١٦ ، ٠٧ ، ١٨

٤٧٩

أبو عمرو بن سالم ؛ ٣٠٥ ، ٢٤٩ ، ٥١٨

أبو عمرو بن منظور ؛ ٨٢ ، ١٣٢ ،

١٩٢ ، ٥٦١

أبو عنان فارس ، السلطان ؛ ١٣ ، ١٠٥ ،

١١٧ ، ٤٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣

أبو فارس الجروي ؛ ٢٠٣

أبو الفضل بن هرون الأزدي ؛ ٧٣

أبو القاسم بن أبي الحجاج بن أبي الحقالة ؛

٣٧٥

أبو القاسم بن أبي عامر بن أبي ربيع ؛ ٩٣

أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية ؛ ٤٦٠

أبو القاسم بن إدريس ؛ ٣٤٩

أبو القاسم بن الأصهر الحارثي ؛ ٦١

أبو القاسم التجيبي ؛ ١٨٥ ، ١٩٩

أبو القاسم بن جزى ؛ ٣٩٢

أبو القاسم الجيفاني ؛ ٩١

أبو القاسم بن حبيش ؛ ٣٤٩ ، ٤٠٧ ،

٤١٧ ، ٥٤١

أبو القاسم بن أحمد الحسني ؛ ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٥٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤

أبو القاسم الحصار ؛ ٥٣٩

أبو القاسم بن حماد الحضرمي الليدي ؛ ١٦٤ ،

٢٠٢

أبو القاسم بن حمدين ؛ ٢٧٥

أبو القاسم بن خير ؛ ٢٠٣

أبو القاسم بن داود ؛ ٤٧٨

أبو القاسم بن درهم ؛ ٥٦١

أبو القاسم بن رجا الحضرمي ؛ ٩٧

أبو القاسم بن ربيع ؛ ٨١ ، ١٩٢ ، ٤١٩

أبو القاسم بن السكوت ؛ ٦٤ ، ١٥٩ ،

١٩٤ ، ٢٠٣

أبو القاسم بن سمحون ؛ ٤٢ ، ١٧٧

أبو محمد بن دلف بن اليسر ٧٢ ؛
 أبو محمد بن رشد ٤٧٨ ؛
 أبو محمد بن زيدان ١٥٥ ؛
 أبو محمد بن سلمون الكثافي ٤٠٠ ، ٣٩٤ ؛
 أبو محمد بن سمحون ١٧٤ ، ١٥٨ ؛
 أبو محمد بن الصايغ ٥٦١ ، ٣٩٥ ؛
 أبو الملا بن المنصور ، السيد ٥١٨ ؛
 أبو محمد بن عبد الحق ٩١ ؛
 أبو محمد بن عبد الصمد النسافي ٤٢٧ ، ٤٢ ؛
 أبو محمد بن عبد العزيز بن حمدين ١٦٥ ؛
 أبو محمد عبد المنعم ٥٤١ ؛
 أبو محمد بن عتاب ١٧٤ ، ٩٠ ، ٨٥ ؛
 أبو محمد بن قاسم الحرار ٥١٨ ؛
 أبو محمد القرطبي الحافظ ٥٤٣ ، ٩٠ ، ٧٠ ؛
 أبو محمد بن قورش ٧٣ ؛
 أبو محمد النفزي ٤٠١ ؛
 أبو محمد بن يوسف القضاعي ٤٤٠ ؛
 أبو مروان الباجي ٥٤٣ ؛
 أبو مروان بن يوفه ٤٧٨ ؛
 أبو مروان بن سراح ٧٣ ؛
 أبو مروان بن الصقيل الوثقي ٧٣ ؛
 أبو المطرف بن عميرة ٢٧٦ ، ١٤٥ ؛
 أبو المعالي الجويني ١٦٦ ؛
 أبو الوليد بن أبي الحجاج بن نصر ، السلطان ؛
 ٥٣٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٤٠ ، ٣٥٣ ؛
 أبو الوليد الباجي ٧٣ ؛
 أبو الوليد بن الحجاج ٧٢ ؛
 أبو الوليد الحضرمي ٢١ ؛
 أبو الوليد بن خيرة ١٦٦ ؛
 أبو الرايد بن طريف ٩٠ ، ٨٦ ؛
 أبو الواجد الطاهر ٤١٩ ، ٢٥٠ ، ٢٤٧ ؛
 ٥٥٣

أبو الوليد بن يزيد بن بقر ٥١٨ ؛
 أبو مهذب عيسى الزيات ١٧٨ ؛
 أبو يحيى أبو بكر الضرير ٨٦ ؛
 أبو يحيى بن أبي عمران ٢١٢ ؛
 أبو يحيى بن عبد الرحيم ٤٥٧ ، ٤١٩ ؛
 أبو يحيى بن الفرس ٢٥١ ؛
 أبو يحيى بن مسعدة ١٥٩ ؛
 أبو يعقوب المحاسبي ٢٥١ ؛
 أبو يعقوب بن عقاب ٢٠٣ ؛
 أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ٥٧٤ ؛
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة ؛
 ٢١١
 أبو يوسف بن عبد الحق ، السلطان ٢٤٩ ؛
 ٣٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ؛
 أحمد بن حمدان الحراني ، نجم الدين ٤٠٢ ؛
 أحمد الرازي ٥٢٩ ، ٤٧ ؛
 أحمد بن سليمان بن أحمد المقدسي ٤٠٢ ؛
 أحمد بن عبد المنعم الصوفي ٤٠٢ ؛
 أحمد بن عتيق الشاطبي ٣٩٤ ؛
 أحمد بن عمر ، أبو القاسم ١٦٥ ؛
 أحمد بن عمران الساوي اليانثوي ٣٢٨ ؛
 أحمد بن محمد الجعدالة السلمي ٣٨٧ ؛
 أحمد بن محمد الحسني ، عز الدين ٤٠٣ ؛
 أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري ٤٠٢ ؛
 أحمد بن مروان القيرواني ٧٣ ؛
 أحمد بن مفضل المالحق ٩٥ ؛
 أحمد بن موسى بن عيسى البطرني ١٦٤ ؛
 أحمد بن يوسف بن يعقوب اللبلي ١٦٤ ؛
 أدفونثس (أنفونسو السادس) ٣٨٠ ، ٢١٣ ؛
 أسلم بن عبد العزيز ٤٦٥ ؛
 إسماعيل الروبي ٢٣٨ ، ٢٣٧ ؛

الحكم المستنصر بالله والخليفة ١٨٣ ، ١٨٤ ،
٤٦٥

حكيم بن محمد ؛ ٤٥

الحكم بن هشام ، الأمير ؛ ٣٨٦

حدة بنت زياد المكتوب ؛ ٢١٦

حو بن عبد الحق ؛ ٥٣٦

حيان بن أبي يربوع ؛ ١٨٢

خالد بن أبي زكريا ، السلطان ؛ ٣٣٧

خالد بن خاله ؛ ١٧٨

خالد بن عيسى ؛ ٤٥

الخضر بن رضوان العبدي ؛ ٤١٣

خضر بن عبد الرحمن المجمى ؛ ١٠٥

خلف بن عبد العزيز القيتوري ؛ ١٦٤ ، ٢٠١

خلف الله الحياصي ؛ ١٣٢ ، ١٩٩

خيران العامري ؛ ٤٦٧

داود بن يزيد السعدي ؛ ١٧٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ٢١٣ ،

٢٤١ ، ٣٥٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩

رضوان بن خالد ، أبو النعيم ؛ ٣٠٥

رضى الدين بن إبراهيم الطبري ؛ ١٦٤

زياد بن الصفار ؛ ١٦٥

زياد بن عبد الرحمن ؛ ٥٤٩

زيد بن محارب بن عطية ؛ ٥٣٩

زيدان الحسني ، السلطان ؛ ٥

زينب بنت اسحق النفاوية ؛ ٥٢٣

زينب بنت زياد ؛ ٢١٦

س — ط

سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبي ؛ ٤٠٢

سالم بن صالح بن سالم ؛ ٢٢٨

سحتون بن سعيد ؛ ٥٤٩

سعد الحفار ، أبو عثمان ؛ ٧٢

السميد ، السلطان ؛ ١١٧ ، ٤٩٩

سعيد بن عمر البطرني ؛ ٦١

أضحى الهمداني ، أبو الممالى ؛ ٣٨٧

أمين الدين بن عساكر ؛ ٢٠٣

أمية بن حمزة الفهري ؛ ٤٦٩

ب — ث

باديس بن حبوس ؛ ٣٣٢

البخاري ، الإمام ؛ ١٣٢

بدر (بن أحمد) حاجب الناصر لدين الله ؛

٤٦٥

بدر مولى عبد الرحمن الداخل ؛ ٤٦٨ ، ٤٦٩

بدر الدين بن جماعة ؛ ١٦٣

بقي بن مخلد ؛ ٤٠٠ ، ٥٥٠

بلج بن بشر القشيري ؛ ٣٤٦

بلقين بن باديس بن حبوس ؛ ٣٠٠

تقي الدين بن أبي الحسن ؛ ٢٤٧

تقي الدين بن عبد الخالق المصري ؛ ١٦٤

تميم بن بلقين ؛ ٣٨١

ثعلبة بن عبيد الجذامي ؛ ٤٦٩

ج — ز

جابر بن أحمد ، أبو الحسن ؛ ٥١٨

جعفر بن حكم ؛ ٤٠٠

جعفر بن مكى ؛ ٥٤٣

حبيب بن عبد الملك المرواني ؛ ٤٦٩

حسام بن ضرار الكلبي ، أبو الخطار ؛ ٢٠

الحسن بن أبي الشرف ربيع ؛ ٤٠١

حسن بن الجزائر ؛ ٧٣

الحسن بن محمد الجيافي ؛ ٤٥

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق ؛ ٤٠١

الحسين بن العقيل ؛ ٤٦٩

الحسين بن علي ؛ ٣٤٦ ، ٣٥٠

حفص بن المرة ؛ ٢٧٩

حفص بن نجيح ؛ ١٨٣

حفصة بنت الحاج ؛ ٥٧١

عائشة بنت محمد بن أحمد السكوتى ، أم المجد ؛

٤٠٢

العباس أحمد بن عبد الله الطبرى ؛ ٢٤٧

عباس بن الطفيل ؛ ١٨٥

عباس بن مرداس ؛ ٢٤٨

عبد الأعلى بن موسى بن نصير ؛ ٥٢٩

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم التستاق ؛ ٥٧٥

عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥

عبد الجبار بن موسى الجداوى ؛

عبد الحق بن بونته ؛ ٧٣٠ ، ٧٤٤ ، ٧٥٧

عبد الحق بن عثمان بن محمد ... بن محيو ؛ ٥٣٦

عبد الحق بن عطية ؛ ٧١ ، ٥٤٣

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يعقوب ؛

٥٣٤

عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى ؛ ٥٣٩

عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى ؛ ٥٥٥ ، ٥٥٥

عبد الحق بن يزيد العبدردى ؛ ١٧٦

عبد الحكيم بن الحسين ؛ ٥٤٧

عبد الحكيم ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛

٢٩٨

عبد الحلیم بن عمر بن عبد الحق بن محيو ؛

٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري ؛

٥٦٩

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي ؛ ٤٧٢

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي ؛ ٤٨٢

عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٥٢٣

عبد الرحمن بن بقی ؛ ٨٥

عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلبيرى ؛ ٥١٧

عبد الرحمن بن الحسن بن القصير ؛ ١٧٧

عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٥٥٠ ، ٥٥١

عبد الرحمن بن حوط الله الأنصارى ؛ ٥٥٣

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشقى ؛ ٥٢٧

سميد بن قوسرة ؛ ٨٧

سليمان بن حوط الله ؛ ٥١٨

سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد الحق ؛

١٣٣٦

سليمان بن مفتاح اللجائى ؛ ٩٧

سليمان بن هود ؛ ٢٨٦

ساجدة الصنهاجى ؛ ٣٧٩

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ١٨٢ ، ٤٥٧

سيويوه ؛ ٧٦

الشافعى ، الإمام ؛ ٢٦٧

الشريف أبو القاسم ؛ ٣٩٣ ، ٤٧٧

شمر بن ذى الجوشن ؛ ٣٤٦

شمس الدين بن المناصف ؛ ٤١٢

صالح بن خلف ؛ ٧٣

صمصمة بن سلام ؛ ٥٤٩

صفوان بن إدريس بن إبراهيم التجيبى ؛

١٨١ ، ٣٤٩

الصميل بن حاتم ؛ ٥٥٤ ، ٣٤٥ - ٣٤٨

خبياء الدين بن عيسى بن أحمد ؛ ٢٥٢

طارق بن موسى ؛ ٧١

طالوت الفقيه ؛ ٣٨٦

طالوت بن عياد بن نصال ؛ ٤٥

طاهر بن أبي الشرف ؛ ٢٠١

الطيب بن هرقال ، أبو القاسم ؛ ٧٢

ظهير الدين بن عبد الخالق الدلاصى ؛ ١٦٤

ع - غ

العادل ، الخليفة الموحدى ؛ ٢٧٥

عاصم بن مسلم ؛ ٤١٩

عامر بن محمد الهنتاقى ؛ ٥٣٣

- عبد الرحمن بن عبد الله بن سمان ؛ ١٦٦
عبد الرحمن بن عفان ؛ ١٣١
عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٠٠ ، ٤٦٧ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، الخليفة
الناصر لدين الله ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٦٤
عبد الرحمن بن محمد بن مالك المعافري ؛ ٥٢٤
عبد الرحمن بن مسلمة ، أبوى الحسن ؛ ٤٠٧
عبد الرحمن بن منعم الكلبي ؛ ٤٦٩
عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين ؛ ٥٣٧
عبد الرحمن بن هاني اللخمي ؛ ٤٨٠
عبد الرحمن بن مخلفتن الفزازي ؛ ٥ ، ٥١٧
عبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش ؛ ٧٢
عبد الصمد بن عبد الوهاب ؛ ٢٤٧
عبد الصمد بن محمد بن يعيش النسائي ؛ ٧٤ ، ١٧٧
عبد العزيز بن سدير ؛ ٧١
عبد العظيم بن الشيخ ؛ ٩٣ ، ٢٤٠
عبد العظيم بن عمر بن حسان النسائي ؛ ٥٧٧
عبد العظيم بن محمد بن الحاج ؛ ٥٥٤
عبد الغفار بن محمد السعدي المصري ؛ ١٦٣
عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار الفزازي ؛ ٥٣٨
عبد الكريم بن صدقة المزني ؛ ١٦٤
عبد الكريم بن عمران ؛ ٥١٨
عبد الله بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الماصمي ؛ ٤١٩
عبد الله الآبلي ؛ ٤٤٤
عبد الله بن أبي بكر بن داود انقيسي ؛ ٩٢
عبد الله بن أبي ربيع القرشي ؛ ١٥٧
عبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن سناك العاملي ؛ ٤١٠ ، ٤١٣
عبد الله بن أسعد الشافعي ؛ ١٠٦
عبد الله بن أيوب الأنصاري ؛ ٤٠٥
عبد الله بن بلقين بن باديس ؛ ٥ ، ٢٩٩
- ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٠٠
عبد الله بن الجبير اليحصبي ؛ ٣٨٥
عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصاري ؛
٤٠٥ ، ٤١٣
عبد الله بن حسون البرجي ؛ ٤٠٩
عبد الله بن حكم ؛ ٢٨٦
عبد الله بن الخطيب السلماني ؛ ٣٢٩ ، ٤٣٥
عبد الله بن سراح ؛ ١٨٠ ، ٣٨٥
عبد الله السطلي ؛ ٤٩٨
عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني ؛ ٣٨٦
عبد الله بن سهل الفرناطلي ؛ ٤٠٤
عبد الله بن الصايغ ؛ ٢١٩
عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
عبد الله بن فرج اليحصبي (ابن المسال) ؛ ٤٦٢
عبد الله بن فارس بن زيان ؛ ٤٦١
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد
(اليربطول) ؛ ٤٥٦
عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٩ ،
٢٨٠
عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبدري ؛ ٣٩٩
عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي ؛ ٢٤٧
عبد الله بن محمد بن أحمد المزني ؛ ٣٨٣
عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي جرة الأزدي ؛
٤١٥
عبد الله بن محمد البيضاوي ؛ ١٩٠
عبد الله بن محمد الشراط ؛ ٤٤١
عبد الله بن موسى ... بن حماد الصنهاجي ؛ ٤٣٠
عبد الله بن هرون الطائي ؛ ٤٤ ، ١٣٦
عبد الله بن يحيى ... بن ربيع الأشعري ؛ ٤١٧
عبد الله بن يحيى ... بن زكريا الأنصاري ؛ ٤١٣
عبد الله بن يوسف الخلاسي ؛ ١٦٤

علاء الدين القونوي ١٠٦٠
 على بن إبراهيم السكوتي ٩٣
 على بن عبد الرحمن بن سحون ٤١٠٠
 على بن عبد الله بن عبد الرحيم ٥٧٥
 على بن محمد التجيبي
 على بن محمد الخطيب ٣٢٩
 على بن محمد الكناني ٤١٩
 على بن موسى بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٥٨
 على بن يوسف بن تاشفين ١٩١ ، ٣١٦
 عمر بن جميع ٧٢
 عمر بن الخطاب ٤٥٤
 عمر بن عبد الله ٤٩٩
 عياض بن موسى السبي ، أبو الفضل ٤٤٢ ،
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
 ٤٤٩ ، ٤٨٣ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠
 الغازي بن قيس ٥٤٩
 غالب الشقوري ، أبو تمام ١٧٢
ف - ك
 الفتح بن خافان ، أبو نصر ٥٢٥
 فخر الدين بن البخاري ٢٠٣
 فرح بن غزلون اليحصبي ٤٦٤
 قاسم بن أحمد بن حسن الحجري ٥٥٤
 قاسم بن دحان ٧٣ ، ٤٠٧ ، ٤٧٨
 قاسم الحصار ، أبو محمد ٢٥٠
 قنطريش بن القسطنطيني ٢٠٣
 كريب بن خلدون ٤٩٧
 كلثوم بن عياض القشيري ٢٤٦
م - ي
 مالك ، الإمام ٦٩ ، ٥٥٠
 مالك بن عبد الرحمن بن علي بن امرئ (ابن
 المرحلة) ٢٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٤٠٢
 مالك بن وهب ٩٠

عبد الملك بن أبي مسلم العمراي ١٩٠٠
 عبد الملك بن أمية ٢٧٩
 عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هرون
 ٥٥٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠
 عبد الملك بن سعيد ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ -
 عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري ٥٣٨
 عبد الملك بن الماجشون ٥٥٠
 عبد الملك بن مروان ١٨٣
 عبد المنعم بن سناك العاملي ٢٨ ، ١٥٧ ،
 ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٤٥٩
 عبد المنعم بن عبد الرحيم ٤٧٥
 عبد المهيمن الحضرمي ، أبو محمد ٤٤٤ ، ٣٢٨ ،
 ٤٩٨
 عبد المؤمن الخولاني ، أبو محمد ١٥٩
 عبد المؤمن الدمياطي ، أبو محمد شرف الدين
 ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٤١٢
 عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحدى ٨٧ ،
 ٤٧٥ ، ٥٤٧
 عبد الواحد بن زكريا اللحياني ٣٣٧ ، ٥٣٥
 عبد الواحد بن منصور بن المنير ١٦٤ ،
 عبد الوهاب الصدقي ٤٠٧
 عبيدة بن الطيب ١٨٣
 عبيدة بن يحيى بن يحيى ١٨٣
 عتاب بن علقمة اللخمي ٤٦٩
 عتيق بن محمد بن المول ٣٣٥
 عثمان بن أبي العلاء ٥٣٧
 عثمان بن أبي يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
 ٣٣٦
 عثمان بن جبير ١٨٣
 عثمان بن عبد الله العبدري ٩٣
 عثمان بن عيسى ٢٢٧
 عثمان بن يحيى بن يعمراسن ١٠٦
 عقبة بن نعيم ٥٥٤

محمد بن حسن بن الحميري ؛ ٢٣١
 محمد بن حكيم بن باق الجذامي ؛ ٧٢ ، ١٦٥
 محمد بن الحاطيب السلماني ؛ ٣٢٩
 محمد بن خلف بن موسى الأنصاري ؛ ١٦٥
 محمد بن سعد الحرسني ؛ ٤٧٦
 محمد بن سعيد بن خلف ... بن عمار بن ياسر
 الهذلي ؛ ٢١٥
 محمد بن سوادة المري ؛ ١٦٨ ، ١٨٢
 محمد بن صابر بن حسان العنسي ؛
 محمد بن الصنفار جمال الدين أبو عبد الله ؛ ١٦٤
 محمد بن عبد الرحمن الكاتب ؛ ٢١١
 محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي ؛ ١٣٠
 محمد بن عبد الرحمن بن هاني انقايسى ؛ ١٧٤
 محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف العنسي ؛ ١٧١
 محمد بن عبد الله بن داود الغانقي ؛ ٦١
 محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٣٧ ، ٣٦١
 محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل ؛ ٢٢٧
 محمد بن عبد الملك بن حبيب ؛ ٥٥٠ ، ٥٥٢
 محمد بن عبد الملك السبيعي ؛ ٢٦
 محمد بن عبد الملك بن سعيد ... بن عمار
 ابن ياسر ؛ ٢١٣ ، ٢١٥
 محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحسيري ؛ ٤ ،
 ١٣٤
 محمد بن عبد الولي الرعيني ؛ ٣٣
 محمد بن علي بن أبي الطائفة القشيري ؛ ٤٠٢
 محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي ؛ ٢٢٨
 محمد بن علي بن فرح القربلياني ؛ ١٧٩
 محمد بن علي الكلابي (وارياش) ؛ ٩٧
 محمد بن علي بن محمد البانسي ؛ ٣٨
 محمد بن علي بن هاني النساني ؛ ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٥٢ ، ١٩٩
 محمد بن علي بن وهب القشيري ؛ ٢٤٧
 محمد بن علي بن يوسف السكوتي ؛ ١٨٢

المأمون ، الخليفة الموحدى ؛ ٣٨٥ ، ٥٢٢
 مبارك العامري ، الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
 محمد بن إبراهيم العبدري الآبلي ؛ ٢٦٩
 محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري ؛ ٢٢٩
 محمد بن أبي اسحق السلمي البلفيقي ؛ ٢٥١
 محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي ؛ ٤٦
 محمد بن أبي يوسف ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد الأنصاري (المواق) ؛ ٢٣٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم النلمساني الأنصاري ؛
 ٢٠٠
 محمد بن أحمد بن إبراهيم الزبير ؛ ١٥٦
 محمد بن أحمد ... بن يوسف العراقي ؛ ٢٦٨
 محمد بن أحمد الحسني ؛ ٣٢٨
 محمد بن أحمد بن خلف النساني (القلبي) ؛
 ١٥٨ ، ٣٤٤
 محمد بن أحمد الدوسي ؛ ١٥٩
 محمد بن أحمد الرقوتي المرسي ؛ ٦٧ ، ١٦١
 ٢٥٧
 محمد بن أحمد الشامي ؛ ٥٤٢
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن خميس الأنصاري ؛
 ١٨٤
 محمد بن أحمد بن عبد الله الدلار ؛ ١٨٦
 محمد بن أحمد بن محمد النساني ؛ ٦٤ ، ٦٥
 محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري ؛ ٢١٧
 محمد بن أحمد المراكشي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن يوسف بن حميد المناشي ؛
 ٢٤٥
 محمد بن بكر بن حزب الله ؛ ١٨٩
 محمد بن جابر بن حسان التميمي ؛ ١٦٣
 محمد بن الحاج التجيبي ؛ ٦٩
 محمد بن الحسن بن أحمد الأنصاري ؛ ١٩٠
 محمد بن الحسن بن زيد الغانقي ؛ ٢٠٧
 محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري ؛
 ٧٤

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الحلواني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحمد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاة ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكلحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البدوي ؛ ٨١
محمد بن محمد البكري ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الغانقي ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سويرة المري ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عيد الرحمن الأنصاري الساحلي ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي ؛ ٢٠١٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسي المومياقي ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحي ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكتافي ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإليبري ٣٦١

؛ بن الواثق ؛ ٣٣٦
محمد بن وضاح ؛ ٥٤٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢
محمد بن يحيى الباهلي ؛ ٣٢٧ ، ٣٢٨
محمد بن يحيى العبدري ؛ ١٥٤
محمد بن يحيى بن عبد الله العزفي ؛ ٤ ، ٣ ، ٤
١١
محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي الإليبري ؛
١٨٣ ، ١٨٤
محمد بن يوسف ... بن حيان النفزي ؛ ٤٣
محمد بن يوسف بن الأحمر (الغني بالله) ؛
٣٧٦ ، ٥٣٠
محمود الخراساني ، أبو المعالي ؛ ٥١٨
المختار بن أبي عبيد الثقفي ؛ ٣٤٦
المخزومي الأعمى الشاعر ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
المرتضى بالله ، الخليفة الأموي ؛ ٢٨٦ ،
٢٩٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧
مزدك بن تيولتكان الصنهاجي ؛ ٢٧٤
مزقة أم عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٥
مساعدة بن أحمد بن مساعده ؛ ٥٤٣
مسلم ، الإمام ؛ ١٣٢
مسلم بن سعيد التنملي ؛ ٣٣٠
المطرف بن عبد الله بن محمد ؛ ٤ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٥٥٠
مطرف بن عيسى ؛ ٥٥٠
مظفر العامري ، الأمير ؛ ٢٩٢ ، ٢٩٣
معاوية بن هشام ؛ ٢٨٠
المعتمد بن عباد ؛ ٢٩٩
مقاتل بن عطية البرزالي ؛ ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٠١
المقرئ ، شهاب الدين أبو العباس ؛ ٣
مكي بن أبي طالب ؛ ٤٦٣
منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى ؛ ٢٧٦
منذر بن سعيد البلوطي ؛ ٤٦٥
المنذر بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٤٦٠

محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري (الشديد)
١٩٦
محمد المكودي ؛ ١٧
محمد بن محمد بن إبراهيم الحلواني الشريشي ؛
١٦٧
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (السواس) ؛ ٢٣٣
محمد بن محمد بن أحمد الطبري ؛ ٢٤٧
محمد بن محمد بن أحمد المقرئ ؛ ٣٩٥
محمد بن محمد بن إدريس بن مالك القضاة ؛
٤١٥ ، ٧٦ ، ٧٥
محمد بن محمد بن الأكلحل ؛ ٢٠٤
محمد بن محمد البدوي ؛ ٨١
محمد بن محمد البكري ؛ ٢٣٢
محمد بن محمد بن جسان الغانقي ؛ ٢٠٨ ، ٢٠٧
محمد بن محمد الرياح ؛ ٩٢
محمد بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ٢٠١
محمد بن محمد بن سويرة المري ؛ ١٦٨
محمد بن محمد بن عيد الرحمن الأنصاري الساحلي ؛
١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩
محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي ؛ ٤٠١
محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي ؛ ٢٠١٨
محمد بن محمد عيشون ؛ ٣٤٩
محمد بن محمد بن قسي المومياقي ؛ ٢٦٨
محمد بن محمد بن محارب الصريحي ؛ ٧٨
محمد بن محمد بن لب الكتافي ؛ ٧٩
محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي ؛ ١٩٤
محمد بن محمد بن نصر ؛ ٣٨٢ ، ٣٨٣
محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ؛
١٩١
محمد الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٤١٦ ،
٤٧٤
محمد بن هاني ؛ الإليبري ٣٦١

- السلطان ؛ ٥ ، ١٨٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،
٣٤٧ ، ٥٣٧
هاشم بن خالد ؛ ١٨٣
هرانده بن شانجه بن الهنشه ؛ ٣٣٨
هلال بن سنان الأزدي ؛ ٩٣
وهب بن مسرة الحجاري ؛ ١٧٣
يحيى بن أبي طالب المزني ؛ ٨٩ ، ٥٣٧
يحيى بن رحو بن مسطى ؛ ٥٣٢
يحيى بن غانية اللمتوفى ؛ ٥ ، ٥٧ ، ٥٧١ ،
٥٧٩
يحيى الجريطي ؛ ٤٠٧
يحيى بن يحيى ؛ ٣٨٦
يزيد بن معاوية ؛ ٣٤٦
اليسر بن عبد الله القشيري ؛ ٤٤
يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٢١٥ ،
٤١٦ ، ٥٤١
يميش بن القديم ، أبو البقاء ؛ ٨٦
يوسف بن إبراهيم الجذامى الشاطبي ؛ ١٦٤
يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٢٢١
يوسف بن تاشفين ؛ ٢٧٥ ، ٣٣١ - ٣٣٣ ،
٣٨٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ؛ ٤٦٩
يوسف بن موسى المنتشافرى ؛ ٣٧٥
يونس بن مغيث ؛ ٧١ ، ٨٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣ ،
- منذر بن يحيى التحجبي ؛ ٢٨١
المنصور بن أبي عامر ؛ ٢٨١ ، ٢٩٢
منصور بن أحمد المشدالي ، ١٥٧ ، ٣٢٧ ،
منصور بن دلا ؛ ٤٧٨
منصور بن علي بن عبد الله الزواوى ؛ ٣٢٤ ،
٣٢٧ ، ٣٢٩
منصور بن عمر ... بن يعقوب بن عبد الحق ؛
٢٩٨
موسى بن أبي تليد ؛ ٤٦
موسى بن أبي الحسن الأزدي ؛ ٤٠٢
موسى بن حدير ؛ ٤٦٥
موسى بن رحو ؛ ٢٧٦
موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن ؛
٢٧٥
موسى بن نصير ؛ ٥٢٥
موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن
(أبو حمو) ؛ ٥ ، ٢٨١ ، ٣٣٦
المهلب بن أحمد بن أبي صفرة ؛ ٣٠٣
مؤمل مولى باديس ؛ ٣٣١ - ٣٣٣
مؤمل بن رجا بن عكرمة العقيلي ؛ ٣٠٢
ناصر الدين المشدالي ؛ ١٧٥ ، ٢٤٠ ، ٥٤٧
نزهون بنت القليجي ؛ ٢١٦ ، ٣٤٤
نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهرى ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
نصر بن محمد بن محمد الخزر جي الأنصارى ،

كامل طبع المجلد الثالث من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر » بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الخامس عشر من رمضان المعظم سنة ١٣٩٦ هـ الموافق
لليوم التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٦ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y PortugaI
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib ;etc

Vol. III

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo -/1976

الأخطار في أخبار غزواتنا

لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حقق نصه ووضع، قلمته وحواشيه

محمد عبد الله عياني

المجلد الرابع

الناسخ: مكتبة الحاجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1977

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الرابع والأخير من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نختتم به بحمد الله، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى.

ويضم هذا المجلد بقية السفر العاشر من «الإحاطة» إبتداء من ترجمة (عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد الحضرمي)، الواردة في اللوحة 276 إسكوريال. وينتهي هذا السفر في اللوحة 337 إسكوريال بترجمة (علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري). محتويًا على أربع وخمسين ترجمة. ويتلوه السفر الحادي عشر في اللوحة 338 إسكوريال مبتدئًا بترجمة (عمر بن علي ابن غفرون الكلبي)، ومنهياً في اللوحة 415 إسكوريال بترجمة (يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري) المعروف بابن الصيرفي، ومحتويًا على خمس وستين ترجمة. ثم يتلوه السفر الثاني عشر والأخير في اللوحة 420 إسكوريال، مبتدئًا بترجمة (يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي) ومنهياً في اللوحة 424 بترجمة (يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى)، ومحتويًا على ثمان تراجم فقط، وهو بذلك يعتبر أصغر أسفار «الإحاطة». وبه يختتم كتابه الإحاطة بعبارة: «كل كتاب الإحاطة» في بداية اللوحة 425 إسكوريال، محتويًا في مجلداته الأربعة على أربعمائة وثلاث وتسعين ترجمة، وعلى عشرات الوثائق التاريخية، والرسائل والظواهر السلطانية. الأندلسية والمغربية، ومئات القطع من مختار المنظوم والمنثور.

ثم تبدأ بعد ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه. في قسم مستقل، مبتدئًا باللوحة 425 إسكوريال، ويفتحه ابن الخطيب بقوله «يقول مؤلف هذا الديوان، تعمد الله خطله في ساعات أضعافها. وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدلها للهو لما باعها» ومنتهياً باللوحة 500، تتبعها لوحة أخرى 501، وبها فصيحة أوردناها أتمة لختم المخطوط.

وقدر جمعنا في تحقيق هذا المجلد الأخير من « الإحاطة » إلى المخطوطات الآتية :
 أولاً - مخطوط « المكتبة الزيدانية » المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو
 بالإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .
 ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بـ نس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية
 التونسية . الجزء الثالث ؛ ويحمل رقم 8136 .

ثالثاً - مخطوط السفر الثالث من كتاب « نفاضة الجراب في علالة الاغتراب »
 المحفوظة بمخزاة الرباط العامة برقم 256 ك (المكتبة الكتانية) .
 رابعاً - مخطوط كتاب « ريحانة الكتاب » المحفوظ بمكتبة الإسكوريال
 برقم 1825 الغزيري ، وكذلك مخطوط « الريحانة » المحفوظ بالمخزاة الملكية
 بالرباط برقم 2195 .

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق ، إلى جانب هذه الأصول المخطوطة ، على
 عدة من المراجع الجامعة ، مثل « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » للمقرئ ،
 و « الذيل والتكملة » للقاضي ابن عبد الملك المراكشي ، و « جذوة الاقتباس »
 لابن القاضي ، و « التعريف بابن خلدون » ، و « صبح الأعشى » لأبي العباس
 القلقشندي وغيرها .

ويمتاز هذا المجلد الرابع والأخير من « الإحاطة » بأمرين ، الأول بالاستيعاب
 والتبسط في التراجم الواردة به ، حيث تشغل تراجمه المائة سبع وعشرون ،
 مائة وخمسين لوحة مزدوجة من المخطوط ، أعني ثلاثمائة صفحة حاشدة منه ،
 وهو ما لم يتوفر في المجلد الثالث حسبما سبق أن شرحناه في مقدمته . والثاني باحتوائه
 على عدد كبير من التراجم الهامة سواء ، من رجال التفكير والأدب ، أو من
 رجال التاريخ .

ويمكننا أن نذكر من رجال الصنف الأول ، عبد المهيمن الحضرمي ،
 وعبد الحق بن سبعين العكي ، وابن الباذش الأنصاري ، والإمام ابن حزم
 القرطبي (علي بن أحمد بن سعيد) ، وابن الجياب (علي بن محمد بن سليمان
 الأنصاري) ، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، وأبو الربيع بن سالم
 (سليمان بن موسى) ويحيى بن هذيل التجيبي .

ومن رجال الصنف الثاني . عمر بن حفصون ، وعلى بن حمود الحسني ، وعلى بن يوسف بن تاشفين ، وسوار بن حمدون بن عبده ، وسليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وسليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، ويحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، ويوسف بن تاشفين ، ويوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ويوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، وعدة من أمراء بني نصر ملوك غرناطة ، منهم السلطان يوسف أبو الحجاج ، وولده محمد الغني بالله . وقد خص ابن الخطيب هذه المجموعة من رجال التاريخ الأندلسي والمغربي بترجم قوية ، تغلب عليها الصبغة التاريخية التقليدية . وضمنها كثيراً من الوقائع والوثائق ، التي يجد فيها المؤرخ مادة غزيرة نفيسة .

وأما عن الترجمة التي خص بها ابن الخطيب نفسه . والتي تلت السفر الثاني عشر من «الإحاطة» ، فهي في الواقع ترجمة موجزة . ولكن بليغة قوية ، تتناول نسبه ، ونشأته ، وحياته العامة ، وتقلده الوزارة للسلطان يوسف أبي الحجاج ثم لولده الغني بالله ، ونكبته حينها وقعت الثورة وفقد الغني بالله عرشه ، وهجرته إلى المغرب ، وانضواءه تحت حماية سلاطينه . ثم عوده إلى تولى الوزارة بعودة الغني بالله إلى ملكه في سنة ٧٦٣ هـ ، وسيرته في الوزارة بمنتهى الإيجاز ، ثم مشيخته ، ومؤلفاته ، وإيراده لمجموعة من عيون قصائده . ومنها عدة في الأمداح النبوية ، وعدة كبيرة من المقطوعات الشعرية . في مختلف الأغراض . وعدد من الرسائل والمراسيم (الظهاثر) التي صدرت إليه ، ورسائل عن بعض فتوح مليكه ، وبعض رسائل خاصة . ويختتم ابن الخطيب ذلك كله بإيراد المقامة التي وضعها في «السياسة» وبها يختتم مخطوط الإسكوريال .

بيد أنه قد فات ابن الخطيب ، أن يحدثنا في ترجمته عن جهوده السياسية ، وقد تولى تدبير شؤون مملكة غرناطة ، وتوجيه سياستها زهاء ثمانية أعوام متواصلة . وقد كان بوسعه أن يقدم إلينا أعضاء كثيرة عن علائق مملكة غرناطة ، بجاراتها الكبيرة مملكة قشتالة النصرانية ، وقد كان السلام بسود بين المملكتين طوال اصنلاعه بأعماء الوردارة ، وما من شك في أن ذلك كان راجعاً إلى جهوده السياسية في هدمنة مملكة النصرانية . وحط ودعا . أما عن سياسة مملكة غرناطة

إزاء المغرب وسلاطين بني مرين ، فقد تناولها ابن الخطيب في العديد من رسائله السلطانية ، وشرح لنا الكثير من جوانب اعتمادها على نصرة المغرب ، ونزعة سلاطينه في احتضان قضية الأندلس ، واعتبارها نوعاً من الجهاد . وقد ألفت الرسائل التي تضمنها كتابه «نفاضة الحراب» ، وكتابه «كناسة الدكان» الكثير من الضوء على هذه العلاقات الأندلسية المغربية .

هذا وقد جرينا في هذا المجلد الختامى لكتاب «الإحاطة» على نفس الأسلوب الذي اتبعناه في المجلدات السابقة ، من التعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية الواردة به ، أو الإحالة على ما تم التعريف به منها في المجلدات السابقة ، وذلك نظراً لسبق التعريف بالكثير منها ، وتحاشي التكرار في ذلك .

وإننا لرفع إلى المولى القدير أكف الضراعة والحمد ، إذ وفقنا إلى إخراج هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى ، بعد أن بذلنا في إعدادها وتحقيقها جهوداً شاقة ، استمرت أعواماً طويلة في مدريد والإسكوريال والرباط وفاس وتونس والقاهرة ، ورجين أن تكون ذخيرة جليلة بين أيدي طلاب البحوث الأندلسية والمغربية .

القاهرة في ١٦ شوال سنة ١٣٩٦

الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٦

محمد عبد العنان

رموز المخطوطات

نشير إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا الجاد الرابع من «الإحاطة»
في حواشي الكتاب على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ برقم ١٦٨٨ الغزيرى ،
ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة «الإسكوريال» .
- ٢ - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية ،
برقم 8136 (الجزء الثالث) ونرمز له بكلمة «الزيتونة» .
- ٣ - مخطوط كتاب «ريحانة الكتاب ونجمة المتاب» ، المحفوظ بمكتبة دير
الإسكوريال برقم 1825 الغزيرى . وكذلك مخطوط نفس الكتاب ، المحفوظ
بالخزانة الملكية بالرباط برقم 2195 ، ونرمز له بكلمة «الريحانة» .
- ٤ - مخطوط السفر الثالث من كتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»
المحفوظ بخزانة الرباط العامة برقم 256 ك ، ونرمز له بكلمة «النفاضة» .

الإحاطة
في أخبار غرناطة

—
المجلد الرابع

ومن الذرياء

عبد المهيمر بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن
عبد الله بن محمد الحضرمي

يكنى أبا محمد ، شيخنا الرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب .

حاله

من «عائد الصلة» : كان رحمه الله خاتمة الصدور، ذاتاً وسلماً وتربية وجمالة . له القِدْحُ المغلّي في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصليين ، والإمامة في الحديث ، والتبّير في الأدب والتاريخ واللغة ، والعروض والمُماصة في غير ذلك . نشأ فارس الحلبية ، وعروس البولية ، وصدر المجلس ، وبيت القصيد ، إلى طيب الأبوة . وقَدَم الأصاله ، وفضل الطُعمه ، ووفور^(١) الجاه ، والإغراق في النعمة . كثير الاجتهاد والملازمة ، والتفنن والمطالعة ، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة ، إلى أن دعتة الدولة المرينية بالمغرب ، إلى كتابة الإنشاء ، فاشتملت عليه اشتمالا ، لم يفضل عنه من أوقاته ، ما يلتبس فيه ما لديه . واستمرت حاله ، موصوفا بالنزاهة والصدق ، رفيع الرتبة ، مَشِيد الحُظوة ، مشاركاً للضيف فاضلا . مُختَصِر الطُعمه والحليّة ، يغلب عليه ضَجْر يكاد يُخلُّ به ، متصل الاجتهاد والتقييد ، لا يفتّر له قلم . إلى أن مضى بسبيله .

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» من تأليفنا بما نصه : تاج المَفْرِق
وفخر المغرب على المشرق . أطلع منه نور أضاعت الآفاق . وأثرى منه

(١) وردت و الإسكوريال (ووفوه) وهو تحريف اقتضى التصويب

بذخيرة حَمَلت أحاديثها الرفاق . ما شئت من مجد سأمى المصاعد والمراقب ،
عزيز عن لحاق المجد الثاقب ، وسَلَفِ زُيْنَت سماؤه بنجوم المناقب . نشأ
بسبته بين علم يُفِيدُه ، وفخر يُشِيدُه ، وطهارة يَلْتَحِفُ مَطَارِفَهَا ، ورياسة
يتفياً وارِفَهَا ، وأبوه رحمه الله قُطِبَ مدارها ، ومُقام حَجَّها واعْتِمَارها ،
فسلك الوُعوث من المعارف والسُّهول ، وبدَّ على حدائث سنه الكهول ،
فلما تحلَّى من الفوائد العلمية بما تحلَّى ، واشتهر اشتها الصباح إذا تجلَّى ،
تنافست فيه همم الملوك الأخابر ، واستأثرت به الدول على عاداتها في
الاستِثثار بالدُّخابر ، فاستقلَّت بالسياسة ذراعه ، وأخدم الذوابل والسيوف
يراعه ، وكان عَيْنَ المَلِكِ التي بها يُبصر ، ولسانه الذي به يُسهب أو
يختصر . وقد تقدَّمت له إلى هذه البلاد الوفادة ، وجلَّت به عليها الإفادة ،
وكتب عن بعض ملوكها ، وانتظم في عقودها الرِّفِعة وسلوكها ، وله
في الأدب الرأية الخافقة ، والعقود المُتناسقة .

مشيخته

قرأ بببلده [سبته] على الأستاذ الإمام أبي إسحق الغافقي المديوني ،
وعلى الأستاذ المُقرى أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن
الطيب ، والأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي ، وعلى الأستاذ
العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني ، وعلى ابن خال
أبيه الأمير الصالح أبي حاتم العزقي ، والعدل الرضا أبي فارس عبد الرحمن
ابن إبراهيم الجزيري .

وقرأ بقرناطة على الشيخ العلامة أبي جعفر بن الزبير ، وروى عن
الوزير الراوية أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤدس وعلى الأستاذ أبي بكر
القللوسي . وأخذ عن الشيخ الورير أبي الوليد الحضرمي القرطبي . وعالقة

عن الإمام الولي أبي عبد الله الطنَّجاني ؛ وبيبلش عن الخطيب الصالح
أبي جعفر بن الزيات ، وعن الخطيب أبي عبد الله بن شعيب المروى ،
والعلامة أبي الحسين بن أبي الربيع ، وأبي الحكم بن منظور ، وابن الشَّاطِ
وابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرطال ، وابن ربيع ، وابن البتَّا ،
وسميهِ ابن البتَّا الملقى ، وابن خميس النحوى ، وأبي أمية بن سعد
السُّعود بن عُفير الأمدى . هؤلاء كلهم لقيهم وسمع منهم ، وأجازوا له
ما عندهم . ومن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل المغرب ، الأستاذ
أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصارى التلمساني ابن الدراج ، والكاتب
أبو علي الحسين بن عتيق ، وتناول تواليفه ، والأديب الشهير أبو الحكم
مالك بن المُرَّحَل ، والشريف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الشرف
الحسيني ، وأبو بكر بن خليل السُّكوني ، وأبو العباس المطري ، والجزَّاري ،
وشرف الدين بن معطى ، وابن الغمَّاز ، وابن عبد الرفيح القاضي ،
وأبو الشمل جماعة بن مهيب ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التُّجاني
وأبناء عمه عمر وعلى ، وابن عَجَلان ، ومحمد بن إبراهيم القيسي السلولى
ومحمد بن حماد اللبيدي ، وابن سيد الناس ، وابنه أبو الفتح ، وابن
عبد النور ، والمومنانى ، والخطيب ابن صالح الكتَّاني ، وابن عياش المالتى ،
والمِشدالى ، وابن هرون ، والخلاسى ، والدبَّاغ ، وابن سِماك ، وابن
أبي السُّداد ، وابن رُزين ، وابن مَسْتَقور ، وأبو الحسن بن فضيلة ،
وأبو بكر بن مُحزَز . وكتب له من أهل المشرق جماعة منهم : الأبرقيشى
وابن أبي الفتح الشيباني ، وابن حمادة ، وابن الطاهري ، وابن الصابوني ،
وابن تيمية ، وابن عبد المنعم المفسر ، وابن شَيْبان ، وابن عساكر ،
والرضي الطبري ، وابن المخزومي ، وابن النحاس . قلت من أراد استيفاءهم

ينظر الأصل . فقد طال على استيعاء ما ذكره الشيخ رحمه الله وقد ذكر جماعة من النساء ، ثم قال بعد تمام ذلك ، ولو قصدنا الاستقصاء لضاق عن مجاله المتبع .

شعره

وشعره مُتخَلٌّ عن محلّه من العلم والشهرة ، وإن كان داخلا تحت طور الإجابة .

فمن ذلك قوله ^(١) :

تراعى سُحَيْرًا والنسيم عليل	وللنجم طَرْفٌ بالصباح كليل
وللفجر بحر خاضه الليل فاعْتَلت	شَوَى أدهم الظلماء منه خجول
بُرَيْقٍ بِأَعْلَى الرَقْمَتَيْنِ كَأَنَّهُ	طلائع شهبٍ في السواد تجول
فمزقٌ ساجى الليل منه شرارة	وخرقٌ سِتر الغيم منه نُصول
تبسم ثغرُ الروض عند ابتسامه	وفاضت عيون للغمام هُمُول
ومالت غصون البان نشوى كأنها	يُدار عليها من صباه ^(٢) شمول
وغنّت على تلك الغصون حمايمٌ	لهن حفيف فوقها ^(٣) وهدييل
إذا سَجعت في لحنها ثم قرقرت	يطيح خفيفٌ دوها وثقيل
سقى الله ربحا لا تزال تشوقني	إليه رسوم دوهه وطلول
وجاد رياه كلما ذر شارق	من الودق هتان أجشٌ هطول
ومالى استسقى الغمام ومدمعى	سفوحٌ على تلك العراض هُمُول
وعاذِلَةٌ ظَلت ^(٤) تلوم على السرى	وتكثر من تَعذالها وتطيل

(١) واضح من خلال القصيدة أنها مديح من الشاعر للوزير لكتاب والشاعر الكبير ، ابن الحكيم

الرندي .

(٢) وردت في نيسابور (ح) ، غصون من سح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريان والنهي ، وفي بعض آخر (دوها)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريان وفي النسخ (بائت)

ونأى على ما خيلت ورحيل
 سناء وتبقى الذكر وهو جميل
 نحيلاً فحد المشرفي نحيل
 تزين وفي قد القناة ذبول
 ولا بات منه للسعود نزيل
 لما كان نحو المجد منه وصول
 لأصبح ربيع المجد وهو محيل
 وليس له إلا النجوم قبيل
 هضاب وأما في الندى فسيول
 وطابت فروع منهم وأصول
 مرتها شمال مرجف وقبول
 من البرق عنها للعيون كلول
 شقاشقها عند الهياج فحول
 إذا ما توالى للسنين محول
 يتم عليها إذخِر وجليس
 تعطر منها للنسيم ذبول
 ترددها أجفانها وتحيل
 تفاقم خطب للزمان يهول
 تفوت يداً من رامها وتطول
 ونائل يُمنالك الكريمة نيسل

تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربة
 ذريني أسعى لنتي تكسب العلا
 فلما تريني من ممارسة الهوى
 وفوق أنابيب البراعة صفرة^(١)
 ولولا السرى لم يُجتل البدر كاملاً
 ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
 ولولا نوال ابن الحكيم محمد
 وزير سما فوق السماك جلالة
 من القوم أما في الندى فإنهم
 حووا شرف العلياء إرثاً ومكسباً
 وماجونة هطالة ذات هيدب
 لها زجل من رعدھا ولوامع
 كما هكرت وسط القلاص وأرسلت
 بأجود من كف الوزير محمد
 ولولا روضة بالحسن^(٢) طيبة الشذا
 وقد أذكيت للزهر فيها مجامر
 وفي مقل النوار للظل عبيرة
 بأطيب من أخلاقه الغر كلسا
 حويت أبا عبد الآه مناقبها
 فغرناطة مصر وأنت خصيبها

(١) هكذا والإسكوريال وفي النسخ (صموة).

(٢) وردت في الإسكوريال (بالجزء) والتصويب من النسخ وهو أنسب للسياق.

فذاك رجالٌ حاولوا دَرَكُ العِلا
تخِيرُكَ المولى وزيراً وناصحاً
وَأَلقى مقاليد الأُمور مُفوضاً
وقام بحفظ المُلْكِ منك مؤيدٌ
وساس الرعايا منك أروع^(١) باسل
وأبْلجُ وقَّاد الجبين كأنما
تَهيم به العلياء حتى كأنها
له عَزَمات لو أُعير مضاءها
سَرَى ذكرُهُ في الخافقين فأصبحت
وأعدى قريضي جودُهُ وثناؤهُ
إليك أيا فخر الوزارة أَرَقَلت
فَلَيْتُ إلى لقياك ناصية الفلا
تسدُّدُنِي سهماً لكل ثنيَّة
وقد لَفَطَتُنِي الأَرْضَ حتى رَمَت إلى
فَقِيدت أفراسي به وركائبي
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة
ويَهوى^(٤) العَلا حَظِي وَيُغْرَى^(٤) بضدِّ
وتأبى لي الأيام إلاَّ إدالسة

بُبْخِلِي وهل نال العلاء ببخيل
فكان له مما أراد حصول
إليك فلم يَعمد يمينك سُول
نَهوضُ بما أعيأ سواك كفيل
مُبِيد العِدا للمعتفين مُنِيل
على وجنتيه للنُّضار مَسِيل
بُشَيْنته في الحبِّ وهو جميل
حُسامٌ لما نالت ظُباه فُلُول
إليه قلوب العالمين^(٢) تميل
فأصبح في أقصى البلاد يجول
بِرَحْلي هوجاء النجاء ذلول
بأيدي ركاب سيرهُنَّ ذَمِيل
ضوامرُ أشباه القسيِّ نحول
ذراك برَجْلي هوجلُّ وهَجُول
ولذَّ مقامٌ لي به وحُلُول
عليها لأحداث الزمان ذحول^(٣)
لذاك اعترته رقةٌ ونحول
فصونك^(٥) لي إن الزمان مُدِيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (أشوس) .

(٢) وردت في الإسكوريال (العلمين) . والتصويب من النسخ .

(٣) وردت في الإسكوريال (دخول) وفي النسخ (دحول) . والتصويب أنسب للسياق .

والذحول الحقد والمداورة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (. تهوى . وتقرى) .

(٥) وردت في الإسكوريال (بصونك) والتصويب من النسخ .

فكل خضوع في حملك عرة^(١) وكل اعتزاز قدعدك خمول

وهي طويلة . ومن شعره [في الحنين إلى وطنه سبتة]^(٢) .

وسقى ثرى سبتة بين البلاد وعهدتها المحبوب صوب العهاد
 وجاد منهل الحيا زبعها وبوبله تلك الربى والوهاد
 وكم لنا في طور سينائها من رائح الأنس في إثر غاد
 وعينها البيضاء كم ليلة بيضاء فيها قد خلت لو تعاد
 وبالمنارة التي نورها لكل من ضل دليل وهاد
 نروح منها مثلما نغتندي للأنس والأفراح ذات ازدياد
 في فتية مثل نجوم الدجى ما منهم إلا كريم جواد
 ارتشفوا كأس الصنا بينهم وارتضعوا أخلاف محض الوداد
 وبالأيام بنيولش^(٣) لقد عدت عنها صروف العواد
 أدركت من لبي بها كلما لبانة وساعدتني سعداد
 ونلت من لذات دهرى الذى قد شيبته وللأمانى انقياد
 منازل ما إن على مبدل هاء مكان اللام فيها انتقاد
 سلوتها مذ ضمنى بعدها نادى الوزير ابن الحكيم الجواد

ومن المقطوعات قوله :

أبت همتى أن يرانى امرؤ على الدهر يوما له ذا خضوع
 وما ذاك إلا لأنى اتقيت بعز القناعة ذل القنوع^(٤)

ومن ذلك في المشط والشفة من آلات الحمام :

(١) و د د و لا تاء - (عره) والتصويب من التمج

(٢) أصف هذه بعدد من مدد

(٣) سوس - نسخة حملة من صواحي سنته

(٤) هكذا وردت في الإنسكوريةا . وفي بعض آخر (الخشوع)

إني حسدت المشط والنشف الذي لهما مزايا القرب دوني مُخلصه
فأناملُ من ذا تباشر صدغه ومراشفُ من ذا تقبّلُ أخصمه

نثره

وقع هنا بياض مقدار وَجْهَة في أصل الشيخ .

مولده

ولد ببليده سَبْتَة في عام ستة وسبعين وستماية .
وتوفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعماية
في وقية الطاعون العام ، بعد أن أصابته نوبة من مخدومه السلطان
أبي الحسن^(١) . ثم استعّبه وتلطف له . وكانت جنازته مشهورة ، ودفن
بالزلاج من جبانات خارج تونس رحمه الله .

عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذوي

نزيل مرا كش .

حاله

من كتاب « المؤتمن »^(٢) ، قال ، كان شاعراً مُكثراً ، سهل الشعر ،
سريعه ، كثيراً ما يَسْتَجِدِي به ، وكان يتقلّد مذهب أبي محمد علي بن حزم
الفقيه الظاهري ، ويصول بلسانه على من ناقره . دخل الأندلس ، وجال

(١) الإشارة هنا إلى السلطان الكبير أبي الحسن المريني ، على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق .
تولى عرش المغرب سنة ٧٣١ هـ وتوفي سنة ٧٥٢ هـ . وكان من أعظم ملوك بني مرين همة وعزماً وصيتاً
وجهاداً في الأندلس . وقد أشار المقرئ في نفع الطيب إلى ذلك الحادث الذي أساء فيه السلطان أبو الحسن
مخاطبة كاتبه عبد المهيم الحضرمي (ج ٣ ص ٢٤٣)

(٢) هو من تأليف أبي البركات بن الحاج . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من
الإحاطة ص ٣٧٢ حاشية) .

في بلادها . بعد دخوله مراکش . وكان أصله من بلنوذ . ورد مالقة أيام
قضاء أبي جعفر بن مسعدة ، وأطال بها لسانه ، فحمل عليه هنالك حملاً
أذاه ، إلى أن كان مآل أمره ما أخبرني به شيوخ مالقة ، وأنسيته الآن ،
فتوصل إلى مآل أمره من جهة من بقى بها الآن من الشيوخ ، نقلت اسمه
ونسبه من خطّه .

شعره

أما على ذى شرك	في صيدنا من درك
تصيدنا لواحظ	وما لها من حرك
والبدر إن غاب فمَنُ	يجلو ظلام الحلك
قد تاب القلب فما	يدرى إن لم تدرك
عدا السقام أو عدا	وعد الذي لم يَأفك
أو لن يكن جِلُّ دَمِي	فلتُبْطِي أو أترك
حاربتُ من لا قدرة	لديه في المَعْتَرِك
يفلُّ غزْبَ سيفه	سيفُ لِحاظِ فتك
يا لفتى يا قبلى	يا حَجَّتِي يا نَسك
إن عَظُمَ الحزن فما	أرجل حسن فلك
أو أهليت الحى	فلا بن عبد الملك
خطيب ومُران للذى	سَلَّك على سلك
رُكن التُّقَا محمد	ذو النبل والطبع الزُّك
منهردُ في جوده	بماله المشترك
يا فوق هذا بابُه	فهو أجَلُ مَبْرِك
وَأنتِ يا حادية	مَرُبتِ ما أسعدك

فبِرْكِي وكبْرِي وابسركي وبِرْك
 فقد أتَيْنَا بَشْرًا له صفات الملك
 كفك يَهْمِي مَلَكَتْ كأنها لم تملك
 قصيدتي لو لم تنل منك حُلِّي لم تُسَبِك
 أبكيت ديمة النداء فزهرها ذو ضحك
 لكنني يا سيدي من فاقتي في شَرِك

وشعره على هذه الوتيرة . حدثني أبي ، قال رأيت رجلاً طوالاً ، شديد الأذمة ، حليق الرأس ، دمينه ، عاربه ، كثير الاستجداء ، والتهاثر مع المحابين من أدباء وقته ، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهده .

وفاته

من خط الشيخ أبي بكر بن شيرين ، وفي عام سبعة وتسعين وسبعمائة توفي بفاس الأديب عبد المهيمن المكناسي ، المكنى بأبي الجيوش البلنودي ، وكان ذا هدر وخرق ، طوفاً على البلاد ، ينظم شعراً ضعيفاً ، يستمنح به الناس ، وآلت حاله إلى أن سعى به لأبي فارس عزوز الملزوزي ^(١) الشاعر ، شاعر السلطان أبي يعقوب وخديمه ، وذكر له أنه هجاه ، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه ، ثم ضربت عنقه صبراً ، نفعه الله ^(٢)

^(٣) عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي

من أهل العُدوة الغربية ، يكنى أبا فارس . ويعرف بعزور .

(١) وردت في الإسكوريال (الملزوزي) وهو تحريف اقتضى التصويب حينما يتبين بعد

في ترجمته التالية

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة

(٣) وردت هذه النسبة في مخطوط الإسكوريال كالأثر (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد =

حاله

كان شاعراً مكثراً سيال القريحة ، مُنحطُ الطبقة ، مُتَجَنِّداً ، عظيم الكفاية والجرأة ، جسوراً على الأُمرا ، علق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم ، ووقف أشعاره عليهم ، وأكثر النظم في وقايهم وحروبهم ، وخطب المُعَرَّبَ باللسان الزناتي في مخاطباتهم ، فعُرف بهم ، ونال عريضاً من دُنياهم ، وجماً من تقريبيهم . واحتل بظاهر غرناطة في جُملة السلطان ، أمير المسلمين أبي يعقوب ، وأمير المسلمين أبيه ، واستحق الذكر بذلك .

شعره

من ذلك أرجوزة نظمها بالخضراء في شوال سنة أربع وثمانين وستائة ، ورفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، سماها : « بنظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك » لم يقصر فيها عن إجادة . ومن شعره . قال مخبراً عن الأمير أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي يوسف :

دعاني يوماً والسماقدارتدت بالسحاب والغيث يبكي بالدموع السواكب
كأنه عاشقٌ صُدُّ عنه حبيبه ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبه
ولم يُرَقْ له مدمع كأنه لم يبق له فيه مطمع
فكان الوعدُ حَسْرَتَه والبرق لَوَعَتَه وزَفْرَتَه
فقال لي ما أحسن هذا اليوم لو كان في غير شهر الصوم
فاقتَرَحَ غاية الاقتراح عليَّ وقال قل فيه شعرا بين يدي

== (المزوى) وهو تحريف الصواب ما أثبتناه نقلاً عن أقدم مخطوط لأرجوزة الشاعر المسماة (نظم السلوك) وقد نشرت محققة بعناية العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، ووردت في صدره نسخة المخطوط التي تحمل الاسم الصحيح للشاعر (الرباط سنة ١٩٦٢) والمزوى نسبة إلى قسلة ملو عن مر بطون رتبة الكمر ،

فأنشدته هذه الأبيات :

اليوم يوم نزهة وعُقار
أوما ترى شمسَ النهار قد اختفت
والغيث سَحَّ غمامه فكأنه
والبرق لاح من السماء كأنه
لا شيء أحسن فيه من نيل المنا
لولا صيام عاقبي عن شربها
لو كان يمكن أن يُعَارَ أعرته
لكن تركت سروره ومُدَامَه حتى
ونديرها في الكأس بين نواهد
فجفونها تغنيك عن أكواسها
فشكره لما سمعه غاية الشكر ، وقال أسكرتنا بشعرك من غير سُكر .

قال ، وأتيت به هذه الأبيات :

أعلمت بعدك زفرتي وأنيبي
أودعت إذودعت وجدأفي الحشا
ورقيب شوقك حاضر مترقب
من بعد بُعدك ما ركنت لراحة
قد كنت أبكي الدمع أبيض ناصعا
قل للذين قد ادعوا فرط الهوى
إني أخذت كثيره عن عروة
هذي روايتنا عن أشياخ الهوى
يا ساكني أكناف رملة عالج
وصبابتي يوم النوى وشجون
ما إن تزال سهامه تُصميين
إن رمت صبرا بالأسى يُغرين
يوما ولا غاضت عليك شؤون
فاليوم تبكي بالدماء جفون
إن شيتم علم الهوى فسلون
ورويت سايره عن المجنون
فإن ادعيتم غيرها فأرون
ظفرت بدلببكم الغرير يمين

كم بات في جَنح المظلام مُعانق
في روضة نَمّ النسيم بعرفها
والورق من فوق الغصون ترنمت
تصغى الغصون لما تقول فتثنى
والأرض قد لبست غلايل سندس
تاهت على زهر السماء بزهرها
قال أبو فارس ، وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة
سلا ، فبوع بها ولده أبو يعقوب ، وذلك في اليوم الثاني عشر من
شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستماية ، يوم مولد النبي صلى الله
عليه وسلم ، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه :

يا ظبية الوعساء قد برح الخفا
كم قد عصيت على هواك عواذلي
حمتني ما لا أطيع من الهوى
وكسوتني ثوب النحول فمَنْظري
هذا قتيلك فارحميه فإنه
لهفى على زمن تقضى بالجمما
أترى يعود الشمل كيف عهدته
لله درك يا سلا من بلدة
قد حزت برا ثم بحراً طاميا
فإذا رأيت بها القطائع خلتها
إني صبرت على غرامك^(١) ماكني
وأتاب بالتبعيد منك وبالجمفا
وسقيتني من غنج لحظك فرقفا
ل لناظرين عن البيان قد اختفا
قد صار من فرط النحول على شفا
وعلى محل بالأجبرع قد عفا
ويصير بعد فراقه متألقا
من لم يعاين مثل حُسْنك ما اشتفا
وبذاك زدت ملاحه وتزخرُفا
طيراً يحوم على الوزود مرفرفا

(١) هكذا وردت و الإسكوريال . وفي نسخة الرباط من نظم السلوك (فراقك)

والجاذفين على الرّكيم كأنهم
جعل الصّلاة لهم ركوعاً كلّها
والموج^(١) يأتى كالجبال عبّابه
حتى إذا ما الموج أبصر حده
فكانه جيش تعاضم كثره
ملك به ترضى الخلافة والعلا
من لم يزل يسبى الفوارس في الوغى
ألقت محبته القلوب لأنه
ألقي إليه الأمر والده الذي
يعقوب الملك الهمام المجتبى
يهواه من دون البنين كأنما
طوبى لمن في الناس قبل كفه
أعظاك ربك وارتضاك لخلقه
وامدّد يمينك للوفود فكلمهم
فاليوم لا تخشى النعاج ذيابها
صلح الزمان فلا عدو يتقى
لم لا وعدك للبرية شامل
يا من سررت بملكه وعلايه
فإذا ملكت فكن وفيا حازما
وأفض بذلك للوجود وكن لهم
فالجود يصلح ما تعلم في العلا
إن البرية في يدك رمامها

قوم قد اتخذوا إماماً مُسرفاً
وأنى ليشرع في السجود مُخففاً
فتظنه فوق المنازل مُسرفاً
غصّ العنان عن السرى وتوقفاً
قد جاء مزدحماً يُبايع يُوسفاً
وبه تجدد في الرياسة ما عفا
إن سلّ في يوم الكريهة مرهفاً
ملك لنا بالجد أضحى متحفاً
عن كل خطب في الورى ما استنكفاً
الماجد الأوفى الرحيم الأرفا
يعقوب يعقوب ويوسف يوسف
والويل منه لمن غدا متوقفاً
فاقتل بسيفك من أبا وتخلفاً
لليوم عاد مؤملاً متشوقفاً
ويعود من يسطو بها متعطفاً
لم يخش خلق في علاك تخوقفاً
طبعاً وغيرك لا يزال تكلفاً
اليوم أعلم أن دهرى أنصفاً
واعلم بأن الملك يصلح بالوفا
كهفاً وكن ببعيدهم مستعظفاً
وسواه يُفسد في الخلافة ما صفاً
فاحذر فدتك إن تكون معنفاً

(٢) وردت في الإسكوريال (والموت) والتصويب من « نظه السلو »

ما زال حاسدكم يزيد تأسفاً
في نظم فخرِك كيف شا تصرِّفاً
ما شاء بصنع ناظماً ومؤلفاً
ما زارت الحجاج مرّوة والصفا

من في البرية من رجاء يُجار
فالدار لا يبقى بها دينار
يبلى الزمان وتذهب الأعمار
إن الزمان بأهله غدار
وعليهم كأس المنون تُدار
ومن اللُهود عليهم أستار
ومن اللُهود عليهم أستار^(١)

بطن الثرى حكمت بذاك عليهم الأقدار
يوم الردى والعسكر الجرار
لجميع أملاك الورى إنذار
إلا أتته منية وبسوار
والقلب فيه لوعة وأوار
أتغيبُ في بطن الثرى الأعمار
هل فيهم بعد الردى لك جار
بعلا سواك فهجرهم إنكار

يا من تسربل بالمكارم والاعلا
خذها إليك قصيدة من شاعر
خضع الكلام له فصار كعبده
لا زالت الأمجاد تخدم مجدكم
ومن شعره في رثاء الأمير أبي مالك :

سهمُ المنية أين منه فرار
حكّم الزمان على الخلايق بالفنا
عش ما تشاء فإن غايتك الردى
فاحذر مُسالمة الزمان وأمنه
وانظر إلى الأمراء قد سكنوا الثرى
تركوا القصور لغيرهم وترحلوا
قد وسدوا بعد الحرير جنادلاً

منعوا السرى للقباب وأسكنوا
لم تنفع الجرد الجياد ولا القنا
في موت عبد الواحد الملك الرضا
أن ليس يبقى في الملوك مُملك
ناديته والحزن خامر مهجتي
يا من بطن الأرض أصبح أفلاً
أين الذين عهدت صفو وداهم
تركوك في بطن الثرى وتشاغلوا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال وسابقتها في البيت السابق . والظاهر أن هناك

لما وقفتُ بقبسه مُترحِّماً حان العزا وهاجني استيعبار
فبكيتُ دمعاً لو بَكَتْ بمثاله غرُّ السحاب لم تكن أمطار
يا زائريه استغفروا لمليكم ملكُ الملوك فإنه غفار
وفاته

توفي خنقاً بسجن فاس بسعايةٍ سُعيت به ، جَناها تهوره في وسط عام
سبعة وتسعين وستماية ، وقد كان جُعل له النظر في أمور الحِسبة ببلاد
المغرب (١) .

(ومن العمال)

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
من أهل وادي آش ، نزل سلفه طُرش من أحوازها ، وجده استوطنها ،
وذكروا أنه كان له بها سبعون غلاماً . وجده للأُم أبو الحسن بن عمر
شارح الموطأ ومُسلم ، ومُصنّف غير ذلك . كذا نقلته عن أبي عبد الله
العراقي ، قريبه .

حاله

كان طبيبياً ، شاعراً مجيداً ، حسن الخط ، طَريف العمل ، مُشاركاً في
معارف . تولّى أعمالاً نبهية .

شعره

نقلته من خطّه ما نصه :

صرفت لخير صَدْرِي الزمان عريق في أصلته عِنان
كريم المُنتَمي من خير بيت سليلُ مَجَادة ورفيع شان
رحيبٌ بنا فضل غير وان عن الأفضال في هذا الأوان

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة

ومن هذا أذاك هو ابن عيسى
 أبو عبدلى إنه المنتمى من
 ذرائى فى مجادته مجبا
 فأنس ثم بشر بالأماني
 سر لله ما أولى لسير
 ويوجب ذوالفضائل كل فضل
 وكم زهر رآه وسط روض
 بمالقة وبالأقطار أضححت
 فأيدو الآله لسوف يأتى
 قواف من الحكيم قواف
 يفوق نظيمها من كل معنى
 متى خف ازدحام من هموى
 شكرت الله ثم صفا فوادى
 فهانذا ببركم غداي ولى
 محبك حيث كنت بلا سلو
 ثنائى ثابت يبقى بقاى
 وما تهب الأكف قراك فان
 هنيئا بالنزاهة فى سرور
 فلا زالت مسرته توالى

محمد المعان على المعان
 مساوى الفضل فى سرى العنان
 فهش لما به يحوى جنان
 ورفع بعد تأنيس مكان
 وليس كمن رآنى فازدران
 بما فيها ترشحت الأوان
 وكم هاذ يدى بين الدنان
 معاليكم مشيدة المبان
 لكم منى سوابق فى الرهان
 محامد للسمع وللعيان
 سلوك الدر من حلى الحسان
 ورُجيت الأمان مع أمان
 وأملى ما تحب على لسان
 منكم على بعدى تدان
 وضيقت فى البعاد وفى التوان
 ومن بعدى على طول الزمان
 وما تهب الطروس فغير فان
 ومع من لا له فى الفضل ثان
 ولا زالت تزف لك التهان

« وفاته » : ببلدة وادى آش عام خمسة عشر وسبعماية .

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي

حاله

هذا الرجل دَمِثُ الأخلاق ، سَكُونٌ ، وقور . خدم أبوه بقرنطة كاتباً للقرظة ، منوهاً به ، مشهوراً بكرم وظرف . وانتقل إلى العُدوة ، ونشأ ابنه المذكور بها ، وارتسم بخدمة ولي العهد الأمير أبي زيّان ، وورد على الأندلس في وسط عام سبعة وخمسين وسبعماية في بعض خدمه ، وأقام بقرنطة أياماً يحاضر محاضرة يُتَّانَسُ به من أجلها الطالب ، وينتظم بها مع أولى الخصوصية من أهل طريقه ، وينقل حكايات مُسْتَطْرَفَة . فمن ذلك أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن القَرَوِي الفاسي كان مع أبي القاسم الزياني بجامع القرويين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فدخل^(١) عليهم ابن عبدون المكناسي ، فتلقاه الزياني وتأيده ، وتوجهوا إلى الثريا بالقرويين وقد أُوقِدَتْ ، وهي تحوى على نحو ألف كاس من الزجاج ، فأنشد الزياني :

أنظر إلى نارِيَّةٍ نورها يَصْدَعُ بالألإِ حَجَبَ الغَسَقِ

فقال ابن عبدون :

كانَّها في شكلها زهرةٌ انتظم النور بها فاتسق

وحكيت القصة للأديب الشهير أبي الحكم مالك بن المرحل ،

فقال لو حضرت أنا لقلتُ :

أعيذها من شرِّ ما يُتَّقَى من فجأة العين بربِّ الفلق

واستنشِدَ من شعره في الثامن والعشرين لربيع الآخر من العام بقصر

(١) وردت في الإسكوريال (دخل) فاقضى التصويب .

نَجِدُ ، فقال من حكايات ، إن السلطان أمير المسلمين وجد يوماً على رجل
أمر بتنكيله ، ثم عَطَفَ عليه في الحال وأحس إليه ، وكان حاضراً مجلسه
أبو الحسن المزدغى رحمه الله ، فأنشده بديهة :

لا تَوَيْسَنَّاكَ من عِثْمَنٍ سَطَوْتُهُ وإن تَطَّأير من أَثوابه الشرر
فإن سَطَوْتُهُ والله يَكْلأُهُ كالبرق والرعد يأتي بعده المطر

قال المترجم به ، فحدثني بذلك والدي ، فتعقبته عليه عام تسعة
وعشرين وسبعماية ، لموجب جر ذلك بقولي :

لا تَيْأَسَنَّ من رجا كَهْفِ الملوك أبي سَعِيدِ المرْتَجِي لِلنَّفْعِ والنُّزْرِ
وإن بدا منه سَخَطٌ أورايت له من سَطَوْتِهِ أَقْبَلْتَ تَرْمِيكَ بالشرر
فإن شئاً مثي مثل الرعد يتبعه برقٌ ومن بعده يَنْهَلُ المَطْر

وأنشأني لبعض الأحداث من طلبة فاس ، يخاطب صاحبنا الفقيه
الكاتب أبا عبد الله بن جزي ، وقد توعدده على مَطْلٍ باستنساخ كتاب
كان يتناول له وهو بديع :

إذا ما آتَتْ أبطالُ قيس وعامر وأقْيالُ عبس من بَغْمَامِ وقسور
تُصَادِمُنِي وَسَطُ الفِلا لا تهولني فكيف أبالي بآبن جزءٍ مُصَغَّرٍ
« مولده » : بفاس في العشر الأول لذي حجة عام تسعة وسبعماية .

ومن الزهاد والصلحاء: وأولا الأصليون

عبد الأعلى بن معل

يكى أبا المعلى الإلبيري . من قرى القلعة^(١) . وشأ بالحاضرة .

(١) القلعة بمعد ٣ قلعه بحصب أو قلعة بى سجد . وقد سبق التعريف ٣ (راجع المجلد الثالث

من الإحاطة ص ٢١٢ وكذلك المجلد الأول ص ١١١ حشيه)

وكان ينسب إلى خولان . ويذكر أنه أسلم على يدي رجل من خولان ، فتولاه وانتسب إليه ، وخرج إلى البيرة ، ونشأ بها ، وشُغِف بكتب عبد الملك بن حبيب ، ولم يكن أحد في عصره يشبهه في فضله وزهده وورعه ، وتواضعه وانقباضه ، وتستره . أرسل إليه حسين بن عبد العزيز أخو هاشم بن عبد العزيز ، وهو بالبيرة يرغب إليه في أن يشهد جنازة ابنة توفيت له ، كان يُشغِف بها ، فتعذر عليه إذ خشي الشهرة .

وقال لبعض جلسائه ، ما علمت أن حُسَيْنًا يعرفني ، وعمل على الخروج من البيرة ، ونهياً للخروج للحج ، فحج ، فلما كان مُنصرفه ، ونزل في بعض السواحل ، وجد هنالك مركبين يُشحنان ، فرغب كل من أصحاب المركبين ، أن يركب عنده ، وتنافسوا في ذلك ، حتى خشي أن تقع الفتنة بينهم ، فاهتم لذلك ، ثم اضطلع أرباب المركبين ، على أن يُخرج كل واحد منهما قاربه إلى البر ، فمن سبق قاربه إليه دخل عنده . ونزل في مُنصرفه ببجاية وسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرای بن حَقِيل

يكنى أبا العرب ، ويشهر بالحاج ، ويُدعى بكنيته

حاله

كان علماً فاضلاً صالحاً ، منقطعاً متبتلاً ، بارع الخط ، مجتهداً في العبادة ، صاحب مكاشفات ، وكرامات . نبذ الدنيا وراء ظهره . ولم يتلبس منها بشيء . ولا اكتسب مالا ولا زوجة . وورث عن أبيه مالا خرج عن جميعه . وقطع رمن فتايه في السَّيَاحَة وخدمة الصالحين ، وزمان

شيخوخته ، في العزلة والمراقبة ، والتزام الخلوة . ورحل إلى الحج ،
وقرأ بالشرق ، وخدم مشايخ من الصالحين . منهم الفخر الفارسي ،
وأبو عبد الله القرطبي وغيرهما ، وكان كثير الإقامة بالعلوة ، وفشا أمره
عند ملوكها ، فكانوا يزورونه ، ويتبركون به ، فيعرض عنهم ، وهو
أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة
النصرية ، إذ كان الروم قد طمعوا في استخلاصها ، فكان يحرض على
ذلك ، حتى عزم صاحب العدة على الجواز ، وأخذ في الحركة ، بعد
استدعاء سلطان الأندلس إياه . وعندما تعرف يغمور بن زيان ملك تلمسان
ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة ، فخاطبه الحاج أبو العرب
مخاطبته المشهورة ، التي كفت عدوانه ، واقتصرته عما ذهب إليه .
وكان حيا في صفر عام ثلاثة وستين وستماية ، وهو تاريخ مخاطبته
أبا يحيى يغمور بن زيان .

ومن الطارئين وغيرهم

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكبي^(١)
مُرسى ، رُقُوطى^(٢) الأصل ، سكن بآخرة مكة ، يكتب أبا محمد ،
ويعرف بابن سبعين .

حاله

قال ابن عبد الملك ، درس العربية والأدب بالأندلس ، عند جماعة

(١) مكداو الإسكوريال وفي الزيتونة (الحكى)

(٢) رُقُوطى نسبة إلى رُقُوطة ، وهي بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غربي مرسية على مقربة

من هرشفور . وبالإسبانية « Ricate » .

من شيوخها . ثم انتقل إلى سبته ، وانتحل التصوف . بإشارة بعض أصحابه ، وعكف برهة على مطالعة كتبه ، وتعرض بعد لإسماعها ، والتكلم على بعض معانيها ، فمالت إليه العامة ، وغشيت محلّه . ثم فصل عن سبته ، وتجول في بلاد المغرب منقطعا إلى طريقة التصوف ، داعيا إليها ، محرضا عليها . ثم رحل إلى المشرق : وحج خججاً ، وشاع ذكره ، وعظم صيته هنالك ، وكثر أتباعه على مذهبه ، الذي يدعو إليه من التصوف نحلة . ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعا كثيرة ، تلقوها منه ، وتقلدوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقا وغربا ، ولا يخلو أحد منها بطايل ، وهي إلى وساوس المخبولين ، وهذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم ، ولفظه غير ما بلد وصقع ، لما كان يرى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها ، وهو المطلع على سيرته فيها . وكان حسن الأخلاق ، صبورا على الأذى ، آية في الإيثار ، أبدع الناس خطأ .

وقال أبو العباس الغبريني في كتاب « عنوان الدراية »^(١) عند ذكره ، وله علم وحكمة ومعرفة ، ونباهة وبلاغة وفصاحة . ورحل إلى العتوة ، وسكن بجاية مدة ، ولقيه من أصحابنا ناس كثير ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به في فنون خاصة له ، مشاركة في معقول العلوم ومنقولها ، ووجاهة لسان ، وطلاقة قلم ، وفهم جنان ، وهو آخر الفضلاء ، وله أتباع كثيرة من الفقراء ، ومن عامة الناس ، وله موضوعات كثيرة ، موجودة بأيدي الناس ، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبي جاد . وله تسميات مخصوصات في كتبه هي نوع من الرموز . وله تسميات ظاهرة كالأسامي^(٢) المعهودة ،

(١) واسمه الكامل (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)

(٢) وردت في الإسكوريال (كالأسامي) والتصويب من الزيتونة

وله شعر في التحقيق . وفي مراقي أهل الطريق ، وكتابه مُستحسنة في طريقة^(١) الأدباء . وله من الفضل والمزية ، ملازمته لبيت الله الحرام ، والتزامه الاغتمار على الدوام ، وحثه مع الحجاج في كل عام ، وهذه مزية لا يُعرف قدرها ولا يُرام . ولقد مشى به للمغاربة بحظ في الحرم الشريف ، لم يكن لهم في غير مُدته . وكان أصحاب مكة شرفها الله ، يبتدون بأفعاله ، ويعتمدون على مقاله .

قلت ، وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المؤمن^(٢) المكفّر ، ومنهم المقلد المعظم ، وحصل لطرقي هذين الاعتقادين من الشهرة والذّياح ما لم يقع لغيره . والذي يقرب من الحق ، أنه كان من أبناء الأصالة ببلده ، ووُلِّي أبوه خُطة المدينة ، وبيته نبيه ، ونشأ ترفاً مُبجلاً ، في ظل جاه ، وعزّ نعمة ، لم تفارق معها نفسه البلد . ثم قرأ وشدا . ونظر في العلوم العقلية . وأخذ التحقيق عن أبي اسحق ابن دهاق . وبرع في طريقة الشّوذية^(٣) . وتجرد واشتهر ، وعظّم أتباعه ، وكان وسيما جميلا ، ملوكي البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ، يتولى خدمته الكثير من الفقراء السّفارة . أولى العبا والدقاقيس ، ويحفون^(٤) به في السّكك ، فلا يعدم ناقدا ، ولا يفقد متحاملا . ولما توفرت دواعي^(٥) النقد عليه من الفقهاء زياً وانتبازاً ونحلة وصحبة واصطلاحا . كثر عليه التأويل . ووُجهت لألفاظه المعاريض ، وفُليت

(١) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (طريق) . والأولى أنسب .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المرق) . والأولى أنسب .

(٣) الشّوذية هم إحدى الطرق الصوفية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يمتقوا) .

(٥) ورد في الإسكوريال (داعي) . والتصويب من الزيتونة .

موضوعاته ، وتعاورته الوَحْشَة ، ولقيه فحول من مُنتابى تلك النَّحْلَة ، قَصُرَ أكثرهم عن مداه في الإدراك والاضطُّلاع ، والخوض في بحار تلك الأغراض. وساءت منه لهم في الملاحظة السيرة ، فانصرفوا عنه مكظومين يُنْذِرُونَ^(١) في الآفاق عليه من سوء القبيلة ، مالا شيء فوقه . ورحل إلى المشرق ، وجرت بينه وبين الكثير من أعلامه خطوب . ثم نَزَلَ مكة شرفها الله تعالى واختارها قرارا ، وتلمذ له أميرها ، فبلغ من التعظيم الغاية . وعاقه الخوف من أمير المدينة المعظمة النبوية ، عن القدوم عليها ، إلى أن توفى ، فعظم عليه الحَمَلُ لأجل ذلك ، وقَبُحَتِ الأُخْلُوثَة .

شهرته ومحلّه من الإدراك

أما اضطُّلاعه ، فمن وقف على « البُدُّ » من كُتُبِهِ ، رأى سَعَة ذَرَعِهِ وانفِيساح مدى نظره ، لما اضطلع به من الآراء والأوضاع والأسماء ، والوقوف على الأقوال ، والتعمق في الفلسفة ، والقيام على مذاهب المتكلمين ، بما يقضى منه العجب . ولما وردت على سَبْتَةِ المسائل الصُّقْلِيَّةِ^(٢) ، وكانت جملة من المسائل الحِكْمِيَّةِ ، وجهها علماء الروم تبيكيتاً^(٣) للمسلمين ، انتدب إلى الجواب عنها ، على فتى من سنّه ، وبدية من فكرته . وحدثني شيخنا أبو البركات ، قال حدثني أشياخنا من أهل المشرق ، أن الأمير أبا عبد الله بن هود ، سالم طاغية النصارى ، فنكث عهده ، ولم يَفِ بِشرطه ، فاضطه . ذلك إلى مخاطبته إلى القومس الأعظم برومة ، فوكل أبا طالب بن سبعين ، أخا أبي محمد ، المتكلم عنه ، والاستظهار بالعقود بين يديه . قال فلما بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة ، وهو بلد لا تصل إليه المسلمون ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يتندرون) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العقلية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تنكيتا) .

ونُظِرَ إلى ما بيده ، وسُئِلَ عن نفسه ، كَلِمَ ذلك القس من دنا منه محله من علمائهم بكلام ، تُرجم لأبي طالب بما معناه ، اعلّموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه .

دعواه وإزراؤه

وقد شُهر عنه في هذا الباب كثير والله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك . فقد ذكروا أنه قال ، وقد مر ذكر الشيخ أبي مدين رحمه الله ، شعيب عبد عمل ، ونحن عبید حضرة . وقال لأبي الحسن الشُّشتری عندما لقيه ، وقد سأله عن وجهته ، وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد ، إن كنت تريد الجنة فشأنك ومن قَصَدت ، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلينا ، وفي كتاب « البُدُّ » ما يُتَشوَّف إليه من هذا الغرض عند ذكره حكماء الملة . وأما ما يُنسب إليه من آثار السِّمياء والتصريف فكثير .

توالياه

وتوالياه كثيرة تشذ عن الإحصاء ، منها كتابه المسمى بالبُدُّ «بُدُّ العارف» ، وكتاب الدرّج ، وكتاب الصفر ، والأجوبة اليمينية ، والكلُّ والإحاطة . وأما رسايه في الأذكار ، كالنورية في ترتيب السلوك ، وفي الوصايا والعقايد فكثير ، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة ، وإيثار الورع ، كقوله من رسالة : « سلام الله عليك ورحمته . سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك . سلام الله ورحمته الممتدة على عوالمك كلها ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعتك ، وكصلاة أعز ملائكته من حيث حقيقتك ، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته . السلام عليك يا حبيبه . السلام عليك يا قياص

الكمال ، ومقدمة السعد ، ونتيجة الحمد ، وبرهان المحمود ، ومن إذا نظر
الذهن إليه قد أنعم العيد ، السلام عليك يا من هو الشرط في كمال
الأولياء ، وأسرار مشروطات الأزكياء الانتقياء . السلام عليك يا من جاوز
في السماء مقام الرُّسل والأنبياء ، وزاد رفعة ، واستولى على ذوات الملائكة
الأعلى ، ولم يسعه في وجهته تلك إلا ملاحظة الرفيق الأعلى ، وذلك قوله ،
سَبِّحْ اسمَ ربِّكَ الأعلى إلى الأخرى والأولى ، لا إلى الآخرة والأولى ، وبلغ
الغاية والمطلوب ، التي عجزت عنه قوة ماهية النهى ، وزاد بعد ذلك ،
حتى نظر تحته من ينظر دونه سِدْرَةَ الْمُنتَهَى ، إلى استغراق كثير ،
أفضى إلى حال من مقام .

ومن وصاياہ يخاطب تلاميذه وأتباعه : حفِظْكُمْ اللهُ ، حافظوا على
الصلوات ، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات ، وكونوا أوابين ،
توابين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق ، واعملوا على نيل
الدُّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، ولا تَغْفَلُوا عن الاعمال السُّنِّيَّةِ ، وحصلوا مَخْصَصِ
الأعمال الإلهية ومهمليها ، وذوقوا مُفْصَّلِ الذوات الروحانية ومحملها ،
ولازموا المودة في الله بينكم ، وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا
فرض الشريعة على الحقيقة ، ولا تفرقوا بينهما ، لأنهما من الأسماء
المترادفة ، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا ، وقولوا عليها وعلى
أهلها لعنة الله ، لأنها حقيقة كما سمي اللُدَيْغِ سَلِيمًا ، وأهلها مُهْمِلُونَ حَدَّ
الحلال والحرام ، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام ،
قاتلهم اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ .

ومنها : واعلموا أن القريب إلى منكم ، من لا يخالف سنة أهل السنة
ويوافق طاعة رب العزة والمنة ، ويؤمن بالحشر والنار والجنة ، ويفضل

الرؤية على كل نعمة ، ويعلم أن الرضوان بعدها ، أجل كل رحمة ،
ثم يطلب الذات بعد الأدب مع الصفات والأفعال ، ويغيب نفسه بالمشاهدة
في النوم والبرزخ والأحوال ، وكل مخالف سخيْف : مُتهم منه الفساد ،
وإن كان من إخوانكم ، فاهجروه في الله ، ولا تلتفتوا إليه ، ولا تُسلموا
له في شيء ، ولا تُسلموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحضر الكل
منهم ، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج من صفاته المذمومة ،
ويترك نظام دعوته المحرومة . وأنا مذ أشهدت الله العظيم ، أئى قد خرجت
من كل مُخالف متخلف العقل واللسان ، ولا نسبة بيتى وبيته في الدنيا
والآخرة ، فمن زلَّ قدمه يستغفر الله ، ولا يخدعه قدمه ، وأمثال هذا كثير .

دخوله غرناطة

أخبرنى غير واحد من أصحابنا المعتنين بهذا ، أنه دخل غرناطة في
رحلته ، وأظنه يجتاز إلى سبته ، وأنه حل وسَطَه ، على اصطلاح الفقراء ،
برابطة العقاب^(١) من خارجها ، في جملة من أتباعه .

شعره

وشعره كثير ، مما حضرنى منه الآن قوله :

كم ذا تموه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على عثم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة وعن زرود وجيران بذى سلم
ظلمت تُسئل عن نجد وأنت بها وعن تِهامة هـذا فعل مُتهم
في الحى حتى ولا سوى ليلى وتسألها عنها سؤالك وهم جر للعدم

(١) هى إحدى الربط التى كانت تخصص للعبادة . وكانت تقع هـا . مقربة من شرقى غرناطة .
وقد سبقت الإشارة إليها (الإحاطة المجلد الثانى ص ١٥٥ حاشية) .

« وفاته » ، توفي بمكة شرفها الله تعالى يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة وستين وسبعمائة .

وفيا يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية
 وهم عتيق وعمر وعثمان وعلي ، وأولا الأمراء والملوك
 وهم ماين طاريء وأصلي وغريب

عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي بن كسمم^(١) بن دميان^(٢)
 ابن فرغلوش بن أذفونش^(٣)

كبير الثوار، وعظيم المنتزين، ومُنازع الخلفاء بالأندلس .
 أوليته وحاله

قال صاحب التاريخ ، أصله من رُنْدَة ، من كورة تَاكُرْنَا ، وجده
 جعفر إسلامي^(٤) ، وانتقل إلى رندة ، لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن
 هشام ، فسكن قرية طَرْجيلة من كورة ريه المجاورة لحصن أوطة ، فاستوطن
 بها ، وأنسل بها عمر ، ثم أنسل بها عمر حفصًا ، وفُخْم فقييل حَفْصُون .
 ثم أنسل عمر هذا الثاير مع أخوة له ، منهم أيوب وجعفر . ولما ترعرع
 عمر ، ظهر له من شراسته وعتوه ، ما لم يعدم معه أبواه هرباً عن مواضعهما
 فزالا عن وطنهما ، فذكر أنه لم يُمسك من حين كان عن أحد ممن ناظره ،

(١) هذا الاسم زائد في مخطوط الإسكوريال . ولم يرد في نسبة عمر بن حفصون المعروفة لنا .
 (٢) وردت في الإسكوريال (ذبيان) . وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .
 (٣) وردت في الإسكوريال (اريوس) وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .
 (٤) المقصود هنا بأن جده جعفر هو أول من أسلم من أسلافه .

ولا سكت عن أقبح ما يمكن من السب لمن عاتبه ، وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه ، فتغرب لذلك عن الموضع زمانا .

وذكر ابن القوطية ، أن عامل ريه ، عاقبه في جنانية ، وفر إلى العُدوة ، وصار يتهرب عند خياط كان من أهل ريه ، فبينما هو جالس في حانوته يوما ، إذ أتاه شخص بثوب يقطعه ، فقام إليه الخياط ، فسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر ، فقال له هو رجل من جيراني ، فقال الشيخ متى عهدك بريه ، فقال له ، منذ أربعين يوما ، فقال له ، أتعرف جبلا يقال له ببيشتر^(١) ، فقال أنا ساكن عند أهله ، فقال أله حركة ، قال لا ، قال الشيخ قد أذن ذلك . ثم قال ، تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له عمر بن حفصون ، ففزع من قوله ، فأخذ الشيخ النظر فيه وقال ، يا منحوس ، تحارب الفقر بالإبرة ، إرجع إلى بلدك ، فأنت صاحب بني أمية ، وستملك ملكاً عظيماً ، فقام من قوره ، وأخذ خبزة في كفه ، ورجع إلى الأندلس . فداخل الرجال ، حتى ضبط الجبل المذكور ، وانضوى إليه كل من يتوقع التهمة على نفسه ، أو تشهره إلى الانتزاع بطبعه ، وضم إلى القلعة كل من كان حولها من العجم والمولدين . ثم تملك حصن أوطه وميجش ، ثم تملك قمارش وأرجلونه^(٢) . ثم اتسع نظره ، حتى تملك كورة ريه ، والخضراء ، وإلبيرة ، إلى بسطة وأبدة وبياسة وقبرة ، إلى حصن بلي ، المطل على قرطبة . وأشرق الخلافة بريقها ، وقطع الزمان من استكانة إلى عهد . وكشف الوجه في ختر ، وتشمير الساعد عن حرب ، وحسر اللثام عن أيد وبسطة . وشد الحزام على جهد وصبر ، ونازله

(١) جبل ومدينة ببيشتر ، يمان شمال عربي مالقة في قلب كورة رية . و الإسبانية « Bobastro »

(٢) تقع قارش على مقربة من شمال مالقة ، وتقع أرشونه أو أرجلونه في شمالها ، وفي شمال =

الخلايف والقواد ، فلم يحل بطايل ، وأصابته جراحات مُشخنة في الوقايح
وأصبحت فتنته سمر الركاب ، وحديث الرفاق ، شدة أسر ، وثقل وطأة ،
وسعة ذرع ، واتصال جبل ، وطول إملاء ، استغرق بها السنين ، وطوى
الأعمار ، وأوزت ذلك ولده بعده ، وعند الله جزاء وحساب ، وإن امتدَّ
المآب ، لا إله إلا هو .

دخوله عرناطة وإلبيرة

قال ابن الفياض وغيره ، ودخل إلبيرة مرات ، عندما ثار بدعوته ،
قاتل ، وانضوى إلى حصن منتشافر^(١) ، من إقليم برجيلة قيس ، في نحو
سنة آلاف ، وتغلب على يحيى بن صيقالة ، ثم نازله سوار بن حملون
أمير العرب بغرناطة ، حتى غلبه ، وأخذ أسيرا ، ثم أوقع بجعد ومن
معه من أهل إلبيرة وقايح مُستأصلة ، وتملك بعدها بياسة وأبدة ، في
أخبار تطول . قال أبو مروان ، قصد ابن حفصون حاضرة إلبيرة وحصونها ،
وناصب الحرب سواراً ، وقد استمد سوار رجالات العرب ، من كورتى
جيان وريه وإلبيرة . ف وقعت الهزيمة على ابن حفصون . وجرح جراحات
مُشخنة ، وأصيب جماعة من فرسانه ، وانقلب منهزماً . فغضب عند ذلك
على أهل إلبيرة فأغرمهم مغرماً فلدحهم ، واستعمل عليهم - حفص بن المرّة ،
فلم يزل يعمل الحيل على سوار ، حتى أوقع به . وأتى بجثته إلى إلبيرة -
وحمل رأسه إلى ببشتر ، واستشرى داؤه . وأعين أمره . فاتصل ملأه
بالقواعد والأقطار ، وغلب أكثر المدن . ما بين الأوسط والغرب . وأحدق

« شرق ببشتر بنفس الولاية ، وهي بالإسبانية على التوالى » Comares Archidona .

(١) هذه تسمية ابن حيان لهذا الحصن . وفي تسمية أخرى حصن منت شفتد .

ملكه بقرطبة ، وحجر عليها الخيل من حصن بُلَى^(١) . من حصون قَبْرَة ،
فجلت الكَنْبَانِيَّة^(٢) ، وامتدَّ إلى بنيان المعقل . ولما رأى الأمير حمد^(٣)
ما أحاط به منه ، تَأَهَّبَ إلى غزوه . ونزل حصن بُلَى ، وناهضه . فأوقع
به ، وهزمه وألجأه إلى أن سَلَّمَ في حصنه . فلما خرج منه بمن معه ،
تَطَيَّرَهم رِيحُ الفِرَارِ والسيوف تأخذهم . استولى الخليفة على الحصن .
وفي ذلك يقول أحمد بن عبد ربه ، شاعر دولتهم :

وله يوم بُلَى وقعة لم تدع للكُفْر رأسا في ثَبَج
لم يجد إبليس في حَوْمَتِها نفعا من رهبة حيث بَلَج
دفعتهم حملة السَّيْلِ إلى كافيح الأمواج مخضُّ اللُّجج
فتح الله على الدِّين به وعلى الإسلام يا عامرتج

وكان هذا الفتح سنة سبع وسبعين ومائتين^(٤) . ثم استخلص مدينة
إِسْتِجَّة .

وفاته

قال ، ومن هذا العهد ، أدبَر أمر ابن حفصون . وتوقَّف ظهوره ،

(١) حصن بلى أو بول أو بلاى وبالاسبانية « Poley » أو « Polei » ، يقع شمال غربي
لوشة ، وشرق قبرة على مقربة من نهر شنيل . وتسمى البلدة التي قامت مكانه اليوم ببلدة أجيلار «Aguilar»
(راجع المجلد الأول ص ١١١ حاشية) .

(٢) الكنبانية هم الفلاحون أو الزراع الذين يزرعون الأرض المنبسطة وأصلها من الإسبانية
« Campesino » .

(٣) هذا خطأ تاريخي من ابن الخطيب ، لأن الأمير محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس المتوفى
في ربيع الأول سنة ٢٧٢ هـ لم يكن هو الذى اضطلع بمعركة بلى ضد ابن حفصون ، وإنما الذى
اضطلع بها هو ولد الأمير عبد الله الذى جلس على العرش في شهر صفر سنة ٢٧٥ هـ

(٤) وهذا خطأ تاريخي آخر لابن الخطيب . لأن معرّته بلى التي نشبت بين جيش الأمير
عبد الله وقوات ابن حفصون عند حصن بلى وأحرز فيها الأمير نصره الباهر على ابن حفصون .
وقعت في ربيع الأول سنة ٢٧٨ هـ . وليس في سنة ٢٧٧ هـ (راجع كتابي ده لة الإسلام في الأندلس
الطبعة الرابعة ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

بعد تخبط شديد ، ولجاج كبير ، وشرٌ مبير ، وكانت وفاته ببُشتر ، موضع انتزائه على عهد الخليفة عبد الرحمن في سنة ست وثلاثمائة ، بعد مرض شمل النَّفخُ به جسده ، حتى تشققَّ جلده ، وانتقل أمره إلى ولده جعفر ، ثم إلى ولده سليمان ، ثم إلى ولده حفص . وعلى حفص انقرض أمرهم .

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي

بَطْلَيْوسِي ، مِكناسِي الأَصْل ، من مِكناسة الجوف ، الأمير بالشعر الغربي ، الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله ، المكنى بأبي محمد ، المُنبِز بابن الأَفطس .

أوليته

قال ابن حيان ، كان جدُّهم عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأَفطس ، أصله من فحص البلوط^(١) ، من قوم لا يدعون نباهة ، غير أنه كان من أهل المعرفة التامة ، والعقل ، والدهاء ، والسياسة . ثم كان هذا الصُّقع الغربي ، بطليوس وأعمالها ، وشتتَين والأشبونة ، وجميع الشجر الجوفي في أمر الجماعة ، رجل من عبيد الحكم المستنصر^(٢) ، يسمى سابور . فلما وقعت الفتنة ، وانشقت العصا ، انتزى سابور على ما كان بيده . وكان عبد الله يدبر أمره إلى أن هلك سابور ، وترك ولدين لم يبلغا الحُلُم ، فاشتمل عبد الله على الأمر ، واستأثر به على ولديه ، فحصل على

(١) فحص البلوط وبالاسبانية « Las Pedroches » هو موضع يقع على مقربة من قرطبة ق واد منبسط تكثر به أشجار البلوط . وكانت تسكنه بعض طوائف البربر .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتصر) . وهو تحريف ، وصوابه الحكم المستنصر .

مُلكُ غرب الأندلس ، واستقام أمره ، إلى أن مضى بسبيله ، وأعقبه
 إبنيه المظفر محمد بن عبد الله ، وكان ملكا شهيرا عالما شجاعا أديبا ، وهو
 مؤلف الكتاب الكبير المسمى بالمظفرى ، فاستقامت أموره إلى أن ثوى
 فقام بأمره ولده عمر هذا المترجم به .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان أديبا بارع الخط ، حافظا للغة ، جوادا ،
 راعيا حقوق بلده ، مؤاخيا لهم ، مُحبيبا فيهم ، مرّت لهم معه أيام هُدنة
 وتفضّل إلى حين القبض عليه .

وقال الفتح في قلائده : ملك جند الكتائب والجنود ، وعقد الألوية
 والبنود ، وأمر الأيام فائتمرت ، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت ، إلى
 لسن وفصاحة ، ورخب جناب للوافدين وساحة ، ونظم يُزرى بالدرّ النظيم ،
 ونثر تسرى رفته سُرى النسيم ، وأيام كأنها من حسنها جُمع ، وليال كان
 فيها على الأتس حضور ومجتمع ، راقّت إشراقا وتبلّجا ، وسالت مكارمه
 فيها أنهارا وخلّجا ، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهد العلوان ، ودبت إليه
 دبيبها لصاحب الإيوان ، وانبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان .

شعره

بلغه أنه ذكر في مجلس المنصور يحيى أخيه بسوء ، فكتب إليه بما نصه
 فما بالهم لا أنعم الله بالهم ينيطون بي ذمّا وقد علموا فضلى
 يسيئونلى فى القول جهلا وضلّة وإنى لا أرجو أن يسيئهم فعلى
 لئن كان حقا ما أذاعوا فلا مشّت إلى غاية العلياء من بعدها رجلى
 ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة ولم أمنح العافين فى زمن المخل

وكيف وراحي درُس كلُّ غريبة
 ولى خُلُقٌ فى السخط كالشرى طعمه
 فيا أيها الساقى أخاه على النوى
 لنطقىء نارا أضرمت فى صدورنا^(١)
 وورد التقي شَمَى وحرب العدى نُتَمَلَى
 وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
 كؤوس القلى مهلا رويدك بالعل
 [فمئلى لا يقلى ومثلك لا يقلى]^(٢)
 وقد كنت تشكىنى إذا جئت شا كيا
 فبادر إلى الأولى وإلا فإنسى
 فقل لى لمن أشكو صنيعك بى قل لى
 سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل
 وكتب جوابا لأبى محمد بن عبدون مع مركوب عن أبيات ثبتت فى
 القلايد :

بعثت إليك جناحا فطير
 على خضية من عيون البشر
 على ذلُّل من نتاج البروق
 فى ظل من نسيج الشجر
 فحسبى ممن نأى ومن دنا
 فمن غاب كان كمن قد حَضَرَ

قال الفتح ، أخبرنى الوزير أبو أيوب بن أمية ، أنه مرَّ فى بعض
 أيامه بروض مُفتر المباسم ، معطر الرياح^(٣) النواسم ، فارتاح إلى الكون به
 بقية نهاره ، والتنعَّم بينفسجه وبهاره . فلما حصل من أنسه فى وسط
 المدى ، عمد إلى ورقة كرنب قد بللها الندى ، وكتب فيها بطرف غُضن ،
 يستدعى الوزير أبا طالب [بن غانم] أحد ندمائه ، ونجوم سمائه :
 أقبل أبا طالب إلينا [واسقط سقوط الندى علينا]^(٤)

(١) هكذا وردت فى قلائد المعبان . ووردت فى الإسكوريال (بنفوسنا) .
 (٢) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . وقد وردت فى القلائد على النحو الآتى
 (فثلك لا يقلى ومثل لا يقلى) .
 (٣) هذه الكلمة واردة فى القلائد وساقطة فى الإسكوريال .
 (٤) هكذا وردت هذه الشطرة فى الاسكوريال . ووردت فى القلائد كالاتى (وقع وقوع
 الندى علينا) .

فنحن عقْد بغير وسطي ما لم تكن حاضراً لتينار

نشره

وهو أشْفُ من شعره ، وإنه لطبقة تنقاصر عنها^(١) أفذاذ الكتاب ، ونهاية من نهاية الآداب ، قال ، كان ليلة مع خواصه للأنس معاطيا ، ولجلس كالشمس واطيا ، قد تفسرغ للسرور ، وتفرغ عيشا كالأمل المزور ، والمنى قد أفصحت وزقها ، وأومض برقها ، والسعد تطلع مخايله ، والمملك يبدو زهوه وتخايله ، إذ ورد عليه كتاب بدخول أشبونة في طاعته ، وانتظامها في سلك جماعته ، فزاد في مسرته ، وبسط من أسرته وأقبل خدامه ، وأسبل نداه على جلسائه وندامه ، فقال له ابن خيرة ، وكان يُدُلُّ بالشباب ، وينزل منه منزلة الأحباب ، لمن توليها ، ومن يكون واليها ، فقال له ، أنت ، فقال فاكتب الآن^(٢) بذلك ، فاستدعى اللوأة والرُق ، وكتب وما جفَّ له قلم ، ولا توقَّف له كَلِم : لم يسوغ أولياء النعم ، مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة ، والدخول في نهج الجماعة ، وذلك لا آلوكم [ونفسى فيكم]^(٣) نصحا فيمن أتخيره ، للنياحة عنى في تدبيركم ، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم ، وقد وليت عليكم ، من لم أوثر [والله]^(٤) فيه دواعى التقريب ، على بواعث التجريب ، ولا قوات التخصص ، على لوازم التمهيص ، وهو [الوزير]^(٥) القائد أبو عبد الله بن خيرة ، ابني دُرْبَة ، وبعضى صُحْبَة ، ونشأتى سَكَّة

(١) وردت في الإسكوريال (افراد) . ونعتقد أن التصويب أرجح بالنسبة للمنى .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي القلائد (ل) .

(٣) هذه الزيادة من القلائد .

(٤) الزيادة من القلائد .

(٥) الزيادة من القلائد .

وَقَرِيَّةً ، وَقَدْ رَسَمَتْ لَهُ مِنْ وَجْهِ الذَّبِّ وَالْحَمَايَةِ ، وَمَعَالِمِ الرَّفْقِ وَالرَّعَايَةِ ، مَا التَزَمَ الْاِسْتِيْفَاءَ بَعَثَهُ (١) ، وَالْوَقُوفَ بِجَدُّهُ عِنْدَ حُدِّهِ (٢) ، وَالْمَسْؤُولَ فِي عَوْنِهِ مِنْ لَا عَوْنَ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، وَلَنْ أَعْرِفُكُمْ مِنْ حَمِيدِ خِصَالِهِ ، وَسَدِيدِ فِعَالِهِ ، إِلَّا بِمَا سَيَّبَلُو لِلْعِيَانِ ، وَيَزَكُّوهُ مَعَ الْاِمْتِحَانِ . وَيَفْشُو (٣) مِنْ قَبْلِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَقَدْ حَدَّدْتُ لَهُ أَنْ يَكُونَ لِنَاشِئِكُمْ أَبًا وَلِكَهْلِكُمْ أَخًا . وَلِذِي النُّفُوسِ وَالْكِبْرَةِ إِبْنًا ، مَا أَعْتَمْتُمُوهُ عَلَى هَذَا الْمُرَادِ ، وَلِزُومِ الْجَوَادِ ، وَرُكُوبِ الْاِنْتِقِيَادِ . وَأَمَّا مِنْ شَقِّ الْعَصَا ، وَبَيَانِ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَظَهَرَ مِنْهُ الْمُرَادُ وَالْمَهْوَى ، فَهُوَ الْقَصِيُّ مِنْهُ ، وَإِنْ مَتَّ إِلَيْهِ بِالرَّحْمِ الدُّنْيَا ، فَكُونُوا خَيْرَ رَعِيَّةٍ ، بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، يَكُنْ لَكُمْ بِالْبِرِّ وَالْمُوَالَاةِ خَيْرًا وَال [إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ] (٤) .

وصوله إلى غرناطة

وَصَلَّهَا صُحْبَةَ حَلِيفِهِ ابْنِ عِبَادٍ ، لَمَّا قَبِضَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِيْنَ عَلَى صَاحِبَيْهَا وَنَزَلَ بِالْمَشِيْجَةِ مِنْ خَارِجِهَا فِي رَجَبٍ مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَرَابِعِهَا الْأَمْرَ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الْمُعْتَمَدِ بْنِ عِبَادٍ ، فَتَعَجَّلَ الرَّجُوعَ إِلَى وَطَنِهَا بِحِيلَةٍ دَبَّرَاهَا .

نكبته ووفاته

وَلَمَّا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْ أَمِيرِ لِمْتُونَةَ ، وَرَأَى أَنَّهُ أَسْوَةٌ ابْنِ عِبَادٍ فِي الْخَلْعِ عَنْ مُلْكِهِ ، وَضَيَّقَتْ الْخَيْلُ عَلَى أَطْرَافِهِ وَانْتَزَعَتْهَا ، دَاخَلَ طَاغِيَةَ الرُّومِ ، وَمَلَّكَ مِنْ مَدِينَةِ الْأَشْبُونَةِ ، رَغْبَةً فِي دِفَاعِهِ عَنْهُ ، فَاسْتَوْحِشَتْ لِذَلِكَ رَعِيَّتَهُ ،

(١) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (جِهْدِهِ) .

(٢) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (جِهْدِهِ) .

(٣) مَكْدَانِ فِي الْقَلَانْدِ . وَفِي الْإِسْكُورِيَالِ (وَيَفْشُو) .

(٤) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْقَلَانْدِ .

وراسلت اللّمتونيين، واقتحمت عليه مدينة بَطْلَيْوس، واعتصم بالقصبة،
 وخانه المحاربة، فلُخِط عليه عَنوةٌ، وتُقْبَضُ عليه وعلى بنيه وعبيده،
 وتحصّلوا في ثقاف قائد الجيش اللّمتوني. وبادر إعلام الأمير سير بن
 أبي بكر، فلحق بها. واستخرج ما كان عند المتوكل من المال والذخيرة،
 وأزَعَجَه إلى إشبيلية مع إبنهن له، فلما تجاوز وبعد عن حضرته، أنزل
 وقيل له تأهب للموت، فسأل أن يقدم ابناه يَحْتَسِبهما عند الله، فكان
 ذلك، وقتلاً صبراً بين يديه، ثم ضُرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع
 وثمانين وأربعمائة، وانقرضت دولة بني الأَفطس.

ومن رثاهم، فبلغ الأمد وفاء وشهرة وإجادة، أبو محمد عبد المجيد
 ابن عبدون^(١) بقصيدته الفريدة:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر	فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة ^(٢)	عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسالمة	والبيضُ والسُمر مثل البيض والسمر
ولا هواده بين الرأس تأخذه	يد الضراب وبين الصّارم الذّكر
فلا تغرّنك من دُنياك نومتها	فما صناعةُ عينيها سوى السّهر
ما لليالٍ أقال الله عشرتنا	من الليالي وخانتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة	منّا جراح وإن زاغت عن البصر
تسرُّ بالشيء لكن تغرّبك	كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر

(١) هو الفقيه والكاتب والشاعر الكبير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون وزير بني الأَفطس
 وكاتب دولتهم. وأصله من يابرة من أعمال البرتغال. وقد ترك لنا رساله الشهيرة عن «القضاء والحسبة»
 وفيها يقدم إلينا صوراً هامة عن شئون القضاء والحسبة في عصره - عصر الطوائف - وعن مجتمع
 الطوائف، ندو فيه روح النقد والتشاؤم وقد توفى سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦ م).

(٢) هكذا في الإسكوريال والمسجب. وفي القلائد (معدرة)

لم تُبَقِّ منها وسلِّ ذكراك من خبير
 وكانت غَضَبًا على الأملاك ذا أثر
 ولم تَدَعْ لبني يونان من أثر
 عادٍ وجرهم منها ناقص المِرَر
 ولا أجمارت ذوى الغايات من مُضِر
 فما التقى رائحٌ منهم بمبتكر
 مهلهلا بين سَمْع الأرض والبَصَر
 ولا ثنَّت أسدا عن ربها حُجر
 عَبَسًا وعَضَّت بنى بدر على النهر
 يد ابنه أحمر العينين والشعر
 بيزد جرد إلى مَرَوٍ فلم يحرأ^(٢)
 والحق^(٣) طلحة الفياض بالعقر
 من غيلة حمزة الظلام للجُزر
 عنه سوى الفرس جَمع الترك والخزر
 ذى حاجب عنه سَعْدًا^(٤) فى ابنة الغير
 إلى الزبير ولم تستحى من عمر
 ولم تزوده إلا الضَّحى فى الغمر
 وأمكنت من حسين راحتي شمر
 فدت عليًا بمن شاعت من البشر

كم دولةٌ وُلِّيت بالنصر خلدمتها
 هَوَتْ بِدارا وفلَّت غرب قاتله
 واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت
 وأتبع^(١) أختها طسما وعاد على
 وما أقالت ذوى الهيئات من يمن
 ومزقت سبأ فى كل قاصية
 وأنفذت فى كليب حكما ورمت
 ولم ترد على الضليل صحته
 ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
 وألحقت بعدي بالعراق على
 [وأهلكت أبرويزا بابنه ورمت
 وأشرفت بحبيب فوق قارعة
 ومزقت جعفرا بالبيض واختلست
 وبلغت يزدجرد الصين واختزلت
 ولم ترد مواضى رستم وقنسا
 وخضبت شيب عثمان دما وخطت
 وما رعيت لأبي اليقظان صحبته
 وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن
 وليتها إذ فدت عمرا بخارجة

(١) كذا فى الإسكوريال والقلائد . وفى المعجب (والحق) .
 (٢) هذا البيت وارد فى المعجب وساقط فى القلائد والإسكوريال .
 (٣) هكذا فى الإسكوريال وفى القلائد والمعجب (والعقت)
 (٤) هكذا فى الإسكوريال والمعجب . وفى القلائد (سما) .

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد
وعمت بالردى^(١) فودى أبي أنس
وأردت ابن زياد بالحسين فلم
وأنزلت مُصعباً من رأس شاهقة
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا
[ولم تدع لأبي الزيان قاضية
وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم
جُبابه حبَّ رمان ألمَّ بها
ولم تعد قُضبِ السِّفاح نابية
وأسبلت دمعة الروح الأمين على
وأشرفت جعفرأ والفضل ينظره
وأخفرت في الأمين العهد وانتدبت
وروعت كل مأمون ومؤتمن
وأعشرت آل عبياس لعالمهم
ولا وفّت بعهود المستعين ولا
وأوثقت في عُراها كل مُعتمد
بني المظفر والأيام [ما برحت]^(٥)

أنت بمعضلة الألباب والفكر
وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر
ولم تردّ الردى عنه قنا زفر
يَبُو بشع له قد طاح أو ظفر
كانت بها مهجة المختار في وزر
[راعت عيادته بالبيت والحجر]^(٢)
ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
تُبِق الخلافة بين الكاس والوتر
وأحمر قطرته نَفحة القَطْر]^(٣)
عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
دم ينج^(٤) لآل المصطفى هدر
والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
لجعفر بابنه بالأعبد الغدر
وأسلمت كل منصور ومنتصر
بذيل زبَاء من بيض ومن سمر
بما تأكّد للمعتز من مِرر
وأشرفت بقذاها كل مُقتدر
مراحل والورى منها على سَفَر

(١) هكذا في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (بالظبي) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في القلايد والمعجب . ووردت في الإسكوريال (ولم تبِق الخلافة بين الكاس والوتر) وهي شطرة بيت آخر يأتي بعد .

(٣) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة في الإسكوريال وواردة في القلايد والمعجب .

(٤) هكذا وردت في القلايد . وفي الإسكوريال والمعجب (بفتح) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (لا نزلت) .

سَحَقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَمَا حَمَلْت
 مِنَ لِلْأَسْرَةِ أَوْ مِنَ لِلْأَعْنَةِ أَوْ
 مِنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مِنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
 مِنَ لِلظَّبْيِ^(٢) وَعَوَالِي الْخَطِّ قَدْ عَقَدْتِ
 وَطَوَّقْتِ بِالْمَنَابِيَا السُّودِ بِيَضِّهِمْ
 أَوْ رَفَعُ كَارِثَةٍ أَوْ دَفَعُ حَادِثَةٍ
 وَيُنْحُ السَّمَاحِ وَيُوِيحُ الْجُودِ^(٤) لَوْ سَلِمَا
 سَقَّتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً
 ثَلَاثَةٌ مَا ارْتَقَى النَّسْرَانُ حَيْثُ رَقُوا
 ثَلَاثَةٌ كَنُوزَاتِ الدَّهْرِ مِنْذُ نَأَوْا
 وَمَرًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
 مِنَ لِلجَلَالِ^(٦) الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ
 أَيْنَ الْإِبْيَاءِ الَّذِي أَرَسُوا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي أَصْفُوا شَرَائِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِي أَرْضِ اللَّهِ مِنْذُ نَأَوْا^(٨)

بِمِثْلِهِ لَيْلَةَ [فِي سَالِفِ الْعُمْرِ]^(١)
 مِنَ لِلْأَسْنَةِ يَهْدِيهَا إِلَى الشَّغْرِ
 مِنَ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَتَنْضُرُ
 أَطْرَافُ أَلْسِنِهَا بِالْعَمَى وَالْحَصْرُ
 أَعْجَبَ بِذَلِكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى ذِكْرٍ
 أَوْ قَمْعِ آزْفَةٍ تُعْبَى عَلَى الْقَدْرِ^(٣)
 وَحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عَمْرٍ
 تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
 وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نِسْرِ وَلَمْ يَطِرْ
 عَنِ مَضَى الدَّهْرِ لَمْ يُرْبِعْ وَلَمْ يَحِرْ^(٥)
 حَتَّى التَّمَتَّعَ بِالْأَصْسَالِ وَالْبُكْرِ
 قَلُوبِنَا^(٧) وَعَيُونَ الْأَنْجَمِ الزَّهْرِ
 عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ
 فَلَمْ يُرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَمْدَرٍ
 عَنْهَا اسْتَطَارَتْ مِنْ قِبَالِهَا لَمْ تَقْر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في القلايد (في مقال العمر) . وفي المعجب (في غير العمر) .

(٢) هكذا وردت في القلايد والمعجب . وفي الإسكوريال (الظبى) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في المعجب والقلايد كالاتي (أودع كارثة أو رجع رادفة أو فع حادثة تعين على القدر) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في القلايد والمعجب (الباس) .

(٥) ورد هذا البيت في المعجب ، ولم يرد في الإسكوريال ولا القلايد .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (أين الجلال) .

(٧) هكذا وردت في القلايد والمعجب . وفي الإسكوريال (ميوننا) .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (مضوا) .

كانوا مصابيحها دهرافمدخبوا^(١) هذى الخليقة تالله في سندر^(٢)
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع منه بأحلام عاد في خطأ الخضر
من لى ولا من بهم إن أظلمت نوب ولم يكن ليئلهما يفضى إلى سحر
من لى ولا من بهم إن طبقت^(٣) محن ولم يكن ورودها يفضى^(٤) إلى صندر
من لى ولا من بهم إن عطلت سنن وأخفيت السن الآثار^(٥) والسير
ويلمه من طلوب الشار مذكره لو كان ديناً على الأيام ذى عسر
على الفضائل إلا الصبر بعدهم تسليم^(٦) مرتقب للأجر منتظر
يرجو عسى وله في أختها طمع^(٧) والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة على الحسان حصى الياقوت والدرر
[سيارة في أقاصى الأرض قاطعة شقاشقا هذرت في البنو والحصر
مطاعة الأمر في الباب قاضية من المسمع ما لم يقض من وطراً^(٨)

ومن الغريباء

عمث بن عبد الرحمن بن يحيى بن يعقراسن

الدليل بتلمسان ، يكتنى أبا سعيد .

حاله

- (١) هكذا وردت هذه الشطره في الإسكوريال ، ووردت في القلايد والمعجب كالآتي
(كانوا مصابيحها فذخبوا غبرت - عثرت) .
- (٢) هكذا وردت في المعجب . وفي الإسكوريال والقلايد (سرر) والأول أرجح .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والمعجب . وفي القلايد (اطنبت) .
- (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (يدعو)
- (٥) هكذا وردت في القلايد والمعجب ، وفي الإسكوريال (الأيام) .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي القلايد والمعجب (سلام) .
- (٧) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (أمل) .
- (٨) هذان البيتان الختاميان وردا فقط في المعجب . ولم يردا في الإسكوريال ولا في القلايد .

كان شيخاً مَخِيلاً بِسِمَةِ الخَيْر ، متظاهراً بالنَسَف ، بقية آل زِيَان ، متقدِّماً في باب الدهاء والذِّكْر ، بالغاً أقصى المبالغ في ذلك . سكن غرناطة ووادي آش ، ووُلِدَ بفرناطة . وكان أبوه ممن هلك في وقية فُرْتونة ، فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حجر أبيه وبعده ، ثم ثنى عِنايه إلى وطنه ، وتخطَّته المتالف عند تغلب السلطان صاحب المغرب على بلده تلمسان ، وغاص في عِرْض من تَهْنَأ الإبقاء من قبيله . وكان ممن شمله حصار الجزيرة ، ووصل قبله ممداً مع الجيش الغربي بجيش غرناطة عند مُنازلة القلعة . ولما جرت على واترهم السلطان أبي الحسن الهزيمة بظاهر القيروان ، وبعُد الطمع في انتشاله وجبره ، ولحق كل بوطنه ، حوم الفل من بني زِيَان على ضعفهم ، ومذ رحل عنه السلطان القايم بمُلك المغرب أبو عنان ، إلى محل الأمر ودار الملك ، وسدَّ تلمسان بشيخ من قبيلهم يعرف بابن حرار ، له شهرة وانتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف ، فذ في إدارة الحيلة ، وإحالة قِداح السياسة ، رأس الرُكْب الحجازي غير ما مرة ، وحلَّ من الملوك أَلطف محلَّة . ولما نهَد القوم إلى تلمسان ، ناهضهم ابن الحرار بمن استرُكِب من جنده ، وانضم إليه من قومه ، فدارت عليهم الهزيمة ، وأحيط به ، فتملَّك البلد ، وتُحصِّل في الثُفاف ، إلى أن هلك به مُقتالاً ، واستولى عثمان بن يحيى على المدينة ، وانقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد والقبائل ، فثاب لهم مُلكٌ لم تكد شُعلته تَقْد حتى خَبَتْ ، وعلى ذلك فبلغوا في الزمان القريب ، من وفور العُدَّة ، واستجادة الآلة ، وحُسن السيرة ، ما يقضى منه العجب . وانفرد عثمان بالأمر ، وعيَّن أخاه أبا ثابت الزعيم إلى إمارة الجيش ، فاستقام الصف ، وانضم النُشر ، وترتبت الألقاب ، واستأنفوا الدولة ، وتلقفوا الكُرَّة ،

وقل ما أذبر شيء فاقبل . وبادر السلطان بالأندلس مُفَاتِحَتِهِ مَهْنِيَا ،
وللحلف مجدداً ، بكتاب من إنشائي من فصوله :

« بعد الصدر والتحميد ، ولا زايد بفضل الله المرجو في الشدايد ،
لجميل العوايد ، إلا ما شرح الصدور ، وأكد السرور ، وبسط النفوس ،
وأضحك الرسن العبوس ، من اتساق أمور ذلك المملك لديكم ، واجتماع
كلمته عليكم ، وما تعرفنا أن الدولة الزيانية ، وصل الله لبُدورها استيناف
الكمال ، وأعلى أعلامها في هضاب اليمن والإقبال ، تذكرت الرسائل
القديمة والأدمة ، وألقت إلى قومها بالأزمة ، وحنّت إلى عهدهم على طول
النوى ، وأنشد لسان حالها ، « نقل فؤادك حيث شئت من الهوى » ، فأصبح
شيتتكم بأهلها مجموعا ، وعلم علياتها بأيدي أوليائها مرفوعا ، وملابس
اغتزازها بعد ابتزازها جديدة ، وظلال سُعودها على أغوارها ونُجودها مديدة ،
وقبيلها قد أنجح الله في ائتلافه أمل الآمل ، ومبتداها مرفوعا مع وجود
العوامل ، والكثير من أوطانها قد سلكت مسلكها في الطاعة ، وتبادرت
إلى استياق فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة ، فعظم الاستيشار بأن كان
لكم مالها ، وفي إيالتكم انتيالها ، من غير أن يعلّق بأسبابها من ليس من
أربابها ، ويطمع في اكتسابها من لم يكن في حسابها . وقلنا موارث وجب ،
وعاصب حجب ، وركب عُلج من بعد القفول ، وشمس طلعت من بعد
الأفول ، وجيد حلّ بعد ما اشتكى العطل ، وغريم قضى بعد ما مَطَل ،
وطرف تنبه بعد ما سَجَع ، ودري استقام سيره عقب ما رجع ، وقضية
انصرف دليلها عن حدود القواطع ، وطرحت عليه أشعة السُعود السواطع ،
لا بل عبْدُ أبقٍ لقتدِرِ سَبَقٍ ، حتى إذا راجع نهاه ، وعنله العقل ونهاه ،
جنح بعد هجره ، إلى كنف من نشأ في حِجره . وعلمنا أن الدولة التي

عَرَفْنَا مَكَارِمَهَا ، قَدْ دَالَتْ ، وَالْغَمَامَةُ الَّتِي شَكَرْنَا مَوَاقِعَهَا قَدْ انْثَالَتْ ، فَجَرِينَا فِي الْمَسْرَةِ مَلَأَ الْأَعْيُنَ ، وَشَارَكْنَا فِي شُكْرِ هَذِهِ الْمُنَّةِ ، وَأَصْدَرْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْخِطَابَ مُهْنِيًّا ، وَعَنِ الْوَدِّ الْكَرِيمِ وَالْوَلَاءِ الصَّمِيمِ مُنْبِيًّا ، وَفِي تَعْزِيزِ مَا بَيْنَ الْأَسْلَافِ ، جَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلَابِسَ الرُّضْوَانِ مُعِيدًا مُبْدِيًّا ، وَإِنْ تَأَخَّرَ مِنْهُ الْغَرَضُ ، وَقَضِيَ بِهَذَا الْعَهْدِ وَاجِبُهُ الْمُفْتَرَضُ ، وَالْأَعْذَارُ وَاضِحَةٌ ، وَأَدِلَّتْهَا رَاجِحَةٌ ، وَلِلْمُضَرَّرِ أَحْكَامُ تُمْضِي ، وَالْفَرُوضُ لِلْفَوَاتِ تُقْضَى ، فَكَيْفَ وَالْإِعْتِقَادُ الْجَمِيلُ مُسِيرٌ مُسَكِّنٌ ، وَالْوَقْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتِمِّكِنٌ ، وَمَا بَرِحْنَا فِي مَنَاطِ اجْتِهَادٍ ، وَتَرْجِيحِ اسْتِشْهَادٍ ، وَالْأَخْبَارِ يَضْطَرِدُ مَفْهُومُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ لَا يَتَخَصَّصُ عَمُومَهَا ، وَالْأَحَادِيثُ يَجُولُ فِي مُتَعَارَضِهَا النَّظَرُ ، وَلَا يَلْزِمُ الْعَمَلُ مَا لَمْ يَصْحَ الْخَيْرُ . فَلَمَّا تَحَدَّثْنَا الْأَمْرَ مِنْ قَصَبِهِ ، وَتَعَاضَدَ قِيَاسُهُ بِنَصَبِهِ ، لَمْ نُقَدِّمِ عَلَى الْمَبَادِرَةِ عَمَلًا ، وَبَيْنَا لَكُمْ مِنْ حَسَنِ اعْتِقَادِنَا مَا كَانَ مُجْمَلًا ، فَلْيَهْنُ تِلْكَ الْإِيَالَةَ مَا اسْتَأْنَفْتَهُ مِنْ شِبَاهِهَا ، وَتَسْرَبَلْتَهُ مِنْ جَدِيدِ أَثْوَابِهَا ، وَلِيَسْتَقْبَلَ الْعَيْشَ خَضِرًا ، وَالْدَهْرَ مُعْتَدِرًا ، وَالسَّعْدَ مُسْفِرًا .

وَتَمَادَى مُلْكُهُ مِنْ ثَلَاثِينَ وَالْعِشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَوْسَقَ مُلْكُ الْمَغْرِبِ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ ، وَاسْتَأْثَرَ إِلَيْهِ أَبِيهِ ، وَتَحَرَّكَ إِلَى مُنَازَلَةِ تَلْمَسَانَ فِي جِمَادَى الْآخِرَةِ عَامِ ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَكَسَرَ جَمْعَهُمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِهِمْ حَسْبَمَا يَأْتِي ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ سُلْطَانُهَا الْمَذْكُورُ ، مَوْثِرًا الْإِضْحَارَ عَلَى الْاجْتِحَارِ ، وَاللِقَاءَ عَلَى الْإِنْحِصَارِ ، وَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ ضُرُوسٌ ، نَاشِبٌ الزِّيَانِيُّونَ مَحَلَّاتِ الْمَغْرِبِ الْقِتَالِ ، بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِإِنْكَادٍ ، عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ شُرُوعِ فِي تَنْقُلِ وَسُكُونِ ، وَتَفْرُقٍ مِنْ الْحَامِيَةِ فِي ابْتِدَادِ الْخَلَا ، وَابْتِغَاءِ الْمَاءِ ، فَلَمْ يَرُعِ إِلَّا إِطْلَالَ الرِّيَابِ ، وَطَلُوعِ نَوَاصِي الْحَبِيلِ ، فَوْقَ الصَّرَاخِ ، وَعَلَى النَّدَاءِ ، وَارْتَفَعِ الْقَتَامُ ،

وبادر السلطان بمن معه من الخالصة ، وروم الركاب الصدمة ، ومضى قُدماً ، وقد طاش الخبر بهزيمته ، فعانتَ العُربان في محلته ، وكانوا على الأموال أعدى من عدوه ، وفرُّ الكثير إلى جهة المغرب بسوء الأحداث.

ولما تقاربت الوجوه ، وصدق المُصاع ، قذف الله في قلوب الزبانيين الرعب ، واستولى عليهم الإذبار ، فانهزموا أقبح هزيمة ، وتفرقوا شذَر مَذَر ، واختفى سلطانهم عثمان المترجم به ، وذهب متنكراً وقد ترجل ، فُعثر عليه من الغد ، وأوتى به فشد وثاقه ، وأسرع السلطان اللحاق بتلمسان ، وقد تلتماه أهلها مُعلنين بطاعته . ولا يُذنين بجناب عَفوه ، وتنكبها الجيش المفلول ، لنظر الأمير أبي ثابت ، فاستفرَّ بأحواز جزاير بني مَزْغَنَی (١) .

ودخل السلطان تلمسان في يوم الأحد ، الحادى عشر من ربيع الأول عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وتدامر بنومرين (٢) ، واستدرَكوا دَحْض الوصمة في أتباع أصدقاءهم المحروبيين ، فكان اللقاء بينهم ، وبين الجيش المفلول وحكَم الله باستيصالهم ، فمضى عليهم السيف ، وأوتى بزعيمهم الزعيم ، فاحتمل مع أخيه في لُمة من أوليائهم ، ونفذ الأمر لأقتالهم من بنى حرار بأخذ حقتهم ، فقتل عثمان والزعيم رحمهما الله بخارج تلمسان ذَبْحًا ، وألحق بهما عميد النولة يحيى بن داود ، بعد أن استُحضر عثمان بين يدي السلطان ، وأسمع تائبًا ، حَسُنَ عنه جوابه ، بما دلَّ على ثباتٍ وصبر . وانقضى أمر كرتهم الثانية ، وخطت منهم الأوطان ، وخطصت لبني مرين الجهة ، وصفت العِمالة . والله يعطى مُلكه من شاء سبحانه لا إله إلا هو ،

(١) جزائر بني مزغناي هو الاسم القديم الذي كان يطلق على مدينة الجزائر الحالية ، وذلك باسم القبيلة التي كانت تنزل بها (بنو مزغناي) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنو مروان) . ومن الواضح أن هذا تحريف ، وأن المقصود

هو (بنو مرين) حسبما يبدو ذلك جلياً من اضطراد النص .

وكان مقتل عثمان وأخيه في أوائل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية .

علي بن حمود بن ميهون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن
إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب
أول ملوك بني هاشم بالأندلس ، يكنى أبا الحسن ، ويلقب من
الألقاب السلطانية ، بالناصر لدين الله .

حاله

كان شهما لبيبا ، جرى اللقاء ، باطش السيف ، شديد السطوة ،
أسمر ، أعين ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، حادّ الذهن ، من أولى
الحزم والعزم .

خلافته

ذكروا أن هشام بن الحكم ، لما ضيق به الحجر ، كتب إليه في
السّر بعهد ولايته ، وأهله للأخذ بشاره ، فكان كذلك ، وأجاز البحر من
سبّته ، مظهرا القيام بنصر هشام عندما خلع ، فانحاش إليه كثير من
الناس ، وقصد قرطبة ، وبرز إليه الخليفة سليمان خالع هشام ومُغتاله ،
فظهر عليه علي بن حمود وهزمه ، ودخل قرطبة ، فقتل سليمان ، وبحث
عن هشام ، وقد فات فيه الأمر ، وتسمى بأمير المؤمنين . وأُيس به أهل
قرطبة ، لقهره من كان لنظره من البرابرة ، وإمضاء الأحكام عليهم .
قال المؤرخ ، فبرقت للعدل يومئذ بارقة ، لم تكد تقيد حتى خبت .
وكان الأغلب عليه السخاء والشجاعة .

ومدحه الكثير من الشعراء ، منهم أبو عمر^(١) بن درّاج ، وفيه يقول :

لعلك يا شمس عند الأصيل تحنّ بشجو الغريب الذليل
فكوني شفيعى إلى أين الشفيح وكوني رسولى إلى أين الرسول
فأما شهدتِ فأزكى شهيد وأما دكّلت فأهدى دليل
إلى الهاشمى إلى الطّالبي إلى الفاطمى العطوف الوصول

وصوله إلى البيرة

قل ، ولما استوسق الأمر ، واضطرب عليه خيران صاحب ألبيرة ، أغراه وأذن لحربه ، فخرج من قرطبة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربع مائة ، وسار إلى أن بلغ وادى آش ، وترادفت عليه الأمطار والسيول ، وانصرف إلى البيرة ثم إلى قرطبة .

وفاته

قال المؤرخ ، وفي سنة ثمان وأربعماية كان مقتل على بن حمود ، وذلك أن صقالبته قتلوه بموضع آمنه . فى حمام قصره ، وكانوا ثلاثة من أعمار^(٢) صبيان قصره ، منهم نجح وصاحبا ، وسدوا باب الحمام عليه ، وتسملوا ، ولم يحس أحدٌ بهم ، واستطال نساؤه بقاءه ، فدخلوا عليه ، ودمه يسيل فصح خبر مقتله ، وبعثت زناة إلى أخيه بإشبيلية ، فخاف أن يكون حيلة ، حتى كشف عن الأمر ، ولحق بقرطبة ، فأخرج جسده ، وصلى عليه ، وأنفذه إلى سبتة ، فدفن بها ، وبني عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان ، وقبض من قاتليه على صبيين عذبا بأنواع العذاب ، ثم قُتلا وصُلبا .

(١) وردت فى الإسكوريال (أبو عمرو) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أعمار) . والتصويب أنسب لابق .

علي بن يوسف بن تاشفين بن تو حرت^(١)

وينظر اتصال نسبه في اسم أبيه .
هو أمير المسلمين بالعُدوة والأندلس بعد أبيه ، يكنى أبا الحسن ،
تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة^(٢) ،
ثم ولّى أمره يوم وفاته وهو يوم الإثنين مستهل محرم عام خمسمائة .

حاله

وكان ملكاً عظيماً على الهمة رفيع القدر ، فسيح المعرفة شهير الحلم ،
عظيم السياسة ، أنفذ الحق ، واستظهر بالأزكياء ، ووالى الغزو ، وسدَّ
الشغور ، إلى أن دهمه من أمر الدولة الموحدية ما دهمه ، وكل شيء إلى
مدى ، فأهل السرح ، وحالف الإدبار ، وجاز إلى الأندلس ، وغزا فيها
بنفسه ، ودخل غرناطة وباشرها .

قال ابن عذاري ، تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله واستنجده
وسأله حسن الكفاية فيما قلده^٣ ، فوجده ملكاً مؤسساً ، وجُنُداً مُجَنِّداً ،
وسلطاناً قاهراً ، ومالاً وافراً ، فاقتفى إثر أبيه ، وسلك سبيله ، في عضد
الحق ، وإنصاف المظلوم ، وأمن الخائف ، وقمع المظالم ، وسدَّ الشغور ،
ونكاية العدو ، فلم يعدم التوفيق في أعماله ، والتسديد في حسن أفعاله .

دخوله غرناطة

وفي سنة خمس وخمسمائة ، جاز البحر إلى الجهاد . قال المؤرخ ، قدم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نسبة يوسف بن تاشفين المعروفة لنا ، أنه يوسف بن تاشفين
بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية الحميري الصنهاجي اللتوني .
(٢) في هذا التاريخ الذي يورده ابن الخطيب عن إصدار يوسف بن تاشفين ولاية عهده لابنه علي
شيء من التحريف . والصواب هو أن وثيقة تولية عهد يوسف لعل ، صدرت بحضرة قرطبة في
شهر ذي الحجة سنة ٥٤٩٦ .

على بن يوسف غرناطة مرات مع أبيه . وفي سنة خمس وخمسمائة تلوم بها رينما تلاحقت حشوده ، وتأهبت مطوعته وجنوده ، فافتتح مدينة طلبيرة عنوة ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسمائة ، فغزى قولمرية (١) .

ظهور الموحدين في أيامه

قال ابن عذارى ، في سنة أربع عشرة وخمسمائة ، كان ابتداء أمر الثاير على الدولة ، الجالب للفتن الجمة ، الجار لها منذ ثلاثين سنة ، حتى أقفر المعمور ، وأصار الضياء كالديجور ، محمد بن ترمّرت السوسى الملقّب بالمهدى . قلت ، وأخباره عجيبة ، وما زال أمره في ظهور ، وأمر هذه الدولة ، في ثبار وإدبار ، إلى أن محا رسومها ، وقطع دابرها ، والمُلك لله ، يُؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، سبحانه .

وفاته

قال ، وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، توفي أمير المسلمين على ابن يوسف ، لسبع خلون من رجب ، ولم يُشهر موته إلا لخمس خلون من شوال ، فكانت مدته من حين قدمه أبوه ، تسعا وثلاثين سنة وأشهرًا . وعمره إحدى وستون سنة ، قال ابن حماد ، ولما يتّس من نفسه ، عهد أن يُدفن بين قبور المسلمين ، ودُفن بها في جملتهم ، رحمه الله .

(٢) رسم هذه المدينة بهذه الصورة تحريف . وصوابه قلمورية أو قلمرية . وهي مدينة كبيرة تقع شمال البرتغال . وقد غزاها على بن يوسف بنفسه وافتتحها عنوة في صفر سنة ٥١١ هـ (يونيه ١١١٧م) وقد تبادلها المسلمون والنصارى مراراً . وبالبرتغالية «Coimbra» .

الأعيان والوزرا والأماثل والكبرا

عتيق بن زكريا بن مَوَّلِ التَّجِيبِي

قرطبي الأصل ، يمتُّ إلى الإمارة النصرية بقُربى صِهْر ، يكنى أبا بكر .

حاله

كان شهما جرياً مقداما ، جهوريا ، ذا أنفه وشارة ، مليح التجنُّد ،
 ظاهر الرجولية ، معروف الحق ، نبيه الولاية ، فصيح اللسان ، مطبوعا ،
 ذكيا ، مؤثرا للفكاهة . وُلِّيَّ القيادة بمدينة وادي آش ، عَقِبَ الرئيس
 المُنتزى بها ، ثم عُزل عنها بسعاية رُفعت فيه إلى ذى الوزارتين أبي عبد الله
 ابن الحكيم ، فساء ما بينهما لذلك ، وأعمل عليه التدبير ، بمداخلة الامير
 نصر ، وإغرايه بالأمر . فتم له التَّوَثُّبُ على ملك أخيه ، وخلعه يوم
 عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية ، وقُتل الوزير ابن الحكيم بين يديه ،
 وانتهبت منازلهم ، واستقل بعد بالتدبير والوزارة ، وحَصَلَ من صنائع
 الحاين ، ومتوقفي الضمط ، على مال عريض ، وقام بوظيف الوزارة محذور
 الشبا ، مرهوب المذية ، مسنوء الفتكة ، فلم يَنْشَبْ أن عُين للرسالة إلى
 باب السلطان ملك المغرب ، وسُدَّ باب الإياب لوجهته ، وأقام بالعُدوة ،
 تحت الحُظوة ، مشارا إليه في وجوه الدولة ، وزير المداخلة والرُتبة . وقد
 كان في ريان حدائته ، لحق بطاغية الروم ، ورَكِبَ في جُمَلته ، وعَلِقته
 جارية من بنات زعماء الروم ، لفضل جماله ، وزَيْنَ شبيبتة ، ففرَّ بها
 تحت حماية سيفه ، ولحق ببلاد المسلمين ، وكانت من أهل الاصاله
 والجمال ، فاتصل بمحلة أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، وقد

جاز إلى الاندلس غازيا . فاستخلصت منه لزية الحُسن ، واستقرت بقصر
السلطان ، حظية لطيفة المحل ، وجد أثر رِفدها وانتفع ، هو وبنوه بعائدها
جاهها ، وقد هلك السلطان . وقامت لمن خلفه مقام الأمومة ، فنالوا بها
دنيا عريضة ، وباشروا بالمغرب أهوالا ، وخاضوا في فتن ، إلى أن أسن ،
وقيدته الكبرة ، واستولت على بصره الزمانه ، ولما ولى الوزارة ولده
على عهد سادس الأمراء من بني نصر ، استقامه في ربيع الثاني من عام
تسعة وعشرين وسبعماية ، فقدم شيخا ، قد استثن أديمه واحقوب ،
ومسحة الظرف واللوزعية ، تتعلق منه بطلل بايد . ثم اقتضى تقلص
ظل الولاية عن ولده ، انصراف جميعهم إلى العتوة ، فكان ذلك في رجب
أو أول شعبان من العام ، وبها هلك .

وفاته

توفي بمدينة فاس رابع محرم عام ثلاثين وسبعماية . وكان كثيرا
يتمثل بقول الشاعر :

نصحتُ فلم أفلح وخانوا فأفلحوا فانزلني نصحي بدار هـوان
فإن عشتُ لم أنصح وإن متُّ فالعنوا دون النصح من بعدى بكل لسان
أخبرني بذلك شيخنا أبو الحسن بن الجياب وغيره .

عمر بن يحيى بن محلى البطوى

يكنى أبا علي .

حاله

كان يمت إلى السلطان ملك المغرب رحمه الله ، بالخولة ، وله جرأة

وجرم واضطّاع بالمهمة ، إلى نكراء وخُفوف إلى الفتنة ، واستشْهال العظيمة ، ولما تصيرت مالقة إلى إيالة السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق من قبل رؤسائها من بني إشقيلولة ، استظهر عليها من عمر هذا بحجاج رجاله ، وقدمه بقصبتها ، وجعل لنظره جيشاً أخشن ، يقوده رجل من كبار عُصفانه . وداخل السلطان ثاني الملوك من آل نصر ، عمر بن مُحلي هذا بوساطة أخيه طلحة السابق إلى إيالته ، فأحكم بينهما صرف مالقة إليه ، وانتقال عمر إلى خدمته ، مُعوضاً عن ذلك بمال له بال ، مُسكماً إليه حصن شلوبانية^(١) ، ولأخيه طلحة مدينة المنكب^(١) ، على أرزاق مقررة ، وأحوال مرتبة مقدرة . فتم ذلك ، وتحمل ثقات السلطان بقصبة مالقة ليلاً مع عمر ، واستدعى للغداة قائد الجيش ومثله من الوجوه ، مُورياً بمعارضتهم ، فسقط الغشاء بهم على سرحان ، وأخذهم اعتقاله ، رهينة استخلص بها من كان من عياله بالعنوة ، وجاء بها جلواة عارية ، أعربت عن لؤمه ونُبت أمانته ، وانتقل له موفى له بعهدده ، فحل بحصن شلوبانية منتصف عام سبعة وستين وسبعماية ، حسبما كتب لي بعض الشيوخ من مُسنّي بقية أهله ، واحتل أخوه طلحة بمدينة المنكب ، ولم يلبث أن خرج عنها للسلطان مُعوضاً بالمال ، وأعمل الانصراف إلى الحج . وأقام عمر بشلوبانية وما يليها من العمالة ، مظهراً للطاعة تمام العام المذكور ، وفسد ما بينه وبين السلطان المذكور ، وظهر الخلاف وأخيفت الطرق ، وتحرك السلطان إلى مُنازلته لأشهر ثلاثة من خلافه ، وحاصره أياماً شد فيها مُخنقه ، فلما رأى عزمه ، خاطب سلطانه ، الذي نزع عنه

(١) سبق التعريف بشلوبانية «Salobrena» (المجلد الأول ص ١١٢ حاشية) وكذلك بالمنكب

« Almunear » (المجلد الأول ص ١٠٠ حاشية) .

أمير المسلمين أبا يوسف ، وعرض الحصن عليه ، فبادر إليه بالأسطول ، فلما احتل
بمرسى حصنه ، واتصلت به يده ، ونشرت عنده بُنوده ، أفرج عنه
السلطان ، وانبت طمعه فيه ، وصرف وجهه إلى حصرته ، وبدا لعمرك في
أمره ، فصرف الأسطول متعللاً ببعض الأعذار ، وأقام على سبيله ، واتصل
ذلك بالسلطان ، فرتب عليه الحصن ، وضيق السبل ، وتحرك في صايفة
العام إلى منازلته في عُدَّة عظيمة ، وحاصره ورماه بالمجانيق ، وتتبع بها
مجاثه ، فأعياه الصبر ، وأعمل الحيلة بإظهار الإنابة ، وعرض على السلطان
التخلي عن الحصن ، وطلب منه أن يُوجه لقبضه وزيره ، وأخطى الرؤساء
لديه ، وصاحب بنده ، فوجههم السلطان في طائفة من حاشيتهم ، وقد
أمكن لهم عمر بممرجات الطريق ، بين يدي باب القلعة . فلما توسطوا
الكمنا ، وبرز عمر ليسلم عليهم ، ثار بهم رجاله الأسود وغيرهم ،
وقبضوا عليهم بمراى من السلطان ، وأدخلوهم الحصن وعاد السلطان
إلى قتاله ، فتوعد بقتلهم ، وجعلهم بأعلى السور ، ورمى عليه بحجر ،
فطرح أحدهم الحين ، وعلا صراخهم يسترحمون السلطان ، فكف عنه ،
وانصرف مكظوما . ولأيام وقعت المهادنة على تخليه عن شلوبانية في جملة
شروط صعبة ، منها العقد له على بنت السلطان المسماة بشمس ، وانتقاله
إلى مدينة المنكب ، فتم ذلك في وسط ثمانية وستين بعاه ، وتمادت المهادنة
شهورا أربعة ، ثم ثاب خلافه ، وضيق عليه الحصن المرتبة ، وخرج
للسلطان عن منكب على مال وعهد ، وصرف بعد وجهه إلى سلطانه ،
وتطارح عليه ، وهو بجزيرة طريف ، بعد أن أخذ أمانه ، زعموا ، وقد

كان أخوه طلحة سبق إليه ، فاعتقل يسيرا . ثم حُلَّ اعتقاله إيثارةً للعفة ، ورغياً للممات . ولما توفى السلطان أبو يوسف ، اضطره حاله ، وآل أمره إلى العود إلى الأندلس ، وبها الأشياخ من بنى عبد الله بن عبد الحق ، مطالبو أبيه بدم عمهم ، سبقوا مَقْدَمَه على السلطان بإيعاز^(١) منه ، وقد نزل بقرية أرملة^(٢) على وادي أفلم ، واعتصم منهم ببرج فقاتلوه واستنزروه فقتلوه ، فانقضى أمره على هذه الوتيرة ، والبقاء لله سبحانه .

هاجر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق

شيخ الغزاة بالأندلس ، وابن شيخها ، يكنى أبا ثابت ، أجرى مجرى الأصليين لولادته بالأندلس
« أوليته » . تأتي في اسم أبيه .

حاله

كان رئيساً جليلاً ، فذاً في الكفاية والإدراك ، نسيج وخذ في الدماء والتكراه ، مشاراً إليه في سعة الصدر ، ووفور العقل ، وانفساح الذرع . وبعد الغور ، باسلاً مقدماً ، صعب الشكيمة على الهمة ، لين الكلمة ، ريش جناح العز ، وافر أسباب الرياسة ، مجرباً ، مُحْتَنَكَا ، عارفاً بلسان قومه وأغراضهم . جاعلاً جفوات أخلاقهم دُبُرُ أذنه ، مهيباً على دماءه وإلحاح مقام . تولى الأمر بعد أبيه فقام به أحمد قيام ، مُسَلِّماً لبقية من مُسِنِي القمراة وأكابر الإخوة ، اعترافاً بالفضل ، وإيثارةً لمزية العتاقة

(١) وردت في الإسكوريال (باينار) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) هي قرية صغيرة تقع على الضفة اليسرى من شليل على مقربة من غرناطة وبالإسبانية « Armilla »

على الهجئة . فحلَّ أرفع المنحال . وتبنَّك على حال الضنا نعيما ، وغزا
غزوات شهيرة ، إلى أن تناسى الأمر . وكبا بهم الجد ، وحملهم قرب
مُخيفهم بالثَّار المُتيم ملك المغرب . لما اقتحم قُرُضة المجاز إلى الجهاد
على المبايئة ومراسلة الطاغية . فساعتِ القالة ، وفَسَد ما بينهم وبين
سلطانهم ، وأعمل عليهم التدبير .

نكبته

ثبت في الكتاب المسمى « بطرقة العصر » : ولما اتَّصلت ليدى
المسلمين ، وفصل أميرهم من مُلك المغرب ، تنمرَّ أضدادهم المناوؤن له المعاندون
قدرة الله فيه ، المتهيئون إلى القاصمة بمشاحنته ، فأظهروا النُّفور والجنر ،
وكانوا قد داخلوا ملك قشتالة وواعدوه اللحاق به ، إن راعهم رابع ،
ووصلتهم مخاطبته بقبولهم . فلما تخلف المسلمون عن اللحاق به ،
نسب لهم الفشل والتكاسل ، فانطلقت الألسن ، وملَّت القلوب ، وتُشوف
إلى الفتك بهم ، وهم عصابة بأسها شديد ، أشهروا فروسية ونجدة وأتباعا ،
فعظم الخطب ، وأعملت الشورى في أمرهم ، وصُرفت الحيل إلى كف
عاديتهم ، ومُعالجة أمرهم ، فتمَّ ذلك . ولما كان يوم السبت التاسع
والعشرون من ربيع الأول ، قعد لهم السلطان على عادته ، ووجه عنهم في
غرض الاستشارة في حال السفر إلى إمداد ملك المغرب ، وقد عبر ونازل
جزيرة طريف ، وفاوضهم فيما عليه الناس من إنكار التلوم ، ثم قام
السلطان من مجلسه ، وثارَت بهم الرجال ، فأُحيط بهم ، ونزعت سيوفهم
عن عواتقهم ، وطارت الخيل في ضمٍّ من شدِّ عنهم ، فتقبَّض على طايفة
من أعلامهم ، كانوا بين غرِّ يباشر قنصا ، أو مُفلت لم يجد مهربا ،
وطارت الكتب إلى مالقة في شأن من بها منهم ، فشملمهم الاعتقال ، ثم

نقلوا إلى مدينة المنكب ، فجعلوا في مُطَبِّقِ الأَسْرَى ها ، إبلاغا في النكال ، وتناهيا في المثلثة ، فلم تجر عليهم مصيبة أعظم منها ، لا اضطرارهم إلى قضاء حاجة الإنسان برأى عين من أخيه ، خطة خَسَفَ سَيَمُوهَا ، مع العلم بنفور نفوسهم عن مثلها ، وفيهم صدور البيت وأعلامه ، كَأَبِي ثَابِتِ المترجم به ، وأخيه كبيره إبراهيم ، وابن عمهم زين المواكب ، وقريع السيوف ، وعروس الخيل ، حَمُوُّ بن عبد الله ، وسواهم ، وقانا الله شر الهلكات ، وأشْرَابُ مُخِيفِهِمُ للسلطان صاحب المغرب ، وولى الثَّورَةَ ، إلى صرفهم إليه ، وقد استوجب من مَلِكِ الأَنْدَلُسِ الملائفة لالتفاته لسيءِ البُرْدِ ، واقتحامه باب القُطْرِ . وأخفق السعى ، وضمن بهم موقع النِّقْمَةِ عن إسلامهم إليه ، سيرة أحسنها في جنسهم من أولى الجهالف ، فأجلاهم عما قريب في البحر إلى إفريقية ، فاستقروا ببجاية ، ثم استقدموا إلى تونس تحت إرصاد ورقبة ، وأخضر فيهم ملكها الذِّمَّةَ ، وهم لديه ، فوجههم على بعد الدار ، ونزوح المزار ، إلى السلطان صاحب المغرب ، مُضْحَبِينَ بشفاعه فيهم ، كانت قُصَارَى ما لديه ، فاستقروا في الجملة تحت فلاح وكفاية ، لا تلفت إليهم عين ، ولا يتشبث بذمل حُطُوتِهِمْ أَمَلِ . ثم نُكَبُوا بظاهر سبته نكبة ثقيلة البرِّكِ ، [مغارة البرك الحمل] ، وأودعوا شرَّ السجون بمدينة مكناسة ، فأصبحوا رهن قيود عديدة ، ومسلحة مرتبة ، جرَّ ذلك عليهم ذرَّةً من القول في باب طمُوحِهِمْ إلى الثورة ، وعملهم على الانتزاع بسبته ، الله أعلم بحقه من مِينِهِ . ولما صيرَّ اللهُ مُلْكِ المغرب إلى السلطان ، أمير المؤمنين أبي عنان ، واضطره الحال إلى الاستظهار بمثلهم ، انتشلهم من النكبة ، وجبرهم بعد الصَّدْعَةِ ، وأعلَقَ يد كبيرهم المترجم به بعُرْوَةِ العزَّةِ ، واستعان بآرائه على افتراع الهضبة . فألقى منه

نقاباً قد هذبتة التجربة ، وأزهفتة المحنة ، وأخلصته الصنيفة ، فسل منه سيفاً على أعدايه ، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه ، واستفزته قوة الشر ، ولذة التشفى ، وذهب إلى أن يكمل للسلطان ناكبه . المجارة صاعاً بصاع ، فانتدب إلى ضبط ما بالأندلس من عمالة راجعة إلى ملك المغرب ، فانقلب يجر وراءه الجيش ، ويجنب القوة ، فقطع به عن أمله القاطع بالامال ، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعوناً لطفاً من الله به ، وبمن استهدف إلى النصب بمجادته . وهو سبحانه مليء بالمغفرة عن المُسرفين ، سبحانه .

« وفاته » ، في الأخباريات من عام تسعة وأربعين وسبعماية .

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

يكنى أبا الحسن .

حاله

هذا الرجل نسيج وخذ في الفضل والتخلق ، والوفاء ، ونصح العجيب ، وسلامة الصدر ، وحسن الخلق ، راجح العقل ، سرى المهمة ، جميل اللقاء ، رفيع البزة ، كريم الخصال ، يكتب ويشعر ، ويحفظ ويطلع غرائب الفنون ، صادق الموقف ، معروف البسالة ، ملوكى الصلوات ، غزل ، كثير الفكاهة ، على تيقور وحشمة ، قدمه السلطان شيخ الغزاة بمدينة وادي آش ، فلما وقعت به المحنة ، وركب الليل مُفلتاً إليها . اتفق لقاؤه إياه صباحاً على أميال منها ، وجاء به ، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها ، فاستقر بقصبتها وما كاد ، وأخذ له صفة أهلها ، وشمر في الدب عنه تسميراً نبأ فيه سمعه عن المصانعة ،

ودَّهنيه عن الجُملة ، وكفُّه عن قبول الأعواض ، فلم يَلْف فيه العدوُّ مَنعِزا ،
ولا للكيدة مَعجِما ، ولا استأثر عنه بشيء مما لديه . إلى أن كان انتقال السلطان
ولا للكيدة مَعجِما ، ولا استأثر عنه بشيء مما لديه ، إلى أن كان انتقال السلطان
عنها إلى المغرب ، فتبعه مُشيعا إلى مَأمَنه . فتركها غريبة في الوفاء ، شاع خبرها
وتُعوطن حديثُها ، على حين نُكِر المعروف ، وجُحِدت الحقوق ، وأخوت
بروق الأمل . ثم قَلِقَ المتغلب على الدولة بمكانه ، فصرفه إلى العنوة الغربية ،
فاستقرت به الدار هنالك ، في أوائل عام ثلاثة وستين أو أواخر العام قبله .

وخاطبته من مدينة سلا لمكان الودّ الذي بيني وبينه بما نصه :

يا جُملة الفضل والوفاء ما بمعاليك من خفاء
عندي بالود فيك عقْد صحَّحه الدهر باكتفاء
ما كنتُ أقضى علاك حقا لوجيتُ ملحا بكل فاء
فأول وجه القبول عُذرى وجنَّبُ الشك في صفاء

سيدي ، الذي هو فَضْلُ جنسه ، ومزِيَّة يومه على أمسه ، فإن افتخر
الدين من الله ببنده ، افتخر منه بشمسه ، رحلتُ عن المنشأ والقرارة ،
ومحلُّ الصبوة والغرارة ، فلم تتعلَّق نفسي بذخيرة ، ولا عهد حيرة خيرة ،
كتملُّقها بتلك الذات ، التي لطفَت لطافة الرّاح ، واشتعلت بالمجد
الصّراح ، شفقةً أن تُصيبها معرة ، والله يقيها ويحفظها ويُبقيها ، إذ
الفضايل في الأزمان الرُّذلة غوامل ، والضّد عن ضده منحرف بالطبع
ومايل . فلما تعرّفتُ خلاص سيدي من ذلك الوطن ، وإلقاء وراء الفُرْضة
بالعِطن ، لم تبق لي تعلّة ، ولا أجرَضتني علّة ، ولا أوتى جمعي من قلّة .
فكُتبتُ أهنيء نفسي الثانية ، بعد هناء نفسي الأولى ، وأعترف للزمن باليد
الطولى . فالحمد لله الذي جمع الشَّمْل بعد شتاته ، وأحيا الأُنس بعد مماته ،

سبحانه لا مُبدل لكلماته . وإياه أسئل أن يجعل العصمة حظاً سيدي
ونصيبه ، فلا يستطيع حادث أن يصيبه . وأنا أخذج عن بث كمين ،
ونصح أنابه قمين ، بعد أن أسبر غوره ، وأخبر طوره ، وأزصد دوره ،
فإن كان له في التفریق أمل . وفي ركب الحجاز ناقة وجمل . والرأى
فيه ، قد نجحت منه نية وعمل ، فقد غنى عن عوف والبقرات ، بأزكى
الشمرات ، وأطفأ هذه الجمرات برمي الجمرات ، وتانس بوصل السرى ،
ووصال السراه ، وأنا له إن رضى أرضى مرافق ، ولو أغرى به خافق .
وإن كان على السكون بناؤه ، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه ، فأمر له ما بعده ،
والله يحفظ من الغير سعده . والحق أن تحذف الأبهة وتختصر ، وتحفظ
اللسان وبغيض البصر ، وينخرط في الغمار ، ويخلى عن المضمار ، ويجعل
من المحذور مداخلة من لا خلاق له ، ممن لا يقبل الله قوله ولا عمله ،
فلا يكتم سرا ، ولا يتطرق من الرجولة زمرا ، ورفض الصحبة زمام السلامة ،
وترك النجاة علامة . وأما حالى فما علمتم ملازم كين ، ومبهوظ تجربة
وسين ، أزجى الأيام ، وأروم بعد التفرق الالتئام ، خالى اليد ، مالى
القلب والخلد ، بفضل الواحد الصمد . عامل على الرحلة الحجازية التى
أختارها لكم ولنفسى ، وأمل فى إلتماس الإعانة عليها يومى بأمنى ،
أوجب ما قررت له لكم ما أنتم أعلم به من ود قررت له الأيام والشهور ،
والخلوص المشهور . وما أطلت فى شىء عند قدومى على هذا الباب الكريم ،
إطالتى فيما يختص بكم من موالاته . وبذل مجهود القول والعمل فى
مروضاته . وأما ذكركم فى هذه الأوضاع ، فهو مما يقر عين العجادة ،
والوظيفة التى تنافس فيها أولو السيادة . والله يصل بقاءكم . ويبسر
لقاءكم والسلام .

وهذا الفاضل ممن جال فيه لاختيار الإمارة أيام مقامه بالعدوة الغربية ،
 للبياع فضله ، وكرم خِلاله . وقفل إلى الأندلس ، عند رجوع الدولة ،
 فجنى ثمرة ما أسلفه ، وقدم شيخ الغزاة بمالقة . ثم نقل إلى التي لا فوقها ،
 من تقديمه شيخ الغزاة بحضرته ، منة لا على ميادين حُطوته ، مُقطعا جانب
 تَجِلَّتْه ، فبلى الناس على عهد ولايته الفتوح الهنيئة ، والنعم السنية .
 ولما قفل السلطان أيده الله ، من فتح قاعدة جيان ، أصابه مرض ، توفى منه
 في ثالث صفر من عام تسعة وستين وسبعماية . فتأثر الناس لفقده ،
 لما بَلَّوهُ من يُمن طائره ، وحسن موارده ، ومصادره . وكان قد صدر له
 المنشور الكريم ، من إملاتى ، بما ينظر في اسم المؤلف ، في آخر هذا الديوان

على بن مسعود بن على بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود المحاربي

الوزير ، يكتنى أبا الحسن .

حِماله

كان من أعيان أهل الحضرة ، وذوى الهيآت والنباهة من بيوتها ،
 أيّدا ، حسن الشكل ، جهير الصوت ، فصيح اللسان ، ثرثاره ، جيد
 الخط ، حلو الدُعاة ، طيب النفس ، لبقاً ، ذكياً ، أديباً ، فاضلاً ،
 لموَدَعِيّاً ، مُدركاً . وزرَ للسلطان أبي الوليد ، نزع إليه لما دعا إلى نفسه
 بمالقة من إيالة مخلوعه بعد اضْطِناعه ، وصرف وُجهته إلى جهته ، فتغاب
 على هواه ، وأشركه في الوزارة ، مع القايد الوزير أبي عبد الله بن أبي الفتح
 الفهرى ، وقد مرّ ذكره ، فأبرّ عليه بمزيد المعرفة بالأمر الاشتغالية ، وجماع
 عِنان اللسان والجرأة ، في أبواب المُداخلات الوزارية . فلم يزل يضمّ أذبال

الخُطَّة ، ويقَلُّصُها عن قَسمِه ، إلى أن لم يبق له منها إلا الاسم إلى حين وفاته .

وفاته

واستمرت حاله على رَسْمه من القيام بالوزارة إلى أن فَتَكَ بسُلطانه قرابته بباب داره كما تقدم في اسم السلطان أبي الوليد في حرف الألف فكر^(١) أدراجه وهاج بالباطشين ، وسلَّ سيفه ، يدافع عنه ، فمالت إليه الأيدي ، وانصرفت إليه الوجوه ، وأصيب بجراحات مُثخنة ، أتى عليه منها جُرح دماغى لأيام . وعلى ذلك فلم يبرح من سدة السلطان ، حتى تعجَّل ثأره ، وشمل السيف قتلته . وأخذ البيعة لولده . وكانت وفاته في السابع والعشرين لشعبان من عام خمسة وعشرين وسبعماية . ودفن بباب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيما ، والشناء عليه كثيرا ، والرحمة له مُستفيضة .

ورثاه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب رحمه الله بقوله :

أيا زفرتي زیدی ویا عبّرتی جودی	على فاضل الدنيا على ابن مسعود
على الشامخ الأبيات في المجد والعلا	على السابق الغايات في البأس والجود
على غرة العصر التي جمعت إلى	مهابة مرغوب طلاقة مؤدود
على من له في الملك غير منازع	وزارة ميمون النقيبة محمود
على من إذا عدّ الكرام فإنه	بواجب حق الفضل أول معلود
ومن كعلی ذی الشجاعة والرّضا	لاضراخ مدعور وإيواء مطرود
ومن كعلی ذی السّماحة والندا	لاسباغ إنعام وإنجاز موعود
ومن كعلی للوزارة قائما عليها	بتصويب عليها وتضعيد
ومن كعلی للإدارة سالكا لها	نهج تليين مشوب بتشديد

(١) وردت في الإسكوريال (كر) . والتصويب أرجح .

ومن كعلى للسياسة منقذا
 ومن كعلى فى رضا الله حاكما
 ومن كعلى واصبل الرحم التى
 ومُسدى الأيادى البيض بدأ وعودة
 أيا كافى السلطان كل عظمة
 ويا حامى الملك المشيد بناؤه
 ويا كافل الأيتام يعجرى عليهم
 ذكرك فى نادى الوزارة صادعا
 ذكرك فى صدر الكتيبة^(١) قائما
 ذكرك فى المحراب والليل دامس
 ودمعك مرفض وقلبك واجب
 عفا على الدنيا ولا در درها
 فمهما حلت منها لديك مسرة
 ألهمنا على الوجه الجميل معطرا
 وعهدى به مستبشرا ومبشرا
 لأظلمت الدنيا على لفقده
 وقلص من ظل الرجا فراقه
 وكم سبحت فلك المنا فى بحارها
 وهون عندى كل خطب مصابه
 ولا أدعى أنى وفيت بعهده
 فلا يشمتن الأعداء إن حان حينه

أوامر تنفيذ وأحكام توطيد
 بإنجاد معلوم وإعدام موجود
 تمت بتقريب لـ أو بتبعيد
 مُرددة تمحو دجا الثوب السود
 بأراء تسديد وأعمال تمهيد
 بصولة مخذور وغرة مقصود
 جرية نعى بابها غير مسدود
 بأمر مطاع حكمه غير مردود
 بخدمة مؤلى بعد طاعة معبود
 تردد آى انذكر أطيب ترديد
 لخشية يوم بين عينك مشهود
 فما جمعها إلا رهين بتبديد
 ففى إثرها فارقب مرارة تنكيد
 بدار البلى رهين الأسود والذود
 بتفريج مكروب وراحة مجهود
 فها أنا أرها بمقلة مرصود
 فظل رجائى بعده غير ممدود
 مواخر فاليوم استوت بي على الجود
 فبعد على لست أبكى لمفقود
 فلم أزع عهدا حين أودى ولم أود
 فمبالردي عار فكل امرىء مود

(١) وردت فى الإسكوريال (التتية) . وهو تحريف اقتضى التصويب

ولا سبياً إذا مات ميتة عزة بعيداً شهيداً ماضياً غير رعديد
وفياً لمولاه مطيعاً لربه وقد بطلت دُعراً رِقَابِ الصَّنَادِيدِ
فبشرى له أن فاز حياً وميتاً بميتة مفعود وعيشة محسود
عليه سلام الله ما ذرَّ شارقُ وما صدعت ورقاء في فرع أملود
وجادت ثرى اللحد الزكى سحاب مجددة الرحمى بأحسن تجديد

على بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى

غرناطى ، قلعى^(١)

حاله

كان ظريفاً ، مليح الخط ، حار التندير ، عينا من عيون القطر ووزرائه

شعره

حدث أبو الحسن بن سعيد ، قال . تمشينا معا أيام استيلاء النهب
والتهدم . على معظم ديار مرأكش بلفتة المتصلة . قال ، فانتبهنا إلى
قصر من قصور أحد كبرايهم . وقد سجدت حيطانه . وتداعت أركانه ،
وبقايا النهب والأضيغة والمقربسات ، تشير الكد . ولا تبقى جلدًا لأحد ،
فوجدنا على بعضها مكتوباً بفخم :

ولقد مررت على رسوم ديارهم فبكيتهما والرَّبع قاعٌ صَفْصَف

وذكرت مَجْرَى الجُورِ في عَزْصَاتِهِمْ فعلمتُ أنَّ الدهرَ منهم مُنْصَف

فتناول أبو الحسن بياضاً من بقية جيار ، وكتب تحتها ما نصه :

لطفى عليهم دندهم فمشألهم بالله قل لي في الورى هل يُخَلَّف

من ذا يعجب مسدياً لو سيلة أم من يُجير من الزمان ويَعْطِف

(١) قلعى أعنى ينسب إلى القلعة ، قلعة بنى سعيد أو قلعة محصنة . وقد سبق التعريف بها
(راجع المجلد الأول - من الإحاطة ص ١١١ حاشية)

إن جار فيهم واحدٌ من جُملة كم كان فيهم من كريم ينصِّف
توفى بمراكش سنة سبع وعشرين وستماية .

على بن يوسف بن محمد بن كاشة

القايد والوزير بين القتادة والخرط ، يكنى أبا الحسن

أوليته

كان جدُّه من المُنتزِين ببعض حصون الأندلس ، طلياطيه^(١) ، وخدم
طاغية الروم ببعضها ، وانخرط في جُمَلته ، يشهد بذلك مكتوبات تلقاها
بشماله ، ووراء ظهره ، صانها حافِده المترجم به ، في خِرقة من السَّرَق
لا يزال ، يعرضها في سبيل الفخر ، على من يصل إلى باب السلطان من
رسل الروم . ولقد عرضها أيام سفارته إلى ملك قشتالة على وزيره شمويل
اللبى اليهودى ، وطلب تجديدها ، فقال له هذا يتضمن خدمة جدك
للسلطان مولاي جدِّ مولاي السلطان بجُملة من بلاد المسلمين ، وفيها
الشكرله والرعاية على ذلك ، فاذهب أنت هذا المذهب ، الذى ذهبه جدك ،
يتجدد لك ذلك إن شاء الله ، فلما هلك وورى بين مدافن الروم ، بعد
أن علَّق زمانا من سور الحصن في وعاء ، توفية لشرط لا أحققه الآن .
ولحق ولده بباب السلطان ، فتفسيثوا ظل كفالتة ، ونشثوا في عداد صبيته ،
ولما صلحوا للاستعمال ، استخلم منهم علياً كبيرهم في العمل ، فاستظهر
به على حفزه بحمى ألمرية ، وما إليها ، فأثرى ورآه استغنى ، وطالت
مدَّة ولايته ، واستعمل أخاه يوسف والد المترجم به ، في القيادة ، وكان

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ويرجح أنه يقصد هنا أن هذا الحصن كان يقع في منطقة

طلياطة « Tlita » وهي بلدة أندلسية تقع في ولاية الغرب غرب إشبيلية .

رجلا مضعوبا ، فاستمرت حاله إلى أن فقد بصره ، وجنى عليه شؤم ولده ، الجلا شيخا زَمِينًا . ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بها ، حسبما يذكر في إسميهما . وكانوا يتبجحون بنسبة إلى مَعْن بن زائدة . طَوَّقَ جَدَّهُم بتلك النسبة ، بعضُ أولى التَّنْفِقِ والكُذْبَةِ ، فتعلَّلوا منها بنسيج العناكب ، وأكذَّبوا بالخُلُقِ الممقوت ، والبُخْلِ بفتات القوت ، والتعبدُ لِعَبْدَةِ الطَّاغُوتِ ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، كثير المشقة ، جيد الرياش ، كثير التعلق والتوسل ، لَصِقَتْ بشجرات الدول صَمغته ، وثبتت بأسبابها قراده ، شديد الملاطفة لحجبة الأبواب ، والمداخلة لأذيال الأمراء ، مُتصامم على أغراضهم ، مُكذِّبٌ لمحسوس جفوتهم ، مُتَنَفِّقٌ بالسَّعَايَةِ ، مُتَبَدِّلٌ في أسواق الخدمة ، يسبق في الطيالس ، ويلفظ الزبير ، ويصرخ بالإطراء ، ويولول بالدعاء ، مدلٌّ في الأخونة ، محكمٌ في نفسه للنَّادِرَةِ التي تضحكهم ، بنى مهذار ، قليل التصنُّع ، بعيد عن التسمت ، أطمع خلق الله وأبخلهم بما لديه ، وأبعدهم في مهاوى الخسة ، أما فلسه فمخزون ، وأما خوانه فمحبوب ، وأما زاده فممنوع محجور ، وأما رِفْدُه فمعلوم العين والأثر . وأما ثوبه فحبيس التَّحْتِ إلى يوم القيامة ، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه ، ونفاضة مخالیه ، وسور دوابه مؤنة ما . فالنُّخَالَةُ بينة المصرف ، وللسرجين معين الجهة ، وفتات المنديل موقفة على فطور الغد ، ودهن الاستصباح جارٍ في التَّجَلَّةِ والادخار مجرى دهن البَلَسَانَ .

أخباره

في هذا الباب مُغْرِبَةٌ ، ولزمت كعبة المنحسة ، وعَلِقَ في عنقه طائر الشؤم ، فلم تنجح له وجهة ، ولا سَعِدَتْ له حركة ، واستقرَّ عند الكاينة

على الدولة ، بباب السلطان بالمغرب ، خاطباً في حَبْلِ الغادر ، المَتَوَثَّبِ
 على المُلْكِ ، ومُعِيناً للدمر على الأَحَبِّ الحقِّ ووليِّ النُّعْمَةِ . ثم بدا له في
 المقام بالمغرب أمناً واضطراباً . ولما رحل السلطان أبو عبد الله بن نصر
 المذكور ، إلى طلب حَقِّهِ ، وقد أَعْتَبَهُ ، سَدَّدَ به رسم الوزارة في طريقه ،
 كما اضطر صيادٌ إلى صُحْبَةِ كَلْبٍ مُخَابِتِ آماله ، ولحقت به المَشَامَةُ ،
 وتَبَّرَ الجُدُّ ، واشتهر ذلك ، فعَلِقَتْ به الشَّفَقَةُ ، إلى أن خاطب السلطان
 بعض من يهمله أمره هذه الأبيات :

كُماشِكُمْ من أَجَلِهِ انكُش السُّعْدُ	إذا ما أَطْرَحْتُمْ شُومَهُ نَجِزِ الوَعْدُ
ومن لم تكن للسُّعْدِ في بدءِ أمره	مَخِيلَةٌ نَجِحَ كيف تُرْجى له بعد
وتصريفُهُ المشُومِ فلتتذكروا	وما قلت إلا بالتي عَلِمْتَ سَعْدُ

واقضى أمره تبرُّماً به ، أن صُرف من رُنْدَةٍ ، وقد استقرَّ أمره بها

رسولاً إلى باب ملك المغرب ، لأُمُور منها استخلاص ولده وإيصاله إليه .
 فتعذَّر القَصْدُ ، وسُدَّتْ الأبواب ، وأزفَتْ بدار المغرب عهدٌ بَدَأَ الآزفة .
 وتراخى مُخَنَّقٌ مُرسله لخلو دَسْتِهِ منه ، فثاب الرجاء وقُرْبُ الفتح ،
 وساعد السُّعْدُ بما طال منه التَّعْجِبُ . ولما بلغ خبيرٌ صُنْعَ الله ، وإفاقة
 الأيام ، وجَبَرَ الله السلطان بدخول مالقة في طاعته ، لحق به ، وقد قَلِقَتْ
 به الجوانب ، وتنكرت الوجوه ، وساءت لطيرته الظُّنون . فتوقَّر العزم
 على صرفه عن الأندلس في أوليات رمضان عام ثلاثة وستين وسبعماية ،
 فقُبِضَ عليه ، وصُرف إلى البلاد الشرقية ، وقد شرع في إغراء سلطان
 قشتالة بالمسلمين ، وكان آخر العهد به ، وذكروا أنه حجَّ وقفل والعودة
 تشبَّهه ، والنفوس لمتوقِّع شُومِهِ مُكْرِهَةٌ . ورُجى أن يكون ماءً رمزم . وضوء
 النقع ، أو أن مشاهدته الآثار الكريمة ، تُصلح ما فسد من حاله . فأب

شرَّ إِيَاب ، وربما نَبَّض له شَرِيان من جَدِّه ، الذى تقدم فى خدمة النصارى ذكره . فَأَجَاز البحر إلى ملك برجلونة ، فجعل تقبيل كَنه ، لاستلام الحجر الأسود ، وسيلة ثانية ، وقُرْبَة مُزْلَفَة ، والقول بفضل وطنه حِجَّة صادقة ، ثم قَلِقَ لَحْيِيَّة قصده ، وخطوَّ يده ، من الزَّقُوم ، الذى كان قد اخْتَجَنَة للمُهْم من أمره ، واستيلاء النُّحس على بيت سَعْدِه ، فصرف وجهه المشُوم إلى المغرب ، فاحتلَّ به ، وجعل يُطَوِّق كل من أسلف له بِدا اللِّثام ، وَيَشِيح عنه سوء القِيْلَة ، وَيَجْهَر فى المجتمعات والدُّكَاكِين ، بكل شَنِيع من القول ، بِالغَا فى ألفاظ السُّغِيْلَة ، أَقْصَى مبالغ الفُحْش ، لطف الله بنا أجمعين .

عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

من قبيل بنى مَرِين ، يكنى أبا سعيد ، شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهده .

أَوْلِيَّتُهُمْ

جدُّ هؤلاء الأقبال الكِرَام ، الذى يشترك فيه الملوك الغرُّ من بنى مَرِين بالعُدْوَة ، مع هؤلاء القَرَابَة ، المُنتَبِين عنهم أضرار التُّراث ، ودواعى المنافسات ، عبد الحق بن مَحْيُو ، وكان له من الولد إدريس وعثمان وعبد الله ومحمد وأبو يحيى ويعقوب ، فكان الملوك بالمغرب من ولد يعقوب ، وهؤلاء من ولد عبد الله ، وإدريس ويعقوب ورُحُو . ولما قتل جدُّهم يعقوب ، بيد ابن عمه عبد الحق بن يعقوب ، أَجْفَلَ أخواه ومن معهم ، وانتَبَدُوا ، واستقرُّوا بتلمسان ، بعد أمور يطول شرحها . ثم اجتاز الشيخ أبو سعيد فى جُمْلَة من اجتاز منهم إلى الأندلس ، فنال بها العِزَّة والشُّهْرَة .

حاله

كان رجل وقته جلاله وأصاله ، ودهاء وشهرة وبسالة ، مرمي لاختيار عتاقة وفراة ، واجد الزمن أبهة ورؤاء . وخلقا ورجاحة ، أبدا ، عظيم الكراديس ، طوالا ، عريض المنكب ، أقنى الأنف ، تقع العين منه على أسد عيص ، وفحل هجمة ، بعيد الصيت ، ذائع الشهرة ، منجب الولد ، يحمي السرح ، ويزين اللست . لحق بتلمسان مع زوج أمه وعمه ، موسى بن رحو ، عندما فروا من الجبل بأحواز ورغة ، شابا كما اجتمع ، وأجاز البحر منها ، وخدم مرتزقا بها . ثم عاد إلى العُدوة برضا من عمه السلطان بها . ثم فر عنه ولحق بالأندلس ، واستقر بها ، وولى خطة الشياخة العامة ، وهي ما هي ، من سمو الهضبة ، وورود الرزق ، وانفساح الإقطاع ، فشارك ، وتبنك النعيم ، وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سبتة ، عند انتظامها في الإيالة النصرية . فشن الغارة ، ودعا إلى نفسه ، وخلا فطلب النزال ، فغلبت غارته أحواز وادي سبو . ثم رجع أدراجه إلى الأندلس ، وذمر السلطان أبا الوليد ، منفق حذوته على طلب الملك ، ففازت به قداحه ، واستولى على الجم من ريق دنياه ، وسل الكيثر من ماله وذخيرته في أبواب من العبادة ، والاستيرضاء والاستهداء . ولما توفى ، تضاعف لطف محله من ولده ، إلى أن ساء ما بينه وبين مدبر أمره ابن المحروق ، ونفر عنه ، مؤاخذا بألقيات ، كانت سلما إلى تجنيه ، يحسب أن الافتقار إليه ، يُعبد له كل وعث . فاغتنم المذكور نفرتة ، واستبصر في الانتباز عنه ، مطيما دواعي الخور والرهبية ، من شؤوب حاله ، وأجل الأمير عن رحيله وولده إلى ساحل ألمرية ، موادعا ، مزمعا الرحيل عن الأندلس ، وارتاد الجهات ، وراسل الملوك بالعدوة ، فكل صم

عن ندايه ، وسُدَّ السبيل إليه ، فداخل قرما من مَشِيخة حصن أندَرَش حاضرة وطن الجباية ، فاسنولى عليه ، وانتقل إليه بجُمْلته ، وراسل الطاغية ، فتحرك إلى منازل حصن وبَّرة من الحصون التاكرونية . ففازت به قِداحه ، واستُدعى عم السلطان ، وهو الرئيس أبو عبد الله بن فرج ابن نصر من تلمسان ، فدعا إليه ، وشَمكت الفتنه ، وكانت بينه وبين جيش الحضرة وقايح ، تناصَّف فيها القوم خِطَّتِي المُساجلة إلى أن نَفِد صبره وماله ، وسَمَت فتنته الدولة ، واقتَضت مُسالمة المصلحة ، فعُوهد على التخلَّى عن الحصن ، وصُرف أميره إلى مُتَبَوِّئه الأَقصى ، وانتقاله إلى مدينة وادي آش ، ليكون سكنه بها ، تحت جرايات مُقدَّرة ، وذلك في شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعماية ، وعلى تفية ذلك ، عدا على مناويه أميره ، ففتك به ، واستقدم الشيخ أبا سعيد فأعاده إلى محلِّه . واستمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته ، إلى أن توفي في أخريات أيامه .

وفاته

ولما نزل العدوُّ ثغر أطيبة ، ونهض جيش المسلمين إلى مضايقته ، أصابه المرض . ولما أشفى ونقل إلى مالقة ، فكانت بها وفاته يوم الأحد ثانی ذی حجة من عام ثلاثين وسبعماية عن سن عالية تنيف على الثمانين سنة ، ونُقل إلى غرناطة ، فوورى بها ، وبُنيت عليه بُنية ضخمة ، وصار أمره إلى ولده . ونقش على قبره في الرخام :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال الكماة ، واحدُ الجلالة ، ليثُ الإقدام والبسالة ، عَلمُ الأعلام ، حامى ذِمار الإسلام ، صاحبُ الكتايب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازى المسطورة ، وإمام الصفوف ، القايم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ،

وقاصم الأعاد ، وأسد الآساد ، العالى همم ، الثابت القدم ، الإمام المجاهد الأرضى ، البطل الباسل الأَمْضى ، المقدم ، المرحوم ، أبى سعيد عثمان ، ابن الشيخ الجليل ، الإمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدّس ، المرحوم أبى العلاء إدريس ، ابن عبد الله بن عبد الحق . كان عمره ثمانيا وسبعين سنة ، أنفق ما بين رَوْحة فى سبيل الله ، وغَدوة ، حتى استوفى فى المشهور . سبع مائة واثنين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره جاهدا مُجاهدا ، فى طاعة الرب ، مُحْتَسِباً فى إدارة الحرب ، ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مُصادما من تدفق التيار ، وصنع الله له فيهم ، من الصنایع الكبار ، ما صار ذكره فى الأقطار ، أشهر من المثل السيار ، حتى توفى رحمه الله ، وغُبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقبٌ لطاغية الكفار وأحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفى مَلحمة الجهاد قبضه الله إليه ، واستأثر به ، سعيداً مُرْتَضاً ، وسيفه على رأس ملك الروم مُنتصفا ، مقدّمة قبُول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلاً عن نيته الصالحة ، وتجارته الراححة ، فارتجت الأندلس لفقدِهِ ، أتخفه الله رحمةً من عنده ، توفى يوم الأحد الثانى لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعماية .

القضاة الأصليون

عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى النسافى

غرناطى ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفرا ، ويعرف عقبه ببني الوادى آشى ، وقد مر ذكر ولده أبى الفرج ، ويُنبز بقرنيات .

حاله

حدثنى أبى رضى الله عنه ، وكان صديقا لأبيه ، أنه كان من أهل

الجلالة والفضل ، حسن السمت ، عظيم الوقار ، جميل الرواء ، فاضلا ،
حسن العشرة . وقال القاضي ابن عبد الملك ، كان جاسعا لفنون من المعارف ،
معروف الفضل في كل ما يُناول من الأمور العلمية ، وقيد كثيرا ، وعُني
بالعلم العناية التامة ، واستقضى بالمتكّب ، وعُرف في ذلك بالعدالة
والنزاهة .

توالياه : صنف « نزهة الأبصار في نسب الأنصار » ، و« نظم الحلي
في أرجوزة أبي علي » ، يعني ابن سينا .

شعره

قال ومما نظمته ووجهته به صُحبة رسالتين :

ياراكباً يَبغى الجنب الأشرفا	ومناه أن يلقى الكريم المُسئفا
عرج بنطية مرة لتري بها	علمي قبول رحمةً وتعطففا
وإذا خللت بها فقبل تُربها	وارغب جلالهم عسى أن يُسئفا
وأسيل دموعك رغبة وتضرعا	وأطل بها عند التضرع موقفا
واذكر ذنوبك واعترف بعظيمها	فعسى الذي ترجوله أن يعطففا
واجعل شفيعك إن قصدت عناية	قبراً تقدس تُربةً وتشرففا
قبرٌ تضمن نور هدى واضحا	لم يَحْتجب عن مبصره ولا اخففا
قبر حوى النور المبين ونوره	يَهدي به سُبُل السلام من اقتفا
قبر به الهاشمي محمد أبهى	الأنام سنا وأوفى من وفا
خير الورى علمُ التقى شمس	الهدى المُنتقى والمجتبا والمُصطففا
سلم عليه وخصه بتحية	واقرا عليه من السلام مُضاعفا
واذكر هديت أخا البطالة عمره	كم نقض العهد وأخلففا
ولكم تيقن بالليل فماله	ركب العناد لجاجة وتعسفا
وعصى فأسلم للقطيعة والجوى	حق علي من خان أو لا يعرففا

هل للعفو تنفّح نحوه يوماً فيضحي بالرضا متعرفاً
وأعد حديث مشوق قلبه عنده من لم يذنب شوقاً له ما أنصفا
إخبره عن حبي وطول تشوق تفديك عطفة نفسي مخبراً ومعرفاً
وتشك من جاء إليه فإن لي نفساً تسوفني المتاب تسوفاً

مولده : بقرناطة في ذي حجة خمس وثلاثين وسبعمائة .
وفاته : ذكر أنه كان حياً سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

علي بن محمد بن توبة

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان من العلماء الجلة الفقهاء الفضلاء . وُلّي قضاء قرناطة لبديس ابن حبّوس ، وعلى يديه كان عمل منبر جامعها ، وكان عمله في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وكان من قضاة العدل ، وإليه تنسب قنطرة القاضي بقرناطة ، والمسجد المتصل بها في قبيلتها . وكان كاتبه الزاهد أبا إسحق الإلبيري^(١) ، وفيه يقول :

بعلي^(٢) بن توبة فاز قذحي وسمت همتي على الجوزاء^(٣)
فهنيئاً لنا وللدين قضا مثله عالم بفضل القضاء
يخيم الأمر بالسياسة والعدل كحسم^(٤) الحسام للأماء
لو أنا سيرناه قال اعترافا غلظ الواصفون لي بالذكاء
أو رأى أخنف وأكبر منه حلّمه ما انتموا إلى الحكماء

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يا علي) .
(٣) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد من القصيدة في الزيتونة .
(٤) وردت في الإسكوريال (لحم) فاتنض التصويب .

أورأى المُنصفون بحرَ نَداه
هو أَوْقَى من الشُّمول عهدا
وحيا المزن وحيا أخاه
يشهد العالمون في كل فن
وقضاة الزمان أرضُ لديهم
لتعرضت مدحه فكأنني
فأنا مُعجم على أن خيلى
لكسأني مخبرا ثوب فخر
ولو أنصفتُه وذاك قليل
فأنا عبده وذاك فخارى
وثناء وقف عليه وشكرى

جعلوا حاتمًا من البحر لاء
ولما زال مُغرماً بالوفاء
أهملت كفه بوبل العطاء
أنه كان كالشهاب في العلماء
وهو من فوقهم كمثل السماء
رُمت بحراً مساجلا بالدلاء
لا تجارى في حلبة الشعراء
طال حتى حررتَه من وراء
كان خدي لتعله كالحذاء
وجمالي بين الورى وبهاء
ودُعائي له بطول البقاء

على بن عمر بن محمد بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن

الغريب بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن الغريب الحمداني

والغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليانين بالأندلس يكنى
أبا الحسن .

ولي غرناطة^(١) . وكان من أهل العلم والفهم ، والمشاركة في الطب ،
والكفاية الجيدة ، والشعر في ذروة همدان ، وذوايبيهما ، حسن الخط ،

(١) اقتصر ابن الخطيب على هذه الإشارة بالنسبة لحركة القاضي ابن أضحي . ونضيف نحن
إلى ذلك أن ابن أضحي كان من زعماء الثورة ضد المرابطين ، حينما توضع سلطانهم بالأندلس ، وظهر
عليهم الموحدون بالمغرب . وقد كان ابن أضحي يومئذ قاضياً لغرناطة ، فاعلن الثورة ودعا لنفسه ،
وآزره أهل المدينة وتعاونوا على إخراج المرابطين ، فاعتصموا بالقصبة . ولما أعياء أمرهم ، يمث
فريق من أهل المدينة في استدعاء سيف الدولة بن هود ليأق لولايتها ، فجاء من جيان في بعض قواته .
ولكن المرابطين اشتد أمرهم وهزموا خصومهم . وفي تلك الأثناء توفي ابن أضحي بتناوله لفتح مسموم .
كان قد أعد لاغتيال ابن هود وذلك في سنة ٥٤٠ هـ . وكان مولده بالمرية سنة ٤٩٥ هـ .

كريم النفس ، جواد بما يمارى ، عطاياه جزلة ، ومواهبه سنية ، وخلقه
سهلة ، كثير البشاشة ، مليح الدعابة ، موطأ الأكناف ، على خلق الأشراف
والسادة .

مشيخته

روى بالمرية عن القاضي أبي محمد بن سمحون وبه ، تفقه . وقرأ
الأدب على ابن بقة ، وعلى الإمام الأستاذ أبي الحسن على بن أحمد بن
الباذش ، وسمع الحديث على المحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن
ابن عطية وغيره .

شعره

من شعره يخاطب الوزير ابن أبي ويعتذر إليه ، وكان الفقيه أبو جعفر
المذكور ، قد خاطبه شافعاً في بعض الأعيان ، فتلقى شفاعته بالقبول ،
ثم اعتقد أنه قد جاء مقصراً ، فكتب إليه :

وَمُسْتَشْفَعٌ عِنْدِي بِخَيْرِ الْوَرَى	عِنْدِي وَأَوْلَاهُمْ بِالشُّكْرِ مِنِّي وَبِالْحَمْدِ
وَصَلْتُ فَلَمَّا لَمْ أَقْمِ بِجِزَايِهِ	لَفَفْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
وَكُتِبَ يَخَاطِبُ أَبَا نَصْرٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو نَصْرٍ خَاطِبَهُ قَبْلَ ذَلِكَ :	
أَتَتْنِي أَبَا نَصْرٍ نَتِيجَةُ خَاطِرِ	سَرِيعِ كَرَجْعِ الطَّرْفِ فِي الْخَطَرَاتِ
فَأَعْرَبْتُ عَنْ وَجْدِ كَمِينِ طَوَيْتِهِ	بِأَهْيَفِ طَاوٍ فَاتِرِ اللَّحْظَاتِ
غَزَالُ أَحْمُ الْمُقْلَتَيْنِ عَرَفْتَهُ	نُحَيْفُ مِنِّي لِلْحَسَنِ أَوْ عَرَفَاتِ
رِمَاكَ فَأَضْمَى وَالْقُلُوبَ رَمِيَةً	لِكُلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي فَتَكَاتِ
وِظَنَ بِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُحْصَبٌ	فَلْبَاكَ مِنْ جَنَابِهِ بِالْجَمْرَاتِ
تَقْرَبُ بِالنُّسَاكِ فِي كُلِّ مَنْسَكِ	وَضَحَى غَدَاةَ النَّحْرِ بِالمُهْجَاتِ
وَكَانَتْ لَهُ جِيَانٌ مَشْوَى فَأَصْبَحَتْ	ضُلُوعَكَ مَشَوَاهُ بِكُلِّ فَلَاتِ

يعزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهِيمَ فَتَنْطَوِي كَبِيْبَا عَلَى الْأَشْجَانِ وَالزُّفْرَاتِ
 فَلَوْ قُبِلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحَبِّ فِدْيَةٌ فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبُشْرَاتِ
 وخطب أحد أوليائه شافعاً في رجل طلق امرأته ، ثم عَلِقَتْ بها نفسه ،
 فلم تُسَعِّفه ، وكتب إليه :

أَلَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُجْتَبَى	وَيَا أَيُّهَا الْأَعْمَى الْعَلَمَ
أَتَتَنَّى أَيْبَاتِكَ الْمُعْجَزَاتِ	بِمَا قَدْ حَوَتْ مِنْ بَدِيعِ الْحِكْمِ
وَلَمْ أَرْ مِنْ قَبْلِهَا بَابِلًا	وَقَدْ نَفَّثَتْ سِحْرَهَا فِي الْكَلِمِ
وَلَكِنَّهُ الدِّينَ لَا يُشْتَرَى	بِنَشْرِ وَلَا بِنِظَامِ نُظْمِ
وَكَيفَ أُبَيِّحُ حِمًّا مَانِعًا	وَكَيفَ أُحِلُّ مَا قَدْ حُرِّمَ
أَلَسْتُ أَخَافُ عِقَابَ الْإِلَهِ	وَنَارًا مُوجِبَةَ تَضْطَرْمِ
أَأَصْرِفُهَا طَالِقَةً بَتَّةً	عَلَى أَنْوَاكٍ قَدْ طَعَنِي وَاجْتَرَمِ
وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ الْغَيِّ الْخُمُولِ	تَشَبَّتَ فِي أَمْرِي مَا نَلِمِ
وَلَكِنَّهُ طَاشَ مُسْتَعْجَلًا	فَكَانَ أَحَقَّ الْوَرَى بِالنِّمِ

ومن شعره أيضا قوله رحمه الله :

يَا عَلِيمَا بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ	أَنَا عَبْدٌ مُثْقَلٌ بِالذَّنُوبِ
فَاعْفُ عَنِّي وَتُبْ عَلَيَّ وَفَرِّجْ	مَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَلِيمِ الْكُرُوبِ
حَالَمَا أَشْتَكِي سِوَاكَ طَبِيبِ	كَيْفَ أُشْجِي بِهِ وَأَنْتَ طَبِيبِ
أَنَا مِمَّنْ دَعَا قَرِيبٌ مُجِيبٌ	فَأَرْحِ مَا بِمُهْجَتِي عَنْ قَرِيبِ

توالياه

قال أبو القاسم بن خلف الغافقي ، حدثني عنه الفقيه أبو خالد
 ابن يزيد بن محمد وغيره بتوالياه ، منها كتاب « قوت النفوس » ،

«وأنس الجليس» وهو كتاب حسن ، ضمن فيه كثيراً من شمائل النبي عليه الصلاة والسلام .

توفي بفرناطة في سنة أربعين وخمسية ، وهو يحاصر المثلثين^(١) بقصبة غرناطة حسبما ثبت في اسم ابن هود أحمد^(٢) .

ومن الطاريين والغرباء

عثمن بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن منظور ، الأستاذ القاضي من بيت بني منظور الإشبيليين أحد بيوت الأندلس المعمور^(٣) بالنباهة .

حاله

كان رحمه الله صدرأ في علماء بلده ، أستاذاً ممتعا من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق ، ثاقب الذهن ، أصيل البحث ، مضطلعا بالمشكلات ، مشاركاً في فنون ، من فقه وعربية ، برز فيهما ، إلى أصول وقراءات وطب ومنطق . قرأ كثيراً ، ثم تلاحق بالشاذين ، ثم غبّر^(٤) في وجوه السوابق . قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار ، ولازم الأستاذ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي ، وتزوج إبنة الفقيه أبي علي بن الحسن ، فاستقرت

(١) أمي المرابطين

(٢) وردت في أعلى هامش المخطوط (لوحة ٣٠٢) هذه الفقرة من كلام المختصر : « وما ينبغي أن يتنبه له بما قد يشتهه في فتاوى هذا المترجم ، وفتاوى القاضي أبي عمرو بن منظور قاضي غرناطة ، وهو متأخر عن هذا من أهل المائة الثامنة من معاصري الفقيه أبي عبد الله المواق . وفتاوى هذين الرجلين مسطورة في «المعار» . والمعار هو كتاب «المعار العرب عن فتاوى إفريقية والمغرب» للفقيه المغربي أحمد بن يحيى الوشريني المتوفى سنة ٩١٤ هـ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المعروف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عري) .

عنده كتب والدها ، فاستعان بها على العلم والتبحر في المسائل ، وقيد بخطه الكثير ، واجتهد وصنف ، وأقرأ ببلده ، متحرِّفاً بصناعة التوثيق ، فعظُم به الانتفاع ، وقعد للتدريس [خلفاً للراوية] ^(١) أبي عثمان بن عيسى في شوال عام تسعة وسبعماية وولى القضاء ببُلُش وقُمارش ، وملتماس ^(٢) ، ثم ببلده مالقة ، وتوفى قاضياً بها . لقيته ، وانتفعت ببلقيه ، وبلوت منه أحسن الناس خلقاً ، وأعدبهم فكاهة .

شعره

وكان قليلاً ما يَصُدُّرُ عنه ، كتب على ظهر الكتاب الذي ألفه للوزير أبي بكر بن ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، مُقتدياً بغيره من الأعلام في زمانه :

قد جمع الحكيم وفصل الخطاب	ما ضمه مجموع هذا الكتاب
من أدب غض ومن علية	تسابقوا للخير في كل باب
فجاء فذا في العلى والنهى	ومنتقى صفو لباب اللباب
ألفه الحبير الجليل الذى	حاز العلاء إرثا وكسباً قطاب

توالياقه

ألف كتاب « اللع الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية » . وله تقييد في الفرياض حسن ، سماه ، « بُغية المباحث في معرفة مقدمات الموارد » ، وآخر في المسح على الأتفاق ^(٣) الاندلسى .

وفاته : توفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي حجة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية ، ولم يَخْلِفْ بعده مثله .

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (خلفا من الرواية) . والتصويب أنسب لسياق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (منماش) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

على بن أحمد بن الحسن المدحجي

من أهل حصن ملتاس^(١) ، وابن وزيره الفقيه الحافظ القاضي ،
يكنى أبا الحسن ، ويعرف بجده .

حاله

من أولى الأصالة والصيانة والتعفف ، والعكوف على الخير ، والآوين
إلى طعمة متوارثة ، ونباهة قديمة ، صنّاع اليد ، مُتَمِّين لكل ما يحاوله
من تَسْعِير وِنِجَارَة ، مَبْدُول المودة ، مُطْعَم للطعام بدار له معدة للضيفان
من فضلاء من تطوّه الطريق ، وَيَعْشَاه [من] أبناء السبيل . وُلِيَ قضاء بلده
في نحو عشرين سنة ، فحَمَدَت سيرته ، ثم وُلِيَ قضاء مالقة ، فظهرت
دُرَيْبته ومعرفته بالأحكام . فَأَعْفَى وعاد إلى ما كان بسبيله من القضاء
بموضعه والخطابة .

مشيخته : قرأ على الشيخين الصالحين ، أبي جعفر بن الزيات ، وأبي
عبد الله بن الكماد ببلده ، بَلِّش ، وأخذ عنهما .
توالياً : له أجوبة حسنة في الفقه . وصنف على كتاب البراذعي تصنيفاً
حسناً ، بلغ فيه إلى آخر رزمة البيوع ثلاثة عشر سفراً ، واستمرت على
ذلك حاله .

توفي ببلده بَلِّش في^(٢) من عام ستة وأربعين وسبعماية .

على بن عبد الله بن الحسن الجُدَامِي التُّبَاهِي المَالِئِي

صاحبنا أبو الحسن .

(١) هكذا في الإسكوريال . وهي نفس البلدة التي وردت في الترجمة السابقة .

(٢) بياض في المخطوط .

أوليته

تنظر فيما تقدم من أهل بيته والمذكورين فيه من سلفه^(١) .

حاله

هذا الرجل ، وُلِّي قضاء الحضرة ، وخطابة جامع السلطان ، وعرض له تقزز فيما يقف عليه من مُنتخب وصفه ، وعدم رضاً بما يُجتهد فيه من تحلّيته ، فوكلنا التعريف بخصايصه ، إلى ما اشتهر من حميدها ، تخرجاً مما يجز عتبه ، أو يثير عدم رضاه^(٢) .

مشيخته

ذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ الْخَطِيبِ أَبِي بَكْرٍ الطَّنْجَالِيِّ ، قَرِيبَ أَبِيهِ ،

(١) سبق أن أورد ابن الخطيب ترجمة لأحد أجداده ، وهو الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (المجلد الأول ص ٤٦٥ - ٤٧٦) .

(٢) نود أن نضيف إلى هذه الفقرة الموجزة التي أوردتها المختصر ، ما ذكره ابن الخطيب من أوصاف النباهي في ترجمته الأصلية له ، وهي التي نقلها إلينا المقرئ في نفع الطيب . وذلك فيما يأتي : « على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي ، أبو الحسن ، ويعرف بالنباهي . هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة ، وبقية تميز وأصالة ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، غاطب للشيخوخة ، مستعجل للشيبة ، ظاهر الحياء ، متحرك مع السكون ، بعيد النور ، مرهف الجوانب مع الانكاش ، مقتصد في الملابس والآلة ، متظاهر بالسذاجة ، برىء من النوك والنفلة ، يقظ للمعارض ، مهتد إلى الملاحن ، طرف في الجود ، حافظ ، مقيد ، طلعة ، إخباري ، قائم على تاريخ بلده . شرع في تكميل ما صنف فيه ، ولازم للتقيد والتطريف ، متفرعن الإجازات والفوائد . استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيراً . حسن الخط ، ناظم ، ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير ، استظهر محفوظات منها النوادر للقال ، وناهيك به محفوظاً مهجوراً . ومسلماً غفلاً ، فما ظنك بسواه . نشأ ببلده حر الطعمة ، فاضل الأبوة ، وقرأ به ، ثم ولي القضاء بلباس ثم يبلس وعملها ، فسبح الخطه ، مطلق الجراية ، بعيد المدى في باب النزاهة ، ماضياً غير هيوب . حتى أربى في الزمن القريب على المحتكين وغير في وجوه أهل الدربة ، وجرت أحكامه مستندة إلى الفتيا ، جارية على المسائل المشهورة . ثم نقل منها إلى النظر في أمور الحل والمقد بمالقة ، مضافاً إليه الخطط النبوية . وصدر له منشور من إملات » .

(نفع الطيب ج ٣ ص ٤٦٩) .

والناظر عليه بعده بوصاته . وكان من أهل الدرّاية والرواية ، وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني ، شهر بابن حفيد الأمين ، وقرأ عليه الفقه والقرآن ، وسمع عليه ، وتلا على الشيخ الأستاذ المقرئ أبي محمد بن أيوب ، وسمع عليه الكثير . وهو آخر من حدث عن أبي بن أبي الأحوص . وعلى الشيخ المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد ابن درهم ، وأخذ عن قريبه القاضي ، نسيج وحده أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري . ومن أشياخه صهره القاضي الأستاذ أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ الحافظ المتكلم أبو عبد الله القطان ، والصوفي أبي الطاهر محمد ابن صفوان ، والقاضي الكاتب أبو القاسم محمد البناء . وصحب الشيخ أبا بكر بن الحكيم ، ولازمه وروى عنه . ولقى الخطيب المقرئ أبا القاسم ابن جزي ، وأخذ نسبه عن الشيخ أبي القاسم بن عمران . وبرئدة عن القاضي المحدث المقيد أبي الحجاج يوسف المنتشافي . ورحل فلقى بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي ، وحضر مجلسه ، والأخوين الإمامين أبا زيد وأبا موسى ابني الامام . وبياجة^(١) ، أبا العباس أحمد بن الرباعي ، وأبا عبد الله بن هرون . وبتونس أعلاما ، كقاضي الجماعة أبي عبد الله ابن عبد السلام . قال ومن خطه نقلت ، وأجازني من أهل المشرق والمغرب ، عالم كثير .

شعره

قال ، نظمت مقطوعتين ، موطنًا بهما على البيتين المشهورين .

الأولى منهما قولي :

بنفسى من غزلان غزوى وغزالة جمالٌ مُحيّاها عن النسك زاجر

(١) المقصود هنا باجة الواقعة بشمال إفريقية (تونس) ، وليس باجة الواقعة في غرب الأندلس.

ولو أنه النَّسْر الذي هو طائر
هوها بقلبي في المهامه ساير
من الحب ميعاد السلو المقابر

تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها
معطرة الأنفاس رائقة الحلى
إذا رُمْتُ عنها سلوة قال شافع
والأخرى قولي :

لئن ملت عن سلمى فعُتْرِكَ ظاهر
وهل لك بعد الشيب في الحب عاذر
فما لهواها عند مثلي آخِر
سريرة وُدِّ يوم تبلى السراير

وقائلة لما رأت شيب لِمَتِي
زمان التصابي قد مضى لسبيله
فقلت لها كلا وإن تَلِفَ الفتى
ستبقى لها في مُضمَر القلب والحشا

وكتب مع شكل يحلنو على النعل الكريم ، من شأنه أن يكتب ذلك لكل
مُزَمَّع سفر :

حديث نبي الله خاتم رسله
به الأثر الماثور في شأن نعله
له نال ما يهواه ساعة حمله
فقد ظفرت يُمناه بالأمن كله
مثالا كريما لا نظير لِمِثْلِهِ

فديتك لا يُهدى إليك أجل من
ومن ذلك الباب المثال الذي أتى
ومن فضله مهما يكن عند حامل
ولا سيما إن كان ذا سفر به
فدونك منه أيها العلم الرضا

ومن ذلك قوله :

من يافت كان أصلا أو من الياس
فلا أضرُّ على عبدٍ من الياس

لا تلجان لمخلوق من الناس
وثيق بربك لا تياس ترى^(١) عجباً

ومن قوله يمدح السلطان ويصف الإعدار :

هذا الزمان لمولانا ابن مولانا

أبدي لنا من ضروب الحسن أفنانا

يقول فيها لطف الله بنا وبه :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجد) .

ولا تحرك لسانا يا أخا ثقة
يظل ينشر ميث الوجد عن جدث
بريم رامة إن وفى وإن خانا
من الجفون أو الأحشاء عرياناً

ثم قال فيها بعد كثير يرجي عفو الله فيه :

فما النسيب أولى من حديث علا
يممه تحفظ بما أملت من أمل
عن الإمام ينيل المرء رضواناً
يُجنيك للسؤل أفناناً فأفناناً

ومنها في المدح :

ملك يخف لراجيه بنايله
ملك ينص له الآلاء عزته
على وقار يرى كالعين ثملانا
على السعادة في الدارين فرقانا
تخال فيه لها روحاً وريحاناً
إذا سألت منه لوجه الرشد هانا
قضاعن منكبي صرفه ظلما وعدوانا
لا يستطيع له المدعو عصيانا

ومنها في ذكر الإعذار :

لله درك يا مولاي من ملك
ولم تبال ببذل المال في غرض
وقمت في الولد الميمون طائره
بدا لنا قمرًا ترنو العيون له
وقام يسحب أذيال الجمال على
خجلان بالقصور عن بلوغ مدا
فدته أنفسنا لو كان يقبلها
فيادما سال عن تقوى فعاد له

ولا دليل على الغفلة المعبر عنها بالسلامة والذهول كقوله : وقمت في

الولد الميمون طائرته . ومن ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب
أبا القاسم بن رضوان ؛

لك الله قلبى فى هواك رهين
ملكك بحكم الفضل كلى خالصاً
فهب لى من نطقى بمقدار ما به
فقد شملتنا من رضاك ملايس
أعنت على الدهر العشوم ولم تزل
وقصر من لم تعلم النفس أنه
وإنى بحمد الله [عنه]^(٢) لنى غنى
أبى لى مجد عن كرام ورثته
ونفسى سممت فوق السماكين همة
ولما رأت عيني محياك أقسمت
وعاد لها الأنس الذى كان قد مضى
بحيث نشأنا لابسين حلى التوى
أما وسنى تلك الليالى وطيبها
وفتيان صديق كالشموس وكالحيا
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا
إذا مر حين زاده الشوق جدة
لقد عبثت أرى الزمان بجمعنا

وروحى عنى إن رحلت ظعين
وملكك للحر الصريح يزين
يترجم سر فى الفؤاد ذفين
وسح لنا^(١) من نذاك معين
بدنياك فى الأمر المهم تعين
خنول إذا خان الزمان يخون
وحسبى صبر عن سواك يصون
وقوقاً بباب للكرام^(٣) يهين
وما كل نفس بالهوان تدين
بانك للفعل الجميل ضمين^(٤)
برية إذا شرخ الشباب خلين
وكل بكل عند ذاك ضنين
ووجد غرامى والحديث شجون
حديثهم ماشيت عنه يكون
عليها له بين الضلوع أنين
وليس يعاب للربوع حنين
وحان افتراق لم نخله يحين

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (لدينا) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الكريم) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ضنين) والتصويب من النسخ ،

وبعد التَّقِينَا فِي مَحَلِّ تَغْرُبِ
فَقَابَلْتِ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتِ أَهْلُهُ
وَوَغَيْتَ وَمَا غَابَتْ مَكَارِمُكَ الَّتِي
يَمِينًا لَقَدْ أَوْلَيْتَنَا مِنْكَ نِعْمَةً
وَيَقْضُرُ عَنْهَا الْوَصْفُ إِذْ هِيَ كَلْمَا
وَلَمَّا قَدِمْتَ الْآنَ زَادَ سُرُورُنَا
لَأَنَّكَ أَنْتِ الرُّوحُ مِنَّا وَكَلْنَا
وَلَوْ كَانَ قَدْرُ الْحُبِّ فِيكَ لِقَاؤُنَا
وَلَكِنْ قَصَدْنَا رَاحَةَ الْمَجْدِ دُونَنَا^(١)
هَنِيئًا هَنِيئًا أَيَا الْعِلْمِ الرُّضَا
لَكَ الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ وَالْعِلْمُ وَالتَّقَى
وَكَم لَكَ فِي دَارِ^(٢) الْخِلَافَةِ مِنْ يَدِ
وَقَامَتْ عَلَيْهَا لِلْمَلُوكِ أَدْلَةٌ
فَلَا وَجْهَ إِلَّا وَهُوَ بِالْبَشْرِ مُقْبِلُ^(٣)
بَقِيَتْ لِرَبِّعِ الْفَضْلِ تَحْمِي ذِمَّارِهِ
وَدُونِكَ يَا قَطْبَ الْمَعَالِي بُنْيَةِ
أَتَتْكَ ابْنِ رِضْوَانِ تَمَّتْ بُوْدَهَا
فَحِظْ انْتِقَادَ الْبَحْثِ^(٤) عَنْ هَفْوَاتِهَا
وَخِذْهَا عَلَى عِلَّاتِهَا فَحَدِيثِهَا

ومن شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم من قصيدة :

- (١) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جهندا) .
- (٢) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (باب) .
- (٣) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مشرق) .
- (٤) مكذا في الإسكوريال . وفي النفع (البحر) .

خَلِيلِي مُرًّا عَلَى أَرْضِ مَارَبٍ وَلَا تَعْدِلَانِي إِنِّي غَيْرُ آيِبٍ
وهي طويلة أثبتت في الرحلة . فليتنظرها هنالك من أراد استيفاء غرضها .

نثره

من أمثل ما صدر عنه في غرض غريب ، وهو وصف نخلة بإزاء باب
الحمراء . ونثره كثير ، ولكننا اخترنا له ما اختار لنفسه ، وأشاد بشُفوفه
على أبناء جنسه :

يا أيها الأَخْلَاءُ الَّذِينَ لَهُمُ الصَّنَائِعُ ، التي تحسدها الغمايم ، والبدايع
التي تودُّها بدلا من أزهارها الكمايم ، بقيتم وشملكم جميع ، وروض
أملككم مريع ، والكل منكم للغريب الحَسَنُ من حديث المُحِبِّ سَمِيعُ ،

بَارِضُ النَّخْلِ قَلْبِي مُسْتَهَامُ فَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَنْهَا الْمَقَامُ

لِذَا رَأَيْتُ لَهَا شَبَهَا أَقُولُ وَمَا يُصَاحِبُنِي مَلَامُ

أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ

فَسَلِّمْتُ يَوْمًا تَسْلِيمَ الْمَبْرَةِ ، على مدنها الحرة البيرة ، جارة حايط الدار ،
الواقفة للخدمة كالمنار ، على سيدة الجدار ، بياض النهار ، وسواد الليل ،
المتلفعة بشعار الوقار ، المكفولة الذليل ، أنيسة مشيخة الجماعة ، القاطنة
من الحمراء العلية ، بباب ابن سماعة ، فحين عطفت عليها ، وصرفت
زمام راجلتى إليها ، ووقفت بإزاء فناءها ، ولكنها وقوف المشفق من
فناءى وفنائها ، وقلت لها كيف حالك أيتها الجارة ، الساكنة بنجدة
الحجارة ، الواعظة للقريب والبعيد ، بمقامها صامنة على الصعيد .

سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا وَلَا زَلْتِ فِي خَضْرَاءِ غَضِّ نَظِيرُهَا
فَمَا أَحَقُّكَ مِنْ بَاسِقَةٍ بِالْتَرَحِيبِ ، وأقربك من رحمت السميع المجيب ،
خلتها اهتزت عند النداء اهتزاز السرور ، وتمايلت أكماتها تمايل الثميل

المسرور ، ثم قالت لسابيلها بلسان وسايلها ، عند مشاهدة مثلى تقول
العرب ، عينها فرارها ، واينو جدُّها للناظرين اصفرارها ، وجملة
بُخيتي ، بعد إتمام تحيتي ، أن الدهر عَجَمَ قَنَاقِي ، ومُسُّ الكَبِيرِ كَلْدَرُ
سِنَاقِي ، وما عسى أن أبيت من تُكُنَاقِي ، وجلُّ عُلَاقِي من تركيب ذاتي .
ولكنني أجد مع ذلك ، أن وقاري ، حسنٌ لدى الحيِّ احتقاري ، وكثرةُ
قناعتي ، أثرت إضاعتي ، وكمالُ قُدِّي ، أوجبَ قُدِّي ، فما أنسَ م
الأشياء ، لا أنسَ علوان جُعسوس من لعبوش اليهود أو المجوس ، يفحص
بمُدَيْتِه عن وريدي ، ويحرص على مدِّ جريدي ، ويجدع كل عام بخنجره
أنفِي ، وكلما رُمْتُ كَفُّ إِذَابَتِه عني ، كشم كف ، فلو رأيت صَعَصَعَةَ
أفئاني ، وَسَمِعْتُم عند جَذْمِ بِنَانِي ، قَعَقَعَةَ جَنَانِي ، والدمع لما جَفَانِي ، يفيض
من أجفاني ، والجُعسوس الخبيث المنحوس ، قد شد ما حدُّ بَأْمِرَاسِه ،
ورفعه لبيعة كفره على راسه . بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور ،
حسبنا ثبت في الحديث المشهور ، لِحَمَلْتِكُمْ يَا بَنِي سَامِ وَحَامِ عَلَى الْغَيْرَةِ
وشايح الأرحام ، فقد علمتم بنص الأثر ، أني عمُّكم القديمة ، وإن لم
أكن لذلك بأهل ، فإني لكم اليوم خديمة ، أو من ذرية الفريق الموجب ،
المضروب به المثل يوم السقيفة ، لمن رام من أشرف الأندلس أن يكون
إذ ذاك خليفة . ونخالة أبي كانت النخلة البرشا الكبيرة ، التي حادتها
الأمير عبد الرحمن بالرصافة^(١) القريبة من كورة البيرة . فكيف يسهل
اليوم عليكم إهمالي ، ويَجْمُلُ لديكم إخمالي ، وترك احتيمالي ، والأيام
والحمد لله مُسَاعِدَةٌ ، وَالْمُلْكُ مُلْكُ بَنِي سَاعِدَةٍ . فلما سمعتُ عِتَابَهَا ، وعلمت

(١) يشير هنا إلى أمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، أول أمراء بني أمية بالأندلس ،
والقصيدة التي يخاطب بها نخلة وحيدة رأها بجي الرصافة ، ضاحية قرطبة ، ومطلها :
تيدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل

أَنها قد شَدَّتْ للمناضلة أَقْتابها . قلت لها أَهلاً بك وسهلاً . ومهلاً عليك
أو بَهْلاً ، لقد دَسَع^(١) بعيرُك ، وعادت بالخيبة عيرُك . فليست الحقيقة
كالمجاز ، ولا جَلِيْقِيَّة في النِّيَّات كالحجاز . هنا جنَّات من أعناب مُرسلة
الذُّيول ، مُكَمِّلة الأَطْناب ، قد طاب اسْتِيَّارها ، وحَمْدُ اسْتِيَّارها وَاخْتِيَّارها ، وعُدَّتْ
عيون أَنهارها ، وتفتَّتْ كمايم أزهارها ، عن وَرْدِها ونَرْجِسِها وبَهَّارها ،
وسرَّتْ بطَرْفِ محاسنها الرِّفاق ، حتى قَلِقَتْ منها الشَّام واليمن والعراق .
فحين كثر خيرُها ، سُجِرَ بالضرورة غيرُها ، وأنت لا كنتِ يا خَشْبَةَ ،
قد صِرت من المنال عُشْبَةَ ، وأصبحت نذلي خالفة ، ورذلي بالهم تالفة ،
لا يُجتنى بلحك ولا طلعك ، ولا يُرتجى نفعك ، فالأولى قَطْعك أو قَلْعك ،
وإلا فأين قنوك أو صنوك ، أو تمرك أو سَبْرُك ، هلا أبقيت يا فَسِيلَةَ على
نفسك ، وراعيته صِلْحَةَ جنسك . ولقد انتهت بك المحارِجة إلى ارتكاب
ما لا يجوز ، وفي علمك أن من أمثال الحكماء ، كُلُّ هالك عجز . حسبك
السُّمْحُ لك بالمُقَام ، ما دمت حية في هذا المقام . فانقطع كلامُها ، وارتفع
بحكم العجز ملامُها . وما كان إلا أن نُقل مقال . فقال المتكلم بلسان
القالى ، أنا أتطوِّع بالجواب ، وعلى الله جزيلُ الثواب ، ليعلم كلُّ سايل ،
أن تفضيل النخل على العنب ، من المسائل التي لا يَسَعُ فيها جحد جاحد ،
وإن كانا أخوين سُقياً بماء واحد . وقد جرى مثلاً هذا الخطاب بين يدي
عمر بن الخطاب ، فقيل يا بنى حنمة ، أيها أطيَّب ، الرُّطْبُ أم العنب ،
فقال ليس كالصقر ، في رؤوس الرُّقُل ، الراسخات في العقل ، المُطعمات
في المَحَلِّ ، تحفة الصَّيْمِ ، ونُقْلة الصَّبِيِّ القادم ، ونزل مريم بنت عمران .
والنخلة هي التي مُثِّلَ بها المؤمن من الإنسان ، ليس كالزَّبِيْبِ ، الذي

(١) وردت في الإسكوريال (دسج) ، ومنتقد أن التصويب أرجح ، وأكثر اتساق مع المعنى .

إن أكلته ضيرت ، وإن تركته غربت ، وكفى بهذه الرواية حجة ، لمن أراد سلوك الحجّة . وعلى كل تقدير ، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكرمة ، لزوم الصلة للموصول ، والنصب للمنادى المطول ، والعجز لكتابي المحصل والموصول . وكم على ترجيح ذلك من قياس صحيح ، ونقل ثابت صريح . قال ، واعتذاركم بالمهممة عن فعل المكرمة لأمة في تلك الطباع كامنة ، وسامة للتلف لا للخلف ضامنة . وذكرتم الثمرة والبسرة ، والوقت ليس بوقت عسرة ، فأذكرتم قول القائل ، في بعض المسائل . دغنا من تمرتان وبُسرتان أو تمرتين وبُسرتين ، على الوجهين ، المتوجهين في المسلتين ، وفي ضمن ذكركم لذلك أدلة صدق على تطلع النفس الفقيرة ، للأعراض التافهة الحقيمة ، والإمامة العظمى ، أجل عندنا وأسمى . من أن تلحظ بعينها تلك الملاحظ ، ولو اصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبينه ، عمرو بن بحر الجاحظ ، إذ هي كافاً الله فضلها ، ولا قلص ظلها كالسحاب ، نجرد بغيثها على الآكام والضراب ، ومنابت الشجر من التراب ، فضلا عن الخدمة والأتراب ، فليس يضيع مع جميل نظرها ، ذو نسب ، ولا يُجهل في أيامها السعيدة مقدار منتسب إلى حسب . وإن وقعت هفوة صغيرة ، أعقبتها حسنة كبيرة ، ومنن أثيرة ، ونعم كثيرة . ولم لا ، وزُوح أمرها ، ومذهب نصره جمرها ، علم السادة للقادة الأكابر ، المغرم بجبر كل كسير ، وناهيك من به جابر الرازي (١) ، ذكر مآثره ، بعرف أطيب الطيب . الوزير أبو عبد الله بن الخطيب . والمطلوب منه لهذه الشجرة الثرما ، الغربية الشما ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إنما هو يسير بنا . وظهير اعتنا ، وخنجر يرما ،

(١) وردت في الإسكوريال (الزاري) .

لعل عَبَاسَةَ أَدِيمَ دُوحَا أَنْ تَذْهَبَ . وَأَكْمَامَ كَسَاةَ قَنُوحَا ، أَنْ تُقَضِّضَ
 بِنَعِيمِ النَّضَارَةِ ثُمَّ تَذْهَبَ ، وَيَعُودَ إِلَيْهَا شَرِيحُ شَبَابِهَا ، وَتَسْتَحْكَمَ صُفْرَةَ
 ثِيَابِهَا ، وَخُضْرَةَ جِلْبَابِهَا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بَيْنَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ، مِنْ أَسْهَلِ
 الْعَمَلِ عَلَى مَجْدِ الْأَمِيرِ ، وَفَضْلِ الْوَزِيرِ ، إِذْ هُمَا ، دَامَ عَزُهُمَا ، عَلَى بَيْنَةِ
 مِنْ أَنْ الْإِحْسَانَ الْقَاحِ ، وَالشُّكْرَ نِتَاجَهُ . وَالثَّنَاءُ إِكْلِيلُ ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ
 تَاجُهُ . قَالَ الْمُسْلِمُ ، وَمَنْ يَا إِخْوَتِي لَعَلِّي ، بِمَعَارِضَةِ الْحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَلَوْ
 أَنِّي اشْتَمَلْتُ شَمْلَةَ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، وَأَصْبَحْتُ أَفْصَحَ مِنْ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ ،
 وَأَخْطَبَ مِنْ شُبَيْبٍ ، وَأَشْعَرَ مِنْ حَبِيبٍ ، وَجُزْتُ مِنْ طَرَقِ الْجِدَالِ ، مِنْ مَنَازِلِ
 نَقْدَةِ صِدُورِ الْإِبْدَالِ . وَعَلَى أَنَّهُ مَا قَالَ إِلَّا حَقًّا ، فَبُعْدًا لِلْمَرْءِ وَسُخْفًا .
 وَلَكِنِّي أَقْسَمُ عَلَيْكُمْ بِمُقَدَّرِ الضُّيَا وَالْحَلَكِ ، وَمُسْتَخْرَجِ نَجْمِ الْفَلَكَ ،
 بِإِصَابَةِ الْأَعْرَابِ ، وَأَصْحَابِ الْإِعْرَابِ ، وَأَرْبَابِ فَنُونِ الْإِعْرَابِ ، أَلَا مَا
 تَمَّامْتُمْ فُصُولَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَأَقْتَتَيْتُمْ عَمَّا يَتَرَجَّحُ فِيهَا لَدَيْكُمْ مِنْ نَسْخِ أَوْ
 فَسْخِ ، أَوْ إِجَادَةِ أَوْ إِقَالَةِ ، فَانْتَمَ عِلْمَاءُ الْكَلَامِ ، وَزَعَمَاءُ كِتَابِ الْأَقْلَامِ ،
 وَالْمَرَاغِمَاتِ بَيْنَ شَقَاشِقِ الرِّجَالِ ، شَنْشَنَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَطَرِيقَةٌ إِلَيْهَا الْوُجُوهُ
 فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَخَاطِبَاتِ مَضْرُوفَةٌ ، لِأَزَلْتُمْ مَذْكَورِينَ فِي أَهْلِ الْبَيَانِ ،
 مُشْكِرِينَ عَلَى بَدَلِ الْفَضْلِ مَدَى الْأَحْيَانِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ
 حَادِيكُمْ ، وَنُورَ الْعِلْمِ هَادِيكُمْ ، وَمِنْهُ نَسَلٌ جَلٌّ اسْمُهُ ، التَّنْطَهِيرُ مِنْ كُلِّ
 مَعَابَةٍ ، وَالسَّمْحُ فِيهَا تَخَلُّلٌ هَذِهِ الْمَقَامَةَ مِنْ دُعَابَةٍ ، وَالتَّحِيَّةُ الْكَرِيمَةُ مَعَ
 السَّلَامِ الطَّيِّبِ الْمُعَادِ ، يُعْتَمَدُ مِنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنَ الْآنَ إِلَى يَوْمِ الْمُعَادِ ،
 وَالرَّحْمَاتِ وَالْمَسْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرَاتِ . مِنْ كَاتِبِهَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن الحسن ، أرشده الله^(١) .

المقريون والعلماء

على بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصارى

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، الشيخ الأستاذ ، إمام الفريضة
بجامع غرناطة .

حاله

من الملاحى ، أوجد زمانه إتقاناً ، ومعرفة ، ومشاركة فى العلوم ،
وانفراداً بعلم العربية . وكان حسن الخط ، كثير الكتب ، ترك منها
بخطه كثيراً جداً ، شارك فى الحديث ، عالماً بأسماء رجاله ونقلته ،
مع الدين ، والفضل ، والزهد ، والانقباض عن أهل الدنيا ، وترك
الملابسة لهم .

مشيخته

قرأ على المقرئ بغرناطة أبى القاسم نعم الخلف بن محمد بن يحيى الأنصارى ،
وأبى على الصّدقى . وغيرهم ممن يطول ذكرهم . وحدث [عنه] القاضى

(١) يحذر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الترجمة التى أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة لأبى الحسن
النباهى ، وأشاد فيها بجميل صفاته . قد كتبت حوالى سنة ٧٦٩ - ٨٧٧٠ ، حينما كان ابن الخطيب
فى أوج سلطانه فى الوزارة ، وكان النباهى وهو يشغل يومئذ منصب قاضى الجماعة ، من أصدقائه
وأوليائه . فلما تغيرت الأحوال ، وشمر ابن الخطيب بتغير ملكه عليه ، ونشبت الخصومة بينه
وبين النباهى ، واضطر فى النهاية إلى أن يغادر الأندلس لاجئاً إلى المغرب تحت كنف السلطان
عبد العزيز المرينى ، وكتب بعد ذلك كتابه «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»
كتب ترجمة جديدة لأبى الحسن النباهى ، تفيض بالطن المر ، والهجاء المقلع ، والأوصاف المجددة
وذلك حسبما أشرنا إليه فى مقدمة المجلد الأول من الإحاطة . (راجع الكتيبة الكامنة - طبع بيروت
سنة ١٩٦٣ - ص ١٤٦ وما بعدها) .

أبو الفضل عياض بن موسى ، والقاضي أبو محمد بن عطية ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، والقاضي أبو بكر جابر بن يحيى التغلبي ، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زَمَين ، والقاضي أبو الحسن بن أضحى .

تواليافه

ألف فى النحو كتبا كثيرة ، منها على كتاب سبويه ، وعلى كتاب المُقتضب ، وعلى الأصول لابن السراج . وشرح كتاب الإيضاح ، وكلامه على كتاب الجمل لأبى القاسم ، وكلامه على الكافى لابن النحاس . مع التنبيه على وَهمه فى نحو مائة موضع ، إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو القاسم ، وله نظم ليس بالكثير . فمن ذلك :

أصبحت تقعد بالهوى وتقوم وبه تقسرّظ معشراً وتُسَلِّم
تُعْنِيكَ نفسك فاشتغل بصلاحها إننى بغير السقام سَقِيم

وفاته

توفى بقرنطرة سنة ثمان وعشرين وخمسماية ، وصلى عليه إثر صلاة العصر ، ابنه الأستاذ أبو جعفر ، ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم الناس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس على قبره . وقبره مشهور ، يتبرك به الناس .

على بن محمد بن درى

المُقَرِّى الفقيه ، الخطيب أبو الحسن ، الإمام بجامع قرنطرة ، أصله من طليطلة .

حاله

كان من خيار الناس وفضلاتهم، وأهل المعرفة منهم ، عارفا بإقراء كتاب الله عز وجل ، والرواية للحديث . أخذ الناس عنه ، وكانت عنده مشاركة ، ومسارة لقضاء الحوائج ، والمشى للإصلاح بين الناس ، والإشفاق على المساكين ، كثير الصدقة ، والسعى في فداء الأسرى ، والوسائط الجميلة في مهمات الأمور ومشكلاتها . دخل رجل تاجر غريب الميضاة للوضوء ، فنسى بها وعاء فيه جملة مال ، فتذكر له ، فرجع ولم يجده ، فسقط مغشيا عليه ، فاجتمع عليه الناس ، وهو يقول مالى ، ووافق خروج الأستاذ أبي الحسن المذكور من الجامع ، فسأل عنه ، فجالس أذنه ، فقال مالك عندي وديعة تركه أنت عندي ، وإذا كان بعد صلاة العصر تأخذه . فقام الرجل ، فكأتما نشط من عقال ، ومشى الخطيب في حينه ، إلى مشرف غرناطة ابن مالك ، فقال له ، إني اشتريت لك قصراً في الجنة ، بخمس مائة دينار ، وأنا الضامن لذلك ، فشكره ، وأخبره الخطيب بالقصة ، فدفع إليه المال ، فدفعه إلى الرجل . وكان الناس لا يتوقفون له في أمر .

مشيخته

روى بطليطلة عن أبي عبد الله المقامى ، وعن أبي مسلم الضرير المقرئ ، والقاضى أبي الوليد الوقشى ، وأخذ عن أبوى على الصدقى والغسانى ، وعن أبي مروان بن سراج ، وابنه سراج .

توفى بغرناطة في رمضان ستة وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه القاضى أبو القاسم بن ورد ، ودفن في مقبرة باب البيرة ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس عليه ، واخطصوا الدعاء له .

ومن رثاه ، أبو عبد الله بن أبي الخِصَال بقوله :

عِتَابٌ وَمَا يُغْنِي الْعِتَابُ عَلَى الزَّمَنِ
 وَمَا رَضِيَتْ بَعْدَ الْغَضَارَةِ أَيُّكَةَ
 وَمَاذَا عَلَيْهِ وَالسَّلَامَةُ حِطُّهُ
 فَلَيْتَ كَرِيماً يُنْعَشُ لِلنَّاسِ خَيْرُهُ
 وَلَكِنَّهُ يَمْضِي كَظَلٍّ غَمَامَةٍ
 يُوَدُّ الْفَتَى طُولَ الْبِقَاءِ وَطُولَهُ
 وَأَيُّ اغْتِبَاطٍ فِي حَيَاةٍ مَرزَا
 زِيَادَتُهُ تَغْصُّ وَجِدَّتُهُ بِيْلِي
 إِذَا فَوْقَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ فَقَلْبُهُ
 فَيَا عَجَباً لِلْمَرْءِ يَلْتَدُّ عَيْشُهُ
 أَرَى كُلَّ حَيٍّ لِلْمُنِيَّةِ حَامِلاً
 إِذَا زَادَتْ الْأَيَّامُ فِينَا إِسَاءَةَ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كِبَاطِلِ
 الْأَخْوَانِنَا لَمْ تَبْقَ إِلَّا تَحْيِيَّةُ
 الْأَخْوَانِنَا هَلْ تَسْمَعُونَ تَحْيِيَّتِي
 أَبَا الْحَسَنِ خَلَّدَ فِي الْجَنَانِ مُنْعَمَا
 يَطِيرُ فَوَادِي رَوْعَةٍ فَإِذَا رَأَى
 وَقَدْ كُنْتَ تَرْتَادُ الْمَوَاطِنَ إِذْ نَبَتْ
 وَبِتُّ مُعْنَى بِالْجَلَاءِ فَنِلْتَهُ
 وَلَمْ تَرْضَ إِلَّا الْأَرْضَ هَجَرْتِكَ الَّتِي
 وَفِي مِثْلِهَا أَنَّ الرَّسُولَ لَسَعَدَ

وَشَكْوَى كَمَا تَشْكُو الرِّيَّاحُ إِلَى السَّفِينِ
 نَبَحَتْ وَلَكِنْ عَالَمُ الْكُونِ مَمْتَحِنِ
 بَانَ تَتَخَطَّاهُ النَّوَابِيبُ وَالْمِحْنُ
 يَعْمُرُ فِيهَا عُمُرَتَهُ الْآنَ أَوْ حَضُنِ
 وَيَبْقَى لِسَمِّ سَرِّهِ غَيْرُ مُؤْتَمِنِ
 يُوْرثُهُ نُكُلُ الْأَحْبَةِ وَالْبَدَنِ
 يَرُوحُ عَلَى بَثٍّ وَيَغْدُو عَلَى شَجَنِ
 وَرَاحَتِهِ كَرَبٍّ وَهَدْنَتُهُ دَخْنِ
 وَمَنْ صَارَ فِيهِ مِنْ أَحْبَبْتِهِ فَنَنِ
 لُزْتُ مَعَ الْمَوْتِ فِي قَرْنِ
 فَيَا وَيُوحَى مِمَّا تَحْمَلُ وَاحْتَضَنِ
 نَزِيدَ عَلَى عِلْمِ بِمَا سَاءَ حُسْنِ ظَنِّ
 وَكُلَّ قِبَالِيَّةٍ بِالْمَوْتِ مُرْتَهِنِ
 أَرْقَدُ بِهَا تِلْكَ الْمَعَاهِدَ وَالْدَمْنَ
 وَذُو كَلِمٍ مَا تَحْجَبُ السُّرَّ وَالْعَلْنَ
 جَزَاءً بِمَا أَسْلَفْتَ مِنْ سَعِيكِ الْحَسَنِ
 مُحْيَاكِ فِي دَارِ الْغَنَاءِ وَالرُّضَا سَكَنِ
 فَيُؤَاكُ الرَّحْمَنُ فِرْدَوْسَهُ وَطَنِ
 وَقَدْ كَانَ حَادِيَهُ يُغْرَدُ بِالظَّنِّ
 تَخِيْرُهَا الْأَوْلِيَاءُ عَلَى الْقِنَنِ
 وَقَدْ وَاوَاهُ أَكْرَمَ مَدْفُنِ

على أنك المدعو من كل بلدة
 سهرضيك من أرضيته في عباده
 ويبقى كما بقيت بعدك أنه لم
 ويحفظهم حفظ اليتيمين أبدا
 أها الحسن إن المدى بعد ما بدا
 وأسير وجد في فراقك أنه
 سقى الله والسقيا بكفيه تربية
 ولا برحمتها ديمة مُستهلة إذا
 فلا زلت في روض وروح ورحمة

هلم فإننا دونك الحجب والجنن
 وجاهدت فيه بالفروض وبالسنن
 فلما استهوتهم روعة سكن
 بوقع جدار قد تداعى وقد وهن
 طويل ولا يُعتد في جنب ما بطن
 سيبقى عليك الوجد ما بقى الزمن
 مباركة ضمتك أسرع ما هتن
 ركضتها الريح قام بها جرن
 ومقبرة تترى على ذلك الجنن

على بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنانى القيحاوى

بكنى أبا الحسن ، أصله من بسطة ، واستوطن غرناطة ، حتى عُذ من
 أهلها قراءة وإقراء ولزوما

حاله

من « العايد »^(١) ، أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفنا . ورد على
 غرناطة مُستدعى عام اثني عشر وسبعماية ، وقعد بمسجدها الأعظم يُقرى
 فنونا من العلم ، من قراءات وفقه وعربية وأدب . ووُلَّى الخطابة ، وناب
 عن بعض القضاة بالحضرة ، مشكور المأخذ ، حسن السيرة ، عظيم النفع .
 وقصده الناس ، وأخذ عنه البعيد والقريب . وكان أديبا لوذعيا ، فكها ،
 حلوا ، وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب ، إثر قراءة
 المكتب^(٢)

(١) العايد ، أى كتاب عايد الصلة ، لابن الخطيب ، وقد سبق التعريف به في المقدمة .

(٢) وردت في الإسكوريال (المنكب) والتصويب من الزيتونة

مشيخته

قرأ على أبيه ببلده بسطة القرآن ، بالروايات السبع . وجمعها في ختمة ،
وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن مساعد الغساني . وقرأ بغرناطة القرآن على
الأستاذ أبي عبد الله بن مستقور^(١) ، والأستاذ أبي جعفر الطباع ، والأستاذ
الشهير أبي الحسن بن الضايح^(٢) ، والأستاذ النحوي أبي الحسن الأبدى .
وعلى القاضي أبي عمرو بن الرندي ، والفقيه القاضي أبي علي بن الأحوص ، وعلى
الفقيه النسابة أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير .
ولقى الشيخ الصالح ولي الله أبا إسحق بن عبيدش^(٣) وحضر مجالسه
العامة . وذكر أنه كان يفتح مجلسه الذي يتكلم فيه بقوله : لا حول
ولا قوة إلا بالله ، كنز من كنوز الجنة ، رزقنا الله الأدب مع الله ،
واستعملنا فيما يرضيه ، ويرضى رسوله ، وجعل حظنا في الدار الآخرة .
ولقى الإمام بجامع بسطة الخطيب الراوية أبا الحسن بن نافع وغيرهم ،
وله توالي في فنون ، وشعر ، ونثر فمن شعره قوله :

روض المشيب تفتحت أزهاره	حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه	وظلامه قد لاح فيه نهاره
فأنى حمام لا يعاف وقوعه	ومضى غروب لا نخاف مطاره
والعمر مثل البدر يرمق ^(٤) حسنه	حيناً ويعقب بعد ذلك سيراره
للاخفاء تقلصت أفيأوه	ما للصفاء تكدرت آثاره
الحر يصفح إن أخل خليله	والسر يسمع أن تجرأ جاره

(١) وردت في الإسكوريال (مسمور) وفي الزيتونة (مسقور) وكلاهما تحريف

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، وربما كانت (الصايح)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (ابن عبيدش)

(٤) هكذا في الإسكوريال وفي الكتيبة الكمامة (يوتق) .

فتراه يدفع إن تمكن جاهه
ولأنت تعلم أننى زمن الصبا
والهجر ما بين الأحبة لم يزل
ولكم تجافى عن خفاء خليله
ولكم أصر على التدابر مُدبر
فأقام كالكسعى بان نهاره
أنكرتم من حق مُعترف لكم
والشرع قد منع التقاطع نصه
والسنن سن تورع وتبرع
مايومنا من أمسنا قطفك^(٢) اتبت
هلا حظرتم أو حذرتم منه ما
عجبا لمن يجرى هواه لغاية
يأتى ضحى ما كان يأتية دجى
فبعد ما تنعى به حسناته
فالنفس قد أجرته ملىء عنانه
والمرء من إخوانه فى جنّة
فاليمن قد مدت إليه يمينه
شعر به أشعرت بالنصح الذى
ولو اختبرتم نقله بمحكّه

وتراه يرفع^(١) إن علا مقداره
ما زلت زندا والحياء سواره
ترك الكلام أو السلام مشاره
فطن وقد ظفرت به أظفاره
أفضى إلى ندم به إصراره
أو كالفرزدق فارقتة نواره
بالحق ما لا ينبغى إنكاره
قطعا وقد وردت به أخباره
وتسرع لتشرح تختاره
ذهب الشباب فكيف ببقى عاره
حق عليكم حظره وحذاره
محدودة أضماره مضماره
فكأنه ما شاب منه عذاره
ويعيد ما تبقى به أوزاره
يشند فى مضمارها^(٣) إحضاره
بل جنّة تجرى بها أنهاره
واليسر قد شدت عليه يساره
يهديه من أشعاره إشعاره
لامتاز بهرجه ولاح^(٤) نضاره

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (يرفع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (قطفك) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (إحضارها) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (وبان) .

هذا هدى فيه اقتده نئل المنا^(١) أو أنت في هدا وما تختاره
وعليكم منى سلامٌ مثل ما أَرَجَت بروض يانع أزهاره
ومن شعره في الرثاء قوله من قصيدة .
حَمَامٌ حِمَامٌ فَوْقَ أَيْكَ الْأَسَى تَشْدُو تهبج من الأشجان ما أَوْجَدَ الْوَجْدُ
وذلك شجُوٌّ في حناجرنا شجى وذلك لهوٌ في ضمائرنا جدُّ
أرى أرجل الأرزاء تشتدُّ نحونا وأيديها تسعى إلينا فتمتدُّ
ونحن أولو سهو عن الأمر ما لنا سوى أملٍ إيجابنا عنده جَحْدُ
فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر فتسبيحه الساهى إذا سَمِعَ الرعد
مصاب به قُدَّتْ قلوبٌ وأنفس لدينا إذا في غيره قُطعت بُرد
تلين له الصمُّ الصلاب وتنهمن عيون ويبكى عنده الحجر الصلد
فلا مُقَلَّةٌ ترنو ولا أذنٌ تعنى ولا راحةٌ تعطو ولا قدمٌ تَعْلُو
وقد كان يبلو الصبر منا تجلدا وهذا مصاب صبرنا فيه لا يَبْلُو
مولده : عام خمسين وستماية .

وفاته : توفى بقرنطة ضحى يوم السبت التاسع والعشرين من شهر
ذي حجة من عام ثلاثين وسبعماية ، ودفن في عصر اليوم بعد بجبانة
باب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيما ، حضرها السلطان . واحتمل
الطلبية نعشه^(٢) .

ومن الطارئين

عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي

المعروف بالرندي ، من أهل رندة يكنى أبا علي .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الكتبية الكامنة (الرضا) .
(٢) أورد ابن الخطيب للمترجم ترجمة أخرى في كتابه (الكتبية الكامنة في من لقيناه بالأندلس
من شعراء المائة الثامنة) ، التي سبقت الإشارة إليه (ص ٣٧ - ٤٠) .

حاله

كان من جملة المُقرّيين ، وجهابذة الأُستاذين ، مشاركاً في فنون ، نقاداً ، فاضلاً .

مُشيخته

روى عن أبي زيد السُّهيلي ، وعنه أخذ العربية والأدب ، وبه تفقّه ، وإيابه اعتمد . وعن أبي محمد القاسم بن دحمان ، وأبي عبد الله بن أبان ، وتلا على هؤلاء القراءات ، بقراءات السبعة . وعن أبي اسحق بن قرقول ، وأبي عبد الله بن الفخار ، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسى ، وأبي محمد عبد الحق بن بُونه . وأبي عبد الله الحميرى الإِسْتَجِيّ ، وأبي العباس بن اليتيم ، وأبي عبد الله بن مُدرك ، وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وأبي عبد الله بن حُميد . أخذ عن هؤلاء بالقة ، من أهلها ، ومن الواردين عليها . ورحل إلى غرناطة ، فأخذ بها عن يزيد بن رفاعة ، وابن كوثر ، وابن عروس ، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن القَرَس ، وأبي جعفر ابن حكم . وإلى قرطبة ، فأخذ بها عن ابن بشكُوال ، وأبي القاسم المُشَّراط . وإلى إشبيلية ، فأخذ بها عن أبي بكر بن الجَد ، وأبي عبد الله بن رزق ، وابن خير ، وابن صاف . وأخذ بسبته عن ابن عُبيد الله . وبالجزيرة الخضراء عن القاضي أبي جعفر بن عَزرة . هؤلاء جملة من أخذ عنهم باللقاء والمشافهة . وأجازته جماعة من أهل المشرق كبيرة ، ذكرهم في برنامجه ، كالخُشوعى ، والأرحى ، والحرشاني ، وحدث عن السلفى الحافظ بإجازته العامة .

توالياه

شرح جُمَل أبي القاسم الزَّجاجى ، وردُّ على ابن خروف ، منتصراً

بشيوخه أبي زيد السهيلي في مسألة نحوية ، رد فيها ابن خروف عن السهيلي
وقيد فيما جرى بينه وبين الأستاذ أبي محمد القرطبي ، جزءاً سماه «بالحقيقي»^(١)
في أغاليط القرطبي ، لم يخل فيه عن حمل وتعسف . وألف برنامجاً جامعاً .
روى عنه أبو عبد الله بن عسكر القاضي ، والشيخ أبو عبد الله بن عبيد
الأومى ، وأبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب ابن أبي ربحانة .
مولده : سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

وفاته : توفي سحر يوم الجمعة الموفى عشرين لشهر ربيع الثانى سنة
عشر وستماية .

عثمن بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى

المُقْرِى ، الحافظ المعروف بابن الصيرفى ، قرطبي الأصل ، يكنى
أبا عمرو ، ويشتهر بالذاني ، لاستيظانه دانية . ودخل البيرة ، وقرأ على
أبي عبد الله بن أبي زَمَين ، فوجب ذكره لذلك .

حاله

كان أحد الأئمة الأعلام في علم القرآن ، وآياته ، وتفسيره ، ومعانيه
وإعرابه ، وجمع في ذلك كله التواليف العجيبة التي يكثُر تعدادها ،
ويطول^(٢) إيرادها ، وله معرفة بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله ونقلته .
وكان حسن الخط ، جيد الضبط ، آية في الحفظ والعلم ، والذكاء والفهم
ديناً عارفاً ، ورعاً سنياً . قال المغلي^(٣) ، وكان أبو عمرو مُجاب الدعوة .
وذكره الحميدى فقال محدث مكثُر ، مقريء متقدم .

(١) مكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المبى) والأولى أرجح .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يكثُر) .

(٣) مكذا في المخطوطين .

مشيخته

روى عن أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمان القُشيري بقرطبة ، وعن
 أبي بكر حاتم بن عبد الله البزاز ، وأبي عبد الله محمد بن خليفة ، وأحمد
 ابن فتح بن الرّهان ، وأبي بكر بن خليل ، ويونس بن عبد الله القاضي .
 وخلف بن يحيى ، وغيرهم . وبالبيرة عن محمد بن أبي زمنين كثيرا
 من رواياته وتواليفه . وسمع بإستجّة ، وبجّانة وسرقسطة من بلاد الثغر .
 ورحل إلى المشرق ، فلقى أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقى . وسمع
 بمصر من أبي محمد بن النحاس ، وأبي القاسم بن ميسر ، وخلف بن إبراهيم
 ابن خاقان ، وفارس بن أحمد ، وطاهر بن عبد المنعم ، وبالقيروان من
 أبي الحسن القانسي . وقدم الأندلس فاستوطن دانية .

شعره

قال أبو القاسم بن بشكّوال . ومما يذكر من شعره قوله :
 قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما يجرُّ على كل من يُعزى إلى الأدب
 لا شيء أبْلغ من ذل تجرُّعه أهل الخساسة أهل الدين والحسب
 القايمين بما جاء الرسول به والمُبغضين لأهل الزيغ والريب
 مولده : قال أبو عمرو ، سمعت والدى يقول إنى ولدت سنة إحدى
 وسبعين وثلاثماية ، وابتدأت طلب العلم بعد خمس وثمانين .
 وفاته : من خط أبي الحسن المُقرى ، يوم الاثنين منتصف شوال
 سنة أربع وأربعين [وأربعمائة] ^(١) بدانية ، ودفن عصر اليوم المذكور
 ببقيعها . ومشى السلطان ^(٢) راجلا أمام نعشه .

(١) أضفنا هذه الكلمة استكمالاً للسياق .

(٢) السلطان المشار إليه هنا هو على إقبال الدولة ابن مجاهد العامري . وقد حكم مملكة دانية
 والجزائر أيام الطوائف من سنة ٤٣٦ هـ إلى سنة ٤٦٨ هـ (١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب [بن صالح بن خلف
بن معدان بن سفيان بن يزيد]^(١)

الإمام أبو محمد بن حزم .

أوليته

أصله من الفُرس ، وجدُّه الأَقصى في الإسلام [اسمه]^(٢) يزيد ، مولى
ليزيد بن أبي سفيان . قال أبو مروان ابن حيان ، وقد كان من عجائبه ،
انتماؤه في فارس ، وأتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر ،
تولى فيها الوزير ، المفضَّل في زمانه ، الراجح في ميزانه ، أحمد بن سعيد
ابن حزم ، لبني أمية أولياء نعمته ، لاعن صحة ولاية لهم عليه ، فقد
عَهِدَ الناس مُؤلِّد الأرومة من عجم لَبْلَةَ ، جدُّه الأَدنى ، حديث عهد
بالإسلام ، لم يتقدَّم لسلفه نباهة فابَّوه أحمد ، على الحقيقة ، هو
الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر ، برأس رايته ، وعَسَرَه بالخلال
الفاضلة ، من الرَّجاجة والدِّهَاء والمعرفة والرجولة والرأى ، فأسدى جرثومة
شرف لمن نمامهم ، أغنتهم^(٣) عن الرسوخ في أولى السابقة ، فما من شرف
إلاً مسبوق عن خارجته ، ولم يكن إلا كلاً ولا ، حتى تخطى على هذا
أوليته^(٤) لَبْلَةَ . فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس . فالله أعلم كيف
ترقاها ، إذ لم يكن يُؤتى من خطل ولا جهالة ، بل وَضَلُّهُ بها وَسِعَ علم ،

(١) تكلية النسب بين الحاصرتين ، منقولة عن ترجمة ابن حزم الواردة بالوفيات لابن خلكان .

(٢) الزيادة عن الحميدى (جذوة المقتبس) . وهو الذي اقتبست منه هذه الجملة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (غنت) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت محرقة في الإسكوريال (رابته) .

وَشَجَّةٌ رَجِمَ مَعْقُومَةٌ ، فَلَهَا يَسْتَأْخِرُ الصَّلَاةَ ، فَتَنَاهَتْ حَالَهُ مَعَ فَقْهَاءِ عَصْرِهِ إِلَى مَا وَصَفَ ، وَحِسَابِهِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، الَّذِي لَا يَظْلِمُ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .
عَزَّتْ قُدْرَتُهُ .

حاله

قال الحميدى ، كان حافظاً ، عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً [للأحكام]^(١) من الكتاب والسنة ، متفنناً في علوم جمّة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا ، بعد الرياسة التي كانت له ، ولأبيه من قبله ، في الإدارة^(٢) وتدبير الممالك ، متواضعاً ، ذا فضائل جمّة ، قال ، وما رأينا مثله ، فيما اجتمع له . مع الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين . قال أبو مروان ابن حيان ، كان أبو محمد حامل فنون ، من حديث وفقه ونسب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة . وله في ذلك عدة توالييف .

وقد مال أولاً به النظر في الفقه إلى رأى أبي عبد الله الشافعى ، وناضل عن مذاهبه ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وُسم به ، واستهدف بذلك إلى كثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ . ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي ، ومن تبعه من فقهاء الأمصار ، فنقحه ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه إلى أن مضى بسبيله . وكان يحمل علمه ، ويجادل عنه لمن خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، ليبينه للناس ، ولا يكتُمونه ، فآل أمره إلى ما عُرف .

(١) الزيادة عن الحميدى ، وهو الذي اقتبست منه هذه الفقرة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي جذوة المقتبس (الوزارة) .

مشيخته

قال ، سمع سماعا جما ، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربع مائة .

توالياه

قال ، بلغت توالياه أربع مائة مجلد . وقال ، حمل بعير . فمنها في علم الحديث كتاب كبير سماه « الإيصال إلى فهم الخصال ، الجامعة لجمل^(١) شرائع الإسلام ، في الواجب والحلال والحرام ، وسائر الأحكام ، على ما أوجب القرآن والسنة والإجماع » . أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وبيان ذلك كله ، وتحقيق القول فيه . وله كتاب « الأحكام لأصول الأحكام » في غاية التقصى وإيراد الحجاج . وكتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » . وكتاب « الإجماع ومسائله » على أبواب الفقه . وكتاب « المُجَلَّى والمُحَلَّى » وكتاب « في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض » . وكتاب « إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل » . وهذا مما سبق إليه ، وكتاب « التقريب^(٢) لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية . والأمثلة الفقهية . فإنه سلك في بيانه ، وإزالة سوء الظن عنه ، وتكذيب المنحرفين به ، طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا .

شعره

قال ، وكان له في الأدب والشعر نفسٌ واسع ، وباع طويل . وما رأيت

(١) وردت في الإسكوريان والزيتونة (إل) . والتصويب من جنوة المقتبس والوفيات .
(٢) وردت في الإسكوريال والزيتونة (التمرير) . والتصويب من جنوة المقتبس والوفيات .

من يقول الشعر على البديهة أسرع منه . وشعره كثير ، وقد جُمع على
حروف المعجم . ومنه قوله :

هل الدهر إلا ما عَرَفْنَا وأدركنا فجائعه تبقَى ولذاته تَفْنَى
إذا أَمَكَنْتَ فيه مَسْرَةً ساعة تولَّتْ كمر الطَّرْفِ واستخلفت حَزْنَا
إلى تبعات في الحساب^(١) وموقف نوذُ لديه أننا لم نَكُنْ كُنَّا
حَصَلْنَا على همٍّ وإثمٍ وحَسْرَةٍ وفات الذي كنا نلذُّ به عَنَّا
حَينٍ لما ولىَّ وشُغِلَ لما أتَى وغمُّ لما يُرْجى فَعَيْشُكَ لا يَهْنَا
كان الذي كُنَّا نَسْرُ بكونه إذا حَقَّقْتَهُ النفسَ لفظًا بلا معنى

ومن ذلك قوله من قصيدة في الفخر :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عَيْبِي أَنْ مَطَّلَعِي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ لجدُّ على ماضع من ذكرى النهب
ولى نحو أكناف العراق صباية ولا غرو أن يَسْتَوْحش الكَلِيفُ الصَّب
فإن يُنزل الرحمن رَحْلِي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك يدري أن للبعد قصة وأنه كساد العلم آفته القرب

ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه :

ولكن لى نى يوسف خير أسوة وليس على [من سار سيرته]^(٢) ذنب
يقول وقال الحق والصدق أننى حفيظ عليم ما على صادق عتب

ومن شعره قوله فيما كان يعتقد من المذهب الظاهرى :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يُطِيل ملامى فى الهوى ويقول

(١) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى الجذرة (المعاد) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت مكانها فى الجذرة ما يأتى (سن

بالنبي اتسى) .

أنى حسن وَجْه لآح لم تر غيره
فقلت له ^١ رَفْت فى اللوم ظالماً
ألم تر أنى ظاهرى وأنسى
ومن ذلك قوله :

أين وَخَه قول الحق فى نفس سامع
سيؤنسه رفقا فينسى نفااره
ودَعَه فنور الحق يسرى ويُشرق
كما نَسَى القيدَ الموثقَ مُطلقُ
ومن ذلك قوله :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصى
ولكن للعيان لطيف معنى
وفى المعنى :

يقول أخى شجاك رجيل جسم
فقلت له المعاینُ مطمئن
ورُوحك ماله عتا رجيل
لذا طلب المُعاینَة الخليل

دخوله غرناطة

وصل فى جملة الإمام المرتضى . ولما جرت عليه الهزيمة واستولى باديس
الأمير بغرناطة على محلته ، كان أبو محمد من عِداد أسراه مع مثله ،
إلى أن أطلقه بعد لآى ، وخلصه الله منه .

محنته

قال ابن حيان ، استهدف إلى فقهاء وقته ، فتألبوا على بُغضه ، وردَّ
قوله ، وأجمعوا على تَضليله ، وشنَّوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ،
ونہوا أعوامهم عن الدنوِّ إايه ، والأخذ عنه ، فطَفِقَ الملوك يُقصدونه عن
قربهم ، ويُسَيِّرونه عن بلادهم ، إلى أن انتهوا به ، مُنقطع أثره بتربة

(١) مكداوردت فى الإسكوريال ووردت مكابهاى الجدوة والوبيات (سأل) .

بلده من بادية لبَّلة ، وبها توفى غير راجع إلى ما أرادوا ، به يَبْثُ علمه
 فيمن يَنْتَابِه بباديته من عامة المُقْتَبِسِينَ منه من أصاغر الطلبة ، الذين
 لا يحسُّون فيه الملامة بحدائثهم ، ويفقِّههم ويدرسهم ، ولا يدع المشاورة
 على العلم ، والمواظبة على التَّأليف ، والإكثار من التصنيف ، حتى كَمُلَ
 من مصنفاته في فنون العلم وقر بعير ، حتى لأحرق بعضها بإشيلية ،
 وفي ذلك يقول :

فإن تحرقوا القِرطاس لا تحرقوا الذى تضمَّنه القِرطاس بل هو فى صدرى
 يسير معى حيث استقلَّت ركابى وينزل إن أنزل ويُدفن فى قبرى
 مولده : سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة .
 وفاته : توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة^(١)

على بن إبراهيم بن على الأنصارى المالقي

يكنى أبا الحسن ، صاحبنا حفظه الله .

(١) ليس لابن الخطيب شيء تقريباً في هذه الترجمة التي أوردها للعلامة ابن حزم ، فهي منقولة
 بحصلتها من الترجمة التي أوردها له معاصره وصديقه أبو عبد الله الحميدى في كتابه (جذوة المقتبس)
 (القاهرة ص ٢٩٠ - ٢٩٣) مع بعض فقرات منقولة عن ابن حيان ، وقد أورد له ابن خلكان كذلك
 ترجمة حسنة في وفيات الأعيان (بولاق ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٣١) .
 والرواية الراجعة هي أن ابن حزم عاش أيامه الأخيرة وتوفى في بلدة أسرته الأصلية « منتليشم »
 وبالإسبانية « Casa Montijo » من أعمال مدينة لبلة بولاية القرب الأندلسية ، وذلك في أواخر
 شعبان سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) .

هذا ، وقد نظم في شهر ما يوسنة ١٩٦٣ (من ١٢ - ١٨ منه) بمدينة قرطبة مهرجان رسمى
 فخم للاحتفال بذكرى مرور تسعمائة عام على وفاة ابن حزم « القرطبي » . وأقامت له بلدية قرطبة
 تمثالا (متخيلا) بالحجم الطبيعي أمام باب إشيلية على مقربة من الجامع . وأقيمت له كذلك لوحة
 تذكارية باللغة الإسبانية أمام مدخل كنيسة سان لورنتسو التي أقيمت مكان المسجد الذي كان يتوسط
 حى بلاط مفيث ، وهو الحى الذى عاش فيه ابن حزم في صباه . ونظمت بهذه المناسبة عدة ندوات
 دراسية ، وطائفة من الحفلات الاجتماعية والفنية الفخمة . وقد كان محقق هذا الكتاب من شهود هذا
 المهرجان التاريخي العظيم .

حاله

آية الله في الحفظ ، وثقوب الذهن ، والنَّجَابَة في الفنون ، وفصاحة الإلقاء ، خريج طبعه ، وتلميذ نفسه ، ومُبْرَز اجتهاده . إمام في العربية ، لا يُشَق فيها غُبَارُه ، حِفْظًا وبحثًا ، وتوجيهًا وإطلاعًا ، وعثورًا على سَقَطَات الأعلام ، ذَاكِر للغات والآداب ، قَائِم على التفسير ، مقصود للفتيا ، عاقد للوثيقة ، مشارك في الفنون ، ينظِّم وينثُر ، فلا يعلو الإِجَادَة والسَّدَاد ، سليم الصدر ، أبا النفس ، كثير المشاركة ، مُجْدِي الصُّحْبَة ، بعيد عن التَّسَمُّت . رحل عن بلده مالقة ، بعد التبريز في العَدَالَة والشهرة بالطلب ، واستقر بالمغرب ، فاقراً بمدينة أنفاً^(١) ، منوهاً به ، ثم بسلا ، واستوطن بها ، رئيس المدرسة بها ، مُجْمَهراً بكرسيها ، فارعاً بمنبرها ، بالواردة السلطانية ، يفسر كتاب الله بين العشاءين ، شرحاً كثير العيون ، محذوف الفضول ، بالغاً أقصى مبالغ الفصاحة ، مُسمِعاً على المحال التَّابِيَة ، ويدرس من الغلوات بالمدرسة ، دولا في العربية والفقهِ ، أخذَه بزمام النبل ، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع . وحضر المناظرة ، بين يدي السلطان ، فاستأثر بشيخ من رَغْبِه ، وأعجب بقوة جأشه ، وأصالة حِفْظَة ، فأنمى جراياته ، ونوّه به .

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذين ، عَلَمِي القطر ، القاضي العالم أبي عبد الله ابن تبير ، والقاضي النظار أبي عمرو بن منظور . وتلا القرآن على المقرئ أبي محمد بن أيوب . وذاكر بغرناطة إمام العربية أبا عبد الله بن الفخار ، ورئيس الكتاب ، شيخنا أبا الحسن بن الجيَّاب . وبالمغرب كثيراً من

(١) هي البلدة المغربية الصغيرة ، التي قامت مكانها فيما بعد مدينة الدار البيضاء العظيمة .

أعلامه ، كالرئيس أبي محمد الحنظلي ، والقاضي أبي عبد الله المقرئ وغيرهم . وهو الآن بحاله الموصوفة قاضياً بشرقي مالقة ، واستاذا بها متكلماً ، مُعْجَزٌ من مفاخر قُطره .

شعره

.. بما يؤثر من شعره منقولاً من خطِّ صاحبنا أبي الحسن بن الحسن :
رحماك رحماك في قلب يُقلِّبه شوقٌ يكاد يُلْفَحُ الوجودَ يذهبه
هام الفؤاد بمعنى للجمال بدا عليك في السرِّ للارواح أعجبُه
ولاح منك لدى الإشراف جوهرة ألاحَتِ الحُسنُ عما كان يحجبه
فلو هم الصَّحْبُ أن الروح تبيها ماضى الجفون برود الثغر أشبهه
يظلُّ مُعتقلاً من خَوطِ قامته بأَسْمَرِ غالى منه مؤرَّبسه
وذى فِرَندٍ يدبُّ الموت في شطبٍ منه ويوحش في جنح نلهمه
يخاله ذو الصِّدا ماء فينبصره يود في الحال أن لو كان يشرُّبه
بالمند واثى والذى نددتوشجه وبالصَّباية والأرواح ملعبه
كساه سرُّ الجمال المحض حُلَّتْه إذ جاده من نكوب الجود صيبه
وقام يَرْدُلُ فيها وهى ضافية فأقبلت نحوه الأرواح تطلبه
هيات من دونه باب بظاهره يجرُّ الفنا وجند الروح يرهبه
فمرنا والموت فيه عين عيشته فأوجُ مرقي حياة الروح مرَّقه
نبدت لوايحه من بحر جوهره بَرَقًا يغير على الغيران خلَّبه
وتستعير له روحاً مظاهره سرُّ الجمال بها يبدو تحجبه
بدرٌ وفي أفق الأرواح مطلعه مهما أفاقت وإلاً فهى مغربه
بخاطره منه سر لا يفارقه وإن غدا بغرام الشوق يُلهمه
لى هواه والبعدينهاتى ويصدقنى فى نصحه وصريح الوجود يكذبه

إِلَّا الَّذِي قَد غَدَا يُرْضِيهِ مُغْضِبُهُ
 مِنَ الْأَنْسِ أَحْلَاهُ وَأَعْلَبَهُ
 إِلَّا الَّذِي قَد تَجَلَّى عَنْهُ غَيْبُهُ
 وَغَرَّ مُسْتَبِشِرَ الْأَضْوَاءِ كَوَكْبَهُ
 طَرَسُ يَغَالِبُهُ طَوْرًا فَيَغْلِبُهُ
 فَعَلَا يَرُدُّ لَهَا فِي الْحَكْمِ مَذْهَبَهُ
 فِيهِ النَّفَاسَةُ وَالْأَنْفَاسُ تَعْرِفُهُ
 أَخُو بَيَانٍ مَعَ السَّاعَاتِ يُسَهِّبُهُ
 إِلَى سَبِيلٍ مِنَ الزُّلْفَى تَقْرِبُهُ
 عَنْ رَقَّةٍ بِشُهُودِ الْفَرْقِ تُسَلِّبُهُ
 لَدَى الْوُجُودِ الَّذِي قَد عَزَّ مُطْلَبُهُ
 إِلَى السَّقَامِ الَّذِي عِنْدَ بُغْيَتِهِ
 عَنَا يَدٌ نَحْوَ بَابِ الْعَزِّ تَجْذِبُهُ

كُلُّ الْوَرَى جِلْفُ الصَّبَابَةِ فِيهِ
 وَالشُّهْدُ مَمْزُوجٌ بِرَيْقِهِ فِيهِ
 حَتَّى يَكَادُ سِقَامُهُ يُخْفِيهِ
 لَصْدُ لَكَانٍ مِنَ الصَّدَا يُشْفِيهِ
 يَا لَيْتَ بُوَصَالِهِ رَافِيهِ

لَمَنْ لَمْ يُنْبِئِكَ حَبِكَ لِلْمَمَاتِ
 إِلَيْكَ رَهْمِينَ شَوْقٍ وَأَنْبِتَاتِ

سُرُّ الْغَرَامِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 وَلِلصَّبَابَةِ أَقْوَامٌ وَمُؤَرَّدُهُمْ بِهَا
 وَلَيْسَ يَعْرِفُ هَذَا حَقُّ مَعْرِفَةٍ
 وَأَبْصَرَ الْحُسْنَ قَد لَاحَتْ لَوَائِحُهُ
 بِنَاتٍ أَهْيَفٌ مِنْ سُرِّ الْحَيَاةِ
 وَفِي لُجَيْنِ الْجَمَالِ الْمَحْضِ قَد فَعَلَتْ
 أَرْوَمٌ إِعْجَامَهُ حَوْنًا وَتُطْمِعُنِي
 فَمَنْ لِمِثْلِي بِكْتِمَانٍ وَمَنْ نَفْسِي
 لُبَانَةُ السَّرِّ أَنْ تَحْطَى بِرَقَبَتِي
 تَسْمَعُو عَلَى مِنْكَبِ الْجُوزَاءِ ذُرُوتَهَا
 وَفِي مَصَافَاتِ سِرِّ الْقَبْضِ يَبْسُطُهُ
 فَيَرْتَقِي فِي مَرَاقِي الْجِجَعِ مَخْتَطِفًا
 فَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا يَرْجُوهُ أَنْ سَبَقَتْ
 وَمَنْ مَنْظُومَهُ فِي النَّسِيبِ قَوْلُهُ :

لِمُحَمَّدِ الْبَرْقَاءِ حَسَنٌ بَاهِرٌ
 السَّحَرُ مَفْتُونٌ بِغَنَجٍ لِحَاظِهِ
 فَسَحَرَهُ أَضْنَى الْمُتَيْمِ فِي الْهَوَى
 وَلَوْ أَنَّهُ بِالشُّهْدِ جَادَ وَرَشَفَهُ
 بِصُدُودِهِ قَلْبِي يُقَطِّعُ فِي الْهَوَى
 وَصَدَّرَ كِتَابًا بِقَوْلِهِ يَخَاطِبُنِي :

أَنْسِيَانَا قَدَيْتِكَ يَا حَيَاتِي
 وَرَجْمًا بِالظَّنُونِ أَخَا حَيْنِ

يميناً بالنهار إذا تجسلى وبالقمر المنسير وبالآيات
لقد أحللتُ حبك من فؤادي محلُّ الروح من بثِّ الجهات
وشعره بديع ، وإدراكه عجيب ، وعارضته قوية .

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي

يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الضايح : من أهل إشبيلية .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، بلغ الغاية في الفن النحوي ،
وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي [الشلوبين]^(١) بأسرهم ، وله في مشكلات
الكتاب العجائب^(٢) . وقرأ ببلده أيضا علم الكلام ، وأصول الفقه ،
وكان متقدما في هذه العلوم الثلاثة ، متصرفا فيها . وأما فنُّ العربية ،
وعلم الكلام ، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العلمين . وأما فهمه
وتصرفه في كتاب سيبويه ، فما أراه يسبقه في ذلك أحد . وله إملاء علي
طايفة كبيرة من إيضاح الفارسي . وكان له اعتناء كبير بكلام الفارسي
على الجملة ، وبحسب ذلك استقصى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة
على أبي علي بالرد ، واستوفى ما وقع له في ذلك ، حتى لم يبق بيده شيء
على طريقة من الإنصاف ، ودليل الهدى . لم يُسبق إليها . وكذا فعل في رد
أبي محمد بن السيد ، على أبي القاسم الزجاجي . وكذا فعل في اعتراضات أبي
الحسين بن الطراوة على كتاب سيبويه . وكان بالجملة إماما في هذا كله
لا يُجارى . وأما اختيارات أبي الحسن بن عصفور في مغربه وغير ذلك من

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) مكذافي الإسكوريال وفي الزيتونة (عجائب) .

تعاليفه ، وما قيّد في ذلك ، فرُدّ عليه معظمها أو أكثرها . ولم يُلق بالأندلس
والعُتوة ، ولا سمعنا بآئبه منه ، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه ، ولا رأيت
مختلفاً عليه من أهل بلده من أتراه ، ومن فوقهم . وكان إذا أخذ في فن آتى
بعجائب . قال الأستاذ ، لازمته ، وأخذت عليه كتاب سيبويه في عدة
سنين ، وأكثر كتاب الإيضاح ، وجمل الزجّاجي . إلى غير ذلك ، وجميع
التلقيحات للسّهَر وَردي . وطائفة كبيرة من إرشاد أبي المعالي ، ومن كتاب
الأربعين لابن الخطيب ، وغير ذلك .

مشيخته

أجاز له من أهل بلده الراوية المُسِن ، أبو الحسن بن السّراج ، والقاضي
أبو الخطاب بن خليل . ومن غيرهم ، القاضي أبو بكر بن محرز ، والمُقري
المُعمر أبو بكر الشّماقي المعروف بالشريثي ، وأبو عبد الله الأزدي ،
وأبو عبد الله بن جوبر وآخرين . وقرأ ببلده . ولزم الأستاذ أبا علي
الشّلوّيين ، حتى كدل عليه إيضاح الفارسي ، وكتاب سيبويه . وسمع
جمل الزّجّاجي وغير ذلك من كتب العربية ، ممن كان يقرأ في المجلس ،
وقرأ عليه طائفة كبيرة من تذكّرة الفارسي ، مما يتعلق بمسائل الكتاب ،
بعد أن جرّدها من التذكّرة . وبلغ الغاية في الفن النحوي ، وفاق أصحاب
أبي علي بأسرهم .

وفاته

توفي رحمه الله ، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين وستاية ، وقد
قارب التسعين . [قلت العجب من الشيخ الخطيب رحمه الله ، كيف
لا يذكر للمترجم به رحمه الله ، شرحه لجمل الزّجّاجي ، بل شرحه
الصغير والكبير . ولم يكن اليوم على الزّجّاجي أجدي منها ، ولا أنفع ،

ولا أقل فضولا ، ولا أفصح عبارة ، ولا أوجز خطابة ، ولا أجمل إنصافا ،
ولا أجودَ نظرا [(١)]

الكتاب والشعراء

وأولا الأصليون منهم

علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي

يكنى أبا الحسن من أهل غرباطة .

حاله

صاحبنا أبو الحسن ، من أهل الفضل والسراوة والرُجولة والجزالة .
فد في الكفاية ، ظاهر السداجة والسلامة ، مُضنّب لأضداده ، شديد
العصبية لأولى وُدّه ، في أخلاقه حدّة ، وفي لسانه نبلي أخلاّيه ، مشتمل على
خلال من خطّ بارع ، وكتابة حسنة ، وشعر جيد ، ومُشاركة في فقه وأدب
ووثيقة ، ومحاضرة ممتعة . ناب عن بعض القضاة ، وكتب الشروط ،
وارتسم في ديوان الجند ، وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا بن عمر علي
عهده . ثم انصرف إلى العُلوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاث
وخمسين وسبعماية ، فارتسم في الكتابة السلطانية مُنوها به ، مستعملا في
خدم مُجدية ، بان غناؤه فيها ، وظهرت كفايته .

وجرى ذكره في كتاب التّاج بما نصه : اللّسن العارف ، والنّاقد
لجواهر المعاني ، كما يفعل بالسُّكة الصّيارف ، الأديب المُجيد ، الذي
تملّى به العصر والنّحر والجيد ، إن أجال جياذ براعته ، فضح فرسان
المهّارق ، وأخجل بين بياض طرسه ، وسواد نفسه الطور تحت المفارق .
وإن جلى أبكار أفكاره وأثار طير البيّازين أوكاره ، سلب الرّحيق المُفدّم

(١) من الواضح أن الفقرة المحصورة بين الخاصرتين ، هي من كلام الناسخ أو المختصر .

فضل أبكاره ، إلى نفس لا يفارقها ظرف ، وهمّة لا يرتد إليها طرف ،
 وإبابة لا يفكّل لها غرّب ولا حرف . وله أدب غضّ ، زهره عن مجتنيه
 مُرفض ، كسبت إليه أنتجّز وعده في الالتحاف برايقه ، والامتاع بزهر
 هوائفه ، وهو قولى :

عندى بلوعدك افتقارٌ مُجوج وعهودك افتقرت إلى إنجازها
 والله يعلم فيك صدق مودتى وحقيقة الأشياء غير مجازها
 فاجابنى بقوله :

يا مهدى الدرّ الشمين منظمًا كلما حلال السحرفى إنجازها
 أدركت حلّبات الأوايل وانياً ورددت أولها على أعجازها
 أحرزت فى المضمار خصل سباقها ولأنت أسبقهم إلى إحرازها
 حلّيت بالسّمطين منى عاطلا وبعثت من فكري متات مفازاها
 فلأنجزنّ مواعدى مستعطفًا فاسمح وبالإغضاء منك مجازها
 ومن مقطوعاته قوله :

ليت شعرى والهوى أمل وأمانى الصّب لا تقف
 هل لذلك الوصل مرتجع أو لهذا البحر منصرف

ومن ذلك :

وظي سبا بالطرف والعطف والجيد وما حاز من غنّج ولين ومن غيد
 أتيتُ إايه بالدينو مداعبًا فقال أيدنو الظبي من غابة الأسد

وقال من مبدإ قصيدة مطولة فيما يظهر منها :

حديث المغانى بمدهن شجون وأوجه أيام التبعاعد جون
 لحا الله أيام الفراق فكم شجت وغادرت الجذلان وهو حزين
 وحيًا ديارا فى رُبى إغرناطة وإنى بذاك القرب فيه ضنين

ليالى أنفقتُ الشباب مُطاوعا
فأرخصتُ فيها من شبابي ما غلا
على لا أمرٌ بأربعها قفا
ألم ترياى كلما ذرٌ شارق
إذا لم يساعدنى أخٌ منكما فلا
أليس عجيبا فى البرية من لنا
فلما تشغن من ذرى وفاء بعهد
أذلتى عذر فى فراق ضلوعه
ومن ترك الحزم المعين فإنه
رعى الله أياى الوثيق ذمامها
ولم أر مثل الدهر أما عدوه
ولولا أبو عمرو وجود يمينه
ومن شعره قوله :

زار الخيالُ وياها من لذة
ما زلت أَلَمٌ مَبَسبا منظومه
وأضم غصن البان من أعطافه
مولده : عام ستة وسبعماية .

وتوفى بمدينة فاس ، وقد تخلفه السلطان كاتب ولده ، عند وجهته
إلى إفريقيا ، فى شوال عام ثمانية وخمسين وسبعماية ، فتوفى فى العشرين
لرمضان منه .

علي بن محمد [بن سليمان]^(١) بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الجيَّاب ، شيخنا
ورئيسنا العلامة البليغ .

حاله

من عايد الصلَّة : كان رحمه الله ، علي ما كان عليه من التفنُّن ،
والإمامة في البلاغة ، والأخذ بأطراف الطلب ، والاستيلاء على غاية الأدب ،
صاحب مجاهدة ، وملازمة عبادة ، على طريقة مُثلى من الانقباض والنزاهة ،
وإيثار التقشف ، محبا في أهل الخير والصلاح ، مُنحاشا إليهم ، مُنافرا
عن أصدادهم ، شيخ طلبة الأندلس ، رواية وتحقيقا ، ومشاركة في كثير
العلوم ، قائما على العربية واللغة ، إماما في الفرائض والحساب ، عارفا
بالقرائات والحديث ، متبحرا في الأدب والتاريخ ، مشاركاً في علم
التصوف ، فذا في المسائل الأدبية البيانية ، حامل راية المنظوم والمنثور ،
والإكثار من ذلك ، والاعتدال عليه ، جلدا على الخدمة ، مغتبطا بالولاية ،
محافظة على الرتبة ، مراقبا لوظائف الأبواب السلطانية ، متوقدا للذهن ،
ذليق الجوانب ، مشغوبا بالأنس والمفاوضة في الأدب ، محسنا للنادرة
الظريفة ، مليح الدعابة ، غزير الحفظ ، غيوراً على الخطَّة ، كثير
النشاط إلى المذاكرة ، مع استفراق الكلف ، وعلو السن . طال به المرض
حتى أذهب جواهر بَدَنه ، وعلى ذلك فما اختل تميزه ، ولا تغير إدراكه .
بعثت إليه باكور رمان ، فقال لي من الغد ، نَعِم بالهُدنة زمانك ، يعني
نَعِمت الهدية رمانك . فعجب الناس من اجتماع نفسه ، وحضور فكره .
وهو شيخني الذي نشأت بين يديه وتأدبت به ، وورثت خُطَّته عن رضى

(١) هذا الاسم وارد في الزيتونة . وفي نفع الطيب . وساقط في الإسكوريال .

منه . كتب عن الدول النصرية نحواً من خمسين سنة أو ما ينيف عليها ، متين الجاه ، رفيع المكانة ، بعيد الصيت ، وسَفَر إلى الملوك ، واشتهر بالخير ، والحمل على أهل الظلم ، وجرى ذكره في التاج بما نصه :

صدر الصدور الجلَّة ، وعَلَمَ أعلام هذه الملة ، وشيخ الكتابة وبنيتها^(١) وما صير أفنان البدايع رجانيها ، اعتمدته الرياسة ، فنأى^(٢) بها على حبل ذراعها ، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شِبة يراعه . فتفياً للعناية ظلًا ظليلاً ، وتعاقبت الدول ، فلم تر به بديلاً ، من ندب على علوه متواضع ، وحبر^(٣) لثدى المعارف راضع ، لا تمر مذاكرة في فن إلا وله فيه التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على محاكاة الأفهام ، إلا وكلامه الإبريز ، حتى أصبح الدهر [راوياً لإحسانه]^(٤) وناطقاً بلسانه ، وغرب ذكره وشرق ، فأشام وأعرق وتجاوز البحر الأخضر والخليج الأزرق ، إلى نفس هذبت الآداب شمائلها ، وجادت الرياض خمائلها ، ومراقبة لربه ، واستباق لروح الله من مهبة . ودين لا يُعجم عوده . ولا تخلف وعوده . لو كل ما ظهر علينا بنيه من شارة تجلى بها العين ، أو إشاره كما سُبِكَ اللجين ، فهي إليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة ، فإنما هي أنفس راضها بآدابه . وأعلقها بأهدابه ، وهذب طباعها ، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها ، والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها]^(٥) وما عسى أن أقول في إمام الأئمة ، ونور الدياجي المدلَّهمة ، والمثل السائر في بعد الصيت ، وعلو المهمة .

• شيخته

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وبانها) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فناء) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . ووردت في الزيتونة (وحدي) .
 (٤) وردت في الإسكوريال (راوى إحسانه) . والتصويب من النسخ وهو أنسب "سبق" .
 (٥) هذه العقرة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

نقلت من خطه ، في بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين لقيتهم وأجازوني عامة . الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات ، نسيح وحده ، أبو الحسن فضل بن محمد بن علي ابن فضيلة المعافري . قرأت عليه كذا . ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير ، خاتمة المسنين بالمغرب ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي ، نشأت بين يديه ، وقرأت عليه كثيراً وسمعت ، وأجازني . ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد الخُشني البلوطي . قرأت عليه القرآن العزيز بالقرءات السبع وغير ذلك . ومنهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي ، لقيته بمالقة . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي الخطيب الصالح ، قرأت عليه وسمعت . ومنهم الشيخ العدل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن سَستَور الطائي . ومنهم قاضي الجماعة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي ، ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد . ومنهم الشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيلي . ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد ابن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي . ومنهم الشيخ الوزير الحسين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ، والشيخ الخطيب الأستاذ النظار أبو القاسم بن الشاط ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد المولى الخولاني . هؤلاء كلهم لقيتهم ، وأجازوني إجازة عامة ، وأما من أجازني ولم ألقه ، فعالم كثير من أهل المغرب والمشرق ، منهم أبو العباس الغماز قاضي الجماعة بتونس . وأبو عبد الله بن صالح الكناني خنيب بجاية ، والشريف

أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني ، وأبو فارس
عبد العزيز الهواري ، وأبو محمد بن هرون القرطبي ، وأبو علي ناصر الدين
المشدالي ، وغيرهم .

شعره

وشعره كثير ملون ، جمعته ودونته ، يشتمل على الأغراض المتعددة
من المعشرات النبويات ، والقصائد السلطانيات ، والإخوانيات ،
والمقطوعات الأدبيات ، والألغاز والأحجيات .

فمن ذلك من المعشرات في حرف الجيم على وجه التبرك :

جرباً على الزلات غير مفكر	جباناً على الطاعات غير معرج
جمعتُ لما يفنى اغتراراً بجمعه	وضيقتُ ما يبقي سجية أهوج
جنوناً بدار لا يدوم سرورها	فدعها سدى ليست بعشك فادرج
جياذك في شأو الضلال سوابق	تفوت مدى بين الوجيه وأعوج
جهلتُ سبيل الرشد فاقصد دليله	تجد دار سعد بأبها غير مُرتج
جنابُ رسول ساد أولاد آدم	وقربُ في السبع الطبايق بمعرج
جمالُ أنار الأرض شرقاً ومغرباً	فكلُّ سنى من نوره المتبلج
جلاصداً المرتاب أن سبح الحصا	لديه ينطق ليس بالمتلجج
جعلتُ امتداحي والصلاة عليه لي	وسايل تُحظيني بما أنا أرتج

ومن الأغراض الصوفية السلطانية قوله :

هات اسقني صبراً بغير مزاج	واخي التي هي راحتي وعلاجي
إن صبَّ منها في الزجاج قطرة	شفَّ الزجاج عن السنى الوهاج
فإذا ^(١) الخليع أصاب منها شربة	حاجاه بالسر المصون مُحاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نفع الطيب (وإذا) .

وإذا المرید أصحاب منها جُرعة
 تاهت به في مَهْمَه لا يُهتدى
 يرتاح من طرب بها فكأنها^(١)
 هبت عليه نفحة قُدسية
 فإذا انتشى يوما وفيه بقية
 وإذا تمكن منه سُكْر معربدٍ
 قصرت عبارة فيه عن وجدانه
 أعشاه نور للحقيقة باهر
 رام الصعود بها لمركز أصله
 فلئن أمد برحمة وسعادة
 وليرجعن بغنيمة موفورة
 ولئن تحظاه القبول لما جنى
 ما أنت إلا دُرّة مكنسونة
 فاجهد على تخليصها من طبعها
 واشدّد يدك معا على جبل التقي
 ولدى العزيز ابسط بساط تذلل
 هذا الطريق له مقدّمتان صا
 فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى
 حرّفان قد جمعا الذي قد سطروا

نجاه بالحق المبين مُساج
 فيه لتأديب ولا إدلاج
 غنقه بالأرمال والأهزاج
 في فتح^(٢) باب دائم الأرتاج
 سارت به قصدا على المنهاج
 فليصرن^(٣) لمصرع الجلاج
 فغدا يفيض بمنطقي ليجلاج
 فتراه يهبط^(٤) في الظلام الداج
 فرمت به في بحرهما^(٥) المواج
 فليخلصن من بعد طول هياج
 ما شيب عذب شراها بأجاج
 فليرجعن نكسأ على الأدرج
 قد أودعت في نطفة أمشاج
 تعرّج بها في أرفع المعراج
 فإن اعتصمت به فانت النّاج
 وإلى الغنى امدد يد المحتاج
 دقتان انتجا أصحّ نتاج
 واقنع من الإسهاب بالإدماج
 من بسط أقوال وطول حجج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكأنها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فليصرن) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ينحيط) .

(٥) وردت في الإسكوريال (نجرها) . والتصويب من النسخ .

فقد اهتدى منه بنور سراج
والكل مضطر إليها لاج
بإشارة المولى أبي الحجاج
وبحلمه وبجوده الثجاج
أمن المروع هم وغيث اللاج (١)
والخلق بين تخاذل ولجاج
في وصف بحر زاهر الأمواج
ولمن يعادى الدين هول فاج
يأتيك أفواجا على أفواج

والمشرب الأصفى الذي من ذاقه
الآن ترى إلا الحقيقة وحدها
هذى بدائع حكمة أنشأتها
وميع الأنام بفضله وبعده
من آل نصر نخبة الملك الرضا
من آل قبيلة ناصري خير الوري
ماذا أقول وكل قول قاصر
منه لباغي العرف در فاخر
دامت سعودك في مزيد والمنى

ومن الأمداح المطولة :

تفلى الفلاة غوادياً وروايحاً
يرمين في الآفاق مرمى نازحاً
بما حملته من سقيا البطاح دوالحا
أبدت محياً الحق أبلح واضحا
لبوه شوقا والحمام هوادحا
يذكي بنار الشوق منك جوانحا
أذروا على الأكوار دمعاً سابحا
ركبوا من العزم المصمم جامحا
فتركن أعلام المطى روازحا
أنضاء أسفار قطعن منادحا
وسلكن نحو الأبطحي أباطحا

لمن المطايا في السراب سوابحا
عوج كأشمال اللقيبي ضوامر
أو كالسحاب تسير مثقلة
ركب يُيمم غاية بل آية
لما دعا داعي الرشاد مردداً
قلهم عجيج بالبسيطة صاعد
وإذا حدا الحادي بذكر المصطفى
عيس تهادي بالمحبين الألى
طارت بهم أشواقهم سبابة
رفقا بهن فهن خلق مثلكم
قد جين للهادي وهاداً جمّة

(١) مكنا في الإسكوريال . وفي النسخ (الراجي) .

ألاَّ صرفتَ إلىَّ صرفاً طامحاً
 وحمدتَ سعيًا من سفارك ناجحاً
 لما لمحتَ من الجمال ملامحاً
 وامسح بيُمنك الجدار مصافحاً
 قَطَعْتَ سباسباً بلقعا وضحاها
 وتأملوا النور المبين اللايحاً
 بها تلك الرياح لوافحاً
 بالبيت أوبا لركن منه ماسحاً
 نالواها في الخلد حظا رابحاً
 يتسابقون عزايما وجوارحاً
 فاضت على الآفاق بحرا طافحاً
 بختام مسك طاب عرفا نافحاً
 والبأس والعقل الأصيل الراجحاً
 أعلى الملوك خواتما وفواتحاً
 صارت لمن بارى علاه فضايحاً
 ما زال للإجمال منها شارحاً
 كافي العدو محاربا ومصافحاً
 للعرف بالجود المررد مانحاً
 تلقى السحاب على البلاد سوابحاً
 تلقى الأسود لدى العرين كوافحاً
 تلقى الكواكب في السماء لوابحاً
 بعزائم الصدق الأمين الناصحاً

ناشدتك الرحمن وافد مكة
 وأخاً أتيتَ القبر قبر محمد
 وذَهَلتَ عن هذا الوجود مغيباً
 فاقراً سلامي عند قبر المصطفى
 قسماً بوفد يزخرون رواحلاً
 حتى أناخوا بالمحصب من ميني
 وتعرضوا لعوارض عرفية هبت
 وآووا إلى الحرم الشريف فطافعا
 وسقوا به من ماء زمزم شربة
 ثم انزنوا قصدا إلى دار الهدى
 فتبوءوا المغنى الذى بركاته
 ختموا مناسيكم بزورة أحمد
 إن السماحة والشجاعة والندى
 وقف على شمس المعالي يوسف
 فهو الذى ملأ البلاد فضايلا
 إن أجملت سير الكرام فخلقه
 حامي الذمار مدافعا وموادعا
 للملك بالعزم المؤيد مانعا
 إن تلقه في يوم جود هامر
 أو تلقه في يوم بأس قاهر
 أو تلقه في يوم فخر ظاهر
 من أسرة النصر الألى هم ناصحوا

هم أسسوا الملك المشيد بناؤه
 فاستفهم الأيام عن آثارهم
 كان إذا ضمن الغمام سحايبا
 شادوا له مجدا صميما راسخا
 وسما فخر فوق أمن جهادهم
 الأعظمون مغانيا ومنساقبا
 يا دولة نصرية قد جددت
 وأمامة سعديّة قد أطلعت
 فاضت جدا فكانت أيامها
 كفت عدا فكانت أوقاتها
 عدلا لأقطار الإيالة كالبسا
 بشرى بيوسف ناصر الملك الذي
 جمع المواهب للمواهب مانحا
 ابن الإمام أبي الوليد وحسبنا
 يهنك عيد النحر أسعد قادم
 وفيتته قربانه وصلاته وأقمت
 ورجعت في الجيش الذي أخبره
 أسد ضراغم فوق خيل ترتمي
 طيارة بالدارعين تخالها
 من كل من تخذ القنا خيما له
 والشمس أضرمت السبيكة عندما
 فاهنا به وانعم بدولتك التي

فكفوا به الإسلام خطبا فادحا
 تطلع عليك صحايفا وصفايحا
 يهيم وإن جن الظلام مصابحا
 يبتى على الأعقاب ذكرا صالحا
 سمكوا له سماكا رامحا
 والأكرمون محامدا ومادحا
 نصرا لأبواب المعقل فاتحا
 سعدا ولكن للأعداى ذابحا
 جعلت لأرزاق العباد مفاتحا
 جاءت لآيات الأمان شوارحا
 ولجامحات البنى منها كافحا
 ما زال عنه مجالدا ومكافحا
 فوق المنى وعن الجرايم صافحا
 مدحا تضمن في الفخار مدايحا
 وافاك من جلوى يمينك ماتحا
 فيه شعائرا وذبايحا
 تروى غرايبها الحسان صحاتحا
 نحو العدو سوانحا وبوارحا
 تنقض في يوم القتال جوارحا
 بلقى العدو مُماسيا ومُصابحا
 لقي الحديد شعاعها المطارحا
 ترضى الوليها وتشجى الكاشحا

دامت ودام الحق فيها ثابتا
وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا :
زارت [تجرر نحوه]^(١) أذيالها
والشمس من حسد لها مصفرة
واقنتك تمزج لينها بقساوة
كم رُمْتُ كتم مزارها لكنه
تركت على الأرجاء عند مسيرها
ما واصلتك محبة وتفضلا
لكن توقعت السلو فجددت
فوحبها قسما بحق بروره
حسنت نظم الشعر في أوصافها
يا حسن ليلة وصلها ما ضرها
لما سكرت بريقها وجفونها
هذا الربيع أذاك ينشر حسنه
واخلع عذارك في البطالة جامحا
في جنة تجلو محاسنها كما
شكرت أيادي للحيا شكر الوري
وصمها أصلا وفرعا خيرها
الطاهر الأعلى الإمام^(٢) المرتضى
حاز المعالي كابرأ عن كابر

يعلو يدا والإفك فيها طالها
هيفاء تخلط بالنفار دلالها
إذ قصرت عن أن تكون مثالها
قد أدرجت طي العتاب نوالها
صحت دلائل لم تطق إعلالها
أرجا كأن المسك فت خلاها
لو كان ذاك لواصلت أفضالها
لك لوعة لا تتقى ترحالها
لتجشمنك في الهوى أهوالها
إذ قبحت لك في الهوى أفعالها
لو أتبتت من بعدها أمثالها
أهملت كأسك لم ترد إعمالها
فافسح لنفسك في مداه مجالها
واقرن بأسحار المنى^(٣) آصالها
تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شرف الملوك همامها مفضلها
ذاتاً وخلقاً سمحها بذالها
بحر المكارم غيئها سلسالها
وجرى لغايات الكرام فنالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجرر نحوه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المنى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأمين) .

إن تلقه في يوم بَدَلِ هِباته
 أو تلقه في يوم حربِ عُدَاتِهِ
 ملك إذا ما صال يوماً صَدْوَلَةً
 فَبِسَيْفِهِ وبسيفه نال^(١) المنا
 الواهب الآلاف قبل سؤالها
 القاتل الآلاف قبل قراعها
 إن قلت بَحْرُ كفه قَصْرَتْ إذ
 ملاً البسيطة عدله ونواله^(٢)
 وسقى البرية فيضُ كَفِّهِ فقد
 جمع العلوم عناية بفنونها^(٣)
 منقولها معقولها وأصولها
 فإذا عَفَاتِكَ عَيْنُوك تَهَلَّلُوا
 وإذا عُدَاتِكَ أَبْصُرُوك تَيْقَنُوا
 بددت شملهم ببيضِ صوارم
 وأبحت أرضهم فأصبح أهلها
 فَتَحَتْ إمارتك السعيدة لاورى
 وبَنَتْ مصانع رايقات ذكرت
 وأجلُّها قدرا وأرفعُها مدى
 هو جنة فيها الأمير مخلد

تلق الغمام أرسلت هطالها
 تلق الضراغم فارقت أشبالها
 خَلَّتْ البسيطة زلزلت زلزالها
 واستعجلت أعداؤه آجالها
 فكفى العُفَاة سؤالها ومطالها
 فكفى العُدَاة قِراعها ونِزالها
 شبهت بالملح الأجاج نوالها
 فالوحش لا تعدو على من غالها
 عمَّ البلاد سهولها وجبالها
 آدابها وحسابها وجدالها
 وفروعها تفصيلها إجمالها
 لما رأوا من كَفِّكَ استهلها
 أن المنية سلطت ريبالها
 رويت من علق الكماة نِصالها
 جُزْراً^(٤) تغادر نهبة أموالها
 أبواب بُشْرِى واصلت إقبالها
 دار النعيم جنانها وظلالها
 هذا الذى ساء النجوم فطالها
 بلغت إمارته بها آمالها

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نلت) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أمانه) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بيونها) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (خورا) .

ولأرض أندلسٍ مفاخر أنتم
فحميتُمُ أرجاءها وكفيتُمُ
فبآل نصر فاخرت لا غيرهم
بمحمد ومحمد ومحمد
فهم الألى ركبوا لكل عزيمة
وهم الألى فتحوا لكل ملمة
متقلدون من السيوف عضابها
الراكبون من الجيادِ عرابها
أولى عهد المسلمين ونخبة الأمم
إن العباد مع البلاد مُقررة
فتفك عانيها وتحمى سربها

ومن الرثاء قوله يرثي ولده أبا القاسم :

هو البين حتما لا لعل ولا عسى
وما لفرّادى لم يذب منه حسرة
ويا لجفوني لا تفيض موردا
وما للسانى مُفصّحا بخطابه
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى
أؤمل فى الدنيا حياة وارتضى
فآها وللمفجوع فيها استراحة
على عُمر أفنيت فيه بضاعتى

فما بال نفسى لم تُفِض عنده أسى
فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
من الدمع يَهْمى تارة وهورسا
وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
ووسدت منى فلذة القلب مُرّسا
كسانى ثوب الثكل لا كان مُلبسا
مقيلا لدى أبنائها ومُعرّسا
ولا بد للمصدر أن يتنفّسا
فأسلمنى للمقبر خير^(١)ان مُقلّسا

(١) وردت فى الإسكوريال (ضريان) والتصويب من النسخ .

ظللت به في غفلة وجهالة
 إلى الله أشكو برح حزني فإنه
 وصدمة^(١) خطب نازلتني عشية
 فقد صدعت شملي وأضمت مقاتلي
 ثبت لها صبراً لشدة وقعها
 وأطمع في أن يلتقي برحمته الرضا
 أبا القاسم اسمع شجوا^(٢) والدك الذي
 وقفت فؤادي مدرحلت على الأسي
 وقطعت آمالي من الناس كلهم
 تواريث يا شمسي وبذري وناظري
 وخطفت لي عبثاً من الشكل^(٣) فادحا
 أحقا ثوي ذاك الشباب فلا أرى
 فيا غصنا نضيراً ثوي عندما استوى
 ويا نعمة لما تبلغتها انقضت
 فودعته والدمع يهمي سحابه
 وقبلت في ذاك الجبين مودعا
 وخفف من وجدى به قرب رحلتى
 فيارحمة للشيب يبكي شبيبة
 فلو أن هذا الموت يقبل فدية
 ولكنه حكم من الله واجب

إلى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
 تلبس منه القلب ما قد تلبسا
 فما أغنت الشكوى ولا نفع الأسا
 وقد هدمت ركني الوثيق المؤسسا
 فما زلت صبري الجميل وقد رسا
 وأجزع أن يشق بذنب فينكسا
 حسا من كؤوس البين أقطع ما حسا
 وأشهد لا ينفك وقفاً محبسا
 فلست أبالي أحسن المرء أم أسا
 فصار وجودي مذتورايت حنيسا
 فما أتعب الشك لان نفسا وأتعا
 له بعد هذا اليوم حولي^(٤) مجلسا
 فأوحشني أضعاف ما كان آنسا
 فأنعم أحوالي بها صار أبوسا
 كما أسلم السلك الفريد المجنسا^(٥)
 لأكرم من نفسي على وأنفسا
 وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسا
 قياس لعمرى عكسه كان أقيسا
 حيوناه أموالا كراما وأنفسا
 يسلم فيه من بخير الوري اثتسى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وهلة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شكوا) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الثقل) . والتصويب من النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (بعدى) والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحمسا) .

تغمدك الرحمن بالعفو والرضا
 وألف منا الشمل في جنة العلا
 وكتب إليه قصيدة أولها :
 أمستخرجا كنز العقيق بآماق
 فقد ضُففت عن حَمَل صبرى طاقى
 فأجابني رحمة الله عليه عن ذلك :
 سَقَانِي فَأَهْلًا [بِالسَّقَايَةِ وَالْعِنَاقِ] (١)
 وَلَا نُقْلَ إِلَّا مِنْ بَدَايِعِ حِكْمَةٍ
 فَقَدْ أَنْشَأْتُ لِي نَشْوَةَ بَعْدَ نَشْوَةٍ
 فَمِنْ حَظِّهَا الْفَائِي مَتَاعٌ لِنَاطِرِي
 أَعَادَتْ شِبَابِي بَعْدَ سَبْعِينَ حِجَّةً
 وَمَا كُنْتُ يَوْمًا لِلْمُدَامَةِ صَاحِبًا
 وَلَا خَالَطْتُ لَحْمِي وَلَا مَازَجَتْ دَمِي
 وَهَذَا عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ فَكَيْفَ لِي
 تَبَصَّرَ فَحَكْمًا (٢) الْقَهْوَتَيْنِ تَخَالَفَا
 وَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْمُدَامِينَ فَاعْتَبِرْ
 فَتَلِكُ تُهَادَى بَيْنَ ظَلَمٍ وَظَلْمَةٍ
 أَيَا عَلِمَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ مَنْزَاعٍ
 فَضَائِلُكَ الْحُسْنَى عَلَى تَوَاتُرَتْ
 خَزَائِنِ آدَابٍ بَعَثَتْ بَدْرَهَا
 وكرم مثواك الجديد وقُدْسًا
 فنشرب تسنينا ونلبس سندسًا
 أناشدك الرحمن في الرَّمق الباقى
 عليك وضاقَت عن زفيرى أطواقى
 سُلَافًا بِهَا قَامَ السَّرُورُ عَلَى سَاقٍ
 وَلَا كَأْسَ إِلَّا مِنْ سَطُورٍ وَأُورَاقٍ
 تَمَدُّ بِرُوحَانِيَّةِ ذَاتِ أَذْوَاقٍ
 وَسَمِعِي وَحَظُّ الرُّوحِ مِنْ حَظِّهَا الْبَاقِ
 فَأَثْوَابُهُ قَدْ جُدُّدَتْ بَعْدَ إِخْلَاقٍ
 وَلَا قَبْلَتَهَا قَطُّ نَشَاءُ أَخْلَاقٍ
 كَفَى شَرًّا مَوْلَايَ فَالْفَضْلُ لِلْوَاقِ
 بِهَا بَعْدَ مَا لِلشَّبِيَّةِ مِهْرَاقٍ
 فَكَمْ بَيْنَ إِثْبَاتِ لِعَقْلِ وَإِزْهَاقِ
 فَكَمْ بَيْنَ إِجْحَاحِ لِسَعْيٍ وَإِخْفَاقِ
 وَهَذَى تَهَادَى بَيْنَ عَدَلٍ وَإِشْرَاقِ
 شَهَادَةِ إِجْمَاعٍ عَلَيْهَا وَإِضْفَاقِ
 بِمُنْهَمِرٍ مِنْ سُحْبِ فِكْرِكَ غَيْدَاقِ
 إِلَى وَلَمْ تَمَنَّ بِخِشْيَةِ إِنْفَاقِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (بالمدامة والساق) .

(٢) وردت في الإسكوريال (فحكّم) والتصويب من النسخ .

ولا مثل بكر حُرَّةٍ عربية
فأقسم ما البيض الحسان تبرمت
بلورٌ بدت من أفق أطواقها على
فناظر منها الأفحوان ثغورها
وناسب منها الورد خذاً مورداً
والبسن من صنعاء وشيا منمنما
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين
رأيت بها شهب السماء تنزلت
ألا إن هذا السحر لا سحر بابل
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد
تقاضى ديون الشعر منى منبها
فلو نشر الصادان من ملحديهما
فخذ زمام الرفق شيخا تقاصرت
فلا زلت تحيي للمكارم رسمها

زكية أخلاق كريمة أعراق
تناجيك سرا بين وحى وإطراق
رياض شدت في قُصبتها^(١) ذات أطواق
وقابل منها نرجس سحر أحداق
سقاء الشباب النَّضربورِك من ساق
وحلّين من درّ نفايس أعلاق
وأحلى لألباب وأشهى لُعشاق
إلى تحييني تحية مشتاق
فقد سحرت قلبي المعنى فمن راق
أبرّ بأحباب وأوفى بميثاق
رويدك لا تعجل على بإرهاق
لأنصاف هذا الدين لا إذا بإملاق
خطاه وعاهده بمعهود وإشفاق
وقدرك في أهل العلا والنهى راق

وكتبت إليه في غرض العتاب والاستعتاب :

أدّرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا
فلله عينا من رأنا وللحياحي^(٢)
نفيرٌ إلى عدل الزمان الذى أتى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا
فراجعي بقوله :

ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى
وإن جره واش بزور تمضمضا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (قطبا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (جنى) .

وأغارت له خيلٌ فما ذَعِرَتْ جَمِيٌّ
 تَأَلَّقَ مِنْهَا بَارِقُ صَابِ مُزْنَةٌ
 تَلَالُأُ نُوْرٌ^(١) لِلصَّدَاقَةِ حَافِظًا
 فَإِنَّ سَوْدَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ صَحِيفَةٌ
 وَمَا كَانَ حَبُّ أَحْكَمِ الصَّدَقِ عَهْدُهُ
 أَعْيَدُ وَدَادًا زَاكِي الْقَصْدِ وَافِيَا
 وَنِيَّةً صَدَقَ فِي رِصِي اللَّهِ أَخْلَصْتُ
 مِنَ الْآفِكِ السَّاعِي لِيخْفِي نُورَهَا
 وَكَيْفَ يُحَلُّ الْمَبْطَلُونَ بِإِفْكَهِمْ
 تَعْرِضُ يَبْغِي هَدْمَهَا فَكَأَنَّهُ
 وَحَرُّضٌ فِي تَنْفِيرِهِ فَكَأَنَّمَا
 وَأَوْقَدَ نَارًا فَهُوَ يُضَلِّي جَحِيمَهَا
 أَيَا وَاحِدِي الْمَعْلُودِ بِالْأَلْفِ وَحَدَهُ
 بَعَثَتْ مِنَ الدَّرِّ النَّفِيسِ قَلَايِدَا
 نَتِيْجَةُ آدَابٍ وَطَبْعٍ مَهْدَبٍ
 وَلَا مِثْلُ بِكْرِ بَاكَرْتَنِي أَنْفَا
 هِيَ الرُّوْضَةُ الْعَنَاءُ أَيْنَعُ زَهْرَهَا
 أَوْ الْغَادَةُ الْحَسَنَاءُ رَاقَتْ فَيَنْقُضِي
 تَطَابِقَ مِنْهَا شَعْرُهَا وَجَبِينُهَا
 أَوْ الشَّهْبُ مِنْهَا زِينَةٌ وَهَدَايَةٌ
 أَنْتَ بَبْدِيْعِ الشَّعْرِ طَوْرًا مُصْرَحًا

ولكنها كانت طلائع للرضا
 على معهد الحب الصميم فروضا
 وإن ظن سيفا للقطيعة منتضا
 أتى ملك الرحمي عليها فبيضا
 ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضها
 تخلص من أدرانه فتمحضا
 سناها بآفاق البسيطة قد أضيا
 أيخى شعاع الشمس قد ملاً الفضا
 معاقده حب أحكمتها يد القضا
 لتشيد مبنائها الوثيق تعرضها
 على البر والتسكين والحب حرها
 يقلب منها القلب في موقد الغضا
 ويا ولدي البر الزكي إن ارتضا
 على ما ارتضى حكم المحبة واقتضا
 أطال مداه في البيان وأعرضها
 كزورة خل بعد ما كان أعرضها
 تناظر حسناً مذهبا ومفضضا
 مدى العمر في وصفي لها وهو ما انقضا
 فذا الليل مسوداً وذا الصبح أبيضاً
 ورجم لشیطان إذا هو قيصنا
 بأبياتك الحسنی وطورا معرضها

(١) مكذافي الإسكوريال . وفي النسخ (نورا) .

ومهدت الأعذار دون جنابة
لك الله من برٍّ وفيٍّ وصاحبٍ
لسانك في شكرى مُفيض تفضلا
وقلبك فاضت فيه أنوار خلتى
وقصدك مشكور وعهدك ثابت
فهل مع هذا ريبه في مودة
فثقي بولائي إننى لك مخلص
عليك سلام الله ما هبت الصبا

ولو أنك الجاني لكنت المغيضا
محضت له صدق الضمير فأمحصا
فياحسُن ما أهدي وأسدى وأقرضا
فأبقى يدي تسليمه لى مفوضا
وفضلك منشور وفعلك مُرتضا
بحال وإن رأيت فما أنا معرضا
هوئى ثابتاً يبقى فليس له انقضا
وما بارقُ جنح الدجنة أومضا

وكتب إلى القاضي الشريف وهو بوادى آش :

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطاء
أغرک طول العمر في غير طایل
رويدا فإن الموت أسرع وافد
فإذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى
تاهب فقد وافى مشيبك منذرا
فرافقت منه كاتب السرواشيا
معمى كتاب فكه اخذر فهذه
وإن طال ما خاضت بك اللجج التي
وما زلت في أمواجها متقلبا
فقد أوشكتك تلقيك في قعر حفرة
ولست على علم بما أنت بعدها
وأعجبُ شئٍ منك دعواك في النها

وأمنأ وقد [ساورتها حية رقطا] (١)
وسرك أن الموت في سيره أبطا
على عمرك الفاني ركايبه خطأ
بحال ولا قبضاً تطيق ولا بسطاً
وها هو في قوديك أحرقه خطأ
له القلم الأعلى يخط به وخطا
سفينة هذا العمر قاربت الشطا
خبطت بها في كل مهلكة خبطا
فأونة رفعا وأونة خطأ
تشد عليك الجانبين بها ضغطا
مُلاقٍ أرضواناً من الله أم سخطا
وهذا الهوى المردي على العقل قد غطأ

(١) مكثا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ساورت يا حية رقطا) .

قسطنَ عن الحق المبين جهالةً وقد غالتك^(١) النفس فادعت القسطن
 وطاوعت شيطاناً تجيب إذا دعا وتقبل أن أغوى وتأخذ إن أعطا
 تناعى عن الأخرى وقد قربت مدى تدانى عن الدنيا وقد أزمعت شحطاً
 وتمنحها حياً وفرط صباية وما منحت إلا القتادة والخزطاً
 فها أنت تهوى وصلها وهى فاركُ وتأمل قُرباً من حماها وقد شطاً
 صراط هدى نكبت عنه عمايةً ودارردى أوعيت^(٢) فى سجنها سراطاً
 فمالك إلا السيد الشافع الذى له فضل جاه كل ما يرتجى^(٣) يُعطى
 دليل إلى الرحمن فانهج سبيله فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطأ
 محبته شرط القبول فمن نخلت صحيفته منها فقد فقد الشرطاً
 وما قبلت منه لدى الله قربة ولا زكت الأعمال بل حبَطت حبطاً
 به الحق وضاح به الإفك زاهق به الفوز مرجو به الذنب قدحطاً
 هو الملجأ الأحمى هو الموثل الذى به فى غد يستشفع المذنب الخطأ
 إليك ابن خير الخلق بنت بديهة تُقبل تبجيلاً أناملك السبُطاً
 وحيدة هذا العصر وافت وحيدة لتبسط من شتى بدايعها بسطاً
 وتتلو آيات التشيع إنها لدوثقة عهداً ومحكمة ربطاً
 لك الشرف الماثور يا ابن محمد وحسبك أن تنمى إلى سبطه سبطاً
 إلى شرفى دينٍ وعلمٍ تظاهرا تبارك من أعطى وبورك فى المعطا
 ورهطك أهل البيت بيت محمد فأعظم به بيتاً وأكرم بهم رهطاً
 بعثت به عقدا من الدر فاخرا وذكر رسول الله درته الوُسُطاً

(١) مكنا فى الإسكوريال . وفى النفع (خالفتك) .

(٢) مكنا فى الإسكوريال . وفى النفع (أودعت) .

(٣) مكنا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (يرتقى) والأولى أرجح

نَظَّمْتُ مِنَ الدَّرِّ الثَّمِينِ بِهَا سِمَطًا
تَجَعَّدُ حَوْشِي تَجِدُ لِفِظِهَا سَبْطًا
فَسَاعِدُهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرْفَ الطَّا
وَمَارَدَدْتُ وَرِقَاءً فِي غَصْنِهَا^(١) لَغَطًا

وشاعري طيء المولدين
والأعشىين بعد ثم الأعميين
وعزة ومي وبثيين
كشاعري خزاعة^(٢) المخضرمين
ثم حسن وابن الحسين
أوجب حق أن يكونا أوليين
في مشرق أقطارهم والمغربيين
بنشره ونظمه للحلبتين
شاهدت فيها المكرمات رأى عين
يراعة الألفاظ كلتا الحسينين
طريقي الآداب أقصى الأمدين
تصاغ منه حلية للشعريين
سرور قلب ومتاع ناظرين
شهادة تنزهت عن قول ميين
تقر عينيك وتملا اليدين

وأهديت منها للسيادة غادة
وحاشيتها من كل ماشأها فإن
وفي الطيبين الظاهرين نظمها
عليك سلام الله ما درّ شارق
ومن غريب ما خاطبني به قوله :

أقسم بالقيسين والنابعين
وبابن حجر وزهير وابنه
ثم بعشاق الثريا والرقيات
وبأبي الشيص ودعبل ومن
وولد المعنز والرضي والسرى
وأختم بقس وسخبان فإن
وحلتي نشرهم ونظمهم
أن الخطيب ابن الخطيب سابق
وافتنى^(٣) الصحيفة الحسنى التي
تجمع من يراعة المعنى إلى
أشهد أنك الذي سبقت في
شعر حوى جزالة ورقة
رسايل أزهارها منشورة
يا أحوذيا يانسج وحده
بقيت في مواهب الله التي

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (غصن) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (خزامة) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (رافتنى) .

ومن المقطوعات الموطّئات على المثال :

لله عصر الشباب عصرا
 حفظت ما شئت فيه حفظا
 حتى إذا ما المشيب وافي
 لا تعتنوا بعدها بحفظ
 فتح للخير كل باب
 كنت أراه بلا ذهاب
 ندُّ ولكن بلا إياب
 وقيدوا العلم بالكتاب

ومن ذلك قوله :

يا أيها المسك البخيل
 إنفق وثق بالإله تريح
 وقدم الأقربين واذكر
 ما روى ابدأ بمن تعول
 إلهك المنفق الكفيل
 فإن إحسانه جزيل
 ما روى ابدأ بمن تعول

ومن ذلك قوله :

وقائلة لم عراق المشيب
 فقلت لها لم أشب كبرة
 وما أن يعهد الصبا من قدم
 ولكنه لهم نصف الهرم

ومن ذلك قوله :

هي النفس إن أنت سامحتها
 وإن أنت جشمتها خبطة
 فإن شئت فوزا فناقض هواها
 ولا تعبان بميعادها
 رمت بك أقصى مهاوى الخديعة
 تنافى رضاها تجدها مطيعة
 وإن واصلتك اجزها بالقطيعة^(١)
 فميعادها كسراب بقيعة

ومن المقطوعات أيضا :

من أنت يا مولى الورى مقصود
 فليشهدنك له فؤاد صادق
 وليفنين^(٢) عن نفسه ورسومه
 طوبى له قد ساعدته سعوده
 وشهوده قامت عليه شهوده
 طرا وفي ذاك الفناء وجوده

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القطيعة) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وليفنين) والأولى أرجح .

وليخطفنه^(١) بارق يَرق به
حتى يظل وليس يدري دهشة
لكنه ألقى السلاح مسلما
فلقد تساوى عنده إكرامه
في أشرف المعراج ثم يعيده
تقريبه المقصود أو تبعيده
فمراده ما أنت منه تريده
وهوانه ومفيده ومبيده

ومن ذلك قوله في المعنى :

يقينى أن الله جل جلاله
يقينى فراجى الله ليس يخيب

ومن مقطوعاته في الألغاز والأحاجي قوله في حَجَلَة :

حاجيت كل فطن لبيب
ذات كرامات فزرها قربة
تشرکہا في الإسم أنثى لم تنزل
وقد جرى في خاتم الوحي الرضا
وهو إذا ما الفاء منه صحفت
فهاكها واضحة أسرارها
ما اسم الأنثى من بنى يعقوب
فزورها أحق بالتقريب
حافضة لسرها المحجوب
لها حديث ليس بالمكثوب
صبغ الحيا لا الحيا المسكوب
فأمُرُها أقرب من قريب

وفي آب الشهر :

حاجيتكم ما اسم علم ذو نسبة إلى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحميم^(٢) هو بالتصحيح أو بدء قسم
دونكه أوضح من نار على رأس علم

ومن ذلك قوله في كانون :

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وليحفظنه) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحبيب) .

وما اسم لسمييين
فهذا كلما يأتي
[وهذا ما له شخص
وهذا ما له سوم
وهذا أصله الأرض
وهذا واحد من سبعة
فمن محموله الجن
فقد بان الذي ألغزت
ولم يجمعهما جنس
فبالآخر لي أنس
وهذا ماله جس^(١)
وذا قيمته فلس
وهذا أصله الشمس
تحيا بها النفس
ومن موضوعه الإنس
ما في أمره لبس

ومن ذلك قوله في نمر :

ما حيوان ما له من حرمة
وقلبه من بعد تصحيف له
إن اسمه صُحِف فابن العمّة
يريك في الذكر الحكيم أمة^(٢)

ومن ذلك قوله في سلم :

ما اسم مركب مفيد الوضع
ينصب لكن أكثر استعمال من
وهو إذا خففته مغيرا
فالاسم إن طلبته تجده في
وهو إذا صحفته يعرب عن
له أخ أفضل منه لم تنزل
هما جميعا من بنى النجار
فهاكه قد سطعت أنواره
مستعمل في الوصل لا في القطع
يُغنى به في الخفض أو في الرفع
تراه شملا لم يزل ذا صدع
خامسة من الطوال السبع
مكسر في غير باب الجمع
آثاره محمودة في الشرع
والأفضل أصل في حنين الجذع
لا سيما لكل زاكي الطبع

(١) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في الزيتونة كالآتي :

وقلبه من بعد تصحيفه له يريك في الذكر الحكيم أمة

ومن ذلك قوله في فنار :

ما اسم إذا حذفت منه [فاءه] ^(١) الممنوعة فإنه بنت الزنا مضافة لأربعة

ومن ذلك قوله في حوت :

ما حيوان في اسمه	إن اعتبرته فنون
حروفه ثلاثة	والكل منها نون
تصحيفه قطع الفلا	أو ما جناه المذنبون
أو أبيض أو أسود	أو صفة النفس الخؤون
وقلبه مصحفاً عليه	دارت السنون
كانت به في مضي	عبرة قوم يعقلون
أودع فيها عنده ^(٢)	سر من السر المصون
فهاكه كالنار في	الزند لها فيه كمون

ومن ذلك قوله في مائدة :

حاجيتُ كل فطين نظار	ما اسم لأنثى من بنى النجار
وفي كتاب الله جاء ذكرها	فقل ما يغفل عنها القار
في خبر المهدي فاطلبها تجد	إن كنت من مطالعي الأخبار
ما هي إلا العيد عيد رحمة	ونعمة ساطعة الأنوار
بشركها في الاسم وصف حسن	من وصف قُضِبُ الروضة المعطار
فهاكه كالشمس في وقت الضحى	قد شف ^(٣) عنها حجب الأستار

ومن ذلك قوله في زيبب :

ما نقي العِرض طاهر الجسد	عندما خالطه الما فسَد
--------------------------	-----------------------

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وفي هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زمننا) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (شق) .

خالط الماء القراح فغوى بعد ما كان من أهل الرشد
عجمي الأصل تم حسنه عندما صاد الغزاة الأسد
واسمه اسم امرأة مصحفاً ولقد يكون وصفاً لولد
هاكه قد بهرت أنواره فارم بالفكر تُصبِ قصداً الرشد
جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه ، بحر لا ينفد مدده ، وقطر لا يبلغ
عدده .

وأما نشره فسلطانيات مطولات ، عرضت بما تخللها من الأحوال
متونها ، وقلّت لمكان الاستعجال والبدية عيونها . وقد اقتضيت منها أجزاءً
سميته « تافها من جَمِّ ونقطة من يَمِّ »

مولده : ولد بقرناطة في جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة .

وفاته : ليلة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين
وسبعمائة . ودفن بباب البيرة . وكانت جنازته أخذة نهاية الاحتفال ،
حضرها السلطان فمّن دونه .

ومارئي به : رثيته بقصيدة أنشدتها على قبره خامس يوم دفنه ثبتت
في غير ما موضع وهي :

طَرَقَ النَّعْيُ فَهَنٌ فِي إِطْرَاقِ	ما لليراع خواضع الأعناق
وَالسَّقَمَ مِنْ جَزَعٍ وَمِنْ إِشْفَاقِ	وكانما صبغ الشحوب وجوها
أَسْفَا وَكُنْ نَضِيرَةَ الْأُورَاقِ	ما للصحائف صوّحت روضاتها
غَفَلَ الْمَدِيرَ لَهَا وَنَامَ السَّقَا (١)	ما للبيان كؤوسه مهجورة
وَالصَّبْرَ فِي الْأَزْمَاتِ مِنْ أَخْلَاقِ	مالي عدمت تجلدى وتصبرى
شَبَّ الزَّفِيرَ بِهِ عَنِ الْأَطْوَاقِ	خطب أصاب بنى البلاغة والحجا
فَالْفَصْلَ قَدْ أَوْدَى عَلَى الْإِطْلَاقِ	أما وقد أودى أبوالحسن الرضا
يَوْمَا وَلَا تَهْنَى عَلَى الْإِنْفَاقِ	كنز المعارف لاتبيد نقوده

(١) هكذا في الإسكوريال روى النفع (الساق . أخلاق) .

من اللبدائع أصبحت سمر السرى
 من لليراع يجيل من خطبها
 قُضِب ذوابل مشمرات بالمى
 من للرقاع الحمر يجمع حسنها
 تغتال أحشاء العدو كأنها
 وتهز أعطاف الولى كأنها
 من للفنون يجيل فى ميدانها
 من للحقائق أهمت أبوابها
 من للامساعى [الغرا]^(١) تقصد جاهه
 كم شد من عقْد وثيق حكمه
 رحب الذراع بكل خطب فادح
 صعب المقادة فى الهوادة والهوى
 ركب الطريق إلى الجنان وحوورها
 فاعجب لأنس فى مظنة وحشة
 أمطياً بمحامد العمل الرضى
 ما كنت أحسب قبل نعشك أن
 ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى
 يا كوكب الهدى الذى من بعده
 يا واحدا مهما جرى فى حلبة
 يا ثاوىيا بطن الضريح وذكوره
 يا غوث من وصل الضريح فلم يجد

ما بين شام للورى وعراق
 سم العدا ومفتاح الأرزاق
 وأراقم ينفثن بالترياق
 خجل الخدود وصبغة الأحداق
 صفحات دامية الغرار رفاق
 راح مشعشة براحة ساق
 خيل البيان كريمة الإعراق
 للناس يفتحها على استغلاق
 حرماً فينصرها على الإخفاق
 فى الله أو أفتى بحل وثاق
 أعيت رياضته على الحداق
 سهل على العافين والطراق
 يلقينه بتصافح وعناق
 ومقام وصل فى مقام فراق
 ومكفنا به كرام الأخلاق
 أرى رضوى تسير على الأعناق
 أن اللحد خزائن الأعلاق
 ركذ الظلام بهذه الآفاق
 جلى بغرة سابق السباق
 أبدا رفيق ركاتب ورفاق
 فى الأرض من وزر ولا من واق

(١) واردة فى النج . وساقطة فى الإسكوريال .

ما كنتَ إلا دِيمَةً منشورة
 ما كنتَ الا روضة مَمْطورة
 يا مزمعا عنا العشى ركابه
 رفقا أبانا جلُّ ما حملتنا
 واسمح ولو بمزار لقياً^(١) في الكرى
 وإذا اللقاء تصرمت أسبابه
 عجا لنفس ودعتك وأيقنت
 ما علرها إن لم تقاسمك الردى
 إن قصرت أجفاننا عن أن ترى
 واستوقفت دهشا فإن قلوبنا
 ثق بالوفاء على المدى من فتية
 سجت بما طوقتها من منة
 تبيكى فراقك خطوة عمرتها
 أما الثناء على علاك فذائع
 والله قد قرن الثناء بأرضه
 جادت ضريحك ديمة هطالة
 وتغمدتك من الآله سعادة
 صبيرا بنى الجياب فقيدكم
 وإذا الأسى لفح القلوب أواره
 وأنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزي رحمه الله :
 ألم تر أن المجد أقوت معالمه فأطنابه قد قوضت دعائمه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ثويت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لوى) .

هوى من سماء العلوات شهابها
 وثلث من الفخر المشيد عروشه
 وعُطِّل من حلَى البلاغة قسها
 أبجل إنه الخطب الذى جل وقعه
 وإلا فما للنوم طار مطاره
 وما لصباح الأنس أظلم نوره
 وما للدموع العين فُضَّت كأنها
 قضى الله فى قطب الرياسة أن قضى
 ومن قارع الأيام سبعين حجة
 وفى مثلها أعبى النطاسى طبه
 تساوى جواد فى رداه وباخل
 وما نفعت ربَّ الجياد كرامه
 وكل تلاقى فالفراق أمامه
 وكيف مجال العقل فى غير منفذ
 لبَّيك علياً مستجير بعدله
 لبَّيك علياً ماتح^(١) بحر علمه
 لبَّيك علياً مظهر فضل نصحه
 لبَّيك علياً معتف جود كفه
 لبَّيك علياً ليلى وهو قائم
 لبَّيك علياً فضل كل بلاغة

وخانت جواد المكرمات قوائمه
 وفلَّت من العز المنيع صوارمه
 وعُرِّى من جود الأنامل حاتمه
 وثلم غرب الدين والعلم هاجمه
 وما للزيم الحزن قصت قوادمه
 وما لمحياً الدهر قُطِب باسمه
 فواقع زهر والجفون كئامه
 فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
 ستنبو عراره ويندق قائمه
 وضل طريق الحزم فى الرأى حازمه
 فلا الجود وواقيه ولا البخل عاصمه
 ولا منعت منه الغنى كرايمه
 وكل طلوع فالغروب ملازمه
 إذا كان بانى مَصْنَع هو هادمه
 يُصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
 يروى بأنواع المعارف هائمه
 يحلا عن ورد المآثم حايمه
 يواسيه فى أمواله ويقاسمه
 يكابده أو يومه وهو صائمه
 يخلده فى صفحة الطرس راقمه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ماتح) .

وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه
 تكفل بالرزق المقدر للورى
 يسدده سهما وينضوه صارما
 إذا سال من شقيه سايل حبرة
 ليك عليه الآن^(٢) من كان باكيا
 تقلد منه الملك عصب بلاغة
 وقلده مثنى الوزارة فاكتفى
 ففى يده وهو الزعيم بحقها
 سخي على العافين سهل قياده
 إذا ضلت الآراء فى ليل حادث
 وقام بأمر الملك للدين حاميا
 وقد كان نيظ العلم والعلم والتقى
 ودوخ أعناق الليالى بهمة
 وزاد على بعد المنال تواضعا
 سقيت الغوادي أى علم وحكمة
 ومازلت^(٤) يستسقى بدعوتك الحيا
 بكت فقدك الكتاب إذ كان شملهم
 وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم
 ويبكيك منى ذاهب الصبر موجه
 فنى نال منه الدهر إلا وفاءه

ليوث الشرى فى خيسها وضر اغمه
 إذا الله أعطى فهو للناس^(١) قاسمه
 ويشرعه رمحا فكل يلائمه
 بما شاء منه سايل فهو عالمه
 فتلك مغانيه خلّت ومعالمه
 يقدر السلوق المضاعف صارمه
 بها ألمى حازم الرأى عازمه
 يراعتة والمشرقى وخاتمه
 أنى على العادين صعب شكائمه
 رآها برأى يصدع الحق^(٣) ناجمه
 فذل معاديه وضل مراغمه
 به وهو مانيطت عليه تمايمه
 يبيت ونجم الأفق فيها يزاحمه
 أبى الله إلا أن تتم مكارمه
 ودين متين ذلك القبر كاتمه
 وها هو يستسقى لقبرك ساجمه
 يؤلفه من روح فضلك ناعمه
 نذاك فكنت الروض ناحت حمايمه
 فوقد فى جنبه للحزن جاحمه
 فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (فى الناس) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (اليوم)

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الخطب) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ومازال) .

عليب الذي زرت عليه جيوبه قريح الذي شدت عليه حزامه
 فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة تعارض دوني بأسه وتصادمه
 سأصبر مضطراً وإن عظم الأسي أحارب حزني مرة وأساله
 وأهديك إذ عز اللقاء تحية وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد القاضي أبو بكر القرشي قوله من قصيدة في ذلك :

هي الآجال غايتها نفساد وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب أبو بكر القاسم بن الحكيم قوله من قصيدة :

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وأنشد الفقيه القاضي أبو بكر بن جزى قصيدة أولها :

أبشكما والصبر للعهدناكث حديثا أملت على الحوادث

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض ، فكان هذا التابين

غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك ، والتجلة في مثل هذا مقصورة على أولى الأمر . فمضى بسبيله رحمه الله .

علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن
 سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذم
 ابن ثعلب بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن نام بن عبس^(١)
 واسمه^(٢) زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذيل والتكلة (عنس) .

(٢) هكذا وردت في الذيل والتكلة . وفي الإسكوريال (والد) والأول أرجح .

من أهل قلعة يحصب^(١) ، غرناطى قلعى^(٢) ، سكن تونس ، يكنى
أبا الحسن ، ويعرف بابن سعيد .

أوليته

قد تقرر من كرم أوليته ، وذكر بيته ما ينظر فى محله .

حاله

هذا الرجل وَسَطَى عقد بيته ، وَعَلَمَ أهله ، ودرّة قومه ، المصنف
الأديب ، الرحال ، الطُرْفَة ، الإخبارى ، العجيب الشأن فى التجول فى
الأوطان ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد
المشرقية والمغربية .

مشيخته

أخذ عن أعلام إشبيلية كآبى على الشلوبين ، وآبى الحسن الدباج ،
وآبى الحسن بن عصفور وغيرهم .

تواليافه

وتواليافه كثيرة^(٣) ، منها المُرَقَّصات والمُطَرَّبَات ، عزيز الوجود ،
والمقتطف أغرب وأعجب ، والطالع السعيد فى تاريخ بيته وبلده .
والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار ، وهما « المغرب فى حلى المغرب » ،
« والمشرق فى حلى المشرق » ، وغير ذلك مما لم يتصل إلينا ، فلقد حدثنى
الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أنه تخلف كتابا يسمى « المرزمة »^(٤) ،
يشتمل على وقر بغير ، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢١٥ و ٤٢٣) .

(٢) أى من سكان القلعة المذكورة .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الزيتون وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتون (المزيادات) .

شعره

قال ، تعاطى نظم الشعر في حدّ زمن الشيبية ، يعجب فيه من مثله ،
فيذكر أنه خرج مع والده ، وقد مر في صحبته إلى إشبيلية ، وفي صحبته
سهل بن مالك ، فجعل سهل يباحثه عن نظمه ، إلى أن أنشده في صفة
النهر والنسيم يردده ، والغصون تميل عليه :

كأنما النهر صفحة كتبت أسطرها والنسيم ينشئها
لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها
فطرب أبو الحسن وأثنى عليه ، ثم شدا ، وناب عن أبيه في أعمال
الجزيرة ، ومازج الأدباء ، ودون كثيراً من نظمه ، وحفظ له في المدح :
يا أيها الملك الذي هبته وهبته شدت عرى الإسلام
لما أسال نداه سلّ حسامه فأراك برقاً في متون غمام
لله شيعتك التي ترك العدا أقداحهم بمواطء الأقدام
طاروا بأجنحة السيوف إليهم مثل الحمام جلبن كل حمام
فهم سهام والجياد قسيهم وعُداهم هدف وسعدك رام
وقال ، ومما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوبان أغر أكحل بحلية :
وأجرد تبرى أثرت به الثرى والفجر في خصر الظلام وشاح
عجبت له وهو الأصيل بعرفه ظلام وبين الناظرين صباح
رحلته المشرقية ، وفيها الكثير من نظمه ، قال في «الطالع» لما قدم الديار
المصرية واشتهر ، كان مما نظمه سلماً لمعرفة الأدباء والظرفاء قوله ، وقد
رأى بساحلها وجوها لا يعرفها ، وألسنا غير ما عهد :

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى من بينها وجها لمن أدريه
ويحُ الغريب توحشت الحاظه في عالم ليس له بشبيهه

هودى على يدي ضلّالا بينهم حتى كأتى من بقايا التيه
 ودخل القاهرة ، فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها ، وانتهت بهم
 الفرجة الى روض نرجس ، وكان فيهم أبو الحسن الجزار ، فجعل يلدوس
 النرجس ، برجله ، فقال أبو الحسن :

يا واطيء النرجس بالأرجل ما تستحي أن تطأ العين بالأرجل
 فتهافتوا بهذا البيت وراموا إجازته .
 فقال ابن أبي الأصبع :

فقال دعنى لم أزل [محرجا] ^(١) على لحاظ الرّشاد الأكحل
 وكان أمثل ما حضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غيره ، فقال :
 قابل جفونا بجفون ولا تبئذل الأرفع بالأسفل
 ثم استدعاه سيف الدين بن سابق صاحب الأشغال السلطانية إلى
 مجلس بصفة النيل ، مبسوط بالورد ، وقد قامت حوله شمامات نرجس ،
 فقال في ذلك :

من فضل النرجس فهو الذى يرضى بحكم الورد إذ يرأس
 أما ترى الورد غدا قساءدا وقام فى خدمته النرجس
 ووافق ذلك ممالك الترك ، وقوفا فى الخدمة على عادة المشاركة ،
 فطرب الحاضرون ، من حَسُود ومنصف . ولقى بمصر محيى الدين بن ندا
 واقد التركى ، الإمام زهير الحجارى هاء الدين ، وبالقاهرة جمال الدين
 ابن مطروح ، وجمال الدين بن يغمور ^(٢) ، وتعرف بكمال الدين بن العديم
 رسول سلطان حلب ، فاستصحبه يتحف به الملك الناصر صاحب حلب ،

(١) هذه الكلمة واردة فى النفع وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ابن يسور) وهو تحريف لاسم الشاعر المصرى أحمد بن موسى

ابن يغمور ، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

فلقى بَحْمَنُ وببيت المقلس وحماء أعلا ما جِلَّة ، وله معهم أخبار يطول
ذكرها ، ودخل على السلطان بحلب ، وأنشده قصيدة أولها :

جُنُّلُ بما ألقى الخيال من الكرى لا بد للطيف الملم من الكرا^(١)
فقال كمال الدين هذا رجل عارف مدرؤى لمقصده من أول كلمة ..

ثم قال بعد أبيات :

الناصر الملك الذى عزماته أبدا تكون مع العساكر عسكرا
ما كان أنبا الفتح يلزم لامة والجمع من أعدائه متكسرا
فعظم استظراف السلطان لهذه المقاصد ، وأثنى عليه . ثم وصل فقال :
الدين أصلحه وعم صلاحه الدنيا وأصبح ناصرا ومظفرا
فكأن كُنَيْتَهُ غدت موضوعه من ربه والوصف منه مقررا
وكانما الأسماء قد عرضت على علياه قبل وجوده متخيرا

فقال السلطان كيف ترون واستعاده . فقال عون الدين العجمي عميد
المجلس ، وكاتب الإنشاء ، استنباطه ما سمع الملوك بمثله يا خوند . ثم
أنشد :

من آل أيوب الذين هم هم ورثوا الندى والبأس أكبر أكبرا
أهل الرياسة والسياسة والعلا بسيوفهم حلوا الدرى منحوا الدررا
سم العداة على هيافيهم لا تعجبوا فكذلك آساد الشرى
كادوا يقيلون العداة من الردى لو لم يملوا كالحجاب العثيرا
جعلوا خواتم سمرهم من قلب كل معاند عد المثقف خنصرا
وببيضهم قد توجوا أعداءهم حتى لقد حلوا لكيفا تشكرا
لو لم يخافوا تيسار نحوهم وهبوا الكواكب والصباح المشفرا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (القرى) .

وهي طويلة . ثم استجلسه السلطان ، وسأله عن بلاده ، ومَقْصِدِهِ بالرحلة ، فأخبره أنه جمع كتابا في الحُلَى البِلادِيَّة والحُلَى العِبَادِيَّة المختصَّة بالمشرق ، وأخبره أنه سماه « المُشْرِقُ فِي حُلَى المُشْرِقِ » . وجمع مثله فسماه « المُغْرِبُ فِي حُلَى المُغْرِبِ » . فقال نُعَيْنِكَ بما عندنا من الخزائن ، ونوصلك إلى ما لا عندنا . مثل خزائن الموصل وبغداد ، وتضيف لنا المغرب . فخدم على عادتهم ، وقال أمر مولاي بذلك ، إنعام وتأنيس ، ثم قال له السلطان مُداعبا ، إن شعراءنا مُلقَّبون بأسماء الطيور . وقد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر ، فإن كنت ترضى به ، وإلا لم يعلمه غيرنا ، وهو البُلبُل ، فقال قد رضى المملوك بذلك يا خوند . فتبسم السلطان ، وقال اختر واحدة من ثلاث ، أما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك ، وأما جائزة القصيدة ، وإما حق الاسم . فقال يا خوند المملوك بمن لا يختنق بعَشْرُ لُقَمٍ ، فكيف بثلاث . فطرب السلطان ، وقال هذا مَغْرِبِي ظريف ، ثم أتبعه^(١) من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف . ولقى بحضرته عَوْنُ الدين العجمي ، وهو بَحْرٌ لا تنزفه الدلاءُ ، والشهاب التلغفري الشهير الذكر ، والتاج بن شُقير ، وابن نجم الموصلي ، والشرف بن سليمان الإزبيلي . وطائفة من بنى الصاحب . ثم تحول إلى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق ، وحضر بمجلس خلوته . وكان ارتحاله إلى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستائة في رحلته الأولى إليها . ثم رحل إلى البصرة ، ودخل أرجان ، وحج . ثم عاد إلى المغرب . وقد صنّف في رحلته الأولى إليها مجموعا سماه « بالنفحة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تبعته) . والأول أنسب للسياق .

المسكية في الرحلة المكية». وكان نزوله بساحل مدينة إقلنية من إفريقية في إحدى جماديين من هام اثنين وخمسين وسبائة ، واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر^(١) فنال الدرجة الرفيعة من حظوته ، وقال عند اتصاله به لحين قدومه :

ومازلت أضرب في الخافقين أروم البلاد وأرعى الدول
إلى أن رجعت إلى تونس محل الإمام وأقصى الأمل
فقلت البلاد لهدى قرى وقلت الأنام لهذا خول

نكته

وحدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أن المستنصر جفاه في آخر عمره ، وقد أسنَّ لجراه خلعة مالية أسندها إليه ، وقد كان بلاه منه قبل جفوة ، أعقبها انتشار وعناية . فكتب إليه :

يا غزالا في الحشا منزله وبعيني دائما منهله
لا ترعيني بالجفا ثانية ما بقى في الجسم ما يحمله
فرق له ، وعاد إلى حسن النظر فيه ، إلى أن توفى تحت برٍّ وعناية . رحمه الله
مولده : ولد بقرناطة ليلة الفطر في سنة عشر وسبائة .
وفاته : توفى بتونس حرسها الله في أحواز عام خمسة وثمانين وسبائة .

على بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي

الأديب الكاتب يكنى أبا الحسن

(١) هو الخليفة (وليس الأمير) أبو عبد الله المستنصر بالله بن أبي ركريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي ، عاهل مملكة إفريقية (تونس) ، وقد حكم من سنة ٦٤٧ هـ حتى وفاته في سنة ٦٧٥ هـ .

حاله

من أهل المعرفة بالعلوم القديمة ، وأصله من عمل سرقسطة . وكان صديقا للوزير أبي الحسن بن هاني .

هـ شيخته

قرأ على الحكيم أبي بكر بن الصايغ، المعروف بابن باجة^(١) . وكان خطيع الرسن فيما ذكر عنه .

شعره

من شعره :

خليلي من نعمان بالله عرجا	على الأيكة من وادي العقيق فسلمها
وقولا له ما حال لبني لعله	إذا سمع النجوى بلبني تكلمها
فعمهدى به والظل ينفض دوحه	وقد خضلت عيدانه فتنعما
تباكره لبني لإتيان موعده	عزيز عليها أن يُخان ويصمرها
نبث حديثها فنبكى بعبرة	فترسلها ماءً ونرسلها دما

ومن شعره قوله :

أدر كأس المدام فقد تغنى	بفرع الأيكة أوزقها الصلوح
وهب على الرياض نسيم صبح	يمر كما وني ساد طليح
وسال النهر يشكو من حصاه	جراحات كما أن الجريح

وقال :

سقى الله دمرًا ضم شمل مودة	وجمع إخوان الصفاء بلا وعد
بميناء تعلوها الرياح بليلة	وتنظر منها الشمس بالأعين الرمد

(١) سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحاطة ص ١٨٩ حاشية) .

وفاته : توفي بقرنطة في حدود الثلاثين وخمسة .

ومن الطاريين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابس يكنى أبا علي .

حاله

كان فقيها أديبا مكثرا ، شهير المكان بجهته ، مولعا بمكاتبة الأدباء ، وتقييد ما يصدر عنهم ، مؤرخا من أهل النباهة والعناية . ألف كتابا سماه « نُخْوة الأَعْلَاق ، ونزهة الأحداق في الأدباء » ، وحلّى من ذكر فما قَصَرَ ن السُّدَاد . وله نظم ونثر وخطب ، وبيعات ومراجعات ، تضمنها الكثير من كُتُبِهِ .

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه :

من ذاكر لك في قُرْب وفي شَحَط	خَلَجَا إِلَيْكَ أبا اسحق تَذَكِيرَة
ولا يَنازجُه بالسُّهُو والغَلَط	يَرعى ذَمَامِكَ لا تَنسى لَوَازِمِهِ
ولا يَعامَلُ في البَحْرانِ بالشُّطَط	ولا يَزالُ بِحَفْظِ العَهْدِ مُعْتَنِيَا
ومن صَفْوَتِي في أَرَفِ النُّمَط	فَأنتَ عِنْدِي أُولَى من أَدْمَة رِبْحِي
لديكَ إذ فيه لِي تَأْنيسٌ مُغْتَبِط	قد طال شوقِي للإِعلامِ مِنْكَ بِما
معهود ما كنت تُؤَلِيهِ لذي الشُّحَط	وقد تيت بنكري في التَغافلِ عَن
أوليت من كَثْرَةِ الإِهْمالِ والغَلَط	وقد عفا رِسمِ عِرْفانِ الإِنْخاءِ بِما
عُودت في الكُتُبِ من مُسْتَحْسِنِ الخُطَط	جَبُرَ أَخِي وَهِيهِ وارِجِعْ لصالِحِ ما
فإنَّ أَوْبَحَ شَيْءٍ قَبْضٌ مِنبَسَط	وَجُدْبِ سِطانِ سِطانِ سِطانِ تَبْلِلُهُ
من ذِي ولاءٍ بِذاكِ المِجدِ مَغْتَبِط	خَلَسَ لَما كَعَرَفَ المِسْكَ نَفْحَتَهُ

وفي مفاتيحة بعض الأدباء :

أبا جعفر وأفتك في صفحة الطرس لها حُلل الإخلاص زياً وحَلِيَّها
عقيلة ود لم تُشِنْها يد اللمس عطر ثنا عَرَفَ روض الربى يَنْبَس
وموجبها ما قد فشى من محامد وغرُّ علوم حزتها ومعارف غلوت بها
حباك بها الرحمن ذو العرش والكرسى فحيُّ على البدر والشمس
فإن رُزِقَتْ منك القبول تشرفنت خطابك يا قاضي العدالة بُغِيَّتِي

وإقتضبتها أعلى الله قدرك ، كما أسنى في سماء المعارف والأدب التالد
والطارف بَدْرِك ، عن ود ملك زماي ، وفضل في سبيل المنافسة في خطبة
ودادك غاية اهتامي ، وقد تقرر لدى من محاسنك وإحسانك بالسماع ما
أوجب على مخاطبتك عند تعذر المشافهة بالأسنة اليراع ، فانعدت بزمام
ذلك الواجب ، وقصدت أداءه على أصح المذاهب ، راجياً من تجاوزك وإغضايك
ما يليق بباهر علايك ، وفي جوابك هو الشفاء ، ولدى خطابك يُلقي الاعتناء
والاحتفاء ، والله يطلع منك السار ، ويصل لك المبار . وقال يخاطب السلطان :

إلى الحضرة العليا يستبق العبد وفي القرب منها والدتوه القصد
إلى حضرة الولي الإيمارية التي تبلح فيها العدل وابتسم السعد
وفيها وجود للدين والدنيا وقد خصها بالرحمة الصمد الفرد

وفاته : كان حياً في سنة خمس وستماية

علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر النساني^(١)

(١) ورد في هامش المخطوط (لوحة ٢٢٧) تعليقاً على هذه الترجمة ما يأتي : « قلت وستاني قريباً بعد سبعة تراجم ، ترجمة علي بن أحمد النساني شارح مسلم ، واسمه كاسم هذا المترجم به هنا وكذا اسم أبيه وجده وأبي جد جده . ويوافقه أيضاً في النسب والبلد والكنية والشيوخ والتواليف . ولا أظنهما إلا شخصاً واحداً ، بل ربما يكاد أن يقطع بذلك . فتأمل ذلك واللم عند الله . وقد ذكرهما ابن فرحون في « الديباج » شخصين ، وعرفهما كما فعل ابن الخطيب فتأمل ذلك واللم عند الله . وكتب أحمد ابن أحمد بن حمد بن عمر المسنوي الأنصاري . وختم الله تعالى له ولوالده بالخير والحسن »

من أهل قرية أرينتيرة من قرى سند مدينة وادي آش ، يكنى أبا الحسن

حاله

كان من جلة الطلبة ونيهائهم وأذكيائهم وصلحائهم . عنده معرفة بالفقة ، ومشاركة في الحديث ، ومعرفة بالنحو والأدب . وحسن نظم ونثر ، من أحسن الناس نظما للوثائق ، وأتقنهم لها . وأعرفهم بنقدها ، وأقصدهم لمعانيها يستعين على ذلك بأدب وكتابة ، فيأتى بأشياء عجيبة .

مشيخته

روى عن الراوية أبي العباس الخروبي . والمقرئ أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصاري . والقاضي أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجي

توالياه

ألف كتاباً في شرح المُسند الصحيح لمسلم بن الحجاج في أسفار كثيرة ، أجاد فيها كل الإجابة . وله كتاب سماه بالوسيلة في الأسماء الحسنى . ونظم في شمائل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

شعره

له شعر في الزهد وغيره فمنه قوله :

أيا كريما لم يُضَع	لديك عبد أملك
بالباب من أنت له	وود أن لو كان لك
عبدٌ له أسولة	وليستحي أن يسلك
أفواهم تسله	ولم تحسن عملك
فإن أنت خنته	أمانة قد حملك
ولم تكن تشكرما	من فضله قد خولك

وكلما أهملته من حقه ما أهملك
 إنا كما قالوا سوى أنك أعلى من ملك
 تلك التي تؤنسى وترتجى بفضلك
 بشرى إن نال الرضا بها تؤسلك

علي بن محمد علي بن هيضم الرعيني

من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحسن .

حاله

الكاتب البليغ المحدث الراوية . قال الأستاذ ، كان من أهل العلم والمشاركة ، وغلبت عليه الكتابة السلطانية . واعتمدها ضناعة . وكتب لجلّة من ملوك الأندلس والعنوة . وكان انفصاله من الأندلس قبل سنة أربعين وستاية .

قلت ، وكتب للسلطان المتوكل على الله أبي عبد الله بن هود ، ثم للسلطان المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر . وسكن بقرنطة مدة (١) مديدة . ثم رحل إلى مراكش . فكتب عن أمير سبتة ، وعن ملوك الموحدلين بمراكش . ونمت حاله ونبّهت رتبته ، واستقل بالإنشاء ، بعد شيخة أبي زيد الفازازي ، وكان محدثا عارفا بالراوية ، متعدد المشيخة . فاضلا ، دينا . مشاركا في كثير من المعارف . حسن الخط . جيد الكتابة . متوسط الشعر . قلت هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب طويلة اختصرتها (٢) .

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هذا مثل من إشارات المختصر إلى طريقة اختصاراته ، فهو في معظم الأحيان يختصر المشيخة ، أو يقلها بتاتا .

شعره ونثره

من ذلك ما جمع فيه بين النظم والنثر :

وإني الكتاب وقد تقلد جيده ما أنت تحسن نظمه وتجيده ،
 من كل معنى ضمن لفظه في حلي خطٌ يزيل طلي الطروس فريده أ
 أبا المطرف دعوة من خالص لعلك غابت وده وشهيد
 أنت الوحيد بلاغة وبراعة ولك البيان طريفه وتليده
 فانثر أنت بديعه وعماده وانظم أنت حبيبه ووليد
 إليه أيها السيد الذي جلت سيادته ، وحلت صميم الفؤاد سعادته ،
 ودامت بها ينفع الناس عادته . ألقى إلى كتاب كريم ، خطته تلك اليمنى
 التي اليمن فيها تخطه . ونسقت جواهر بيانه ، التي راق بها سمطه ، فلا تسلوا
 عن ابتهاجي بأعاجيبه ، وانتهاجي لأساليبه ، وشدة كلني بالتماح وسيمه ،
 وجدته شغفي باسترواح نسيمه . فإنه قدم ، وأنس النفس راحل ، واستعاده
 وروض الفكر ماحل ، فجاده ، لاجرم أنه بما حوى من حدق النوى ، وروى
 من طرق الهوى ، وبكى الربيع المحيل ، وشكى من صابح الرحيل ،
 هيج لواعج الأشواق وأثارها ، وحرك للنفس حوارها ، فحنت ، واستوهبت
 العين مدارها فما ضنت . فجاشت لوعة أسكنت ، وتلاشت سلوة عنت ،
 وكف دمع كف ، وثقل عدل خف ، واشتد الحنين ، وامتد الأنين ،
 وعلا النحيب ، وعرا الوجيب ، والتقى الصب والحين ، وهدى المحب
 قدر ما جناه البين ، وطالما أعمل في احتمال المشاق عزيزه ، وشد لاجتباب
 الآفاق حيازيمه .

وادع مثوى المقام معتزما لا يرى الغرام ملتزم

وأزعم البايين عن أحبته والبين عن داره التي ربما
وما درى أنه بعزمته أشعل البين في الحثي ضرما
وهل جرى ذلك في تصوره فربما أحدث الهوى لهما
إلهي ألا نوى مشيئته شملا من العيش كان منتظما
وعاذلُ قال لي يعنتني لا تبد فيما فعلته ندما
ما حيلة في يدي فأعملها عدلُ من الله كلُّ ما حكما

أما أن القلب لو فهم حقيقة البين قبل وقوعه وعلم قدر ما يشب
من الروح في روعه ، لبالغ في اجتنابه ، واعتقد المعنى عنه من قبيل
المعنى به . ولحا الله الأطماع ، فإنها تستدرج المرء وتغره ، وتغريه بما
يسره . ما زالت تقتل في الغارب والذروة ، وتخيل بالترغيب والثروة ،
حتى أنات عن الأحباب والحبايب ، ورمت بالغريب أقصى المغارب .
فيالوْحشة أوت بايناسة ، وبالغربة أحلت في غير وطنه وناسه ، ويا عجبا
للأيام وإساعتها ، وقرب مسرتها من مساتها ، كأنها لم تُتحف بوصول ،
ولم تُسعف باتصال ، ولم تمتع بشباب ، ولم تفتح لقضاء أوطار النفس
كل باب .

عجبا للزمان عق وعاقا وعدمنا مسرة ووفاقا
أين أيامه وأين ليال كلال تلالؤ وأتساقا
كم نعمنا بظلمها فكأننا مرقها للصبأ علينا رماقا
كم بغرناطة وحمص وصلنا باصطباح من السرور اغتياقا
وفي ربي نجد تلك أو نهر هدى والأمان تجرى إلينا استياقا
في رياض راق وراق ولكن حين نذ الحيا لها فأراقا
رق فيها النسيم فهو نسيب قد سبا رقة نفوسا رفاقا

وثنا للغصون منها قدودا تتلاقى تصافحاً واعتناقاً
كلما هبَّ من صباه عليل وتداوى بها العليل أفاقاً
حكم السُّعد للأحبة فيه بكووس الوصال أن تنساقاً
ثم كرت للدمر عادة سوء شق فيها خطبُ النوى حين شاقاً
شئت الشمل بعد طول اجتماع وسقى الفراق كأساً دهاقاً
وأعاد الأوطان قفراً ولكن قد أعاد القطن فيها الرفاقاً
ليت شعري والعيش تطوى بالفيافي أشاماً تبوؤا أم عراقاً
ياخذاة القلوب رفقا بصب بلغت نفسه السياق اشتياقاً
فآه من شجوة وآه لبين ألزم النفس لوعة واحتراقاً

هذه يا سيدي استراحة من فؤاد ، وقَدته الفرقة والقطيعة ، واستباحته
لُجَمي الوقار بما لم تحظره الشريعة ، فقدما تُشوكيت الأحزان ، وتُبوكيت
الأوطان ، وحنّ المشتاق ، وكنّ له من الوجد ما لا يطاق ، فاستوقف الركب
يشكو البلايل ، واستوكف السحب لسقيا المنازل ، وفدى الربيع وإن زاده
كربا ، ومن له إن يلم لائماً له تُربا . حسبه دموع تفيض مجاريها ، ونجوم
يسامرها ويسايرها .

ألف السهاد فشأنه إدمانه واستغرقت أحيانه أشجانه
وشكا جفا الطيف إذ لم يآته هل ممكن من لم ينم إتيانه
واستعبدته صباية وكذا الهوى في حكم أحراره عيّدانه
كم رام كتمان المحبة جهده ودموعه يبلو بها كتمانه
وإذا المحب طوى حديث غرامه كبي الضلوع وشّت به أجفانه
وهي طويلة .

وفاته : بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من رمضان

سنة ستة وستين وستاية . ودفن عقب ظهره ، بجبانة الشيوخ مقاربا باب
السادة أحد أبواب قصر-مراكش . وكان الحفل في جنازته عظيما .
لم يتخلف كبير أحد .

على بن محمد بن علي بن البنا

من أهل وادي آش يكنى أبا الحسن .

حاله

من « الإكليل الزاهر » ، قال فيه ، فاضل يروك وقاره ، وصقراً بعد
مطاره . قدم من بلده وادي آش يروم اللحاق بكتاب الإنشاء ، وتوسل
بنظم أنيق ، وأدب في نسب الإجابة عريق ، تُعرب براعته عن لسان
ذليق ، وطبع طليق ، وذكاء بالأثرة خليق ، وبيننا هو يلحم في ذلك
الغرض ويُسدى ، ويعيد ويبدي ، وقد كادت وسايله أن تنجح ، وليلة
رجايه أن تصبح ، اغتاله الحمام ، وخانته الأيام ، والبقاء لله واللّوام .

شعره

من شعره يخاطبني لما تقلدت الكتابة العليا :

هو العُلا جرى باليمن طائرُه	فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا إلى أمل	لأعجز الشمس ما أمت عساكره
لقد حباه منيع العزّ خالقه	بفاضل منك لا تُحصي مآثره
فليزه فخرا فما خلقت يُعارضه	ولا علّا مدى الدنيا يُفآخره
لله أوصافك الحُسنى لقد عجزت	من كل ذي لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذي لسن	عن وصف بحررى بالدو زاخره

هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب
 فلإن يقصُر عن الأوصاف ذو أدب
 يا بن الكرام الألى ما شبَّ طفلهم
 مهلا عليك فما العلياء قافية
 ولا المكارم طرساً أنت راقمه
 ماذا على سابق يُسرى على سنن
 سير حيث شيت من العليا سيِّدا
 أنت الإمام لأهل الفخر إن فخرُوا
 ما بعد ما خُزته من عزة وعُلا
 ثادت بك الدولة الشعريُّ محتدها
 حلية لما برد البر مرتديا
 فالملك يرقل في أبراده مرحا
 فأضاء بها نعمة ما أن يقوم فيها
 وليهنينا أنه ألفت مقالدها
 فيانه بدر تيم في مطالعهها

ومن أطبع ما هز به إلى إقامة سوقه ، ورعى حقوقه ، قوله :

يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا
 بيباب مجدكم الأسمى أخو أدب
 ذلَّ الزمان له طورا فبلَّغه
 و"لأن أركبه من كل نايبة
 فحملته دواعي حبكم وكفى
 فهل سرى" نسمة من جباهكم
 فكل مجد إلى علياتها انتسبا
 مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
 من بعض آماله بعض الذى طلبا
 صعب الأعنة لا يألو به نصبا
 بذاك شافع صدقٍ يبلِّغ الأربا
 فيها خليفة الله فينا يطر الذهبا

وأهدى إلى قباقب خشب برسمى ومعها من جنسها صغار للأولاد من

مدينة وادي آش من خشب الجوز وكتب لي معها :

هاكها ضمراً مطايا حسانا	نشأت في الرياض قُضبا لُدانا
وثوت بين روضة وغدير	مُرْضعات من النَّمير لُبانا
ثم لما أراد إكرامها الله	وسنى لها المنى والأمانا
قصدت بابك العلي ابتدارا	ورجت في قبولك الإحسانا
قد قبلنا جيادك الدهم لما	لما أن بلونا منها العناقِ الحسانا
أقبلت خلف كل حجر ببيع	خلعت وصفها عليه عيانا
فقبلنا برعيها وفسحنا في	ديار العلي لها ميدانا
وأردنا امتطياها فأفخذنا	من شرك الأديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر	من كتاب سبت به الأذهانا
مثلما تجنب الجيوش المذاكي	عُدّة للقاء مهما كانا
لم ترق مُقلتي ولا رق قلبي	كحلاها براعة وبيانا
من يكن مُهديا فمثلك يُهدى	لم أجد للثنا عليك لسانا

وفاته : توفي في الرابع لشعبان من عام خمسين وسبعماية مُعتبطاً في الطاعون
لم يبلغ الثلاثين .

على بن محمد بن علي العبدري

سكن غرناطة ، يكنى أبا الحسن ويعرف بالوراد ، ويشهر أبوه

باليربوني .

حاله

بقية مُسنِّي أدباء الأندلس في فن الهزل والمُعرَّب ، والهزل متولى

شهرته ، وله القيدُ المعلى فيه ، والطريقة المثلى ، ظريف المأخذ ، نبيل الأغراض ، حافظ للعيون ، مال بآخرة إلى النسك ، وصحبة الصالحين . ولم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكبرة ، وظرفه يتألق خلال النسك . وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » بما نصه : أديب نار ذكايه كأنه يتوقد ، وأريبٌ لا يُعرض كلامه ولا يُنقد . أما الهزل فطريقته المثلى ، التي ركض في ميدانها وجلى ، وطلع في أفاقها وتجلّى ، فأصبح هلمُ أعلامها ، وعابر أعلامها . إن أخذ بها في وصف الكاس ، وذكر الورد والآس ، وألم بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله ، والروض وطيبه ، والغمام وتقطيبه . شقّ الجيوب طربا ، وعلّ النفوس إربا وضربا . وأن اشفق لاهتلال العشية ، في فرش الربيع الموشية ، ثم تعداها إلى وصف الصبوح ، وأجهز على الرق المجروح ، وأشار إلى نغمات اليوزق يرفلن في الحلل الزرق ، وقد اشتعلت الليل نار البرق ، وطلعت بتور الصباح في شرفات الشرق ، سلب الحليم وقاره ، وذكر الخليع كأسه وعقاره ، بلسان يتزاحم على مورده الخيال ، ويتدفق من حافاته الأدب السيال ، وبيان يقيم أود المعاني ، ويشيده صانع اللفظ محكمة المباني ، ويكسو حُلل الإحسان جسوم المثلث والمثاني ، إلى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويسار .

وقد أثبت من شعره المعرب . وإن كان لا يتعاطاه الإقليلا ، ولا يجاوره إلا تعليلا ، أبياتا لاتخلو من مسحة جمال على صفحاتها ، وهبة طيب ينم في نفحاتها .
فمن ذلك قوله :

يذكرني حُسن الكواعب روضة لها خطر قيد النواظر مُونق

خلود من الورد النضير وأعين
وخامات زرع يانع كذؤاب
ومن شعره قوله :

أسافرة النقب سحرتُ لما
وتيمت الفؤاد بغنج طرف
لعمر أبيك ما بالنوم بعدُ
ومن معانيه المخترعة وأغراضه المبتدعة . وكلها كذلك :

مالي إذا غبتم تهى لفرقتكم
عيني بمُنهمر كالغيث هتان
أشبهتُ نيلوفرًا والشمس بهجتكم
إن غبتم غبت في أمواه أجفان
السقم يشهد لي والدمع برح بي
متى استوى عندكم سرُّ وعلان
وقال من المستحسن الذي رمى فأصاب ، واستمطر طبعه فصاب :

بقولون لاح الشيب فالآه عن الصبا
وعن قهوة تصبو لها وتنيب
فقلت دعوني نصطحبها سلافة
على صُبح شيبى فالصبح عجيب
وقال كذلك :

لا تعجبين من اليكيد مخلولا
الماء أصل الخصب غير مدافع
والنار مؤثرة الجدوب وإنها
ومن قصائده الغربية :

ومُعتر لحظ المشيب بعارضى
هلاً ثنته نسبة لمجبه
فتصرمت دوني حبالُ وصاله
إن العذار لشيبة لجماله
وقال أيضا :

تحرُّ الصدق إن حدثت يوماً
وإن حدثت لا تنقل حديثاً

وكن للسرِّ صرَّافاً كتوما
وقال مما يكتب في غمِّ سيف :

لئن راق مني منظر بان حسنه
كان أدبى رُقعة من حديقة
وقال مما يكتب على قوس :

إن كان من وتر الألحان مُنبعثا
فإنَّ حُزن العدا ما نال منبعثا
وقال في غير هذا الغرض :

الخير كل الخير في سنة لم
الحزم والحلم وحمل الأذى
ومما نختتم به محاسنه قوله :

ألا إنَّ باب الله ليس بمُغلق
ولكن بُلينا في سلوك طريقه
فمن يرمُّ بالدنيا إليه كلُّقمة
فخلَّ عن الدنيا ودَّع عنك حبيها
وقوله :

أيقنت أن جميع الخلق ليس له
فلا أخاف ولا أرجو مدى عمرى
شئىء من الأمر في شئىء فيصنعه
الأذى في يديه الخلق أجمعه

مولده : بمدينة مالقة في اليوم الثالث والعشرين لذي حجة من عام أحد
وثمانين وستماية

وفاته : في أحواز أحد وستين وسبعماية

على بن عبد العزيز بن الإمام الأنصارى

يكنى أبا الحسن ، سرقسطى الأصل ، غرناطى الاستيطان والاستعمال .

حاله

كان وزيرا جليلا ، معظّم القدر . مبجلا أثيرا ، ذا معارف جمّة ،
أحد كتاب الزمن ، وأهل البلاغة والفصاحة والكرم . وزر للأمير أنى
الظاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، صاحب غرناطة فحمدت وزارته ،
وكتب للأمير على بن يوسف . وروى عن شيوخ غرناطة .

أخباره فى الجود والجلالة

قال أبو القاسم ، شكى إليه بعض إخوانه من حادث طّرقه ، وأن
النّفاق أخرجّه من بلده ، وحال بينه وبين بلده ، فأنزله أكرم منزل
وخرج إلى المسجد الجامع ، وأشهد على نفسه أنه وهبه الربع من
أملاكه ، وكتب بذلك عقداً ودفعه إليه ، وقال يا أخى إن ذلك سيصلح
من حالك ، وحالى لا يتسع لأكثر من هذا ، فاعذر أخاك . وكان الذى
وهبه يساوى فوق الألف دينار مرابطية ، فرحم الله الوزير أبا الحسن :
فلقد كان نادرة الزمن .

شعره

من ذلك قوله :

بالبيت شعرى والأمانى كلّها رور يغرك أو سراب يلمع
فى كل يوم منزل لأجبة كالظلّ يلبس للقليل ويخلع

ومن ذلك قوله

تسموا بالمعارف والمعالي فليس المجد بالرحم البوال

وإن فاتنا فبالبيض المواضي وبالسمر المثقفة العوال
 وإذا المرء تنهضه هذى فليس بنا هضس أخرى الليال
 ومن أسمته أسباب سواها فرفتها تؤل إلى سفال

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

على بن ابراهيم بن على بن ابراهيم الجذاهي

القاضي المتفنن الحافظ ، من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن .

حاله

من الصلّة ، كان عدّلا فاضلا جليلا ، ضابطا لما رواة ، فقيها حافظا ،
 حسن التقييد .

توالياه : قال اختصر كتاب « الاستذكار » لأبي عمر بن عبد البر .
 وغير ذلك .

مشيخته

روى عن أبي محمد عبد الحق بن بونه ، والقاضي أبي عبد الله بن زرقون ،
 وأبي القاسم بن حُبَيْش ، وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي محمد بن عبيد الله ،
 وأبي زيد السُهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخار ، وأبي الوليد بن رشد .
 مولده : ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة وخمسين وخمسمائة .
 وتوفى قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذي حجة من عام اثنين
 وثلاثين وستماية .

من روى عنه . روى عنه القاضي أبو على بن أبي الأحوص .

علي^(١) بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن النفزي .

حاله

قال أبو القاسم الغافقي ، فقيه مُشاور بغرناطة ، محدث متكلم .

مشيخته

أخذ عن أبي الحسن شريح ، وعن الإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن
البادش ، وعن أبي القاسم بن ورد ، وعن القاضي أبي الفضل عياض بن
موسى ، وعن الإمام أبي عبد الله المازري ، وعن أبي الطاهر السُّنِّي ، وعن أبي
مروان بن مَسْرَةَ ، وأبي محمد بن سِمَاك القاضي ، وعلى بن عبد الرحمن
ابن سمحون القاضي ، والقاضي أبي محمد بن عطية ، والمشاور أبي القاسم
عبد الرحيم بن محمد ، والقاضي أبي القاسم بن أبي جمرة ، وجماعة يطول
ذكرهم .

توآلفه

وله توآليف في أنواع من العلم ، منها كتاب «نزهة الأصفياء وسلوة
الأولياء في فضل الصلاة على خاتم الرسل وصفوة الأنبياء» إثنًا عشر
جزءًا ، وكتاب «زواهر الأنوار وبواهر ذوى البصائر والاستبصار في
شمايل النبي المختار» ، سفران كبيران ، وكتاب «منهج السداد في شرح
الإرشاد» ثلاثون جزءًا ، وكتاب «مدارك الحقائق في أصول الفقه»
خمسة عشر جزءًا ، وكتاب «تحقيق القصد السنِّي في معرفة الصمد العلي»
سفر ، وكتاب «نتائج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسئلة الأقوال من

(١) وردت في الإسكوريال (محمد) ، وهو فيما يبدو تحريف من الناسخ لأن القايمة سائرة
باسم (علي) من قبل ، ومن بعد ، ويؤيد ذلك كنيته وهي (أبو الحسن) .

الغوامض والأسرار» سفر ، و كتاب «تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول وشرح المهمات منها والأصول» سفر ، و كتاب السباعيات ، و كتاب «تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء» ، و كتاب «رسائل الأبرار . وذخائر أهل الحضرة والإيثار في انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار» سفران اثنان ، و كتاب «الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام» سفران .

وفاته

توفي في الكاينة بقرنطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة . خرج منها يريد وادي آش ، فلم يصل إليها ، وفقد فلم يوقع له على خبر .

علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن زكريا .
أوليته : قدم في ذكر أبيه وعمه .

جـاله

هذا الرجل فاضل ، سحون ، من أهل السذاجة والسلامة ، والعفاف والصيانة ، مُعمٌ مُخوّلٌ في الخير . طاهر النشأة . جانح للعدالة . قعد للعلاج ، وبرز في صناعة الطب ، على فتاً من سنه ، واستيم إليه بهم من نبيه العمل وخطته ، متصف بالإجادة والبيان .

مشيخته

قرأ العربية والفقه وغيرهما من المبادئ على مشيخة وقته ، والطب على الوزير أبي يزيد خالد بن خالد من أهل قرنطة . وقعد معه .

شعره

ينتحل من الشعر ما عينه في الشُّرود أو غير ذلك فراره كقوله :
صعدت نار فؤادي أدمعي فلذا ما جفَّ قلبي فأنفطر
لو أباح الله لي وصلك الأنبل صدع القلب مني وانخبر
أصل داني منك لحظُّ فاتر وأشدَّ اللَّحظ ما ماقتَـر
كيف أرجو منه برأً وغدت قهوة الحُسن تسقيه دُرر
فانظر قوله ، الأنبل من شعره :

ولي همة من دونها كل همة أموت بها عطشان أو يخلص الشُّرب
يعز على الكريم ورود ماء يُكدره شوب ويطرقه نهب
وإني وأن أضحي لو ذلك موضع من القلب أضحي دون موضعه الخُب
فتمنعني نفسي لايمان أرواحهم على شرب يونقه قشِبُ
غفر الله له على قشِب ، وتجاوز عنه ، فلقد دفع منه فضحها .
وهو بحاله الموصوفة

ومن الطارئين والغرباء

علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني

من أهل مالقة ، من قرية يعشيش من عمل مُلتماس ، من شرقها
يكنى أبا الحسن . ودخل غرناطة ومدح أمراءها وتردد إليها .

حاله

من « عايد الصلة » : من صدور أهل الدين والفضل ، والخير والصلاح
والنزاهة ، والاقتصاد والانقباض ، تحرف بصناعة التوثيق بمالقة ،
جاريا على شاكلة مثله من الاقتصاد ، والتبليغ باليسيز ، ومصابرة الحاجة ،
مكبياً على المطالعة والنظر ، مجانبا للناس ، بعيننا عن الريب ، مؤثرا

للزهد في الدنيا . وُلِّيَ الخطابة بالمسجد الأعظم من قسبة مالقة في عام وفاته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الصالح الخطيب أبي جعفر بن الزيات ، والأستاذ المقرئ رحلة الوقت أبي عبد الله بن الكماد .

شعره

وشعره أخذ بطرف من الإجابة في بعض المقاصد ، فمن ذلك قوله :

أرى لك في الهوى نظراً مريباً كأن عليك عاذلاً أو رقيباً
ولست بخائف في الحب شيئاً على نفسي مخافتى المشيبا
يرينى كل ما تهواه نفسي قبيحاً مالياً عيني غيبا
أنا منه ابن قيس لا يراح فذق مرَّ التأسف مستطيبا
إذا ما كنت تبكى فقد حبب فما مثل الشباب به حيبا

وقال في مذهب المدح من المطولات :

الآن تطلب ودها ووصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها
وقد استحالت فيك سببا الصبا حالا يروع مثلها أمثالها
وأنتها متلبسا بروابع نكر بفؤدك أصبحت عذالها
بيض تخيل للنفوس نصولها سمرًا تخول للنحور نصالها
مثل الأفاعي الرقط تنفث في الحشا وأرى بفؤدك جنأ أطالها
نار تضرم في الفؤاد حريقها لكن تُنير بمفرقك دبالها
جزعت لهذا الشيب نفسي وهي مازالت تهون كل صعب نالها
ولكم صدعتُ بنافذ من عزمي هما لا يهدي العليم ضلالها
صادمت من كرب الدنيا أشاتها ما خفت غربتها ولا إقلالها

ولئن تقلص عسرتي فيء الغنا
 ما مزقت ديباجتي غير امرئ
 ألقى الليالي غير هب صرقها
 أمشي الهويينا والعداة تمر بي
 علمت لي الخلق الجميل محققا
 تبغى انثناء وهل سمعت بنسمة
 ولربما عرضت لعيني نظرة
 من غادة سرق الصباح بهاءها
 تهوى المجرّة أن تكون نجومها
 عرضت كما مرّت بعينك مطفل
 ما نهنت نفسي وإن ضمنت لها
 من كان يأمل أن يقوم بجلس
 محا أحاديث السراة أولى النها
 ألقى هواه جانبا وسرى به

ومنها في المدح :

ألبست دين الله حلة أمن
 أنتم بني نصر نصرتم ملّة الإسلام حين شكت لكم عدّالها
 كنتم لها أهلا ورحبتهم بها
 نزلت على سعد ليسعد جدّها
 أحرزتم يوم السقيفة عودها
 لكن حبوتهم من أجرتم مئة
 إذ تؤثرون سواكم قالت بذا
 أضفت على أسرايه ذلذالها
 في الغرّبتين ومنتم إنزالها
 وأوت إلى نصر لينصر أليها
 دون الأنام وقودها وسكالها
 بخلافة الله انتي يُعنى لها
 آي الكتاب فمن يرد مقالها

حتى إذا عثرت ولم ينهض بها
 أوتيتم خيبر البسرية كلها
 من ألبس الشرف الرفيع وضيعها
 من أم في السبع العلى أملاكها
 من أنقلد الفرقى وقد شمل الردى
 من فاضت الخيرات من تلقايه
 من فجر العين الفرات بكفه
 من لا يقاس بالرياح إذا سرت
 معنى وجود الكون علة كونه
 دامت صلاة الله ديمة عارض
 لما تحققت النبوة أنها قد
 وتقاست عن منعها أعمامها
 فوثبتم مثل الليوث لنصرها
 وأدرتم منها زبونا أصبحت
 بدر وما بدر وردم قلبها
 ولكم بأوطاس وقد حمى الوطيس
 فنزعتم أزواجها وسببتم أولادها
 وسلبتم أموالها
 وحيًا سواكم ساقها وجمالها
 أحرزتم دون الأنعام منالها
 جنت الملوك جمالها وجلالها
 مر الدهور ويعتلى أجبالها
 ما حل غيرك في المجادة حالها
 وذهبتم بالمصطفى لدياركم
 فزتم به فوز المعلى منحة
 يا أيها الملك الذى من ملكه
 ما زال جزبك منهم يعلو على
 حتى حلت من المجادة ذروة

إلاكم بادرتم إنشالها
 ومفيثها ونجاتها وثمانها
 وكسا معصفرة الحيجا جبالها
 جبريلها فى الغرب أو ميكالها
 هذا الأنام خيارها وحشالها
 كالصبح فاض على الدجى فأزالها
 يرو الورى ورد القطا سلسالها
 نشرا تقل من السحاب ثقالها
 نفس الحياة منفسا أهوالها
 يهمى عليه ندى الدنا هطالها
 زلزلت منها الورى زلزالها
 أمت أيمة نصرها أحوالها
 والحرب تجنب خلفها أشبالها
 ترى رؤوس الملحدين ثقالها
 بجنادل الطاغوت تملأ جالها
 على العدا يوم أطاح بحالها
 فنزعتم أزواجها وسببتم أولادها
 وسلبتم أموالها
 وحيًا سواكم ساقها وجمالها
 أحرزتم دون الأنعام منالها
 جنت الملوك جمالها وجلالها
 مر الدهور ويعتلى أجبالها
 ما حل غيرك فى المجادة حالها

تحمى الهدى تهمة الندى تولى
 قعدت شريعته بيمنك ليس من
 ياسيد السادات ياملك الملوك
 يابدرها يابحرها أو غيها أو
 خذها كما دارت بكأس سلافها
 تثنى على السحر المبين وشاحها
 لعمياء تبرز للعيون كشاطر
 وقفت وذو إحسانها من هاشم
 يرجو رضاك وطالما أرضيتم
 كم من يد بيضا لدينا منكم
 آويتم واسيتم واليتم
 وهجرتم لوصلنا أعدائنا
 فصلوا أحيانا ما استطعتم وصله

الجدا وتقى الردى وترى العدا أوجالها
 كدر يُشين على العباد زلالها
 وشمسها وصباحها وهلالها
 ليثها أو حُسنها وجمالها
 حوراء تمزج باللما جربالها
 وتدير من خمر الفتور جلالها
 والعقل يوجب حُكمه لإجلالها
 من سبط خير العالمين حبالها
 آل النبي وكنتم أرسلالها
 شكرنا له وأولياه فعالها
 اخللتمونا داركم وجلالها
 ووصلتم لصلاتنا أوصالها
 تعطوا من أجزاء الجزاء جزالها

وله تاليف غريب عكف عليه عمره في فضل مكة ، وكأنه يروم
 برهاناً على وجوب كونها بالموضع الذي هي به ، وفضله على سواه ، وتكلم
 على حروف اسمها ، من جهة تناسب أعداد الحروف ، مما الناظر فيه مخبر
 في نسبه إلى العرفان أو الهديان .

توفى بمالقة في أخريات صفر من عام خمسين وسبعماية .

على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر النسائي
 من أهل وادي آش ، وروى وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان فقيها حافظا ، يقظا ، حسن النظر ، أديبا ، شاعرا مجيدا ،
كاتبيا بليغا ، فاضلا .

مشيخته

روى عن أبي اسحق بن عبد الرحيم القيسي ، وأبي الحسن طاهر
ابن يوسف ، وأبي العباس الخروبي . وأبي القاسم بن حَبِيش ، وأبي محمد
عبد المنعم بن الفرَس الغرناطي ، ومحمد بن علي بن مَسْرَةَ .
وروى عنه ، أبو بكر بن عبد النور ، وأبو جعفر بن الدلال ،
وأبو عبد الله بن أحمد المدحجي ، وأبو سعيد الطراز ، وابن يوسف
وابن طارق ، وأبو علي الحسن بن سمعان ، وأبو القاسم بن الطُّيْلَسَان .

توابعه

صنّف في شرح « الموطأ » مُصَنِّفا سماه « نهج المسالك للتفقه في مذهب
مالك » في عشرة مجلدات . وشرح صحيح مُسَلِّم وسماه « اقتباس السراج
في شرح مسلم بن الحجاج » . وشرح تفرّيع ابن الجلاب ، وسماه
« الترصيع في شرح مسائل التفرّيع » . وصنّف في الآداب ، منظوماته
ورسائله ، وهي شهيرة ، شاهدة بتبّريزه وتقدمه . وله نظم شمائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، رسالة بديعة ، تشتمل على نظم ونثر ، بعث بها
إلى القبر الشريف . وله كتاب « الوسيلة إلى إصابة المعنى في أسماء
الله الحسنی » .

شعره

من شعره في « الوسيلة » ، وقد ضمّن كل قطعة أو قصيدة إسماء من
أسماء الله تعالى ، فمنها قوله في اسم الله سبحانه :

قُلْ اللهُ نَسْتَفْتِحُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنِي
 هُوَ اللهُ فَادْعُ اللهُ بِاللَّهِ تَقْتَرِبُ
 وَأَمَلُهُ مَضْطَرًا وَقِفْ عِنْدَ بَابِهِ
 بِيَابِ إِلَهِهِ أَوْسَعِ الْخَلْقِ رَحْمَةً
 وَقَدِّمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ ثُمَّ وَسِيلَةَ
 أَمْوَالِي هَلْ لِلْخَلْقِ غَيْرَكَ مَفْضِلُ
 بِيَابِكَ مَضْطَرًا شَكََا مِنْكَ فَفَقْرُهُ
 وَلِلْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ مِنْكَ عَوَايِدُ
 فَمِنْهَا لَكَ الْإِنْعَامُ دَأْبًا خَوَالِدًا
 بِأَعْظَمِهَا لَفْظًا وَأَعْظَمِهَا مَعْنَى
 لِأَقْرَبِ قُرْبِي مِنْ وَرِيدِكَ أَوْ أَدْنَى
 وَقُوفٍ عَزِيزٍ لَا يُصَدُّ وَلَا يُثْنَى
 فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى أَيْرًا وَمَا أَحْسَنَى
 تَنَلُّ رَتْبَةَ الْعَلِيَّاءِ وَالْمَقْصِدِ الْأَسْنَى
 يَصْرَحُ عَنْ ذِكْرَاهُ فِي اللَّفْظِ أَوْ يُكْنَى
 لِأَكْرَمٍ مِنْ أَغْنَى فَقِيرًا وَمَنْ أَقْنَى
 لَهَا الْحَمْدُ مَا أَدْنَى قَطُوفًا وَمَا أَهْنَى
 تَفَانِي بِهَا الْأَيَّامُ طُرًّا وَلَا يَفْنَى
 وَفَاتِهِ : تَوَفَى شَهِيدًا فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّمِائَةِ (١) .

علي بن صالح بن أبي الليث الأسمعدي بن الفرج بن يوسف

طُرُطُوشِي ، سَكَنَ دَائِنِيَّةَ ، يَكْنَى أَبُو الْحَسَنِ ، وَيَعْرِفُ بِأَبْنِ عَزِّ النَّاسِ .

حاله

كَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ ، حَافِظًا لِمَسَائِلِهِ ، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْأَصُولِ ، ثَابِتًا
 الذَّهْنَ ، ذَكِيَّ الْفُؤَادِ ، بَارِعَ الْاسْتِنْبَاطِ ، مُسَدِّدَ النَّظَرِ ، مُتَوَقِّدَ الْخَاطِرِ ،
 فَصِيحَ الْعِبَارَةِ ، ذَا خَطِّ مَرُوضٍ .

(١) يَبْلُو بِمَرَاجِمَةِ هَذِهِ التَّرْجِمَةِ أَنَّ هُنَاكَ ، حَسْبَمَا لَاحِظَ النَّاسِخُ فِي تَرْجِمَةِ (عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ عَمْرِو النَّسَائِيَّ) الْوَارِدَةَ فِي لَوْحَةِ 327 ، أَنَّ هُنَاكَ شَبْهًا كَبِيرًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّرْجِمَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا ، سِوَاهُ فِي اسْمِ الْمُتَرْجِمِ لَهُ ، أَوْ الْبَلَدِ أَوْ الْمَشِيخَةِ أَوْ التَّأْلِيْفِ . بَدَأَ هُنَاكَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ بَعْضَ فُرُوقٍ ، أَوْ لَا فِي الْإِسْمِ ثُمَّ فِي التَّأْلِيْفِ . وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي التَّرْجِمَةِ الْأُولَى ذِكْرٌ لِتَارِيخِ الْمَوْلَدِ أَوْ الْوَفَاةِ ، حَتَّى يُمْكِنَ الْقَطْعُ بِالتَّطَابُقِ بَيْنَ التَّرْجِمَتَيْنِ .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر أسامه بن سليمان ، وسليمان بن محمد ابن خلف ، ويحيى بن عمر بن الفصيح .

دخوله غرناطة

قالوا ، واستخلصه الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية^(١) أيام إمارته ببلنسية لمشهور معرفته ونباهته ، ثم سار معه إلى قرطبة ، ولازمه ، إلى أن توفي أبو زكريا بن غانية ، بغرناطة سنة ثلاث وأربعين . فانتقل إلى شرق الأندلس ، واستقر بدانية .

توالمفه : وله مصنفات منها كتاب العزلة ، ومنها شرح معاني التحية . ولد بطرطوشة سنة ثمان وخمسمائة ، وتوفي بدانية . قتل مظلوما بإذن ابن سعد الأمير في رمضان سنة ست وستين وخمسمائة .

علي بن جلا الكناسي

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخا ذكيا ، طيب النفس ، مليح الحديث ، حافظا للمسائل الفقهية ، عارفا لها ، قائما على كتاب المئونة ، تفقه بالشيخ أبي يوسف الجزولي ، وعليه اجتهد في مسائل الكتاب . وكان مضطلعا بمشكلاته . حسن الذاكرة ، مليح المجلس أنيسه ، كثير الحكايات ، إلا أنه كان يحكى غرائب شاهدها تملحاً وأنسا ، فينمقها عليه الطلبة ، وربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح والمداعبة ، حتى لجمعوا من ذلك كثيرا

(١) سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٧ حاشية . والمجلد الثاني ص ٥٧١

في جزء سموه «بالسُّلك المحلَّ في أخبار ابن أبي جَلَّاء». فمن ذلك ما زعموا أنه حدِّث بأنَّه كانت له هرَّة ، فدخَلَ البيت يوماً ، فوجدَها قد بَلت أحدَ كفيها ، وجعلته في الدقيق حتى علق به ، ونصبته بإزاء كوة فأر في الجدار ورفعت اليد الأخرى لصيده ، فتاداها باسمها ، فردت رأسها ، وجعلت أصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت . وأشبه ذلك كثير .
وفاته : في حدود ستة وأربعين وسبعماية .

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخاً جليلاً ، فقيهاً ، عارفاً ، نبيلاً ، نبياً ، ذا مروءة كاملة ، وخلق حسن ، من بيت حَسب وعلم ودين . قال أبو القاسم الملاحى ، حدثني صاحبنا الفقيه الخطيب أبو جعفر بن حسان ، قال كنت أجاوره في بعض أملاكى ، وكان له مَلِك يلا صقنى ، أتمنى أن أكتسبه ، فبينتظم لى به ما هو مفترق ، فوافقتة ذات يوم في القرية ، فسألته المعاوضة به ، وخيرته في مواضع في أرضى ، فضحك منى ، وقال لى أنظر في ذلك إن شاء الله . ثم إنه وجَّه لى بعد ذلك بأيام يسيرة ، بعقد يتضمن البيع وقبض الثمن منى ، فخجلت منه ، وراودته في أخذِ الثمن فأبى وقال لى هذا قليل في حقك ، وكان قد لقي شيوخا أخذ عنهم ، وكانت له كتب كثيرة .

وفاته : توفى بالمنكب صبح اليوم السادس من رمضان عام ستة

وتسعين وخمسمائة . ولست أحقق أهو القريب أو سلفه ، وعلى كلا التقديرين ، فالفضل حاصل .

علي بن محمد بن عبد الحق الزويلى^(١)

يكنى أبا الحسن ، ويعرف بالصُّغَيْرِ ، بضم الصاد وفتح الغين والياء المشددة

حاله

من « المؤمن »^(٢) . كان هذا الرجل قيما على التهذيب للبرادعي ، حفظا وتفقها ، يشارك في شيء من أصول الفقه ، يطرزُ بذلك مجالسه ، مُغْرِبًا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت ، لخلوهم من تلك الطريقة بالجملة . حضرت^(٣) مجلس إقرايه ، وكان ربعة آدم اللون ، خفيف العارضين ، يلبس أحسن زى صنعة ، وأحسن ما فيه ليس بحسن . وكان يدرس بجامعة الأصدع من داخل مدينة فاس ، ويحضر عليه نحو مائة نفس ، ويقعد على كرسي عال ليسمع البعيد والقريب ، على انخفاض كانه في صوته ، حسن الإقراء ، وقورا فيه ، سَكُونًا ، مثبتًا ، صابرا على هجوم طلبية البربر ، وسوء طريقتهم في المناظرة والبحث ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ، تَرِدُ عليه السؤالات

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المزروال) . والأول أرجح . وهي نسبة إلى قبيلة بني زروال البربرية .

(٢) سبق التعريف بهذا الكتاب (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ١٩٥ حاشية) .

(٣) هذا القول مما يلفت النظر لأن المترجم له توفي حسبما ورد في آخر ترجمته سنة ٧١٩ هـ ، وقد ولد ابن الخطيب سنة ٧١٣ هـ ، ومن جهة أخرى فإنه لم يزر فاس لأول مرة إلا في سنة ٧٥٥ هـ ، في عهد السلطان أبي عنان ، ويحق لنا أن نتساءل كيف اتفق مع ذلك أن يحضر مجلس قراءة هذا الفقيه في فاس ، في هذا التاريخ المبكر

من جميع بلاد المغرب ، فيحسن التوقيع على ذلك . على طريقة من الاختصار وترك فضول القول . وُلِّي القضاء بعاس . قدّمه أبو الربيع سلطان المغرب وأقام أوده ، وعضده ، فانطلقت يده على أهل الجاه ، وأقام الحق على الكبير والصغير ، وجرى من العدل على صراط مستقيم . ونُقِم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس الخمر، ويحق أن يُنتقد ذلك .

مشيخته

أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدى وانتفع به ، وعليه كان اعتماده . وأخذ عن صهره أبي الحسن بن سليم ، وأبي عمران الجورماني ، وعن غيرهم . وقيدت عنه بفاس على التهذيب وعلى رسالة أبي زيد ، قهدما عنه تلاميذه وأبرزوها تأليفا كأبي سالم بن أبي يحيى .

وفاته

وفاته يوم الثلاثاء السادس لرمضان عام تسعة عشر وسبعماية ، ودخل غرناطة لما وصل رسولا على عهد مستقضية رحمهما الله .

علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن

يحيى بن عبد الله بن يحيى النافقي

سببى سارى الأصل ، انتقل منها أبوه سنة اثنتين وستين وخمسماية ، يكنى أبا الحسن ، ويُسهر أهل بيته في سارة بنى يحيى .

حاله

من « التكملة » . كان محدثا راوية مكثرا ، عدلاً ثقة ، ناقدا ، ذا كرا للتواريخ وأيام الناس ، وأحوالم وطبقاتهم ، قديما وحديثا ، شديد العناية بالعلم ، والرغبة فيه ، جاعلا الخوض فيه ، مفيداً ومستفيداً ، وظيفه

عمره ، جماعة للكتب ، منافساً فيها ، مغالياً في أثمانها ، وربما أعمل الرحلة في التماسها ، حتى اقتنى منها بالإبتياح والإنتساخ كل علق نفيس . ثم انتقى منها جملة وافرة فحَبَسَهَا في مدرسته ، التي أحدثها بقرب باب القنصير ، أحد أبواب بحر سبته ، وعين لها من خيار أملاكه ، وجيّد رباعه ، وقفاً صالحاً . سالكا في ذلك طريقة أهل المشرق ، وقعد بها بعد إكمالها لتروية الحديث وإسماعه ، في رجب خمس وثلاثين وستماية ، ونكث الأخذ بها عنه ، واستمر على ذلك مدة . وكان سرى الهمة ، نزيه النفس ، كريم الطبع ، سَمِحاً ، مؤثراً ، مُعَاناً على ما يصدر عنه من المآثر الجليلة ، ونبل الأفاضل السنية ، بالجدّة المتمكنة ، واليسار الواسع . وكان سنياً ، مُتَافِراً لأهل البدع ، مُجَاباً في العلم وطلابه ، سمحاً لهم بأعلاق كتبه ، قوى الرجاء في ذلك . ومما يؤثر عنه من النزاهة ، أنه لم يَبْشُر قط ذنيراً ولا درهما ، إنما كان يباشر ذلك وكلاؤه اللابذون به .

مُشِيخَتُهُ

روى عن أبوي الحسن أبيه والتجيبى ، وأبي الحسن بن عطية بن غازى ، وأبي عبد الله محمد بن هيسى ، وابن عبد الكريم ، وابن على الكتّانى ، وأبي إسحق الشُّقُورى ، وأبوي بكر بن الفصيح ، ويحيى بن محمد بن خلف البورينى ، وأبي الحسن بن خروف النحوى ، وابن عُبيدس ، وابن جابر ، وابن جُبَيْر ، وابن زَرْقُون ، وابن الصايغ ، وأبي بكر بن أبي رُكْب ، وأبي سليمان بن حوط الله ، وأبي العباس القوراني ، وأبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم ، وأبي محمد الحِجْرِي وأكثر عنه ، وابن حوط الله ، وابن محمد بن عيسى التَّادلى ، وعبد العزيز بن زيدان ، ويشكر بن موسى ابن الغزلى هؤلاء ، وأخذ عنهم بين سماع وقراءة ، وأكثرهم أجازة أو

كتب إليه مُجيزاً . ولم يلقه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو الحسن بن القطان ونجبه ، وأبو عبد الله بن حماد ، وابن عبد الحق التلمساني ، وابن الفخار ، وأبو القاسم السهيلي ، وابن حبيش ، وأبو محمد عبد المنعم ابن الفرس . واستبجاز بآخرة مكثراً من الاستفادة ، أبا العباس بن الرومية ، فأجاز له من إشبيلية .

من روى عنه : روى أبو بكر أحمد بن حميد القرطبي ، وأبو عبد الله الطنجالي ، وابن عياش ، وأبو العباس بن علي الماردي ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران ، وأبو محمد عبد الحق بن حكيم . وحدث بالإجازة عنه ، أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي .

محنته ودخوله غرناطة

غربه أمير سبته اليانشتي الملقب بالوائق بالله^(١) . غاصاً به لجلاله وأهليته ، وكونه قد عرضت عليه فأبأها ، فدخل الأندلس في شعبان عام أحد وأربعين وستماية ، فنزل ألمرية وأقام بها إلى المحرم من سنة ثمان وأربعين ، وأخذ عنه بها عالم كثير . ثم انتقل إلى مالقة في صفر من هذه السنة ودخل غرناطة ، فأخذ عنه جميع طلبتها إلا النادر .

قال الأستاذ أبو جعفر الزبير ، وقرأت إذ ذاك عليه ، وكان يروم من مالقة ، الرجوع إلى بلده ، ويحوم عليه ، فلم يقض له ذلك ، وأقام بها يؤخذ عنه العلم ، إلى أن أتته منيته .

مولده : بسبته يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى وسبعين

وخمسمائة .

(١) وردت في الاسكوريال (اليانشتي) وهو تحريف . وهو أبو العباس أحمد بن محمد اليانشتي أمير سبته وقد ولاء أهلها عليها سنة ٦٣٠ هـ ، وتسمى بالموقف بالله (وليس الوائق بالله) ، واستمر في حكمها حتى سنة ٦٣٥ هـ ، ثم خلفه أهلها ، وبايعوا الخليفة الموحد الرشيد .

وفاته : توفي بمالقة ضحوة يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان
تسع وأربعين وستماية. نفعه الله بشهادة الموت غريقا .

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري

فاسي المولد ، أصله منها قديما ، ومن مراكش حديثا ، يكنى أبا
الحسن ويعرف بابن قطرال .

حاله

كان ريان من الأدب ، كاتباً بليغاً دمث الأخلاق ، لين الجانب ،
فقيها حافظا ، عاقدا للشروط ، مقدما في النظر فيها ، كتب طويلا
عن قاضي الجماعة بمراكش ، أبي جعفر بن مضاء ، ثم عن أبي القاسم بن
بقي ، وأسن ممتعا بحواسه .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن الجدد ، وابن أبي زمنين ، وأبي جعفر بن
يحيى ولازمه كثيرا . وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبوي الحسن بن كوثر
وتجبه ، وأبي الحسن يحيى بن الصائغ ، وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي
عبد الله بن حفص ، وابن حميد ، وابن زرقون ، وابن سادة الشاطبي ،
وابن عروس ، وابن الفخار ، وأبي العباس ، وابن مضاء ، ويحيى المجريطي ،
وأبي القاسم بن بقي ، وابن رشد الوراق ، وابن سمحون ، وابن غالب ،
وابن جمهور ، وابن حوط الله ، وعبد الحق بن بونة ، وعبد الصمد .
وروى عنه إبناه أبو عبد الله وأبو محمد ، وأبو عبد الله بن الأبار ، وأبو
محمد بن برطلة ، وأبو محمد بن هارون الطائي ، وأبو يعقوب بن عقاب .

قال ابن عبد الملك ، وحدثنا عنه من شيوننا أبو الحجاج بن حكم ،
وأبو الحسن الرعيني ، وأبو الطيب صالح بن شريف ، وأبو القاسم
الغزني ،

مبحثه

وامتحن بالأسر ، وهو قاض بأبدة ، حين تغلب العدو الرومي
عليها أثر وقية « العقاب »^(١) وذهب لأجل ذلك أصول سماعه ، وافتك
بمشاركة الوزير أبي سعيد بن جامع ، ويسر الله عليه ، فثاب جاهه ، واستقام
أمره ، وقدم للقضاء بمواضع نبهية .

دخوله غرناطة

قال ، دخل غرناطة ، وأقام بها ، وقرأ على أبي محمد عبد المنعم بن
الفرس ، وأبي بكر بن أبي زمنين ، وأبي عبد الله بن عروس .
ولد بفاس سنة ثنتين وستين وخمسمائة . وتوفي عفا الله عنه يوم
الإثنين لإحدى عشرة خلعت من جمادى الأولى عام أحد وخمسين وستماية بمراكش .

« إنتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى يتلوه ،

ومن السفر الحادي عشر ترجمة الطاريين في ترجمة

العمال والأثرا . والحمد لله رب العالمين »

(١) موقعة العقاب هي الموقعة العظيمة الحاسمة التي وقعت بين جيوش اسبانيا النصرانية التي يقودها
ملوك قشتالة ونافار وأراجون، وبين الجيوش الموحدية والأندلسية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد
الخليفة يعقوب المنصور ، في هضاب جبال الشارات (سيرا مورينا) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ
(٦ يولييه سنة ١٢١٢م) على مقربة من شمال غربي مدينة أبدة . وقد سميت بموقعة العقاب (جمع عقة)
لوقوعها بين التلال والربي المانمة . وسميت لذلك بالاسبانية موقعة Las Navas de Tolosa
وقد انتهت بوقوع الهزيمة الفادحة بالجيوش الموحدية والأندلسية ، وفناء معظمها ، وكانت بداية
لانحلال سلطان دولة الموحدين . راجع في تفاصيل هذه الموقعة العظيمة كتابي : عصر المرابطين
والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني ص ٢٨٢ - ٣١٧ .

ومن السُّفر الحادى عشر من ترجمة الطاريين
فى ترجمة العمال والأثرا

عمر بن على بن عفرون الكلبى

من أهل مُنتفريد .

حاله

كان شيخاً مُخشوشين الظاهر بدويه ، سريع الجواب ، جليداً على العمل ، صليباً وقاحاً . له ببلده نباهة ، وخصل من طلب وخط وحساب . أم ببلده ، وانتقل إلى الحضرة عند انتزاع ثغره ، وداخل السلطان فى سبيل استرجاعه ، فنشأت له غمامة رزق ببابه ، وأقلته هضبة حظوة ، ناطت به ديوان الجيش مدة أيام السلطان ، وولى بعده خططا نبهة . ثم التأت حالة وأسن ، ومات تحت خمول .

وجرى ذكره فى «الإكليل» بما نصه : شيخ خدَم ، قام له الدهر فيها على قَدَم ، وصاحب تعريض ، ودهاء عريض ، وفايز من الدولة بأياذ بيض ، خدم الدولة النصرية ببلده عند انتزاع أهله ، وكان ممن استنزهم من حزنه إلى سهله ، وحكم الأمر الغالبى فى يافعه وكهله ، فاكتسب حظوة أرضته ، ووسيلة أرهفته وأمضته ، حتى عظم ماله ، واتسقت آماله . ثم دالت الدول ، ونكرت أيامه الأول ، وتقلب من يجانسه ، وشقى بكل من كان ينافسه ، فجف عوده ، والتأت سعوده ، وهلك والخمول يطلبه ، والدهر يقوته ، من صباية حرث كان يستغله .

شعره

وله شعر لم يشقفه النظر ، ولا وَصَّحت منه الغُرر . كتب للسلطان
أمير المسلمين مُنْفِق سوق خدمته ومتغمله بنعمته ، يطلب منه تجديد
بعض عنايته :

ياملكا ساد ملوك الورى فى الحال أوفى الأعصر الخالية
العبد لا يطلب شيئا سوى تجديد خطُّ يدك العالية
ومن شعره يخبر عن وداده ، ويعلم فى جناب الملوك الغالبين بحسن
اعتقاده :

حُبُّ الملوك من آل نصر دينى ألتى به ربى بحسن يقينى
هو عُلَّتى فى شدتى وذخيرتى وبه يتحسبى غدا ويقينى
حتى أبى الحشر لم أنخدم سوى أبواهم بوسيلة تكفينى
أرجو نفاذ العُمُر فى أيامهم من تحت ستر رعاية ترُضينى
إن كان دهرى فى نفادى بعدهم فالله عز وجل لا يُبقينى
وسلم فى أيام خموله ، وانغلق على المتغلب على الدولة أبى عبد الله بن
المحروق . وقد احتقره ببابه ، وأعرض عن جوابه . فكتب إليه ، ولم
يرهب مالدیه :

يامن سول وغدا فى كل يوم مرارا
أرذد على سلامى ولا تدعه احتقارا

وفاته

قال شيخنا الكاتب ، أبو بكر بن شبرين رحمه الله ، وفى ذى حجة من عام
أربعة وأربعين وسبعمائة توفى الفقيه أبو على بن عفرون من أهل مُنتفريد
من حصون برجلة غرناطة . قدم قديما بالباب السلطانية فى تنفيذ واجب

العسكر الأندلسي وإشراف الحضرة وحفازتها . وكان ميمون النقيبة ، وجها
في الناس فاضلا ، رحمه الله .

على بن يحيى الفزاري

من أهل مالقة ، بربري النسب فزاريه . يكنى أبا الحسن ، ويعرف
بابن البربري .

حاله

كان من أمائل طريقته عدلا ، وعفافا ، وفضلا ، لين العريكة ،
دَمَث الأخلاق ، حسن الخط ، جيد الشعر ، تغلب عليه السلامة والغفلة ،
تصرف في إشراف مالقة وسواها عمره ، محمود الطريقة ، حسن السيرة .
ومدح الملوك والكبراء .

شعره

مما خاطبني به قوله :

لِبَابِكَ أُمَّ الْأَمْلُونِ وَيَمْمُوا	وَفِي سَاحَتِي رَحْمَاكَ حَطُّوْا وَخِيَمِ
وَمِنْ رَاحَتِي كَفَيْكَ جَدْوًا تَهْمِي	فَتَرَوِي عَطَاشَ مِنْ نَدَاكَ وَتَنْعَمِ
وَأَنْتَ لَمَّا رَأَوْهُ كَعْبَةٌ حَجَّجَهُمْ	إِذَا شَاهَدُوا مَرَاكَ لَبُّوْا وَأَحْرَمِ
يَطُوفُونَ سَبْعًا حَوْلَ بَابِكَ عِنْدَمَا	يَلُوحُ لَهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ الْمُعْظَمِ
فِيْمَنَّاكَ يُمِّنُ الرَّعَايَا وَمَنْسَةٌ	وَيُسْرَاكَ يُسْرًا لِلْعُفَاةِ وَمَغْنَمِ
وَلَقِيَاكَ بِشَرِّ لِلنَّفُوسِ وَجَنَّةِ	تَزُقُّ بِهَا وَرِقَّ الْمَنَا وَتَرْنَمِ
فِيَا وَاحِدَ الْأَزْمَانِ عُلْمًا وَمَنْصَبَا	وَمِنْ بِهِ الدُّنْيَا تَرُوقُ وَتَبْسَمِ

وَمَنْ وَجْهَهُ كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ نُورَهُ
وَمَنْ ذَكَرُهُ كَالْمَسْكَ فُضَّ خْتَامَهُ
لَقَدْ حُزَّتْ خَصَلُ السَّبْقِ غَيْرُ مَعَانِدِ
حَوِيَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ كَرِيمَةٍ
وَبَاهَيْتِ أَقْلَامَ الْمَقَامِ بِرَاعَةٍ
وَإِذَا فَاحِرَ الْأَمْجَادِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
وَإِنْ سَكْتُوا كُنْتَ الْبَلِيغَ لَدَيْهِمْ
ومنها :

فِيَا صَاحِبِي نَجْوَى عُوجًا بِرَأْمَةٍ
وَقَسُولًا لَهُ بِبَابِكَ يَسْرَتَجِي
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عُلَاكَ وَسَيْلَةٌ
فَجَدَ بِالذِّي يَرْجُوهُ لِمَنْكَ فَمَالَهُ
بَقِيَتْ وَنَجْمَ السَّعْدِ عِنْدَكَ طَالِعُ
عَلَى رَبْعِهِ حَيْثُ النَّدَى وَالتُّكْرَمِ
قَضَاءُ لُبَانَاتٍ لَسَدِيكَ تَتَمُّ
وَلَا شَيْءٌ أَسْمَى مِنْ عِلَاكَ وَأَعْظَمُ
كَعَقْدِ ثَمِينٍ مِنْ ثَنَائِكَ يُنْظَمُ
يَضِيُّ لَهُ بَدْرٌ وَتَشْرُقُ أَنْجَمُ

وقال مراجعا القاضي أبا عبد الله بن غالب رحمه الله :

وَمَا كُنْتُ عَنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ سَالِيًا
فَلَمَّا أَتَنِي رُقْعَةٌ بُلْبُلِيَّةٌ
وَقَبَلْتَهَا أَلْفَسًا وَقَلْتِ لَهَا
فِيَا حَسَنَ خَطِّ جَاءَ مِنْ عِنْدِ بَارِعِ
وَلَا عَنْ هَوَى بَيْضِ الدَّمَا بِرَغِيبِ
أَنْعَدِي صَبَاحًا وَمَمْسِي بِالْقَبُولِ وَطِيبِ
وَيَاسِحِرِ لَفْظٍ مِنْ كَلَامِ أَدِيبِ
لِخَلْوٍ مِنَ الْأَدَابِ غَيْرِ عَجِيبِ

وفاته : بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبع مائة .

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن

سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي

من أهل غرناطة يكنى أبا بكر ، الشيخ الصوفي ،

حاله

هذا الرجل فذ الطريقة في الخصوصية والتخلّي ، وإيثار الانقطاع والعزلة ، طرفة في الوقار والحشمة . نشأ بغرناطة وطلب بها ، وكسب بالرّية عن بعض ولاة قصبته ، وعنى بمطالعة أقوال الصوفية ، فأثر طريقهم ، وعول عليه ، وتجرد وترك التسبب ، والتزم منزله ، بحيث لا يبرمه إلا لصلاة الجمعة في أقرب محالّها وإليه ، نظيف البزّة ، حسن السمت ، مليح الترتيب والطرف ، طيب المجالسة ، طلعة مُتعة ، إخباري ، يصل ماضي الزمان بمستقبله ، جليس مصلّي ، ومُجبل سبحة كثير الزوار ، ممن يلتمس الخير ، وينقر عن أهله ، محظوظ المجلس حتى بالوارد ، ذاكر ، ماثرة من مآثر بلده .

مشيخته

أخذ عن الخطيب الصالح ولي الله أبي عبد الله الطنجالي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد ، والأستاذ النظار أبي القام بن الشاط ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ، والشيخ الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي نزيل مالقة ، والوزير الراوية أبي عبد الله ابن ربيع الأشعري . والعدل الراوية أبي الحسن بن مستقور^(١) ، والأستاذ المقرئ أبي جعفر الجزيري الضرير ، والخطيب أبي عبد الله بن الخشاب ،

(١) وردت في الإسكندر ريال (مسور) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .

والخطيب المقرئ أبي إسحاق بن أبي العاصي ، والشيخ والمحدث
أبي تمام غالب بن حسن بن غالب الجهاري ، والقاضي المُسن أبي جعفر
الشاطبي ، والقاضي المحدث أبي المجد يوسف بن الحسن بن أبي
الأحوص ، والأستاذ المحدث أبي القاسم بن جابر ، وأخيه المحدث أبي
جعفر ، والقاضي أبي جعفر بن أبي جبل ، والأستاذ الصوفي أبي محمد بن
سُلمون ، والشيخ الشريف أبي الحسن علي بن جمرة بن القاسم الجهني ،
والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن بيبش العبدري ، والشيخ المكتب أبي
عمرو عبد الرحمن بن يُشت ، والشيخ الراوية المحدث الرحال أبي
عبد الله بن جابر الواداشي الملقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ،
والخطيبين أبوي الحسن بن فرحون ، وابن شعيب ، والقاضي أبي الحسن
البلوي ، والأستاذ المقرئ ^(١) .

محنته

نال امتحان من بعض القضاة ببلده حَملاً عليه ، وإنكاراً لما امتاز
به من مثل الطريقة ، أداه إلى سجنه ، ومنع الناس عن لقايه . وهو الآن
بحاله الموصوفة ، قد ناهز السبعين تمر [الناس] ^(٢) تلتمس بركته ،
وتغشى لطلب الدعاء خلوته .

علي ^(٣) بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي

من أهل غرناطة ، ويعرف بالقرشي .

(١) هكذا وقتت « المشيخة » عند هذه الكلمة ولم يرد بعدها شيء .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في الإسكوريال (عمر) . ونرجح أن ذلك سهو من الناسخ لأنها وردت ضمن

قائمة (العليين) ومن جهة أخرى فقد وردت في الزيتونة على وهو ما يؤيد هذا الفرض .

حاله

كان رحمه الله على طريقة مُثلى حياءً، ووقارا وصمتا، وانقباضا وتخلُّقا وفضلا ، عاكفا على الخير ، كثير الملازمة لكسر البيت ، مكباً على المطالعة ، مؤثرا للمخلوة ، كلفا بطريق الصوفية . كتب الشروط لأول أمره ، فكان صَدْرًا في الإنبات ، وعلما في العدول ، إلى لين الجانب ، ودماثة الخلق ، وطهارة الثوب ، وحسن اللقاء ، ورجوح المذهب ، وسلامة الصدر . قيد الكثير ، ولقى في تَشْرِيقه أعلاما أخذ عنهم . وتقدّم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم في غرناطة ، عام أحد عشر وسبعماية ، واستمرت حاله ، إلى حين وفاته ، على سنن أولياء الله الصالحين .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير ، ولازمه وتادّب به ، وتلا عليه بالقراءات السبع ، وسمع كثيرا من الحديث ، وعلى الخطيب الولي أبي الحسن بن فضيلة ، والشيخ الخطيب أبي عبد الله بن صالح الكنانى . سمع عليه الكثير . قال أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برّطلة :

أَسْلَمْنِي لِلْبَلَاءِ وَحَيْدًا مِنْ هُوَى مُلْكِهِ وَحَيْدِ
قَضَا عَلَى الْفَنَاءِ حَتْمًا فَلَمْ يَكُنْ عَنْهُ لِي مَجِيدِ
وَكَيفَ يَبْقَى غَرِيقُ نَزَى فَذَاتِهِ أَوْلَا صَعِيدِ
يَعِيدُ أَحْوَالَهُ إِلَيْهِ مِنْ نَعْتِهِ الْمُبْدَى الْمَعِيدِ

وأخذ عن الشيخ الراوية المحدث أبي محمد بن هرون الطابى ، والشيخ الراوية المعمر أبي محمد الخلاسى ، والشيخ الشريف تاج الدين أبي الحسن العرامى ، والشيخ المحدث الأمام شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطى ، والشيخ رضى الدين الطبرى ، والمحدث الحافظ

فخر الدين التودرى الميكالى . قال ، وأنشدنى من لفظه بالحرم الشريف
لشيخه الإمام أبى الحسن الخزرجى :

عن أهيل المنحنى لا أصبر فاعذلونى فيهم أو فاعذروا
هم أحباب وإن هم عذبوا ومُنأى وصلوا أم هجروا
والشيخ المحدث المفتى بالحرم الشريف رضى الدين محمد بن أبى
بكر بن خليل . قال ، وأنشدنى لبعض شيوخه :

أنى كل وادٍ شاعر ومطيب وفى كل نادٍ منبر وخطيب
نعم كثر الأَقوام قلة ناصد لهم فتساوى مخطيء ومُصيب
والشيخ المحدث الإمام أنس الدين بن الإمام قطب الدين القسطلانى ،
والأديب الواعظ نفيس الدين بن ابراهيم اللمطى . قال وأنشدنى إجازة عن

الشيخ الإمام شرف الدين أبى الفضل السلمى المرسى من قصيدة :
إذا جيتُ ألقى عند بابك حاجبا مُحيًا من فرط الجهامة حالك
ومن عجيب مَغناك جَنَّهُ قاصد وحاجبها من دون رضوان مالك
والشيخ الإمام تقى الدين بن دقيق العيد ، وأبى العباس بن الظاهرى ،
ومحیی الدين بن عبد المنعم ، ومحمد بن غالب بن سعيد الجياني ،
والخطيب الجليل أبى عبد الله بن رُشيد من أهل المغرب . وكتب له
الشريف أبو على الحسن بن أبى الشرف ، والعدل أبو فارس الهوارى ،
وأبو القاسم بن الطيب ، وأبو بكر بن عبدة ، وأبو إسحق الغافقى ،
وأبو عبد الله الدراج ، وأبو الحكم مالك بن المرخل ، وأبو إسحق
التلمسانى ، وغيرهم .

توالياقه

صنّف فى التصوف كتابا سماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» وكتابا

في غرض « الشفا » العياضى . ومن شعره ، ثبتُ بظهر الكتاب المسمى
« بالموارد المستعذبة » من تأليف شيخنا أبى بكر بن الحكيم ما نصه :

كتابك ذا من هوته الفاخر	سنا وسنا راق منه زواهر
لقد جاء كالعقد المنظم نائرا	فرايد قس عنك فى ذا قاصر
بلاغته فى القوم تشهد عندما	تشكك فيه أنه عنك صادر
فلله من روض أنيق غصونه	بما تتمنا فزاه وزاهر
فما شيته تجده فيه فإنه	لناظره بحر بها هو زاهر
فنهنيكم يا بن الألى شاع مجدهم	قيادكم مجد بذاتك آخر
أتيت بما فيه اثبت حياة	من حوته على مر الدهور المقابر
وأبديت فيه سحر لفظك رائقا	تلذبه الأجفان وهى سواهر
ومتعت طرفى فيه لازلت باقيا	ونحا بك ربى يوم تبلى السراير
وخصك منى بالسلام مرددا	عليك مدى الدنيا ومطار طاير

مولده : فى حدود سنة سبع وستين وستماية :

وفاته : فى صفر من عام أربعة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته
بالغة أقصى مبالغ الاحتفال ، وتزاحم الناس على قبره بما بعد العهد به .

ومن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال :

قضى الأمر يانفس اصبرى	صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فوادى إنه حُكم	ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكت تدبيرها	نحن منها فى سبيل السفر
أجل مقدر ليس بمستقدم	ولامستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى	خشية لربه فى عمر
فى إماننا التقى الخاشع	الظاهر الذات الزكى السبر
قرشى سليمان مستقى من	صميم الشرف المطهر

يشهد الليل أنه دايم الذكر طويل الشهر
 في صلاة بعثت وفودها زمر المصطفى من مفض
 نايماً وراكعاً وساجداً لطلوع فجره المنفجر
 جمع الرحمن شملنا غداً بحبيب الله خير البشر
 وتلقته وفود رحمة الله تأتي بالرضا والبشر

علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري

من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن. ويعرف بابن المحروق
 أوليته : قد مر ذلك عند ذكر عمه وجده.

حاله

هذا الرجل شيخ الفقراء السفارة والمتسببة بالرباط المنسوب إلى
 جدّه ، وهو مقيم الرسم ، حاج رحال ، عارف بالبلاد ، طواف على كثير
 من مشاهير ما عُرف الإصطلاح . وزار تُرب الصالحين . وصحب السفارة ،
 حسن الشكل ، أصيل البيت ، حافظ للترتيب ، غيور على الطريقة ،
 محظوظ العقد ، مجانيب للاعمار ، منافر لأهل البدع ، مكبوح عن غلو
 الصافنة ، أنوف ، مترقّع ، كلف بالتجلة ، يرى لنفسه الحق ولا يفارق
 احظّ ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة ، وسرد الكثير من كلام الخطباء
 عن غير اختيار ، يطبق المفصل ، ويكافي الغرض المقصود ، على شروء
 عن قانون الإعراب ، حسن الحديث ، طبقة للرسم الدنيوى ، من هذا
 الفن كثرة ، وحسن بزة ، ونفاذ أمره ، ونباهة بيته ، وتعاطيا لنتائج
 الحلوة.

مخنته

قبض عليه المتغلب على الدولة وأزعجه بعد الشُّقاف في المُطَبق ، إلى مَرَسَى المَرِيَّة ، إتهاما بمالأة السلطان ، فامتعض له من أهل مدينة وادي أمّس ، وتبعهم المشيخة على المجاهرة ، فاستنقلوه ، وكاشفوا المتغلب إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه ، وعاجل الأمر تصير الملك لصاحبه ، فعاد الشيخ إلى حاله ، فهي معدودة عنه من أثر التصريف .

مشيخته

ومن خطه نقلت . قال ، ولدت في اليوم الحادى والعشرين لرجب عام تسعة وسبعماية ، ولبستُ الخِرفة من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ الولي الشهير ، أبي علي عمر بن محمد بن علي الهاشمي القرشي في أوائل ذي قعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية . وحدثني بها رحمه الله عن الشيخ الزاهد أبي محمد الخلاسي عن شرف الأئمة أبي عبد الله بن مسدى عن الشيخ الكبير أبي العباس بن العريف عن أبي بكر عبد الباقي بن برال ، عن أبي عمرو الطلمنكي ، عن أبي عمرو بن عون الله وأبي علي الحسن بن محمود الجرجاني عن أبي سعيد بن الأعرابي ، عن أبي محمد سالم محمد بن عبد الله الخراساني ، عن الفضل بن عياض ، عن هشام بن حسان ويونس بن عبيد ، عن أبي الحسن بن الحسن البصري ، عن الحسن البصري ، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ثم رحلتُ إلى المغرب ، طالبا في لقاء أهل الطريقة راغبا ، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم ، ولا يجُهل قدرهم . ولما توجهت إلى المشرق ، لقيت به أعلاما وأشياخا كراما ، لهم طرق سُنِّيَّة ، وأحوال سُنِّيَّة ، أودعت ذكرهم هذا طلبا للاختصار ، وخوفا من سامة الإكثار ، وكان اعتمادي فيمن لقيت منهم في أيام تجريدي

واجتهادى ، بعد إيابى من قضاء أربى ، من حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبى ، عليه الصلاة والسلام ، على من بهديه أستنير ، واعتمد عليه فيمن لقيت وصحبت ، وإليه أشير سيدى الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره وفريد دهره ، جمال الدين أبو الحجاج الكوراني جنسا ، والتميمي قبيلة ، والكلورى مولدا ، والسهروردى خرقة وطريقة ونسبة ، وهو الذى لقننى ، وسلكت على يده ، وقطعت مفاوز العزلة عنده ، مع جملة ولده . وحدثنى رضى الله عنه أنه لقنه الشيخ الفقيه العارف أبو على الشمشرى هو والشيخ الإمام نجم الدين الإصبهاني ، والشيخ نجم الدين ، والشيخ بدر الدين الطوسى ، لقنا الفقيه محسنا المذكور ، والشيخ بدر الدين ، لقنه الشيخ نور الدين عبد الصمد النصيرى ، والشيخ عبد الصمد ، لقنه الشيخ نجيب الدين بن مرغوش الشيرازى ، والشيخ نجيب الدين لقنه الشيخ شهاب الدين السهروردى ، والشيخ شهاب الدين ، لقنه عمه ضياء الدين أبو الحسن السهروردى ، والشيخ ضياء الدين فرج الزنجاني . والشيخ فرج الزنجاني ، لقنه أبو العباس النهاوندى ، والشيخ أبو العباس ، لقنه أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى ، والشيخ أبو عبد الله لقنه أبو محمد رديم ، والشيخ أبو محمد لقنه أبو القاسم الجنيد ، والشيخ أبو القاسم لقنه سري السقطى ، والشيخ سري لقنه معروف الكرخى ، والشيخ معروف لقنه داود الطائى ، والشيخ داود لقنه حبيب العجمى ، والشيخ حبيب لقنه الإمام الحسن البصرى ، والشيخ الحسن لقنه الإمام على بن أبى طالب . ولبست الخرقة من يد الشيخ أبى الحجاج المذكور بسند الثلقين المذكور إلى أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إلى جعفر الحذا ، إلى أبى عمر الإصطخرى ، إلى شفيق البلخلى ، إلى ابراهيم

ابن آدم . إلى موسى بن زيد الراعي ، إلى أبي يس القرني ، إلى أمير المؤمنين
عمر وعلي رضي الله عنهما ، ومنها إلى سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه
وسلم ، وذلك في أوائل عام ثلاثة وأربعين وسبعماية . وقد ألّفت كتابا جمعت
فيه بعض ما صدر من أورادى ، أيام تجريدى واجتهادى ، محتويا على
نظم ونثر ، مُفرغا عن كلام الغير ، إلا مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة ،
فإلى سقتها على جهة لكونها غاية في الاحتفال وهى :

قل لمن طاف بكاسات الرضا وسقى العشاق مما قد نهل
وسميت الكتاب «بنكت الناجى» ، وإشارات الراجى . ولعل ذلك
يكون اسما وافق مسماه ، ولفظا طابق معناه . وإلى ما ذكرت من النكت ،
أشرت بما نظمت فقلت :

في كل واحدة منهن أسرار لا تنقضى ولها في اللفظ أسرار
إن رمت حصر معانيها بما سمعت أذناك ليس لها بالسمع إحصار
فاصحب خبير بما يرضى الحجاب ستارها وكذلك الحر ستار
ولعله يكون إن شاء الله كما ذكرته ، وأعرف بما أنشدته .

ولى جملة قصائد وأزجال منظومة على البديهة والارتجال ، نطق بها
لسان المقال ، معربا عما وجدته في الحال ، قصدت بها الدخول مع ذلك
الفريق ، وأودعتها غوامض أسرار التحقيق . فمن بعض نكت الكتاب ،
ما يعجب منه ذوو الألباب ، نكتة سر الفقير ، يشير إليه بجميع
الكائنات ، فلا حديث مُعجم ، ولا موجود مُبهم ، فهو إذا يتكلم دون حده
وبلسان وجده ، والفقير يتكلم فوق قدره وبلسان غيره ، وهذا ما حضرنى
في الوقت ، مع مزاحمة الشواغل ، فتصفحوا ، واصفحوا ، وتلمحوا
واستمحوا . ولكم الفضل في قبول هذه العجالة واليسير من هذه المقالة .
انتهى .

ومن الطاريين

على بن عبد الله النيرى الششتري

عروس الفقراء ، وأمير ^(١) المتجردين [وبركة الأندلس، لابس
العبادة الخرفة] ^(٢) أبو الحسن . من أهل ششتر، قرية من عمل وادي
آش معروفة ^(٣) . وزقاق الششترى معروف بها . وكان مجوداً للقرآن ،
قايماً عليه ، عارفاً بمعانيه ، من أهل العلم والعمل .

حاله

قال شيخنا أبو عثمان بن ليون في صدور تهذيبه لرسالته العلمية ،
الإمام الصوفي المتجرد . جال [البلاد] ^(٤) والآفاق . ولقى المشايخ ،
وسكن الربط ، وحج حجّات ، وآثر التجرد والعبادة . وذكره القاضي
أبو العباس الغبريني ، قاضى بجاية ، [في كتابه المسمى عنوان الدرّاية
فيمن عُرف في المائة السابعة بمدينة بجاية] ^(٥) وقال ، الفقيه الصوفي
الصالح العابد ، أبو الحسن الششترى من الطلبة المحصلين ^(٦) ،
والفقراء المنقطعين ، له علم [وعمل] ^(٧) بالحكمة ، ومعرفة بطريق
الصوفية ، وله تقدم في النظم والنثر، على طريقة التحقيق . وأشعاره

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وإمام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وبركة لابسى الحرقه) .

(٣) نرجح أنها اليوم قرية Charches الإسبانية التي تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً من
مدينة وادي آش .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٥) هذه العبارة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الاسكوريال . وفي الزيتونة (المخلصين) .

(٧) الزيادة من الزيتونة

في ذلك ، وتواشحه ومُقَفِّباته وأزجاله ، غاية في الانطباع . وكان كثيراً ما يُجود عليه القرآن . ونظمه في التحقيق كثير .

• شيخته

أخذ عن القاضي سحيي الدين أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين ابن سراقه الأنصاري الشاطبي ، وعن غيره من أصحاب السُّهْرَوْردي صاحب العوارف والمعارف . واجتمع بالنَّجم بن إسرائيل^(١) الدُّمَشقي الفقير سنة خمس وسماية . قال أَلْفَيْتُهُ على قدم التجرد ، وله أشعار وأذواق في طريق القوم ، وكان من الأمراء وأولاد الأمراء ، فصار من الفقراء وأولاد الفقراء ، وخدم أبا محمد بن سَبْعين ، وتلمذ له . وكان الشيخ أبو محمد دونه في السُّن ، لكن استمر^(٢) باتِّباعه ، وعول على ما لديه ، حتى صار يُعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها ، بعبد الحق بن سبعين ، وبه استدل أصحاب أبي محمد على فضله . ويقال إنه لما لقيه يُريد المشايخ ، إن كنت تريد الجنة ، فصِر إلى الشيخ أبي مدين ، وإن كنت تريد ربَّ الجنة فهلم . ولما مات الشيخ أبو محمد ، انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراء والمتجرِّدين والسَّفارة ، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربع مائة فقير ، فيقسِّمهم الترتيب في وظائف خدمته .

كراماته

قالوا ، نادى يوماً ، وهو مع أصحابه في برية ، يا أحمد ، فقال أحدهم ، ومن هذا ، فقال تُسْرُونَ به غدا . فلما وردوا من الغد قابِس ، وجدوا أحمد قد جاء من الأسر ، فقال صافحوا أخاكم المُنادى بالأمس .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (إسراومل)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (استقرا)

قالوا ، ودخل عليه ببجاية . أبو الحسن بن علاء من أمنائها ، وهو يُذكر في العلم ، فأعجبتَه طريقته ، فنوى^(١) أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينيراً . ثم ساق شطرها ، وحبس الباقي ليزودهم به ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، ومعه أبو بكر وعمر ، فقال ادعُ لي يا رسول الله ، فقال لأبي بكر اعطه ، فأعطاه نصف رغيف كان بيده ، فقال له الشيخ في الغد لو أتيت بالكل ، لأخذت الرغيف كله .

توالياه

له كتاب « العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم » . وما يجب على المسلم أن يعملُه ويعتقده إلى وفاته . وله « المقاليد الوجودية^(٢) في أسرار إشارات الصوفية » . وله الرسالة القُدسية في توحيد العامة والخاصة . والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية . والرسالة العلمية ، وغير ذلك .

دخوله غرناطة

دخلها ونزل برابطة العقاب ، وتكرّر إليها ، إذ بلده من عمالتها

شعره

من ذلك قوله :

لقد تُهت عجباً بالتجرد والفقر	فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحة قُدسية	فغيت بها عن عالم الخلق والأمر
طويت بساط الكون والطى نشره	وما القصد إلا الترك للطنى والنشر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فنوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الموجودية) .

وغمضتُ عين القلب عن غير مُطلق
 وصلتُ لمن لم تنفصل عنه لحظة
 وما الوصف إلا دونه غير أننى
 وذلك مثل الصوت أيقظ نايما
 نقلت له الأسماء تبغى بيسانه
 فألفيتنى ذاك الملقب بالغير
 ونزّهت من أعنى من الوصل والهجر
 أريد به التشبيه^(١) عن بعض ما أدر
 فأبصر أمرا جلّ عن ضابط الحصر
 فكانت له الألفاظ سيرا على ستر

ومن شعره أيضاً قوله فى الغرض المذكور :

من لامنى لو انه قد أبصرا
 وغدا يقول لصحبه إن أنتم
 شدت^(٢) أمور القوم عن عاداتهم
 ما ذفته أضحى به متحيراً
 أنكرتم ما بي أتيتم منكرا
 فلاجل ذلك يُقال سحر مُفترا

ومن شعره القصيدة الشهيرة ولها حكاية :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى
 وطالبنا مطلوبنا من وجودنا
 تركنا حظوظاً من حضيض لحوطننا
 ولم نلف كون الكون إلا توهُماً
 فرفض السوا فرض علينا لأننا
 ولكن كيف السبيل لرفضه
 فيا قابلا بالوصل والوقفه التى
 تبدت لك الأوهام لما تداخلت
 وسمت بأنوار فهمنا أصولها
 وقد تحجب الأنوار للعقل مثل ما
 بفكر رى سهما فعلى به عدنا
 يغيب به لدى الصعق إن عنا
 إلى المقصد الأقصى إلى المقصد الأسنا
 وليس بشىء ثابت هكذا ألفينا
 أناس بمحو الشرك والشرك قد دنا
 ورفضه المرفوض نحن وما كنا
 حُجبت بها اسمع وارعى مثل ما أبنا
 عليك ونور العقل أورثك الشجنا
 ومنبعتها من أين كان فما سُمنا
 تبعد من إظلام نفس حوت ظعنا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى النسخ (التشبيب) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، والنسخ . وفى الزيتونة (شردت) .

وأكمل من في الناس لمن صدع الأمانا
لقال لنا الجمهور هانحن ما خبنا
وكم بئمة من قبل ذلك قد جبتنا
فجد السير واستجد العونا
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا
سبيل بها يُمن فلا تترك اليمننا
عقال من العقل الذى منه قد تبنا
بأوامه قد أهلك الخر واليننا
وحجنا شلوه ها بها همننا
يود لنا للصعيد قد أخلدنا
كرآ هربن ورؤية ما قلنا
وعقلا وخيرا مقبلا عندما يدنا
له فيه وهو النون فالقلم الأذنا
وحشى لجسم الكل فى وصفه حرنا
حاطته القصى التى فيه أحضرنا
يكيف للأجسام من نحلته أيننا
ونحن ونفس الكل فى بحره عمننا
يشكله سر الحروف فحرفنا
ويجمع فرقا من تداخله فزنا
بالفاظ أسمائها شئت المعنا

وأى دجال فى القضية يدعى
قلو كان سر الله يلحق هكذا
وكم دونه من فتنة وبليية
وكل مقام لا تُقيم فيه إنه حجاب
ولا تلتفت فى السير وكل ما
ومهما ترى كل المراتب تُجتلى
وقل ليس لى فى غير ذلك مطلب
وسر نحو أعلام اليمين فإنها
أمامك هول فاستمع لو صيتى
أيام الورى بالمشكلات وقبلهم
محجنا قطع الحجا وهو حجنا
يُثبتنا عند الصعود لأنه
تلوح لنا الأطواق منه ثلاثة
ويظهر باسمه للسر والنفس مُدبرا
ولوح إذا لاحت سطور كتابنا
وعرش وكرسى وبرج وكوكب
تمر خطوط الذهن عند التفاتنا
مقطع بالأزمان للدهر مثل
أقام دوين الدهر مدرة ذاته
وفتق للأملاك جوهره الذى
يفرق مجموع القضية ظاهرا
وعدد شيئا لم يكن غير واحد

لتطويره العلوى بالوهم أسرينا
 لسُفْلِيهِ المجهول بالذات أسبطننا
 وفَرَضُ مسافات يجد لها للذمنا
 وإن لمعت فيه فيلحقه الَمَفْنَا
 يلوح بها وهو الملووح والمبْنَا
 صَنَعْنَا بدفع الحضر سجننا لنا مَنَّا
 وكم حكمة أَبَدَى وكم مُمَلَّقَى أَغْنَا
 وحسبك من سُقْرَاطِ أسكنيه الدُّنَا
 وَأَبَدَى لأفلاطون في المثل الحَسْنَا
 وبث الذي ألقى إليه وماضِنَا
 تبدأ به وهو الذي طَلَيْنَه العَيْنَا
 وبالبحث غطى العين إذ رده عَيْنَا
 فقال لنا من لا يُحْبِط به معنا
 شَرِبْتِ مُدَامَا كُلُّ من ذاقهاغْنَا
 أشار بها لما مَحَا عنده الكَوْنَا
 يخاطب بالتوحيد إذ رده نَحْدَنَا
 فقيراً يرى البحر فيه قد عَمْنَا
 مع الأمر إذا صَحَّت فصاحتهُ لُكْنَا
 وكان كمثل العُمَرُ لكنه ثنا
 فلم يُمَلِّمْنَا نحواً وازولا سكن الدُّنَا
 يُصْبِغُ لما يلقى الوجود له أذْنَا
 تجرد للأسفار إذ سهل الحَزْنَا

ويعرِّج والمعراج منه ذواته
 فليُنْفِلْ سُفْلِيَا ويوهم أنه
 يُقَدِّرُ خلا بعد وصل لذاته
 يحل لها طور المغبة شكله
 ويلحقه بالشرط من مُثَنَوِيَّة
 فنحن كئود القز يحضرننا الذي
 فكهم واقفٍ أردى وكم ساير هذا
 وتيم أرياب الهرامس كلهم
 وجرّد أمثال العوالم كلها
 وهام أرسطو حتى مشى من هيامه
 فكان لذي القرنين عوننا على الذي
 ويفحص عن أسباب ما قلدسيعنم
 وذوق للحلاج طعم اتحاده
 فقال له ارجع عن مقالك قال لا
 وانطق للشبلى بالوحدة التى
 أقام لذات الصغرى لنا حولها
 وكان خطأ بابين ذاتين من يكن
 فاضمت للحسنى تجريد خلقه
 تشنى قضيبُ البان من سُكْرِ خمرة
 وقد شدَّ بالشوذى عن ثوبه
 وأصبح فيه السهر وَرَدَى حائراً
 بعمربن الفارض الناظم الذى

ولا بن قسي خلع نعلي^(١) وجوب
 أقام على ساق المسرة نجله
 ولاح سني برق من القرب للسنى
 وقد قلد الطوسي بما قد ذكرته
 ولا بن طفيل وابن رشد تيقظ
 كسأل شعيب توب جمع لذاته
 وعنه طوق الطائي بسبط كنانه
 تسمى برفع الروح صبراً ولم
 وباح به نجل الحر إلى عندما
 والأموى النظم والنثر في الذي
 وأظهر منه الغافق لما خفا
 وبين أسرار العبودية التي
 كشفنا غطاء من تداخل سرها
 هوانا الدين الحق من قد تولهت
 فمن كان يبغى السير للجانب الذي

وهذه القصيدة غريبة المنزع ، وإن لم تخل عن شذوذ من جهة
 اللسان ، وضعف في الصناعة ، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه
 الطريقة . وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما

(١) يشير هنا إلى كتاب « خلع النعلين » الذي وضعه الداعية المتصوف الأندلسي أحمد بن الحسين بن قسي النائر في أحواز شلب (بالقرب الأندلسي) ضد المرابطين سنة ٥٢٩ هـ ، ومؤسس طائفة المريدين الشهيرة .

(٢) يشير هنا إلى رسالة « حى بن يقظان » الشهيرة التي وضعها الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن طفيل القيسي . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني من « الإحاطة » (ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

قدمنا ، إذ الحسنى الجنة ، والزيادة مقام النظر ، فقوله أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى ، إشارة إلى ذلك والله أعلم . والغافق الذى ختم به هو شيخنا أبو محمد ، وهو مرسى الأصل غافقية ، رحم الله جميعهم ، ونفعنا بأولى الحظوة لديه .

نثره

وكلامه حسن ، ومقاصده غريبة ، رضى الله عنه ، ونفع به . كتب إليه الشيخ الصوفى أبو على بن تاذررت لما سافر ولم يودعه ، وكان قد قال له ، أغيب عنكم أياما قلائل ، وأعود إن شاء الله فابطأ عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الله وحده فقط ليس إلا وصلواته على ملاه المقرب الأعلى ، وعلى سيدهم الخاتم محمد وآله الهداة ، وسلامه الحق يخص العليم بسرّه ، فى عالم الفرق ، ورحمته وبركاته ، من أخيه حقيقة فى العوالم الأول ، لافى عالم العلم الحق ، من حيث هو موضوعه بحسب الإضائية ، بمنزله من مدينة بنى مدار عمرها الله وأرشدهم ، وليس إلا أنى نعتبكم عرفاً وعادةً ، لسفركم دون موادة ، بخلاف سيرتكم الأولى من المشرق الأقصى ، إلى المغرب الأقصى ، وأما بكون حقيقة الأمر الموحد فلا عتب ، بل نقرأ على الماهية سورة الإخلاص ، التى توحيدها المحض أحاط وأحصى . ثم وعدتم أنكم ولا بدلاتطول إقامتكم ببجاية كلاًها الله ، لإليال قليّة العدد ، تأخذون فيها كتبكم وتنفصلون قافلين فى أسرع أمد . ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة ، التى نبا كما عندنا الزمان . وقد ورد من أناس بالتواتر ، أنكم ولا بد تصومون هنالك رمضان المعظم على الأمان ، فقلنا لحظ البشرية الحيوانية . وعلمنا أن الأمر ليس سراً لأجل القضايا الحكّمية الطلّبية ، والمقادير العلمية السرية . ولا

تتحرك ذرة الا باذنه ، ولا يُسل عما يفعل ، وهم يُسئلون في دهره وزمنه ،
 يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . ولكننا أيضاً نقرأ ، والله
 لا يخلف الميعاد . وقد يكون غير الوفاء بالعهد في الخلف لمصالح فيها
 وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً
 من الحياة الدنيا ، والله يفعل ما يشاء . ولا تكن معترضا . فلا تلوم إلا
 بحسب فرقنا الأول . وأما من حيث الكمالات الثواني والأول ، فلا لوم
 ولا عتب ، لرفع المثنوية ، وإحالة الكثرة والإضافة ، حتى ليس إلا
 الوحدة العلمية المعنوية العلية . وبالجملة الله معكم . ولن يتركم أعمالكم
 فإن ما يرفع العمد والعماد . قال الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ، وهو
 معكم أينما كنتم ، والله عليهم بما تصنعون . والرغبة إلى ذاتكم الكاملة
 الوجودية ، ذات الكمالات العلمية القدسية ، أن تعجلوا لي ، إذ وأنتم
 مقيمون هنا لك .

وأين يجد في عليين غرفة وإن شغلتم عن نسخها
 والحق لا يشغله شأن عن شأن ، فوجهوا إلى بها بعض الفقراء
 والإخوان ، وأنا أقسم عليك في ذلك يا أخي وسيدى بالسرف فقط الذي
 يشغله أبدا سرمد الله فقط ، وأن تعجل لي بذلك ، وتحيي مواتي ،
 وتجمع أشتاتي ، مع كلام تعتنوا لي به من كلامكم تخصوني به في كراس
 مبارك ، علمني الله العليم الحكيم منكم سر علمه العظيم ، وحكمته المحيطة ،
 وكفانا سر هذه العوالم الأرضية المركبة الحطيطة ، ونقلنا من البسيطة لغة
 إلى العوالم الرئيسة النفيسة البسيطة ، ويرقينا به عنها إلى أن نتصل
 الحظ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى . وإن كان في الحقيقة . ما انفصل ،
 ويدخلها حضرة علمنا المحيط الوجودي ، الذي ليس وراءها محيط

إليه يُرقي ويتصل . والسلام الحقُّ محض مظهره ومجلاه ومرآته ، ورحمة الله وبركاته .

فراجعه الشيخ أبو الحسن الشَّشْتَرِي المترجم به رضى الله عنه بما نصه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي محمد ، المرسل بالحق لإدحاض الشك ، وإيضاح الغلط ، الموصل على أقرب السبيل للحضرة الآلمية ، ومن شَطَط المختص بجوامع الكلم ، المبتكت لكل من موه وسَفَسَط ، المبعوث بكلمة الإخلاص ، التى حاصلها الله فقط ، ورضى الله عن مَظْهَر الوراثة المحمدية فى كل زمان ، المترجم عن كَنز الوجود الذى طَلَّسَمه الإنسان ، وسلام الله ورحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التُّرْجِمان ، المتَّجَوِّه بمقام الإسلام والإيمان والإحسان ، القارى على أخباره المنبعثة فى أرض فرقة ، كلُّ من عليها فان ، بالمعنى الفقير الباطن ، للسيار الظاهر ، المشير الحاييم على سلب الإسمين ، الدائر على دايرة قاب قوسين . المشهور فى العالم الأول ، بابي على الحسين من خبر ماسية ، الوارث الطالب لذاته بها للوصول له . وهو به عنه باحث ، المنظور فى ذات كمالاته ، المنعوث بالوافية لا بالناكث ، المعتصم بحبل التحقيق ، القايل بالحق ، عبده على الشَّشْتَرِي ، ابن إفادتكم عبد الحق بن سبعين ، أما قبل من حيث الأصل ، ومع من حيث الوصل ، وبعد من حيث الفصل ، فإنى أقسم بالبدر إذا أدبِر ، والصُّبْح إذا أسْفَر ، أن النصاب واقع من حيث الصور ، لامن حبة حقيقة المظهر . فاين هنا أنت أو أنا ، أو قبل أو بعد أو هند أو دَعْد ، أو خِلْف أو وَعْد ، ولا بد من المراح فى ميدان الخطاب وبيان المُتَشابه عليكم ، المُودَع عليكم ، فى هذا الكتاب . فأول عايق عنكم مرض أحد الأصحاب ، ولا انفكاك عند وجود هذه القضية ، عند كل طايفة سنية ، فماظنك بالسبعينية ، هذا مع وجود وعد مُبين ،

وزمان مُعينٌ . ونحن لم نُعينَ للموضوع وقتاً ، ولو عينا لكبير عند الله مقتاً . وإنما قلنا أيام قلائل ، ويدخل في ذلك الجمعة والشهر والعام القابل . بل برزخ العالم وإنياه عند التحرير العاقل . ثم لو عينا يوماً أو يومين أو جمعيتين ، ولم يكن ، فقلبُ المؤمن بين إصبعين . أما علمت أن الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمنه ، صَعَقَه العمود بالبُعد أو بالتَواني أو بالحواس أو بالمعاني . والمُسكِر هو الجريال لا الأواني . وأما قضية الوداع ، فقد ارتفع بين الفقراء فيها النزاع ، ووقع من الصوفية في ذلك الإجماع ، أن الاجتماع من غير ميغاد ، والافتراق عن غير مشورة ، وقول أنه من حيث المذهب لازم بالضرورة ، فإن المودع لا يخلق أن يكون من تربة الفرس والسبع ، أو في مقام الفردانية والجمع ، أو في البرزخ الذي بين المقامين ، المُعَبَّر عنه عند الصوفية بالفناء . فإن كان في الوترية ، فلا أنت ولا أنا ، ولا مودع ، ولا مودع ، وقلّة العتب لهذا أليق وأطبع . وإن كان في برزخ الفنا ، فمن المودع هنا ، وإن كان في الفرق هنا . وإن كان في الفرق ، فترك المودع أقرب إلى الحق لألم التفرقة ، الموجود المحسوس ، المُعْتَرَض عند ذلك للنفوس . واعلم أن الانفصال كان بالطريق عند من يرى بالانفصال والاتصال ، ولا نُقْلَة عند ذوى الاتصال . وأما نكرة عَرِفة فهي عند الشيخ أبي عبد الله التوزري لا عندي ، ولو كانت ما ضننت بها بحمد الله لا يحمدى . والسلام على موضوعك ومحمولك وسلوكك ووصولك ، وجمعك وفرقك ، وعبوديتك وحقك ، بل على جملته الصالحة ، ورحمة الله وبركاته .

وفاته

قالوا إنه لما وصل بالشام إلى ساحل دمياط ، وهو مريض مرضه الذي

توفى منه ، نزل قرية هناك على ساحل البحر الرومي يُصَاد فيها السمك ،
وقال ما اسم هذه القرية ، فقيل الطينة ، فقال حنّت الطينة إلى الطينة ،
ووصى أن يدفن بمقبرة دمياط ، إذ الطينة بالمقبرة بالساحل ، ودمياط
أقرب المدن إليها ، فحمله الفقراء على أعناقهم ، فتوفى بها يوم الثلاثاء
سابع عشر صفر عام ثمانية وستماية ، ودفن بمقبرة دمياط .

وفي سائر الأسماء من حرف العين

الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

عامر بن محمد بن علي الهتائي

رئيس مَثَبُوا قبيله من جبل درن ، ومزوار المصامدة ، والمطلقة يده
على جباية الوطن المراكشي ، يكنى أبا ثابت .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، حصيف العقل ، ثابت الجأش ، معروف
الأمانة والصدق ، عفيف الفرج ، مؤثر للجد ، ماضى الحذر بأهل
الحكم ، نزيه اليد ، مشهور بالرجاحة ، عين من عيون الحدود الغربية ،
وبقية من بقايا الجلة العلمية ، مُسَدِّد اللسان للإبانة عن الأغراض ،
مختصر البزة والحطية ، متوسط الجود ، مؤثر للخصوصية ، بعيد
النظر ، سديد الرأي .

قدِمْتُ عليه بمحله من الجيل ، زائرا مُتَوَفِّ السلطان أبي
الحسن ، مستجيراً حِمَاهِم ، فَبَلَوْتُ من برّه ، وبر الرئيس الندي
عبد العزيز أخيه ، ما تَقْصُر عنه همم الملوك ، وتقف دونه آمال الأشراف ،
تلقياً واحتفالاً وفرشاً ، وأنية ، وطعاماً ، وصلة ، وانتخاباً ، واحتشاماً .

والطافا ، حسبما يتضمن بـُسط ذلك كتاب «الرحلة»^(١) من تأليفى .
 وأنشدهم عند رحيلى ، وقد رأيت إلى ما يُبقى الذكر ويخلد الآثار
 شيم السادة ، وديدن الروساء :

ياحسَنها من أربع وديبار	أضحت لباغى الأمن دار قرار
وجبال عز لا تذلل ^(٢) أنوفها	إلا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة	آثارها تُنبى عن الأخبار
ماكنت أحسب أن أنهار الندى	تجرى بها فى جملة الأنهار ^(٣)
ماكنت أحسب أن أنوار الحجا	تلتاح فى قنن وفى أحجار
نَجَّت جوانبها البرود وإن تكن	شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها	فكانها صرعى بغير عقار
لما توعدّها على المجد العدا	رَضِيَت بعيث النار لا بالعار
عمرت بحلّة عامر وأعزّها	عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى	والبأس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكريم ^(٤) أبيهما	محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة	بالأصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة	فى جوها بمطالع الأعمار

(١) لا يوجد بين كتب ابن الخطيب كتاب خاص بعنوانه «الرحلة» ولكنه يقصد بالرحلة هنا ما ورد فى أوائل كتابه «نفاضة الجراب فى علالة الإغتراب» (السفر الثانى مخطوط الإسكوريال). من وصف لرحلته فى عمالات المغرب الغربية . وقد فقدت من هذا المخطوط الصحف الأولى التى تضم بداية الرحلة . وهى تبدأ فى النفاضة بزيارته لجبل هنتاتة وزعمائه (وفى النص المطبوع بعناية الدكتور أحمد مختار العبادى القاهرة - ص ٤٣ وما بعدها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (تمز) . والتصويب من نفاضة الجراب وأزهار الرياض .

(٣) هذا البيت وارد فى نفاضة الجراب وأزهار الرياض وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والنفاضة . وفى أزهار الرياض (الكبير) . والأولى ارجح .

لله أي قبيلة تركت لها
 فصرت أمير المسلمين وملكه
 وآوت^(١) علياً عند ما ذهب الردى
 وتحاذل الجيش اللهم وأصبح
 كُفرت صنائعه فيم دارها
 وأقام بين ظهورها لا يتقى
 فكانها الأنصار لما آتست
 لما غدا لحظاً وهم أجفانه
 حتى دعاه الله بين بيوتهم
 لو كان يُمنع من قضاء الله ما
 قد كان يأمل أن يكافي بعض ما
 ما كان يُقنعه لو امتدّ المدا
 فيعيد ذاك الماء ذائب فِضة
 حتى تفوز على النوى أوطانها
 حتى يلوح على وجوه وجوههم
 ويسوغ الأمل القصى كرامها
 ما كان يُرضى الشمس أو بدر اللجا
 أو أن يتوج أو يقلد هامها
 حق على المولى ابنه إيثار ما
 فلمثلها ذخير الجزاء ومثله

النظراء دعوى الفخر يوم فخر
 قد أسلمته عزائم الأنصار
 والروعُ بالأسماع والأبصار
 الأبطال بين تقاعد وفرار
 مُستظهِرا منها بعز جوار
 وقع الردى وقد ارتمى بشرار
 فيما تقدم غربة المختار
 نابت شفارهم عن الأشفار
 فأجاب مُمثلاً لأمر البار
 خلصت إليه نوافذ الأقدار
 أولوه لولا قاطع الأعمار
 إلا القيام بحقها من دار
 ويعيد ذاك التراب ذوب نضار
 من ملكه بجلايل الأوطار
 أثر الرعاية^(٢) ساطع الأنوار
 من غير ما تُنيا ولا استعصار
 عن دِرهم فيه^(٣) ولا دينار
 ونحورها بأهله ودرارى
 بذلوه من نصر ومن إيثار
 من لا يضيع صنائع الأحرار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفاضة (آوت) . وفي الأزهار (وارت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (الناية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (فيهم) .

وهو الذي يقضى الديون وبره^(١) يُرضيه في علن وفي إسرار
 حتى تحج محلة رغبوا بها علمَ الوقاء لأعين النظر
 فيصير منها البيت بيتا ثانيا للطائفين إليه أي بمدار
 تُغنى قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفى لرثى جمار
 حُييت من دارٍ تكفل سعيها المحمود بالزلفى وعُقبى الدار
 وُضفت عليك من الآله عناية باكر ليل فيك إثر نهار^(٢)

دخوله غرناطة

دخل الأندلس ، وحلَّ بغرناطة في حدود خمسين وسبعمائة ، وأقام بها أياما ، وقد أسند إليه السلطان أبو الحسن المارحل عن إفريقية حفظ حرمة وأسبابه ، في مراكز كان استقرارها بسواحل الأندلس ، وحضر مجلس السلطان ، فراق الحاضرين مدقاه ، وضمَّ لسانه لأطراف الحديث ، وحسن تبويبه للأغراض . ولهذا الرجل في وطن المغرب ذكر بعيد ، وقد أمسك الأمر مرات ، على من استقر لديه من ولد السلطان ، ورتب له الألقاب والترشيح يُغازله بذلك الوطن . وتنوعت الحال بهذا الرجل ، من بعد وفاة السلطان أبي سالم ملك المغرب ، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته ، ورتب له الألقاب بوطن مراکش ، ونظر لنفسه أثناء ذلك ، فخصن الجبل ، واتخذ به القلعة ، وأكثر الطعمة والعُدَّة ، فلما حاقت بأميره الدُّبرة ، لجأ إلى ما أعدّه ، وهو الآن يُزجى الوقت مهادنة تشف عن انتزاعه ، والله يهيئ له الخلاص من الوُرطة ، ويتيح له إلى حزب السلامة الفيئمة .

(١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفاضة (مثله) .

(٢) وردت هذه القصيدة في كتاب (نفاضة الجراب) مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٥٥

الغزيري لوحة ١ - ب و ١٢ . وفي نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٥) . وفي أزهار الرياض ج ١ ص

ومن الطاريين في القضاة والغرباء
عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا^(١) بن حكم الأنصاري
بياسي^(٢) الأصل

حاله

كان رحمه الله فيها حافظا للمسائل ، مُفتيا بالرأى ، معروفا بالفهم
والإتقان ، بصيراً بالفتوى ، شُور ببلده وببلنسية ، واستقضاه أبو محمد
ابن سَمْحون على باغَة^(٣) أيام قضاية بخرناطة . إذ كان يكتب عنه ويلازمه ،
ثم استُقضى بمُرسية أعادها الله . وكان حافظ وقته ، لم يعاصره مثله .

مشيخته

روى عن أبيه ، وتلا بالسبع على ابن ذريرة المرادي ، ولقى أبا القاسم
ابن النحاس ، وأخذ الحديث عن أبي بحر الأسدي ، وأبي بكر بن العربي ،
وأبي جعفر بن جحدر ، وأبي الحسن بن واجب وغيرهم .
مولده : ببياسة سنة أربع وقيل ست وثمانين وأربعمائة .
وفاته : توفي بشاطبة ، تسع وستين وخمسمائة .

توالياه

شرح المُدونة مسألة مسألة ، بكتاب كبير سماه « الجامع البسيط » ،
وبغية الطالب النشيط « حشد فيه أقوال الفقهاء » ، ورجح بعضها ،
واحتج له . قالوا ، وتوفي قبل إكماله .

(١) وردت في الإسكوريال (مرجا) . ونعتقد أن التصويب أرجح .
(٢) بياسي أي من أهل مدينة بياسة وبالإسبانية Bacza . وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد
الثالث من الإحاطة ص ٢٣١ و ٤٠٤ حاشية) .
(٣) باغَة و بالإسبانية Priego سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٩
حاشية والمجلد الثالث ص ٥٢٧ حاشية) .

عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة ، حفيد القاضي العالم أبي الفضل ، يكنى أبا الفضل .

حاله

من « الصلّة » : كان من جلة الطلبة ، وذوى المشاركة فى فنون من العلوم العقلية وغيرها ، فصيحاً ، شاعراً ، لساناً ، مفوهاً ، مقداماً ، موصوفاً بجزالة وحدة ، امتحن بسببها . وكان مع ذلك كثير التواضع ، فاضل الأخلاق ، سرياً ، مشاركاً ، معظماً عند الملوك ، مُشاراً إليه ، جليل القدر . حضر الأندلس أيام قضاء أبيه بقرناطة ، وغير ذلك الوقت ، وجال فيها ، وأخذ بقرطبة وإشبيلية وغيرهما ، واستقر أخيراً بمالقة ، وتأنل بها وبجاراتها أصول أملاك إلى ما كان له .

مشيخته

روى عن أبيه أبي عبد الله ، وعن أبي محمد بن عبد الله ، وأبي بكر ابن الحداد القاضى بسبتة ، وأبي القاسم بن بشكوال ، وابن حبّيش ، وابن حميد ، وأبي بكر بن بيبش الشلطيشى وغيرهم .
من روى عنه : قال الأستاذ ، روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم ، منهم ابنه أبو عبد الله قاضى الجماعة ، وأبو العباس بن فرتون ، أخذ عنه كثيراً بمدينة فاس .

مولده

قال صاحب « الذيل » . سألته عن مولده : فقال ولدت فى اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد وستين وخمسمائة بمدينة سبتة .
وفاته : توفى فى العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين وستماية عالقة . وروضته بها فى جنة كانت له ببربضها الشرقى . رحمه الله .

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض

ابن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي

القاضي الإمام المجتهد ، يكنى أبا الفضل ، سبى الدار والميلاد ،
أندلسي الأصل ، بسطيه (١) .

أوليته

من كتاب ولده في مآثره ، وهو كُنَّاش نبيه ، قال ، استقرَّ أجدادنا
في القدم بالأندلس بجهة بسطة ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس . وكان لهم
استقرار في القيروان ، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك .
وكان عمرو بن رجلا خيارا من أهل القرآن ، وحجَّ إحدى عشرة حجة ،
وغزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة . وانتقل إلى سبته بعد سكنى فاس .
وكان موسيرا ، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة ،
فبنى في بعضها مسجدا ، وفي بعضها ديارا حبسها عليه ، وهو الآن
منسوب إليه ، وولد له ابنه عياض ، ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم ولد
لموسى القاضي أبو الفضل المترجم به .

حاله

قال ولده في تأليفه النبيل : نشأ على عفة وصيانة ، مرضى الخلال ،
محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنبل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ،
حريصا عليه ، إلى أن برع في زمانه ، وساد جملة أقرانه ، فكان من
حُفَظ كتاب الله ، مع القراءة الحسنة ، والنغمة العذبة ، والصوت
الجهير . والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه . وكان من أئمة الحديد
في وقته ، أصوليا متكلمًا ، فقيها حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ،
بصيرا بالأحكام ، نحويا ، ريان من الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتبًا غالبا

(١) بسطيه نسبة إلى مدينة بسطة ، وبالإسبانية Baza . وقد سبق التعريف بها (راجع المحل
الأول من الإحاطة ص ١٠٩ حاشية) .

بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدُّعابة ، صبوراً ، حلماً ، جميل العشرة جواداً ، سَمحاً ، كثير الصُّدقة دروباً^(١) على العمل ، صلباً في الحق .

رحلته وولايته

ومنشأ أمره . رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمماية ، فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرها ، ثم عاد إلى سبته ، فأجلس أهلها للمناظرة عليه في « المُدونة » ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها . ثم جلس للشورى . ثم ولى القضاء ، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة . وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم . وبنى بجبل الميناء الرابية الشهيرة ، وعظم صيته . ثم نُقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمماية ، فتقلد حُطَّة القضاء بها . ثم ولى قضاء سبته ثانية . ولما ظهر أمر الموحدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم ، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، وأوجب برّه ، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمماية ، وحدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم ، ثم من رجوع أمورهم ، فالتأثت حاله ، ولحق بمراكش مُشرداً به عن وطنه ، فكانت بها وفاته .

مشيخته

ورتيبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف . فمنهم أحمد بن محمد بن بقى ، وأحمد بن سعيد بن مستقر ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، وأحمد بن محمد السلفى ، الشيخ أبو الطاهر ، وأحمد بن محمد بن غلبون

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كروبا) .

ابن اليحصار ، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحى ، إلى غيرهم من جملة سبعة عشر رجلا ، والحسن بن محمد الصدقي بن سُكرة ، والحسين بن محمد الغساني ، والحسين بن عبد الأعلى السفاقي ، والحسن ابن علي بن طريف ، وخلف بن إبراهيم بن النحاس ، وخلف بن خلف الأنصاري ابن الأتقر ، وخلف بن يوسف بن فُرتون ، ومحمد بن عيسى التجيبي القاضي ، ومحمد بن علي بن حمدين القاضي ، ومحمد بن أحمد التجيبي القرطبي القاضي ابن الحاج . ومحمد بن أحمد بن رشد ، ومحمد بن سليمان النَّفْزِي ابن أخت غانم . وأجازة محمد بن الوليد الطُّرطُوشِي ، ومحمد بن علي بن عمر المازري ، ومحمد بن عبد الله المعافري القاضي ابن العربي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن شبرين القاضي ، ومحمد ابن علي الأزدي الخطيب الطُّلَيْطَلِي ، ومحمد بن علي الشاطبي ابن الصقييل ، إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخا . وعبد الله بن محمد الخشني ، وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، وعبد الله بن محمد بن أيوب الفهري ، وعبد الرحمن بن محمد السبتي ابن العجوز ، وعبد الرحمن ابن محمد بن بقي ، وعلي بن أحمد الأنصاري ابن الباذش ، وعلي بن عبد الرحمن التجيبي ابن الأخضر من جملة من سبعة وعشرين . وغالب ابن عطية المحاربي ، وسراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن ، وسفيان ابن العاصي الأسدي ، من جملة خمسة من الأشياخ في هذا الحرف . وشريح بن محمد الرعيني الإشبيلي ، وهشام بن أحمد القرطبي أبو الوليد ابن العواد ، وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي ، ويونس بن محمد بن مغيث ابن الصفار ، ويوسف بن موسى الكلبي ، سمع منه أرجوزته ، ويوسف ابن عبد العزيز بن عتريس الطليطلي .

شعره

قال ، مما كتبه من خطه :

أعوذ بربي من شر ما
وأسئله^(١) رحمة تقتضي
يخاف من الإنس والجنّة
عوارف توصل بالجنّة
سوى فضل رحماه من جنّة
فما للخلان من ناره

ومن شعره ، قال أنشدني غير واحد من أصحابنا ، فوارحمة الله عليه :

أذات الخلال كم ذاتتضيها
بمطلق لي مواعد أقتضيها
على سيف عينك انتضاه
من التوريد واللمس اقتضاه
خيأر الناس أحسنهم قضاة
فقتضى وعد مطلق وانجزيه

قال ، وبما كتبه من خطه :

يا من تحمّل عني غير مكترث
تركنتي مستهام القلب ذا خسوف
أراقب النجم في جنح^(٢) الدجا ولها
وما وجدت لذيذ النوم بعدكم
لكنه للضنى والسقم أوصاب
أخا جوى وتباريح وأوصاب
كأني راصد للنجم أوصاب
إلا جني حنظل في الطعم أوصاب
ومن ذلك قوله رحمه الله :

الله يعلم أنني منذ لم أركم
فلو قدرت ركبت المريخ نحوكم
كطابير خانه ريش الجناحين
فإن بعدكم عني جنا حين
قال ، وكتبت من خطه :

يا راحلين وبالفؤاد تحمّلوا
أما الفؤاد فعندكم أنبساؤه
أترى لكم قبل الممات قفول
ولو اعج تننابه وغليل

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (واسك) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ليل) .

فترى لكم عِلْمٌ بِمَنْتَزَحِ الكرى عن جَفْنٍ صَبَّ ليله ، ووصول
 أودى بعزته صبره وإبسايه طرفُ أصمٍّ ومبسمٍ مصقول
 ما ضرَّكم وأضنَّكم بتحية يحيى بها عند الوداع قَتِيل
 إن الخليل^(١) بلحفه أو لفظه أو عطفه أو وقفه لبخيل

ومما نسبة إليه الفتح وغيره ، ومن العجب إغفال ولده إياه ، قوله يصف
 الزرع والشقائق فيه :

أنظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
 [كتيبة خضراء]^(٢) مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

نشره

وهو كثير . فمن خطبه ، وكان لا يخطب إلا بإنشائه :
 الحمد لله الذى سبق كل شئ ، وقدم ، ووسع كل شئ ، رحمة وعلما
 ونِعْمًا ، وهدى أوليائه ، طريقا نهجاً أماً ، وأنزل علي عبده الكتاب ،
 ولم يجعل له عوجاً قيماً ، لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين
 الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كُتِبَ فيه أبداً . أحمده
 على مواهبه ، وهو أحقُّ من حُمد ، وأسأله أن يجعلنا أجمع ، ممن حظى
 برضاه وسعد ، وأستعينه على طاعته ، فهو أعزُّ من استعين واستنجد ،
 واستهديه توفيقاً ، فإن من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له
 ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، شهادة فاتحة
 لأقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا . منزّهة له عن التشبيه والتمثيل

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (النجيل) والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في قلائد العقبان كالأق

(كتاباً تجفل) .

بنا ، وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولدا . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أنزل عليه الفرقان ، وبعثه بالهدى والإيمان ، وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان ، وأبعدهم مقاعد عن السمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا .

أيها السامع ، قد أيقظك صرفُ القدر من سِنَّة الهوى وتياراته ، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده . وتدبر مُحكم آياته ، واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته، ولن تجد من دونه مُلتحدا . أين الذين عتَوْا على الله ، وتعظَّموا واستطالوا على عباده وتحكَّموا ، وظنُّوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا . وتلك القرى أهلكتهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا . غرَّم الأمل وكواذب الظنون ، وذهلوا عن طوارق القبر ^(١) ورب المنون . وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . حتى إذا رأوا ما يوعدون ، فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً . فهذبوا رحمتكم الله سيراركم بتقوى الله واخلصوا ، واشكروا نعمته ، وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها ، واحذروا نعمته واتقوه . ولا تعصوا ، واعتبروا بوعيده . قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى . وانفضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى ، وحوزوا نصب خصله العابرة ^(٢) ، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله ، يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم يغادر منهم أحدا ، ذلك يوم تذهل فيه الأبواب ، وترجف القلوب رجفا ، وتبدل الأرض وتنفس الجبال نَسفاً ، ولا يقبل الله فيه ،

(١) وردت في الإسكوريال (النير) ، وفي الزيتونة (العين) . ونعتقد ان التصويب انساب

لسياق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الفايدة) .

من الظالمين عدلاً ولاصرفاً . ونحشر المجرمين يومئذ زُرْفًا، وعرضوا على ربك صفًا ، لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة ، وارحمنا بالهداية والعصمة ، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة . ربنا آتانا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

توالياه

مما أكمله وقرأ عليه كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ستة أجزاء ، وكتاب « إكمال المعلم في شرح مسلم » تسعة وعشرون جزءاً . وكتاب « المُستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة » عشرة أجزاء . وكتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » خمسة أسفار ، ولم يسمعه . وكتاب « الإعلام بحلود قواعد الإسلام » . وكتاب « الإلماع في ضبط الرواية وتقديد السماع » سفر . وكتاب « الرايد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوايد » . وكتاب خطبه سفر . وكتاب المعجم في شيوخ أبي سكرة . وكتاب الغنية في شيوخته ، جزء . ومما تركه في الأبيضة كتاب « مشارق الأنوار على صحيح الآثار » ستة أجزاء ضخمة ، وهو كتاب جليل . وفيه يقول الشاعر :

مشارق أنوار تبدت بسببته ومن عجب كَوْن المشارق بالغرب
 وكتاب « نظم البرهان على صحة جزم الأذان » جزء . وكتاب « مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور » جزء . ومما لم يكمله « المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان » . وكتاب « الفنون الستة في أخبار سبته » . وكتاب « غنية الكاتب وبغية الطالب » في الصدور والترسيل . وكتاب « الأجوبة المُحجرة على الأسئلة المتخيرة » وجدت منها يسيراً فضمته إلى ما وجدته في بطايقه

وعند أصحابه . يقول هذا ولده من معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها
رحمة الله عليه . فتأجاب جمعت ذلك في جزء . وكتاب أجوبة القرطبيين
وجدتها بطابق ، فجمعتها مع أجوبة غيرهم . وأجوبته مما نزل في أيام
قضايه ، من نوازل الأحكام في سفر ، وكتاب «سر السراة في أدب القضاة» .

نبد من أخباره

وأولا في ثناء الأعلام عليه . قال ولده ، أخبرني ابن عمي الزاهد ،
أن القاضي أبا عبد الله بن حمدان كان يقول له وقت رحلته إليه ،
وحتى يا أبا الفضل إن كنت تركت ^(١) بالمغرب مثلك . وقال ، وأخبرني
أن أبا الحسين بن سراج قال له ، وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ ،
فهو أحوج إليك منك إليه ، وقال إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر
قال له ، ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض . وأمثال ذلك كثير ، ومن
دُعابته ، قال بعض أصحابنا صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفت إلى
أبيك رضى الله عنه ثم اجتمع بي ، قاستنشدني إياها ، فوجئت ، فغزم
على فأنشدت :

أيامكثرا صدى ولم أت جفوة وما أنا عن فعل الجفاء براض
سأشكو الذى توليه من سوء عشرة إلى حَكَم الدنيا وأعدل قاض
ولا حَكَم بينك أرتضى قضاياه فى الدينا سوى ابن عياض
قال فلما فرغت حسن ، وقال متى عرفتنى قواداً يا فلان ، على طريق
المداعبة . وأخباره حسنة وفضايله جمّة .

مولده : بسبته حسبما نقل من خطّه فى النصف من شعبان عام سنة
وسبعين وأربعمائة .

(١) هذه الكلمة واردة بالزيتونة وساقطة فى الإسكوريال .

وفاته : توفي بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى
الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة . ودفن بها في باب إبلان من داخل
السور .

عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي

من أهل طرطوشة ، يكنى أبا المجد

حاله

كان قعيها منطرفاً في فنون من العلم ، متقناً لما يتناوله من ذلك ،
حسن التهلي ، من بيت طلب . وقد تقدم ذكر جده الأستاذ . وولي عقيل
قضاء غرناطة وسجلماسة .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن بشكوال . قرأ عليه وسمع ، وتناول من يده ،
وأجازله . وقفت على ذلك بخطه .

شعره

أنشد في «الذيل»^(١) قوله ، مما نظمه لجماعة من السادة :

ملوك دون بابكم وقُصوف	سَطَّتْ بهم الحوادث والصُروف
أذلهم الزمان وكان قسداً	لهم راع وحولهم يطوف
غداً عِبراً لِمُعْتَبَرٍ فَسُحْقاً	للدنيا أمرها أمر سخيـف
وطال وحق مجدك ما تبدوا	وحولهم الغواضب والسيوف
أسود يُقَدِّمون أسود حرب	وخلفهم العساكر والصّفوف

(١) المقصود به كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول» واصله « للقاضي ابن عبد الملك المراكشي

أتى بهم الزمان إليك قصدا خيارى فيه يُعجزهم رغيف
 فَعَطْفًا أيها المسولى عليهم وقاك السوء باريك اللطيف
 فرحمة سيّد قد ذلّ فرض يقول به النّبى الهادى الشريف
 وما يرعى الكرام سوى كريم وأنت الماجد الندى العطوف

توالياه

قال الأستاذ ، وقفت على تأليف سماه «فصل المقال فى الموازنة بين الأعمال» تكلم فيه مع أبى عبد الله الحُميدى ، وشيخه أبى محمد بن حزم ، فأجاد فيه وأحسن ، وأتى بكل بديع . وشرح المقامات الحريرية . وفاته : فى صفر سنة ثمان وستمائة .

ومن الكتاب والشعراء

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى

ابن محمد التميمى ثم العبادى الجاهلى

يكنى أبنا المخشبي من أهل البيرة .

حاله

كان شاعرا مُجيدا ، شهير المكان ، بعيد الصّيت ، على عهده . قال أبو القاسم ، كان من أعلام الجند ومقدمهم . وقال الرّازى ، دخل والده زيد بن يحيى من المشرق إلى الأندلس ، واختط بكورة جُند دمشق ، وشهر ابنه عاصم هذا بالشعر ، إذ كان غزير القول ، حسن المعانى ، كثير النادر ، سبّط اللفظ ، فاغتنى شاعر الأندلس ، ومادح بنى أمية ، المخلف فيهم قوافى الشعر المديح الشاردة ، وقد كان فى لسانه بَداءة زائدة ، يتسرع به إلى من لم يوافقه من الناس . فيقتدح هجوهم ، ويقذف نساءهم ويهتِك حرّمهم . وكان أفاكا نهابا ، لا يعدم متظلّما منه ، وداسيا عليه ،

وذاكرآله بالسوء ، وهو مستهزىء بذلك جارٍ على غلوائه .

محنته

قال ، وكان مع ذلك منقطعا إلى سليمان بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، كثير المدح له . على أنه ما أخلى الأمير هشاما من ملحه ، وهو مع ذلك لا يسئل سخيمته وحقده عليه ، لانحطاطه في شعب سليمان أخيه ، وبينهما من التنافس والمشاحة ، مالا شىء فوقه . ورؤى أن الذى هاج غضب هشام عليه ، أن قال له الساعى عليه ، قد عرض بك بقوله في مديح أخيك سليمان في شعر له فيه منه :

وليسوا مثل من بان سيل عرفا يقلب مقلة فيها أعونه

وكان هشام أحول ، فاغتاظ لذلك . وركب فيه من المثلة وركبه ، وحقده عليه ، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة ، وهشام يومئذ واليها في حياة الأمير أبيه ، فخرج إليه أبو المخشبي من قرطبة ، طامعا في نايه ، غير مرتاب بباطنه ، فلما دخل عليه قال له يا أبا المخشبي ، إن المرأة الصالحة التى هجرت ابنها فقلدفتها ، فافحشت سبها ، قد أخلصت دعاها لله فى أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها ، وسلطنى وتأذن بالاقتصاص لها على يدى منك ، ثم أمر به فقطع لسانه ، وسملت عيناه ، وعولج من جراحه ، فاستقل منها ، وعاش زمنا مُمثلا به . فأما لسانه فاتجبر بعيد وقت إلا قليلا ، واقتدر على الكلام إلا تلعثما كان يعترضه ، واستمر العمى ، فعظم عليه مصابه ، فكثرت فى شكواه أشعاره ، قال ، ويذكر أن قصة أبى المخشبي فى نيات لسانه ، لما بلغت مالك بن أنس ، أشار

إليها في فتواه في التأتى بديّة اللسان طمعا في نبتها ، وقال يُتأتى بالحكم
عاما ، فإن نبت أو شىء منه ، عمل في ديبته بحسب ذلك ، فقد بلغنى أن
رجلا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعد ما قطع ، فأمكنه الكلام .

شعره

قالوا وبلغ الأمير [عبد الرحمن] ^(١) بن معاوية صنيع ابنه هشام
بمادحهم أبي المخشبي ، فساءه وكتب إليه يعنفه ، وأوصل أبا المخشبي إليه
عند استيلائه بعد حين ، فاعتذر إليه ورق له ، وأنشده بعض ما أحدثه
بعد ، فكان لا يبين الإنشاد ، فينشده له صبي كان قد علمه ودربه ، فأنشده
قصيدته التي وصف فيها عمّاه وأولها :

خَضَعْتُ أُمَ بِنَاتِي لِلْعَمَدَا	إِذْ قَضَى اللهُ بِأَمْرٍ فَمَضَا
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا	مَشِيهُ فِي الْأَرْضِ لَمَسٌ بِالْعَصَا
فَبَكَتْ وَجَدًّا وَقَالَتْ قَوْلَةً	وَهِيَ حَتَا حَلَّقَتْ مِنِّي الْمَدَا
فَفَوَّادِي فَرِحُ مِنْ قَوْلِهَا	مَا مِنْ الْأَدْوَاءِ أَسَّ الْعَمَا
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصَرٍ	كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدِنَعَا
وَكَانَ لِلنَّاعِمِ الْمَسْرُورِ لَمْ يَكْ	مَسْرُورًا إِذَا لَاقَى السَّرْدَا
عَانِي بِالْقُرْبِ وَهَنَا طَرْبِ	بَيْنَ لَجِّ فِي الْجِمَا
..... (٢)	كَيْفَ يَعْتَادُ الصَّبَا مِنْ لَا يِرَا
أَبْصُرَتْ مُسْتَبَدَلًا مِنْ طَرْفِهِ	فَأَنَذَا يَسْعَى بِهِ حَيْثُ سَعَا
بِالْعَصَا إِنْ لَمْ يَقْدَهُ فَإِنَّهُ	وَسُؤَالَ النَّاسِ يَمْشِي إِنْ مَشَا

(١) هذا الاسم ساقط في الإسكوريال ، وبإضافته يستقيم السياق .

(٢) بياض في الإسكوريال .

وإذا ركب دنوا كأن لهم
 إنم يزل في كل مُخْشِبِي الردى
 امتطيتها سمانا بدنأ
 وُدِّي قد تجاوزت بها
 قاصداً بخير مَنافٍ كلها
 وهي طويلة ، ومن شعره في الواقعة بآبِ الأَسود الفهري (١) ، وكانت
 عظيمة من أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمن :

ماذا تُسائل عن مواقع مَعْشَر
 رَشِد الخليفة إذ غَوُوا فرماهم
 فغلبنا سليمان السِّمَّاح عليهم
 عاداهم متقنعا في مأزق
 أما سليمان السِّمَّاح فإنه جَلِي
 وهو الذي ورث الندى أهل الندى
 بعد القتلى بالمخايض أصبحت
 فالليل فيها للذباب عرايسُ
 أفناهم سيفٌ مُبِيرٌ صـارم
 هات عنك ما هربت مخافةً منه
 أودى بهم طلب الذي لم يقدر
 بالمويذى بالحزم والتمأزُر
 كالليث لا يلوى على مُتَعَدِّر
 في الموت من نجس العوارض المطر
 الدُّجا وأقيام سيل الأَصْعَر
 ومحا دُجَنة يوم وادي الأحمر
 جِيْفًا تلوح عظامها لم تُقْبِر
 ونهارها وقفٌ لنهش الأَنْسُر
 في قَسْطلونة وبل بوادي الأحمر
 ففَعَّ يا ابن اللقيطة أو طِرِ

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس . وكان عبد الرحمن الأموي (الداخل) قد حارب يوسف وانتهى الأمر بهزيمته ومقتله (١٤٢ هـ) ففر ولداه أبو القاسم ، ومحمد الملقب بابي الأسود ، ولبث عبد الرحمن يطاردهما وهما يحشدان الجند والثوار لقتاله . وفر أبو الأسود إلى بطليطة ولحصن بها فطاده عبد الرحمن . ففر مع انصاره إلى قورية فلحق به عبد الرحمن ونشبت بينهما معركة انتهت بتزيق قوات أبي الأسود وفراره (سنة ١٦٩ هـ) وهي الواقعة التي يشير إليها الشاعر في قصيدته . وتوفي أبو الأسود بعد ذلك بقليل في إحدى قرى بطليطة .

وفاته

قال ابن حيان ، قرأت بخط عبادة الشاعر ، قال عمر أبو المخشبي بعد مخنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبد الرحمن ، فوالى بين مديخ أربعة أمراء ، ما بينه وبين جدّه عبد الرحمن بن معاوية الأمير الداخل . وتوفى بعد ذلك قريبا من تاريخ الثمانين والمائة^(١) . وبعدنا عليه لخاق دولة الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ .

ومن الأصليين من ترجمة المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمتين المرّي

يكنى أبا الأصبع من أهل البيرة .

حاله

نبيه القدر . وروى عن شيوخ بلده .

وفاته : توفى بعد الأربعمئة . قلت فد اعتذرت ، وتقدم الاعتذار في

إثبات من أثبته من هذا البيت في هذا الاختصار من هذا النمط . فليُنظر هنا لك إن شاء الله .

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأوى

لَوْثِي الأَصْل ، غرناطى الاستيطان والقراءة ، يكنى أبا موسى ،

الشيخ الطبيب بالدار السلطانية .

(١) في هذه العارة الأخيرة بعض التوضيح فيما يتعلق بالتواريخ . ذلك أنه إذا كان عامم بن زيد المترجم له قد توفى في حدود سنة ١٨٠ هـ وذلك حسبما يقول لنا ابن حيان ، فإنه بذلك لم يلحق سوى دولتي عبد الرحمن بن معاوية الداخل المتوفى سنة ١٧٢ هـ . ودولة ولده هشام الذى حكم من سنة ١٧٢ الى سنة ١٨١ هـ ، أو دولة الحكم بن هشام . فقد كانت من سنة ١٨٠ الى سنة ٢٠٦ هـ ، ودولة ولده عبد الرحمن كانت من سنة ٢٠٦ الى ٢٣٨ هـ .

حاله

من « هابيد الصلوة » ، بقية أهل العلم ، ونسيج وحده في لين الجانب ،
 وخفض الجناح ، وحسن الخلق . وبذل التواضع ، ممتع من معارف قديمة ،
 بين طلب وتعليم ، على حال تدين والتزام سنة ، أقرأ الطب ، وخدم
 به النصارى السلطانية ، وولى القضاء بلوشة بلبه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله الرقوى المرمى ولازمه ، وأخذ عن
 أبي الخجاج بن خطبون ، وأدرك أمة من صلور العلماء .

تواليقه

له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب « القفل والمفتاح في
 علاج الجسوم والأرواح » ، تضمن كثيراً من العلم الطبي ، وما يتعلق
 به ، رأيت أجزاء من مسودته بيد ولده .

وفاته : ثوى بغرناطة ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام
 ثمانمائة وشرين وسبعماية .

حرف الذين من الأعيان

غالب بن أبي بكر الحضرمي

من أهل غرناطة يكنى أبا تمام ، ويعرف بابن الأشقر .

حاله

كان قابدا جزلاً مهيبة ، مليح التجند ، معروف الدربة والثقافة ، مشهور
 الفروسية ، ظريف الشكل ، رايق الركبة ، حسن الشيبة ، صليب العود ،
 مرهوب السطوة ، ولى قيادة العسكر زمانا طويلا ، فوقع الإجماع على

اهليته لذلك ، تمييزاً للطبقات ، وانتهاضاً بالخدمة ، وإنفاذاً للعزيمة ،
ومعرفةً بالعوايد ، واقتداراً على السهر في تفقد المسالِح ، واختبار المراصد ،
واختيار الحرس ، وتنظيم المصاف ، وإمساك السيِّقة ممن يرجع إلى حصيف
رأيه ، ويُركن إلى يَمَن حنكته ، ويعترف بحقه . لقي الجند منه ضغظاً
لاضطّاعه باستخدامهم ، وجعل العقاب من وراء تقصيرهم . فقد كان
بعض نُقبائه يحمل معه مِقْصاً لإيقاع المُثْلَةَ بذقون مضبِّعي المسلحة أو
مُتهبِّي المَلْحمة . ولما أوقع بالسلطان أمير المسلمين أبي الوليد قرابته
بباب داره بما هو مشهور ، نُمى عنه أنه اخترط سيفه . وكان ممن أثنى
الوزير يومئذ جراحة [لا يعلم]^(١) ، أحيرةً وغلطاً أم تواطئاً وقصداً ،
فقد كان من مَرَج الناس يومئذ ؛ وإعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو
معلوم ، فعزل عن الخُطَّة ، وسُم خطة الخمول ، ففقد مكانه من العنا ،
واضطر إليه .

وفاته

توفي بغرناطة عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة
وعشرين وسبعماية ، ودفن قرب باب البيرة .

ومن المقربين

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن
تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي أبو بكر

حاله

(١) الزيادة من الزيتونة . وبها يستقيم السياق .

كَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّلْمِ وَالْحَمَلِ ، مُقْرِبًا فَاضِلًا ، رَاوِيَةً ، حَجَّجٌ وَرَوَى .
وَكَفَّ بِصَرِهِ فِي آخِرِ عَمْرِهِ .

شَيْخْتُهُ

قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالسَّبْعِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَدَرَسَ
الْفِقْهَ وَنَظَرَ فِيهِ ، عَلَى سَعِيدِ بْنِ خُلْفِ بْنِ جَعْفَرِ الْكِنَانِيِّ . وَرَوَى عَنْ
أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّائِيِّ ، وَعَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَالِبٍ ، وَأَبِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ
الْإِمَامِ الْحَافِظِ .

مَنْ رَوَى عَنْهُ : حَدَّثَ عَنْهُ ذُو النُّوْزَارَتَيْنِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخَصَالِ ،
وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَاضِي ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنَ عَطِيَّةٍ .

شَعْرُهُ

قَالَ يَحْذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ :

كُنْ بَدِي صَايِدٌ مُسْتَأْنَسًا وَإِذَا أَبْصَرْتَ إِنْسَانًا فَفَسِّرْ

إِنَّمَا الْإِنْسِيُّ بِحَرِّ مَالِهِ سَسَا حَلْ فَاحْذَرِهِ إِيَّاكَ الْغَسْرَرُ

وَاجْعَلِ النَّاسَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ ثُمَّ كُنْ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ حَذِيرٌ

وَلَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ :

كَيْفَ السُّلُوْ وَوَلِي حَبِيبٌ هَاجِرٌ قَاسِيُ الْفُوَادِ يُسُومُنِي تَعْدِيْبَا

لَمَا ذَرَى أَنَّ الْخِيَالَ مَوَاصِلِي جَبَلِ السُّهَادِ عَلَى الْجَفُونَ رَقِيْبَا

مَوْلَدُهُ : وَوَلَدَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

تَوَفَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .

غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى

ابن سيدبونه الخزاعي

يكنى أبا تمام .

أوليته وحاله

أصل سلفه من بونه^(١) من بلد إفريقية ، واستوطن جده بالأندلس قرية زنيطة من وادي لسته شرق الأندلس من عمل قسنطينية^(٢) ، وملك فيها أموالا عريضة . ولما ظهر سبطه ولي الله أبو أحمد شيخ المريدين بذلك الصقع ، وظهرت عليه البركات ، وشهدت بولايته الكرامات ، غمرتهم بركته ، ونوّهت^(٣) بهم شهرته ، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات ، بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فهاجرت ذريته إلى غرناطة ، بعد استيطانهم مدينة ألس^(٤) ، وبنوا بالربض المعروف بربض البيازين^(٥) واقتنعوا وامتطوا ، واتخذوا دار إقامة ، وانتشرت به نحلتهم الإرادية ، وانضم إليهم من تبعهم من جالية أهل الشرق ، وتقدم هذا الشيخ بعد ، شيخا ويُعسوبا وقاضيا وخطيبا به ، بعد خاله رحمه الله ، فقام بالأعباء ، سالكا سنن الصالحين من أهل الجلد والجدّة والقوة والرجولة ، من الإيثار والمثابرة على الرباط ، والحفوف إلى الجهاد ، وكان مليح الشيبة ؛

(١) بونه هي ثغر إفريق يقع على شاطئ البحر المتوسط في منتصف المسافة بين تونس وبجاية وكان أيام الدولة الحفصية من ثغور مملكة تونس . وهو الآن من ثغور جمهورية الجزائر الديمقراطية ويسمى الآن عنابة اشتقاقا من اسمه القديم (بلد العناب) .

(٢) قسنطينية وبالإسبانية Cocentaina بلدة صغيرة من أعمال شرق الأندلس تقع غربي ثغر دانية وجنوب مدينة شاطبة .

(٣) وردت في الإسكوريال (وتوهمت) والتصويب من الزيتونة .

(٤) ألس وبالإسبانية Elche سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٤٩

حاشية) .

(٥) ربض البيازين وبالإسبانية Albaicin سبق التعريف به (راجع المجلد الأول ص ٣٨٧

حاشية) .

كثير التخلق ، جم التواضع ، مألفا للغرباء ، مبدول البشر ، حسن المشاركة ، رافضا للتصنع ، مختصر المطعم والملبس ، بقية من بقايا الجلة ، معتمدا في مجالس الملوك بالتجلة .

مشيخته

يحمل عن والده أبي علي ، وعن خاله ، وعن الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة وغيرهم .

توالتفه : له تأليف في تحريم سماع اليراعة المسماة بالشبابية ، وعلى ذلك درج جمهورهم .

مولده : في ذي القعدة من عام ثلاثة وخمسين وستماية .

وفاته : توفي في عاشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . وكان الحفل في جنازته يشدُّ عن الوصف . ودفن بمقبرتهم^(١) .

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا تمام

حاله

كان من أهل الفضل والدمائة ، حسن الخلق ، وسيم الخلق ، مليح الانطباع ، مستطرف الأغراض ، من بيت كسب وخيرية . رحل في شببته إلى المشرق ، فحج ، وقرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزية ، وحذق العلاج على طريقة المشاركة ، وأطرب بكثير من أخبارهم ، وانتصب للمداواة ببجاية بعد مناظرة لها حكاية . وقدم على بلده ، فنبه به قلره ،

(١) أورد ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة ترجمة لأحد أعلام هذه الأسرة وهو (جعفر

ابن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي ، ص ٤٦١ - ٤٦٣) .

واستدعى إلى باب السلطان فخدم به ، ثم تحول إلى العُتوة ، فاتصل بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين أبي سعيد ، مسوغاً ما شاء من قبول ، ولطف محله عنده ، لانطباعه ولين عريكته ، وتأنيه لما يوافق غرضه من سبيل الفكاهة ، ووُلِّي الحِسبة بمدينة فاس ، وأثرى وحسنت حاله . وكان مثالا لأهل بلده ، موصوفاً بالجود ، وبذل المشاركة لمتغريبيهم . وله تواليف طيبة ، كان لا يفتر عن الاشتغال بها ، بنحسب ما فتح له من الإدراك ، فمنها نبيل ووبيل . ولما انتقل الأمر إلى أمير المسلمين أبي الحسن ، وصل حَبْل رَعِيه ، طاويا بساط الهزل في شأنه ، واتصلت خدمته إياه إلى حين وفاته .

وفاته

توفي في أوائل عام أحد وأربعين وسبعماية بسببته ، عند حركة أميره المذكور إلى الجواز للأندلس برسم الجهاد ، الذي مَحَصه الله فيه بالهزيمة الكبرى .

مولده ... (١)

حرف الفاء : الأعيان والكبراء

فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر

الرئيس الجليل ، أبو سعيد ، وكان حقه أن يفرد له باب في الأمراء ، لكنه الأبواب المتعددة الأسماء ، نوثر فيها الجمع والاختصار كما شرطنا .
أوليته

(١) وردت بعد هذه الكلمة هذه العبارة في الإسكوريال . (بياض في الأصل المتسخ منه) .
وأغفلها الزيتونة .

مغزوفة . وكان والده [رحمه الله] ^(١) صينو أمير المسلمين الغالب بالله
 أبي عبد الله ، وأثره بمدينة مالقة وما يرجع إليها ، عند تصير الملك إليه
 أو بعده . وكان دونه في السن ، فاستمرت أيامه بها إلى أن توفي رحمه الله ،
 وتصير أمره إلى الرئيس أبي محمد بن إشقيلولة ، وتخللت ذلك الفتن ،
 حسبما وقع الإلماح به [وتصير أمرها] ^(٢) إلى ملوك المغرب . ثم لما
 انجلت ^(٣) الحال عن عودتها إلى الملك النصري ، ولى عليها الرئيس
 أبانعيد ، ومكّنه من ميراث سلفه بها ، وهو كما استجمع شبابه ، وعقد
 له على ابنته الحرة ثباب الملك ، فقام بأمرها خير قيام ، وثبت لزلزال
 الفتنة حسبما هو المذكور في موضعه .

حاله

كان هذا الرئيس نسيج وحده في الحزم والجزالة وفخامة الأحوال ،
 مما يرجع إلى الفتية . ناغى السلطان ابن عمه في اقتناء العقار ، وتخليد
 الآثار ، فيما يرجع إلى الفلاحة والاعتمار والازدياد والاستكثار ، وأرْبى
 عليه بإنشاء المراكب الكبار ، فعظمت غلاته ، وضاقَت المسارح عن
 سائمته ، وعُصمت الأهرام بحبوبه ، وسالم الخرج دخل ماله ، فبَدَّ الملوك
 جدَّة ويساراً ، تقتمح العين منه ظاهراً سادجاً ، غُفلاً من الزينة والتصنع ،
 في طيه ظُرف وذكاء وحنكة وحلاوة ، جهوريا ، مرسل عنان النادرة ،
 باذلا النصفه ، مهيب السطا ، خصيب المائدة ، شهير الجلالة ، بعيد
 الصيت . ولى مالقة عام سبعة وسبعين وستامة ، فعانى بها الشدة والليان .

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . ووجودها ضروري لاستقامة

السياق .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اجلت) . والأولى أرجح .

بغنى رصخت بها قدمه ، وطالت لأهلها صحبتته ، وعظم بها قراره وعساكره ،
وأينعت غرسانه ، ونمت متاجره ، ونبتكت التَّعِيم حاشيته ، وأضيفت
إليه الجزيرة الخضراء ، فاتسعت العمالة ، وانفسحت الخُطَّة ، إلى أن
كان من تغلبه على مدينة سَبْتَة ، واستيلايه عليها ، مما وقع الإلماح به
في موضعه من هذا الكتاب ، في شهر شوال عام خمسة وسبعماية ، فساس
رعيتها ، وتملك جبالها ، وشن الغارة على ما وراءها ، وتملك القصر
المضاف لها ، ولم يزل نظره عليها ، إلى أواخر ذى قعدة من عام ثمانية
وسبعماية ، فصُرف عنها ، وجُهل قدره ، وأوغر صدره ، وأوعز للولاة
بالتضييق على حاشيته ، فدعا بمالقة إلى نفسه في شهر شعبان من عام
أحد عشر وسبعماية ، وقدم لطلب الملك ولده إسماعيل ، وسماه السلطان .
ورتب له الألقاب ، ودون اللواوين ، فنزع إليه الجند ، وانضافت
إلى عمالته الحصون . ثم وقعت المهادنة ، وأعقبتها المُقاتنة ، وكان من
أمره ما وقع التَّنبيه على عيون منه في ذكر ولده .

نكبته

ولما استأصلت القطيعة مُحتججه الراكد في مغابن^(١) الخزائن من
لدى عام سبعة وسبعين وستماية ، واستنفدت عتاده المطاولة ، نظر لنفسه
فوجه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى ، وعاقده على الخروج له عن
مالقة ، مُتَعَوِّضاً عنها بمدينة سَلا من عمل ملك المغرب ، وتم ذلك في
شهر رمضان من عام ثلاثة عشر وسبعماية ، وذاع خبره ، وضافت بأولياء
انتزايه السبل ، إذ تحققوا بإخفاق المسعى ، وسقوط العشيِّ بهم على
سرحان من سلطانهم الراغبين عنه ، فداخلوا ولده ، المقدم الأمر ، أبا الوليد ،

(١) هذه الكلمة واردة في الاسكوريال وساقطة في الزيتونة .

واتفق أمهم على خَلْعِهِ ، ومعالجة^(١) الامر قبل تمامه ، في ... من شهر رمضان ، ركب الرئيس رحمه الله في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بيساتيه ، فلما قضى وطَرَه ، وهم بالخروج عنه ، اعترضه القوم عند بابه ، فالتفوا^(٢) به ، وأشعروه غرضهم^(٣) فيه ، وجأءوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد ، فجطوه به تحت رَقَبَةٍ ، وقد بادر ولده القصبية ، فاستولى عليها من غير ممانعة ، لعدم استرابة ثقاته به ، إلا ما كان من خاين يتولى القيام ببعض أبوابها هم بسدّه ، فطاح لحينه ، وتمّ لولده الاستبداد بالأمر ، واستولى على النصب والذخيرة وباقي المال^(٤) ، ونقل الرئيس إلى معقل قرطبة ، فلما خلص الأمر لولده ، انتقل إلى معقل شلوبانية ، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره ، مرقها عليه إلى أن قضى نحبه .

وفاته

في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، توفي رحمه الله بشلوبانية ، وجرىء بجنازته محمولا على رؤوس صلور الدولة ووجوه رجالها ، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدم به عهد ، ودفن بمقبرة السبيكة ، وولده أمير المسلمين واقف بإزاء لَحْدِهِ ، مظهر الاكتراث لفقده ، وعلى قبره الآن مكتوب نَقْشًا في الرخام البديع ما نصه :
« هذا قبر عَلم الأعلام ، وعماد دين الإسلام ، جواد الأجواد ، أسد الآساد ، حامى الثغور وممهد البلاد ، المجاهد في ذات الله حقَّ الجهاد ،

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (معالجة) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فاحتفوا) والأول أرجح .

(٣) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بعزمهم) .

(٤) هذه الكلمة راردة في الزيتونة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصلبره ، الكريم الأخلاق ، الطاهر الذات والأعراق ، الذي سار ذكره في الآفاق ، ونخلد من فضائله ما تتحل به ظهور المنابر وبتون الأوراق ، كبير الإمامة النصيرية ، وعظيم الدولة الغالبية ، فرع الملك وأصله ، ومن وسع الأنام عدله وفضله ، مخلد الفخر الباقي على الأعصار ، والعمل الصالح الذي يُنال به الحُسنى وعُقبى الدار ، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار ، الإمام الرضى ناصر دين المختار ، المنتخب من آل نصر ونعم النسب الكريم في الأنصار . الهمام ، الأكبر ، الأشهر ، المقدم ، المرحوم ، الأطهر ، أبو سعيد ابن الإمام الأعلى ، ناصر دين الإيمان ، وقاهر عبدة الصليان ، صينو الإمام الغالب بالله ، ومجهز الجيوش في سبيل الله ، سهام العدا ، وغمام الندى ، وضرغام الحروب ، ذى البأس المرهوب ، والجود المسكوب ؛ بطل الأبطال ، ومناخ الآمال ، المجاهد ، الظاهر ، المقدس ، المرحوم أبي الوليد بن نصر ، قدس الله مضجعه ، ورقاه إلى الرفيق الأعلى ورفعته . كان رضى الله عنه ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، علت في سماء المعالي رتبه ، وكرّم من أمير المسلمين صهره ونسبه ، فلا يُزاحم مكانه ، ولا يُداني منصبه . نفذت أحكامه في الشرق والغرب ، ومضت أوامره في العجم والعرب ، إلى أن استأثر الله به ، فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست وأربعين وستماية ، فسبحان الله الملك الحق ، الباقي بعد فناء الخلق .

سلام على قبر المكارم والمجد مُبِقَام الرضى والفوز والبشر والسعد
 منابة إحسان ومعهد رحمة ومُسْتَوْدِع انغليا والسّر والعد

فيها قبر الذي هو روضة
 لك الفضل إذ حملت أمانة
 ففبك من الأنصار من آل نصرهم
 قَسَمُ أمير المسلمين ابن عمه
 وحافي ذمار الدين ناصره أبو سعيد عماد الملك في الحل والعقد
 من الحق أبناء الوغى وبنو الرفد
 أفاض بها النعماء سابغة الورد
 بإنصاف مُستعد وإسعاف مُستجد
 وبالحق لو فاضت نفوس من الوجد
 بدا الحزن حتى في المُطَهَّمة الجُرد
 تسير بها الركبان في الغور والنَّجد
 وأبديت منه للورى علم الرشد
 تُنال بها الزلفى من الصمد الفرد
 توفيك من إحسانه غاية القصد
 فيها قبر الذي هو روضة
 لك الفضل إذ حملت أمانة
 ففبك من الأنصار من آل نصرهم
 قَسَمُ أمير المسلمين ابن عمه
 وحافي ذمار الدين ناصره أبو سعيد عماد الملك في الحل والعقد
 من الحق أبناء الوغى وبنو الرفد
 أفاض بها النعماء سابغة الورد
 بإنصاف مُستعد وإسعاف مُستجد
 وبالحق لو فاضت نفوس من الوجد
 بدا الحزن حتى في المُطَهَّمة الجُرد
 تسير بها الركبان في الغور والنَّجد
 وأبديت منه للورى علم الرشد
 تُنال بها الزلفى من الصمد الفرد
 توفيك من إحسانه غاية القصد

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر

الأمير أبو سعيد ولد أمير المسلمين ثانياً الملوك النصريين ابن الغالب بالله .

حاله

كان أميراً جليلاً جميلاً ، بلغ الغاية في حسن الصورة ، وفضل
 الفروسية على صغر سنه ، وكان زناً الشكل والركض والآلة ، عروس
 الميدان ، وحلّس الخيل ، يؤثر من شجاعته ، وثبات موقفه ، على

الغرارة ، وعدم الحنكة ، أنه أنشب في اتباع خنزير ضخم الكراديس ،
 عظيم الناب . عريض الغبطة ، طرح نفسه عليه في ضحضاح ، لفضل
 شجاعته ، فكبا به الطرف ، واستقبله ذلك الخنزير الفحل صامدا ،
 فاستقل ، زعموا ، من السقطة ، وقد اخترط سيفاً عنقه با كان يتقلده ،
 وسبقه بضربة تحت عينيه ، أبانت فكبه ، وأطارت محل سلاحه ،
 وخالطه مع ذلك أعزل ، فلم يُغن ، وتلاحق به فرسانه ، وقد يشوا بن
 خلاصه ، فرأوا ما بهتوا له ، وبُشِّرَ بذلك أبوه ، فملاً عينه قرة ، وكان
 يولع منه بفرع مُلك ، وصقُر بيت ، وسيف دولة . أسف بذلك وليُّ العهد
 كبيره ، فاعتبط لأيام من تصير الأمر إليه .

وفاته : توفي مغتالا في الأول من عام اثنين وسبعماية .

مولده : عام ستة وثمانين وستماية .

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

الأمير أبو سعيد ولي عهد السلطان الهالب ، بالله

حاله

كان هذا الأمير فاضلا ذكيا ، من أهل الأدب والنبل ، قام الأدب
 في ملته على ساق ، ولأه أبوه الغالب بالله عنده ، وأمله لمكانه لو أن
 الليالي أمهاته

شعره

وأدبه مما يُنسب إليه بالأندلس : وهو عندي ما يبعد قوله :
 أيا ربة الحسن التي سلبت منك على أي حال كنت لا بد لي منك

فإما بلد وهو أليق بالموى وإما بقر وهو أليق بالملك
وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم رحمه الله يقول؛ أخبرني
كاتب هذا الأمير، وهو الوزير أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس
قال ، نظم الأمير بيتا وطلبني بإجازته ، وأن يكون المنظوم مشوب النسيب
بالمفخر . والبيت :

أرقت لبرق بالسبيكة لا الخيف وإن كان فيه ما أحاذر من حثف
فقلت مجيزا

تجورُ على قلبي لواحظ عادة بأنقذ من عزمي وأقطع من سيف
ولى هزة نحو الوصال أو الأما كهزة آبابي الكرام إلى الضيف
أبيضُ وفيضُ في الجفون وبالحشا فاشكو بحالي في الشتاء وفي الصيف
لعمري لقد وفي العلاحق مفخرى لو الى في الدنيا مُرادى استوف

قال واستحسن ذلك ووقع عليه « كاتبه » يعني بذلك نفسه

وفاته

عصر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين
وتمائة ، ابن خمس وعشرين سنة

ومن الكتاب والشعراء

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب [المشهور] ^(١)

من قرية تعرف بصخرة الواد من قرى قلعة يحصب ، يكنى أبا نصر .

ويعرف بابن خاقان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الاسكوريال .

حاله

كان آية من آيات البلاغة ، لا يُشَقُّ غُبَّارُه ، ولا يدرك شأوه ، عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها ، لعوباً بأطراف الكلام ، مُعْجِزاً في باب الحنّى والصفات ، إلا أنه كان مجازفاً ، مقلوداً عليه ، لا يعلّ من المعاقرة والقصف ، حتى هان قنّره ، وابتذلت نفسه ، وساء ذكره ، ولم يدع بلداً من بلاد الأندلس إلا دخله ، مُسْتَرْفِداً أميره ، وواغلا على عليّته . قال الأستاذ في « الصلة » ، وكان معاصراً للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ، إلا أن بطالته أخذت به عن مرتبته . وقال ابن عبد الملك ، دخل يوماً إلى مجلس قضاء ^(١) أبي الفضل عياض ^(٢) مخمراً ، فتننّم بعض حاضرى المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فاستثبت ، وحدهً جداً تاماً ، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحد ، بثانية دنائير وعمامة . فقال الفتح حينئذ لبعض أصحابه : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم « بقلائد العقيان » قال ، فقلت لا تفعل وهي نصيحة ، فقال : وكيف ذلك ، فقلت له ، قصّتك معه من الجايز أن تنسى ، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ، إذ كل من ينظر في كتابك يجلدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت . فيسل عن ذلك ، فيقال له [اتفق معك كيت وكيت] ^(٣) فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر . قال ، فتبين له ذلك ، وعلم صحته وأثر اسمه وحدثني بعض الشيوخ ، أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكر ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القاضي) والأولى أرجح .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال والنسخ ، وهي لازمة لاستقامة

آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ، ما كان من إزرايه به ، وتكذيبه إياه في مجلس إقرابة ، إذ جعل يكشر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس ، [ويذكر الفخر بذلك] ^(١) ، ووصف حلياً ، وكانت تبدو من أنفه فضلة خضراء اللون . زعموا ، فقال له ، فمن تآك الجواهر إذا الزمردة التي على شاربك ، فنلبه في كتابه ، بما هو معروف في الكتاب . وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده ، غفر الله له .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن سليمان بن القصيرة ، وابن عيسى بن اللبانة ، وأبي جعفر بن سعلون الكاتب ، وأبي الحسن بن سراح ، وأبي خالد بن مستقور ، وأبي الطيب بن زرقون ، وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب ، وأبي عهد الرحمن بن طاهر ، وأبي عامر بن سرور ، وأبي محمد بن عبدون ، وأبي الرليد بن حجاج ، وابن دريد الكاتب .

تواليقه

ومصنفاته شهيرة منها « قلايد العقيان » ، « ومطمح الأنفس » .
« والمطمح » أيضاً . وترسيله مدون ، وشعره وسَط ، وكتابه فائقة .

شعره

من شعره قوله ، وثبت في قلايده ، يخاطب أبا يحيى بن الحجاج :
أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيئاً لمن زار [نورك أفقه] ^(١) وفي صفحاته من مضايك أسطر

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) وردت في الاسكوريال (أفكك نوره) . والتصويب من قلايد العقيان . ووردت هذه

للشطرة في النسخ كالاتي . (هنيئاً لمن زار أفكك نوره) .

وإني لخلق الجناحين كلما
وقد كان واثم هاجم التهاجر
فهل لك في ود زوى لك ظاهرا
ولست بعلق بيع بخسأ وإني
سرى لك ذكر أو نسيم معطر
فبت وأحشاني جوى تتفطر
وباطنه يندى صفاة وتقطر
لأرفع أغلاق الزمان وأخطر
فروجع عنه بما ثبت أيضا في قلايده ٤٤ أوله :

ثنت أبا نصر عني وربما
ثنت عزمة السهم المصم أسطر

نشره

ونشره شهير ، وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيرا
[كسبه] ^(١) عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة ، ولاخفاء بإدلاله وبراعته :
كتاب تأكيد اعتناء ، وتقليد ذي منة وغناء ، أمر بإنفاذه فلان ،
أيده الله ، لفلان بن فلان صانه الله ، ليتقدم لولاية المدينة ، بفلانة
وجهاها ، ويصرخ ^(٢) ماتكائف من العدوان في جنباتها ، تنوبها أحظاه
بعلائه ، وكساه رايق ملائه ، لما علمه من سنايه ، وتوسمه من غنايه ،
ورجاه من حسن منابه ، وتحققه من طهارة ساحته وجنايه ، وتيقن أيده
الله ، أنه مستحق لما ^(٣) ولاه ، مستقل بما تولاه ، لا يعتربه الكسل ، ولا
يشنيه عن إمضاء الصوارم والأسل ، ولم يكل الأمر منه إلى وكيل ، ولا ناظه
مناط عجز ولا فشل ، وأمره أن يراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه ،
وليعلم أنه زاجره عن الجور وناهيه ؛ وسايه عما حكم به وقضاه ، وأنفذه
وأمضاه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله . فليتقدم
لذلك بحزم لا يحمد توقده ، وعزم لا ينفد تفقدته ، ونفس مع الخير

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتون وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يصوح) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بما) . والتصويب من النسخ .

ذاهبة ، وعلى سنن ^(١) البر والتقوى راجية ، ويقدم للاحتراس من عُرف
اجتهاده ، وعلم أرقه في البحث وسُهاده . وحُمدت أعماله ، وأمن تفریطه
وإهماله ، ويضم إليهم من يحذو حذوهم ، ويقفوا شأومهم ، ممن لا يُستراب
بمناحيه ، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه ، وأن يُذكى العيون على ^(٢)
الجناة ، وينبئ عنها للذيد السنات ، ويفحص عن مكانهم ، حتى يُغص
بالروع ^(٣) نفس آمنهم ، فلا يستقر بهم موضع ، ولا يقر منهم مخب
ولا موضع ، فإذا ظفر منهم بمن ظفر ، بحث عن باطنه ، وبث السؤال
في مواضع تصرفه ومواطنه ، فإن لاحت شبهة أبدأها الكشف والاستبراء
وتعليلها للبغي والافتراء ، نكله بالعقوبة أشد نكال ، وأوضح له منها
ما كان ذا إشكال ، بعد أن يبلغ أنه ، ويقف على [طُرف] ^(٤) مداه ،
وخذله ألا يكشف بشرة إلا في حد يتعين ، وإن جاءه فاسق أن يتبين ،
وأن لا يطمع في صاحب مال موفور ، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور ،
وأن ينلك السنن المحمود ، وينزه عقوبته من الإفراط ، وعفوه من تعطيل
الحلود . وإذا انتهت إليه قصة مُشكلة أخرها إلى غده ، فهو على العقاب
أقدر منه على رده ، فقد يتبين في وقت مالا يتبين في وقت ، والمعالجة
بالعقوبة من المقت ، وأن يتغمد هفوات ذوى الهيات ، وأن يستشعر
الإشفاق ، ويخلع التكبر ، فإنه من ملابس أهل النفاق ، وليحسن لعباد
الله اعتقاده ، ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده ، وأن يعاقب المجرم قدر
زلته ، ولا يعتز عند ذلته ، وليعلم أن الشيطان أغواه .، وزين له مشواه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (متن) .

(٢) وردت في الإسكوريال (عن) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (بالريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (في طرفه) .

فيشفق من عثاره ، وسوء آثاره ، ويشكر الله على ما وهبه من العافية ،
وأكسبه من ملابسها الضافية ، ويذكره جلّ وتعالى في جميع أحواله ،
ويفكر في الحشر وأهواله ، ويتذكر وعداً يُنجز فيه ، ووعيداً يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير مُحصّراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمداً بعيداً . والأمير أيده الله ، وليُّ له ما عدل وأسط ، وبريء
منه إن جار وقسط . فمن قرأه فليقف عند حله ورسمه ، وليعرف له حق
قطع الشرّ وحسمه ، ومن وافقه من شريف أو مشروف ، وخالفه في شيء
مُنكر أو أمرٍ بمعروف ، فقد تعرّض من العقاب لما يذيقه وبال خبّله ،
ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . وكتب في كذا .

وفاته

بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة ،
ألقى قتيلاً بببيت من بيوت فندق لببب أحد فنادقها ، وقد ذبح وعُيِّث
به ، وما شعر به إلا بعد ثلاثة ليال من مقتله .

ومن المقرّبين والعلماء

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التلبي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سعيد .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والطهارة ، والزّكا والديانة ، وحسن الخلق .
رأس بنفسه ، وحلّى بفضله ذاته ، وبرز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح
حامل لواء التحصيل عليه بدار الشورى . وإليه مرجع الفتوى ببلده ،
لغزارة حفظه ، وقيامه على الفقه ، واضطّلاعه بالمسائل ، إلى المعرفة

بالعربية واللغة ، والمران في التوثيق ، والقيام على القراءات ، والتبريز
في التفسير ، والمشاركة في الأصلين والقرايض والأدب . جيد الحظ ،
ينظم وينثر . قعد ببئله للتدريس على وفور المسجد . ثم استقل بعد ،
وروي الخطابة بالمسجد الأعظم ، وأقرأ بالمدرسة النصرية ، في ثامن وعشرين
من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ؛ معظما ، عند الخاصة والعامة ،
مقرونا اسمه بالتسويد . وهو الآن بالحالة الموصوفة .

مشيخته

قرأ على الخطيب للقري ، شيخنا أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب
الصالح الفاضل أبي إسحق بن أبي العاصي ، والقاضي العدل المحدث العالم
أبي عبد الله بن بكر ، ولازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البياني ، وأخذ
العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار ، وروى عن الشيخ الرحال
الراوي أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي وغيرهم .

شعره

من شعره في غرض النسب قوله :

خذوا للهوى من قلبي اليوم ما أبقا	فما زال قلبي للهوى كنه رقا
دعوا القلب يضل في لظى الوجدانه	فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الأشقا
سلوا اليوم أهل الوجد ما ذابه لقوا	فكل الذي يلقون بحض الذي ألقا
فإن كان عبداً يسأل العتق مالكا فلا	ابتغى من مالكي في الهوى عتقا
يدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم	إذا سئلوا طرقت الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أدله	يجوزون في يوم الرهان بها سبعا
فكم جمعت طرق الهوى بين أهله	وكم أظهرت عند السرى بينهم قرما

بِسِيَا الهوى تسدو معارف أهله فحيث ترى سِيَا الهوى فاعْرِف الصلحا
 فمن زَفْرَةَ تُزْجِي سحايب زفرة إذا زفرة ترقى فلا عِبْرَةَ ترقا
 إذا سكتوا عن وجدهم أغرت بهم بواطن أحوال وما عرفت نطقا
 ومن منظومه في وداع شهر رمضان المعظم قوله :

أأزمنت يا شهر الصيام رحيلاً وقاربت يا بدر التمام أقولاً
 أجِدك قد جدت بك الآن رحلة رُوَيْدك امسك للوداع قليلاً
 نزلت فأزمنت الرحيل كلما نويت رحيلاً إذ نويت نزولاً
 وما ذلك إلا أن أهلك قد مضوا نَفَانوا فَأَبْصَرْتَ الديار طولاً
 وقفت بها من بعدهم فعل نادى لربح خلا يبكى عليه خليلاً
 لقد كنت في الأوقات ناشئة التّعنى أشدَّ به وطساً وأقوم قبلاً
 ولما انجلى وجه الهدى فيك مُسْتَفْراً سدللت على وجه الضلال سُتولاً
 متى ارتاد مرتادٌ مَقْبِلاً لعثرة أتاكَ فَأَلْفَى للعِشَار مَقْبِلاً
 وناديت فينا صُحْبَةَ الخير أقبلوا بإقبالكم حُزْتَم لَدَى قبولاً
 لقد كنت لـم واصلوك ببرهم حَقِيّاً بهم برّاً لهم ووضولاً
 أقاموا لدين الله فيك شعائراً هدتهم إلى دار السلام سبيلاً
 فكم أطلقوا فيها أعنة جدّهم وكم أرسلوا فيها الدموع همولاً
 دموعاً أثارت سَحَّها رِيح زفرة فسالت وخذت في الخلود مسيلاً
 لديك أيا شهر الهدى قصروا المدى فكم لك في شأو الفضائل طولاً
 دلائل تشریف لديك كثيرة كفى بكتاب الله فيك دليلاً (١)

(١) لم يذكر لنا ابن الخليل تاريخ وفاة ابن لب ، لأنه توفي قبله ، ولكن النسخ أورد في هامش المخطوط ، نقلاً عن ابن فرحون صاحب «الدياج المذهب» وعن الحافظ ابن حجر أن ابن لب قد توفي في سنة ٧٨٢ هـ .

ومن الصوفية والصلحاء

فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المافري

يكنى أبا الحسن من أهل الشرق الأندلسي، أبو الحسن الولي الصالح الصوفي .

حاله

كان ولياً فاضلاً زاهداً ، على سنن الفضلاء ، وأخلاق الأولياء ، غزير العلم ، كثير العمل ، دائم الاعتبار ، مشهور الكرامة ، مُستجاب الدعوة ، صوفياً محققاً ، انتهت إليه الرياسة في ذلك على عهده . يدل على ذلك كلامه على أغراض القوم ، وكشفه عن رموزهم وإشاراتهم ، أدبياً بليغاً ، كاتباً مرسلًا ، لا يُشَقُّ غباره في ذلك . قاوماً على تجويد كتاب الله ، عالي الرواية ، أسنُّ وتناهى وازدلف إلى التسعين ، مُمتعاً بجوارحه ، وولِّي الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم ، أقرأ به مدة كبيرة .

قال ابن الزبير في « صلته » : كان جليلاً في ذاته وخطقه ودينه ، معدوم النظر في ذلك ، مشاركاً في فنون من العلم ، أدبياً بارعاً ، كاتباً بليغاً ، فصيح القلم ، متقدماً في ذلك ، متصوفاً ، سنياً ، ورعاً ، معدوم القرين في ذلك ، متواضعاً ، مقتصدًا في شئونه كلها ، جارياً في خطقه وأفعاله وأحواله ، على سنن السلف ، أحفظ الناس للسانه وجوارحه وأصدقائه ، وأسلمهم عنياً ومشهداً ، وأشدهم تمسكاً بهدى السلف الصالح ، مؤثراً للخمول ، سريع العبيرة ، شديد الخوف لله سبحانه ، تالياً لكتاب الله ، كثير الصوم ، خفيف القدم في حوايج أصحابه ، مشاركاً لهم بأقصى ما يمكنه . له تقايد جوابية عما كان يُسئل عنه في الفن الذي كان يؤثره ،

محروما ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، غير منافر لمذهب الأشعرية ، مالكي المذهب ، له اختيارات يسيرة لا يُفتى بها ، ولا تتعدى علمه .

مشيخته

روى عن أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيدبونه ، وعن أبي العباس أحمد بن محمد بن شهيد ، وأخذ أيضا عن أبي بكر بن محرم ، وأجاز له أبو بكر بن المرابط ، وقرأ على القاضي أبي القاسم بن يحيى بن ربيع ، والقاضي أبي عيسى بن أبي السداد المرسي ، وغيرهم .

من أخباره

وكراماته شهيرة ، فمنها أن رجلا استفتاه ، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع ، فرأى في عالم النوم ، وإثر سؤاله إياه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له ، الحق ما قال لك فلان في المسألة . قال الحاكي ، فبكر إليه الرجل من الغد ، فلما أقبل عليه بموضع إقرايه ، قال له ، ألم ترد أن تستفتي يا أبا فلان إلا من رأس العين ، فبهت الرجل . وأحواله شهيرة :

مولده : ولد عام سبعة وستماية .

وفاته : في الثامن عشر من محرم عام تسعة وتسعين وستماية . ودفن بمقبرة [ريبض]^(١) البيازين مع قومه من صلحاء الشرق ، وكانت جنازته مشهودة .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

ومن العمال الأثرا

فلوج الملحج

مولي يحيى بن غانية .

حاله

كان فلّوج شهما شجاعا ، مهيبا حازما ، نال من مولاه حظوة ، واستعان به على أموره المهمة . وجرى على يده إغرام أهل قرطبة ، وانطلقت على أموالهم يده ، وأثرى وجمع مالا دبرا من الصامت والذخيرة عظيما .

نكبته

وكان يحيى بن غانية قد ولاه حصن بنى بشير ، فثقفه وحصنه ، ونقل إليه أمواله ومتاعه ، وذخيرته . ولما توفي مولاه ، لحق به وملك أمره ، واستعان بجماعة من النصارى ، ثم بدا له لضعف رأيه ، وسوء تدبيره ، أن ألقى بيده إلى ابن أخى مولاه إسحق بن محمد بن غانية ، فأناب ولحق به ، معذرا عن توقفه ، فقبض عليه وصدقه . وعرض عليه العذاب ، وأسكنه فى تابوت ، باطنه مسامير . لا يمكنه معها التصرف ، وأجاعه بمرأى من الطعام بمطبخه ، إلى أن مات جوعا وألما . وهو مع ذلك لا يطمعه فى شيء من المال . وتخلّف بالحصن رجلا من جهة سرقسطة ، يعرف بابن مالك ، ويكنى أبا مروان . فلما ذاع خبر القبض عليه . بادر الموحدون الذين بلّوثة ، فتغلبوا عليه ، واستولوا على ما كان به من مال وذخيرة ، ووجدوا فيه من أنواع الثياب والحلى والذخيرة . كل خطير عظيم ، وشدوا على ابن مالك فى طلب المال . فلم يحدوا عنده شيئا . إلى أن فدى نفسه منهم ، بمال كبير . فمضى فلّوج على هذا السبيل .

ومن المقرّبين والعلماء

قاسم بن عبد الله بن محمد الشَّاط الأنصاري

نزىل سبته ، وأصله من بلنسية ، يكنى أبا القاسم . قال ، والشَّاط
إسم لجدي ، وكان طُوالاً فجرى عليه الاسم .

حاله

نسيج وحده في إدراك النظر ، ونفوذ الفكر ، وجودة القريحة ،
وتسديد الفهم ، إلى حسن الشمايل ، وعلو الهمة ، وفضل الخلق ، والعكوف
على العلم ، والاقتصار على الآداب السنية ، والتحلي بالوقار والسكينة .
أقرأ عمّره بمدرسة سبته ، الأصول والفرائض ، متقدماً ، موصوفاً بالأمانة .
وكان موفور الحظ من الفقه ، حسن المشاركة في العربية ، كاتباً ، مُرسلاً ،
ريّان من الأدب ، ذا مماسّة في الفنون ، ونظر في العقليات ، ضرورة لم
يتزوج ، ممن يتحلى بطهارة وعفاف .

وقال في « المؤتمن » كان مع معارفه ، عالي الهمة ، نزيه النفس ، ذا
وقار وتؤدة في مشيه ومجلسه ، يُشابه وقاره بفكاهة نظيفة ، لا تنهض إلى
التأثير في وقاره ، ظريف الملبس ، يخضب رأسه بالحناء على كبره .

مشيخته

قرأ بسبته على الأستاذ الكبير أبي الحسن بن أبي الربيع وبه تأدب ،
وعلى أبي بكر بن مشليون ، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي ، وعلى
الطبيب أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي خالد العبدري الأبدى ، وعلى
أبي الحسن البصرى ، وعلى خاليه أبي عبد الله محمد وأبي الحسن إبنى
الطرطاني ، وأجازه أبو القاسم بن البراء . وأبو محمد بن أبي الدنيا ،

وأبو العباس بن علي الغماز ، وأبو جعفر الطباع ، وأبو بكر بن فارس ،
وأبو محمد الأنباري ، وغيرهم . وأخذ عنه الجملة من أهل الأندلس من
شيوخنا كالحكيم الأستاذ أبي زكريا بن هُدَيْل ، وشيخنا أبي الحسن بن
الجياب ، وشيخنا أبي البركات ، والقاضي أبي بكر بن شيرين ، وقاضي
الجماعة أبي القاسم الحسن الشریف ، والوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين
أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي أبي القاسم بن سلمون ، وغيرهم .

شعره

وكان يقرض أبياتاً حسنة من الشعر ، فمن ذلك قوله يُذِيلُ أبياتاً
لأبي المطرف بن عميرة وهي :

فَصَلَّ الْجَمَالَ عَلَى الْكَمَالِ بِخَدِّهِ	وَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَسَطَهُ
عَجِبًا لَهُ بَرَهَانُهُ بِشَرْطِهِ	مَعَهُ فَمَا مَطْلُوبُهُ بِالسَّفْسَطِهِ
عَلِمَ التَّبَايِنَ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّمَا	مِنْهَا [مَفْرَطَةٌ وَغَيْرُ مَفْرَطَةٍ] (١)
فِيهِ رَأَتْ وَجْهَ الدَّلِيلِ وَفِرْقَهُ	أَصْنَعَتْ إِلَى الشُّبُهَاتِ فَهِيَ مَوْرَطُهُ
فَأَرَادَ جَمْعَهَا مَعًا فِي حِكْمَةٍ	هَذِي بِمُنْتَجَةٍ وَذِي بِمَغْلَطَةٍ

ومن شعره قوله :

وإني سلكتُ من انقباضي مسلكا	وجريتُ من صمّتي على منهاج
وتركت أقوال البرية جانبا	كي لا أُمِيزَ مَادِحًا مِنْ هَاجِ

دخوله غرناطة

ورد على غرناطة عند تصير سبته إلى الإيالة النصرية مع الوفد من
أهلها ببيعة بلدهم ، فأخذ عنه بها الجملة ، ثم انصرف إلى بلده . قال شيخنا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مفروقة وغير مفروقة) .

أبو البركات ، وأنشدنا لنفسه :

قلت يوماً لمن اتخذت هواه قال إني خشيت منك ملاماً
لم تأب الوصال وهو مباح وأنشدنا :
ملءة قد تبعتها وشريعة وغزال أنس سلّ من ألقاظه
وتسوم المحب سوء القطيعة وبخذه من ذلك أعدل شاهد
فتركت الوصال مدّ ذريعة

وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيباً إلى بلده :

سيفا أراق دم الفؤاد بسله مالي أطالبه فيدحض حجتي
يقضى بآن الفتك به من فعله وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيباً إلى بلده :

ودى يُطلُّ وشاهدى من أهله يا أهل غرناطة إني أودعكم
وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيباً إلى بلده :

تركت قلبي غريباً في دياركم عساه يلقي لديكم حرمة الجار

توالياه

منها « أنوار البروق في تعقب مسایل القواعد والفروق ». « وغنية الرابض في علم الفرائض ». وتحريير الجواب في توفير الثواب . وفهرسة حافلة . وكان مجلسه مألفا للصدور من الطلبة ، والنبلاء من العامة ، حدثني شيخنا القاضي الشريف أبو القاسم ، قال ، كان يجلس عند رجل خياط من أهل سبتة ، يعرف بالأجد من العامة ، فأخذ يوماً يتكلم عن مسألة ، فقال متمثلاً كما تقول الأجد الخياط فعل كذا ، ثم التفت معتزلاً يتبسم وقال ، أتمثل بك ، فقال الأجد بديهية ، إذا يا سيدي أعتق عليكم ، إشارة إلى قول الفقهاء ، [العبد يُعتق على سيده ، إذا مثل به] ^(١) فاستظرف قوله .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال كالاتي (أن العبد إذا مثل به عتق) والعبارة الأولى أوضح وأنسب للسياق .

مولده : في ذى قعدة من عام ثلاثة وأربعين وستماية بمدينة سبتة
وفاته : توفي بها في آخر عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وقد استكمل
الثمانين .

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن جابر .

حاله

كان رحمه الله من جلة أهل العلم والفضل ، حسن الأخلاق ، مليح
الحديث ، غذب الفكاهة ، لطيف الحاشية ، على دين والتزام سنة .
رحل إلى المشرق ، فلقى العلماء ، وأخذ عنهم ، وكلف بعلم الجدل ، فقرأه
كثيرا ، وبهر فيه . وورد على غرناطة من رحلته ، فأقرأ بها الأصول وغيرها
من جدل ومتطق وفقه .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة ، والأستاذ
خاتمة المقرئين أبي جعفر بن الزبير ، وولى القضاء ببسطة ، ثم كلف
بالإقراه وعكف عليه ، فلم ينتقل عنه .

من أخذ عنه : أخذ عنه كراسة الفخر المسماة « بالآيات البيئات » .
وكان قائما عليها ، جملة من شيوخوا ، كالأستاذ التعاليمي أبي زكريا بن
هذيل ، والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن البياتي

شعره

وله شعر أنشدنا الشيخ أبو القاسم بن سلمون ، قال أنشدنا في شيخنا
ابن جميل قوله :

إن أطلع الشرقُ شمسَ دُنْيَا قد أطلع الغربُ شمسَ دِينِ
وبين شمس وبين شمس ما بين دُنْيَا وبين دِينِ
مولده : ولد بغرناطة عام تسعة وستين وستاية .

وفاته : توفي بها في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر وسبعماية .

قاسم بن يحيى بن محمد الزُّروالى

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن دِرْهم ، مالتقى أصله من جبال تاغسى ،
ودخل غرناطة وقرأ بها .

حاله

من تذييل صاحبنا القاضى أبى الحسن ، قال فيه : كان رحمه الله
واحد زمانه ، ينبوع الحكمة ، يتفجر من لسانه ، وعنوان الولاية على
طَيْلسانه . ومن « عايد الصلة » : كان رحمه الله علما من أعلام الزهد
والورع والديانة ، والتقلُّل من الدنيا ، والعكوف على تجويد كتاب الله
وإقرايه ، منقطع القرين فيه ، كثير المناقشة والتحقيق ، يرى أن ليس
في الأرض من يحكم ذلك حق إحكاه ، مالم يأخذه .

مشيخته

قرأ على جملة من حملة كتاب الله بالشرق والمغرب والأندلس ، وعُنى
بذلك . ثم لم يعتمد منهم إلا على الأستاذ أبى إسحق العافى بسببته ، والخطيب

أبي جعفر بن الزيات ببُلُش من الأندلس ، واستمرت حاله على سبيلها من الزهد والانتقباض والتنطع ، والإغراق في الصلاح ، والشُّلوذ في بعض السجايا إلى أن توفى .

بعض من نوادره مع اخشيثانه : حدثني القاضي أبو الحسن بن الحسن ، أن بعض الطلبة المنتسكين قال له ، أتيتك أقرأ عليك ، فاستخير الله ، ثم أتاه فقال قد استخرت ، وهم بالقراءة ، فقال له الشيخ . إمسك حتى أستخير أنا الله ، في قرائتك عليّ ، فقال الطالب ، وهذا عمل برّ ، فقال له الحجة عليك . فانفصل عنه . ثم عاد إليه يسأل منه القراءة ، فقال ، يا بني ظهر لي أن لا تقرأ عليّ ، فانصرف .

ومن أخباره في الكرامة ، قال لي المذكور ، وقد أزمعت السفر إلى ظاهر طريف مع جَمع المسلمين ، أنك إن سافرت^(١) يا ولدي ، تُقاسي مشقة عظيمة إن سبق القدر بحياتك ، والله يُرشدك ، وقد كنت شرعت في ذلك مع رفقائي . وفي سحر ليلة اليوم ، الذي انهزم فيه المسلمون ، رأيته في النوم يقول لي منكراً عليّ ، قلت لك لا تسافريكررها ، فاستيقظت وأوقع الله بقلبي الرجوع إلى الجزيرة ، لأراب أقضيها ، فما بلغ زوال الشمس من اليوم ، إلا ومُقدّمة الفلّ على أطواق البلد في أسوأ حال .

وفاته

توفى ببلدة مالقة خامس صفر ، من عام خمسين وسبعماية في وقعة الطاعون^(٢) ، توفى وآخر كلامه ، رزقنا الله عملاً صالحاً يقربنا إليه زُلُوقاً ، وجعلنا من يمر على عُقبتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (تدافر) .

(٢) سبق التعريف بوقعة الطاعون أو الوباء الكبير (راجع المجلد الأول من الإحاطة ج ١

ومن الكتاب والشعراء

قرشى بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب بن القاسم

ابن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني

حاله

هو أعرق الناس في الشعر ، لأن جده المهلب كان شاعرا ، وولده هندی كذلك ، وأسد وحارث وقرشى فهم شعراء سنة على نسق ، ويدل شعرهم ، على شرف نفوسهم ، وبعد همهم .

شعره

قال أبو القاسم الغافقي ، من شعره قوله في هاشم بن كعب التميمي من أنجد الفرسان ، قتل في يوم ، خمسة من أنجاد المولدين :

هجرتُ القوافي والظُّبا الأوانسا	وودعتُ لذاتي نعم واللواعسا
ورعت فؤادي بالمشيب عن الصبا	وأصبحت عن عهد الغواية يائسا
أبا خالد مازلتُ مذ كنت يافعا	لكل سنات المكارم لابسا
فما حملت أنثى كمثلك سيِّدا	ولا حملت خيلٌ كمثلك فارسا

قاسم بن محمد بن الجد العمري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالورسيدي ، من أهل ألمرية ، وتكرر وروده على غرناطة .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، كان حسن الأخلاق ، سليم الصدر ، بعيدا

عن إذابة الناس بيده أو لسانه بالجملة ، له خطأ لا بأس به ، ومعرفة بالعدد ، وسلك الطريقة الزمامية ، وله حظ من قرّض الشعر . وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أئمة أهل الزمام ، خليق برعى الدمام ، ذو حظ كما تفتّح زهر الكمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام . كان ببلده محاسبا ، في لجة الأعمال راسبا ، صحيح العمل ، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل .

شعره

قال يمدح المقام السلطاني :

أرى أوجه الأيام قد أشرفت بشرا
وما بال أنفاس الخزامى تعطرت
ونقبت الشمس المنيرة وجهها
وما زالت بأغصان الرجال أريحية
فماذاك إلا أن بدا وجه يوسف
خليفة رب العالمين الذي به
وجرت على أعلى المجرة ساحيا
وقام بأمر الله يقضى ويقتضى
وأربنى على كل الملوك وفاتهم
وهي طويلة ، ومن شعره أيضا قوله :

من أين أقبلت يانسيم
ولا عدمناه سنك سرى
بلغ سلامي أهيل ودى
قل لهم صببكم مشوق
جادت بساحاتك الغيوم
حسل به عندنا النعيم
بلغك الله ما تروم
أنحله وجدّه القديم

لطللما يسهر الليالى
 هبوا رضاكم لىدى غرام
 إن غبتم عن سواد عيني
 لوثر ساعد السعد أن أراكم
 يا حادى العيس نحو أرض
 إذا أتيت اللوى وسلفا
 ولاح بالأبرقنين بدر
 فقل غريب ثوى بقرب
 قد أنقلت ظهره الخطايا
 إن أعمل الحزم لارتحال
 لمنى هذا الشباب ولئى
 يارب عفوا لىدى اجترام
 مالى شفيع سوى رجائي
 فلا تكلنى إلى ذنوبى

وطى أضلاعه جحيم
 مازال قُدماً بكم بهم
 فحبكم فى الحشى مُقيم
 لما اشتكى قلبى السقيم
 بنية قدرها عظيم
 وبان للناظر الحطيم
 بسيره تهدى النجوم
 فى بحر أوزاره يعوم
 وشجبت ذكره الرسوم
 أقعد ذنبه العظيم
 والقلب فى غيبه مُقيم
 لا تهتك الستر يا حلیم
 وحسن ظنى أيا كريم
 وارحمنى يا الله يا رحيم

وفاته : توفى فى وقية الطاعون عام خمسين وسبعماية .

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمى

من أهل سبته ،

حاله

من خط صاحبنا القاضى أبى الحسن بن الحسن . قال ، كان شيخا

يتقد ذكاء . رحل عن سبتة إلى الحجاز ، فقصى الفريضة ، وتطور في البلاد الشرقية نحواً من أربعة عشر عاماً ، وأخذ بها عن جلة من العلماء . وورد على غرناطة في حدود عام ثمانية عشر وسبعماية ، فأخذ عن بعض أسيانها ، وعاد إلى بلده ، وكان على خزانة الكتب به ، وكان يُقَرَأ القرآن به ، قال ، وأنشدني لما لقيته بيتاً واحداً ، يحتوى على حروف المعجم ، وهو :

قد ضم نصر وشكا بئنه مدهسختُ عضُّ على الإبط

مشيخته

أخذ بالمشرق عن جماعة ، منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدمشقي الحجار ، والشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازي ابن جميل ، قرأ عليه كتاب ابن الحاجب ، وحدثه به عن مؤلفه ، وقرأ على الشيخين المقرين الجليلين ؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق المعروف بابن الضايح وأبي عبد الله بن يعقوب الجراش المقدسي ، جملة من الكتب الحديثية وغيرها ، وسمع عليهما كتاب « الشاطبية » وحدثناه بها معاً عن المقرئ أبي الحسن علي كمال الدين بن شجاع العباسي الضرير ، عن صهره مؤلفها .

توابعه : قال : له في القراءات تقييد حسن سماه « الشافي في اختصار التيسير الكافي »

وفاته : توفي أيام الطاعون العام^(١) ببلده .

قاسم بن خضر بن محمد العامري

(١) الطاعون العام حسبما سبق التعريف به اجتاج الأندلس في سنتي ٧٤٩ و ٨٧٥٠ .

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن خضر هكذا ، دون تعريف . يعرف سلفه ببني عمرو من أهل المرية .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات ، كان هذا الشيخ من وجوه المرية ، ومن تصرف سلفه في خُطّة القضاء بها . وهو أقدم خطيب أدركته بسني بجامعة الأعظم . وكان شيخا عفيفا من رجال الجد ، ضيق العطن ، سريع الغضب ، غيورا على تلك الخطة ، لا يُحلى بعينه أحد . لما مات رفيقه في الصلاة والخطبة ، الشيخ الشهير عند العامة ، ثالث اثنين ، الخراسي والنطية ، أبو عبد الله بن الضايغ ، فكل من عرض عليه أن يكون معه أباه ، فقال أهل البلد ، فما العمل ، فقال يُكتب إلى أبي القاسم ابن الحاج إلى سبتة ، ليأتي إلى أرض سلفه ، ويكون رفيق في الصلاة والخطبة ، يعني عمي ، فكتب إليه بذلك ، فكانت المسألة عند الآخر ، أهون من أن يجيب على الكتاب ، ولو بالإبابة ، فبقي الأمر إلى أن قدم معه الشيخ الصالح الخطيب المصقع أبو الحسن بن فرحون البلقي ، فلم يجد فيه قادحا إلا كونه ليس من أهل البلد ، فبقي مرافقا له إلى حين وفاته

غريبة : قال الشيخ أخبرتني جدتي عائشه بنت يحيى بن خليل ، قالت ، كان الرجل الصالح ، أبو جعفر بن مكنون خال قاسم بن خضر هذا ، فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة المرية ، فقال له من يكون خطيب المرية يلعب ، فبقيت في حفظه إلى أن ولى الخطابة .

وفاته : توفي في صفر من عام ثلاثة وسبعماية ، وكانت جنازته مشهودة

حرف السين

سوار بن حمدون بن هبده بن زهير بن ديسم بن قديدة بن هنيذة

وكان عالماً من أعلام العرب ، وصاحب لواء قيس بالأندلس ، ونزل
جده^(١) بقرية قربسنة^(٢) من إقليم البلاط من قرى غرناطة ، وبها أنسل
ولده ، ولم يزلوا أعلاما ، إلى أن ظهر سوار هذا منهم في الفتنه .

حاله وبعض آثاره وحروبه

قال أبو القاسم ، كان سوار هذا بعيد الصيت ، رفيع الذكر ، شجاعا ،
مُحيا في الظهور ، حامي العرب وناصرهم . وكان له أربعة من الإخوة ،
مثله في الشجاعة ، حضروا معه في الحروب في الفتنه ، وهو الذي بنى
المدينة الحمراء بالليل ، والشَّمعُ تَزهرُ لعرب الفحص ، وبنى مدينة وادي آش
لبنى ساي ، وبنى مدينة مُنتيشة لبني عطاف ، وبنى مدينة بَسطة لبني
قحطبة ، وبنى مَسيرة ، وبنى كورة جيان للعرب . ولولا أن الله من على العرب
يسوار ونصره ، لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدا . وأنسل سوار ،
عبد العزيز المقتول بمنتشافر ، وعبد الرؤوف وعبد الملك .

مبدأ أمره وحروبه وشعره

قال أحمد بن عيسى بعد اختصار ، في صدر هذه السنة ، يعنى سنة
خمس وسبعين ومائتين ، ثار سوار بن حمدون بناحية البراجلة من كورة
إلبيرة ، وانضوت إليه العرب ، قام على تفئة مهلك يحيى بن صقالة
أميرهم ، قتل المُسالمة والمولدين ، فطلب بثأره ، وكثرت أتباعه ،

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) قربسنة وبالإسبانية Caparacena من قرى غرناطة وتقع غربها على فرع نهر شنيل .

واعترت العرب به . وقصد بجمعه إلى ست شافر، وبه من عدوه المذكورين نحو من ستة آلاف رجل نازلهم حتى قهرهم . وطاف على حصونهم فافتتحها ، وقتل وغنم ، وتنادوا لقتاله في جموع عظيمة ، عليها جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله ، وبرز إليهم فيمن برز ، وناشبههم الحرب ، فانهمزوا فقتل منهم خلق خُرُزوا بسبعة آلاف ، وأسر جعد ، ومن عليه وأطلقه ، وكانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقية جعد . وغلظ ، واستند إلى حصن غرناطة ، بالعرب من مدينة البيرة . وكانت العرب يتألبون على المولدين ، إلى أن عزل الأمير جعداً عن الكورة إرضاء لسوار ، فأظهر عند ذلك الطاعة ، وغزا الحصون الراجعة إلى ابن حفصون فأوقع بهم ، فهاجمهم ، واجتمعت عليه كلمتهم ، فقصلوه وحصروه بغرناطة في نحو عشرين ألفاً ، وبرز إليهم في عدده القليل من عبيده ، ورجال بيوتات العرب من أهل البيرة ، ورجعوا من جبل الفخار على تعبئة ، يريدون الباب الشرقي من غرناطة ، وكادهم لما التحمت الحرب وشب خيراؤها ، بما دبره من انسلاله في لَحْمَة^(١) من فرسانه ، حتى استدبرهم ، فحمل يشعاره ، فاندعروا وانفضوا ، فتوهم حماهم أن مدداً جاءهم من وراءهم ، فولوا منهزمين ، وأعمل سوار وأصحابه السيوف فيهم إلى باب البيرة ، فيقال إن قتلاهم في هذه الوقية الثانية كانوا اثني عشر ألفاً ، وهي الوقية المعروفة بوقية المدينة ، ولاذ المولدون بعد هذا بعمر بن حفصون واستدعوه ، فوافاهم في جيش عظيم ، ودخل البيرة ، وناهض سواراً . وعنده رجالات عرب الكور الثلاث ، البيرة وجيان وريه ، واشتد القتال ، وجال جيش ابن حفصون جولة ، جرح فيها جراحات صعبة ، وكاد سوار يأتى عليه . لولا رجال صدقوه الكر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (خمة) والأول ارجح .

واستنقلوه ، وتمت عليه الهزيمة ، فانقلب على عقبيه ، ونالت الحضرة
معزته ، فأغرم أهلها الذين استجلبوه ما تشعث من عسكره ، واستعمل
عليهم قائده حفص بن المرّة ، وانصرف : ونجح سوار بما تهيأ له على
أعدائه ، فاعتلت همته ، وأجلته العرب ، وعلا في الناس ذكره ، وقال
الأشعار الجزلة ، فيما تهيأ له على المولدين ، وأكثر الافتخار بنفسه ، فشهر
من قوله في ذلك :

صَرَمَ الغَوَانِي يَا هُنَيْدُ مودني إِذْ شَابَ مِفْرَقَ لِمَتِي وَقَدَالِي
وَصَدَدْنُ عَنِي يَا هُنَيْدُ وَطَالَمَا علقَت جِبَالٌ [وصالها بجبال] (١)
وهي طويلة ، أكثر فيها الفخر ، وألم بالمعنى :

وفاته

ولما انصرف عمر بن حفصون وترك قائده بالبيرة ، جهز معه طائفة
من خيله ، وأقره لمُغَاوَرَةَ سَوَارٍ ، وكرّك النيل لديه ، وأعمل حفص
جهده ، وطلب غرته ، فأمكنه الله منه ، وأنه دنا إليه يوما ، وقد أكنن
أكثر خيله ، وظهر له مُسْتَغِيرًا بجانب من حصنه ، فخرج سوار مبادرا
من غرناطة لأول الصبحة في نفر قليل ، لم يحترس من الحيلة ، التي
يحلرها أهل الحزم ، فأصحر لعدوه ، وخرجت الكماين من حوله ،
فقتل وجى بجثته إلى البيرة ، فذكر أن الثكالي من نسايم قطع لحمه
مرقا ، وأكله حنقا (٢) لما نالهن من الثكل . وكان قتل سوار في سنة سبع
وسبعين ومايتين ، وقتلت العرب بقتل سوار ، وكل حدها بما نزل بها .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي نص آخر (وصالهن جبال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حقدا) .

سليمن بن الحكمة بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله

أخليفة بقرطبة

المكنى بأبي أيوب الملقب من الألقاب الملوكية بالمستعين بالله .
أوليته : معروفة .

حاله

كان أديبا شاعرا ، مجموع خلال فاضلة ، أصيل الرأي ، راجح العقل ، ثبنا . ولى الخلافة غالبا ، وقَعصا ، ومنازعة ، وأوقع بأهل قرطبة وقائع أبادتهم . وخلع ثم عادت دولته ، وجرت له وعليه الهزائم ، على قصر أمد خلافته ، لقيام البربر بدعوته ، وتدويخ البلاد باسمه ، في أخبار فيها عبرة ، دخل في بعض حركاتها وهولاتها المُبيرة^(١) ، إلى أن طحنته رَحَى الفِتنة ، وشيكا عن دنيا غير هنيئة ، وصُبابة ليست بسنيئة

شعره

من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة للرشيد^(٢) .

عجبا يهاب الليثُ حدَّ سناني	وأهاب لَحْظَ فواتر الأَجْبان
فأقارِع الأَهْوال لا مُتَهيبا	منها سوى الإِعْراض والهَجْران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمي	زهر الوجوه نواعم الأَبْدان
ككواكب الظُّلْماء لَحْن لناظري	من فوق اغْصان علي كُنْشان
هذي الملال وتلك أخت ^(٣) المشتري	حُسْنًا وهذي أخت غُصْن البان
حاكمت فيهن السلو إلى الهوى	فقضى بسُلطان على سُلطان

(١) وردت في الإسكوريال لبيرة ، والتصويب أنسب للسياق .

(٢) مقطوعة الرشيد المشار إليها مطلعها : « ملك الثلاث الآذونات عنان » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص آخر (بت)

فأَبْحَنُ من قَلْبِي الجَمِي وتَرَكْتَنِي فِي عَزِّ مُلْكِي كَالأَسِيرِ العَانِ
لَا تَعْدِلُوا مَلِكَا تَذَلُّ لِلهَوَى ذَلُّ الهَوَى عَزُّ وَمَلِكُ ثَانِ

مقتله

قتله علي بن حمود المتقدم الذكر ، متولى الأمر بعده ، صبراً بيده ،
بدم هشام المؤيد ، وقال لما زحف إليه ، لا يقتل الزُّلطان إلا الزُّلطان ،
يعنى السُّلطان ، إذ كان بربرى اللسان ، وذلك في أخريات المحرم من سنة
سبع وأربع مائة .

سليمن بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
يكنى أبا أيوب .

حاله

كان شهماً جريئاً ، أنوفاً شجاعاً ، ديناً فاضلاً . ولما توفى أبوه بقصر
قرطبة ، وهشام وأبو أيوب هذا غائبان ، وكل ابنه عبد الله ، المعروف
بالبلنسى ، وقال من سبق إليك من أخويك ، فارم إليه بالخاتم ، فإن
سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه . فإن سبق
إليك سليمان ، فله فضل دينه ونجده ، وحب الشاميين له . فقدم هشام
من ماردة ، وتولى الخلافة قبل سليمان . واتصل ذلك بسليمن ، فأخذ
لنفسه البيعة بطليطلة ، وما اتصل بها ، ودعا إلى نفسه (١)
وواضح أخاه الحرب غير ما مرة ، تجرى عليه في كلها الهزائم ، إلى أن
تبرم بنفسه ، وأجاز البحر عن عهد إلى ستين ألفاً بذلت له ، واستقر
بأهله وولده ببلاد البربر . ولما صار الأمر للحكم بن هشام ، عاد إلى

(١) يياض في المخطوط .

الأندلس سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان اللقاء في شوال منها ، فانهزم سليمان ، ثم عاد للقاء فانهزم . وفي سنة أربع وثمانين حشد ، واحتل بجيان ثم بالبيرة ، والتقى بها مع الحكم ، ودام القتال أياما ، حتى هم الحكم بالهزيمة ، ثم انهزم سليمان ، وقتل في المعركة بشر كثير ، وأفلت سليمان إلى جهة ماردة . وبالتقاء الحكم وعمه سليمان بالبيرة وأحوزاها ، إستحقا الذكر هنا على الشرط المعروف .

وفاته : وبعث الحكم أضيغ بن عبد الله في طلب سليمان ، فأسره وأتاه به ، فأمر بقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة . قتل في سنة خمس وثمانين بعدها .

سعيد بن سليمان بن جودي^(١) السعدي

حاله

كان سعيد بن سليمان صديق سوار ، فغصبت العرب الإمارة به بعده ، وعلقت به ، فقام بأمرها وضم نشرها ، وكان شجاعا بطلا ، فارسا مجربا ، قد تصرف مع فروسيته في فنون من العلم ، وتحقق بضروب من الآداب ، فاغتنى أديبا نحريرا ، وشاعرا مُحسنا ، واتصل قيامه بأمر العرب إلى أن قُتل .

شعره

ومن شعره في وقية سوار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة :
قد طلبنا بثأرنا فقتلنا منكم كل مارق وعنيد

(١) وردت في الإسكوريال (جود) والصواب ما أثبتناه .

قد قتلناكم بيحيى وما
 هجتم يا بنى العبيد ليوثا
 فاصطلوا حرها وحد سيوف
 حاكم ماجد يقود إليكم
 مهذب من نزار وعميد
 يطلب الثار بابن قوم كرام
 فاستباح الحما لم يبق منها
 قد قتلنا منكم ألوفاً فما
 مثله لما أضاف إليهم
 قتله عبيد سوء لئام
 لم يصيبوا الرشاد فيما أتوه
 قد غدرتم به بنى اللؤم من
 فلئن كان قتله غدره
 كان ليثأبحمى الحروب وحصناً
 كان فيه التقى مع الحطم
 عال مجد الأمجاد بعدك
 فجزاك الإله جنة عدن
 أن كان حُكْم الله بالمردود
 لم يكونوا لجارهم بقعود
 تلظى عليكم بالوقسود
 فئة سادة كمثل الأسود
 ما مثله من عميد
 أخذوا بالعهود قبل المهود
 غير عان فقدته مضافود
 يعدل قتل الكريم قتل العبيد
 لم يكن قتله برأى سيد
 وفعال العبيد غير حميد
 لا ولا كان جدّهم لسعود
 بعد يمين قد أكدت وعهود
 ما كان بالنكس لا ولا الرعيد
 وملاذا وعصمة المقصود
 والبأس وجود ما مثله جود
 قديماً وقت كل مجيد
 حيث يجزى الثواب كل شهيد

مقتله

قال الملاحى ، كان من الأعلام ، وعُدَّ في الشعراء والفرسان والخطباء
 والبلغاء ، خطب بين يدي الخليفة^(١) المنذر ، وهو حدث ، أول ما أفضت
 الخلافة إليه ، وعليه قباء خز ، وقد تنكب قوساً عربية ، والكنانة بين
 يديه . خطب خطبة بليغة ، وصلها بشعر حسن ، ولم يزل اللوا يتردد

عليه في العز والمقام ، ويخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع بالبيرة .
وسجل له الخليفة^(١) عبد الله على الكورة ، إلى أن هم بالقيام على
بنى أمية عندما اشتدت شكيمته ، وظهر على عمر بن حفصون إلى أن قتل
بسبب امرأ ، تمت عليه الحيلة لأجلها بدار يهودية ، إذ كان منحطاً في
هوى نفسه ، فطاح في ذى قعدة سنة أربع وثمانين ومايتين ، وصار أمر
العرب بعده إلى محمد بن أضحى حسبما يتقرر في مكانه .

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
صدر هذا البيت ، وياقوتة هذا العقد ، يكنى أبا الحسن . قال
أبو جعفر بن مسعدة ، كان رأس الفقهاء وخطيب الخطباء البلغاء ،
وخاتمة رجال الأندلس . تفنن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله
ووصفه في أقطار الدنيا ، لا يُجمله أحد ، فحدث عن البحر ولا حرج ،
ضمن الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان من أعيان مِصْرِهِ ، وأفضل أهل عصره ،
تفناً في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثاً ضابطاً ، عدلاً ثقة
ثبتاً ، حافظاً للقرآن العظيم ، مجوداً له ، متقناً في العربية ، وافر النصيب
من الفقه وأصوله ، كاتباً مجيداً للنظم في مُعْرَبِ الكلام وهزله ، ظريف

(١) إن تعبير ابن الخطيب هنا بالخليفة إشارة إلى أمير الأندلس المنذر بن محمد بن عبدالرحمن
الذي حكم من (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وأخيه الأمير عبد الله الذي حكم من (٢٧٥ - ٢٨٠ هـ) إنما هو
تجاوز في التعمير ، ولا يطابق الوضع التاريخي الصحيح . لأن الخلافة الأندلسية لم تقم إلا على يد
عبد الرحمن الناصر في سنة ٢١٦ هـ (٩٢٩ م) . وهو أول خولفاء بني أمية بالأندلس .

الدعابة ، مليح التندير . له في ذلك أخبار مُستظرفة مُتناقلة ، ذا جدّة
ويَسار ، متين الدين ، تام الفضل ، واسع المعروف ، عميم الإحسان ،
تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله ورياعه ، وله
وفادةٌ على مراكش .

مشيخته

روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس ، وخال أمه أبي بكر
يحيى بن محمد بن عروس ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي الحسن بن كوثر ،
وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس . وبمالقة عن
أبي زيد السُهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخار . وبمرسية عن أبي عبد الله
ابن حُميد ، وأبي القاسم بن حُبَيْش . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجَدِّ ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبوي عبد الله العباس بن مضاء ، والجرأوى
الشاعر ، وأبي الوليد بن رشد . قرأ عليهم وسمع ، وأجازوا له . وأجاز
له من أهل الأندلس أبو محمد عبد الله نزيل سبتة ، وعبد الحق بن الخراط
نزيل بجاية . ومن أهل المشرق جماعة ، منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم
الجرأوى ، وبركات بن إبراهيم الخشوعي أبو الطاهر ، وعبد الرحمن
ابن سلامة بن علي القضاعي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

من روى عنه : روى عنه أبو جعفر بن خَلَف ، والطوسي ، وابن سعيد
القرزاز ، وأبو الحسن العنسي ، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري ، وابن الجنان ،
وأبو محمد عبد الرحمن بن طلحية ، وأبو محمد بن هرون ، وأبو القاسم
ابن نبيل ، وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عقاب ، وأبو جعفر الطباع ،
وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو الحسن الرُعيني ، وأبو علي بن الناظر ،
وغيرهم .

ثناء الأعلام عليه : والمجال في هذا فسيح . ويكفي منه قول أبي زيد

الغزاري :

عجبا للثام تاهوا بثنّيات المسالك
وصّفوا بالفضل قوما وهم ليسوا هنالك
كثر النّقل ولكن صحّ عن سهل بن مالك

شعره

وشعره كثير مما ينخرط في سلك الجيد [فمن ذلك] قوله :
نهارك في بحر السّفاهة يسبح وليلك عن نوم الرّفاهة يُصبح
وفي لفظك الدّعوى وليس إزاءها من العمل الزاكي دليل مُصحّ
إذا لم توافق قولة منك فعلة فقي كل جزء من حديثك تفصح
تنحّ عن الغايات لست من أهلها طريق الهويناء في سلوكك أوضح
إذا كنت في سن النبي غير صالح فقي أيّ سن بعد ذلك تصلح
إلى كم أماسيها على الرّغم غاية يُصيب المزكي عندها والمجرّح
وعليها ألا تنو ولا تني فتُحسن في عين الشّيبان وتُقبّح
عسى وطرّ مونق فالتمس الرّضا واقرع أبواب الرّشاد فتفتح
فقد ساء ظني بالذي أنا أهله وفضلك يا مولاي يعفو ويصفح

وقال في تشييع بعض الفقهاء من غرض الأمداح :

يلقاك من كل من يلقاك ترحيب ومن خليفتها عز وتقريب
وتصطفيك إلى أحوازها رتب لما على مفرق الجوزاء ترتيب
تأتي إليك بلا سعي بلا سبب كأنّ ترّكك للأسباب تسبب
من كل مشغوفة بالحسن دام لها إلى غنائك تصعيد وتصويب
يلقاك بالبشر والإقبال خاطبها وحظها منك إعراض وتقطيب

كَأَنَّ زَهْدَكَ فِيهَا عَنْكَ تَرْغِيبٌ
 إِلَى لِقَائِكَ إِجْرَاءٌ وَتَقْرِيبٌ
 عَذْبُ الزُّلَالِ وَلِلْبَاغِينَ تَعْدِيبٌ
 حَتَّى تَلَاقَ عَلَيْهَا الشَّاةُ وَالذَّيْبُ
 وَلَا سَبْتَهَا الْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبُ
 فَهَمُّهَا الْبَيْضُ وَالْجُرْدُ السَّلَاهِيبُ
 عَلَى أَفْقِ الْأَفْسَاكِ تَطْنِيبُ
 كَأَنَّهَا لَكَ فِي الْمَشْرُوبِ شَرِيبٌ
 سَهْمٌ إِلَى طَلَبِ الْعَلِيَا طَبَايِيبُ
 وَإِنْ سَمِعْنَا كَلَاماً فَهُوَ تَأْدِيبُ
 أَعْلَاقُ مَالٍ وَأَغْلَاقُ وَتَهْدِيبُ
 إِنْ نَابَ خَطْبٌ فَمَنْ جَدَّوَاهُ تَأْنِيبُ
 وَقَدْ أَضْرَبَهَا بَعْدُ وَتَغْرِيبُ
 بَسْطٌ وَقَبْضٌ وَتَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبُ
 مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ تَتْرِيبُ
 مِثْلٌ وَإِنْ طَالَ تَنْقِيرٌ وَتَنْقِيبُ
 عَدْلٌ كَمَا اعْتَدَلَتْ فِيهِ الْأَنْبَابِيبُ
 وَذَكَرَ فَضْلَكَ لِلْأَرْوَاحِ تَشْبِيبُ
 بِنَفْحَةِ الطَّيِّبِ يُدْرَى أَنَّهُ طِيبُ
 رَحْبِ الْمَجَالِ وَاللَّاحَانَ تَطْرِيبُ
 يَهَابُكَ الدَّمْرُ وَالشُّبَانُ وَالشَّيْبُ
 لَهَا عَلَى أَفْقِ الْأَمْلاكِ تَطْنِيبُ

مَا زِلْتُ تَرْغَبُ عَنْهَا وَهِيَ رَاغِبَةٌ
 فَاتَهَضُّ إِلَيْهَا فَلَوْ تَسْتَطِيعُ كَانَ لَهَا
 يَحْيَى وَتَحْيَى فَلِلْبَاغِي مَوَاهِبُهَا
 سَارَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ سِيرَتَهَا
 لَمْ تُصِبْهَا لُدَّةُ الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا
 إِذَا أَمَّهُ بَنَى الدُّنْيَا نَعِيمَهُمْ
 فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَضْرُوبٌ سُرَادِقُهَا
 كَرَّحَتْ فِي ظِلِّهَا الصَّافِي بِسِلْسِلِهَا
 فِي قِيَمَةٍ مِنْ بَنَى الْأَمَالَ قَدْ قَرَعَتْ
 إِذَا حَضَرْنَا طَعَامًا فَهِيَ مَأْدُبَةٌ
 وَمَنْ يَلْدُ بَنَى إِسْحَاقَ كَانَ لَهُ
 يَابَعْدُ السَّرُّ مِنْ قَلْبِي وَيَا مَلِكاً
 هَبْ الْقَرَارَ لِأَمَالٍ مُسَافِرَةٌ
 فَمَنْ يَمِينِكَ وَهَابَا وَمُنْتَظَمَا
 وَمَا يُبْصِرُ كِتَابًا رَاقٍ مَنظَرُهُ إِنْ نَالَ
 لَكَ السِّيَادَةَ لَا يُلْقَى لِسُؤْدَدِهَا
 عَزْمٌ كَحَدِّ سِنَانِ الرُّمَحِ يَصْحَبُهُ
 كِمَالُ نَفْسِكَ لِلْأَرْوَاحِ تَكَلِّمَةٌ
 وَعَرَفْتُ ذَاتَكَ كَافٍ فِي تَعْرِفْنَا
 إِذَا ذَكَرْتَ فَلِلْأَشْعَارِ مَضْطَّرِبُ
 سِرِّ خَيْثِ شَيْتِ مَوْقِيٍّ مِنْ مَكَارِمِهَا
 فِي غُرَّةٍ تَخْتَقِ الْأَيْسَامَ جَدَّتْهَا

ومن غمط النَّسِيبِ والأوصاف قوله وهو بسبته بعد وصوله من مراکش ، وهو
 بما طار من شعره :

لما حططتُ بسبته قَتَبُ النوى^(١) والقلبُ يرجو أن تحول حاله
 والجو مصقول^(٢) الأديم كأنما يُبْدَى الخفي من الأمور صقاله
 عانيت من بلد الجزيرة مسكنا^(٣) والبحر يمنع أن يُصَاد غزاله
 كالشَّكْلِ في المرآة تُبْصِرُه وقد قُرِبَت مسافته وعزَّ دَناله
 ومن شعره قوله رحمه الله :

تبسم واستأثرتُ منه بقبلة كما ستر الليل البهيم نهارا
 ومزَّ فأبدي الريح ترسل شِعْرُه كما رُعت بالزَّجر الغراب فطارا
 فيالك ليلاً بالكئيب قطعته فتقدح في فحَم الظلام شرارا
 تُغْضُ بنا زُهر الكواكب غيرَة ومن ذلك قوله :

ولما رأيت الصبح هبَّ نسيمه دعاني داعيه إلى البين والشَّت
 وقلت أخاف الشمس تفضح سرنا فقالت معاذ الله تفضحني أخت
 ومن الحكم وأبيات الأمثال قوله رحمة الله عليه :

مُنْعَصُ العيش^(٤) لا ياؤى إلى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
 والسَّاكن النفس دن أم ترَض هِمته سُكنى مكانٍ ولم تَسْكُن إلى أحد
 ومن شعره :

ولا يثُل يوم قد نَعِمْنَا بِحُسْنِه مُذهَّب أثناء المروج صقيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الموى) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مقصود) .

(٣) وردت في الإسكوريال (مكنسا) . والتصويب . من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القلب) .

إلى أن بدت شمس النهار ترونا
ولا توارت شمسه بحجابها
وغابت فكان الأفق عند مغيبها
أناها صيفراً يسطع نورها
فردت علينا شمسنا وأصيلنا
ومن نشره قوله يخاطب بني أبي الوليد بن رشد ، تعزيةً في أبيهم ، واستفتحته
بهذه الأبيات :

ألا ليت شعري هل لطالب غاية
مضى علم العلم الذي بيّنه
أجلّائي إني من دموعي بزاجر
وما كان ظنّي قبل فقد أبيكم
ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده
ومن شاهد الأحوال بعد مماته
رجوعاً إلى الصبر الجميل فحقه
أعزيكم في البعد عنه فإنني
فما كان فينا منه إلا مكانه
وصولٌ وأحداثُ الزمان تعوقه
تبين خافيه وبان طريقه
بعيدٌ عن الشطين منه غريقه
بأن مصابا مثل هذا أطيّقه
أبناؤه أم دهره أم صديقه
تيقن أن الموت نحن نذوقه
علينا قضي أن لا توفيّ حقوقه
أهنيه قريباً من جوار يروقه
وفي العالم العلوي كان رفيقه

إيه عن المدامع هلاً تلا انحدار الدمعة انحدارها ، والمطامع هل ثبتت
على قطب مدارها ، والفجائع أغير دار بني رشد دارها ، فإنه حديث
أعطاه مسكراً ، وأستريح الله مفكراً ، وأبشه باعشا على الأشجان مذكراً ،
ولا أقول كفاً وقد ذهب الواخذ الذي كنت تتلافي ، ولا أستشعر صبراً ،
وقد حلّ نور العلم قبرا ، بل أغرق الأجنان بمانها ، وأستدعي الأحزان
بالشهير من أسمائها ، واستوهب الأشجان غمرة غماتها . ثم أتالك تهالك

المجنون ، وأستجير من الحياة برئب المنون ، وأنافر السلوة منافرة
وسواس الظنون ، ولا عتب ، فإذا خامر الواله جزعه ، فإلى تُصيرة المدامع
مفزعُه ، وإذا ضَعَف احتمالُه ، فإلى غَمرة الإغماء مآله ، ومن قال إن
الصبر أولى ، وليته من ذلك ما تولى . أما أنا فاستعيد من هذا المُقام
وأستغفیه ، وأنزّه نفس الوفا عن الحُلول فيه ، فإنه متى بقى للصبر
مكان ، ففي محل الحُزن لقبُول ما يقاومه إمكان ، وقد خان الإخاء وجهل
الوفاء ، من رام قلبه السُّلو ، وألفت عينه الإغفاء . هو الخطبُ الذي
يَقى الهُجود وألزم أعين الثقلين ، وبه أعظم الدهر المصاب ، وفيه
أخطأ سهم المنيّة حين أصاب . فحقنا أن نتجاوز الجيوب إلى القلوب ،
ونتغلب إذا غالبنا الحزن بصفة المغلوب ، وإذا كان الدهر السَّالب ،
فلا غضاضة على المسلوب ، أستغفر الله ، قفا نتذكر من مَفقودنا رضى الله عنه
حِكمه ، ونشاهد بعين البصيرة سيمه ، فأجدهما يكفان من واكف الدمع
ديمه ، ويقولون عندي آسة المصاب ، ومزاحمة الأوصاب ، أمران وقع ،
فقد ضرّ فوق ما نفع ، فإنه لا ألم الحزن شفاه ، ولا حق المصيبة وفاه ،
ولا الذاهب الفايث استرجعه وتلافاه ، فرما جنحت إلى الصبر لا رغبة
فيه ، بل إيثارا لمقصده وتشيعا لتصافيه ، فاستروح رايحة السُّلو ،
وأنحط قاب قوسين أو أدنى عن سِدرة ذلك العلو ، وأقف بمقام الدهش
بين معنى الحزن المستحکم ، ولفظ القرا المتلوّ . فأبكي بكا النساء ،
وأصبر صبر الرؤساء ، وأحرز رزايا الفضلاء ، بفضل رزايا الأخساء ،
موازنة بين هذا الوجود ، ونحل تتعاقب على نحل الجود . فالدهر يسترجع
ما وهب ، كان الصُفراء أو الذهب . وإذا تحقّق عدم ثباته ، وعدم استرجاعه
لجميع هباته ، كان المتعرض لكثيره ، محلا لتأثيره . فلا غرو أن دهمكم

الرُّزْمُ مورد الفلك الدَّابِر منه الجزأ ، فطالما بتم تُرضِعكم الحكمة أخلاقها ،
وتهبكم الخلافة آلافيها ، وتؤملمكم الأيام خلافيها . وإذا صَحِيحت العقول ،
وضمن بما لديه المعقول ، وصارت الأذهان إلى حيث لا تتصور الألسنة ،
بحيث لا تقول ، ورددتم مَعِينا ، ووجدتم مَعِينا ، وافتَضَضْتُموها كمثل اللؤلؤ
المكنون صُورا عينا . أظننتم أن عين الله تنام ، أم رُمْتُم أن يكون صرحا
إلى إله موسى ذلك السنام ، لشد ما شيدتم البناء ، وألزمتم أتباع الأب
الأيمناء ، حتى غَرِق الأول في الآخر ، وصار السلف على ضخامته أقل
المفاجر . ومن علّت في علاها قدم ترقّيه ، ولم يُصب بكماله عينا يحفظ
من عين العليين وبقية ، فكثيراً ما يأتيه محذوره من جهة توقّيه . هذا
أبوكم رضى الله عنه حين استكمل ، فعرّف الضار والشافى ، وتعدّرت
صغانت كماله على الحرف الناقى ، فيالله لفظة أواليها ، وأتبعها زفرة تليها ،
لقد يَحْتَت الأيام عن حَتْفها بِظِلْفها ، وسعت على قدمها إلى رغم أنفها ،
فهن لهب الوصل ، ولرعى الوسائل ، وإلى من يلجأ في مُشكلات المسائل ،
وبن المجيب إذا لم يكن المسئول بأعلم من السائل . اللهم صبرنا على
فقد الأتس بالعلم ، وأدلنا من خُفوف الوكّه بوقار الحلم ، وأخلفه في
بنيه وعامة أهليه ، بشبيه ما أوليته في جوارك المقدس وتوليّه . وإليكم
أبها الإخوة الأولياء ، والعلية الذين عليهم قُصرت العلياء . أعتذر من
اتبخاذ الشيء من الكلام بنقصه الأشياء . فقد خان في هذا الزمان ، حتى
اللسان ، وفقد منه حتى الحسان ، وليس لتأبين محمد صلى الله عليه وسلم
إلا حسان ، فالعذر مُنفسح المجال . وإلى التقصير في حق رُزْمكم الكبير
نصير في الروية والارتجال . ولذلك عدلت إلى الإيجاز ، واعتقدت في
إرسال القول في هذا الموضع ضربا من المجاز . ومبلغ النفس عُذرها مع

لعجز كالصَّابِر للإعجاز . وأما حسن العزاء على تماقُب هذه الأرزاء ، فأمرٌ لا أهبه ، بل استجديه ، ولا أذكركم به ، ونفُس صبركم متوغلة فيه ، فسواكم يُلهم للإرشاد . ويذكُر بطرق الرشاد ، جعل الله منكم لأبايكم خلفاء ، وأبقى منكم لأبنائكم سلفاً ، ولا لد لكم الوجود بعده تلقاً . والسلام .

محنته

امتحن رحمه الله بالتَّغريب عن وطنه ، لبغى بعض حسدته عليه ، فأسكن بمرسية مدةً طويلة ، إلى أن هلك بالمرية الأمير أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود ، آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستماية . فسرح أبو الحسن بن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة .

ومن شعره في ذلك الحال مما يدل على بعد شأوه ورفعة همته ، قوله :

الدمع هَمَى عن جوانب هِمَّتِي	وتأبى هموم العارفين عن الدَّفْعِ
وَأَلْتَمَسُ الْعُتْبَى وَحِيداً وَغَايَتِي	وَصَرَفُ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثِ فِي جَمْعِ
وَإِنِّي مِنْ حَزْمِي وَعَزْمِي وَهَمَّتِي وَمَا	رُزِقْتَهُ النَّفْسُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ
لَفِي مَنْصِبٍ تَعْلُو السَّمَاءِ سِمَاتُهُ	فِيثَبْتُ نُوراً فِي كَوَاكِبِهَا السَّبْعِ
عَلَا صَرْفِ دَهْرِي إِذْ عَلَا فَاِذَا بِهِ	تَرَابٌ لِنَعْلِي أَوْ غِبَارٌ عَلَى سَبْعِ
تَدْرَعْتُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَأَجْلَبْتُ	صُرُوفَ اللَّيَالِي كَمَا تَمزَّقُ لِي دَرَعِ
فَمَا مَلَلْتُ قَلْبِي وَلَا قَبِضْتُ يَدِي	وَاللَّحْمَتُ أَصْلِي وَلَا حَضْرَتُ فِرْعِ
فَإِنْ عَرَضَتْ لِي لَا يَفْوَهُ بِهَا فِئِي	وَإِنْ زَحَقَتْ لِي لَا يَضِيقُ بِهَا ذَرْعِ

وفي هذه الأبيات تأييد السبعة الكواكب ، وحكها التذكير ، وذلك إما لتأويل بعد أو غفلة ، فليُنظره . قال أبو الحسن الرعيني ، ودخلت عليه بمرسية ، وبين يديه شمامة زهر ، فأنشدني لنفسه :

وحامل طيبٍ لم يُطَيَّب بطيبه
تألف من أخصان زهره
تعانقت الأغصان فيه كما التقى
وإن الذي أدناه دون فسراقه
مناسبةً للبين كان انتسابها
قبالأمس في إسحاره وبداره
ولكنه عند الحقيقة طيبٌ
فمن صفتيه زاهرٌ ورطيبٌ
حبيبٌ على طول النوى وحبيبٌ
إلى كبيرٍ في الوجود عجيبٌ
وكل غريب للغريب نسيبٌ
وباليوم في دار الغريب غريبٌ

توالياه

صنّف في العربية كتابا مفيدا ، رتب الكلام فيه على أبواب كتاب
سيبويه . وله تعاليق جليلة على كتاب المُستصفي في أصول الفقه ،
وديوان شعر كبير . وكلامه الهزلي ظريف شهير .

مولده : عام تسعة وخمسين وخمسمائة .

وفاته : توفي بقرنطة منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستماية .
وزعم ابن الأبار أن وفاته كانت سنة أربعين وستماية ، وليس بصحيح .
ودفن بمقبرة شقستر . قال ابن عبد الملك ، وكان كريم النفس ، فاضل ،
الطبع ، نزيه الهمّة ، حصيف الرأي ، شريف الطباع ، وجيها ، مبرورا ،
معظما عند الخاصة والعامة .

من رثاه

من كتب إلى بنيهِ يُعزِّمهم في مصابهم بفقدته ، ويحضهم على الصبر
من بعده ، تلميذه الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن الجنان :

دعوني وتِسكاب الدموع السّوابك
أصبرٌ جميلٌ في قبيح حوادث
فدعوني جميلٌ الصبر دعوة آفك
خلّغن على الأنوار ثوب الحوّالك
ومن شيمة الدنيا تنكّر فارك
تنكّرت الدنيا على الدّين ضلّة

فتلک وهلی هالك في المهالك
 شريكی غماز في تلاً مُتدارك
 ولا حجة تُهدى بحجة سالک
 بأمرٍ دها سير النجوم السوابك
 يكفى فناً للفنا بواشك
 بأن انقراض العلم أصل المهالك
 فما الله للدهر الجهول ببارك
 وما الجسم بعد الروح بالتماسك
 سوى حادث في عالم ذي مدارك
 أتم ما أبقى لإسمى بعد مالك
 مصابي بالقياض سهلُ بن مالك
 كتقليد رأى الشافعي ومالك
 بساحل دارات العماد الحوائك
 مباني معال في السماء سوامك
 وعمر قبر مفرد بالدكادك
 وغيض فجر في يدي متلاحك
 من الخطب يردى بالشموس الدوالك
 تفه بهلك الدواهي الدواهك^(١)
 فكم ماجل من قبل فيه وماحك
 تواتر أخبارٍ وصدق مالك
 ويا قبحة والصدق بادي المسالك

فصبحنا حُكم الردى بردائه
 عفا طلل منها ومنه فأصبحنا
 فلا بهجة تُبدي مسرة ناظر
 وما انتظم الأمران إلا ليؤذنا
 وإن لمنشور الوجود انتظاره
 أما قد علمنا والعقول شواهد
 إذا أهلك الله العلوم وأهلها
 هل العلم إلا الروح والخلق جثة
 ومارعني في عالم الكون حادث
 لذلك ما أبكى كآني مُتيم
 وسهلٌ عندي أن أرى الحزن مالكي
 إمامٌ هدى كُنّا نقلد رأيه
 غمام سدى كُنّا عهدنا سماحه
 أحقاً قضى الجلال وقوّضت
 وأقفر في نجدٍ من المجد ربّعه
 وغبّ طودٌ في صعيد بملحد
 ووارى شمس المعارف غيبه
 إلا أيها الناعي لك الشكل لا
 لعلك في نعي العلا متكذب
 يُكذّبهم ياليت أنك مثلهم
 فيا حُسن ذاك القول إذ بان كذبه

(١) الدواهك أي العالحة الساحقة .

بلقدارٍ جَفَّوا فيه وقلبي راجفٌ
 كأنَّ كمال الفضل كان يسومهم
 كأنهم يصتعبون أيسومةً
 كأنهم مستمطرون لعسارضن
 بنى إنهم قد أزهقوا لرزية
 هلك كمال ما قد أتهدروا بوقوعه
 مصابه مصيب للقلوب بسيد
 حكمت حسنها الغبراء فيه فأسعدت
 على علم الإسلام قامت نواذب
 فمن سينة سنت على الرأس ترها
 ومن آية تبيكي بنور صبحها
 ومن حكمة تبيكي لقدم فجر لينبوعها
 فيما أسفى من للهوى ورسومه
 ومن للواء الشرع يرفع خفضه
 ومن لكتاب الله يدرس وحيه
 ومن لحديث المصطفى وماجد
 ومن ذا يُزيل اللبس في مُشابهه
 ومن لليراع المصفر طابت بكفه
 ومن للزقاع البيض طابت بطيبه
 ومن لمقام الحفل يصدع بالتي
 ومن لمقال كالنضار يخلص

مخافة تصديق الظنون الأوافك
 قأبتوا على نغص هو متمالك
 كما استبظاً ال (١) فاتك
 كعارض عاد للتجلد عارك
 تضعض ركن الصابر المتمالك
 فهل بعده للصبر صولة فاتك
 رى عن قسي لليالي عواتك
 بأدمعها الخضراء ذات الجمالك
 بهتن مباك أو بهتم مضاحك
 ومكرمة ناحت لأكرم هالك
 إذا قام في جنح من الليل حالك
 السلسال في الأرض سالك
 ومن لمنيخ عند تلك المبارك
 ويمنع من تمزيقه كف هاتك
 ويقبس منه النور غير مُتارك
 يبين بها في فهمه ومُتارك
 ومن ذا يُزيح الشك عن مُتشابك
 فصارت طوال الشمس مثل النيازك
 فجابت إلى الأملاك سبل المسالك
 نغص لقس من جناح المدارك
 لإبريزه التبريز لا للسبايك

(١) بياض بالخطوط .

فعال وإن تُنَشَّرَ فهِسَكَةٌ فشارك
 ضميرين بقدرج في عتاب الضرايبك
 ففي طيه فضل الفضيل ومالك
 إذا اختلطت ساداته بالصعالك
 فما بعد سهل في العلي من مُشارك
 لعمري في الذري والجوارك
 فلا دوران بل قُطِبَ المدارك
 بوطيء المنايا لا بوطيء السنايك
 ثمانين حوْلاً كالعدو المضاحك
 وحاربه إذ جاز صنك المعارك
 مُحَرَّك جيش ناهب العيش ناهك
 ونم يألُ عن خون لحايز ومالك
 وألقى البرايا بالرغم فوق البرامك
 للناس ناس للتقى أو بناسك
 لأعبي على المختار نجل العواتك
 راع نوحاً في السنين الدكادك
 خُلقنا لأزحاء المنون الرامك
 ندا عموم في غموم موالك
 أمانع صبري لن يلين عزايك
 عليّ ولكن عادة الرمالك
 لتجريح صابٍ من مصاب مواعك
 توابة في مرّ الرياح السواهلك

ومن لفعال إن ذكرت بنسائه
 ومن لخلال كرميت وضمراير
 ومن لشعار الزهد أخفى بالفنا
 ومن لشعاب المجد أو لشعوبه
 ألا ليس من فاكفف عويلك أو فرد
 أصبنا فيالله فيه وإنما أصبنا
 فناد بأفلاك المحامد أقصبري
 وصح بالبناء اليوم أقوى منزلا
 على هذه حام الجمام محنقاً
 فسالمه في معرك الموت خادعا
 طواك الردى مهما يساكن فإنه
 نبا سبا قُدما وهي السكاسك
 وأفنى من أبناء البرايا جموعها
 سواء لديه أن يصول بقلبك من
 ولو أنه أرعى على ذى كرامة
 ولو راعه عمرٌ تكامل ألفه لما
 وما من سبيل للدوام وإنما
 فيا آل سهل أو بنيه مخصصا
 أعندكم أنى لما قد عراقكم
 فكيف أعزى والتعزى مُحَرَّم
 فإن فرح يبدو فذلك تَكْرَهُ
 وإن كان صبراً إنها لحلومكم

ورثتم سنا ذاك المقدس فارتقوا
 فلم يخلص من أبقى من المجد إرثه
 أتدرون لم جدت ركاب أبيكم
 تدكر في أفق السماء قديمه
 وكل سما في حضرة القدس حظه
 فيا عجبنا نبكى مهننا
 يلاقيه في تلك المعاني رقيقه
 فلا تحسبوا أن النوى غال روحه
 فلو أنكم توشفتم بمكانه
 ينعم في روض الرضا ونجوده
 كذلك وعد الله في ذي مناسب
 فيا رحمة الرحمن وافى جنبه
 ويا لو عنتى سيرى إليه برقعته

حديث الأشجان شجون ، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جُون ،
 فارعنى سمعك ، أبئك بئى واكتسابى ، وأعرنى نظرة فى كتابى ، لتعلم ما بى ،
 فعندى ضرب الأسمى جنابة ، وعلى وردى أطلال باغى الأسمى حمايه ،
 وعبرتنى أبكت من القطر سجامه ، وزفرتنى أذكت من الجمر ضرامه ، ومنى
 تعلمت ذات الهديل كيف تنوح ، وعنى أخذت ذات الحسن كيف تغدو
 والهة وتروح ، فما مذعورة راعها القناص ، وعلق بواحدنا حبل الجهالة
 فأغوره الخلاص ، فهى تتلفت إليه والمخافة خلفها وأمامها ، وتتلطف
 عليه فتكاد تواقع فيه جمامها ، بأخفق ضلوعا ، وأشفق روعا ، وأضيق
 محالا ، وأوسع وجالا ، وأشغل بالا ، وأشعل بلبالا ، بل ما طلاها ، وقد

رأها ، ترى طلاها ، فوقف حتى كاد يشركها في الحين ، ويحصل من
 الشُّرك تحت جناحين . ثم أفلت وهويشك في الإفلات ، ويشكو وخذته في
 الفلوات ، بأرهب نفساً ، وأجنب أنسا ، وأهب حساً ، وأغلب توحُّشا ،
 وأضيع بالمومات ، وأضرع لغير الأمات ، منى وقد وافي النبأ العظيم ،
 ونثر الهدى بكف الردى شمله التنظيم ، وأصبح يعقوب الأحران وهو
 كظيم . وقيل أصيبت الدنيا بحبشتها وحسنها ، والديانة بمحسنها وأبي
 حسنها ، فحق على القلوب أنفطارها ، وعلى العيون أن تهمل قطارها ،
 وعلى الصبر أن يمزق جلبابه ، وعلى الصدر أن يخلق في وجه السُّلوبابه .
 أنعى الجليل السعى ، ورزية الجميل السجية ، ووفاة الكريم الصفات ،
 وفقد الصميم المجد ، وذهاب السَّمح الوهاب ، وقبض روحاني الأرض ،
 وانعدام معنى الناس ، وانهدام مَغشى الإيناس ، وانكشاف شمس العلم ،
 وانتساف قدس الجِلم . يا له حادثاً جمع قديماً من الكروب وحادثاً ،
 ومصاباً جرَّع أوصاباً وأضحى كلُّ به مُصاباً . لاجرم أنى شربت من كأسه
 مُستَمفِضها ، وشرقت بها وبماء دمعى الذى ارفض معها ، فغالت خلدى ،
 وغالبت جلدى ، حتى غمت عنى ، ولم إدر بآلامى التى تعنى . ثم أفقت
 من سُكرى ، ونفقت مبدد فكري ، فراجعنى التذكار والتمام ، وطاوعنى
 شجوناً يتعاطاه الجِمام ، فبكيت حتى خشيت أن يعشيني ، وغشيت إذ
 غشيني من ذلك أليم ما غشيني ، وظلت ألقى انبجاساً للترح يلقينى ،
 فتارة يُعنينى ، وتارة يبقينى ، فلو أن احتدأى والتدأى وجفنى الدأى ،
 أطلعت على بعضه الخنساء ، لقات هذه عزمة حزن ، لا يستطيعها النساء .
 ذلك بأن قسمة المراثى كقسمة الميراث ، وللدُّكران المزية ، كان للسُّرور
 أو للرزية ، على الأنث ، هذا لو وازن مبكى مبكى ، ووارى ترائى فلكيا ،

إنا لنبكي نورِ ظلمِ ، وهي تبكي ظلمة جهل ، ونذبتى بجبل يدعى
سَهْل ، كان يتفجر منه الأنهار ، وينهاه جانبُه من خشية الله أو ينهار ،
في ظلمه ولا أريد بالمثل سواء ، فما كان في أبناء الجنس من سواه .
يحبس الجزع من كل مؤمن تقى ، ويقال للمتجلد ، لا تُنزع الرَّحمة
إلا من هقى ، فكل جفن بعده جاف ، فصاحبه جلف أو صاف ، وكل
قواد لم تصدع له صفاته ، ولم تتغير لفقده صفاته ، فمحقق عند
العلماء معلوم ، أنه معدود في الحجارة أو معلوم . فيا ليت شعري يوم
ودع للترحك ، ودعا حاديه بشد الرجال ، كيف كان حاضرؤه في تلك
الحلوة ، هل استطاعوا معه صبرا ، وأطاعوا لقلبيته أمرا ، أو ضعف
احتمالهم ، وقوى في مضارقة النفوس أعمالهم . ويا ليت شعري ، إذ أفادوا
الماء طهارة زائدة بغسل جلاله ، هل حنطوه في غير ثنائه ، أو كفنوه في
غير جلاله . ويا ليت شعري إذا استقل به نعشه لأشرف ، ترفرف عليه المليكة
ويظللها الرُفرف ، هل رأوا قبله حَمَلَة الأطوار على الأعواد ، وسير الكواكب
في مثل تلك المواكب ، فيأنسوا بالإلف ، ويرفعوا منكر الطرف ، ويدعوا لفيض
من أثر ذلك الظرف . ويا ليت شعري ، إذ ودعوا درة الوجود ، صدفة
اللحد المَجُود ، لم أثروا الثرى على نفوسهم ، ورضوا الأرض مغرباً
لأنوار شمسهم . فهلا حفروا له بين أحناء الضلوع ، وجعلوا الصفيح
صريح الحب والولوع . فيكونوا قد فازوا بقربه ، وجازوا فخرًا خبير
لتربه . ويا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك ولم يهتدوا هذه المسالك ،
هل قضوا حق الحزن ، وسقوا جوانب الصريح من عبراتهم بأمثال المزن ،
وهل اتصفوا بصفة الأسف أو قنعوا منها بأن وصفوها ، وهل تلافوا بقايا
الأنفس ، بعد المفقود الأنفس ، وأنلفوه . فكل أسي لا تذهب النفس

هنده ، فما هو إلا من قبيل التصنع . يا قدس الله مثوى ذلك المتوق ،
وما أظن الجزع تمَّ حقه ووفى . ولو درى الزمن وبنوه ، قدر من فقلوه ،
لوجدوا المفاجى الفاجع ، أضعاف ما وجتوه . فقد فقدوا واحدا جامعا
للعوالم ، وماجداً رافعا لأعلام المعالي والمعالم ، ومفدى ثقّل له فى الفدا ،
ونفوس الأوداء والأعداء ، ومُبكى ما قامت على مثله النوايح ، ولا حسنت
إلا فيه المرائى ، كما حسنت من قبل فيه المدايح . رحمة الله عليه
ورضوانه ، وريحان الجنان يحييه به رضوانه . من لى بلسان يقضى
حق نذبتة ، وجنان يقضى بما فيه إلى جثته وتربته ، وقد نبهنى حزنى
عليه وبلدنى ، وتملكنى حصر الحسرة عليه وتعبدنى ، وأين يقع مهلهل
البدية ، مما يخفيه مهلهل الشكل ويُبديه . يمينا لو لبثت فى كهف الروية
ثلاثمائة سنين ، واستمددت سواد ألسنة الفصحاء اللسنين ، ما كنت فى
تأبين ذلك الفصل المبين من المحسنين ، إلا ألى أتيت بالطريف من
بيانه والتلديد ، ورثيت رُشد كماله برثايه كمال ابن رشد أبى الوليد ،
فأنشدت بنيه قوله فيه :

أخلاى إني من دموعى بزاهر بعيد عن الشطين منه غريقه
وما كان ظنى قبل فقد أبيكم بأن مصابا مثل هذا أطيقه
ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده أبناؤه أم دهره أم صديقه

ثم استوفيت تلك الأبيات والرسالة ، وأجريت بترجييعها من دم
الكبد ونجيعها عبراتى المسالة ، فحينئذ كنت أوفى المصاب واجبه ،
وأشقى صدورا صديّة شجيّة ، وقلوباً واجفة واجبة . ولو أن ما رثى به
نفسه الكريمة من ثر إيساعته ، حين رأى الحين مغتصبا حشاشة مكرماته .
أثار كامن وجدى بالفاظه المبيكية ، ومعانيه التى تحلّ من مزاد العيون
الأوكية ، لاهب لى رندا ، وأعقبنى صفاة تندى ، وأطمعنى لى أن يعود

بكاي زبدا . فقد بلغنى أنه لما وقف على ثنية المنية ، وعرف قرب انتقال الساكن من البنية ، جمع بنات فكره ، كما جمع شيبة الحمد بنات خلدته ، وقال يا بنياتي ، قد آن ليومى أن يأتى فهل لكن أن تريننى ، فوضعن أكبادهن على الوشح ، ورفعن أصواتهن بالنشيج ، وأقبلن يُرجعن الأناشيد ، ويفجعن القريب والبعيد ، حتى أوماً اليهن ، بأن قضين ما عليهن ، فيا إخوانه ، ومثلى بهذا النداء نعى وتاه ، إسهما أخاكم فى ميراث تلکم الکلم ، واحموا فؤادا بالملم المؤلم قد كلم ، ولا تقولوا يكفيه ميراث الأحزان ، فتبخسوا وحاشاكم فى الميزان ، فإنى وإن تناولتها باليدين ، وغلبت عليها ، فإنى صاحب الفريضة والدين ، فإنى لحظى من ميراث الحكمة سائل ، ومع أن لى حقاً فى ذم ووسايل ، فابعثوا إلى ما يطارحنى فى أشجاني ، وأقف على رسمه فأقول شجاني ، ولا أطلب من كلام ذلكم الإمام ، العزيز فقدّه على الإسلام ، قوله فى التصبير ، على الرزء الكبير . ووصاته ، لثلا يلزمنى ، ولست بالمستطيع إصغاء للمطيع لأمره وإنصاته ، فإن امتثلت أصبت قتلى بما نثلت ، وإن عصيت أبعدت نفسى من رضاه وأقصيت ، ولى فى استصحاب حالى أمل ، وما لم يرد خطاب لم يلزم عمل . على أنى وإن صاب وابل دمعى وصب ، وأصبحت يذكر المصاب الكلف الصب ، فلا أقول إلا ما يرضى الرب ، فإنى أبكى عالماً كبيراً ، وعلماً شهيراً ، تسعدنى فى بكايه الملة ، وتنجدنى بوجده ، فإنا الكاتب وهى الميلة . وأما أنتم أيها الإخوة الفضلاء ، والصفوة الكرماء ، فقد تلقيتم وصلته المباركة شفاها ، وراوى صدوركم بكلامه النافع وشفاهها ، فلا يسعكم إلا الامتثال ، والصبر الذى تُضرب به الأمثال ، فعزاء عزاء ، وانتماء إلى التأسى واعتزاء ، وإن فضل رزة أرزاء ،

وكان جزءٌ منه يعدل أجزاءً ، فعلى قدرها تصاب العلياء ، وأشد الناس بلاء الأبياء ثم الأولياء . ذلك لتبين فضيلة الرضاء والتسليم ، وتبين صفات من ينأى الله بالقلب السليم ، ويعلم كيف الكريم للكريم ، وكيف ينحل الأجر العظيم ، وهب الله لكم في مصابكم صبرا على قدره ، وسكب ديم مغفرته على مئوى فقيدكم وقبره ، وطيب برّف روضات الجنّات جنّبات قصره ، ونفعه بما كان أوّده من أسرار العلوم في صدره ، وخلفه منكم بكل سرى بحلّة المجد من كل بصدرة .

قلت : ذكر الشيخ ابن الخطيب في الأصل في هذه الترجمة « الأعيان والوزراء » ، ستة من أهل هذا البيت ، كلهم يسمون بهذا الاسم ، عدا واحدا ، فإنه سمي بسيد ، وذلك مما يدل على كثرة النباهة والأصالة والوجاهة ، رحمه الله .

سليمن بن موسى بن سالم بن حسان بن

أحمد بن عبد السلام الحميرى الكلاعى

بإحدى الأصلى ، يكنى أبا الربيع ، ويعرف بابن سالم .

حاله

كان بقية الأكابر من أهل العلم بضقّ الأندلس الشرقى ، حافظا للحديث ، مبرزا في نقده ، تام المعرفة بطرقه ، ضابطا لأحكام أسانيدته ، ذاكرا لرجالها ، ريان من الأدب ، كاتبها بلاغا . خطب بجامع بلنسية واستقضى ، وعرف بالعدل والجلالة ، وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة ، والإقدام والجزالة والشهامة ، يحضر الغزوات ، ويباشر بنفسه القتال ، وتبلى البلاء الحسن ، آخرها الغزاة التي استشهد فيها .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن حُبَيْش وأكثر عنه ، وأبي محمد بن عبيد الله ،
 وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي عبد الله بن حُمَيْد ، وأبي بكر بن الجَدِّ ،
 وأبي محمد بن سَيْدْبُونَه ، وأبي بكر بن مُغَاوِر ، وأبي محمد عبد المنعم
 ابن عبد الرحيم بن الفَرَس ، وأبي بكر بن أبي جمرة ، وأبي الحسن بن كوثر
 وأبي خالد بن رَفَاعَة ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي عبد الله بن الفخار ،
 وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن نوح ، وأبي الحجاج بن أبي محمد
 ابن أيوب ، وأبي بكر عتيق بن علي العبدري ، وأبي محمد عبد الوهاب
 ابن عبد الصمد بن عتّاب الصّدفي ، وأبي العباس بن مضاء ، وأبي القاسم
 ابن سَمْحُون ، وأبي الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري ،
 وأبي زكريا الإصْبِهَانِي ، وأبي بكر أسامة بن سليم ، وأبي محمد عبد الحق
 الأزدي ، وأبي محمد الشاذلي ، وأبي الطاهر بن عوف ، وأبي عبد الله الحضرمي ،
 وجماعة غير هؤلاء من أهل المشرق والمغرب .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، وعبد الله
 ابن حزب الله ، وأبو جعفر بن علي ، وابن غالب ، وأبو زكريا بن العباس ،
 وأبو الحسن طاهر بن علي ، وأبو الحسين عبد الملك بن نُفُوز ، وابن الأَبَار ،
 وابن السجّان ، وابن المواق ، وأبو العباس بن هرقل ، وابن الغمّاز ،
 وأبو عمرو بن سالم ، وأبو محمد بن بَرَطَلَة ، وأبو الحسن الرعيني ،
 وأبو جعفر الطَّنْجَالِي ، وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو علي بن الناظر .

تصانيفه

منها مصباح الظلم ، في الحديث ، والأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين
 من الصحابة ، والأربعون السبّاعية ، والسبّاعيات من حديث الصّدفي ،

وحلّية الأماشي في المراقبات العوالي ، وتحفة الوداد ونجمة الرواد ،
 والمسلسلات والإنشادات ، وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله ، ومغازي
 الثلاثة الخلقاء ، وميدان السابقين وحلّية الصادقين المصدّقين في
 غرض كتاب الاستيعاب ، ولم يكله ، والمعجم من واقفت كتيته زوجه
 من الضعابة ، والإعلام بأنخبار البخاري الإمام ، والمعجم في مشيخة
 أبي القاسم بن حبيش ، وبرنامج رواياته ، وجنى الرطب في سنن الخطب ،
 ونكتة الأمثال ونقشة السحر الحلال ، وجهد النصيح في معارضة المعري
 في خطبة الفصيح ، والامثال لمثال المنبهج في ابتداء الحكم واختراع
 الأمثال ، ومفاوضة القلب العليل ومنايذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء^(١)
 المعري في ملقى السبيل ، ومجاز فتيا اللحن للحن المتمحن يشتمل على
 مائة مسألة ملغزة ، ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم ،
 والصحف المنشرة في القطع المعشّرة ، وديوان رسائله ، سفر متوسط ،
 وديوان شعره ، سفر .

شعره

من شعره ما كتب به إلى أبي بحر صفوان ابن إدريس ، عقب انفصاله

من بكنسية عام سبعة وثمانين وخمسمائة :

أحنُّ إلى نجدٍ ومن حلّ في نجد	وماذا الذي يُغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخالّفوا	مُحبّهم رهن الصّباية والوجْد
تبيّن بالبين اشتياقي إليهم	ووجدى فساوى ما أجنّ الذي يبدي
وضاقت على الأرض حتى كأنها	وشاحٌ بخصرٍ أو سوارٌ على زند
إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى	وبعض الذي لاقيه من جوى يُرد

(١) وردت في الإسكوريال والزيوتة (أبي عل) . والتصويب من « الذيل والتكلة » .

فراق أنحلّامٍ وصدّ أحبيسة
 فبما سرحتي نجد نداءً مُتّيم
 ظميت فهل ظلٌّ يبرّد لوعتي
 ويا زمنا قد مرّ^(١) غير مُذمّم
 ليايالي نَجْنِي الأُنس من شجر المنا
 وسُقياً لإخوان بأَكْذاف حاييل^(٢)
 وكم لي بنجد من سرّي ممجّد
 آخر همة كالزهر في بُعد نَيْلها
 تجمعت الأضداد فيه حميدة
 أيا راحلاً أودى بصبري رحيله
 أتعلم ما يلقي الفؤاد لبعدهم
 فبأليت شعري هل تعودلنا المنا
 عسى الله أن يُدني السرور بقربكم

كأن صروف الدهر كانت على وعْد
 له أبدا شوق إلى سرّحتي نجد
 ضحيتُ فهل ظلٌّ يُسكّن من وجد
 لعل الأُنس قد تصرّم من رد
 ونقطف زهر الوصل من شجر الصّد
 كرام السّجايا لا يحولون عن عهد
 ولا كابن إدريس أخى البشر والجد^(٣)
 وذو خلق كالزهر غبّ الحيا الهد
 فمن خلُق سَبَطٍ ومن حسبٍ جَعَد
 وفلّ من عزمي^(٤) وثلم من حدّ
 ألا مُذ نأيتم لا يُعيد ولا يُبد
 وعيش كما نَمَنمت حاشيتي برد
 فيبدو بنا الشمل منتظم العِد

ومن شعره في النسب وفقد الشباب :

توالت ليالٍ للغواية جُونُ
 ركاب شباب أزمعت عنك رحلةً
 ولا أكذب الرحمن فيما أجنّه
 ومن لم يخل أن الرّياء^(٥) يشينه

ووافي صباح للرّشاد مُبين
 وجيش شيب جهزته منون
 وكيف وما يخفى عليه جنين
 فمن مذهبي أن الرّياء يشين

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بان) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاجر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المجد) .

(٤) وردت في الإسكوريال . (غزلي) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (الوفاء) والتصويب من النسخ .

لقد ريع قلبي للشباب وفقده
 وآلمنى وخط المشيب بلمتى
 دليل شبابي كان أنصر منظرا
 نأها على عيش تكدر صفوه
 ويا وريح فودى أو فؤادى كلما
 حرام على قلبى مسكون بغرة
 وقالوا شباب المرء شعبة جنة
 وقالوا شجاك جدثان ما أتى
 وقال فى الاستعانة والتوكل عليه :

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى
 تبارك وجهه وجهت نحوه المنى
 وما هو إلا وجهك الدايم الذى
 تبرأت من حولى إليك وقوتى
 وهب لى الرضا مالى [سوى ذاك مبتغى] (٢)
 وقال :

مضت لى سبع بعد عشرين حجة
 فباليت شعرى كيف أو أين أو متى
 ولى حركات بعدها وسكون
 يكون الذى لأبد أن سيكون

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه : المشول من السادة العلماء
 أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه فى هذا الاستدعاء ،
 وهم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الملق) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (سواك لمبتغى) والأولى أرجح .

ابن القاضي الأجل أبي عبد الرحمن بن علي البَيْسَاني ولولديه أبي عبد الله ، محمد ، وأبي عبد الله الحسين وولده عبد الرحيم ، ولأولاد ولده أبي الفتح حسن ، وأبوي محمد عبد الرحمن ويوسف ، ولعماليكه سنقر وأخيه الصغير وسنجر العركيون ، وأفيد وأقصر الروميان ، ولكمال بن يوسف بن نصر ابن سارني الطباخ ، وللوجيه أبي الفخر بن بركات بن ظافر بن عساكر .
ولأبي الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ، ولأبي البقاء خالد بن يوسف الشاذلي ولولده محمد ، ولمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي ولولده ، ولعبد العظيم بن عبد الله المنذري ولولده أبي بكر ، ولأبي الحسن ابن عبد الله العطار ، جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها ، وما لهم من نظم ونثر ، وإن رأوا تعيين موالدهم ومشايخهم ، وإثبات أبيات يخف موقعها ثراء من الزلل ، وبما يخالف الحق ، فعلوا ماجورين .
وكتب في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وستماية .

فكتب مجيزاً بما نصه : قال سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ، وكتب بيده ، تجاوز الله عنه ، وأقام بالعفو من أوده : إني لما وقفت على هذا الاستدعاء ، أجاب الله في مستدعيه المسمين فيه صالح الدعاء ، اقتضى حق المسئول له ، الوزير الأجل ، العالم الأشرف الأفاضل بهاء الدين أبو العباس ابن القاضي الأجل ، الفاضل العلم الأوحى ، ندره انزمان ، ولسان الدهر ، وقس البيان ، أبي علي عبد الرحيم بن علي ، أعلى الله قاره ورفعه ، ووسم سلفه الكريم ونفعه ، تأكيد الإسعاف ، بحكم الإنصاف له ، ولكل من سمي معه . فأطلقت الإذن لجميعهم ، على تباعد أفكارهم وتدانيها ، وتباين أقدارهم وتساويها ، من أب سني ، وذرية عريقة في النسب العلي ، وعماليك له تميزوا بالنسب المولوي ، وسُمين بعدهم ،

اعتلقوا من الرغبة في نقل العلم ، بالحَبَلِ الممتين ، والسبب القوي .
والله بالبحر بجمعهم ، من تدارك الآمال أبعد الشأو التَّجْهِى ، ويجريهم
من مساعدة الإمكان ، ومسالمة الزمان ، على المنهج المرضي ، والسنة
السوى ، أن يحدثوا بكل ما اشتملت عليه روايتي ، ونظمته عنايتي ،
من مشهور الدواوين ، ومنثور الأجزاء المنقولة عن ثقات الرأوين ، وغير
ذلك من المجموعات في أى علم كان من علوم الدين ، وكل ما يتعلق بها من
قرب أو بعد ، مما يقع عليه التَّعْيِين ، وبما يصح عندهم نسبته إلى من
مجموع جمعه ، ومنظوم نظمه ، أو نثر صنعه . الإباحة العامة على
ذلك آتية ، ومقاصد الإسعاف لرغباتهم فيه مطاوعة وموافية ، فليروا
عنى من ذلك موقِّعين ، ما شاعوا أن يرووه ، وليكتزموا في تحصيله
أولا ، وأدائه ثانيا ، أوفى ما التزمه العلماء واشترطوه . ومن جلَّه شيوخي
وصلورهم ، الذين سمعت منهم ، وأخذت بكل وجوه الأخذ عنهم ،
القاضي الإمام الخطيب العلامة ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله بن يوسف بن حُبَيْش ، آخر أئمة المحدثين بالمغرب رضى الله عنهم .
والإمام الحافظ الصدر الكبير أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن
فرج بن الجَدِّ الفهرى . والفقيه المشاور القاضى المسند أبو عبد الله محمد
ابن أبي الطيب . والفقيه الحافظ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن
عبد الرحيم الخزرجى . والقاضى الخطيب النحوى أبو عبد الله محمد بن
جعفر بن حميد . والأستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جمهور
القيسى . والشيخ الراوية الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن
بونه بن سعيد بن عصام العبدري . والشيخ الصالح أبو جعفر أحمد
ابن حكيم القيسى الحصار الخطيب بجامع غرناطة . والفقيه القاضى

الأجل أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن الحاج . والقاضي الفقيه الحبيب أبو بكر بن أبي جمرة . والقاضي أبو بكر بن مغمور . والقاضي المسند أبو الحسين عبد الرحمن بن ربيع الأشعري . وسوى هؤلاء ممن سمعنا منه كثيراً ، وكلهم أجازني روايته وما سمعه . وقرأت على الخطيب أبي القاسم بن حبش غير هذا وسمعت كثيراً ، وتوفى رحمه الله بمصرية في الرابع عشر لصفر لسنة أربع وثمانين وخمسمائة . ومولده سنة أربع وخمسمائة على ما أخبرني به رحمه الله ورضي عنه . وما أخذه عن الحافظ أبي بكر بن الجدد بإشبيلية بلده ، مؤطاً مالك ، رواية يحيى بن يحيى القرطبي ، أخبرني به عن أبي بحر سفيان بن العاصي الأسدي الحافظ ، سماعاً بأسانيد المعلومه . وتوفى الحافظ أبو بكر سنة ست وثمانين . وقرأت على الفقيه أبي عبد الله بن زرقون أيضاً مؤطاً مالك ، وحدثني به عن أبي عبد الله الخولاني إجازة ، قال سمعته على أبي عمرو عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي ؛ عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى ، عن عمر أبيه عبيد الله بن يحيى الليثي عن أبيه عن مالك بن أنس ، رضى الله عن جميعهم . ولا يوجد اليوم بأندلسنا ومغربنا بأعلى من هذه الأسانيد . ومن كتب لي بالإجازة من ثغر الإسكندرية الإمام الحافظ مفتي الديار المصرية ورئيسها أبو الطاهر بن عوف ، والفقيه الحاكم أبو عبد الله بن الحضرمي ، والفقيه المدرس أبو القاسم بن فيره ، وغيرهم . نفعنا الله بهم ، ووقفنا للاقتداء بصالح مذهبهم . وأما المولد الذي وقع السؤال عنه ، فإلى ولدت على ما أخبرني أبواي رحمهما الله ، بقاعدة مصرية ، مستهل رمضان المعظم سنة خمس وستين وخمسمائة . وما يليق أن يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخنا الفقيه أبو بكر عبد الرحمن بن

محمد بن مغاور رحمه الله في منزله بشاطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وهو بقرية مشيخة الكتاب بالأندلس لنفسه ، مما أعده ليكتب على قبره :
 أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمى الرميم
 أوَدَعوني بطن الصريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديم
 قلت لا تجزعوا عليّ فإني حسن الظن بالرووف الرحيم
 ودعوني بما اكتسبت رهيناً غَلِق الرهن عند مولى كريم
 انتهى . وكتب هذا بخطه في مدينة بلنسية حماها الله ، سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ، في الموفى عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وستماية . والحمد لله رب العالمين .

وفاته

كان أبداً يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره ، فكان كذلك ، واستشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة^(١) على نحو سبعة أسياال منها ؛ لم يزل متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار ، مقبلاً على العدو ، ينادى بالمنهزمين من الجند يفرون ، حتى قُتل صابراً مُحْتَسِباً ، غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستماية .
 ورثاه أبو عبد الله بن الأبار رحمه الله بقوله :

(١) موقعة أنيشة أو إنيجة سميت باسم الحصن والتل الذي وقعت في ظاهره ، وهو يقع على نحو سبعة أميال من شمال بلنسية . وكان من أمنع حصون بلنسية الأمامية . وقد هدمه الأمير أبو جميل زيان ، أمير بلنسية حتى لا يستعمله الأرجونيون قاعدة لمهاجمة المدينة . ولكن الأرجونيين احتلوا مع ذلك الربوة التي كان يقع عليها الحصن . وصمم الأمير زيان على إسرداد هذا الموقع ، وحشد جيشاً جراراً ، وسار في قواته شمالاً ، ونشبت بين المسلمين والأرجونيين بقيادة ملكهم خايبي الأول في ظاهر تل أنيشة معركة عنيفة هزم فيها المسلمون هزيمة فادحة ، وقتل مهم جماعة كبيرة ، وكان من بين القتلى عدد كبير من علماء بلنسية ووجوهها يربى على السبعين . وكان ذلك في عشرين من ذى الحجة سنة ٦٢٤ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٢٣٧ م .

أَلْمَا بِأَشْلَاهِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
 وَعُوجَا عَلَيْهَا مَأْرِبَا وَحِفَاوَةً
 تَحْيِي وَجُوهَا فِي الْجَنَانِ وَجِيهَةً
 وَأَجْسَادَ إِيمَانٍ كَسَاهَا نَجِيئُهَا
 مُكْرَمَةٌ حَتَّى عَنِ الدَّنُونِ فِي الشَّرِي
 هُمُ الْقَوْمِ رَاحُوا لِلشَّهَادَةِ فَاعْتَدُوا
 تَسَاقُوا كَوُوسِ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
 مَضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُدَمَا كَأَنَّمَا
 يَرُونَ جِوَارِ اللَّهِ أَكْبَرَ مَغْنَمِ
 عِظَائِمُ نَالُوهَا فَخَاضُوا لِنَيْلِهَا
 وَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ لِحُودِهِمْ
 أَلَا بَأْبَى تِلْكَ الْوَجُوهِ سِوَاهُمَا
 عَفَا حُسْنُهَا إِلَّا بِقَايَا مِبْسَاسِمْ
 وَسَوَّورِ أَسَارِيرِ تُنِيرُ طَلَاقَةَ
 لُثْنٍ وَكَفَّتْ فِيهَا الدَّمُوعُ^(١) سَحَابِيَا
 وَيَا بَأْبَى تِلْكَ الْجِسْمِ نَوَاجِحِ لَا
 تَغْلُغَلُ فِيهَا كُلُّ أَسْمَرِ ذَابِلِ
 فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا
 مَوَاقِفَ أَبْرَارِ قَضُوا مِنْ جِهَادِهِمْ
 أَضْيَبُوا وَكَانُوا فِي الْعِبَادَةِ أَسْوَةً

تُقَدُّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالصَّوَارِمِ
 مِصَارِعُ غُصَّتْ بِالطَّلَا وَالْجَمَاجِمِ
 يَمَا لَقِيَتْ حُمْرَا وَجُوهُ الْمَلَاحِمِ
 بِحَاسِدٍ مِنْ نَسِيحِ^(١) الطَّبَا وَاللَّهَازِمِ
 وَمَا يُكْرَمُ الرَّحْمَنِ غَيْرَ الْأَكْرَامِ
 وَمَا لَهُمْ فِي فَوْزِهِمْ مِنْ مُقَاوِمِ
 فَمَا لَتَ بِهِمْ مِيلَ الْغُصُونِ النَّوَاعِمِ
 يَطِيرُونَ مِنْ أَقْدَامِهِمْ بِقِوَادِمِ
 كَذَاكَ جِوَارِ اللَّهِ أَسْنَى الْمَغَانِمِ
 وَلَا رَوْعَ يَشْنِيهِمْ صَدُورِ الْعِظَائِمِ
 مُتُونِ الرَّوَابِي أَوْ بَطُونِ التَّهَائِمِ
 وَإِنْ كُنَّ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ سَوَاهِمِ
 يَعِزُّ عَلَيْنَا وَطُوهَا بِالْمُنَاسِمِ
 فَتُكْسِفُ أَنْوَارِ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ
 فَمَنْ بَارِقَاتِ لُحْنٍ فِيهَا لِشَائِمِ
 بِإِجْرَائِهَا نَحْوِ الْأَجُورِ الْجِسَائِمِ
 فَجَدَلٌ مِنْهَا كُلُّ أَبْيَضِ نَاعِمِ
 إِلَيْهِ بِإِهْدَاءِ النُّفُوسِ الْكِرَائِمِ
 حَقُوقًا عَلَيْهِمْ^(٢) كَالْفُرُوضِ اللَّوَائِمِ
 شَبَابَا وَشَيْبَا بِالْغَوَاشِيِ الْغَوَاشِمِ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (حَوْك) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (الْعِيُون) .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (عَلَيْهَا) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ .

وقائِمُ سيفٌ قدَّ في رأسٍ قائم
 هنالك مَضْرُومُ الحياةِ بصارم
 ينوءُ برِجْلِي راسفٍ في الأَدام
 لو كَرُهُم^(١) في المَأْزِقِ المُتلاحم
 سوافحُ تُزجِيها ثِقَالُ الغمام
 فطِيبَ أنفاسِ الرِّياحِ النَّواسم
 فلا غرو أن فازوا بَصَفُو المكارم
 تحنُّ إلى الأُخرى حنينِ الرِّوائم
 فحيث التقي الجمعان صِدْقُ العزائم
 أراجع فيها بالدموع السَّواجم
 تُعبِّرُ عنها رايحات مآتم
 سرى غَضُّ أجفانٍ وغَضُّ أباهم
 رمي نصالٍ أو لَدِيغٍ أراقم
 وأزجر من سأم البكا غير سائم
 فيغربُ عنى ساهراً غير نائم
 ولكنها شكوى إلى غير راحم
 قواصم شتى أَرَدَفَتْ بِقَواصم
 لآثرت عن طوعٍ سُلُو البهائم
 بجاثٍ من الأرزاءِ حولي جاثم
 سرى في الثَّنايا طيبها والهمخارم

فعامل رَمَحَ دُقَّ في صدرِ عامل
 ويا رَبُّ صَوَّامِ المَواجِرِ واصل
 ومنقذِ عانٍ في الأَدام راسفُ
 أضاعهم يوم الخميس حِفاظهم
 سقى الله أشلاءً بسَفْحِ أنيشة
 وصلَّى عليها أنفُسا طاب ذكرها
 لقد صبروا فيها كراما وصابروا
 وما بذلوا إلا نفوسا كريمة^(٢)
 ولا فارقوا والموت يُتَلعُ جيده
 بعيشك طارحنى الحديث عن التى
 وما هى إلا غاديات فجائع
 جلائل دقَّ الصبر فيها فلم نُطق
 أبيتُ لما تحت الظلام كأننى
 أغازل من بَرَحِ الأسي غير بارح
 وأعقد بالنجم المُشَرَّقِ ناظرى
 وأشكو إلى الأيام سوءَ صنيعها
 وهيهات هيهات العزاء ودونه
 ولو برَدِ السُّلوانِ حَرَّ جِوانحى
 ومن لى بسُلوانٍ يحل منقراً
 وبين الثَّنايا والمخارم رمة

(١) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الذيل والتكلة .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل والتكلة (نفيسة) .

فمن لِلْمَعَالِي بَعْدَهَا وَالْمَعَالِمِ
 وَأَعْظَمِ بِهَا وَسَطِ الْعِظَامِ الرَّمَائِمِ
 وَقَدْ مَازَجَتْهُ الرِّيحُ مِسْكَ اللَّطَائِمِ
 إِلَى خَامِعَاتِ بِالْفَلَا وَقَشَاعِمِ
 وَيُرْعَى حِمَاها الصَّيْدَ رَعَى السَّوَائِمِ
 كَمَا تَنْثُرُ الْبِاقُوتُ أَيْدِي النُّوَائِمِ
 يُورِقْنَ تَحْتَ اللَّيْلِ وَرُقِ الْحَمَائِمِ
 وَلَيْسَ قَسِيمِ الْبَرِّ غَيْرِ الْمُقَاسِمِ
 وَأَيْسَ مِنْ أَسِّ لِمَسْرَاهِ حَاسِمِ
 وَأَصْبَحَ مَهْدُودِ اللَّيْرِ وَالِدَعَائِمِ
 وَحَايَ هُدَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
 لِيخْبِطَهُ فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ فَاحِمِ
 كَمَا شَاءَ يَوْمَ الْحَادِثِ الْمُتَفَاقِمِ
 وَأَيَّ سَنَاءٍ غَابَ لَيْسَ بِقَادِمِ
 مُحْيَا سَلِيمِ بْنِ مُوسَى بْنِ سَالِمِ
 وَقَدْ أَسْلَمْتَنِي لِلدَّوَاهِي الدَّوَاهِمِ
 وَكُنْتُ بِهِ فِي أَمْنٍ دَهْرَ مُسَالِمِ
 وَأَكْفَاؤُهُ مَا بَيْنَ رَاضٍ وَرَاغِمِ
 وَحَسْبُكَ مِنْ عَالٍ عَلَى الشُّهْبِ عَالِمِ
 وَمُورِدِهِ قَبْلَ النَّسُورِ الْجَوَائِمِ

بَكَّتْهَا الْمَعَالِي وَالْمَعَالِمِ جَهْدَهَا
 سَعِيدٌ صَعِيدٌ لَمْ تَرْتَمِهِ قَرَارَةٌ
 كَأَنَّ دَمًا أَذْكَى أَدِيمِ تُرَابِهَا
 يَشْتَقُّ عَلَى الْإِسْلَامِ إِسْلَامَ مِثْلِهَا
 كَأَنَّ لَمْ تَبَيَّتْ نَفْسِي لِلسَّرَاةِ قَبَائِمِهَا
 سَفَخْتُ عَلَيْهَا الدَّمْعَ أَحْمَرًا وَرَأْسًا
 وَسَامَرْتُ فِيهَا الْبَاكِيَاتِ نَوَادِيَا
 وَقَاسَمْتُ فِي حَمْلِ الرِّزْيَةِ أَهْلَهَا
 فَوَأَسَفًا لِلدُّنْيَانِ أَخْضَلُ دَاوَهُ
 وَيَأَسَفًا لِلْعِظَمِ أَنْفُسُوتِ رُبُوعِهِ
 قَضَى حَامِلِ الْأَثَارِ^(١) مِنْ آلِ يَعْرَبِ
 خَبَا الْكُوكِبِ الْوَقَادِ إِذْ مَتَّعَ الضُّحَى
 وَخَابَتْ مَسَاعِي السَّامِعِينَ حَدِيثَهُ
 فَسَأَى بِهَاءٍ غَارَ لَيْسَ بِطَالِعِ
 سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَلْحَ بِهَا
 وَهَلْ فِي حَيَاتِي مِتْمَعَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
 فَهَآنَاذَا فِي حَرْبِ^(٢) دَهْرٍ مُحَارِبِ
 أَخُو الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ كَهَلَا وَيَافِعَا
 تَفَرَّدَ بِالْعَلِيَاءِ عِلْمًا وَسُودْدَا
 مُعْرَسَهُ فَوْقَ السُّهَى^(٣) وَمَقِيلِهِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الآداب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (خوف) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الذيل (السا) .

إذا فاه فاض السُّحر فَرَبَّةٌ لازم
إلى ناجح مَسْعَاهُ في كل ناجم
كفى صَادِمًا منه بأكبر صادم
فإن رُمْتَهُ أَلْفَيْتَ صَعْبَ الشكايِم
فبات عليه قارعًا سنَّ نَادم
ولا البَرْدُ وشَقُّهُ أَكْفُ الرِّواقِم
تُسِيرُهَا أَقلامه في الأقالِم
تمامَ حَواهِ قبل عَقْدِ التَّمايِم
ويُحسِنُ وِسْمًا في وجوه المواقِم
كمالٍ مِثَالٍ^(٢) أو جمالٍ مقاوم
براقٍ من العَجَلِ أصيب يواقِم
بها الحورِ واهًا للمنادى المنادم
ليحظى بِإِقْبَالٍ من الله دايِم
نَوَى ولم تلحقه لَوْمَةٌ لايِم
فلن تَعْدَمَ الحسناء ذاما بذايِم
فِدَى لك من ساداتنا كلَّ خادِم
ألا إِنما الأَعْمالُ حُسْنُ الخواتِم
لكل تَقَى نَيْمُهُ غير خايِم
نَزِيلُ الثرِيًّا قبلها والنعمائِم
تَرى ما عداها في عِدادِ الماتِم

بعيدٌ مداه لا يُشَقُّ غِبَّاره
يُفوضُ منه كلُّ نادٍ ومنبِر
متى صادم الخُطْبِ الملمَّ بخطبَةٍ
له منطق سهل النَّواحِي قَريبها
وسحر بيان فات كلُّ مُفَوِّهِ
وما الرُّوضُ حَلَّاهُ بجوهره النَّدَى
بأبدع حُسْنًا في^(١) صحائفه التي
يَمَانٍ كَلاعِي نَمَاهُ إلى العِلا
يروق رُواقِ المَلِكِ في كل مَشْهَد
ويكثرُ أعلامِ البَسِيطَةِ وحده
لما لزمانِ عاثيرٍ من خِلاله
مُنَادٍ إلى دارِ السَّلامِ مُنَادِم
أتاه رَداهُ مَقْبَلًا غير مُدْبِر
إماما لِدِينٍ أو قِوامًا لِدولَةٍ
فإن عابه حُسَّادُه شَرَقًا به
فيا أيها المَخْدومُ سَامِي^(٣) محلُّه
ويا أيها المَخْتومُ بالفوزِ سَعْبُهُ
هنيئًا لك الحُسْنَى من الله إِنها
تَبَوَّأتِ جَناتِ النعيمِ ولم تزل
ولم تَأُلُ عيشًا راضِيًّا أو شهادَةٍ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (من) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (معاك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الذيل (عال) .

لعمرى ما يبلى بلاؤك في العدا
 وتالله لا ينسى مقامك في الوغى
 لقيت الردى في الروع جذلان باسماً
 وحُمت على الفردوس حتى وردته
 أجئك لا تُثنى عينا لأوبة
 ولا أنت بعد اليوم واعد^(١) هبة
 لسرعان ما قوضت رحلك ظاعناً
 وخلفت من يرجو دفاعك يائساً
 كأتى للأشجان فوق هواجر
 حبيتك مفقوداً^(٢) يعز نظيره
 ورومتك مطلوباً فأعيب مناله
 وإلى لمحزون الفؤاد صديعه
 وعندى إلى لقيالك شوق مبرح
 وفي خلدى والله ثكلك خالد
 ولو أن في قلبى مكانا لسئوة
 ظلمتك أن لم أقض نعماك حقها
 يطالبنى فيك الوفاء بغاية
 فأبكى ليشلوا بالعراء كما بكى
 وأعبد أن يمتاز دونى عبدة

(١) هكذا في الذيل ، وفي الإسكوريال (راعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الليل (النواحي) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الضوام) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الليل (موجودا) .

(٥) هكذا وردت في الليل . وفي الإسكوريال (لغر) . والأولى أرجح .

وهذى المرائى قد وقيت برسمها مسهمة جهد الوفى المسام
فمد اليها رافعا يد قابلي أكب عليها خافضاً قم لايم

ومن القضاة فى هذا الحرف

سلمون بن على بن عبد الله بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة يُكنى أبا القاسم ، ويُدعى باسم جده سلمون ، وقد
مر ذكر أبيه وأخيه .^١

حاله

من أهل العلم والهدى الحسن ، والوقار ، قديم العدالة ، متعدد الولاية ،
مضطلع بالأحكام ، عارف بالشروط ، صدر وقته فى ذلك ، وسابق حلته
إلى الرواية ، والمشاركة ، والتبجح ، فى بيت الخير والحشمة ، وفصل
الأبوة والأخوة . قل فى الأندلس مكان شذ عن ولايته ، وناب عن القضاة
بالحضرة ، فحمد نفاذه ، وحسنت سيرته . ثم ولى مستبداً فى الدولة
الباغية ، وخاض فى بعض أهوائها ، بما جر عليه عتبا ، فعقبه الإعتاب
عن كتب .

توالياه

ألف فى الوثائق المرتبطة بالأحكام كتابا مفيدا ، نسبه بعض معاصريه
إلى أنه قيده عن شيخه أبى جعفر بن فركون ، ودون مشيخته .

مشيخته

أجازة الراوية المعمر أبو محمد بن هرون الطاي ، والشيخ المسن أبو جعفر
أحمد بن عيسى بن عياش الملقى ، والشيخ الأديب أبو الحکم بن المرحل ،

والعدل أبو بكر بن إسحاق التجيبي ، والقاضي أبو العباس بن الغمّاز ،
والفرضي أبو إسحق التلمساني ، وأبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف ،
والمحدث أبو محمد الخلاسي ، والراوية أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم
ابن حيّان القيسي ، والوزير أبو محمد بن سِماك ، والشيخ المدرس
بالديار المصرية أبو محمد الدميّاطي ، والمقري الراوية أبو عبد الله بن
عيّاش ، وأبو الحسن بن مضاء ، والمحدث أبو عبد الله بن النجار ،
وأبو زكريا بن عبد الله بن محرز ، والمقري أبو بكر بن عبد الكريم
ابن صدقة السّفاقسي ، والشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن
القرشي العوني ، وأبو القاسم الأيسر الجداي ، وشهاب الدين الأبرقوسي ،
والعدل أبو فارس الهواري ، وأبو الكرم الحميري ، وأبو الفدا بن المعلم ،
والشريف أبو الحسن القرافي ، وأبو عبد الله بن رحيمة ، والشيخ
أبو عبد الله بن اللبيدي ، وأبو الحسن بن عطية البودري ، وأبو محمد
ابن سعيد المسرّاتي ، وأبو عبد الله بن عبد الحميد ، والخطيب أبو الحسن
ابن السّفّاج الرّندي ، وأبو محمد بن عطية ، والوزير أبو عبد الله بن أبي عامر
ابن ربيع ، والعدل أبو الحسن بن مَسْتَقُور ، والخطيب أبو عبد الله
ابن شعيب ، والشريف أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ، والأستاذ أبو بكر
ابن عبيدة . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وبرنامج رواياته نبيه .
مولد : عام خمسة وثمانين وستّاية .

ومن المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء بين أصلي وغيره

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد النساني

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عثمان .

حاله

هذا الرجل من أهل الذكاء والمعرفة والإدراك ، يقوم على الكتاب العزيز حفظاً وتدريساً ، ويشارك في فنون ، من أصول وفقه وحساب وتعديل ، ومعرفة بالإمامات الشُعاعية . يكتب خطأ حسناً ، وينظم الشعر ، ويحفظ الكثير من النُتف والأخبار ، مقتصد ، منقبض عن الناس ، مشغول بشأنه ، قيد الكثير ، يسير إلى لزمانة ، أصابت أختها ، بما يدل على نشاطه واهتمامه .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى ، ورحل إلى البُدوة ، فلقى بفاس وتلمسان جُملة ، كالأستاذ أبي إسحق السَّلاوى التلمساني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس ، والحاج ابن سبيع وغيرهم . واستدعيته لتأديب ولدى أسعدهم الله ، فبلوت منه على السنين ، نَضْحاً وسلامة وديناً وعَفَّة .

شعره

جرى ذكر في « الإكليل الزاهر » بما نصه : بمن يتشوق إلى المعارف والمقالات ، ويتشوق إلى الحقائق والمجالات ، ويشتمل على نفس رقيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ، ويعانى من الشعر ما يشهد بنبله ، ويُستطرف من مثله . فمن شعره قوله :

لَمَّا نَأَوْا فِي الظَّاعِنِينَ وَسَارُوا	أَضْحَتْ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَحَارَ
تَرَكَوهُمْ فِي ظُلْمَةٍ وَتَوَحُّشَ	مَا انْجَابَتْ الْأَضْوَاءُ وَالْأَنْوَارَ
ذَهَبُوا فَبَقُوا كُلَّ عَقْلٍ ذَاهِلًا	وَلِكُلِّ قَلْبٍ بِالنُّزُوحِ مَطَارَ
ظَلَعْنَا وَقَدْ فَتَنَّا الْوَرَى بِجَمَاهِمَ	عَبَّثْنَا بِأَفْتَدَةِ الْأَنْامِ وَحَارَ

ما ضرَّهم قبيل النَّوى لو ودَّعوا ما ضرَّهم لو أعلموا إذ سارُ
فقلوبنا من بعدهم في فجعة ودموعنا من بعدهم أمطار
يا دار أين أحبَّتني ووصالنا أين الذي كُنَّا به يا دارُ
كنا نذيع به عَير حديثنا وكلامنا الألفاظ والأشعار
والطَّير تتلَّو فوقنا نغماتها والدهر يسمع والمُدَّام تدار
ولطالما بَتْنَا ويات رقيبنا في غفلة قُضِيَتْ بها الأوطار
هل زمن تقادم عهدُه نلنا بها النُّعمى ونحن صغار
فلا تَنر على الوصال وابكينُ ما دامت الأصال والأشجار
ومن المقطوعات :

وكم عدلوني في هسواه وما رأوا محياهُ حتى عاينوه وسلِّموا^(١)
وقالوا نعم هذا الكمال حقيقةُ فحطُّوا وجاءوا صاغرين وسلِّموا
وكتب إليَّ صحبة كتاب أعرته إياه ، عقب الفراغ من مطالعته :
هذا كتاب كلُّ مُنجم أفحمني معناه إفحاما
أعجمه مُنشئه أوَّلا وزاده النَّاسخ إعجاما
أسقط من إجماله جملة وزاد في التفصيل أقساما
وغير الألفاظ عن وَضعها وصير الإيجاد إعداما
فليس في إصلاحه حيلةُ تُرجى ولو قوبل أعواما

نثره

كتب إليَّ شافعا في الولد ، وأنا واجد عليه : من حلَّ محلَّ السيد
نادرة الزمان ، وسابق حلبة البيان ، في رسوخ العلم ، والسُّمو في درجة
الحلم ، وأرضعته الحِكَم دَرَّتْها ، وقلدته المعارف دُرَّرْها ، وجلت عليه

(١) وردت في الإسكوريال على النحو الآتي : (وسلِّموا)

بدرها ، وجلبت إليه بدرها ، كان بالحنو والرأفة خليقا ، وأن يهب نسيمة لندنا رفيقا ، وأن يتعاهد بالعطف غرسا في زاكي تربتة ظلي ، وإلى مَحْتَدِه المنجب وفضلِه المنجب انتمى ، فيلحفه من الرحمة جناحا ، ويطلع عليه في ليل الوحشة المؤلمة ، من نور صفحة عن هفوته مصباحا ، والذنب إذا لم يكن عقوقا ولا سوء أدب ، وكان في الممالك والقيم المالية مُغتفر ، عند الأكابر مثله من ذوى الرتب ، وقد بلغ في الاعتراف غاية المدى ، وأنذمل الجرح الذى أصابته المدى ، والبون واضح في المقاييس ، بين المرؤوس والرئيس ، وشتان بين الزيف والجهر النفيس . ومع أن الولد كمد ، فهو للنفس ريحانة ، وفي فص خاتم الإنسان جمانة ، وقد نال منه هذا الإمضاء ، والصارم يتخذ فيزيد منه المضاء ، وهو يرتجى كل ساعة ، أن يفد عليه البشير برضاك ، فيستانف جهورا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، والله يبقيك ، والوزارة ترفل منك في مظهر حُلل ، ويريك في نفسك وبنيك غاية الأمل .

مولده : التاسع لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستماية ، وهو الان

على حاله الموصوفة .

ومن الكتاب والشعراء

سهل بن طاحنة

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان ظريفا ، عنده مشاركة في الطلب . مدح ولى العهد أبا عبد الله

ابن الغالب بالله بشعرٍ وسط ، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها :
 أنا للغرام وللهوى مدفوع فمتى السلو ووصلها ممنوع
 يقول أيضا منها بعد كثير :

يا حبذا دارُ لزینب باللّوی حیث الفؤاد علی الهوی مطبوع
 یا حادی العیس التفت نحو اللّوی إنی بسکان اللّوی مَفْجوع
 وعِج المطیُّ بلّلع وبسرامه فهناک قلب للشّجی مروع
 أطلال آرام وبيضُ خردُ هنّ الأهلّة بالجیوب طُروع
 فی ظبّیه من بینهن تصدّنی حُسنا ولی أبداً إلیه نُزوع
 حوراء جایرة علی بحکمها ظلّما وإنی مُذعن وسمیع
 تَفَنّی اللیالی والزمان وأنقَضی کمدا ولا نبأ لها مسموع
 فیالیت هل دهر یعود بوصلها فیكون للعیش الخصب رجوع
 وتعود آیام السُرور کمثل ما قد عاد روح حیاتها والروع
 فقدم مولانا الأمير محمد خیر الملوک ومن له الترفیع
 وفاته : کان حیاً سنة اثنتین وخمسين وستماية .

سالم بن صالح بن علی بن صالح بن محمد الهمدانی

من أهل مالقة ، یکنى أبا عمرو ویرف بابن سالم .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبیر : کان أديبا مُقَيِّدا . كتب بخطّه
 كثيرا ، وانتسخ أجزاء عدّة ، واجتهد وأكثر ، وكان مُتَبَدِّلا في لباسه ،
 متواضعا ، مقتصدا ، مليح المُجالسة ، حسن العشرة ، جليل الأخلاق ،
 فاضل الطبع .

مشيخته

روى عن الحافظ أبي عبد الله بن الفخار ، وأبي زيد السهيلي ،
وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي جعفر بن حكيم ، وأبي بكر بن الجَد ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبي محمد بن عبيد الله . وشارك في كثير من
شيوخه أبا محمد القرطبي ، وكان يناهضه .

دخوله غرناطة

دخلها ، وأقام بها ، وأخذ عن شيوخها ، وتردد إليها .
شعره : قال في رُمح :

أنا الرُمح المُعدُّ إلى النوايب فصاحبيني تجلدي خير صاحب
لئن فخر اليراع بكتب خطِّ فلخطي فخر بالكتائب

ومما كتب له ابن خميس قوله :

إلهي قد عصينا منك رباً تعلّى أن يُقابل بالمعاصي
فكيف خلوصنا من هول يوم تشيب لهوله سُود النَّواصي

وجلب شعرا كثيرا دون شهرته ، وما ذكر به . وتوفي بمالقة ليلة
الإثنين لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين وستماية .

حرف الهاء من الملوك والأمراء

هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن

محمد بن عبد الله

أخو المرتضى المتقدم الذكر ^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويلقب بالمُعْتَد بالله

الخليفة بقرطبة .

(١) وردت ترجمة الخليفة المرتضى في المجلد الثالث من الإحاطة (صفحة ٤٦٦ - ٤٦٧) .

صفته : أبيض أصهب ، إلى الأدمة ، سَبَط الشعر ، أحنس ، خفيف العارض واللحية ، حسن الجسم ، إلى قصر ، أمه أم ولد تسمى عاتبا .

حاله

بويح له بالشعر ، فقرطبة أيام استقراره بحصن البنت^(١) ، عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفهرى . قال ابن حيان ، ثالبا إياه على عاداته ، قُلد الأمر في سن الشيخوخة ، وكان معروفا بالشطارة في شبابه ، وأقلع فرجى فلاحه . وقال ، دخل قرطبة في زى تفتحمه العين ، وهنا وقلّة ، عديم زواٍ وبهجة ، وعدد وعدة ، فوق فرسٍ دون مراكب الملوك ، بحلية مختصرة ، سادلا سَمَل غفارة على ما تحتها من كسوة رثة ، قدامه سبع خبايب من خيل العامريين دون علم ولا مضطرد ، يسير هونًا والناس ينظرون إليه ، ويصيحون بالدعاء في وجهه . فدخل القصر ، وقلد حَكَمًا المعروف بالقزاز الأعمال والأمر ، وأطلق يده في المال ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

هَبْكَ كما تدعى وزيراً وزيرٌ من أنت يا وزير
والله ما للأمير معنى فكيف من وزير الأمير

وضعف أمره ، وآثر الناس الوثوب على وزيره ، فأوقع به طائفة من الجند ، وثارَت العامة بهشام فعُلع في خبر طويل ، ودخل غرناطة مع أخيه المرتضى ، ولحق يوم هزيمته بظاهاها ، بحصن البنت إلى أن بويح له بقرطبة يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وأربعماية .

محلته

(١) البنت أو البونت وبالإسبانية « Alpuente » مدينة حصينة في شرق الأندلس ، تقع شمال غربى بلنسية على مقربة من نهر طوريه . وقد كانت أيام عصر الطوائف عاصمة لإمارة صغيرة مستقلة تحت حكم بنى قاسم الفهرى .

ثارت العامة به بقرطبة كما تقدم ، ملتفةً على أمية بن عبد الرحمن ابن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، يوم الثلاثاء الثاني عشر لدى حجة من سنة اثنتين وأربعمئة ، بسوء تدبير وزيره ، وبادر الاعتصام بعليّة القصر ، وأنزل منها إلى ساباط الجامع بالأمان ، فيمن تآلف إليه من ولده وحريمه ، فحدثت بعض سدنة الجامع ، أن أول ما سأل الشيوخ ، إحضار كسيرة من خبز يسد جوع طفيلة له ، كان قد احتضنها ، ساتراً لها بكمه من قرّ ليلته تلك ، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به ، فأبكي من كلمه اعتبارا بعادية الدهر . وأخرج إلى حصن ابن الشرف إلى أن هلك .

وفاته : في صفر ثمان وعشرين وأربعمئة . وسنه نحو أربعة وستين سنة . وكان آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

ومن ترجمة الأعيان والكبرا والأماثل والوزرا

هاشم بن أبي رجاء الإلبيري

الوزير ، يكنى أبا خالد .

حاله

كان من عظماء أهل إلبيرة وحليتهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحق بن مسعود الإلبيري في مرضه ، وعذله على رداة مسكنه ، وقال له لو سكنت دارا خيرا من هذه لكانت أولى لك ، فأجابه رحمه الله بقوله :

قالوا ألا تستجيد بيتاً	تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذاكم صواب	حقير كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ	وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين كينا	بنييت بئسان عنكبوت

وأى معنى لحسن مَغْنَى ليس لسكَّانه نُبوت
 ما لو حظَّ القبر لوعَقَلنا موعظة للناطق الصموت
 يُوبى إلى مُتعلَى الحنايا مالك عن مضجعى هَميت
 سبت يوى وطول نوى وسوف تَنسى كما نسيت
 وسُدَّتْ ياهادى قصوراً نَعِمْتُ فيهنَّ كيف شِيت
 معتنقاً للحسان فيها مُسْتَنَشَقاً مِسْكَها الفَيِّيت
 تبسبب فيل الصِّبَا وتلهو بأنسات يَقْلُنْ هِيت
 فإذْ كَرَّ سُهَادى قَبْلَ التَّنَادى وانهد له قبل أن يفوت
 فعن قريب يكون ظنى سَخِطْتُ يا صاح أم رضيت

حرف الياء : الملوك والأمراء

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن

نصر الأنصارى الخزرجى

أمير المسلمين بالأندلس ، أبو الحجاج .

جاله وصفته

كان أبيض أزهر ، أيداً ، براق الثنايا ، أنجل ، رجل الشعر أسوده ،
 كث اللحية ، تقع العين منه على بدر تمام ، يفضل الناس بحسن المرأى ،
 وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاماً ورتبة ، عذب اللسان ، وافر العقل ،
 عظيم الهيئة ، إلى ثقوب الذهن ، وبُعد العُور ، والتفطن للمعاريض ،
 والتبريز في كثير من الصنائع العملية ، مائلاً إلى الهدنة ، مُزجياً للأُمور ،
 كَلِفاً بالمباني والآثواب ، جماعة للحلى والذخيرة ، مستمبلاً لمعاصريه من
 الملوك . تولى الملك بعد أخيه بوادى السقايين من ظاهر الخضراء ، ضحوة
 يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية ،

وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر، واستقل بالملك ، واضطلع بالأعباء ، وتملاً الهدنة ما شاء . وعظم مرانه لمباشرة الألقاب ، ومطالعة الرسم ، فجاء نسيج وحده ، ثم عالى شدايد العدو ، فكرم يوم [الوقية العظمى بظاهر] ^(١) طريف موقعه ، وحمد بعد في منازل الطاغية عند الجثوم على الجزيرة صبره ، وأجاز البحر في شأنها ، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطأها أجله ، وأوهن حبلها سعده . ولما نفذ فيها القدر ، وأشفقت الأندلس ، سدّد الله أمور المسلمين بها على يده ، وراخى مُحَنَّق الشدة بسعيه ، فعرفت الملوك رجاحته ، وأثنت على قصده ، إلى حين وفاته .
أمه : أم ولد تسمى بهارا ، طُرِفُ في الخير والصون والرجاحة .

ولده : كان له ثلاثة من الولد ، كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده ، وتلوه أخوه إسماعيل المستقر في كنفه ، محجورا عليه التصرف إلى أعمال التدبير ، وثالثهم إسمه قيس ، شقيق إسماعيل .

وزراء دولته

تولّى وزارته لأول أمره ، كبير الأكره ونبيه الدهاقين ^(٢) ، من مُنتَجَمِي المَكْر بحضرته ، أبو إسحق بن عبد البر ، لمحيلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده ، سداً لحالها على عوز طريقه إلى حضرته ، إلى ثالث شهر المحرم من العام . وأزف الخاصة والنبهاء ، رياسته ، فطلبوا من السلطان إعاضته ، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي التميم [رضوان] ^(٣) ، مظنة التسديد ، ومحطّ الإنفات ، فاتصل نظره مستبدا عليه ، في تنفيذ الأمور ، وتقديم الولاة والعمال ، وجواب المخاطبات ،

(١) وردت في الإسكوريال فقط (وقية طريف) . والزيادة من اللحة البدرية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي اللحة البدرية (المشيخة) .

(٣) وضعنا اسم الحاجب زيادة في التعريف .

وتدبير الرعايا ، وقود الجيوش . ثم نكبه ، وأحاط به مكروها ، مجهول السبب ، ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام أربعين وسبعماية . وتولى الوزارة بعده ، ابن عمه أبيه القايد أبو الحسن علي بن مول ابن يحيى بن مول الأمي ، ابن عم وزير أخيه ، رجل جهورى حازم ؛ ~~مؤتمرا~~ للغلظة على الشفقة ، ولم ينشب أن كفَّ كفَّ استبداد ، فانكدر نجم سعادتهم ، والتأثت حاله . ولزمته شكاية سدكت فاستنقذته . وأقام لرسم الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وهلك رحمه الله فأجرى لي الرسم ، وعصّب لي تلك المثابة ، مضاعف الجراية ، معززة بولاية القيادة

كتابه

تولى كتابته كاتب أخيه وأبيه ، شيخنا المذكور إلى حين وفاته . وقلدني كتابة سرّه مثناة بمزيد قربه ، مظفّرة برسم وزارته .

قضاته

تولى أحكام القضاء ، قاضى أخيه الصّدر البقيّة ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن محيي بن بكر إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف ، وفقد في مصافّه ، وتحت لوائه . وتولى القضاء الفقيه المفتى البقيّة أبو عبد الله محمد بن عيّاش ، من أهل مالقه أياما ، ثم طلب الإعفاء . فأسعف عن أيام تقارب أسبوعا ، وولى مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال من أهل مالقة . فسدد الخطّة ، وأجرى الأحكام ، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعماية ، وقُدّم عوضا عنه ، الفقيه الشريف الصّدر الفاضل أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبّتي المولد والمنشأ ، الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه ، النازع إلى إيلتهم النصرية

معدودا في معاصر ايامها ، مشارا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها : ثم عزله لغير جُرمة تذكر ، إلا ما لا ينكر وقوعه ، مما تجره تبعات الأحكام . وولى الخطة شيخنا نسيج وحده الرحلة البقية أبا البركات بن الحاج ، شيخ الصُقع ، وصدرُ الجُلَّة . واستمر قاضيا إلى....^(١) وأربعين وسبعماية . ثم أعاد إليها القاضي المفوض هونه ، الشريف الفاضل ، أبا القاسم ، إلى يوم وفاته .

رئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي

تولى ذلك [الأول]^(٢) الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس ابن عبد الحق ، قريع دهره في النكراء والدهاء ، المسلم له في الرتبة ، عتاقة ورأيا وثباتا ، إلى أن نكبه ، وقبض عليه وعلى إخوته ، يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الأول ، عام أحد وأربعين وسبعماية . وأقام شيخنا ورئيسا ، دايلهم وابن عمهم ، المتلقف لكرة عزهم . يحيى بن عمر بن رحو ، ولى ذلك بنفسه وندبه^(٣) ومبرز خصاله إلى تمام مدته .

من كان على عهده من الملوك

وأولا بفاس دار الملك بالمغرب ، السلطان المتناهى الجلالة ، أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . وجاز على عهده إلى الأندلس ، إثر صلاة يوم الجمعة تاسع عشر صفر ، من عام أحد وأربعين وسبعماية . بعد أن أوقع بأسطول الروم . المستدعى من أقطارهم . وقبعة كبيرة شهيره . إسبولى فيها من المناخ والسلاح والأجفان ، على ما قدم^(٤)

(١) تاريخ المتوسط

(٢) هذا التناهي واردة في اللغات - وخاصة في الإسكندراني .

(٣) وردت في الإسكوريال (وقدمه) . والصواب من اللغة البدرية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي اللغة (بعد) .

به العهد ، واستقر بالخضراء في جيوش وافرة ، وكان جوازه ، في مائة وأربعين جفنا غزويا . وبادر إلى لقائه ، واجتمع به في وجوه الأندلسيين وأعيان طبقاتهم بظاهر ، الجزيرة الخضراء ، في اليوم الموفى عشرين من الشهر المذكور . ونازل إثر انقضاء المولد النبوى ، مدينة طريف ، ونصب عليها المجانيق ، وأخذ بمخنقتها ، واستحث من بها من المحصورين ، طاغية الروم ، فبادر يفتاد^(١) جيشا ، يجز^(٢) الشجر والمدر . وكانت المناجزة ؛ يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من العام . ومُحص المسلمون بوقیعة هائلة ، أتت على النفوس والأموال والكراع ، وهلك فيها بمضرب المملك جملة من العقائل الكرام ، فعظمت الأحدثوة ، وجلت المصيبة ، وأسرع اللحاق بالمغرب مفلولا في سبيل الله ، مُحْتَسِباً يروم^(٣) الكرة : وكان ما هو معلوم ، من إمعانه في حدود الشرق ، عند إحكام المهادنة بالأندلس ، وتوغله في بلاد إفريقية ، وجريان حكم الله عليه بالهزيمة ، [ظاهر القيروان]^(٤) التي لم ينتشله الدهر بعدها ، وعَلِقَتْ آمال الخلق بولده ، مستحق الملك ، من بين ساير إخوته^(٥) ، وهلك على تَفِيَةٍ ، لحاقه بأحواز مراکش ، ليلة الأربعاء السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعماية ، فاختار الله له ما عنده ، بعد أن بلغ من بُعد الصيت ، وتعظيم الملوك له ، وشهرة الذكر ، ما لم يبلغه سواه .

ونحن نجلب دليلا على فضله ، والإشادة بفخره ، نسخة العقد الذى

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المصحة (يقود) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي المصحة (يسوق) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يوم) . والتصويب من المصحة .

(٤) هذه الزيادة من المصحة .

(٥) وردت في الإسكوريال (ولده) . والتصويب من المصحة .

تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية ، صعبة الرِّبعة الكريمة بخطه ،
وذلك قبة من مائة بنيقة ، وفيها أربعة أبواب؛ وقبة أخرى من ستة
وثلاثين بنيقة؛ داخلها حلة مخلوقة ووجهها حرير أبيض ، وركيزها أبنوس
وعاج مرصع ، والاهار فضة مذهبة ، ، والشرايط حرير . وضربت القبتان
بالصفصيف ، وحل فيها جميع الهدية . وصُففت جميع الدواب بجهازاتها
أمام القبة . من الخيل ثلاثمائة ، وخمسة وثلاثون من البغل بين ذكور
وأناث ، ومن الجمال سبع مائة ، إلا إنها لم تصفف ، بل أعدت لحمل
الهدية ، ومن البزاة الأحرار أربعة وثلاثون ، ومن أحجار الياقوت مائتان
وخمسة وعشرون ، ومن قطب الزمرد مائة وثمانية وعشرون ، ومن حبوب
الجوهر الفاخر أكثره ، ثلاثة آلاف وأربعة وستون . ومن أحجار الزبرجد
ثمانية وعشرون ، ومن المهندات بحلية الذهب عشرة ، ومن أزواج مهامير
الذهب عشرة ، ومن أزواج الأركب عشرة ؛ واحد كله ذهب ، وثلاثة
كلها فضة ، وستة من حبيبة مذهبة على الحديد . واثنان من اللصحات من
ذهب . وشاشية مذهبة . وحلل ثلاث عشرة . وعشر كلل ومخاد حلة .
وتوق ذهب مائتان ، واشتراق ذهب عشرون . وقدود ستة وأربعون . وفرشا
جلَّة . وعشر علامات مُعَشَّشة . وعشر وقايات مذهبة . وثلاثون من وجوه
اللحف حرير وذهب . ومائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة .
وحيطان أحدهما حلة والآخر طرق . وثلاثة وعشرون شقة من الرهاز ؛
واثنان من هنابل الحلة . وعشرة براقع للخيل منها ثمانية من الحلة . ومن
أسلة الخيل ثلاثون ، وثلاثة طنافس من الحرير . وهنابل حرير اثنان .
وعشرة هنابل من الحرير والصوف . وهنابل واشريشية وزمورية مائة
وسبعة . وأربعة آلاف من الجلد التركي والأغماتي . ومن دَرَق اللَّمَط المثمنة

مئتان . ومن الأَكْسِيَّة المحررة أربعة وعشرون . ومن البراس المحررة ثمانية . ومن الأحارم ما بين محررة وصوف عشرون . ومن أزواج المحفف خمسون . وعشر لزمات من الفضة . وستة عشر شقة من الملف . وأما أزودة الحجاج فأعطى للحرمة المكرمة أخته ، أعزها الله ، ثلاثة آلاف دينار من الذهب ، ومائتي كسوة برسم العرب . ولن سافر معها ستماية وسبعين . ولأبي إسحق بن أبي يحيى ثلاثمائة من الذهب وكسوة رقيقة . ولعريفه يحيى السويدي ألف دينار من الذهب . إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان والخدام ، ولرسوم التحبب على قراء الرابعة الكريمة ، ستة عشر ألفاً وخمسمائة دينار . انتهى .

وكان هذا السلطان رحمه الله ، ممن دوخ الأقطار ، وجاهد الكفار ، ووطيء بالأساطيل حدود البحار ، والتمس ما عند الله من الثواب ، وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب . إلى أن استوفى الأمر لولده ، أمير المؤمنين بالمغرب وما إليه ، فارس المكنى بأبي عنان ، الملقب بالمتوكل على الله . فقام بالأمر أحمد قيام . وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات ، وسفرني إليه لأول الأمر ، معزياً بأبيه ، ومُهنيًا بما صار إليه من ملكه ، واستصحبته إليه كتاباً من إنشأ . بجايه بحول الله ، تجميماً لمن يقف على هذه الأخبار ، وإن اقتحمتهما ثبج الإكتار وهو :

المقام الذي رسخت منه في مقامى الضر والشكر قدم . فلا ينيره وجود ولا يروعه عدم ، وصادفت منه في كتاب المجد عرمة لم يحتلجها وهن ولا ندم ، حتى تصرفت بحكم معاليه أيام دهره رلياليه ، هو ولدان وعنده

مخدم . مقام محل أخينا . الذى إن جاشت النوايب وسعها صدره . أو عظمت المواهب ، ترفع عنها قدره ، أو أظلمت الكروب جلاها بذره . أو تألبت الخطوب ، هزمها صبره . أو أظلمت سحايب النعم ، أسدرها حمد الله وشكره ، أو عرضت عقود الحمد فى أسواق المجد أغلاها فجره . أو راقى حل الصنائع طرزها ذكره . أو طبقت سيوف الناس أغمدها صفحه ، وسلها قهره . السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد ، كلما بكت عين ، مجموع الشمل كلما أرف بين . وارى الزند إذا اقتضى دين ، محمى الذمار بانفساح الأعمار ، كلما أغار على الأحياء حين . ولا زال يقيد منه شكر الله نعم ما فى وعدها لى ، ولا فى قولها مين . ويلبس منها حللا تقواه فى عواتقها زين . مساهمة فى كل خطب غم ، أو فضل من الله عم . ومقاسمة فى كل ما ألم . وتهنئة بالملك الذى خلص وتم ، فلان .

أما بعد حمد الله الذى جعل الصبر فى الحوادث حصنا منيعا ، والشكر يستدعى المزيد من النعم مريعا ، فمتى أعملت للصبر دعوة ، كان بها الأجر سميعا . ومتى رفعت من الشكر رقة ، كان المزيد عليها توقيعا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى بوأنا من السعادة جنابا مريعا . وبين له حدود أواره ونوايه فطوبى لمن كان مطيعا . وكان لنا فى الدنيا هاديا ، ونجده فى الآخرة شفيعا . والرضا عن آله وصحبه ، الذين كانوا على العداة قبيضا ، وللعفاة ربيعا . فحلوا من الاقتداء به فيما ساء وسر ، وأحلى وأمر مقام ربيعا . وخفض عليهم مضاضة فقهه ، مثابرتهم على ضم شمل المسلمين من بعده . اقتداء بقوله سبحانه : واعتصموا بحبل الله جميعا . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر ، الذى يشكر منه الجياد والبيض الحداء صنيعا . وتشرح منه ألسن الأقلام تهديبا وتقريرا . والصبر الذى زرافات

الأجر قَطِيعاً . فقطيعاً . فلإنا كتبنا إلىكم ، كتب الله لكم من حظوظ الخير أوفرها عدداً . وأقطعكم من خُطَط السَّعد أبعدها مداً . وأتبعكم من كتابيب العز أطولها يداً ، وخولكم من بَسْطَة المُلْك ما لا يببدا أبداً ؛ وألهمكم من الصبر لما تقدّمونه فتجدونه غداً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من من الاعتداد في الله أسبابٌ وثيقة ، وأنسابٌ صدق في بحبوحة الخُلوص عريقة . ومن الثناء عليكم حدائقٌ روض لا تحاكيها حديقة . ومن المساهمة لكم في شتى الأحوال ، مقاصدٌ لا تلتبس منها طريقة . ومن السُّرور بما سناه الله لكم ، نعمٌ يشكر الله عزّ وجلّ خليقة .

وإلى هذا ، أيّدكم الله بنصره ، وحكم لمقامكم بشدّ أزره ، وإعلاء أمره ، فإلنا وَرَد علينا الخبر الذي قبض ويسط ، وجار وأقسط ، وبخس ووفى ، وأمراض وشقى ، وأضحى وظلل ، وتجهّم وتهلّل ، وأمرٌ وأخلى ، وأساء ثم أحسن ، وبشّر بعد ما أحزن ، خبرٌ وفاة والدكم ، محلٌّ أبينا ، السلطان العظيم القدر ، الكبير الخطر . قدس الله طاهر تربته ، وكرمٌ لَحده ، كما أحيا بكم معالم مجده . فياله من سَهَم رعى أغراض القلوب فأثبتتها . وطرق مجتمعات الآمال فشتتها . ونعى إلى المجد لإنسان عينه وعين إنسانه . وإلى المُلْك هَيولى أركانها . وإلى الدين ترَجمة ديوانه . وإلى الفضل عميد إيوانه . حادثٌ نبه العيون من سِنَة غرورها . وذكرُ النفوس بهم أمورها . وأشرق المحاجر بماء دموعها ، وأضرَم الجوانح بنار ولوعها . وبين أن سَراب الامال سراب ، وأن الذي فوق التراب تراب . فمن تأمل الدنيا وطباعها ، والأيام وإسراعها ، والحوادث وقِراعها ، بداله الحق من المين . واستغنى عن الأثر بالعين . فشأها أن لا تفتّر عن سهم تُسدّده إلى غرض . وصحّة تعقبها بمرض ، وجوهر ترميه

بِعَرَضٍ . وِداءٍ لِلْمَوْتِ قَدِيمٍ ، وَقُرْبِهِ لَا يُبْتَدَى عَلَيْهِ أَدِيمٍ . وَكَأْسُهُ يَشْرِبُهَا
 مُوسِرٌ وَعَدِيمٌ . دَبَّتْ إِلَى كَسْرَى الْفُرْسِ عَقَارِيهِ ، فَلَمْ تَمْنَعَهُ أَسَاوِرَتُهُ
 وَلَا مِرَازِيَهُ . وَقَصَرَ قَيْصَرَ عَلَى حِكْمِهِ فَكَلَّتْ مِشَارِيهِ . وَأَتْبَرَ سَيْفَ بَنِي ذِي يَزْنَ
 عَمَلَانَهُ ، فَلَمْ تَرَعَهُ مِضَارِيهِ . وَأَرْدَى تَبَعًا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَتْبَاعِهِ مِنْ يَحَارِبِهِ .
 لَمْ تَدَافِعْ عَنْهُمْ الْجُنُودُ الْمَجْنُدَةُ . وَلَا الصُّفَاحُ الْمَهْنَدَةُ . وَلَا الدَّرُوعُ الْمَحْكَمَةُ ،
 وَلَا النِّيَابُ الْمَعْلَمَةُ . وَلَا الْجِيَادُ الْجُرْدُ الْمَسُومَةُ . وَلَا الرُّمَاحُ الْمَثْقَفَةُ الْمَقُومَةُ .
 كُلُّ قَدَمٍ عَلَى مَا قَدَّمَ . وَجَدَّ إِلَى مَا أَعَدَّ . جَعَلْنَا اللَّهُ مَنْ يَسِّرْ لِسَفَرِهِ زَادًا . وَقَدَّمَ
 بَيْنَ يَدَيْهِ رِبَاطًا شَافِعًا لَدَيْهِ وَجِهَادًا . وَوَثَّرَ لِنَفْسِهِ بِمَنَاصِحَةِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي
 أَعْلَى عَالَمِينَ ، مَهَادًا . وَطَوَّقَ الْمُسْلِمِينَ عَدْلًا وَفَضْلًا وَإِمْدَادًا . غَيْرَ أَنْ هَذَا
 الْفَاجِئُ الَّذِي فَجِعَ ، وَمَنَعَ الْقُلُوبَ أَنْ تَقْرَأَ وَالْعَيْنَ أَنْ تَهْجِعَ . غَمَرَتْهُ
 الْبُشْرَى ، وَغَلَبَتْهُ الْمَسْرَةُ الْكَبِيرَى ، وَعَارَضَتْهُ مِنْ بَقَايِكُمْ الْآيَةُ الْمَحْكَمَةُ
 الْأُخْرَى . فَاضْمَحَلَّ مِنْ بَعْدِ الرُّسُوحِ . وَصَارَ لَيْلَهُ فِي حُكْمِ الْمَنْسُوحِ . مَا
 كَانَ مِنْ اسْتِخْلَاصِكُمْ الْمَلِكَ الَّذِي أَنْتُمْ أَهْلُهُ ، وَاحْتِيَازِكُمْ الْمَجْدَ الَّذِي
 أَشْرَقَ بِكُمْ مَحَلُّهُ . وَكَيْفَ بِسَهْمٍ أَخْطَأَ ذَاتِكُمْ الشَّرِيفَةَ ، أَنْ يَقَالَ فِيهِ
 أَضْمَى وَأَجْهَزَ . وَالْأَمَلُ بَعْدَ بَقَايِكُمْ أَنْ يَقَالَ فِيهِ تَعَلَّرَ أَوْ أَعْوَزَ . إِنَّمَا
 الْأَمَالُ بِبَقَايِكُمْ لِلْمَلَأِ مَنْوُطَةٌ . وَسَعَادَةُ الْإِسْلَامِ بِحَيَاتِكُمْ الْمَتَّصِلَةُ مَشْرُوطَةٌ .
 وَمِنْهَا : فَأَيُّ تَرَحٍّ يَبْقَى بَعْدَ هَذَا الْفَرَحِ ، وَأَيُّ كَسَلٍ يَنْشَأُ بَعْدَ هَذَا
 الْمَرَحِ . إِنْ أَقْلَ الْبَلَدُ ، فَقَدْ تَبَلَّجَ الْفَجْرُ ، أَوْ غَاضَ النَّيْلُ فَقَدْ فَاضَ
 الْبَحْرُ . وَإِنْ مَالَ فَلَكُ الْمَلِكِ ، فَقَدْ عَادَ إِلَى مَدَارِهِ . وَإِنْ أَذْثَبَ الدَّهْرُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ
 مَا شَاءَ فِي اعْتِدَارِهِ . إِنَّمَا هَذَا الْخُطْبُ وَعَنْ أَعْقَبِهِ ضَوْءُ النَّهَارِ ، وَسَطَعَتْ
 بِغَدِهِ أَشْعَةُ الْأَنْوَارِ . وَصِدْمَ صَامَةً أَغْمَدَتْ ، وَسُلَّ مِنْ بَعْدِهَا ذُو الْفَقَارِ .

ومنها : وإتنا لما (١) عن حقه ورصدنا طالعه في أفقه . قابلنا الواقع بالتسليم ، والمنحة الرأفة بالشكر العظيم . وأنسنا في غمام الهدنة ربّ هذا الإقليم . وقلنا استقر الحق ووضحت الطرق ، وهوى الرايد وصدق البرق ، وتقررت القاعدة وارتفع الفرق ، واستبشر يابلال المغرب أخوه الشرق . وثابت آمال أولى الجهاد إلى اقحام فُرصة المجاز ، وأولى الحج إلى مرافقه ركب الحجاز ، وآن للدنيا أن تلبس الحلى العجيبة بعد الابتزاز . والحمد لله الذي زين بكم أفق الملك ، وكيف بسعدكم نظم ذلك السلك . وهنأ الله إيالتكم ، العباد والبلاد ، والحجّ والجهاد . وصدق الظنون الذي في مقامكم ، الذي جاز في المكارم الآماد . بادرنا أيديكم الله من برّكم إلى غرضين . وقمنا من حقّ عزايكم وهنايكم بواجبين مُقترَضين . وشرعنا ومن لدّينا ، أن نباشر بالنفوس ، هذين القَصدين . إلا أننا عاقنا عن ذلك ، ما اتصل بنا ، من العدو الذي بلينا بجواره ، ورؤينا بمصابرة تياره . وإلا فهذا الغرض قد كنا لا نرى فيه بإجراء الاستنابة ، ولا نُحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة . فليصِل الفضل جلالكم . ويقبل العُذر كما لكم . وإذا كان الاستخلاف بما تحتمله العبادة ، ولا ينكره عند الضرورة العرف والعادة ، فأخري الأخوة والودادة ، والفضل والمجادة . فتخيرنا جهدنا ، واصطفينا لباب اللباب فيمن عندنا . فعيناً فلانا . واتصلت أيامه إلى آخر مدته .

وبمدينة تلمسان : عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يعمراسين بن زيّان ، يكنى أبا تاشفين . وقد تقدم ذكره ، وهو الذي انقضى ملك بني زيّان على يده . تولى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم . وهنأه إلى أن تأكّدت

(١) يفاض بالخطوط .

الوُحْشَة بينه وبين السلطان ملك المغرب . فتحركَ لمتازلته ، وأخذَ بِكَظْمِهِ ،^(١) وحصره سنين ثلاثا ، واقتحم عليه مَلْعَبُ الْبِلْدَةِ ، ليلة سبع وعشرين من رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعماية . وفي غرة شوال منها ، دخل البلد من أقطاره عَنَوَةٌ ، ووقف هو وكبير ولده^(٢) برحبة قصره ، قد نَزَعَا لام الحرب المانعة من عمل السلاح ، استعجالا للمنيّة ورغبة في الإجهاز وقاما مقام الثبات والصبر والاستجماع ، إلى أن كُوْثِرَا وأثخنَا ، وعاجلتها مَنِيَّةُ الْعَزْ قَبْلُ شِدِّ الْوِثَاقِ ، وإمكان الثّمات ، واستولى على الملك ملك المغرب . وفي ذلك قلت من الرّجز المسمى بقطع السلوك في الدول الإسلامية^(٣) ، مما يخص ملوك تلمسان ، ثم أميرها عبد الرحمن هذا :

وحل فيها عابدُ الرحمن	فاغترَّ بالدنيا وبالزمان
وسار فيها مطلق العنان	من مظهر سام إلى جنان
كم زخرف عليها من بُنيان	آثاره تُنبئ عن العيان
وصرف العزم إلى بجاية	فعظمت في قومها التكاية
حتى ما إذا مدة الملك انقضت	وأوجهُ الأيام عنهم أعرضت
وحقُّ حقِّ الدهر فيها ووجب	وكتب الله عليها ما كتب
حثَّ إليها السير ملك المغرب	يا لك من ممارس مجرَّب
فغلب القوم بغير عهد	بعد حصار دائم وجهد
فأفقرت من ملكهم أوطاناه	سبحان من لا ينقضى سلطانه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحة (بخطه) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بلده) . والتصويب من اللحة .

(٣) يقصد ابن الخطيب هنا كتابه المسمى (رقم الحلل في نظم الدول) . وهو الذي سبق

أن وصلناه في مقدمة المجلد الأول .

ثم نَشَأَتْ لَمْ بَارِقَةَ ، لَمْ تَكْدُ تَقْدُ حَتَّى نَجَبَتْ ، عِنْدَمَا جَرَتْ عَلَى السُّلْطَانِ
 أَبِي الْحَسَنِ الْهَزِيمَةَ بِالْقَيْرَوَانَ ؛ وَانْبَتَّ عَنْ أَرْضِهِ ، وَصُرِفَتْ الْبَيْعَةُ فِي
 الْأَقْطَارِ إِلَى وَلَدِهِ ، وَارْتَحَلَ إِلَى طَلَبِ مَنْصُورِ ابْنِ أَخِيهِ ، الْمُنْتَزِي ^(١) بِمَدِينَةِ
 فَاسٍ . فَدَخَلُوا تَلْمَسَانَ ، وَقَبِضُوا عَلَى الْقَائِمِ بِأَمْرِهَا ، وَقَدَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 عِثْمِينَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَغْمَرِ بْنِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ فِي رَسْمِ عِثْمِينَ
 وَذَلِكَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ؛
 وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ أَثْنَاءَ الْفِتْنَةِ وَارْتِاشِ ، وَأَقَامَ رَسْمَ الْإِمْرَةِ ، وَجَدَّدَ مُلْكَ
 قُوْنِهِ . وَاسْتَمَرَّتْ حَالُهُ إِلَى أَنْ أَوْقَعَ بِهِمْ مَلِكُ الْمَغْرِبِ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ
 أَبُو عِنَانَ الْوَقِيْعَةَ الْمَصْطَلِمَةَ ^(٢) الَّتِي خَضَعَتْ ^(٣) الشُّوكَةَ ، وَاسْتَأْصَلَتْ الشَّافَةَ .
 وَتَحَصَّلَ عِثْمِينَ فِي قَبْضَتِهِ . ثُمَّ أَلْحَقَتْ النُّكْبَةَ بِهِ أَخَاهُ ، فَكَانَتْ سَبِيلَهُمَا فِي
 الْقَتْلِ صَبْرًا حَبِيرَةً ، وَذَلِكَ فِي وَسْطِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ التَّارِيخِ .
 وَبِتُونَسَ : الْأَمِيرُ أَبُو يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا بْنِ الْأَمِيرِ
 أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَا إِلَى أَنْ هَلَكَ . وَوَلِيَ الْأَمْرَ وَلَدُهُ عَمْرٌ [ثُمَّ
 وَلَدُهُ أَحْمَدٌ] ^(٤) ثُمَّ عَادَ [الْأَمْرَ] إِلَى عَمْرٍ . ثُمَّ اسْتَوْلَى مَلِكُ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانُ
 أَبُو الْحَسَنِ عَلَى مَلِكِهِمْ . ثُمَّ ضَمَّ نَشْرَهُمْ بَعْدَ نَكْبَتِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ وَطَنِهِمْ
 عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .

وَمِنْ مَلُوكِ النَّصَارَى بِقَشْتَالَةَ : أَلْفَنْشُ بْنُ هِرْتُدَةَ بْنِ دُونِ جَانْتَجَةَ بْنِ
 أَلْفَنْشِ الْمَسْتَوْلَى عَلَى قَرْطَبَةَ ^(٥) ابْنِ هِرْتُدَةَ الْمَسْتَوْلَى عَلَى إِشْبِيلِيَّةِ . إِلَى

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ فِي الْمِحَّةِ (الدَّاعِي لِنَفْسِهِ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . فِي الْمِحَّةِ (الْمَسْتَأْصَلَةُ) .

(٣) وَوَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (حَصَلَتْ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمِحَّةِ .

(٤) هَذِهِ الزِّيَادَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمِحَّةِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكُورِيَالِ .

(٥) هَذَا خَطَأً تَارِيخِيًّا مِنْ ابْنِ الْخَطِيبِ ، فَإِنَّ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى قَرْطَبَةَ هُوَ فِرْنَانْدُو الثَّلَاثُ مَلِكُ

قَشْتَالَةَ (مِرَانْدَهُ) . وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) . وَهُوَ الَّذِي اسْتَوْلَى
 كَذَلِكَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٤٧ هـ (١٢٤٨ م) . وَيَنْعَمُ فِي التَّوَارِيخِ النَّصْرَانِيَّةِ بِسَانَ فِرْنَانْدُو

(أَيْ الْقَدِيسِ) .

عدد جم . وكان طاغية مرهوبا ، وملكاً مجدودا . هبَّت له الريح ، وعظمت به إلى المسلمين النكاية . وتلَّك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقينة الكبرى العظمى بطريف . ثم نازل جبل الفتح ، وكاد يستولى على هذه الجزيرة ، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفى لطفه ، لا إله إلا هو . فهلك بظاهره في محلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعماية . فتنفس المُخنَّق ، وانجلت الغُمة ، وانسدل السُّتر . كنت منفردا بالسلطان رحمه الله ، وقد غلب اليأس ، وتوقعت الفضيحة ، أونسه بعجائب الفرج بعد الشدة ، وأقوى بصيرته في التماس لطف الله ، وهو يرى الفرج بعيدا ، ويتوقع من الأمر عظيما . ووَرَد الخير بمهلكه ، فاستحالت الحال إلى ضدها ، من السرور والاستبشار . والحمد لله على نعمه .
وفي ذلك قلت :

وما حاضرٌ في وصفها مثل غائب	الا حدثاني ^(١) فهي أم الغرايب
سروج المذاكي أو ظهور التجايب	ولا تُخْلِيا منها على قَطْر السرى
على بابك المذول موقف تايب	أيوسف إنَّ الدهر أصبح واقفا
وسعدك أفضى من سُعود الكواكب	دعاؤك أمضى من مُهتدة الظأ
ولكن سيف الله دامي ^(٢) المضارب	سيوفك في أغمادها مطمئنة
وسلَّ فضله فالله أكرم واهب	فثيق بالذي أروعك أمر عاده
تجدُّ على مرَّ العصور الذواهب	لقد طرَّق الأذفدش سعدك خزبة
وصدق أطماع الظنون الكواذب	وقيت وغان العهد في غير طابيل

(١) مكنا وردت في الإسكوريال . وفي الملح (حدثاها) .

(٢) مكنا في الإسكوريال . وفي الملح (ماضي) .

هوى في مجال العجب غير مُقَصَّر
وغالب أمر الله جلُّ جلاله
ولله في طيِّ الوجود كتابيُّ
تغير على الأنفاس في كل ساعة
فمن قبارع في قومه سنُّ نادم
مصائب أشجى وقعها مُهَج العدا
شواظُّ أراد الله إطفاء ناره
وإن لم يصب منه السلاح فإنما
ولله من أَلطافه في عباده
فمهما غَرَسَتْ الصبر في تربة الرضا
ولا تعدُّ الأمر البعيد وقسوعه

وهل نهض العُجب المخل براكب
ولم يَنْدِرْ أَنَّ الله أَغْلِبُ غالب
تدقُّ وتَخْنِي عن عيون الكتابيب
وتكن حتى في مياه المشارب
ومن لاطم في رَبِعه خدُّ نادِب
وكم نِعَمٌ في طيِّ تلك المصايب
وقد نَفَج الإسلام من كل جانب
أصيب بسهم من دُعائك صايب
خزائنُ ما ضاقت لمطلب طالب
بأحكامه فَلتَجن حسن العواقب
فإن الليالي أمهات العجايب

وهي طويلة سهلة ؛ على ضعف كان ارتكابه مقصودا في أمداحه .

وبيرجلونة ^(١) : السلطان يَطْرُه المتقدم ذكره في اسم أخيه

ومن الأحداث في أيامه الواقعة الكبرى بظاهر طريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى ، من عام أحد وأربعين وسبعماية ، وما اتصل بذلك من منازلة الطاغية ألْهَنْشُه ، قلعة يحصب ^(٢) الماسة الجوار من حضرته ، واستيلائه عليها ، وعلى باغة . ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهرا ، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه . ثم استقر منازل إياها إلى أن فاز بها قِداحه ، والأمر لله العلي الكبير ،

(١) أي برشلونة .

(٢) قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد ، محلة حصينة تقع شمال غرناطة وجنوب حان . وقد سبق

التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة صفحة ١١١ حاشية) . وبأغة وبالإسانية « Priego »
أيضا سبق التعريف بها (راجع المجلد الثالث صفحة ٥٢٧ حاشية) .

في قصص يطول ذكره ، تضمن ذلك « طرفة العصر » من تأليفنا .
ثم تهناً السلم ، والتحف جناح العافية والإمنة برهة ، رحمه الله .

وفاته

وما استكمل أيام حياته ، وبلغ مداه ، أتم ما كان شاباً واعتدالا
وحسناً ، وفخامة وعزاً [حتى]^(١) أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب ،
وهجم عليه يوم عيد الفطر ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية ، في الركعة
الأخيرة ، رجل من عداد المرورين ، رمى بنفسه عليه ، وطعنه بخنجر
كان قد أعدّه ، وأغرى بعلاجه ، وصاح ، وقطعت الصلاة ، وقُبض عليه ،
واستفهم ، فتكلم بكلام مُخلّط ، واحتملُ إلى منزله ، على قوت لم يستقر
به ، إلا وقد قضى رحمه الله ورضى عنه ، وأخرج ذلك الخبيث للناس ،
وفتل وأحرق بالنار ، مبالغة في التشني . ودفن السلطان عشية اليوم في
مقبرة قصره لصق^(٢) والده ، وولى أمره ابنه أبو عبد الله محمد ، وبولغ في
احتفال قبره ، بما أشف على من تقدمه ، وكتب عليه ما نصه :

« هذا قبر السلطان الشهيد ، الذي كَرُمَت أحسابه وأعراقه ، وحاز
الكمال خلقه وأخلاقه ، وتحدث بفضله [وحلمه]^(٣) شام المعمور
وعراقه ، صاحب الآثار السنية ، والأيام الهنيئة ، والأدلاق الرضية ،
والسير المرضية . الإمام الأعلى ، والشهاب الأجل ، حُسام الملة ، علم الملوك
الجلّة ، الذي ظهرت عليه عناية ربه ، وصنع الله له في سلّمه وحزبه .
قطب الرجاحة والوقار ، وسلالة سيد الأنصار ، حامى حمى الإسلام برأيه
ورايته ، المستولى في ميدان الفخر على غايته ، الذي صحبته [عناية الله]^(٤)
في بداية أمره وغايته ، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير ،

(١) أضفت ليستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المصحح . ووردت مكانها في الإسكوريال (صحیح) .

(٣) هدد اللحنه و اردد في المصحح وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في المصحح . وفي الإسكوريال (العناية) .

الإمام الشهير ، أسدِ دين الله ، الذى أذعنت الأعداء لقهره ، ، ووقفت
الليالى والأيام عند نبيه وأمره . رافع ظلال العدل فى الآفاق [حامي جى
السنة بالسمر الطوال والبيض الرقاق]^(١) ، مخلص صحف الذكر الخالد
والعز الباق ، الشهيد السعيد المقدس أبى الوليد ، ابن الهمام الأعلى الطاهر
النسب والذات ، ذى العز البعيد الغايات ، والفخر الواضح الآيات ،
كبير الخلافة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس المرحوم أبى سعيد
فرج بن اسماعيل بن نصر ، تغمده الله برحمة من عنده ، وجعله فى الجنة
جاراً لشعد بن عبادة جدّه ، وجازى عن الإسلام والمسلمين ، حميد سعيه ،
وكريم قصده . قام بأمر المسلمين أحمَدَ القيام ، ومهد لهم الأمن من ظهور
الأيام ، وجلّى لهم وجه العناية مشرق القسام ، وبذل فيهم من تواضعه
وفضله ، كل واضح الأحكام . إلى أن قضى الله بحضور أجله ، على خير
عمله ، ونخم له بالسعادة ، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية
الشهادة . وقبضه ساجدا خاشعا ، مُنيبا إلى الله ضارعا ، مستغفراً لذنبه ،
مطمئنا فى الحالة ، التى أقرب ما يكون العبد فيها من ربه . على يد شقى
قبضه الله لسعادته ، وجعله سببا لنفوذ سابق مشيئته وإرادته ، خفى مكانه
لخمول قدره . وتم بسببه أمر الله لحقارة أمره . وتمكن له عند الاشتغال
بعبادة الله ، ما أضمره من غدره ، وذلك فى السجدة الأخيرة من صلاة العيد .
غرة شوال ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية . نفعه الله بالشهادة التى
كرم منها الزمان والمكان ، ووضح منها على قبول رضوان الله البيان .
وحشّره مع سلفه الأنصار ، الذين عزّ بهم الإيمان ، وحصل لهم من النار
الأمان . وكانت ولايته الملك فى غرة اليوم الرابع عشر لذى الحجة من

(١) هذه الزيادة من الملحّة .

عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . ومولده^(١) في الثامن والعشرين لربيع الآخر
عام ثمانية عشر وسبعماية . فسبحان من انفرد بالبقاء المحض ، وحتم
الفناء على أهل^(٢) الأرض ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض ، لا إله إلا هو .
وفي الجهة الأخرى من النظم ، وكلاهما من إملأني ، ما نصه :

يحْييك بالريحان والروح من قبر	رضى الله عمَّن حلَّ فيك مدى الدهر
إلى أن يقوم الناس تَعْنُو وجوههم	إلى باعث الأموات في موقف الحشر
ولست بقَبْرٍ إنما أنت روضة	مُنْعَمَةٌ الريحان عساطرَةَ النَّشْرِ
ولو أنني أنصفتك الحق لم أقلُّ	سوى يا كِمام الزَّهر أو صدف الدرِّ
وياملحَد التقوى ويأمدفن الهدى	ويا مسقط العليا ويا مغرب البدر
لقد حطَّ فيك الرحل أيُّ خليفة	أصل المعالي غُرَّةٌ في بني نصر
لقد حلَّ فيك العزُّ والمجد والعلی	وبدر الدُّجا والمُستجارلدى ^(٣) الدهر
ومن كآبى الحجاج حامي حمى الهدى	ومن كآبى الحجاج ماحى دُجا الكفر
إمام الهدى غيث الندى دافع العدا	بعيد المدى في حومة المجد والفخر
سلالة سعد الخَزرج بن عبادة	وحسبك من بيت رفيع ومن قلدر
إذا ذُكر الإغضاء والحلم والتقى	وحدَّثت عن علياه حدِّث عن البحر
تخونه طرفُ الزمان وهل ترى	بقاءً لحى أو دواماً على أمر
هو الدهر ذو وجهين يومٌ وليلةٌ	ومن كان ذا وجهين يُعتب في غلر
تولى شهيداً ساجداً في صلته	أصيل التقى رطب اللسان من الذكر
وقد عرف الشهر المبارك حق ما	أفاض من النعمى ووفى من البر

(١) هكذا وردت في الملحّة . وفي الإسكوريال (ولادته) .

(٢) هكذا وردت في الملحّة . وفي الإسكوريال (الأهل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الملحّة (من) .

وباكراً عيد الفطر والحكم ببرم
 أتيح له وهو العظيم مهابة
 شفى أنت^(٢) من لسنه سعادة
 وكم من عظيم قد أصيب بخامل
 فهذا عليّ قد قضى بابن ملجم
 نعدُّ الرِّماح المشرفية والقننا
 ومن كان بالدنيا الدنية واثقا
 فيا مالك الملك الذي ليس ينقضى
 تتعمد بستر العفو منك ذنوبنا
 فما عندك اللهم خير ثوابه

ومما رثى به قول في غرض ناء عن الجزالة ، منحرباً اختيار ولده :

العُثر يوم والمنى أحلام
 وإذا تحفظنا الشيء بَسْداة
 والنفس تجمع في ميسدى آمالها
 من لم يُصَبِّ في نفسه فمصابه
 بعد الشبية كبرة ووراءها
 ولحكمة ما أشرقت شهب الدجا
 دنياك يا هذا محلة نُقلة
 هذا أمير المسلمين ومن به
 سر الإمامة والخلافة يوسف

ماذا عسى أن يستمر منام
 فله بما تقضى العقول تمام
 ركضاً وتأبى ذلك الأيام
 بحبيبه نَفَذَتْ بسذا الأحكام
 هَومٌ ومن بعد الحياة حِمام
 وتعاقب الإصباح والإظلام
 ومناخ ركبٍ مالمديه مقام
 وجد السَماح وأعدم الإعدام
 غيثُ الملوك وليثها الضمرغام

(١) واردة بالصح . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحة (أنته) .

(٣) واردة باللمة . وساقطة في الإسكوريال .

والعزُّ سام والخميس لهام
 وشكى العراق مصابه والشام
 بسر الدُّجنة قد جلاه تمام
 غُضُّ الحديقة زهره بسام
 زهر الرياض همى عليه غمام
 طاشت لنور جماله الأفهام
 والأرض ترجف والسماء قَتام
 والناس في فرش النعيم نيام
 سُرُّ الأرامل واكتسى الأيتام
 بعد انتزاح الدار أو إمام
 حاشاك أن تنسى لديك ذمام
 خفت بعزه نصره الأعلام
 فيك النهى والجود والإقدام
 أثنى عليك الله والإسلام
 والزاد فيه ترجسٌ وصيام
 فاليوم كيلٌ والضياء ظلام
 فيها من الأجل الحرى مدام
 عملٌ كريم سعيه وختام
 بين الصفايح والتراب تنام
 إن كان يمكنك الغداة كلام
 بيض كما تبكى الهديلَ حمام
 فالناس فيها سُجسٌ وقيام

قصدته عادية الزمان فأقصدت
 فُجعت به الدنيا وكُدِّر شر بها
 أسفاً على الخلق الجميل كأنه
 أسفاً على العمر الجديد كأنه
 أسفاً على الخلق الرضى كأنها
 أسفاً على الوجه الذى يهمنى ندى
 يا ناصر الثغر الغريب وأمله
 يا صاحب الصدمات فى جنح الدجا
 يا حافظ الحرم الذى بظلاله
 مولاي هل لك للقصور زيارة
 مولاي هل لك للعبيد تذكُّر
 يا واحد الآحاد والعلم الذى
 وافاك أمر الله حين تكاملت
 ورحلتَ عنا الركب خير خليفة
 نعم الطريق سلكتَ كان رفيقه
 وكسفتَ يا شمس المحاسن ضحوقةً
 سفاك عيد الفِطر كأس شهادة
 وختمتَ عُمرَكَ بالصلاة فحبذا
 مولاي كم هذا الرقاد إلى متى
 إعد التحية واحتسبها قربة
 تبكى عليك مصانع شهدتها
 تبكى عليك مساجدُ عمرتها

تبكى عليك خلائق أمنتها
 عاملت وجه الله فيما رُمته
 لو كنت تُفدى أو تُجاز من الردى
 لو كنت تمنع بالصوارم والقنا
 لكنه أمر الإله ومالنا
 والله قيد كتب الفنا على أنورى
 ثم في جوار الله مسرورا بما
 واعلم بأن سايل ملك قد غدا
 بهجر تكتف منه من خلفته
 كنت الحسام وصرت في غمد الثرى
 خلفت أمة أحمد لمحمد
 فهو العليفة للسورى في عهده
 أبقى رسومك كلها محفوظة
 العدل والشيم الكريمة والتقى
 حسبي بأن أخشى ضريحك لائماً
 يا مدفن التقوى ويا مثنوى الهدى
 أخفيت عن حزنى عليك وفي الحشا
 ولو اننى أدبت حقك لم يكن لى
 وإذا الفتى أدى السدى في وسعه

وكتبت في بعض المعاهد التى
 غبت فلا عين ولا مخبر
 يا يوسف أنت لنا يوسف
 كان يأنس بها رحمة الله عليه :
 ولا انتظار منك مرقوب
 وكلنا في الحزن يعقوب

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن

عُقبه بن نافع الفهري

أولئته

كان عبد الرحمن أحد زعماء العرب بالأندلس . وكان ممن ثار منها من أصحاب بلج عصبية لقتله ، فخرج عن الأندلس إلى إفريقية . وجدّه عقبه بن نافع ، هو الذي اختط قيروانها أيام مُعوية بن أبي سفيان . قال عيسى بن أحمد ، وهرب ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مغاضباً له ، أيام بشر بن صفوان الكلبي ، فهوى الأندلس واستوطنها ، فساد بها ثم تأمر فيها .

حاله

كان شريفاً جليلاً ، حازماً عاقلاً . اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قرشي ، بعد موت أميرهم ثوابة بن سلامة ، ورضى به الخيار من مُضر واليمن ، فدانت له الأندلس ، تسع سنين وتسعة أشهر ، وكان آخر الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية . وأشرك الصمّيل بن حاتم في أمره ، فتركت لذلك نسبة الأمر له ، وكانت الحرب التي لم يعرف بالشرق والمغرب ، أشدّ جلاداً ، ولا أصبر رجالاً منها ، واعتزلها يوسف تحرفاً ، وقام بأمرها الصمّيل ، وانهمز اليمانيون واستلحموا ملحمة عظيمة ، واستوسق الأمر ليوسف . وغزا جليقية ، فعظم في عدوها أثره . ولما تم له الأمر طرقة ما تقدم به الإلماغ ، من عبور صقر بن أمية عبد الرحمن الداخل في خبر طويل . والتقى بظاهر قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة في ذى الحجة . وانهمز يوسف بن عبد الرحمن والصمّيل ، ولحقا

بالبيرة . وأتبعهما عبد الرحمن بن معاوية فنازله ، وقد تحصن بمعقل
إلبيرة حصن غرناطة ، وترددت بينهما الرُّسل في طلب المهادنة والبقاء
على الصلح . وتخلَّى يوسف عن الدعوة ، واستقر سكناه بقرطبة . وذلك
في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة ، وأقبل معه في عسكره إلى قرطبة . وذُكر
أنه تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببیت جرور بن إبنة النعمان :

فبتنا نسوس الأمر والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف
فتبنا لدنيا لا يدوم نعيمها تُقلّب ساعات بنا وتصرف

واستقر بقرطبة دهرأ ، ثم بدا له في الخلاف . ولحق بأحواز طليطلة ،
وأعاد عهد الفتنة ، فاغتاله مملوكان له ، وقتلاه رحمه الله ، في سنة
اثننتين وأربعين ومائة . وأخبار يوسف بن عبد الرحمن معروفة ، وهو
محسوب من الأمراء الأصلاء بغرناطة ، إذ كانت له قبل الإمارة بها
ضياح يتردد إليها .

ومن غير الأصليين

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن أبي عزفة اللخمي

الرئيس أبو زكريا وأبو عمرو بن الرئيس أبي طالب بن الرئيس أبي
القاسم . كناه أبوه أبا عمرو ، وغلبت عليه الكنية المعروفة .

حاله

كان قيماً على طريقة أصحاب الحديث، رواية وضبطاً وتقبيداً
وتخريجاً ، مع براعة خط، وطرف ضبط، شاعراً مجيداً مطبوعاً . ذا فكاهة

وَحُسْنُ مَجَالِسَةٍ . رَأْسُ بَسْبَتَةٍ ، بَعْدَ إِجَازَتِهِ الْبَحْرَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِحْتِلَالِ
بِفَاسٍ ، نَائِبًا عَنِ الْمَلِكِ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، لِأَمْرَمَتْ
بِهِ إِلَيْهِ قَبْلَ اسْتِقْلَالِهِ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ . ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهَا مُخَالَفًا عَلَيْهِ ،
لِأَمْرٍ يَطُولُ شَرْحُهُ ، أُجْرِيَ فِيهِ مَوْفَى الْجَانِبِ مِنَ الْهَلْعِ ، بِاسْلَافًا مَقْدَامًا .
سَكُونِ الطَّائِرِ ، مَثَقَفًا بِخِلَالِ رِيَاسَتِهِ ، ضَامًا لِأَطْرَافِهَا . وَنَازَلَهُ جَيْشُ
الْمَغْرِبِ ، وَبَيَّدَ أَمِيرُهُ وَوَلَدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُرْتَهِنًا ، فَاتَّيَحُّ لَهُ ظَفَرٌ أَجْلَى لَيْلَةٍ
غَرَبِيَّاتِ الْمَحَلَّةِ وَالْأَثَرِ فِيهَا ، وَاسْتِخْلَاصِ وَوَلَدِهِ .

مَشِيخَتُهُ

أَخَذَ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ ، قِرَاءَةَ وَسَمَاعًا وَإِجَازَةً . فَمِنْ
أَخَذَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ سَبْتَةُ ، أَبُو إِسْحَاقَ الْغَافِقِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشِيدٍ ،
وَأَبُو الظَّفَرِ الْمُنُورِيُّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبِلْفَيْقِيُّ ، وَأَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ طَاهِرِ
الْحُسَيْنِيِّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ التُّلْمَسَانِيُّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِطِ . وَبِغَرْنَاطَةَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهَا ، مُغْرِبًا
عَنْ وَطَنِهِ ، عِنْدَ تَصْيِيرِهِ إِلَى الْإِيَالَةِ النُّصْرِيَّةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَسَكَنَاهُ بِهَا ، عَنْ
أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ سِمَاكٍ ، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ
الْمُؤَذَّنِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَسْتَقْمُورٍ وَغَيْرِهِمْ . وَمِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ الصَّايِغِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَعِيبٍ . وَمِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ الْوَلِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الطَّنْجَالِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ الْبَاهِلِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ مَنْظُورٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ
مِصَامِدٍ . وَمِنْ أَهْلِ الْخَضْرَاءِ ، أَبُو جَعْفَرِ بْنِ خَمِيرٍ . وَمِنْ أَهْلِ بَلَّشٍ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَادِ . وَمِنْ أَهْلِ أَرْجَبَةَ أَبُو زَكْرِيَا الْبُرْشَانِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ

(١) أَرْجَبَةُ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ « Orgiva » مِنْ قَرْيِ عَرْنَاطِهِ وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهَا (الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

بجاية أبو علي ناصر الدين المشدالي ، وأبو عبد الله بن غربوز . ومن أهل فاس أبو عبد الله المومنانى . ومن أهل تيزى أبو عبد الله محمد القيسى . وكتب له بالإجازة طائفة كبيرة من أهل المشرق ، منهم قطب الدين القسطلانى .

شعره

قال لى شيخنا أبو البركات ، سألته ، وأنا معه واقفٌ بسور قصبه سبته ، أن يجيزنى ويكتب لى من شعره ، فكتب لى قطيعات منها فى تهنئة السلطان أبى الجيوش يوم ولايته :

الآن عاد إلى الإمامة نورها	وارتاح منبرها وهش سريرها
وبدا لنا من بعد طول قطوبها	منها التهلل واستبان سرورها
وضعت أزمته بكف خليفة	هو أصلها الأولى بها ونصيرها
من معشر عرفت بطون أكفهم	بذل الندى واللائمين ظهورها
خرصانهم ووجوههم فى ظلمة	النقع المثار نجومها وبدورها
وسع الرعايا منه عدله	لم يزل إليه قلوبهم ويصورها
حتى اغتدت بالحب فيه صدورها	ملأى وأخلص فى الولاء ضميرها
رام العداة لمجده كيدا فلم	تنجح مساعتها وساء مصيرها
وكذاك فعل الله فى دن كاده	جهلا وغرته المنا وغرورها
مولاي إيا عصبه معروفه	بالحب فىك صغيرها وكبيرها
جينا نقضى من حقوقك واجبا	نُسى بالمدايح تارة وتبيرا
ولقد خدمتُ مقامكم من قبلها	بفرايد حسنا يعز نظيرها
فاجذب بغبى من حضيض مزارقى	عرت على يدك مسيرها
واقفكنى من أسر قرط خصاصة	عنفت فلم يقصد سواك أسيرها

لازلت للإسلام تحمى أمة
وبقيت في عز وسعد شامل
وفي الإلغاز بالأقلام والمحبرة :

وسربٌ ضمهم كسنت ستير
قد اختصروا فلم يُفرش ساد
لهم كأس إذا دارت عليهم
وأفشوا سرَّ سياقهم بلافظ
وهزت من روسهم نشاطا
فصاح إن تحللهم وإلّا
صلاب حين تعجمهم ولكن
لهم عقل يلوح على القوافي
طويلهم يطول العُمر منه
وهم لم يُشف يسومسا
فقل لي من هم لازلت فرداً

شباب ليس يفزعهم قتيير
لمجلسهم ولم يُنصب سرير
فقد أزف الترحُّل والمسير
مُبين ليس يفهمه البصير
وعند الصُحو يَغرُوم فتور
فشانهم التلغُم والقصور
إذا طعنوا فلدمعهم غزير
لذاك نومهم أبدا كثير
أخا نعبٍ ويخترم القصير
بغير القطع عضوهم الكبير
دياجي المشكلات به تسير

نكبته : تنظر في العبادلة في امم أبيه (١) .

مولده : سنة سبع وسبعين وستماية .

وفاته : عام تسعة عشر وسبعماية ، في شعبان رحمه الله .

يحيى بن علي بن غانية الصعراوى ، الأمير أبوزكريا

حاله

(١) سبق لابن الخطيب أن ترجم لأبيه ، عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزقي أمير سبقة
اللى هزل عن رياسته عنوة ، وأبعد هو وولده وأهله إلى الأندلس ، فاستقر بقرنطة ، وتوفى بها
في سنة ٧١٣ هـ (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢٨٣ - ٢٨٥) .

كان بطلا شهما حازما ، كثير الدهاء والإقدام ، والمعرفة بالحروب ، مُجْمَعاً على تقدمه . نشأ في صحبة الأمير بقرطبة محمد بن الحاج اللمتوني وولاه مدينة إستجة ، فهي أول ولايته . وليها يحيى ، وتزوج محمد بن الحاج أمه غانية بعد أبيه وكفله ، وأقام معه بقرطبة ، إلى أن كان من محمد بن الحاج ما كان من مداخلة أشياخ مسوفة على خلع محمد بن يوسف ابن تاشفين [عن الأمر]^(١) ، وصرف البيعة إلى يحيى الحفيد ، الوالى في ذلك العهد بمدينة فاس ، ولم يتم له الأمر ، فأجلى عن نكبته . وانفصل يحيى بن غانية عن جماعته ، وأقام متصرفاً في الحروب ، معروف الحق والغناء ، إلى أن اشتهرت بسالته وديانته ، ورغب يدير بن ورقا صاحب بلنسية من السلطان في توجيهه إليه ، ليستين به على مدافعة العدو ، فأجيب إلى ذلك . فوصل يحيى بلنسية ، وأقام بها ذاباً عن المسلمين ، إلى أن توفي يدير بن ورقا ، فولاه على بن يوسف إياها وشرق الأندلس ، ظهر غناؤه وجهاده ، وهزم الله بها ابن رذمير^(٢) الطاغية منازل إفراغة على يده ، فطار ذكره ، وعظم صيته ، واشتهر سعده ، وأسل عن البيضة دفاعه .

أخبار عزمه

حكى عنه أنه تزوج في فتوته امرأة من قومه شريفة جميلة ، وقرّبها عينا ، ثم تركها وطلقها ، فسئل عن ذلك ، فقال والله ما فارقتها عن

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) ابن رذمير هو الإسم الذى تطلقه الرواية العربية على ألفونسو المحارب ملك أراجون . وهو الذى استولى على عدة مدن من الثغر الأعلى . وحاول بعد ذلك الإستيلاء على مدينة إفراغة ، وهى من أمتع معاتل الثغر . ولكنه منى تحت أسوارها بهزيمة فادحة (رمضان سنة ٥٢٨ - يولييه سنة ١١٣٤م) ومزق جيشه شر مرق ، وتوفى لأهله قتل من بعد هزيمته غماً وألماً .

خِلَّةٌ تُدَمِّمُ ، ولكن خِضَتْ أَنْ اشْتَغَلَ بِهَا عَنِ الْجِهَادِ . ولم يزل يدافع
النصارى عن المسلمين بالأندلس ، فهزم ابن رزمير ، وأقْلَعَ محلّتهم عن
مدينة^(١) الأشبونة ، واستمسك به حال الأندلس . ووُلِّيَ قرطبة وما إليها
من قبل تاشفين بن علي بن يوسف ، عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة ،
فاستقامت الأمور بحسن سيرته ، وظهور سعده ، إلى صفر من عام تسعة
وثلاثين . وكانت ثورة ابن قسي^(٢) ، باكورة الفتنة . ولما خرج إلى
كَبَلَةَ ، ثار ابن حَمْدِينَ بقرطبة دار مُلْكِهِ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ ، واستباح
قَصْرَهُ ، وانطلقت الأيدي على قومه ، وتم له الأمر . وبلغ يحيى الخبر ،
فرجع أدراجه إلى إشبيلية ، فثار به أهلها ، وناصبوه^(٣) الحرب وأصابوه
بجراحة ، فلجأ إلى حصن مرجانة ، فأقام به يصابر الهول ، ويرقّع القُنن .
ثم تحرك إليه جيش ابن حمدين ، وكانت بينهما وقية انهزم فيها ابن
حمدين ، واستولى ابن غانية على قرطبة ، في شعبان من عام أربعين ، وتحصن
ابن حمدين باندوجر^(٤) ممتنعاً بها . ونهض يحيى إلى منازلته . فاستعان
ابن حمدين بملك قشتالة ، وأطعمه في قرطبة ، فتحرك إلى نُصْرَتِهِ . ولما
وصل أندوجر ، أعَدَّ يحيى في الدفاع والمصابرة ، ثم انصرف بالجيش
إلى قرطبة ، وأخذ العدو في آثارهم ، صحبة مستغيثه ابن حمدين .
فنازل قرطبة ، وامتنع ابن غانية بالقصر وما يليه من المدينة . وأدخل ابن
حمدين النصارى قرطبة في عاشر ذي الحجة من عام أربعين ، فاستباحوا

(١) هكلا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بلاد) .

(٢) وردت في الزيتونة (ابن قيس) وهو تحريف .

(٣) هكلا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناصبوه) .

(٤) أندوجر وبالإسبانية « Andujar » بلدة أندلسية - مينة تقع على ضفة نهر الروادي

الكبير شرق مدينة قرطبة ، وشمال غربي جيان .

المسجد ، وأخذوا ما كان به من النواقيس^(١) ، ومزقوا مصاحفه ، ومنها زعموا مصحف عثمان ، وأنزلوا المنار من الصومعة ، وكان كله فِضَّة ، وحُرِّقت الأسواق ، وأفسدت المدينة ، وظهر من صبر ابن غانية ، وشدة بأسه ، وصدق دفاعه ، ما أُنْأَس منه . وكان من قَدَر الله ، أَنْ بَلَغ طاغية الروم يوم دخولهم قرطبة ، اجتياز الموحِّدين إلى الأندلس ، فأجال طاغيتهم قبح الرأى ، فاقتضى أَنْ يهادن ابن غانية : وينرجه بقرطبة في نحر عدوه من الموحِّدين ، سداً بينهم وبين بلاده . فعقدت الشروط ، ونزل إليه ابن غانية فعاقده ، واستحضر له أهل قرطبة ، وقال لهم ، أنا قد فعلت معكم من الخير ، ما لم يفعلهُ مَنْ قبلي ، غلبتكم في بلدكم وتركتكم رعية لي ، وقد وليت عليكم يحيى بن غانية ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال المؤرخ ، وقَفَرَ الطاغية في ذلك اليوم بقومه^(٢) ، وقال ، ولا يُرِيبنكم أَنْ تكونوا تحت يدي ونظري ، فعندى كتابُ نبيكم إلى جدِّي . حدث ابن أم العمامد أبو الحسن ، قال ، حضرتُ ، وأحضر حقُّ من ذهب ، ففتح وأخرج منه كتاباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر ملك الروم ، وهو جدُّه بزعمه . والكتاب بخط علي بن أبي طالب . قال أبو الحسن ، قرأته من أوله إلى آخره ، كما جاء في حديث البخارى . وانصرف إلى بلاده ، وانصرف ابن حمدين ، فكان هلاكه بمالقة ، بعد اضطراب كثير . واستقر ابن غانية بقرطبة الغادر به أهلها ، فشرع في بنيان القصبَة وسدَّ عورتها ، وسام أهلها الخسف وسوء العذاب ، ووالى إغرامهم . واستعجل أمرهم ، واتصل سلَّمه مع العدو إلى تمام أحد وأربعين وخمسمائة ، وقد تملك الموحِّدون إشبيلية وما إليها . وضيَّق عليه النصرارى في طلب

(١) يقصد بها هنا مصابيح المسجد المغطاة بأغطية نحاسية تشبه النواقيس .

(٢) وردت في الإسكوريال (بقديمه) . والتصويب من الزيتونة .

الإثارة^(١)، واشتطوا عليه في طلب ما بيده، ونزل طاغينهم أندوجرويه رجل يعرف بالعربي، واستدعى ابن غانية. فلما تحصل بمحاته. طلبه بالتخلي عن بياسة وأبده، فكان ذلك. وتشاغل الموحدون بأمر ناثر نازعهم بالمغرب. فكلب العدو على^(٢) الأندلس، فنازل الأشبونة وشنترين، وألمرية وطرطوشة ولاردة وإفراغة، وطمع في استيصال بلاد الإسلام، فداخل ابن غانية سرا من بإشبيلية من الموحدين، ووصله كتاب خليفتهم بما أحب، وتحرك الطاغية في جيوش لا ترام. وطالب ابن غانية بالخروج عن جيان وتسليمها إليه، وكاده، حسبما تقدم في اسم عبد الملك بن سعيد. ونهض بعد هذه الكاينة^(٣) إلى غرناطة، وهي آخر ما تبقى للمرابطين من القواعد ليجمع بها أعيان لمتونة ومسوفة، في شأن صرف الأمر إلى الموحدين.

وفاته

ولما وصل الأمير يحيى بن غانية إلى غرناطة أقام بها شهرين، وتوفي عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، ودفن بداخل القصبة في المسجد الصغير، المتصل بقصر باديس بن حيوس مجاورا له في مدفنه، وعليه في لوح من الرخام تاريخ وفاته. والناس يقصدوه للتبرك به.

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن بن منصور

ابن مصالة بن أمية بن واياي الصنهاجي ثم اللتوني

(١) وردت في الإسكوريال (الإثارة) والتصويب أرجح.

(٢) وردت في الإسكوريال عن، فالتصويب.

(٣) وردت في الإسكوريال (الكاهنة) والتصويب من الزيتونة.

يكنى أبا يعقوب ويلقب بأمر المسلمين .

أوليته

ذكروا أن يحيى بن إبراهيم بن توقورت حجج، وهو كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعماية ، واجتاز على القيروان ، وهي موفورة بالعلماء ، وتعرف بالفقيه أبي عمران الفاسي ، ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه ، ليعلم قومه ويفقههم^(١) ، فخاطب له فقيهاً من فقهاء المغرب الأقصى اسمه واجاج ، واختار له واجاج ، عبد الله بن ياسين القايم بدولتهم ، البادي نظم نشرهم ، وتأليف كلمتهم ، فاجتمع عليه سبعون شيخاً من نبهائهم ليعلمهم ، فانقادوا له انقياداً كبيراً ، وتناسل الناس ، فضخم العدد ، وغزا معهم قبائل الصحراء . ثم التأثت حاله معهم ، فصرفوه ، وانتهبوا كتبه ، فلدجاً إلى أمير لتونة يحيى بن عمر بن تلايكان اللمتوني ، قبله ، وأعاد حاله ، وثابت طاعته ، فأمضى القتل على من اختلف عليه . وكان يحيى بن عمر يمثل أمر عبد الله امثالاً عظيماً . ثم خرج بهم إلى سجلماسة ، فتملكوها ، وتملكوا الجبل . ثم ظهوروا على المغرب ، ثم قتل الأمير يحيى بن عمر ، فقدم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدرعة ، ونهد به ، فتملك جبال المصامدة ، واحتل بأغمامات وريكة واستوطنها . ولعبد الله أخبار غريبة ، وشذوذ في الأحكام الله أعلم بصحتها . وقتل عبد الله ابن ياسين برغواطة . ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره ، وأئخذ القتل فيهم ، وقدم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم ، على عسكر كبير ، فيهم أشياخ لتونة ، وقبائل البرابرة والمصامدة ، واجتاز على بلاد المغرب ، فدانت له . وطرق الأمير أبا بكر خبراً من قومه من

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ويلهمهم)

الصحراء انزعج له ، فوئى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب ، وترك معه الثلث من لتونة ، إخوانه ، وأوصاه ، وطلق زوجته زينب ، وأمره بتزوجها ، لما بلاه من يُمنها . فبنى يوسف مدينة مراکش وحصنها^(١) ، ونحّب إلى الناس ، واستكثر من الجنود والقوة ، وجبى الأموال ، واستبد بالأمم . ورجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس وستين وأربعمائة ، فألقى يوسف مستبداً بأمره ، فسأله ، وانخلع له عن الملك ، ورجع إلى صحرايه ، فكان بها تصيله هدايا يوسف إلى أن قتله السودان . واستولى يوسف على المغرب كله ، ثم أجاز البحر إلى الأندلس ، فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاقة ، وخلع أمراء الطوائف ، وتملك البلاد إلى حين وفاته .

حاله

قال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي ، كان رحمه الله خائفاً لربه كتوماً لسره ، كثير الدعاء والاستخارة ، مقبلاً على الصلاة ، مديماً للاستغفار ، أكثر عقابه لمن تجراً أو تعرض لانتقامه ، الاعتقال الطويل ، والقيد الثقيل ، والضرب المبرح ، إلا من انتزى أو شق العصا ، فالسيف أحسم لانتشار الداء . يواصل الفقهاء ، ويعظم العلماء ، ويصرف الأمور إليهم ، ويأخذ فيها بآرائهم ، ويقضى على نفسه وغيره يفتياهم ، ويحض على العدل ، ويضدع بالحق ، ويعضد الشرع ، ويحزم في المال ، ويولع بالاقتصاد في الملابس والمطعم والمسكن ، إلى أن لقي الله ، مجداً في الأمور ، مُلقناً للصواب ، مستحجاً^(٢) حال الجدد ، مؤدياً إلى الرعايا

(١) وردت في الإسكوريان (تحضها) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريان (مستحج) . والأولى أرجح .

حقها ، من الذُّب عنها ، والغِلظة على عدوها ، وإفاضة الأمن والعدل فيها . يرى صور الأشياء على حقيقتها . تسمى بأمير المسلمين لما احتل الأندلس وأوقع بالروم ، وكان قبل يدعى الأمير يوسف ، وقامت الخطبة فيها جميعا باسمه ، وبالعدوة ، بعد الخليفة العباسي . وكان درهمه فضة ، ودُنيره تَبْرُ محض ، في إحدى صفحاته الدُّنير « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وفي الداير ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وفي الصفحة الأخرى ، الإمام عبد الله أمير المسلمين ، وفي الداير تاريخ ضربه وموضع سِكَته ، وفي جهتي الدرهم ما حمله من ذلك .

بعض أخباره

في سنة سبعين وأربعمائة وردت عليه كتب الأندلس ، يبثون حالهم ، ويحرِّكونه إلى نصرهم . وفي سنة اثنتين بعدها ، ورد عليه عبد الرحمن ابن أسباط ، من ألمرية ، يشرح جال الأندلس . وفي سنة خمس وسبعين بعدها ، وجَّه إلى شراء العدَد فيها ، واستكثر منها . وفي سنة ستَّ بعدها فتح مدينة سَبْتة ، ودخلها عنوة على الثَّائر بها سَقوت البرغواطى . وفي سنة ثمان اتصل به تملك طاغية قشتالة مدينة طليطلة ، وجاز إليه المعتمد بن عباد بنفسه ، وفاوضه واستدعاد لنصرة المسلمين ، وخرج إليه عن الجزيرة الخضراء . وعلم بذلك الأذفثنش ، فاخترق [بلاد المسلمين] ^(١) معرضاً عن رؤساء ^(٢) الطوائف ، لا يرضى أخذ الجزية منهم ، حتى انتهى إلى الخضراء ، ومثل على شاطئ البحر ، وأمر أن يكتب إلى الأمير

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأندلس) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ملوك) .

يوسف بن تاشفين ، والموج يضرب أرساغ فرسه ، بما نسخته :

« من أمير الملتين أذفونش بن فردلند إلى الامير يوسف بن تاشفين .
 أما بعد فلا خفاء على ذى عينين أنك أمير الملة المسلمة ، كما أنا أمير
 الملة النصرانية . ولم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من
 التخاذل ، والتواكل ، وإهمال الرعية ، والإخلاق إلى الراحة ، وأنا
 أسومهم سوء الخسف ، وأضرب الديار ، وأهتك الأستار ، وأقتل الشبان ،
 وأسبى الولدان ، ولا عذر لك فى التخلّف عن نصرتهم ، إن أمكنتك
 قدرة . هذا وأنتم تعتقدون ، أن الله تبارك وتعالى ، فرض على كل منكم ،
 قتال عشرة منا ، ثم خفف عنكم فجعل على كل واحد منكم ، قتال اثنين
 منا ، فإن قتلاكم فى الجنة ، وقتلانا فى النار ، ونحن نعتقد أن الله أظهرنا
 بكم ، وأعاننا عليكم ، إذ لا تقدرّون دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا .
 وبلغنا عنك أنك فى الاحتفال على نية الإقبال ، فلا أدري أن كان الحين
 يبطل بك أمام التكذيب لما أنزل عليك . فإن كنت لا تستطيع الجواز
 فابعث إلى ما عندك من المراكب لأجوز إليك ، وأناجزك فى أحب البقاع ،
 فإن غلبتنى ، فتلك غنيمة جاءت إليك ، ونعمة مثلت بين يديك . وإن
 غلبتك ، كانت لى اليد العليا ، واستكملت الإمارة . والله يتم الإرادة » .
 فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب فى ظهر كتابه « جوابك يا أذفونش

ما تراه ، لا ما تسمعه إن شاء الله » وأردف الكتاب ببيت أبى الطيب :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس الحرمم

وعبر البحر ، وقد استجاش أهل الأندلس . وكان اللقاء يوم الجمعة
 منتصف رجب من عام تسعة وسبعين وأربعمائة . ووقعت حرب مرة ،
 اختلط فيها الفريقان ، بحيث افتحم الطاغية محلة المسلمين ، وصدّم

يسارة جيوش الأندلس ، واقتحم المرابطون محلته للحين . ثم برز الجميع إلى مأزق ، تعارفت فيه الوجوه ، فأبْلُوا بلاءً عظيماً ، وأجَلَّتْ عن هزيمة العدو ، واستيصال شأفته . وأفلت أذفونش في قَلِّ قليل ، قد أصابته جراحة ، وأعزَّ اللهُ المسلمين ونصرهم نصراً لا كفاءة له ، وأكثر شعراء المجتمع القول في ذلك ، فمن ذلك قول عبد المجيد^(١) بن عبدون من قصيدة :

فأين العجب يا أذفونش هلاً	تجنبت المشيخة يا غلام
شَمَلِك ^(٢) النساء ولا رجال	فحدّث ما وراءك يا عصام
أقمت لدى الوغى سوقاً فخذها	مناجزة وهون لا تنـام
فإن شيت اللجين فشمّ سام	وإن شيت النضار فشمّ حام
رأيت الضرب تطيباً فصلّب	فأنت على صليبك لا تلام
أقام رجالك الأشقون كلاً	وهل جسدُ بلا رأس ينـام
رفعنا هامهم في كلّ جدد	كما ارتفعت على الأيك الحمام
سيعبّد بعدها الظلماء لماً	أتيح له بجانبها اكتنام
ولا ينفك كالخفّاش يُغضى	إذا ما لم يباشره الظلام
نضاً إذ راعه واجتاب ليلاً	يودُّ لو أنّ طول الليل عام
سيبقى حجرةً ويبيد إن لم	أبادتنا القنّاة أو الحسام

وعاد إلى العُدوة . ثم أجاز البحر ثانية إلى منازل حصن لبيط^(٣) ،

(١) وردت في المخطوطين (عهد الجليل) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت في الإسكوريال (سيلك) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في المخطوطين (أليط) وهو تحريف . وحصن أليدو « Aledo » ، أو حصن

ليبط كما تسميه الرواية العربية هو حصن منيع بناه ألفونسو السادس ملك قشتالة على أثر إستيلائه على طليطلة (سنة ١٠٨٥ م) في بقعة تقع بين مرسية ولورقة ، وشحه بالسلاح والمقاتلة ، وانحذه قاعدة للإفارة على الأراضي الإسلامية في تلك الأنحاء .

وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس ، وعاد إلى العدو ، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، عاملا على خلعهم ، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور ، ودخل القصر بالقصبة العليا منها ، واستحسنه ، وأمر بحفظه ، ومواصلة مرثته . وطاف بكل مكان منه ثم تملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ، في أخبار يطول اقتضاؤها ، والبقاء لله .

وفاته

توفي رحمه الله بمدينة مراکش يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسماية .
ومن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره :

ملك الملوك وما تركتَ لعامل	عملا من التقوى يُشارك فيه
يا يوسف ما أنت إلا يوسف	والكل يعقوب بما يطويه
إسمع أمير المؤمنين وناصر السدين	الذي بنفوسنا نُفديه
جوزيت خيرا عن رعيتك التي	لم ترض فيها غير ما يُرضيه
أما مساعيك الكرام فلانها	خرجت عن التَّكْيِيفِ والتَّشْبِيهِ
في كل عام غزوة مبرورة	تُرْدَى عديد الروم أو تُقْنِيهِ
تصل الجهاد إلى الجهاد موقفا	حَتَمَ القِضَاءِ بِكُلِّ ما تُقْضِيهِ
ويجىء ما دبَّرتَه كمجيئه	فَكَانَ كُلُّ مُغَيَّبٍ تَدْرِيهِ
متواضعا لله مظهر دِينه	في كل ما تَدْبِيهِ أو تُخْفِيهِ
ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم	مَلِكُ المَلُوكِ الأَمْرَ بالتَّمْوِيهِ
لو رامت الأيام أن تحصى الذي	فَعَلْتَ سِيوفُكُ لِمَ تَكْدُ تُحْصِيهِ
إننا لمفجوعون منك بواحد	جُمِعَتْ خِصَالُ الخَيْرِ أَجْمَعِ فِيهِ
وإذا سمعت حمامة في أيبكة	تَبْكِي المَدِيلِ فَإِنَّهَا تَرْتِيهِ

وميضٌ قد استرعى رعية أمة فأقام فيهم حقٌ مُسترعيه
 وإذا هزبر الغاب صرى شبله في الغاب كان الشبل شبيه أبيه
 وإذا على كان وارث ملكه فالسهم يلقي في يدى باريه

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

ولى عهد أبيه أمير المسلمين الغالب بالله^(١) .

حاله

كان أميراً جليلاً حصيفاً فاضلاً ، ظاهر النبل ، محباً فى العلم
 من فنونه . [مال] إلى التعاليم والنجوم ، أفرط فى الاستعراق فى ذلك ،
 ونعى إلى أبيه ، فأنكره ، وقصد يوماً منزله لأجل ذلك ، ودخل المجلس ،
 وبه مجلدات كثيرة ، وقال ما هذه يا يوسف ، فقال سترًا لغرضه المتوقع
 فيه نكير أبيه ، يا مولاي هى كتب أدب . فقال السلطان ، وقد قنع
 منه بذلك ، يا ولدى ما أخذناها يعنى السلطنة ، إلا بقلّة الأدب ، تورية
 حسنة ، إشارة إلى الثورة على ملوك كانوا تحت إياتهم ، فغرب فى حسن
 النادرة ، وكان قد ولّاه عهده بعد أخيه ، لو أمهلت المنية .
 وفاته : توفى يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين وستماية .

يوسف بن عبد المؤمن بن على

الخليفة أبو يعقوب الوالى بعد أبيه .

(١) يقصد به هنا الأمير محمد بن يوسف بن نصر ، وهو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس
 ملكه غرناطة ، الملقب بالغالب بالله .

حاله

كان فاضلاً كاملاً عدلاً ورعاً جزلاً ، حافظاً للقرآن بشرحه ، عالماً بحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطبته وصحيحه ، آية الموحدين في الإعطاء والمواساة ، راغباً في العمارة ، مثابراً على الجهاد ، مشيعاً للعدل . أصلح العدو وأمنها ، وأنس شاردتها ، وحصن جزيرة الأندلس ببعوثه لها ، فقمعوا عاصيها ، واقترعوا بالفتح أقاصيها ، وأحسن لأجنادها ، وأمدهم من الخيل بالمبين من أعدادها ، رحمه الله .

ولده : ثمانية عشر أكبرهم يعقوب ول عهده ، نَجْمُ بنى عبد المؤمن وجوهرتهم .

حاجبه : أبو حفص شقيقه .

وزراؤه : إدريس بن جامع ، ثم أبو بكر بن يوسف الكوى .

قُضاتُه : حجاج بن يوسف بن عمران ، وابن مضاء .

كُتَّابُه : أبو الحسن بن عيَّاش القرطى ، وأبو العباس بن طاهر بن مَحْشَرَة .

بعض أخباره

في أيامه ، استوصلت دولة ابن مرْدَنِيْش ، بعد حروب مُبيرة ، ودُوخ إفريقيا ، وردَّ أهل باجّة إلى وطنهم ، بعد تملك العدو إياه ، وجبرهم جَدًا واستنقاذا ، وفتح حصن بلج .

وفاته

في الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة ، بظاهر شنترين من سهم أصابه في خيائه ، وهو محاصر لها ، فقتل عليه ، وكُتِمَ موته ، حتى اشتهر بعد رحيله . ذكر ذلك أبو الحسن بن أبي محمد الشريشى ،

فكانت خلافته اثنين وعشرين عاما ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعمره سبع وأربعون سنة .
مولده : في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودخل غرناطة لأول مرة ، ووجب ذكره فيمن حلَّ بها .

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن عيو

أمير المسلمين بالمغرب ، يكنى أبا يعقوب .
أوليته : معروفة مذ وقع الإلماع بذلك في اسم أمير المسلمين أبيه .

حاله

كان ملكا على الهمة ، بعيد الصيت ، مرهوب الشبا ، رابط الجأش ، صعب الشكيمة ، على عهده اعتلى الملك ، وناشب القبيل ، واستوسق الأمر . جاز إلى الأندلس مع والده ، ودوخ بين يديه بلاد الروم . ووقف بظاهر قرطبة وإشبيلية ، وحضر الوقعة بذنونه^(١) ، وجرت بينه وبين سلطان الأندلس ، على عهده ، مناقرات ، أجلت أخيرا عن لحاق السلطان به مُستعتبا . واستقر آخرها محاصرا لتلمسان ، غازيا لبنى زيان الأمراء بها ، وابتنى مدينة سماها تلمسان الجديدة ، وأقام محاصرا لها ، مضيقا على أهلها

(١) كان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور ملك المغرب (ووالد المترجم له) قد عبر إلى الأندلس مليئا صريخ سلطانها محمد بن محمد بن الأحمر إلى الفوث والإنجاد ، وذلك في سنة ٦٧٣ هـ . وسار أبو يوسف في قواته شمالا حتى وصل إلى أحواز قرطبة . وهناك تقدم القشاليون إلى لقائه في جيش ضخم على رأسه الدون نونيودي لارا الذي تسميه الرواية الإسلامية (ذنونه أو ذنونه) فنشبت بين الفريقين على مقربة من إستجة معركة هائلة هزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وقتل قائدهم دون نونيودي لارا وعدة كبيرة من عظمائهم في شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) . وكانت من أعظم الوقائع الحاسمة بين المسلمين والنصارى في الأندلس منذ موقعة العقاب الشهيرة في سنة ١٢١٢ م .

نحواً من ثمانية أعوام ، وعظّمته الملوك شرقاً وغرباً ، ووردت عليه الرُّسل
والهدايا من كل جهة ، وهابه الأقارب والأباعد .

وفاته

ولما أراد الله إنفاذ حكمه فيه ، قيّض له عبداً خبيثاً حبشياً ، أسفّه
بقتل أخ له أو نسيب ، في باب خيانة عشر له عليها ، فاقْتَحَم عليه دار
الملك على حين غفلة ، فدجّاه بسكين أعدّه لذلك ، وضجّ القصر ،
وخرج وبالسُّلطان رمق ، ثم توفى من الغد ، أو قريباً منه ، في أوائل ذى
قعدة من عام ستة وسبعماية ، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا ،
وانتقل إلى مدفن سلفه بسلا ، وقبره بها . وركب قاتله فرساً أزعجها
ركضا ، يروم النجاة واللحاق بالبلد المحصور ، وسبقه الصّياح ، فسُدَّ
بعض الأبواب التي أمل النجاة منها ، وقُتل وألحق به كثير من جنسه .
وجرى ذكره في الرّجز المتضمن دول الملوك^(١) من تأليفنا بما نصه :

حتى إذا الله إليه قيّضه	قام ابنه يوسف فيها عوضه
وهو المهام الملك الكبير	فابتهج المنبر والسّرير
وضخّم الملك وذاع الصّيت	بملكه وانتظم الشّتيت
وساعد السعد وأغضى الدهر	وخلّص السرّ له والجهر
وأمل الجود وخيف البأس	واستشعر الخشيّة منه الناس
ثم تقضى معظم الزمان	مواصلاً حصّر بنى زيّان
حتى أهلّ تلمسان الفرج	ونشقوا من جانب اللطف الفرج
لما توفى درج السعد درج	فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرج

(١) يتصا ابن الخطيب بذلك كتابه (رقم الحلال في نظم الدول) .

ونزل بظاهر غرناطة وبيع بعض مروجها بقربة أشقظمر ، في بعض غزوات أبيه إلى قرطبة ، وتقدم السلطان إليهم من البر والقرى ، ما كثر الإخبار به والتعجب منه ، ووجه إليهم ولده وولى عهده .

يعقوب بن عبد الحق بن يحيو بن بكر بن حمارة بن محمد بن
رزين بن فقوس بن كرناطة بن مريـن

من قبيلة زناتة ، أمير المسلمين المكنى بأبي يوسف الملقب بالمنصور
رحمه الله .

أولـيته

ظهر بالمغرب أبوه الأمير عبد الحق ، وقد اضطربت دولة الموحدين ،
والتأث أمرهم ، ومرجت عرب رباح ، لعجز الدولة عن كف عدوانهم ،
فخرج الأمير عبد الحق في بحبوحة قومه من الصحراء ، ودعا إلى نفسه ،
واستخلص الملك بسيفه ، عام عشرة وستماية ، وكان على ما يكون عليه
مثله ، ممن جعله الله جُرثومة مُلك وخدم دولة ، من الصدق والدهاء
والشجاعة . ورأى في نومه كأن شِعلاً أربع من نار ، خرجن منه ، فَعَلَوْنَ
في جو المغرب ، ثم اختوين على [جميع] أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه
الأربعة بعده ، والله يُؤتي مُلكه من يشاء . وكان له من الولد إدريس ،
وعثمان ، وعبد الله ، ومحمد ، وأبو يحيى ، وأبو يوسف ، ويعقوب .
هذا ولما هلك هو وابنه إدريس في وقية رباح ، ولي أمره عثمان ولده ،
ثم ولي بعده أخوه محمد ، ثم ولي بعده أبو يحيى أخوهما . وفي أيامه
اتسق الملك ، وضحم الأمر ، وافتتحت البلاد . ولما هلك حتف أنفه

بفاس في رجب من عام سنة وخمسين وستمائة ، قام بالملك أخوه يعقوب المترجم به ، وأرث الملك بنيه .

حاله

كان ديناً فاضلاً حياً ، جواداً سَمحاً ، شجاعاً ، محباً في الصالحين ، منقاداً ألى الخير ، حريصاً على الجهاد . أجاز ولده في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة إلى الأندلس ، ثم عر بنفسه في سِرار صفر من العام بعده ، فاحتل بظاهر إشبيلية ، وكَسَر جيش الروم ، المنعقد على زعيمهم انسمى دُنُونَه ، بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام . ثم عبر ثانياً ، مغتتماً ما نشأ بين الروم من الفرقة ، فغزا مدينة قرطبة ، وصار أمر العدو في أطواق الفرنتيرة ، بحيث لا يوجد في بطن القتل منها إلا العشب أزلاً ومسغبة ، لا انتشار الغارات ، وانتساف الأوقات ، وحديث الفتنة . وسببها ما كان من تصير مالقة إليه ، من أيدي المنتزين عليها من بنى إشقيلولة ، ثم عودتها إلى سلطان الأندلس ، من أيدي رجاله ، شيوخ بنى مُحلى ، ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين ، واحتل بظاهر غرناطة ، في بعض هذه الغزوات ، فنزل بقربة إسقطمر من مرجها ، واحتفل السلطان رحمه الله في بره ، وأجزل نَزله ، وتوجيه ولده إليه . وذكر سيرته شاعرهم أبو فارس عزوز في أرجوزته ، فقال :

سيرة يعقوب بن عبد الحق	قد حاز فيها قَصَبات السَّبِق
بُغَيَّتَان ، يقرأ الكتاب	وتَذَكُر العلوم والآداب
يقوم للكتاب نُثَّتَ الليل	وماله عن وزده من سبيل
حتى إذا الصباح لاح وارتفع	قام وصلَّى للآله وركع
وضج بالتسبيح والتقدیس	حتى يتم الحزبُ في التغليس

يقرأ أولاً كتاب السير
 ثم فتوح الشام باجتهاد
 سؤاله تعجز عنه الطلبة
 يعقد الكتب إلى وقت الضحى
 ويأمر الكتاب بالأوامر
 ويدخل الأشياخ من مرين
 مجلسه ليس به فجور
 كأنهم مثل النجوم الزهر
 قد أسبر الوقار والسكينة
 حتى إذا ما جاز وقت الظهر
 يبنى إلى وقت صلاة العصر
 وينصف المظلوم ممن ظلمه
 ثم يؤم بيته الكريما
 ثم ينام تارة ، وتارة
 ما إن ينام الليل إلا ساهرا
 فهل سمعتم مثل هذه السيرة
 لملك كان من المملوك
 كذاك كان فعله قديما
 ومن الرجز المسمى بقطع السلوك^(١) من تأليفنا، في ذكره ، قولى :
 تبيوا هذا الأمر عبد الحق
 أكرم من نال العلى بحق

(١) يشير ابن الخطيب أيضاً إلى كتابه (رقم الحلال في علم الدور) .

واستخلص الملك بحد المرهف
 وكان سلطانا عظيم الجود
 فأعلى الأيام نور سَعده
 عثمان ثم بعده محمد
 تمهد الملك له لما هلك
 وفتحت فأس على يديه
 وكان ذا فضل وهدى وورع
 ثم أتت وفاته المشهورة
 وهو أبو يوسف غلاب العدا
 ممهد الملك ومورى الزند
 مدت إلى نصرته الأكف
 فافتحم البحر سريعا وعبر
 ووقعت في عهده أمور
 وآلت الحال إلى التيام
 حتى إذا الله إليه قبضه
 لسن مجدٍ عظيم الشرف
 وصنقت رؤياه في الوجود
 وبالها أبناؤه من بعده
 ثم أبو يحيى الممام الأسعد
 وسلك السعد به حيث سلك
 والملك العلي حله لديه
 قد رسم الملك فيهم واخترع
 فولى المنصور تلك الصورة
 وواحد الأملاك بأساً وندا
 وباسط العدل ومولى الرفد
 والروم في العُدوان لا تكف
 ودافع الأعداء فيها وصبر
 وفتنة ضاقت لها الصدور
 فما أضيبت حرمة الإسلام
 قام ابنه يوسف فيها عَوْضه

وفاته

توفي في شهر المحرم عام خمسة وثمانين وستماية ، بالجزيرة الخضراء
 ودُفن بها . ثم احتُمل بَعْدُ إلى سَلا ، فدفن بالجبانة المعروفة هنالك لملوك
 من بني مرين . ومحلُّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف ،
 تغمدله الله برحمته .

الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين

أقرب القبائل المرينية إلى قبيل سلطانهم من بني حَمَامَة . خدم جده بتونس ، ثم بالأندلس ، يكنى أبا زكريا ، شيخ القبيل الزناتى ، ومحراب رأيهم ، وقُطِبَ رَحَى حِمَاتِهِمْ .

حاله

كان هذا الشيخ وحيده دهره ، وفريده وقته ، وشامة أهل جلدته ، فى النبيل والفظانة ، والإدراك والرّجاحة ، شديد الهزل مع البأو ، والمالمقة مع التّيَقُور ، والمهاترة مع الحشمة . عارفا بأخلاق الملوك وشروط جُلسائها ، حسن التّوصّل إليها ، والتأتى لأغراضها ، بعيد الغور ، كثير النكراء ، لطيف الحيلة ، عارفا بسياسة الوطن ، قَيُوماً لى أ-لاق أهله ، عديم الرضا بسير الملوك ، وإن أعلقوا بالعروة الوثقى يده ، ويسرّوا على عبور عقبة الصّراط عونه ، وأقطعوه الجنة وحده ، طنازاً^(١) بهم ، مغرباً ، خائنة الأعين بتصرفاتهم ، مقتحماً جِمْى اغتياهم ، قد اتخذ ذلك سجيّة ، أقطعتة جانب القطيعة برهة ، فارتكب لها الأذاهم مدّة ، جماعة للمال ، زايدا عنه بعضى التّقثير ، وربما غَمَس فيه إبرة للصدقة ، وساما بينه وبين الوزير ، مُكفّى السماء على الأرض ، برأيه المستعين على الفتكة وما ورائها ، بمنيع موالاتهم ، وبانيه يوم مكاشفة الملائيا بالنفرة ، وكان قُطِبَ الرّحى للقوم فى الوجهة إلى الأمير عبد الحلّيم ، ومقيم رسمه ، وانصرف إلى جهة مراكش عند الهزيمة عليه ، فاتصل بعميدها

(١) لى استهزاء بهم .

عامر بن محمد بن علي الهنتائي، وجرت عليه خطوب، وعانت في الكثير من نعمته أكف التمزيق، ديدن الدهر، في الأموال المحتججة، والنقود المكتنزة، واستقر أخيراً بسجلماصة، في مظاهرة الأمير عبد الحلیم المذكور، وبها هلك. وكان على إزرايه ولَسب لِسانه، واخز تلال حية حدثه، ناصح الرأي لمن استنصحه، قواماً فيه بالقسط، ولو على نفسه والوالدين والأقربين، فضيلة عُرف فيها شأوه، بقيما لكثير من الرسوم الحسبية.

دخوله غرناطة

قدم غرناطة في جمادى من عام تسعة وخمسين [وسبعماية]^(١) في غرض الرسالة، ووصل صحبته قاضي الجماعة بالمغرب أبو عبد الله المقرئ، وكان من امتسأكه بالأندلس، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الاستمتاع بنبئه.

وفاته : توفى قتيلاً في الهزيمة على الأمير عبد الحلیم بظاهر سجلماصة في ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية.

يحيى بن طاحه بن علي البطوي، الوزير أبو زكريا

حاله

كان مجموعاً راتعاً، حُسنَ شكل وجمال رواء، ونصاعة ظُرف، واستجادة مَرَكب وبزة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، درياً على الخدمة، جليداً على الوقوف والملازمة، مُجدى الجاه، تلمُّ به نوبة تواضع، يتشَبَّث به الفقراء وأولى الكُذبية، فكِه المجلس، محباً في الأدب، أَلِفاً للظرفاء، عاملاً على حسن الذُكر وطيب الأحلوثة. تولَّى الوزارة

(١) ساقطة في الإسكوريال وأضفناها ليوضح السياق.

للسلطان أبي الحسن ، ونشأ في حجر أبيه ، ماتاً إليهم بالخزولة القديمة ،
فتملأ ما شاء من قرب ومزية ، وياشر حصار الجبل لما نازله الطاغية ،
لقرب عهدٍ بفتحها ، فأبلى وحسن أثره . نشأ بالأندلس ، وسكن وادي
آش وغرناطة ، واستحق الذكر لذلك :

شعره

وكان ينظم الشعر ، فمن ذلك قوله في مُزدوجة في غرض الفخر :

أنا ابن طلحة ولا أبال	لبث السرى في الحرب والنزال
يحي حياة البيض والعوال	مبيد كل بطلٍ مغتال
إن سمعوا باسمي في مجال	يلقوا بأيديهم إلى النكال
أستنزك القرن لدى الصيال	وأكرس النصل على النصال
ن أملى التفريق للأموال	والجمع بين الأقوال والفعال
والشعر إن تسمعه من مقال	تعلم بأن السحر في أقوال
أوشج الغريب فالأمثال	وأقرن الأشباه بالأمثال
وأفضل المرجان باللؤلؤ ^(١)	وأذكر الأيام والليال
فمن أبو أمية الهلال	ومن وحيد عصره الميكال
هذا ولي في غير ذا معال	بها أعلى الدهر من أعال
كما لحسب الصميم والمعال	والمخند الضخم الحفيل الحال
وكرم الأعمام والأخوال	والصون والعفاف والأفضال
فمن يساجلني فذا سجال	ومن يناضلني فذا نضال

وفاته : توفي في أواخر عام خمسة وثلاثين وسبعماية . أصابه سهم

نقط رمي به من سور تلمسان أيام الحصار ، فقضى عليه . نفعه الله .

(١) وردت في الإسكوريال (بالنال) .

يحيى بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن الحكيم اللخمي

أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم وكبيره ، يكنى أبا بكر ، رُندى الأصل . قد مرَّ شيءٌ من ذكر أوليته . دخل غرناطة مرات ، وافداً وزائراً ، وساكناً ومغرباً .

حاله

كان وزيراً جليلاً ، وقوراً عفيفاً ، سرياً فاضلاً ، رُحِبَ الجانب ، كثير الأمل ، جَمَّ المعروف ، شهير المحل ، عريض الجاه ، صريح الطعنة ، من أقطاب أرباب النعم ، ومُنْتَجَمِي الفِلاحة بالأندلس . استبدَّ ببلده برهة ، بإسناد ذلك إليه وإلى أخيه ، من السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب ملك المغرب ، الصَّائِر إليه أمره عند نبذها مغاضباً ، ثم أصاره إلى إيالة السلطان ، ثاني الملوك من بني نصر ، على يدي أخيه كاتبه ، ووزير ولده .

محنته ووفاته

ولما تقلد أخوه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الأمر ، سما جاهه ، وعظم قدره ، وتعدَّد أمله ، إلى أن تعدَّى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه ، فطاح في سبيله نَشْبُهُ ، وذهب في حادثه الشنيع مكسبُهُ . واستقرَّ مُغْرِباً بمدينة فاس ، تحت ستر وجراية ، وبها أدركه وفاته في أوائل شوال من عام عشرة وسبعماية .

يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

جَدُّ الملوك من بني مَرِين ، يكنى أبا زكريا ، شيخ الغزاة ، ورئيس جميع القبائل بالأندلس .

أوليته

قد تقدمت الإشارة إلى أولية هذا البيت ، ونحن نلتمع بسبب انتيادهم عن قومهم ، وهو ما كان من قتل أخي جدّهم ، يعقوب بن عبد الله ابن عبد الحق ، ابن أخي السلطان أبي يوسف ، إذ كان ثائرا مُضعبا ، مظنةً للملك ، ومحللاً للأمال ، فنافسه وليّ العهد وأوقع به ، فوقع بينهم الشّتات ، وفرّ شيوخ هذا البيت وأتباعهم إلى تلمسان ، ثم اجتازوا إلى الأندلس ، منهم من آثر الجهاد ، أو نبا به ذلك الوطن ، أو شرده الخوف ، أو أحطب به الاستدعاء . فمنهم موسى وعمران والعباس ، أبناء رحو بن عبد الله ، وعثمان بن إدريس وغيرهم . فبدأت فيهم الشياخة ، وصحبهم التقلّيم ، وأقامت فيهم الخطّة ، وتردّدت بينهم الولاية .

حاله

هذا الشيخ مُستحق الرتبة ، أهل لهذه الرياسة ، بأسا ونجدة ، وعثقا وأصالة ، ودهاء ومعرفة ، طِرفٌ في الإدراك ، عامل على الحُطوة ، مستديمٌ للنعم ، طيبٌ بالخدمة ، كثير المزاولة والحنكة ، شديد التيقظ ، عظيم الملاحظة ، مُستغرق الفكرة في ترتيب الأمور الدنيوية ، بحاثٌ عن الأخبار ، ملتمس للعيون ، حسن الجوار ، مبذول النّصفة ، بقيةً بيته بالعدوتين ، وشيخ رجاله . له الإمامة والتبّير في معرفة لسانهم ، وما يتعلق به من شعيرٍ ومثلٍ وحكمةٍ وخبرٍ ، لو عرضت عليه رِمَمٌ من عبّر منهم لأثبتها ، فضلا عن غير ذلك ، نسابة بطونهم وشعابهم ، وعلامةٌ سيّرهم ، وعوايدهم ، ألمعٌ ، ذكي ، حافظ للكثير من الحكم والتراخي ، محفوظ الشّيبة من العصمة ، طاهر الصون والعفة ، مشهور الشّهامة

والنَّجْدَة ، معتدل السُّخَاء ، يصح الهناء مواضع النُّصْب فلا يُخْدَع عن جِدَّتِهِ ، ولا يُطْمَع في غَفْلَتِهِ . ولا يَنَارِع فيما استَحَمَهُ من مَزِيَّتِهِ ، خَدَم المُلُوك ، وخَبِر السُّيَر ، فَتَرَكَ الأَخْبَار لِعِلْمِهِ ، وَعَضَّلَ عَقْلَهُ بِتَجْرِبَتِهِ .

تولى رياسة القَبِيل وَسَطَ صَفَرٍ من عام سبعة وعشرين وسبعمايةة ، معوضاً به عن شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء^(١) ، فتَنَعَّمَ البَيْت ، وَخَدُنَ الشُّهْرَةَ ، عندما أَظْلَم ما بينه وبين ابن المحروق مدبر الدولة ، ودافعه بالجيش ، في مَلَقَى حَرَانِهِ ، من أَحْوَاز حِصْنِ أَنْدَرَش^(٢) مرات ، تناصف الحرب فيها ، وربما ندر الفلج في بعضها ، واستمرت حاله إلى سابع محرم من عام تسعة وعشرين وسبعمايةة . وأعيد عثمان بن أبي العلاء إلى رتبته على تَفِيئَةِ مَهْلِكِ ابن المحروق . وانتقل هو إلى مكانه بوادي آش في قومه ، تحت حفظٍ ومبيرة . ثم دالت له الدولة ، وعادت إلى ولده الكُورَة ، يوم القبض على نظرائه وقرابته ، مُتَرَفِّقٍ حِظُوتِهِ ، ولد الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء . عند إيقاع الفتكة بهم يوم السبت التاسع والعشرين لربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمايةة . واستمرت له الولاية ، وألقت عصاها كَلِيفَةً منه بالكفو الذي سلَّم له المنازع ، إلى أن قبض سلطانه رحمه الله ، فجرى ولده على وتيرة أبيه ، ووفى له صاع وفائه ، فجدد ولايته ، وشدا حسه ، ونوه رتبته ، وصدر له يوم بيعته منشور كريم من إنشائي نصه :

(١) في الإسكوريال (أني العلي)

(٢) حصر أندرش أو بلدة أندرش Andrax . بلدة أندلسيه حصينه ، تقع على معرفة من ثمر أدرة بولاية المرية وقد اشهرت في الدريج ، إذ كانت مدى حين مقر أن عند اند آخر ملوك الأندلس ، بعد تسليمه لمديه عن ناطه إلى الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيسابيلا ، وصها عن فيما بعد إذ المغرب . باهاق حاصر بينه ودر الملكين المذكورين .

«هذا ظهير كريم منزلته في الظهاير الكريمة منزلة المعتمد في الظهر الكرام ،
 أطلع وجه التعظيم سافر القسام ، وعقد راية العز السامى الأعلام ، وجدد كريم
 المتات وقديم الدمام ، وانتضى للدفاع عن حوزة الدين حُساما يقر بمضايه
 صدر الحُسام ، فأعلن تجديده بشدُّ أزر الملك ومُناصحة الإسلام ، وأعرب
 عن الاعتناء الذى لا تخلق جديده أيدي الليالى والأيام . أمر به الأمير
 عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ، ابن أمير المسلمين
 أبى الوليد بن نصر ، أيد الله أمره وأعز نصره ، لوليّه الذى هو عماد سلطانه ،
 وواحد خُصائه ، وسيف جهاده ، ورأس أولى الدفاع عن بلاده ، وعقد ملكه ،
 ووُسطى سلكه ، الشيخ الجليل الكبير الشهير ، الأعزُّ الأسنى ، الصدر
 الأسنى ، الأضل ، الأسعد ، الأطهر ، الأظهر ، الكذا ، أبى زكريا
 ابن الشيخ الكذا ، أبى على ابن الشيخ الكذا ، أبى زيد رحو بن عبد الله
 ابن عبد الحق ، زاد الله قدره علواً ، ومجده سمواً ، وجهاده ثناءً متلوأ .

لما كان محله من مقامه ، المحل الذى تتقاصر عنه أبصار الأطماع
 فترتد حاسرة ، وكان للدولة يداً باطشة ، وقلة باصرة ، فنهز ملاك أمورها
 واردة أو صادرة ، وسيف جهادها الذى أصبحت بمضائه ظافرة ، وعلى
 أعدائها ظاهرة ، وكان له الصيت البعيد ، والذكر الحميد . والرأى
 السديد ، والحسب الذى يليق به التمجيد ، والقدر الذى سما منه الجيد ،
 وعرفه القريب والبعيد ، والجهاد الذى صدق به فى قواعده الاجتهاد
 والتقليد ، فإن أقام^(١) جيشاً أبداً غارته ، وإن دبر أمراً أحكم إدارته ،
 مستظهاً بالجلال الذى لبس شارته . فهو واحد الزمان ، والهدى الرفيعة
 من عدد الإيمان ، ومن له بذاته وسلفه علو الشأن ، وسمو المكان ،

(١) وردت فى الاسكوريال (قام) .

والحسب الوثيق البُنَيان . وابتته الكريم . بيت بنى رحو السابقة في ولاية هذه الأوطان . والمدافعة عن حوزة المُلك وحمى السلطان . إن فوخوا صدعوا بالمكارم المعلومة ، وهتوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة ، وتزيّنوا من حلى الغرب بالتيجان المنظومة . فهم سيوف الدين ، وأبطال الميادين ، وأسود العرين ، ونجوم سماء بنى مَرين . وكان سلفه الكريم رضى الله عنه يستضيء من رأيه بالشهاب الثاقب ، ويحلّه من بساط تقرّبه أعلى المراتب ، ويستوضح ببركته جميع المذاهب . ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو الكاذب ، ويرى أنه عزّ دولته ، وسيف صولته ، وذخيرة فخره ، وسياج أمره . جدّد له هذا الرّتب تجديدا ، صير الغاية منها ابتداء ، واستأنف به إعلاء ، ولم يدخر عنه حُظوة ولا اعتناء . وحين صير الله إليه مُلك المولى أبيه بمظاهرته ، وقلّده قلادة الملك بأصيل اجتهاده ، وحميد سعيه ، بعد أن سبق الألوّف إلى الأخذ بثاره ، وعاجلت البَطْشَة الكبرى يد ابتداره ، وأردى بنفسه الشقى الذى سعى في تبديد شمل الإسلام ، وإطفاء أنواره ، على تعدّد الملك يومئذ وتوفر أنصاره . فاستقر الملك في قراره ، وانسحب السّتر على محلّه ، وامتد ظل الحفظ على داره . عرف وسيلة من المقام الذى قامه ، والوفاء الذى رفع أعلامه ، وألقى اليه في أهم الأمور بالمقاليد ، وألزمه ملازمة الحضور بمجلسه السّعيد ، وشديد الاغتباط على قربه ، مُستنجحاً منه بالرأى السّديد ، ومُستندا من وُدّه إلى الركن الشّديد ، وأقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه ، فهو فيهم يعسوب الكتيبة . ووسطى العقد الفريد ، وفذلكة الحساب وبيت القصيد . فدوّاره منهم للشريد . مأوى الطّارف والتليد ، الكفيل بالحسى والمريد . يقف ببابه أمراؤهم ، وتنعقد في مجلسه

آراؤهم ، ويركض خلفه كبراؤهم . مجدداً من ذلك ما عقده سلعه من تقديمه ، وأوجه مزية حديثه وقديمه . فهو شيخ الغزاة على اختلاف قبائلهم ، وتشعب وسايلهم ، تتفاضل درجات القبول عليهم بتعريفه ، وتشرف أقدارهم لديه بتشريفه ، وتثبت واجباتهم بتقديره ، وينالهم المزيد بتحقيقه للغناء منهم وتقريره ، فهو بعده ، أيده الله ، قبلة آمالمهم . وميزان أعمالهم ، والأفق الذى يصب من سحب قطره غمام نوالهم ، واليد التى تستمنح عادة أطمتهم وأموالمهم . فليتول ذلك عظيم القدر ، منشرح الصدر ، حالاً من دائرة جمعهم ، محل القلب من الصدر ، متألقا في هالتها تائق البدر ، صادعا بينهم باللغات الزناتية ، التى تدل على الأصالة العريقة ، والنجار الحر . وهو إن شاء الله الحسام الذى لا ينبه على الضريبة ، ولا يزيده حسنا جلب الحلي العجيبة ، حتى يشكر الله والمسلمون اغتباط مقامه بمثله ، ويورى بره به على من أسر بره ، من قبله ، ويجى الملك ثمره تقريبه من محله . ومن وقف على الظهير الكريم من الغزاة ، آساد الكفاح ، ومتقلدى السيوف ومعتلقى الرماح ، كُما الهيجاء وحُماة البيطاح ، حيث كانوا من مُوسطة أو ثغر ، ون أقيم فى رسم من الجهاد أو أمر ، أن يعلموا قدر هذه الغاية المُشرقة ، واليد المطلقة ، والحظوة المتألقة ، فتكون أيديهم فيما قلدوه رداً ليده ، وعزائمهم متوجهة إلى مقصده . فقصده ، فقدره فوق الأقدار ، وأمره الذى ناب أمره مقابل الابتدار ، على توالى الأيام وتعاقب الأعصار . وكتب فى كذا ...

مولده

ولد بظاهر تلمسان ، عند لحاق أبيه رحمه الله بسليطها عام أحد وتسعين (وستماية) تلقته من لفظه .

ومن "المُستدرك" . وتماادت ولايته إلى الأوايل من شهر رمضان عام اثنين وستين وسبعماية . فلما تصيرت إلى قِدار ناقتها . محمد بن إسماعيل ابن نصر ، عزَّله ، وهمَّ به ، فغزَّبه إلى بلد الروم ، فرارا أرقَّ به البسالة والصبر ، وتبعه الجيش ، فأصيب بجراحة ، ورد من صامتِه ، وجيَّ عن نفسه ، فتخلصه عزمه ومضاوّه ، واستقرَّ عند طاغية الروم ، فأولاه من الجميل ما يفوت الوصف ، واجتاز العُدوة ، فعُرف بها حقّه ، وعادت رتبة هذا الرجل ، بعد أن ردَّ الله على سلطانها ملكه ، إلى أحسن أحوالها من الجاه والحظوة ، وانطلاق اليد . والسلطان مع ذلك مُنطوٍ له على الضعن لأُمور ، منها غمَّس اليد في أمر عمه ، وقعوده عنه ، وهو أخرج ما كان لنصره ، وانزحاله عنه في الشدَّة ، عندما جمعه المنزل الخشِن ، فسحب عليه أذيال النكبة لابنه عثمان ، مُترقٍ مرقب الظهور في عودته ، والمستأثر بجواره ، والمحكَّم في أمره ، فتقبَّض عليهما ، وعلى من لهما محالفاً للوقت فيهما ، إذ كان متوفراً على الحلم ليحدثان العودة ، وجِدَّة الإيالة ، صبيحة يوم الإثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة وستين وسبعماية . فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان ، والتقطوا من بين قبيلهم ، ودهمهم الرجال ، آخذين بحجزهم وأيديهم إلى دور الثقاف . ثم أركبوا الأدهم ، وانتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرقة بقصبة المنكَّب ، واقتضى نظر السلطان جلاء المترجم به وأولاده من مرسي المنكَّب ، ونقل ولده الأكبر إلى ألمرية حسبما مرَّ في اسمه ، فلينظر هنالك ، واستقر إلى هذا العهد ، بعد قفوله من الحجِّ بمدينة فاس ، فلقى بها برّاً وعناية ، ولحق ولداه بالأندلس ، وهما بها ، تحت جراية وولاية

يوسف بن هلال

صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) .

حاله

كان شجاعاً حازماً ، أحظاه الأمير المذكور وصاهره ، وجعل لنظره حصن مطرنيش^(٢) ومواقع كثيرة . وفسدت طاعته إياه ، فقبض عليه ونكبه وعدبه ، واستخلص ما كان لنظره وتركه . فأعمل الحيلة ، ولحق بمورتلة فثار بها ، وعاهد صاحب برجلونة على تصيير ما يملكه إليه . فأعانه بجيش من النصارى ، ولم يزل يضرب ويوالى الضرب على بلنسية ويشجى أهلها ، وتملك الصخرة والصخيرة وغيرها . واتفق أن خيلاً جهزها ابن سعد للضرب عليه ، عثرت بجملته متوجهاً إلى شنت بيطر ، فقبض عليه ، وقيد أسيراً ، فنهض به للحين إلى مورتلة وطلبه بإخلائها ، فأبى [فأمر] ابن مردنيش بإخراج عينه اليمنى ، فأخرجت بعود . ثم قُرب من الحصن وطلبه بإخلائها ، فدعا بزوجه وطلبها بإخلاء الحصن ، وإلا فتخرج عينه الأخرى ، فحُمِل على التكذيب ، ولم يجبه أحد ، فأخرجت للحين عينه الأخرى ، وسيق إلى شاطبة ، فبقى إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستماية . ونخل غرناطة ، وباشر منازلتها مع الأمير صهره ، فاستحق الذكر لذلك .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش عامل بلنسية وملكة الشرق الناصر ضد الموحدون المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) وقد سبق التعريف به . وترجم له ابن الخطيب فيما تقدم (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٢) وردت في الإسكوريال (مطريشة) والصواب ما أتبتناه . وهو من حصون بلنسية الأمامية .

ومن القضاة الأصليين وغيرهم

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن

سمال بن مهايا المصمودي

أوليته وحاله

دخل أبو عيسى يحيى بن كثير الأندلس مع طارق بن زياد ، وقيل له اللبثي ، لأنه أسلم على يد رجل اسمه يزيد بن عامر اللبثي ، فنسب إليه ، وقيل إنهم نزلوا بنزل اللبث ، فنسبوا إليه . يُكنى يحيى هذا ، أبا عيسى . وكان جليل القدر ، عالي الدرجة في القضاء . وُلِّي قضاء البيرة وبجانة مدة ، وولى قضاء جيان وطليلة ، ثم عزل عن طليطة ، وأضيفت إليه كورة البيرة مع جيان . ثم استعفى عن جيان وبقي يلى قضاء البيرة ، وكان لا يرى القنوت في الصلاة ، ولا يقنُت في مسجده البتة .

مشيخته : روى عن أبي الحسن النحاس ، وسمع الموطأ من حديث اللبث وغيره من عم أبيه عبيد الله بن يحيى .

مولده . في ذي القعدة سنة سبع وثمانين ومايتين .

وفاته : توفي ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء ، ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر . لثمان خلت من رحب عام سعة وستين وثلاثمائة

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري

يكنى أبا عامر .

حاله

العالم الجليل ، المحدث الحافظ ، واحد عصره ، وفريد دهره .
كان رحمه الله علماً من أعلام الأندلس ، ناصر لأهل السنة ، رادعاً لأهل
الأهواء ، متكلماً دقيق النظر ، سديد البحث ، سهل المناظرة ، شديد
التواضع ، كثير الإنصاف ، مع هيبة ووقار وسكينة ، ولّى قضاء الجماعة
بقرطبة ثم بقرطبة ، وأقرأ بقرطبة لأكابر علمائها ونبائها ، الحديث
والأصليين وغير ذلك ، بالمسجد الجامع منها وبغيره .

مشيخته

حدث عن والده العالم المحدث أبي الحسين عبد الرحمن بن أحمد
ابن ربيع ، وعن الشيخ الأستاذ الخطيب أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري ،
وعن الراوية المحدث أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، وعن
الحافظ المسن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجَدِّ الفهرى ،
والقاضي أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون ، والزاهد الورع ،
أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوى المالقي ، عرف بابن الشيخ ،
وأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الإصبهاني الواعظ ،
والفقيه القاضي أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحم الخزرجي .
وفاته : بمالقة سنة سبع وثلاثين وستماية .

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري

أوليته

تقدمت في اسم عمه أبي إسحق ، فليُنظر هنالك .

حاله

من أهل العدالة والزكَا والسُّلف في الخطط الشرعية ، سَكُون ، متفَنُّن في العلوم الشرعية من فقه وأحكام ، وله التقدم في الوقت في علم الفرائض والحساب . حَبَس على الزاوية التي اتَّخذتها بالحضرة ، موضوعات في ذلك الغرض نبهية ، لم يَقْصُر فيها عن الإِجادة ، وتولَّى قضاءَ مواضع من الأندلس ، ثم استُعْمِل في النِّيابة عن قاضي الحضرة العلية ، وهو الآن قاض بمدينة وادي آش ، وخطيب بمسجدها الأعظم ، تتنابه الطلبة للأخذ عنه ، والقراءة عليه .

مُشِيخته

روى مع الجملة ممن هو في نمطه ، وأخذ بالإِجازة عن الشيخ الأستاذ الصالح أبي إسحق بن أبي العاصي ، والخطيب أبي علي القرشي ، وعن الفقيه الخطيب أبي عبد الله البيّاني ، وعن الأستاذ شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن الفخّار ، وأخذ عن والده وعمه أبي إسحق . وأجازه الشيخ القاضي الخطيب أبو البركات بن الحاج ، والخطيب الصالح أبو محمد بن سلْمون ، والكاتب الجليل أبو بكر بن شبرين ، ورئيس الكتاب أبو انحسن ابن الجيّاب ، وقاضي الجماعة أبو القاسم الشريف ، والخطيب أبو عبد الله القرشي ، وهو الآن بالحال المذكورة .

يوسف بن الحسن بن عبدالعزيز بن محمد بن

أبي الأحوص القرشي الفهري

يكنى أبا المجد ، ويعرف بابن الأحوص .

حاله

كان من أهل العلم والعدالة والنزاهة . وُلِّيَ كثيراً من القواعد ،
فظهر من قصده الحق ، وتحريه سبيل الصواب ، تا يُؤثر عن الجَلَّة .

مشيخته

قرأ على والده وروى عنه ، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه ،
فأجازته الراوية أبو يحيى بن الفرس ، وأبو عمر بن حوط الله ، وأبو القاسم
ابن ربيع ، وأبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي ، وأبو الوليد العطار ،
والخطيب أبو إسحق الأوسى القرطبي ، والقاضي أبو الخطاب بن خليل ،
وأبو جعفر الطباع وغيرهم .

قال القاضي أبو المجد شيخنا رحمه الله ، أنشدني أبو علي الحسن ، قال
أنشدني الخطيب أبو الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو عمرو السفاقي ،
قال أنشدنا أبو نعيم الحافظ ، قال أنشدنا عبد الله بن جعفر الجابري ،
قال أنشدنا ابن المعتز :

ألم تر أن الدهر يومٌ وليلةٌ يكران من سببت عليك إلى سببت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وبالسند المذكور إلى أبي الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو محمد عبد الحق
ابن عبد الملك بن بونه ، قال أنشدنا أبو بكر غالب بن عطية الحافظ لنفسه :

جفوت أناسا كنت إلف وصلهم وما بالجفا عند الضرورة من ناس
بلوت فلم أحمَد فأصبحت يائسا ولا شيء أشنى للنفوس من اليأس
فلا تغدوني في انقباضي لإنسى وجدت جميع الشر في خلطة الناس

وفاته : في اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة وسبعماية .

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد بن
أحمد الجذامي المنتشافري

من أهل رندة ، يكنى أبا الحجاج

حاله

هذا الرجل حسن اللقاء ، طرّف في التخلّق والدماثة ، وحسن العشرة ،
أديب ذاكر للأخبار ، طلّع ، يكتب ويشعر ، سيال الطبع مَعِينه . وُلّي
القضاء ببلده رُندة ، ثم بمَرْبَلَة . وورد غرناطة في جملة وقود من بلده
وعلى انفراد منهم .

وجرى ذكره في « التاج المحلّي » مما نصه : حسنة الدهر الكثير
العيوب ، وتَوْبَةُ الزمان الجَم الذنوب ، ما شيت من بِشْرِ يتألّق ، وأدب
تتعطّر به النَّسَمَات وتتنخّلّق ، ونفس كريمة الشمايل والضرايب ، وقريحة
يقذف [بحرها] ^(١) بدور الغرايب ، إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها ،
وتُثنى النفوس عن اغترارها ، ولسان يبوح بأشواقه ، وجفن يسخو بدُرر
آماقه ، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، وممن يمت إلى أهل
الدِّيانَة والعبادة بسبب . سبق بقُطره الحَلْبَة ، وفرَع من الأدب الهَضْبَة ،
ورفع الراية ، وبلغ في الإحسان الغاية ، فطارت قسايد كالمطار ،
وتغنى بها راكب الفلّك وحادي القِطار . وتقلد خُطّة القضاء ببلده ،
وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده ، فوضحت المذاهب بفضله
مذهبه ، وحُسن مقصده . وله شيمَة في الوفا تعلّم منها الآس ، ومؤانسة
عذبة لا تستطيعها الأكواس . وقد أثبت من كلامه ما تتحلّى به ترايب

(١) الزيادة من النسخ .

المهارق ، ويجعل طيبه فوق المفارق . وكنت أتشوق إلى لقايه ، فلقيته
بالمحلّة من ظاهر جبل الفتح ، لُقيا لم تبّل صدأ ، ولا شفت كمدًا ،
وتعدّر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بقولي :

حمدتُ على فرط المشقة رحلة أتاحت لعيني اجتلاءً محيّاكا
وقد كنت في التذكار بالبعد^(١) فانعا وبالريح إن هبت بعاطر ريباكا
فجلت لي النعمى بما أنعمت به على فحياها إلاله وحيّاكا
أيها الصنر الذي بمخاطبته يُنبأ^(٢) ويتشرف ، والعلم الذي بالإضافة
إليه يُتعرّف ، والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضة يُتحف .
دُنت تتزاحم على موارد ثنائك الألسن [وتروى للرواة ما يصح من أنبياك
ويجسُن]^(٣) طالما مالت إليك النفوس منا وجنحت ، وزجرت الطائر
الميمون من رُقاعك كلما سنحت . فالآن اتضح البيان ، وصدق الأثر
العيان . ولقد كنا للمقام بهذه الرّحال نرتمض ، ويجنُّ الظلام فلا
نغتمض ، هذا يُقلقله إصْفار كَيْسه ، وذا يتوجّع لبعْد أنيسه ، وهذا
تروّعه الأهوال ، وتضجره بتقلباتها الأحوال . فمن أنة لا تنفع ، وشكوى
إلى الله [تعالى]^(٤) ترفع . فلما ورد بقدمك البشير ، وأشار إلى ثنية
طلوعك المشير ، تشوّفت النفوس الصّديّة إلى جلايها وصبقالها . والعقول
إلى حلِّ عقالها ، [والألسن المعجمة]^(٥) إلى فصل مقالها . ثم إن الدهر
راجع التفاته ، واستدرك ما فاته ، فلم يسمح من لقايك إلا بلمحة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (في البعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (يياهي) والمعنى واحد .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وتروى الرواة

من أنبيائك ما يصح ويجسُن)

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي النسخ (والأنفس المعجمة) .

ولا بعث من نسيم روضك بغير نَفحة . فما زاد أن هبج الأشواق فالتهمت ،
 وشن غاراتها على الجوانح فانتهمت ، وأعل القلوب وأمرضها ، ورمى
 ثغرة الصبر فأصاب غرضها . فإن رأيت أن تنفس عن نفس شد الشوق
 مُخنقها ، وكدر مشارب أنسها [وأذهب]^(١) رونقها ، وتتحف من
 من آدابك بدُرر تُقتنى ، وروضة طيبة الجنى ، فليست ببدع في شيمك ،
 ولا شاذة في باب كرمك . ولولا شاغل لا يبرح ، وعوائق أكثرها
 لا يُشرح ، لنافست هذه السحابة في القدوم عليك ، والمثول بين يديك ،
 فتشوق إلى اجتلاء أنوارك شديد ، وتشيعي فيك على إبلاء الزمان جديد .
 فراجعني بقوله :

حباك فزادى نيلُ بشرى وأحياكا	وحيد بآدابِ نفايسَ حياكا
بدايعُ أبدأها بديعُ زمانه	فطاب بها يعاطر الروض رياكا
أهديها أودعت قلبي علاقةً	وإن لم يزل مُعزى قديماً بعلياكا
إذا ما أشار العصر نحو فرنده ^(٢)	فإياك أعنى بالإشارة إياكا
لا تحفنى لقياك أسمى مؤملي	وهل تحفة في الدهر إلا بلقياكا
وأعقبت إتحافى فرايدك التي	وجوب ثناها يالسازي أعيكا

خصصتني أيها الجبر المخصوص بمآثر أعياء عدها وحصرها ، ومكارم
 طيب أرواح الأزاهر عطرها ، وسارت الركبان بثنائها ، وشملت الخواطر
 محبة علائها . بفرايدك الأنيقة ، وفوايدك المزرية جمالاً على أزهار
 الحديقة ، ومعارفك التي زكت حقاً وحقيقة . وهدت الضال عن سبيل
 الأدب مهيعه وطريقه ، وسبقتُ تحفتك عندي أعلى التحف^(٣) ، وهو

(١) الزيادة من النفع .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وى النفع (فريده)

(٣) وردت في الإسكوريال (تحفتك) والتصويب من النفع .

مأمول لقائك ، والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك ، على حين امتدت
لذلك^(١) اللقاء أشواقى ، وعظم من فوت استنارنى بنور محياك إشفاقى ،
وتردد لهجى بما يبلغنى من معاليك ومعانيك ، وما شاده فكرك الوقاد من
مبانيك ، وما أهلت به بلاغتك من دارسه ، وما أضفت على الزمان من
رايق ملبسه ، وما جمعت من أشتاته ، وأحيت من أمواته ، وأيقظت
من سباته ، وما جاد به الزمان من حسناته . فلترداد هذه المحاسن من أنبايك ،
وتصرف الألسنة بشنايك ، علفت النفس من هواها بأشد علاقة ، وجنحت
إلى لقايك جنوح الهمّة شتاقة ، والحوادث الجارية تصرّفها ، والعوايق الحادثة
كلما عطفت بأملها إليه ، لا تتحفها به ولا تعطفها ، إلى أن ساعد الوقت ، واستمد
البخت ، بلقياكم^(٢) هذه السفرة الجهادية ، وجاد إسعاف الإسعاد من أمنيى بأسنى
هدية ، فلقيتكم لقيا خجل ، ولحت أنواركم لمحة على وجل ، ومهجى^(٣) ، فى
محاسنكم الرائقة ، ومعالكم الفائقة ، على ما يعلمه ربنا عز وجل . وتذكرت
عند لقايكم المأمول ، إنشاء قائل يقول :

كانت محادثة^(٤) الركبان تخبر عن محمد بن خطيب بأطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصبرى
قبما لعمرى أقوله وأعتقده ، وأعتده ، وأعتمده ، فلقد بهرت منك
المحاسن ، وفقت من يحاسن ، وقصّر عن شأوك كل بليغ لسين ، وسبقت
فدلتك النارية النورية بلاغة كل فطين ، وشهد لك الرمن أنك وجاهد ،
ورئيس سصبته^(٥) الأدرية وفريده . فبورك لك فيما أنلت من الفضائل ،

(١) هكذا وردت و الإسكوريال . وفي النسخ (دلكم)

(٢) هكذا وردت و الإسكوريال . وفي النسخ (بلقياكم) .

(٣) هكذا وردت و الإسكوريال ، وفي النسخ (ومهجى) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفي النسخ (مسألة) .

(٥) وردت و الإسكوريال (عصايته) والتصويب من النسخ

وأوتيت من آيات المعارف التي بها نور العزلة هائل ، ولازلت مُرَقَّةً (١)
 في مراتب الممالى ، موقىً صروف الأيام والليالي .
 وذن شعره بمدح الجهة النبوية ، مُصَدِّراً بالنسيب لبسط الخواطر
 النفسانية :

لا تناهى الصب في تشويقه	درر الدموع اعتاضها بحقيقه
متلهِّفٌ وفسؤاده متلهَّب	كيف البقاء مع احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بنجده (٢)	أنى خلاصٌ يرتجى لغريقه
متجرِّع صاب النوى من هاجر	ما إن يحزُّ للإعجابات مشوقه
يُسيِّي الخواطر حسنه ببديعه	يُضيي النفوس جماله بأيقه
قيَّد النواظر إذ يلوح لراقي	لا تنشئ الأحداق عن تحديقه
لنبلر لمحتة كيشر ضيائه	للمسك نفتحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لامحيه كأنهم	شربوا من الصبا كأس رحيقه
عطشوا لشغرا لا سبيل لريقه	إلا كلمحهم للنع بريقه
ماضرَّ مولى عاشقوه عبيده	لورقٍ إشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه	مثل السلو ولا أنا بمطيقه
سجع (٣) الحمام يشوق ترجيع الهوى	فأثار شجوا مشوقه بمشوقه
وبكت هديلاً راعها تفريقه	ويحقُّ أن يبكى أخو تفريقه
وبكاء أمثالي [حق] لأننى	لم أقض للولى أكيد حقوقه
وعقلت في زمن الشباب المنقضى	أقبح بنسخ بروره بعقوقه .
وبدا المشيب وفيه زجرٌ ذوى النهى	لو كنت مزدجرا لشم بروقه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (ترق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (بنجده) .

(٣) هكذا في النسخ ووردت في الإسكوريال (شدت) . والاولى أرجح .

حَسْبِي نَدَامَةٌ آسَفٌ مِمَّا جَنَيْتُ
 وَيَرُمُ^(١) مَا خَرَمَ الْهُوَى زَمَنَ الصَّبَا
 وَيُرَدِّدُ الشُّكُوزَى لَدَيْهِ تَذَلُّلاً
 فَيَصُحُّ مِنْ سُكْرِ التَّصَابِي صَحْوَهُ^(٢)
 لَوْ كُنْتَ بِمَمْتِ التَّقَى وَصَحْبَتِهِ
 لَأَقْدَمْتُ مِنْهُ فَوَائِدًا وَفَرَائِدًا
 اللَّهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ فَلِيهِمْ
 قَامُوا وَقَدْ نَامَ الْأَنَامُ فَنُورِهِمْ
 وَتَأَنَسُوا بِحَبِيبِهِمْ فَلَهُمْ بِهِ
 قَصَّرَتْ عَنْهُمْ عِنْدَمَا سَبَقُوا الْمَدَى
 لَوْلَا رَجَاءُ تَلْمُحِي^(٤) مِنْ نُورِهِمْ
 وَتَأَرْجُحُ يُسْتَأَفُّ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ
 لَفُتِنْتُ^(٥) مِنْ جِرَاءِ جِرَائِرِي الَّتِي
 وَمَعِيَ رَجَاءُ تَوْسَلُ أَعْدَدْتَهُ
 حَبِيٍّ وَمَلْمُحِي أَحْمَدُ الْهَادِي الَّذِي
 أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسَبِ
 الْحَقِّ أَظْهَرَ عَقِيبَ خَفَائِهِ
 وَنَبِيَّ هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَائِرٍ
 يَصِلُ النَّشِيجَ لُورَرِهِ بِشَهِيْقِهِ
 وَيُرُومُ مِنْ مَوْلَاهُ رَتَّقَ فُتُوْقَهُ
 عَلَّ الرُّضَا يُحْبِيهِ دَرْكُ لِحْوَقِهِ
 نَسَخًا لِحَكْمِ صُبُوْحِهِ بِغُبُوْقِهِ
 وَمَلَكَتْ لِإِيْثَارٍ سِوَاءِ طَرِيْقِهِ
 عُرِضْتُ تُسَامُ لِرَائِحِ^(٣) فِي سِوَقِهِ
 مِنْ حِزْبٍ مِنْ نَالِ الرُّضَا وَفَرِيْقِهِ
 هَتَكَ الدُّجَا بَضِيَائِهِ وَشُرُوْقَهُ
 بِشَرِّ لَصْدَقِ الْفَضْلِ فِي تَحْقِيْقِهِ
 وَلِسَابِقِ فَضْلِ عَلِيٍّ مَسْبُوْقِهِ
 يَحْيِي الْفُؤَادَ بِسِيرِهِ وَطَرُوْقِهِ
 سَبَبُ انْتِعَاشِ الرُّوْحِ طَيْبِ خَلُوْقِهِ
 مِنْ خَوْفِهَا قَلْبِي حَلِيْفَ خَفُوْقِهِ
 ذَخْرًا لَصِدْمَاتِ الزَّمَانِ وَضِيْقِهِ
 فَوْزُ الْأَنَامِ يَصِيْحُ فِي تَصْدِيْقِهِ
 مِنْ هَاشِمِ زَاكِي النَّجَارِ عَرِيْقِهِ
 وَالذِّينِ نَظَّمَهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ
 مَسْتُوثِقُ بِنَعْوَتِهِ وَلِعُوْقِهِ^(٦)

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (ويروم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ مكررة (سكره) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (لرائح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (تلمح) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (لعنت) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ووردت في النسخ (ينوته ويعوقه) .

سبحان مرسله إلينا رحمة
 والمعجزات بدت بصدق رسوله
 كالظبي في تكليمه والجذع في
 والنار إذ خمدت بنور ولاده
 والسزاد قلّ فزاد من بركانه
 ونُبوع ماء الكف من آياته
 والنخل لما أن دعاه مشى له
 والأرض عاينها وقد زويت له
 وكذا ذراع الشاة قد نطقت له
 ورمى عداه بكف حصباء فانثنت
 وعليه آيات الكتاب تنزلت
 فأذيق من كأس المحبة صرّفها
 حاز السناء وناله بعروجه
 ولكم له من آية من ربّه
 يا خيرة الأرسال عند إلهه
 علقت آمالي بجاهك عدّة
 ووثقت^(٢) من حبل اعتمادى عمدة
 ولئن غدوت أحيّد ذنبي إنني
 وكساد سوقى مذلجأت إلى بابكم

يهدى ويهدى الفضل من توفيقه
 وحقيقه بالمآثرات خليفه
 تخنينه والبدر في تشقيقه
 وأجاج ماء قد خلا من ريقه
 فكفى الجيوش بتمره وسويقه
 وسلام أحجار غدت بطريقه
 ذا سرعة [بعروقه وعلوقه]^(١)
 فقريب ما فيها رأى كسحيقه
 نطق اللسان فصيحته وذليقه
 هرباً كمدعور الجنان فروقه
 تُتلى بعلو جلاله^(٢) وبسوقه
 سبحان ساقيه بها ومديقه
 جاز السماء طباقها بخروقه
 ورعاية وعناية بحقوقه
 يا مُحَرِّز العَلْيَا على مخلوقه
 والقصد ليس يخيب في تعليقه
 لتمسكي بقسويّه ووثيقه
 أرجو بقصدك [أن أرى]^(٤) كطاليقه
 يقضى حصول نفوذه ونفوقه

(١) هكذا وردت في الإ. دوريال ، وفي النسخ (بلاوقه وعروقه) .

(٢) هكذا في الإ. دوريال ، وفي النسخ (جنابه) .

(٣) هكذا في الإ. دوريال ، وفي النسخ (علتت) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ ، وهي ساقطة في الإسكوريال .

ويجنُّ قلبي وهو في تغريبه
وتزيد لوعته متى حثُّ السرى
وأرى قشيب العمر أمسى بالياً
وأخاف أن أقضى ولم أفض المني
فمتى أخطُ على اللوى رَحلى وقد
وأمرغ الخدين في تَرْبِ غدا
وأعيد [إنشادي وإنشائي] ^(٢) الثنا
حتى أميل العاشقين تطرباً
وتحيَّةُ التسليم أبلغ شافعي ^(٣)
ولذي الفخيار وذى العلى ووزيره
منى السلام عليهم ^(٤) كالزهر في

[لمزاره لرباك] ^(١) في تشريقه
حادِ حِداً بِجِماله وبنوقه
ومرور دهرى جدِّ في تمزيقه
بنفوذ سهم مَنِيَّتِي ومُرُوقه
بلَغْتَ ركابي لِلحَمَى وعقيقه
كالمِسْك في أَرَجِ شذا مَنشُوقه
ببديع نظم قريحتي ورقيقه
كالغُصْنِ مرَّ صبأً على مَمشُوقه
وثنا المديح حديثه وعتيقه
صديقه وأخى الهدى فارُوقه
تأليفها والزهر في تأليفه

قال ، وكتب بذلك إلى في جملة من شعره :

هواكم بقلبي لأحكامه ^(٥) نسخ
ومن نشائي ما إن صَحَّتْ منه نشوئى
عليه حياتى مذ تَمادت وميَّتتى
ولى خَطْدُ أَضحى قنيص غرامه
قتلتُ سُلُوى حين أحييت لوعتى
وناصح كمتى إذ زكت بيئاته

ومن أجله جَفَنى بدمعه يَسخُ
سواءً به عصر المشيب أو الشُرُخ
وبَعثى إذا بالصُور يتفق النَّفخ
ولا شركٌ يُدنى إليه ولا فسخُ
وما اجتئح بالإقرار فى حالتى لَطخُ
يجول عليه من دموع الأسي نَضخُ

- (١) هذه الزيادة من النفع ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
- (٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى النفع (إنشائي وإنشادي) .
- (٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى النفع (شافع) .
- (٤) واردة فى النفع وساطقة فى الإسكوريال
- (٥) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (محكمه)

وأرجو بتحقيق هواكم بأن أفي
وما الحب إلا ما استقل ثبوته
إذا مسلك لم يستقم بطريقه
بدا لضميرى من سناكم تلمح
على عود ذاك اللّمح ما زلت نادياً
يَدَى بِأَيَادِيكُمْ وَقَلْبِي شَاغِلٌ
فعهد ولا نقص وعقد ولا فسخ
لبناه رص في الجوانح أو رسخ
سلكت اعتدالاً مثل ما يسلك الرخ
فبخ لعقل لم يطر عندها بخ
كما تندب الورق فارقتها الفرخ
فمن فكرتى نسج ومن أنملى نسخ
ومن شعره أيضاً قوله في غرض يظهر منه :

إليك تحن النّجب والنّجباء
تخبُّ بركاب تحبُّ وصولها
فأنفاسها ما أن تنى صعداؤها
هموا عالجوا إذ عجل السير داءهم
فعدت ودونى للحبيب ترحلوا
له وعليه حبُّ قلبى وأدمعى
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها (٢)
شذا نفعها واللّمح منها كأنه
فيا حادياً غنى وللركب (٤) حادياً
بسلى فسل عما أقاسى من الهوى
وفى عالج منى بقلبي لأعج
وفى الرقمتين (٥) أرقم الشوق لاذع

فهم وهى فى أشواقهم شركاء
لأرض (١) بها باد سنى وسناء
وأنفاسهم من فوقها سعداء
وأشباه مثل مذنقون بطاء
وما قاعد والراحلون سواء
وقد صح لي حب وسح بكاء
وإن [تك أرضاً فالحبيب] (٣) سماء
ذكاء عبير والضياء ذكاء
عنانى بعد البعد عنك عناء
وسل بقبائ إذ يلوح قباء
فهل لي علاج عنده وشفاء
ودرياقه أن لو يباح لقاء

(١) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النفع ، وفى الإسكوريال وكأنها

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . وفى الإسكوريال (وإن تك أرضى بالحبيب)

(٤) هكذا وردت في النفع ، وفى الإسكوريال (والذكر) والأولى أرحم .

(٥) هكذا في النفع ، وفى الإسكوريال (وبالرقمتين)

أما كن تمكين وأرض بها الرضى
ومن المقطوعات قوله :
أدب الفتى في أن يرى متيقظاً
فإذا تمسك بالهوى يهوى به
ومن ذلك :

يامن بدنياه ظل في لجج
تطمع في إرثك الفلاح وقد
كن حنواً في الذى طمعت به
وقال :

ترى شعروا أنى غبطت نسيماً
كما قابلت زهر الرياض وقبّلت
وقال :

ورد المشيب مبيضا بوروده
يا ليته لو كان بيض بالتقى
إن المشيب غدا رداء للردى
وأنشدنى صاحبنا القاضى أبو الحسن ، قال ، مما أنشدنى الشيخ

أبو الحجاج لنفسه :

لوعة الحب في فؤادى تعاصت
كيف يبرأ من علة وعليها
فانسكاب الدموع جارٍ فجارٍ
والتهاب الضلوع راقٍ فراقٍ

(١) مكاهها دياص بالإسكوريال والإضافة من النفع .

(٢) وردت في الإسكوريال (الفراق) والتصويب من النفع .

نذرة من أخباره

نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى المؤرخ أبى الحسن بن الحسن ، قال حاكيا عنه ، ومن غريب ما حدثنى به ، قال كنت جالسا بين أيدي الخطيب أبى القاسم التاكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة الأعظم ، فقال لنا فى أثناء حديثه ، رأيت البارحة فى عالم النوم ، كأن أبى عبد الله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده وهما :

كل علم يكون للمرء سُغلا بسوى الحق قادحٌ فى رشاده
فإذا كان الله فيه حِظًّا فهو مما يُعده لمعاده

قال ، فلم ينفصل المجلس ، حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجليانى والبيتان عنده ، فعرضهما على الشيخ ، وأخبره أنه صنعهما البارحة . [فقال له كل من فى المجلس ، أخبرنا بهذا الشيخ قبل مجيئك ، فكان هذا من العجائب] (١) . وقد وقعت الإشارة لذلك فى اسم الشيخ .

مشيخته

منقول من خطه فى ثبتٍ أجاز فيه أولادى ، أسعدهم الله ، بعد خطابة بليغة . قال فمن شيوخى الذين رويتُ عنهم . واسترقتُ البركة منهم ، الشيخ الخطيب الصالح المتفتن ، أبو محمد عبد الواحد بن أبى السداد الباهلى . والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير ، والشيخ الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبى عامر بن ربيع ، والقاضى العدل أبو عبد الله محمد ابن على بن محمد بن برطال . والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالى . والراوية المسرُوبُ عمرو محمد بن عبد الرحمن الرندى الطنجى ،

(١) نسخة من المصنفين نقلها عن النسخ

والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شالة ، والخطيبان
الأستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى ، وأبو عثمان سعيد
ابن إبراهيم بن عيسى الجميرى ، والشيخ الصالح أبو الحسين
عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور ، والخطيب الصالح
العلامة المصنف أبو جعفر بن الزيات ، والفقير القاضى أبو جعفر
ابن عبد الوهاب ، والشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن الكماد ، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي ، والعدل
أبو الحسن علي بن محمد الطائي ، ابن مستقور ، والخطيب الصالح
أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيرى ، والقاضى العدل الحاج
أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطى ، والشيخ الراوية الحاج
الزحطال الصوفى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسى العجمى
الأفشرى ، والقاضى الحسين أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد
ابن عياض ، والقاضى أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمى ، والأستاذ
أبو إسحق الغافقى ، والإمام أبو القاسمى بن الشاط ، والخطيب القاضى
أبو عبد الله القرطبي ، والراوية أبو القاسم البليفيقى ، والمحدث أبو القاسم
التجيبى ، والخطيب أبو عبد الله الغمارى ، والإمام الكبير ناصر الدين
المشدالى ، والفقير الصوفى أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلى عرف
بالمسفر من أهل بجاية ، وقاضى القضاة بتونس أبو إسحق بن عبد الرفيع ،
والعلامة أبو عبد الله بن راشد ، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون ، والعلامة
الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذازى .
قال ، وكلهم أجازنى عامة ما يرويه . وكان ممن لقيته . وقرأت عليه ،
إلا المدرس أبا الحسن بن شالة ، فوقع لى شك فى إجازته .

تواليفه

قال ، ومما (١) يسر الله تعالى فيه من التأليف ، كتاب « ملاذ المستعبد ، وعباذ المستعين ، في بعض خصائص سيد المرسلين ، في الأحاديث الأربعين المروية على آيات من الذكر الحكيم والنور المبين » . وكتاب تخصيص (٢) القرب وتحصيل الأرب ، وقبول الرأي الرشيد ، في تخميس الوترية النبوية لابن رشيد . وانتشاق النسمات النجدية ، واتساق النزعات الجدية . وغرر الأمانى المسفرات في نظم المكفرات . والنفحات الرندية واللمحات الزندية ، وهو مجموع شعري . وحقائق بركات المنام ، في مرأى المصطفى خير الأنام . والاستشفاء بالعدة ، والاستشعاع بالعمدة ، في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبُرْدَة . وتوجع الرائي في تنوع المرائي . واعتلاق المسائل بأفضل الوسائل . ولمح البهيج ، ونفح الأريج ، في ترجيز ما لولى الله أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصارى رضى الله عنه ، من عبارات حكمة وإشارات صوفية . وتجريد رؤوس مسائل البيان والتحصيل ، لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل . وفهرسة روايتي . ورجز في ذكر مشيخة شيخنا الراوية أبي عمر الطنجي ، رحمه الله وإسناده . قال ، ومما كنت شرعت فيه ولم يتفق تمامه ، كتاب سميته « عواطف الأعتاب ، في لطائف أسباب المتاب » . ومما بيدي الآن جمعه وهو إن شاء الله على التمام ، أربعون حديثاً متصلة الإسناد ، أول حديث منها في الخوف ، والثاني في الرجاء ، بلواحق تتبعها ، وسميته « أرج الأرجاء ، في مزج الخوف والرجاء » . والله يصفح عنا ، ويغفر زلاتنا . وأن لا يجعل ما نتولاه من

(١) وردت في الإسكوريال (ومن) فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في الإسكوريال (تحسين) ، والتصويب من النسخ

ذلك حجة علينا ، وأن نكون ممن مُنَحَّ مقولا ، ومنع معقولا . ويختتم لما
 يخواتم السُّعداء من عباده ، ومن وفق وهدى إلى سبيل رشاده .
 وفاته : كان حياً عام أحد وستين وسبعماية .

ومن المقربين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

يكنى أبا زكريا ، شيخنا أبو زكريا بن هُذيل رحمه الله أرجدونى^(١)
 الأصل ، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد كولايج هذيل ، مما يدل على
 أصالة .

حاله

كان آخر حَمَلَة الفنون العَقَلِيَّة بالأندلس ، وخاتمة العلماء بها ،
 من طبٍ وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب ، إلى إمتاع المحاضرة ،
 وحسن المجالسة ، وعموم الفائدة ، وحسن العهد ، وسلامة الصدر ،
 وحفظ الغيب ، والبراءة من التصنع والسُّمْت ، مؤثرا للخمول ، غير مبال
 بالناس ، مشغولا بخاصة نفسه . خدم أخيراً باب السلطان بصناعة
 الطَّب ، وقعد بالمدرسة بقرنطة ، يقرئ الأُصول والفرايض والطب .
 عمن أخذ : قرأ على جملة من شيوخ وقته ، كالأستاذ أبي بكر بن الفخار ،
 أخذ عنه العربية والأدب . وقرأ الطب على أبي عبد الله الأرنؤشى ،
 وأبي زكريا القصرى . وجملة من الإسلاميين بالمُدْوَة . وقرأ كراسة الإمام
 فخر الدين الرازى المداية بالآيات البيِّنات . على الأستاذ أبي القاسم بن جابر .

(١) نسبة إلى أرحدونه أو أرحدونة Archidona وقد سق العرف سا (المجلد

الثالث من الإحاطة ص ٤٥٩ حاشية) .

ونظر الأصول على الأستاذ النظّار أبي القاسم بن الشّاط وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد . والحساب والهندسة والأصول وكثيراً من عمليات الحساب وجبّره ومقابلته والنجوم ، على الأستاذ أبي عبد الله بن الرّقام ، ولازمه كثيراً .

ثوالبفه

وله تصانيف وأوضاع منها ، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات^(١) وتنشيط الكسل . ومنها شرحه لكراسة الفخر ، وهو غريب المأخذ ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين . وكتابه المسمى «بالاختيار والاعتبار في الطب» . وكتابه المسمى «بالتذكرة في الطب» .

شعره

وجرى ذكره في التاج المحلّي بما نصه : درة بين الناس مغلّفة ، وخزّانة على كل فائدة مغلّفة ، وهديّة من الدهر الضنين لبنية مغلّفة . أبدع من رتبّ التعاليم وعلمها ، ورخص في الألواح قلمها ، وأتقن من صور الهيئة ومثلها ، وأسس قواعد البراهين وأثلها ، وأعرف من زاول شيكاية ، ودفع عن جسم نيكاية ، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم ، والوصول من المحهول إلى المعلوم ، والمحاضرة المستفزة للحلوم ، والدعابة التي ما خلغ العذار فيها بالمعلوم فما شيت من نفس عذبة الشيم ، وأخلاق كالرهر من بعد الديم ، ومحاضرة تتحف المحالين والمحاضر ، ومدكره يروق النواظر رهرها الناضر وله أدب ذهب في الإجابة كل

(١) مكذاردت في الإسكوريال ، وى النفع (والعرفيات)

مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مُذهب ، والأدب نقطة من حَوْضه ،
وزهرة من زهرات رَوْضه ، وسيمر له في هذا الديوان ، ما يُبهر العقول ،
ويجاسن برؤائه ورائق بهائه ، الفِرَند المصقول .

فمن ذلك ما خرجته من ديوان شعره المسمى « بالسُّليمانيات والعربيات »

من النَّسب :

بفاس من الدرب الطويل مطالعه	ألا أستودع الرحمن بدمراً مكملاً
وفي أفق الأكباد تُلقى مواعده	وفي قَلْبِكَ الأزرار يطلع سعته
فتصدِّقُ في قطع الرجاء قواطعه	يصير (١) مرآه منجم مُقلّتي
وماء الحيا فيه ترَجَّرَج مائه	تجسّم من نور (٢) الملاحه خده
فيحمرُّ قانيه ويبيضُ ناصعه	تلوّن كالحرباء في خجلاته
كغُضن النقا غنّت عليه سواجعه	إذا اهتزَّ غنى حليّه فوق نحسه
وتقطف من واو العذار توابعه	يذكر حتف الصبِّ عامل قلره
فهذا هو الماضي وذاك يُضارعه	أعدّ للورى سيفاً كسيف لحاظه

ومن أخرى في النَّسب ، وتضمّنت التورية الحسنة :

وهجرُك أم ليل السلم لتائق	وصالك هذا أم تحيةُ بارق
بصفحة خدى من دموع سوابق	أناديك (٣) والأشواق تركض حجرها
قضت مهجتي بين العذيب وبارق	أبارق ثغر من عُذيب رُضابه

ومنها :

فلا تُتعبن ريح الصِّبا في رسالة ولا تُخجل الطيف الذى [هو طارق] (٤)

(١) وردت في الإسكوريال يسير . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ماء)

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (أباديك)

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (كان طارق) .

منى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم فإني في دعوى الهوى غير صادق
 [قوله « أبارق ثغر من عذيب رضابه » ينظر إلى قول ابن التبيه في م
 ذلك :

يلوى على زرد العذار دلالة كم فتنة بين اللوى وزرود]
 ومن قصيدة ثبتت في السليمانيات :

بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا وحنة أنس في صباح تنفسا
 حوى النجم قِرطاً والدرارى مُقلدا وأسبل من مسك اللوايب (١) حنلما
 كأن سنا الإصباح رام يزورنا وخاف العيون الرامقات فقلسا
 أتى يحمل التوراة (٢) ظبياً مُزّرا لطيف التثنى أشنب الثغر ألعسا
 وقابل أحبار اليهود بوجهه فبارك ربّي (٣) عليه وقتلما

ومنها وتماجن ما شاء غفر الله له :

رويت ولوعى من ضلوعى مُسلسلا فأصبحت في علم الغرام مُدرسا
 نعى النوم عنى كى [أكون مسهدا] (٤) فأصبحت في صيد الخيال مهندسا
 غزال من الفردوس تسقيه أدمعى وبأوى إلى قلبى مثيلا ومكنسا
 طغى ورد خديه بجنات (٥) صدغه فأضعفه بالآس نبتا وما أسا

[قوله طغى ورد خديه ، البيت محال على معنى فلاحى ، إذ من أقوالهم

أن الآس ، إذا اغترس بين شجر الورد ، أضعفته بالخاصية] .

وقال أيضاً من قصيدة مهيارية :

(١) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (الذوابة) والأول أرجح

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (التورية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مولانا) .

(٤) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريال (منجما) .

(٥) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريال (بجان) .

نام طفل النَّبْتِ في حجر النَّعَامِ لاَهْتَزَّازَ الطُّلَّ في مَهْدِ الخَزَامِ
 وَسَقَى الوَشْمِيَّ أَغْصَانِ النَّقَا فَهَوَتْ تَلْتَمُ أَفْوَاهِ النَّدَامِ
 كَحَلِّ الفَجْرِ لَهُم جَفْنُ الدُّجَى وَغَدَا في وَجْنَةِ الصُّبْحِ لِشَامَا
 تَحْسَبُ البَدْرَ مُحْيَاً ثَمَل قَدْ سَقَتْهُ رَاِحَةَ الصُّبْحِ مُدَامَا
 حَوْلَهُ الزَّهْرَ كَوُوسٍ قَدْ غَدَتْ مِسْكَةٌ (١) اللَّيْلِ عَلَيْهِنَّ خَتَامَا
 يَا عَليْلَ الرِّيحِ رِفْقاً عَلَّنِي أَشْفَى بِالسَّقَمِ الَّذِي حُزَّتْ سِقَامَا
 وَأَبْلَغْنَ شَوْقِي عَرِيباً (٢) بِاللَّوِي هَمَّتْ في أَرْضِهَا حَلُّوا غِرَامَا
 فَزَنَقُوا نَمِينَهَا مِنَ الدُّرِّ حَصِي ضَرَبُوا فِيهَا مِنَ المِسْكِ خِيَامَا
 كُنْتُ أَشْفَى غَلَّةً مِنْ صَدِّكُمْ لَوْ أَذِنْتُمْ لَجُفُونِي أَنْ تَسَامَا
 وَاسْتَفَدْتُ الرُّوحَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا لَوْ أَتَتْ تَحْمَلُ مِنْ سَلْمِي سَلَامَا
 نَشَأْتُ لِلصَّبِّ مِنْهَا زَفْرَةٌ تَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَى الرَّبِيعِ سِجَامَا
 طَرِبَ البَرَقُ مَعَ القَلْبِ بِهَا وَهَا الأَنْثَاتُ طَارَحْنَ الجِمَامَا
 طَلَلٌ لَا تَسْتَشْفِي الأُذُنَ بِهِ وَهُوَ لِلعَيْنِينَ قَدْ أَلْقَى كَلَامَا
 تَرَكُ السَّاكِنَ لِي مِنْ وَضْلِهِ ضَمَّةُ الجُدْرَانِ (٣) لَثْمًا وَالتَّزَامَا
 نَزَعَتْ مِنْ سَلِيمَانَ بِهَا فَهَمَّ القَلْبُ مَعَانِيهَا فَهَامَا
 شَادَنْ يَرْبَعِي حَشَاشَاتِ الحَشَى حَسْبُ حَظِّي مِنْهُ أَنْ أَرْعَى الذَّمَامَا

وقال من قصيدة أولها في عرض النسيب :

أأرجو أمانا منك واللحظ غادر ويثبتُ عقلي فيك والطرف ساحر
 أعدُّ سليمان أليم عساده لهدهد (٤) قلبي فهو للسير صائر

(١) وردت في الإسكوريال، (سكية)، والتصويب من النفع

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي النفع (عريب)

(٣) وردت في الإسكوريال (المدبان)، والتصويب من النفع.

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال، وفي النفع (الطائر) والأولى أرجح.

أشاهد منه الحُسن في كل نظرة
دَعَتْ للهِوى أنصار سحر جُفونه
إذا شقَّ عن بدر الدجى أفق ذرّه
وفي حُرْم السُّلوان طافَتْ (١) خواطرى
وقد ينزع القلب المُبلى لسُلوّة
يقابل أغراضى بضدُّ مرادهما
ونارُ اشتياقى [صعدت] (٢) مُزُن أدمعى
وقد كنت باكى العين والبين غايب
وليس النوى بالطبع مرأً وإنما
ومنها في وصف ليلة :

وزنجية فات الكؤوس بنحرها
ولا عيب فيها غير أن ذُبالها
تجنبت فيها نَيْل كل صغيرة
ومن السُّليمانيات من قصيدة :
يا بارقا قاد الخيال فأومضا
ذاك الذى قد كنت تعهدنا بما
لا تحسبني مُعرضا عن طيفه
عجِب الوشاة لمهحتى أن لم تذبُ
ومنها :

خفيت لهم من سرِّ صبرى آية ما فهمت إلاَّ سليمان الرضا

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (طابت) .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

لله درك ناهجاً سبيل الهوى
أمنت نملأ فوق خدك سارحا
فلمثله أمر الهوى قد فوضا
ومن الأمداح قوله من قصيدة :

حريص على جرّ النوايب والقنا
وتعتنق الأبطال لولا سقوطها
إذا كعت الأبطال والجو عابس
لقلت لتوديع أتنه الفوارس
مجال وهم في راحتيه فرائس (١)

وقال يمدح السلطان أمير المسلمين أبا الوليد. نصر عند قدومه من فتح
أشكر (٢) من قصيدة أولها :

بعيث البنود الحمر والأسد الورد
وتحت لواء النصر ملك هو (٣) الوري
تأمنت الأرواح في ظل بنسده
قلو رام إدراك النجوم لئالها
كثائب سگان السماء لها جنس
تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو
كان جناح الروح من فوقه بند
ولو هم لأنقادت إليه السند والهند
تتمنمه [وهنا] (٤) كما نغم البرد
ووقع القنا رعداً إذا برق الهند
وفي وصف آلة النفط :

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما
عجائب أشكال سما هزمس بها
[فحاق بهم من دونها] (٥) الصعق والرعد
مهندمة (٦) تأتي الجبال فتتههد

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (عرايس) . والأولى أرحح بالنسبة للمعنى

(٢) هي بلدة أندلسة تقع شمالي مدينة سطة وشرق مدينة قبيجاطة وبالإسبانية Huecar

(٣) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (هدى) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى

(٤) هذه الكلمة واردت في النسخ وسقطت في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت محرقة في النسخ كالأولى (محاق به

من أيده)

(٦) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ في (مهنتسة) .

إلا إنها الدنيا تريك عجائبا وما في القوى منها فلا بُد أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها :

تباعد عني منزلٌ وحبیب وإني على قرب الحبيب مع النوى
وهاج اشتياقي والمزار قريب ولقد بُعدت عني ديارٌ قريبة
عجبت لجار العجب وهو غريب ومنها :

أعاشر قوماً ما تقر نفوسهم إذا شعروا من جارهم بتأوه
فللهم فيها عند ذاك ضروب كأي في غاب الليوث مسلماً (٢)
أجابته (١) منهم زفرةٌ ونحيب تحكّم فينا الدهر والعقل حاضر
لكل امرئٍ مما دماه نصيب ولو مال بالجهال ميلته بنا
يروعي منها الغداة وثوب رفیق بمن لا ينثنى عن جريمة
بكل قياس والأديب أريب (٣) وتطمعنا منه بوارق خلب
لجاء بعذرٍ إن ذا لعجيب إذا ما تشبثنا بأذيال بُسرده
بطوش بمن ما أوبقته ذنوب أدار علينا صولجانا ولم يكن
نقول عساه يرعوى ويتسوب
دهتنا إذا جرّ الديول (٤) خطوط
سوى أنه بالحداث لعوب ومنها :

أيا دهر إني قد سئمت تهدي إذا خفق البرق الطروق (٥) أجابه
أجرني فإن السهم منك مصيب
فؤادي ودمع المقلتين سكوب

(١) وردت في الإسكوريال (أحاسيم) والتصوب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (سالم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (أدب) وهو تحريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (الخلوب) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ، ووردت في الإسكوريال (الطروب) والأولى أرحح .

وإن طلع الكف الخضيب بسحره (١) فدمعى بحناء الدماء خضيب
تُدكّرني الأسحار داراً ألفتها فيشتد حُزنى والحمام طروب
إذا عَلِقْتِ نفسى بليت وربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربيّ والدعاء ضراعة وأنت تُناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عُقْبَى الصبر فوزاً أو غبطة فإني على الصبر الجميل دَرُوب
وبعثتُ إليه هدية من البادية ، فقال يصف منها ديكا ، وكتب بذلك
رحمة الله عليه :

أيا صديقاً جعلته سندا فراح فيما أحبّه وغدا
طلبت منكم صُرَيْدًا كاخْتِنَا وجهتموني مكانه لبدا
صير منى مؤرخًا ولكم ظللتُ في علمه من البُلدا
قلتُ له آدم أتعرّفه قال خَفِيدِي بعصرنا (٢) ولدا
نوحٌ وطوفانُه رأيتهما قال عَلَوْنَا لفيضه أحدا
فقلتُ هل لي بجرهم خَبر فقال قومي وجيرتي السعدا
فقلتُ قحطان هل مررت به قال نفثنا بِبُرْدِه العُقْدَا
فقلتُ صف لي سبًا وساكنها فعند هذا تنفّس الصَّعدا
وقال كم لي بِدُجْنِهِم سحرا من صرخةٍ لي وللنوم هدا
فقلتُ هاروت هل سمعت به فقال ريشي لِسحره نَفِدا
فقلتُ (٣) كسرى وآل شرعته فقال كنا بجيشه وَقِدا
ولّوا وصاروا وها أنا لبد فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديكُ إذا ما انثنى لفكرته رأى الوجود (٤) طرايقا قُدَا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (سحيرة) .
(٢) هكذا في النسخ ، وفي الإسكوريال (بعصره) والأولى أرحح
(٣) وردت في الإسكوريال (فقال) والتصويب من النسخ .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (وجودا) .

يرفل في طيلسانه ولها
 إذا دجا الليل غاب هيكله
 كأنما جنسار لحيته
 كأن حصنا علا بهامته
 يرنو بياقوتتى لواحظه
 كأن منجالتي ذؤابتة (١)
 وعوسج مد من مخالبه
 فذاك ديك حلت محاسنه
 يطلبني بالذى فعلت به
 وجهته محنة لا كلسه
 قد صير الدهر لوته كميذا
 كأن جيرا عليه قد جمدا
 برجان حازا من الهواء مدا
 أعدده للقتال فيه عدا
 كأنما اللحظ منه قد رمدا
 قوس سما من أجله يعبدا
 طغى بها في نقساره وعدا
 له صراخ بين الديوك غدا
 فكم فللنسا بلبتية مدا
 والله ما كان ذلك منى سدى

ولم نزل بعد نستعدى عليه بإقراره ، بقتله ، ونطلبه بالقود عند
 تصرفه في العمل ، فيوجه الدية ، لنا في ذلك رسائل .

ومن شعره في غرض الحسن بن هاني :

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا
 وقد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم
 فدا استيقظوا إلا لصكة بابهم
 وقام بها البيطريق يسعى ملبيا
 فقلنا له آمنا فإننا عصاية
 وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما
 ففتحت الأبواب بالرحب مههم
 فلما رأى زقى أماي ومزهرى
 وقد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى
 وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
 فأدهش زهبانا وروع قيسيسا
 وقد ليين الناقوس رفقا وتأنيسا
 أتينا لتثليث وإن شيت تسديسا
 لحننا له في القول خبثا وتدليسا
 وعرس طلاب المدامة تتريسا
 دعاني أتأنيسا لحننت وتلبيسا

(١) هكذاني الإسكوريال . وو النفع (ذوائبه) .

وقام إلى دنّ يفضّ ختامه
وطاف بها رطب البنان مُزَنَّر
سُلافا جواها القار لبسا فخلتها
إلى أن سَطَا بالقوم سُلطان نومهم
وثبتُ إليه بالعنّاق فقال لي
كتبت بدمع العين صفحة خذّه
فبيس الذي احتلنا وكدنا عليهم
فبتنا يرانا الله شرّ عصابة
وقال بديهية في غزاة من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه :

جاءت لورد الماء مليء عيناها
ريعت بنا (٢) فتوقفت بمكانها
يوم اللقاء تحية بينانها
فرمت قضييب لجينها لحنانها
دُرّ الحجاب تصوغُه بلسانها

عنت لنا من وحش وجرة ظبية
وأظنها إذا حدّدت آذانها
حيث بقرني رأسها إذ لم نجد
حنت على الندمان من إفلاسهم
لله درُّ غرالة أبدت لنا

وفاته

فليج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله ، ووجوب حقّه ، وقد كانت
زوجته توفيت ، وصحبه عليها وجدّ شديد ، وحزنٌ مُلازم ، فلما ثقل ،
وقرّبت وفاته ، استدعاني ، وقد كان لسانه لا يُبين القول ، وأملى على
فيما وصاني به من مُهم أمره :

إذا متُّ فادفني جِذاء حليلتي
ولا تدفني في البقيع بإنسني
ويُخالط عظمي في التراب عظامها
أريد إلى يوم الحساب التزامها
تكون أمامي أو أكون أمامها
ورتب ضريحى كيفما شاء الهوى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (فكييس تكييسا) .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لنا) والأول أرجح .

لعل إله العرش يجبر صديعتي فيعلى مقامى عنده ومقامها
ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ،
ودفنته عصره بباب البيرة جِذاء حليته كما عهد ، رحمة الله عليه

يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى^(١)

من أهل الجزيرة الخضراء .

حاله

كان كاتباً ثرثاراً ، أديباً لودعياً ، كثير النظم والنثر . كتب عن
أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب ، وابنه أبى يعقوب ، واحتل معهم بظاهر
غرناطة .

كتابته

كتب عن المذكور عند نزوله نمازياً ومجاهداً بظاهر شريش ما نصه :
أخونا الذى يسير بما يخلده بطون أوراق الدفاتر ، من مائور حميد
المائر ، ويتلقى ما يرد عليه من قبيلنا من منشور جزب البشائر ، بمعاشر
القبائل والعشائر ، ويفوق ما قبسته المنن لأقلام وأفواه المحابر ، في مراقب
مراقى المنابر ، ويجمع لا وشته سحائب الخواطر ، من روضات السجلات في
النوادى والمحاضر ، الأمير الكذا ، أدام الله اهتزازة للأنبياء السارة وارتياحه ،
ونعم بها أرواحه ، ووصل بكل أرج من نسيم الجدل ، ومبتهج من وسيم
الأملى ، غدوه ورواحه ، وأحب به أرواحه . سلام كريم عليكم ، ورحمة الله
وبركاته . من أخيكم ، الذى لا يتيم بشره إلا بأخذكم منه بأوفى حظاً ،
وأوفر نصيب ، ومصافيكم الذى لا يكمل سروره ، وبجمل حُبوره ، حتى

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الشوف) .

يكون لكم فيه سهم مُصِيب ، ومَرَعَى خَصِيب ، الأمير يوسف ابن أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن عبد الحق .

أما بعد حمد الله مُجِيق الحق بتصعيده فوق النُجوم ومُعلّيه ، ومُبطل الباطل بتصريبه تحت النجوم ومُذليه ، ومطهر الأرض من نجس دنس الكفر وأوليّه ، صَرَبًا بالمُرَهفات صبراً وطعنا بالمُشفعات إدراكا ، وجاعل بلاد الشُّرك الأَسار عُبَاد الإِفك ، بما نظمهم من سِلك المُلك ، وبددهم من هَتِك السُّتر ، بالفتك والسَّفك ، حبائل لا يخرجون منها وأشراكا ، وغاذل من زَلَّت عن السُّور قدمه ، وخرجت من الدُّور ذِمَّة ، بأن يُراق دمه ، ويُعدم وجوده وقِدَمه ، بلوغا لأمان أمانى الإيمان وإدراكا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، ناظم فرايد الفرايد ، ومُنضِّد عوايد المواعد ، بالظفر المنتظر بكل جاحد مُعانِد ، قلايد لا تنتشر وأَسلاكا - وسالك مسالك الغزوات ، وناسِك مناسِك الخَلوات ، ومُدرك مدارك قبول الدُّعوات ، إِفناءً لأعداء الله وإِهلاكا : والرضا عن آله وصحبه ، المُرتدين بمننه ، المُهتدين بسُنَّته ، فى إِباحة حَرَم الحَرَم ، وإِزاحة ظُلم الظُّلم ، حنادس وأَحلاكا ، القارعين بِأسيافهم أَصلاب كِلاب الصُّلبان تباكا ، والقارعين أبواب ثواب الرحمن نُسَّاكا ، وموالاته الدُّعاء لسيدنا ومولانا الوالد ، بتَخليد السَّعد المُساعد ، وإدارة الإرادة بَعْضد من النَّصر وساعد ، مقادير كما يشاء وأَفلاكا ، وممالات آياته آيات ، هذه الرِّايات ، بإدراك نهايات الغايات ، فى اشتِباه أشياء ذوى الشَّيات ، فلا تذر فى الأرض كُفرا ، ولا تدع فيها إِشراكا . فكتبناه ، كتب الله لإِخايكم الكريم أَرْفَع الدرجات عِلا ، وأتمَّها تعظيما ، وفضلكم مع القعود عن الشهود بالنِّية التى لها أكرم ورود ، وأصدق وفود ، أجرا عظيما . من منزلنا بمخنق شَرِيش ، حيث الكتائب

الهايلة هائلة بئرها البادية الخسوف ، والحماة الكماة . أكمام زهرها الداني القطوف ، وسوار معصمها النائي عن العصمة مجردات صفوف صنوف السيوف . فالشُّفار بالأحداق ، كالأشفار بالأحداق إدارتها ، الطاقة بحيزومها نطاقا ، والفتح قد لاحت مخابله ، وباحت مقاوله ، والكفر قلت مناصله وعرفت مقاتله ، والمُتَرَفَ يتمنى أن يلقاه قاتله ، فلا يقاتله فرقا ، لا يجلدون له فراقا فواقا ، فحماتها العتاة لا يرون لإسماء نفع الكيفاح ، لِمِعا متلاقيا وائتلافا ، وكُماتها لا يشربون إلا من تحت دِمهم المُطَهَّرَ بنجسه وجه الأرض ، المعدى به هريقه من فيح حثهم يوم العَرَضِ ، المودى بإراقته واجب الفرض ، إعداداً لامثال الأمر الإلتهى واعتناقا .

ومن هذا الكتاب وهو طويل : ووَصَلْنَا والخيل تَمْرُح في أَعْنَتِهَا تصلُّفا ، وتختال في مَشِيهَا تَغَطْرُفا ، وتعصُّ على لُجْمِهَا تحدُّقا وتحرفُفا ، كأنها لم تَرْمِ قُصَارَى قُصُورِ النَّصَارَى ، دون تصور عنها ، أغراضا وأهدافا ، ودون معاهدة العيون وَصَفِ الواصف ، ولأَقْلُ مما احتوى عليه هذا الفتح ، تهتزُّ المعاطف ، إذ الإيمان اهتزَّ إعطافا ، وتوشح به عطافا . وهل الكَتَبُ وإن طال ، نبذة من نُبْدِ الفُتُوح ، وفلذة من كَبِدِ النَّصْرِ المَمْنُوح ، وزهرة من غُصْنِ النَّدَا المَرُوح ، أدنينا لإخايكم الكريم منه اقتطافاً ، والسلام .

شعره

مالي وللصبر عني دونكم حَجَبَا وطالما هزَّني أنبيى لكم ضربا
فحين شبَّ النوى في أضلعي لَمِبَا هزَّرتُ سيفَ اضْطِباري بعدكم فَنبَا
وقلت للقلب يَسْلُو بعدكم فَابَا
غَيْتُمُ فغاب لذيذ الأنس والوسن وخائزني جَدَى فيكم فارقني

ذكرى ليالينا في غفلة الزمن فارقتوني وطيبُ العيش فارقتني
 وصرتُ من بعدكم حيران مكتئباً
 من لي بقربكم في حفظ عهدكم فكم ظفرتُ به أيام ودكم
 وكم جرى دمع أجفاني لفقدكم فلو بكيتُ دماً من بعدكم
 لم أقض من حقِّ ذاك القرب ما وجباً
 لله أيامنا ما كان أجملها أوزعتُ بآخرها شكراً^(١) وأولها
 من حُسْنها لم أزل أضبو بها ولها يا صاح صبراً على الأيام إن لها
 على تصاريفها من أمرها عجباً
 صبراً على زمن يبديك شيمته إقبلُ مساءته واحمِد مسرته
 فما عسى يبلغ الإنسان مُنيتَه ومن كرهتُ ومن أحببت صحبته
 لا بد أن يفقد الإنسان من صحبها

[قلت عجباً من الشيخ ابن الخطيب رحمه الله، في ذكره هذا المترجم
 به في ترجمة المقرئين، مع تخلُّيته له، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة
 والشعر، بل وإثباته له كتابته، وشعره، فكان حقّه أن يكون في ترجمة
 الكتاب والشعر بعد هذه الترجمة] ^(٢).

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري
 من أهل غرناطة، يكنى أبا الحجاج، ويعرف بالساحلي.

حاله

من «العايد»^(٣) : صدر في حملة القرآن، على وتيرة الفضلاء وسُنن

(١) وردت في الإسكوريال (سكرا) والتصويب من الزيتونة.

(٢) من الواضح أن هذه الفقرة التي وردت بين الحاصرتين، هي من عند خنصر المخطوط وناسخه.

(٣) أي عائد العلة. وهو من كتب ابن الخطيب.

الصالحين ، من ليين الجانب ، والعُكوف على الخير ، وبذل المعروف ، وحسن المشاركة ، والخُفوف إلى الشفاعة . أ ب الأمراء ، وخطي بتسويدهم ، وناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من حمرايهم^(١) ، وكان إماما به ، ذا هُدًى وسكينة ووقار . وحج ، ولقى المشايخ ، واعتنق الرواية والتقييد ، فانتفع بلقاياه .

مشيخته

قرأ على الاستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير ببلده ، وعلى الشيخ الخطيب الصوفي أبي الحسن بن فضيلة ، وعلى الخطيب الصالح ، أبي جعفر بن الزيات ، والمحدث الرّحال أبي عبد الله بن رُشيد . وأخذ في رحلته عن جُملة ، كالخطيب الراوية ، أبي عبد الله محمد بن محمد ابن فُرتون ، وناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي ، والأستاذ أبي عبد الله ابن جعفر اليحصبي ، وقاضي الجماعة ببجاية الإمام أبي عبد الله بن يحيى الزواوى ، والفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي . وأجازه سوى من تقدّم ذكره ، من أهل المشرق ، عبد الغفار ابن محمد الكلابي ، وحسن بن عمر بن علي الكردي ، وعتيق بن عبد الرحمن ابن أبي الفتح العمري ، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني ، وعمر بن أبي بكر الوادي آشي ، وصالح بن عباس بن صالح بن أبي الفوارس الأُسعد الصديقي ، وأحمد بن محمد بن علي الكناني ، ومحمد بن أحمد ، وأحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن الحباب ، وأم الخير إبنة شرف الدين ابن الطباخ الصوفي . وقرأ ببلده غرناطة على الأستاذ

(١) يريد قصور الحمراء دار ملك بني نصر . وتقوم اليوم فوق موقع مسجد الحمراء الأعظم كنيسة سالتا ماريا .

أبي جعفر الطَّبَّاع ، والشيخ أبي الحسن معن بن مؤمن ، وأبي محمد النبغدي ،
وأبي الحسن البلوطي .

أنشدنا ، قال كتب إلي شيخنا محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعاء
الذي أجازني ، ولمن سمي فيه :

أجزتُ لهم أبقاهم الله كلما رويتُ عن الأشياخ في سالف الدهر
وما سمعتُ أذناي عن كل عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم برى من التصحيف عار من النكر
وجدى رشيق شاع في الغرب ذكره وفي الشرق أيضا فاذر إن كنت لا تدر
ولى مولدٌ من بعد عشرين حجة ثمان على الست المبين ابتدا عمر
وبالله توفيقى عليه توكلى له الحمد في الحالتين في العسر واليسر
حدثني شيخنا أبو بكر بن الحكيم ، قال ، أصابتني حمى ، فلما
انصرفت عني ، تركت في شفتي بُثوراً على ، فزارني الفقيه أبو الحجاج
الساحلي ، فأنشدني :

حاشاك أن تمرض حاشاك قد اشتكى قلبي لشكواكا
إن كنت محموما ضعيف القوى فإنتى أحسيد حُمَّاكا
ما رَضيت حُمَّاك إذ باشرت جسمك حتى قَبَلت فاكَا

مولده : عام سبعة وستين وستماية .

وفاته : توفي رحمه الله بالحمراء العلية ، في السابع والعشرين لشهر

رمضان من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

ومن الكتاب والشعراء بين أصلي وغيره

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويُعرف بابن الصَّيرفي ، من أهل غرناطة .

حاله

كان نسيج وحده في البلاغة والجزالة ، والتبريز في أسلوب التاريخ ،
والتملؤ من الأدب ، والمعرفة باللغة والخبر . قال أبو القاسم ، من أهل
المعرفة بالأدب والعربية والفقہ والتاريخ ، ومن الكتاب المجيدين والشعراء
المطبوعين المكثرين . كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين ، وله
فيه نظم حسن .

مشيخته

قرأ على شيوخ بلده ، وأخذ عن العالم الحافظ أبي بكر بن العربي ونمطه :

تواليافه

ألف في تاريخ الأندلس كتابا سماه « الأنوار الجلية في أخبار الدولة
المرابطية » ضمنه العُجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة . ثم وصله إلى قرب
وفاته ، وكتابا آخر سماه « تقصى الأنباء وسياسة الرؤساء » .

شعره

قال أنشدت الأمير تاشفين في هلاك ابن رُدْمير^(١) :

أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر حسي وإلا فورْدُ ماله صدرُ
تجهمت لي وجوه الصبر مُنكرة ولاحظتني عيونُ حشوها حذرُ

(١) هذا الاسم يطلق في الرواية العربية على الفولسو الحارب ملك أراجون . وقد سبق التعريف به
(راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ حاشية) .

إلى لأَجْزَعٍ من ذاك الوعيد وفي
 فلت سلاحى الليالى أى ظالمة
 مُشِيَعًا كنت ما استصجبت من أمل
 فها أنا وعزيز فى نَامِسَّة
 يا حى علره فُتياكم بنسازلة
 ما الحكم عندكم إذ نحن فى حُرْم
 أرعانى الشهب فى أحشاء ليلتها
 يفترُّ عن بُرد من حوله لَهَبٌ
 وبين أجفانه نهيف الأمير أبى
 سيفٌ به ثلَّ عرش الروم واطَّادَتْ
 وأدرك الدين بالشار المُنِيم على
 مُنَى تُنال وأيامٌ مُفَضُّضَةٌ
 وفى الذُّوَابَةِ من صنهاجة مَلِكُ
 مؤيدٌ من أمير المسلمين له هوى
 أنحى على الجور بمحو رَسْمِ أَحْرَفِهِ
 يا تاشفين أما تنفكُ بِـ اِدْرَةِ
 وكم ترنح فى رَوْضِ جَدَاوِلِهِ
 هى التَّرايِكُ فوق الهام لا حَبَبٌ
 لك الكتائب ملء البيد غازيةٌ
 على ساكبها للنَّقْعِ أَرْدِيَّةِ مَنْ
 تدبُّ منها إلى الأعداء سابلة
 بعثتها أسدًا شتى إذا مَرَجَتْ

ملقى الأسنَّة منّا مَعَشَرٌ صَبِير
 ولو أعادتُ شبابى كنتُ أنتصر
 كما يُشيعُ سهمُ النَّازِعِ الوَيْر
 تسود فى عينه الأَوْضاحِ والغُرر
 لم تنفصل يَمَنٌ عنها ولا مُضِر
 على جِنَايَةِ رامٍ سَهْمُهُ النَّظَر
 حمل من الصُّبحِ أَرْجوه وانتظر
 أو عن نبات أفاق أرضه سَقَر
 محمد تاشفين أو هو القَدَر
 قواعد المُلْكِ واستولى به الظَّفَر
 رغمِ وجاءت صُرُوفُ الدهر تَعْتَدِر
 مُذْهَبَاتِ العشايا ليلها سَحَر
 أغرُّ أبلجُ يُسْتَسْقَى به المَطَر
 ورأى ومن سيرٍ له سير
 حتى استجار بأحداق المهى الحور
 من راحتيك المنايا الحمر تبتدر
 بيضُ السيوف وملتفٌ للقنى شجر
 والسَّابِغَاتِ على الأَعْطافِ لا القَدَر
 إذا أتت زمرٌ منها مضت زُمر
 تحتها جَلَّقَ من تحتها زُبر
 عقاربٌ ماها إلا القنأ إبسر
 جنُّ الوغا انقَضَ منها أنجمٌ زهر

لسيفه الهام في الهيجاء والقُصُر
 خيلُ الزُبَيْر ونار الحرب تَسْتَعِر
 والأسِنَّة في هام العدا شُر
 إن الصواعق يوم الغيم تَنكدر
 لكن بسَعْدك ما لم يُعْطه عُمر
 تَكْبُو وتصفعا الهندية البُثُر
 يسيل من كل سيف نحوه نُضِر
 عُضت ومسك من أظفاره ظَفَر
 وأين من فتكات الضيغم النُمر
 من الأسنة حتى جاعك القسدر
 ونخاض بحر الوغا مركوبك الخطر

نفوس قومك منه الآي والسور
 ملء الأعنة منها الزهو والأسر
 سمرا تُرْضِعه اللبآت والثغر
 من خدّه بثغور زانها أشر
 منسوجة من عيون ما لها نُظُر
 على الرجال التي منها لها وزر
 فض الرجاحة عوض الدهر ينحبر
 وجوه المنايا في الوغا سفروا
 إلى ضرب كما فغرت أفواها الحُر
 ففمت بما مَج في أحشائك الدُعر

يا أيها الملك الأعلى الذي سجدت
 أعز جرار ضلوعى برّد ما نهلت
 حيث الغبار دخان والطبا لهب
 والنقع يطفو وبيض الهند راسية
 أعطى الزبير فتى العلياء صارمه
 ولته أظهرها الأبطال خاضعة
 بحر من الخلق المسرود ملتطم
 أم ابن الزبير ابن رذمير بداهية
 لقد نفحت من النيجان في محم
 لقد نجوت طليق الركض في وهن
 خلعت درعا واعتصمت الظلام بها
 ومنها :

مابال إنجيلك المتروك ما ذمرت
 أهديتها غير مشكور مُضمرة
 وظل طفل من البولاد دانيية
 وعابس المنايا وهي ضاحكة
 وكل حارسة في الروع لا بسها
 أعدت للحرب إنذارا سخوت بها
 قَصتكَ من حمير صيد غطارفة
 ملثمون حياة كلما سفرت لهم
 جادوا بطعن كاسماع المحاص
 وحدث عنها محيا مروّهة

فَرَّتْ إِلَى حَتْفِهَا مِنْ حَتْفِهَا فَمَضَتْ
 قَالُوا نَجَا بَدْمَا النَّفْسِ مِنْكَ فَمَا
 نَوَزَعْتَ نَفْسًا عَلَى حَشِيَّتِهَا طَنْبًا
 نَصْرٌ عَزِيزٌ وَفَتْحٌ لَيْسَ يَغْدِلُهُ
 فَاهِنًا بِهِ ابْنُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَدُمٌّ
 وَاهِنًا بِعَيْدِكَ وَافْخِرْ شَانِيكَ بِهِ
 جَاوَرَتْ بِحَرْكِ تَغْشَانِي مَوَاهِبُهُ
 وَالْمَوْتِ يَطْرُدُهَا وَالْمَوْتِ يَنْتَظِرُ
 نَجَا وَقَدْ بَقَّرْتَهُ الْحَيَّةَ الذُّكْرَ
 لِلْوَسَاوِسِ يَحْدُو جَيْشُهَا السَّهْرَ
 فَتَحٌ وَلِلَّهِ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 لِلْمَلِكِ مَا قَامَتِ الْأَصَالُ وَالْبُكْرُ
 فَإِنَّهَا نُسْكُ الْأَسْيَافِ لَا الْجِزْرِ
 فَمَنْ بِذَلِكَ وَنَظْمِي هَذِهِ الدَّرْرُ (١)

وَأُنْشِدُ أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :

رَكِبْتَ خَيْلَهَا جِيوشُ الضَّلَالِ
 مَلَقِيَاتٌ دُرُوعِهَا لَا لَوْقَتِ
 حَتٌّ فِي إِثْرِهَا الْأَمِيرُ بِعُقْبَانَ
 فِي صُقَيْلِ الْبُرَيْكِ تُحَدِّثُ لِلشَّمْسِ
 لَآثَ بِالرَّيْحِ عِمَّةً مِنْ غُبَارِ
 كَلِمَا جَرَّهَا عَلَى الصُّلْدِ أَبَقْتَ
 لَبِستَ أَمْرَهَا عَلَى الرُّومِ حَتَّى
 أَبْدَلْتَ هَامَهَا قِصَارَ قُودِ
 وَالَّذِي فَرَّ عَنْ سِيوفِكَ أَوْدَى
 كُنْتَ فِيهَا وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَرْبِ
 يَطْلُعُ الْبَدْرُ مِنْكَ حَاجِبَ شَمْسِ
 وَسُرَّتْ مِنْ رِمَاحِهَا بِذُبَالِ
 فِيهِ تَنْضُؤُ الْجُلُودِ رَقَشِ الصُّلَالِ
 جِيَادٌ هَوَتْ بِأَسْدِ رَجَالِ
 بِعَكْسِ الشُّعَاعِ حُمَى اشْتَعَالِ
 وَمَشَى لِلْحَدِيدِ فِي أَذْيَالِ
 كَخَطُوطِ الصُّلَالِ فَوْقَ الرَّمَالِ
 فَجَنَّتْهَا كَعَادَةَ الْأَجَالِ
 بِطَوَالِ مِنَ الرَّمَّاحِ الطَّوَالِ
 بِقَنَا الرُّعْبِ فِي ثَنَائِيَا الْجِبَالِ
 مُغْمَدِ النَّصْلِ فِي طَلِي الْأَبْطَالِ
 وَيُرَى اللَّيْثُ فِي إِهَابِ هِلَالِ

(١) وردت في المخطوط تحت هذه القصيدة الفقرة الآتية : « انتهى السفر الحادى عشر والحمد لله رب العالمين ، يتلوه اختصار السفر الأخير وهو الثانى عشر ، المفتاح بقول : ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير ، وهو الثانى عشر المفتاح بالترجمة بعد ، من ترجمة الكتاب والشعراء ، وأنشد أيضاً من شعره قوله رحمة الله عليه . (لوحة 417)

يا لَصْنَهَا جَاجَة وحوالك منهم
 ملكٌ ليس يركب الدهر إلاَّ
 ما عرا الجذبُ أو علا الخطبُ
 وخفيفٌ على أمور خفاف
 لآعب المِعْطَفِين بِالْحَمْدِ زَهْوًا
 مُسْتَرْقِ النُّفُوسِ خَوْفًا وَحَسَنًا
 شِيمٌ كَالْغَمَامِ يَنْشُرُ فِي الرُّوْضِ
 وَسَجَايَا تَفْتَحُ زَهْرَاتِ
 أَنْتِ يَا تَاشُفِينِ وَاللَّهِ وَاقِ
 لَيْسَ آمَالٌ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّاَّ
 وَهَنِيًّا بَانَ نَهَضَتْ وَأَقْبَلَتْ
 وَعَلَى الْكُفْرِ مِنْكَ حَرٌّ مُجِيرٌ
 يَا فَتَى وَالزَّمَانَ نُعْمَى وَبُؤْسٌ
 وَبِمَا تَجْزَعُ النُّفُوسِ مِنَ الْأَمْرِ
 رَبُّ أَشْيَاءَ لَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهَا
 غَيْرَ أَنَّ الْكَلَامَ إِنْ جَلَّ قَدْرًا

ومن شعره ، وقد بيت العلوم محلة الأمير تاشفين ، ويذكر حسن ثباته ، وقد

أسلمه قومه ، وهي من القصائد المفيدة ، المبديّة في الإحسان المعيدة :

يا أيها الملك الذي يتقنّع
 ومن الذي غدر العدو به دجى
 تمضى الفوارس والطعان يصدّها
 من منكم البطل الهمام الأروع
 فانفضّ كلُّ وهو لا يتزعزع
 عنه وبزجرها (١) الوفاء فترجع

(١) هكذا وردت في الزبوتة ، وفي الإسكوريال (بذخرها) والأول أرجح .

صبح على هام الكفاة ممنع
 ألفان ألف حاسر ومقنّع
 ما كان ذاك السيل مما يُرذع
 إبل عطاش والأسنة تكرع
 وذؤابة بين الظبّا تتقطع
 لم يدر فيها الفجر أين المطلع
 أخرى الليالي وهيبة لا ترقع
 حول السرادق والأسنة تقرع
 خدع الحروب وكل حرب تخدع
 وتجارب في مثل نفسك تنجع
 اليوم أنت على التجارب أشجع
 كانت ملوك الحرب مثلك تولع
 ذكرى تخصّ المؤمنين وتنفع
 وصى بها صنّع السوابغ تبّع
 أمضى على حلق الدلاص وأقطع
 أعطاك هزة يعطفه الأشجع
 تُشجى بأربعه الريساح الأربع
 منه الصليب ولا يلين الأخدع
 فالنبع بالنبع المثقف يقرع
 سيان تتبع ظافرا أو تتبّع
 قلب على هول الحروب مُشيع

والليل من وضح الترايك والظبا
 عن أربعين ثنت أعنتها دجى
 لولا رجال كالجبال تعرّضت
 يتفحمون على الرماح كأنهم
 ومن الدجى لهم على قمم الربى
 نصرت ظلام الكفر ظلمة ليلة
 لولا ثبوتك تاشفين لغادرت
 فثبت والأقدام تزلق والردى
 لا تعظمن على الأبيـر فإنها
 ولكل يوم حنكة وتمرس
 يا أشجع الشجعان ليلة أمسه
 أهديك من أدب الوغا حكما بها
 لا أننى أدري بها لسكرتها
 اختر من الخلق المضاعفة التى
 والهند وانى الرفيق فإنه
 ومن الرواجل^(١) ما إذا زعزعته
 ومن الجياد الجرد كل مضمّر
 والصمة^(٢) البطل الذى لا يلتوى
 وكذلك قدر فى العدو حزامه
 خندق عليك إذا اضطربت محلّة
 واجعل بيباك^(٣) فى الثقات ومن له

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (النابل) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الصامت) .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (بناتك) وهو تحريف .

وتوق من كذب الطلايع إنه لا رأى للمكذوب فيها يصنع
 فإذا اخترست^(١) بذاك لم يك للعدا في فرصة أو في انتهاز مطمع
 حارب بمن يخشى عقابك بالذى يخشى ومن في جود كفك يطمع
 قبل التناوش عب جيشك مفحصا حيث التمكّن والمجال الأوسع
 إياك تعبئة الجيوش مضيقا والخيل تفحص بالرجال وتمرع
 حصن حواشيها وكن في قلبها واجعل أمامك منهم من يشجع
 والبس لبوسا لا يكون مشهرا فيكون نحوك للعدو تطلع
 واحتل لتوقع في مضايقة الوغى خدعا ترويهها وأنت مؤسع
 واحذر^(٢) كمين الروم عند لقائها واقض كمينك خلفها إذ تدفع
 لا تبقيين^(٣) النهر خلفك عندما تلقى العدو فأمره^(٤) متوقع
 واجعل مناجزة العدو عشية ووراء الصدف الذي هو أمتع
 واضدمه أول وهلة لا ترتدع بعد التقدم فالنكول يضعضع
 وإذا تكاثفت الرجال بمعرك ضنك فأطراف الرياح توسع
 حتى إذا استعصت عليك ولم يكن الأشماس دايم وتمنع
 ورأيت نار الحرب تضرم بالظبا ودخانها فوق الأسنة يسطع
 ومضت تؤذن بالصميل جيا دها والهام تسجد والصوارم تررع
 والرمح يثنى معظفيمه كأنه في الرياح لا علق الفوارس يكرع
 والريح تنشأ سحسجاً هفافة^(٥) وهي السكينة عن يمينك توضع

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (واقدر) والاولى أرجح

(٣) هكذا وردت في الحلال الموشية . وفي الإسكوريال والزيتونة . (بلقين) . والاولى أسب

للمعنى ولياق .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الحلال الموشية (فشره) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حياة) .

يعطيك من أكثر ما يمنع
واضرب وجوه كُلماتها إذ ترجع
من قوَّة الأبدان فيها أنفع
حتى يكون لك المحلُّ الأرفع
كانت تُرفِّه الوغى وتُرفِّع
فعلُ الجميل وسُخطك المتوقِّع
يهفو وتنبؤ المرهفات القطع
وإليكُم في الرُّوع كان المفسِّع
كلُّ بكلِّ عزيمة تُستطلع
لكم التفات نحوه وتجمع
جفنٌ وقلبٌ أسلَمته الأضلع
شنعاءٌ وهى على رجال أشنع
كلُّ وفضل سابق لا يُرفع
وبكلِّ جيدٍ رِبْقَةٌ لا تُخلع
وشفيعُكم فيما يشاء مُشَفِّع
وأنفتم من قالةٍ تُستشنع
إحسانه لجديعكم يتسرِّع
أكنافه إن الكريم سُميدع
فهجعتم وجفونهُ لا تهجع
أذرى وأشهر في الخطوب وأضلع
ولسطةٍ لو شاء فيكم موضع
فألليل والقدر الذى لا يدفع

أقصر الكمين على العدو فإنه
وإذا هزمتَ عداك فاحذر كرها
وهى الحروب قُوى النفوس وحزبها
ثم انتهض بجميع من أخدمته
وبذاك تعتَب إن تولت عصبية
من معشرٍ إعراض وجهك عنهم
يكبو الجواد وكل حَبر عالم
أنى قرعتم يابنى صنهاجة
ما أنتم إلا أسودٌ حفيَّة
ما بال سيدكم تورط لم يكن
إنسان عين لم يصبه منكم
تلك التى جرَّت عليكم خُطَّة
أو ما ليوست جده مِننٌ على
أو ما لوالده على نعمة
ولكم بمجلس تاشفين كرامة
ألا رعيتم ذاك وأحسابكم
أبطأتم عن تاشفين ولم يزل
رُدَّت مكارمه لكم وتوطأت
خاف العدى لكن عليكم مُشَفِّعا
ومن العجائب أنه مع سنه
ولقد عفا والعمو منه سجيَّة
يا تاشفين أقم لجيشك عُذره

هجم العدو دُجى فروع مُقبلا
لا يزدهى إلا سواك بها
لما سدّدت له الثنية لم يكن
وكذاك للعير^(١) إقدام على
ولقد تقفاها الزبير وقد نجت
وغدا يعاقب والنفوس حمية
أعطش سلاحك ثم أوردتها الوغا
كم وقعة لك في ديارهم اثنت
النعمة العظمى سلامتك التى
لا ضيع الرحمن سعيك إنه
نستحفظ الرحمن منك وديعة^(٢)

ومضى بهيم وهو منك مسروع
ولا إلا لغيرك بالسنان يققع
إلا على ظهر المنية مهبس
أسد العرين الورد مما يجزع
إلا فلولا وإن منه المضرع
والسمر هيم والصوارم جوع
كيما يلد لها ويصفو المشرع
عنها أعزتها تذل وتخضع
فيها من الظفر الرضى والمقنع
سعى به الإسلام ليس يضيع
فهو الحفيظ لكل ما يستودع^(٣)

وفاته : بغرناطة في حدود السبعين وخمسمائة

ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير

وهو الثاني عشر المفتح بالترجمة بعد^(٣)

يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العين) .

(٢) نظم ابن الصير في هذه القصيدة الرنانة في مديح الأمير تاشفين بن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي والإنشادة بأعماله الخيرية ووقائمه المظفرة في الأندلس ، وقد أخاره والده ولايتها منذ سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) . وكانت غرناطة يومئذ هي مركز الحكم المرابطي . وكان ابن الصير في الكتاب والمؤرخ ، وهو من أهل غرناطة ، من كتاب الأمير تاشفين . وقد قام الأمير تاشفين خلال حكمه بغزوات عديدة في أراضي قسالة ، وخاض مع القشتاليين عدة وقائع مظفرة .

(٣) ورد هذا العنوان في رأس اللوحة (418) إسكوريال في منصف ترجمه ابن الصير في ، فرأينا

إثباته هنا بعد إختتامها .

أصله من تَطِيلَة ، وهو غرناطي ، يكنى أبا بكر .

حاله

قال أبو القاسم المَلَّاحي ، أديبُ زمانه ، وواحدُ أقرانه ، سيال القريحة ،
بارع الأدب ، رائق الشعر ، عَلِمَ في النحو واللغة والتاريخ والعروض ،
وأخبار الأمم ، لحق بالفحول المتقدمين ، وأعجزت براعته ، براعة
المتأخرين ، وشعره مُدَوَّنٌ ، جرى في ذلك كله طليق الجُمُوح . ثم انقبض ،
وعكف على قراءة القرآن ، وقيام الليل ، وسرد الصوم ، وصنع المُعَشَّرات
في شرف النبي عليه الصلاة والسلام . وأشعاره كثيرة ، من الزهد والتذكير
للآخرة ، والتجريد من الدنيا ، حتى جُمع له من ذلك ديوان كبير .

شعره

من ذلك قوله من قصيدة :

أذوب حياءً إن تذكَّرت زلتى	وحلمك حتى ما أقلَّ نواظرى
وأسكت مغلوباً وأطرق خجلة	على مثل أطراف القنا والتواتر
تعود بصفحٍ إثر صفحٍ تكرماً	على الذنب بعد الذنب يا خير غافر
وتلحظنى بالعفو أثناء زلتى	وتنظر منى في خلال جَراير
وحنَّ هواك المُستكينَّ بأضلعي	ومالك عندي من خفيَّ ضمائر
لما قُمتُ بالمُعْشار من عشر عشرة	ولو جيتُ فيه بالنجوم الزواهر
فيا أيها المولى الصَّفوح ومن به	تنوء احتمالاتي بأعباء شاكر
أنلنى من برِّد اليقين صبايةً	ألفُ بها حدَّ الهوى والهواجر
وخلت الدُّجى عندي هابت سرى	العدا إلى تظيني بسود الغدائر
وخافت عني عيني من السَّهد والبكا	فذرت بقايا الكحل من جفن ساهر

وقال راداً عن ابن رشد حين ردّ على أبي حامد في كتابه المسمى « تهافت

التهافت »

كلام ابن رشد لا يبين رشاده
ولا سيما نقض التهافت إنه
كما لطرد المحموم في هذيانه
أتى فيه بالبهت الصريح مغالطاً
وحاول إخفاء الغزاة بالسها
دلایل تعطيك النقيضين بالسوى
إذا أوضح المطلوب منها وضده
وأنت بسيد الفكر عن ترهاته

هو الليل يعشى الناظرين سواده
تضمن برساما يعز اعتقاده
يقوه بما يملى عليه اختداده
فما غير البحر الخضم ثماده
فاخفق مسعاه ورد اعتقاده
وأكثر ما لا يستحيل عناده
يبين على قرب وبان انفراده
فمعظمها رأى يقل سداؤه

ومن شعره :

إليك بسطت الكف في فحمة الدجى
رجاك ضميري كي تخلص جملتي

نداء غريق في الذنوب عريق
فكم من فريق شافع لفريق

مشيخته

أخذ عن أبيه أبي عبد الله ، وحدث عن الأستاذ أبي الحسن جابر بن محمد
التميمي ، وعن الأستاذ المقرئ ببلنسية أبي محمد عبد الله بن سعدون
التميمي الضرير ، عن أبي داود المقرئ . وقرأ أيضاً على الخطيب
أبي عبد الله محمد بن عروس ، وعلى القاضي العالم أبي الوليد بن رشد .
مولده : فجر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لمحرّم تسعة وخمسين
وخمسمائة .

وفاته : بقرنطة عام تسعة وعشرين رستمائه .

يحيى بن بقی

من أدل وادی آش:

حاله

بارع الأدب ، سیال القریحة ، كثير الشعره جیده فی جميع أنواعه .
وكان مع ذلك موصوفا بغفلة .

شعره

بين العذیب وبين شطى بارق	بأبي غزال غازلته مُقلتي
فأجاب عنها بوعد صصادق	وسألت منه قبلة نُشفى الجوى
أسرى إليه كالحیال الطارق	وأتيت دنزله وقد هجع العدا
ومن النجوم الزهرتحت سُرادق	بتنا ونحن من اللجى فى لُجة
صبأ كالمسك العتيق لناشق	عاطيته والليل يسحب ذيله
باعده شيتا وكان معانق	حتى إذا ما مالت به سنة الكرى
كى لا ينام على وساد خافق	أبعده من أضلع تشتاقه
وذؤابتاه حمايل فى عاتق	وضممته ضم الكمى لسيفه
شاب فى ليم لسه ومفسارق	لما رأيت الليل ولى عمره قد
أعزز على بأن أراك مفسارق	ودعت من أهوى وقلت تأسفا

وفاته : توفى بمدينة وادی آش سنة أربعين وخمسماية .

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى

فرنشون ، وقال صفوان إنه بلى ، يكنى أبا بكر .

حاله

قال ابن عهه الملك ، كان فى وقته شاعر المغرب ، لم يكن يجرى

أحد مجراه ، من فحول الشعراء . يعترف له بذلك أكابر الأدباء ، ويشهده له بقوة عارضته وسلامته طبعه . قصائده التي صارت مثالا ، وبُعِدَت على قريها منالا . وشعره كثير مدون ، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف بيت وأربعمائة بيت . امتدح الأمراء والرؤساء ، وكتب عن بعضهم ، وحظي عندهم حُظوة تامة ، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) ، وله فيه أمداح كثيرة . وبعد موته انتقل إلى إشبيلية ، وبملازمته للأمير المذكور ، وكونه في جملته ، استحق الذكر فيمن حل بغرناطة . ومن أثرته لدى ملوك^(٢) مراکش ، أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيئه بفتح من قصيدة :

إن خير الفتوح ما جاءت عفواً مثل ما يخطب البليغ ارتجالاً
قالوا ، وكان أبو العباس الجراوى الأعمى الشاعر حاضراً ، فقطع عليه ، لحسادة وجدها ، فقال يا سيدنا اهتمم فيه بيت ابن وضاح :

خير شراب ما جاء عفواً كأنه خطبة ارتجال

فبدر المنصور ، وهو حينئذ وزير أبيه ، وسنه في حدود العشرين من عمره ، فقال إن كان قد اهتممه ، فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسُرَّ أبوه لجوابه ، وعجب منه الحاضرون .

ومرَّ المنصور أيام إمرته بلوقية^(٣) من أرض شلب ، ووقف على قبر أبي محمد بن حزم ، وقال عجبا لهذا الموضع ، يخرج منه مثل هذا العالم .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنبس . أمير بلنسية وأمير الشرق المتوفى سنة ٥٦٧هـ

(٢) وقد سبق التعريف به وترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني (ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٣) هذا التعبير فيه تجاوز . لأنه لم يكن بالغرب يومئذ ملوك ، وإنما كان ثمة خلفاء الموحدين .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وهو إما تحريف ، وإما أن ابن الخطيب قد وهم

في ذكر اسم الموضع الذي دفن به العلامة ابن حزم . فهذا الموضع هو قرية أسرته انبعاث منت ليشم وبالإسبانية Casa Montejo من أعمال مدينة لبلنة بولاية الغرب ، وليس من أعمال شلب التي تبعد عنها غربا بمسافة كبيرة .

ثم قال ، كلُّ العلماء عيال على ابن حزم . ثم رفع رأسه ، وقال ، كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر ، يخاطب ابن مجير .

شعره

من شعره يصف الخيل [العتاق]^(١) من قصيدة في مدح المنصور :

له حُطَّت الخيلُ العِتاقُ كأنها عرايسُ أغنتها الحجولُ عن الحُلا
فمن يَفُوقُ كالطُّرسِ تحسبُ أنه فلم تَبْغِ خُلُخالولا ولا التمسْتِ وقفا
وأبْلُقُ أعطى الليلُ نصفَ إهابه وإن جرَّدوه في ملاءتِه التَّفَا
وَوَرَّدُ تغشى جلده شفقُ الدُّجى وغار عليه الصبحُ فاحتبس النُّصفا
وأشقرُّ مجَّ الراحِ صِرْفاً أديمه فإذا حازه حلَّى له الذَّيلُ والعُرُفا
وأشهبُ فِضَى الأديمِ مُدَنَّـرٌ عليه خطوطٌ غيرُ مُفهِمةٍ حَرُفا
كما خطر الزاهي بمُهْرَقِ كاتبٍ يجر عليه ذيله وهو ما جـرُفا
تهبُّ على الأعداءِ منها عواصفُ تَنسِفُ أرضَ المشركين بها نَسُفا
ترى كلَّ طِرفٍ كالغزالِ فتمتري أطيِّباً ترى تحت العجاجة أم طُرُفا
وقد كان في البَيْداءِ يألُفُ سِرْبِه فربَّته مُهراً وهي تَحْسَبُه خَشِفا
تناوله لفظُ الجوادِ لأنَّه متى ما أَرَدتِ الجَرى أعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور ستارة المقصورة بجامعه ، وكانت منبِّرة على انتصابها ، إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه ، واختفائها إذا انفصلوا عنها ، أنشد في ذلك الشعراء ، فقال من قصيدة أولها :

أَعَلَمْتَنِي أَلْقَى عَصَا التُّسْيَارِ فِي بِلْدَةِ لَيْسْتِ بَدَارِ قَرَارِ

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي : تطارحت تطلب

ذالقصف والقفأ .

ومنها في وصف المقصورة :

طورا تكون بمن حَوْتِه مَحِيْطَةٌ فكأنها سورٌ من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مَخْبُوءَةٌ فكأنها سرٌّ من الأسرار
وكأنما عَلِمَت مَقَادِيرَ الْوَرَى فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أَحَسَّت بِالْإِمَامِ يَزُورُهَا في قَوْمِه قامت إلى الزوار
ويكفي من شعر ابن مُجِير هذا القدر العجيب رحمه الله .

من روى عنه

حدث عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور ، وأبو الحسن بن الفضل ،
وأبو عبد الله بن عيَّاش ، وأبو علي الشلوبين ، وأبو القاسم بن أحمد
ابن حسان ، وأبو المتوكل الهيثم ، وجماعة .
وفاته : توفي بمراكش سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسنه ثلاث
وخمسون سنة .

يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي اللوشي ، أبو عمر

حاله

من كتاب ابن مسعدة^(١) ، خطيب الإمامة السعيدة النصرية الغالبية ،
وصاحب قلمها الأعلى . كان شيخا جليلا ، فقيهاً ، بارع الكتابة ، ماهر
الخط ، خطيباً مَضْمُوعاً ، منقطع القرين في عصره ، منفردا عن النظر
في مِضْرَه ، عزيزاً ، أنوفاً ، فاضلاً ، صالحاً ، خيراً ، شريف النفس ،
منقبضاً ، وقوراً ، صموتا ، حسن المعاشرة ، طيب المحادثة .

(١) هو أحمد بن محمد بن سعد بن مسعدة المتوفى سنة ٢٩٩ هـ . وكتابه المشار إليه هو « تاريخ
قومه وقرابته » . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من « الإحاطة » (ص ١٦٢ - ١٦٦) .

مشيخته

حدث عن والده الشيخ الراوية أبي عبد الله ، وعن الأستاذ ابن يربوع .
ولقى بإشبيلية الأستاذ أبا الحسن الدباج ، ورئيس النحاة أبا علي
الشلوبين وغيرهم .

شعره

ومن شعره ، وإن كان غير كثير ، قوله :

شرد النوم عن جفونك وانظر كلمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ يشاهد حكمة الله أن يلد المنساما
وقوله :

ليس للمرء اختيار في الذي يتمنى من حراك وسكون
إنما الأمر لرب واحد إن يشاء قال له كن فيكون

وفاته : توفي في المحرم من عام ستين وستماية ، ودفن بمقبرة باب
إلبيرة . وحضر جنازته الخاصة والعامة ، السلطان فمن دونه ، وكل
ترحم عليه ، وتفجع له . حدثني حافده شيخنا ، قال ، أخرج الغالب بالله ،
يوم وفاته ، جبة له ، ليست مرفوعة ، من ملف أبيض اللون ، مخشوشة ،
زعم أنها من قديم مكسبه من ثمن مغنم ناله ، قبل تصير الملك إليه ،
أمر ببيعها ، وتجهيزه من ثمنها ، ففعل ، وفي هذا ما لا مزيد عليه من
الصحة والسلامة ، وجميل العهد ، رحم الله جميعهم .

يوسف بن علي الطرطوشي ، يكنى أبا الحجاج

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل الفضل والتواضع ، وحسن

العشرة ، مليح الدُّعابة ، عذب الفكاهة ، مُدلاً على الأدب جدّه وهزله ، حسن الخط ، سلس الكتابة ، جيّد الشعر ، له مشاركة في الفقه ، وقيام على الفرائض . كتب بالدار السلطانية ، وامتدح الملوك بها ، ثم توجه إلى العُدوة ، فصحب خُطة القضاء ، عمره : مشكور السيرة ، محفوظاً بالمبَرّة .

وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصه : روض أدب لا تعرف الدُّواة أزهاره ، ومجموع فضل لا تخفى آثاره ، كان في فنون الأدب ، مطلق الأعنة ، وفي معاركه ماضى الطُّبا والأسنة . فإن هزل ، وإلى تلك الطريقة اعتزل ، أبرم في الغزال ما غزل ، وبذل من دنان راحته ما بذل . وإن صرف إلى المُعرب غرب لسانه ، وأعاره لمحة من إحسانه ، أطاعه عاصيه ، واستجمعت لديه أقاصيه : ورَدَ على الحضرة الأندلسية ، والدنيا شابة ، وريح القبول هابة ، فاجتلى محاسن أوطانها ، وكتب عن سلطانها . ثم كَرَّ إلى وطنه وعطف ، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف ، وتوفى عن سن عالية ، وبرود من العمر بالية .

ومن شعره أيام حلولة بهذه البلاد ، قوله ، يمدح الوزير ابن الحكيم ،
ويلم بذكر السُّلم في أيامه :

وما سوى هجركم عندي بموهوب	رضاكم إن مننتم خيرُ مرهوب
مقابل الرضا من غير تشريب	لكم كما شيتم العُتبي وعتبكم
فعمى أنال منه الدهرى طبُّ مطبوب	مُنُوا بلحظ رضى لي ساعة
ثغور سعدي بتقريب فتقريب	فكم أثارت لي الأيام وابتسمت
والآن يوصفن بالسود الغرابيب	قد كنَّ بيضاً رعابيبا بقربكم
مرتبُّ للأمانى أى ترتيب	أها لدهر تقضى لي ببساكم

فواصلت حال تقويض بتطبيب
فأقدر الحُسن منه بعد تجريب

ندى السُّحب مسكوباً بمسكوب
فيها لكفِّيه والأنواء منسوب
الوزارتين فجودٌ غير محسوب
للدهند يختصُّ عود الهند بالطيب
ولو تواصل مكتوباً بمكتوب
فرمل عالج شيءٍ غير محسوب
ظن نبيل الأمانى غير مكذوب
بمجده وصل أنبوباً بأنسوب
والمجد ما بين موروث ومكسُوب
في بذل نُصح لحفظ منسوب
تدبير ذى حُنكة صحَّت وتدريب
فشأنه بين مرهوب ومرغوب

خصالٌ قاطع دهره في التجارِب
يَنلُّ به همُّ حالي بعض تشيِب
ما كان ظهر النوى عندي بمركوب
حتى أرائي في حالات مخروب
فاذا رَضيت لم أك من شيءٍ بمكروب
فلا حياة بماكول ومشروب

ما كان إلا كاحلام سررت بها
ياليت شعري هل تقضى بعودته
ومنها :

يا أيها السيد الأعلى الذى يده حازت
فلو سألتنا بلاد الله عن كرم
لقلن إن كان جودٌ لا يضاف لذى
فالعُود جنسٌ ولكن في إضافته
من سيد لا يُوقى الحمد واجبه
له المحامد لا تُحصى ولا عجب
تناول الشرف الأقصى بعزمة ذى
وواصل المجد من آياته شرفاً
وجاء مكتسباً أعلى ذخائره
ردء الخليفة لا يرتاح من نصب
موفقُ الرأى مأمون النقيبة في
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف
ومنها :

يا أوحد العصر في فضل وفي كرم
أعدتُ قديت لأمرى مُنعماً نظراً
أولا ارتكاب حسودى لأمر في ضررى
هذا زمانى ومنك الأمن حاربنى
فامنن بتفريج كربي بالرضا
إن لم أذق من رضاكم ما ألدُّ به

ومن شعر :

بذكرك تُشرح آى العلاء وتسند اخباره فى الصحيح
بأفلك يشرق بَدْرُ السَّنا وباسمك يحسُن نظمُ المديح
وما يحسن العِقدُ إلا إذا تحلَّت به ذاتُ وجه مليح
وفاته : كان حياً عام أحد وأربعين وسبعماية .

ومن ترجمة المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء

يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالعشاب ، ويعرف بالبرشاني (١) .

حاله

كان هذا الشيخ من أهل الخير ، كثير التؤدة والصمت ، معرضاً عما لا يعنيه . رحل إلى الحج ، وأقام هنالك سنين ، وقفل منها فخطب بأرجبة (٢) . وأخذ ببلاد المشرق عن قطب الدين القسطلانى ، وأبى الفضل ابن خطيب المرى ، وزين الدين أبى بكر محمد بن اسماعيل الأماطى . ولقى أبا على بن الأخص بالأندلس ولم يأخذ عنه . أنشدنى شيخنا أبو البركات ، قال أنشدنى الشيخ أبو بكر البرشاني ، وقد لقيته بأرجبة . قال أنشدنا الإمام أبو عبد الله بن النعمان عن قطب الدين :

إذا كان أنسى فى لزومى وحدتى وقلبي من كل البرية خال
فما ضررتنى من كان لى الدهر قالياً وما سررتنى من كان فى موال

(١) البرشاني نسبة إلى برشانة وبالإسبانية Purckena بلدة من أعمال إقليم ألمرية تقع على مقربة من جنوب نهر المنصورة شمال ألمرية وغرب بلدة المنصورة .

(٢) أرجبة وبالإسبانية Orjiva بلدة صغيرة من أعمال غرناطة تقع شمال ثغر مدريد وجنوب

شرق غرناطة .

ومن المال

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن
يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصاري النجاري
قال القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ممليه ، والذي رفع إلى هذا
النسب للركانة ، هو صاحبنا الفقيه أبو القاسم ولده ، ورَفَعُ هذا النسب
بحاله من التكرار دليل على أصالته .

حاله

من أهل الخير والخصوصية ، وحسن الرواء والوقار ، والحياء ،
والمودة . نبيه القدر ، معروف الأمانة ، صدر في أهل العقد والحل ببلده ،
بينه بيت صون وخير واستعمال ، مولو لم يكن من بركات هذا الرجل ،
وأثار فضله ، إلا ابنه صدر الفضلاء ، وبقية الخواص أبو القاسم ،
لكفاه . تولى قيادة الديون بمالقة بلده ، أرفع الخطط الشرعية العملية ،
فحمدت سيرته .

وفاته بمالقة في وعلى قبره مكتوب من نظم ولده :
إلاهى خدئى فى التراب تذلاً
بسطت عسى رحماك يحيى بها الروح
وجاوزت أجداث المسالك خاضعاً
وقلبى مصدوع ودمعى مسفوح
ووجهت وجهى نحو جودك ضارعاً
لعل الرضا من جنب حلمك ممنوح
أتيت فقيراً والذنوب تؤذنى
وفى القلب من خوف الجرائم تبريح
ولم أعتمد إلا الرجاء وسيلة
وأنت غنى عن عذابى وعالم
فهب لى عفواً من لدنك ورحمة
بفقرى وباب العفو عندك مفتوح
يكون بها من ربة الذنب تسريح

وصلُّ على المختار ما همع الحيا وما طلعت شمس وما هبَّتْ الرياح

ومن ترجمة الزهاد والصلحاء

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى

من أهل أنفا من بيت عمال يعرفون ببني التُّرجمان أولى [شهرة] (١) وشدَّة على الناس وضغط . وكان من الحظوة وضدھا بباب سلطانهم ، ديدن الجبابة . غُرب عنهم وانقطع إلى لقاء الصالحين ، وصحبة الفتمراء المتجرِّدين ، وقدم على الأندلس عابدا ، كثير العمل ، على حداثة سنه ، ونزل برباط السودان ، من خارج مالقة ، واشتهر ، وانثال عليه الناس . ثم راض طول ذلك الاجتهاد ، وأنس بمداخلة الناس .

حاله

هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية ، وطلاقة اللسان ، مدل على أغراض الصوفية ، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم ، متكلم في مشكلات أقوالهم ، قايم على كثير من أخبارهم ، يستظهر حفظ جزأى إسماعيل الهروى المسمى «بمنازل السائرين إلى الحق» ، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض . عديم النظير في ذلك كله ، مليح الملبس ، مترقِّع عن الكُدية ، عزيز النفس ، قليل الإطراء ، حسن الحديث ، عذب التَّجاوز فيه ، على سنن من السَّداجة والسَّلامة والرجولة والحمل ، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين . وعلى ذلك فمغضوض منه ، محمول عليه ، لما جبل عليه من رفض الاضطُّلاع ، وترك السُّمت ، واضطراح التغافل ، وولوعه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه ، مرشحاً ذلك بالجد المبرم ،
 ذاهبا أقصى مذاهب القِحة ، كثير الفلّات . نالته بسبب هذه البلية
 محن كثيرة ، أفلت منها بجريعة الذقن ، ووسم بالوهن في دينه ، مع صحة
 العقل^(١) . وكان الآن عامراً للرباط المنسوب إلى اللجام ، على رسم الشياخة ،
 وعدم التابع ، مهجور الفناء .

مشيخته

زعم أنه حج ، ولقى جلّة ، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان
 المالقي ، ولقاؤه إياه ، وصحبته ، معروف بالأندلس ، وغير ذلك
 مما يدعيه متعدد الأسماء .

توالياه

قيّد الكثير من الأجزاء ، منها في نسبة الذنب إلى الذاكر ، جزء نبيل
 غريب المأخذ ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ . وصنف
 كتاباً كبير الحجم في الاعتقاد ، جلب فيه كثيراً من الأقوال والحكايات ،
 رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله بن المقرئ ما يدل على استحسانه ،
 وطلب مني الكتّب عليه بمثل ذلك ، فكتبت له ببعض ورقاته ، إثارة
 لضجره ، واستدعاءً لفكاهة انزعاجه ، ما نصه : وقفت من الكتاب المنسوب
 لأبي زكريا البرغواطي ، على برسام محموم ، واختلاط مذموم^(٢) ، وانتساب
 زنج في روم ، وكان حقه أن يتهيب طريقاً لم يسلكها ، ويتجنب غفلة
 لم يملكها ، إذ المذكور ، لم يتلق شيئاً من علم الأصول ، ولا نظر في
 الإعراب في فصل من الفصول . إنما هي قِحة وحلاف ، وتهاون بالمعارف

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المقد) والأولى أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (موم) . والتصويب من الزيتونة .

واستخفاف . غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة ، وفيه رجولة ظاهرة ، وعنده طلاقة لسان ، وكفاية قلماً تتأتى للإنسان . فإلى الله نسل أن يعرفنا بمقادير الأشياء ، ويجعلنا بمنزل عن الأغبياء . وقد قلت مرتجلاً عند أول نظرة ، واجتزأت بقليل من كثرة :

كل جار لغاية مرجوة فهدى لم يعد حد الفتوة
وأراك اقتحمت ليلاً بهما^(١) مولجا منك ناقة في كوبة
لا أتباعا ولا اختراعاً أرتنا إذ نظرنا عروسك المجلوة
كل ما قلته فقد قاله الناس مقالا آياته متلوة
لم تزد غير أن أبحت حمى الإعراب في كل لفظة مقروة
نسل الله فكرة تلزم العقل إلى حشمة تحوطها^(٢) المروة
وعزيز على أن كب يحيى ثم لم نأخذ الكتاب بقوة

ومن البرسام الذي يجرى على لسانه بين الجد والقحة ، والجهالة والمجانة ، قوله لبعض خدام باب السلطان ، وقد ضويق في شيء أضجره منقولاً من خطه ، بعد رد كثير منه إلى الإعراب :

الله نور السموات من غير نار ، ولا غيرها ، والسلطان ظلاله وسراجُه في الأرض ، ولكل منهما فراش مما يليق به ، ويتهافت عليه ، فهو تعالى مُحرق فراشه بذاته ، مخرقهم بصفاته ، وسراجُه وظلُّه . وهو السلطان مخرق فراشه بناره ، مخرقهم بزيتته ونواله . ففراشُ الله ، ينقسم إلى حامدين^(٣) ، ومُسبِّحين ، ومُسْتَغْفِرِينَ ، وأمناء وشاخصين . وفراش السلطان

(١) وردت في الإسكوريال (هجا) . والتصويب من الزيتونة .
(٢) وردت في الإسكوريال (تحوط) والتصويب من الزيتونة .
(٣) مكثراً وردت في الزيتونة . وردت محرقة في الإسكوريال (حافين) .

ينقسمون إلى أقسام ، لا ينفكُ أحدهم عنها . وهم وزَعة ابن وزَعة ،
 وکلب ابن کلب ، وکلب مطلقا ، وعارُ ابن عار ، وملعون ابن ملعون ،
 وقط [ابن قط] ^(١) ، ومُحق . فأما الوزَعة ، فهو المحرق في زَيْت نواله ،
 المشغول بذلك عما يليق بصاحب النُّعمة من النصيح ، وبذل الجهد .
 والکلب ابن الكلب ، هو الكيُّس المتحرِّز في تَهافته ، من إحراق وإغراق ،
 يعطى بعض الحق ، ويأخذ بعضه . وأما الكلب مطلقا ، فو الواجد
 والمشرِّد ^(٢) للسفهاء عن الباب المعظم لقليل النُّعمة . وأما العارُ ابن عار
 فهو المتعاطى في تَهافته ما فوق الطُّوق ، ولهذا امتاز هذا الإسم بالرياسة
 عند العامة ، إذا مرَّ بهم جِلْفٌ أو مُتَعاط ، يقولون ، هذا العار بن عار ،
 يحسب نفسه رئيسا ، وذلك بقرب المناسبة ، فهو موضوع لبعض الرياسة ،
 كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة . وأما الملعون ابن الملعون ،
 فهو الغالط المُعانَد ، المشارك لربه ، المنعم عليه في كبريائه وسلطانه .
 وأما القُطُّ فهو الفقير مثلى ، المُستغنى عنه ، بكونه لا تُخصُّ به رتبة ،
 فتارة في حِجْر الملك ، وتارة في السُّناس ، وتارة في أعلى المراتب ،
 وتارة سُنُّ ، وتارة مُسيءٌ ، تُغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة ، إذ هو
 من الطوافين ، مُتطير بقتله وإهانته ، تيباه في بعض الأحيان لعزَّة يجدها
 في نفسه ، من حُرْمَة أبقاها الشارع له ، وكل ذلك لا يخفى . وأما الفِراش
 المُحق ، فهو عند الدُّول نوعان ، تارة يكون ظاهرا وحظُّه مسح المصباح ،
 وإصلاح فتيله ، وتصفية زيتته ، وسرُّ دخانه ، ومُسايسة ما أعوز من
 المطلوب منه . ووجود هذا شديد الملازمة ظاهراً . وأما المُحقُّ الباطن ،

(١) واردة في الزيونه وساقطه في الإسكوريال .

(٢) مكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجدد) .

فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع ، فتستقبله الخلق لتعظيمه ، وتركه لما هو بسبيله ، فيكون وسيلةً بينهم وبين ربهم ، وخليفته الذي هو مصباحهم . فإذا أراد الله بهلاك الدولة ، وإطفاء مصباحها تولّى ذلك أهل البطالة والجهالة ، فكان الأمر كما رأيتم ، والكلّ يعمل على شاكلته .

وأفضى به الهوى ، وتسور حمى السياسة ، والإغياؤ في ميدان القحة إلى مصرع السوء ، فجُلِدَ جُلْدًا عنيفًا بين يدي السلطان ، كان سبب وفاته في المُطْبِق ، وذلك في شهر المحرم من عام ثمانية وستين وسبع مائة . وقانا الله المعرّات ، وجنّبنا سُبُل المضرّات ، وفي كثرة تبجّحه باصطلاح المنطق قيل :

لقد كان يحيى منطقيًا مُجادلا	تجارى في سبل الهوى وتهورا
غدا مطلق التقوى وراح مكّما	وأصبح من فوق الجدار مُسورا
فما نال من معنى اصطلاح أداره	سوى أن بدا في نفسه وتصورا
تجاوز الله عنا وعنه ...	

كل كتاب الإحاطة

بيات تكميلي عن مخطوط الإسكوريال

وعن القائم باختصار كتاب « الإحاطة »

لقد اعتمدنا في تحقيق كتاب « الإحاطة » منذ السفر السابع على مخطوط الإسكوريال رقم 1668 الغزيري ، ورقم 1673 ديرنيور ، وذلك حسبنا بينا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٣ و ١٤) ، وحسبنا سجلنا ذلك في المجلد الثاني من الإحاطة (ص ٣١٥) ، وجعلناه عمدة لتحقيق حتى نهاية الموسوعة الأندلسية الكبرى .

وقد بينا في مقدمتنا كذلك أن مخطوط الإسكوريال ، قد وسم في صفحة عنوانه بأنه « السفر الثاني » من « مختصر الإحاطة » ، وأنه قد ذكر في مواضع كثيرة منه ، ما يدل على إجراء هذا الاختصار بصورة منتظمة (المقدمة ص ٨) ، كما سطر على صفحة العنوان ، بأنه كان « ملكا للسلطان مولاي زيدان ، أمير المؤمنين بن أحمد بن المنصور ، أمير المؤمنين » أو بعبارة أخرى ، كان ضمن المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التي استولى عليها الإسبان قسرا في عرض البحر ، سنة ١٦١٢ م ، وضمت إلى مجموعة الاسكوريال الملكية ، ونقلنا خلال كثير من التراجم ، ما كان يرد بها من إضافات أو تعليقات ، سواء في صلبها أو على هامشها ، مما كنا ننسبه نحن إلى ناسخ المخطوط .

بيد أنه قد وضح لنا في نفس الوقت : ولا سيما في الأقسام الأخيرة من الكتاب ، أن هذه الإضافات والتعليقات . التي يتسم الكثير منها بالطابع العلمي وبالمعرفة المستنيرة ، أنها من وضع مختصر كتاب « الإحاطة » حسبنا نوهنا بذلك في غير موضع في تراجم الأسفار الأخيرة ، ورأينا أن ذلك ما يتفق مع ما وسم به المخطوط في صفحة عنوانه ، من أنه السفر الثاني

من مختصر « الإحاطة » وهو ما نستنتج منه أن المخطوط هو الجزء الثاني من نسخة كانت تتألف من جزئين كبيرين ، هما « مختصر كتاب الإحاطة » . وقد أشرنا في المقدمة إلى بعض ما وقع من صنوف هذا الاختصار ، حسبنا وقفنا عليها من تتبع إشارات « المختصر » خلال المخطوط ، وسعظما ينحصر في اختصار مشيخة المترجم له أو حذفها ، أو إغفال بعض القصائد أو جزء منها ، وإغفال بعض المختارات النثرية أو اختصارها ، كما أشرنا إلى أنه لم يثبت أن هذا الاختصار قد أصاب النصوص التاريخية المحضة ، حسبنا تبين ذلك من مقارنات كثيرة ، لما نقله المقرئ في « نفع الطيب » من تراجم « الإحاطة » .

وقد كانت نيتنا أن نقف عند هذا الحد في الحديث عن أوضاع كتاب « الإحاطة » ، لولا ما حدث خلال طبع المجلد الرابع والأخير منه ، من وقوفنا على حقائق جديدة ، حملتنا على وجوب استكمال هذا البحث ، ومحاولة الوقوف على اسم مختصر كتاب « الإحاطة » . وذلك أننا خلال عملنا في تحقيق كتاب « ريحانة الكتاب » ، لابن الخطيب ، قد لفت نظرنا عدة حقائق جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

أولاً - أن مخطوط كتاب الريحانة المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 1820 الغزيري و برقم 1825 ديرنبور ، قد كتب بنفس الخط الأندلسي المطعم بالسمة المغربية الذي كتب به مخطوط « السفر الثاني » من « مختصر الإحاطة » رقم 1763 ديرنبور .

ثانياً - أنه كتب ، حسبنا ورد في خاتمته في شوال سنة ثمانية وثمانين وثمان مائة (٨٨٨ هـ) في تاريخ مقارب لكتابة نسخة « الإحاطة » ، حيث كتبت في ربيع الآخر سنة ٨٩٥ هـ .

ثالثاً - أنه يوجد تماثل كبير بين العبارات التي اختتم بها كل من المخطوطين .
 فقد اختتم مخطوط كتاب « الريحانة » بما يأتي : « إنتهى هذا الكتاب
 المسمى « بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » على يد ناسخها لنفسه ، ثم
 له من شاء من ولده من بعده ، عبد الله المقر بذنوبه ، الراجي عفوه ربه ،
 أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد
 البقني الأنصاري ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية
 وثمانين وثمان مائة . والحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
 وورد في ختام مخطوط « مختصر الإحاطة » ما يأتي : « إنتهى
 السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه ، وشيوخه ، رحمة الله على الجميع .
 قلت . وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفيناه ،
 واستلحقناه ، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها ، وعم بالعلماء الأعلام
 وصالحى الإسلام عمرانها ، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
 وتسعين وثمان مائة . والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
 ومن جهة أخرى ، فإنه من الواضح مما ورد في صيغة عنوان مخطوط
 كتاب « الريحانة » وذكر مؤلفه من أنه « وحيد قطرنا ، وعالم مصرنا ،
 وقخر أندلسنا . . . ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب » أن كاتب
 هذا المخطوط هو أندلسي ، ومن المرجح أيضاً ، على ضوء المقارنة والتماثل ،
 أنه غرناطي كذلك .

ويترتب على ما تقدم من مطابقة خط المخطوطين ، وتقارب تاريخي
 نسخهما ، ثم التماثل الواضح بين الخاتمتين ، أن مختصر كتاب « الإحاطة »
 وناسخه أيضاً ، هو العلامة أحمد بن عبد الله البقني الأنصاري ، الذي
 ورد اسمه كاملاً في مخطوط الريحانة .

ولقد استغفر الله الخلال ونسب إليه الخلال ونسب إليه الخلال ونسب إليه الخلال
 لما العزلة عن دار السلام الكبرياء والخضوع بوجه الموانع العزلة بترك الشربة وانع التراب
 كاجل وانق الأتربة العظيمة العظم وأنا ما عندهما الباء جيب والعزلة البغيت
 مجوز النوبة لم ينسب عبيد والتسليم بالفتك يقينه ومنعها مستغفرا والله
 يعينه واستعمل بك زديان بموعا الله تلبب وتمزيب وغيره بمو ولا تبيد والله
 شير زيب ولو كان يوم لم تترك مظلومة واو لولا تار يا ليليا ولا الغزيب يتكلم المار
 بالمجرب المجهتة ليليا واو منيتك على الورد بسيل الله لامة واقداش للمحطان
 عز وريه نيليه واو استعرتي على شريف تار زامر الك ونه بك ساعا من قدي
 باصحت في اعمق ولا ربح شريك بيقين للملوك وسوا الله طلة بسيلك والصلوة
 بركت لك التصحفة من زمار به الة الغير على امل الميتر وقد طقت ببال الة ونه زير
 وكرك بلانك ما طقت ويوسعت ما لقت في الممال نصحت ولكتت بعتر العزيب
 عيات الشربة عند وقت بسيل الله انطير العلاء والظوب حلوا من طه هار البغيت
 ودارك على لاشتر الشرف صرا جواب بعتك المسجيد ووساتك الفلية الظفر
 الكثير الجمعة وور كورتا والخيرة تلك الفوار وان العيرة كامة وامر او الخالا
 بالله العلي العظيم

انتم من انقباب المشرك نجاة الكشاه ونجدة النجاة
 على يد اسويك لتقيد شله شار ولوق زعيو عيب لبر العزيب
 لراعه معبوده ايهدر عيب العزيب عيب العزيب امير عيب
 البغيت زار عيب عيب العزيب وتشر عيبه بتار عيب
 سوا عيبه ثمانية وثمانين ومان ملوك عيب العزيب العزيب

الصفحة الختامية من مخطوط كتاب «ريحانة الكتاب» المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 825
 ديرنيور. وتراجع في صفحة (١١) من المجلد الثاني من الإحاطة صورة لوحة مخطوط الإسكوريال
 المحفوظ برقم 1673 ديرنيور للمقارنة بخط هذه الصفحة الأخيرة من مخطوط «ريحانة» لمعاينة
 التماثل الواضح بين الخطين

هذا ، وقد أشار بعض كتاب التراجم اللاحقين ، أمثال العلامة أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي المالكي المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧ م) ، وصاحب كتابي « نيل الإبتهاج » و « كفاية المحتاج » وهما ذيلان على كتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون ، وغيره ، إلى هذا « المختصر » من كتاب « الإحاطة » ، وذكره منسوباً بالفعل ، إلى أبي جعفر البقني ، وهو ما يؤيد صحة ما انتهينا إليه بالمقارنات المخطوطة .

الإحاطة في أخبار غرناطة

بقية السفر الثاني عشر

من كتاب الإحاطة^(١)

مشملة على ترجمة ابن الخطيب

مكتوبة بقلمه

(١) يبدأ السفر الثاني عشر باللوحة 418 إسكوريال مبتدئا بترجمة « يحيى بن محمد بن عبد السلام التليل المذل » وتنتهى تراجمه في اللوحة 424 بترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى محتويا على ثمان تراجم فقط. وبه يختتم « كتاب الإحاطة » في بداية اللوحة 425 إسكوريال ، ثم تبدأ ترجمة ابن الخطيب لنفسه في نفس اللوحة ، وتنتهى في اللوحة 499 إسكوريال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
 « يقول مؤلف هذا الديوان تغمد الله خطله ، في ساعات اضاعها ،
 وشهوة من شهوات اللسان أطاعها ، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه ، استبدل
 بها الله لما باعها :

أما بعد حمد الله الذى يغفر الخطيئة ، ويحث من النفس اللجوج
 المطية ، فيحرك ركبها البطيئة ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، ميسر
 سبل الخير القاصدة^(١) الوطية ، والرضا عن آله وصحبه ، منتهى
 القصد^(٢) ومناخ الطيبة . فإني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ، الذى
 حمل عليه فضل النشاط ، مع الالتزام لمراعات السياسة السلطانية والارتباط ،
 والتفت إليه ، فراقني منه صوان دُرر ، ومطلع غُرر ، قد تخلدت مآثرهم
 بعد ذهاب أعيانهم ، وانتشرت مفاخرهم ، بعد انطواء زمانهم ، نافستهم
 في اقتحام تلك الأبواب ، ولباس تلك الأثواب ، وقنعت باجتماع الشمل
 بهم ، ولو في الكتاب . وحرصت على أن أنال منهم قُرْباً ، وأخذت من^(٣)
 أعقابهم أدباً وحياً ، وكمال قال ، ساقى القوم ، آخرهم شرباً . فأجريت
 نفسى مجراهم في التعريف ، وخذوتُ بها حذوهم ، في باب النسب
 والتضريف ، بقصد التشريف . والله لا يعدمنى وإياهم واقفاً يترحم ،
 وركاب الاستغفار بمنكبيه يزحم ، عندما ارتفعت وظائف الأعمال ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الزيتونة (البادرة) . وهي ساقطة في النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (الفضل) .

(٣) واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

وانقطعت من التَّكْسِبَاتِ جبال الامال ، ولم يبق إلا رحمة الله ، التي
تنتاش النفوس وتخلُّصُها ، وتعينها بِمَيْسَمِ السَّعَادَةِ وتخصصها . جعلنا الله
من حَسُنَ ذكره ، ووقف على التماس ما لديه فكره ، بمنه .

المؤلف : محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي
ابن أحمد السلماني . قرطبي الأصل ، ثم طليطليه ، ثم لوشيه . ثم غرناطيه ،
يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين .

أوليتي : يُعرف بيتنا في القديم بينى وزير ، ثم حديثنا بلوشة ،
ببني الخطيب . انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية ، كيجي بن يحيى
الليثي وأمثاله ، عند وقعة الرِّبِضِ الشهيرة^(١) إلى طليطلة ، ثم تسربوا
محومين على وطنهم ، قبل استيلاء الطاغية عليها ، فاستقر منهم بالموسطة
الأندلسية ، جملة من النبهاء ، تضمن منهم ذكر خلف^(٢) ، كعبدالرحمن
قاضي كورة باغة ، وسعيد المستوطن بلوشة ، الخطيب بها ، المقرون اسمه
بالتسويد عند أهلها ، جاريا مجرى التسميه بالمركب . تضمن ذلك
تاريخ الغافقى وغيره . وتناسل عقبهم بها ، وسكن بعضهم بمنتفريو^(٣) ،
مملكين إياها ، مختطين قبل التحصين والمنعة ، فنسيوا إليها . وكان
سعيد هذا ، من أهل العلم ، والخير والصلاح ، والدين والفضل ،

(١) وقعة الربض تطلق على الثورة التي قام بها أهل قرطبة بتحريض الفقهاء ضد الحكم
ابن هشام أمير الأندلس ، بقصد خلمه ، وذلك في رمضان سنة ٢٠٢ هـ (مارس ٨١٨ م) . وقد بدأت
في الربض الجنوبي لقرطبة ، في الناحية المسماة « شقندة » . ولكن الحكم استطاع سحق الثورة ومطاردة
الثوار وتمزيقهم ، وصلب الكثير منهم على شاطئ النهر وهدم دورهم ، وفر الكثير من أعيان
قرطبة . وتفرقوا في مختلف القواعد ، وسارت طائفة كبيرة منهم إلى المشرق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حلق) والأولى أرحح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (منتفريو) . ونرجح أن ذلك
حريف ، وان الصواب هو ما أثبتناه ، وهو يدخل في عداد الأسماء الإسبانية Montefrio ، ومعناه
الجيل البارد .

[وزكاه الطعمة] ^(١) . وقفنى الشيخ المسنُّ الوزير أبو الحكم بن محمد المتفريدى رحمه الله، وهوبقية هذا البيت وإخباريه، على جدار برج ببعض رُبى أملاكنا بلوثة، تطأه الطريق المارة من إغرناطة إلى إشبيلية، وقال، كان جدك يُربع ^(٢) هذا المكان فصولاً من العام ^(٣)، ويَجْهر بقراءة القرآن. فيستوقف الرِّفق ^(٤) المدلجة، الحنينُ إلى نَعْمته، والخشوع لِصدقه، فتعمرس رِحالها لصق جداره، وتُريح ظهرها موهنا، إلى أن يأتى على وِزده. وتوفى، وقد أصيب بأهله وحرمته، عندما تغلب العدو على بلده عنوة في خبر طويل. وقفت على مكثوبات من المتوكل على الله، محمد بن يوسف ابن هود، أمير المسلمين بالأندلس، القايم بها بدعوة الأئمة من ولد العباس، رضى الله عنهم، ومن ولده أبي بكر الواثق بالله ولى عهده، في غرض إعانتة، والشفاعة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة، بما يدل على [نباهة قديم] ^(٥) ويُفيد إثارة عِبرة، واستقالة عثرة.

وتخلف ولده عبد الله، جارياً مجراه في التجلّة، والتّمعش من حُرّ النّشب، والتزنيّ بالانقباض، والتحلّى بالنزاهة إلى أن توفى، وتخلف ولده سعيد جدنا الأقرب، وكان صدراً خيراً، مستولياً على خلال حميدة، من خطّ وتلاوة وفقه، وحساب، وأدب، نافس جيرته من بنى الطنجالى الهاشميين، وتحول إلى غرناطة، عندما شعر بعملهم على الثورة، واستطاعهم إلى النّزوة، التى خضدت الشوكة، واستأصلت منهم الشّافة، وصاهر بها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (زكاه النعمة) . وفي النفع (ذكاه

النفطه) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النفع (يذبح) . وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النفع (العلم) وهو تحريف .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (الرفاق) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الزيتونة (عل نباهة قديمة)

الأعيان من بني أضحى بن عبد اللطيف الهمداني ، أشرف جُند حُنص ،
الداخِلين إلى الجزيرة ، في طليعة بُلج بن بشر القشيري ، ولحقه من
جِراء منافسيه ، لما جاهروا السلطان بالخلعان ، اعتقال أعتبه السلطان
بعده وأحظاه على تفتته ، وولاه الأعمال النبِيهة ، والخُطط الرّفيعة . حدثني
من أثقه ، قال ، عزم السلطان ، أن يُقعد جدك أستاذًا لولده ، فأنفت
من ذلك أمُّ الولد ، إشفافا عليه من فظاظة كانت فيه . ثم صاهر القواد
من بني الجعدالة على أم أبي ، وتمتُّ إلى زوج السلطان ببُنوّة الخؤولة ،
فنبه القدر ، وانفسحت الحُظوة ، [وانتاب البيت] ^(١) الرؤساء والقِرابة .
وكان على قوّة شكيمة ، وصلابة مكسّره ، مؤثرا للخمول ، مجبا في الخير .
حدثني أبي عن أمّه ، قالت ، قلما تهنأنا نحن وأبوك طعاما [حافلا] ^(٢)
لإيثاره به من كان يَكْمين ^(٣) بمسجد جواره ، من أهل الحاجة ، وأحلاف
الضرورة ، يهجم علينا منهم بكل وارث ^(٤) ، يجعل يده تُنى يده ،
ويُشركه في أكيلته ، ملتذًا بموقعها من فؤاده . توفي في ربيع الآخر من
عام ثلاث وثمانين وسبعمائة ، صهرته الشمس مُستسقيًا في بعض المُحول ،
وقد استغرق في ضراعتة ، فدلّت الحتف على نفسه . وتخلف والدي ،
نابتًا في الترف نبت العليق ، يكتفه رعي أيم ^(٥) ، تجرُّ ذيل النعمة ،

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (وانثال على البيت) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتون (يكون) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مارش) ، وفي النسخ (وارد) وهو

تحريف . والوارش هو من يدخل لتناول الطعام دون دعوة .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ثم) وفي النسخ (أم) . والأيم هي

المرأة التي فقدت زوجها .

وتحنو منه على واحد تحذر عليه [الحولى من ولد الذر] ^(١) ، ففاته لترفه حظٌ كبير من الاجتهاد. وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبي الحسن البلوطى ، والمقرئ أبي عبد الله بن مستقور ^(٢) ، وأبي إسحق بن زورال ، وخاتمة الجلة أبي جعفر بن الزبير ، وكان يفضلهم . وشارك أهل عصره فى الرواية المستدعاة عن أعلام المشرق ، كجار الله أبى اليمن وغيره . وانتقل إلى لوشة بلد سلفه ، مقياً للرسم ، مخصوصاً بلقب الوزارة ، مرتباً بعادة الترف ، إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد ، متخطياً إلى الحضرة ، هاويا إلى ملك البيضة ، وأجزل نزله ، وعضد أمره ، وأدخله بلده ، لدواعى يطول استقصاؤها . ولما تم له الأمر ، صجبه إلى دار ملكه ، مستأثراً بشقص عريض من دنياه . وكان من رجال الكمال ، طلق الوجه ، أنيق المجلس ، حلو النادرة ، مستولياً على كثير من الخصل ، متجنّداً مع الظرف ، تضمن كتاب التاج المحلى والإحاطة جزءاً ^(٣) رائعاً من شعره ، وفقد فى الكائنة العظمى بطريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية ، ثابت الجأش ، غير جزوع ولا هيابة . حدث الخطيب بالمسجد الجامع من غرناطة ، الفقيه أبو عبد الله بن اللوشى ، قال ، كبا بأخيك الطرف يومئذ ، وقد غشى العدو ، وجنحت إلى إردافه ، فانحدر إليه والدك وصرفى ، وقال ، أنا أولى به ، فكان آخر العهد بهما . وخلفنى على الدرجة ، شهير الخطة ، مشمولاً بالقبول ، مكنوفاً

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ (النسيم إذا سرى) .

(٢) وردت فى المخطوطين (مسمفور) . وفى النسخ (سممون) . و نمتقد أن التصويب أرحح .

(٣) أضفناها ليستقيم السباق . ووردت فى الإسكوريال (هذه) وفى الزيتونة (هذا) .

بالعناية « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ». فقلدني السلطان كتابة سره ، ولما يجتمع الشباب ، ويُستكمل السن ، معززة بالقيادة ، ورسوم الوزارة ، واستعملني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ، وروى إلى يدي بخاتمه وسيفه ، واثممني على صوان ذخيرته^(١) وبيت ماله ، وسجوف حرمة ، ومَعْقِل امتناعه ، ومن فصول منشوره : « وأطلقنا يده على كل ما جعل الله لنا النظر فيه ». ولما هلك ، قدس الله روحه ، ضاعف ولده ، مولاي رضى الله عنه ، حُطوتى ، وأعلى مجلسى ، وقصر المشورة على نصحى ، إلى أن كانت عليه الكائنة [فاقتدى فى] ، أخود المتغلب على الأمر ، فسجل الاختصاص ، وعقد القلادة ، ثم قطع الإبقاء ، وعكس الاختصاص ، وحلَّ القلادة ، لَمَّا حملة أولو الشحناء ، من أعوان ثورته على القبض على فكان ذلك^(٢) ، وقُبِض على ، ونُكث ما أبرم من أمانى ، واعتُقلت بحال ترفيه . وبعد أن كُبِسَت المنازل والدُّور ، واستُكثِر من الحرس ، وخُتم على الأعلاق ، وأُبرِد إلى ما نأى ، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النظائر [ولاريات]^(٣) الأمثال ، فى تبحر الغلَّة ، وقراءة الحيوان ، وغِبْطَة العقار ، ونظافة الآلات ، ورفعة الثياب ، واستِجادة العُدَّة ، ووفور الكُتب ، إلى الآنية والخزنى ، والفرش ، والماعون ، والزجاج ، والمُحكَم ، والطَّيب ، والدُّخيرة ، والمضارب ، والأقبية . واكتُسحت السائمة ، وثيران الحرث ، وظهر الحُمولة ، وقوام الفلاحة ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (خزائنه) . وفى النسخ (حضرته) .

(٢) جمعنا بين الخاصرتين بين ما ورد فى المخطوطين ، وفى النسخ . وذلك بعد تصويب

العبارة الأولى (فاقتدى فى) وهى التى وردت محرفة فى المخطوطين (فاعتدى على) .

(٣) الزيادة من النسخ .

وأذواد الخيل ، فأخذ الجميع البيع ، وتناهبتُها الأسواق ، وصاحبها
 المَبْخَسُ ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب الطُّلب ، واستخلصت^(١)
 القُرَى والجَنَات ، وأعملت الحيل ، ودُسَّت الإخافة ، وطُوِّقت الذنوب ،
 وأمدَّ اللهُ بالصبر ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان إلى ذكر الله
 [تعالى]^(٢) ، وتعلقت الآمال به ، وطبقت [نكبة]^(٣) مُضْحَفِيَّة ،
 مطلوبها الذات ، وسببُ إفَاتِهَا المال ، حسبما قلت عند إقالة العثرة ،
 والخلاص من المفوة :

تخلّصت منها نكبة مُضْحَفِيَّة لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبه بخط ملك المغرب ، وجعل خلاصى
 شرطاً في العقدة ، ومسالمة الدولة ، فانتقلت صُحبة سلطاني المكفور
 الحق إلى المغرب . وبالغ ملكه في برى ، واغياً في حُلة رعيى ، منزلاً
 رحباً ، وعيشاً خفصاً ، وإقطاعاً جما ، وجراية ماوراها مرمى ، وجعلنى
 بمجلسه صدرأ . ثم أسعف قَصْدى في تنهى^(٤) الخلوة بمدينة سلا ، منوه
 الصُكوك ، مهناً القرار ، مُتفقداً باللهى والخلع ، مُخَوَّل العقار ، موفور
 الحاشية ، مُخْلِ بينى وبين إصلاح معادى ، إلى أن ردَّ اللهُ [تعالى] على
 السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج مُلكه ،
 وصير إليه حقّه ، وصرف إليه كرسبه ، فطالبنى بوعدٍ ضربته ، وعهد
 فى القدوم عليه بولده أحكمته ، ولم يُوسعننى عُذراً ، ولا فسح فى التُّرك

(١) أى أضيفت إلى مستخلص السلطان أو الأملاك الملكية الخاصة .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى النسخ (تهيؤ) .

مجالا . فقدمتُ عليه بولده ، في اليوم الأغرَّ المحجَّل ، وقد ساءه بإمساكه
رهينة ظنُّه ، ونغص مسرة الفتح بعده ، على حال من التقشُّف ، والرغبة
عما بيده ، وعزف عن الطمع في الكسب^(١) وزهد في الرُفد ، حسبما قلت ،
في بعض المقطوعات في مخاطبته ، شكر الله عني فضله :

قالوا لخدمته دعائك محمد فكرهتها^(٢) وزهدتُ في التَّوْبِه
فأجبتهم أنا والمُهيمن كساره في خدمة المولى محبٌ فيه

عاهدت الله على ذلك ، وشرحت صدرى إلى الوفاء به ، وجنحت إلى
الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة أملى ، ومرمى نبيي ، فعلق بي عُلوُق
الكرمة ، وصارفتي بدار العبرة ، وخرج لي عن الضرورة ، وأراني أنَّ
مؤازرتي أبرُّ القربة ، وراكني إلى عهدٍ بخطه ، فسح لعامين أمد الثوا ،
واقنتدى بشعيب صلوات الله عليه ، في خطب الزيادة ، وعلى تلك النسبة ،
وأشهد من حضر من العلية . ثم رمى إلى بعد ذلك مقاليد رأيه ، وحكم
عظي^(٣) في اختبارات عقله ، وغطى على جفائي بحلمه ، وحثا في
[وجوه]^(٤) شهواته بتراب زجرى ، ووقف القبول على وعظي ، واستنزل
هواي في التحول ، نابيا عن قصدي ، واعترف بقبول نصحي . فاستعنتُ
الله عليه ، وعاملت وجهه فيه ، من غير تلبسٍ بخديعة ، ولا تشبُّثٍ ، بولاية
مقتصرًا على الكفاية ، حذراً من التقد ، حامل المركب ، معتمدا على
المنسأة ، مُستمتعا بِخَلْق النعل ، راضيا بغير النبيه من الثوب ، مُشفقا
من موافقة الغرور ، هاجراً للزخرف ، صادعا بالحق في أسواق الباطل ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ملكه) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (فأنفتها) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (عقل) .

(٤) واردة في النسخ وساقطة في المخطوطين .

كافاً عن السُّخال ، برائين السباع ، مفوّتا للأصول في سبيل الصدقة .
ثم صرفتُ الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة ، بكرُ الحَسَنات بهذه
الخِطَّة ، بل بالجزيرة فيما سلف من المدَّة ، فتأى بمنة الله من صلاح
السلطان ، وعتاف الحاشية ، ونشر الأمن ، وروم الثغور ، وتثمير الجبابة ،
وإنصاف الحُمة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إثثار المصلحة
الدينية ، والصّدع فوق المنابر ، ضمانا عن السلطان بترياق سُمِّ الثورة ،
وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ، ما الله المُجازى عليه ، والمعوّض من
سَهْر خَلَعته على أعطافه ، وكدُّ أَعْمَلته من جرّاه ، وخطر اقتحمته من
أجله ، لا للثريد الأعفر ، ولا للجُرد تمرّح في الأرسان ، ولا للبدّر تثقل
الأكتاد ، فهو الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ، سبحانه إليه
الرُّجى ، والآخرة والأولى . ومع ذلك فقد عادت هَيْفٌ إلى أديانها ، من
الاستهداف للشُرور ، والاستعراض للمحذور ، والنظر الشّر ، المنبعث
من خَزَر العيون ، شِيمة من ابتلاه الله بسياسة الدّماء ، ورعاية ^(١) سَخَطَة
أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، ممن لا يجعل الله إرادة
نافذة ، ولا مشيئة سابعة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يُجمل في الطلب ،
ولا يتلبس مع الله بأدب . ربنا لا تُسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا .
والحال إلى هذا العهد [وهو أول عام أحد وسبعين وسبعمئة] ^(٢) على
ما ذكرته ، أداله الله بحال السّلامة ، وبفِيئة العافية ، والتمتع بالعبادة .
وربُّك يعاقب ما يشاء ويختار . وقال الشاعر :

(١) هكذا وردت في الإيسكوريال . وفي الزيتونة (ورياسة) .

(٢) هكذا ورد هذا التاريخ في الإيسكوريال وورد في المح كالآتي (وهو منتصف عام
خسة وسبعين وسبعماية) . والظاهر أن المقرئ نقل من مخطوط للإحاطة كتب بعد أصل مخطوط
الإيسكوريال ببضعة أعوام .

وعلى أن أسمى وليس على إدراك النجاح
 والله فينا سرٌ غيبٌ نحن صائرون إليه^(١) ، ألحَفْنَا اللهُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى ،
 وختم لنا بالسعادة ، وجعلنا في الآخرة من الفايزين . نَفَثْتُ عَنْ بَثِّ ،
 وَتَأَوَّهْتُ عَنْ حُمَّى ، لِيُعْلَمَ بَعْدَ الْمُتَقَلَّبِ قِصْدِي ، وَيَدُلُّ مُكْتَتَبِي عَلَى عِقْدِي .

ذكر بعض ما صدر لي من التشريعات الملوكية

أيام تآبثي بهذه الغرور

من ذلك ظهيرٌ من مولاي السلطان أبي عبد الله ، عندما صار له أمرٌ
 والده المقدس أبي الحجاج ، رحمة الله عليه ، وقد ثبت في المحمدين ،
 في اسم السلطان أيده الله ، فلينظره هنالك من تشوفٍ لاحتفاله واحتفائه ،
 وظاهر برّه واعتنايه .

وكتب إلى مُخْبِرًا بما فتح الله عليه ، قبل الوصول إليه :

« من أمير المسلمين عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج
 ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، أيده الله أوامرهم ، ونصر
 أجنادهم المظفرة وعساكرهم ، وخذل مفاخرهم الكرعة ومآثرهم .

« إلى ولينا في الله تعالى ، الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا من
 حُسن المذاهب ، ونعتدُّ به اعتدادا يتكفل بنجاح المقاصد والمآرب ،
 وخلصتنا الذي نثنى على مجده البعيد الغايات ، في الشاهد والغايب ،
 الفقيه ، الوزير الجليل ، الصّدر الأوحده المثل ، العالم العلم الأوحده ،
 الرّفيع الشهير ، الحسيب الأصيل ، الماجد الأثيل الخطير ، الخطيب
 البليغ الكبير ، الأوحده ، الحافل الفاضل الكامل . إمام البلغاء ، وصدر
 الخطباء ، وعلم العلماء ، وكبير الرؤساء . الحبيب المخلص ، الأود

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال والزيتونة (سايرون) والأولى أرجح .

الأصفي ، أبي عبد الله بن الوزير الفقيه الجليل ، الأعز الأرفع ، الماجد
 الأسمى ، الصدر الحافل . الفاضل الكامل ، الأعلى الكبير ، الخطير
 الأثير ، الأرضي ، المعظم الموقر ، المبرور المقدس ، المرحوم الشهيد ،
 أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعده ، وحرص مجده ، سلام عليكم ،
 ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ، وليّ الحمد وأهله ، وناصر الحق ، ومطلع أنواره ،
 من آفاق رحمته وفضله ، وقاهر كل باغ ، وخاذله ومذله . والصلاة على
 سيدنا ومولانا محمد ، صفوة أنبيائه ، وخاتم رسله ، المبتعث بالهدى
 ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، نبي الرحمة ، الذي ببركة محبته
 نلنا الأمنية ، في جمع الدين ونظم شمله ، وبفضيلة جاهه ، عدنا إلى
 أرفع رتبة ملكنا ، وأعلى محله . والرضا عن آله وصحبه ، المقتدين هديه
 في أمرهم كله . فكتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، عزا لا يبلى جديده ،
 وسعدا لا ينقطع مزیده . من حمرائنا بغيرناطة ، حرسها الله ومهداها ،
 ولا متعرف بفضل الله سبحانه ، إلا ما عود من أطفاه الخفية ، وأسدى
 من صنائعه السنية ، وعنايته التي كفلت ببلوغ الأمنية . والحمد لله
 كثيرا ، كما ينبغي لجلاله ، ويليق بصفات كماله . وعندنا من إجلالكم
 ما يليق بكمالكم ، ومن المعرفة بمقداركم ما يُعرب عن حُسن اعتقادنا ،
 في كريم نجاركم ، ومن قدر أحسابكم ، ما يلازم بسببه تعظيم جنابكم .
 وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحفيظ مجدكم ، فإننا بحسب الوُد الذي^(١)
 نصل لمعاليتكم ، والحب الذي نضاعفه فيكم ، خاطبناكم بهذا المكتوب ،
 بشرح ما من الله علينا ، من الفتح العظيم ، الذي أشرقت به أقطار هذه

(١) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

البلاد ، وما من به من العودة ، إلى مُلكنا المتوارث عن كرام الآباء والأجداد ، وما أنعم به من قهر ذوى الشقاق والعدا . وذلك أنا أعزكم الله طال علينا المقام برُندة ، ولم نزل نوجه إلى أهل الحصون ، التى بقرنى مالقة وغيرهم ، نقص عليهم ، ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا ، ونحذرهم عار^(١) النكث لطاعتنا ، إلى أن آن أوان الفرج ، ونفذ قضاء الله وقدره ، بالعودة إلى ما كنا تغلبنا^(٢) عليه . فاقضى نظرنا أن خرجنا إلى مالقة فى مائى فارس ، فما وصلنا وادها ، وعلم بنا أهلها ، إلا وخرج لنا جميعهم ، ملبيين بالبيعة ، فرحين^(٣) بقدمنا . وفى الحين بادر نقتال القصبية ، حتى استخلصت ، وأنزل من فيها بنواحيها . وليوم آخر ، وصلتنا بيعات أهل الجهات التى تواليها ، من أنتقيرة ، ولوشة ، وبلش وصالحه وقمارش والحمة ، وسائر الحصون الغربية . فلما وصل الخبر إلى الغادر الخاسر ، خاف وذعر ، ورأى أن لا ملجأ له ، إلا أن يفر ، فجمع شردمته ، وألف حاشيته ، وخرج عن الحمراء ليلا ، فى ليلة الخميس الماضى ، قريبا من التاريخ ، هاربا إلى أرض الكفار . وفى صبيحة الليلة ، وجه إلينا أهل حضرتنا ، وتوجهت الأجناد إلى بيعتنا ، وانصرفنا إلى دار مُلكنا ، وحللتناها يوم السبت الماضى ، من غير حرب ولا قتال ، بل بفضل الله تعالى ، ذى العظمة والجلال . وعرفناكم بذلك ، لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة الكبرى^(٤) ، إذ أنتم الحبيب الذى لا يشك فيه ، والخلاصة^(٥) الذى نعلم صدق خلوصه وتصافيه ، والله يصل سعودكم ،

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى نفاضة الجراب (مخطوط الرباط) (عاقبة) . وفى الإسكوريال

(عادة) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الزيتونة ونفاضة الجراب (مخطوط الرباط) . وفى الإسكوريال (تغلب لنا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فرحين) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، والزيتونة . وفى نفاضة الجراب (العظم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نفاضة الجراب .

ويحفظ وجودكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في يوم
الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية، من عام ثلاثة وستين وسبعماية^(١) .
وعند استقرارى لديه ، وقُدومى عليه ، أصدر لى هذا الظَّهير الكريم ،
بما يظهر من فصوله :

« هذا ظهير كريم ، أقام مراسم الوفاء ، وأحيا معالم الحقِّ الفسيحة
الأرجاء ، وقلَّص ظلال الجُود المُتكاثفة الأفياء ، وجلَّى بأنوار الحق ،
ظلم الظلم والاعتداء ، وأدَّى الأمانة إلى أهلها ، إذ كانت مُتعيِّنة الأداء .
أمر بتسويغ إنعامه ، وإبرام أحكامه ، أمير المسلمين ، عبد الله محمد
ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد
ابن نصر ، أعلى الله مقامه ، وشكر إنعامه . لولى مقامه ، ومحل إجلاله
وإعظامه ، كبير دولته ، وقخر مملكته ، ومُشيد سلطانه ، وعين زمانه ،
ظهيره الذى ببركاته أنجحت مقاصده ، وحامل لواء وزارته ، الذى
يؤمن رأيه ، عذبت مصادره وموارده ، الفقيه الأجل ، الوزير المشيل ،
الماجد الأثيل ، الحسيب الأصيل ، العالم العلم ، الطاهر الظاهر ،
العظيم المفخر ، الكريم المآثر ، إمام البلاغة ، وفارس البراعة واليراعة ،
فخر الرياسة ، ومُدير فلک السياسة ، الخطيب^(٢) الحافل ، الصِّدر الفاضل
الشَّمائل ، الحبيب^(٣) الخالص^(٤) ، الأود الأصفى ، أبى عبد الله محمد

(١) أورد ابن الخطيب هذه الرسالة مرة أخرى في كتابة (نفاضة الجراب السفر الثالث .
مخطوط مكتبة الرباط العامة) وبها زيادات . ومعها ملحق طويل كتبه السلطان إلى ابن الخطيب
لتعريفه بمصير خصمه المتغلب على ملكه بعد فراره إلى ملكة قشتالة . ومصير أصحابه الذين كانوا معه
مخطوط نفاضة الجراب المذكور (لوحات ٩٩ - ١٠٣) . وقد نشرناها نحن في كتابنا لسان الدين بن
الخطيب حياته وتراثه الفكرى (ص ٣٢٥ - ٣٢٧) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحسيب) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الحسيب) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الاسكوريال (الخلاصة) .

ابن الوزير الجليل الأوحدا الأعلى ، الصدر الكبير الخطير الشهير الأسير ، الحافل الفاضل ، الظاهر الطاهر ، السامي الأزقي ، المعظم الموقر ، الشهيد المقدس السعيد ، أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعادته ، وحرس مجادته وحفظ رُتبته الرفيعة ، ومكانته ، وبلغه أمله الأرضي وإرادته . لما كان أبقاه الله مُدبر ملك المولى أبيه ، وظهيره الذي لم يزل يُدنيه ويصْطَفِيه ، وعِماده الذي ألقى إليه مقاليد الملك ، حين علم أنه صدر الأولياء ، وواسطة السُّلك ، ووزيره الذي اعتمده بإدارة أمره ، وركن إلى مناصحته في سيره وجهره ، وقلده نجاد الوزارتين ، وحلَّاه بحُلي الرياستين ، فاكتفى منه عن الأثر بالعين ، ونشر له لواء الولايتين ، فتلقاه بيمينه ، وقام مضطلعا بأمره ، قيام الأسد دون عرينه . وحين انعقد هذا الأمر العلي ، قام بسياسة مُلكه أحسن قيام وأوفاه ، وأداره فأصاب في إدارته ، مرعى السُّداد الذي لم يوافقه إلا إياه . واستولى في هذه الميادين على غاية الكمال ، واضطلع بالرياسة والسياسة ، اضطلاع أفذاذ^(١) الرجال . ولم يزل يدفع عن حِمَاه ، ويذبُّ عن حوزته بما يحبه الله ويرضاه ، حتى انتظمت بالسُّعود أفلاكه المُنيفة وأملاكه ، ودارت بالتأييد أفلاكه .

ولما كان الشقي الغادر ، الذي اغتصب الحق ، وطهر منه الطُّرق ، قد جار على جانب المُعتمد به في ماله ، وتعدى بالبغى على حاله ، ظلماً وعدواناً ، وجوراً وطغياناً ، لم يُقدِّم أيده الله عملاً ، عند العودة إلى ملكه المؤيد ، وسلطانه الأسعد ، وفخره المجدد المؤيد ، وأخذ الله تعالى له ، من الظالم أعظم الثَّار ، وأمدّه بإعلامه ، وإظهاره بأعظم الأنصار ، على أن صرّف عليه جميع أملاكه ، التي خلصت له بالشرع مُوجباتها ،

(١) وردت في الإسكوريال والزيونة (أفراد) وهو تحريف اتنضي التصويب .

ووضّحت في سبيل الاستحقاق بيناتها ، مما كان الغادر قد غصّبه له والتهبه ،
وقطع بالباطل عنه سببه ، ومكّنه أيده الله منها باحتيازها ، وتولى لنفسه
إحرازها ، وعاد بهذا التسويغ الملكي ، يوم عودتها إليه خيرا من أمسه ،
هنأه الله الانتفاع بها في العمر الطويل ، وحفظها عليه وعلى عقبه ،
يتملكها الجيل منهم بعد الجيل . وهي كذا وكذا ، بداخل الحضرة
وخارجها ، وكذا وكذا من البلاد . سوغ إليه أيده الله ذلك ، تسويغاً
شرعياً ، ورفع به عنه فيه الأغراض ، رفعاً كلياً أبدياً ، وتبراً من حق
يتعلق به ، أو شبهة تتطرق بسببه . فليتصرف أعزه الله في ذلك بما شاء
من أنواع التصرفات ، على ما توجهه السنة الواضحة الآيات ، من غير
حجرٍ عليه ، ولا تعقب لما لديه . وشمل حكمُ هذا التسويغ الجسيم ،
والإنعام العميم ، جميع ما يُستغل على الأرض والجنات والكروم ، والثمرات
من العوايد المُستقبلة عليها ، والغلات ، شمولاً تاماً ، مُطلقاً عاماً ،
وأن يكون هذا ثابتاً صحيحاً ، ومن الشك مُزيحاً ، وحكمه على الأيام ،
واتصال الشهور والأعوام ، متصل الدوام . كتبنا خطاً يدنا شاهداً بامضايه ،
وسجلنا الحكم باستقلاله واقتضايه ^(١) . فليعلم ذلك من يقف عليه ،
ويعتبر ما لديه . وذلك في اليوم الثاني لرمضان المعظم من عام ثلاثة
وستين وسبع مائة .. صح هذا .

ولما قضى الله بالانصراف ^(٢) إلى العدو الغربية ^(٣) ، صدرت عن
سلطانها أمير المسلمين أبي سالم منشورات رفيعة منها ، وقد تشوّفت إلى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واكتنايه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بالعود) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها العدو المغربية .

مطالعة بلاده الغربية ، وجهاتها المراكشية ، بقصد^(١) لقاء أهل الصلاح والعبادة ، وزيارة ملاجد السادة ، ما نصه :

هذا ظهير كريم أشاد بالتثويه الفسيح المجال ، والإكرام السابغ الأذبال^(٢) ، وأعاد النعم بعد إبدائها عميمة النوال ، ووارفة الظلال ، وألقى في يد المعتمد به ، صحيفة الاعتناء حميدة المقال ، مقتضية ديوان الآمال ، ورفع له لواء الفخر العزيز المنال ، على النظراء والأمثال . حكم بإعماله ، وإمضاء أمره الكريم وامتناله ، عبد الله المستعين بالله إبراهيم ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق . أيد الله أمره ، وأعز نصره ، للشيخ الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى ، الوزير الأتمجد الأنوه المحترم ، الملحوظ ، الأثير الأكمل ، السرى الحظى الذكى الأخلص ، أبي عبد الله ابن الشيخ ، الوزير ، الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى الأتمجد ، الحسين الأصيل ، الأنوه الأنزه ، الأثير الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب . وصل الله حظوته ، ووالى عزته . جدد له الحظوة التى يضمنى لباسها ، وصحح بنظر البر والإكرام قيامها ، وشيد بمباني الحفاية التى مهد أساسها ولما وفد على باب الكريم ، عابدا بجواره ، ومُلقياً فى ساحة العز المشيد عصا تسيار ، ومُجرباً فى ميدان الثنا جياذ أفكاره ، ومعتمدا على نظرنا الجميل فى بلوغ آماله ، وحصول أوطاره ، فسحنا له فى ميدان البر

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (نقصد) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الإبان) .

والترحيب قبل مغادته ، وأنس في حضرتنا الكريمة ، أنوار العناية ، التي كانت هُداة ، وأحللناه من بسلطانا المحلّ الذي اشتمل به العزُّ وارتداه ، وكَمَل له الأمل ووقاه . وأذنا له ، تَفَنُّبًا في إسداء النعم الثرة ، وتلقَى وفادته بوجوه القبول والمبرة ، في زيارة التربة المقدسة بشالَّة^(١) المعظمة ، حيث ضريح مولانا المقدس ، ومن معه من أسلافنا الكرام ، نور الله مشواهم ، وجعل في الجنة مأواهم : وهذا الغرض الجميل ، وإن عُدَّ من أنواع التكريم ، والإحسان العميم ، فهو السعى الذي تصرف إليه وجوه [القبول]^(٢) والرضا والاهتمام ، والرغبة التي^(٣) يُصَفَى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام ، والتقرب الذي تؤثره [مهادر البرّ المُستدام]^(٤) ولفاعله مزية الاعتناء والتقديم ، وجزاء^(٥) القيام بخدمة سلفنا الكريم ، وقد أذنا له في مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العلية ، إلى مرآكش المحروسة ، للقاء الأعلام ، واجتلاء المعاهد الكرام ، والآثار الباقية على الأيام ، كيف أحب ، وعلى ما شاء من إراحة أو إمام ، مُضجِباً بمن يُنَوِّه به في طريقه من الخُدّام ، تنويها للكرامة وتعليداً ، وتجديدا للعناية وتأكيداً . فليعلم بذلك ، ماله في بابنا الكريم من الاعتناء ، وما اعتدنا لمحبّي أسلافنا الكرام من الجزاء ، ويجرى في جميع مآربه وأحواله على النهج السواء ، مراعى حال إياهم إلى مقره من حضرتنا العلية ، ومحلّه من بسلطانا الأشرف ،

(١) شالَّة هي محلة أثرية رومانية تقع الآن في نهاية مدينة الرباط . وبها إلى جانب الآثار الرومانية بعد المنحدر ، في سفحها المستوي ، عدة من قبور أمراء بني مرين ، وفي وسطها قبر السلطان الكبير أبي الحسن المريني والد السلطان أبي سالم .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (الذي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) نقلنا هذه العبارة من الزيتونة ومكانها بياض مخروم في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حق) .

وَعَرَضَهُ أَعْمَالَ الْقَائِمِينَ بِبِرِّهِ ، وَأَكْرَمَنَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَيَجْنِي الْمَبَادِرَةَ إِلَى تَوْفِيَةِ آمَالِهِ ، وَثَمَرَةَ أَعْمَالِهِ ، وَيَقَابِلُ الْقَائِمِينَ بِمِثْرَتِهِ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَكُتِبَ بِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ ، مَهْدَاهَا اللَّهُ ، فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ لِرَبِيعِ الثَّانِي عَامِ أَحَدٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَلِيُعْتَمِدَ لَوْزِيرِنَا الشَّيْخَ الْأَجْلَ الْحَظِي الْأَكْمَلَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْعَبَّاسِ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، عَلَى أَنْ يُدْخِلَهُ إِلَى الْمَسَاكِنِ الْعَلِيَّةِ بِقَصْبَةِ مَرَاكُشَ حَرَسَهَا اللَّهُ ، لِيَشَاهِدَ الْآثَارَ السُّلْطَانِيَّةَ ، الَّتِي انْتَضَمَتْ فِي سِلْكَنَا ، وَعَقَى عَلَيْهَا جَدِيدَ مَلِكِنَا . فَلْيُعْلَمَ ذَلِكَ . وَلْيُعْمَلْ بِهِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَكُتِبَ فِي التَّارِيخِ الْمَوْرُخِ بِهِ .

وَجَرُّ هَذَا الْإِنْعَامِ دُنْيَا عَرِيضَةٌ ، تَفْتَقَتْ فِيهَا الْمَوَاهِبُ ، وَوَضَّحَتْ مِنْ اشْتِهَارِهَا الْمَذَاهِبَ ، شَكَرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ، وَوَالَى عَلَى تَرْبَتِهِ رَحْمَتَهُ .
وَصَدَرَ لِي عَنْ الْمُتَصَيِّرِ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مَا نَصَّهُ ، وَهُوَ بَعْضُ مِنْ جُمْلَةٍ ، وَنَوْعٍ مِنْ أَجْنَاسٍ مُبِيرَةٍ :

هَذَا ظَهِيرُ كَرِيمِ نَظْمِ الْعِنَايَةِ وَوَصَلْهَا ، وَأَجْمَلُ الرِّعَايَةِ وَقَصَلْهَا ، وَأَحْرَزَ مَوَاهِبَ السَّعَادَةِ وَحَصَلْهَا ، أَمْرٌ بِإِثْرَامِهِ ، وَالْوَقُوفِ عِنْدَ أَحْكَامِهِ ، عَبْدَ اللَّهِ الْمُتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّدَ ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ابْنَ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي الْحَسَنِ ، ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبِي سَعِيدَ ، ابْنَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ الْمَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَبِي يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْحَقِّ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ ، وَسَنَى لَهُ الْفَتْحَ الْمَبِينَ وَيَسَّرَهُ ، لِلشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَجْلَ ، الْأَسْنَى الْأَعَزَّ ، الْأَحْظَى الْأَرْفَعُ ، الْأَمْجَدُ الْأَسْنَى ، الْأَنْوَهُ الْأَرْقَى ، الْعَالِمُ الْعَلِمُ ، الرَّئِيسُ الْأَعْرَفُ ، الْمُتَفَنَّئُ الْأَبْرَعُ ، الْمُصَنِّفُ الْمَفِيدُ ، الصَّادِرُ الْأَحْقَلُ ، الْأَفْضَلُ

الأكمل ، أبي عبد الله ، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل ، الأسنى الأغر ،
الأرفع الأبعد ، الوجيه الأنوه ، الأختل ، الأفضل ، الحسيب الأصيل
الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب ، أيده الله بوجه
القبول والإقبال ، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال ، ورعى له
خِدمة السَّافِ الرفيع الجلال ، وما تقرَّر من مقاصده الحسنة في خدمة
أمرنا العال . وأمر في جملة ما سوَّغ من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة
المجال ، بأن يُجدِّد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها ،
المتضمنة تمشية [خمسمائة من الفضة العشرية] (١) في كل شهر ، عن
مرتَّب له ولولده الذي لنظره ، من مَجَبَى مدينة سلا حرسها الله ، في كل
شهر ، من حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورَفَع الاعتراض بيباها فيما
يُجَلَّب من الأدم والأقوات على اختلافها ، من حيوان وسواه ، وفيما يستفيدة
خُدَّامه بخارجها وأحوازها من عِنَبٍ وَقُطْنٍ وَكُتَّانٍ ، وفاكهة وخُضْرٍ وغير
ذلك ، فلا يُطلب في شيء من ذلك بمَغْرَمٍ ولا وظيف ، ولا يُتوجَّه فيه إليه
بتكليف . يتصل له حكم ما ذُكر في كل عام ، بتجديداً تاماً ، واحتراماً
عاماً ، أعلن بتجديد الحُظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من
تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام ،
واتصال الأيام ، وأن يُحْمَل جانبه فيمن يُشْرِكه أو يخدمه مَحْمَل الرعى ،
والمحاشاة من السُّخرة ، متى عَرَضته ، والوظائف إذا افترَضت ، حتى يتصل
له تالد العناية بالطَّارِف ، وتتضاعف أسباب المِنَنِ والعوارف ، بفضل الله ،
وتُحرَّر له الأزواج التي يحرثها ، تَبَالَّغَتْ من كل وجيبة ، ويُحاش من

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في النسخ كالاتي (تمشية خمسمائة
ديتار من الفضة العشرية) (نفع الطيب ج ٣ ص ٢٧٧) . وهناك لس أو تحريف في هذه العبارة لأن
الدينار لا يكون إعادة إلا من الذهب .

كل مغرم أو ضريبة ، بالتحريم التام ، بحول الله وعونه . ومن وقف على هذا الظهير الكريم ، فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، إن شاء الله . وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعماية . وكتب في التاريخ .

وهذا ومثله ، لولا أنه أحفظ [ربما انتفع العقب بوضيها]^(١) وري غرض الإغفال بسهمها ، لم يُعَن بها ، من يرى أن لا جثوى إلا في التقوى ، وأن يد الله من هذه الأسباب الضعيفة أقوى .

وأما ما رُفِع إلى من الموضوعات العلمية والوسائل^(٢) الأدبية ، والرسائل الإخوانية ، لما أقامني الملك صنماً يعبد ، وجبلاً^(٣) إليه يُستند ، صادرة عن الأعلام ، وحملة الأقلام ، ورؤساء النثر والنظام ، فجم يضيق عنه الإحصاء ، ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء . فرمما تضمن هذا الكتاب - كتاب الإحاطة - هذا منه كثيراً ، منظوماً ونثيراً ، جرى في أثناء الأسماء ، وانتمى إلى الإجابة أكبر الانتماء . غفر الله لي ولقائله ، فما كان أولاني وإيابه ، بستر وزره ، وإغراء الإضراب بغروره ، فأهون بما لا ينفع ، وإن ارتفع الكلم الطيب لا يُدفع^(٤) ، اللهم تجاوز عنا بكرمك وفضلك .

المشيخة

قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب ، نسيج وحده ، في تحمُّل المنزل حقَّ حمّله ، تقوىً وصلاًحاً ، وخصوصيةً وإتقاناً ، ونغمة ، وعناية وحفظاً ، وتبحراً في هذا الفن ، واضطّاعاً بضرايبه ، واستيعاباً لسقطات الأعلام ، الأستاذ الصالح ، أبي عبد الله بن عبد الولي العواد ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنا انتفى رسمها) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الرسائل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جبلاً) . والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يرجع) .

كَتَبًا ثُمَّ حَفِظًا ، ثُمَّ تَجْوِيدًا إِلَى مَقْرَى أَبِي عَمْرٍو ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
 ثُمَّ نَقَلَنِي إِلَى أَسْتَاذِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَطِيئَةِ الْفُنُونِ ، وَمُفِيدِ الطَّلِبَةِ ، الشَّيْخِ
 الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِي ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَهُوَ
 أَوَّلُ مَنْ انْتَفَعْتُ بِهِ . وَقَرَأْتُ عَلَى الْحَسِيبِ الصَّدْرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ جُرَى .
 وَلَازِمْتُ قِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهِ ، وَالتَّفْسِيرِ ، عَلَى الشَّيْخِ الْأُسْتَاذِ الْخَطِيبِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ الْبَيْرِي ، الْإِمَامِ الْمُجْمَعِ عَلَى إِمَامَتِهِ فِي فَنِّ الْعَرَبِيَّةِ ،
 الْمَفْتُوحِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِيهِ ، حَفِظًا ، وَاضْطِّاعًا ، وَنَقْلًا وَتَوْجِيهًا ، بِمَا لَا
 مَطْمَعُ فِيهِ لِسِوَادِ . وَقَرَأْتُ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ الصَّدْرِ الْمُتَفَنِّنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ بَكْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَتَأَدَّبْتُ بِالشَّيْخِ الرَّئِيسِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى ،
 الصَّالِحِ الْفَاضِلِ ، أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ . وَرَوَيْتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ جَمَعَهُمْ
 الزَّمَانُ هَذَا الْقَطْرَ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ ، كَالْمُحَدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ ،
 وَأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَالْقَاضِي الشَّهِيرَ بَقِيَّةَ السَّلْفِ ، شَيْخَنَا أَبِي الْبِرَكَاتِ
 ابْنَ الْحَاجِّ ، وَالشَّيْخَ الْمُحَدِّثَ الصَّالِحَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَخِيهِ
 الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْأُسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
 وَلَهُ رِوَايَةٌ عَالِيَةٌ . وَالْأُسْتَاذَ اللَّغْوِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَيْبِشٍ ، وَالْمُحَدِّثَ
 الْكَاتِبَ أَبِي الْحَسَنِ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّيْخَ الْحَاجَّ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبِنَاءِ ،
 وَالْعَدْلَ أَبِي مُحَمَّدِ الزَّرْقُونِ ، يَحْمَلُ عَنِ الْإِمَامِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وَالْقَائِدَ
 الْكَاتِبَ ابْنَ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ ، وَالْقَاضِي الْمُحَدِّثَ
 الْأَدِيبَ ، جُمْلَةَ الظَّرْفِ ، أَبِي بَكْرِ بْنِ شَبْرِينَ ، وَالشَّيْخَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْخَطِيبَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّنْجَالِي ، وَالْقَاضِيَّ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَنْظُورِ ،
 وَالرَّوَايَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَزْبِ اللَّهِ ، كُلَّهُمْ مِنْ مَالِقَةَ . وَالْقَاضِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 الْمَقْرِيَّ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّرِيفَ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنَ بْنِ يَوْسُفَ ، وَالْخَطِيبَ الرَّئِيسَ

أبي عبد الله بن مرزوق كلهم من تِلْمَسَانَ - والمحدث الفاضل الحسيب أبو العباس بن يَرْبُوع السَّبْتِي ، والرئيس أبي محمد الحضرمي السَّبْتِي ، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المَالَقِي آخر الرواة عن ابن أبي الأَخْوَص ، وأبي عثمان بن ليون من أَلْمَرِيَّة ، والقاضي أبي الحجاج المُنْتَشَاقِرِي من أهل رُنْدَةَ ، وطائفة كبيرة من المعاصرين ، ومن أهل العُنُودَةِ الغربية والمشرق ، الكثير بالإجازة . وأخذتُ الطبَّ والتَّعَالِيمَ ، وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هُذَيْل ، ولازمته . هذا على سبيل الإمام . ولو تفرَّغت لذكرهم ، لخرج هذا التَّقْيِيدُ عما وُضِعَ له .

التوالييف

من ذلك ، اللمحة البَنَرِيَّة في الدولة النُصْرِيَّة . والحُلُّ المَرْقُومَة . ومثلي الطَّرِيْقَة . والسُّحْر والشُّعْر . وريحانة^(١) الكُتَّاب في أسفار ثمانية . وكتاب المحبَّة في سِفْرَيْن . والصَّيِّب والجِهام مجموع شعري . ومِغْيَار الاختِيَار . ومُفَاضِلَة [بين]^(٢) مالقة وسلا . ورسالة الطَّاعُون . والمسائِل الطَّبِيَّة سفر . والرَّجَز في عمل التُّرْيَاق . واليُوسُفِي في الطَّب في سِفْرَيْن . والتَّاج المَحَلِّي في سفر . ونُقَاضَة الجِرَاب في أربعة أسفار . والبَيِّزْرَة في سفر . والبَيِّطْرَة في سفر ، جامع لما يُرْجَع إليها من محاسن الخَيْل وغير ذلك . ورسالة تَكْوِين الجَنِين . والوُصُول لِحِفْظ الصِّحَّة في الفُصُول . ورجز الطَّب . ورجز الأَغْلِيَّة . ورجز السِّيَاسَة . وكتاب الوَزَارَة ومَقَامَة السِّيَاسَة . وكتاب الإِحَاطَة هذا في خمسة عشر سفرأ . إلى ما صدر مني في هذا العهد القريب ، وهي الغَيْرَة على أهل الحَيْرَة . وحَمَلُ الجُمْهُور على

(١) وردت في الإسكوريال (وريحان) فاقضى التصويب .

(٢) ساقطة في المخطوطين . وأضيفت لتصويب .

السُّنن المشهور . والزُّبُدة المَمخُوضَة والرَّميمة . والرَّد على [أهل الإباحة]^(١) وسدُّ الذُّريعة في تفضيل الشُّريعة . وتقرير الشُّبه ، وتحرير المُشبه . واستنزال اللطف الموجود في سر^(٢) الوجود .

ومن التواليف الصادرة قديماً ، بستان الدول ، وهو موضوع غريب ما سُمِعَ بمثله ، قلَّ أن شذَّعه فنُّ من الفنون ، يشتمل على شجراتٍ عشر ، أولها شجرة السلطان ، ثم شجرة الوزارة [ثم شجرة الكتابة ، ثم شجرة القضاء والصلاة ، ثم شجرة السُّلطة والحِسبة]^(٣) ، ثم شجرة العمل ، ثم شجرة الجهاد ، وهو فرعان ، أُسْطُولٌ وخِيُولٌ . ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء والمنجمين [والبيازرة والبيطرة والفلاحين]^(٤) والندماء والشطرنجيين ، والشعراء والمُعَنِّين . ثم شجرة الرعايا . وتقسيم هذا كله غريب ، يرجع إلى شُعب وأصول ، وجرائم وعُمد ، وقشُر ولِحاء ، وغصون وأوراق ، وزهراء مثمرة وغير مثمرة ، مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء ، اسم الفن المراد به . وبرنامجة صورة بستان . كمل منه نحو ثلاثين جزءاً تقارب الأسفار ، ثم قَطع عنه الحادث على الدولة . وأبيات الأبيات . وفتات الخوان وأقْط الصَّوان في سفر ، يتضمن المقطوعات . وعابِد الصلة في سفرين ، وصلت به « صلة » الأستاذ أبي جعفر بن الزبير . وتخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات . وجيش التوشيح . وطُرْفَة العصر في دولة بني نصر ، ثلاثة أسفار . إلى غير ذلك . حتى في الموسيقى وسواها . هنرٌ كُتِّفَ به الحجاب ، ولَعِبَ بالنفس

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الإباحية) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أمر) وترد الكلمة في عنوان هذه

الرسالة أحياناً (أسرار) وأحياناً (سير) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

الاعجاب [وضاع الزمان] ولا تسل بين الرد والقبول ، والنق والإيجاب .
 والله درُّ القائل :

والكون أشراكُ نفوس الورى طوبى لنفس حسرة فازتْ

إن لم تحز معرفة الله قد أورطها الشيء الذى حازتْ

وكلُّ مُيسرٌ لما خلق له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 [هذا ، وقد ذكرت مؤلفات ابن الخطيب ، التى أوردها فى ختام ترجمته
 لنفسه ، بصور مختلفة ، وفقاً لتواريخ كتابتها ، وقد أورد لنا المقرئ
 منها صورة رُتبت على غط آخر ، وبها زيادات لم ترد فى نسخة الإسكوريال
 مما يدل على أن نسخة الاحاطة التى وردت بها ، قد كتبت فى وقت لاحق .
 وقد رأينا أن ننقلها فيما يلى :

(التواليف) : التاج المحلى فى مساجلة القيدح المعلى . والكتيبة الكامنة
 فى أدباء المائة الثامنة . والإكليل الزاهر ، فيما فضل عند نظم التاج من
 الجواهر . ثم النفاية بعد الكفاية ، هذا فى نحو القلايد والمطمحين
 لأبى نصر الفتح بن محمد . وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار
 ثلاثة . وبستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله ... (إلخ الأوصاف التى
 وردت فى البيان السابق) . وديوان شعري فى سفرين ، سميت الصيب
 والجهم والماضى والكهام . والنثر فى غرض السلطانيات كثير . والكتاب
 المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين ، كتاب ممتع .
 وعايد الصلة ، وصلت به صلة الأستاذ أبى جعفر بن الزبير فى سفرين .
 وكتاب الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة ، كتاب كبير فى أسفار تسعة ،
 هذا متصل بآخرها . وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الأدبيات
 الثلاثة . وجيش التوشيح فى سفرين . ومن بعد الانتقال إلى الأندلس ،

وما وقع من كِياد الدولة : نفاضة الجراب في عِلالة الاغتراب ، موضوع جليل في أربعة أسفار . وكتاب عَمَلُ من طبَّ لمن حبَّ . ومنزلته في الصناعة الطبية ، بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية ، لا نظير له . ومن الأراجيز ، المسماة برقم الحُلل في نظم الدول . والأرجوزة المسماة بالحُلل المرقومة في اللامع المنظومة ، ألفية من ألف بيت في أصول الفقه . والأرجوزة المسماة بالمعلومة ، معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة ، في العلاج من الرأس إلى القدم ، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي ، كملت بها الصُّناعة كمالاً لا يُشِينُهُ نقص . والأرجوزة المسماة بالمُعتمدة في الأغذية المفردة . والأرجوزة في السياسة المدنية . إلى ما يشذ عن الوصف ، كالرجز في عمل الترياق الفاروق . والكلام على الطاعون المعاصر . والاشارة . وقطع السلوك . ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة . حتى في الموسيقى والبيطرة والبيزرة . هنرُبه كُتِّفَ الحجاب ، ولعب بالنفس الإعجاب ، ولله درُّ القائل : الشعر السابق ذكره^(١) .

الشعر

من ذلك قولي في الجناب الكريم النبوى ، شرفه الله ، وهو من أوليات

نظمي في ذلك الغرض :

هل كنت تعلم في هبوب الريح	نفساً يوجب لاعج التَّبْريح
أهدتكَ من مشج الحجاز تحيةً	غاضت ^(٢) لها عُرُض الفِجَاج الفِيح
بالله قُلْ لي كيف تيران الهوى	ما بين ريحٍ بالفلاة وشِيح
وحصيبة المنقار تحسب أنها	نهلت بمورد دمعى المسفوح
باحت بما تُخفى وناحت في الدجا	فرايت في الآفاق دَعوة نوح

(١) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٤١ و ٢٤٢

(٢) هكذا وردت في الاسكوريال والزيتونة . وفي النفع (فاحت) .

ولطالما صَمَّتْ عن التصريح
 عن خافت بين الضلوع جَرِيح
 في طُرَّتِهَا^(١) جَلِيَّةُ النَّجْرِيح
 جودٌ تكلُّ به مُثُونُ الرِّيح
 سال ولا وَجُدِي بها بِمَرِيح
 زُوَارَهَا والجسم رهن نُزوح
 وأُحِثُّ فيها من جناح جُنُوحِي
 لولا وميضاً بارقٍ وَصَفِيح
 ورقٌ تُقَلِّبُهَا بِنَانُ شَحِيح
 وَطَمَّتْ رَمِيَتْ عُبابُهَا بسبوح
 مَسَحَتْ بوجه للصباح صَبِيح
 وزجرتُ للآمال كلُّ سَنِيح
 والصُّبْحُ فيه تَحَلُّصٌ لمديح
 بَعْنَانِ كلِّ مَوْلِدٍ وَصَرِيح
 وَأَمِينُهُ الأَرْضَى على ما يُوجِي
 ضَاعَتْ أَشْعَتُهَا بصفحة يُوح
 راقَتْ بها أوراق كلِّ صَحِيح
 مثلوا بساحة بابهِ المَفْتُوح

نطقت بما يخفيه قلبي أدمعي
 عجباً لأجفاني حَمَلْنُ شهادة
 ولقُلْمًا^(١) كتبت رُواة مدامعي
 اجاد الحِمَى بعدي وأَجْرَاعُ الحِمَى
 مِنْ المَنَازِلِ ما فَوَادِي بَعْدَهَا
 حَسْبِي ولو عا أَن أَزور بِفِكْرِي
 فابُتُّ فيها من حديث صَبَابَتِي
 ودجنة كادت تفضلُ بِنِي^(٢) الشَّرِي
 وَعَشْتُ كَوَاكِبَ جَوْهَا فَكَاثِهَا
 صَابِرْتُ مِنْهَا لُجَّةٌ مَهْمَا ارْتَمَتْ
 حَتَّى إِذَا الكَفُّ الخَصِيْبُ بِأُفْقِهَا
 شَمْتُ المَنَى وَحَمَدْتُ إِدْلاجَ السُّرَى
 فَكَاثِمًا لَيْلِي نَسِيْبَ قَصِيْدَتِي
 لما حططت لخير من وَطِيءِ الثَّرَى
 رَحِمِي إِلَهَ العَرْشِ بَيْنَ عِبَادِهِ^(٣)
 والآية الكبرى التي أنوارها
 رَبُّ المَقَامِ الصُّدُقِ والآيِ التي
 كَيْفَ الأَنَامِ إِذَا تَفَاقَمَ مُعْضَل

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونه (ولقيل ما) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونه . وفي النسخ (صفحتها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بها) . وفي الزيتونة (تكل بها) .

(٤) هكذا وردت هذه الشطره في الزيتونة وفي النسخ . ووردت في الإسكوريال كالاتي

(رحا إله العرش بين حياره) .

يُردون منه على مشابه راجِمٍ
 لهُفى على عُثر مَضَى أَنْضَيْتَهُ
 يا زاجر الوَجْناءِ يَعْتَسِفُ الفِلا
 يصل السُّرى سَبَقًا إلى خَير الورى
 لى فى حِمى ذاك الضَّرِيحِ لُبَّانَةَ
 ومَهْبطِ الرُّوحِ الأَمِينِ أمانَةَ
 يا صفوة الله المكين مكانه
 أَقْرَضْتُ فِيكَ اللهُ صِدْقَ محبَتى
 حاشا وكلاً أنت تخبى وسائِلى
 إن هاق عنك قَبِيحٌ ما كَسَبَتِ يلى
 واخْجَلَّتْنا^(٣) من جَلْبَةِ الفِكرِ التى
 قَصَرَتْ خُطاهَا بعد ما ضمرتها
 مَدَحَتْكَ آياتِ الكِتابِ فما عسى
 وإِذا كِتابُ اللهُ أَثنى مُفْصِحًا
 صَلَّى اللهُ عَليكَ ما هَبَّتْ صَبَا
 واستأثر الرحمن جَلَّ جلاله

جَمَّ الهِباتِ عن الذنوبِ صفوح
 فى ملعبٍ للترهُباتِ فسَريح
 والليلِ يَعْثُرُ فى فضولِ مُسوح
 والرَّكْبُ بَينَ مُوسَدٍ وطَريح
 إن أَضْبَحْتَ لُبْنى أنا ابنِ ذَرِيح
 اليُمنِ فيها والأمانِ لِرُوحى
 يا خَيرِ مُؤْتَمِنٍ وخَيرِ ناصِيح
 أَيْكونُ تَجْرى فِيكَ غيرِ رَبِيح^(١)
 أو أن أرى مَسْعَاىَ غيرِ نَجِيح^(٢)
 يوما فوجه العَفْوِ غيرِ قَبِيح
 أَغْرِبْتُها بَغْرَاىَ المَشْرُوح
 من كلِّ موقورِ الجِمامِ جَمُوح
 يُثنى على عَليّكَ نَظْمِ مَدِيح
 كان القُصورُ قُصارَ كلِّ فاصِيح
 فَهَفَّتْ بَغْصَنِ فى الرِّياضِ مَرُوح
 عن خَلْقِهِ بِخَفَى سِرِّ الرُّوح^(٤)

(١) هكذا وردت فى الزيتونة والنفع . وفى الإسكوريال (نجيح) .

(٢) هذا البيت ساقط فى الإسكوريال والزيتونة ووارد فى النفع .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة والنفع (واخجلتني) .

(٤) وردت هذه القصيدة فى نفع الطيب (ج ٤ ص ١٥٨ و ١٥٩) .

هذا وتنتهى هذه القصيدة فى الربع الأول من لوحة الإسكوريال رقم ٤٣٥ . ومن بعد ذلك باقىها

بىاض . وكذلك لوحتا ٤٣٦ و ٤٣٧ كالتامام بىضاء، ثم تاتى بعد ذلك لوحة ٤٣٨ وبها قصيدة

(تألق نجديا) . وهى التى اعتمدنا على نفع الطيب فى نقل قسمها الأول العاقد فى لوحات الإسكوريال .

وهذه القصيدة لم ترد فى الزيتونة .

وأُنشِدت السلطان ملك العرب ، ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين

وسبعمائة هذه القصيدة :

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْدَا
وَمِيضُ رَأْيِ بَرْدِ الْغَمَامَةِ مَعْقِلَا
تَبَسُّمٌ فِي مَجْرِيَّةٍ قَدْ تَجَهَّمَتْ
وَرَاوِدٌ مِنْهَا فَارِكًا قَدْ تَنَعَّمَتْ
فَخَلَّتْهَا الْحَمْرَاءُ مِنْ شَفَقِ الضُّحَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ بَرَقِ كَأَنَّ وَمِيضَهُ
تَعْلَمُ مِنْ سَكَّانِهِ شَيْمِ النَّسْدَى
وَتَوَجُّجٌ مِنْ نُورِهَا قِنَنِ الرُّبَا
لِسُرْعَانِ مَا كَانَتْ مَنَاسِفَ لِلصُّبَا
بِلَادِ عَهْدِنَا فِي قَرَارَتِهَا الصُّبَا
إِذَا مَا النَّسِيمِ اعْتَلَّ فِي عَرَصَاتِهَا
فَكَمْ فِي مِجَانِي وَرْدِهَا مِنْ عِدَاةِ
إِذَا اسْتَشْعَرَتْهَا النَّفْسُ عَاهَدَتْ الْجَوَى
وَمَنْ عَاشِقٍ حُرٌّ إِذَا مَا اسْتَمَالَسَهُ
وَمَنْ ذَائِلٍ يَحْكِي الْمَجْبِينِ رَقَّةً
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مَا نَضَحَتْ بِدِكْرِهَا
وَأَنْسُ قَلْبِي فَهُوَ لِلْعَهْدِ حَافِظُ
صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُبَالَةٌ
صَبُورٌ إِذَا الشُّوقُ اسْتَجَادَ كَتِيبَةً
وَقَدْ كُنْتُ جَلِيدًا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ النَّوَى

وَهَاجَ بِي الشُّوقِ الْمُبْرَحِ وَالْوَجْدَا
فَمَدَّ يَدَا بِالتَّبْرِ أَعْلَمْتُ الْبِرْدَا
فَمَا بَدَلْتُ وَصْلًا وَلَا ضَرَبْتُ وَعْدَا
فَأَهْوَى لَهَا نَضْلًا وَهَدَّهَا رَعْدَا
نَضَاهَا وَحَلَ الْمُنَّ مِنْ جِيدِهَا عِقْدَا
يَدِ السَّاهِرِ الْمَقْرُورِ قَدْ قَدَحْتُ زَنْدَا
فَقَادِرِ أَجْرَاعِ الْحِمَى رَوْضَةَ تَنْدَى
وَحَتَمْتُ مِنْ أَزْهَارِهَا الْقَضْبَ الْمُلْدَا
فَقَدْ ضَحِكْتَ زَهْرًا وَقَدْ خَجَلْتَ وَرْدَا
يَقُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ أَنْ يَأْلَفَ الْعَهْدَا
تَنَاولُ فِيهَا الْبَانَ وَالشَّيْخَ وَالرُّنْدَا
إِذَا مَا اسْتُثِيرَتْ أَرْضُهَا أَنْبَتَتْ وَجْدَا
إِذَا مَا أَلْتَمَحَتْهَا الْعَيْنُ عَافَدَتْ السُّهْدَا
حَدِيثِ الْهَوَى الْعُنْرِيَّ صَيْرَهُ عَيْدَا
فَيْشْنِي إِذَا مَا هَبَّ عَرَفَ الصُّبَا قَدَا
عَلَى كَيْدِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا
وَقُلُّ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ يَحْضُظُ الْعَهْدَا
إِذَا اسْتَقْبَلْتَ مَسْرَى الصُّبَا اشْتَعَلَتْ وَقْدَا
تَجُوسُ خِلَالَ الصُّبْرِ كَانَ لَهَا بِنْدَا
ذِسَايَ وَإِنْ يَسْتَمَاصِلُ الْعَظْمَ وَالْجِلْدَا

أأجحد حقَّ الحبِّ والدمعِ شاهدُ
تسائرٍ في إثرِ الحمولِ فريده
جري يققًا في ملعبِ الجدِّ أشهبًا
ومرتحلٍ أجرئتِ دمعى خلفه
وقلت لقلبي طِر إليه برُقعتي
سرفتُ ضواعِ العزمِ يومِ فسراقه
وكحلتُ عيني من غُبارِ طريقه
إلى الله كم أهدى بِنجدٍ وحاجِرٍ
وما هو إلا الشوقُ نارَ كمينه
وما بي إلا أن سرى الركبِ مؤهنا
وجاشتُ جنودَ الصبرِ والبينِ والأسى
ورمتُ نهوضًا واعتزمتُ ودعًا
رقيقٌ بدت للمشترين هيسوبه
تخلف عني ركبٌ طيدة عانيًا
مخلف سيري قد أصيب جناحه
نشدتك ياركبَ الحجازِ تضاعلت
وجمَّ لك المرعى وأذعنت الصوى
إذا أنت شافهتَ الدِّيارَ بطيبةَ
وآنستَ نورًا من جنابِ محمد
فَيب عن بعيدِ الدارِ في ذلكِ الحمى
وقل يا رسول الله عبدٌ نقاصرت

وقد وقع التَّسجيل من بعد ما أدى
فله عينًا من رأى الجواهر الفردًا
وأجهدَه ركضَ الأسي فجری وزدا
ليرجعه فاستنَّ في إثره قصدا
فكان حماةً في المسير بها هدا
فلجَّ ولم يرقب ضواعًا ولا ودا
فأعقبها دمعًا وأورثها سهدًا
وأكنى بدغد في غراي أو سغدى
فأذهل نفسًا لم تبين عنده قَصدا
وأعمل في رَمَلِ الحمى النصِّ والوَخدا
لدى فكان الصبرِ أضعفها جندا
فصدتُ المقدور عن وجهتي صدا
ولم تلتفت دعواه فاستوجب الردًا
أما آن للعاني المعنى بأن يُفدى
وطِرَن فلم يسطع مراحًا ولا مغدى
لك الأرضِ مهما استعرض السَّهبِ وامتدًا
ولم تفتقد ظلًّا ظليلًا ولا وزدا
وجئتَ بها القبرِ المُقدَّسِ واللَّحدا
يُجلى القابِوبِ العاقِ والأعِينِ الرَّمدا
وأذِر به دمعًا وعفَّر به خدًا
خطاه وأضحى من أجبتَه فردًا

سوى لوعةٍ تعتاد أو مِدْحَةٍ تُهدى
فجودك ما أجدى وكفك ما أندى
وبوأهم ظلاً من الأمن مُمنداً
وتوجك العليا وألبسك الحمداً
فجلله نورا وأوسعه رُشداً
سقاها فما يظما جلاه فما يصدأ^(١)
فقد شملت علياؤك القبل والبعدا
أعاد وأنت القصدُ فيه وما أبدا
ليمتاز في الخلق المكبُّ من الأهدا
ملامح نور لاح للطور فانهداً
لتشقى من استشقى وتهدى من استهدا
من الله مثل الخلق رسماً ولا حدداً
يالُ فيك اللهُ^(٢) شكراً ولا حمداً
من النارقدا أسكنته^(٣) بعدها الخلددا
وأكرم هادٍ أوضح الحق والرشددا^(٤)
ومذهب ليل الشرك^(٥) وهو قد اربداً
وعمرى قد ولى ووزرى قد عدداً
فلا عزمة تُمضى ولا لوعة تُهدا

ولم يستطع من بعد ما بعد المدى
تداركه يا غوث العباد برحمة
أجار بك الله العباد من الردى
حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا
وطهر منك القلب لما استخصه
دعاه فما ولى هداة فما غوى
تقدمت مختاراً تأخرت مُبعثاً
وعلة هذا الكون أنت وكل ما
وهل هو إلا مظهر أنت سيره
ففى عالم الأسرار ذاتك تُجتلى
وفى عالم الحسن اغتديت مَبوياً
فما كنت لولا أن بُثت هدايةً
فما عسى يُثنى عليك مُقصر ولم
بماذا عسى يجزيك هاوٍ على شفاً
عليك صلاة الله يا خير مُرسَلِ
عليك صلاة الله يا كاشف العمى
إلى كم أرائى فى البطالة كانعاً
تقضى زمانى فى لعل وفى عسى

(١) من هنا تبدأ بقية القصيدة الواردة بالإسكوريال (لوحة 438) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (الذكر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (أوردته) .

(٤) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى النسخ .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (الروح) و الأولى أربح .

تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
 أقود القلاص البدن والضامر النهدا
 مضمرة وسدت من كورها مهدا
 وتحدى بأشعار الركاب إذا تحدا
 تضيوع نداء ما رأينا له ندا
 وأحسب قريبا متهجة شككت البعدا
 قصور ببصرى ضاءت الهضب والوهدا
 ومن هو له إيوان كسرى قد أنهدا
 بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقدا
 على الأرض من آفاقها القمر السعدا
 لقد أحرز الفخر المؤئل والمجدا
 يحالف من يتنابها العيشة الرغدا
 مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
 رضى الله ذاك النجل والأب والجدأ
 فكانوا الغيوث المستهلة والأسدا
 حوى الإرث عنهم والوصية والعهدا
 صدور العوالى والمطهمة الجردا
 وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدا
 أبا سالم ظل الإله بك امتندا
 كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
 إذا استرشحت للنظم كانت صفا صلدا

حسام جبان كلما شيم نضله
 ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا
 رضيع لبان الصدق فوق شمله
 فتهدى بأشواق السراة إذا سرت
 إلى أن أخط الرحل في تريك الذى
 وأطفىء في تلك الموارد غلتي
 بموليدك^(١) اهتز الوجود فأشرقت
 ومن رعبه الأوثان خرت مهابة
 وغاض له الوادى وصبح عزه
 رعى الله منها ليلة أطلع الهدى
 وأقرض ملكا قام فينا بحقها
 وحيأ على شط الخليج محلة
 وجاد الغمام العد فيها خلايفا
 عليا وعثمان ويعقوب لا عدا
 حموا وهموا في حومة البأس والندى
 والله ما قد خلفوا من خليفة
 إذا ما أراد الصعب أغرى بنيله
 فكم معتد أردى وكم تائه هدا
 أبا سالم دين الإله بك اغتلى
 فدم من دفاع الله تحت وقاية
 ودونكها منى نتيجة فكرة

(١) مكدانى الإسكوريال ، وفى النفع (لمولك) .

ولو تركت منى الليالى صبابةً لأجهدتها ركضاً وأرهقتها شداً
ولكنه جهد المقل [على الثوى] ^(١) وقد أوضح الأعداء من بلغ الجهدا ^(٢)
ومن ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان الغنى بالله بمحضرى بالمشور
الحافل ، المتخذ بعد الرجوع إلى الأندلس ، فى بعض ليالى المولد الكريم ،
المنوّه بوليبتها ، وهى خاتمة النظم فى هذا الغرض المقتضى الإلمام ، بمدح
السلطان ، صرف الله وجوهنا إليه :

ما على القاب من بعدكم من جناح أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب إذا هب بأنفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحى والحديث شجون والليالى تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبى بعدلكم لا وفالق الإصباح
ولو أنى أعطى اقتراحى على الأيسام ما كان بعدكم باقتراح
ضايقتنى فيكم صروف الليالى واستدارت على دور الوشاح
وسقتنى كأس الفراق دهاقا فى اغتياق مواصل باضطباح
واستباححت من جدق وقبائى حرما لم أخله بالمستباح
قصفت صعده انتصارى وفلت غرب عزمى المعد يوم كفاج
لم تدع لى من السلاح سوى مغفر شيب أهوى به من سلاح
عاجلتنى به وفى الوقت فضل لاهتزازى إلى الهوى وارتياح
فكان الشباب طيف خيال أو وميض قما ^(٣) عقيب التماح
ليل أنس دجى ^(٤) وأقصره ليل جاذبت برده يمين صباح

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى النسخ (بلنته) .

(٢) اورد المقرئ هذه القصيدة فى نفع الطيب ج ٤ ص ١٥٩ - ١٦١ .

(٣) وارده فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتونة .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (مضى) .

صاح والوجد مَشْرَبٌ والورى
يا ترى والنفوس أسرى الأماني
هل يباحُ الورود بعد زياد^(١)
وإذا أعوزَ الجسوم التَّلاقى
جاء عهد الهوى من السُّحب هامٍ
كلما أخضَل الرُّبوع بكاءً
عادنى من تذكُّر العيد عيدٌ
سُفِحت فيه الدموع دماً
ورِكابٌ سَرُوا وقد شَمَل الليل
وكانَ الظُّلام غسَّكر زنجٍ
حَمَلت منهم ظهور المطايا
ستروا الوجد وهو نارٌ وكان السُّتر يُجدى لولا هُبوب الرِّياح
خَلَّفوني من بعدهم يائس الطرف
وجدوها مثل القسيِّ ضَموراً
وطووا طوع باعث الوجد والشوق إلى الأبطحى غير البِطاح
مصطفى الكون من ظهور النَّبِيِّين هُداة الأنام سُبُل الفلاح
حُجَّة الله حكمةُ الله سرُّ
حاشِرُ الخلق عاقِبُ الرُّسل
صاحبُ المعجزات لا يتمارى
من جماد يقرأ وقمر يُشَقُّ
دعوة الأنبياء منتظر الكمان
صفاً من مُنتشرٍ وآخِر صاحٍ
ما لها عن وثاقها من سَراح
أو يُتاح اللقاء بعد أنتِزاح
ناب عنه تعارف الأرواح
مستهلُّ الوميض ضافى المَناح
ضحكت فوقها تُغور الأفاق
كان منى للعين عيد الأضاح
فهي فوق الخدود ذات انسياح
بمَسح الدُّجى جميع النُّواح
ونجوم الدُّجى نُصول الرِّماح
أى جدُّ بَحْت وعَزَم صراح
ستروا الوجد وهو نارٌ وكان السُّتر يُجدى لولا هُبوب الرِّياح
ثَقيلَ الخطا مهيضُ الجِناح
قد بَرَّتْ منهم سِهام قِداح
وطووا طوع باعث الوجد والشوق إلى الأبطحى غير البِطاح
مصطفى الكون من ظهور النَّبِيِّين هُداة الأنام سُبُل الفلاح
الله فى كل غاية واقتِتاح
والمُثبِت بالله بعدهم والمَاح
العقل فى أيها الحِسان إلى الصُّباح
والماء من بَنان الرِّياح
دعوى البشير باستفتاح

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ والزيتونة (دبار) .

مظهر الوحي مُطلع الحقُ معنَى الخلق فتحُ المهيمن الفتحاح
 أى غَيْثٍ من رحمة الله هامِ وسراج يَهْدِيهِ وَضَّاح
 ما الذى يشرح امرؤُ فى رسول عاجل الله صدره بانْشِراح
 شَقَّه الروح ثم طَهَّر منه القلب من بعد بالبرود القراح
 مَدَحْتِكَ الرُّسُلُ يا خاتم الرُّسل فمن لى بعدها بامتِّداح
 ولعَجَز النفوس عن دَرَك الحقِّ وإيقافها وقوف افتِضاح
 صلوات الإله يا نُكْتة الكونِ على مَجْدِكَ اللُّباب القراح
 عددُ القطر والرَّمال وما عاقبُ دهرٍ غَدُوهُ برواح
 وجزاك الإله أفضل ما يجزى كرام الأئمة النصَّاح
 أسْفَى كم أرى طريد ذنوب أوْبَقْتَنى فليس لى من براح
 قد غزْتَنى الخطوب غزوا الأعادى وبرتْنى الموم برى القِداح
 سبق الحكم واستقلَّ وهل يمحي قضا قد خُطَّ فى الألواح
 لا لنديا جنحت ألغُ فيها لا لدين خلصت لا لِصِلاح
 قاطعاً فى الغرور بُرْهة عُمرى خَسِرْت صَفَقْتى وخاب قِداح
 طمع الشَّيب باللُّجام المُحَلَّى حين أبديت أن يُردَّ جمِاح
 فأبَتْ نفسى اللُّجوج وجدَّت فى سموِّ إلى الهوى وطِمَاح
 ياطبيبَ الذنوب تدبِيرك الناجع فى عِلَّتى ضَمِين النُّجاح
 يا مُجلى العَمى وكافى الدَّواهى ومداوى المرضى وآبى الجراح
 سُدَّ بابُ القبول دُونى وما لى يا غِيائى مِواك من مِفْتَاح
 خصَّك الله بالكمال وزنَّد الكون لم تقترن بكفِّ اقتداح
 قبل أن يُوجد الوجود وأن يتَّحف بالنور ظُلْمة الأشباح
 وأضاءت من بعد ميلادك الأرض وهزَّت له اهتزاز ارتيساح

فسرى الخصب في الجسوم الهزالي
 ولقد روعيت لديه حقوق
 معالي محمد بن أبي الحجاج
 ناصر الحق مُرسل النفع سُحبا
 ومُريد الجياد أرض الأعادي
 يتلاعبن بالظلال عرابا
 يا سراج النّادي وحتف الأعادي
 جمع الله من حلي آل عباس
 بين رأيٍ مُوفّق واعترام
 وخفضت الجناح في الأرض حتى
 أنت مصباحها ونور دُجائها
 محص الله منك يا قوّة الملك
 بخطوب أرت حديث سليمان
 بيدي فاقد الحجا هلهل النسج
 نال منها عُقبى مُسيلمة الكذاب
 ثم ردّ الأمّور ردّا جميلا
 فأجره في الوري الجميل وعامل
 واشترى الحمد بالمواهب واعقد
 بركات السماء تبتدر الأرض
 وتنهأ بدنيا سعيدا
 وتمتع منه بهالة ملك
 منشور الرأي مجمع الحفل مثوى

وجرى الرّسل في الضروع الشّحاح
 أقطعتها العدى جناب أطراح
 ليث العدا وغيث السّماح
 بين سمر القنا وبيض الصّفاح
 وهي مُختالة لفرط المراح
 غُدّيت في الفلا لبيان اللّقاح
 وعماد الملك الكريم المنّاح
 لعليّاك في سبيل امتداح
 مُستعين وصارم سفّاح
 لم تدع فوق ظهرها من جناح
 دافع الله عنك من مصباح
 ويُنبوع العدل والإصلاح
 وجاءت بالحادث المُجتاح
 أخى جراءة وربّ اجترّاح
 إذ عاند الهوى وسجّاح
 لكن من بعد فرقة وانترّاح
 منه كنز الغنى ومثوى الرّياح
 عقدها في مطنّة الأريّاح
 إذا استودعت بدور السّماح
 جاء للمعلّوات وفق اقتراح
 أطلّمت منك أي بدر ليّاح
 كل ذي ذمّر وسيّد جعجّاح

ومُقام السَّلام في مدة السُّلم
 ملَّتقى حكمة وملعب إلهام
 أين كسرى وأين إيوان كسرى
 أين نور الألدن عُنصر النار
 بنيةٌ كان فضلها لك مَدخُورا
 حين طاب الزَّمان واعتدل الفُصل
 هاكها قد تتوجت بالمعاني
 حين غاض الشُّباب وارتجع الفكر
 جهْدُ قلبٍ لفقته بعد جهاد
 ومعاني البيان من عذارى
 والشيخ سوى الرجوع إلى الله
 ولزومُ الباب الذي يَجْبُرُ الكسْر
 وعلى ذلك فهي ساحرةُ الأحداق
 تنفتُ السُّحر في الجفون وتهدى
 دُمت في عزة ورفعةٍ قلير
 ما تولت دُهم الدُّجنة غدوا

ومن غرض الأمداح قولى في امتداح سلطان المغرب أبى عنان ، لما
 ترجهتُ إليه رسولا ، مُحَمَّلا مصالِح البلاد والعباد ، واستدعى الشعر منى
 نقلت :

أئدى لداعى الفوز وجه مُنيب
 وأفاق من عدل ومن تأنيب
 كلفُ الجنان إذا جرى ذكر الحمى
 والبان حنُّه حنين النيب

والنفس لا تنفك تكليف بالهوى
 وحل الصبا فطرحت في أعقابه
 أتري التَّغْزُلُ بعد أن ظعن الصبا
 أنى لمثلى بالهوى من بعد ما
 لبس البياض وحل زِرْوَةٌ منبر
 قد كان يَسْتَرْنِي ظلامُ شَيْبَتِي
 وإذا الجديدان استجداً أبلياً
 سَلَنْتِي عن الدهر الخزون وأهله
 مُتَّقَلِّبُ الحالات فاخبر تَقْلُهُ
 فكل الأمور إذا اعترتك لربها
 قد يُخْبِئُ المحبوب في مكروها
 واصبر على مَضَضِ اللبالي إنها
 واقنع بِحَظٍّ لم تنله بحيلة
 يقع الحريص على الردى ولكم غدا
 من رام نيل الشيء قبل أوانه
 فإذا جعلت الصبر مفزِعَ معضل
 وإذا استعنت على الزمان بفارس
 بخليفة الله الذى في كفه
 المُنْتَقَى من طِينَةِ المَجْدِ الذى

والشيب يلخطها بعين رقيب
 ما كان من غَزَلٍ ومن تَشْبِيبِ
 شَأْنِي الغدَاةُ أو النَّسِيبِ نَسِيبِ (١)
 لِلوُخْطِ في الفَوْدَيْنِ أَيْ دَبِيبِ
 مَنَى ووالى الوَعْظِ فِعْلُ خَطِيبِ
 والآن يفضخنى صباحُ مَشِيبِ (٢)
 من لبسته الأعمار كل قَشِيبِ
 تَسَلُّ المَهْلَبَ عن حروب شَيْبِ
 مهما أعدت يداً إلى تَقْلِيبِ
 ما ضاق لطف الرب عن مرئوب
 مَنْ يُخْبِئُ المَكْرُوهَ في المَحْبُوبِ
 لِحَوَامِلِ سَيَلْدِنِ كُلِّ عَجِيبِ
 ما كل رام سَهْمُهُ بِمُصِيبِ
 تَرَكَ التُّسْبُيبِ أنفعُ التُّسْبِيبِ
 رام انتقال بَلَمْلَمِ وَعَسِيبِ
 عاجلت عُلْتُهُ بِطَبِّ طَبِيبِ
 لَبِى نَدَاكَ منه خَيْرُ مُجِيبِ
 غَيْثُ يَرُوضِ سَاحِ كُلِّ جَدِيبِ
 ما كان يوماً صرفه بمشوب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نسيب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مشيب) .

يرى الصَّعَابُ ^(١) بِسَعْدِهِ ^(٢) فيقودها
ويرى الحقائق من وراء حجابها
من آل عبد الحق حيث توشَّحت
أَسْدُ الشَّرَى سُرُجُ الورى فمقامهم
أما دعا الداعى وتَوَّبَ صارخا
شهبٌ ثواقبُ والسياءُ ^(٣) عَجَاجَةٌ
ما شئت في آفاقها من راح
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم
نظّموا بلبّات العلاء واستوسقوا
تَرَوَى العوالى [في المعالى] ^(٤) عنهم
عن ^(٥) كل موثوق به إسناده
فأبو عنان عن عِلى نصه ^(٦)
جاءوا كما اتسق الحساب أصالة
متجسِّدًا من جوهر النور الذى
متألِّقا من مطلع الحق الذى
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا

ذُلًّا على حَسَبِ الهوى المرغوب
لا فرق بين شهادة ومغيب
شُعْبُ العلى ورَبَّتْ بِأَى كَثِيب
لله بين محارب وحُروب
ثابوا وأموا حَوْمَةَ التَّوْيب
مأثورها ^(٧) قد صحَّ بالتَّجْرِب
يبدو وكفَّ بالتَّجْبِيع خَضِيب
فتبسَّمت والجوُّ فى تَقْطِيب
كالرَّمح أنبؤبًا على أنبُوب
أثرَ الندى المولود والمكسُوب
بالقَطْع أو بالوَضْع غير مَعِيب
للتَّغْل عن عثمان عن يعقوب
وغدوا فذلك ذلك المكتوب
لم تُرْم يوما شمسه بغروب
هو نور أبصار وسرِّ قلوب
من بعد طول ^(٨) تجهم وقُطُوب

- (١) وردت في الإسكوريال (الصفات) . والتصويب من النفع .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (بصعبه) والأولى أرجح .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (في سماء) .
(٤) وردت في الإسكوريال ((تأثيرها) . والتصويب من النفع .
(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (والمعالى) .
(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (من) .
(٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (غضة) والأولى أرجح .
(٨) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

هي دعوة الحق التي أوضاعها
 هي دعوة العدل الذي شمل الورى
 لو أن كِسْرَى الفرس أدرك فارساً
 لما حلت بأرضه مُتَمَلِّياً
 شَمَل الرضا فكان كل أقاحه
 وأتيت في بحر القرى أم القرى
 فرأيت أمر الله من ظلّ التقي (١)
 ورأيت سيف الله مطرور الشبا
 وشهدت نور الحق ليس بأفلي
 ووردت بحر العلم يقذف موجه
 لله من شيم كآزهار الربى
 وجمال مرأى في رداء مهابة
 يا جنة فارقت من عُرفاتها
 أسفى على ما ضاع من حظي بها
 إن أشرقت شمس شرقت بعبرتي
 حتى لقد علمت ساجعة الضحى
 وشهادة الإخلاص توجب رجعتي
 يا ناصر الدين الحنيف وأهله
 حَقَّق ظَنون بنيه فيك فإنهم
 جمعت من الأثار كل غريب
 فالشاة لا تخشى اعتداء الذئب
 ألقى إليه بتجاه المعصوب
 ما شيت من بر ومن ترحيب
 توى بثغر للسلام شيب
 حتى حططت بمرفأ التقريب
 والعدل تحت سُرَادق مَضْرُوب
 يمضى القضاء بحده المرهوب
 والدين والدنيا على ترتيب
 للناس من دُرر الهدى بضروب
 غب انثيال العارض المسكوب
 كالسيف مصقول الفيرند مهيب
 دار القرار بما اقتضته ذنوب (٢)
 لا تنقضى ترحاته ونحيب
 وتفيض في وقت الغروب غروب
 شجوى وجانحة الأصيل شحوب (٣)
 لنعيمها من غير مس لغوب
 إنضاء مسغبة وفل خطوب
 يتعللون بوعدك المرقوب

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (فرأيت أمر الله في ظل التقي) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ذنوب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شحوب) .

ضاقَت ذاهبٌ نَصْرهم فتعلَّقوا بجانب عَزٌّ من عُلَاك رَحِيب
وَدُجَا ظلام الكُفْر في آفاقهم أوليس صُبْحُك منهم بقريب
فانظر بعين العزِّ من ثغرِ غدا حَذِر العِدا يَرْنو بطرفِ مُريب
نادتْكَ أندلُسٌ ومجدُك ضامنٌ أن لا تَخِيب^(١) لَدَيْكَ في^(٢) مَطْلُوب
غَصَب العدو بلادها وحُسامك الماضي الشبا مُسْتَرْجِع المَنْصُوب
أرْها^(٣) السَّوَابِح في المجاز حَقِيقَة من كلِّ قعدة سِخْرِب وجَنِيب
يتأوَد الأَسْل^(٤) المثقَّف فوقها وتُجِيب صاهلةً رِغَاء نجِيب
والنَّصر يُضحك كل مَبْسِم غرَّة والفتح^(٥) معقود بكل سَبِيب
والرُّوم فازم بكلِّ نَجْم ثاقبِ يُذْكي بأزْبُعها شَواظ لَهيب
بذمائل السُّلب التي تركت بني زِيَان بين مُجَدَّل وسَلِيب
وأضِف إلى لام الوغى أَلِف القنا تَظْهر لَدَيْكَ علامة التَّغْلِيب
إن كنت تَعْجَم بالعزائم عودها عودُ الصُّليب اليوم غير صَلِيب
ولك الكُتَابِ كالأخمايل أطلعت زهر الأَسْنَة فوق كل قَضِيب
فمُرْنِح العِطْفِين لامن نشوة ومورِدُ الخَدِين غيرُ مُريب
يبنو سَدَاد الرأى في راياتها وأمورها تجرى على تَجْرِيب
وترى الطُّيور عصاياها من فوقها لحطُول يوم في الضَّلَال عَصِيب
هذَّبَتْها بالعرض يذكر يومه عَرَض الوري للموعد المَكْتُوب
وهي الكُتَابِ إن تُنوسى عرضها كانت مدوَّنة بلا تَهْذِيب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يخيب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (ذو) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرض) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأثل) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (اليمن) .

حتى إذا فرّض الجلاّد جلاّده^(١)
 قدمت سالبة العدو^(٢) وبعدها
 وإذا توسط نضل سيفك عندها
 وتبرأ الشيطان لما أن علا
 الأرض إرث والمطامع جمّة
 وخلايف التّقى هم وراثها
 لكأنني بك قد تركت ربوعها
 وأقمت فيها مأتماً لكنّه
 وتركت مفلتها بقلب واجب
 تهنّي نواد بها وينقلن الخطا
 جعل الإله البيت منك مشابهة
 فإذا ذكرت كأنّ هبات الصّبا
 لولا ارتباط الكون بالمعنى الذي
 قلنا لعالمك الذي شرفته
 ولأجل قطرك شمسها ونجومها
 تبدو بمطلع أفقها فضيئة
 مولاي أشواق إليك تهزني
 بحلى علاك أطلتها وأطبقتها

ورأيت ربح النّصر ذات هبوب
 أخرى بعزّ النّصر ذات وجوب
 جزأي قياسك فزت بالمطلوب
 حزّب الهدى من حزبه المغلوب
 كلّ يهش إلى التماس نصيب
 وإليها بالحظّ والتّصويب
 قفرا بكرّ الغزو والتّعقيب
 عرس لنسر بالفلاة وذيب
 رهباً وخذ بالأسي مندوب
 من شلو طاغية لشلو صليب^(٣)
 للعاكفين وأنت خير مُثيب
 قَصّت بمذرجها لطيمة طيب
 قَصّر الحجا عن سرّه المحجوب
 حسد البسيط مزية التركيب
 عدلت^(٤) عن التّشريق للتّغريب
 وتغيّب عنك وهي في تذهيب
 والنار تفضح عرف عود الطّيب
 ولكم مطيل وهو غير^(٥) مُطيب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جداله) .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سليب) .

(٤) وردت في الإسكوريال (عدلت) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (خير) والتصويب من النسخ

طالبتُ أفكارى بفرض بديها فوفت بشرط الفور والترتيب
 مُتبتىءٌ أنا فى حُلا تلك العُلا لكنَّ شعرى فىك شعر حبيب
 الطبع فحلُّ والقريحة حرَّة فأقبله بين نجيبه ونجيب
 لكننى سهلتها وأدلتها من كلِّ وخشى بكلِّ ربيب
 هابت مقامك فاطيبتُ صعابها حتى غدتُ ذُللاً على التدریب
 إن كنت قد قاربتُ فى تعديلها ^(١) لا بدُّ فى التعديل من تقرب
 عُذرى لتقصيرى وعجزى ناسخُ ويجلُّ منك العفو عن تثریب
 من لم يُدِن الله فىك بقربة هو من جناب الله غيرُ قريب
 والله ما أخفيتُ حبك خيفةً إلا وأنفاسى على تَشىي بي ^(٢)

وقولى فى امتداح سُلطانى لما احتفل لإعذار ولده ، واستركب الفرسان
 لمُزاملة الهدف الخشبى المتخذ فى الجو المسمى بالطبلة ، وأرسل جوارح
 الأكلب الضخام ، المُجتلبة من أرض ألان ، خلف فحول البقر الطاغية
 الشرس ، تمسكها من آذانها وأجنابها ، حتى تتمكن منها الرجال ، وغير ذلك
 من أوضاع الإعذار وجُزئياته . وهى آخر الشعر فى هذا الغرض ، لخبجل
 السلطان من تنزلى إلى ذلك ، وترفيهى عنه تجلَّة ، أجله الله ، وكرمه لديه :
 شحطت وفود الليل بان به الوخط وعسكره الزنجى هم به القبط
 أتاه وليدُ الصبح من بعد كسبرة أيولدُ أجنى ناحلُ الجسم مُشَمَطُ
 كأنَّ النجوم الزهر أعشار سورة ومن خطرات الرجم أثناءها مطُ
 وقد وردت نهر المجرة سحرة غوائص فيه مثلما تفعل البَطُ
 وقد جعلت تُفلى بأنهلها الدجا ^(٣) وترسلُ منها فى غدائرِدِ مشطُ

(١) وردت فى الإسكوريال (تعديلها) والتصويب من الفح .

(٢) هذا البيت الأخير وارد فى الإسكوريال . وساقط فى الفح .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفى الفح (الذلا)

يحف^(١) عُبَاب الليل عنها جواهر
 فعادت^(٢) خيالاً مثلها غير أنه
 سَرَتْ سَلَخ شهرٍ في تَلَفَتْ مقلّة
 لي الله من نَفْس شُعاع ومُهَجسة
 ونُقطة قلب أصبحت مَنشأ الهوى
 فأقسم لولا زاجر الشيب والنهي
 ليربع لها الأخراس منى بطارق
 تناقله كوماء سامية الذرى
 ولولا النهى لم تَسْتَيْن^(٥) سبيل الهدى
 ولولا عَوادى الشيب لم يَبْرَح الهوى
 ولولا أمير المسلمين محمد
 ينوب عن الإضباح إن مَطَل الدجا
 تُقِرُّ له الأملاك بالشيم العُلا
 أرادوه فارتدوا وجاروه فانتنوا
 تشر^(٧) على المداح غرّ خِلاله
 تعلم منه الدهر حاله في الورى

فيكثر فيها النهب لِلحِين واللقط
 من البثّ والشكوى يَبِين له لَغَط
 على كِثب^(٣) الأحلام تَسْمُو وتنحط^(٤)
 إذا قَدَحَتْ لم يَخْبُ من زَندها سَقَط
 وعن نُقطة مفروضة ينشأ الخَطُ
 ونفْس لغير الله ما خضعت قَطُ
 مفارقه شَمَطُ وأسيافه شُمَطُ
 ويقذِفُه شهَم من النيق مُنحط
 وكاد وِزان الحق يُدْرِكه الغَمَطُ
 يُهَيِّجُه نوء على الرَّمْل مُخْتَطُ
 هالَتْ بحار الرّوع واختجب الشَطُ
 ويَضْمَنُ سُقيا السّرح إن عَظُم القَحَطُ
 إذا بذل المعروف أو نُصِب القِسَطُ
 وسأموه في مَرَق الجلالة فانحط^(٦)
 وما رسموا فوق الطُّروس وماخط^(٨)
 فآونة يَسْخُو وآونة يَسْطُ^(٩)

(١) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (يشف) .

(٢) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (فسارت) .

(٣) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (كتب) .

(٤) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (وتنحطو) .

(٥) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (تسين) . والأولى أرجح .

(٦) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (فانحطو) .

(٧) مكنا في الإسكوريال . وفي النفع (تسي) .

(٨) في النفع (خطوا) .

(٩) في النفع (يسطو) .

وتجمع بين القبض والبسط كفه
 خلايق قد طابت مذاقاً ونفحةً
 أسبط الأمام الغالبي محمد
 وقتك أواقى الله من كل غائل
 لقد زلزلت منك العزائم دولةً
 إيالةً غدرٍ ضعيف^(١) الله ركنها
 على قدرٍ جلى بك الله يؤسها
 وكانوا نعيم الجنّتين تفيئسوا
 فقد عوضوا بالأثل والخمط بعدها
 فمن طايح فوق العراء مُجدل
 أنمت على مهد الأمان عيونها
 وصمّ صدى الدنيا فلما رحمتها
 وألحف^(٢) منك الله أمة أحمد
 وأحكمت عقد السلم لم تأل بعده
 وأيقن مراتبٌ وأصبح نافرٌ
 والله ميناك الذى معجزاته
 وأنست غريب الدار مسقط رأسه
 تناسبت الأوضاع فيه^(٣) وأحكمت
 فجاء على وفق العلاء رائق الحلوى
 والله إعدارٌ دعوت له السورى
 تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (ضيع) . (٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (منها) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (وأحف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (صمت) . (٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الفح (فيك) .

وأغرّيتَ بالبهيمِ العلاجَ تحفياً
أنتِ صوراً معلولةً عن مزاجها
قضيتَ بها دينَ الزمانِ ولم يزل
وأرسلتِ يومَ السَّبِقِ كلَّ طيرةٍ
رنتَ عن كحيلٍ كالغزالِ إذا رنا
وقامتِ على منحوتةٍ من زبرجدٍ
وكلُّ عتيقٍ من تماثيلِ رُومِةٍ
وطاعتهِ نحرُ السُّكَّكِ أعانها
تلقَّفَ حَيَاتِ العَصَى إذا هوتَ
أزرتَ بها بحرَ الهوائِ سفينةً
وطاردتَ مِقْدَامَ الصُّوَارِ بجسارِجِ
وجيءَ بشبَلِ الملكِ يُنجدُ عزمه
سمحتَ به لم ترعَ فرطَ ضنَّانِةٍ
فأقدمَ مختاراً وحكِّمَ عاذراً
ولو غيرَ ذاتِ اللّهِرامتِ تَضَنَّنَتْ
وأسدُّ نزالِ من فؤابِةِ خَزْرَجِ
جلادهمَ مثنى إذا اشتجرَ الوغى
كتائبُ أمثالِ الكتابِ تتالياً
دليلهمُ القرآنُ ياحبذا الهدى
وبيضُ كأمثالِ البروقِ غمامها

فلم يُدخِرَ الشئُ الغريبَ ولا السَّمطَ
وأصلُ اختلافِ الصُّورةِ المزجِ والخلطِ
ألدُّ كذوبَ الوعدِ يلوى ويشتطُّ
كما تُرسلُ^(١) الملمومةُ النارَ والنَّفطَ
وأوقَتَ بهادِ كالظَّليمِ إذا يُعطِ
تخطُّ على الصَّمِ الصِّلابِ إذا تخطو
تأنقُ في استخطاطه القسُ والقُمطُ
على الكونِ عِرْقٌ واشجٌ ولحاً سبِطُ
فثعبانها لا يُستتمُّ^(٢) له سرطُ
على الجودِ لا الجودى كان لها حطُّ
يُصابُ به منه الصِّمَّاحُ أو الإبطُ
عليه الحفظُ الجعْدُ والخلقُ السَّبِطُ
وفى مثلها من سُنَّةٍ يُتركُ الفرطُ
ولم يشتملِ مسكٌ عليه ولاضِبُّطُ
قتلى كالأفاعى الرُّقَطُ أودونها الرُّقَطُ
بها ليلُ لارُومِ القديمِ ولا قِبِطُ
كانَ رعاه بالعضاة لها خبِطُ
فمن بيضها شكلاً ومن سُمِّرها نَقِطُ
ورهُطهمُ الأنصارُ ياحبذا الرُّهَطُ
إذا وشحت سُحبُ القِتَامِ دمٌ عَبِطُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (قذف) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يستقيم) .

وأعمال برّ لا يليق بها الحبط
ولا غرو فالأقلام يُصلحها القَطُّ
عزیزاً تُشيد المعلّوات وتختطُّ
من الطّيب ما تُهدى الألوّة والقسط
ضلالاً فلله الرضا وله السخط
ولا يوجد المشروط إن عَدِم الشرط

ومن أغراض النسيب قولی فی الأولیات والله ولی المغفرة :

قضيباً لعبوا بالرجاء وبالياس
طروباً بحمل المشرفية والكاس
جمال رواء في تارج أنفاس
إذا ماسفحت الحبر في صفح قرطاس
على أربع من حنين صبرى أدراسي
وأوجفت من شفر الدموع بأمراس^(٢)
ومن أملٍ لم أجن منه سوى ياس
فسعر أحشائي وصعد أنفاس
أقول القلب^(٣) ضاع ما بين جلايس
على سطوة السفاح من آل عباس
تعامت فلم تدر النعيم من الياس
ويعيث وسواس الحلى بوسواس
لمن تشكى بالداء والممرض الآس

ولكنه حُكم يُطاع وسنة
وربة نقص للكمال ماله
فهنيته صنعا ودمت مملكا
ودون الذي يُهدى ثناؤك في الوري
رضيت ومن لم يرض بالله حاكماً
حياتك للإسلام شرط حياته

تعلقته من دوحة الجود والباس
[دروباً بتصریف]^(١) البراعة والقنا
يذكر فيه الصبح عند انصداعه
ويبدو لعيني شعره وجبينه
أجال من الشوق المبرح غارة
فظاهرت من سرد السقام ملامة
لك الله من ربي طواك على الظما
ومن قمر سعد عشوت لنوره
إذا ما شرعت اللحظ نحوى عابسا
أيا عبد شمس الحسن هل لك قدرة
سجمت على هول الغرام بمهجة
توهج نار الخد نار جسونحي
يا قلب صبراً في الغرام وجسبة

(١) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (ضروبا بفرب) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أ فراس) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (لقلبى) .

على مِسْكَةٍ من مسكة العاسق القاسى
وهدّد من آذانه ورق الآس
إذا التبس الحق المبين بالياس
على كل غُصْن في الحديقه مياس
تَضَعُضِع من هبّاتها جبل راس
ومَسْرَبِعُ آلامى ومعهّد إيناس
كنقبة مُرتاح ونهبة خلاس
فلفقت أذنانى حياء على الرأس
ورغى ذمى ما تماسك إحساس
وإن رَفَع الله الجُناح عن الناس
في صبرى وثيقة إفلاس
يرى أن ما بالموت فى الحب من ياس
كما حَفَّ جَوّال الفراش بنبراس
وأعلّق كفى من حِمَاه بأمراس
أبرّ بميثاق وأوفى بقِسْطاس

ومطلولة الأعطاف جرّت ذبولها
يحدّق من أجفانه نرجس الربى
لعمرك ما أرى^(١) وقد ثقّف النهى
أتلّك شمالاً أم شمول مسدارة
لقد ضَعَضَع حلمى ولم أر نَسْمَةً
رعى الله أجراء الحمى دار صبوتى
فما كان فيه الوصل للأغلالة
وقالوا أبعث العيش بعد فراقنا^(٢)
ثقوا بوفائى ما استقلّت جوارحى
ولا تعلّرونى إن نسيت عهدكم
فؤادى غنى بالوفاء وربما تُسجّل
لى الله من قلب خفوق معدّب
تجول بنات الفكر حول خياله
أفوض للرحمن أمرى فى الهوى
وآمل لطف الله فيه فإنسه
وقلت فى النسب كذلك :

أما وخيالاً فى المنام يسزور
لقد ضيّقت ذرعاً بالشوق بعد بعدكم
أدافع فى شوقى ووجدى كتابياً
سرايا إذا ما الليل مسدّ رواقه
وإن كان عندى أنّ ذلك زور
تزلزل رضى عندها وثبير
على ساحة الصبر الجميل ثغير

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الريتوبة (ترى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (افتراقنا) .

إذا سكن الليل البهيم تُشور
خيالكُم بالليل حين يسرور
ولم تَنذِرْ عني أحرفٌ وسطور
عليه الأسى وانجاب وهو قصير
نجومٌ توالى حُثُنٌ بدور
بليلاً وأكواس السرور تَدُور
موارد في آماقنا وبُحُور
فغار عليها والزمان غَيُور
ليخبرني بالظاعنين خبير
على صفح خدّي فالنسيم سفير
لها لب لا ينقضي وسعير
وأصبحت الأيام وهي شهر
فهل هي إلا أنةٌ وزفير
فمثلى بموصول الملام جدير
وكم شرقٌ بالماء وهو نَمير
وأصبحت مالى في هواك نصير
فكم من بُكاءٍ كان عنه سُور
تفبأتها والهجر منك هجير
فمنها أمسامى روضة وغدير
وهونتُ فيك الخَطْبُ وهو عسير

برى جسدى فيكم غرامٌ ولوعةٌ
ولا أنينى ما اهتدى نحو مضجعى
ولو شيتُ في طيُّ الكتاب لزررتكم
تذكرت عهداً طال بعد انصرامه
وقد طلعتُ للراح في ظلماته
وتبنيتم الوصل في روضة الرضا
وعهداً بعين الدمع^(١) للدمع بعده
عهد مَنى غص الزمان بحسنها
فها أنا أستقرى الرياح إذا سرت
وإن خطٌ وجدى من دموى رسالة
يا رحلة الصيف التى بجوانحى
أحول منك الشهر حولاً على الورى
ويا قلب لا تطرح سلاحك رهبةً
جنيتُ النوى لا عن ملال ولا قلى
وجردتُ عنى لبسة الوصل طابعا
أحمد إن جل الذى بي من الجوى
فلست من اللطف الخفى بيانس
أتانى كتابٌ منك لا بل حديقة
وأرسلتُ دمع العين حين قرأته
تكلفتُ فيك الصبر والصبر مُعوزُ

(١) عين الدمع اسم لضاحية بفرناطة الإسلامية ، كانت أيام المسلمين تنص بالحدائق
والمتنزهات ، وكان موقعها قريبا من جبل الفخار ، ومكانها اليوم يقع في دائرة الضاحية الفرناطية

وَلَدْتُ إِلَى الآمَالِ وَهِيَ سَفَاهَةٌ
سَأَلْتَنِي إِلَى أَيِّدِي الزَّمَانَ مَقَادِقِي
وَأَنَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَجْسَرِي قَضَاهُ
فَتَذَرَكُ آمَالَ وَتُقْضَى مَأْرَبِي

وقلت ، وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة :

عسى خَطْرَةٌ بِالرُّكْبِ بِأَحَادِي الْعَيْسِ
لِنَظْمٍ مِنْ ذَلِكَ الزَّلَالِ بَعْلَةٌ
حَبِسْتُ بِهَا رُكْبِي فَوَاقَا وَإِنَّمَا
وَقَدْ ^(١) رَسَخْتُ آيُ الْجَوِي فِي جَوَانِحِي
بِمِيدَانِ جَفْنِي لِلشَّهَادِ كَتَيْسِبَةٍ
وَمَا بِي إِلَّا نَفْحَةٌ حَاجِسِيَّةٌ
أَلَا نَفْسٌ يَارِيحُ مِنْ جَانِبِ اللَّوَى ^(٢)
وَيَا قَلْبَ لَا تُلْقِ السَّلَاحَ فَرِيحًا
وَقَدْ تُعْتَبِ الأَيَّامَ بَعْدَ عِتَابِهَا
وَلَا تَخْشَ لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطْرَةَ الكَرَى
تَقُولُ سُلَيْمِي مَا لَجَسْمِكَ شَاحِبًا
وَقَدْ كُنْتَ تَعَطُّو كَلِمَا هَبَّتِ الصُّبَا
وَمِنْ رَابِحِ الأَيَّامِ يَا ابْنَةَ ^(٤) عَامِرِ

عَلَى المَهْضَبَةِ الشَّمَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيَسِ
وَنَنعَمُ فِي تِلْكَ الظُّلَالِ بِتَغْرِيسِ
عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي بِهَا عَقْدَ تَحْبِيسِ
كَمَا رَسَخَ الإِنْجِيلِ فِي قَلْبِ قَيْسِ
تُغَيِّرُ عَلَى سَرَحِ الكَرَى فِي كَرَادِيَسِ
سَرَتْ وَالدُّجَى مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَغْلِيَسِ
يُنْفَسُ مِنْ نَارِ الجَوِي بَعْضُ تَنْفِيَسِ
تَعَذَّرُ فِي الدَّهْرِ اضْطِرَّادُ المَقَايِسِ
وَقَدْ يَعْقِبُ اللهُ النُّعِيمَ مِنَ البُّؤْسِ
عَلَى ^(٣) الجَفْنِ بِلِ قَيْسِي عَلَى صَرَحِ بِلْقَيْسِ
مَقَالَةٌ تَأْنِيْبُ يُشَابُ بِتَأْنِيَسِ
بِرِيَانِ فِي مَاءِ الشَّيْبِيَّةِ مَغْمُوسِ
يَجُوبُ القَلَا فُلَّتْ ^(٥) يَدَاهُ بِتَفْلِيَسِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (لقد) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ والأزهار (الحسى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (الى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الأزهار (يابنت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (راحت) .

فلا تحسبى والصدوق خير سجية
 ظهور النوى إلا بطون النواميس
 ومنها :

وقفراء^(١) أما ركبها فمضلل
 خبطنا^(٢) بها من هضبة لقرارة
 وقد غمر الآل الرّحال كأنما
 إذا ما نهضنا من قميل غز الة
 أدونا بها كأساً دهاقاً من السرى
 وحانة خمّارٍ هدانا لقصدها
 تطلع ربانيتها من جسداه
 بكرنا^(٤) وقلنا إذ نزلنا بحانه^(٥)
 أيا عابد الناسوت إنا عصابة^(٦)
 وما قصدنا إلا المقام بحانة
 فأنزلنا قوراء في جنبساتها
 بكرنا بها طين الختام بسجدة
 وطاف^(٧) العذارى بالمدمام كأنها
 وصارفنا فيها نضاراً بمثله

ومرّبها من آنيس غير مأنوس
 ضللاً وأوملنا من كيناس إلى خيس
 تخبط منه في ضباب الدماميس^(٣)
 نزلنا فعرّسنا بساحة عريّس
 أملنا بها عند الصباح من الروس
 شمّم الحُميا واصطكالك النواقيس
 يهينتم في جنح الظلام بتقدّيس
 عن الصافنات الجرد والضمّر العيس
 أتينا لتثليث بلى ولتسديس
 وكم ألبس الحق الثمين بتلبّيس
 محاريب شتى لاختلاف النواميس
 أردنا بها تجديد حسرة إيليس
 قطعاً تتهادى في رياش الطواويس
 كأننا ملأنا الكأس ليلاً^(٨) من الكيس

- (١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي الإسكوريال (وخرقاء) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سبحتا) . وفي الأزهار (سبحتنا) .
 (٣) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في النفع والأزهار .
 (٤) هكذا وردت في النفع والأزهار . ووردت في الإسكوريال والزيتونة (فكذنا) .
 (٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع والأزهار (بساحة) والأولى أرجح .
 (٦) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفع (صباية) وهو تحريف .
 (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الأزهار والنفع (ودبر) .
 (٨) هكذا وردت في الأزهار والنفع . وفي الإسكوريال (يومنا) .

وَقَمْنَا نُشَادِي عِنْدَمَا مَتَعَ الضُّحَى
فَقَالَ لِبِئْسَ الْمَسْلُومُونَ ضَيُوفُنَا
وَهَلْ فِي بَنِي مَثْوَاكَ إِلَّا مُبَرَّرٌ
يَحْدَقُ^(١) تَحْتَ النَّعْمِ مَقْلَةً ضَا حَكَ
إِذَا هَزَّ عَسَالَ الْبِرَاعَةِ فَاتِكَاً
سَبَيْتِنَا عَقَارَ الرُّومِ فِي عَقْرِ حَانِهَا^(٢)
لِئِنْ أَنْكَرْتَ شَكْلِي فَفَضَّلِي وَاضْح
رَسَبْتَ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ثَغْرَ مِظَنَّةٍ^(٣)
وَأَغْرَيْتَ سَوْسِي بِالْعُدَيْبِ وَهَاجِرٍ^(٤)
كَمَا نَهَضْتَ غَلَبَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْحَيْسِ
أَمَا وَابِيكَ الْحَبْرُ مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ
بِحَلْبَةِ سُورِي أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيسِ
إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ عَنْ مَقْلِ شَوْسِ
أَسَالَ نَجِيعَ الْجَبْرِ فَوْقَ الْقِرَاطَيْسِ
بِحَيْلَةٍ^(٥) تَمُويهِ وَخِدْعَةِ تَدْلَيْسِ
وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ إِنْكَارَ مَحْسُوسِ
وَكَمِ دُرَّةٌ عَلَيْهِاءُ فِي قَاعِ قَامُوسِ
عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ السُّوسِ

وقلت في أسلوب مهيار رحمه الله :

جُزُّ عَلَى جَرْعِ الْجِمَى لَا مَحَالَهُ
وَافْضِ فِي تِلَاحِ نَجْدٍ وَقَدْ جَمَّ بِهَا
وَأَدِرْ فِي قَرَارَةِ الْمَاءِ قَدْ دَارَتْ
رَبِمَا يَعْبِزُ الْقَوَى عَنْ الْأَمْرِ
فَإِذَا مَا اسْتَجَدَّتْ مِنْ خَيْرِ الْجِمَى
فَاعْقِلِ الْحَرْفَ فِي ظِلَالِ مِنَ الْبَيَانِ
وَادْخُلِ الْحَىَّ عِنْدَمَا رَوَّحَ الرَّاعِي
لَا تَجَاوِزْ أَطْنَابَ خِيْمَةِ ظَمِيًّا
وتعرض لرايد الرُّحَالِ
الْحِمَضِ وَادْكَرْ زَابِقَا لَهُ
عَلَى بَدْرُهَا مِنَ الرَّيِّعِ هَسَالِ
فَيُرِضِي الضَّعِيفَ فِيهَا اخْتِيَالِ
يَقِينًا أَوْ التَّمَحَّتْ جِسَالِ
عَلَى الْوَحْشِ فِي الْهَجِيرِ مِمَالِ
وَضَمَّ الْمِسَا فِيهِ رِعَالِ
فَهَاتِيكَ الْقُلُوبَ حِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النفع والأزهار (يقلب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (خانها) . وفي النفع (دارها) . وفي الأزهار (خاننا) .

(٣) هكذا في المخطوطين والأوقى بحلية .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (مضلة) . وفي الأزهار (مضنة) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع والأزهار (وبارق) .

ولتقلُّ إنَّ أتنك تسل عن حالي
ليس إلا امتعاضة لغريب
سال الماء والمزادة ملأى
كيف لو جاء سائلا منك رسلاً
قسماً أنه أخى ضنين وهب
بكت الورق شجوه حين ناجاها
نازح زار من تباله نجددا
أيها السابق العنيف ترى
يرد الحوض حوله كل أشقى
فكره إذا استحم غرار
فالسكان راحة والأمانى
لا تجلوا دم الغريب المعنى
وكسا من نمارق السندس المخضر ذهنًا بالحيا ورساله
يا يقوى من ذكر تلك المغاني
علق البث والصباية فيها
كان لا يرتضى الجياض لورد
همة تزحم السمك وقلب
كان أولى له الإباية والعز
والهوى مركب الهوان إذا
ما الذى يجلب العذول لسمعى
لا أبالى بما يقول فهلاً
أنا ما بي سوى لحاظ فتاة

تعوّضتها بحالك حاله
أثخنه جفونك القتاله
ثم ما نال غير نفس مساله
أو أتى يحتدى جواب رساله
البأس شأنه والبسماله
وأبدي له الأصيل اغتلاله
أين ما بينه وبين تباله
المهر يسقى يمينه وشماله
كل حوله يلقى عليه مساله
وقراه إذا ألم عجاله
لليالى شرابة أكالسه
وعلى الله فى الجزاء الجواله
ما لقلبي يهوى أنين ماله
وبلى البحر عندها والملاله
فهو اليوم قانع ببيلاله
آثر اللبث فى حضيض الإقاله
فيا بئس ما ارتضى لولى آله
هملج فى ملعب الصبا والجهاله
من حديث خبا إلى خبساله
أقصر العذل جاهداً لا أباه
ختلتنى وأذبرت مختاله

بَسَمْتَ أَقْحَوَانَةً وَتَثَنَّتْ بَانَةً
 وَرَمَتْنِي فَقَبْلَ لِعِرَافٍ نَجْدِ
 إِخْبِرِ الْخَابِطَ الْمَدُومَ نَشْكَو
 إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْ نَتْنِ الْغَيِّ
 ثُمَّ لَاحِظْتَنِي غَسْرَالَهُ
 إِنْ تَخَلَّصْتَ فَدُونِكَ مَالَهُ
 إِظْهَرِ الْعَيْسَ جُمْلَةً وَفَصَالَهُ
 وَيَا طَالَمَا انْتَحَلْتُ مُحَالَهُ

ومن الفخر والتأبين ، قلت مُتَشَبِّعًا ، علم الله بالأملك ، وإنما هي
 أغراض الشعراء يُتَفَنَّيْنَ فِيهَا ، والله وليُّ التجاوز عن التجاوز :

لَنَا فِي الْفَخْرِ سِيْمَةٌ مُطَلَّةٌ
 وَشَمْسُ الْحَقِّ مَنْظُورٌ سَنَاها
 بَنِي سَلْمَانَ سَلَّ عَنْهُمْ سَنَدْرِي
 يَمَانِيَّةٌ الْمُنَاسِبِ وَالْمَوَاضِي
 فَمَنْ نَارِ الْوَعْيِ فِي كُلِّ وَادٍ
 وَمَنْ وَضَلَ الْخَطَابَ بِكُلِّ نَادٍ
 تَهَيَّأْ لَنَا الْبِلُورَ بِكُلِّ خَدِيرٍ
 وَيُمرضنا العفاف فكم عليل
 تَحِجُّ بِيوتنا الْقُصَادَ دَابَا
 بِحَيْثُ الْبَيْضُ ضَامِنَةُ الْمَسَاعِي
 فَعِنْدَ السَّلْمِ مَحْرَمَةٌ عَكُوفٍ
 وَحَيْثُ الْجُرْدُ لِلْغَارَاتِ تَرْدِي
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا فِي الدَّهْرِ قَوْمًا
 وَتَضَطَّبْنَ الصَّوَاعِقُ فِي غُمُودٍ
 فَطُعِمْنَا الْمَجَانِي وَالرُّوَاسِي
 وَتَفْتَرِشُ الْبَطَاحُ لَنَا الْحَشَايَا
 تَقُومُ عَلَى دَعَاوِيهَا الْأَدْلَسَةَ
 عَلَى الشُّبْهِ الْمَخِيلَةَ الْمُخِلَةَ
 عَلَى الْأَجْيَالِ مِنْهُمْ كُلِّ جِلَّةٍ
 مَفَاخِرُهَا رَسُومٌ مُسْتَقْبَلَةٌ
 وَمَنْ نَارِ الْقَيْرِي فِي كُلِّ جِلَّةٍ
 وَمَنْ فَضَلَ الشُّنَاءَ بِكُلِّ مِلَّةٍ
 وَتَهَوَّانَا الشُّمُوسَ بِكُلِّ كَلَّةٍ
 وَمَا غَيْرَ الْهُوَى وَالْكَتْمِ عِلَّةٍ
 فَلَا تَنْفِكُ طَائِفَةٌ مُهَلَّةٌ
 وَحَيْثُ السُّمْرِ مَشِيرَةٌ مُغَلَّةٌ
 وَعِنْدَ الْحَرْبِ فَاتِكَةٌ مُجِلَّةٌ
 فَتَرَكْهَا جِوَابِرٌ مُشْمَعَلَةٌ
 رِيَاحُ الْجَوِّ تَلْحَفُ بِالْأَجَلَّةِ
 وَتَقْتَنِصُ الْبِوَارِقَ بِالْأَهْلَةَ
 وَتُسْقِينَا الْغُيُوثَ الْمُسْتَهْلَةَ
 وَلِلرَّايَاتِ أَرْوَقَةٌ مُظِلَّةٌ

وتعرف من أغرتنا الدياجي
 أبا عبد الله فدتك نفس
 دعوتك مستجدا عهد أنس
 وقد ظعن الصبا إلا أذكار
 فساعتني عليه من اغتراب
 وما حلني بفخرك في صريح
 ودمت مُجمِعاً شمل المعالي

لعز الله خاضعة أذلة
 على ما حُزت من فضل مدله
 أبلته الليالي المُستملة
 وقد ذهب الهوى إلا تعلقة
 له في مُهجتى ونخز الأخللة
 فكم تاج هناك وكم تجلة
 ومقتاد أمن الدنيا شمله

وقلت أرثي ثلاثة من الإخوان تقاربت وفياتهم ، جمع الله الشمل بهم في
 دار الرضوان والمغفرة بمنه :

أسايلكم هل من خبير سلوان
 وهل عندكم علم بصبرى إننى
 يقولون خفض بعض مابك من جوى
 تضيق على الأرض وهى فسيحة
 وما يفتأ الشوق المقيم بأضلعى
 وليس مشيباً ماترون بمفرقى
 وأرق عيني الأسي يبعث الأسي
 لمن دمن يشكو العفاء رسومها
 وقفتُ بها أذرى النجيع كأنما
 ديار الألى كانوا إذا أفق دجا
 هوت من سمائى بعد ماكن زينة
 رمانى بيعقوب الزمان وبعده
 وإن كان ما بين الخطوب تفاضل

ففى ليل همى ضاع أو سيل أجفانى
 فقدت جميل الصبر أوجع فُقدان
 هان على المرتاح ما لقي العان
 كما خلقت فوق الخضر معقد هيان
 إذا مرت عن طوق الصباية أفنان
 ولكن خطوب جمّة ذات ألوان
 مطوقة نامت على غضن البان
 كحظ زبور فى مصاحف رهبان
 تُقرى وشك البين منى بقربان
 كواكب يجلو نورها ليل أشجان
 ولهى عليها من ثلاثة شهبان
 رمانى بديرهم يا لك سهمان
 فلاتنل فقى بأحمد بن سليمان

وجُملة أنسى بين لَحْدٍ وأكفان
 بشارٍ ولا أنسيت بالثالث الشان
 كما انتشرت يوماً قلادة عقيان
 كما استبقت غر الجياد بميدان
 ولو أنه ردّ التحية أحيان
 وبينى العلى والنيل والخيّل لبان
 فيامن لِقَلْبِي منه بالسّاحط الدّان
 مودة خلّ سار عنيّ وخيلان
 يوم أردلني لشمرت أردان
 جنى لبني الدنيا كما يفعل الجان
 أبي الدهر أن يلقى على الدهر ألفان
 فكم نسبة ما بين روحٍ وجثمان
 وما حال طرّف قد أصيب بإنسان
 جنائي وخلائي الزمان وخيلان
 مقدّمة لم يختلف عندها إثنان
 فإن قلتُ قضائي الخفوق تقاضان
 أهدرتُهُ في ترصّص على مسان
 ولا أنس إنسان مصابك أنسان
 ولا عيشي الهائي على النأي ألمان
 عليك وقلبٍ في الحناجر حيران
 فأورت لي فيها شقايق نومان
 ثقالا سقى منها المعاهد عهدان

كفاني أن أدرجتُ محض مسرتي
 ووالله ما أنساني الدهر أولاً
 تخونهم صرف الردى فتحرموا
 فمن سابقٍ وليّ على إثر سابق
 بنفسى من حييته فاستخفّ بي
 وعهدى به مهما دعوتُ وبينه
 دنا منزلاً منى وشطّ مسزاره
 ألا ليت عمري لم يُفدني زمانه
 فلو شعرت نفسي فإنتى لشاعر به
 هو الموت يختار الخيار وينتقى
 فلا تُقن ما يفنى تعيش وادع الحشا
 صديق الفتى إن خفق الحق روحه
 وما حال زند لم يؤيد بساعد
 وهبني أمّنتُ الحادثات ولم يرع
 أليس إلى التحليل كلُّ مركّب
 يُدبر لي الدهر المكيدة في المنا
 وليل بقبابي محطة قلعة
 أيعقوب ما حزني عليك بمنقض
 ولا حالي الحالى على البعد غرني
 فمن لي بدمع في المحاجر مُهتد
 نسبتُ إلى ماء السماء مذامعى
 إذا ما جدت ريح الزفير سحابها

ولكن أمهلني على الدمع إدمان
 مديدا ومذخوراً لسرى وإعلان
 فقد كنت رُوحى في الحياة وريحان
 يحبيك منها كلُّ أوطف هتان
 الفضل تُؤتى أكلها كلُّ إنسان
 على كتمه إن ضاق صدرُ بكمان
 فحزنى جديدٌ ما استمر الجديدان
 وخفى عليه من شباب وريعان
 جميعٌ وطرفُ الدهر ليس بيَقظان
 وللآسة النحاي ريبذ آذان
 ترى رُجج الدنير في كف ميزان
 كما تنقَعُ الرّمضاء غلّة ظنّان
 ألا كلُّ مرعى تعدد غيرُ سعدان
 ونُكّنة إخلاصى وحكمة ديوان
 هدانى إلى نهج السبيل وهادان
 كأنهم وارود ما بين أجفان
 إذا أثمرت هوجُ الخطوب بخطبان
 وحلّوا جوار الله أكرم ضيفان
 إلى العالمِ الباقي والعالمِ الفان
 ويا قُرب ما بين المعجل والأوان
 وغيتم فأحضرتم لواجع أحزان
 فيا بُؤسى بسكّان نعمان

وقد دان قبل اليوم دمعى خالصا
 لقد كنت لى رُكناً شديدا وساعدا
 كسالكُ الرّيحان والروح والرحا
 وجادت على متواك مُزنة رحمة
 وما كان إبراهيم إلا حديقة من
 أمين على السرّ المصون محافظاً
 لئن بليت تلك المحاسن فى الثرى
 قراد عليها من نعيم ونُضرة
 ذكك والأيام سلّم وشملنا
 وللنرجس المَطلول تحديق أعين
 وللشمس ميلٌ للغروب مرّح
 بساط طواه الدهر إلا تذكراً
 وإن ذكر الإخوان من مثل أحمد
 ذخيرة أيامى ووُسطى قِلاذق
 وثران ضللتُ الفضل يوم استفادة
 شهيدُ ذرت عيني عليه نجيعها
 أخلاء كانوا فى الشّدائد عُدّة
 سلّمهم شوى الردى فتجمّلوا
 يحق لهم أن يُعبطوا إد تنقلوا
 وما أكتب اللقاء وإن بعد المدا
 سكنتم فحرّكتم جحيم جوانحى
 ويممتم دار النعيم وإتنى لأشقى

ولو أنني أعطيتُ نفسي حَقَّها
ولا عاراً في وِردِ الجِمامِ فإنه
لعمرك ما يصفو الزمان لو اريد
وقس آتياً من أمره بالذي مضى
أما تركتُ كِسرى كسيراً صرُوفه
ومدُّ إلى سَيْفٍ أكفَّ اعتدابه
وهل دافعتُ خَطباً توابعُ تُبَّع
وكان قياد الصُّعبِ صعباً مُمْنَعاً
جلت لبني العباس وجهَ عُبوسها
وكم أخلفتُ شتى المنا من خليفةٍ
وغادرت القصر المشيد بناؤه بسنداد
ولم تُبق يوماً للخوزنقِ رونقاً
وكم من أبي سامة العُسر دهره
ومحتقر ماضي الدُّبابين في الوغى
وأى سرورٍ لم يعد بمساءةٍ
ومن باع ما يَبقى بفانٍ فإنما
خذوها على بُعد النوى من مُشهدٍ
ووالله ما وقيتُ حقَّ مودةٍ
ومهما تساوى طَيبٌ ومُقَصِّرُ
ولا كُومٍ لي في العجز عن نيلِ فايت

فما أنا للعهد الكريم بخوان
سبيلُ الورى ما بين شيبٍ وشبان
وإن طال ما أحمى لظى الحرب صفان
فربُّ قياس كان إجلاء لبرهان
ولان على صولاته ملكُ اللان
فأخرجه بالرغم من غمد غمدان
وهل درأت كريباً سياسةً ساسان
فألقي إلى الدنيا مقادة إذعان
وقبلُ أمدتُ سربَ أبناء مروان
وأذوت رياح الدهر إذواءً تيجان
وقفراً بَلقماً بعد عُمران
ولا شَعبت بالقتل من شُعب بوآن
فأبدي له بعد الرضا وجهَ غضبان
سطا منه بالأنف الجِمي ذبابان
وأى كمالٍ لم يُعاقب بِنُقْصان
تعجل في دُنياه صَفقة خُسران
حليف أسي ما في الجوانح لهفان
ولكنه وسعى ومبلغُ إمكان
بحال فحكم النطق والصمت سيان
فإن الذي أَعيا البرية أَعيان

ومن الاسترجاع والاعتبار، والتحزن لورطة الغفلة، وما توفيتي إلا بالله،

قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت :

جهاد هوى لكن بغير ثواب
 وعمر تولى فى لعل وفى عسى
 أما آن للمُنبت فى سبل الهوى
 تأملتها خلفى مراحل جُبَّتْهَا
 جرى بي طرف الله وحى شكا الوجا
 وما حصَلت نفسى عليها بكامل
 نصيبى منها حَسْرَةٌ كَوْنُهَا مَضَتْ
 وما راعى والدهر رب وقسائع
 سوى شعرات لحن من فوق مفرقى
 أبحن ذمارى وانتهبن شيبتى
 وقد كنت يهدى المروض طيب
 فمذ كتب الوخط الملم بعارضى
 نسخت بما قد خطه مُسند الهوى
 سلامى على تلك المعاهد^(١) إنها
 ويا آله^(٢) العهد انعمى فلطالما
 كائى بذات الضال^(٣) من فتى
 تقول اذكرى بعد ما بان حيرتى
 وأصبحت من بعد الأوانس كالدمى

وشكوى جوى لكن بغير جواب
 ودهر تقضى فى نوى وعتاب
 بأن يهتدى يوما سبيل صواب
 يناهز فيها الأربعين حساب
 وأقفر من زاد النشاط جراب
 ولا ظفرت كفى ببعض طلاب
 بغير زكاة وهى مثل نصاب
 سجال على أبنائه وغسلاب
 قذفن لشیطان الصبا بشهاب
 آهن نصول أم نصول خطاب
 شايلى ويمرح غصن البان بين ثياب
 حروفا أتى منها بمحض عتاب
 وكم سنة منسوخة بكتاب
 مرابع الألقى^(٤) وعهد صحاب
 سكتت^(٥) على مثواك ماء شباب
 تذكّر فيها اللهو بعد ذهاب
 وصوح روضى واقشعر جناب
 يهول حداة العيس جوب يباب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (المربع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (إلقى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ويا بانه) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (بكت) . والتصويب من الزيتونة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الدال) .

تغار الرياح السَّاجِيَاتِ ^(١) بطارقي
فإن سَجَّعَ الرِّكْبَانَ فِي بِمَذْحَةَ
ألم تعلموا أن الوفاء سَجِيَّتِي
سقاك كدمي أو لحدودي وابل
ولا بَرِحَتْ نَهْوُ لِعَهْدِكَ الصَّبَا
سواي يردع الدهر أو يستفزّه
وغيري يُثْنِي الحوض ثَنِي عِنَانِهِ
تَمَلَّاتُ بِاللُّدُنِيَا الدُّنْيَا خَبِيرَةٌ ^(٢)
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمْنَعُ جَاهِدًا
فِيَاذِلْ أُذُنٍ ضَمَّهَا أُذُنٌ حَاجِبٍ
وقد كان هُنِي أَنْ تَعَانِي مَطِيَّتِي
وَأُنْصَحِي وَمِحْرَابِ الدُّجَا مُتَهَجِّدِي
وتضحك من بغداد بيض قباها
ولكن قضاء يغلب العزم حكمة
يقولون لي حتى م ^(٤) تَنْدُبُ فَاَسَا
إذا أنا لم آسف على زمن مضى
فلا نَظَمْتُ دُرَّ الْقَرِيضِ قَرِيحَتِي

وقلت أبياتا تبرز بها يد من طاق خشبي، لتمام ساعة من الليل، في نهاية الإحكام وحسن الشكل، يُنصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ المولد

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السافرات) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اشتطت) .

(٣) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حيرة) والأولى أرجح

(٤) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (علم) .

الكريم ، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولى :

سَبَقَ القِضَاءُ وَأُبْرَمُ^(١) المَحْتومُ
 حَالُ الزَّمَانِ إِذَا اعتبرتْ غَرِيبَةً
 وَاللَّيْلُ سِيلُكَ دُرَّةَ سَاعَاتِهِ
 أَكْرَمُ بِرَابِعَةٍ تَوَلَّتْ بَعْدَمَا
 وَلَقَدْ سَهَرْتُ مَفْكَرًا وَالبَدْرُ فِي
 فَحْسِبْتِ شَكْلَ البَدْرِ أَبْيَضَ هَائِمًا
 وَالغَيْبُ عَنَّا سِرُّهُ مَكْتومُ
 وَالحَالُ فِي التَّحْقِيقِ لَيْسَ تَدومُ
 إِنْ حَلَّ مَعْقِدُهُ هَوَى المَنْظومُ
 ثَبَّتَتْ لَهَا فِي الصَّالِحَاتِ رَسومُ
 بَحْرُ السَّمَاءِ مَعَ النُّجُومِ يُعُومُ
 فَوْقَ يُحَلِّقُ طَيْرُهُ وَيُحُومُ

ومنها :

حَجَرٌ رَمَاهُ المَنْجْنِيقُ فَشَانَهُ
 وَمِنَ النُّجُومِ أَسَنَةٌ لَجِيوشِهَا
 رَجَعْتُ إِلَى حَرْبِي وَعَمْرِي مَعْقِلُ
 بَدَرْتُ لَهَا شَرَفَاتِ أَسْنَانِي تَهَى
 فَصَرَحْتُ يَا وَيْلَى أُصِيبَتْ غُرَّتِي
 وَإِذَا رَمَى فَلَكُ البُرُوجِ مَدِينَةٌ
 مَا دُونَ وَجْهِ الحَقِّ إِنْ حَقَّقْتَهُ
 مَتَطَاطَيْءٌ مُتَدَافِعٌ مَلْمُومُ
 مِنْ كُلِّ مُطَّلِعٍ عَلَيَّ هَاجِمُومُ
 وَمُخَلَّصِي مِنْ نَابِهَا مَعْدومُ
 وَقُوَايَ تَفْقَدُ رَجْعَةً وَتَقُومُ
 مَاذَا عَسَى هَذَا البِنَاءُ يَلْدومُ
 بِالمَنْجْنِيقِ فَسُورُهَا المَهْدُومُ
 يَقْنَى وَيَبْقَى الوَاحِدُ القِيُومُ

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها فى غرض التورية :

نَادَيْتُ دَمْعِي إِذْ جَدَّ الرُّحِيلُ مِمَّ
 سَقَطَتْ يَا دَمْعُ مِنْ عَيْنِي غَدَاةَ نَائِي
 وَالقَلْبُ مِنْ فَرَقِ التَّوْدِيعِ قَدْ وَجِبَا
 عَنِّي الحَبِيبُ وَلَمْ تَقْضِ الذِّى وَجِبَا

وقلت فى التورية أيضاً :

كَتَبْتُ بِدَمْعِ عَيْنِي صَفْحَ خَلْدِي
 وَرَأَيْتُ الحَاضِرِينَ فَقَلْتُ هَذَا
 وَقَدْ مَنَعَ الكَرَى هَجْرَ الخَلِيلِ
 كِتَابُ العَيْنِ يُنْسَبُ لِلخَلِيلِ

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الريبوتة (أبرز) .

وقلت في التورية أيضاً :

وقد رابها صبرى على موقف البين
فعارضت من دمعى بمُختصر العين

ولما رأت عزمى حثيثاً على السرى
أنت بصِباح^(١) الجوهري دموعها

وقلت في التورية أيضاً :

وروى عن أبي الزناد فؤادى
من دمرعى يهيم فى كلِّ واد

مضجى فيك عن قتادة يروى
وكذا النوم شاعرٌ فيك أمسى

وقلت في التورية أيضاً :

عبرأتُ قد أعربت عن وُلوع
لم أجد ناصراً فليعت^(٢) دموع

حين ساروا عنى وقد خنقتنى
صحت من فيض العذيب فلما

وقلت في التورية أيضاً :

فى عراضٍ من الخُدود مُحول
ك المعافى من عبرتى ونحول

قال لى والدموع تنهل سُجبا
بك ما بي فقلتُ مولاي عافا

أنا جفنى القريح يروى عن الأعمش والجفن منك عن مكحول

وقلت في التورية أيضاً :

فمدا بريدٌ فيه ألفُ بريد
أو لابس الصوف غيرُ مُريد
قابن السلوك بها على التجريد

مكناسة جُمعت بها زمر العدا

من واصل الجوع لا لرياضة

فإذا سلكت طريقها متصوفاً

وقلت في التورية أيضاً ولها حكاية :

ورأى غلة الطعام قليلة
فهى اليوم دمنةٌ وكليلة

قلت لما استقلُّ مولاي زرعى

دمنتى لانتجاعى الحرث كلت

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (بكتاب) . والتصويب من النسخ .

(٢) فلع أى شق .

وقلت في التوراة أيضاً ، وقد أهدى الوزير عمر بن عبد الله فرساً [به
جراد في عرقوبه]^(١) :

أشكوا إلى الله الصبر من أبناء يعقوب والوعد ما بين مرموق ومرقوب
زرعت عرقوب أرضي من شعيركم جاء الجراد فأفنى زرع عرقوب
وقلت أيضا ، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد :

جلس المولى لتسليم الوري ولفضل البرد في الجو احتكام
فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت في التوراة أيضا في سنة قحط :

سألنا ربيع العام للعام رحمة ففطن ولم يسمح بذرة إنعام
وقلنا وقدرد الحياء وجوهنا^(٢) قليل الحياء والله أصبحت من عام

وقلت في التوراة أيضا وضمنته مثلا :

لما رأوا كلفي به وردوا قدر الذي في فيه من حُب
قالوا الفتى حلوا فقلت نعم طلعت حلوته على القلب

وقلت في ذلك والله ولي التجاوز :

أنا كافر وسواي فيه بعاذل لا يستبين الصدق في آياته
ومصدق بصحيفة الخد الذي قد أعجب الكفار حسن نيته

وقلت في التوراة أيضا :

بأبي ظبي غزاني مستبيحا شرح صدرى
فأنا اليوم شهيد الحب من غزوة بدر

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الريتونة (به حلوا في أحد
مرقوبة) . والأولى على ضوء الشعر أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة الشطرة في الريتونة وفي الإسكوريال (فقلت وقدرد
الوجوه ولم ييل) . والأولى أرجح .

وقلت في التورية أيضاً على طريقة المشاركة :

أشكو لمبسمه الحزين وقد حمى عنى لِمَاهِ المَشْتَهَى ورحيقه
يا ريقه حيرتني ومطلتني ما أنت إلا باردٌ ياريقه

وقلت في التورية فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقلَّ بأفقها فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا إليه بمئده فأجبتهم لا غرو أن ماد القضيبي الأملد

وقلت في التورية أيضاً :

يا مالكي بخلالٍ نهدي إلى الفذكر خيره^(١)
أضرمت قلبي ناراً يا مالك بن نويرة

وقلت في التورية على عرف العامة :

قلت وقد ألبس جسمي الضنا صبغة سقم أبدا لا تحول
يا من رأني أشفق لما حلُّ بي ويُلْبَسُ مخيوط^(٢) على ذى^(٣) النحول

وقلت في التورية ، وقد ذلك السلطان يديه بالحناء :

إن شمس الدين مخبر الملوك ذرة العقد ووسطى السلوك
ذلك الكف بحناء فقلنا أنت شمس الدين عند الدلوك

وقلت من التورية في رثاء رجل اسمه الحسن :

أشكو إلى الله من بثي ومن شجني لم أجن من شجني سوى محن
أصابت الحسن العين التي رشقت وعادة العين لا تضمي سوى الحسن

(١) وردت هذه الشطرة في الفح كالآتي (إلى القلب حيره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مخط) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ذل) .

وقلت من التورية الغربية ، عندما خرج السلطان من المدينة البيضاء
[بفاس]^(١) طالبا حقه يريد الحمراء بغرناطة :

ولما حثتُ السيرُ واللهُ حاكمُ لملكك في الدنيا بعزُ وفي^(٢) الأخرى
حكى فرسُ الشطرنج طَرْفَكَ لا يرى يَنْقِلُ من بيضاءٍ إلَّا إلى حمراء^(٣)
وقلت في قرية شِخْتُ من بادية المنكبُ ، وتمكنت فيها التورية من وجهين :

بات رفيقى لهم شخت بشيبته عافها العيسان
وقلت ما هذه البوادي فقال لى شِخْتُ يا فلان

وقلت في قريب منه :

تعجّلت وخط الشيب في زمن الصبا لخوضي غمار الهُم في طلب المجد
فمهما رأيتم شيبَةً فوق مفسرقي فلا تنكروها إنها شيبَةُ الحمد
وقلت من التورية بالفقه ، وقد صدرت بها كتابا ، مجيباً به آخر تقدّمه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا والفضل أضحي نهجه مَسْلوكا
كاتبنتنى متفضلا فملكنتى لازلت منك مكاتبا مَمْلوكا

وقلت من أبيات في التورية :

وما كان إلا أن جنى الطرف نظرة غدا القلب رهناً في عقوبة ذنبه
وما الحق أن يأتى امرؤ بجريرة فيؤخذ في أوزارها جار جنبه
وقلت في التورية :

ما للسهي بادی النحول كأنه متسّر تبدو مخايل خوفه
قالوا عليك قلتُ هذا ممكن والله أعلم داؤه من جوفه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنزود) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحمراء) .

وقلت في التورية أيضاً :

أجاد يراعُ الحسن خطَّ عذاره وأودعه السرُّ المصون الذي تذرُّ
ولم يفتقر فيه لختم وطابع فمبسمه أغناه عن طابع السرِّ
وقلت في عين قرية البَدُول^(١) ، وفيه التورية :

قلت اعشقوا عين البلول التي في مثلها يُرفض قول العَدُول
فقلّ ما أبصرتم منظرًا أملح من منظر عَيْنِ البَدُول

وقلت أيضاً في التورية :

وظي لأوضاع الجمال مدرس عليم بأقسام المحاسن ماهر
أرى جيدَه نصَّ المحلِّ وقررت ثناياه ما ضمّت صِباح الجواهر
وقلت في التورية أيضاً ، وفي إشارة إلى رجل يقصد الولايم من أجل بطنه ،
وشلّة نهمه :

أذيمُ ذوى التطفيل مهما أتى وإن تكن أجملتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع كونه من جنس من يمشى على بطنه
وقلت في التورية أيضاً ، والتورية طيبة ، وقد سهرتُ في طريق المنكب
برأس المزاد ، وقد صدعتني وعورته :

هند رأس المزاد عاذق السهد ولم تُغن حيلتي واجتهادي
حسبي الله كيف يبرأ سريعا سهرُّ عن صداع رأس الزاد

وقلت في التورية بكتاب مُسلم ، من كتب الحديث :

ذهب الألى كانوا نجوما للسورى فالكون مُظلم
وتذاكر الناس الحديث الحقُّ وافتقد المعلم
أنا كاتب السلطان ما طالعت كتاب مُسلم

(١) قرية البلول، هي قرية أندلسية تقع على مسافة قريبة من جنوبي غرناطة، وبالإسبانية Padul

إلاً سخاما قادحاً في الدين والله المُسَلِّم

وقلت في التورية النجومية في المدح :

إن أبهم الخطب جلي في دُجنته رأياً يفرق بين الغي والرشد
 وإن غنا الدهر أبدى من أسرته وكفه هذى حيران وري صد
 وإن نظرت إلى لألاء عُسرته يوم الهياج رأيت الشمس في الأسد
 وقلت من التورية في المدح :

تخونه صرفُ الزمان وهل ترى دواما لحالٍ أو بقاءً على أمر
 هو الدهر ذو وجهين يومٌ وليلةٌ ومن كان ذا وجهين مُعتب في عُذر
 وقلت وقد جمدت رجلاى لشدة البرد بتاجرة ، مورياً بعرف العامة ،
 إذ تقول لمن بولغ في نكاله ، عملت إطرافه :

لقد جمدت رجلاى تاجرة الردى فخففت من بأى لديها وإشراف
 وما أرتجى من بقعة قد هجوتها لقد ظفرت بي فهي تعمل أطراف
 وقلت في التورية لمن يدعى شمس الدين :

قل لشمس الدين وقبت الردى لم يدع سقمك عندي جَلدا
 رمدت عينك هذا عجيبٌ أوعينُ الشمس تشكو الرُمدا
 وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالية وأمانة ، وطلب من السلطان
 خدمته :

حلفت لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر باليمين
 ليستندوا إليك بحفظ مال فتاكل باليسار وباليمين

ومن المقطوعات أيضاً :

في غرض المدح

طوى البُعد عن شوقٍ وحثُّ ركابه وأوشك في مغناك^(١) حطُّ رحاله
 ومما شجاه البعد عنك وشَفَّهُ تَبَدَّى نحول السَّقَمِ فوق هلاله
 وكتبتُ في جوابٍ للسلطان ، وقد رحلتُ لتفقد الثُّغور ، وكان من
 فصوله إلى تقرير التشوُّق إلى اللقاء :

تخالف جنس الشوق والحكم واحد وكلُّ محبٍّ في الكمال مُشتاق
 فمعنى اشتياق الأرض للغيث حاجةٌ ومعنى اشتياق الغيث للأرض إشفاق
 وخاطبتُ سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن ، ولها حكاية . وأبو
 الحسن الصغير ، رجل كبير من فقهاها :

قل للذي ذكر الهدى وعهوده فبكى وأصبح مُشفقا من فقدها
 غَصَبَتْ حقوق الله جلَّ جلاله فقضى أبا الحسن الصغير برُدِّها
 وقلت في غرض المدح ، أشير إلى الكفتين ، والعدد المستخرج منهما للمجهول :
 لا عدل في الملك إلا وهو قد نصبه وصير الخلق في ميراثه عُصبة
 والكفتان ترى من كفه دُرَّة تستخرج العدد المجهول للمطلبة
 وقلت وقد مررتُ بين يدي السلطان ، في يوم شديد الهاجرة ، وهو ينظر
 من طاق بقبة قصره ، وأنا أروم تفقد أملاكى بالفحص ، وأنكر ذلك في
 شدة الحر :

إذا كان فوقى من نَدَاك غمامةً وحولى روحٍ من رضاك وريحان
 فإنَّ سموم القَيْظِ عندي نسمة وإنَّ مشيم القَفْرِ عندي بُستان
 وقلت مشيرا إلى الحديث في البحر :
 رأيت بكفك اعتباراً بأساً ونداً ما أن يبارى^(٢)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مغناه) .

(٢) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في الفصح والزيتونة كالآتي (رأت

بكفك اعتباراً بأس ونداً ما أن يبارى)

فَقَدْتُ وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ يَا بَحْرُ مَتَى تَعُودُ نَارًا^(١)
 وَقَلْتُ وَقَدْ جَعَلَ السُّلْطَانُ فِي رَأْسِهِ بَيْضَةَ السِّلَاحِ مَصْفُورَةً :

يَا إِمَامًا أَطَالَ رُبِّي عَسَلَاهُ وَهُمَا مَا بِالْفَخْرِ مَا أَوْلَاهُ
 أَنْتَ كَالرُّمْحِ فِي اعْتِدَالِ وَطُو لَ وَانْتِخَابِ الْحَدِيدِ فِي أَعْلَاهُ

وَقَلْتُ فِي غَرَضِ الْاِفْتِخَارِ :

مَا ضَرَّنِي أَنْ لَمْ أَجِءْ^(٢) مُتَقَدِّمًا بِالسَّبْقِ يُعْرَفُ آخِرَ الْمَضْمَارِ
 وَلِئِنْ غَدَا رَبَّعُ الْبِلَاغَةِ بَلَقَعَا فَلَرَبٌّ كَنْزٌ فِي أَسَاسِ جِسْدَارِ
 وَقَلْتُ وَفِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْكَاتِبِ ابْنِ الْكُوَابِ^(٣) :

بَأَوْتُ عَلَى زَمْنِي هَمَّةً فَأَعْتَبَنِي الزَّمَانُ الْعَاتِبِ
 وَشَرَّفَنِي اللَّهُ فِي مَوْطِنِي وَفِي بَيْتِهِ يَشْرَفُ الْكَاتِبِ

وَقَلْتُ وَهُوَ مِنَ التَّخْلِصِ الْمُخْتَرَعِ ، وَقَدْ جَرَى بَعْضُ مَا مَدَحَ بِهِ الْمُلُوكُ مِنْ
 بَنِي الْعَبَّاسِ :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ أَعْيَانِي تَطَاوَلَهُ وَأَوْسَعُ الذَّمِّ وَالتَّعْنِيتِ أَسْوَدُهُ
 مَا كَانَ يَجْرَأُ لَيْلِي أَنْ يُطَاوِلَنِي شِعَارُكُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَيْدُهُ
 وَقَلْتُ وَهُوَ مِنْ بَدِيعِ التَّخْلِصِ :

أَقُولُ وَالصَّبْحُ لَا تَبْدُو مَخَايِلُهُ وَقَدْ تَعَجِبْتُ مِنْ سُهْدِي وَمِنْ أَرْقِي
 كَأَنَّمَا اللَّيْلُ زَنْجِي مَلَابِسُهُ قَدْ زَيْنَتْ بِاللَّيْلِ أَنْجَمُ الْأُفُقِ
 وَنَامَ سُكْرًا فَلَا شَيْءٌ يُنَبِّهُهُ لَمَّا يَخْشَى حَرَاكَ حُمْرَةِ الشَّفَقِ

وَقَلْتُ مِنْ أَبْيَاتِ أَمْدَحِ السُّلْطَانَ أَبَا الْحِجَّاجِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فِي مِضْرٍ قَلْبِي مِنْ خَزَائِنِ يُوسُفَ حَبٌّ وَعَيْسُرٌ مَدَامَعِي تَمْتَارُهُ
 حَلَيْتُ شِعْرِي بِاسْمِهِ فَكَانَهُ فِي كُلِّ قَطْرٍ جِلسُهُ دِينَارُهُ

(١) هكذا وردت هذه الشطر في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (يا بحر متى تدعو نوارا)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة (أحز) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ابن الكواكب) . وهو تحريف .

وخاطبت ولده رضى الله عنه ، معترفا بحبى فيه ، وكرد الخدمة :

قالوا لخدمته دعساك محمد فكرهتها وزهدت في التنويه

فأجبتهم أنا والمهيمن كساره في خدمة المولى مُحِبُّ فيه

وراجعته عن كتاب كتب لى بخطه ، من فصوله الإنحاء على رداة الحبر :

إذا ما تجلى النور في جنح ظلمة جلاها كما تجلو الدجا غرة الفجر

فلا تنكرن الحبر أن حال لوته فوجهك يجلو ظلمتنا الليل والحبر

ومن مدح البلاد وفيه بيان سبب حبها قولى في غرناطة :

أحبك يامغنى الجلال^(١) بواجب وأقطع في أوصافك الغر أوقات

تقسم منك التراب قومي وجيرتى ففى المظهر أحياء وباللبطن أموات

وفى سبته المحروسة :

حييت يامختظ سبت بن نوح بكل مزن يغتدى أو يسروح

وحمل الرياحان ریح الصبا أمانة فيك إلى كل روح

ولينظر تمام هذه المقطوعة في اسم الخطيب أبى عبد الله بن مرزوق في حرف الميم^(٢) .

وقلت في بنيونش^(٣) من أحواز خارج سبته المذكورة :

لله بنيونش تحكى منازلها كواكب أشرقت في جنح ظلماء

صح النسيم فما يعتل من أحد إلا النسيم وما يرتساع من داء

ومن كرامتها أن الشمال إذا رامت زيارتها تمشى على الماء

وفى مصر وقد بينت مزية محبيها على من دونهم :

سلمت لمصر فى الهوى من بلد يهديه هواؤه لى استنشاقه

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتون (الجمال) والنفع (الكمال) .

(٢) وردت هذه القصيدة فى ترجمة الخطيب ابن مرزوق فى المجد الثالث من الإحاطة

(ص ١٢٨ - ١٣٠) . وأوردتها المقرئ فى النفع (ج ٣ ص ٢١١) .

(٣) بنيونش وترسم أحيانا بليونش ، هى ضاحة ثم سبته المبروقة حتى اليوم ، وهى

بالإسبانية « penones » أعنى (الصخور) .

من يُنكر دعوى فقل غني له
وفي غرناطة :

بلد تحف به الرياض كأنه
وكأننا واديه معصم فضة^(١)
وجه جميل والرياض عذاره
ومن الجسور المحركات سيواره

وفي رياض الكُدية ، التي لولدى أسعده الله ، ولا نظير لها في جلاله القدر :

حدث عن الكُدية من شيبته
فالعقل بالمعتاد مُستأنس
والحق في أوصافها أنها
خرقياً حُسن وجدت صوفا

وفي جنة أخيه المعروفة بجنان الورد :

إذا أهدى الإنسان ورده جنة
وأمل أن يحيا لفصل يعيدها
تهل من بعد العُبوس مُحياه
فكيف بمن في جنة الورد مثواه

وفي جنة أخيهما بالزأوية :

إن كانت الجنة موجودة
بأبقة فاز بها المشتري
في الأرض قلنا جنة الزأوية
فأم من خلفها هاوية

ومن أغراض النسب قلت من قصيدة :

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى
فياليت شعري من أتاح لي الجوى
وأقصر من إلام طيف خياله
وعذب بالي هل أمر ببناله
وقلت وهو من التشبيه العقيم :

أمعللى بمطامع من دونها
تزداد أشواق إذا يوم خلا
جوبُ النفوس مفاوز الأعمار
كتضاعف الأعداد بالأسعار

(١) هكذا وردت هذه الكلمة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في مخطوطي دار الكتب

وجابنجوس (غادة) . (راجع المجلد الأول من الإحاطة - الطبعة الثانية ص ١١٥) .

وقلت من أغراض المشاركة :

رموا بالسُّلو حليف الغرام
أعوذ بعزك ياسيدي
وقلت من أبيات :

عذبت قلبي بالهوى فقيامه
ولقد عهدت القلب منك مُوجداً
وقلت في ذى ذؤابة سوداء :

ياغزالا نَسرك القلب المُبلى
كيف يخشى القلب منى خفقانا
وقلت في النسب :

من لى بذكري كلما أوجبتُها
وسحاب دمع كلما استمطرته
وقلت في النسب أيضا :

أضاف إلى الجنون^(٢) السود شعرا
فقلت أمير هذا الحسن تزكُو
وقلت في المعنى أيضا :

من لى به أسمر حلو اللما
كالنحل في رقة خصر وفي
وقلت في النسب أيضا :

أنكرته لما أطل عارضه
ألم تقل لى بأننى قمر
فقال لى حين رابه نظرى
فانظر إلى^(٤) وبر أرنب القمر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (النار) .

(٢) وردت في الإسكوريال (دقوق) . و نعتقد أن الصواب أرجح . والذفوف أى السرعة

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الميون) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فى)

ومن أغراض التضمين قلت :

لا تُهيج بالذِّكر من خَلدي
نار شوق شقٍّ محتمله
ويقول الناس في مثل
لا تحرك من دنسا أجله

وقلت من التضمين :

يا من بأكناف فؤادي رُتّع
قد ضاق بي في حبك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أرعوى
شح مطاع وهوى متبسع

وقلت من التضمين :

قال جوادى عندما
همزت همزا أعجزد
إلى متى تهميزني
ويل لكل همزة

وقلت :

أصبح الخد منك جنة عدن
مُجتلى أعين وشم أنسوف
ظَلَلتُنَا^(١) من الجفون سيوف
جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقلت :

محاسنك اغتدت جنات عدن
لمن يرتاد إحسانا وحسنا
فمهما حلها^(٢) إنسان عين
فلا إنسان فيها ما تمنى

وقلت في طول الليل :

ساورت أسود من ظلام دُجا
من باته فإلى الجحيم دُفع
أنا لا أقول سطا الصباح به
لكن طغى^(٣) نُعبانه قُربع

وقلت :

رفعت قصة اشتياقي ليحيي
فورى الوجه رافضا للفتوة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أص ، قسا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (جلاها) .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفي الزيتونة (سطا) .

قلت يحيى خذ الكتاب بقوة

ورمى بالكتاب ضعف ابتسال^(١)

وقلت :

يوسف والشهود أبناء جنسه
لم أخف من عقابه أو حبسه
أنا راودت يوسفاً عن نفسه

ساربي للأمير يشكو اعتراضاً
قال ما تقول قلت بديهاً
حصحص الحق ياخوند فدعني

وقلت :

يا روضه المتناهي الربيع يا ثمره
مأمور حُسنك لما يقض ما أمره

يا كوكب الحُسن يا معناه يا قمره
أمرتني بسلو عنك مُمتنع
وقلت في ذلك أيضاً :

من لم أزل فيه خليع الرُسن
أنبتَه الله النُبات الحسن

أفقد عيني لذيد الوسن
عذاره المسكى في خده

وهو ينفع من مرض الحصا :

وقلت في العين الذي بحصن نارجة ،

ماؤه بتنقية الماثانة خُصصا
وتحدث بالماء الزلال مع الحصا

أنظر إليه شبيهه معجزة العصا
فإذا الطبيب سقاه أسرع نُجحه

وقلت في التضمين أيضاً :

ويجرى إذا ذكر جوى ويمين
وليس لمخضوب البنان يمين

يعاهدني دمعى على كتم سره
وذاك لأني من نجيعى خضبتُه

ومن الأوصاف وما يرجع إليها

قلت في الليل :

إلى أن تبدى الضوء وانقشع الحلك

تلوى ظلام الليل بالصبح ظالماً

(٤) مكنا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انفعال) .

كما سرق العبد العبوس عمامة

وقلت في المعنى :

أقول ووعد الصبح يمطله الدجا
كان الصباح الطلق طفل مجرد

وقلت فيه :

عبس الليل فلا صبح يرى
وضحكنا وحبينا طرفسا

وقلت فيه :

أيا ليل أفرطت في جفوني
ومالي ذنب ولكن سخفت

وقلت فيه :

أرقت وجنح الليل قيد خطوة
وما بليت نفس أمرت تنظر فيه

وقلت فيه :

يالليل طلت ولم تجد بتبسم
هلا رحمت تغربي وتفريقي

وقلت فيه :

حار الظلام على دورة كافر
ولو أنني كابرته لم أستطع

وقلت فيه :

بليل كانون عرفت الجوى
طال به نفح نسيم الصبا

فأخرجها من تحته حاكم الفلك

إلى أن تبدى للعيون محياء
تلقفه الثعبان ثم تبناه

وهوى النجم وغاب الفرقد
أفلا يضحك هذا الأسود

وعودتني منك شر الخلال
بقرط الثريا وتاج الهلال

فلهفى على الجفن القريح المسهد
بأوحش من عبد عبوس مقيد

وأريتني خلق العبوس النادم
لله ما أقساك يا ابن الخادم

فقصدت قصد عبادة وتلاوة
ما حال أبيض في بلاد قهاوة

لولا ضياء كف من ظلمه
فاشتعل الإصباح في فحمه

وقلت فيه:

وكان جنح الليل أسود سارقاً
مازال يضرب بالبوارق ظهره
سرق الصباح الطلق ثوباً أبيضاً
حتى أقر به فيها هو قد أضاً

وقلت فيه :

يا ليلة ساهرتُ طالعَ أبقها
والصبح من ربح الشمال بزكمة
حتى تمايل غارباً أو غاطسا
تركته من بعد استكانِ عاصفا

وقلت في ليلة انتخب لها الكثير من الفواكه :

أيا ليلة بالخضب لم تألُ شهرة
فأمن فيها اللوز من غمة النوى
كما اشتهرت في فضلها ليلة القدر
وأصبح فيها التين منشرح الصدر

وقلت في وصف السماء :

تتعاور القطبان فها رُقعة
الزهرة الزهراء قُربانُ بها
وكلاهما فيها لعوبٌ حاذق
والبدرُ شاةٌ والنجوم بياذق

وقلت أصف فرساً أهديته :

إذا ما سرى ليلاً فبالنجم يهتدى
يُصبح إذا أصغى بمسمع كاهن
ومهما انتمى يوماً فللبرق ينتم
ويرنو إذا أوى بطرف منجم
فبوانه من مهجتي متبواً
فيا عجباً منى وفرط تشيى
أهيمُ بوجدى فيه وهو ابن ملجم

وقلت أصف سكينَ بشر للسلطان أبي سالم ملك المغرب :

أرى سيف إبراهيم بينى وبينه
أزبل حروف الخط عند التياسها
مناسبةٌ عند اعتبار المناسب
وتبشر حداء حروف الكتابيب

وقلت في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج :

لى الفضل أن شاهدتني واختبرتني
على كل مصقول الغرارين مُرهف

كفاني فخراً أن تراني قايماً بسنة إبراهيم في كف يوسف
وقلت كذلك :

إن شهرت نضلي يدا يوسف ريعت لكفى مهجة الليث
ولحت مثل البرق في كفه لا ينكر البرق على الغيث
وقلت في برادة كان يشرب فيها السلطان :

علم الملك أعنى يوسف المولى الهماماً

الغمام لأرض سقى وأنا أسقى الغماما

وقلت في طيفور طعام أهديته :

تعلم طيفورى خلال سميه وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
فجاء فقير الوقت لابس خرقه وليس براض غير ضحبة صوام
فديتك لا تردده عنك مخيباً ودرسه يامولاي قصة بلعام
وقلت في روض

كأنما الروض ملك يبنى به جلساه

يرضى التديم فمهما سقى الرياض كسياه

وقلت في مروحة سلطانية :

كأنى قرص الشمس عند طلوعها وقد قدمت من قبلها نسمة الفجر
وإلا كما هبت بمختم السوغي صبا النصر لكن من بنود نصر
وقلت في بحرى يلعب على الشريط ، منوع الحركات :

ويجرى تلاعب في شريط وحي الفعل متصل الصموت

تدلى وارتقى وسما وأهوى فأعجب في التماسك والثبوت

فقلنا إن يكن بشراً سويا ففيه غريزة من عنكبوت

وقلت في بيضة سلاح مصقولة ، اتخذت للسلطان :

خصمت الحشن وانفردت به فجل قسرى وقل أشباه

كأننى كوكب الصباح بدا على جبين الغنى بالله

وقلت في الدّواة والقلم :

مارأت عيني عجيباً
كيرا عي في السدّواة
غايصاً يَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ
ببحر الظُّلمات

وقلت كذلك :

أقلامنا الواسِطِيَّة
ذوابل خَطِيَّة
مصروفة لجهاد
وحكمة وعطيَّة

وقلت في مَلْزَمِ الكُتُبِ :

يا حسنه من مَلْزَمِ آثاره
لذوى الوراقة أحسن الآثار
وكانما الكراس طَرَفُ أشهب
شدوا على شَفْتَيْهِ عود زيار
وكانما قلم الكتاب بَصَفْحَه
مَكْوَى وذا النُّفْطِ نَفْطِ النار

وقلت في بَيْضَةِ السِّلاحِ أيضاً :

إذا أنت لاحظت السلاح وجدتنى
أطاوله عزاً وأفْضُله قدراً
ويُلبسنى المولى الإمام محمد
فتُبصر منه الشمس توجت البدر
وقلت في ذلك :

لحسن بنى نصر صنعت محمدا
فِيهِدِيكَ مَعْنَى العِزِّ فإلى (١) والنصر
علوتُ على بحر السماء حَبَابَةً
ولاغرو أن يعلوا الحَبَابُ على البحر

وقلت في مرآة اتُّخِذت للسلطان أيضاً :

لمجدد الملك الرَفِيع محمد
أنشيت فاعجب من غرابة شان
تبدو مَظَاهِرِي لِأَمْسُورِ كَأَنَّنِي
من باطن المولى السدى أَنشَانِ
وقلت في وصف قَيْنَةٍ :

ومرْضِعَةٌ طفلا من العود تُذِيها
ولا دُرٌّ إلا الدُّرُّ من أدب مَحْضِ
إذا لمست بالبنان تخالها
طبيباً من الحُذَّاقِ جسٌّ على نبض

(١) مكدا في المخطوطين .

وقلت أيضاً في البدر (١) :

أقول والبدر يسمو في السماء صَعْدًا
أنظره في كفة الميزان صاعدة
وقلت متغزلاً والله وليُّ التَّجَاوِزِ :

قلم المحاسن خطُّ نورِ عِذاره
لا تتقوا عينا تُصيبُ جماله
وقلت في معنى غريب :

ولربُّ رزقٍ (٢) غداً لقيت مواجها
جاورت والتفتوا إلى فخلتهم
وقلت في رُمانة :

رمانة راق منها منظرٌ عجيب
كأنما حبُّها دُرٌّ وظاهرها
وقلت مرتجلاً لمن طلب ذلك على ضفة الوادي الكبير :

وَمُنْتَقَشِ المِتنِ كالمَبْرَدِ
تدافع مُسترسلاً مايجأ
إذا هبَّ عَرَفَ النَّسيمِ النَّدى
كما اندفع الدرُّع من مزود

وقلت وقد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك :

وَطَمُوحِ العُبابِ ضافي المَقِيلِ
كسبيك اللجين ذهبه
حَسِرِ الرُّوحِ عن حُسامِ صَقِيلِ
الصَّناعِ سبحانه بشمس الأصيل

واستزادوا من ذلك فقلت :

ومدُّرَعِ ينساب في مَنبِتِ الحَوَوطِ
أقام شُعاعِ الشمسِ يشغل فوقه
تَعياً مَثَوِي ظلُّه كل مَعْبُوطِ
فسال له ذوبُ اللجين في البوط

(١) وردت في الإسكوريال (البدر) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ورق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دواهم) .

ثم قلت في ذلك :

ثعبان نهر راعنا مسدده
فاهتزت الأغصان من فوقه
لما أتى ينساب من حجيره
وصاحت الاطيار في إثره

ثم قلت في ذلك :

أنظر إليه والأصيل مورس
وكانما هو زئبق مترجرج
والشمس تُرسل من عنان مسيرها
ألقت عليه الشمس من إكثيرها

ومن وصف المواضع قلت في تاجرة :

بتاجرة ريحٌ أزاحك بردها
رأت عَصَبِي غزلا وجسمي مرمة
إلاه متى استرحمته فهو يرحم
فها هي تُسدى كل يوم وتلحم

ومن ذلك أيضاً :

يا بقعةً بالحمد معروفة
تري عيون الماء عمشاً بهما
تحذرهما^(١) الشمس فلا تشرق
وأعينُ النيران لا تنطق

ومن ذلك أيضاً :

جفالك الحيا من بقعة ظلتُ عندها
فلو سامتها الشمس أرعد قرصها
بلا جلدٍ ممالقيت ولا جلد
ولثت فلم تسطع حراكا من البرد
وقلت أصف جبل شلير^(٢) :

شلير لعمرى أسا الجوار
هو الشيخ أبردُ شيء يُرى
وسدُّ على رحيب الفضما
إذا لبس البرنس الأبيضما
وقلت أخطب بعض أصحابنا ممن يُخضب بياض شيبه من بعد الانقاء :
وكريمة شهد الخضاب شهادة
بفتوها عند الأداء مُسزورة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريتون (تزورها) .

(٢) جبل شلير أو باللاتينية Solaris ، هو الجبل العظيم الذي دنرف على غرناطة من الشرق والجنوب وسمى أيضاً في الجغرافية العربية بجبل الثلج ، وهو تعريب لاسمه الإسباني Sierra Nevada وقد سمي كذلك لأن الثلوج تكمل آكامه صيفا وشتا .

مرض الفؤاد وحمً لأجلها فجعلت منها للعلاج مُزورهُ

وقلت وقد استزاد الحاضرون من هذا المعنى :

عهدي بهاتيك الكريمة مُهْرَقُ يقن تُسر^(١) به العيون وتُغْبِط
أغریت أجزاء المداد بظْلُها وكذا المداد على الطروس مُسَلِّط

وقلت في ذلك :

خُضْتُها بعد ما لاح المشيبُ وقد جوزت في العقل كتم الصبح بالغَبْش
فاض البياض على رغم السواد بها ويرشح الدمع تحت الكحل في العَمَش
وقلت عند الرجوع من الرُّحلة :

رجعنا بفضل الله بعد استدارة كما راجع البركان مفروض نقطة
وقينا بها الأتس كَيْل اختيساره من السطح منها كان بدء مداره
وقلت في الغرض المذكور :

البصر تنأى الشهب والشمس فِتْنَة رَحَلْنَا عن الأوج الرفيع نَحْلُها
تلاّأ منا البرُّ والبحرُ ذو الموج^(٢) من أجل شتى ثم عُدْنَا إلى الأوج

وقلت أخاطب شيخنا أبا الحسن بن الجيَّاب :

بين السُّهام وبين كَتْبِكَ نسبةٌ مهما يُصاب من العدو المقتل
وإذا أردت لها زيادة نسبة هذى وهذى في الكِنانة تجعل

وقلت في البراغيث وفيها التَّجْنِيس :

بننا نكابدهم القَحْط ليلتنا وأنجد السُّهد والكربُ البراغيثا
وكنَّا نحمل ما كنَّا نكابده من المشقَّة لوأنَّ البر أغيثا

وقلت في ذلك :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تسعد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الملح) . والتصويب من الزيتونة .

وقالوا بدت منكم على الجلد حُمْرَةٌ
عدت نحونا ليلاً ومن بعد ذلك امتدت
وقلت في معنى غريب :

فقلنا براغيثُ لكم رقطونا
كما رقصت في القلوب زرقطونا
ومن استراب فحجبتى تكفيه
باطلا الأ تشبه اللحظ يغمد فيه
لم يدع غمد السيف جفنا
وقلت، فيما يظهر منها :

هممتُ لأن أقبلها بشبتي
وقالت لي رأيتك في حيساتي
فأبدت عند ذا سمة القنوط
جعلت بجسمي قطن الحنوط
ومن الدعابة والفكاهة، قولي أخاطب رجلاً منتفخاً بالجاه ، يعطى أمره
فوق حقها :

رفقاً بنفسك سيدي رفقاً
أما مزاجك فهو معتدل
فالفضل أن تبرأ وأن تبقى
لكن أظن خيالك استسقى

وقلت في الغرض المذكور :

رأيت بمخدوي انتفاخاً فرابني
فقال وقماك الله فيه فلا
وباكرت دكان الطبيب كما وجب
تخف عليه فهذا النفخ ليس له سبب
وقلت غلى طريقة المشاركة :

هم أن ينتف ذقني قلت^(١) والاني بفضله
لم أكن أدخل إلا أهـ ردد جنة وضله
وقلت على طريقتهم أيضاً :

قلتُ لما سألوني بامتحاني واختباري
أنا من عاري كاس أنا من كاسي عاري

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

وقلت على طريقتهم أيضاً :

وقالت حلقتُ الكُؤسَ منى بنورة فقلت لما استنصرت من ليس ينصر
ألا فاخبري^(١) عنى فديتك واصدق بحلق ذاك الكُؤس إننى مُقصر

وقلت في بعض الأصحاب ، وقد أكثر من سرقة كتب البرق الشامي للعماد

الأصفهاني ، رحمه الله :

خليلي إن يُقض اجتماع بخالد فقولا له عنى ولن تعدوا الحقاً
سرتُ العماد الأصفهاني برقه وكيف ترى في شاعر يسرق البرقاً

وقلت ، وقد أرجف قوم من المرورين بظهور الخاتم :

وقالوا قد ظفرنا في الزمان بخاتم قد اجتمعت أوصافه الغرُّ في شخص
فقلت لهم إن صح ما قد ذكرتم فلا بد أن يُحتاج فيه إلى فص
وقلت ، ونستغفر الله من السفاهة :

قالت بعقلك فاحتفظ كي لا تُرى تبكي بضرٍ ليس يعرف كاشفا
واعسل فديت حساب سحري وارعوى فدأنا الذي أخرجتُ على سرنا كاشفا
وقلت مطاوعاً إخوان الدعابة :

قالت إذا استخبرتها عن زوجها هو يُقرن الأزواج في الفدان
قلت ابلي عنى السلام تحيةً عند المجي لزوجك القران
وقلت وهي نزعة بيطارية :

وذى زوجة تشكو فقلت له اسقها دواء من الحب الملين للبطن
فقال أبت شرب الدواء بطبعها فقلت اسقها إن عافت الشرب بالقرن
وقلت أخطب بعض الطلبة ، وكُنْية أبيه أبو الربيع ، وآهته بأكل
الحشيش :

إننى ابن سليمان وفي الفكر فترة تُخبر أنَّ العقل جدُّ مُغسب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فابلنى) .

فقلت أظن السيد اعتم عنة ولكنها في الأصل من كنية الأب
وقلت على طريقة المشاركة والله ولي المغفرة :

قال لي عندما أتى بجداول وشكوك على أصول الدين
ولساني يُبدل الدال تا عاجزا في الأمور عن تبين
التمس مخرجا يوافق قولي قلت أحسنت يا حلال التين

وقلت معارضا أبياتا مثلها لبعض المعاصرين :

بعثت له إذ اتبعنا عصيرا هجرنا في تفقده البيوتنا
لعلك يا حبيب القلب تأتي فتأكل عندنا عتبا وتُسوتا

وقلت مخاطب من أدل عليه ، وما أولاني بذلك :

إذا قمت قلت بعقيب الكرى إلهي أنت إله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب وأنشأتني بينهم من خرا

وقلت وهي نزعة مشرقية :

يا قايدى نحو الغرام بمقلة نفقت حلاوتها بكل فؤاد
ماذا جنيت على من مَضض الهوى الله يُنصف منك يا قواد

وقلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السكر ، ولحية التيس دواء نافع

للبدن :

رعى عارضى ظبى شكى سقم بطنه وقال ولم تُرشد لحذق ولا كيمس
ألم تر أنى علة البطن اشتكى وينفع من يشكو بها لحية التيس

وقلت :

حين لم أَرَجُ للخلاص سبيلا دأبه بالصدود في عشاقه
قبضت الله لحيته لخلصي قبضت بالبنان فوق خناقه

وقلت في ذلك :

لم أجد فيه لين بث لقلبي
ثقل الله ظهره بعيسال
وقبولا لحجتي واعتذاري
سود الله وجهه بعذار

وقلت في ذلك :

ناديت مبتهلاً وقد جن اللجبي
يارب واجعل لوعتي في قلبه
لما برمت برده وبنجهه
يارب واجعل لمحتي في وجهه

وفي قريب من ذلك ، والله العفو الغفور :

لي حبيب لست أعصى أمره
يدعى أني ثقيل مبرم
لم أطق بعد وصال هجره
أثقل الله بعذلي ظهره

وقلت في مجتمع فضلاء :

أقول وقد جاء الغلام بثردة
بنيت على زرد ولقمني الفتى
بأمثالها يحيي السعيد وينعم
كذلك ماعون البناء يلتم

وقلت والله ولي التجاوز أداعب بعضهم :

شيخ رباط إن أتى شادين
أدلى وقد أبصره دلسوه
خلوته عند انسداد الظلام
وقال يا بشرى هذا غلام

وقلت مشيراً إلى بعض طبقات الغناء :

ضرط الفقيه فقلت ذاك غريبة
قرنا إلى وقال قد أطرفتكم
ما كان ذلك منه بالمعلوم
من ضرطتي بغريبة المزموم

وقلت أصف رجلاً خبيثاً غفر الله لي وله :

وذى حيل يعي التقيّة أمرها
يدب شبول الليث والليث ساهر
مكايدة في لجة الليل تسبح
ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت في نزعات المشاركة :

أقول لعاذلي لما نهاني وقد
علمت بيانه مر التجني
وجد الملامة إذ جفاني
وفاتك أنه حنو اللسان

ومن أغراض الإشارات الصوفية وغيرها من الوعظ والجدد والحكم .

ولعل ذلك ماحياً لما تقدمه بفضل الله

قلت . وربما ثبتت في كتاب « المحبة » من تأليفي :

تعددت الألفاظ واتحد المعنى	وأصبح فرداً ما مررت به مثنا
وعادت لعين الجمع وهي كثيرة	محاكلاً فرق مجتلى وجهك الأسنى
تعبدت الأفكار آثارك العلا	وقيدت الأبصار روضتك الغنا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية	ببعض الذي أبدته ذاتك من معنى

وقلت :

لا يُنكر لي إن كنت قد أحببتكم	أو أنى استولى على هواكم
طوعاً وكرها ما ترون فإننى	طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقلت :

والكون أشراك نفوس الورى	طوبى لنفس حرة فهازت
إن لم تحز معرفة الله قد	أورطها الشيء الذى حازت

وقلت أيضاً فى المشيب وما فى معناه :

أنى لمثل بالهوى من بعد ما	للوخط بالفودين أى ديب
لبس البياض وحل ذرورة منبر	منى ووالى الوعظ فعل خطيب

وقلت فى تعلل يناقض ذلك :

قلت للشيب لا يُربك جفائى	فى اختصارى لك البرور ومقتك
أنت بالعتب يامشيبى أولى	جيتنى فجأة وفى غير وقتك

وقلت :

طال حزنى لنشاط ذاهب	كنت أسمى دايماً من خانة
وشباب كان يندى نضرة	نزل الثلج على ربحانه

ونظرت يوما إلى ولدي فأعجبتنى شيبته فقلت :

سرق الدهر شبابي من يدي فسوَّادى مُشعر بالسكد
وحملتُ الأمر إذ أبصرته باع ما أفقدني من ولدي
وقلت وهو الحقُّ :

أنظر خِضاب الشيب قد نصلا ورائد العيش بعده انفصلا
ومطلبي^(١) والذي كلِّفت به قد رُمْتُ تحصيله فما حصلا
لا أمل مُسيفٌ ولا عمل نحن في ذا والموت قد وصلا

وقلت :

فَحَطْنَا ثم صاب الغيث رحمي فشكرا يا حِمام إذا الغطنا
ويا غيث الرضا عنا انسكابا فأنت على الخبِير به سقطنا
وقلت لما أخذت في طريقة أبي الفرج^(٢) :

قعدت لتذكير ولو كنت مُنصفا لذكرت نفسي فهي أخوج للذكرى
إذا لم يكن مني لنفسى زاجرا فياليت شعري كيف نفعل^(٣) في أخرى^(٤)
وقلت وأنا بسلا ، وقد أحسست غفلة ، والحال كله كذلك :

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر دهيت^(٥) فدلوني لمن يُرفع الأمر
تشاغلنا بالدنيا ونمنا مفرطاً وفي شغلي أو نومتي سُرق العُمر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وبقلى) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي (وقلت على طريقة أبي الفرج الحوني) .

(٣) هنا وهذه المقطوعة تم الجزء الثالث من مخطوط الزيتونة . وبه كل كتاب الإحاطة وفقا لهذا المخطوط . وقد اختتمه الناسخ بالعبارة الآتية « انتهى كتاب الإحاطة بحمد الله وعونه . وصل الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم ورسوله الرحيم ، وأخصه بأفضل التسليم . ورضى الله عن العلية خير أصحابه ، وعن الصفوة الصابئة أهل بيته ، وبه نتوسل أن يمن علينا بشفاعته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (لوحة ٣٠١ ، ٣٠٢) « ووافق المراع منه يوم الثلاثاء الثامن والعشرون من جمادى الثانية عام ١٢٧٣ » .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت)

وقلت في مِنكَاة الرَّمْل وهو بديع :

مِنكَاة الرَّمْل فِيهَا عِبْرَةٌ وَنُهَى
لُبَابُ عُمَرِ الْفَتَى يَجْرِي بِجَرَّتَيْهَا
وشاهدٌ أَن كَلًّا مَنقُضٌ كَمَدَا
كَأَنَّمَا الْعُمُرُ لَمَّا أُطْلِقَتْ فُصِدَا

ولما ارتجلت ذلك ، استزاد الحاضرون فقلت :

تأمل الرَّمْل في المِنكَاة مُنطلقا
والله لو كان وادي الرَّمْل يُنجده
يَجْرِي وَقَدْرُهُ عَمْرًا مِنْكَ مُنْتَهِيَا
ما طال طابِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا
وقلت في قريب منه :

حَمَى الْفَلَكَ الدَّوَارَ جَفْنِي عَنِ الْكِرَى
أَرَاهُ رَحَى قَيْنٍ وَعَمْرَى صَفِيحَةَ
لَشْتَى هَمُومٍ مِنْهُ فِكْرَى يَجْنِيهَا
يَكْرَى عَلَيْهَا بِالْمَدَارِ فَيُفْنِيهَا
وقلت في الوصايا :

إِذَا مَا النَّفْسُ مَالَتْ نَحْوَ حُسْنٍ
فَإِنْ أَحْسَنْتَ بِالْمَيْلِ أَدْرَكَهَا
فقد خَطَرْتُ عَلَى خَطَرِ الْوَلُوعِ
فَمَا بَعْدَ الْمَيْلِ سِوَى الْوَقُوعِ
وقلت في المعنى :

إِذَا صَرَفْتِ نَحْوَ وَجْهِ حَسَنٍ طَرَفَكَ
فَلَا تُمِيلِ قَلْبَكَ مَا اسْتَطَعْتَ لَهُ
واستهداك للحين الطَّمَعِ
فالقلب كالحائِطِ إِنْ مَالَ وَقَعَ
وقلت :

أَخِي لَا تَقُلْ كَذِبًا إِنْ نَطَقْتَ
وَخِيفَ إِنْ كَذَبْتَ طُرُوفًا فَتَضْحَكُ
فَلِلنَّاسِ فِي الصَّدَقِ فَضْلٌ وَضَحٌ
فَمَا كَذِبُ الْفَجْرِ إِلَّا افْتَضَحَ
وقلت مُنحيا على عالم الكَوْنِ والفساد :

والله لو كانت حياتي في يدي
في خفض عيش لا تكلف منة
مع جهل وعد الله أو لقياه
الإنسان مطعمه ولا سقياه
ما كان هذا العالمُ الجَمُّ الأذَى
بما يؤمل عاقل بُقْيَاهُ

وكتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينة سبته :
 أقمنا برهة ثم ارتحلنا كذلك الدهر حالٌ بعد حال
 وكل بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكل إقامةٍ فإلى ارتحال
 ومن سام الزمان بعامٍ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المحال
 ولنختم غرض هذه المقطوعات بقولي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :
 عدّ عن كيت وكيت ما عليها غير مئيت
 كيف ترجو حالة البقاء لمضباح وزيت
 ومن الموشحات

التي انفرد باختراعها الأندلسيون ، وقد طمس اليوم رسمها ، قولي :
 ربُّ ليل ظفرتُ بالبدر ونجوم السما لم تدر
 حفظ الله ليلنا ورعا أي شمل من الهوى جمعا غفل الدهر والرقيب معا
 ليت نهر السر لم يعجر حكّم الله لي على الفجر
 علل النفس يا أخا الطرب بحديث أحلى من الضرب في هوى من وصاله أربُّ
 كلما مرّ ذكر من أدر قلتُ يا بَرْدُه على صندر
 صاح لا تهتم بأمر غدٍ وأجزّ صرفها يدا بيد بين نهر وبُلبلٍ غرد
 وغصون تميل من سُكر أعلنت الغمام بالشكر
 يا مرادى ومنتهى أملٍ هاتها عسجدية الحُلل حلت الشمس منزل الحَمَل
 ورَدُ الربيع في نشر والصبا عنبرية النش
 غرّة الصبح هذه وضحت وقيان الغصون قد صدحت وكان الصبا إذا انفحت
 وسما طيها عن الحضر مِدْحَةٌ في غلا بني نصر
 هم ملوك الوري بلائنيًا مهّدوا الدين زينوا الدنيا وحمى الله منهم العُليا
 فالإمام المرفّع الخطر والغمام المبارك القطر
 إنما يوسف إمام هدا جاز في المعلّوات كلّ مدا قلّ لدهر بملكه سَعدا

إفتخر واجباً على الدهر كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العُلا والمجد أطلع العيد طالع السعد ووفى الفتح فيه بالوعد
وتجلت فيه على العُصر غرر من طلايع النُصر
فتنهناً من حُسنه البهج بحياة النفوس والمهج واستمِعها ودع مقال شج
قسماً بالهوى لذي حجر ما ليليل المشوق من فجر
ومن ذلك قولي أيضاً :

زمن الأُنس كلما ولى رده مُعوز فاغتنم منك ريق العُمر وهو مُستوفز
أطرد الهمَّ بابنة العنب. وأحل غم الثرا. عن شُموس عكفن في حُجب. عن عيون الورى
هى كثر من خالص الذهب حل عند العرا
كم فقير أتى على وعد فيه يُستنجز والوعيد الشديدمعروف للذى يكتنز
أضحك الفجر مبسم الشرق. فاستراب الظلام وانتضى الأفق صارم البرق. من
قرباب الغمام

وتحلّت تراببُ الورق ذر زهر الكمام
ولجيش الصباح فى الأفق راية تُركز وخيول السحاب بالبرق أبدا تنهجر
وقدود الغصون ترتاح للقاء النسيم وشميم الرياض نفّاح كثننا الكريم
ومُخياً الصباح يلتاح فى الجمال الوسيم
وخطيبُ الحمام فى الغُصن مُسهبٌ موجز ينكر النوم فهو بالعُتب مُفصحٌ مُلغز
للهى قُدوة من الناس. ذات نهج قويم لا ترى فى المدام من باس وارتشاف النديم
بحديث الغرام والكاس فى الزمان القديم
طُوروا صفح كل ديوان وبه طرّما لا تُجزى فى شريعة الظرف غير ما جوزا
قف ركاب المدايح الغر. باهل بر الهدا يوسف الملك نخبة الأمر غيثُ أفق النداء
من لأسلافه بنى نصر فى جهاد العدا
وكتبت عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن نصر،

رحمه الله ، إلى التربة المقدسة ، تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهي من أوليات ما صدر عني في هذه الأغراض :

إذا غاتني ظل الحمى ونعيمه	فحسبُ فؤادي أن هبَّ نسيمهُ
ويقنعني أنى به مُتكيف ^(١)	فزمزمه دمعى وجسمى حطيمه
يعود فؤادي ذكر من سكن الغضا	فيُقعدده فوق الغضا ويُقيمه
ولم أريوما ^(٢) كالنسيم إذا سرى	شفا سقم القلب المشوق سقيمه
نعلى بالتذكار نفسا مشوقة	يديرُ عليها كأسه ويُدِيمه
وما شفني بالغور قد مرَّتم ^(٣)	ولاشاقني من [حشٍّ وجدلة] ^(٤) ريمهُ
ولا سهرت عيني لبرق ثنسية	من الثغر يبلو موهناً فأشيمه
براني شوقٌ للنبي محمد	يسوم فؤادي بَرَّحه ^(٥) ما يسومه
ألا يا رسول الله ناداك ضارعٌ	على البعد ^(٦) محفوظ الوداد سليمهُ
مشوق إذا ما الليل مدَّ رواقه	تحت ^(٧) به تحت الظلام همومه
إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا	شجاه من الشوق الحديث قديمهُ
أيجهر بالتجوى وأنت سميعُها	ويشرح ما يخفى وأنت عَلِيمهُ
وتعوزه السقيا وأنت غياثهُ	وتتلفه البلوى ^(٨) وأنت رحيمه
بنورك تور الله قد أشرق الهدى	فأقماره وضَّساحة ونجـومه

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (متكيف) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شينا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مريح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وحش وجره) .

(٥) وردت في الإسكوريال بجره . والتصويب من النسخ .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (النأي) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تم) .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الشكوى) .

لك أنهل فضل الله بالأرض ساكباً
ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى
لك الخلق الأَرْضِي الذي جُلَّ ذكره
يجلُّ مدى عليك عن مدحِ مادحٍ
ولى يارسول الله فيك وراثَةٌ
وعندي إلى أنصار دينك نِسْبَةٌ
وكان بودى أن أزور مَبِوَأً
وقد يجهد الإنسان طَرْفَ اعترامه
وعُدري في تَسْوِيفِ عزمي ظاهر
عَدَّتْني بِأَقْصَى الغَرْبِ عن تُربِكِ العدا
أجاهد منهم في سبيلك أُمَّةً
فلولا اعتناءً منك يا ملجأَ الْوَرَى
فلا تَقْطَعِ الجَبَلَ الذي قد وصلته
وأنت لنا الغيث الذي نَسْتَدْرُهُ
ولمَّا نأتُ داري وأعوز مَطْمَعِي
بعثتُ بها جُهْدَ الْمُقِلِّ مَعُولاً
وكلتُ بها هَمِّي وصدقُ قريحتي
فلا تَنْسَى يا خير من وطئ الثرى
عليك صلاة الله ما ذرَّ شارِق

فأبواؤه ملتفةٌ وغيومه (١)
خليل الذي أوطا كها (١) وكليمه
ومجدك في الذِّكْرِ الحكيم (٢) عظيمه
فموسرُ دُرِّ القول فيك عديمه
ومجدك لا يُنسى الزَّمامِ كريمه
هي الفخر لا يخشى انتقالاً مُقِيمه
بك أفتخرت أطلاله ورسومه
ويعوزه من بعد ذلك مَرُومه
إذا ضاق عُذْرُ العَزمِ عمن يلومه
جلالِقةُ الشَّعرِ الغريبِ ورُومه
هي البحر يعيى أمرها من يرُومه
ليربع حِمَاهِ واستَبِيحِ حَرِيمه
فمجدك موفور النوالِ عَمِيمه
وأنت لنا الظلُّ الذي نَسْتَدِيمه
وأقلقني شوقُ يشبُّ جَحِيمه
على مجدك الأعلى الذي جلَّ خِيمه
فساعدها (٤) هاءُ الرُّوى وميمه
فمثلك لا يُنسى لديه خديمه
وما راق من وجه الصَّبَّاحِ وسِيمه

(١) هذا البيت وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (أوطا كها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المطم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ساعدن) .

إلى رسول الحق ، إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة الصادق البرق ،
والحايز في ميدان اضطفاء الرحمن قصب السبق ، خاتم الأنبياء ، وإمام
ملائكة السماء ، ومن وُجبت له النبوة ، وآدم بين الطين والماء ، شفيع
أرباب الذنوب ، وطبيب أدواء القلوب ، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب ،
نبي الهدى الذي طهر قلبه . وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربّه ، وجرى
في النفوس مجرى الأنفاس حبه ، المشفيع يوم العرض ، المحمود في ملائ
السموات والأرض ، صاحب اللّواء المنشور ، والمؤمن على سرّ الكتاب
المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد بكفاية الله
وعصمته ، [الموفور حظّه من عنايته ونعمته] ^(١) . الظلّ الخفّاق على
أمتّه من لوحات الشمس بعض كماله ، ما عدمت إشراقا ، أو كانت للآباء
رحمة قلبه ، ذابت [نفوسهم] ^(٢) [إشفاقا ، فائدة الكون ومعناه ، وسرّ
الوجود الذي بهر الوجود سنّاه ، وصنّف حضرة القدس الذي لا ينال قلبه
إذا نامت عيناه ، البشير الذي سبقت له البشري ، ورأى من آيات ربّه
الكبرى ، ونزل عليه] ^(٣) سبحان الذي أسرى . الأنوار من عنصر نوره
مستمدة . [والآثار من آثاره مستجدة] ^(٤) من طوى بساط الوحي لفقده ،
وسدّ باب النبوة والرسالة من بعده ، وأوتى جوامع الكلم ، فوقف البلغاء
حسرى دون حدّه ، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده ^(٥)

(١) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (فيه) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كآلاتي (والآثار

تخلق وآثاره مستجدة) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لنوره) والأولى أرجح

مصانع الشُّمِّ وقصوره ، وطفقت الملائكة تحييه ^(١) وفودها وتزوره .
 وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته . [فجاء بتصديق
 الخبر ظهوره] ^(٢) وأخذ عهد الإيمان على من اتصلت ببعثته منهم أيام
 حياته] ^(٣) المُفزع الأَمَنع يوم الفزع الأكبر ، والسند ^(٤) المعتمد عليه
 في أهوال المَحْشَر ، ذو المعجزات ^(٥) التي أثبتتها المشاهدة والحِسُّ ،
 وأقربها الجن والإنس ، من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر له
 ينشقُّ ، وشجر ^(٦) يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بدعائه عن
 مسيرها تُحْبِسُ ، وما من أصابعه الكريمة ينبجس ، وغمام باستسقائه يصبوب ،
 وركية ^(٧) بصق في أجاجها ، فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب ،
 المخصوص بمناقب الكمال ، وكمال المناقب ، المسمى بالحاشر والعاقب ،
 ذو المجد البعيد المراقى ^(٨) والمراقب ، أكرم من [رفعت إليه] ^(٩) وسيلة
 المُعْتَرَفِ والمُتَغْرِبِ ، سيّد الرسل ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
 الذى فاز بطاعته المحسنون ، واستنقذ بشفاعته المذنبون ، وسعد باتباعه
 الذى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، صلى الله عليه وسلم ، مالمع برق ،
 وهمع وذق ، وطلعت شمس ، ونسخ اليوم أمس . من عتيق شفاعته ،
 وعبد طاعته ، المعتصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ، المُسْتَشْفَى بذكره كلما

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجيئه) والأولى أرجح .
- (٢) هذه العبارة ساقطة في النسخ ، وواردة في الإسكوريال .
- (٣) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .
- (٤) وردت في الإسكوريال (السيد) والنصوب . النسخ .
- (٥) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (المشاهد) والأولى أرجح .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وحجر) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وطوى) .
- (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المرأى) .
- (٩) هكذا . هذه العبارة في النسخ . وردت كذلك في الإسكوريال (بهشت) .

تَأَلَّمَ . المفتاح بالصلاة عليه كلما تكلم - الدي . [إن ذكر] ^(١) تنثل
 طلوعه بين أصحابه وآله . وإد هبَّ النسيم العاطر ، وجد فيه طيبٌ
 خِلاله ، وإن سمع الأذان تُذَكَّرُ صوتُ يِلاله ، وإن ذُكر القرآن ،
 استُشعر ^(٢) تردُّدُ جبريل بين معاهده وخِلاله . لائِمٌ تُربيه ، ومؤمل
 قُربه ، ورهينُ طاعته وحبِّه . المتوسل ^(٣) به إلى رضى الله ربِّه ، يوسف بن
 إسماعيل بن نصر . كَتَبَهُ إليك يارسول الله . والدمع ما ح . وخَيْلُ الوَجْدِ
 ذات جماح ، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر . وانكسار لأيتاح له
 إلأبدنو مزارك الجبِّر [وكيف لا يُعبي مشوقك الأمر . وتوطأ على كبده
 الجَمْر] ^(٤) ، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تُربتك المقدسة اللحد .
 ووُعِدت الآمال . ودانت بإخلاف الوعد . وانصرفت الرفاق والعين
 بإئمد ^(٥) صريحك ما اكتحلت ، والركائب إليك ما ارتحلت ، والعزائم
 قالت وما فعلت . والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تُسرح ، وظهور ^(٦)
 الآمال عن ركوب ^(٧) العجز لم تُبرح . فيالها معاهد فاز من حيَّها ،
 ومشاهد ما أعطر رِيَّها . بلادٌ بيظت بها عليك التَّمَائم ، وأشرفت بنورك
 منها النُّجود والتَّهائم . ونزل في حجراتها عليك المُلك ، وانجلي بضياء
 فُرقانك فيها الحَلَك ، مدارس الآيات والسُّور . ومطالع المعجزات السَّافرة
 والغرر ، حيث قضيت الفروض وحُتمت ، وافتتحت [سُور الوحي] ^(٨)

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال

(٣) هكذا وردت في النفع . زي الإسكوريال (المتوصل) والأول أرجح

(٤) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بنور) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وطبور) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وكور) .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النفع (سورة الرحمن)

وَحُتِمَتْ ، وَابْتَدِيَتْ الْمَلَّةَ الْحَنِيفَةَ وَتَمَّمْتَ ، وَنُسَخَتْ الْآيَاتُ وَأُحْكِمْتَ .
 أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ هَادِيًا [وَأَطْلَعَكَ لِلخَلْقِ نُورًا بَادِيًا] ^(١) ، لَا يُطْفِئِي
 غُلَّتِي إِلَّا شِرْبُ بُكَ ، وَلَا يُسْكِنُ لَوْعَتِي إِلَّا قُرْبُكَ ، فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضٍ مِنْ
 حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ مَا فَرَضْتَ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ،
 وَعَقَّرَ الْخَدَّ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أُسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ مَا بَيْنَ دَارِي بِعَثَّتِكَ وَهَجْرَتِكَ .
 وَإِنِّي لَمَّا عَاقَبْتَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاقِقَ ، وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَصَدَّنِي ^(٢)
 الْأَعْدَاءُ فِيكَ عَنْ وَصْلِ سَبِي بِسَبِيكَ ، وَأَصْبَحْتَ بَيْنَ بَحْرِ تَتَلَاظِمِ أَمْوَاجِهِ ،
 وَعُدُوٌّ تَتَكَائِفُ أَفْوَاجُهُ ، وَيَحْجُبُ الشَّمْسُ عِنْدَ الظَّهْرِ عَجَاجِهِ ، فِي طَائِفَةِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَطَنُوا عَلَى الصَّبْرِ نَفُوسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ
 وَعَلَيْكَ لُبُوسَهُمْ ، وَرَفَعُوا إِلَى مَصَارِحَتِكَ رُؤُوسَهُمْ ، وَاسْتَعَذَّبُوا فِي مَرَضَاتِهِ
 اللَّهُ وَمَرَضَاتِكَ ^(٣) بُوْسَهُمْ ^(٤) ، يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَيَلْتَفِتُونَ ^(٥)
 وَالْمَخَافِ عَنْ يُمْنِي وَيُسْرِي ، وَيَقَارِعُونَ وَهُمْ الْفَيْئَةُ الْقَلِيلَةُ ، جَمُوعًا
 كَجَمُوعِ قَيْصَرَ وَكُسْرِي ، لَا يَبْلُغُونَ مِنْ عَدُوِّ ^(٦) وَهُمْ الدَّرُّ مِنْ انْتِشَارِهِ
 عَشْرَ مِئْثَارِهِ ، قَدْ بَاعُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ
 هِيَ الْعُلْيَا ، فَيَالَهُ مِنْ سِرْبٍ مَرْوَعٍ ، [وَصَرِيخٍ إِلَّا مِنْكَ مَمْنُوعٍ] ^(٧) وَدَعَاءٍ
 إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ . وَصَبِيَّةٌ حُمَرُ الْحَوَاصِلِ ، تَخْفِقُ فَوْقَ أَكَارِهَا أَجْنَحَةٌ
 الْمَنَاصِلِ ، وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى بِمَدِّ ذِرَاعِيهِ ، وَرَفَعَتْ الْأَطْمَاعُ بِضَبْعِيهِ ،

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعدتني) والأولى أرجح .

(٣) ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (نفوسهم) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (ينفلتون) .

(٦) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (عدد) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وقد حُجبت بالقتام السماء ، وتلاطمت أمواج الحديد والبأس الشديد ،
فالتقى الماء . ولم يبق إلا الذماء . وعلى ذلك فما ضَعُفت البصائر ،
ولا ساءت انظور . وما وُعد به الشهداء تعتقده القلوب ، حتى تكاد
تشاهده العيون ، إلى أن نَلْقَاكَ غداً إن شاء الله . وقد أبلىنا العُذر ، وأرغَمْنَا
الكفر ، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر . اسْتَنْبَتُ رُفْعِي
هذه لتطير إليك [من شوق] ^(١) بجناح خافق ، وتشعر نيتي التي تصحبها
برفيق موافق ، فتودى عن عبدك وتُبَلِّغ ، وتُعْفِرُ الخد في تريك وتمرغ ،
وتطيب برياًها معاهدك الطاهرة وبيوتك ، وتقف وقوف الخشوع والخضوع
تجاه تابوتك ، وتقول بلسان التملق عند التثبث بأسبابك والتعلق ،
منكسرة الطرف ، حذراً بهُرجها من عدم الصِّرف . ياغيث الأمة ، وغمام
الرحمة ، إرحم غرْبِي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قِصْر باعي ، وقو على
هيبتك خور طباعي . فكم جُزْتُ من لُج مهول ، وجبت من حَزون وسُهول ،
وقابل بالقبول نيايَ ، وعجل بالرضا إجابتي ، ومعلوم من كمال تلك
الشِّم ، وسخاء تلك الدِّيم ، أن لا يخيب قَصْدُ من حطَّ بفنايها ، ولا
يظمأ وارد أكب على إنايها . اللهم يامن جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم
بالصورة ، وأعطيته لواء الحمد ، يسير آدم فمن دونه ، تحت ظلاله
المنشورة ، ومَلَكْتَ أُمَّتَهُ ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتني
من أُمَّتِهِ المَجْبُولة على حُبِّه المَقْطورة ^(٢) [وشوقتنى إلى معاهده المبرورة
ومشاهده المَزُورة] ^(٣) ووكلت لسانى بالصلاة عليه ، وقلبي بالحنين

(١) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ ، ومكانها في الإسكوريال (المومة لقربه) . والأولى أرجح لارتباطها

بالعبارات المسجمة التالية .

(٣) هذه الجملة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

إليه . ورغبته في التماس ما لديه ، فلا تقطع عنه أسبابي ، ولا تحرمني في حبه أجر ثوابي ، وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي . هذه يارسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشطّ زاره ، ولم يجعل بيده اختياره . فإن لم تكن هذه للقبول أهلاً ، فأنت للإغضاء والسمح^(١) أهل . وإن كانت ألقاها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل . وإذا كان الحب يُدوارث كما أخبرت ، والعروق تدسّ حسبما إليه أشارت ، فلي بانتسابي إلى سعد عميد أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية . فإن لم يكن لي عمل ترتضيه ، فلي نية . فلا تنسني ومن هذه الجزيرة [التي افتتحت]^(٢) بسيف كلمتك ، على أيدي خيار أمّتك ، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفضالك ، نعوذ بوجه ربك من إغفالك ، ونستنشق من ريح عنايتك نفحة ، وترتقب من محياً قبولك لمحة ، ندافعها عدوا طغى وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى . فمواقف التّمحيص قد أعيت من كتب وأرخ ، والبحر قد أضمت [بواعث لحجه]^(٣) من استصرخ ، والطاغية في العدوان مُستبصر ، والعدو محلّق ، والوليّ مقصر^(٤) . ويجاهك نستدفع^(٥) ما لا نطيق ، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيقيق ، [فلا تُفردنا ولا تهملنا ، وناد ربك فينا ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السباح) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (المفتحة) .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النسخ .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (تدفع) .

(٥) ووردت في الإسكوريال (منصر) والتصويب من النسخ .

ربنا ولا تحملنا ، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك بكفهمهم]^(٢)
 وربك يقول لك ، وقوله الحق ، وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم .
 والصلاة والسلام عليك ، يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ،
 وصلى الله على جميع أحزابك وآلك ، صلاة^(٣) تليق بجلالك ، وتحقُّ
 لكمالك ، وعلى ضَجِيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك ، خليفتك في
 أمتك^(٤) ، وفاروقك المُستخلف بعده على ملَّتكَ^(٥) ، وصهرك ذى النورين ،
 المخصوص ببرِّك ونِحْلَتِكَ ، وابن عمك ، سيفك المسلول على حلتك^(٥) ،
 بدر سمائك ووالد أهْلَتِكَ . [والسلام الكريم عليك وعليهم ، كثيراً
 أثيراً]^(٦) ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب بحضرة جزيرة الأندلس
 غرناطة ، صانها الله تعالى ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كَيْدَ عداها .

(١) ما بيني الحاصرتين وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (بما) .

(٣) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (ملتك) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، في النسخ (جلتك) .

(٥) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله
إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضمنت ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات

السِّنِيَّاتِ، إِلَيْهِ وَفِي أَوَائِلِ عَامٍ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ
دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِينَ غَرِيبٌ وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبٌ
مَدْلٌ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَسْرَفُهُ غَضِيضٌ عَلَى حُكْمِ الْحَيَاءِ مَهْيَبٌ^(١)
يُكَلِّفُ قَرَصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ إِذَا مَا هَوَى وَالشَّمْسُ حِينَ تَغِيبُ
لِيَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غَدْوَةٌ وَقَدْ ذَاعَ مِنْ وَرْدٍ^(٢) التَّحِيَّةُ طِيبٌ
وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشِّهَالَ شِمَائِلًا مِنْ الْحُبِّ لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَّ رَقِيبٌ
وَيَطْلُبُ فِي جَيْبِ الْجَيْبِ جَوَابَهَا إِذَا مَا أَطْلَتِ وَالصَّبَاحُ مُنِيبٌ^(٣)
[وَيَسْتَفْهَمُ الْكَفَّ الْخَضِيبَ وَدَمَعَهُ غَرَامًا بِحَنَاءِ النَّجِيعِ خَضِيبٌ
وَيَتَّبِعُ آثَارَ الْمَطِيِّ تَشِيْعًا وَقَدْ زَمَزَمَ الْحَادِي وَحَنَّ نَجِيبًا^(٤)
إِذَا أَثْرُ الْأَخْفَافِ^(٥) لَاحَتْ مَحَارِبًا يَخْرُ عَلَيْهِا رَاكِعًا وَيُنِيبُ
وَيَلْقَى رِكَابَ الْحَجِّ وَهِيَ قَوَافِلُ طَلَّاحٌ وَقَدْ لَبَّى النَّدَاءَ لَبِيبُ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنْتَ وَتَوَجَّعَ وَلَا حَوْلَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَنَجِيبُ
غَلِيلٌ وَلَكِنْ مِنْ قَبُولِكَ مَنْهَلٌ عَلِيلٌ وَلَكِنْ مِنْ رِضَاكَ طَبِيبُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى وَالْأَمَّ إِنِّي ضَلَّةٌ^(٦) وَقَدْ تُخَطِّئُ الْآمَالَ ثُمَّ تُصِيبُ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مريب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رد) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جنيب) .

(٤) هذان البيتان و اردان في الإسكوريال . وساقطان في النسخ .

(٥) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (الأحباب) والأولى أرجح .

(٦) وردت في الإسكوريال (ظلمة) . والتصويب من النسخ .

أَيْنَجِدُ نَجِدُ بَعْدَ شَطِّ^(١) مَزَارِهِ
 وَهَلْ يَنْقُضِي دَيْتِي فَيَسْمَحُ طَائِعاً^(٢)
 وَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لِحَوْمِي مُورِدٌ
 وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى الْجَوَادُ وَجَارُهُ
 وَكَيْفَ يَضِيقُ الدَّرْعَ يَوْمَ مَبْقَاصِدِ^(٣)
 وَمَا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلَّقْتُ بِسَارِقِ
 ذَكَرْتَ بِهِ رَكْبَ الْحِجَازِ وَجِيرَةَ
 فَبِتُّ وَجَفَنِي مِنْ لَأَلِيءِ دَمْعِهِ
 تَرِيحُنِي الذِّكْرَى وَيَهْفُونِي الْمَوَى
 وَأَحْضُرُ تَعْلِيلًا لَشَوْقِي بِالْمُنَى
 مُنَايَ^(٥) لَوْ أُعْطِيتِ الْأَمَانِي زَوْرَةَ
 ذِقُولُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقًا
 تَعَجِبْتِ مِنْ سَيْفِي [وَقَدْ سَابَقَ الْقَضَا]^(٦)
 وَأَعْجَبُ أَنْ لَا يُورِقُ الرَّمْحُ فِي يَدِي
 فَيَا سَرَّحَ ذَلِكَ الْحَيُّ لَوْ أَخْلَفَ الْحَيَا
 وَيَا هَاجِرَ الْجَوِّ الْجَدِيدِ تَلْبِثُأً
 وَيَا قَادِحَ الزَّنْدِ الشَّجَاعِ تَرْفُقًا
 وَيَكْتُبُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنْهُ كَتِيبِ
 وَأَدْعُو بِحِظِي مُسْمِعًا فِي حَبِيبِ
 لَدَيْكَ وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبِ
 عَلَيَّ أَيَّ حَالٍ كَانَ لَيْسَ يَخِيبِ
 وَذَلِكَ الْجَنَابُ الْمُسْتَجَارُ حَبِيبِ
 يَلُوحُ بِفَقْدِ الذَّلِيلِ مِنْهُ مَشِيبِ
 أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الْحَبِيبِ مُهَيِّبِ
 غَنِيٌّ وَصَبْرِي^(٤) لِلشُّجُونِ سَلِيبِ
 كَمَا مَالُ غِصْنٍ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبِ
 وَيَطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبِ
 يُبْتُ غَرَامَ عِنْدَهَا وَوَجِيبِ
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبِ
 وَقَلْبِي فَلَمْ يَسْكُبْ مِنْهُ مَذِيبِ
 وَمَنْ فَوْقَهُ غَيْثُ الْمَشُوبِ سَكِيبِ
 لِأَغْنَاكَ مِنْ صُوبِ الدَّمُوعِ صَبِيبِ
 فَعَهْدِي رَطْبَ الْجَانِبِينَ خَصِيبِ
 عَلَيْكَ فَشَوْقِي الْخَارِجِي شَبِيبِ

(١) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (شَطَط) .

(٢) مَكْذَا وَرَدَّتْ هَذِهِ الشُّطْرَةُ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَوَرَدَتْ فِي النَّفْحِ كَالآتِي (وَتَقْضَى

دِيُونِي بَعْدَ مَا مَطَّلَ الْمَلَى) .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (بِمَاضٍ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (وَسِيرِي) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٥) مَكْذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (مَرَامِي) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (وَقَدْ جَاوَرَ النَّفْسِي) .

أيا خاتم الرسل المكين مكانه
 فوادي على جمر البهاد قلوب
 فوالله ما يزداد إلا تلها
 فليلته ليل السلم ويومه
 هواي هدى فيك اهتديت بنوره
 وحسبي على أتي لصحبك منتم
 عدت عن مغانيك المشوقة للعدا
 حراس على إطفاء نور قدحته
 تمر الرياح الغفل فوق كلومهم
 بنصرك^(٣) عنك الشغل من غير مئة
 فإن صح منك الحظ طاعت^(٤) المني
 ولولاك لم تُعجم من الروم عودها
 وقد كانت الأحوال لولا مراغب
 منابر عز أذن الفتح فوقها
 نقود إلى هيجاتها كل صائل
 ونجتاب من سرد اليقين مدارعا
 إذا اضطرت^(٨) الخطى حول غديرها

حديث الغريب الدار فيك غريب
 يماح عليه للدهوع قليب
 أبصرت ماء ثار عنه لبيب
 إذا شد للشوق العصاب عصيب
 ومُنْتَسِي للصحب منك نسيب
 وللخزر جبين الكرام نسيب^(١)
 عقارب لا يخفى لمن ديب
 فمُسْتَلِب من دونه^(٢) وسليب
 فتعيق من أنفاسها وتطيب
 وهل يتساوى مشهد ومغيب
 ويبعد مرمى السهم وهو مُصِيب
 فعود الصليب الأعجمي صليب
 ضمنت ووعد بالظنون^(٥) تريب
 وأفصح للعضب الطرب خطيب
 كماريع^(٦) مكحول اللحاظ ربيب
 يكفئها من يَجْتَنِي ويثيب^(٧)
 يروك منها لجة وقصيب

(١) هذا البيت وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (دونها) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لنصر) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (طاوعني) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بالظهور) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ريح) .

(٧) هذا البيت وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (اضطرب) .

فعدراً وإغصاءً ولا تنس صارخاً بعزك يرجو أن يعجبَ مُجيب
وجاهك بعد الله نرجو وإنه لحظُّ مليُّ بالوفاء رَغيب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا عليك مُطيل بالشَّاء مُطيب
وما اهتزَّ قدُّ للغصون مُرنح وما افتَرَّ ثغر للبروق شبيب
إلى حجة الله تعالى^(١) ، المؤيد ببراهين أنواره ، وفائدة الكون ونُكته
أدواره ، وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره . إلى المُجتبي وموجود
الوجود ، لم يُغن بمطلق الوجود^(٢) عليه ، والمُصطفى من ذرية آدم ،
قبل أن يكسو العظام أديمه ، المحتوم في القدم ، وظلمات العدم ، عند
صدق القدم تقديمه وتفضيله ، إلى ودیعة النور المُنتقل في الجباه
الكریمة والغرر ، وغمام الرحمة الهامية الدرر . إلى مختار الله المخصوص
باجتبابه ، وحبیبه الذي له المزية على أحبائه ، من ذرية أنبياء الله تعالى
آبائه . إلى الذي شَرَح صدره وغسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد
وأرسله ، وأتم عليه إنعامه الذي أجزله ، وأنزل عليه من النور والهدى
ما أنزله . إلى بُشرى المسيح والذبيح ، ومن لهم التجر الربيع ، المنصور
بالرعب والريح ، المخصوص بالنسب الصريح . إلى الذي جعله في
المحول غماما ، وللأنبياء إماما ، وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما ،
وأعلم به في التوراة والإنجيل إعلاما ، وعلم المؤمنين صلاةً عليه وسلاما .
إلى الشفيع الذي لا تُردُّ في العصاة شفاعته ، والوجيه الذي قرنت بطاعة
الله طاعته ، والرؤوف الرحم الذي خلصت إلى الله في أهل الجرايم ضراعتة .
صاحب الآيات التي لا يسع ردها . والمعجزات التي أرزى على الألف عدها ،

(١) زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وو الإسكوريال (الجود) والأولى أرجح .

من قمر شُقِّ ، وجذع حنّ له وحقّ . وبنانٍ يتفجر بالماء ، [فيقوم
 يرى]^(١) الظمأ [وطعام يُشبع الجَمع الكثير يسيره ، وغمام يظلل به
 مقامه ومسيره] ، خطيب المقام المحمود إذا كان العَرَض ، وأول من
 تَنَشَّقُ عنه الأرض [ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القَرَض]^(٢)
 ولا عُرف النَّفل والقَرَض ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
 ابن عبد مناف ، المحمود الخلال ، من ذى الجلال ، الشاهدة بصدقه
 صحفُ الأنبياء وكتب الإرسال ، وآياته التي أثلجت^(٣) القلوب ، ببرد
 اليقين السُّلسال . صلى الله عليه وسلم ، ما ذرَّ شارق ، وأومض بارق ،
 وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تتأرجح عن شذا
 الدهر ، وتنبّج عن سناء^(٤) الكواكب الزهر ، وتتردد بين السرّ والجهر ،
 وتستغرق ساعات النهار^(٥) ، وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدهر ، من عبد
 هداه ، ومُستقرى مواقع نداءه ، وهزاحم أبناء^(٦) أنصاره في مُنتداه ،
 وبعض سهامه المُفوّقة إلى نحرور عُداه . مؤمل العتق من النار بشفاعته ،
 ومُحرز طاعة الجبار بطاعته ، الآمن باتصال رَغِيه من إهمال الله وإضاعته ،
 متخذ الصلاة عليه وسایل نجاهه ، وذخائر في الشدائد مُرتجاهه ، ومُتاجر
 بضائعها غير مُزجاه ، الذى ملأ بحبّه جوانح صدره ، وجعل فكره هالة
 لبُدْره ، وأوجب حقه^(٧) على قدر العبد لا على قدره ، محمد بن يوسف

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ووارد في النفع .

(٢) هذه العبارات الواردة بين الخاصرتين كلها واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (انبلجت) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (سنى) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (اليوم) .

(٦) زائدة في النفع .

(٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (قدرة) . والأولى أرجح .

ابن نصر الأنصاري الخزرجي ، تسبب سعد بن عبادة من أصحابه ،
 وبوارق سحابه ، وسيوف نصرته ، وأقطاب دار هجرته ، ظلله الله يوم
 الفزع الأكبر ، من رضاك عنه بظلال الأمان ، كما أثار قلبه من هدايتك
 بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله من أهل السياحة في فضاء حبك والهيمنان .
 كتبه إليك يا رسول الله ، واليراعُ يقتضى مقام الهيبة صُفرةً لونه ،
 والمداد يكاد أن يحول سواد جونه ، ورقة الكتاب^(١) يخفق فؤادها حرصاً
 على حفظ اسمك الكريم وصورته ، والدمع يقطر فتنقط به الحروف ،
 وتفصل الأسطر ، وتوهم المثلث بمشواك المقدس ، لا يمر بالمخاطر سواه
 ولا يخطر ، عن قلب بالبعد عنك قريح ، وجفن بالبكاء جريح ، [وتأوه
 عن تبريح]^(٢) ، كلما هبت من أرضك نسيم ريح . وانكسار ليس له
 إلا جبرك ، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قُربك ، وإن لم يقض فقبرك .
 وكيف لا يُسلم في مثلها الأسي ، ويوجش الصباح والمساء ، ويترجف
 جبل الصبر بعد ما رسي ، لولا لعل وعسى . فقد سارت الركببان إليك
 ولم يقض مسير ، وحوّمت الأسراب عليك ، والجناح كسير ، ووعدت
 الآمال فأخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل
 النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل ، إلا على التمثيل ، ولا من
 المعالم المتنادية^(٣) التنوير ، الأعلى التصوير ، ومهبط وحى الله ، ومُنزّل
 أسمايه ، ومرتدّ ملايكة . مائه ، ومرافق^(٤) أوليائه ، وملاحد أصحاب^(٥) خيرة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الفؤاد) . والأولى أرجح .

(٢) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الملتصبة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مدافن) والأولى أرجح .

(٥) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

أنبيائه ، رزقى الله الرضا بقضائه ، والصبر على جاحم البعد ورمضاته .
من حمراء غرناطة [حرسها الله تعالى] دار ملك الإسلام بالأندلس . قاصية
سُبُلِكَ ، ومُسْلِحَةٌ^(١) رَجَلِكَ ، يا رسول الله وخَيْلِكَ ، وأنَّى^(٢) مطارح دعوتك
ومساحِبِ ذَيْلِكَ ، حيث مصافُّ الجهاد في سبيل الله وسبيلك ، قد ظللها^(٣)
القتام ، وشهبان الأسننة أطلعتها منه الإعتام ، وأسواق بيع النفوس من الله ،
قد تعدد بها الأيامى والأيتام . حيث الجراح قد تحلَّت بعسجد نَجِيعها
النعور ، والشهداء تحفُّ بها الحور ، والأمم الغربية قد قَطَعَتْها عن المدد
البحور ، حيث المباسم المُفْتَرَّة ، تجلوها المصارع البرة ، فتحييها بالعراء
ثغور الأزاهر ، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر ، حيث
الإسلام من عدوه المكابد بمنزلة قَطْرَةٌ^(٤) من عارض غمام ، وحصاة من
قَيْبِر^(٥) أو شِمام ، وقد سُدَّت الطريق ، وأسلم [الفراق الفريق]^(٦) ،
وأغص الريق ، ويثس من الساحل الغريق . إلا أن الإسلام هذه الجهة
التمسكة بحبل الله وحبلك ، المهتدية بأدلة سُبُلِكَ ، سالم والحمد لله من
الإنصيذاع ، محروس بفضل الله من الابتداء ، مقدود من جديد الملة ،
معدوم فيه وجود الطوائف المضلَّة ، إلا ما يخص الكفر من هذه العلة ،
والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه ، بجمع القلَّة . ولهذا الأيام
يا رسول الله : أقام الله أودهُ برأ بوجهك الوجيه ورعياً ، وإنجازاً لوعدك

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسجبة) . والأولى أرجح .

(٢) واردة في النسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (ظلله) والتصوب من النسخ

(٤) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (نثير) .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (للفريق الفريق) .

وسعيًا^(١) وهو الذي لا يخلف وعدًا ، ولا يخيب سعيًا ، وفتح لنا فتوحا
أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب ، وبشرتنا منه تعالى بتغمد^(٢) التقصير
ورفع التثريب ، ونصرنا ، وله المِنَّة ، على عبدة الصليب ، وجعل لألفنا
الرديني ولأمنا السردى ، حكم التغليب . وإذا كانت الموالى التى طوقت
الأعناق مننها ، وقررت العوايد الحسنة^(٣) سيرها وسننها ، تبادر إليها
نوابها الصرحاء ، وخذامها النصحاء بالبشائر ، والمسرات التى تُشاع فى العشائر ،
وتجلبو لديها نتائج أيديها ، وغايات مباديها ، وتتاحفها وتهاديها ، بمجانى
جناتها وأزاهر غواديها ، وتطرف محاضرها بطرف بواديها ، فبابك يارسول
الله أولى بذلك وأحق ، ولك الحق الحق ، والحر منا عبدك المسترق ، حسبما
سجله الرق . وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع ، ومثواك
المُجمع ، وملوك الإسلام فى الحقيقة عبيد سديك^(٤) المؤملة ، وخول
مثابتك المحسنة بالحسنات المُجملة ، وشهب تغشو إلى بدورك المكملة ،
ومحض سيفك المقلدة فى سبيل الله المُحملة ، وحرمة مهادك ، وسلاح
جهادك ، وبروق عهادك . وإن مكفول احترامك الذى لا يُخفر ، وربى
إنعامك الذى لا يكفر ، ومُلتحف جاهك^(٥) ، الذى يُمحي ذنبه بشفاعتك
إن شاء الله ويغفر ، يُطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك ، ويفتاح
صوان القدس الذى أجنك وحوالك ، وينثر بضائع الصلاة عليك ، بين
يدى الضريح الذى يهواك^(٦) ، ويعرض جنى^(٧) ما غرست وبذرت ،

(١) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى النفع .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (يغفر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الحسان) .

(٤) فى الإسكوريال (سيرتك) والتصويب من النفع .

(٥) وردت فى الإسكوريال جهادك . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (طواك) .

(٧) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (شى) . والأول أرجح .

ومِصْدَاقِ مَا بَشَّرْتَ بِهِ [لَمَّا بَشَّرْتَ]^(١) وَاذْنَرْتَ ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ طَلِيقُ
 جِهَادِكَ ، وَمَصِيبَ عِيَادِكَ ، لِتَقِيرَ عَيْنُ نَصْحِكَ ، الَّذِي أَنَامَ الْعُيُونُ السَّاهِرَةَ
 هُجُوعَهَا ، وَأَشْبَعَ الْبُطُونُ وَرَوَّاهَا ظَمَأَهَا مِنَ اللَّهِ وَجُوعَهَا . وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ
 بِمَرَأَى مِنْ عَيْنِ عِنَايَتِكَ ، وَغَيْبُهَا مُتَعَرِّفٌ بَيْنَ إِفْصَاحِكَ وَكِتَابَتِكَ . وَمُجْمَلُهُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ [وَبَلَّغَ وَسَيَّلَتْنِي إِلَيْكَ]^(٢) هُوَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ ،
 لَمَّا عَرَفَنِي لَطْفَهُ الْخَفِيِّ فِي التَّمْحِيصِ ، الْمُقْتَضِيَّ عَدَمَ الْمَحْيِصِ ، ثُمَّ فِي
 التَّخْصِيصِ ، الْمُغْنَى بِعِيَانِهِ عَنِ التَّنْصِيصِ ، وَوَقَّكَ بِبِرْكَتِكَ السَّارِيَةَ رَحْمَاهَا
 فِي الْقُلُوبِ ، وَوَسَائِلَ مَحَبَّتِكَ الْعَائِدَةَ بِنَيْلِ الْمَطْلُوبِ ، إِلَى اسْتِفَادَةِ عِظَةِ
 وَاعْتِبَارِ ، وَاعْتِنَامِ إِقْبَالِ بَدِ إِذْبَارِ ، وَمَزِيدِ اسْتِبْصَارِ ، وَاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى
 وَانْتِصَارِ . فَسَكَّنَ هُبُوبَ الْكُفْرِ بَعْدَ إِغْصَارِ ، وَحَلَّ مُخْتَقَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ
 حِصَارِ ، وَجَرَّتْ عَلَى سُنَنِ السُّنَّةِ ، بِحَسَبِ الْاسْتِطَاعَةِ وَالْمَنَّةِ الْيَسِيرَةِ ،
 وَجَبَّرَتْ بِجَاهِكَ الْقُلُوبَ الْكَسِيرَةَ ، وَسَهَّلَتْ^(٣) الْمَأْرَبَ الْعَسِيرَةَ ، وَرَفَعَ
 بِيَدِ الْعِزَّةِ الضَّيْمِ ، وَكَشَفَ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ الْغَيْمَ ، وَظَهَرَ الْقَلِيلَ عَلَى
 الْكَثِيرِ ، وَبَاءَ الْكُفْرَ بِحُطَّةِ التَّعْشِيرِ ، وَاسْتَوَى^(٤) الدِّينَ الْحَنِيفَ عَلَى الْمَهَادِ
 الْوَيْبِرِ ، فَاهْتَبَلْنَا^(٥) ، يَا رَسُولَ اللَّهِ غُرَّةَ الْعَدُوِّ^(٦) وَانْتَهَزْنَاهَا ، وَشَمَمْنَا
 صَوَارِمَ [عِزِّ اللَّهِ]^(٧) وَهَزَرْنَاهَا ، وَأَزَحْنَا عِلْلَ الْجِيُوشِ وَجَهَّزْنَاهَا ، فَكَانَ

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (وسهوت) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (واستولى) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النفع (عرة العدو) . والأولى أرجح .

مما ساعد عليه القدر ، والحظ^(١) المُبتَدِر . والورْدُ الذي [حسن منه] (٢) الصدر ، أننا عاجلنا مدينة بُرْغَةَ (٣) ، وقد جرّعت الأختين مالقة ورُنْدَةَ ، من مداين دينك ، وخزائين^(٤) ميادينك ، أكواس الفراق ، وأذكرت^(٥) مثل من بالعراق ، وسدّت طرق التّزاور على الطّراق ، وأسالت المسيل بالنّجيع المُراق ، في مراصد^(٦) المُراد والمُراق ، ومنعت المراسلة مع هدى الحمام ، لا بل مع طَيْف المنام عند الإلمام ، فيسرّ الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشّفار في رؤوس^(٧) الكفار إلحامها ، وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف أقحامها ، فانطلق المَسْرَى ، واستبشرت القواعد الحسرى ، وعَدِمَت بطريقها المُخيف مصارع [الصّرعى ، ومناقف] (٨) الأسرى ، والحمد لله على فتحة الأسنى ، ومَنَحَه الأسرى ، ولا إله إلا هو مُنْفَلُ قَيْصِر وكِسْرَى ، وفاتح مُغلقاتها المنيعة قَسْرًا ، واستولى الإسلام منها على قرار جنّات ، وأمّ بنات ، وقاعدة حصون ، وشجرة عُصون ، وطهرت مساجدها المغتصبة المكروهة ، وقُجِعَ فيها^(٩) الفيل الأفيال وأبرهة ، وانطلقت بذكر الله الألسنة المُدْهَرَة ، وفاز بسبق ميدانها الجياد^(١٠) الفَرِهَة . هذا وطاقية الروم على توفّر^(١١) جموعه ، وهول مرثيه ومسموعه ، قريب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المطلب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حصل بعده) .

(٣) مدينة برغة هي بلدة أندلسية تقع شرق مدينة رندة ، ومكانها اليوم بلدة Burgo

الإسبانية . (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مزائين) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زرق) .

(٨) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بمفظها) .

(١٠) وردت في الإسكوريال محرقة (الجيد) . وفي النسخ (جيادك) .

(١١) وردت في الإسكوريال (أوفر) والتصويب من انسخ .

جواره ، بحيث يتصل خواره . ثم نازل (١) المسلمون بعدها شجا الإسلام ،
الذي أعيا النطاسي (٢) عِلاجَة ، وكره (٣) هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه
ولا يُصاول أغلجه ، وركاب الغارات التي تطوى المراحل إلى مُكايِدة
المسلمين طي البرود ، وجُحر الحيات التي لا تَخلع على اختلاف الفصول
جلود الزرود ، ومنغص الورود في العذب المورود (٤) ، ومُقِصُّ المضاجع
وحلم الهاجع ، ومُجهز الخطب الفاجيء الفاجع ، ومُستدرك فاتكه (٥)
الراجع ، قبل هبوب الطائر الساجع ، حصن أشير (٦) حماه الله دُعاء لا
خبرا ، كما جعله للمتفكرين في قُدرته مُعتبراً ، فأحاطوا به إحاطة القِلادة
بالجيد ، وأذلوا عزته بعزة ذي العرش المجيد ، وحفت به الرايات
[بسمها وسمك ، ويلوح في صفحاتها اسم الله تعالى واسمك] (٧) فلا ترى
إلا نفوسا تتزاحم على موارِد الشهادة أسرابها ، وليوثاً يُصدِّق [طعانها في الله
وضرائبها] (٨) ، وأرسل الله عليها رجلاً إسرائيلياً من جراد السهام ،
تَشِدُّ آيته عن الأفهام ، وسدّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد
الاستِغْلاق والاستِبهام ، وقد عبثت جوارح (٩) صخوره في قنايص الهام ،

(١) وردت في الإسكوريال (مازال) والتصويب من النفع .

(٢) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع وفي الإسكوريال (وكر) .

(٤) وردت في الإسكوريال (البرود) والتصويب من النفع .

(٥) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) حصن أشركان من حصون إشبيلية الأمامية في هذا العصر . وقد هاجمه وافتتحه السلطان

الغني بالله سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٧) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النفع (في الله تعالى ضرابها) .

(٩) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (جوارح) ، والأولى أرجح .

وأعيا صَعْبُهُ على الجيش اللُّهَام ، فأخذ مسائِغَهُ النَّقْضَ والنَّقْبَ ، ورغَا
فوق أهْلَةَ الصَّقْبِ ، ونُصِبَتِ المَعَارِجُ والمَرَاقِ ، وفُرِعَتِ المَنَاكِبُ والتَّرَاقِ ،
واغْتَنِمَ الصَّادِقُونَ من (١) الله الحِظَّ البَاقِي ، وقال الشَّهِيدُ (٢) المَسَابِقِ
يا قَوْزَ اسْتِيبَاقِ ، ودُخِلَ البَلَدُ فَالتَحَمَ السَّيْفُ ، واسْتَلَبَ البِیْحِثُ والزَّيْفُ ،
ثم اسْتُخْلِصَتِ القِصْبَةُ ، فَعَلَتِ أَعْلَامُكَ في أَبْرَاجِهَا المُشِيدَةَ ، وظَفِرِ
نَاشِدُ دِينِكَ مِنْهَا بِالنَّشِيدَةِ ، وشَكَرَ اللهُ في قِصْدِهَا ، مَسَاعِي النِّصَائِحِ
الرَّشِيدَةِ ، وَعَمِلَ مَا يَرْضِيكَ يا رَسولَ اللهِ في سَدِّ ثَلْجِهَا ، وَصَوْنِ مُسْتَلْمِهَا ،
وَمَدَاوِةِ أَلْمِهَا ، حِرْصاً على الاقْتِدَاءِ في مِثْلِهَا بِأَعْمَالِكَ ، والاهْتِدَاءِ بِمَشْكَاةِ
كَمَالِكَ ، ورُتِّبَ فِيهَا الحُمَاةُ تَشْجِي العَدُو ، وتَوَاصَلَ في [مَرَضَاةِ اللهِ
تَعَالَى] (٣) وَمَرَضَاتِكَ الرُّوْحَ والغَدُو . ثم كَانَ الغَزْوُ إلى مَدِينَةِ أُطْرِبِرَةِ (٤)
بِنْتِ حَاضِرَةِ الكُفْرِ إِشْبِيلِيَّةِ ، الَّتِي أَظْلَمَتْهَا بِالجَنَاحِ السَّاتِرِ ، وَأَقَامَتْهَا (٥)
في ضِمَانِ الأَمَانِ لِلْحِصَامِ البَاتِرِ ، وَقَدِ وَتَرَ الإِسْلَامَ في هَذِهِ المُوَمِّسَةِ البَائِسَةِ
بِوَتْرِ الوَاتِرِ ، وَأَحْفَظَ مِنْهَا بِأَذَى الوَقَاحِ المُهَاتِرِ ، لَمَّا جَرَّتْهُ على أَسْرَاهِ
مِنْ عَمَلِ الخَائِلِ الخَاتِرِ [حَسْبِ المَنْقُولِ لِابِلِ المَتَوَاتِرِ] (٦) ، فَطَوَى إِلَيْهَا
المَسْلَمُونَ المَدَى النَازِحَ ، وَلَمْ تَشْكُ المَطَى الرِّوَاذِحَ ، وَصَدَّقَ في الجَدِّ
جَدُّهَا المَازِحَ ، وَخَفَقَتْ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْحَنَةُ الأَعْلَامِ ، وَعَشِيهَا أَفْوَاجُ
[المَلَائِكَةِ المَوْسُومَةِ] (٧) وَظِلَالِ الغَمَامِ ، وَصَابَتِ مِنَ السَّهَامِ وَدَقَّ الهَامُ (٨)

(١) هَكَذَا في الإِسْكَورِيَالِ . وفي النِّفْحِ (مَع) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ في النِّفْحِ . وفي الإِسْكَورِيَالِ (الشَّاهِدِ) وَالأوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَذَا العِبَارَةُ رَائِدَةٌ في النِّفْحِ .

(٤) أُطْرِبِرَةُ وَبِالإِسْبَانِيَّةِ Utrera بَلَدَةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ مَتَوَسِّطَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ شَرْقِ إِشْبِيلِيَّةِ . وَقَدِ
غَزَاهَا السَّلْطَانُ العَنِي بَاقَةَ سَنَةِ ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٥) هَكَذَا في الإِسْكَورِيَالِ . وفي النِّفْحِ (وَأَتَامَتَهَا) .

(٦) وَارْدَةٌ في النِّفْحِ وَسَاقِطَةٌ في الإِسْكَورِيَالِ .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ في النِّفْحِ . وفي الإِسْكَورِيَالِ (المَلَكَةُ المَوْسُومَةُ) .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ في الإِسْكَورِيَالِ ، وَكُتِبَتْ في هَامِشِ المَخْطُوطِ (الرَّهَامِ) . وَوَرَدَتْ

وكاد يَكْفِي السماء^(١) على الأرض ، ارتجاج أطواها بكلمة الإسلام ،
وقد صُمَّ خَاطِبُ عروس الشهادة عن الملام ، وسمح بالعزير
الْحَصُونُ مَبَانِعِ الملك العلام ، وتكلم لسان الحديد الصَّامِت ، وصمَّت
إِلَّا بِذِكْرِ الله ، لسانُ الكلام^(٢) ، ووفت الأوتار بالأوتار ، ووصل
بالخُطى درعُ الأبيض البتار ، وسلطت النار على أربابها ، وأذن الله في تبار
تلك الأمة وتبابها ، فنزلوا على [حكم السيف]^(٣) آلافا ، بعد أن أتلَفوا
بالسلاح إتلافا ، واستوعبت المقاتلة أكنافا ، وقرنوا في الجدل^(٤) أكنافا
أكنافا ، وحملت العقائل والخرايد ، والولدان والولائد ، إركاباً من فوق
الظهور وإزدافا ، وأقلت منها أفلاك الحمول بدوراً تُضِيء من ليالي المحاق
أسدافاً ، وامتلات الأيدي من المواهب والغنايم ، بما لا يُصوِّره حلم النَّايِم ،
وتركت العوافى تتداعى إلى تلك الولايم ، وتفتن من مطاعمها في الملايم ،
وشنت الغارات على حِمَص^(٥) ، فجعلت خارجها مغاراً ، وكست كبار
الروم بها صيغاراً ، وأحجرت أبطالها إجحاراً ، واستاقت من النعم ما لا يقبل
الحصن استيبحاراً ، ولم يكن إلا أن عدل القسَم ، واستقلَّ إبالقفول
العزير^(٦) الرِّسم ، ووضَّح من التوفيق الوَسْم . فكانت الحركة إلى
جيان ، قيعه الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، [وكناس
الغيد الخرد]^(٧) وكُرسى الإمارة ، وبخر العمارة ، ومهوى هوى الغيث

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (السهام) . والأول أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (الكمال) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (الحكم) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الجدل) وهو تحريف

(٥) حصن يقصد بها هنا إشبيلية . وقد أطلق عليها هذا الاسم في الأدب والشعر الأندلسي

حيث شبهت في مكانها وخطتها بحمص الشام .

(٦ و ٧) ما بين القاصرتين وورد في النسخ . وسقط في الإسكوريال .

المتون ، وحزب^(١) الثين والزيتون ، حيث خندق الجنة المعروف ، تدنو لأهل النار مجانيه ، وتشرق بشواطئ الأمار إشراق الأزهار زهر مبانيه ، والقلعة التي تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم ، وهمت من دون سحابها البيض ، سحاب الغيث السجوم [والعقيلة التي أبلت الإسلام يوم طلاقها ، ومجوم فراقها ، سمة الوجوم ، لذلك الهجوم]^(٢) فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الواحدة ، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادقة ، وحببتها بالفادحة الفادحة ، فغصت الرئي والوهاد ، بالتكبير والتهيل ، وتجاوبت الخيل بالصهيل ، وانهالت الجموع المجاهدة [في الله تعالى]^(٣) انهيال الكئيب المهيل . وفهمت نفوس العباد المجاهدة في الله حق الجهاد ، معاني التيسير من ربها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأزبت المحلات المسلمة على التأميل . ولما صبحتها النواحي المقبلة الغرر ، والأعلام المكتتة الطرر ، برز حاميتها مضجرين ، وللجوزة المستباحة مستنصرين^(٤) ، فكأثرهم من سرعان الأبطال ، رجل الدبا ، ونبت الوهاد والرئي ، فأقحموهم من وراء السور ، وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور ، وتركت صرعاهم ولايم للنسور . ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فافترعوه^(٥) ، وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه ، وأكواس الحتوف جرعوه ، ولم يتصل^(٦) أولى الناس بأخراهم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حرب) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٣) وارده في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (متصرين) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (ففرعوه) . والتصويب من النسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

ويحمدوا^(١) بمخيم النصر العزيز سُراهم ، حتى نخل الكفار الصبر ، وأسلم
الجلد ، وأنزل على المسلمين النصر ، فدُخل البلد ، وطاح في السيل
الحارف الوالد منه والولد ، وأنهم^(٢) المطرف منه والمتلد ، فكان هولاً
بعيد الشناعة ، وبعثاً^(٣) كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع
والسجود ، والسلام عن طاولة^(٤) النُجود ، والأيدى عن ردم الخنادق
والأغوار ، والأكبش عن مناطق الأسوار ، والنُفوط عن إضعاق الفُجَّار ،
وعُمد الحديد ، ومعاول^(٥) البأس الشديد ، عن نَقَب الأبراج ونقض
الأحجار ، فهيلت الكُتبان ، [وأبيد الشَّيبُ والشُّبان]^(٦) وكسرت الصلبان ،
وفجَّع هدم^(٧) الكنائس الرهبان ، وأهبطت النواقيس من مراقبها العالية ،
وصُروحها المُتعالية ، وخلعت ألسنتها الكاذبة ، ونُقل ما استطاعته الأيدى
المُجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور ، وجلَّ الإسلام شعار
الغز والظهور ، بما خلَّت عن مثله سِوَالف الدهور^(٨) والأعوام والشهور ،
وأغرست الشهداء بالبحور ، ومنوا^(٩) النفوس المبيعة من الله بحلِّ الصدقات
الصَّادقة^(١٠) والمهور . ومن بعد ذلك هدم السور ، ومحيت من مختطه
المحكم السطور ، وكاد يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته تلك المدينة ،

-
- (١) وردت في الإسكوريال (بجد) والتصويب من النفع .
 - (٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (والمهم) .
 - (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وبشا) .
 - (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مطلونة) .
 - (٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (معاون) .
 - (٦) هذه العبارة واردة في النفع . وساقطة في الإسكوريال .
 - (٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (بهدي) .
 - (٨) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .
 - (٩) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ومن) .
 - (١٠) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النفع .

ويدك ذلك الطُور . ومن بعد ما خُرب الوجار ، وعُقرت الأشجار ، عُفِر المنار ، وسلّطت على بنات التراب الماءُ النار ، وارتحل عنها المسلمون وقد عمّتها المصايب ، وأضْمَى لُبَّتْهَا السَّهْمُ الصَّايِب ، وظلّلتا (١) القشاعم العصايب . فالذَّنَاب في الليل البهيم تعسل ، والضُّبَاع من الحَذْب اليعيد تنسل ، وقد ضاقت الجدل عن المخانق ، وبيع العَرَض الثمين بالدائق ، وسُبكت إِسورة الأَسوار ، وسوِّيت الهضاب بالأغوار ، واكتُسحت الأحواز القاصية سرايا الغوار (٢) ، وحجبت بالدخان مطامع الأنوار ، وتخلّفت قاعتها عِبْرَةً للمُعْتَبِرِينَ ، وعظّة للناظرين ، وآية للمستبصرين ، ونادى لسان الحمية يا لثارات الإسكندرية ، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين ، وأخقَّ اللهُ الحقَّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى ، ولُدَّتْهَا الحزينة عليها العَبْرَى ، مدينة أبدة ، ذات العمران المُسْتَبَجِر ، والرَبِض الحزق المُصْحَر ، والمباني الشُّمُّ الأنوف ، [وعقائل المصانع الجُمَّة الحُلِي والشَّنُوف وألعاب الأنوف] (٣) وبلد التُّجْر ، والعسكر المَجْر ، وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله الكذب الفَجْر . فخذل الله حاميته (٤) التي يُعِي الحسبان عدّها ، وسَجَرَ بحورها التي لا يُرام مدّها ، وحقّت عليها كلمة الله التي لا يُسْتَطَاع رُدُّهَا . فدُخِلت لأول وهلة ، واستُوعب جَمْعُهَا والمنّة لله ، في نهلة ، [ولم يك للسيف من عطف عليها ولا مهلة] (٥) . ولما تناولها العفاء والتَّخريب ، واستباحها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وجلتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المغوار) .

(٣) ما بين الخاصرتين ووردت في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاميتها) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (ولم يكف

السيف من عليها ولا مهلة) وظاهر أن بها تحريفا .

الفتح القريب ، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب ،
وأعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب ، وأضرعت مسابفا لهاول
المصاب ، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته ، والعز الذى
سما طرفه ، واشرباً لبيته ، والعزم الذى حمد مسراه وميئته ، والحمد الله
ناظم الأمر ، وقد رأب شتيته ، وجابر الكسر وقد أفات الجبر مفيته .
ثم كان الغزو إلى أم البلاد ، ومثوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما
قرطبة ، المدينة التى على عمل أهلها فى القديم ، بهذا الإقليم ، كان العمل ،
والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل ، والمضر الذى له فى خطة المعمور
الناقة والجمال ، والأفق الذى هو لشمس الخلافة العيشمية الحمل ، فخيّم
الإسلام بعقرتها المستباحة ، وأجاز نهرها المعنى على السباحة ، وعمّ دوحها
الأشب بوارا ؛ وأدار الكُماة (١) بسورها سوارا ، وأخذوا (٢) بمخنةها
حصارا ، وأعمل النُصل (٣) بسجر نصلها (٤) اجتناء ماشاء واهتصارا ،
وجدل من أبطالها من لم يرض انجحارا ، فأعمل إلى المسلمين إصحارا ، حتى
فرع بعض جهاتها غلاباً جهاراً ، ورُفعت الأعلام إعلماً بعز الإسلام (٥)
وإظهارا ، فلولا استهلال الغوادى ، وإن أتى الوادى ، لأفضت إلى فتح
الفتوح تلك المبادى ، ولقضى نفثة العاكف والبادى ، فاقتضى الرأى
ولذنب الزمان فى اغتصاب الكُفر إياها متاب ، تُعمل ببشراه بفضل الله
أقتاد وأقتاب ، ولكل أجل كتاب ، أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا ،

(١) وردت فى الإسكوريال (المجلات) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (وأخذ) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (النصر) والأولى أرجح .

(٤) كذا فى النفع . وفى الإسكوريال (نصله) .

(٥) هكذا فى النفع . وفى الإسكوريال (الله) .

وَتَعَفَىٰ مَعَاهِدَهَا الْآهْلَةَ فَتُتْرَكُ طُلُوعًا . فَإِذَا فَجَعَ اللَّهُ بِمَارِجِ النَّارِ طَوَائِفَهَا
 الْمَارِجَةَ ، وَأَبَادَ نَجَارِجَهَا الطَّائِرَةَ وَالذَّارِجَةَ ، خَطَبَ السَّيْفُ مِنْهَا أُمَّ مَخَارِجَةَ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْلَقْنَا بِهَا أَلْسِنَةَ النَّارِ ، وَمَفَارِقَ الْمُضَابِ الشَّمِّ (١) قَدْ شَابَتْ ،
 وَالغَلَاتِ الْمُسْتَعَلَّةِ (٢) قَدْ دَعَاها الْفَضْلُ فَمَا ارْتَابَتْ ، وَكَانَ صَحِيفَةً نَهْرَهَا لَمَّا
 أَضْرَمْتَ النَّارَ حَقَاقِي (٣) ظَهَرَهَا ذَابَتْ ، وَحَيْثُ فَرَّتْ أَمَامَ الْحَرِيقِ فَانْسَابَتْ ،
 وَتَخَلَّفَتْ لِنِغَمَائِمِ الدُّخَانِ عَمَائِمِ تَلْوِيهَا بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ أَيْدِي الرِّيَاحِ ،
 وَتَنْشُرُهَا بَعْدَ الرُّكُودِ أَيْدِي الْاجْتِيَاكِحِ . وَأَغْرَيْتِ بِأَقْطَارِهَا الشَّاسِعَةَ ، بِوَجْهَاتِهَا
 الْوَاسِعَةَ [جُنُودِ الْجُوعِ] (٤) وَتَوَعَّدْتَ بِالرُّجُوعِ ، فَسَلَبَ أَهْلُهَا لِتَوْعَعِ
 الْمَهْجُومِ (٥) ، مَنزُورِ الْمَهْجُوعِ . فَأَعْلَامُهَا خَاشِعَةٌ خَاضِعَةٌ ، وَوَلِدَانُهَا لَشْدَى
 الْبُؤْسِ رَاضِعَةٌ ، وَاللَّهُ ، سَبْحَانَهُ ، يُوفِدُ بِخَبِيرٍ فَتَحَهَا الْقَرِيبُ رِكَابِ الْبُشْرَى ،
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ قَبْلَنَا نَشْرًا ، [وَلِهَذَا الْعَهْدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَلَغَ
 وَسَيْلَتِي إِلَيْكَ ، بَلَغَ عَنِ هَذَا الْقَطْرِ الْمُرْتَدِي بِجَاهِكَ ، الَّذِي لَا يُبْذَلُ مِنْ أَدْرَعِهِ .
 وَلَا يُضِيلُ بِالسَّبِيلِ الَّذِي يَشْرَعُهُ ، إِلَى أَنْ لَا طَفْنَا مَلِكَ الرُّومِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْبِلَادِ
 كَانَ الْكُفْرُ قَدْ اغْتَضَبَهَا ، وَرَفَعَ التَّمَائِيلَ بِيُوتِ اللَّهِ وَنَصَّبَهَا ، فَانْجَابَ عَنْهَا
 بِنُورِكَ الْحَلْكَ وَدَارَ بَادَاتِهَا إِلَى دَعْوَتِكَ الْفَلْكَ ، وَعَادَ إِلَى مَكَاتِبِهَا الْقُرْآنَ الَّذِي
 نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِكَ الْمَلِكِ] (٦) ثُمَّ تَنَوَّعَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْوَالُ الْعَدُوِّ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (بِالْمُهَشِمِ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَفِي النَّفْحِ (الْمَسْتَعَلَاتِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (حَاقِي) .

(٤) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي النَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (الْجُوعِ) .

(٦) هَذِهِ الْفَقْرَةُ كُلُّهَا وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ هُنَا فِي النَّفْحِ . ثُمَّ تَرَدَّدَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ

فِي أَوَاخِرِ الرَّسَالَةِ حَسَبِ الْمَبِينِ بَعْدَ .

تنوعاً يوهم إفاقته من الغمرة ، وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمرة ،
وتوقع الواقع ، وحذر ذلك السم الناقع ، وخيف الخرق الذي يحار فيه
الراقع ، فتعرفنا عوايد الله سبحانه ببركة هدايتك ، وموصول عنايتك ،
فأنزل النصر والسكينة ، ومكن العقائد المكيّنة ، فثابت العزائم وهبت ،
واضطردت عوايد الإقدام واستتبّت ، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس
خلاله ، وشمس الحق تقلص (١) ظلاله ، وهذاك الذي أهديت يدحض
ضلاله .

ونازلنا حصني قنبيل والحوابر (٢) ، وهما معقلان متجاوران ، يتناجى
منهما الساكن سرارا ، وقد اتخذنا بين النجوم قرارا ، وفصل بينهما حُسام
النهر يروق غرارا ، والتف معصمه في حلة الخصب (٣) وقد جعل الجسر
سواراً ، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه ، وارتفعت أعلام الإسلام
بأعلاه ، وتبرجت عروس الفتح المبين (٤) بمجلاه ، والحمد لله على
ما أولاه . ثم تحركنا على تفية (٥) تعدى ثغر الموسطة على عدوه المساور
في المضاجع ، ومُضبحه بالفاجيء الفاجع ، فنازلنا حصن رُوطة ، الآخذ
بالكظم ، المعترض بالشجا اعتراض العظم ، وقد شحنه العدو مدداً بئيساً ،
ولم يأل اختياره رأياً ولا رئيساً (٦) ، فأعيا داؤه ، واستقلت بالمدافعة
أعداؤه . ولما أتلع إليه جيد المنجنيق ، وقد برك عليه برك (٧) الفنيق ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (توجب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الجائر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المصب) .

(٤) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نفثة) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تليسا) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بروك) .

وشدَّ عصاب^(١) العزم الوثيق ، لجأ أهله إلى التماس العهود والمواثيق ، وقد غصوا بالريق ، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق ، فسكنناه من حامية المجاهدين بمن يحمي ذماره ، ويقرر اعتماده ، واستولى أهل الثغور إلى هذا الحد ، على معاقل كانت مُستغلقة ففتحوها ، وشرعوا أرسية الرماح إلى قلب قلوبها ففتحوها . ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف مُتراكم الغبار ، وترخي عن [أباط خيلها]^(٢) شدَّ حزم المعيار ، حتى عاودت النفوس شوقها ، واستتبعت ذوقها ، وخطبت التي لافوقها ، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك المتصاعبة . على الأفكار المتعاصية .

فقصدنا الجزيرة الخضراء ، باب هذا الوطن ، الذي منه طرُق وادعه ، ومطلع الحق الذي صدع الباطل صادعه ، وثنية الفتح الذي برق منها لامعه ، ومُسرِب^(٣) الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره مطامعه ، وفُرْضة المجاز التي لا تُنكر ، ومجمع البحرين في بعض ما يذكر ، حيث يتقارب الشيطان [وتتقاطر ذوات الأشطان]^(٤) ، ويتوازي الخطآن ؛ ويكاد أن يلتقى حلقتا البطان . وقد كان الكفر قدر قدر هذه الفُرْضة التي طرق منها جماه ، ورماه الفتح الأول بما رماه ، وعلم أن لا تتصل أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائها ، وأنه لا يعدم المكروه مع بقاياها ، فأجلب عليها برجله وخيله ، وسدَّ أفق البحر من أساطيله ، ومراكب أباطيله ، بقطع ليله . وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته ، أو إمساكها من دون مهواته . فعجز الحول ، ووقع بملكه إياها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عصام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (أباطلها) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مشرف) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النسخ .

القول ، واجتازها قهرا ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرا ،
 وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم ، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم ،
 وبكثها حتى دموع الغيث الساجم ، وانقطع المدد إلا من رحمة من يُنقّس
 الكروب ، ويُغري بالإدالة الشروق والغروب . ولما شككنا بشيا الله نحرها ،
 وأعصمتنا بجيوش الماء وجيوش الأرض ، تكاثر نجوم السماء ببرها وبحرها ،
 ونازلناها نذيقها شديد النزال ، ونجحنا بصدق الوعيد في غير (١) سبيل
 الاعتزال ، رأينا بأوأ لا يُظاهر إلا بالله ولا يُطال ، ومنعة (٢) تتحاماها
 الأبطال ، وجنابا روضه الغيث الهطال . أما أسوارها (٣) ، فهي التي أخذت
 النجد والغور . واستعدت بجدال (٤) الجلاذ عن البلاد ، فارتكبت اللور
 تحوز بحراً من الاعتماد (٥) ثانيا ، وتشكك أن يكون الإنس لها بانياً .
 وأما أبراجها فصفوف وصنوف ، تزين صفحات المساييف منها أنوف ،
 وآذان لها من دوافع الصخر شُوف . وأما خندقها فصخر مجلوب ، وسور
 مقلوب . وصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقتران
 اغتصابها ببؤسهم ، وأفول شمسهم . فرشقوها من النبال بظلال تحجب
 الشمس فلا يُشرق سناها ، وعرجوا في المراقى البعيدة يُفرعون مَبناها ،
 ونقبوها أنقبا ، وحصبوها عقاباً . ودخلوا مدينة البنية (٦) بنتها غلاباً ،

(١) هذه الكلمة ساقطة في النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منعة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أسواقها) م والأول أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نجلاء) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (العمارة) .

(٦) مدينة البنية وبالإسبانية La Pena (أى الصخرة) هي ثغر أندلسي صغير ، يقع على

شاطئ المحيط الأطلنطي على مقربة من شمال غربي ثغر طريف مقابل الجزيرة الخضراء ، في الناحية الأخرى
 من الثلث الإسباني .

وأخسبوا السيوف استلالا ، والأيدى اكتسابا ، واستوعب القتل مقاتلتها
السابعة الجئن ، البالغة المنن ، فأخذهم الهول المتفاقم ، وجُدلوا كأنهم
الأراقم ، لم يفلت منهم عين تطرف ، ولا لسان يُلبى من يستطيع الخبر
أو يستشرف . ثم سمّت الهمم الأيمانية إلى المدينة الكبرى ، فلاروا سوارها
على سُورها ، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جُسورها ، ودفؤوا
إليها بالضروب من حيل الحروب بروجاً مُشيدة ، ومجانيق توثق حبالها
منها نشيدة ، وخفقت بنصر الله عذبات الأعلام ، وأهدت الملائكة مدد
الاسلام (١) ، فخذل الله كفارها ، وأكهم شفارها ، وقلم بيد قدرته
أظفارها ، فالتمسوا الأمان للخروج ، ونزلوا عن (٢) مراق العروج ، إلى
الأباطح والمروج ، من سمائها ذات البروج ، فكان بروزهم إلى العراء
من الأرض ، تذكرة بيوم العرض ، وقد جلل المقاتلة الصفار [وتعلق
بالأمهات النشأ الصغار] (٣) . وبودرت المدينة بالتطهير ، ونطقت المآذن
العالية بالأذان الشهير ، والذكر الجهير ، وطُرحت كبار (٤) التماثيل
عن المسجد الكبير ، وأزرى بالأسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير ،
وأنزلت عن الصروح أجرامها ، يعي الهندام مرأها ، وألقى منبر الاسلام
بها مخفوا ، فأنست غربته ، وأعيد إليه قربه وقربته ، وتلا واعظ الجمع
المشهود ، قول مُنجز الوعود ، ومُورق العود « وما ظلمناهم ، ولكن
ظلموا أنفسهم » ، فما أغنت عنهم آلهتهم ، التي يدعون من دون الله من شيء ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السلام) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (على) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وتعلق بالأمان

النساء والصغار) . وهو تحريف ظاهر .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (كفارها) وهو تحريف .

لما جاء أمرُ ربِّك ، وما زادوهم غيرَ تشبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إنَّ أخذه أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة . ذلك يومٌ مجموع له الناس ، وذلك يومٌ مشهود ، إلى آخرها ، فكاد^(١) الدَّمع يُغرق الآماق ، والوجدُ يستأصل الأرزاق [وارتفعت الزعقات .. وعكبت الشهقات] (٢) ، وجيء بأسرى المسلمين يرشون في القيود الثقال ، وينسبون من أجدات الاعتقال ، فككت عن سوقهم أساور الحديد ، وعن أعناقهم فلكات (٣) اليأس الشديد ، وظلُّوا بجناح اللطف العريض المديد ، وترنبت في المقاعد الحامية ، وأزهرت بذكر الله المآذن السامية ، فعادت المدينة لأحسن أحوالها ، وسكنت من بعد أهوالها ، وعادت الجالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابه ، ورد على دار هجرة (٤) الإسلام بآبه ، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه ، فهي اليوم في بلاد الإسلام ، قلادة النَّحر ، وحاضرة البرِّ والبحر ، أبقى الله عليها ، وعلى ما وراءها من بيوت أمتك ، ودائع الله في ذمتك [ظلال عنايتك الواقية ، وأمتعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها] (٥) ، بكلمة دينك الصالحة الباقية ، وسدل عليها أستار عِصمته الواقية . وعُدنا والصلاة عليك شعار البروز والقُفول ، وهجيراً الشروق والأفول . والجهد يارسول الله الشأن المتمد ، ما امتد بالأجل الأمد ، والمستعان الواحد الفرد الصمد (٦) .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكان) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وارتفعت

الريجات وعلت السبات) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ملكات) . والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٥) هذه العبارات واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٦) هنا ترد في النسخ العبارة التي سبق أن أغفلها إزاء مقابلها من مخطوط الإسكوريال .

وأولها (ولهذا المهدي يارسول الله ... الخ) (راجع ص ٥٥٣) .

فوجبت مطالعة مقرك النبوى بأحوال هذه الأمة المكفولة في حجرك ،
المفضّلة بإرادة تجرك ، المهتدية بأنوار فجرك . وهل هو إلا ثمرة سعيك ،
ونتائج رعيتك ، وبركة حُبك ورضاك ، الكفيل برضا ربك ، وغمام
رعذك ، وإنجاز وعدك ، وشعاع من نور سعدك ، وبذر يُجنى ريعه من
بعذك ، ونصر رايّتك ، وبرهان آيتك ، وأثر حمايتك ورعايتك .

واستنبت هذه الرسالة ماتحة بحر الندى^(١) الممنوح ، ومفاتيحة باب
الهدى بفتح الفتوح ، وفارعة المظاهر والصروح ، ومُلقيّة الرُحل بمتنزّل
الملائكة والروح ، لتمدّد إلى قبلك يد استئمانح ، وتطير إليك من الشوق
الحثيث بجناح ، ثم تقف بموقف الانكسار ، وإن كان تجرّها آمنة من
الخسار ، وتقدم بأنس القرية ، وتحجم بوخشة الغربية ، وتتأخّر بالهيبة ،
وتجهش لطول الغيبة ، وتقول أرحم بعد دارى ، وضعف اقتدارى ،
وانتزاح أوطانى ، وخلو أعطانى ، وقلة زادى ، وفراغ مزادى ، وتقبل
وسيلة^(٢) اعترافى ، وتغمّد هفوة اقترافى ، وعجل بالرضا انصراف متحملى
لانصرافى ، فكم جُيب من بحر زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحاشى لله
أن يخيب قاصدك ، أو تتخطانى مقاصدك . أو تطردنى موائدك ، أو تضيق
عنى عوايدك ، ثم تمدّ مقتضية مزيد رحمتك ، مُستدعية دعاء من حضر
من أمتك . وأضحجتُها يا رسول الله ، عرّضاً من النواقيس التى كانت هذه
البلاد المُفتتحة ، تُعين^(٣) الإقامة والأذان ، وتُسمع الأسماع الضّالة والآذان ،
نما قبل الحركة وسالم المعركة ، ومكّن من نقله الأيدي المُشتركة ،
واستحقّ بالقدوم عليك ، والإسلام بين يديك ، السابقة فى الأزل البركة ،

(١) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (الند) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وسيرة) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تفرير) . والتصويب من النسخ .

وما سواها فكانت جبالا عَجَزَ عن حملها (١) الهِنْدَامُ ، فَنَسَخَ وجودها
الإعدام . وهي يا رسول الله جِنَى من جنانك ، ورَطْبُ بن أفنانك ، وأثرُ
ظهور عليها (٢) من مَسْحَةِ حنانك . هذه هي الحال والانتحال (٣) ، والعائق
أن تشدَّ إليك الرِّحال ، ويُعمل الترحال ، إلى أن نلقاك من نَرَصَات (٤)
القيامة شَفِيحاً ، ونُجِلُّ بجاهك إن شاء الله محلاً رَفِيحاً ، ونُقَدِّم في زُمْرة
الشُّهداء الدامية كُلُّومهم من أَجَلِك ، الناهلة غُلُّهم في سِجِّلك ، ونبتهل
إلى الله الذي أطلَعَكَ في سماء الهداية سراجاً ، وأعلى لك في السَّبْع الطُّباق
مِعراجاً ، وأمَّ الأنبياء منك بالنبي الخاتم ، وقفى على آثار نجومها المشرقة
بقمرِكَ العاتم ، أن لا يَقْطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك ، ولا يسدَّ في
وجوهها أبوابك ، ويوقفها لاتباع هُدَاك ، ويُثبِّت أقدامها على جهاد عِدَاك .
وكيف تَعْدَم تَرْفِيها ، أو تخشى بَحْساً وأنت مُوفِيها ، أو يعذبها الله وأنت
فيها . وصلاة الله وسلامه تحطُّ بفنايك رِحال طيبها ، وتَهْدُر في ناديك
شَقاشِقِ خطيبها ، ما أذكر الصبّاح الطلّق هُدَاك ، والغمام السكِّب نَدَاك ،
وما حنَّ مشتاقٌ يلثم ضريحك ، وفليت (٥) نَسَمَات الأَسْحار عما استرَقَّت
من ريحك .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نقلها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (علينا) .

(٣) هذة الكلمة زائدة في النسخ

(٤) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت) .

وصدر عنى قبل هذه الرسالة عن السلطان رضى الله عنه

رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها:

الخلافة التى ارتفع فى (١) عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ،
 واستقلّت مباني فخرها الشائع ، وعزّها الذائع على ما أسسه الأسلاف ،
 ووَجَبَ لحقّها الجازم ، وفرضها اللازم الاعتراف ، ووَسَّعت الآملين لها
 الجوانب الرّحية والأكناف ، فامتزاجنا بعلائها المُنيف. وولائها الشريف،
 كما امتزج الماء والسُّلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العميم،
 كما تارَّجت الرياض الأفواف، لمازارها الغمام الوكّاف، ودعاؤنا بطول بقائها،
 واتصال علايها ، يسمو به إلى قرع أبواب السّموات العُلا (٢) الاستِشْراف ،
 وجرّصنا على تَوْفِيّة حقوقها العظيمة ، وفواضلها العَيمية ، لا تحصره
 الحدود ، ولا تُدرّكه الأوصاف ، وإن عذّر فى التّقصير ، عن نيل ذلك
 المرام الكبير ، الحقُّ والإنصاف . خلافةٌ وِجْهَةٌ تعظيمنا إذا توجّهت
 الوجوه ، ومن نؤثره إذا همّنا ما نرجوه ، ونفدّيه ونبدّيه ، إذا استُمْنِح
 المحبوب ، واستُدْفِع المَكروه ، السلطان (٢) الخليفة ، [الجليل الكبير
 الشهير ، الإمام الممام ، الأعلى الأوحّد ، الأصعد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ،
 الأفضل ، الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضى ، الأحفل ، الأكمل ، أمير
 المؤمنين أبى إسحق ابن الخليفة الإمام البطل الممام ، عين الأعيان ، وواحد
 الزمان ، الكبير الشهير ، الطّاهر ، الطّاهر ، الأوحّد الأعلى ، الحسيب ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال (ق) . وفى التعريف بابن خلدون . وفى صبح الأمشى
 (عن) . وقد نشرت هذه الرسالة كلها فى التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (ص ١٥٥ -
 ٢٠٩) وفى صبح الأمشى للقلقشندى (ج ٦ ص ٥٢٦ - ٥٥٨) . وقمنا بمراجعة النص المخطوط عليها .
 (٢) هذه الكلمة زائدة فى الصبح . الإحاطة - ٣٦

الأصيل ، الأسمى ، العادل ، الحافل ، الفاضل ، المعظم ، الموقر ، الماجد ،
الكامل ، الأرضي ، المقدس ، أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن السلطان
الكبير ، الجليل ، الرفيع ، الماجد ، الظاهر ، الطاهر ، المعظم ، الموقر ،
الأسمى ، المقدس ، المرحوم أبي زكريا ، ابن الخليفة الإمام ، المجاهد
الهمام ، الكبير ، الشهير ، الخطير ، بطل الميدان ، مفخر الزمان ،
الطاهر الظاهر ، الأمضى ، المقدس ، الأرضي ، أمير المؤمنين أبي إسحق ،
ابن الخليفة الهمام الإمام ، ذي الشهرة الجامعة ، والمفاخر الواضحة ،
عَلَمُ الأَعْلَام ، فخر السيوف والأقلام ، المعظم المجد ، المقدس ، الأرضي ،
أمير المؤمنين ، المستنصر بالله ، أبي عبد الله ، ابن أبي زكريا ، بن عبد الواحد
ابن أبي حنص [(١) أبواه الله ، ومقامه مقام إبراهيم ، رزقا وأمانا ،
لا يخصُّ جَلْبُ الثمرات إليه وقتاً ، ولا يعينُ زماناً ، وكان على من
يَتَخَطَّفُ الناس من حوله ، مؤيداً بالله مُعَاناً ، مُعَظَّمُ قدره العالی على الأقدار ،
ومقابل داعي حقه بالابتدار ، المثنى على معاليه المُحَلِّدَةُ الآثار ، في
أصونة النظام والنثار ، ثناء الروضة المِعْطَار على الأمطار ، الداعي إلى الله
بدوام (٢) بقاءه في عزة (٣) مُنْسَدَلَةُ الأستار ، وعِصْمَةُ (٤) ثابتة المركز ،
مستقيمة المدار ، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ، ونهايات الأعمار ،
بالزلفى وعُقبى الدار .

(١) نقلنا هذه الفقرة الطويلة عن صبح الأعشى . وقد اختصرها مختصر مخطوط الإسكوريال
فيما يأتي (الخليفة الكذا أبي يحيى أبي بكر ابن السلطان أبي زكريا ابن الخليفة الكذا أبي إسحق ابن الخليفة
المستنصر بالله عبد الله ابن أبي زكريا بن عبد الواحد ابن أبي حنص) . وإيراد نص الرسالة كاملة ،
يقدم إلينا فكرة أوضح عن أساليب الكتابة السلطانية في ذلك العصر .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي التعريف والصبح (بطول) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي التعريف الصبح (عصمة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (وعزة) .

سلام كريم ، كما حملت نسماتُ الأسحار ، أحاديث الأزهار ، وروث
ثغور الأفاحي والبهار ، عن مسلسلات الأنهار ، وتجلّى على منصّة الاشتهار ،
وجهُ عروس النهار ، يخصُّ خلافتكم الكريمة النُّجار ، العزيزة الجار ،
ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله الذي أخفى حكيمته البالغة عن أذهان
البشر ، فعجزت عن قياسها ، وجعل الأرواح كما ورد في الخبر تُحن إلى
أجناسها ، مُنجدُ هذه الملة من أوليائه الجلّة ، بمن يروض الآمال بعد
شِماسها ، وييسر الأغراض قبل التماسها ، ويُغني بتجديد المودات في ذاته ،
وابتغاء مرضاته ، على حين إخلاق لباسها ، الملك الحق ، واصل الأسباب
بحوله ، بعد انتكاث أمراسها ، ومغنى النفوس بطوِّله ، بعد إفلاسها .
حمداً يُليدُ أخلاف النعم بعد إبناسها ، وينشر رَمَم الآمال من أزماسها ،
ويقدس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونيراسها ،
عند اقتناء الأنوار واقتباسها ، مُطهر الأرض من أوضارها وأذناسها ، ومصطفى
الله من بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ، ما بين شِيثها وإلياسها ، الآتي
مهيئنا على آثارها في حين فترتها ، ومن بعد نُصرتها واستيناسنها ، مُرغم
الضراغم في أخياسها ، بعد افترارها وافتراسها ، ومُعقر أجرام الأصنام
ومُضيت أجراسها . والرّضا عن آله وأصحابه ، وعِترته وأحزابه ، حماة
شِرْعته البيضاء وحُرّاسها ، ومُلقحي غراسها ، ليوث الوغى عند احتدام
مراسها ، ورهبان الدجا تتكفل مناجاة السميع العليم في وخشة الليل البهيم
بايناسها ، وتفاوح نواسم الأسحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها ، والدعاء
لخلافتكم العلية المُستنصرية بالصنایع^(١) التي تُشعشع أيدي العزة القعساء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الصحيح (السادة) .

من أكواسها ، ولا زالت العِصمة الإلهية كقيلة باحترامها واحتراسها . وأنبياء
الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح . ريجان جُلاسها . وآيات المفاخر التي
ترك الأول للآخر ، مُكْتَنِبَةُ الأَسْطَار بِأَطْرَاسِهَا ، وميادين الوجود مجالا
لجِئَادِ جُودِهَا وبِأَسْهَا ، والعزُّ والعدل منسوبين لِفُسْطَاطِهَا وقِسْطَاسِهَا .
وصَفِيحَةُ النَصْرِ العَزِيزِ تُفِيضُ كَفْهَها المؤيدة بالله على رياسها ، عند احتياج
أضدادها وِشْرَةَ (١) انتكاسها ، لانتهاج البلاد وانتهاسيها ، وهبوب رياح
رياحها وتمرد مرداسها .

فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من كتاب نصره أمّداداً ، تدعن
أعناق الأنام ، لطاعة مُلْكِكُمْ المنصور الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم
من آيات العِنايات آيةً تضرب الصخرة الصماء ممن عصاها بعصاها ،
فتبادر بانبيجاسها - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وأيام الإسلام ، بعناية
الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام لولائهم وأعراسها ، وطواعين
الطعان ، في عُدُوِّ الدِّينِ المُعَانِ ، تجدد عهدا بعام عمواسها [والحمد لله
حمدا معادا يُقَيِّدُ شِوَارِدَ النِّعَمِ] (٢) ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن
من أنتيكاب (٣) الجلود وانتيكاسها ، ولي الآمال وميكاسها . وخلافتكم هي
المثابة التي يُزَهِّي الوجود بمحاسن مجدها ، زهو الرياض بوزدها وآسيها ،
وتستمد أضواء الفضائل من مقباسها ، وتروى رواة الإفادة والإبادة [غريب
الوجادة] (٤) ، عن ضحّاكها وعُبّاسها ، وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم
وقد فعل ، وأنطق بحُجَجٍ فخركم من احتفى وانتعل ، فإنه وصلنا كتابكم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وشرة) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح كالألق

(والحمد لله حمدا يعيد شوارد النعم) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف والريحانة (انتكاث) .

(٤) هذه العبارة زائدة في الصبح والتعريف .

الذى حسبناه على صنائع الله لنا (١) تميمة . لا تَلَقَّ بعدها عين ، وجعلناه
على حُلِّ مواهبه ، قِلَادَةٌ لا يُحْتَاج معها زَيْن ، ودعونا من جَيْب الكِنَانَةِ (٢)
آية بيضاء الكتابة ، لم يبق معها شك ولا مَيِّن ، وقرأنا منه وثيقة وُد ،
هُضَم فيها عن غريم الزمان دَيْن ، ورأينا منه إنشاء ، خدَم اليراع بين يديه
وَشَاء ، واختزم (٣) بهيمان عُقْدته مَشَاء ، وسئل عن معانيه الاختراع ، فقال
إنا أَنشَأْنَاهُنَّ إنشاءً ، فَأَهْلًا به من عربي أبي (٤) يصف السانح والبانة ،
ويبين فيُحْسِن الإبانة . أَدَى الأمانة ، وسئل عن حَيِّه فانتمى إلى كِنَانَةِ ،
وأفصح وهو لا يَنْبَس ، وتَهَلَّت قَسَماته . وليل (٥) جِرْد يَعْبَس ، وكان
خاتمة المُقفل على صوانه ، المُتَحَف بباكر الوَرْد في غير أوانه ، رَعْف من
مِسْكٍ عُنوانه . والله من قلم دَبَّج تلك الحُلل ، ونَمَعَ بمجاج الدَّوَاة المُسْتَمَدَّة
من عين الحياة العُلل . فلقد تخارق في الجود ، مقتديا بالخلافة التي
خُلِّد فخرها في الوجود ، فجاد بسرَّ البيان ولُبابه ، وسَمَح في سبيل الكرم حتى
بماء شبابه ، وجَمَح لفرط بشاشته وفهامته . بعد شهادة السيف بشهامته ،
فمشى من الترحيب في الطُّرس الرَّحيب على أمِّ هامته .

وأَكْرِم به من حكيم أفصح بملغوز الإكسير . في اللَّفْظ اليَسِير ، وشرح
بلسان الخبير ، سرَّ صناعة التدبير ، كأنما خَدَم الملكة السَّاحرة بتلك
البلاد ، قبل اشتجار الجلال ، فأثرته بالطَّارف ، من سحرها والتلاد ،
أو عثر بالمُعَلِّقة ، وتيك القديمة المطلقة ، بدفينة دار ، أو كَنَزٍ تحت

(١) هذه الكلمة زائدة في الصحيح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصحيح (الكناية) والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصحيح (واخترع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصحيح (أت) .

(٥) وردت في الإسكوريال (لعل) والتصويب من الصحيح والتعريف .

جدار ، أو ظفر لباني الحنايا ، قبل أن تقطع به عن أمانيه المنايا ، ببديعة ،
أو خلف جرجير الروم ، قبل منازل القروم على وديعة ، أو أسهمة (١)
ابن أبي سرح في نشب للفتح وسرح ، أو ختم له روح بن حاتم ببلوغ
المطلب ، أو غلب الحظوظ بخدمة آل الأغلب ، أو خصه زيادة الله بمزيد ،
أو شارك الشيعة في أمر أبي زيد ، أو سار على منهاج في مناصحة بني منهاج ،
وفضح بتخليد أمداحهم ، كل ها ج .

واعجب له ، وقد عزز منه مثنى البيان بثالث . فجلب سحر الأسماع ،
واسترقاق الطباع بين مثنى للإبداع ومثالث . كيف اقتدر على هذا المعيد ،
وناصح مع التثليث مقام التوحيد . نستغفر الله ولي العون ، على الصمت
والصون ، فالقلم هو الموحد قبل الكون ، والمتصنف من صفات السادة ،
أولى العبادة ، بضمور الجسم وصفرة اللون . إنما هي كرامة فاروقية ،
وإثارة من حديث سارية وبقية ، سقر وجهها في الأعقاب ، بعد طول
الانتقاب ، وتداول الأحقاب ، ولسان مناب عن كريم جناب . وإصابة
السهم لسواه محسوبة ، وإلى الرأي الذي يسدده (٢) منسوبة ، ولا تنكر على
الغمام بارقة ، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامة خارقة . فما شاءه
الفضل من غرائب بر وجد ، ومحاريب خلقت كريم ركع الشكر فيها
وسجد ، حديقة بيان استثارت نواسم الإبداع من مهبها . واستزارت غمايم
الطباع ، من مصبها ، فانت أكلها مرتين بإذن ربها . لا بل كتيبة عز
طاعنت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها النقد ولا يطورها ، ونزعت عن
قسي النونات خطوطها ، واصطفت من بياض الطرس ، وسواد النفوس
بلق تحوطها . فما كأس المدير على القدير . بين الحورنق والسدير ،

(١) هكذا في الإسكوريال والصحيح . وفي التعريف (أمله)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الصحيح والتعريف (سده) .

تقامر بنرد الحُباب . عقول ذوى الألباب ، وتُغرق كِسرى في العُباب ،
وتُهدى وهى الشَّمطاء . نشاط الشباب . وقد أسرج ابن سُريح وألجم ،
وأفصح التمريضُ بعد ما جُمجم . وأعرب النّابى لأعجم ، وقع مُعيداً
بالقضييب ، وشرّعت في حساب العِقد بنان الكفّ الخَضيب ، وكان
الأنامل فوق مثلث العُود ومثانيه ، وعند إغراء الثَّقيل بثانيه ، وإجابة
صدى الغناء بين مغانيه . المراوِدُ تشرع في الوثنى ، أو العناكب تُسرع
في المشى ، فما المُخبِر (١) بنيل الرغائب . أو قدوم الحبيب الغائب ،
لا بل إشارة البَشير ، بكمّ المُشير على العَشير ، بأجلب للسرور من زايره
المتلقّي بالبرور ، وأدعى للخبور من سفيره المُبهِج السُفور . فلم نر مثله
من كتيبة كِتَاب تُجنب الجُرد . تمرح في الأرسان ، وتتشوف مجالى
ظهورها إلى عرايس الفُرسان ، وتهزّ معاطف الارتياح ، من صهيلها الصُراح
بالنغمات الحِسان . إذا أوجست (٢) الصُريخ نازعت إثناء (٣) الأعتة ،
وكاثرت بأسنة آذانها مُشرعة الأسنة ، فإن أدعى الظلّيم إثكالها فهو ظالم ،
أو نازعها الطّبي هواديهما وأكفأها ، فهو هاذٍ أو حالم . وإن سئل الأصمعي (٤)
عن عُيوب الغُرر والأوضاح ، قال مشيراً إلى وجوهها الصّباح ، « جلدة بين
العين والأنف سالم » من كل عبث الشّوى . سابقٌ للنجم إذا ما هوى . ساهى
التليل ، عريضٌ ما تحت الشليل . ممسوحةٌ أعطافه بمنديل النسيم البليل .
من أحمر كالمُدام ، تُجلى على النّدام عقب الفِدام ، أتخف لونه بالورّد ،

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الجبر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وجدت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (افتنا) .

(٤) واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في صبح الأعشى .

في زمن البرد ، وحِيَّ أفق مُحِيَّاه بكوكب السعد ، وتشوف الواصفون
إلى عد محاسنه ، فأغيت على العد . بحر يساجل البحر . عند المد ،
وربح تبارى الريح عند الشد ، بالذراع الأشد ، حكم له مدبر فلك
الكفل باعتدال فصل القد ، وميزه قدره المميز يوم الاستيقاق ، بقصب
السباق ، عند اعتبار الجد ، وولد مختط غرته أشكال الجمال ، على
الكمال ، بين البياض والحمره ، ونقاء الخد ، وحفظ رواية الخلق
الوجه عن جدّه الوجيه ، ولا تُنكر الرواية على الحافظ ابن الجد . وأشقر
أبي الخلق والوجه الطلق أن يحقر كأنما صيغ من العسجد ، وطرف بالدر ،
وأعل بالزبرجد . ووُسم في الحديث ، بسمة اليمن والبركة ، واختص
بفلج الخصام عند اشتجار المعركة ، وانفرد بمصاعف السهام ، المنكسرة
على الهام ، في الفرائض المشتركة ، واتصفت فلك كقله بحركتي الإرادة
والطبع من أصناف الحركة . أصغى إلى السماء بأذن الملهم ، وأغرى
لسان الصهيل عند التباس معاني المهمز ، والتسهيل ببيان المبهم ،
وفتنت العيون ، من ذهب جسمه ، ولجّين نجمه بحبّ الدينير^(١) والدرهم ،
فإن انقض فرجم ، أو ربح لما هجم ، وإن اعترض فشفق لاح به للنجم
نجم . وأصفّر قيد الأوابد الحرّة ، وأمسك المحاسن ، وأطلق الغرّة ،
وسئل من أنت في قواد الكتابيب ، وأولى الأخبار العجايب ، فقال أنا
المهلب بن أبي صفرة ، نرجس هذه الألوان ، في رياض الاكوان ، تحيا
به مُحِيَّاً^(٢) الحرب العوان . أغار بنخوة الصائل على مُعصفرات الأصايل ،
فارتداها ، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الأمس . فألحم

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي الصيغ والتعريف (الدينار) .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الصيغ (وجوه) .

منها حُلَّتْه وأَسَدَاها . واستَعَدت عليه مُلْكُ المحاسن فما أَعَدَاها . فهو أَصِيلٌ
 تَمَسَّكَ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرْفَهُ وَذَيْلَهُ ، وَكَوَكَبَ يَطْلَمُهُ مِنَ الْقِثَامِ لَيْلَهُ ، فَيَحْسُدُهُ
 فَرَقْدَ الْأَفْقِ وَسُهَيْلَهُ . وَأَشْهَبُ تَغْشَى مِنْ لَوْنِهِ مَفَاضَةَ (١) ، وَتَسْرِبِلُ مِنْهُ
 لَامَةٌ فِضْفَاضَةٌ ، قَدْ احْتَفَلَ زَيْنُهُ ، لَمَّا رُقِمَ بِالنَّبَالِ لُجَيْنَهُ ، فَهُوَ الْأَشْمَطُ
 الَّذِي حَقُّهُ لَا يُغْمَطُ ، وَالذَّارِعُ (٢) الْمُسَارِعُ ، وَالْأَعْزَلُ الذُّارِعُ ، وَرَاقِي
 الْمِضَابِ الْفَارِعُ ، وَمَكْتُوبُ الْكُتَيْبَةِ الْبَارِعُ ، وَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ مُرْتَابِ
 سَالِكٍ ، وَمُجْتَهِدٌ عَلَى غَايَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ (٣) مَتَهَالِكٌ . وَأَشْهَبُ يَرَوِي
 مِنَ الْخَلِيفَةِ ، ذِي الشَّيْمِ الْمُنِيفَةِ ، عَنْ مَالِكٍ . وَحِبَارِي كَلِمَا سَابِقِ وَبَارِي ،
 اسْتَعَارَ جَنَاحَ الْحِبَارِيِّ ، فَإِذَا أَعْمَلْتَ هَذِهِ (٤) الْحَسْبِيَّةَ ، قِيلَ مِنْ هُنَا جَاءَتْ
 النَّسْبَةُ طَرْدَ النَّمْرِ لَمَّا عَظُمَ أَمْرُهُ وَأَمْرٌ ، فَنُسِخَ وَجُودُهُ بَعْدَهُ ، وَابْتَزَّهُ
 الْفَرَوَةَ ، مُلَطَّخَةً (٥) بَدَمِهِ . وَكَانَ مُضَاعَفَ الْوَرْدِ ، نُثِرَ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقِهِ ،
 أَوْ الْفَلَّكَ ، لَمَّا ذَهَبَ الْحَلَّكُ ، مُزَجَّ فِيهِ بِيَاضُ صُبْحِهِ بِحُمْرَةِ شَفَقِهِ ،
 وَقَرَطَاسِيُّ حَقُّهُ لَا يُجْهَلُ ، مَتَى مَا تَرَقَّى (٦) الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ، إِنْ نَزَعَ عَنْهُ
 جُلُّهُ ، فَهُوَ نَجْمٌ كُلُّهُ . انْفَرَدَ بِمَادَةِ الْأَلْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ تَشُوْبَهَا يَدُ الْأَكْوَانِ ،
 وَتَمَزَّجَهَا أَقْلَامُ الْمَلَكُونِ ، يَتَقَدَّمُ مِنْهُ الْكُتَيْبَةُ لَوَاءً نَاصِعٌ ، أَوْ أَبْيَضُ مِمَّا صَع .
 لَيْسَ وَقَارَ الْمَشِيبِ ، فِي رِيْعَانِ الْعُمَرِ الْقَشِيبِ ، وَأَنْصَتَتْ الْأَذَانُ مِنْ صَهَيْلِهِ
 الْمَطِيلِ الْمُطِيبِ ، لَمَّا ارْتَدَى بِالْبِيَاضِ إِلَى نَعْمَةِ الْخَطِيبِ ، وَإِنْ تَعَتَّبَ

-
- (١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبيح (مضاضة) .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبيح (الذراع) .
 (٣) واردة في التعريف والصبيح . وساقطة في الإسكوريال .
 (٤) زائدة الصبيح .
 (٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الصبيح (ثم لطنه)
 (٦) وردت في الإسكوريال (ترق) . والتصويب من النسخ والتعريف

منه للتأخير المتعَب ، قلنا الواو لا تُرتَّب ، ما بين فحل وحرّة . وبهرمانه
 وُرّة ، ^١ ويا لله من ابتسام غرّة ، ووضوح يُمن في طُرّة ، وبهجة للعين وقُرّة .
 ون ولع الناس بامتداح القديم ، وخصوا الحديث بفرى الأديم ، وأوجب
 المتعصّب ، وإن أبي المنصب مزية^(١) التقدّم ، وطمح إلى رتبة المخدم
 طرّف الخديم ، وقورن المثري بالقديم ، وبُخس في سوق الكسد^(٢) الكيل ،
 ودجا الليل ، وظهر في فلّك الإنصاف الميل ، لما تُذوكرت الخيل ، فجىء
 بالوجيه والخطّار ، والزائد وذى الخمار ، وداحس والسكب ، والأبجر
 وزاد الراكب ، والجُموح واليخوم ، والكُميت ومكثوم ، والأعوج
 والحلوان^(٣) ولاحق والغضبان ، وعفزر والزعفران ، والمجبر واللّعب ،
 والأغرّ والغراب ، وشُعلة والعقاب ، والفياض واليعسوب ، والمذهب
 واليغسوب ، والصموت والقطيب ، وهيدب والصبيب ، وأهلوب وهداج ،
 والحرّون وخرّاج ، وعلوى والجناح ، والأخوى ومجاج ، والعصا والنّعام ،
 والبلقاء والحمامة ، وسكاب والجرادة ، وخصاء والعرادة . فكم بين
 الشاهد والغائب ، والمفروض والرغائب ، وفرق ما بين الأثر والعيان ،
 غنى عن البيان ، وشتان ما بين الصريح والمُشْتَبِه ، والله درُّ القائل في
 مثلها « خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به » . والناسخ يختلف به الحكم ، وشرُّ
 الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب ، الصمّ البكم ، إلا ما ركبه نبيّ .
 وكان له يوم الافتخار برهان خبي^(٤) ، ومفضّل ما سمع على ما رأى غبي ،
 فلو أنصفت محاسنها التي وُصفت ، لأقضمت حبّ القلوب علفا ، وأوردت
 ماء الشبيبة^(٥) نُظفا ، واتخذت لها من عُذر الخدود الملاح عُذر موشية ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (مرتبة) .

(٢) وردت في الإسكوريال والصبح (الحسد) . والتصويب من التعريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (وحلوان) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (خفي) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الشيبة) والأولى أرجح .

وعَلَّت بصفير ألحان القيان كلَّ عشية . وأنعلت بالأهلة ، وغُطيت
بالرياض بدل الأجلَّة

إلى الرقيق ، الخليق بالحسن الحقيق . تسوقه إلى مَثوى الرعاية
روقة الفتیان رعاته ، ويهدى عقيقتها من سبجِه أشكالاً تشهد للمخترع
سبحانه ، بإحكام مُخترعاته ، وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لما بهره
منظرها الكريم ، وتخامل الظلِّيم ، وتضامل الرِّيم . وأخرس مُفوه (١)
اللسان ، وهو [مملكة التَّبَيان] (٢) الحفيظ العليم . وناب لسان الحال
عن لسان المقال . عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام ، الذي أطلعت
أزهارها غمام جوده ، واقتضت اختيارها بركة وجوده ، لو علمنا أيها
الملك الأصيل . الذي كرم منه الإجمال والتفصيل ، أن الشناة يوازها لِكُنَّا
لك بكيك . أو الشكر يعادها ويجازيها . لتعرضنا بالوشل إلى نيل نيلك ،
أوقلنا هي التي أشار إليها مُستنصر خ سلفك المستنصر بقوله : «أدرك بخيلك» (٣)

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (مقوله) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الصبح والتعريف (مملكات

البيان) .

(٣) يشير هنا ابن الخطيب إلى واقعة استصراخ الأمير أبي جميل زيان بن مردتش أمير بلنسية
عاصمة الشرق الأندلسي لما دهمه النصارى بمحصارها في رمضان سنة ٦٣٥ هـ (أبريل ١٢٣٨ م ، للأمير أبي زكريا)
ابن عبد الواحد الحفصي (وقد وهم ابن الخطيب في ذكره أن الصريح كان موجهاً إل ولده الخليفة
المستنصر) . أمير مملكة تونس ، وارساله لهذا الغرض كاتبه وسفيره الفقيه الشاعر ابن الأبار
القضاعي . وقد عبر عن صريح الأندلس ومجنتها بقصيدته الشهيرة التي أنشدها بيني يدي الأمير أبي زكريا
ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقد سارع الأمير أبو زكريا إلى إغاثة ملسي بلنسية ، وأرسل إلى ذلك الغرض أسطولاً مشحوناً
بالسلاح والأطعمة والأموال ، وسار هذا الأسطول بالفعل إلى مياه بلنسية ولكنه لم يستطع الاتصال
بالمصورين . وسقطت بلنسية بعد ذلك في يد النصارى (الأرجونيين) في صفر سنة ٦٣٦ هـ (أكتوبر
سنة ١٢٣٨ م) .

حين شرق بدمعه^(١) الشرق ، وانهمز الجمع ، واستولى الفرق ،
واتسع فيه ، والحكم لله ، الخرق ، ورأى أن مقام التوحيد
بالمظاهرة على التثليث وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق . والآن قد
أعنى الله بتلك النية ، عن إنجاد الطوال الردينية ، وبالذعاء من تلك
المثابة الدينية ، إلى رب البنية ، عن الأمداد السنية ، والأجواد تخوض
بحر الماء إلى بحر المنية ، وعن الجرد العربية في مقاود الليوث الأبية .
فجدد برسم هذه الهدية ، مراسم العهود الودية ، والذمم الموحدية لتكون
علامة على الأصل ، ومكثية لدعوى الوقف والفصل ، وإشعاراً بالألفة التي
لا تزال ألفها [بحول الله]^(٢) أليف الوصل ، ولا مهابا حراما على النصل .
وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فقرر من فضلكم ، ما لا ينكره
من عرف علو مقداركم ، وأصالة داركم ، وفلك إبداركم ، وقطب مداركم ،
وأجبناه عنه بجهد ما كنا لنقنع من جناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ،
ولا لنقابل طول طوله بالقصر ، لولا طروء الحصر . وقد كان بين الأسلاف
رحمة الله عليهم ورضوانه ، وُدُّ أبرمت من أجل الله معاقده ، ووثرت
للخلوص الجلي النصوص ، مضاجعه القارة ومراقده ، وتعاهد بالجميل ،
توجع لفقده [فيما سلف]^(٣) فاقدته ، أبي الله ألا أن يكون لكم الفضل في
تجديده ، والعطف بتوكيده . ونحن الآن لا ندرى أى مكارمكم نذكر ،
أو أى فواضلكم نشرح أو نشكر ، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا
فتح ، أم هديتكم وفي وصفها للأقلام سبج ، ولعدو الإسلام بحكمتها كبح .
إنما نكل الشكر لمن يوفى جزاء الأعمال البرة ، ولا يُبخس مثقال الذرة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بدفنه) وهو تحريف .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

ولا أدنى من مثقال الذرة . ذى الرحمة الشرة . والألطف المتصلة المستمرة ،
لا إله إلا هو .

وإن تشوقتم إلى الأحوال الراهنة ، وأسباب الكفر الواهية [بقدره الله] (١)
الواهية، فنحن نُطرفكم بطرفها، ونطلعكم على سبيل الإجمال بطرفها . وهو أننا
لما أعادنا (٢) الله من التمحيص ، إلى مثابة التخصيص ، من بعد
المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة ، ووقفنا على
سبيله مساعى الحياة القصيرة ، ورأينا كما نُقل إلينا ، وكُرر على من
قَبَلنا وعلينا ، أن الدنيا ، وإن غرَّ الغرور ، وأنام على سُرر الغفلة السرور ،
فلم ينفع الخطور على أحداث الأحياب والمرور ، جسرٌ يُعبر ، ومتاع
لا يُغبط من حُبى به ، ولا يُجبر . إنما هو خبير به يُخبر ، [وأن الحسرة
بمقدار ما على تركه تُجبر] (٣) وأن الأعمار أحلام ، وأن الناس نيام ،
وربما رحل الراحل عن الخان ، وقد جلَّه بالأذى واللُخان ، أو ترك به
طيباً ، وثناءً يقوم بعده للآتى خطيباً ، فجعلنا العدل فى الأمور ملاكاً ،
والتفقد للثغور مساوياً ، وضجيج المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه
مناط الاجتهاد ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أهل أدلكم على تجارة تنجيكم »
دليل (٤) الاستشهاد ، وبادرنا رَمَق (٥) الحصون المضاعة ، وجنح التقية
دامس ، [وعوراتها لا ترد يد لامس] (٦) ، وساكنها بائس ، والأعصم فى

(١) ساقطة فى الإسكوريال وواردة فى الصبح والتعريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (اعاد) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الصبح والتعريف وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . ومكانها فى الصبح والتعريف (من حجج) .

(٥) وردت فى الإسكوريال والصبح (من) والتصويب من التعريف .

(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والتعريف وساقطة فى الصبح .

شعفتها من العِصمة آيس ، فزينا ببيض الشرفات ثناياها ، وأفعمنا بالعذب
 القرات ركايها ، وغشينا بالصفيح المضاعف أبوابها ، واحتسبنا عندموفى
 الأجور ثوابها ، وبيضنا بناصع الكلس أثوابها ، فهمى اليوم توهم حس
 العيان ، أنها قطع من بيض العنان^(١) ، تكاد تناول قرص البدر بالبنان ،
 متكفلة للمؤمن ، من فزع الدنيا والآخرة بالأمان . وأقرضنا الله قرضا ،
 وأوسعنا مدونة الجيش عرضا ، وفرضنا أنصافه مع الأهله قرضا ، واستندنا
 من التوكل على الله الغنى الحميد إلى ظل لواء ، ونبذنا إلى الطاغية عهدة
 على سواء ، وقلنا رب أنت العزيز ، وكل جبار لعزك ذليل ، وحزبك
 هو الكثير ، وما سواه قليل ، أنت الكافي ، ووعدك الوعد الوافي ، فأفرض علينا
 مدارع الصابرين ، واكتبنا من الفائزين ، بحظوظ رضاك ، الظافرين ،
 وثبت أقدامنا ، وانصرتنا على القوم الكافرين .

فتحركنا أولى الحركات ، وفاتحة مصحف البركات . في خيف من
 الحشود ، واقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود ، إلى
 حصن أشرف^(٢) البازى المطل [وركاب العدو]^(٣) الضال المضل ،
 ومهدى نفثات الصل ، على امتناعه وارتفاعه ، وسمو يفاعه ، وما بذل
 العدو فيه من استعداده ، وتوفير أسلحته وأزواده ، وانتخاب أنجاده .
 فصلينا بنفسنا ناره ، وزاحمنا عليه الشهداء نصابر أواره . ونلقى بالجوارح
 العزيزة سهامه المسمومة ، وجلامده الملمومة وأحجاره ، حتى فرغنا بحول من
 لا حول ولا قوة إلا به ، أبراجه المنيعه وأسواره ، وكفقتنا عن البلاد والعباد

(١) وردت في الإسكوريال (القيان) . والتصويب من التعريف والصحيح .

(٢) هكذا في الإسكوريال وهو الرسم الصحيح لاسم هذا الحصن . وقد سبق التعريف به .

وفي الصحيح (أش) وهو تعريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الصحيح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

أضراره ، بعد أن استَضَفْنَا إليه حصن (١) السهلة جاره ، ورحلنا عنه بعد أن شحناه رابطةً وحاميةً ، وأزواداً ناميةً ، وعمِلنا بيدنا في رَمِّ ما نلّم القتال ، وبقر من بطون مُسابقه الرجال ، واقتدينا بنبيينا صلوات الله وسلامه عليه في الخندق ، لما حمى ذلك المجال ، ووقع الارتجاز المنقول خبره والارتجال ، وما كان ليقرّ الإسلام مع تركه القرار ، وقد كُتِبَ الجوار ، وتداعى الدّعرة ، وتعاوى الشرار .

وقد كنا أَعْرَيْنَا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة بُرْغَة (٢) التي سَدَّتْ بين القاعدتين رُنْدَة ومالقة الطريق ، وألْبَسَتْ ذُلَّ الفراق ذلك الفریق ، ومنَعَتْهُمَا أَنْ تُسَيِّغَا الرِّيقَ ، فلا سبيل إلى الإلمام لطيف المنام إلا في الأحلام ، ولإرسالة إلا في أجنحة هَدَى (٣) الحمام ، فيسر الله فتحها ، وعَجَلَ مَنَحَهَا ، بعد حرب انبثت فيها النحور ، وتزینت الحور ، وتبع هذه الأم بناتٌ شهيرة ، وبُقِعَ للزرع والضرع خيرة ، فشفى الثغر من بوسه ، وتهلّل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبوسه

ثم أَعْمَلْنَا الحركة إلى مدينة الجزيرة ، على بُعد المدا ، [وتَغْلُغُهَا فِي] (٤) بلاد العدا ، واقتحام هول الفلا وغول الردى ، مدينة تبنتها (٥) حُمص ، فأوسعت الدار ، وأغلت الشوار ، وراعت الاستكثار ، وبَسَطَتْ الأَعْتِمَارَ ، رَجَّحَ إلينا قصدها على البعد ، والطريق الجعد ، ما أشقت به المسلمين ، من استئصال طائفة من أسراهم ، مروا بها آمنين ، وبطائرها المَشْتُوم

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) سبق التعريف بهذه المدينة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . والصبح . وفي التعريف (هـ دل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وتلقها عل) .

والأول أرجح .

(٥) وردت في الإسكوريال والصبح (بنتها) . والتصويب من التعريف .

مُتَيْمِنِينَ ، قد أَنهَكهم الاعتقال ، والقيود الثَّقَال ، وَأَضْرَعهم الإِسَار ، وَجَلَّلهم الانكسار . فجدُّوهم في مَصْرَع واحد ، وتركوهم عبْرَةَ للرَّائِي والمُشَاهِد ، وأهدوا بوقِيعتهم إلى الإِسْلَام ، ثكل الواجد ، وَتِرَةَ الماجد ، فكَبَسناها كَبَسًا ، وفجأناها^(١) بِالْهَام من لا يُفْضِلُ ولا يَنْسَى ، فصَبَحَتْها الخَيْل ، ثم تلاحق الرَّجُل لما جنَّ اللَّيْل ، وحقَّ بها الوَيْل ، فأَبِيح منها الدَّمَار وَأَخْذها الدَّمَار ، ومُحَقَّت من مصانِعها البِيض الأَهْلَة ، وَخُسِفَتْ الأَنْعَام ، وَشُفِيَتْ من دماء أَهْلِهَا الضُّلُوع الجِرار ، وسُلِّطت على هياكلها النار ، واستولى على الآلاف العديدة من سَبِيها الإِسَار ، وانتهى إلى إشبيلية الثُّكلى المغار ، فجلَّل وجود من بها من كبار النصرانية الصُّغار ، واستولت الأَيْدِي على مالا يسعه الوصف ولا تَقِلُّه الأَوْقار . وعُدنا والأَرْض تَمُوج سَبِيًّا ، لم تترك بَعِضَرَيْن سَبِيًّا ، ولا بوجرة ظليًّا ، والعقائل حَسْرَى ، والعيون يَبْهَرها الصُّنْع الأَسْرَى ، وصُبح السُّرَى قد حُمِد ، من بَعْدُ بَعْدُ^(٢) العَسْرَى ، فسبحان الذي أَسْرَى ، ولسان الحمية ينادى في تلك الكنائس المُخْزِيَّة والنَّوَادِي ، يا لثارات الأَسْرَى .

ولم يكن إلاَّ أَنْ نُقِلَّت الأَنْفَال ، ووُسِّمَتْ بالأَوْضاح^(٣) الأَغْفال ، وتميَّزَت الهوادي والأَكْفال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَّان الاحتفال ، قدنا إلبها الجُرْدُ نلأعب الظُّلال نشاطًا ، والأبطال تفتحم الأخطار رَضَى بما عند الله واغْتِباطًا والمهنددة الدَّلِق^(٤) تسبق إلى الرُّقَاب استللا واختِراطًا ، والرُّدِينِيَّة السُّمَر تسترط حِيَّاتُها^(٥) النفوس استرطا . [واستكثرتنا من عُدَد القتال احتياطًا]^(٦)

(١) وردت في الإسكوريال (وفجأناها) . والتصحيح من الصبح .

(٢) واردة في الصبح وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال والصبح (بالإرضاخ) والتصويب من التعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي التعريف . وفي الصبح (الزرق) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (حياة) . وهو تحريف .

(٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

وأزحنا العلل عمن أراد جهادا - منجيا غباره من دخان جهنم ورباطاً ،
 وناديننا الجهاد الجهاد ، يا أمة [الجهاد راية] (١) النبي الهاد . الجنة الجنة تحت
 ظلال السيوف الجداد . فهز النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر : واتتمر
 الجم من دعوة الحق إلى أمر أمر ، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالاً ،
 وعلى كل ضامر ، وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدداً ، وسدت
 الحشود مسالك الطرق العريضة سداً ، ومدد بحرها الزاخر مداً ، فلا يجد
 لها الناظر ولا المناظر حداً . وهذه المدينة هي الأم الولود ، والجنة التي في
 النار لسكانها من الكفار الخلود ، وكروسي الملك ، ومُجَبَّته الوُسطى ،
 من ذلك السلك (٢) ، باءت بالمزايا العديدة ، ونجحت ، وعند الوزان
 بغيرها من أممات البلاد رجحت ، غاب الأسود ، وجحر الحيات السود ،
 ومنصب التماثيل الهائلة ، ومعلق النواقيس الصائلة .

وأذنبنا إليها المراحل [وعينا لبحار] (٣) المحلات المستقلات منها
 الساحل . ولما أكتبنا جوارها ، وكدنا نلمح نارها ، تحركنا ووشاح
 الأفق المرقوم بزهر النجوم ، قد دار دايره ، والليل من خوف الصباح ،
 على سرحه (٤) المستباح ، قد شابت غدايرد . والنسر يرفرف باليمن طائرُ ،
 والسماك الرامح يثارُ بعز (٥) الإسلام ثائره ، والتعائم راعدة فرائض الجسد
 من خوف الأسد ، والقوس يرسل سهم السعادة . بوتر العادة إلى أهداف

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال . وواردة في الصبح والتعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (المالك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي التعريف وفي الصبح (وعينا لتجار) وهو تعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (سلحه) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ثغر) والأولى أرجح .

النَّعْمُ الْمُعَادَةُ ، وَالْجَوَازُ عَابِرَةُ نَهْرِ الْمَجْرَةِ ، وَالزَّهْرَةُ تَغَارُ مِنَ الشَّعْرَى
الْعُبُورُ بِالضَّرَّةِ ، وَعَطَارِدُ يُسْدَى فِي حَبِلٍ (١) الْحُرُوبُ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ
وَيُلْجَمُ ، وَيُنَظَرُ عَلَى أَشْكَالِهَا الْمُنْدَسِيَّةِ فَيُفْحَمُ ، وَالْأَحْمَرُ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمُ
الْأَبْيَضُ يَفْرَى وَيَنْهَرُ ، وَالْمُشْتَرَى يُبْدَى فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَيُعِيدُ ، وَيَزَاحِمُ
فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى مَا لِلسَّعَادَةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُحِلَ عَنِ الطَّالِعِ مُنْزَحِلُ ،
وَعَنِ الْعَاشِرِ مَرْتَحِلُ ، وَفِي زَلْقِ السَّقُوطِ وَحِلُ ، وَالْبَدْرِ يَطَارِحُ حَجَرَ
الْمُنْجِنِيقِ ، كَيْفَ يَهْوَى إِلَى النَّيْقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ الْأَفْقِ
يَكَادُ بِالْعَيُونِ عَنْهَا يُنْقَبُ .

ولما فشا سرُّ الصباحِ واهتزَّتْ أعطافُ الرِّايَاتِ لِنَحِيَّاتِ مُبَشِّرَاتِ
الرِّيحِ ، أَطْلَلْنَا عَلَيْهَا إِطْلَالَ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفَرَايسِ ، وَالْفُحُولِ عَلَى الْعَرَايسِ ،
فَنظَرْنَا مَنْظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا وَمَنْعَةً ، وَيَرُوقُ وَضِعًا وَصَنْعَةً ، تَلْفَعَتْ مَعَاقِلُهُ
الشَّمُّ لِلسَّحَابِ بِيَرُودِ ، وَوَرَدَتْ مِنْ غَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودِ ، وَأَسْرَعَتْ
لِاقْتِطَافِ (٢) أَزْهَارِ النُّجُومِ ، وَالذُّرَاعِ بَيْنَ النُّطَاقِ (٣) مَعَاصِمِ رُودِ ، وَبِلْدَانِ
يُعِينِ الْمَاسِحِ وَالذَّارِعِ ، وَيَنْتَظِمُ الْمَحَانِي وَالْأَجَارِعِ . فَقَلْنَا اللَّهُمَّ نَقْلُهُ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَتَزَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرِيضَةَ الْمُتُونِ ،
نَزُولِ الْغَيْثِ الْهَتُونِ ، وَتَيْمِنًا مِنْ فَحْصَتِهَا الْأَفْيَحِ بِسُورَةِ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ،
مُتَبَرِّئَةً مِنْ أَمَانِ الرَّخْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمَفْتُونِ ، وَأَعْجَلْنَا النَّاسَ بِحِمِيَّةِ نَفُوسِهِمْ
النَّفِيسَةَ ، وَسَجِيَّةِ شَجَاعَتِهِمُ الْبَيْسَةَ ، عَنْ أَنْ تُنْبِئَ (٤) لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدِ ،
وَتُدْنِي بِإِسْمَاعِ شَهِيرِ النَّفِيرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدِ . وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْخَلِيمُ بِالْمَخْلُومِ ،
وَيَرْكِعَ الْمُنْجِنِيقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَافَعُوا مِنْ أَصْحَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْفَرَسَانِ ،

(١) وردت في الإسكوريال والصبح (جبل) . والتصويب من التعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (لاختطاف) والأولى أنسب .

(٣) هكذا في الصبح وفي التعريف . وفي الإسكوريال (النطاف) .

(٤) وردت في الإسكوريال (نبوه) . والتصويب من التعريف والصبح .

وسبق إلى حومة الميدان . حتى أخرجوه في البلد . وسلبوهم لباس الجلد .
 في موقف يُذهل الوالد عن الولد . صابت (١) السهام فيه غماما . وطارت
 كأسراب الحمام تُهدى جِماما . وأضحَت القنا قِصدًا . بعد أن كانت
 شهاباً رِصدًا . وماج بحر القنّام بأمواج النُصول . وأخذ الأرض الرّجفان
 لزلزال الصبّاح الموصول . فلا ترى إلاّ شهيدا تُظلل مصرعه البحور ،
 وصريعا تُقذف به إلى السّاحل أمواج (٢) تلك البحور . ونواشِب تَبْئى بها
 الوجوه الوجيهة عند الله والنّحور . فالْمِقْضِب فوْده يُخصب . والأَسْمِر
 غُضْنُه سيُثْمِر . والمِغْفِر حمّاه يخفّر . وظهور القسي تُقْصم ، وعصم الجنْد (٣)
 الكوافر تُفْصم . وورق اليلب في المُنْقَلَب يسقط . والبُتْر (٤) تكتب . والسْمِر
 تنقط . فاقتحم الرّبض الأعظم لحينه . وأظهر الله لعيون المبصرين
 والمستبصرين عِزّة دينه . وتبرّأ الشيطان من خدينه . وبهت (٥) الكفار
 وخذّلوا ، وبكل مرصد جُدّلوا ، ثم دُخل البلد بعدد غِلابا ، وجُلّل قتلاً
 واستلابا ، فلا تسَل إلاّ الظُّبا والأسل . عن قيام ساعته . وهول يومها
 وشناعته ، وتخريب المبايت والمباني . وغنى الأيدي من خزائن تلك المغاني ،
 ونقل الوجود الأول إلى الوجود الثاني . وتَخارق السيف فجاء بغير المعتاد .
 ونهلت القنا الردينية من الدماء . حتى كادت تُورق كالأغصان المُفترسة
 والأوتاد . وهَمّت أفلاك القسيّ وسَحّت ، وأرنت حتى بُحّت . ونفدت
 مواردها فشحّت بما ألحّت . وسدّت المسالك جثثُ القتلى فمذمت العابر ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (صارت) .

(٢) هذه الكلمة وازدة في الصبح وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٣) وردت في الإسكوريال (الجنن) والتصويب من الصبح والتعريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (البيض) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الصبح (ونهب) وهو تحريف .

واستأصل الله من عدوه الشأفة وقطع الدأبر ، وأزلف الشهيد وأحسب
 الضابِر ، وسبقت رسل الفتح الذي لم يُسمع بمثله في الزمن الغابر ، تنقل
 البُشرى من أفواد المحابر ، إلى آذان المنابر .
 أقمنا بها أياماً نَعْقُرُ الأشجار ، ونستأصل بالتَّخريب الوجار ، ولسان
 الانتقام من عبدة الأصنام : ينادى بالثارات الإسكندرية تشفياً من الفُجار ،
 ورعباً لحقِّ الجار . وقفلنا وأجنحة الرايات بريح العنانات (١) خافقة ،
 وأوافق التوفيق ، الناشئة من خطوط الطريق موافقة ، وأسواق العزِّ بالله نافقة ،
 وحملاء الرفق مصاحبة ، والحمد لله ، مرافقة ، وقد ضاقت ذروع الجبال
 عن أعناق الصُّهب السِّبال ، ورفعت على الأكفال رُدْفاء كرائم الأنفال ،
 وقُلقت بن النواقيس أجرام الجبال بالهندام والاحتيال ، وهلك بمهلك
 هذه الأم ، بنات كُنَّ يَرْتَضَعن ثُدْيَها الحوافل ، ويستوثرن حجرها الكافل ،
 شمل التخريب أسوارها ، وعجلت النار بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دلاء الأدلاء قبل المنح ،
 فبشَّرت بالمنح . وقصدنا لمدينة أبدة ، وهي ثانية الجناحين ، وكُبرى
 الأختين ، ومُساهمة جيان في حين الحين ، مدينة أخذت عرض الفضاء
 الأخرق ، وتمشَّت في أرباضها تمشَّى الكتابة الجامعة في المُهَرَّق ، المشتملة
 على المتاجر والمكاسب ، والوَضْع المناسب ، والفلح (٢) المُعْبَى رَيْعُهُ عمل
 الحاسب ، وكوارة (٣) الدير اللاسب ، [المتعددة اليعاسب] (٤) فإناخ
 العَفَاء بربوعها العامرة ، ودارت كؤوس عُقار الحُتوف ، ببنان السيوف ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في التعريف والصبح (العنايات) والأول أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الفلج) .

(٣) هكذا في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (كورة) . والأول أرجح والكوارة

شيء يتخذ للنحل من القصبان .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

على متديريها المعاقرة ، وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأغرّبت ببطون أسوارها
عُوجُ المعاول^(١) الباقرة ، ودخلت مدينتها عنوة السيف : في أسرع من
خطرة الطيف ، ولا تسل عن الكيف . فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة ،
وعقيلة في حُلل المحاسن رافلة ، ما بلغ من هذه البائسة ، التي سجّدت
لآلهة النيران أبراجها ، وتضاءل بالرغام معراجها ، وضفّت على أعطافها
ملابسُ الخِذلان ، وأقفر من كنائسها كناسُ الغزلان .

ثم تاهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المزاين الواقعة ، وربة
الشهرة السافرة ، [والأنبياء المسافرة]^(٢) قرطبة ، وما أدراك ما هي ،
ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد الراسخة الرأسية ، والمباني المباهية
والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السماء ، قد
استدارت من السور المشيد البناء داراً^(٣) ، ونهر المجرّة من نهرها الفيّاض ،
المسلول حُسامه من غمود الغياض قد لصق بها جارا ، وفلك الدولاب المعتدل
الانقلاب ، قد استقام مدارا ، ورجع الحنين اشتياقاً إلى الحبيب الأول ،
وإدكارا ، حيث الطود كالتاج ، يزدان بلجين العذب المُجاج ، فيزري
بتاج كسرى ودارا ، حيث قسيّ الجسور المديرة ، كأنها عوج المطي
الغريرة ، تعبر النهر قطارا ، حيث آثار العامريّ المجاهد ، تعبق بين تلك
المعاهد شذاً معطاراً ، حيث كرائم السحاب تزور عرائس الرياض الحباب
فتحمل لها من الدر نثاراً ، حيث شمول الشمال تدار على الأدواح ، بالغدو
والرواح ، فترى الغصون سُكاري . وما هي بسُكاري ، حيث أيدي الافتتاح ،

(١) هكذا وردت في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (المعاون) .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وفي « ربحانة الكتاب » . - انقله في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في الصبح .

تَفْتَضُّ من شَقَائِقِ البِطَاحِ أُبْكَاراً . حيث تُغور الأَقَاحِ البَاسِمِ ، تُقْبَلُهَا
بِالسَّحْرِ زُورِ النِّوَاسِمِ ، فَتَخْفِقُ قُلُوبَ النُّجُومِ (١) الغِيَارِي . حيث المَصْبَلِي
للعَيْقِ قَدْ رُحِبَ مَجَالاً ، وَطَالَ مَنَاراً . وَأَزْرَى بِبِلَاطِ الوَلِيدِ احْتِقَاراً .
حيث الظُّهُورِ المِثَارَةُ بِسِلَاحِ الفِلاَحِ ، تَجُبُّ عن مِثْلِ أُسْمِةِ المِهَارِي ،
والبِطُونِ كَأَنَّهَا لَتَدْمِيثِ الغَمَائِمِ بَطُونِ العَدَارِي . والأَدْوَاحِ العَالِيَةِ تَخْتَرِقُ
أَعْلَامَهَا المَادِيَةَ بِالجِدَاوِلِ الخِيَارِي . فَمَا شِيتَ من جَوْ صُقَيْلِ (٢) وَمُعْرَسِ
لِلحَسَنِ وَمَقِيلِ ، وَمَالِكِ لِلعَقْلِ وَعَقِيلِ . وَخَمَائِلِ كَمِ فِيهَا لِلبِلَابِلِ من قَالَ
وَقِيلِ ، وَخَفِيفِ يُجَاوِبُ بِثَقِيلِ . وَسَنَابِلِ تَحْكِي من فَوْقِ سُوقِهَا . وَقُضْبِ
يَسُوقِهَا المِهْمَزَاتِ فَوْقِ الأَلْفَاتِ ، وَالعَصَافِيرِ البَدِيعَةِ الصِّفَاتِ ، فَوْقِ القُضْبِ
المُؤْتَلِفَاتِ . تَمِيلُ لِهَيُوبِ (٣) الصَّبَا وَالجَنُوبِ ، مَالِئَةٌ (٤) الجِيُوبِ بِدُرَرِ
الجُيُوبِ ، وَبِطَاحٍ لَا تَعْرِفُ عَيْنَ المَحَلِّ ، فَتَطْلِبُهُ بِالدَّحَلِ ، وَلَا تَصْرِفُ فِي
خِدْمَةِ بَيْضِ قِبَابِ الأَزْهَارِ ، عِنْدَ افْتِتَاحِ السَّوْسَنِ وَالبَهَارِ ، غَيْرِ العُبْدَانِ
من سُودَانِ النُّحْلِ ، وَبِحَرِ الفِلاَحَةِ الِذِي لَا يُدْرِكُ سَاحِلُهُ ، وَلَا يَبْلُغُ
الطِّيَّةَ البَعِيدَةَ رَاحِلُهُ ، إِلَى الوَادِي ، وَسَمَرِ النُّوَادِي ، وَقَرَارِ دَمُوعِ الغَوَادِي
الْمُتَجَاسِرِ عَلى تَخَطُّيهِ ، عِنْدَ تَمْطِيَّةِ ، الجِسرِ العَادِي . وَالوَطَنِ الِذِي لَيْسَ
من عَمْرٍو وَلَا زَيْدِ . وَالفَرَا الِذِي فِي جَوْفِهِ كَلُّ صَيْدِ ، أَقْلٌ كَرَسِيهِ خِلَافَةَ
الإِسْلَامِ ، وَأَغَارِ (٥) بِالرُّصَافَةِ وَالجِسرِ دَارِ السَّلَامِ . وَمَاعَسَى أَنْ تُطْنِبَ فِي
وَصْفِهِ أَلْسِنَةُ الأَقْلَامِ . أَوْ تَعْبِرَ بِهِ عَن ذَلِكِ الكَمَالِ . فُنُونِ الكَلَامِ .

(١) مَكْنَا وَرَدَتْ فِي الصَّبِيحِ . وَفِي الإِسْكَوْرِيَالِ (النُّجْمِ) .

(٢) مَكْنَا وَرَدَتْ فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالصَّبِيحِ . وَفِي التَّعْرِيفِ (بِقِيلِ) .

(٣) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (هَيُوبِ) .

(٤) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (مَائِلَةٌ)

(٥) مَكْنَا فِي الإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي الصَّبِيحِ (أَغَارِ) وَهِيَ تَعْرِيفُ

فَأَعْمَلْنَا إِلَيْهَا السَّرِيَّ وَالسَّيْرَ ، وَقُدْنَا إِلَيْهَا الْخَيْلَ وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ فِي نَوَاصِيهَا
الْخَيْرَ .

ولما وقفنا بظواهرها المُبَهَّتِ الْمُعْجَبِ ، واصطَفَقْنَا بِخَارِجِهَا الْمُثَبِّتِ
الْمُنْجَبِ ، وَالْقُلُوبَ تَلْتَمِسِ الْإِعَانَةَ مِنْ مُنْعَمٍ مُجْزَلٍ ، وَتَسْتَنْزِلُ مَدَدَ (١)
الْمَلَائِكَةِ مِنْ مُنْجِدٍ مُنْزَلٍ ، وَالرِّكَائِبِ وَأَقْفَةَ مِنْ خَلْفِنَا بِمَعْزَلٍ ، تَقْنَشُدُ
فِي مَعَاهِدِ الْإِسْلَامِ ، « قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ » بَرَزَ مِنْ حَامِيَتِهَا
الْمُحَامِيَةَ ، وَوَقُودَ النَّارِ الْحَامِيَةَ ، وَبَقِيَةَ السِّيفِ الْوَافِرَةَ عَلَى الْحِصَادِ
النَّامِيَةَ ، قَطَعَ الْغَمَائِمَ الْهَامِيَةَ ، وَأَمْوَاجَ الْبُحُورِ الطَّامِيَةَ ، وَاسْتَجَنَّتْ بِظِلَالِ
أَبْطَالِ الْمَجَالِ ، أَعْدَادِ الرِّجَالِ النَّاشِئَةِ وَالرَّامِيَةَ . وَتَصَدَّى لِلنُّزَالِ ، مِنْ
صِنَادِيدِهَا الصُّهْبِ السِّيَالِ ، أَمْثَالِ الْهَضَابِ الرَّاسِيَةِ ، يَجْنُهَا جُنُنُ السَّوَابِغِ
الْكَاسِيَةِ ، وَقَوَائِمِهَا الْمُغَادِيَةَ لِلصُّلْبَانِ يَوْمَ بُوْسَهَا بِنَفُوسِهَا الْمُوَاسِيَةَ ،
وَخَنَازِيرِهَا الَّتِي عَدَّتْهَا عَنْ قَبُولِ حُجَّجِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، سَتُورِ الظُّلْمِ الْغَاشِيَةِ ،
وَصُخُورِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ . فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَمَامَ جِسْرِهَا الَّذِي فَرَّقَ
الْبَحْرَ ، وَحُلِّيَ بِلُجَجِيْنِهِ وَوَلَّيَ زَيْنَهُ مِنْهَا النَّحْرَ ، حَرْبٌ لَمْ تَنْسِجِ الْأَزْمَانَ
عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَلَا آتَتْ الْأَيَّامَ الْحُبَالِيَّ بِمِثْلِ أَجْنَةِ أَهْوَالِهَا ، مِنْ قَاسِهَا بِالْفُجَارِ
أَفْكَ وَفَجْرٍ ، أَوْ مِثْلِهَا بِجَفْرِ الْهَبَاءَةِ خَرْفٍ وَهَجْرٍ ، وَمَنْ شَبَّهَهَا بِحَرْبِ دَاحِسِ
وَالْغَبْرَاءِ ، فَمَا عَرَفَ الْخَيْرَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَرَفٍ وَخَيْرٍ . وَمَنْ نَظَرَهَا بِيَوْمِ شَيْبِ
جَبَلَةٍ ، فَهُوَ ذُو نَلَّةٍ . أَوْ عَادِلًا بِبَطْنِ عَاقِلٍ ، فَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ . أَوْ اِحْتَجَّ بِيَوْمِ
ذِي قَارٍ ، فَهُوَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ذُو اِفْتِقَارٍ . أَوْ نَاضِلٍ بِيَوْمِ الْكَدِيدِ ، فَسَهْمُهُ
غَيْرُ السَّلِيدِ . إِنَّمَا كَانَ مَقَامًا غَيْرَ مَعْتَادٍ ، وَمَرَعَى نَفُوسٍ لَمْ يَفْ بِوَصْفِهِ

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

لسان مرتاد ، وزلزال جبال أوتاد ، ومُتلف مَذخور لسلطان الشيطان وعناد ،
أعلم فيه البطل الباسل ، وتورد الأبيض الباتر ، وتأود الأسمر العاسل .
ودوم الجلمد المتكاسل ، وانبعث من حدب الحنية إلى هدف الرمية الناشر
التاسل ، ورويت لمرسلات السهام المراسل ، ثم أفضى أمر الرماح إلى
التشاجر والارتباك ، ونشبت الأسنة في الدروع نشب السمك في الشباك ،
ثم اختلط المرعى بالهمل ، وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف
من فوق المفارق تيجانا ، بعد أن شقت غئر السوايح خلجانا ، واتحدت
جداول الدروع فصارت بحرا ، وكان التعانق ، فلا ترى إلا نحرأ يلزم
نحرأ ، عناق وداع ، وموقف شمل ذى انصداع ، وإجابة مناد إلى فراق
الابد وداع . واستكشفت مآل الصبر الأنفس الشقافة ، وهبت بريح
النصر الطلائع المبشرة الهفافة . ثم أمد السيل ذلك العباب ، وصقل
الاستبصار الألباب ، واستخلص العزم صفوة اللباب ، وقال لسان النصر
ادخلوا عليهم الباب ، فأصبحت طوائف الكفار ، حصايد مناجل الشفار ،
فمفارقهم (٢) قد رخصت حرمتها بالإخفار (٣) ، ورؤوسهم محطوطة في غير
مقام (٤) الاستغفار ، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج المستطرفة
والأسوار ، ورفرف على المدينة جناح البوار ، لولا الانتهاء إلى الحد
والمقدار ، والوقوف عند اختفاء سر الأقدار (٥) .

ثم عبرنا نهرها ، وشددنا بيدي الله قهرها ، وضيقنا حصرها ،
[وأدرنا بلآلئ القباب البيض خصرها] (٦) ، وأقمنا بها أياما تحوم

(١) هكذا وردت في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (الصبر) والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (فمفارقهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بالإعقار) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (عالم) والأول أرجح .

(٥) هكذا وردت في التعريف وفي الإسكوريال والصبح (المقدار) والأول أرجح .

(٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

عُقبان البتود على فريستها حياماً . وندى الأذواح^(١) ببوارها ، ونسلط
النيران على أقطارها : فلولا عائق المطر . لحصلنا من فتح ذلك الوطن
على الوطر . فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والانتيساف : ونوالى على زروعها
وربوعها ، كرأت رياح الاغتساف . حتى يتهيأ للإسلام لوك طعمتها ،
ويتهنأ بفضل الله : إرث نعيمتها . ثم كانت عن موقفها الإفاضة بعد
نحر النحور . وقذف جمار الدمار : على العدو المدحور . وتدافعت خلفنا
[السيفات المتسقات]^(٢) تدافع أمواج البحور . وبعد أن ألححنا على
جناتها المضجرة . وكرومها المستبجرة^(٣) : إلحاح الغريم : وعوضناها
المنظر الكريه [من المنظر الكريم]^(٤) . وطاف عليها طائف من ربك^(٥)
فأصيحت كالصريم ، وأغرينا حلاق النار بحمم الجحيم^(٦) ، وراكمنا
في أجواف أجوائها غمايم الدخان ، تذكر طيبة البان بيوم الغيم ،
وأرسلنا رياح الغارات : لا تذر من شئ وأنت عليه ، إلا جعلته كالريم ،
واستقبلنا الوادى يهول مدأ . ويروع سيفه الصقيل حداً ، فيسره الله من
بعد الإعواز : وانطلقت على الفرصة : بتلك الفرصة : أيدي الانتهاز ،
وسألنا من ساعله أسد بن الفرات^(٧) : فأفتى برجحان الجواز ، فعم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الأرواح) . والأول أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح (السابقات

المستقلات) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (المشتجرة) .

(٤) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وسقطت في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ربنا) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الحجيم) والأول أرجح .

(٧) هو القاضي أسد بن الفرات بن سنان قاتع صقيلة ، وأحد أكابر بني النخيلة . ومؤلف

كتاب الأسيدي في الفقه المالكي (١٤٢ - ٨٢١٣) . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من

الإحاطة فليراجع هنالك .

الاكتساح والاستيحاء جميع الأحوال ، فأدبيل المصون ، وانتهت القرى
وهدمت الحصون ، واجتثت الأصول وحطمت الغصون ، ولم ترفع عنها
إلى يوم غارة تصافحها بالبؤس ، وتطلع عليها غررها الضاحكة باليوم
العُبوس . فهي الآن مجرى السوابق ومجر العوالي ، على التوالى ، والحسرات
تتجدد في أطلاها البوالى ، وكان بها قد صرعت ، وإلى الدعوة المحمدية
قد أسرعت ، بقدره من أنزل القرآن على الجبال ، فخشعت من خشية الله
وتصدعت ، وعزة من أذعنت الجبابرة لعزه وخنعت . وعدنا والبؤس
لا يعرف اللف نشرها ، والوجود المجاهدة لا يخالط التقطب (١) بشرها ،
والأيدي بالعروة الوثقى متعلقة ، والألسن بشكر نعم الله منطلقة ، والسيوف
في مضاجع الغمود قلقة ، وسراويل الدروع خليقة ، والجياد من ردها إلى
المرايط (٢) والأوارى رد العوارى خنيقة ، وبعبيرات الغيظ المكظوم مختنيقة ،
تنظر إلينا نظر العاتب ، وتعود من ميادين المراح والاختياليات تحت حلال
السلاح عود الصبيان إلى المكاتب ، والطبل بلسان العز هادر ، والعزم
إلى منادى العود الحميد مبادر ، ووجود نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح ،
نادر ، والقاسم ترتب بين يديه من السبى النوادر ، ووارد مناهل (٣) الأجرور
غير المحلاً ولا المهجور (٤) غير صادر ، ومناظر الفضل الآتى عقب أخيه
المتأنى على المطلوب المواتر مصادر ، والله على تيسير الصعاب وتخويل
المن الرغاب قادر ، لا إله إلا هو ، فما أجمل لنا صنعه الخفى ، وأكرم
بنا لطفه الخفى ، اللهم لا نحصى ثناءً عليك ، ولا نلجأ منك إلا إليك ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (التقطيب) .

(٢) واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (منهل) .

(٤) وردت في الإسكوريال (المهور) والتصويب من الصبح والتعريف .

ولا نلتصم بخير الدنيا والآخرة ، إلا لَدَيْكَ . فأعد علينا عوائد نصرِكَ ،
يا مُبْدِي يا مُعِيد . وأعنا من وسائل شكرِكَ على ما ينشأ^(١) به المزيد يا حَيُّ
يا قَيُّوم ، يا فعَّال لما يريد .

وقارنت رسالتكم الميمونة لَدَيْنا حذق^(٢) فتح ، بعد صيته ، مُشْرِيبٌ
لَيْتَهُ . وفخر من فوق النجوم العواتم مبيته . عَجَبْنَا من تَأْتِي أَمَلِهِ الشَّارِدُ ،
وَقُلْنَا البركة في قُدوم الوارد . وهو أَنَّ ملك النصارى لاطفنا بجُدلة من
الحصون ، كانت من مملكة^(٣) الإسلام قد غُصبت . والتماثيل فيها بيوت
الله قد نُصبت . أَدالها الله بمحاولتنا الطَّيِّب من الخبيث . والتوحيد من
التثليث . وعاد إليها الإسلام عودَة الأب الغائب . إلى البنات الحَبائب ،
يَهْلُ عن شئونها . ويمسح دموع الرقة عن جفونها . وهي للروم خُطَّة حَسَف ،
قلَّ ما ارتكبوها فيما نعلم من العهود . ونادرة من نوادر الوجود ، والى الله
علينا وعليكم عوارف الوجود . وجعلنا في محارِبِ الشكر من الرُّكع السجود .
عرفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير ، ويؤمن من الله وتيسير . إذ
استيفاء الجزئيات عسير . لنسركم بما منح الله دينكم ، وتوَجَّ بعز الملة
العنيفة جبينكم . ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم : فإن دُعَاء المؤمن لأخيه
بظَّهر الغيب سلاح ماضٍ ، وكفيل بالمواهب^(٤) المسئولة من المنعم الوهاب
مُتَقاض^(٥) ، وأنتم أولى من ساهم في برِّ ، وعامل الله بخلوص سرِّ ، وأين
يذهب الفضل عن بيتكم وهو صفة حيِّكم . وتراث ميِّتكم ، ولكم مزية
القَدَم ، ورسوخ القَدَم . والخلافة مقرُّها إيوانكم . وأصحاب الإمام مالك ،

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (قد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (حذق)

(٣) هكذا في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (ملكة) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال (للمواهب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ميفاض)

رضي الله عنه ، مستقرها قَيْرَوَانِكُمْ (١) وهَجِير المناير ذكرُ إمامكم ، والتوحيد
أعلام إعلَامِكُمْ ، والوقائع الشهيرة في الكفر ، منسوبة إلى أيامكم ، والصحابة
الكرام فتحة أوطانكم ، وسُلالة الفاروق عليه السلام ، وشايح سُلطانكم ،
ونحن نستكثر من بركة خطابكم ، ووُضلة جنابكم ، ولولا الأعذار لو ألبينا
بالمُتزيّادات تعريف أبوابكم . والله عزّ وجلّ ، يتولى عنا ، من شكركم
المحتوم ، ما قصّر فيه المكتوب منه عن المكتوم ، ويُبقيكم لإقامة الرُسوم ،
ويحلّ محبتكم من القلوب محلّ الأرواح من الجُسوم ، وهو سبحانه يصل
سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالي نِعمه عندكم . والسلام الكريم ،
الطيب [الزاكي المبارك] (٢) البر ، العميم ، يخصكم كثيرا أثيراً ، ما أطلع
الصبح وجهاً منيراً ، بعد أن أرسل النسيم سفيراً ، [وكان الوميض الباسم] (٣)
لأكواس الغمايم ، على أزهار الكرائم مديراً ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وصدر غني في مخاطبة الشيخ الخطيب أبي عبد الله

ابن مرزوق جواباً عن كتابه :

ولما أن نأت عنكم ديارى وحال البُعد بينكم وبين
بعثت لكم سواداً في بياض لأنظركم بشيء مثل عين
بِمَ أفاتحك يا سيدى ، وأجلُّ عُددي [كيف أهدى] (٤) سلاماً فلا
أحذرُ ملاماً ، أو أنتخب لك كلاماً ، فلا أجد لتبعة التّقصير في حقك

(١) أعنى مدينة القيروان ، وقد اشتهرت بنبوغ عدد من أئمة الفقه المالكي وعلى رأسهم
سحنون بن سعيد وتلميذه أبو زيد القيرواني .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والصبح .

(٣) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريال .

الكبير إيلاماً . إن قلتُ تحية كِسْرَى في الثناء وتبع ، فكلمة في مربع العُجْمَة تَرَبِّع ، ولها المصيفُ فيه والمربيع ، والجَمِيم والمنبَع ، فتروي متى شاعت وتشعب . وإن قلتُ إذا العارضُ خَطَرَ ، ومهما (١) هَمَى أو قَطَرَ ، سلام الله يا مَطَر ، فهو في الشريعة بَطَر ، ومَرَكِبَه (٢) خَطِر ، ولا يرعى به وطن ، ولا يقضى وَطَر . وإنما العِرْق الأَوْشَج ، ولا يستوى البان والبنفسج ، والعوسج والعرفج .

سلامٌ وتسليمٌ وروحٌ ورحمةٌ عليك وممدودٌ من الظلِّ سَجَسَجٌ
وما كان فضلكم (٣) ليمنعني الكفران أن أشكره ، ولا لينسيني الشيطان أن أذكره ، فاتخذ في البحر سبباً ، أو أسلك غير الوفاء مذهباً ، تأبى ذلك ، والمنة لله تعالى طباعٌ ، لها في مجال الرعى باع ، وتحقيق وإشباع ، وسوايم من الإنصاف لها مرعى في رياض الاعتراف ، فلا يطرُقها ارتياع ، ولا تخيفها سباع . وكيف تجحد تلك الحقوق ، وهي شمسٌ ظهيرة ، وأذانٌ عقيرة جَهيرة ، فوق مئذنة شهيرة . أدت الأكتادُ لها ديونٌ تستغرق الذم ، وتسترقُ حتى الرمم ، فإن قضيت في الحياة ، فهي الخُطَّة التي نرتضيها ، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد ، إلا بأن يُنقذ مراسمها ويُمضيها ، وإن قطع الأجل ، فالغنى الحميد من خزائنه التي لا تبید ، يقضيها ويرضى من يقضيها . وحيأ الله أيها العلم السامى الجلال ، زمناً بمعرفتكَ المُبررة على الآمال أبرِّ وأتحف ، وإن أساء بفراقك وأجحف ، وأغرى بعد ما ألحف ، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدايد والمزايين ، ثم أوحش منها أضونة هذه الخزائين ، فأب حنين الأمل بخفيه ، وأصبح

(١) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الاسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ركبه)

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فضلك)

المُغْرِبُ غَرِيباً يَقلُّبُ كَفَيْهِ . وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ هَذِهِ الْغَفَلَاتِ . وَنَسْتَهْدِيهِ
 دَلِيلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْفَلَوَاتِ . وَأَيُّ ذَنْبٍ فِي الْفِرَاقِ لِلزَّمَنِ أَوْ لِغِرَابِ الدَّمَنِ .
 أَوْ لِلرَّوَاحِلِ الْمُتَدَلِّجَةِ مَا بَيْنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ . وَمَا مِنْهَا إِلَّا عَبْدٌ مَقْهُورٌ .
 وَفِي رِمَّةِ الْقَدْرِ مَبْهُورٌ ، عَقْدٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَشْهُورٌ . وَحِجَّةٌ لَهَا عَلَى النَّفْسِ
 اللُّوَامَةُ ظُهُورٌ . جَعَلْنَا اللهُ مِمَّنْ ذَكَرَ الْمُسَبِّبَ فِي الْأَسْبَابِ . وَتَذَكَّرَ وَمَا يَذْكُرُ
 إِلَّا أَوْلَى الْأَلْبَابِ ، قَبْلَ غَلْقِ الرَّهْنِ وَسُدِّ الْبَابِ . وَبِالْجَمَلَةِ فَالْفِرَاقُ ذَاتِي
 وَوَعْدِهِ مَا تَى . فَإِنْ لَمْ يَحْزَنْ فَكَيْفَ قَدِ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنَ الْغَدِ . وَالْمَرْءُ فِي
 الْوُجُودِ غَرِيبٌ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ ، وَمَا مِنْ مَقَامٍ إِلَّا لِزِيَالٍ مِنْ غَيْرِ احْتِيَالٍ ،
 وَالْأَعْمَارُ مَرَاحِلُ وَالْأَيَّامُ (١) أَمِّيَالٌ .

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

جَعَلَ اللهُ الْأَدَبَ مَعَ الْحَقِّ شَانِنًا ، وَأَبْعَدَ عَنَّا الْفَرْقَ (٢) الَّذِي شَانِنَا ،
 وَإِنِّي لِأَسْرُ لِسَيْدِي ، بِأَنَّ رَعَى اللهُ صَالِحَ سَلْفِهِ ، وَتَدَارَكَهُ بِالتَّلَافِي فِي
 تَلْفِيهِ ، وَخَلَّصَ سَعَادَتَهُ مِنْ كَلْفِيهِ ، وَأَحْلَهُ مِنَ الْأَمْنِ فِي كَنْفِيهِ ، وَعَلَى
 قَدْرِهَا تُصَابِ الْعَلِيَاءِ ، وَأَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءِ . هَذَا وَالْخَيْرِ
 وَالشَّرِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . ظِلَّانٌ مُضْمَحَلَّانٌ . فَإِذَا (٣) ارْتَفَعَ
 مَا ضُرَّ أَوْ مَا نَفَعَ ، وَفَارَقَ الْمَكَانَ ، فَكَيْفَ مَا كَانَ . وَمِنْ كَلِمَاتِ الْمَمْلُوكِ
 الْبَعِيدَةِ عَنِ الشُّكُوكِ ، إِلَى أَنْ يَشَاءَ مَلِكُ الْمَمْلُوكِ :

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا تَيْسَّرُ وَاتْرِكْ بِجَهْدِكَ مَا تَعَسَّرُ
 وَلِرَبِّ مُجْمَلِ حَالَةٍ تُرَضِّي بِهِ مَا لَمْ يُفَسِّرُ
 وَالدهر ليس بدائم لا بد أن سييسوء إن سرَّ

(١) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (الفراق) . والأولى ارجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فقد) .

واكتم حديثك جاهداً شمتَ المُحدثِ أو تحسّر
والناس آنية الزُّججا ج إذا عَثرت به تكسّر
لا تُعلم التقوى فمن عديم التقى في الناس أغسّر
وإذا امرؤٌ خسِرَ الإله فليس خلقٌ منه أخسّر

وإنَّ لله في رَعِيكَ لسراً ، ولُطفاً مستمرا مستقرا (١) ، إذ ألقاك، [بسر
الرَّوع] (٢) إلى الساحل ، وأخذ بيدك من وَرطة الواحل ، وحرك منك
عزيمة الرَّاحل ، إلى المَلِكِ الحَلاحل ، فإذا لك من إبراهيميك سَمِيًّا ،
وعرَّفك بعد الولي وسميا ، ونَقَلك من عنايةٍ إلى عناية ، وهو الذي يقول
وقوله الحقُّ ، ما ننسخ من آية ، الآية . وقد وصل كتاب سيدي يَحْمَد
والحمد لله العواقب ، ويَصِف المراقى التي حلَّها والمراقب ، وينشر المفاخر
الحَفْصِيَّة والمناقب ، ويذكر ما هبَّاه الله لديها من إقبال ، ورخاء بال ،
وخصيصيَّ اشتغال ونُشور (٣) آمال ، وأنه اغتبط وارتبط ، وألقى العصا
بعد ما خبَط . ومثل تلك الخلافة العَلِيَّة من تزن الذوات ، المخصوصة
من الله بشريف (٤) الأدوات ، بميزان تَمَيِّيزها ، وتفرِّق بين شبه المعادن
وإبريزها ، وشبه الشيء مثل معروف . ولقد أخطأ من قال للناس ظروف ،
إنما هم شَجَرَات مَرَبِع (٥) في بُقعة ما حِلَّة ، وإبل مائة لا تجد فيها راحلة ،
وما هو إلاَّ اتفاق ، ونجح لِلْمُلْك وإخفاق (٦) ، وقلما كذب إجماع
وإصفاق ، والجليل الصالح لربِّ السِّياسة أمل مطلوب ، وحظُّ إليه

(١) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (ونشوة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بتشريف) .

(٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ربع) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (إحقاق) .

مجلوب . وإن سُئِلَ أَطْرَفَ ، وَعَمَرَ الْوَقْتَ بِبِضَاعَةِ أَشْرَفَ . وَسَرَقَ الطَّبَاعَ
 وَمَدَّ فِي الْحَسَنَاتِ الْبَاعَ ، وَسَلَّى فِي الْخُطُوبِ ، وَأَضْحَكَ فِي الْيَوْمِ الْقَطُوبِ ،
 وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ الطَّرِيقِ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَزَرَعَ لَهُ الْمَوَدَّةَ فِي
 قُلُوبِ الْخَلْقِ ، زَادَ اللَّهُ سَيِّدِي لَهَا قُرْبًا أَثِيرًا ، وَجَعَلَ فِيهِ لِلْجَمِيعِ خَيْرًا
 كَثِيرًا ، بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ . وَلِعَلَّمَنِي بِأَنَّهُ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَقْبَلُ نُصْحِي ، وَلَا يَرْتَابُ
 فِي صَدَقِ صُبْحِي ، أَغْبَطَهُ بِمَثْوَاهِ ، وَأَنْشَدَهُ مَا حَضَرَ مِنَ الْبَدِيهِةِ فِي مَسَارَةِ
 هُدَاهِ وَنَجْوَاهِ :

بمقام إبراهيم عُدَّ واضرف له فكرا تورق عن بواعث تغتري (١)
 فجواره حُرْمٌ وَأَنْتَ حِمَامَةٌ ورقاء والأغصان عودُ المنبر
 فلقد أمنت من الزمان ورَيْبِهِ وهو المروع للمسيء وللبري
 وَأَنْ تَشَوَّفَ سَيِّدِي لِلْحَالِ (٢) ، فَلَعَمْرُ وَلِيَّهِ ، لَوْ كَانَ الْمَطْلُوبُ دُنْيَا ،
 لَوَجِبَ وَقُوعُ الْاجْتِنَاءِ ، وَلَا غَتَّبَطَ بِمَا تَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْجُزُورِ ، الْمَبِيعَةَ فِي
 حَانُوتِ الزُّورِ ، مِنَ السُّهَامِ الْوَافِرَةِ الْأَجْزَاءِ ، فَالسلطان رعاه الله ، يوجب
 مَا فَوْقَ مِزْيَةِ التَّعْلِيمِ ، وَالْوَلَدُ هِدَاهُمْ اللَّهُ ، قَدْ أَخَذُوا بِخَطِّ قَلِّ (٣) أَنْ يَنَالُوهُ
 بِغَيْرِ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، تُعَامَلُ بِحَسَبِ مَا بَلَّتَهُ مِنْ نُصْحِ
 سَلِيمٍ ، وَتَرْكٍ لَمَّا بِالْأَيْدِي وَتَسْلِيمٍ ، وَتَدْبِيرٍ عَادَ عَلَى عُدُوِّهِمْ (٤) بِالْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ ، إِلَّا مِنْ أَبَدِي السَّلَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْطَانِ الْحَسَدِ بِحَالِ السَّلِيمِ ،
 وَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا فِي الْقَدِيمِ . لَكِنَّ النَّفْسَ مَنْصَرِفَةً عَنْ هَذَا
 الْغَرَضِ ، وَنَافِضَةً يَدَهَا مِنَ الْعَرَضِ ، قَدْ فَوَّتَتْ الْحَاصِلَ ، وَوَصَلَتْ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَنْبَرِي) .

(٢) وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (قَبْلُ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (عَدَدَهَا) .

في الله القاضع ، وقطعت الواصل ، [وصدقت لما نصح الفودُ الناصل] (١)
وتأهبت للقاء الحمام الواصل ، وقلت :

أنظر خضاب الشباب قد تَصَلَا وزائر الأُنس بعده انفَصَلَا
وهطلبي والذي كَلِفْتُ به حاولتُ تحصيله فما حَصَلَا
لا أمل مُسَعِفٌ ولا عمل نحن في ذا الموت قد وَصَلَا

والوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصايل والأسحار ، إلى مقيل
شديد الافتقار ، والله عز وجل يصل لسيدى رعى جوانبه ، ويتولى
تيسير آماله ، من فضله العيم ، ومآربه ، واقرا عليه من التحيات ،
المحملة من فوق رحال (٢) الأريحيات أزكاها ، ما أوجع البرق الغمايم
فأبكاها ، وحسد الروض حمال التجوم الزواهر ، فقاسها بميسم (٣) لأزاهر
وحكاها ، واضطبن (٤) هرم الليل ، عند الميل ، عصا الجوزاء وتوكاها ،
ورحمة الله تعالى وبركاته ...

وخاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من
بحر ألمرية ، واستقر ببسكرة عند الرئيس بها أبي العباس
ابن مزي صحبة رسالة خطبها أخوه أبو زكريا ، وقد تقلد
كتابة الإنشاء لصاحب تلمسان ، ووصل الكتب عنه من إنشائه

بنفسى وما نفسى على بهينة فيُنزِلنى عنها المكاس بأثمان
حبيبُ نأى عنى وصمٌ لأنتى وراش سهام البين عمداً فأصماني

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بمياسم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (واضطير) والأول أرجح .

وقد كان همُّ الشَّيب لا كان كافياً
 شرعتُ له من دمع عيني مورداً
 وأزَعَيْتُهُ من حسن عهدى حميمه
 حَلَفْتُ على ما عنده لي من رضى
 وإني على ما نالني منه من قِلِّ
 سألت جنونى فيه تقريب عرشه
 إذا ما دعا داع من القوم باسمه
 وتالله (١) ما أصغيتُ فيه لعاذلٍ
 ولا استشعرتُ نفسى برحمة عابدٍ
 ولا شعرت من قبله بتشوقٍ
 تخلَّل منها بين روح وجُثمان

أما الشوق فحدث عنه ولا حرج ، وأما الصبر فاسأل به أية درج ، بعد أن تجاوز المدى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج ، وإني بالصبر على أبرُّ الدبِّر ، لا بل الضرب الهبر ، ومطاوله اليوم والشهر ، نعت حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سُلُو المَقْصِر عن إنسانها المُبْصِر ، أو تذهل ذهول الزاهد عن سرِّها الرأى والمشاهد ، وفي الجسد بضعةٌ يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إذا رحلت عنه وتزحت ، وإذا كان الفراق هو الجِمام الأول ، فعلام المَعُول . أَعِيَتْ مُراوِضَةُ الفراق على الرِّاق ، وكادت لوعة الاشتياق أن تُفْضَى إلى السِّباق .

تر كتمونى بعد تشييعكم
 أوسع أمر الصبر عصيانا
 أقرع سننى ندما تارة
 واستميح الدمع أحياناً

وربما تعلت بغشيان المعاهد الخالية ، وجددت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية ، أسلُّ نون النوى ، عن أهليه ، وميم الموقد المهجور عن

(١) هكذا وردت في التعريف والنفح . وفي الإسكوريال (ووالله) .

مُضْطَلِّيه ، وثناء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين ، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . كَلِفْتُ لِعَمْرُ اللَّهِ ، بسالٍ عن جفوني المورقة ، ونائيم عن هُموي المتجمعة (١) المتفرقة ، ظَنَنْ عن ملال ، لا مُتَبِرِّمًا مِنِّي بِشَرِّ خِلَالٍ ، وكَدَّر الوصل بعد صفائه ، وضرَّج النَّصل بعد عهد وفائه .

أقلُّ اشتياقا إليها القلب ربما (٢) رأيتك تصني الودِّ من ليس جازيا
فها أنا أبكى عليه بدم أساله ، [وأنهل فيه آسى له ، وأعلل بذكراه
قلبا صدعه] (٣) وأودعه من الوجد ما أودعه ، لما خدعه ، ثم قلاه وودعه ،
وأنشيق رياه أنف ارتياح قد جدعه ، واستعديه (٤) على ظلم ابتدعه .
خليلٌ هل أبصرتما أو سمعتما (٥) قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي
فلولا عسى الرجاء ولعله ، لا بل شفاة المحل الذي حلَّه [لمزجت الحنين
بالعتب] (٦) ، وبثت كتابه كمناء في شعاب الكتب ، تهز من الألفات
رماحا خزر (٧) الأسنه ، وتوثر من النونات أمثال القسي المرنة ، وتقود
[من مجموع الطرس والنفس] (٨) بلقا تردى في الأعنة . ولكنه آوى

(١) هكذا وردت في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (المجتمة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (إنما) .

(٣) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف كالاتي (واندب في ربيع الفراق آسى له ، وأشكو إليه حال قلب صدعه) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (واستعدي به) .

(٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف كالاتي (خليل فيما عشما هل أبصرتما) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . ووردت في التعريف كالاتي (لنشرت ألوية العتب) .

(٧) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (حذر) .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (من يياض الطرس وسواد النفس) .

إلى الحرم الأمين ، وتفتياً ظلال الجوار ، المؤمن من معرة الغوار ، عن
 الشمال واليمين ، حرم الخلال (١) المزنية ، والظلال اليزنية ، والمهم
 السنية ، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية ، حيث الرغد المنوح ،
 والطير الميامن يُزجر لها السنوح ، والثوى الذي إليه ، مهما تقارع الكرام
 على الضيفان ، حول جواي الجفان الميّل (٢) والجنوح .

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح همودا
 ومن حلّ بتلك المثابة ، فقد اطمأنّ جنبه ، وتعمد بالعفو ذنبه . والله در القائل
 فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لولا أنّ حمصاً داره
 بلد منى أذكّره تهتجّ لوعتي وإذا قدحت الزند طار شراره
 اللهم غفراً [لا كُفراً] (٣) وأين قرارة النخيل من مثوى الأكلف
 البخيل ، ومكذبة المخيل ، وأين ثانية هجر من متبولاً من ألدّ وفجر

من أنكر غيثاً منشؤه	في الأرض فليس بمخلفها (٤)
فبنان بنى مزي مزن	تنهل بلطف مصرفها
مرفق مد حلّ ببسكرة	يوما نطقت بمصحفها
شكرت حتى بعبارتها	وبمعناها وبأحرفها
ضحكت بأبي العباس من	الأيام ثانيا زخرفها
وتنكرت الدنيا حتى	عرفت منه بمعرفها

بل نقول يا محلّ الولد ، لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حلّ بهذا البلد ،
 لقد حلّ بينك عرى الجلد ، وخذل الشوق بعدك يابن خلدون في الصميم

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (الحلال) .

(٢) واردة في التعريف والنسخ . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (ينوء بمخلفها) .

من الخلد . فحيا الله زمنا ففويت برئي قُرْبك زمانته ، واجعليت في صدق
مجدك جمانته ، [ويا من لشوق لم تقض من طول] (١) خلتك لمانته ،
وأهلا بروض أظلت أشات معارفك بانته ، فحمامه بعدك تنذب ،
فيساعدها الجندب ، ونواسمه ترق فتغاشي ، وحشياته تتخافت وتتلاشي ،
[ومزنه باك] (٢) وأذواحه [في ارباك ، وحمامه] (٣) في ماتم ذي
اشتباك ، كأن لم تكن قمر هالات لبيابه ، ولم يكن أنسك شارع بابيه ،
إلى صفوة الظرف ولبيابه ، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه . فلهفي
عليك من درة اختلستها يد النوى ، ومطل بردها الدهر وكوى ، ونعق
الغراب بينها في ربوع الجوى (٤) ، ونطق بالزجر (٥) ، فما نطق عن الهوى . وبأي
شيء يعتاض منك أيتها الرياض ، بعد أن طما نهرك الفياض ، وفهقت
الحياض . ولا كان الشاني المشنوء ، والجرب المهنوء ، من قطع ليل
أغار على الصبح فاحتمل ، وشارك في الدم الناقة والجمل ، واستأثر جنحه
ببدر النادى لما كمل . نشر الشراع فراح ، وأعمل (٦) الإسراع ، كأنما
هو تمساح النيل ، ضايق الأحباب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة
العين وعين النزهة . ولجج بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتباع يحظر ،
فلم يقدر إلا على الأسف . وأتماح (٧) الأثر المنتسف ، والرجوع بلىء

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنسخ . ومكانها في التعريف (وقصيت
في مرعى) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنسخ وساقطة في التعريف .

(٣) هذه الكلمات واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

(٤) هكذا في النسخ . وفي التعريف والإسكوريال (الهدى) . والأولى أرجح ، حسبما يبدو
من الجملة التالية .

(٥) هكذا في التعريف والإسكوريال . وفي النسخ (وبالزخرف) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (وواصل) .

(٧) هذه الكلمة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

العَيْبَةُ مِنَ الْخَيْبَةِ ، وَوَقَرِ الْجَسْرَةَ مِنَ الْحَسْرَةِ . إِنَّمَا نَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْبُتَّ
وَالْحَزْنَ ، وَنَسْتَمَطِرُ مِنْ عِبْرَاتِنَا الْمُزْنَ ، وَبَسِيفِ الرَّجَاءِ نَصُولُ ، إِذَا
أَشْرَعْتَ لِلْيَأْسِ أَسِنَّةً (١) وَنَصُولُ :

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحَطَ
مِنْ دَارِهِ الْحُزْنَ مِنْ دَارِهِ صُورُ
فَإِنْ كَانَ كَلِمُ الْفِرَاقِ رَغِيْبًا ، لَمَّا نَوَيْتُ مَغِيْبًا ، وَجَلَلْتَ الْوَقْتَ الْهِنِيَّ
تَشْغِيْبًا ، فَلَعَلَّ الْمَلْتَقَى يَكُونُ قَرِيْبًا ، وَحَدِيثُهُ يَرُودُ صَحِيْحًا غَرِيْبًا . إِيْبَهُ
[شُقَّةُ النَّفْسِ] (٢) كَيْفَ حَالُ تِلْكَ الشَّمَائِلِ الْمُزْهَرَةِ الْخَمَائِلِ ، وَالشُّيْمِ
الْهَامِيَةِ الدُّيْمِ ، هَلْ يَمُرُّ بِبَالِهَا مِنْ رَاعَتْ بِالْبَعْدِ بِأَلْهٍ ؟ وَأَخْمَدْتَ بِعَاصِفِ
الْبَيْتِ ذُبَالَهُ ، أَوْ تَرْتَقِي لِشُؤْنِ شَأْنِهَا سَكْبًا لَا يَفْتَرُ ، وَشَوْقُ يَبْتُ حِبَالِ (٣)
الصَّبْرِ وَيَبْتُرُ ، وَضِنِّي تَقْصُرُ عَنْ حُلَلِهِ الْفَاقِعَةِ صَنْعَاءُ وَتَسْتُرُ ، وَالْأَمْرُ
أَعْظَمُ وَاللَّهُ يَسْتُرُ . وَمَا الَّذِي يُضْيِرُّكَ ، صَيْنَ مِنْ لَفْحِ السَّمُومِ نَضِيْرُكَ ،
بَعْدَ أَنْ أَضْرَمْتَ وَأَشْعَلْتَ وَأَوْقَدْتَ وَجَعَلْتَ ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ،
أَنْ تَتَرَفَّقَ بِذِمَائِهِ ، أَوْ تَرُدُّ بِنُغْبَةِ مَاءِ أَرْمَاقِ ظِمَائِهِ ، وَتَتَعَاهَدُ الْمَعَاهِدَ بِتَحِيَّةٍ
يُشَمُّ عَلَيْهَا شَدَا أَنْفَاسِكَ ، أَوْ تَنْظُرُ إِلَيْنَا عَلَى الْبَعْدِ بِمَقْلَةٍ حَوْرَاءٍ مِنْ بِيَاضِ
قِرطَاسِكَ ، وَسَوَادِ أَنْفَاسِكَ ، فَرَبْمَاقِنِعَتِ الْأَنْفُسُ الْمَحْبَةَ بِخِيَالِ زُورٍ ، وَتَعَلَّلْتَ
بِنُوَالٍ مَنزُورٍ ، وَرَضِيْتِ لِمَا لَمْ تَصِدِّ الْعَنْقَاءَ بِزَرْزُورٍ .

يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرِّيَاحَ (٤) لِأَجْلِهِ يُشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ شَدَا رِيَّاهَا
تَحِيَّ النَّفُوسِ إِذَا بَعَثَتْ تَحِيَّةً فَإِذَا عَزَمْتَ اقْرَأْ « وَمِنْ أَحْيَادَا »
وَلَشَنْ أَحْيَيْتِ بِهَا فِيمَا سَلَفَ نَفُوسًا تَفْدِيكَ ، وَاللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ يُهْدِيكَ ،

(١) هذه الكلمة واردة في التعريف . وساقطة في الإسكوريال

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف مكانها (أي سيدي) .

(٣) هذه في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (جلال) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (والنسيم) .

فنحن نقول معشر مُودِّيك^(١) ، ثنّ ولا تجعلها بيضة الدِّيك ، وعلراً
 فإنني لم أجتري على خطابك بالفقر الفقيرة ، وأدلتُ لدى حُجراتك برفع
 العقيزة ، عن نشاط بعثت مرسومه ، ولا اغتباط بالأدب تُغري بسياسة^(٢)
 سوسه ، وانبساط أوحى إلى على الفترة ناموسه ، وإنما هو اتفاق جرتَه نَفْثَة
 المصدر ، وهنأء الجرب المجدور [وخارق لا]^(٣) مُخارق ، فثمّ قياس
 فارق ، أو لحن غنّى به بعد البعد^(٤) مخارق . والذي [هياً هذا القدر]^(٥)
 وسببه ، وسوغ^(٦) منه المكروه وحبيبه ، ما اقتضاه الصنوي يحيى مد الله
 حياته ، وحرّس من الحوادث ذاته - من خطاب ارتشّف به لهذه القريحة
 بلائتها ، بعد أن رضى علّاليتها ، ورشّح إلى الصهر الحضرمي سلاليتها ،
 فلم يسع إلاّ إسعافه ، بما أعافه ، فأمليت مُجيباً ، مالا يُعد في يوم الرهان
 نجيباً ، وأسمنت وجيباً ، لما ساجلت هذه الترهات سحراً عجيباً ، حتى
 إذا ألفت القلم العريان سبّحه ، وجمع برّذون الغزارة فلم أطق كنبّحه ،
 لم أفق من غمّرة غلّوه ، وموقف متلّوه ، إلاّ وقد تحيز لِفثتك ، مغتراً بل
 مُعتراً ، واستقبلها ضاحكاً مُفتراً ، وهشّ لها برّاً ، وإن كان لونه^(٧) من
 الوجّل^(٨) مُضفراً . وليس بأول من هجر ، في التماس الوصل من هجر ،
 أو بعث التمر إلى هجر ، وأي نَسب بيني وبين زُخرف الكلام ، وإجالة

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي النفع (مرديك) .

(٢) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (بيسته) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (وأن تمل ٤) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال والنفع (المبات) والأولى أرجح .

(٥) هذه العبارة زائدة في التعريف .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (سهل) .

(٧) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (كونه) .

(٨) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (الحجل) .

جِياد الأَقلام ، في محاورَة الأَعلام ، بعد أن حال الجريض دون القريض ،
 وشُغل العريض عن التعريض ، واستولى (١) الكسل ، ونسلت (٢) الشررات
 البيض ، كأنها الأسل ، تروع برُقْط (٣) الحيات ، سرب انحياة ، وتطرق
 بذوات الغرر والشيات عند البيات . والشيب الموت العاجل ، وإذا ابيض
 زرع صبغته المناجل ، والمعتبر الآجل . وإذا اشتغل الشيخ بغير معاده ،
 حُكِم في الظاهر بإبعاده ، وأسرِه في مملكة عادِه ، فأغض أبقاك الله واسمح ،
 لمن قصر عن المَطع ، وبالعين الكليله فالَمَح ، واغتنم لباس ثوب الثواب ،
 واشفِ بعض الجوى بالجواب ، تولأك الله فيما استصفت وملكت ، ولا
 بُعدت ولا هلكت ، وكان لك آية سلكت ، ووسمك من السعادة بأوضح
 السمات ، وأتاح لقاءك من قبل الممات . والسلام الكريم يعتمد جلال (٤)
 ولدى ، وساكن خلدي ، بل أخي ، وإن اتقيت عتبه وسيدى ، ورحمة الله
 وبركاته . [من محبه المشتاق إليه محمد بن عبد الله بن الخطيب ، في
 الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ، من عام سبعين وسبعمائه] (٥) .

وخاطبتُ الفقيه أبا زكريا بن خلدون ، لما وُلِّي الكتابة عن السلطان
 أبي حمو موسى بن زيان ، واقترن بذلك نصرٌ وصنعٌ غبَطته به ، وقصدتُ
 بذلك تنفيقه وإنهاصه لديه :

تخصُ الحبيب ، الذي هو في الاستظهار به أخٌ ، وفي الشفقة عليه
 ولد ، والولى الذي ما بعد قُرب مثله أمل ، ولا على بُعده جلد ، والفاضل

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي التعريف (وغلب حتى) .

(٢) هكذا في التعريف والنسخ . وفي الإسكوريال (ونصلت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النسخ (بمرط) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ ، وفي التعريف (حلال) .

(٥) الفقرة التي بين الخاصرتين واردة في التعريف ، وساقطة في الإسكوريال والنسخ .

الذى لا يخالف في فضله ساكن ولا يلد، أبقاه الله ، وفاز فوزه ، وعصمته لها من توفيق الله سبحانه (١) عمد ، ومورد سعادته ، المسوخ لعادته ، [لا غور ولا تمد] (٢) ومدى إمداده من خزائن إلهام الله وسداده ، ليس له أمد ، وحيمى فرح قلبه ، بمواهب من ربه [أن يطرقه كمد] (٣) تحية محله من صميم قلبه بمحله ، المنشىء رواق الشفقة ، مرفوعاً يعمد المحبة والبيعة ، فوق ظمئه وحله ، مؤثره ومجله ، المعتنى بدق أمره وجله ، ابن الخطيب . من الحضرة الجهادية غرناطة ، صان الله حلالها ، ووفى هجير هجر الغيوم ظلالها ، وعمر بأسود الله أغياها ، كما أغرى بمن كفر بالله صيالها . ولا زائد إلا ممن من الله تصوب ، وقوة يسترد بها المغصوب ، ويخفض الصليب المنصوب . والحمد لله الذى بخمده يُنال المطلوب ، ويذكره تطمئن القلوب . ومودتكم المودة التى غدتها ثدى الخلوص بلبانها ، وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ، ومهدت موات إخوانها الكبرى أساس بُنيانها ، واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله ، واتصال أزمانها ، واقتضاء عهود الأيام بيمنها وأمانها . والله دُرُّ القائل :

فإن لم يكنها أو تكُنه فإنسه أخوها غدته أمه (٤) بلبانها

وصل الله ذلك من أجله وفي ذاته ، وجعله وسيلة إلى مرضاته ، وقربة تنفع عند اعتبار ما روعى من سنن الجبار ومفترضاته . وقد وصل كتابكم

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (عمر لا تمد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (لا يطوره كد) .

(٤) وردت في الإسكوريال (أمها) . والتصويب من النسخ .

الذي فاتح بالريحان والروح ، وحل من مرسوم الحياة^(١) محل البسمة من اللوح ، وأذن لنوافح الشناء بالبوح ، يشهد عدله بأن البيان يا آل خلدون ، سكن من متواكم دار خلود ، وقدح زندا غير صلود ، واستأثر من محابركم السبالة ، وقضب أقلامكم الميأة الميأة ، بأب منجب وأم ولود ، يقفو شانيه غير المشنو ، وفصيله غير الجرب ولا المهنو ، من الخطاب السلطاني ، سفينة منوح ، إن لم نقل سفينة نوح . ما شيت من آمال أزواج ، وزمر من الفضل وأفواج ، وأمواج كرم تطفو فوق أمواج ، وفنون بشار ، وأقطاع قبائل وعشائر . وضرب للمسرات أعيا السامر . فله هو^(٢) من قلم راعي نسب القنا ، فوصل الرحم ، وأنجد الوشيح الملتحم ، وساق بعصاه من البيان اللود المزدهم . وأخاف من شد هن الطاعة مع الاستطاعة ، فقال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، ولو لم يوجب الحق برقه ورعده ، ووعيده ووعده ، لأوجه بمنه وسعده . فلقد ظهرت مخايل نجه ، علاوة على نصحه ، ووضحت محاسن صبحه ، في وحشة الموقف الصعب وقبحه ، وصل الله له عوايد منحه ، وجعله إقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله بفتحه . أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا عن^(٣) حبة القلب حبه ، وأنبتة النبات الحسن ربه ، وساعده من الغمام سكبته ، ومن النسيم اللدن مهبه ، فرسم ثبت عند المولى نظيره ، من غير معارض يضيره ، وربما أربي بتذييل مزيد ، وشهادة ثابت ويزيد . ولم لا يكون ذلك ، وللقلب على القلب شاهد ، وكونها أجنادا مجندة ، لا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الولا)

(٢) زائدة في النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (عل)

يحتاج تقريره إلى ما هِد ، أو جُهْد جاهد . وموَدَّة الأخوة سبيلها لا حِب ،
 ودليلها للدُّعوى (١) الصادقة مُصاحب ، إلى ما سبق من فضل ولقاء ، ومُصاقبة (٢)
 سِقَاء ، واعتقاد لا يُراع سربُه بذيب انتقاد ، واجتلاء شِهَاب وقَاد ،
 لا يُحوج إلى إيقاد . إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شَطَّ منها الشُّطن ،
 وتَشذِيب لم يَتَعَيَّن معه الوطن . فلَمَّا تَعَيَّن ، وكاد صبح الحق أن يَتَبَيَّن ،
 غاد الوَمِيض دَيْجُورا ، والثَمَاد (٣) بَحْرًا مَسْجُورا ، إلى أن أعلق الله منكم
 اليد بالسبب الوثيق ، وأحلَّكم بمنجى نيق ، لا يخاف من منجنيق ، وجعل
 يراعكم لسعادة موسى ، معجزة تأتي على الخبر بالعيان ، فتخرُّ لُغْبَانها سَحْرَةً
 البيان .

أيحي سقى حيث لَحَّت الحيا	فنعم الشُّعَاب ونعم الرُّكُون
وحياً يراعك من آيسَةٍ	فقد حرَّك القومَ بعد السُّكُون
دعوتَ لخدمة موسى عَصَاه	فجاءت تَلَقَّف ما يَأفُكُون
فأذعن من يدعى السُّخر رَغْمًا	وأسلم من أَجْلِها المُشْرِكُون
وساعدك السُّعد فيما أردت	فكان كما ينبغى أن يكون

فأنتم أولى الأصدقاء بصلة السبب ، ورغى الوسائل والقرب . أبقاكم
 الله وأيدى الغبطة بكم عالية ، وأحوال تلك (٤) الجهات [بَدْر ككم المهمات] (٥)
 حالية ، وديم المسرات من [أنعامكم المُدِيرَات] (٦) على معهود المبررات ،
 المتوالية . وأما ما تشوقتم إليه من حال وليكم ، فأملٌ مُتقلِّص الظل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (للدعوة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نظافة)

(٣) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (والمراد) والأولى أنسب المعنى

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (تلکم) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ووردت معرفة في الإسكوريال كالألف (بدمكم المات)

(٦) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (أنعامكم المبررات) وهو تحريف

وارتقاب لهجوم جيش الأجل المطل ، ومقام على مساورة الصل ، وعمل
يُكذِّب الدعوى ، وطُمانينة تنتظر الغارة الشَّعواء . ويدُ بالمتنخور تفتح ،
وأخرى تجهد وتمنح ، ومرض يزور فيثقل ، وضعف عن الواجب يعقل .
إلا أن اللطائف تستروح ، والقلب من باب الرجاء لا يبرح . وربما ظفیر
اليانس (١) ، ولم تضطرد المقياس ، تداركنا الله بعفوه ، وأوردنا من منهل
للرضا والقبول على صفوه ، وأذن لهذا الخرق في رفوه . وأما ما طلبتم من
انتساخ ديوان ، وإعمال بنان في الإتحاف ببيان ، فتلك عهدٌ لدى مهجورة ،
ومعاهد لا متعهدة ولا مزورة ، شغل عن ذلك خووض يعلو لجبهه ، وجرص
يقضى من لفظ المانح عجبه ، وهول جهاد تساوى جمادياه ورجبه ، ولولا
التماس أجر ، وتعلل بربح تجر ، لقلت أهلاً بذات النخيتين . فلمن
شكت ، وبذلت المصون بسبب ما أمسكت ، فقلد ضحككت في الباطن
ضعف ما بكت . ونستغفر الله من سوء انتحال ، وإيثار المزاح بكل حال .
وما الذى ينتظر مثلى ممن عرف المآخذ والمتارك ، وجرّب لما بلي المبارك ،
وخبر مساعة الدنيا الفارك . هذا أيها الحبيب ما وسّعه الوقت الضيق ، وقد
ذهب الشباب الریق . فليسمع (٢) فيه معهود كمالك ، جعل الله مطاوعة
أمالك ، مطاوعة يمينك لشمالك ، ووطاً لك موطاً العز ، بباب كل مالك ،
وقرن النجح بأعمالك [وحفظك في نفسك وأهلك ومالك] (٣) والسلام .
من فلان .

* *

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (البانس) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (فليسمع) والأول أرجح .

(٣) هذه الجملة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت إلى الأولاد وهم بالمنكب

صُحبة السلطان ، رضى الله عنه :

يا ساكنى مرفى الشَّوَانِي	شوقى من بعدكم شَوَانِي
ولا هجِ الشُّوقِ قد هَوَانِي	من بعدكم فاقْتَضَى هَوَانِي
كَأَنَّهُ مَالِكاً عِنَانِي	أَنموذَجِ من أبى عِنَانِي
لقد كَفَّانِي لقد كَفَّانِي	بَاقِ ذَمًّا ذَاهِبِ كَفَّانِي
مَنُوا عَلَى الخَوْفِ بِالْأَمَانِي	فَأَنْتُمْ جُمْلَةُ الْأَمَانِي

إلى أى كاهن أتنافر ، وفي أى ملعب أتجاول وأتظافر ، وبين يَدَيَّ
أى حاكم أتظالم فلا أتغافر ، مع هذا الجَبَل ، الذى هو فى الشكل جَمَل ،
حفَّ به من الثَّعب هَمَل ، سَنامه التامك أجرد ، وذَنبُه الشَّابِل كأنه جملٌ
يُطرد ، وعُنقه إلى مورد البحر يتعرَّج ويتعرَّد ، وكانما البنية بأعلاه ،
خِطْرٌ فائِنة ، أو برق غمامة هاتِنة ، استأثر غير ما مرة بأنسى ، وصارت
عينه الحمية مغرب شمسي ، حتى كأن هذا الشكل من خِطْرٍ وبَعير ، وإن
كان مَجاز مُستعير ، يتضمن شكوى البين ، ويُفَرِّق بين المُحِبين .

ما فرَّق الأَحْبَابِ	بعد الله إلا الإِبِل
والناس يلمون غُرَابِ	البين لما جَهَل
وما على ظَهْر غُرَابِ	البين تُنْضِي الرُّحْل
ولا إذا صاح غُرَابُ	فى الدِّيار ارتَحَل
وما غُرَابِ البين	إلا ناقةٌ أو جمل

فأقسم لولا أن الله ذَكَر الإِبِل فى الكتاب الذى أنزل ، وأعظَم الغاية
بها وأجْزَل ، لسَلَّتُ عليه سلاح الدُّعاء ، وأغرِيت هجره نفوس الرُّعاء .
وقلت أرائى الله إكسارك من بَعير فوق سَعير ، ولا سمحت لك عقبه إلا ندر
والسَعير بئرٌ ولا سَعير :

دعوت عليك لَمَّا عِيلَ صَبْرِي وقلبي قائل يا ربَّ لا .. لا
 نستغفر الله ، وأى ذنبٍ لدى ذَنْبِ سائل ، وليث مايل بازاء لِح هائل ،
 يَتَعَاوَرَهُ الوَعْدُ والوعيد ، فلا يُبْدَى ولا يُعِيد ، وتمر الجهة والعيد ، فلا
 يَسْتَدْبِر ولا يَتَعَيَّد . إنما الذنب لدهرٍ يرى المجتمع فيغار ، ويُسْنُ منه على
 الشمل المغار ، ونفوسٍ على هذا الغرض تُسانده وتُعينه ليطش ساعده ،
 وتقاربه فيما يُريد فلا تُباعده :

ولقد علمتَ فلا تكن مُتَجَنِّبًا إِنَّ الفراق هو الجِسام الأول
 حَسْبُ الأَجْبَةِ أَنْ يُفَرَّقَ بينهم صَرَفُ الزمان فما لنا نَسْتَعَجَل
 لكن المحبَّ جَنِيْب ، ولغرض المحبوب سَلِيْب .

ويحسُّ قُبْحُ الفعل إن جاء منكم كما طاب عَرَفُ العود وهو دخان
 وقد قَنَعَتْ برسالة تُبَلِّغ الأنة ، وتُدخل بغد ذلك الصراط الجنة ،
 وتُغَيِّر لسانها عن شوقٍ من دون عقله ، وتنظر عني ، من بياض طرسها ،
 وسواد نَفْسها بمُقَلَّة . وإن كان الجواب ، فهو الأجر والثواب ، ولم أر
 مثل شوقٍ من نارٍ تُخمد بِطِرسٍ يُلقى على أوارها ، فيأمن عادية جوارها .
 لكنها نار الخليل ، ربما تمسكت من المعجزة بأثر ، وعثرت على آثاره
 مع من عَثَرَ . جمع الله من الشمل بكم ما انتثر ، وأنسى بالعين الأثر ،
 وحرَس على الكل من مسوقٍ وسائق ، وموحشٍ ورايق ، سرُّ القلوب ،
 ومناخ الجوى المجلوب ، ومثارُ الأمل المطلوب . ولا زالت العصمة
 تَنَسِدُ فوق مشواه قبابها ، والسعود تحمل في أمره العليُّ منانها . فالمحجوب
 إليه حَبِيْب وإن أساء ، وأَوْحَشَ الصباح والمساء

إن كان ماسعني مما يسركم فعذبوا فقد استعذبت تعذبي
 والسلام عليكم ما حنَّ مشوق ، وتآوَدَ لليراع في رياض الرقاع قَضِيْبُ

مَشُوق ، ورحمة الله وبركاته.

وأجاب عن ذلك الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، كاتب الدولة ،
والوَلَدان عبد الله وعلى ، بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها .

فراجعت الثلاثة بما نصه :

أكرم بها من بنساء بانٍ	أرْسَخ في الفخر من أبانٍ
أَجِينا لذيها الرضا جنان	من المعالي جَنَى جناني
أَوْ جِنَى لِلأَكْفِ دَانٍ	ما لِلْمَبَارِ به يسدان
أُقسم بالذِّكْر والمِثان	مالك فيما سمعتُ ثانٍ
مُدامة برة الأوان	تشطُّ للقول كلٌّ وان
تقول أوضاعها للغو أن	بالعلم عن زينة الغوان
ياربُّ بارِكْ لمن بان	في الفكر والقلب والبنان

هكذا هكذا ، وبعين الحسود القذا ، تُسْتَشَار الدرر الكامنة ، وتُهَاج
القرايح النائمة ، في حِجر الغفلة الآمنة ، وتُقْتَضَى الديون من الطباع الضامنة .

أعيدها بالخمس من ولايد	قد قُلدت بنُخب القلايد
أعيدها بالخمس من حبابٍ	يُغذِّين بالمراضع الأطايب
أعيدها بالخمس من وجوه	يَصُونها الله من المكروه

ويا ماتيح قلب القلوب أزوَّيتَ ، وصدق ما نوَّيتَ ، البيرُّ ببيركُ ،
ذو حَفَرَت وذو طَوَّيتَ ، وما رَمَيْتَ إذ رميتَ ، ولو علمنا السراير ، لأَعَدَدنا
لهذا المَكِيل الغراير ، ولو تحقَّقنا إجابة السؤال ، والنسيج على هذا المنوال ،
لفسَّخنا الظروف لهذا النوال . ساجلنا الغيوث فشَحَّخنا ، وبارزنا الليوث
فافتَضَّخنا ، وصلينا والحمد لله على السلامة بما قَدَّخنا ، لا بل التمسنا

نفيه ، فأقطعنا تنوراً ، واقتبسنا جذوةً فأقبسنا نوراً، وما كان عطاء ربك

محظوراً.

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْإِنْسَاتِ جِنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
 هَدَى الْمَلَالُ وَتَلِكُ بِنْتُ الْمُشْتَرَى حُسْنًا وَهَدَى أُخْتُ غَصَنِ الْبَانِ (١)
 متى كان أفق المنكب ، مطلقاً لهذا الكوكب ، وأجمته ذلك الساحل
 المائل ، مرتبياً لهذا الذم الحلال ، ومورد الجمل البادي العر ، مغاصاً لمثل
 هذا الدر ، إلا أن يكون كنز هذا المرام ، المستدعي للكلف والغرام ،
 من مستودعات تلك الأهواء والأهرام ، دفنه الملك الغصاب ، بعد أن
 قدست الأنصاب ، وأخفى الأثر فلا يُصاب ، أو تكون الأنوار هنالك
 تنجسم ، والحظوظ تُعين وتقسّم ، والحقائق تحدُّ وترسم ، أو تتوالد
 بتلك المغارات ، يوسانيا ورؤسم . أنا ما ظننت بأن تُثور من أجم الأقالم
 أسود ، وتعبث بالسويداوات من نتائج البراع والدواة لحاظ سود . من قال
 في الإنسان عالماً صغيراً ، فقد ظلمه ، كيف والله بالقلم علمه ، ورفع في
 العوالم علمه ، لقد درت حلمات تلك الاقلام من رسل غزير ، وما كان
 فحلُّ تلك الاقلام زير ، ولا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر
 بوزير . إنما هي مشاكي كمال أوقدها الله وأسرجها ، وملكات في القوة
 رجحها مرجح القوة فأبرزها ، إلى العقل وأخرجها . وأخر بها أن تحط
 بندرى المدارك الإلهية رحالها ، وتترك إلى الواجب الحق مُحالها : فتتجاوز
 أوحالها ، مستنيرة بما أوحى لها . إليه بنية ، أقسم برب النية ، وقاسم

(١) هذان البيتان مطلع قصيدة تنسب إلى الخليفة هرون الرشيد، قالها في ثلاث من جواره .
 وقد علق عليها فيما بعد الخليفة الأندلسي الأمير سليمان المستعين، الذي تولي خلافة قرطبة من سنة ٤٠٣ هـ
 لسنة ٤٠٧ هـ ، بقصيدة . ملدها ،

الْحُظُوةُ السَّنِيَّةُ ، لَقَدْ فَزْتُ مِنْ نَجَابَتِكُمْ ، عِنْدَ اِتِّمَاحِ إِجَابَتِكُمْ بِالْأُمْنِيَّةِ ،
فَمَا أَبَالِي بَعْدَهَا بِالْمَنِيَّةِ . وَقَاهُ اللهُ عَيْنَ الْكَمَالِ مِنْ كَمَالِ ، وَصَانَ سُورَجَهُ
مِنْ إِهْمَالِ ، وَاکْتَنَفَهُ بِالْمَزِيدِ مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ وَشَمَالِ ، كَمَا سَوَّغَ الْفَقِيرُ
مِثْلِي إِلَى فَقْرِهِمَا زَكَاةَ جَمَالٍ لَا زَكَاةَ جِمَالٍ . وَلِعُمْرِي ، وَمَا عُمْرِي عَلَى بَهِينِ ،
وَلَا الْحِلْفِ فِي مَقْطَعِ الْحَقِّ بَمَتَعِينَ ، لَقَدْ أَحَقَّبْتُ مِنْهَا إِلَى ثَلَاثِ كِتَابِي ،
قَادَهَا النَّصْرُ جَنَابِي ، أَلِفَاتُهَا الْعُصْبِي ، وَنُونَاتُهَا الْقَيْسِيُّ ، وَغَايَاتُهَا الْمَرَامُ
الْقَيْسِيُّ ، وَرَقُومُهَا الْحَلْقُ ، وَجِيَادُهَا قَدْ فَشَا فِيهَا الْبَلَقُ ، بِحَيْثُ لَا اسْتِظْهَارَ
لِلشَيْخِ إِلَّا بِشَعْبِ سِدْرٍ ، وَلَا إِفْتِرَاسٍ إِلَّا لِمَرْقَةِ قِدْرِ ، وَدُرَيْدُ هَذَا الْفَنِّ
يُحْمَلُ فِي خِلْرِ .

سَلَّتْ عَلَى سِيوفِهَا أَجْفَانُهُ فَلَقِيْتَهُنَّ مِنَ الْمَشِيبِ بِمَغْفَرٍ
فَلَوْلَا تَقَدُّمُ الْعَهْدِ بِالسَّلْمِ ، لَخِيفَ مِنْ كَلِمِهَا وَقُوعِ الْكَلْمِ . أَمَا
إِحْدَاهُنَّ ذَاتُ الْقَتَامِ ، وَالذُّبُجُ بِالْإِعْتِمِ ، الْمَسْتَمْدُ سِوَادُهَا الْأَعْظَمُ مِنْ مِسْكَ
الْخِتَامِ ، فَعَلَّلَتْ فَرِيضَةَ نِظَامِهَا بِالزِّيَادَةِ ، وَعَلَّتْ يَدَهَا بِمَنْشُورِ السِّيَادَةِ ،
وَرَسَمَ شَنْشَنَتِهَا الْمَعْرُوفَةَ لِأَخْزَمِ ، وَجَادَهَا مِنَ الطَّبِيعِ السَّمَاكِ وَالْمَرْزَمِ ،
وَضَفَرَ أَشْجَاعَهَا الْمَضْفَرَةَ لَزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ .

خَدِمَ الْبِرَاعَ بِهَا فَذَبَّجَهَا وَسَأَلْتُ مَجْتَهِدًا عَنِ الْغُرْضِ
فَعَلِمْتُ أَنَّ الصَّلْحَ مَقْصِدُهُ لِنَزُولِ بَعْضِ عِدَاوَةِ الرَّبِضِ
وَأَمَا أُخْتُهَا التَّالِيَةُ ، وَلَدَّتْهَا الْحَافِلَةُ الْحَالِيَةُ ، فَتَنَوُّومُ مَكْسَالٍ ، رِيْقُهَا
بِرُودُ سِلْسَالِ ، وَمِنْ دُونِهَا مَوَارِدُ وَنُسَالِ ، وَذِيْبُ عَسَالِ ، وَإِنْ عُلِّلَتْ بِنَقْصِ
فِي النَّظْمِ ، وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَ الْبِدَايِعِ بِالْكَظْمِ ، وَامْتَكَنَتْهُ الْمَعَانِي امْتِكَاكَ الْعَظْمِ .
وَأَمَا الثَّلَاثَةُ فَكَاعِبٌ حَسَنُهَا بِالْعُقُولِ مُتَلَاعِبِ ، بِنْتِ لَبُونِ ، لَا لُتْهُمَةَ حَرْبِ
زَبُونِ ، - يَا هَا اللهُ وَبِيَّاهَا ، فَمَا أَعْطَرَ رِيَّاهَا .

تَشِيمُ أرواح نجد من ثيابهم عند القُدم لِقُرْب العَهْد بالدار
ولو قَصُرَتْ لتُعْمَد تقصيرُها ، وكثُرَ بالحق نصيرُها ، فكيف وقد
أحادت ، وصابت غمامتها وجادت . وقد شكَّرت على الجملة والتفصيل ،
وعرَّفت منة البازل وجُهد الفصيل ، وطالعت مسایل البيان والتحصيل ،
وقابلت مفضض الضحا بمذهب الأصيل . وأثرت يدي وكانت إلى تلك
الفقر فقيرة ، ونبَّهت في عيني الدنيا وكانت حقيرة ، ورجحت أن لا تعلم
هذه الأسواق مُديرا ، ولا تفقد هذه الآفاق روضةً وغديراً . وسألت لجمالكم
المحوظة للشمل ، الملحوظة بعين السُّر والحمل . عزا أثيرا ، وخيرا
كثيرا ، وأمنا تحمدون منه فراشا وثيرا (١) . وعُدرا أيها الأحباب ، والصفو
اللُّباب ، عن كذح سين وكبرة وقل استرجاع وعبرة ، استرقته ولج
الشغب ذو النظام ، والخلق فراش يكبون مني على حطام ، ورسل الفرنج
قد غشي المنازل مُنثالها ، ونبحتها بالعشي أمثالها ، والمراجعات تشكو
اللَّبث ، والجُباة تستشعر المكيدة والخبث .

ولو كان هماً واحداً لبكيتُه ولكنه هم وثانٍ وثالث
والله عز وجل يمتع بأنسكم من عديم الاستمتاع بسواه ، وقصر عليه
مُتسعب هواه ، ويبقى بركة المولى الذي هو قطب مدار هذه الأقمار ،
والأهلة لا بل مركز فلک الملة ، وسجل حقوقها المستقلة ، والسلام عليكم
ما حنت النيب إلى الفصال ، وتعللت أنفس المُجيبين بذكران سنة
الوصال ، وكرت البكر على الآصال ، ورحمة الله وبركاته .

* * *

وكتبت إلى بعض الفضلاء ، وقد بلغني مرضه أيام كا اللحاق
بالمغرب :

(١) وردت في الإسكوريال (أثيرا) والتصويب أرجح .

وردت علي من فِثتى التى إليها فى مَعْرَك الدهر أتحيز ، وبفضل
فضلها فى الأقدار المشتركة أتميز سحابة سرت وساءت ، وبلغت من
القَصْدِين ما شاءت ، أطلع بها صنيعه وُدّه من شكواه على كل عابث فى
السويداء ، موجب اقتحام البيداء ، مُضْرَم نار الشَّفقة فى فؤاد ، لم يبق
من صبره إلا القليل ، ولا من إفصاح لسانه إلا الأنين والأليل ، ونوى
مُدّت لغير ضرورة يرضاها الخليل ، فلا تسَل عن صنين تطرقت اليد
إلى رأس ماله ، أو عابد موزع مُتَقَبَل أعماله ، وأمل ضويق فى فذلكة
آماله . لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق ، وعارضت القواعد
المُوحِشة بالفروق ، ورأيت الخط يُبهر والحمد لله ويروق ، واللفظ الحسن
ومَض فى جبرده للمعنى الأصيل بروق . فقلت ارتفع الوَصْب ، ورد من
الصُّحة المُغتصب ، وكلة الحِس والحركة هو العَصْب . وإذا أشرق
سراج الإدراك ، حمَل على سلامة سليطه ، والروح خليط البدن ، والمرء
يخليطه ، وعلى ذلك فبليد احتياطى لا يقنعه إلا الشرح ، فيه يسكن
الظما البرح . وعذراً عن التكليف ، فهو محل الاستقصاء والاستيفسار ،
والإطناب والإكثار . وزند القلق فى مثلها أوزى ، والشفيق بسوء الظن
مغرى . والسلام .

* * *

وخاطبت بعضهم : كتبت إلى سيدى ، والخجل قد صبغ وجه يراعى ،
وعقم ميلاد إنشائى واختراعى ، لمكارمه التى أعيت منة ذراعى ، وعجر
فى خوض بحرهما سفينى وشراعى ، فلو كان فضله فنا محصورا ، لكنت
على الشكر معانا منصورا ، أو على غرض مقصورا ، لزارت أسدا هصورا ،

ولم يكن فكرى عن عقايل البيان حضوراً ، لكنه نجدُ تالُق بكل ثنية ،
ومكارمُ رمت عن كل حنية ، ومجد سبق إلى كل أمنية ، وأيادٍ ببلوغ
غايات الكمال معنية . فحسبى الإلقاء باليد لغلبة تلك الأيادى ، وإسلام
قيادى إلى ذلك المجد السىادى ، وإعفاء يراعى ومدادى ، فإذا كانت
الغاية لا تُدرك ، فالأولى أن يلقى الكد ويترك ، ولا يُعرج على الأدعاء ،
ويُصرف القول من باب الخبر إلى باب الدعاء . وقد وصل كتاب سيدى
مُختصر الحجم ، جامعاً بين النجم والنجم ، قريبُ عهد من يمينه بمجاورة
المطر السجم ، فقلت اللهم كلّف سيدى وأجزه ، ومدّ يده بالضر فاخزه .
ولله درُّ المثل ، أشبه امرؤ بعض بره كمال ، واختصار ، وريحان أنوف
وإثمد أبصار . أعلق بالرعى الذى لا يُقر بعد الدار من شيمته ، ولا يقُدح
اختلاف العروض والأقطار فى ديمته . إنما نفسه الكريمة والله يقيها ، وإلى
معارض السعادة يُرقيها ، قانون يلحق أدنى الفضائل بأقصاها ، وكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وإنى وإن عجزت عما خصنى من
عمومها ، وأحسنى من جموحها ، لمخلد ذكرٍ يبقى وتذهبُ اللها ، ويُعلى
مباني المجد ، تُجاوز ذواها السها ، ويذيع بمخايل الملك فما دونها ، مما دح
يهوى المسك أن يكونها ، ويقطفُ له الروض المجود غصونها ، وتكحل به
الحور العينُ عيونها ، وتؤدى منه الأيام المتهربة ديونها . وإن تشوف سيدى ،
بعد حمده وشكره ، واستنفاد الوسع فى إطالة حمده ، وإطابة ذكره ، إلى
الحال ، ففلانُ حفظه الله يشرح منها المُجمل ، ويبين من عواملها المَلغى
والمُعَمَل . وإما اعتناء سيدى بالوَلد المُكفّن بحرمة ، فليس ببُدع فى
فى بُعد صيته ، وعلو همته ، على من تمسك بأذمته ، وفضله أكبر من أن

يُقَيِّدُ بِقِصَّةٍ ، وَبَدْرُ كَمَالِهِ أَجْلٌ مِنْ أَنْ يُعَدَّلَ بِوَسْطِ أَوْ حِصَّةٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى
يَحْفَظُ مِنْهُ فِي الْوَلَاءِ وَلِيَّ الْقِبْلَةِ ، وَوَلِيَّ الْمَكَارِمِ بِالْكَسْبِ وَالْجِبَلَةِ ، وَيَجْعَلُ
جَيْشَ ثَنَائِهِ لَا يُؤْتِي مِنَ الْقِلَّةِ ، بِفَضْلِهِ وَكِرْمِهِ ، وَالسَّلَامِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ ،
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَكُتِبَ فِي كَذَا .

وَمِنْ تَشَوُّفٍ إِلَى الْإِكْتِثَارِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، فَعَلَيْهِ بِكُتَابِنَا الْمُسَمَّى « بَرِيحَانَةُ
الْكِتَابِ وَنُجْمَةُ الْمُتَنَابِ » (١) .

(١) هذا هو أهم كتب ابن الخطيب بعد الإحاطة ، من حيث القيم الأدبية والتاريخية . وهو
يحتوى على عدد كبير من الرسائل المنوعة ، ما بين تاريخية تبودلت بين ملوك غرناطة والمغرب ،
وتناولت وصف الوقائع والمعارك الحربية ، وأدبية ذات طابع شخصي . وتعتبر « البريحانة »
معرضاً للنسب الكتابية والبيانية ، المملوكية والدبلوماسية ، والظواهر الرسمية الدستورية والإدارية ،
والأمل منوط بعون الله ، أن يشرع في نشرها قريباً .

رسالة السياسة

[قال ابن الخطيب]^(١) ، ولنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى
فى السياسة [وكان إملاؤها فى ليلة واحدة]^(٢) .

حدث^(٣) من امتاز باعتبار الأخبار ، وحاز درجة الأشتهار ، بنقل
حوادث الليل والنهار ، وولج بين الكمايم والأزهار ، وتلطف لخبج الورد
من تبسم البهار^(٤) .

قال ، سهر الرشيد ليلة ، وقد مال فى هجر النبذميلة ، وجهد
ندماؤه فى جلب راحته ، وإلمام النوم بساحه ، فشحت عهادهم^(٥) ،
ولم يُغن اجتهدهم . فقال ، اذهبوا إلى طرق سماها ورسمها ، وأمها
قسمها ، فمن عثرتم عليه من طارق ليل ، أو غشاء سئل ، أو ساحب ذئب ،
فبلغوه ، والأمنة سوغوه ، واستدعوه ، ولا تدعوه . فطاروا عجالا ، وتفرقوا
رُكبانا ورجالا ، فلم يكن إلا ارتداد طرف ، أو فواق حرف ، وأتوا بالغنمة
التي اكتسحوها ، والبضاعة التي ربحوها ، يتوسطهم الأشعث الأغر ،
واللج^(٦) الذي لا يُعبر ، شيخ طويل القامة ، ظاهر الاستقامة ، سبلته
مشمطة ، وعلى أنفه من القُبح مطة ، وعليه ثوب مرقوع ، لطير
الخرق عليه وقوع ، يهينم بذكر مسموع ، ويُنبي عن وقت مجموع .

(١) هذه العبارة من عندنا .

(٢) هذه العبارة واردة فى « ريحانة الكتاب » ، وقد وردت به رسالة السياسة فى لوحات

٢٤٢ - ٢٤٧ من مخطوط الإسكوريال رقم ١٨٢٠ الغزيرى . ورقم ١٨٢٥ ديرنبور .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الريحانة والنفح (حديث) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والريحانة . وفى النفح (النهار) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والنفح . وفى الريحانة (عهدهم) .

(٦) هكذا فى الريحانة والنفح . وفى الإسكوريال (الحج) .

فلما مثل سلم ، وما نبس (١) بعدها ولا تكلم . فأشار إليه فقعد ، بعد أن انشمر وابتعد ، وجلس ، فما استرقَّ النظر ولا اختلس ، إنما حركة فكره ، معقودة بزمام ذكره ، ولحظات اعتباره ، في تفاصيل أخباره . فابتدَره الرشيد سائلا ، وانحرف إليه مائلا ، وقال ممن الرجل ، فقال فارسي الأصل ، أعجمي الجنس ، عربي الفصل . قال بلدك ، وأهلك وولدك . قال ، أما الولد ، فولد الديوان ، وأما البلد ، فمدينة الإيوان . قال النحلة وما عملت إليه الرحلة ، قال [أما الرحلة فالاعتبار ، وأما النحلة فالأمور الكبار] (٢) قال ، فنك ، الذي اشتمل عليه ذلك ، فقال ، الحكمة فني الذي جعلته أثيرا ، وأضجعت منه فراشا وثيرا ، وسبحان الذي يقول : ومن يوت الحكمة ، فقد أوتى خيرا كثيرا ، وماسوى ذلك فتبيع (٣) ، ولي فيه مصطفىا وتربيع (٣) . قال فتعاضد جذل الرشيد وتوفر ، وكأنما غشي وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر ، وقال ، مارأيت كالثليلة أجمع لأمل شارد ، وأنعم بموانسة وارد . يا هذا أني سائلك ، ولن تخيب بعد وسائلك ، فاخبرني بما عندك في هذا الأمر الذي بلينا بحمل أعبائه ، ومُنينا بمراوضة آبائه . فقال هذا الأمر قلادة ثقيله ، ومن خُطَّة العجز مُستقبيلة ، ومُفتقرة (٤) لسعة الذرع ، وربط السياسة المدنية بالشرع ، يُفسدها الحلم في غير محله ، [ويكون ذريعة إلى حله] (٥) ويصلحها .
مقابلة الشكل بشكله :

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (تنفس) .

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في الإسكوريال والنفح . ووردت في الريحانة كالاتي (أما النحلة

فالأمور الكبار وأما الرحلة فالاعتبار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (فبيع - ومرتبع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (مفتقرة) .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح ، وناقلة في الريحانة .

ومن لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع إلى أكله
 فقال الملك ، أَجَمَلَتَ ففَصَّل ، وِبَرِيَتَ ففَنَصَّل ، [وَكَلِمَتَ فَأَوْصِل] (١)
 وانثُر الحَبَّ لِمَن يُحَوِّصِل ، واقِيمِ السِّيَاسَةَ فَنوناً ، واجعل لكل لقبٍ
 قانوناً ، وابدأ بالرعيَّة ، وشروطها المرعيَّة . فقال : رعيَّتكَ ودائع الله
 قبلك ، ومرآة العدل الذي عليه جيلك ، ولا تصل إلى ضبظهم [إلا
 بإعانتَه] (٢) التي وهب لك . وأفضل ما استُدعيت به عوثك فيهم ، وكفايته
 التي تكفيهم ، تقويمُ نفسك عند قصد تقويمهم ، ورضاك بالسهر
 لتنويمهم ، [وحراسة كهلمهم ورخصهم ، والترفع عن تضييعهم] (٣) ،
 وأخذ كل طبقة بما عليها ، ومالها ، أخذًا يحوط مالها ، ويحفظ عليها كما لها ،
 ويُقصر عن غير الواجب آملها ، حتى تستشعر عليها رأفتك وحنانك ،
 وتعرف أوساطها في [النصب امتنانك] (٤) وتحذر سفلتها سنانك ، وحظر
 على كل طبقة منها ، أن تتعدى طورها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوز
 بأمر طاعتك فورها . وسدَّ فيها سبيل الذريعة ، واقصر جميعها على خدمة
 الملك بموجب الشريعة ، وامنع أغنياءها (٥) من البطر (٦) والبطالة ،
 والنظر في شبهات الدين بالتمشدد والإطالة ، وليقل فيما شجر بين السلف (٧)
 كلامها ، وترفض ما ينبز به أعلامها ، فإن ذلك يسقط الحقوق ، ويرتب
 العقوق . وامنعهم من فحش الحرص والشرة ، وتعاهدهم بالمواعظ التي

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في الريحانة والنفح .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والنفح . وساقط في الريحانة .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال والنفح . وساقط في الريحانة .

(٤) وردت في الإسكوريال (النصف امتنانك) . والتصويب من الريحانة والنفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (أعيانها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (الناس) والأولى ارجح .

تَجَلُّو البصائر من الموه ، واحملهم من الاجتهاد في العِمارة على أَحْسَن المذاهب ، وانهههم عن التحاسد على المواهب ، ورَضُّهم على الإنفاق بقَدْر الحال ، والتعزُّى عن الفاتت ، فردُّه من المحال . وحذَّر (١) البُخل على أهل اليسار ، والسَّخاء على أولى الإغصار . وخُذهم من الشريعة بالواضح الظاهر ، وامنعهم من تأويلها مَنع القاهر . ولا تُطلق لهم التَّجمُّع على من أنكروا أمره في نواديهم ، وكُفَّ عنهم أكُفَّ تعلُّيمهم . ولا تُبج لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم . ولتكن غايتهم فيما توجَّهت إليه إبايتهم ، ونكَّصت عن الموافقة عليه رايَتهم ، لإنهاؤه إلى من وكلَّته بمصالحهم من ثقاتك ، المحافظين على أوقاتك . وقدم منهم من أمَّنت عليهم مكرهه ، وحيدت على الإنصاف شكره ، ومن كثر حياؤه مع التائب ، وقابل الهفوة باستقالة (٢) المُنيب ، ومن لا يتخطى عندك محلَّه الذى حلَّه ، فرما عمَد إلى النبرم فحلَّه . وحسَّن النية لهم بجهد الاستطاعة ، واغتفر المكاره في جنب حُسن الطاعة . وإن ثار جرادهم (٣) واختلف في طاعتك مرادهم ، فتحصن لثورتهم ، واثبت لقرورتهم [فإذا سألوا وسلوا ، وتفرقوا وانسلوا ، فاحتقر كثرتهم ، ولا تُقلِّ عشرتهم] (٤) واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ، ولا تترك لهم على حِلْمك اتكالا .

ثم قال : والوزير الصالح أفضل عُدِّك ، وأوصَل مَدِّك [فهو الذى] (٥) يصونك عن الابتدال ، ومباشرة الأندال ، ويثب لك على الفرصة ، وينوب

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ : وفي الريحانة (حطر) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والريحانة (باستنابة) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النسخ (جوادهم) وهو تحريف .
 (٤) - بين الحاضر بين و ارد في الريحانة والنسخ . وساقط في الإسكوريال .
 (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنسخ . وفي الإسكوريال (فعدت الرى) وهو تحريف .

في تجرُّع الغُصَّة ، واستجلاء القِصَّة ، ويستحضر ما نَسِيته من أموركَ ،
ويُغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك ، ولا يَسَعُه ما تُمكنك المسامحة فيه ،
حتى يَسْتَوْفِيه . واحذر مُصادمة تياره ، والتجوز في اختياره ، وقدم استخارة
الله في إثاره ، وارسل عيون الملاحظة في آثاره ، وليكن معروف الإخلاص
لدولتك ، مَعْقُود الرِّضاء والغضب برضاك ووصولتك ، زاهداً عما في يديك ،
مؤثراً كل ما يُزِلُّف لديك ، بعيد الهمة ، راعياً للأذمة ، كامل الآلة ، محيطاً
بالإيالة ، رخب الصدر ، رفيع القدر ، معروف البيت ، نبيه الحى
والبيت ، مؤثراً للعدل والإصلاح ، كريباً بحمل السلاح ، ذا خبرة بدخُل
المملكة وخرَجها ، وظَهرها وسرَجها ، صحيح العقد ، متحرِّزاً من النقد ،
جاداً عند هوك ، متيقظاً في حال سهوك ، يَلين عند غضبك ، ويَصِل
الإسهاب^(١) بمقتضيبك ، قلقاً من شكره دونك وحمده ، ناسباً لك الأصابة^(٢)
بعنده . وإن أعياء عليك وجود أكثر هذه الخلال ، وسبق إلى نقيضها
شيء من الاختلال ، فاطلب منه سُكون النفس وهدوئها ، وأن لا يرى منك
رُتبة إلا رأى قدره دونها : وتقوى الله تفضُّل شرف الانتساب ، وهى
للفضائل فذلَّة الحساب . وساو في حفظ غيبه بين قُربه ونأيه ، واجعل
حظه من نعمتك موازياً لحظُّك من حُسن رأيه ، واجتنب منهم من يرى
في نفسه إلى المُلْك سبيلاً ، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلاً ،
أو من كاتر مالك ماله ، أو من تقدم لعدوك^(٣) استعماله ، أو من سمَّت
لسواك آماله ، أو من يعظُم^(٤) عليه إعراض وجهك ، وبهمه نادرة^(٥)

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (الأسباب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (الإصابة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (لعدوانك) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (يعرض) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (نادر) .

نَهَجَكَ (١) ، أو من يُدَاخِلُ غيرَ أَخِيَابِكَ ، أو من يَنَافِسُ أَحَدًا بِبَابِكَ .
(وَأَمَّا الْجِنْدُ) فَاصْرِفِ التَّقْوِيمَ (٢) مِنْهُمْ لِلْمُقَاتِلَةِ وَالْمَكَايِدَةِ الْمُخَاتَلَةِ ،
وَاسْتَوْفِ عَلَيْهِمْ شُرَاطِطَ الْخِدْمَةِ ، وَخُذْهُمْ بِالثَّبَاتِ لِلصُّدْمَةِ ، وَوَفِّ مَا أُوجِبَتْ
لَهُمْ مِنَ الْجِرَايَةِ وَالنُّعْمَةِ ، وَتَعَاهِدْهُمْ عِنْدَ الْغِنَاءِ بِالْعَلْفِ وَالطُّعْمَةِ ، وَلَا تُكْرِمْ
مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ غَنَاؤُهُ ، وَطَابَ فِي الذَّبِّ عَنْ مَلَّتِكَ ثَنَاؤُهُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمُ
النُّبَهَاءُ مِنْ خِيَارِهِمْ ، وَاجْتَهِدْ فِي صَرْفِهِمْ عَنِ الْاِفْتِنَانِ بِأَهْلِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ ،
وَلَا تَوَطِّئْهُمْ الدُّعَا مَهَادًا ، وَقَدِّمْهُمْ عَلَى حِفْظِكَ (٣) وَبُعُوثِكَ مَتَى (٤) أَرَدْتَ
جِهَادًا ، وَلَا تُلِنْ لَهُمْ فِي الْإِعْمَالِضِ عَنْ حُسْنِ طَاعَتِكَ قِيَادًا ، وَعُودِهِمْ حُسْنَ
الْمُوَاسَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ اعْتِيَادًا ، وَلَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي إِغْفَالِ شَيْءٍ مِنْ
سِلَاحِ اسْتِظْهَارِهِ ، أَوْ عُدَّةِ اسْتِهَارِهِ ، وَلِيَكُنْ مَا فَضَّلَ عَنْ شَبْعِهِمْ وَرِيئِهِمْ
مَصْرُوفًا إِلَى سِلَاحِهِمْ ، وَزِيئِهِمْ ، وَالتَّزْيِيدِ فِي مَرَاكِبِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ
اعْتِبَارِ لِأَثْمَانِهِمْ . وَامْنَعِهِمْ مِنَ الْمُسْتَعْلَاتِ (٥) وَالْمَتَاجِرِ ، وَمَا يَتَكَسَّبُ مِنْهُ
غَيْرَ الْمَشَاجِرِ ، وَلِيَكُنْ مِنَ الْغَزْوِ (٦) اِكْتِسَابُهُمْ ، وَعَلَى الْمَغَانِمِ حَسَابُهُمْ ،
كَالْجَوَارِحِ الَّتِي تُفْسَدُ بِاعْتِيَادِهَا ، أَنْ تُطْعَمَ مِنْ غَيْرِ اضْطِيَادِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّهَا
لَا تَبْدُلُ نَفُوسَهَا مِنْ عَالِمِ الْإِنْسَانِ ، إِلَّا لِمَنْ يَمْلِكُ قَلُوبَهَا بِالْإِحْسَانِ ، وَفَضَلَ
اللُّسَانَ ، وَيَمْلِكُ حَرَكَاتَهَا بِالتَّقْوِيمِ ، وَرَتَبَهَا بِالْمِيزَانِ الْقَوِيمِ (٧) ، وَمَنْ
تَثَقَّ بِإِشْفَاقِهَا (٨) عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَتَشْتَرِي رِضَا اللَّهِ بِصَبْرِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَجِلَادِهَا .

(١) هَكَذَا فِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (نَجْهَكَ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرِّيحَانَةِ . وَفِي النَّفْحِ (التَّقْدِيمِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ (حَصَصَكَ) . وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا فِي الرِّيحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (مَهْمِي) وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (الْمَشْغَلَاتِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الرِّيحَانَةِ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرِّيحَانَةِ (الْفَرَارِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٧) هَدَدَ الْكَلِمَةَ . وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَاسْمُهَا فِي الرِّيحَانَةِ .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الرِّيحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (إِشْفَاقَهُ) وَالْأَوَّلُ أَسْبَبُ .

فإذا استشعرت لها هذه الخلال ، تقدمت إلى مواقف التلّف ، مطيعةً
دواعي الكلف ، واثقةً منك بحسن الخلف . واستبق إلى تمييزهم استباقاً ،
وطبقهم طباقاً ، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك إخطاراً ، وأبعدهم
في مرّضاتك مطازاً ، واضبطهم لما تحت يدك من رجالك حزمًا ووقاراً ،
واستهانةً بالعظيم واحتقاراً ، وأحسنهم لمن تقلّده أمرًا من الرعية جواراً ،
إذا أجذت اختياراً ، وأشدّهم على مُماتلة من مارسه من الخوارج عليك
اضطباراً . ومن بلى في الذبّ عنك إخلاءً وإمراراً ، ولحقه الضر في معارك (١)
الدفاع عنك مراراً . وبعده من كانت محبته لك أكثر (٢) من نجدته ،
وموقع رأيه أصدق (٣) من موقع صعدته . وبعده من حسن انقياده لأمرائك
وإحماده (٤) لأرائك ، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته ، وكان صبره
على ما عراه أكثر من اعتداده (٥) بما فعله . [واحذر منهم من كان عند
نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ، ولم يستح من التزيّد بأضعاف ما بذله
من الدفاع ، وشكى البخس] (٦) فيما تعدر عليه من فوائده ، وقاس بين
عوايد (٧) عدوك وعوايدك ، وتوعد بانتقاله عنك وارثاله ، وأظهر
الكراهية لحاله .

(وأما العمال) فإنهم يبينون (٨) عن مذهبك ، وحالمهم في الغالب

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والريحانة . وفي النسخ (معارض) .
 - (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنسخ (أزيد) .
 - (٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنسخ (أنفع) .
 - (٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (واعتماده) .
 - (٥) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (صبره) .
 - (٦) ما بين الخاصرتين كله محو في الإسكوريال . وقد اعتمدنا في نقله على الريحانة والنسخ .
 - (٧) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنسخ (يبيو) .

شديدة الشبه بك ، فعرفهم في أمانتك السعادة . وألزمهم في رعيتك العادة ، وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتصاف بالعدل والإنصاف ، وأجلهم من الحفاية ، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكفاية ، وقفهم عند تقليد الأرجاء ، مواقف الخوف والرجاء ، وقرر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا ، وفيه تدربوا ، وفي سبيله أعجموا وأغربوا ، إقامة حق ، ودخض باطل ، حتى لا يشكو غريم مظلٍ ماطل ، وهو أثرٌ لديك من كل رباب هازل . وكفهم من الرزق الموافق عن (١) التصدي للذئب المرافق . واضطنح منهم من تيسرت كلفته ، وقويت للرعايا ألفته ، ومن زاد على تأميلة صبره ، وأزبى على خبره خبره ، وكانت رغبته في حُسن الذكر ، تشف على غيرها من بنات الفكر . واجتنب منهم من غلب عليه التخرق (٢) في الإنفاق ، وعدم الإشفاق ، والتنافس في الاكتساب ، وسهل عليه سوء الحساب ، وكانت ذريعته المصانعة بالنفاية ، دون التقهصي (٣) والكفاية ، ومن كان منشؤه خاملاً ، ولأغبياء الدناءة حاملاً ، وانبغ (٤) من يكون الاعتذار في أعماله ، أوصح من الاعتذار في أقواله ، ولا يفتننك من قلدته اجتلاب الحظ المطمع (٥) ، [والتنفق بالسعى المسمع (٦)] ومخالفة السنن المرعية [وإتباعه رضاك بسخط الرعية (٧)] ، فإنه قد عَشَّك من حيث بلِّك ورشك ، وجعل من

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (عند) .

(٢) واردة في الإسكوريال والنفع . ومكانها بياض في الريحانة .

(٣) واردة في الريحانة والنفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في النفع . وفي الريحانة (وانغ) . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفع (المقنع) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفع . ووردت محرقة وناقصة بالإسكوريال

كالات (التذباقة عن المسمع) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في الريحانة .

يمينك في شمالك ، حاضر مالك . ولا تَضْمَنَ عاملاً مال عمله ، وحل بينه فيه وبين أمليه ، فإنك تُمَيِّت رُسومك بمجياه ، وتُخْرِجُه من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه . ولا تَجْمَع له في الأعمال ، فيُسْقِط استظهارك ببلد على بلد ، والاحتجاج (١) على والد بولد ، واخِرِض على أن تكون في الولاية غريباً ، ومُتَنَقِّله (٢) منك قريباً ، ورَهِينَةً لا يزال معها مُرِيباً ، ولا تتبيل (٣) مصالحتُه على شيءٍ اختانَه (٤) ، ولو برغيبه فتانَه ، فتقبل المصانعة في أمانتك ، وتكون مشاركاً في خيانتك ، ولا [تُطِل مدَّة] (٥) العمل ، وتعاهدْ كشف الأمور ممن يرعى العمل ، ويبلغ الأمل .

(وأما الولد) فاحسن آدابهم ، واجعل الخير دأبهم ، وخِفْ عليهم من إشفافك وحنانك ، أكثر من غِلظة جنانك ، واكتم عنهم مَيْلك ، وأفِضْ عليهم جودك ونَيْلك ، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك ، وأثبهم على حُسن الجواب [وسبق إليهم] (٦) خوف (٧) الجزاء على رجاء الثواب ، وعلمهم الصبر على الضرائر ، والمُهلة عند استخفاف الجرائر ، [وخذ لهم] (٨) بحسن السرائر ، وحبب إليهم مراسم الأمور الصعبة المراس ، وحصن الاصطناع والاعتراض (٩) ، والاستكثار من

-
- (١) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (احتجاج) .
 - (٢) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وبشمله) .
 - (٣) كذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (تعمل) والأولى أنسب .
 - (٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (اختاله) والأولى أرجح .
 - (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفح . في الإسكوريال (تصل سدة) .
 - (٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وسولم) .
 - (٧) وارداً في الريحانة والنفح . ومكانها بياض في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وخذهم) .
 - (٩) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (والاحتراس) .

أولى المراتب والعلوم ، والسياسات^(١) والعلوم ، والمقام المعلوم ، وكره إليهم مجالسة المُلْهين ومصاحبة السَاهين^(٢) ، وجاهد أهواءهم عن عقولهم ، واحذر الكذب على مَقُولهم ، ورشّحهم إذا أنست منهم رشداً أو هدياً ، وأرضعهم من المؤازرة^(٣) والمشاورة ثدياً ، لتمرنهم على الاعتياد ، وتحملهم على الأزياد ، ورُضّهم رياضة الجياد ، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم ، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم . وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت ، [واقذعها إذا نجمت]^(٤) ، قبل أن يظهر تضعيفها ، ويقوى ضعيفها ، فإن أعجزتك في صغرهم الحيل ، عظم الميل .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب وإذا قدروا على التدبير ، وتشوّفوا للمحل الكبير ، فلا^(٥) توطنهم في مكانك [جهد إمكانك]^(٦) ، وفرقهم [في بلدانك]^(٧) ، تفريق عبّدانك . واستعملهم في بعوث جهادك ، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك ، فإن حضرتك تشغلهم بالتحاسد ، والتبّارى والتفاسد . وانظر إليهم بأعين الثقات ، فإن عين الثقة ، تُبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة^(٨) .

(وأما الخدم) فإنهم^(٩) بمنزلة الجوارح التي تُفَرَّق بها وتجمع ، وتُبصر وتسمع ، فرُضّهم بالصدق والأمانة ، وصنّهم صنون الجفّانة ،

(١) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (والسياسة) .

(٢) واردة في الريحانة والنفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) واردة في الريحانة والنفع . وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (واقرعها كلما هجمت) .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي النفع (إياك أن) .

(٦) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في الريحانة .

(٧) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (بجلد انك) وهو تحريف .

(٨) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (الميقة) .

(٩) هكذا في النفع . ووردت في المخطوطين (فهم) والأولى أفصح .

وخذهم بحسن الانقياد ، إلى ما آثرته ، والتقليل مما استكدرته . واحذر منهم من قويت شهواته ، وضاقت عن هواه لهواته ، فإن الشهوات تنازعك في استيرقاقه ، وتشاركك في استحقاقه . وخيرهم من ستر ذلك عليك (١) بلطف (٢) الحيلة (٣) ، وآداب للفساد مخيلة . وأشرب قلوبهم أن الحق في كل ما حاولته واستنزته ، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته ، وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب ، وبأين الأدب وتجنب . وأعط من أكدذته ، وأضقت منهم ملكه وشدته ، روحة يشتغل فيها بما يغنيه ، على حسب (٤) صهوبة (٥) ما يعانیه ، تغبطهم فيها بمسارحهم ، وتجم كليله جوارحهم . ولتكن عطايك فيهم بالمقدار الذي لا يبتر أعلامهم ، ولا يؤسف (٦) [الأصغر فيفسد] (٧) أعلامهم ، ولا ترم محسنهم بالغاية من إحسانك ، واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك . وحدّر عليهم مخالفتك ولو في صلاحك بحدّ سلاحك . وامنعهم من التواثب والتشاجر ، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر ، واستخلص منهم لسرك (٨) من قلت في الإفشاء ذنوبه ، وكان أصبرهم على ما ينوبه ، ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك ، أكثر من رغبته في إحسانك ، وضبطه لما تقلده من وديعتك ، أحب إليه من حسن صنيعتك . وللسفارة عنك من خلا الصدق في فمه ، وآثره ولو بإخطار دمه ، واستوفى لك وعليك

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (عنك) . وفي النفع (عنه) .
 - (٢) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (بحسن) .
 - (٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (حيلة) .
 - (٤) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الريحانة والنفع .
 - (٥) ساقطة في الريحانة . وواردة في الإسكوريال والنفع .
 - (٦) هكذا وردت في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (يؤنب) .
 - (٧) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (لحديثك) .

فَهُمْ مَا تَحْمِلُهُ ، وَعُنَى بِلَفْظِهِ حَتَّى لَا يَهْمَلَهُ ، [وَلَمَنْ تُودِعُهُ أَعْدَاءُ] (١)
 دولتك ، من كان مقصود الأمل ، قليل القول صادق العمل ، ومن كانت
 قسوته زائدة على رَحْمَتِهِ ، وَعَظْمُهُ فِي مَرْضَاتِكَ آثَرُ مِنْ شَحْمَتِهِ ، ورأيه
 فِي الْحَذَرِ سَدِيدٌ ، وَتَحْرُزُهُ مِنَ الْحِيَلِ شَدِيدٌ . وَلَخِدْمَتِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ
 مِنْ لَأَنْتَ طِبَاعُهُ ، وَامْتَدَّ فِي حَسَنِ السَّجِيَةِ بِاعِهِ ، وَآمَنَ كَيْدُهُ وَغَدْرُهُ ،
 وَسَلِمَ مِنَ الْحِقْدِ صَدْرُهُ ، وَرَأَى الْمَطَامِعَ فَمَا طَمَعُ ، وَاسْتَثْقَلَ إِعَادَةَ
 مَا سَمِعَ ، وَكَانَ بَرِيًّا مِنَ الْمَلَالِ ، وَالْبِشْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ الْخِلَالِ . وَلَا
 تُؤْنِسُهُمْ مِنْكَ بِقَبِيحِ فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ ، وَلَا تُؤْسِسُهُمْ مِنْ طَوْلٍ . وَمَكَّنْ فِي نَفْسِهِمْ
 أَنَّ أَقْوَى شُفَعَائِهِمْ ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ مِنْ دُعَائِهِمْ ، إِصَابَةُ الْغَرَضِ فِيمَا
 بِهِ وَكُلُّوا ، وَعَلَيْهِ شُكِّلُوا ، فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمُ بِهِمْ انْتِفَاعًا ، وَلَا يَعْذَمُونَ
 لَدَيْكَ ارْتِفَاعًا .

(وَأَمَّا الْحَرَمُ) فَهَمْ مَغَارِسُ الْوَلَدِ ، وَرِيَّاحِينَ (٢) الْخَلْدِ ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ
 الَّذِي أَجْهَدْتَهُ الْأَفْكَارَ ، وَالنَّفْسَ الَّتِي تَقْسَمُهَا الْإِحْمَادُ إِلَى الْمَسَاعِي وَالْإِنْكَارِ ،
 فَاطْلُبْ مِنْهُمْ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَسَنِ الشُّيْمِ ، الْمَتْرَفَةُ عَنِ الْقِيمِ ،
 مَا لَا يَسُوؤُكَ فِي خَلْدِكَ ، أَنْ يَكُونَ فِي وَكَلْدِكَ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَجْعَلَ لِفِكْرِ بَشَرٍ
 دُونَ بَصَرٍ (٣) إِلَيْهِمْ سَبِيلًا ، وَانصَبْ دُونَ ذَلِكَ عَذَابًا وَبَيْلًا ، وَارْعَهْنَ مِنْ
 النِّسَاءِ الْعُجْزِ مَنْ فَاقَتْ (٤) فِي الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ سَبِيلَهُ ، وَقَوِيَتْ غَيْرَتُهُ وَنُبْلَهُ ،
 وَخُذْهُنَّ بِسَلَامَةِ النِّيَّاتِ ، وَالشُّيْمِ السَّنِيَّاتِ ، وَحَسَنِ الْاسْتِرْسَالِ ، وَالخُلُقِ

(١) هذه العبارة واردة في الريحانة والنفح ، ومكانها يياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وريا من) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (نظره) .

(٤) هكذا في الريحانة ، وفي الإسكوريال (كانت) والنفح (بانة) والذول أرجح .

السُّلْسَال . وحظَّر (١) عليهن التَّغَامِزُ والتَّغَايِرُ ، والتَّنَافُسُ والتَّخَايِرُ ، وآيسَ
 بينهن في الأَغْرَاضِ ، والتَّصَامُمِ عن الأَغْرَاضِ ، والمُحَابَاةُ بالإغْرَاضِ .
 وأقلد من مخالطتهن (٢) ، فهو أَبْقَى لِهَمَّتِكَ ، وأسْبَلُ لِحُرْمَتِكَ ، ولتكن
 عَشْرَتِكَ لهن عند الكلال والمَلَالِ ، وضيق الاحتمال ، بكثرة الأعمال ،
 وعند الغضب والنوم ، والفراغ من نَصَبِ اليوم . واجعل مَبِيَّتِكَ بينهن
 تَنَمُّ بِرَكَاتِكَ . وقَسِّتِرْ حِرْكَاتِكَ ، وأفضل من ولدت منهن إلى مسكن (٣)
 يُخْتَبِرُ فِيهِ اسْتِقْلَالُهَا ، وَيُعْتَبِرُ بِالتَّفَرُّدِ خِلَالُهَا . ولا تطلق لحرمة شفاعة
 ولا تدبيراً ، ولا تَنْطُ بِهَا (٤) من الأمر صغيراً ولا كبيراً ، واحذر أن يظهر
 على خَدَمِهِنَّ في خروجهن عن القصور وبروزهن من أحمة الأسد الهصور
 زِيُّ مُفَارِعِ (٥) ، ولا طيبٌ للأُنُوفِ مُسَارِعِ ، وأنخصص بذلك من طعن (٦)
 في السِّنِّ ، ويثيس (٧) من الإنس والجنِّ ، ومن توفَّرَ النزوع إلى الخيرات
 قبله ، وقصَّرَ عن جمال الصورة ووسِّمَ بالبَّلَّةِ .

ثم لما بَلَغَ إلى هذا الحَدِّ ، حَمِي وَطَيْسَ اسْتِجْفَارَهُ (٨) ، وختم جزبه
 باستخفاره ، [ثم صمت ملياً] (٩) واستعاد كلاماً أولياً . ثم قال :
 واعلم يا أمير المؤمنين ، سدَّدَ اللهُ سَهْمَكَ لِأَغْرَاضِ خِلاَفَتِهِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
 الزَّمَانِ وَأَفْتِهِ ، أَنْكَ فِي مَجْلِسِ الْفِصْلِ ، وَمُبَاشَرَةِ الْفَرْعِ مِنْ مُلْكِكَ وَالْأَصْلِ ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وحذر) .

(٢) وردت في المخطوطين (مخالطهن) . والتصويب من النفح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (منزل) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (بهم) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (فارح) والنفح (بارح) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (صفر) والأول أرجح .

(٧) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وليس) .

(٨) وردت في المخطوطين (استخفاره) والتصويب من النفح .

(٩) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

في طائفة من عز الله ، تَذُبُّ عنك حُماتها ، وتدافع عن حوزتك كماتها ،
 فاحذر أن يعدل بك غضبك ، عن عدل تُزرى منه ببضاعة ، أو يهجم بك
 رضاك على إضاعة . ولتكن قدرتك وقفاً على الاتصاف بالعدل والإنصاف ،
 واحكم بالسوية ، واجنح بتدبيرك إلى حسن الروية . وخف أن تقعد بك
 أناتك عن حزم تعين ، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين . وأطع الجحّة
 ما توجهت عليك^(١) ، ولا تحفل بها إذا كانت إليك ، فانقيادك إليها
 أحسن من ظفرك ، والحق أجدى من نفرك . ولا تردن النصيحة في وجه ،
 ولا تقابل عليها بنجّه ، فتُمنعها إذا استدعتها ، وتُحجب عنك إذا
 استوعبتها ، ولا تستدعها من غير أهلها ، فيُشغبك أولو الأغراض بجهلها .
 واحرص^(٢) على أن لا ينقضى مجلس جلسته ، أو زمن اختلسته ، إلا وقد
 أحرزت فضيلة زائدة ، أو وثقت منه في معادك بفائدة ، ولا يزهدنك في
 المال كثرته ، فتقل في نفسك أثرته . وقس الشاهد بالغائب ، واذكر
 وقوع ما لا يُحتسب من النوائب ، فالمال المصون أمتع^(٣) الحصون .
 ومن قل ماله قصرت آماله ، وتهاون بيمينه شماله ، والمليك إذا فقد
 خزينته ، أنحى^(٤) على أهل الجدة التي تزينه ، وعاد^(٥) على رعيته بالإجحاف ،
 وعلى جبايته بالإلحاف ، وساء معتاد عيشه ، وصغر في عيون جيشه ، ومنوا
 عليه بنصره ، وأنفوا من الاقتصار على قصره . وفي المال قوة سهاوية ،
 تصرف الناس لصاحبه ، وتربط آمال أهل السلاح به . والمال نعمة الله
 تعالى ، فلا تجعله ذريعة إلى خلافه ، فتجمع بالشهوات بين إنلافك وإنلافه .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (إليك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (واعمل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (أعظم) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (أنحى) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في الريحانة .

واستأنس بحسن جوارها ، واضرف في حقوق الله بعض أطوارها ، فإن فضل المال عن الأجل فأجل ، ولم يضر ما تلف (١) منه بين يدي الله عز وجل . وما يُنفق في سبيل الشريعة ، وسد الذريعة ، مأمول خليفه ، وما سواه فمُستيقن (٢) تلفه . واستخلص لحضور (٣) نواديك الغاصة ، ومجالسك العامة والخاصة ، من يليق بولوج عتبها ، والعروج لرتبها . أما العامية (٤) فمن عظم عند الناس قدره ، وانشرح بالعلم صدره ، أو ظهر يساره ، وكان لله إيجابته وإنكساره ، ومن كان للفتيا منتصباً ، وبتاج المشورة مُعتصباً . وأما الخاصية (٥) فمن رقت طباعه ، وامتد فيما يليق بتلك المجالس بأعه ، ومن تبهر في سير الحكماء ، وأخلاق الكرماء ، ومن له فضل سافر ، وطبع (٦) للدنية منافر ، ولديه من كل ما تستتر به الملوك عن العوام حظ وافر . وصفت ألبابهم بمحصول خيرك ، وسكن قلوبهم بيمن طيرك ، وأغنيهم ما قدرت عن غيرك .

واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك ، مواقع المشاعل المتألفة ، والمصاييح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدها (٧) تبذل من الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء ، وفرعها (٨) لتخبير ما يزين مدتك ، ويحسن من

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (خاب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (فتمين) .

(٣) واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (العامة) .

(٥) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الخاصة) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (رفيع) وهو تعريف .

(٧) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (تمهدك) .

(٨) مكانها بياض في الإسكوريال .

بَعْدَ السَّبِيلِ جَدَّتْكَ . وبعناية الأواخر، ذُكِرَتْ (١) الأوائِل (٢) ، وإِذَا مُحِيَتْ (٣) المفاخر
خَرِبَتْ الدُّوَل . واعلم أن بقاء الذِّكْر مشروط بعمارة البُلْدان ، وتَخْلِيد
الأثار الباقية (٤) في القاصي منها والدَّان . فاحرص على ما يُوضَّح في الدهر
سَبْلَكَ ، ويحوز (٥) المزية لك على من قبلك ، وإن خير الملوك من ينطق
بالحجبة ، وهو قادرٌ على القهر ، ويبتذل الإنصاف في السر والجهر ، مع
التمكُّن من المال والظُّهر . ويسار الرعية جمالاً للملك وشرفاً ، وفاقتهم
من ذلك طَرْف ، فغلب أَيْتَق (٦) الحالين بمحلِّك ، وأولاهما بظنِّك
وجلِّك . واعلم أن كرامة الجور (٧) دائرة ، وكرامة العدل مُكاثرة ،
والغلبة بالخير سيادة ، وبالشَّرُّ هَوَاة (٨) .

واعلم أن حُسن القيام بالشرعية ، يَحْسِمُ عنك نِكَاية الخَوارج ،
ويسمو بك إلى المَعَارِج ، فإنها تَقْصِدُ أنواع الخِدَع ، وتُورِي بتغيير
البِدَع . واطلق على عدوك أيدي الأقوياء من الأكفء ، وألسنة اللُفِيْفِ
من الضُّعْفَاء ، واستشعر عند نكته شعار الوفاء ، ولتكن ثقتك بالله أكثر
من [ثقتك بقوة] (٩) تجديها ، وكَيْبِيَّةٍ تُنْجِدها . فإنَّ الإِخْلَاصَ يَمْنَحُكَ
قوَى لا تُكْتَسَبُ ، ويُهْدِيكَ (١٠) مع الأوقات نصرأ لا يُحْتَسَبُ . والتمس

(١) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (عنيت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنسخ (الأول) . والأولى أرجح .

(٣) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٤) ساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنسخ (بحر) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (أيس) والنسخ (أليق) .

(٧) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (الخوف) .

(٨) هكذا وردت في الريحانة والنسخ . وفي الإسكوريال (ريادة) .

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في المخطوطين (ثقة) .

(١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والريحانة (ومهلك) .

سَلِمَ (١) من سالمك ، بِنَفْسٍ ما في يدك . وفضل حاصل (٢) يومك على مُنْتَظَرِ غَدِكَ ، فَإِنِ أَبِي وَصَحْتَ مُحِبَّتِكَ ، وقامت عليه للناس حُجَّتُكَ ، فللنفوس على الباغين (٣) مَيْلٌ ، ولها من جانبه نَيْلٌ ، واستمد (٤) كل يوم سيرة من يُناويك ، واجتهد أن لا يُباريك (٥) في خير ولا يُساويك ، وأكذب بالخير ما يُشنعُه من مساويك ، ولا تقبل من الإطراء إلا ما كان فيك ، فضلٌ عن إطالته ، وجدُّ يُزرى ببطلته (٦) . ولا تَلُقْ المذنب بحميتك وسبِّك ، واذكر عند حَمِيَّةِ (٧) الغضب ذنوبك إلى ربِّك . ولا تنس أن ذَنْبَ (٨) المذنب أَجْلَسَكَ مجلس الفصل ، وجعل من (٩) قَبْضَتِكَ رِياش النَّصْلِ . وتشاغل في هُدنة الأيام بالاستعداد ، واعلم أن التراخي مُنْزِرٌ بالاشتداد . ولا تُهمل عَرْضَ ديوانك ، واختبار أعوانك ، وتحصين معاقلك وقلاعك . وعُمُّ إِيالتك بحسن اضبطلاعك . ولا تُشغل زمن الهدنة بلداتك ، فتجني في الشدة على ذاتك . ولا تُطلق في دولتك ألسنة الكهانة والإرجاف ، ومطاردة الآمال العجاف ، فإنه يبعث سوء القول ، ويفتح باب العَوْل . وحذِّر على المدرِّسين والمعلِّمين (١٠) ، والعلماء والمتكلمين ، حمل الأحداث (١١) على الشكوك الخالِجة ، والزلاّت (١٢) الوالِجة ، فإنه يُفسد

- (١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (مسألة) .
- (٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فاضل) والأول أريج .
- (٣) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (الباغي) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (استهد) . وساقطة في الريحانة .
- (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (يوازيك) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (على بطالة) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (حركة) .
- (٨) محوطة في الإسكوريال .
- (٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (في) .
- (١٠) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (المتلمين) .
- (١١) وردت في الإسكوريال (الأمداد) . والتصويب من الريحانة والنفح .
- (١٢) هكذا في الريحانة وفي النفح . وفي الإسكوريال (المزيات) .

طباعهم ، ويغري سباعهم ، ويمد في مخالفة الملة باعهم . وسد سبل الشفاعات ، فإنها تُفسد عليك حُسن الاختيار ، ونفوس الخيار . وابدل في الأسرى^(١) من حسن مُلكتك ، ما يُرضى^(٢) من ملكك رقابها ، وقلدك ثوابها وعقابها . وتلق بدء نهارك بذكر الله في ترفعك وابتدالك ، واختم اليوم بمثل ذلك . واعلم أنك مع كثرة حُجابك ، وكثافة حُجابك ، بمنزلة الظاهر للعيون ، المُطالب بالديون ، لشدة البحث عن أمورك ، وتعرف السر الخفي بين أمرك ومأمورك ، فاعمل في سرّك ما لا تستقيح أن يكون ظاهراً ، ولا تأنف أن تكون به مُجاهراً ، واحكم بريك في الله ونحتك ، وخف من فوقك يخفك من تحتك .

واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حُسن قرضه ، أو زادت مؤونته على نصيبه منك وفرضه . فاضمت للحُجج ، وتوق اللُجج ، واسترب بالأمل ، ولا يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل . ولا تحقرن صغير الفساد ، فيأخذ في الاستئساد . واحبس الألسنة عن التّحالي باغتيالك ، والتشبت بأذيال ثيابك ، فإن سوء الطاعة ، ينتقل من الأعين الباصرة ، [إلى الألسن القاصرة]^(٣) ، ثم إلى الأيدي المتناصرة . ولا تثق بنفسك في قتال عدو ناوأك ، حتى تظفر بعدو غضبك وهواك . وليكن خوفك من سوء تدبيرك ، أكثر من عدوك الساعي في تّبيرك . وإذا استنزلت ناجماً ، أو أمنت ثائراً هاجماً ، فلا تقلد البالد الذي فيه

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الأسمى) وهو تحريف .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (يونس) والأول أرجح .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقته في الريحانة .

نَجْم ، وَهَمَّا عَارَضَهُ فِيهِ وَانْسَجَم ، يَعْظُمُ عَلَيْكَ الْقَدْحُ (١) فِي اخْتِيَارِكَ ، وَالغَضُّ مِنْ إِثَارِكَ ، وَاحْتَرَزَ مِنْ كَيْدِهِ فِي حَوْزِكَ (٢) وَمَأْمُكَ ، فَإِنَّكَ أَكْبَرُ هَمِّهِ ، وَلَيْسَ بِأَكْبَرَ هَمِّكَ . وَجَمَلُ الْمَمْلُوكَةِ بِتَأْمِينِ الْفَلَوَاتِ ، وَتَسْهِيلِ الْأَقْوَاتِ ، وَتَجْوِيدِ (٣) مَا يُتَعَامَلُ بِهِ مِنَ الصُّرُفِ فِي الْبِيَاعَاتِ (٤) وَإِجْرَاءِ الْعَوَائِدِ مَعَ الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ ، وَلَا تُبْخَسُ عِيَارُ قِيَمِ الْبِضَاعَاتِ ، وَلَتَكُنْ يَدُكَ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ مَحْجُورَةً ، وَفِي احْتِرَامِهَا إِلَّا عَنْ الثَّلَاثَةِ مَأْجُورَةً : مَالٌ مِنْ عِدَا طَوْرُهُ وَطَوْرُ أَهْلِهِ ، وَتَجَاوُزُ (٥) فِي الْمَلَابِسِ وَالزُّيْنَةِ ، وَفُضُولِ الْمَدِينَةِ ، يَرُومُ مَعَارِضَتِكَ بِحَمَلِهِ ، وَمَنْ بَاطَنُ أَعْدَاكَ ، وَأَمِنْ اعْتِدَاكَ ، وَمَنْ أَسَاءَ جِوَارِ رَعِيَّتِكَ بِإِخْسَارِهِ ، وَبِذَلِ الْإِذَايَةِ فِيهِمْ بِيَمِينِهِ وَيَسَارِهِ . وَأَضْرُ مَا مُنِيَتْ بِهِ التَّعَادَى بَيْنَ عُبْدَانِكَ ، أَوْ فِي بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِكَ ، فَسَدَّ فِيهِ الْبَابُ ، وَاسْأَلْ عَنِ الْأَسْبَابِ ، وَانْقَلِبْهُمْ بَوْسَاطَةَ أَوْلَى الْأَلْبَابِ ، إِلَى حَالَةِ الْأَحْبَابِ . وَلَا تَطُوقِ الْأَعْلَامَ أَطْوَاقِ الْمُنُونِ ، بِهَوَاجِسِ الظُّنُونِ ، فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَى عَدِّ . وَاجْعَلْ وَلَدَكَ فِي اجْتِرَاسِكَ ، [وَصِدْقِ مَرَّاسِكَ] (٦) ، حَتَّى لَا يَطْمَعُ فِي اقْتِرَاسِكَ .

ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف ، وعموده يريد أن ينقص ، ومجال الوصايا أكثر مما يصف ، قال : يا أمير المؤمنين ، بحر السياسة زاجر ، وعمر التمتع (٧) بناديك العزيز مستأخر ، فإن أذنت في فن من

(١) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (القوم) .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فوزك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (وتحديد) .

(٤) في لوحة الإسكوريال (٤٩٨) من هنا لعدة أسطر قد محيت من أواخر الأسطر كلمات عديدة .

واعتمدنا في ضبط هذا الجزء على الريحانة والنفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وتخارق) .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (المتمتع) .

فنون الأُنس يَجْذِبُ بالمقاد ، إلى راحة الرُقَاد ، وَيَعْتَقُ النفس بقدره
 ذى الجلال ، من مَلَكَةِ الكَلال . فقال ، أما والله (١) قد اسْتَبَحَسْنَا ما سرَدت ،
 فشأنك وما أردت . فاستدعى عوداً فأصلحها حتى أَحْمَدَه ، وأبعد في اختياره
 أمده . ثم حرك فمه (٢) ، وأطال الحُسْنُ ثَمَّهُ ، ثم تغنى بصوت يستدعى
 الأنصتات ، ويَصُدِّعُ الحَصَاة ، ويستغزُّ الحَلِيمَ عن وقاره ، ويستوقِفُ
 الطَّيْرَ ، ورزقُ بَيْتِهِ في مِنقاره ، وقال :

صاح ما أَعطِرُ القبولَ بنمِّه	أتراها أطالت البثُ ثَمِّه
هي دارُ الهوى مُنى النفس فيها	أبدَ الدهرِ والأمانِ جمِّه
إن يكن ما تَأرَّجُ الجَوْه: نها	واستفاد الشَّدَا وإلَّا فَمِمْه
مَنْ بِطَرْقِي بنظرةٍ ولأنفِي	في رُبَاها وفي ثراها بشمِّه
ذُكِرَ العهدُ فانتفضتُ كَأَنِّي	طَرَقْتَنِي من الملائكِ لِمِمْه
وطنٌ قد نَضِيتُ فيه شِباباً (٣)	لم تُدْنِسْ منه البُرودَ مَدِّمِمْه
بِنتُ عنه والنفسُ من أَجَلِ مَنْ	خَلَّفْتُهُ في جَلالِهِ مُعْتَمِّمِمْه
كان حُلماً فويحُ من أَمَلِ الدهرِ وأعماه جهلُهُ وأصمِّمِمْه	
تأملُ العيشَ بعد أن أَخْلَقَ الجسمَ وبنِيانَهُ عَسِيرَ المَرَمِّمِمْه	
وغَدَّتْ وفرةُ الشَّيبَةِ بالشَّيبِ	على رِغْمِ أنفِها مُعْتَمِّمِمْه
فلقد فاز مالِكُ جعلَ اللهُ	إلى اللهُ قَصْدَهُ ومأمِّمِمْه
من بيتٍ من غرورِ دنيا بهمِّمْه	يَلْدَغُ القلبَ أكثرَ اللهُ همِّمِمْه

ثم أحال اللُّحْنَ إلى لونِ التَّنويمِ ، فأخذ كلَّ في النُّعاسِ والتَّهويمِ ،
 وأطال الجِسِّ (٤) في الثَّقِيلِ ، عاكفاً عكوفَ الضَّاحِي في المَقِيلِ ،

(١) زائدة في النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الریحانة (به) . وفي النفع (به) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي الریحانة (شيبان) .

(٤) هكذا في الریحانة والنفع . وفي الإسكوريال محرقة (الجسس) .

[فخاطعيون القوم^(١) بخيوط النوم ، وعمربهم المراقد، كأنما أدار عليهم
الفراقد^(٢)] (٣) ثم انصرف ، فما علم به أحد ولا عَرَفَ . ولما أفاق
الرشيد جدّ في طلبه ، فلم يُعلم بِمُنْقَلِبه ، فأسف للفراق ، وأمر بتخليد
حِكْمه في بطون الأوراق . فهي إلى اليوم تُروى^(٤) وتُنقل ، وتُجلى القلوب
بها وتُصقل . والحمد لله رب العالمين .

* * *

هذا ما حضرني من المنشور والمنظوم ، وحظّه عندي [في الإفاضة]^(٥)
حظّ ضعیف ، وغرضه كما شاء الله سَخِيف ، لكن الله بعباده لطيف ،
سبحانه لا إله إلا هو .

مولدى : في الخامس والعشرين لرجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة ،
وكم^(٦) بالحىّ مَن ذكرته ، ألحق بالميت ، وبالقبر قد استبدل من البيت ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

قلت : هنا انتهى هذا التأليف المسمى « بالإحاطة في تاريخ غرناطة »
بالاختصار ، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار ، ووهبناه للناظر فيه
هبةً ليست بهبة اغتصار ، بل هي لتحصيله ذات انتصار . ولما لم يمكنه
أن يُعرّف بمَحْتَتِه ووفاته ، رأيتُ أنا بَعْدَه أن أعرف بذلك في مُختصرى
هذا على مَهَيِّعِه ، وعادته ، فأقول^(٧) :

-
- (١) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
(٢) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (المراقد) مرة أخرى .
(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في الريحانة ومكانه فقط (فخاطعيون) .
(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (تتلى) .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (من الإفاضة) .
(٦) وردت بالإسكوريال (وكان) والتصويب أرجح .
(٧) من الواضح أن ذلك من كلام مختصر « الإحاطة » و ناسخها أبي جعفر البقي .

مخنته ووفاته

رأيت تعليقا بخط بعض العدول المعاصرين ، الأذكياء المحاضرين ،
الأدباء المجيدين ، الظرفاء المقيدين ، وهو صاحبنا أبو عبد الله (١)
الواد آشي حفظه الله ، طُرْفَة زمان ، وحَفَظَة أوان ، وهو ما نصه من تاريخ
ابن خلدون .. قال :

(الخبير عن مقتل ابن الخطيب) (٢)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد ، دار ملكه ،
فاتح ست وسبعين ، واستقل بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد
عليه ، وسليمان بن داود [من أعراب كبير بني عسكر] (٣) رديف له .
وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر ، عندما بويج بطنجة ،
على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه ، لما نُمى عنه أنه كان يُغري
السلطان عبد العزيز لمُلك الأندلس . فلما زحف السلطان أبو العباس
من طنجة ، ولقى الوزير أبا بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه
السلطان ، ولاذ منه بالحِصار ، آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد
خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد ، أقام أياما ، ثم أغراه
سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه بالسجن ،
وطيروا بالخبير إلى السلطان ابن الأحمر . وكان سليمان بن داود شديد
العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الأحمر على

(١) بياض بالإسكوريال . وهو أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادى آشي من أواخر
أدباء غرناطة وكان ممن نزع إلى تلمسان مع رطب من العلماء الذين أيقنوا باقتراب
وقوع النكبة وسقوط غرناطة في أيدي النصارى (راجع كتاب نهاية الأندلس ص ٤٩١)

(٢) نقلنا هذا العنوان من كتاب العبر .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال . وساقطة في العبر .

مشيخة الغزاة بالأندلس ، حتى أعاده الله إلى ملكه . فلما استقر له سلطانه ، أجاز إليه سليمان سفيرا ، عن عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان . فصده ابن الخطيب عن ذلك ، بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من آل عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناتة ، فرجع آيسا ، وحقد ذلك لابن الخطيب . ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه ، بما يحفظه لما كمن في صدورهما . وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ، بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله بن زمرك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه ، فعظم عليه النكر فيها ، فوبَّخ ونكَّل وامتنحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا . ثم تل إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود إليه لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جائءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا في محبسه ، وأخرجوا شلوه من الغد ، فدفن في مقبرة باب المحروق . ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت عليه ناراً ، فاحترق شعره ، واسود بشره ، وأعيد إلى حفرته . وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه ، وعلى قومه ، وأهل دولته . والله فعال لما يريد . وكان عفى الله عنه . أيام امتحانه بالسجن ، يتوقع مصيبة الموت ، فيتجيش دواتفه بالشعر يبكي نفسه . ومما قال في ذلك :

بُعَدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتِ وَجِئْنَا بِوَعظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتِ
وَكَنَّا عِظَامًا فَصَرْنَا عِظَامًا وَكَنَّا نَقُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ
وَكَنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعِلا غَرُبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتُ
فَكَمْ جَدَلْتُ ذَا الْحُسَامِ الطُّبَا وَذُو الْبِخْتِ كَمْ جَدَلْتَهُ الْبِخُوتُ
وَكَم سَبَقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التَّخُوتِ
فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ (١)

* * *

انتهى من السفر الأخير منه ، حيث عرف بنفسه وبشيوخه ،
رحمة الله على الجميع .

قلت ، وهما انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفينا
واستلحمناه ، وذلك بغرناطة أقامها الله وصانها ، وعمر بالعلماء الأعلام ،
وصالحي الإسلام ، عُمرانها وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
وتسعين وثمان مائة . والحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى .

* * *

الحمد لله .. من كتاب « نفاضة الجراب » لابن الخطيب المذكور رحمه الله ،
الذي ألفه بالعدوة بعد صرّفه عن الأندلس ، واستقراره بالعدوة بآخرة من
عمره ، وقرب وفاته (٢) . ولذلك سماه « نفاضة الجراب » قال في أثنائه ما نصه :

(١) ورد هذا الفصل في كتاب العبرج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٢) هذا القول فيما يتعلق بتأليف كتاب « نفاضة الجراب » غير صحيح . فإن الكتاب الذي
ألفه ابن الخطيب في أواخر حياته بالعدوة (المغرب) هو كتاب « أعمال الأعلام » الذي ألفه للوزير
أبي بكر بن غازي القائم بالدولة عقب وفاة السلطان عبد العزيز المربيني (سنة ٧٧٤ هـ) . وإنما وضع
ابن الخطيب كتاب نفاضة الجراب أثناء إقامته اولى بالمغرب ، وقت استقراره بمدينة سلا حيث أنجز
قسمه الأول بين سنتي ٧٦١ و ٧٦٣ هـ ، ثم كتب قسمه الثاني بمدعوده إلى الأندلس ما بين سنتي ٧٦٣ ،
و ٧٦٤ هـ . وقد تحدثنا فيما تقدم في مقدمة المجلد الأول من كتاب الإحاطة عن هذا الكتاب وعمّا يوجد
من مخطوطاته . فليراجع هنالك .

وإلى هذا العهد صدر عنى من النظم والنثر بحال القلعة ، ومكان
الغمرة ، رسايل إخوانية ، ومقطوعات أدبية ، نُثبتها إحماساً وإراحة ، لتعيد
مطالع هذا جماما ، أو تهدي إليه أنسا . والحمد لله على البأساء والنعماء

جَزْتَنِي غَرْنَاظَةٌ بَعْدَ مَا جَلَوْتُ مُحَاسِنَهَا بِالْجَلَا
وَلَمْ تُبَقْ جَاهَاً وَلَا حَرَمَةً وَلَمْ تَبَقْ مَالاً وَلَا مَنْزِلاً
كَأَنِّي انْفَرَدْتُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ وَجَرَدْتُ سَيْفِي فِي كَرْبِلا
وَلَمْ أَجْنِ ذَنْباً سِوَى أَنْبِي صَدَعْتُ بِأَمْدَاحِهَا فِي الْمَلَا
وَأَنِّي صَنَعْتُ فِيهَا الْغَرِيبَ فَصَرْتُ الْغَرِيبَ أَجُوبُ الْفَلَا
يَمِيناً لَقَدْ أَنْكَرْتُ مَا جَرَى نَفُوسَ الْوَرَى وَأَبْتَهُ الْعُلَا
وَمَا خَصَّنِي زَمَنِي بِالْعُقُوقِ فَسَكُم مِنْ فِئَاضِلِ مُبْتَلَا
أَنَّ ظَهَرَ نِعْمَةَ الْإِلَهِ عَلَيَّ فَأَلْبَسْتُ مِنْهَا حُلَا
أَنَّ قَرَّبْتَنِي الْمُلُوكَ الْكِرَامَ يُقَلِّدُ آخِرُهَا الْأَوَّلَا
وَأَنَّ مَكَّنْتَنِي مِنْ أَمْرِهَا فَشِمْتُ السُّيُوفَ وَصُنْتُ الطَّلَا
وَقَابَلْتُ بِالشُّكْرِ مِنْهَا الصَّنِيعَ وَحَاشَى لِمِثْلِي أَنْ يَغْفَلَا
فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْلَا أَنْوَفَا لَجَرَدْتُ مِنْ مِقُولِي مِنْصَلَا
يَقْدُ الدَّرُوعَ وَيُخْلِى الدَّمُوعَ وَيُلْقَى عَلَيَّ مِنْ عَدَا اللَّهِ رَكَلَا
فَيَتْرَكَ فِي النَّاسِ أَمْثَالَهُ تَجِدُّ عَلَيَّ رَغْمَ أَنْفِ الْبِلَا
وَلَا خَلَقَ أَجْهَلُ عَمَّنْ يَظُنُّ بِمَقْدَارِ مِثْلِي أَنْ يُجَسَّهَلَا
مَا رَكِبَتْ الدُّجَا إِذْ سَمَا يَقْلُدُ لِلنَّجْمِ نَصْرَا كَلَا
وَكَانَ لِسَانِي سَيْفًا صَقِيلًا وَكَانَتْ يَرَاعِي قَنَا ذُبَلَا
وَلَكِنْ [لَيْتَهُ بِصَبْرٍ] جَمِيلَ قَضَاءِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مُجْمَلَا
وَحَاسِبْتُ نَفْسِي فِيمَا أَمْرُ فَالْفَيْتَهُ الْبَعْضَ فِيمَا خَلَا

وَأَسْكَنْتَ نَارِي لِمَا دَعَا وَأَسْكَنْتَ يَا سُبِي لِمَا غَلَا
 سَلامَ عَلَيْهَا وَإِنْ أَخْفَرْتَ ذِمَامِي وَوَجَّزْتَ بِالْقَلَا
 وَأَلْبَسْتَهَا الْأَمْنَ سِتْرًا خَصِيفًا وَإِنْ هَتَكَتَ سِتْرِي الْمُسْبِلَا
 وَمِثْلِي يَبْقَى عَلَى عَهْدِهِ إِذَا أَعْرَضَ الْخِلاُ أَوْ أَقْبَلَا

[هذا وقد وردت القصيدة الآتية بعد القصيدة الأولى في النصف الأعلى
 من اللوحة الختامية لمخطوط الإسكوريال (لوحة ٥٠١) دون تقديم ولا تعريف .
 وهي آخر ما ورد في المخطوط] (١)

مِنْ حَاكِمِ بِي عَلَى الْفِرَاقِ حُكْمُ زِيَادٍ عَلَى الْعِرَاقِ
 بِيَدِي وَقَدْ خُتِمَتْ يَدَاهُ بِالْجُورِ فِي أَنْفَسِ رِقَاقِ
 وَعَاجِلِ النَّظْمِ بَانْتِثَارِ وَصَيْرِ الشُّمْلِ لِأَفْتِرَاقِ
 فَمَنْ أَكْفٌ عَلَى خُودِودِ وَمِنْ دَمُوعِ عَلَى تَرِاقِ
 وَأَيِّ حَالٍ إِلَى دَوَامِ وَمَا سِوَى اللَّهِ غَيْرُ بَاقِ
 يَا سَابِقَ الرُّكْبِ إِنْ نَفْسِي مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فِي سِبَاقِ
 رَفَقًا عَلَى مُهْجَتِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ رُوحِي التَّرِاقِ

(١) راجعنا السفر الثالث والأخير من كتاب « نفاضة الجراب » وهو المحفوظ بمكتبة الرباط العامة برقم 256 ك ، فلم نجد أثراً لهاتين القصيدتين اللتين هما بلا ريب من نظم ابن الخطيب ، حسبما ورد في الفقرة التي يقول الناسخ أنه نقلهما من « نفاضة الجراب » . والواقع أن ابن الخطيب قد ذكر في خاتمة هذا السفر الثالث من كتاب « النفاضة » . أنه يقف عند هذا الحد إلى أن تم الرحلة الحجازية التي كان ينوي القيام بها منذ أعوام طويلة ، وعندئذ يضيف إلى « نفاضة الجراب » قسماً جديداً يتحدث فيه عن مشاهداته . ولكن القدر لم يسمح بتحقيق هذه الأمنية . ونعتقد أن هذا الشعر قد نظم على الأغلب في وقت متأخر ، حينما لجأ ابن الخطيب إلى المغرب للمرة الثانية ، فأرأى عن وطنه ، ومناصباً لسلطانه ، ومحتماً إلى كنف السلطان عبد العزيز المريني . وحين تفاقمت الحوادث بعد وفاة هذا السلطان ، وشعر ابن الخطيب بدنو آخرته . وهذا ما تدل به إشارات ودلائل كثيرة ، مما ورد في هذا النظم ، من عتب على ما لقيه ابن الخطيب من نكران الصنعة والمعوق بالرغم مما أداه لوطنه من جلائل الخدمات ، وما يقاسيه من آلام البين والجداد ، وتفرق الشمل ، وهو يلتجئ في النهاية إلى رحمة الله ، التي لا يجد معولاً سواها .

ويارسول النسيم بلسغ
وسبق إلى سمعي حديثا
جرعني البين كأس حزن
فلا أئنس سوى أدكارى
ففى غنوى بها اصطباحى
يا شقة القلب ليت شعرى
أو يقلع الدهر من عتاب
طال على الظلام لما
فيكذب الليل فى ارتحال
ضايقتنى الدهر فىك حتى
فلم يكن فيه من سلام
قد عجز النطق عن شجونى
أقسمت حقا بخير هاد
لو خيرت فى الوجود نفسى
إن بطش الدهر بى وأبدي
فكم هلال رأيت بدرا
يا من على فضله اعتمادى
إن لم تجد منك لى برحمى

بحسيرة الحى ما ألاق
من أرضهم طيب المساق
بعدهم مرة المذاق
ولا جليس اشتياق
وفى زواحي بها اغتياق
هل يصح شمل فى اتساق
أو يطلق الشوق من وثاق
ضن محياك بالتلاق
ويمطل الفجر بانشقاق
فى موقف البين والفراق
ولا كلام ولا اعتناق
قد بلغ الماء للنطاق
سرى إلى الله بالبُراق
ما اخترت بها سوى التلاق
سجية الغدر والنفاق
أفلت من ظلمة المحاق
يا من بأسبابه اعتلاق
مالى فى الخلق من خلاق

تم بحمد الله

فهارس المجلد الرابع

من كتاب الإحاطة

صفحة

- ١- فهرست التراجم ٦٤٢
- ٢- فهرست الرسائل والقطع النثرية ٦٤٨
- ٣- فهرست الشعر والشعراء... .. ٦٥٠
- ٤- فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب... .. ٦٥٦
- ٥- فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٦٠
- ٦- فهرست البلدان والأماكن ٦٦١
- ٧- فهرست الأعلام ٦٦٦
- ٨- فهرست التصحيحات ٦٨٢

فهرست التراجم

صفحة

٣	مقدمة
١١	عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم ... بن محمد الحضرمي
١٨	عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذوي
٢٠	عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملوذي
٢٦	عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
٢٨	عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار الحاربي
٢٩	عبد الأعلى بن معلا
٣٠	عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم ... بن سدرای بن طفيل
٣١	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ... بن سبعين العكي
٣٨	عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر ... بن أذفونش
٤٢	عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي
٥١	عثمن بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
	علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله ... بن حسن بن
٥٦	علي بن أبي طالب
٥٨	علي بن يوسف بن تاشفين بن تو حرت
٦٠	عتيق بن زكريا بن مول التجيبي
٦١	عمر بن يحيى بن محلي البطوي
٦٤	عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق
٦٧	علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٧٠	علي بن مسعود بن علي بن أحمد ... بن مسعود الحاربي
٧٣	علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي
٧٤	علي بن يوسف بن محمد بن كاشة
٧٧	عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن يحيو

- ٨٠ عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني
- ٨٢ علي بن محمد بن توبة
- علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى ... بن عبد شمس
- ٨٣ ابن الغريب الهمداني
- ٨٦ عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي
- ٨٨ علي بن أحمد بن الحسن المذحجي
- ٨٨ علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي التباهي المالقي
- ١٠٠ علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري
- ١٠١ علي بن محمد بن دري
- ١٠٤ علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكنانى القيحايطي
- ١٠٧ عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي
- ١٠٩ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي
- ١١١ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب
- ١١٦ علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي
- ١٢٠ علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي
- ١٢٢ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
- ١٢٥ علي بن محمد بن سليمان ... بن حسن الأنصاري (ابن الجياب) ...
- علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ... بن عبد الله
- ١٥٢ ابن سعد بن عمار بن ياسر
- ١٥٨ علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودى القيسي
- ١٦٠ عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة
- ١٦١ علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني
- ١٦٣ علي بن محمد بن علي بن هيثم الرعيبي
- ١٦٧ علي بن محمد بن علي بن البنا
- ١٦٩ علي بن محمد بن علي العبدى

صفحة

١٧٣	علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري
١٧٤	علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الجذامي
١٧٥	علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى
١٧٦	علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري
١٧٧	علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الحشنى
١٨١	علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغسانی
١٨٣	علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف
١٨٤	علي بن أبي جلا المكناسى
١٨٥	علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالى
١٨٦	علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلى
١٨٧	علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافقى
١٩٠	علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري
١٩٢	عمر بن علي بن عفرون الكلبى
١٩٤	علي بن يحيى الفزارى
١٩٦	عتيق بن معاذ بن عتيق ... بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم الحميرى
١٩٧	علي بن علي بن عتيق ... بن عبد العزيز الهاشمى
٢٠١	علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعرى
٢٠٥	علي بن عبد الله النميرى الششرى
٢١٦	عامر بن محمد بن علي الهنتانى
٢٢٠	عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصاري
٢٢١	عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى
٢٢٢	عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبى
٢٣٠	عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعى
٢٣١	عاصم بن زيد بن يحيى بن محمد التميمى ثم العبادى الجاهلى
٢٣٥	عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرى

- ٢٣٥ عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموى
- ٢٣٦ غالب بن أبى بكر الحضرمى
- غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن خفاف بن أسلم
- ٢٣٧ ابن مكتوم المحاربى ، أبو بكر
- ٢٣٩ غالب بن حسن بن غالب بن سيدبونه الخزاعى
- ٢٤٠ غالب بن على بن محمد التميمى الشقورى
- ٢٤١ فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
- ٢٤٦ فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر
- ٢٤٧ فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
- ٢٤٨ الفتح بن على بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور
- ٢٥٣ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبى
- ٢٥٦ فضل بن محمد بن على بن فضيلة العافرى
- ٢٥٨ فلوج العليج
- ٢٥٩ قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصارى
- ٢٦٢ قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصارى
- ٢٦٣ قاسم بن يحيى بن محمد الزروالى
- ٢٦٥ قرشى بن حارث بن بشير بن معاوية بن عبد الرحمن الهمدانى
- ٢٦٧ قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمى
- ٢٦٨ قاسم بن خضر بن محمد العامرى
- ٢٧٠ سوار بن حملون بن عبده بن زهير بن ديسم
- ٢٧٣ سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر
- ٢٧٤ سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
- ٢٧٥ سعيد بن سليمان بن جودى السعدى
- ٢٧٧ سهل بن محمد بن سهل ... بن إبراهيم بن مالك الأزدى
- سليمن بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميرى
- ٢٩٥ الكلاعى (أبو الربيع بن سالم)

صفحة

٣٠٩	سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني
٣١٠	سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني
٣١٣	سهل بن طلحة
٣١٤	سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني
٣١٥	هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله
٣١٧	هاشم بن أبي رجاء الإلبيري
٣١٨	يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
٣٣٩	يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع
٣٤٠	يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد ... بن عرفة النخعي
٣٤٤	يحيى بن علي بن غانية الصحرأوى ، الأمير أبو زكريا
٣٤٧	يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت الصنهاجي ثم اللمتوني
٣٥٣	يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
٣٥٤	يوسف بن عبد المؤمن بن علي
٣٥٥	يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيو
٣٥٧	يعقوب بن عبد الحق بن يحيو بن بكر بن حمامة ... بن كرناطة بن مرين
٣٦١	يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين
٣٦٣	يحيى بن طلحة بن محلى ، الوزير أبو زكريا
٣٦٤	يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم النخعي
٣٦٥	يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٣٧١	يوسف بن هلال
٣٧٢	يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن المصمودى
٣٧٤	يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري
٣٧٥	يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهرى
٣٧٦	يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذاري المنتشافرى
٣٨٩	يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

٤٠٠	يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى
٤٠٤	يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم الفهرى
٤٠٦	يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى
٤١٤	يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلى
٤١٦	يحيى بن بى
٤١٧	يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن يحيى الفهرى
٤٢٠	يوسف بن محمد اليحصبي اللوشى
٤٢١	يوسف بن على الطرطوشى
٤٢٤	يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى
		يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن
٤٢٥	أسامة الأنصارى النجارى
٤٢٦	يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى
* * *		
٤٣١	بيان تكميلي عن مخطوط الإسكوريال
٤٣٨	ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه
٤٣٩	أوليته ومراحل حياته الأولى
٤٤٧	ذكر بعض ما صدر له من التشریفات المملوكية
٤٥٥	ذكر مشيخته
٤٥٧	ذكر تواليفه
٤٦٢	الشعر (وتراجع أماكن قصائده ومقطوعاته في فهرس الشعر)
٥٢٦	رسائل مختلفة بقلمه (وتراجع في فهرس الرسائل والقطع الثرية)
٦١٤	رسالة السياسة
٦٣٥	مصرع ابن الخطيب

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٣٦ وصية عبد الحق بن سبعين العكي لتلاميذه وأتباعه
 مرسوم بقلم عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ، المتوكل بن الأفضس ، بتعيين
 ٤٥ ابن خيرة والياً لأشبونة
 رسالة سلطان الأندلس يوسف أبي الحجاج في تهنته عثمان بن عبد الرحمن
 ٥٣ ابن يغمراسن سلطان تلمسان وتجديد الحلف معه بقلم ابن الخطيب
 رسالة ابن الخطيب من سلا إلى علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو
 ٦٨ ابن عبد الحق
 ٩٥ رسالة أبي الحسن النباهي المألقي في وصف نخلة بإزاء باب الحمراء
 ١٦٣ رسالة تجمع بين النظم والنثر لعلی بن محمد بن هيضم الرعيني
 ٢١٢ رسالة الشيخ الصوفي أبي علي بن تادرت إلى الشيخ أبي الحسن الششتري
 ٢١٤ رسالة أبي الحسن الششتري في الرد على أبي علي بن تادرت
 ٢٢٦ خطبة للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي
 ٢٤٤ ما كتب نثراً على قبر الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
 نص مرسوم للفتح بن علي بن أحمد (الفتح بن خاقان) عن بعض الأمراء
 ٢٥١ بتعيين صاحب الشرطة
 رسالة لسهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي يخاطب بها بني الوليد
 ٢٨٢ ابن رشد تعزية في وفاة أبيهم
 الجانب الثرى من رسالة ابى عبد الله بن الجنان في تعزية نبي سهل بن مالك
 الأزدي
 ٢٩٠ خطاب سعيد بن محمد بن سعيد الغساني إلى ابن الخطيب يشفع في ولده
 وقد وجد عليه
 ٣١٢ رسالة السلطان يوسف أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان في العزاء والهناء
 ٣٢٤ مكتوبة بقلم بن الخطيب

- ٣٣٣ ماكتب نثراً على قبر السلطان يوسف أبي الحجاج... ..
نص الظهير الصادر بتعيين شيخ الغزاة يحيى بن عمر بن رحو من إملاء
- ٣٦٨ ابن الخطيب
- ٣٧٧ رسالة ابن الخطيب إلى يوسف بن موسى المنتشافري يشيد به وبصفاته
- ٣٧٨ رد يوسف بن موسى المنتشافري على ابن الخطيب
رسالة بقلم يحيى بن عبد الكريم الشتوفى عن أمير المسلمين أبي يوسف
- ٤٠١ يعقوب عند نزوله غازياً بظاهر شريش... ..
- ٤٢٩ رسالة ليحيى بن إبراهيم البرغواطى
ظهير صادر من السلطان محمد الغنى بالله إلى وزيره ابن الخطيب يحسبه
- ٤٤٧ بما فتح الله عليه من استرداد ملكه
ظهير آخر صادر منه إلى ابن الخطيب بتجديد رياسته وتلقيه بنى
- ٤٤٩ الوزارتين ورد أملاكه إليه
- ٤٥١ ظهير من السلطان أبي سالم إلى ابن الخطيب يبيح له زيارة العمالات المغربية
ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله بن أبي الحسن إلى ابن الخطيب
- ٤٥٣ بتثبيت مرتباته وامتيازاته
- ٥٢٧ رسالة بقلم ابن الخطيب إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان أبي الحجاج
- ٥٣٧ رسالة أخرى بقلمه إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان الغنى بالله
- ٥٦١ رسالة بقلمه بفتوح السلطان الغنى بالله إلى صاحب تونس... ..
- ٥٩٣ رسالة من ابن الخطيب إلى ابن خلدون
- ٦٠٠ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي زكريا يحيى بن خلدون
- ٦٠٥ رسالة منه إلى أولاده بالمنكب

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة	صفحة
١١٤	ابن الابرار القفصاعى ابو عبد الله
١١٥	أما بأشلاء الملا والمكارم ٢٠٤
١١٥	ابن ادعى - على بن عمر بن محمد الهمداني
ابن خاقان اللتج بن على	ومستشفع عندي بخير الورى ٨٤
٢٥٠	أتتني أيا نصير نتيجة خاطر ٨٤
ابن الخطيب السلعماني لسان الدين	يا عليا بمضمرات القلوب ٨٥
يا جملة الفضل والوفىا ٦٨	ابن الامام الانصارى على بن عبد العزيز
أدونا وضوء الأفق قد صدع الفضا .. ١٣٨	يا ليت شعرى والأمانى كلها... .. ١٧٣
ما للبراع خواضع الأعناق ١٤٧	تسمو بالمعارف والمعالى ١٧٣
يا حسنها من أربع وديار... .. ٢١٧	ابن الباشى على بن أحمد بن خلف
وحل فيها عابد الرحمن ٢٢٩	أصبحت تقعد بالموى وتقوم ١٠١
ألا حدثاني فهى أم الغرايب ٣٣١	ابن البناء على بن محمد بن على
يحبيك بالريحان والروح من قبر ٣٣٥	هو الملا جرى باليمن طائرته ١٦٧
العمر يوم والمنى أحلام... .. ٣٣٦	يا ممدن الفضل موروثا ومكتسبا ١٦٨
حتى إذا الله إليه قيضه... .. ٣٥٧	هاكها ضمرا مطايا حسانا ١٦٩
تبوأ هذا الأمر عبد الحق ٣٦٠	ابن جودى القيسى على بن عبد الرحمن
حمدت على فرط المشقة رحلة ٣٧٨	خليل من نعمان بالله عرجا ١٥٩
تخلصت منها نكبة مصحفية ٤٤٣	أدر كأس المدام فقد تننى... .. ١٥٩
قالوا لخدمته دعالك محمد ٤٤٣	سقى الله دهرنا ضم شمل موده ١٥٩
والكون إثراك نفوس الورى	ابن حزم على بن احمد بن سعيد
هل كنت تعلم فى هبوب الريح ٤٦٠	هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ١١٤
تألق نجديا فأذكرنى نجدا ٤٦٣	الشمس فى جو العلوم منيرة ١١٤
ما على القلب من بعدكم من جناح ٤٦٧	
أبدى لداعى الفوز وجه منيب ٤٧١	
شحطت وفود الليل بأن به الوخط ٤٧٧	
تملقت من دوحة الجود والبأس ٤٨٣	

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

- بنفسى وما نفسى على بيته ٥٩٢
- ابن دراج القسطل ابو عمر
ملك يا شمس عند الاصيل ٥٧
- ابن زكريا الانصارى على بن عبد الله
صعدت نار فوادى ادمى ١٧٧
ولى همة من دونها كل همة ١٧٧
- ابن سبعين العكي عبد الحق بن ابراهيم
كم ذا تموه بالشعيرين والملم ٣٧
- ابن سوار المطاوي عبد القادر بن عبد الله
لا تياسن من رجا كهف الملوك ٢٩
- ابن العيرفى يحيى بن محمد الانصارى
اشكو الغليل بحيث المشرى الحضر ٤٠٧
ركبت خيلها جيوش الضلال ٤٠٩
يا ايها الملك الذى يتقنع ٤١٠
- ابن عبيد بن ابي عمر احمد بن محمد
وله يوم بل وقعة لم ٤١
- ابن عبدون ابو محمد عبد المجيد
الدهر يفجع بعد العين بالآثر ٤٧
فأين العجب يا أذقونش هلا ٣٥١
- ابن عتيق الهاشمى على بن علي
كتابك ذا من هوته المفاخر ٢٠٠
- ابن غفرون الكلبي عمر بن علي
حب الملوك من آل نصر دينى ١٩٣
- ابن لب التلمبى فوج بن قاسم
خنوا الهوى من قلبى اليوم ما أبقا ٢٥٤
ألزمت يا شهر الصيام ورحيلا ٢٥٥

صفحة

- أما وخيال في المنام يزور ٤٨٤
عسى خطرة بالركب يا حادى الميس ٤٨٦
لنا في الفخر سيمة مطلة ٤٩٠
أسايلكم هل من خير سلوان ٤٩١
جهاد هوى لكن بغير ثواب ٤٩٥
سبق القضاء وأبرم المحتوم ٤٩٧

ومن القطوعات

- ناديت دمعى إذ جد الرحيل ٤٩٧
كتبت بدمع عيني صفح خلى ٤٩٧
ولما رأته عزى حثيثاً على السرى ٤٩٨
مضجى فيك عن فتادة يروى ٤٩٨
حين ساروا عني وقد خنتنى ٤٩٨
قال لي والدموع تسيل سحبا ٤٩٨
مكناسة جمعت بها زمر العدا ٤٩٨
قلت لما استقل مولاي زرعى ٤٩٨
أشكو إلى الله الصبر من أبناء يعقوب ٤٩٩
جلس المولى لتسليم الورى ٤٩٩
سألنا ربيع العام للعام رحمة ٤٩٩
لما رأوا كلفى به ورددوا ٤٩٩
أنا كافر وسواى فيه بماذل ٤٩٩
أشكو لمبسه الحزين وقد حمى ٥٠٠
ركب السفينة واستقل بأفقها ٥٠٠
يامالكى بخلال تهدي ٥٠٠
قلت وقد ألبس جسمى الفستا ٥٠٠
أشكو إلى الله من بئى ومن شجنى ٥٠٠

بقية القطوعات

من ص ٥٠١ إلى ص ٥١٠

- إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه ٥٢٧
دعالك بأقصى المغربين غريب ٥٣٤
خذ من رمانك ما تيسر ٥٩٠
أنظر خضاب الشيب قد فصلا ٥٩٣

صفحة

ابو الحسن الششتري على بن عبد الله
لقد همت عجباً بالتجرد والفقير ... ٢٠٧
من لامي أو أنه قد أبعرا ... ٢٠٨
أرى طالبا منا الزيادة لا الحسى ... ٢٠٨

ابو الحسن النباهي على بن عبد الله

بنفسى من غزلان غزوى وغزالة .. ٩٠
وقائلة لما رأت شيب لمتى ... ٩١
فديتك لا يهدى إليك أجل من ... ٩١
أبدى لنا من ضرور الحسن أفنانا ... ٩١
لك الله قلبى فى هواك رهين ... ٩٢

ابو الربيع بن سالم سليمان بن موسى

أحن إلى نجد ومن حل فى نجد ... ٢٩٧
توالت ليالى للنواية جون .. ٢٩٨
أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى ... ٢٩٩

ابو عبد الله بن ابي الحصال

عتاب وما يهنى العتاب على الزمن ... ١٠٣

ابو عبد الله بن جزى

ألم تر أن انجد أنوت معاذه ... ١٤٩

ابو عبد الله الجليانى

كل علم يكون للمرء شغلا .. ٣٨٦

ابو عبد الله بن الجنان

دعوتى وتسكاب الدعوى السوايك . ٢٨٦

ابو فارس عزوز . عبد العزيز الملزوزى

سره يعقوب بن عبد الحق .. ٣٥٩

ابو محمد بن برطلة

أسلمى للإبلا وحيدا .. ١٩٨

صفحة

ابن مسعود الالبيرى ابواسحق

يعل بن ثوية فاز قدحى ... ٨٢
قالوا ألا تستجيد بيتنا ... ٣١٧

ابن مكتوم الطاربي غالب بن عبد الرحمن

كن بنى صايد مستأنساً ... ٢٣٨
كيف السلولى حبيب هاجر ... ٢٣٨

ابن منظور القيسى ثمن بن يحيى

قد جمع الحكم وفصل الخطاب ... ٨٧

ابن هيصم الرعيشى على بن محمد

وادع مثنوى المقام معترما ... ١٦٤
عجبا للزمان عق وعاقا ... ١٦٥

ابو بكر بن سواد

ملك الملوك وما تركت لعامل ... ٢٥٣

ابو الحجاج الساحل يوسف بن ابراهيم

حاشاك أن تمرض حاشاكا ... ٤٠٥

ابو الحسن بن الجياي على بن محمد بن سليمان

جرىنا على الزلات غير مفكر ... ١٢٨

هات اسقى صرفا بغير مزاج ... ١٢٨

لمن المطايا فى المراب سوايما ... ١٣٠

زارت تيجر ونحوه أذيالها .. ١٣٣

هو البين حتما لالعل ولاعى ... ١٣٥

سقانى فأهلا بالسقاية والعناق ... ١٣٧

ألا حيدا ذلك العتاب الذى مضى .. ١٣٨

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشملاء ... ١٤٠

أقسم بالقيسين والتابعتين .. ١٤٢

ومن المقطوعات الأتماز

عبد المهين بن محمد الأشجعي البجلي	
أما على ذي شرك ١٩	
عبد المهين بن محمد بن عبد المهين الحضرمي	
ترامى سحيرا والنسيم عليل ... ١٤	
سقى ثرى سبتة بين البلاد ١٧	
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
يا راكبا يبغى الجناب الأشرقا ... ٨١	
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما ... ١١٠	
عقيل بن عطية التضاعي	
ملوك دون يابكم وقوف ٢٣٠	
علي بن إبراهيم الانصاري المالقي	
رحمك رحماك في قلب يقلبه ... ١١٨	
لمحمد البرقاء حسن ياهر ١١٩	
أنسيانا فديتك يا حياقي ١١٩	
علي بن أحمد بن عثمان الأشعري	
في كل واحدة منهن أسرار ٢٠٤	
علي بن أحمد بن عمر الفسائي	
قل الله نستفتح من أسبائه الحسنى ... ١٨٣	
علي بن أحمد بن محمد الحشمي	
أرى لك في الهوى نظرا مرييا .. ١٧٨	
الآن تطلب ودها ووصالها ١٧٨	
علي بن أحمد بن يوسف الفسائي	
أيا كريمًا لم تجزع ١٦٢	
علي بن عمر الكنانى القيحاطي	
روض الأشيب تفتت أزهاره ١٠٥	

أبو المغنبي - عاصم بن زيد	
خضمت أم بناتي لعدا ٢٣٣	
ماذا نسائل عن مواقع معشر ٢٣٤	
سعيد بن سليمان بن جردى السحدي	
قد طلبنا بثأرنا فقتلنا ٢٧٥	
سعيد بن محمد ابن إبراهيم الفسائي	
لما نأروا في الظاعنين وساروا ... ٣١١	
سليمن بن الحكم بن سليمان بن الناصر	
عجبا يهاب الليث حد سناني ٢٧٢	
سهل بن طلحة	
ياحبذا دار لزينب بالوى ٢١٤	
سهل بن محمد بن سهل بن مالك	
نهارك في بحر السفاهة تسبح ... ٢٧٩	
يلقاك من كل من يلقاتك ترحيب ... ٢٧٩	
لما حطمت بسبحة قتب النوى ٢٨١	
تبسم واستأثرت منه بقبلة ٢٨١	
سوار بن حملون بن عبد	
صرم الغواني ياهتيد مودتي ٢٧٢	
عبد الرحمن بن محمد بن مغاور	
أيها الواقف اعتبارا بقبرى ٢٠٣	
عبد العزيز بن عبد الله الاسدي المراقي	
صرفت لخير صدر في الزمان ٢٦	
عبد العزيز بن عبد الواحد اللزوزي	
اليوم يوم نزهة وعقار ٢٢	
أعلمت بمدك زفراتي وأنبى ٢٢	
ياظلية الوعاء قد برح الحفا ٢٣	
سهم المنية أين منه فرار ٢٥	

صفحة

- قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاف
فصل الجمال على الكمال بخده ... ٢٦٠
وغزال أنس سل من الحاظه ... ٢٦١
- قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري
إن أطلع الشرق شمس دنيا ... ٢٦٢
- قاسم بن محمد بن الجند العمري
أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا ... ٢٦٦
من أين أتيت يا نسيم ... ٢٦٦
- قرشي بن حارث بن اسد الهمداني
هجرت القوافي والنظا الأوانسا ... ٢٦٥
- يعحي بن احمد هذيل التجيبي
ألا استودع الرحمن بدرا مكلاما ... ٣٩٢
وصالك هذا أم تحية بارق ... ٣٩٢
بدا بدر تم فوقه الليل عسما ... ٣٩٢
رويت ولوعى من ضلوعى مسلسلا ... ٣٩٢
نام طفل التبت في حجر النعاشي ... ٣٩٣
أأرجو أمانا منك والالحظ غادر ... ٣٩٤
بيحى البنود الحمر والأسد الورد ... ٣٩٦
وظنوا بأن الرعد والصق في السما ... ٣٩٦
أعاشر قوما تهر نفوسهم ... ٣٩٧
أيا صديقا جعلته سندا ... ٣٩٨
طرقنا ديور القوم وهنا وتغليبا ... ٣٩٩
هنت لنا من وحش جرة ظلية ... ٤٠٠
- يعحي بن بقي
بأبي غزال غازلته مقلتي ... ٤١٨
- يعحي بن طلحة بن محل
أنا ابن طلحة ولا أبال ... ٣٦٤
- يعحي بن عبد الجليل ... بن مجير النهري
له خطت الخيل المتاق كأنها ... ٤٢٠
أعلمتني ألقى عصا التسيار ... ٤٢٠

صفحة

- حمام حمام فوق أيك الأسي تشلو ... ١٠٧
- علي بن محمد بن عبد الحق العقيلي
يا مهلى الدر الثمين منظما .. ١٢٣
حليث المغاني بعدهن شجون ... ١٢٣
- علي بن محمد بن علي المبرد
أسافرة النقاب سحرت لما ... ١٧١
مالي إذا غيم تهي لفرقتكم ... ١٧١
ألا إن باب الله ليس بمنلق ... ١٧٢
- علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد
كأنما النهر صفحة كتبت ... ١٥٤
يا أيها الملك الذي هيائه ... ١٥٤
التاسر الملك الذي عزماته ... ١٥٦
من آل أيوب الذين هم هم ... ١٥٦
- علي بن يحيى الزراري
لبابك أم الأملون ويمموا ... ١٩٤
وما كنت عن ذكر الأحبة ساليا ... ١٩٥
- عمر بن خلاف بن سليمان بن مسلمة
خلها إليك أبا إسحق تذكرة ... ١٦٠
أبا جعفر وافتك في صفحة الطرس ... ١٦١
- عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ابن الإفطس
فا يالم لا أنم الله يالم ... ٤٣
بعثت إليك جناحا قطر ... ٤٤
أقبل أبا طالب إلينا ... ٤٤
- عياض بن موسى اليحصبي
يا من تحمل عني غير مكرث .. ٢٢٥
يا راحلين وبالفراد تحملوا ... ٢٢٥
انظر إلى الزرع وخاماته ... ٢٢٦
- غالب بن عطية أبو بكر
جفوت أنا ما كنت إلف وصلهم ... ٣٧٦

يوسف بن محمد اليحصبي اللوشي

شرد النوم عن جفونك وانظر ٤٢١

ليس المرء اختيار في الذي ٤٢١

يوسف بن موسى بن سليمان التشارقي

حباك قزادي نبل بشرى وأحياكا ... ٣٧٩

لما تنهى الصب في ثشويقه ٣٨١

هواكم بقلبي لأحكامه نسخ ٣٨٤

إليك نخن النجب والنجباء ٣٨٥

يا من بدنيا ظل في لجج ٣٨٦

ورد المشيب مبيضا بوروده ٣٨٦

لوعة الحب في قزادي تماصت ٣٨٦

بعض اصحاب عياشي

أيا مكرهاهني وآت بجنوة ... ٢٢٩

ما نقش نظما على قبر السلطان أبي الحجاج ٢٤٤

لشاعر مجهول

هيك كاتلعي وزيراً ٣١٦

يعقوب عبد الله بن أبي عزة اللخمي

الآن عاد إلى الإمامة نورها ٣٤٢

وسرب ضمهم دست سثير ٣٤٣

يعقوب بن عبد الكريم الششتوفى

مالي والصبر عنى دونكم حجبا ٤٠٣

يوسف بن إبراهيم النهري

أجزت لهم أبقاهم الله كلما ٤٠٦

يعقوب بن محمد بن عبد السلام التطلبي

أذوب حياه إن تذكرت زلتى ٤١٥

كلام ابن رشد لا يبين رشاده ٤١٦

يعقوب بن محمد بن عبد العزيز البرشاني

إذا كان أنسى في لزوى وحلقى ٤٢٦

يوسف بن رموان بن يوسف بن رموان

إلهى خدى في التراب تذلا ٤٢٥

يوسف بن علي الطرطوشى

رضاكم أن منتهم خير مرهوب .. ٤٢٣

فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب

انتشاق النسب التجدية واتساق النزعات الجدية؛

٣٨٨

أنس الجليس ؛ ٨٦ .

أنوار البروق في تمقب مسائل القواعد والقروى ،

٢٦١

أنوار التحقيق والهداية ؛ ١٩٩

الأنوار الجلية في أخبار النولة المرابطية ،

لابن الصيرفي ؛ ٤٠٦

الآيات اليبينات ؛ ٢٦٢

الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لشرح الإسلام

في الواجب والحلال والحرام وسائر

الأحكام ؛ ١١٣

الإيضاح للفارسي ؛ ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

ب - ت

بد العارف (كتاب البد) ؛ ٣٤ ، ٣٥

بستان الدول ؛ ٤٥٩

بنية الباحث في معرفة مقامات الوارث ؛ ٨٧

التاج المحلى في مساجلة القدر المولى ؛ ١٢٢ ،

٤٥٩ ، ١٢٦

تافه من جم ونقطة من يم ؛ ١٤٧

تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء ؛ ١٧٦

تجريد رؤوس مسائل البيان وتيسير بلوغ

مطالعتها ؛ ٣٨٨

تحرير الجواب في توفير الثواب ؛ ٢٦١

تحريم سباع البراعة المسماة بالشبانة ؛ ٢٤٠

تحفة الوداد ونجمة الرواد ؛ ٢٩٧

تحقيق القصد السنى في معرفة الصمد العلى ؛ ١٧٥

تذكرة الفارسي ؛ ١٢١

التذكرة في الطب ، لأبي زكريا بن هليل ؛ ٣٨٩

الأجوبة المهيبة على الأسئلة المتخيرة ، ٢٢٨

الأجوبة البينية ، ٣٥٤

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٥٠

٤٢١ - ٤٢٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٦٣٢

الإحكام لأصول الأحكام ؛ ١١٣

الإختبار والاعتبار في الطب ؛ ٣٨٩

الأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة ،

٢٩٦

الأربعون السباعية ؛ ٢٩٦

أرجح الأرجاء في مزج الحرف والرجاء ؛ ٣٨٩

الأرجوزة الملوثة ؛ ٤٦٠

الأرجوزة الممتدة في الأغذية المفردة ؛ ٤٦٠

إرشاد لأبي المال ؛ ١٢١

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٤

الاستشفاء بالعدة والاستشمام بالعدة في تخميس

البردة ؛ ٣٨٨

إظهار تعديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ،

١١٣

اعتلاق لمسايل بأفضل الوسائل ؛ ٣٨٨

الإعلام بأخبار البخارى الإمام ؛ ٢٩٧

الإعلام بمجلود قواعد الإسلام ؛ ٢٢٨

الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام ؛ ١٧٦

اقتباس السراج في شرح مسلم بن الحجاج ؛ ١٨٢

الإكليل الزاهر ؛ ١١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،

١٩٢ ، ٢٦١ ، ٣١١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٩

إكمال العلم في شرح مسلم ؛ ٢٢٨

الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع ؛ ٢٢٨

الامتثال لمثال المنهج في ابتداع الحكم وختراع

الأمثال ؛ ٢٩٧

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام
مذهب مالك ؛ ٢٢٨
- الترصيع في شرح مسائل التفرغ ؛ ١٨٢
- التعريف بلبن خلعون ورحلته غرباً وشرقاً ؛ ٤٤
- تفرغ ابن الجلاب ؛ ١٨٢
- التقريب إلى المتعلق والمدخل إليه بالألفاظ العامة،
١١٣
- تقصي الأنبياء وسياسة الرؤساء ، لابن الصيرفي ؛
٤٠٦
- التكملة لكتاب الصلة ؛ ١٨٧
- التلقيحات للسهروردي ؛ ١٢١
- تنبيه المتعلمين على المقدمات والقصول في شرح
المهملات والأصول ؛ ١٧٦
- تهافت الثباقت ، لابن رشد ؛ ٤٠٥
- التهليل ؛ ١٨٧
- توجع الرائي في تنوع المرائي ؛ ٣٨٨
- ج - ز
- الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط ؛ ٢٠٧
- جلوة الاقتباس ؛ ٤
- جنى الرطب في سنى الخطب ؛ ٢٩٧
- جهد التصحيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح ، ٢٩٧
- حقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام ٣٨٨
- الحلل المرقومة في اللمع المنظومة ؛ ٤٦٠
- الحقبي في أغاليط القرطبي ؛ ١٠٩
- حلية الأمان في المراقبات الموالي ؛ ٢٩٧
- الديباج المذهب ؛ ٤٣٢
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ؛ ٢٢١ ، ٤٤
- الرايد لما تضمنته حديث أم زرع من الفوايد ؛
٢٨٨
- رجز الأغذية ؛ ٤٥٧
- رجز في مشيخة الراوية إلى عمر الطنجي ؛ ٣٨٨
- رجز السياسة ؛ ٤٥٧
- رجز الطب ؛ ٤٥٧
- الرجز في عمل الترياق ؛ ٤٦٠
- رسالة أبي زيد القيرواني ؛ ١٨٧
- رسالة السياسة ؛ ٥ ، ٦١٤
- رسائل الأبرار ودخائر أهل الخطوة والإينار في
انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار
والآثار ؛ ١٧٦
- الرسالة العلمية ؛ ٢٠٧
- رقم الحلل في نظم النول ؛ ٣٥٧ ، ٣٦٠
- ريحانة الكتاب ؛ ٨٤٤ ، ٤٣١ ، ٤٢٣ ،
٦١١ ، ٤٥٧
- زواهر الأنوار وبواهر قوى البصائر والاستبصار
في شمائل النبي المختار ؛ ١٧٥
- س - غ
- السبعيات من حديث الصدق ؛ ٢٩٦
- السحر والشعر ؛ ٤٥٧
- السلك المحل في أخبار ابن جلا ؛ ١٨٥
- السليمانيات والمريبات لابن هذيل ؛ ٣٩٠ ، ٣٩١
- السنن المشهور ؛ ٤٥٨
- الشافى في اختصار التيسير الكافي ؛ ٢٦٨
- شرح معاني التحية ؛ ١٨٤
- شرف المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج ؛ ١٦٢
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، ٢٠٠ ، ٢٢٨
- صبح الأعشى ؛ ٤
- الصحف المنتشرة في القطع المعشرة ؛ ٢٩٧
- صحيح مسلم ؛ ١٨٢
- صلة الصلة ؛ ٢٥٦
- الطالع السعيد في تاريخ بني سيد ، ١٥٣ ، ١٥٤
- طرفة العصر في دولة بني نصر ؛ ٤٤ ، ٢٢٣
- عايد الصلة ؛ ١١ ، ١٠٤٤ ، ١٢٥ ، ١٧٤ ،
١٧٧ ، ٢٣٦ ، ٢٦٣ ، ٤٠١ ، ٤٢٢٤ .
- العروة الوثقى ببيان السنن وإحصاء العلوم ، ٢٠٧
- عنوان الدرارية فيمن عرف في المائة السابعة بمدينة
بجاية ؛ ٣٢ ، ٢٠٥ .
- المعارف والمعارف ؛ ٢٠٦

- كتاب الغنية ؛ ٣٢٨
 كتاب المرزومة ؛ ١٥٣
 كتاب المستصفي في أصول الفقه ؛ ٢٦٨
 كتاب المستنبطة على الكتب المدونة والمختاطة ،
 ٢٢٨
 كتاب المقتضب ، ١٠١
 كراسة الإمام فخر الدين الرازي ؛ ٣٩٠
 كفاية المحتاج ، ٤٣٢
 الكل والإحاطة ؛ ٣٥
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ٦

ل - م

- لمح البهيج ونفح الأريج في ترجيز ما لأبي مدين
 من حكمة وإشارات صوفية ؛ ٣٨٩
 السمحة البدرية ؛ ٤٥٧
 اللمع الجلية في كيفية التحدث في علم العربية ؛ ٨٧
 مجاز فنيا اللحن للحن المتحن ؛ ٢٩٧
 مختصر الإحاطة ؛ ٤٣١
 مدارك الحقائق في أصول الفقه ؛ ١٧٥
 المدونة ؛ ١٨٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣
 المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية ؛ ٢٠٧
 مراتب العلوم وكيفية طلبها ؛ ١١٣
 المرقصات والمطربات ؛ ١٥٣
 مسألة الأهل المشترط فيهم التزاور ؛ ٢٢٨
 المستدرك ؛ ٣٦٩
 المسلسلات والإنشادات لأبي الربيع بن سالم ؛
 ٢٩٧
 مشارق الأنوار على صحيح الآثار ؛ ٢٢٨
 المشرق في حل المشرق ؛ ١٥٧
 مصباح الظلام ؛ ٢٩٦
 مصحف عثمان ؛ ٣٤٥
 مطمح الأنفس ؛ ٢٢٠
 المظفرى لابن الأقطس ؛ ٤٣

عواطف الإعتاب في لطائف أسباب المتاب ؛

٢٨٨

- حور الأمانى المسفرات في نظم المكفرات ؛ ٣٨٨
 غنية الرايهي في علم الفرائض ؛ ٢٦١
 غنية الكاتب وبغية الطالب ؛ ٢٢٨

ف - ك

- فصل المقال في الموازنة بين الأعمال ؛ ٢٣١
 الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ ١١٣
 الفنون الستة في أخبار سبعة ؛ ٢٢٨
 قبول الرأي الرشيد في تخميس التوريات المنسوبة
 لابن رشيد ؛ ٣٨٨
 القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح ؛ ٢٣٦
 قلايد العقيان ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥١
 قوت النفوس ؛ ٨٥
 الكافي لابن النحاس ؛ ١٠١
 كتاب ابن الحاجب ؛ ٢٦٨
 كتاب الأريمين ، لابن الخطيب ؛ ١٢١
 كتاب الاستدكار لأبي عمر بن عبد البر ، ١٧٤
 كتاب الأصول ؛ ١٠١
 كتاب الاكتفا في مغازي رسول الله ؛ ٢٩٧
 كتاب تخصيص القرب وتحصيل الأرب ، ٣٨٨
 كتاب الجمل ؛ ١٠١ ، ١٠٨
 كتاب خطب عياض ؛ ٢٢٨
 كتاب الدرر ؛ ٣٥
 كتاب السباعيات ؛ ١٧٦
 كتاب سيويه ؛ ١٢٠ ، ١٤١ ، ٢٦٨
 كتاب الشاطبية ؛ ٢٦٨
 كتاب الصفر ؛ ٣٥
 كتاب الصلة ؛ ٢٤٩
 كتاب العزلة ؛ ١٨٤

نيل الابتهاج ؛ ٤٣٢

ن - ى

نتائج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال

من الغوامض والأسرار ؛ ١٧٥

نزهة الأبيصار في نسب الأنصار ؛ ٨١

نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصلاة

حل خاتم الرسل وصفوة الأنبياء ؛ ١٧٥

نسبة الذنب إلى الذاكِر ؛ ٤٢٧

نصيحة الحب الصميم وزكاة المتورر والمنظوم ؛

٢٩٧

نظم الحل في أرجوزة أبي علي ؛ ٨١

نظم السلوك في الأتبياء والخلفاء والملوك ؛ ٢١

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٤٤ ، ٦ ،

٨

النفحة المسكية في الرحلة الملكية ؛ ١٥٨

نبح السالك لتفقه في مذهب مالك ؛ ١٨٢

النورية في ترتيب السلوك ؛ ٣٥

اليوسن في الطب ؛ ٤٥٧

المعجم في شيوخ أبي سكرة ؛ ٢٢٨

المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش ؛ ٢٩٧

المعجم ممن وافقت كنيته زوجه من الصحابة ؛

٢٩٧

معيار الاختيار ؛ ٤٥٧

مغازي الثلاثة الخلفاء ؛ ٢٩٧

مفاضلة بين مائة وسلا ؛ ٤٥٧

مفاوضة القلب العليل ومنايذة الأمل الطويل بطريفة

أبي العلاء المرمرى في ملقى السبيل ، ٢٩٧

المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ؛ ٢٢٨

المقاليد الوجدية في أسرار شارات الصوفية ؛

٢٠٧

المقامات الحريرية ؛ ٢٣١

ملاذ المستميد وعياذ المستمين ؛ ٣٨٨

منازل السابرين إلى الحق ؛ ٤٢٦

منهج السداد في شرح الإرشاد ؛ ١٧٥

الموطأ ؛ ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٧٢

ميدان السابقين وعليه الصادقين والمصدقين ، ٢٩٧

فهرست القبائل والطوائف والدول

- دولة الموصلين ؛ ٣٥٨
الروم ؛ ٣٤ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٩ ،
٤٠٧ ، ٣٥٨
زناقة ؛ ٣٥٧
الشوذية ؛ ٣٢
الصفوية ؛ ٢١٥ ، ٢٥٦
المعجم ؛ ٣٩ ، ٢٧٠
المرب ؛ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
٢٣٩ ، ٢٧٧
عرب رياح ؛ ٣٥٨
الفرس ؛ ٤٨
الكتبانية ؛ ٤١
لمتونة ؛ ٣٤٧
المتونيون ؛ ٤٧
المرابطون ؛ ٣٤٧ ، ٣٥١
المسالمة ؛ ٢٧٠
المسلمون ؛ ٣٤ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ،
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٥٥٦
مسوفة ؛ ٣٤٤ ، ٣٧٤
المصامدة ؛ ٢١٦ ، ٣٤٨
الملثمون ؛ ٨٦
ملكة غرناطة ؛ ٥
مملكة قشتالة ؛ ٥
الموحلون ؛ ١٧٣ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥ - ٣٤٧
المولتون ؛ ٣٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
النصارى ؛ ٣٤ ، ٧٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٤ ،
٣٧١
اليمانيون ؛ ٣٣٩
- الإسلام ؛ ١١١ ، ٢٥٠ ، ٣٦٩ ، ٥٨٣ ، ٥٧٥ ،
الأشعرية ؛ ٢٥٨
J. ذبيان ؛ ٤٨
الإيالة النصرية ؛ ٢٦٤ ، ٣١ ، ١٢٦ ، ١٩٢ ،
٣٢٠ ، ٣٤١ .
البرابرة ، البربر ؛ ٥٦ ، ٢٧٣ ، ٣٤٨ .
برغواطة ؛ ٣٤٨
بنو إشقيلولة ؛ ٦٢ ، ٣٥٩
بنو الأفلس ؛ ٤٧
بنو أمية ؛ ٣٩ ، ١١١ ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ،
٣٢٩ ، ٣١٧
بنو حمامة ؛ ٣٦١
بنو رحو ؛ ٣٦٨
بنو زيان ؛ ٥٢ ، ٣٥٦
بنو ساسان ؛ ٤٨
بنو عمرو ؛ ٢١٩
بنو قحطبة ؛ ٢٧٠
بنو محلى ؛ ٣٥٩ .
بنو مرين ؛ ٦ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٨
بنو مسيرة ؛ ٢٧٠
بنو منظور ؛ ٨٦
بنو نصر ؛ ٥٥ ، ٦٢ ، ٣٦٥
بنو هاشم ؛ ٥٦
تبع ؛ ٣٢٧
الترك ؛ ٤٨
الجزر ؛ ٤٨
خولان ؛ ٤٨
الدولة الزيانية ؛ ٥٣
الدولة المرينية ؛ ١١

فهرست البلدان والأماكن

٢٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٦٧٠ ، ٧٥٤ ، ٧٨٠ ، ٨٠٠ ، ٨٣٠ ،
 ٤٩٦ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
 ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ - ٢٢٣ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ -
 ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ - ٣٦٥ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ،

٤٢٤ ، ٤٢٦

أندوجر ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦

أنفا ؛ ١١٧ ، ٤٢٦

ب-ث

باب إلبيرة ، ٣١ ، ١٠١ ، ٢٣٧ ، ٤٠١

باب إيلان ؛ ٢٣٠

باب الحمراء ؛ ٩٥

باب السادة ؛ ١٦٧

الباب الشرق ، ٢٧١

باب القصير ؛ ١٨٨

باجة ؛ ٩٠ ، ٣٥٥

باغة ؛ ٢٢١ ، ٣٣٢

بحانة ؛ ١١٠ ، ٣٣٢

بحاية ؛ ٣١ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢

٢٤٠ ، ٢٧٨ ، ٣٤٢ ، ٤٠٤

البحر الرومي ؛ ٢١٦

بحر سبتة ؛ ١٨٨

أبلة ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩١ ، ٥٤٩ ، ٥٧٨
 أرجان ؛ ١٥٧
 أرجبة ، ٣٤١ ، ٤٢٤
 أرجلونة (أرشدونة) ؛ ٣٩
 أرملة ؛ ٦٤
 أريبتيرة ؛ ١٦٢
 إستجة ؛ ٤١ ، ١١٠ ، ٣٥٨
 الإسكندرية ؛ ٣٠٢ ، ٥٧٨
 الإسكوريال ؛ ٦
 إشبيلية ؛ ٤٧ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٨١ ، ٣٠٤
 ٣٣٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤
 ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤٣٨ ، ٥٤٥
 أشبونة ؛ ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٦
 أشقظمر ؛ ٣٥٧ ، ٣٥٩
 أطرية ؛ ٥٤٥
 أغمات وريكة ؛ ٣٤٩
 إفراغة ؛ ٣٤٤ ، ٣٤٦
 إفريقية ؛ ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٣٢٢ ، ٣٥٥
 إقليم البلاط ؛ ٢٧٠
 ألبنية ؛ ٥٥٤
 إلبيرة ؛ ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ١٠٩
 ٢٣١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
 ٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٢
 المرية ؛ ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٤٥٧ ،
 ٥٩١
 الأندلس ؛ ٦ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٨٠

الشرع ١١٠ ، ٣١٦

ثغر أطبية ٧٩

الشرع القروي ٤١

ج - خ

جامع ألمرية ٢٦٩

جامع بلنسية ٢٩٥

جامع الزيتونة ٨ ، ٤

جامع سبتة ٢٢٣

جامع غرناطة ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤

١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣٧٣

جامع قرطبة ٢٤٥

جامع القرويين ٢٨٠

جامع مالقة ٣٨٦

جامع وادي آش ٣٧٤

جبال المصالمة ٣٤٨

جبل بيشتر ٣٩ ، ٤٠

جبل درن ٢٠٦

جبل شلير ٥٠٤

جبل الفتح ٣٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣

جبل الفخار ٢٧١

جزيرة الأندلس ٧٧ ، ٢٥٠ ، ٣٥٤

الجزيرة الخضراء ٢١ ، ٣٩ ، ٥٢

١٠٨ ، ٢٤٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٤

٣٣٢ ، ٣٥٠ ، ٤٠١

جزيرة طريف ٦٤ ، ٦٥ ، ٣٢٢

٥٧٣

جليقية ٣٣٩

جيان ١٠٧ ، ٢٧١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢

٥٧٤

الحجاز ٦٩ ، ٢٦٨ ، ٣٢٨

الحجر الأسود ٧٧

الحرم الشريف ٢٣ ، ١٩٩

البراجلة ٢٧٠

براجلة غرناطة ١٩٣

برجيلة قيس ٤٠

برجلوة (برشلونة) ٣٢٢

برغفة ٥٧٣

بسطة ٣٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٢٢

٢٧٠ ، ٢٦٢

بسكرة، ٥٩١

البصرة ١٥٧

بطليوس ٤٢ ، ٤٧

بغداد ١٥٧

بلاد البريز ٢٧٤

بلاد الروم ٣٥٦ ، ٣٧٠

البلاد المشرقية ٣٦

بلقوذ ١٩

بلش ١٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٦٤ ، ٣٤١

بلفسية ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧

٣٠٣ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢ ، ٤١٦

بنيونش ٥٠٤

بونة ٢٣٩

بياسة ٣٩ ، ٢٢١

البيت الحرام ٢٠٣

بيت المقدس ١٥٦

تطيلة ٤١٥

تلمسان ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٧٩

٣٥٦ ، ٣٣٠ - ٣٢٨ ، ٣١١ ، ٩٠

٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٤٥٧

٥٩١

تلمسان الجديدة ٣٥٦

تونس ١٨ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨

٣٣٠ ، ٣٦١

تيزي ٣٤١

رابطة المقاب ؛ ٣٧ ، ٢٠٧
الرباط ؛ ٦
ريفس النيازين ؛ ٢٣٩ ، ٢٥٧
الرصافة ؛ ٩٦
رندة ؛ ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ٢٧٦ ،
٤٥٧ ، ٥٧٣
رومية ؛ ٣٤
روه ؛ ٢٩ ، ٢٧١
زقاق الشترى ؛ ٢٠٥
زنيقة ، قرية ، ٢٣٩

س - ط

سبتة ؛ ١٢ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ - ٢٦٩ ،
٢٨١ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٥٠٤
سجلماسة ؛ ٣٤٩ ، ٣٦٣
سرقسطة ؛ ١١٠ ، ٢٥٨
سلا ؛ ٢٣ ، ٦٨ ، ١١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ،
٣٥٧ ، ٣٤١
السودان ؛ ٣٤٩
شاطبة ؛ ٢٢١ ، ٣٠٣
شالة ؛ ٤٥٢
الشام ؛ ٩٧
الشرق ؛ ٣٢٢
الشرق الأقصى ؛ ٢١٢
شرق الأندلس ؛ ١٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ،
٣٤٤ ، ٣٧٢
شريش ؛ ٤٠٠
ششتر ؛ ٢٠٥
شششتر ؛ ٢٨٦
شلب ؛ ٤١٨
شلوبانية ؛ ٦٣

حصن ابن الشرف ؛ ٣١٧
حصن البنت ؛ ٣١٦
حصن أشتر ؛ ٥٧٤
حصن أندرش ؛ ٧٩ ، ٣٦٦
حصن أوطة ؛ ٣٨
حصن بليج ؛ ٣٥٢
حصن بلي ؛ ٣٩ ، ٤٠
حصن ببي بشير ؛ ٢٥٨
حصن الحواير ؛ ٥٥٢
حصن روطة ؛ ٥٥٢
حصن السهلة ؛ ٥٧٣
حصن شلوبانية ؛ ٦٢ ، ٢٤٤
حصن غرناطة ؛ ٢٧١ ، ٢٤٠
حصن قنليل ؛ ٥٥٢
حصن لبيط ؛ ٣٥٢
حصن مرجانة ؛ ٣٤٩
حصن منتشافر ؛ ٤٠
حصن مطرنيش ؛ ٣٧١
حصن ملناس ؛ ٩٨
حصن ويرة ؛ ٧٩
حلب ؛ ١٥٥ ، ١٥٦
حماء ؛ ١٥٦
الحمراء ؛ ٩٩ ، ٢٧٠ ، ٤٠٦ ، ٥٦٥
حمص ؛ ١٥٦
خزانة الرباط العامة ؛ ٨
خزانة الرباط الملكية ؛ ٨

د - ز

دار الكتب الوطنية التونسية ؛ ٤
دانية ؛ ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٨٤
درعة ؛ ٣٤٨
دمشق ؛ ١٥٧
دياط ؛ ٢١٥
الديار المصرية ؛ ١٥٤

٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤١٦

ف - ك

فارس ، ٦ ، ٢٩ ، ٦١ ، ١٢٤ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ٢٤١ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧١

فحص البلوط ، ٤٢

الفرنثيرة ، ٣٥٩

فندق لبيب ، ٢٥٣

القاهرة ، ٦ ، ١٥٦ ، ٢٤٠

قبر النبي (صلعم) ، ٢٠٣

قبرة ، ٢٩ ، ٤١

قريمانة ، ٢٧٠

قرطبة ، ٤١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٨ ، ١١٠

١١٦ ، ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ -

٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٥٧٩

قسنطينة ، ٢٣٩

قشتالة ، ٦٥ ، ٣٣٠

قصبية غرناطة ، ٨٦ ، ٣٤٧

قصبية المنكب ، ٣٧١

قصر ياديس ، ٣٤٧

قصر قرطبة ، ٢٧٤ ، ٣٤٥

القصر الصغير ، ٢٤٣

قصر قصبية غرناطة ، ٣٥٢

قصر مراكش ، ١٦٧

قلمة محصب ، ١٥٣ ، ٢٤٨ ، ٣٣٢

فنداش ، ٣٩ ، ٨٧

شذرين ، ٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥

الصخرة ، ٣٧٢

الصخرة ، ٣٧٢

طرجيلة ، ٢٨

طرش ، ٢٦

طرطوشة ، ١٨٤ ، ٢٣١ ، ٣٤٦

طليرة ، ٥٨

طليلة ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٧٤ ، ٣٤٠

٣٧٢ ، ٣٥٠

الطينة ، ٢١٦

ع - غ

الحنوة المغربية ، ٤٥٠ ، ٤٥٧

الحنوة ، الحنوة المغربية ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٣١ ،

٣٣ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٧٨ ، ١٢٢ ، ١٢٢ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ،

٢٤١ ، ٣١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،

٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٤٣٣

العراق ، ٩٧

غرب الأندلس ، ٤٣

غرناطة ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ،

٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٥ ،

١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٩ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٨١ ،

١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ،

المغرب : ٦٠ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١١٧ ،
 ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٦٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨

المغرب لأقصى : ٢١٢ ، ٢٤٧ ،

مقبرة باب إلبيرة : ١٠١ ، ١٠٢ ، ٤٢٣ ،

مكتبة دير الإسكوريال : ٤٤ ، ٤٤ ، ٤٤ ،

المكتبة الزيدانية : ٤٣١ ،

مكتبة الحوف : ٤٢ ،

مكة : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ١٨١ ،

ملابس : ٨٧ ، ١٧٧ ،

منتشاهر : ٢٧٠ ،

مستفريد : ١٩٣ ،

منتشرة : ٢٧٠ ،

المنكب : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ ، ١٨٥ ،

٦٠٣

مورتلة : ٣٧١ ،

موقعة أنيشة : ٣٠٣ ،

نجد : ٢٩٧ ،

النيل : ١٥٥ ، ٢٢٧ ، ٥٩٥ ،

٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٤١٦ ،

أ - ح

مدان : ٨٣ ،

وادي آش : ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٩ ،

١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣٦٣ ،

٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٦ ،

وادي سيو : ٧٨ ،

وادي لسة : ٢٣٩ ،

ورقة : ٧٨ ،

يشيش : ١٧٧ ،

القيروان : ١١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ،

٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٥٨٦ ،

كورة إلبيرة : ٩٦ ، ٢٧١ ، ٣٧١ ،

كورة تاكروفا : ٣٨ ،

كورة جيان : ٤٥ ،

كورة جند دمشق : ٢٣١ ،

كورة ريه : ٢٨ - ٤٥ ،

ل - م - ن

لبلة : ١١١ ، ١١٦ ، ٢٤٥ ،

لوشة : ٢٣٦ ،

ماردة : ٢٣٢ ،

مالقة : ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٧٩ ، ٧٠ ،

٨٦ - ٨٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،

١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٢١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٢٠ ، ٤٢٥ ،

٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٥٧٣ ،

مدرسة غرباطلة (المدرسة النصرية) : ٢٥٤٤ ، ٣٨٩ ،

مدريد : ٦ ،

المدينة المنورة : ٣٤ ،

مراكش : ١٨ ، ١٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

١٦٦ ، ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٤٨ ، ٣٥٣ ،

٣٦٢ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢ ،

مريلة : ٢٧٦ ،

مرسى المنكب : ٣٧١ ،

مرسية : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ،

مسجد الحمراء الأظيم : ٤٠٤ ،

مسجد قصبه مالقة : ١٧٨ ،

المشرق : ٣٤ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،

١٢٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٣٥ ، ٤١٤ ، ٤٥٧ ،

مصر : ١١٠ ، ١٥٥ ، ٢٣٩ ، ٥٠٤ ،

فهرست الأعلام

- ابن تيمية ؛ ١٣
 ابن جابر الودعي آشئ ، أبو عبد الله محمد ؛
 ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ، ٣٥٤ ، ٤٥٦
 ابن جبير ، محمد بن أحمد ؛ ١٨٨
 ابن جزى ، أبو بكر ؛ ١٥٢
 ابن جزى ، أبو عبد الله ، ٢٩
 ابن جزى ، أبو القاسم ؛ ٤٥٦
 ابن جمهور ، أبو بكر محمد ؛ ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٤٢٠
 ابن جميل ، ٢٦٣
 ابن الجنان ، أبو عبد الله ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٦
 ابن الحاج ، أبو البركات ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤ ، ٤٢٢
 ابن الحاج ، محمد بن أحمد التجيبي ؛ ٢٢٤
 ابن حبيش ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ؛
 ١٠٨ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٢٢١ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 ابن حرا ؛ ٤٩
 ابن حرم القرطبي ، أبو محمد حل بن أحمد بن
 سعيد ؛ ٤ ، ١٨ ، ١١١ ، ٢٢١ ،
 ٤١٨
 ابن حفصون ، عمر ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١
 ابن الحكيم ، أبو بكر ؛ ٩٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٨ ، ٢٠٠
 ابن الحكيم ، أبو عبد الله ، ٦٢ ، ٢٤٨ ،
 ٢٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤٢٢ ، ٤٥٦
 ابن حداد ؛ ٥٩ ، ١٩٦
- ابن إبراهيم بن أدهم ؛ ٢٠٤
 ابن الأبار القضاي ، أبو عبد الله ، ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٣
 ابن أبي ، ٨٤
 ابن أبي الأصمغ ؛ ١٥٥
 ابن أبي الخصال ، أبو عبد الله ، ١٠٣ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٩
 ابن أبي ربيعة ؛ ١٠٩
 ابن أبي زنتين ، أبو بكر ؛ ١٩١
 ابن أبي زنتين ، أبو عبد الله ؛ ١٠١ ،
 ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠
 ابن أبي زنتين ، عيسى بن محمد ؛ ٢٣٥
 ابن أبي السناد الباهل ، عبد الواحد بن محمد ؛
 ٨٦ ، ١٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
 ابن أبي عامر ، المنصور ؛ ٢٢٢
 ابن أضحى ، علي بن عمر بن مشرف ؛ ٨٣ ،
 ١٠١
 ابن الأفتس ، عبد الله بن مسلمة ؛ ٤٢
 ابن الأفتس ، المتوكل عمر بن محمد بن مسلمة ؛
 ٤٢ ، ٤٧
 ابن الباذن الانصاري ، أبو الحسن علي ؛ ٢٤ ،
 ١٠٠ ، ١٧٥ ، ٢٢٤
 ابن برطال ، أبو عبد الله ، ١٣ ، ٣٢٠ ،
 ٣٨٧
 ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الله ؛
 ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٣٧٣
 ابن بقتة ؛ ٨٤
 ابن بيش المبري ، أبو عبد الله ؛ ١٧٩ ،
 ٤٥٦

ابن حنين ، أبو عبد الله ، ٢٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ، ١٨٨ ، ١٩٥
 ابن حوط الله ، أبو عمر ، ٢٧٥
 ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ،
 ٤٠ ، ٤٢ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٣٥ ، ٣١٦
 ابن خروف ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١٨٨
 ابن خضر ، ٢٦٩
 ابن الخطيب السلماقي ، لسان الدين ، ٣ ، ٥ ،
 ٩٨٤ ، ١٢١ ، ١٦٣ ، ٢٩٥ ،
 ٤٠١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٩٨ ، ٦١٢
 ابن خلاص اليانشتي ، ١٨٩
 ابن خلدون ، ٥٩١ ، ٥٩٢
 ابن خميس ، ٣١٥
 ابن خيرة ، أبو عبد الله ، ٤٥
 ابن الدراج ، محمد بن عمر الأنصاري ،
 ١٣ ، ١٩٩
 ابن دراج القسطل ، أبو عمر ، ٥٧
 ابن درهم ، قاسم بن يحيى الزروالي ، ٩٠ ، ٢٦٣
 ابن دقيق العيد ، تقي الدين ، ١٩٩ ، ٤٥٦
 ابن ذرارة المرادي ، ٢٢٠
 ابن رزمير ، ٣٤٤ ، ٤٠٦
 ابن رشد ، أبو الوليد ، ١٧٤ ، ٢٢٤ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله محمد ، ١٣ ،
 ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 ابن رضوان التجاري ، أبو القاسم ، ٩٣
 ابن زرقون ، أبو عبد الله ، ١٧٤ ، ١٨٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٧٣
 ابن سبعين المكي ، عبد الحق بن إبراهيم ،
 ٣١٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٦ ، ٢١٤

ابن سبيح ، ٣١١
 ابن سرة الأنصاري الشاطبي ، ٣٠٦
 ابن سعادة الشاطبي ، ١٩٠
 ابن سيد القزاز ، ٢٧٨
 ابن سيد الناس اليمري ، محمد بن محمد ، ١٣
 ابن سينا ، ٢١١ ، ٤٦٠
 ابن الشاط ، أبو القاسم ، ١٣ ، ١٢٧ ،
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠
 ابن شيرين ، أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ،
 ٢٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٣٧٤ ،
 ٤٥٦
 ابن صاف ، ١٠٨
 ابن الصفار ، ٢٢٤
 ابن الصيرفي ، يحيى بن محمد الأنصاري ، ٣٤٥
 ابن طارق ، ١٨٢
 ابن عبد الحق الطلمساني ، ١٨٩
 ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، ٤١
 ابن عبد الكريم ، ١٨٨
 ابن عبد الملك المراكشي ، ٣ ، ٤٣ ، ١٩١ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٤١٧
 ابن عبدون ، أبو محمد عبد المجيد ، ٤٤ ، ٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٣٥١
 ابن عبدون المكناسي ، ٢٨
 ابن عبيدس ، ١٨٨
 ابن عذارى المراكشي ، ٥٨ ، ٥٩
 ابن عروس ، أبو عبد الله محمد ، ١٠٨ ،
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٤١٦
 ابن عساكر ، ١٣
 ابن عسكر ، أبو عبد الله ، ١٠٩
 ابن علي الكتافي ، ١٨٨
 ابن عميرة ، أبو المطرف ، ٢٦٠
 ابن عياش المالقي ، أحمد بن عيسى ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣٢٠

ابن عيسى بن الباتة ، ٢٥٠
ابن غالب ، أبو عبد الله ، ١٩٥ ، ١٩٥ ، ٢٩٦
ابن غلبون بن الحصار ، ٢٢٣
ابن الفزاز ، أبو العباس ، ١٣ ، ١٢٧ ، ٢٦٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
ابن الفارسي ، ٤٢٦
ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٨٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٤
ابن الفخار البيري ، أبو عبد الله ، ٥٥٦
ابن الفياض ، ٤٠
ابن قسي ، ٢١١ ، ٣٤٥
ابن القصيرة الإشبيلي ، أبو عبد الله ، ٢٤٨
ابن قطرال ، علي بن عبد الله الأنصاري ، ١٩٠
ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ، ٣٩
ابن كوثر ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٩٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦
ابن مالك ، أبو مروان ، ٢٥٨
ابن مجير ، ٤٠٩
ابن المحروق ، أبو عبد الله ، ٧٨ ، ١٩٣ ، ٣٦٦
ابن مراس العنقي ، أبو الحسن أحمد ، ١١٠
ابن مردنيش ، أنظر محمد بن سمد
ابن مرزوق ، أبو عبد الله ، ٥٨٦
ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ١٩ ، ١٠٥ ، ٢٧٧ ، ٤٢٠
ابن مكحول ، أحمد بن محمد ، ٢٢٣
ابن المواق ، ٢٩٦
ابن النيه ، ٣٩٢
ابن نجم الموصلی ، ١٥٧

ابن وضاح ، ٤١٨
ابن يربوع السبي ، ٤٢١ ، ٤٥٧
أبو اسحق بن أقي العاصي ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ، ٣٧٤
أبو اسحق بن دهاق ، ٣٣
أبو اسحق بن عبد البر ، ٣١٩
أبو اسحق بن عبد الرحيم العنقي ، ١٨٢
أبو اسحق بن عبد الرفيح ، ٣٨٧
أبو اسحق بن قرقول ، ١٠٨
أبو اسحق بن مسعود الإلييري ، ٨٣ ، ٣١٧
أبو اسحق الأوسي القرطبي ، ٣٧٥
أبو اسحق التلمساني ، ١٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٤١
أبو اسحق الشقروني ، ١٨٨
أبو اسحق النافقي ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ ، ٣٨٧
أبو اسحق النافقي المديوني ، ١٢
أبو أيوب بن أمية ، ٤٤
أبو بحر بن الأسدي ، ٢٢٠
أبو بكر ، الخليفة ، ٢٧
أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، ٢٩٦
أبو بكر بن أبي جمره ، ٢٩٦ ، ٣٠٢
أبو بكر بن أبي ركب ، ١٨٨
أبو بكر بن اسحق التجيبي ، ٣١٠
أبو بكر بن اسماعيل ، زين الدين ، ٤٢٤
أبو بكر بن بيش الشلطي ، ٢٢١
أبو بكر بن الجدا ، محمد بن عبد الله ، ١٠٨ ، ١٩٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣١٥ ، ٣٧٣ ، ٥٦٦
أبو بكر بن الحداد ، ٢٢١
أبو بكر بن خليل السكوي ، ١٣٠ ، ١١٠
أبو بكر بن سوار ، ٣٥٢

ابن عيسى بن الباتة ، ٢٥٠
ابن غالب ، أبو عبد الله ، ١٩٥ ، ١٩٥ ، ٢٩٦
ابن غلبون بن الحصار ، ٢٢٣
ابن الفزاز ، أبو العباس ، ١٣ ، ١٢٧ ، ٢٦٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
ابن الفارسي ، ٤٢٦
ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٨٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٤
ابن الفخار البيري ، أبو عبد الله ، ٥٥٦
ابن الفياض ، ٤٠
ابن قسي ، ٢١١ ، ٣٤٥
ابن القصيرة الإشبيلي ، أبو عبد الله ، ٢٤٨
ابن قطرال ، علي بن عبد الله الأنصاري ، ١٩٠
ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ، ٣٩
ابن كوثر ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٩٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦
ابن مالك ، أبو مروان ، ٢٥٨
ابن مجير ، ٤٠٩
ابن المحروق ، أبو عبد الله ، ٧٨ ، ١٩٣ ، ٣٦٦
ابن مراس العنقي ، أبو الحسن أحمد ، ١١٠
ابن مردنيش ، أنظر محمد بن سمد
ابن مرزوق ، أبو عبد الله ، ٥٨٦
ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ١٩ ، ١٠٥ ، ٢٧٧ ، ٤٢٠
ابن مكحول ، أحمد بن محمد ، ٢٢٣
ابن المواق ، ٢٩٦
ابن النيه ، ٣٩٢
ابن نجم الموصلی ، ١٥٧

أبو بكر بن الصايغ ، ابن ياجعة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨ .
 أبو بكر بن عبد الكريم النفاقي ؛ ٣١٠ .
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢ .
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠ .
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦ .
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨ .
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤ .
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠ .
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠ .
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨ .
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١ .
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧ .
 أبو بكر بن مثليون ؛ ٢٥٩ .
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦ .
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦ .
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢ .
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١ .
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦ .
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢ .
 أبو بكر القلوصي ؛ ١٢ .
 أبو بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧ .
 أبو بكر بن يوسف الكوي ؛ ٣٥٥ .
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦ .
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧ .
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠ .
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥ .
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦ .
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨ .
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١ .

أبو جعفر بن الدلال ؛ ١٨٢ .
 أبو جعفر بن الزبير ؛ ١٢ ، ٤٩ ، ١٠٥ .
 ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ .
 ٢٣١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٣١٠ .
 ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤ .
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩ .
 ١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧ .
 أبو جعفر بن سعدون ؛ ٢٥٠ .
 أبو جعفر بن عبد الوهاب ؛ ٣٨٧ .
 أبو جعفر بن عزرة ؛ ١٠٨ .
 أبو جعفر بن علي ؛ ٢٩٦ .
 أبو جعفر بن فركون ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٩ .
 أبو جعفر بن مضاه ؛ ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٥٥ .
 أبو جعفر بن مكثون ؛ ٢٦٩ .
 أبو جعفر بن يحيى ؛ ١١٠ .
 أبو جعفر الحزيرى الضرير ؛ ١٩٦ .
 أبو جعفر الشاطبي ؛ ١٩٧ .
 أبو جعفر الطباع ؛ ١٠٥ ، ٦٢٠ ، ٢٧٧ ، ٣٧٥ ،
 ٤٠٥ .
 أبو جعفر الطنجالي ؛ ٢٩٦ ، ٤٥٦ .
 أبو جميل الشيرازي ، محمد بن محمد ؛ ٢٦٨ .
 أبو حاتم المزني ؛ ١٢ .
 أبو حامد الغزالي ؛ ٤١٥ .
 أبو الحجاج بن أبي محمد بن أيوب ؛ ٢٩٦ .
 أبو الحجاج بن حكيم ؛ ٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ .
 أبو الحجاج بن خلصون ؛ ٢٣٦ .
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ .
 أبو الحجاج الساحلي ؛ ٤١٥ .
 أبو الحجاج الكوراني ، جمال الدين ؛ ٢٠٣ .
 أبو الحجاج المنتشافري ، يوسف ؛ ٩٠ ،
 ٢٧٦ ، ٤٥٧ .
 أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٢٥٩ .
 أبو الحسن بن أبي محمد الشريتي ؛ ٣٥٥ .
 أبو الحسن بن أم العماد ؛ ٣٤٦ .

أبو بكر بن الصايغ ، ابن ياجعة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨ .
 أبو بكر بن عبد الكريم النفاقي ؛ ٣١٠ .
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢ .
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠ .
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦ .
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨ .
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤ .
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠ .
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠ .
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨ .
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١ .
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧ .
 أبو بكر بن مثليون ؛ ٢٥٩ .
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦ .
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦ .
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢ .
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١ .
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦ .
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢ .
 أبو بكر القلوصي ؛ ١٢ .
 أبو بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧ .
 أبو بكر بن يوسف الكوي ؛ ٣٥٥ .
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦ .
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧ .
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠ .
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥ .
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦ .
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨ .
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١ .

أبو الحسن بن الحزار ١٥٥
 أبو الحسن بن الجباب ٤ ، ٧١ ، ١١٧ ،
 ٢٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦ ،
 ٥١٥
 أبو الحسن بن الحسن البصرى ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٣٥ ،
 أبو الحسن بن راشد ٣٩٠
 أبو الحسن بن سراج ٢٢٥ ، ٢٥٠
 أبو الحسن بن السراج ١٢٠
 أبو الحسن بن سعيد ٧١
 أبو الحسن بن السقاح الرقى ٣١٠
 أبو الحسن بن سليم ١٨٧
 أبو الحسن بن سهل ٢٩٥
 أبو الحسن بن شعيب ١٩٧
 أبو الحسن بن الضايح ١٠٥ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن عبد الباقي الصواف ٣١٠
 أبو الحسن بن عبد الله الحضرمي ٢٣٨
 أبو الحسن بن عبد الله المطار ٣٠٠
 أبو الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ٣٠٠
 أبو الحسن بن صفور ١٢٠ ، ١٥٣
 أبو الحسن بن عطية اليردى ٣١٠
 أبو الحسن بن عطية بن غازى ١٨٨
 أبو الحسن بن عمر ٢٦
 أبو الحسن بن فرحون ١٩٧
 أبو الحسن بن فرحون البلقيني ٢٦٩
 أبو الحسن بن الفضل ٤٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ١٣ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٤٠٤
 أبو الحسن بن القطلان ١٨٩
 أبو الحسن بن مستقور ، عل بن محمد الطائي ٤
 ٣٤١
 أبو الحسن بن مصامد ٣٤١
 أبو الحسن بن مضاء ٣١٠

أبو الحسن بن منظور ٣٤١
 أبو الحسن بن نافع ١٠٥
 أبو الحسن بن واجب ٢٢٠
 أبو الحسن الأبدى ١٠٥
 أبو الحسن البصرى ٢٥٩
 أبو الحسن البلوطى ٤٠٥
 أبو الحسن البلوى ١٩٧
 أبو الحسن التلمسانى ٤٥٦
 أبو الحسن الخزرجى ١٩٩
 أبو الحسن الدياج ٤٢١
 أبو الحسن الرعى ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٦
 أبو الحسن المهروردى ، ضياء الدين ٢٠٣
 أبو الحسن شريح ١٧٥
 أبو الحسن الشترى ، عل بن عبد الله النيمى :
 ٣٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٤
 أبو الحسن الطرطاي ٢٥٩
 أبو الحسن العراقى ١٩٨
 أبو الحسن العنسى ٢٧٨
 أبو الحسن القانى ١١٠
 أبو الحسن القراقى ٣١٠
 أبو الحسن القيجاطلى ٢٥٤ ، ٤٥٦
 أبو الحسن المرىنى ، السلطان ١٨ ، ٢١٦ ،
 ٢١٩ ، ٢٤١ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٣ ،
 ٤٥١
 أبو الحسن النباهى ، عل بن عبد الله ٨٨ ،
 ٩٩
 أبو الحسين بن شالة ، عل بن أحمد الإشبيل ٣٨٨
 أبو الحسين بن الطراوة ١٢٠
 أبو حفص بن يوسف بن عبد المؤمن ٣٥٥
 أبو الحكم بن المرحل ٣٠٩
 أبو الحكم بن منظور ١٣
 أبو حمو ، موسى بن زيان ، السلطان ٥٩٨

أبو الطاهر بن عوف ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن شريف ؛ ١٩١
 أبو الطيب بن زرقون ؛ ٢٥٠
 أبو الطيب المتنبى ؛ ٣٥١
 أبو الظفر الميورقي ؛ ٣٤١
 أبو عامر بن سرور ؛ ٢٥٠
 أبو العباس بن الرومية ؛ ١٨٨
 أبو العباس بن الطاهري ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن العريف ؛ ٢٠٢
 أبو العباس بن علي المازري ؛ ١٨٩
 أبو العباس بن فرعون ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن مضاه ؛ ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو العباس بن هرقد ؛ ٢٩٦
 أبو العباس بن اليتيم ؛ ١٠٨
 أبو العباس الجراوي الأعشى ؛ ٤١٨
 أبو العباس الخروبي ؛ ١٨٢
 أبو العباس الثبريني ؛ ٢٠٥
 أبو العباس القوراني ؛ ١٨٨
 أبو العباس النهاوندي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي ؛ ١٨٩
 أبو عبد الله بن أبي بكر البري ؛ ٢٧٨
 أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن أبي الفتح القهري ؛ ٧٠
 أبو عبد الله بن أحمد المذبحي ؛ ١٨٢
 أبو عبد الله بن بكر ؛ ٢٥٤
 أبو عبد الله بن تير ؛ ١١٥
 أبو عبد الله بن جعفر اليحصبي ؛ ٤٠٤
 أبو عبد الله بن جوير ؛ ١٢١
 أبو عبد الله بن حزب الله ؛ ٤٥٦
 أبو عبد الله بن حفص ؛ ١٩٠
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ١٠٨ ، ١٥٠
 ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن خلصة ؛ ٢٥٠

أبو خالد بن رفاعه ؛ ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠
 ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو خالد بن مستقور ؛ ٢٥٠
 أبو خالد بن يزيد ؛ ٨٥
 أبو الخطاب بن خليل ؛ ١٢١
 أبو داود المقرئ ؛ ٤١٦
 أبو الربيع ، سلطان المغرب ؛ ١٨٧
 أبو الربيع بن سالم ، سليمان بن موسى ؛ ٤٠ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٧٥
 أبو زكريا الأصبهاني ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا البرشاني ؛ ٣٤١
 أبو زكريا الحفصي ، الخليفة ؛ ٥٦٠
 أبو زكريا القصري ؛ ٣٥٠
 أبو زكريا بن خلدون ؛ ٥٩١ ، ٥٩٨
 أبو زكريا بن العباس ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا بن عبد الله بن محمد ؛ ٣١٠
 أبو زكريا بن عمر ؛ ١٢٢
 أبو زيان ، الأمير ؛ ٢٨
 أبو زيد الفزازي ؛ ١٦٣ ، ٢٧٤
 أبو زيد السجيل ؛ ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٤ ، ٣١٠
 أبو سالم ، إبراهيم بن أبي الحسن ، السلطان ؛
 ٢١٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
 أبو سال بن أبي يحيى ؛ ١٨٧
 أبو سعيد ، السلطان ؛ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٤٥١
 أبو سعيد بن الأعرابي ؛ ٢٠٢
 أبو سعيد بن جامع ؛ ١٩١
 أبو سعيد الطراز ؛ ١٨٢
 أبو الشمل جماعة بن مهيب ؛ ١٣
 أبو طالب بن غانم ؛ ٤٢
 أبو الطاهر الخشوعي ، بركات بن إبراهيم ؛
 ١٠٨ ، ٢٧٨
 أبو الطاهر السلق ، أحمد بن محمد ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ٢٢٣
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٤٢٧

- أبو عبد الله بن ربيع الأشعري ١٩٦
 أبو عبد الله بن ربيعة ٣١٠
 أبو عبد الله بن رزق ١٠٨
 أبو عبد الله بن الرقام ٣٩٠
 أبو عبد الله بن سعد ٤١٨
 أبو عبد الله بن صالح الكتاني ١٢٥ ، ١٩٨
 أبو عبد الله الأزدي ١٢١
 أبو عبد الله الأركشي ٣٩٠
 أبو عبد الله البيهقي ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٧٤
 أبو عبد الله التوزيري ٢٥٥
 أبو عبد الله الجلياني ٣٨٦
 أبو عبد الله الجهمري ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله الحميدي ١٠٩ ، ١١٢ ، ٢٣١
 أبو عبد الله الحميري الإمتحي ١٠٨
 أبو عبد الله الخولاني ٣٠٢
 أبو عبد الله الرقوطي المرسى ٢٣٦
 أبو عبد الله بن شعيب ٣١٠ ، ٣٤١
 أبو عبد الله بن الضايغ ٢٦٩ ، ٣٤١
 أبو عبد الله بن عباس ٤٥
 أبو عبد الله بن عبد الحميد ٣١٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي ١٠١ ،
 ٢٣٨
 أبو عبد الله بن عبد السلام ٩٠
 أبو عبد الله بن عبد الولي المواد ٤٥٥
 أبو عبد الله بن عبيد الأوسي ١٠٩
 أبو عبد الله بن عزمون ٣٨٧
 أبو عبد الله بن عيسى ٢٤٣
 أبو عبد الله بن الليثي ٣١٠
 أبو عبد الله بن محمد الطرطاي ٢٥٩
 أبو عبد الله بن مدرك ١٠٨
 أبو عبد الله بن مساعد النساني ١٠٤ ، ١٠٥
 أبو عبد الله بن مستور ١٠٥
 أبو عبد الله بن مسدي ٢٥٢
 أبو عبد الله بن النجار ٣١٠
 أبو عبد الله بن نصر ١٦٣
 أبو عبد الله بن النعمان ٤٢٤
 أبو عبد الله بن نوح ٢٩٦
 أبو عبد الله بن هرون ٩٠
 أبو عبد الله بن يحيى الزواوي ٤٠٤
 أبو عبد الله بن يعقوب المرسى ٢٦٨
 أبو عبد الله الشامي ١١٢
 أبو عبد الله الطنجالي ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله النماري ٣٨٧
 أبو عبد الله القرشي ٣٧٤
 أبو عبد الله القرطبي ٣١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله القطان ٩٠
 أبو عبد الله المازري ١٧٥
 أبو عبد الله المقرئ ١١٨ ، ٣٦٢ ، ٤٥٦
 أبو عبد الله المتقي ١٠٢
 أبو عبد الله المومنانى ٣٤١
 أبو عثمان بن عيسى ٨٧
 أبو عثمان بن أيون ٢٠٥ ، ٤٥٧
 أبو علي بن أبي الأحوص ٩٠ ، ١٠٥ ،
 ١٧٤
 أبو علي بن تاددرت ٢١٢
 أبو علي بن الحسن ٨٦
 أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ٣١٠
 أبو علي بن غفرون ١٩٧
 أبو علي بن الناظر ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو علي الشلوين ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٠ ،
 ٤٢٠
 أبو علي الشمشري ٢٠٣
 أبو علي الصدقي ١٠٠
 أبو علي النساني ٢٣٨
 أبو علي القرظي ٣٧٤

أبو القاسم بن الطليسان ؛ ١٨٢
 أبو القاسم بن عمران ؛ ٩٠
 أبو القاسم بن ميسر ؛ ١١٠
 أبو القاسم بن نبيل ؛ ٢٧٨
 أبو القاسم بن النحاس ؛ ٢٢٠
 أبو القاسم بن ورد ؛ ١١٢ ، ١٧٥
 أبو القاسم بن يحيى بن ربيع ؛ ٢٥٧
 أبو القاسم الأيسر الجذامى ، زين الدين ؛
 ٣١٠
 أبو القاسم البلقيى ؛ ٣٤١
 أبو القاسم التاكرونى ؛ ٢٨٦
 أبو القاسم التجيبى ؛ ٣٨٧
 أبو القاسم الحسى الشريف ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٣٧٤ ، ٣٢١
 أبو القاسم الزجاجى ؛ ١٢٠
 أبو القاسم الزياتى ؛ ٢٨
 أبو القاسم السهلى ؛ ١٨٩
 أبو القاسم الشراط ؛ ١٠٨
 أبو القاسم العزقى ؛ ١٩١
 أبو القاسم محمد البنا ؛ ٩٠
 أبو القاسم الملاحمى ؛ ١٠٠
 أبو القاسم نمم الخلف بن يحيى الأنصارى ؛
 ١٠٠
 أبو الكرم الحميرى ؛ ٣١٠
 أبو مالك ، عبد الواحد بن يوسف ، الأمير ؛
 ٢٥٠ ، ٢١
 أبو المتوكل الهيمى ؛ ٤٢٠
 أبو محمد بن أبي الدينا ؛ ٢٥٩
 أبو محمد بن إشقيطولة ؛ ٢٤٢
 أبو محمد بن أيوب ؛ ٩٠ ، ١١٧ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن الخطيب ؛ ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤
 أبو محمد رديم ؛ ٢٠٣
 أبو محمد بن سمد المسرانى ؛ ٣١٠

أبو حل المشدالى ، ناصر الدين ؛ ١٢٨ ،
 ٣٤٢ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 أبو عمرو بن أبي جمفر بن الزبير ؛ ٤٥٦
 أبو عمرو بن عبد البر ؛ ٢٢٨
 أبو عمرو الإصطخرى ؛ ٢٠٣
 أبو عمران الجورمانى ؛ ١٨٧
 أبو عمران القاسى ؛ ٣٤٧
 أبو عمرو بن الحاجب ؛ ٤٦٠
 أبو عمرو بن الرندى ؛ ١٠٥
 أبو عمرو بن سالم ؛ ٢٩٦
 أبو عمرو بن منظور ؛ ٩٠ ، ١١٧
 أبو عمرو السفاقسى ؛ ٣٧٥
 أبو عمرو الطلمنكى ؛ ٢٠٢
 أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ٥٤ ، ٦٦ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٤٧١
 أبو فارس عبد العزيز الهوارى ؛ ١٢٨ ،
 ٣١٠ ، ١٩٩
 أبو فارس عزوز الملزوزى ؛ ٢٠ ، ٢٣ ،
 ٣٥٩ ، ٢٦
 أبو الفخر بن يركات بن عساكر ؛ ٣٠٠
 أبو الفدا بن المعلم ؛ ٣١٠
 أبو الفضل بن خطيب المرى ؛ ٤٢٤
 أبو الفضل السلمى المرسى ، شرف الدين ؛
 ١٩٩
 أبو القاسم بن أحمد بن حسان ؛ ٤٢
 أبو القاسم بن البرا ؛ ٢٥٩
 أبو القاسم بن بى ؛ ١٩٠ ، ٢٢٣
 أبو القاسم بن البنا ؛ ٤٥٦
 أبو القاسم بن جابر ؛ ١٩٧ ، ٣٩٠
 أبو القاسم بن الجنيد ؛ ٢٠٣
 أبو القاسم بن الحاج ؛ ٢٦٩
 أبو القاسم بن ربيع ؛ ٣٧٥
 أبو القاسم بن سلمون ؛ ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٤٥٦
 أبو القاسم بن الطيب ؛ ١٩٩

أبو محمد بن سلمون ؟ ٤٥٦
 أبو محمد بن سالك ؟ ١٧٥ ، ٣١٠
 أبو محمد بن سمحون ؟ ٨٤
 أبو محمد بن السيد ؟ ١٢٠
 أبو محمد بن سيدبونه ؟ ٢٩٦
 أبو محمد بن عبد الله ؟ ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣١١
 أبو محمد بن عيسى التادلي ؟ ١٨٨
 أبو محمد بن المؤذن ؟ ٣٤١
 أبو محمد بن هرون القرطبي ؟ ١٠٩ ، ١٢٨ ،
 ٣١٥
 أبو محمد الأنباري ؟ ٦٠
 أبو محمد الحجري ؟ ١٨٨
 أبو محمد الحضرمي ؟ ١١٨
 أبو محمد الخلاسي ؟ ١٩٨
 أبو محمد الديماطي ، شرف الدين ؟ ١٩٨ ،
 ٣١٠
 أبو محمد الزرقون ؟ ٤٥٦
 أبو محمد الشاذلي ؟ ٢٩٦
 أبو محمد عبد الله المرادي ؟ ١٢
 أبو محمد التبعدي ؟ ٤٠٥
 أبو الخشبي ؟ ناصر بن زيد بن يحيى التميمي ؟
 ٢٣١ - ٢٣٣
 أبو مروان بن سراج ؟ ١٠٢
 أبو مروان بن مسرة ؟ ١٣٥
 أبو مسلم الضرير المقرئ ؟ ١٠٢
 أبو النعمان الحافظ ؟ ٣٧٥
 أبو النعمان رضوان ؟ ٣١٩
 أبو الوايد اسماعيل ، السلطان ؟ ٧٠ ، ٧١ ،
 ٧٨
 أبو الوليد بن حجاج ؟ ٢٥٠
 أبو الوليد بن نصر ؟ ٢٤٥
 أبو الوليد الحضرمي القرطبي ؟ ١٢
 أبو الوليد المطار ؟ ٣٧٥
 أبو الوليد الوقتي ؟ ١١٢

أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكريا ؟ ٢٢٠ ،
 ٥٦٠
 أبو يحيى بن عبد الحق ؟ ٣٦٤
 أبو يحيى بن الفرس ؟ ٣٧٥
 أبو يزيد خالد بن خالد ؟ ١٧٦
 أبو يس القرقني ؟ ٢٢٤
 أبو يعقوب المحاسبي ؟ ٢٥٩
 أبو يعقوب بن إبراهيم بن عتاب ؟ ١٩٠ ،
 ٢٧٨
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة ؟
 ٢٠ ، ٢١ ، ٤٠٠
 أبو يوسف بن عبد الحق ؟ السلطان ؟ ٢١ ،
 ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٣
 أبو يوسف الجزولي ؟ ١٨٤
 أحمد بابا التنبكي : ؟ ٤٣٣
 أحمد بن اسمعيل بن علي بن الحلياب ؟ ٤٠٥
 أحمد بن حكيم بن القيسي الحصار ؟ ٣٠١
 أحمد بن حميد القرطبي ؟ ١٨٩
 أحمد بن عبد الرحمن المكناسي ؟ ٣١١
 أحمد بن عبد الله بن أحمد البقعي الأنصاري ؟
 ٤٣٣
 أحمد الرباعي ، أبو العباس ؟ ٩٠
 أحمد بن عروس العقيل ؟ ٣٧٥
 أحمد بن علي الأنصاري الكحيل ؟ ١٢٧
 أحمد بن علي البيهقي ، أبو العباس ؟ ٣٠٠
 أحمد بن عيسى الرازي ؟ ٢٣١ ، ٢٧١
 أحمد بن فتح الدهان ؟ ١١٠
 أحمد بن محمد بن أحمد الخشبي ؟ ١٧٧
 أحمد بن محمد بن الجسور ؟ ١١٣
 أحمد بن محمد بن خميس الجزيري ؟ ٣٨٧
 أحمد بن محمد بن شهيد ؟ ٢٥٧
 أحمد بن محمد بن علي الكتافي ؟ ٤٥٥

- جابر بن محمد بن حيان القيسي ؛ ٣١٠
 جابر بن يحيى التغلبي ؛ ١٠١
 جرور بن بنت التيمان ؛ ٣٤٠
 جعد بن عبد الغافر ؛ ٣٩ ، ٢٧١
 جعفر بن عمر بن حفصون ؛ ٣٨ ، ٤٢
 جعفر بن يحيى ؛ ٤٩
 جمال الدين بن مطروح ؛ ١٥٥
 جمال الدين بن يغمور ؛ ١٥٥
 حاتم بن عبد الله البزاز ؛ ١١٠
 حبيب المعجمي ؛ ٢٠٣
 حجاج بن يوسف بن عمران ؛ ٣٥٥
 الحسن بن طاهر بن أبي الشرف الحسني ؛ ١٢٨ ،
 ١٩٩ ، ٣٤٠
 الحسن بن علي ؛ ٤٨
 الحسن بن علي بن طريف ؛ ٢٢٤
 حسن بن عمر بن علي الكندي ؛ ٤٠٤
 الحسن بن محمد الصدوق بن سكرة ؛ ٢٢٤
 الحسن بن محمود الجرجاني ؛ ٢٠٢
 الحسن بن مستقور ؛ ١٩٦
 الحسن بن هاني ؛ ٣٩٨
 حسن بن يوسف ؛ ٤٥٦
 الحسين بن عبد العزيز ؛ ٣٠
 الحسين بن عتيق ؛ ١٣
 الحسين بن محمد التستاق ؛ ٢٢٤
 حفص بن المرة ؛ ٣٩ ، ٢٧٢
 الحكم بن هشام ؛ ٣٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 الحكم المستنصر ؛ ٤٢
 الحلاج ؛ ٢١٠
 حمو بن عبد الله ؛ ٦٦
 خالد بن يوسف الشاذلي ؛ ٣٠٠
 خلف بن إبراهيم بن خاقان ؛ ١١٠
 خالد بن إبراهيم بن الحسن ؛ ٢٢٥

- أحمد بن محمد الورقي ؛ أبو العباس ؛ ٢٨٧
 أحمد المنصور ، السلطان ؛ ٤٣١
 أحمد بن هود ؛ ٨٦
 أحمد بن يحيى الحميري ؛ ٢٧٢
 إدريس بن جامع ؛ ٢٥٥
 أدفونش بن فردلند ؛ ٣٥٠ ، ٣٥١
 أصامة بن سليمان ؛ ٨٤ ، ٢٩٦
 إسحق بن عبيدس ؛ ١٠٥
 إسحق بن غانية ؛ ٢٥٧
 أسد بن القرات ؛ ٥٨٣
 إسماعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٣٧١
 إسماعيل الهروي ؛ ٤٢٦
 أصبغ بن عبد الله ؛ ٢٧٥
 الأصمعي ؛ ٥٦٥
 أفلاطون ؛ ٢١٠
 ألقش بن هرائده ؛ ٣٣٠
 أم الخير بنت شرف الدين الصوفي ؛ ٤٠٥
 أمراء الطوائف ؛ ٣٤٩
 أمية بن عبد الرحمن بن هشام ؛ ٣١٧
 الأمين العباسي ، الخليفة ؛ ٤٩
 أنس الدين بن قطب الدين القسطلاني ؛ ١٩٩
 أيوب بن حفصون ؛ ٣٠٧
 ب — خ
 باديس بن حبوس ؛ ٨٢ ، ١١٥
 البخاري ، الإمام ؛ ٣٤٦
 بدر الدين الطوسي ؛ ٢٠٣
 بشر بن صفوان الكلبي ؛ ٣٣٩
 بكر بن سليمان بن القصيرة ؛ ٢٥٠
 التاج بن شقير ؛ ١٥٧
 تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٤ ، ٤٠١ ،
 ٤٦٠
 تميم بن يوسف بن تاشفين ؛ ١٧٣
 ثوية بن سلامة ؛ ٣٣٩
 علي بن محمد التميمي ؛ ٤١٦

سفيان بن العاصي الأسدي ؛ ٢٢٤ ، ٣٠٢
 سقراط ؛ ٢١٠
 سقوت البرغواطى ؛ ٣٥٠
 سلمون بن علي بن سلمون الكنانى ؛ ٣٠٩
 سليمان بن جعفر بن حفصون ؛ ٤٢
 سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ؛ ٥٦ ،
 ٢٧٣

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ؛
 ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٣٢ ، ٥
 سليمان بن محمد بن خلف ؛ ٨٤
 سهل بن طلحة ؛ ٣٠٣
 سهل بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ١٥٤ ، ٢٧٧
 سوار بن حملون بن عبده ، ٥ ، ٤٠ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

سير بن أبي بكر ؛ ٤٥
 سيف بن ذي يزن ؛ ٣٢٧
 سيف الدين بن سابق ؛ ١٥٥
 الشريف بن سليمان الأربلى ؛ ١٥٧
 شريح بن محمد الرعيى الإشبلى ؛ ٢٢٤
 شقيق البلخلى ؛ ٢٠٣
 شهاب الدين الأبرقوسى ؛ ٣١٠
 شهاب الدين المهروردى ؛ ٢٠٣ ، ٢٠٦
 شيخ الفزاة ؛ ٦٧ ، ٧٧
 صالح بن عباس بن أبي الفوارس الصدق ؛ ٤٠٥
 صفوان بن إدريس ؛ ٢٩٧
 الصميل بن حاتم ؛ ٣٣٩
 طارق بن زياد ؛ ٣٧٢
 طاهر بن عبد المنعم ؛ ١١٠
 طاهر بن يوسف الأنصارى ؛ ١٦١

ع - غ

عاشر بن محمد بن عاشر الأنصارى ؛ ٢١٩
 عامر بن الطفيل ؛ ٩٩
 عامر بن إدريس بن عبد الحق ؛ ٦٤ ، ٢٢١

خلف بن خلف الأنصارى ؛ ٢٢٤
 خلف بن يحيى ؛ ١١٠
 خلف بن يوسف بن فرتون ؛ ٢٢٤
 الخنساء ؛ ٢٩١
 خيران العامرى ؛ ٥٧

د - ز

دارا ؛ ٤٨ ، ٥٧٩
 داود الصائى ؛ ٢٠٣
 داود بن علي الظاهرى ؛ ١١٢
 ذنوقة ، (نوثيو دى لارا) ؛ ٥٢ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٨
 راشد بن أبي راشد الوليدى ؛ ١٨٧
 رحو بن عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٦٤ ، ٣٦٧
 رسم ؛ ٤٨
 الرشيد ، هرون ؛ ٢٧٢ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،
 ٦٢٢

رعى الدين الطبرى ؛ ١٩٨
 الزبير بن العوام ؛ ٤٨
 زهير الحجارى ؛ ١٥٥
 زيد بن يحيى ؛ ٢٣٠
 زيدان ، مولاي ، السلطان ؛ ٤٣١
 زينب بنت إسحق التفزاوية ؛ ٣٤٨

س - ط

سارة بنت يحيى ؛ ١٨٧
 سالم بن صالح بن محمد الهمداني ؛ ٣١٤
 سالم بن محمد الخراسانى ؛ ٢٠٢
 سراج بن عبد الله بن سراج ؛ ٢٢٤
 سرى السقطلى ؛ ٢٠٣
 سعد بن إبراهيم بن عيسى الحميرى ؛ ٣٨٧
 سعيد بن خلف الكنانى ؛ ٢٣٨
 سعيد بن سليمان بن جودى السمدى ؛ ٢٧٥
 سعيد بن محمد بن إبراهيم الفسائى ؛ ٣١٠

عبد العزيز بن محمد الهتاني ؛ ٢١٦
 عبد العظيم بن عبد الله المنزلي ؛ ٢٠٠
 عبد الغفار بن محمد الكلاعي ؛ ٤٠٤
 عبد القادر بن عبد الله بن سوار المخاربي ؛ ٢٨
 عبد الله بن أبي قاسم الأنصاري ؛ ٣٤٠
 عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي ؛ ٣٠١
 عبد الله بن أحمد بن زيد الفرناطي ؛ ٢٨٧
 عبد الله بن بكر الأشعري ؛ ٩٠
 عبد الله بن حزب الله ؛ ٢٩٦
 عبد الله بن طلحة بن عطية ؛ ٢٣٨
 عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 عبد الله بن علي النساني السعدي ؛ ١٢٧
 عبد الله بن محمد بن السيد البطيوسي ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٧
 عبد الله بن محمد الحشني ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد بن يوسف بن منظور ؛ ٢٨٧
 عبد الله بن هود ؛ ٣٤
 عبد الله بن ياسين ؛ ٣٤٨
 عبيد الله بن يحيى ؛ ٣٧٢
 عبد الله البلنسي ؛ ٢٧٤
 عبد الله المرادي ، أبو محمد ؛ ١٢
 عبد الملك بن حبيب ؛ ٣٠
 عبد الملك بن مقفوز ، أبو الحسين ؛ ٢٩٦
 عبد المنعم بن سالك ، أبو محمد ؛ ٣٤١
 عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس ؛ ١٠٨ ،
 ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٧٨
 عبد المنعم بن علي بن سدراي ؛ ٣٠
 عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ؛
 ٣٧٣ ، ٣٠١
 عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلنودي ؛ ١٨
 عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٣ ، ١١٤٤ ،
 ٣٨٧ ، ٤٥٧
 عبد المهيم المكناسي البلنودي ؛ ٢٠
 عبد المازن الديبلي ، شرف الدين ؛ ١٩٨٠ ، ٣١٠

عامر بن محمد بن علي الهتاني ؛ ٢١٦
 عائشة بنت يحيى بن خليل ؛ ٢٦٩
 عبد الأعلى بن معلا ؛ ٢٩
 عبد الباق بن برال ؛ ٢٠٢
 عبد الحق بن حكم ، أبو القاسم ؛ ١٨٩
 عبد الحق بن الخراط ؛ ٢٧٧
 عبد الحق بن عبد الملك بن بونه ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٧٥
 عبد الحق بن محمد بن بكر بن حمامة ؛ ٣٥٧ ،
 ٣٥٨
 عبد الحق بن يحيى ؛ ٧٧
 عبد الحق بن يعقوب ؛ ٧٧
 عبد الحلیم المريني ، الأمير ؛ ٣٦٢ ، ٣٦٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ؛ ٢٧٣
 عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٣٤٩
 عبد الرحمن بن حسن القروي ؛ ٢٨
 عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 عبد الرحمن بن سلامة القضاعي ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن طلحة ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن عثمان القشيري ؛ ١١٠
 عبد الرحمن بن غالب ؛ ٢٣٨
 عبد الرحمن بن محمد بن بوق ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد السبيعي ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مغاور ؛ ٣٠٣
 عبد الرحمن بن معاوية الداخل ؛ ٩٦ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
 عبد الرحمن بن موسى بن يعمراسن ؛ ٣٢٨
 عبد الرحمن بن هشام ؛ ٢٣٥
 عبد الرحمن بن يشث ؛ ١٩٧
 عبد الرحمن الناصر لدين الله ؛ ٤١
 عبد الرحمن بن الملجوم ؛ ١٨٨
 عبد الصمد النصرى ، نور الدين ؛ ٢٠٣
 عبد العزيز بن زيدان ؛ ١٨٨
 عبد العزيز بن عبد الله الأسدي العراقي ؛ ٢٦

عبد المولى بن عبد المولى الخولاني ؛ ١٢٧
 عبد الواحد بن منظور الجذامي ؛ ٢٨٨
 عتيق بن أحمد بن محمد الفسافي ؛ ٨٠
 عتيق بن زكريا بن مول ؛ ٦٠
 عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح الفهري ؛ ٤٠٤
 عتيق بن معاذ بن عتيق الخنسي ؛ ١٩٥
 عثمان بن أحمد بن يوسف الخنسي ؛ ٣٠١
 عثمان بن إدريس بن عبد الحق ؛ ٧٩٤ ، ٣٦٥
 عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي ؛ ١٠٩
 عثمان بن عبد الرحمن ؛ ٥٥ ، ٥٦
 عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن ؛ ٥١٠
 عثمان بن يحيى ؛ ٥٢
 عثمان بن يحيى بن منظور القيسي ؛ ٨٦
 عثمان بن يحيى بن يغمراسن ؛ ٥٦ ، ٣٣٠
 عقبة بن نافع ؛ ٣٣٩
 عقيل بن عطية القضاعي ؛ ٢٣٠
 علي بن إبراهيم الأنصاري المالقي ؛ ١١٦
 علي بن إبراهيم الجذامي ؛ ١٧٤
 علي بن إبراهيم الضحاك الفزاري ؛ ١٧٥
 علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن الهلال ؛ ١٨٥
 علي بن أبي جلا المكتاسي ؛ ١٨٤
 علي بن أبي طالب ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦
 علي بن أحمد بن الحسن المدحجي ؛ ٨٨
 علي بن أحمد بن عثمان الأشعري ؛ ٢٠١
 علي بن أمباس ، أبو الحسن ؛ ٤٥٣
 علي بن أحمد بن عمر الفسافي ؛ ١٦١ ، ١٨١
 علي بن أحمد بن محمد الحشني ؛ ١٢٧
 علي بن بدر الدين بن موسى بن رجو ؛ ٦٧
 علي بن جمره بن القاسم الجهني ؛ ١٩٧
 علي بن حمود الحشني ؛ ٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٢٧٤
 علي بن صالح بن أبي اللبث بن عز الناس ؛ ١٨٣
 علي بن عبد الرحمن التجيبي (ابن الأخضر) ؛
 ٢٢٤

علي بن عبد الرحمن بن جودي القيسي ؛ ١٥٨
 علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري ؛ ١٧٣
 علي بن عبد الله ؛ ١٧٦ ، ١٩٠
 علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري ؛
 ١٧٥
 علي بن عبد الله بن يوسف الأنصاري ؛ ٣
 علي بن علي بن عتيق الهاشمي ؛ ١٩٧
 علي بن عمر بن إبراهيم القيجاطي ؛ ١٠٤
 علي بن لب بن سعيد العنسي ؛ ٧١
 علي بن محمد بن بونه ؛ ٨١
 علي بن محمد بن دري ؛ ١٠١ ، ١٠٢
 علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ؛ ١٨٦
 علي بن محمد بن عبد الحق الصباغ العقيلي ؛ ١٢٢
 علي بن محمد بن علي العبادي ؛ ١٦٩
 علي بن محمد بن مستقور الطائي ؛ ١٢٧
 علي بن محمد بن هيفم الرعيبي ؛ ١٦٣
 علي بن محمد بن يحيى النافق ؛ ١٨٣
 علي بن مسعود المحاربي ؛ ٧٠
 علي بن يحيى الفزاري ؛ ١٩٢
 علي بن يوسف بن تاشفين ؛ ٥ ، ٥٨ ،
 ١٧٣ ، ٣٤٤
 علي بن يوسف بن كاشة ؛ ٧٤
 عمر بن أبي بكر الوادي آشي ؛ ٤٠٥
 عمر بن أبي يحيى ؛ ٣٣٠
 عمر بن حفصون ؛ ٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٧
 عمر بن الخطاب ؛ ٤٨ ، ٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
 عمر بن خلاف بن سليمان ؛ ١٦٠
 عمر بن علي بن غفرون الكلبي ؛ ٣ ، ١٩٢
 عمر بن محمد الهاشمي القرشي ؛ ٢٠٢
 عمرو بن يحيى البطوي ؛ ٦١ ، ٦٢
 عمرو بن بحر الحافظ ؛ ٩٨
 عمرو بن العاص ؛ ٤٨

قاسم بن خضر العامري ؛ ٢٦٨
 القاسم بن دحمان ؛ ١٠٨
 قاسم بن عبد الكرم الأنصاري ؛
 قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط ؛ ٢٥٨
 قاسم بن محمد بن الجند العمري ؛ ٢٦٢
 قرشي بن حارث الهمداني ؛ ٢٦٥
 قطب الدين القسطلاني ؛ ٤٢٤ ، ٣٤٢
 قيس بن يوسف ؛ ٣١٩
 قيصر ؛ ٣٢٤ ، ٥٠٣
 قيصر ملك الروم ؛ ٣٤٦
 كسرى ؛ ٣٢٧ ، ٥٣٠
 كمال الدين بن العديم ؛ ١٥٥ ، ١٥٦

ل - م - ن

الليث بن سعد ؛ ٣٧٢
 مالك بن أنس ، الإمام ؛ ٢٣٢ ، ٥٨٥
 مالك بن المرحل ، أبو الحكم ، ١٣ ،
 ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٩٩
 المتوكل بن هود ، أبو عبد الله ؛ ١٦٣
 محمد بن إبراهيم بن الحسن الشافعي ؛ ٤٠٤
 محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الكتافي ؛
 ٤٠٥
 محمد بن أبي بكر بن خليل ، رضى الدين ، ١٩٩
 محمد بن أحمد بن أمين الفارسي ٣٨٧
 محمد بن أحمد الحسنى السبتي ٣٢٠
 محمد بن أحمد النسائي ، أبو القاسم ؛ ٩٠
 محمد بن اسماعيل بن نصر ؛ ٣٧٠
 محمد بن تومرت ، المهدي ؛ ٥٨
 محمد بن الحاج اللمتوني ؛ ٣٤٤
 محمد بن الحسن القرشي البوني ؛ ٣١٠
 محمد بن خليفة ؛ ١١٠
 محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٨٤ ، ٢٥١ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٢
 محمد بن محمد بن الحسن النضيري ؛ ٤٠٦

عمرون بن موسى بن عياض ؛ ٢٢٢
 عون الدين المعجمي ؛ ١٥٦
 عياض بن محمد بن موسى اليحصبي ، أبو الفضل ؛
 ٤ ، ١٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
 ٢٤٩
 عيسى بن أحمد الرازي ؛ ٣٣٨
 عيسى بن محمد الأموي ؛ ٢٣٥
 غالب بن أبي بكر الحضرمي (ابن الأشقر) ؛
 ٢٣٦
 غالب بن حسن الجهماري ؛ ١٩٧
 غالب بن حسن الخزاعي ؛ ٢٣٩
 غالب بن حسن بن سيد بونف ؛ ٢٥٧
 غالب بن عبد الرحمن الحاربي ؛ ٢٣٧
 غالب بن عطية الحاربي ؛ ٢٢٤ ، ٣٧٥
 غالب بن علي الشقورزي ؛ ٢٤٠
 غانية ؛ ٣٤٤
 الغزيري ، ميخائيل ؛ ٣

ف - ق - ك

الفتح بن علي بن أحمد (ابن خاقان) ؛ ٢٤٨
 الفخر الفارسي ؛ ٣١
 فخر الدين التودري الميكالي ؛ ١٩٩
 فرج بن اسمعيل بن نصر ؛ ٣٣٤
 فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤١
 فرج بن قاسم بن لب التتليبي ؛ ٢٥٣
 فرج بن محمد بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤٦
 فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ؛
 ٢٤٦
 الفضل بن عياض ؛ ٢٠٢
 فضل بن محمد بن فضيلة المافري ؛ ١٢٧ ،
 ٢٥٦
 الفضل بن يحيى البرمكي ؛ ٤٩
 فلوج العليج ؛ ٢٥٨
 قاسم بن أحمد بن عمران الحضرمي ؛ ٢٦٧

- محمد بن الشيخ ؛ ٤٢٧
محمد بن الطيب أبو عبد الله ؛ ٣٠١
محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي ؛ ٣٨٧
محمد بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
محمد بن عبد الخالق (ابن الصايغ) ؛ ٢٦٨
محمد بن عبد الرحيم الطيب ؛ ١٢
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٣١٦
محمد بن عبد الله بن مسلمة المظفر ، ابن الأفتاس ؛ ٤٣
محمد بن عبد الله المماقري ؛ ٢٢٤
محمد بن عتيق بن رشيق ؛ ٤٠٥
محمد بن علي بن أبي خالد العبدي ؛ ٢٥٩
محمد بن علي الأزدي ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن حنين ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن عمر المازري ؛ ٢٢٤
محمد بن علي بن مسرة ؛ ١٨٢
محمد بن علي الشاطبي (ابن الصقيل) ؛ ٢٢٤
محمد بن علي المقتات ؛ ٢١٢
محمد بن عمر بن رشيد ؛ ١٢٧
محمد بن عمر بن الدراج ؛ ١٢
محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٢٧
محمد بن عياض بن محمد بن عياض ؛ ١٨٧
محمد بن غالب بن سعيد الجبالي ؛ ١٩٩
محمد بن الوليد الطرطوشي ؛ ٢٢٤
محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ؛ ١٢٧
محمد بن يحيى الصيرفي ، أبو بكر ؛ ٣٤٩
محمد بن يوسف بن تاشفين ؛ ٣٤٤
محمد بن يوسف بن فرج بن نصر (النفي بالله) ،
٥٣٨ ، ٥٣٤ ، ٣٦٧ ، ٧٩٤٥
محمد بن يوسف بن هود ؛ ٢٥٧
يحيى الدين بن ندا بن واقد ؛ ١٥٥
يحيى الدين بن عبد المنعم ؛ ١٩٩
المرتضى ، الخليفة الأموي ؛ ١١٥ ، ٣١٥
مريم بنت عمران ؛ ٩٧
المستنصر بالله الحفصي ؛ ٥٦٠ ، ٥٦٩
- معاوية بن أبي سفيان ؛ ٣٣٩
المعتمد بن عباد ؛ ٤٥
معن بن مؤمن ؛ ٤٥٥
المقري ، أبو العباس ؛ ٤٥٩
المنذر بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٣٦
المهلب بن أبي صفرة ؛ ٥٦٦
المهلهل ؛ ٤٨
موسى بن رحو ؛ ٧٨
موسى بن زيد الراعي ؛ ٢٠٤
موقعة طريف ؛ ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
موقعة العقاب ؛ ١٩١
النجم بن اسرائيل الدمشقي ؛ ٢٠٦
نجم الدين الأصبهاني ؛ ٢٠٣
نجيب الدين بن مرغوش الشيرازي ؛ ٢٠٣
- هـ - و - ح
- هاتم بن عبد العزيز ؛ ٣٠
هشام بن حسان ؛ ٢٠٢
هشام بن الحكم ؛ ٥٦
هشام بن محمد بن عبد الله بن الناصر ؛ ٣١٥
وقيعة ذنونة ؛ أنظر ذنونه
وقيعة الطاعون ؛ ١٨ ، ٢٦٧
الوليد بن يزيد ؛ ٤٩
يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى ؛ ٣ ،
٤٢٦ ، ٤٢٧
يحيى بن أحمد بن هذيل ، أبو زكريا ؛ ٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٣٨٩ ، ٤٥٧
يحيى بن يحيى ؛ ٤١٦
يحيى الحفيد ؛ ٣٤٤
يحيى بن رحو بن تاشفين ؛ ٣٦١
يحيى بن الصائغ ، أبو الحسن ؛ ١٩٠
يحيى بن صفالة ؛ ٣٨
يحيى بن طلحة بن محلى ؛ ٣٦٣
يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهري ؛ ٤١٧
يحيى بن عبد الرحمن الحاج ؛ ٣٠٢

يحيى بن عبد الرحمن الإصبهاني ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؟ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشمري ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكريم الشنتوني ؟ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؟ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزة اللخمي ؟ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؟ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحرأوى ؟ ٢٥٨ ، ٥
 ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؟ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن بلايكان الممتوني ؟ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؟ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؟ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؟ ٣٤٤
 يزهد بن رفاعه ؟ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزالي ؟ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؟ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؟ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؟ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؟ ٤٠٤

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ؟
 أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٣١٨ ، ٥
 ٥٢٥ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣
 يوسف بن تاشقين بن إبراهيم الصنهاجي ؟ ٤
 ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦
 يوسف بن الحسن بن أبي الأحوص القرشي ؟
 ٣٧٥ ، ١٩٧
 يوسف بن رضوان بن يوسف الأنصاري
 التجارى ؟ ٤٢٥
 يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؟ ٣٣٩ ، ٣٤٠
 يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحدى ؛
 ٤١٨ ، ٣٥٤ ، ٥
 يوسف بن علي الطرطوشي ؟ ٤٢١
 يوسف بن محمد العلوي المالقي (ابن الشيخ) ؟
 ٣٧٣
 يوسف بن محمد الكلبي ؟ ٣٠٢
 يوسف بن محمد اليحصبي الوثي ؟ ٤٢٠
 يوسف بن محمد بن يوسف بن نصر ؟ ٣٥٣
 يوسف بن هلال ؟ ٣٧١
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى ؟
 ٤١٠ ، ٥
 يونس بن محمد بن مغيث ؟ ٢٢٤

يحيى بن عبد الرحمن الإصبهاني ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؟ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشمري ؟ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكريم الشنتوني ؟ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؟ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزة اللخمي ؟ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؟ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحرأوى ؟ ٢٥٨ ، ٥
 ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؟ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن بلايكان الممتوني ؟ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؟ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؟ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؟ ٣٤٤
 يزهد بن رفاعه ؟ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزالي ؟ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؟ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؟ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؟ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؟ ٤٠٤

فهرست التصحيحات

رأينا ، وقد تم بحمد الله طبع كتاب « الإحاطة » بمجلداته الأربعة ، أن نقدم ثبوتاً بالأخطاء التي أمكن الوقوف عليها في سياق نصوصها ، ولكن ليس بطريق الحصر ، لأنه توجد بالشكل من الفتح والضم والكسر وغيرها ، أخطاء أخرى ، لم نر إثباتها لأنها منسورة الاستدراك والضبط . وفيما يلي بيان هذه الأخطاء وتصحيحاتها :

المجلد الاول

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٣	هضبة	قلمة	٣٣٦	٤	وطرفة	وطرفة
	٤	بكر	فكر	٣٤٠	٥	الزمية	الزمية
	٤	ومصباح	وما صباح	٣٣٩	٢س	النسب	النسب
	٥	فارق سهدا	وأورق شذا	٣٤٤	١س	وأبرته	وأبرته
	٥	موارد	شوارد	٣٦٤	٩	وتقييدا	وتقييدا
	١٠	قائدة	بادية	٣٦٦	٨	فمادب	فمادب
	١٦	علمه مائة	أعلمه المائة	٣٦٧	٨	النفري	النفري
٨٤	١٠	سجومه	وسجومه	٣٧٣	٦س	ابن رشد	ابن رشد
٩٨	٤	قسصلية	قسطيلية	٣٧٥	٦	القاضي	القاضي
١٠٢	٩	فنجود	فتجوه	٣٨٣	٨،٧،٤،٦	هراندة - الهنشة	هرانده - الهنشه
١٤٣	٤	شخذه	شخذه	٣٨٤	١	الهنشة	الهنشة
١٤٧	١١	ويتملط	ويتملفظ	٣٩٩	١س	منتقع	منتقع
١٥٣	١	وفصاحة	وفصاحة	٤٠٣	٢	ثعبان	ثعبان
١٦١	١	قليل	قليلا	٤٣٢	٧	همة	همة
١٨٤	١٠	ابن حمزة	ابن حمزة	٤٤٣	٨	الأشقر	الأشقر
١٩٣	٩	عبد الوال	عبد الول	٤٧٥	٤	مالك	مالك
١٩٥	١٠	الخلاسى	الخلاسى	٥١٤	٦س	والخرم	والخرم
٢٠١	١١	ابن العمار	ابن الغماز	٥٢١	٦س	وجنوب	وجنوب
٢٠٧	٢س (١)	أولينه	أوليته	٥٢١	٥	الهنشة - هرانده	الهنشة - هرانده
٣٠٤	٢	المتبحر	المتبحر	٥٢١	٥	الهنشة - هرانده	الهنشة - هرانده
٣٢٣	٢س	طرقها	طرقها	٥٦٢	٦	عجم	عجم

المجلد الثاني

الصواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
أبت	أبت	١٠	٢٧٧	الغدوى	الغدوى	٧	٢١
مخبر	مخبر	٨ س	٢٨٥	الهنشة	الهنشة	٨ س	٢٢
المشوق	وعميت	٩ س	٢٨٦	هرانده	هرانده		
وقفه	المشون	٣	٤٠٣	جدها	جدها	٢ س	٥٦
يكون	وقفه	٧	٤٢٣	افتحها	افتحها	٨	٦٠
المكتب	يكون	٨	٤٢٥	وأوحى	وأوحى	٢ س	٦٢
وقواصل	المكتب	٨ س	٤٣٤	وانبثت	وانبثت	٨	٧٥
العيبة	وقواصل	٧ س	٤٣٨	فصل	فصل	٨	٧٧
مكدا	العيبة	٣ س	٤٦٢	فقلت	فقلت	٧ س	١٢٥
بلغ	مكدا	٥ س	٤٧٦	رئيس	رئيس	٣ س	١٤٣
اليد	بلغ	٣	٤٩٢	شيبى	شيبى	٨ س	١٥٤
وياليت	اليد	١١	٥٠٧	هذين البيتين	هذان البيتان	٧	١٦٣
	وياليت	٨	٥٣٤	منه	منه	١٠	١٧٧
				تجليه	تجليه	٨ س	٢٠٩
				الزيات	الزياتى	٥ س	٢٧٤
والنفت	والنفت	٤ س	٥٣٥	نصار	نصار	٧ س	٣٠٧
تذنيه	تذنيه	٩	٥٦٥	عرف	عرف	٢ س	٣٣٥
رأيت	وأبت	٨	٥٦٧	رسمت	رسمت	٤	٣٥٩

المجلد الثالث

الصواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
معروفة	معروفة	٩	١٠١	ياريح	ياريح	٤ س	١٢
أهله	أهل	٣	١٢٣	العاقد	العاقد	٧	٩٧
فأزرى	فأزرى	٢ س	١٣١	عن	من	١٠	٩٧
نظمه	نظمه	٣	١٤٧	الغرام	الغرام	٣	٩٩

تابع المجلد الثالث

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
١٥٥	٨	لفتون	لفتون	٤٥٧	٥	أصرب	أصرب
٢٢٩	٤	المحبب	المحبب	٤٦٠	٣	اختيار	اختيار
٢٥٥	٤	طعانه	سلطانه	٥٠٠	٤	زيارته	زيارته
٢٥٥	٦	سلطانه	سلوانه	٥٠٢	٧	يساق	يساق
٢٥٢	٧	الخطايا	الخطايا	٥٢٦	٣	يعشرك	يعشرك
٢٥٥	٥	صغرا	صغرا	٥٢٧	٤	بشار	بشار
٢٥٨	٦	المستشرقون	المستشرقون	٥٣١	٩	وجوهم	وجوهم
٢٦٨	٢	الأقدار	الأقدار	٥٥٦	٤	بسي	بسي
٤٢٤	٩	أودى	أودى				

المجلد الرابع

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٥	حججا	حججا	٢١٤	٩	المنعوت	المنعوت
٣٣	٩	الحق	الحق	٢١٥	١٠	تريه	تريه
٣٦	٦	اسم	باسم	٢٢٧	٣	تسير	تسير
٥٩	٧	ترمرت	تومرت	٢٥٤	٢	الخط	الخط
٦٨	٢	سطر مكرر		٢٥٤	١	جمعت	جمعت
٧٩	٢	استولى	استولى	٢٥٥	٨	تفانوا	تفانوا
٨٤	٥	أحم	أجم	٢٧٠	٩	الفتنة	الفتنة
١١١	٥	الرجاجة	الرجاجة	٢٧٧	٤	امراة	امراة
١١٥	٥	وجه	وجه	٣٠١	١٠	موقفين	موقفين
١٣٧	٣	وكتب	وكتبت	٣٠٧	١٠	يواقم	يواقم
١٤٢	٤	در	ذر	٣٣٦	٣	شقى	شقى
١٤٩	٢	بن	من	٣٣٨	٦	من	من
١٦٠	٥	وقد تبت	وقد تبت	٣٤٤	١٠	السلطان	السلطان
١٦١	٥	سها والدنو	سها والدنو	٣٦١	٧	للملوك	للملوك
١٦٢	٣	وينهاهم	ونهاهم	٣٦٧	٢	استحفه	استحفه
١٧٤	٨	رواة	رواه	٣٨٧	٢	خط	خط
١٧٦	١	والفضول	والفضول	٣٨٨	١	شالة	شالة
١٧٧	٤	وانخبير	وانخبير	٣٩٧	٤	علينا	علينا
١٨٦	٣	الزويل	الزويل	٤٠١	١	ومجمل	ومجمل
١٩٢	٦	استزلم	استزلم	٤٠٩	٩	النيجان	النيجان
٢٠٥	٤	الخرقة	الخرقة	٤٢٥	١	ومن شره	ومن شره

تابع المجلد الرابع

الصراب	الخطأ	سطر	ص	الصراب	الخطأ	سطر	ص
وكان	وكان	٧ س	٥٦٩	فهو	فو	٦	٤٣٠
ومكذبة	ومكذبة	٨	٥٧٢	وكان	وكمال	٤ س	٤٣٨
فرائض	فرائض	٢ س	٥٧٧	تيران	تيران	٣ س	٤٦٢
وأحسب	وأسب	١	٥٨٠	الخصيب	الخصيب	٨ س	٤٦٣
الأزاهر	لأزاهر	١٠	٥٩٣	بؤسها	يوسها	٧	٤٨١
إنهاضه	إنهاضه	٣ س	٦٠٠	بجلقه	بجلقه	٣	٤٨٨
والحمد	والحمد	١٠	٦٠١	الظهر	الظهر	٩	٥٠١
يعمد	يعمد	٥	٦٠١	يا محتظ	يا محتظ	٩ س	٥٠٦
السامر	الساتر	٨	٦٠٢	أكسيراها	أكسيراها	٦	٥١٦
وحوض	وحوض	٨	٦٠٤	بشبي	بشبي	٨	٥١٨
فلهن	فلهن	١٥	٦٠٤	ظفرنا	ظفرنا		٥١٩
كان	كا	٢ س	٦١٠	اتصلت	أنصلت	٣	٥٣٠
فلما	فما	١	٦١٥	تكفيم	نكفيم	١	٥٣٥
يكون	تكون	٤	٦٢٢	ومسيرة	ومسير	٢	٥٤٠
وأفضل	وأفضل	٦	٦٢٦	وغشيتها	وعيشها	٢	٥٤٧
بايع	تابع	١ س	٦٣٥	قيمة	قيمة	٣ س	٥٤٨
سبي	حي	١	٦٣٦	المستجير	المستجير	٧ س	٥٥١
قضاء	قضاء	٢ س	٦٣٨				

ككل طبع المجلد الرابع والأخير من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » وبذلك
تم طبع الكتاب كله ، وذلك بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر »
بمدينة القاهرة المعزية ، وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال المعظم
سنة ١٣٩٨ هـ ، الموافق لليوم الثامن والعشرين
من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٨ م .

الشركة المصرية للطباعة والنشر

رقم الايداع ٣٣٠١ / ١٩٧٨

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y PortugaI
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib ;ete

Vol. IV

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1978